مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الأنوار الساطعة

في

شرح الزيارة الجامعة

الجزء ١-٥

الأنوار الساطعة

بسم الله الرحمن الرحیم

الانوار الساطعه فی شرح الزیاره الجامعه

کاتب:

جواد بن عباس کربلائی

نشرت فی الطباعة:

موسسه علمی فرهنگی دارالحدیث

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الانوار الساطعه فی شرح الزیاره الجامعه ----- ۳۴
اشاره ----- ۳۴
المجلد ۱ ----- ۳۴
اشاره ----- ۳۴
الإهداء ----- ۳۸
الزّیاره و سندها ----- ۴۰
زیاره الوداع ----- ۴۶
الولایه ----- ۴۸
اشاره ----- ۴۸
الولایه لغه و اصطلاحا: ----- ۵۱
بیان قربه تعالی للأشیاء: ----- ۵۲
فصل: فی سریان حکم الولایه فی الأشیاء. ----- ۵۲
فصل: فی أقسام القرب فی الواجب و الممکن. ----- ۵۲
أقسام الولایه: ----- ۵۴
اشاره ----- ۵۴
فصل: فی تقسیم آخر لها، [و هی الولایه العامه و الخاصه] ----- ۵۵
اشاره ----- ۵۵
أما الولایه الأولی: ----- ۵۵
و أما الولایه الثانیه: أعنی الولایه الخاصه، ----- ۵۶
اشاره ----- ۵۶
فصل: المراد من الفناء فی اللّه تعالی. ----- ۵۷
فصل: الطریق الموصل إلی الولایه الخاصه فی الجمله. ----- ۵۷
فی بیان ما تحصل به الولایه: ----- ۶۰
النبوه و الرساله و الولایه: ----- ۶۲
فصل: فی معنی النّبوه و الولایه و الفرق بینهما. ----- ۶۲
فصل: النبوه و الرساله قسمان: تعریفیّتان و تشریعیّتان. ----- ۶۳
فصل: صاحب الولایه قسمان: ----- ۶۳
فصل: فی ذکر حدیث شریف فیه بیان أحوال أولیاء اللّه تعالی. ----- ۶۴
ولایه النبی و الإمام: ----- ۶۵
فصل: فی بیان أن النبوه و الولایه لهما اعتباران الإطلاق و التقیید، و العام و الخاص، و بیان معنی ولایه النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الإمام علیه السّلام. ----- ۶۵
اشاره ----- ۶۵
[النبوه و الولایه المطلقه] ----- ۶۵
أما الکلام فی النبوه و الولایه المقیده: ----- ۶۷
فصل: فی بیان مصادیق الولایه المطلقه و المقیده زیاده علی ما مرّ. ----- ۶۸
فصل: فی بیان المراد من خاتم الأولیاء حیثما تحققت. ----- ۶۹
تقسیم آخر للولایه: ----- ۶۹
تقسیم آخر للولایه المحمّدیه: ----- ۷۱
تقسیم آخر للولایه: ----- ۷۲

اشاره ----- ۷۲
فصل: ----- ۷۲
فی مظاهر الولایه المحمدیه صلّی اللّه علیه و آله: ----- ۷۴
فصل: فی ذکر الأحادیث الوارده فی الباب و تطبیقها علیهم علیهم السّلام، ----- ۷۶
فصل: فی بیان مراتب النبوّه فی الجمله. ----- ۷۹
فصل: فی تحقیق المراد من الاسم. ----- ۷۹
فصل: ----- ۸۱
فصل: فی بیان لزوم وجود الولی مطلقا فی الخلق. ----- ۸۱
فصل: فی بیان أنّ صاحب الولایه الإلهیّه مظهر لشئونه تعالی بسبب الولایه الإلهیّه و هو النبیّ الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام ----- ۸۴
تحصیل معرفته تعالی: ----- ۸۶
اشاره ----- ۸۶
الفصل الأول: ----- ۸۶
فصل: ----- ۹۱
فصل: ----- ۹۳
فصل: ----- ۹۵
فصل: ----- ۹۶
فصل: فی بیان شرح الإنسان بما هو إنسان، ----- ۹۷
اشاره ----- ۹۷
الأول: ----- ۹۷
الأمر الثانی: ----- ۹۹
الأمر الثالث: ----- ۱۰۱
اشاره ----- ۱۰۱
فهنا أمران: ----- ۱۰۲
الأول: ----- ۱۰۲
الثانی: ----- ۱۰۲
فصل: ----- ۱۰۳
فصل: ----- ۱۰۴
فصل: فی معرفه النفس، و أنها أساس الإیمان و التوحید. ----- ۱۰۵
فصل: فی تحصیل معرفته تعالی بنحو آخر. ----- ۱۱۳
التدبر فی آیات اللّه: ----- ۱۱۶
فصل: [أقسام التدبر فی الآیات الإلهیه] ----- ۱۱۶
اشاره ----- ۱۱۶
الأول: أن ینظر إلی نور الوجود ----- ۱۱۶
الثانی: ما هو دون المرتبه السابقه، ----- ۱۱۷
الثالث: ما هو دون المرتبتین ----- ۱۱۹
القوّتان النظریه و العملیه: ----- ۱۱۹
اشاره ----- ۱۱۹
أما المقدمه ----- ۱۱۹
و أما الأمر الأول: ----- ۱۲۰
اشاره ----- ۱۲۰
تتمه: ----- ۱۲۳

الأمر الثانی: ۱۲۴
الأمر الثالث: فی بیان کیفیه تحصیل حال التوسط فی القوی الثلاث ۱۲۵
الثواب و العقاب: ۱۲۸
علامات و أحوال أولیاء اللّه: ۱۳۵
اشاره ۱۳۵
فصل: ۱۴۳
فصل: ۱۵۱
صفات أعداء اللّه تعالی: ۱۶۵
أقسام العلماء: ۱۷۱
اشاره ۱۷۱
حاصل الکلام: ۱۷۲
ثلاثه عوالم و ثلاثه مسافرین ۱۷۴
فی بیان تحقق الخلافه الإلهیه فی الحقیقه الإنسانیه: ۱۷۹
تشبیه آخر للإنسان الکامل: ۱۸۲
تنبیه و موعظه حسنه: ۱۹۲
الإنسان العارف: ۱۹۴
فصل: العوالم الأربعه: ۱۹۵
شرح الزیاره الجامعه ۲۳۲
اشاره ۲۳۲
المقدمه: ۲۳۴
مقدمه الشرح: ۲۳۶
الفصل الأول: فی بیان معانی الولایه: ۲۳۸
اشاره ۲۳۸
المقام الأول: فی ذکر الآیات ۲۳۹
منها: [آیه البلاغ] ۲۳۹
و منها: [آیه الولایه] ۲۴۰
و منها: [آیه التحکیم] ۲۴۲
و منها: [قوله تعالی إلیه یصعد الکلمُ الطیبُ] ۲۴۴
و منها: قوله تعالی: ۲۴۴
المقام الثانی: فی ذکر الأحادیث الوارده فی أهمیه أمر الولایه. ۲۴۶
اشاره ۲۴۶
ما روته الخاصه: ۲۴۶
ما روته العامه: ۲۵۲
[فی ذکر جمله من الأحادیث التی نذکرها عن غایه المرام] ۲۶۴
اشاره ۲۶۴
عن طریق العامه: ۲۶۵
و عن طریق الخاصه: ۲۶۵
تتمه، أقول: أهمیه أمر الولایه علی قسمین من المعنی: ۲۶۸
الأول: من حیث النداء الإلهی و التکلیف و الإلزام القطعی الشرعی ۲۶۸
الثانی: من حیث الدقه و الفهم و الاحتمال ۲۶۸
[الأمور المستفاده من هذه الأحادیث] ۲۷۹

اشاره ۲۷۹
الأمر الأول: انقسام أحاديثهم بلحاظ المعنى، و تسميه كلّ واحد منها باسم، ۲۸۰
الأمر الثانى: [فى بيان المراد من صعوبه أمرهم الإقرار بولايتهم عليهم السلام] ۲۸۲
الأمر الثالث: أنّه يستفاد منها أنّ لهذا الدين الحنيف معارف كثيره قد خفيت على كثيرين، ۲۸۳
الأمر الرابع: [فى مراتب الإنسان فى فهم المعارف الإلهيه و عدمه] ۲۸۶
اشاره ۲۸۶
الأول: من لا يعلم و لا يكاد يعلم إلّا الظاهر من الدنيا، ۲۸۷
الثانى: من قد خرج من ظلمات الكفر و توجّه إلى السلوك فى طريق الرشد، ۲۸۸
اشاره ۲۸۸
منهم: من لا يعرف من الدين و معارفه إلّا ما سمعه من آبائه أو أهل العلم فى زمانه، ۲۸۸
و منهم: من عمل بما علم فى الجمله، ۲۸۸
اشاره ۲۸۸
القسم الأول: من قد علموا بل قد اشتملوا على بعضها، إلّا أنّهم لم يصلوا إلى أقصى مراتبها، ۲۸۸
القسم الثانى [من قد بلغ إلى غايه البصيره] ۳۰۱
و منهم: الذين فازوا بالحسنيين ۳۰۲
خاتمه: ۳۰۳
اشاره ۳۰۳
[فى بيان ما بينه الشرع المبين لتلك المعارف] ۳۰۵
[فى بيان أن المعارف الإلهيه قد اشتبه بعضها مع بعض] ۳۰۸
[بحث حول الصوفيه و عقائدهم] ۳۰۹
اشاره ۳۰۹
[الأخبار الوارده فى ذم الصوفيه] ۳۰۹
[فى بيان أن الهدايه منه تعالى لا من غيره] ۳۲۴
اشاره ۳۲۴
[فى بيان فائده الجد فى تحصيل المعرفه] ۳۲۵
[فى توهم اختصاص المعارف بهم عليهم السلام و لا يمكن لغيرهم الوصول إليها و الجواب عنه] ۳۲۷
[فى بيان عدم إمكان السير الروحى و المشى على الطريقه المحمديه إلا بالتوسل بهم و الاستمداد منهم] ۳۳۱
[فى بيان مراتب الإيمان فى الجمله] ۳۳۴
الفصل الثانى: معنى الولايه و أقسامها: ۳۳۷
[بحث فى تحقيق معنى الولايه] ۳۳۷
أقسام الولايه: ۳۳۹
اشاره ۳۳۹
الأول: الولايه التشريعيه ۳۳۹
الثانى: الولايه التكوينيه ۳۳۹
اشاره ۳۳۹
[فى بيان معنى الولايه التكوينيه و النبوه] ۳۴۰
أما الآيات الشريفه: [الداله على الولايه التكوينيه] ۳۴۸
[منها قوله تعالى: و لو أن قرآناً سُيرت به الجبال. . . .] ۳۴۸
[قوله تعالى: و إذ استسقى موسى لقومه. . .] ۳۴۹
و منها: قوله تعالى: [قال الذى عنده علمٌ من الكتاب. . .] ۳۵۱
و منها: قوله تعالى [و يعلّمه الكتاب و الحكمه. . .] : ۳۵۴

و منها: قوله تعالى [و لقد آتينا داود منا فضلاً. . . .] ----- ۳۵۶
و أما الأحاديث الداله على ولايتهم التكوينيه ----- ۳۵۷
و هنا بيان آخر فى معنى الولايه، ----- ۳۶۱
[البحث حول الغلو و العقائد الفاسده و الأحاديث الوارده فى هذا الباب] ----- ۳۶۵
[أهل الولايه من هم، و ما شرائط الولايه الأصليه؟] ----- ۳۸۱
الفصل الثالث: شئون الولايه: ----- ۳۸۹
اشاره ----- ۳۸۹
و قبل الشروع فى الشرح لا بد من تقديم أمور: ----- ۳۹۲
الأمر الأول: فى معنى الزياره و فضلها، ----- ۳۹۲
اشاره ----- ۳۹۲
أما الأول، [فى فضل زياره الإخوان و المؤمنين أحياء و أمواتا] ----- ۳۹۳
و أما الثانى: أعنى فضل زياره النبى و الأئمه عليهم السّلام أحياء و أمواتا ----- ۳۹۹
الأمر الثانى: فى بيان حقيقه زيارتهم و وظائفها ----- ۴۰۰
اشاره ----- ۴۰۰
أما الأول: [الوظائف التى تجب مراعاتها ظاهرا.] ----- ۴۰۱
اشاره ----- ۴۰۱
الأمر الأول: [قوله تعالى فاخلع نعليک. . .] ----- ۴۰۱
الأمر الثانى: أن يكون متّطهرا من الحدث و الخبث. ----- ۴۰۱
الأمر الثالث: الطواف بمراقد النبى و الأئمه ----- ۴۰۳
الأمر الرابع: تقبيل القبور: ----- ۴۰۵
الأمر الخامس: فى وقت الزياره و محلّها: ----- ۴۰۶
[أمور أخر لا بد من ملاحظتها] ----- ۴۰۸
و أما الثانى أعنى الوظائف التى تجب مراعاتها باطنا، ----- ۴۰۹
شرح متن الزياره ----- ۴۲۱
اشاره ----- ۴۲۱
[۱]قوله عليه السّلام: السلام عليكم يا أهل بيت النبوه. ----- ۴۲۳
اشاره ----- ۴۲۳
أما الأول: [فى معنى السلام] ----- ۴۲۳
الأمر الثانى: فى المعنى المراد من كلمه آل و أهل. ----- ۴۳۰
الأمر الثالث: فى المعانى التى يمكن أن يراد منها من المخاطب الملقى إليه الخطاب، ----- ۴۳۲
الأمر الرابع: فى بيان معانى بيت النبوه. ----- ۴۳۴
قوله عليه السّلام: و موضع الرساله. ----- ۴۳۹
اشاره ----- ۴۳۹
أما الأمر الأول: [فى الفرق بين النبوه و الرساله.] ----- ۴۴۰
الأمر الثانى: فى معنى كونهم عليهم السّلام موضع الرساله. ----- ۴۴۶
اشاره ----- ۴۴۶
أما الأول: [فى بيان ما دل على أنهم عليهم السّلام موضع الرساله و محلها] ----- ۴۴۶
المقام الثانى: فى بيان حقيقه الحموله الإلهيه، ----- ۴۴۹
اشاره ----- ۴۴۹
أما المقام الأول [أى البيان] : ----- ۴۵۱
و أما المقام الثانى: أعنى مقام المعانى ----- ۴۵۷

و أما المقام الثالث أی الأبواب ----- ۴۶۳
و أما المقام الرابع أی مقام الإمام و الإمامه ----- ۴۶۴
قوله علیه السّلام: و مختلف الملائکه. ----- ۴۶۷
اشاره ----- ۴۶۷
أما الأول: [فی بیان الوجه و العله لاختلاف الملائکه إلیهم] ----- ۴۶۷
أما المقام الثانی: فی بیان أقسام نزول الملائکه ----- ۴۶۹
اشاره ----- ۴۶۹
منها أنهم ینزلون إلیهم لعرض أعمال العباد. ----- ۴۶۹
و منها: نزولهم علیهم فی لیالی القدر ----- ۴۷۰
و منها: نزول الملائکه لزیاره قبورهم. ----- ۴۷۱
و منها أن الملائکه تنزل علیهم و تحدثهم بالعلوم. ----- ۴۷۱
و منها: أنهم ینزلون إلیهم لتعلم العلوم منهم علیهم السّلام کما کانوا علیهم السّلام معلمیهم فی عالم الأرواح. ----- ۴۷۲
قوله علیه السّلام: و مهبط الوحی. ----- ۴۷۶
[فی بیان معنی المهبط و الوحی لغه] ----- ۴۷۶
و أما بیانه من حیث استعماله فی الشرع ----- ۴۷۷
[فی بیان المراد من کونهم مهبط الوحی] ----- ۴۸۱
اشاره ----- ۴۸۱
الأول: ----- ۴۸۱
الثانی: ----- ۴۸۱
الثالث: أنهم مهبط الوحی باعتبار نزوله علیهم، ----- ۴۸۲
ثم إنه بقی هنا أمران: ----- ۴۸۵
اشاره ----- ۴۸۵
أما الأول: [فی أن تحدیث الملائکه النبی و الأئمه لا یدل علی أفضلیتها لهم علیهم السلام] ----- ۴۸۵
و أما الأمر الثانی: [التوفیق بین أحادیث الداله علی انقطاع الوحی بموت النبی و نزول الملائکه علی الأئمه علیهم السلام] ----- ۴۸۸
قوله علیه السّلام: و معدن الرحمه. ----- ۴۹۰
اشاره ----- ۴۹۰
الأول: فی بیان المعنی اللغوی ----- ۴۹۰
الأمر الثانی: [فی بیان إطلاق الرحمه علی الرب] ----- ۴۹۱
الأمر الثالث: فی بیان کونهم معدن الرحمه ----- ۵۰۲
اشاره ----- ۵۰۲
یقع الکلام فی سته أنوار: ----- ۵۰۳
النور الأول: کونهم أعضادا، ----- ۵۰۳
النور الثانی: کونهم علیهم السّلام أشهادا، ----- ۵۰۶
اشاره ----- ۵۰۶
ثم إنه بقی أمران: ----- ۵۰۸
الأمر الأول: فی معنی کون الروح لم یکن مع من مضی غیر محمد صلّی اللّه علیه و آله، و معنی قوله: «و لیس کلما طلب وجد» ----- ۵۰۸
الأمر الثانی: ----- ۵۰۹
النور الثالث: کونهم علیهم السّلام مناه. ----- ۵۱۰
النور الرابع: کونهم علیهم السّلام أذوادا. ----- ۵۱۴
النور الخامس: کونهم علیهم السّلام حفظه. ----- ۵۱۶
النور السادس: هو کونهم روّادا، ----- ۵۱۸

قوله علیه السّلام: و خزّان العلم. ----- ۵۱۹
اشاره ----- ۵۱۹
الأمر الأوّل: أنّ خازن من خزن المال ----- ۵۱۹
الأمر الثانی: [فی بیان معنی العلم و أصله] ----- ۵۲۰
اشاره ----- ۵۲۰
[فی بیان إطلاقات العلم بالنسبه إلی الله و الرسول و عترته] ----- ۵۲۱
اشاره ----- ۵۲۱
أما الأول: [أی بالنسبه إلی الله تعالی] ----- ۵۲۱
و أما الثانی: أعنی العلم الذی أعطاه اللّه لمحمد و آله صلّی اللّه علیه و آله ----- ۵۲۳
اشاره ----- ۵۲۳
الأمر الأول: فی بیان أن العلم المعطی لأحد فیما سوی اللّه فهو کلّه عندهم علیهم السّلام ----- ۵۲۳
الأمر الثانی: فی بیان کیفیه هذا العلم الثابت لهم علیهم السّلام و بیان أقسامه فی الجمله، ----- ۵۲۶
قوله علیه السّلام: و منتهی الحلم. ----- ۵۳۲
اشاره ----- ۵۳۲
أما الأول: [ذکر بعض الأحادیث فی بیان حلمهم علیهم السّلام] ----- ۵۳۴
أما الثانی: أعنی فی بیان فضیله الحلم. ----- ۵۳۶
المجلد ۲ ----- ۵۳۹
اشاره ----- ۵۳۹
[تتمه شرح متن الزیاره] ----- ۵۴۳
اشاره ----- ۵۴۳
قوله علیه السّلام: و أصول الکرم. ----- ۵۴۵
قوله علیه السّلام: و قاده الأمم. ----- ۵۴۸
قوله علیه السّلام: و أولیاء النعم. ----- ۵۵۶
اشاره ----- ۵۵۶
المقام الأول: فی معنی الولی و المقصود منه هنا ----- ۵۵۶
المقام الثانی: فی بیان معنی المراد من «النعم» ----- ۵۵۷
[۳]قوله علیه السّلام: و عناصر الأبرار. ----- ۵۶۳
قوله علیه السّلام: و دعائم الأخیار. ----- ۵۷۱
اشاره ----- ۵۷۱
[فی بیان تحقق تلک المعانی و کیفیه الاتصاف بها] ----- ۵۷۲
اشاره ----- ۵۷۲
الأول: فی بیان أن علم تلک الأمور عندهم علیهم السّلام فقط، ----- ۵۷۲
و أما المقام الثانی [فی بیان تحقق تلک الأمور فی أحد، و أنها منهم و هم دعائمها] : ----- ۵۷۳
قوله علیه السّلام: و ساسه العباد. ----- ۵۷۹
اشاره ----- ۵۷۹
المقام الأول [فی معنی العبد] : ----- ۵۸۰
المقام الثانی: فی معنی کونهم ساسه، ----- ۵۸۷
قوله علیه السّلام: و أرکان البلاد ----- ۵۹۲
قوله علیه السّلام: و أبواب الإیمان ----- ۵۹۵
اشاره ----- ۵۹۵
الأول [فی معنی الأبواب و الإیمان] : ----- ۵۹۵

الثانی: فی الفرق بین الإسلام و الإیمان. ----- ۵۹۷
الثالث: فی بیان حقیقه الإیمان. ----- ۵۹۸
الأمر الرابع: فی بیان متعلق الإیمان. ----- ۶۰۶
الأمر الخامس: فی بیان معنی کونهم أبواب الإیمان. ----- ۶۱۵
الأمر السادس: اعلم أن للایمان إطلاقین فی لسان الأخبار: ----- ۶۱۸
الأمر السابع: ----- ۶۲۱
[۴]قوله علیه السّلام: و أمناء الرحمن. ----- ۶۲۴
اشاره ----- ۶۲۴
[دواعی الخیانه و انتفاؤها عنهم علیهم السلام] ----- ۶۲۴
منها: التخلق بالأخلاق النفسانیه من التکبر و الحسد و الحقد و غیرها. ----- ۶۲۴
و منها: معرضیه السهو و النسیان. ----- ۶۲۴
و منها: الجهل، ----- ۶۲۵
و منها: وجود ما ینافی الأمانه ----- ۶۲۵
و منها: وجود ما یوجب عدم الوفاء و هو منفی عنهم، ----- ۶۲۵
و منها: أنّ قلوبهم لا ریب فی کونها محل مشیّه اللّه تعالی و إرادته، ----- ۶۲۶
[وجه إضافه الأمناء إلی الرحمن] ----- ۶۲۶
قوله علیه السّلام: و سلاله النبیین. ----- ۶۳۱
اشاره ----- ۶۳۱
لابد من حمل کونهم سلاله النبیین علی أحد معنیین: ----- ۶۳۴
أحدهما: أن أنوارهم وضعت فی تلک المحال الشریفه الطیبه الطاهره ----- ۶۳۴
الثانی: من معنی کونهم سلاله النبیین ----- ۶۴۲
قوله علیه السّلام: و صفوه المرسلین. ----- ۶۴۶
قوله علیه السّلام: و عتره خیره ربّ العالمین. ----- ۶۵۱
اشاره ----- ۶۵۱
الأول: فی معنی العتره و الآل و الأهل و الرهط ----- ۶۵۱
الأمر الثانی: فی بیان کونهم خیره. ----- ۶۶۹
الأمر الثالث: فی معنی الرب و بما له من المعنی العام، و بما هو المراد منه بما هو مضاف إلی العالمین. ----- ۶۸۵
الأمر الرابع: فی معنی العالمین. ----- ۶۸۸
قوله علیه السّلام: و رحمه اللّه و برکاته ----- ۶۹۰
اشاره ----- ۶۹۰
الأول: فی المعنی المراد من الرحمه فی هذه الجمله. ----- ۶۹۰
الأمر الثانی: اختلفت کلمات القوم فی أن الأعمال الصالحه هل تزید فی درجاتهم عنده تعالی أم لا؟ ----- ۶۹۲
الأمر الثالث: [فی معنی البرکه و المراد بها هنا] ----- ۷۰۰
[۵]قوله علیه السّلام: السّلام علی أئمه الهدی. ----- ۷۰۱
اشاره ----- ۷۰۱
أما الأول [فی معنی الأئمه.] : ----- ۷۰۱
و أما الأمر الثانی: أعنی معنی الهدایه و معنی کونهم أئمه الهدی. ----- ۷۰۲
قوله علیه السّلام: و مصابیح الدجی. ----- ۷۰۸
قوله علیه السّلام: و أعلام التقی. ----- ۷۱۷
اشاره ----- ۷۱۷
[أحادیث التی تدل علی ترغیب التقوی] ----- ۷۱۹

اشاره ----- ۷۱۹
القسم الأول: ما ورد فی بیان أهل التقوی. ----- ۷۱۹
القسم الثانی: أحادیث وردت فی أنّ التقوی هو التمسک بالولایه لهم علیهم السّلام، و أن المتقین هم الأئمه علیهم السّلام بل هم علیهم السّلام نفس التقوی، ----- ۷۲۰
فمعنی کونهم أعلام التقی أمور: ----- ۷۲۲
الأول: أنهم علیهم السّلام معروفون عند کلّ واحد بالتقوی کالمنار الذی لا یخفی، ----- ۷۲۲
الثانی: من معانی کونهم أعلام التقی، ----- ۷۲۳
الثالث: من معانی کونهم أعلام التقی، ----- ۷۲۵
قوله علیه السّلام: و ذوی النهی ----- ۷۲۵
قوله علیه السّلام: و أولی الحجی. ----- ۷۳۸
[۶]قوله علیه السّلام: و کهف الوری ----- ۷۴۴
قوله علیه السّلام: و ورثه الأنبیاء. ----- ۷۵۱
قوله علیه السّلام: و المثل الأعلی. ----- ۷۶۰
اشاره ----- ۷۶۰
هنا مقامان: ----- ۷۶۵
الأول: فی بیان المعنی المتحقق به أنهم المثل (بالتحریک) له تعالی. ----- ۷۶۵
و الثانی: فی بیان أنهم المثل الأعلی دون غیرهم، ----- ۷۶۵
اشاره ----- ۷۶۵
الأول: [قول الصادق علیه السلام و لله المثل الأعلی] ----- ۷۶۷
الثانی: أن حقیقه المثل الأعلی الدال علی تنزیهه تعالی، ----- ۷۶۸
الثالث: أن معنی کونهم المثل الأعلی أنه تعالی خلقهم علی أحسن صوره یقتضیها الإمکان، ----- ۷۶۹
الرابع: أن حقائق أفراد الإنسان حسب ما اقتضته قابلیاتها و حدودها صورا ظاهره و باطنه ----- ۷۷۰
الخامس: أن الشیء کالإنسان مثلا إنما یعرف بأحواله الطارئه علیه ----- ۷۷۱
قوله علیه السّلام: و الدعوه الحسنی. ----- ۷۷۵
أقول: الدعاء جاء فی اللغه علی معان: ----- ۷۷۵
هذا و أن الدعوی الحسنی یراد بها فی المقام وجوه. ----- ۷۷۶
الأول: أن المراد بها أی الدعوه الولایه ----- ۷۷۶
و الثانی: أن المراد بالدعوه الحسنی دعوه إبراهیم علیه السّلام ----- ۷۷۶
الثالث: أنهم علیهم السّلام أهل الدعوه الحسنی لجمیع الموجودات إلی اللّه تعالی ----- ۷۷۹
الرابع: أنهم علیهم السّلام دعوه اللّه التی دعا الناس بها إلی طاعته و رضاه و محبته ----- ۷۸۱
اشاره ----- ۷۸۱
الوجه الأول: أنه تعالی جعلهم سبیله و طریقه الموصل إلی رضاه و محبته، ----- ۷۸۲
الوجه الثانی: أنهم الکلمات التامات و الأسماء الحسنی، ----- ۷۸۴
الخامس: من معانی کونهم الدعوه الحسنی ----- ۷۸۶
السادس: أنه تعالی دعا الخلق إلی طاعته، ----- ۷۸۸
السابع: ----- ۷۹۰
[۷]قوله علیه السّلام: و حجج اللّه علی أهل الدنیا و الآخره و الأولی. ----- ۷۹۱
قوله علیه السّلام: و رحمه اللّه و برکاته. ----- ۸۰۰
[۸]قوله علیه السّلام: السلام علی محالّ معرفه اللّه. ----- ۸۰۳
[فی بیان معنی المحال و المعرفه لغه و اصطلاحا] ----- ۸۰۳
[فی بیان أحادیث الباب] ----- ۸۰۵
ثم إن هنا أمرین: ----- ۸۰۹

أحدهما: أنه لا سبيل إلى معرفه كنه ذاته تعالى، ----- ۸۰۹
و ثانيهما: أن المعرفه فى أىّ شخص كانت إنما هى من صنع اللّه لا من صنع بشر. ----- ۸۰۹
فسبيل معرفتهم هو معرفه اللّه تعالى» ----- ۸۱۱
اشاره ----- ۸۱۱
منها: ما عن الكراجكى (قدس اللّه روحه) ----- ۸۱۱
و منها: أن معرفه اللّه لا يمكن حصولها إلاّ بتعرّفه تعالى، ----- ۸۱۱
و منها: ان اللّه تعالى جعل ذواتهم المقدسه خزائن معارفه، ----- ۸۱۴
و منها: [في اختلاف أخذ المعارف عن الناس بخلاف الأئمه عليهم السلام] ----- ۸۱۵
و منها: [في بيان أن المعارف الإلهيه دقيقه لطيفه] ----- ۸۱۵
و منها: [في خلق أرواح المؤمنين من فاضل طينتهم عليهم السلام] ----- ۸۱۶
و منها: [في عرض المعارف على معارفهم عليهم السلام] ----- ۸۱۶
و منها: [أنهم الأسماء الحسنى] ----- ۸۱۷
قوله عليه السّلام: و مساكن بركه اللّه. ----- ۸۱۹
قوله عليه السّلام: و معادن حكمه اللّه. ----- ۸۲۰
[۹]قوله عليه السّلام: و حفظه سرّ اللّه. ----- ۸۳۰
اشاره ----- ۸۳۰
الأول: فى بيان الأحاديث الوارده فى هذا المعنى. ----- ۸۳۰
الأمر الثاني: فى بيان المعنى المراد من هذه الأحاديث من مفرداتها و جملها ----- ۸۳۲
الأمر الثالث: فى بيان المحتملين لها ----- ۸۴۱
اشاره ----- ۸۴۱
[في بيان وظيفه غير المستعدين و القادرين لتحمل أسرارهم] ----- ۸۴۲
اشاره ----- ۸۴۲
منها: [في رد علمه إلى الله و إلى الرسول و إليهم عليهم السلام] ----- ۸۴۲
و منها الكتمان لما سمعه من أحاديثهم فى الأسرار سواء عرفها أم لم يعرفها، ----- ۸۴۳
[في بيان مراتب الولايه السريه] ----- ۸۴۸
اشاره ----- ۸۴۸
أما المرتبه الأولى: فقد يعبر عنها بالذكر الأول و التجلى الأعظم، ----- ۸۴۸
و أما المرتبه الثانيه: و هى مرتبه الأسماء الحسنى ----- ۸۴۹
و أما المرتبه الثالثه: و هى مرتبه العلم الصورى القائم بالنفس ----- ۸۴۹
و أما المرتبه الرابعه: و هى مرتبه تشخيص بعض مراتبها العلميه الصوريه ----- ۸۵۰
الناس فى إدراكهم لذواتهم المقدسه على طبقات ثلاث: ----- ۸۵۱
الأولى: من كان نور عقله ضعيفا جدّا ----- ۸۵۱
الثانيه: من كان نور عقله بنحو الاستواء ----- ۸۵۱
الثالثه: من كان نور عقله بنحو يلاحظ تلك الذوات المقدسه ----- ۸۵۱
[في بيان حديث الحقيقه المشهوره المنسوبه إلى الكميل] ----- ۸۵۲
اشاره ----- ۸۵۲
أقول: الكلام فى شرحه يقع فى أمور: ----- ۸۵۳
الأول: [في شرح اللغات الحديث] ----- ۸۵۳
الثاني: قوله رضى اللّه عنه: ما الحقيقه؟ ----- ۸۵۳
الثالث: قال عليه السّلام: «ما لک و الحقيقه» . ----- ۸۵۴
الرابع: فى بيان هذه الجمله ----- ۸۵۵

الخامس: فی شرح هذه الجمله، ---------- ۸۵۶
السادس: ---------- ۸۶۱
الأمر السابع: فقال: زدنی بیانا، ---------- ۸۷۰
الأمر الثامن: ---------- ۸۷۵
اشاره ---------- ۸۷۵
الأمر الأول: [فی بیان معنی الجذب و الأحدیه لغه] ---------- ۸۷۵
الأمر الثانی: ---------- ۸۷۸
الأمر الثالث: ---------- ۸۷۹
الأمر الرابع: ---------- ۸۸۱
الأمر الخامس: ---------- ۸۸۲
و کیف کان فهذه الجمله أیضا تفسر بوجوه: ---------- ۸۸۳
اشاره ---------- ۸۸۳
الوجه الأول: ---------- ۸۸۴
الوجه الثانی: ---------- ۸۸۶
الوجه الثالث: ---------- ۸۸۷
الوجه الرابع: ---------- ۸۸۷
قوله علیه السّلام: و حمله کتاب اللّه. ---------- ۸۹۹
أقول-فی المقام الأول-إن الحمل فی اللغه جیء لمعان: ---------- ۸۹۹
ثم إن الکلام فی شرح هذه الجمله یقع فی مقامین: ---------- ۹۰۱
الأول: فی بیان کونهم حمله الکتاب و ما دلّ علیه من الأحادیث. ---------- ۹۰۱
اشاره ---------- ۹۰۱
ثم إن کونهم علیهم السّلام حمله للکتاب علی أقسام: ---------- ۹۰۳
و أما المقام الثانی أعنی بیان معنی الکتاب ---------- ۹۰۸
قوله علیه السّلام: و أوصیاء نبیّ اللّه ---------- ۹۲۱
قوله علیه السّلام: و ذریّه رسول اللّه و رحمه اللّه و برکاته. ---------- ۹۳۳
[۱۰]قوله علیه السّلام: السلام علی الدعاه إلی اللّه. ---------- ۹۳۸
اشاره ---------- ۹۳۸
فنقول: المستفاد من هذه الأحادیث أمور: ---------- ۹۴۰
الأول: ان الدعوه علی ثلاثه أقسام: ---------- ۹۴۰
الثانی: أن الأئمه علیهم السّلام یدعون الناس إلیه بهذه الدعوات الثلاث، ---------- ۹۴۰
الثالث: لا ریب فی أن الأئمه علیهم السّلام الذین هم الدعاه إلیه تعالی قد أهّلهم لذلک، ---------- ۹۴۱
قوله علیه السّلام: و الأدلاء علی مرضاه اللّه ---------- ۹۴۴
اشاره ---------- ۹۴۴
فی بیان کیفیه کونهم علیهم السّلام الأدلاء إلی مرضاته و أنحائه ---------- ۹۴۶
اشاره ---------- ۹۴۶
الأول: أنهم أدلاء علیها بالبیان العلمی المطابق مع العقل و البرهان القطعی، ---------- ۹۴۶
الثانی: أنهم أدلاء علیها بالعمل ---------- ۹۴۷
الثالث: أنهم علیهم السّلام أدلاّء علیها بالصفات الحمیده، ---------- ۹۴۷
الرابع: أنهم بحقیقتهم النورانیه، ---------- ۹۴۷
[فی دلاله الأحادیث علی أن شیعتهم ملحقون بهم فی الاقتباس] ---------- ۹۴۸
قوله علیه السّلام: و المستقرین فی أمر اللّه. ---------- ۹۵۵

[۱۱]قوله علیه السّلام: و التامّین فی محبه اللّه ----- ۹۶۰
اشاره ----- ۹۶۰
الأمر الأول: [فی معنی الحب و التام لغه] ----- ۹۶۰
الأمر الثانی: فی معنی کونهم تامّین فی محبته تعالی. ----- ۹۶۱
الأمر الثالث: ----- ۹۶۸
قوله علیه السّلام: و المخلصین فی توحید اللّه. ----- ۹۸۱
اشاره ----- ۹۸۱
الأول: فی معنی الخلوص. ----- ۹۸۲
[و الثانی مقام الخلوص فی التوحید] ----- ۹۸۷
اشاره ----- ۹۸۷
الأول: أنهم مخلصون فی توحید الذات. ----- ۹۸۷
الثانی: أنهم مخلصون للتوحید الصفاتی، ----- ۹۸۸
اشاره ----- ۹۸۸
المعنی الأول: ----- ۹۸۸
المعنی الثانی: ----- ۹۸۹
الثالث: أنهم مخلصون للتوحید الأفعالی، ----- ۹۸۹
الرابع: أنهم مخلصون للتوحید العبادی ----- ۹۹۱
قوله علیه السّلام: و المظهرین لأمر اللّه و نهیه. ----- ۹۹۹
اشاره ----- ۹۹۹
الأول: بیان معنی کونهم مظهرین لهما و کیفیته. ----- ۹۹۹
المقام الثانی: فی بیان معنی الأمر و النهی ----- ۱۰۰۴
[۱۲]قوله علیه السّلام: و عباده المکرمین الذین لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون. ----- ۱۰۰۹
اشاره ----- ۱۰۰۹
الأول: قوله: و عباده المکرمون، ----- ۱۰۰۹
اشاره ----- ۱۰۰۹
بقی هنا أمران: ----- ۱۰۳۷
الأول: معنی قوله تعالی: و عنده مفاتح الغیب الآیه ----- ۱۰۳۷
الأمر الثانی: فی بیان کیفیه تعلمهم علم الغیب ----- ۱۰۴۰
الأمر الثانی: فیما یتعلق بقوله علیه السّلام: «و عباده المکرمین الذین لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون» . ----- ۱۰۴۵
المجلد ۳ ----- ۱۰۵۴
اشاره ----- ۱۰۵۴
تتمه شرح متن الزیاره ----- ۱۰۵۸
اشاره ----- ۱۰۵۸
[۱۳]قوله علیه السّلام: السلام علی الأئمه الدعاه. ----- ۱۰۶۰
قوله علیه السّلام: و القاده الهداه. ----- ۱۰۶۴
اشاره ----- ۱۰۶۴
تذییل: ----- ۱۰۶۷
قوله علیه السّلام: و الساده الولاه ----- ۱۰۶۹
قوله علیه السّلام: و الذاده الحماه ----- ۱۰۷۴
قوله علیه السّلام: و أهل الذکر ----- ۱۰۸۰
اشاره ----- ۱۰۸۰

و أمّا الذكر: فقد أطلق فى القرآن المجيد على أمور: ---------- ۱۰۸۱
منها: القرآن. ---------- ۱۰۸۱
و منها: محمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. ---------- ۱۰۸۲
و منها: أمير المؤمنين خاصه أو هو و الأئمه عليهم السّلام. ---------- ۱۰۸۲
و منها: الولايه، ---------- ۱۰۸۵
قوله عليه السّلام: و أولى الأمر ---------- ۱۰۸۸
[۱۴]قوله عليه السّلام: و بقيه اللّه ---------- ۱۰۹۰
قوله عليه السّلام: و خيرته ---------- ۱۱۰۴
قوله عليه السّلام: و حزبه ---------- ۱۱۱۱
قوله عليه السّلام: و عيبه علمه ---------- ۱۱۱۴
قوله عليه السّلام: و حجته ---------- ۱۱۱۶
اشاره ---------- ۱۱۱۶
الأول: فى أنهم لما ذا صاروا حجه اللّه على الخلق أجمعين؟ ---------- ۱۱۱۶
أمّا الثانى: (أعنى لزوم الحجه و الاضطرار إليه) ---------- ۱۱۱۷
أمّا الثالث: (أعنى كونهم عليهم السّلام حجج اللّه على الكلّ فى جميع العوالم) . ---------- ۱۱۱۸
قوله عليه السّلام: و صراطه ---------- ۱۱۲۳
اشاره ---------- ۱۱۲۳
ثم إنه لا بدّ من تقديم أمور لتوضيح كونهم عليهم السّلام صراط اللّه، ---------- ۱۱۲۷
الأمر الأول: لا ريب فى أن للصراط معنى ظاهريا و حقيقه معنويه. ---------- ۱۱۲۷
أما الأول: فهو قسمان: قسم فى الدنيا و قسم فى الآخره. ---------- ۱۱۲۷
اشاره ---------- ۱۱۲۷
و الذى فى الدنيا: فله مصاديق. ---------- ۱۱۲۸
اشاره ---------- ۱۱۲۸
بقى هنا أمران: ---------- ۱۱۲۸
الأول: ---------- ۱۱۲۸
الثانى: أن الصراط قد يتصف بالاستقامه ---------- ۱۱۲۹
ثم إنه يقابل الصراط المستقيم قسمان من الصراط: ---------- ۱۱۳۱
أحدهما: غير المستقيم ---------- ۱۱۳۱
و ثانيهما: الطريق الذى لا استقامه فيه، ---------- ۱۱۳۲
و أمّا الصراط فى الآخره بمعناه الظاهر ---------- ۱۱۳۴
و أمّا حقيقه الصراط المعنويه ---------- ۱۱۳۹
الأمر الثانى: [المشى فى صراطهم على قسمين] ---------- ۱۱۴۱
قوله عليهم السّلام و نوره ---------- ۱۱۶۲
[۱۵]قوله عليه السّلام: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له كما شهد اللّه لنفسه. ---------- ۱۱۷۰
اشاره ---------- ۱۱۷۰
الجهه الأولى: ---------- ۱۱۷۰
الجهه الثانيه: فى وجه الشهاده بالوحدانيه. ---------- ۱۱۷۳
اشاره ---------- ۱۱۷۳
ثم إن توحيده تعالى بهذه الوحده له مظاهر فى مواطن أربعه. ---------- ۱۱۷۶
اشاره ---------- ۱۱۷۶
الأول: توحيد الذات و هو يتضح بأمرين: ---------- ۱۱۷۶

الثانی من مظاهر التوحید توحیده الصفاتی ----- ۱۱۸۶
قوله علیه السلام: کما شهد اللّه لنفسه. ----- ۱۱۸۹
اشاره ----- ۱۱۸۹
و وجه التشبیه أمور: ----- ۱۱۸۹
الأول: ----- ۱۱۸۹
الثانی من وجه التشبیه ----- ۱۱۹۱
الوجه الثالث للتشبیه: ----- ۱۱۹۵
قوله علیه السلام: و شهدت له ملائکته و أولو العلم من خلقه ----- ۱۱۹۹
اشاره ----- ۱۱۹۹
الجهه الأولی: ----- ۱۱۹۹
الجهه الثانیه: فی بیان معنی الملائکه. ----- ۱۱۹۹
الجهه الثالثه: فی معنی شهاده الملائکه بالوحدانیه له تعالی ----- ۱۲۰۳
الجهه الرابعه: فی بیان المراد من أولی العلم. ----- ۱۲۰۴
الجهه الخامسه: فی وجه العطف فی الآیه الشریفه ----- ۱۲۰۶
قوله علیه السلام: لا إله إلّا هو العزیز الحکیم. ----- ۱۲۰۹
[۱۶]قوله علیه السلام: و أشهد أن محمدا عبده المنتجب و رسوله المرتضی ----- ۱۲۱۳
اشاره ----- ۱۲۱۳
الجهه الأولی: أن الشهاده قد یراد منها الإقرار فی الظاهر ----- ۱۲۱۳
الجهه الثانیه: فی تحقیق معنی لفظ محمد صلّی اللّه علیه و آله ----- ۱۲۱۸
اشاره ----- ۱۲۱۸
الأول: فی بیان اشتقاقه و معناه اللغوی المعنی به فی إطلاقه علیه صلّی اللّه علیه و آله. ----- ۱۲۱۸
و أمّا المقام الثانی أعنی بیان اشتقاقه المعنوی ----- ۱۲۲۰
الجهه الثالثه: فی معنی العبد. ----- ۱۲۳۰
اشاره ----- ۱۲۳۰
أمّا الأول: ----- ۱۲۳۰
و أمّا الثانی: ففی معناه (أی العباده) تعبیرات، ----- ۱۲۳۱
اشاره ----- ۱۲۳۱
و العباده ضربان: ----- ۱۲۳۲
الضرب الأول: عباده بالتسخیر ----- ۱۲۳۲
و الضرب الثانی: عباده بالاختیار ----- ۱۲۳۲
الجهه الرابعه فی شرح قوله: المنتجب و رسوله المرتضی، ----- ۱۲۳۵
قوله علیه السلام: أرسله بالهدی و دین الحقّ لیظهره علی الدین کله و لو کره المشرکون ----- ۱۲۳۷
أقول: تحقیق الکلام فیه یقع فی أمور: ----- ۱۲۳۷
الأمر الأول: ----- ۱۲۳۷
الأمر الثانی: قوله تعالی: (بالهدی و دین الحق) . ----- ۱۲۳۸
الأمر الثالث: ----- ۱۲۳۹
أقول: إذا علمت هذا فاعلم: أن أهل الإیمان طائفتان: ----- ۱۲۴۰
الطائفه الأولی: من وقف علی عتبه الصوره، ----- ۱۲۴۰
الطائفه الثانیه: هم السائرون و المسافرون روحا و قلبا من عالم الصور إلی عالم المعنی، ----- ۱۲۴۱
[۱۷]قوله علیه السلام: و أشهد أنکم الأئمه الراشدون المهدیّون ----- ۱۲۴۸
اشاره ----- ۱۲۴۸

الأول: فی بیان الشهاده بولایتهم و إمامتهم. ----- ۱۲۴۸
المقام الثانی (أعنی معنی کونهم الراشدین) ----- ۱۲۵۵
قوله علیه السّلام: المعصومون ----- ۱۲۵۸
قوله علیه السّلام: المکرّمون ----- ۱۲۸۵
أقول: لا بد من ذکر أحادیث تکون کالمقدمه لشرح هذه الکلمه الشریفه ----- ۱۲۸۵
[تکریمات التی ذکر لمحمد و آله الطاهرین] ----- ۱۲۸۹
اشاره ----- ۱۲۸۹
اشاره ----- ۱۲۸۹
أما تکریمه ذاتا ----- ۱۲۸۹
و أما تکریمه صفاتا ----- ۱۲۸۹
و أما تکریمه أفعالا، ----- ۱۲۹۰
و أما تکریمه تعالی بالصوره الحسنه، ----- ۱۲۹۰
و أما تکریمه بالمزاج الأعدل ----- ۱۲۹۳
و اما تکریمه تعالی إیاه باعتدال القامه، ----- ۱۲۹۵
و أما تکریمه تعالی إیاه بالعقل الممیز به بین الحق و الباطل ----- ۱۳۰۰
و أما تکریمه تعالی إیاه بالإفهام بالنطق و الإشاره الظاهریه و المعنویه و الخطّ و الکتابه. ----- ۱۳۰۲
و أما تکریمه تعالی بالهدایه إلی أسباب المعاش، ----- ۱۳۰۶
و أما تکریمه تعالی بالتسلیط علی ما فی الأرض، ----- ۱۳۱۰
و أما تکرمته تعالی إیاه بالإسلام، ----- ۱۳۱۴
قوله علیه السّلام: المقرّبون ----- ۱۳۱۸
اشاره ----- ۱۳۱۸
أمّا الأوّل: ----- ۱۳۱۸
و أما الثانی: أعنی قرب العبد إلیه تعالی، ----- ۱۳۲۰
اشاره ----- ۱۳۲۰
القسم الأول: الاعتباری، ----- ۱۳۲۰
القسم الثانی: ----- ۱۳۲۰
قوله علیه السّلام: المتّقون ----- ۱۳۲۸
اشاره ----- ۱۳۲۸
الأول: فی تعریف التقوی. ----- ۱۳۲۸
الثانی: فی مراتب التقوی. ----- ۱۳۳۱
الثالث: فی آثارها. ----- ۱۳۳۱
الرابع: فی بیان مصادیق المتقین. ----- ۱۳۳۳
قوله علیه السّلام: الصّادقون ----- ۱۳۳۵
[۱۸]قوله علیه السّلام: المصطفون ----- ۱۳۴۲
قوله علیه السّلام: المطیعون للّه ----- ۱۳۴۵
قوله علیه السّلام: القوامون بأمره ----- ۱۳۵۱
اشاره ----- ۱۳۵۱
الأول: فی کونهم قوّامین. ----- ۱۳۵۱
و أما الکلام فی المقام الثانی: أعنی أمر اللّه الذی هم علیهم السّلام قوّامون به. ----- ۱۳۵۵
اشاره ----- ۱۳۵۵
ثم إن هنا أمورا لا بد من بیانها. ----- ۱۳۶۰

قوله علیه السّلام: العاملون بإرادته ----- ۱۳۸۳
قوله علیه السّلام: الفائزون بكرامته ----- ۱۳۸۵
[۱۹]قوله علیه السّلام: اصطفاكم بعلمه ----- ۱۳۸۵
قوله علیه السّلام: و ارتضاكم لغيبه ----- ۱۳۸۸
قوله علیه السّلام: و اختاركم لسرّه ----- ۱۳۹۳
[۲۰]و قوله علیه السّلام: و اجتباكم بقدرته ----- ۱۳۹۷
قوله علیه السّلام: و أعزّكم بهداه ----- ۱۳۹۹
قوله علیه السّلام: و خصّكم ببرهانه ----- ۱۴۰۰
اشاره ----- ۱۴۰۰
ثم إن البرهان قد يقرر بوجوه: ----- ۱۴۰۱
منها: القرآن ----- ۱۴۰۱
اشاره ----- ۱۴۰۱
و بعباره أخرى: كون القرآن برهانا من وجوه. ----- ۱۴۰۳
منها: من حيث اللفظ، ----- ۱۴۰۳
و منها: ما أظهر اللّه تعالى فيه من العلوم ----- ۱۴۰۳
و منها: أنه تعالى ذكر فى القرآن أنحاء البراهين و الحجج، ----- ۱۴۰۳
و منها: أى و من وجوه البرهان التى اختصهم اللّه بها، ----- ۱۴۰۴
و منها: أنه أخصهم ببرهانه بأن أعطاهم الاسم الأعظم الأكبر ----- ۱۴۰۴
منها: الروايات الكثيره الداله على أول خلق اللّه، ----- ۱۴۰۵
قوله علیه السّلام: و انتجبكم بنوره ----- ۱۴۰۸
قوله علیه السّلام: و أيّدكم بروحه ----- ۱۴۱۰
[۲۱]قوله علیه السّلام: و رضيكم خلفاء فى أرضه ----- ۱۴۱۱
اشاره ----- ۱۴۱۱
اشاره ----- ۱۴۱۱
الأول: فى معنى الخليفه. ----- ۱۴۱۱
أمّا الكلام فى الموضع الثانى: و هو معنى رضاه تعالى بخلافتهم عليهم السّلام. ----- ۱۴۲۹
أما الكلام فى الموضع الثالث: و هو تخصيص الخلافه بكونها فى الأرض. ----- ۱۴۳۸
قوله علیه السّلام: و حججا على بريّته. ----- ۱۴۴۱
قوله علیه السّلام: و أنصارا لدينه. ----- ۱۴۴۳
اشاره ----- ۱۴۴۳
الأوّل: فى كونهم أنصارا. ----- ۱۴۴۳
و أمّا الكلام فى المقام الثانى (أعنى بيان معنى الدين) ----- ۱۴۵۰
قوله علیه السّلام: و حفظه لسرّه ----- ۱۴۵۳
قوله علیه السّلام: و خزنه لعلمه ----- ۱۴۵۳
قوله علیه السّلام: و مستودعا لحكمته ----- ۱۴۵۴
قوله علیه السّلام: و تراجمه لوحيه ----- ۱۴۵۹
قوله علیه السّلام: و أركانا لتوحيده ----- ۱۴۶۰
[۲۲]قوله علیه السّلام: و شهداء على خلقه ----- ۱۴۸۵
قوله علیه السّلام: و أعلاما لعباده ----- ۱۴۹۴
اشاره ----- ۱۴۹۴
بقى هنا أمران: ----- ۱۴۹۸

الأوّل: ----- ۱۴۹۸
الثانی: ----- ۱۴۹۸
قوله علیه السّلام: و منارا فی بلاده ----- ۱۴۹۹
قوله علیه السّلام: و أدلّاء علی صراطه ----- ۱۵۰۶
قوله علیه السّلام: عصمکم اللّه من الزلل ----- ۱۵۱۷
[۲۳]قوله علیه السّلام: و آمنکم من الفتن ----- ۱۵۲۴
قوله علیه السّلام: «و طهّرکم من الدنس، و أذهب عنکم الرجس أهل البیت و طهّرکم تطهیرا» . ----- ۱۵۲۷
[۲۴]قوله علیه السّلام: فعظّمتم جلاله. ----- ۱۵۴۴
قوله علیه السّلام: «و أکبرتم شأنه» ----- ۱۵۴۶
قوله علیه السّلام: و مجدتم کرمه ----- ۱۵۴۹
قوله علیه السّلام: و أدمنتم ذکره ----- ۱۵۵۰
قوله علیه السّلام: و وکّدتم میثاقه، و أحکمتم عقد طاعته. ----- ۱۵۵۷
اشاره ----- ۱۵۵۷
الأوّل: فی معنی توکیدهم علیهم السّلام میثاقه. ----- ۱۵۵۸
الأمر الثانی و الثالث: فی معنی المیثاق المأخوذ علیهم و علی شیعتهم و فی وقته، و أنّه کان بأیّ نحو، ----- ۱۵۵۹
[۲۵]و أمّا قوله علیه السّلام: و أحکمتم عقد طاعته. ----- ۱۵۶۷
قوله علیه السّلام: و نصحتم له فی السرّ و العلانیه. ----- ۱۵۶۹
قوله علیه السّلام: و دعوتم إلی سبیله بالحکمه و الموعظه الحسنه ----- ۱۵۷۱
[۲۶]قوله علیه السّلام: و بذلتم أنفسکم فی مرضاته، و صبرتم علی ما أصابکم فی جنبه ----- ۱۵۷۷
اشاره ----- ۱۵۷۷
اشاره ----- ۱۵۷۷
و لکن یقع الکلام هنا فی أمرین: ----- ۱۵۷۹
الأوّل: فی معنی الصبر و أنواعه. ----- ۱۵۷۹
و أمّا الثانی (أی معنی الجنب) : ----- ۱۵۸۱
قوله علیه السّلام: و أقمتم الصلاه ----- ۱۵۸۲
قوله علیه السّلام: و آتیتم الزکاه ----- ۱۵۸۷
المجلد ۴ ----- ۱۵۹۳
اشاره ----- ۱۵۹۳
[تتمه شرح متن الزیاره] ----- ۱۵۹۷
اشاره ----- ۱۵۹۷
[۲۷]قوله علیه السّلام: و أمرتم بالمعروف و نهیتم عن المنکر. ----- ۱۵۹۹
قوله علیه السّلام: و جاهدتم فی اللّه حقّ جهاده. ----- ۱۶۰۲
[۲۸]قوله علیه السّلام: حتی أعلنتم دعوته. ----- ۱۶۰۶
قوله علیه السّلام: و بینتم فرائضه ----- ۱۶۱۰
قوله علیه السّلام: و أقمتم حدوده. ----- ۱۶۱۱
قوله علیه السّلام: و نشرتم شرائع أحکامه ----- ۱۶۱۲
[۲۹]قوله علیه السّلام: و سننتم سنّته ----- ۱۶۱۵
قوله علیه السّلام: و صرتم فی ذلک منه إلی الرضا، و سلمتم له القضاء، و صدقتم من رسله من مضی. ----- ۱۶۱۶
[۳۰]قوله علیه السّلام: فالراغب عنکم مارق، و اللازم لکم لاحق، و المقصر فی حقکم زاهق ----- ۱۶۲۰
[۳۱]قوله علیه السّلام: و الحقّ معکم و فیکم و منکم و إلیکم، و أنتم أهله و معدنه ----- ۱۶۲۴
قوله علیه السّلام: و میراث النبوه عندکم ----- ۱۶۳۰

[۳۲]قوله علیه السّلام: و إیاب الخلق إلیکم، و حسابهم علیکم ----- ۱۶۳۲
اشاره ----- ۱۶۳۲
الأول: فی السرّ و الوجه فی ذلک. ----- ۱۶۳۲
و أما الثانی: فی بیان کیفیه رجوعهم إلیهم و حسابهم علیهم ----- ۱۶۳۴
قوله علیه السّلام: و فصل الخطاب عندکم. ----- ۱۶۴۲
[۳۳]قوله علیه السّلام: و آیات اللّه لدیکم ----- ۱۶۴۹
قوله علیه السّلام: و عزائمه فیکم ----- ۱۶۸۶
قوله علیه السّلام: و نوره و برهانه عندکم و أمره إلیکم ----- ۱۶۹۱
[۳۴]قوله علیه السّلام: من والاکم فقد و إلی اللّه، و من عاداکم فقد عادی اللّه، و من أحبکم فقد أحبّ اللّه، و من أبغضکم فقد أبغض اللّه، و من اعتصم بکم فقد اعتصم باللّه. ----- ۱۷۲۳
[۳۵]قوله علیه السّلام: أنتم السبیل الأعظم، و الصراط الأقوم، و شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء ----- ۱۷۲۶
و أما قوله: «و شهداء دار الفناء» ----- ۱۷۳۰
اشاره ----- ۱۷۳۰
یقع الکلام فی أمور: ----- ۱۷۳۵
الأول: فی مورد الشهاده ----- ۱۷۳۵
الثانی: فی بیان السر فی تحمل هذه الشهاده ----- ۱۷۳۶
الثالث: ----- ۱۷۳۶
الرابع: ----- ۱۷۳۷
و أما قوله علیه السّلام: «و شفعاء دار البقاء» ، ----- ۱۷۳۸
اشاره ----- ۱۷۳۸
لا بد من بیان مورد الشفاعه و حقیقتها. ----- ۱۷۴۰
أما الأول ----- ۱۷۴۰
و أما الثانی (أعنی حقیقه الشفاعه) : ----- ۱۷۴۱
اشاره ----- ۱۷۴۱
أما الأول: ----- ۱۷۴۱
اشاره ----- ۱۷۴۱
فاستشکلوا علی الشفاعه بأمور نذکر بعضها مع الجواب بعونه تعالی. ----- ۱۷۴۲
الاشکال الأول: ----- ۱۷۴۲
الاشکال الثانی: ----- ۱۷۴۳
الإشکال الثالث: ----- ۱۷۴۴
بقی الکلام فی زمان وقوع الشفاعه ----- ۱۷۴۹
[۳۶]قوله علیه السّلام: و الرحمه الموصوله ----- ۱۷۵۰
اشاره ----- ۱۷۵۰
فلنذکر أولا أخبار الباب ----- ۱۷۵۱
و أما کونها الموصوله، ----- ۱۷۵۳
قوله علیه السّلام: و الآیه المخزونه ----- ۱۷۵۷
قوله علیه السّلام: و الأمانه المحفوظه ----- ۱۷۶۴
قوله علیه السّلام: و الباب المبتلی به الناس ----- ۱۷۷۰
اشاره ----- ۱۷۷۰
الأول: فی المعنی المراد من الباب. ----- ۱۷۷۰
و أما المقام الثانی (أعنی کون الناس قد ابتلوا بهذا الباب) ----- ۱۷۷۴
[۳۷]قوله علیه السّلام: من أتاکم نجا و من لم یأتکم هلک. ----- ۱۷۷۹

اشاره ----- ۱۷۷۹
الأول: أن من أتاهم نجا. ----- ۱۷۷۹
أما الثانی أعنی أن من لم یأتهم هلک: ----- ۱۷۸۵
قوله علیه السلام: إلی اللّه تدعون، و علیه تدلّون، و به تؤمنون، و له تسلّمون، و بأمره تعلمون، و إلی سبیله ترشدون، و بقوله تحکمون. ----- ۱۷۸۷
اشاره ----- ۱۷۸۷
و أما قوله علیه السّلام: «و به تؤمنون» ----- ۱۷۸۸
و أما قوله علیه السّلام: «و له تسلمون» ----- ۱۷۹۳
اشاره ----- ۱۷۹۳
أما الأول: ----- ۱۷۹۳
و أما الثانی أعنی القراءه بالتشدید: ----- ۱۷۹۵
فمن هنا یعلم معنی قوله علیه السّلام: «و بأمره تعملون» ----- ۱۷۹۷
و أما قوله علیه السّلام: «و إلی سبیله ترشدون» ----- ۱۷۹۹
[۳۸]قوله علیه السلام: سعد من والاکم، و هلک من عاداکم، و خاب من جحدکم، و ضلّ من فارقکم، و فاز من تمسک بکم، و أمن من لجأ إلیکم، و سلم من صدّقکم، و هدی من اعتصم بکم ----- ۱۸۰۱
[فی بیان قوله سعد من والاکم] ----- ۱۸۰۱
و أما قوله علیه السّلام: «و هلک من عاداکم» ----- ۱۸۰۹
و قوله علیه السّلام: «و خاب من جحدکم» ----- ۱۸۱۰
و أما قوله علیه السّلام: «و ضلّ من فارقکم» . ----- ۱۸۱۲
[۳۹]و أما قوله علیه السّلام: «فاز من تمسک بکم» . ----- ۱۸۱۲
اشاره ----- ۱۸۱۲
و أما قوله علیه السّلام: «و أمن من لجأ إلیکم» . ----- ۱۸۱۳
و أما قوله علیه السّلام: «و سلم من صدّقکم» . ----- ۱۸۱۴
و أما قوله علیه السّلام: «و هدی من اعتصم بکم» ----- ۱۸۱۵
[۴۰]قوله علیه السلام: من اتّبعکم فالجنه مأواه، و من خالفکم فالنار مثواه ----- ۱۸۱۵
اشاره ----- ۱۸۱۵
بقی الکلام فی بیان سرّ هذا الأمر ----- ۱۸۱۸
[۴۱]قوله علیه السلام: و من جحدکم کافر، و من حاربکم مشرک، و من ردّ علیکم فی أسفل درک من الجحیم ----- ۱۸۲۰
اشاره ----- ۱۸۲۰
الأول: معنی الجحد و الحکم بأن جاحدهم کافر. ----- ۱۸۲۰
و أما قوله علیه السّلام: «و من حاربکم مشرک» . ----- ۱۸۲۵
بقی هنا شیء و هو بیان المراد من أسفل درک من الجحیم، ----- ۱۸۲۷
[۴۲]قوله علیه السلام: أشهد أن هذا سابق لکم فیما مضی، و جار لکم فیما بقی ----- ۱۸۳۳
[۴۳]قوله علیه السلام: و إن أرواحکم و نورکم و طینتکم واحده، طابت و طهرت، بعضها من بعض. ----- ۱۸۳۶
اشاره ----- ۱۸۳۶
و أما قوله: «طینتکم» ----- ۱۸۳۸
و أما قوله علیه السّلام: «طابت و طهرت بعضها من بعض» . ----- ۱۸۴۳
[۴۴]قوله علیه السلام: خلقکم اللّه أنوارا، فجعلکم بعرشه محدقین. ----- ۱۸۵۲
اشاره ----- ۱۸۵۲
الأولی: فی معنی إنه تعالی خلقهم أنوارا. ----- ۱۸۵۲
و أما الکلام فی الجهه الثانیه و هی معنی العرش ----- ۱۸۷۶
و أما الکلام فی الجهه الثالثه أعنی معنی کونهم علیهم السّلام محدقین بالعرش، ----- ۱۸۸۷
قوله علیه السلام: حتّی منّ علینا بکم، فجعلکم فی بیوت أذن اللّه أن ترفع و یذکر فیها اسمه. ----- ۱۸۹۲

اشاره ----- ۱۸۹۲
الجهه الأولى: في بيان منن اللّه تعالى بأن جعلهم في بيوت. . . إلخ ----- ۱۸۹۲
الجهه الثانيه: في بيان معنى البيوت التى أذن اللّه أن ترفع، . . . إلخ. ----- ۱۸۹۵
اشاره ----- ۱۸۹۵
و أما قوله عليه السّلام: «أذن اللّه أن ترفع و يذكر فيها اسمه» ----- ۱۸۹۸
اشاره ----- ۱۸۹۸
الأول: بيان المراد من أذن اللّه أن ترفع. ----- ۱۸۹۸
و أما الثانى: أعنى بيان إذنه تعالى أن يذكر فيها اسمه، ----- ۱۹۰۱
اشاره ----- ۱۹۰۱
الأول: أن يذكر في تلك البيوت أسماؤه تعالى من الأذكار الوارده عنهم عليهم السّلام أو القرآن الكريم ----- ۱۹۰۱
الثانى: أن يكون المراد من إذنه تعالى أن يذكر فيها اسمه هو أن حقيقه ذكره تعالى بأسمائه الحسنى، ----- ۱۹۰۲
[۴۵]قوله عليه السّلام: و جعل صلواتنا عليكم، و ما خصّنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا، و طهاره لأنفسنا، و تزكيه لنا، و كفّاره لذنوبنا ----- ۱۹۰۴
[۴۶]قوله عليه السّلام: «فكنّا عنده مسلّمين بفضلكم، و معروفين بتصديقنا إيّاكم. ----- ۱۹۱۲
اشاره ----- ۱۹۱۲
الأول: في بيان أنا كنا مسلّمين بفضلهم عليهم السّلام. ----- ۱۹۱۲
و أما الثانى: أعنى بيان كوننا معروفين بتصديقنا إيّاهم، ----- ۱۹۱۶
[۴۸ و ۴۷]قوله عليه السّلام: فبلغ اللّه بكم أشرف محل المكرّمين، و أعلى منازل المقرّبين، و أرفع درجات المرسلين ----- ۱۹۱۸
اشاره ----- ۱۹۱۸
الأول: في معنى الباء في بكم، ----- ۱۹۱۸
المقام الثانى: في أفضليتهم عليهم السّلام على الجميع. ----- ۱۹۱۹
[۴۹]قوله عليه السّلام: حتى لا يبقى ملك مقرب، و لا نبىّ مرسل، و لا صديق، و لا شهيد، ----- ۱۹۳۲
اشاره ----- ۱۹۳۲
يقع الكلام في أمور: ----- ۱۹۳۳
الأول: في معنى عرّفهم، ----- ۱۹۳۳
الأمر الثانى في أن تعريفه تعالى يشمل الكل حتى غير ذوى العقول أم لا ----- ۱۹۳۵
و أما المقام الثالث و هو أنه إذا عرف الكل مقامهم المحمود، فكيف يرى في بعضهم بل في الكثير إنكار ذلک؟ ----- ۱۹۴۸
قوله عليه السّلام: «حتى لا يبقى ملك مقرب» ، ----- ۱۹۵۰
قوله: «و لا نبى مرسل» ----- ۱۹۵۰
قوله: «و لا صديق» ----- ۱۹۵۰
قوله: «و لا شهيد» ----- ۱۹۵۱
قوله: «و لا عالم و لا جاهل و لا دنى و لا فاضل» ----- ۱۹۵۱
قوله عليه السّلام: «و لا مؤمن صالح، و لا فاجر طالح» ----- ۱۹۵۲
[۵۰]قوله عليه السّلام: «و لا جبّار عنيد، و لا شيطان مريد» ----- ۱۹۵۲
قوله عليه السّلام: «و لا خلق فيما بين ذلک شهيد» ----- ۱۹۵۳
قوله عليه السّلام: «إلّا عرفهم جلاله أمركم» . ----- ۱۹۵۴
و قوله عليه السّلام: «و عظم خطركم» ----- ۱۹۵۶
و قوله عليه السّلام: «و كبر شأنكم» ----- ۱۹۵۶
قوله عليه السّلام: «و تمام نوركم» ----- ۱۹۵۷
[۵۱]قوله عليه السّلام: «و صدق مقاعدكم» ----- ۱۹۵۸
قوله عليه السّلام: «و شرف محلكم» ----- ۱۹۵۹
و قوله عليه السّلام: «و ثبات مقامكم» ----- ۱۹۵۹

و قوله: «و منزلتكم» ----- ۱۹۵۹
و قوله علیه السّلام: «و كرامتكم علیه» ----- ۱۹۵۹
[۵۲]قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمی و أهلی و مالی و أسرتی ----- ۱۹۶۱
قوله علیه السّلام: أشهد اللّه و أشهدكم أنی مؤمن بكم و بما آمنتم به، كافر بعدوّكم و بما كفرتم به ----- ۱۹۶۳
اشاره ----- ۱۹۶۳
أقول: قوله علیه السّلام: «إنی مؤمن بكم» ----- ۱۹۶۴
[۵۳]قوله علیه السّلام: «كافر بعدوكم و بما كفرتم به» ----- ۱۹۶۵
قوله علیه السّلام: مستبصر بشأنكم و بضلاله من خالفكم ----- ۱۹۶۹
[۵۴]قوله علیه السّلام: موال لكم و لأولیائكم، مبغض لأعدائكم و معاد لهم ----- ۱۹۷۰
قوله علیه السّلام: سلم لمن سالمكم، و حرب لمن حاربكم ----- ۱۹۷۱
[۵۵]قوله علیه السّلام: «محقّق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم ----- ۱۹۷۲
اشاره ----- ۱۹۷۲
أما الأول: ----- ۱۹۷۲
و أما الثانی: أعنی ثبوت حقانیتهم عقلا ----- ۱۹۷۳
قوله علیه السّلام: مطیع لكم، عارف بحقّكم، مقرّ بفضلكم ----- ۱۹۷۶
اشاره ----- ۱۹۷۶
و أما قوله علیه السّلام: «عارف بحقكم» . ----- ۱۹۷۸
اشاره ----- ۱۹۷۸
الأول: معرفه مقاماتهم التی رتبهم اللّه تعالی فیها، ----- ۱۹۸۰
الثانی: معرفه أنهم علیهم السّلام معانیه، ----- ۱۹۸۰
الثالث: معرفه أنهم علیهم السّلام أبوابه تعالی التی منها یؤتی فی العبادات و الدعوات و المناجاه، ----- ۱۹۸۱
الرابع: معرفه ظاهر إمامتهم و ولایتهم، ----- ۱۹۸۱
[@۵۶@]و أما قوله علیه السّلام: «مقرّ بفضلكم» ----- ۱۹۸۲
قوله علیه السّلام: محتمل لعلمكم، محتجب بذمتكم، معترف بكم. ----- ۱۹۸۷
اشاره ----- ۱۹۸۷
الموقع الأول: فی بیان قوله علیه السّلام: محتمل لعلمكم، ----- ۱۹۸۷
الموقع الثانی: فی بیان قوله علیه السّلام: «محتجب بذمتكم» . ----- ۱۹۹۸
و أما الكلام فی الموقع الثالث و هو قوله علیه السّلام: «معترف بكم» . ----- ۲۰۰۴
[۵۷]قوله علیه السّلام: مؤمن بإیابكم، مصدّق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم ----- ۲۰۰۵
اشاره ----- ۲۰۰۵
یقع الكلام فی جهات: ----- ۲۰۰۵
الجهه الأولی: ----- ۲۰۰۵
الجهه الثانیه: فی إمكانها ----- ۲۰۰۸
الجهه الثالثه: فی الآیات و الأحادیث الوارده فی الرجعه تصریحا أو تأویلا منهم علیهم السّلام بها، ----- ۲۰۳۰
و هاهنا فوائد: ----- ۲۰۳۵
الفائده الأولی: قد تكرر ذكر دابه الأرض فی الأحادیث، ----- ۲۰۳۵
الفائده الثانیه: ----- ۲۰۴۴
الفائده الثالثه: ----- ۲۰۵۷
الفائده الرابعه: فیما ورد من أنّ إبلیس یقتل فی الرجعه أو عند قیام القائم علیه السّلام ----- ۲۰۶۳
الفائده الخامسه: فیما یفعله الأئمه علیهم السّلام فی الرجعه، ----- ۲۰۷۰
بقی شیء و هو أن قوله علیه السّلام «منتظر لأمركم، و مرتقب لدولتكم» ----- ۲۰۸۱

قوله عليه السّلام: آخذ بقولكم، ۲۰۸۹
فقوله عليه السّلام: «عامل بأمركم» ۲۰۹۰
قوله عليه السّلام: «مستجير بكم» . ۲۰۹۱
[۵۸]قوله عليه السّلام: «زائر لكم» ۲۰۹۱
قوله عليه السّلام: «عائذ بكم لائذ بقبوركم» ۲۰۹۴
قوله عليه السّلام: «مستشفع إلى اللّه عز و جل بكم» . ۲۰۹۸
قوله عليه السّلام: «و متقرّب بكم إليه» . ۲۱۰۲
[۵۹]قوله عليه السّلام: «و مقدّمكم أمام طلبتي و حوائجي و إرادتي في كلّ أحوالي و أموري» . ۲۱۰۸
[۶۰]قوله عليه السّلام: «مؤمن بسركم و علانيتكم و شاهدكم و غائبكم و أولكم و آخركم» . ۲۱۱۳
قوله عليه السّلام: «و مفوض في ذلك كله إليكم، و مسلم فيه معكم» . ۲۱۳۷
اشاره ۲۱۳۷
[۶۱]و اما قوله عليه السّلام: «مسلم فيه معكم» ۲۱۳۸
المجلد ۵ ۲۱۷۶
اشاره ۲۱۷۶
[تتمه شرح متن الزياره] ۲۱۸۰
اشاره ۲۱۸۰
قوله عليه السّلام: و قلبي لكم مسلّم، و رأيي لكم تبع، و نصرتي لكم معدّه. ۲۱۸۲
و أما قوله عليه السّلام: «و نصرتي لكم معدّه» . ۲۱۸۸
قوله عليه السّلام: حتّى يحيي اللّه تعالى دينه بكم، و يردّكم في أيّامه، و يظهركم لعدله، و يمكّنكم في أرضه. ۲۱۹۱
اشاره ۲۱۹۱
فتحقيقه يتوقّف على بيان تلك الأمور ۲۲۰۱
اشاره ۲۲۰۱
الأمر الأول: في أن الذي هو واقع الإسلام يكون بحقائقه و آثاره و شئونه واضحه ۲۲۰۱
الأمر الثاني: اعلم أنّ حياه الدين متوقّف على تحقق شيئين: ۲۲۰۲
اشاره ۲۲۰۲
الأول: وضوحه و بيانه على ما هو عليه، ۲۲۰۳
الثاني: هو وجود القوابل الكامله لتحقق الدين بواقعه فيها. ۲۲۰۳
الأمر الثالث: ۲۲۰۸
الأمر الرابع: في نبذ من بيان عله الغيبه الكبرى، ۲۲۱۷
الأمر الخامس: في بيان قوله عليه السّلام: «و يردّكم في أيامه، و يظهركم لعدله، و يمكّنكم في أرضه» . ۲۲۲۲
قوله عليه السّلام: فمعكم معكم لا مع عدوّكم، آمنت بكم، و تولّيت آخركم بما تولّيت به أوّلكم. ۲۲۲۹
[۶۳]أقول: «فمعكم. . . إلخ» ۲۲۲۹
و قوله عليه السّلام: «آمنت بكم و تولّيت آخركم بما تولّيت به أولكم» ۲۲۳۰
اشاره ۲۲۳۰
الأول: أن موالاتي لجميعكم على نحو سواء. ۲۲۳۱
و أما الثاني: أي الاعتقاد بوجود الحجه (عج) ۲۲۳۲
قوله عليه السّلام: و برئت إلى اللّه عز و جل من أعدائكم و من الجبت و الطاغوت ۲۲۳۳
اشاره ۲۲۳۳
الأمر الأول: قوله: «و برئت» عطف على «آمنت بكم و تولّيت. . . إلخ» ۲۲۳۳
الأمر الثاني: قوله عليه السّلام: «و من الجبت و الطاغوت» . ۲۲۳۵
الأمر الثالث: قوله: «و الشياطين و حزبهم الظالمين لكم، . . . ۲۲۳۷

و أما قوله علیه التسلام: «و الجاحدین لحقکم و المارقین من ولایتکم» ----- ۲۲۴۰
و أما قوله: «و الغاصبین لإرثکم» ----- ۲۲۴۰
و قوله: «و الشاکین فیکم» ----- ۲۲۴۰
و أما قوله علیه التسلام: «و المنحرفین» ----- ۲۲۴۲
و أما قوله علیه التسلام: «و کلّ ولیجه دونکم و کلّ مطاع سواکم» ----- ۲۲۴۴
و قوله: «و کلّ مطاع سواکم» ----- ۲۲۴۸
و قوله علیه التسلام: «و من الأئمه الذین یدعون إلی النار» ----- ۲۲۵۱
قوله علیه التسلام: فثبّتنی اللّه أبدا ما حییت علی موالاتکم و محبتکم و دینکم، و وفّقنی لطاعتکم. ----- ۲۲۵۳
اشاره ----- ۲۲۵۳
الأول: فی قوله: «فثبّتنی اللّه أبدا ما حییت علی موالاتکم» ----- ۲۲۵۳
اشاره ----- ۲۲۵۳
المعنی الأول: ----- ۲۲۵۳
المعنی الثانی: ----- ۲۲۵۵
الثانی: قوله: «علی موالاتکم» ----- ۲۲۵۶
اشاره ----- ۲۲۵۶
و حینئذ و کیف التوفیق بین هذه و ما سبق من أنها هی الولایه دون غیرها، ----- ۲۲۵۹
اشاره ----- ۲۲۵۹
الوجه الأول: ----- ۲۲۵۹
و الوجه الثانی: ----- ۲۲۶۰
الوجه الثالث: ----- ۲۲۶۰
الوجه الرابع: ----- ۲۲۶۶
قوله علیه التسلام: «و محبتکم» ----- ۲۲۶۸
قوله علیه التسلام: «و دینکم. . .» ----- ۲۲۷۳
قوله علیه التسلام: «و وفّقنی لطاعتکم» ----- ۲۲۸۰
قوله علیه التسلام: و رزقنی شفاعتکم. ----- ۲۲۸۳
اشاره ----- ۲۲۸۳
الأول: فی معنی الرزق. ----- ۲۲۸۳
الأمر الثانی: و فی المجمع فی بیان الشفاعه: ----- ۲۲۸۴
بقی هنا شیء و هو بیان المشفوع لهم، ----- ۲۲۸۹
قوله علیه التسلام: و جعلنی من خیار موالیکم التابعین لما دعوتم إلیه. ----- ۲۲۹۷
اشاره ----- ۲۲۹۷
الکلام یقع أولا فی بیان المراد من خیار موالیهم، ----- ۲۲۹۷
اشاره ----- ۲۲۹۷
فهاهنا أمور لا بد من شرحها و هی کما عرفت عشره: ----- ۲۲۹۸
اشاره ----- ۲۲۹۸
أما المسلم و المؤمن. ----- ۲۲۹۹
و أما العابد: ----- ۲۳۰۱
اشاره ----- ۲۳۰۱
و العباده ضربان: ----- ۲۳۰۱
الضرب الأول: عباده بالتسخیر ----- ۲۳۰۱
و الضرب الثانی: عباده بالاختیار ----- ۲۳۰۱

و أما الزاهد: ---------- ۲۳۰۲
و أما العارف: ---------- ۲۳۰۵
و أما الولی-و النبی-و الرسول-و أولی العزم-و الخاتم و الملحق به من الأئمه علیهم السّلام. ---------- ۲۳۱۶
و أما أولو العزم: ---------- ۲۳۱۹
ثم إن هاهنا کلاما فی بیان حال الغوث، و أنه من المراد منه؟ ---------- ۲۳۲۱
ثم إنّ هاهنا ألقابا و عناوین للأولیاء لا بأس بالإشاره إلیها، ---------- ۲۳۲۷
قوله علیه السّلام: و جعلنی ممن یقتصّ آثارکم، و یسلک سبیلکم، و یهتدی بهداکم، ---------- ۲۳۳۱
اشاره ---------- ۲۳۳۱
الأمر الأول: قوله علیه السّلام: «و جعلنی ممن یقتصّ آثارکم» . ---------- ۲۳۳۱
[۶۹]الأمر الثانی فی شرح قوله علیه السّلام «و یسلک سبیلکم» . ---------- ۲۳۳۹
الأمر الثالث فی شرح قوله: «و یهتدی بهداکم» . ---------- ۲۳۴۰
قوله علیه السّلام: و یحشر فی زمرتکم، و یکرّ فی رجعتکم، و یملّک فی دولتکم، و یشرّف فی عافیتکم، و یمکّن فی أیّامکم، و تقرّ عینه غدا برؤیتکم. ---------- ۲۳۴۰
اشاره ---------- ۲۳۴۰
«و یکرّ فی رجعتکم» : ---------- ۲۳۴۰
[۷۰] «و یملّک فی دولتکم» : ---------- ۲۳۴۱
«و یشرف فی عافیتکم» : ---------- ۲۳۴۱
«و یمکّن فی أیامکم» : ---------- ۲۳۴۱
[۷۱]و تقر عینه غدا برؤیتکم: ---------- ۲۳۴۲
قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمّی و نفسی و أهلی و مالی. ---------- ۲۳۴۳
قوله علیه السّلام: من أراد اللّه بدأ بکم، و من وحّده قبل عنکم، و من قصده توجّه بکم. ---------- ۲۳۴۳
اشاره ---------- ۲۳۴۳
[۷۲] «من أراد اللّه بدأ بکم» ---------- ۲۳۴۳
[۷۳] «و من قصده توجّه بکم» ---------- ۲۳۴۴
اشاره ---------- ۲۳۴۴
المستفاد من هذه الأحادیث و نظائرها أمور: ---------- ۲۳۴۸
الأول: ---------- ۲۳۴۸
الثانی: ---------- ۲۳۴۸
الثالث: ---------- ۲۳۴۹
الرابع: ---------- ۲۳۵۰
ما المراد من قوله تعالی: فادعوه بها ---------- ۲۳۵۲
اشاره ---------- ۲۳۵۲
فهاهنا مقامان: ---------- ۲۳۶۳
الأول بیان قوله: «و من قصده توجه بکم» ---------- ۲۳۶۳
و أما الثانی أعنی قوله: «نحن الأسماء الحسنی التی لا یقبل اللّه عملا إلاّ بمعرفتنا» . ---------- ۲۳۶۵
[فی شرح هذه الجمل الثلاث ببیان أخری] ---------- ۲۳۶۵
اشاره ---------- ۲۳۶۵
قوله «من أراد اللّه بدأ بکم» ---------- ۲۳۶۵
و أما قوله: «و من وحّده قبل عنکم» . ---------- ۲۳۶۹
و أما قوله علیه السّلام: «و من قصده توجه بکم» . ---------- ۲۳۷۰
ثمّ إن هاهنا کلاما فی بیان قوله: «من أراد اللّه بدأ بکم، و من قصده توجه بکم» ---------- ۲۳۷۵
قوله علیه السّلام: موالیّ لا أحصی ثناءکم، و لا أبلغ من المدح کنهکم، و من الوصف قدرکم، و أنتم نور الأخیار و هداه الأبرار و حجج الجبّار. ---------- ۲۳۹۵

اشاره ----- ۲۳۹۵
[@۷۴@]و أما قوله علیه السّلام: «و أنتم نور الأخیار» ----- ۲۳۹۶
و أما قوله علیه السّلام «و هداه الأبرار و حجج الجبار» : ----- ۲۳۹۷
قوله علیه السّلام: بکم فتح اللّه و بکم یختم. ----- ۲۳۹۹
و أما قوله علیه السّلام: «و بکم یمسک السماء أن تقع علی الأرض إلاّ بإذنه، و بکم ینفّس الهمّ و یکشف الغم، و بکم یکشف الضّر (و یرفع الضر خ ل)» . ----- ۲۴۰۲
أقول: فقوله علیه السّلام: «و بکم ینزل الغیث» ----- ۲۴۰۲
قوله علیه السّلام: «إلاّ بإذنه» ----- ۲۴۰۳
[۷۶]و قوله علیه السّلام: «و بکم ینفّس الهمّ» ----- ۲۴۰۴
قوله علیه السّلام: و عندکم ما نزلت به رسله و هبطت به ملائکته. ----- ۲۴۰۴
[۷۷]قوله علیه السّلام: و إلی جدّکم بعث الروح الأمین (و إن کانت الزیاره لأمیر المؤمنین علیه السّلام، فقل: و إلی أخیک بعث الروح الأمین) . ----- ۲۴۱۷
قوله علیه السّلام: آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین. ----- ۲۴۲۷
قوله علیه السّلام: طأطأ کلّ شریف لشرفکم، و بخع کلّ متکبّر لطاعتکم، و خضع کلّ جبّار لفضلکم، و ذلّ کلّ شیء لکم. ----- ۲۴۶۸
قوله علیه السّلام: و أشرقت الأرض بنورکم، و فاز الفائزون بولایتکم، بکم یسلک إلی الرضوان، و علی من جحد ولایتکم غضب الرحمن. ----- ۲۴۷۴
أقول: قوله علیه السّلام: «و أشرقت الأرض بنورکم» ----- ۲۴۷۴
[۷۹]و قوله علیه السّلام: «فاز الفائزون بولایتکم» ----- ۲۴۷۸
اشاره ----- ۲۴۷۸
الأول: أنه ما المراد بالولایه التی هی سبب الفوز؟ ----- ۲۴۷۸
و أما الثانی: أعنی بیان الفوز و هو علی أقسام. ----- ۲۴۷۹
و أما قوله علیه السّلام: «بکم یسلک إلی الرضوان» ----- ۲۴۹۲
و أما قوله علیه السّلام: «و علی من جحد ولایتکم غضب الرحمن» . ----- ۲۵۰۰
[۸۰]قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمی و نفسی و أهلی و مالی، ذکرکم فی الذاکرین. ----- ۲۵۰۴
«بأبی أنتم» : ----- ۲۵۰۴
و أما قوله علیه السّلام: «ذکرکم فی الذاکرین» ----- ۲۵۰۵
بیانه یحتاج إلی مقدمه. ----- ۲۵۰۵
اشاره ----- ۲۵۰۵
فهنا أمور: ----- ۲۵۰۵
الأول: بیان معنی الذکر. ----- ۲۵۰۵
و أما الثانی: أی بیان أقسام الذکر بلحاظ المذکور. ----- ۲۵۰۶
و أما الثالث: أی بیان أقسام الذاکرین. ----- ۲۵۱۱
و أما الرابع: أی بیان کیفیه الذکر فی موارده حتی یوجب الوصول إلی حصول المذکور عند النفس. ----- ۲۵۱۳
اشاره ----- ۲۵۱۳
فقد ذکروا فی بیان کیفیه الوصول إلی المقصد الأعلی ثلاثه مسالک. ----- ۲۵۱۵
الأول: مسلک الأذکار و الأوراد بأنحائها و أقسامها، ----- ۲۵۱۵
الثانی: مسلک تحصیل معرفه النفس، ----- ۲۵۱۵
الثالث: مسلک تحصیل المحبه الإلهیه، ----- ۲۵۱۹
و أما الخامس: أعنی بیان فضیله الذکر. ----- ۲۵۲۵
قوله علیه السّلام: و أسماؤکم فی الأسماء. ----- ۲۵۳۱
[۸۱]قوله علیه السّلام: و أجسادکم فی الأجساد. ----- ۲۵۳۳
قوله علیه السّلام: و أرواحکم فی الأرواح، و أنفسکم فی النفوس. ----- ۲۵۳۷
اشاره ----- ۲۵۳۷
فالخصیصه الروحیه ----- ۲۵۳۷

و أما الخصیصه النفسیه: ----- ۲۵۳۸

بقی الکلام فی الخصیصه الثالثه، أعنی ما یخصّ بحواشیهم. ----- ۲۵۴۲

قوله علیه السّلام: و آثارکم فی الآثار، و قبورکم فی القبور. ----- ۲۵۴۳

اشاره ----- ۲۵۴۳

و أما قوله علیه السّلام: «و قبورکم فی القبور» ----- ۲۵۴۶

[۸۲]قوله علیه السّلام: فما أحلی أسماءکم، و أکرم أنفسکم، و أعظم شأنکم، و أجلّ خطرکم، و أوفی عهدکم، و أصدق وعدکم! ----- ۲۵۴۷

اشاره ----- ۲۵۴۷

الأول: فی بیان قوله علیه السّلام: «فما أحلی أسماءکم!» . ----- ۲۵۴۷

الثانی: فی بیان قوله علیه السّلام: «و أکرم أنفسکم» . ----- ۲۵۵۲

الثالث: فی بیان قوله علیه السّلام: «و أعظم شأنکم، و أجل خطرکم!» . ----- ۲۵۵۵

الرابع: فی بیان قوله علیه السّلام: «و أوفی عهدکم، و أصدق وعدکم!» . ----- ۲۵۵۶

قوله علیه السّلام: کلامکم نور، و أمرکم رشد، و وصیتکم التقوی، و فعلکم الخیر، و عادتکم الإحسان، و سجیّتکم الکرم، و شأنکم الحق و الصدق و الرفق، و قولکم حکم و حتم، و رأیکم علم و حلم و حزم. ----- ۲۵۵۸

اشاره ----- ۲۵۵۸

[۸۳]الأول: «کلامکم نور» . ----- ۲۵۵۸

و الثانی: «و أمرکم رشد» ----- ۲۵۵۹

الثالث: «و وصیتکم التقوی» . ----- ۲۵۵۹

الرابع: «و فعلکم الخیر» ----- ۲۵۶۰

الخامس: قوله علیه السّلام: «و عادتکم الإحسان» ----- ۲۵۶۱

[۸۴]السابع: قوله علیه السّلام: «و شأنکم الحق و الصدق و الرفق» . ----- ۲۵۶۲

الثامن: قوله علیه السّلام: «و قولکم حکم و حتم» . ----- ۲۵۶۳

التاسع: قوله علیه السّلام: «و رأیکم علم و حلم و حزم» . ----- ۲۵۶۵

[۸۵]قوله علیه السّلام: إن ذکر الخیر کنتم أوله و أصله و فرعه و معدنه و مأواه و منتهاه. ----- ۲۵۶۸

قوله علیه السّلام: «أوله» ----- ۲۵۶۸

و أما قوله «و أصله» : ----- ۲۵۷۱

و أما قوله: «و فرعه» ----- ۲۵۷۱

و قوله علیه السّلام: «و معدنه» ----- ۲۵۷۳

و قوله علیه السّلام: «و مأواه» ----- ۲۵۷۳

و قوله علیه السّلام: «و منتهاه» . ----- ۲۵۷۴

[۸۶]قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمّی و نفسی، کیف أصف حسن ثنائکم، و أحصی جمیل بلائکم، و بکم أخرجنا اللّه من الذل، و فرّج عنّا غمرات الکروب. ----- ۲۵۷۵

اشاره ----- ۲۵۷۵

و قوله: «حسن ثنائکم» ----- ۲۵۷۵

و أمّا «و أحصی جمیل بلائکم» ----- ۲۵۷۹

ثم إن قوله علیه السّلام: «و بکم أخرجنا اللّه من الذل، و فرّج عنا غمرات الکروب، و أنقذنا من شفا جرف الهلکات و من النار» ----- ۲۵۸۸

[۸۸]قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمّی و نفسی، بموالاتکم علّمنا اللّه معالم دیننا، و أصلح ما کان فسد من دنیانا. ----- ۲۵۹۴

اشاره ----- ۲۵۹۴

أقول: تعلیمه تعالی معالم دینه بموالاتهم علی قسمین: ----- ۲۵۹۵

الأول: أن یعلّمنا الأحکام العملیه من الواجبات و المحرمات بسببهم، ----- ۲۵۹۵

و الثانی: هو أنهم علیهم السّلام علّموا شیعتهم معالم الدین، ----- ۲۵۹۵

قوله علیه السّلام: و بموالاتکم تمّت الکلمه، و عظمت النعمه، و ائتلفت الفرقه. ----- ۲۶۰۰

[فی بیان المراد بالکلمه و تمامیتها] ----- ۲۶۰۰

اشاره ----- ۲۶۰۰

و أما قوله علیه التسلام: «و عظمت النعمه» ----- ۲۶۰۶
و أما قوله علیه التسلام: «و ائتلفت الفرقه» ، ----- ۲۶۱۷
اشاره ----- ۲۶۱۷
ثم إن الائتلاف الحاصل بینهم علی قسمین: ----- ۲۶۱۸
الأول: الائتلاف الحاصل لهم مع ما هم علیه من المعاصی، ----- ۲۶۱۸
الثانی: الائتلاف الحاصل لهم أی للشیعه عقیده و ذاتا بالنسبه إلی موالیهم ----- ۲۶۱۹
قوله علیه التسلام: و بموالاتکم تقبل الطاعه المفترضه، و لکم الموده الواجبه. ----- ۲۶۲۳
اشاره ----- ۲۶۲۳
الأول: فی قوله: «و بموالاتکم تقبل الطاعه المفترضه» . ----- ۲۶۲۳
اشاره ----- ۲۶۲۳
أما النقل: ----- ۲۶۲۳
و أما العقل، ----- ۲۶۳۰
اشاره ----- ۲۶۳۰
القسم الأول: اعلم أن الإسلام إما یراد منه العام أو الخاص، ----- ۲۶۳۰
القسم الثانی: فی بیان کون الولایه شرطا لقبول الأعمال عقلا. ----- ۲۶۳۶
و أما الثانی: أعنی بیان وجه الاختصاص بالطاعه المفترضه، ----- ۲۶۴۲
[۹۰]و أما الأمر الثالث: أعنی بیان قوله علیه التسلام: «و لکم الموده الواجبه» ----- ۲۶۴۳
اشاره ----- ۲۶۴۳
الأول: فی الأدله النقلیه من القرآن و الأحادیث الوارده فیه. ----- ۲۶۴۳
و أما الثانی: أعنی بیان معنی الموده. ----- ۲۶۴۴
قوله علیه التسلام: و الدرجات الرفیعه، و المقام المحمود، و المکان المعلوم عند اللّه عز و جل، و الجاه العظیم، و الشأن الکبیر، و الشفاعه المقبوله. ----- ۲۶۴۷
اشاره ----- ۲۶۴۷
و الدرجات الرفیعه بعضها باعتبار القرب إلی اللّه تعالی، و بعضها باعتبار ما منحهم اللّه تعالی ما لم یؤت أحدا غیرهم من العالمین. ----- ۲۶۴۷
أما الأول: ----- ۲۶۴۷
و أما الثانی: أعنی الدرجات باعتبار ما منحهم اللّه تعالی، ----- ۲۶۵۱
و من الدرجات الرفیعه التی لهم علیهم التسلام باعتبار ما منحهم اللّه تعالی ما أشیر إلیه بقوله و المقام المعلوم و فی بعض النسخ و المکان المعلوم. ----- ۲۶۵۵
اشاره ----- ۲۶۵۵
و هذا المقام أو المکان المعلوم علی أقسام: ----- ۲۶۵۵
منها: أن الکلمات المعنویه التی هی للأولیاء ----- ۲۶۵۵
و منها: ----- ۲۶۵۷
و منها: ----- ۲۶۵۷
و منها: أن الملائکه تتنزّل علیهم. ----- ۲۶۵۸
و منها: أن الجن یأتونهم لیخدموهم أو لیسألوا عن معالم الدین. ----- ۲۶۵۹
و منها: أنهم علیهم التسلام عرض علیهم ملکوت السموات و الأرض. ----- ۲۶۵۹
و منها: أنه لا یحجب عنهم علیهم التسلام علم السماء و الأرض و غیر ذلک. ----- ۲۶۵۹
و منها: أنهم یزاد علیهم فی لیله الجمعه بعلم مستفاد. ----- ۲۶۶۱
و منها: أنهم علیهم التسلام عندهم أسماء أهل الجنه و النار. ----- ۲۶۶۱
و منها: أنهم علیهم التسلام جری لهم ما جری لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ----- ۲۶۶۱
و منها: أن القرآن حقیقته فی صدورهم. ----- ۲۶۶۲
و منها: أنه عندهم علیهم التسلام الاسم الأعظم. ----- ۲۶۶۲
و منها: أنهم علیهم التسلام یعلمون الضمائر کلها. ----- ۲۶۶۲

و منها: أنهم علیهم السّلام یحیون الموتی و یبرئون الأکمه و الأبرص بإذن اللّه. ----- ۲۶۶۲
منها: أنهم علیهم السّلام قد علموا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حرفا یفتح منه ألف حرف و الألف حرف یفتح منها ألف حرف. ----- ۲۶۶۴
منها: أنهم علیهم السّلام أعطوا خزائن الأرض. ----- ۲۶۶۵
و منها: أنهم علیهم السّلام یزاد علیهم. ----- ۲۶۶۵
و منها: أنه تعالی ناجی علیا مرارا. ----- ۲۶۶۵
و منها: ما تقدم من أن الإمام علیه السّلام یرفع له عمود من نور یری به کل بلد و أعمال العباد. ----- ۲۶۶۶
و منها: أنهم علیهم السّلام مختصّون بروح القدس ----- ۲۶۶۶
و منها: أنهم علیهم السّلام الحجه علی من خلف المشرق و المغرب لا غیرهم. ----- ۲۶۶۷
و منها: أنهم علیهم السّلام قد ظهرت منهم أعاجیب، ----- ۲۶۶۷
و أما قوله علیه السّلام: «و الجاه العظیم» . ----- ۲۶۷۲
و أما قوله علیه السّلام: «و الشأن الکبیر» ----- ۲۶۷۸
و أما قوله علیه السّلام: «و الشفاعه المقبوله» . ----- ۲۶۷۸
اشاره ----- ۲۶۷۸
الأول: فی وجه التکرار ----- ۲۶۷۸
الثانی: أن الشفاعه لها تعریفان: ----- ۲۶۷۸
أحدهما: بلحاظ الآثار فی الخارج ----- ۲۶۷۸
و ثانیهما: بلحاظ حقیقتها فی نفس الأمر، ----- ۲۶۸۰
[۹۲]قوله علیه السّلام: ربنا آمنّا بما أنزلت و اتّبعنا الرسول فاکتبنا مع الشاهدین. . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا وهب لنا من لدنک رحمه إنک أنت الوهّاب. ----- ۲۶۸۵
اشاره ----- ۲۶۸۵
(و اتّبعنا الرسول) ----- ۲۶۸۵
(و اکتبنا مع الشاهدین) ----- ۲۶۸۸
[۹۳]و قوله: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا» ----- ۲۶۸۸
و قوله: «وهب لنا من لدنک رحمه إنک أنت الوهاب» ----- ۲۶۹۰
قوله علیه السّلام: سبحان ربنا إن کان وعد ربنا لمفعولا. ----- ۲۶۹۷
[۹۴]قوله علیه السّلام: یا ولی اللّه إنّ بینی و بین اللّه عزّ و جل ذنوبا لا یأتی علیها إلاّ رضاکم. ----- ۲۶۹۸
[۹۵]قوله علیه السّلام: فبحق من ائتمنکم علی سرّه، و استرعاکم أمر خلقه، و قرن طاعتکم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبی و کنتم شفعائی. ----- ۲۷۰۱
[۹۷]قوله علیه السّلام: فإنی لکم مطیع، من أطاعکم فقد أطاع اللّه، و من عصاکم فقد عصی اللّه، و من أحبّکم فقد أحبّ اللّه، و من أبغضکم فقد أبغض اللّه. ----- ۲۷۰۳
قوله علیه السّلام: اللهم إنی لو وجدت شفعاء أقرب إلیک من محمد و أهل بیته الأخیار الأئمه الأبرار لجعلتهم شفعائی. ----- ۲۷۰۵
قوله علیه السّلام: فبحقّهم الذی أوجبت لهم علیک، أسألک أن تدخلنی فی جمله العارفین بهم و بحقّهم، و فی زمره المرحومین بشفاعتهم، إنک أرحم الراحمین و صلی اللّه علی محمد و آله الطاهرین و سلّم تسلیما کثیرا، و حسبنا اللّه و نعم الوکیل. ----- ۲۷۰۶
اشاره ----- ۲۷۰۶
و قوله: «أسألک أن تدخلنی فی جمله العارفین بهم» ----- ۲۷۰۹
[۱۰۰]و قوله علیه السّلام: «و بحقهم» ----- ۲۷۱۱
و قوله علیه السّلام: «و فی زمره المرحومین بشفاعتهم» ----- ۲۷۱۱
و قوله: «إنّک أرحم الراحمین» ----- ۲۷۱۳
و أما قوله علیه السّلام: «و صلی اللّه علی محمد و آله الطاهرین» . ----- ۲۷۱۳
اشاره ----- ۲۷۱۳
و کیف کان فهاهنا أمور: ----- ۲۷۱۴
الأمر الأول: فیما ورد فی فضیله الصلوه علی محمد و آله و التأکید بها عند ذکره صلّی اللّه علیه و آله و ذمّ تارکها. ----- ۲۷۱۴
الأمر الثانی: فی فضل الأوقات للصلوه علیه صلّی اللّه علیه و آله. ----- ۲۷۱۸
الأمر الثالث: أنه لا بد بل یجب ذکر الآل علیهم السّلام عقیب ذکره صلّی اللّه علیه و آله فی الصلوه علیه صلّی اللّه علیه و آله. ----- ۲۷۱۹
الأمر الرابع: أنه إذا ذکر أحد من الأنبیاء فلا بد من أن یبدأ بالصلوه علیه صلّی اللّه علیه و آله ثم علیه. ----- ۲۷۲۰

الأمر الخامس: فی بیان کیفیه الصلوه علیه فی الجمله. ----- ۲۷۲۰
الأمر السادس: فی بیان معنی الصلوه و السلام علیه صلّی اللّه علیه و آله. ----- ۲۷۲۲
اشاره ----- ۲۷۲۲
أقول: هنا أمران: ----- ۲۷۲۴
الأول: فی معنی الصلوه علیه و علیهم صلّی اللّه علیه و آله. ----- ۲۷۲۴
و أما الأمر الثانی: أعنی بیان معنی و سلّم تسلیما کثیرا و معنی السلام علیه صلّی اللّه علیه و آله ----- ۲۷۳۳
و أما قوله علیه السّلام: «و حسبنا اللّه و نعم الوکیل» . ----- ۲۷۳۷
فقوله: «حسبنا اللّه» ----- ۲۷۳۷
و قوله علیه السّلام: «و نعم الوکیل» ----- ۲۷۳۷
الوداع ----- ۲۷۴۱
اشاره ----- ۲۷۴۱
قوله علیه السّلام: فقل: السلام علیکم سلام مودّع لا سئم و لا قال و لا مال. ----- ۲۷۴۳
قوله علیه السّلام: و رحمه اللّه و برکاته علیکم یا أهل بیت النبوّه إنه حمید مجید. ----- ۲۷۴۴
قوله علیه السّلام: سلام ولی لکم، غیر راغب عنکم، و لا مستبدل بکم، و لا مؤثر علیکم، و لا منحرف عنکم، و لا زاهد فی قربکم. ----- ۲۷۴۵
قوله علیه السّلام: لا جعله اللّه آخر العهد من زیاره قبورکم، و إتیان مشاهدکم، و السلام علیکم. ----- ۲۷۴۷
قوله علیه السّلام: و حشرنی اللّه فی زمرتکم، و أوردنی حوضکم، و جعلنی من حزبکم، و أرضاکم عنّی. ----- ۲۷۵۹
قوله علیه السّلام: و مکننی فی دولتکم، و أحیانی فی رجعتکم، و ملکنی فی أیامکم. ----- ۲۷۶۵
قوله علیه السّلام: و شکر سعیی بکم، و غفر ذنبی بشفاعتکم. ----- ۲۷۶۶
قوله علیه السّلام: و أقال عثرتی، و أعلی کعبی بموالاتکم، و شرفنی بطاعتکم، و أعزّنی بهداکم. ----- ۲۷۶۷
قوله علیه السّلام: و جعلنی ممن ینقلب مفلحا منجحا غانما سالما معافی غنیا فائزا برضوان اللّه و فضله و کفایته. ----- ۲۷۶۹
قوله علیه السّلام: بأفضل ما ینقلب به أحد من زوارکم و موالیکم و محبیکم و شیعتکم. ----- ۲۷۷۴
قوله علیه السّلام: و رزقنی اللّه العود ثم العود أبدا ما أبقانی ربّی بنیّه صادقه، و إیمان و تقوی و إخبات، و رزق واسع حلال طیب. ----- ۲۷۷۵
قوله علیه السّلام: اللهم لا تجعله آخر العهد من زیارتهم و ذکرهم و الصلوه علیهم، و أوجب لی المغفره و الرحمه و الخیر و البرکه و الفوز و النور و الإیمان و حسن الإجابه، کما أوجبت لأولیائک العارفین بحقهم، الموجبین طاعتهم، الراغبین فی زیارتهم، المتقربین إلیک و إلیهم. ۲۷۸۱
قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمّی و نفسی و أهلی و مالی، اجعلونی فی همّکم، و صیرونی فی حزبکم، و أدخلونی فی شفاعتکم، و اذکرونی عند ربّکم. ----- ۲۷۸۵
[۱۰۱]قوله علیه السّلام: اللهم صلّ علی محمد و آل محمد، و أبلغ أرواحهم و أجسادهم منی تحیه کثیره و سلاما. و السلام علیکم و رحمه اللّه و برکاته. و صلی اللّه علی محمد و آله و سلّم تسلیما کثیرا. حسبنا اللّه و نعم الوکیل. ----- ۲۷۸۵
تعریف مرکز ----- ۲۷۸۷

الانوار الساطعه فی شرح الزیاره الجامعه

اشاره

سرشناسه : زیارتنامه جامعه کبیره. شرح

عنوان و نام پدیدآور : الانوار الساطعه فی شرح الزیاره الجامعه/ تالیف جوادبن عباس الکربلائی؛ مراجعه محسن الاسدی

مشخصات نشر : قم: موسسه فرهنگی دار الحدیث، [۱۳۷۷].

مشخصات ظاهری : ج ۵

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه

موضوع : زیارتنامه جامعه کبیره -- نقد و تفسیر

موضوع : ولایت

شناسه افزوده : کربلائی، جواد، شارح

شناسه افزوده : اسدی، محسن، مصحح

رده بندی کنگره : BP۲۷۱/۲۰۲/ک ۴ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۷۷۷

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۸۵۰۵

ص: ۱

المجلد ۱

اشاره

ص: ۱

[الجزء الأول]

الإهداء

الحمدلله ربّ العالمين و صلى الله على محمّد و أهل بيته الطّاهرين، و لعنه الله على أعدائهم أجمعين. لا أرى أحدا أولى لاهدائى هذه الوجيزه من سيّدى و مولاى الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله، و من أهل بيته الأطهار ساداتى و موالى، و أئمتى أئمه الهدى، و مصابيح الدّجى، و ولاه الدين، و من الطّهره الطاهره سيده النساء فاطمه الزهراء، صلوات الله عليهم أجمعين، و لا سيّما سيّدى و مولاى صاحب الولايه الكبرى أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، الّذى

قال فى حقّه أخوه و ابن عمّه الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلّم: «من سرّه أن يحيا حياتى، و يموت مماتى، و يسكن جنّه عدن غرسها ربّى، فليوال عليّا من بعدى، و ليوال وليّه، و ليقتد بالأئمه من بعدى، فإنّهم عترتى خلقوا من طينتى، رزقوا فهما و علما. و ويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتى، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم شفاعتى»

(۱)

. ثم إليك يا صاحب العصر و الزّمان، و يا خليفه الرحمن، و يا

۱- ۱) أخرجه الحافظ أبو نعيم فى حليه الأولياء ج ۱ ص ۸۶.

شریک القرآن، و یا معزّ الأولیاء، و یا مذلّ الأعداء: یا أَیُّهَا اَلْعَزِیزُ مَسَّنا وَ أَهْلَنَا اَلضُّرُّ وَ جِئْنا بِبِضاعَهٍ مُزْجاهٍ فَأَوْفِ لَنَا اَلْکَیْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَیْنا إِنَّ الله یَجْزِی اَلْمُتَصَدِّقِینَ . أهدیک کتابی هذا، و هو بضاعتی المزجاه، و صحائف ولائی الخالص، و عقیدتی فی ولایتکم، التی هی ولایه الله تعالی. فتفضّل علیّ بالقبول، و ما هو فی فضلکم إلاّ رشحه من بحر لجیّ، فأحسن إلیّ سیّدی إنّ الله یحبّ المحسنین. جواد بن عباس الکربلائی

ص :۶

الزّياره و سندها

عن تهذيب الشيخ الطوسى-رضوان الله عليه-و الفقيه للصدوق-رضوان الله عليه-: روى محمد بن على بن الحسين بن بابويه قال: حدثنا على بن أحمد بن موسى و الحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب قالا: حدثنا محمد بن أبى عبد الله الكوفى عن محمد بن إسماعيل البرمكى (روى محمد بن إسماعيل البرمكى-الفقيه) قال: حدثنا موسى بن عبد الله النخعى قال: قلت لعلى بن محمد بن على بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام: علّمنى يا بن رسول الله قولا أقوله بليغا كاملا إذا زرت واحدا منكم. فقال: (إذا صرت إلى الباب، فقف و اشهد الشهادتين و أنت على غسل، فإذا دخلت (و رأيت القبر-الفقيه-) فقف و قل: الله أكبر، الله أكبر، ثلاثين مرّه، ثمّ امش قليلا، و عليك السكينه و الوقار، و قارب بين خطاك، ثم قف و كبّر الله عزّ و جل ثلاثين مرّه، ثم ادن من القبر، و كبّر الله أربعين تكبيره تمام المائه تكبيره، ثمّ قل: السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوّه، و معدن (موضع) الرّساله، و مختلف

ص: ٧

الملائكه، و مهبط الوحی، و معدن الرّحمه، و خزّان العلم، و منتهی الحلم، و أصول الكرم، و قاده الأمم، و أولياء النّعم، و عناصر الأبرار، و دعائم الأخيار، و ساسه العباد، و أركان البلاد، و أبواب الإيمان، و أمناء الرّحمن، و سلاله النبيين، و صفوه المرسلين، و عتره خيره ربّ العالمين، و رحمه الله و بركاته. السّلام على أئمّه الهدى، و مصابيح الدّجى، و أعلام التّقى، و ذوى النّهى، و أولى الحجى، و كهف الورى، و ورثه الأنبياء، و المثل الأعلى، و الدّعوه الحسنى، و حجج الله على أهل الدّنيا و الآخره و الأولى، و رحمه الله و بركاته. السّلام على محالّ معرفه الله، و مساكن بركه الله، و معادن حكمه الله، و حفظه سرّ الله، و حمله كتاب الله، و أوصياء نبىّ الله، و ذريّه رسول الله صلّى الله عليه و آله، و رحمه الله و بركاته. السّلام على الدّعاه إلى الله، و الأدلّاء على مرضاه الله، و المستقرّين فى أمر الله، و التّامّين فى محبّه الله، و المخلصين فى توحيد الله، و المظهرين لأمر الله و نهيه، و عباده المكرمين الّذين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون، و رحمه الله و بركاته. السّلام على الأئمه الدّعاه، و القاده الهداه، و السّاده الولاه، و الذّاده الحماه، و أهل الذّكر، و أولى الأمر، و بقيّه الله و خيرته، و حزبه، و عيبه علمه، و حجّته، و صراطه، و نوره، و برهانه، و رحمه الله و بركاته. أشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه، و شهدت له ملائكته، و أولو العلم من خلقه، لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم. و أشهد أنّ محمّدا عبده المنتجب، و رسوله المرتضى، أرسله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه و لو كره المشركون و أشهد أنّكم الأئمّه الرّاشدون، المهديّون، المعصومون، المكرّمون، المقرّبون، المتّقون، الصادقون (المصطفون) المطيعون لله، القوّامون بأمره، العاملون بإرادته، الفائزون بكرامته، اصطفاكم بعلمه، و ارتضاكم لغيبه، و اختاركم لسرّه، و اجتباكم بقدرته، و أعزّكم بهداه، و خصّكم ببرهانه، و انتجبكم لنوره، و أيّدكم بروحه، و رضيكم خلفاء فى أرضه، و حججا على بريّته، و أنصارا لدينه، و حفظه لسرّه، و خزنه لعلمه، و مستودعا لحكمته، و تراجمه لوحيه، و أركانا لتوحيده، و شهداء على خلقه و أعلاما

لعباده، و منارا فى بلاده، و أدلّاء على صراطه. عصمكم الله من الزّلل، و آمنكم من الفتن، و طهّركم من الدّنس، و أذهب عنكم الرّجس، و طهرّكم تطهيرا، فعظّمتم جلاله، و أكبرتم شأنه و مجدتم كرمه، و أدمتم ذكره، و وكّدتم ميثاقه، و أحكمتم عقد طاعته، و نصحتم له فى السرّ و العلانيه، و دعوتم إلى سبيله بالحكمه، و الموعظه الحسنه، و بذلتم أنفسكم فى مرضاته، و صبرتم على ما أصابكم فى جنبه، و أقمتم الصلوه و آتيم الزّكاه، و أمرتم بالمعروف، و نهيتم عن المنكر، و جاهدتم فى الله حقّ جهاده، حتّى أعلنتم دعوته، و بيّنتم فرائضه، و أقمتم حدوده، و نشرتم شرايع أحكامه، و سننتم سنّته، و صرتم فى ذلك منه إلى الرّضا، و سلمتم له القضاء، و صدّقتم من رسله من مضى، فالراغب عنكم مارق، و اللّازم لكم لاحق، و المقصّر فى حقّكم زاهق، و الحقّ معكم و فيكم و منكم و إليكم و أنتم أهله، و معدنه، و ميراث النّبوّه عندكم، و اياب الخلق إليكم، و حسابهم عليكم، و فصل الخطاب عندكم، و آيات الله لديكم، و عزائمه فيكم، و نوره و برهانه عندكم، و أمره إليكم. من والاكم فقد والى الله، و من عاداكم فقد عاد الله، و من أحبّكم فقد أحبّ الله، و من أبغضكم فقد أبغض الله، و من اعتصم بكم فقد اعتصم بالله. أنتم الصّراط الأقوم، و شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء، و الرحمه الموصوله، و الآيه المخزونه، و الأمانه المحفوظه، و الباب المبتلى به النّاس. من أتاكم نجا، و من لم يأتكم هلك. إلى الله تدعون، و عليه تدلّون، و به تؤمنون، و له تسلمون، و بأمره تعملون، و إلى سبيله ترشدون، و بقوله تحكمون. سعد من والاكم، و هلك من عاداكم، و خاب من جحدكم، و ضلّ من فارقكم، و فاز من تمسّک بكم، و أمن من لجأ إليكم، و سلم من صدّقكم، و هدى من اعتصم بكم. من اتّبعكم فالجنّه مأواه، و من خالفكم فالنّار مثواه، و من جحدكم كافر، و من حاربكم مشرک، و من ردّ عليكم فى أسفل درک الجحيم. أشهد أنّ هذا سابق لكم فيما مضى، و جار لكم فيما بقى، و أنّ أرواحكم و نوركم و طينتكم واحده، طابت، و طهرت، بعضها من بعض، خلقكم الله أنوارا، فجعلكم بعرشه محدقين، حتّى منّ

علینا بکم، فجعلکم فی بیوت أذن الله أن ترفع و یذکر فیها اسمه، فجعل صلاتنا علیکم، و ما خصّنا به من ولایتکم طیبا لخلقنا، و طهاره لأنفسنا، و تزکیه لنا، و کفّاره لذنوبنا و کنّا عنده مسلّمین بفضلکم، و معروفین بتصدیقنا ایّاکم، فبلغ الله بکم أشرف محلّ المکرّمین، و أعلی منازل المقرّبین، و أرفع درجات المرسلین، حیث لا یلحقه لاحق، و لا یفوقه فائق، و لا یسبقه سابق، و لا یطمع فی إدراکه طامع، و حتّی لا یبقی ملک مقرّب، و لا نبیّ مرسل، و لا صدّیق، و لا شهید، و لا عالم، و لا جاهل، و لا دنیّ و لا فاضل، و لا مؤمن صالح، و لا فاجر طالح، و لا جبّار عنید، و لا شیطان مرید، و لا خلق فیما بین ذلک شهید، إلّا عرّفهم جلاله أمرکم، و عظم خطرکم، و کبر شأنکم، و تمام نورکم، و صدق مقاعدکم، و ثبات مقامکم، و شرف محلّکم، و منزلتکم عنده، و کرامتکم علیه، و خاصّیتکم لدیه، و قرب منزلتکم منه، بأبی أنتم و أمّی و أهلی و مالی و أسرتی. أشهد الله و أشهدکم أنّی مؤمن بکم، و بما آمنتم به، کافر بعدوّکم، و بما کفرتم به، مستبصر بشأنکم، و بضلاله من خالفکم موال لکم، و لأولیائکم، مبغض لأعدائکم، و معاد لهم، سلم لمن سالمکم، و حرب لمن حاربکم، محقق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم، مطیع لکم، عارف بحقّکم، مقرّ بفضلکم، محتمل لعلمکم، محتجب بذمّتکم، معترف بکم، مؤمن بایابکم، مصدّق برجعتکم، منتظر لأمرکم مرتقب لدولتکم، آخذ بقولکم، عامل بأمرکم، مستجیر بکم، زائر لکم، عائذ بقبورکم، مستشفع إلی الله عزّ و جلّ بکم، و متقرّب بکم إلیه، و مقدّمکم أمام طلبتی، و حوائجی، و إرادتی فی کلّ أحوالی و أموری، مؤمن بسرّکم، و علانیتکم، و شاهدکم و غائبکم، و أوّلکم، و آخرکم، و مفوّض فی ذلک کلّه إلیکم، و مسلّم فیه معکم، و قلبی لکم مسلّم، و رأیی لکم تبع، و نصرتی لکم معدّه، حتّی یحیی الله تعالی دینه بکم، و یردّکم فی أیّامه، و یظهرکم لعدله، و یمکّنکم فی أرضه. فمعکم معکم لا مع غیرکم، آمنت بکم، و تولّیت آخرکم بما تولّیت به أوّلکم، و برئت إلی الله عزّ و جلّ من اعدائکم، و من الجبت، و الطّاغوت، و الشیاطین

و حزبهم الظّالمين لكم، الجاحدين لحقّكم، و المارقين من ولايتكم، و الغاصبين لإرثكم الشّاكّين فيكم، المنحرفين عنكم، و من كلّ وليجه دونكم، و كلّ مطاع سواكم، و من الأئمه الّذين يدعون إلى النّار. فثبّتنى الله أبدا ما حييت على موالاتكم، و محبّتكم و دينكم، و وفّقنى لطاعتكم، و رزقنى شفاعتكم، و جعلنى من خيار مواليكم التّابعين لما دعوتم إليه، و جعلنى ممّن يقتصّ آثاركم، و يسلك سبيلكم، و يهتدى بهداكم و يحشر فى زمرتكم، و يكرّ فى رجعتكم، و يملك فى دولتكم و يشرّف فى عافيتكم و يمكّن فى أيّامكم و تقرّ عينه غدا برؤيتكم. بأبى أنتم و أمّى و نفسى و أهلى و مالى و أسرتى. من أراد الله بدأ بكم، و من وحّده قبل عنكم، و من قصده توجه بكم، موالىّ لا أحصى ثناءكم، و لا أبلغ من المدح كنهكم، و من الوصف قدركم. و أنتم نور الأخيار، و هداه الأبرار، و حجج الجبّار، بكم فتح الله، و بكم يختم، و بكم ينزّل الغيث، و بكم يمسك السّماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، و بكم ينفّس الهمّ، و يكشف الضرّ. و عندكم ما نزلت به رسله، و هبطت به ملائكته، و إلى جدّكم (و إن كانت الزياره لأمير المؤمنين فقل: و إلى أخيك) بعث الرّوح الأمين. آتاكم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين. طأطأ كلّ شريف لشرفكم و بخع كلّ متكبّر لطاعتكم، و خضع كلّ جبّار لفضلكم، و ذلّ كلّ شىء لكم، و أشرقت الأرض بنوركم، و فاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرضوان و على من جحد ولايتكم غضب الرّحمن. بأبى أنتم و أمّى و نفسى و أهلى و مالى، ذكركم فى الذّاكرين، و أسماؤكم فى الأسماء، و أجسادكم فى الأجساد، و أرواحكم فى الأرواح، و أنفسكم فى النّفوس، و آثاركم فى الآثار، و قبوركم فى القبور. فما أحلى أسماءكم، و أكرم أنفسكم، و أعظم شأنكم، و أجلّ خطركم و أوفى عهدكم، و أصدق وعدكم! كلامكم نور، و أمركم رشد، و وصيّتكم التّقوى، و فعلكم الخير، و عادتكم الإحسان، و سجيّتكم الكرم، و شأنكم الحقّ و الصّدق و الرّفق، و قولكم حكم و حتم، و رأيكم علم و حلم و حزم. إن ذكر الخير كنتم أوّله و أصله و فرعه و معدنه و مأواه و منتهاه. بأبى أنتم و أمّى

و نفسی، کیف أصف حسن ثنائکم، و أحصی جمیل بلائکم؟ ! ، و بکم أخرجنا الله من الذّل، و فرّج عنا غمرات الکروب، و أنقذنا من شفا جرف الهلکات، و من النّار. بأبی أنتم و أمّی و نفسی، بموالاتکم علّمنا الله معالم دیننا، و أصلح ما کان فسد من دنیانا، و بموالاتکم تمّت الکلمه، و عظمت النّعمه، و ائتلف الفرقه و بموالاتکم تقبل الطّاعه المفترضه، و لکم المودّه الواجبه، و الدرجات الرفیعه، و المقام المحمود، و المکان المعلوم عند الله عزّ و جلّ، و الجاه العظیم، و الشّأن الکبیر، و الشّفاعه المقبوله. ربّنا آمنّا بما أنزلت و اتّبعنا الرّسول فاکتبنا مع الشّاهدین. ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا و هب لنا من لدنک رحمه إنّک أنت الوهّاب. سبحان ربّنا إن کان وعد ربّنا لمفعولا. یا ولیّ الله إنّ بینی و بین الله عزّ و جلّ ذنوبا لا یأتی علیها إلّا رضاکم. فبحقّ من ائتمنکم علی سرّه، و استرعاکم أمر خلقه، و قرن طاعتکم بطاعته لمّا استوهبتم ذنوبی، و کنتم شفعائی. فإنّی لکم مطیع، من أطاعکم فقد أطاع الله، و من عصاکم فقد عصی الله، و من أحبّکم فقد أحبّ الله، و من أبغضکم فقد أبغض الله. اللّهم إنّی لو وجدت شفعاء أقرب إلیک من محمد و أهل بیته الأخیار الأئمه الأبرار، لجعلتهم شفعائی. فبحقّهم الّذی أوجبت لهم علیک. أسألک أن تدخلنی فی جمله العارفین بهم و بحقّهم و فی زمره المرحومین بشفاعتهم، إنّک أرحم الرّاحمین. و صلّی الله علی محمّد و آله الطّاهرین و سلّم کثیرا. و حسبنا الله و نعم الوکیل) .

زیاره الوداع

إذا أردت الانصراف فقل: السّلام علیکم سلام مودّع لا سئم، و لا قال و رحمه الله و برکاته علیکم أهل البیت إنّه حمید مجید. سلام ولیّ غیر راغب عنکم، و لا مستبدل بکم و لا مؤثر علیکم و لا منحرف عنکم و لا زاهد فی قربکم، لا جعله الله آخر العهد من زیاره قبورکم، و إتیان مشاهدکم، و السّلام علیکم، و حشرنی الله فی زمرتکم، و أوردنی حوضکم، و جعلنی فی حزبکم، و أرضاکم عنّی، و مکّننی فی دولتکم، و أحیانی فی رجعتکم، و ملّکنی فی أیّامکم، و شکر سعیی لکم و غفر ذنبی بشفاعتکم، و أقال عثرتی بمحبّتکم، و أعلی کعبی بموالاتکم، و شرّفنی بطاعتکم، و أعزّنی بهداکم، و جعلنی ممّن ینقلب مفلحا منجحا غانما سالما معافی غنیّا فائزا برضوان الله و فضله و کفایته، بأفضل ما ینقلب به أحد من زوّارکم، و موالیکم، و محبّیکم، و شیعتکم، و رزقنی الله العود ثمّ العود ثمّ العود أبدا ما أبقانی ربّی بنیّه صادقه، و إیمان و تقوی و إخبات، و رزق واسع حلال طیب. اللّهم لا تجعله آخر العهد من زیارتهم و ذکرهم، و الصلاه علیهم، و أوجب لی المغفره و الخیر و الرّحمه و البرکه و الفوز، و النّور و الإیمان و حسن الإجابه کما أوجبت لأولیائک العارفین بحقّهم، الموجبین طاعتهم، و الرّاغبین فی زیارتهم، المتقرّبین إلیک و إلیهم. بأبی أنتم و أمّی و نفسی و مالی و أهلی اجعلونی فی همّکم، و صیّرونی فی حزبکم، و أدخلونی فی شفاعتکم، و اذکرونی عند ربّکم. اللّهم صلّ علی محمّد و آل محمّد و أبلغ أرواحهم و أجسادهم منی السلام و السلام علیه و علیهم و رحمه الله و برکاته) .

ص: ١٣٠

الولایه

اشاره

ص :۱۵

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على محمّد و آله الطّاهرين و لعنه الله على أعدائهم أجمعين.

أمّا بعد، فهذه رساله وجيزه فى بيان معنى الولايه بحسب الحقيقه، و ما لها من الأقسام و الأحكام و الشّئون، و بيان كيفيّه السلوك، و تحصيل المعارف الإلهيّه. قدّمناها على شرحنا للزياره الجامعه الكبيره، لعظيم أهميّتها و مدخليّتها فى الشرح. نسأل الله تعالى أن ينفع المؤمنين بها، و أن ينفعنا بها فى الدّارين بمحمّد و آله الطّاهرين.

ص :١٧

الولایه لغه و اصطلاحا:

الولایه لغه بکسر الواو هی بمعنی الإماره و التولیه و السلطان و بالفتح فهی بمعنی المحبّه، و قد یقال: إنّها مأخوذه من الولی (۱)بمعنی القرب و سیأتی تحقیقها. و أمّا بحسب الاصطلاح فهی حقیقه کلّیه و صفه إلهیّه و شأن من الشئون الذّاتیّه، التی تقتضی الظهور «و الله هو الولی الحمید» . توضیحه: نذکر أوّلا بعض الأحادیث المتعلّقه بها. فنقول:

فی توحید الصدوق بإسناده عن جابر الجعفی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول: إنّ الله نور لا ظلمه فیه و علم لا جهل فیه و حیاه لا موت فیه (۲).

و فیه بإسناده عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: لم یزل الله جلّ و عزّ ربّنا، و العلم ذاته و لا معلوم، و السمع ذاته و لا مسموع، و البصر ذاته و لا مبصر، و القدره ذاته و لا مقدور، فلما أحدث الأشیاء و کان المعلوم، وقع العلم منه علی المعلوم، و السمع علی المسموع، و البصر علی المبصر، و القدره علی المقدور، قال: قلت: فلم یزل الله متکلما؟ قال: إنّ الکلام صفه محدثه لیست بأزلیّه، کان الله عزّ و جلّ و لا متکلّم (۳). أقول:

قوله علیه السّلام: «و القدره ذاته و لا مقدور» ظاهر فی أنّ ذاته المقدسه قادره، و القدره الّتی هی من أسمائه تعالی تقتضی مقدورا لتظهر فیه، فالقدره الذّاتیّه له تعالی-بما لها من المعنی المناسب للذات المقدسه المذکور فی محله، و سیأتی معنی

۱- ۱) بسکون اللاّم.

۲- ۲) التوحید ص ۱۸۳.

۳- ۳) التوحید ص ۱۳۹.

القدره الذاتيّه فى تحقيق معنى الاسم قريبا-اقتضت الظهور، فهى أى القدره حقيقه كلّيه، أى غير محدوده بحدّ، و كلّيتها ككليه الولايه الإلهيه المطلقه، الّتى سيأتى بيانها، فهى من صفاته تعالى.

و قد قال أمير المؤمنين عليه السّلام-كما فى النهج-: «و ليس لصفته حدّ محدود، و لا نعت موجود» فقوله عليه السّلام هذا يشير إلى كليه صفاته تعالى بمعنى عدم الحدّ لها فالقدره اقتضاؤها هو التصرّف و الإماره و التّوليه و السلطنه، و هذا معنى اقتضائها الظهور المقتضى لخلق المقدور المشار إليه بقوله: فلمّا أحدث الأشياء إلى قوله «و القدره على المقدور» . فظهر مما ذكر معنى قولهم: «الولايه حقيقه كليه إلخ» فالذّات المقدّسه لمّا كانت قادره عالمه، و كانت فى خفاء عن الظهور، فأحبّت الذّات المقدسه أن تعرف، فخلق الخلق أى الأشياء، لكى تظهر تلك الصفات فتعرف بها.

بيان قربه تعالى للأشياء:

فصل: فى سريان حكم الولايه فى الأشياء.

الولايه يظهر حكمها فى جميع الأشياء من الواجب و الممكن، فهى رفيقه الوجود، تدور معه حيثما دار، و كما أنّ الوجود بحسب الظهور له درجات متشتّته، و مراتب متفاوته بالكمال و النقص، و الشدّه و الضعف، و يحمل عليها بالتشكيك، فكذلك الولايه، فإنّها بعد ما كانت بمعنى القرب، فلها درجات متفاوته، و مراتب مختلفه بالكمال و النقص، و الشدّه و الضعف، تحمل عليها بالتشكيك.

فصل: فى أقسام القرب فى الواجب و الممكن.

الولايه التى هى بمعنى القرب، تلاحظ تاره بالنسبه إلى الله تعالى بلحاظ قربه تعالى بالخلق، و أخرى بلحاظ قرب الخلق إليه تعالى، و الأولى ذاتيه له تعالى،

و الثانيه قد تكون عطائيه كالولايه الثابته للأنبياء و الأئمه عليهم السّلام، و أخرى تكون كسبيّه كالثابته للأولياء المقتفين آثارهم. أما الأولى الذّاتيه،

ففى توحيد الصدوق، بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ و جلّ: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ فقال: «استوى من كلّ شىء فليس شىء أقرب إليه من شىء» لم يبعد منه بعيد، و لم يقرب منه قريب، استوى من كل شىء (1). فقربه تعالى بالنسبه إلى كلّ شىء على نسق واحد، و هو تعالى قريب بها بل لا أقرب منه بها، فهو مع كلّ شىء بالمعيّه القيوميّه، لا بمقارنه. و ليعلم أنّ القرب لمّا كان أمرا إضافيّا نسبيّا، و النسبه دائما بين شيئين، فالحقّ المتعال-جلّ شأنه- قريب من الأشياء، و الأشياء قريبه منه تعالى، و لكنّ قربه تعالى إلى الأشياء إضافه إشراقيّه إضافه إشراقيه محصّله للمضاف إليه، نظير إشراق الشمس الموجب لوجود النور فى مقابلها، لا إضافه مقوليّه متوقفه على وجود الطرفين، و يسمّى هذا القرب بقرب الخلّاقيه له تعالى، و المخلوقيّه للأشياء، و ليس بين الخالق و المخلوق شىء. و نعم ما قيل من أنّه لو ذهبت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلّتك الدلاله العقليّه و النقليّه من الآيات و غيرها إلّا على أنّ خالق النمله هو فاطر النخله، و انّه تعالى استوى مع كل شىء جليلا كان أم حقيرا، عظيما كان أم صغيرا، و هذا القرب و الولايه الإلهيّه الثابته له تعالى بالنسبه إلى جميع الأشياء ليس مناط صحه إطلاق الولايه على أحد من الخلق، بدعوى أنّ قربه إلى عبده يستلزم قرب عبده إليه، و هذا ملاك الولايه، فإنّها مندفعه لما عرفت أنّ هذا القرب من آثار ألوهيّته و خلاقيّته، و من لوازم وجوده البحت غير المحدود، المستلزم لقهّاريّته و مالكيّته كما حقق فى محله.

۱- ۱) التوحيد ص ۳۱۵.

بـل تحقق الولايه لأحد يتوقف على تحقق قربه، أى قرب العبد منه تعالى، بما له من المعنى من الإيمان، إلى أن ينتهى إلى رفع الحجب بين العبد و الرب تعالى و سيأتى بيانه. أما الولايه الثانيه أعنى قرب العبد إلى الرّب. فقد علمت أنّ الولايه كالوجود، لها درجات، فكما أن الوجود على القول بكونه مشككا إذا تنزّل فربما يبلغ فى النزول إلى مرتبه تنتفى أوصافه، و تختفى آثاره و أحكامه، حتّى يسلب اسمه. و يزول عنه رسمه، بحيث يكون إطلاقه على مثل المتصرمات كالأصوات و الحركات، و القوه المحضه الهيولانيّه بضرب من المسامحه و العنايه. فكذلك الولايه إذا نزلت و انتهت فى النزول يزول حكمها، و يسلب عنها اسمها. فلا يقال للغواسق و الظلمانيّات كالأحجار و الأمدار و الفسقه و الفجّار أولياء الله، فإن هؤلاء قد نزلوا إلى مرتبه من البعد المعنوى عنه تعالى، بحيث انقهر نور الوجود و أوصافه، و غلبته ظلمه العدم و أحكامه، فإذا أريد أن يصير بعضها الممكن القابل للقرب إليه تعالى قربا معنويا منه تعالى، فلا بدّ له من أن يخرج وجوده الضعيف عن ذلك المسكن المبعد عنه تعالى، بأن يتنوّر بنور الإيمان، ليظهر أحكام الوجود عليه، و يغلب أوصافه، و يصير مظهرا لصفات الجمال و اللطف، و حينئذ يتصف بالولايه، لتحقق ملاكها و هو القرب المعنوى إليه تعالى. نعم، و حينئذ يكون اتصافه بالولايه على تفاوت درجاتها و اختلاف مراتبها، التى سنشير إليها قريبا إن شاء الله.

أقسام الولايه:

اشاره

ظهر أن الولايه الثابته للعبد التى هى بمعنى القرب تتحقق بالقرب الإيمانى و المعنوى بالنسبه إليه تعالى، و هى على أقسام: فصل: فى بيان أقسام الولايه، و بيان ملاك اختلاف مراتبها:

[الولایه المطلقه و المقیّده]

إن الولایه قد تنقسم إلی المطلقه و المقیّده، لأنها من حیث هی هی صفه إلهیّه مطلقه ثابته للذات الربوبیّه المقدّسه، بمقتضی ذاته المقدّسه، کما علمت مما سبق، و لکنّها من حیث استنادها إلی الأنبیاء و الأولیاء، کل علی حسب قربهم منه تعالی، تکون مقیّده، و معلوم أن المقید متقوم بالمطلق، و المطلق ظاهر فی المقیّد. فالولایه الثابته للأنبیاء و الأولیاء جزئیّات الولایه المطلقه الإلهیّه، فالأنبیاء و الأولیاء (أی الأئمه علیهم السّلام) لهم القرب إلی الأشیاء بالولایه الإلهیه، حیث إن ولایتهم مظاهر الولایه الإلهیّه، و جزئیات للولایه الإلهیّه، فلها من الآثار من السلطنه و التولیه ما للولایه الإلهیّه منها کما لا یخفی، و إلیه یشیر ما

فی بصائر الدرجات، من قوله علیه السّلام «ولایتنا ولایه الله تعالی» و هذا نظیر ما قیل من أنّ نبوه الأنبیاء جزئیات النبوه المطلقه المحمدیه صلّی الله علیه و آله و سلّم کما سیأتی بیانه.

فصل: فی تقسیم آخر لها، [و هی الولایه العامه و الخاصه]

اشاره

بالنسبه إلی ولایه الأنبیاء و الأولیاء: و هی تنقسم إلی العامه و الخاصه.

أما الولایه الأولی:

فهی التی تعمّ المؤمنین بأصنافهم، و تشمل کلّ من آمن بالله تعالی و عمل صالحا بمراتبهم، کما قال الله تعالی: اَللّهُ وَلِیُّ اَلَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُماتِ إِلَی اَلنُّورِ (۱)فإنّ الإیمان له مراتب و درجات: منها: اعتقاد جازم ثابت مطابق للواقع من دون برهان کاعتقاد المقلّد المصیب، فإنه لیس مستندا و مأخوذا من البرهان، و إنّما استناده إلی مخبر صادق، و قد حصل له القطع بصدقه. و منها: أن یتصوّر الأمر أمر التوحید و الدین علی ما هو علیه، و لکنّه مستند إلی البرهان المفید للقطع و هذا أقوی و أرفع من الأول، کإیمان أصحاب الفکر و أهل النظر، و کلاهما مرتبه علم الیقین.

۱- ۱) البقره:۲۵۶.

و منها: العلم الشهودى الإشراقى المطابق للواقع المعبّر عنه بالكشف الصحيح، و هذا أقوى من المرتبتين السابقتين، كإيمان أهل السلوك و أصحاب الكشوف، و تكون مرتبته عين اليقين. و كل هؤلاء أولياء الله تعالى، و الله تعالى وليّهم، و تتفاوت درجاتهم على حسب درجات إيمانهم، و هؤلاء و إن كانوا قد خرجوا بإيمانهم عن الشرك الجلى، و حصل لهم القرب المعنوى بالنسبه إليه تعالى، إلّا أنهم لا تخلّص لهم عن الشرك الخفى، كما يتضح عند وضوح الولايه الخاصّه.

و أما الولايه الثانيه: أعنى الولايه الخاصه،

اشاره

فهى تختص بالسالكين عند فنائهم فى الحقّ، بالمعنى الآتى ذكره، و بقائهم به تعالى علما شهودا و حالا، لا علما فقط، و هؤلاء أصحاب القلوب، و أهل الله الفانين فى ذاته، الباقين ببقائه، صاحبى قرب الفرائض. و إليهم أشير فى قوله تعالى: أَلاٰ إِنَّ أَوْلِيٰاءَ اَللّٰهِ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ (۱)

و فى قوله تعالى فى الحديث القدسى: أوليائى تحت قبابى، و هؤلاء هم الذين نضّوا (۲)جلباب البشريّه و خلعوها، و تجاوزوا عن قدس الجبروت، و دخلوا فى قدس اللّاهوت، و هم الموحّدون حقا. و بعباره أخرى: الولايه الخاصه عباره عن فناء العبد فى الحق ذاتا و صفه و فعلا، المعبّر عنه فى كلمات بعضهم بالمحق عن الأول، و بالطمس عن الثانى، و بالمحو عن الثالث، و بها يحصل التوحيد الذاتى و الصفاتى و الأفعالى، بل و التوحيد الأثرى، و هؤلاء حقيقتهم يشار إليهم من قوله تعالى يا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ أَنْتُمُ اَلْفُقَرٰاءُ إِلَى اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ هُوَ اَلْغَنِيُّ اَلْحَمِيدُ (۳)هذا بلحاظ فنائهم فى الأمور الثلاثه.

۱- ۱) يونس:۶۲.

۲- ۲) -نضّ القربه من شده الملى: انشقت.

۳- ۳) -فاطر:۱۵.

و يشار إلى بقائهم به تعالى من قوله تعالى: إِنَّ اَللّهَ يُمْسِكُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ (۱)و قوله تعالى: هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ (۲)فالولى الخاص هو الفانى فيه تعالى الباقى به.

فصل: المراد من الفناء فى اللّه تعالى.

ليس المراد بالفناء انعدام عين العبد مطلقا، و انمياثه فى الذات، بل المراد منه فناء الجهه البشريه فى الجهه الرّبانيّه، فإنّ العبد مبدئ لأفعاله و صفاته، قبل الاتصاف بمقام الولايه من حيث البشريه، فما يفعله يسنده إلى نفسه، و إن حصل له مقامات الولايه العامّه السابقه، و هذا هو الشرك الخفى، الذى لا تخلص له قبل اتّصافه بالولايه الخاصّه، و أما بعد اتصاف العبد بالولايه الخاصّه و إن كان مبدئا لأفعاله و صفاته، إلا أنه من حيث الجهه الرّبانيّه لا البشريّه، فهذه الولايه تصحح النسبه، فقبل الولايه كان العبد يسند الفعل إلى نفسه، و يرى نفسه مبدئا له، و بعدها يسنده إلى الجهه الربوبيّه. و يكون الفاعل هو الله تعالى و يرى العبد حينئذ هذا التوحيد الأفعالى، و يرى نفسه مبدئا للفعل أى مظهرا له، فالفاعل هو الله تعالى، إلّا أنّه يظهر فعله فى عبده بلحاظ الجهه الربانيّه، و إليه يشير

ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السّلام من قوله: قلعت باب خيبر بقوه ربانيّه أى بالجهه الرّبانيّه،

و ورد فى الحديث المشهور: «فإذا أحببته كنت سمعه الذى به يسمع، و بصره الذى به يبصر» .

فصل: الطريق الموصل إلى الولايه الخاصه فى الجمله.

و هى إنما تحصل بالتوجه التّام إلى حضره الحقّ المطلق المتعالى سبحانه، إذ بهذا التوجه يقوى الجهه الحقيّه، و الجنبه الإلهيه، التى تلى الرب تبارك و تعالى، فتغلب هذه الجهه الجهه الخلقيّه، و هذا التوجّه يزيد و يشتدّ إلى أن تقهر الجهه الربوبيّه و الحقّيّه الجهه الخلقيّه و تفنيها من أصلها، و يحصل عند ذلك الفناء التام.

۱- ۱) فاطر:۴۱.

۲- ۲) البقره:۲۵۵.

و لعمری إنّ الآیات و الأحادیث الداله علی لزوم الإخلاص فی العباده، و لزوم التوجه إلیه، و أن لا یغفل العبد عن ربّه، کثیره جدّا، کلّها دالّه علی لزوم هذا التوجه التّام. و ما ذکره علماء السلوک من لزوم المراقبه و المواظبه و أمثالهما، کلّها ترجع إلی هذا التوجه التّام، و قد مثّلوا لکون التوجه إلیه موجبا للفناء عن النفس، و البقاء بالرب، بالقطعه من الحدیده المجاوره للنّار، فإنها بسبب المجاوره و الاستعداد لقبول الصفات النّاریّه، و القابلیه المختفیه فیها، فانها تتسخّن قلیلا قلیلا، إلی أن یحصل منها ما یحصل من النّار من الإحراق و الإضاءه و غیرها، و قبل ذلک کان ظلمه کدره. و هکذا الروح الإنسانیّه و النفس الناطقه القدسیّه، القابله للخلافه الإلهیه و الوجود الحقانی بالتصفیه و التسویه، کما أشیر إلی هذه الروح بقوله تعالی: فَإِذٰا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِینَ فالتوجه التام فی الإنسان بمنزله المجاوره الدائمیّه للحدیده مع النّار، فیوجب هذا التوجه انمحاء الجهه الخلقیه و البشریه، و ظهور الجهه الربانیه، فکما أن النّار بمجاوره الحدیده لها أثّرت فیها، بحیث أذهبت جمیع آثارها من الظلمه و الکدوره، و ظهرت فیها بآثارها، بحیث صارت الحدیده نارا بآثارها، مع أن الحدیده حدیده، و النّار هی النّار، من دون حلول و لا اتحاد، بل ظهور آثار النار فیها، فکذلک الإنسان بالتوجه التام إلیه تعالی تذهب أوّلا آثاره الخلقیّه من المحجوبیه و الظلمه و الجهل بحقائق الأمور، و تظهر فیه آثار الربوبیه من أنوار جماله و جلاله، بما لها من الحقائق و المعارف. ثم لا یخفی أن هذا التمثیل إنما هو من باب ضیق مجال التعبیر، و فقد العباره الوافیه ببیان المراد، و لیس المثال منطبقا علی المقصود علی ما ینبغی، و مؤدیا للمطلوب کما هو حقّه، فهو مقرّب من جهه، و مبعّد من جهه، بل من وجوه. فلا بدّ للّبیب العارف فهم جهه التشبیه، و الوصول إلی المطلب بدون الوقوع فی الجهات المبعّده.

و أما وجه أن المثال غير منطبق على المقصود تماما، و كما ينبغى، هو أنّ الحديده و النار موجودان عرضيّان، و الطوليه بينهما إنّما هى فى وصف الحراره، و ما يتبعها من الصفات و الآثار، كما لا يخفى هذا، و أمّا المخلوق أيّا كان إنسانا أو ملكا أو غيرهما، فنفس ذاته و وجوده من أفعاله تعالى و آثاره، و أثر الشىء ليس بشىء فى قباله، فأثر الشمس ليس شمسا، و أثر النّار ليس نارا، و أثر السراج ليس سراجا، و صوت الإنسان ليس إنسانا، فيتخيّل أنّه-أى الأثر-شىء و ليس بشىء. و إلى ما ذكر من أن الإنسان و غيره من أفعاله تعالى و آثاره و هو ليس بشىء، يشير

ما ورد فى أصول الكافى، عن الإمام الصادق عليه السّلام فى باب صحه إطلاق الشىء على الله تعالى: «و أنه شىء بحقيقه الشيئيّه» فمعناه أن غيره تعالى ليس شيئا موجودا على الحقيقه، بل بنحو الأثر و الفىء. و توضيحه: أنه قد ثبت فى محلّه أن ذاته تعالى صرف الحقيقه الأصليّه النوريه الواحده بالواحده الحقّه الحقيقيه الإطلاقيّه، التى لا مقابل لها أصلا، و لا حدّ لها أصلا، و هى الحياه الأزليّه التى لا ثانى لها. أما أنّه لا مقابل له، لأنّ المقابل لا يقبل المقابل، فيستلزم كونه محدودا، مع أنّه تعالى لا حدّ له،

كما قال عليه السّلام فى جواب من قال: أ توهّمه؟ قال: «نعم غير معقول و لا محدود» و به يعرف أنه لا ثانى له بمثله، مضافا إلى أنّه كلّما فرض له ثانيا كان نفسه بعينه و لذلك قيل: فما ثمّه شريك له تعالى اصلا، بل هو لفظ، أى لفظ الشريك ظهر تحته العدم، فأنكرته المعرفه بتوحيد الله الوجودى، أى من عرفه تعالى بالتوحيد الوجودى الواقعى الخارجى الجزئى الذى هو معنون مفهوم الوجود و محكيّه، و الّذى ليس له حدّ و لا مقابل و لا ثانى، كما حقق فى محلّه، فهذه المعرفه تنكر أن يكون له-أى لهذا الوجود البحت-شريك لا فى الخارج، و لا فى الذهن، فالمفهوم من لفظ الشريك هو العدم، لا أنّ هناك موجودا هو الشريك المنفى، بل ليس شىء و إنما هو العدم. و كيف كان، فوجود الممكنات بأسرها آثار النور الحقيقى و أفعاله، و ذوات

الممكنات صرف الفقر و الربط بممسك السموات و الأرض، و قيّوم الكلّ، لا أنها أشياء لها الربط، بل هى نفس الربط، «ما للتراب و ربّ الأرباب» ضروره أنه لو كانت الممكنات أشياء، لها الربط بالحقّ، و كان معنى الخلق هو إيجاد الربط بينهما، لاستلزم قدم الأشياء، و تعدد القديم، تعالى القديم عنه علوّا كبيرا. و يدل أيضا على هذا الفناء الحاصل بالتوجه إليه تعالى، بحيث يوجب فناء آثار البشريه و ظهور آثار الربوبيّه،

ما ورد فى الحديث القدسى: «عبدى أطعنى تكن مثلى تقل للشىء كن فيكون» . و من المعلوم بالضروره أنه لا يراد منه أن العبد يصير ربّيا حقيقه و ذاتا، بل المراد ظهور آثار الربوبيه فيه، بحيث يكون اختيار العبد اختيار الربّ، فلا محاله إذا قال: كن لشىء، فإنما قاله الربّ بلسان عبده، و لم يكن للعبد حينئذ جهه البشريه، بحيث يكون مبدئا للأفعال، كما تقدم فى المثال المتقدم، فإن الحديده المحماه تفعل أثر النار مع أنّها ليست بنار، بل لمّا نفت عنها الظلمه و الكدوره، و ظهرت فيها آثار النار، صارت تعمل عمل النار، و بالجمله، الفناء المذكور بما له من المعنى يوجب لأن يتعيّن العبد بتعيّنات إلهيّه و صفات ربّانيّه، كما أن الحديده تعيّنت بتعيّنات النار، فالعبد بعد فنائه عن نفسه، و عن الجهات البشريّه يتعيّن فيه التعيّنات الإلهيّه، و تظهر فيه الصفات الربوبيّه، و هى البقاء بالله تعالى و تظهر صفاته و أفعاله فيه.

فى بيان ما تحصل به الولايه:

ثم إن هذا التوجه التام يحتاج إلى أمر آخر، و هو المحبّه. فاعلم أنه تعالى جعل محبّته كامنه فى قلوب عباده، و ذلك أنّه تعالى جعل النفس الناطقه محبّه، و طالبه للجميل و الجمال و الكامل و الكمال، و هذا أمر فطرى يجده الإنسان فى نفسه. و أما كونها كامنه فى الإنسان بالنسبه إليه تعالى فلأجل أن

ذاته المقدّسه لما كانت أجمل من كلّ جميل، و أكمل من كلّ كامل بل جمال كلّ جميل، و كمال كلّ كامل رشحه من بحر جماله و كماله كما حقق فى محله. قال بعض العارفين: إنّ كلّ جمال رشح من بحر جماله، و كلّ كمال ظلّ كماله، فهو الحقيقه و ما عداه مجازاته، و هو السرّ و ما سواه إشراقاته، و هو الأصل و ما وراءه فروعه. و ما أليق بالمقام! و ما أحسن ما قيل-قول الشاعر: أ رأيت حسن الروض فى أصاله أ رأيت بدر التّم عند كماله أ رأيت كأسا شيب صفو شمولها أ رأيت روضا خيل خيل شماله أ رأيت طيب العيش فى عهد الصبى أ رأيت عيش الصبّ ليل وصاله أ رأيت رائحه الخزامى سحره فغمت (۱)خياشيم العليل الواله هذا و ذاك و كلّ شيء رائق أخذ التجمّل من فروع جماله ملك القلوب بأسرها فى أسره شغفا و سدّ عقولنا بعقاله و المحبه مهما كانت، و فى أى عبد كانت، إنما تصير فعليه إذا تعلقت بالجميل و الجمال، و هذا بعد دركه، و بعد المعرفه به. و إلاّ تكون كامنه بالنسبه إلى هذا الجميل المخفىّ. فالعبد إذا لم تحصل له المعرفه به تعالى، تكون محبته بالنسبه إليه تعالى كامنه، فلا بد لمن أراد الوصول إلى الفناء المذكور عن النفس من تحصيل المحبّه به تعالى، و طريق تحصيلها مذكور عند علماء السلوك، و من أراد الاطلاع إليها فليراجع مثل كتاب الشوق و المحبه من المحجّه البيضاء فى إحياء الإحياء للمحدث الكاشانى رضوان الله عليه، و إجماله أنه لا تظهر هذه المحبه بالنسبه إليه تعالى إلاّ بالاجتناب عن المحارم، و عمّا يضادّها و يناقضها، قال الله تعالى: فَإِنَّ اَللّهَ يُحِبُّ اَلْمُتَّقِينَ (۲)

۱- ۱) فغم الطيب فلانا: ملأ خياشيمه.

۲- ۲) -آل عمران:۷۶.

إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اَللّٰهِ أَتْقٰاکُمْ

(۱)

قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اَللّٰهُ

(۲)

هذا و قد ثبت فی محله أن محبته تعالی لعبده توجب کشف الحجب عن قلب العبد، فإذا انکشفت الحجب و رأی جمال ربّه تعالی، فلا محاله یحبّه، و یکون مصداقا لقوله تعالی: وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ (۳)فتحصل أن التّقوی سبب لحبّ الله تعالی لعبده، و محبته تعالی له سبب لکشف الحجب، و کشفها سبب لحبّ العبد لله تعالی، و إذا اشتدّ الحبّ إلی النهایه–و لا نهایه له، إذ لا نهایه لظهور جماله–فقد تحقّق الوصل و الفناء المذکور، رزقنا الله تعالی ذلک. فالمحبّه أی محبّه العبد له تعالی، کأنّها بمنزله المرکب للوصول إلیه تعالی، و التقوی الموجب لها بنحو ما عرفت هو الزّاد کما لا یخفی.

النبوه و الرساله و الولایه:

فصل: فی معنی النّبوه و الولایه و الفرق بینهما.

قال بعض الأعلام: إن الولایه الخاصّه بالمعنی المتقدم، و بالمعنی الّذی نوضحه قریبا دائرتها أتمّ و أکبر من دائره النبوّه التشریعیّه، و لذلک انختمت النّبوه، و الولایه دائمه، و أیضا جعل الولی اسما من أسماء الله تعالی، دون النّبی، و سیجیء وجه ذلک. و أما بیان أن الولایه باقیه دون النبوه و الرّساله التشریعیتین هو: أن الرساله و النّبوه التشریعیتین لمّا کانتا من الصفات الکونیّه الزّمانیّه فلا محاله تنقطعان بانقطاع زمان النبوه و الرّساله، و سیجیء فی الفرق بین النّبوه التشریعیه و التعریفیّه أن النبوه التشریعیّه التی هی النبوّه المنضمّ إلیها التبلیغ و التعلیم و یسمّی بالرساله

۱- ۱) الحجرات:۱۳.

۲- ۲) آل عمران:۳۱.

۳- ۳) البقره:۱۶۵.

حینئذ تکون موقّته بزمان التبلیغ، فإذا انقضی زمانه انقطعت الرساله لا محاله. و أما الولایه فلمّا عرفت أنها صفه إلهیّه، و شأن من الشئون الذاتیّه، التی تقتضی الظهور، فهی لا محاله دائمه لا تنقطع أبدا، لأن هذه الولایه أثر من الصفات الذاتیّه، من القدره و العلم و نحوهما، فلا محاله تکون دائمه، و بهذا اللحاظ یکون الولی اسما من أسمائه تعالی دون النبوه و الرساله، ثم إنه لا یمکن الوصول لأحد من الأنبیاء و غیرهم إلی الحضره الإلهیّه إلّا بالولایه التی هی باطن النبوه، و سیجیء معنی کونها باطن النبوه.

فصل: النبوه و الرساله قسمان: تعریفیّتان و تشریعیّتان.

اعلم أن النبوّه علی قسمین: تعریفّی و تشریعی. أمّا الأوّل: فحاصله أنّ النبوّه التعریفیه هی الإنباء عن المعارف الإلهیّه بملاک الفناء فی الحق، و سیجیء بیانه. فهی بهذا المعنی ثابته للأولیاء، و باقیه ببقاء الولایه، أی لم تنقطع ما دامت الدنیا باقیه، و عند انقطاعها ینتقل الأمر إلی الآخره، و لمّا کانت الولایه أکبر حیطه من النبوه التشریعیه و باطنا لها، فلا محاله شملت الأنبیاء و الأولیاء جمیعا فالأنبیاء أولیاء حال کونهم فانین فی الحق، باقین به، منبئین عن الغیب و أسراره. لما علمت أن الولی هو الذی فنی فی الحق تعالی، و عند هذا الفناء یطّلع علی الحقائق و المعارف الإلهیّه فینبئ عنها عند بقائه ثانیا، أی بعد الفناء. و کذلک النبیّ، لأنه من حیث ولایته، یطّلع علی الحقائق و المعارف، فتکون بهذا اللحاظ نبوّته تعریفیّه، فینبئ عنها، أی عن المعارف و الحقائق. فإذا أمر بالتبلیغ فالنبوه تشریعیه، و هذا المقام-أی مقام الولایه-کمقام النبوه اختصاص إلهیّ غیر کسبی. و بعباره أخری: النبوّه التعریفیه الملازمه للولایه الإلهیّه من مواهبه تعالی.

فصل: صاحب الولایه قسمان:

اعلم أنّ صاحب الولایه علی قسمین فی غیر الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام:

القسم الأوّل: من حصلت له الولايه بنهايه السفر الأوّل، الذى هو السفر من الخلق إلى الحقّ، و ذلك السفر يحصل بإزاله التعشّق عن المظاهر و الأغيار، و الخلاص من القيود و الأستار، و العبور من المنازل و المقامات، و الحصول على المراتب و الدرجات حصولا يقينيّا، بنحو علم اليقين، و يستلزم هذا السفر الاتصاف بصفات أولياء الله تعالى، و لكن ليس هذا المقام مقام الوصل، و مقام الولىّ المطلق، فلا يتوهم العارف غير الواصل و المشاهد بقوه استعداده للغيوب، و المتّصف بالصفات الحميده و الأخلاق المرضيّه، غير السالك طريق الحق بالفناء عن الأفعال و الصفات و الذات، المتحقق بمقام قرب النوافل و الفرائض، إنّه ولىّ واصل، لأن هذا الوصل المشار إليه سابقا وصل علمى، أو شهود قلبى بإلغاء القيودات، فهو غير واصل فى الحقيقه، لكونه بعد فى حجاب العلم و الشهود، و قد قيل: العلم هو الحجاب الأكبر. نعم، إذا كان الكشف الشهودى موجبا لفناء الشاهد فى المشهود، و محو العابد فى المعبود، فهو ولى واصل، إلّا أن هذا يلحق بالقسم الثانى: القسم الثانى: هو السالك طريق الحق بالفناء عن الأفعال و الصفات و الذات، المتحقق بمقام قرب النوافل و الفرائض، و الذى انمحى رسمه، و زال عنه اسمه، فتجلى الحق له. و بعباره أخرى أن أولياء الله هم الذين تطهّروا من الصفات النّفسيه، و تنزّهوا عن الخيالات الوهميّه، و تخلّصوا عن القيود الجزئيّه، و أدّوا أمانه وجودات الأفعال و الصفات و الذات إلى من هو مالكها بالذات، و هو المبدئ المتعال، فعند فنائهم عن أنفسهم، و بقائهم بالحق يتّصفون بالولايه، و يحصل لهم ما هو غايه آمال العارفين.

فصل: فى ذكر حديث شريف فيه بيان أحوال أولياء اللّه تعالى.

فى المحكى عن المجلد السابع عشر من بحار الأنوار، عن أنس بن مالک (۱)قال:

ص: ۳۱

۱- ۱) البحار ج ۷۷ ص ۱۸۱-المطبوع جديدا.

قالوا: يا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من أولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون؟ فقال صلّى الله عليه و آله: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فاهتمّوا بآجلها حين اهتمّ الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، و تركوا منها ما علموا أن سيتركهم، فما عرض لهم منها عارض إلّا رفضوه، و لا خادعهم من رفعتها خادع إلّا وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فما يجدّدونها، و خربت بينهم فما يعمّرونها، و ملّت فى صدورهم فما يحبّونها، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، و يبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، نظروا إلى أهلها صرعى، قد حلّت بهم المثلات، فما يرون أمانا دون ما يرجون، و لا خوفا دون ما يحذرون.

ولايه النبى و الإمام:

فصل: فى بيان أن النبوه و الولايه لهما اعتباران الإطلاق و التقييد، و العام و الخاص، و بيان معنى ولايه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الإمام عليه السّلام.

اشاره

يتبيّن فى هذا الفصل-و هو أهمّ الفصول-معنى ولايه الله تعالى الحاصله للنبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و الأئمه عليهم السّلام، التى بها يمتازون عمّا سواهم و لا يكون أحد فى مستواهم.

[النبوه و الولايه المطلقه]

فنقول: إن النبوه و الولايه مطلقه أى عامّه، و مقيّده أى خاصّه. بيانه: أن أصل النبوه و الولايه من حيث هى صفه إلهيّه كما علمت سابقا تكون مطلقه. و من حيث استنادها إلى الأنبياء و الأولياء تكون مقيّده، و المقيّد متقوّم بالمطلق، أى أنها لما كانت صفه إلهيّه، فهى الأصل، و تكون مطلقه. و المطلق-أى هذا الأصل-ظاهر فى المقيّد، فنبوه الأنبياء كلّهم من حيث إنّهم مظاهر لها هى جزئيات النبوه المطلقه، و ولايه الأولياء جزئيات الولايه المطلقه، بمعنى أن النبوه و الولايه لما كانتا صفه إلهيّه، و هى من حيث هى صفه له تعالى، ليس لها حدّ محدود، و لا نعت موجود، كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى صفاته تعالى، فهى لا محاله مطلقه، و لكنّها باعتبار

ظهورها فى النبى و الولى، فلا محاله تكون مقيده، قائمه بالولى، فإن الظّهور فى الخلق مقيّد لا محاله، و أثر للمطلق، و متقوم به كما علمت. و توضيح المرام فى هذا الكلام: أن النبوه المطلقه هى النبوه الحقيقيه، الحاصله فى الأزل، الباقيه فى الأبد، حيث إنّها صفه إلهيّه، قائمه بالحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله و سلّم و لسانها بهذا اللّحاظ

قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطّين» هذا باعتبار الأصل، و أما باعتبار ظهوره فى الخلق، لسانه

قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم «حلال محمّد صلّى الله عليه و آله حلال إلى يوم القيامه، و حرام محمّد صلّى الله عليه و آله حرام إلى يوم القيامه» حيث إنّه فى هذه النبوه لم يعتبر إلاّ الإطلاق و ما هو شأن تلك الصفه الإلهيّه. و معلوم أنه لم يحد بحدّ، فلا محاله تكون مطلقه، و حاصلها: أنه لما كانت هذه النبوه صفه إلهيّه، ظهرت فى النبى الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلّم فلا محاله تكون حقيقتها هى اطلاع النبى المخصوص بها-و هو النبى الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلّم-على استعداد جميع الموجودات بحسب ذواتها و ماهيّاتها، و يلزمه إعطاء كلّ ذى حقّ حقّه، الذى يطلبه بلسان استعداده من حيث الإنباء الذاتى و التعليم الحقيقى الأزلى، و إليه الإشاره بقوله تعالى: وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ (1)(و الله العالم) . و صاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفه الأعظم، و قطب الأقطاب، و الإنسان الكبير، و آدم الحقيقى، المعبّر عنه بالقلم الأعلى، و العقل الأوّل، و الروح الأعظم. و فى الأحاديث الآتيه دلاله على ثبوت هذه العناوين لصاحب هذا المقام، و تقدم أن باطن هذه النبوه الولايه المطلقه، و هى عباره عن حصول مجموع هذه الكمالات بحسب الباطن فى الأزل، و بقائها إلى الأبد، و ترجع حقيقتها إلى فناء العبد فى الحق، و بقائه به. و بهذا الفناء يصير مظهرا للصفه الإلهيّه بإطلاقها، و إليه الإشاره

بقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «أنا و علىّ من نور واحد، أو من

١- ١) إبراهيم:٣۴.

شجره واحده» و هذه النبوه و الولايه توأمان ثابتتان له صلّى الله عليه و آله و سلّم بلحاظ الواقع و نفس الأمر، غير قابلتين للزوال ما دام لله تعالى عنايه فى الخلق، و له تعالى ظهور فيه، هذا بالنسبه إلى النبوه و الولايه المطلقه.

أما الكلام فى النبوه و الولايه المقيده:

النبوه و الولايه المطلقه قد علمت أنها صفه إلهيّه ظهرت فى النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و هى مطلقه، أى لم يلحظ فيه النبىّ، بل هو فان عن نفسه، و باق بربّه، فليس له صلّى الله عليه و آله و سلّم شأن غير الشأن الإلهى، و لكن قد تلاحظ هذه النبوه باعتبار قيامها بالنبى الأعظم صلّى الله عليه و آله و من حيث إنه صلّى الله عليه و آله صاحبها، و قائم بها، فله صلّى الله عليه و آله حينئذ بلحاظ هذا المقام الإلهى الإخبار عن الحقائق الإلهيّه، أى بيان معرفه ذات الحقّ و صفاته و أحكامه، فبهذا اللحاظ قد علمت أنها نبوه تعريفيّه، فإن ضمّ معه تبليغ الأحكام و التأديب بالأخلاق، و تعليم الحكمه، و القيام بالسياسه، فهى النبوه التشريعيّه و تختص بالرساله، و تسمى هذه أيضا بالنبوه المقيّده بقسميها من التعريفى و التشريعى، بلحاظ إضافتها إليه صلّى الله عليه و آله الموجبه لخروج هذه الصّفه الإلهيّه عن الإطلاق، و إعمالها فى الخلق الموجب للتقيد، كما لا يخفى. و قس عليها بلحاظ الإخبار عن الحقائق الإلهيّه الولايه المقيّده، فإن الولايه لما كانت باطن النبوه، فلا محاله تدور معها، إلا أنها تمتاز عن النبوه بظهورها فى الولى الأعظم، منحازه عن النبوه التشريعيه فالولايه هى الأصل، و هى الباطن، قد تجامع مع النبوه، أى النبوه التشريعيه المختصه به صلّى الله عليه و آله كما فى النبىّ الأعظم صلّى الله عليه و آله، دون النبوّه التعريفيّه، فإنها قد علمت باقيه ببقاء الولايه، و قد علمت أن الولايه باقيه غير منقطعه. و لذا قال بعض الأعاظم: إن الولايه لما كانت صفه إلهيّه-كما تقدم-فهى غير منقطعه أزلا و أبدا، و لا يمكن الوصول لأحد من الأنبياء و غيرهم إلى الحضره الإلهيه إلا بالولايه، التى هى باطن النبوّه، و هى تجامع مطلقا مع النبوّه التعريفيّه كما

لا يخفى.

فصل: فى بيان مصاديق الولايه المطلقه و المقيده زياده على ما مرّ.

فلمّا عرفت أن الولايه المطلقه التى هى باطن النبوه، فهى من حيث جامعيّتها الاسم الأعظم، إذ كونها صفه إلهيّه و شأنا إلهيّا، فلا محاله تكون جامعه لجميع أسمائه و صفاته، فلا محاله هى الاسم الأعظم. و كيف كان، فهى بهذه المرتبه لخاتم الأنبياء صلّى الله عليه و آله و حيث إن الولى المطلق الإلهى له مقام البيان و التعريف، و الشرح و التبيين بالنسبه إلى الذات و الصفات و الأفعال الإلهيّه، فلا محاله يكون مقامه-أى الولى-مقام الظهور و الإظهار لتلك المعارف، كما سيأتى بيانه من الأحاديث. و لا ريب فى أن الظهور و الإظهار لها منه عليه السّلام إنما هو بالولايه، فلا محاله تكون الولايه من حيث ظهورها فى الشهاده، و فى مقام الظهور بتمامها لخاتم الأولياء عليهم السّلام فصاحب هذه الولايه من حيث الجامعيه للاسم الأعظم، كما كانت للنبى الأعظم، و من حيث الظهور و الإظهار التام، كما كانت للولى، يكون واسطه بين الحق تعالى و بين جميع الأنبياء و الأولياء، و إلى هذه المرتبه و ما لها من الآثار، تشير الأحاديث الآتيه فى الشرح، من أنه صلّى الله عليه و آله كان نبيّا و آدم بين الماء و الطين، و كذا من

قوله عليه السّلام كنت وليّا و آدم بين الماء و الطّين.

و ما ورد أيضا من أنه صلّى الله عليه و آله بعث و هو روح إلى الأنبياء، و هم أرواح، فدعاهم إلى التوحيد و سيأتى الحديث بلفظه. و ما دلّ من أن أمير المؤمنين عليه السّلام معلّم الملائكه، و كذا الأئمه عليهم السّلام حيث إنهم سبّحوا و هلّلوا و قدّسوا فهلّلت الملائكه، و هكذا فى البواقى، فإنها ناظره إلى ثبوت هذه المرتبه لهم عليهم السّلام. ثم إنه من أمعن النظر فى جواز كون الملك-كجبرئيل مثلا-واسطه بين الحق و الأنبياء، لا يصعب عليه قبول كون خاتم الولايه الذى هو مظهر الاسم الجامع، و أعلى من الملائكه بمراتب-كما سيأتى أحاديثه و بيانه-واسطه بينهم و بين الحق

تعالی، ثم أن ختم الولایه أولا یکون للنبی الأعظم، حیث إنها باطن نبوّته صلّی الله علیه و آله ثم للوصی المعظم، حیث إنه علیه السّلام نفسه صلّی الله علیه و آله و روحه، کما تقدمت الإشاره إلیه، و الله العالم بحقائق الأمور.

فصل: فی بیان المراد من خاتم الأولیاء حیثما تحققت.

المراد بخاتم الأولیاء لیس من لا یکون بعده ولیّ فی الزمان، بل المراد به من یکون أعلی مراتب الولایه، و أقصی درجات القرب مقاما له، بحیث لا یکون من هو أقرب منه إلی الله تعالی، و لا یکون فوق مرتبته فی الولایه و القرب مرتبه، و هذه هی الولایه الخاصّه، التی تختص بأهل الله تعالی، الفانین فی ذات الله الباقین ببقائه، صاحبی قرب الفرائض، و ستأتی الأحادیث المتکثّره المتواتره، بل و فوق التواتر، الدّاله علی أن هذه المرتبه مختصّه بمحمّد و آله الطاهرین علیهم السّلام فانتظرها فی شرح قوله علیه السّلام: المقرّبون، و شرح قوله: لو وجدت شفعاء أقرب إلیک إلخ.

تقسیم آخر للولایه:

و هو أن الولایه الخاصه بالمعنی المذکور، و خاتم الولایه بالمعنی المذکور قد یکون صاحبها واجدا لها، بحیث تکون الولایه مقاما له، أی ثابتا غیر زائل أزلا و أبدا، کما تقدم. و قد تکون حالا، أی توجد من ذلک القرب الحقیقی له فی آنات دون آنات. و قد یراد من کونها مقاما أن الولایه الخاصه التی تکون مقاما لصاحبها، هی التی تکون لمن کان وجوده فانیا فیه تعالی، بحیث لیس له أنیّه أبدا فلا ظهور فیه إلا ظهوره تعالی، فلا محاله تکون آثاره علیه السّلام آثاره تعالی کما تقدم. فالولایه أی القرب الحقیقی مقام له، أی غیر زائل، لعدم وجود له فی قباله تعالی، و لا وجود له، إلا أنه مظهر له تعالی، کما أشیر إلیه

فی قوله علیه السّلام:

«لا فرق بینک

و بینها إلا أنهم عبادک فتقها و رتقها بیدک»

الـدعاء و سیأتی فی الشـرح شـرحه. هـذا فی بیـان المراد من کونها مقاما لصاحبها. و أما کونها حالا، فمعناه أن الولی إذا لم یفن وجوده فی وجوده تعـالی، بـل کان وجوده وجودا فرقیّا، و فی عالم الفرق، لا فی عالم الجمع، فلا محاله لا یکون القرب الحقیقی ذات الولی، و لا ـ حقیقته هـذا القرب، بـل له وجود فرقی، یعرض له القرب، و یسـمی القرب العارضـی بالحـال فولا ـیته حـالیّه، لا مقامیّه فهو مقرب إلیه تعالی بالقرب العارضـی الحالی، لا الحقیقی المقامی فالأولی أی الولایه المقامیّه تختصّ بمحمـد صـلّی الله علیه و آله و بالمحمدییّن من أوصیائه و ورثته بالتابعیّه له صلّی الله علیه و آله. و أمّا الأنبیاء السابقون و أوصیاؤهم إن حصلت لهم الولایه بمعنی القرب، فإنّما حصـلت لهم علی أن یکون حالا لهم، لا أن یکون مقاما. قیل: یدل علی هذا رؤیه النبی الأعظم صلّی الله علیه و آله کبراءهم من أولی العزم منهم کلّا منهم فی فلک مخصوص، أما بمرتبه النفسانیّه أو العقلانیّه، هـذا مع أن النفس و العقـل و عقولهـا القدسـیه الکـائنه بهـا، إنما هم أولیاء الله تعالی بالولایه العامه التی علمت معناها، أنها تعم المؤمنین بأصـنافهم، و تقدمت أقسامها، لا الخاصه لما علمت من أن وجودات الولی المتّصف بالولایه الخاصه إنما هی وجودات حقّانی جمعی إلهی. و هـذا بخلاـف وجود أولئک الأنبیاء، فإن وجوداتهم وجودات فرقیّه، لمّا علمت من أن کلا منهم کان فی فلک مخصوص، و أین هـذا ممّن هو فـان عن الوجود و باق بوجود المعبود؟ فظهر فیه ما کان له تعالی من الإطلاق فی الوجود، و الآثار کما لا یخفی. و کیف کان فکلامنا فی بیان خاتم الولایه، التی تکون له الولایه مقاما بالمعنی المتقدم، لا حالا بالمعنیین المتقدمین. و الحاصل أن الولایه الخاصه هی الولایه المحمّدیه و المحمّدیّین صلوات الله علیهم أجمعین.

تقسیم آخر للولایه المحمّدیه:

لا ریب فی أنه تعالی متجلّ بأسمائه، فأیّ عبد تجلی الله فی حقیقته و قلبه باسمه، صار قریبا منه تعالی، فإذا کان التجلّی بجمیع الأسماء، فلا محاله یکون العبد أقرب، و إذا کان ببعض الأسماء، فالقرب علی حسبه، فالفناء الحاصل للعبد إنما هو بتجلّی الأسماء فیه کمّا و کیفا، فحینئذ قد تکون الولایه الخاصه، التی عرفت معناها مقیّده باسم من الأسماء و حدّ من حدودها، و قد تکون مطلقه عن الحدود، و معراه عن القیود، بأن تکون جامعه لظهورات جمیع الأسماء و الصفات، واجده لأنحاء تجلّیات الذات، فعلیه فالولایه المحمدیه صلّی الله علیه و آله قسمان مطلقه و کلیّه من حیث کلّیه روحه، المسمی بالعقل الأول، و من حیث جامعیّته لجمیع الظهورات کما علمت، و الثانی مقیّده و جزئیّه من روحه الجزئیّه المدبّره لجسده صلّی الله علیه و آله. و بعباره أخری: الولایه المطلقه لم یلاحظ فیها إعمالها فی الخلق بل تلاحظ علی إطلاقها. و أما المقیّده فهی بلحاظ إعمالها فی مظاهرها الخلقیّه فاعلا و هو روحه الجزئیّه المقدّسه صلّی الله علیه و آله و انفعالا و هو جسده صلّی الله علیه و آله أو سائر متعلقات ذلک الاسم. ثم أن لکل من المطلقه و المقیّده درجات، أما المقیّده فدرجاتها بالعدّه، أی بالکیفیّه المختصّه بهذا الاسم، و الکیفیّه هی الحقیقه المعدّه باختلاف مراتبها، للتصرف فی الخلق، و أما المطلقه فدرجاتها بالشدّه حیث إنها لم یلاحظ فیها إلا نفسها، فهی من حیث کونها مطلقه و غیر محدوده بحدّ، فلا محاله تکون ذا شدّه، و لشدّتها مراتب غیر متناهیه، کما لا یخفی. و اعلم أن ختم الولایه المحمدیه صلّی الله علیه و آله المطلقه مختصّه به صلّی الله علیه و آله و بأوصیائه الکرام. و أما ختم الولایه المحمدیه المقیّده فقیل: إنه یمکن حصولها لعالم من علماء أمّته صلّی الله علیه و آله بأن یکون هذا العالم خاتما لولایته المقیّده، کسلمان رضی الله عنه و أشباهه.

تقسیم آخر للولایه:

اشاره

قد تطلق الولایه المطلقه علی الولایه العامّه، التی تعمّ المؤمنین، و قد تقدم بیانها، و قد تطلق الولایه المحمدیه علی الولایه الخاصّه. و بعباره أخری: أن الولایه المقیّده التی هی تجلّ خاص بالاسم الخاص، قد تسمی بالولایه الخاصّه، فی قبال الولایه المطلقه العامه، التی تکون للمؤمنین علی اختلافهم. فلا تغفل فی موارد إطلاقات الولایه.

فصل:

قد تقدم أن الولایه صفه الهیّه، و شأن من الشئون الذاتیّه، التی تقتضی الظهور، و قد أشار إلیه بقوله تعالی: وَ هُوَ اَلْوَلِیُّ اَلْحَمِیدُ فقوله تعالی: الولی، إشاره إلی ولایته تعالی، و صفته الإلهیّه، و قد علمت معنی اقتضائها للظهور، و علمت أیضا أن هذه الولایه التی مرجعها إلی القرب، إمّا یلاحظ بلحاظ قربه تعالی إلی الأشیاء، و إما بلحاظ قرب العبد إلیه تعالی، و الثانی هو القرب الحاصل للعباد، الموجب لکونهم أولیاءه تعالی علی حسب درجاتهم و قد تقدمت أقسامها. و أما الأول، و هو قربه تعالی إلی الأشیاء، فهو صفه عامه بالقیاس إلی ما سوی الله، لاستواء نسبته تعالی إلی الأشیاء، کما تقدم

عن موسی بن جعفر علیه السّلام استوی علی کلّ شیء فلیس شیء أقرب إلیه من شیء. إذا علمت هذا فنقول: إن هذه الصّفه الإلهیّه و الشأن الذاتی لها اعتباران: اعتبار بالنسبه إلی الذات المقدّسه، فهی بهذا الاعتبار قائمه بذاته تعالی، حیث إنها من شئون الذات، و اسم له جامع للأسماء. و اعتبار بالنسبه إلی الأشیاء، فهی بهذا الاعتبار لها صوره تکون مظهرا لتلک الصفه الذاتیه، و الشأن الإلهی و الاسم الجامع، و هی أن هذه الصوره عامه شامله لجمیع ما سوی الله تعالی، و معنی شمولها له أنها-أی هذه الصوره-هی صوره جمیع ما سوی الله تعالی، و لیست هذه الصوره

بهذا المعنى سوى العين الثابته المحمديه و بعباره أخرى أن تلك الصوره الشامله لجميع ما سوى الله، هى مظهر للاسم الإلهى الجامع لجميع الأسماء، و هى بعينها الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله فالحقيقه المحمديه صوره ذلك الاسم الجامع الإلهى، فهنا اسمان: الولىّ المشار إليه فى قوله تعالى: وَ هُوَ اَلْوَلِيُّ اَلْحَمِيدُ و هو الاسم الجامع لجميع الأسماء، و الثانى-أى المظهر-الله-أى سائر الأسماء الإلهيه، التى هى شئون لهذا الاسم الجامع أى الولى. فاسم الولى باطن اسم الله لجامعيّته، و-الله-مقام ظهور ألوهيّته تعالى بالأسماء المتمايزه المختلفه مفهوما المتّحده مصداقا. فالولايه الكائنه فى اسم الولى باطن الآلهيّه و هى سرّ المستسرّ، و السرّ المقنّع بالسرّ، و الآلهيه التى أشير إليها ب-الله-باطن الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله فالولايه باطن الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله و الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله بصورتها ظاهر الولى، و ظاهر الألوهيّه و صورتهما، و معلوم أن الظاهر عين الباطن، و الباطن عين الظاهر، و الاثنينيّه بالتمايز العقلى، و أما فى الوجود فهما متحدان. فالصوره المحمديّه صلّى الله عليه و آله و حقيقتها حيث إنها واحده، و هى ظهور تلك الأسماء أى ظهور-الله-و الإلهيّه و ظهور الولى الجامع لها، و الصوره الواحده لا تكون صوره للمتمايزين فى العرض، فالاسمان فى طول الترتيب، و اسم الولى باطن اسم الله تعالى، لأن الولايه أخفى من الإلهيّه، لأن الإلهيّه هى ظهور الأسماء بآثارها فى الخلق بحقيقه هى الولايه التى هى خفيّه فى الإلهيّه و باطن لها، و علمت أنها سرّ المستتر، و الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله ظاهرهما و تلك الحقيقه المحمديه صوره للاسمين، أى الولى- و الإلهيّه أو- الله-. فظهر مما ذكر: أن الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله مظهر للولايه المطلقه الإلهيّه، التى ظهرت بأوصاف كماله، و نعوت جماله، و هى النبوه المطلقه الجامعه للتعريف و التشريع. و بعباره أخرى: أن الحقيقه المحمديه هى الولايه المطلقه الإلهيّه، التى ظهرت

بأوصاف كماله، و نعوت جماله، و علمت أنّها النبوّه الجامعه للتعريف و التشريع، و من المعلوم أن ظهور الشيء كشفه بوجه، و حجابه بوجه، فمعنى ظهورها بأوصاف كماله، أن الولايه الإلهيّه تستّرت بالنبوه، و اختفى فيها كما تقدم، و ظهرت بأوصافه فيها. و لعمرى لو لم تختف الولايه الإلهيّه فيها، أى فى النبوه، و لم يعم فى ذلك العماء، و لم يكتس ذلك الكساء، و ظهرت بذاته الساذجه الصرفه، لاحترقت الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله، و باحتراقها احترقت السموات و الأرض و ما بينهما، فإنها أى الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله محتدى السموات و الأرضين و مرجعهما، و ما به وجودهما، فإذا لم يكن فى الوجود إلا الله الواحد القهّار، و إلى هذه النكته يشير

قوله تعالى: لولاك لما خلقت الأفلاك، أى لاضمحلّت و احترقت. و كيف كان، فهناك الذات الربوبيّه و الصفه الجامعه لجميع الأسماء، و هى الولايه الإلهيّه، و هى باطن الألوهيّه و هذه الأمور بما لها من المراتب فى الوجود ظاهره فى الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله.

فى مظاهر الولايه المحمديه صلّى اللّه عليه و آله:

اعلم أن الولايه المحمديه اجتمعت فى النبى الأعظم صلّى الله عليه و آله مع النبوّه و الرساله إذ علمت أنها باطنها، فهو صلّى الله عليه و آله بلحاظ الجامعيّه يكون أفضل ممن تكون فيه الولايه فقط، هذا فى الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله فقط، و أما بعده صلّى الله عليه و آله فقد ظهرت الولايه المطلقه الإلهيّه المحمديه صلّى الله عليه و آله بخصوص الولايه، منحازه عن النبوّه التشريعيه و الرساله، فصارت ولى الله و خليفه رسول الله صلّى الله عليه و آله فالولى بنعت الولايه الكائنه للنبى صلّى الله عليه و آله استحق الخلافه للنبى صلّى الله عليه و آله ثم هكذا ظهرت كلّ يوم فى شأن من شئونه و فى كلّ مظهر من الأولياء و الأئمه عليهم السّلام واحد بعد واحد بنعت من نعوت ذلك الشأن،

ص: ۴۱

فصارت حجج الله و خلفاء رسول الله صلّى الله عليه و آله إلى أن ظهرت بجميع أوصاف ذلك الشأن، فصارت قائمهم و مظهر أوصافهم. و كلّهم نور واحد، و حقيقه واحده، و اختلافهم فى ظهور أوصاف حقيقتهم الأصليّه، و هى الولايه المطلقه المحمديه،

كما ورد أوّلنا محمّد، و أوسطنا محمّد، و آخرنا محمّد، و كلّنا محمّد. و بعباره أخرى: أنه قد علمت أنّ الولايه صفه إلهيّه و شأن من شئون الذاتيّه و صورتها و مظهرها، شامله لجميع ما سوى الله، و ليست إلا العين الثابته المحمديه صلّى الله عليه و آله و هى عين واحده ثابته فى علم الغيب الإلهى، و إنّما تختلف ظهوراتها العلميه فهى فى ذلك الموطن. و إن شئت توضيحه فاسمع ما يقال لك لتصوّر ذلك فنقول: أنت قد تعقل المقدار، المراد من المقدار تعقل ماهيّه من الماهيّات مبهمه مثلا بعقلك المجرد، فيصير ذلك المعنى صوره عقليّه مجرده بلا تقدّر و تشكّل، ثمّ تتخيّل ذلك المعنى المجرد الكلى بقوتك الخياليّه، فيصير ذلك المعنى المجرّد صوره مقداريّه فاكتسى المعنى المجرد بالصوره المقداريّه بسبب التخيّل، و هذا المتقدّر بالصوره هو عين ذلك المعنى المجرد العقلى، و لست تضيف إليه شيئا، و لا تسقط منه شيئا فالمعنى الواحد ظهر مرّه مجرده كليه، و مرّه مجرده جزئيّه، و ليس بينهما اختلاف إلا بالشأن و الظهور، فاجعل ما ذكرناه مرقاه لمعرفه كون العين الواحده أعيانا متعدده بلا اختلاف فى الذات و العوارض. و فى المقام أن العين الثابته المحمديه عين أوصيائه و خلفائه، فإذا كانت الولايه واحده و العين واحده، و لا اختلاف إلا فى الظهور بالأوصاف الذاتيه الكامنه الموجبه لاختلاف الشئون فى المظاهر المتعدده بلا إيجاب، لتحقّق الاختلاف الذاتى، فصدق حينئذ

قوله عليه السّلام: «أولنا محمد، و آخرنا محمد، و أوسطنا محمد، و كلّنا محمد» . و حينئذ يرتفع ما يتوهّم من التناقض فى قولنا تاره: إن خاتم الولايه المحمديه

ص :۴۲

أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام و تاره: هو المهدی الموجود الموعود المنتظر عجل الله تعالی فرجه الشریف، لأنّهما، بل لأنّهم علیهم السّلام نور واحد بالسنخ، و إنما الاختلاف بالشئون و الظهورات، علی حسب اقتضاء الحکمه البالغه. فظهر أنّ ما فی خاتم الولایه المحمدیه، أعنی أمیر المؤمنین علیه السّلام أو المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف، أو أحدهم علیهم السّلام هی الحقیقه النوریه المحمدیّه، التی کانت أولا لنفسه الشریفه صلّی الله علیه و آله مع النبوه، و التی خلعت لباس النبوه، و اکتست کساء الولایه، و ظهرت فی صوره أوصیائه و المعصومین. فإن شئت قلت: أمیر المؤمنین علیه السّلام و إن شئت قلت: فی أیّ من الأئمه المعصومین، إلا أن قائمهم أولی بذلک لظهور جمیع الأوصاف فیه علیه السّلام.

فصل: فی ذکر الأحادیث الوارده فی الباب و تطبیقها علیهم علیهم السّلام،

و بیان أن المراد بالأنوار القاهره هم محمّد و الأئمه علیهم السّلام. قال بعض الأعاظم: لو کان لما ذکره الحکماء الإسلامیّون من القول بالعقول الطولیه، و الأنوار القاهره، و العقول العرضیّه المتکافئه، المعبّر عنها بالمثل النوریّه محمل صحیح–و مستند قویم، فإن الکبراء منهم کالمحقق الطوسی قدّس سرّه قال فی متن التجرید: «و أما العقل فلم یثبت دلیل علی امتناعه، و أدله وجوده مدخوله» ، أی أنه لم یثبت بالعقل امتناع القول بوجود العقول الطولیّه و الأنوار القاهره، و غیرها مما ذکر، و إن کانت أدله وجودها المذکوره عند القوم مدخوله أی یمکن الإشکال علیها، فلا یمکن الاعتماد علیها. و کیف کان، فلو کان لما ذکروه محمل صحیح لکان حقیقا أن یقال: إنّ النور المحمدی صلّی الله علیه و آله الظاهر فی خاتم الأنبیاء و أمیر المؤمنین علیه السّلام و سیده النساء علیها السلام و الأئمه المعصومین علیهم السّلام متحد بحسب الحقیقه مع تلک الأنوار القاهره الأعلین، و ما هو فی سائر الأنبیاء و أوصیائهم متحد مع الأنوار العرضیّه و المثل النوریه علی حسب مراتبهم، و تدبّر فی الأحادیث المرویّه فی المجلد الأول من کتاب أصول الکافی.

ص: ۴۳

و سيجىء فى طى الشرح ذكرها فى مواردها مع شرحها، و لكن نذكر منها هاهنا تبرّكا. فمنها: ما ورد فى باب أنّ الأئمه عليهم السّلام نور الله عزّ و جل،

عن أبى خالد الكابلى، قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله عز و جل: فَآمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِى أَنْزَلْنا فقال: «يا أبا خالد النور و الله نور الأئمه من آل محمد صلّى الله عليه و آله إلى يوم القيامه، و هم و الله نور الله الذى أنزل، و هم و الله نور الله فى السموات و الأرض، و الله يا أبا خالد لنور الإمام فى قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئه بالنهار، و هم و الله ينوّرون قلوب المؤمنين، و يحجب الله تعالى نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، و الله يا أبا خالد لا يحبّنا عبد و يتولّانا حتى يطهّر الله قلبه، و لا يطهر الله قلب عبد حتى يسلّم لنا، و يكون سلما لنا، فإذا كان سلما لنا سلّمه الله من شديد الحساب، و آمنه من فزع يوم القيامه الأكبر» . و منها: ما فى باب خلقه النبى صلّى الله عليه و آله و الأئمه الطاهرين قبل خلق السموات و الأرض: ما

عن محمّد بن سنان قال: كنت عند أبى جعفر الثانى عليه السّلام فأجريت اختلاف الشيعه، فقال عليه السّلام: يا محمّد إن الله تبارك و تعالى لم يزل متفرّدا بوحدانيّته، ثم خلق محمّدا و عليّا و فاطمه فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، و أجرى طاعتهم عليها، و فوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاءون، و يحرّمون ما يشاءون، و لن يشاءوا إلّا أن يشاء الله تبارك و تعالى، ثم قال: يا محمد هذه الدّيانه التى من تقدمها مرق، و من تخلّف عنها محق، و من لزمها لحق، خذها إليك يا محمّد (1). و منها: ما

عن المفضّل قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: كيف كنتم حيث كنتم فى الأظلّه؟ فقال: يا مفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا، فى ظلّه خضراء نسبحه

۱- ۱) الكافى ج ۱ ص ۴۴۱.

و نقـدّسه و نهلّله و نمجّـِده، و مـا من ملك مقرّب و لا ذى روح غيرنا حتى بـدا له فى خلق الأشـياء، فخلق ما شاء، كيف شاء من الملائكه و غيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا. و منها: ما

عن محمـد بن عبد الله بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السّـِلام عن أبى عبد الله عليه السّـِلام قال: إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان و المكان، و خلق نور الأنوار الـذى نوّرت منه الأنوار، و أجرى فيه من نوره الـذى نوّرت منه الأنوار، و هو النور الذى خلق منه محمّدا و عليّا، فلم يزالا نورين أوّلين إذ لا شـىء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين فى الأصـلاب الطاهره، حتّى افترقا فى أطهر طاهرين فى عبد الله و أبى طالب عليهما السّلام. و منها: ما

عن جـابر بن يزيـد قال: قال لى أبو جعفر عليه السّـِلام: يا جابر إنّ الله أول ما خلق خلق محمّـِدا و عترته الهـداه المهتـدين، فكانوا أشـباح نور بين يدى الله، قلت: و ما الأشباح؟ قال عليه السّلام: ظلّ النور أبدان نوريّه بلا أرواح، و كان مؤيّدا بروح واحده، و هى روح القدس، فبه كان يعبد الله و عترته، و لذلك خلقهم حلماء، علماء، برره أصـفياء، يعبدون الله بالصـلاه و الصوم و السـجود و التسبيح و التهليل، و يصلّون الصلوات و يحجّون و يصومون. أقول: و سيجىء ما فى الزياره الجامعه من

قوله عليه السّلام:

و إنّ أرواحكم و نوركم واحده، طابت و طهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرشه محدقين، حتّى منّ علينا بكم فجعلكم. .

و سـيجىء شـرحها، و فيه شـرح هـذه الأحاديث فانتظر. ثم إنّه لو تأمّل أحد فيما ذكرناه من أول هذه الفصول إلى هنا، و تدبّر فى تلـك الروايـات و مثلها، و فى تلك الجمل الوارده فى الزياره، للزياره لوجـدها منطبقه على حقائقهم و أنوارهم عليهم السّـِلام، و سيجىء الكلام فى التطبيق فى طىّ الشرح إن شاء الله

ص :۴۵

تعالى.

فصل: فى بيان مراتب النبوّه فى الجمله.

إنّ المبعوث إلى الخلق قد يكون من غير تشريع و كتاب من الله تعالى، و تاره بتشريع و كتاب منه سبحانه، فلا محاله انقسم النبى إلى المرسل و غيره، فالمرسلون أعلى مرتبه من غيرهم لجمعهم بين المراتب الثلاث: الولايه و النبوه و الرساله، ثم مرتبه الأنبياء لجمعهم بين المرتبتين الولايه و النبوه و ستجىء الأحاديث فى هذا الباب فى محلّه. ثم إنه قد علمت فيما سبق أنّ للنبوه و الولايه مراتب، و أعلاها للنبى المعظم صلّى الله عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام، ثم اعلم أنّ المرسلين و إن كانوا أعلى من النبيين غير المرسلين، إلاّ أنّ مقام الولايه الكائنه فيهم كلّ بحسب درجاته أعلى من مرتبه نبوّتهم، و نبوتهم أعلى من مرتبه رسالتهم، لأنّ ولايتهم جهه حقيّتهم و فنائهم فيه تعالى، و نبوتهم جهه ملكيّتهم، إذ بها تحصل لهم المناسبه بعالم الملائكه فيأخذون الوحى منهم، و رسالتهم جهه بشريّتهم المناسب للعالم الإنسانى، فمقام النبوه برزخ بين الولايه و الرساله، يعنى أنها فوق الولايه و دون الرساله. و سيجىء مزيد توضيح لهذا فى طىّ الشرح إن شاء الله تعالى.

فصل: فى تحقيق المراد من الاسم.

أقول: قد تكرر ذكر الاسم فى الآيات و الأحاديث و كلمات القوم فلا بدّ من توضيح المراد منه فنقول: قال بعض الأعاظم (۱)ما حاصله: إن الاسم فى عرف المحققين عباره عن الذات المأخوذه مع بعض الشئون و الاعتبارات و الحيثيات، فإن للحق سبحانه و تعالى بحسب قوله: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (۲)شئونا ذاتيه و مراتب غيبيه، يحصل له بحسب كلّ منها اسم أو صفه حقيقه أو إضافيّه أو سلبيّه،

۱- ۱) فى تفسير آيه الكرسى لملا صدرا ص ۴۲.

۲- ۲) الرحمن:۲۹.

و لكلّ منها نوع من الوجود حتّى السلوب، فإنها مما يعرضها الوجود من وجه، كما إذا تمثّل فى ذهن من الأذهان، أو يكون له مصداق ينتزع منه إذا قيس إلى الأمر المسلوب. و الفرق بين الاسم و الصّفه فى اعتبار العقل كالفرق بين المركب و البسيط، إذ الذات معتبره فى مفهوم الاسم دون مفهوم الصفه، لأن الاسم إمّا من السمّو أى العلو، أى ما به علوّ الذات و المسمّى و ظهوره، فلا محاله حينئذ يكون الاسم منظورا بلحاظ الذات لا مطلقا، و كذا لو كان من السمّه أى العلامه فإنها تعلم الذات كما لا يخفى، و هذا بخلاف الصفه فإنها تلاحظ بما هى مجرد عارض من دون نظر إلى الذات. و قد يقال الاسم للصفه-وجه الإطلاق-إنّ الذات مشتركه بين الأسماء كلّها أى ملحوظ بوحدتها فيها، و التكثّر فى الأسماء بسبب تكثّر الصفات أى الشئون العارضه و المفاهيم المتكثّره فهى توجب تكثرا فى الاسم، و ذلك التكثّر فى الصفات إنما يكون باعتبار مراتبه الغيبيّه التى هى مفاتيح الغيب. و بعباره أخرى: إنّ تكثّر الصفات إنما هى عكوس و أظلال لما اقتضته الذات منها، و هى أى الصفات معان غيبيّه معقوله فى عين الوجود الحقّ لا بنحو التكثر فى الذات تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا، بل بمعنى أنّ الذات الإلهيه بحيث لو وجدت فى العقل فرضا، أو أمكن أن يلحظها الذهن، لكان ينتزع منها هذه المعانى و يصفها بها، فهو أى الذات فى نفس الأمر مصداق لهذه المعانى من دون حاجه إلى تحقق صفه فى ذاته، و هذا معنى قوله عليه السّلام: «يستحقها» أى الأسماء و الصفات كما سيجىء حديثه و شرحه. و هذا أيضا مراد المحققين من قولهم: إن صفاته عين ذاته، و هذا أيضا معنى

كلام أمير المؤمنين و إمام الموحدين عليه السّلام كما فى نهج البلاغه: «و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص نفى الصفات عنه» .

أی کمال توحیده نفی الصفات المتکثّره بمفهوماتها و العارضه فی الذهن عنه تعالی، و إن استحق الذات إیّاها بالنحو الذی ذکرناه، و لتوضیح المقام مجال آخر فی محله. و بعباره أخری أنّ ذاته المقدّسه تستحق هذه الأسماء و الصفات بالنحو المذکور، و هو تعالی بهذا الاستحقاق الذاتی قد تتجلی ذاته تعالی بصفه من الصفات، فیسمی باسم خاص من ذلک التجلی، و هی تجلّ إلهی، و هی برزخ بین المعان المعقوله فی غیب الوجود الحق المشار إلیه آنفا و بین تعیّنات شئونه و تجلّیاته و لیست بموجودات عینیّه، و الأسماء الملفوظه هی أسماء هذه الأسماء المعنویّه.

فصل:

و قد یطلق الاسم علی الموجودات العینیّه باعتبار کونها مظاهر لتلک الأسماء التی هی معان غیبیّه، و ذلک لاتحادهما فی المفهوم، و إن اختلفا فی الوجوب و الإمکان، مثلا للعلم حقیقه ذاتیه هی کونه عین هویّه الحق الأول، و له حقیقه أسمائیه هی معنی عقلی انتزاعی من شئون الحق و تجلّیاته، و له حقیقه إمکانیه هی ذوات العقلاء، فکلّ واحد من العقول المجرده عند المحققین اسم علیم من مراتب اسم الله العلیم، و هکذا القیاس فی جمیع الأسماء.

فصل: فی بیان لزوم وجود الولی مطلقا فی الخلق.

قال بعض الأعاظم (۱): اعلم أنه لما اقتضی حکم السلطنه الواجبه للذات الأزلیّه و الصفات العلّیه، التی هی الولایه الإلهیّه، و التی اقتضت الظهور بذاتها علی ما مرّ بیانه، أی اقتضت بسط مملکه الألوهیّه، و نشر لواء الربوبیّه بإظهار الخلائق، و تحقیق الحقائق،

ص: ۴۸

۱- ۱) تفسیر سوره البقره لملا صدرا ص ۳۰۲.

و تسخير الأشياء، و إمضاء الأمور، و تدبير الممالك، و إمداد الدهور، و حفظ مراتب الوجود، و رفع مناصب الشهود، و كان مباشره هذا الأمر من الذات القديمه بغير واسطه بعيدا جدّا، لبعد المناسبه بين عزّه القدم و ذلّه الحدوث، كما دلّت عليه أحاديث سيأتى ذكرها. حكم الحكيم سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه فى التعرّف و الولايه و الحفظ و الرعايه، و له أى للنائب وجه إلى القدم يستمدّ به من الحقّ سبحانه، و وجه إلى الحدوث يمدّ به الخلق. فجعل سبحانه ذلك النائب على صوره خليفه يخلف عنه فى التصرف، و خلع عليه جميع أسمائه و صفاته، و مكّنه فى مسند الخلافه بإلقاء مقادير الأمور إليه، و إحاله حكم الجمهور عليه، و تنفيذ تصرّفاته فى خزائن ملكه و ملكوته، و تسخير الخلائق لحكمه و جبروته، و سمّاه إنسانا لإمكان وقوع الأنس بينه و بين الخلق برابطه الجنسيّه و واسطه الأنسيّه، و جعل له بحكم اسمه-الظاهر و الباطن-حقيقه باطنه و صوره ظاهره، ليتمكن بهما من التصرف فى الملك و الملكوت فحقيقته الباطنه هى الروح الأعظم، و هو الأمر الذى يستحق به الإنسان الخلافه، و النفس الكليه وزيره و ترجمانه، و الطبيعه الكليه عامله و رئيسه، و جعل العمله له من القوى الطبيعيه، و كذلك إلى آخر الروحانيات جنوده و خدمه. و أما صورته الظاهره: فصوره العالم من العرش إلى الفرش، و ما بينهما من البسائط و المركبات، فهذا هو الإنسان الكبير الذى يشير إليه قول المحققين: إن العالم إنسان كبير. هذا بلحاظ كونه خليفه الله فى السماء و الأرض و الظهور كلّه. و أما قولهم- الإنسان عالم كبير- أرادوا به أنواع البشر و هو خليفه الله فى أرضه بالقوّه للكلّ و بالفعل للكمّلين. و كيف كان فخليفه الله فى الأرض و السّماء هو الإنسان الكبير، المشار إليه

بصورتيه الظاهريه و الباطنيّه، و الإنسان البشرى نسخه منتخبه من الإنسان الكبير الإلهى و نسبته إليه نسبه الولد الصغير من الوالد الكبير، و هذا الإنسان الكبير بصورتيه هو الحقيقه المحمديه، و مظاهرها العلويه و سائر الأئمه عليهم السّلام و هم بوجودهم الحقيقيّه المحمديه هو الإنسان الكبير بوجودهم البشريه نسخه منتخبه من حقيقتهم المحمديه، و الأفراد الكملين من البشر أولادهم المعنويه و لذا

قال صلّى الله عليه و آله: «أنا و على أبوا هذه الأمّه» ، ثمّ إنّ لهذه النسخه المنتخبه أعنى الإنسان البشرى له أيضا حقيقه باطنيه و صوره ظاهريه، أما حقيقته الباطنيه فالروح الجزئى المنفوخ فيه من الروح الأعظم، و العقل الجزئى، و النفس و الطبيعه الجزئيّتان، و أما صورته الظاهره فنسخه منتخبه من صوره العالم، فيها من كلّ جزء من أجزاء العالم لطيفها و كثيفها قسط و نصيب فسبحانه من صانع جمع الكلّ فى واحد كما قيل: ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد و صوره كلّ شخص إنسانى نتيجه صوره آدم و حوّاء عليهما السّلام، و معناه نتيجه الروح الأعظم و النفس الكلّيه اللذين هما أيضا آدم كلى و حواء كليّه، و من هذا يصح أن يقال لبعض من كمّل أولادهما حقيقه. و إنى و إن كنت ابن آدم صوره فلى فيه معنى شاهد بأبوتى أقول: هذا بحسب النوع من أفراد البشر الكمّلين، و أما النبىّ الأعظم و الأئمه عليهم السّلام. فهم فى عين كونهم بوجودهم البشرى نسخه منتخبه من الإنسان الكبير إلا أنهم لمقام كونهم عند الربّ، و أنهم مظاهره تعالى، و أنّهم حقائق أسمائه الحسنى تبارك و تعالى، فهم فى عين ظهورهم فى النسخه المنتخبه لم يحتجبوا من الحقيقه الكليه المسماه بالحقيقه المحمديه و الإنسان الكبير. فهم بشراشر وجوداتهم الظاهره و الباطنه، متصرّفون فى العوالم كلّها بقدرته

تعالى، و بالروح القدسى، و الروح الأعظم، و النور الإلهى. فنسختهم البشريه المنتخبه من الإنسان الكبير بالمعنى المتقدم غير النسخه المنتخبه لسائر الكمّلين فإن غيرهم محجوبون عن الإنسان الكبير و حقيقته، و هذا بخلافهم عليهم السّلام نعم للأنبياء أيضا نصيب مما لهم عليهم السّلام بحسب درجاتهم فى الولايه الإلهيّه كما لا يخفى.

فصل: فى بيان أنّ صاحب الولايه الإلهيّه مظهر لشئونه تعالى بسبب الولايه الإلهيّه و هو النبىّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام

فاعلم: أن لصاحب الولايه الإلهيّه شئونا كثيره و هو مظهرها، و تلك الشئون شئون الولايه الإلهيّه و هى كثيره قد ذكرت فى الأخبار، و حيث إن الزياره الجامعه الكبيره الآتى شرحها جامعه لبيانها، فنحن نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لشرحها، و شرح تلك الشئون بمحمد و آله الطاهرين عليهم السّلام. ثم اعلم أنّ الولايه الإلهيه ثابته للنبىّ الأعظم و للأئمه عليه و عليهم السّلام بالنحو الأتم الأكمل، و أما لغيرهم من الأنبياء و الأوصياء فلكلّ بحسب درجته و مقامه قال تعالى: تِلْكَ اَلرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ . و أما غير الأنبياء و الأوصياء من سائر البشر فلهم الترقى إلى مقام الولايه الإلهيّه كلّ بحسب ما يسّر الله تعالى له، و بحسب سيره و عبوديّته. بيان ذلك: أنّ للإنسان الكلى صوره من عالم الشهاده المحسوسه، و روحا من عالم الغيب الملكوتى، و سرّا مستعدا لقبول فيض النور الإلهى بلا واسطه، كما فى النبى الأعظم و الأئمه عليهم السّلام أو مع الواسطه كما فى ساير الأنبياء و ساير الكمّلين، فإنهم يصلون إلى ذلك النور بواسطتهم عليهم السّلام كما سيأتى بيانه فى الشرح. و كيف كان فبالتربيه يترقى الإنسان من عالم الشهاده إلى عالم الغيب و هو

الملكوت، و بسرّ المتابعه و خصوصياتها لصاحب الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله يترقى من عالم الملكوت إلى عالم الجبروت و العظموت، و هو غيب الغيوب المشار إليه فى

قوله عليه السّلام:

«و تصل إلى معدن العظمه»

كما فى دعاء الشعبانيّه، فيشاهد بنور الله المستفاد من سرّ المتابعه أنوار الجمال و الجلال، فيكون فى خلافه الله الحقّ عالم الغيب و الشهاده بحسب مرتبه ظهور سرّ المتابعه، و كيف كان فكما أنّ الله تعالى عالم الغيب و الشهاده فلا يظهر على غيبه أحدا-أى الغيب المخصوص و هو غيب الغيوب-أحدا-يعنى من الملائكه. إلا من ارتضى من رسول يعنى من النبى الأعظم و الأئمه عليهم السّلام، أو من الإنسان المتابع لهم فى جميع العوالم إلى أن يصل إلى ذلك النور، فهو أيضا يظهر على غيبه بقدر سرّ المتابعه، و لوجود هذا الاستعداد و السرّ الإلهى المكنون فى الإنسان استحق الخلافه الإلهيّه، و هذا السرّ هو السرّ المكنون الذى علمه الله تعالى فيه و لم يعلمه فى الملائكه كما قال تعالى: إِنِّى أَعْلَمُ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ إذ الملائكه ليس لهم الترقى إلى تلك الحضره أى حضره النور الإلهى الغيبى، بل لكلّ منهم مقام معلوم لا يتعداه كما قال تعالى: وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ . فنقول: ينبغى لنا أن نعلم أنّ استعدادا فينا لأمر عظيم، و فينا شأن عظيم جسيم منه تعالى ليس للملائكه به علم، و هو سرّ الخلافه الكائن فى الإنسان، فينبغى أن لا نتغافل عن هذه السعاده، و لا نتقاعد عن هذه السياده، بل نسعى فى طلبها حقّ السعايه بالمتابعه لحقائق أنوار الولايه المحمديه و آله الطاهرين بقدم العبوديه لله تعالى و الإطاعه و التسليم لهم صلوات الله عليهم، و نشكره تعالى حيث قبلنا بفضله و كرمه، و حسن عنايته فى حقّنا بأن جعلنا قابلا للوصول إلى جنابه، و للتخلّع بخلع الخلافه الإلهيّه بحسب لطفه و عنايته رزقنا الله ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

ص :52

تحصیل معرفته تعالی:

اشاره

ثم أنه لا بأس بشرح حال الإنسان الواصل، و ما به وصله و سلوکه إلیه تعالی إلی أن یصل و یتّصف بولایه الله تعالی فیتم الکلام فیه فی فصول.

الفصل الأول:

اعلم أنّ معرفه الذات تعالی و تقدس من أضیق المعارف مجالا، و أعسرها مسلکا و مقالا، و أشدها علی الفکر منالا، و أبعدها عن قبول الذکر، لا یظفر منها ملوک الآخره إلا بالیسیر کالکبریت الأحمر، و لذلک لا یشتمل القرآن منها إلا علی رموز و إشارات، و یرجع أکثرها لأهل الفکر و العقل إلی التقدیس و التنزیه المطلق و سلب النقائص مطلقا، کقوله تعالی: لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ و کسوره الإخلاص، أو إلی التعظیم المطلق کقوله تعالی: سُبْحانَ رَبِّکَ رَبِّ اَلْعِزَّهِ عَمّا یَصِفُونَ و کقوله تعالی: بَدِیعُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ هذا بالنسبه إلی معرفه الذات المقدّسه. ثم إنّ ما یمکن من المعرفه بها للإنسان بالنحو المجاز من الشرع لتحصیلها، هو أن یعلم أن وراء هذه المتحیّزات بل الممکنات موجودا قدیما قادرا-أی واجبا بالذات صانعا للعالم-و ذلک بالنظر إلی حقیقه الوجود المعلوم بوجه ما- و أن له فردا موجودا بذاته، و إلاّ لزم تقدم الشیء علی نفسه، أو وجود الممکن من غیر سبب-إذ جمیع الممکنات فی حکم ممکن واحد-فی خلوّ ذاته عما یوجب الاتصاف بالوجود-فبملاحظه خلوّ ذات الممکن و عریه عن طبیعه الوجود ذاتا و اقتضاء و استلزاما، و بملاحظه استحاله کون المحال قابلا للوجود- یحکم العقل الصافی عن المحذورات و الأمراض النفسانیّه بوجود القیوم المستغنی عمّا سواه. کما قال الله تعالی: اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ اَلْحَیُّ اَلْقَیُّومُ و قال تعالی: شَهِدَ اَللّهُ أَنَّهُ لا

ص: ۵۳

إِلٰهَ إِلاّ هُوَ

(۱)

و قال تعالی: أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ (۲)و بالنظر إلی العالم، و طبایع الحرکات و المتحرکات و دقائق الصنع العجیب، و النظم الغریب فی الممکنات کما أرشده الله فی القرآن-و لیس فوق بیان الله و بیان رسوله بیان-فقال تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ اَلْأَرْضَ مِهٰاداً. وَ اَلْجِبٰالَ أَوْتٰاداً . . . . وَ جَنّٰاتٍ أَلْفٰافاً (۳)و قال الله تعالی: إِنَّ فِی خَلْقِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلاٰفِ اَللَّیْلِ وَ اَلنَّهٰارِ . . . لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۴)و قال الله تعالی: أَ لَمْ تَرَوْا کَیْفَ خَلَقَ اَللّٰهُ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً. وَ جَعَلَ اَلْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً . . . وَ یُخْرِجُکُمْ إِخْرٰاجاً (۵). و لیس یخفی علی من له أدنی مسکه إذا تأمّل بأدنی فکره فی مضمون هذه الآیات، و أدار نظره علی خلق السموات و الأرض، و عجائب فطره الحیوان و النبات، فضلا عن خلقه الآدمی الکامل بالکمال العلمی و العملی، إن هذا الأمر العجیب، و الترتیب المحکم لا یستغنی عن صانع یدبره، و فاعل یحکمه، بل تکاد فطره النفوس تشهد بکونها مقهوره تحت تسخیره، و مصروفه بمقتضی تدبیره، و لذلک قال الله تبارک و تعالی: أَ فِی اَللّٰهِ شَکٌّ فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (۶). فمن غفل عن هذا کان راکبا علی متن الجهل و ناکبا (۷)عن نهج العقل. و أما معرفه الصفات صفاته تعالی فالمجال فیه أفسح، و نطاق النطق فیها أوسع، و لذلک أکثر آیات القرآن مشتمل علی ذکرها و تفصیلها کالعلم و القدره و الحیاه و السمع و البصر و الکلام و الحکمه و غیرها، ثم إنّ فی هذا القسم أیضا غموضا

۱- ۱) آل عمران:۱۸.

۲- ۲) فصلت:۵۳.

۳- ۳) النبأ:۶-۱۶.

۴- ۴) البقره:۱۶۴.

۵- ۵) نوح:۱۵-۱۸.

۶- ۶) فاطر:۱۰.

۷- ۷) نکب عنه: عدل.

شديـدا على العقـول الضـعيفه، و تعسّـرا على الأفهـام القاصـره من جهه إدراك الصـفات التشـبيهيّه كالسـمع و البصـر و المحبّه و الابتلاء و المماكره، و هذا مما لا يعرفه إلاّ الراسـخون فى العلم، و أما غيرهم فلا بد لهم من التسليم للراسخين فى العلم من الأئمه عليهم السّـلام أو ممن منحوه علم ذلـك، و الإيمـان بواقع هـذه الأمور، لئلا يقع فى العقيـده على خلاف واقعها فيصـير مانعا عن سلوكه إليه تعـالى و لهـذا ذكرناهـا هنـا. و مجمله: أنّ الصـفات إما سـلبيّه و حاصـلها: أن يعلم أنه تعالى مجرّد مقـدس عن جميع ضروب التركيب فى أىّ ظرف كـان، لأن التركيب يسـتلزم الإمكـان، و ينـافى الوجوب و الواجب تعـالى كما أنه واجب الوجود بالـذات-بحسب الواقع-فكذلك هو واجب الوجود فى جميع الشئون و الجهات و الأوعيه، و النشأه الذهنيه و الخارجيه، فيتقدّس عن الكثره و التركيب-و لو من الأجزاء المحموله-و يلازم أيضا الوحـده و لو فى العقل، أى لا يمكن تعقل التجزئه بالنسـبه إليه تعالى عقلا، على أنه تعالى يتعاظم أن يدخل فى وهم أو عقل، ليتصرّف فيه الذهن بالتحليل و التقسيم. و إما ثبوتيّه: و هو أن يعلم أنّ الموجود الواجب تعالى نسبته إلى جميع الممكنات نسبه واحده لا يعجز عن بعض دون بعض، و من عرفه هكذا يعلم أنه قادر على جميع الممكنات، و على أىّ نظام و ترتيب كان-ثم إن من رأى و علم أن هـذا النظام أبدع النظامات و أحكمها و أحسـنها-كمـا حقق و برهن عليه فى محله-يعلم أنه تعـالى مريـد، و أن إرادته على وجه الحكمه و الجزم لا على نهـج الجزاف و التردد، و يعلم أنّ إرادته أجـلّ من الاختيـار و الجبر جميعـا، فيعلم أنّ فـاعليته على سبيـل العنـايه الأزليّه المسـماه بـالعلم التام المقـدم على الإيجاد الـذى هو أيضا من مراتب علمه المسـمى بالرضا، و لهـذا الكلام بيان و توضـيح فى محله فمن أراده فليراجع مظانه. و أما معرفه الأفعال فبحر متسع أكنافه، و إن كان لا تنال بالاسـتقصاء أطرافه إذ ليس فى الوجود إلا الله و صـفاته و أفعاله، فكلّ ما سواه تعالى فعله وجوده، و هذا

غامض المثال جدّا إلاّ للواصلين، و القرآن الكريم مشتمل على الجلّى منها، الواقع فى عالم الشهاده كذكر السموات و الكواكب و الجبال و البحار و السحب و الأمطار، و سائر أسباب الحيوان و النّبات، و هى التى ظهرت للحسّ فلو أنّ أحدا أمعن النظر فى هذه الأمور التى هى أفعاله تبارك و تعالى، و تفكر فى آثار حكمته فيها و قدرته، و ظهر له منها عظمته تعالى، فحينئذ يتمكن له أن يرى ببصيرته القلبيه و عقله أفعاله تعالى التى ليست محسوسه. فإنّ أشرف صنايع الله و أفعاله و أعجبها و أدلّها على جلالته و عظمته ما لا يظهر للحسّ، بل هى من عالم الملكوت و هى الملائكه و الروحانيّات و الروح و القلب و النفس فإنها جميعا خارجه عن عالم الملك و الشهاده. ثم إنّ من أدانى عالم الملكوت، الملائكه الموكّله بعالم الأرضين، ثم الأدنى منهم هم الجن و الشياطين المسلّطه على جنس الإنس. و من أعالى الملائكه و أعالى سكان عالم الملكوت، الملائكه السماويّه، و أعلى منهم الكروبيّون و هم العاكفون فى حظيره القدس، لا التفات لهم إلى هذا العالم، بل لا التفات لهم إلى غير الله لاستغراقهم بجلال الحضره الربوبيه و جمالها، و هم من أهل الفناء فى التوحيد، و يقال لهم الملائكه المهيمه، و لا يستبعد أن يكون فى عباد الله من يشغله مطالعه جلال الله عن الالتفات إلى نفسه فضلا عن غيره. و كيف كان فهؤلاء الملائكه كلهم من أفعاله تعالى، و إليها يشير ما فى الصحيفه السجاديه على منشيها آلاف الثناء و التحيّه فى الدعاء الأول فراجعه. و فى الأحاديث ما يشير إلى ما ذكرناه مفصلا، و سيأتى فى طىّ الشرح بعضها. و منها: ما

روى عن رسول الله صلّى الله عليه و آله: أنّ لله أرضا بيضاء مسيره الشمس فيها ثلاثون يوما هى مثل أيام الدنيا ثلاثون مرّه مشحونه خلقا، لا يعلمون أنّ الله يعصى فى الأرض، و لا يعلمون أنّ الله خلق آدم و إبليس. هذا و لكن أكثر الخلق إدراكهم مقصور على عالم الحسّ و التخيّل مع أنهما من

نتائج عـالم الملكوت، و هو القشـر الأقصـى من اللّب الأصـفى. و حاصل الكلام فى معرفه أفعاله تعالى أنّ من يؤمن بأنّ الله على كلّ شىء قدير، و ما سواه ممكن محدث، و الممكن بما هو ممكن محض القوّه و الفاقه، فلا يجوز أن يكون سببا لإخراج الشىء من القوه إلى الفعل، و إلاّ لكان للعـدم شـركه فى إفاده الوجود، و هو فطرىّ الفساد عند ذوى البصـيره و السداد. فتكون قدره الله تعـالى عـامه شـامله لجميع الـذرات العلويه و السـفيه: لأـن منشأ الافتقار عامّ فلا تأثير للوسائط، لأنها كلها مسـخّرات و معـدّات لا موجبـات كما حقق فى محلّه. فهـذا هو التوحيـد فى الأفعال. و هـذا لا ينافى صـدور الأفعال عن اختيارنا و مشـيّتنا، لأنّ اختيارنا و مشـيتنا فى عين كونهما قائمين بنا، فهما تحت اختياره تعالى و مشـيّته فهو المالك لما ملكنا، و القادر على ما أقـدرنا و الشائى لما شئنـا و لمشـيّتنا قال تعالى: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ (1)فنسـبه الفعل إلى مشيّتنا و إن كانت وجدانيّه-و إلاّ لكنّا مجبورين و هو باطل بالضـروره كما لا يخفى-إلاّ أنه مع ذلك ينسب الفعل إليه تعالى أولا و بالـذات، ثمّ إلينا بالعرض، و هـذه النسـبه العرضـيّه كافيه فى إثبات كوننا غير مجبورين، و أيضا لسـنا مفوّضـين بحيث لا أثر لإرادته و مشيّته تعالى فى أفعالنا، كيف، و قد علمت أن الفعل منسوب إليه تعالى بالذات، و هذا كاف فى إثبات كوننا غير مفوّضـين و غير خارجين عن قدرته تعالى، و لهذا الكلام بيان أوسع مـذكور و سيأتى فى محله. ثم إنه إنمـا ذكرنا هـذه المراتب من الخلق لأجل أنه من لم يجاوز هـذه الـدرجه، لا يعرف من القرآن و لا من المعارف الإلهيّه، و لا من التوحيـد و أقسامه الذى هو غايه المعارف و نهايه السـلوك شـيئا، فغير المتجاوز منها لا يعرف منها إلا ما له إليه نسبه القشر الأخير من الجوز و البشره، بل الثوب من الإنسان، فأين هذا من المعارف

۱- ۱) الإنسان:۳۰.

الإلهيّه؟ ! ثم إنه لا بد للسالك إليه تعالى من المعرفه بهذه المعارف الثلاث: معرفه الذات و الصفات و الأفعال، فالعلم بها فريضه لطالب المعرفه الإلهيه عن طريقها الصحيح، لئلا يقع فى الانحراف فيصدّه عن الوصول و المقصد. ثم إنه لا بدّ للعارف السالك أيضا من معرفه الإيمان بالملائكه و الكتب الإلهيه و النبى و الولى الوصى، ليزداد بصيره فى سلوكه و قوه بهم و بالتالى فيه و لا ينحرف. و معرفه هؤلاء مذكوره فى محلّه. ثمّ إنه قد حقّق فى محله و سيجىء فى طىّ الشرح أنّ ألذّ اللّذّات اللّذّه الحاصله من معرفته تعالى، كيف لا و العارف ينظر إلى جماله الكريم الذى هو أجمل من كلّ جميل!

فصل:

قد علمت فى مباحث الولايه أن الولايه بمعنى القرب و هى على أقسام. أخصّها الولايه الخاصه و هى الحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله و سلّم و هى بمكان من القرب بحيث لا أقرب منه إليه تعالى و هى المسمات بالعقل الأوّل، و القلم الأعلى، و العقل القرآنى فى مقام وجودها الصورى التجردى هذا بلحاظ القرب إليه تعالى. و أمّا بالنسبه إلى النهايه فى عالم الخلق و النزول إلى عالم البشريه فهو المسمّى بمحمد بن عبد الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و خاتم الأنبياء عند ظهورها البشرى الجسمانى،

و فى المحكىّ عن المناقب لابن شهرآشوب أنه قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطّين»

و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: «أنا سيد ولد آدم، و صاحب اللواء، و فاتح باب الشفاعه يوم القيامه» و هذه الحقيقه بجميع مراتبها الظاهريه و الباطنيه تكون فى مقام الحضور و الوصل و المشاهده، الذى هو بغيه كلّ نبىّ و ولى. ثم أقرب الأولياء إليه سلفا و خلفا بحسب التابعيّه الحقيقيه المطلقه هو الحقيقه العلويه المسمى فى البدايه بالنفس الكليّه الأوّليّه، و اللوح المحفوظ لما أفاده و كتبه القلم الأعلى. و أمّ الكتاب الحافظ للمعانى التفصيليّه الفائضه عليه بتوسط الروح الأعظم

المحمدی، و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ اَلْکِتٰابِ لَدَیْنٰا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ (۱)و سیأتی بیانه و هو العقل الفرقانی، و ذلک عند وجوده التجردی، و هو فی النهایه الخلقی علی ابن أبی طالب علیه السّلام عند وجوده البشری الجسمانی، ثم الأقرب فالأقرب من العقول و النفوس الکلّیه بعد العقل الأول، و النفس الأولی الظاهره فی صوره الأنبیاء و المرسلین سابقا، و صور الأولیاء أی الأئمه المعصومین لاحقا علیهم السّلام ثم إن الأئمه ملحقون-کما تقدم-بالحقیقه العلویه فی العوالم و المقامات کلّها. ثم اعلم أن هذه الحقائق بما لها من المراتب هم المقرّبون لدیه تعالی کلّ بحسبه، لا یضاهیهم أحد إلّا الحکماء و العلماء، الذین منازلهم دون منازل الأنبیاء و الأولیاء، و هذا لا مطلقا، بل إذا اقتبسوا أنوار علومهم من مشکاه النبوّه و الولایه، و إلّا فلیسوا من الحکماء و العلماء فی شیء إلاّ بالمجاز، و ذلک لأن الوصول إلی الله تعالی، و نیل روح الوجود من المنبع الحقیقی لا یمکن إلّا باتّباع الأنبیاء و الأولیاء أی الأئمه صلوات الله علیهم أجمعین. و الوجه فیه أن العقل لا یهتدی إلی الله تعالی اهتداء تطمئن به القلوب، و یرتفع عن صاحبه الریب و الشک، و لا سبیل له فی معرفه الحق إلاّ بأن ینظر فی الممکنات، و یستدل بها علی موجدها و هو الحق تعالی. ثم علی وحدته و وجوبه و علمه و قدرته، و لا یعلم من صفاته الثبوتیّه إلّا هذا القدر و من صفاته التقدیسیّه أنه لیس بجسم و لا جسمانی و لا زمانی و لا مکانی و أمثال ذلک. و من المعلوم أنّه لیس هذا الاستدلال إلا من وراء الحجب لا المشاهده، إذ لا یحضر عنده إلاّ مفهومات ذهنیّه، و معقولات ثانیه لا تسمن و لا تغنی من جوع. و هذا بعینه کمن أراد أن یستغنی بمفهوم الحلاوه عن السکّر، و بمفهوم السلطنه عن السلطان. فأصحاب العقول کلّهم کالّذین قال الله تعالی فیهم أُولٰئِکَ یُنٰادَوْنَ مِنْ مَکٰانٍ

ص: ۵۹

۱- ۱) الزخرف:۴.

بَعِيدٍ

(۱)

لأنهم يجعلون الحقّ بعيدا عن أنفسهم، و يكتفون عن ذات الحق الأوّل، و مشاهده الذوات المقدسه العقليه، و ملاقات حقائق أهل الجبروت و الملكوت القاطنين فى طبقات الوجود بمفهومات ذهنيّه و حكايات مثاليّه. و معلوم أنهم مع حالهم هذا، لا يجرى لهم طريق الاستدلال إلاّ فى الذهنيّات و الكلّيات التى هى طور العقل. و أما الأمور التى هى وراء طور العقل من أحوال الآخره و أحكام البرازخ، فيثبت فيها و يقف من غير أن يهتدى إليها إلاّ باتّباع الشريعه. و الحاصل أن الحقّ تعالى وجوده ليس بمفهوم الوجود، بل هو المعنون به و المحكى عنه، و الوجود الخارجى الحقيقى غير موصوف بما يتّصف به المفهوم من الكليّه و الجزئيّه و الإطلاق و التقييد و غيرها، بل إنّما نتوهمه غير معقول و لا محدود، بل شىء مثبت موجود غير مقيد لا مبطل و لا معدود، خارج عن الحدين حدّ التعطيل و التشبيه، و كذا أوصافه و أسماؤه و آثاره و لها حقائق، و كذا العقول المفارقه و النفوس الكلّيه، و حقائق الأولياء، و حقائق الموجودات كلّها من أفعاله و آثاره، فالمعرفه به تعالى و بشئونه لا يكون بطريق العقل، إذ ليس له إلاّ انتزاع المفهوم فى كل أمر، و أين هذا من واقعه، فواقعه لا يصل الإنسان إليه إلا بمتابعه الشرع الأنور، و بالتخلق بالأخلاق الإلهيه لترتفع الحجب عن القلب، فتتّضح فيه هذه الأمور، و سيأتى توضيحه قريبا. فظهر أن الوصول إلى المعارف و الحقائق الإلهيّه لا يكون بطريق العقل، بل لا بدّ من متابعه صاحب الشرع، و إنما العقل هو الحجه الباطنه، أقيم فى الإنسان لقبول حجّه الظاهر و هم الرسل و الأئمه عليهم السّلام و لتمييز الحق من الباطل كما لا يخفى، و العقل كما فى الخبر كالسراج وسط البيت يستضاء به، لتتميّز الأشياء الحقه من الباطل منها فتدبّر.

فصل:

اعلم أن تشخيص الطريق الموصل إلى المعرفه، و إلى مقام الوصل فى

۱- ۱) فصلت:۴۴.

غایه الصعوبه، فلا یکاد یوجد إلّا بعد التخلّص من وساوس الشیطان الرّجیم، و هذا لا یکون إلّا بالاستقامه علی طریق الحق بالعلم الصحیح، و العمل الصالح. و المراد من العلم هو العلم الربوبی المتعلق بمعرفه ذاته و صفاته و أفعاله، و کتبه و رسله، و حقیقه الملائکه و الشیاطین و علم القلب و أحواله، و کیفیّه سلوک العبد من الدنیا إلی الآخره، و من الخلق إلی الحقّ، و یعلم طریق تخلّصه عن إضلال الشیاطین، شیاطین الجن و الانس، و یهیئ نفسه بأن یستعد لقبول إلهام الملک، بعد تشخیص الفرق بین إلهام الملک و وسوسه الشیاطین فهذه هی أصل العلوم الإیمانیّه التی بها یمکن للإنسان أن یجاهد ضد أحزاب الشیطان، و هی أصل الصراط المستقیم المدعو من الله تعالی فی کلّ صلاه مرتین، و هذا هو الدین دین التوحید المسلوک لنبیّنا و سائر الأنبیاء و الأئمه الطاهرین علیهم السّلام. و سیأتی فی شرح قوله علیه السّلام و صراطه، الآیات و الأحادیث المبیّنه للصراط المستقیم، و أنه ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام. و المراد من العمل مع أنه فنون کثیره هو سلامه القلب عن کدوره الشهوه و غشاوه الغضب، فمرجع جمیع فنون العمل إلی هذا، و لا شیء للإنسان بعد المعرفه أنفع من سلامه القلب من الکدورات و الغواشی، قال تعالی: یَوْمَ لاٰ یَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ. إِلاّٰ مَنْ أَتَی اَللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ (۱)و هذه المرتبه أعنی سلامه القلب هی الّتی أمر الله تعالی خلیله علیه السّلام بقوله إِذْ قٰالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قٰالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۲)و إلیه یشیر قوله تعالی: فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِکَ تَحَرَّوْا رَشَداً (۳)فکلّ من سلم قلبه فقد فاز بدرجه الإسلام الحقیقی، و هذه أیضا مما لا تتیسّر إلّا بتوفیق الله، حسبما قدّر له فی الأزل أن یکون من جمله الأخیار، آمنا من سخط الجبّار کما قال تعالی: مٰا کٰانَ اَللّٰهُ

۱- ۱) الشعراء:۸۸،۸۹.

۲- ۲) البقره:۱۳۱.

۳- ۳) الجن:۱۴.

لِيَذَرَ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلىٰ مٰا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيزَ اَلْخَبِيثَ مِنَ اَلطَّيِّبِ

(۱)

. و كيف كان فالمؤمن الحقيقى من تتميّز خبثيّته الجسمانيه الشيطانيه عن طينته الروحانيه الملكيه، فيزيل الخباثه الظاهريّه و الباطنيّه عن ظاهره و باطنه كما قال تعالى: وَ ذَرُوا ظٰاهِرَ اَلْإِثْمِ وَ بٰاطِنَهُ (۲)و يتجلّى بالطينه الروحانيّه الملكيّه فينور بنور المعرفه. ثم إنه سيجىء فى الشرح الأحاديث المفسّره لسلامه القلب فانتظر.

فصل:

قد علمت من مطاوى ما تقدم أن الوصول إلى معرفته تعالى، و إلى سائر المعارف، و إلى السعاده الأبديه منوطه بأمرين. أحدهما: الاطلاع على الحقائق و المعقولات بالعلوم الكليّه الإلهيّه. و ثانيهما: الاتصاف بالصفات المحسّنات، و التنزّه عن القيود و المضائق السفليّات بالآراء العلميّه. و من المعلوم أنّ الإنسان بطبعه الأولى المشار إليه بقوله تعالى: وَ خُلِقَ اَلْإِنْسٰانُ ضَعِيفاً (۳)يكون ضعيفا بنفسه، و خاليا عن هذه الأمور، و جاهلا بها كما صرّح به أيضا قوله تعالى: وَ اَللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهٰاتِكُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ شَيْئاً (۴)فلا يمكنه العلم بها لضعفه و جهله، فلا محاله من أن تفاض تلك الأمور عليه من الله تعالى بتوسط الملائكه و الرسل. و بعباره أخرى: أنه ليس كلّ واحد من الناس ممن تيسّر له التفطن بالكمالات و الاتصال بعالم العلويّات و الملكوت إلاّ بتأييد منه تعالى، و بالروح القدس المتصل بالفيض العلوى، و بحيث يعلم الأشياء بإلهام غيبى و مدد سماوى. و هذا الإنسان الكذائى هو النبىّ أو الولى، و ما يقبله بحسب صفاء باطنه،

۱- ۱) آل عمران:۱۷۹.

۲- ۲) الأنعام:۱۲۰.

۳- ۳) النساء:۲۸.

۴- ۴) النحل:۷۸.

و إشراق روحه عن الملک الملقی إلیه المعارف، أو عنه تعالی بلا واسطه، کما کان للنبی الأعظم صلّی الله علیه و آله هو الوحی بالنسبه إلی الأنبیاء، و هو الإلهام بالنسبه إلی الأولیاء أی الأئمه علیهم السّلام و سیجیء الفرق بینهما فیما بعد. فظهر و ثبت مما ذکر أنه لا بد لهدایه الخلق و إرشادهم إلی طریق النجاه، و إیصالهم إلی المعاد من وجود متوسط بینهم و بین الله تبارک و تعالی، یأخذ هذا الوجود المتوسط منه تعالی العلوم و الکمالات لیوصلها إلی الخالق کما أشار إلیه قوله تعالی: وَ یُعَلِّمُهُمُ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ إِنْ کٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۱)و قوله: لفی ضلال إشاره إلی ضعفه الذاتی، و جهله بالمعارف الذی نتیجته الضلال و الله العالم. هذا و لو أخذ کلّ إنسان علمه من إنسان آخر من غیر أن ینتهی إلی الوحی و الإلهام، لأدی ذلک إلی غیر النهایه المحموده، فلا بد من الانتهاء إلی من یأخذ العلوم و الکمالات من معدن اللاهوت بلا تعلّم و لا تقلید و ستأتی الأخبار الداله علی هذا فی الشرح، مضافا إلی أنّه لو لم ینته إلی الوحی، لأدّی أمر الکمالات و السعادات المأخوذه من العقول البشریه إلی الهرج و المرج و المعانده و التّضاد، لاختلاف الاستظهارات من العقلاء کما هو المشاهد من الفلاسفه غیر الملتزمین بشرع، کما لا یخفی علی من راجع أحوالهم. فلا بدّ حینئذ من الاحتیاج فی الهدایه إلی السعاده الأبدیه و الکمالات، و الوصول إلیه تعالی إلی النبی صلّی الله علیه و آله و هدایته، و إلی الأولیاء المنصوبین من قبله العالمین بعلمه کما لا یخفی.

فصل:

ثم إنّه لا یتوهم أحد أنّ النبی صلّی الله علیه و آله یکون علمه عن الملک الموحی إلیه علی سبیل التقلید هیهات! فإنّ العلم التقلیدی لیس علما فی الحقیقه إذ العلم هو

۱- ۱) الجمعه:۲.

اليقين كيف لا يكون كذلك و قد قال الله تعالى فى حقّ نبيّه صلّى الله عليه و آله: قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اَللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِى (۱)؟ فأخبر الله تعالى أن دعوته صلّى الله عليه و آله تكون على بصيره و يقين، و قال أيضا: قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اَللّٰهِ نُورٌ وَ كِتٰابٌ مُبِينٌ (۲)-فعبّر عن القرآن الموحى إليه صلّى الله عليه و آله بالنور، و قال تعالى فى حقّه صلّى الله عليه و آله: لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ اَلْكُبْرىٰ (۳)فأخبر أنّه صلّى الله عليه و آله رأى من الآيات رؤيه قلبيّه تساوق عين اليقين. هذا و قد ثبت فى العلوم الإلهيّه أنّ القلب الساذج غير المنطبع بالرين و الماده، لو تخلّى عن احتجابه بالبدن و قواه، و لم يتعلق بالدنيا، و لم يخلد إليها لاتّصل بالمبادئ العاليه و الملائكه المقرّبين، و تكون علومه عن يقين لظفره بالمبادئ و الأسباب، بسبب اتصال نفسه القدسيّه بالملائكه من نحو جبرئيل عليه السّلام أو اتصاله بروح القدس الذى ورد أنه خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل عليهما السلام كما ورد فى حقّ نبيّنا صلّى الله عليه و آله، أو اتصاله بالله تعالى بدون واسطه أحد، كما كان هذا لخصوص نبيّنا صلّى الله عليه و آله و ستأتى الأحاديث الوارده فى هذا الباب، و بيان هذه الخصيصه له صلّى الله عليه و آله فى طى الشرح. و كيف كان فعلوم الأنبياء خصوصا نبيّنا صلّى الله عليه و آله تكون بنحو اليقين، و لو لا ذلك لما كان لمتابعته وجه، لحصول الظن و التقليد بغيره أيضا، و لما حصل اليقين بل و لا الاطمينان بصدق قوله كما لا يخفى.

فصل: فى بيان شرح الإنسان بما هو إنسان،

اشاره

و بيان كيفيه صيرورته إنسانا كاملا و هى فى ضمن أمور.

الأول:

اعلم أنّ الموجود إما فوق التمام، و هو الذى يفضل عن وجوده وجود غيره، و يفيض على غيره لفرط كماله، و يكون فى جميع شئونه فوق التام، أى لا

۱- ۱) يوسف:۱۰۸.

۲- ۲) المائده:۱۵.

۳- ۳) النجم:۱۸.

يكون فيه ما بالقوه، بل جميع شئونه بالتمام و فوق التمام، و هو واجب الوجود جلّ جلاله و ليس المراد من أنه يفضل من وجوده وجود غيره، و من الإفاضه على غيره خروج شىء منه على غيره، بل ما حققه العلماء الراسخون من أنّه بديع الأمور و السموات و الأرض لفرط جوده و سخائه و كرمه، و توضيحه موكول إلى محله. و إما يكون هو التمام، و هو الذى يوجد له كلّما يمكن له فى أول الكون، و بحسب الفطره الأولى من غير انتظار. قيل: و هو الأنوار المجرده القاهره القاطنه فى حظيره القدس، أعنى العقول الفعّاله، قيل: و هى كلمات الله التامات المشار إليها فى الأدعيه المأثوره عنهم عليهم السّلام. و إما يكون هو المستكفى و هو الناقص، الذى لا يحتاج فى تمامه و كماله إلى أمر مباين عنه خارج عن أسبابه الذاتيه و مقوّماته، قيل هو كالنفوس الفلكيّه المستكفيه فى خروجها عمّا بالقوه إلى الفعل فى حركاتها الشوقيّه بمبادئها الذاتيّه العقليّه. و بعباره أخرى: إنّ كمالاتها حاصله عن ذاتياتها العقليه، و لا تحتاج إلى غير ذاتها، بل هو مستكف فى كماله بذاتيّاته، و قد يقال هو نفوس الأنبياء أيضا لا سيما خاتمهم صلّى الله عليه و آله حيث لم يحتج فى تكميل نفسه القدسيه إلى معلم خارج بشرى بل يكاد زيت نفسه يضىء بنور ربّه و لو لم تمسسه نار التعليم البشرى لغايه لطفه و ذكائه. أقول: كون نفس النبىّ الأعظم صلّى الله عليه و آله من المستكفى مطلقا محل تأمل أمّا بالنسبه إلى روحه المقدسه فلدلاله كثير من الأخبار على أنه صلّى الله عليه و آله مؤيّد بروح القدس و الروح الذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل، و سيجىء بيانه فهو صلّى الله عليه و آله خارج موضوعا عن الأرواح و الموجودات، بل حقيقته فوق التام السابق ذكره كما لا يخفى. و أما بالنسبه إلى بدنه المقدس فيمكن أن يكون من المستكفى إلاّ أنه لا كسائر المستكفين، حيث إنّ جهاته البشريه أيضا تكون كمالاتها بذلك الروح القدس، و لها خصائص ليست لغيره، و هكذا آله الطاهرون من الأئمه الطاهرين و بنته الطاهره

فاطمه الزهراء سلام الله عليها. و الحاصل أنه و آله عليه و عليهم السلام و إن كانوا من المستكفين من الجهات البشريه إلّا أنّ لهم خصائص تخصّهم و ليست لغيرهم. و إمّا يكون هو الناقص و هو ما يحتاج إلى غيره فى كماله اللايق بحاله، و لا يوجد له فى أول الفطره ما يستكمل به بنفسه. و بعباره أخرى: الناقص هو الذى نقص عن الكمال، و له بحسب ذاته و بالقوه استعداد الكمال بالفعل، و لكن يحتاج فى ذلك إلى من يكمله من معلّم خارجى، و هذا كالنفوس البشريه المعبر عنها فى كلماتهم بالنفوس السفليّه التى هى كلماته السفلى. فقال بعضهم فى بيان مصاديق ما ذكر: إنّ العقول المقدسه عن الأجرام هى كلمات الله التامّه العليا، و النفوس المدبره للسماويّات هى كلماته الوسطى، و النفوس السفليه هى كلماته السفلى، و أما ما هو فوق التمام فهو واجب الوجود جلّ شأنه العزيز. أقول: و لتحقيق هذه الأمور مقام آخر و إنما ذكرنا هذا التقسيم ليعلم أنّ النفوس البشريه غالبا تكون من الناقص، المحتاج فى كماله إلى غيره، و ليس له إلّا الاستعداد الذاتى بالإمكان و القوّه للترقّى فالكلام يقع فى شرح حال هذا الإنسان الناقص، و بيان كيفيّه صيرورته إنسانا كاملا.

الأمر الثانى:

اعلم أنّ للإنسان نشأت فالأولى منها النشأه العنصريه فإن عناصره إذا صفت، و امتزجت مزاجا قريبا من الاعتدال جدّا، و سلكت طريقا إلى الكمال أكثر مما سلكه الكائن من النبات و الحيوان، و قطعت من القوس العروجيّه أكبر مما قطعته سائر النفوس، فحينئذ اختصّت من الواهب جلّ و علا بالنفس الناطقه و المستخدمه لسائر القوى النباتيه و الحيوانيه، فإن زياده الكمال على حسب زياده الصفاء و الاعتدال، فإذا بلغت المواد بأمزجتها غايه الاستعداد،

ص: ۶۶

و توسطت غـايه التوسّـط من الأطراف الممعنه فى التضاد، فاعتـدلت و تشبّهت بالسـبع الشـداد الخاليه عن التفاسـد، البعيـده عن الأضداد، فحينئذ اسـتحقت من واهبها الجواد لقبول فيض، أكمل و جوهر أعلى و أشرف من هذه النفوس و الصور، فحينئذ قبلت من التـأثير الإلـهى مـا قبله الجرم السـماوى و العرش الرحمـانى من قوه روحـانيّه مـدركه للكلّيـات العقليّات بـذاتها، و الجزئيّات الحسيّات بقواها و آلاتها، و صارت متصـرفه فى المعانى سالكه إلى سبيل الله الحق الأكبر. و إلى هذا الاعتدال و الاستعداد يشير ما

رواه الفيض الكاشـانى فى الكلمـات المكنونه قـال: روى فى كتاب الغرر و الـدرر أنّ أمير المؤمنين عليه السّـلام سـئل عن العالم العلوى، فقال: صور عاريه عن المواد، خاليه عن القوه و الاسـتعداد، تجلّى لها ربّها فأشرقت، و طالعها فتلألأت، و ألقى فى هويّتها مثـاله، فـأظهر عنهـا أفعـاله، و خلق الإنسـان ذا نفس ناطقه إن ذكّاها بالعلم و العمل فقـد شابهت جواهر أوائل عللها، و إذا اعتـدل مزاجها و فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد.

و فيه روى: أنّ بعض اليهود اجتـاز به و هو يتكلم مع جماعه فقال له: يا بن أبى طالب لو أنّك تعلّمت الفلسـفه لكان يكون منك شأن من الشأن فقال عليه السّـلام: و ما تعنى بالفلسفه؟ أ ليس من اعتدل طباعه صفا مزاجه، و من صفا مزاجه قوى أثر النفس فيه، و من قوى أثر النفس فيه سـما إلى مـا يرتقيه، و من سـما إلى مـا يرتقيه فقـد تخلق بالأخلاـق النفسانيّه، فقـد صار موجودا بما هو إنسـان دون أن يكون موجودا بمـا هو حيوان، و من صـار موجودا بما هو إنسان فقـد دخل فى الباب الملكى الصورى، و ليس له عن هذه الغايه مفرّ، فقال اليهودى: الله أكبر يا بن أبى طالب لقد نطقت الفلسـفه جميعها فى هذه الكلمات رضى الله عنك. أقول: و لعل الحديث المعروف من أن العقل السـليم فى البدن السـليم يشير إلى هذا الاعتدال و التسويه فى المزاج، فإن له دخلا عظيما فى قوه العقل و كمال الإنسان، هذا و قد عبّر فى القرآن المجيد عن تعديل المزاج المذكور بالتسويه، تشبّها بتسويه

جوهر المرآه و تصقيل وجهها على وجه يقبل العكس، و عبّر فيه عن إفاضه نور النفس عليها بالنفخ فى قوله تعالى: فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي (١)فالنطفه الإنسانيّه عند تمام الاستواء و الاعتدال يستحق باستعدادها نفسا يدبرها، و يفيض عليها الروح البشرى من جود الجواد الحق الواهب لكل مستحق ما يستحقه، فالتصفيه فيها عباره عن الأفاعيل و الإحالات المردده لأصل النطفه فى الأطوار السالكه بها إلى صفه الاستواء و الاعتدال. و لها (أى للروح الإنسانى) نشأه أخرى و هى النشأه الروحيه الإنسانيّه و هو أنه يمكن أن تعلم النشأه الثانيه للروح الإنسانيّه، فإنه عند تسويه صفات النفس و تعديل ملكاتها و أخلاقها فى أوان الأربعين يستحق لفيضان الروح الإلهى الذى هو من أمر الله و كلمته، و الروح الإلهى الأمرى غير الروح البشرى النفسانى كما ستجىء: الإشاره إليه فيما بعد. ثم إن إطلاق التسويه و النفخ و الروح فى كل نشأه و طور بمعنى آخر، إلا أن النشأه متحاذيه متطابقه تطابق الظاهر مع الباطن و البدن مع النفس. و كيف كان فالنفس البشرى الإنسانى فى الحقيقه نور من أنوار الله المعنويه من الله مشرقها و مغربها إلى هذا القالب المظلم، أى النشأه الأولى التى مرّ ذكرها آنفا و قد حدّها الحكماء حدّا بحسب الاسم بأنها كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياه بالقوه من جهه ما يدرك الأمور الكلّيه و يفعل الأفعال الفكريّه و لها نشأت أخرى ستعرفها فيما يأتى.

الأمر الثالث:

اشاره

إذا عرفت حدّها المذكور فأعلم أنها جوهره روحانيّه حيّه بذاتها، فإذا قارنت جسما من الأجسام صيّرته مثلها كالصوره الناريّه فإنها جوهره حارّه فإذا جاورت جسما من الأجسام صيّرته حارّا مثلها، و ظهر مما ذكر أيضا أن للنفس قوّتين علّامه و عمّاله.

١- ١) الحجر:٢٩.

فهنا أمران:

الأول:

اعلم أن لها قوه فعاله بقوّتها العلامه و بسببها، فهو بقوّتها العلامه تفعل، بأن تنزع رسوم المعلومات من هيولاها و تصوّرها، كملك الموت ينزع الأرواح من الأجساد، و يصعد بها إلى عالم الآخره فيكون ذات جوهرها لتلك الصوره كالهيولا، و هى فيها كالصوره و بقوتها الفعاله يخرج الصور التى فى فكرها و ينقشها فى الهيولا الجسمانيّه كالماده البدنيّه لها، فيكون الجسم عند ذلك مصنوعا لها آله فى سائر أفاعيلها.

الثانى:

أعنى قوه العلامه و هى التى تقبل النفس بها صور المعارف و المعقولات فما فوقها و يتعلّمها، و كلّ من تعلم علما فإن صوره المعلوم كانت أولا فى نفسه بالقوه، فإذا تعلّمه صارت فيها بالفعل، و التعلّم ليس إلّا سلوك الطريق من القوه إلى الفعل، و التعليم ليس سوى الدلاله على الطريق، و الأستاذون هم الأدلّه و تعليمهم هو الدلاله و الهدايه إلى الصراط المستقيم إلى المطلوب المدلول عليه. فثبت أنّ للنفس باعتبار ما يخصّها من القبول عمّا فوقها، و الفعل فيما دونها قوّتين علّامه و فعّاله فبالأولى تدرك التصورات و التصديقات، و يعتقد الحق و الباطل فيما يدرك و يعقل و يسمّى بالعقل النظرى، قيل و هو من ملائكه جانب اليمين. و بالثانيه يستنبط الصناعات الإنسانيّه و يعتقد القبيح و الجميل فيما يترك و يفعل و يسمّى بالعقل العملى. قيل: و هو من ملائكه جانب الشمال، و قد يقال إنه أشير إليهما فى الكتاب الإلهى: وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِيدٌ (1)و بالسائق يستعمل الفكر و الرويّه فى الأفعال و الصنايع مختاره للخير أو ما يظنّ خيرا، أوّلها الجربزه و البلاهه و التوسّط بينهما المسمّى بالحكمه و هى من الأخلاق، و الاشتراك لفظى بينها و بين الحكمه التى هى من العلوم الكلّيه المنقسمه إلى الحكمتين، فإنها كلّما

۱- ۱) سوره ق:۲۱.

كانت أكثر كانت أفضل. و بعباره أخرى: إنّ الحكمه الكليّه غير الحكمه العمليّه بالعقل العملى فإن الثانيه يكون حسنها فى التوسط دون الأطراف، و هذا بخلاف الأولى فإنها كلّما كانت أكثر كانت أفضل و توضيحه أكثر مما ذكر مذكور فى محلّه. و هذه القوه أى العقل العملى مطيعه للأولى أى النظرى مستمدّه منها فى كثير من الأمور، و يكون الرأى الكلّى عند النظرى، و الرأى الجزئى عند العملى المعدّ نحو المعلول.

فصل:

قد تقدم أنّ للإنسان صوره من عالم الشهاده المحسوسه، و روحا من عالم الغيب الملكوتى، و سرّا مستعدا لقبول فيض النور الإلهى، فبالتربيه يترقّى من عالم الشهاده إلى عالم الغيب و هو الملكوت، و بسرّ المتابعه و خصوصيّاتها يترقى من عالم الملكوت إلى عالم الجبروت و العظموت و هو غيب الغيوب،

قال عليه السّلام

فتصل إلى معدن العظمه.

و السرّ فى ذلك أنّ الإنسان الكامل لما كان غايه سلسله الأكوان و خليفه الله، لكونه أبدع ما فى عالم الإمكان، فيكون علمه لمعه من نور علم الله كما أنّ وجوده مرآه لشمس وجود الله ففى قوله تعالى: إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ اَلسَّمٰاوٰاتِ بعد قوله تعالى: فَلَمّٰا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ إيماء لطيف بأن آدم من شأنه أن يعلم غيب السموات و الأرض، و من شأنه أن يقول: «إنّى أعلم ذلك» لإعطاء نشأته علم ذلك، و إلى هذه الحقيقه الإنسانيه يشير قوله تعالى: وَ أَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (1)فإنه لعلّه إشاره إلى أنّ حقيقه الإنسان صوره علم الله و هو كتاب جامع و نسخه مجموعه لظاهر الملك و باطن الملكوت. و الملائكه المدبّره أى أرواح العالم و مكنوناته، و ظواهرهم أى الإنسان أجرام

ص: ۷۰

۱- ۱) البقره:۳۳.

العالم و شهاداته. و ببيان آخر: أنّ الإنسان الكامل حيث ابتدأ وجوده كان من أدنى الأشياء أى من تراب و ماء مهين، و قد أنشأه الله مستعدّا لأن ينتهى إلى أعلى المقامات، فلا بد من مروره على سائر الدرجات الكائنه فى الممكنات من الباطن و الظاهر عند أداء الأمانات. و لا بد له من بلوغه إلى الغايه، و غايه كل شىء لا تظهر إلاّ عند بلوغ ذلك الشىء إلى تلك الغايه، و غايه كل شىء غيب ذلك الشىء، و قد ثبت فى محله أنّ الإنسان الكامل غايه ما فى الأرض و السماء بحسب الأجناس و الدرجات فهو إذا غيب السموات و الأرض كما هو ظاهرهما، و الله تعالى عالم به قبل خلقه و بلوغه إلى مقام قرب أو أدنى، فهو غايه وجود الأكوان و ثمره شجره الأفلاك و الأركان، بل صفوه عالم الإمكان و المصداق الحقيقى لهذا محمد و آله الطاهرون كما لا يخفى و سيجىء فى الشرح بيانه.

فصل:

اعلم أنّ العوالم بكثرتها تجمعها عوالم ثلاثه: عالم الدنيا، و عالم الآخره و عالم العقل، و المدارك الإنسانيّه ثلاثه، و الإنسان بحسب غلبه كل واحد منها يقع فى عالم من هذه العوالم و النشآت، فبالحسّ يقع فى العالم الدنياوىّ و به ينال الصور الحسّيه الكائنه الفاسده الملذّه و المولمه، بحسب الملائمه و المنافره. و بالقوه الباطنيّه الجزئيّه يقع فى النشأه الثانيه التى هى عالم الصور الأخرويّه المنقسمه إلى الجنه و الجحيم، و بالقوه الباطنيه العقليّه تقع فى النشأه الثالثه التى هى عالم الصور العقليّه الإلهيّه، قيل: و هى العقول الأفلاطونيّه. فالناس أصناف ثلاثه: أهل الدنيا و هم أهل الحسّ، كالأنعام و البهائم أو أضلّ سبيلا كما قال تعالى: أُولٰئِکَ كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ (۱).

ص: ۷۱

۱- ۱) الأعراف:۱۷۹.

أهل الآخره، و هم الصلحاء و أهل الاعتقادات التقليديّه الظنّيه الخياليّه أى أهل الحقّ الثابت لهم بالحجه دون الشهود كما تقدمت الإشاره إليه. أهل الله و هم العرفاء بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر بالنحو الشهودى، و لكلّ هذه المراتب أحوال و أحكام قد ذكرت فى محلّها كما لا يخفى. فالإنسان الكامل و أهل الله هو القابل لأن يتجلّى الحق فى مرآه قلبه بعلم مستأنف منه تعالى، و هذا لا يكون لغير الإنسان الكامل قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي اَلْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١)و قال تعالى: وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلاَ تُبْصِرُونَ (٢)فإنّ الإنسان الكامل إنما يصير قابلا و لائقا لقرب الحق بواسطه معرفته و شهوده القلبى له تعالى، لا لجهات أخرى تكون فيه فما للتراب و ربّ الأرباب.

فصل: فى معرفه النفس، و أنها أساس الإيمان و التوحيد.

اعلم أنّ المتحصّل من البراهين القطعيّه أنّ أقرب الطرق إلى معرفته تعالى هو طريق معرفه النفس، و مجمله هو الإعراض عن غير الله تعالى، و التوجه التام إليه تعالى، و تفصيله أنّه دلّت آيات قرآنيّه على كون معرفه النفس هى الطريق إلى معرفته تعالى فمنها قوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي اَلْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ و منها قوله تعالى: وَ لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اَللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْفَاسِقُونَ (٣). و هذه الآيه كعكس النقيض

لقوله صلّى الله عليه و آله فى الحديث المشهور بين الفريقين «من عرف نفسه عرف ربّه» فإن قوله نَسُوا اَللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ نقيضه بحسب المعنى ذكروا الله فذكرهم أنفسهم فإن الذكر نقيض النسيان، ثم إنّ عكس هذا النقيض هو

١- ١) فصلت:٥٣.

٢- ٢) الذاريات:٢١.

٣- ٣) الحشر:١٩.

ذکرهم أنفسهم ذکر الله، و هذا مساوق لمعرفتهم أنفسهم معرفه الله و منها قوله تعالی: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اِهْتَدَيْتُمْ (۱)و أما الأخبار، ففی المحکّی عن کتاب الغرر و الدرر صفحه ۸۴ للآمدی من الکلمات القصار لعلیّ علیه السّلام ما یبلغ نیّفا و عشرین حدیثا فی معرفه النفس.

ففیها عنه علیه السّلام أنه قال: الکیّس من عرف نفسه، و أخلص أعماله،

و قال علیه السّلام: المعرفه بالنفس أنفع المعرفتین.

العارف من عرف نفسه فأعتقها و نزّهها عن کلّ ما یبعّدها.

أعظم الجهل-جهل الإنسان أمر نفسه.

أعظم الحکمه معرفه الإنسان نفسه.

أکثر الناس معرفه لنفسه أخوفهم لربّه.

أفضل العقل معرفه الإنسان نفسه، فمن عرف نفسه عقل، و من جهلها ضلّ.

عجبت لمن ینشد ضالّته و قد أضلّ نفسه فلا یطلبها.

عجبت لمن یجهل نفسه کیف یعرف ربّه.

غایه المعرفه أن یعرف المرء نفسه.

کیف یعرف غیره من یجهل نفسه.

کفی بالمرء معرفه أن یعرف نفسه.

من عرف نفسه تجرّد.

من عرف نفسه جاهدها.

من جهل نفسه أهملها.

من عرف نفسه عرف ربّه.

(١- ١) المائده:١٠۵.

من عرف نفسه جلّ أمره.

من جهل نفسه كان بغيره أجهل.

من عرف نفسه كان بغيره أعرف.

من عرف نفسه فقد انتهى إلى غايه كلّ معرفه و علم.

من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاه، و خبط فى الضلال و الجهالات.

معرفه النفس أنفع المعارف.

الفوز الأكبر من ظفر بمعرفه النفس.

لا تجهل نفسك فإنّ الجاهل معرفه نفسه كجاهل كلّ شىء. ثم إنّه لا تصغ إلى من قال بأن المراد استحاله معرفه النفس لتعليقها بمعرفه الرّب و هو مستحيل. فمعرفه النفس أيضا مستحيله، فإنّه يدفعه قوله

«أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه» ، فإنه صلّى الله عليه و آله رتّب معرفته تعالى على معرفه النفس بنحو القضيه الموجبه، فأثبت معرفه الرب على معرفه النفس، و هذا يأبى حمله على النفى كما لا يخفى. نعم إنّ المعرفه الفكريّه أى التفكر فى الذات تعالى مستحيله، و أما المعرفه الشهوديّه بالمعنى الذى يأتى بيانه فلا. و مع التسليم فإنما المستحيل معرفته تعالى بمعنى الإحاطه التامه بكنهه تعالى، و أما المعرفه بقدر الطاقه الإمكانيّه فغير مستحيله. و بالجمله فكون معرفه النفس أفضل الطرق، و أقربها إلى الكمال مما لا ينبغى الرّيب فيه، و إنما الكلام فى كيفيه هذا المسير. فنقول: قد ذكر العلماء العارفون أنّ المستفاد من الآيه المباركه و هى قوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا أنّ تحصيل معرفته تعالى على وجهين: الأول: هو السير الآفاقى و الثانى: السير الأنفسى. أمّا الأول: فمجمله هو التفكر و التدبر و الاعتبار بالموجودات الآفاقيّه الخارجيه

عن النفس من صنايع الله تعالى، و آياته فى السماء و الأرض، ليورث ذلک يقينا بالله و أسمائه و أفعاله لأنها آثار و أدلّه، و العلم بالدليل يوجب العلم بالمدلول بالضّروره، هذا و لكن الظاهر بل الحق أنّ السير الآفاقى وحده لا يوجب معرفه حقيقه و لا عباده حقيقه، لأن إيجاب الموجودات الآفاقيّه للمعرفه إنما هو بكونها آثارا و آيات. و هذه كما ترى لا توجب إلّا علما حصوليّا بوجود الصانع تعالى و صفاته، و هذا العلم ينحل إلى قضيّه ذات موضوع و محمول واقع عليها، و القضيّه إنما هى من المفاهيم الحاصله فى النفس و التى يتعلق بها التصديق فى الذهن، و هذا قصارى ما يحصل من العلم بوجوده تعالى من التفكر فى الآيات الآفاقيّه، مع أنّه قد ثبت فى محلّه أنّ الحقّ سبحانه و تعالى قد قام البرهان من نحو

قوله عليه السّلام: بل هو شىء بحقيقه الشيئيه،

و قوله عليه السّلام: هو شىء مثبت موجود، على أنّه سبحانه وجود محض لا مهيّه له، فيستحيل دخوله فى الذهن لاستلزام ذلک مهيّه خاليه فى نفسها عن الوجودين، موجوده تاره بوجود خارجى و أخرى بوجود ذهنى و هى مفقوده هاهنا، فكلّ ما وصفه الذهن و تصوّره واجبا، و حكم عليه بمحمولاته من الأسماء و الصفات فهو غيره سبحانه البته، و إلى ذلک يشير ما

فى توحيد الصدوق مسندا عن عبد الأعلى عن الصادق عليه السّلام فى حديث: «و من زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو بصوره أو بمثال فهو مشرک، لأن الحجاب و الصوره و المثال غيره و إنّما هو واحد موحّد، فكيف يوحّد من زعم أنه عرفه بغيره، إنما عرف الله من عرفه بالله فمن لم يعرفه به فليس يعرفه إنما يعرف غيره، ليس بين الخالق و المخلوق شىء، و الله خالق الأشياء لا من شىء، يسمى بأسمائه، فهو غير أسمائه و الأسماء غيره و الموصوف غير الوصف. فمن زعم أنّه يؤمن بما لا يعرف فهو ضالّ عن المعرفه، لا يدرک مخلوق شيئا إلّا بالله، و لا تدرک معرفه الله إلّا بالله، و الله خلّو من خلقه، و خلقه خلوّ منه» الحديث (التوحيد ص ۱۴۳) .

و قوله عليه السّلام: «واحد موحّد» يراد منه أنّه تعالى واحد محض لا كثره فيه، و لا

يمكن تصوّره فى الذهن،

و قوله عليه السّلام: «إنما عرف الله من عرفه بالله» أى عرف الله بالله

كما قال عليه السّلام: «يا من دلّ على ذاته بذاته» ،

و قال عليه السّلام فى دعاء أبى حمزه: «بك عرفتك» . و كيف كان فالطرق العقليّه و النّظر فى الآيات الآفاقى حيث إنه طريق عقلى لا يوجب معرفته تعالى بالحقيقه، بل إنما توجب علما حصوليّا، لوجوده تعالى فقط و هذا بخلاف حصول معرفته تعالى بطريق معرفه النفس، فإنّه منتج معرفته تعالى معرفه حقيقيّه. و حاصله أن يوجّه الإنسان وجهه للحق سبحانه، و ينقطع عن كلّ صارف و شاغل عن نفسه إلى نفسه حتّى يشاهد نفسه كما هى، و هى محتاجه إلى الحقّ سبحانه و من هذا شأنه، لا تنفكّ مشاهدته عن مشاهده مقوّمه. و بعباره أخرى: إذا أمعن النظر فى توجهه إلى خالقه، مشفوعا بمشاهده نفسه، محتاجه فقيره لا قوام و لا وجود لها إلاّ بمقوّمها، فلا محاله يشاهد قلبا مقوّما و هو الحقّ سبحانه، فإذا شاهد الحق سبحانه عرفه معرفه ضروريّه، ثم عرف نفسه به حقيقه، لكونها قائمه الذات به سبحانه، ثمّ يعرف كل شىء به تعالى. و إلى هذا يشير ما

فى تحف العقول عن الصادق عليه السّلام فى كلامه فى وصف المحبّه لأهل البيت فى حديث: «من زعم أنه يعرف الله بتوهم القلوب فهو مشرك و من زعم أنّه يعرف الله بالاسم دون المعنى فقد أقرّ بالطعن، لأن الاسم محدث، و من زعم أنه يعبد الاسم و المعنى فقد جعل مع الله شريكا، و من زعم أنه يعبد (المعنى) بالصفه لا بالإدراك فقد أحال على غائب، و من زعم أنه يعبد الصفه و الموصوف فقد أبطل التوحيد، لأن الصفه غير الموصوف، و من زعم أنه يضيف الموصوف إلى الصفه فقد صغّر بالكبير، و ما قدروا الله حقّ قدره. قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟ قال عليه السّلام: «باب البحث ممكن و طلب المخرج موجود، إنّ معرفه عين الشاهد قبل صفته، و معرفه صفه الغائب قبل عينه» . قيل: و كيف تعرف عين الشاهد قبل صفته؟ قال عليه السّلام: «تعرفه و تعلم علمه،

و تعرف نفسک به، و لا تعرف نفسک بنفسک من نفسک، و تعلم أنّ ما فيه له و به کما قالوا ليوسف: إِنَّکَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قٰالَ: أَنَا يُوسُفُ وَ هٰذٰا أَخِي فعرفوه به و لم يعرفوه بغيره، و لا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب» الخبر-و حاصل الروايه و هی من غرر الروايات أنّه عليه السّلام مثّل معرفته تعالی بالله بمعرفه أخوه يوسف بيوسف حيث إنّه لمّا نظروا إليه فعرفوه به لا بغيره. و العارف الحقيقی هو الذی ينظر إليه تعالی من علائمه اليقينيّه. فإنّ له تعالی علائم أشير إليها بقوله عليه السّلام و تعلم علمه بفتح اللام- بمعنی العلامه، أی تعلم علائمه تعالی و هی المظاهر اليقينيّه، من کونه تعالی حيّا بحياه حقيقيّه أزليّه و أبديّه. و کونه تعالی خالق کلّ شیء و مالکه، و أنّ کلّ شیء موجود به فالنظر فی هذه الصفات الإلهيّه التی ليست لسواه، يعطی الناظر معرفه بموصوفها و هو الذات المقدسه الظاهره فی هذه الصفات الربوبيّه فقوله عليه السّلام تعرفه أی بالواحدانيّه و هذا معرفه عقليّه. ثمّ أردفه بقوله و تعلم علمه. أی تعلم علما حضوريّا بعلائمه وجدانيّا. فإذا علمت أنّه الخالق لکلّ شیء، و أنّ کلّ شیء موجود به فقد عرفت نفسک به، و حينئذ لا تعرف نفسک بنفسک من نفسک بل تعرفها به تعالی، و تعلم أنّ ما فی نفسک من الوجود و الآثار فإنّما هی له تعالی و به تعالی فقوله کما قالوا ليوسف أی إنّ أخوه يوسف نظروا إلی يوسف فعرفوه به لا بغيره، و لا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب بل عرفوه بالنظر إليه فبه عرفوه. و کذلک العارف ينظر إلی علائم الله تعالی و تجلياته بالقلب فيعرفه به تعالی لا بغيره و هذه معرفه حقيقيه. و الحاصل: أنّ طريق معرفه النفس هی الموصله إلی هذه الغايه، و هی أقرب الطرق، و ذلک بالانقطاع عن غير الله، و التوجه إلی الله سبحانه بالاشتغال بمعرفه النفس. توضيحه: انّ المتحصّل من الخبر

عن موسی بن جعفر عليه السّلام من قوله عليه السّلام: «ليس بينه و بين خلقه حجاب إلاّ خلقه، فقد احتجب بغير حجاب محجوب، و استتر بغير

ستر مستور»

(۱)

الخبر، إنّه لا مانع للعبد بينه و بين معرفه الله تعالى إلّا نفس العبد. و للعبد وجهان: وجه إليه تعالى و وجه إلى نفسه و ما يستلزمها من الآثار المترتبه عليها فى الوجود، و إذا انصرف العبد عن الوجه النفسانى و أعرض عنها و اشتغل بنفسه أى بالوجه الإلهى و الربّانى من التوبه أى الرجوع إليه تعالى و الإنابه و المحاسبه و المراقبه و الصمت و الجوع و الخلوه و السهر، و جاهد بالأعمال و العبادات الواجبه أو المستحبّه المأثوره. و أيّده بالفكر و الاعتبار حتى يورث ذلك انقطاعا حقيقيّا بسببها عن النفس-فيراها محض الفقر و الاحتياج فى جميع الشئون إلى بارئه سبحانه-و إلى الله تعالى بالتوجيه التام إلى الحق سبحانه فحينئذ يطلع من الغيب طالع فى قلبه، و يتعقّبه شىء من النفحات الإلهيّه و الجذبات الربّانيّه، و يوجب حبّا و إشراقا، و هذا هو الذكر الحقيقى القلبى، ثم لا يزال بارق يلمع و جذبه تطلع، و شوق يدفع حتى يتمكّن سلطان الحب فى القلب، و يستولى الذكر على النفس، فيجمع الله حينئذ الشمل و يختم الأمر، و أن إلى ربك المنتهى. و حينئذ تحصل المعرفه به تعالى حسب ما أفاض الله على قلبه من تجلياته الذاتيه الصفاتيه و الأفعاليّه، كلّ على حسب ظرفه و ما يستحقّه، و لا يعلم أحد حاله إلّا الله تعالى فأولياؤه تحت قبائه لا يعرفهم غيره، رزقنا الله ذلك بمحمد و آله الطاهرين. ثم إنّ اللازم لهذا السالك-السائر فى تحصيل معرفته تعالى-المراقبه التامه و حاصلها: أنّه لا بدّ له من أن لا ينسى المقصد آنا، و أن يعرف من الطريق مقدار ما يعتبر منه، و أن يحمل من الزاد قدر ما يحتاج إليه، فلو نسى مقصده آنا ما هام على وجهه حيران، و ضلّ ضلالا بعيدا، و لو ألهاه الطريق و مشاهدته و ما فيه بطل السير، و حصل الوقوف، و لو زاد حمل الزاد على الكفاف اللازم تعوق السعى و فات

۱- ۱) التوحيد ص ۱۷۹.

المقصد، و الله المستعان.

فصل: فی تحصیل معرفته تعالی بنحو آخر.

اعلم: أنّ الطرق الموصله إلی الحقّ تعالی و معرفته، تاره تتحقق بدوام الذکر و هو علی أقسام بحسب الکمّ و الکیف، و بحسب الأشخاص، و طریقه صعب جدّا، لغموض تشخیص المانع فی نفس السّالک، ثم تشخیص الذکر و الورد المختص به لإزاله مانعه، ثم تشخیص مقدار الذکر کمّا و کیفا، ثم تتمیم العمل بلا معارض، ثم إدامه النتیجه بلا موجب لحبطها و لذا قلّ من وصل إلی المعرفه من هذا الطریق و لم یعقه عائق، و تفصیله موکول إلی محلّه. و أخری بمعرفه النّفس الّتی تقدّم ذکرها آنفا، و سیأتی فی الشرح کلام بعض الأکابر بنحو الاختصار فی کیفیه تحصیل معرفه النّفس المترتّبه علیها معرفه الرّب، و هذا الطریق کسابقه فی الصعوبه و إنّ أصرّ علیها بعض الأکابر، بل ربما ادّعی بعضهم بانحصار الطریق فیها و لکن فیه ما لا یخفی. و ثالثه بالسیر إلیه تعالی بالمحبّه، و سیأتی فی الشّرح الإشاره إلیه، و لکن نذکر هنا هذا الطریق بنحو الإجمال و هو تلخیص ما ذکره بعض الأعاظم و حاصله أنّ أسعد الخلائق فی الآخره أقواهم حبّا لله تعالی، و أشدّهم شوقا للقائه قال تعالی: وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ (١)فإنّ معنی الآخره هو القدوم علی الله کما صرّح به کثیر من أخبار البعث و النشر بل و الآیات القرآنیّه مثل قوله تعالی: یا أَیُّهَا اَلْإِنْسٰانُ إِنَّکَ کٰادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاٰقِیهِ (٢)و بعد القدوم یدرک سعاده لقائه، و ما أعظم نعیم المحبّ المستهتر إذا قدم علی محبوبه بعد طول شوقه، و تمکّن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غیر مزاحم و مکدّر و منغّص، و رقیب و خوف الانقطاع إلاّ أنّ هذا النعیم علی قدر الحبّ و استیلائه و شدّته!

١- ١) البقره:١۶۵.

٢- ٢) الانشقاق:۶.

ثم إنّ المؤمن و إن كان لا يخلو من محبّه ما فى الجمله كما أنّ عبادته لا تخلو من معرفه مّا فى الجمله، و إلّا لم يكن مؤمنا عابدا له تعالى، و لكن نيل تلك السعاده الأبديّه لا يكون إلّا بشده الحبّ و الشوق إليه تعالى كما لا يخفى. و لا تحصل هذه المحبّه الشديده إلّا بأمرين: الأول: قطع العلائق و إخراج حبّ الدنيا و ما فيها من القلب كما

فى أخبار داود عليه السّلام فى حديث طويل: و لا ينال هذا إلّا من رفض الدنيا، و لم يشتغل قلبه بشىء منها.

و فى سفينه البحار نقلا عن الكافى: سئل على بن الحسين عليهما السلام: أىّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما من عمل بعد معرفه الله و معرفه رسوله أفضل من بغض الدنيا (ذكره فى ماده دنا) . و كيف كان فبقدر ما يشغل القلب بغير الله ينقص منه حبّ الله، و يفرغ إناء قلبه من ذكره الله بقدر اشتغاله بغيره، لأن قلب كلّ أحد واحد قال تعالى: مَا جَعَلَ اَللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (۱)و معلوم أنّ الكفر عباره عن امتلاء القلب بمحبّه الباطل، و كلّ ما سوى الله باطل دون وجهه الكريم قال تعالى: قُلِ اَللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ (۲)

و قد روى عنه صلّى الله عليه و آله: أحسن كلمه قالتها العرب كلمه لبيد: ألا كلّ شىء ما خلا الله باطل و كلّ نعيم لا محاله زائل و الحبّ التام هو الحبّ لله و المحبه لله عند من امتلأ قلبه من محبه الله تعالى

قال عليه السّلام: «اللّهمّ املأ قلبى حبّا لك» . ثم إنّ الخلوص لا يكاد يكون لقلب العبد، إلّا إذ اشتدّ حبّه فإنّه (أى شدّه الحب) يحرق ما سواه تعالى فى القلب، و معنى الإخلاص هو أن يخلص قلبه لله، فهذا القلب يتمكّن من أن يعبد الله تعالى مخلصا و خالصا لا غيره، و لعله إليه يشير

۱- ۱) الأحزاب:۴.

۲- ۲) الأنعام:۹۱.

قوله صلّى الله عليه و آله: «من قال لا إله إلاّ الله مخلصا وجبت له الجنّه» ، فخلوص القلب لله تعالى بالمحبّه، بأن يكون بحيث لا يبقى فيه شركه لغير الله تعالى، و من هذا حاله فالدّنيا سجنه، لأنّها مانعه له عن مشاهده محبوبه، و موته خلاصه من السجن و قدومه على محبوبه. فمحصّل الكلام: أنّ القلب كإناء لا يمتلأ من المحبّه له تعالى إلاّ إذا أخرج منه حبّ الدنيا، فحصول المحبّه التامه موقوفه على قطع العلائق، و إخراج حبّ الدنيا. الثانی: فی تحصيل المحبّه و قوّتها و تمكّنها فی القلب، هو قوه المعرفه لله تعالى و اتّساعها و استيلاؤها على القلب، و حصول المعرفه فی القلب بعد تطهيره من الشواغل، فالمعرفه بمنزله وضع البذر فی الأرض بعد تطهيرها من الحشيش، فيتولد من هذا النور شجره المحبّه و المعرفه، نعم لا بدّ من العمل الصالح فإنّه يرفع القلب الذی فيه المعرفه، و عن هذا القلب الملیء بالمعرفه يصعد الكلم الطّيب، و منه يرفع العمل الصالح قال تعالى: إِلَيْهِ يَصْعَدُ اَلْكَلِمُ اَلطَّيِّبُ وَ اَلْعَمَلُ اَلصّالِحُ يَرْفَعُهُ (1). و العمل الصالح يطهّر القلب أولا من الدنيا، ثم هو مؤثّر فی إدامه طهارته و ستأتی أحاديث كثيره دالّه على دخاله العمل الصالح فی تثبيت الإيمان و اليقين فی القلب و فی تطهيره. ثم إنّ أصل الطهاره-أی إزاله الحجب و الأقذار عن القلب. و الصفاء أی تصقيل القلب بإزاله الكدورات و الصفات الرذيله و التعلقات الماديّه-لما كان أمرا عدميا أی يرجع إلى الإزاله كما علمت فلا محاله لا يرادان لنفسهما بل لهذه المعرفه. و الحاصل: أنّ الطهاره و الصفاء لا بدّ منهما فی القلب، لقابليه القلب و تمكّنه من حصول المعرفه فيه، هذا كما أن العلم المتعلق بكيفيه العمل إنما يراد للعمل الصالح، فالعمل الصالح يتحقق فی ظرف العلم الصحيح، فلا يخلو العمل من العلم فهو أی

1- 1) فاطر:10.

العلم الأول و الآخر، فكذلك الطهاره و الصفاء فی القلب إنما یرادان لحصول المعرفه فهی فی ظرف تحققهما متحققه کما لا یخفی. فتحصّل مما ذکر: أنّ المحبه الشدیده، التی هی العامل الوحید لحصول المعرفه به تعالی، أی حصول لقائه و مشاهده جماله و جلاله، لا تحصل إلّا بقطع العلائق، و بالمعرفه أی النظر فی آیات الآفاق و الأنفس، فإنه الموصل إلی تلک المعرفه من لقائه و مشاهدته تعالی، فظهر أنّ هذه المعرفه المتوقفه علیها المحبّه، غیر المعرفه التی تتوقف المعرفه علیها فلا تغفل. و هذه المعرفه هی التدبر و التفکر فی بدائع الفطره و الاعتبار منها، و النظر فی آیات الآفاق و الأنفس التی هی خارجه عن حدّ الحصر، إذ النجاه من العذاب الدائم قد علمت أنها موقوفه علی حبّ الله تعالی و عدم الاشتراک فیه و هذا متوقف علی هذه المعرفه الحاصله من هذه التدبرات فهی کالمقدمه التی لا یتم الواجب إلّا بها فهی واجبه علی کل مسلم طالب للمعرفه و مسلمه.

التدبر فی آیات اللّه:

فصل: [أقسام التدبر فی الآیات الإلهیه]

اشاره

اعلم: أنّ التدبر فی الآیات الإلهیه علی أقسام علی حسب درجات المتدبّرین.

الأول: أن ینظر إلی نور الوجود

قال تعالی: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (۱)، فینظر إلی نوره و أنه منتشر فی أ هویه ماهیات الممکنات، المنبسط علی سطوح هیاکل الممکنات، ثم یعرف من حقیقته المطلقه، التی هی أجلی من کلّ متصور و أول کلّ تصور، تقدمه علی کلّ شیء له ماهیه غیر الوجود، حتی ینکشف له ما هو نفس حقیقه الوجود المحض المجرد عن کلّ موضوع و محلّ، و المستغنی عن کلّ سبب

۱- ۱) النور:۳۵.

فاعلى أو غائى أو مقوم فصلى أو مقسم أو مشخّص أو صورى أو مادىّ، فتراه مستغنيا عن هذه كلّها لأنها تنافى أوليته و تقدمه جلّ و علا. فيعلم أنه بسيط الحقيقه من كلّ الوجوه، غنىّ عما سواه مفتقر إليه ما سواه رفعا للدور و التسلسل، فيعلم من هذا أيضا أنّ صفاته الكماليه عين ذاته و الجميع أمر واحد، فلا تكثّر فى الواجب بالذات فيكون البارى آحدى الذات و الصفات جميعا، فتكون خالقيته بما هو ذاته و وجوده، و منه يعلم أنّ فعله تعالى واحد قال تعالى: وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ و هؤلاء الواصلون إلى هذه النعمه العظيمه هم السابقون الذين درجتهم درجه العقول القادسه و الملائكه المهيّمه، فإن أول معرفتهم لله تعالى و به يعرفون غيره كما قال تعالى إشاره إلى حالهم: أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۱)و إليه يشير قول بعضهم لمّا قيل له: بم عرفت ربّك؟ فقال: عرفت ربّى بربّى، و لو لا ربّى ما عرفت ربّى،

و قال عليه السّلام فى دعاء أبى حمزه: بك عرفتك و لو لا أنت لم أدر ما أنت. و لعمرى إنّ الطريق الأعلى، و المشرب الأصفى عن شوب الإشراك هو هذا الطريق أعنى الاستشهاد بالحق على سائر الخلق كما هو الواقع، فإن الموجود أوّلا هو الذى يستشهد به على وجود الحادث، و كيف كان فإن وجود الموجودات رشح و تبع لوجوده تعالى، فينبغى أن يكون المعلوم المشهود على وفق الواقع الموجود، و هذه الطريقه طريقه الصديقين الذين يعرفون بنور الحق ما سواه، و لا يستدلّون على نور الوجود بهذا الظلام، و لا على صباح الفطره بليالى هذه الأجسام، إلاّ أنّ هذا الطريق غامض دقيق، و الكلام فيه خارج عن فهم أكثر الخلائق فالأولى إحاله الكلام فيه إلى محلّه و أهله.

الثانى: ما هو دون المرتبه السابقه،

و هو أن ينظر فى حقائق الممكنات من

۱- ۱) فصلت:۵۳.

حیث کونه الموجود المفارق عن الماده، و لو أحقّها فی الوجود و التعقّل، و ذلک کالأنوار المفارقه التی هی غیر مفتقره إلی عله مقارنه، لما ثبت فی محله أنّها إنّما تتقوم ذاتها و ماهیتها مما یتقوم به وجوده، و ذلک لما تقرر هناک أنّ (لم هو) و (ما هو) فی البسائط المفارقه شیء واحد، و المعرفه بها تسمی علما إلهیّا، و العالمون به هم الحکماء الإلهیّون، لأن غایه معرفتهم و حکمتهم هو الوصول إلی الحق الأول، و مجاورته من الملکوت الأعلی و الأنوار القاهره و المفارقه. و النتیجه المطلوبه من هذین الأمرین هی معرفه الباری تعالی إلاّ أنّ فی الأول منهما حصلت المعرفه من غیر توسط شیء من المخلوقات بل بذاته لذاته، و الثانی حصلت بتوسط معرفه العقول المفارقه بل و بتوسط معرفه النفس، التی هی مرقات لمعرفه الرب کما تقدم آنفا، فإن من عرف النفس بما هی هی عرفها بما هی فی الحقیقه من العقول المفارقه، و علمت فی السابق أنّ التعلیم و التعلّم یرجع إلی ظهور ما فی حقیقه النفس الإنسانیّه و الکلیّه الإلهیّه، التی من العقول المفارقه و العقل الفعال کما حقق فی محلّه. ثم قد یقال-فی تقریب هذا الطریق-بیان آخر و هو: أنه لما کانت تلک العقول المفارقه أفعاله تعالی، و یلحق بها النفس الکلیه و الملائکه المدبّره، فلا محاله یکون أول نظرهم و أول معرفتهم بالأفعال أی بهذه العقول و النفوس و الملائکه، ثم یترقّون منه إلی صفات الله، ثم إلی ذاته، فالله سبحانه و معرفته غایه أفکارهم إلاّ أنه بتوسط تلک الأمور، و هذا بخلاف الأولین فإنه تعالی کان فاعل أفکارهم، فإنهم بعد ما نظروا فی الحق بما هو نور و نور الوجود، و علموا الأشیاء به تعالی، فالفاعل لأفکارهم أی أفکارهم التی علموا بها غیره تعالی، هو الله تعالی فإنهم علموا الأشیاء به تعالی کما لا یخفی. و کیف کان فالذی یشیر إلی حال هؤلاء أی الطبقه الثانیه قوله تعالی:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي اَلْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ

(۱)

و مثله آيات أخر، و تقدم أنّ هذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين و الأوسع على السالكين دون الأول فإنه غامض جدّا، و لذا وقعت دعوه القرآن إليه أكثر، و ذلك فى الآيات التى أمرت بالتدبر و التفكر فى بدائع الفطره و الاعتبار و النظر فى آيات الآفاق و الأنفس، و قد تقدم بيانه فى الجمله.

الثالث: ما هو دون المرتبتين

و هو أن ينظر فيما يقبل الفساد و التغيير و الحركه و الزمان، بحيث يكون موضوع نظرهم و علمهم الأجسام الطبيعيه و الفلكيه و العنصريه من هذه الحيثيه المذكوره، و علمهم الحاصل من هذا النظر يسمى علما طبيعيا، و هم الحكماء الطبيعيون الذين يصلون إلى معرفه الله تعالى، و الاعتقاد بوجود ذاته و صفاته و أفعاله من طريق الحركه و عوارضها، و قد يقال: إنّ هذا الطريق هو طريق الخليل عليه السّلام على ما حكى الله عنه بقوله: فَلَمّا جَنَّ عَلَيْهِ اَللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي (۲)و تفصيله موكول إلى محله.

القوّتان النظريه و العمليه:

اشاره

فى تكميل القوه النظريه، و تعديل القوه العمليه الموجبتين للتخلق بالأخلاق الإلهيه و للقابليه لأن يشرق نور المعرفه فى القلب، فنقول: قال بعض الأعاظم ما ملخّصه فى مقدمه و أمور.

أما المقدمه

و هى: أنّ للإنسان هويّه مجرّده عن الأحياز و الأمكنه، و هى لطيفه ملكوتيّه، و كلمه روحانيّه مضافه إلى الحق، فائضه بأمره من غير وساطه المواد و استعدادها إلاّ بالعرض كما حقق فى محله، و هذه هى المشار إليها بقولنا: إنا و هى

۱- ۱) فصلت:۵۳.

۲- ۲) الأنعام:۷۶.

الجوهر الباقى منّا إلى يوم الحشر و الحساب، مع اضمحلال الأجزاء البدنيه، و هى المحشوره إلى ربّها عند القيامه بالبدن الأخروى المماثل لهذا البدن بل عينه، لأن هويه البدن و تشخّصه إنما هى بالنفس فى مده بقاء الكون، و إن تبدلت الأعضاء بالاستحالات الحاصله من الحرارات الغريزيه الطبيعيّه، و الغريبه الداخله و المطيفه بالبدن الخارجه. و بالجمله حقيقه الإنسان ليست إلّا ذاته المجرّده، و كلّ ذات إنما يكون هلاكها فى نقصها و ضعفها و آفتها و مجاوره ضدّها، و يكون بقاؤها فى كمالها و قوتها و صحتها و مجاوره أشباهها فى الكمال و الصحه، هذا و قد ثبت فى محله أنّ لكلّ شىء كمالا خاصا يخصه لذاته، فكمال القوه الشهويه نيل المشتهيات و اللذائذ الحسّيه، و كمال القوه الغضبيّه الظفر بالانتقام، و كمال القوه الحسّيه إدراك المحسوسات، و كمال القوه المتخيّله تصوير المتمثّلات، و كمال الواهمه الظنون و الرجاء.

و أما الأمر الأول:

اشاره

فنقول: و حيث علمت أنّ لكلّ شىء كمالا يخصّه فنقول: إنّ للنفس الإنسانيه فى ذاتها كمالا يخصّها و لها قوتان، إحداهما: العاقله النظريه و هى بهذه القوه متوجه إلى الحقّ الأول، و ثانيهما: العامله المحركه للبدن المتوجهه إليه. فكمال النفس بحسب قوتها النظريه إنّما هو بمعرفه حقايق الأشياء، و كليّاتها و المبادئ القصوى فى الوجود. و بالجمله معرفه الحق الأول بما له من صفات جماله، و نعوت جلاله، و كيفيه صدور أفعاله عنه و رجوعها إليه، و معرفه كونه تعالى غايه الأشياء الذى تتوجّه إليه الموجودات فى بقائها، كما يبتدى منه فى حدوثها إلى غير ذلك من المعارف الحقه التى كانت مستعده لها أولا عند كونها هيولانيّه الذات، ثم يحصل لها بسبب حصول المقدمات صورها على نحو البرهان الدائم اليقينى. ثم ستصير المشاهده إياها فائضه من الحقّ الأول، ثم تصير متصله بها منخرطه فى سلكها مستغرقه فى شهود مبدئها و معادها، بحيث لا يلتفت إلى ذاتها العارفه به تعالى فضلا عن غيرها، بل

الاضمحلال فی المعروف یذهلها عن کلّ شیء حتی عن ذاتها و عن عرفانها لمبدئها، فالیقین الأول أی الصور الحاصله بنحو البرهان الدائم الیقینی هو العلم أی علم الیقین، و الثانی أی مشاهدتها فائضه من الحق الأول هو العین أی عین الیقین، و الثالث أی الاتصال بها و الاستغراق فی شهود مبدئها هو الحق أی حق الیقین، فهذا هو کمال النفس بحسب قوتها النظریه. ثم إنّه لا شبهه فی أنه لا یحصل هذا الکمال إلّا بسبق معرفه الحقائق و العلم بالمعقولات، و لا شبهه أیضا فی أنّ کتاب الله تعالی مشتمل علی کلّها کما ستأتی الإشاره إلیه، و لا شک أیضا فی أنّ حصول المعارف و العلوم متوقف علی وساطه الرسول، و وساطته إنما تحصل بإنزال القرآن، فقوله تعالی: وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ اَلْکِتابَ (1)إشاره إلی ما تستکمل به القوه النظریه، و لا شک أیضا فی أن حصولها و تحصیلها من القرآن إنما هو ببیان النبی صلّی الله علیه و آله و الوصی علیه السّلام تلک المعارف لنا و بتصدیقنا لهم و لقولهم، و إنّ باتباعهم علیهم السّلام قولا و عملا و حالا و سلوکا تحصل تلک المعارف لنا، و نتصف بها حقیقه و سیجیء قریبا کیفیه المتابعه الموجبه لحصولها إن شاء الله تعالی. هذا بلحاظ کمالها بحسب القوه النظریه. و أما کمالها بحسب القوه العملیه فنقول: إنّ النفس لما کانت فی أول نشأتها ناقصه ضعیفه القوام بذاتها، فلا محاله تحتاج فی استکمالها بالکمال الذی قد سبق ذکره-و سیجیء توضیحه-إلی ماده بدنیّه تفیض و تستفید بواسطه الآله الجسمانیه، و مشاعره الإدراکیه الخمسه مبادئ إدراکاتها التصوریه و التصدیقیه من الأولیات الحاصله من المشارکات و المبائنات بین ما یقع الإحساس بها من المحسوسات الجسمانیّه. و بعباره أخری: أنّ النفس لما تعلّقت بالبدن کانت ضعیفه الذات فی درکها

1- 1) الحدید:25.

المعارف، بل لم تكنّ الأنفس الاستعداد، إلّا أنه تعالى جعل لها آلات جسمانيّه من اليد و الرجل، و إمكان التحريك و التحرّك بنحو من القيام و الركوع و السجود و قضاء الحوائج، و أن يفعل الأفاعيل المهمّه بأعضائها الظاهريّه، و جعل لها أيضا بقدرته الكامله مشاعر من الحواس الخمس من البصر و السمع و الشمّ و اللمس و الذوق، فإن هذه المشاعر تدرك بها النفس أمورا ظاهريه، لتستنتج منها أمورا معنويه عقليه. فمنها: يبصر ببصره المبصرات المتنوّعه بأنواع كثيره، التى هى مظاهر لحكمته تعالى، فيستنتج منها أمورا معقوله من علم صانعها و حكمته و قدرته و أمثالها، و منها: أنه يسمع بإذنه ما يتعقل به أمورا هى من الأوليات من نحو دركه الأشياء بمفرداتها و تصورها بانفرادها فيكون مبادى تصوّريه، و من دركه التصديقات الأوليه من أنّ الواحد نصف الاثنين، و من أنّ الاثنين زوج و أنّ النقضين لا يجتمعان و لا يرتفعان و أمثال ذلک، و هذه المبادى الإدراكيه تكون من المشاركات بين الأمور المعقوله بالعقل النظرى و بين المحسوسات بالحواس الظاهريه كالسمع و البصر. فمدركاتها تكون بلحاظ الدرک النفسى بمعونه العقل الجزئى الكائن فيه يكون ملحقا بالأمور المعقوله، و بلحاظ اقتباسها من الأمور الماديّه المحسوسه بالحواس الظاهريه تكون من الجسمانيات و المباينات بعضها عن بعض أو أنّ أولياته تكون حاصله من الأمور الجسمانيه المشاركه بعضها مع بعض كإدراكه أنّ الأربعه زوج حيث إدراكها من المصاديق الكائنه لكل أربعه من أفراد أنواع الموجودات، أو هى حاصله من الأمور الجسمانيه المتباينه كإدراكه أنّ المثلين لا يجتمعان لا بالعقل بل مما يراه من المتماثلين فى الخارج، و أنهما لا يجتمعان فالمشاركات و المتباينات كلّها تكون مما يقع من الإحساس بها من المحسوسات الجسمانيّه. و كيف كان فتكون النفس فى أول الاستكمال محتاجه إلى البدن، و إلى قواه من

المشاعر الخمس على الوجه المذكور، و بفقدان بعضها يفقد علما و كمالا، و لذا قيل: من فقد حسّا فقد علما.

تتمه:

ثمّ اعلم: أنّ البدن جسم مركب من عناصر متضاده كما ذكرت فى محلّه، فللبدن بحسب كلّ من تلك العناصر المتضاده أضداد يجب الاحتراز منها فى مده بقائها، ليتمكن من الكمال و الاستكمال، بيانه: أنه أى البدن فى أول التكون قليل المقدار صغير الجسم لكون كلّ بدن حاصلا من مثله فى النوع بفضله تحصل منه، و فضله الشيء لا يمكن أن تساويه بل هو أقلّ و أصغر، فلهذا الوجه و لوجوه أخر مذكوره فى مقامه لا بدّ من أن يكون فى أول الحداثه قليل المقدار غير تامّ الخلقه، و تكون تماميته و ترقيه فى الجسم بورود الجسم الشبيه به قليلا قليلا فى مده حياته و هو الغذاء، و طلبه للغذاء إنما يكون بالشهوه كما لا يخفى، و الشهوه لا بدّ لها من إدراك سابق يدرك الغذاء. لأن كلّ جسم لا يصلح للتغذى إذ ربما يكون سمّا قاتلا أو مضرّا، فيحتاج الإنسان حينئذ إلى قوه ما يدرك بها المصلح عن المفسد فى الأجسام الغذائيه، و لا بدّ من أن يكون مدركا بإدراك جزئى من الحواس الظاهره، و لا يكفيه الإدراك الكلّى، لأن ذلك الإدراك لا يعيّن المصداق المصلح و لا يميزه من المفسد، بل لا بدّ من الإدراك الجزئى الظاهرى لأجل التمييز الخارجى، و لا بدّ أن يكون مدركا بإدراك جزئى من الحواس الباطنه لأجل الحفظ و الذكر، فإنه لو لا دركه بالقوه الحافظه و الذاكره فى ذهنه بالنسبه إلى بعض المصاديق دون بعض، لاشتبه عليه التمييز فى بعض المصاديق. إذ ربما لا يكون فى كلّ جسم ما يشهد كونه ملائما أو منافيا فى كلّ وقت، فلا بدّ

له من قوه باطنه حافظه و ذاكره ليميّز بهما أولا الملائم و المنافى فيحفظه فى ذكره فيصرف فى الغذاء فى وقت احتياجه، و إن لم يشهد حينئذ كونه ملائما أو متنافيا بل يتّكل على الحافظه و الذاكره كما هو ديدننا كما لا يخفى.

الأمر الثانى:

أنّ المتحصّل مما ذكر أنّ استكمال النفس متوقف على بقاء البدن مده، و بقاء البدن متوقّف على قوى ثلاث لأمور ثلاثه: الأول: قوه العلم للتميز بين المصلح و المفسد. و الثانى: قوه الغضب لدفع المفسده. و الثالث: قوه الشهوه لجلب المنفعه. هذا و قد علمت أنّ مباشره النفس لهذه القوى الثلاث لاستكمالها من باب الضروره، و هى الكون فى البدن و بقاؤها ببقاء البدن مدّه، و ليست هذه المباشره هى الكمال المطلوب منها، بل كمالها فى التجرد عنها، و إنما احتاج إليها، لكونها موجوده فى البدن لأجل الاستكمال، فهى مرتبطه بالبدن فى أيام بقائها فى الدنيا. ثم إنّ كمالها الحاصل لها فى الدنيا و فى مده بقائها فى البدن إنما هو باتّصافها بالأمر المتوسط من هذه القوى الثلاث أعنى العلم و الغضب و الشهوه فإنها و إن ابتلت فى الدنيا و فى البدن بصحبه الأخسّاء من الأضداد، إلّا أن المبتلى بصحبه الأخساء من الأضداد و ما دام اشتغاله بها و عدم الخلاص عنها، إذا اتصف بالتوسط بين الأضداد -كما سيجىء بيانه قريبا-فهو حينئذ بمنزله الخلوّ عنها، و هذا كالماء الفاتر فإنّه بمنزله الخالى عن الحراره و البروده اللتين هما طرفاه من الإفراط و التفريط. و كيف كان فكمال النفس عند استقلالها بالقوى الثلاث، و استعمالها إيّاها إنما هو توسّطها بين الإفراط و التفريط فيها أى فى تلك القوى الثلاث. و نتيجه هذا التوسط هو أن لا ينفعل عنها و لا يطاوعها فى مآربها، بل يستعملها على هيئه الاستعلاء عليها لا الانقهار منها، و هذه النتيجه إنما تحصل بالتوسط فيها بالنحو المذكور و إليه يشير ما

عن الغرر و الدرر لآيه الله الآمدى عن

ص: ٩٠

أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أعدی عدو للمرء غضبه و شهوته، فمن ملکهما عظمت درجته و بلغ غایته» فقوله علیه السّلام فمن ملکهما هو أن لا ینفعل بهما و لا یطاوعهما بل یستعملهما علی هیئه الاستعلاء علیها التی هی معنی ملکهما کما لا یخفی.

الأمر الثالث: فی بیان کیفیه تحصیل حال التوسط فی القوی الثلاث

فنقول: أمّا قوه العلم أی استعمال الحواسّ الظاهره الخمسه و الباطنه فی أمور الدنیا غیر العاقله النظریه فهی عباره عن توسطها و اعتدالها و یسمّی بالحکمه قال تعالی: وَ مَنْ یُؤْتَ اَلْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً (۱)و هی أی الحکمه معنی قوه العلم المتوسطه فی العقل العملی، و هی غیر العلم العقلی بحقائق الأشیاء بالقوه النظریه، فإنها کلّما کانت أوفر کانت، أفضل و هذا بخلاف قوه العلم فی العقل العملی فإن إفراط هذه القوّه یسمی بالجربزه و هی المکر و الخدیعه، و تفریطها هی البلاهه و السفاهه و کلا الطرفین مذمومان و الممدوح منها هی الحکمه و تفصیلها موکول إلی محلّه من کتب الأخلاق. و أما قوّه الغضب: فتوسطها و اعتدالها الشجاعه و هی فضیله کالجود، و کلا جانبیها التهور من طرف الإفراط، و الجبن من طرف التفریط رذیلتان کما أن طرفی الجود کالبخل و الإسراف مذمومان لقوله تعالی: وَ لاٰ تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَهً إِلیٰ عُنُقِکَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا کُلَّ اَلْبَسْطِ (۲)و قوله تعالی: وَ اَلَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً (۳). و أما قوّه الشهوه: فتوسّطها و اعتدالها هو العفّه، و طرفاها الشره من طرف الإفراط، و الخمود من طرف التفریط رذیلتان، ثمّ إنه من ترکیب هذه القوی الثلاث، و امتزاج أوساطها الثلاثه تحصل قوه أخری لها توسط هی الفضیله المعبر

ص: ۹۱

۱- ۱) البقره:۲۶۹.

۲- ۲) الاسراء:۲۹.

۳- ۳) الفرقان:۶۷.

عنها بالعداله، و لها طرفان مذمومان فإفراطها الظلم و تفريطها الانظلام. و قد يقال: إنّ العداله ليس لها طرف الإفراط و التفريط بل له ضدّ واحد و هو الجور، و الظلم و الانظلام من مصاديق الجور فعلا و انفعالا، كما لا يخفى. فهذه الصفات الأربع أصول الفضائل العلميه، و أطرافها الثمانيه هى الرذائل، و مجموعها حسن الخلق، إذا صارت ملكه ينوط بها خلاص الإنسان من ذمائم الأخلاق الموجب لسخط البارى و غضب الخلاّق، و التعذّب بالاحتراق بالجحيم، بسبب الانحراف عن العداله المعبّر عنها بالصراط المستقيم. فخير الأمور فى هذا العالم أوسطها. ثم إنه كما أنّ نفس الطريق المستقيم ليست مقصودا، بل جوازها يؤدّى إلى المقصود، فكذلك حسن الخلق ليس كمالا بل الاتّصاف به يورث الخلاص من الجحيم، و إنما الكمال الحقيقى و المقصود الأصلى هو معرفه الحق الأول، و ما يليه من الصفات الجماليه و الأفعال الإلهيّه التى، تكمل بها النفس و تقرّ بمشاهدتها العين السليمه من الأمراض الباطنيه. و من المعلوم أنّ قيام الناس بالقسط و اعتدال نفوسهم إنما تجمعها و تؤديها الأخلاق الحسنه و إليه الإشاره فى قوله تعالى: وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا. فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا. وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا (1)

و قد صحّ عنه صلّى الله عليه و آله من الفريقين انه صلّى الله عليه و آله قال: «بعثت لاتمّم مكارم الأخلاق»

و قال صلّى الله عليه و آله: «أفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» و الأحاديث فى هذا الباب كثيره جدّا. و كما أنّ للحسن الظاهر أركانا كالعين و الأنف و الفم و الخدّ، و لا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها، فكذلك للنفس التى هى باطن الإنسان وجه إلى الخلق و وجه إلى الحقّ، و وجهها الذى يلى الحقّ هو جهه وحدتها و بساطتها، و وجهها

١- ١) الشمس:٧-١٠.

الذى يلى الخلق جهه تركيبها من الأخلاق. و للأخلاق أركان و أصول فلا بدّ من حسن جميعها حتى يحسن الخلق و لهذا جاء

فى الأدعيه النبويّه:

«اللّهم حسّن خلقى»

هذا طلب منه تعالى لحسن الوجه العملى التدبيرى إذ بحسن الخلق يحسن العمل و يقع على أحسن التدبير كما

أنّ قوله صلّى الله عليه و آله المعروف:

«اللّهم أرنى الأشياء كما هى»

طلب منه تعالى لحسن الوجه العملى الشهودى، إذ بمشاهده الأشياء كما هى، يحصل حسن العلم بها بدون حجاب موجب للاشتباه كما لا يخفى. هذا بعض الكلام فى أصول الأخلاق و تمييز الحسنه منها من الرذيله، و أما كيفيه تحصيلها فهى موكوله إلى مظانّها، إلّا أنّا نذكر إشاره إليها و هى: أنه من فعل فعلا، أو تكلم كلاما، أو عمل عملا صالحا، أو اقترف معصيه فلا محاله يحصل منه أثر فى النفس، و يحدث فيها منه حال و كيفيه نفسانيه هى ضرب من الصور و النقوش، و إذا تكرّرت الأفاعيل و تكثّرت الأقاويل استحكمت الآثار فى النفس فصارت ملكات بعد ما كانت أحوالا، و لو لا هذا لم يعلم الإنسان الحرف و الصنايع، و لم ينجع التأديب و التهذيب فى الإنسان و خصوصا فى الأطفال، فإن فى تأديبهم و تمرينهم على الأعمال فائده تامه فى استحكام الكمالات و العلوم و الأخلاق فى نفوسهم. و كيف كان فرسوخ الهيئات، و تأكد الصفات الحاصله من تكرّر الأعمال الحسنه أو السيّئه الذى يسمّى بالملكه مما لا خفاء فيه، و قد ذكر علماء الأخلاق هذا الطريق مفصلا فمن أراد الاطلاع الأكثر فليراجعه، فلا بد لمن أراد ذلك من الالتزام بالأعمال الموجبه لرسوخ الملكات الحميده فى النفس، و زوال الصفات الرذيله عنها، و الإطاعه للشيخ الكامل و الأستاذ الحاذق فى هذا الفن كما لا يخفى.

ص :٩٣

الثواب و العقاب:

اعلم أنّ المستفاد من قوله تعالى: هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱)و قوله تعالى: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى. وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى (۲)و قوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً (۳)و غيرها هو: أنّ الثواب و العقاب فى دار الآخره إنما يكونان بنفس الأعمال و الأخلاق الحسنه أو السيّئه لا بشىء آخر يترتب عليها فالملذّ و المؤلم و النعمه و النقمه و الجنه و النار فى دار القرار هى نفس صور الأعمال و الآثار كما دلّ عليه

قوله صلّى الله عليه و آله: «إنّما هى أعمالكم ردّت عليكم»

و قوله عليه السّلام: «إنّ الجنه قيعان و إنّ غراسها سبحان الله» و يشير إليه قوله تعالى: يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (۴). فالعقوبات الإلهيه الواصله إلى المجرمين كما أنها ليست من باب الانتقام الواقع عليهم من منتقم منفصل مباين يوقع الآلام و الشدائد عليهم، و يوصل المكاره و المحن إليهم، فكذلك ليست الآلام و المكاره خارجه عن ذاتهم و صفاتهم فيترتّب عليها، بل الأعمال القبيحه الواقعه منهم فى الدنيا بواسطه ما فى ضمائرهم و نيّاتهم صارت ملكه راسخه فى نفوسهم، و انحرفت بسببها فطرتهم الأصليّه، توجب هذه الملكات الرذيله الراسخه فى نفوسهم تصورات باطله، و أفكارا مؤلمه موحشه موجوده بوجود أخروى يناسبها فتطلع على أفئدتهم ما كان مستكنّا فيها، و لو تيسّر للشقى الفاجر أن يشاهد باطنه فى الدنيا بنور البصيره ليراه مشحونا بأصناف السباع و الشياطين و أنواع الوحوش و الهوام، و قد مثّلت هذه لغضبه و شهوته و حقده و حسده و عجبه و رياه و مكره و حيلته، ثم هى التى لا تزال تفترسه و تنهشه

۱- ۱) النمل:۹۰.

۲- ۲) النجم:۳۹-۴۰.

۳- ۳) آل عمران:۳۰.

۴- ۴) العنكبوت:۵۴.

إلّا أنه محجوب عن مشاهدتها، فإذا رفع هذا الحجاب، و انكشف الغطاء، و وضع فى قبره عاينها و قد تمثّلت بصورها و أشكالها الموافقه لمعانيها، و أول ما يقع بصر أحدهم على صوره عمله المطابقه إياه يرى بعينه العقارب و الحيّات قد أحدقت به، و إنّما هى صفاته الحاضره الآن قد انكشفت له صورتها فيقول: يا لَيْتَ بَيْنِى وَ بَيْنَكَ بُعْدَ اَلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ اَلْقَرِينُ (۱). و يريد أن يهرب عنها و أنّى يتصور لأحد أن يهرب عن نفسه و لازم نفسه. و على هذا القياس حكم الأعمال الحسنه الواقعه من أهل السعاده الأخرويّه المتصوره فى القيامه بصوره ملذّه حسان من حور و غلمان و جنّه و رضوان، فإن حقيقه تلك الصور هى موجوده معه مختفيه فى باطنه، و إنما تصير حاضره مشهوده له يوم القيمه بواسطه رفع الحجاب لقوله تعالى: فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۲). أقول: هذا خلاصه ما ذكره القوم فى معنى الآيات المتقدمات، و لكن لا يخفى أنه لا يوجب انحصار الملذّات و المؤلمات فى النفوس دون الخارج، فإنه خلاف ضروره ظاهر القرآن بل الحق أنّ الملذّ و المؤلم يوم القيامه روحى كما ذكر، و خارجى كما هو صريح الآيات الداله عليه كالأحاديث أيضا قال تعالى: فَاتَّقُوا اَلنّٰارَ اَلَّتِي وَقُودُهَا اَلنّٰاسُ وَ اَلْحِجٰارَهُ أُعِدَّتْ لِلْكٰافِرِينَ (۳)فقوله تعالى: و الحجاره ظاهر فى العذاب الخارجى.

و فى النهج قال عليه السّلام: «فكيف إذا كان بين طابقين من نار، ضجيع حجر و قرين شيطان»

(۴)

فقوله: ضجيع حجر يومئ إلى العذاب الخارجى، و قوله عليه السّلام: و قرين

۱- ۱) الزخرف:۳۸.

۲- ۲) السجده:۱۷.

۳- ۳) البقره:۲۴.

۴- ۴) نهج البلاغه-خطبه ۱۸۳.

شیطـان، یومئ إلی ما ذکر من العـذاب النفسانی، و کـذلک الکلام فی الجنّه و نعیمها فإن فیها قسـمین من النعم المعنویه و النعم الخارجیه و لعلّه سیجیء فی الشرح ما یوضح ذلک. و کیف کان فالنفوس الإنسانیه واقعه یوم القیامه تحت نوع من أنواع الجنس السـبعیه و البهیمیه أو الشیطانیه أو الملکیّه و تحشر معه، و لکلّ جنس منها أنواع کثیره کما أنّ لکلّ نوع منها أفرادا غیر محصوره، و هذه الأجناس الأربعه من النفوس، اثنتان منها عملیتان شـریرتان حاصـلتان من تکرر الأعمال السیّئه و هما السـبعیه و البهیمیّه، و اثنتان منها علمیّتان حاصلتان من تکرر الأفکار العلمیه إحداهما شریره و هی الشیطانیّه و الأخری خیّره و هی الملکیّه، و قد علمت فیما تقـدم الحـدّ الوسط الممـدوح منها. ثم اعلم: أنّ الإنسان قـد اصـطحب فی عالمه و نظام خلقته شوائب أربعا، و اجتمعت علیه أربعه أوصـاف: أی السـبعیّه و البهیمیّه و الشـیطانیّه و الملکیّه، فهـو من حیث تسـلط کـلّ منهـا علیه یفعـل أفعـال نوع تکون تلک الصـفه لازمه لـذاته ناشـئه عن حقیقته إلی أن تغلب علیه إحـدی هذه الخصال و الصـفات، بأن یصـیر خلقا له و ملکه راسخه فی نفسه صعبه الزوال، فیکون الإنسان فی آخر الأمر و منتهی العمر، حکمه حکم ذلک النوع بل تنقلب حقیقته یوم الآخر إلی حقیقه ذلک، و تکون صورته عند الحشر بعینها صورته أی صوره ذلک النوع. یدل علی هذا ما

فی المحکی عنه صلّی الله علیه و آله: «یحشر الناس علی وجوه مختلفه»

(۱)

و فی حـدیث طویـل بسنده المتصـل إلی أمیر المؤمنین علیه السّـلام أنه قـال: «فـإن کان لله ولیّا أتاه أطیب الناس ریحا، و أحبّهم منظرا، و أحسـنهم ریاشا فقال: أبشـر بروح و ریحان و جنّه و نعیم، و مقـدمک خیر مقـدم، فیقول له: من أنت؟ فیقول: أنا عملک الصالح، ثم قال علیه السّلام: و إذا کان لربّه عدوّا فإنه یأتیه أقبح من خلق زیا، و أنتنه ریحا، فیقول:

۱- ۱) التفسیر لملا صدرا ص ۲۸۴.

أبشر بنزل من حميم و تصليه جحيم»

(۱)

.

و فی حدیث آخر عن الإمام أبی عبد الله علیه السّلام یقول: «أنا رأیک الحسن الذی کنت علیه، و عملک الصالح الذی کنت تعمله»

(۲)

فقوله علیه السّلام: أنا رأیک الحسن إشاره إلی القوه العلمیه الملکیه، و قوله: و عملک الصالح، إشاره إلی القوه العملیه الصالحه و قد تقدم بیانه. و یدل علیه أیضا ما

عن أبی عبد الله علیه السّلام حیث قال فی حدیث طویل: إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال یقدمه أمامه، کلّما رأی المؤمن هولا من أ هوال یوم القیامه قال له المثال: لا تفزع و لا تحزن، و أبشر بالسرور و الکرامه من الله عزّ و جلّ، حتی یقف بین یدی الله عز و جل فیحاسبه حسابا یسیرا، و یأمر به إلی الجنه، و المثال أمامه فیقول له المؤمن: یرحمک الله نعم الخارج خرجت معی من قبری، و ما زلت تبشّرنی بالسرور و الکرامه من الله حتی رأیت ذلک فیقول: من أنت؟ فیقول: أنا السرور الذی کنت أدخلت علی أخیک المؤمن فی الدنیا خلقنی الله عزّ و جل منک لأبشّرک (۳).

و روی عن طریق العامه عنه صلّی الله علیه و آله: أنّ بعض الناس یحشر علی صوره تحسن عندها القرده و الخنازیر. و أحسن حدیث روی فی المقام ما رواه

فی معانی الأخبار بإسناده عن قیس بن عاصم قال: وفدت مع جماعه من بنی تمیم إلی النبی صلّی الله علیه و آله فدخلت علیه، و عنده الصلصال بن الدلهمس فقلت: یا نبیّ الله عظنا موعظه تنتفع بها فإنا قوم نغیر (۴)فی البرّیه، فقال رسول الله صلّی الله علیه و آله: یا قیس إنّ مع العزّ ذلّا، و إنّ مع الحیاه موتا، و إنّ مع

ص: ۹۷

۱- ۱) انظر الکافی ج ۳ ص ۲۳۲، باب أن المیت یمثل له ماله و ولده و عمله عن موته، و أمالی الطوسی ج ۳ ص ۲۲۲.

۲- ۲) انظر الکافی ج ۳ ص ۲۴۲-کتاب الجنائز.

۳- ۳) انظر الکافی ج ۲ ص ۱۹۰، کتاب الإیمان و الکفر، باب إدخال السرور علی المؤمنین.

۴- ۴) أغار: ذهب فی الأرض.

الدنيا آخره، و إنّ لكلّ شىء حسيبا، و على كلّ شىء رقيبا، و إنّ لكلّ حسنه ثوابا، و لكلّ سيّئه عقابا، و لكلّ أجل كتابا، و أنّه لا بدّ لك يا قيس من قرين يدفن معك، و هو حىّ و تدفن معه و أنت ميّت، فإن كان كريما أكرمك، و إن كان لئيما أسلمك، ثم لا يحشر إلّا معك و لا تبعث إلّا معه، و لا تسأل إلّا عنه، و لا تجعله إلّا صالحا، فإنه إن صلح آنست به، و إن فسد لا تستوحش إلّا منه و هو فعلك. فقلت: يا نبىّ الله أحبّ أن يكون هذا الكلام فى أبيات من شعر، نفخر به على من يلقانا من العرب، و ندخره فأمر النبىّ صلّى الله عليه و آله من يأتيه بحسان قال: فأقبلت أفكر فيما أشبه هذه العظه من الشعر فاستتب (۱)لى، «و فى نسخه: فاستبان لى» القول قبل مجىء حسان فقلت: يا رسول الله قد حضرتنى أبيات أحسبها توافق ما تريد، فقال النبىّ صلّى الله عليه و آله: قل يا قيس، فقلت: تخيّر قرينا من فعالك إنما قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل و لا بدّ بعد الموت من أن تعده ليوم ينادى المرء فيه فيقبل فإن كنت مشغولا بشىء فلا تكن بغير الذى يرضى به الله تشغل فلن يصحب الإنسان من بعد موته و من قبله إلّا الذى كان يعمل ألّا إنما الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلا بينهم ثمّ يرحل (۲)إذا علمت هذا فاعلم: أنّ الإنسان بذاته طالب للكمال و الكامل كما تقدم، و معلوم أنّ الكمال الأتمّ و التمام بل و فوق التمام هو الواجب تعالى و الحق الأول، فكلّ موجود يطلبه بغريزه شوقه، فكلّ يشتاق إليه و يعشقه، بل إنّ لكلّ من الموجودات عشقا و شوقا إليه تعالى إراديّا كان أو طبيعيا، و لذا قيل بسريان العشق فى جميع الموجودات على تفاوت طبقاتها، و أثبتوا لكلّ منها شعورا و علما

۱- ۱) استتب الأمر: استقام و اطّرد و استمرّ.

۲- ۲) انظر معانى الأخبار ص ۲۳۱.

مستدلّين لهذا بقوله تعالى: وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهٰا (۱)و قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ (۲). فكلّ موجود بحسب ذاته يطلب الوصول إليه تعالى بنار الشوق و العشق، فهو تعالى غايه الغايات كما هو مبدأ المبادئ، فكلّ من كان أقرب إليه تعالى فلا محاله يكون أشبه به تعالى صفه فلا محاله يكون ملتذّا بمعرفته تعالى و مظهرا لصفاته. و قد علمت فيما تقدم: أنّ الولايه الخاصّه المحمديه المطلقه هى التى ظهرت بأوصاف كماله تعالى و نعوت جماله، و هى الجامعه الأسماء الإلهيّه، و هى باطن الألوهيه، و هى فى النبى صلّى الله عليه و آله تكون مع الرساله، و فى الوصى تكون منحازه إليه كما تقدم، و حيث إنّ صاحبها فان عن نفسه و باق بربّه، فلا محاله تكون الولايه الكائنه فيه بأوصافها ولايه الله تعالى كما سيأتى التصريح بها من الأحاديث. و لا ريب أنّ حقيقه هذه الولايه الإلهيّه لا يمكن الإحاطه بها ذاتا، بل هى مختصه بهم عليهم السّلام و هم عليهم السّلام حيث إنها حقيقتهم يعلمونها بالعلم الحضورى، و إنما الممكن بيان آثارها لا بحقيقتها، بل بمقدار ما يمكن تفهيمها لغيرهم، و يمكن أن يدركها غيرهم، فالأخبار و الأدعيه و الزيارات مشحونه ببيانها، و أحسن كلام اشتمل عليها و بيّنها هو الزياره الجامعه الكبيره التى يكون هذا الشرح لبيانها و بيان معانيها و رموزها بحسب ما يمنح الله تعالى فهمها. ثم إنّ ما تقدم من شرح الولايه فى الجمله، إنما كان لأجل بيان موضوع الولايه الإلهيّه و هو حقيقتهم القدسيه (صلوات الله عليهم أجمعين) ليتضح الأمر موضوعا و حكما فلا تغفل. ثم اعلم: أنّ من ظفر بمعرفه الله تعالى، و النظر إلى وجهه الكريم، و المطالعه لجمال الحضره الربوبيه، و شهد الأسرار و الأمور الإلهيه يعلم و يرى أنها ألذّ اللذّات

۱- ۱) البقره:۱۴۸.

۲- ۲) الاسراء:۴۴.

الباطنيّه من الرياسه و الحكومه، كيف لا تكون كـذلك، و هـذه اللـذات الباطنيه الماديّه محفوفه بمكاره، و محـدوده بزمان معين موجب لنقص فى اللـذه للعلم بزوالهـا، فأين هـذه من اللـذه بمعرفته تعالى التى هى خالصه من كلّ نقص و زوال؟ ! و لأجل هـذا ترى العـارف بهـا يؤثر التفرد عن الخلق، و الخلوه مع الحقّ بالتبتل و الفكر و الـذكر على الـدوام و بترك الرياسات، الباطله لعلمه بفنائها و يستحقر الخلق الطالبين لها. ثم إنه فى تفرده مضافا إلى لذّاته يشـتغل بالالتذاذ بالحكمه و المعرفه بالله، و مطالعه صـفات جلالـه و جمـاله و يرى بقلبه ملكوت أفعـاله، و نظـام مملكته من أعلى عليين إلى أسـفل سـافلين، ثم إنه يلتـذّ بها دائما لا يقطعها الموت، فـإنه لاـ يهـدم محـل المعارف الإلهيه أعنى الروح الـذى هو أمر نورانى سـماوى بل يصـفيها لزوال موجبات المكـدّرات بالموت كما لا يخفى. و إلى ما ذكر يشير ما

فى روضه الكـافى مسـندا عن جميـل بن درّاج، عن أبى عبـد الله عليه السّـلام: لو يعلم النـاس ما فى فضل معرفه الله عزّ و جلّ، ما مـدّوا أعينهم إلى مـا متع به الأعـداء من زهره الحيوه الـدنيا و نعيمهـا، و كانت دنياهم أقل عنـدهم مما يطأون بأرجلهم، و لنعّموا بمعرفته عزّ و جلّ، و تلـذّذوا بها تلذّذ من لم يزل فى روضات الجنان مع أولياء الله. إنّ معرفه الله عزّ و جلّ أنس من كلّ وحشه، و صاحب من كلّ وحده و نور من كل ظلمه، و قوه من كلّ ضـعف، و شـفاء من كلّ سـقم. ثم قال عليه السّلام: قد كان قبلكم قوم يقتلون و يحرقون و ينشرون بالمناشير، و تضيّق عليهم الأرض برحبها، فما يردّهم عما هم عليه شىء مما هم فيه من غير تره و تروا من فعـل ذلـك بهم، و لاـ أذى ممـا نقموا منهم إلاّـ أن يؤمنوا بـالله العزيز الحميـد، فاسألوا ربّكم درجاتهم، و اصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم

(۱)

(روضه روايه ۳۴۷) .

ص:۱۰۰

۱- ۱) الكافى، روايه ۳۴۷.

علامات و أحوال أولياء اللّه:

اشاره

ثم إنّه للعارف الكامل و الولی لله تعالی علامات و خواص، فلا بدّ من الإشاره إلیها إجمالا، فإنها کالمیزان فی تشخیص صحه السیر و عدمها، فإن الخطرات کما قیل کثیره فی السیر إلیه تعالی، و لهذا قد ذکروا لصحّته علامات یعرف بها السیر الصحیح، فنقول: إنّ لأحوال أولیاء الله تعالی و هم المؤمنون حقا أمورا منها: ١-ما ذکره الله تعالی بقوله: إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِینَ إِذٰا ذُکِرَ اَللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذٰا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیٰاتُهُ زٰادَتْهُمْ إِیمٰاناً وَ عَلیٰ رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ (١)فإن معناه و الله العالم أنّ المؤمن الحقیقی و العارف الیقینی الذی کتب الله بقلم العنایه فی قلبه الإیمان، و أیّده بروح منه، فهو علی نور من ربّه، فإذا ذکر الله وجل قلبه، فإن وجل القلب عند سماع ذکر الله من خصوصیّه المعرفه و الحکمه بالله و صفاته و أفعاله، إذ الحکمه هی النور المنبسط الإیمانی الذی قذف الله، فی قلوبهم، و من شأن نور الإیمان أن یرقّ القلب، و یصفیه عن کدورات صفات النفس و ظلمتها، و یلین قسوته فتلین إلی ذکر الله و یحنّ شوقا إلی الله. قیل: و هذا حال أهل البدایات، أمّا حال أهل النهایات فهی الطمأنینه و السکون بالذکر، لقوله تعالی: اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِکْرِ اَللّٰهِ أَلاٰ بِذِکْرِ اَللّٰهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ (٢)

و فی المحکی عنه صلّی الله علیه و آله: «إنّ أحبّ القلوب إلی الله أصلبها فی دین الله، و أصفاها عن الذنوب، و أرقّها علی الإخوان، و إذا تلیت علیهم آیاته زادتهم إیمانا» فجعل صلّی الله علیه و آله من شروط الإیمان الحاصل فی القلب ازدیاده من سماع القرآن و تلاوته، لاشتماله علی ذکر الله و المعارف الإلهیّه و الوجه فیه، أنّ الإیمان الحقیقی هو النور الواقع فی القلوب بقدر انفتاح روزنه القلوب من أنوار تجلّی شموس صفاته

ص: ١٠١

١- ١) الأنفال:٢.

٢- ٢) الرعد:٢٨.

و حقائق أفعاله للقلوب المشتاقه، فيكون وجوه قلوبهم الخاليه من دنس حبّ الدنيا بسبب ذلك النور إلى ربّها و حبيبها ناظره، فإنّ الإيمان يجرّ بعضه إلى بعض و بالمعرفه تكتسب المعرفه، فحينئذ كلّما تليت على أصحابها الآيات أو تلوها أو ذكر الله أو ذكروه، زاد انفتاح روزنتها بقدر صدقها و شوقها و مناسبتها، فيزيد فيها نور الإيمان، فيزدادوا إيمانا مع إيمانهم و على ربّهم يتوكّلون، لا على الدنيا و أهلها. فإنّ من شاهد جمال الحق و جلاله بنور الإيمان فقد استغرق فى بحر سطوات جلاله، فيكون توكلهم عليه لا على غيره. و إلى ما ذكر يشير ما

فى الكافى مسندا عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ليس شىء إلّا و له حدّ، قال: قلت: جعلت فداك فما حدّ التوكل؟ قال: اليقين، قلت: فما حدّ اليقين؟ قال: ألا تخاف مع الله شيئا. و منها: ما وصفهم الله تعالى بقوله: وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاٰقُوا رَبِّهِمْ فقوله تعالى: إنّهم ملاقوا ربّهم، بيان العله لعدم طردهم، و هى أنّهم ملاقوا ربّهم، فهم بإيمانهم بلغوا درجه الملائكه المقربين، الذين يلاقون ربهم من فوقهم لا واسطه بينهم و بين ربّهم، و ذلك لارتقائهم عن عالم الطبيعه بجناحى العلم و العمل إلى جوار الله تعالى، و هذا معنى ملاقاه ربّهم من فوقهم، ثمّ إنه قد يتوهم أنّ معنى أنّهم ملاقوا ربّهم، أنّى لا أطردهم، لأن حسابهم على الله حينما يلاقوه يوم القيمه. فأين هذا من بلوغهم إلى درجه الملائكه الذين يلاقون ربّهم؟ و لكنه مدفوع بأن اسم الفاعل ظاهر فى المتلبس بالمبدإ، فقوله: إِنَّهُمْ مُلاٰقُوا رَبِّهِمْ أى أنّهم متلبّسون بلقائه تعالى بالفعل، و هذا هو حال الملائكه المجرّدين فى عالم الماده و الطبيعه كما لا يخفى. و كيف كان فمن وجد فى نفسه أنه ملاق ربّه بالعظمه و الكبرياء و الجبروت،

و رأى نفسه تحت سطوته خاشعا خاضعا ذليلا مسكينا مستكينا فقيرا خائفا وجلا، فقد صحّ سيره، و هدى إلى صراط مستقيم،

قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى أوصاف المتقين: «عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم» . و منها: ما ذكره تعالى: إِنَّ عِبٰادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ (۱)مخاطبا إبليس اللعين الذى استثناهم عن إغوائه بقوله كما حكى الله تعالى عنه: إِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ اَلْمُخْلَصِينَ (۲). و كيف كان فمن وصل إلى معرفته تعالى بنور المشاهده، و وصل إلى قربه بحقّ اليقين يرى نفسه فى حصنه تعالى و فى كهفه، بحيث يرى نفسه مصونا عن وساوس الشيطان بالعصمه الإلهيه فلا يكاد يرى لنفسه مطاوعه لوساوس الشيطان، بل هو بنفسه المعصومه المنوره بنور المعرفه و المشاهده، يدفع وساوسه و يطرده، و يغلب عليه كما ذكرت عن بعض أولياء الله عند محاربته الشيطان (لعنه الله) . و منها: ما وصفهم الله تعالى بقوله تعالى: وَ عِبٰادُ اَلرَّحْمٰنِ اَلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى اَلْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذٰا خٰاطَبَهُمُ اَلْجٰاهِلُونَ قٰالُوا سَلاٰماً. . . إلى آخر السوره (۳)فإنه تعالى ذكر فيها صفات عديده لهم، فالمؤمن العارف الواصل يرى هذه الصفات فى نفسه، فلا يخلو منها، فكأنّها صارت طبيعه له راسخه فى قلبه. و منها: ما أشار إليه قوله تعالى: إِلاّٰ مَنْ أَتَى اَللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (۴)و هذه الصفه عمده الصفات و تجمع سائرها، لأن الأصل فى جميع الصفات و الخيرات هو سلامه الصدر من الغلّ و الغش و الدغل، و الحسد و البغض و الكبر، و الحرص و الطمع و المكر، و الزنا و الخديعه و النفاق و ما أشبهها من الخصال المذمومه، التى أكثرها

ص:۱۰۳

۱- ۱) الحجر:۴۲.

۲- ۲) الحجر:۴۰.

۳- ۳) الفرقان:۶۳-۷۷.

۴- ۴) الشعراء:۸۹.

ینشأ من التشبّه بأهل العلم فی الزی و المنطق من غیر عرفان، و طلب الترفّع من غیر استیهال، و هو بذر النفاق و العناد و ماده السیّئات، هذا معنی سلامه القلب بحسب الظاهر.

و فی تفسیر نور الثقلین عن أصول الکافی مسندا عن سفیان بن عینیه قال: «سألته عن قول الله عز و جل: إلّا من أتی الله بقلب سلیم، قال: السلیم الذی یلقی ربّه و لیس فیه أحد سواه، قال: و کلّ قلب فیه شرک أو شکّ فهو ساقط، و إنما أرادوا بالزهد فی الدنیا لتفرغ قلوبهم إلی الآخره»

(۱)

.

و بإسناده إلی الحسن بن الجهم عن أبی الحسن علیه السّلام قال: التواضع أن تعطی الناس ما تحب أن تعطاه (۲). أقول: هذا التواضع من آثار القلب السلیم.

و فیه و فی آخر قال: قلت: ما حدّ التواضع الذی إذا فعله العبد کان متواضعا؟ فقال: التواضع درجات منها أن یعرف المرء قدر نفسه، فینزلها منزلتها بقلب سلیم، لا یحبّ أن یأتی إلی أحد إلّا مثل ما یؤتی إلیه، إن رأی سیئه درأها بالحسنه، کاظم الغیظ، عاف عن الناس، و الله یحب المحسنین (۳).

و فیه عن المجمع روی عن الصادق علیه السّلام أنه قال: هو القلب الذی سلم من حبّ الدنیا . و یؤیّده

قول النبی صلّی الله علیه و آله حبّ الدنیا رأس کل خطیئه (۴).

و فیه عن مصباح الشریعه قال الصادق علیه السّلام: «صاحب النیه الصادقه صاحب القلب السلیم»

(۵)

لأن سلامه القلب من الهواجس المذکورات، تخلص النیه لله تعالی فی الأمور کلّها، قال الله تعالی: یَوْمَ لاٰ یَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ. إِلاّٰ مَنْ أَتَی اَللّٰهَ بِقَلْبٍ

۱- ۱) تفسیر الثقلین، ج ۴ ص ۵۷.

۲- ۲) المصدر نفسه، ص ۵۸.

۳- ۳) المصدر نفسه، ص ۵۸.

۴- ۴) المصدر نفسه، ص ۵۸.

۵- ۵) المصدر نفسه، ص ۵۸.

سَلِيمٍ

(۱)

. أقول: إتيانه تعالى بقلب سليم يعمّ الحشر، و الرجوع إليه تعالى يوم القيامه، أو التوجه إليه فعلا بالإخلاص بواسطه سلامه قلبه كما لا يخفى. و منها: الخوف و الخشيه كما فى قوله تعالى: وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (۲)و قوله تعالى: إِنَّمٰا يَخْشَى اَللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ اَلْعُلَمٰاءُ (۳). أقول: إنّ من أهمّ صفات أولياء الله تعالى الخشيه منه تعالى.

و قد جاء فى تفسير نور الثقلين عن أصول الكافى مسندا عن صالح بن حمزه قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: إن من العباده شده الخوف من الله عزّ و جلّ لقول الله عزّ و جلّ: إِنَّمٰا يَخْشَى اَللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ اَلْعُلَمٰاءُ (۴).

و فيه عن روضه الكافى مسندا عن أبى حمزه قال: قال على بن الحسين عليه السّلام: و ما العلم بالله و العمل إلاّ إلفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه، و حثّه الخوف على العمل بطاعه الله، و إنّ أرباب العلم و أتباعهم الذين عرفوا الله، فعملوا له و رغبوا إليه، و قد قال الله: إِنَّمٰا يَخْشَى اَللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ اَلْعُلَمٰاءُ (۵).

و فيه عن المجمع روى عن الصادق عليه السّلام أنه قال: يعنى بالعلماء من صدّق قوله فعله، و من لم يصدق فعله قوله فليس بعالم.

و فى الحديث: أعلمكم بالله أخوفكم منه (۶).

و فيه عن مصباح الشريعه قال الصادق عليه السّلام: و دليل الخشيه التعظيم لله، و التمسّک بخالص الطاعه و أوامره، و الخوف و الحذر و دليلهما العلم قال الله تعالى:

۱- ۱) الشعراء:۸۸،۸۹.

۲- ۲) الأنبياء:۲۸.

۳- ۳) فاطر:۲۸.

۴- ۴) تفسير نور الثقلين، ج ۴ ص ۳۵۹.

۵- ۵) المصدر نفسه.

۶- ۶) المصدر نفسه.

إِنَّمٰا يَخْشَى اَللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ اَلْعُلَمٰاءُ

(۱)

.

و فیه عن مصباح شیخ الطائفه قدّس سرّه فی دعاء یوم الأربعاء:

اللّهم أشدّ خلقک خشیه لک أعلمهم بک، و أفضل خلقک لک عملا أخوفهم لک، لا علم إلاّ خشیتک، و لا حکم إلاّ الایمان بک، لیس لمن لم یخشک علم، و لا لمن لم یؤمن بک حکم

(۲)

. أقول: العلم باللّه تعالی و بعظمته و ظهورها فی القلب یوجب الخشیه منه تعالی، فإنه تعالی کما هو جمیل ذو الإکرام فکذلک هو عظیم جلیل ذو الجلال، فالمعرفه به تعالی التی هی المراد من العلم به توجب الخشیه منه، و لیست الخشیه هی الخوف من عقابه للمعصیه، بل هی من آثار ظهور عظمته تعالی فی القلب، و هی المعرفه و العلم به تعالی کما لا یخفی. أقول: هذه بعض آثار الأولیاء و علاماتهم من حیث الملکات الحسنه الراسخه فی القلب المستلزمه للعمل الصالح و هی إنما تصدر من القلب الصافی من الموانع و من الصفات الرذیله و الحجب القلبیه المانعه عن الوصول إلی الحقّ و الحقیقه. و بعباره أخری: إنّ القلب إذا ارتفع عنه غبار الهیئات المانعه و الطمع و الرین فی عالم الحواس و معدن الوسواس، فلا محاله یصیر صافیا منها، فله أهلیه أن یصدر منه العمل الصالح القابل لأن یرفعه اللّه تعالی إلیه. و أما علاماتهم من حیث العلم و المعرفه القلبیّه فنقول: اعلم: أنّ غایه قصود العارفین، و ثمره وجودهم هو الإیمان و المعرفه و العرفان باللّه تعالی و صفاته و ملائکته و أفعاله و کتبه و رسله، و هذه المعارف کما ینبغی هی الغایه القصوی و الثمره العلیا من وجود إنسان کامل فی مده بقائه. و لا ریب أنه لا یکاد تحصل هذه المعارف إلاّ لمن سلک فی الصراط المستقیم،

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین، ج ۴ ص ۳۶۰.

۲- ۲) المصدر نفسه.

الذی یطلبه الطالب منه تعالی فی قوله: اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِیمَ ، و هذا هو الصراط الّذی سلکه جمیع الأنبیاء و المرسلین و أولیائه الطاهرین الأئمه المعصومین قال تعالی: أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ (۱)و قال تعالی: شَرَعَ لَکُمْ مِنَ اَلدِّینِ مٰا وَصّٰی بِهِ نُوحاً وَ اَلَّذِی أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ وَ مٰا وَصَّیْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ وَ عِیسیٰ (۲). و هذا الطریق هو الصراط الذی لا یتطرق إلیه نسخ و لا تغییر، و لا فیه تخالف و لا تناقض، لکونه من عند الله و بتوفیقه و إلهامه، و لا یسلکه السالکون عن تقلید و لا عن تعصب، أو اتباع الآباء أو الأساتید، لأجل فرط العقیده بهم، أو لملازمه الأهویه التابعه لهواهم، فإن هذه کلّها تنافی السیر فی الصراط المستقیم ضروره أنّ هذا الطریق و هذا المسلک هو مسلک التوحید، الذی سلکه أفضل الأنبیاء علیهم السّلام و متابعوه من الأئمه علیهم السّلام المشار إلیهم فی قوله تعالی: قُلْ هٰذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اَللّٰهِ عَلیٰ بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِی . و قد فسر و من اتبعنی بالأئمه علیهم السّلام و هذا أیضا طریق شیعتهم، و هو الطریق المستقیم الذی أمر الله نبیّه أن یعلّم الناس سلوکهم و یهدیهم إلیه و یأمرهم باتباعه، و نهاهم عن سلوک غیره فی قوله تعالی: وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا اَلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ ذٰلِکُمْ وَصّٰاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ و سیجیء فی الشرح أنّ هذا السبیل هو ولایه الأئمه علیهم السّلام التی هی ولایه الله و ولایه رسوله صلّی الله علیه و آله. إذن لا بدّ من السیر فی الصراط و السبیل المستقیم، الذی بیّنه الله تعالی و رسوله و الأئمه علیهم السّلام لأنّ استقامه الطریق تفضی بسالکه إلی المقصد فی أقرب زمان، و لا بدّ للسالک من أن یتحری أقرب الطرق فإنه أسهلها مسلکا، و أقربها وصولا، و هو

۱- ۱) الانعام:۱۲۶.

۲- ۲) الشوری:۱۳.

الـذى لا عوائق فيه و لا عوج له، فلـذلك ينبغى للقاصـدين إلى الله بعـد تصـفيه نفوسـهم من درن الشـهوات، و الراغبين فى نعيم الآخره فى دار السلام الذين يريدون الصعود إلى ملكوت السموات، و الدخول فى زمره الملائكه بالولاده الثانيه أن يتحرّوا أقرب الطرق إليه و أسـهلها مسـلكا و أوثقها اعتمادا، كما قال تعالى: فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (١). و اعلم: أنّ حاصـل علامات العلماء بالله و مجامع نعوتهم أنهم منبعثون من موت الجهاله متنبّهون من رقـده الغفله، عارفون بحقائق الأشـياء، مشاهـدون حساب يوم الـدين، هم قوم تسـتوى عنـدهم الأماكن و الأزمان، و تغاير الأمور و تصاريف الأحوال، فقـد صارت الأيام كلّها عندهم عيدا واحدا و جمعه واحده، و صارت الأماكن كلّها مسجدا واحدا، و الجهات كلّها محرابا واحدا، و ذلك لخروجهم بعقولهم الصافيه و أذهـانهم العـاليه عن مطموره عالم الزمان و المكان، و توجهت قلوبهم شـطر الحقّ، و تولت ذواتهم وجه الله، فصارت حركاتهم كلّها عباده و سـكناتهم كلّها طاعه له. و اسـتوى عنـدهم مدح المادحين و ذم الذامين، لا تأخذهم فى الله لومه لائم، و هم قوامون بالقسط شـهداء لله بالحق، و هم على صلواتهم دائمون تحققوا بقوله تعالى: فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ (٢)لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ (٣)و صـار دعـاؤهم مسـتجابا، لأنـهم لا يسـألون إلاّ ما يكون، و لا يكون إلاّ ما قـد كان فى سابق العلم، فقلوبهم فى راحه من التعلق بالأسـباب، و أرواحهم فارغه من التكلّف بما لا يعنى، و نفوسـهم ساكنه عن الوسواس، و أبدانهم فى راحه من أنفسهم، و الناس منهم فى راحه و أمان، لا يريدون لأحد سوءا، و لا يضمرون لأحد

١- ١) الجنّ:١۴.

٢- ٢) البقره:١١۵.

٣- ٣) الحديد:٢٣.

شرّا عدوا كان أو صديقا، و ذلك لعلمهم بحقاره الدنيا، و خسّه شركائها و دثور أهلها، و ارتفاعهم عن الالتفات إلى هذا المنزل الأدنى. كما

قال أمير المؤمنين عليه السّلام سيدهم فى آخر خطبه القاصعه «و إنّى لمن قوم لا تأخذهم فى الله لومه لائم، سيماهم سيما الصديقين، و كلامهم كلام الأبرار، عمّار الليل و منار النهار. متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله و سنن رسوله، لا يستكبرون و لا يعلون، و لا يغلّون و لا يفسدون. قلوبهم فى الجنان، و أجسادهم فى العمل» (۱).

و كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «و الله لدنياكم هذه أهون فى عينى من عراق خنزير فى يد مجذوم»

(۲)

و قال فى آخر الخطبه الشقشقيّه: «و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطه عنز» .

فصل:

اعلم أنّ الطريق المستقيم الذى أوصانا الله به و أمرنا باتّباعه على ألسنه أنبيائه و أوليائه المعصومين عليهم السّلام هو السير فى الشريعه الغرّاء المحمديه فى متابعه الولايه العلياء العلويه و ولايه الأئمه الهاديه المهديه (صلوات الله عليهم أجمعين) و هذا مما لا ريب فيه كما سيتضح لك فى طى الشرح

لقوله عليه السّلام:

«و الأدلاء على مرضاته»

.

و قوله:

و صراطه

، و أمثالها بما لا مزيد عليه إلّا أنه نذكر هنا ما به كيفيه السلوك فى هذا الطريق فنقول مزيدا على ما مرّ و توضيحا له: أحسن الطرق هو التفكر فيما يوصلنا إلى المعرفه، و لكن ينبغى أن نعلم متعلق هذا التفكر فإنّ الشريعه هى مجارى التفكر التى بيّنها الشارع، و أمرنا بسلوكها، و هى أمور عمدتها بعد العمل بالوظائف الشرعيه العمليه، و بعد تصليح العقائد الحقه من الأصول الخمسه الدينيه، و الاعتقاد بالضروريات العشره و ثبوتها بالأدله القاطعه الساطعه النيّره التفكر فى أمور:

۱- ۱) نهج البلاغه، الخطبه ۱۹۲.

۲- ۲) عرق بالفتح: العظم أخذ عنه معظم اللحم. جمعه عراق بالكسر و عراق بالفتح. نهج البلاغه الحکمه رقم ۲۳۶.

الأول: التفكر فی أصل الوجود و ما یلزمه و ما یبدأ منه کما قال تعالی: أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ (۱)و قد تقدمت الإشاره إلیه و کیفیه التفکر فیه، ثم التفکر فی آیات الله فی الآفاق و فی أنفسنا إلی أن یتبیّن أنه الحقّ بنحو بیّنه الله و أوضحه النبیّ و الأئمه علیهم السّلام بالبیان الشافی الکافی، و قد تقدم أیضا کیفیته فی الجمله، ثم إنه من عمل بالفکره بالنحو المتقدم فی آیات الآفاق و الأنفس فلا محاله تنفتح له أبواب العلوم المخزونه و الأسرار المکنونه، التی لا یمسّها إلاّ المطهّرون. و أحسن حدیث یبیّن هذا الأمر ما

فی البحار عن کفایه الأثر مسندا عن یونس بن ظبیان، و رواه فی تفسیر البرهان أیضا ذیل قوله تعالی: قٰالَ یٰا إِبْلِیسُ مٰا مَنَعَکَ. . . الآیه، قال: دخلت علی الصادق جعفر بن محمد علیهما السلام فقلت: یا بن رسول الله إنّی دخلت علی مالک و أصحابه، و عنده جماعه یتکلّمون فی الله، فسمعت بعضهم یقول: «إنّ لله وجها کالوجوه!» و بعضهم یقول: له یدان و احتجّوا لذلک بقول الله تبارک و تعالی: . . . بِیَدَیَّ أَسْتَکْبَرْتَ (۲)و بعضهم یقول: هو کالشاب من أبناء ثلاثین سنه، فما عندک فی هذا یا بن رسول الله؟ ! قال: و کان متّکئا فاستوی جالسا و قال: اللّهم عفوک عفوک ثم قال: یا یونس من زعم أنّ لله وجها کالوجوه فقد أشرک، و من زعم أنّ لله جوارح کجوارح المخلوقین فهو کافر بالله و لا تقبلوا شهادته و لا تأکلوا ذبیحته، تعالی الله عما یصفه المشبّهون بصفه المخلوقین، فوجه الله أنبیاؤه و أولیاؤه، و قوله: خَلَقْتُ بِیَدَیَّ أَسْتَکْبَرْتَ ، فالید القدره کقوله تعالی: وَ أَیَّدَکُمْ بِنَصْرِهِ (۳)فمن زعم أنّ الله فی شیء أو علی شیء، أو یحول من شیء إلی شیء، أو یخلو منه شیء، أو یشغل به شیء فقد وصفه بصفه المخلوقین، و الله خالق کلّ شیء، لا یقاس بالقیاس، و لا یشبه

۱- ۱) فصّلت:۵۳.

۲- ۲) سوره ص:۷۵.

۳- ۳) الانفال:۲۶.

بالناس، لا يخلو منه مكان، و لا يشغل به مكان، قريب فى بعده بعيد فى قربه ذلك الله ربنا لا إله غيره. فمن أراده و أحبّه و وصفه بهذه الصفه فهو من الموحدين، و من أحبّه و وصفه بغير هذه الصفه فالله منه برىء و نحن منه برآء، ثم قال عليه السّلام: إنّ أولى الألباب الذين عملوا بالفكره حتى ورثوا منه حبّ الله، فإن حبّ الله إذا ورثه القلب و استضاء به أسرع إليه اللطف، فإذا نزل منزله اللطف (۱)صار من أهل الفوائد، فإذا صار من أهل الفوائد تكلّم بالحكمه (۲)فصار صاحب فطنه فإذا نزل منزله الفطنه، عمل فى القدره، فإذا عمل فى القدره عرف الأطباق السبعه، فإذا بلغ هذه المنزله صار يتقلب فى فكره بلطف و حكمه و بيان، فإذا بلغ هذه المنزله جعل شهوته و محبّته فى خالقه، فإذا فعل ذلك نزل المنزله الكبرى فعاين ربّه فى قلبه، و ورث الحكمه بغير ما ورثه الحكماء، و ورث العلم بغير ما ورثه العلماء، و ورث الصدق بغير ما ورثه الصديقون، إنّ الحكماء ورثوا الحكمه بالصمت، و إنّ العلماء ورثوا العلم بالطلب، و إنّ الصديقين ورثوا الصدق بالخشوع و طول العباده، فمن أخذه بهذه السيره إمّا أن يسفل و إما أن يرفع، و أكثرهم الذى يسفل و لا يرفع إذا لم يرع حقّ الله و لم يعمل بما أمر به فهذه صفه من لم يعرف الله حقّ معرفته، و لم يحبّه حق محبّته، فلا يغرّنک صلواتهم و صيامهم و رواياتهم و علومهم فإنهم حمر مستنفره. ثم قال: يا يونس إذا أردت العلم الصحيح، فعندنا أهل البيت فإنا ورثناه و أوتينا شرع الحكمه و فصل الخطاب، فقلت: يا بن رسول الله و كلّ من كان من أهل البيت ورث كما ورثتم من كان من ولد على و فاطمه عليهما السّلام فقال: ما ورثه إلّا الأئمه الاثنا عشر، قلت: سمّهم لى يا بن رسول الله، قال: أولهم على بن أبى طالب و بعده الحسن و الحسين و بعده على بن الحسين و بعده محمد بن على الباقر، ثم أنا، و بعدى موسى ولدى، و بعد موسى على ابنه، و بعد على محمد ابنه و بعد محمد على ابنه، و بعد

۱- ۱) فى المصدر: استضاء به و أسرع إليه اللطف، فإذا نزل اللطف. اه

۲- ۲) فإذا تكلم بالحكمه صار صاحب فطنه.

على الحسن ابنه، و بعد الحسن الحجّه. اصطفانا الله و طهّرنا و آتانا ما لم يؤت أحدا من العالمين، ثم قلت: يا بن رسول الله إنّ عبد الله بن سعد دخل عليك بالأمس فسألك عما سألتك فأجبته بخلاف هذا! ! فقال: يا يونس كلّ امرئ و ما يحتمله، و لكلّ وقت حديثه، و إنك لأهل لما سألت، فاكتمه إلّا عن أهله و السلام (1). أقول: هذا الحديث الشريف مشتمل على لآلئ المعارف الإلهيّه و غوامض العلوم الربانيه، و فيه بيان كيفيه السير إلى معرفته تعالى كما لا يخفى على من هو من أهله و نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لشرحه فى رساله مخصوصه، لتتّضح معانيه، و يسهل على أهله استخراج غرره و درره بمحمد و آله الطاهرين. ثم إنه ينبغى التأمّل فى قوله: إنّ أولى الألباب. . . إلخ ليتضح ما قلناه من أنّ السير فى آيات الآفاق و الأنفس بالتفكر يوجب له انفتاح أبواب العلوم المخزونه و المستوره لقلبه كما لا يخفى. و مما يجب أن يعلم لمن أراد التفكر فى الوجود الحقّ أنه لا بدّ من أن يتّبع سبيل أوليائه تعالى فى ذلك، و هو أنّه لا ينبغى أن يتكلم فى ذات البارى تعالى، و لا فى صفاته و لا فى أفعاله (من حيث هى أفعاله) بالحدس و التخمين من النفس فإنّه لا سبيل لها إليه تعالى أبدا، و لا قبل تصفيه النفس من الوساوس و الرين و الحجب، فإن ذلك يؤدى إلى الشكوك و الحيره و الضلال كما قال تعالى: وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اَللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لاٰ هُدىً وَ لاٰ كِتٰابٍ مُنِيرٍ (2). ثم إنه سيجىء أنّه (أى السير إليه تعالى) على أقسام و أسفار أربعه، و العمده منها هو ما تقدم من تطهير الإنسان باطنه عن غيره تعالى، و عن الرذائل، و إدامه التوجه إليه تعالى مع المحبّه الشديده حتى يحاذى بقلبه شطر الحقّ، فيتجلّى، فيه من الحق ما يسمح به الحقّ تعالى، فما تجلّى فيه منه تعالى هو المعرفه فبها يتمكن السالك

۱- ۱) البحار، ج ۳۶ ص ۴۰۳.

۲- ۲) الحج:۸.

أن يتفكر فى شئون ذاته تعالى و صفاته و أفعاله

قال عليه السّلام: «بك عرفتك و لو لا أنت لم أدر ما أنت» ، و حيث إنهم أى السالكون لهذا المسلك يكون علمهم و معرفتهم منه تعالى فيمتازون عن غيرهم بأن علومهم لما كانت فى مرتبه التام بذاته بحسب أرواحهم التى مرتبتها مرتبه العقول الفعاله كما تقدمت الإشاره إليه. هذا فى الكمّلين أو فى مرتبه المكتفى بذاته بحسب نفوسهم، التى هى فى درجه نفوس الأفلاك كما تقدمت الإشاره إليه و كما حقّق فى محله، و هذا بخلاف غيرهم من أولى العلوم الظاهريه فإنّ هؤلاء لما كانت علومهم صرف الصور القائمه بنفوسهم، و لم تنكشف لهم حقايق الأشياء و المعلومات بصورتها الواقعيه فى قلوبهم بالمشاهده و العيان، فلا محاله تكون قلوبهم مظلمه، و لا يمكنهم الاكتفاء فى علومهم الظاهريه عن العلوم العينيه القلبيه، إذ ليست علومهم من إفاضه الله فقط بتوسط الملائكه النوريه التى هى خزائن علم الله تعالى، بل يحتاجون فى انحفاظ علومهم الصوريه إلى أسباب خارجيه و أوضاع حسّيه و أسانيد متقدّمه، حتى أن فرض ارتفاع الأسانيد من الكتب الخارجيه و الأوضاع الخارجيه الحسّيه من المطالعه و النظر و الدقه التى جملتها من الأمور المتغيّره المتصرمه، لبطلت علومهم و زالت كمالاتهم. فلو لم تكن عنده الكتب و سئل عن مسأله يقول: لا علم لى بها لعدم الأسباب الخارجيه لها من الكتب و غيره كما لا يخفى، و أين هذا من علوم أهل الله الذين انكشفت الحقائق فى قلوبهم بالعيان؟ فجميع المنتسبين إلى العلوم التى هى دون علوم الأولياء و العرفاء ناقصون فى كمالاتهم العلميه، إذ ليسوا فى مرتبه التمام من العلم كالعقول القادسه و الملائكه العلميه، الذين كمالاتهم بالفعل من كلّ الوجوه و لا كمال منتظر لهم، و ليسوا أيضا فى مرتبه المكتفين بذواتهم و ذوات عللهم المقومه الداخليه كالملائكه العماله بإذن الله فى تحريك الأجرام العاليه، و استخراج الكمالات النفسيه من القوه إلى الفعل بل هؤلاء الظاهريون يكونون أبدا محتاجين إلى المشايخ

و الأساتيد كالأعمى الـذى يحتاج أبدا إلى قائد خارجى، و إلى ما يسـند إليه فى سلوكه و مشيه. فالعلماء قسـمان: قسم له العلم الظـاهرى بواسطه قيـام صور فى نفسه، و لم يكن له انكشـاف العلوم فى قلبه، و هـذا العلم الصورى محفوظ بالأسـباب الخارجيه بحيث لـو انتفت لاـنتفى، و قسم له الانكشـاف بحيث ظهرت حقـائق الأشـياء فى قلبه فهـو عـالم بهـا بـذاته، و لاـ يحتـاج إلى أمر خارجى، و لعله إليهما يشير ما

فى الكافى مسندا عن عمرو عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال لنا ذات يوم: «تجد الرجل لا يخطئ بلام و لا واو خطيبا مصقعا و لقلبه أشدّ ظلمه من الليل المظلم، و تجد الرجل لا يستطيع يعبّر عمّا فى قلبه بلسانه و قلبه يزهر كما يزهر المصباح» (۱)فإنّ ظلمه القلب مع كونه مصقعا باللّسان يشير إلى من علم العلم الظاهر من دون تنوّر قلبه بالواقع،

و قوله: و قلبه يزهر كمـا يزهر المصـباح ، يشـير إلى القسم الثـانى من الـذين تكون علومهم بنحو الانكشاف بحيث تكون قلوبهم منوره بنور العلوم الإلهيّه كما لا يخفى. ثم لا يخفى أن

ما ورد من: «إنّ العلماء ورثه الأنبياء» ، يشير إلى القسم الثانى منهما لا الأول إذ من المعلوم أنّ علومهم عليهم السّلام الصوريه قد علمها المنافقون منهم عليهم السّلام أيضا مع، أنه لا يمكن لأحد أن يقول: إنهم أى المنافقون ورثه الأنبياء الا بضرب من التأويل، و هذا بخلاف العلماء الذين تكون علومهم نورا منه تعالى و مكتسبا منه تعالى الذين

أشار إليهم أمير المؤمنين عليه السّـلام فى قوله: «و ما برح لله-عزّت آلاؤه-فى البرهه بعـد البرهه و فى أزمان الفترات عباد ناجاهم فى فكرهم، و كلّمهم فى ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظه فى الأبصار و الأسـماع و الأفئـده» (۲). و الحاصـل: أنه لا يراد من الأخذ من الله أنه كالنبى صلّى الله عليه و آله بحيث يكون مستقلا فى

۱- ۱) الكافى، ج ۲ ص ۴۲۲.

۲- ۲) نهج البلاغه خطبه ۲۱۳.

الأخذ، بل المراد أنه يأخذ عنه تعالى من موارده التى بينها الله تعالى و هو القرآن و كلماتهم عليهم السّلام كما لا يخفى، و الفرق بين هـذا العـالم و بين العـالم الظـاهرى أنّ الثانى لا يترقى عن ظاهر اللفظ و المفهوم الابتـدائى بخلاف العالم الربانى فإنه بمعونته تعالى تنكشف له حقائق الآيات فيأخذ عمن أنزلها بتعليمه تعالى

كما ورد فى الحـديث: «من زهد فى الدنيا، و لم يجزع من ذلّها، و لم ينافس فى عزّها هداه الله من غير هدايه من مخلوقه، و علّمه من غير تعليم، و بصـره عيـوب نفسه، و أثبت الحكمه فى قلبه و أجراهـا على لسـانه» الحـديث. إذن ينبغى أن تكون علوم وارثهم فائضه منه تعالى على قلوبهم كما أشير إليه

فى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام من قوله: «و كلّمهم فى ذات عقولهم» ، فعلوم الأنبياء و ورّاثهم تكون منه تعالى بحيث لو قطع النظر عن أسـباب التعاليم الخارجيه، و الأسانيـد المنفصـله لكانت علومهم بحالها كما كانت، و لا مـدخليّه لخصوصـيه هذه النشأه الـدنياويّه و غيرهـا من النشـآت فى بقاء علومهم و ثباتها، حيث ثبتهم الله بالقول الثابت فى الحيوه الـدنيا و الآخره، رزقنا الله ذلك بمحمد و آله الطاهرين. و من علاماتهم العلميه: أنهم موحّدون للبارى (جلّ اسمه) توحيدا حقيقيا لا يعرف كنهه غيرهـم، أى كنه التوحيـد الحقيقى الذى عرفوه، لا كنهه تعالى إذ ليست وحدته تعالى من قبيل الوحده العدديه التى تنشأ منها الإعدادات، و لا من النوعيه و الجنسيّه التى توجب الاشتراك مع غيرها، و لا من الشخصيه التى توجب الانفصال عن الأمور الواقعه مع الشخص تحت كلى فإن زيـدا واحـد شخصـىّ منفصل عن عمرو بالأمور الواقعه مع آخر الموجبه للتشـخيص، و هما تحت كلى الإنسان، و لا هو واحـد بـالوضع و لا بالكيف و لا بالكم و لا بالإضافه كما حقق فى محلّه. فوحـدته تعالى خارجه عن جميع الأقسام، الوحـده التى عرفها الخلائق

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «توحيده تمييزه عن خلقه و حكم التمييز بينونه صفه لا بينونه

عزله» فهو واحد متميز عن جميع الوحدات الكائنه فى الخلق فوحدته مختصه به تعالى لا- بما تعرف به الوحدات الخلقيه بل بالانكشاف الإلهى له فى قلوبهم،

كما روى عن أمير المؤمنين فى معنى-الحقيقه-و سيجىء فى الشرح شرحه: نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره، و لا بأس بالإشاره الإجماليه إلى بيان التوحيد الحقيقى العلمى فنقول:

فصل:

أنّ الوحده الأحديّه الحقّه الإلهيّه ليست وحده شخصيه بحيث تكون فردا للنوع قد تخصص بالمشخصات الفرديّه كما هو شأن أفراد الأنواع سواء كان نوعه منتشرا أى غير محصور فى فرد أو كان منحصرا، و الوجه فيه أنّ حقيقه النوع تكون متقدمه على التشخص الفردى بالتقدم الذاتى، فلو كان البارى تعالى كذلك لزم أن يكون له تعالى قبل الوحده الشخصيه له نوع يكون هذا الفرد و التشخيص فردا له، ضروره أنّ النوع لا يحتاج فى قوام حقيقته إلى الشخص، و كذا لا يحتاج فى ثبوته و تقرر ماهيته إلى الشخص. نعم يحتاج فى وجوده الخارجى و حصوله بالفعل إلى الشخص و الفرد. فإنّ الشىء ما لم يتشخّص لم يوجد كما حقق فى محله، و هذا التشخص الفردى الخارجى ليس كالتشخّص العارض للماهيّات حتى يقال: إنّ الوحده النوعيه و الوحده العارضه للماهيات أيضا وحده شخصيه، و ذلك لأن التشخص العارض للماهيات نوعى لا ذاتى، و التشخص النوعى ليس ذاتيا خارجيا كما لا يخفى. و أيضا وحدته تعالى ليست وحده نوعيه، لأن النوع مركب من الجنس و الفصل، و هو تعالى بسيط الذات محض الوجود و بحت الهويه، و كون وحدته نوعيه يرجع إلى الوحده الفصليه و الوحده الجنسيه، فإن النوع مركب منهما، هذا، مع أنه لا يجوز أن تكون وحدته كوحده الفصل. ضروره أنّ الفصل فرع وجود الجنس فإن الفصل حيث إنه يكون ما به الامتياز للجنس الذى هو ما به الاشتراك، فلا محاله يكون وجود الفصل فرع

وجود الجنس و موجودا به، فلو كان البارى تعالى كذلك للزم كونه موجودا لأجل جنسه. فهذا مضافا إلى أنّه يلزم تقدم الجنس عليه تعالى فى الوجود، يلزم أن يكون وجوده تعالى وجودا فرعيا لا- استقلاليا تعالى عن ذلك علوا كبيرا. و لا يجوز أيضا أن تكون وحدته تعالى وحده جنسيه، فإنّ مهيه الجنس إبهاميه مضافا إلى احتياجه فى الوجود الخارجى إلى الفصل تعالى الله عن الإبهام و الاحتياج. هذا مضافا إلى أنّ الجنس و الفصل من حيث إبهامهما، و من حيث كونهما موجودين بالقوه لا بالفعل فلا محاله يحتاجان فى حصول الوجود لهما إلى المخصص و المقوم الذاتى أى الموجود الفعلى، فإن ما هو صرف الإبهام و القوه لا يقتضى بنفسه الوجود، بل يحتاج إلى مقوم موجود يهيّئهما، و يخرجهما من الإبهام و القوه إلى نحو من أنحاء الوجودات الخارجيه حسب ما تقتضيه ذاتهما. فظهر أنّ وحدته تعالى ليست وحده شخصيه كأفراد الأنواع و لا نوعيه و لا جنسيه، فلا محاله ليس لوحدته حدّ بل هو وحده بحته و وجود صرف، و حيث لا حدّ له فلا جنس و لا فصل له فلا حدّ له يعرفّه. ضروره أنّ الحدّ يجب أن يكون مركبا من جنس و فصل. و حيث إنه تعالى صرف الوجود و صرف الوحده البحته، فلا تركب و لا تركيب فيه لا ذهنا و لا خارجا فهو بسيط الذات فلا معرف له. فلا محاله أنّ وحدته تعالى وحده تندرج فيها الوحدات الثلاث من الشخصى و النوعى و الجنسى، بمعنى أنّ وحدته تعالى جامعه لجميع الوحدات أى أنّ وحدته لا تنافى الكثرات. بيانه: أنّ وحدته تعالى لما لم تكن وحده عدديه، فإن الوحده العدديه إنما تكون فيما له ثان. و حيث إنه تعالى لا ثانى له، لأنه لمّا كان صرف الوجود، فكلما فرضت له ثانيا يرجع إلى الأول و إليه و إلاّ للزم الحدّ و هو منزّه عنه.

ص: ۱۱۷

فوحدته وحده حقيقيّه لا تنافى الكثرات بل تجامعها فإن الكثرات تتحقق بالقيود و الحصر و هو تعالى منزه عنهما، على أنّ الوحده العدديه من مقوله الأعراض تعرض الموجودات العدديه، و وحدته تعالى ذاتيه، فوحدته تعالى جامعه للكلّ من دون عروض قيد و حصر لها.

قال على عليه السّلام: بل هو فى الأشياء بلا كيفيه، فقوله عليه السّلام: «بلا كيفيه» يشير إلى تنزّهه تعالى عن القيود و الحصر و الحدود الخلقيه، كما أنّ قوله عليه السّلام: هو فى الأشياء، يشير إلى جامعيه وحدته تعالى لها. فظهر أنّ وحدته تعالى ليست وحده جنسيه و لا نوعيه و لا شخصيه و لا وحده عرضيه، بمعنى أنّه معروض للوحده كما فى الوحده العدديه. و الوجه فيه أنّ جميع تلك الوحدات المنفيّه عنه تعالى مستلزمه للإمكان، و هو تعالى واجب بذاته لذاته ليس فيه جهه إمكان و لا قوه و لا استعداد، بل هو تام و فوق التمام كما تقدم، و هو تعالى كما يقول و فوق ما نقول فليس له جنس و لا فصل و لا ماده و لا صوره، فليس حينئذ له جزء لأنه فرع التركيب و لا تركيب فيه تعالى لا ذهنيا و لا خارجا فليس له حدّ يعرّفه و لا رسم يمثّله، و حيث لا حدّ له فلا عله له، فإن المركب و المحدود يحتاج فى الوجود إلى العله لا البسيط الذاتى فلا شريك له أيضا، لاستلزامه إلى الحد و إلى الاحتياج فى أموره إلى دفع شريكه، و هو تعالى منزه عن الاحتياج، لاستلزام الاحتياج إلى كون المحتاج فى خروجه عمّا بالقوه إلى الفعليه إلى مخرج آخر، و هو تعالى منزه عنه، بل هو تامّ فى شئونه و فوق التمام، فليس أيضا عليه برهان من غيره يوجده أو يثبته، بل هو برهان على كلّ شىء.

قيل له صلّى الله عليه و آله: بم عرفت ربك؟ قال صلّى الله عليه و آله: «عرفت الأشياء بربّى»

و قال السجاد عليه السّلام: «بنورك اهتدينا و بنعمتك أصبحنا و أمسينا»

و قال عليه السّلام: «لو لا أنت لم أدر ما أنت» فهو كما قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فهو سبحانه ليس فى ذاته المقدسه جهه فقر أصلا فهو إذا أغنى و أتم و أشدّ و آكد و أقدم وجودا فلا أقدم عليه

فلا محاله لا نهایه له.

قال علیه السّلام: فی النهج: «هو الله الحقّ المبین أحقّ و أبین مما تری العیون» (۱).

و قال علیه السّلام: «فهو بالمکان الذی لا یتناهی» ، فهو تعالی غیر متناه فی الغنی و التمامیه و فوقها بالشده و التقدم.

قال علیه السّلام: «فهو غایه الغایات و لیس له غایه» . و الوجه فیه أنّه تعالی لو کان متناهیا فی هذه الصفات، فلا بدّ من أن یتصور له مرتبه فوق تلک المراتب بحیث یکون هو تعالی فاقدا لها. فلا محاله یکون محدودا و مفتقرا إلی تلک المرتبه، التی هی فوقها فی کماله و تکمیله و هذا خلف، لما تقرر أنه تعالی تام و فوق التمام. و کیف کان فلا حدّ له تعالی و لا علامه و لا رسم لیوصل بها إلی کنهه قال تعالی: وَ لاٰ یُحِیطُونَ بِهِ عِلْماً (۲)أی من هذه الطرق و غیرها و قال تعالی: وَ عَنَتِ اَلْوُجُوهُ لِلْحَیِّ اَلْقَیُّومِ (۳). ثمّ إنّه لا بدّ من بیان أمر دقیق فاستمع لما یتلی علیک، و کن علی بصیره قلبیّه لدرکه فنقول: قال تعالی: وَ هُوَ اَلَّذِی یَبْدَؤُا اَلْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ وَ لَهُ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلیٰ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۴)فقوله تعالی: -یبدأ- إشاره إلی جعله تعالی الأشیاء و إیجادها، کما أنّ قوله تعالی ثم یعیده إشاره إلی إفنائها بعد الإیجاد، و الجعل و الإیجاد عباره عن إظهار الجاعل تعالی مثال ذاته المقدسه. فقوله تعالی بعد ذلک: وَ لَهُ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلیٰ. . . الآیه، إشاره إلی أنّ الإبداء و الجعل

۱- ۱) فی خطبه له علیه السّلام تحت رقم ۱۵۴(فیض الإسلام) .

۲- ۲) طه:۱۱۰.

۳- ۳) طه:۱۱۱.

۴- ۴) الروم:۲۷.

و الخلق و الإيجاد إنما هو إظهار المثل الأعلى له تعالى. و كيف كان فالجعل هو إظهار الجاعل مثال ذاته فى الخارج، و من المعلوم عقلا أنّ المثال ليس عين ذات الجاعل و إلّا لم يكن جعلا بل نفسه، فلا جاعل و لا مجعول و هذا خلف. و أيضا لا يجوز أن يكون غير الذات من جميع الجهات، و إلّا لما كان مثالا للذات، فلا محاله يكون أى الصادر الأول و ما يستتبعه من وجه هو هو بمعنى أنّ المثال هو تجلى الذات

كما قال عليه السّلام: «لم تحط به الأوهام بل تجلّى لها بها و امتنع بها منها»

(۱)

و من وجه ليس هو لأنه مثال له لا عينه. و هذا المثال فى الواقع و نفس الأمر هو نحو ظهور للذات، بمعنى أنّ الذات قد تنزل عن عالم الإطلاق إلى عالم التعيّن الأسمى، فتنزله بالتجلى لا غيره فى مراتب التعيّن هو ظهور الذات. فالظهور أى المثال الظاهر حيث إنه ناشئ من الذات أى ظهور منه فهو هو، و حيث إنه ليس فى مرتبه الذات بل ظهوره فهو ليس هو، و هذه الليسيّه ليست إلّا النقصان و هو ليس إلاّ العدم. فغيّريه الظهور عن الذات إنما هى بالعدم و النقص، بمعنى أنّ ما به الغيريه أى غيريه الظهور عن الذات، و امتيازه عنها ليس إلّا لأجل فقدان مرتبه من آثار الذات، و هذا الفقدان أوجب تركيبا فى المجعول فهو مركب من الوجود و العدم. و المراد من العدم هو النقص و فقدان مراتب الذات و فقد الإطلاق، كما أنّ المراد من الوجود فى المجعول هو الفعليه التى هى شأن من شأن إلهى قد ظهر بهذا التجلى فى التعين، فتحقق به اسم الخلق و السّوى بما له من المراتب الطوليه و العرضيه و السببيه و المسببيه و لا يراد من الوجود البداهه فإنها صفه عارضه كما لا يخفى. و هذا معنى قولهم: إنّ الممكن زوج تركيبى أى من الوجود و العدم. فالأعدام حدود

۱- ۱) نهج البلاغه لفيض الإسلام خطبه ۲۲۷.

الخلق و الله تعالی خلو منه، کما أنها خلو منه تعالی و الله العالم بحقائق أموره. و اعلم أنما ذکرناه إنما هو علی طریقه القوم، و حیث إنه یوهم أنّ المخلوق هو ما خرج من الخالق، أو أنّه تنزّل إلی درجه المخلوق مع أنه لیس کذلک. و لذا نذکر ما یوضح المقصد فنقول: إنّ الوجود هو ذات الشیء و حقیقته، و هو الذی یطرد العدم و ینافیه، و بهذا المعنی یطلق علی الباری تعالی. فهو تعالی الموجود الذی لا یتعلّق وجوده بغیره، و لا یتقیّد بقید، و هو غیر محدود بحدّ کما تقدم، و یعبّر عنه بالهویّه العینیّه و غیب الهویّه و الغیب المطلق و الذات الأحدیّه، و هو الذی لا اسم له و لا رسم و لا نعت، و لا یتعلّق به معرفه و إدراک. قال تعالی: لاٰ تُدْرِکُهُ اَلْأَبْصٰارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ اَلْأَبْصٰارَ (۱)و قد فسّرت الأبصار فی الأحادیث عنهم علیهم السّلام بأبصار القلوب أی هو

کما قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: لم تحط به الأوهام، بل تجلّی لها بها و بها امتنع منها (۲).

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام الحمد لله الذی أعجز الأوهام أن تنال إلّا وجوده، و حجب العقول عن أن تتخیّل ذاته فی امتناعها من الشبه و الشکل (۳). فدل کلامه علیه السّلام علی أنه لا یدرک منه إلّا أنّه تعالی موجود و أمّا ذاته فلا. فهو تعالی لا یتعلّق به معرفه و إدراک، إذ المعرفه العقلیه إنما تتعلق بما له اسم أو رسم و نعت، و تکون المعرفه حینئذ به مفهوما من المفهومات العقلیّه، و هو تعالی کما تقدم فی أول الشرح لا یدخل فی الذهن، و لا تتعلق به المعرفه العقلیّه. فهو تعالی الغیب المجهول المطلق. نعم أعربت و أفصحت عنه و عن وجوده تعالی الأحادیث بصفاته الجمالیه و الجلالیّه.

۱- ۱) الأنعام:۱۰۳.

۲- ۲) نهج البلاغه لفیض الإسلام:۷۲۴.

۳- ۳) التوحید ص ۷۳.

ففی توحید الصدوق بإسناده عن یونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبی الحسن الرضا علیه السّلام: روینا أنّ اللّه علم لا جهل فیه، حیاه لا موت فیه، نور لا ظلمه فیه قال: هو کذلک (۱).

و فیه عن جابر الجعفی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول: إنّ اللّه نور لا ظلمه فیه، و علم لا جهل فیه، و حیاه لا موت فیه (۲)فهو تعالی موجود لا یدرک، و إنما یعرف بصفاته تعالی کما ذکر فی الحدیث، و هو تعالی أحدیّ الذات، و هو بائن من خلقه.

ففیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله عزّ و جلّ: مٰا یَکُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَهٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَهٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ أَکْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَیْنَ مٰا کٰانُوا (۳)فقال: هو واحد أحدی الذات بائن من خلقه و بذلک وصف نفسه و هو بکلّ شیء محیط بالإشراف و الإحاطه و القدره (۴). فعلم أنه تعالی أحدیّ الذّات لا طریق إلی نیله و درکه، إلاّ أنه نور و علم و حیاه و هو حقیقه الشیء

کما قال علیه السّلام: «بل هو شیء بحقیقه الشیئیه» کما تقدم حدیثه.

و قال الرضا علیه السّلام: «ذاته حقیقه و کنهه تفریق»

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام کما تقدم عن النهج: «هو اللّه الملک الحقّ المبین أحق و أبین مما تری العیون» (۵). و قال تعالی: هُوَ اَلْأَوَّلُ وَ اَلْآخِرُ وَ اَلظّٰاهِرُ وَ اَلْبٰاطِنُ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۶).

و قال الحسین علیه السّلام:

«أ لغیرک من الظهور ما لیس لک»

الدعاء. و قد تقدم فیستفاد منها أنه خلق الأشیاء و أنه قد ظهر بها.

۱- ۱) التوحید ص ۱۳۸.

۲- ۲) التوحید ص ۱۳۸.

۳- ۳) المجادله:۷.

۴- ۴) التوحید ص ۱۳۱.

۵- ۵) نهج البلاغه لفیض الإسلام ۴۷۴.

۶- ۶) الحدید:۳.

فحينئذ نقول: قال تعالى: هُوَ اَللّٰهُ اَلْخٰالِقُ اَلْبٰارِئُ اَلْمُصَوِّرُ (١). و قال تعالى: إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢)فيستفاد منه أنّه تعالى خالق للأشياء بقوله: كن، الذى ليس بصوت يقرع

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: بل هو إبداع منه تعالى لها لا من شىء،

كما فى الحديث أنّه سئل عليه السّلام: «إنّ الله تعالى خلق الأشياء من شىء أو من لا شىء؟ فقال عليه السّلام إنّ الله خلق الأشياء لا من شىء» فما تقدم من أن الجعل و الخلق هو إظهار الجاعل مثال ذاته فى الخارج، لا يراد منه أنّ المثال هو عين ذاته، أو شىء خرج من ذاته تعالى، ضروره أنّ المثال كما يأتى بيانه فى شرح قوله عليه السّلام: «و المثل الأعلى» هو ما يتمثّل به الممثّل فى الصفات لا فى الذات، كما أنّ المثل-بكسر الميم-هو ما يمثّل به الممثّل فى الذات، بل المراد أنّه تعالى مبدع لها أى الأشياء بنحو تكون مثلا-بالتحريك-له تعالى أى أظهر فيها صفاته من العلم و القدره و الحكمه، و هو تعالى ظهر بها بما أظهر فيها من علمه و قدرته و حكمته و جماله. و الحاصل أنّ خلقه تعالى و جعله تعالى إنّما هو إبداعه للأشياء لا من شىء، بنحو المثال الحاكى عن قدرته و علمه و جماله و حكمته تعالى، و هو تعالى قد ظهر بها بالمثال. و يشير إلى ما ذكر

ما رواه فى التوحيد (٣)قال وهب بن وهب القرشىّ، و حدّثنى الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر عن أبيه عليهم السّلام: أنّ أهل البصره كتبوا إلى الحسين بن على عليه السّلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد فلا تخوضوا فى القرآن، و لا تجادلوا فيه، و لا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدّى رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: من قال فى القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من

ص: ١٢٣

١- ١) الحشر:٢٤.

٢- ٢) يس:٨٢.

٣- ٣) التوحيد صلى الله عليه و آله ٩٠.

النار، و إنّ الله سبحانه قد فسّر الصمد، فقال: اَللهُ أَحَدٌ اَللهُ اَلصَّمَدُ ثمّ فسّره فقال: لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ لَمْ يَلِدْ لم يخرج منه شىء كثيف كالولد، و ساير الأشياء الكثيفه التى تخرج من المخلوقين، و لا شىء لطيف كالنفس، و لا يتشعّب منه البدوات كالسنه و النوم و الخطره و الهمّ و الحزن، و البهجه و الضحک، و البکاء و الخوف، و الرجاء و الرغبه، و السأمه و الجوع و الشبع تعالى أن يخرج منه شىء، و أن يتولد منه شىء كثيف أو لطيف وَ لَمْ يُولَدْ لم يتولّد من شىء، و لم يخرج من شىء كما يخرج الأشياء الكثيفه من عناصرها كالشىء من الشىء، و الدابه من الدابه، و النبات من الأرض، و الماء من الينابيع، و الثمار من الأشجار، و لا كما يخرج الأشياء اللّطيفه من مراكزها كالبصر من العين، و السمع من الأذن، و الشم من الأنف، و الذوق من الفمّ، و الكلام من اللسان، و المعرفه و التميز من القلب، و كالنار من الحجر، لا بل هو الله الصمد الذى لا من شىء، و لا فى شىء، و لا على شىء مبدع الأشياء و خالقها، و منشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته، و يبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذى لم يلد و لم يولد، عالم الغيب و الشهاده الكبير المتعال، و لم يكن له كفوا أحد» . فدل هذا الحديث الشريف على أنه تعالى لم يخرج منه شىء كما قال لم يخرج منه شىء كثيف. . إلى قوله عليه السّلام و لا شىء لطيف كالنفس. . إلى أن

قال عليه السّلام: تعالى أن يخرج منه و أن يتولد منه شىء. . . إلخ بل يكون خلقه للأشياء بالإبداع

كما قال عليه السّلام: مبدع الأشياء و خالقها و منشئ الأشياء بقدرته. . . إلخ. ثمّ إنّه لمّا كان المقام مزلّه الأقدام كما قد زلّ قوم و تاه آخرون، فأردت أن أوضح المراد من الجعل و الخلق، و إيجاد المثال منه تعالى، بحيث يتّضح الأمر كما ذكره الأئمه المعصومون عليهم السّلام. و ما ذكرناه لا ينافى تحقق المعرفه لأولياء الله و الرؤيه القلبيّه كما صرحت به الأحاديث. و ذلک لما سيجىء من أنّ المعرفه به تعالى لا ترجع إلى الحلول و الاتّحاد، أو الإحاطه بالكنه أو الرؤيه البصريّه، بل المراد بها هو ظهوره

تعالى بوحدانيته الذاتيّه أو الصفاتيّه أو الأفعاليّه لقلب عبده الموحّد الحقيقى من دون تنزّل الرب فى حقيقه العبد، أو صعود العبد فى حقيقه الرب، بل العبد عبد و الرب ربّ حيث علمت أنّ العبد مهما بلغ من القرب فهو مخلوق مبدع لا شىء خرج منه تعالى. فلا محاله لا يكون فى أقصى قربه إليه تعالى إلّا مظهرا له تعالى لوحدانيّته الذاتيّه و الصفاتيّه و الأفعاليّه. و الحاصل أنّ الله تعالى خلو من خلقه و خلقه خلوّ منه و هذا الأمر غير منثلم أبدا. و سيأتى أنّ الموحّد الحقيقى هو الذى فنى عن نفسه التى هى العدم، و توجّه بحقيقته أى بالظهور الذى هو به موجود إلى الجهه الإلهيّه، التى هى فيه أى فى السالك ظهرت، فلا يرى حينئذ إلّا الله الظاهر فيه

كما قال عليه السّلام: فرأيتك ظاهرا فى كلّ شىء. ثم إنّ من أدقّ الأمور درك تجلى الذات فى المظاهر و الأمثال الخلقيه، فإنّه لا مطمع لأحد إلى دركها بل

كما قال عليه السّلام: و إنه لم تجعل طريقا إلى معرفتك إلّا بالعجز عن معرفتك. اللّهم إلّا إذا سبقت منه الحسنى فوصل إلى تلك المعرفه، و سيأتى أنه نور طامس قيّومى يظهر فى قلب الولى، و هذا بكماله هو المقام الولايه الكبرى الإلهيّه التى يكون بأتمها لمحمد و آله صلّى الله عليه و آله

كما قال السجاد عليه السّلام: «ليس بين الله و بين حجّته ستر و لا دونه حجاب» ، و سيأتى الحديث و شرحه فى الشرح، رزقنا الله ذلك بمحمد و آله صلّى الله عليه و آله. إذا علمت هذا فاعلم: أن ما تداول بين العرفاء من إطلاق العله عليه تعالى، و أنّه لا يباين العله عن المعلول، و أنه لا بدّ من السنخيّه بينهما، قد ظهر معناه مما بيّناه من حقيقه الجعل، و أنّ المجعول مثال للجاعل و ظهور له، و أنّ التفاوت بين الجاعل و المجعول بالإطلاق و التماميه و النقص الراجع إلى العدم، و فى الحقيقه المجعول هو ظهور شأن الجاعل فى التعيّن من دون قيد و حصر فى الجاعل، و علمت أنّ المثال

و الظهور من جهه هو هو، حيث إنّ الظهور شأن للجاعل و من جهه ليس هو، و بهذا «يظهر السنخيّه بينهما و أنها أىّ نحو من السنخيّه لا- أنه يراد من السنخيّه ما فى الماديات و العلل و المعاليل الخارجيّه تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا و علمت أنّ درك هذا الظهور من حيث إنّه من جهه هو هو و من جهه ليس هو فى غايه الصعوبه، حيث إنّ السنخيّه سنخيّه شأنيّه للذات لا السنخيّه الذاتيه، و يرجع هذا إلى أنّ السنخيّه تحاكى عن الذات بالظهور، لا بالذات و الجزئيه فتأمّل جدّا. ثم إنّ لظهوره تعالى و لتجلياته مراتب كما يومى إليه

قوله عليه السّلام:

«اللّهم إنّى أسألك بالتجلّى الأعظم»

(۱)

الذى هو الحقيقه المحمديه، فهذا التجلى الأعظم لما قارنه النقص و العدم بالنسبه إلى الذات المقدسه المطلقه الحقّه صار ممكنا و لكن أىّ ممكن، ثم منه ظهرت الموجودات بظهوراتها و حدودها على ما اقتضته الحكمه الإلهيّه، فتكمّلت العوالم بما لها من المراتب العرضيه و الطوليّه و السببيّه و المسببيّه،

قال عليه السّلام: «اللّهم يا ذا القدره التى صدر عنها العالم مكوّنا مبروءا عليها مفطورا تحت ظلّ العظمه»

(۲)

و كما يستفاد أيضا هذا من الأحاديث الوارده فى بيان خلق أنوار النبى و الأئمه (صلوات الله عليهم أجمعين) ثم خلق سائر الأمور منهم عليهم السّلام فراجع البحار و بصائر الدرجات و سيأتى فى الشرح ذكرها و بيانها. و كيف كان، فلمّا علمت أنّ العلّه أى الجاعل ليس مباينا مع المعلول و المجعول و الظهورات بالنحو المتقدم ذكره، و علمت أيضا أنّ وحدته تعالى ليست وحده عدديه فيظهر منها أنّ معيّته تعالى للأشياء كما قال: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ . ليست بالحلول و الاتحاد، كيف و قد علمت أنه ليس الجعل إلاّ- الإظهار أى ظهور الذات فقط فى مراتب التعيّنات و التعيّنات خارجه عن الظهور، لأنها ترجع إلى الأعدام من جهه، و إن كانت مظاهر للذات من جهه، و لنعم ما قيل:

۱- ۱) مفاتيح الجنان فى أعمال ليله المبعث.

۲- ۲) مفاتيح الجنان، الزياره الجامعه لأئمه المؤمنين.

اینجا چه جای وصف حلول است و اتّحاد

کاین یک حقیقت است پدیدار آمده

فمعیّته تعالی للأشیاء کما أنها لیست بالحلول و الاتحاد، کذلک لیست فی درجه وجود الموجودات، بأن یکون محصورا فیها، و لا مقیّدا بزمان الزمانیات و المکانیات، بل هو القاهر علیها بالحقیقه القیّومیه الإلهیّه

قال علیه السّلام: بأن من الأشیاء بالقهر و الغلبه علیها، و بأن الأشیاء منه بالخضوع له

(۱)

فالوجود الحقیقی له تعالی کما أنّ الظهورات للموجودات تکون له تعالی فهو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بکلّ شیء علیم. فقوله تعالی: وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ ، لعله للإشاره إلی أنه تعالی لنفوذ علمه فی الأشیاء بحیث لا یعزب عنه شیء فی الأرض و لا فی السماء، فلا محاله لا شیء إلا و هو تعالی علیم به، فإذا هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن إذ لو خرج شیء عن علمه فلا محاله یکون علمه الذی هو عین ذاته محدودا، مع أنه تعالی لا یحدّ

قال علیه السّلام: «من حدّه فقد عدّه» ، نعم هو محیط بها علما و ذاتا بدون المحاطیّه، بالقهر و الغلبه و المالکیه الحقیقیّه بنحو الاستیلاء الحقیقی و العلو الأعلی فوق کلّ عال، و بنحو لا یتحدّد بتحدد المحدود و لا یتغیّر بتغیّر المخلوق کما فی الحدیث

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «مع کلّ شیء لا بمقارنه، و غیر کلّ شیء لا بمزایله، و هو معکم أینما کنتم» . و أحسن کلام یجمع هذه الأمور و المطالب و المعارف الدقیقه و یوضحها

قول الصادق علیه السّلام کما فی التوحید: «الجمع بلا تفرقه تشبیه (زندقه) و التفرقه بدون الجمع تعطیل و الجمع بینهما توحید» صدق ولی الله (روحی له الفداء) . قوله: الجمع، أی القول باتحاد الذات مع الأشیاء بما لها من الحدود و العوارض

۱- ۱) ذکر هذا الحدیث فی کتاب إنه الحق فراجع صل ی الله علیه و آله ۴۴۸، یاد نامهٔ علامه طباطبائی بأن من الأشیاء بالقهر لها و القدره علیها و بانت الأشیاء منه بالخضوع له و الرجوع إلیه (نهج البلاغه خطبه ۱۵۰) .

و كونها محلاّ للحوادث بحيث يقال: إنه تعالى مثل هـذه الأشـياء فى الشأن بما لها من الآثار الخلقيه الحادثه، فلا محاله هذا تشبيه له تعالى بخلقه، و هو زندقه و كفر، لاستلزام ذلک أن تكون الذات محلاّ للحوادث تعالى الله عنه علوا كبيرا. قوله: و التفرقه، أى القول بأن الـذات مباين عن الأشـياء بحيث لا أثر و لا تأثير للذات المقدسه فيها، بأن تكون الأشـياء مستقلّه فى وجودها و آثارها بنحو يكون منحازا عنها، تعطيل أى تعطيل للـذات عن شـئونه و قـدرته و تأثيره بقاء، و هذا مضافا إلى اسـتلزامه النقص و العجز و المحـدوديه فى الـذات، خلاـف صـريح الآيـات الإلهيّه و كلمات الأنبياء و الأولياء عليهم السّـلام. و قوله: و الجمع بينهما، أى إنّ الـذات تكون مع الأشـياء معيه قيوميّه و إشـراقيه، كما بيّن فى المقدمه بدون حلول و لا اتحاد، بحيث يكون الحقّ هو الحقّ مع أنه متصـرف فى الخلـق، و الخلـق هـو الخلـق مـع أنّه غير مسـتقل فى الأـثر و الوجود هو التوحيـد، و لعمرى إنّ النظر فى جمـل هـذا الحـديث الشـريف، و ملاـحظه أنّ كلا من تلک الجمل الثلاث يعطى معنى و ظهورا للأخرى يبين ما ذكرناه، كما لا يخفى على العارف البصير. و إلى هذا كله يشير

قول على عليه السّـلام: «دليله آياته، إثباته وجوده، و توحيده تمييزه عن خلقه، و حكم التمييز بينونه صـفه لا بينونه عزله» رزقنا الله تعـالى معرفته و معرفه حقـائق الأمور بمحمـد و آله الطاهرين. ثمّ إنّه لا بـدّ من مثال يقرب هـذا الأمر العقلى الـدقيق إلى ذهنک، فنقول: إنّ روحـک ليست بحـالّ فى أعضائک، مع أنهـا ليست بخـال منهـا، و إنهـا ليست متقـدّره بتقـدّر الأعضـاء و لاـ متعـدده بتعـددها، و ليست روحـک إلّا و هى ما به أنت أنت، و هى إنيّتک، و هى التى تكون مـدركه و محرّكه و مفكّره و مـدبّره لجميع شئونک و أعضائک، و أعضاؤک مظاهرها و كسوتها و هى قوامها و حقيقتها. إذا علمت حالک هـذا فاعلم: أنّ نسـبه هويّه الحقّ سبحانه مع الموجودات

كنسبه الروح إلى الأعضاء، فحقيقه الموجودات واحده، و هى وجود الحقّ، مع أنه تعالى ليس بحالّ فيها، و مع ذلك لا تخلو الموجودات منه تعالى.

قال عليه السّلام: «لا تخلو منه السموات و الأرض طرفه عين» .

و قال عليه السّلام: «اللّهم أنت نور السموات و الأرض، أنت جمال السموات و الأرض» .

و قال عليه السّلام: «هو حياه كلّ شىء» .

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لم يحلل فى الأشياء فيقال: هو فيها كائن، و لم ينل عنها فيقال: هو منها بائن» . فليس الحقّ تعالى بوجوده البحت و وحدته الحقّه متقدّرا بتقدّر الموجودات، و متعددا بتعددها، فهو فى الحقيقه مدرك و محرّك و مفكّر و مدبّر لجميع الموجودات قال تعالى: لاٰ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصٰارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصٰارَ أى أبصار القلوب كما فى الحديث

و قال عليه السّلام: «لا يدرک مخلوق شيئا إلاّ بربّه» و سيأتى لفظ الحديث و شرحه فى الشرح. فهو تعالى قوام الأشياء ممسک لأظلّتها، كما فى الدعاء و هو تعالى حقيقتها. فهو

كما قال على عليه السّلام: «أحقّ و أبين مما ترى العيون» أى هو أحقّ بالأشياء فى الوجود من نفسها فهو نور لكلّ شىء، و هذا معنى

قوله صلّى الله عليه و آله: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» أى من عرف أنّ حقيقته هو شأن من شئون الله، و أنّه قائم به و موجود به كما

قال عليه السّلام: «إنّ روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من شعاع الشمس بها» فيعلم أنّه ليس إلاّ ظهورا للحقّ، و مثالا له على حسب ما خلقه، مع أنّه خلق و الحقّ حقّ، رزقنا الله فهمه و دركه، و هذا معنى

قولهم: «العالم صوره الحقّ و هو روحه» و تلک الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها إلاّ العالمون. و من علاماتهم: أنهم عرفوا الأسباب و الغايات المترتبه عليها فى الخلق، و معرفتهم حقيقه الملائكه و الجن و الشياطين، و أصناف الناس من السعداء

و الأشقياء، و معرفتهم غايه الأفعال و الأقوال و الأعمال بحسب الدار الآخره، و أيضا يعلمون كيفيّه نشوء الآخره و الجنه و النار، و الجسمانيتين و الروحانيتين، و كيفيه توزع النفوس إلى سكّان كلّ منهما، و لعمرى إنّ هذا من أغمض العلوم و أدقها، و لا يعرفه إلّا الخواصّ الكمّلين، الذين نضّوا نفوسهم عن جلابيب الأبدان، و طهّروها عن غيره تعالى كما حقق فى محله. و يترتب على هذا العلم و المكاشفه القلبيه، أنهم يشاهدون كأنّ القيامه قد قامت فى حقّهم، و كأنهم بعرش ربّهم بارزون و مشاهدون لأهل الجنه منعمّين و أهل النار معذّبين،

كما قال فى حقهم أمير المؤمنين عليه السّلام: «و هم و الجنه كمن قد رآها، فهم فيها منعّمون و هم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون» و إليه يشير أيضا ما فى حديث حارثه عنه صلّى الله عليه و آله لما سأله رسول الله صلّى الله عليه و آله عن حقيقه إيمانه، فأجاب بما أجابه. و لهم خواص و علامات أخرى قد ذكرها القرآن كما لا يخفى على المتأمل فيه. فاعلم: أن الإخلاص فى العمل بلا شوب غرض أو رياء لا يتصور لأحد إلّا منهم و من أتباعهم، لأنّه يتفرع على المعرفه. و ليس لغير العلماء الربانيين معرفه يقينيّه بأحوال المبدء و المعاد و صفاته تعالى و أفعاله، و إن كان قد أحكم سائر العلوم غير الحقيقيّه، بل معارفهم بالله على الظن و التخمين، أو مجرد التقليد من الأكابر، فإخلاصهم أيضا إخلاص تخمينىّ أو تقليدى، فإنّ الفرع لا يزيد على الأصل كما لا يخفى.

صفات أعداء اللّه تعالى:

فتلك جمله من خصال أولياء الله و خواصهم و علاماتهم، و تعرف منها صفات أضدادهم بأضداد صفاتهم إذ الأشياء قد تعرف بأضدادها.

ص: ۱۳۰

قیل لأمیر المؤمنین علیه السّلام: صف العالم، فوصفه، فقیل: صف الجاهل، فقال فعلت. فالمنافقون و أعداء اللّه و أولیاء الشیاطین صفاتهم بعکس هذه الصفات المذکوره و أمثالها رأسا برأس، یعرفها من عرف هذه بالقیاس، إلاّ أنه لا بأس بذکر بعضها صریحا مما قد عرّف اللّه تعالی بها الجاحدین و المنافقین، و کشف بها عن فضائحهم و جهلهم لعباده الصالحین، و بیّن وخامه عاقبتهم و سوء حالهم یوم الدین، و لما فیها من التنفّر و التحذیر عن الباطل للسالکین، و التثبت و التقریر علی الحق للمطیعین إن شاء اللّه تعالی. فمنها ما وصفهم اللّه بإزاء العلامه الأولی للأولیاء التی فی قوله تعالی: وَ إِذا ذُکِرَ اَللّهُ وَحْدَهُ اِشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ اَلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ إِذا ذُکِرَ اَلَّذِینَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ (۱)و قوله تعالی: وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ تَعْرِفُ فِی وُجُوهِ اَلَّذِینَ کَفَرُوا اَلْمُنْکَرَ یَکادُونَ یَسْطُونَ بِالَّذِینَ یَتْلُونَ عَلَیْهِمْ آیاتِنا (۲)فإن الإعراض عن ذکر الحبیب الأول شاهد علی کون المعرض عدوا للّه ولیّا لعدوه اللّعین، و هذا حال أکثر المغرورین المتجرّدین بعلم الأقضیه و الفتاوی المعرضین عن علم التوحید، المکّبین علی غیره من العلوم، التی تکون منشأ الشهوه و الجاه عند الخلق. و إلی حالهم هذا یشیر قوله تعالی: وَ أَکْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ کارِهُونَ (۳)و یشیر إلی بعد هؤلاء عن الحقایق و إنکارهم لها

ما ورد عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بطریق العامه و لا بأس بذکره مؤیّدا: «إنّ من العلم کهیئه المکنون لا یعلمه إلاّ العلماء باللّه فإذا نطقوا به لم ینکره إلاّ أهل الغرّه باللّه» . و منها ما وصفهم اللّه تعالی فی قوله: وَ إِذا قِیلَ لَهُ اِتَّقِ اَللّهَ أَخَذَتْهُ اَلْعِزَّهُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ (۴)و هذا حال أکثر الذین أوتوا نصیبا من الکتاب من غیر وجهه،

۱- ۱) الزّمر:۴۵.

۲- ۲) الحج:۷۲.

۳- ۳) المؤمنون:۷۰.

۴- ۴) البقره:۲۰۶.

كما أخبر عنهم و عن حالهم قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ اَلْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلىٰ كِتابِ اَللّٰهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّٰى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (۱)استنكف عن النصيحه و منعته الأنفه و أخذته العزه التى زعمها ثابته لنفسه، لأجل كونه مغرورا بالله تعالى معتقدا أنّه من العلماء، و أنّه اللائق بالاقتداء، و الحرّى بأن ينصب فى مقام النصح و الإرشاد لغيره، لا أنّ غيره يرشده فيغتاظ من هذا، و لم يعلم أنّ ما يعلمه قد أخذه من غير الجهه التى يأخذ منها أهل الحقّ. فإنهم يأخذون علمهم عن الطريقه المستقيمه التى سلكها العلماء بالله و الأتقياء، و لم يعلم أنّ ما أخذه من غير طريقه ليس له طائل، و لا يؤدى إلى حاصل، بل يكون بذر النفاق و اللّداد، و منبت الكبر و العناد، و ستلعب به الشكوك حيرانا، و فات منه الكمال كلّه و استعداد تحصيله، و خسر دنياه و أخراه رأسا و يصير من اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي اَلْحَياةِ اَلدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (۲)وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مٰا كانُوا يَفْتَرُونَ (۳). فكيف إذا جمعهم الله ليوم لا ريب فيه، و وفّيت كلّ نفس ما كسبت من مزرعه الدنيا، إما من الدرجات العلى أو الدركات السفلى و هم لا يظلمون، بوضعهم من غير موضعهم بأن ينزل الجاهل الشرير فى موضع العالم النحرير، و يسكن أهل الدركات فى الدرجات، و أهل الدرجات فى الدركات كما فى هذه الدار، لأنّها دار اشتباه بخلاف اليوم الآخر لا ظلم اليوم، لأنه يوم الفصل باعتبار، و إن كان يوم الجمع باعتبار آخر كما حقق فى محله. و منها ما وصفهم الله تعالى بقوله: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اِتَّبِعُوا مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مٰا وَجَدْنا عَلَيْهِ آبٰاءَنا أَ وَ لَوْ كٰانَ اَلشَّيْطٰانُ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ عَذٰابِ اَلسَّعِيرِ (۴)فالآيه تفيد

ص: ۱۳۲

۱- ۱) آل عمران:۲۳.

۲- ۲) الكهف:۱۰۴.

۳- ۳) آل عمران:۲۴.

۴- ۴) لقمان:۲۱.

معنی عاما و هو أنه لا عبره فی أمر الدین بتقلید المشایخ السابقین و الآباء الماضین، و اتباع مذهبهم، بل الواجب علی العبد إتباع ما أنزل الله إلیه بصدق النیه فی السعی و الطلب، و خلوص الطویه فی الاجتهاد و العمل، و قطع النظر عن تقلید الأسلاف و اتّباع الأخلاف، فإن الإیمان نور من الله یقذف فی قلب المؤمن بواسطه المجاهده و الریاضه، و یخرجه من ظلمات التقلید. و فی قوله: . . . أَ وَ لَوْ کانَ آبٰاؤُهُمْ لاٰ یَعْقِلُونَ شَیْئاً وَ لاٰ یَهْتَدُونَ (۱)إشاره إلی أن آباءهم من أهل الأهواء و البدع، الذین لا یعقلون شیئا و لا یهتدون سبیلا، و أنهم میتون لا یعقلون شیئا، و المیت لا یصلح للاقتداء به و الاهتداء، بل المتبع فی المعارف الإلهیه هو الواردات الکشفیه عقیب الأعمال الفرعیه الشرعیه، و المجاهدات الدینیه الحاصله بنور المتابعه لروح الإنسان الکامل المحمدی، المتحد نوره بنور العالم العقلی، المصون عن الفناء و الموت، و بنور المتابعه لأرواح أوصیائه، الذین یکون نورهم و حقیقتهم من نوره صلّی الله علیه و آله و حقیقته. و هذا مستفاد من فحوی الآیه ففیه إشاره إلی أنّ من یکون علی جاده الحقّ، و قدمه ثابت علی جاده الشریعه و معرفه الطریقه و سلوک مقامات الحقیقه، فیجوز الاقتداء به إذ هو من أهل الاهتداء إلی عالم الحقیقه دون من یدعی الشیخوخه بطریق الإرث من الآباء و المشایخ، و لا حظ لهم عن طریق الاهتداء، کما تقدمت الإشاره إلی حالهم فهم لا یصلحون للاهتداء و الاقتداء بهم. و لعمری لقد ابتلینا فی زماننا بکثیر من المدّعین للشیخوخه، مع أنهم لیسوا لها بأهل، و نری أنّه إذا صادف بعضهم من عنده علم من الکتاب من العلماء الإلهیین استنکفوا عن التعلم منه، لما رأوا أنّ ما عنده مخالفا لما أخذوه من معلّمیهم تقلیدا أو تعصّبا، و لا یلحقهم بذلک من ذلّ التعلم و اتّضاع القدر عند العامه و المریدین، و لعلّه

۱- ۱) البقره:۱۷۰.

إلى ردائه حالهم يشير قوله تعالى: وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا إِلىٰ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ وَ إِلَى اَلرَّسُولِ قٰالُوا حَسْبُنٰا مٰا وَجَدْنٰا عَلَيْهِ آبٰاءَنٰا أَ وَ لَوْ كٰانَ آبٰاؤُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لاٰ يَهْتَدُونَ (۱)فما أسخف عقلهم حيث تركوا ذكر الله و معارف الحقائق خوفا من اتّضاع قدرهم عند الجهله السفله فرجّح عندهم ارتفاع الشأن عند الناقصين من العباد على علوّ المنزله عند الله و مجاوره الملائكه المقربين. فتبّا لجاهم الحقير و سحقا لحظّهم اليسير أ ما تلوا قوله تعالى: . . وَ إِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمّٰا مَتٰاعُ اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا وَ اَلْآخِرَهُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ. وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ اَلرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ اَلسَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (۲). و الحاصل: أنّ هؤلاء لا يزالون يتبعون ظواهر الألفاظ، و لا يرون بواطن المعانى و الحقائق و لم يعلموا بعد-مع أنهم سمعوا مرارا-أن امتياز الإنسان عن سائر الحيوانات باستنباط الحقائق و المعارف، لا بتتبع الألفاظ و تصحيح العبارات، من غير انتقال عن مضيق المحسوسات و محبس الحيوانات و اصطبل الدواب إلى فسحه الأنوار الإلهيه، و عالم المعارف العقليه الإلهاميّه و مستوكر الطيور السماويه. فهم واقعون أبدا فى عالم الألفاظ و الصور، و لن يقصدوا إلى معرفه النفس و ما فوقها، و لا إلى إصلاح القلب الذى هو محلّ النطق الباطنى، الذى يخصّ به الإنسان من بين سائر الحيوانات، و هو منبع المكاشفات و المكالمات مع الحقّ

كما تقدم عن أمير المؤمنين عليه السّلام من قوله: «و كلّمهم فى ذات عقولهم» (۳)هذا و قد ذمّ الله تعالى الناقصين الذين ليس لهم درجه المكالمه الباطنيه مع الحقّ، لكونهم فى مرتبه الحيوان الأعجمى بقوله: وَ لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ وَ لاٰ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ (۴). و مدح

۱- ۱) المائده:۱۰۴.

۲- ۲) الزخرف:۳۵-۳۷.

۳- ۳) نهج البلاغه.

۴- ۴) آل عمران:۷۷.

رسول الله صلّى الله عليه و آله خواص أمته و أوليائها و حكمائها بأنهم محدثون مكلّمون كما ستأتى أحاديثه فى الشرح. و ليس المراد من هذا التكلم و التحدث هو ما يكون بالحديث الظاهرى و الكلام الحسّى، الذى آلته جرم أحمر لحمى مركب من الأخلاط فإنه من الدنيا، و لا يكون شىء من الدنيا ممدوحا و لا محبوبا إلّا بقدر ما يعبّر به و يجعل الزاد للآخره فإنها طريق الآخره،

كما ورد: «الدنيا دنياءان، دنيا ملعونه و دنيا بلاغ» فالممدوح منها هو البلاغ، و أما غيرها فهى و ما فيها مبغوضه ممقوته ملعونه عند الله و عند أوليائه

كما روى عنه صلّى الله عليه و آله: «الدنيا ملعونه و ملعون ما فيها» ،

و قوله صلّى الله عليه و آله: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئه» ، فهى مبغوضه عند من يريد الكمال و المعارف الحقّه الإلهيه.

ففى السفينه، عن الكافى: سئل على بن الحسين عليه السّلام: «أىّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما من عمل بعد معرفه الله و معرفه رسوله أفضل من بغض الدنيا» . و إنما المراد من المكالمه فى قوله تعالى: لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ

و فى قوله صلّى الله عليه و آله: «إنهم محدّثون مكلّمون» المكالمه الحقيقيه بين الله و بين خواصّ عباده، و هى الإفاضات العلميه المتوارده من الحقّ فى المقاصد الربوبيه، عقيب التأمّلات القدسيه الاستعداديه من العبد فى المطالب الحكميه الإيمانيه بتوسط بعض ملائكه الله العقليه، إما صريحا مشاهدا فى عالم المشاهده البصريه و السمعيه كما للأنبياء، أولا، كما لغيرهم، هذا للخواص. و أمّا المحجوبون بأقسامهم فإنهم لما تعلقت أرواحهم بالأجساد، و تكدّرت لكدورات الحواس و القوى النفسانيه، و أظلمت بظلمات الصفات الحيوانيه، و ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من التمتعات البهيميّه و الحركات السبعيه، و الأخلاق الشيطانيه و اللذات الجسمانيه، فأوجبت هذه أن تعمى قلوبهم التى فى الصدور، فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور فأصمّهم الله و أعمى

أبصارهم فهم الآن صمّ عن استماع دعوه الأنبياء بسمع القبول، بكم عن قول الحقّ، و الإقرار بالتوحيد و المعارف اليقينيه، عمی عن رؤيه الآيات و المعجزات الباطنيه فهم لا يعقلون، و لا يعقلون أنهم صمّ بكم لا يعقلون. إذ لم يتصوروا من الصمّ إلاّ ما يعرض القوه السمعيه الحيوانيه، و لا عن العمی إلاّ ما يعرض للقوه العينيه الحيوانيه، و لا من العقل إلاّ ما للعوام من تدبير المعاش بالحيل الشيطانيه النكرائيه كما كانت فی معاويه (عليه الهاويه) فمن كان هذا حاله فأنّی له الترقی إلی ما وراء عالم الملك و المحسوسات؟ بل لا يكاد يعلم إلاّ الظاهر، قال تعالی: يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ اَلْحَياهِ اَلدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ اَلْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ (۱).

أقسام العلماء:

اشاره

ثم إنّه يعجبنی أن أذكر ما ذكره الشيخ الفاضل الفقيه زين المجتهدين رحمه الله فی كتاب منيه المريد ناقلا عن بعض المحققين، قال: العلماء ثلاثه عالم بالله غير عالم بأمر الله، فهو عبد استولت المعرفه الإلهيه علی قلبه، فصار مستغرقا لمشاهده نور الجلال و الكبرياء، فلا يتفرغ لتعلم علم الأحكام إلاّ ما لا بدّ منه، و عالم بأمر الله غير عالم بالله، و هو الذی يعرف الحلال و الحرام و دقائق الأحكام، لكنه لا يعرف أسرار جلال الله، و عالم بالله و بأمر الله فهو جالس علی حدّ المشترك بين عالم المعقولات و عالم المحسوسات. فهو تاره مع الله بالحبّ له، و تاره مع الخلق بالشفقه و الرحمه، فإذا رجع من ربّه إلی الخلق صار معهم كواحد منهم، كأنه لا يعرف الله، و إذا خلا بربه مشتغلا بذكره و خدمته، فكأنه لا يعرف الخلق، فهذا سبيل المرسلين و الصديقين و هو المراد

بقوله عليه السّلام: «سائل العلماء و خالط الحكماء و جالس الكبراء» . و المراد

بقوله: سائل العلماء ، العلماء بأمر الله غير العالمين بالله فأمر بمسائلتهم

ص: ۱۳۶

۱- ۱) الروم:۷.

عند الحاجه إلى الاستفتاء. و أما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون أوامر الله، فأمر الله بمخالطتهم. و أمّا الكبراء فهم العالمون بهما فأمر بمجالستهم، لأن فى مجالستهم خير الدنيا و الآخره. ثم قال: و لكلّ واحد من الثلاثه ثلاث علامات. فللعالم بأمر الله الذكر باللسان دون القلب، و الخوف من الخلق دون الرب، و الاستحياء من الناس فى الظاهر، و لا يستحى من الله فى السرّ. و العالم بالله ذاكر خائف مستحى، أما الذكر فذكر القلب لا اللسان، و الخوف الرجاء لا خوف المعصيه، و الحياء حياء ما يخطر على القلب لإحياء الظاهر. و أما العالم بالله و أمره له سته أشياء، الثلاثه المذكوره للعالم بالله فقط مع ثلاثه أخرى: كونه جالسا على الحدّ المشترك بين عالم الغيب و عالم الشهاده، و كونه معلما للمسلمين، و كونه بحيث يحتاج الفريقان الأوّلان إليه و هو مستغن عنهما، فمثل العالم بالله و بأمر الله كمثل الشمس لا تزيد و لا تنقص، و مثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تاره و ينقص أخرى، و مثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه و يضىء غيره، انتهى كلامه.

حاصل الكلام:

ثم إنه ينبغى ذكر حاصل كلام بعض الأعاظم فى الوصيّه إلى اغتنام هذه المطالب الإلهيّه التى تقدم ذكرها فنقول: إنّا قد أشرنا فى هذه الفصول المتقدمه إلى كنوز الحقائق و رموز الدقائق، فاعلم قدرها و تعمّق فى غورها، و صنها عن النفوس الشقيّه الجاهله بحقائق الإيمان، الكافره بأنعم الله، لأنهم أعداء الحكمه و رفضه العرفان، و أحبّاء الهوى و الشيطان. و اعلم أنّ تصوير الحقائق فى صوره الألفاظ، و كسوه العبارات و الاستعارات

لیس إلّا کجرعه بل قطره من بحر لجیّ، أو کشعاع من شمس، و إنما أثبتنا للطالبین هذه المعانی الدقیقه، لیبثّوا بذرها فی أرض القلوب، و إن کان فوق رتبتهم. و رجاء من الروحانیین-الذین یعرفون قدر هذه المعارف، و الذین تجرّدوا من غشاوه أقران السوء و من آرائهم الخبیثه. و لعمری إنّ هؤلاء الروحانیین هم أهل القرابه المعنویه لأولیاء الله و أولادهم الروحانیین، فیا أهل الودّ و الصفاء، و یا أهل الروح و النقاء، و یا طالبی الوصل و اللقاء، و یا أهل العشق و الفناء، علیکم بذوق معانی هذه الکلمات بنفوس زاکیه و أذهان نقیه، و قلوب صافیه و أسماع واعیه، فخیر القلوب أصفاها، و خیر الأسماع أصغاها و أوعاها، قال الله تعالی: . . لَوْ کُنّٰا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مٰا کُنّٰا فِی أَصْحٰابِ اَلسَّعِیرِ (۱).

ففی تفسیر نور الثقلین عن مجمع البیان فی ذیل الآیه و فی الحدیث عن أبی عمر، أنّ النبی صلّی الله علیه و آله قال: «إنّ الرجل لیکون من أهل الجهاد، و من أهل الصلاه و الصیام، و ممن یأمر بالمعروف و ینهی عن المنکر، و ما یجزی یوم القیامه إلّا علی قدر عقله»

(۲)

، و مثله أحادیث أخر، ثم لا بدّ بعد تصفیه القلب من الزهد فی الدنیا و ترکها لبنیها. و اعلم: أنّ من رکن إلی الدنیا و مال إلیها أحرقه الله بناره، فصار رمادا تذروه الریاح، و کان الله علی کلّ شیء مقتدرا، و هذه صفه أرباب الملک و أصحاب الدنیا. و من رکن إلی العقبی و مال إلیها أحرقه الله بناره، فصار ذهبا خالصا ینتفع به، و هذه صفه أهل الآخره، و أرباب الملکوت، و أصحاب الجنّه. و من رکن إلی الله و مال إلیه أحرقه الله بنوره، فصار جوهرا فریدا لا قیمه له، و درّه یتیمه لا مثل لها فی الدنیا و الآخره، و هذه صفه أهل الله و أحبائه و أولیائه.

۱- ۱) الملک:۱۰.

۲- ۲) ج ۵ ص ۳۸۱.

ثلاثه عوالم و ثلاثه مسافرين

و منه يعلم: أنّ العوالم ثلاثه: عالم الحسّ و الدنيا، و عالم الغيب و العقبى، و عالم القدس و المأوى. و أنّ المسافرين ثلاثه أصناف: صنف يسافر فى الدنيا و رأس ماله المتاع و الثروه، و ربحه المعصيه و الندامه. و صنف يسافر إلى الآخره و رأس ماله العباده و ربحه الجنه. و صنف يسافر إلى الله تعالى و رأس ماله المعرفه و ربحه لقاء الله. و اعلم: أنّ المعرفه أصل كلّ سعاده، و الجهل رأس كلّ شقاوه، فإن سعاده كلّ نشأه و عالم هو الشعور بما فيه، حتى أنّ الدنيا و ما فيها مع حقارتها و قلتها و بطلانها، إنما ينال اللذه فيها من كان أبلغ فى الحواس و أقوى فى المشاعر الحيوانيه، فإنّ كلّ لذه هو نيل ما يلائم من حيث هو ملائم له، و الألم فقده أو نيل ما يضادّه. فإذا كانت البهجه و اللذه فى هذه الدنيا الدنيه منوطه بالمعرفه و الشعور، فما ظنّك بعالم الآخره التى قوامها بالنيّات و المعارف. ثم ما ظنك بعالم القدس، الذى هو معدن العقول، و منبع المعارف؟ فعليك بالحكمه و المعرفه. و أما الزهد و التقوى و سائر العبادات و الرياضات، فإنما هى كلّها لإعداد الحكمه، و مقدمه المعرفه، و تصفيه الباطن و تهذيب السرّ، و تصقيل مرآه القلب بإبعادها عن الغشاوه و الرين حتى تصير مجلوه يحاذى بها شطر الحق، و يتراءى فيها وجه المطلوب المعشوق و المعبود الحقيقى. و أما الصفاء و الصقاله فلكونها أمرا عدميا ليست مقصوده بالأصاله، بل لأجل ما يظهر بها، أو يتصور فيها من آيات الحقّ و جلايا وجهه الكريم. على أنّ الزهد فى الدنيا على أى وجه كان لا يكون شيئا محضا، لكون الدنيا ليست شيئا محضا، و العاقل لا يزهد فى اللاشىء.

و فى الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه و آله: «لو كانت الدنيا تزن عند الله بقدر جناح بعوضه ما سقى كافرا منها شربه ماء» و فى القرآن: وَ مَا اَلْحَياةُ اَلدُّنْيا إِلاّ مَتاعُ

ص :۱۳۹

اَلْغُرُورِ

(۱)

و مده الحیوه الدنیا بالقیاس إلی دوام الآخره کلحظه، و سعه مکانها بالقیاس إلی مکان الآخره کذرّه، کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَها لَمْ یَلْبَثُوا إِلاّ عَشِیَّهً أَوْ ضُحاها.

و فی الحدیث عنه صلّی الله علیه و آله: «ما الدنیا فی الآخره إلاّ مثل أحدکم غمس إصبعه فی الیم فلینظر بم یرجع؟» ، فترک هذا القلیل واجب و لیس بزهد فی الحقیقه و إنما وراءها عالم آخر بل عوالم أخری، إلیها رجعی الطاهرات من النفوس وَ لَلْآخِرَهُ أَکْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَکْبَرُ تَفْضِیلاً (۲). فمن أراد أن یعرف عظمه الله و عظمه أسمائه، التی یکون عالم الآخره ظلالها، و هذا العالم ظلال ظلالها، و یجد من رحمه الله نصیبا أکثر و حظا أوفر، فلیزهد عن الآخره و لیزهد عن الزهد فیها أیضا حتی یخوض لجّه الوصول، و یخلص عن نفسه و قلبه بالکلیه، و قیل: الزهد فی الدنیا یریح النفس، و الزهد فی الآخره یریح القلب، و الإقبال بالکلیه علی الله یریح الروح. و اعلم: أنّ العوالم و النشآت الوجودیه بمنزله طبقات بعضها محیطه ببعض، و السالک إذا صعد من عالم ولج فی عالم آخر، و کأنّه مات من الأول و تولد فی الثانی،

و عن عیسی علیه السّلام أنّه قال: «لن یلج ملکوت السموات من لم یولد مرّتین» . و من هنا یعلم ما قد قیل: إنّ الکوکب و هو صوره الطبع و الحس التی هی أول النشآت الحیوانیه، و القمر و هو صوره النفس التی هی أول درجات الإنسان السالک، و الشمس التی هی صوره العقل و هی آخر منازل عالم الإمکان، فهذه کلّها إشاره إلی صور العوالم الثلاثه، و کان السالک فی أول سلوکه فی واحد منها بحسب رغبه النفس و هواها، أی کان فی صوره الطبع و الحسّ، ثم مات عنه اختیارا و دخل فی الثانی، و هو صوره النفس التی هی أول درجات الإنسان، ثم ماتت رغبته عنها و دخل فی ملکوت السموات، التی هی صوره العقل، و آخر منازل الإمکان، و بعده

۱- ۱) آل عمران:۱۸۵.

۲- ۲) الإسراء:۲۱.

عالم الألوهيه. و إلى هذا العالم يشير قوله تعالى: وَ كَذٰلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ اَلسَّماوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ اَلْمُوقِنِينَ (۱)ثم ماتت رغبته عن الكلّ، و أشير إليه بقوله: . . لاٰ أُحِبُّ اَلْآفِلِينَ (۲)و حينئذ أفنى نفسه فى ربّه، و وجّه وجه ذاته لفاطر سموات العقول، و أرض النفوس، حنيفا عن آثام الوجود و الهويه، مسلما حقيقيّا موحّدا له تعالى من غير اشتراك لغيره، هذا كلّه بالنسبه إلى رغبه السالك، و توجيه وجه ذاته إليه تعالى بإماته الرغبات إلى أن يصل إلى مقام التوحيد. هذا و لكن لا يخفى أنّ هوى السالك و هويته، التى ما زالت هى المعبود أصاله فى كلّ عباده و محبه تكون لغير الله تعالى بلحاظ نفس الهوى و الهويه، مع قطع النظر عن إماته الرغبات بالنحو المذكور كما دلّ عليه قوله تعالى: أَ رَأَيْتَ مَنِ اِتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ (۳)و كيف كان فالفانى نفسه فى ربّه و الموجه وجه ذاته لفاطر السموات و الأرض يكون الحقّ تعالى هو الفاعل، و الغايه له فى فعل و سعى و حركه. و انعزلت مبادئ حركاته و عن القوى المدركه كالسمع و البصر، و المحركه كاليد و الرجل سواء أ كانت داعيه أو فاعله، و صار الحقّ هو المؤثر فى آثاره مطلقا. فله حينئذ أن يقول: إنّ صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله ربّ العالمين، و له أن يقول

كما قال صلّى الله عليه و آله: «من رآنى فقد رأى الحقّ» حيث صار الحقّ سمعه و بصره و يده و رجله، كما فى الحديث المحبه المشهوره، لظهور الحقّ فى مرآه قلبه، و إليه الإشاره فى قوله تعالى: رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا (۴)و قوله تعالى: يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ (۵)

و فى الأدعيه النبويه:

«اللّهمّ أعطنى نورا فى قلبى، و نورا فى سمعى،

۱- ۱) الأنعام:۷۵.

۲- ۲) الأنعام:۷۶.

۳- ۳) الفرقان:۴۳.

۴- ۴) التحريم:۸.

۵- ۵) الحديد:۱۲.

و نورا فی بصری، و نورا فی مخی، و نورا فی دمی، إلی أن قال: و نورا فی شعری و نورا فی عظامی و نورا فی قبری» .

و فیها أیضا:

«یا نور النور یا مدبر الأمور و یا عالما بما فی الصدور»

و هذا النور الذی یسأله منه تعالی هو نور وجهه و ذاته، و هو فاعل جمیع الموجودات، و نور ما فی الأرض و السموات، و منتهی کلّ الخیرات، و غایه ارتفاع الموجودات، وَ أَنَّ إِلیٰ رَبِّکَ اَلْمُنْتَهیٰ. وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَکَ وَ أَبْکیٰ. وَ أَنَّهُ هُوَ أَمٰاتَ وَ أَحْیٰا. وَ أَنَّهُ خَلَقَ اَلزَّوْجَیْنِ اَلذَّکَرَ وَ اَلْأُنْثیٰ. مِنْ نُطْفَهٍ إِذٰا تُمْنیٰ. وَ أَنَّ عَلَیْهِ اَلنَّشْأَهَ اَلْأُخْریٰ (۱)و بهذا النور یؤمن کلّ مؤمن شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ اَلْمَلاٰئِکَهُ وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ (۲). و من أسمائه: المؤمن، المهیمن، فتفطن، فإن المؤمن إذا قطع النظر عن هویته و إیمانه و عرفانه و آثر المعروف، و بقی بلا ـ هو أی بقی ب(لا ـ هو إلاّ ـ هو) و علم أنّ لا ـ هو إلاّ ـ هو، فیتبدّل إیمانه بعیانه، و خرج هو من البین، و فنی فی العین، و بقی ملک الوجود الیوم لله الواحد القهار، فشهد ذاته علی ذاته بالأحدیّه المطلقه و الفردانیّه المحضه-لا إله إلاّ هو-و شهد أیضا ذاته بلسان الملائکه و أولی العلم قائما بالقسط و العدل، و هو إحقاق الحقّ من بقاء وجهه الکریم، و فناء الوجوه الإمکانیه، و هذا هو الإیمان الحقیقی المأمور به فی قوله عزّ اسمه: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا آمِنُوا (۳). و إلیه الإشاره بقوله: وَ مَنْ یُؤْمِنْ بِاللّٰهِ یَهْدِ قَلْبَهُ (۴)و بهذا الإیمان تحسم ماده الشرک الخفیّ عن القلب لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ (۵)و هذا الخفی من الشرک قلّ من الناس من

۱- ۱) النجم:۴۲-۴۷.

۲- ۲) آل عمران:۱۸.

۳- ۳) النساء:۱۳۶.

۴- ۴) التغابن:۱۱.

۵- ۵) الزمر:۶۵.

نجا منه و صفا قلبه وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (۱). ثم إن السالک الطالب ما دام مع نفسه و وجوده فکیف یمکنه الصبر بالله و فی الله و مع الله! نعم: إذا توکل علی الله فهو حسبه و نعم الوکیل. و اعلم: أنّ طلاب الحق طلبوا الحق بالحق فوجدوه، و طلّاب الهوی بالهوی فلم یجدوه و لم یجدوها و لن یجدوه و لن یجدوها، إذ الراحه لم تخلق فی الدنیا

کما فی الحدیث «فما ذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنّی تصرفون؟» . و یشیر إلی ما ذکر من أنّ المؤمن الحقیقی من هو منغمر فی النور نور وجهه تعالی ما

فی الخصال فی باب الخمسه عن الصادق علیه السّلام: «المؤمن یتقلّب فی خمسه من النور مدخله نور، و مخرجه نور، و علمه نور، و کلامه نور، و منظره یوم القیامه إلی النور»

و ما روی عن النبی صلّی الله علیه و آله من قوله: «إنّ المؤمن أخذ دینه عن الله، و إنّ المنافق نصب رأیا و اتخذ دینه منه» و قوله تعالی: أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اِتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ (۲)و قوله تعالی: كُونُوا رَبّٰانِيِّينَ (۳). و لعمری إنّ المؤمنین بالحقیقه، و المتقین العابدین المخلصین لله و لرسوله و لأولی الأمر هم الحکماء الربانیون الراغبون عن الدنیا، و غیرهم عبید الهوی و عباد الأصنام و أولیاء الطواغیت، و صور الأجسام و أصحاب القبور و سکّان عالم الدثور و سیعلم الذین ظلموا أیّ منقلب ینقلبون أعاذنا الله و إخواننا أینما کانوا من الاغترار بالصور الباطله و ظواهر الآثام، و الرکون إلی مراتب أهل الحجاب و منازل الأشرار، و التستر بستر التقیید و غشاوه الامتراء، و الشک و الانحراف عن المحجه البیضاء. و اعلم: أنّ ما ذکر هو خلاصه الآیات القرآنیه، و الأحادیث المرویه عن أهل

۱- ۱) یوسف:۱۰۶.

۲- ۲) الجاثیه:۲۳.

۳- ۳) آل عمران:۷۹.

بیت العصمه و الطهاره. و لعمری إنّ من وجد ما ذکر بقلبه و عمل به، کاد أن یستجیب فی حقه

قول السجاد علیه السّلام: «اللّهمّ اقطع عنی کلّ شیء یقطعنی عنک»

و قوله علیه السّلام: «اللّهمّ أزل الأغیار عن قلبی»

و قوله صلّی الله علیه و آله: «اللّهمّ أرنی الأشیاء کما هی» کما روی عنه. و کاد أن یصل إلی معدن العظمه، و تصیر روحه معلقه بعزّ قدسه، و ینخرط فی سلک قوله تعالی: فَأُولٰئِکَ مَعَ اَلَّذِینَ أَنْعَمَ اَللّٰهُ عَلَیْهِمْ مِنَ اَلنَّبِیِّینَ وَ اَلصِّدِّیقِینَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولٰئِکَ رَفِیقاً (1)رزقنا الله ذلک بمحمد و آله الطاهرین. هذا تمام الکلام فیما أردنا إیراده فی معنی الولایه بحسب الحقیقه، و بیان کیفیه الوصول إلیها و الحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا و یتلوه الکلام فی بیان حقیقه الإنسان الکامل، و بیان کیفیه الوصول إلی الکمال ببیان آخر زیاده علی ما مرّ.

فی بیان تحقق الخلافه الإلهیه فی الحقیقه الإنسانیه:

فنقول اعلم أنّه قد تحقق أنّ الخلافه العظمی الإلهیّه إنما تحقّقت فی النشأه الجامعه الإنسانیه، و إنما استحقّت لها بحسب جوهر ذاتها، لأجل تطوّرها بالأطوار الکونیه الوجودیه و نشأتها بالشئون العلمیّه، و قابلیّتها لمظهریّته للصفات المتقابله الإلهیه، و قد شبّه الإنسان الکامل بمنزله مرآه کریمه مجلّوه واقعه وسط العالم، یحاذی بها شطر الخالق من جمیع الجهات و الحیثیّات، و لیست لغیره من النشأه هذه الجامعیّه و التمامیّه. فإنّ العقول و الجواهر المتخلّصه العقلیّه و الملائکه المهیّمه، و إن حصلت لها إشراقات علمیه، و لزمتها الکمالات النوریّه، لکنها خالیه بالکلیّه عن الأطوار

۱- ۱) النساء:۶۹.

الكونيّه، و الانفعالات الشوقيّه، و الشعور بالنشأه الحسّيه الجزئيّه. و كذا الأفلاك و إن كانت لها الإدراكات الكلّيه و الجزئيّه بواسطه نفوسها الناطقه المجرده و قواها الانطباعيّه، لكن لم تتيسر لها مرتبه الفناء و الانقطاع عن ذاتها بالكليّه، و التدرّج من صوره إلى صوره، و من حال إلى أخرى، فإذا كمالاتها فطريّه و أجسامها خاليه عن الكيفيّات المتضاده فلها مقام معلوم، لا يمكنها التعدّى عن ذلك، و الارتقاء إلى ما هو أعلى، و هذا بخلاف النشأه الكامله الإنسانيّه، فإنّ لها التقلّب فى أطوار النقص و الكمال، و التحول فى تقاليب الأحوال، و الإحاطه على جميع الحقائق العلويّه و السفليّه، إذا تنوّر ذاته بنور ربّه، فيرى الأشياء كما هى عليها، كلّياتها و جزئيّاتها. ثمّ اعلم-توضيحا لما ذكر-أنّ تحوّلاتها فى الوجود إنّما هى بمقتضى التحولات التكوينيّه، التى خلقها الله تعالى عليها. فإنّ الإنسان كان أولا ممّن أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، كان فى الوجود و هو فى مرتبه الهيولاء الأولى، التى هى قوّه صرفه، و إبهام محض، لا تحصّل لها و لا فعليّه فى ذاتها، من غير اعتبار ما يرد عليها من الصور، ثم تحول إلى مرتبه الجماديه، ثم تدرّج إلى النباتيه، ثم إلى الحيوانيه بعد ما تنّبه من نوم الجماديه و سنه النباتيه بمبادئ طلوع نفسه الناطقه، و صباح ظهور ذاته النيّره، و وقوع أشعّه شمسه على زوايا بدنه و أكناف قواه،

(فأشرقت أرض جسده بنور ربّه) فأوّل عضو تكوّن منه هو القلب الصنوبرىّ، لأنّه أوّل ما يتحرك من البدن بذلك النور، و آخر ما يسكن منه بفراقه فكأنه (أوّل بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ ببكّه) الصدر المعنوىّ، و موضع ازدحامات القوى المتوجّهه إليه، مباركا ببركات إلهيّه من الفيض المتّصل منه بجميع الوجوه، و القوّه و الحياه الساريتين منه إلى سائر الأعضاء (و هدى) و نورا يهتدى به إلى الله (فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ) من العلوم و المعارف و الحكم و الحقائق، و هذا هو (مَقامُ إِبْراهِيمَ) العقل (وَ مَنْ دَخَلَهُ) من السالكين المتحيّرين فى بيداء الجهالات (كانَ آمِناً) من إغواء الشياطين المتخيّله، و عفاريت أحاديث النفس، و اغتيال غيلان الوهم، و جنّ الخيالات، و افتراس

سباع القوى النفسانيّه و صفاتها. ثمّ لا يزال يتدرّج فى الاستكمال من حال إلى حال و يترقّى من نشأه إلى نشأه، حتى طوى مراتب العقول الساذجه و الاستعداديه و الفعليّه، و هلّم، هكذا إلى أن وصل إلى درجه العقل المستفاد المستضىء فى المعاد، فصعد إلى ذروه الكمال بعد أن هبط منها، فأدرك الكلّيات الروحانيّه و الجزئيّات الجسمانيّه. أمّا الكلّيات فبذاته المنوّره بنور ربّها. و أما الجزئيّات فبقواه الحاصله فى مطيّه تصرّفاته و معسكر قواه. و هو ما لطف من بدنه و نقى من جسده، أعنى روحه البخارى المشابه-للسبع الشداد-الخالى عن الأضداد فى اعتداله و لطافته و صفائه و صقالته. فبالمرآتين، أعنى مرآه ذاته و مرآه جسمه يدرك العالمين، و يطلّع على ما فى إقليمين، و يدرك المغيبات من الأمور الماضيه و الآتيه. ثمّ يترقّى بذاته بعد طرح الكونين و خلع النعلين، و نفى الخواطر المتعلّقه بغير الله و الفناء عمّا سواه، راجعا إلى الحقّ بالكلّيه فتضمحل الكثره فى شهوده، و يحتجب التفصيل عن وجوده، متحققا بمقام الجمع، منخرطا فى سلك الملائكه المقرّبين بل من صنف الأعالى المهيمنين. ثمّ مع ذلك لا يقف فى مقام واحد، و لا يبجس (1)فى مشاهده الوحده الصرفه من غير مشاهده الآلاء الإلهيّه و الرّشحات القيّوميّه، بل يرجع إلى الصحو بعد المحو ناظرا بعين الجمع إلى التفصيل، متوسّطا بين التشبيه و التعطيل، فلا تعطيل له تعالى و لا تشبيه فى عين التنزيه الموهم للتعطيل، و التشبيه الموهم للتحديد، فيكون محققا بحقيقه مظهريّه

ما قاله الصادق عليه السّلام حين سئل عن التوحيد فقال: هو عزّ و جل مثبت موجود لا مبطل و لا معدود.

و فى التوحيد عن محمد بن عيسى عمّن ذكره قال: سئل أبو جعفر عليه السّلام أ يجوز أن يقال: إنّ الله عزّ و جل شىء؟ قال: «نعم يخرجه عن الحدّين حدّ التعطيل و حدّ

ص: ۱۴۶

۱- ۱) أى لا ينفجر.

التشبيه» فيصل حينئذ إلى مقام يجعل كلّ مقام أراد محطّ رحله و منزل قصده، و هو فرحان بالحقّ فی كلّ شیء ينظر إليه، لأنه يرى المحبوب الأول و جمال الأول فی جميع المظاهر و المجالی، قائلا فی وصف حاله بلسان قائله: بجهان خرّم از آنم كه جهان خرّم از اوست عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از اوست فتسير بنور ربّه فی الأرض الحقائق المتبدّله فی حقّه حيث صارت صيقليّه بيضاء، مرآه مجلّوه، يحاذی بها شطر الحقّ يَوْمَ تُبَدَّلُ اَلْأَرْضُ غَيْرَ اَلْأَرْضِ (1)و كمالا يحجبه شیء عن شیء لقوّه شهوده و علمه، فكذلك لا يشغله أيضا شیء عن شیء، لكمال قابليّته و سرعه نفوذه و لطافته، فيتطور بكلّ طور و يتلوّن بكلّ لون كما قيل: لقد صار قلبی قابلا كلّ صوره فمرعی لغزلان و ديرا لرهبان فحال هذا العبد مظهر لقوله تعالى: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (2).

تشبيه آخر للإنسان الكامل:

قد شبهت الكمل من العرفاء، الإنسان الكامل الذی هو أشرف أجزاء العالم الكبير ب(إنسان العين) من العالم الصغير الإنسانی الذی يكون به النظر إلى الأشياء، و هو المعبّر عنه بالبصر. فلهذا سمّی الإنسان إنسانا مأخوذا من (آنست) بمعنى (أبصرت) فإنه به نظر الحقّ تعالى إلى خلقه فرحمهم. فهو مظهر جميع الأسماء و الصفات، و مجمع كلّ الحقائق و الآيات. فهو الكتاب الجامع

كما روی عن سيد

۱- ۱) إبراهيم:۴۸.

۲- ۲) الرحمن:۲۹.

الأولياء و قدوه الأصفياء حيث قال:

أ تزعم أنّک جرم صغیر

و فیک انطوی العالم الأکبر؟

و أنت الکتاب المبین الّذی

بأحرفه یظهر المضمر

و بعباره أخری: إنّ الحقّ سبحانه و تعالی جعل العالم الکبیر الأول-من حیث الصوره-کتابا جامعا حاملا صور أسماء الحقّ، و نسب علمه المودع فی القلم الأعلی، و جعل الإنسان الکامل الذی هو العالم الصغیر من حیث الصوره کتابا وسطا جامعا بین حضره الأسماء و حضره المسمّی، و جعل القرآن خلقا مخلوقا علی صورته لیبیّن به خفیّ سریرته و سرّ صورته، فالقرآن العزیز هو النسخه الشارحه لصفات الکمال الظاهر بالإنسان من غیر اختلال و لا نقصان. و أکمل مصداق لهذا الإنسان هو النبیّ الأعظم و أهل بیته علیهم السّلام و لذا قیل فی صفته أی فی صفه رسول الله صلّی الله علیه و آله: «إنه کان خلقه القرآن» و لهذا قال الله تعالی فی حقّه صلّی الله علیه و آله: وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ (۱)و لکن فلیعلم أنّ هذه الحقیقه الإنسانیه، التی علمت کمالها و علوّها إذا ما کملت بالعلم و العمل، قد تصیر من عجم الحیوانات أنزل و أسفل بواسطه متابعه النفس و الشیطان و بسبب اتصافها من فساد علمه و عمله بالکفر و الطغیان و العمی و الحرمان. قال الله تعالی: وَ لَقَدْ ذَرَأْنٰا لِجَهَنَّمَ کَثِیراً مِنَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ یَفْقَهُونَ بِهٰا وَ لَهُمْ أَعْیُنٌ لاٰ یُبْصِرُونَ بِهٰا وَ لَهُمْ آذٰانٌ لاٰ یَسْمَعُونَ بِهٰا أُولٰئِکَ کَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ (۲)ثمّ إنه لیس یخفی علی أحد أنّه لیس المراد من هذا الفقه و البصاره و السّماع ما لا یخلو عنه أحد من الحیوانات التامه الأعضاء و الآلات الجسمانیه، بل ما یتعلّق بجوهر النفس النطقی و القلب الحقیقی فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَی اَلْأَبْصٰارُ وَ لٰکِنْ تَعْمَی اَلْقُلُوبُ

۱- ۱) القلم:۴.

۲- ۲) الأعراف:۱۷۹.

اَلَّتِی فِی اَلصُّدُورِ

(۱)

فما دام الإنسان فی درجه الحیوانات الظاهریه، و نشأته نشأه هـذا العالم الأدنی لم یجئ بالحیاه المعنویه الحاصـله بالموت الإرادی عن مآرب قواه الشهویه و الغضبیه و مستلذّاتهما

کما أمر رسول الله صلّی الله علیه و آله علی ما روی عنه صلّی الله علیه و آله: «موتوا قبل أن تموتوا» و قد سمّی الله تعالی فی عدّه آیات من القرآن الکریم حیاه هذه الأولی (باللهو و اللعب و متاع الغرور) . و کما أشـیر إلیها فی آیه (۳۹ من سوره النور) لکونها مجازا لا حقیقه لها، و لا ثبات لوجودها و مع ذلک یخیّل أنّ لها تأصّـلا فی الحقیقه کَسَرٰابٍ بِقِیعَهٍ یَحْسَبُهُ اَلظَّمْآنُ مٰاءً (۲)و ما دام لم یمت الإنسـان عن الرغبه إلی زخـارف الـدنیا، و لم یحصّـل له الحیوه الطّیبه بالولاده الثانیه لم تکن له منزله عنـد الله فی النشأه الثانیه وَ إِنَّ اَلدّٰارَ اَلْآخِرَهَ لَهِیَ اَلْحَیَوٰانُ لَوْ کٰانُوا یَعْلَمُونَ (۳).

و نقـل عن عیسـی علیه السّـلام قوله: «لن یلـج ملکوت السـموات من لم یولـد مرّتین» و هـذه الولاده الثانیه و الحیوه المعنویه إنما یحصـل للإنسـان بمتـابعه الآداب الشـرعیه و النوامیس الإلهیّه، و اقتناء العلوم و الأخلاق و الملکات الحسـنه و الخیرات، و تعـدیل القوی و الآلات، التی هی جنود النفس الآدمیّه و تسویه صـفوفها. و لعلّه أشـیر إلی هـذه الولاده الثانیه الحاصـله بسـبب التعدیل و التسویه فی قوله تعالی: فَإِذٰا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِینَ (۴). ثمّ إنّ الظاهر من الآیات القرآنیّه أنّ المراد من هذا النفخ لیس هو الروح الحیوانی الحاصل فی بدایه النشأه الإنسانیّه المشار إلیه فی قوله تعالی: ثُمَّ أَنْشَأْنٰاهُ خَلْقاً آخَرَ (۵)لأنّ نفخ الروح الحیوانی یحصل بواسطه بعض الملائکه کما ورد فی

ص: ۱۴۹

۱- ۱) الحج:۴۶.

۲- ۲) النور:۳۹.

۳- ۳) العنکبوت:۶۴.

۴- ۴) الحجر:۲۵.

۵- ۵) المؤمنون:۱۴.

الأحاديث. و النفخ الملكى و ما هو بواسطه الملائكه لا يوجب إلّا خضوع الملائكه التى هى أنزل منه، و تحت تسخيره فى العالم الصغير، و لا يستلزم مسجوديّه الملائكه كلّهم أجمعين. بل النفخ الإلهى الحاصل بسببه الروح الإضافى، أى المضاف إليه تعالى فى قوله من روحى، إنّما أوجب مسجوديّه الملائكه لآدم تعظيما له و تكريما لشأن روحه المنسوب إلى الحقّ. و بعباره أخرى، توضيحا للولاده المعنويه: إنّ الولاده المعنويه كالولاده الصوريه أيضا تتوقّف على الأركان الأربعه، يندرج فيها جميع الآداب الشرعيه و العقليّه، و هى الإيمان و التوبه و الزهد و العباده، على ما لها من التفصيل المذكور فى محلّه من كتب الأخلاق و الأحكام و السلوك و ليس هنا موضع بيانه، و قد تسمّى هذه الولاده بالفتح القلبى. و كيف كان فكيفيّه هذه الولاده للنفس الإنسانيه من مبدئها إلى مقطعها، أنها أول ما يولد المولود بالولاده الجسمانيه لا يعرف إلّا الأكل و الشرب لا غير، ثم يتدرّج و يظهر له باقى صفات النفس شيئا فشيئا من القوى الشهويّه و الغضبيّه و الحرص و الحسد و البخل و السفاهه، و المكر و الحيله و الكبر و الظلم و غير ذلك من الصفات، التى هى نتائج الاحتجاب، و البعد عن معدن الصفات الكماليه، فهو حيوان منتصب القامه تصدر عنه الأفاعيل المختلفه. فهو منغمر فى الحجب الظلمانيّه الساتره للحقّ، أسير فى أيدى الكثره و أسرار الشهوات، نائم عن عالم الوحده فى مرقد الجهالات، ثمّ إذا أدركته لمعه من أنوار الرحمه، و صادف من نبّهه من سنه الغفله و نوم الجهاله، و يذكر مبدأه الذى منه بدؤه، و معاده الذى إليه عوده. و المنبّه لهذه الأمور أولاهم الأنبياء عليهم السّلام ثمّ الأئمه و الأولياء عليهم السّلام ثم العلماء بالله تعالى المشاهدون الواصلون إليه حقّا وراثه عنهم، ثم الظاهريّون من العلماء بظواهرها، و هم الذين أمرهم الأنبياء و الأولياء الأئمه عليهم السّلام بهذا التنبيه. فهم نائبون عنهم عليهم السّلام فى ذلك.

و الحاصل أنّ العلماء ينبّهون الأشخاص و الإنسانيه من سنه الغفله و نوم الجهاله، و يذكّرونهم الحقّ و وحدته و أحوال مبدئهم و معادهم، و حقيقه جميع ما جاء به الرسل من الأحكام الشرعيه و غيرها، لتتنوّر بواطنهم بنور الإيمان أولا، ثمّ بأنوار المأمورات الشرعيه من العبادات، إذ كلّ منهم يتخلق منهما خلقا، و ترتفع بهما الحجب الظلمانيّه و الغواشى النفسانيه المعبّر عنها بالذنوب و السيّئات، فإذا تيقّظ من سنه الغفله، و تنبّه على أنّ ما وراء هذه اللذات البهيميّه لذّات آخر، و فوق هذه المراتب مراتب آخر كماليّه، يتوب عن اشتغاله بالمنهيّات الشرعيه، و ينسب إلى الله بالتوجّه إليه. فيشرع فى ترك الفضول الدنياويه، طلبا للكمالات الأخرويّه، و يعزم عزما تامّا و يتوجه إلى السلوك إلى الله تعالى من مسكن نفسه و مقام هواه، فيهاجر مقامها و يقع فى الغربه. و المسافر لا بدّ له من رفيق يرافقه، و دليل يدله على طريقه، فيصاحب من له هذا التوجه و العلم بالطريق، و هو الشيخ القائد و المرشد الهادى، ثم ما دام لا يعتقد فيه لا ينفتح له شىء و لا ينتفع بصحبته. فوجب له أن يعتقد فيه بالخير و الصلاح، و أنّ صحبته منجيه من المهالک، و أنه عالم بالطريق الذى يسرى إليه. و هذه الاعتقادات بالنسبه إليه تسمّى بالإراده، فإذا تحقّق السالك بالإراده أى بهذه الاعتقادات فيكون مريدا، فحينئذ لا بدّ له من أن يعمل بما يقوله الشيخ ليمكّن له حصول المقصود، حتى قيل: إنّ المريد بين يدى الشيخ ينبغى أن يكون (كالميّت بين يدى الغسّال) . ثمّ إنه إذا دخل فى السير و الطريق، فلا بدّ له من أن يزهد عن كلّ ما يعوقه عن مقصوده من مستلذّات أمور الدنيا و أحوال معيشته فيها، و لا بدّ له من أن يرتاض نفسه و هو يحصل من أمور ثلاثه: الأول: ترک الالتفات إلى ما دون الحقّ و يعين عليه الزهد الحقيقى، و الاتقاء عن كلّ خاطر يرد على قلبه و يجعله مائلا إلى غير الحقّ، و يجرّه إلى اللجنه السافله، و كيف كان فلا بدّ له من أن يتّصف بالورع و التقوى و الزهد.

الثانی: استخدام القوی فیما خلقت لأجله، و إعمالها فی الأمور المناسبه للأمر القدسی، لینجذب معها بالتعوید من جناب الغرور إلی جناب الحقّ تعالی، و یحتاج ذلک إلی العباده المشفوعه بالنیه الخالصه لا لرغبه أو رهبه، بل تشرّفا بالانتساب إلیه تعالی بالعبودیه، ثم یحتاج إلی المواعظ و خطابات المتألّهین بعبارات بلیغه، فإنّها أعظم نفعا فی الترغیب و الترهیب من کثیر من الرهبانیّات، لأنّها تحرّک النفس تحریکا لطیفا خصوصا إذا کانت مع الألحان المستخدمه لقوی النفس فی أمره تعالی (۱).

الثالث: تلطیف حقیقته المعبّر عنها تاره بالروح، و أخری بالقلب، و ثالثه بالعقل و یجمعها أنّها هی الجوهره اللطیفه الملکوتیّه، فلا بدّ من تلطیفها بقبول تجلّیات الحقّ، لتصیر النفس مرآه مجلّوه یحاذی بها شطر الحقّ، و یعین علیه الفکر اللطیف و العشق العفیف (۲)ثمّ یحاسب نفسه دائما فی أفعاله و أقواله، و یجعل النفس منهما فی کلّ ما یأمر به الشرع و العقل و الاستبصار الإلهی، فإنه و إن أمرها بالعباده إلاّ أنه لا بدّ من تقییدها بالمحاسبه بنحو ما ذکر، لتکون عبادته مشتمله علی المعنویات و الحقائق الإلهیّه الباطنیّه. کلّ ذلک لأن النفس مجبوله علی محبّه شهواتها و لذّاتها، فلا ینبغی أن یؤمن من مداخلها فإنّها من المظاهر الشیطانیه، فلا بدّ من ملاحظتها دائما بتلک المحاسبه. ثمّ إنّ السالک إذا خلص من النفس و صفا وقته، و طاب عیشه بالالتذاذ بما یجده فی طریق المحبوب یتنوّر باطنه، فتظهر له لوامع الغیب، و ینفتح له باب الملکوت،

۱- ۱) اعلم أنّ المواعظ إذا تحقّقت فی ضمن ألحان حسنه، فلا محاله لکونها مجرّده تؤثر فی النفس المجرده لتحقق المناسبه، فحینئذ یستخدم قوی النفس فیما یتعلق به تعالی لا فیما تشتهیه النفس، لأنها حینئذ تنبهت بالرجوع إلی بارئها بواسطه هذا اللحن الحسن، فتدبر.

۲- ۲) العشق من حیث هو هو حسن فإن تعلّق به تعالی و بشئونه تعالی کان حسنا عفیفا و إلاّ فإن تعلّق بما دونه، فإن کان مباحا فهو مباح کالجنّه و الأمور المحلّله و إلاّ فهو مذموم بل محرّم، کما لا یخفی و سیأتی فی الشرح بیانه.

و تلوح منه لوائح مره بعد أخرى، فيشاهد أمورا غيبيّه فى صور مثاليّه، فإذا ذاق شيئا منها يرغب فى العزله و الخلوه و الذكر و المواظبه على الطهاره التامه و الوضوء، و العباده و المراقبه و المحاسبه، و يعرض عن المشاغل الحسّيه، و يفرغ القلب من محبّتها، و يتوجه باطنه إلى الله الحقّ بالكليّه. فيظهر له الوجد و السكينه و الشوق، و المحبّه و الهيمان و العشق، فيمحو تاره بعد أخرى فيجعله فانيا نفسه، فيشاهد المعانى القلبيه، و الحقائق السّريه، و الأنوار الروحيّه فيحقّق فى المشاهده و المعانيه و المكاشفه، و تفيض عليه العلوم اللّدنيّه و الأسرار الإلهيه، و تظهر له أنوار حقيقيه تاره و تختفى أخرى حتى يتمكّن و يخلص من التلوين، و تنزل عليه السكينه الروحيه، و يصير ورود هذه الأحوال له مقاما، أى ملكه راسخه. فيدخل فى عوالم الجبروت، و يشاهد العقول المجرّده أى الأضواء القيّوميّه و الأنوار القاهره، و المدبّرات الكلّيه للأمور الإلهيّه من الملائكه المقرّبين و المهيّمين فى جمال الأزل، الفانين فى الحقّ الأول و يتحقق بأنوارهم، فيظهر له أنوار سلطان الأحديّه، و سواطع العظمه و الكبرياء الإلهيه فيجعله (هباء منثورا) و تندک عنده جبال إنّيّته فيخرّ له خرورا و يتلاشى، و تزول زحمه وجوده من البين، و تضمحلّ عينه فى عين الوجود الإلهى، و هو مقام الجمع و التوحيد و إليه يشير

قوله عليه السّلام فى الدعاء السيفى الصغير:

«ربّ أدخلنى فى لجّه بحر أحديّتک و طمطام يمّ وحدانيّتک»

و قوله عليه السّلام فى الدعاء الشعبانى:

«الهى هب لى كمال الانقطاع إليک، و أنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليک، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمه، و تصير أرواحنا معلّقه بعزّ قدسک. إلهى اجعلنى ممّن ناديته فأجابک، و لاحظته فصعق لجلالک، فناجيته سرّا و عمل لک جهرا» .

و فى هذا المقام يستهلک فى نظره الاعتبار، و يخترق بنوره الحجب و الأستار، فينادى الحقّ لمن الملک اليوم؟ و يجيب بنفسه لنفسه، لله الواحد القهّار، و هذا نهايه سفر الأول من الأسفار التى للسالكين الكاملين، و هذه النهايه موجبه للولاده

المعنويه المشار إليها سابقا، التى سمّاها بعضهم التوحيد، و بعضهم بالقيامه الوسطى، و ربّما عبّروا عنها بزوال التعيّنات الخلقيّه، و فناء وجه العبوديه فى وجه الربوبيّه، كانعدام تعيّن القطره عند الوصول إلى البحر، و ذوبان الجمد بطلوع الشمس، فيزول عنه التعيّن الأسمائى، ليرجع إلى الوجود المطلق بارتفاع وجوده المقيّد. و قيل هذا التوحيد عباره عن ستر وجه العبوديّه بوجه الربوبيّه، و اختفاء كوكب ذاته عند وجود شمس العظمه و الكبرياء، و يكون الربّ ظاهرا و العبد مخفيّا قال الشاعر: حين تغيّبت بدا حين بدا غيّبنى و كيف كان فهذا الاختفاء إنما هو فى مقابله اختفاء الحقّ بالعبد عند إظهاره إيّاه، أى إظهار الحقّ العبد فيظهر العبد و يختفى الرب، و يليه فى الرتبه دونها أنّه قد يكون تبديل الصفات البشريّه بالصفات الإلهيّه دون الذات، فكلّما ارتفعت صفه من صفاتها، قامت صفه إلهيّه مقامها فيكون الحقّ سمعه و بصره، كما نطق به الحديث المشهور، و يتصرّف فى الوجود بما أراد الله عند سيره عن الحقّ إلى الخلق، و سعته للجانبين، كما للكمّل و الأفراد الّذين قامت قيامتهم و هم فى جلابيب أبدانهم قد نضّوها (۱)و انسلخت نفوسهم الإنسيّه عنها كلّ يوم انسلاخ الحيّه الوحشيّه عن جلدها فى كلّ سنه، و لعلّه إلى هذا الانسلاخ يشير ما روى على ما قيل:

عن النبىّ صلّى الله عليه و آله: «من أراد أن ينظر إلى ميّت يمشى فلينظر إلى» و فى حديث: «فلينظر إلى على بن أبى طالب» . و نقل أنّ السابقين الأوّلين من الحكماء الإلهيّين كانوا أصحاب إنسلاخ البدن، و كانت هذه الصفه ديدنا و عاده و ضعه معتاده لهم، و سنّه شايعه فيهم، و كانوا لا يعدون أحدا من الحكماء، ما لم يطّلع على الجهه المقدّسه أى تلك الأنوار القاهره و الأضواء القيّوميّه، و لا من المتألّهين ما لم يحصل له ملكه خلع البدن حتّى يصير

۱- ۱) نضّ ماله: صار عينا بعد أن كان متاعا، الشىء: أظهره.

البـدن بالنسـبه إليه كقميص يخلعه تـاره و يلبسه أخرى. فإذا بلغ الإنسان هـذه المرتبه العظيمه و المنزله الرفيعه، التى هى يتلوه فى الذات الإلهيّه و بقاؤه ببقائه، فيسـرى بالحقّ فى الحقائق كلّها، فيحصل له حقّ اليقين، لسريانه بالذات الإلهيه فى عين مظاهرها، أى بالعلم الإلهى. فحقّ اليقين وجدان الحقائق الإلهيّه و الكونيّه و لوازمها فى ذاته ذوقا و وجدانا. و عين اليقين شهودها بعين البصيره. و علم اليقين تصوّرهـا و إدراكهـا مطابقا لما فى نفس الأمر. فعلم اليقين للعلماء الراسـخين. و عين اليقين للأولياء الكاملين. و حقّ اليقين للأنبياء و الأولياء الكاملين المكمّلين، كلّ على حسب ذوقه و وجـدانه، و أعلى مراتب هذه الدرجه لمحمد و آله الطاهرين عليهم أفضل صـلوات المصلّين، كما نطقت به الآيات و الأخبار الوارده عنهم عليهم السّـلام حسـبما يأتى فى الشرح فى مظانّه. و من هنا قيل: للعلم اسم و رسم (۱)و هما للعلماء الظاهريين، و لذلك يسمّونهم بالعلماء الرسميّين لوقوفهم فى الرسوم. و علم و هو لخواصّ العلماء و أكابرهم. و عين و هو لخواصّ الأولياء. و حقّ و هو لخلاصه خواصّ الأنبياء و الأولياء المعصومين عليهم السّلام رزقنا الله الاهتداء بأنوارهم و الاقتداء بآثارهم. تنبيه: لا يتوهّمنّ أنّ ذلك الفناء المذكور و الموت الإرادى هو الفناء العلمى

ص :۱۵۵

۱- ۱) رسم: العلامه و يطلق على ما يقابل الحقيقه كقول الشاعر: أرى ودّكم رسما و ودّى حقيقه

الحاصل للعارفين، الـذين ليسوا من أرباب الشـهود الحالى، مع بقائهم عينا و صـفه، فإنّ بين من يتصوّر المحبّه و بين من هى حاله فرقانـا عظيمـا. كمـا قـال الشـاعر: لاـ يعرف الحبّ إلاّ من يكابـده و لا الصـبابه إلاّ من يعانيها و قال الآخر: زليخا گفتن و يوسـف شنيـدن شـنيدن كى بودماننـد ديـدن و هـذا كمـا ترى من أغلب العلمـاء الظـاهريين، الـذين ارتقوا إلى درجات العلوم الإلهيه، و وصـلوا إلى كمالها المعنوى العلمى، و لكنّهم لم يـذوقوا من الحقائق شـيئا، لعـدم وصولهم إلى مقام الشـهود و درجه حقّ اليقين، لعـدم سـلوكهم الحالى المشار إليه سابقا، فهم باقون فى درجه العلم الذى هو الحجاب الأكبر، و ليس لهم درك تلك الحقائق و لاـ آثارهـا، بـل ربّما أنكروها من أهلها كما هو المتراءى منهم، بل ربّما يرى من بعضـهم ادّعاء الوصول و الفناء مع أنّهم فى غايه البعد و العناء قال الشاعر: فهم فى السـرى لم يبرحوا من مكانهم فخاضوا بحار العشق دعوى فما ابتلّوا و لذا ترى العرفاء الشامخين الواصـلين لاـ يـأنسون بهؤلاـء المغترّين، بـل يكتمون حالاـتهم و أسـرارهم منهم، كما ورد الأمر به فى الشـريعه المقـدسه، كما لا يخفى على أهله. على أنّ إعراب أحوال أهـل الشـهود (۱)و شأنهم لهؤلاء الظاهريين الواصـلين إلى العلم فقط، غير الـذّائقين لها، ستر لتلك الحقائق، و الإظهار بها لهؤلاء غير الواجدين، إخفاء لها. و إليه يشير ما فى كلامهم: أنّ إظهار سرّ الرّبوبيه كفر، و الكفر هنا بمعنى الإخفاء كما هو بحسب أصل اللغه.

ص: ۱۵۶

۱- ۱) أعرب الشيء: أبانه.

و السرّ فیه أنّ العلم بکیفیّه التوحید علی ما هو الحق تعالی علیه مختصّ بالله تعالی کما شهدت به آیه شهد الله، و لا یمکن الوصول إلیه إلّا من شاهد من عباده الکمّل، و حصل له هذا المشهد الشریف، و التجلّی الذاتی المفنی للأعیان بالأصاله ما قال الله تعالی: فَلَمّا تَجَلّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا وَ خَرَّ مُوسی صَعِقاً (۱)

و قال السبزواری (رضوان الله تعالی علیه) فی أوائل الشرح للجوشن و فی الحدیث: التوحید الحقّ هو الله و القائم به رسول الله و الحافظ له نحن و التابع فیه شیعتنا. و کیف کان، فمن کفر بوجدان الحقّ و اغتر بالعلوم و إن کانت علوما إلهیّه، و لا یتعرض لنفحات ألطاف الله فی أیّام دهره، و لا یترقّب لجذبات أعطافه التی توازی عمل الثقلین. فهذا لا خیر فیه، و لا هو من أهل الله، و لا لله فیه حاجه، بل هو فی مسیر باطنه متابع النفس، و هو ممن لم یسلم وجهه لله و هو محسن، فلا محاله فإن الله غنی عن العالمین و عنه، کلّ ذلک لعدم استکماله بعرفان أهل الشهود الّذین یستکملونه منه تعالی.

تنبیه و موعظه حسنه:

یجب علیک أن تعلم یا حبیبی-إن کنت طالبا للسعاده الأبدیه، و الوصول إلی معرفه التوحید بحقه، و کنت ممن أفاض علیک الحقّ أنوار رحمته-أنّ هذه المراتب الرفیعه و الدرجات العظیمه لا تحصل بمجرد قراءه المتداول من الکتب، من دون سلوک طریق الحق و الانقطاع عن الخلق، و ریاضه النفس و مجاهده القوی. فإنّ أکثر المباحث المثبته فی الدفاتر، المکتوبه فی الأوراق، إنما الفائده فیها مجرّد الانتباه لحصول الشوق إلی الوصول، لا الاکتفاء بانتقاش النفوس بنقوش المعقول و المنقول، فإنّ مجرّد ذلک لا یحصل به اطمینان القلب و سکون النفس، و راحه البال

۱- ۱) الأعراف:۱۴۳.

و طيب المذاق، كما هو المرائى منهم، بل غايه ما يستفاد منها أنّها مما تعدّ السالك لسلوك سبيل المعرفه و الوصول إلى الأسرار، إن كان مقتديا بطريق الأبرار، متّصفا بصفات الأخيار. و ليعلم أنّ معرفه الله و علم المعاد، و علم طريق الآخره و فقه الأنوار ليس المراد منها مجرد الاعتقاد الذى يتلقّاه العامى (۱)أو الفقيه وراثه و تلقّفا (۲)فإن المشغوف بالتقليد و الجامد على الصوره لن ينفتح له طريق الحقائق كما ينفتح للكرام الإلهيّين، و لا يتمثل له ما ينكشف للعارفين المستصغرين بعالم الصوره، من معرفه الخلائق و حقيقه الحقائق. و اعلم أنّ الآيات القرآنيه و أحاديث أهل بيت العصمه و الطهاره مطبقه على الأمر بالتفكر فى الآيات الإلهيه، و الآيات الآفاقيّه و الأنفسيّه. فينبغى للسالك الطالب أن يسير بفكره فيها ليتبصّر فى المعارف الإلهيه. و لعمرى أنه بهذه الأفكار ينفتح باب المشاهده و طريق المكاشفه، و بهما يفرّق بين العلماء الظاهرين و العلماء الربانيين، و هذه عقبه قلّ من اقتحمها من العلماء، فوقف كثير منهم دونها، و لم يصلوا إلى باب المشاهده و المكاشفه، لتركهم السير الفكرى. و لعمرى إنّ شرّ الأزمنه زمان انسدّت فيه هذه الأبواب. و اعلم أنّ العالم ناقص فى كماله إلاّ إذا انفتح فى قلبه هذا الباب، فكما أنّ العالم إذا لم يكن له قوّه بحثيه فلا محاله يكون ناقصا فى العلم، فكذلك الباحث السالك الطالب إذا لم تكن له مشاهده و مكاشفه من آيات الحقّ و من أبواب الملكوت، يكون ناقصا غير معتبر فى المعارف الإلهيه، و لا مستنطق من القدس بنطق إلهىّ و إلهام ربوبى و وارد قلبى. و اعلم أنه إذا مات الإنسان لم يبق له إلاّ ما كاشفه و شاهده بقلبه، بحيث صارت

۱- ۱) العامّى: الذى لا يبصر طريقه.

۲- ۲) تلقّف الشيء: تناوله بسرعه تلقّق ما بينهم: تلاءم.

مشاهداته عين ذاته و اتصلت حقيقته بالعقل الفعّال و الأنوار القاهره، كما حقق فى محلّه من اتّحاد العاقل بالمعقول، و أما ساير العلوم التصوريه و التصديقيه فإنها منطمسه فى الجدليّات و مقالات المبتدئين.

الإنسان العارف:

و مما ذكر يعلم أنّ قدر الإنسان فى الآخره على قدر ما كاشفه و شاهده من الحقائق و العلوم الإلهيه. قال بعضهم: فالحكيم يحشر مع المدبّرات العلويّه، و التألّه مع الأنوار القاهره، و الفانى عن غيره تعالى يضمحلّ فى نور الأنوار و أمّا الجدلى المقتصر على العلوم الجدليه و الصور، يحشر مع السباع، لأنّ حقيقه علمه هو ظهور الغضب و التسلّط و هو حقيقه السبع، و تقدم ما يدلّ على أنّه يحشر الناس على نيّاتهم و أوصافهم، و ما صار حقيقه ذاتهم من الأخلاق و العلوم و الحقائق، كما لا يخفى. و اعلم أنّ الحكيم يراد منه المبرهن الباحث من دون أن يصل إلى مقام التألّه، و أمّا المتألّه فيراد منه من سلك فى المعارف سبيل الإشراق أى اعتقد أنّ جميع المجردات الإلهيه و العقليه و النفسيه من حقيقه النور، و يعتقد أنّ حقيقه النور حقيقه بسيطه لا جنس لها و لا فصل و لا حدّ و لا رسم، لأنّها ظاهره بنفسها و بذاتها و مظهره لغيرها، فلا محاله ما كان هذا شأنه لا يمكن تعريفه و إظهاره بما هو غيره أى غير النور، فكيف يمكن تعريف النور بغير النور، و هل هو إلاّ تعريف الظاهر بنفسه بالخفى؟ بل لا يكون تعريفه إلاّ تحصيلا للحاصل إذ المعرف للنور لا بدّ من أن يكون من النور، فتعريف النور بالنور تحصيل للحاصل كما لا يخفى. و مما يعتقده المتألّه أنّ التفاوت بين جميع الأنوار القاهره و المدبّره، بل المحسوسه أيضا ليس بأمر ذاتى أو عرضىّ، بل التفاوت بينهما إنما هو بالكمال و النقص و الشده

و الضعف، و بحسب سنخ النوريّه و القرب و البعد إلى نور الأنوار. و يعتقد أيضا أنّ كثره الأنوار القاهره أزيد من كثره الأنوار الجسميّه، لاشتمال تلك الأنوار القاهره على سلسله الأنوار الطوليّه «الأعلون» ، و العرضيّه التى هى أرباب الأصنام البرزخيّه، و شرحها موكول فى محلّه.

فصل: العوالم الأربعه:

و يعتقد أيضا أنّ العوالم أربعه: الأول: عالم الأنوار القاهره. الثانى: عالم الأنوار المدبره. الثالث: البرزخان الفلكى و العنصرى. و الرابع: الصور المعلّقه التى تسمى بالأشباح المجرده و الأشباح الأخرويه، إلى غير ذلك من القواعد المبتنيه على قاعده النور و الظلمه، و شرحها موكول إلى محلّه. و أمّا الفانى أى المضمحل فى نور الأنوار فهو من يرى أنّ الموجود بالذات منحصر فى واحد حقيقى، و الحقيقه منحصره فى ذات أحديّه واجبيّه،

كما قال عليه السّلام: «و ذاته حقيقه» ،

و قال عليه السّلام: «بل هو شىء بحقيقه الشيئيّه» و إنّ موجوديّه الماهيات الممكنه و الأعيان الثابته إنّما هى بكونها من أشعّه نوره و لمعات ظهوره، لا أن لها استقلالا فى الوجود الحقيقى، و انفصالا بحسب الماهيه عن إشراقات الوجود الحقيقى و ظلال النور الأحدى. و اعلم أنّ العلوم الحقيقيه و المعارف الأخرويه لا تحصل إلّا بالانقطاع عن الدنيا، و السير إلى الله، و هى محرّمه على علماء الدنيا، الراغبين فيها، لأن هذه العلوم علوم ذوقيّه و مقامات كشفيه، مبناها على الذوق و الوجدان القلبى، و يتعذّر تحصيلها مع محبّه الجاه و الترفّع. و هذا بخلاف ساير العلوم فإنّها تجتمع مع محبّه

الدنيا، بل ربّما كانت معينه على اكتسابها، لما نرى من المشتغلين تحمّل المشاقّ، و سهر الليالى، و التكرار آناء الليل و أطراف النهار، و الصبر على الغربه و الأسفار، كلّ ذلك لأجل الجاه الوهمى، و التصدر الخيالى، و التبسّط فى البلاد، و الترفع على العباد. و أما علوم الآخره فلا تحصل إلّا برفض محبّه الدنيا عن القلب، و مجانبه الهوى، و لا تدرس إلّا فى مدرسه التقوى، كما قال تعالى: وَ اِتَّقُوا اَللّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اَللّهُ (1)فجعل العلم ميراث التقوى و الظاهر أنّ العلوم المتعارفه ميسّره عن غير ذلك، بل تحصل مع الحرص على الترفّعات الدنياويّه و الرياسات الحيوانيّه، و الاهتمام بالشهره عند الناس كما هو المرائى. و كيف كان فعلم مما ذكر الفصل و الفرق بين علم الحقائق و سلوك طريق الآخره و بين غيره من سائر العلوم المتعارفه، و ذلك من حيث إنّه لم يكشف هذه العلوم الأخرويه إلّا لأولى الألباب. و أولو الألباب حقيقه هم الزاهدون فى الدنيا و الراغبون فى الآخره. و لهذا قد أفتى بعض الفقهاء أنّه إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس، فإنه يصرف إلى الزّهاد، لأنّهم أعقل الخلق. و الحاصل أنه من لا كشف له قلبا لا علم له حقيقه بالآخره، و نسبه البصيره القلبيّه إلى مدركاتها كنسبه البصر الظاهرى إلى مدركاته، فكما أنّ للبصر نورا كلّما يقع فى ذلك النور فهو يدركه، فكذا البصيره نور كلّما يقع فيه فهو يدركه، و لا يدرك حقيقه هذا النور إلّا من له نور وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اَللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ و هكذا إدراكات جميع الأنوار حتى نور الأنوار، كلّما ازدادت النفس نوريه و شروقا إزدادت انبساطا فتقع فيها المعلومات أكثر. و هكذا يكون الحال فى كلّ من له الميل إلى الكمال، و له الاستعداد فى ذلك، و له الوسائل المعنويه و الطرق الإلهيّه للازدياد.

۱- ۱) البقره:۲۸۲.

و هـذا بخلاـف من كانت كمالاته الممكنه له موجوده معه بالفعل، و لم تكن فيه القوّه، بل كلّها موجوده بالفعل كالعقول الفعّاله فلاـ تزداد نوريّته و لاـ تشتدّ، و لا يتجاوز مرتبته فى العلم كما قال تعالى فى حقّهم: وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ (١). و اعلم أنه إنّ كان الكمال و النور بحيث لا يمكن أكمل منه و لا أنور كان جميع الأشـياء واقعه فى نوره، بل يكون نوره نافذا فى الكلّ متصرّفا فيها محيطا بها أزلا و أبدا، كالواجب تعالى،

قـال عليه السّـلام: «نور كلّه، نور لاـ ظلمه فيه» فلاـ محاله لا أنور منه، فلا محاله يكون كما قال تعالى فى حقّه: لاٰ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقٰالُ ذَرَّهٍ فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِى اَلْأَرْضِ (٢). و هاهنا أسرار لا يجوز التعبير عنها لعزّتها و شرفها، يتفطّن لبعضها من وفّق لها من أهلها. و اعلم و تفطّن بحقيقه عقلـك أنّ العقـل نـور الله، و لاـ يهتـدى إلى النـور غير النـور، و لاـ يظهر صور فردانيّته إلاّـ فى مرآه فردانيه النفس مرآه لله. و بعبـاره أخرى: لاـ تظهر صور الفرد الأحـد من حقـايق أسـمائه إلاّـ فى النفس الفردانيه التى صـارت مرآه الله، و مرآه الله لاـ تشـبهها مرآه الأجسام. و نعم ما قيل: «إذا وضـعت على سواد عينك جزءا من الـدنيا لا ترى شـيئا، و إذا وضـعت على سويداء قلبك كلّ الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا؟» مثنوى: گر چه موئى بد گنه كو جسته بود ليك آن مو در دو ديده رسته بود بود آدم ديـدهٔ نور قـديم موى در ديده بود كوهى عظيم و اعلم أن العبد إذا اتصل علمه بعلم ربّه فناه فيه، و يكون إدراكه حينئذ للأشـياء بنور الحقّ و بعلمه لا بعلم العبـد، فالعبـد حينئـذ مظهر لعلمه تعالى لا عالم بعلمه تعالى، و هذا العلم فوق علوم الملائكه و الثقلين، لأنّ علومهم إمّا كسبيّه و إما

ص: ١۶٢

١- ١) الصّافات:١۶۴.

٢- ٢) سبإ:٣.

وهبيّه و كلاهمـا مغـايران لعلم الحقّ. و بعبـاره أخرى: شـتّان بين علم كـان فيضه تعالى لعبـده، و بين علم هو عين علمه تعالى فى مرتبه لا يغاير العلم ذاته تعالى، بخلاف الأول فإنه علم العبـد كسبيّا كان أو وهبيا. و كيف كان ففى صوره اتصال علم العبـد بعلم الربّ يكون العلم و العـالم هو الله تعالى و العبـد مظهر له، و هكـذا كعلم النبىّ صـلّى الله عليه و آله و علم الأئمه عليهم السّـلام و علم فاطمه الزهراء سـلام الله عليها فهم خزّان علم الله، فعلم الله فيهم ظاهر. و من هنا تعلم أنّ ما قاله صاحب البرده فى مـدح سـيد المرسـلين صـلّى الله عليه و آله ليس من بـاب المبالغـات الشـعريه و المجازات اللغويه و هو قوله رحمه الله: فإنّ جودك، الـدنيا و خبرتهـا و من علومـك علم اللـوح و القلم كيف لا ـ و علمه صـلّى الله عليه و آله علمه تعـالى، و معلوم أنّ علوم اللوح و القلم من علمه تعالى؟ ! و اعلم أنّ درجه الوصول إلى الحقّ لا تتيسر إلاّ بقطع الحجب الظلمانيّه ثم النورانيه

كما قالوا عليهم السّلام:

«الهى هب كمـال الانقطـاع إليـك، و أنر أبصـار قلوبنـا بضـياء نظرهـا إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، و تصل إلى معدن العظمه، و تصير أرواحنا معلّقه بعزّ قدسك»

و الوصول إلى معدن العظمه و صـيروره الروح معلّقا بعزّ قدسه تعالى، لا يكون إلاّ بعد خرق حجب النور فضلا عن حجب الظلمه كما لا يخفى، و إلى هذه الحجب يشير ما

فى الحديث: «إنّ لله سـبعين ألف حجاب من نور و ظلمه لو كشـفها لأحرقت سـبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» و لعلّ المراد من عدد السبعين الكثره، كما لا يخفى أنّ استعمال هذا العدد شايع فى كلام العرب لبيان الكثره. تنبيه:

قد ورد فى الحديث ما مضمونه: أنّه سئل رسول الله صلّى الله عليه و آله: أىّ البقاع

أشرف و أيّها أدون؟ قال: لا أجيب حتى أسأل جبرئيل عليه السّلام و لما سأله، قال: لا أجيب حتى أسأل الله عزّ و جل، فلما نزل قال: ما كنت قريبا من الله قطّ أقرب منه هذا اليوم، قال صلّى الله عليه و آله: كيف كان قربك من الله يا جبرئيل؟ قال: صرت بحيث لم يكن بينى و بين الحقّ أزيد من سبعين ألف حجاب فسألته، فقال تبارك و تعالى: خير البقاع مساجدها، و شرّ البقاع أسواقها. فانظر أيّها المسكين إذا كانت الحجب بين الملك الجليل معلم الأنبياء و بين الله تعالى فى غايه دنوّه، و كمال قربه إليه سبعين ألف، فكيف يكون بين مثلى و مثلك و بين الرب تعالى؟ ! ما للتراب و ربّ الأرباب! وَ يُحَذِّرُكُمُ اَللّٰهُ نَفْسَهُ (1). أقول: هذا بالنسبه إلى الملائكه فى قربهم إليه تعالى، و من هنا تعلم قرب النبىّ و الأئمه عليهم السّلام إليه تعالى، و أنّهم أقرب الخلق من الملائكه و غيرهم إليه تعالى. و إليه يشير ما سيأتى فى الشرح من

قول الإمام السجاد عليه السّلام: ليس بين الله و بين حجّته ستر، و لا دونه حجاب، كما فى بصائر الدرجات.

و من قوله عليه السّلام فى دعاء رجب: «لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك و خلقك، رتقها و فتقها بيدك، بدؤها منك و عودها إليك، فبهم ملأت سماءك و أرضك حتّى ظهر أن لا إله إلاّ أنت» . إذن، فليس بينهم عليهم السّلام و بينه تعالى ستر و لا حجاب إلاّ أنّه ربّ و أنّهم عباد، و أنّ نورهم يفصل عن نور ربّهم كما تفصل شعاع الشمس منها، و لهذا البحث كلام عريض و توضيح لطيف يذكر فى محلّه. هذا و إن شئت أن تصل إلى كعبه المقصود، فانحر تقرّبا إليه حيوانيّتك، و أزل عنك وجودك، و أمط أذى هوّيتك عن الطريق، فإن الطريق الحقّ لا يحتمل ثقلك فضلا عن أثقالك و أوزارك، أ ما علمت أنّ وجودك ذنب لا يقاس به ذنب؟ أ و ما دريت أنّ المانع عن ظهور الحقّ لك وجودك، و أنك أى وجودك و هويّتك ينازعك فى شهودك الحقّ؟ فقل عند بارئك بحقيقه وجودك تضرّعا و خيفه:

1- 1) آل عمران:28.

بینی و بینک إنّیی ینازعنی،

فأرفع بلطفک إنّیی من البین.

و اعلم أنّه إنّما یعرف الله تعالی بأعاجیب آیاته و بشواهد هبه الحضور لا بالفکره، فإن الفکره لا تتسلّط علی إله الأرباب، و إیاک أن تغترّ بما یذکره الفلاسفه من القیاسات العقلیّه بأقسامها فإنها لا تفید إلاّ إلزام القلب بالتصدیق له تعالی و بشئونه، و أما المشاهده فکلاّ. فإنّه لا طریق إلی معرفته إلاّ بالعجز عن معرفته، و لنعم ما قیل: زنهار بحجّت قیاسی غرّه نشوی بحق شناسی پندار خود از میانه بردار توحید تو شرک تست هشدار! خود را صفتی کند زبانت توحید خدا بود گمانت ای ذرّه چه مرد آفتابی نزدیک مشو که بر نتابی أحمد که خلاصه وجود است لا أحصی گوی در سجود است فأعلم یا حبیبی إن أردت أن یشرق علیک من نور جماله، فعلیک بتوسعه وعاء وجودک، بإسقاط الإضافات فی نفسک و عن غیره تعالی، بأن توجّه قلبک عن الأکوان مطلقا تخلیه وجه المرآه عن الألوان، حتی یتجلّی لک الوجه الکریم تجلّی نور الشمس علی التراب الرمیم، فتنظر أنت بلا أنت ذاته بذاته. و إلیه یشیر

قولهم: «لا یعرف الله غیر الله»

و قال السجاد علیه السّلام: «بک عرفتک و لو لا أنت لم أدر ما أنت» و قال: «بنورک اهتدینا و بنعمتک أصبحنا و أمسینا» . و لنعم ما قیل: فذلک سرّ، طال عنک نقابه و ذاک صباح، کنت أنت ظلامه فأنت بوجودک حجاب ربّک،

قال علیه السّلام: و خلقه الخلق حجاب بینه و بینهم، و نعم ما قیل: «تو خود حجاب خودی حافظ از میان برخیز» فلا یتبیّن الحق إلاّ عند اضمحلال الرسوم، و أنت بوجودک رسوم و لا بدّ من إزالتک من البین.

و لنعم ما قیل: در تنگنای صورت، معنی چگونه گنجد در بنگه گدایان سلطان چکار دارد و اعلم أنّ العارفین یظهرون هنا فی الدنیا علی الصوره الدنیاویّه لما یجری علیهم من أحکامها و أحکام الطبیعه. و إلیه یشیر قوله تعالی فی حقّه صلّی اللّه علیه و آله: إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ

و قول علی علیه السّلام فی وصیته: «إنّما جاورتکم ببدنی أیاما»

و قوله علیه السّلام فی حدیث کمیل: «و صحبوا الدنیا بأبدان أرواحها معلّقه بالمحل الأعلی» هذا بحسب الظاهر، و لکنه تعالی قد حوّلهم فی بواطنهم علی الصوره: النشأه الأخرویّه، کلّ علی حسب التجلّی الإلهی. فهم فی الصوره مجهولون إلّا لمن کشف اللّه عن بصیرته. و یشیر إلی هذه الصوره الأخرویه قوله تعالی: یُوحیٰ إِلَیَّ فإن الوحی کما حقق فی محله هو التجلّی الإلهیّ کما یشیر إلیه

قوله علیه السّلام فی الدعاء: «اللهم إنّی أسألک بالتجلّی الأعظم» فی لیله المبعث. هذا بالنسبه إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و أما غیره فیشیر إلیه

قول علی علیه السّلام: «أرواحها معلّقه بالمحلّ الأعلی»

و قوله علیه السّلام: «. . ظاهری الإمامه و باطنی غیب لا یدرک» کما نقل.

و قوله علیه السّلام: «و إنّی لمن قوم لا تأخذهم فی اللّه لومه لائم، سیماهم سیما الصدیقین، و کلامهم کلام الأبرار، عمّار اللیل و منار النهار. متمسکون بحبل القرآن، یحیون سنن اللّه و سنن رسوله، لا یستکبرون و لا یعلون، و لا یغلّون و لا یفسدون، قلوبهم فی الجنان، و أجسادهم فی العمل!»

(۱)

فقوله: قلوبهم فی الجنان یشیر إلی تلک الصوره: التجلّی الإلهی کما لا یخفی. و کیف کان فما من عارف باللّه من حیث التجلّی الإلهی إلّا و هو علی النشأه الآخره بحسب ذلک التجلّی الإلهی، کلّ بحسبه. فهو و إن کان قد حشر فی دنیاه بصوره البشر، و نشر من قبره بالصوره الإنسانیّه، إلّا أنّه یری باطن ما لا یرون،

۱- ۱) نهج البلاغه: آخر الخطبه ۱۹۲ «القاصعه» .

و يشهد ما لا يشهدون من التجلى الإلهى الذى يكون فى باطنه، كلّ ذلک عنايه من الله تعالى به. و اعلم أنه بالفناء المذكور يستعد الإنسان لخلافه الحقّ و مسجوديّه الملائكه، كلّ ذلک لأجل مرآتيه ذاته و صقاله وجهه، و خلّو صفحه قلبه عن نقش الأغيار، و صفاء بيت وجوده عن غير الواحد القهّار. فلا محاله وقعت على مرآه وجهه المتوجه إلى وجه الحقّ أنوار أسمائه و تجلّياته وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا و ليس هذا مما يختصّ بأبى البشر، بل سيد الأنبياء أولى بهذا التشريف، و بعده صفوه أولاده و ورثته (صلوات الله عليهم أجمعين) كما حقق فى محلّه و سيجىء بيانه فى الشرح. و لنعم ما قيل: تو بودى عكس معبود ملايک از آن گشتى تو مسجود ملايک از آن دانسته اى تو جمله أسماء كه هستى صورت عكس مسمّى و أعلم أيضا أنّ هذا السجود من الملائكه لخليفه الله تعالى الذى تجلّت فيه الأسماء الإلهيّه و الأنوار الجليّه يكون مستمرّا ما دام فى الوجود خليفه، و الخليفه باق إلى يوم القيامه، كما دلّت عليه الآيات و الأخبار الكثيره، نذكرها فى الشرح إن شاء الله تعالى. و كيف كان فلا بدّ للإنسان الكامل الذى هو خليفه الله تعالى من الاستواء و التعديل الراجعين إلى جهه الوحده و الاستواء و الصفاء الذّاتى، لكى تنجلى فيه أنوار الأسماء الإلهيّه. و توضيحه أنه كما أنّ المرآه ما لم تتساو جوانبها، و لم ينف عنها الاختلاف و الظلمه و الكدوره و الطبع و الرين. و لم تصر وحدانىّ الشكل، عديم اللون بل عديم الذات لم يقبل الصور، فإنّ مرآتيه المرآه ليس لأجل أعماقها و خصوصيّه و نوعيّه ذاتها، و كونها من حديد أو زجاج أو ماء، بل بواسطه وجهه الذى هو عدمىّ محض و فانىّ

بحت، و کـذلک الإنسان إن کان قلبه مجلوا عن کلّ رین و طبع و کدوره، فلا محاله یقبل صور أسـماء الجمال و الجلال، و هذا هو الإنسان الفانی عمّا سواه، و هـذا بخلاف غیره أی غیر الکامل و غیر الفانی المضـمحلّ فی نور الأنوار، فإنّه حینئـذ لا یخلو عن ملاحظه ذاته، و فعلیّه صـفاته الکمالیّه الحاجبه إیاه عن محاذاه وجهه شـطر کعبه المقصود، و الانخراط بالکلّیه فی سـلک عبودیّه الملک المعبود، فهذا محجوب عن انتقاش أنوار أسمائه الجمالیّه و الجلالیّه فیه. فالوصول إلی التوحید الحقیقی بما له من الشئون إنّما هو بهـذا الفناء و الطهاره القلبیه و لـذا نری أنّ دیدن أهل الله تعالی هو الاهتمام بالسـلوک الموجب لهذا الفناء، و مرجع هذا الفناء إلی إثبات نسـبه الإمکان، الـذی هو قصاری مجهود العابدین، و نهایه مطامح أنظار العارفین، أی أنّ همّهم الوصول إلی أنّ حقیقتهم لیست إلاّ الإمکان المحض، الـذی بـذاته لا یقتضـی إلاّ الفقر، الـذی هو عـدم محض، و تحویل الوجود بما له من الآثار إلی صاحبه و هو الحقّ المطلق جلّ و علا. و إلی هـذا الفناء و الحثّ علیه یشیر قوله تعالی: . . وَ کُنْ مِنَ اَلسّاجِدِینَ. وَ اُعْبُدْ رَبَّکَ حَتّی یَأْتِیَکَ اَلْیَقِینُ (۱). توضیحه: أنّ الأمر بالسجود هو الأمر بالفناء، فإنّ حقیقه السجود الذی هو غایه الخضوع و الخشوع ظاهرا بوضع عتائق الوجوه علی التراب، و باطنا هو فراغ القلب من الفانیات. و إلیه یشیر ما

فی غرر الحکم للآمدی رحمه الله عن أمیر المـؤمنین علیه السّـلام: «السـجود الجسـمانی هـو وضع عتـائق الوجوه علی الـتراب، و اسـتقبال الأـرض بـالراحتین و الرکبتین و أطراف القـدمین، مع خشوع القلب و إخلاص النیّه. و السـجود النفسانی فراغ القلب من الفانیات، و الإقبال بکنه الهمّه علی الباقیات، و خلع الکبر و الحمیه، و قطع العلائق الدنیویّه و التحلّی بالخلائق النبویه» . و هذا

۱- ۱) الحجر:۹۸-۹۹.

لا یتحقق إلّا بفناء النفس، أی الرجوع إلی الإمکان و الفقر، بحیث یشاهد فقره الذاتی، و أنّه عدم محض، و أنّ ما به وجوده هو تجلّیات الربّ و مظاهره الموجوده بإشراقه تعالی، و إنّ معیّه الحقّ معها معیّه قیّومیّه. و هذا الفناء محقّق لحقیقه العبودیه، و اتّصاف العبد بأنّه عبد حقیقه. فقوله تعالی: وَ اُعْبُدْ رَبَّکَ حَتّٰی یَأْتِیَکَ اَلْیَقِینُ أمر بتحصیل حقیقه العبودیه التی تتحقق بها العباده الحقیقه، و الله العالم. و معلوم أنّه لا تکون إلاّ بالفناء المذکور، و الفناء المذکور و حقیقه العبودیه یأتی بالیقین، أی یتبیّن أنّه الحقّ و أنّ ما دونه هو الباطل و السراب، یحسبه الظمآن ماء أی موجودا سرابیّا خیالیّا. و إلی شرافه مقام العبودیه و أنه لا شرافه فوقها مدح الله نبیّه بقوله: سُبْحٰانَ اَلَّذِی أَسْریٰ بِعَبْدِهِ لَیْلاً. . (۱). و قال عیسی علیه السّلام فی أول نطقه: إِنِّی عَبْدُ اَللّٰهِ (۲).

و قال سید الأولیاء أمیر المؤمنین علیه السّلام: «کفی لی فخرا أن أکون لک عبدا، و کفی لی شرفا أن تکون لی ربّا، اللّهم إنّی وجدتک إلها کما أردت فاجعلنی عبدا کما أردت» . و لذا اشتهر أنّ العبودیه أشرف من الرساله، لأنّ بالعبودیّه ینصرف من الخلق إلی الحقّ، و بالرساله ینصرف من الحقّ إلی الخلق، و لهذا نال شرف التقدم

فی قول الموحّد فی التشهّد: «أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شریک له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله» . و قال تعالی إشاره إلی تعظیم العبودیّه: لَنْ یَسْتَنْکِفَ اَلْمَسِیحُ أَنْ یَکُونَ عَبْداً لِلّٰهِ وَ لاَ اَلْمَلاٰئِکَهُ اَلْمُقَرَّبُونَ (۳)و هم الذین حصل لهم الفناء فی الحقّ و الهیمان به.

---

۱ - ۱) ففی شرح دعاء الجوشن للمحقق السبزواری: و فی لیله المعراج لما قیل له صلّی الله علیه و آله: سل ما تبتغیه من السعادات. قال صلّی الله علیه و آله أضفنی إلیک بالعبودیه یا رب، فنزل: سُبْحٰانَ اَلَّذِی. . . . سوره الإسراء الآیه ۱.

۲- ۲) مریم:۳۰.

۳- ۳) النساء:۱۷۲.

و إلى كمال هذه العبوديه، و سعه قابليّتها لتجلّيات أنوار الإلهيّه يشير

الحديث القدسى: «لا تسعنى أرضى و لا سمائى و لكن يسعنى قلب عبدى المؤمن التقىّ النّقى» . و لا يخفى أنّ سبب هذه الوسعه لقلب العبد، و الانشراح لصدره، إنّما هو ترك الالتفات إلى غير الله، و الإقبال بالكلّيه إليه تعالى، و التحقيق بالعبوديه الصرفه، و الاستهلاك بنار العشق و المحبّه، و لهذه الدقيقه ذكر فى الحديث الإلهى بهذا العنوان، أى عنوان-العبد المؤمن التقىّ النّقى-دون الرساله و غيرها من الألقاب. و لنعم ما قيل: دو عالم را بيكبار از دل تنگ برون كرديم تا جاى تو باشد توضيح: و لمّا علمت معنى الوصول و التقرّب إلى الحقّ، فالالتحاق به تعالى على هذا الوجه من صيروره العبد لصفاء ذاته، و تصفيه وجهه مرآه لمعرفه الحقّ و أسمائه و صفاته، و مظهرا لأنواره و آثاره، علمت أنّ هذا ليس بامتزاج العبد مع الحقّ و لا اتّصال و لا حلول و لا اتحاد، تعالى عمّا يقول الملحدون علّوا كبيرا، بل هو توجّه استغراقى و علاقه اضمحلاليّه

كما قال تعالى فى حديث المعراج: «لأستغرقنّ عقله بمعرفتى» أى حقيقته. و كيف كان فهو عبوديّه تامّه يحكم عليها شعاع طامس قيّومى، يمحو عنها الالتفات إلى غير الحقّ أىّ غير كان، و إن كان هويه العارف أى عرفانه، من حيث هو عرفانه، ضروره أنّ التوجه إلى العرفان من الفانى شرك خفىّ و قول بالثانى، و التوحيد ينافيه. توضيح آخر: لا يخفى أنّ عند أهل التحقيق إنّما يكون عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، هم العارفون الذين يعرفون مداخل الشيطان من أنحاء التقييدات، ضروره أنّ الحقّ بجماله المطلق إنّما هو محتجب بالقيود الإمكانيّه المحدّده للموجودات الموجبه لاحتجاب الحقّ المطلق بها، فالعارف الحقيقى هو العارف بأن

القيود هى الحجاب و هى مداخل الشيطان، إذ الشيطان ما هو مانع عن الحقّ مهما كان، فلا محاله يبالغون فى رفع القيود بصرف التوجّه إليه، و الإعراض عنها بالتوجه الصرف إلى الحق المطلق. و لا ريب أنّ القيود هى المحقّقه لعناوين الدنيا و زينتها، و موجبه لتشكيل دار الغرور و زينتها التى هى أمور وهميّه، لا حقيقه لها بحسب ماهيّاتها، فإنّها كما عرفت إنّما انتزعت من القيود التى ترجع إلى الأعدام. و كيف كان فالعارف حيث إنّه عرف مداخل الشيطان، و أعرض عنها و عن الدنيا و زخارفها، فلا محاله يكون العارف واقفا مع الأمر الإلهيّ لا يتعدّى عنه يحلّ معه حيثما حلّ، و لا نظر له إلى غيره، و هو الموحد الذى لا يرى لغيره تعالى وجودا فى ظرف إسقاطه الإضافات و القيود الوهميّه، فيرى الكلّ مجالى جماله و جلاله، فلا محاله تكون عباداته و حركاته و سكناته كلّها بالله و من الله و إلى الله و لله، فإنّ من أعرض بذاته عن غيره تعالى فلا محاله يرى الأشياء و منها نفسه قائمه بالله تعالى كما

قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى وصيّته: «إنما نحن به و له» و

فى دعاء الجوشن: «يا من كلّ شىء موجود به»

و قال تعالى فى الحديث القدسىّ: «و كيف يخفى علىّ شىء أنا مبتدئه» و قال تعالى: إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ . فهذه الأحاديث و الأدعيه و الآيات و ما شابهها و هى كثيره جدّا تعطى المتأمّل فيها أنّ الموجودات خصوصا النفوس الإنسانيّه، التى هى مظاهره تعالى كلّ بحسبه، كلّها إنّما هى به و منه و إليه و له تبارك و تعالى و تقدّس، إلاّ أنّ هذه الحقيقه لا تكاد تظهر لأحد إلاّ إذا اتّصف بالفناء المذكور آنفا، بما له من المعنى المتقدم. و هذا الأمر أى الوصول أى الفناء المذكور الموجب لرؤيه الحقّ و أنّ الموجودات كلّها قائمه به و منه و له و إليه، هو المطلوب له تعالى من كلّ أحد.

و لعلّه إليه يشير قوله تعالى: وَ قَضىٰ رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ (۱)فإن التعبير بالقضاء الإلهيّ آكد من الأمر المولوى به، فإنه يستفاد منه الأمر المولوى و الظاهرى بالنسبه إلى المحجوبين، كما فى قوله تعالى: . . إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اَللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ اَلدِّينَ (۲)و أمثاله من الآيات، و الأمر التكوينى، أى أنّ الأمر فى الواقع هو هكـذا، أى كلّ يعبـدونه تعالى لا محاله، ضـروره أنّ عبوديّه الموجودات له تعـالى، و أنّها قائمه به و منه و له و إليه، إنما هى أمر تكوينيّ لا تشـريعى فقط فالتشـريع إنّما هو للوصول و الوقوف على هـذه الحقيقه تكوينـا. و بعبـاره أخرى: إنّا أمرنـا بالتوحيـد و بعبادته تعالى مخلصـين له الـدين مع ما للعباده من الشـرائط فى الأجزاء و القبول، لكى نصل إلى هذه الحقيقه الثابته فى نفس الأمر، ضـروره أنّ من وصل إلى المقامات الثلاثه للتوحيد: الذاتى و الصفاتى و الأفعـالى، ليس معنـاه أنه يحقق بعبـادته ما لم يكن منها، بل بها يصل إلى هـذه الأمور من التوحيـدات الثابته و الكائنه فى نفس الأمر، فبلحاظ الواقع يصـدق أنّه تعالى قضـى أن لا تعبـدوا إلاّ إيّاه بالقضاء التكوينى، و بلحاظ الظاهر لمن لم يشاهـد هذه الأمور بواقعها أمر بالعباده عن إخلاص بقوله: إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُـدَ اَللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ اَلـدِّينَ فتأمل تعرف إن شاء الله، ثمّ خـذه و أغتنم. و بما ذكر ينحلّ مـا وقع النزاع بين العلمـاء حيث اعترضوا على من قـال بالقضـاء التكوينى فى الآـيه المبـاركه من العرفـاء، فـإنّه يحمل القضـاء التكـوينى على واقعه، و يشاهـده من وصـل إلى مقـام الفنـاء، و هـذا لاـ ينـافى الأـمر بالعبـاده تشـريعا ظـاهرا بالنسبه إلى المحجوبين كما لا يخفى. و الله العالم بالأمور. و اعلم أنّ الناس يعبـدون الله على وجوه: فمنهم من يعبـده تعالى من حيث ألوهيّته و ذاته المستحقّه للعباده، كما صرّح به

۱- ۱) الإسراء:۲۳.

۲- ۲) الزمر:۱۱.

فى الأحاديث من نحو

قوله عليه السّلام: «و قوم يعبدونه حبّا له أو شكرا له» و فى بعضها: «فتلك عباده الأحرار» و سيأتى فى الشرح أحاديثه، فهؤلاء لا يعبدونه لدخول الجنّه أو للخلاص من النار،

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام و مولى الكونين: «ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا فى جنّتك، بل وجدتك أهلا للعباده فعبدتك» . فهؤلاء هم الموحّدون الفانون عن أنفسهم، يعبدونه من حيث إنّ ذاته المقدسه أهل لذلك، لا من حيث إنّه تعالى رحيم أو منعم أو منتقم. فإنّ عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم حالا، و عبد الرحيم لا يكون عبد القهّار حالا، و إن اعتقد أنّه لا بدّ من أن يعبد من حيث جميع الأسماء علما بحسب الاقتضاءات الأسمائيّه لعبادته تعالى، إلاّ أنّه حيث قد غلب على قلبه بعض الأسماء و مقتضاها فلا محاله يعبده لتلك الجهه فقط، فلا محاله يعبده إمّا للخوف من النار أو طمعا فى الجنّه كما صرح به فى الأخبار. و هذان الحالان يجمعان مظاهر الجمال و الجلال بحسب الأسماء الثابته لهما، كما يخفى، فكلّ على حسب حاله. فهذا الإنسان الذى يعبد ربّه من هذه الحيثيّات لا مطلقا فهو عبد حظّه و أسير نفسه، فلا يكون عبدا لله مجردا عمّا سواه، و سيأتى فى الشرح توضيح لعباده هؤلاء، فإن عبادتهم ليست كعباده الأحرار، بل لا تخلو من حبّ النفس و إساره النفس. فهو تعالى و إن قبل عبادتهم هكذا و أثابهم عليها، و نجاهم من النار، و أعطاهم الجنّه بفضله و كرمه، إلاّ أنّه ليست هذه العباده كعباده الأحرار، كما لا يخفى فإن عبادتهم خالصه له تعالى، و لذلك أضافهم الحقّ تعالى إلى نفسه فى قوله: إِنَّ عِبٰادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطٰانٌ (1). و اعلم أنّ هنا سرّا غامضا و دقيقه خفيّه، قلّ من كشفت له حقيقه الأمر بنحو أصاب الواقع و لا بأس بالإشاره إليه.

١- ١) الحجر:۴٢.

فنقول: قد يقال: إنّ المستفاد من قوله تعالى: ذُو اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِكْرٰامِ أنّ لذاته المقدسه أسماء الجلال و الجمال. و بعباره أخرى: إنّ له تعالى صفه الرحمه و اللطف، و مقتضاهما الجنّه و النعيم الأبدى و درجاتهما، و صفه القهر و الغضب و نحوهما، و مقتضاهما الجحيم و العذاب و دركاتهما. فالذات المقدّسه من حيث هى فى غيب الغيوب و فى نفسها، التى لا رسم لها و لا اسم منزّه عن كلّ عيب و نقص، لها ظهور بأسمائه الجلاليّه و الجماليّه. و حيث إنّ ذاته المقدسه مبرّأه من كلّ عيب و نقص، فلا محاله ما اقتضته الذات من صفات الجمال و الجلال أيضا منزّه عن كلّ عيب و نقص، و لا محاله ما يتراءى من صفات الجلال من القهر و الغضب و العذاب، و ما اقتضتها هذه الصفات يكون منزّها عن كلّ عيب، فلا محاله يكون بداعى الرحمه واقعا، و إن كانت صورتها بصوره العذاب. و لعلّ إلى هذه الدقيقه من الرحمه الكائنه عند كلّ عذاب

قال تعالى فى الحديث القدسىّ المعروف: «هذا إلى الجنّه و لا أبالى، و هذا إلى النار و لا أبالى» فقوله تعالى: هذا إلى النار و لا أبالى مع أنه تعالى منزّه عن كلّ نقص و عيب، و أنه ضمّن نفسه التجاوز و العفو كما فى الدعاء، و أنّه كتب على نفسه الرحمه كما فى الآيه الشريفه، لا يستقيم إلاّ إذا كان تحت كلّ عذاب رحمه فبلحاظ تلك الرحمه الخفيّه قال تعالى: لا أبالى، و هذا أحد معانى قولهم فى حقّه تعالى: و كم لله من لطف خفىّ يدقّ خفاه عن فهم زكى إذن فثبوت الصفات الجلاليه له تعالى بما له من اقتضاء العذاب و القهر، لا يثبت أنّ ذاته المقدسه اقتضت العذاب و القهر لبعض عبيده بلا جهه بنحو الظلم، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا، كيف و قد قال تعالى: وَ مٰا ظَلَمْنٰاهُمْ وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ

(۱)

بل اقتضت الذّات، الصفه الجلاليّه من القهر و العذاب بداعى تنزّه ذاته، و الرحمه التى کتبها نفسه بأن یقهر علی عبده العاصی و یعذّبه، لیصل إلی تلک الرحمه المقتضیه لذلک، و إنّما اقتضت الذات المقدسه، الصفه الجلالیّه لما علم الحقّ تعالی أنّ العبد بسوء اختیاره یلوّث نفسه بصفات الکفر و الفسوق و العصیان. و هذه الأمور قد أوجبت حجابا لحقیقه العبد التی هی علی فطره التوحید، فصار بعیدا عن لقائه و رحمته الخاصّه، فلا محاله اقتضت الحکمه و الرحمه الذاتیه ذلک القهر و العذاب، لیطهّر حقیقته من هذا الحجاب، و التلوّث بالنجاسات الروحیّه، فیصل إلی اللقاء. فإن قلت: فهذا یقتضی عدم الخلود و هو مخالف لصریح الآیات. قلت: أوّلا أنّه تعالی قد علّق الخلوق علی دوام السموات و الأرض، و مع ذلک استثناه بمشیته حیث قال تعالی: خٰالِدِینَ فِیهٰا مٰا دٰامَتِ اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ اَلْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّکَ (۲)فالتأمل فی الآیه یعطی کون الخلود فی ظرف دوام السموات و الأرض، و أنّه معلّق علی المشیّه لا مطلقا، و ثانیا أنّ الخلود فی النار و ما یقتضیه من الکفر و الفسوق و العصیان محکوم تحت تلک الرحمه الذاتیّه. فلتلک الرحمه سبقه علی القهر و الغضب و العذاب و الخلود

کما فی الحدیث القدسی: «و سبقت رحمتی غضبی» فلا بدّ من تحقق السبقه یوما مّا، و لو بعد حین. و هذا مما لا یمکن المصیر إلی خلافه بحیث یقال بفعلیّه صفه القهر و العذاب دائما، ضروره أنّ منشأهما هو عصیان العبد و کفره و هذا محدود موقّت، و المحدود الموقت لا بدّ له من الانتهاء، لعدم کونه ثابتا ثبوتا ذاتیا، لعدم ثبوت منشأه و عدم دوامه، و هو العبد و عصیانه، و هذا بخلاف الرحمه الذاتیّه التی کتبها الحقّ علی نفسه، فإنّها ذاتیه ثابته غیر زائله.

ص: ۱۷۵

۱- ۱) النحل:۱۱۸.

۲- ۲) هود:۱۰۷.

هـذا كلّه بحسب مـا تقتضـيه الأسـماء الجماليّه و الجلاليّه، إلّا أنّ الـذى يسـهّل الخطب هو أنه تعالى مختار فى فعله، فله أن يخلّد عبده فى النار، لوجود مقتضاه و هو كفره و عصـيانه، و له أن يوصـله إلى لقائه و يعفو عنه، لوجود مقتضاه، و هو الرحمه الواسـعه الـذاتيه، و هو تعالى مختار فى فعله إن شاء خلّـده فى العذاب، لوجود سـببه، و إن شاء عفا عنه، لوجود سـببه، إلّا أن يرجح العفو، لسبق رحمته الـذاتيه، و لا يقتضـى هـذا إلزاما له تعالى على العفو. و لعمرى إنّ آيات الخلود لا تـدل على لزوم الخلود، بل تـدل على إمكانه و وجود مقتضاه، و هو لا ينافى غلبه الرحمه و صفه الجمال عليه، و له تعالى الاختيار فيما يفعله. و لعله إليه يشير ما

فى الدعاء: «إلهى إن عذّبتنى فمولى له القدره عليه»

و قوله عليه السّلام:

«إلهى إن عـذّبتنى فمن ذا الـذّى يعترض عليـك فى عبـدك» . إذن فإمكـان الخلود لاـ ينفيه شـيء، لوجود مقتضاه إلّا إنّا نـدّعى وجود سـبب العفو، و إمكـان غلبه الرحمه الواسـعه عليه مع أنه تعـالى مختـار فى فعله. فظهر أنّـا لاـ ننكر الخلود و لاـ ننكر إمكان شمـول الرحمه الواسـعه الـذاتيّه لأهـل الخلود، و أنه تعـالى له أن يعفو عنهم، بـل هـذا أرجـح إلى صـفاته الجمـاليه السـابقه على الصـفات الجلاـليه و له تعالى الاختيار. إذا علمت هـذا فاعلم أنّ من العارفين من عرف الله تعالى فى أسـمائه الجلاليّه و الجماليّه، فما عرف الـذات إلّا بما كشف له منها فى الصـفات من الجمال و الجلال. فلا محاله هذا العبد لا يعبده إلّا بما غلب على قلبه من تلك الأسـماء و الصفات، فهذا العبد مفتون بحبّه تعالى حسب ظهور ذاته تعالى فى تلك الأسماء الجلاليه و الجماليه. و منهم من يحبّون الـذات من حيث هى هى مع قطع النظر عن مظاهرهـا الجمـاليه و الجلاـليه، فيحبونّه و يحبون ذاته مطلقـا سواء كان ظهوره لهم فى الصـفات الجمـاليه أو الجلاـليه، أى سواء تعامل معهم باللّطف أو القهر، و بالرحمه أو بالعـذاب، لما علموا من أنّ الـذات منزّه عن كلّ عيب و نقص، و إن قهره كلطفه يكون بداعى

الرحمه الذاتيه على ما تقدّم بيانه. و لعلّه إليه يشير ما قيل: و إن فتن العشّاق بعض محاسن لديك فكلّ منك موضع فتنتى أى أنّ أوقع الزاهدين و العابدين فى الفتنه منك، بلحاظ اسم الجلال و الجمال، بعض المحاسن و لذا عبدوك إما خوفا من نارك أو طمعا فى جنّتك. و قل من عبدك لذاتك، إلاّ أنّى أى العارف بذاتك المقدسه المنزّهه عن كلّ نقص، أفتتن بذاتك و لذا أفتتن بكلّ صفاتك بدون فرق بين الجلالىّ أو الجمالى، لأنّ قلبى مفتتن أى محبّ و مبتلى بعشق ذاتك المقدسه، سواء عاملته بالقهر أو بالرحمه و ما لهما من الآثار من العذاب أو الجنّه. و بعباره أخرى: إنّ قلوبهم افتتنت بمحبّه الذات، و إنّ لأرواحهم هياما بالنسبه إلى ذاته المقدسه بحيث لا التفات لهم بالنسبه إلى مظاهره تعالى، و إلى ظهوره تعالى فى صفه القهر أو فى صفه الرحمه، فالعشق الذاتى لهم لذاته تعالى إذ هل أرواحهم عن التألم من العذاب أو التّنعّم من الرحمه، لاستغراق أرواحهم فى مشاهده ذاته المقدسه بما لها من البهجه و السرور فلا التفات لهم لغيره تعالى. و بعباره أخرى: إنّ النظره قصرت فى الذات الإلهيّه التى جميع الصفات و الأسماء و الأفعال فائزه منها، صادره عنها، سواء كان قهرا أو لطفا و علموا أنّ كلّ ما يفعله المحبوب محبوب مطلقا. لا يقال لازم ما ذكر إمكان الوصول إلى الذات المقدسه و المعرفه بكنهها، إذ مع قطع النظر عن الصفات الجماليه و الجلاليه لا يبقى إلاّ الذات المقدسه، و حينئذ قصر النظر إليها هو المعرفه بكنهها بدون وساطه الصفات و الأسماء. مع أنه قد سبق و تحقق فى محله امتناعه، لأنا نقول المراد من الاقتصار على الذات هو عدم التوجه إلى الصفات و آثارها، و هذا لا ينافى كون التوجه إلى الذات لا يكون إلاّ بواسطه الصفات و الأسماء كما صرحت به الأحاديث.

و بعباره أخرى: تكون الصفات حين التوجه إلى الذات، ملحوظه آله لا استقلالا بل فانيه فى الذات كما تقدم توضيحه فى بيان معنى كون الاسم عين المسمّى بوجه و غيره بوجه آخر، فراجعه و تدبّر تعرف إن شاء الله تعالى. و الحاصل أنّ قصر النظر على الذات إنما هو المقصود الأقصى، و البغيه القصوى للأولياء العارفين، كيف لا و هم علموا بتصريح الآيات و الأحاديث بأن الذات المقدسه هى منبع كلّ جمال و جلال، فعشقوها بشراشر وجودهم، فقصروا النظر إليها حيث علموا أنّه ليس فى الوجود إلّا ذاته المقدسه، و أفعاله الحاكيه عن الصفات الذاتيه، و المنتزعه منها مفاهيم الصفات و الأسماء كما لا يخفى؟ و لعمرى إنّ هذا هو المطلوب فى كلّ عباده لله تعالى، و هذا هو المراد من الإخلاص فى العباده و أنّ المعبود الحقيقى هو الذات البحت تعالى و تقدس. فجميع عناوين العبادات من الحالات و الاتصاف بالعبوديه، و ما يحققها من الصفات و كيفياتها و أنحائها كلّها لا يراد منها إلاّ بما هى مرآه للحقّ، بحيث ينظر إليها آله لا استقلالا، و بحيث يكون المعبود هو الذات فقط كما لا يخفى. و لا بدّ هنا من توضيح أمور: أوّلا: أنّه ربما يتوهّم أنّ من قصر نظره فى الذات الإلهيه بالنحو المذكور، فلا محاله لازمه أن لا يبالى بالمعاصى حتّى الكبائر منها، فإنّه و إن كانت المعصيه سببا لدخول النار إلاّ أنه لما كانت النار التى هى مظهر قهره تعالى قد خلقت بداعى الرحمه بالبيان المتقدم، فلا يلزم أن يكترث أحد فى ترك المعصيه، بل لا يلزم النهى عنها منه تعالى، مع أنّ هذا مناف بظواهر الشرع من النهى عنها و الوعيد بالنار، مضافا إلى أنّ سيره الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام و العلماء و المؤمنين على خلاف ذلک، و أنهم يبالغون فى التحذير من المعاصى و الكفر و الفسق، كما لا يخفى على من له أدنى علم بالشرع. و لعله من هذه الجهه أنّ بعض المتصوّفه (عليهم لعائن الله) ذهبوا إلى الإباحه،

و أنه من وصل إلى مقام المعرفه، و منها إلى قصر النظر فى الذات الإلهيه بالنحو المتقدم، فلا يجب عليه حكم و لا عليه تكليف، و هذا لا ريب فى أنّه كفر محض. و لكن نقول فى الجواب: إنّه قد ثبت فى علم الكلام أنّ التكاليف الإلهيّه ألطاف محضه، فإنه تعالى أوجب أمورا، لأنّ العمل بها و الاتصاف بها موجب لقرب العبد إليه تعالى، و لشمول ألطافه الخاصّه له، و أنّه يتنعّم بنعمه تعالى فى الدنيا و الآخره بنحو أوضحه الشرع المقدس، و أنه أيضا حرّم أمورا، لأنّ العمل بها و الاتّصاف بها موجب لبعد العبد عنه تعالى، و شمول عذابه له و لو موقّتا فرضا، و أنه يوجب تألّمه فى الدنيا و الآخره بنحو أوضحه الشرع المقدس أيضا، و هذا أمر وجدانى من الشرع من أنّ الإطاعه توجب الثواب، و المعصيه توجب العقاب و العذاب، و لا يرضى لعباده الكفر، و أن يشكروا بأن يطيعوه فى جميع الأمور التى ترضيه. فلا محاله يرضى له الثواب المعدّ لهم على وفق طاعتهم، فالأمر بالطاعه شرعا و النهى فى المعصيه شرعا أمر مسلّم و به، يحصل الترغيب منه تعالى على الطاعه و التحذير من المعصيه، و هذا يوجب انقياد العبد للطاعه للثواب، و أن لا يتمرّد فيعصى الله فيوجب بذلك على نفسه العقاب، و يحصل له شوق للطاعه بداعى الثواب و خوف من المعصيه، و مما يستلزمه من العذاب. و أين هذا كلّه من إمكان عفوه تعالى عن المعاصى مهما كانت كبيره، و كيف ينافى هذا تلك المعرفه الحاصله من قصر النظر فى الذات. فكما أنّه إذا علم أحد أنّ السلطان له رأفه بالنّسبه إلى الرعيّه فهو يعفو عنهم، فلا يوجب هذا جرأه العبد فى المعصيه، و لا يوجب تجويزا من السلطان فى المعصيه بداعى أنّى رءوف عفوّ. أو إذا قال الملك إنّا قد هيئنا طبيبا لمعالجه الأمراض الناشئه من الزنا–و العياذ بالله–فلا ييأس من ابتلى بها، فهل هذا الإعلام و الأمر يوجب تجويزا لتلك المعاصى الموجبه لتلك الأمراض بداعى وجود الطبيب لها؟ كلّا و أبدا. فكذلك فى المقام، ضروره أنّ قصر النظر فى الذات، و العلم بأنه تعالى منزّه عن

العيب، و أنّ رحمته سبقت غضبه لا يوجب تجويز المعصيه و الجرأه عليها، مع ما تقدم من أنّ ذلك لا يوجب سلب اختياره تعالى فى أنّ يخلّد العاصى فى النار، فهذا الاحتمال لا أقل كاف فى الاجتناب عن المعاصى. و كيف كان، لا منافاه بين حسن الظنّ به تعالى و أنّه سيعفو عن عباده بالنحو المتقدّم بيانه، و بين الإلزام بظاهر الشرع و أنه لا بدّ من الطاعه و الاجتناب عن المعصيه. و ممّا يوضح لك ذلك أنّه قد ورد فى الأحاديث، و سيأتى فى الشرح أنّ من ارتكب معصيته، و علم بأنه تعالى له أن يعذّبه و أن يعفو عنه، فلا تكتب له تلك المعصيه. فنقول: أ ترى أنّ هذا الحديث يعطى تجويزا فى المعصيه بدعوى أنّه إذا علم أنّه تعالى له العفو و له العذاب عليها، فلا يلزم حينئذ الطاعه و ترك المعصيه اعتمادا على هذا الاعتقاد؟ كلّا و ربّ الكعبه كيف و القاصرون نظرهم فى الذات المقدسه، قد قرح قلوبهم بحبّه، و صارت أرواحهم فى هيمان بمحبته، فهم دائما فى مقام الحضور و المشاهده و تحصيل رضاه، فأين منهم المعصيه و ترك الواجبات؟ بل لعمرى إنّهم هم أهل الطاعه الحقيقيه و ترك المعصيه حتى أقل المكروهات، كما سيأتى البيان

من مولاهم أمير المؤمنين عليه السّلام من قوله: «إنه ما ترك طاعه و لا أتى بمكروه أبدا » نعم قد يتسلّط الشيطان على بعض فيوقعه فى الاشتباه كما أوقع بعض المتصوّفه (عليهم لعائن الله) فيغترّ بنفسه و بربّه فيقع فى الإباحه، و هذا قطعا كفر محض و وقوع فى الاغترار، لعدم كشفه حقيقه الأمر كما قلناه. ثمّ إنه قد يقال: إنّ العارف الّذى قصّر نظره فى الذات المقدسه بحيث لا يبالى صار مظهرا لصفه اللطف أو القهر. فمعناه أنّه لا يبالى بالمعاصى فيقع فى مورد القهر، و هذا معلوم الردّ بما قلناه آنفا، فيقع السؤال عن معناه فنقول: إنّ للسؤال موردين: فبالنسبه إلى غيره من العباد، الذين هم أهل المعصيه و الكبائر، فمعناه أنه لا

یری وقوع المعاصی الکبیره منافیا لذاته المقدسه، و لقدرته الکامله النافذه، و أنّ عذابه تعالی لهم و لو بالخلود لا ینافی نزاهه ذاته المقدسه، بل یری أنّ رحمته الواسعه الذاتیه تشمل العباد، و لا أقل من إمکان شمولها لهم، و أنّه تعالی له أن یصلحهم برحمته الواسعه

کما فی الدعاء: «و باسمک الذی یصلح به الأولون و الآخرون» فالعارف لا ینظر إلی الخلق بلحاظ کونهم إمّا مظاهر جماله أو مظاهر جلاله و هما عنده سیّان، بل نظره بالذات المتعالیه فقط. فبالنسبه إلی نفسه فمعناه أنّه لا یبالی عاش مغمورا فی مظاهر اللطف من سعه الرزق، و السلامه فی البدن، و الأمن فی البلد و من السلطان، و من سایر المکروهات و المنافیات الروحیه و الجسمیه، أو کان مغمورا فی البلاء و المصیبه و الآلام و الأسقام، و الظلم من غیره من الناس و من السلطان، و الفقر و الفاقه، کما نری الأنبیاء و الأئمه و الأولیاء کیف کانوا مبتلین بالمصائب و الآلام، و غصب حقوقهم، و أنهم قد قتلوا و أوذوا من أهل زمانهم، و لعل الآیات و الأحادیث الداله علی أنّ المؤمن مبتلی بتلک المصائب و بأنواع البلایا، و أنّ الله تعالی یتحف أولیاءه بالبلاء، و أنّ البلاء للأمثل فالأمثل یدل علی ما ذکرنا حیث إنّهم أهل تسلیم و انقیاد لله تعالی، و یرضون بما یفعله المحبوب لهم من الرخاء و البلاء، بل ربّما یستقبلون البلاء لما یرون أنّ تحته أنواع اللّطف، فلا یستلزم قصر النظر فی الذات المقدسه عدم الاکتراث و المبالاه بالمعاصی، و أنّ هذه الصفه إحدی الصفات المذمومه لأهل المعصیه بلحاظ سوء اختیارهم، لا بلحاظ قصر النظر فی الذات المقدسه فتأمل تعرف. و لعمری إنّ التأمّل فی الأحادیث الوارده فی أنّ المؤمن مبتلی یوضح ما قلناه، و قد عقد باب فی البحار لبیان الأحادیث الوارده فی ابتلاء المؤمن، فراجعها، و لهذا الکلام مجال عریض مذکور فی محلّه. ثانیا: إنّه لمّا علمت أنّ المعاصی إنما هی من سوء اختیار العبد، و أنّ منشأه

احتجابه عنه تعالى، فوقوع المعاصى ليست منه تعالى، بل من العبد. فعليه قد يقال: إنه كيف تقع المعاصى منهم فى مملكته مع قدرته النافذه و مالكيّته لهم، و أنه آخذ بناصيتهم، فهلا يوجب ذلك منعهم عن المعاصى؟ أ ليس أنه تعالى لو منعهم من المعاصى كان أحسن من إمهاله لهم فى ذلك، و إن كان يعفو عنهم بالآخره؟ أ و ليس ذلك منه موجبا لهتك حرمته تعالى؟ قلت: لمّا علمت أنّ له تعالى أسماء الجمال و الجلال، فاعلم أنها تقتضى أن يكون لها مظاهر فى الوجود فهو تعالى عفوّ غفور، فيقتضى هذا وجود العاصى ليعفو عنه و يغفر له، و ليس هذا منافيا لمملكته و لتلك السلطنه الإلهيه بل من موجبات ظهور جماله من عفوه و مغفرته. و إليه يشير صريحا

ما ورد من أنه لو أنكم لا تذنبون لخلق خلقا يذنبون، ليغفر لهم و يعفو عنهم، أقول: أى ليظهر صفه العفو و المغفره فى هذا المظهر و هو العبد المذنب كما لا يخفى. فراجع الحديث فى البحار. و لهذا الكلام زياده بيان مذكور فى محلّه. و هنا تقسيم آخر للعباد فى عباداتهم لربّهم: فاعلم أنّ مراتب الناس فى عباداتهم بحسب خلوص النيّه و شئونها تابعه لدرجات معارفهم للحقّ كما علمت مراتبها سابقا، فقدر مكاسبهم فى الطاعه على قدر مراتبهم فى المعرفه، و هذا هو بذر العبوديه لهم لربّهم، فمعرفتهم لربّهم التى أوجبت طاعتهم لربّهم هو منشأ لعبوديّتهم لربّهم، فعبوديتهم له تعالى نتيجه تلك المعرفه و الطاعه المترتبه عليها. فلا محاله فهم فى إدراك المبدإ و المعاد و ما بينهما، و إدراك ساير المعارف الإلهيّه على طبقات متفاوته: الطبقه الأولى: أصحاب المكاشفه و هم الذين يعرفون الحقّ بترك الالتفات إلى ذواتهم، بل هم فانون عن أنفسهم، قد قصر نظرهم فى الذات المقدسه فلا التفات لهم إلى غيره، فلا محاله يخرّون له سجّدا دائما، فهم يشاهدون الذات المقدسه فى آياته الآفاقيّه و الأنفسيه مع قطع النظر إلى غيره تعالى.

و بعباره أخرى: إنّه تعالى و إن كان لا يظهر إلّا فى أسمائه الجماليه و الجلاليه، و فى آياته الأنفسيّه و الآفاقيه إلّا أنهم يشاهدونه تعالى فى تلك الآيات من دون التفات إلى غيره، و لو بالنسبه إلى تلك الآيات. و لهذا الأمر شواهد و أدلّه من الآيات و الأحاديث قد تقدم بعضها، فراجعه. جعلنا الله تعالى منهم. الطبقه الثانيه: أفاضل الحكماء، و هم الذين يدركونه على الوجه العقلى الصرف، إلّا أنّهم فى تعقّلاتهم لأحوال المبدإ و المعاد و المعارف الإلهيّه تمثّل أوهامهم و خيالاتهم صورا تناسب تلك العقليات على ألطف وجه و أشرفه، و لكنهم مع ذلك يعلمون أنّهما أى المبدإ و المعاد فوق تلك الصور الوهميّه و الخياليه، و ليس لهم العروج إلى التعلق بالذات و معدن العظمه، لعدم إمكانهم من خروجهم عن تعقّلاتهم الصرفه، فقد وقف بهم العقل دون أن يصلوا إلى معدن العظمه، و لم يمكنهم خرق الحجب النوريه، ليصلوا إلى معدن العظمه، و تصير أرواحهم معقله بعزّ قدسه. الطبقه الثالثه: عامّه أهل الإيمان فهم يعجزون عن تلك المرتبه أى مرتبه التعقّلات الصرفه، و صرف الأمر إلى واقعه كما كان للطبقه الثانيه، فضلا عن قصر نظرهم فى الذات كما كان للطبقه الأولى. و كيف كان فغايه أمرهم تصوّرات وهميّه لا عقليّه، فيمثل لهم المبدأ و المعاد بما يليق بنشأتهم، و بما يأتيه و يصوّره شأنهم، و لا يمكنهم الصعود إلى ما فوقه لقصور باعهم عن العلم، و عقلهم عن الدرك الإجمالى الوهمى كما كان للطبقه الثانيه، و لكنهم لإيمانهم بالواقع و نفس الأمر ينزّهون مبدأ الكلّ تبارك و تعالى عن الأمور الخياليّه و الجسمانيّه. و بعباره أخرى: إنّ الوهم إنما كان فعله الدرك الإجمالى من دون تشكّل المدرك بصوره، و الخيال و المتخيله هو إدراك الأمر فى اندارجه فى لباس الصوره. فهذه الطائفه إنما هم يتوهّمون الحقّ على ما هو عليه فى واقع الأمر دون أن

يتخيّلوا له بأن يثبتوا له صوره خياليه، بل هم ينزّهون المبدأ عن الأمور الخياليه و الجسمانيه لإيمانهم بواقع الأمر بالنسبه إلى المبدإ تعالى. و الحاصل إنّ فكرهم لا يعرج إلى أزيد من تصورات وهميّه، لقصور باعهم من المعرفه إلاّ أنهم مع ذلك لإيمانهم ينزّهون المبدأ الأول عمّا يتخيّلونه، فهم مؤمنون بالواقع و معرضون عن خيالاتهم بالنسبه إلى المبدإ و المعاد، فبهذا اللحاظ هم مؤمنون غير عارفين، كما لا يخفى. الطبقه الرابعه: أهل التسليم و هم الذين يسلّمون القول فى المبدإ تعالى إلى واقعه، و يؤمنون به كما هو هو، و لا تتمكن منهم الأمور الوهميه التى كانت لسابقتهم، فهم غير خارجين عن الخيالات، فلا يزيد علمهم عن الخيالات حتى الوهميّات، فهؤلاء إذا توجهت نفوسهم إلى المبدإ تفرّد لهم الحقّ و ملكوته الأعلى بأمثله جسمانيه يتخيلونها، أى يتخيلون المبدأ و المعاد بأمثله جسمانيه، لعدم إمكانهم الصعود إلى فوق ذلك، لغورهم فى الجسمانيات إلاّ أنّهم لإيمانهم ينزّهون المبدأ و المعاد عن لواحق الجسمانيات و هؤلاء من أدنى أهل المعرفه و الإيمان بالمبدإ الأول تعالى و تقدس، و إنما يصحح أمور دينهم بالإيمان بواقع الأمر لا بمدركاتهم، فإنّها قاصره عن درك الواقع. و دون هذه الطبقه قوم قاصروا النظر بحيث لا يكادون يتصوّرون غير الجسمانيّات فى خطر التشبيه و التجسيم و الانحراف. فإن آمنوا بمثل إيمان الذين من قلبهم فلعلّ الرحمه الإلهيه تشملهم و إلاّ فهم أهل ضلال و انحراف. و مثّل بعضهم هذه الدرجات فى المعرفه بأن يشاهد أحد ذات الشىء بشخصه و هويّته مثلا، فهو عارف به حقيقه، و هذا من قصر نظره فى الذات و قد تقدم شرحه. و بأن يطّلع آخر على حقيقه شىء و ماهيّته عقلا من دون مشاهده ذاته فهذا حال معرفه أفاضل الحكماء كما تقدم. و بأن يطلع آخر على صورته الخياليه كما هو حال أهل التسليم. فإنّ معرفتهم إنما هى بالوهم إلاّ أنّهم بالإيمان صحّحوا دينهم

و نزّهوا المبدأ عن توهّماتهم. و بأن يطلع آخر على عكسه أى عكس الشىء فى المرآه، و هذا حال من تخيّل المبدأ بأمثله جسمانيّه، لعدم قدرته على الدرک له فوق ذلک، فهو أدنى المعارف المصحح توحيده بواقع الأمر، و تنزيه الأوّل عن لواحق الجسمانيات. و بأن يطلع آخر على تمثاله الذى هو صوره النقاش، فإنه لا يكاد ليصل إلى معرفه الشىء إلّا من صورته المنقوشه، فمعرفته تعالى هكذا إن لم يشفع بالإيمان، فهو شرک و ضلال، كما لا يخفى. إذا علمت هذا فاعلم أنّه قد تحقق فى محلّه أنّ مبادئ الأفعال الاختياريه الإنسانيه، التى هى من باب الحركات و السلوک إلى ما يجده مؤثرا عنده و مطلوبا لديه إنما هو الشعور و الدرک بما هو المقصود من الطلب، و إنما هو العلم بآخر ما ينتهى إليه القصد. فكان أول الفكر آخر العمل، و مبدأ البغيه و الطلب هو منتهى الوصول، فحينئذ لا محاله البدايه تناسب النهايه، و الفاعل بمقدار شعوره متحد مع الغايه التى هى عين شعوره الابتدائى للمقصد. و حينئذ نقول: إذا كان الإدراک و الشعور المرتّب عليه الحركه و الطلب مختلفا حسب تلک الطوائف المتقدم بيانه، فلا محاله إن كان الإدراک و الطلب عن شعور حسّى غير متجاوز لغيره فالمطلوب لا محاله يكون حسيّا، و لا يمكنه التجاوز عنه كالأكل و الشرب و الوقاع و غيرها. فهذا لشخص يكون سيره و حركته يدور مدار المحسوسات المادّيه، لأنّ مبدأ تحرّكه و شعوره لم يتجاوز المحسوسات كما لا يخفى. و إن كان الإدراک و الشعور وهميّا، فالمطلوب يكون أمرا موهوما كالظفر على العدوّ، و الوصول إلى الرياسات الوهميّه. و إن كان الإدراک و الشعور عقليّا فالمطلوب يكون عقليّا كالإحاطه بالمعقولات و الترفّع عن المحسوسات. و إن كان الإدراک إلهيّا، فالمطلوب إلهى، كالعبوديه التامّه و الشهاده الكامله بالذات المقدسّه بقصر النظر فيها، و ترک الالتفات إلى الأغيار و الرجوع إلى الواحد

القهّار. و هنا مطلب سرّى لبيان الطبقات لا بدّ من بيانه و حاصله: أنّ لكلّ موجود جهه ربوبيّته و هى ظهور الحضره الربوبيه فيه، و كلّ تأثير و فاعليّه و إيجاد فى العالم فهو من الرب الظاهر فيه، فلا مؤثر فى الوجود إلاّ الله. و هذه الجهه الربوبيه هى سرّ ذلك الوجود، و هو ما يخص كلّ شىء من الحقّ عند التوجه الإيجادى المعبّر عنه بالوجود المنبسط المشار إليه بقوله تعالى: إِنَّمٰا قَوْلُنٰا لِشَيْءٍ إِذٰا أَرَدْنٰاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۱). فلهذا قيل: «لا يعرف الحقّ إلاّ الحقّ» لأن ذلك السرّ هو العارف به تعالى، و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «عرفت ربّى بربّى» أى عرفت ربّى بما هو هو بربّى الذى هو ظاهر فىّ، الذى هو ظهور الحضره الربوبيه فيه عليه السّلام فنفسه الشريفه كسائر النفوس مرآه لذلك السرّ و ظهور الربّ، إلاّ أنّ المرايا مختلفه فى ظهور الربوبيّه، فربّ مرآه ظهرت فيها الربوبيه المقيده المحدوده على حسب مرتبتها من المحيطيه و المحاطيّه حتّى تنتهى إلى المرآه الأتمّ الأحمديّه، التى لها الربوبيه المطلقه و الخلافه الكليّه الإلهيه أزلا و أبدا، فجميع دائره الخلافه و الولايه من مظاهر خلافته الكبرى، كما تقدم سابقا شرحه. و هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن، و هو مظاهر تلك الأسماء الإلهيه على الحقيقه التى هى مرآه للشمس، إذ هى أى الحقيقه المحمديه فان عن نفسه و باق بربّه، فلا أثر فيها إلاّ منه تعالى، و لذا تكون جميع الدعوات دعوات إليها، و هى مرجع الكلّ و مصدر و مبدأ الكلّ و منتهاه. و الله من ورائهم محيط. و لنعم ما قيل: لا ترم فى صفات أحمد فكرا فهى الصوره التى لن تراها

۱- ۱) النحل: ۴۰.

مصدر العلم ليس إلّا إليه

خبر الكائنات من مبتداها

إذا علمت هذا فاعلم أنّ السرّ الوجودى و الفيض الواجبى لما كان ظاهرا فى كلّ الموجودات على تفاوت طبقاتهم، و لكلّ منهم نصيب من الرحمه المنبسطه الشامله على تباين درجاتهم، و علمت أنها مختلفه لاختلاف المرايا و القوابل، فحينئذ لا شبهه فى أنّ الأقرب إلى الحق أفضل من غيره لقلّه الوسائط بينه و بين ينبوع الوجود و المقام الجمعى، كما كان هذا للحقيقه المحمديه صلّى الله عليه و آله كما عرفت، فهو أقرب من الكلّ إلى الحق، لعدم تضاعف الوجود الإمكانى. إذ من المعلوم أنّ كل ما يتركّب من الأمور الممكنه يتّصف بإمكان الهيئات الاجتماعيّه الحاصله، و إمكانات اجزائه فتضاعف الإمكان. فحينئذ كلّما كثرت وجوه إمكاناته يزداد بعدا من الواجب لذاته. فالإنسان الواقع فى آخر رتب الحيوان بعد صور العناصر و الأركان فهو فى غايه البعد عن الحقّ كما قال تعالى إشاره إلى هذا البعد: لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ (۱)

و فى بعض الأحاديث: «إنّ بين الله و بين خلقه سبعين ألف حجاب من نور، و سبعين ألف حجاب من ظلمه» و إن كانت بحسب أصل الخلقه و مبتداها فى أحسن تقويم إلّا أنّه بعد تنزّله إلى أسفل سافلين وصل إلى آخر رتب الحيوانات. و هنا نكته، و هى أنّه ورد فى ذيل الآيه المباركه بعد قوله تعالى: إِلاَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا أنّ المراد من الاستثناء هم محمّد و آله الطاهرون. فإنّ الاستثناء يكون من قوله: ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ . فينتجّ أنّهم عليهم السّلام لم يردّوا إلى أسفل سافلين، بل هم فى الدنيا باقون على ما هم عليه من أحسن تقويم، و قد دلّت أحاديث و آيات على أنّهم عند الله فى جميع الحالات، و أنه ليس بينهم و بين الله حجاب، و لا دونه لهم ستر، كما يأتى بيانه فى

ص: ۱۸۷

۱- ۱) التين:۴-۵.

الشرح، إن شاء الله. هذا و إن الإنسان بحسب نوعه المردود إلى أسفل سافلين إذا لم تتجرّد ذاته عن جميع الأغشيه و اللبوسات، و لم يؤد الأمانات المأخوذه منها عند نزوله فی کلّ مقام ضروره أنّه عند نزوله من مقام أحسن تقويم إلى أسفل سافلين، قد ورد فی کلّ مرتبه و عالم على حقائق ذلک العالم، و أخذ منه حظّا وافرا، و أعطى له بنحو الأمانه، و أخذ منه العهد و الميثاق بردّها إلى مالکها بعد الاستيفاء منها، فلو لم يردّ الأمانات المأخوذه عند وروده على کلّ مرتبه من عالم الغيب إلى عالم الشهاده، بأن يترک التعشق إليها و يعرض عنها، فلو لم يردّ تلک الأمانات هکذا، و لم ينزّه حقيقته عن وجوه الإمکانات و تخليه عن تلک الأمانات و نقائصها، فلا محاله لا يطّلع على الجهه المقدسه، و لم يظهر له الوجوب الذاتی، و لوامع الغيب و أسرار الوحده. و بعباره أخرى فی بيان ردّ الأمانات: کما أنّ الإنسان من لدن أوّل نقصه و کمونه إلى آخر کماله و ظهوره ما لم يمت عن مرتبه أدنى، لم تحصل له درجه أخرى فوقها، و کذا ما لم يخلع عنه صوره النقص لم يتلبّس بصوره الکمال الإضافی، و کان کلّ فساد منه يلزمه کون لأجله. أی أنّ تقيّده بکلّ کون من صوره، يلزمه فساد هذا الکون. فإنه إن کان بالنسبه إلى قبله فيه کمال مّا، إلاّ أنّه بالنسبه إلى بعده فيه فساد، فکماله إضافیّ، کما لا يخفى. و الحاصل أنه کما أنّ کلّ موت تحقق له، فلا محاله يخرج به عن نشأه سابقه، و تتهيّأ منه أی من موته هذا الحياه الجديده، يدخل بها فی نشأه أعلى منها إلى أن يبلغ إلى هذه المرتبه الکماليه. فإذا ما لم يحصل له قطع التعلق عن الصور الإمکانيه، و ترک الالتفات إلى القيود النقصانيّه، لم يتصوّر له الوصول إلى درجه المقربين، و الانخراط فی سلک المهيّمين و فی زمره عباد الرحمن الّذين ليس للشيطان عليهم سلطان، کما قال تعالى: إِنَّ عِبٰادِی لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ (۱).

ص: ۱۸۸

۱- ۱) الحجر:۴۲.

فالسالک فی الحقیقه هو الذی یقطع الحجب الظلمانیه، و هی البرازخ الجسمانیه، و النوریّه و هی الجواهر النورانیّه، بکثره الریاضات الشرعیّه و المجاهدات العشقیّه الموجبه لظهور المناسبات، التی بینه و بین ما یصل إلیه فی کلّ خلع و لبس و موت و حیاه من النفوس و العقول المجرّده، إلی أن یصل إلی المبدإ الأعلی و عله العلل. فإذا لم یکن للسالک جذبه، بل یکون سیره بمجرد العلم و الریاضه، فلم یصل من هذا الطریق إلی المقصد لبعد مرامه و طول طریقه، و کثره عقباته و آفاته. و أما إذا لحقته عنایه ربانیه خاصّه لأجل طریق خاصّ له، و لأجل وجه خاصّ یکون لکلّ قلب إلی ربه، فحینئذ لا محاله یقطع الحجب بالجذبات الإلهیّه من غیر أن یعرف المنازل و المقامات. و هذا النحو من الطریق أی طریق الجذبه یخصّ لکل أحد طریق خصوصیّ شخصیّ یسمّی ب «طریق السرّ» . فإذا سمعت عن عارف أنه قال: «حدّثنی قلبی عن ربّی» یشیر إلی هذا الطریق. و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فی النهج: «و ما برح لله جلّت آلاؤه فی البرهه بعد البرهه، و فی أزمان الفترات عباد ناجاهم فی فکرهم، و کلّمهم فی ذات عقولهم» (۱). فقوله علیه السّلام: و کلّمهم فی ذات عقولهم، یشیر إلی هذا الطریق المخصوص لکلّ أحد الحاصل بالجذبه الإلهیّه. و إلیه یشیر

ما قاله سید البشر صلّی الله علیه و آله: «لی مع الله وقت لا یسعنی فیه ملک مقرّب و لا نبیّ مرسل» لکونه من الوجه الخاصّ الذی لا واسطه بینه و بین ربّه. فإذا رجع هذا السالک الذی یسلک الطریق بالجذبات الإلهیّه من الحقّ إلی الخلق مع تنوّره بالنور الإلهی، و تحققه بالوجود الحقّانی. فلا محاله حینئذ یحصل له العلم من العلّه أی من الحقّ الواصل إلیه بالمعلول أی الخلق، عند رجوعه إلیهم.

۱- ۱) نهج البلاغه لفیض الإسلام، خطبه:۲۱۳.

و حينئذ عند رجوعه إلى الخلق تكمّل له الشهود فى مراتب الوجود، فتكون قوه شهوده أفضل، و يكون لسان حاله حينئذ: «تعرّفت إلىّ فى كلّ شىء، فرأيتك ظاهرا فى كلّ شىء» و يكون اقتداره على التصرّف فى الخلق عند رجوعه عن الحقّ أكمل. فإن كان نبيّا أو إماما فتصدر منه المعجزات، و إن كان غيرهم يصدر منه خرق العادات، كما يشاهد هذا كلّه منهم. ثمّ إنّ العلم الحقيقى بالمعلومات الوجوديّه لا يحصل لأحد إلاّ بالتجلّى الإلهى طبقا، أى على طبق تنوره بالنور الإلهى، و من الحقّ عند وصوله، كما لا يخفى. و إليه يشير

قوله عليه السّلام فى دعاء أبى حمزه:

«بنورك اهتدينا» الدعاء. ثمّ اعلم أنّ علم الأنبياء عليهم السّلام لا يكون إلاّ من الوحى الخاصّ الإلهىّ، لأن قلوبهم ساذجه من النظر العقلىّ و العلم الاكتسابى، فلا محاله هم عليهم السّلام يعلمون الواقعيّات كما هى عليه بالوحى و التجلّى الإلهى. و أما غيرهم فعلومهم لا تخلو إمّا أن تكون من الأخبار. و معلوم أنها تقصر عن إدراك ما لا ينال إلاّ بالذوق و المشاهده القلبيّه، فإن الإخبار لا يكون مفادها إلاّ صورا قائمه بالنفس، و هى و إن فرض مطابقتها للواقع إلاّ أنّها ليست بمثابه المشاهده، بل هى صور محضه قائمه بالنفس، كما لا يخفى. إمّا من الحواس فلا سبيل لها إلى إدراك بواطن الأشياء و أسرارها. و إنما تدرك من الأشياء ظواهرها و أشكالها، و لا تدرك إلاّ مجملات الأمور و مركّباتها دون تفاصيلها و مبسوطاتها. و إمّا من العقل بحسب قوته النظريه و ترتيب المقدمات، و الأشكال القياسيه المدوّنه فى المنطق. و هذا معلوم أنّه لا يمكن أن تعرف بها حقائق الأشياء، لأن القياسات لا تفيد إلاّ إثبات المفهومات الذهنيه، و إلاّ إثبات الأمور الخارجه عن أطوار الأكوان الوجوديه. و بعباره أخرى: إنّما تثبت أمورا خارجه عن حقائق الأشياء، و عن الطوارئ الوجودىّ لها فى الخارج، فلا تثبت إلاّ أمورا لازمه لحقائق الأشياء لزوما بيّنا أو غير بيّن بنظر العقل. و أين هذا من مشاهده الواقعيات على ما هى عليه، هذا فى

القياسات. و أما الأقوال الشارحه فمضافا إلى أنّ أجزاءها لا بدّ من أن تكون معلومه بأن تكون نتيجه للقياس العقلىّ. فيقع فيه هذا الكلام من أنّه لا يفيد القياس إلّا مفهوما ذهنيا، لا مشاهده قلبيّه لحقيقه الشىء، كما لا يخفى أنّ المحدود بها و معرّفها-بالفتح- إن كان مركّبا، فالكلام فيها كالكلام فى الأوّل من القياسات، من أنّه لا يفيد إلّا مفهوما ذهنيّا. و إن كان بسيطا، لا جزء له فى العقل و لا فى الخارج، فلا يمكن تعريفه إلّا بذكر لوازمه البيّنه. و ذلك كالوجود الواجبىّ، و كسائر الإنيّات الوجوديّه و البسائط النوريه، و معلوم أنّ ذكر لوازم تلك البسائط، لا يكشف عن حقائق النفس الآمريه. فثبت أنّ الحقائق على حالها مجهوله لنا. فلم يبق حينئذ للعلم بها حقيقه إلّا بالتجلّى الإلهىّ المشار إليه آنفا، و إلّا بما يكشف الحقّ تعالى عن أعين البصائر العقليه من الأغطيه و اللبوسات الحاصله من التعلّقات بغيره تعالى. و كيف كان فهذا الكشف الحقىّ الإلهىّ يدرك الأمور قديمها و حديثها و عدمها و وجودها و محالها، أى ممتنعاتها و جائزها و واجبها على ما هى عليه فى حقائقها و ماهيّتها. فظهر مما ذكر أنه متى توجه العقل النظرى إلى معرفه حقائق الأمور المذكوره من غير تطهير القلب و المحل، أى محل المعرفه من الرّيون الحاصله من الركون إلى الدنيا الحاجبه إياه عن درك الأشياء كما هى فلا محاله يقع فى التيه و بيداء الظلمه، و يخبط خبط عشواء، ضروره أنه مع ريون الذنوب و السيّئات، و الركون إلى هواء النفس و المتعلّقات قل ما تحصل نفسه حدّ اليقين و المشاهده القلبيّه. اللّهم إلّا أن يكون فى غايه الذكاء و الفطنه بحيث يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ (1)فإنه بقوه الاستعداد فيحصل له العلم اليقينى و لكنّه نادر. و ذلك

۱- ۱) النور:۳۵.

النادر أيضا لا يحصل له اليقين فيما وراء طور العقل كأحوال الآخره و مشاهده أنوار الجبروت و غيرها، مما ليس للعقل فيه دخل إلاّ بالمبالغه فى الرّياضه و التصفيه، و رفع الغشاوات و رفضها. فتحصل مما ذكر أنه ليس لنا طريق إلى حصول العلم اليقينىّ بكماله إلاّ بمتابعه الأنبياء و الأولياء من الأئمه عليهم السّلام ثمّ الواصلين بسببهم، و سلوك طريقهم المستوى و صراطهم المستقيم. و لذا ترى الشرع المطهّر يبالغ فى متابعتهم أى الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام و الأخذ بقولهم، و المشى على طريقهم، و تهذيب النفس بتهذيبهم، و ترك الاعتراض عليهم، و عدم الاعتماد على مدركات العقول،

فإن دين الله لا يصاب بالعقول كما وردت به أحاديث كثيره.

و روى عن علىّ عليه السّلام أنه قال: «إنّ العقل لإقامه رسم العبوديه لا لإدراك الرّبوبيه» (1). أقول: أى أنّ العقل إنما أعطى ليطيع الإنسان خالقه، و يعلم به كيفيّه العبوديه، لا ليدرك الأشياء، و درك الربوبيه و ما وراء طور العقل. فالعاقل اللبيب من كان مطيعا لهم عليهم السّلام و عاملا بما أمروا بعمله، ليصلوا به إلى معرفته تعالى. و لعمرى إنّه لو كان العقل و مدركاته كافيا للوصول إلى الواقعيات لما احتيج إلى إرسال الرسل و إنزال الكتب. و سيجىء فى الشرح مزيد بيان لهذا فى محلّه إن شاء الله تعالى. ثمّ إنّه يؤيّد بل يدل على ما قلناه: إنّا نرى كثيرا من الحكماء و أصحاب البحوث و المجادله ممّن أخذت الغطايه بيديه و اقتصر بها، و أدرك المعقولات بفكره و رأيه،

۱- ۱) أسرار الآيات ص ۱۳۳.

من وراء حجاب فهمه و عقله اغترارا بغايه ذكائه و شدّه فطنته، من طريق متابعته من غير طريق متابعه الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام و الأولياء، و من غير طريق الخلع و التجريد، و الوحده عن الخلق و التفريد بالنحو السابق ذكره. فزعم أنّه أدرك الحقائق على ما هى عليه. و هذا المسكين لمّا تنبّه آخر الأمر و انتهاء العمر أنه لا حاصل له سوى علمه بأنه ما علم حقيقه الشيء، و اعترف بالعجز و القصور و النقص و الفتور، و قال عن لسان حاله بالفارسيّه: تا بجائى رسيد دانش من كه بدانستمى كه نادانم إذ من المعلوم أنّ الأنظار الفكريه إنما شأنها مجرّد الإعداد غير البالغ إلى أفق الوادى المقدّس و هو الأفق المبين، فلا ينكشف المطلوب على صاحبه عيانا بمجرّد النظر الفكرى. فهو كأنه حينئذ بعد قد قرع باب الغيب، ليفيض منه المطلوب على قلبه الطالب، و لمّا ينفتح له الباب بعد، بل نودى (بعد سؤاله در دير ميزدم من) ، بقوله: در دير ميزدم من ز درون صدا در آمد كه تو در برون چه كردى كه درون خانه آئى أى بعد أنت لما يطهر قلبك بالنحو المتقدم بيانه، فلا يفاض عليك فيض اللقاء و المشاهده لحقائق الأشياء. بل و كذلك الإخبار الإلهىّ بواسطه الملك فإنّه خبر غير معاينه، و هذا غير رؤيه الحقّ و رؤيه حقائق الأشياء، أ لا ترى قوله تعالى: وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ اَلْمُبِينِ. وَ مٰا هُوَ عَلَى اَلْغَيْبِ بِضَنِينٍ (1)كيف عبّر تعالى عن علمه بالرؤيه بالأفق المبين لا بالإخبار. فلا محاله هو صلّى الله عليه و آله هكذا-أى و ما هو أى النبىّ صلّى الله عليه و آله على الغيب بضنين الذى هو مفاد الخبر من وراء الحجاب بل هو صلّى الله عليه و آله كان على

1- 1) التكوير:23-24.

الغیب بمستیقن و مشاهده عیانا، کما لا یخفی هذا علی قراءه ظنین بالظاء أخت الطاء أی بمتّهم لعدم یقینه کما لا یخفی. و الحاصل أنّ العلم العیانی لا یکون إلّا بالنور الکشفی موهوبا لذوی اللب، الذین هم قد عرجوا إلی الأفق المبین، و جاوزوا إلی المقام-أو أدنی-کما کان هذا، و کما هو حقّه للنبی الأعظم صلّی الله علیه و آله کما حکاه الله تعالی له، فقال تعالی: مٰا کَذَبَ اَلْفُؤٰادُ مٰا رَأیٰ (1)فهناک یرون الأشیاء کما هی، فالذین یحذون حذوهم أعطوا من علمهم بحسب سیرهم فی مسیرهم علیهم السّلام، رزقنا الله تعالی ذلک. و العالم متی لم یکن علمه مستفادا من الله تعالی بلا وساطه الکتب و المعلّمین فلیس من وراثه الأنبیاء، لأن علومهم لدنیّه لا تستفاد إلّا من الله. و إلیه تشیر الآیات و الأحادیث الوارده فی الباب.

ففی طرائف الحکم للآشتیانی قدّس سرّه عن البحار: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «من زهد فی الدنیا و لم یجزع من ذلّها، و لم ینافس فی عزّها هداه الله بغیر هدایه من مخلوقه، و علّمه بغیر تعلیم، و أثبت الحکمه فی صدره و أجراها علی لسانه»

فقوله علیه السّلام: و علّمه بغیر تعلیم، أی من مخلوقه، بل هو تعالی معلّمه

و فی الحدیث: «المؤمن یعقل عن الله تعالی» و تقدّم

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «ناجاهم فی فکرهم و کلّمهم فی ذات عقولهم» .

و فی الحدیث أیضا: «المؤمن ملهم، المؤمن محدّث» ، و لیکن یعلم أنّ المؤمن إنما یأخذ علمه عن الله تعالی، عن طریق الشرع من الآیات القرآنیه و السیر فی الآیات الآفاقیه، و تطهیر السرّ علی النحو الوارد فی الشرع، فهو کما تقدّم بسر المتابعه عن النبی و الأئمه علیهم السّلام یسیر فی المعارف، و یأخذها عن الله تعالی کما لا یخفی، لا أنّه یکون کالنبیّ یوحی إلیه مستقلا. و نبیّن فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و مهبط الوحی»

، ما یوضح ذلک. فإذا اتصفت مواد العلم بحقیقه التقوی، و نقی مصدرها من شوائب الهوی، أمدّته

۱- ۱) النجم:۱۱.

کلماته التی تنفد البحار دون نفادها، و هذه رتبه الراسخین فی العلم، الذین هم ورّاث الأنبیاء فی العلم، و لیست رتبه المترسّخین بصوره العلم، المتوسّمین باسمه، الهاوین فی مهوی الهوی و حبّ الریاسه، فإنّ قطره من هوی النفس مکدّره بحرا من العلم الحقیقی. ثمّ اعلم أنّ نوازع الهوی مرکوزه فی النفوس الإنسیّه، مستصحبه إیاها من محتدها السفلی و مغرسها الهیولی، و منتهی الأرض السفلی. فالعلم الحقیقی بائن عمّن مهامّه الأفکار و التخیّلات الجزئیّه، التی هی من نتائج القوی السفلیّه، فأفسدته و غیّرته عن إفاده ما یقتضیه و یوجبه-إذا کان نقیّا خالصا من شوائب الهوی و الأغراض النفسیّه-من الارتقاء إلی العالم الأعلی و مجاوره المقربین، و مکالمه القدّوسیّین، فإنّ فی اتّباع الهوی إخلادا إلی الأرض کما فی قوله تعالی: وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لٰکِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَی اَلْأَرْضِ وَ اِتَّبَعَ هَواهُ (١). إن تطهیر الفطره-التی خلقت علی التوحید-من رذائل التخیّلات، و من الارتهان بالموهومات، التی استرقت العقول الضعیفه، و النفوس القاصره، و القوی الجزئیّه، یکون من شأن البالغین من الرجال، فتصحب نفوسهم الطاهره الملأ الأعلی، و یسرح فی میادین القدس-أعاذنا الله و إیّاک من محبّه حطام الدنیا- و استجلاء نظر الخلق و عقائدهم. و حاصل الکلام أنّ المطالب الإلهیّه التی هی من الرفیق الأعلی إنّما هی مکلّم و محدّث-بالفتح-علی القلب التقیّ، ترد علیه التعریفات الإلهیّه لکثره ولوج القلب علی حریم القرب الإلهی و غسله کثائف دلائل البرهان بنور العیان، و اتّباعه لشریعه المله البیضاء المحمدیه، و منهاج عترته الطاهره. فیتوغل حینئذ بحبوحه الأسرار الإلهیّه، و یرتقی فی معارج الاعتذار و الاستغفار إلی مقام القرب الحقیقی.

١- ١) الأعراف:١٧۶.

و حينئذ ينفخ الله تعالى فى قوالب علومه روح العبوديّه، و يغيب تحت أستار الإنابه إليه تعالى عن أن يبصره غيره، فلا يدركه إلّا كلّ سالك بطريق سيار مثله. فيكون

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «قلوبهم فى الجنّه و أجسادهم فى العمل» رزقنا الله ذلك بمحمد و آله الطاهرين. اعلم أن من الظاهر كالنور الباهر من الآيات و الأحاديث المرويه عن النبىّ المعظم و الأئمه المعصومين عليهم السّلام: إنّ حقيقه محمد و آله الطاهرين هى المظاهر لصفات جمال الله تعالى و جلاله، فجميع محامد الصفات و فضائل الكمالات جمعت فيهم (صلوات الله عليهم أجمعين) . و من المعلوم أنّ معرفتهم بالنورانيه، و بما منحهم الله تعالى من الصفات الإلهيه من أفضل المعارف الإلهيه الحقه، لأن معرفتهم هى معرفه الله، التى تجمع المعارف كلّها، و لا كمال لأحد إلّا بمعرفتهم. كما يظهر ذلك كلّه من أحاديثهم الآتيه إن شاء الله تعالى.

ففى الكافى و غيره، بإسناده عن عمار الساباطى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ و جل: أَ فَمَنِ اِتَّبَعَ رِضْوٰانَ اَللّٰهِ كَمَنْ بٰاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ اَللّٰهِ (1)فقال: الذين اتّبعوا رضوان الله هم الأئمه عليهم السّلام و هم و الله يا عمار درجات للمؤمنين و بولايتهم و معرفتهم إيانا يضاعف الله لهم أعمالهم، و يرفع لهم الدرجات العلى.

ص: ۱۹۶

۱- ۱) آل عمران:۱۶۲-۱۶۳.

شرح الزیاره الجامعه

اشاره

ص :۱۹۷

المقدمه:

ثمّ إنی طالما کنت أفکر فی تأليف مجموعه فی معارفهم و حقیقه ولایتهم، و لکنی لقصور درکی و فهمی لها لقلّه بضاعتی من العلم لم أر نفسی محلاّ لنیل هذه الفضیله، علی أنه عاقتنی عنها المشاغل الدنیویّه، إلی أن زرت سیدی و مولای أبا الحسن الرضا علیه السّلام فی أوائل شهر ربیع الأول لسنه ألف و ثلاثمائه و ست و تسعین من الهجره النبویه (علی هاجرها و آله سلام الله) فتضرّعت إلیه علیه السّلام و سألته علیه السّلام لیسأل الله تعالی التوفیق لهذا، و التجأت إلیه تعالی فی ذلک، فحصل لی العزم علیه بقدر وسعی و المیسور لی من ذلک. ثم: إنی لما رأیت أن الزیاره الجامعه الکبیره التی یغنی عن بیان فضیلتها شهرتها بین علماء الشیعه (رضوان الله تعالی علیهم) و تلقّیهم إیاها بالقبول، و عملهم بها، فهی من أحسن الزیارات التی ذکرت فیها شئون الولایه و صفات الإمامه و بیان حقائقهما الإلهیه، کما أنها تضمنت الکثیر من فضائل أهل البیت و مناقبهم، ما لم یتضمّن

غيرها من الزيارات. و لذا أردت بعونه تعالى شرحها اقتداء بالسلف من العلماء الشارحين لها (رضوان الله تعالى عليهم) فإن أصبت فى هذا الشرح الحقّ فهو من فضل الله تعالى علىّ، و إلاّ فهو من قصور فهمى، و قلّه دركى و بضاعتى من العلم، و أسأله تعالى العفو، و سمّيته بالأنوار السّاطعه فى شرح الزياره الجامعه. ثم إنّ هذا الشرح يشتمل على مقدمه و فصول ثلاثه، و بيان فى كيفيه السلوك لنيلها. أما المقدمه: ففى بيان كيفيه الشرح لهذه الزياره و الغرض منه. و أما الفصل الأول: ففى بيان أهميّه الولايه الحقّه الإلهيّه. و أما الفصل الثانى: ففى بيان معنى الولايه بحسب اللغه و كلمات القوم، من العرفاء الحقه، و أنه ما المراد منها فى الأحاديث؟ و بيان أقسامها زياده على ما مرّ. و أما الفصل الثالث: ففى بيان شئون الولايه الإلهيه الثابته لهم عليهم السّلام و فيه بيان المقصود من شرح هذه الزياره الشريفه، حيث إنها كما علمت وردت فى بيان شئون ولايتهم عليهم السّلام. و أما بيان كيفيه السلوك على طريقتهم عليهم السّلام و ولايتهم، لنيل تلك المعارف الإلهيّه ستأتى فى طىّ الشرح الإشاره إليه. و قد أعرضنا عن ذكر سند هذه الزياره و بيان تصحيحه، لأنها بلغت فى القبول و الشهره إلى حدّ أغنانا عن ذلك، على أنه قد تعرض له بعضهم بما لا مزيد عليه.

ص: ٢٠٠

مقدمه الشرح:

اعلم أنّ هذه الزياره و إن كانت لها جهات من الشرح من حيث السند، و من حيث الفصاحه اللفظيه و البلاغه المعنويه، و من حيث التفسير حسب المعانى العرفيه لألفاظها إلاّ أنّنا لم نتعرض فى هذا الشرح إلاّ إلى جهه الحقائق المعنويه و الدقائق و الإشارات التى عبّروا عليهم السّلام عنها بهذه الألفاظ. فلعمرى، قلّ من تفطن لها من هذه الجهه، و من حيث إنها المراد لهم عليهم السّلام، لأن الولايه و ما لها من الشئون لا يكاد يصل إليها فهم ذوى العقول السليمه فضلا عن غيرهم، بل اختصت بهم عليهم السّلام و ربما منح الله تعالى بعضها لمن أراد أن يشرح صدره للإسلام: و قد تعرضنا فى هذا الشرح إلى تلك الحقائق و الدقائق المعنويه حسب فهمنا القاصر، و منه تعالى نستمد التوفيق لذلك. ثم إنّ الداعى لهذا الشرح هو وقوع الفتن فى هذه الأزمنه الفاسده، التى شاع فيها فساد الأعمال و الأخلاق مضافا إلى فساد العقائد، إلى أن صار الأمر إلى

ص: ٢٠١

الإخلال بأمر الولايه الثابته لأهلها (صلوات الله عليهم أجمعين) فأصبح الناس لا يرون للإمامه إلّا الخلافه لهم عليهم السّلام بعد النبيّ صلّى الله عليه و آله. و أما حقيقه الولايه فبين مقرّ بها بالجمله لا عن معرفه تفصيليه، و بين مبين لها ببعض مراتبها لا بحقيقتها الواقعيه، النفس الأمريه، فلذا ربما نرى بعض المقرّين بالولايه و ببعض مراتبها ينكرون مراتبها الأخرى الدقيقه الغامضه، لعدم معرفتهم و عدم دقّه فهمهم لها. هذا، مع أنّ فى الأحاديث المرويه عنهم عليهم السّلام فى بيان غوامض حقائق الولايه ما لا يحصى، فنرى كثيرا من الناس الذين لم تبلغ فطنتهم لنيل تلك المعارف ينكرونها أو ينسبون قائلها إلى الغلوّ، أو يعتقدون بأنها موضوعه مكذوبه! فمن هنا ينفتح باب الإنكار على كثير من المعارف و يعطى الجرأه بذلك إلى أن ينكرها كثير من الناس، فينفتح باب الإشكال عليها و يتسع إلى أن يشمل ما هو المسلّم منها. فلهذا ترى اليوم قد ظهر أقوام ينكرون كثيرا من المعارف الثابته لهم عليهم السّلام و تبعهم من العوام بل و بعض المتسمين بالعلم، فضلّوا و أضلّوا كثيرا. فلعمرى، لو أنّ العارف ببعض المعارف دون بعض توقف عند ما لا يعرفه منها، و لم ينكره بلسانه بل ردّ علمه إلى أهله كما هى الوظيفه و كما سيجىء، لما شاع هذا الإنكار و الإشكال على غوامض المعارف الإلهيه، بل و لا على ما هو المسلّم منها، و ما هذا إلّا أنّ العلماء فى عصرنا الحاضر قد قصّروا فى بيان حقائق الولايه، و لم يسيروا مسيرا علميا و عمليا بحيث تتّضح لهم تلك الحقائق كما سار كثير من الماضين (رضوان الله عليهم) و ستجىء الإشاره إليهم، فأصبحت تلك المعارف و الحقائق مهجوره، و الإسلام بما له من الحقائق غريبا، و لم يبق بين كثير من الناس إلّا صوره الدين و المعارف ببعض مراتبها الظاهريه! ! و نرى أغلب أهل العلم قد اشتغل إمّا بالعلوم التى نفعها منحصر فى حطام الدنيا بما لا طائل تحته، أو بما هو مطلوب فى تشييد الرياسات الظاهريه المطلوبه

لعامه الناس العمياء، فصرفوا عمرهم فی تحصیلها، و ترکوا ما هو الأهمّ و المقصد الأعلی من علم التوحید و المعارف الإلهیه الثابته للأئمه علیهم السّلام! ! فالمشتکی إلی الله تعالی و إلی مولانا الحجّه (روحی و أرواح العالمین له الفداء) . و قد توسلت-أنا القاصر المسکین الضعیف، قلیل البضاعه علما و عملا-إلیه تعالی أن یوفّقنی لکشف القناع عن تلک الحقائق، لیتضح الأمر لأهله، و أبین ذلک بما یسهل لکثیر من الناس درکه و فهمه، و أستعین به تعالی فی ذلک، فإنه خیر ناصر و معین. و لا تظنّ أنی قادر علی هذا الکشف کما هو حقّه و واقعه، کلّا، ما أنا و ذلک، و إنما أجول علی قدر وسعی، سائلا و متضرعا له تعالی أن یمنحنی من فضله و رحمته ما أهتدی به إلی بعض تلک المعارف، بعونه و کرمه فإنه رحیم مجیب. و سیجیء أنّ حقیقه معارفهم الإلهیه کما منحهم الله تعالی، و کما هی فی نفس الأمر و الواقع لا ینالها إلّا ملک مقرّب أو نبیّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإیمان، بل و منها ما لا یحتمله إلّا هم علیهم السّلام أو من شاءوا (صلوات الله علیهم أجمعین) .

الفصل الأول: فی بیان معانی الولایه:

اشاره

لا ریب فی أهمیه أمر الولایه فی نظره تبارک و تعالی کما دلّت علیها الآیات و الأحادیث المرویه عنهم علیهم السّلام و إن الأهمیه لها نوعان: الأول: بحسب النداء و الإلزام الشرعی الإلهی. الثانی: بحسب الدقه و الفهم و الغموض و الاحتمال لها. و سیأتی بیانهما. نذکر أولا بعض الآیات الوارده فی المقام، ثم الروایات، ثم نتبعه بما یستفاد منها من المطالب المهمّه.

فهنا مقامان:

المقام الأول: فی ذکر الآیات

منها: [آیه البلاغ]

التی منهـا: یـا أَیُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ وَ اَللّٰهُ یَعْصِمُکَ مِنَ اَلنّٰاسِ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلْکٰافِرِینَ (۱).

ففی تفسیر نور الثقلین نقلا عن أصول الکافی بإسناده عن أبی الجارود قال: سـمعت أبا جعفر علیه السّلام و ذکر حدیثا طویلا و فیه یقول علیه السّـلام: ثم نزلت الولایه و إنما آتاه ذلک فی یوم الجمعه بعرفه نزّل الله تعالی: اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی و کـان کمـال الـدین بولاـیه علی بن أبی طالب علیه السّـلام فقال عنـد ذلک رسول الله صـلّی الله علیه و آله: أمتی حـدیثو عهـد إلی الجـاهلیه، و متی أخبرتهم بهـذا فی ابن عمّی یقول قائل و یقول قائل فقلت فی نفسـی من غیر أن ینطلق لسانی: فأتتنی عزیمه من الله بتله (۲)أوعدنی إن لم أبلّغ أن یعذّبنی فنزلت: یا أیّها الرسول، الآیه، الحدیث (۳).

و فیه نقلا عن أمالی الصدوق رحمه الله و بإسـناده إلی النبیّ صـلّی الله علیه و آله حدیث طویل یقول فیه لعلی علیه السّلام: و لقد أنزل الله عز و جل إلیّ یـا أَیُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ یعنی فی ولایتک یا علی وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ و لو لم أُبلّغ ما أمرتُ به من ولایتک، لحبط عملی (۴).

و بإسناده إلی ابن عباس، حدیث طویل و فیه: فأنزل الله تبارک و تعالی یا أَیُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ وَ اَللّٰهُ یَعْصِمُکَ مِنَ اَلنّٰاسِ فقـال رسـول الله صـلّی الله علیه و آله: تهدیـد و بعـد و بعیـد لأمضـین أمر الله، فـإن یتّهمونی و یکذّبونی فهو أهون علیّ من أن یعاقبنی العقوبه الموجعه فی الدنیا و الآخره، قال:

۱- ۱) المائده:۶۷.

۲- ۲) أقول: البتله من التبتّـل بمعنی الانقطاع و التقطع یعنی أتتنی عزیمه منه تعالی علی هـذا بحیث یقطع الأعـذار کلّها فی ترکه فلا بد من إنفاذه، منه.

۳- ۳) نور الثقلین ج ۱ ص ۵۴۱.

۴- ۴) نور الثقلین ج ۱ ص ۵۴۲.

و سلّم جبرئيل على على بإمره المؤمنين فقال على عليه السّلام: يا رسول الله أسمع الكلام و لا أحسّ الرؤيه فقال: يا على هذا جبرئيل أتانى من قبل ربّى بتصديق ما وعدتم. ثم أمر رسول الله صلّى الله عليه و آله رجلا فرجلا من أصحابه حتى سلّموا عليه بإمره المؤمنين، ثم قال: يا بلال ناد فى الناس أن لا يبقى غدا أحد إلّا عليل إلّا خرج إلى غدير خم، فلما كان من الغد خرج رسول الله صلّى الله عليه و آله بجماعه أصحابه، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا أيّها الناس إنّ الله تبارک و تعالى أرسلنى إليكم برساله و إنى ضقت به ذرعا مخافه أن يتّهمونى و يكذّبونى حتى أنزل الله علىّ وعيدا بعد وعيد، فكان تكذيبكم إياى أيسر علىّ من عقوبه الله إياى (۱)الحديث. أقول: انظر إلى

قوله صلّى الله عليه و آله: «أوعدنى إن لم أبلغ أن يعذبنى»

و قوله صلّى الله عليه و آله: «و لو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتک لحبط عملى»

و قوله صلّى الله عليه و آله: «تهديد و بعد و بعيد لأمضين أمر الله فإن يتّهمونى و يكذّبونى فهو أهون علىّ من أن يعاقبنى العقوبه الموجعه فى الدنيا و الآخره» . فترى فيه أنّ أمر الولايه كان بمثابه من الأهميه بحيث لو لم يبلّغه رسول الله صلّى الله عليه و آله مع أنه أشرف المخلوقين فى عالم الوجود كما لا يخفى على أحد يعذّبه الله تعالى و يعاقبه فى الدنيا و الآخره، فهذا هو المستفاد من قوله تعالى: وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ أى إن لم تبلّغ الولايه فما بلّغت أمر الرساله و الدين من التوحيد و العبادات و المعارف كلّها، لأنّ جميع ذلک مرتبط بالولايه ثبوتا و إثباتا كما سيجىء بيانه إن شاء الله تعالى.

و منها: [آيه الولايه]

قوله تعالى: إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاٰهَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكٰاهَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ (۲).

ففى ذلک التفسير عن أصول الكافى بإسناده عن أحمد بن عيسى قال حدثنى

ص: ۲۰۵

۱- ۱) نور الثقلين ج ۱ ص ۵۴۲.

۲- ۲) المائده:۵۵.

جعفر بن محمد عن أبیه، عن جده علیهم السّلام فی قوله عز و جل: یَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اَللّٰهِ ثُمَّ یُنْکِرُونَهٰا قال: لما نزلت إِنَّمٰا وَلِیُّکُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا اَلَّذِینَ یُقِیمُونَ اَلصَّلاٰهَ وَ یُؤْتُونَ اَلزَّکٰاهَ وَ هُمْ رٰاکِعُونَ اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلّی الله علیه و آله فی مسجد المدینه فقال بعضهم لبعض: إن کفرنا بهذه الآیه نکفر بسائرها، و إن آمنّا فإن هذا ذلّ حین یسلط علینا علی بن أبی طالب علیه السّلام فقالوا: قد علمنا أنّ محمدا صلّی الله علیه و آله صادق فیما یقول، و لکنا نتولاه و لا نطیع علیا فیما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآیه: یَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اَللّٰهِ ثُمَّ یُنْکِرُونَهٰا یعرفون ولایه علی و أکثرهم الکافرون بالولایه (۱).

و فیه عن أصول الکافی بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: أمر الله عز و جل بولایه علی و أنزل علیه: إِنَّمٰا وَلِیُّکُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا اَلَّذِینَ یُقِیمُونَ اَلصَّلاٰهَ وَ یُؤْتُونَ اَلزَّکٰاهَ وَ هُمْ رٰاکِعُونَ فرض الله ولایه أولی الأمر فلم یدروا ما هی؟ فأمر الله محمدا صلّی الله علیه و آله أن یفسّر لهم الولایه کما فسّر لهم الصلوه و الزکوه و الصوم و الحجّ، فلما أتاه ذلک من الله ضاق بذلک صدر رسول الله صلّی الله علیه و آله و تخوف أن یرتدوا عن دینهم، و أن یکذّبوه فضاق صدره و راجع ربّه عزّ و جل فأوحی الله إلیه: یٰا أَیُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ وَ اَللّٰهُ یَعْصِمُکَ مِنَ اَلنّٰاسِ فصدع بأمر الله تعالی ذکره، فقام بولایه علی علیه السّلام یوم غدیر خم فنادی الصلوه جامعه، و أمر الناس أن یبلغ الشاهد الغائب، قال عمر بن أذینه: قالوا جمیعا غیر أبی الجارود: قال أبو جعفر علیه السّلام: و کانت الفریضه تنزل بعد الفریضه الأخری، و کانت الولایه آخر الفرائض، فأنزل الله عزّ و جل: اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی قال أبو جعفر علیه السّلام: یقول الله عز و جل: «لا أنزل علیکم بعد هذه فریضه قد أکملت لکم دینکم الفرائض» (۲).

۱- ۱) نور الثقلین ج ۱ ص ۶۴۴.

۲- ۲) نور الثقلین ج ۱ ص ۶۴۶.

أقول: لما بيّن الله ولايه الذين يؤتون الزكاه و هم راكعون، و قرنها بولايته و ولايه رسوله فعلم منها أنها أى ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام ثابته فى عرض ولايه الله و ولايه رسوله صلّى الله عليه و آله بنص الآيه الشريفه، و لذا لمّا علم النبى صلّى الله عليه و آله أهميه ذلك، و أنه لا بدّ منه ضاق به صدره لما علم من تكذيب بعض أصحابه فراجع ربّه (جل جلاله) فأمره بالتبليغ بنزول آيه التبليغ فصدع بالأمر. فمن هذا الحديث يعلم أنّ المراد من قوله تعالى: بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أنّ المراد مما أنزل إليه، هو هذه الآيه الشريفه، أى آيه إنّما وليّكم الله، و الأحاديث متواتره من العامّه و الخاصّه على أنّ المراد من الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاه هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام كما لا يخفى.

و منها: [آيه التحكيم]

قوله تعالى: فَلاٰ وَ رَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمٰا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (۱).

ففى تفسير البرهان رقم ۵، بإسناده عن عبد الله النجاشى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول فى قول الله عز و جل: أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ يَعْلَمُ اَللّٰهُ مٰا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً (۲)قال: يعنى و الله فلانا و فلانا. وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ لِيُطٰاعَ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جٰاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اَللّٰهَ وَ اِسْتَغْفَرَ لَهُمُ اَلرَّسُولُ لَوَجَدُوا اَللّٰهَ تَوّٰاباً رَحِيماً. فَلاٰ وَ رَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمٰا شَجَرَ بَيْنَهُمْ (۳)فقال أبو عبد الله عليه السّلام: يعنى و النبىّ صلّى الله عليه و آله و عليّا عليه السّلام مما صنعوا يعنى لو جاءوك بها يا على فَلاٰ وَ رَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمٰا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فقال أبو عبد الله عليه السّلام هو و الله على عليه السّلام بعينه ثُمَّ لاٰ

۱- ۱) النساء:۶۵.

۲- ۲) النساء:۶۳.

۳- ۳) النساء:۶۴-۶۵.

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً على لسانك يا رسول الله يعنى به عن ولايه على و يسلّموا تسليما لعلى (١).

أقول: حاصل معنى الحديث الشريف أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله لما أخبر بولايه على عليه السّلام تعاقد الرجلان و غيرهما من أتباعهما لئن أمات الله محمدا صلّى الله عليه و آله أن تردوا هذا الأمر من بنى هاشم، فقال الشكاك و المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض و زيغ: نبرأ إلى الله من مقاله ليس بحتم، و لا نرضى أن يكون على وزيره، هذه منه عصبيه كما صرّح بذلك فى الحديث المروى عن ابن عباس، فعلم الله تعالى ذلك من قلوبهم، فأنزل عليه صلّى الله عليه و آله: أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ يَعْلَمُ اَللّٰهُ مٰا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ ، الآيه أى علم الله تعالى منهم التكذيب لأمر الولايه لعلى عليه السّلام. ثمّ إنه تعالى بيّن أنه ما أرسل الرسول إلاّ ليطيعه الناس بإذن الله، تعريضا عليهم بأنهم لما ذا لا يطيعون الرسول فى هذا الأمر مع أنه الواجب عليهم، ثم إنهم قد ظلموا أنفسهم بردّ مقاله النبى صلّى الله عليه و آله فى أمر الولايه لعلى عليه السّلام فقال تعالى بيانا لأنهم ظلموا أنفسهم: و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بردّ مقاله النبى صلّى الله عليه و آله فى على عليه السّلام، جاءوك يعنى جاءوا إلى النبى صلّى الله عليه و آله و إلى على عليه السّلام. أما إلى النبى صلّى الله عليه و آله فظاهر و أما إلى على فلأنهم ردّوا حق على عليه السّلام الذى جعله الله تعالى له من أمر الولايه فلا بد من الاسترضاء منه عليه السّلام

و لذا أقسم أبو عبد الله عليه السّلام فقال: يعنى و الله النبى صلّى الله عليه و آله و عليّا عليه السّلام. و الحاصل: أنهم لو جاءوا إلى على عليه السّلام و قد استغفروا الله تعالى مما صنعوا من المقاله الملعونه وَ اِسْتَغْفَرَ لَهُمُ اَلرَّسُولُ ، الآيه «أى يغفر الله لهم» و لكنهم ما فعلوا ذلك بل أصرّوا على نفاقهم فأخبر الله تعالى بقوله: «فَلاٰ وَ رَبِّكَ» الآيه أى لا يكون إيمان حتى يحكّموك فيما شجر بينهم من أمر الولايه لعلى عليه السّلام كما يومئ إليه

قوله عليه السّلام: هو

ص: ٢٠٨

١- ١) تفسير البرهان ج ١ ص ٣٨٩.

و الله علی علیه السّلام بعینه، یعنی أن ما شجر بینهم هو علی علیه السّلام فی أمر ولایته فلا بد لهم فیما شجر بینهم فی أمر الولایه من الرجوع إلی قضاوه رسول الله صلّی الله علیه و آله بلسانه الصریح فی أمر الولایه لعلی علیه السّلام و یسلّموا تسلیما لعلی علیه السّلام فحینئذ یکونون مؤمنین. فعلم من هذا الحدیث الشریف فی بیان هذه الآیات المبارکات أنّ الله تعالی أقسم علی أنه لا إیمان إلاّ بقبول ولایه علی علیه السّلام فیعلم منه أهمیه أمر الولایه بما لا مزید علیه کما لا یخفی، و هناک أحادیث أخر بهذا المضمون کما لا یخفی علی المتتبع لکتب الأحادیث.

و منها: [قوله تعالی إلیه یصعد الکلمُ الطیبُ]

قوله تعالی: إِلَیْهِ یَصْعَدُ اَلْکَلِمُ اَلطَّیِّبُ وَ اَلْعَمَلُ اَلصّالِحُ یَرْفَعُهُ (۱).

ففی کتاب الحجه من أصول الکافی بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله عزّ و جلّ: إِلَیْهِ یَصْعَدُ اَلْکَلِمُ اَلطَّیِّبُ وَ اَلْعَمَلُ اَلصّالِحُ یَرْفَعُهُ ولایتنا أهل البیت- و أ هوی بیده إلی صدره-فمن لم یتولّنا لم یرفع الله له عملا (۲).

و فیه بإسناده عن عبد الرحمن بن کثیر قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله تعالی: هُنالِکَ اَلْوَلایَهُ لِلّهِ اَلْحَقِّ قال: ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام (۳).

و منها: قوله تعالی:

اَلنَّبَإِ اَلْعَظِیمِ

(۴)

.

و فیه بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله تعالی: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ. عَنِ اَلنَّبَإِ اَلْعَظِیمِ قال: النبأ العظیم الولایه، و سألته عن قوله تعالی: هُنالِکَ اَلْوَلایَهُ لِلّهِ اَلْحَقِّ قال: ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام (۵). ففی هذه الآیات تری أنه سبحانه أراد بالکلم الطیب و العمل الصالح الولایه فعبر عنها بذلک، و أن العمل المرفوع إلیه تعالی و المصعد إلیه هو الولایه أو العمل

۱- ۱) فاطر:۱۰.

۲- ۲) کتاب الحجه ص ۴۳۰.

۳- ۳) کتاب الحجه ص ۴۲۲.

۴- ۴) النبا:۱.

۵- ۵) کتاب الحجه ص ۴۱۸.

المقرون بالولايه، و لذا

قال عليه السّلام: من لم يتولّنا لم يرفع الله له عملا، و أهم منه تفسيره عليه السّلام الولايه لله الحق بولايه على أمير المؤمنين عليه السّلام فيعلم أنّ ولايتهم ولايه الله الحق، فولايتهم مظهر لولايته تعالى كما ستجىء الإشاره إليه، و كذلك تفسيره عليه السّلام النبأ العظيم بالولايه لهم عليهم السّلام فولايتهم هو النبأ العظيم الذى عنه يسألون. و لا يخفى على المتتبع لأحاديث أهل البيت عليهم السّلام أن كثيرا من الآيات القرآنيه قد فسرت بالولايه، فراجع تفسير البرهان و تفسير نور الثقلين و غايه المرام، على مؤلفيهم رضوان الله الملك العلاّم.

المقام الثانى: فى ذكر الأحاديث الوارده فى أهميه أمر الولايه.

اشاره

و أنه لا يقبل الله عملا إلاّ بالولايه و هى أكثر من أن تحصى، و كتب الأحاديث من العامه و الخاصه مشحونه بذلك. و لعمرى إن كثرتها التى بلغت فوق التواتر تغنينا عن الكلام فى سندها، فإنها ثابته بالتواتر الإجمالى و المعنوى، و فى كثير منها بالتواتر اللفظى كما لا يخفى على المتتبع الماهر، فراجع الكتب المذكوره آنفا. فنقول و على الله التوكل:

ما روته الخاصه:

ففى البحار (۱)نقلا عن أمالى الصدوق، ابن ناتانه عن على عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن الساباطى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ أول ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدى الله جلّ جلاله عن الصلوات المفروضات، و عن الزكاه المفروضه، و عن الصيام المفروض، و عن الحج المفروض، و عن ولايتنا أهل البيت عليهم السّلام فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلوته و صومه و زكوته

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۶۷.

و حجّه، و إن لم يقر بولايتنا بين يدى الله جلّ جلاله لم يقبل الله عزّ و جل منه شيئا من أعماله.

و فيه (۱)عنه أيضا بإسناده عن محمد بن سنان، عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السّلام قال: نزل جبرئيل على النبى صلّى الله عليه و آله، فقال: يا محمّد السلام يقرئك السلام و يقول: خلقت السموات السبع و ما فيهنّ، و الأرضين السبع و من عليهنّ، و ما خلقت موضعا أعظم من الركن و المقام، و لو أن عبدا دعانى هناك منذ خلقت السموات و الأرضين ثم لقينى جاحدا لولايه على لأكبّنه فى سقر.

و فيه (۲)عنه بإسناده عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ عليا عليه السّلام كان يقول: لا خير فى الدنيا إلّا لأحد رجلين، رجل يزداد كلّ يوم إحسانا، و رجل يتدارك سيّئته بالتوبه و أنّى له بالتوبه؟ و الله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلّا بولايتنا أهل البيت.

و فيه، عن تفسير القمى بإسناده عن أبى حمزه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: من خالفكم و إن تعبّد و اجتهد منسوب إلى هذه الآيه وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰاشِعَهٌ. عٰامِلَهٌ ناصِبَهٌ. تَصْلىٰ ناراً حٰامِيَهً (۳).

و فيه (۴)عن أمالى ابن الشيخ بإسناده عن أنس بن مالك، قال: رجعنا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله قلقين من تبوك، فقال لى فى بعض الطريق: القوالى الأحلاس و الأقتاب، ففعلوا فصعد رسول الله صلّى الله عليه و آله فخطب فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال: معاشر الناس ما لى إذا ذكر آل إبراهيم عليه السّلام تهلّلت وجوهكم، و إذا ذكر آل محمد كأنّما يفقأ فى وجوهكم حبّ الرّمان؟ فو الذى بعثنى بالحقّ نبيّا لو جاء أحدكم

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۶۷.

۲- ۲) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۶۷.

۳- ۳) الغاشيه:۲-۴.

۴- ۴) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۷۱.

يوم القيامه بأعمال كأمثال الجبال و لم يجئ بولايه على بن أبى طالب عليه السّلام لأكبه الله عزّ و جل فى النار. أقول: الفقاء: الشق، و هو كنايه عن شده احمرار الوجه للغضب.

و فيه (۱)عن أمالى الشيخ بإسناده عن معاذ بن كثير، قال: نظرت إلى الموقف، و الناس فيه كثير، فدنوت إلى أبى عبد الله عليه السّلام فقلت: إن أهل الموقف كثير قال: فضرب ببصره فأداره فيهم ثم قال: ادن منّى يا أبا عبد الله، فدنوت منه فقال: غثاء يأتى به الموج من كلّ مكان، و الله ما الحج إلاّ لكم، لا و الله ما يتقبّل الله إلاّ منكم.

و فيه (۲)عن معانى الأخبار بإسناده عن فضيل بن عثمان قال: سئل أبو عبد الله عليه السّلام فقيل له: إنّ هؤلاء الأجانب يروون عن أبيك يقولون: إن أباك عليه السّلام قال: إذا عرفت فاعمل ما شئت، فهم يستحلّون من بعد ذلك كلّ محرّم، قال: ما لهم لعنهم الله؟ إنما قال أبى عليه السّلام: إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك.

و فيه (۳)عن احتجاج الطبرسى عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى جواب الزنديق المدعى للتناقض فى القرآن، قال عليه السّلام: و أما قوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ اَلصّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ (۴)و قوله: وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اِهْتَدی (۵)فإنّ ذلک كلّه لا يغنى إلاّ مع اهتداء، و ليس كلّ من وقع عليه اسم الإيمان كان حقيقا بالنجاه مما هلك به الغواه، و لو كان ذلك كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد و إقرارها بالله، و نجا سائر المقرّين بالوحدانيه من إبليس فمن دونه فى الكفر و قد بيّن الله ذلك بقوله: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۷۲.

۲- ۲) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۷۴.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) الأنبياء:۹۴.

۵- ۵) طه:۸۲.

اَلْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ

(۱)

و بقوله: اَلَّذِينَ قٰالُوا آمَنّٰا بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ (۲)و للإيمان حالات و منازل يطول شرحها. و من ذلك أنّ الإيمان قد يكون على وجهين: إيمان بالقلب، و إيمان باللسان، كما كان إيمان المنافقين على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله لمّا قهرهم السيف و شملهم الخوف فإنهم آمنوا بألسنتهم و لم تؤمن قلوبهم. فالإيمان بالقلب هو التسليم للربّ، و من سلّم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، و استكبر أكثر الأمم عن طاعه أنبيائهم، فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل، فإنه سجد سجده واحده أربعه آلاف عام لم يرد بها غير زخرف الدنيا، و التمكين من النظره، فلذلك لا تنفع الصلاه و الصدقه إلّا مع الاهتداء إلى سبيل النجاه و طريق الحقّ.

و فيه (۳)عن ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد الله عليه السّلام: عبد الله حبر من أحبار بنی إسرائيل حتی صار مثل الخلا، فأوحی الله عزّ و جل إلی نبی زمانه قل له: و عزّتی و جلالی و جبروتی لو أنك عبدتنی حتی تذوب كما تذوب الأليه فی القدر، ما قبلت منك حتی تأتينی من الباب الذی أمرتك. أقول: حاصل هذين الخبرين الأخيرين أن الإقرار بالتوحيد، و عباده الله تعالی ما لم يكن عن هدايه إلهيّه، و من الباب المأمور به لا تغنی شيئا، و الهدايه عباره عن التسليم له تعالی، و هو يلازم المشی فی طريق الحقّ، الذی بيّنه الله تعالی لعباده فی كلّ زمان بلسان نبيّه و أوصياء نبيّه، فهذا المشی فی هذا الطريق المبين بلسان المعصوم، هو الإيمان القلبی. و أما السابق أی الإيمان غير القلبی، أی صرف الإقرار بالتوحيد، و إتيان

ص :۲۱۳

۱- ۱) الأنعام:۸۲.

۲- ۲) المائده:۴۱.

۳- ۳) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۷۶.

العبادات الصوريه بدون هدايه إلهيه و المشى المذكور، فهو إيمان لسانى لا يكون عن تسليم القلب، فهو فى الحقيقه ليس بإيمان له تعالى بل متابعه للنفس و الهوى كما

ذكره أمير المؤمنين عليه السّلام فى عباده الشيطان: «و سجدته لزخرف الدنيا» .

و فيه (۱)عن ثواب الأعمال بإسناده عن ميسر بيّاع الزّطىّ، قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السّلام فقلت له: جعلت فداك إنّ لى جارا لست أنتبه إلاّ بصوته إما تاليا كتابه يكرّره و يبكى و يتضرع، و إمّا داعيا، فسألت عنه فى السرّ و العلانيه فقيل لى: إنّه مجتنب لجميع المحارم، قال: فقال: يا ميسر يعرف شيئا مما أنت عليه؟ قال: قلت: الله أعلم، قال: فحججت من قابل فسألت عن الرجل فوجدته لا يعرف شيئا من هذا الأمر، فدخلت على أبى عبد الله عليه السّلام فأخبرته بخبر الرجل، فقال لى مثل ما قال فى العام الماضى: يعرف شيئا مما أنت عليه؟ قلت: لا. قال: يا ميسر أىّ البقاع أعظم حرمه؟ قلت: الله و رسوله و ابن رسوله أعلم قال: يا ميسر ما بين الركن و المقام روضه من رياض الجنه، و ما بين القبر و المنبر روضه من رياض الجنه، و لو إنّ عبدا عمّره الله فيما بين الركن و المقام، و فيما بين القبر و المنبر يعبده ألف عام ثم ذبح على فراشه مظلوما كما يذبح الكبش الأملح، ثم لقى الله عزّ و جلّ بغير ولايتنا، لكان حقيقا على الله عزّ و جل أن يكبه على منخريه فى نار جهنم.

و فيه (۲)عن البصائر بإسناده عن ابن كثير، قال: حججت مع أبى عبد الله عليه السّلام إلى أن قال عليه السّلام: ويحك يا أبا سليمان إنّ الله لا يغفر أن يشرك به الجاحد لولايه على كعابد وثن.

و فيه (۳)عن غيبه النعمانى بإسناده عن حبيب السجستانى، عن أبى جعفر عليه السّلام

ص: ۲۱۴

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۸۰.

۲- ۲) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۸۱.

۳- ۳) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۱۹۳.

قال: قال الله عز و جل: لأعذّبن كلّ رعيّه فی الإسلام دانت بولایه کلّ إمام جائر لیس من الله، و إن کانت الرعیه فی أعمالها برّه تقیّه، و لأغفرنّ عن کلّ رعیه فی الإسلام دانت بولایه کلّ إمام عادل من الله، و إن کانت الرعیه فی أعمالها ظالمه مسیئه.

و فیه (۱)عن إیضاح دفائن النواصب، روی ابن شاذان، قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله لیله أسری بی إلی الجلیل جلّ جلاله أوحی إلیّ: آمن الرسول بما أنزل إلیه من ربّه، قلت: و المؤمنون، قال: صدقت یا محمد، من خلّفت فی أمتک؟ قلت: خیرها قال: علی بن أبی طالب؟ قلت: نعم یا ربّ، قال: یا محمد إنی اطلعت إلی الأرض اطّلاعه فاخترتک منها، فشققت لک اسما من أسمائی فلا أذکر فی موضع إلاّ ذکرت معی فأنا المحمود و أنت محمد. ثم اطلعت الثانیه فیها فاخترت منها علیّا، فشققت له اسما من أسمائی فأنا الأعلی و هو علی، یا محمد: إنّی خلقتک و خلقت علیّا و فاطمه و الحسن و الحسین و الأئمه من ولده من سنخ نور من نوری، و عرضت ولایتکم علی أهل السموات و أهل الأرضین فمن قبلها کان عندی من المؤمنین، و من جحدها کان عندی من الکافرین، یا محمد لو أنّ عبدا من عبیدی عبدنی حتی ینقطع و یصیر کالشّنّ البالی، ثم أتانی جاحدا لولایتکم ما غفرت له حتی یقرّ بولایتکم، یا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم یا رب، فقال لی: التفت عن یمین العرش، فالتفت فإذا أنا بعلی و فاطمه و الحسن و الحسین و علی بن الحسین و محمد بن علی و جعفر بن محمد و موسی بن جعفر و علی بن موسی و محمد بن علی و علی بن محمد و الحسن بن علی و المهدی، فی ضحضاح من نور قیام یصلّون، و فی وسطهم المهدی یضیء کأنه کوکب درّی، فقال: یا محمد هؤلاء الحجج و القائم من عترتک، و عزتی و جلالی له الحجه الواجبه لأولیائی، و هو المنتقم من أعدائی، بهم یمسک، الله السموات أن تقع علی الأرض إلاّ بإذنه.

ص: ۲۱۵

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۲۰۰.

و فیه (۱)عن أمالی الشیخ بإسناده عن زریق، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قلت له: أیّ الأعمال أفضل بعد المعرفه؟ قال: ما من شیء بعد المعرفه یعدل هذه الصلوه، و لا بعد المعرفه و الصلوه شیء یعدل الزکوه، و لا بعد ذلک شیء یعدل الصوم، و لا بعد ذلک شیء یعدل الحج، و فاتحه ذلک کلّه معرفتنا و خاتمته معرفتنا، الخبر. هذا ما روته الخاصّه فی هذا الأمر، و هنا أحادیث أخر فی هذا الموضوع عن طرق العامه نذکر بعضها عن کتاب غایه المرام للسید البحرانی رحمه الله.

ما روته العامه:

ففیه، أبو المؤید موفق بن أحمد من أعیان علماء العامه فی کتاب الفضائل معنعنا، عن سلامه راعی رسول الله صلّی الله علیه و آله یقول: لیله أسری بی إلی آخر ما تقدم عن ابن شاذان بألفاظه، إلاّ أنّ فی هذا الحدیث بعد قوله یا محمد هؤلاء الحجج: و هو الثائر من عترتک، و عزتی إنّه الحجه الواجبه لأولیائی، و المنتقم من أعدائی.

و فیه (۲)عن موفق بن أحمد بأخباره، عن زید بن علی بن الحسین بن أبی طالب، عن أبیه، عن جده، عن علی بن أبی طالب علیه السّلام، عن النبی صلّی الله علیه و آله أنّه قال لعلی: «یا علی لو أنّ عبدا عبد الله عزّ و جل مثل ما قام نوح فی قومه، و کان له مثل أحد ذهبا فأنفقه فی سبیل الله، و مدّ فی عمره حتی حجّ ألف عام علی قدمه، ثم قتل بین الصفا و المروه مظلوما، ثم لم یوالک یا علی لم یشمّ رائحه الجنه و لم یدخلها» .

و فیه (۳)أحمد بن مردویه الحافظ الثقه عند العامّه روی مسندا عن صالح بن میثم، عن أبیه، قال: سمعت ابن عباس یقول: سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله یقول: من لقی الله

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۲۷ ص ۲۰۱.

۲- ۲) غایه المرام ص ۲۵۰.

۳- ۳) غایه المرام ص ۲۵۱ رقم ۶.

تعالی و هو جاحد ولایه علی بن أبی طالب لقی الله و هو علیه غضبان، و لا یقبل الله شیئا من أعماله، فیوکل به سبعون ملکا یتفلون فی وجهه، و یحشره الله تعالی أسود الوجه زرق العین، قلنا: یا أبا العباس: أ ینفع حبّ علی فی الآخره؟ قال: قد تنازع أصحاب رسول الله فی حبّه حتی سألنا رسول الله صلّی الله علیه و آله فقال: دعونی حتی أسأل الوحی. فلما هبط جبرئیل سأله، فقال: نسأل ربّی عزّ و جل هذا، فرجع إلی السماء ثم هبط إلی الأرض، فقال: یا محمد إنّ الله تعالی یقرأ علیک السلام و یقول: أحبّ علیّا، فمن أحبّه فقد أحبّنی و من أبغضه فقد أبغضنی، یا محمد حیث تکن یکن، و حیث یکون محبّوه و إن اجترحوا.

و فیه (1)أبو المظفر السمعانی من أعیان علماء العامه فی کتاب مناقب الصحابه بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاری، قال: کان رسول الله صلّی الله علیه و آله بعرفات، و أنا و علی علیه السّلام عنده، فأومی النبی صلّی الله علیه و آله إلی علی علیه السّلام فقال: یا علی ضع خمسک فی خمسی یعنی کفّک فی کفی، یا علی خلقت أنا و أنت من شجره أنا أصلها و أنت فرعها و الحسن و الحسین أغصانها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها دخل الجنه، یا علی لو أنّ أمتی صاموا حتی یکونوا کالحنایا، و صلّوا حتی یکونوا کالأوتار، ثمّ أبغضوک لأکبّهم الله علی وجوههم.

و فی حدیث آخر بسند آخر مثله إلّا بتفاوت یسیر و فیه: لأکبّهم الله تعالی فی النار، و قد روی هذا الحدیث غیره من علمائهم المشهورین أیضا، فراجع الکتاب المذکور.

و فیه (2)أبو المؤید موفق بن أحمد بإسناده عن أنس بن مالک قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «حبّ علی بن أبی طالب حسنه لا تضرّ معها سیّئه، و بغضه سیئه لا تنفع

۱- ۱) غایه المرام ص ۲۵۱ التاسع.

۲- ۲) غایه المرام ص ۲۵۱.

معها حسنه» .

و فيه (۱)موفق بن أحمد هذا بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «من زعم أنّه آمن بی و بما جئت به و هو يبغض عليّا، فهو كاذب ليس بمؤمن» . أقول: و لنعم ما قاله السيد البحرانی (رضوان الله تعالی عليه) قال: يكفی فی بغض علی و بنيه عليهم السّلام تقديم غيرهم عليهم، و موالاه غيرهم، كما جاءت به الروايات.

و فيه (۲)من طريق العامه ما ذكره ابن شاذان أبو الحسن الفقيه فی المناقب المائه فی فضائل أمير المؤمنين علی عليه السّلام و فضائل الأئمه عليهم السّلام من طرق العامه بحذف الإسناد عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: حدّثنی جبرئيل عن ربّ العزّه جلّ جلاله أنّه قال: من علم أن لا إله إلّا أنا وحدی، و أنّ محمدا عبدی و رسولی، و أنّ علی بن أبی طالب خليفتی، و أنّ الأئمه من ولده حججی أدخلته الجنه برحمتی، و نجّيته من النار بعفوی، و أبحت له جواری، و أوجبت له كرامتی، و أتممت عليه نعمتی، و جعلته من خاصّتی و خالصتی، إن نادانی لبّيته، و إن دعانی أجبته، و إن سألنی أعطيته، و إن سكت ابتدأته، و إن أساء رحمته، و إن فرّ منی دعوته، و إن رجع إلیّ قبلته، و إن قرع بابی فتحته. و من لم يشهد أن لا إله إلّا أنا وحدی أو شهد بذلک، و لم يشهد أنّ محمدا عبدی و رسولی أو شهد بذلک، و لم يشهد أنّ علی بن أبی طالب خليفتی أو شهد بذلک، و لم يشهد أنّ الأئمه من ولده حججی، فقد جحد نعمتی، و صغّر عظمتی، و كفر بآياتی و كتبی و رسلی. إن قصدنی حجبته، و إن سألنی حرمته، و إن نادانی لم أسمع نداءه، و إن دعانی لم أستجب دعاءه، و إن رجانی خيّبت رجاءه منی، و ما أنا بظلّام للعبيد. فقام جابر بن عبد الله

ص: ۲۱۸

۱- ۱) غايه المرام ص ۲۵۱.

۲- ۲) المصدر نفسه.

الأنصاری، فقال: یا رسول الله و من الأئمه من ولـد علی بن أبی طالب؟ قال: الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه، ثم سیّد زین العابـدین فی زمانه علی بن الحسین، ثم الباقر محمـد بن علی ستدرکه یا جابر، فإذا أدرکته فأقرئه منّی السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمـد، ثم الکاظم موسی بن جعفر، ثمّ الرضا علی بن موسی، ثم التقی محمـد بن علی، ثم النقی علی بن محمـد، ثمّ الزکی الحسن بن علی، ثم ابنه القائم بالحقّ مهدی أمتی، الذی یملأ الأرض قسطا و عدلا کما ملئت جورا و ظلما. هؤلاء یا جابر خلفائی و أوصیائی و أولادی و عترتی من أطاعهم فقـد أطاعنی، و من عصاهم فقـد عصانی، و من أنکرهم أو أنکر واحدا منهم فقد أنکرنی و بهم یمسک الله السماء أن تقع علی الأرض و بهم یحفظ الله الأرض أن تمید بأهلها.

و فیه (۱)إبراهیم بن محمد الحموینی بإسناده عن علقمه عن عبد الله قال: خرج رسول الله صلّی الله علیه و آله من بیت زینب بنت جحش، و أتی بیت أم سلمه، و کان یومها من رسول الله صلّی الله علیه و آله فلم یلبث أن جاء علی علیه السّلام فدقّ الباب دقّا خفیّا فأثبت النبی صلّی الله علیه و آله الدقّ، و أنکرته أمّ سلمه، و قال لها رسول الله صلّی الله علیه و آله: قومی فافتحی له، قالت: یا رسول الله من هـذا الـذی أفتح له الباب أ تلقّاه بمعاصمی، و قد نزلت فیّ آیه من کتاب الله بالأمس؟ قال لها کهیئه المغضب: «إنّ طاعه الرسول کطاعه الله، و من عصی رسول الله فقـد عصی الله، إنّ بالباب رجلا لیس بنزق و لا غلق یحبّ الله و رسوله، و یحبّه الله و رسوله، لم یکن لیدخل حتی ینقطع الوطی (۲)قالت: فقمت و أنا أختال فی مشیتی و أنا أقول: بخ بخ من ذا الـذی یحبّ الله و رسوله، و یحبّه الله و رسوله، ففتحت الباب، فأخذ بعضادتی الباب، حتی إذا لم یسمع حسیسا و لا حرکه و صرت فی خدری، استأذنه فدخل. قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: یا أمّ سلمه أ تعرفینه؟ قلت: نعم

۱- ۱) غایه المرام ص ۲۵۳.

۲- ۲) أی الوطی علی الأرض فهو کنایه عن المشی، أی لا یدخل حتی تصیرین فی خدرک، کما قالته أم سلمه.

یـا رسول الله هـذا علی بن أبی طـالب، قال: صـدقت، سـیّدا أحبّه، لحمی من لحمی، و دمه من دمی، و هو عیبه علمی، اسـمعی و اشـهدی، و هو قاصم عداتی (۱)فاسـمعی و اشـهدی و هو و الله محیی سـنّتی، فاسـمعی و اشهدی لو أنّ عبدا عبد الله ألف عام و ألـف عـام و ألف عـام بین الرکن و المقـام، و لقی الله عز و جـل مبغضـا لعلی بن أبی طـالب و عـترتی أکبّه الله علی منخریه یوم القیمه فی جهنّم» . أقول: النظر الـدقیق فی هـذه الأحادیث المرویه من العامه و الخاصه فی الکتب المعتبره عنـدنا و عنهم، یبیّن لنا أهمیّه أمر الولایه، و أنها الرکن الوثیق فی الإیمان و قبول الأعمال، و أنّ منکرها و إن جـدّ و اجتهـد فی العباده فی أشـرف البقاع مـده طویله حتی یصـیر کـالشنّ البـالی لمـا نفعه إیمـانه و لا۔ عبادته بل حقّ علی الله تعالی أن یکبّه فی النار، فیعلم منها أهمیّه أمر الولایه من حیث النداء الإلهی و التأکید بلزومها، و هنا أحادیث أخر تلازم هذا المعنی، و تصـرّح به مع الزیاده نذکر بعضا تأکیدا للمرام.

ففی کتاب معالم الزلفی للسـید هاشم البحرانی (رضوان الله تعالی علیه) : ابن یعقوب بإسناده، عن أبی حمزه، عن أبی جعفر علیه السّـلام قال: بنی الإسلام علی خمس: الصلوه و الصوم و الزکوه و الحج و الولایه و لم یناد بشیء کما نودی بالولایه. أقول: قوله: و لم یناد بشیء. . . إلخ، صریح فی تأکید أمر الولایه فی اللزوم، و أنه بنحو البتّ، و بحیث لا رخصه فی ترکها علی أیّ حال کما سیجیء أنه قـد یرخّص فی ترک الأـربعه السـابقه لعـذر، فإنّ الصـلاه تترکها الحائض، و الصوم یترکه المریض، و الزکاه و الحجّ ساقطان عن الفقیر، کما فی الحدیث:

ففی الخصـال ص ۲۵۱، قـال أبو جعفر علیه السّـلام: بنی الإسـلام علی خمس: الصـلوه و إیتـاء الزکوه و حـج البیت و صوم شـهر رمضـان و الولـایه لنا أهل البیت، فجعل فی أربع منها رخصه، و لم یجعل فی الولایه لنا أهل البیت رخصه، من لم یکن له مال لم تکن علیه الزکوه، و من لم یکن عنده مال

۱- ۱) قاصم عداتی أی منجزها.

فليس عليه الحجّ، و من كان مريضا صلّى قاعدا و أفطر شهر رمضان، و الولايه صحيحا كان أو مريضا أو ذا مال أو لا مال فهى لازمه. و هذا بخلافها فإنّه لا رخصه فى تركها أبدا.

و فيه (۱)عنه بإسناده عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: بنى الإسلام على خمسه أشياء، على الصلوه و الزكوه و الحج و الصوم و الولايه، قال زراره: و أىّ شىء من ذلك أفضل؟ قال: الولايه أفضل، لأنها مفتاحهنّ، و الوالى هو الدليل عليهنّ، إلى أن قال عليه السّلام: إنّ أفضل الأشياء ما أنت عليه، إذا فاتك لم يكن منه توبه دون أن ترجع إليه فتؤدّيه بعينه، إلى أن قال: ثم قال عليه السّلام: ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه، و باب الأشياء و رضى الرحمن الطاعه للإمام بعد معرفته، إنّ الله تعالى يقول: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ وَ مَنْ تَوَلّٰى فَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً . أما لو أنّ رجلا قام ليله، و صام نهاره، و تصدّق بجميع ماله، و حج جميع دهره، و لم يعرف ولايه ولىّ الله فيواليه، و يكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقّ فى ثوابه، و لا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنه بفضل رحمته.

و فيه (۲)ابن يعقوب بإسناده عن أبى حمزه قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالا، قلت: جعلت فداك فما معرفه الله؟ قال: تصديق الله عز و جل، و تصديق رسوله، و موالاه على، و الائتمام به و بأئمه الهدى، و البراءه إلى الله من عدوهم، و هكذا يعرف الله عز و جل.

و فيه (۳)و عنه بإسناده عن أبى إبراهيم عليه السّلام قال: إنّ عليّا عليه السّلام باب من أبواب الجنّه، فمن دخل بابه كان مؤمنا، و من خرج عن بابه كان كافرا، و من لم يدخل فيه

ص: ۲۲۱

۱- ۱) معالم الزلفى ص ۲۲.

۲- ۲) المصدر نفسه.

۳- ۳) المصدر نفسه.

و لم يخرج منه كان فى الطبقه التى لله فيهم المشيه.

و فيه (۱)ابن بابويه بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله المخالف على على بن أبى طالب بعدى كافر، و المشرك به مشرك و المحب له مؤمن، و المبغض له منافق، و المقتفى لأمره لاحق، و المحارب له مارق، و الراد عليه زاهق، على نور الله فى بلاده، و حجته على عباده، على سيف الله على أعدائه، و وارث علم أنبيائه، على كلمه الله العليا، و كلمه أعدائه السفلى، على سيد الأوصياء، و وصىّ سيد الأنبياء، على أمير المؤمنين، و قائد الغرّ المحجّلين، و إمام المسلمين، لا يقبل الله الإيمان إلّا بولايته و طاعته و البراءه من أعدائه.

و فيه (۲)عنه بإسناده عن عمر بن غزوان عن ابن مسلم، قال: خرجت مع الحسن البصرى و أنس بن مالك حتّى أتينا باب أم سلمه (رض) فقعد أنس على الباب، و دخلت مع الحسن البصرى، و سمعت الحسن و هو يقول: السلام عليك يا أمّاه و رحمه الله و بركاته، فقالت له: و عليك السلام من أنت يا بنى؟ فقال الحسن البصرى، فقالت: فيم جئت يا حسن؟ فقال لها: جئت لتحدّثينى بحديث سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و آله فى على بن أبى طالب، فقالت أمّ سلمه: و الله لأحدّثنك بحديث سمعته أذناى من رسول الله صلّى الله عليه و آله و إلّا فصمّتا، و رأته عيناى و إلّا فعميتا، و وعاه قلبى و إلّا فطبع الله عليه و أخرس لسانى إن لم أكن سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول لعلى بن أبى طالب: يا على ما من عبد لقى الله يوم يلقاه جاحدا لولايتك إلّا لقى الله بعباده صنم أو وثن، فقال: سمعت الحسن و هو يقول: الله أكبر، أشهد أنّ عليّا مولاى و مولى المؤمنين. فلما خرج قال له أنس بن مالك: ما لى أراك تكبّر؟ قال: سألت أمّنا أمّ سلمه أن تحدّثنى بحديث سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و آله فى على، فقالت لى: كذا و كذا،

۱- ۱) معالم الزلفى ص ۲۴.
۲- ۲) معالم الزلفى ص ۲۵.

فقلت: الله أكبر أشهد أنّ عليا مولای و مولی کلّ مؤمن، قال: فسمعت عند ذلک أنس بن مالک و هو یقول: أشهد علی رسول الله صلّی الله علیه و آله أنه قال هذه المقالات ثلاث مرات أو أربع مرات.

و فیه (۱)و عنه بإسناده عن محمد بن الفضیل قال: سألته عن أفضل ما یتقرّب به العباد إلی الله عز و جل؟ قال: أفضل ما یتقرب به العباد إلی الله عز و جل طاعه الله و طاعه رسوله و طاعه أولی الأمر، قال أبو جعفر علیه السّلام حبّنا إیمان و بغضنا کفر.

و فیه (۲)ابن بابویه بإسناده عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن الصراط المستقیم فقال: هو الطریق إلی معرفه الله عز و جل، و هما صراطان: صراط فی الدنیا و صراط فی الآخره، فأمّا الصراط الّذی فی الدنیا فهو الإمام المفترض الطاعه، من عرفه فی الدنیا و اقتدی بهداه مرّ علی الصراط الذی هو جسر جهنم فی الآخره. و من لم یعرفه فی الدنیا زلّت قدمه عن الصراط فی الآخره، فتردّی فی نار جهنم.

و فیه (۳)و عنه بإسناده عن ثابت الثمالی، عن سید العابدین علی بن الحسین علیه السّلام قال: لیس بین الله و بین حجته حجاب، و لا لله دونه ستر، نحن أبواب الله، و نحن الصراط المستقیم، و نحن عیبه علمه، و نحن تراجمه وحیه، و نحن أرکان توحیده، و نحن موضع سرّه.

و فیه (۴)عنه بإسناده عن عبید الله الحلبی عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: الصراط المستقیم أمیر المؤمنین.

و فیه (۵)علی بن إبراهیم بإسناده عن حمّاد، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: فی قوله:

۱- ۱) معالم الزلفی ص ۲۶.

۲- ۲) المصدر نفسه.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) المصدر نفسه.

۵- ۵) المصدر نفسه.

اَلصِّراطَ اَلْمُسْتَقِيمَ ، قال: هو أمير المؤمنين عليه السّلام و معرفته، و الدليل على أنه أمير المؤمنين قوله: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ اَلْكِتٰابِ لَدَيْنٰا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ و هو أمير المؤمنين فى أمّ الكتاب فى قوله: اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ .

و فيه (۱)ابن يعقوب بإسناده عن مقرن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ الله تعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه، و لكن جعلنا أبوابه و صراطه و سبيله، و الوجه الذى يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا، أو فضّل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون، فلا سواء من اعتصم الناس به، و لا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدره يفرغ بعضها من بعض، و ذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافيه تجرى بأمر ربّها لا نفاد لها و لا انقطاع.

و فيه (۲)و عنه بإسناده عن بريد العجلى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا اَلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ قال: تدرى ما يعنى بصراطى مستقيما؟ قلت: لا، قال: ولايه على عليه السّلام و الأوصياء عليهم السّلام قال: و تدرى ما يعنى و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله؟ قلت: لا، قال: ولايه فلان، قال: أ و تدرى ما يعنى فتفرق بكم عن سبيله؟ قال: يعنى سبيل على عليه السّلام.

و فيه (۳)عنه بإسناده عن الثمالى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: أوحى الله إلى نبيّه صلّى الله عليه و آله: فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ إنّك على ولايه على و على هو الصراط المستقيم.

و فيه (۴)على بن إبراهيم بإسناده عن أبى حمزه، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول الله عز و جل لنبيّه صلّى الله عليه و آله: وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ إنّك لتأمر بولايه على أمير

۱- ۱) معالم الزلفى ص ۲۶.

۲- ۲) المصدر نفسه.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) المصدر نفسه.

المؤمنين، و تـدعو إليهـا، و على هو الصـراط المسـتقيم، صـراط الله يعنى عليّا، له ما فى السـموات و ما فى الأرض يعنى عليّا، إنه جعله خازنه على ما فى السموات و ما فى الأرض و أتمنه عليه ألا إلى الله تصير الأمور.

و فيه (١)محمد بن يعقوب بإسـناده، عن محمد بن الفضـيل، عن أبى الحسن الماضـى عليه السّـلام قال: قلت: أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلىٰ وَجْهِهِ أَهْدىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ قال: إنّ الله ضرب مثلا: من حاد عن ولايه على كمن يمشى على وجهه لا يهتدى لأمره، و جعل من تبعه سويّا على صراط مستقيم، و الصراط المستقيم أمير المؤمنين.

و فيه (٢)على بن إبراهيم بإسـناده عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله تعالى: اِهْدِنَا اَلصِّراطَ اَلْمُسْتَقِيمَ قال: الطريق و معرفه الإمام.

و فيه (٣)عنه بإسـناده عن محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جده قال: قال على بن الحسين عليهما السّلام: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله ذات يوم جالسـا و معه أصـحابه فى المسـجد، فقـال: يطلع عليكم من هـذا البـاب رجل من أهل الجنه يسأل عمّا يعنيه، فطلع رجل طوال شبيه برجال مصر، فتقـدم فسلّم على رسول الله صـلّى الله عليه و آله فجلس فقال: يا رسول الله، إنى سـمعت الله تعالى يقول فيما أنزل: وَ اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللّٰهِ جَمِيعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا فما هـذا الحبل الذى أمرنا الله بالاعتصام به و لا نتفرق عنه؟ فأطرق رسول الله صـلّى الله عليه و آله مليا، ثم رفع رأسه فأشار بيده إلى على و قال: هذا حبل الله الذى من تمسّك به عصم به فى دنياه، و لم يضلّ فى آخرته. فوثب الرجل إلى على عليه السّـلام فاحتضـنه من وراء ظهره و هو يقول: اعتصمت بحبل الله و حبل رسوله، ثم قام فولّى فخرج، فقام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، ألحقه فاسأله أن يستغفر

١- ١) معالم الزلفى ص ٢٧.

٢- ٢) المصدر نفسه.

٣- ٣) المصدر نفسه.

الله لی؟ فقال رسول الله صلّی الله علیه و آله: إذا تجده موفقا، قال: فلحق الرجل فسأله أن یستغفر له، فقال له: أ فهمت ما قال لی رسول الله صلّی الله علیه و آله و ما قلت له؟ قال: نعم، قال: فإن کنت متمسکا بذلک الحبل فغفر الله لک، و إلّا فلا غفر الله لک.

و فیه (۱)ابن بابویه بإسناده عن حذیفه بن أسید قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: یا حذیفه إنّ حجه الله علیک بعدی علی بن أبی طالب، الکفر به کفر بالله، و الشرک به شرک بالله، و الشکّ فیه شکّ فی الله، و الإلحاد فیه إلحاد فی الله، و الإنکار له إنکار لله، و الإیمان به إیمان بالله، لأنّه أخو رسول الله و وصیّه و إمام أمته و مولاهم، و هو حبل الله المتین، و عروته الوثقی التی لا انفصام لها، و سیهلک فیه اثنان و لا ذنب له: محبّ غال و مقصر قال. یا حذیفه لا تفارقنّ علیّا فتفارقنی، و لا تخالفنّ علیّا فتخالفنی، إنّ علیّا منّی و أنا منه، من أسخطه فقد أسخطنی و من أرضاه فقد أرضانی.

و فی معالم الزلفی (۲)الشیخ فی مجالسه بإسناده عن محمد بن زیاد بن أبی عمیر قال: حدّثنی علی بن رئاب، عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله جعفر بن محمد علیه السّلام، عن آبائه عن علی علیه السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: یا علی إنه لمّا أسری بی إلی السماء، تلقتنی الملائکه بالبشاره فی کلّ سماء، حتی لقینی جبرئیل علیه السّلام فی محلق من الملائکه، فقال: یا محمد لو اجتمعت أمتک علی حبّ علی ما خلق الله عز و جل النار، یا علی إنّ الله تعالی أشهدک معی فی سبعه مواطن حتی آنست بک. أما أول ذلک: فلیله أسری بی إلی السماء، قال لی جبرئیل علیه السّلام: أین أخوک یا محمد؟ فقلت: خلفته ورائی، فقال: أدع الله عز و جل فلیأتک به، فدعوت الله عز و جل، فإذا مثالک معی و إذ الملائکه وقوف صفوفا فقلت: یا جبرئیل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذین یباهی الله عز و جل بهم یوم القیمه، فدنوت و نطقت بما کان و بما یکون إلی یوم القیمه.

۱- ۱) معالم الزلفی ص ۲۷.

۲- ۲) باب ۹۴ ص ۳۲۳.

و الثانيه: حين أسرى بى إلى ذى العرش عز و جل، قال جبرئيل عليه السّلام: أين أخوك يا محمد؟ فقلت: خلفته ورائى، فقال: أدع الله عز و جل، فإذا مثالك معى، و كشط لى عن سبع سموات حتى رأيت سكّانها و عمّارها، و موضع كل ملك منها. و الثالثه: حيث بعثت إلى الجن، فقال جبرئيل عليه السّلام: أين أخوك؟ فقلت: خلفته ورائى، فقال: أدع الله عز و جل فليأتك به، فدعوت الله عز و جل فإذا أنت معى، فما قلت لهم شيئا و لا ردّوا علىّ شيئا إلاّ سمعته و وعيته. و الرابعه: خصصنا بليله القدر و أنت معى فيها و ليست لأحد غيرنا. و الخامسه: ناجيت الله عز و جل و مثالك معى، فسألت فيك خصالا أجابنى إليها إلاّ النبوه، قال: خصصتها بك و ختمتها بك. و السادسه: لمّا طفت بالبيت المعمور كان مثالك معى. و السابعه: هلاك الأحزاب على يدى و أنت معى. يا على إنّ الله أشرف إلى الدنيا فاختارنى على رجال العالمين، ثمّ اطلع الثانيه فاختارك على رجال العالمين، ثم اطلع الثالثه فأختار فاطمه على نساء العالمين، ثم اطلع الرابعه فاختار الحسن و الحسين و الأئمه من ولدها على رجال العالمين. يا على إنى رأيت اسمك مقرونا باسمى فى أربعه مواطن، فآنست بالنظر إليه. إنى لما بلغت بيت المقدس فى معارجى إلى السماء، وجدت على صخرتها: لا إله إلاّ الله و محمد رسول الله أيّدته بوزيره و نصرته به، فقلت: يا جبرئيل و من وزيرى؟ فقال: على بن أبى طالب، فلمّا انتهيت إلى سدره المنتهى وجدت مكتوبا عليها: لا إله إلاّ الله أنا وحدى و محمد صفوتى من خلقى، أيّدته بوزيره و نصرته به، فقلت: يا جبرئيل و من وزيرى؟ فقال: على بن أبى طالب، فلما جاوزت السدره، و انتهيت إلى عرش ربّ العالمين، وجدت مكتوبا على قائمه من قوائم العرش: لا إله إلاّ الله أنا وحدى محمد صلّى الله عليه و آله حبيبى و صفوتى من خلقى، أيّدته بوزيره و أخيه و نصرته به. يا على إنّ الله عز و جل أعطانى فيك سبع خصال: أنت أول من ينشق القبر عنه

معی، و أنت أول من یقف معی علی الصراط فتقول للنار: خذی هذا فهو لک، و ذری هذا فلیس هو لک، و أنت أول من یکسی و یحبی إذا کسیت و أحبیت، و أول من یقف معی عن یمین العرش، و أول من یقرع باب الجنه، و أول من یسکن معی علیین، و أول من یشرب معی من الرحیق المختوم، الذی ختامه مسک و فی ذلک فلیتنافس المتنافسون.

و فیه (۱)أمالی الشیخ بإسناده عن أحمد بن المعافی قال: حدثنا علی بن موسی الرضا علیه السّلام، عن أبیه موسی، عن أبیه جعفر بن محمد، عن أبیه محمد بن علی، عن أبیه علی بن الحسین، عن أبیه الحسین، عن أبیه علی بن أبی طالب علیهم السّلام عن النبی صلّی الله علیه و آله، عن جبرئیل، عن میکائیل، عن إسرافیل علیهم السّلام عن القلم عن اللوح عن الله تعالی: «علی حصنی من دخله أمن من ناری» .

و فیه (۲)أخطب خطباء خوارزم و هو من رجال العامّه بإسناده یرفعه إلی عبد الله بن العباس رحمه الله قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: ما مثلک فی الناس إلّا کمثل قل هو الله أحد فی القرآن، من قرأها مره فکأنما قرأ ثلث القرآن، و من قرأها مرّتین فکأنما قرأ ثلثی القرآن، و من قرأها ثلاث مرات کمن قد قرأ القرآن کلّه. و کذا أنت یا علی من أحبّک بقلبه و لسانه فقد أحب الإیمان کلّه، و الّذی بعثنی بالحقّ نبیّا، لو أحبّک أهل الأرض کما یحبّک أهل السماء، لما عذّب الله أحدا منهم بالنار. أقول: و مثله الحدیث عن طرق الخاصه کما فی خصال الصدوق رحمه الله.

[فی ذکر جمله من الأحادیث التی نذکرها عن غایه المرام]

اشاره

و فی غایه المرام أحادیث دلّت علی أنّ ولایه رسول الله صلّی الله علیه و آله و ولایه أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام هی التی بعث الله جلّ جلاله علیها النبیین علیهم السّلام فی قوله تعالی: وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا فمنها ما عن العامه، و منها ما عن الخاصه فنذکر منها بعضا یعاضد ما نحن بصدد بیانه.

ص: ۲۲۸

۱- ۱) معالم الزلفی ص ۳۲۴.

۲- ۲) المصدر نفسه.

عن طريق العامه:

ففيه، عن طريق العامه: إبراهيم بن محمد الحموينى من أعيان علماء العامه بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: أتانى ملك فقال: يا محمد و اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك و ولايه على ابن أبى طالب.

أبو نعيم المحدث الأصفهانى فى حليه الأولياء فى تفسير قوله تعالى: وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا ليله أسرى به، جمع الله بينه و بين الأنبياء، قال: سائلهم يا محمد على ما ذا بعثهم؟ قالوا: بعثنا على شهاده أن لا إله إلّا الله، و الإقرار بنبوتّك و الولايه لعلى عليه السّلام.

و عن طريق الخاصه:

بإسناده عن علقمه بن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله فى حديث الإسراء: فإذا ملك قد أتانى فقال: يا محمد سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما ذا بعثتم؟ فقال لهم: معاشر الرسل و النبيين على ما ذا بعثكم الله قبلى؟ قالوا: على ولايتك يا محمد و ولايه على بن أبى طالب.

و فيه، أبو على الطبرسى فى مجمع البيان عن أمير المؤمنين عليه السّلام: فهذا من براهين نبيّنا صلّى الله عليه و آله الذى آتاه الله إياها، و أوجب أنه الحجه على ساير خلقه، لأنه لما ختم به الأنبياء، و جعله الله رسولا إلى جميع الأمم و ساير الملل، خصّه بالارتقاء إلى السماء عند المعراج، و جمع يومئذ الأنبياء فعلم منه ما أرسلوا به، و حملوه من عزائم الله و آياته و براهينه، و أقروا أجمعين بفضله و فضل الأوصياء و الحجج من بعده، و فضل شيعته و وصيّه من المؤمنين و المؤمنات، الذين سلّموا لأهل الفضل فضلهم، و لم يستكبروا عن أمرهم، و عرف من أطاعهم و عصاهم من أممهم و ساير من مضى و من غيّر أو تقدم أو تأخر.

و فيه، محمد بن يعقوب بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ولايتنا ولايه الله التى

لم یبعث الله نبیّا قط إلّا بها.

و فیه، عن الشیخ فی أمالیه، بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق علیه السّلام عن أبیه، عن جده، قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: ما قبض الله نبیّا حتی أمره الله أن یوصی لأفضل عشیرته من عصبته، و أمرنی أوصی، فقلت: إلی من یا رب؟ فقال أوص یا محمد إلی ابن عمّک علی بن أبی طالب، فإنی قد أثبته فی الکتب السالفه، و کتبت فیها أنه وصیّک، و علی ذلک أخذت میثاق الخلائق و مواثیق أنبیائی و رسلی، أخذت مواثیقهم لی بالربوبیه، و لک یا محمد بالنبوه و لعلی بن أبی طالب بالولایه.

و فی تفسیر مرآه الأنوار عن الاختصاص، عن المفضل قال: قال الصادق: یا مفضّل و الله ما استوجب آدم أن یخلقه الله بیده، و ینفخ فیه من روحه إلاّ بولایه علی علیه السّلام و ما کلّم الله موسی تکلیما إلاّ بولایه علی علیه السّلام و لا أقام الله عیسی آیه للعالمین إلاّ بالخضوع لعلی علیه السّلام. الخبر.

و فیه (1)عن تفسیر القمی و البصائر، عن حمّاد أنّ الصادق علیه السّلام: سئل عن کثره الملائکه فقال: و الذی نفسی بیده لملائکه الله فی السموات أکثر من عدد التراب فی الأرض، و ما فی السماء موضع قدم إلاّ و فیها ملک یسبّحه و یقدسه، و لا فی الأرض شجر و لا مدر إلاّ و فیها ملک موکل بها، و ما منهم أحد إلاّ و یتقرّب کلّ یوم إلی الله بولایتنا أهل البیت، و یستغفر لمحبّینا و یلعن أعداءنا.

و فیه روی عن صاحب الکشّاف، عن النبی صلّی الله علیه و آله أنه قال: ألا من مات علی حبّ آل محمد مات شهیدا، و سرد الحدیث. . . إلی أن قال: و من مات علی بغض آل محمد مات کافرا.

و فیه، عن العیون بإسناده عن الرضا، عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله لعلی علیه السّلام: من أحبک کان مع النبیین فی درجتهم یوم القیمه، و من مات و هو یبغضک

۱- ۱) مقدمه تفسیر البرهان ص ۳۲.

فلا يبالى مات يهوديّا أو نصرانيّا.

و فى أمالى الصدوق بإسناده عن أنس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: من ناصب عليّا حارب الله، و من شك فى على فهو كافر.

و فيه و فى ثواب الأعمال بإسناد معتبر عن سدير قال: سمعت أبا جعفر يقول: سواء على من خالف هذا الأمر صلّى أو زنى.

و فى حديث آخر، إنّ الصادق عليه السّلام قال: الناصب لنا أهل البيت لا يبالى صام أو صلّى أو زنى أو سرق إنّه فى النار إنه فى النار.

و فيه (۱)و فى الكافى و غيره متواترا: من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميته جاهليه و ميته كفر و نفاق.

و فيه، عن غيبه النعمانى عن الصادق عليه السّلام أنه قال: من جحد إماما من الله و برىء منه و من دينه فهو كافر مرتدّ عن الإسلام، لأن الإمام من الله و دينه دين الله. و من برئ من دين الله فدمه مباح فى تلك الحال إلّا أن يتوب و يرجع إلى الله مما قال.

و فيه و فى الكافى عن الصادق عليه السّلام: من أنكر الأئمه منا كان كمن أنكر معرفه الله و معرفه رسوله صلّى الله عليه و آله. أقول: هذه جمله من الروايات الوارده فى شتى الأبواب المنعقده فى الكتب المعتبره، و هى أكثر من أن تحصى فى هذا المختصر، و لكن ذكرت من كلّ باب نموذجا لبيان المقصود، و من أراد الإحاطه بها فليراجع. و يستفاد منها أهميّه أمر الولايه، و أنه مما أخذ عليها ميثاق النبيين بل و إنّ المنكر لها و المتبرئ منها كافر، مباح الدم. نعم: هنا أحاديث يستفاد منها أن طائفه خاصه منهم، أى من أهل السنه ربما يرجى لهم النجاه، و نحن نذكر حديثا واحدا فى هذا الأمر للتنبيه عليه، و بيانه أزيد من هذا موكول فى محلّه.

۱- ۱) مقدمه تفسير البرهان ص ۲۱.

ففى البحار (١) نقلا عن المحاسن، عن النضر، عن يحيى الحلبى، عن ابن مسكان، عن زراره، قال: سئل أبو عبد اللّه و أنا جالس عن قول اللّه:مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا يجرى لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الأمر؟ فقال لا، إنّما هذه للمؤمنين خاصّه، قلت له: أصلحك اللّه، أ رأيت من صام و صلّى، و اجتنب المحارم، و حسن ورعه ممن لا يعرف و لا ينصب؟ فقال: إنّ اللّه يدخل أولئك الجنه برحمته. فإنّ المستفاد من هذا الحديث أنّ من لا يعرف هذا الأمر، و لم يكن ناصبا أى لم يكن معاديا، أى لم يعمل و لم يظهر آثار المعرفه و لا آثار النصب إما لكونه مستضعفا لم يبلغه الحق كما يستفاد من ذلك من بعض الأخبار، أو أنه ليس أهلا للتمييز كما يرى من بعض عوامهم، فإن علماءهم قد غرّوهم فى بيان الحق، فهم طالبون للحق إلّا أن علماءهم قد بيّنوا لهم أنّ الثلاثه من أهل الحق فهم مشتبهون فى المصداق، و طالبون للحق بالنيّه القلبيّه الصافيه بحيث لو ظهر لهم بطلان حقّيه الثلاثه لأعرضوا عنهم، فهؤلاء فى الواقع طالبون و محبّون للأئمه عليهم السّلام إلّا أنهم مشتبهون فى المصداق كما لا يخفى، فأولئك يدخلهم اللّه تعالى الجنه برحمته، و اللّه و رسوله و ابن عمّ رسوله أعلم.

تتمه، أقول: أهميه أمر الولايه على قسمين من المعنى:

الأول: من حيث النداء الإلهي و التكليف و الإلزام القطعي الشرعي

بحيث لا رخصه فى تركه أبدا كما علمته فيما سبق، فإنّ الأحاديث السابقه صريحه فى هذا المعنى، و أنّه لا بدّ من الإيمان بالولايه و الشهاده بها مقرونا بالشهادتين فلا بدّ من الإقرار و الإيمان بها من الكلّ و لو إجمالا، و إمّا تفصيلا فستأتى الإشاره إليه فى بيان معنى الأهميه بالمعنى الثانى، و سيتضح إن شاء اللّه مفصّلا فى الفصل الثانى.

الثاني: من حيث الدقه و الفهم و الاحتمال

فالأحاديث الكثيره دلّت على أنّ

١- البحار ج ۲۷ ص ۱۸۳ رقم ۳۵

أمرهم صعب مستصعب فلا بدّ من ذكرها، ثم بيان المستفاد منها فنقول:

ففى الكافى، باب فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب، محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان،عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلّا ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد (صلوات الله عليهم) فلانت له قلوبكم، و عرفتموه فاقبلوه، و ما اشمأزت منه قلوبكم و أنكرتموه فردّوه إلى الله و إلى الرسول و إلى العالم من آل محمد، و إنما الهالك أن يحدّث أحدكم بشىء منه لا يحتمله فيقول: و الله ما كان هذا، و الله ما كان هذا، و الإنكار هو الكفر.

و فيه بإسناده عن مسعده بن صدقه، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ذكرت التقيه يوما عند على بن الحسين عليه السّلام فقال: و الله لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله، و لقد آخا رسول الله صلّى الله عليه و آله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلّا نبى مرسل أو ملك مقرّب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: و إنما صار سلمان من العلماء لأنّه إمرؤ منا أهل البيت فذلك نسبته إلى العلماء.

و فيه، رفعه إلى أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا صدور منيره أو قلوب سليمه أو أخلاق حسنه، إنّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بنى آدم: أ لست بربكم؟ فمن وفى لنا وفى الله له بالجنه، و من أبغضنا و لم يؤدّ إلينا حقّنا ففى النار خالدا مخلّدا.

و فيه، محمد بن يحيى و غيره، عن محمد بن أحمد، عن بعض أصحابنا قال: كتبت إلى أبى الحسن صاحب العسكر عليه السّلام: جعلت فداك، ما معنى قول الصادق عليه السّلام: حديثنا لا يحتمله ملك مقرب و لا نبى مرسل و لا مؤمن امتحن قلبه للإيمان؟ فجاء الجواب: إنما معنى قول الصادق عليه السّلام: أى لا يحتمله ملك و لا نبىّ و لا مؤمن، إنّ الملك

لا يحتمله حتى يخرجه إلى ملك غيره، و النبى لا يحتمله حتى يخرجه إلى نبى غيره، و المؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مؤمن غيره، فهذا معنى قول جدّى عليه السّلام.

و فيه (۱)بإسناده عن أبى بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: يا أبا محمد إنّ عندنا و الله سرّا من سرّ الله، و علما من علم الله، و الله ما يحتمله ملك مقرب و لا نبىّ مرسل و لا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، و الله ما كلّف الله ذلك أحدا غيرنا، و لا استعبد بذلك أحدا غيرنا، و إنّ عندنا سرّا من سرّ الله، و علما من علم الله، أمرنا بتبليغه فبلّغنا عن الله عز و جل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعا و لا أهلا و لا حمّاله يحتملونه، حتى خلق الله لذلك أقواما خلقوا من طينه خلق منها محمد و آله و ذريته عليهم السّلام و من نور خلق الله منه محمدا و ذرّيته، و صنعهم بفضل صنع رحمته التى صنع منها محمدا و ذريته، فبلّغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه فقبلوه و احتملوا ذلك (فبلغهم ذلك عنّا فقبلوه و احتملوه) و بلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا و حديثنا، فلو لا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا و الله ما احتملوه. ثم قال: إنّ الله خلق أقواما لجهنّم و النار، فأمرنا أن نبلّغهم كما بلّغناهم، و اشمأزّوا من ذلك و نفرت قلوبهم، و ردّوه علينا و لم يحتملوه و كذّبوا به و قالوا: ساحر كذّاب، فطبع الله على قلوبهم و أنساهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحقّ فهم ينطقون به و قلوبهم منكره، ليكون ذلك دفعا عن أوليائه و أهل طاعته، و لو لا ذلك ما عبد الله فى أرضه، فأمرنا بالكفّ عنهم و الستر و الكتمان، فاكتموا عمّن أمر الله بالكفّ عنه، و استروا عمّن أمر الله بالستر و الكتمان عنه. قال: ثمّ رفع يده و بكى و قال: اللهم إنّ هؤلاء لشرذمه قليلون فاجعل محيانا محياهم و مماتنا مماتهم، و لا تسلّط عليهم عدوّا لك فتفجعنا بهم، فإنّك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبدا فى أرضك، و صلّى الله على محمد و آله و سلم تسليما.

۱- ۱) هذه الأحاديث فى الكافى فى الباب المذكور عنوانه: باب إن حديثهم صعب مستصعب.

و فی مرآه العقول (۱)، قال المفضل: قال أبو جعفر علیه السّلام: إنّ حدیثنا صعب مستصعب ذکوان أجود (أجرد-ظ) لا یحتمله ملک مقرّب و لا نبیّ مرسل و لا عبد امتحن الله قلبه للإیمان، أما الصعب فهو الذی لم یرکب بعد، و أمّا المستصعب فهو الذی یهرب منه إذا رئی، و أما ذکوان فهو ذکاء المؤمنین و أما الأجرد فهو الذی لا یتعلّق به شیء من بین یدیه و لا من خلفه و هو قول الله: نَزَّلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِیثِ فأحسن الحدیث حدیثنا لا یحتمل أحد من الخلائق أمره بکماله حتی یحدّه، لأنّ من حدّ شیئا فهو أکبر منه.

و فیه (۲)روی فی البصائر بإسناده عن سفیان بن السمط قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّلام: جعلت فداک، إنّ الرجل لیأتینا من قبلک فیخبرنا عنک بالعظیم من الأمر، فتضیق بذلک صدورنا حتی نکذّبه، فقال أبو عبد الله علیه السّلام: أ لیس عنی یحدّثکم؟ قال: قلت: بلی، قال: فیقول: إنه نهار و إنه لیل؟ قال: فقلت له: لا، قال: ردّوه إلینا، فإنک إن کذّبت فإنما تکذبنا.

و فیه، و روی الصدوق فی العلل بإسناده الصحیح عن أبی بصیر، عن أحدهما علیهما السّلام قال: لا تکذبوا بحدیث أتاکم به مرجئ، و لا قدریّ و لا خارجیّ نسبه إلینا، فإنکم لا تدرون لعله شیء من الحق، فتکذبوا الله عز و جل فوق عرشه.

و فیه، عن معانی الأخبار بإسناده عن عبد الغفار الجاری قال: حدّثنی من سأله (یعنی الصادق علیه السّلام) : هل یکون کفر لا یبلغ الشرک؟ قال: لا إنّ الکفر هو الشرک، ثم قام فدخل المسجد فالتفت إلیّ و قال: نعم، الرجل یحمل الحدیث إلی صاحبه فلا یعرفه فیردّه علیه، فهی نعمه کفرها و لم یبلغ الشرک.

و فی المحکی عن بصائر الدرجات مسندا عن أبی الصامت قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: إنّ من حدیثنا ما لا یحتمله ملک مقرّب و لا نبیّ مرسل و لا عبد

۱- ۱) مرآه العقول ج ۴ ص ۳۱۳.

۲- ۲) المصدر نفسه ج ۴ ص ۳۱۴.

مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله. و فى بعض الأخبار قلت: فمن يحتمله؟ قال: من شئنا.

و عنه مسندا عن مرازم قال أبو عبد الله عليه السّلام: إنّ أمرنا هو الحق و حق الحق، و هو الظاهر و باطن الظاهر، و هو السرّ و سرّ السرّ و سرّ مقنع بالسرّ.

و عن التوحيد للصدوق رحمه الله مسندا عن مرازم، عن الصادق عليه السّلام فى حديث قال: قلت: فأى شىء هو أصلحك الله؟ قال: فقلّب يده مرتين أو ثلاثا ثم قال: لو أجبتك فيه لكفرت.

و فى البحار عن الاختصاص و البصائر عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام فى حديث: يا جابر ما سترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم.

و فيه، عن المحاسن عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنه قال: إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم.

و فى بصائر الدرجات بإسناده عن يحيى بن سالم الفرّاء قال: كان رجل من أهل الشام يخدم أبا عبد الله عليه السّلام، فرجع إلى أهله، فقالوا: كيف كنت تخدم أهل هذا البيت، فهل أصبت منهم علما؟ قال: فندم الرجل، فكتب إلى أبى عبد الله عليه السّلام سأله عن علم ينتفع به، فكتب إليه أبو عبد الله عليه السّلام أما بعد: فإنّ حديثنا حديث هيوب ذعور، فإن كنت ترى أنك تحتمله فاكتب إلينا، و السلام.

و فيه عن سليمه بن صالح رفعه إلى أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ حديثنا هذا تشمئز منه قلوب الرجال، فمن أقرّ به فزيدوه، و من أنكره فذروه، إنه لا بدّ من أن يكون فتنه يسقط فيها كلّ بطانه و وليجه، حتى يسقط فيها من يشقّ الشعر بشعرتين حتّى لا يبقى إلّا نحن و شيعتنا.

و فيه بإسناده عن صالح الأعور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: آخا رسول الله صلّى الله عليه و آله بين سلمان و أبى ذر، و اشترط على أبى ذر أن لا يعصى سلمان.

و فى الكلمات المكنونه للمحدّث الكاشانى رحمه الله و فى الخبر: أنّ من العلم كهيئه

المكنون لا يعلمه إلّا أهل المعرفه.

و فيها أيضا قال أمير المؤمنين عليه السّلام: اندمجت على مكنون علم، لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشيه فى الطوى البعيده.

و فى الأخبار الوارده فى القرآن من أنّ: للقرآن ظهرا و بطنا، و لبطنه بطن إلى سبعه أبطن.

و ما فى خبر آخر أنّ ظاهره حكم و باطنه علم، و فى بعض أخبار الجبر و التفويض.

و فى بعض أخبار ظهور الحجه (عج) : أنّ القائم المهدى (عج) بعد ظهوره يبثّ أسرار الشريعه فيصدّقه القرآن.

و فى الخبر، إنّ أبا جعفر عليه السّلام حدث جابرا بأحاديث و قال: لو أذعتها فعليك لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين.

و فى المحكى عن المفضل عن جابر حديث ملخصه: أنه شكى ضيق نفسه عن تحملها و إخفائها بعد أبى جعفر عليه السّلام إلى أبى عبد الله عليه السّلام فأمره أن يحفر حفره، و يدلى رأسه فيها ثم يحدث بما تحمله ثم يطمّها، فإنّ الأرض تستر عليه و الحمد لله على التوفيق.

و من الأشعار المشهوره فى كتب الأصحاب (رضوان الله عليهم) المنسوبه إلى على بن الحسين عليه السّلام:

إنّى لأكتم من علمى جواهره

كى لا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا

و قد تقدّم فى هذا أبو حسن

إلى الحسين و وصّى قبله الحسنا

يا ربّ جوهر علم لو أبوح به

لقيل لى: أنت ممن يعبد الوثنا

و لا ستحلّ رجال مسلمون دمى

يرون أقبح ما يأتونه حسنا

هذا و قد عدّوا جمعا من أصحاب النبى و الأئمه عليهم السّلام من أصحاب السرّ، كسلمان

الفارسی، و أویس القرنی، و کمیل بن زیاد النخعی، و میثم التمار الکوفی، و رشید الهجری، و جابر الجعفی، و أبی بصیر، و هشام بن الحکم، و یونس بن عبد الرحمن، و نظائرهم (رضوان الله تعالی علیهم) . أقول: هذا بعض الأحادیث المذکوره فی هذا الموضوع، قد ذکرنا شطرا منها بقدر الحاجه، و سیجیء فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و حفظه سرّه»

ما یزید وضوحا لما نحن فیه. فنقول: الذی ینبغی أن یتکلم فیها أمور، الأول: إن أحادیثهم تنقسم بملاحظه صعوبه معناها إلی ثلاثه أقسام: الأول: ما لا یحتمله إلّا ملک مقرّب أو نبیّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإیمان. الثانی: ما لا یحتمله الثلاثه إلّا من شاءوا أن یحمّلوه. الثالث: ما یختص بهم علیهم السّلام کما هو الظاهر من حدیث أبی الصامت. فنقول: جمیع هذه الأحادیث تشیر إلی حقیقه ولایتهم و شئونها، و حیث إنها من غوامض معارفهم، فاختلفت کلمات العلماء فی بیان معناه، و أحسن ما قیل فی بصائر الدرجات: قال عمیر الکوفی: معنی

حدیثنا صعب لا یحتمله ملک مقرب أو نبیّ مرسل فهو ما رویتم:

أنّ الله تبارک و تعالی لا یوصف، و رسوله لا یوصف، و المؤمن لا یوصف، فمن احتمل حدیثهم فقد حدّهم، و من حدّهم فقد وصفهم، و من وصفهم بکمالهم فقد أحاط بهم و هو أعلم منهم

و قال: یقطع عمّن دونه فنکتفی بهم لأنه قال:

صعب علی کلّ أحد حیث قال: صعب، فالصعب لا یرکب و لا یحمل علیه، لأنه إذا رکب و حمل علیه فلیس بصعب.

[فی ما جاء عن المجلسی و غیره رحمهم الله فی شرح مشکلات هذه الأحادیث]

و قال المجلسی رحمه الله فی مرآه العقول: و هذه الأحادیث أکثرها فی غرائب شئونهم، و نوادر أحوالهم و معجزاتهم، و بعضها فی غوامض علوم المبدإ و المعاد،

و عويصات مسائل القضاء و القدر، و أمثال ذلك مما تعجز عن إدراكها العقول. ثم إنّه رحمه الله شرع فى شرح مشكلات تلك الأحاديث و قال: قوله: و الإنكار هو الكفر، أى إنكاره مع العلم بأنّه من المعصوم عليه السّلام، و المراد بالكفر ما يقابل كمال الإيمان و هو التسليم التام، و على التقادير، لعلّه محمول على ما إذا لم يعلم قطعا بطلانه، و عدم صدوره عنهم عليهم السّلام و استشهد لذلك بحديث سفيان بن السمط المتقدم عن البصائر، و ما ورد من العلل عن أحدهما عليهما السّلام. قال: و يؤيد التأويل الثانى ما رواه الصدوق فى معانى الأخبار فى معنى الكفر: غير البالغ حد الشرک، و قد تقدم، إلى أن قال رحمه الله: و يحتمل أن يكون المراد بالخبر التكذيب الذى يكون بمحض الرأى من غير أن يعرضه على الآيات، و الأخبار المتواتره، قال رحمه الله: و أيضا فرق بين ردّ الخبر و تكذيبه، و بين قبوله و العمل به

كما روى الصدوق رحمه الله فى معانى الأخبار بإسناده عن إبراهيم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: ألا هل عسى رجل يكذّبنى و هو على حشاياه متكئ؟ قالوا: يا رسول الله و من الذى يكذّبک؟ قال: الذى يبلغه الحديث فيقول: ما قال هذا رسول الله قطّ، فما جاءكم عنى من حديث لا يوافق الحقّ فلم أقله و لن أقول إلاّ الحق.

و روى الصفار فى البصائر بإسناده عن أبى عبيده قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: من سمع من رجل أمرا لم يحط به علما فكذّب به، و من أمره الرضا بنا و التسليم لنا، فإنّ ذلک لا يكفّره. قال رحمه الله: و لعلّ المعنى أنّه إذا كان تكذيبه للمعنى الذى فهمه، و علم أنه مخالف لما علم صدوره عنّا، و كان فى مقام الرضا و التسليم و يقرّ بأنه بأى معنى صدر من المعصوم فهو الحقّ فذاک لا يصير سببا لكفره. و قال رحمه الله:

فى شرح حديث مسعده بن صدقه من قوله عليه السّلام: و الله لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله. . . الحديث: أى من مراتب معرفه الله و معرفه النبىّ و الأئمه عليهم السّلام و غيرها مما ذكرنا سابقا، فلو أظهر سلمان له شيئا من ذلک، كان

لا يحتمله و يحمله على الكذب و الارتداد، أو العلوم و الأعمال الغريبه التى لو أظهرها له لحملها على السحر فقتله، أو كان يفشيه فيصير سببا لقتل سلمان. و قيل: الضمير المرفوع راجع إلى العلم، و المنصوب إلى أبى ذر أى لقتل ذلك العلم أبا ذر، أى كان لا يحتمله عقله فيكفر بذلك، أو المعنى لو ألقى إليه تلك الأسرار، و أمر بكتمانها لمات من شدّه الصبر عليها، أو لا يتحمّل سرّه و صيانته فيظهره للناس فيقتلونه. قال رحمه الله:

و عنه ما رواه الكشى بإسناده عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: دخل أبو ذر على سلمان و هو يطبخ قدرا له، فبينا هما يتحدثان إذا انكبّت القدر على وجهها على الأرض، فلم يسقط من مرقها و لا من ودكها (۱)، فعجب من ذلك أبو ذر عجبا شديدا، و أخذ سلمان القدر فوضعها على حالها الأول على النار ثانيه، و أقبلا يتحدثان، فبيناهما يتحدثان إذا انكبّت القدر على وجهها، فلم يسقط منها شيء من مرقها و لا ودكها. قال: فخرج أبو ذر و هو مذعور من عند سلمان، فبينما هو متفكر إذ لقى أمير المؤمنين عليه السّلام على الباب، فلما أبصر به أمير المؤمنين عليه السّلام قال له: يا أبا ذر، ما الذى أخرجك من عند سلمان، و ما الذى ذعرك؟ فقال أبو ذر: يا أمير المؤمنين رأيت سلمان صنع كذا و كذا، فعجبت من ذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: يا أبا ذر إنّ سلمان لو حدّثك بما يعلم لقلت: رحم الله قاتل سلمان، إنّ سلمان باب الله فى الأرض، من عرفه كان مؤمنا، و من أنكره كان كافرا، و إنّ سلمان منّا أهل البيت.

و روى خطبه لسلمان (رضوان الله تعالى عليه) قال فيها: فقد أوتيت العلم كثيرا، و لو أخبرتكم بكلّ ما أعلم لقالت طائفه: لمجنون، و قالت طائفه أخرى: اللّهمّ اغفر لقاتل سلمان.

۱- ۱) الودک، الدسم من اللحم و الشحم.

أقول: فظهر أنّ المعنى هو ما ذكرنا أولا، و قد قيل: و ذلک لأن مکنون العلم عزيز المنال، دقيق الدرک، صعب الوصول، يقصر عن وصوله الفحول من العلماء فضلا عن الضعفاء، و لهذا إنما يخاطب الجمهور بظواهر الشرع، و مجملاته دون أسراره و أغواره، لقصور أفهامهم عن إدراکها، و ضيق حواصلهم عن احتمالها إذ لا يسعهم الجمع بين الظاهر و الباطن فيظنّون تخالفهما و تنافيهما فينکرون فيقتلون، انتهى. ثم قال رحمه الله: و أقول: بل الظاهر أنّ کلّا من الخلق لا سيما المقربين يحتمل علما لا يحتمله الآخر،

کما روى الکشى بإسناده عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: يا سلمان لو عرض علمک على مقداد لکفر، يا مقداد لو عرض علمک على سلمان لکفر. و قال رحمه الله فى شرح

قوله عليه السّلام: و إنما صار سلمان من العلماء، أى الکاملين الربانيين، أو علماء أهل البيت عليهم السّلام، لأنه امرؤ منّا لفرط اختصاصه بنا، و انقطاعه إلينا، و اقتباسه من أنوارنا، و لذا نسبته بصيغه المتکلم أو المصدر، فتدبّر. و قال فى قوله عليه السّلام: (إلّا صدور منيره) : بأنوار القابليه و الهدايه و الکمال (أو قلوب سليمه) من الشک و الشرک و الحقد و النفاق کما قال تعالى: إِلاّ مَنْ أَتَى اَللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (1)(أو أخلاق حسنه) أى ذوو أخلاق، و لعل أوهنا للتخيير فى التعبير نحو أو کصيّب من السماء، و يؤيده أنّ فى بعض الروايات بالواو. و يحتمل أن يکون المراد بالأول الملائکه، و بالثانى الأنبياء و الأوصياء، و بالثالث العبد المؤمن الذى امتحن الله قلبه للإيمان، على سياق ساير الأخبار أو بالأول الأنبياء و الأوصياء، و بالثانى الکمّل من المؤمنين، و بالثالث ساير الشيعه، بأن يکون المراد بالحديث الولايه و معرفتهم على الکمال فى الجمله.

۱- ۱) الشعراء:۸۹.

و قال رحمه الله

فى حديث ابن سنان الذى رفعه إلى أبى عبد الله عليه السّلام: إنّ الله أخذ من شيعتنا، أى ممن يمكن أن يكون منهم، أو التخصيص بهم باعتبار أنهم المنتفعون به ليصحّ التقسيم المذكور بعد ذلك، و للأخبار الداله على أنّ ميثاق الولايه مأخوذ من الجميع، و قيل: يعنى أخذ من شيعتنا الميثاق بولايتنا، و احتمال حديثنا بالقبول و الكتمان، كما أخذ على ساير بنى آدم الميثاق بربوبيّته. و قال المحدث الأسترآبادى قدّس سرّه: أقول: قد وقع التصريح فى كلامهم عليهم السّلام بأنّ فعل الأرواح فى عالم الأبدان موافق لفعلهم يوم الميثاق، فالمراد من وفى لنا فى عالم الأرواح و عالم الأبدان بما كلّفهم الله من التسليم لنا، انتهى.

قوله عليه السّلام: و من أبغضنا ، الظاهر أنّ المراد بالبغض عدم أداء حقّهم، و عدم الإقرار بإمامتهم. أقول: أى أنّ هذا المعنى مصداق لبغضهم، و إن لم يصل منه إليهم الظلم و الأذيّه، و إلّا فهو المحارب لهم و هو أسوأ حالا كما لا يخفى. و عليه، فالعطف فى قوله: و لم يؤدّ، للتفسير أو الواو بمعنى أو فيدلّ على خلود المخالفين فى النار، و قوله: مخلدا تأكيد. و قال عند

قوله عليه السّلام فى حديث صاحب العسكر: لا يحتمله: أى لا يصبر و لا يطيق كتمانه لشدّه حبّه لهم، و حرصه على ذكر فضائلهم حتى ينقله إلى آخر فيحدّثه به. و الحاصل: أنّ هذا الاحتمال غير الاحتمال الوارد فى الأخبار المتضمّنه للاستثناء فلا تنافى بينهما، و يمكن أن يكون منشأ السؤال توهّم التنافى، أو استبعاد أن يكون هؤلاء غير قابلين لحمله و فهمه، و يمكن أن يكون هذا الحديث أيضا من العلوم التى لا تحتملها عقول أكثر الخلق، فلذا أوّله عليه السّلام بما ترى، لئلا يصير سببا لإنكارهم و نفورهم.

و روى الصدوق رحمه الله فى معانى الأخبار بإسناده عن سدير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يقرّبه إلّا ملك

مقرّب، أو نبى مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: إن فى الملائكه مقربين و غير مقربين، و من الأنبياء مرسلين و غير مرسلين، و من المؤمنين ممتحنين و غير ممتحنين، فعرض أمركم هذا على الملائكه فلم يقرّ به إلّا المقرّبون، و عرض على الأنبياء فلم يقرّ به إلّا المرسلون، و عرض على المؤمنين فلم يقرّ به إلّا الممتحنون. فلعل المراد به الإقرار التام الذى يكون عن معرفه تامه بعلوّ قدرهم و غرائب شأنهم، فلا ينافى و لا يقدح عدم إقرار بعض الملائكه و الأنبياء هذا النوع من الإقرار عصمتهم و طهارتهم، و كذا القول

فى خبر أبى بصير عن الصادق عليه السّلام حيث قال عليه السّلام: يا أبا محمد إنّ عندنا و الله سرّا، الحديث. و قال رحمه الله فى شرح هذا الحديث الشريف ما حاصله: إنّ

قوله: فلم نجد له موضعا و لا أهلا و لا حمّاله يحتملونه. . . إلخ، المراد منه إما أنه لم نجد موضعا حين أردنا تبليغه، أو لم نجد موضعا قابلا أو أهلا أى مستعدا بالفعل للقبول، و لا حمّاله أى لا أقل لا نجد من حمل ألفاظنا، ليكون مصداقا

لقوله صلّى الله عليه و آله: فربّ حامل فقه، غير فقيه و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه. و قيل: هذا الكلام إخبار عما وقع متصلا بوفاه رسول الله صلّى الله عليه و آله من انحراف جميع الناس عن الحق إلى الباطل إلّا نادرا كالمعدوم.

و قوله عليه السّلام: إنّ الله خلق أقواما، عباره عن الشيعه الذين آمنوا بأهل البيت عليهم السّلام بعد قتل عثمان و كثروا، و معانى باقى ألفاظ الحديث ظاهر بالتأمّل القليل، و الله الهادى إلى الصواب. هذا ما ذكره الشارحون لهذه الأحاديث فى الجمله، و لكن لم يؤدّوا حقّه كما هو حقّه.

[الأمور المستفاده من هذه الأحاديث]

اشاره

أقول: أوّلا نرجو منه سبحانه أن يهدينا إلى الحقّ من المقال فى تحقيق الحال فنقول و عليه التوكل: فاعلم أنّ المستفاد منها أمور لا بدّ من ذكرها.

الأمر الأول: انقسام أحاديثهم بلحاظ المعنى، و تسميه كلّ واحد منها باسم،

فنقول لا يخفى أولا أن

قوله صلّى الله عليه و آله: إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم إنما يراد منه أنه صلّى الله عليه و آله يبين على قدر عقل المخاطب، بحيث ينزل الأمر عن واقعه إلى صوره بيان يفهمه السامع، لأن بيان واقعه بما له من السعه و الدقه كان صعب التناول عليه لقله دركه فبيّنه عليه الصلاه و السلام على قدر عقله، فالتعبير بالأسهل إنما هو بلحاظ الكيف لا بلحاظ الكم بأن يكون لواقع الأمر عشر فبين لهم اثنين مثلا. ثم إنّ

قول أبى جعفر عليه السّلام: «فهو الذى لم يركب بعد» تعريفا للصعب فإنّما هو كنايه عن أنّ من الحديث ما لم يعلمه أحد و لم يحط به، فهو نظير

قول الصادق عليه السّلام فى حديث أبى الصامت حيث قال عليه السّلام: «نحن نحتمله» ، جوابا لقوله فمن يحتمله؟

و قوله فى حديث مفضل: «فهو الذى يهرب منه إذا رئى» بصيغه المجهول فى الفعلين تعريفا للمستصعب يراد منه: إنّ من حديثنا ما هو فى غايه الدقه و الخفاء و العظمه بحيث لو سمعه أحد لهرب منه، لعدم تحمله و لعدم طاقته له، كما يستفاد هذا

من حديث يحيى بن سالم المتقدم حيث قال عليه السّلام فى الجواب: «فإنّ حديثنا حديث هيوب ذعور» و لعل منه كثيرا من فضائل أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام حيث لم يحتمله كثير من الناس. ففى مدينه المعاجز فى باب معجزات الحسن بن على عليه السّلام ما يدلّ على ذلك:

ففيه، عن ابن شهرآشوب قال روى عبد العزيز بن كثير أن قوما أتوا إلى الحسين عليه السّلام و قالوا: حدثنا بفضائلكم، قال: لا تطيقون، و انحازوا عنّى لأشير إلى بعضكم، فإن أطاق سأحدّثكم، فتباعدوا عنه، فكان يتكلم مع أحدهم حتى دهش و وله، و جعل يهيم و لا يجيب أحدا، و انصرفوا عنه.

و قوله: «فهو ذكاء المؤمنين» تعريفا أى أنّ منه ما لا يفهمه أحد إلّا المؤمنون لما عندهم من ذكاء الإيمان، ضروره أنه سيأتى فى معنى الإخلاص فى محلّه أنّ المؤمن

ربما منحه الله تعالى روح الإيمان فيتعلّم به معارف كثيره لا يكاد يفهمها غيره، و هذا نظير ما

فى حديث مسعده بن صدقه من قوله عليه السّلام: أو مؤمن امتحن قلبه للإيمان،

و قوله عليه السّلام: «فهو الذى لا يتعلّق به شىء من بين يديه و لا من خلفه» تعريفا للأجرد، أى منه ما لا يفهمه غيرهم عليهم السّلام حتى الملائكه المقرّبون لشدّه خفائه و تجرّده عن الماديات، و لعلّه لذلك عبّر عنه بالأجرد أى أكثر تجرّدا من كلّ شىء، و لعلّ المراد منه هو حقيقتهم النوريه التى تكون أشدّ اتصالا بالله تعالى.

ففى الكافى، فى باب أخوه المؤمنين بعضهم لبعض حديث، فيه «إنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالا بروح الله من شعاع الشمس بها» و هم عليهم السّلام مصداق له، و هذا هو مقامهم المحمود الذى لا يلحقه لاحق، و لا يفوقه فائق، و لا يطمع فى إدراكه طامع، و لا يفهم معناه أحد، هذا مع أنّ الاعتبار يقضى بذلك ضروره أنّه بعد ما كانوا عليهم السّلام أقرب الخلائق إليه تعالى بقول مطلق، فلا محاله يكون لهم مقام لم يشاركهم فيه أحد، فحقيقتهم الأصليه هو ذلك القرب الذى فوق كلّ قرب لأحد. و قد يقال: إنّه يراد منه حقيقه التوحيد بما له من المعنى الدقيق، الذى سيأتى ذكره إن شاء الله، ضروره أنه من أخصّ المعارف، فلا يكاد يصل إليه أفهام ذوى العقول الصائبه فضلا عن الاشتمال عليه حقيقه.

و قوله: و هو قول الله: «الله نزّل. . . إلخ» لعلّه ناظر إلى أصل الحديث بما له من المعنى الجامع لهذه الأقسام، لا خصوص الأخير منها.

و قوله عليه السّلام: «لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحدّه. . . إلخ» لعلّ التقييد-بكماله-قيد احترازى لإخراج بعض الأفراد منه، حيث إنّه عليه السّلام قسّم أحاديثهم إلى أربعه، و كان الذكوان منه مما يفهمه المؤمنون، بل و كذا المستصعب فإنّه يحتمل لكن يهرب منه أى ينساه أو لا يستقرّ فى قلبه، لعدم طاقته على تحفظّه بكماله بل يدركه بوجه، و يحتمل أن يكون لإخراج بعض المراتب العاليه، أى لا يحتمل بكماله هذا الأمر الواحد بأن يكون المحتمل منه بعض المراتب، ضروره أنّ

أحاديثهم لكلّ منها مراتب فهى مقوله بالتشكيك، و لعلّ الثانى أولى لتوافقه مع حديث أبى الصامت.

و قوله صلّى الله عليه و آله: «إنا معاشر الأنبياء. . . إلخ» على ما بيّناه سابقا فأحاديثهم ذو مراتب لا يحتمل إلّا بعضها، و كيف كان فالوجه لعدم احتمال الناس له كمّا أو كيفا بكماله هو ما أشار إليه عليه السّلام

بقوله: «لأنه من حدّ شيئا فهو أكبر منه» . و حاصله: أنّ المحتمل بكماله لا بدّ من أن يحدّه و يحيط به بما هو متحقق فى صقعه، و حيث إنّ ظرف أذهان البشر محدود، فلا محاله يكون مظروفه و هو الحديث الذى يحتمله أيضا محدودا، ضروره محدوديه المظروف بحدود الظرف و إلّا لما حدّه، و لما أحاط به خبرا كما لا يخفى، و عليه فلو كان بعض مراتب حديثهم أو بعض أفراده مما لا حدّ له فلا محاله لا يحدّه البشر، لأن ما به تحديده هو ذهنه و هو محدود، و المحدود لا يحدّ به غير المحدود. و لعلّه إليه يشير

قوله: «نحن نحتمله» فى حديث أبى الصامت ، و حينئذ فالفرق بين الأجرد و الصعب الذى لم يركب بعد هو أن الثانى ربما تحمّله المؤمن الكامل أو الملك المقرّب لمكان قوله-بعد-الظاهر فى نفى الإحاطه له إلى زمان التكلم، دون الأجرد فإنّه لا يتعلّق به شىء من بين يديه و لا من خلفه.

الأمر الثانى: [فى بيان المراد من صعوبه أمرهم الإقرار بولايتهم عليهم السلام]

ربما يقال: إنّ المراد من صعوبه أمرهم أو تجرّده أو غير ذلك إنما هو الإقرار بولايتهم عليهم السّلام حيث لم يقبلها كثير من الناس فهى صعب مستصعب فهم هاربون منها، و أما الشيعه فلا، و عليه فلا تدلّ هذه الأخبار على أنّ ما وراء ما بأيدينا من العقائد أمورا خفيّه لا يصل إليها إلّا العارفون كما هو المقصود بيانه، و لكن فيه مضافا إلى أنّ أحاديثهم تتضمّن من المعنى بما له من المراتب كما تقدم فله مصاديق مختلفه، فكما أنه يكون الإقرار بولايتهم عليهم السّلام أحد المصاديق له كما تقدم، يكون المعارف الآخر أيضا أحد مصاديقه إذا ساعدنا عليها الدليل أنه لا يمكن الاقتصار على ما ذكر، ضروره أنّ فى تلك الأحاديث ما يدل على ما ذكرنا

فقوله عليه السّلام: فى حديثه الأول لأبى الصامت بعد ما قاله: قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا يا أبا الصامت،

أو قوله فى حديثه الثانى: نحن نحتمله لا يراد منه ما عليه ظاهر الشيعه من الإقرار بولايتهم، ضروره أنّه أمر شايع، على أنّ التفصيل المذكور فى حديث المفضل ظاهر فى أنّ بعض الأحاديث مما ليس فى أيدى ظاهر الشيعه، و كذا قوله عليه السّلام فى حديث أبى ربيع الشامى كما لا يخفى.

الأمر الثالث: أنّه يستفاد منها أنّ لهذا الدين الحنيف معارف كثيره قد خفيت على كثيرين،

توضيحه: أنّه لا ريب فى أنّ بعض الأمور اعتباريه محضه كالملكيه مثلا فإنها قائمه باعتبار المعتبر و إلّا فلا شىء، و هى إما عرفيه سواء أمضاها الشرع أم لا، و إما شرعيه أى أحدثها الشارع اعتبارا، و بعضها خارجيه لا يتوقّف على اعتبار معتبر أصلا كالموجودات الخارجيه. و من المعلوم أنّ الأمور الاعتباريه بأقسامها لا تكون من المعتبر إلّا بلحاظ أمر حقيقى دعا المعتبر إلى اعتباره، مثلا لما كان الإنسان محتاجا إلى الاجتماع و التمدن فى إعاشته، و فى جلب الخير إلى نفسه، و دفع المضار عنها، فهذا الأمر الحقيقى الناشئ عن طبيعه الإنسان ألجأ الكامل منهم إلى اعتبار أمور غير حقيقيه يترتب عليها النظام الاعتبارى، المتوقف عليه رفع تلك الاحتياجات، و ذلك كالرياسات و أنواع المعاشرات و الملك و سائر الاختصاصات، فلأجل تحقق أمر حقيقى فى الإنسان اعتبرت هذه الأمور دون الحيوان لعدم ذلك فيه. ثم إنّ المراد من تحقيق الأمر الحقيقى فى الإنسان هو أنّ الإنسان مركب من عناصر كثيره كالشهوه و الغضب و الجوع و الشبع و غيرها، و لكلّ منها آثار تبرز فى الإنسان، و تقتضى مقتضاه على الإطلاق، و من المعلوم أنّ تخليتها فى الطلب و الإطلاق توجب الهرج و المرج، إلّا أنه لما جعل الله تعالى تلك الغرائز بقدرته فى الإنسان بنحو يقبل التئام بعضها مع بعض بلحاظ الآثار فى الظاهر، و إنما يدركه الكامل العاقل فيعتبر على طبقها أمورا لحفظ نظام الظاهر.

ص: ۲۴۷

فثبت أنّ النظام الاعتبارى الظاهرى إنما هو متقوم بحقيقه تحته، و إنما المقصود من هذا بيان أمر آخر و هو أن الاعتبارات الشرعيه نظير هذه الاعتبارات العرفيه العقلائيه أيضا متقومه بحقيقه تحتها، بيانه: أن الشارع و إن بيّن جميع الأحكام بلسان الاعتبار، إلاّ أنّ هناك أمورا حقيقيه دعت الشارع إلى اعتبار هذه الاعتبارات، و تكون فى الظاهر بنحو لوحظت فيه النسبه فيما بين هذه الأمور الاعتباريه بأنفسها مع قطع النظر عن تلك الأمور الحقيقيه. و لذا نرى أن الأحكام و الموضوعات الشرعيه بما لها من القيود و الشرائط المختلفه لا تكاد تدخل تحت عنوان ضابط بلحاظ مقام الاعتبار فنرى صلاه الصبح ركعتين و الظهر أربع و هكذا، و لذا أيضا نهى الشارع عن العمل بالقياس بل ورد أنّ الدين إذا قيس محق، و ذلك لأنّ القياس إنما هو بلحاظ الاستحسان فى مقام الظاهر و الاعتبار الذى عرفت أنّ الشارع لم يلاحظها فى مقام التشريع، بل علمت أنّ النسبه إنما لوحظت بين الأحكام و بين تلك الأمور الحقيقيه. مثلاً الصلاه بما لها من الوجود الواقعى النفس الأمرى يتجسّم لصاحبها فى القبر فى عالم القيامه كما فى الأخبار، و هى تكون بنحو يقتضى أن يؤتى بها فى الصبح بركعتين على الفرض و فى الظهر بأربع و هكذا غيرها، ضروره أنّه سيأتى أنّ لجميع الإخبارات و الأحكام الشرعيه مصاديق واقعيه تكون اتّصاف الروح بها بما لها من الوجود الواقعى سببا لواجديه الروح لمعرفته تعالى، فهى الواسطه بين الروح المنغمر فى الماديات و بين مقام المعرفه به تعالى، و لا يكاد يصل الروح إليها إلاّ بالاتصاف بهذه الواقعيات. و من المعلوم أيضا أنّه لا طريق إلى الاتصاف بتلك الواقعيات إلاّ بالعمل على طبق ما قرره الشارع كمّا و كيفا، ضروره أنّه هو المولى الحكيم العارف بكيفيه السير إلى الله تعالى روحا. و الحاصل أنّ من أدرك تلك الواقعيات يعلم بصحه المطابقه و إلاّ فلا، فالصلاه

فی عالم التکلیف إنما هی صوره اعتباریه تحکی عن حقیقتها الواقعیه بلسان اعتبارها الشرعی، بل هی صوره نازله منها قد تجلّت فی الخارج بهذه الصوره، و السنخیّه بین صورتها الخارجیه و الواقعیه محفوظه بنظر الشرع، بل لهما جامع مؤثر فی الروح. و لذا فسّر بعضهم قوله تعالی: کُلَّمٰا رُزِقُوا مِنْهٰا مِنْ ثَمَرَهٍ رِزْقاً قٰالُوا هٰذَا اَلَّذِی رُزِقْنٰا مِنْ قَبْلُ (۱)أی کلّما رزقوا من المعارف الإلهیه و التذّوا بها بما لها من الوجود الواقعی النفس الأمری الذی یتجلّی بحقیقته لهم فی الجنه قالوا: هذا الذی رزقنا به من قبل، أی قد علمنا لذّه هذه المعارف من قبل و فی الدنیا بسبب إتیانهم بالصلاه الشرعیه حقیقه بما لها من شرائط الإجزاء و القبول، ضروره أنّ أولیاء الله یصلون إلی درک تلک الحقائق فی الدنیا قبل الآخره، و لعلّه سیأتی توضیحه فیما بعد إن شاء الله تعالی. نعم: کما أنّ حقیقه تلک المعارف بما هی هی، کما أنها لا یمکن أن تنسبک تحت العباره لقصور اللفظ عن قابلیته لذلک، و لقصور أفهام الناس غیر الکاملین، و لصغر عالم الدنیا بما هی هی عن أن تتجلّی فیها تلک المعارف، کذلک لا یکاد یدرکها بما هی هی فی الدنیا إلاّ من أخرج روحه من الدنیا إلی الملإ الأعلی، فکان

کما قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حقّهم: «و صحبوا الدنیا بأبدان أرواحها معلقه بالمحلّ الأعلی» فأولئک من الذین أنعم الله علیهم، فهم یشاهدون تلک الحقائق بعین القلب لا البصر. و إلی ما ذکرنا من أنّ المعارف حقائق نفس الأمریه مضافا إلی ما سبق یدلّ أخبار کثیره وردت فی تجسّم الأعمال یوم القیامه مخصوصا الأخبار الوارده فی أنّ للقرآن صوره حسنه لا مثلها فی الحسن، یجیء یوم القیامه و لا یمرّ بأحد من

۱- ۱) البقره:۲۵.

المؤمنين إلاّ و يقال هو منهم حتى يتجاوز الجميع. ثم إنه سيجىء أنّ المعارف كلّها من القرآن و من شئونه، و أنّ القرآن هو ما فى صدور محمد و آل محمد صلّى الله عليه و آله لقوله تعالى: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ كما صرّحت به الأخبار، فيعلم أنّ المعارف الحقيقيه له تعالى هى نفس أرواحهم المقدّسه، فالمعرفه بها هى المعرفه بمعارفه تعالى التى يستتبع معرفه الله، و لهذا صحّ التفسير لمعرفته تعالى بمعرفه أهل كلّ زمان إمامهم، كما عن الحسين عليه السّلام كما سيأتى، و سيأتى أيضا أن السير إليه تعالى و تحصيل معرفته حقّا لا يكون إلاّ بعد واجديّه السالك لمعرفتهم عليهم السّلام نعم فى جميع مراتب المعرفه بهم لا يخلو عن معرفه الله تعالى، و سيجىء لهذا مزيد توضيح فيما بعد. فتبين مما تقدم أنّ للدين معارف حقيقيه قد حكى عنها لسان القرآن و الأخبار فى الشرع الأنور، و علمت أنّه لا يمكن إيرادها حقيقه لقصور فهم الناس عن دركها فهم عليهم السّلام بيّنوا بما يمكن فهمه لهم مع كمال حفظ الربط و السنخيّه بين المذكور و بين ما هو فى الواقع و نفس الأمر، فمن هذا البيان ظهر ما تشير إليه الأحاديث السابقه من أنّها صعب مستصعب بأقسامها، و سيجىء قريبا لهذا مزيد توضيح.

الأمر الرابع: [فى مراتب الإنسان فى فهم المعارف الإلهيه و عدمه]

اشاره

المستفاد من تلك الأخبار المتقدمه و أخبار أخر أنّ الناس على أقسام فى فهم المعارف الإلهيه و عدمه، فنقول: سيأتى ذكر أخبار كثيره دلّت على أنّ الروح الإنسانى كان قبل جعله فى الأبدان فى عالم الذر عارفا بربّه، ثم لمّا جىء به إلى عالم الدنيا لمصلحه فقد انحرف عن الله تعالى، و صار محجوبا بصفات النفس كما تقدم، فصار فى ظلمه و كدوره و مزاحمه. و من المعلوم أنّ الغرض الأصيل من الشرع هو سوق الروح بمعونه الماده و العباده و العلم و الصفات الحميده إلى عالم المعرفه به تعالى كما تقدّم، و هذا هو المقصود من

قوله عليه السّلام فى إذن الدخول لمسجد السّهله: «اللهم إنّى أسألك أن تقبل بوجهى إليك و تقبل بوجهك إلىّ» و لا يكاد يصحّ هذا السؤال إلاّ إذا كان الإنسان

ص: ۲۵۰

مدبرا بروحه عنه تعالى و إلّا لكان تحصيلا للحاصل. ثم إنّ من المعلوم أنّ الخطابات الإلهيه لا تتوجه إلى عامه الناس على حدّ سواء، و ذلك لما نرى من التفاوت البيّن بين أفهامهم، فلا يكاد يصل جميعهم إلى ما تضمّنته الخطابات الإلهيه من غوامض المعارف و قبولها كما لا يخفى، فلا محاله يكون كلّ واحد على حسب واجديّته لملكه القبول مخاطبا بخطاب يخصّه، و عليه فلا بدّ من بيان أقسام الناس، ثم بيان أنّ أى خطاب منها متوجه إلى أى قسم منهم، ضروره أنّ الشرع لم يدع أى طبقه منهم على اختلافهم إلّا و قد بيّن لهم ما به صلاحهم، و وصولهم إلى تلك المعارف إذا عملوا بها فنقول: الناس على أقسام:

الأول: من لا يعلم و لا يكاد يعلم إلّا الظاهر من الدنيا،

قال الله تعالى: يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ اَلْحَياهِ اَلدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ اَلْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ (١)فهؤلاء لم يتجاوز علمهم عن محسوساتهم، و لم يعلموا غير عالم الدنيا بل هم ينكرون ما سمعوا من غير عالمهم، أو يقلبوها مع ما يقدرون لها من لوازم عوالمهم، و كيف كان فلا يفقهون قولا من غير مرعاهم و ملبسهم الدنيوى، و هم الذين أخلدوا إلى الأرض و لا يحومون إلّا حول أنفسهم. فهم من-الظالم-حقيقه الذى ورد فى حقّه

«الظالم يحوم حول نفسه، فأولئك هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا» لأنّ الحيوانات معذورون فى عدم نيلها للمعارف لقصورها الذاتى، و أمّا هؤلاء فقد أعطاهم الله تعالى العقل، و بيّن لهم طريق مرضاته و معارفه، و لكنهم كفروا بأنعم الله عليهم، و اتبعوا أهواءهم بعد قيام الحجّه عليهم، فهم حينئذ من الكفار و المعاندين، أو ملحقون بهم حكما كما سيأتى حال الملحق بهم قريبا إن شاء الله.

١- ١) الروم:٧.

الثانی: من قد خرج من ظلمات الکفر و توجّه إلی السلوک فی طریق الرشد،

اشاره

و ربما سلک قلیلا إلاّ أنّه وقف فی الطریق، و غفل عن المقصود من إراءه الطریق له، و کثیرون هؤلاء الذین وقف بهم المشی دون أن یصلوا إلی أعلی مراتب الإیمان و المعارف، و اکتفوا بعلم المعارف دون الاتصاف بحقیقتها، مع أنّ المقصود من علمها هو الاتصاف بالعمل بحقائقها، و هؤلاء و إن کانوا مفارقین ظاهرا للفرقه الأولی إلاّ أنّهم ملحقون بهم باطنا، لعدم تنور باطنهم بالمعارف التی بها النجاه یوم القیامه إلاّ أن تشملهم العنایه الأزلیّه، و یرجی فی حقّهم ذلک، لأنهم خلطوا عملا صالحا و آخر سیئا، فلعلّ المغفره تشملهم إلاّ أنّهم لفی خطر عظیم کما دلّ علیه الخبر، و علی تقدیر نجاتهم فلیس لهم الدرجات العالیه، بل یدخلون فی مرابض الجنه کما نقل ذلک عنهم علیهم السّلام و هذا حال أغلب عوام الناس. ثم إنّ هؤلاء علی قسمین،

منهم: من لا یعرف من الدین و معارفه إلاّ ما سمعه من آبائه أو أهل العلم فی زمانه،

و أما هو فلا یشتغل إلاّ لما یهمّه من أمر دنیاه، و لیس همّه فی نیل تلک المعارف، فهو عالم بها فی الجمله غیر عامل بها أبدا، و هؤلاء الذین یرفعون الید عن الدین بمجرّد أدنی تشکیک من المشککین، و هم أبناء کلّ ناعق یمیلون مع کلّ ریح، لأنهم لم یستضیئوا بنور العلم.

و منهم: من عمل بما علم فی الجمله،

اشاره

و اشتمل علی المعارف فی الجمله، و علم أنّ النجاه فی تلک المعارف و فی الاتّصاف بها، و ذاق لذّه بعضها إلاّ أنّه لما کان بعد أسیرا للنفس و لصفاتها، فلم یصل إلی درجه التخلّص من النفس و الانقطاع إلیه تعالی، کما هو دأب کثیرین من المتعرفه فی هذا الزمان، فإنّهم وجدوا شطرا یسیرا منها، و اکتفوا بذکر البقیّه، و وقفوا دون الوصول إلیها، و لعمری إنّ الحسره علیهم یوم القیمه أدوم کما سیجیء. و هؤلاء أیضا علی قسمین:

القسم الأول: من قد علموا بل قد اشتملوا علی بعضها، إلاّ أنّهم لم یصلوا إلی أقصی مراتبها،

و مع ذلک لا ینکرون المعارف الإلهیه التی لم تبلغ إلیها أرواحهم، و أنی لهم من إنکارها، مع أنّ الکتاب الکریم و کلمات العتره الطاهره مشحونه بها،

و إنما لم يصلوا إليها مع الإذعان بها لرسوخهم فى القوه البهيميّه، فهم ممنوعون عن مشاهده آثار المعارف الإلهيه حقا بتمامها، ضروره أنّ تقويه القوى الحيوانيه توجب تضعيف قوى الإنسانيه، لورود هيئات نفسانيه و إذعانات قاصره قد عقدوا بها قلوبهم، و قد أخذوها من البراهين المسلّمه المتداوله بين عامه الفلاسفه، التى انتزعت من أمور ماديه خاليه عن الحقّ و الحقيقه. ضروره أنّ أتقن البراهين فى الفلسفه هو قاعده امتناع اجتماع النقيضين و امتناع ارتفاعهما، الذى إليها يرجع امتناع اجتماع الضدّين أيضا كما حقّق فى محلّه، و هذه كما ترى ناشئه عن الماده، إذ العقل قد استنتجها من عدم إمكان جمع تفاحه مثلا مع عدمها، أو ارتفاع نفسها و عدمه معا، فمتعلقها و منشأها هو الماده. و لعمرى إنّ ما كان ناشئا من الماده كيف يمكن التوصل به للاشتمال و التوصل إلى المعارف الإلهيه، التى علمت أنّ لها وجودا واقعيّا فى عالمها، و لا يكاد يتحقق فى عالم الماده، لأنّها كما سيجىء مع ما لها من المدارك من الأخبار أنها خارجه عن الماده و المده، بل هى من الموجودات المجرّده عنهما. نعم البراهين العلميه إنما تفيد حفظ الروح عن الانحراف فيوجب توجهه إليه تعالى فقط، و أمّا درك تلك المعارف بها فلا، و لذا نرى كثيرا من أكابر الفلاسفه يتهافتون فى الكلام، فيناقض كلام بعضهم مع بعض فى الإلهيّات، فكلّ يختار فى علم الله شيئا على حسب ما يقتضيه دليله، مع أنّ الواقع لا تفاوت فيه، فحينئذ كيف يمكن الركون إلى أدلّتهم لنيل تلك المعارف؟ ! و لعمرى إن قاطبه أهل الفلسفه غير المهذّبين منهم لا يكادون يصلون إلى المعارف أبدا، ضروره أنّ طريقها هو تهذيب الروح، و هو لا يكون إلاّ بالسير الروحى، و لا يكون هذا إلاّ بالسير الموصل و هو المأثور عنهم عليهم السّلام، لأنهم العارفون بالطريق لا غير، فالعلم النافع لا يحتاج إليه إلاّ بمقدار العمل للوصول، فكثيره النافع أيضا غير مفيد فضلا عن غير النافع من الفلسفه و غيرها.

ص :٢٥٣

و كيف كان: فأذهانهم مشحونه بهيئات نفسانيّه تمنعهم عن الإخلاص و الانقطاع إليه تعالى، و ليس ذلك إلّا لتركهم ما أمروا به من العمل بما يوجب تهذيب النفس، و رسوخهم فيما لم يكلّفوا به، بل ربما صار ترسّخ هذه الهيئات العلميه فى نفوس بعضهم سببا للقطع بأنه لا معارف إلّا ما علموه بالفلسفه، و لذا ترى بعضهم يعظّمه كتعظيم القرآن. و هذه الطائفه من الذين يميلون قلبا إليها كما أشير فى

المروى عن العسكرى عليه السّلام كما سيأتى من قوله: «علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفلسفه و التصوّف» ضروره أنّ الظاهر منه هو الذى يميل قلبه إليها بحيث يأخذ منها العقيده لا من أكمل عقيدته من المدارك الصحيحه، فإنّه لا تضرّه الفلسفه و إن اشتغل بها تعليما و تعلّما كما هو ديدن علمائنا رحمهم الله. فمجرّد الاشتغال بها غير مذموم إلّا إذا كان بقصد العقيده، و لعمرى إنّ غير المهذب لا محاله يقع فى هذا الخطر، فينبغى لمدرسى الفلسفه أن يمتحنوا تلامذتهم بالأخلاق و حسن العقيده بأصول الدين، و إلّا فلو كانوا ضعفاء فيهما فلا ريب فى أنّ تعليمها أشدّ ضررا على الدين من السمّ القاتل، حفظنا الله تعالى من ذلك. و من هؤلاء من يقطع بأنّه لو كان شىء من المعارف فهو مختصّ بمحمد و آله صلّى الله عليه و آله لا يتجاوز غيرهم، و لعمرى إنّ هذا هو الفقر الذى يعدهم الشيطان لقوله تعالى: اَلشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ اَلْفَقْرَ (1). نعم: تقدّم و سيأتى أنّ هناك معارف تختصّ بهم عليهم السّلام إلاّ أنّه مع ذلك هناك معارف يصل إليها أولياء الله من المؤمنين فى كلّ زمان كما يشير إليه

قوله عليه السّلام فى نهج البلاغه: «فما برح لله جلت آلاؤه فى البرهه بعد البرهه و فى أزمان الفترات عباد ناجاهم فى فكرهم، و كلّمهم فى ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظه فى الأسماع و الأبصار و الأفئده» .

ص: ۲۵۴

۱- ۱) البقره:۲۶۸.

و لعمری إنهم لو تأمّلوا فی الأخبار الوارده فی المعارف، و فی الآیات القرآنیه و الآفاقیه و الأنفسیه لما وقفوا دون أن یصلوا إلی المقصد، ثمّ إنّک لو تأمّلت فی الأخبار المأثوره عنهم علیهم السّلام لرأیت أنّ أغلبها تدعو إلی العمل و لذا قد کثرت عناوین العبادات من الصلاه و الصوم و الأدعیه لیلا و نهارا حتّی للساعات مع تلک التأکیدات، و لیس هذا إلّا لأجل أنّ المقصود لمّا کان سوق الروح إلیه تعالی بحیث یکون الروح سایرا فی المعارف بالعمل علی طبق الوظائف، فلذا أمروا العباد بالاشتغال بالعباده کلّ علی حسب ما یمکنه منها، و إنّما أمروا علیهم السّلام بالتعلم لما صدر عنهم دون غیرهم، خصوصا من مثل الفلسفه الموجبه لتشتت البال، و خصوصا لغیر المهذّب نفسا، بل نهوا عن التعلّم بما لم یعملوا به، و هذا هو المقصد الأقصی من الشرع. ثم اعلم أنه لیس المراد من العمل مجرد إتیان الأعمال بالجوارح فقط، بل المراد إتیان الأعمال کما ینبغی، و بما هو صادر عمّن احتوی علی المعارف و الحقائق الإلهیه، بیانه: إنّ مجرّد دعوی الإیمان أو التشبّث بأئمه الدین علیهم السّلام، و مجرّد الإتیان بصوره العمل الظاهری لا یؤدی إلی مقام الرضوان و الوصل و المعرفه بالعزیز الرحمن و إن کان العامل هکذا، ربما یکون من أهل النجاه، و ممن تشمله العنایه الإلهیه، فیصیر من أهل الجنه کما أشرنا إلیه سابقا، إلّا أنّه لا یکون من أهل الله و أهل المعرفه و أهل الوصل إلّا إذا کان عارفا بطرق المعرفه و یتمیّز الطریق المجازی الصوری عن الطریق الحقیقی، ضروره أنّ مجرد الإتیان بالأعمال بدون المعرفه یکون طریقا مجازیّا أی غیر حقیقی، و هذا غیر موصل إلی المعرفه، و أمّا الموصل فهو الذی یکون بذرها عن معرفه ثابته فی القلب أولا، و یکون العمل الشرعی بمنزله السقی لها، فإنّ المحقق فی محلّه أنّ وجود الاعتقادات الإیمانیه و المعارف الإلهیه إنما یتصور فی الباطن بالعمل الصالح مقرونا بالتقوی و المحبّه و التوجه التام إلیه تعالی، فحینئذ یؤدّی هذا العمل الصادر عن صاحب هذا القلب المتّصف بتلک الأوصاف المذکوره إلی

السعاده الأبدیّه، أی إلی النعیم الأخروی، و إلی مقام المعرفه به تعالی، و إلی مقام الوصل و الفناء عن النفس و البقاء بالرب، فبالعمل الصالح و تکرّره و عدم وجود المعاصی الموجبه لحبط آثارها تصیر هذه المعارف راسخه فی القلب، و بقوه العمل الموجب لنورانیه القلب ترتفع الحجب الظلمانیه عن القلب فتحصل المعرفه. و إلی هذا کلّه یشیر

ما ورد عن الجواد علیه السّلام من قوله: «القصد إلی الله بالقلب أبلغ من أتعاب الجوارح» أی المهمّ هو أمر القلب و القصد به إلیه تعالی، و هو لا یکون إلاّ بالمعرفه، فالعمل الصادر عن معرفه یوجب الترقی و الوصول إلی السعادات الأبدیه، فالعمده حینئذ المعرفه ثم العمل لا زیاده العمل کما سیأتی بیانه أیضا، فهذا هو المراد من العمل المندوب إلیه فی السیر إلی الله تعالی، و لیعلم أنّه لیس المراد أنّ تعلّم فنون العلم ممنوعه، بل المراد أنّ الأهمّ للمؤمن هو العمل عن علم صحیح بما یصلحه و یوجب انقطاعه إلیه تعالی، ثم اشتغاله بعد نیل الحظ الوافر منه بسائر العلوم کلّ علی حسب ما یلیق به حالا و زمانا. ثم إنّ أغلب النزاع الحاصل بین الأعلام بالنسبه إلی المعارف الإلهیه کما هو دأب کثیر من علماء زماننا إنما هو ناشئ من ذلک. توضیحه: أنّ دین الإسلام إنّما هو بصدد إیصال الناس إلی أمرین: الأول: العلم الموصل للمعارف. الثانی: العمل بنحو یوجب اتصاف روح العامل بتلک المعارف التی علمت أنّ لها وجودا واقعیا قد حکی عنه لسان الشرع کما یدل علیه قوله تعالی: لِکُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۱)و لا یکاد یتضح واقع کثیر منها إلاّ للعامل بالوظیفه. ضروره أنّ الاتصاف بواقعها لا یکون إلاّ بالعمل کما سیأتی فی بیان الإیمان و مراتبه، من أنّ الإیمان من العمل و العمل من الإیمان و الإیمان عمل کلّه، فالعلم

۱- ۱) الأنعام:۶۷.

الأول فى أىّ خبر هو العلم بالأحكام و بالمعارف بصوره علميّه، و العلم الثانى المتولد من العمل هو روح المعرفه فى أىّ باب بالنسبه إليه، ثم يزداد هذا الروح العرفانى إلى أن يشتمل بحقيقته الأصليه فى ذلك الأمر، فالعرفان الشرعى هو هذا العلم المتولد من العمل و هكذا، لا الأمور المأخوذه من الفلسفه، أو من منتزعات النفس و مكاشفاتها، فإنها لازم أعم للنفس و للروح الكامل بل المكاشفه فى الناقص دائما تكون عن النفس، كما حقق فى محلّه، و ستجىء الإشاره إليه. فالمؤمن بالعمل و التعبد يصل إلى مقام يزهر قلبه كالمصباح، فيكشف له الواقعيات فهو يرى ما لا يرى غيره، فحينئذ ترى من كثر علمه بالنسبه إلى المعارف المأخوذه من الشرع الأنور، الذى لم يستضئ بنور المعرفه لم تنكشف عنده حقائق المعارف، لعدم تهذيب نفسه، فتراه يعارض من هو عالم بها مع العمل، بحيث انكشفت له تلك الحقائق و إن كان لم يعلم كيفيّه بيانه. و إلى هذين القلبين يشير ما

فى الكافى بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال لنا ذات يوم: «تجد الرجل لا يخطئ بلام و لا واو خطيبا مسقعا، و لقلبه أشدّ ظلمه من الليل المظلم، و تجد الرجل لا يستطيع تعبيرا عمّا فى قلبه بلسانه، و قلبه يزهر كما يزهر المصباح»

(۱)

فدلّ على أنه يمكن أن يكون الرجل متبحرا فى العلم، و مع ذلك يكون قلبه أشدّ ظلمه من الليل المظلم. و من المعلوم أنّ النزاع بينهما لا يرجع إلى محصل، ضروره أنّ هذا المظلم قلبه لا يفهم من كلمات الأحاديث إلّا ما يتصوره بذهنه المظلم، و لا يكاد يصل إلى حقيقه الأمر، و الآخر الذى يزهر قلبه كالمصباح قد عرف الحقّ من المعارف، مع أنّ المدرك لهما واحد، ضروره أنّ كلمات الأئمه عليهم السّلام كما دلّت عليها الأخبار

فى الكافى: «لها بطون كالقرآن لا يصل إليها إلّا من شرح الله صدره للإسلام» و إلى هذا يشير

۱- ۱) الكافى ج ۲ ص ۴۲۲.

قوله صلّى الله علیه و آله: «ربّ حامل فقه إلی من هو أفقه» فالحامل للحدیث یفهم منه شیئا، و المحمول إلیه یفهم شیئا آخر أدقّ منه، و

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام کما فی التوحید فی باب الرد علی الثنویه فی حدیث طویل إلی أن قال: فقال الرجل: یا أمیر المؤمنین کیف لی بأن أعلم أنّی من المؤمنین حقّا؟ قال علیه السّلام لا یعلم ذلک إلّا من أعلمه الله علی لسان نبیه صلّی الله علیه و آله و شهد له رسول الله صلّی الله علیه و آله بالجنّه، أو شرح الله صدره لیعلم ما فی الکتب التی أنزلها الله عز و جل علی رسله و أنبیائه، قال: یا أمیر المؤمنین و من یطیق ذلک؟ قال: من شرح الله صدره و وفّقه له، فعلیک بالعمل لله فی سرّ أمرک و علانیتک فلا شیء یعدل العمل (۱). فهذا الحدیث ظاهر فی أنه لا یعلم بطون ما فی الآیات إلّا من شرح الله صدره.

و فی تفسیر الصافی، رووا عن الصادق علیه السّلام أنّه قال: کتاب الله علی أربعه أشیاء: العباره و الإشاره و اللطائف و الحقائق، فالعباره للعوام، و الإشاره للخواصّ، و اللطائف للأولیاء، و الحقائق للأنبیاء، فلا یکاد یتوجه إلی الإشارات، و إلی اللطائف و الحقائق إلّا الخواص و الأولیاء. و الحاصل: أنّ الناس بهذا اللحاظ علی قسمین: الأول: من شرح الله قلبه للإسلام. و الثانی: من یکون قلبه أشدّ ظلمه من اللیل المظلم کما علمت ذلک عن الصادق علیه السّلام. و إلی الأول یشیر أیضا ما

فی نهج البلاغه: «عباد الله، إنّ من أحبّ عباد الله إلیه عبدا أعانه الله علی نفسه، فاستشعر الحزن، و تجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدی فی قلبه، و أعدّ القری لیومه النازل به، فقرّب علی نفسه البعید، و هوّن الشدید، نظر فأبصر، و ذکر فاستکثر، و ارتوی من عذب فرات، سهّلت له موارده، فشرب نهلا،

ص: ۲۵۸

۱- ۱) التوحید ص ۲۶۹.

و سلك سبيلا جددا، قد خلع سرابيل الشهوات، و تخلّى من الهموم، إلاّ همّا واحدا انفرد به، فخرج من صفه العمى، و مشاركه أهل الهوى، و صار من مفاتيح أبواب الهدى، و مغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، و سلك سبيله، و عرف مناره، و قطع غماره، و استمسك من العرى بأوثقها، و من الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس، قد نصب نفسه لله سبحانه فى أرفع الأمور، من إصدار كلّ وارد عليه و تصيير كلّ فرع إلى أصله. . .» (۱).

و ما فيه أيضا: «قد أحيا عقله، و أمات نفسه، حتّى دقّ جليله، و لطف غليظه، و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، و سلك به السبيل، و تدافعته الأبواب إلى باب السلامه، و دار الإقامه، و ثبتت رجلاه بطمأنينه بدنه فى قرار الأمن و الراحه، بما استعمل قلبه، و أرضى ربّه» (۲).

و ما فيه أيضا، أما بعد: «فإنّ الله سبحانه و تعالى جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقره، و تبصر به بعد العشوه، و تنقاد به بعد المعانده، و ما برح لله- عزّت آلاؤه-فى البرهه بعد البرهه، و فى أزمان الفترات، عباد ناجاهم فى فكرهم و كلّمهم فى ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظه فى الأبصار و الأسماع و الأفئده. . .» (۳).

و ما فيه أيضا: «هجم بهم العلم على حقيقه البصيره، و باشروا روح اليقين، و استلانوا ما استوعره المترفون، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقه بالمحلّ الأعلى» . فمن كان من اليقين على مثل ضوء الشمس لما ارتوى من عذب فرات علم آل

۱- ۱) نهج البلاغه الخطبه ۸۷.

۲- ۲) نهج البلاغه الخطبه ۲۲۰.

۳- ۳) نهج البلاغه الخطبه ۲۲۲.

محمد عليهم السّلام، فلا محاله له شأنيه أن ينصب نفسه فى أرفع محل، لتصيير كلّ فرع إلى أصله، و لبيان جواب الأسئله المشكله جدّا، فنرى يتكلم بالحكمه بما يتعجب منه الحكماء، كيف لا يكون كذلك، و قد أصبح بنور يقظه فى سمعه و بصره و فؤاده؟ فهذا الذى قد شرح الله صدره، يعلم و يفهم من الآيات و الأخبار بطونها و ما لا يكاد يفهمه غيره، و عليه فكيف يجوز لمن قلبه مظلم بأشدّ الظلمه يعارض هذا الرجل الكامل؟ ضروره أنّ الجاهل يعارضه مستدلا بما يفهمه من الأدله مع ظلمه قلبه، و ذاك الكامل يفهم من هذه الأدلّه نفسها ما هو أدقّ، و لا يمكنه تفهيمه له، فلا محاله تقع المعارضه بلا علاج. فإن قلت: فما المخرج؟ قلت بأمرين: أحدهما: ما هو وظيفه للجاهل. و الثانى: ما هو وظيفه للكامل. أما وظيفه الجاهل أى الأول: أنّه لا بدّ من أن يردّ على غيره بما له من المحكمات من الأدله الشرعيه، و أمّا لو ألقى إليه كلام لم يفهمه، أو فسّر له كلام بما لا يقبله، و ليس على ردّه دليل محكم من الشرع، فلا بدّ له من السكوت و ترك العناد و المجادله و ردّ علمه لأهله، لما علمت فى حديث علل الشرايع من أنّ الإنكار لما لا يعلم، لعلّه يوجب تكذيب الله تعالى فوق عرشه، و ما فى حديث جابر من أنّ الإنكار هو الكفر. ضروره أنّ القلب قبل تصفيته بذكر الله تعالى يكون معاندا للحقّ كما دلّ عليه

قوله عليه السّلام فى النهج: أما بعد: «فإن الله سبحانه جعل الذكر، إلخ» فمن لم يصفّ نفسه فبمقتضى طبعه معاند لما لا يفهمه من الحقّ، إلّا أنّ عقله لو أحياه يحكم بأن لا ينكر ما لم يعلمه حتى يتبين له. إلّا إذا كان له دليل محكم من الشرع، و إليه يشير ما

فى تحف العقول عن الصادق عليه السّلام من قوله: «و ليس للجاهل بحث على العالم» -و سيأتى لهذا مزيد توضيح فيما بعد إن شاء الله-و حينئذ فلا بدّ من السكوت و الاشتغال

ص: ۲۶۰

بالعمل إلى أن يتبيّن له الأمر، و يقرّ على الأمر بما هو عليه إجمالا، و لا يقول بالتفصيل إلّا إذا كان له دليل محكم. و أما وظيفه الكامل أى الثانى: فعليه أولا بكتمان ما علّمه الله من الأسرار، ضروره أنّ العبد إذا أفشى السرّ وقع فى الخطر مضافا إلى تضييعه العلم.

ففى الكافى بإسناده عن أبى عبيده الحذّاء قال: «سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: و الله إنّ أحبّ أصحابى إلىّ أورعهم و أفقههم و أكتمهم لحديثنا. و إنّ أسوأهم عندى حالا، و أمقتهم للذى إذا سمع الحديث ينسب إلينا و يروى عنا فلم يقبله و اشمأزّ منه، و جحده و كفّر من دان به، و هو لا يدرى لعلّ الحديث من عندنا خرج، و إلينا أسند، فيكون بذلك خارجا من ولايتنا» .

و فيه بإسناده عن معلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «يا معلى أكتم أمرنا و لا تذعه» إلى أن قال: «يا معلى من أذاع أمرنا و لم يكتمه أذلّه الله به فى الدنيا» . الحديث. فدلّ هذا الحديث و ما قبله على أنّ الإفشاء لغير الأهل موجب للخروج من الولايه، و للذله فى الدنيا، و يستفاد من

قوله: «و كفّر من دان به» فى حديث أبى عبيده ما قلنا فى الأمر الأول من عدم جواز الإنكار لما لا يعلم. و الحاصل: «أنه لا بدّ من الكتمان إلّا عن أهله، و لعلّه الوجه فى سكوت الأئمه عليهم السّلام عن التصريح بالمعارف، لعدم قابليه العامه لفهمها، بل أمروا بالرفق مع الناقص.

ففى الكافى عن عبد العزيز القراطيسى قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّلام: «يا عبد العزيز إنّ الإيمان عشر درجات» إلى أن قال عليه السّلام: «فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، و إذا رأيت من هو أسفل منك بدرجه فارفعه إليك برفق، و لا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمنا فعليه جبره» فيعلم منه أنّ بيان دقائق العلوم للناقص ربما أوجب كسره و خروجه من الدين، إمّا لما تقدم

من

قوله عليه السّلام: «فيكون بذلك خارجا من ولايتنا» لمجرد الإنكار له، و إما لأنه يوجب رفع يده عما بيده من الدين كما نراه عن بعض. فلا بد لمن بصّره الله تعالى، من الرفق و لا يكسر المؤمنين كما هو دأب كثير من المتعرفه، فإنّهم لما لم يدعوا الكلام مع الناس مما لا يفهمون، فينكر عليهم، و يصير هذا سببا لعدم ترقّيهم فى تلك المعارف، و أن يقف بهم السير فيحرموا عن المعارف، و لعلّ هذا يكون المراد من

قوله: «فإن من كسر مؤمنا فعليه جبره» . و لعمرى إنّ إطلاق القول فى المعارف قولا و كتبا كما هو المتعارف فى زماننا، هو الموجب لتحقق النزاع بين الناس، بل و بين الأعلام، و أما لو تكلم كلّ بما يفهمه مخاطبه، و جعله يترقى بما بيّن له من الشرع، لما جحد المعارف أحد، فيمكن أن يكون وزر محروميّتهم عن المعارف على هؤلاء المذيعين للأسرار، على أنّه لا يمكن للبصير أن يتكلّم بما يبين حقيقه الأمر لغير البصير، كيف و قد علمت

قوله صلّى الله عليه و آله: «إنا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم» .

و أيضا فى توحيد الصدوق بإسناده عن أبى عمر السعدانى: أنّ رجلا أتى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين، إنى شككت فى كتاب الله المنزل، فقال عليه السّلام له: ثكلتك أمّك، و كيف شككت فى كتاب الله المنزل؟ ثم ذكر الرجل موارد شكّه من الكتاب و أجاب عليه السّلام عنها، إلى أن قال عليه السّلام: «و ليس كلّ العلم أن يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ الناس، لأنّ منهم القوى و الضعيف، و لأنّ منه ما يطاق حمله و منه ما لا يطاق حمله، إلاّ أن يسهّل الله له حمله و أعانه عليه من خاصّه أوليائه» الحديث. فالمستفاد منه أنّه لا يمكن بيان حقّ العلم لغير القوى إلاّ إذا كان من خاصه أوليائه، على أنّ الاعتبار يقضى بعدم إمكان البيان حقيقه لكلّ أحد، ضروره أنّ الروح الضعيف، الذى هو أسير لصفات النفس يكون ماديا و ملحقا بها عرفا، و الأمر المادى محدود بحدود كثيره، و عالم الماده أضيق العوالم، فالتعبير عن المعارف

بما لها من التوسعه فى عالمها بالألفاظ فى مقام البيان، إنّما هو بنحو يمكن تفهيمها فى هذا العالم و لو بضرب من المجاز و المشابهه، و لذا لا يقدر على هذا التعبير إلّا الكامل الحقيقى، العارف بسنخيّه المشابهه المفهمه، و أما غيره فلا يمكنه ذلك. و لذا نرى كثيرا من المتعرفه و الصوفيّه (لعنهم الله) يخبرون عن أمور تخالف الضروريات من الدين، و ليس هذا إلّا لقصورهم عن الكمال كما سيأتى الإشاره إليه، هذا مع أنّ حقيقه بعض المعارف لا يمكن بيانها أصلا، و لا يعلمها إلّا من يسرى روحه فى العوالم العلويه ففيها يرى من عظمته و أنوار جلاله و جماله ما يبهر عقله، و يحار لبّه. و إلى ما قلنا من عدم إمكان بيان بعضها يشير قوله تعالى: فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ ضروره أنّ المصداق لقره أعين كان معلوما عنده تعالى، و إنما لم يبيّنه لقصور هذا العالم عن إمكان البيان فيه، لا لعدم قدرته تعالى، نعم: هو قادر بجعل الدنيا آخره ثم بيانها.

و فى الحديث: «أعددت لعبادى الصالحين ما لاٰ عين رأت، و لاٰ أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر» و لعمرى إنّ ما كان كذلك، كيف يمكن بيانه إلّا إذا انشرح الصدر للإسلام؟ ! . هذا بل لا بد للإنسان لنفسه أيضا من أن يتعامل معها بالرفق عملا و عقيده، فلاٰ يعتقد إلّاٰ بما عليه المحكم من الدليل على حسب فهمه، ضروره أنّ السير الموصل هو ما كان عن دليل محكم شرعى، و إلّا انحرف، و لا يكون العلم إلّا ما خرج منهم عليهم السّلام،

قال الصادق عليه السّلام لحكم بن عيينه و صاحبه: «شرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحيحا إلّا شيئا خرج من عندنا» و لا يعمل أيضا إلّا بما يحفظ معه الرفق على نفسه.

ففى الكافى بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «لا تكرهوا إلى أنفسكم العباده»

و روى عن أبى جعفر عليه السّلام: «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق» أى فادخلوا (۱). و الحاصل: أنه لا بدّ من الرفق على نفسه و على غيره، و إلاّ كسر غيره و نفسه، فيحرم عن الترقى، بل اللازم هو السير الروحى بالعمل على طبق ما قرر له من العباده بما ثبت له من المسلّمات و المحكمات الشرعيه، فمن أخذ بهذه المسيره فلا محاله تنكشف له الحقائق و المعارف شيئا فشيئا، هذا و العجب من بعض الفلاسفه و بعض المتعرفه كيف أنهم يتكلّمون فى ذات الله تعالى مع النهى عنه. ضروره أنّ البحث فى علمه تعالى الذى هو عين ذاته المقدسه بحث عن الذات، إلاّ أن يقال: إنّ البحث عنه يرجع إلى بيان كيفيّه تعلّقه بالمعلومات، و هذا خارج عن الذات. فتأمل فإنه دقيق غامض موجب للمزلّه. عصمنا الله تعالى من الزلل.

ففى توحيد الصدوق بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «يا مفضّل من فكر فى الله كيف كان هلك، و من طلب الرياسه هلك» . ضروره أنّ ذاته تعالى لا تحيط بها الأوهام، بل هو محيط بها، فكيف يصير محاطا بها؟ على أنّ سنخ ذاته تعالى مخالف لسنخ الخلق، فقد دلّت أخبار كثيره على أنّ الله خلو من خلقه، و خلقه خلو منه، فكيف يمكن تماسّ المخالف؟ مع المخالف و سيأتى فى بابه بيانه. نعم لمعرفته تعالى معنى ستأتى الإشاره إلى بيانها. و الحاصل: أنّ غير البصير بأمر من المعارف لا يصحّ له الكلام فيها فضلا عن الذات العليا، فهو ممنوع عنه مطلقا حتى للبصير، و لا يكاد يتكلّم غير البصير إلاّ بنحو الجدل و المخاصمه، و لا يخاصم إلاّ من ضاق صدره.

ففى التوحيد بإسناده عن كليب بن معاويه قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: «لا يخاصم إلاّ من ضاق بما فى صدره» . و الحاصل: أنّ غير البصير إذا أراد البصيره فلا بد له-مضافا إلى عدم إنكاره للمعارف الإلهيه، ضروره أنّ الإنكار هو المانع الوحيد لانفتاح باب بصيره القلب-

---

۱- ۱) الكافى ج ۲ ص ۸۶.

من التأمل فى الآيات القرآنيه و الأخبار المتبهه و الأدعيه المأثوره عنهم عليهم السّلام فإنها مشحونه بالمعارف، التى لو تأمل فيها متأمل لصدقها بعد قبوله أصول الدين، و عدم اتّصاف روحه بالإنكار. ثمّ إنّ الفرق بين البصير و غيره مع وضوحه من جهات، أنّ غير البصير و إن آمن بالله بل علم قليلا من المعارف إلاّ أنه يعبد الله من وراء حجاب فهو من حيث إيمانه من المحسنين، و لعلّه إليهم يشير

ما روى عنه صلّى الله عليه و آله إنّه سئل عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» . و أما البصير فيقول سيدهم: «ما رأيت شيئا إلاّ و رأيت الله قبله و معه و بعده» و يقول: «لم أعبد ربّا لم أره» . نعم: المراد من الرؤيه رؤيه القلب كما سيأتى تحقيقها، فالبصير يعبده على نحو مفاد-إنّ-فيعبده تحقيقا، و غيره يعبده على مفاد-كأنّ-اطمينانا و اعتقادا لا مشاهده قلبيّه. و منها: أنّ غير البصير لما كان غير مهذب القلب، و راكنا إلى الدنيا و محبا لها، و هو بعد أسير لصفات النفس، فلا محاله تكون هذه الصفات مانعه عن، استفادته البصيره من الآيات، توضيحه: إنه و إن قبل بعض المعارف، بل و اشتمل على بعضها أيضا، لكنّه لمكان هذه الأوصاف لا يكاد تسرى آثار أعمالهم الصالحه إلى القلب، ليستفيدوا بها المعارف فلا تكون الصلاه لهم معراجا، و لا موجبه لتركهم الفحشاء و المنكر على حسب حالهم، و لا يكون وجود هذه الصفات بما هى مانعه عن تأثير العبادات فى قلبهم، و عدم تأمّلهم فى الآيات إلاّ لضعف اليقين بالمبدإ و المعاد، و إلاّ فلو عظم الخالق فى أنفسهم لصغر ما دونه فى أعينهم. فلعمرى إنّ الموجب الوحيد للتبصر هو التوجه إليه تعالى، إلى أن يزول عن قلبه ما سواه، رزقنا الله ذلك بمحمد و آله عليهم السّلام.

القسم الثانى [من قد بلغ إلى غايه البصيره]

من القسمين المشار إليهما: من قد بلغ إلى غايه البصيره و انفتحت

بصيره قلوبهم بالعمل الصالح، فهم واجدون لفعليه الاستعدادت التى كانت كامنه فيهم، فهم متمكنون من الانقطاع القلبى عن هذه النشأه الدنيويّه بأسهل وجه كما علمت من

قوله عليه السّلام: «و استلانوا ما استوعره المترفون» و من الإتيان بالوظائف، بل لا يكاد يفتر أحد منهم من أقل هذه الأعمال الصالحه ثوابا، و من الإخلاص إليه تعالى حقيقه. و بهذه المرتبه التى يأتى توضيحها و تقدّم بيانها سابقا أيضا، يمكنهم شهود ما وراء هذه النشأه، و شهود أنوار الجمال و الجلال، و لعمرى إنّ هذه درجه تلى درجه الأنبياء، و لذا سميت بدرجه المقربين، لقربهم إليه تعالى، و إلى المقربين من الأنبياء و الأوصياء. ثم إنّ هؤلاء منهم من بلغ هذه الدرجه بالتعبد من دون واجديته لسائر العلوم، بل اكتفوا من العلم بما يصلحهم فقط، فهؤلاء و إن كانوا كاملين، إلّا أنّهم لا يمكنهم تربيه غيرهم من الناقصين، لعدم إحاطتهم بما يربّيهم من ساير العلوم، و أما كمال أرواحهم فلا يكاد يستفيد منه الناقص، بل لا بدّ من الحدّ الوسط بينهما، ليأخذ الوسط من هذا الكامل و يعطى الناقص كما لا يخفى.

و منهم: الذين فازوا بالحسنيين

فعلموا ظاهر الشرع و باطنه مع بلوغهم إلى الكمال الأقصى، فهؤلاء هم الكاملون بقول مطلق، و يمكن الاستفاده منهم إلّا أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر، و لعلّه إلى هذه الأقسام يشير ما ذكره الشهيد (رحمه الله تعالى) فى بيان أقسام العلماء، فقد تقدم كلامه بتمامه فراجعه. هذه جمله من الأقسام للناس، و لعلّه يوجد هناك أقسام أخر متوسطات بين تلك الأقسام كما لا يخفى. ثم إنّ الشارع لم يهمل هذه الأقسام، بل له بالنسبه إلى أى قسم منهم خطاب يتوجه إليه، و لكلّ منهم عمل لا يمكن حصوله من القسم السابق عليه بدون العكس، فنرى أنّ القسم الثانى منهم يكون له من الخطابات و العتابات ما لم يكن

ص: ۲۶۶

للقسم الأول من المنكرين له تعالى، بل ربما اقتصر للأول بمجرد قول لا إله إلّا الله محمد رسول الله على ولى الله، بل بمجرد الإقرار بالتوحيد فى بعض كما لا يخفى. و هذا بخلاف القسم الثانى فانه ربما جعل لهم مضافا إلى الأعمال السياسات الشرعيّه كما ينبئ عنها كتاب الحدود، بل و يجعل لهم أحكاما مستحبّه مؤكّده لم تكن لغيرهم، و نرى أنّ الشارع يمكّن تلك الأعمال العباديه مطلقا و ترك المحرمات فى قلوبهم بالوعد بالجنه و الوعيد من النار، و هكذا بالنسبه إلى الطائفه الثالثه و الرابعه يشتدّ الأمر و التكليف من لزوم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بالنسبه إلى غيرهم، و من لزوم تبليغ الأحكام للجاهلين، و من اشتمالهم على الأخلاق الحميده من الصبر على الأذى و غيره فى ترويج الدين، و فى تربيه نفسه بما لا يكون على غيرهم. ثم نرى أنّه تعالى يعامل الطبقه الأخيره من الكاملين بما لهم من القسمين خصوصا الأخير منهما، ما لم يعامل مع غيرها فنرى أنه تعالى يحثّهم على ترك أمر لم ينه عنه غيرهم

كقوله لداود عليه السّلام: «فإنّما أبحت الشهوات لضعفه خلقى، فما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنّها تنقص حلاوه مناجاتى» . و الحاصل: أنه رب مباح للسابقه يكون منهيا عنه للأخيره، و لذا قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» ثم إن هذه الدعوه الأكيده منه تعالى تكون لكلّ أحد إلّا أنه لم تكن لمن قبل هذه الطائفه، لقصورهم، و إلّا فجميع الخطابات الشرعيّه إنما هى بداعى إيصال العبد إلى مقام الخلوص إليه و مقام معرفته، و لا يوجد كلام فى الكتاب أو فى السنه من أى باب فرض إلّا و هو مسوق بهذا الداعى، إلّا أنّ أهل البصيره يدركون هذا الأمر لا محاله. فعلم مما ذكرنا: أنّ المراد من

قولهم: إنّ حديثنا صعب مستصعب يشير إلى تلك المعارف الخفيّه، و سيجىء توضيحها قريبا.

خاتمه:

اشاره

قد علمت من الأحاديث السابقه أهميه أمر الولايه بما لها من المعنيين

فاعلم: أنه ربما يتوهم أنّ المخترعات التی التزمت بها الفرقه الضاله من الصوفیه داخله فی واقع تلک الأمور و المعارف الصعبه، التی أشیر إلیها فی تلک الأحادیث مع أنه من البطلان بمکان من الوضوح فلا بد من بیان ما یندفع به هذا التوهم. فنقول مزیدا علی ما مرّ من الکلام و توضیحا له قد علمت فیما سبق: أنّ لهذا الدین معارف جمّه لا یکاد یصل إلیها إلّا من سبقت له من الله الحسنی، و لا یکون إلّا لمن استجاب لدعوه ربّه لقوله تعالی: لِلَّذِینَ اِسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ اَلْحُسْنیٰ (۱)و من شرح الله صدره للإسلام. و إن الغرض من إرسال الرسل، و إنزال الکتب هو سوق الناس إلیها، و لیتسبّبوا بها إلی تحصیل معرفته تعالی، التی هی المقصود من الخلق، قال الله تعالی: وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِیَعْبُدُونِ (۲)و لا یکاد تحصل العباده له تعالی کما ینبغی له إلّا بمعرفته تعالی.

قال الله تعالی لنبیّه صلّی الله علیه و آله لیله المعراج فی حق الکاملین العارفین: «و یعظّموننی حقّ عظمتی» فصحّ تفسیره بقولهم علیهم السّلام: أی لیعرفون. و یشیر إلیه

ما رواه فی تفسیر الصافی عن الصادق علیه السّلام: خرج الحسین بن علی علیه السّلام علی أصحابه فقال: «أیها الناس إنّ الله جلّ ذکره ما خلق العباد إلّا لیعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، و إذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عباده من سواه، فقال له رجل: یا بن رسول الله بأبی أنت و أمی ما معرفه الله؟ قال: معرفه أهل کلّ زمان إمامهم، الذی تجب علیهم طاعته» فعلم منه أنّ المقصود الوحید من الخلق هو المعرفه به تعالی. ثم إنّ تفسیره علیه السّلام معرفه الله بمعرفه الإمام، فلأنه لما کانت معرفته علیه السّلام مستلزمه لمعرفته تعالی، أو أنّ معرفته تعالی لا تکون ابتداء إلّا من طریق معرفتهم، أو أنّ معرفتهم وجه لمعرفته تعالی و شأن من شئونه، ضروره أنهم وجه الله، و من قصده

۱- ۱) الرعد:۱۸.

۲- ۲) الذاریات:۵۶.

توجّه بهم، أو أنّ معرفته تعالی منحصره فی بیانهم، و هو لا یکون إلا بعد معرفتهم، لعدم معرفه غیرهم معرفه الله و لبیانها، فصحّ التعبیر عن معرفته تعالی

بقوله علیه السّلام: «معرفه أهل کل زمان إمامهم» . و یمکن أن یکون الوجه فی ذلک أن المخاطب لم یکن أهلا لتفهّم معنی معرفه الله تعالی، ففسّرها علیه السّلام باللازم لها من معرفه الإمام علیه السّلام و سیجیء له مزید توضیح فی محلّه إن شاء الله تعالی.

[فی بیان ما بینه الشرع المبین لتلک المعارف]

و لا ریب أنّ لتلک المعارف طریقا یوصل السالک فیه إلیها، و هو ما بیّنه الکتاب الکریم و فسّرته العتره الطاهره لا غیر، ثم إنّ ما بیّنه الشرع المبین یرجع إلی قسمین: الأول: بیان الأحکام بما لها من الأقسام الخمسه، و من الأمور الأخلاقیّه و غیرها. و الثانی: بیان ما به کیفیه العمل الموصل إلی تلک المعارف. أما الأول: فالمتکفّل لبیانه هو الکتب الفقهیه و الأخلاقیه. و أما نفس تلک المعارف فقد علمت أنّ لها وجودا واقعیّا قد حکی عنه لسان الشرع من الکتاب و السنه، کما صرّح به قوله تعالی فی سوره الأعراف: لِکُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ أی أن لکلّ نبإ أخبر به الله أو الرسول مستقرّ فی نفس الأمر، و من المعلوم أنه لا طریق إلیه إلاّ بالعمل علی وفق ما بیّنه الکتاب، فالعمل هو الواسطه بین التعلم و الوصول إلیه، و یتوقف العمل علی العلم بالأحکام المتوقف علیها العمل. و هذا العلم هو المقصود من تعبیرهم عن العلم المقصود لغیره بعلم الظاهر و الشریعه، و عن المقصود لذاته بعلم الباطن و الحقیقه، و عن المجموع بعلم الحکمه، قال الله تعالی: وَ مَنْ یُؤْتَ اَلْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً (1)و من تقسیمهم العلم إلی: علم الشریعه و علم الطریقه و علم الحقیقه، ضروره أنّ المراد من علم الظاهر

۱- ۱) البقره:۲۶۹.

و الشريعه هو العلوم المتلقاه من الشرع بداعى سوق العباد إليه تعالى، و لذا يكون مقصودا لغيره. و التعبير عنه بعلم الظاهر أو بالقشر كما فى كلمات بعضهم، فإنما هو بلحاظ أنه لما كان واقع الدين و نفس المعارف الإلهيه محفوظا بظاهره فعبّروا عن الحافظ له بالظاهر، كما عبّروا عن الواقع بعلم اللّب و الحقيقه، فكلّ أحد لا ـ محاله له ظاهر من الشرع، فإن كان ظاهره سقيما يكشف عن أنّ باطنه أيضا كذلك. ضروره أنّ ظهور الباطن بآثار الظاهر حتى قيل: إنّ الظاهر عنوان الباطن فإن كان صحيحا فباطنه أيضا كذلك، إلّا أنه مع ذلك قد يكون حسن الظاهر أعم من حسن الباطن كما ستجىء الأخبار الداله عليه، فحينئذ عبّروا عن الظاهر بالقشر، ضروره أنّ القشر كما يوجب عدّ الشىء فى عداد الصحيح من نوعه إذا كان صحيحا بظاهره، و لا يبدى باطنه و إن كان فاسدا، فكذلك من اشتمل على ظاهر الشرع فهو محكوم بالإيمان ظاهرا، و إن لم يعلم صحه باطنه و عدمها، كما لا يخفى، و إن أريد غير ما ذكر فمردود جدّا. و كذلك المراد من علم الطريقه هو العلم بكيفيه المشى على الطريقه المحمديه صلّى الله عليه و آله و لا نعنى منه غير هذا كما يشير إليه قوله تعالى: وَ أَنْ لَوِ اِسْتَقٰامُوا عَلَى اَلطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْنٰاهُمْ مٰاءً غَدَقاً (۱)ففى مجمع البيان: و الأولى أن تكون الاستقامه على الطريقه محموله على الاستقامه فى الدين و الإيمان، لأنها لا تطلق إلّا على ذلك، أقول: أى استقامه عمليه بأن يكون ثابتا فى العمل على طبق الوظائف الدينيه إلى أن قال رحمه الله:

و فى تفسير أهل البيت عليهم السّلام عن أبى بصير قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: قوله الله إِنَّ اَلَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ ثُمَّ اِسْتَقٰامُوا قال: هو و الله ما أنتم عليه، و لو استقاموا على الطريقه لأسقيناهم ماء غدقا،

و عن بريد العجلى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلّمون من الأئمه، انتهى كلامه.

۱- ۱) الجن:۱۶.

أقول: و إليه يشير أيضا قوله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ و ما فى الكافى تحت عنوان: إنّ الطريقه التى حثّ على الاستقامه عليها ولايه على عليه السّلام

بإسناده عن يونس بن يعقوب، عمّن ذكره، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ أَنْ لَوِ اسْتَقٰامُوا عَلَى الطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْنٰاهُمْ مٰاءً غَدَقاً قال: يعنى لو استقاموا على ولايه على بن أبى طالب أمير المؤمنين و الأوصياء من ولده عليهم السّلام و قبلوا طاعتهم فى أمرهم و دينهم، لأسقيناهم ماء غدقا يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان بولايه على و الأوصياء.

و فى نهج البلاغه فى مدح النبىّ صلّى الله عليه و آله: و لقد قرن الله به صلّى الله عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم و محاسن الأخلاق.

و فيه أيضا تنبيها لعقيل: فظنّ أنى أبيعه دينى و أتبع قياده مفارقا طريقتى.

و فيه أيضا فى ذم المفارقين عن الطريقه: و لو فكروا فى عظيم القدره و جسيم النعمه لرجعوا إلى الطريق.

و فى توحيد الصدوق رحمه الله بإسناده عن الحارث الأعور قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى أن قال عليه السّلام: و أعينوا أنفسكم بلزوم الطريقه المستقيمه و هجر الأمور المكروهه،

و قال عليه السّلام فى دعاء مكارم الأخلاق:

اللّهمّ اسلك بى الطريقه المثلى.

فعلم أنّ المشى على طبق الوظائف الشرعيه بأجمعها هو المراد من الطريقه لا غير، و العلم المتكفّل لبيانها بهذا اللحاظ يسمى بعلم الطريقه، و سيجىء لهذا مزيد توضيح. و المراد من علم الحقيقه هو وجدان واقع المعارف الإلهيه قلبا، التى يكون أخصّها هو معرفته تعالى، و هو نور يقذفه الله فى قلب من أراد أن يهديه، و لا يصل إليها إلاّ من سبقت له من الله الحسنى، و لا يكون لأحد فيه الصنع، كما تدل عليه الأخبار الآتيه فى محلّه. ضروره أنّ المشى على الطريقه المستقيمه إنما هو يوجب الاشتمال على مراتب

الدین على ما تقدم و ما یأتی بیانها، و أما معرفته تعالى فلا یکون معلولا لشیء، نعم، المؤمن الکامل قابل لأن یقذف الله تعالى نور معرفته فی قلبه. و الحاصل: أنّ حقیقه معرفته منه تعالى لا غیر، و لا یکون إلّا لأخصّ أولیائه

قال علیه السّلام: یا من دلّ على ذاته بذاته، فلا دلیل على معرفته إلّا به.

[فی بیان أن المعارف الإلهیه قد اشتبه بعضها مع بعض]

إذا علمت هذا فاعلم: أنّ تلک المعارف التی أشیر إلیها إجمالا و تأتی تفصیلا قد خفیت على کثیر من الأفاضل بل العلماء، و الوجه فیه عدم التمییز بین حقّها و باطلها إذ قد اشتبه بعضها مع بعض المخترعات من الصوفیه (علیهم لعائن الله أبد الآبدین) و حینئذ فخاف الخوض فیها من لم یتبع مظانها الحقیقیه و هی کلمات أهل بیت العصمه علیهم السّلام و حیث إنّ الأغلب غیر عاملین بالوظائف الموصله إلیها مع أنّه لا یکاد یفهمها إلّا من کان مهذّبا بالعلم و العمل کما علمت، و لذا تخلّوا عنها و اکتفوا ببعضها الذی لا ستره علیه و لم یتجاوزوا عنه شیئا. و هذا من مفاسد اختلاط الحقّ بالباطل، ضروره أنه لم یزل منذ بعث الله النبیّ صلّى الله علیه و آله لدوله الباطل جوله و لأهله صوله، و قد نسجوا لأهویتهم الباطله الردیه ما هو أهون من نسج العنکبوت و ستروا بها محض الحق، و لکنّ الله تعالى یحقّ الحق بکلماته و لو کره الکافرون.

قال علیه السّلام فی نهج البلاغه: «إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، و أحکام تبتدع، یخالف فیها کتاب الله، و یتولّى علیها رجال رجالا على غیر دین الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم یخف على المرتادین، و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندین، و لکن یؤخذ من هذا ضغث، و من هذا ضغث، فیمزجان، فهنا لک یستولى الشیطان على أولیائه، و ینجو الذین سبقت لهم من الله الحسنى» (۱). هذا و لکن الحق و إن لم یزل تعارضه أ هویه المبطلین، إلّا أنه واضح لأهل

۱- ۱) نهج البلاغه، الخطبه- ۵۰.

التقوى و اليقين، و لا يكاد يضرّ هذا الخلط بين الحقّ و الباطل إلّا بالذين يعلمون ظاهرا من الحيوه الدنيا و هم عن الآخره هم غافلون، فيتجلّى الباطل عندهم بصوره الحقّ تاره، و الحقّ بصوره الباطل أخرى، فهم فى ريبهم يترددون، و ليس إلّا لتركهم ما أمروا أن يأخذوا به من متابعه العتره و كلماتهم، و رسوخهم فيما لم يكلّفوا به من ركونهم إلى اصطلاحاتهم النفسانيه، و لذا قد تخلّوا عن المعارف عملا بل و علما. فلذا أصبحنا و لا نرى من تخلّق بأخلاق الله تعالى، و نال من المعارف الإلهيه و اقتدى بسنه نبيّه و الأئمه الطاهرين عليهم السّلام ليكون لنا سلوا فى مصيبات الدهر و هزاهز الزمان، و مرجعا لنيل تلك المعارف، فالمشتكى إليه تعالى، و ها نحن فى زمان لا يزداد الحقّ فيه إلّا إدبارا، و الباطل فيه إلّا إقبالا.

[بحث حول الصوفيه و عقائدهم]

اشاره

إذن علمت من مطاوى ما ذكرنا أنّ المعارف الإلهيه قد اشتبه بعضها مع بعض المخترعات من الصوفيه (لعنهم الله) فلا بدّ أولا من ذكرهم و ذكر معتقداتهم إجمالا بنحو يمتاز الحقّ عن باطلهم، فنذكر أولا الأخبار الوارده فى هذا الموضوع، ثم نردفه بما يحتاج إلى الكلام، لتمييز الحقّ عن باطلهم، فنقول و على الله التوكل:

[الأخبار الوارده فى ذم الصوفيه]

فى سفينه البحار، عن البزنطى و إسماعيل بن بزيع، عن الرضا عليه السّلام قال: «من ذكر عنده الصوفيه و لم ينكرهم بلسانه و قلبه فليس منّا، و من أنكرهم فكأنّما جاهد الكفار بين يدى رسول الله صلّى الله عليه و آله» .

و فيه عن البزنطى أنّه قال: قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليه السّلام: قد ظهر فى هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفيه فما تقول فيهم؟ قال: «إنّهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم و يحشر معهم، و سيكون أقوام يدّعون حبّنا، و يميلون إليهم، و يتشبهون بهم، و يلقّبون أنفسهم بلقبهم، و يؤولون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منّا و إنا منه براء، و من أنكرهم و ردّ عليهم كان كمن جاهد الكفار بين يدى رسول الله صلّى الله عليه و آله» .

و فيه أيضا بإسناده عن أبى محمد الحسن العسكرى عليه السّلام أنّه قال: سئل أبو عبد الله (جعفر الصادق عليه السّلام) عن حال أبى هاشم الكوفى فقال عليه السّلام: «إنه كان فاسد العقيده جدّا، و هو الذى ابتدع مذهبا يقال له التصوف، و جعله مفرا لعقيدته الخبيثه»

و رواه بسند آخر عنه عليه السّلام: «و جعله مفرّا لنفسه الخبيثه و أكثر الملاحده، و جنّه لعقائدهم الباطله» .

و فيه عن السيد المرتضى بسنده عن الإمام العسكرى عليه السّلام أنه قال لأبى هاشم الجعفرى: «يا أبا هاشم سيأتى زمان على الناس وجوههم ضاحكه مستبشره، و قلوبهم منكدره، السنّه فيهم بدعه و البدعه فيهم سنّه، المؤمن بينهم محقّر، و الفاسق بينهم موقّر، أمراؤهم جائرون، و علماؤهم فى أبواب الظلمه سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، و أصاغرهم يتقدّمون على الكبراء، كلّ جاهل عندهم خبير، و كلّ محيل عندهم فقير، لا يميّزون بين المخلص و المرتاب، و لا يعرفون الظأن من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنّهم يميلون إلى الفلسفه و التصوّف. و أيم الله، إنّهم من أهل العدوان و التحرّف، يبالغون فى حبّ مخالفينا، و يضلّون شيعتنا و موالينا، فإن نالوا منصبا لم يشبعوا عن الرشا، و إن خذلوا عبدوا الله على الريا، ألا أنهم قطّاع طريق المؤمنين (الدين خ ل) و الدعاه إلى نحله الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم، و ليصن دينه و إيمانه، ثم قال: يا أبا هاشم هذا ما حدّثنى أبى عن آبائه عن جعفر بن محمد عليه السّلام و هو من أسرارنا فاكتمه إلّا عن أهله» .

و فيه أيضا عنه (أى السيد المرتضى) بسنده عن محمد بن الحسين بن أبى الخطاب قال: كنت مع الهادى على بن محمد عليه السّلام فى مسجد النبىّ، فأتاه جماعه من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفرى رضى الله عنه و كان رجلا بليغا، و كانت له منزله عظيمه عنده عليه السّلام ثم دخل المسجد جماعه من الصوفيه، و جلسوا فى جانب مستدير و أخذوا بالتهليل.

فقـال عليه السّـلام: لاـ تلتفتوا إلى هؤلاـء الخـدّاعين فإنّهم حلفاء الشـياطين، و مخربوا قواعـد الـدين، يتزهـدون لراحه الأجسام، و يتهجدون لتصـييد الإنعام، يتجوّعون عمرا حتى يدّيخوا (۱)للإيكاف حمرا، لا يهلّلون إلّا لغرور الناس و لا يقلّلون الغـذاء إلّا لملإ العساس (۲)و اختلاس قلب الـدفناس (۳)يتكلّمون النـاس بإملاـئهم فى الحب، و يطرحونهم بـأداليلهم (بإدلائهم خ ل) فى الجبّ أورادهم الرقص و التصـديه، و أذكارهم الترنّم و التغنيه، فلا يتبعهم إلّا السـفهاء و لا يعتقد بهم إلّا الحمقاء. فمن ذهب إلى زياره أحـد منهم حيّـا أو ميتا فكأنما ذهب إلى زياره الشـيطان و عبـده الأوثان، و من أعان أحـدا منهم فكأنما أعان يزيـد و معويه و أبا سفيـان، فقـال له رجـل من أصـحابه: و إن كـان معترفا بحقوقكم؟ ! قال: فنظر إليه شـبه المغضب و قال: دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يـذهب فى عقوقنا، أ ما تـدرى أنّهم أخسّ طوائف الصوفيه، و الصوفيه كلّهم من مخالفينا، و طريقتهم مغايره لطريقتنا، و إن هم إلّا نصارى و مجوس هذه الأمّه، أولئك الذين يجهدون فى إطفاء نور الله، و الله متم نوره و لو كره الكافرون.

و فيه أيضا عن الرضا عليه السّـلام قال: لا يقول بالتصوف أحد إلّا لخدعه أو ضـلاله أو حماقه، و أما من سـمّى نفسه صوفيّا للتقيه فلا إثم عليه.

و فى روايه أخرى عنه بزياده قوله: و علامته أن يكتفى بالتسميه، و لا يقول بشىء من عقائدهم الباطله.

و فيه أيضا نقل عن كشـكول شـيخنا البهائى رحمه الله عن النبىّ صلّى الله عليه و آله أنّه قال: لا يقوم الساعه على أمتى حتى يقوم قوم من أمتى اسـمهم الصوفيه ليسوا منّى، و أنهم يحلقون للـذكر و يرفعون أصواتهم، يظنون أنهم على طريقتى بـل هم أضـل من الكفار

ص: ۲۷۵

۱- ۱) ديّخه: ذلّله.

۲- ۲) العسّ: القدح أو الإناء الكبير.

۳- ۳) الدفنس و الدفناس: الأحمق الدّنى.

(و هم أهل النار) لهم شهيق كشهيق الحمار، و قولهم كقول الفجار، و عملهم عمل الجهال و هم ينازعون العلماء، ليس لهم إيمان و هم معجبون بأعمالهم، ليس لهم من عملهم إلاّ التعب.

و فى المحكى عن كتاب الكافى بإسناده عن سدير قال: قال الباقر عليه السّلام: يا سدير أ فأريك الصّادين عن دين الله بلا هدى من الله و لا كتاب مبين؟ هؤلاء الأخابث، ثم نظر إلى أبى حنيفه و سفيان الثورى فى ذلك الزمان و هم حلق فى المسجد، فقال: هؤلاء الصادّون عن دين الله بلا هدى من الله، و لا كتاب مبين، إنّ هؤلاء الأخابث لو جلسوا فى بيوتهم، فجال الناس فلم يجدوا أحدا يخبرهم عن الله تبارك و تعالى و عن رسول الله صلّى الله عليه و آله حتى يأتونا نخبرهم عن الله و عن رسول الله صلّى الله عليه و آله. أقول: هذه جمله من الأخبار فى هذا الباب و هناك أخبار أخر أغنانا عنها ما ذكرناه، إذا علمت هذا فاعلم: أنّ لفظ الصوفى و التصوف بما هو لفظ مع قطع النظر عمّا يراد منه لا يكون محكوما بشىء من المدح أو الذم، ضروره أنّ الألفاظ قوالب للمعانى، و لها عنوان الحكايه عمّا استعملت فيه، فإذا لا بدّ من تحقيق المعنى الذى استعمل فيه لفظ الصوفى فى لسان أهل البيت عليهم السّلام ليميز عن غيره معنى لا لفظا. ضروره أنه لو يسمى شخص تقيه بالصوفى فهذا لا يكاد يتوجه إليه ذمّ، لعدم اتّصافه بمعناه كما دلّ عليه ما

روى عن الرضا عليه السّلام من قوله: «و أمّا من سمّى نفسه صوفيا للتقيه فلا إثم عليه» .

و فى روايه أخرى عنه عليه السّلام بزياده قوله: «و علامته أن يكتفى بالتسميه و لا يقول بشىء من عقائدهم الباطله» . فهذا الخبر صريح بأنّ الصوفى الملعون هو الذى اتّصف روحا بتلك العقائد الباطله دون التسميه فقط، فالعبره إذا بالاتصاف بتلك العقائد فقط. فنقول: المستفاد من الأخبار الكثيره المذكوره فى الكافى و توحيد الصدوق و سيأتى ذكرها إن شاء الله: أنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأبدان، و فى عالم الذر، و كانت فى ذلك العالم عارفه بربّها، ثم لمصلحه جعلها الله تعالى فى الأبدان و أهبطها

إلى الدنيا، ثم إنه تعالى قد أعطى لهذا الروح نوعين من القوه: العقل و ما له من الجنود البالغ إلى اثنين أو ثلاثه و سبعين جنديا، و الجهل الذى هو روح الشيطان و ما له من الجنود كذلك. فجاء الروح الإنسانى فى هذا الدنيا مع هاتين القوّتين، ثم إنّه كما يكون للروح صفاء و بهاء حيث إنّه أقرب الأشياء إليه تعالى، و لا يكاد يجده فى نفسه إلاّ المؤمن الكامل، و يكون للعقل و جنوده أيضا صفاء، لأنّها الواسطه بين الروح و الجهل، فلصفائه يكون سببا لإخلاص الروح من الجهل إلى صفائه الأصلى، فكذلك يكون للجهل أيضا بما لها من الجنود أيضا صفاء، لكن يختلف سنخ صفائه مع صفاء الروح نحو اختلاف صفاء النار مع النور. فالجهل الذى هو روح الشيطان له صفاء و إلاّ ما قدر الشيطان أن يغوى ابن آدم، و لأجل صفائه هذا اغترّ الشيطان و قال جوابا عما سأله الله تعالى عن تركه للسجود بقوله: خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ، فإنّه لمّا رأى صفاء النار و أفضليّتها على الطين و كدورته اغتر بها، إلاّ أنّه لمكان رسوخ الكبر فيه قد ستر عليه مشاهده صفاء الروح، الذى كان فى آدم عليه السّلام و كذا من كان متكبّرا يكون محجوبا عن مشاهده صفاء الروح. و الشيطان أيضا له صفاء، و لذا ورد أنّ للشيطان سريرا بين السماء و الأرض يلبّى أولياءه، و قد كان بعض الصوفيه (عليهم لعائن الله) رأى هذا السرير و من عليه فظن أنّه الله، و كان يعبده مدّه مديده إلى أن سمع هذا الحديث فجعل يضرب على وجهه لما انكشفت عليه ضلالته، ثم إنه كما يكون للشيطان صفاء، فكذلك لجنوده من الغضب و الشهوه و الحسد و غيرها يكون لكلّ منهما بالنسبه إليه صفاء، و لهذا الصفاء النارى و الوهمى أمكن أن يوسوس فى قلوب بنى آدم ليضلّهم عن سبيل الله.

قال بعض الأعاظم (۱): لما تمّت حيله إبليس على آدم، و نال بغيته بإيصال الأذيه إليه، و بلغ أمنيته بإيقاع الوسوسه عليه، سأل ربّه-بوسيله بعض صفات الله كالعزه و الجلال-الإنظار إلى يوم يبعثون فأجيب: إلى يوم الوقت المعلوم، أخذ لنفسه جنه، غرس فيها أشجارا، و أجرى فيها أنهارا، و وضع فيها أشكالا و هيئات و تماثيل و صورا، شبيهه بما فى الجنه من الصور الحسان، ليشاكل الجنه التى أسكنها الله آدم، و قاس عليها و هندس على منالها هندسه فانيه لا بقاء لها، و جعلها مسكن أهله و أولاده و ذريته و جنوده، و هى كمثل السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، و ذلك أنه من الجنّ و من شأن الجن كما قيل: التخييل و التمثيل لما لا حقيقه له، كذلك فعل إبليس و جنوده إنما هو تمويه و تزويق و مخاريق، و تنميق لا حقيقه و لا حق عندها كالقياس المغالطى السفسطى ليصدّ لها بها الناس عن سنن الحقّ و الصراط المستقيم، و بذلك وعد ذريّه آدم كما حكى الله عنهم بقوله: ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ (۲). و فى الآيات و الأحاديث ما يدل على كيفيه وسوسته لبنى آدم، و كيف كان فهو لعنه الله بهذه الأمور من الحسنات الخياليه المشابهه للحسنات الواقعيه يوسوس فى قلب ابن آدم ليضلّه، و لعلّه إليه يشير قوله تعالى: وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ (۳)و الله العالم. إذا علمت هذا فاعلم: أنّ الروح الذى علمت أنه كان-مع قطع النظر عن هاتين القوتين، قوه العقل و الجهل-فى كمال الصفاء، قد تكدّر صفاؤه بعد أن صار فى الأبدان، لأجل اتصافه بغرائز صفات الجهل و جنوده، فالإنسان فى الدنيا العارى

۱- ۱) تفسير يس لملا صدرا ص ۲۳۱.

۲- ۲) الأعراف:۱۷.

۳- ۳) النمل:۲۴.

عن أی دین تری روحه مظلمه مکدّره.

و فی مصباح الشریعه قال الصادق علیه السّلام: «و لا حجاب أظلم و أوحش بین العبد و بین الله تعالی من النفس و الهوی» الحدیث. و النفس و ما لها من الصفات الرذیله هی الحجب علی صفاء الروح، فمعها لا یتمکن من مشاهده أنوار الجلال و الجمال له تعالی، إلاّ أنه یجد فی نفسه أن له طریقا إلی السعاده التی یتصوّرها إجمالا فی نفسه، و له أیضا طریق إلی الشقاوه کذلک، و ذلک لما یری فی نفسه من قوّه العقل و الجهل فی الجمله، فحینئذ إذا صار متابعا لقوی عقله، الذی هو الحجه الباطنیه من الله تعالی علیه، فلا محاله یسلک مسلک السعداء، و إذا صار متابعا لقوی جهله فلا محاله یسلک مسلک الأشقیاء. و لعلّ قوله تعالی: وَ هَدَیْناهُ اَلنَّجْدَیْنِ (۱)أی نجد الخیر و نجد الشر کما فی الحدیث، یشیر إلی ما ذکرناه، و لهذا مزید توضیح یأتی فی محلّه. ثمّ إن المتابع لنفسه و لقوی جهله أیضا یلتذ بها لا محاله، و کذا سایر القوی إلاّ أنّ الالتذاذ به سنخ خاصّ لا یتعدّی مورده عن المادیات، ثم إنه لما کانت جمیع الصفات النفسیه للجهل شعبا من الشیطان فحینئذ کلّ من ترسّخ فی أحدها فلا محاله یصل بروحه إلی روح الشیطان، و عندها یصیر مظهرا لآثار الشیطان، فتری جمیع ما للشیطان من القدره و الصفاء و التصرف یظهر من هذا الکامل فی صفات الجهل. فحینئذ یغترّ بنفسه و ینکر جمیع ما سوی محسوساته، فإنّ سنخ روحه سنخ لا یجتمع مع نور العقل، فإنّ بینهما تطاردا و تمانعا ضروره أنّ العقل بما له من المراتب هو روح الإیمان و النور، و الجهل هو روح الکفر و الظلمه و جنوده شعبه،

و قد ورد فی الخبر: «إنّ الله تعالی خلق الإیمان» و اشترط علیه أن یبغض الکفر، و خلق الکفر

۱- ۱) البلد:۱۰.

و اشترط علیه أن یبغض الإیمان. و من المعلوم أنّ هذا الشرط هو الشرط التکوینی و الجبلی یعنی أنّ أصل کلّ منهما و حقیقته یبغض الآخر. و بهذا تمتاز الحالات الشیطانیّه التی تکون للمتصوّفه و الملاحده و للعصاه عن الحالات الربانیّه، فأیّ حاله تری نفسک فیها غیر محبّ لبعض صفات العقل و لبعض المعارف المسلّمه من الشرع، فاعلم أنّه من حالات الشیطان، و من شعب الکفر و الجهل، و إن کنت مستأنسا بها و ملتذّا، ضروره أنّ أیّ حال ربّانیّ یأتلف مع سائر المعارف و الحالات الربانیه کما لا یخفی، و ما کان من غیرها یخالفها، و هذا هو الفصل لهما أصلا و فرعا. و لذا تری الکافر الحقیقی یبغض المؤمن الحقیقی و بالعکس، و کذا من اشتمل علی بعض مراتب الإیمان فهو بهذا المقدار یبغض ما یقابله من مراتب الکفر، و بالعکس فتری من اشتمل علی بعض المراتب من الإیمان، و لکنه مع ذلک متّصف ببعض صفات الجهل و الکفر، فهو حینئذ بهذا المقدار من صفات الجهل التی تکون عنده، یبغض ما یقابلها من مراتب الإیمان التی لم یشتمل علیها، و لذا یکون مؤمنا به تعالی لما فیه من بعض مراتب الإیمان، و مشرکا به تعالی لطاعته لغیره و لما أنکر من بعض مراتب الإیمان، لأجل ما فیه من بعض مراتب الجهل، و لعلّه إلیه یشیر قوله تعالی: وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ (1).

ففی تفسیر الصافی و فی الکافی عن الصادق علیه السّلام فی هذه الآیه: «یطیع الشیطان من حیث لا یعلم فیشرک» و سیجیء لهذا مزید توضیح فی محلّه. ثم إنّ من المعلوم أنّه لا یکاد یخلص الروح من صفات النفس و الجهل کلاّ أو بعضا إلاّ بالعمل علی طبق ما تقرر له فی الشرع، و بمتابعه العقل و إحیائه و إماته النفس و الجهل و جنوده.

1- 1) یوسف:106.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى نهج البلاغه: «قد أحيا عقله، و أمات نفسه، حتى دقّ جليله، و لطف غليظه، و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، و سلك به السبيل» الحديث. و قد تقدم و ورد أنّ العمل من الإيمان و الإيمان من العمل و الإيمان عمل كلّه، فالعمل له دخل تامّ بل تمام الدخل فى الاتصاف بصفات العقل، و السير فى مراتب الإيمان بواسطته، بل و كذا له الدخل فى الاتّصاف بصفات الجهل فإنه أيضا ترسّخ فيه صفاته، بالعمل على طبقه و بمتابعه الشيطان. إذا علمت هذا فاعلم: أنّ بعض الناس لما لم يركنوا حقيقه إلى الشرع من الكتاب و السنه و العتره الهاديه (صلوات الله عليهم أجمعين) إما لاغترارهم بما علموا من علم الفلسفه و قوانينها بظنّهم أنها تكفيهم للوصول إلى الدرجات العاليه، ضروره أنّ الفلسفه توجب الغرور لمن لم تتهذب نفسه بالأخلاق الحميده أوّلا-كما هو المشاهد من كثير من المشتغلين به-فترى بعضهم يرى نفسه فى أعلى محلّ لا يكاد يخطّئ نفسه فى أمر مما بنى عليه، فهذا الرجل لا يعرف الله و لا رسوله و لا الأئمه و لا الشرع إلاّ بنظره الذى استنبطه من الفلسفه. فتراه يتصرّف فى جميع المعارف الإلهيّه من مباحث التوحيد و غيره فيأخذ منها ما يوافق عليه قواعد الفلسفه، فهو لا يعرف لأحد الفضل إلاّ لنفسه،

و قد ورد عن الصادق عليه السّلام: «من لا يعرف لأحد الفضل فهو المعجب برأيه» فهذا أيضا هو المعجب برأيه، و المعجب يكون خطأه أكثر من إصابته. و الحاصل: أنّ الفلسفه مع إنّا فى غنى عنها ببركه القرآن و كلمات العتره الطاهره، قلّ من يصيب فيها الحقّ إلاّ من هذّب نفسه بالأخلاق الحميده-ضروره أنّ الفلسفه خصوصا الإلهيّات منها تحكى عن مطالب تكون ما وراء عالم الطبيعه، و عمّا هو ما وراء طور العقل فكيف بتفهيمها من هو منغمر فى الطبيعه و فى صفات الجهل؟ -و كيف كان فهؤلاء قوم ركنوا إلى علم الفلسفه مع عدم تهذيبهم للأخلاق،

فوقعوا فى سلك الصوفيّه من حيث لا يشعرون. و إما لأجل عدم قبولهم ولايه الأئمه عليهم السّلام فهؤلاء أيضا و إن علموا بعض المحاسن من الأخلاق و الحالات الحسنه إلاّ أنه لما انسدّ عليهم باب الولايه، فلا محاله يكون باب المعارف الإلهيّه منسدّا عليهم، و إن بلغوا فى الحالات ما بلغوا، فإنهم أيضا يقولون بعقائد المتصوّفه بل هم هم من حيث لا يشعرون. و إما لأجل متابعه صفات النفس و الإصرار على المعاصى مع عدم تهذيب الأخلاق، فإنّك ترى من الشيعه من هو معتقد بأصول الدين و فروعه إلاّ أنه لأجل ابتلائه بالمعاصى و عدم تهذيب نفسه يشتغل بمطالعه بعض المعارف و دراسته، فلا يكاد يفهم منها إلاّ ما يوجب انحرافه، ضروره أنّ المعارف الإلهيه هى واقع القرآن و بيان شئونه و هو لا يزيد الظالمين إلاّ خسارا. نعم، من هذّب نفسه فصار مؤمنا فلا محاله يكون القرآن و معارفه له شفاء، فالمعارف الحقه لا تؤثر فى النفس غير المهذبه إلاّ الضلال و الخسران، و يجمع الكلّ أنه من اتّبع نفسه فى المشتهيات، و لم يهذّب نفسه أوّلا بالأخلاق الشرعيه. فلو أخذ بمطالعه بعض المطالب الحقّه فلا يكاد يستفيد منها إلاّ ما يوجب تقويه نفسه فى طغيانها، ضروره أنه يسير حينئذ فى تقويه النفس و صفاته إلى أن يتجلّى له الشيطان بما له من الصفاء و البهاء فيغترّ به ضروره أنّ النفس بما لها من القوى أيضا لها صفاء و قوّه و تصرّف فى الماديات. فهذا الذى لم يهذّب نفسه بالشرع، لا يسير إلاّ فى صفاء النفس و ترسّخ روحه فى صفائها إلى أن يتجبّل فيه الشيطان، فهو حينئذ مقتدر بقدرته، و عالم بعلمه، و متصرّف بتصرّفه، و لذا ترى كثيرا من الأقطاب من الصوفيه يظهر منهم بعض ما لا يظهر من غيرهم فيغترّون به، فيضلّون و يضلّون غيرهم. و الحاصل: أنّ للنفس أيضا صفاء واقعيّا يصل إليه الإنسان بمتابعه الشيطان إلى أن يصير من أوليائه فيأخذ منه المطالب، قال الله تعالى: إِنَّ اَلشَّياطِينَ لَيُوحُونَ

إِلىٰ أَوْلِيائِهِمْ بل ورد أنّه كما يتنزّل الروح فى ليله القدر على الإمام عليه السّلام فكذلك الشيطان يتنزل على أوليائه. ثم إنّ السير فى صفات النفس إلى أن يصل إلى الشيطان، قد يكون ممن لا يقرّ بدين أصلا، و قد يكون ممن يعتقد الدين حقّا، و لكنه يعمل على طبق مشتهيات النفس فهو يعبد هواه فأضلّه الله على علم، فالمعتقد بالحقّ أيضا لمّا لم يعمل على طبق وظيفته، فربما ينسلخ عن الدين تدريجا إلى أن يترسّخ فيه الشيطان، و قد تقدم أنّ الجهل و الكفر يبغضان الإيمان فإذا ترسّخ هذا الرجل فى الجهل فيصل إلى إنكاره و بغضه أخص المعارف، و أخص المعتقدات الحقّه من الدين، و يقول بالحلول تاره و بالإباحه أخرى، أو يدعى مقامات لم يدّعها أحد، و يتظاهر بها، كما هو المشاهد من أكابر المتصوفه (لعنهم الله) . نعم، للنفس كما علم مقامات عاليه جدّا إلّا أنه لما لم يصب بالحقّ فيغترّ بما أصابه من مراتب الجهل، مع أنّها فى جنب مقامات المؤمن الكامل كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء، فالمتصوفه كلّهم سائرون فى تقويه النفس، و ما لها من القوى، فهم فى شئون الكفر يتردّدون، فلا محاله يبغضون الحقّ و أهله، فترى أكابرهم يبغض أكابرنا من الأئمه عليهم السّلام و أتباعهم يبغضون العلماء الأبرار. ثم إنّ سيرهم فى النفس قد يكون من أول الأمر، ككثير من الصوفيه من غير المسلمين، و قد يكون بعد مده مديده. توضيحه: أنّ كثيرا من الناس يشتغلون فى ابتداء أمرهم بالعلم النافع المأخوذ عنهم عليهم السّلام و يعملون على طبقه إلّا أنه ربما تعرضهم بعض الصفات الكامنه فى أنفسهم للنفس فى طىّ سيرهم فينحرفون من هناك، فلذا نرى كثيرا من الناس قد علموا و عملوا بالحقّ، و ظهرت منهم الآثار الحسنه إلّا أنهم قد انحرفوا فى أواخر

سيرهم، ضروره أنّ مزال الأقدام للأرواح فى مراتب السير كثيره جدّا، فكما أنه فى ابتداء الأمر لا بدّ من متابعه الشرع، و السير فى الطرق المأثوره عنهم و إلاّ فهو منحرف عن الحقّ، فكذلك فى أثناء السير، و إن بلغ مقاما عاليا فإنه كلما هذّب نفسه دقّ أمره و كثر خطره فإصابه الحقّ هناك لمكان دقّته أصعب. و لذا ورد أنّ الصراط أدقّ من الشعر، و ذلك لدقته و خفائه.

و ورد فى الدعاء:

«اللّهمّ اهدنى لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك»

ضروره أنّ الحقّ لدقته يختلف فيه، فكلّ يدّعيه لنفسه. و الحاصل: أنّ هؤلاء الصوفيه لا تظن أنّهم كانوا من أول الأمر من الصوفيه بل كثير منهم كانوا متشرّعين جدّا، بل بعد أن انحرفوا أيضا لهم من الأعمال الصالحه، إلاّ أنهم فى أواخر سيرهم و فى أثنائه انحرفوا، فإن الروح ما لم يتخلص من النفس فهو فى خطر الانحراف بل و كذا بعده، و سيجىء أنّ السائر ربما يسير فى مراتب الإيمان مع تمكّن بعض صفات النفس فيه، بحيث لم يكن له مجال للتأثير، فإذا أصابه أى أصاب مجالا لتأثير ما كمن فى نفسه من بعض صفاتها المذمومه منه أثّر أثره، و إن كان بالغا صاحبه فى كثير من المراتب فحينئذ ينحرف من هناك. فالسائر فى النفس ابتداء أو أثناء لا محاله يكون منحرفا، و هذا هو السبب لاغترار بعضهم بأكابر المتصوّفه، فإنّهم يرونهم عاملين بالشرع، متخلّقين بكثير من الأخلاق الحميده، بل ربما صدر منهم بعض خوارق العادات، فكيف حينئذ يظن بهم الانحراف من لم يهذّب نفسه و لم يصب الحقّ؟ فيغترّ به فيقع فى الهلاكه من حيث لا يشعر، هذا و لكن الشرع الأنور قد جعل لكلّ أحد فى أىّ مرتبه كان وظيفه و علامه بها يميّز الحقّ من الباطل. و أكثر المتابعين لهم الجهله من العوام يجلسون مجالسهم فيلتذّون بأقوالهم و أفعالهم فيحسبونه حبّا لله تعالى مع أنّه لذّه نفسيّه، ضروره أنّ للنفس كما علمت لذه مغايره للذه الروح من الإيمان تغاير لذه الإنسان من تقبيله امرأته للشهوه مع

تقبيله أبويه للاحترام، ففى كلّ منهما لـذه مع أنّ بينهما بون بعيـد، فالمحترق قلبه حبّا للّه يلتـذ به و يقول: «أستغفرك من كلّ لذه بغير ذكرك» و السائر فى نفسه أيضا ملتـذّ بنحو بينهما فرق و بون بعيـد جدّا، و هذا التفاوت مما ورد مضـمونه من أنّ قبله المرأه شهوه، و قبله الأبوين عبـاده، و قبله الطفـل شـفقه فلكـلّ منهـا قبله لهـا لـذه مع مـا بينها من الفرق. فالسالك إلى اللّه حقّا ملتـذ، و السالك فى النفس ملتـذ، و لكن أين هـذا من ذاك؟ ! ، و لعمرى إنّ السالك إلى اللّه تعالى لفى خطر من هـذا عظيم، و لا ينجو منه إلاّ من أدركته العنـايه الأزليه، نسأل اللّه العافيه و حسن العمل. ثم إنّ كتب الأصحاب (رضوان اللّه عليهم) مشحونه من ذكر حالات الصوفيه (لعنهم اللّه و أخزاهم) فمن أراد فليطالعهـا، إلاّ أنّى ذكرت منشأ هـذا الانحراف عن الحق، و أنّه من متابعه النفس مع عدم تهذيب الأخلاق، و إلاّ فرد أقاويلهم الباطله مما لا يخفى على أحد، ضروره أنّ شناعه أفعالهم ظاهره لكلّ أحد، و كفى فى بيانه ما تقدم عن الهادى عليه السّلام مما قاله لأبى هاشم الجعفرى من حال جماعه من الصوفيه، الذين دخلوا المسجد فإنه عليه السّلام بيّن حالهم و خصائصهم بما لا يخفى على أحد، و لعمرى إنه هو المايز بين المحق و المبطل من المدعى للمعارف الإلهيه، الذى اشتبه علينا أمره، و به النجاه من مكائدهم. فإنهم (لعنهم اللّه) أضرّ على الإسلام و المسلمين من ضرر أهل السقيفه و معاويه و يزيد و أشباههم،

و لذا عبّر عنهم الباقر عليه السّلام فيما تقدم عن سدير عنه عليه السّلام بالصادين عن دين اللّه، و قرن أحد الأكابر من المتصوفه و هو سفيان الثورى مع أبى حنيفه فى الصد عن الدين، فإنّ كلاّ منهما مضرّ بالدين غايه الأمر هذا بلسان و ذاك بلسان آخر. و قد صنّفوا فى عصرنا فى ردّهم كتبا عديده إلا أنّه مع أنّهم -جزاهم اللّه خيرا- بالغوا فى ردّ الصوفيه (لعنهم اللّه) و أتو بالكلام الفصل، قد خلطوا فى البيان بما ستروا

به عن المعارف، و صار نقصان بيانهم سدّا لتعلّم الناس بل العلماء المعارف الإلهيه، و لذا يلزم أن تكتب المعارف الإلهيّه مع مداركها لئلا يختلط بمخترعاتهم (لعنهم الله) ضروره أنه قد أصبحنا عارين عن تلك المعارف، و عمن هو مصداق لها، هذا مع أنّ للصوفيه (لعنهم الله) أعمالا- شنيعه ظاهره فى الشناعه يعرفها كلّ أحد كما تقدم، إلّا أنّهم (لعنهم الله) قد خلطوا أعمالهم بالأعمال الصحيحه، ليتسبّبوا بذلك إلى نيل مشتهياتهم و لا ينكر عليهم أحد، و قد لفّقوا لذلك وجوها زعموا أنها المدرك لأفعالهم و إليه يشير ما تقدّم

عن أبى محمد الحسن العسكرى عليه السّلام عن حال أبى هاشم الكوفى من قوله: «و هو الذى ابتدع مذهبا يقال له التصوف و جعله مفرّا لعقيدته الخبيثه»

و فى روايه أخرى: «و جعله مفرّا لنفسه الخبيثه و أكثر الملاحده و جنّه لعقائدهم الباطله» ضروره أنّه يستفاد أنّه (لعنه الله) قد جعل لنفسه مذهبا قد خلط فيه الحقّ و الباطل، فلو لا فيه من الحقّ أيضا لما أمكن به أن يجعله مفرّا لنفسه و لعقيدته الخبيثه، فإنّ دأب المنافقين اختلاط الحقّ بالباطل، فيذكرون الحقّ و يريدون به الوصول إلى باطلهم، و إنّما يأخذون بالحقّ، ليتمكّنوا به ردّ مخالفيهم بإظهار الحقّ، و لأن يغترّ به العوام، هذا و قد اشتهر فى المثل قولهم: «كلمه حق يراد بها الباطل» . و يستفاد من هذا الحديث أمران: الأول: أنّ فى الصوفيه أيضا من الأعمال الحسنه إلّا أنهم يأتون بها بداعى الوصول إلى مرامهم كما علمت، فيعلم منه أنه لا ينبغى للإنسان الكامل أن يغترّ بهم لمكان تلك الأفعال الحسنه، بل لا بد من الدقه فى تطبيق جميع عقائدهم و أعمالهم مع الحقّ. و الثانى: مشاركه أعمال بعضهم كالأعمال الحسنه منهم مع أعمال المؤمن الكامل، فكما أنّه لا ينبغى الاغترار ببعض الأعمال الحسنه منهم بحيث يكون هذا سببا لحسن الظنّ بهم، و إلحاقهم بالكاملين أو بالمحبين لله تعالى، فكذلك لا ينبغى أن يساء الظن بالمؤمن الكامل البالغ مراتب الإيمان، الذى يصدر منه بعض الأعمال

الحسنه المشابهه لبعض الأعمال الحسنه الصادره من الصوفيه بتوهم أنه كما لا يكون حسن العمل هناك محسّنا لهم فكذلك هنا، أو يتوهم أن هذا المؤمن الكامل منهم بدعوى صدور هذا العمل الحسن منه الذى يشبه أعمالهم الحسنه. ضروره أنّ العمل الحسن إنما يكون له الحسن واقعا إذا صدر من المؤمن الكامل، و أما لو صدر من الصوفى فهو حسن صوره لا واقعا، فهنا مردود لعدم حسنه الواقعى، و هذا لا يوجب كونه مردودا مع عامله إذا صدر من الكامل، نعم قد يشتبه على الجاهل غير البالغ مراتب الإيمان حسن ذاک العمل واقعا فيراه فى الظاهر مشابها لعمل الصوفيه فينكر على صاحبه، مع أنّ هذا جهل محض ضروره أنّ اللازم أولا- فى حمل العمل على الصحه أو الفساد تحقيق حال العامل، فإن علمه من المؤمنين فلا محاله من حمل عمله على الحسن، و إن كان لا يعرفه ظاهرا، و لهذا الكلام مزيد توضيح فى محلّه. فحال المتصوفه ظاهر بأيدينا من ميزان الشرع، فالعقائد الحقّه و الأعمال الصالحه، أقوى ميزانا للتمييز بين المحق و المبطل، و يكفيک فى هذا ما قاله العسكرى عليه السّلام لأبى هاشم الجعفرى فراجع، على أنّک ستعرف بعدا فى الشرح و ما له من المراتب و الحالات بما لها من المدارک الحقّه، و لا أظن أنه يشتبه عليک الأمر إذ أحطت بما نذكره خبرا، فالميزان الأصدق الأدقّ هو ما ثبت من الكتاب و السنّه القطعيّه المعمول بها عند الإماميه و العلماء الربانيين منهم (رضوان الله عليهم) . ثم إنه ينبغى على كلّ طالب للحقّ و الحقيقه أن لا يعمل بعمل، و لا يعتقد بأمر إلاّ إذا كان له من الكتاب و السنه دليل يعتدّ به فى ذلک الأمر، و إلاّ فهو يتردد فى الاشتباه، ضروره أنّ الشرع له علامات و آيات و أدلّه واضحه للوصول إلى المعارف الإلهيه فمن سار فيها بما له من المحكمات من الأدله لقوله و عمله فلا محاله يسير إلى الله و يصل إلى معارفه، و إلاّ فهو يسير فى النفس و صفاتها فلا يجوز للمؤمن السير إلاّ عن مدرک مسلّم من الكتاب و السنه.

ص :287

و لعمری إنه قد کثر الأقطاب و المتصوفه فی زماننا، و قد تبعهم الکثیر من العوام، بل و الخواص من حیث لا یشعرون ظنا منهم أنّ عندهم المعارف أو أنهم العارفون بمعارف الشرع مع أنّهم الکاذبون و أولیاء الشیاطین، و العجب عن بعض المنتحلین إلی الفضل کیف یرکنون إلیهم؟ ! و أعجب منه إنکار کثیر من أهل العلم أغلب المعارف الإلهیه لظنّهم أنها من المخترعات الصوفیّه و هذا هو الذی ألجأنی إلی أن أذکر المعارف الإلهیه مع ما لها من المدرک، لکی یتضح الحقّ إن شاء الله فی هذا الزمان و یبطل مخترعات الصوفیه (لعنهم الله) . فإنّا قد أصبحنا فی معارضه الأعلام بعضهم مع بعض فی هذا الأمر مع کثره علمهم، و لیس هذا إلّا لترکهم العمل بما أمروا أن یعملوا به، و خلطهم المعارف الحقه مع المعارف المستحدثه من الفلسفه أو التصوف، ضروره أنه من لم یعمل علی طبق ما علم من الشرع، أو لم یهذّب نفسه لا یکاد یصل إلی فهم تلک المعارف أبدا، و إنما أطلنا الکلام فی هذا الأمر، لتکون علی ذکر من مخترعاتهم، لکی لا یشتبه علیک الأمر، مع إنا لم نذکر إلّا بعضا من مفاسدهم، و إنّما ذکرنا أمرا کلیّا کان منشأ لانحرافهم، لیحذر منهم السالک إلی الله حقّا حذرا من الضلال و الإضلال، ضروره أن البحث عن أحوالهم و عقائدهم و حالات کلّ واحد منهم مما یطول به الکلام جدّا، مع أنّ العلماء (رضوان الله علیهم) قدیما و حدیثا بالغوا فی ردّ أباطیلهم فجزاهم الله عن الإسلام خیرا، هذا

[فی بیان أن الهدایه منه تعالی لا من غیره]

اشاره

و لا بأس بالإشاره إلی بیان أنّ الهدایه منه تعالی لا من غیره، و أنها تشمل من اتبع رضوانه فنقول: لا ریب فی أنّ الهدایه منه تعالی إلی معارفه، و لا تکون منه تعالی إلّا لمن تبع محمدا و آله علیهم السّلام فقط علما و عملا و توسلا، قال الله تعالی: إِنَّکَ لاٰ تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ (۱).

۱- ۱) القصص:۵۶.

و فی الکافی بإسناده، عن سلیمان بن خالد، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قال: إنّ الله عز و جل إذا أراد بعبد خیرا نکت فی قلبه نکته من نور، و فتح مسامع قلبه، و وکّل به ملکا یسدده، و إذا أراد بعبد سوءا نکت فی قلبه نکته سوداء، و سدّ مسامع قلبه، و وکّل به شیطانا یضله ثم تلا هذه الآیه: فَمَنْ یُرِدِ اَللّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی اَلسَّماءِ (۱).

و فی الدعاء عن السجاد علیه السّلام:

«سبحانک ما أضیق الطرق علی من لم تکن دلیله! و ما أوضح الحقّ عند من هدیته سبیله!» .

[فی بیان فائده الجد فی تحصیل المعرفه]

ثم: لا تتوهم أنّه إذا کان لا یمکن العمل الصالح إلّا لمن هداه الله فما فائده الجد فی تحصیل المعرفه بل هو أمر منه تعالی لا دخل للعمل فیه، بل ورد أنّه لا صنع لأحد فی معرفه الله، و حینئذ فکیف التوفیق بینه و بین ما دلّ علی الحث علی الأعمال الصالحه و تأکیدها، و تحصیل معارفه تعالی، و ذلک لأنّ الآیات الأخر فسّرت خبر سلیمان المتقدم و ما فیه من الآیه کقوله تعالی: وَ ما یُضِلُّ بِهِ إِلاَّ اَلْفاسِقِینَ (۲)و قوله: وَ اَللّهُ لا یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلظّالِمِینَ (۳)أو وَ اَللّهُ لا یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلْفاسِقِینَ (۴)فدلّت علی أنّ الإضلال منه تعالی لا یکون إلّا لمن کان فاسقا بسوء اختیاره، فالإضلال منه تعالی فی رتبه متأخره عن فسقه بسبب طغیانه عما هداه الله إلیه. فعلم أنّه تعالی أولا قد هداه بإرسال الرسل و إنزال الکتب، ثم هو صار فاسقا فأضلّه الله، و أما ما یأتی من إنه لا صنع لأحد فی المعرفه فهو صحیح، و لکنه لا ینافی ما قلنا، ضروره أن الکلام فی أنّ الهدایه إلی معارفه لا تکون إلّا من الله، و هی أمر یمنحه الله لمن عمل علی طبق الشرع، فهذا لا ینافی تأکید العمل علی طبق الوظائف،

ص: ۲۸۹

۱- ۱) الأنعام:۱۲۵.

۲- ۲) البقره:۲۶.

۳- ۳) الجمعه:۵.

۴- ۴) التوبه:۸۰.

و كيف كان فالطريق منحصر فى متابعتهم:

ففى الكافى بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب، و لا أحد من الناس يقضى بقضاء الحقّ إلا ما خرج منا أهل البيت، و إذا تشعّبت بهم الأمور كان الخطأ منهم و الصواب من على عليه السّلام» و هذه الروايه و إن كان ذيلها ناظرا إلى تخطئه أهل الخلاف إلّا أن صدرها ينفى الحق و الصواب مطلقا من الأصول و المعارف و غيرهما عن كلّ أحد إلّا ما كان منهم.

و فيه بإسناده عن أبى حمزه قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنما يعبد هكذا ضلالا، قلت: جعلت فداك فما معرفه الله؟ قال: تصديق الله عز و جل و تصديق رسوله صلّى الله عليه و آله و موالاه على عليه السّلام و الائتمام به و بأئمه الهدى عليهم السّلام و البراءه إلى الله عز و جلّ من عدوّهم. فقوله: و الائتمام به و بأئمه الهدى عليهم السّلام ظاهر فى أنّ معرفته تعالى حاصله بهذا لا غير.

و فى الوافى نقلا عن التهذيب بإسناده عن حمّاد عن محمد، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال فى حديث طويل: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «الحمد لله الذى لم يخرجنى من الدنيا حتى بيّنت للأمّه ما تحتاج إليه»

و عنه صلّى الله عليه و آله: «أنا مدينه العلم و على بابها فمن أراد المدينه فليأتها من بابها» .

و فى الكافى بإسناده عن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن عليه السّلام لم سمى أمير المؤمنين؟ قال: «لأنه عليه السّلام يميرهم العلم، أ ما سمعت كتاب الله: وَ نَمِيرُ أَهْلَنا» .

و فى أخرى فى الكافى أيضا قال: لأنّ ميره (۱)المؤمنين من عنده يميرهم العلم. أقول: الميره هو الطعام، أى يطعمهم العلم. و يكفيك فى كونهم الواسطه إلى

۱- ۱) الميره: الطعام الذى يدخره الإنسان. جمع مير.

تحصیل المعارف لا غیرهم الجمل الوارده فی زیاره الجامعه الکبیره التی نحن بصدد شرحها، و ما فی الصلوات الوارده فی أعمال شعبان. و من المعلوم بالبداهه أنهم علیهم السّلام هم الوسائط الشرعیه و التکوینیه للوصول إلی معرفته تعالی. و الأخبار بها متضافره فی کتب الأصحاب (رضوان الله علیهم) کما لا یخفی علی المتتبع قلیلا و علیه فکیف یمکن للإنسان الرکون إلی غیرهم فهل فیه إلّا الضلال و الإضلال؟ !

[فی توهم اختصاص المعارف بهم علیهم السلام و لا یمکن لغیرهم الوصول إلیها و الجواب عنه]

و لعمری إنّ هذا واضح و سیأتی فی طی الکلمات الآتیه ما یدل علیه. هذا و لکن هناک شبهه و هی أنه ربما یتوهم اختصاص المعارف بهم علیهم السّلام و لا یمکن لغیرهم الوصول إلیها، و لکنها شبهه ما أوهنها! و محصّل الکلام فی الجواب عنها مضافا علی ما تقدم بأمرین: الأول: الأخبار الوارده فی هذا الموضوع و هی کثیره نذکرها فی باب کیفیه السیر إلی المعارف، و عند بیان المراد من معرفته تعالی فی محلّه إلّا أنّنا نذکر بعضها:

ففی التوحید بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «قلت له أخبرنی عن الله عز و جل هل یراه المؤمنون یوم القیامه؟ قال: نعم و قد رأوه قبل یوم القیامه فقلت: متی؟ قال: حین قال لهم: أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ ثم سکت ساعه ثم قال: و إنّ المؤمنین لیرونه فی الدنیا قبل یوم القیامه، أ لست تراه فی وقتک هذا؟ قال أبو بصیر: فقلت له: جعلت فداک فأحدّث بهذا عنک؟ فقال: لا فإنّک إذا حدّثت به فأنکره منکر جاهل بمعنی ما تقوله ثم قدّر أنّ ذلک تشبیه، کفر، و لیست الرؤیه بالقلب کالرؤیه بالعین، تعالی الله عما یصفه المشبّهون و الملحدون» (۱).

و فیه أیضا عن هشام فی حدیث الزندیق حین سأل الصادق علیه السّلام عن حدیث نزوله تعالی إلی سماء الدنیا «بأنه لیس کنزول جسم عن جسم إلی جسم، إلی أن

۱- ۱) التوحید ص ۱۱۷.

قال: و لكنه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناه و لا حركه فيكون كما فى السماء السابعه على العرش، كذلك فى سماء الدنيا إنما يكشف عن عظمته، و يرى أولياءه نفسه حيث شاء، و يكشف ما شاء من قدرته، و منظره بالقرب و البعد سواء» و قد تقدّم بعض الأخبار و سيأتى ما يدل على ما ذكرنا. و هاتان الروايتان دلّتا على إمكان حصول المعرفه به للمؤمن فى الدنيا، و سيجىء توضيح المراد من المعرفه به تعالى مع ما له من الكلام فى شرح

قوله عليه السّلام:

«السلام على محالّ معرفه الله» .

الثانى: إنه لا ريب فى أنّ عالم الدنيا إنما هو ظاهر للعالم المحيط به و هو باطنه، و هكذا إلى أن يصل إلى العالم الربوبى، و قد تحقق أيضا فى محلّه أنّ النسبه بين هذه النشأه و بين النشأه المحيطه بها هى نسبه العلّيه و المعلوليه و الكمال و النقص فى سلسله الخلق التى مجموعها مخلوق له تعالى. فالعالم المادى معلول لعالم الباطن فهو ظاهر له، و نسبته إليه نسبه الظاهر مع الباطن، و من الثابت فى محلّه أيضا أنّ الظاهر من أطوار وجود الباطن، و مرتبه من مراتبه قد تجلّى فيه، و له كمال الربط بالنسبه إليه، و على هذا فشهود الظاهر لا يخلو من شهود الباطن من وجه، فالباطن مشهود أيضا فى الظاهر غايه الأمر بالآثار و بلباس الظاهر، بحيث لو رفع هذا اللباس لا- نجلى الباطن بنفسه من دون ستره عليه. نعم: لكلّ من الباطن و الظاهر عين تخصّه بالنظر بها إليه فلا يمكن مشاهده الباطن بعين قد أعدّت لمشاهده الظاهر، كيف و الظاهر هو الدانى و الباطن هو العالى؟ فبما يلاحظ به الدانى لا يناسب أن يلاحظ به العالى لاختلاف الرتبه و إلّا لتساوت و المفروض خلافه، بل لا بد من تحصيل عين بها مشاهده الباطن

قال عليه السّلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» لأنه عليه السّلام كان يرى الباطن بعين تخصّه لا بعين الظاهر، و لا تكون مشاهده الباطن إلّا برفع اليد عن الظاهر و إزالته.

ضروره أنّ الظاهر هو حدّ للباطن و مرتبه نازله له، فالباطن بهذا الحدّ صار متباذلا عن سعه وجوده و صار ظاهرا محدودا، فالحد لمكان أنّه عرضى ممكن الإزاله و الزوال بالإعراض عنه، نعم إزاله الحد ليس كإزاله ظاهر بعض الأجسام عن بعض، بل إنما هى بما بيّنه الشارع حيث إنه هو الذى جعل الظاهر حدّا للباطن، فلا محاله يعلم بكيفيه إزاله هذا الحد، و حاصل ما بيّنه الشارع يرجع إلى تفصيل نذكره فيما بعد. و أما إجماله و هو عباره عن نسيان الظاهر و عدم عقد القلب عليه، فهو و إن كان ببدنه فى عالم الظاهر إلّا أنّه بروحه ناس عنه و متوجّه إلى الباطن على حسب حاله، و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقه بالملإ الأعلى»

و عن الصادق عليه السّلام قال: «إنّ القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو»

و قال عليه السّلام: «طوبى لمن جعل بصره فى قلبه، و لم يجعل بصره فى عينه» . ضروره أنّ البصر فى العين لا يرى إلّا الظاهر، و أما لو نسى الظاهر فلم يلتفت إليه التفات المحبوبيه و جعل بصره فى قلبه فلا محاله يرى الباطن على حسب حاله. و الحاصل: أنّ إزاله الحدّ إنما هو بالأعمال الصالحه و تهذيب النفس عن الأوصاف الرذيله، و مراقبه المولى جلّ شأنه، و المجاهده بين يدى مرضاته. و بعباره أخرى: إنّ النفس قد جعلها الله بنحو يترسّخ فيها ما تعلّقت به فهى بأىّ شىء تعلقت انقلبت إليه ملكه و تتصف به حقيقه، فالنفس إذا تعلّقت بالبدن و بشئونه و ما تحتاج إليه من زخارف الدنيا و عناوينها، فلا محاله تغفل عما سوى البدن من ساير العوالم العلويه، و تتحد مع البدن بحيث تنمو و تتخلق بما فيه، و تبرز فيه خصوصياته و آثار القوى الحيوانيه إلى أن يشتبه على النفس نفسها فتظن أنها هى البدن و أنه لا شىء سوى البدن، و ما يلائمه من مشتهياته لا غير. و إليه يشير قوله تعالى: وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اَللّٰهَ فَأَنْسٰاهُمْ أَنْفُسَهُمْ (۱)

۱- ۱) الحشر:۱۹.

ضروره أنه بعد ما نسى الحقّ و غفل عنه و اشتغل بملاذّ (۱)النفس فقد نسى النفس، و ما أريد منها فى عالم الاختيار أيضا، و حينئذ لو سمع شيئا من المعارف يراه خارجا عن نفسه و منفصلا عنها إذ نفسه لا تدرك حينئذ إلّا الماديات، فالمعارف عندها خارجه عن حيطه دركها و لذا ربما تنكر ما سوى الماده بأشدّ النكر كما هو دأب الطبيعيّين. و كيف كان: فلمكان رسوخها فى الماده قد نسيت حقيقتها الأصليّه و مرتبتها العليا على هذه النشأه من عالم المثال، فضلا عما هو فوقه من ساير العوالم أو المعارف الإلهيه، و لذا ترى أنّك لو تكلّمت معه بشيء من المعارف تجده كالحيوان لا يدرك منها شيئا، و أما إذا نسى الحدّ و الماديات، و تعلّق قلبه بالتوجه إليه تعالى، فلا محاله يكشف عنده المثال، فإن نسى حدوده انكشف عنده عالم العقل المحيط به، و إن نسى حدوده انكشفت له الحقائق، و سيأتى بيانها، و حينئذ أيضا تنكشف له حقيقه نفسه التى نسيها المتوغل فى الماده، و هى محفوظه فى جميع العوالم المعبر عنها فيها بقوله: أنا. فتحقق بهذا البيان العلمى إمكان الوصول إلى المعارف لكلّ أحد، و إمكان مشاهدته باطنه الخفيّ من مراتبه، و موجودات عوالمه، و الأسرار الكامنه فيه، كلّ ذلك بالعمل الصالح و التوجه الدائم إليه تعالى. و هنا بيان آخر مجمل لإمكان الوصول إلى المعارف، و حاصله أنّ النفس بما لها من الصفات و الجنود حجب ظلمانيه للروح،

قال عليه السّلام: «ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانيا»

و فى الحديث: «إنّ بين الله و بين خلقه سبعين ألف حجاب من نور و ظلمه»

و عن الصادق عليه السّلام كما فى مصباح الشريعه: «لا حجاب أظلم و أوحش بين الله و بين خلقه من النفس و الهوى» . فيعلم أنّ الروح قد سترت عنه المعارف لمكان هذه الصفات النفسيه، و كيفيه حجابها له مدرك بالوجدان فى الجمله لكلّ أحد، ضروره أنّ الإنسان إذا اشتدّ

۱- ۱) ملذّ: موضع اللّذه جمع ملاذّ.

غضبه یری نفسه خالیا عن العقل فلا یری إلّا ما یأمره الغضب من الانتقام، و کذا الشهوه إذا تحرّکت ذهب ثلثا العقل، فتری أنه یصدر منهما ما لا یصدر ممّن لا غضب له و لا شهوه. و هما أی النفس و العقل أیضا إذا ذهب الغضب و الشهوه یدرکان غفلتهما، و أنهما کانا محجوبین حینهما، و لذا یندمان علی ما صدر منهما حالهما. فالإنسان بمعونه العقل و جنوده الذی هو الحجه الباطنه منه تعالی یمکنه التخلص من صفات النفس، فإذا تخلص من الجهل و جنوده و من علائق الدنیا تکون روحه فی کمال الصفاء فیمکنه مشاهده ما وراء عالم الطبیعه. و الحاصل: أنّ الجاهل کما أنه لا ینکشف لدیه کثیر من العلوم لجهله، و کذلک الأسیر لنفسه و إن کان عالما، لا ینکشف لدیه کثیر من المعارف لمکان صفات نفسه، و أما إذا أحیا عقله و أمات نفسه، فینکشف لدیه الواقع،

قال علیه السّلام: «قد أحیا عقله و أمات نفسه حتی دقّ جلیله و لطف غلیظه، فبرق له لامع کثیر البرق فأبان له الطریق و سلک به السبیل» الخطبه، و قد تقدم لهذا مزید بیان.

[فی بیان عدم إمکان السیر الروحی و المشی علی الطریقه المحمدیه إلا بالتوسل بهم و الاستمداد منهم]

ثم إنه کما علمت من بعض الأخبار السابقه أنّ العلم الصحیح لا یکون إلّا ما خرج منهم علیهم السّلام کیف لا و هم معدن العلم و أهل بیت الوحی؟ فاعلم أیضا أنّ السیر الروحی و المشی علی الطریقه المحمدیه روحا لا یکون إلّا بالتوسل بهم و الاستمداد منهم روحا. و توضیحه بعد بیان الآیات و الأخبار فی فنقول: قال الله تعالی: یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّهَ وَ اِبْتَغُوا إِلَیْهِ اَلْوَسِیلَهَ

و فی تفسیر الصافی و القمی قال: «تقرّبوا إلیه بالإمام علیه السّلام»

و فی زیاره الجامعه:

«و من قصده توجه بکم»

و سیأتی شرحه.

و فی العیون عن النبیّ صلّی الله علیه و آله: الأئمه من ولد الحسین علیه السّلام من أطاعهم فقد أطاع الله، و من عصاهم فقد عصی الله، هم العروه الوثقی و الوسیله إلی الله.

و فی السفینه نقلا عن البحار قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی وصیته لکمیل: یا کمیل قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قولا أعلنه و المهاجرون و الأنصار متوافرون یوما بعد العصر یوم النصف من شهر رمضان قائم علی قدمیه من فوق منبره: «علی منّی و ابنای منه و الطیّبون منّی و منهم و هم الطیبون بعد أمّهم، و هم سفینه نوح من رکبها نجا و من تخلّف فیها هوی، الناجی فی الجنه و الهاوی فی لظی» .

و فیه أیضا روی الشیخ الشهید رحمه اللّه فی إجازاته إلی أن قال: عن داود بن سلیمان العازی، عن الإمام المرتضی أبی الحسن علی بن موسی الرضا علیه السّلام عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: «مثل أهل بیتی کمثل سفینه نوح من رکبها نجا، و من تخلّف عنها زجّ فی النار» .

و فی النهج: من خطبه له علیه السّلام یذکر فیها آل محمد علیهم السّلام: «هم عیش العلم، و موت الجهل، یخبرکم حلمهم عن علمهم، و ظاهرهم عن باطنهم، و صمتهم عن حکم منطقهم، لا یخالفون الحقّ و لا یختلفون فیه، هم دعائم الإسلام، و ولائج الاعتصام، بهم عاد الحقّ إلی نصابه، و انزاح الباطل عن مقامه، و انقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدین عقل وعایه و رعایه، لا عقل سماع و روایه، فإنّ رواه العلم کثیر، و رعاته قلیل» (1).

و فی الصلوات علیهم:

«اللهم صل علی محمد و آل محمد، الفلک الجاریه فی اللجج الغامره، یأمن من رکبها، و یغرق من ترکها، المتقدم لهم مارق، و المتأخر عنهم زاهق، و اللازم لهم لاحق» .

و فی الکافی، باب أوصاف الإمام حدیث طویل منه قوله علیه السّلام: «و الحارّ لمن یصطلی به» و یکفیک فی هذا الأمر الجمل الوارده فی زیاره الجامعه الکبیره و سیأتی شرحها، بل الأخبار المعتبره کثیره جدّا، و قد دلّت علی أنّ المعارف الإلهیه عندهم بل هی هم و لیس عند غیرهم منها شیء إلاّ ما خرج منهم، و إنّ السیر هو ما کان

۱- ۱) نهج البلاغه الخطبه ۲۳۹.

بهم لا غير. إذا علمت هذا فاعلم: أن الله تعالى قبل أن يخلق الخلق أجمع، كان و لم يكن معه شىء، ثم إنّ أول ما خلق هو نور محمد و آل محمد عليهم السّلام فهم أول المخلوقين و أقربهم إليه تعالى، فلا محاله هم العارفون الكاملون بمعارفه تعالى، فالمعارف و الخلق يدور مدار وجودهم،

ففى الزياره:

«بكم فتح الله و بكم يختم»

و سيأتى بيانه،

و فى الخبر: «أوّل ما خلق الله الحجّه و آخر من يموت الحجه» فالأمر بيدهم و هم العارفون بحقيقه الأمر، و كيفيه السير إليه تعالى، فحينئذ لا يكون الطريق إلاّ بما بيّنوا، فلا بدّ من الاقتصار و الأخذ بما قالوا لا غير. و أما معنى السير الروحى معهم فحاصله: أنّ المعارف مما علمت أنها ترجع إلى أرواحهم المطهّره، فلا محاله هم الآيات الإلهيه و الأسماء الحسنى، و مظاهر صفات الجلال و الجمال، و من المعلوم أنهم الوسائط التكوينيه لتكميل البشر، و معنى ذلك أنهم بروحهم متصرفون فى الأرواح، فالفيض منه تعالى يشمل الأرواح الضعيفه بواسطتهم فلا بدّ من الاستمداد منهم فى السير إلى المعارف بنحو دلّ عليه

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجه بكم» . فالتوجه بهم سبب لقصده تعالى، و هذا أمر دقيق لا يفهمه الذهن المشوب، بل ربما يتوهم منه الشرك و لكنه عين الإيمان، و سيأتى تفصيله فى شرحه فى الزياره، و لكن إجماله هو أنّ الروح قاصد إليه تعالى لا غير لكنه لضعفه يتوجه بهم، أى ينظر إليه تعالى بالنظر إليهم، فهم وجه الله كما فى الخبر، و هم عين صفاته الجلاليه و الجماليه. و من المعلوم: أنّ النظر إلى الموصوف فإنما هو بالنظر عن طريق صفاته، بل هم الطريق الواسع إليه تعالى كما يشير إليه

قوله عليه السّلام فى الدعاء: «و طريقا إليك مهيعا» أى اجعل النبى صلّى الله عليه و آله لى طريقا مبسوطا إليك. فالمنظور هو الله تعالى و ما به النظر هو أرواحهم الطاهره، و ليس هذا غلوا فى

حقّهم، بل لهم مقامات منيعه لا يسع بيانها فى هذا المختصر،

و فى الخبر: «نزّلونا عن الربوبيه و قولوا فى حقّنا ما شئتم» و سيأتى توضيحه أزيد من ذلك، فلا بدّ للسالك حينئذ من التوسل بهم فى جميع حالاته، فإنهم هم الأدلاء إليه تعالى تشريعا و تكوينا. و لعمرى إنّ هذا واضح للتابع لهم عليهم السّلام كما لا يخفى.

[فى بيان مراتب الإيمان فى الجمله]

ثم إنه سيجىء بيان حقيقه الإيمان و ما له من المراتب و الشئون فى شرح

قوله عليه السّلام

«و أبواب الإيمان»

و نذكر هنا فى الجمله بيان مراتب الإيمان و كيفيه تحققها فى نفس الأمر فنذكر أولا الأخبار الوارده فى هذا الأمر بما لها من العناوين المختلفه، ثم نردفه بما يحتاج إلى الكلام، فنقول و عليه التوكل: لا ريب فى أنّ أول مراتب الاعتقاد بعد الإقرار بالتوحيد هو الإقرار بالرساله، الذى به يصير المقرّ مسلما و هو أعم من الإيمان.

ففى الوافى عن الكافى بإسناده عن سماعه قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: أخبرنى عن الإسلام و الإيمان أ هما مختلفان؟ فقال: «إنّ الإيمان يشارك الإسلام و الإسلام لا يشارك الإيمان» فقلت: فصفهما لى، فقال: «الإسلام شهاده أن لا إله إلّا الله، و التصديق برسول الله، به حقنت الدماء، و عليه جرت المناكح و المواريث، و على ظاهره جماعه الناس، و الإيمان الهدى و ما يثبت فى القلوب من صفه الإسلام، و ما ظهر من العمل به، و الإيمان أرفع من الإسلام بدرجه، إنّ الإيمان يشارك الإسلام فى الظاهر، و الإسلام لا يشارك الإيمان فى الباطن و إن اجتمعا فى القول و الصفه» . ففى هذه الروايه جعل الفرق بينهما بأنّ الإسلام هو الإقرار اللسانى، و الإيمان هو الإقرار القلبى، فهما و إن اشتركا ظاهرا إلّا أنّ الإسلام يفارق الإيمان، لاختصاص الإسلام بالظاهر و هو بالباطن.

و فيه بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «الإيمان يشارك الإسلام و الإسلام لا يشارك الإيمان» .

و فيه بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «إنّ

الإیمـان یشـارک الإسـلام و لاـ یشارکه الإسـلام، إنّ الإیمان ما وقر فی القلوب، و الإسـلام ما علیه المناکـح و المواریث و حقن الدماء، و الإیمان یشارک الإسلام و الإسلام لا یشارک الإیمان» .

و فیه عن محمـد عن أحـدهما علیهمـا السّـلام قـال: الإیمـان إقرار و عمـل و الإسـلام إقرار بلاـ عمـل. و هـاتـان الروایتـان بیّنتا أنّ الموجب لثبوت صفه الإسلام فی القلب لیصیر مؤمنا هو العمل لا غیر.

و یدل علیه ما فیه أیضا بإسناده عن جمیل بن درّاج قال: سألت أبا عبد الله علیه السّـلام عن الإیمان فقال: «شهاده أن لا إله إلّا الله و أنّ محمـدا رسول الله» قـال: قلت: أ لیس هـذا عملاـ؟ قـال: بلی، قلت: فالعمـل من الإیمـان؟ قال: لا یثبت له الإیمان إلّا بالعمل. أقول: المجرور فی له للمؤمن المدلول علیه بالإیمان، فثبت أنّ العمل علی طبق الوظائف هو الموجب لتحقق الإیمان. فإن قلت: لو کـان العمل موجبا للإیمان، فالجماعه أیضا مؤمنون، لکونهم عاملین، و لا أقل من الشـهادتین فإنهما أیضا من العمل کما دلّ خبر جمیل بن دراج. قلت: المستفاد من الأخبار فی هذا الباب هو: أنّ قوام الإیمان بالتصدیق القلبی، کما دلّ ما

فی خبر فضیل بن یسـار من قوله علیه السّـلام: «إن الإیمـان ما وقّر (1)فی القلوب، فلو کان مصـدّقا لواقع الإسـلام قلبا فهو القلب المؤمن» .

و یدل علیه ما فیه أیضا بإسناده عن جمیل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله علیه السّـلام عن قول الله تعالی: قٰالَتِ اَلْأَعْرٰابُ آمَنّٰا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنٰا وَ لَمّٰا یَدْخُلِ اَلْإِیمٰانُ فِی قُلُوبِکُمْ فقـال لی: أ لاـ تری أنّ الإیمـان غیر الإسـلام، فصـریح قوله علیه السّلام تفسیر للآیه المبارکه هو: أنّ الإیمان ما دخل فی القلب و الإسلام ما کان بمجرد اللسان کما هو صریح الآیه المبارکه.

۱- ۱) وقر الدابه: سکّنها.

و علیه فمجرّد العمل لا یوجب تحقق الإیمان فی القلب، و لو بمثل الشهادتین، بل العمل الذی یکون عن تصدیق قلبی هو الذی محقق للإیمان أزید مما کان قبلا، ضروره أنّ الایمان کما سیجیء له مراتب و یدل علیه

خبر جمیل بن درّاج من قوله علیه السّلام قلت: أ لیس هذا عمل؟ قال: بلی. توضیحه: إنّ السؤال فیه إنّما عن الإیمان وحده، فتفسیره علیه السّلام بالشهادتین أوهم فی ذهن جمیل بن دراج أن یکون مجرّد الإقرار اللسانی إیمانا،

و لذا سئل عنه علیه السّلام قال: قلت: أ لیس هذا عملا؟ فصدّقه علیه السّلام بقوله: بلی، ثم قال: قلت: فالعمل من الإیمان، یعنی أن هذا العمل أعنی الشهادتین من الإیمان فیکفی فی تحققه مجرد الإقرار اللسانی، فأجاب عنه بقوله علیه السّلام: لا یثبت له الإیمان إلّا بالعمل، أی أن هذا الإیمان أعنی الإقرار بهما لا یثبت له، أی لا یکون مصداقا للإیمان بمجرّده إلّا إذا کان مع العمل بالوظائف الناشئ عن التصدیق القلبی. فتحصّل منه أن کون الإقرار بهما إیمانا لیس علی إطلاقه، بل لو کان عن بصیره القلب الموجبه للعمل الصالح، و إلّا فالعمل بدون البصیره لا یفید إلّا بعدا.

ففی الکافی بإسناده عن طلحه بن زید قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: «العامل علی غیر بصیره کالسایر علی غیر الطریق لا تزیده سرعه السیر إلّا بعدا» و لا بصیره أوجب لتقبّل الأعمال و أثرها فی القلب مثل القول بولایه أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام کما سیجیء قریبا، فمجرد القول بالإقرار لیس إلّا الإسلام کما هو ظاهر غیرها من الأخبار. و الحاصل: أنّ الإیمان صفه للقلب و بالعمل تزید مراتبه، و أصله نور أثره ما ذکره الله تعالی فی قوله: إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اَللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیاتُهُ زادَتْهُمْ إِیماناً وَ عَلیٰ رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ. اَلَّذِینَ یُقِیمُونَ اَلصَّلاٰهَ وَ مِمّٰا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ. أُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَهٌ وَ رِزْقٌ

كَرِيمٌ

(۱)

. فهذه الآيه المباركه بيّنت الإيمان بالآثار، ضروره أن الذى دخل فى قلبه نور الإيمان هو الذى يوجل قلبه بذكر الله، و إذا سمع من آيات ربه أحسّ حقيقتها بنور إيمانه فلا محاله يزداد إيمانه منها، فإذا زاد إيمانه فهو منقطع عن الخلق إلى الحقّ فلا محاله يتوكل على ربه، هذا بحسب القلب. و أمّا بحسب الأعمال فهم اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاٰةَ الآيه، على أنّه سيأتى أنّ العمل الصحيح و ما كان به الإيمان القلبى هو الإقرار بولايه الأئمه عليهم السّلام فانتظر.

الفصل الثانى: معنى الولايه و أقسامها:

[بحث فى تحقيق معنى الولايه]

أما لغه: ففى المجمع: قوله تعالى: هُنالِكَ اَلْوَلاٰيَهُ لِلّٰهِ هى بالفتح: الربوبيه. . إلخ، و الولايه أيضا: النصره، و بالكسر: الإماره، مصدر وليت، و يقال: هما لغتان بمعنى الدوله و فى النهايه هى بالفتح: المحبه، و بالكسر: التوليه و السلطان. . إلى أن قال: و الولىّ: الوالى، و كلّ من ولى أمر أحد فهو وليّه، و الولىّ هو الذى له النصره و المعونه، و الولىّ الذى يدبر الأمر، يقال: «فلان ولى المرأه» إذا كان يدبر أمر نكاحها. و ولىّ الدم: من كان إليه المطالبه بالقود. و السلطان ولىّ أمر الرعيه. و منه قول: كميت فى حقّ على بن أبى طالب عليه السّلام: و نعم ولىّ الأمر بعد وليّه و منتجع التقوى و نعم المقرّب قوله تعالى: اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ

روى عن الباقر عليه السّلام: أنها نزلت فى الإمره يعنى الإماره، أى هو صلّى الله عليه و آله أحقّ بهم من أنفسهم، حتى لو احتاج إلى مملوك لأحد هو محتاج إليه جاز أخذه منه.

ص: ۳۰۱

۱- ۱) الأنفال:۲-۴.

و منه الحديث: «النبى أولى بكلّ مؤمن من نفسه، و كذا على من بعده» . . إلى أن قال: و التوليه تكون إقبالا، و منها قوله تعالى: وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهٰا ، أى مستقبلها. و تكون انصرافا، و منه قوله تعالى: يُوَلُّوكُمُ اَلْأَدْبٰارَ . و تكون بمعنى التولى يقول: وليت و توليت. و التولى يكون بمعنى الإعراض و بمعنى الاتباع، قال تعالى: وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ، أى إن تعرضوا عن الإسلام. و قوله تعالى: وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ، أى و من يتبعهم و ينصرهم. . إلى أن قال: قوله: وَ إِنِّي خِفْتُ اَلْمَوٰالِيَ ، هم العمومه و بنو العم. . و قوله تعالى: لَبِئْسَ اَلْمَوْلىٰ وَ لَبِئْسَ اَلْعَشِيرُ ، أى لبئس الناصر و لبئس الصاحب. .

و فيه: «بنى الإسلام على خمس» منها: الولايه، الولايه بالفتح: محبه أهل البيت، و اتباعهم فى الدين، و امتثال أوامرهم و نواهيهم. . إلى أن قال: و أصل الكلمه (أى كلمه الولايه) من الولى و هو القرب، يقال: «تباعد بعد ولى» أى بعد قرب. و قال: و الولايه تشعر بالتدبير و القدره و الفعل، و ما لم يجتمع فيه ذلك لم يطلق عليه اسم الوالى. . و قال: و والى بين الشيئين: تابع. و استولى عليه الشىء: بلغ الغايه. قال: و فلان أولى بكذا أى أحرى به و أجدر، و يقال: هو الأولى و هم الأوالى و الأولون مثل الأعلى و الأعالى و الأعلون. . قال: و الولى ضدّ العدو. أقول: قال فى مقدمه تفسير البرهان فى معنى الولى: و جاء أيضا بمعنى المحب و الصديق و النصير و القريب و نحو ذلك، و لكن الأصل فيه الأول أى الإماره من الولايه بالكسر، و من معانيه: المالك و العبد و المعتق (بالكسر) و المعتق (بالفتح) و المنعم و المنعم عليه و الناصر و الصاحب و المحب و التابع و النزيل و الشريك و القريب أى من انتسب كابن العمّ و نحوه، و الجار و الحليف و الظهر، و بعضها أشهر من بعض. انتهى، و تقدم بعضها عن المجمع. أقول: هذا بعض معانيه لغه فهو من المشترك فلا بدّ فى حمله على أحد معانيه من

قرینه معینه، حالیه أو مقالیه کما لا یخفی، فحینئذ فی أی مورد ورد من الشرع فی الکتاب و السنه لا بد من حمله علی ما تساعده القرینه کما سیأتی فی محلّه إن شاء الله تعالی. فحینئذ نقول: الولایه قد تطلق علی غیر الأئمه علیهم السّلام من سایر الناس من أصناف الشیعه کما فی بعض الأحادیث من التعبیر: بأهل الولایه أو أهل ولایتنا، فحینئذ قد یراد منها معنی المحب أو التابع أو الناصر، أی أهل المحبه و النصره و المتابعه. و لکن الأغلب یطلق علیهم بمعنی أنهم أهل الولایه أی أهل الاعتقاد بإمامتهم و ولایتهم، التی تکون ثابته لهم منه تعالی کما لا یخفی علی أحد، و سیأتی الکلام فیه فیما بعد، و قد یطلق علیهم السّلام و هذه هی التی یقع الکلام فی تحقیق معناها فنقول:

أقسام الولایه:

اشاره

الولایه التی تطلق علیهم إنما هی بمعنی التولیه للأمور و التدبیر لها، و هی علی قسمین:

الأول: الولایه التشریعیه

بمعنی أن لهم الآمریه و الناهویه الشرعیه، فزمام أمر الشرع فی الأمر و النهی و السیاسه، و تدبیر أمور المسلمین من بیان الحکم و القضاوه، و إجراء الحدود و سوقهم إلی الحرب و أمثاله. و الحاصل: أن هذه کلّها أمرها بیدهم علیهم السّلام بعد النبی صلّی الله علیه و آله و هی بهذا المعنی ثابته لهم بکلّ ما دلّ علی إمامتهم و وصایتهم بعد النبیّ صلّی الله علیه و آله من الآیات و الأحادیث الوارده فی هذا الباب، و قد تقدم کثیر منها، و هذا مما لا ینکره أحد من الشیعه.

الثانی: الولایه التکوینیه

اشاره

و هذه هی المقصود بیانها و إثباتها لهم علیهم السّلام فی هذا الفصل بالآیات و الأحادیث فنقول و علیه التوکل.

ص: ۳۰۳

الولایه التکوینیه:

[فی بیان معنی الولایه التکوینیه و النبوه]

إنه لا بدّ أولا من بیان معنی الولایه التکوینیه و تعریفها ثم إثباتها بالآیات و الأحادیث الصحیحه، ثم الکلام فی بعض ما تتعلق بها فنقول: قال بعض الأعاظم من أهل المعرفه (۱): ثم إنّ هذه الولایه التی عرفت لجمیع أصناف المخلوقین من الجماد و النبات و الحیوان و الإنسان و الملائکه إنما هی ولایه الولی المطلق، التی کانت فی رسول الله صلّی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السّلام و خلفائهما الأحد عشر علیهم السّلام و هی کما قاله بعض المحققین: باطن النبوّه المطلقه، التی هی اطلاع النبی المخصوص بها علی استعداد جمیع الموجودات بحسب ذواتها و ماهیاتها، و إعطاء کلّ ذی حقّ حقّه الذی یطلبه بلسان استعداده من حیث الإنباء الذاتی و التعلیم الحقیقی الأزلی. و صاحب هذا المقام هو الموسوم بالخلیفه الأعظم، و قطب الأقطاب، و الإنسان الکبیر، و آدم الحقیقی المعبّر عنه بالقلم الأعلی و العقل الأول و الروح الأعظم، و إلیه الإشاره

بقوله صلّی الله علیه و آله: «أول ما خلق الله نوری، و کنت نبیّا و آدم بین الماء و الطین» و إلیه استند کلّ العلوم و الأعمال، و إلیه ینتهی جمیع المراتب و المقامات نبیّا کان أو ولیّا، رسولا کان أو وصیا، و مرجعه إلی فناء العبد فی الحقّ و بقائه به، و إلیه الإشاره

بقوله صلّی الله علیه و آله: «أنا و علی من نور واحد» .

و قوله صلّی الله علیه و آله: خلق الله روحی و روح علی بن أبی طالب قبل أن یخلق الخلق بألفی عام، و بعث علیّا مع کلّ نبیّ سرّا و معی جهرا،

یقول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «کنت ولیّا و آدم بین الماء و الطین»

و قوله: «أنا وجه الله و أنا جنب الله و أنا ید الله، و أنا القلم الأعلی، و أنا اللوح المحفوظ» إلی آخر ما قاله فی خطبه البیان. و هذا هو المراد

بقول الصادق علیه السّلام: «الصوره الإنسانیه هی أکبر حجج الله علی خلقه، و هو الکتاب الذی کتبه بیده، و هو یجمع صور العالمین، و هو النسخه

۱- ۱) هو المولی الحاج میرزا جواد آقا التبریزی الملکی فی کتاب أعمال السنه ۲۵۸.

المختصره من اللوح المحفوظ، و هو الجسر الممدود بين الجنه و النار، و قد كانت هذه الولايه فى النبىّ و الوصى و هما فاتحها و خاتمها» (۱)إلخ. و قال بعض الأعلام (۲): فحقيقه الولايه الرتق و الفتق فى المولى عليه بإمساكه عما عليه و جريه فيما له. و بعباره أخرى: استحقاق تربيه المملوك، لكونه أولى به من نفسه، فهو اسم له تعالى باعتبار أولويته بخلقه من أنفسهم، ثم إن هذه الولايه منشأها هو احتواء المولى للمولى (عليه-ظ) قادرا على الاستبداد به، الذى هو حقيقه الملك فهو الولايه الحقيقيه، و إما منشأها الخلافه من المولى الحقيقى، لكونه متعاليا عن مجانسه مخلوقاته و جليلا عن ملائمه كيفياتهم، فينصب الخليفه لتربيه المملوكين ما هو يستحقه منهم عليه، لحفظ علو شأنه و صون ضياع مماليكه عما له عليهم. مثلا من لوازم ولايته تعالى على العباد بذل مالهم، و وقف أنفسهم عليه تعالى، و تفديتهم أنفسهم و أولادهم فلمّا كان غنيا عن ذلك، و منزها عما هو من صفات المخلوقين، و كان عباده لا يظهر صدقهم و حقيقه عبوديتهم إلاّ بأمثال ذلك من لوازم العبوديه، فنصب الخليفه لمثل هذه اللوازم، لأن ترتّبها عليه و العباد ملتزمون بها فقال: إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكٰاةَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ فالرسول و المؤمنون إنما هم خلفاؤه تعالى فى الولايه لا شركاؤه تعالى أن يكون له ولى من الذل علوا كبيرا. أقول: فلعمرى لقد بيّن حقيقه الولايه التكوينيه و التشريعيه بالوجه العقلى، مع بيان اختصاص الولايه الحقيقيه له تعالى بنحو لا يتوهم فيه الغلو و الشرك كما لا يخفى و سيأتى توضيحه. و قال بعض العارفين (۳): اعلم: أنه لما اقتضى كلمه الإلهيه الجامعه لجميع

۱- ۱) فاتحاها و خاتماها.

۲- ۲) و هو العلاّمه المحقق السيد حسن الهمدانى فى رسالته فى شرح الأسماء الحسنى ۱۰۳.

۳- ۳) و هو صاحب كتاب هدايه المسترشد ص ۲۲۶.

الکمالات، المشتمله على الأسماء الحسنى و الصفات العليا بسط مملکه الإيجاد و الرحمه، و نشر لواء القدره و الحکمه بإظهار الممکنات، و إيجاد المکوّنات، و خلق الخلائق، و تسخير الأمور و تدبيرها، و کانت مباشره هذا الأمر من الذات القديمه الأحديه بغير واسطه بعيده جدّا. أقول: الأحسن أن يقال: و اقتضت الحکمه الأزليه عدم مباشره الأمور بذاته المقدسه، بل اقتضت الوساطه، کما أشير إليه فى بعض الأخبار، و ذلک لأن التعبير المذکور ربما يعطى عدم إمکان المباشره بلا واسطه، مع أنه لا ريب فى إمکان ذلک له تعالى بقدرته، نعم لا بالمباشره الحسيه بل بالقدر و الخلق لکلّ شىء حين لزومه بلا واسطه فتدبر تفهم، لبعد المناسبه بين عزه القدم و ذله الحدوث: فقضى سبحانه بتخليف نائب عنه فى التصرف و الولايه و الحفظ و الرعايه، فلا محاله له وجه إلى القدم يخلف عنه فى التصرف، و خلع عليه خلع جميع أسمائه و صفاته، و مکّنه فى مسند الخلافه بإلقاء مقادير الأمور إليه و إحاله الجمهور عليه. فالمقصود من وجود العالم أن يوجد الإنسان، الذى هو خليفه الله فى العالم، فالغرض من الأرکان حصول النباتات، و من النباتات حصول الحيوانات، و من الحيوان حصول الإنسان، و من الإنسان حصول الأرواح، و من الأرواح الناطقه حصول خليفه الله فى الأرض کما قال الله تعالى: إِنِّی جاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِيفَهً . فالنبىّ لا بد من أن يکون آخذا من الله، متعلما من لدنه، معطيا لعباده، هاديا لهم، فهو واسطه بين العالمين سمعا من جانب و لسانا إلى جانب، و هکذا حال سفراء الله إلى عباده و شفعاء يوم تناده، فلقلب النبى بابان مفتوحان: باب مفتوح إلى عالم الملکوت، و هو عالم اللوح المحفوظ، و منشأ الملائکه العلميه و العمليه. و باب مفتوح إلى القوى المدرکه، ليطلع على سوانح مهمات الخلق، فهذا النبى يجب أن يلزم الخلائق فى شرعه الطاعات و العبادات، ليسوقهم بالتعويد عن مقام الحيوانيه إلى مقام الملکيه، فإن الأنبياء رءوس القوافل.

ص :۳۰۶

و قـال فى الفرق بين النبوه و الولايه: اعلم: أن النبوه وضع الآداب الناموسيه، و الولايه كشف الحقائق الإلهيه، فإن ظهر من النبى تبيين الحقائق فهو بما هو ولى، فإن كلّ نبىّ ولى و لا عكس، فإن النبى كمرآه لها وجهان: وجه إلى الحقّ، و وجه إلى الخلق، فولايته من وجهه إلى الحقّ، و نبوته من وجهه إلى الخلق. و قيل: النبوه وضع الحجاب، و الولايه رفع الحجاب، لأن دفع الفساد أهم فى نظر النبى، و هو لا يتأتى إلّا بوضع الحجاب. أقول: فى هذا الذيل ما لا يخفى، و تقدم هذا الكلام و ما يقرب منه فى لزوم الخليفه الإلهى فى الرساله و فى الولايه فراجعه. و فى شرح الصحيفه السجاديه على منشيها آلاف الثناء و التحيه ما ملخصه: الولى فعيل: بمعنى المفعول، و هو من يتولى الله أمره كما قال تعالى: وَ هُوَ يَتَوَلَّى اَلصّالِحِينَ (1)و قيل: بمعنى الفاعل أى الذى يتولى عباده الله، و يوالى طاعته من غير تخلل معصيه، و كلا الوصفين شرط فى الولايه. و قال المتكلمون: الولى من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل، و بالأعمال الشرعيه، و التركيب يدل على القرب، فكأنه قريب منه تعالى لاستغراقه فى أنوار معرفته و جمال جلاله. و قيل فى بيانه: الولى من يتولى الله تعالى بذاته أمره، فلا تصرف له أصلا إذ لا وجود له و لا ذات و لا فعل و لا وصف، فهو الفانى بيد المفنى يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه و اسمه، و يمحق عينه و أثره، و يحييه بحياته و يبقيه ببقائه، هذا عام يشمل غير الأئمه عليهم السّلام. و قيل: الولى هو المطلع على الحقائق الإلهيه، و معرفه ذاته تعالى و صفاته و أفعاله كشفا و شهودا من الله خاصّه من غير واسطه ملك أو بشر. و قيل: هو من ثبتت له الولايه، التى توجب لصاحبها التصرف فى العالم

١- ١) الأعراف:١٩۶.

العنصری، و تـدبیره بإصـلاح فسـاده و إظهـار الکمالات فیه، لاختصـاص صاحبها بعنایه إلهیه توجب له قوه فی نفسه، لا یمنعها الاشـتغال بالبدن عن الاتصال بالعالم العلوی، و اکتساب العلم الغیبی منه فی حال الصـحه و الیقظه، بل تجمع بین الأمرین لما فیها من القوه التی تسع الجـانبین، و الولایه بهـذا المعنی مرادفه للإمامه عنـد الإمامیه. و فی الکلمات المکنونه للمولی العارف الکامل الفیض الکاشـانی (رضوان الله تعـالی علیه) کلمه فیها إشاره إلی النبوه و الولایه: الإنسان الکامل إما نبیّ أو ولیّ، و لکلّ من النبوه و الولا ـیه اعتبـاران: اعتبار الإطلاق، و اعتبار التقییـد، أی العام و الخاص. فالنبوه المطلقه و هی النبوه الحقیقیه الحاصـله فی الأزل، الباقیه إلی الأبـد، و هو اطلاع النبی المخصوص لها علی استعداده من حیث إنه الإنباء الـذاتی و التعلیم الحقیقی الأزلی المسـمی بالربوبیه العظمی و السلطنه الکبری. و صاحب هذا المقام هو الموسوم بالخلیفه الأعظم، و قطب الأقطاب، و الإنسان الکبیر، و آدم الحقیقی المعبّر عنه بالقلم الأعلی، و العقل الأول، و الروح الأعظم، و إلیه الإشاره

بقوله صلّی الله علیه و آله: أول مـا خلق الله نوری، و کنت نبیـا و آدم بین المـاء و الطین و نحو ذلـک، و إلیه اسـتند کلّ العلوم و الأعمال، و إلیه ینتهی جمیع المراتب و المقامات نبیا کان أو ولیا، رسولا کان أو وصـیا. و باطن هذه النبوه هی الولایه المطلقه، و هی عباره عن حصول مجموع هـذه الکمالات بحسب الباطن فی الأزل و بقائها إلی الأبد، و یرجع إلی فناء العبد فی الحق و بقائه به، و إلیه الإشاره

بقوله: أنا و علی من نور واحـد، و خلق روحی و روح علی ابن أبی طالب قبل أن یخلق الخلق بألفی عام، و بعث علیا مع کل نبی سرّا و معی جهرا،

و بقول أمیر المؤمنین علیه السّـلام: کنت ولیّـا و آدم بین المـاء و الطین إلی غیر ذلـک. و النبوه المقیـده هی الإخبـار عن الحقائق الإلهیه أی معرفه ذات الحق و أسمائه

و صفاته و أحكامه، فإن ضمّ مع تبليغ الأحكام و التأديب بالأخلاق و التعليم، و بالحكمه و القيام بالسياسه، فهی النبوه التشريعيه و تختص بالرساله، و قس عليها الولايه المقيده. فكلّ من النبوه و الولايه من حيث هی صفه إلهيه مطلقه، و من حيث استنادها إلی الأنبياء و الأولياء مقيده، و المقيد متقوم بالمطلق، و المطلق ظاهر فی المقيد فنبوه الأنبياء كلّهم جزئيات النبوه المطلقه، و كذلك ولايه الأولياء جزئيات الولايه المطلقه، و لكلّ من الأقسام الأربعه ختم، أی مرتبه ليست فوقها مرتبه أخری، و مقام لا نبی علی ذلك المقام و لا ولی سوی الشخص المخصوص به، بل الكلّ يكون راجعا إليه و إن تأخر وجود طينه صاحبه فإنه بحقيقته موجود قبله. و خاتم النبوه المطلقه نبينا صلّی الله عليه و آله و خاتم الولايه المطلقه أمير المؤمنين علی بن أبی طالب عليه السّلام و النبوه المقيده إنما كملت و بلغت غايتها بالتدريج، فأصلها تمهد بآدم عليه السّلام و لم تزل تنمو و تكمل حتی بلغ كمالها إلی نبينا صلّی الله عليه و آله و لهذا كان خاتم النبيين، و إليه الإشاره

بما روی عنه صلّی الله عليه و آله: مثل النبوه مثل دار معموره لم يبق فيها إلاّ موضع لبنه، و كنت أنا تلك اللبنه، أو لفظ هذا معناه. و كذلك الولايه المقيده إنما تدرجت إلی الكمال حتی بلغت غايتها إلی المهدی الموعود ظهوره، الذی هو صاحب الأمر فی هذا العصر، و بقيه الله اليوم فی بلاده و عباده (صلوات الله و سلامه عليه و علی آبائه المعصومين) . و قال بعضهم (۱): الولايه هی قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، و عند ذلك يتولی الحق إياه حتی يبلغه مقام القرب و التمكين، و شرحه بعضهم بقوله: الولايه مأخوذه من الولی و هو القرب و لذا يسمی الحبيب وليّا، لكونه قريبا من محبّه. و فی الاصطلاح: هو القرب من الحقّ و هی عامه و خاصه، و العامه حاصله لكلّ نبیّ آمن بالله و عمل صالحا، و الخاصه هی الفناء فی الله ذاتا و صفه و فعلا، فالولی هو الفانی

۱- ۱) و هو الملا عبد الرزاق الكاشانی علی ما فی عقائد الإيمان.

فی الله القائم به الظاهر بأسمائه و صفاته. و عن السید نعمه الله الجزائری رحمه الله قال: الولایه بقاء العبد بالحق فی حال الفناء. و قیل: هی التخلق بأخلاق الله تعالی و الفناء بعد الفناء و صحو بعد المحو. و قال السبزواری فی شرحه علی الأسماء الحسنی ص ۹: الولی له معان کثیر منها: المتولی لأمور العالم المتصرف فیه، إلی أن قال: و هو بما هو ولی أتم و أکمل منه بما هو نبیّ، لأن ولایته جنبته الحقانیه و اشتغاله بالحق و نبوته وجهه الخلقی و توجیهه إلیهم. و لا شک فی أن الأولی أشرف لکونها أبدیه، بخلاف الثانیه فإنها منقطعه. فإذا سمعتم یقولون: الولایه أفضل من النبوه، فیعنون ذلک فی شخص واحد و هو: أن النبیّ من حیث هو ولی أفضل من حیث هو نبیّ لا الولی التابع. أقول: و بهذا یتم النزاع الواقع بینهم من أن النبی أفضل أو الولی، فقیل بالثانی، و استشکل علیه بأمور، فینحل بما ذکر من أنه أفضل فی شخص واحد بالبیان المذکور. نعم: ما ذکره وجها للأشرفیه من حیث إن النبوه منقطعه

لقوله صلّی الله علیه و آله «لا نبیّ بعدی» دون الولایه. و إن کان حسنا إلّا أنه لا ینحصر الوجه فیه، و له وجوه أخر تذکر فی محلها إن شاء الله تعالی. ثم إنهم ذکروا للأولیاء طبقات لا یهمنا التعرض لها، فمن أرادها فلیراجع الشرح المذکور صفحه ۲۰۴، و الله العالم بحقائق الأمور. أقول: هذا بعض التعاریف فی معنی النبوه و الولایه فی کلمات القوم، و هناک تعاریف متقاربه اللفظ و المعنی و حاصلها یرجع إلی ما ذکرنا بضرب من التأویل. ثم إن حقیقه الولایه أمر واحد لها ظهوران: ظهور فی التشریع و هو ما قلنا سابقا. ظهور فی التکوین. فما ذکرنا من التعاریف یشیر إلی تعریفها الحقیقی الوجدانی الجامع، و لکن

علمت من الأخبار السابقه الوارده فی أن حديثهم عليهم السّلام صعب مستصعب، أن تلك الأحاديث تشير إلى حقيقه ولايتهم التی منحها الله تعالى إياهم. و هی من غوامض معارفهم، فأصل حقيقتها لم يحتملها أحد بل هی أمر مخصوص بهم، و ربما منحوا بعض أوليائهم بعض شئونها كما علمت من حديثی أبی الصامت. إذن: فأصل الولايه لم تظهر حقيقتها لأحد. و أما ما سمعت من التعاريف لها فهی التی عرفها كلّ منهم على حسب دركه، و إلا فحقيقتها بعد مبهمه علينا، و الوجه فی ذلک عدم قابليتنا لدركها كما أشير إليه

فی حديث جابر المتقدم عن البصائر حيث قال عليه السّلام: «يا جابر ما سترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم» .

و فی حديث مفضل فی البصائر قوله عليه السّلام: «فأحسن الحديث حديثنا، لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحده، لأنه من حدّ شيئا فهو أكبر منه» و قد تقدم شرحه. و نظيره

قوله عليه السّلام فی حديث مرازم عن التوحيد من قوله عليه السّلام ثم قال: «لو أجبتک فيه لكفرت» أی لعدم إمكان الدرک فيوجب الكفر، كما لا يخفى. و لذا ترى الأئمه عليهم السّلام إنما بينوا ولايتهم المطلقه التكوينيه ببيان آثارها إما علما أو عملا: - أما الأول: فكالأحاديث الوارده فی بيان شئون ولايتهم بالسنه و هی مختلفه، التی منها الزياره الجامعه و التی نحن بصدد شرحها إن شاء الله تعالى. -و أما الثانی: فكالمعجزات التی صدرت عنهم، فإنها تحكی حقيقه ولايتهم التكوينيه و هی أكثر من أن تحصى، و قد ذكر كثيرا منها السيد السند السيد هاشم البحرانی (رضوان الله تعالى عليه) فی كتاب مدينه المعاجز فليراجع. بل و شأن القرآن الكريم أيضا هكذا، فإنه سبحانه يبين فيه غالبا ولايه أوليائه بأفعالهم الغريبه التی أقدرهم الله عليها، و نحن نذكر شطرا من كلّ منهما ليتضح الحال بأحسن المقال فی صوره المثال. فنقول:

أما الآيات الشريفه: [الداله على الولايه التكوينيه]

[منها قوله تعالى: و لو أن قرآناً سُيرت به الجبال. . . . .]

قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ اَلْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ اَلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ اَلْمَوْتىٰ بَلْ لِلّٰهِ اَلْأَمْرُ جَمِيعاً. . (۱).

عن تفسير على بن إبراهيم: قوله: و لو أن قرآنا إلخ الآيه قال: لو كان شىء من القرآن كذلك لكان هذا، أقول: يعنى لو كان شىء مما أقدره الله لعباده فيما أنزل عليهم من الوحى مما فيه هذه القدره، التى بها تسير الجبال و تقطع الأرض و يحيى الموتى لكان هو هذا القرآن المنزل عليه صلّى الله عليه و آله. و لا ريب أن هذه الآثار الثلاثه تنبئ عن أن المنزّل عليهم هذا القرآن، قد أمكنهم الله من هذه الأمور، بما أعطاهم من القدره، التى بها يتصرفون فى الموجودات، و هذه هى حقيقه الولايه التكوينيه الثابته لهم بنصّ هذا القرآن. و إليه يشير ما

عن أصول الكافى بإسناده عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبى الحسن الأول عليه السّلام «قال: قلت له: جعلت فداك، أخبرنى عن النبىّ ورث النبيين كلّهم قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيا إلاّ و محمد صلّى الله عليه و آله أعلم منه، قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله، قال: صدقت، و سليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يقدر على هذه المنازل؟ قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده و غضب عليه لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذٰاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ ، و إنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء فهذا و هو طائر قد أعطى ما لم يعط سليمان، و قد كانت الريح و النمل و الإنس و الجن و الشياطين المرده له طائعين، و لم يكن يعرف الماء تحت الهواء و كان الطير يعرفه، و إن الله يقول فى كتابه: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ اَلْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ اَلْأَرْضُ

۱- ۱) الرعد:۳۱.

أَوْ كُلِّمَ بِهِ اَلْمَوْتىٰ . و قد ورثنا نحن هذا القرآن الذى فيه ما تسيّر به الجبال، و تقطع به البلدان، و يحيى به الموتى، و نحن نعرف الماء تحت الهواء، و أن فى كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله بما كتبه الماضون جعله الله لنا فى أم الكتاب، إن الله يقول: وَ مٰا مِنْ غٰائِبَةٍ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْكِتٰابَ اَلَّذِينَ اِصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا فنحن الذين اصطفانا الله عز و جل و أورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كلّ شىء» . أقول: دلّ هذا الحديث على أنه تعالى أعطى أنبياءه و الأئمه عليهم السّلام قدره يتصرفون بها فى الأمور الغريبه، التى يعجز عنها غيرهم من إحياء الموتى كما لعيسى عليه السّلام و من تسيير الجبال و تقطيعها و تكليم الموتى و غيرها مما ستأتى الإشاره إليه. ثم بين عليه السّلام جامعا كليا فى هذا الأمر مما جعله الله لهم فى أمّ الكتاب. و استدل عليه بأن قوله تعالى: وَ مٰا مِنْ غٰائِبَةٍ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ يدل على أن أى أمر غائب عن الناس مما هو ثابت فى السماء أو الأرض يكون فى كتاب مبين. ثم بين أن قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْكِتٰابَ ، دل على أن الكتاب الذى ما من غائبه سماويه أو أرضيه إلّا و هى فيه، هو هذا الكتاب الذى أورثه الله تعالى إياهم،

فقوله عليه السّلام: فنحن الذين اصطفانا الله عز و جل، و أورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كلّ شىء، بيان لأن المراد من العباد فى الآيه المباركه هو النبى و الأئمه عليهم السّلام. ثم إن المراد من

قوله عليه السّلام: فيه تبيان كلّ شىء، اقتباسا من الآيه الشريفه لا يراد التبيان العلمى بل المراد الأعم منه، و من التبيان الشهودى و العلمى بأعمال القدره و ما أقدرهم الله عليه كما لا يخفى على الناقد البصير، و الله العالم و أولياؤه بكلامه.

[قوله تعالى: و إذ استسقى موسى لقومه. . . .]

و قوله تعالى: وَ إِذِ اِسْتَسْقىٰ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اِضْرِبْ بِعَصٰاكَ اَلْحَجَرَ

ص: ٣١٣

فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اِثْنَتٰا عَشْرَهَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلَّ أَناسٍ مَشْرَبَهُمْ

(۱)

.

ففى تفسير البرهان عن الإمام العسكرى . . إلى أن «قال عليه السّلام: ثم قال الله عز و جل: وَ إِذِ اِسْتَسْقىٰ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ قال: و اذكروا يا بنى إسرائيل إذ استسقى موسى لقومه، طلب لهم السقيا لما لحقهم العطش فى التيه، و ضجّوا بالبكاء، و قالوا: أهلكنا العطش يا موسى. فقال موسى: إلهى بحقّ محمد سيد الأنبياء، و بحقّ على سيد الأوصياء، و بحقّ فاطمه سيده النساء، و بحق الحسن سيد الأولياء، و بحقّ الحسين أفضل الشهداء، و بحقّ عترتهم و خلفائهم ساده الأزكياء لما سقيت عبادك هؤلاء، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى اضرب بعصاك الحجر، فضرب بها، فانفجرت منه اثنتا عشره عينا قد علم كلّ أناس مشربهم، كلّ قبيله من أولاد يعقوب مشربهم، فلا يزاحمهم الآخرون فى مشربهم» الحديث. فظاهر هذا الحديث و نحوه إعطاؤه تعالى هذه القدره لموسى عليه السّلام بظهور هذا المعجز منه بواسطه ضرب العصا، و حقيقته ترجع إلى أنه تعالى مكّنه من هذا الأمر المعجز بما منحه من الولايه التكوينيه، التى أثرها التصرف فى الموجودات و سيجىء قريبا توضيحه. و لعصا موسى معاجز أخرى، منها ما

فى تفسير نور الثقلين، عن تفسير العياشى، عن عاصم بن المصرى فى قضيه بعثه موسى إلى فرعون. . إلى أن قال: فمكث بذلك ما شاء الله يسأله أن يستأذن له، قال: فلما أكثر عليه (أى على الإذن) قال له: أ ما وجد ربّ العالمين من يرسله غيرك؟ قال: فغضب موسى عليه السّلام فضرب الباب بعصاه، فلم يبق بينه و بين فرعون باب إلّا انفتح حتى نظر إليه فرعون و هو فى مجلسه. الخبر.

و فيه عن أصول الكافى بإسناده إلى محمد بن الفيض، عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

۱- ۱) البقره:۶۰.

كانت عصا موسى لآدم عليه السّلام فصارت إلى شعيب عليه السّلام ثم صارت إلى موسى عليه السّلام و إنها لعندنا، و إن عهدى بها آنفا و هى خضر كهيئتها حين انتزعت من شجرتها، و إنها لتنطق إذا استنطقت، أعدت لقائمنا يصنع بها ما كان يصنع موسى، و إنها لتروّع و تلقف (۱)ما يأفكون و تصنع ما تؤمر به، إنها حيث أقبلت، تلقف ما يأفكون تفتح لها شفتان، إحداهما فى الأرض و الأخرى فى السقف و بينهما أربعون ذراعا تلقف ما يأفكون بلسانها.

و فى تفسير البرهان عند قوله تعالى: وَ قَطَّعْناهُمُ اِثْنَتَیْ عَشْرَةَ أَسْباطاً أى و أوحينا إلى موسى إذا استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر (۲)

محمد بن يعقوب بإسناده عن أبى سعد الخراسانى قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: إن القائم إذا قام بمكه و أراد أن يتوجه إلى الكوفه نادى مناديه: ألا لا يحمل أحد منكم طعاما و لا شرابا، و يحمل حجر موسى بن عمران و هو وقر بعير، فلا ينزل منزلا إلّا انبعثت عين منه، فمن كان جائعا شبع، و من كان ظامئا روى، فهو زادهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفه.

و فيه و عنه بإسناده عن أبى حمزه الثمالى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سمعته يقول: ألواح موسى عندنا و عصا موسى عندنا و نحن ورثه النبيين. فهذه الآيات تثبت هذا النحو من التصرف لأنبياء الله، و هذه الأحاديث دلّت على أنها للأئمه عليهم السّلام أيضا كما سيجىء بيان لهذا.

و منها: قوله تعالى: [قال الذى عنده علمٌ من الكتاب. . . .]

قالَ اَلَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اَلْکِتابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ

(۳)

.

ص: ۳۱۵

۱- ۱) لتروع أى تخوف، تلقف أى تلقم.

۲- ۲) الأعراف الآيه؟ ؟ ؟

۳- ۳) النمل:۴۰.

ففى تفسیر البرهان: السید الرضی فی الخصائص قال: روی أن أمیر المؤمنین علیه السّلام کان جالسا فی المسجد، إذ دخل علیه رجلان فاختصما إلیه، و کان أحدهما من الخوارج، فیوجه الحکم علی الخارجی، فحکم علیه أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال له الخارجی: و الله ما حکمت بالسویه، و لا عدلت فی القضیه، و ما قضیتک عند الله بمرضیه، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: إخسأ عدو الله فاستحال کلبا. فقال من حضره: فو الله لقد رأینا ثیابه تطایر عنه فی الهواء، فجعل یبصبص لأمیر المؤمنین علیه السّلام، و دمعت عیناه فی وجهه، و رأینا أمیر المؤمنین علیه السّلام و قد رقّ له، فلحظ السماء، و حرّک شفتیه بکلام لم نسمعه، فو الله لقد رأیناه و قد عاد إلی حال الإنسانیه، و تراجعت ثیابه من الهواء حتی سقطت علی کتفیه، فرأیناه و قد خرج من المسجد، و أن رجلیه لتضطربان، فبهتنا ننظر إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال لنا: ما لکم تنظرون و تعجبون؟ فقلنا: یا أمیر المؤمنین کیف لا نتعجب و قد صنعت ما صنعت؟ فقال: أ ما تعلمون أن آصف بن برخیا وصیّ سلیمان بن داود علیه السّلام قد صنع ما هو قریب من هذا الأمر، فقصّ الله جلّ اسمه قصته حیث یقول: . . أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِهٰا قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ. قٰالَ عِفْرِیتٌ مِنَ اَلْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقٰامِکَ وَ إِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ. قٰالَ اَلَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اَلْکِتٰابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمّٰا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قٰالَ هٰذٰا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِیَبْلُوَنِی أَ أَشْکُرُ أَمْ أَکْفُرُ الآیه، فأیّما أکرم علی الله نبیکم أم سلیمان علیه السّلام؟ فقالوا: بل نبینا أکرم یا أمیر المؤمنین. قال: فوصی نبیکم أکرم من وصی سلیمان علیه السّلام، و إنما کان عند وصی سلیمان من اسم الله الأعظم حرف واحد، سأل الله جلّ اسمه فخسف له الأرض، ما بینه و بین سریر بلقیس، فتناوله فی أقل من طرف العین، و عندنا من اسم الله الأعظم اثنان و سبعون حرفا، و حرف عند الله تعالی استأثر به دون خلقه، فقالوا: یا أمیر المؤمنین فإذا کان هذا عندک فما حاجتک إلی الأنصار فی قتال معاویه و غیره و استنصارک

(و استنفارک خ ل) الناس إلی حربه ثانیه؟ ! فقال: بل عباد مکرمون لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون، إنما أدعو هؤلاء القوم إلی قتاله لیثبت الحجه و کمال المحنه، و لو لا أذن فی إهلاکه لما تأخر، لکن الله تعالی یمتحن خلقه بما شاء، قالوا: فنهضنا من حوله و نحن نعظم ما أتی به علیه السّلام (۱).

و فیه (۲)و عنه (أی عن محمد بن الحسن الصفار) عن إبراهیم بن هاشم، عن سلیمان عن سدیر قال: کنت أنا و أبو بصیر و میسر و یحیی البزاز و داود الرقی فی مجلس أبی عبد الله علیه السّلام إذ خرج إلینا و هو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: عجبا لأقوام یزعمون أنا نعلم الغیب، ما یعلم الغیب إلاّ الله، لقد هممت بضرب خادمتی فلانه فذهبت عنی، فما عرفتها فی أی البیوت هی من الدار، فلما أن قام من مجلسه و صار إلی منزله، دخلت أنا و أبو بصیر و میسر علی أبی عبد الله علیه السّلام فقلنا له: جعلنا فداک سمعناک تقول فی أمر خادمتک، و نحن نعلم أنک تعلم علما کثیرا لا ینسب إلی علم الغیب؟ ! فقال: یا سدیر أ ما تقرأ القرآن؟ قلت: قد قرأناه جعلنا الله فداک، فقال: وجدت فیما قرأت من کتاب الله: قٰالَ اَلَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اَلْکِتٰابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ ؟ قلت: جعلت فداک قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل، و عرفت ما کان عنده من علم الکتاب؟ قال: قلت: فأخبرنی حتی أعلم، قال: قدر قطره من المطر الجور فی البحر الأخضر، ما یکون ذلک من علم الکتاب، قلت: جعلت فداک ما أقل هذا؟ ! قال: یا سدیر ما أکثره لمن لم ینسبه إلی العلم الذی أخبرک به، یا سدیر فهل وجدت فیما قرأت من کتاب الله: قُلْ کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ کلّه و الله عندنا، ثلاثا .

۱- ۱) تفسیر البرهان ج ۳ ص ۲۰۵.

۲- ۲) تفسیر البرهان ج ۳ ص ۲۰۴.

أقول: فظهر من هذه الآيات و الأحاديث أن الله قد أقدرهم على إعمال القدره، أزيد مما أقدر آصف بن برخيا بزياده كثيره، كما يظهر من مثاله عليه السّلام، و ليس هذا إلاّ أثرا من آثار ولايتهم التكوينيه حيث يتصرفون بها فى الموجودات، و ستأتى فى شرح الزياره فى الفصل الثالث الأحاديث الأخر، و ما يوضح هذا إن شاء الله تعالى.

و منها: قوله تعالى [و يعلّمه الكتاب و الحكمه. . . .] :

وَ يُعَلِّمُهُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَهَ وَ اَلتَّوْرٰاهَ وَ اَلْإِنْجِيلَ. وَ رَسُولاً إِلىٰ بَنِى إِسْرٰائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْئَهِ اَلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ أُبْرِئُ اَلْأَكْمَهَ وَ اَلْأَبْرَصَ. .

(۱)

. و قوله تعالى: . . وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْئَهِ اَلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهٰا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى. . (۲).

ففى أصول الكافى بإسناده عن أبى بصير قال: دخلت على أبى جعفر عليه السّلام فقلت له: أنتم ورثه رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ قال: نعم، قلت: رسول الله صلّى الله عليه و آله وارث الأنبياء علم كلما علموا؟ قال: نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى و تبرءوا الأكمه و الأبرص؟ قال لى: نعم بإذن الله. ثم قال لى: إدن منى يا أبا محمد، فدنوت منه، فمسح على وجهى و على عينى فأبصرت الشمس و السماء و الأرض و البيوت و كلّ شىء فى الليله. ثم قال لى: أ تحب أن تكون هكذا و لك ما للناس، و عليك ما عليهم يوم القيامه، أو تعود كما كنت و لك الجنه خالصا؟ قلت: أعود كما كنت، فمسح على عينى فعدت كما كنت، فحدثت ابن أبى عمير بهذا، فقال: أشهد أن هذا حقّ كما أن النهار حقّ (۳).

و فيه (۴)و فى عيون الأخبار فى باب مجلس الرضا عليه السّلام مع أهل الأديان و أصحاب المقالات فى التوحيد، قال الرضا عليه السّلام: يا نصرانى أسألك عن مسأله،

۱- ۱) آل عمران:۴۸-۴۹.

۲- ۲) المائده:۱۱۰.

۳- ۳) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۲۸۴.

۴- ۴) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۵۷۱.

قال: سل فإن كان عندى علمها أجبتك، قال الرضا عليه السّلام ما أنكرت أن عيسى كان يحيى الموتى بإذن الله عز و جل؟ قال الجاثليق: أنكرت ذلك من قبل، أن من أحيا الموتى و أبرأ الأكمه و الأبرص فهو ربّ مستحق لأن يعبد، قال الرضا عليه السّلام: فإن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السّلام مشى على الماء و أحيا الموتى و أبرأ الأكمه و الأبرص فلم تتخذه أمته ربّا، و لم يعبده أحد من دون الله تعالى، و لقد صنع حزقيل النبى عليه السّلام مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه السّلام و أحيا خمسه و ثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنه. ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: يا رأس الجالوت أ تجد هؤلاء فى شباب بنى إسرائيل فيمن اختارهم بخت نصر من بنى إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم إلى بابل، فأرسله الله عز و جل إليهم فأحياهم، هذا فى التوراه لا يدفعه إلّا كافر منكم، قال رأس الجالوت: قد سمعنا به و عرفناه، قال: صدقت. ثم قال: يا يهودى خذ علىّ هذا السفر من التوراه، فتلا عليه السّلام علينا من التوراه آيات، فأقبل اليهودى يترجح قراءته و يتعجب، ثم أقبل على النصرانى فقال: يا نصرانى فهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله. قال الرضا عليه السّلام: و لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فسألوه أن يحيى لهم موتاهم، فوجه معهم على بن أبى طالب عليه السّلام فقال له: اذهب إلى الجبانه (1)فناد أسماء بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان و يا فلان يقول لكم رسول الله محمد صلّى الله عليه و آله: قوموا بإذن الله عز و جل، فقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم، ثم أخبروهم أن محمدا قد بعث نبيا، و قالوا: وددنا أنّا أدركناه فنؤمن به، و لقد أبرأ الأكمه و الأبرص و المجانين و كلّمه البهائم و الطير و الجن و الشياطين، و لم نتخذه ربّا من دون الله تعالى، و لم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، الحديث.

١- ١) أى الصحراء التى فيها المقابر.

و منها: قوله تعالی [و لقد آتینا داود منا فضلاً. . . .]

وَ لَقَدْ آتَيْنا دَاوُدَ مِنّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ اَلطَّيْرَ وَ أَلَنّا لَهُ اَلْحَدِيدَ. أَنِ اِعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِي اَلسَّرْدِ وَ اِعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَ لِسُلَيْمانَ اَلرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ اَلْقِطْرِ

(۱)

.

ففی تفسیر نور الثقلین عن کتاب الاحتجاج للطبرسی رحمه الله روی عن موسی بن جعفر عن أبیه عن آبائه، عن الحسین بن علی علیه السّلام قال: إن یهودیا من یهود الشام و أحبارهم قال لأمیر المؤمنین علیه السّلام: فإن هذا داود بکی علی خطیئته حتی سارت الجبال معه لخوفه، قال له علی علیه السّلام: لقد کان کذلک و محمد صلّی الله علیه و آله أعطی ما هو أفضل من هذا، إنه کان إذا قام إلی الصلوه سمع بصدره و جوفه أزیزا کأزیز المرجل علی الأثافی من شده البکاء، و قد آمنه الله عز و جل من عقابه، فأراد أن یتخشع لربّه ببکائه، و یکون إماما لمن اقتدی به، و لقد قام صلّی الله علیه و آله عشر سنین علی أطراف أصابعه حتی تورمت قدماه و اصفر وجهه. یقوم اللیل أجمع حتی عوتب فی ذلک، فقال الله عز و جل: طه. مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ بل لتسعد به، و لقد کان یبکی حتی یغشی علیه، فقیل: یا رسول الله أ لیس الله عز و جل قد غفر لک ما تقدم و ما تأخر؟ قال: بلی، أ فلا أکون عبدا شکورا، و لئن سارت الجبال و سبّحت معه، لقد عمل لمحمد صلّی الله علیه و آله ما هو أفضل من هذا، إذا کنا معه علی جبل حراء إذ تحرک الجبل، فقال له: قرّ فإنه لیس علیک إلاّ نبیّ صدیق شهید، فقرّ الجبل مجیبا لأمره و منتهیا إلی طاعته. و لقد مررنا معه بجبل و إذا الدموع تجری من بعضه و قال له: ما یبکیک یا جبل؟ فقال: یا رسول الله کان المسیح مرّ بی و هو یخوّف الناس بنار وقودها الناس و الحجاره، و أنا أخاف أن أکون من تلک الحجاره، قال له: لا تخف تلک الحجاره الکبریت، فقرّ الجبل و سکن و هدأ و أجاب لقوله. قال له الیهودی: فهذا داود علیه السّلام قد لین الله عز و جل له الحدید، قد یعمل منه الدروع، قال له علی علیه السّلام: لقد کان کذلک و محمد صلّی الله علیه و آله أعطی ما هو أفضل من هذا،

۱- ۱) سبأ:۱۰-۱۲.

لین الله عز و جل له الصم الصخور الصلاب و جعلها غارا، و لقد غارت الصخره تحت یده ببیت المقدس لینه حتی صارت کهیئه العجین، قد رأینا ذلک و التمسناه تحت رایته.

و فیه عن کتاب المناقب لابن شهرآشوب: الأصبغ بن نباته قال: سألت الحسین علیه السّلام فقلت: یا سیدی أسألک عن شیء أنا به موقن، و إنه من سرّ الله و أنت المسرور إلیه ذلک السرّ فقال: یا أصبغ أ ترید أن تری مخاطبه رسول الله صلّی الله علیه و آله لأبی دون یوم مسجد قبا؟ قال: هو الذی أردت، قال: قم، فإذا أنا و هو بالکوفه فنظرت فإذا المسجد من قبل یرتد إلیّ بصری، فتبسم فی وجهی، ثم قال: یا أصبغ إن سلیمان ابن داود أعطی الریح غدوها شهر و رواحها شهر، و أنا قد أعطیت أکثر مما أعطی سلیمان. فقلت: صدقت و الله یا بن رسول الله، فقال: نحن الذین عندنا علم الکتاب و بیان ما فیه، و لیس عند أحد من خلقه ما عندنا لأنا أهل سرّ الله، ثم تبسم فی وجهی، ثم قال: نحن آل الله و ورثه رسول الله، فقلت: الحمد لله علی ذلک، ثم قال لی: أدخل، فدخلت فإذا برسول الله صلّی الله علیه و آله محبب فی المحراب بردائه، فنظرت فإذا أنا بأمیر المؤمنین علیه السّلام قابض علی تلابیب الأعسر، فرأیت رسول الله صلّی الله علیه و آله یعضّ علی الأنامل و هو یقول: بئس الخلف خلفتنی أنت و أصحابک علیکم لعنه الله و لعنتی، الخبر، انتهی. أقول: هذه جمله من الآیات تدل علی ثبوت الولایه التکوینیه، أی التصرف فی الموجودات، و هناک آیات أخر تدل علی هذا المعنی، و لعلّها یأتی ذکرها فیما یأتی.

و أما الأحادیث الداله علی ولایتهم التکوینیه

فهی أکثر من أن تحصی، و قد تقدم بعضها فی ذیل الآیات السابقه، و سیأتی بعضها أیضا فی طی المباحث الآتیه. و إن شئت أکثر مما ذکر فعلیک بمراجعه کتاب مدینه المعاجز للسید البحرانی (رضوان الله علیه) فإنه کما سماه مدینه لمعاجز الأئمه علیهم السّلام فی موارد متعدده و مواضع عدیده، و نحن نذکر بعضها تیمّنا و تبرکا بها و استدلالا علی المدعی فنقول:

ففی مدینه المعاجز، محمد بن یعقوب، عن محمد بن یحیی، عن سلمه بن الخطاب، عن عبد الله بن محمد، عن عبد الله بن القاسم، عن عیسی بن شلقان قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: إن أمیر المؤمنین علیه السّلام له خئوله فی بنی مخزوم، و إن شابا منهم أتاه فقال: یا خالی إن أخی مات، و قد حزنت علیه حزنا شدیدا، قال: فقال له: تشتهی أن تراه؟ قال: بلی، قال: فأرنی قبره، قال: فخرج و معه برده رسول الله متّزرا بها، فلما انتهی إلی القبر تلملمت شفتاه، ثم رکض برجله، فخرج من قبره و هو یقول بلسان الفرس، فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: أ لم تمت و أنت رجل من العرب؟ قال: بلی و لکنّا علی سنه فلان و فلان فانقلبت ألسنتنا (۱).

و فیه (۲)روی صاحب منهج التحقیق إلی سواء الطریق، عن سلمان الفارسی (رضوان الله علیه) قال: کنّا جلوسا مع أمیر المؤمنین علیه السّلام بمنزله-لما بویع عمر بن الخطاب-و محمد بن أبی بکر، و عمار بن یاسر، و المقداد بن الأسود الکندی (رضوان الله علیهم) قال له ابنه الحسن: یا أمیر المؤمنین: إن سلیمان علیه السّلام سأل ربّه ملکا لا ینبغی لأحد من بعده، فأعطاه ذلک، فهل ملکت مما ملک سلیمان بن داود؟ قال علیه السّلام: و الذی فلق الحبه و برأ النسمه، إن سلیمان بن داود سأل الله عز و جل الملک فأعطاه، و إن أباک ملک ما لم یملکه بغیر جدک رسول الله صلّی الله علیه و آله و لا یملکه أحد بعده. فقام أمیر المؤمنین علیه السّلام فتوضأ و صلّی رکعتین و دعا الله عز و جل بدعوات لم یفهمها أحد، ثم أومأ إلی جهه المغرب، فما کان بأسرع من أن جاءت سحابه فوقعت علی الدار، و إذ أجابتها سحابه أخری، فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: أیتها السحابه اهبطی بإذن الله تعالی، فهبطت و هی تقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله و أن محمدا رسول الله و إنّک خلیفته و وصیّه، من شک فیک فقد هلک سبیل النجاه قال: ثم انبسطت السحابه إلی الأرض حتی کأنها بساط موضوع.

۱- ۱) مدینه المعاجز ص ۳۶.

۲- ۲) مدینه المعاجز ص ۳۷.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: اجلسوا على الغمامه، فجلسنا و أخذنا مواضعنا، فأشار إلى السحابه الأخرى، فهبطت و هى تقول كمقاله الأولى، و جلس أمير المؤمنين عليه السّلام عليها ثم تكلم بكلام و أشار إليها بالمسير إلى المغرب، و إذا بالريح قد دخلت السحابتين فرفعتهما رفعا رفيعا فتمايلت نحو أمير المؤمنين، و إذا به على كرسىّ و النور يسطع من وجهه يكاد يخطف بالأبصار. فقال الحسن: يا أمير المؤمنين: إن سليمان بن داود كان مطاعا بخاتمه و أمير المؤمنين بما ذا يطاع؟ فقال عليه السّلام: أنا عين الله الناظره فى أرضه، أنا لسانه الناطق فى خلقه، أنا نور الله الذى لا يطفى، أنا باب الله الذى يؤتى منه و حجته على عباده. ثم قال: أ تحبّون أن أريكم خاتم سليمان بن داود؟ قلنا: نعم، فأدخل يده إلى جيبه فأخرج خاتما من ذهب فصّه من ياقوته حمراء عليه مكتوب محمد و على. قال سلمان: تعجبنا من ذلك، فقال: من أى شىء تعجبون، و ما العجب من مثلى؟ أنا أريكم اليوم ما لم تروه أبدا. و ساق الحديث إلى أن قال: فقال عليه السّلام: أ تريدون أن أريكم سليمان بن داود؟ فقلنا: نعم، فقام و نحن معه فدخل بستانا ما رأينا أحسن منه، و فيه من جميع الفواكه و الأعناب و الأنهار تجرى و الأطيار يتجاوبن على الأشجار، فحين رأته الأطيار أتته ترفرف حوله حتى توسطنا البستان، و إذا سرير عليه شاب ملقى على ظهره، واضع يده على صدره، فأخرج أمير المؤمنين عليه السّلام الخاتم من جيبه و جعله فى إصبع سليمان عليه السّلام فنهض قائما و قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، و وصى رسول ربّ العالمين، أنت و الله الصديق الأكبر و الفاروق الأعظم، قد أفلح من تمسك بك، و قد خاب و خسر من تخلّف عنك، و إنى سألت الله بكم أهل البيت فأعطيت ذلك الملك. قال سليمان: فلما سمعنا كلام سليمان بن داود عليه السّلام لم أتمالك نفسى حتى وقعت على أقدام أمير المؤمنين عليه السّلام أقبلها، و حمدت الله تعالى على جزيل عطائه بهدايته إلى

ولایه أهل البیت علیهم السّلام الذین أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهیرا، و فعل أصحابی کما فعلت.

و فی توحید الصدوق (۱)بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبته: أنا الهادی و أنا المهتدی، و أنا أبو الیتامی و المساکین و زوج الأرامل، و أنا ملجأ کلّ ضعیف، و مأمن کل خائف، و أنا قائد المؤمنین إلی الجنه، و أنا حبل الله المتین، و أنا عروه الله الوثقی و کلمه التقوی، و أنا عین الله و لسانه الصادق و یده، و أنا جنب الله الذی یقول: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ یا حَسْرَتیٰ عَلیٰ مٰا فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اَللّٰهِ و أنا ید الله المبسوطه علی عباده بالرحمه و المغفره و أنا باب حطه، من عرفنی و عرف حقّی فقد عرف ربّه، لأنی وصی نبیه فی أرضه و حجته علی خلقه، لا ینکر هذا إلّا رادّ علی الله و رسوله.

و فیه (۲)بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: إن لله عز و جل خلقا من رحمته خلقهم من نوره و رحمته من رحمته لرحمته، فهم عین الله الناظره، و أذنه السامعه، و لسانه الناطق فی خلقه بإذنه، و أمناؤه علی ما أنزل من عذر أو نذر أو حجّه، فبهم یمحو السیئات، و بهم یدفع الضیم، و بهم ینزّل الرحمه، و بهم یحیی میتا، و بهم یمیت حیّا، و بهم یبتلی خلقه، و بهم یقضی فی خلقه قضیته، قلت: جعلت فداک من هؤلاء؟ قال: الأوصیاء.

و فی المحکی عن بحار الأنوار من المجلد الرابع عشر منه، عن بعض مؤلفات القدماء بإسناده عن الشیخ المعمّر الرقی، رفعه إلی أبی جعفر میثم التمار، فی ذکر إسناد خطبه الشقشقیه و هی من طرق عدیده، إلی أن قال ساق الحدیث، فقال علیه السّلام: رحم الله من سمع فوعی، أیها الناس یزعم أنه أمیر المؤمنین (أی معاویه لعنه الله) و الله لا یکون الإمام إماما حتی یحیی الموتی، أو ینزل من السماء مطرا، أو یأتی بما یشاکل

۱- ۱) باب معنی جنب الله عز و جل ص ۱۶۴.

۲- ۲) التوحید ص ۱۶۷.

ذلك مما يعجز عنه غيره، الحديث بطوله. أقول: هذه الأحاديث المتضافره دلت على ثبوت الولايه التكوينيه، التى من آثارها الولايه التشريعيه لهم عليهم السّلام و إمعان النظر فيها مع كثرتها تعطى اليقين بثبوت هذه المنزله الرفيعه لهم، و التصرف منهم فى عالم الوجود.

و هنا بيان آخر فى معنى الولايه،

و حاصله: أنّ الولايه التكوينيه الثابته بالوجدان للنبىّ و الأئمه عليهم السّلام من الأحاديث و الآيات السابقه هو أنه تعالى لما كان ذاته المقدسه علم كله و قدره كله و نور كله كما

فى توحيد الصدوق (١)، بإسناده عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لم يزل الله جل و عز ربنا، و العلم ذاته و لا معلوم، و السمع ذاته و لا مسموع، و البصر ذاته و لا مبصر، و القدره ذاته و لا مقدور، فلما أحدث الأشياء و كان المعلوم وقع العلم على المعلوم، و السمع على المسموع، و البصر على المبصر و القدره على المقدور. و أراد أن يخلق الخلق لكى يعرف، فخلق الخلق كلّهم مظاهر لعلمه و قدرته و نوره، أى وجوده، فجميع ما فى الوجود مظاهر لصفاته و أفعاله، فالموجودات لها مراتب مختلفه فى اتصافها بالمظهريّه حسب اختلافها فى القرب إليه تعالى و البعد عنه تعالى، فكلّ موجود كان أقرب إليه تعالى كان أكثر مظهرا لصفاته و أفعاله تعالى. و من المعلوم أن المستفاد من الآيات و الأحاديث المتقدمه، و سيأتى أكثرها أيضا فى الشرح هو: أن أول الموجودات قربا حدوثا و بقاء بالنسبه إليه تعالى هو أرواح محمد و آله الطاهرين الأئمه المعصومين (عليه و عليهم السلام) . فلذا هم المظاهر الأتمّ لصفاته و أفعاله تعالى، فكلّ موجود كان أتمّ و أكمل فى المظهريه فهو أكبر من كونه آيه و علامه و دليلا عليه تعالى، و حيث لا أقرب إليه تعالى و لا أتم فى المظهريه منهم عليهم السّلام فهم الآيه الكبرى.

و لذا قال النبىّ صلّى الله عليه و آله و الوصىّ عليه السّلام: «ما لله آيه أكبر منى» و جهه كونهم أتم

١- ١) توحيد الصدوق ص ١٣٩.

المظاهر، لكونهم أقرب الموجودات إليه تعالى، و لأن علمه تعالى و قدرته و نوره أكثر ظهورا فيهم عليهم السّلام و ذلك لأنهم الأسماء الحسنى.

ففي كتاب التوحيد من الكافى، فى باب النوادر بإسناده عن معاويه بن عمار، عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قول الله عز و جل: وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا (۱)قال: نحن و الله الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملا إلّا بمعرفتنا (۲). و شرحه الإجمالى ما قاله الصادق عليه السّلام

ففيه فى ذلك الباب بإسناده عن مروان ابن صباح قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، و صورنا فأحسن صورنا، و جعلنا عينه فى عباده، و لسانه الناطق فى خلقه، و يده المبسوطه على عباده بالرأفه و الرحمه، و وجهه الذى يؤتى منه، و بابه الذى يدل عليه، و خزّانه فى سمائه و أرضه، بنا أثمرت الأشجار، و أينعت الثمار، و جرت الأنهار، و بنا ينزل غيث السماء، و ينبت عشب الأرض، و بعبادتنا عبد الله، و لو لا نحن ما عبد الله، و هكذا غيره من الأحاديث الأخر. و لازم ذلك هو أنّ آثار القدره و آثار العلم فيهم عليهم السّلام أكثر ظهورا مما ظهر من غيرهم. و من المعلوم أن قدرته تعالى هى النافذه فى الأشياء و المتصرفه فيها، بل لا وجود لغيره تعالى مطلقا إلّا بالقدره، فحينئذ لازمه أن قدرتهم هى قدره الله الظاهره فيهم عليهم السّلام النافذه فى الأشياء بإذنه تعالى، فهم بهذا المعنى أولياؤه تعالى أى المتصرفون بإذنه فى الوجود. ثم إنه كما علمت أن جميع الموجودات مظاهر له تعالى فى هذه الأمور المذكوره إلّا أنه يختلف على حسب قربهم إليه و بعدهم عنه تعالى، فعليه: فكلّ موجود هو مظهر لقدرته تعالى مثلا فهو بقدرته تعالى يتصرف فى الأمور. و من هنا يظهر: أن الولايه تنقسم إلى قسمين: مطلقه و مقيده.

۱- ۱) الأعراف: ۱۸۰.

۲- ۲) الكافى-كتاب التوحيد ج ۲ ص ۱۱۵.

أما المطلقه: فهى الثابته لهم عليهم السّلام حيث علمت أنها أتم فيهم، لكونهم أقرب إليه تعالى. و أما المقيده: فلغيرهم مع ما لها من المراتب المختلفه فى المظاهر المختلفه من ساير الأنبياء و الأولياء إلى أن تنتهى إلى أقل الخليفه، فالولايه ثابته للكلّ، نعم المطلقه منها تختص بهم عليهم السّلام. ثم إنّ المراد من المطلقه بالنسبه إلى من دونهم، فإنها مطلقه أى أوسع ظرفا و تصرفا فى الوجود من غيرهم. و أما بالنسبه إليه تعالى فهى مقيده أيضا كما علمت من بعض التعاريف السابقه للولايه. فظهر أن الولايه مع قطع النظر عن الإطلاق و التقيد أمر بديهى لا يخلو منه أى موجود كما دل عليه

قوله عليه السّلام: و بأسمائك التى ملأت أركان كلّ شىء، فكلّ موجود تحققت أركانه بأسمائه تعالى حسب حدوده التى جعلها الله تعالى له، نعم هى بالنسبه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام ثابته بنحو وسعت جميع ما فى الوجود، بل هذا ثابت للملائكه أيضا، التى هى من شئونهم، فالملائكه أيضا لهم التصرف فى الموجودات،

ففى ثواب الأعمال و عقاب الأعمال للصدوق رحمه الله بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إن الله عزّ و جل فوّض الأمر إلى ملك من الملائكه، فخلق سبع سموات و سبع أرضين و أشياء، فلما رأى الأشياء قد انقادت له، قال: من مثلى؟ فأرسل الله عز و جل نويره من نار-قلت: و ما نويره من نار؟ قال نار بمثل أنمله، قال: فاستقبلها بجميع ما خلق، فتحللت لذلك حتى وصلت إليه لما أن دخله العجب (۱). فحينئذ يمكن أن يقال: إنّ خلق السموات و الأرضين إنما هو بإعمال القدره من أمير المؤمنين عليه السّلام و لا إشكال فيه. بيانه: أنه بعد ما علمت أن الولايه التكوينيه ثابته لكلّ أحد حسب اختلاف

ص: ۳۲۷

۱- ۱) ص ۲۹۹.

مراتب الموجودات، کما هو مفاد قول: لا حول و لا قوه إلاّ باالله العلیّ العظیم، فکلّ فرد له التصرف فی الممکنات حسب ما أعطی من القدره قله و کثره، نعم ربما یتوهم أنه کیف یجوز إسناد التصرفات العجیبه إلیهم علیهم السّلام فهل هذا إلّا الشرک باالله تعالی؟ و الحاصل: أن إثبات الولایه التکوینیه بما لها من السعه و الأهمیه لهم علیهم السّلام إن کانت بنحو الاشتراک فی العله فهو شرک أو الاستقلال فهو الکفر، لأن ذلک یرجع إلی القول بإلهیتهم و الغلو فیهم و کلاهما باطل. و لکن تدفعه أنه بعد ما ثبت فی محلّه أنه لا جبر و لا تفویض بل أمر بین الأمرین، فلو قلنا بالجبر فیلزم منه نفی الاختیار و لازمه إبطال الشرایع، و هو کما تری. فمعنی نفی الجبر هو أن للعبد اختیارا فی الفعل، و لو قلنا بالتفویض فلازمه تعطیل الحقّ تعالی عن الفعل و الخلق و الأمر و هو باطل، لأن هذا قول الیهود حیث قالوا: . . یَدُ اَللّٰهِ مَغْلُولَهٌ فردّ الله علیهم بقوله: غُلَّتْ أَیْدِیهِمْ وَ لُعِنُوا بِمٰا قٰالُوا بَلْ یَدٰاهُ مَبْسُوطَتٰانِ (۱)و حینئذ معنی نفی التفویض أن للحق تعالی دخلا و تأثیرا بإعمال قدرته تعالی فی أفعال العباد المبین

بقوله علیه السّلام: هو المالک لما ملکهم و القادر علی ما أقدرهم، الحدیث. فتحصل أن لکلّ فعل فی عین استناده إلی العبد و إلی اختیاره بالضروره و الوجدان فهو مستند أیضا إلیه تعالی و لهذین الاستنادین توضیح یذکر فی محلّه. و حاصله: فلو قلنا: إنّ العبد مستقل بالفعل فهو کفر و غلو، و إن قلنا: إنه شریک مع الباری فی التأثیر بالنسبه فهو شرک، أو أنه لا تأثیر له فی الفعل فهو الجبر الذی قد علمت بطلانه، فحینئذ یکون الفعل مستندا إلی العبد و هو مع فعله و اختیاره و استناده یکون متعلقا لمشیته و قدرته و إرادته و اختیاره تعالی، فالعبد باختیاره یفعل أی یعمل القدره فیما ملکه الله تعالی فیوجد الفعل، و کلّ هذا فی حال مملوکیه

۱- ۱) المائده:۶۴.

العبد بما له من الاختيار و القدره و العمل لله تعالى، فله تعالى دخل فى عبده و فيما مكنه فيه، و هذا يجرى فى كلّ فعل قليل أو كثير حقير أو خطير صغير أو كبير. فعليه: فما هو الجواب فى أقل فعل لأقل الخليقه، فهو الجواب لأعظم عمل لأكبر الخليقه، فلو قلنا: إن السموات و الأرضين يمسكهن أمير المؤمنين أو الأربعه عشر من المعصومين فليس فيه شرك و لا غلو، و ذلك لأن هذا كلّه منهم بإذنه تعالى، أى كما أنه مستند إليه تعالى بنحو عرفته فى تحقيق معنى الأمر بين الأمرين، فحينئذ لا شرك و لا غلو و لا كفر فى إثبات و ثبوت الولايه التكوينيه لهم عليهم السّلام كيف و قد علمت تصريح القرآن باستناد أفعال عظيمه عجيبه إلى الأنبياء و أوصيائهم و إلى الملائكه المدبّرات أمرا. و الحاصل: أنّ عوامل القدره لله تعالى فى الخلق كثيره على حسب اختلافها كما و كيفا، فلم ينكر عليهم أحد، و لا استشكل عليهم بشىء، هذا مع أنه سيأتى فى الشرح-إن شاء الله تعالى-أنه لا مقايسه بين الأنبياء و أوصيائهم و الأولياء المتصرفين فى العالم بما يرى منهم من صدور أفعال عجيبه خارقه للعادات، و بين أئمتنا عليهم السّلام و ذلك لأنهم أشرف من الكلّ، و أتم كمالا من الكلّ كما علمت فيما سبق من الأخبار، و سيأتى فيما بعد إن شاء الله تعالى. و حينئذ فلا إشكال ثبوتا بل و لا إثباتا فى صدور الأفعال الخارقه و المعجزه عنهم عليهم السّلام بمقتضى ولايتهم التكوينيه الثابته لهم بالآيات و الأحاديث المذكوره.

[البحث حول الغلو و العقائد الفاسده و الأحاديث الوارده فى هذا الباب]

ثم إنّ الغلو فى حقهم ناشئ إما للاعتماد على العقل فى درك الحقائق و المعارف. و من المعلوم أن العقول ناقصه بذاتها فى الأغلب فى درك المعارف، كيف لا و قد

وردت أحاديث كثيره بأن دين الله لا يصاب بالعقول، بل لا يمكنه الدرك كما علمته من الأحاديث الوارد من أنها صعبه، و من حديث أبى الصامت المتقدم؟ فحينئذ تراه إذا سمع شيئا من تلك الحالات و الأفعال العجيبه، التى لا يمكنه تحملها فينسبه إلى الغلو خصوصا بالنسبه إلى الأشخاص الذين خلطوا فى أغلب أوقاتهم مع

المحجوبين الأسراء لظلمه النفس، فإنهم لا يبصرون الحقّ و معاشرتهم تؤثر فى ظلمه القلب. فهؤلاء تراهم بالفطره الناقصه إما يردّون تلك الأحاديث، أو يؤولونها على آرائهم الفاسده، هذا خصوصا مع خفاء أهل الحقّ غالبا، فلا يمكنهم إظهار المعارف تقيه من المخالفين، فلا تنتشر تلك الحقائق بل تبقى فى خفائها عند أهلها. و كيف كان فأغلب الناس لا يقدرون على فهم الأحاديث و دركها لقصورهم فلا محاله يكونون محرومين منها.

ففى المحكى عن الخرائج بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: أتى الحسين عليه السّلام رجل فقال: حدثنى بفضلكم الذى جعل الله لكم، فقال: إنك لا تطيق حمله، قال: بلى حدثنى يا بن رسول الله إنى أحتمله، فحدثه بحديث فما فرغ الحسين عليه السّلام من حديثه حتى ابيض رأس الرجل و لحيته و أنسى الحديث. فقال الحسين عليه السّلام: أدركته رحمه الله حيث أنسى الحديث.

و فى روايه أخرى: أنّ ثلاثه رجال جاءوا إليه و سألوه ذلك، فلما حدّث أحدا منهم قام طائر العقل و مرّ على وجهه، و ذهب و كلّمه صاحباه فلم يرد عليهما شيئا.

و عن كتاب منهج التحقيق عن ابن أبى عمير، عن المفضل قال: قال الصادق عليه السّلام: لو أذن لنا أن نعلم الناس حالنا عند الله و منزلتنا عنده لما احتملوا، الخبر. و نظائرها كثيره و لأجل هذه الجهه نهوا عليهم السّلام بعض الصحابه عن إذاعه الأحاديث.

فعن جابر بن يزيد الجعفى (۱)قال: حدثنى أبو جعفر عليه السّلام خمسين ألف حديث ما حدثت بها أحدا، و قال عليه السّلام: إن حدثت بها أحدا، فعليك لعنتى و لعنه آبائى إلى يوم القيامه.

۱- ۱) فى مقدمه تفسير البرهان ص ۶۰.

و لعلّ الوجه فيه أنه لو حدث بها فإما ينكره الجاهل بمعناه فهو على حدّ الكفر كما تقدم، أو يحمله على الغلو لقصوره فهمه. ثم إن نسبه الغلو إليهم عليهم السّلام تكون على حدّ طرفى الإفراط و التفريط فمنهم من فرّط و قال: حذرا من الغلو عنهم إنهم عليهم السّلام لا يعرفون كثيرا من الأحكام الدينيه، حتى ينكت فى قلوبهم، أو منهم من قال: إنهم كانوا يلجأون فى حكم الشريعه إلى الرأى و الظنون! و منهم من أنكر جواز صدور المعجزه منهم عليهم السّلام و نفى سماعهم كلام الملائكه و لو بدون رؤيتهم! و منهم من أنكر تفضيلهم على غير النبى صلّى الله عليه و آله من سائر الأنبياء، و كذا الملائكه حتى أنه قال بعضهم: بتفضيل جبرئيل و ميكائيل عليهما السّلام و أولو العزم من النبيين عليهم السّلام عليهم! ! بل قال بعضهم: بتفضيلساير الأنبياء عليهم! ! حتى أن بعضهم عدّ من الغلو نفى السهو عنهم! ! أو القول: إنهم يعلمون ما كان و ما يكون إلى يوم القيمه، بل و من السفهاء منهم من يتعجب من أن الإمام عليه السّلام كيف يتكلم بالفارسيه أو أخبر أحدا باسمه؟ ! هذا مع إنا نرى صدور أكثر من هذا ممن لا يكونون من العلماء، بل هم من أهل العقائد الفاسده فتظهر منهم أمور غريبه كما عن بعض مرتاضى الهند. و لعمرى إنّ هذا الأمر مما يوجب الحزن و الأسف، كيف أصبح الأئمه عليهم السّلام غرباء الأحوال فى الناس بل عند كثير من شيعتهم؟

فعن الصفار فى بصائر الدرجات بسند صحيح عن زراره قال: دخلت على أبى جعفر عليه السّلام فسألنى: ما عندك من أحاديث الشيعه؟ قلت: إن عندى منها كثيرا قد هممت أن أوقد لها نارا ثم أحرقها، قال عليه السّلام: و لم؟ هات ما أنكرت منها، فخطر على بالى الأمور فقال لى: ما كان علم الملائكه حيث قالوا: أَ تَجْعَلُ فِيهٰا مَنْ يُفْسِدُ فِيهٰا وَ يَسْفِكُ اَلدِّمٰاءَ ؟ ! فلو كان زراره كذلك فى عدم تعقله معنى تلك الأحاديث، فما ظنك بالبعداء منهم؟ ! و لذا قال شيخنا العلامه فى المحكى عنه من البحار: الظاهر أن زراره كان

ینکر أحادیث من فضائلهم لا یحتملها عقله، فنبهه علیه السّلام بذکر قصه الملائکه و إنکارهم فضل آدم و عدم بلوغهم إلی معرفه فضله، قال: علی أن نفی هذه الأمور من قله المعرفه و لا ینبغی أن یکذب المرء بما لم یحط به علمه، بل لا بد من أن یکون فی مقام التسلیم، فمع قصور الملائکه مع علّو شأنهم عن معرفه آدم لا یبعد عجزک عن معرفه الأئمه علیهم السّلام. انتهی. أقول: فحینئذ، فما ظنک بکثیر من الناس فی فهم هذه الأحادیث الوارده فی شأنهم؟ فلا یسلم الإنسان إلّا إذا لم ینکر ما لا یفهمه منها، بل یرد علمه إلیهم و یؤمن بما هو واقع الأمر.

فعن یحیی بن زکریا (۱)قال: سمعت الصادق علیه السّلام یقول: من سرّه أن یستکمل الإیمان فلیقل القول منی فی جمیع الأشیاء قول آل محمد علیهم السّلام فیما أسرّوا و فیما أعلنوا، و فیما بلغنی، و فیما لم یبلغنی. نعم، هناک عقائد و أقوال نسبت إلیهم ظاهره فی الغلو، فیجب تنزیههم عنها و هذا هو حدّ الإفراط فی شأنهم: فمنهم: القائلون بألوهیتهم أو بکونهم شرکاء الله تعالی فی العبودیه أو فی الخلق أو الرزق بنحو الاشتراک فی التأثیر لا بنحو الوساطه فی العطاء، أو أن الله تعالی حلّ فیهم و اتحد بهم، أو أنهم یعلمون الغیب بغیر وحی و إلهام و تعلیم إلهی منه تعالی. و منهم: القائلون بأنهم علیهم السّلام أنبیاء، أو بتناسخ أرواح بعضهم إلی بعض، أو القول: أنّ معرفتهم تغنی عن فعل الطاعات، و لا تکلیف معها بترک المعاصی، أو القول: بإنکار موتهم و شهادتهم بمعنی أنهم لم یقتلوا بل شبّه لهم، و من الغلو تفضیل أحدهم علیهم السّلام علی النبی صلّی الله علیه و آله فی العلم أو الشجاعه أو غیرهما. و منهم: عبد الله بن سبإ الذی روی الکشی أخبارا فی لعنه، منها

ما رواه عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: لعن الله عبد الله بن سبإ ادعی الربوبیه

۱- ۱) فی مقدمه تفسیر البرهان ص ۶۲.

فی علی علیه السّلام و کان و الله أمیر المؤمنین طائعا صالحا أخا رسول الله صلّی الله علیه و آله ما نال الکرامه من الله إلاّ بطاعته لله و لرسوله، الویل لمن کذب علینا. و ذکر عن بعض أهل العلم: أن عبد الله بن سبإ کان یهودیا فأسلم و والی علیا علیه السّلام و کان یقول و هو علی الیهودیه فی یوشع بن نون وصی موسی علیه السّلام بالغلو فقال فی إسلامه بعد وفاه النبی صلّی الله علیه و آله فی علی علیه السّلام مثل ذلک، قال: و من هیهنا قال من خالف الشیعه: أصل التشیع و الرفض مأخوذ من الیهودیه. و هناک أقوال سخیفه فمن أرادها فلیراجع مقدمه تفسیر البرهان ص ۶۲ و ۶۳، ففیها ذکر أقوالهم و أسماء القائلین بتلک السخائف.

و فیه فقد روی الکشی: أن الکاظم علیه السّلام قال: إنی أبرأ إلیک مما یدعیه فیّ محمد بن بشیر، اللهم أرحنی منه، ثم قال علیه السّلام: ما أحد اجتری أن یتعمد علینا الکذب إلاّ أذاقه الله حرّ الحدید، أن بنانا کذب علی علی بن الحسین علیه السّلام فأذاقه الله حرّ الحدید، و أن أبا الخطاب کذب علی أبی فأذاقه الله حرّ الحدید، و أن بشیرا (لعنه الله) یکذب علیّ برئت منه إلی الله، الخبر.

و روی الکشی: أن بعض أصحابنا کتب إلی أبی الحسن العسکری علیه السّلام: جعلت فداک أن علی بن حسکه یدعی أنه من أولیائک، و أنک الأول القدیم، و أنه ببابک و بیتک، أمرته أن یدعو إلی ذلک، و یزعم أن الصلوه و الزکوه و الحج و الصوم کل ذلک معرفتک و معرفه من کان فی مثل حال ابن حسکه فیما یدعی من النبوه و البابیه، الخبر. . إلی أن قال: فکتب علیه السّلام: کذب ابن حسکه (علیه لعنه الله) فو الله ما بعث الله محمدا و الأنبیاء قبله إلاّ بالحنیفیّه و الصلوه و الزکوه و الحج و الصوم و الولایه و ما دعا محمد إلاّ إلی الله وحده، و کذلک نحن الأوصیاء من ولده عبید الله لا نشرک به شیئا، الخبر. أقول: فهؤلاء و أمثالهم من الذین اعتقدوا العقائد الفاسده: من ترک العبادات و تحلیل المحرمات و تعطیل أحکام الله تعالی، و ادعاء الربوبیه للنبی و الأئمه (علیه

و عليهم السّلام) أو القائلين بالتفويض الكلى إلى الأئمه عليهم السّلام (و سيجىء فى الشرح بيان معنى التفويض و أنه على أقسام، فبعضها منفى عنهم دون بعض، عند شرح

قوله عليه السّلام: «و أمره إليكم، فانتظروا» فكلّ هؤلاء غلاه مفرطون فى حقهم عليهم السّلام. ثم إن هناك أحاديث تدل على أن الغلو فى حقهم هو ما ذا؟ و أن الغلاه ملعونون قد برئوا عليهم السّلام منهم، و هناك حديث جامع لبيان الولايه و مقامهم فنقول:

روى الكشى بسند صحيح عن أبى بصير قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّلام: يا أبا محمد أبرأ ممن زعم أنّا أرباب، فقلت: برئ الله منه، فقال: أبرأ ممن زعم أنّا أنبياء، فقلت: برئ الله منه.

و فيه عن ابن مسكان قال: لعن الله من قال فينا ما لم نقله فى أنفسنا، و لعن الله من أزالنا عن العبوديه لله الذى خلقنا و إليه مآبنا و معادنا و بيده نواصينا. و قد ورد فى خبر أنّ هؤلاء أشد من أهل التفريط، كما

فى أمالى الشيخ عن الفضيل بن يسار قال: قال الصادق عليه السّلام: احذروا على شبابكم الغلاه لا يفسدوهم، فإن الغلاه شرّ خلق الله، يصغّرون عظمه الله و يدّعون الربوبيه لعباد الله، ثم قال عليه السّلام: إلينا يرجع الغالى فلا نقبله و بنا يلحق المقصر فنقبله، فقيل له: كيف ذلك يا بن رسول الله؟ قال: لأن الغالى قد اعتاد ترك الصلوه و الصيام و الزكوه و الحج فلا يقدر على ترك عادته، و الرجوع إلى طاعه الله عز و جل أبدا، و أن المقصر إذا عرف عمل و أطاع.

و عن الخصال عن الأصول الأربعه قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إيّاكم و الغلو فينا إنّا عبيد مربوبون، و قولوا فى فضلنا ما شئتم.

و عن تفسير الإمام عليه السّلام: و الاحتجاج عن الرضا عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لا تتجاوزوا بنا العبوديه ثم قولوا ما شئتم و لن تبلغوا، و إيّاكم و الغلو كغلو النصارى فإنى برىء من الغالين، إلخ.

و عن مالك الجهنى قال فى حديث له: إن الصادق عليه السّلام قال: يا مالك قولوا فينا ما

شئتم و اجعلونا مخلوقين و كرّر هذا الكلام له.

و عن كتاب نوادر الحكمه و غيره من ميثم التمار قال: قال لى أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث له: حدثوا عن فضلنا و لا حرج، و عن عظيم أمرنا و لا أثم.

و عن البصائر بأسانيد عن إسماعيل بن عبد العزيز، عن الصادق عليه السّلام قال له يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين و قولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا، الخبر.

و فيه أيضا عن كامل التّمار عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: يا كامل اجعلوا لنا ربّا نؤب إليه، و قولوا فينا ما شئتم، ثم قال: و ما عسى أن تقولوا و عسى أن تقولوا، ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألف غير معطوفه.

و فى المحكى عن الكافى بإسناده إلى يونس بن رباط قال: دخلت أنا و كامل التمار على أبى عبد الله عليه السّلام فقال كامل: جعلت فداك حديث رواه فلان، فقال: أذكره، فقال: حدثنى أن النبىّ صلّى الله عليه و آله حدث عليا عليه السّلام بألف باب يوم توفى رسول الله صلّى الله عليه و آله كلّ باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب، فقال: لقد كان ذلك، قلت: جعلت فداك ذلك يظهر لشيعتكم و مواليكم؟ فقال: باب أو بابان قال: فقال: و ما عسيتم أن ترووا من فضلنا، ما تروون من فضلنا إلّا ألفا غير معطوفه. أقول: اختلفت كلمات العلماء فى معنى هذا الحديث و فهمه، و أحسن ما قيل فيه ما نقل عن شيخنا البهائى رحمه الله فقال: إنّ الألف تكتب بخط الكوفى هكذا (ل) معطوفه، و إذا كتب غير معطوفه فهى نصف الألف فالمراد أنكم ما تروون من فضلنا إلاّ نصف باب. و قيل: أى نصف حرف كنايه عن نهايه القله فإن الألف بالخط الكوفى نصفه مستقيم و نصفه معطوف هكذا (ل) . و قيل: أى الألف ليس بعده شىء، و قيل: ألف ليس قبله صفر أى باب الواحد. أقول: بل المراد من قوله ألف غير معطوفه ما تقدم من البهائى رحمه الله مع توضيح

منا و حاصله: أنّ العلوم كلّها ينبئ عنها و يبيّنها و يشار إليها بتسع و عشرين حرفا أولها ألف و هو يقرأ على قسمين معطوفه (ل) و غير معطوفه (ل) و المعطوفه منها أكثر معنى من غير المعطوفه لكثره مبانيه فبين عليه السّلام أنه لم يؤذن تكوينا للعقول فهم المعارف الخارج منا إليكم إلاّ بقدر الألف غير المعطوفه، أو إنّا لم نبين لكم إلاّ بقدر الألف غير المعطوفه يعنى أن هناك معارف لنا لم تبين بعد، و لم يؤذن لكم تكوينا فهمها كما دلّ عليه بعض الأحاديث و سيأتى حديثها و تفصيلها إن شاء الله تعالى فى الشرح.

و فيه أيضا و فى أمالى الصدوق بسند كالصحيح عن الثمالى قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: يا ثمالى لا تجعلوا عليا عليه السّلام دون ما وضعه الله، و لا ترفعوه فوق ما رفعه الله، كفى عليا أن يقاتل أهل الكره و أن يزوّج أهل الجنه. أقول: المراد بأهل الكره قتاله عليه السّلام فى الرجعه أهل الخلاف، و الله العالم و بيده عليه السّلام فى الجنه أمر تزويج المؤمنين و المؤمنات.

و عن أمالى الشيخ و غيره عن المفيد رحمه الله بإسناده عن محمد بن زيد الطبرى قال: كنت قائما على رأس الرضا عليه السّلام بخراسان و عنده جماعه من بنى هاشم منهم إسحاق ابن العباس بن موسى عليه السّلام فقال: يا إسحاق بلغنى أنكم تقولون: إن الناس عبيد لنا، لا و قرابتى من رسول الله صلّى الله عليه و آله ما قلته قط، و لا سمعته من أحد من آبائى، و لا بلغنى عن أحد منهم، قال له: لكنّا نقول: الناس عبيد لنا فى الطاعه، موال لنا فى الدين، فليبلغ الشاهد الغائب. أقول: دلّت هذه الأخبار الصحيحه على موارد الغلو المنفيه عنهم عليهم السّلام و على أن جميع الفضائل التى وردت فيهم كتابا و سنه قليله بالنسبه إليهم بعد القول و الاعتقاد بكونهم عبيد الله تعالى، خصوصا حديث كامل التمار حيث دلّ على أن ما يقولون ما عسى أن يبلغ واقع فضائلهم عليهم السّلام. هذا و أحسن حديث ورد فى بيان نفى الغلو مع بيان معناه و ثبوت الولايه لهم،

و الإشاره إلی بعض آثارها بحیث یجمع جمیع الأحادیث و یکون معیارا لتمییز الحق من الإفراط و التفریط هو

ما رواه فی الکافی و فی ریاض الجنان، و اللفظ عن ریاض الجنان، بإسناده عن محمد بن سنان قال: کنت عند أبی جعفر الثانی علیه السّلام فذکرت اختلاف الشیعه، فقال: إن الله لم یزل فردا متفردا فی الوحدانیه، ثم خلق محمدا و علیا و فاطمه علیهم السّلام فمکثوا ألف دهر، ثم خلق الأشیاء إلیهم فی الحکم و التعرّف و الإرشاد و الأمر و النهی فی الخلق، لأنهم الولاه، فلهم الأمر و الولایه و الهدایه، فهم أبوابه و نوّابه و حجّابه یحللون ما شاءوا و یحرمون ما شاءوا و لا یفعلون إلاّ ما شاء، عباد مکرمون لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون، فهذه الدیانه التی من لزمها لحق و من تقدمها غرق فی بحر الإغراق، و من نقّصهم عن هذه المراتب التی رتّبهم الله فیها زهق فی برّ التفریط و لم یعرف آل محمد حقهم فیما یجب علی المؤمن من معرفتهم. ثم قال: خذها إلیک یا محمد فإنها من مخزون العلم و مکنونه. أقول: المراد من اختلاف الشیعه أی فی معرفه الأئمه و أحوالهم و صفاتهم و درجاتهم عند الله تعالی، و الدهر یطلق علی الزمان الطویل، و قیل: یطلق علی ألف سنه، و قیل: یطلق علی عمر الدنیا بآخرها.

و قوله علیه السّلام: و أشهدهم خلقها ، أی أمر خلقها کان بحضرتهم و علمهم بحیث صاروا مطلعین علی أطوار الخلق و أسراره، فلهذا صاروا مستحقین للإمامه الکبری، و متقدمین علی سایر الخلق، و ذلک لعلمهم الکامل النافذ فی الأشیاء و بالشرایع و الأحکام و علل الخلق و أسرار الغیوب. و هذا لا ینافی قوله تعالی: مٰا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (1)بل یؤیده و یدل علیه، بیانه: أن الضمیر فی ما أشهدتهم راجع إلی المشرکین و إلی الشیطان و ذریته بدلیل قوله تعالی سابقا علیه: أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّیَّتَهُ أَوْلِیاءَ مِنْ

۱- ۱) الکهف:۵۱.

دُونِی

(۱)

فالآیه تعریض علی أنه تعالی لم یعتن بالمشرکین حیث ما أشهدهم خلق السموات و الأرض بل اعتنی بغیرهم من بعض أولیائه حیث أشهدهم خلقها. و هذا نظیر ما

فی تفسیر نور الثقلین، عن تفسیر علی بن إبراهیم قال: حدثنی أبی عن حنان بن سدیر، عن عبد الله بن الفضل الهمدانی، عن أبیه عن جده، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: مر علیه رجل عدو لله و لرسوله فقال علیه السّلام: فما بکت علیهم السماء و الأرض و ما کانوا منظرین، ثم مرّ علیه الحسین بن علی علیه السّلام فقال: لکن هذا لتبکین علیه السماء و الأرض، و ما بکت السماء و الأرض إلاّ علی یحیی بن زکریا و علی الحسین بن علی علیهم السّلام.

قوله علیه السّلام: و أجری علیها طاعتهم، أی علی جمیع الأشیاء حتی الجمادات من السماویات و الأرضیات کما سیأتی فی بیان عرض ولایتهم علی الأشیاء، و أن الأشیاء کلها مطیعه لهم کما یظهر من شق القمر و إقبال الشجر و تسبیح الحصی و تکلیم الحیوانات و غیرها من سایر معجزاتهم کما

فی مدینه المعاجز قوله علیه السّلام: و جعل فیهم ما شاء، أی من الفضائل و الولایه و آثارها التی سیأتی شرحها فی شرح الزیاره إن شاء الله.

قوله: و فوض أمر الأشیاء إلیهم، سیأتی فی الشرح بیان التفویض الجائز بالنسبه إلیهم و غیر الجائز عند شرح

قوله علیه السّلام: و إیاب الخلق إلیکم و حسابه علیکم، و أمره إلیکم.

و قوله علیه السّلام: یحللون ما شاءوا إلخ، إشاره إلی ما سیأتی بیانه من معنی التفویض من الله تعالی إلیهم، و حاصله إجمالا: أنه بعد ما أکمل الله النبی و الأئمه علیهم السّلام بحیث لم یکونوا مختارین إلاّ ما اختاره الله، فوض إلیهم أمر الخلق من الأشیاء الماضیه و الآتیه.

فعن البصائر عن غیر واحد من أصحابنا عن أبی الحسن علیه السّلام أنه قال: إن الله

۱- ۱) الکهف: ۵۰.

جعل قلوب الأئمه موردا لإرادته فإذا شاء الله شاءوا و هو قول الله عز و جل: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ. . (1).

و كما فى بعض الأخبار: أن الإمام عليه السّلام وكر لإراده الله لا يشاءون إلاّ ما يشاء الله، و إلى ما ذكر يشير

قوله عليه السّلام فى الحديث: و لا يفعلون إلاّ ما شاء الله عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ الآيه. و أحسن كلام يقال فى شأن الولى الكامل الواجد للولايه المطلقه، بحيث يجمع بين كمالاته و بين كونه عبدا لله، و لا يكون فيه إفراط و لا تفريط هو ما قاله الشيخ رجب البرسى (رضوان الله تعالى عليه) . و حاصل ملخصه: أن الولى و إن اتصف بصفات الربوبيه، و أنعمه الله بتلك المقامات و المعجزات، و خصّه بكلّ كمال إلاّ أنه مع ذلك عبد الله و الفقير إليه تعالى، و هو أخو رسوله و وصيه و أسده، و الله فضلّه على الكل، و ولاّه بعد رسوله أمر الكلّ، فهو المولى على الكل و عبد المولى الحقيقى، و ليس فوقه فى الرفعه و العلم و الحكم إلاّ ذات الربّ. و نوره مع نور النبى واحد إلاّ أنه انقسم فى الشخصيه إلى قسمين، فهو أى الولى فى عالم النور نفس نور النبى، و فى عالم الظهور لحمه و دمه كما علمت من قول النبى لعلى عليه السّلام فهما الاسم الأعظم المتصرف فى عالم الوجود بإذن ربهما، و مقامهما فى الخلق مقام الرب، كما أشير قوله فى إذن الدخول الثانى للمشاهد المشرفه

فى مفاتيح الجنان:

و الحمد لله الذى منّ علينا بحكام يقومون مقامه، لو كان حاضرا فى المكان.

فهم أى النبى و الأئمه كهو فى وجوب الطاعه و العدل و الأمر و النهى و العلم و الحكم، و ليس هو هم بالذات المقدسه، نعم: هم خلقها و نورها و حجابها كما سيأتى التصريح به فى كلام على عليه السّلام: و هم عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ .

1- 1) التكوير:29.

و إليه يشير

قوله عليه السّلام:

لا فرق بينهم و بينك إلاّ أنهم عبادك و خلقك

، الدعاء أى ليسوا صفات لذاته المقدسه، فقلوبهم خزانه الحى الذى لا يموت، و صورهم معانى الملك و الملكوت، و جميع ما سواه خلق لأجلهم، و سلّم حكمها إليهم، كما سيأتى البيان فى شئون ولايتهم فى شرح الزياره إن شاء الله. و هم أظهر مصاديق لقوله تعالى

كما فى الحديث القدسى حيث يقول الله تعالى: عبدى أطعنى أجعلك مثلى أنا حى لا أموت، أجعلك حيّا لا تموت، أنا عين لا أفتقر، أجعلك عينا لا تفتقر، أنا مهما أشاء يكن أجعلك مهما تشاء يكن. و حيث هم عليهم السّلام أول مصاديق العابد و العبوديه فألبسهم خلعه التشريف بتلك المقامات و الكرامات العاليه، و سيأتى بيانه أزيد من هذا فى شرح

قوله عليه السّلام:

أتاكم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين،

فانتظر. فأين هذا من الغلو المنفى عنهم؟ هذا مع أن الإمامه لا يكاد يصل إليها، فهم الذين قد شقوا الشعر بشعرتين كما تقدمت الإشاره، و سيأتى أيضا مفصلا، و هنا نذكر شطرا قليلا منها:

فعن الكافى و الاحتجاج و علل الشرايع و عيون الأخبار و إكمال الدين و أمالى الصدوق و غيرها، عن الرضا عليه السّلام أنه قال فى حديث له طويل، ذكر فيه صفات الإمام و عظم شأنه: إن الإمامه أجل قدرا، و أعظم شأنا و أعلى مكانا، و أمنع جانبا، و أبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، و يقيموا إماما باختيارهم، إن الإمامه خص الله عز و جل بها إبراهيم عليه السّلام بعد النبوه و الخله مرتبه ثالثه و فضيله شريفه شرفه بها. إلى أن قال عليه السّلام: هيهات هيهات ضلت العقول، و تاهت الحلوم و حارت الألباب، و حسرت العيون، و تصاغرت العظماء، و تحيرت الحكماء، و حسرت الخطباء، و جهلت الألباب، و عجزت الأدباء، و كلّت الشعراء، و عييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيله من فضائله، فأقرت بالعجز و التقصير و كيف يوصف، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شىء من أمره، أو يوجد من

يقوم مقامه، أو يغنى غناه لا كيف و أنى؟ ! الخبر، و سيأتى تمامه فى الشرح إن شاء الله تعالى.

و هناك أيضا حديث غامض نقله الشيخ رجب البرسى (رضوان الله عليه) ففى المحكى عنه ما لفظه، قد نقل عنهم فى هذا الباب أنهم عليهم السّلام قالوا: إن فى كتاب على عليه السّلام ما هذا لفظه: إن الله سبحانه لم يزل فردا منفردا، فلما أراد أن يتم أمره تكلم بكلمه فصارت نورا، ثم تكلم بكلمه فكانت روحا، و أسكنها الأعلين ذلك النور، و جعلها حجابا فهى كلمته و نوره و روحه و حجابه الاسمين الأعلين الذين جمعا فاجتمعا، و لا يصلحان إلا معا يسميان فيفترقان، و يوضعان فيجتمعان، و تمامهما فى تمام أحدهما فى منازلهما. أقول:

قوله عليه السّلام: تكلم بكلمه فصارت نورا، إشاره إلى نور الحضره المحمديه، التى صدرت عن ذاته المقدسه بأن خلقه، فهذا النور قطب الأقطاب و عليه مدار جميع العوالم من الأزل إلى الأبد.

قوله عليه السّلام: ثم تكلم بكلمه فكانت روحا، إشاره إلى نور الولايه مشتق من نور الحضره المحمديه صلّى الله عليه و آله فالتراخى فى الرتبه، فروح الولايه هى روح الله المنفوخ فى آدم، و فى كلّ موجود بحسبه، فهى من الدين مكان الروح من الجسد. فكما أنه لا روح فلا جسد، فكذلك أنه إذا لم تكن ولايه فلا دين من النبوه و الرساله.

قوله عليه السّلام: و أسكنها ذلك النور، أى أسكن روح الولايه فى باطن نور الرساله، فالنبوه محيطه بالولايه و هى سرّها الباطنى و باطنها السرّى. و إليه يشير

قوله صلّى الله عليه و آله لعلى عليه السّلام: أنت روحى التى بين جنبى و لسانى الظاهر، أنت المؤدى عنى إلى من بعدى.

و قوله عليه السّلام: فهى كلمته إلخ، إشاره إلى أن الولايه لا تحجب عن الذات المقدسه، بل هى نوره و روحه أى المضافه إليه، و حجابه أى احتجب الربّ به، و إليه أشير

ص :٣٤١

بقوله قبله: و جعلها حجابا، أى الولايه حجابا للذات المقدسه عن ساير الخلق و كلاهما، أى نور النبوه و الولايه كلمه الله التامه، ففى عالم الأرواح واحد، و فى عالم الأشباح نبىّ و ولى محمد و على (عليهما و آلهما السلام) . قوله عليه السّلام: جمعا، أى حيث أسكنها الله ذلك النور فاجتمعا مصداقا، فهما حينئذ نور واحد إلاّ أنهما أى النورين الاسمين الاعلين، فالنصب بلحاظ أن الاسمين بدل أو عطف بيان لكلمتى النور و الروح المنصوبين بتكلّم كما لا يخفى. و الحاصل أنهما واحد لا يصلحان إلاّ معا لا يفترقان فى الخلق و فى جميع شئون النبوه و الرساله و الولايه، فكلّ منهما مستمد من الآخر، و صلاحه منوط بالآخر. نعم فرق بينهما و هو أنه يسميان فيفترقان أى إذا قيل محمد صلّى الله عليه و آله يمتاز عن على عليه السّلام و إذا قيل على يمتاز عن محمد و يوضعان أى لا يشار إلى أحدهما فيجتمعان أى هما نور واحد

كما قال عليه السّلام: و كلّنا محمد. و قوله عليه السّلام: تمامهما فى تمام أحدهما، يعنى كمال الولى و تمام أمره من النبى و تمام النبى بالولى، فهما نور واحد ملتزم أحدهما بالآخر، لا يكمل أحدهما إلاّ بالآخر فى جميع شئونهما.

روى جابر بن عبد الله عن أبى جعفر عليه السّلام: أن رسول الله صلّى الله عليه و آله قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: أنت الذى احتج الله بك على الخلايق حين أقامهم أشباحا عند ابتدائهم، ثم قال: أ لست بربكم قالوا: بلى، قال: و محمد نبيكم؟ قالوا: بلى، قال: و على وليكم؟ قال: فأبى الخلق عن ولايتك، و الإقرار بفضلك إلا قليل منهم و هم أصحاب اليمين و هم أقل القليل، و إن فى السماء السابعه ملك يقول فى تسبيحه: سبحان من دلّ هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير على هذا الفضل الجليل و هو حبّ على و عترته عليهم السّلام. فتبين بحمد الله تعالى أنهم الحجج البالغه لله تعالى، و الواجدون مرتبه الولايه الإلهيه، مع أنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون.

ص :۳۴۲

و لعمری إنه کیف یتوهم القول بألوهیتهم علیهم السّلام مع ما یری من عبادتهم و تقواهم و زهدهم بحیث لا نری أحدا مثلهم؟! فهم الکاملون فی الأعمال العبادیه و صفات العبودیه و حقیقه العبودیه.

فعن النبی صلّی الله علیه و آله کما فی الرساله المنسوبه إلی السید بحر العلوم (رضوان الله علیه) : من أراد أن ینظر إلی میت و هو یمشی فلینظر إلی علی بن أبی طالب علیه السّلام حیث دلّ صلّی الله علیه و آله بکلامه علی أنه علیه السّلام فی قبال الرب کأنه میت، و هو باق ببقاء الله فان عن النفس کما یشیر إلیه

قوله صلّی الله علیه و آله أیضا، کما فی تلخیص الریاض للسید علیخان علی شرح الصحیفه السجادیه: إن علیا ممسوس فی ذات الله.

و قوله صلّی الله علیه و آله: إن علیا لأخیشن فی ذات الله أی أنه علیه السّلام شدید التصلّب و التشدید فی الأمور الإلهیه لا یداری فیها و لا یداهن و لا تأخذه لومه لائم.

و قال السید علیخان الحسینی (رضوان الله علیه) فی شرحه علی الصحیفه السجادیه فی معنی قوله صلّی الله علیه و آله: علی ممسوس فی ذات الله: شبهه صلّی الله علیه و آله فی تشدده و تصلبه علیه السّلام فی الأمور الإلهیه، و عدم ملاحظته للوم لائم أو رعایه جانب بالمجنون، الذی لا یبالی بما یقال فیه من لوم أو مذمه، و لذا نسبه أعداؤه إلی الحمق، و عدم المعرفه بتدبیر الحروب، و استماله قلوب الرجال حتی فارقه کثیر من أصحابه، و التحقوا بمعاویه. و هو علیه السّلام لا یلتفت إلی شیء من ذلک فی التصمیم علی إیثار الحق و العدل، و العمل بهما و لو کره الکافرون. ثم قال رحمه الله: و یحتمل أن یکون وجه التشبیه له بالممسوس، ما کان یعتریه علیه السّلام من الغشیه و الهزّه لخشیه الله عند اشتغال سرّه بملاحظه جلال الله، و مراتب عظمه الله سبحانه کما تضمنه

حدیث أبی الدرداء الذی حکی فیه شده عبادته علیه السّلام حتی قال: فأتیته فإذا هو کالخشبه ملقاه، فحرّکته فلم یتحرک، فأتیت منزله مبادرا نعاه فقالت فاطمه علیها السّلام: ما کان فی شأنه؟ فأخبرتها فقالت: هی و الله الغشیه التی تأخذه من خشیه الله تعالی، انتهی.

ص :۳۴۳

فمن كان هـذا شأنهم و حالهم و عبادتهم كيف يحتمل فى حقهم الغلو، نعم مقام ولايتهم عالى الشأن رفيع المكان عظيم الدرجه كما علمت. ثم إنه يعجبنى أن أذكر حديثين فى زهده و عبادته، لنبين به المقصود و يكون إرشادا إلى الهدى:

ففى غايه المرام للسـيد البحرانى (رضوان الله عليه) قال فى رساله الأهواز للصادق عليه السّلام قال أبى: قال على بن الحسين عليه السّلام: سمعت أبا عبد الله الحسين عليه السّلام يقول: حدثنى أمير المؤمنين عليه السّلام قال: إنى كنت بفدك فى بعض حيطانها، و قد صارت لفاطمه عليها السّلام قال: فإذا بامرأه قد قحمت علىّ و فى يدى مسحاه و أنا أعمل بها، فلما نظرت إليها طار قلبى مما تداخلنى من جمالها فشـبهتها ببثينه بنت عامر الجمحى و كانت من أجمل نساء قريش فقالت: يا بن أبى طالب هل لك أن تتزوج بى، فأغنيك عن هـذه، و أدلك على خزائن الأرض، فيكون لك المال ما بقيت و من بعدك؟ فقلت لها: من أنت حتى أخطبك من أهلك؟ قالت: أنا الـدنيا، قلت: فارجعى و اطلبى زوجا غيرى، و أقبلت على مسـحاتى و أنشأت أقول: لقـد خاب من غرته دنيا دنيه و مـا هى إن غرت قرونـا بطائـل أتتنا على ذى العزيز بثينه و زينها فى مثل تلك الشـمائل فقلت لها غرّى سواى فإننى عزوف عن الدنيا و لست بجاهل و ما أنا و الدنيا فإن محمّدا أحلّ صـريعا بين تلك الجنادل و هبها أتتنا بالكنوز و درّها و أموال قارون و ملـك القبائل أ ليس جميعا بالفناء مصـيرها؟ و تطلب من خزانها بالطوائل فغرى سواى إننى غير راغب بما فيك من ملك و عزّ و نائل فقد قنعت نفسى بما قد رزقته فشأنك يا دنيا و أهل الغوائل فإنى أخاف الله يوم لقائه و أخشى عذابا دائما غير زائل

فخرج من الدنيا و ليس فى عنقه تبعه لأحد حتى لقى الله محمودا غير ملوم و لا مذموم، ثم اقتدت به الأئمه من بعده بما قد بلغهم عنه و لم يتلطّخوا بشىء من بوائقها صلى الله عليهم أجمعين و أحسن مثواهم.

و فيه: ابن شهرآشوب و غيره و اللفظ له: قال معاويه (لعنه الله) لضرار بن ضمره: صف لنا عليا، فقال: كان و الله صوّاما بالنهار، قوّاما بالليل، يحب من اللباس أخشنه، و من الطعام أجشبه، و كان يجلس فينا، و يبتدى إذا سكتنا، و يجيب إذا سألنا، يقسم بالسويه و يعدل فى الرعيه، لا يخاف الضعيف من جوره، و لا يطمع القوى فى ميله، و الله لقد رأيته ليله من الليالى و قد أسبل الظلام سدوله، و غارت نجومه، و هو يتململ فى المحراب تململ السليم، و يبكى بكاء الحزين، و لقد رأيته مسيلا للدموع، قابضا على لحيته يخاطب دنياه فيقول: يا دنيا أ بى تشوّقت و إلىّ تعرضت، لأن حان حينك فقد بتلتك بتلا (البتل فى اللغه هو القطع منه) لا رجعه لى فيك، فعيشك قصير، و خطرك يسير، آه من قله الزاد و بعد السفر، و وحشه الطريق!

[أهل الولايه من هم، و ما شرائط الولايه الأصليه؟]

بقى شىء و هو: أنه قد عرفت أن الولايه قد تطلق على غيرهم من شيعتهم فيقال: أهل الولايه أو أهل ولايتنا، و لهم بهذه المناسبه مقامات عند الله تعالى، ذكرها العلامه المجلسى رحمه الله فى البحار فى باب صفات خيار الشيعه، فحينئذ ينبغى أن يعلم: أنّ أهل الولايه من هم، و ما شرائط الولايه الأصليه؟ فنقول: أصل الولايه إنما تتحقق فى أحد إذا كان بعد تلك العقائد الحقه محبا لهم و مبغضا لأعدائهم. بيانه: قال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا آبٰاءَكُمْ وَ إِخْوٰانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اِسْتَحَبُّوا اَلْكُفْرَ عَلَى اَلْإِيمٰانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۱).

۱- ۱) التوبه:۲۳.

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اَللّهُ عَلَيْهِمْ

(۱)

. لاٰ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (۲). وَ لاٰ تَرْكَنُوا إِلَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ اَلنّٰارُ (۳). أقول:

فى تفسير نور الثقلين عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سألته عن هذه الآيه فى قول الله: يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا آبٰاءَكُمْ وَ إِخْوٰانَكُمْ أَوْلِيٰاءَ (إلى قوله) اَلْفٰاسِقِينَ فأمّا لاٰ تَتَّخِذُوا آبٰاءَكُمْ وَ إِخْوٰانَكُمْ أَوْلِيٰاءَ إِنِ اِسْتَحَبُّوا اَلْكُفْرَ عَلَى اَلْإِيمٰانِ ، فإن الكفر فى الباطن فى هذه الآيه ولايه الأول و الثانى و هو كفر، و قوله: على الإيمان، فالإيمان ولايه على بن أبى طالب عليه السّلام. قال: وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ دلّ على وجوب التبرّى من أهل الكفر، و الذين استحبوا الكفر على الإيمان و لو كانوا آباءهم أو إخوانهم،

ففى النهج قال عليه السّلام: و لقد كنا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّا إيمانا و تسليما و مضيّا على اللقم (۴)و صبرا على مضض الألم، و جدّا على جهاد العدو. . إلخ.

و فى تفسير نور الثقلين: فى كتاب الاحتجاج للطبرسى رحمه الله عن النبىّ صلّى الله عليه و آله حديث طويل يقول فيه: و قد ذكر عليّا و أولاده عليهم السّلام إلّا أن أعداء على عليه السّلام هم أهل الشقاق هم العادون و إخوان الشياطين الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. إلاّ أن أولياءهم الذين ذكرهم الله فى كتابه هم المؤمنون، فقال عز و جل: لاٰ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ (۵).

۱- ۱) الممتحنه:۱۳.

۲- ۲) المجادله:۲۲.

۳- ۳) هود:۱۱۳.

۴- ۴) قوله على اللقم أى مضيّا على السرعه منه.

۵- ۵) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۲۶۸.

أقول: قوله صلّى الله علیه و آله: إلّا أن أولیاءهم، أی أولیاء علی و أولاده علیهم السّلام المؤمنون هم الذین ذکرهم الله فقال: لا تجد قوما یؤمنون بالله، الآیه، أی المؤمن الذی آمن بالله و الیوم الآخر و لم یوادّ من حادّ الله، کما لا یخفی.

و فی نهج البلاغه فی المختار المائه و السابع و الأربعین قوله علیه السّلام: و اعلموا أنکم لن تعرفوا الرشد حتی تعرفوا الذی ترکه، و لن تأخذوا بمیثاق الکتاب حتی تعرفوا الذی نقضه، و لن تمسکوا به حتی تعرفوا الذی نبذه، فالتمسوا ذلک من عند أهله، فإنهم عیش العلم. الخطبه دلت علی أن الرشد و الأخذ بمیثاق الکتاب و التمسک به إنما هو بمعرفه التارک للرشد، و الناقض لمیثاق الکتاب، و النابذ له، و معرفتهم لا تکون إلّا أن تلتمسوه أی تعرفوهم من عند أهله و هم أهل البیت علیهم السّلام.

و فی المحکی عن البحار عن تفسیر العیاشی، عن أبی حمزه الثمالی قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: یا أبا حمزه إنما یعبد الله من عرف الله، و أما من لا یعرف الله کأنما یعبد غیره هکذا (۱)ضالّا، قلت: أصلحک الله و ما معرفه الله؟ قال: یصدق الله و یصدق محمدا رسول الله صلّی الله علیه و آله فی موالاه علی و الائتمام به و بأئمه الهدی من بعده، و البراءه إلی الله من عدوهم و ذلک عرفان الله، قلت: أصلحک الله أی شیء إذا علمته أنا استکملت حقیقه الإیمان؟ قال: توالی أولیاء الله، و تعادی أعداء الله، و تکون مع الصادقین کما أمرک الله. قال: قلت: و من أولیاء الله و من أعداء الله؟ فقال: أولیاء الله محمد رسول الله و علی و الحسن و الحسین و علی بن الحسین ثم انتهی الأمر إلینا ثم ابنی جعفر، و أومأ إلی جعفر علیه السّلام و هو جالس، فمن والی هؤلاء فقد والی أولیاء الله، و کان مع الصادقین کما أمره الله.

۱- ۱) أی أشار إلی الیمین و الشمال.

قلت: و من أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعه. قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل (۱)و رمع و نعثل و معاويه و من دان دينهم، و من عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله.

و عن روضه الكافی: من سرّه أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعه الله و ليتبعنا، إلى أن قال عليه السّلام: و لا، و الله لا يتبعنا أحد إلاّ أحبّ الله، و لا يدع أحد اتباعنا إلاّ أبغضنا، و لا، و الله لا يبغضنا أحد أبدا إلاّ عصى الله، و من مات عاصيا لله أخزاه الله و أكبه الله على وجهه فی النار، و الحمد لله ربّ العالمين.

و فی البحار (۲)عن تفسير القمی فی روايه أبی الجارود عن أبی جعفر عليه السّلام فی قوله تعالى: مٰا جَعَلَ اَللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِی جَوْفِهِ فيحب بهذا و يبغض بهذا، فأما محبتنا فيخلص الحب بنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه، من أراد أن يعلم حبنا، فليمتحن قلبه، فإن شاركه فی حبنا حبّ عدونا فليس منا و لسنا منه، و الله عدوهم و جبرئيل و ميكائيل و الله عدو للكافرين. فدل على أن حبّهم لا يجتمع مع حبّ عدوهم بل إن أحب عدوهم فهو من الكافرين كما يستفاد من ذكر الآيه فی الذيل.

و فيه عن قرب الإسناد، ابن عيسى عن البزنطی قال: كتب إلى الرضا عليه السّلام قال أبو جعفر عليه السّلام: من سرّه أن لا يكون بينه و بين الله حجاب حتى ينظر إلى الله و ينظر الله إليه فليتول آل محمد و يبرأ من عدوهم، و يأتم بالإمام منهم، فإنه إذا كان كذلك نظر الله إليه و نظر إلى الله.

و فيه عن الخصال فی خبر الأعمش عن الصادق عليه السّلام قال: حبّ أولياء الله واجب و الولايه لهم واجبه، و البراءه من أعدائهم واجبه، و من الذين ظلموا آل محمد (صلی الله عليهم) و هتكوا حجابه، و أخذوا من فاطمه عليها السّلام فدكا، و منعوها

۱- ۱) أی أبو بكر فيكنی عنه بأبو الفصيل و رمع مقلوب عمر و نعثل أی عثمان كما فی كتب اللغه.

۲- ۲) هذه الأحاديث عن البحار ج ۲۷ ص ۵۱-۶۳.

میراثها، و غصبوها و زوجها حقوقهما، و همّوا بإحراق بیتها، و أسسوا الظلم، و غیّروا سنه رسول الله صلّی الله علیه و آله. و البراءه من الناکثین و القاسطین و المارقین واجبه، و البراءه من الأنصاب و الأزلام أئمه الضلال و قاده الجور کلّهم أولهم و آخرهم واجبه، و البراءه من جمیع قتله أهل البیت علیهم السّلام واجبه. و الولایه للمؤمنین الذین لم یغیروا و لم یبدّلوا بعد نبیّهم صلّی الله علیه و آله واجبه مثل سلمان الفارسی، و أبی ذر الغفاری، و المقداد بن الأسود الکندی، و عمار بن یاسر، و جابر بن عبد الله الأنصاری، و حذیفه بن الیمان، و أبی الهیثم بن التیهان، و سهل بن حنیف، و أبی أیوب الأنصاری، و عبد الله بن الصامت، و عباده بن الصامت، و خزیمه بن ثابت ذی الشهادتین و أبی سعید الخدری و من نحا نحوهم و فعل مثل فعلهم، و الولایه لاتباعهم و المقتدین بهم و بهداهم واجبه.

و فیه عن أمالی الصدوق بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد علیه السّلام قال: من جالس لنا عائبا، أو مدح لنا قالیا، أو واصل لنا قاطعا أو قطع لنا واصلا، أو والی لنا عدوا، أو عادی لنا ولیا فقد کفر بالذی أنزل السبع المثانی و القرآن العظیم.

و فیه عن الخصال بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: عشر من لقی الله عز و جل بهنّ دخل الجنه: شهاده أن لا إله إلاّ الله و أن محمدا رسول الله، و الإقرار بما جاء من عند الله عز و جل و إقام الصلوه و إیتاء الزکوه، و صوم شهر رمضان، و حج البیت، و الولایه لأولیاء الله، و البراءه من أعداء الله، و اجتناب کلّ مسکر.

و فیه عن مجالس المفید رحمه الله بإسناده عن حبیش بن المعتمر، قال: دخلت علی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام فقلت: السلام علیک یا أمیر المؤمنین و رحمه الله و برکاته، کیف أمسیت؟ قال: أمسیت محبا لمحبنا و مبغضا لمبغضنا، و أمسی محبنا مغتبطا برحمه من الله کان ینتظرها، و أمسی عدونا یؤسّس بنیانه علی شفا جرف هار، فکان ذلک الشفا قد انهار به فی نار جهنم، و کأنّ أبواب الرحمه قد فتحت لأهلها، فهنیئا لأهل الرحمه رحمتهم، و التعس لأهل النار و النار لهم.

یـا حبیش من سـرّه أن یعلم أ محب لنا أم مبغض فلیمتحن قلبه، فإن کان یحب ولیا لنا فلیس بمبغض لنا، و إن کان یبغض ولیا لنا فلیس بمحب لنا. إن الله تعالی أخذ المیثاق لمحبینا بمودّتنا، و کتب فی الذکر اسم مبغضنا، نحن النجباء و أفراطنا أفراط الأنبیاء.

و فیه عن أمالی ابن الشیخ بإسناده عن الحسین بن مصعب قال: سمعت جعفر ابن محمد علیه السّلام یقول: من أحبّنا لله و أحبّ محبنـا لا لغرض دنیا یصیبها منه، و عادی عـدونا لا لإحنه (۱)کـانت بینه و بینه، ثم جـاء یوم القیمه و علیه من الـذنوب مثل رمل عالج و زبد البحر، غفر الله تعالی له.

و فیه عن تفسیر العسکری علیه السّلام و معانی الأخبار و عیون الأخبار و علل الشرایع المفسر بإسناده إلی أبی محمد العسکری عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله لبعض أصحابه ذات یوم: یا عبد الله أحب فی الله و أبغض فی الله، و وال فی الله و عـاد فی الله فـإنه لا تنـال ولایه الله إلاّ بـذلک، و لا یجـد رجل طعم الإیمان-و إن کثرت صـلوته و صـیامه-حتی یکون کـذلک. و قـد صـارت مؤاخـاه النـاس لیومکم هـذا أکثرها فی الـدنیا، علیها یتوادّون، و علیها یتباغضون، و ذلک لا یغنی عنهم من الله شـیئا. فقال له: و کیف لی أن أعلم أنی قـد والیت و عادیت فی الله عز و جل و من ولی الله عز و جل حتی أوالیه؟ و من عـدوه حتی أعادیه؟ فأشار له رسول الله صـلّی الله علیه و آله إلی علی علیه السّلام فقال: أ تری هذا؟ فقال: بلی، قال ولی هذا ولی هـذا، فواله، و عـدو هـذا عدو الله، فعاده، قال: وال ولیّ هذا و لو أنه قاتل أبیک و ولدک، و عاد عدو هذا و لو أنه أبوک أو ولدک.

و فیه عن أمـالی الصـدوق عن ابن عبـاس قـال: قال رسول الله صـلّی الله علیه و آله من سـرّه أن یجمع الله له الخیر کلّه فلیوال علیا بعدی و لیوال أولیاءه و لیعاد أعداءه.

ص: ۳۵۰

۱- ۱) الإحنه (بالکسر) الحقد.

و فیه عن ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: من أحبنا و أبغض عدونا فی الله من غیر تره وترها إیاه فی شیء من أمر الدنیا، ثم مات علی ذلک فلقی الله و علیه من الذنوب مثل زبد البحر غفرها الله له.

و فیه عن ثواب الأعمال للصدوق رحمه الله بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: من لم یعرف سوء ما أتی إلینا من ظلمنا و ذهاب حقنا و ما رکبنا به، فهو شریک من أتی إلینا فیما ولینا به، أی استولی علینا و قرب منا بسببه.

و فیه عن المحاسن بإسناده عن أبی خالد الکابلی قال: أتی نفر إلی علی بن الحسین بن علی علیه السّلام فقالوا: إن بنی عمّنا وفدوا إلی معاویه بن أبی سفیان طلب رفده و جائزته، و إنا قد وفدنا إلیک صله لرسول الله صلّی الله علیه و آله فقال علی بن الحسین علیه السّلام: (قصیره من طویله) من أحبّنا لا لدنیا یصیبها منّا، و عادی عدونا لا لشحناء کانت بینه و بینه، أتی الله یوم القیمه مع محمد و إبراهیم و علی.

و فیه عن المحاسن عن عمر بن مدرک بن علی الطائی قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: أیّ عری الأیمان أوثق؟ فقالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: قولوا فقالوا: یا بن رسول الله الصلوه، فقال: إن للصلوه فضلا و لکن لیس بالصلوه، قالوا: الزکوه، فقال: إن للزکوه فضلا و لیس بالزکاه، قالوا: صوم شهر رمضان فقال: إن لرمضان فضلا و لیس برمضان، قالوا: فالحجّ و العمره، قال: إن للحجّ و العمره فضلا و لیس بالحجّ و العمره، قالوا: فالجهاد فی سبیل الله، قال: إن للجهاد فی سبیل الله فضلا و لیس بالجهاد. قالوا: فالله و رسوله أعلم، فقال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: إن أوثق عری الإیمان الحبّ فی الله و البغض فی الله، و توالی ولی الله و تعادی عدو الله.

و فیه عن تفسیر العیاشی عن سعدان عن رجل، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحٰاسِبْکُمْ بِهِ اَللّٰهُ فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ قال: حقیق علی الله أن لا یدخل الجنه من کان فی قلبه مثقال

حبّه من خردل من حبهما (أى الأول و الثانى) .

و فيه عن السرائر من كتاب أنس العالم للصفوانى قال: إن رجلا قدم على أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين إنى أحبك و أحب فلانا، و سمى بعض أعدائه! ! فقال عليه السّلام: أما الآن فأنت أعور فإما أن تعمى و إما أن تبصر.

و قيل للصادق عليه السّلام: إن فلانا يواليكم إلاّ أنه يضعف عن البراءه من عدوكم! فقال: هيهات كذب من ادعى محبّتنا و لم يتبرأ من عدونا.

و روى عن الرضا عليه السّلام أنه قال: كمال الدين ولايتنا و البراءه من عدونا.

و فيه عن كنز الكراجكى بإسناده عن سليمان الأعمش عن جعفر بن محمد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال لى رسول الله صلّى الله عليه و آله: يا على أنت أمير المؤمنين و إمام المتقين، يا على أنت سيد الوصيين و وارث علم النبيين، و خير الصديقين و أفضل السابقين، يا على أنت زوج سيده نساء العالمين، و خليفه خير المرسلين، يا على أنت مولى المؤمنين و الحجّه بعدى على الناس أجمعين، استوجب الجنه من تولاك، و استوجب دخول النار من عاداك. يا على و الذى بعثنى بالنبوه و اصطفانى على جميع البريه، لو أن عبدا عبد الله ألف عام ما قبل ذلك منه إلاّ بولايتك و ولايه الأئمه من ولدك، و إن ولايتك لا تقبل إلاّ بالبراءه من أعدائك و أعداء الأئمه من ولدك، بذلك أخبرنى جبرئيل فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر.

و عن كتاب السرائر لابن إدريس بإسناده عن سماعه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إذا كان يوم القيمه مرّ رسول الله بشفير النار و أمير المؤمنين و الحسن و الحسين، فيصيح صائح من النار: يا رسول الله أغثنى يا رسول الله ثلاثا، قال: فلا يجيبه. قال: فينادى يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين ثلاثه أغثنى، فلا يجيبه. قال: فينادى يا حسين يا حسين يا حسين أغثنى أنا قاتل أعداءك.

قال: فيقول له رسول الله صلّى الله عليه و آله: قد احتج عليك، قال: فينقض عليه كأنه عقاب كاسر، قال: فيخرجه من النار. قال: فقلت لأبى عبد الله عليه السّلام: و من هذا جعلت فداك؟ ! قال: المختار، قلت له: و لم عذّب بالنار و قد فعل ما فعل؟ ! قال: إنه كان فى قلبه منهما شىء، و الذى بعث محمدا بالحق لو أن جبرئيل و ميكائيل كان فى قلبهما شىء، لأكبهما الله فى النار على وجوههما. و مما يقرب من هذا الحديث ما روى عن التهذيب عن أبى عبد الله عليه السّلام فراجع، فيعلم أنه لا بدّ من بغض أعدائهم، و إن محبتهم و إن كانت قليله توجب دخول النار كما هو صريح قوله عليه السّلام: و الذى بعث محمدا. . إلخ. فظهر من هذه الأحاديث أن المحبه و الولايه لهم إنما تتم ببغض أعدائهم و البراءه منهم، و نحن نسأل الله تعالى ذلك بأن يرزقنا موالاتهم و موالاه أوليائهم، و معاداه أعدائهم فى الدنيا و الآخره بمحمد و آله الطاهرين.

الفصل الثالث: شئون الولايه:

اشاره

فى بيان شئون الولايه الحقّه الثابته لهم عليهم السّلام من الله تعالى بما لها من المعنى الأعم من التشريعى و التكوينى، و هى كثيره جدا كما يظهر من الأحاديث الكثيره الوارده فى بيان المعجزات، الصادره عنهم التى تنبئ عنها و عن منازلهم عند الله تعالى. و قد علمت أن ولايتهم عليهم السّلام لها التصرف فى جميع العوالم من عوالم الملائكه و الدنيا و الآخره، و جميع ما سوى الله تعالى، كما يظهر فى مطاوى الشرح إن شاء الله تعالى. و نحن نقتصر فى بيان شئونها المذكوره فى الزياره الجامعه الكبيره، فإنها كما علمت تضمنت منها ما لم تتضمنه ساير الزيارات، فنقول و عليه التوكل:

فی تهذیب الشیخ الطوسی (رضوان الله علیه) (۱)و الفقیه للصدوق (رضوان الله علیه) (۲)روی محمد بن علی بن الحسین بن بابویه قال: حدثنا علی بن أحمد بن موسی و الحسین بن إبراهیم بن أحمد الکاتب، قالا: حدثنا محمد بن أبی عبد الله الکوفی، عن محمد بن إسماعیل البرمکی (الفقیه) : روی محمد بن إسماعیل البرمکی، قال: حدثنا موسی بن عبد الله النخعی، قال: قلت لعلی بن محمد بن علی ابن موسی بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب علیهم السّلام: علمنی یا بن رسول الله قولا أقوله بلیغا کاملا إذا زرت واحدا منکم. فقال: إذا صرت إلی الباب فقف و اشهد الشهادتین، و أنت علی غسل، فإذا دخلت (و رأیت القبر-فقیه) فقف و قل: الله أکبر، الله أکبر ثلاثین مرّه ثم امش قلیلا، و علیک السکینه و الوقار، و قارب بین خطاک ثم قف و کبّر الله عز و جل ثلاثین مرّه، ثم ادن من القبر و کبر الله أربعین تکبیره، تمام المائه تکبیره ثم قل: السلام علیکم یا أهل بیت النبوه. . الزیاره. أقول: قال الصدوق فی أول الفقیه ما لفظه: و لم أقصد فیه قصد المصنفین فی إیراد جمیع ما رووه، بل قصدت إلی إیراد ما أفتی به و أحکم بصحته، و أعتقد فیه أنه حجّه فیما بینی و بین ربّی-تقدس ذکره و تعالت قدرته- و جمیع ما فیه مستخرج من کتب مشهوره علیها المعوّل و إلیها المرجع مثل کتاب ضریر إلی أن قال رحمه الله: و غیرها من الأصول و المصنفات التی طرقی إلیها معروفه فی فهرس الکتب، التی رویتها عن مشایخی و أسلافی (رضی الله عنهم) و بالغت فی ذلک جهدی، مستعینا بالله و متوکلا علیه و مستغفرا من التقصیر، و ما توفیقی إلاّ بالله علیه توکلت و إلیه أنیب و هو حسبی و نعم الوکیل. أقول: هذه الزیاره الشریفه قد اشتهرت بین الشیعه و علمائهم بنحو تلقّوها

۱- ۱) ج ۶ ص ۹۵ باب ۴۶ عدد ۱۷۷.

۲- ۲) ج ۲ ص ۳۷۰ باب ۲۲۵ عدد ۱۶۲۵.

بـالقبول بـأجمعهم بـدون خلاف من أحـدهم، لما علموا يقينا بصـدورها منه عليه السّـلام فلا راد و لا معترض، بل و لا متأمل فی صدورها عنه علیه السّـلام. فعليه فلا يحتاج إلى بيان تصـحيح إسناد الزيارہ، و الاستشهاد عليها ببعض المنامات المرئيّه فی المقام، و إن كانت مؤيّده بل مصححه لها جدّا فهی رئيت و رويت عن الأكابر كما لا يخفى على المراجع لشرح الفقيه للعلاّمه المجلسی الأول (رضوان الله عليه) . هذا و يكفی فی صـحه صدورها ما علمت من قول الصدوق رحمه الله فی أول الفقيه: بل قصدت إيراد ما أفتی به و أحكم بصـحته و أعتقـد فيه أنه حجّه فيما بينی و بين ربّی تقدس ذكره. . إلخ. فإنه ظاهر و صـريح فی صـحتها عنده رحمه الله و كفى به معتمـدا فی ذلـک. قـال العلامه المجلسـی رحمه الله فی البحـار بعـد شـرحه بعض جمـل الزيارہ ما لفظه: أنا بسـطت الكلام فی شـرح تلک الزيارہ قليلا و إن لم أستوف حقّها حذرا من الإطاله، لأنها أصح الزيارات سندا، و أعمّها موردا، و أفصـحها لفظـا، و أبلغهـا معنى و أعلاهـا شأنـا. أقول: قـد اهتم كثير من العلمـاء (رضوان الله تعـالی عليهم) فی شـرح هـذه الزيارہ بخصوصـها، مع ورود كثير من الزيارات الجامعه كما لا يخفى، و ذلک اعتناء منهم بشأن هـذه الزيارہ الشـريفه، لأنها عندهـم كما علمت أصـحها سـندا و أبلغهـا معنى و لفظـا. و قـد ذكرهم الشيخ الحجه الحاج آقا بزرگ الطهرانی (رضوان الله عليه) فی الجلد الثالث عشر من الذريعه و هم: ۱-الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائی المتوفى سنه ۱۲۴۳ أو ۱۲۴۱ قال رحمه الله: و عندی منه نسـخه مخطوطه كتبت فی حياه المؤلف فی سنه ۱۲۳۸ بعد تأليفه بثمان سـنين. ۲-المولى محمد تقی المجلسـی والد شيخنا الباقر مؤلف البحار.

ص :۳۵۵

۳-السید حسین بن محمد تقی الهمدانی و اسم شرحه الشموس الطالعه. ۴-السید عبد الله شبّر الحسینی و اسم شرحه الأنوار اللامعه. ۵-السید میرزا علی نقی بن المجاهد الطباطبائی الحائری. ۶-المیرزا محمد علی بن محمد نصیر الچهاردهی الرشتی. ۷-السید محمد بن محمد باقر الحسینی النائینی المختاری. ۸-السید محمد بن عبد الکریم الطباطبائی البروجردی و اسم شرحه الأعلام اللامعه. ۹-الحاج میرزا محمد أحمدآبادی الأصفهانی الشهیر بطیب زاده الفارسیه و اسم شرحه شمس طالعه و هو مطبوع. هذا مضافا إلی أن مضامین الزیاره التی تضمنت من الدقائق و الأسرار العجیبه، و شئون الولایه بعبارات فصیحه عالیه بلیغه تنبئ عن صدورها عنه علیه السّلام و لا یتأمل فیه ذو مسکه أبدا، فإذا لا تصغ إلی قول من یتأمّل فی صحه السند و القدح فیها، فإنه ناشئ عن الجهل أو القصور و التقصیر فی حقهم علیهم السّلام کما لا یخفی.

و قبل الشروع فی الشرح لا بد من تقدیم أمور:

الأمر الأول: فی معنی الزیاره و فضلها،

اشاره

فنقول و علیه التوکل: فی المجمع: و زاره یزوره زیاره: قصده. . إلی أن قال: و الزیاره فی العرف قصد المزور إکراما له و تعظیما له و استیناسا به. و قیل: الزیاره هی الحضور عند المزور. و قیل: هی التشرف بمحضر الإمام علیه السّلام مثلا. و لا ریب فی أن المعنی الأول یعمّ الزیاره من قریب أو بعید، فإن القصد عام و إن کان یتبادر منه أی من القصد الزیاره من قریب. و کیف کان فأکثر مصادیقها یلاحظ فیها المعنی العرفی، فهی إذا لوحظت بالنسبه إلی العرف فمصادیقها ظاهره عندهم، و إذا لوحظت بالنسبه إلی الإمام علیه السّلام حیّا کان أو میتا فلها شرائط خاصه زائده علی معناها اللغوی و العرفی کما تعرفه إن

شاء الله. هذا و إن الزياره أمر مرغوب فيه مطلقا، و قد وردت أحاديث كثيره فی فضلها: الأول: فی فضل زياره الإخوان و المؤمنين أحياء و أمواتا. الثانی: فی فضل زياره النبیّ و الأئمه عليهم السّلام أحياء و أمواتا.

أما الأول، [فی فضل زياره الإخوان و المؤمنين أحياء و أمواتا]

فنقول: استحباب زياره المؤمنين بعضهم لبعض أحياء إنما هو و ثوابه لأجل ما يترتب عليه من التعاطف، و إحياء أمر الدين و العلم و قضاء حوائجهم حينئذ، و تأليف القلوب و ما أشبه ذلک، و لذا تری أن الأحاديث أكّدت الزياره لأجل هذه الأمور المترتبه عليها حيث أشارت إليها أيضا.

ففی البحار (۱)عن الکافی، بإسناده عن أبی عبد الله عليه السّلام قال: من زار أخاه لله لا لغيره التماس موعد الله، و تنجز ما عند الله وكّل الله به سبعين ألف ملک ينادونه: ألا طبت و طابت لک الجنه.

و فيه عنه بإسناده عن خثيمه قال: دخلت علی أبی جعفر عليه السّلام أودعه، فقال: يا خثيمه أبلغ من تری من موالينا السلام، و أوصهم بتقوی الله العظيم، و أن يعود غنيهم علی فقيرهم، و قويهم علی ضعيفهم، و أن يشهد حيّهم جنازه ميتهم، و أن يتلاقوا فی بيوتهم فإن لقيا بعضهم بعضا حياه لأمرنا، رحم الله امرأ أحيا أمرنا. يا خثيمه أبلغ موالينا أنا لا نغنی عنهم من الله شيئا إلّا بالعمل، و أنهم لن ينالوا ولايتنا إلّا بالورع، و أن أشدّ الناس حسره يوم القيمه من وصف عدلا ثم خالفه إلی غيره.

و فيه عن الکافی بإسناده عن أبی عبد الله عليه السّلام قال: من زار أخاه فی الله، قال الله عز و جل: إيّای زرت و ثوابک علیّ، و لست أرضی لک ثوابا دون الجنه.

و فيه عن الکافی بإسناده عن أبی غزّه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: من زار أخاه فی الله فی مرض أو صحه لا يأتيه خداعا و استبدالا، وكلّ الله به سبعين ألف

۱- ۱) ج ۷۴ کتاب العشره ص ۳۴۲، أقول: هذه الأحاديث كلها أنقلها منه.

ملک ینادون فی قفاه: أن طبت و طابت لک الجنه، فأنتم زوار الله، و أنتم وفد الرحمن حتی یأتی منزله. فقال له یسیر: جعلت فداک و إن کان المکان بعیدا قال: نعم یا یسیر و إن کان المکان مسیر سنه، فإن الله جواد و الملائکه کثیره یشیّعونه حتی یرجع إلی منزله.

و فیه عن الکافی بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: من زار أخاه فی الله و لله جاء یوم القیمه یخطر بین قباطی من نور، لا یمر بشیء إلاّ أضاء له حتی یقف بین یدی الله عز و جل، فیقول الله عز و جل: مرحبا، و إذا قال الله مرحبا أجزل الله عز و جل له العطیه.

و فیه عن الکافی عن محمد بن قیس عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إن لله عز و جل جنه لا یدخلها إلاّ ثلاثه: رجل حکم علی نفسه بالحق، و رجل زار أخاه المؤمن فی الله، و رجل آثر أخاه المؤمن فی الله.

و فیه عن الکافی بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إن المؤمن لیخرج إلی أخیه یزوره فیوکل به ملک فیضع جناحا فی الأرض و جناحا فی السماء یظله، فإذا دخل إلی منزله ناد الجبار تبارک و تعالی: أیها العبد المعظم لحقّی المتتبع لآثار نبیّ حقّ علیّ إعظامک، سلنی أعطک، أدعنی أجبک، أسکت أبتدئک، فإذا انصرف شیّعه الملک یظلّه بجناحه حتی یدخل إلی منزله، ثم ینادیه تبارک و تعالی: أیها العبد المعظم لحقّی حق علیّ إکرامک، قد أوجبت لک جنتی و شفعتک فی عبادی.

و فیه عن الکافی بالإسناد المتقدم عن صالح بن عقبه عن عقبه، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: لزیاره مؤمن فی الله خیر من عتق عشر رقاب مؤمنات، و من أعتق رقبه مؤمنه وقی (الله عز و جل) بکلّ عضو عضوا من النار حتی أن الفرج یقی الفرج.

و فیه عن الکافی بالإسناد عن صالح بن عقبه، عن صفوان الجمال، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: أیّما ثلاثه مؤمنین اجتمعوا عند أخ لهم، یؤمنون بوائقه، و لا یخافون

غوائله، و يرجون ما عنده، إن دعوا الله أجابهم، و إن سألوا أعطاهم، و إن استزادوا زادهم، و إن سكتوا ابتدأهم.

و فيه عن الكافى بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لقاء الإخوان مغنم جسيم و إن قلّوا.

و فيه عن قرب الإسناد، ابن سعد عن الأزدى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال لفضيل: تجلسون و تحدثون؟ قال: نعم، جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبّها فأحيوا أمرنا، يا فضيل يرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده، فخرج من عينيه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه و لو كانت أكثر من زبد البحر.

و فيه عن أمالى الطوسى بإسناده عن العقرقوقى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول لأصحابه و أنا حاضر: اتقوا الله و كونوا أخوه برره متحابين فى الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا و تلاقوا و تذاكروا و أحيوا أمرنا.

و فيه عن الخصال بإسناده عن عمار بن صهيب قال: سمعت جعفر بن محمد عليهما السّلام يحدث قال: إن ضيفان (ضيوف) الله عز و جل رجل حج و اعتمر فهو ضيف الله حتى يرجع إلى منزله، و رجل كان فى صلاته فهو فى كنف الله حتى ينصرف، و رجل زار أخاه المؤمن فى الله عز و جل فهو زائر الله فى ثوابه و خزائن رحمته.

و فيه عن مجالس المفيد و أمالى الطوسى بإسناده عن عبد العظيم الحسنى، عن أبى جعفر الثانى عليه السّلام قال: ملاقاه الإخوان نشره و تلقيح و إن كان فوزا قليلا.

و فيه عن أمالى الطوسى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إن من روح الله تعالى ثلاثه: التهجد بالليل و إفطار الصائم و لقاء الإخوان.

و فيه عن الخصال بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله سبعه فى ظلّ عرش الله عز و جل يوم لا ظل إلّا ظله: إمام عادل، و شاب نشأ فى عباده الله عز و جل، و رجل تصدق بيمينه فأخفاه عن شماله، و رجل ذكر الله عز و جل خاليا ففاضت عيناه من خشيه الله، و رجل لقى أخاه المؤمن فقال: إنى لأحبك فى الله

عز و جل، و رجل خرج من المسجد و فی نیّته أن یرجع إلیه، و رجل دعته امرأه ذات جمال إلی نفسها فقال: إنی أخاف الله رب العالمین.

و فیه عن کتاب الإمامه و التبصره بإسناده عن السکونی، عن جعفر بن محمد، عن أبیه عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: الزیاره تنبت الموده.

و قال صلّی الله علیه و آله: زر غبا تزدد حبّا. أقول: هذه الأحادیث دلّت بتظافرها علی أهمیه أمر الزیاره بما لها من الآثار، و منها یعلم شرائط الزیاره من حیث النّیه و غیرها کما لا یخفی.

و فیه أیضا عن المحاسن، عن صفوان الجمال، عن أبی عبد الله علیه السّلام: ما التقی مؤمنان قط إلاّ کان أفضلهما أشدهما حبّا لأخیه.

و فیه عن مجالس المفید بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: المتحابون فی الله عز و جل علی أعمده من یاقوت أحمر فی الجنه، یشرفون علی أهل الجنه، فإذا اطلع أحدهم ملأ حسنه بیوت أهل الجنه، فیقول أهل الجنه: أخرجوا ننظر المتحابین فی الله عز و جل، قال: فیخرجون و ینظرون إلیهم، أحدهم وجهه مثل القمر فی لیله البدر علی جباههم، هؤلاء المتحابون فی الله عز و جل، إذا علمت هذا فعلیک بالزیاره خصوصا للمؤمنین و العلماء الربانیین، فإن فی زیارتهم إحیاء أمر الدین، و إحیاء النفوس المیته عن الحقائق و المعارف.

ففیه عن الکافی بإسناده عن سماعه عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: قلت له: قول الله عز و جل: مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَیْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسٰادٍ فِی اَلْأَرْضِ فَکَأَنَّمٰا قَتَلَ اَلنّٰاسَ جَمِیعاً وَ مَنْ أَحْیٰاهٰا فَکَأَنَّمٰا أَحْیَا اَلنّٰاسَ جَمِیعاً قال: و من أخرجها من ضلال إلی الهدی فکأنما أحیاها، و من أخرجها من هدی إلی ضلال فقد قتلها. أقول: کفی فی فضل زیاره المؤمنین و معانقتهم أن فیه حیاه الإیمان، و ظهور آثار المحبه و الألطاف الإلهیه، و مشاهده آثار الربوبیه فی الإخوان المؤمنین عند الملاقاه، و هی روح و صفاء لقلب المؤمن بل نتیجه الإیمان و سرور الرحمن و غایه ظهور

العرفان، کیف لا ـ و إن أرواح المؤمنین متصله بروح الله تعالی؟ ففی طرف الملاقاه یظهر آثار التوحید و الربوبیه بینهما بنحو لا یکون لغیرهم من الملائکه المقربین.

فعن الکافی بإسناده عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: المؤمن أخو المؤمن کالجسد الواحد إن اشتکی شیئا منه، وجد ألم ذلک فی سایر جسده، و أرواحهما من روح واحده، و إن روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من شعاع الشمس بها. قال الفیض (رضوان الله علیه) -بیان-و ذلک: لأن المؤمن محبوب لله عز و جل کما قال سبحانه: یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ ، و من أحبه الله تعالی کان سمعه و بصره و یده و رجله، فبالله یسمع و به یبصر و به یبطش و به یمشی، و أیّ اتصال أشد من هذا، انتهی.

و فی الکافی بإسناده عن إسحاق بن عمار، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: إن المؤمنین إذا اعتنقا غمرتهما الرحمه، فإذا التزما لا یریدان بذلک إلّا وجه الله، و لا یریدان غرضا من أغراض الدنیا قیل لهما: مغفورا لکما فاستأنفا، فإذا أقبلا علی المساءله قالت الملائکه بعضها لبعض: تنحّوا عنهما فإن لهما سرّا، و قد ستر الله علیهما. قال إسحاق: فقلت: جعلت فداک فلا یکتب علیهما لفظهما، و قد قال الله عز و جل: مٰا یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ (۱)قال: فتنفس أبو عبد الله علیه السّلام الصعداء، ثم بکی حتی أخضلت دموعه لحیته و قال: یا إسحاق إن الله تبارک و تعالی إنما أمر الملائکه أن تعتزل عن المؤمنین إذا التقیا إجلالا لهما، و أنه و إن کانت الملائکه لا ـ تکتب لفظهما و لا تعرف کلامهما، فإنه یعرفه و یحفظه علیهما عالم السرّ و أخفی. أقول: فانظر إلی لطفه تعالی لهما فی حال المعانقه، و إجلاله تعالی لهما ثم اعتبر ببکائه علیه السّلام فإنه علیه السّلام إنما بکی لما علم من ظهور آثار اللطف منه تعالی لهما، التی هی المشتاقه إلی أولیاء الله تعالی، فحینئذ یعلم أن السبب الوثیق لهذه الألطاف الحسنه

۱- ۱) سوره ق:۱۸.

الخاصه من الله تعالى هو المعانقه مع المؤمنين، مع هـذه الشـرائط المذكوره و كفى به فضـلا و فوزا و سـرورا، هذا كلّه فى زياره المؤمنين أحياء و ما لها من الآثار، و هناك أحاديث دلّت على استحباب زياره المؤمن ميتا.

ففى البحار (١)عن ثواب الأعمـال، ابن الوليـد عن الصـفار عن ابن عيسـى رفعه عن الصـادق عليه السّـلام قال: من لم يقـدر على صلتنـا فليصـل صالحى موالينا، و من لم يقـدر على زيارتنا فليزر صالحى موالينا يكتب له ثواب زيارتنا. و فى كامل الزيارات مثله بتفاوت يسير.

و فيه: حـدثنى أبى و محمـد بن يعقوب و جماعه مشايخى عن محمـد بن يحيى، عن محمـد بن أحمـد بن يحيى قال: كنت بفيد (٢)فمشـيت مع على بن بلال إلى قبر محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: فقال لى على بن بلال: قال لى صاحب هذا القبر عن الرضا عليه السّـلام قـال: من أتى قبر أخيه المؤمن، ثم وضع يـده على القبر، و قرأ إنا أنزلناه سبع مرّات أمن من يوم الفزع الأكبر. أقول: قال المحدث القمى فى السـفينه (٣)فى زور ما لفظه: و كـذا يسـتحب زياره كلّ من يعلم فضـله و علوّ شأنه و مرقـده و رمسه من أفاضل صـحابه النبى صلّى الله عليه و آله كسلمان و أبى ذر و المقداد و عمار و حذيفه و جابر الأنصارى. و كذا أفاضل أصحاب كلّ من الأئمه عليهم السّلام المعلوم حالهم من كتب رجال الشيعه كميثم التمار و رشيد الهجرى و قنبر و حجر بن عدى، و زراره و محمد بن مسلم و بريد و أبى بصير و الفضيل بن يسار، و أمثالهم مع العلم بموضع قبرهم. و كذا المشاهير من محدثى الشيعه و علمائهم الحافظين لآثار الأئمه الطاهرين و علومهم كالمفيد و الشـيخ الطوسـى و السـيدين الجليلين المرتضـى و الرضى و العلامه الحلى و غيرهم (رضوان الله تعالى عليهم)

١- ١) بحار الأنوار ج ٧۴ ص ٣۵۴.

٢- ٢) بلده فى نصف طريق مكه من الكوفه.

٣- ٣) سفينه البحار ص ۵۶۶.

و مقابر قم مملوه من الأفاضل و المحدثين. و تعظيمهم من تعظيم الدين، و إكرامهم من إكرام الأئمه الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) . انتهى. أقول: و يدل على ما ذكر إطلاق

قول الصادق عليه السّلام فى الحديث المتقدم: فليزر صالحى موالينا، كما لا يخفى، هذا كله بالنسبه إلى زياره المؤمنين أحياء و أمواتا.

و أما الثانى: أعنى فضل زياره النبى و الأئمه عليهم السّلام أحياء و أمواتا

فنقول و عليه التوكل:

فى السفينه (۱)فى حديث عن النبى صلّى الله عليه و آله أنه قال لعلى عليه السّلام: و من زار قبوركم عدل ذلك سبعين حجّه بعد حجه الإسلام، و خرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه، فأبشر و بشّر أولياءك و محبيك من النعيم و قره العين بما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، و لكن ضاله من الناس يعيّرون زوار قبوركم كما تعير الزانيه بزنائها، أولئك شرار أمتى لا أنالهم الله شفاعتى و لا يردون حوضى.

و فى كامل الزيارات (۲)، حدثنى على بن الحسين، عن على بن إبراهيم بن هاشم، عن عثمان بن عيسى، عن المعلّى بن أبى شهاب، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال الحسن لرسول الله صلّى الله عليه و آله: يا أبت ما جزاء من زارك؟ قال: بنى من زارنى حيّا أو ميتا، أو زار أباك كان حقا على الله عز و جل أن أزوره يوم القيمه فأخلصه من ذنوبه.

و عن الفقيه (۳)، و روى الحسن بن على الوشاء، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال: إن لكلّ إمام عهدا فى عنق أوليائه و شيعته، و إن من تمام الوفاء بالعهد زياره قبورهم، فمن زارهم رغبه فى زيارتهم و تصديقا بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيمه.

۱- ۱) سفينه البحار ج ۱ ص ۵۶۳.

۲- ۲) باب ۱۰.

۳- ۳) ص ۲۹۷.

أقول: زيارتهم عليهم السّلام أمواتا كزيارتهم أحياء عليهم السّلام فهو أمر مندوب أيضا كما يستفاد من أحاديث الحج.

فعن الفقيه (۱)، عن عمر بن أذينه عن زراره عن أبی جعفر عليه السّلام قال: إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم و يعرضوا علينا نصرهم.

و روی فيه (۲)عن هشام بن المثنى، عن سدير عن أبی جعفر عليه السّلام قال له: ابدءوا بمكه و اختموا بنا. هذا و لكن الميسور لنا فعلا- بحمد الله زياره قبورهم عليهم السّلام فإنها نعمه منه تعالى، فيا لها من نعمه! نسأل الله تعالى أن يرزقنا بلطفه و كرمه زياره مولانا الحجه (روحی له الفداء و صلوات الله عليه و على آبائه الطاهرين) بمحمد و آله المعصومين، و سيأتی فی شرح زياره الوداع أحاديث كثير فی فضل زيارتهم عليهم السّلام و ثوابها.

الأمر الثانی: فی بيان حقيقه زيارتهم و وظائفها

اشاره

أقول: قد عرفت معنى الزياره لغه و عرفا، و علمت ثوابها للمؤمنين أحياء و أمواتا، و ثوابها و تأكيدها لهم عليهم السّلام أحياء و أمواتا، و هناك أحاديث كثيره دلّت على ما ذكر كما فی البحار و كامل الزيارات و لكن فيما ذكرنا كفايه. هذا و لكن لا بدّ من بيان معنى زيارتهم عليهم السّلام فإن لها شأنا خاصا، لا بدّ من ملاحظته حال زيارتهم عليهم السّلام فنقول: قد علمت أن حقيقه الزياره هو الحضور عند المزور، و حينئذ فنقول: تحقق هذا

۱- ۱) ص ۲۶۹.

۲- ۲) الفقيه ص ۲۹۲.

المعنى من الزائر لهم إنّما هو مشكل جدّا إلاّ إذا عمل بوظائفه و هى على قسمين: الأول: الوظائف التى تجب مراعاتها ظاهرا. الثانى: التى تجب مراعاتها باطنا.

أما الأول: [الوظائف التى تجب مراعاتها ظاهرا.]

اشاره

ففيه أمور:

الأمر الأول: [قوله تعالى فاخلع نعليک. . .]

قال الله تعالى: . . فَاخْلَعْ نَعْلَيْکَ إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُویً (١)، و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ أُولٰئِکَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢). دلّت هذه الآيات على لزوم إكرام الروضات المقدسه، و خلع النعلين بعيدا عنها و لا سيما فى الطف و الغرى

لما روى أن الشجره كانت فى كربلاء و أن الغرى قطعه من الطور، فهما المحل الذى أمر موسى عليه السّلام بتلك الآداب، كما دلّت هذه الآيات على لزوم خفض الصوت عند قبر النبى صلّى الله عليه و آله و عدم جهر الصوت لا بالزياره و لا بغيرها إلاّ بالنحو المتعارف الذى يكون مصداقا للصوت.

و لما روى، كما عن المجلسى رحمه الله: إن حرمتهم بعد موتهم كحرمتهم فى حياتهم. و كذا عند قبور الأئمه عليهم السّلام

لما ورد: أن حرمتهم كحرمه النبى صلّى الله عليه و آله. فعلم أنه لا بد من إزاله ما به هتك احترامهم، و لا بدّ من خفض الصوت عندهم.

الأمر الثانى: أن يكون متطّهرا من الحدث و الخبث.

قال الشهيد رحمه الله فى الدروس: للزيارات آداب، أحدها: الغسل قبل دخول المسجد، و الكون على طهاره، فلو أحدث أعاد الغسل، قاله المفيد رحمه الله، و إتيانه

١- ١) سوره طه:١٢.

٢- ٢) الحجرات:٢ و ٣.

بخضوع و خشوع فی ثیاب طاهره نظیفه جدد. أقول: أما الطهاره من الخبث فما دلّ علی لزوم الکون مع الطهاره و الغسل کما سیجیء، دل علی لزوم الطهاره من الخبث بطریق أولی. مضافا إلی

ما رواه فی البحار (۱)عن قرب الإسناد عن أبی سعد، عن الأزدی قال: خرجنا من المدینه نرید منزل أبی عبد الله علیه السّلام فلحقنا أبو بصیر خارجا من زقاق من أزقه المدینه و هو جنب، و نحن لا علم لنا حتی دخلنا علی أبی عبد الله علیه السّلام فسلمنا علیه فرفع رأسه إلی أبی بصیر فقال له: یا أبا بصیر أ ما تعلم أنه لا ینبغی للجنب أن یدخل بیوت الأنبیاء، فرجع أبو بصیر و دخلنا.

و فیه عن رجال الکشی بإسناده عن بکیر قال: لقیت أبا بصیر المرادی فقلت: أین ترید؟ قال: أرید مولاک، قلت: أنا أتبعک فمضی معی و دخلنا علیه، و أحدّ النظر، فقال: هکذا تدخل بیوت الأنبیاء و أنت جنب؟ ! قال: أعوذ بالله من غضب الله و غضبک، فقال: أستغفر الله و لا أعود. روی ذلک أبو عبد الله البرقی عن بکیر. أقول: یمکن أن یقال: إن أحد الدواعی للغسل من الجنابه هو للدخول فی المشاهد المشرفه لزیارتهم أحیاء و أمواتا، ثم إن الطهاره من الحدث و الخبث لازمه للزائر. مضافا إلی استحباب الغسل کما علمته عن الشهید رحمه الله و لما

فی البحار عن التهذیب، عن العلاء بن سیابه، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قوله تعالی: خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ ، قال علیه السّلام: الغسل عند لقاء کلّ إمام.

و فیه عن کامل الزیارات بإسناده عن معاویه بن عمار قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: إذا أردت أن تخرج من المدینه فاغتسل ثم ائت قبر النبی صلّی الله علیه و آله.

و فیه (۲)عن کتاب فرحه الغری بإسناده عن یونس بن ظبیان، عن أبی

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۱۰۰ ص ۱۲۶.

۲- ۲) بحار الأنوار ج ۱۰۰ ص ۲۷۱.

عبد الله علیه السّلام قال: إذا أردت زیاره قبر أمیر المؤمنین علیه السّلام فتوضأ و اغتسل و امش علی هیئتک و قل، الخبر. و الأخبار الداله علیه کثیره فی مطاوی أحادیث الزیارات، إلّا أنه وقع الکلام فی وقت غسل الزیاره، و أنه لا بد من اتصاله بالزیاره، أو یکفی غسل الیوم إلی اللیل، و غسل اللیل إلی طلوع الفجر و إن نام و أحدث.

ففی البحار عن التهذیب عن عمر بن یزید عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: من اغتسل بعد طلوع الفجر کفاه غسله إلی اللیل فی کل موضع یجب فیه الغسل، و من اغتسل لیلا کفاه غسله إلی طلوع الفجر. قال المجلسی رحمه الله: الظاهر أن المراد بالوجوب هنا اللزوم و الاستحباب المؤکّد.

و فیه عن السرائر: جمیل عن حسین الخراسانی عن أحدهما علیهما السّلام أنه سمعه یقول: غسل یومک یجزیک للیلتک، و غسل لیلتک یجزیک لیومک. قال رحمه الله: هذا الخبر الذی أخرجه ابن إدریس من کتاب جمیل، الذی أجمعت العصابه علی تصحیح ما یصح عنه، تدل علی ما هو أوسع من الخبر المتقدم، و أنه إذا اغتسل فی أول الیوم یجزیه إلی آخر اللیل و بالعکس.

الأمر الثالث: الطواف بمراقد النبی و الأئمه

أنه قد اشتهر فی أنه هل یجوز الطواف بمراقد النبی و الأئمه علیهم السّلام أم لا؟ فقیل بالثانی استنادا إلی ما

عن علل الشرایع کما فی البحار (۱)بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: لا تشرب و أنت قائم و لا تطف بقبر، و لا تبل فی ماء نقیع فإنه من فعل ذلک فأصابه شیء فلا یلومنّ إلّا نفسه، و من فعل شیئا من ذلک لم یکن یفارقه إلّا ما شاء الله.

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۱۰۰ ص ۱۲۶.

أقول: فيه ما لا يخفى من المنع توضيحه: قال فى المجمع: و الطواف الغائط

و منه الخبر: لا يصل أحدكم و هو يدافع الطواف،

و منه الحديث: لا تبل فى مستنقع و لا تطف بقبر. فعلم أن المراد من

قوله: و لا تطف بقبر ، هو النهى عن التغوط. و يؤيده ما قاله فى النهايه: الطوف: الحدث من الطعام، و منه الحديث نهى عن متحدثين على طوفهما أى عند الغائط. و هناك شواهد أخر من الأحاديث على أن المراد منه هو التغوط، ففى حديثين وردا عن راو واحد بسياق واحد فى بيان موجبات تسرّع الشيطان إلى الإنسان و هى أمور: منها التخلى عند قبر و ذكر فى الآخر و لا تطف بقبر مكانه فيعطى الظن القوى بأن المراد من

قوله لا تطف بقبر هو النهى عن التخلى عند قبر، و توضيحه فى محله على أنه يمكن النهى عنه بعنوان طواف البيت من حيث العدد المخصوص. مضافا إلى إنه ورد فى الزياره الجامعه لأئمه المسلمين عليهم السّلام إلّا أن نطوف حول مشاهدكم. و فى بعض الروايات: قبّل جوانب القبر.

و فى الكافى بإسناده عن محمد بن أبى العلاء قال: سمعت يحيى بن أكثم قاضى سامراء بعد ما جهدت به و ناظرته و حاورته، و واصلته و سألته عن علوم آل محمد صلّى الله عليه و آله قال: بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله صلّى الله عليه و آله فرأيت محمد بن على الرضا عليه السّلام يطوف به فناظرته فى مسائل عندى فأخرجها إلىّ، الخبر. فى فهذا الخبر صريح بأنه عليه السّلام كان يطوف بالقبر الشريف. نعم الأحوط أن لا يطوف إلّا للإتيان بالأدعيه و الأعمال المأثوره لما حول القبر. و الحاصل: أن المشى حول القبر مطلقا بقصد تقبيل جوانب القبر، أو ذكر الأدعيه الوارده ليس طوافا كطواف البيت، و إن أطلق عليه لفظ الطواف، بل الظاهر أن المشى حول البيت بدون قصد المأمور به ليس الطواف الشرعى الذى هو

من أعمال الحج و العمره. نعم هو طواف لغوى كالطواف حول القبور. فالظاهر أنه لا إشكال فى الطواف بهذا المعنى حول قبور الأئمه عليهم السّلام. هذا مع أنه يمكن تخصيص المنع بقبر غير المعصوم جمعا بينه و بين ما دلّ على عمل المعصوم الطواف به كما تقدم.

الأمر الرابع: تقبيل القبور:

فالظاهر أنه مما لا خلاف فيه بين الإماميه فى جوازه بل استحبابه. و يدل عليه ما فى مطاوى أحاديث الزيارات من

قوله عليه السّلام: قبّل جوانب القبر و غيره، و قد نقل الشهيد رحمه الله فى الدروس بوجود نص على التقبيل. نعم: هل يجوز تقبيل العتبه أم لا؟ قولان، أقواهما الأول، قال الشهيد فى الدروس: و لا كراهه فى تقبيل الضرائح بل هو سنه عندنا، و لو كان هناك تقيّه فتركه أولى. و أما تقبيل الأعتاب فلم نقف فيه على نص يعتد به، و لكن عليه الإماميه، و لو سجد الزائر و نوى بالسجده الشكر لله تعالى على بلوغه تلك البقعه كان أولى. أقول: لم نعلم كون الهوى لتقبيل العتبه من السجده حتى يقصد بها سجده الشكر، و إلا لكان مطلق الهوى لتقبيل زوجته النائمه سجده، و هو كما ترى بل المتراءى من العوام أن القصد من الهوى هو التعظيم له عليه السّلام بتقبيل العتبه، على أن الكلام فى هذا الهوى المطلق، و إلا فلا ريب فى عدم جواز السجده لغير الله تعالى حتى يقال فى المقام بأولويه قصد سجده الشكر فرارا عن السجده لغيره تعالى بل هو واجب حينئذ. فتأمّل (۱)

۱- ۱) وجه التأمل أنه لعل المراد من قوله رحمه الله و لو سجد الزائر إلخ انه يسجد لله تعالى عوض الهوى للتقبيل لا ان الهوى للتقبيل يكون سجده مطلقا فيكون الأولى قصد سجده الشكر فتدبّر.

و على أىّ حال تقبيل العتبه لا إشكال فيه، و لو لم يقصد السجده تمسكا بمطلقات تقبيل العتبه. نعم قد يقال: إن المنصرف من العتبه هو الخشبه الرافعه فى أطراف الباب لا ـ الملتصقه بالأرض، و فيه ما لا يخفى من البعد و منع الانصراف. و فى المجمع: و العتبه أسكفّه الباب و الجمع عتب، و هو كما ترى مطلق يشمل الخشبه الملتصقه بالأرض.

الأمر الخامس: فى وقت الزياره و محلّها:

أما أصلها فيقتصر على الإتيان بها فى المأثور فى الزيارات أو الإتيان بها رجاء. و أما وقتها: قال الشهيد رحمه الله فى الدروس: و من دخل المسجد و الإمام يصلى بدأ بالصلوه قبل الزياره، و كذلك لو كان حضر وقتها و إلّا فالبدءه بالزياره أولى، لأنها مقصده، إلى أن قال: و ينبغى مع كثره الزائرين أن يخفف السابقون إلى الضريح الزياره و ينصرفوا، ليحضر من بعدهم فيفوزوا من القرب إلى الضريح بما فاز أولئك. و قال فى مكان الزياره: و ثالثها من الآداب: الوقوف على الضريح ملاصقا له أو غير ملاصق، و توهم أن البعد أدب و هم فقد نصّ على الاتكاء على الضريح و تقبيله. و أما محل صلوه الزياره، قال فيه رحمه الله: سادسها: صلوه ركعتين للزياره عند الفراغ، فإن كان زائرا للنبى صلّى الله عليه و آله ففى الروضه، و إن كان لأحد الأئمه عليهم السّلام فعند رأسه، و لو صلاهما بمسجد المكان جاز، و رويت رخصه فى صلوتهما إلى القبر و لو استدبر القبله و صلى جاز، و إن كان غير مستحسن إلّا مع البعد. أقول: رخصه فى صلوتهما إلى القبر أى بأن يجعل القبر قبله بأن يسجد عليه،

قوله: و لو استدبر القبله، بأن يصلى على جهه القبر مستدبر القبله جاز فى الصلوه المستحبه على قول ضعيف و لو مع البعد، و المشهور فعلا عدم الجواز.

فعن الاحتجاج: كتب الحميرى إلى الناحيه المقدسه يسأل عن الرجل يزور قبور الأئمه عليهم السّلام هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ و هل يجوز لمن صلى عند بعض قبورهم عليهم السّلام أن يقوم وراء القبر و يجعل القبر قبله، أم يقوم عند رأسه أو رجليه؟ و هل يجوز أن يتقدم القبر و يصلى و يجعل القبر خلفه أم لا؟ فأجاب (صلوات الله عليه) : أما السجود على القبر فلا يجوز فى نافله و لا فريضه و لا زياره، و الذى عليه العمل أن يضع خدّه الأيمن على القبر، و أما الصلوه فإنها خلفه، و يجعل القبر أمامه، و لا يجوز أن يصلى بين يديه و لا عن يمينه و لا عن يساره، لأن الإمام عليه السّلام لا يتقدم عليه و لا يساوى.

و فيه عن علل الشرائع بإسناده عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت له: الصلوه بين القبور؟ قال: صل بين خلالها و لا تتخذ شيئا منها قبله، فإن رسول الله صلّى الله عليه و آله نهى عن ذلك، و قال: لا تتخذوا قبرى قبله و لا مسجدا، فإن الله عز و جل لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم قبله. أقول: لا إشكال فى جعل القبر أمامه فى الصلوه، و أما السجود عليه فلا، و أما التقدم أو التساوى على القبر ففتاوى العلماء مختلفه و الأغلب عدم الجواز، كلّ ذلك بلا فرق بين الصلاه الواجبه أو المستحبه بأقسامها. نعم ربما يقال بجواز الصلاه المندوبه إلى القبر بأن يجعل القبر قبله، لأن يسجد عليه و لو مستدبرا للقبله كما علمته عن الشهيد. و لكن عمل الأصحاب فعلا على خلافه، و الله العالم بأحكامه. بقى شىء و هو أنه لو سبق إلى موضع من الأمكنه الشريفه مثل مكّه أو حرم الرسول أو الأئمه عليهم السّلام أو ساير المساجد و الأمكنه الشريفه فلا ريب فى أنه أحقّ به من غيره، و لا يجوز إخراجه و إزالته عنه ما دام مشغولا فيه بالعمل، و أما إذا فارقه

و رجع فهل هو أحق بمكانه أم لا؟ أقوال.

ففى البحار عن كامل الزيارات بإسناد يرفعه إلى أبى عبد الله عليه السّلام قال: قلت: نكون بمكه أو بالمدينه أو الحيره أو المواضع التى يرجى فيها الفضل، فربما يخرج الرجل يتوضأ فيجىء آخر فيصير مكانه قال: من سبق إلى موضع فهو أحق به يومه و ليلته. أقول: قال المجلسى رحمه الله: بيان ظاهر الخبر بقاء حقه و إن لم يبق فيه رحله، و حمله بعض الأصحاب على ما إذا بقى رحله فيه، فالتقييد باليوم و الليله إما مبنى على الغالب من عدم بقاء الرجل فى مثل ذلك المكان أزيد من هذا الزمان، أو يقال: بأن مع بقاء الرجل أيضا لا يبقى حقه أكثر من ذلك، أقول: أى فيجوز بعد هذا القدر من الزمان إخراجه و إشغال مكانه. ثم قال: رحمه الله: قال الشهيد رضى الله عنه: لا خلاف فى زوال ولايته مع انتقاله عنه بنيه المفارقه، أما مع خروجه عنه بنيه العود إليه فإن كان رحله باقيا، و هو شىء من أمتعته، و إن قلّ فهو أحق به للنص على ذلك هنا، و قيّده فى الذكرى بأن لا يطول زمان المفارقه و إلّا بطل حقه أيضا، و إن لم يكن رحله باقيا، فإن كان قيامه لغير ضروره سقط حقه مطلقا فى المشهور أى سواء كان بنيه الرجوع أم لا، و إن كان قيامه لضروره كتجديد الطهاره و إزاله نجاسه بقضاء حاجه ففى بطلان حقه وجهان، انتهى.

[أمور أخر لا بد من ملاحظتها]

أقول: و هناك أمور أخر لا بد من ملاحظتها، فعن الشهيد رحمه الله أنه ذكر أمورا فى الدروس تقدم بعضها. و منها: أيضا: استقبال وجه المزور و استدبار القبله حال الزياره. أقول: هذا فى زياره الإمام عليه السّلام و أما غيره فالأمر بالعكس كما ذكره المحدث القمى رحمه الله. و منها: الزيارات المأثوره للنهى عن الزيارات و الأدعيه المخترعه.

ص: ۳۷۲

روی الکلینی رحمه الله عن عبد الرحیم القصیر قال: دخلت علی الصادق علیه السّلام فقلت: جعلت فداک قد اخترعت دعاء من نفسی، فقال علیه السّلام: دعنی اختراعک، إذا عرضتک حاجه فلذ برسول الله صلّی الله علیه و آله وصل رکعتین و اهدهما إلیه، الخبر. و منها: الدعاء خصوصا بعد الصلوه. و منها: التصدق بشیء علی السدنه و الحفظه للمشهد الشریف. و منها: تعجیل الخروج عند قضاء الوطر من الزیاره لتعظم الحرمه، و یشتد الشوق کما علمت من

قوله صلّی الله علیه و آله: زرنی غبّا تزود حبّا. و منها: إن الخارج یمشی القهقری حتی یتواری کما روی. و منها: تلاوه القرآن عند المزور و إهدائه له فإن ذلک تعظیم للمزور. و منها: إذا دخل قدّم رجله الیمنی و إذا خرج فبالیسری کالمسجد. أقول أیضا: منها: أن یلبس ثیابا طاهره نظیفه و یحسن أن تکون بیضاء. و منها: أن یقصر خطاه إذا خرج إلی الروضه المقدسه لما له من ثواب حج و عمره لکلّ خطوه کما روی و أن یسیر و علیه السکینه و الوقار بحال الخشوع و الخضوع مطأطأ رأسه غیر ملتفت إلی الجوانب، و مع هذا یکون لشأنه مشتغلا بالتکبیر و التسبیح و التهلیل و التمجید و الصلوه علی محمد و آله، و أن یزور الإمام قائما علی قدمیه إلّا إذا استولی علیه الضعف و نحوه من الأعذار. و منها: التطیب بالطیب فیما عدا زیاره الحسین علیه السّلام فإن زیارته له أدب خاص.

ففی کامل الزیارات بإسناده عن کرام بن عمرو قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام لکرام: إذا أردت أنت قبر الحسین علیه السّلام فزره و أنت کئیب حزین شعث مغبّر فإن الحسین علیه السّلام قتل و هو کئیب حزین شعث مغبّر جائع عطشان. و هناک أحادیث أخر فیها تذکر آداب مخصوصه فی حال السفر و حال زیارته علیه السّلام مذکوره فی کتب الزیارات.

و أما الثانی أعنی الوظائف التی تجب مراعاتها باطنا،

قال الشهید رحمه الله، فی

الآداب: و ثانيها: الوقوف على بابه و الدعاء و الاستئذان بالمأثور، فإن وجد خشوعا و رقّه دخل و إلا فالأفضل له تحرى زمان الرقّه، لأن الغرض الأهم حضور القلب ليلقى الرحمه النازله من الرب. و قال: و تاسعها: إحضار القلب فى جميع أحواله مهما استطاع، و التوبه من الذنب و الاستغفار و الإقلاع (أى البناء على ترك العود إلى الذنب بنيه صادقه جازمه) . أقول: المستفاد من الأحاديث هو لزوم تحصيل حضور القلب فى الزياره خصوصا عند الاستئذان و قبل الزياره و هى بأمور: منها التفكر فى عظمه صاحب القبر، و أنه يرى مقامه و يسمع كلامه و يرد سلامه، و التدبر فى لطفهم و حبهم لشيعتهم و زائريهم، و التأمل فى فساد حاله و جفائه لهم عليهم السّلام بالتقصير عن أداء حقوقهم و حقوق شيعتهم، و العمل بوظائفه بالنسبه إلى دينه و شرعه، و أن يتمثل نفسه بحالات توجب له البكاء و الرقه و الحنين. و الحاصل: أن هذا كله للاستعطاف، و أن يصير موردا للألطاف الخاصه منه عليه السّلام و أن يتفكر فى مقام المزور، و أنه فى جوار الرب تعالى فكيف له زيارته.

فعن التهذيب بإسناده عن عطيه الأبرارى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لا تمكث جثّه نبى و لا وصى نبى فى الأرض أكثر من أربعين يوما.

و عن كامل الزيارات بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ما من نبى و لا وصى نبى يبقى فى الأرض أكثر من ثلاثه أيّام حتى يرفع روحه و عظمه و لحمه إلى السماء، فإنما تؤتى مواضع آثارهم، لأنهم يبلغون من بعيد السلام و يسمعونهم فى مواضعهم آثارهم من قريب.

و فيه بإسناده عن عبد الله بن بكير قال: حججت مع أبى عبد الله عليه السّلام فى حديث طويل، فقلت: يا بن رسول الله لو نبش قبر الحسين بن على عليه السّلام هل كان يصاب فى قبره شىء؟ فقال: يا بن بكير ما أعظم مسائلك! إن الحسين عليه السّلام مع أبيه و أمّه و أخيه

فی منزل رسول صلّی الله علیه و آله و معه یرزقون و یحبرون، الحدیث. أقول: هذه الأحادیث دلّت علی کونهم فی العرش عند الله تعالی بأرواحهم و أجسادهم المثالیه دون الجسمانیه، و به یجمع بین هذه و ما دل علی بقاء أبدانهم فی الأرض بل وجدوها فیها. و لها تأویل آخر ذکره العلماء و لست من أهل ذلک حتی أذکر لها وجها، و الله و رسوله العالم بما قالوا. و کیف کان یستفاد من هذه الأحادیث علوّ مقامهم بعد وفاتهم علیهم السّلام فالفکره فیه یعطی خضوعا و خشوعا للزائر کما لا یخفی. و لکن المهمّ هو بیان کیفیه الحضور القلبی بالنسبه إلیهم، لتحقق معنی الزیاره حیث علمت أنها الحضور عند المزور، و هذا أمر مشکل جدّا بیانه. . إنه و إن کانت الآیات و الأحادیث کما سیجیء إن شاء الله دلّت علی أنهم علیهم السّلام لهم الإحاطه بالجمیع و الحضور مع الجمیع بحیث لا یخفی علیهم شیء من السماء و الأرض و ما فیهما کما ستأتی الإشاره إلیه مفصلا. و هذا و الإیمان به یکفی فی صحه إلقاء السلام إلیهم علیهم السّلام بنحو الخطاب کما لا یخفی، إلّا أنه لیس بالخطاب الجامع الکامل الموجب لحضور الزائر عند المزور إلاّ بضرب من التأویل، کیف و هو بعید عنهم روحا لکونه محجوبا بحجب الظلمه، و حینئذ فإلقاء السلام بنحو الخطاب الکامل یحتاج إلی المشاهده القلبیّه للزائر بالنسبه إلی المزور، و حیث إن المزور هو النبی أو الإمام علیهما السّلام و هما فی مقام العلو و الرفعه فلا بد من ملاحظه أمور تحصل به المشاهده القلبیّه لصحه توجیه الکلام و السلام بنحو الخطاب إلیهم، و لذا ورد فی مقدمه هذه الزیاره کما علمت أعمالا تشیر إلی تحصیل هذه المشاهده القلبیه، فنقول فی توضیحه و علیه التوکل:

فی تفسیر البرهان فی تفسیر قوله تعالی: سُبْحٰانَ اَلَّذِی أَسْریٰ بِعَبْدِهِ علی بن إبراهیم، عن أبی عبد الله علیه السّلام حدیث طویل إلی أن قال علیه السّلام: فقال جبریل یا محمد

تعظم ما ترى إنما هذا خلق من خلق ربّك فكيف بالخالق خلق ما ترى و ما لا ترى أعظم هذا من خلق ربك، إن بين الله و بين خلقه تسعين ألف حجاب، و أقرب الخلق إلى الله أنا و إسرافيل و بيننا و بينه أربعه حجب، حجاب من نور، و حجاب من ظلمه، و حجاب من غمام، و حجاب من الماء، الحديث. و هناك أحاديث أخر دلّت على أنه بين الله و بين خلقه تسعين ألف حجاب من ظلمه.

و فى الوافى (۱)، عن السيد الداماد (رضوان الله عليه) و فى الحديث: إن لله سبعا و سبعين ألف حجاب من نور، لو كشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه، إلخ. و حينئذ نقول: هذه الحجب عباره عن الخلق بأقسامهم من أرواح النبيين و الأئمه و الملائكه، فهى تختلف قربا و بعدا و نورا و ظلمه، فإن الخلق هو بنفسه حجاب.

ففى توحيد الصدوق بإسناده عن أبى إبراهيم موسى بن جعفر عليه السّلام أنه قال: إن الله تبارك و تعالى لم يزل بلا زمان و لا مكان و هو الآن كما كان لا يخلو منه مكان و لا يشغل به مكان و لا يحل فى مكان مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَةٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَةٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مٰا كٰانُوا (۲)ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب و استتر بغير ستر مستور لا إله إلاّ هو الكبير المتعال. فعلم من هذا الحديث أن الخلق مطلقا هو الحجاب بينه و بين الله تعالى، و علم من المجموع أن جميع الحجب هو الحجب الخلقيه. و أما الخالق فلا حجاب له بل الحجب النوريه بما لها من المعنى الذى سيجىء

۱- ۱) الوافى ج ۱ ص ۸۹.

۲- ۲) المجادله:۷.

بیانه، و کذلک الحجب الظلمانیه هی التی تکون حجابا، و لا ریب فی أن الخلق هو حدود محضه مظاهر له تعالی. و قد علمت فی الفصل الأول فی معنی کون الهدایه من الله تعالی، و أنها ممکنه بالنسبه إلی أیّ أحد. . إن الإعراض عن الحدود هو الموجب لظهور الحقیقه، ففی ظرف المحو عن الحدود یصحو الحق کما حقق فی محله، و لعله سیجیء فی مطاوی الشرح بیانه إن شاء الله تعالی. فتحصل أن الإنسان و إن کان محجوبا بتلک الحجب الکثیره إلّا أنه فی ظرف الإعراض عن الحدود و الجهات الخلقیه یکشف له الحق، و هذا الإعراض له موجبات: منها: التوجه التام إلیه تعالی بتوضیح یأتی فی محله. و منها: بالتوجه إلیه تعالی فی ضمن التوجه إلی کبریائیته التی یشار إلیها بقول الله أکبر، ضروره إن إمرار معنی الکبریائیه علی القلب، بحیث یشمل شراشر الوجود ظاهرا و باطنا، یوجب الانقطاع إلیه تعالی خصوصا لأهل المعرفه، حیث إن هذا التحصیل یکون بالنسبه إلیهم أسهل من غیرهم. إذا علمت هذا (أعنی محجوبیه الزائر) فاجعله فی ذکرک و حینئذ نقول: إنّ النبی و الأئمه علیهم السّلام بما لهم الولایه الکبری الإلهیه التی علمت أن حقیقتها القرب المعنوی بالنسبه إلیه تعالی، فحینئذ یکون الإمام بروحه المولوی أقرب الخلائق إلیه تعالی فهو دائما فی مقام القرب و المکاشفه و المعاینه و هذا ثابت لهم بالآیات و الأخبار الکثیره. أما الآیات، فمنها قوله تعالی:

إِنَّ اَلَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ (۱)

ففی تفسیر نور الثقلین، و فی تفسیر علی بن إبراهیم: إن الذین

ص: ۳۷۷

۱- ۱) الأعراف:۲۰۶.

عند ربک یعنی الأنبیاء و الرسل و الأئمه علیهم السّلام لا یستکبرون عن عبادته و یسبحونه و له یسجدون (۱). و قوله تعالی: وَ لَهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ یَسْتَحْسِرُونَ (۲).

روی المفضل بن عمر عن الصادق علیه السّلام حین ذکر بعض ما خصهم الله تعالی، قال له المفضل: هل بذلک شاهد من کتاب الله تعالی؟ قال: نعم یا مفضل قوله تعالی: وَ لَهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ یَسْتَحْسِرُونَ. یُسَبِّحُونَ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لاٰ یَفْتُرُونَ إلی قوله: وَ لاٰ یَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضیٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ ویحک یا مفضل أ تعلمون أن من فی السموات هم الملائکه و من فی الأرض هم الجن و البشر و کلّ ذی حرکه، فمن الذی قال: و من عنده، قد خرجوا من جمله الملائکه و البشر و کلّ ذی حرکه، فنحن الذین کنا عنده و لا کون قبلنا و لا حدوث سماء و لا أرض و لا ملک و لا نبی و لا رسول. الحدیث.

فعن الکافی (۳)، بإسناده عن المفضل بن عمر قال: سألته عن علم الإمام بما فی أقطار الأرض و هو فی بیته مرخی علیه ستره فقال: یا مفضل إن الله تبارک و تعالی جعل فی النبی صلّی الله علیه و آله خمسه أرواح، روح الحیوه فبه دبّ و درج، و روح القوه فبه نهض و جاهد، و روح الشهوه فبه أکل و شرب و أتی النساء من الحلال، و روح الإیمان فبه آمن و عدل، و روح القدس فبه حمل النبوه، فإذا قبض النبی انتقل روح القدس فصار إلی الإمام، و روح القدس لا ینام و لا یغفل و لا یلهو و لا یزهو، و الأربعه الأرواح تنام و تغفل و تلهو و تزهو، و روح القدس کان یری به.

و فیه (۴)بإسناده عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول:

یَسْئَلُونَکَ عَنِ

ص: ۳۷۸

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۱۱۶.

۲- ۲) الأنبیاء:۱۹.

۳- ۳) الکافی ج ۱ ص ۲۷۶.

۴- ۴) أصول الکافی ج ۱ ص ۲۷۳.

اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی

(۱)

قال: خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل لم یکن مع أحد ممن مضی غیر محمد صلّی الله علیه و آله و هو مع الأئمه یسدّدهم و لیس کلّ ما طلب وجد أی من غیرهم علیهم السّلام.

و فیه (۲)بإسناده عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله تبارک و تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا مٰا کُنْتَ تَدْرِی مَا اَلْکِتٰابُ وَ لاَ اَلْإِیمٰانُ (۳)قال: خلق من خلق الله أعظم من جبرئیل کان مع رسول الله صلّی الله علیه و آله یخبره و یسدده و هو مع الأئمه من بعده. أقول: دلت هذه الأخبار علی أن الروح التی أوحی إلیه صلّی الله علیه و آله خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل و هو غیرهما و فوقهما و هو مع الأئمه علیهم السّلام فبه یری الإمام من دون العرش إلی ما تحت الثری، و سیجیء تحقیقه فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و إلی جدکم بعث الروح الأمین»

بما یوضح المقصود و یتضح به المقام.

و فی بصائر الدرجات: إن هذا الروح هو عمود من نور طرف منه متصل به تبارک و تعالی و الطرف الآخر متصل بالنبی صلّی الله علیه و آله.

ففیه بإسناده عن إسحاق الحریری قال: کنت عند أبی عبد الله علیه السّلام فسمعته و هو یقول: إن لله عمودا من نور حجبه الله عن جمیع الخلائق، طرفه عند الله و طرفه الآخر فی أذن الإمام و نظیره کثیر، و هذا النور هو الروح الذی أوحی إلیه صلّی الله علیه و آله و هو مع الأئمه علیهم السّلام.

و فیه بإسناده عن جعید الهمدانی قال: سألت علی بن الحسین علیه السّلام ثم بأی حکم تحکمون؟ قال: نحکم بحکم آل داود فإن عیینا شیئا تلقّانا به روح القدس.

و فیه بإسناده عن جابر قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: إن الله خلق الأنبیاء و الأئمه

۱- ۱) الإسراء:۸۵.

۲- ۲) أصول الکافی ج ۲ ص ۲۷۲.

۳- ۳) الشوری:۵۲.

على خمسه أرواح، روح القوه و روح الإيمان و روح الحيوه و روح الشهوه و روح القدس، فروح القدس من الله و ساير هذه الأرواح يصيبها الحدثان، فروح القدس لا يلهو و لا يتغير و لا يلعب، و بروح القدس علموا يا جابر ما دون العرش إلى ما تحت الثرى. فمن هذه الآيات و الأحاديث علم أن روح الإمام و حقيقته القدسيه التى هى الروح القدس يكون متصلا بالله تعالى. كيف لا و قد علمت فيما سبق

أن روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها؟ فهم عليهم السّلام دائما مقيمون عند الله، مستفيضون من جنابه الأقدس بحيث لا يشاركهم فيه أحد. و قد علمت أن أرواحهم بل و أجسادهم بعد موتهم مع النبى صلّى الله عليه و آله فى العرش، و عن يمين العرش كما عن كامل الزيارات فهم فى المحل الأعلى أحياء و أمواتا، و لذا كانوا يحدثون عنه تعالى بلا واسطه كما فى الأحاديث القدسيه.

ففى الوافى فى باب ما جاء فى أبى جعفر محمد بن على عليه السّلام بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام إلى أن قال: فكان محمد بن على عليه السّلام يأتيه (أى الجابر) على وجه الكرامه لصحبته لرسول الله صلّى الله عليه و آله قال: فجلس يحدثهم عن الله تبارك و تعالى، فقال أهل المدينه: ما رأينا أحدا أجرأ من هذا، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن رسول الله صلّى الله عليه و آله فقال أهل المدينه: ما رأينا أحدا أكذب من هذا يحدثنا عمن لم يره، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله فصدقوه، و كان جابر بن عبد الله يأتيه و يتعلم منه. و مثله الأحاديث القدسيه التى وردت عن الأئمه عليهم السّلام فإنهم يذكرون عن الله تعالى و هى كثيره جدّا.

ففى الجواهر السنيه فى الأحاديث القدسيه تأليف الشيخ الحر العاملى بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال الله: و عزتى و جلالى و عظمتى و بهائى و علوّ ارتفاع

مکانی، لا یؤثر عبد مؤمن هوای علی هواه فی شیء من أمر الدنیا إلّا جعلت غناه فی نفسه و همّه فی آخرته، و ضمّنت السموات و الأرض رزقه، و کنت له من وراء تجاره کل تاجر. فظهر من هذا أنهم علیهم السّلام عند الله تعالی، إذا علمت هذا فاعلم أن الزیاره الحقیقیه هی ما کانت عن حضور حقیقی، و أنهم فی مقام شامخ عند الله تعالی، و الزائر کما هو الأغلب فی مقام سجن النفس و الطبیعه کما علمت فکیف له الحضور الحقیقی لکی یخاطبهم؟ فإن کان من الأئمه و الأنبیاء فروحه من سنخ روحهم، فله التمکن من الخطاب. و إن کان من غیرهم و کان من العارفین، فهو أیضا له التمکن من ذلک علی قدر تهذیب نفسه و معرفته. و إن کان من غیرهم فلا بد من عمل به یحصل الحضور، لکی یصح الخطاب الحقیقی و لو فی الجمله، و لذا وردت أمور لا بد من نقلها، لکی یخرج الزائر بها من حجب الظلمانیه و النورانیه التی علمتها، ثم یخاطبهم بنحو کأنه یشاهدهم. و حاصل تلک الأعمال: أنه لا ریب فی أن للإنسان مرتبتین «الظاهریه و الباطنیه» فلا بدّ من تطهیرها لتحقق القابلیه لدرک الحضور. أما الظاهریه فبالغسل و لبس الثیاب النظیفه، و سایر الأعمال التی تقدمت الإشاره إلیها من الاشتغال بالذکر مثلا و نحوه. و أما الباطنیه فتطهیرها إنما هو بتحصیل حقیقه العبودیه فی مقام تمام مراتبها بتسلیم ما له إلی مولاه، و إزالته کل صفه رذیله، و رفعه کل حجب نوریه أو ظلمانیه، و هذا إنما یحصل بالدخول تحت ولایه الله و ولایه رسوله و الأئمه علیهم السّلام بالمشاهده القلبیه، و لذا

قال علیه السّلام: إذا صرت بالباب فقف و أشهد الشهادتین و أنت علی غسل، فبهذین الشهادتین اللتین حاصلهما مشاهده وحدانیته تعالی و رساله نبیه و ولایه الأئمه علیهم السّلام بما لها من المعنی المتقدم.

ص :۳۸۱

ثم تستشعر بقلبك أنك واقف على حظيره القدس، و مهوى الأفئده من الملائكه و الجن و الإنس، و مأوى الذين لهم الملك العظيم حيث أوجب الله تعالى على الخلق أجمع إطاعتهم. و تجعل نفسك فى مقام الخضوع و الخشوع و الأدب حيث إنك حينئذ صرت فى محل الملائكه قلبا، و فى عالم الأنوار أى أنوار الأدب محمد و آله الطاهرين، و ناظرا إلى ما نظروا إليه من عظمه الجلال و الجبروت للحىّ الذى لا يموت، و لمظاهره العاليه بالقدس و الطهاره الإلهيه، أعنى حقيقه أرواحهم عليهم السّلام و ولايتهم، فبتجلى أنوارهم تشاهد عظمتهم. و حينئذ ترى ذله نفسك و تقصيرك فى حقّ معبودك و مواليك، فتحصل لك حاله الاستغفار و التوبه و الذله و الإنابه فتسترحمهم و تستعطفهم لتنال بذلك منهم القدح الأدنى، و تشرب من حبّهم الكأس المعين من عين سلسبيل. و حصول هذه المراتب و رفع هذه الحجب إنما هو كما علمت بأمور: منها: الاستغفار المذكور. و منها: التكبير حيث علمت أن إمرار حقيقه التكبير، يوجب رفع الحجب، التى هى حجب الغفله كما لا يخفى،

قال عليه السّلام: فإذا دخلت و رأيت القبر فقف و قل: الله أكبر ثلاثين مره. و إنما أمر عليه السّلام بالتوقف لتأخذ أهبّتك و استعدادك، كما أن الملائكه وقفت فى مثل هذه الأماكن المعنويه لهذه الجهه و تحصيل الاستعداد هو التفكر فيما ذكر قبلا، لكى تتهيأ لملاقاتهم،

قال عليه السّلام: ثم امش قليلا و عليك السكينه و الوقار و قارب بين خطاك (لما تقدم وجهه) ثم قف و كبر الله ثلاثين مره. و إنما أمر عليه السّلام بالوقوف ثانيا، لأنه بعد ما حصل بتلك التكبيرات الأولى قرب معنوى، فلا محاله يشاهد من أنوارهم ما يبهر العقول و يحار فيه اللب فتحصل منه الدهشه و القلق. فلا بد من الوقوف أيضا، لتحصيل الهدوء و السكينه و الاستعداد لما يلقاه بعد

ذلک. و بعباره أخری: انه کما إذا أراد أحد الدخول علی ملک عظیم المنزله ذی بأس و بطشه فلا محاله یدخل و فی قلبه منه هیبه عظیمه، فیمشی قلیلا- فیهیج فی قلبه الخوف و الهیبه منه فیقف لیتهیأ لحال إمکان الوصول إلیه، فالأمر بالوقوف بعد ثلاثین تکبیره لهذه الجهات کما لا یخفی، و الله العالم بمراد أولیائه علیهم السّلام.

قال علیه السّلام: «ثم ادن من القبر و کبّر الله أربعین تکبیره» تمام مائه تکبیره التی بها یحصل رفع الحجب مطلقا، و تحصل القابلیه للمشاهده و الحضور القلبی، فحینئذ یمکنه توجیه الخطاب إلیهم. نعم علی قدر درکه عظمتهم و مشاهدته أنوارهم، و معرفته بحقائقهم النوریه، التی ظهرت له فی تلک الحال و هو حال الوصول إلی مقام العظمه الکبریائیه بحیث تأثرت الکبریاء إلی شراشر وجوده حتی إلی بدنه، و به یحصل اجتماع المقبول و القابل و ذلک مقام الاتصال و هو أخص أحوال الزائر لهم. و لعمری إنها أحسن حال للعبد حیث یری نفسه فی محضر محبوبه، و عند ساداته و موالیه فیلتذ بما لا یمکن بیانه، و یری ما لا یدرک غوره و یستضیء من نورهم ما لا یستقصی توصیفه. و لقد ذکرت هذه الحالات لبعضهم حین تشرفه للزیاره بنحو یبهر العقول، و یشتاق إلیها ذو اللب و أهل المعرفه و المیل إلی الوصله و الوصول فهنیئا لهم بما منحهم الله تعالی. و لعمری هذا مقام لا مطمع لأحد فی سواه، و لا مقام أرفع منه فی معناه، رزقنا الله ذلک بمحمد و آله الطاهرین.

قال علیه السّلام: ثم قل: «السلام علیکم» . أقول: قد یقال: التعبیر بثم الذی هو للتراخی، مع أنه حینئذ فی مقام القرب و الوصول غیر مناسب له، فالتراخی بینه و بین السلام لا وجه له، و لکن یدفعه أن کلمه ثم هذه کأخواتها المتکرره من قبل إنما

هی لبیان التراخی بین المراتب الحاصله له من القرب المعنوی. ضروره أن قول السلام علیکم لا بد من أن یکون فی مقام التوجه التام إلیهم علیهم السّلام و هذا یختلف مع ملاحظه آثار الربوبیه و الولایه لهم علیهم السّلام، التی هی فوق کلّ مقام معنوی کان قبله، و ذلک لأن طور التکبیر و الحال الحاصل به غیر طور التسلیم و مقتضی المغایره المهله المبیّنه بثم.

ص: ۳۸۴

شرح متن الزیاره

اشاره

ص: ۳۸۵

مرّ الكلام فی بیان ما یلزم لزائریهم. و أما الكلام فی شرح متن الزیاره التی هی بیان شئون الولایه فنقول:

[۱]قوله علیه السّلام: السلام علیكم یا أهل بیت النبوه.

اشاره

أقول: الكلام فی شرح هذه الجمله یقع فی أمور أربعه. الأول: فی معنی السلام. الثانی: فی معنی الأهل و ما یرادفه من الآل. الثالث: فی المعانی التی یمكن أن تراد من المخاطب الملقی إلیه الخطاب. الرابع: فی معانی بیت النبوه، فنقول:

أما الأول: [فی معنی السلام]

السلام، معناه السلامه من الآفات أی خلّو السالم مما یوجب نقصه أو عدم كماله أو زواله أو مقرونیّته ببعض المضار المانعه عن السلامه، و علی أی حال هو اسم عام وضع لهذا المعنی العام و هو إما یستعمل بما هو ثلاثی أو مزید فیه و كلاهما إما بمعنی الاسمیه أو المصدریه أو المشتقات من المصدر، ففی جمیع هذه الموارد قد استعملت فیه السلامه بما لها من المعنی العام.

ص: ۳۸۷

غايه الأمر أن السلامه من الآفات فی کل مورد یراد منها ما یناسب ذلک المورد، فموارد الاستعمال مطلقا مصادیق لهذا المعنی العام و هو (أی السلام) بما له من معنی السلامه العامه یستعمل فی هذه المصادیق المختلفه بنحو الحقیقه. و نحن نذکر بعض مواردها ثم بیان المراد من قوله السلام علیکم فی الزیاره. فنقول أولا: ان تحقق معنی السلام أی السلامه من کلّ آفه إما ذاتی فی مصداقه و إما عرضی کسبی أو موهبتی. فالأول: هو الله تعالی، فإطلاق السلام علیه تعالی کما أطلق هو تعالی علی نفسه بلحاظ تحقق السلامه فیه ذاتا لا عرضا، بل هو المعطی لغیره السلامه کما لا یخفی. و الثانی: جمیع موارد مصادیق السلام المستعمل فی غیره تعالی فإنها إنما یتحقق فیه معنی السلام مع اختلاف مواردها، لکونها تحققت فیها السلامه المخصوص بها علی ما أعطاه الله تعالی، و ذلک لأن لازم کون السلامه له تعالی ذاتا و لغیره عرضا، هو أن المعطی منها فی غیره إنما هو بإعطائه تعالی، فأول مصداق حقیقی للسلام بما له من معنی السلامه الکلیه الذاتیه الأزلیه و الأبدیه بجمیع جهات السلامه هو ذاته المقدس المبرئ من کلّ عیب و نقص، فالسلام اسم له تعالی بهذا المعنی. ففی توحید الصدوق قال رحمه الله: (السلام) السلام معناه المسلّم و هو توسع، لأن السلام مصدر، و المراد به أن السلامه تنال من قبله، و السلام و السلامه مثل الرضاع و الرضاعه و اللذاذ و اللذاذه، و معنی ثان أنه یوصف بهذه الصفه لسلامته مما یلحق الخلق من العیب و النقص و الزوال و الانتقال و الفناء و الموت. . إلخ. أقول: سمی نفسه سلاما بصیغه المبالغه، لتحقق معنی السلامه بکمالها و حقائقها کما علمت فیه تعالی. و قوله: و هو توسع، فیه نظر لما علمت من أنه یستعمل فی جمیع معانیه حقیقه لا مجازا.

ص :۳۸۸

و إذا علمت ما قلناه تعلم کیفیه موارد استعمال السلام فی موارد معانیه اللغویه. فمنها: اتّصاف القول بالسلامه و هو قوله: إِذٰا خٰاطَبَهُمُ اَلْجٰاهِلُونَ قٰالُوا سَلاٰماً فالقول السالم الذی یقولونه عند مخاطبه الجاهل هو ما لیس فیه تعدّ و لا تأثم، و مثله: إِلاّٰ قِیلاً سَلاٰماً سَلاٰماً، و قوله: فَسَلاٰمٌ لَکَ مِنْ أَصْحٰابِ اَلْیَمِینِ. و منها: اتّصاف الدار بها کقوله تعالی: لَهُمْ دٰارُ اَلسَّلاٰمِ أو سمیت الجنه دار السلام، و منه

قوله فی الدعاء: لبیک داعیا إلی دار السلام ، لأن سکانها سالمون من کلّ آفه، لسلامه الدار و خلوها من الآفات خصوصا داره تعالی عز و جل، التی هی أخصّ من الجنه کما حقق فی محلّه. و منها: اتصاف الطریق بها کقوله: سُبُلَ اَلسَّلاٰمِ ، یعنی طریقا اتصفت بالسلامه من العذاب. و هکذا فی جمیع موارد استعمال السلام، و منه: السلام علیکم عند الورود علی أحد، أی أنتم فی سلامه منّا لم تصل إلیکم آفه منّا توجب نقص السلامه، و حیث إن السلامه تلازم الحفظ فی بعض الموارد. فلذا قیل: معنی السلام علیکم أی الحافظ علیکم. و حیث إن أتم مصداق الحافظ هو الله تعالی فیقال: الله الحافظ علیکم فی معنی السلام علیکم. و کیف کان فالسلام بما هو مشتمل علی السلامه فیکون تحیه للمسلم علیه. و لذا جعل مصداقا للتحیه فی آیات عدیده کقوله تعالی: تَحِیَّتُهُمْ فِیهٰا سَلاٰمٌ (۱)فی آیتین، و قوله تعالی: وَ إِذٰا حُیِّیتُمْ بِتَحِیَّهٍ فَحَیُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهٰا (۲)و فسّر بالسلام و جوابه کما فی الأخبار. و قد یقال: بأن السلام مصدر سلّم بتشدید العین، فهو حینئذ بمعنی التسلیم

۱- ۱) إبراهیم:۲۳.

۲- ۲) النساء:۸۶.

للمسلم عليه، فقولك: السلام عليك بهذا المعنى أى سلمت نفسى بما لها السلامه و عليه فقولك: السلام عليكم، أى السلامه من جميع الآفات التى هى منه تعالى عليكم، و المعنيان محتملان فى الزياره. أما الأول: أى يسلم الزائر نفسه و ماله و مطلق ما يتعلق به من بدو وجوده إلى الأبد إلى الإمام عليه السّلام بحيث لا يرغب بشىء مما يتعلق بعالم وجود هذا الزائر عن الإمام عليه السّلام بل وطّن نفسه بإفنائها فى إرادته عليه السّلام و وفقها عليه عليه السّلام فيكون هذا إقرارا منه بالرقيّه لهم فى الطاعه بل و المملوكيه-كما سيجىء-من أعلى مراتب الرقيه إلى أدناها، لأن الإمام عليه السّلام هو الذى يستأهل لاسترقاقه و ولايته عليه دون غيره، و ذلك لما أعطاهم الله الولايه و الملك و سياسه الخلق كما سيجىء فى الشرح إن شاء الله تعالى. و أيضا يسلم أى يؤدى الأمانه التى عرضها الله تعالى عليه، و قبلها من أمر الولايه لهم عليهم السّلام و يعمل على طبقها، و حينئذ لا يكون قوله: السلام عليكم، دعاء بل إخبارا بتسليمه لهم بنحو ما ذكر، هذا إذا أريد من السلام السلام من نفسه عليهم عليهم السّلام. و أما إذا أريد منه السلام منه تعالى عليهم بهذا المعنى، فمعناه أن التسليم الكلى منه تعالى إلى خلقه إنما هو عليكم لا على غيركم، لأنه تعالى بعد ما خلقهم فى عالم الأنوار كما سيجىء فى

قوله عليه السّلام:

«خلقكم الله أنوارا»

سلم إليهم أمر جميع العوالم و فوض لهم أمر دينه بعد ما أدّبهم بأحسن تأديب الرب لمربوبه، و لذا أخذ الله تعالى ميثاق نبوه النبى صلّى الله عليه و آله و ولايه الأئمه عليهم السّلام من تمام ذوى الأرواح و غيرهم. فالله تعالى أوكل أمور مملكته و سياسه رعيته و خلقه إليهم عليهم السّلام فى كلّ جزئى و كلى كما علمته فى معنى الولايه التكوينيه، و سيجىء توضيحها مفصلا فى محاله إن شاء الله. و لذا كانت طاعتهم طاعه الله، و معصيتهم معصيته، و حبهم حب الله، و ليس

هذا إلّا لمكانتهم عنده، و أنهم المفوض إليهم أمر التشريع و التكوين بالمعنى الصحيح للتفويض كما سيجىء و تقدمت الإشاره إليه. و أما الثانى: و هو كونه مصدرا لسلم (بالتخفيف) فمعناه الدعاء، أى أن السلامه التى هى معنى اسم الله تعالى أعنى السلام عليكم، و حاصله أنه تعالى يمنحكم السلامه منه بالمعنى الكامل من كلّ آفه فيما أنعم به عليكم من العلوم و الاسم الأكبر و الطهاره من كلّ رجس، و العصمه فى جميع أعمالكم و أسراركم و أقوالكم و أحوالكم و الزلفى، و يحفظهم من كلّ ما يكره. و هنا معنى آخر لقولك: السلام عليكم يا أهل بيت النبوه. و حاصله: أن السلامه التى علمتها حيث إنها منه تعالى حقيقه، فللزائر أن يسلم عليهم أى يطلب منه تعالى تلك السلامه لهم و هو فى محله. و أما إذا أريد منه السلام من الزائر فكيف يكون سلام منه إليهم بمعنى السلامه مع أنه فاقدها ذاتا، و ما عنده منها فإنما هى من عنده تعالى فحينئذ ما معنى قوله السلام عليكم أى السلامه منى عليكم؟ و حاصل هذا المعنى أنه

روى فى الكافى، و الحسن بن سليمان الحلّى فى المحكى عنه فى كتابه مختصر بصائر سعد بن عبد الله الأشعرى، عن محمد بن يعقوب عن (كا) بعض أصحابه رفعه عن محمد بن سنان، عن داود بن كثير الرقى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: ما معنى السلام على الله (1)و على رسوله؟ فقال: إن الله لما خلق نبيه و وصيه و ابنيه و ابنته و جميع الأئمه عليهم السّلام و خلق شيعتهم، أخذ عليهم الميثاق، و أن يصبروا و يصابروا و أن يتقوا الله، و وعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركه و الحرم الآمن، و أن ينزل لهم البيت المعمور، و يظهر لهم السقف المرفوع، و يريحهم (و ينجيهم ن خ) من عدوهم. و الأرض التى يبدّلها من السلام، و يسلم ما فيها لهم لا شبهه (لا شيه) فيها، قال: لا خصومه فيها لعدوهم، و أن يكون لهم فيها ما يحبون، و أخذ

١- ١) ليس فى الكافى على الله بل هو منقول عن البصائر.

رسول الله صلّى الله علیه و آله علی جمیع الأئمه و شیعتهم المیثاق بذلک، و إنما هو علیه السّلام تذکره نفس المیثاق و تجدید له علی الله تعالی لعلّه أن یعجله و یعجل السلام لکم بجمیع ما فیه. انتهی. أقول:

قوله علیه السّلام: و الأرض التی یبدلها من السلام، أی من الله تعالی. و قال المحقق الکاشانی (رضوان الله علیه) : لعلّ المراد بالأرض المبارکه أرض عالم الملکوت، فإن البیت المعمور و السقف المرفوع هنالک، و أشیر به إلی رجعتهم علیهم السّلام التی ثبت عنهم علیهم السّلام وقوعها. . إلخ. هذا و قد علمت أن السلام هو التحیه، و معناه السلامه عن الآفات و المحن و الفتن، و العقوبه الدنیویه و الأخرویه إلی غیر ذلک. و علمت أن إبلاغ هذا من الزائر إلیهم لعلّه نحو من سوء الأدب، و لعلّه کان هذا المعنی فی ذهن السائل فیسأل عنه علیه السّلام: هل للسلام معنی آخر إذا سلم علی الله و علی رسوله؟ فأجابه علیه السّلام بأن له معنی آخر یناسب المقام. و حاصله: أنه تعالی لما خلق نبیه و وصیّه و ابنیه و ابنته و جمیع الأئمه علیهم السّلام و شیعتهم، أخذ علی شیعتهم أو علی الجمیع المیثاق و العهد بالربوبیه و النبوه و الولایه و الصبر و المصابره و المرابطه و التقوی، و وعدهم أن یسلم لهم الأرض المبارکه و هی هذه الأرض مطلقا. و إنما سمیت مبارکه، لکونها منازل الأنبیاء و الأوصیاء و الأولیاء و الصلحاء، و معبدهم و محل اشتیاقهم، أو خصوص بیت المقدس أو الکوفه أو الجمیع، و أن یسلم لهم الحرم الآمن و هو حرم مکّه أو مدینه أو کلاهما، و أن ینزل لهم البیت المعمور فهو إما کنایه عن بیت الشرف و المجد، أو البیت الذی فی السماء حیال الکعبه فی عصر الحجه و زمان الرجعه. و معنی إنزاله لهم هو ظهور ما فیه من الملائکه و حقائق العبودیه و مظاهر القدره لهم، و أن ینزل لهم السقف المرفوع و هو کنایه عن التحفظ لهم عما یکرهونه، و ذلک لأن السقف یراد منه الحفظ.

و حيث إنه فى زمان دوله الباطل يكون الحفظ مرتفعا عنهم، فأوعدهم الله تعالى بأن ينزل السقف المرفوع أى يمنحهم الحفظ فى الدنيا، أو المراد منه عيسى عليه السّلام، لكونه عالما مرفوع المنزله، أو مرفوعا من الأرض إلى السماء كذا قيل و هو كما ترى. أو هو كنايه عن إرسال غواليها و إنزال أمطارها الموجب للخصب و الرخاء و سعه العيش. و وعدهم أن يريحهم من عدوهم بقهر المهدى و إهلاكه عليه السّلام إيّاهم، و وعد لهم الأرض التى يبدلها من دار السلام و هى الجنه أى يجعل الأرض الدنيويه كالجنه من حيث وفور النعم الظاهريه و الباطنيه، كما مر كثير من الآيات القرآنيه المبيّنه للجنه و نعيمها بزمان المهدى عليه السّلام حيث تصير الدنيا حينئذ كالجنه، و وعدهم بأن يسلم لهم ما فيها، لا خصومه فيها لعدوهم، لانتفاء قدرتهم و زهوق الباطل هناك. أو يراد من تبدل الأرض تبدلها بالجنه فى الآخره، فمعناه أنه تعالى وعدهم بأن يدخلهم الجنه، و يكون فيها ما يحبون مما لا عين رأت و لا أذن سمعت. و أخذ أيضا رسول الله صلّى الله عليه و آله على جميع الأئمه و الشيعه الميثاق بذلك، و حينئذ يكون معنى السلام على الله (على نسخه البصائر) : إنما هو تذكره نفس الميثاق بما ذكر، و وعد لهم أن يؤجرهم بالوفاء به، و أن يسلّم لهم الأمور المذكوره. و معنى السلام على النبى صلّى الله عليه و آله تذكّر للعهد و طلب لتعجيل الوعد. و حاصله: أن المسلم على النبى يبين أنه على عهده الذى أخذ الله تعالى ميثاقه عليه و أنه باق على سلامته بدون آفه من نقض العهد، أو رفع اليد عن الدين، و عمّا يلزمه من الصبر و المصابره و التقوى، بل هو باق على ما عهد عليه من هذه الأمور، و متحمل للمشاق فى أمر الدين و ينتظر الفرج، و بذلك يطلب منه تعالى تعجيل الوعد منه تعالى بإنجازه تعالى تلك المواعيد. و سيأتى فى آخر الشرح-فى بيان الصلوات عليهم و ما له من المباحث-الفرق بينها و بين السلام، و بيان ما قيل: إن أحدهما الثناء المتصل و الآخر الثناء المنفصل

أقول: و أنت أيها الزائر إذا قلت:

السلام عليكم يا أهل بيت النبوه

، فليكن ما قرأناه عليك فى ذكر منك، و لتكن عاملا به، لتكون صادقا فى قولك عندهم عليهم السّلام و إلّا فلا يكون معنى السلام عليكم ما ذكرناه كما لا يخفى.

الأمر الثانى: فى المعنى المراد من كلمه آل و أهل.

ففى مجمع البحرين: قوله تعالى: وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ اَلرّٰاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ التأويل إرجاع الكلام و صرفه عن معناه الظاهرى إلى معنى أخفى منه مأخوذ من آل يؤل: إذا رجع و صار إليه، و تأوّل فلان الآيه أى نظر إلى ما يؤل معناه. . إلى أن قال:

و فى حديث: العالم الذى لا ينتفع بعلمه «يستعمل آله الدين فى الدنيا» أى يجعل العلم الذى هو آله و وسيله إلى الفوز بالسعاده وسيله موصله إلى تحصيل الدنيا الفانيه. . إلى أن قال: و الآله: الأداه، و الجمع الآلاه (1)و الإيال ككتاب اسم منه. و قد استعمل فى المعانى فقيل: آل الأمر إلى كذا. و آل إبراهيم: إسماعيل و إسحاق و أولادهما. و آل عمران: موسى و هرون أبناء عمران بن يصهر، إلى أن قال: و عن بعض أهل الكمال فى تحقيق معرفه الآل: إنّ آل النبى صلّى الله عليه و آله كان من يؤل إليه و هم قسمان: الأول: من يؤل إليه مآلا صوريا جسمانيا كأولاده، و من يحذو حذوهم من أقاربه الصوريين الذين يحرم عليهم الصدقه فى الشريعه المحمديه صلّى الله عليه و آله. و الثانى: من يؤل إليه مآلا معنويا روحانيا، و هم أولاده الروحانيون من العلماء الراسخين و الأولياء الكاملين، و الحكماء المتألهين المقتبسين من مشكاه أنواره. إلى أن قال: و لا شك فى أن النسبه الثانيه آكد من الأولى، و إذا اجتمعت النسبتان كان نورا على نور كما فى الأئمه المشهورين من العتره الطاهره ثم قال: و كما حرم على الأولاد الصوريين الصدقه الصوريه، كذلك حرم على الأولاد المعنويين الصدقه المعنويه أعنى تقليد الغير فى العلوم و المعارف. و آل حم: سور أولها حم أو

١- ١) الآلاه: جمع آله.

يراد نفس حم. و آل أصله أهل قلبت الهاء همزه بدليل أهيل فإن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها. إلى أن قال: أهل الرجل آله، و هم أشياعه و أتباعه و أهل ملته، ثم كثر استعمال الأهل و الآل حتى سمّى بهما أهل بيت الرجل، لأنهم أكثر من يتبعه، و أهل كلّ نبى: أمته. قيل: و منه قوله تعالى: وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاٰةِ . . أنهم أهل بيته خاصه. . و كذا أهل الماء

و منه الحديث: «إن للماء أهلا» أى سكّانا يسكنونه، و أهل الإسلام: من يدين به. انتهى ما عن المجمع. أقول: الأهل و الآل فى استعمال أهل اللغه و أهل الشرع بينهما عموم و خصوص من وجه، و إن كان أصل آل أهل كما علمت. لكن قد يطلق الآل و يراد به أشراف الأهل فهو حينئذ أخص من أهل. و قد يستعمله أهل الشرع على العكس فيراد من الأهل شرعا أخص من ينسب إلى الرجل فيراد حينئذ من الأهل فى موارد إطلاقه الأئمه المعصومين عليهم السّلام.

ففى معانى الأخبار، بإسناده عن محمد بن سليمان الديلمى عن أبيه قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: جعلت فداك من الآل؟ قال: ذريه محمد صلّى الله عليه و آله قال: فقلت: و من الأهل؟ قال: الأئمه عليهم السّلام فقلت: قوله عز و جل: أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب؟ قال: و الله ما عنى إلاّ ابنته.

و فيه بإسناده عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: من آل محمد صلّى الله عليه و آله؟ قال: ذريته، فقلت: أهل بيته؟ قال: الأئمه الأوصياء، فقلت: من عترته؟ قال: أصحاب العباء، فقلت: من أمته؟ قال: المؤمنون الذين صدّقوا بما جاء به من عند الله عز و جل، المتمسكون بالثقلين الذين أمروا بالتمسك بهما كتاب الله عز و جل و عترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيرا، و هما الخليفتان على الأمه بعده صلّى الله عليه و آله. . انتهى. ففى هذا الحديث استعمل الأهل على الأئمه و الأوصياء عليهم السّلام.

و كيف كان فالمراد فى مثل هذه الموارد من الأهل هم الأئمه عليهم السّلام لا غيرهم بنص من الأحاديث، و سيجىء فى بيان معنى العتره ما يوضح هذا إن شاء الله.

الأمر الثالث: فى المعانى التى يمكن أن يراد منها من المخاطب الملقى إليه الخطاب،

فنقول: المتبادر من قوله: عليكم، هو الخطاب إلى الأئمه الاثنى عشر عليهم السّلام مثلا، خصوصا إذا كان الزائر أحد الأئمه عليهم السّلام فى مثل هذه العباره من الخطاب، أو كان من أهل الكمال و المعرفه فحينئذ يراد من الأهل فى الخطاب هو الأئمه كما لا يخفى. و أما إذا كان غيرهم فربما يقال: بأن المراد هو الأعم منهم عليهم السّلام و من شيعتهم الخلّص، فإنهم منهم عليهم السّلام بالتبعيه الروحيه فقد خلقوا من فاضل طينتهم، و عجنوا بماء ولايتهم كما وردت الروايات الكثيره على هذا، راجع إقبال ابن طاووس رحمه الله و البحار فى باب صفات خيار الشيعه و ربما تأتى فى طى المباحث الآتيه الإشاره إليها. ثم إن قصد الأعم إما يقال به لأجل دخولهم معهم عليهم السّلام بالتبعيه بالضروره العقليه، لاقتضاء التبعيه ذلك بيانه: إن خلق أرواح الشيعه من فاضل طينتهم يبين ملابسه أرواحهم مع طينه أجسادهم كملابسه شعاع الشمس بها، فالتابع المتلبس بالمتبوع ليس له استقلال فى شأن من الشئون، بل هو بحكم متبوعه قهرا لعدم استقلاله بذاته. و يوضح لك هذا قولك: جاء زيد القائم، فإن المجىء لم يسند إلّا إلى زيد، و أما القائم فلم يسند إليه المجىء أصلا، بل هو أمر تبعى جىء به لذكر بيان الإجمال الثابت لزيد فبيّنه أنه قائم، و أما المجىء فلم يسند إلى القائم، و إنما ارتفع لمكان تبعيته لزيد و عدم استقلاله، فسرى إليه حكم زيد أى الرفع بالفاعليه. فالشيعه حيث إنهم روحا لا استقلال لهم، بل متلبسون بمتبوعهم عليهم السّلام، و لذا يحزنون لحزنهم و يفرحون لفرحهم، لأجل التلبس من دون تكلّف و تعمّل، فيسرى إليهم الحزن و الفرح من المتبوع إليهم بالضروره.

و علیه فشیعتهم یدخلون معهم لملابستهم لهم فیما یسند إلیهم مما یخصون علیهم السّلام به من الأمور المشترکه بین طینه أجسادهم علیهم السّلام و أرواح شیعتهم، فحینئذ خواص الشیعه یدخلون فی تبعیه السلام علی أئمته هذا فی الخواص ظاهر، و أما غیرهم فیشملهم السلام بقدر تحقق التبعیه و عدم انقطاعها عنهم باطنا و ظاهرا کما لا یخفی. و أما یقال: إن قصد الأعم لأجل إدخال الشیعه معهم التماسا و حکما، لکی تشملهم الألطاف الإلهیه، فالإلحاق حینئذ حکمی بإدخال عموم الشیعه معهم للعلم بعطوفتهم علیهم السّلام لهم، فیعطی الإذن لنا بإدخالهم فی مثل هذه الموارد معهم علیهم السّلام فتأمل. و قد یقال: بأن المراد من المخاطب هو الشیعه فقط و ذلک لوجهین: أحدهما: أن الزائر حین تشرفه إلی مراقدهم یری نفسه عند ما تفکّر فی حاله بنحو تقدم ذکره فی غایه الذله و الخشوع و الخضوع، بحیث لا یری نفسه أهلا لأن یخاطب مولاه الذی هو فی المحل الرفیع عند الله تعالی، فلا یقدر من نفسه أن یخاطبهم علیهم السّلام ذله و خشوعا یخاطب شیعتهم، کما قیل بالفارسیه: چه کسم چه کاره ام من که رسم بعاشقانت شرف است آنکه بوسم قدم ملازمانت إلخ. و هذا أمر متعارف عند العرف فتری بعضهم یکتب الکتاب، و یوجه الکلام نحو خدمه المقصود بالکتاب تعظیما له و تحقیرا لنفسه فیقول: إلی خدمه حضره الفلانی مثلا، و فی الفارسیه قد اشتهر قولهم: خدمت بندگان حضرت آیه الله مثلا، و قد یکون هذا الخضوع لنفسه و التعظیم لمولاه عملا، فتراه یدخل بیت مولاه فلأجل انفعاله یذهب إلی الخدمه و إلی المولی و لا یری نفسه لمولاه حیاء و ذله کذلک.

ص: ۳۹۷

فربما يكون الزائر بنحو من الذله و الخضوع النفسانى، بحيث لا يمكنه التشرف فى الحضره الشريفه، بل يقف بالباب مستكينا، و يزور مولاه فى صف نعال الزائرين كما رأى عن بعضهم. و إلى هذا يشير قول الشاعر: سلامى على جيران ليلى فإنها أعزّ على العشاق من أن يسلّما فإن ضياء الشمس نور جبينها نعم وجهها الوضاح يشرق حيثما و لأهل المعرفه و المحبه و الحال فى مثل هذه الموارد حالات ما أحسنها و ألذّها! فهنيئا لهم. و ثانيهما: أن الزائر لما تفكر فى علوّ مقامهم و رفعه منزلتهم عند الله تعالى بما مرت الإشاره إليه فى الجمله، و تفكر فى كونه مسجونا بسجن النفس و الطبيعه، و محجوبا بحجب الغفله الظلمانيه، و لم يمكنه من إزالتها، فلا يرى لمقامه فى مشاهدهم محلا و حالا يصحّ معه الخطاب إليهم عليهم السّلام فلا محاله يخاطب شيعتهم الذى يمكنه معرفتهم له، فحينئذ يقصد بالخطاب خصوص شيعتهم فقط. و على أىّ حال فالزائر إن كان من أهل المعرفه و الكمال فله إمكان التخاطب معهم، و إلّا فلا بد من ملاحظه حاله فى مقامه و عند تشرفه لديهم، فيعمل بما هو مقتضى حاله، فربما أنعموا عليه و لطفوا به فمنحوه حال الخطاب و الأنس معهم، و ربما أوقفوه دون الوصول إلى مخاطبتهم و الأنس بهم، فلا بد من التخاطب بنحو مما تقدم على حسب حاله، و يلاحظ الأدب عند تشرفه إلى مراقدهم حالا، و الله الموفق للصواب.

الأمر الرابع: فى بيان معانى بيت النبوه.

أقول: سيجىء فى شرح

قوله عليه السّلام:

و موضع الرساله

، بيان الفرق بين النبوه و الرساله و ما لهما من الكلام، و الكلام فعلا فى معنى بيت النبوه فنقول و على الله

ص: ۳۹۸

التوكل: الأول: فی القاموس: البیت من الشعر و هو معروف، و قال الهروی: و بیت الرجل داره و قصره. أقول: و قد یطلق فی السنه و الآیات و الأخبار و کلمات الأعاظم علی البیوت المعنویه و علی الأئمه علیهم السّلام.

ففی معانی الأخبار بإسناده عن علی بن جعفر، عن أخیه موسی بن جعفر علیه السّلام قال: إنما شیعتنا المعادن و الأشراف و البیوتات، و من مولده طیب، قال علی بن جعفر: فسألته عن تفسیر ذلک فقال: المعادن من قریش و الأشراف من العرب، و أهل البیوتات من الموالی و من مولده طیب من أهل السواد.

و عن تفسیر فرات بن إبراهیم عن الباقر علیه السّلام قال: نحن بیت الله و البیت العتیق و بیت الرحمه و أهل النبوه.

و عن البصائر عن الصادق علیه السّلام قال: نحن و الله أهل بیت الرحمه.

و عن کتاب سلیم بن قیس عن المقداد قال: قال النبی صلّی الله علیه و آله: إن علیّا بیت الله الذی من دخله کان آمنا من النار، الخبر.

و عن مناقب ابن شهرآشوب عن الباقر علیه السّلام و عن علی علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ لَیْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا اَلْبُیُوتَ. . . الآیه، قالا: نحن البیوت التی أمر الله تعالی أن تؤتی من أبوابها، نحن باب الله و بیوته التی یؤتی منه فمن تابعنا و أقرّ بولایتنا فقد أتی البیوت من أبوابها، و من خالفنا و فضّل علینا غیرنا فقد أتی البیوت من ظهورها.

و عن کشف الغمه عن أنس و بریده قال: لما نزل قوله تعالی: فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ. . الآیه، قیل: یا رسول الله أی البیوت هذه؟ فقال: بیوت الأنبیاء فقال أبو بکر: هذا البیت منها؟ (یعنی بیت علی و فاطمه) قال: نعم من أفاضلها.

و عن أمالی الشیخ فی خطبه الحسن علیه السّلام بعد صلح معاویه (علیه اللعنه) . . إلی أن قال علیه السّلام: و البیت هو المسجد المطهّر، و هو الذی قال الله تعالی: أهل البیت، فنحن

أهل البیت، و نحن الـذین طهّرنا من الرجس، الحـدیث. فعلم مما ذکر أن البیت مع قطع النظر عن معناه اللغوی (أی بیت الشـعر و الأحجار) یستعمل فی معنیین آخرین فی السنه و الأخبار: الأول: بیت محمد صلّی الله علیه و آله الظاهری

کما قال صلّی الله علیه و آله: و عترتی أهل بیتی فی حـدیث الثقلین، فأهل البیت بهـذا المعنی أی ذریته و من هم من صـلبه کما تقدم توضیحه فی معنی الأهل و الآل و سیجیء بیانه فی شرح و عترته إن شاء الله. و أیضا یمکن أن یراد منه بیت العلم حیث إن النبی صلّی الله علیه و آله هو بیت العلم، و أهله أهل بیت هذا العلم النبوی الظاهری، لأنهم علیهم السّلام حفظته و ورثته فی الأمه. و إنمـا صـار النبی بیت العلم، لأـنه مورد الوحی الإلـهی فهو صـلّی الله علیه و آله لا ینطق عن الهوی إن هو إلّا وحی یوحی فأهل بیته علیهم السّـلام أهـل بیت العلم یعنی أن علـومهم علیهم السّـلام منه صـلّی الله علیه و آله. الثـانی: أن یراد منه الـبیت المعنـوی، فرسول الله صلّی الله علیه و آله هو بیت النبوه، و کذلک الأئمه البیوت کبیت النبی صلّی الله علیه و آله إلّا أنه صلّی الله علیه و آله البیت الأعظم و المدینه، و هم علیهم السّلام البیوتات المنشعبه عنه و أبواب البیت الأعظم کما أشیر فی الأخبار السابقه،

و قال صلّی الله علیه و آله: أنا مدینه العلم و علی بابها، و لا تؤتی المدینه إلّا من بابها،

و مثله قوله صلّی الله علیه و آله: أنا مدینه الحکمه و الحکمه هو العلم. و قد مرّ حدیث ابن شهرآشوب الدال علی هذا، و مثله ما

عن الاحتجاج للطبرسـی عن الأصبغ بن نباته قال: کنت عند أمیر المؤمنین علیه السّلام فجاءه ابن الکوّا فقال: یا أمیر المؤمنین قول الله عز و جـل: وَ لَیْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَـأْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِهـا وَ لٰکِنَّ اَلْبِرَّ مَنِ اِتَّقیٰ وَ أْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِهـا فقـال علیه السّـلام: نحن الـبیوت التی أمر الله أن یؤتی من أبوابهـا، فنحن أبواب الله و بیوته التی یؤتی منهـا، فمن بایعنـا و أقرّ بولایتنا فقـد أتی البیوت من أبوابهـا، و من خالفنـا و فضّـل علینـا غیرنا فقـد أتی البیوت من ظهورها، إن الله عز و جل لو شاء عرف الناس نفسه حتی یعرفوه و یأتوه من بابه،

ص: ۴۰۰

و لكن جعلنا أبوابه و صراطه و سبيله و بابه الذى يؤتى منه، قال فمن عدل عن ولايتنا و فضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها و إنهم عن الصراط لناكبون. أقول:

قوله عليه السّلام: و إنهم عن الصراط لناكبون، إشاره إلى أن الذى أتى البيوت من ظهورها يهوى إلى جهنم حيث أتى من غير ما أذن له، فتحصل مما ذكر أن محمدا صلّى الله عليه و آله و أهل بيته هم البيوت المعنويه التى أذن الله أن ترفع، فإذا أريد بالبيت محمد صلّى الله عليه و آله فالأبواب آله عليهم السّلام و إذا أريد به المدينه فهم عليهم السّلام أبوابها التى لا يؤتى إلاّ منها، بل يمكن أن يراد من البيت نفس على عليه السّلام بدليل آيه المباهله من قوله تعالى: وَ أَنْفُسَنا . فبيت النبوه هو بيت على و أهل هذا البيت هو أولاد على عليه السّلام أعنى الأئمه الأحد عشر و فاطمه الزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين) . فجميع الآيات و الأحاديث الداله على أن علم النبى و باطنه أعنى ولايته هو المنتقل إلى على عليه السّلام تدل على إن عليا هو البيت كالنبى صلّى الله عليه و آله نعم فى مرتبه متأخره معنى عن النبى صلّى الله عليه و آله كما لا يخفى بل و ساير الأئمه عليهم السّلام، كذلك فهم من حيث اشتمالهم لعلمه صلّى الله عليه و آله البيوت، و من حيث تأخر رتبتهم و إنهم المبيّنون لتلك المعارف فهم أبواب بيت النبى صلّى الله عليه و آله و سيتضح لك هذا فى طىّ الشرح بما لا مزيد عليه إن شاء الله. و قد يراد بالنبوه الرفعه و الرساله و الفتوه و من البيت المجد و الحسب كما أشير إليه فى الحديث السابق عن معانى الأخبار، فحينئذ يكون معنى أهل بيت النبوه أى السلام عليكم يا أهل بيت الرفعه و الشأن العظيم و الرساله و الفتوه و المجد و الحسب الشريف، و من حيث إنهم أهل بيت الرفعه.

قال عليه السّلام فى الزياره:

طأطأ كلّ شريف لشرفكم

، و بخع كلّ متكبر لطاعتكم، و ذلّ كل جبار لفضلكم، و سيجىء إن شاء الله تحقيقه.

ص :۴۰۱

و فی البحار (۱)عن کنز الفوائد بإسناده عن عبد الله بن عجلان السکونی قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: بیت علی و فاطمه من حجره رسول الله صلوات الله علیهم، و سقف بیتهم عرض ربّ العالمین، و فی قعر بیوتهم فرجه مکشوطه إلی العرش معراج الوحی، و الملائکه تنزل علیهم بالوحی صباحا و مساء و فی کل ساعه و طرفه عین، و الملائکه لا ینقطع فوجهم فوج ینزل و فوج یصعد و إن الله تبارک و تعالی کشط لإبراهیم علیه السّلام عن السماوات حتی أبصر العرض، و زاد الله فی قوه ناظره، و إن الله زاد فی قوه ناظره محمد و علی و فاطمه و الحسن و الحسین صلوات الله علیهم، و کانوا یبصرون العرش و لا یجدون بیوتهم سقفا غیر العرش فبیوتهم مسقّفه بعرش الرحمن و معارج معراج الملائکه و الروح فوج بعد فوج لا انقطاع لهم، و ما من بیت من بیوت الأئمه منّا إلاّ و فیه معراج الملائکه لقول الله: تنزل الملائکه و الروح فیها بإذن ربهم بکلّ أمر قال: قلت: مِنْ کُلِّ أَمْرٍ -قال- بکلّ أمر قلت: هذا التنزیل، قال: نعم قوله علیه السلام فرجه مکشوطه. ففی الجمع الکشط الکشف. أقول: قد تبین هذا الحدیث الذی هو من غرر أحادیثهم فی أمر الولایه الإلهیه الثابته لهم علیهم السّلام معنی البیت المعنوی لهم علیهم السّلام بما لا مزید، حیث بیّن أن بیتهم المعنوی هو انکشاف عرض الرحمن لهم علیهم السّلام بما فیه من العلوم الإلهیه و ملکوت السماوات و الأرض، و الروح الذی هو أعظم من جبرئیل و میکائیل و الملائکه بما لها علی ولی الله فی أرضه، و لهذا الحدیث شرح غریب یذکر فی محله و لا یفهم أحد حقیقه الإیمان حتی یمنحه الله تعالی فهمه و درکه و کشفه، رزقنا الله ذلک بمحمد و آله الطاهرین. و أما کونهم أهل الفتوه المعبر عنه بالفارسیه (جوانمردی) فلأجل أنهم حقیقه الإیمان التی تلازم الفتوه، و لهذه الجهه قد سمی الله تعالی أصحاب الکهف بأنهم فتیه مع أنه کان فیهم شیوخ لإیمانهم کما فی الحدیث.

۱- ۱) البحار ۲۵ ص ۹۷.

و فى الحديث أيضا الفتى المؤمن، و فيه أن النبى صلّى الله عليه و آله هو الفتى و كذلك أمير المؤمنين عليه السّلام.

ففى معانى الأخبار (۱)، بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السّلام قال: إن أعرابيا أتى رسول الله صلّى الله عليه و آله فخرج إليه فى رداء ممشّق فقال: يا محمد لقد خرجت إلىّ كأنك فتى! ! فقال صلّى الله عليه و آله: نعم يا أعرابى أنا الفتى بن الفتى و أخو الفتى، فقال: يا محمد أما الفتى فنعم و كيف ابن الفتى و أخو الفتى؟ أ ما سمعت الله عز و جل يقول: سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ فأنا ابن إبراهيم، و أما أخو الفتى فإن مناديا نادى فى السماء يوم أحد: لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ على، فعلى أخى و أنا أخوه، فحينئذ يكون معناه السلام عليكم يا أهل بيت الفتوه، و أما كونهم أهل المجد و الشرف و الحسب فأظهر من الشمس و أبين من الأمس كما لا يخفى. أقول: و تقدمت و ستجىء كيفيه الدخول فى هذا البيت المعنوى، و كيف يكون التمسك بتلك الأبواب المعنويه لدخول مدينه العلم و المعارف و الاشتغال بها فانتظر. ثم إنه يأتى فى بيان

قوله عليه السّلام:

و طهّركم تطهيرا

، أن مصاديق أهل هذا البيت أى بيت النبوه بما له من المعانى إنما هو خصوص الأئمه و فاطمه الزهراء عليهم السّلام بنصّ من النبى صلّى الله عليه و آله بطرق مختلفه مسلمه من الفريقين، و الحمد لله رب العالمين.

قوله عليه السّلام: و موضع الرساله.

اشاره

أقول: الموضع المحل، فيقع الكلام فى أمرين: الأول: فى الفرق بين النبوه و الرساله. و الثانى: فى معنى كونهم محل الرساله.

۱- ۱) معانى الأخبار ص ۱۱۸.

أما الأمر الأول: [فى الفرق بين النبوه و الرساله.]

فنقول و عليه التوكل: قال فى المجمع: النبأ واحد الأنباء و هى الأخبار، إلى أن قال: و النبى هو الإنسان المخبر عن الله بغير واسطه بشر، أعم من أن يكون له شريعه كمحمد صلّى الله عليه و آله أو ليس له شريعه كيحيى. قيل: سمى نبيا لأنه أنبأ من الله تعالى أى أخبر، إلى أن قال: و فرق بينه و بين الرسول بأن الرسول هو المخبر عن الله بغير واسطه أحد من البشر، و له شريعه مبتدأه كآدم عليه السّلام أو ناسخه كمحمد صلّى الله عليه و آله و بأن النبىّ هو الذى يرى فى منامه و يسمع الصوت و لا يعاين الملك، و الرسول هو الذى يسمع الصوت و يرى فى المنام و يعاين، و بأن الرسول قد يكون من الملائكه بخلاف النبى. إلى أن قال:

و فى حديث الصادق عليه السّلام: «الأنبياء و المرسلون على أربع طبقات: فنبى منبأ فى نفسه لا يعدو غيرها، و نبىّ يرى فى النوم و يسمع الصوت و لا يعاينه فى اليقظه و لم يبعث إلى أحد و عليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط، و نبى يرى فى منامه و يسمع الصوت و يعاين الملك، و قد أرسل إلى طائفه قلّوا أو كثروا كيونس عليه السّلام قال تعالى: وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَهِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ قال: يزيدون ثلاثين ألفا و عليه إمام. و الذى يرى فى نومه و يسمع الصوت و يعاين فى اليقظه و هو إمام مثل أولى العزم، و قد كان إبراهيم نبيا و ليس بإمام حتى قال الله: . . إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى اَلظّالِمِينَ من عبد صنما أو وثنا لا يكون إماما» ، انتهى ما عن المجمع (۱). و قال بعض الأعاظم: النبوه الإخبار عن مراد الله بغير واسطه أحد من البشر، و قيل: النبوه هى الإخبار عن الحقائق الإلهيه و المعارف الربانيه، التى هى الإخبار عن ذات الحق و أسمائه و صفاته و أفعاله و أحكامه و تنقسم إلى: نبوه تعريف و هى الإخبار و الإنباء عن معرفه الذات و الصفات و الأسماء و الأفعال، و إلى نبوه تشريع و هى ذلك، مع زياده تبليغ الأحكام و التأديب بالأخلاق الحميده، و التعليم

ص: ۴۰۴

۱- ۱) مجمع البحرين ج ۱ ص ۴۰۵.

للأحكام و القصاص بالسياسه و تسمى هذه رساله. و قيل: النبوه قبول النفس القدسيه حقائق المعلومات و المعقولات من جوهر العقل الأول، و الرساله تبليغ تلك المعلومات و المعقولات إلى المستعدين. و قيل: النبوه وضع الآداب الناموسيه التى يكون كشفها بسبب الولى، و قد تقدم بيانه. و قد يطلق كل من النبى و الرسول على الآخر فى بعض موارد الاستعمال كما لا يخفى. و قال السيد عليخان الحسينى الحسنى المدنى (رضوان الله عليه) فى شرحه على الصحيفه السجاديه: فقيل: الرسول الذى معه كتاب من الأنبياء، و النبى الذى ينبئ عن الله تعالى و إن لم يكن معه كتاب، هكذا قال غير واحد من المفسرين، و فيه بحث لأن لوطا و إسماعيل و أيوب و يونس و هرون كانوا مرسلين كما ورد فى التنزيل، و لم يكونوا أصحاب كتب مستقله. فقيل: الرسول من بعثه الله تعالى بشريعه جديده يدعو الناس إليها، و النبى يعمّه و من بعثه لتقرير شريعه سابقه كأنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا بين موسى و عيسى عليهما السّلام. و يدل عليه

أنه عليه السّلام سئل عن الأنبياء، فقال: مائه ألف و أربعه و عشرون ألفا، قيل: و كم الرسول منهم؟ فقال: ثلاثمائه و ثلاثه عشر جمّا غفيرا. و قيل: الرسول من يأتيه الملك بالوحى عيانا و مشافهه، و النبى يقال له و لمن يوحى إليه فى المنام، و هذا القول مروى

عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السّلام قالا: إن الرسول الذى يظهر له الملك يكلمه، و النبى هو الذى يرى فى منامه و يسمع الصوت و لا يعاين الملك، و الرسول الذى يسمع الصوت و يرى فى المنام و يعاين الملك. أقول:

فى الكافى باب الفرق بين الرسول و النبى و المحدث، بإسناد صحيح عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن الرسول و النبى و المحدث، قال: الرسول الذى

يـأتيه جبرئيـل قبلاـ فيراه و يكلّمه فهـذا الرسول. و أمـا النبى فهو الـذى يرى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم، و نحو ما كان لرسول الله صلّى الله عليه و آله من أسباب النبوه قبل الوحى حتى أتاه جبرئيل عليه السّلام من عند الله بالرساله، و كان محمد صلّى الله عليه و آله حين جمع له النبوه و جـاءته الرساله من عنـد الله يجيئه بها جبرئيل و يكلّمه بها قبلا، و من الأنبياء من جمع له النبوه و يرى فى منامه و يأتيه الروح و يكلّمه و يحـدثه من غير أن يكون يرى فى اليقظه. و أما المحـدث فهو الذى يحدث فيسـمع و لا يعاين و لا يرى فى منـامه. قـال المجلسـى فى مرآه العقول: و اعلم أن تحقيق الفرق بين النـبىّ و الإمـام عليهمـا السّـلام و اسـتنباطه من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال. . إلى أن قال: و أما الفرق بين الإمام و النبى و بين الرسول إن الرسول يرى الملك عند إلقاء الحكم، و النبى غير الرسول و الإمـام لا يريانه فى تلك الحال، و إن رأياه فى ساير الأحوال إلى آخر ما قاله رحمه الله. أقول: الفرق بينهما هو ما ذكره فى صـحيح الأحول و حاصـله ما هو المشـهور من أن النبى الـذى أخبر عنه تعالى و لم يؤمر بالتبليغ، و الرسول ما أمر بـالتبليغ أيضـا، فكل رسول نبى و لا عكس، فإن قوله: الرسول الـذى يأتيه جبرئيل قبلا، أى قبل التبليغ فيأمره بالتبليغ فيراه و يكلّمه فهذا الرسول أى بعد ما أمر بالتبليغ يكون رسولا. و أما النبى إلى قوله عليه السّـلام: من عند الله بالرساله أى الذى يرى فى منامه و ينبأ عنه تعـالى قبـل نزول جبرئيـل لأـمره بالتبليغ فهو نبى كما لا يخفى، و أما ما فى ذيل الحـديث من تعريف المحـدث فتحقيقه موكول إلى محله. هـذا و لبعض أهل المعرفه كلام فى سرّ النبوه و الرساله لا بأس بـذكر الملخّص منه. قال بعض العارفين: النبى من أطلعه الله من صفوه خلقه على ما يشاء من أحكام وحيه و أسرار غيبه و أمره، تاره بالمشافهه، و تاره بواسطه ملك، و تاره

بإلقاء ذلک فی قلبه. قال بعض المحققین: و من صفاته أن یکون صافی النفس فی قوته النظریه صفاء تکون شدیده الشبه بالروح الأعظم فتصل به متی أراد من غیر کثیر تعمّل و تفکّر، حتی تفیض علیه العلوم اللدنیه من غیر توسط تعلیم بشری بل یکاد زیت عقله یضیء و لو لم تمسسه نار التعلیم البشری بمقدحه الفکر و زند البحث و التکرار، فإن النفوس متفاوته فی درجات الحدس و الاتصال بعالم النور. فمن محتاج إلی التعلم فی جلّ المقاصد بل کلّها، و من غبّی لا یفلح فی فکره و لا یؤثر فیه التعلیم أیضا حتی خوطب النبی الهادی فی حقه: إِنَّکَ لاٰ تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ. . (۱)وَ مٰا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِی اَلْقُبُورِ (۲)إِنَّکَ لاٰ تُسْمِعُ اَلْمَوْتیٰ. وَ لاٰ تُسْمِعُ اَلصُّمَّ اَلدُّعٰاءَ. . (۳)و ذلک لعدم وصولهم بعد إلی درجه استعداد الحیاه العقلیه، فلم یکن لهم سمع باطنی یسمع به الکلام المعنوی. و کیف کان فالنبی جالس بین حدّ المشترک بین عالم المعقول و عالم المحسوس، قال بعض العلماء: السر فی اطلاع النبی علی الملک الموحی دون غیره أنه لما کان صقل روحه بصقاله العقل للعبودیه التامه، و زالت عنه غشاوه الطبیعه و رین المعصیه بالکلیه، و کانت نفسه قدسیه شدیده القوی قویه الإناره لما تحتها، لم تشغلها جهه فوقها عن جهه تحتها فتضبط الطرفین و تسمع الجانبین، و لا یستغرقها حسّها الباطن عن حسّها الظاهر، فإذا توجّهت إلی الأفق الأعلی، و تلقّت أنوار المعلومات بلا تعلیم بشری من الله یتعدی تأثیرها إلی قواها و یتمثّل صوره ما یشاهده لروحها البشری. و منها: إلی ظاهر الکون فتمثل للحواس الظاهره سیّما السمع و البصر، لکونها أشرف الحواس الظاهره و ألطفها، فیری شخصا محسوسا، و یسمع کلاما منظوما فی غایه الجوده و الفصاحه، أو تری صحیفه مکتوبه. فالشخص هو الملک النازل الحامل للوحی الإلهی، و الکلام هو کلام الله، و الکتاب کتابه، و قد نزل کل منها من

۱- ۱) القصص:۵۶.

۲- ۲) فاطر:۲۲.

۳- ۳) النمل:۸۰.

عـالم الأمر القولى القضائى و ذاته الحقيقيه و صورته الأصـليه إلى عالم الخلق الكتابى القـدرى فى أحسن صوره، و أجمل كسوه كتمثـل جبرئيـل عليه السّلام لنبينـا صـلّى الله عليه و آله فى صوره دحيه الكلبى الـذى كـان أجمل أهل زمانه. و يقال: ما رآه فى صورته الحقيقيه إلاّ مرّتين و ذلـك أنه صـلّى الله عليه و آله سأله أن يريه نفسه على صورته فواعـده ذلك بحراء فطلع به جبرئيل عليه السّلام فسدّ الأفق من المشرق إلى المغرب.

و فى روايه كان له ستمائه جناح، و رآه مره أخرى على صورته ليله المعراج عند سدره المنتهى، انتهى. أقول: هذه التعاريف التى سمعتها من الأعلام كلام لم يؤد حقّ المطلب. و التحقيق أن يقال: إن حقيقه النبوه هو اتصال قلب النبى و روحه به تعالى، فتتجلى فيه حقيقه أسـمائه الحسـنى تبـارك و تعـالى، كـل نـبىّ على حسب مـا تجلى له، ففى النبى صـلّى الله عليه و آله إنمـا هو التجلى الأعظم و حقيقه التجلى هو عين الولايه، و هى مظهر الوحدانيه. فربما أمر من عنده تعالى بالتبليغ فيكون رسولا، فيبلغ على نحو ما أمره تعـالى كمّـا و كيفا فهو منصب إلهى فى الرساله يحكى عن كمال معنوى حاصل بالتجلى الأعظم. و أوصـياؤه يقومون مقامه فى جميع ما للنبى غير الإنباء عن الله تعالى ابتـداء، نعم يعلم الإمام من الروح الملقى إلى النبى حـدوثا الباقى فى الأوصـياء بقاء. و بهـذا يفرق بين الإمام و الرسول و إن أخبرا عنه تعالى. و توضـيحه: أنه قـد وردت روايات كثيره دلت على أن الإمام يخبر عن الله تعالى بواسـطه الروح القـدس، فيمتاز الإمام عن النبى بكونه إماما لا نبيا مع أنه يخبر عنه تعالى بأنه يخبر عنه بواسـطه الروح الذى أوحى إلى النبى صـلّى الله عليه و آله فهو نبى لمـا أوحى إليه الروح فيخبر عنه تعـالى بلاـ وسـاطه أحـد و الإمـام يخبر عنه تعـالى بواسطتين الرسول و الروح القدس و النبى بواسطه واحده و هو الروح القدس.

نعم قد يكون الروح القدس متمثلا- بصوره جبرئيل لا- مطلقا كما حقق فى محله و ستجىء الإشاره إليه. و الحاصل: أن النبوه الكامله هى الذكر الأول و هى مبدأ وجود محمد صلّى الله عليه و آله الذى اخترعه من نور ذاته تعالى و هو حقيقته و كتابه صلّى الله عليه و آله و الاسم الأعظم الذى له ثلاثه و سبعون حرفا استأثر الله تعالى بواحد منها فى علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب و لا- نبى مرسل و أعطى محمدا صلّى الله عليه و آله اثنين و سبعين حرفا و هو فوق مرتبه قاب قوسين الذى هو مرتبه الوجود المطلق و فوقها مرتبه الحق تعالى، و هو عالم الحيره لا يمكن فيه إثبات النفى لشىء و لا نفى الإثبات لشىء و لذلك سمى عالم الحيره المعبر عنه بسدره المنتهى. فمرتبه الذكر الأول هو الصادر الأول الذى أذهب عنه رجس الحدود، و طهّره من تمام القيود الذى لازمه نفى الشك هناك، و لذا فسّر الرجس المنفى فى آيه التطهير بالشك، و اخترعه من نور ذاته و هو الاسم الذى ليس كمثله شىء. و لكونه صلّى الله عليه و آله الذكر الأول سمى صلّى الله عليه و آله فى القرآن بالذكر فى قوله: قَدْ أَنْزَلَ اَللّٰهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً. رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اَللّٰهِ .

فعن العيون بعد ذكر الآيه عن الرضا عليه السّلام: فالذكر رسول الله و نحن أهله فمرتبه الذكر التى هى حقيقه النبى صلّى الله عليه و آله هى مرتبه أو أدنى الذى هو التجلى الأول الأعظم. و الحاصل: أن حقيقه رسول الله صلّى الله عليه و آله هى حقيقه النبوه التى هى حقيقه الذكر الأول و هى فوق تمام المراتب ليس فوقها مرتبه إلّا مرتبه الربوبيه. فهذه المرتبه هى إنيّته و حقيقته و كتابه صلّى الله عليه و آله و بيته الذى أسكنه الله فيه، و آله بيوت منشعبه من هذا البيت، و هى البيوت التى أذن الله أن ترفع، أى فوق جميع المراتب الوجوديه. و حينئذ إذا أضيف إليه صلّى الله عليه و آله شىء من الأهل و الآل و الميراث و العتره و العلم فى هذه المرتبه فيقال: أهل بيت النبوه و ميراث النبوه و علم النبوه و نحوه فلا بد من أن

یراد منها أهله فی هذه المرتبه الرفیعه، و إذا أضیف إلیه بغیر هذه الصفه فیراد إضافتها إلیها صلّی الله علیه و آله باعتبار تلک الصفه دون غیرها کما لا یخفی، و بیانه مفصل موکول إلی محله، و الحمد لله رب العالمین.

الأمر الثانی: فی معنی کونهم علیهم السّلام موضع الرساله.

اشاره

فنقول و علیه التوکل: الموضع اسم مکان بمعنی المحل فهو بمعنی کون الشیء ظرفا لوضع شیء فیه أو أن یحل فیه شیء. فحینئذ ظاهر العباره أن النبی صلّی الله علیه و آله الذی عرفت أنه المخبر عن ذات الحق و صفاته و أفعاله و أحکامه، حیث کان فی مرتبه الرساله و هی مرتبه التبلیغ أی لتبلیغ ما یمثّل له من الله تعالی بالوحی الإلهی، فهو رسول أی هو حامل لأعباء الرساله و عنده حموله الرب للتبلیغ، فهذه الحموله التی هی واقع الرساله و حقیقه النبوه قد وضعها الرسول المعظم بأمر الله تعالی فی أهل بیته الأئمه الاثنی عشر فهم موضع الرساله أی محل وضع حموله الرب و أنه حلت تلک الحموله فیهم علیهم السّلام فهم موضع الرساله النبویه و محل الحموله الإلهیه، و هذه العباره من جهه المعنی ترادف أو تقرب من

قوله علیه السّلام

: السلام علی محال معرفه الله ، کما سیجیء بیانه. إذا علمت هذا فاعلم أن الکلام هنا یقع فی مقامین: الأول: فی بیان ما دل علی أنهم علیهم السّلام موضع الرساله و محلها و أن النبی صلّی الله علیه و آله قد أعطاهم تلک الحموله بأمر الله تعالی. و الثانی: فی بیان تلک الحموله التی هی واقع الرساله التی وضعت عندهم علیهم السّلام فنقول:

أما الأول: [فی بیان ما دل علی أنهم علیهم السّلام موضع الرساله و محلها]

ففی الوافی عن الکافی بإسناده عن حمران بن أعین عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: إن جبرئیل أتی رسول الله صلّی الله علیه و آله برمانتین فأکل رسول الله صلّی الله علیه و آله إحداهما و کسر الأخری بنصفین فأکل نصفا و أطعم علیا نصفا، ثم قال له رسول الله صلّی الله علیه و آله: یا أخی هل تدری ما هاتان الرمانتان؟ قال: لا قال: أما الأولی فالنبوه لیس لک فیها

نصیب، و الأخری فالعلم أنت شریکی فیه؟ فقلت: أصلحک الله کیف کان یکون شریکه فیه قال: لم یعلم الله محمدا صلّی الله علیه و آله علما إلّا و أمره یعلّمه علیا. أقول: خصّ رسول الله صلّی الله علیه و آله النبوه التی هی جهه الإنباء عن الله تعالی بنفسه الشریفه، و أما العلم الذی هو حمل النبوه فقد جعل علیا شریکه فیه بأمره تعالی.

و فیه (1)عنه، محمد بن أحمد، عن علی بن نعمان رفعه عن أبی جعفر علیه السّلام قال یمصّون الثمار و یدعون النهر العظیم، قیل له: و ما النهر العظیم؟ قال: رسول الله صلّی الله علیه و آله و العلم الذی أعطاه الله، إن الله تعالی جمع لمحمد صلّی الله علیه و آله سنن الأولین من آدم و هلم جرّا إلی محمد صلّی الله علیه و آله. قیل له: و ما تلک السنن؟ قال: علم النبیین بأسره و إن رسول الله صلّی الله علیه و آله صیّر ذلک کله عند أمیر المؤمنین، فقال له رجل: یا بن رسول الله فأمیر المؤمنین أعلم أم بعض النبیین؟ فقال أبو جعفر علیه السّلام: اسمعوا ما یقول! ! إن الله یفتح مسامع من یشاء، إنی حدثته: إن الله جمع لمحمد صلّی الله علیه و آله علم النبیین و إنه جمع ذلک کله عند أمیر المؤمنین علیه السّلام و هو یسألنی أ هو أعلم أم بعض النبیین! !

و فیه (2)عنه، بإسناده عن بعض أصحابنا عن خثیمه قال: قال لی أبو عبد الله علیه السّلام: یا خثیمه نحن شجره النبوه و بیت الرحمه و مفاتیح الحکمه، و معدن العلم و موضع الرساله و مختلف الملائکه، و موضع سرّ الله، و نحن ودیعه الله فی عباده، و نحن حرم الله الأکبر، و نحن ذمه الله، و نحن عهد الله فمن وفی بعهدنا فقد وفی بعهد الله، و من خفرها فقد خفر ذمه الله و عهده. أقول: الخفر بالخاء المعجمه و الفاء نقض العهد.

و فیه، عنه بإسناده عن المفضل بن عمر، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: ما جاء به علی علیه السّلام خذ به و ما نهی عنه انتهی عنه، جری له من الفضل مثل ما جری لمحمد صلّی الله علیه و آله

۱- ۱) الوافی ج ۱ باب ۸۴ ص ۱۴۰.

۲- ۲) الوافی ج ۱ باب ۷۲،۷۳ ص ۱۲۸،۱۲۹، أبواب خصائص إلخ.

و لمحمد صلّى الله عليه و آله الفضل على جميع من خلق الله، المتعقب عليه فى شىء من أحكامه كالمتعقب على الله و على رسوله صلّى الله عليه و آله و الراد عليه فى صغيره أو كبيره على حدّ الشرك بالله. كان أمير المؤمنين عليه السّلام باب الله الذى لا يؤتى إلّا منه، و سبيله الذى من سلك بغيره هلك، و كذلك يجرى لأئمه الهدى واحدا بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، و حجته البالغه على من فوق الأرض و من تحت الثرى. و كان أمير المؤمنين عليه السّلام كثيرا ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنه و النار، و أنا الفاروق الأكبر، و أنا صاحب العصا و الميسم، و لقد أقرّت لى جميع الملائكه و الروح و الرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلّى الله عليه و آله و لقد جعلت على مثل حمولته و هى حموله الرب و إن رسول الله صلّى الله عليه و آله يدعى فيكسى و أدعى فأكسى، و يستنطق و أستنطق فأنطق على حدّ منطقه، و لقد أعطيت خصالا ما سبقنى إليها أحد قبلى علمت البلايا و المنايا و الأنساب و فصل الخطاب، فلم يفتنى ما سبقنى، و لم يعزب عنى ما غاب عنى أبشّر بإذن الله و أؤدى عنه كل ذلك من الله مكننى فيه بعلمه. أقول: هذا الحديث الشريف بيّن أنّ عليا و الأئمه عليهم السّلام موضع الرساله، و أنهم حمّلوا حموله الرب كرسول الله صلّى الله عليه و آله و سيجىء بيان تلك الحموله فى المقام الثانى.

و فى غايه المرام (۱)، للسيد البحرانى (رضوان الله عليه) بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال لى: يا محمد إن الله عز و جل لم يعط الأنبياء شيئا إلّا و قد أعطاه محمدا صلّى الله عليه و آله قال: و قد أعطى محمدا صلّى الله عليه و آله جميع ما أعطى الأنبياء، و عنده الصحف التى قال الله عز و جل: صُحُفِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ .

و فيه بإسناده عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السّلام أنه سأله عن قول الله عز و جل: وَ لَقَدْ كَتَبْنٰا فِى اَلزَّبُورِ الذى أنزل على داود و كل كتاب نزل، فهو عند أهل العلم و نحن هم.

۱- ۱) غايه المرام ص ۵۳۸.

و فیه (۱)عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: علّم رسول الله صلّی الله علیه و آله علیّا علیه السّلام ألف باب یفتح کل باب ألف باب، و نحوه کثیر مذکور فیه من طرق الخاصه و العامه. أقول: ستأتی أخبار أخر فی بیان هذا المعنی فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و عندکم ما نزلت به رسله و هبطت به ملائکته»

. فعلم من هذه الأحادیث أنهم علیهم السّلام موضع الرساله أی محل حقیقه الرساله و حموله الرب بأمر منه تعالی.

المقام الثانی: فی بیان حقیقه الحموله الإلهیه،

اشاره

التی هی واقع الرساله و التی وضعت عندهم فنقول و علیه التوکل:

فی بصائر الدرجات، روی عن أبی محبوب عن مرازم قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: إنّ أمرنا هو الحق و حق الحق، و هو الظاهر و باطن الظاهر و باطن الباطن، هو السرّ و سرّ السرّ و سرّ المستتر و سرّ مقنع بالسرّ.

و فی المحکی عن جابر بن عبد الله الأنصاری، عن أبی جعفر علیه السّلام أنه قال: یا جابر علیک بالبیان و المعانی، قال: فقلت: و ما البیان و المعانی؟ قال علیه السّلام: أما البیان فهو أن تعرف الله سبحانه لیس کمثله شیء، فتعبده و لا تشرک به شیئا. و أما المعانی فنحن معانیه و نحن جنبه و یده و لسانه و أمره و حکمه و علمه و حقه، إذا شئنا شاء الله و یرید الله ما نرید، فنحن المثانی الذی أعطانا الله نبینا صلّی الله علیه و آله و نحن وجه الله الذی یتقلب فی الأرض بین أظهرکم، فمن عرفنا فأمامه الیقین و من جهلنا فأمامه السجین، و لو شئنا خرقنا الأرض و صعدنا السماء، و إن إلینا إیاب الخلق ثم إن علینا حسابهم. أقول: و فی مدینه المعاجز ما دل علی أن الصادق علیه السّلام صعد إلی السماء و هو ما

۱- ۱) غایه المرام ص ۵۱۸.

رواه فيه (۱)مسندا عن عبد الله بن بشير: سمعت الأحوص يقول: كنت مع الصادق علیه السّلام إذ سأله قوم عن كأس الملكوت، فرأيته و قد تحذّر نورا، ثم علا حتی أنزل ذلک الكأس فأدارها علی أصحابه، و هی كأس مثل البيت الأعظم أخف من الريش من نور محضور مملو شرابا، فقال لی: لو علمتم بنور الله لعاينتم هذا فی الآخره. أقول:

فی المجمع عن الباقر علیه السّلام: الحذر السلاح فی قوله: خُذُوا حِذْرَكُمْ . و فيه عن بعض المفسرين: و الحذر هو امتناع القادر من شیء لما فيه الضرر، و رجل حاذر أی محترز متيقظ، فعليه فقوله: و قد تحذر نورا أی احترز بالنور، و تسلح به للعلو و الارتفاع إلی السماء كما لا يخفی.

و فيه بإسناده عن قبيصه بن وائل قال: كنت مع الصادق علیه السّلام فارتفع حتی غاب، ثم رجع و معه طبق من رطب فرجع، قال: و كانت رجلی اليمنی علی كتف جبرئيل، و اليسری علی كتف ميكائيل حتی لحقت بالنبی و علی و فاطمه و الحسن و الحسين و علی و أبی عليهم السّلام فحيّونی.

و فی البحار (۲)عن كتاب عتيق جمعه والده رحمه الله و فيه قال: حدثنی أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا جعفر بن محمد، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الموصلی، قال: أخبر أبی عن خالد عن القاسم، عن جابر بن يزيد الجعفی، عن علی بن الحسين علیه السّلام فی حديث طويل ثم تلا قوله تعالی: فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا وَ ما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ و الله آياتنا و هذه إحداها، و هی و الله ولايتنا يا جابر. إلی أن قال علیه السّلام: يا جابر أ و تدری ما المعرفه؟ المعرفه إثبات التوحيد أولا، ثم معرفه المعانی ثانيا، ثم معرفه الأبواب ثالثا، ثم معرفه الإمام رابعا، ثم معرفه الأركان خامسا، ثم معرفه النقباء سادسا، ثم معرفه

۱- ۱) مدينه المعاجز ص ۳۵۶.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۱۳.

النجباء سابعا و هو قوله عز و جل قُلْ لَوْ كٰانَ اَلْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّى لَنَفِدَ اَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً و تلا أيضا: وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِى اَلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ وَ اَلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . يا جابر أ تدرى ما إثبات التوحيد و معرفه المعانى؟ أما إثبات التوحيد فمعرفه الله القديم الغايب، الذى لا تدركه الأبصار، و هو يدرك الأبصار، و هو اللطيف الخبير، و هو غيب باطن ستدركه كما وصف به نفسه. و أما المعانى فنحن معانيه و مظاهره، فيكم اخترعنا من نور ذاته، و فوض إلينا أمور عباده. الحديث. أقول: هذا الحديث ذكره مع صدره الطويل فى البحار فى بيان معجزات الباقر عليه السّلام (۱). ثم إن المستفاد من هذه الأحاديث و أمثالها أن أمرهم و ولايتهم المعبر عنه بالسرّ و الباطن و باطن الباطن و أمثال هذه التعابير له مقامات أربعه و هى: حقيقه الرساله و حموله الرب يجمعها قوله الولايه الإلهيه الثابته لهم، الأول: مقام البيان، الثانى: مقام المعانى، الثالث: مقام الأبواب، و الرابع: الإمام. و أما معرفه الأركان و النقباء و النجباء، التى ذكرت فى حديث جابر فهى راجعه إلى مقامات جزئيه فى موارد مخصوصه مكتسبه من الإمام عليه السّلام كما لا يخفى و ستجىء الإشاره إليها، و هذه المقامات الأربعه مأخوذه من حديث جابر، و العمده تحقيق معانيها، و أنه ما المراد منها، فنقول و عليه التوكل:

أما المقام الأول [أى البيان] :

فهو (أى البيان) كنايه عن معرفه التوحيد بنحو البيان و الظهور كما قال تعالى: حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ ، و كيف كان فهو مقام إثبات التوحيد كما

قال عليه السّلام فى حديث جابر بن عبد الله بعد ما سأله بقوله: فقلت: و ما البيان

۱- ۱) بقيه الحديث فى البحار باب معرفتهم بالنورانيه ج ۲۶ ص ۱۶.

و المعانی؟ قال علیه السّلام: أما البیان فهو أن تعرف الله سبحانه لیس کمثله شیء، فتعبده و لا تشرک به شیئا، و هو المعبّر عنه أیضا

فی حدیث جابر الجعفی بقوله علیه السّلام المعرفه إثبات التوحید أولا، و عبّر عنه

فی حدیث الصادق علیه السّلام المروی فی البصائر بقوله علیه السّلام: إن أمرنا هو الحق و حق الحق، و قوله: السرّ المقنع بالسرّ و هو إشاره إلی مقام التوحید الحقیقی المشهود بنحو یخصّهم دون غیرهم، الذی عبّر عنه فی قوله تعالی: شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ اَلْمَلاٰئِکَهُ وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ . حیث إن أولی العلم الذی فسّر بهم علیه السّلام هم الشاهدون لوحدانیته تلوا شهادته تعالی لنفسه بالوحدانیه، فاصل الولایه التی هو باطن النبوه و الرساله ما ظهر فیها هذه المعرفه البیانیه له تعالی، و کذلک المطلوب من غیرهم هو هذه المعرفه، و هو معرفته بنفسه تعالی من نفسه کما فی حدیث سدیر عن الصادق علیه السّلام الطویل و لعلّه یجیء ذکره، و إلیه یشیر

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی النهج: لا تحیط به الأوهام بل تجلی لها بها، و بها امتنع منها. و إلیه و إلی مأخذه أشیر فی الحدیث المشهور عنهم من

قوله علیه السّلام: نحن الأعراف الذین لا یعرف الله إلاّ بسبیل معرفتنا أی هذه المعرفه إنما یکون من طریقنا کما سیجیء بیانه مفصلا فی شرح قوله علیه السّلام: السلام علی محال معرفه الله. و الحاصل: أن مقام البیان هو إثبات التوحید و معرفه الله بصفته، التی وصف بها نفسه لعباده الذین أراد أن یعرفوه بها، و هذه الصفه التی تکون بها معرفه الله تعالی هو مقامهم المولوی الذی هو باطن النبوه و الرساله و هو المعبّر عنه فی

قوله علیه السّلام فی دعاء رجب عن الحجه علیه السّلام: فجعلتهم معادن لکلماتک، و أرکانا لتوحیدک و آیاتک و مقاماتک، التی لا تعطیل لها، فی کل مکان یعرفک بها من عرفک، لا فرق بینک و بینها إلاّ أنهم عبادک و خلقک، فتقها و رتقها بیدک، بدؤها منک و عودها إلیک، أعضاد و إشهاد و مناه و أذواد و حفظه و رواد، فبهم ملأت سماءک

و أرضک حتی ظهر أن لا إله إلاّ أنت، الدعاء.

فقوله:

یعرفک بها من عرفک ، صریح فی أن معرفه الله إنما هی بمعرفه الأئمه علیهم السّلام المشار إلیهم

فی قوله:

معادن لکلماتک. . إلخ، کما دلت علیه کثیر من الأخبار و سیجیء ذکرها.

و قوله:

حتی ظهر أن لا إله إلاّ أنت،

ظاهر فی أن هذه المقامات التی ملأت کلّ شیء هی مظاهر التوحید. و علیه فحقیقه التوحید لا یمکن الوصول إلیها إلاّ بسبیل معرفتهم، أعنی معرفه الصفه التی هی حقیقتهم علیهم السّلام و هی أسماؤه تعالی الحسنی، التی

قال الصادق و أمیر المؤمنین علیهما السّلام کما تقدم عن الکافی: «نحن و الله الأسماء الحسنی» و هی صفه محدثه لا تشبه صفه شیء من المخلوقات، و هی تلک المقامات، فمعرفه هذه الصفه هی معرفه الله، و الطریق إلیها أی إلی معرفه الله، و حیث إن الأسماء الحسنی له تعالی هی صفته تعالی کما فی توحید الصدوق و الکافی.

و بهذا الإسناد عن محمد بن سنان قال: سألته عن الاسم ما هو؟ قال: صفه لموصوف.

و فیه بإسناده عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السّلام هل کان الله عز و جل عارفا بنفسه قبل أن یخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: یراها و یسمعها قال: ما کان محتاجا إلی ذلک، لأنه لم یکن یسألها و لا یطلب منها هو نفسه، و نفسه هو قدرته نافذه، فلیس یحتاج أن تسمی نفسه، و لکنه اختار لنفسه أسماء لغیره یدعوه بها، لأنه إذا لم یدع باسمه لم یعرف، فأول ما اختار لنفسه العلی العظیم، لأنه أعلی الأشیاء کلها، فمعناه الله و اسمه العلی العظیم هو أول أسمائه علا علی کل شیء.

فقوله علیه السّلام: «صفه لموصوف» دلّ علی أن الاسم صفه لمسمی.

و قوله علیه السّلام: «إذا لم یدع باسمه لم یعرف» دلّ علی أن معرفه الله تعالی بمعرفه تلک الأسماء، التی هی صفه لموصوف. فکونهم أسماءه الحسنی کما علمت یعنی هم

صفاته، و كونهم لا فرق بينها و بينه إلّا أنهم عباده كما علمت، يعنى أن تلك الصفات قائمه بذاته تعالى يبين ذاته تعالى كما أن من شأن الصفه بيان الموصوف. فمعرفته تعالى إنما هى دائما فى ظرف معرفه هذه الصفه. و إليه أشير فى

قوله عليه السّلام: لا تعطيل لها فى كل مكان فى غيبتك و حضرتك و جميع تحولاتك، إذا عرفتها فقد عرفته. و بعباره أخرى أن

قوله عليه السّلام: «لا فرق بينك و بينها إلّا أنهم عبادك» يعنى لا فرق بينه و بينهم عليهم السّلام إلّا أنهم عباده أى أنه تعالى ظهر للعبد أى الإمام بالعبد، و هذا أحد مصاديق

قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «بل تجلى لها بها» ، ففى المقام أنه تعالى تجلى بهم لهم. و من المعلوم أنهم المظاهر لأول التجلى، و للتجلى الأعظم كما علمت و ستعلم. و مما يوضح لك هذا هو قولك: جاء زيد القائم، فإذا قلت: القائم، فهو صفه زيد، و هو ظهور زيد بالقيام و ليس (أى القيام) هو زيدا، و لذا لم يستتر فيه ضميره، و إنما استتر فيه جهه فاعليه قيامه، و تلك الجهه قائمه بزيد قيام صدور، و قائمه فى غيب قائم قيام ظهور، و قائم قائم بتلك الجهه الفاعليه قيام تحقق، حيث إنه بتلك الجهه قام ظهورا يعنى أن تلك الجهه لا تظهر إلّا فى قائم، و قائم لا يتحقق إلّا بها، لأن تلك الجهه مبدء وجود القائم، و هى حركته أحدثها زيد بنفسها، و هى ليست زيدا و إنما هى حركه، فالقائم مثال زيد أى مبين مثال زيد فى ظهوره بفعله، أى تلك الحركه، أى القيام و ما أشبهه من العقود و التكلّم و نحوهما، فزيد مثلا تعرفه مما وصف به نفسه، و هو ما ظهر لك من هذه الحركه أعنى القيام و نحوه، الذى هو غير زيد و إنما هو مظهره. إذا علمت هذا و تفطّنته فنقول: حقيقتهم عليهم السّلام كالقيام، و ظهوره تعالى بتلك الحقيقه أى صفه القائم، و كما أنّ القائم هو المقام الذى يعرف زيدا به من عرف مثلا أى لا يعرف زيدا إلّا به، فكذلك معرفته تعالى إنما هى بهم أى بحقيقتهم القائمه به

تعالى

كما قال عليه السّلام: «يعرفك بها من عرفك» . فحينئذ يكون المراد أنه سبحانه لا يعرف إلاّ بتلك المقامات، و هى لا تتحقق إلاّ بهم و فيهم كما أن القائم لا يتحقق إلاّ بالقيام. و هذا

قول أمير المؤمنين عليه السّلام كما تقدم: «لا يعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنا» فهم عليهم السّلام أركان توحيده و آياته و مقاماته. و إنما لا تعطيل لها بكلّ مكان، لأنه بعد ما ملئت بهم السماء و الأرض، فلازمه لا تعطيل لها فى أى شىء، و لا أى مكان، و لا أى زمان، و لأنه وجه الله تعالى الذى قال تعالى: فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ و قد وردت فى ذيل هذه الآيه الأحاديث الكثيره على أنهم وجه الله تعالى فراجع البحار و الكافى، و لأن إثبات التوحيد لا يكون إلاّ بالخلق و فى الخلق، إذ مع قطع النظر عن الخلق لا موضوع للإثبات. و حينئذ حيث إنّ ذاته تعالى تجل عن إدراك العقول لها، كما دلّ عليه كثير من الأحاديث. كما قال موسى بن جعفر عليه السّلام فيما رواه الشيخ الطوسى رحمه الله فى حديث طويل. .

إلى أن قال عليه السّلام: «لأنهم صفوه الخلق اصطفاهم لنفسه، لأنه لا يرى و لا يدرك و لا تعرف كيفيته و لا انيته، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه المتصرفون فى أمره و نهيه، فبهم تظهر قدرته، و منهم ترى آياته و معجزاته، و بهم و منهم عباده نفسه، و بهم يطاع أمره، و لولاهم ما عرف الله، و لا يدرى كيف يعبد الرحمن، فالله يجرى أمره كيف يشاء فيما يشاء، لا يسأل عما يفعل و هم يسألون» انتهى و سيجىء الحديث بتمامه فيما بعد فالعقول لا تدركه. و لا توهم الأوهام، لأن العقول و الأوهام إنما تدرك أنفسها، و تشير إلى نظائرها كما أشير إليها فى كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام فى النهج. فحينئذ لا يعرف الله تعالى فى كلّ حال و مكان إلاّ بمعرفتهم، التى عرفت حقيقتها، و أنها صفه قائمه به تعالى، فصفتهم لا فرق بينها و بينه تعالى فى جهه

التعرف و التعريف و الظهور فى مقام صفاته تعالى لا الذات المقدسه، لأنها بمعزل عن الذات القديم الأزلى الأبدى، لأن تلك الصفه التى هى حقيقتهم محدثه و صادره عنه تعالى، كما علمت أن هذا هو المستفاد من

قوله عليه السّلام: «لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك» . و ما ذكرنا من البيان هو المراد من

قوله: «أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شىء فتعبده لا تشرك به شيئا» . فإن قلت: لما كان حاصل معرفتهم أنه صفه محدثه بها يعرف الله، هذا مع أنه

قال عليه السّلام فى معرفه الله: أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شىء، و تلك الصفه محدثه مثلها شىء. قلت: أولا أنه تعالى وصف نفسه بتلك المقامات، التى هى حقيقتهم الأسمائيه الحسنائيه و هى معرفه له تعالى، فهى صفه لا تشبه شيئا لساير صفات الخلق،

و قوله عليه السّلام: تعبده لا تشرك به شيئا هو المقصود من المعرفه. و حاصله أنه لا بد من عباده ذات المعبود الأحد، التى غيّبها عن نفس تلك الصفات و عن الخلق كله، فلا يتوجه العابد العارف بهم عليهم السّلام إلاّ إلى الذات تعالى و تقدس، مع أن العابد أيّا ما كان لا يجد الذات و مع ذلك لا يفقدها حين لا يجدها، بل وجدها بتلك الصفه و فقدها بكنهها. و هذا مقام السرّ أى الذات المقنع أى تلك الصفه، التى سترها عن كثير من الخلق، و هذا هو حق الحق أى هو المعبود تعالى حينئذ، و هذا حقّ للحق الكائن بهم و هو تلك الصفه، و هو البيان أى ظهور الحق و التوحيد الحقيقى بهم و بصفاتهم. و لعمرى إن هذا المقام لهم حيث لا يجدون أنفسهم شيئا، بل وجدوا الله ظاهرا فى كل شىء، و قد جعل الله لهم كلّ شىء دكّا، فهم صعق عند ذاته فان عن أنفسهم بما لها من الحدّ، ففى ذلك المقام لا صوت و لا أثر إلاّ صوته و أثره تعالى و هو مقام أنا الحق، و إليه يشير ما فى دعاء ليله الخميس كما

فى منهاج العارفين و معراج

ص :۴۲۰

العابدین (۱)و فیه:

«سبحان ربنا و لک الحمد، إلی أن قال علیه السّلام: و الخلق مطیع لک، خاشع من خوفک، لا یری فیه نور إلاّ نورک، و لا یسمع فیه صوت إلاّ صوتک، حقیق بما لا یحق إلاّ لک» الدعاء. فمن یکون فی ذلک المقام الذی لا یری فیه إلاّ نوره و صوته تعالی غیر محمد و آله الطاهرین علیهم السّلام. و هذا المقام مصدر الرساله، و حقیقه الولایه التی هی باطن النبوه فافهم ما تلوناه علیک، فإنه من مخزون العلم فلا بد من أن یکتم إلاّ عن أهله، و الله الموفق للصواب و الحمد لله رب العالمین.

و أما المقام الثانی: أعنی مقام المعانی

فنقول و علیه التوکل:

قوله علیه السّلام فی حدیث جابر: «و أما المعانی فنحن معانیه و مظاهره فیکم، اخترعنا من نور ذاته، و فوض إلینا أمور عباده» . المعانی جمع المعنی و المعنی هو المقصود من شیء لفظا کان أو غیره فمعناه حینئذ إنّا (أی الأئمه) المقصودون منه تعالی و هذا له معنیان: الأول: أن الله تعالی إنما أرسل الرسل و أنزل الکتب، لکی یصل الناس إلی معرفه الأئمه، التی یترتب علیها معرفه الله تعالی کما سیأتی توضیحه. و إلیه أشیر

فیما رواه فی الکافی فی باب التسلیم و فضل المسلمین بإسناده عن سدیر قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: إنی ترکت موالیک مختلفین یتبرأ بعضهم من بعض قال: فقال: و ما أنت و ذاک إنما کلّف الناس ثلاثه: معرفه الأئمه و التسلیم لهم فیما ورد علیهم و الرد إلیهم فیما اختلفوا فیه؟ فعلم من هذا الخبر أن التکلیف إنما هو بمعرفتهم، بل دلت الأحادیث علی أن العباده بعناوینها إنما شرعت للوصول إلی معرفتهم.

ففی مقدمه تفسیر البرهان روی الشیخ عن داود بن کثیر قال: «قال أبو عبد الله علیه السّلام: یا داود: نحن الصلوه فی کتاب الله، و نحن الزکوه، و نحن الصیام، و نحن

۱- ۱) ص ۱۳۸.

الحجّ، و نحن الشهر الحرام، و نحن البلد الحرام، و نحن كعبه الله، و نحن قبله الله، و نحن وجه الله قال تعالى: فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ و نحن الآيات، و نحن البينات، إلى أن قال عليه السّلام: إن الله خلقنا فأكرم خلقنا فسمانا فى كتابه و كنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء و أحبّها إليه» .

و فيه عن الاختصاص عن جابر الجعفى قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: لم سمى يوم الجمعه يوم الجمعه؟ قال: فلست تخبرنى جعلت فداك، قال: أ فلا أخبرك بتأويله الأعظم؟ قال: قلت: بلى، إلى أن قال عليه السّلام ثم قال: يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلوه من يوم الجمعه أى يومكم هذا الذى جمعكم فيه، و الصلوه أمير المؤمنين يعنى بالصلوه أمير المؤمنين إلى أن قال: ثم قال تعالى: فَإِذٰا قُضِيَتِ اَلصَّلاٰةُ إذا توفّى على فَانْتَشِرُوا فِى اَلْأَرْضِ يعنى بالأرض الأوصياء الحديث.

و فى روايه سلمان عن على عليه السّلام أنه قال: قال الله عز و جل: وَ اِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ اَلصَّلاٰةِ وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ إِلاّٰ عَلَى اَلْخٰاشِعِينَ فالصبر رسول الله صلّى الله عليه و آله و الصلوه إقامه ولايتى.

و فى التفسير أيضا عن الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى: حٰافِظُوا عَلَى اَلصَّلَوٰاتِ وَ اَلصَّلاٰةِ اَلْوُسْطىٰ وَ قُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِينَ قال: الصلوات رسول الله صلّى الله عليه و آله و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام و الوسطى أمير المؤمنين و قوموا لله قانتين أى طائعين للأئمه عليهم السّلام. أقول: قد عبّر كثير من الأحاديث عن الأئمه عليهم السّلام و عن النبى صلّى الله عليه و آله بتلك الألفاظ من الصلوه و الصيام و نحوهما. فيعلم منه أن حقيقه تلك العناوين ذواتهم المقدسه، و الوجه فيه ما ذكره بعض الأعلام (1)من أنه: لما كانت الصلوه كامله فى على عليه السّلام و لم يصدر كاملها إلاّ منه عليه السّلام و من أمثاله كالنبى و الأئمه عليهم السّلام و قد ظهر عليه و عليهم آثارها فكأنه صلّى الله عليه و آله و هم عليهم السّلام

۱- ۱) و هو أستاذ صاحب مقدمه تفسير البرهان ص ۲۱۷.

صاروا عینها. . إلخ. أقول: و ذلک لأن حقیقه الصلوه هو التوجه التام و الفناء فی المعبود بالحق، و هذا لم یکن إلّا فیهم علیهم السّلام و قد نقلوا آثار فنائهم عن أنفسهم و فی معبودهم حال الصلوه فی کتب الأحادیث من تلک الغشیه و الهزه و الغفله عن غیر الحق حتی عن بدنهم علیهم السّلام. و له وجه آخر ذکر

فی المحکی عن البصائر عن الصادق علیه السّلام حین سئل علیه السّلام عن أمور فأجابه علیه السّلام و کان فیما سأله أن سأله أنهم یقولون: إن الصلوه و نحوها هو رجل، و إن المحرمات کالخمر و المعاصی هو رجل، فأجاب علیه السّلام مفصلا فإنه علی تقدیر هو کلام فاسد و علی تقدیر هو کلام صحیح. إلی أن قال علیه السّلام: «ثم إنی أخبرک أن الدین و أصل الدین هو رجل، و ذلک الرجل هو الیقین و الإیمان و هو إمام أمته أو أهل زمانه، فمن عرفه عرف الله و دینه، و من أنکره أنکر الله و دینه، و من جهله جهل الله و دینه، و لا یعرف الله و دینه و حدوده و شرایعه بغیر ذلک الإمام فذلک معنی أن معرفه الرجال دین الله. . إلی أن قال علیه السّلام: و أخبرک أنی لو قلت: إن الصلوه و الزکوه و صوم شهر رمضان و الحج و العمره، و المسجد الحرام و البیت الحرام و المشعر الحرام، و الطهور و الاغتسال من الجنابه و کلّ فریضه کان ذلک هو النبیّ، الذی جاء به من عند ربّه لصدقت، لأن ذلک کلّه إنما یعرف ذلک بالنبی، و لو لا معرفه ذلک النبی و الإیمان به و التسلیم ما عرف ذلک، فهذا کلّه ذلک النبی و أصله و هو فرعه، و هو دعانی إلیه و دلنی علیه و عرّفنیه و أمرنی به، و واجب علیّ له الطاعه فیما أمرنی به و لا یسعنی جهله، و کیف یسعنی جهل من هو فیما بینی و بین الله، و کیف لا یکون ذلک معرفه الرجل و إنما هو الرجل، و إنما هو الذی جاء به عن الله و إنما أنکر الدین من أنکره. . إلی أن قال علیه السّلام: إن الله تبارک و تعالی إنما أحبّ أن یعرف بالرجال، و أن یطاع بطاعتهم، فجعلهم سبیله و وجهه الذی یؤتی منه، لا یقبل الله من العباد غیر ذلک لا یسأل عما یفعل و هم

يسألون، فقال فيما أوجب من محبته لـذلك الرجل مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَـدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ الآيه. فمن قال لك: إن هذه الفريضه كلّها إنما هى رجل، و هو يعرف حدّ مـا يتكلم به فقـد صـدق. و من قـال: على الصـفه التى ذكرت أنت بغير الطـاعه، فلا يغنى التمسـك بالأصـل بترك الفروع، كمـا لاـ تغنى شـهاده لاـ إله إلاّ الله بترك شـهاده أن محمـدا رسول الله» . الحـديث. فبين عليه السّـلام أن القول: إن الدين هو معرفه الرجال، فإذا حصلت لا تجب الأعمال بعد فهو باطل كما مثله عليه السّـلام. و أما إذا كان بالنحو الذى ذكره عليه السّلام فهو حق. و حاصل ما ذكره: أنه لا بد من معرفه الرجال، و أنه المقصود من الشرع، و لا بد من العمل كما عملوا فإنه عليهم السّـلام حقيقه العمل و العباده، فمعرفتهم و العمل بما أمروا يوجب الوصول إلى معرفه الله كما ذكر فى متن الحـديث، فلاـ العمـل بـدون المعرفه يعنى العامل، و لا المعرفه بـدون العمل يكون دينا و طاعه لله تعالى. و الحاصل أن معرفتهم هو الأصـل المقصود من الشـرع، و لا بـد من العمل، لأنه به يتوصل إلى ذلك، بل لا تكون درجه لأحـد حتى النبيين فى نبوّتهم إلاّ على حدّ معرفتهم و الإقرار بها.

ففى بصائر الدرجات فى باب أمر فى الولايه للأئمه عليهم السّلام بإسناده عن عبد الأعلى قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: ما نبئ نبى قط إلاّ بمعرفه حقّنا و بفضلنا عمن سوانا.

و فى كتـاب اللوامع النورانيه (١)للسـيد هاشم البحرانى (رضوان الله عليه) بإسـناده عن عمار الساباطى قال: سألت أبا عبـد الله عليه السّـلام عن قول الله عز و جل: أَ فَمَنِ اِتَّبَعَ رِضْوٰانَ اَللّٰهِ كَمَنْ بٰاءَ بِسَـخَطٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِـيرُ. هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْـدَ اَللّٰهِ فقال: «الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمه عليهم السّلام و هم و الله يا عمار درجات للمؤمنين و بولايتهم و معرفتهم إيانا، يضاعف الله لهم أعمالهم و يرفع لهم الدرجات العلى» .

١- ١) اللوامع النورانيه ص ۶۶.

و فیه بإسناده عن عمار بن مروان قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام الحدیث بنحو ما مرّ مع زیاده.

و فی بصائر الدرجات (۱)بإسناده عن حذیفه بن أسید الغفّار قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «ما تکاملت النبوه لنبی فی الأظله حتی عرضت علیه ولایتی و ولایه أهل بیتی و مثّلوا له، فأمروا بطاعتهم و ولایتهم» فدل قوله صلّی الله علیه و آله علی أن مقام النبوه لم یکمل فی نبی إلّا بعد الإقرار بولایتهم و إطاعتهم. و أما المعنی الثانی

لقوله علیه السّلام: «فنحن معانیه و بیانه» أنه قد تقدم

قول الأمیر و الصادق علیهما السّلام: «و الله نحن الأسماء الحسنی» و علمت معنی کونهم أسماء الله هو کونهم صفاته تعالی.

ففی توحید الصدوق و معانی الأخبار بإسناده عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السّلام عن الاسم ما هو؟ فقال علیه السّلام: «(فهو) صفه لموصوف» . فحینئذ

قوله علیه السّلام: «فنحن معانیه» ، أی معانی الله و هو أی الله اسم للذات المستجمع لجمیع الصفات الجلالیه و الجمالیه فمعنی الله تلک الأسماء و معنی الأسماء هو الصفات، و علمت فیما تقدم أنهم صفاته تعالی المخلوقه المحدثه، التی بها یعرف الله تعالی.

ففی توحید الصدوق بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إن الله تبارک و تعالی خلق أسماء بالحروف، و هو عز و جل بالحروف غیر منعوت، و باللفظ غیر منطق إلی أن قال علیه السّلام: فأظهر منها ثلاثه أسماء لفاقه الخلق إلیها، و حجب واحدا منها و هو الاسم المکنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثه، التی أظهرت، فالظاهر هو الله تبارک و تعالی» الحدیث، و سیأتی تمامه فی الشرح.

فقوله علیه السّلام: فالظاهر هو الله تبارک و تعالی بعد قوله: المخزون بهذه الأسماء الثلاثه التی أظهرت، یستفاد منه أن الله هو الاسم الجامع الظاهر، و ظهوره عباره عن

۱- ۱) فی الجزء الثانی منه باب ما خصّ الله به الأئمه من آل محمد من ولایه الأنبیاء لهم فی المیثاق.

ظهور تلك الأسماء الثلاثه، التى أظهرت فهى ظاهره بالله و ذكر بعده:

«أن لتلك الأسماء الثلاثه أركانا، و لكل ركن ثلاثين اسما» إلى آخر ما ذكر فى الحديث، فعلم أن تلك الأسماء بأجمعها هو المعبّر عنها بالله فالمعنى لله هو تلك الأسماء بأجمعها و هى معانيه، و حيث علمت أن حقيقه تلك الأسماء هم الأئمه عليهم السّلام. فينتج أنهم عليهم السّلام المعانى لله، و لما ذكرنا شرح يطول بيانه هنا فالأحسن أن نكلّه إلى محلّه. فحاصل ما ذكرنا هو أنهم عليهم السّلام مظاهر علمه الذى وسع السموات و الأرض، و حكمه على كلّ الخلق، و نعمه على جميع الخلائق، و خيره الذى منّ به على الخلائق، و جنبه الذى لا يضام من التجأ إليه، و ذمامه الذى لا يطاول و لا يحاول، و درعه الحصينه، و حصنه المنيعه، و رحمته الواسعه، و قدرته الجامعه، و أياديه الجميله، و عطاياه الجزيله، و مواهبه العظيمه، و يده العاليه، و عضده القويه، و لسانه الناطق و أذنه السميعه، و حقّه الواجب على كلّ أحد، و ما أشبه هذه الأسماء المذكوره فى أسمائه تعالى. و قد علمت أن هذه المعانى صفات له تعالى لا بد من معرفتها، و هى معانى الله تعالى قائمه به تعالى، فهى بالنسبه إلى ذاته تعالى ليست شيئا موجوده بنفسها فلا تحقق لها إلاّ بالذات، و إنما يعتبر لها حقيقه، و يفرض لها تذوتا بلحاظ آثارها و أعراضها. و بعباره أخرى: هى بالنسبه إلى الله تعالى أسماء و معان له تعالى بنحو تقدم شرحه، و بالنسبه إلى آثارها فى عالم الوجود أسماء أعيان و ذوات قائمه على آثارها و أعراضها بما قبلت من إمداداتها، و لا نعنى بالذات و العين إلاّ عينيتها و تذوتها بنحو يلاحظ باعتبار الآثار لا باعتبار ذاته تعالى، فهم فى مقام حقائق الأسماء الإلهيه بأسرها واجدون، لأعلى المقامات التى هى موضع الرساله، لأن تلك الحقائق و الأسماء المشروحه فى الجمله مطارح الإرسالات الإلهيه أعنى مواد الحياه الوجوديه فى عالم الخلق من الماء الإلهى النازل من سماء الذات إلى أرض الولايه

الكائنه فيهم، و النفس الرحمانى الثانوى فى إيجاد الشرعيات الوجوديه. و هذا هو الدلالات الأولى الإلهيه و هو حقيقه ن وَ اَلْقَلَمِ وَ مٰا يَسْطُرُونَ و الماء الذى جعل منه كلّ شىء حىّ و الكتاب الأول و حقيقه مَفٰاتِحُ اَلْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ وَ يَعْلَمُ مٰا فِى اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّٰ يَعْلَمُهٰا وَ لاٰ حَبَّةٍ فِى ظُلُمٰاتِ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يابِسٍ إِلاّٰ فِى كِتٰابٍ مُبِينٍ و هو أرض الجرز و الزيت الذى يكاد يضىء و لو لم تمسسه نار، و سيأتى إن شاء الله بيان هذه فى مطاوى الشرح، فافهم و اغتنم و خذ و اعمل.

و أما المقام الثالث أى الأبواب

فنقول و عليه التوكل: مقام الأبواب هو المقام المشار إليه أيضا فى

قوله عليه السّلام:

«و الباب المبتلى به الناس»

و سيأتى شرحه و هو أيضا المشار إليه بقوله عليه السّلام فى الحديث المنقول فى البصائر: «و باطن الظاهر» حيث إن المراد (و الله العالم) من الظاهر هو مقام الإمام و الإمامه كما سيجىء و باطن هذا هو مقام الأبواب و هو أيضا أى مقام الأبواب سرّ لا يفيد إلاّ سرّ فى غيبه أعنى حموله الرب. فحقيقه حموله الرب المشار إليها سرّ لهذا السرّ الذى هو باطن الظاهر، و هذا السرّ يستفيد من ذلك السر و هو يفيده و يمده. و حاصله أنه تقدم بيان كونهم الأسماء الحسنى له تعالى، بما لها من المعنى السعى الشامل لجميع الموجودات بنحو تقدم تفصيله. فالأسماء لها سعه فى حدّ نفسها، و قد وسعت أركان كلّ شىء، فكلّ شىء من التكوين و التشريع و التكميل للنواقص لا محاله يكون مستمدا من حقائق تلك الأسماء، و لا بد من جهه تكون واسطه بين حقيقه تلك الأسماء بما لها من السعه و بين تلك الموجودات الخارجيه الكائنه فى صراط الكمال كلّ على حسبه. فتلك الجهه هى المعبر عنها بالباب الثابت لهم عليهم السّلام فهم عليهم السّلام من هذه الجهه فى حدّ المشترك بين تلك الحقائق الأسمائيه و بين الموجودات الخارجيه مطلقا.

و هذا المقام أى كونهم أبوابا من شئون ولا يتهم التكوينيه و التشريعيه كما لا يخفى، و هى مقام السفاره الإلهيه و الترجمان الإلهى فى مقام التشريع، و مقام الإفاضه من عالم الإطلاق الأسمى إلى عالم الموجودات الخارجى التكوينى فى مقام التكوين. و إليه يشير

قوله عليه السّلام فى الزياره المطلقه للحسين عليه السّلام المذكوره بسند صحيح فى كامل الزيارات:

«إراده الرب فى مقادير أموره، تهبط إليكم، و تصدر من بيوتكم» . فإن

قوله: تصدر من بيوتكم إشاره إلى مقام الأبواب كما لا يخفى كما أن

قوله:

تهبط إليكم

، إشاره إلى مقام المعانى كما تقدم. و بعباره أخرى: هم باب الله إلى الخلق، فإن القوابل المهيّئه، و الماهيات الامكانيه تكون حياتها فى جميع ما لها من ربّها، و تقبّلها لتلك الفيوضات إنما هى بواسطتهم، حيث إنهم أبواب تلك، فهم باب الخلق من الله إليهم و لهم إليه تعالى، أى فكما أنهم أبواب نزول الرحمه العامه، إلى القوابل كذلك هم الأبواب لصعود القوابل الكامله إلى مقام القرب منه تعالى. و لذا أمر الله تعالى الخلق بطاعتهم و امتثال أوامرهم قبل العمل، فبعد امتثالهم و إطاعتهم لما أمروا قبل الله أعمالهم لهذه الجهه و الواسطه، و من حيث إنهم توجهوا إليه تعالى بهم فرفع الله أعمالهم. كما سيجىء بيانه أزيد من هذا فى شرح

قوله عليه السّلام:

«من أراد الله بدأ بكم، و من وحّده قبل عنكم، و من قصده توجه بكم»

و إليه أيضا يشير

ما ورد فى تفسير قوله تعالى: إِلَيْهِ يَصْعَدُ اَلْكَلِمُ اَلطَّيِّبُ وَ اَلْعَمَلُ اَلصّالِحُ يَرْفَعُهُ من أن المراد بالكلم الطيب و العمل الصالح هو الولايه لهم عليهم السّلام كما سيجىء إن شاء الله بيانه، و هم الأبواب له تعالى أيضا بواسطه أنهم حفظه شريعه الرب، و ترجمان لمن دونهم لتلك الإمدادات الإلهيه الأسمائيه الملقاه إليهم عليهم السّلام منه تعالى و الحمد لله ربّ العالمين.

و أما المقام الرابع أى مقام الإمام و الإمامه

فنقول و عليه التوكل: إن الأئمه الاثنى عشر عليهم السّلام لهم مقام الإمامه أى التقدم و الترفع على كلّ أحد و كلّ موجود،

بحيث لا يقاس بهم الناس و لا أحد من الملائكه حتى المقربون. و سيجىء

عن أمير المؤمنين عليه السّلام من قوله: «ظاهرى الإمامه، و باطنى غيب لا يدرك» أى أن كلّ ما ظهر منّى فهو إمام بحيث لا يساويه فى ذلك الموضوع أحد، كما سيجىء بيانه فى شرح

قوله عليه السّلام:

«آتاكم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين»

. و الحاصل أنه لما كان الإمام عليه السّلام بحسب الباطن و الروحيه فإن جميع المعارف و الأحكام و حقائق الأسماء الحسنى قائمه بنفسه الشريفه، فالإمام حافظ الدين فى حكم و علم و فهم و ذكر و فكر و حقائق و معارف، و حقيقه الولايه الإلهيه فلا محاله تكون فى الخلق حتى الملائكه إماما فوق كلّ أحد، فهو بهذا المعنى موضع الرساله، أى انتقل جميع حقائق الرساله إليه كما علمت فيما سبق. و قد تقدم حديث مفضل بن عمر عن أبى عبد الله عليه السّلام فى بيان ما للإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و أنه أى الإمام (أى على بن أبى طالب) مثل رسول الله صلّى الله عليه و آله فى جميع الأمور ما عدا الرساله.

ففى الكافى بإسناده عن ربعى قال: قال على بن الحسين عليه السّلام: ما ينقم الناس منا فنحن و الله شجره النبوه و بيت الرحمه و معدن العلم و مختلف الملائكه؟

و فيه بإسناده عن السكونى عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنا أهل البيت شجره النبوه و موضع الرساله و مختلف الملائكه و بيت الرحمه و معدن العلم. و تقدم مثله مع زياده حديث خثيمه عن أبى عبد الله عليه السّلام. و تقدم أيضا حديث الرمانتين الدال على أن أمير المؤمنين عليه السّلام شريك مع رسول الله صلّى الله عليه و آله فى العلم دون النبوه.

و فى الكافى بإسناده عن جماعه سمعوا أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنى لأعلم ما فى السموات و ما فى الأرض و ما فى الجنه، و أعلم ما فى النار، و أعلم ما كان و ما يكون، قال: ثم مكث هنيئه فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من

كتاب الله تعالى إن الله تعالى يقول: فيه تبيان كلّ شىء.

و روى عن الحسن بن سليمان الحلبى عن كتاب تأويل ما نزل من القرآن، و أبى عبد الله محمد بن العباس بن مروان بسنده إلى عمران بن ميثم بن عبايه حدثه: أنه كان عند أمير المؤمنين عليه السّلام خامس خمسه هو أصغرهم يومئذ نسمع أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: حدثنى أخى: أنه ختم ألف نبى، و أنى ختمت ألف وصى، و أنى كلفت ما لم يكلفوا، و أنى لأعلم ألف كلمه ما يعلمها غيرى و غير محمد صلّى الله عليه و آله ما منها كلمه إلاّ مفتاح ألف باب بعد ما تعلمون منها كلمه واحده غير أنكم تقرأون منها آيه واحده فى القرآن: وَ إِذا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ اَلنّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ و ما تدرون بها. قال على عليه السّلام: «و كنت إذا دخلت عليه بعض منازله، أخلانى و أقام عنى نساءه فلا يبقى عندى غيره، و إذا أتانى للخلوه معى فى منزلى، لم يقم عنى فاطمه (سلام الله عليها) و لا أحدا من بنى، و كنت إذا سألته أجابنى، و إذا سكت عنه و فنت مسائلى ابتدأنى. فما نزلت على رسول الله صلّى الله عليه و آله آيه من القرآن إلاّ أقرأنيها، و أملاها علىّ فكتبتها بخطى، و علّمنى تأويلها و تفسيرها، و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها، و خاصّها و عامها، و دعا الله أن يعطينى فهمها و حفظها، فما نسيت آيه من كتاب الله تعالى، و لا علما أملاه علىّ و كتبته منذ دعا الله لى بما دعا. و ما ترك شيئا علمه الله من حلال و لا حرام، و لا أمر و لا نهى كان أو يكون، و لا كتاب منزل على أحد قبله من طاعه أو معصيه إلاّ علمنيه، و حفظته فلم أنس حرفا واحدا، ثم وضع يده على صدرى و دعا الله لى أن يملأ قلبى علما و فهما و حكما و نورا» . الحديث. و هكذا غيرها من الأحاديث الداله على أن العلم المنزل بأجمعه عندهم، و سيأتى فى طى الشرح إن شاء الله ما يوضح هذا، و الحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و مختلف الملائكه.

اشاره

محلّ ترددهم أى ذهابهم و إيابهم إليهم عليهم السّلام بمعنى أن نزول الملائكه إلى الأرض إنما هو ابتداء إليهم عليهم السّلام و رجوعهم إلى السماء منهم من عندهم. أقول: الكلام هنا يقع فى مقامين: المقام الأول: فى بيان الوجه و العله لاختلاف الملائكه إليهم. و المقام الثانى: فى بيان أنحاء نزول الملائكه.

أما الأول: [فى بيان الوجه و العله لاختلاف الملائكه إليهم]

فنقول و عليه التوكل: لا ريب فى أن جميع الموجودات الأرضيه و السماويه مخلوقون من أشعه أنوار وجودهم حتى الملائكه، فوجود الكلّ فرع وجود الأصل، و لا شك فى أن الفرع يتخذ وظائفه من الأصل، و مرجعه فى جميع شئونه إليه، حيث إن قوام وجوده به فلا محاله يرتبط فى حالاته بأصله. فالأئمه عليهم السّلام مبدأ انبعاث الملائكه بأقسامها المدبّرات للأمور السماويه و الأرضيه بأنحائها. توضيحه أنه لا ريب فى اختلاف جهات قوابل الملائكه، و استمداداتهم منهم عليهم السّلام فى بدء خلقهم من أنوارهم عليهم السّلام و أيضا الملائكه مختلفون فى تلقيهم الكمالات بأنحاء الاستمدادات المتنوعه من المعارف و ساير العلوم، و من أنحاء التحملات لتلك العلوم و القوى للتأديه إلى من شاء الله و إلى ما شاء الله من أنواع الخلق. إذ من المعلوم أن الملائكه فى تلقى تلك الأمور مختلفون فى الجهات و الأفعال و المفعولات اختلافا كبيرا عدد ذرّات الموجودات، فكلّ ملك يتحمل- بحسب قابليته و ما يناسبه، و ما هو جنسه أو نوعه أو شخصه-كلّ ذلك الاختلاف. و التباين و التمايز إنما هو منحصر علمها فى جهتهم عليهم السّلام و هم معلمو الملائكه فى ذلك، و لذلك يكون اختلاف الملائكه بهذه الجهه و العله إليهم عليهم السّلام. و تدل أحاديث كثيره على أن الملائكه منبعثون من أنوارهم فى عالم الأرواح

و الأنوار: منها

ما رواه المجلسی رحمه الله فی البحار من کتاب ریاض الجنان عن أنس بن مالک قال: بینا رسول الله صلّی الله علیه و آله صلی صلوه الفجر، ثم استوی فی محرابه کالبدر فی تمامه فقلنا: یا رسول الله إن رأیت تفسر لنا هذه الآیه قوله تعالی: أولئک اَلَّذِینَ أَنْعَمَ اَللّٰهُ عَلَیْهِمْ مِنَ اَلنَّبِیِّینَ وَ اَلصِّدِّیقِینَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِینَ . فقال رسول الله صلّی الله علیه و آله: أما النبیون فأنا، و أما الصدیقون فعلی بن أبی طالب، و أما. الشهداء فعمّی حمزه، و أما الصالحون فابنتی فاطمه و ولداها الحسن و الحسین. فنهض العباس من زاویه المسجد إلی بین یدیه صلّی الله علیه و آله و قال: یا رسول الله أ لست أنا و أنت و علی و فاطمه و الحسن و الحسین من ینبوع واحد؟ قال صلّی الله علیه و آله: و ما وراء ذلک یا عماه؟ قال: لأنک لم تذکرنی حین ذکرتهم، و لم تشرفنی حین شرفتهم. فقال رسول الله صلّی الله علیه و آله: «أما قولک أنا و أنت و علی و فاطمه و الحسن و الحسین من ینبوع واحد فصدقت، و لکن خلقنا الله نحن حیث لا سماء مبنیه، و لا أرض مدحیه، و لا عرض و لا جنه و لا نار، کنا نسبحه حین لا تسبیح، و نقدسه حین لا تقدیس، فلما أراد الله بدء الصنعه فتق نوری، فخلق منه العرش، فنور العرش من نوری، و نوری من نور الله، و أنا أفضل من العرض. ثم فتق نور ابن أبی طالب، فخلق منه الملائکه، فنور الملائکه من نور ابن أبی طالب، و نور ابن أبی طالب من نور الله، و نور ابن أبی طالب أفضل من نور الملائکه. و فتق نور ابنتی فاطمه، فخلق منه السموات و الأرض، فنور السموات و الأرض من نور ابنتی فاطمه، و نور ابنتی فاطمه من نور الله، و فاطمه أفضل من السموات و الأرض. ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس و القمر، فنور الشمس و القمر من نور الحسن، و نور الحسن من نور الله، و الحسن أفضل من الشمس و القمر. ثم فتق نور الحسین فخلق منه الجنه و الحور العین، فنور الجنه و الحور العین من

نور الحسین، و نور الحسین من نور الله، و الحسین أفضل من الجنه و الحور العین. ثم إن الله خلق الظلمه بالقدره، فأرسلها فی سحائب البصر، فقالت الملائکه: سبوح قدوس، ربنا مذ عرفنا هذه الأشباح ما رأینا سوءا، فبحرمتهم إلّا کشفت ما نزل بنا، فهنالک خلق الله تعالی قنادیل الرحمه، و علقها علی سرادق العرش، فقالت: إلهنا لمن هذه الفضیله و هذه الأنوار؟ فقال: هذا نور أمتی فاطمه الزهراء، فلذلک سمیت أمتی الزهراء، لأن السموات و الأرضین بنورها ظهرت، و هی ابنه نبی و زوجه وصی و حجتی علی خلقی، أشهدکم یا ملائکتی أنی قد جعلت ثواب تسبیحکم و تقدیسکم لهذه المرأه و شیعتها إلی یوم القیمه» . فعند ذلک نهض العباس إلی علی بن أبی طالب و قبّل ما بین عینیه، و قال: یا علی لقد جعلک الله حجه بالغه علی العباد إلی یوم القیمه. فعلم من

قوله صلّی الله علیه و آله: ثم فتق نور ابن أبی طالب فخلق منه الملائکه. . إلخ أن مبدأ انبعاث الملائکه، الذین هم حمله العرش و قوام العرش بهم، بما لهم من الأصناف الکائنه فی السموات و الأرضین، و المربیه لأمور قد وکلّوا بها، فجمیع الملائکه بأقسامها منبعثه مخلوقه من نور علی بن أبی طالب علیه السّلام. و هذا یقتضی أن شئونهم بأجمعها منقبسه و منشعبه من نور علی بن أبی طالب علیه السّلام فلهم ارتباط تکوینی مع نوره علیه السّلام نحو ارتباط الفرع بالأصل. و نحو هذا الحدیث أحادیث أخر مثله فی هذا المعنی، و ستأتی الإشاره إلیها فی طی المباحث الآتیه إن شاء الله.

أما المقام الثانی: فی بیان أقسام نزول الملائکه

اشاره

و هی کثیره:

منها أنهم ینزلون إلیهم لعرض أعمال العباد.

ففی بصائر الدرجات أحادیث کثیره قریبه المضمون، دلّت علی عرض الأعمال علیهم علیهم السّلام فمنها:

بإسناده عن حفص بن البختری عنه (أی عن أبی عبد الله) قال: «تعرض الأعمال یوم الخمیس علی رسول الله صلّی الله علیه و آله و علی الأئمه علیهم السّلام» و من

المعلوم أنما يعرضها عليهم الملائكه الحفظه. و من أقسام النزول أنهم يدخلون بيوتهم و يطاؤون بسطهم و يخدمونهم عليهم السّلام.

فعن الكافى بإسناده عن مسمع قال: كنت لا أزيد على أكله بالليل و النهار، فربما استأذنت على أبى عبد الله عليه السّلام و أجد المائده قد رفعت لعلّى لا أراها بين يديه، فإذا دخلت دعا بها فأصيب معه من الطعام و لا أتأذّى بذلك، و إذا عقبت بالطعام عند غيره لم أقدر على أن أقرّ، و لم أنم من النفخه، فشكوت ذلك إليه، و أخبرته بأنى إذا أكلت عنده لم أتأذ به. فقال: يا أبا سيّار إنك تأكل طعام قوم صالحين، تصافحهم الملائكه على فرشهم، قال: قلت: و يظهرون لكم؟ قال: و مسح يده على بعض صبيانه فقال: إنهم ألطف بصبياننا منا بهم.

و عن الرضا عليه السّلام (١)عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: أنا سيد من خلق الله عز و جل، و أنا خير من جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل، و حمله العرش، و جميع ملائكه الله المقربين، و أنبياء الله المرسلين. و أنا صاحب الشفاعه و الحوض الشريف. و أنا و على أبوا هذه الأمه، من عرفنا فقد عرف الله، و من أنكرنا فقد أنكر الله. و من على عليه السّلام سبطا نبىّ سيدا شباب أهل الجنه الحسن و الحسين، و من ولد الحسين أئمه تسعه طاعتهم طاعتى، و معصيتهم معصيتى، و تاسعهم قائمهم و مهديّهم، و إن الملائكه لخدّامنا و خدّام محبينا، الحديث.

و منها: نزولهم عليهم فى ليالى القدر

و هى كثيره. منها: ما

فى بصائر الدرجات: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسن بن العباس بن الجريش قال: عرضت هذا الكتاب على أبى جعفر عليه السّلام فأقرّ به قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: قال على عليه السّلام فى صبح أول ليله القدر التى كانت بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله: سلونى، فو الله لأخبرتكم بما يكون إلى ثلاثمائه و ستين يوما من الذّر فما دونها فما

۱- ۱) نقلته عن الأنوار اللامعه للسيد عبد الله الشبّر رحمه الله.

فوقها، ثم لأخبرتكم بشیء من ذلک، لا بتکلّف و لا برأی و لا بادعاء فی علم إلّا من علم الله و تعلیمه، و الله لا یسألنی أهل التوراه و لا أهل الإنجیل، و لا أهل الزبور و لا أهل الفرقان إلّا فرقت بین کلّ أهل کتاب بحکم ما فی کتابهم. قال: قلت لأبی عبد الله علیه السّلام أ رأیت ما تعلمونه فی لیله القدر، هل تمضی تلک السنه و بقی منه شیء لم تتکلموا به؟ قال: لا، و الذی نفسی بیده لو أنه فیما علمنا فی تلک اللیله أن أنصتوا لأعدائکم لنصتنا فالنصت أشد من الکلام. و هناک أحادیث کثیره فی تفسیر قوله تعالی: تَنَزَّلُ اَلْمَلاٰئِکَهُ وَ اَلرُّوحُ الآیه، دلّت علی نزول الملائکه و الروح علیهم فی تلک اللیله، فراجع.

و منها: نزول الملائکه لزیاره قبورهم.

ففی کامل الزیارات بإسناده عن أبی حمزه الثمالی، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: إن الله وکّل بقبر الحسین علیه السّلام أربعه آلاف ملک شعث غبر، یبکونه من طلوع الفجر إلی زوال الشمس، فإذا زالت الشمس هبط أربعه آلاف، و صعد أربعه آلاف ملک، فلم یزل یبکونه حتی یطلع الفجر، الحدیث، و مثله فیه کثیر (۱).

و فیه أیضا بإسناده عن داود الرقی قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: ما خلق الله خلقا أکثر من الملائکه، و إنه ینزل من السماء کلّ مساء سبعون ألف ملک، یطوفون بالبیت الحرام لیلتهم، حتی إذا طلع الفجر انصرفوا إلی قبر النبی صلّی الله علیه و آله فیسلّمون علیه، ثم یأتون قبر أمیر المؤمنین علیه السّلام فیسلّمون علیه، ثم یأتون قبر الحسین علیه السّلام فیسلّمون علیه، ثم یعرجون إلی السماء قبل أن تطلع الشمس. ثم تنزل ملائکه النهار سبعون ألف ملک، فذکر أنهم یعملون کملائکه اللیل، ثم یعرجون إلی السماء قبل أن تغیب الشمس.

و منها أن الملائکه تنزل علیهم و تحدثهم بالعلوم.

ففی بصائر الدرجات بإسناده عن زراره قال: أرسل أبو جعفر علیه السّلام إلی زراره:

۱- ۱) کامل الزیارات باب ۲۷ ص ۸۳.

أعلم الحكم بن عيينه أن أوصياء على محدّثون.

و فيه بإسناده عن صفوان بن يحيى قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: كان جعفر عليه السّلام يقول: لو لا إنا نزداد لأنفدنا.

و فيه بإسناده عن حمران بن أعين قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: جعلت فداك بلغنى أن الله تبارك و تعالى قد ناجا عليا، قال: أجل قد كان بينهما مناجات بالطائف نزل بينهما جبرئيل.

و فيه بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم الطائف ناجا رسول الله صلّى الله عليه و آله، فقال أبو بكر و عمر: ناجاه (أى عليا) دوننا، فقال صلّى الله عليه و آله: ما أنا أناجى بل الله ناجاه.

و فيه بإسناده عن على بن أعين، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله لأهل الطائف: لأبعثنّ إليكم رجلا كنفسى يفتح الله به الخيبر، سيفه سوطه، فيشرف الناس، فلما أصبح و دعا عليا عليه السّلام فقال: اذهب بالطائف، ثم أمر الله النبى أن يرحل إليها بعد أن رحل على عليه السّلام فلما صار إليها، كان على رأس الجبل، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: أثبت، فسمعناه مثل صرير الزجل فقال: يا رسول الله ما هذا؟ قال: إن الله يناجى عليا عليه السّلام.

و منها: أنهم ينزلون إليهم لتعلم العلوم منهم عليهم السّلام كما كانوا عليهم السّلام معلميهم فى عالم الأرواح.

فعن حبيب بن مظاهر رحمهم الله أنه قال للحسين بن على بن أبى طالب عليه السّلام: أى شىء كنتم قبل أن يخلق الله تعالى آدم عليه السّلام؟ قال عليه السّلام: كنّا أشباح نور، ندور حول عرش الرحمن، فنعلم الملائكه التسبيح و التهليل و التحميد. فعلم أن الملائكه علمت المعارف و كيفيه التسبيح منهم عليهم السّلام.

روى الصدوق بأسانيده عن عبد السلام بن الصالح الهروى، عن على بن موسى الرضا عليه السّلام، عن أبيه عن آبائه، عن على بن أبى طالب عليه السّلام قال: قال رسول

الله صلّى الله عليه و آله: ما خلق الله خلقا أفضل منّى و لا أكرم عليه منى، قال على عليه السّلام: فقلت: يا رسول الله أ فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال صلّى الله عليه و آله: يا على إن الله تبارك و تعالى فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، و فضّلنى على جميع النبيين و المرسلين، و الفضل بعدى لك يا على و للأئمه من بعدك، و إن الملائكه لخدّامنا و خدّام محبينا يا على الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم، و يستغفرون للذين آمنوا بولايتنا. يا على لو لا نحن ما خلق الله آدم و لا حوّاء، و لا الجنه و لا النار، و لا السماء و لا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكه، و قد سبقناهم إلى معرفه ربنا و تسبيحه و تهليله و تقديسه و تمجيده، لأنّ أول ما خلق الله عز و جل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده و تحميده، ثم خلق الملائكه، فلمّا شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكه أنا خلق مخلوقون، و أنه منزّه عن صفاتنا، فسبحت الملائكه بتسبيحنا و نزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظيم شأننا هللنا لتعلم الملائكه أن لا إله إلّا الله و أنّا عبيد و لسنا بآلهه يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا: لا إله إلاّ الله. فلما شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا لتعلم الملائكه أن الله أكبر من أن ينال عظيم المحل إلّا به. فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز و القوه قلنا: لا حول و لا قوه إلّا بالله العلى العظيم، لتعلم الملائكه أن لا حول و لا قوه إلّا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا، و أوجبه لنا من فرض الطاعه قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكه ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكه: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفه توحيد الله و تسبيحه و تهليله و تحميده و تمجيده. ثم إن الله تبارك و تعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، و أمر الملائكه بالسجود له تعظيما لنا و إكراما، و كان سجودهم لله عز و جل عبوديه و لآدم عليه السّلام إكراما و طاعه،

لكوننا فی صلبه فکیف لا نکون أفضل من الملائکه و قد سجدوا لآدم علیه السّلام کلهم أجمعون؟ ! الحدیث. فعلم من هذا الحدیث أن النبی و الأئمه علیهم السّلام أفضل من جمیع الملائکه، فحینئذ تکون الملائکه حاملین للوحی و الإلهامات من المبدإ إنما هو من أنوار حقائق آل محمد صلّی الله علیه و آله فهم المعلمون للخلق أجمع، و ذلک لأنهم علیهم السّلام أبواب الفیض و منبع الخیر. فهم أبوابه فی جمیع ذرّات الوجود فی الصدور و الورود، و سیجیء بیانه أوضح من هذا عن قریب. أقول: و سیأتی ما یدل علی هذا فی الشرح أیضا.

و فی المحکی عن العلل بإسناده إلی أبی خدیجه، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یقول: مرّ بأبی رجل و هو یطوف، فضرب بیده علی منکبه ثم قال: أسألک عن خصال ثلاث، لا یعرفهن غیرک و غیر رجل آخر، فسکت عنه حتی فرغ من طوافه، ثم دخل الحجر فصلی رکعتین و أنا معه، فلما فرغ نادی: أین هذا السائل؟ فجاء و جلس بین یدیه فقال له: سل، فسأله عن مسائل، فلما أجیب قال: صدقت و مضی، فقال أبی علیه السّلام: هذا جبرئیل آتاکم یعلمکم معالم دینکم. أقول: أی یعلمکم ذلک بسؤاله منه علیه السّلام، لیبین بذلک المعالم لغیره أو یعلمکم أنه لا بد لکم أن تسألوا منه علیه السّلام کما سأل. و الحاصل: أن الملائکه تنزل إلیهم علیهم السّلام فی جمیع الأمور.

ففی الکافی بإسناده عن علی بن حمزه عن أبی الحسن علیه السّلام قال: سمعته یقول ما من ملک یهبطه الله فی أمر ما إلا بدأ بالإمام فعرض ذلک علیه، و إن مختلف الملائکه من عند الله تبارک و تعالی إلی صاحب هذا الأمر علیه السّلام.

و فی الصحیفه فی الصلاه علی الملائکه قال علیه السّلام: و رسلک من الملائکه إلی أهل الأرض بمکروه ما ینزل من البلاء و محبوب الرخاء، الدعاء. فعلم أنه کما أن جدّهم (صلوات الله علیه و آله) کانت الملائکه تختلف إلیه فهو مختلف الملائکه فهم علیهم السّلام کذلک مختلف الملائکه، و أن ذلک المحل الکائن لجدهم هو

الکائن لهم بعده (صلی الله علیهم أجمعین) فهم الحفظه للعلوم و الإلهامات الإلهیه کما کان جدهم علیهم السّلام کذلک فیحفظون المعارف و العلوم لهدایه الخلق. هذا و قد اشتهر فی الأحادیث مجیء الملائکه و جبرئیل عندهم بصوره الإنسان، کما علمت من مجیئه عند أبی جعفر فی حدیث أبی خدیجه، و مجیئه بصوره دحیه الکلبی عند النبی صلّی الله علیه و آله کما روته الخاصه و العامه.

و فی المحکی عن ابن أبی عمیر، عن عمرو بن جمیع، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: کان جبرئیل إذا أتی النبی صلّی الله علیه و آله قعد بین یدیه قعده العبید، و کان لا یدخل حتی یستأذنه.

و روی الکلینی فی الصحیح عن أبی حمزه الثمالی قال: دخلت علی علی بن الحسین فاحتبست فی الدار ساعه، ثم دخلت البیت و هو یلتقط شیئا، و أدخل یده فیما وراء الستر فناوله من کان فی البیت. فقلت: جعلت فداک هذا الذی أراک تلتقطه أی شیء هو؟ فقال: فضله من زغب الملائکه أی صغار ریشهم نجمعه إذا دخلونا نجمعه سبحا لأولادنا، فقلت: جعلت فداک و إنهم لیأتونکم؟ فقال: یا أبا حمزه إنهم لیزاحمونا علی تکاتنا. أقول: هنا کلام و إنکار و حاصله: أنه کیف یکون للملائکه ریشا بحیث یلتقطون منه لأولادهم و ما هم إلاّ جسما روحانیا من عالم الملکوت؟ قلت: نعم و لکنه لشده تمرکز قوی الفعاله فیهم فهم یتشکلون بأشکال مختلفه قیل: سوی الکلب و الخنزیر، و ذلک لأنهم روحانیون فلا تناسب بینهم و بین الکلب و الخنزیر المجردین عن الروحانیه دون سایر الحیوانات. و کیف کان فقد اشتهر تشکلهم بصوره الآدمی کما علمته من حدیث مجیء جبرئیل بصوره دحیه الکلبی و غیره. و مما یدل علی أنهم یتصورون بصور الطیور

ما رواه فی البحار عن کتاب إکمال الدین. . عن محمد العطار عن أبی علی الخیزرانی عن جاریه له کان أهداها لأبی

محمد علیه السّلام إلی أن قال: قال أبو علی: و سمعت هذه الجاریه تذکر أنه لما ولد السید رأت له نورا ساطعا قد ظهر منه و بلغ أفق السماء، و رأت طیورا بیضاء تهبط من السماء و تمسح أجنحتها علی رأسه و وجهه و سائر جسده ثم تطیر، فأخبرنا أبا محمد علیه السّلام بذلک فضحک ثم قال: تلک ملائکه السماء نزلت لتبرک به و هی أنصاره إذا خرج، الحدیث. أقوله و مثله أیضا مذکور فی أبواب موالید الأئمه علیهم السّلام فیظهر منه أن الملائکه تتصور بصور الطیور. و حینئذ فمن الممکن بل الواقع أن الملائکه یکون مجیئهم عندهم علیهم السّلام علی أقسام: فمنها أنهم یجیئون عندهم بصوره الطیور، فحینئذ یلتقطون من زغبهم الملقاه علی الأرض منهم لأولادهم علیهم السّلام و الحمد لله رب العالمین.

قوله علیه السّلام: و مهبط الوحی.

[فی بیان معنی المهبط و الوحی لغه]

أقول: المهبط اسم مکان للهبوط بمعنی المحل. و أما معنی الوحی لغه و ما یراد منه بلسان الشرع ففی مجمع البیان: العرج الوحی بتشدید الیاء السریع و مثله موت وحی مثل سریع لفظا و معنی و قال: و الوحاء و الوحا (بالمد و القصر) السرعه و قوله: استوحیته أی استصرخته. و عن القاموس: الوحی الإشاره و الکتابه و المکتوب و الرساله و الإلهام و الکلام الخفی، و کلما ألقیته إلی غیرک، انتهی. قال الطریحی رحمه الله: و الوحی مصدر وحی إلیه یحی من باب وعد، و أوحی له (بالألف) مثله، و جمعه وحی، و الأصل فعول مثل فلوس ثم غلب استعمال الوحی فیما یلقی إلی الأنبیاء من عند الله. أقول: قوله: و الأصل فعلول أی أن وحی أصله وحوی، ثم قلبت الواو یاء ثم

أدغمت فيه و أخذ فی معنی الوحی الاخفاء و لذا قیل: قوله تعالی: وَ أَوْحیٰ رَبُّکَ إِلَی اَلنَّحْلِ أَنِ اِتَّخِذِی أی ألهمها و قذف فی قلبها و علمها علی وجه لا سبیل لأحد علی الوقوف علیه. و قیل: معنی أوحی أی أومأ و رمز إلیه، و قسم بعضهم الوحی إلی وحی إلهام و إلی وحی إعلام و فسر بالثانی قوله تعالی: وَ أَوْحَیْنا إِلیٰ أُمِّ مُوسیٰ أی أعلمناها یدل علیه قوله تعالی: إِنّٰا رَادُّوهُ إِلَیْکِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ اَلْمُرْسَلِینَ . و أصل الوحی فی لغه العرب إعلام فی خفاء و لذلک یسمی الإلهام وحیا. أقول: قد علم مما ذکر أن الوحی هو الإعلام فی خفاء، و له مصادیق فجمیع ما ذکر إنما هو مصادیقه قد استعمل لفظ الوحی فیه بنحو الحقیقه، نعم حیث إنه مشترک معنوی لا بد من القرینه. و مما ذکرنا یظهر وجه النظر فیما عن الجمیع فی بعض کلامه کما لا یخفی، هذا من حیث اللغه.

و أما بیانه من حیث استعماله فی الشرع

بالنسبه إلی النبی صلّی الله علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام و کذلک بالنسبه إلی غیرهم فنقول: قد نبه القرآن علی أن حقائق الأشیاء کلّها مسطوره فی اللوح المحفوظ قال الله تعالی: . . کِتٰابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ (۱). و من هنالک یخرج إلی الوجود، فالعلوم إنما تفیض من ذلک العالم علی القلوب بأنحاء مختلفه بواسطه القلم العقلی الکاتب فی ألواح النفوس قال تعالی: أُولٰئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ اَلْإِیمٰانَ و قال تعالی: . . عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ اَلْإِنْسٰانَ مٰا لَمْ یَعْلَمْ. و القلب الإنسانی هو الصفحه الصالحه لأن تنتقش فیه العلوم کلها، فهی کمرآه مستعده لأن تتجلی فیها الحقائق الواقعیه بالنسبه إلی کلّ أمر. نعم إن بعض النفوس خالیه عن تلک الحقائق لأمور منها لنقصان ذاتی کقلب

۱- ۱) هود:۱.

الصبی، أو لکثره المعاصی الموجبه لعروض الخبث علیه من أجل کثره الشهوات، أو لإعراض القلب عن تلقی تلک المعارف من مواردها لأجل صرف همّه لتهیئه أسباب المعیشه المادیه، أو لأجل الغور فی الأعمال البدنیه من دون تأمل فی الحضره الربوبیه و الحقائق الإلهیه، فلا محاله لا ینکشف له إلّا ما هو متفکر فیه، و هذا کأغلب الزهاد المتوغلین فی ظاهر الشریعه دون المقصود منها کما لا یخفی، أو لوجود الحجاب فیما بینه و بین تلقی تلک المعارف و ذلک الحجاب مثل الاعتقادات الحاصله فی الصباء عن تقلید، أو الحاصله للأکابر بواسطه العلوم المادیه أو الفلسفیه من دون تطبیق لها مع الشرع فهذه الحجب المتلفقه تمنعه أن تنکشف فی قلبه الحقائق. ثم إن المعارف الملقاه فی القلب المستعد إن کانت مع الاطلاع علی السبب الموجب لها فیسمی وحیا إلهیا و یختص به الأنبیاء و الرسل، حیث إن تلقی المعارف إنما یکون لهم من سبب معلوم، و هو تلقیها عنه تعالی بلا واسطه کما کان لنبینا صلّی الله علیه و آله کما سیجیء أو بسبب الملک کجبرئیل علیه السّلام. و أما غیر هذه الصوره فالعلوم إما ضروریه تحصل بمجرد النظر إلی مواردها و أما غیر ضروریه. فهذه تاره تحصل بالاکتساب بطریق الاستدلال و التعلم فیسمی اعتبارا و استبصارا و یختص به العلماء و الحکماء بأقسامها. و تاره تحصل بهجومه علی القلب کأنه ألقی فیه من حیث لا یدری،

قال علیه السّلام: هجم بهم العلم علی حقیقه البصیره و باشروا روح الیقین، الخبر، فهذا یسمی إلهاما.

و منه الحدیث من قوله علیه السّلام: «المؤمن ملهم» ،

و قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «و ما برح لله جلت آلاؤه فی البرهه بعد البرهه، و فی أزمان الفترات رجال ناجاهم فی فکرهم، و کلمهم فی ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور یقظه فی الأسماع و الأبصار و الأفئده» . و یسمی نفثا فی الروع إن کان نکتا فی القلب، و یسمی حدیث الملک إن کان نقرأ فی السمع و یختص بهما الأولیاء، قیل: و معارف الأئمه علیهم السّلام من هذا القسم، و لکن

فیه تأمل و سیأتی بیانه، و لما ذکر توضیح آخر فی محله. و قد یقال: فی الفرق بین معارف الأنبیاء و الأولیاء (أی الأئمه) و بین معارف العلماء ما حاصله: أنه لو فرض حوضان: أحدهما: یجری فیه الماء من فوقه بواسطه أنهار مثلا. و ثانیهما: فیه الماء لأجل اتصاله من تحته بالعین الغریزیه المنفجره تحته. فالعلماء علمهم من طریق أنهار الحواس الظاهریه و الباطنیه الموجبه لإجراء العلم فی القلب. و أما الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام فیفجر العلم لهم من ینبوع من داخل سویداء القلب باتصاله باللوح المحفوظ بلا واسطه، أو بواسطه المعطی لهم ذلک العلم من اللوح المحفوظ حسب اختلاف الأنبیاء، کما لا یخفی. فأین هذا من الأول؟ فإن علم الأول یمکن نفاده لأجل سدّ باب الحواس بل بالخدشه فیه لأجل الالتباس بإلهام الخناس کما لا یخفی. و مما ذکر علم أصل المطلب فی نزول العلم من اللوح المحفوظ إلی أرض القلوب فی الجمله. و أما بیان المراد من

قوله علیه السّلام:

«و مهبط الوحی»

فیتضح ببیان الفرق بین النبی و الرسول و المحدث، أما الفرق بین الرسول و النبی فقد تقدم، و أما الفرق بینه و بین المحدث فنقول:

فی الکافی، علی عن أبیه عن ابن مرازم قال: کتب الحسن بن العباس المعروفی إلی الرضا علیه السّلام: جعلت فداک أخبرنی ما الفرق بین الرسول و النبی و الإمام؟ قال: فکتب أو قال: الفرق بین الرسول و النبی و الإمام أن الرسول الذی ینزل علیه جبرئیل فیراه و یسمع کلامه و ینزل علیه الوحی، و ربما رأی فی منامه نحو رؤیا إبراهیم، و النبی ربما سمع الکلام و ربما رأی الشخص و لم یسمع، و الإمام هو الذی یسمع الکلام و لا یری الشخص.

أقول: قوله: و لم يسمع، كان المراد به أنه لم يجمع له بين الأمرين كما يجمع للرسول.

و فيه بإسناده عن مؤمن الطاق قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام: فمن النبى و المحدث؟ قال: . . إلى أن قال عليه السّلام: و أما المحدث فهو الذى يحدث فيسمع و لا يعاين و لا يرى فى منامه. فعلم من هذا: أن المحدث يلقى إليه الكلام بدون المعاينه كما كان للرسول صلّى الله عليه و آله. و توضيحه: أن الوحى الذى أنزل على محمد صلّى الله عليه و آله هو أقصى مراتب التوحيد، الذى هو جامع لتمام مراتبه، الذى هو مرآه للوحده الإلهيه لا لخصوص مرتبه من مراتبها و لذا قال تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ و قال تعالى: إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ . فالمراد بذلك الوحى حقيقه نبوته، التى هى حقيقه الاسم الأعظم الذى ألقاه إلى قلبه الشريف كما أشير فى

قوله عليه السّلام:

«اللّهمّ إنى أسألك بالتجلى الأعظم» . فحقيقه الوحى هو ذلك التجلى الكلى الذى شمل جميع مراتب أسماء الله الحسنى بحيث لا يشذ عنه شاذ، فقلبه الشريف وسع فيه ما سواه تعالى، و لعله إليه يشير

قوله صلّى الله عليه و آله: «من أن أسماء جميع الخلق من أهل الجنه و النار يكون فى كفى» فى الحديث المروى عنه صلّى الله عليه و آله. كما

فى بصائر الدرجات بإسناده عن محمد بن عبد الله قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السّلام يقول: خطب رسول الله صلّى الله عليه و آله الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفّه، قال: أ تدرون ما فى كفى؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل الجنه، و أسماء آبائهم و قبائلهم إلى يوم القيمه، ثم رفع يده اليسرى فقال: أيها الناس أ تدرون ما فى يدى؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم إلى يوم القيامه، ثم قال: حكم و عدل و حكم الله و عدل و حكم الله و عدل فريق فى الجنه و فريق فى السعير.

ص :۴۴۴

و من المعلوم أنه ما كان فى كفيه المباركتين شىء، فإنما كنى بذلك العمل على أن وجوده المقدس له من الإحاطه و السعه ما وسع جميع الخلق سعيدهم و شقيهم، و هو عالم بجميع أحوالهم و هو مسيطر عليهم و عارف بخصوصياتهم إلى يوم القيامه. ثم إنه بعد ما علمت أن الوحى الحقيقى تجلى الجميع فى قلب النبى صلّى الله عليه و آله و علمت أن ما ألقى فيه من العلم و المعارف و ما تجلى فيه من ربه تعالى هو بتمامه و كماله انتقل إلى أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام كما تقدمت الأحاديث الداله عليه. فحينئذ يظهر لك أن ما أوتى محمد صلّى الله عليه و آله من حقيقه الوحى و مراتبها أجمع هو طبعه الأولى الذاتى منه تعالى صلّى الله عليه و آله بتمامه و كماله. و ما أوتى إليهم عليهم السّلام من مراتبه هو ما كان دونه بمرتبه يعنى إذا تنزلت حقيقه الوحى عن طبعها الأولى فى قلب النبى حيث له النبوه فقط، فنزولها عن تلك المرتبه هى المرتبه التى أوتيها آل محمد صلّى الله عليه و آله. فهم حينئذ مهبط الوحى بحقيقته، نعم فى المرتبه المتأخره عن مرتبه النبوه، و هذا معنى ما دلّ على أن الوحى مختص بالرسول، و أنهم عليهم السّلام قد أوتوا ما أوتى النبى مع اختصاص الوحى به دونهم فتأمل تعرف. فحينئذ بأىّ معنى فسّر الوحى لغه؟ يمكن أن يراد من

قوله عليه السّلام : «و مهبط الوحى» ، المعنى الحقيقى سواء فسّر بأنه عباره عما يلقى إلى الأنبياء من عند الله تعالى، أو ساير التعاريف الأخر فإنهم عليهم السّلام بتمام المعانى مهبط الوحى، نعم بواسطه النبى و فى مرتبه ثانيه كما علمت.

[فى بيان المراد من كونهم مهبط الوحى]

اشاره

ثم إنه لم يؤخذ فى معنى الوحى عدم الوساطه حتى يكون إطلاقه عليهم عليهم السّلام مجازا كما لا يخفى بل ثبت عمومه، و حينئذ نقول: كونهم مهبط الوحى يكون بمعان:

الأول:

أنهم مهبطه بواسطه النبى صلّى الله عليه و آله كما علمت.

الثانى:

كونه كذلك باعتبار هبوطه على جدهم فى بيوتهم.

ص: ۴۴۵

فعن صاحب الديلم قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول و عنده أناس من أهل الكوفه: عجبا للناس إنهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله فعلموا به و اهتدوا، و يرون أن أهل بيته لم يأخذوا علمه و نحن أهل بيته و ذريته! ! فى منازلنا ينزل الوحى، و من عندنا خرج العلم إليهم أ فيرون أنهم علموا و أهتدوا و جهلنا نحن و ظللنا؟ ! إنّ هذا المحال.

و فى الكافى بإسناده عن الحكم بن عيينه قال: لقى رجل الحسين بن على عليه السّلام بالثعلبيه و هو يريد كربلاء فدخل عليه فسلّم عليه، فقال له الحسين عليه السّلام: من أى البلاد أنت؟ قال: من أهل الكوفه، قال: أما و الله يا أخا أهل الكوفه لو لقيتك بالمدينه لأريتك أثر جبرئيل من دارنا، و نزوله بالوحى على جدّى، يا أخا أهل الكوفه أ فمستقى الناس العلم من عندنا فعلموا و جهلنا هذا ما لا يكون؟ !

الثالث: أنهم مهبط الوحى باعتبار نزوله عليهم،

و تحديث الملائكه لهم بغير الشرايع و الأحكام كالمغيبات، أو الأعم منها فى ليله القدر و غيرها بأن يقال: إنّ الوحى التشريعى الحكمى مختص بالنبى صلّى الله عليه و آله و أما فى غيره فيعمّه صلّى الله عليه و آله و يعمّهم عليهم السّلام و لا ينافى هذا كمال الدين فى زمن الرسول صلّى الله عليه و آله إذ الكمال مختص بالأحكام. و أما ساير الأخبار حسب الحوادث فلا، إذ هذه لا ينافى كمال الدين كما لا يخفى، فالحكم قد كمل فى زمن الرسول و هم يحكمون بذلك، و أما ساير الأمور فهم فيها محدثون، كما دلّت عليه أخبار كونهم محدّثين و هى كثيره كما لا يخفى، و يدل على هذا مضافا إلى ما تقدم جمله من الأخبار. فمنها

ما رواه فى الكافى بإسناده عن الكاظم عليه السّلام قال: مبلغ علمنا على ثلاثه وجوه: ماض و غابر و حادث، فأمّا الماضى فمفسّر، و أما الغابر فمزبور و أما الحادث فقذف فى القلوب و نقر فى الأسماع، و هو أفضل علمنا و لا نبى بعد نبينا.

قوله عليه السّلام: فأما الماضى فمفسّر، أى الذى فسّرناه و خرج منا إليكم و هو العلوم الحاصله للشيعه و العلماء منهم عليهم السّلام،

قوله عليه السّلام: و أما الغابر فمزبور، ففى المجمع: و الغابر

الباقی يقال: غبر غبورا من باب قعد (بقی) و قد يستعمل فيما مضی فهو من الأضداد. أقول: الغابر يستعمل فی الماضی و بمعنی الباقی، ففی هذا الحديث يراد منه الباقی بقرينه مقابلته مع الماضی فی صدر الحديث، فحينئذ قوله: و أما الغابر، أی العلم الباقی لنا فی خزانه علمه تعالی فهو مزبور و مكتوب فی اللوح المحفوظ.

قوله: و أما الحادث (أی الذی يحدث لنا و نحدثه) فهو الذی نتلقاه إما بقذف فی القلوب و إما بنقر فی الأسماع و هذا يفسر

قولهم: و أما المحدث فهو الذی يحدث فيسمع و لا يعاين، الحديث. و أما

قوله عليه السّلام: و هو أفضل علمنا، فيراد منه

ما رواه فی الكافی بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: إن سليمان ورث داود، إن محمدا صلّی الله عليه و آله ورث سليمان، و إن عندنا علم التوراه و الإنجيل و الزبور و تبيان ما فی الألواح، قال: قلت: إن هذا لهو العلم قال: ليس هذا هو العلم، إنّ العلم الذی يحدث يوما بعد يوم و ساعه بعد ساعه. و مثله فيه ما عن ضريس الكناسی عنه عليه السّلام فإن

قوله عليه السّلام: إن العلم الذی يحدث يوما بعد يوم. . إلخ يشار به إلی قوله فی الحديث

عن الكاظم عليه السّلام: و هو أفضل علمنا، فإنه علم يفيض من عند الله علی قلب الامام عليه السّلام قذفا أو نقرا كما تقدم يوما بعد يوم و ساعه بعد ساعه فينكشف به من الحقائق بنحو تطمئن به القلوب، و تنشرح به و يتنور به المشاهده و العيان، فهذا هو أفضل العلم الحاصل لهم منه تعالی آنا فآنا. و مما يدل علی نزول الملائكه عليهم الأخبار الوارده فی باب ليله القدر فمنها:

ما فی الكافی بإسناده عن أبی جعفر عليه السّلام قال: قال الله تعالی فی ليله القدر فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم و المحكم ليس بشيئين إنما هو شیء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف، فحكمه من حكم الله تعالی و من حكم بحكم فيه اختلاف فرأی أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت، إنه لينزل فی ليله

القدر إلى ولى الأمر، تفسير الأمور سنه سنه يؤمر فيها فى أمر نفسه بكذا و كذا، و فى أمر الناس بكذا و كذا، و إنه ليحدث لولى الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم الله الخاص و المكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل فى تلك الليله من الأمر. ثم قرأ: وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِي اَلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ وَ اَلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . أقول:

قوله عليه السّلام: و إنه ليحدث لولى الأمر سوى ذلك. . إلخ، يشير به إلى ما هو أفضل العلم لهم عليهم السّلام على ما بيناه، فإنه عليه السّلام عبر ذلك بعلم الله الخاص المكنون المخزون دون ما ينزل فى ليله القدر.

و فيه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: كان على عليه السّلام كثيرا ما يقول: اجتمع التيمى و العدوى عند رسول الله صلّى الله عليه و آله و هو يقرأ إنّا أنزلناه بتخشع و بكاء، فيقولان: ما أشدّ رقتك لهذه السوره؟ ! فيقول رسول الله صلّى الله عليه و آله: لما رأت عيني و وعا قلبى، و لما يرى قلب هذا من بعدى. فيقولان: و ما الذى رأيت و ما الذى يرى؟ قال: فيكتب لهما فى التراب تَنَزَّلُ اَلْمَلاٰئِكَةُ وَ اَلرُّوحُ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، قال: ثم يقول: هل بقى شىء بعد قوله تعالى: كل أمر؟ فيقولان: لا. فيقول: هل تعلمان من المنزل إليه بذلك؟ فيقولان: أنت يا رسول الله؟ فيقول: نعم. فيقول: هل تكون ليله القدر من بعدى؟ فيقولان: نعم. قال: فيقول: فهل ينزل ذلك الأمر فيها؟ فيقولان: نعم. قال: فيقول: إلى من؟ فيقولان: لا ندرى، فيأخذ برأسى فيقول: إن لم تدريا فأدريا هو هذا من بعدى، قال: فإن كانا ليعرفان تلك الليله بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله من شده ما يداخلهما من الرهب. أقول: المراد من التيمى و العدوى هو الأولان.

ص :۴۴۸

و فيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: يا معشر الشيعه خاصموا بسوره إنّا أنزلناه تفلحوا، فو الله إنها لحجه الله تعالى على الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و إنها لسيده دينكم، و إنها لغايه ما علمنا. يا معشر الشيعه خاصموا ب حم وَ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِى لَيْلَهٍ مُبٰارَكَهٍ إِنّٰا كُنّٰا مُنْذِرِينَ، فإنها لولاه الأمر خاصه بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله الحديث.

ثم إنه بقى هنا أمران:

اشاره

الأول: أنه بعد ما كان النبى و الأئمه عليهم السّلام أفضل من الملائكه أجمع، و أنهم عليهم السّلام معلموهم كما تقدم، فحينئذ ما معنى تحديثهم عليهم السّلام أو إرسال الوحى إليه صلّى الله عليه و آله فهل هو إلّا من باب تعليم المتعلم لمعلمه و هو كما ترى؟! و الثانى: أنه

ورد أن جبرئيل عليه السّلام قال للنبى صلّى الله عليه و آله عند موته: «هذا آخر نزولى إلى الدنيا» الحديث. و حينئذ فكيف التوفيق بينه و بين نزوله و نزول سائر الملائكه عليهم عليه السّلام؟ كما تقدم مفصلا فنقول:

أما الأول: [فى أن تحديث الملائكه النبى و الأئمه لا يدل على أفضليتها لهم عليهم السلام]

فحاصل الإشكال هو أنه لا ريب فى أن المراد من المهبط هو المحل، الذى ينزل فيه شىء من المكان الذى هو أعلى منه كما هو المتبادر، هذا مع أنه لا ريب فى أنهم عليهم السّلام أعلى و أشرف من هذا الهابط و ما هبط به، فلو كان علمه صلّى الله عليه و آله و علمهم عليهم السّلام من الملائكه الهابطين بالوحى بالمعنى المتقدم إليهم عليهم السّلام فيلزم أن تكون الملائكه أعلم منهم و أشرف، مع أن الأمر بالعكس كما دلّت به الأحاديث الكثيره المتقدمه، ثم هل هذا إلّا من باب تعليم المتعلم لمعلمه و هو كما ترى من الوهن؟ و لكن يدفعه ما حاصله: أنه قد علمت من الأحاديث السابقه فى معنى الولايه المطلقه الكائنه لهم. و من الأحاديث الداله على أنهم حقائق الأسماء الحسنى لله تعالى، و أن نورهم أول ما خلق الله، و أن جميع الموجودات مخلوقون من شعاع

أنوارهم من السماء و الأرض و الجنه و ما يرى و ما لا يرى، و علمت أيضا أن النبى صلّى الله عليه و آله هو المجلى بالتجلى الأعظم، الذى فيه ظهور جميع حقائق الموجودات، و علمت أيضا أن عندهم الاسم الأعظم بتمام مراتبه. فحينئذ يستفاد من هذه أن جميع الملائكه حتى جبرئيل و ميكائيل و غيرهم من الملائكه المقربين إنما هم من شئونهم عليهم السّلام فهم محيطون بهم و لا عكس، و ذلك لأن الأصل محيط بالفرع كما لا يخفى. فالملائكه بأجمعها بما لها من الأفعال المختلفه التى تقدمت الإشاره إلى أقسامها إنما هى عوامل القدره الكائنه و القائمه بحقيقتهم، فالملائكه الفعّاله و المدبّره و سائرها من شئون حقائقهم و آثارها. فحينئذ معنى نزول الوحى عليه صلّى الله عليه و آله أو نزول الملائكه و تحديثهم لهم عليهم السّلام هو ظهور الملائكه مع ما لها من الوحى و الإلهام على حقائقهم و عقولهم و نفوسهم و ظواهرهم، و فى كلّ مقام من هذه المهابط الأربعه ينزل فيه مما هو أعلى منه إلى ما هو أدنى، أى يظهر شأن من حقيقتهم العاليه إلى شأن من حقيقتهم النازله. توضيحه: أن الشأن العالى لهم هو حقائقهم الأوليه ثم المرتبه النازله و هى عقولهم، ثم النازله منها و هى نفوسهم، ثم المرتبه النازله هى ظواهرهم المرتبه فى عالم الوجود الظاهرى الدنيوى. فحينئذ معنى نزول الوحى إليه صلّى الله عليه و آله هو أنه ينزل من فعل الله المعبّر عنه بقوله: وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا إلى حقائقهم، أى إلى حقيقه النبى صلّى الله عليه و آله و تاره يكون بواسطه جبرئيل عليه السّلام الذى هو شأن من شأنه صلّى الله عليه و آله فيكون فعله تعالى هو إظهار بعض حقيقته إلى مرتبه نازله منها و هى مرتبه العقل بواسطه جبرئيل. و ربما ينزل من عقولهم إلى نفوسهم و من نفوسهم إلى ظاهرهم عليهم السّلام و تكون المراتب الأخيره فى الإمام عليه السّلام. و بعباره أخرى: ينزل فى حقائقهم من فعل الله و فى عقولهم من الماء الأول أى

الخلق الأول (أی النور الأول) و ینزل فی نفوسهم من عقولهم، و ینزل فی ظواهرهم من نفوسهم بواسطه الملائکه التی تحدثهم عن نفوسهم، عن عقولهم عن حقائقهم، عن الماء، عن فعل الله سبحانه. و بعباره أخری: أیضا یتجلّی منه تعالی نوره فی حقائقهم، و تتجلّی حقائقهم فی عقولهم، و تتجلّی عقولهم فی نفوسهم و تتجلّی نفوسهم فی ظواهرهم فی الحالات و الأفعال و الأقوال الصادره منهم (صلوات الله علیهم أجمعین و روحی لهم الفداء) فیعبّر حینئذ عن تلک التجلیات و عن الحامل لها بجبرئیل و بالملک و نحوهما کما لا یخفی. فظهر أن جبرئیل ینزل الوحی منه تعالی إلیهم، أی یتجلّی بعض شأنهم العالی لبعض شأنهم النازل، فالملک أو جبرئیل خادمهم فی هذا الأمر، و هذه التجلیات بأمر الله تعالی. و یکون کلّ من تلک الإیحاآت و التجلیات و الإلهامات بإذنه تعالی علی حسب ما تقتضیه حکمته البالغه و علمه النافذ، فهم علیهم السّلام کلّهم أفضل من جمیع الملائکه مطلقا، و الملائکه فی الوحی و غیره مأمورون بأمرهم و بأمر الله، و هم الخدمه لهم علیهم السّلام. و یوضح لک هذا أن خواطرک التی ترد علیک بالتذکر و الفهم و المعرفه حتی تستفید منها العلوم و الفهم و التذکر، إنما یرد علیک من قلبک. بیانه: أن حقیقتک هو روحک و قلبک، فهو مخزن لمعارفک، و أنحاء علومک ففیه مثلا من علم المعارف و الفقه و الفلسفه و الهیئه و نحو ذلک. و أنت حینئذ إذا کنت فی جماعه فلو سألک واحد عن الفلسفه، فترجع بقوه المفکره إلی الذهن المجتمع فیه تلک الأمور، فتأخذ منه المطالب الفلسفیه مثلا، و هکذا بالنسبه إلی سایر العلوم. فأنت بالحقیقه لک القلب المجتمع فیه تلک العلوم، ثم فی تطورات الحالات

الوجوديه تحتاج إلى ما فى قلبك، فتستمد من بعض قواك، لـدرك ما فى خزينه قلبك فتفيده لغيرك. هذا و قد حقق فى محلّه أن الإنسان الكامل هو العالم الكلى، الذى انطوى فيه العالم الأكبر

كما قال على عليه السّلام:

أ تزعم أنك جرم صغير

و فيك انطوى العالم الأكبر

فإذا أمكن فى فرد أن يكون كذلك، فما ظنك بالنبى و الأئمه عليهم السّلام فإن حقيقتهم عليهم السّلام هو اللوح المحفوظ المجتمع فيه جميع حقائق الأمور؟ ! و لكن فى موارد الاحتياجات الخارجيه حسب تطورات الأمور يستمد النبى مثلا أو الوصى من تلك الخزينه القلبيه الحقيقيه بواسطه الملك أو جبرئيل، الذى هو بعض قواه و شئونه فيلقيه إلى الناس، فافهم و اغتنم و اكتمه إلّا عن أهله.

و أما الأمر الثانى: [التوفيق بين أحاديث الداله على انقطاع الوحى بموت النبى و نزول الملائكه على الأئمه عليهم السلام]

فحاصله: أنه قد

ورد فى الحديث: أن جبرئيل عليه السّلام قال عند موت النبى صلّى الله عليه و آله: «هذا آخر نزولى إلى الدنيا، و الآن أصعد إلى السماء و لا أنزل أبدا» . هذا مع أنه تقدم أن الملائكه بل و جبرئيل عليه السّلام كان ينزل إليهم كما تقدمت أحاديثه بل

فى الحديث: أن الملائكه كانت تقول بعضها لبعض عند موت النبى صلّى الله عليه و آله: «هذا صاحبنا بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله مشيرا إلى أمير المؤمنين» .

و روى أيضا: أن عليا عليه السّلام كان يخطب فى مسجد الكوفه فقال: «سلونى قبل أن تفقدونى، فأتاه رجل فقال: أخبرنى أين جبرئيل الآن؟ فرمق عليه السّلام السموات ثم رمق الأرضين و الجهات فقال للسائل: أنت جبرئيل، فقال: صدقت، فعرج إلى السماء و الناس ينظرون إليه» . و تقدم أنه كانت تأتيهم الملائكه و يقعدون على فرشهم و على متكآتهم، و يرونهم فكيف التوفيق بين هذين الأمرين؟ هذا، و لكن يجمع بينهما بما حاصله: أن نزول جبرئيل بالوحى التأسيسى على النبى صلّى الله عليه و آله بحيث يسمع النبى و يرى شخص

الملك، فحیث إن هذا من أعظم مظاهر الحقّ المتضمن لمعنی النبوه الذی یختص به صلّی الله علیه و آله کما تقدم، فحینئذ هذا النحو من النزول الذی هو شأن النبوه لا تصلح إلّا للنبی صلّی الله علیه و آله. و إلی هذا النحو من النزول یشیر

جبرئیل علیه السّلام بقوله: «هذا آخر نزولی إلی الدنیا» أی هذا آخر نزولی بعنوان الإیحاء منه تعالی إلی النبی من حیث ظهور جهه النبوه له صلّی الله علیه و آله. و أما من غیر هذه الجهه فلا ریب فی أن جبرئیل حیث إنه حامل العرش و العلم فله شئون من الأمر، فله نزول کثیر فی عالم الخلق خصوصا علی الإمام، هذا

و قد ورد فی الحدیث أنه قال صلّی الله علیه و آله: إن جبرئیل ینزل بعد النبی عشر مرات، فی کلّ مرتبه یرفع أمرا من الخلق کالرحم و الأمانه مثلا، فیعلم منه أن لجبرئیل أنحاء من النزول فالمنفی

بقوله: هذا آخر نزولی إلی الدنیا هو القسم الذی ذکرناه من النزول بالوحی التأسیسی المتضمن لظهور معنی النبوه کما لا یخفی. فعلم أن قوله هذا لا ینافی نزوله و نزول سایر الملائکه علیهم علیهم السّلام بل المستفاد من الأحادیث أن الإمام (أعنی أمیر المؤمنین) کان فی زمن النبی صلّی الله علیه و آله أیضا یسمع کلام الوحی من جبرئیل حین ینزل علیه صلّی الله علیه و آله و إن کان لا یری الشخص کما دلّ کلام الوحی من جبرئیل حین ینزل علیه صلّی الله علیه و آله و إن کان لا یری الشخص کما دل علی هذا

قوله صلّی الله علیه و آله لعلی علیه السّلام: إنک تسمع ما أسمع و تری ما أری،

و قوله صلّی الله علیه و آله: و تری ما أری، أی تری بواسطتی ما أری بالواسطه. و الحاصل: أن نزول الوحی الحقیقی الذی هو حقیقه النبوه مختص به صلّی الله علیه و آله سواء کان بلا واسطه أحد کما علمت سابقا و ستجیء الإشاره إلیه، أو بواسطه جبرئیل. و أما سائر أنحاء نزول الملک فیعمهم علیهم السّلام فلا منافاه بین الأمرین. و یمکن أن یکون معنی

قوله صلّی الله علیه و آله (و تری ما أری) أی أنت یا علی تری جبرئیل، و کیفیه نزوله بالوحی علیّ لا علیک فیری علی علیه السّلام جبرئیل و أنه کیف جاء بالوحی

له صلّى الله عليه و آله مع أنه ليس نازلا عليه عليه السّلام بل عليه صلّى الله عليه و آله فيعطى هذا اختصاص نزول الوحى، لظهور حقيقه النبوه للنبى صلّى الله عليه و آله كما تقدم آنفا. و بهذا البيان يظهر معنى أنهم مهبط الوحى، لأن عليا عليه السّلام كان يرى هبوط جبرئيل بالوحى على النبى على ما هو عليه. و أما غيره من ساير الأئمه عليهم السّلام فكونهم مهبط الوحى، لأنهم أمثاله و نفسه صلّى الله عليه و آله كما دلّ عليه قوله تعالى: وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ و يشير إلى مماثلتهم الحقيقيه مع النبى صلّى الله عليه و آله قوله تعالى: مّا نَنْسَخْ مِنْ آيَهٍ أَوْ نُنْسِهّا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهّا أَوْ مِثْلِهّا .

ففى الحديث ما فسر هذا بما حاصله: إنه لما مات رسول الله صلّى الله عليه و آله أتى بعلى عليه السّلام و هو مثله، و حينئذ فالمراد من الآيه المنسوخه هو النبى صلّى الله عليه و آله و التى أتى بها و هو مثلها هو على عليه السّلام و كان على عليه السّلام و الحسن و الحسين عليهما السّلام إلى الحسن العسكرى عليهم السّلام فلما مات العسكرى عليه السّلام أتى بخير منه و هو القائم عليه السّلام لأنه عليه السّلام أفضل الثمانيه

كما روى عن النبى صلّى الله عليه و آله إنه قال: تاسعهم قائمهم أعلمهم و أفضلهم. فحينئذ فالآيه المنسوخه هو من على بن الحسين إلى العسكرى عليه السّلام و من المأتى بها بخير منها هو القائم عليه السّلام. و يمكن أن لا يراد من كلمه الخير معنى الأفضليه، بل يراد منه الخير الكثير فى نفسه لا الأفضل من قبله كما لا يخفى. و لكن هذا خلاف ظاهر الآيه لمكان عطف أو مثلها عليه فلا بد من إراده معنى الأفضليه كما بين وجهه فى التفسير كما تقدم.

قوله عليه السّلام: و معدن الرحمه.

اشاره

الكلام هنا يقع فى أمور:

الأول: فى بيان المعنى اللغوى

فنقول: فى المجمع: قوله تعالى: جَنّاتُ عَدْنٍ أى جنات إقامه، يقال: عدن بالمكان عدنا و عدونا من باب ضرب و قعد إذا أقام به، و منه سمّى المعدن كمجلس، لأن الناس يقيمون فيه الصيف و الشتاء، و مركز شيء:

معدنه. و المعدن: مستقر الجوهر.

و فی الحدیث کما فی البحار (۱)عن کتاب شهاب الأخبار قال النبی صلّی الله علیه و آله: «الناس معادن کمعادن الذهب و الفضه» و المعنی: أن الناس یتفاوتون فی مکارم الأخلاق، و محاسن الصفات، تفاوت المعادن، انتهی. فحینئذ معنی کونهم علیهم السّلام معدن الرحمه أی مرکزها و محل إقامتها و مستقرها هو ذواتهم المقدسه. و أما الرحمه، ففی المجمع: قوله تعالی: اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ ، هما اسمان مشتقان من الرحمه، و هی فی بنی آدم عند العرب: رقّه القلب ثم عطفه، و فی الله: عطفه و برّه و رزقه و إحسانه. أقول: أصل الرحمه هو العطف و هو غیر مسبوقه بالرقه فی الله تعالی، لاستحاله تلک فیه تعالی. و أما فی غیره فلا یکون إلّا و هی مسبوقه بالرقه غالبا. و کیف کان فأصلها العطف و هو لا یکون إلّا بشیء یکون أثره کالرزق و العطاء و العفو و نحوها، فما ذکر فی اللغه من البرّ و الرزق و غیرهما فإنما هو من آثارها و مظاهرها کما لا یخفی. فجمیع موارد استعمال الرحمه فی الخلق و الخالق إنما هو بیان مصادیقها الناشئه من صفه العطف کما لا یخفی.

الأمر الثانی: [فی بیان إطلاق الرحمه علی الرب]

لا ریب فی أن الرحمه و مشتقاتها، التی أطلقت علیه تعالی، إنما هی بلحاظ أنها صفه من صفاته فهو الرحمن الرحیم. و علمت أن جمیع أسمائه مرجعه إلی أنها صفاته تعالی، و الصفات إذا لوحظت بالنسبه إلیه تعالی لها اعتبارات: الأول: اعتبار أنها عین الذات کالعلم مثلا، یعنی أن ذاته المقدسه کافیه بوحدتها عن کلّ ما هو أثر للعلم ذاتا فهو عالم أی لیس یجهل، فنفی الجهل عن ذاته تعالی

۱- ۱) البحار ج ۶۱ ص ۶۵.

یستلزمه استقلال الذات بالعلم أی بآثار العلم. و إلی هذا یشیر ما فی الدعاء من

قوله علیه السّلام:

«یا من یکفی من کلّ شیء، و لا یکفی منه شیء»

أی إن ذاته المقدسه کافیه لکل شیء بالذات. و الثانی: اعتبار الصفه بما أنها صفه ممتازه عن غیرها من سایر الصفات کالقدره و الوجود و غیرها، ففی هذا المقام تمتاز الصفات عن غیرها فهو عالم تتمیز فیه الصفات بعضها عن بعض، فهی ملحوظه خارجه عن الذات فیعبّر عنها حینئذ ببیان حقائقها. و الثالث: اعتبار ثبوت هذه الصفات الموضحه للذات المقدسه، فحینئذ یطلق علیها تقدست آلاؤه بلحاظ نفی أضدادها، حفظا لمقام الوحده الذاتیه. و الرابع: اعتبار تحققها فی عالم الموجودات و بلحاظ ظهورها فی الموجودات، و وقوع معانیها علی مظاهرها و مصادیقها الخارجیه. و الخامس: اعتبار تلک الصفات فی المصادیق الجزئیه کالمرحوم و المعلوم و المقدور و أمثالها فهی مقام تشخّص کلّ نوع فی جزئیاتها. فحینئذ نقول: هو الله الرحمن الرحیم، فالطلاق الرحمن و الرحیم علیه یمکن بکلّ من هذه الاعتبارات، سوی الأخیر و توضیحه فی محلّه. فحینئذ نقول: قد علمت سابقا أن الذوات المقدسه أعنی محمدا و آله الطاهرین مظاهر لأسمائه الحسنی، فحقیقه الرحمه فی مشتقاتها تجری فی الخلق بواسطتهم. فالرحمه مثلا بالاعتبار الأول مختصه به تعالی، و بالاعتبار الخامس تکون فی خصوص المصادیق الخارجیه، و أما بسایر الاعتبارات الثلاثه المتوسطه فهی قائمه بهم علیهم السّلام أما الاعتبار الثانی (أی الأول من هذه الثلاثه) فهم علیهم السّلام مظهر تلک الرحمه بما هی صفه له تعالی و هم محلّها قال تعالی: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ رَحْمَهً لِلْعٰالَمِینَ . و أما الاعتبار الثالث فهم علیهم السّلام رحمته تعالی قائمه بذاته المقدسه، حیث إنهم علیهم السّلام أسماؤه الحسنی و الوسیله إلیه تعالی، فمعنی أنهم أسماؤه أی صفاته کما تقدم مفصلا.

و أما الاعتبار الرابع فحيث إنهم عليهم السّلام لهم الولايه التكوينيه، فجميع التصرفات من الأسماء الحسنى التى ملأت أركان كلّ شیء، يكون بواسطتهم و هم المتصرفون فى الخلق بما منحهم الله من القدره و الصفات، التى منها أنهم عليهم السّلام يرحمون العباد بإذنه تعالى لما هم رحمته الواسعه، كما لا يخفى. و تقدم عن التوحيد ما دلّ على أن نزول الرحمه و ساير البركات على الخلق إنما هى بواسطه الأوصياء عليهم السّلام. ثم لا ريب فى أنه تعالى ذو الرحمه أى يعطى كلّ ذى حقّ حقّه، قيل: و منه قوله تعالى: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ أى أنه سبحانه استوى برحمانيته على العرش أى يعطى كلّ ذى حقّ حقّه. و المراد من العرش جميع ما سواه، يعنى أنه تعالى يرحم ما سواه بأن يعطى كلّ ذى حقّ حقّه. فهذه الآيه معنى كقوله تعالى: أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ فالعرش أى ما سوى الله تعالى هو رحيم بهم. فتاره يرحمهم بأن خلقهم فخلق كلّ موجود بما تقتضيه الحكمه الإلهيه كمّا و كيفا فهو استوى على الخلق أى خلقهم بمقتضى رحمته و حكمته. و تاره يرحمهم أى يعطيهم الحياه، فمنه تعالى حياه كلّ شیء حسب ما اقتضته رحمته و حكمته، و تمتاز الحياه عن الخلق بأن الخلق صرف الوجود و الحياه وجود مع الأثر المترتب منه فى عافيه، أو أن الخلق عام و الحياه خاص بلحاظ الآثار المترتبه عليه كما ينبغى. و تاره يرحمهم بأن يرزقهم ما به قوام عيشهم فى الحياه. و تاره أيضا يرحمهم بأن يميتهم أيضا رحمه للكلّ، فبالموت يصل كلّ موجود إلى ثمره وجوده كما حقق فى محلّه، خصوصا بالنسبه إلى المؤمنين فإنه لهم روح و ريحان كما فى الخبر.

فجمیع هذه الأصول الأربعه مظاهر رحمته، و هو تعالی استوی علی الخلق برحمانیته الظاهره فی هذه الموارد. و إلیه یشیر أیضا قوله تعالی: ثُمَّ اِسْتَویٰ عَلَی اَلْعَرْشِ اَلرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِیراً أی أنه تعالی یربّیهم بهذه الأصول الأربعه بمقتضی رحمته و حکمته، فإن عرضت شبهه لأحد فی تدبیره، فلیسأل به تعالی فإنه خبیر بما فعل بهم عن رحمته و حکمته بحیث تدفع الشبهه. و مثله أیضا قوله تعالی: ثُمَّ اِسْتَویٰ عَلَی اَلْعَرْشِ یُدَبِّرُ اَلْأَمْرَ . و منها: أنه تنقسم الرحمه منه تعالی إلی الرحمه الواسعه و إلی الرحمه المکتوبه. بیانه أنه قال فی التوحید: فی معنی المیم و روی بعضهم ملک الله و الله إله کلّ شیء، الرحمن بجمیع خلقه و الرحیم بالمؤمنین خاصه.

و فیه بإسناده عن صفوان بن یحیی، عمّن حدثه، عن أبی عبد الله علیه السّلام. . إلی أن قال: قلت: الرحمن؟ قال: بجمیع العالم، قلت: الرحیم؟ قال: بالمؤمنین خاصه و قال: تعالی: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ فَسَأَکْتُبُهٰا لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ وَ یُؤْتُونَ اَلزَّکٰاهَ (۱). فیستفاد منها أن الرحمه الواسعه هی وسعت کلّ شیء، و جمیع الخلق من مؤمن و کافر و صالح و طالح و جماد و نبات و حیوان. فهذه الرحمه هی الوجود، و الوجود خیر محض فی نفسه کما حقّق فی محلّه، و من هذا الخیر الفضل و العدل فیعمّ المؤمن و الکافر. و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ

و قوله علیه السّلام: قلت: الرحمن؟ قال: بجمیع العالم، أو قوله علیه السّلام: الرحمن بجمیع خلقه، و سمی بالرحمه الواسعه لقوله تعالی: وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ و هذه هی الرحمه الواسعه. و أما الرحمه المکتوبه و هی الرحمه الخاصه المشار إلیها بقوله تعالی: فَسَأَکْتُبُهٰا لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ الآیه.

ص: ۴۵۸

۱- ۱) الأعراف:۱۵۶.

بيانه: أن الموجودات كلّها موجوده و منتعشه بالرحمه الإلهيه، فهى واسعه لكلّ شىء فى الدنيا. ثم إذا كان المرحوم بها من أهل التقوى فتكون الرحمه حينئذ له ثابته و مكتوبه أى مثبته، فالرحمه بالمؤمنين هى نفس الرحمه الواسعه إلاّ أنها بالتقوى صارت ثابته لموردها لا مستعاره، فغير المؤمن تؤخذ منه الرحمه فتسلب عنه فيصير إلى العذاب الإلهى دون المتقى، فبهذا الاعتبار تسمى الرحمه الثابته و الباقيه الرحمه المكتوبه أو الخاصه بالمؤمنين. ثم إنه يشير قوله تعالى: اَلرَّحْمٰنِ إلى الرحمه الواسعه و قوله: اَلرَّحِيمِ إلى الرحمه المكتوبه كما لا يخفى. هذا و لكنّ الحقّ أن يقال: إن الظاهر فى موارد ظهور الرحمه ثلاثه أمور: الأول: الرقه و انكسار فى قلب الراحم. الثانى: عطف القلب نحو المرحوم. الثالث: ترتب الآثار التى يقتضيها العطف على المرحوم. فحقيقه الرحمه هو الأمر الثانى (أعنى عطف القلب) دون الأول و الثالث. أما عدم كونه الأول (أعنى رقه القلب) فلأن الرحم متعدّ بنفسه يقال: رحمته، و الرقه القلبيه لازمه غير متعديه فهى خارجه عن مفهوم الرحم كما لا يخفى. فقوله: رقّ قلبى، لازم إلاّ إذا عدّى بقوله: له، فحينئذ يشرب فيه معنى رحمته، و إلاّ فلا تعد له إلى غيره بأثر، نعم الرقه القلبيه هى سبب للعطف القلبى. و أما عدم كونه الثالث (أعنى الآثار و الأفعال المترتبه على المرحوم) فلأنه يقال: فلان رحيم القلب، و لا يقال: رحيم الفعل، فيعلم أنه لا يصح حمل الرحمه على الفعل و استنادها إليه. فالرحمه هى من الصفات الباطنيه دون الأفعال الخارجيه بل هى منبعثه عنها و أثر لها.

ص :۴۵۹

فحينئذ نقول: الرحمه و مشتقاتها المطلقه عليه تعالى إنما يراد منها المعنى الثانى (أى العطف و العطوفه) فهو رحيم أى ذو عطف على الخلق فى ظرف ملاحظته تعالى حاجتهم و ضرّهم و احتياجهم فيعطف عليهم لإصلاح أمورهم. فعليه فإطلاق الراحم عليه تعالى بنحو الحقيقه اللغويه لا بنحو المجاز، ضروره أن توهم المجاز إنما هو بلحاظ أخذ الرقه فى معنى الرحم. و قد علمت أنه توهم باطل فإنه ناشئ من عدم تجريد أصل معنى الرحم من الأغشيه اللازمه بحسب الموارد المستعمله فى الخلق من الرقه و الانكسار و الأفعال و نحوها، و حيث إن هذه خارجه عن مفهوم الرحم بحسب اللغه كما علمت فإطلاقه عليه تعالى بما له من العطف يكون بنحو الحقيقه. فإن قلت: بعد ما اشتهر من أن إطلاق اللفظ كالرحم و الغضب مثلا عليه تعالى إنما يكون باعتبار الأثر و الغايه و إلغاء المبادئ، التى تكون فى الخلق المنفيه عنه تعالى، فحينئذ لا حاجه إلى التجشم بما ذكر من اختصاص معنى الرحم بالعطف دون الرقه القلبيه مثلا. فإنه و إن فرض كونها كذلك لغه لا مانع من إطلاقه عليه باعتبار الغايه و إلغاء المبادئ. قلت: لا حاجه إلى إطلاق تلك الألفاظ عليه تعالى بلحاظ الغايه و الأثر دون المبادئ فرارا من استناد ما هو منزّه عنه إليه تعالى، فإنه مضافا إلى أنه يلزم أن يكون أغلب الإطلاقات عليه تعالى مجازا و هو خلاف الأصل أنه بعد ما أمكن إطلاقها عليه بنحو الحقيقه بنحو تساعده اللغه و العرف بل و الدليل كما علمت، فلا حاجه إلى التجشم بما ذكر من كون الإطلاق بلحاظ الغايه و ترك المبادئ كما لا يخفى. و الوجه فيه أنّ لأفعال الله سبحانه مبادئ وجوديه عينيه موجوده فى صعقها على التحقيق بنحو تكون تلك المبادئ العينيه حقيقه معانى تلك الألفاظ التى يطلق عليه تعالى.

ص: ۴۶۰

فإطلاق الرحم و الرضا و الغضب و أشباهها ليس باعتبار تحقق الآثار و الغايات فقط دون المبادئ بل باعتبار مبادئ تلك الأفعال و هى الأصل لها، و هى التى تكون أسماء معنويه مخلوقه مبدأ لتلك الأفعال مثلا حقيقه الرحمه و الرحم هو معنى فى نفسه الذى باعتباره تكون الرحمه للممكنات منه تعالى، و هو حقيقه اسم الرحمه و هو اسم من أسمائه المخلوقه كما يدل عليه ما هو المشهور.

و أورده فى المجمع عن النبى صلّى الله عليه و آله: أن لله عز و جل مائه رحمه أنزل منها واحده إلى الأرض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون و يتراحمون و أخّر تسعا و تسعين يرحم بها عباده يوم القيمه. فتلك الحقيقه المعبّر عنها بمائه رحمه هى العطوفه المخلوقه، التى هى مبدأ الرحم، و الرحمه صفه لها و عنوانها. فظهر أن انكسار القلب و لو فى الخلق سبب لظهور تلك الرحمه المنفصله فى القلب عن الانكسار القلبى فبوجوده يعطف على المرحوم. و هذه كلّها هى الظاهره فى الآباء و الأمهات و الأرحام و غيرهم بالنسبه إلى الأولاد و الأقرباء و غيرهم. و كلما كان القلب أصفى كان ظهور الرحمه بالنسبه إلى الخلق أتم كقلوب الأنبياء و الأئمه و الأولياء فضلا عنه تعالى، و لهذا أمرنا بالتخلق بأخلاق الله أى بتصفيه القلوب لتظهر تلك الرحمات منا كثيرا. و حيث إنه تعالى مجرد عن شوائب النقص، فظهور الرحمه أى العطف منه تعالى بملاحظه احتياج الخلق و فاقتهم يكون أكثر و أتم، فهو إذا ذو الرحمه الواسعه خصوصا إذا لوحظ فيه غناه الذاتى فيؤيد حينئذ فى سعه رحمته قال تعالى: وَ رَبُّکَ اَلْغَنِیُّ ذُو اَلرَّحْمَهِ . فبملاحظه العطوفه التى هى اسم من أسمائه و هو حقيقه معنى الرحمه، فهو تعالى ذو الرحمه فيرجع إطلاق الرحمن و الرحيم عليه بلحاظ أنه ذو الرحمه، أى

خالق حقيقه معنى الرحمه و مالكها التى بها يرحم عباده، فهو مبدئ لها و جاعلها، و حقيقه الرحمه قائمه به تعالى قيام صدور- كالكلام بالنسبه إلى الإنسان-لا قيام حلول كما فى الخلق، فإن الإنسان يوصف بصفات بلحاظ حلول تلك الصفات فيه و أنّها تأخذ منه مأخذا، و تتمكن فيه حلولا- كما لا يخفى. و منه علم أن إطلاق الرحيم على الخلق ليس كنحو إطلاقه عليه تعالى، فإنه فى الخلق باعتبار كونه محلّا للرحم و مظهر له. بيانه أن المستفاد من

قوله: فقسّمها بين خلقه فبها يتعاطفون. . إلخ، أن الرحمه بما لها من المعنى المتقدم منحصره فى حقّه تعالى هو فاعلها على الإطلاق، و هو مالكها و خالقها. و أما الخلق فقد قسم منها لهم كلّ على حسبه فهو-أى الخلق-مظاهر لتلك الرحمه، كلّ على حسبه، و هى مستعاره عندهم، و إلّا فبالحقيقه لا راحم إلّا هو كما ورد هذا المضمون فى دعاء الجوشن و أن الرحمه المطلقه بما لها من المصاديق له تعالى لا لغيره، بل الغير مظاهر رحمته، و هذا هو التوحيد بالنسبه إلى هذه الصفه (أى الرحمه) . و إليه يشير

قوله عليه السّلام فى الصحيفه:

«فلعلّ بعضهم برحمتك يرحمنى»

أى يرحمنى برحمتك الظاهره فيه منك، لا من عنده و لا من عند غيره. و لعلّه إليه يشير قوله تعالى: كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ اَلرَّحْمَةَ أى جعلها لنفسه فى مقام التكوين لا الوعد بها، و أيضا يشير قوله: وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

و قوله عليه السّلام:

سبقت رحمته غضبه،

و قوله تعالى: رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وٰاسِعَةٍ

و قوله عليه السّلام:

«و برحمتك التى وسعت كلّ شىء»

و نحوها مما دلّت على إضافه الرحمه مطلقا إليه تعالى بحيث يفيد الحصر له تعالى. ثم إن حقيقه الرحمه-التى هى صفه مخلوقه له تعالى، و اسم من أسمائه-قد تنشعب منها شعبه فى قلوب أوليائه من النبيين و الأئمه عليهم السّلام فأصلها قائم به تعالى، و أشعتها منشعبه فى قلوب أوليائه، فترى قلوبهم مملؤه من الرحمه كلّ على قدر

ظرفيّته، فأكمل القلوب رحمه قلوب محمد و آله الطاهرين، فإن قلوبهم مجلى الأتم لشعاع نور الرحمه الإلهيه بحيث قال الله تعالى فى حقّه: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ . فجميع الموجودات فى الدنيا و الآخره مرحومون بهذه الرحمه، و كذلك الأئمه عليهم السّلام و سيجىء بيانه أزيد فى شرح

قوله عليه السّلام : «و الرحمه الموصوله» . و هم عليهم السّلام بهذه الاعتبار معدن الرحمه أى محل إقامه حقيقه الرحمه بتحقق أشعه نور الرحمه الإلهيه فيهم عليهم السّلام فهذا اعتبار للرحمه من حيث هى هى، و باعتبار آثارها، و تاره يظهر فى الموجودات خصوص آثارها دون حقيقه الرحمه من عطاء وجود و نحوه مما يحتاج إليه المرحوم. فالأول: كما يرحم الأكابر من الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام و ساير الأولياء كلّ على حسبه، و الضعفاء من المرحومين على اختلافهم. و الثانى: كالأرزاق و الألطاف النازله منه تعالى للمخلوقين بغير واسطه إنسان ذى رحم، بل يكون مرحوما منه تعالى فيتحقق ما يحتاج إليه بدون راحم من الخلق، فالرحماء فى الخلق إنما تكون رحمتهم منه تعالى. ثم إن الرحمه تاره تعتبر مطلقه مجرده عن التعلقات و الإضافات كما يقال: فلان رحيم القلب فى قبال قسىّ القلب، يعنى أنه لو وجد مرحوما لرحمه، و أخرى مضافه متعلقه بمتعلق خاص. فالأول: يلاحظ فيه الرحمه بنفسها. و الثانى: يلاحظ بلحاظ انبساطها و شمولها. و ربما تطلق الرحمه على تلك الآثار الخارجيه باعتبار ظهور الرحمه بها، فالثانى رحمه صوريه و الأول رحمه معنويه. ثم إن الرحمه المعنويه تقتضى إعطاء الفضل لذوى الحاجه عند سؤالها بلسان

حالها أو قالها قال تعالى: وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ (۱). ثم إن الموجودات مطلقا من المؤمن و غيره، و من ذوى العقول و غيرها لما أراد الله تعالى إيجادها فهى بأجمعها بلسان حالها سألت منه تعالى ما به وجودها و قوام أمرها، فهى بلحاظ الوجود لها قوس نزول و قوس صعود: فالأول سيره من الحق إلى آخر درجات الخلق المادى مطلقا، فحينئذ أعطاه الله تعالى جميع ما يحتاج إليه من رزق، و رفع المكاره، و إعطاء المنافع، و إصلاح الشأن، ففى هذا العطاء و الرحمه يستوى المؤمن و الكافر، و هكذا ساير الموجودات، إلّا أن الرحمه تكون بالنسبه إلى المؤمن بعنوان التفضل، و بالنسبه إلى الكافر بعنوان العدل و إتمام الحجه. و ربما تكون استدراجا أو تذكيرا للنعمه، ليكون شاكرا لها، فهذه الرحمه هى الرحمه الواسعه الرحمانيه، التى هى اسم خاص لصفه عامه كما عن الصادق عليه السّلام و هذه الرحمه ليست اكتسابيه بل هى ابتدائيه منه تعالى لجميع الخلق من الإنسان و الحيوان و النبات كما لا يخفى، و إنما كانت اسما خاصا به تعالى إما لأجل أن وجوده العميم يقتضى لابتداء الوجود أن يعمّهم بالرحمه أجمع، و ليس له مصداق سوى الحق تعالى فلا محاله يكون خاصا مختصا به تعالى. و إما لأجل أن هذه السمه الشامله للكافر و المؤمن تكون اسما لم يتسم به غيره تعالى، لعدم الإمكان الذاتى لغيره تعالى بمثل هذه الرحمه المعبر عنها

بقوله عليه السّلام فى الدعاء: «و رزقك مبسوط لمن عصاك و حلمك معترض لمن ناواك، عادتك الإحسان إلى المسيئين، و سبيلك الإبقاء على المعتدين، فليس فى الخلق من يكون هكذا متصفا بالرحمه إلى من يحاربه و يعصيه و يسوءه و يعتدى عليه إلّا ذاته المقدسه. نعم قد علمت أن أشعه هذه الرحمه الواسعه انبسطت على قلوب محمد و آله

۱- ۱) إبراهيم:۳۴.

الطاهرين، فهم مظهر لهذه الرحمه الواسعه، فتراهم يرحمون قاتليهم و المعتدين عليهم عليه السّلام كما لا يخفى، لكونهم عليهم السّلام معدنا لهذه الرحمه الواسعه الإلهيه، فهذا معنى أنها اسم خاص. و أما كونه صفه عامه لعموم متعلقها فى الوجود فيشمل الجميع كما علمت، فقوله صفه عامه، أى شامله للجميع كما لا يخفى. و على أى حال فالرحمه الرحمانيه فى قوس النزول تعمّ الجميع، و لذا قالوا بشمولها فى الدنيا لهم، و لكن

فى الدعاء عنهم عليهم السّلام:

«يا رحمن الدنيا و الآخره و رحيمهما»

فيعطى أن الرحمه الواسعه تكون فى الآخره أيضا، كما أن الرحمه المكتوبه و الخاصه تكون فى الدنيا أيضا فبينهما عموم و خصوص من وجه. و مورد الجميع أن المؤمن فى الدنيا يكون مرحوما بالرحمتين، و هذا لا ينافى اختصاص كون الرحمه الواسعه بالدنيا، لأن ذلك بلحاظ عموم المتعلق، و لا ينافى تحقق الرحمه الخاصه للمؤمن فى الدنيا أيضا كما أنه لا منافاه لتحقق الرحمه الواسعه للمؤمن فى الآخره أيضا بجهتين فيهما. فالرحمه الواسعه بلحاظ العدل و الفضل العام يشملهما فى الدنيا. و أما المؤمن فتشمله الرحمه الخاصه بلحاظ إيمانه دون غيره، كما أنه فى الآخره يكون مشمولا للرحمه الخاصه لإيمانه و مع ذلك لا ينافى شمول الرحمه الواسعه له أيضا. و الحاصل أن الرحمه واحده فاختلاف الجهه فى المرحوم صار سببا لانقسامه إلى قسمين خاصه و عامه، و حينئذ تشمل الرحمه لجهتها الموجوده مهما كانت فى الدنيا أو الآخره. نعم الرحمه الواسعه لا تكون للكافر فى الآخره: لعدم تحقق جهته و هى الجهه الابتدائيه فى الوجود قبل إتمام الحجه، و أيضا لا تشمله الرحمه الخاصه، لعدم إيمانه فتدبر تعرف.

و ربما يقال بشمول الرحمه الواسعه للكافر فى الآخره أيضا بلحاظ تخفيف العذاب عنه، لأجل ما صدر منه بعض الأفعال الحسنه بالنسبه إلى المؤمنين فى الدنيا، و حينئذ صحّ

قوله عليه السّلام:

«يا رحمن الدنيا و الآخره»

بلحاظ الكافر أيضا كما علمت معنى و رحيمهما بلحاظ المؤمن فى الدنيا أيضا. و أما الثانى أعنى القوس الصعودى للخلق، و سيره إلى النشأه الآخره و إلى الحقّ جلّ جلاله. و بعباره أخرى: سيره إلى القرب منه تعالى فهى رحمه مجازاتيه، التى أشير إليها فى قوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (۱)و قوله تعالى: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى. وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى. ثُمَّ يُجْزاهُ اَلْجَزاءَ اَلْأَوْفى (۲)و هى متفاوته على درجات السعداء، إذ هى مختصه بهم، نعم فى الآخره كما دلّ على ذلك به الحديث المتقدم من

قوله: «رحيم بالمؤمنين خاصه» . و إذ علمت أن الرحمه الرحمانيه أيضا تكون لغير المؤمن فى الآخره

لقوله عليه السّلام

يا رحمن الدنيا و الآخره

، فإن الرحمه فى الآخره للمؤمن هى الرحمه، الرحيميه فتحقق الرحمه الرحمانيه فى الآخره لا محاله تكون لغير المؤمن، و هذا إنما يتصور بالنسبه إلى تخفيف العذاب لهم أو لأمر آخر، و الله العالم و الحمد لله ربّ العالمين.

الأمر الثالث: فى بيان كونهم معدن الرحمه

اشاره

و الوجه فيه فنقول: لا ريب فى أن كونهم معدن الرحمه يلازم أن لا رحمه عامه و لا خاصه لأحد من الخلق إلاّ أنه تنزل عليهم بسببهم حتى الأمطار و الأرزاق كما تقدمت الإشاره إليه. و دلّ عليه:

«لولاك لما خلقت الأفلاك» فالموجودات بما لها من القوابل المتفاوته يقبل الرحمه بسببهم، و لولاهم عليهم السّلام لساخت الأرض بأهلها.

۱- ۱) الزلزله:۷.

۲- ۲) النجم:۳۹-۴۱.

ففى الكافى عن أبى حمزه قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت بغير إمام لساخت.

و فيه بإسناده عن محمد بن الفضيل، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال: قلت له: أ تبقى الأرض بغير إمام قال: لا، قلت: فإنا نروى عن أبى عبد الله عليه السّلام: أنها لا تبقى بغير إمام إلّا أن يسخط الله على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا تبقى، إذا لساخت.

و فيه بإسناده عن أبى هراسه، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعه، لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله. فظهر أنهم عليهم السّلام أولياء نعم الله و السبب لرحمه العباد، فهم معدن الرحمه بحيث منه تنشر الرحمه على الخلق و العباد، فلو لم يكن الحجّه لساخت الأرض بأهلها. ثم إنه بعد ما علمت أن ذواتهم المقدسه مظهر لشعاع أنوار الرحمه الإلهيه، فهذه المظهريه للرحمه الثابته لهم، بحيث لهم الولايه فى تصرفها فى الخلق كيفما شاءوا بإذنه تعالى. فحقيقه الرحمه فيهم تثبت لهم شئونا لولايتهم الرحمانيه، و تلك الشئون أشير إليها فى دعاء رجب المنقول

عن الحجّه (صلوات الله و سلامه عليه) من قوله:

«أعضاد و أشهاد و مناه و أذواد و حفظه و روّاد» الدعاء. فهى شئون سته لا بد من بيانها، إذ به يتحقق معنى كونهم حقيقه معدن الرحمه، و تنشرح به حقيقه الرحمه الإلهيه الكائنه فيهم عليهم السّلام الصادره باختيارهم، لرفع احتياجات الخلق بأجمعه، فنقول و عليه التوكل:

يقع الكلام فى سته أنوار:

النور الأول: كونهم أعضادا،

قال الله تعالى: مٰا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ مٰا كُنْتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّينَ عَضُداً (۱).

ص :۴۶۷

۱- ۱) الكهف:۵۱.

فی البحار (۱)عن محمد بن سنان قال: کنت عند أبی جعفر الثانی، فذکرت اختلاف الشیعه فقال: إن الله لم یزل فردا متفردا فی وحدانیته، ثم خلق محمدا و علیا و فاطمه فمکثوا ألف ألف دهر، ثم خلق الأشیاء و أشهدهم خلقها، و أجری علیها طاعتهم، و جعل فیهم منه ما شاء، و فوّض أمر الأشیاء إلیهم، فهم قائمون مقامه، یحللون ما شاءوا و یحرمون ما شاءوا، و لا یفعلون إلّا ما شاء الله، فهذه الدیانه التی من تقدمها غرق، و من تأخر عنها محق، خذها یا محمد فإنها من مخزون العلم و مکنونه. قوله: أشهدهم خلقها، إلی قوله: فهم قائمون مقامه، ظاهر فی أنهم علیهم السّلام شهدوا کیفیه الخلقه، و أشهدهم الله علی ذلک، فهم فیما فوّض إلیهم من أمر الأشیاء قائمون مقامه تعالی.

و قوله: و جعل فیهم منه ما شاء ، یشیر بالموصول إلی أمر عظیم و هو بواقعه منشأ للتفویض المذکور، و القیام مقامه، و هذا معنی أنهم أعضاد أی أعوان کما فسّر به فی اللغه، فإنه تعالی کأنه جعلهم عونا له حیث أقامهم مقامه، و حقیقته ترجع إلی أنهم أسماؤه الحسنی و اسمه الأعظم. و من المعلوم أنه تعالی یفعل ما یفعل بأسمائه کما حقق فی محلّه، و فی أذن الدخول للمشاهد المشرفه:

«و الحمد لله الذی منّ علینا بحکام یقومون مقامه»

لو کان حاضرا فی المکان فهم قائمون مقامه، فهم عون له فی العلم و القدره و سایر الصفات، بمعنی أنهم مظهر لتلک الصفات الإلهیه فی الخلق کما مرّ مرارا. و الحاصل: أنه تعالی أشهدهم خلق السماوات و الأرض، و خلق من أسکنهما، و خلق الانس و الملائکه و سایر ما برأ و ذرأ، و ما أحدث من جماد و نبات و حیوان، و اتخذهم الله أعضادا لخلقه، لأنهم علیهم السّلام الهادون و هو تعالی اتخذ الهادین عضدا المفهوم من قوله: وَ مٰا کُنْتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّینَ عَضُداً .

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۲۵.

و هـذا نحو مـا قلنا فی قوله تعالی: فَمٰا بَکَتْ عَلَیْهِمُ اَلسَّمٰاءُ وَ اَلْأَرْضُ (۱)کما تقدم من أنه یدل علی أن السـموات و الأرض بکت علی الحسین علیه السّلام فراجع.

و فی تفسـیر نور الثقلین فی تفسیر هـذه الآـیه المبـارکه عن محمـد بن مروان، عن أبی عبـد الله علیه السّـلام قال: قلت له: جعلت فداک، قال رسول الله صـلّی الله علیه و آله: أعزّ الله الإسـلام بأبی جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب فقال: یا محمد قد و الله قال ذلـک (و کان أشـدّ علیّ من ضـرب العنق) ثم أقبل علیّ فقال: هل تـدری ما أنزل الله یا محمـد؟ قلت: أنت أعلم جعلت فـداک، قـال: إن رسول الله صـلّی الله علیه و آله کـان فی دار الأـرقم فقـال: اللّهمّ أعزّ الإسـلام بـأبی جهـل بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فـأنزل الله تعـالی مٰا أَشْـهَدْتُهُمْ خَلْقَ اَلسَّمٰـاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ خَلْقَ أَنْفُسِـهِمْ وَ مٰا کُنْتُ مُتَّخِـذَ اَلْمُضِـلِّینَ عَضُـداً . أقول: نزول الآیه الشـریفه بعد قوله صـلّی الله علیه و آله ما قال، یدل علی أنه تعالی: لم یکن لیتخذ المضلین عضدا لخلقه و لدینه، لأنه ما أشهدهم خلق السموات و الأرض و لا خلق أنفسهم. فیدل علی أنه لا بدّ من أن یکون المتخذ عضدا للدین من أشهده الله خلق السموات و الأـرض و خلق نفسه، و الرجلاـن لیسـا کـذلک بـل هما من المضـلین کما هو صـریح الآیه بلحاظ التطبیق علیهما حین النزول. و حیث علمت أن الأئمه علیهم السّـلام هم الذین أشـهدهم الله خلق السـموات و الأرض. . إلی آخر ما فی حدیث محمد بن سـنان رحمه الله فهم علیهم السّـلام من المتخـذین عضـدا الـدین و الخلق کما لا یخفی. و قوله: و کان أشـد علیّ من ضـرب العنق، من کلام محمد بن مروان (رضوان الله علیه، و حشره الله مع محمد و آله) . أقول: إن بعض العلماء من العامه ذکروا

قوله صلّی الله علیه و آله: الله أعزّ الإسلام بعمر فقط،

ص: ۴۶۹

۱- ۱) الدخان:۲۹.

و لم یذکروا بقیه الحدیث من ذکره صلّی الله علیه و آله أبا جهل مع عمر و نزول الآیه، لیعلم أنهما بمعزل عن أن یعزّ الإسلام بهما. و إنما قال صلّی الله علیه و آله ذلک لما علمه من نزول الآیه، و أنه یظهر للأمه عدم قابلیه عمر لأن یعزّ به الإسلام، فالحدیث دال علی ذمه بعد ما ذکروه للمدح، و لکنهم خانوا فی الحدیث کما لا یخفی.

النور الثانی: کونهم علیهم السّلام أشهادا،

اشاره

فنقول و علیه التوکل:

فی الکافی بإسناده عن العاجلی قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله تعالی: وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰاکُمْ أُمَّهً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَی اَلنّٰاسِ فقال: نحن الأمّه الوسطی، و نحن شهداء الله علی خلقه و حججه فی أرضه، قلت: قول الله تعالی: مِلَّهَ أَبِیکُمْ إِبْرٰاهِیمَ قال: إیانا عنا خاصه، هو سمّاکم المسلمین من قبل فی الکتب التی مضت و فی هذا القرآن، لیکون الرسول علیکم شهیدا، فرسول الله الشهید علینا مما بلغنا عن الله تعالی و نحن الشهداء علی الناس، فمن صدق صدقناه یوم القیمه و من کذب کذبناه یوم القیمه.

و فی بصائر الدرجات بإسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله تبارک و تعالی: وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰاکُمْ أُمَّهً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَی اَلنّٰاسِ قال: نحن الشهداء علی الناس بما عندهم من الحلال و الحرام و ما ضیّعوا منه. و مثله غیره من الأحادیث.

و فیه بإسناده عن سلیم بن قیس الهلالی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: إنّ الله طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء علی خلقه و حجته فی أرضه، و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا یفارقنا. فظهر من هذه الأحادیث أنهم علیهم السّلام شهداء الله علی خلقه یشهدون أعمالهم و أحوالهم و أقوالهم، و جمیع حرکاتهم و سکناتهم، لا یغیب عنهم شیء من ذلک کما یشیر إلیه قوله تعالی: وَ قُلِ اِعْمَلُوا فَسَیَرَی اَللّٰهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ الآیه.

ففی الکافی بإسناده عن یعقوب بن شعیب قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله تعالی: اِعْمَلُوا فَسَیَرَی اَللّٰهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ قال: هم الأئمه.

و فیه بإسناده عن عبد الله بن الزّیات و کان مکینا عند الرضا علیه السّلام قال: قلت للرضا علیه السّلام: أدع الله لی و لأهل بیتی، فقال: أ و لست أفعل؟ و الله إن أعمالکم لتعرض علیّ فی کل یوم و لیله، قال: فاستعظمت ذلک، فقال لی: أ ما تقرأ کتاب الله تعالی: وَ قُلِ اِعْمَلُوا فَسَیَرَی اَللّٰهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ هو و الله علی بن أبی طالب علیه السّلام؟ .

و فیه بإسناده عن سماعه عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: سمعته یقول: ما لکم تسئون رسول الله صلّی الله علیه و آله فقال له رجل: کیف نسوءه؟ فقال: أ ما تعلمون أن أعمالکم تعرض علیه فإذا فیها معصیه ساءه ذلک؟ فلا تسئوا رسول الله صلّی الله علیه و آله و سرّوه.

و عن کتاب عیون الأخبار أن الرضا علیه السّلام سأله بعض من حضر من الفقهاء و أهل الکلام من الفرق المختلفه فی مجلس المأمون: فقال: یا بن رسول الله بأی شیء تصح الإمامه لمدعیها؟ قال: بالنصّ و الدلیل. قال له: فدلاله الإمام فیما هی؟ قال: فی العلم و استجابه الدعوه. قال: فما وجه إخبارکم بما یکون؟ قال: ذلک بعهد معهود إلینا من رسول الله صلّی الله علیه و آله. قال: فما وجه إخبارکم بما فی قلوب الناس؟ قال له: أ ما بلغک قول رسول الله صلّی الله علیه و آله: اتقوا فراسه المؤمن فإنه ینظر بنور الله؟ قال: بلی. قال: فما من مؤمن إلاّ و له فراسه، لینظر بنور الله علی قدر إیمانه و مبلغ استبصاره و علمه، و قد جمع الله للأئمه منا ما فرقه فی جمیع المؤمنین، و قال عز و جل فی محکم آیاته: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ فأول المتوسّمین رسول الله ثم أمیر المؤمنین من بعده ثم الحسن و الحسین و الأئمه من ولد الحسین علیه السّلام إلی یوم القیامه. قال: فنظر المأمون فقال: یا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لکم أهل البیت، فقال

الرضا علیه السّلام: إن الله تبارک و تعالی قد أیّدنا بروح منه مقدسه مطهره لیست بملک لم تکن مع أحد ممن مضی إلّا مع رسول الله صلّی الله علیه و آله و هی مع الأئمه منّا تسددهم و توفّقهم، و هی عمود من نور بیننا و بین الله عز و جل. الخبر. و قد تقدم أیضا فی معنی الروح فی قوله تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا (۱)ما یدل علی أن الروح هو نور طرف منه إلی الله و طرف فی أذن الإمام علیه السّلام، و تقدم أیضا أنه خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل. و حاصل الکلام: أن کونهم شهداء علی الخلق أن لهم الشهاده، و هی بواسطه روح القدس، و هو المراد به بالعقل الأول عند الحکماء، و فی لسان الشرع بالقلم، و هو عقل محمد صلّی الله علیه و آله و عقل الأئمه علیهم السّلام و هو بالأصاله فی النبی صلّی الله علیه و آله و ینتقل فیهم علیهم السّلام کصوره الوجه المنتقله فی مرآه من أخری مقابله لها کما لا یخفی.

ثم إنه بقی أمران:

الأمر الأول: فی معنی کون الروح لم یکن مع من مضی غیر محمد صلّی اللّه علیه و آله، و معنی قوله: «و لیس کلما طلب وجد»

هذا مع أنه ورد أن روح القدس کان فی سایر الأنبیاء أیضا. فنقول: أما قوله: لیس کلما طلب وجد، فمعناه أنه لیس یحصل لأحد بمجرد التوجه إلیه، بل لا یکون حصوله إلّا بمشیه من الله و إراده و قضاء و إذن و أجل و کتاب، و هذا أمر یشترک فیه جمیع الخلق بالنسبه إلی ما لهم و ما علیهم إلّا أنه هو أمر منحه الله لنا دون أحد من خلقه، و ذلک لأن کلّ أمر صار موجودا بالفعل حتما فإنما هو بحکم الله. و أما ما ورد من کونه مع سایر الأنبیاء، فإنما المراد منه کونه معهم بوجه من وجوهه لا بتمامه و کماله، و أما المرتبه الکامله فتختص بمحمد و آله الأئمه الاثنی عشر (علیه و علیهم السلام) .

۱- ۱) الشوری:۵۲.

و إليه يشير

قوله: هو خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل، فإنه يدل على أن الروح له مراتب مرتبه منها هو من جبرئيل و ميكائيل، و هو كان مع ساير الأنبياء، و مرتبه أعظم منهما هو كان مع النبى صلّى الله عليه و آله خاصه. و لذا عبّر عنه بالتجلى الأعظم من بين ساير التجليات التى كانت لساير الأنبياء كما لا يخفى.

الأمر الثانى:

هو أنه قال الرضا عليه السّلام: إن الله تبارك و تعالى قد أيّدنا بروح منه مقدسه مطهره ليست بملك إلخ. هذا مع أنه دلّت أحاديث على أن تلك الروح هو ملك فما وجه التوفيق؟ فنقول: جوابه أن الملك مأخوذ من الملكوت، و هو فوق الملك و فوقها كلّها الجبروت، فحينئذ الملك ما بيده زمام الملك (بالضم) و هو باطن كلّ شىء، الذى به قوامه و تصرفه، و هو فى كلّ شيء بحسبه، فالملائكه كلّهم فوق الملك بإذنه تعالى و هو المصطلح فى السنه، الأحاديث. و قد يطلق و يراد منه معناه اللغوى (أى العام) أى معنى الذى هو فوق الملك الكلى

فقوله عليه السّلام: «ليست بملك» أى بالملائكه المعروفه، الذين هم فوق الملك بالتصرف بإذن الله. و أما ما ورد من أنه ملك كما سيأتى، فيراد منه أنه الذى يكون فوق جميع الملك حتى الملائكه، فهو باطن الكلّ و محيط بالكلّ و ملك الملائكه، و متصرف فى الكلّ بنحو الكليه التامه. و لهذا الكلام بيان آخر لعلّه سيجىء فى طى الشرح إن شاء الله تعالى. فظهر من جميع ما ذكر أنهم يشهدون جميع ما فى العالم بذلك النور، و هو الروح القدس العظيم بأمر الله تعالى بحيث لا يشذّ عنهم شاذ.

ففى مشارق الأنوار للشيخ البرسى (رضوان الله عليه) قال أمير المؤمنين عليه السّلام لطارق بن هشام. . إلى أن قال عليه السّلام: علم الأنبياء فى علمهم، و سرّ الأوصياء فى

سرّهم، و عزّ الأولياء فی عزّهم كالقطره فی البحر، و الذره فی القفر، و السموات و الأرض عند الإمام كيده من راحته، يعرف ظاهرها من باطنها، و يعلم برّها من فاجرها، و رطبها و يابسها، لأن الله علّم نبيّه علم ما كان و ما يكون، و ورث ذلك السرّ المصون الأوصياء المنتجبون، و من أنكر ذلك فهو شقی ملعون يلعنه الله و يلعنه اللاعنون، الحديث. و سيأتی فی الشرح ما يوضح هذا بأكثر مما علمت إن شاء الله.

النور الثالث: كونهم عليهم السّلام مناه.

يقال: منا يمنو منوا (الرجل بكذا) ابتلاه و اختبره، فالرجل ممنوّ بكذا. المنا: كيل أو ميزان يساوی رطلين. مثّناه منوان و منيان جمعه أمناء و أمن و منیّ يقال له أيضا: المناه (كذا فی المنجد) . فالمناه حينئذ بمعنی الكيل و الميزان إذا قرأ بفتح الميم. و فی أقرب الموارد: مناه الله يمنيه منيا (واوی) قدّره فهو مان أی المقدر و فيه يقال: منی الله لك الخير، و ما تدری ما يمنی لك. أقول: المانی المقدر (بالكسر) أی ما تدری ما يقدر لك المقدر الخير. و فيه: مناه الله به ابتلاه به و أصابه مناه (اختبره) . قيل: المناه (بضم الميم) جمع مان أی المقدر (بالفتح) كما علمت. و حينئذ فمعنی كونهم مناه (بالفتح) أی هم الميزان و الكيل، لتمييز الحقّ من الباطل، و (بالضم) علی أن يكون جمعا لمان فمعناه هم عليهم السّلام الذين قدّرهم علی أمر، قيل: أی أعطاهم القدره و وضعهم فی منازلهم المخصوصه. و إذا كان مصدره مينا فالفعل المنسبك منه قد يكون بمعنی قدره كما علمت. و قد يكون بمعنی ابتلاه و أصابه مناه و اختبره، فالمانی المشتق منه يكون بمعنی المبتلی به و المختبر و المصاب بمناه كما لا يخفی. فإذا كان جمعه مناه (بالضم) بهذا المعنی فهم عليهم السّلام المبتلون و المختبرون. المبتلون بهم مضاه: أنهم الذين ابتلی الله الخلق بهم، و معنی المختبر أی هم

الممتحنون عند الله حیث امتحنهم. و کیف کان فمعنی کونهم علیهم السّلام مناه أی هم الکیل أو المیزان، لتمییز الحق من الباطل، أو هم الممتحنون أو الممتحن بهم الناس: أما الأول: فمعناه أن بهم یقدر الأشیاء الموجوده کلّها من حیث الحدود و المقادیر کما و کیفا، و من حیث الأین و المتی و الوضع و الرتبه و المکان، و الأذن و الکتاب و النسب، و الإضافات فی جمیع الأمور فی الأسباب و المسببات، فإن جمیع ذلک لها قدر تعیّنه بهم علیهم السّلام و هم العالمون بمقداره بما قدّر هم الله. و إلی الجمع یشیر قوله تعالی: وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ اَلْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلاّ هُوَ وَ یَعْلَمُ ما فِی اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ یَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِی ظُلُماتِ اَلْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ (1).

و فی تفسیر نور الثقلین عن احتجاج الطبرسی رحمه الله، عن أبی عبد الله علیه السّلام فی حدیث طویل: . . و قال لصاحبکم أمیر المؤمنین علیه السّلام: قل کفی بالله شهیدا بینی و بینکم و من عنده علم الکتاب، و قال الله عز و جل: وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ و علم هذا الکتاب عنده فقدر الأمور و میزانها عندهم بل هم المیزان و القدر، فبهم تقدر الأشیاء و توزن و تحدد. و سیجیء إن شاء الله توضیحه فی طی الشرح. فلأجل کونهم المیزان و القدر یمتحنون الخلق، فیستنطقون الطبایع بما انطوت، و السرائر بما أضمرت، و الحقائق بما أسرت، و سیجیء

(فی قوله علیه السّلام:

و إیاب الخلق إلیکم و حسابهم علیکم) إن أمور الخلق متعلق بهم علیهم السّلام. و أما کونهم المبتلی (بالفتح) فهم الذین امتحنهم الله تعالی، و أظهر ذلک للخلق، فهم أول الممتحنین فی عالم الذر و فی الدنیا و سیجیء بیانه إن شاء الله. و أما کونهم علیهم السّلام المبتلی بهم (أی المبتلی بهم الناس) أی جعلوا محنه و سببا

۱- ۱) الأنعام:۵۹.

لامتحان الخلق من الأنبياء و الملائكه و المؤمنين و الناس أجمعين، بل و جميع الموجودات من النباتات و الجمادات و المياه و الأشجار و ساير أنواع الخلق، كلّ ذلك بواسطه عرض ولايتهم عليهم السّلام على جميع الخلق بأصنافها، فجميع الخلق مبتلون بهم (أى يمتحنون) بعرض ولايتهم عليهم السّلام عليهم. و سيأتى أن ولايتهم فرضت على الأنبياء فمن قبلها صار من المرسلين، و من تأمّل فيها عاقبه الله تعالى حتى رجع إلى الإقرار بها كما ورد ذلك فى حقّ أيوب و موسى و يونس عليهم السّلام و فى حقّ الملائكه أيضا كفطرس و غيره. و هنا كلام و حاصله: أنه كيف يمكن امتحان الملائكه أو الأنبياء بهم عليهم السّلام؟ ثم كيف يمكن تصور الخلاف فى حقّ الملائكه و الأنبياء بالنسبه إلى قبول الولايه لهم و عدمه؟ فنقول: إن الامتحان و الابتلاء هو الاختبار بالتكليف الشاق بأن يؤمر الشخص بما لا يعرف حقيقته بعقله، أو ينبه عليه. بل ربما يعرف عدم حقيقته بدركه، كما قد يعرض ذلك لكثير من المتكلفين المتفلسفين كما لا يخفى. و قد يظهر له من التكليف احتمالا و توجيها لا ينبغى أن يصغى إليه، فيلقى ذلك التكليف الشاق الذى هو فوق طاقه دركه امتحانا له، فربما يقبل ذلك تسليما منه لأمر الله، و ربما يتأمل فى ذلك و ليس تأمله معصيه بل ترك للأولى. إذ الأولى فى حقّهم التسليم، فيحسب هذا الترك معصيه كما قيل أو

روى: أن حسنات الأبرار سيّئات المقربين» فهذا فى نفسه لا يكون معصيه، بل ربما عدّ عند الضعيف الحسنه، فمع ذلك يعدّ بالنسبه إلى هذا المقرب، أو الذى كان أولى به القبول معصيه و تركا للأولى. فمن هذه الجهه ظهر التفاوت بينهم، و إليه يشير قوله تعالى: تِلْكَ اَلرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ .

ففى بصائر الدرجات بإسناده عن سدير الصيرفى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إن

أمركم هـذا عرض على الملائكه فلم يقرّ به إلاّ المقربون، و عرض على الأنبياء فلم يقرّ به إلاّ المرسلون، و عرض على المؤمنين فلم يقرّ به إلاّ الممتحنون.

و فيه بإسناده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إن الله عرض ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام فقبلها الملائكه و أباها ملك يقال له فطرس فكسر الله جناحه فلما ولد الحسين بن على عليه السّلام. . إلى أن قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله لفطرس: أ تفعل؟ قال: نعم، فعرض عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله ولايه أمير المؤمنين فقبلها، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: شأنك بالمهد فتمسح به و تمرّغ فيه، الحديث.

و فيه بإسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول الله عز و جل: وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً قال: عهد الله فى محمد و الأئمه من بعده طفترك، و لم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا. و إنما يسمى أولو العزم ب(أولو العزم) لأنه عهد إليهم فى محمد و الأوصياء من بعده و المهدى و سيرته فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك و الإقرار به.

و فى المحكى عن على عليه السّلام إنه قال: لما كان عند الانبعاث للمنطلق فشك أيوب عليه السّلام و بكى و قال: هذا خطب جليل و أمر جسيم، قال الله عز و جل: يا أيوب أ تشك فى صوره أنا أقمته؟ إنّى ابتليت آدم بالبلاء، فوهبته له بالتسليم عليه بإمره المؤمنين فأنت تقول: خطب جليل و أمر جسيم، فو عزتى لأذيقنّك من عذابى أو تتوب إلى بالطاعه لأمير المؤمنين، ثم أدركه السعاده بى. و ستأتى أحاديث أخر فى شرح

قوله عليه السّلام:

و بولايتكم تقبل الطاعه المفترضه . فعلم مما ذكر و مما سيأتى: أن الامتحان للأنبياء و الملائكه إنما هو بهم عليهم السّلام أى بعرض ولايتهم عليهم، فمن قبلها من الأنبياء صار من المرسلين، و من الملائكه صار من المقرّبين، و من المؤمنين صار من الممتحنين، و من ساير الموجودات كما سيأتى. فصارت الآثار المرغوبه و الحسنه مترتبه عليها، فالأنبياء و الملائكه كلّفوا بذلك، و امتحنوا بذلك فافترقوا قسمين كما علمت، و أخذوا بواسطه ردّهم ذلك أو التأمل

منهم فی ذلک بأن صاروا غیر أولی العزم أو غیر المرسل أو غیر الممتحن جزاء لهم، فإن المتوقع فیهم منه تعالی لقربهم إلیه أن یسلّموا، فلما قصروا بهذا المعنی المتقدم صاروا متخلفین کما لا یخفی، و سیأتی توضیحه إن شاء الله. فظهر أن المراد من الخلاف هو ترک الأولی و الامتحان هو بعض الولایه علیهم، ثم إن أثر هذا الامتحان یظهر للکلّ فی القیامه. ففی الحدیث ما ملخصه أن فی الصراط عقبات کئوده لا یجوزها بسهوله إلاّ محمد و آله، و أما سایر الخلق فلهم فیها عثرات مختلفه: فمنها: عثرات عظیمه مهلکه لا تقبل التلافی کما فی غیر المعصومین المقصرین فی الطاعه، و المرتکبین للکبائر المودّیه إلی الشرک. و منها: عثرات مهلکه قابله للتلافی کأهل الولایه، و المبتلین بالمعاصی غیر المؤدّیه إلی الشرک. و منها: عثرات أهل العصمه من الأنبیاء و هی عثرات فی حقّهم خاصه، و أما فی حقّ الناس فلا یلتفت المولی سبحانه إلیها إذا صدرت منهم. و هذا بخلاف ما لو صدرت من الأنبیاء فإنهم حینئذ یعاقبون علیها، و یجمع الکلّ فی العثرات التقصیر فی ولایتهم کلّ علی حسبه. فظهر أنهم علیهم السّلام المبتلی بهم و هم المبتلون، و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ إِنْ کُنّا لَمُبْتَلِینَ (۱)و الله العالم بحقائق الأمور.

النور الرابع: کونهم علیهم السّلام أذوادا.

أقول: فی المجمع: قوله تعالی: وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَیْنِ تَذُودانِ ، أی تطردان و یکفان عنهما، إلی أن قال: و رجل ذائد أی حامی الحقیقه دفّاع و منه الذاده الحماه، انتهی. أقول: سیأتی شرحه إن شاء الله

فی قوله علیه السّلام:

الذاده الحماه،

و أما إجماله فهو

ص: ۴۷۸

۱- ۱) المؤمنون:۳۰.

بمعنيين: الأول: أنه جمع ذائد بمعنى حامى الحقيقه، أى أنهم عليهم السّلام حماه الحقيقه (أى المعارف الإلهيه علما و عملا و مصداقا) فهم الحامون لها فى الخلق، فأى حقيقه تكون محفوظه فإنما هى محفوظه بهم. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام يذودون أولياءهم عن الشرور و أعداءهم عن الخير. و لعلّ إليه يشير أيضا

حديث أبى الطفيل عامر بن واصله، قال: قلت: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن حوض النبى صلّى الله عليه و آله فى الدنيا أم فى الآخره؟ قال عليه السّلام بل فى الدنيا، قلت: فم الذائد عليه؟ قال: أنا بيدى فليردنه أوليائى و ليصرفن عنه أعدائى. و فى روايه: و لأوردنّه أوليائى و لأصرفن عنه أعدائى، فورود الأولياء الحوض فى الدنيا، و صرف الأعداء عنه فيها لعلّه كنايه عن ورود أوليائهم فى زمان الرجعه فى نعم الدنيا و المعارف دون أعدائهم فإنهم يضيق عليهم فى الرجعه، و لعلّه سيجىء إن شاء الله توضيحه فى طى الشرح. و الثانى: بمعنى الطرف و الكف بمعنى أنهم عليهم السّلام الذائدون أعداءهم عن الحوض فى يوم القيامه.

ففى البحار (١)عن أمالى الشيخ، بإسناده عن أبى حرب بن أبى أسود الدؤلى عن أبيه قال: سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام يقول: و الله لأذودن بيدى هاتين القصيرتين عن حوض رسول الله صلّى الله عليه و آله أعداءنا و ليردنّه أحبّاؤنا.

و فيه (٢)عن كتاب أعلام الدين للديلمى من كتاب الحسين بن سعيد بإسناده عن أبى أيوب الأنصارى قال: كنت عند رسول الله صلّى الله عليه و آله و قد سئل عن الحوض، فقال: أما إذا سألتمونى عن الحوض فإنّى سأخبركم عنه، إن الله تعالى أكرمنى به دون الأنبياء، و أنه ما بين ايله إلى صنعاء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤهما

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۲۰.

۲- ۲) أعلام الدين ج ۸ ص ۲۸.

أبیض من اللبن، و أحلی من العسل، بطحاؤهما مسک أذفر، حصباؤهما الدّر و الیاقوت، شرط مشروط من ربّی، لا یردهما إلّا الصحیحه نیّاتهم، النقیّه قلوبهم، الذین یعطون ما علیهم فی یسر، و لا یأخذون ما لهم فی عسر، المسلمون للوصی من بعدی، یذود من لیس من شیعته کما یذود الرجل الجمل الأجرب عن إبله. فهم علیهم السّلام الذائدون أعداءهم عن الحوض یوم القیامه، کما دلّ علیه ما تقدم و کثیر من أخبار الحوض کما لا یخفی.

النور الخامس: کونهم علیهم السّلام حفظه.

حفظه جمع حافظ أی أنهم الحافظون لأعمال العباد و لأحوالهم: أما الأول: فیدل علیه أخبار عرض الأعمال علیهم، و أحادیث أنهم الشهداء علی الخلق، و قد تقدم شطر منها. و من المعلوم أنهم علیهم السّلام یشهدون علی الأعمال یوم القیامه ما کانوا حافظین لها. و إلیه الإشاره بقوله تعالی: هٰذٰا کِتٰابُنٰا یَنْطِقُ عَلَیْکُمْ بِالْحَقِّ إِنّٰا کُنّٰا نَسْتَنْسِخُ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱)

و فی النهج: «و هذا القرآن إنما هو خط مسطور بین الدفتین، لا ینطق بلسان، و لا بدّ له من ترجمان، و إنما ینطق عنه الرجال» فیعلم من هذا الخبر أن الناطق بالقرآن هو الرجال و هم الأئمه علیهم السّلام کما لا یخفی.

و فی بصائر الدرجات بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: «إن الأعمال تعرض علی الله فی کلّ خمیس، فإذا کان الهلال أجلّت، و إذا کان النصف من شعبان عرضت علی رسول الله صلّی الله علیه و آله و علی علیه السّلام ثم ینسخ فی الذکر الحکیم» . فیعلم من هذا أن الأعمال فی حیطه الرسول و الوصی (صلی الله علیهما و آلهما) ثم منهما ینسخ فی الذکر الحکیم. و الحاصل: أنهم علیهم السّلام الحافظون لحقیقه أعمال العباد، و هی فی حیطتهم للإشهاد علیهم و لهم یوم القیامه.

۱- ۱) الجاثیه:۲۹.

و أما الثانی: أی أنّهم حافظون لأحوال العباد و لحدودهم بیانه: أنه قد تقدم أنهم علیهم السّلام مناه، أی أنّ بهم یقدر الأشیاء الموجوده من حیث الحدود و المقادیر کمّا و کیفا، و من سایر الجهات المتقدمه، فهم الحافظون لهم و لأحوالهم بشئونها، و هذا الشأن الذی لهم هو تأویل قوله تعالی: إِنْ کُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَیْهٰا حٰافِظٌ (۱)أی الملائکه کما فی تفسیر علی بن إبراهیم، و تأویل قوله تعالی: لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اَللّٰهِ (۲).

ففی تفسیر نور الثقلین و فی روایه أبی الجارود، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله:

لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اَللّٰهِ ، یقول: بأمر الله من أن یقع فی رکی (۳)أو یقع علیه حائط، أو یصیبه شیء حتی إذا جاء القدر خلّوا بینه و بینه، یدفعونه إلی المقادیر، و هما ملکان یحفظانه باللیل، و ملکان بالنهار یتعاقبانه، فالملائکه هم الحفظه من هذه الأمور إلی أن یجیئه القدر. و من المعلوم کما تقدم أن الملائکه تحفظ عنهم أعمال العباد، و تکتبها فی کتب المکلفین، و هؤلاء الملائکه غیر الحافظین لأعمال العباد و عرضها علیهم علیهم السّلام فإن حفظ العمل شأن، و عرضه علیهم شأن آخر کما لا یخفی. و أیضا أنهم علیهم السّلام یبعثون بأمر الله ملائکه یحفظون کلّ نسمه فلا یأتیه حجر أو صائب أو وقع من الشاهق إلاّ و تحفظه الملائکه عنها حتی یأتی أمر الله من القدر، فیرد قدره علی قلب الولی من آل محمد صلّی الله علیه و آله فیأمر الملائکه الحفظه عن أمر الله تعالی أن یکفوا عن الحفظ و الدفاع فیکفوا فیصیبه القدر، فالملائکه تحفظ عنهم بأمرهم و عنهم علیهم السّلام مقدرات الأسباب حتی یظهر وقت الإصابه و القدر فیجری القدر.

۱- ۱) الطارق:۴.

۲- ۲) الرعد:۱۱.

۳- ۳) جمع الرکیه و هی البئر.

و إلى جميع ذلك أشير ما فى الزياره المطلقه للحسين عليه السّلام

كما فى كامل الزيارات من قوله عليه السّلام:

«إراده الرب فى مقادير أموره، تهبط إليكم، و تصدر من بيوتكم، و الصادر عما فصل به من أحكام العباد» الزياره فإنها ظاهره فى ثبوت هذا الشأن لهم، و أن المقادير فى الخلق تصدر من بيوتهم عليهم السّلام باستخدام الملائكه لذلك. و سيأتى توضيحه فى طىّ الشرح إن شاء الله تعالى، و الله العالم.

النور السادس: هو كونهم روّادا،

فنقول: فى المجمع: و الروّاد جمع رائد، مثل زائر و زوار، و أصل الرائد الذى يتقدّم القوم يبصر لهم الكلاء و مساقط الغيث إلى أن قال: و منه «الحمى رائد الموت» لشدتها على التشبيه، أى رسوله الذى يتقدم. فحينئذ كونهم عليهم السّلام روّادا أى لهم مقام التقدم فى جميع الأمور فى تدبير الخلق، يقودون الخلق بوضع أسباب التيسير لهم، و تقديرها بأمر الله حتى يصل كلّ واحد من الخلق إلى مقر أعماله من سعاده و شقاوه، فيقدمون السعيد بما له عندهم من الخيرات حتى يضعوه فى مقام سعادته، و يسوقون الشقى بما له مما كسبت يداه حتى يضعوه فى دار أعماله و مقام شقاوته. و هذا المقام لهم عليهم السّلام شأن من شئون ولايتهم التكوينيه، التى تقدم توضيحها. و سيجىء فى طى الشروح الآتيه توضيحه إن شاء الله. إذا علمت ما ذكرنا من بيان الأنوار السته، و أنها من شئون الرحمه الثابته لهم و الكائنه فيهم بإذن الله تعالى، و هذه صفات الرحمن الظاهره فيهم فهم عليهم السّلام مظاهرها، و الله تعالى ظهر بهذه الرحمه، و استوى على العرش بها حيث أظهرها فيهم، و ظهورها فيهم عليهم السّلام إنما هى بتلك الأمور و الأنوار السته و ما شابهها و الله الموفق للصواب، و الحمد لله رب العالمين.

ص: ۴۸۲

قوله علیه السّلام: و خزّان العلم.

اشاره

[۲]أقول: خزّان (کرمّان) جمع خازن فهم علیهم السّلام بحقیقتهم خزّان علمه و بیانه فی ضمن أمور:

الأمر الأول: أنّ خازن من خزن المال

أی أحرزه و الحرز (بالکسر) الموضع الحصین، فمعناه حینئذ أنهم علیهم السّلام هم الموضع الحصین لحرز العلم و تحصنه بهم، بحیث لا یصدر منهم شیء من العلم إلاّ بإذنه تعالی، بل لهم من العلم ما یختص بهم کما علمته

من حدیث أبی الصامت فی صعوبه علمهم حیث قال: قلت: فمن یحتمله؟ قال: نحن، فهم الحفظه لعلمه تعالی بما جعلهم الله حصنا و حرزا و خزینه لعلمه، فحینئذ تکون الإضافه إلی العلم من باب إضافه الظرف إلی المظروف کخزینه الماء مثلا- فهم خزائن علمه أی ولاه خزائن علم الله تعالی. و سیأتی فی معنی علمهم بما یوضح أنهم مظهر عین علم الله تعالی، و أیضا معناه أنهم مفاتیح تلک الخزائن کما ورد فی تفسیر قوله تعالی: وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ اَلْغَیْبِ ، الآیه.

ففی الکافی بإسناده عن أبی ربیع الشامی قال: سألت أبا عبد الله علیه السّلام عن قول الله عز و جل: وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ یَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِی ظُلُماتِ اَلْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ فقال: الورقه السقط، و الحبّه الولد، و ظلمات الأرض الأرحام، و الرطب ما یحیی من الناس، و الیابس ما یقبض، و کلّ ذلک فی إمام مبین، الحدیث.

و عن تفسیر العیاشی عن الحسین بن خلف قال: سألت أبا الحسن علیه السّلام عن قول الله: وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ ، إلی أن قال: قلت: فی کتاب مبین؟ قال: فی إمام مبین.

و عن احتجاج الطبرسی عن أبی عبد الله علیه السّلام فی حدیث طویل و فیه: قال لصاحبکم أمیر المؤمنین علیه السّلام: قُلْ کَفی بِاللهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ

اَلْكِتابِ و قال الله عز و جل: وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِينٍ ، و علم هـذا الكتاب عنـده. الحديث. فدلّت هذه الأحاديث على أنهم خزانه علم الله.

و فى التوحيد و المعانى و المجالس عن الصادق عليه السّلام: «لما صعد موسى إلى الطور فنادى ربّه قال: يا ربّ أرنى خزائنک، قال: يا موسى إنما خزانتى إذا أردت شيئا أن أقول له كن فيكون» . أقول: هذا الحديث إذا أضيف إلى

قولهم عليهم السّلام:

«إنّهم محال مشيه الله»

، ينتج أنهم عليهم السّلام مفاتح الخزائن. بيانه: أن قوله تعالى: إنما خزانتى إذا أردت شيئا. . إلخ، معناه أن الخزانه التى له تعالى هى مشيته و إرادته.

و قوله عليه السّلام: «قلوبنا أوعيه لمشيه الله» كما سيجىء، يعنى نحن تلك المشيه الإلهيه أى مفتاحه الذى به التصرف فى الأشياء لا أنهم عين المشيه أو أنهم مختارون فيها مستقلا. كيف

و قد قالوا: و ما نشاء إلاّ أن يشاء الله، هذا بيان أنهم خزان العلم من حيث الإحاطه و التصرف و الواجديه له.

الأمر الثانى: [فى بيان معنى العلم و أصله]

اشاره

اعلم أن العلم مصدر علمه (كسمعه) علما، أى عرفه. قال فى المجمع: العلم اليقين: الـذى لا يدخله الاحتمال، هذا هو الأصل فيه لغه و شرعا و عرفا، و كثيرا ما يطلق على الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان يقينا أو ظنا. و منه قوله تعالى: فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ (۱)قال المفسر: أراد الظن المتأخم للعلم لا العلم حقيقه، فإنه غير ممكن، و عبّر عن الظن بالعلم إيذانا بأنه كهو فى

۱- ۱) الممتحنه:۱۰.

وجوب العلم (العمل ظ) به. . إلى أن قال: و جاء العلم بمعنى المعرفه كما جاءت بمعناه، لاشتراكهما فى كون كلّ منهما مسبوقا بالجهل. . إلى أن قال: و إذا كان العلم بمعنى اليقين تعدى إلى المفعولين، و إذا كان بمعنى المعرفه تعدى إلى واحد، انتهى.
أقول: إن العلم قد يراد منه المعنى الآلى و المراد به حينئذ ما كان تعرّف المعلوم و تميّزه به، و حينئذ له إطلاقات ثلاثه: إطلاقه على الملكه كقولهم علم الفقه أى ملكه تعرف بها الفقه. إطلاقه على اعمال تلك الملكه من التعليم و التعلم بالمدارسه و المباحثه. إطلاقه على نفس المسائل العلميه المثبته فى كتب الفقه، فيقال: كتب علم الفقه مثلا، فحينئذ يراد من لفظ العلم نفس المسائل المدوّنه. و هذه الإطلاقات الثلاثه كما ترى هو أمر آلى لا حدثى، و لا الصور الحاصله الحاضره فى النفس بحيث لو لم يحضرها كان جاهلا، بل فى هذه الموارد هو عالم بهذا المعنى و إن لم تحضره الصور القائمه بالنفس كما لا يخفى. و قد يراد منه المعنى الاسمى الحدثى الحاصل للإنسان، و الذى هو قائم بالنفس، بحيث إذا توجه إليه كان و إلا فلا، و هذا هو المعبّر عنه بالعلم الحصولى الكسبى للناس. فجميع مراتب العلماء فى العلوم الرسميه الحاصله لهم إنما هى حصولى كسبى و هو معلول الدليل و القياسات المنطقيه بأقسامها، و فيه الحق و الباطل و الخطأ و الإصابه.

[فى بيان إطلاقات العلم بالنسبه إلى الله و الرسول و عترته]

اشاره

ثم إن العلم قد يطلق عليه تعالى مع ما له من المشتقات كعلم و يعلم و عليم و عالم و علّام، و قد يطلق و يراد منه العلم الذى أعطاه الله لمحمد و آله صلّى الله عليه و آله فنقول:

أما الأول: [أى بالنسبه إلى الله تعالى]

ففى الكافى بإسناده عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لم يزل الله تعالى ربنا، و العلم ذاته و لا معلوم، و السمع ذاته و لا مسموع، و البصر ذاته و لا مبصر، و القدره ذاته و لا مقدور، فلما أحدث الأشياء و كان المعلوم وقع العلم

منه على المعلوم، و السمع على المسموع و البصر على المبصر، و القدره على المقدور، الحديث.

و فيه بإسناده عن محمد عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: كان الله و لا شىء غيره، و لم يزل عالما بما يكون فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه.

و فى توحيد الصدوق بإسناده عن منصور الصيقل، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إن الله علم لا جهل فيه، حياه لا موت فيه، نور لا ظلمه فيه، و نظيره أحاديث أخر فيه. و حينئذ معنى كونه عالما أن انكشاف الأشياء حاصل له تعالى بذاته من ذاته قبل خلقها و بعد خلقها، بل هذا العلم عين ذاته

كما قال عليه السّلام: «و العلم ذاته و لا معلوم» فذاته علامه. نعم العلم من صفاته الذاتيه التى لها إضافه إلى الغير لا كالحياه حيث إنها صفه ذاتيه غير مضافه إلى الغير، فالعلم هو ذاته تعالى و إضافته إلى الغير متأخره. و الحاصل: أن العلم بها ذاتى له تعالى فى الأزل بكلياتها و جزئياتها، كلّ فى وقته و بحسب مرتبته و على ما هو عليه فيما لا يزال فأزلا و أبدا ذاته علامه لها. ثم إنه لما أحدث الأشياء و كان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، أى حصلت تلك الإضافه أى حصول المعلوم المتعلق بعلمه تعالى بحيث لا يشذّ منه شاذ، فالعلم له تعالى أزلى أبدى، و ظرف حصول المعلوم بحكمته و قدرته و علمه متأخر يقع العلم الذاتى عليه حين تحققه خارجا، قال الله تعالى: وَ لَقَدْ فَتَنَّا اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ اَلْكٰاذِبِينَ . و هاهنا كلام حاصله: أن علمه تعالى-و إن كان عباره عن انكشاف الأشياء لديه انكشافا تاما حضوريّا-و لكن كيف يتصور انكشاف الجزئيات بحدودها لديه تعالى، لأن هذا يستلزم أن تكون الذات المقدسه موجبا للحوادث تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فإن الجزئى قبل وجوده لم يكن موجودا و لا معلوما له تعالى، و بعد وجوده يكون معلوما له تعالى، فيحدث العلم به حين وجوده، فهو مستلزم

لعروض الحدوث له تعالى عن ذلک؟ و حاصل الجواب أنا نمنع أنه لا یکون معلوما له تعالى قبل وجوده، کیف و قد علمت

قوله علیه السّلام: «فعلمه به قبل کونه» کعلمه به بعد کونه فالحادث هو وقوع الإضافه على الموجود الجزئی حین ما وجد، أی وقوع العلم علیه یکون حین وجوده. و معناه أن العلم ذاتی له تعالى لا تغیّر فیه، و إنما الحدوث متعلق بمتعلق العلم و هو وجود زید مثلا فتأخر المعلوم وجودا لا یوجب تأخر العلم به، فإن الممکنات فیما سواه بأجمعها تدریجی الحصول حیث إن أغلبها زمانی أو مکانی. و محصّل الکلام أن ذاته تعالى لا جهل فیه، بل هو بذاته علم و نور کلّه کما علمت، فجمیع الخلق بالنسبه إلیه سواء فی کونه متعلقا لعلمه سابقها و لاحقها، فهو تعالى أزلا و أبدا عالم بوجود زید فی زمان کذا. فکونه معلوما له تعالى إنما هو فی زمان کذا، و مکشوفا له تعالى فی زمان کذا أزلا و أبدا، فلا تأثیر له فی ذاته تعالى لیجعلها معرضا للحدوث کما لا یخفى. و لهذا البحث مجال للکلام فی شرح علمه تعالى و سایر صفاته، و الفرق بین صفات الذات و صفات الفعل مذکور فی محلّه فی علم الکلام، و الله الهادی إلى الصواب.

و أما الثانی: أعنی العلم الذی أعطاه اللّه لمحمد و آله صلّى اللّه علیه و آله

اشاره

فبیانه فی ضمن أمرین:

الأمر الأول: فی بیان أن العلم المعطى لأحد فیما سوى اللّه فهو کلّه عندهم علیهم السّلام

و هذا ثابت بالآیات و الأحادیث قال الله تعالى: وَ یَقُولُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ کَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ (۱).

فعن أصول الکافی بإسناده عن برید بن معاویه قال: «قلت لأبی جعفر علیه السّلام: قُلْ کَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ قال: إیّانا عنی و علی

۱- ۱) الرعد:۴۳.

أولنا و أفضلنا و خيرنا بعد النبى صلّى الله عليه و آله» و مثله كثير من طرق العامه و الخاصه، و قال تعالى: وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ .

ففى المعانى عن الباقر عن أبيه عن جده عليهم السّلام قال: لما نزلت هذه الآيه على رسول الله صلّى الله عليه و آله و كلّ شىء أحصيناه فى إمام مبين، قام أبو بكر و عمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله هو التوراه؟ قال: لا، قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين على عليه السّلام فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: هو هذا إنه الإمام الذى أحصى الله تبارک و تعالى فيه علم كلّ شىء.

و فى بصائر الدرجات بإسناده عن سوره بن كليب قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: و الله إنا لخزّان الله فى سمائه و أرضه لا على ذهب و لا على فضه إلّا على علمه.

و فيه بإسناده عن أبى حمزه الثمالى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إن منا لخزنه الله فى الأرض، و خزنته فى السماء، لسنا بخزّان على ذهب و فضّه.

و فيه بإسناده عنه، عن على بن الحسين عليه السّلام مثله.

و فيه بإسناده عنه عن أبى جعفر عليه السّلام مثله بزياده قوله: و إن منا لحمله العرش يوم القيامه.

و فيه بإسناده عن سدير قال: قلت: جعلت فداک ما أنتم؟ قال: نحن خزّان الله على علم الله، نحن تراجمه وحى الله، نحن الحجه البالغه على من دون السماء و فوق الأرض.

و فيه بإسناده عن عبد الله بن أبى يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: يا بن أبى يعفور إن الله واحد متوحد بالوحدانيه متفرد بأمره، فخلق خلقا فقدّرهم لذلک الأمر فنحن هم، يا بن أبى يعفور فنحن حجج الله فى عباده، و خزّانه على علمه، و القائمون بذلک.

و فيه بإسناده عن على بن جعفر عن أخيه قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، و صوّرنا فأحسن صورنا، فجعلنا خزانه فى سمواته و أرضه

و لولانا ما عرف الله.

و فيه بإسناده عن سدير عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: نحن خزّان الله فى الدنيا و الآخره، و شيعتنا خزاننا، و لولانا ما عرف الله. و قد تقدم حديث الرمانتين الدال على أن عليا عليه السّلام شريک فى العلم مع النبىّ صلّى الله عليه و آله و بعض الأحاديث الأخر من أنهم عليهم السّلام يزدادون فى ليالى الجمعه من العلم و إلاّ نفد ما عندهم، و من حديث إن العلم ما يحدث ساعه بعد ساعه، و من أحاديث ليله القدر الوارد فى تفسير سوره إنّا أنزلناه فى ليله القدر. و قد تقدم ذلک كلّه فإنها صريحه مع الآيات فى أنهم عليهم السّلام كرسول الله صلّى الله عليه و آله مورد العلم و خزينته.

و فى الكافى بإسناده عن عمر بن أبان قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إن العلم الذى نزل مع آدم لم يرفع، و ما مات عالم فذهب علمه. و تقدم

قول أبى جعفر عليه السّلام من أن رسول الله صلّى الله عليه و آله صيّر ذلک كلّه (أى العلم) إلى أمير المؤمنين عليه السّلام.

و فيه بإسناده عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السّلام أنه سأله عن قول الله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي اَلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ اَلذِّكْرِ ما الزبور و ما الذكر؟ قال الذكر عند الله، و الزبور الذى أنزل على داود، و كلّ كتاب منزل فهو عند أهل العلم و نحن هم.

و فيه بإسناده عن حريس قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إن لله علمين علما مبذولا و علما مكفوفا، فأما المبذول فإنه ليس من شىء يعلمه الملائكه و الرسل إلاّ نحن نعلمه، و أما المكفوف فهو الذى عند الله تعالى فى أمّ الكتاب إذا خرج نفد. و فيه مثله عنهم عليهم السّلام. و كيف كان: الأخبار فى هذا الموضوع كثيره دلّت على أنهم عليهم السّلام العالمون بجميع العلوم السابقه و اللاحقه إلى الآخر، سوى ما استأثره الله تعالى لنفسه كما تقدمت الإشاره إليه فى بيان معنى أنهم خزّان العلم.

ص :۴۸۹

فالعلم

فی قوله علیه السّلام:

«و خزّان علمه»

یراد منه جنس العلم فهو بکلّه عندهم و هم خزنته، و الحمد لله رب العالمین.

الأمر الثانی: فی بیان کیفیه هذا العلم الثابت لهم علیهم السّلام و بیان أقسامه فی الجمله،

و سیأتی تفصیله فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و ارتضاکم لغیبه»

فنقول:

فی الکافی بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: الراسخون فی العلم أمیر المؤمنین و الأئمه من بعده علیهم السّلام.

و فیه بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله تعالی: بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ قال: هم الأئمه علیهم السّلام.

و فیه بإسناده عن جماعه سمعوا أبا عبد الله علیه السّلام یقول: إنّی لأعلم ما فی السموات و ما فی الأرض، و أعلم ما فی الجنه، و أعلم ما فی النار، و أعلم ما کان و ما یکون. قال: ثم مکث هنیئه فرأی أن ذلک کبر علی من سمعه منه فقال: علمت ذلک من کتاب الله تعالی، إن الله تعالی یقول: فیه تبیان کلّ شیء (۱).

و فی بصائر الدرجات بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: الرجس هو الشک، و لا نشک فی ربّنا أبدا.

و فی غایه المرام للسید البحرانی رحمه الله عن ابن بابویه بإسناده عن أبی عبد الله علیه السّلام فی قول الله عز و جل: إِنَّمٰا یُرِیدُ اَللّٰهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً قال: الرجس هو الشک.

و فیه بإسناده عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال لی: یا جابر إن فی الأنبیاء و الأوصیاء خمسه أرواح، روح القدس، روح الإیمان، روح الحیاه، روح القوه و روح الشهوه، فبروح القدس یا جابر عرفوا ما تحت العرش إلی ما تحت الثری.

۱- ۱) هذه لیست آیه و إنما الآیه هی وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ و یبدو أنّ ما حصل اشتباه من الراوی. النحل:۸۹.

ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعه أرواح يصيبها الحدثان، إلّا روح القدس فإنها لا تلهو و لا تلعب. هذا و قد تقدم

حديث مفضل بن عمر رحمه الله عن الصادق عليه السّلام عند ذكر بعض ما خصهم الله تعالى به قال له المفضل: هل بذلك شاهد من كتاب الله تعالى؟ قال: نعم يا مفضل قوله تعالى: وَ لَهُ مَنْ فِي اَلسَّماوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لاٰ يَفْتُرُونَ إلى قوله: وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ويحك يا مفضل، أ تعلمون أن ما فى السموات هم الملائكه، و من فى الأرض هم الجن و البشر، و كلّ ذى حركه؟ فنحن الذين كنا عنده، و لا كون قبلنا، و لا حدوث سماء، و لا أرض، و لا ملك، و لا نبىّ، و لا رسول، الحديث. هذا و سيجىء فى بيان

قوله عليه السّلام:

خلقكم الله أنوارا ، الأحاديث التى دلّت على أنه تعالى حين خلقهم أنوارا قبل خلق كلّ شىء فحمّلهم علمه و دينه. أقول: هذه جمله من الأحاديث لها جهات من الكلام، و لكننا نقلناها لأجل دلالتها على كيفيه علمهم و شموله للكلّ. و حاصله: أن العلم له الجهه المرائيه و الآليه و الانكشاف كما علمت، فهو بهذه الحيثيه مظهر للمعلوم عند العالم، بحيث يكون العلم مرآه له، و المعلوم مشهودا و مكشوفا لديه. فحينئذ لا ينظر إلى العلم بالاستقلال، بل النظر مقصور فى المشهود و المعلوم، و يعبّر عن هذا بعلم اليقين و هو انكشاف الواقع و المعلوم عنده. و من المعلوم أن انكشاف الواقع حقيقه كما هو عليه إنما يكون فى صوره عدم حجاب موجب للشك و الريب و الاشتباه للعالم. فحينئذ نقول: قد علم من الأحاديث المتقدمه أن الحقائق القرآنيه و واقعها فى صدور الذين أذهب الله عنهم الرجس (الشك) فمن ذهاب الشك عنهم يعلم أنه لا

حجاب بینهم و بین الواقع من جمیع المعارف الإلهیه و الأمور بأسرها، حیث إن فیهم الروح الذی هو أعظم من جبرئیل و میکائیل، الذی هو عمود من نور کما علمت، و أنه به یرون ما دون العرش إلی ما تحت الثری، فلا حجاب بینهم و بین الله تعالی و بین انکشاف الأمور. و هذا معنی ما قاله الصادق علیه السّلام فی معنی و من عنده من

قوله علیه السّلام: و نحن الذی کنا عنده، الحدیث، فلهم المقام المعبّر عنه بمقام عند الله و لا یشارکهم فیه أحد. فظهر أن علمهم حضوری أی لأجل کونهم عند الله، لا خفاء لهم فی شیء، و لیس هذا کسبیا لما سیجیء من

قول الرضا علیه السّلام فی أوصاف الإمام: کلّ ذلک بلا طلب و لا اکتساب. هذا بیان إجمالی لجامع علمهم، و هنا کلام فی بیان أقسام علمهم فنقول:

فی تفسیر نور الثقلین عن روضه الواعظین للمفید رحمه الله: روی جعفر جعفر بن محمّد عن أبیه عن جدّه علیهم السّلام انّه قال: «فی العرش تمثال جمیع ما خلق الله من البرّ و البحر، قال: و هذا تأویل قوله تعالی: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ هذا و قد قال الله تعالی: وَ لا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِما شاءَ . فنقول أوّلا: انّه لیس المراد بهذا العلم الذی لا یحیطون بشیء منه إلاّ بما شاء هو الذات القدیم تبارک و تعالی، لأنّ الاستثناء منه لا معنی له إذ لا یحیط أحد بذاته المقدّسه القدیمه کما لا یخفی، بل المراد أمران: الأوّل: انّ العلم الذی علّمه لغیره و هو ما أعطاه لمحمّد و آله صلّی الله علیه و آله کما تقدّم ثمّ إنّ ما أحاطوا به من العلم حسب ما شاء الله تعالی علی قسمین: قسم تکون الإحاطه به إحاطه عیان و شهود بوجوده. و قسم تکون الإحاطه به إحاطه إخبار. و حینئذ نقول: قد علمت أنّهم علیهم السّلام علموا بروح القدس ما دون العرش إلی ما تحت الثری فنقول: قوله تعالی: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ قد علمت أنّ

الخزائن هو تمثال جميع ما خلق الله من البرّ و البحر فی العرش، و حینئذ کونهم عالمین بما دون العرش إلی ما تحت الثری بروح القدس یکون علی ثلاثه أقسام: الأوّل: أنّهم علیهم السّلام مفاتحه، حیث علمت أنّ جمیع ما دلّت علیه الآیه یکون فی إمام مبین فحینئذ عالمون به، أی: هم مفاتح الاستفاضه و بهم یفیض الله العلم. الثانی: أنّهم علیهم السّلام ولاه ذلک العلم و المقدّرون له کما علمت فی بیان کونهم مناه و هم أولو الوساطه فی قوام العلم و الفیض و المتعلّم و المستفیض. الثالث: أنّ العرش هو بنفسه قلب النبی و الأئمّه علیه و علیهم السلام، فهم خزنته کما علمت من الأحادیث السابقه. و هذا العلم الکائن لهم هو العلم الحادث لهم و هو علی قسمین: الأوّل: هو العلم بالممکنات المقدوره و هذا علی قسمین: قسم غیر مکوّن بعد و هو الممکنات قبل أن تکسی حلّه الوجود فی جمیع مراتب الوجود، فهذا القسم لم یکن مشاءه إلاّ فی إمکانها-أی أنّه ممکن الوجود ذاتا-و هذا القسم لا یکون علمهم علیهم السّلام به و إحاطتهم به إلاّ إحاطه إمکان-أی یمکن الوجود-لأنّه حینئذ مشاء مشیه إمکان لا مشیه وجود فلا یحیطون به إحاطه وجود فأثر هذا العلم هو الإخبار به. و قسم مقدور مکوّن و هذا یحیطون به إحاطه وجود و عیان لأنّه مشاء بنفسه و هم علیهم السّلام محالّ ذلک العلم. ثمّ إنّ المکوّن فی عالم الوجود علی قسمین: مشروط و منجز. أمّا الأوّل: فهم علیهم السّلام یحیطون به لأنّه مشاء هکذا، أی مع الشرط، و أمّا علمهم بالشرط فقیل: یکون علمهم بنحو إحاطه الإخبار لا إحاطه العیان، و بعد وجود الشرط یکون علمهم به بنحو العلم و الإحاطه العیانی و الشهودی. و أمّا الثانی: فهم علیهم السّلام یحیطون به إحاطه وجود و عیان کما تقدّم. ثمّ إنّ ما کان یحیطون به قسمان:

قسم كان و هم يحيطون به أنّه كان هذا بالنسبه إلى أصل وجوده، و أمّا بالنسبه إلى أنّه مستمرّ أم منقطع فلا يحيطون به إلّا إحاطه إخبار. و قسم لم يكن بعد عن الممكنات المقدوره فهذا يحيطون به إحاطه إخبار لا إحاطه وجود و عيان، هذا كلّه بالنسبه إلى الممكنات المقدّره أى ما يمكن تعلّق القدره بها، و أمّا الممكنات الغير المقدوره له تعالى فربّما يقال بأنّه محال إذ لا معنى للممكن إلّا ما كان متعلّقا لقدرته تعالى و إلّا فهو من الممتنعات وجوده كشريک البارى كما لا يخفى. هذا فى القسم الأوّل، و الثانى: من المراد فى قوله تعالى: وَ لاٰ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ أنّ الممكن و إن كان نبيّا أو الأئمّه عليهم السّلام فهو فقير ذاتا و معنى الفقر الذاتى أنّه دائما يحتاج إلى إفاضه الوجود من الغنى بالذات إليه آنا فآنا فكلّ آن يكون وجوده و وجود الفيض المفاض عليه غير السابق عليه كما حقّق فى محلّه. و حينئذ نقول: إنّ ما أحاطوا به و علموه لم يكن إلّا بتعليم الله تعالى لهم آنا فآنا أى: إنّه لم يكن تعليمه تعالى لهم عليهم السّلام أنّه أعلمهم و رفع يده عنهم بحيث يكونون غير محتاجين إليه تعالى-تعالى الله عن إمكان استغناء شىء عنه علوّا كبيرا-بل ما علموه إنّما هو بتعليم الله لهم عليهم السّلام فى لحظه. و معنى ذلک أنّه إذا علموا أنّ غدا تطلع الشمس-إن شاء الله-ما ملكوا من هذا العلم شيئا إلّا لحظه علمهم بذلک و فى ذلک الآن و حينما علموا لا قبلها و لا بعدها، و أمّا العلم بطلوعها قبلا أو بعدا. و الحاصل فى غير ذلک الآن و اللحظه فهو بتعليم جديد من الله تعالى، فإنّ المحتاج و الفقير الذاتى دائما هو كذلک، فكما أنّ أصل حدوث الفيض فيه يحتاج إلى إفاضه من الغنى بالذات فكذلک بقاؤه آنا فآنا. و ذلک التعليم الدائم القائم حين يكون فى اللحظات هو مصداق ما شاء الله أن يحيطوا بعلمه، و هذا هو الذى ملكوه من العلم، و هذا جار فى جميع أنحاء علومهم،

و هذا أحد معنى

قوله عليه السّلام كما تقدّم: إنّما العلم ما يحدث ساعه بعد ساعه، أى لحظه بعد لحظه، بتعليمه الدائم القائم، و هذا أيضا أحد معانى

قوله عليه السّلام: «إنّ لهم فى كلّ ليله جمعه علما مستفادا و إلّا لنفد ما عندهم، هذه و اغتنم و الله العالم و الموفّق للصواب، فهم عليهم السّلام خزائن العلم بهذين المعنيين للعلم. هذا ما ذكره بعض الأكابر و فيه من الكلام ما لا يخفى. أقول: أمّا القسم الأوّل: فهو فى الحقيقه تقسيم للمعلوم كما لا يخفى. و أمّا القسم الثانى: فهو بيان كيفيه علمهم بالأمور مطلقا الحاصل لهم منه تعالى. فأقسام علمهم إنّما هو بأقسام معلوماتهم التى منحهم الله تعالى إيّاها و قد تقدّم بعضها من العلم الغابر و الماضى و المزبور فراجع، و سيجىء إن شاء الله فى بيان

قوله عليه السّلام:

«و ارتضاكم لغيبه»

بيان سائر الأقسام فانتظر و الحمد لله ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و منتهى الحلم.

اشاره

أقول: منتهى الشىء هو غايته التى ليس وراءها ذكر منه، فى المجمع: الحليم الذى لم يعاجل بالعقوبه، و فيه: الحلم: العقل و التؤده و ضبط النفس عن هيجان الغضب، و الجمع أحلام و حلوم. و فى البحار: قال الراغب: الحلم: ضبط النفس عن هيجان الغضب. و قيل: الحلم: الأناه و التثبت فى الأمور، و هو يحصل من الاعتدال فى القوه الغضبيه، و يمنع النفس من الانفعال عن الوارده المكروهه المؤذيه، و من آثاره عدم جزع النفس عند الأمور الهائله، و عدم طيشها فى المؤاخذه، و عدم صدور حركات غير منتظمه منها، و عدم إظهار المزيه على الغير، و عدم التهاون فى حفظ ما يجب حفظه شرعا و عقلا، انتهى. أقول: المراد منه هنا الحلم بمعنى ضبط النفس، الذى هو من مكارم الأخلاق، لا

بمعنى العقل بقرينه

قوله عليه السّلام فيما بعد:

و أولى النهى ، و سيجىء بيانه أنه بمعنى العقل، و هذه الصفه من صفاته تعالى و هو فيه تعالى بمعنى المهله. و فى التوحيد: الحليم معناه أنه حليم عمّن عصاه، لا يعجل عليهم بالعقوبه و كيف كان، فهو يكون فى الإنسان بمعنى عدم المسارعه إلى المعاقبه، و ضبط النفس عنها مع القدره للعلم بالعواقب، فيؤخر العقوبه إما لكرم النفس فينتج العفو و التجاوز و المسامحه، قال الله تعالى: وَ اَلْعٰافِينَ عَنِ اَلنّٰاسِ وَ اَللّٰهُ يُحِبُّ اَلْمُحْسِنِينَ فجعلهم الله أهل محبّته، و إما للعلم بعدم الفوت و ذلك هو الأناه و عدم الاستعجال. و إليه يشير

قوله عليه السّلام فى الدعاء: «و إنما يعجل من يخاف الفوت» و أيضا هو حينئذ التؤده بمعنى التأنى، و التثبت فى الأمور، بترك المبادره و الاستعجال بدون الرويه، فثمره هذا هو العلم بالأصلح كما لا يخفى. و قد يكون الحلم لأجل أن يكون سببا لنيل الانتقام بنحو أبلغ، و إليه يشير قوله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاٰ يَرْجُونَ أَيّٰامَ اَللّٰهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ (۱)فأمر الله نبيّه أن يأمر المؤمنين بعدم الانتقام من المجرمين، ليكون الله تعالى هو المنتقم لهم منهم، و الله أشدّ بأسا و أشدّ تنكيلا. و هذا يكون خاص للمؤمنين العالمين بأنّ الله هو المنتقم لهم من الأعداء. هذا

و فى تحف العقول فيما أجاب النبى صلّى الله عليه و آله لشمعون بن لاوى بن يهودا من حوارى عيسى عليه السّلام حين سأله عن العقل، إلى أن قال صلّى الله عليه و آله: فتشعب من العقل الحلم، و من الحلم العلم، و من العلم الرشد، إلى أن قال صلّى الله عليه و آله: فأما الحلم فمنه ركوب الجميل و صحبه الأبرار، و رفع من الضعه، و رفع من الخساسه، و تشهّى الخير، و يقرّب صاحبه من معالى الدرجات، و العفو و المهل و المعروف و الصمت، فهذا ما تشعب للعاقل بحلمه، الحديث بطوله. أقول: الحلم من شعب العقل، و ما بعده من الخصال، التى ذكرها صلّى الله عليه و آله تشعبت

۱- ۱) الجاثيه:۱۴.

من الحلم، و لكلّ من هذه الصفات المنشعبه من الحلم مراتب كمّا و كيفا، و مظاهر فى الأشخاص على اختلافهم.

قوله صلّى الله عليه و آله: و من الحلم العلم، يشير إلى ما قلنا من أن الحلم بمعنى التؤده يثمر العلم بالأصلح، و هو المشار إليه

بقوله صلّى الله عليه و آله: و من العلم الرشد، أى الأصلح فى الأجر،

قوله: و العفو و المهل : أما الأول: فهو الحلم لكرم النفس الموجب للعفو. و أما الثانى: فهو الحلم الحاصل للعمل بعدم الفوت المنتج للمهل كما تقدم. أقول:

قوله عليه السّلام:

و منتهى الحلم ، يشير إلى أنهم عليهم السّلام قد بلغوا الغايه فى الحلم، بحيث ليس ما وراء حلمهم ذكر للحلم، حيث إنهم عليهم السّلام قاموا فى الخلق بجميع مراتب هذه الخصال على أعلى حدود الممكن منها، فهم منتهى الحلم. و الوجه فيه أنه قد علمت من

قوله صلّى الله عليه و آله: إن الحلم و ما تشعب منه من الصفات، إنما هو من آثار العقل، و سيجىء فى شرح

قوله : «و أولى النهى» أنهم عليهم السّلام ذو العقل الكامل، فلا محاله يتكوّن منه الحلم و ما له من الشعب.

و فى الحديث : «إنه تعالى لم يكمله (أى العقل) إلاّ فيمن يحبه» و لا ريب من أن النبىّ و الأئمه و فاطمه الزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين) أهل محبته بكمال المحبه، كما سيجىء بيانه فى

قوله عليه السّلام : و التامين فى محبه الله ، فهم أصل العقل الكامل، فالحلم له أصل فى الباطن، و فرع فى الظاهر، و هم عليهم السّلام منتهى طرفيه. ثم إنه يعجبنى ذكر بعض الأحاديث فى بيان حلمهم عليهم السّلام و فى بيان فضيله الحلم فنقول:

أما الأول: [ذكر بعض الأحاديث فى بيان حلمهم عليهم السّلام]

ففى الكافى (۱)بإسناده عن معتب قال: كان أبو الحسن موسى عليه السّلام فى حائط له يصرم، فنظرت إلى غلام له قد أخذ كاره من تمر، فرمى بها وراء الحائط، فأتيته فأخذته و ذهبت به إليه، فقلت له: جعلت فداك، إنى وجدت هذا و هذه

۱- ۱) الكافى ج ۲ ص ۱۰۸.

الکاره، فقال للغلام: فلان، قال: لبیک قال: أ تجوع؟ قال: لا یا سیدی، قال: فلأی شیء أخذت هذه؟ قال: اشتهیت ذلک، قال: اذهب فهی لک و قال: خلّوا عنه. أقول: الصرم الجزّ الکاره مقدار معلوم من الطعام.

و فیه (۱)بإسناده عن زراره عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إن رسول الله صلّی الله علیه و آله أتی بالیهودیه التی سمت الشاه للنبی صلّی الله علیه و آله فقال لها: ما حملک علی ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن کان نبیا لم یضرّه، و إن کان ملکا أرحت الناس منه، قال: فعفا رسول الله صلّی الله علیه و آله عنها.

و فیه (۲)بإسناده عن حفص بن أبی عائشه قال: بعث أبو عبد الله علیه السّلام غلاما فی حاجه فأبطأ، فخرج أبو عبد الله علیه السّلام علی أثره لما أبطأ فوجده نائما، فجلس عند رأسه یروّحه حتی انتبه، فلما انتبه قال له أبو عبد الله علیه السّلام: یا فلان و الله ما ذلک لک تنام اللیل و النهار، لک اللیل و لنا منک النهار.

و عن أمالی الصدوق (۳)، بإسناده عن عبد الله بن محمد الیمانی، قال: سمعت عبد الرزاق یقول: جعلت جاریه لعلی بن الحسین علیه السّلام تسکب الماء علیه، و هو یتوضأ للصلوه، فسقط الإبریق من ید الجاریه علی وجهه فشجّه، فرفع علی بن الحسین علیه السّلام رأسه إلیها، فقالت الجاریه: إن الله عز و جل یقول: وَ اَلْکاظِمِینَ اَلْغَیْظَ فقال لها: قد کظمت غیظی، قالت: وَ اَلْعافِینَ عَنِ اَلنّاسِ قال لها: قد عفا الله عنک، قالت: وَ اَللّهُ یُحِبُّ اَلْمُحْسِنِینَ قال: اذهبی فأنت حرّه.

و فیه أیضا (۴)بإسناده عن زراره عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: إنا أهل بیت مروتنا العفو عمّن ظلمنا.

۱- ۱) الکافی ج ۲ ص ۱۱۸.

۲- ۲) الکافی ج ۲ ص ۱۱۲.

۳- ۳) أمالی الصدوق ص ۱۲۱.

۴- ۴) أمالی الصدوق ص ۱۷۳.

أقول: و نحو هذه كثير فيما ورد من محاسن أخلاقهم (صلوات الله عليهم) .

أما الثانی: أعنی فی بیان فضیله الحلم.

ففی الکافی (۱)بإسناده عن حمران بن أعین قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: ثلاث من مکارم الدنیا و الآخره: تعفو عمن ظلمک، و تصل من قطعک، و تحلم إذا جهل علیک.

و فی الخصال بإسناده عن سلیمان بن جعفر الجعفری، عن أبیه عن جعفر بن محمد عن أبیه، عن جدّه عن علی علیه السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: ما جمع شیء إلی شیء أفضل من حلم إلی علم.

و فی الکافی (۲)بإسناده عن حمران عن أبی جعفر علیه السّلام قال: الندامه علی العفو أفضل و أیسر من الندامه علی العقوبه.

و فیه (۳)بإسناده عن محمد بن عبد الله قال: سمعت الرضا علیه السّلام یقول: لا یکون الرجل عابدا حتی یکون حلیما، و إن الرجل کان إذا تعبّد فی بنی إسرائیل، لم یعد عابدا حتی یصمت قبل ذلک عشر سنین.

و فیه (۴)بإسناده عن زراره، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: کان علی بن الحسین علیه السّلام یقول: إنه لیعجبنی الرجل أن یدرکه حلمه عند غضبه.

و فیه (۵)بإسناده عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إن الله عز و جل یحب الحیی الحلیم.

و فیه (۶)رفعه إلی أبی عبد الله علیه السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله: ما أعزّ الله بجهل قطّ، و لا أذلّ بحلم قط.

۱- ۱) الکافی ج ۲ ص ۱۰۷.

۲- ۲) الکافی ج ۲ ص ۱۰۸.

۳- ۳) الکافی ج ۲ ص ۱۱۱.

۴- ۴) الکافی ج ۲ ص ۱۱۲.

۵- ۵) الکافی ج ۲ ص ۱۱۲.

۶- ۶) الکافی ج ۲ ص ۱۱۲.

و فیه (۱)رفعه قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: کفی بالحلم ناصرا، و قال: إذا لم تکن حلیما فتحلم.

و فیه (۲)بإسناده عن زید الشّحّام، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: نعم الجرعه الغیظ لمن صبر علیها، فإن عظیم الأجر لمن عظیم البلاء، و ما أحبّ قوما إلاّ ابتلاهم.

و فیه (۳)بإسناده عن عمار بن مروان، عن أبی الحسن الأول علیه السّلام قال: اصبر علی أعداء النعم، فإنک لن تکافئ من عصا الله فیک بأفضل من أن تطیع الله فیه.

و فیه (۴)بإسناده عن ثابت مولی آل حریز، عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: کظم الغیظ من العدو فی دولاتهم تقیه حزم لم أخذ به، و تحرّز عن التعرض للبلاء فی الدنیا، و معانده الأعداء فی دولاتهم و مماظتهم فی غیر تقیه ترک أمر الله، فجاملوا الناس یسمن ذلک لکم عندهم، و لا تعادوهم فتحملوهم علی رقابکم فتذلوا. أقول: المماظه المشاوره و المنازعه.

و عن تفسیر القمی:

. . وَ إِذٰا مٰا غَضِبُوا هُمْ یَغْفِرُونَ

(۵)

قال أبو جعفر علیه السّلام من کظم غیظا و هو یقدر علی إمضائه حشا الله قلبه أمنا و إیمانا یوم القیمه، و من ملک نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا غضب حرم الله جسده علی النار.

و عن الخصال (۶)بإسناد عن الثمالی، عن علی بن الحسین علیه السّلام قال: وددت أنّی افتدیت خصلتین فی الشیعه لنا ببعض ساعدی النزق و قلّه الکتمان.

و فیه (۷)بإسناده عن، عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله علیه السّلام: ثلاث من کنّ فیه زوّجه الله من الحور العین کیف ما شاءها، کظم الغیظ، و الصبر علی السیوف لله

ص: ۵۰۰

۱- ۱) الکافی ج ۲ ص ۱۰۹.

۲- ۲) الکافی ج ۲ ص ۱۰۹.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) المصدر نفسه.

۵- ۵) الشوری:۳۷.

۶- ۶) الخصال ج ۱ ص ۲۴.

۷- ۷) الخصال ج ۱ ص ۴۳.

عز و جل، و رجل أشرف على مال حرام فتركه لله عز و جل.

و عن كتاب العدد فى طى خبر: طلب المنصور (لعنه الله) الصادق عليه السّلام و معاتبه له-و الخبر طويل-فقال عليه السّلام فى جوابه: حدثنى أبى عن أبيه عن جدّه أن النبى صلّى الله عليه و آله قال: ينادى مناد يوم القيامه من بطنان العرش: ألا فليقم كلّ من أجره علىّ، فلا يقوم إلّا من عفا عن أخيه، الحديث. انتهى الجزء الأوّل و يليه الجزء الثانى مبدوءا ب «و أصول الكرم»

المجلد ۲

اشاره

ص: ۱

[الجزء الثانی]

[تتمه شرح متن الزیاره]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ الحمد للّه ربّ العالمین، و صلی اللّه علی محمّد و آله الطّاهرین، و لعنه اللّه علی أعدائهم أعداء اللّه. و بعد، هذا هو الجزء الثانی من الأجزاء الخمسه لکتابنا «الأنوار الساطعه فی شرح الزیاره الجامعه» . و یشرع إن شاء اللّه من

قوله علیه السلام : «و أصول الکرم» کتبته لمن یروم أن یحل مشکلاتها، و یفهم مغزاها عن طرق أهل البیت علیهم صلوات الربّ الودود.

ص: ۵

قوله عليه السّلام: و أصول الكرم.

أصول جمع أصل و هو ما يبنى عليه شىء، و الكرم صفه لكل ما يرضى و يحمد و لها مصاديق، فكرامه كل أمر هو حسنه بنحو مرضى فى جنسه أو نوعه أو شخصه و لذا قلّ من أمر إلّا و يوصف بها فيقال: إنه لقرآن كريم، و رسول كريم، و كتاب كريم، و زوج كريم، و مقام كريم، و قول كريم، و ملك كريم، و رجل كريم، و غيرها، و لذا توصف جميع الأخلاق الحسنه بالكرم فيقال: مكارم الأخلاق، فكل صفه حسنه فهى كريمه. و مكارم الأخلاق التى خصّ بها النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عشره: اليقين و القناعه و الصبر و الشكر و الحلم و حسن الخلق و السخاء و الغيره و الشجاعه و المروه. و قيل: الكرم هو سخاء النفس بما تحب، و ردّ بأنه يلزم أن يكون صفه خاصه و هو كما ترى، بل هى عامه فى أغلب الأمور كما علمت. أقول: لعلّ الوجه بتفسير الكرم بسخاء النفس، أنّ هذه الصفه النفسانيه تجمع صفات حسنه كثيره و لها مصاديق كثيره، فهى حقيقه الكرم، و هو من هذه الجهه يطلق على الأمور التى تطلق على الإنسان باعتبار صفاته و أفعاله و ذاته، إذا كان

ص: ٧

سخی النفس، فتأمل. و کیف کان فالأئمه علیه السّلام أصول الکرم أی أیّ أمر اتّصف بالکرم فهو منهم، و هم أصله فی جمیع الفروع، و فروع الکرم منهم علیه السّلام فی الجمیع، فهی ما کانت ظاهره فیهم من القیام بأمر اللّه و نهیه، فهم علیهم السّلام أکمل مصداق له بقوله تعالی: إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اَللّٰهِ أَتْقٰاکُمْ (۱)و من بذل الفواضل للمستحقین بجمیع مراتب البذل، و حیث إنهم علیهم السّلام أصول الکرم فهم ینابیعه و مفاتیحه و أسبابه فی الوجود. فکل موجود اتّصف بصفه کریمه حسنه من أیّ أمر کان فهی منهم علیه السّلام قد وصلت إلیه. و إنّما اتّصف کل موجود من الملائکه و الأنبیاء و المؤمنین، و سایر الموجودات بصفه الکرم أی بما یحسن فیه و یرضی و یمدح، لأجل قبول ولایتهم علیهم السّلام فکلّ موجود قبل ذلک اتّصف بذلک الحسن الذی هو حقیقه الکرم، و إلاّ فلا کرامه له کما ستجیء الإشاره إلیه مفصلا، و قد تقدم ما یدلّ علیه.

فعن کتاب الدره الباهره من أصداف الطاهره ما روی عن مولانا أبی محمد الحسن العسکری (صلوات اللّه و سلامه علیه و علی آبائه و علی ابنه المهدی الموعود روحی له الفداء) ما صورته: «قد صعدنا ذری الحقائق بأقدام النبوه و الولایه، و نوّرنا سبع طبقات أعلام الفتوه بالهدایه، فنحن لیوث الوغی، و غیوث الندی و طعناء العدی. و فینا السیف و القلم فی العاجل و لواء الحمد فی الآجل و أسباطنا حنفاء (خلفاء) الدین و خلفاء النبیین (و أسباطنا خلفاء الدین و خلفاء الیقین) ، و مصابیح الأمم و مفاتیح الکرم، فالکلیم ألبس حله الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، و روح القدس فی جنان الصاقوره، ذاق من حدائقنا الباکوره، و شیعتنا الفئه الناجیه و الفرقه الزاکیه، صاروا لنا ردءا و صونا، و علی الظلمه البا و عونا، و ستفجر لهم ینابیع الحیوان بعد لظی النیران لتمام الم و طه و الطواسین» ، و هذا الکتاب ذره من

۱- ۱) الحجرات:۱۳.

جبل الرحمه، و قطره من بحر الحكمه. و كتب الحسن بن على العسكرى عليهما السّلام فى سنه أربع و خمسين و مائتين.

فقوله عليه السّلام:

«مفاتيح الكرم»

يشير إلى أنهم لما كانوا أصل الكرم و محاله، فلا محاله هم مفاتيحه، و يصل الكرم منهم إلى غيرهم.

و قوله عليه السّلام: «و الكليم ألبس حله الاصطفاء. . إلخ» يشير إلى ما ذكرنا من أنّ كل نبىّ أو ملك أو مؤمن فإنما اتّصف بصفه حسنه فى حاله لأجل قبوله ولايتهم عليهم السّلام فهم عليهم السّلام لما عهدوا منه الوفاء بولايتهم، و التسليم لأمرهم، و الرد إليهم، و الوفاء بعهدهم عليهم السّلام جعلوه من المصطفين الأخيار.

قوله عليه السّلام: «و روح القدس» ، المراد به (و اللّه العالم) جبرئيل، و حدائق جمع حديقه يشير بها إلى علمهم و معارفهم و ولايتهم الكليّه التى لا يحيط بها غيرهم. و إنما عبّر عنها بالحديقه لنضارتها و صفائها و بهجتها، فهى عين الحياه و حياه الأشياء منه و فيها الحياه كأنها تغلى و تفور، و الصاقوره قيل هو فى اللغه باطن القحف أى العظم المشرف على الدماغ، و قد يطلق على السماء الثالثه، و قد يطلق على العرش. «و الباكوره» أول الثمره. فالمعنى (و اللّه العالم) أنّ جبرائيل إنّما صار جبرائيل بما له من المقامات التسعه، التى ستجىء الإشاره إليها إن شاء اللّه، لأجل ذوقه من أوّل ثمره معارفهم أى أدناها و أقلها، لأنه كنّى عليه السّلام بها عن أول ظهور الثمره بأول ظهور المعرفه و العلم، فلا محاله يكون أدناها و أقلها، و كان هذا الذوق فى جنان الصاقوره فى الجنه المتوسطه لحدائقهم عليه السّلام لا العاليه كما لا يخفى. فنمو جبرائيل إنما هو من تلك الثمره الظاهره أول ظهورها، فهذا منشأ حقيقه جبرائيل، فهم عليهم السّلام حينئذ أصل الكرم لجبرائيل، حيث ذاق من تلك الثمره فصار جبرائيل. و الحاصل أنهم عليهم السّلام أصول الكرم بما له من المعنى، كيف و هم مظهر لكرمه تعالى

كما لا يخفى، و كرمهم فرع كرمه تعالى. و لعله إليه يشير

قول على عليه السّلام على ما روى عنه عليه السّلام: «أنا فرع من فروع الربوبيه» كما لا يخفى. و فى الحديث الشريف نكات و دقائق يبيّنها أهل المعرفه فى محله، و اللّه العالم بحقائق الأمور.

قوله عليه السّلام: و قاده الأمم.

أقول: فى المجمع: القود أن يكون الرجل أمام الدابه آخذا بقيادها، و فيه: و القائد واحد القوّاد و القاده،

و فى حديث على عليه السّلام: «قريش قاده ذاده» ،

و فيه: «الأمّه الخلق كلهم، و أمّه كل نبى أتباعه، و من لم يتّبع دينه و إن كان فى زمانه فليس من أمته» . أقول: هذا إذا استعمل مضافا إليه، و إلاّ فهو الخلق كلهم كما عرفت. و قد جاءت الأمه بمعنى الجماعه، و بمعنى رجل جامع للخير يقتدى به، و منه قوله تعالى: إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ كٰانَ أُمَّةً قٰانِتاً لِلّٰهِ (۱). ثمّ إنّ الأمه قد تطلق على غير الإنسان كقوله تعالى: وَ مٰا مِنْ دَابَّةٍ فِي اَلْأَرْضِ وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ (۲)فالأمه لغه تطلق على الخلق إنسانا كان أم لا.

فقوله عليه السّلام : «قاده الأمم» ، أى هم عليه السّلام قائدون للأمه إلى معرفه اللّه تعالى و طاعته فى الدنيا بالهدايه، و إلى درجات الجنان فى الآخره بالشفاعه الكبرى و الوسيله العظمى، و أيضا هم قائدون للأنبياء و أممهم كما اشتهر

منهم عليهم السّلام بطرق عديده: «بعبادتنا عبد اللّه، و لو لا نحن ما عبد اللّه» .

و عن مولانا أبى محمد الحسن العسكرى عليه السّلام ما وجد بخطه عليه السّلام: «أعوذ باللّه من

ص: ۱۰

۱- ۱) النحل:۱۲۰.

۲- ۲) الأنعام:۳۸.

قوم حذفوا محكم الكتاب، و نسوا اللّه ربّ الأرباب، و ساقى الكوثر فى مواقف الحساب، و لظى الطامه الكبرى و نعيم دار الثواب، فنحن السنام الأعظم، و فينا النبوه و الولايه و الكرم، و نحن منار الهدى و العروه الوثقى، و الأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا و يقتفون آثارنا، و سيظهر حجه اللّه على الخلق، و السيف المسلول لإظهار الحق، و هذا الخط للحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على أمير المؤمنين عليهم السّلام» .

قوله عليه السّلام: «و الأنبياء كانوا يقتبسون» إلخ يدل على أنهم عليهم السّلام كانوا قادتهم بأنوارهم إلى المعارف. و كيف كان فمن أجابهم فيما أمروه، و أجابهم فى قبول ولايتهم قادوه إلى المعرفه به تعالى و إلى الدرجات العلى. ثم إن قودهم للتابعين إما بدعائهم للناس و تعريفهم، و أمرهم و ترغيبهم إلى المعرفه، و هذا عام لكل أحد. و إما بالمعونه و التأييد بالمدد، و هذا لمن أجاب و استجاب و عمل بما أمروه، و يقابل هذا أنهم ذادّون و رادّون لمن لم يجب و أنكر و لم يقبل، فإنهم عليهم السّلام حينئذ يسوقونه بسبب إنكاره و عدم قبوله إلى الخذلان، و لعدم الاستجابه، و الطبع و الرين القلبى دعّوه إلى جهنم دعّا. ففى الحقيقه هم المعلمون للخلق فى عالم من عوالم الوجود، فهم الداعون و الهادون النجدين طريق الخير و طريق الشر، فلا يهتدى أحد إلّا بهداهم، و لا يضل ضال بخروجه عن الهدى إلّا بترك ولايتهم. هذا بالنسبه إلى جميع الخلق عاليهم و دانيهم فى جميع العوالم، فى عالم الذر و الأرواح و فى الدنيا و فى الآخره. ثم إن هاهنا أحاديث لا بد من ذكرها، ليتضح الحال فيما نرومه من المقال، فنقول و عليه التوكل:

فی أمالی الطوسی (۱)، بإسناده عن أبان بن عثمان، عن أبی عبد اللّه جعفر بن محمد علیهم السّلام قال: «إذا کان یوم القیامه نادی مناد من بطنان العرش: أین خلیفه اللّه فی أرضه؟ فیقوم داود النبی علیه السّلام فیأتی النداء من عند اللّه عز و جل: لسنا إیاک أردنا، و إن کنت للّه تعالی خلیفه. ثم ینادی ثانیه: أین خلیفه اللّه فی أرضه؟ فیقوم أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام فیأتی النداء من قبل اللّه عز و جل: یا معشر الخلائق هذا علی بن أبی طالب خلیفه اللّه فی أرضه و حجته علی عباده. فمن تعلق بحبله فی دار الدنیا فلیتعلق بحبله فی هذا الیوم، یستضیء بنوره، و لیتبعه إلی الدرجات العلی من الجنات، فیقوم الناس الذین قد تعلّقوا بحبله فی الدنیا فیتبعونه إلی الجنه. ثم یأتی النداء من عند اللّه جلّ جلاله: ألا من ائتم بإمام فی دار الدنیا، فلیتبعه إلی حیث یذهب به. فحینئذ . . تَبَرَّأَ اَلَّذِینَ اُتُّبِعُوا مِنَ اَلَّذِینَ اِتَّبَعُوا وَ رَأَوُا اَلْعَذٰابَ. وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ اَلْأَسْبٰابُ. وَ قٰالَ اَلَّذِینَ اِتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنٰا کَرَّهً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ کَمٰا تَبَرَّؤُا مِنّٰا کَذٰلِکَ یُرِیهِمُ اَللّٰهُ أَعْمٰالَهُمْ حَسَرٰاتٍ عَلَیْهِمْ وَ مٰا هُمْ بِخٰارِجِینَ مِنَ اَلنّٰارِ (۲).

و فی الکافی بإسناده عن أبی الصامت الحلوانی عن أبی جعفر علیه السّلام: «فضّل أمیر المؤمنین علیه السّلام ما جاء به أخذ به و ما نهی عنه انتهی عنه، جری له من الطاعه بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الفضل لمحمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المتقدم بین یدیه کالمتقدم بین یدی اللّه و رسوله، و المتفضل علیه کالمتفضل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الراد علیه فی صغیره أو کبیره علی حدّ الشرک باللّه، فإن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم باب اللّه الذی لا یؤتی إلاّ منه، و سبیله الذی من سلکه وصل إلی اللّه تعالی.

۱- ۱) أمالی الطوسی ص ۳۹.

۲- ۲) البقره:۱۶۷،۱۶۶.

و كذلك كان أمير المؤمنين عليه السّلام من بعده، و جرى للأئمه واحدا بعد واحد، جعلهم اللّه أركان الأرض أن تميد بأهلها، و عمد الإسلام، و رابطه على سبيل هداه، لا يهدى هاد إلاّ بهداهم، و لا يضل خارج من الهدى إلاّ بتقصير عن حقهم، أمناء اللّه على ما أهبط من علم أو عذر أو نذر و الحجه البالغه على من فى الأرض، يجرى لآخرهم من اللّه مثل الذى جرى لأولهم، و لا يصل أحد إلى ذلك إلاّ بعون اللّه تعالى» .

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: أنا قسيم اللّه بين الجنه و النار، لا يدخلها داخل إلاّ على حدّ قسيمى، و أنا الفاروق الأكبر، و أنا الإمام لمن بعدى، و المؤدّى عمن كان قبلى، لا يتقدمنى أحد إلاّ أحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنى و إياه لعلى سبيل واحد، إلاّ أنه هو المدعو باسمه، و لقد أعطيت الست علم المنايا و البلايا، و الوصايا و فصل الخطاب، و إنى لصاحب الكرات و دوله الدول، و إنى لصاحب الميسم، و الدابّه التى تكلم الناس» .

قوله عليه السّلام: «فضل أمير المؤمنين» (بالبناء للمجهول) يعنى فضل على ساير الخلق

قوله عليه السّلام: إلاّ أنه هو المدعو باسمه ، أى باسم الرساله و النبوه دونى.

و قوله عليه السّلام: «و الدابه التى تكلم الناس» ، إشاره إلى قوله تعالى: وَ إِذا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ اَلنّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ (۱).

قال على بن إبراهيم فى تفسيره، قال أبو عبد اللّه عليه السّلام قال رجل لعمار بن ياسر: «يا أبا اليقظان آيه فى كتاب اللّه قد أفسدت قلبى و شككتنى. قال عمار: و أيّه آيه هى؟ قال: قول اللّه: وَ إِذا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ اَلنّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ فأيّه دابه هذه؟ قال عمار: و اللّه ما أجلس و لا آكل و لا أشرب حتى أريكها، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين و هو يأكل تمرا و زبدا، فقال: يا أبا اليقظان هلم، فجلس عمار، و أقبل

۱- ۱) النمل:۸۲.

يأكل معه، فتعجب الرجل منه، فلما قام عمار، قال الرجل: سبحان اللّه يا أبا اليقظان حلفت أنک لا تأكل و لا تشرب و لا تجلس حتى ترينيهما! ! قال عمار: قد أريتكها إن كنت تعقل» . أقول: يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام.

و فى أصول الكافى بإسناده عن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «السمع و الطاعه أبواب الخير، السامع المطيع لا حجه عليه، و السامع العاصى لا حجه له، و إمام المسلمين تمّت حجته و احتجاجه يوم يلقى اللّه عز و جل، ثم قال: يقول اللّه تبارک و تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ » .

و عن تفسير مجمع البيان: روى عن الصادق عليه السّلام أنه قال: «أ لا تحمدون اللّه إذا كان يوم القيامه، فدعا كل قوم إلى من يتولونه، و دعانا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فزعتم إلينا، قال: أين ترون يذهب بكم؟ إلى الجنه و ربّ الكعبه قالها ثلاثا» .

قوله : «فزعنا» ، أى قصدنا.

و فى أصول الكافى بإسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ قال: إمامهم الذى بين أظهرهم و هو قائم أهل زمانه. فظهر من هذه الأحاديث أنهم قاده الأمم المقتدى بهم إلى درجات العلى، و إلى المعارف فى الدنيا و الآخره، و لا نجاه لأحد إلاّ باتباعهم و الاقتداء بهم، فإنه المقصود

من قوله عليه السّلام: «و قاده الأمم» ، أى لا غيرهم.

فعن تفسير العياشى عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: «أنه إذا كان يوم القيامه يدعى كلّ بإمامه الذى مات فى عصره، فإن انتبه أعطى كتابه بيمينه لقوله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولٰئِکَ يَقْرَؤُنَ كِتٰابَهُمْ وَ لاٰ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (1)فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هٰاؤُمُ اقْرَؤُا كِتٰابِيَهْ. إِنِّي

1- 1) الإسراء:71.

ظَنَنْتُ أَنِّی مُلاٰقٍ حِسٰابِیَهْ

(۱)

. و الکتاب الإمام فمن نبذه وراء ظهره کان کما قال تعالی: فَنَبَذُوهُ وَرٰاءَ ظُهُورِهِمْ (۲)، و من أنکره کان من أصحاب الشمال الذین قال اللّه: وَ أَصْحٰابُ اَلشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ اَلشِّمٰالِ. فِی سَمُومٍ وَ حَمِیمٍ. وَ ظِلٍّ مِنْ یَحْمُومٍ (۳)إلخ» .

و عن کتاب الرجال للکشی قدّس سرّه فضاله بن جعفر عن أبان عن حمزه بن الطیار أن أبا عبد اللّه علیه السّلام «أخذ بیدی ثم عدّ الأئمه إماما إماما یحسبهم حتی انتهی إلی أبی جعفر علیه السّلام فکفّ، فقلت: جعلنی اللّه فداک لو فلقت رمانه، فأحللت بعضها، و حرمت بعضها، لشهدت أن ما حرمت حرام، و ما أحللت حلال، فقال: فحسبک أن تقول بقوله: و ما أنا إلاّ مثلهم لی ما لهم، و علیّ ما علیهم، فإن أردت أن تجیء مع الذین قال اللّه تعالی: یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ فقل بقوله» .

و عن الخرائج و الجرایح فی أعلام أبی محمد العسکری علیه السّلام قال أبو هاشم بعد أن روی کرامه له علیه السّلام: فجعلت أفکر فی نفسی عظم ما أعطی اللّه آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بکیت، فنظر إلیّ و قال: «الأمر أعظم مما حدثت به فی نفسک من عظم شأن آل محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم فاحمد اللّه أن یجعلک متمسکا بحبلهم، تدعی یوم القیامه بهم إذا دعی کل أناس بإمامهم، إنک علی خیر» .

و عن کتاب الاحتجاج للطبرسی رحمه اللّه عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حدیث طویل و فیه: «یا رسول اللّه أخبرنا عن علی هو أفضل أم ملائکه اللّه المقربون؟ فقال رسول اللّه: و هل شرفت الملائکه إلاّ بحبها لمحمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و علی علیه السّلام و قبول ولایتهما، إنه لا أحد من محبّی علی علیه السّلام نظف قلبه من الغش و الدغل و العلل و نجاسه الذنوب إلاّ کان أطهر و أفضل من الملائکه» .

ص: ۱۵

۱- ۱) الحاقه:۱۹-۲۰.

۲- ۲) آل عمران:۱۸۷.

۳- ۳) الواقعه:۴۱-۴۳.

و عن العیاشی عن بشیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنه کان یقول: «ما بین أحدکم و بین أن یغتبط إلی أن تبلغ نفسه هیهنا و أشار بإصبعه إلی حنجره علیه السّلام. قال: ثم نأول آیات (آیاً خ) من الکتاب قال: أَطِیعُوا اَللّهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ (۱)مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اَللّهَ (۲)إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اَللّهُ (۳). قال: ثم قال: یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إمامکم، و کم من إمام یوم القیامه یجیء یلعن أصحابه و یلعنونه» .

و فی کتاب بصائر الدرجات بإسناده عن حماد بن عیسی قال: سأل رجل أبا عبد اللّه علیه السّلام فقال: «الملائکه أکثر أو بنو آدم؟ فقال: و الذی نفسی بیده لملائکه اللّه فی السماوات أکثر من عدد التراب، و ما فی السماء موضع قدم إلاّ و فیه ملک یقدس له و یسبح، و لا فی الأرض شجر و لا مثل غرزه عود إلاّ و فیها ملک موکل کل یوم بعملها اللّه أعلم بها، و ما منهم أحد إلاّ و یتقرب إلی اللّه فی کل یوم بولایتنا أهل البیت، و یستغفر لمحبینا و یلعن أعداءنا، و یسأل اللّه أن یرسل علیهم من العذاب إرسالا» . و تقدمت الأحادیث الداله علی أنه تعالی ما بعث اللّه نبیا إلاّ بولایه علی علیه السّلام و علی أنه أخذ ولایته علیه السّلام علی الکل فی المیثاق و عالم الذر، کما لا یخفی.

و عن توحید الصدوق بإسناده عن محمد بن بشیر الهمدانی قال: سمعت محمد ابن الحنفیه یقول: حدثنی أمیر المؤمنین علیه السّلام «أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یوم القیامه أخذ بحجزه اللّه، و نحن آخذون بحجزه نبینا، و شیعتنا آخذون بحجزتنا» .

۱- ۱) النساء:۵۹

۲- ۲) النساء:۸۰.

۳- ۳) آل عمران:۳۱.

أقول: المراد بالحجزه الدين كما بيّنه الصادق عليه السّلام فى حديث أبى اليقظان.

و عن أمالى الصدوق (۱)بإسناده عن أبى جعفر محمد بن على عن آبائه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «خذوا بحجزه هذا الأنزع (يعنى عليّا) فإنه الصديق الأكبر، و هو الفاروق يفرق بين الحق و الباطل، من أحبه هداه اللّه، و من أبغضه أبغضه اللّه، و من تخلّف عنه محقه اللّه، و منه سبطا أمتى الحسن و الحسين، و هما ابناى، و من الحسين أئمه الهدى أعطاهم اللّه علمى و فهمى، فتولوهم، و لا تتخذوا وليجه من دونهم، فيحل عليكم غضب من ربكم، و من يحلل عليه غضب من ربه فقد هوى و ما الحياه الدنيا إلّا متاع الغرور» . أقول: هذه جمله من الروايات التى تحصّل منها: أن معنى كونهم قاده الأمم أنه لا يهدى هاد إلّا بهديهم كما هو قول محمد بن على عليه السّلام و هذا يعمّ الأنبياء و المرسلين، و الأولياء و الصالحين، و الملائكه المقربين لا يهدى أحد منهم إلّا بهداهم.

و قوله عليه السّلام فى حديث محمد بن على عليه السّلام: «و لا يضل خارج عن الهدى إلا بتقصير عن حقهم» ، يدل على أنه كما لا هدايه لأحد إلّا بهداهم، كذلك أنه لا ضلاله لأحد من الخلق إلّا بتقصيره من حقهم، و التقصير قد يكون بالتأخر عنهم، و قد يكون بالتقدم عليهم. فالتقدم و التأخر عنهم و عليهم ضلاله عن طريق الحق الأعظم، فمن قصّر فى حقهم بأحد الأمرين فقد قصّر عن طريق الحق، و من كان كذلك فقد حقّت عليه الضلاله، فالهدايه مستنده إلى هداهم عليه السّلام، و الضلاله إلى نفسها و إلى تقصيرهم، إيذانا بأن الضلاله تكون بسبب تقصيرهم، و أما الهدايه فهو لطف منه تعالى فى حقهم لمكان المتابعه.

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۱۲۹ ح ۶۰.

قوله علیه السّلام: و أولیاء النعم.

اشاره

«الأولیاء» جمع ولی، «و النعم» جمع نعمه: فالکلام یقع فی مقامین:

المقام الأول: فی معنی الولی و المقصود منه هنا

فنقول: قد علمت سابقا أن الولی قد جاء بمعنی المحب و الصدیق و النصیر و القریب و الصاحب و المالک و نحوها. و علمت أن الأصل فیه هو ولایه الأمر، فیکون مشتقا من الإماره (بالکسر) ، و بهذا المعنی أطلق علی الأئمه علیه السّلام.

ففی البصائر عن الصادق علیه السّلام قال: «نحن ولاه أمر اللّه» .

و عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: قال اللّه عز و جل: «الأئمه ولاه أمری و خزّان علمی» . فإذا أطلق علیهم علیه السّلام اسم الولی فیراد منه هذا المعنی، و أما إذا أطلق علیهم علیه السّلام مضافا إلی شیء کما فی المقام فیراد منه المعنی المناسب للمضاف إلیه. ففی المقام إما یراد منه معنی الصاحب بمعنی المالک أی هم علیه السّلام أصحاب النعم، أو أولی بالتصرف فیها، و لهم الولایه فی تصریفها أی بیدهم علیه السّلام إعطاء النعم للخلق کمّا و کیفا و زمانا و مکانا، و عموما و خصوصا، و مطلقا و مقیّدا، فهم أولیاء النعم یعنی أن أمرها بیدهم فی وساطتهم من اللّه تعالی إلی الخلق فی هذه الأمور. و یدل علی هذا ما

فی أصول الکافی، عن أحمد بن عیسی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: إِنَّمٰا وَلِیُّکُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا (1)قال: «إنما یعنی أولی بکم، أی أحق بکم و بأمورکم من أنفسکم و أموالکم اللّه و رسوله و الذین آمنوا یعنی علیا و أولاده الأئمه علیه السّلام إلی یوم القیامه» ، الحدیث. و سیجیء بیانه فی شرح

قوله علیه السّلام: «و أولی الأمر» ، فدل هذا الحدیث علی أن النبی و الأئمه علیه السّلام هم أولی بأمور الخلق من أنفسهم فی جمیعها، فلازمه أنهم علیه السّلام أولیاء النعم، أی أولی بهم من الخلق بالمعنی المتقدم، کما لا یخفی.

۱- ۱) المائده:۵۵.

و يدل على هذا أيضا ما

روى عن على عليه السّلام فى حديث منه: «نحن صنائع اللّه، و الخلق بعد صنائع لنا» أى بعد أن خلقنا وضعنا لنفسه و جعلنا خزائن كرمه خلق الخلق و صنعهم لنا. و هذا الحديث مذكور فى وصيّه أمير المؤمنين عليه السّلام لأولاده بعد ضربه ابن ملجم «لعنه اللّه» و أيضا ذكره الحجه عليه السّلام فى التوقيع الوارد منه بروايه المفيد قدّس سرّه كما فى البحار فى حالاته عليه السّلام. فهم حينئذ أولياء اللّه على خلقه، لأنهم العله و الغايه للخلق، فلا محاله هم أولى بالتصرف فيهم، و سيجىء بيانه إن شاء اللّه مشروحا

المقام الثانى: فى بيان معنى المراد من «النعم»

فنقول: عن القاموس: النعيم و النعماء الخفض و الدعه و المال كالنعمه (بالكسر) جمعها نعم و أنعم، و التنعّم الترفّه، و الاسم النعمه (بالفتح) . و فيه أيضا: و النعمه المسرّه و اليد البيضاء الخاصه كالنعمى و النعماء (بالفتح) ممدوده، إلى أن قال: و نعيم اللّه عطيته. ثم إن النعمه قد تطلق و يراد منها الرسول و الأئمه عليه السّلام و ولايتهم.

فى مناقب ابن شهرآشوب عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اَللّٰهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهٰا قال: «عرفهم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ولايه على عليه السّلام و أمرهم بولايته، ثم أنكروا بعد وفاته» .

و فى أصول الكافى بإسناده عن أبى يوسف القزّاز قال: تلا أبو عبد اللّه عليه السّلام هذه الآيه: فَاذْكُرُوا آلاٰءَ اَللّٰهِ . قال: أ تدرى ما آلاء اللّه؟ قلت: لا، قال: هى أعظم نعم اللّه على خلقه، و هى ولايتنا» .

و عن ابن عباس فى قوله تعالى: وَ أَمّٰا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ قال: «أى حدثهم بفضائل على عليه السّلام» .

ص: ١٩

و عن تفسیر العیاشی و غیره عن الصادق علیه السّلام أنه قال لأبی حنیفه لما سأله عن النعیم فی هذه الآیه: «یا نعمان نحن أهل البیت النعیم الذی أنعم اللّه بنا علی العباد» ، الحدیث.

و فی المجمع عن الصادق علیه السّلام: «نحن و اللّه نعمه اللّه، التی أنعم بها علی عباده، بنا یفوز من فاز» .

و فی أصول الکافی بإسناده عن الأصبغ قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «ما بال أقوام غیّروا سنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و عدلوا عن وصیه، لا یتخوفون أن ینزل بهم العذاب، ثم تلا هذه الآیه: أَ لَمْ تَرَ إِلَی اَلَّذِینَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ کُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دٰارَ اَلْبَوٰارِ. جَهَنَّمَ (۱). ثم قال علیه السّلام: نحن النعمه التی أنعم اللّه بها علی عباده و بنا یفوز من فاز یوم القیامه» . ثم إن النعمه من اللّه تعالی و هی علی قسمین ظاهره و باطنه و هی أکثر من أن تحصی قال تعالی: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اَللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا (۲).

ففی روضه الکافی علی بن محمد عن بعض أصحابه رفعه قال: کان علی بن الحسین علیه السّلام إذا قرأ هذه الآیه: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اَللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا یقول: «سبحان من لم یجعل فی أحد من معرفه نعمه إلاّ المعرفه بالتقصیر عن معرفتها، کما لم یجعل فی أحد من معرفه إدراکه أکثر من العلم أنه لا یدرکه، فشکر جلّ و عزّ معرفه العارفین بالتقصیر عن معرفه شکره، فجعل معرفتهم بالتقصیر شکرا کما علم علم العالمین أنه لا یدرکونه، فجعله إیمانا علما منه أنه وسع العباد فلا یتجاوز ذلک، فإن شیئا من خلقه لا یبلغ مدی عبادته، و کیف یبلغ مدی عبادته من لا مدی له و لا کیف تعالی اللّه عن ذلک علوّا کبیرا» .

۱- ۱) إبراهیم:۲۸-۲۹.

۲- ۲) إبراهیم:۳۴.

فعلم أنه لا يمكن لأحد إحصاؤها بالشكر، إلّا بالتقصير عن معرفتها، و قال تعالى: وَ أَسْبَغَ عَلَيْكَمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَ بٰاطِنَةً (۱).

فعن كتاب كمال الدين و تمام النعمه بإسناده إلى حماد بن زياد الأزدى قال: سألت سيدى موسى بن جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جل: وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَ بٰاطِنَةً فقال عليه السّلام: «النعمه الظاهره الإمام الظاهر، و الباطنه الإمام الغائب» .

و عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن جابر قال: قال رجل عند أبى جعفر عليه السّلام وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَ بٰاطِنَةً (۲). قال: «أما النعمه الظاهره فالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما جاء به من معرفه اللّه عز و جل و توحيده. و أما النعمه الباطنه فولايتنا أهل البيت و عقد مودتنا، فاعتقد و اللّه قوم هذه النعمه الظاهره و الباطنه، و اعتقدها قوم ظاهره و لم يعتقدوها باطنه، فأنزل اللّه يٰا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ لاٰ يَحْزُنْكَ اَلَّذِينَ يُسٰارِعُونَ فِى اَلْكُفْرِ مِنَ اَلَّذِينَ قٰالُوا آمَنّٰا بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ (۳). ففرح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند نزولها أنه لم يقبل اللّه تبارك و تعالى إيمانهم إلّا بعقد ولايتنا و محبتنا» . و أنا أقول: الحمد للّه الذى جعلنا ممن اعتقدها ظاهره و باطنه، و جعلنا من محبيهم عليه السّلام و بذلك ظهر طيب ولادتنا.

ففى معانى الأخبار (۴)بإسناده عن زيد بن على، عن أبيه على بن الحسين، عن أبيه الحسين بن على، عن أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «يا على من أحبّنى و أحبك، و أحبّ الأئمه من ولدك، فليحمد اللّه على طيب مولده، فإنه لا يحبنا إلّا من طابت ولادته، و لا يبغضنا إلّا من خبثت ولادته» .

۱- ۱) لقمان:۲۰.

۲- ۲) لقمان:۲۰.

۳- ۳) آل عمران:۱۷۶.

۴- ۴) معانى الأخبار ص ۱۵۷.

و فيه بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «من وجد برد حبنا على قلبه، فليكثر الدعاء لأمّه فإنها لم تخن أباه» . هذا بعض الأحاديث فى تفسير النعم ظاهره و باطنه. و ربما يقال: إن النعم الباطنه هى الألطاف التى شملت الإنسان من حين كونه خلقا روحيا قبل تعلقه بالبدن كما سيجىء، إلى أن تعلق به من لدن كونه نطفه إلى أن صار مولودا خارجيا. و هكذا بالنسبه إلى ساير عوالمه الآتيه و النعم الظاهره، و ما أنعمه الله به عليه من لوازم وجوده، و ما به رفع حاجاته الماديه بأنواعها، و هى أكثر من أن تحصى. و هذا بالنسبه إلى جميع الموجودات، فإن لها جهتين ظاهره و باطنه، ففى كل منهما لها ألطاف منه تعالى بها قوام أمره. و كيف كان فجميع تلك الألطاف يصل إليها بواسطتهم عليه السّلام فهم فيها أولياء النعم. و قد يقال: إنّ النعمه الباطنه هى العقول، و الظاهره هى الأنبياء و الرسل، أى علومهم و معارفهم، التى وصلت منهم إلينا كما ورد التفسير بهما فى قوله تعالى: وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً . ثم إنه يدخل فى النعم الباطنه جميع علوم القرآن و ما للأئمه عليه السّلام و ما منحه اللّه للأولياء من العقول، التى بها تحصل المعارف، و التمييز بين الجيد و الردىء و الخير و الشر، و الناصح و الغاش، و المصلح و المفسد، و الضارّ و النافع فى العاجل و فى الآخره. و هذه العقول لحظات و عنايات من الولى، و مناداه للمكلفين من جانب العقل الأول المحيط و هو حقيقتهم، و هذه هى أعظم نعم اللّه تعالى على أهل المعرفه، و من لم يخالف مقتضياتها، بل هذا هو النور الذى يمشى به المؤمن فى ظلمات النفوس من شهواتها، و غواسق إنياتها، و ظلمات الطبايع، و المواد الجسمانيه.

و إلى هذا النور أشير فى قوله عليه السّلام فى حديث رواه

فى الكافى بإسناده عن أبى خالد الكابلى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه تعالى: فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنا (۱)فقال: «يا أبا خالد النور و اللّه الأئمه من آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم القيامه، و هم و اللّه نور اللّه الذى أنزل، و هم و اللّه نور اللّه فى السماوات و الأرض، و اللّه يا أبا خالد لنور الإمام فى قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئه بالنهار، و هم و اللّه ينورون قلوب المؤمنين، و يحجب اللّه نورهم عمّن يشاء فيظلم قلوبهم، و اللّه يا أبا خالد لا يحبنا عبد و يتولانا حتى يطهر اللّه قلبه، و لا يطهر اللّه قلب عبد حتى يسلم لنا، و يكون سلما لنا، فإذا كان سلما لنا سلّمه اللّه من شديد الحساب، و آمنه من فزع يوم القيامه الأكبر» . فظهر أن العقل الكامل و ما للمؤمن من المعارف إنما يكون لهم بواسطتهم و من نورهم، و إليه يشير أيضا ما رواه

فى الكافى الاثنان عن الوشا عن أحمد بن عمر، قال: سألت أبا الحسن عليه السّلام لم سمّى أمير المؤمنين عليه السّلام؟ قال: لأنه يميرهم العلم، أ ما سمعت فى كتاب اللّه: وَ نَمِيرُ أَهْلَنا » .

و فيه، و فى روايه أخرى قال «لأن ميره المؤمنين من عنده يميرهم العلم» . أقول: «الميره» الطعام.

و فى روايه، قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلى عليه السّلام «لما أخذه بيده بعد ما قرأ أمير المؤمنين عليه السّلام آيات من سوره «المؤمنون» قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قد أفلحوا بك أنت أميرهم تميرهم العلم» (أى تطعمهم العلم) . هذا إذا كان أمير مشتقا من المور (بمعنى الطعام) لا من الإماره بمعنى الآمريه، فالاشتقاق حينئذ معنوى أى الاشتقاق الأعظم لا لفظى فإن أمر مهموز الفاء، و مورد معتل العين، كما لا يخفى فتدبر تعرف.

ص: ۲۳

۱- ۱) التغابن:۸.

و یدخل فی النعم الظاهره بعد إرسال الرسل تأمیر الأوصیاء، و استحفاظ الحفظه، و استخلاف الخلفاء من الأوصیاء، و إنابه العلماء عموما أو خصوصا، و إقامه الآمرین بالمعروف و الناهین عن المنکر، و المعلمین و المرشدین للمسترشدین فی السلوک إلیه تعالی و کذلک جمیع الدعاه إلی اللّه تعالی. فجمیع هذه الأمور نعم اللّه تعالی تکون للخلق من الولی المطلق، و هی آثاره التی اقتضی لطفه بالمکلفین ذلک، فالألطاف منهم تصل إلی الناس علی طبقاتهم. فجمیع الموجودات من الأرواح و النفوس، و الأشباح و الأجسام، و ما لها من التکالیف و الشرعیات للمکلفین کلها من نعمهم علیه السّلام و جمیع الکائنات رشحه من فیوضاتهم. و إلی الکل یشیر ما

ورد فی أصول الکافی بإسناده إلی أبی جعفر علیه السّلام قال: «إنه لینزل فی لیله القدر إلی ولی الأمر تفسیر الأمور سنه سنه، یؤمر فیها فی أمر نفسه بکذا و کذا، و فی أمر الناس بکذا و کذا، و انه لیحدث لولی الأمر سوی ذلک کل یوم علم اللّه عز و جل الخاص و المکنون العجیب المخزون، مثل ما ینزل فی تلک اللیله من الأمر. ثم قرأ: وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِی اَلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلاٰمٌ وَ اَلْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ کَلِمٰاتُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۱)» .

و عن کتاب الاحتجاج للطبرسی سأل یحیی بن أکثم أبا الحسن العالم عن قوله تعالی: سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ کَلِمٰاتُ اَللّٰهِ ما هی؟ فقال: «هی عین الکبریت، و عین الیمن، و عین البرهوت، و عین الطبریه، و حمه ماسیدان، و حمه إفریقیه، و عین بلعوران و نحن الکلمات التی لا تدرک فضائلنا، و لا تستقصی» ، الحدیث. و فی الأحادیث کثیرا ما أطلقت الکلمات علی الأئمه علیه السّلام فتحصل من الجمیع:

۱- ۱) لقمان:۲۷.

أن الأخيار و الخيرات الصادره منهم، و الصالحين و الأعمال الصالحه الصادره منهم، كلّها من كرمهم و إحسانهم، و فواضل طاعاتهم و حسناتهم، و ذلك كله من شئون ولايتهم و هم أولياء ذلك كله. ثم إن من المعلوم كما علمت أن للإنسان عوالم يحتاج فيها إلى فيضه تعالى، و هو فيها غير قادر على قبول الفيض منه تعالى بلا واسطه إما لقصوره فى عوالمه قبل الدنيا، و إما لبعده و محجوبيته (و بيته عنه تعالى كما فى عالم الدنيا، فهو لا محاله يحتاج إلى واسطه بينه و بين خالقه. و لعل إليه يشير

ما روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبه الغدير، فى ذكر النبى البشير النذير قال عليه السّلام: «و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله، استخلصه فى القدم على ساير الأمم على علم منه، انفرد عن التشاكل و التماثل من أبناء الجنس، و انتجبه آمرا و ناهيا، أقامه فى ساير عالمه فى الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار، و لا تحويه خواطر الأفكار، و لا تمثله غوامض الظنون فى الأسرار» ، الخطبه.

فإن قوله عليه السّلام: «أقامه فى ساير عالمه. . إلخ» يشير إلى ما ذكرنا من أنه سبحانه و تعالى جعلهم، و كذلك الأئمه بدليل الاشتراك فى جميع الأمور (سوى النبوه) فى مقام، و هو أنه لا يصل الفيض إلى أحد إلّا بواسطتهم. فما يريد تعالى أن يصل من جوده إلى أحد فهو بواسطتهم كما لا يخفى، و سيجىء فى شرح

قوله عليه السّلام:

«إن ذكر الخير كنتم أصله و فرعه. . إلخ»

ما يزيد هذا وضوحا، إن شاء اللّه تعالى.

[۳]قوله عليه السّلام: و عناصر الأبرار.

فى المجمع: العنصر الأصل و النسب و الجمع العناصر، و فيه: البر (بالفتح) البار قوله تعالى: إِنَّ اَلْأَبْرٰارَ لَفِي نَعِيمٍ الأبرار أولياء اللّه المطيعون فى الدنيا لفى نعيم، و هو الجنه، إلى أن قال: و جمع البر أبرار، و كثيرا ما يخصّ الأولياء و الزهاد و العباد.

أقول: «البر» أى الفاعل البر (بالكسر) و هو بارّ يطلق على ما ذكر و على الملائكه، و منه قوله تعالى: كِرامٍ بَرَرَةٍ و برره جمع بار، فالأبرار يعمّ الآدميين و الملائكه، و تخصيص الأبرار بالآدميين و البرره بالملائكه لا وجه له، كما لا يخفى. و أما العناصر فهو جمع عنصر و هو بمعنى الأصل، و هذا هو المراد منه هنا، و يستعمل بمعنى النسب، و منه

فى وصف النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا يخالطه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى عنصره سفاح ، أى لا يخالطه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى نسبه زنا. و إنما أطلق على النسب العنصر لأن النسب أصل الإنسان. ثم إن المراد من الأبرار لمكان الجمع المحلّى بالألف و اللام، هو عموم أولياء اللّه المطيعين و الزهاد و العباد، و كل فاعل للخيرات، و المطهرون من الكبائر من الآدميين و الملائكه. فحينئذ معنى كونهم عليهم السّلام عناصر لهؤلاء على معنيين. المعنى الأول: أنهم عليهم السّلام أصل لكل من الأبرار (أى شيعتهم) من الأنبياء و المرسلين و الأوصياء، و عباد اللّه الصالحين، و الملائكه بلحاظ خلق أرواحهم، لأن أرواح هؤلاء خلقت من شعاع أرواحهم عليهم السّلام، و لذا سمّى هؤلاء بالشيعه، فإن الشيعه من كان من شعاعهم عليهم السّلام أو من مشايعتهم كما سيجىء قريبا، و سيجىء فى الشرح إن شاء اللّه أن أرواح الأنبياء و المرسلين خلقت من فاضل شعاع أرواحهم، و أن أرواح الأوصياء خلقت من فاضل طينه صورهم المثاليه، و أن أرواح المؤمنين من شيعتهم خلقت من فاضل طينتهم.

ففى الكافى بإسناده عن محمد بن مروان، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن اللّه خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينه مخزونه مكنونه من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا و بشرا نورانيين، لم يجعل لأحد فى مثل الذى خلقنا منه نصيبا، و خلق أرواح شيعتنا من طينتنا، و أبدانهم من طينه

مخزونه أسفل من تلك الطينه، و لم يجعل اللّه لأحد فى مثل الذى خلقهم منه نصيبا، إلاّ للأنبياء، و لذلك صرنا نحن و هم الناس، و سائر الناس همجا للنار و إلى النار» . أقول: المراد بالنّاس: أولا: الناس بحقيقه الإنسانيه. و ثانيا: ما يطلق عليه الإنسان فى العرف العام. و كيف كان فظاهر الحديث الشريف أن حقيقه أرواحهم عليهم السّلام من نور عظمه اللّه تعالى. و قوله: ثم صور خلقنا، إشاره إلى خلق أجسامهم النورانيه و أمثالهم الصوريه، التى هى كالجسد بالنسبه إلى ذلك النور. و هذا (أى الخلق المثالى الصورى) هو المراد من

قوله عليه السّلام: «و خلق أرواح شيعتنا من طينتنا» ، فالشيعه خلقوا من فاضل هذه الطينه المعبّر عنها

بقوله: «ثم صور خلقنا من طينه مخزونه مكنونه تحت العرش» .

و قوله عليه السّلام: «و لم يجعل اللّه لأحد فى مثل الذى خلقهم منه نصيبا إلاّ للأنبياء» ، ظاهر فى أن الشيعه لم يشاركهم فى تلك الطينه إلاّ الأنبياء عليهم السّلام فهم فى عرضهم فى مقام الطينه. و كيف كان فهم عليهم السّلام أصل لخلق الشيعه و الأنبياء كما لا يخفى.

و فيه، بإسناده عن أحمد بن على بن محمد بن عبد اللّه بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السّلام عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه كان إذ لا كان فخلق الكان و المكان، و خلق الأنوار، و خلق نور الأنوار، الذى نوّرت منه الأنوار، و أجرى فيه من نوره، الذى نوّرت منه الأنوار، و هو النور الذى خلق منه محمدا و عليّا، فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شىء كوّن قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين فى الأصلاب الطاهره حتى افترقا فى أطهر طاهرين فى عبد اللّه و أبى طالب عليهم السّلام» .

فقوله عليه السّلام: «و خلق نور الأنوار الذى نوّرت منه الأنوار» ، ظاهر فى أن جميع

المخلوقات النورانيه خلقت من هـذا النور الـذى خلق منه محمد و على. فالملائكه و الأنبياء و المرسـلون و الشـيعه، و كل من فيه شائبه نور الإيمان، خلق من هذا النور، الذى هو خلق منه محمدا و عليّا عليهما السّلام كما لا يخفى.

فقوله عليه السّـلام: «الذى خلق منه محمدا و عليّا» ، لا يراد البعضـيه من قوله منه، ليكون ساير المخلوقات النورانيه فى عرض خلق محمد و على، بل المراد منه البيان، أى أن ذلك النور هو نور محمد و على عليهما السّلام. و يدل على هذا

مـا رواه فى الكافى بإسـناده عن جابر بن يزيـد قال: قال أبو جعفر عليه السّـلام: «يا جابر إن اللّه أول ما خلق خلق محمـدا و عترته الهداه المهتدين، فكانوا أشـباح نور بين يدى اللّه، قلت: و ما الأشباح؟ قال: ظلّ النور أبدان نورانيه بلا أرواح، و كان مؤيدا بروح واحده و هى روح القدس، فيه كان يعبد اللّه و عترته، و لذلك خلقهم حلماء علماء برره أصفياء يعبدون اللّه بالصلوه و الصوم، و السجود و التسبيح و التهليل، و يصلون الصلوات و يحجون و يصومون» .

فقوله عليه السّـلام: «أول ما خلق خلق محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» ظاهر فى أن الخلق الأول هو نوره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مثله كثير فى الأحـاديث كما لا يخفى. و كيف كان فـدلّت هـذه الأحاديث على أنهم أول الخلق، و أنهم خلقوا من نور عظمته، و أن جميع من سواهم خلقوا منهم على التفاصـيل و المراتب المـذكوره فى الأحاديث. فهم عليه السّـلام أصل الأبرار من كل من سواهم، فماده وجود من سواهم من فاضل نور محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على و الأئمه عليهم السّلام.

و عن الصـادق عليه السّـلام: «ان اللّه خلق المؤمنين من نوره، و صـبغهم فى رحمته، فـالمؤمن أخو المؤمن لأبيه و أمّه أبوه النور و أمّه الرحمه» .

و فى الكافى بإسناده عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه و أمه، لأن اللّه تعالى خلق المؤمنين من طينه الجنان، و أجرى فى

صورهم من ريح الجنه، فلذلك هم أخوه لأب و أمّ» .

فقوله عليه السّلام: «من طينه الجنان» ، يشير (و اللّه العالم) إلى ما تقدم من الطينه المخزونه، التى خلقت منه أجسامهم المثاليه.

و فى بصائر الدرجات (۱)بإسناده عن معاويه بن عمار قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك، هذا الحديث الذى سمعته منك ما تفسيره؟ قال: و ما هو؟ قال: «إن المؤمن ينظر بنور اللّه، فقال: يا معاويه إن اللّه خلق المؤمنين من نوره، و صبغهم فى رحمته، و أخذ ميثاقهم لنا بالولايه على معرفته يوم عرّفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه و أمّه، أبوه النور و أمه الرحمه، و إنما ينظر بذلك النور الذى خلق منه» . و مثله حديث سليمان الجعفرى فيه أيضا بتفاوت يسير. فهم عليهم السّلام أصل الأبرار فى الخلقه الروحيه كما لا يخفى. المعنى الثانى: لكونهم عليهم السّلام عناصر الأبرار: إن جميع الخلق إنما نجا من نجا منهم بولايتهم و التسليم لهم، و الائتمام بهم، و إنما هلك من هلك بتركهم الولايه. ففى الظاهر أن الأبرار إنما كانوا أبرارا، لأنهم تولّوا بهم، و تبرّءوا من أعدائهم، و أحبوهم، و أطاعوهم، و اتبعوهم فى طريقتهم، و ردّوا الأمر إليهم، و سلّموا لهم فيما علموا، و ما لم يعلموا، فبذلك كانوا أبرارا، فالأئمه عليهم السّلام حينئذ أصل لهدايتهم و لكونهم و صيرورتهم أبرارا. بل تقدم فى معنى كونهم حفظه و روّادا أنه فى الحقيقه إنما قبل الأبرار هذه الأمور المذكوره، التى بها صاروا أبرارا، لأنهم عليهم السّلام أوردوهم ذلك، و هم عليهم السّلام ذادوهم، عن الخلاف و هم عفوا عن تقصيرهم و سدّدوهم عن الخلل، و ثبتوهم عن الزلل. فالأبرار نالوا الخير بتيسيرهم و تحبيبهم الإيمان إليهم، و تزيينه فى قلوبهم،

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۸۰

و تكريههم الكفر و الفسوق و العصيان، فهم عليهم السّلام أصل ما برّ به الأبرار، بل هم عليهم السّلام أبرّوا الأبرار أى جعلوهم أبرارا بأمر اللّه تعالى، أو أنهم عليهم السّلام حكموا عليهم ببرهم أنهم أبرارا، و أنهم عليهم السّلام أدلاء العباد على البرّ، فكان المتبعون لهم العاملون بما دلّوا عليه أبرارا، حيث إنهم عليهم السّلام أبرّوا نفوسهم المقدسه لتبرّ شيعتهم بأتباعهم إياهم، أو أنهم عليهم السّلام نبهوهم إلى البرّ أو ساقوهم إليه. ففى جميع ذلك أنهم عليهم السّلام الأصل فى ذوات الأبرار و صفاتهم و أفعالهم، فلا مصداق للبرّ إلاّ ما هو منهم عليهم السّلام. و إلى ما ذكرنا تشير عده روايات:

منها ما تقدم عن الكافى روايه أحمد بن عمر فى تسميه أمير المؤمنين. . إلى أن قال عليه السّلام: «لأنه يميرهم العلم» . و لا ريب فى أن العلم و المعارف أصل لكون الإنسان بارّا.

و منها روايه أبى خالد الكابلى المتقدمه عن الكافى من قوله عليه السّلام: «و هم و اللّه ينوّرون قلوب المؤمنين، و يحجب اللّه نورهم عمّن يشاء، فيظلم قلوبهم و اللّه يا أبا خالد لا يحبنا عبد و يتولانا حتى يطهر اللّه قلبه، و لا يطهر اللّه قلب عبد حتى يسلم لنا، و يكون سلما لنا، فإذا كان سلما لنا سلمه اللّه من شديد الحساب، و آمنه من فزع يوم القيامه الأكبر» . فهذا صريح فى أن محبتهم و ولايتهم سبب لأن يطهر اللّه القلب، و أن ظلمه القلب إنما هى بعدم هذا النور فى القلب كما لا يخفى.

و منها ما فى الكافى بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه تعالى: إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ فقال: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «المنذر و لكل زمان منا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبى اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم الهداه من بعده علىّ ثم الأوصياء واحد بعد واحد» . فالهدايه التى هى سبب البر إنما هى منهم عليه السّلام. و منها:

ما فى بصائر الدرجات بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ

بِرَبِّكُمْ

(۱)

قال: «أخرج اللّه من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامه كالـذر، فعرفهم نفسه، و لو لا ذلك لم يعرف أحد ربّه، و قال: أ لست بربكم قالوا: بلى، و إن هذا محمد رسولى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على أمير المؤمنين عليه السّلام» .

و فيه و فى الكافى بإسناده عن بكير بن أعين قال: كان أبو جعفر عليه السّـلام يقول: «إن اللّه أخذ ميثاق شيعتنا بالولايه لنا، و هم ذر يوم أخـذ الميثاق على الذّر، و الإقرار له بالربوبيه، و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنبوه، و عرض اللّه على محمد أمته فى الطين، و هم أظله و خلقهم من الطينه التى خلق منهـا آدم و خلق اللّه أرواح شيعتنا قبل أبـدانهم بألفى عام و عرضـهم عليه و عرفهم رسول اللّه و عرفهم عليا و نحن نعرفهم فى لحن القول» . و منها:

ما فى البحار عن تفسير القمى بإسناده عن عبد اللّه بن جندب قال: كتبت إلى أبى الحسن الرضا عليه السّـلام. . إلى أن قال عليه السّـلام: «إن شيعتنا لمكتوبون بأساميهم و أسامى آبائهم، أخـذ اللّه علينا و عليهم الميثاق، يردون موردنا، و يـدخلون مـدخلنا» . . إلى أن قال: «نحن آخـذون بحجزه نبيّنا، و نبيّنا آخـذ بحجزه ربنا، و الحجزه النور، و شيعتنا آخـذون بحجزتنا، من فارقنا هلك و من تبعنـا نجا» . . إلى أن قـال: «نحن نور لمن تبعنـا، و هـدى لمن اهتـدى بنـا، و من لم يكن منـا فليس من الإسـلام فى شـىء» ، الحديث بطوله.

و فى البحار عن مشارق الأنوار أمالى الشيخ ص ۱۴۶، بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لعلى عليه السّـلام: «يا على أنت الذى احتج اللّه بك على الخلائق، حين أقامهم أشباحا فى ابتدائهم، و قال لهم: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا: بَلىٰ فقال: و محمـد نبيكم؟ قالوا: بلى، قال: و على إمامكم؟ قال: فأبى الخلق جميعا عن ولايتك، و الإقرار بفضلك، و عتوا عنهـا استكبارا إلاّ قليلا منهم، و هم أصحاب اليمين، و هم أقل القليـل و إن فى السـماء الرابع ملـك يقول فى تسـبيحه: سبحان من دلّ

۱- ۱) الأعراف:۱۷۲.

هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير على هذا الفضل الجليل» . و منها:

ما روى عن أبى جعفر عليه السّلام فى حديث طويل. . إلى أن قال عليه السّلام: «كانوا نورا مشرقا حول عرش ربهم، فأمرهم فسبّحوا، فسبّح أهل السماوات بتسبيحهم، ثم أهبطوا إلى الأرض، فأمرهم فسبّحوا، فسبّح أهل الأرض بتسبيحهم، فإنهم لهم الصافون، و أنهم لهم المسبّحون، فمن أوفى بذمتهم فقد أوفى بذمه اللّه، و من عرف حقهم فقد عرف حق اللّه تعالى» . . إلى أن قال عليه السّلام: «و جعلهم نورا فى الظلم للنجاه، اختصهم لدينه، و فضلهم بعلمه، و آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، و جعلهم عمادا لدينه، و مستودعا لمكنون سرّه، و أمناء على وحيه، و نجباء من خلقه، و شهداء على بريته، اختارهم اللّه و حباهم، و خصّهم و اصطفاهم، و ارتضاهم و انتجبهم و انتقاهم، و جعلهم للبلاد و العباد عمّارا و أدلاء للأئمه (للأمه) على الصراط، فهم أئمه الهدى و الدعاه إلى النفوس» ، الحديث. فالمستفاد من هذه أن الخلائق فى عالم الذر كانوا سواء فى التكليف، بمعنى أن كل واحد منهم متمكن من الاستجابه و الامتناع، لما خلق اللّه فيهم من الاختيار على اختلاف مراتبهم فى القرب و البعد منه تعالى، و كانوا أيضا سواء فى الظلمه و النور، ثم بعد الدعوه فى عالم الذر بما علمت منه تعالى و من محمد و آله عليهم السّلام لهم للإقرار بالتوحيد و النبوه و الولايه، فمن أجاب بقلبه و لسانه، و عمل بما أمر به بجوارحه و أركانه، فهم حينئذ أبرار بذلك الإقرار و القبول و العمل، و السابقون منهم صاروا مقربين، و الذى أنكر منهم ذلك صار إلى النار و الجحيم. فالأبرار إنما صاروا كذلك بالإقرار بولايتهم عليهم السّلام فهم حينئذ عناصر الأبرار، و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و دعائم الأخيار.

اشاره

الدعامه: (بالكسر) عماد البيت الذى يقوم به و الجمع دعائم،

و فى الدعاء

«أسألك باسمک الذى دعمت به السماوات فاستقلت»

أى أسندت به السماوات من الدعامه، و هى ما يسند به الحائط إذا مال يمنعه السقوط.

و فى الحديث: لكل شىء دعامه و دعامه الإسلام الشيعه.

و فيه: دعـامه الإنسان العقل منه الفطنه و الفهم و الحفظ و العلم، فإذا كان تأييـده من النور كان عالما حافظا ذاكرا فطنا. فيعلم من موارد استعماله أن الـدعامه مـا يسـند إليه الشـىء، بحيث يكون به قوامه سواء أ كـان أمرا خارجيا أم معنويا كالإسـلام و نحوه. و الأخيار جمع خيّر (بالتشديد) و هو الذى صـلحت أعماله بعد ما صـلح دينه و جبلته. فمعنى الجمله حينئذ أن الأئمه عليهم السّـلام هم دعـائم الأخيـار، أى أن الأخيـار أسـندوا إليهم بحيث يكون قوامهم و تحققهم و اتصافهم بكونهم أخيارا مستندا إليهم عليهم السّـلام بحيث لو لاـ هم لمـا كـانوا أخيـارا. فالأـئمه عليهم السّـلام جعلوا الأخيـار أخيارا إما باتباع الأخيار لهم فى الأمور الخيريه، فاكتسـبوها منهم عليهم السّـلام بالاتبـاع. و إمـا لأنهم سـلكوا بهم مسالك الخير فصاروا أخيارا. و إما أنهم عليهم السّـلام أشـرقوا عليهم من نورهم و معارفهم الربانيه، فصاروا أخيارا، و على أىّ حال يكون الخير فيهم مستندا إليهم و مأخوذا منهم عليهم السّلام. و تحقيق الحال يقتضـى بسـطا فى المقام، فنقول و عليه التوكل: الأخيار جمع خيّر و هو من اتصف بالخير، و هو بإطلاقه منصرف إلى الكامـل أو الأـعم منه و من المراتب النـازله له، فـالفرد الكامل منهم إذا كان مسـتندا إليهم عليهم السّـلام و هم دعائمه فباقى المراتب بالأولى. ثم إن الخيّر الكامل لا يكون إلّا مستندا إليهم فى جميع مظاهر الخير الذى

اتصف به، و المظاهر المتصوره للخير المطلق تكون أربعه: التوحيد النبوه و الإيمان و فيه الصفات الحميده و قبول الأعمال، ففى هذه الأمور يكون الولى بما هو ولى، أو الأولياء بما هم دعائمها. ثم إن هذه الأمور الأربعه يقع الكلام فيها من جهتين: الأولى: فى بيان علمها بحيث تظهر حقائقها على ما هى عليه فى الواقع. و الثانيه: فى بيان تحقق حقائقها و كيفيه الاتصاف و الاشتمال بها. أما الأولى: فيبيّنها بأجمعها الأحاديث الوارده عنهم فى كل موضوع منها، بحيث تتبين لنا حقائقها علما على ما هى عليها، و هى مذكوره فى كل باب متعلق بأحدها، و لكن نحن نذكر أحاديث بنحو الاجمال أن علم ذلك إنما هو عندهم عليهم السّلام فلا بد من تلقيه منهم فقط.

[فى بيان تحقق تلك المعانى و كيفيه الاتصاف بها]

اشاره

و أما الثانيه: أعنى بيان تحقق تلك الحقائق، و كيفيه الاتصاف بها، فنذكرها واحدا واحدا، فهيهنا مقامان:

الأول: فى بيان أن علم تلك الأمور عندهم عليهم السّلام فقط،

و أن علم كل أحد فيها إنما هو صادر منهم، فهم دعائم علم الأخيار فى علوم تلك الأمور الأربعه. و الثانى: فى بيان تحقق تلك الأمور فى أحد، و أنها منهم و هم دعائمها فنقول: أما المقام الأول: أن علم تلك الأمور عندهم عليهم السّلام فقط قد علمت سابقا أن مستقى العلم عندهم عليهم السّلام كما تقدم الحديث عن الكافى عن صاحب الديلم.

و فيه أيضا بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب، و لا أحد من الناس يقضى بقضاء حق إلّا ما خرج منا أهل البيت، و إذا تشعبّت بهم الأمور كان الخطأ منهم و الصواب من على عليه السّلام» . أقول: و حيث إن جميع العلوم فى جميع الأمور عندهم،

قال أمير المؤمنين عليه السّلام على ما صحّ عنه عند الفريقين من قوله عليه السّلام: «سلونى قبل أن تفقدونى» .

و فیه بإسناده عن أبی مریم قال: قال أبو جعفر علیه السّلام لسلمه بن کهیل، و الحکم بن عتیبه: «شرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحیحا إلّا شیئا خرج من عندنا أهل البیت» .

و فی بصائر الدرجات و غیره بإسناده عن الأصبغ بن نباته قال: کنت عند أمیر المؤمنین علیه السّلام جالسا فجاءه رجل فقال له: یا أمیر المؤمنین وَ عَلَی اَلْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ یَعْرِفُونَ کُلاًّ بِسِیمٰاهُمْ (1)؟ فقال له: «نحن علی الأعراف، نحن نعرف أنصارنا بسیماهم، و نحن الأعراف الذی لا یعرف اللّه إلّا بسبیل معرفتنا، و نحن الأعراف نوقف یوم القیامه بین الجنه و النار، فلا یدخل الجنه إلّا من عرفنا و عرفناه، و لا یدخل النار إلّا من أنکرنا و أنکرناه، و ذلک بأن اللّه تبارک و تعالی لو شاء لعرف الناس نفسه حتی یعرفوه و یوحدوه، و یأتوه من باب، و لکنا جعلنا أبوابه و صراطه و سبیله و بابه الذی یؤتی منه» .

و فیه بإسناده عن أبی حمزه الثمالی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه عز و جل: وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ (2)قال: «هو و اللّه علی علیه السّلام المیزان و الصراط» . أقول: فعلم من هذه الأحادیث أن العلم و المعرفه باللّه تعالی، و لسایر أمور الدین إنما هو منهم علیهم السّلام فالأخیار بلحاظ العلم إنما هم أخیار، إذا کان علمهم عنهم علیهم السّلام فهم دعائمهم فی علم ذلک (3).

و أما المقام الثانی [فی بیان تحقق تلک الأمور فی أحد، و أنها منهم و هم دعائمها] :

أعنی بیان أن تحقق تلک الأمور الأربعه من التوحید و النبوه و الإیمان و ما له من الصفات الحمیده و قبول الأعمال، التی بها تحقق کونهم أخیارا، إنما یکون منهم علیهم السّلام و هم دعائمها بحیث لا یتحقق فی أحد إلّا بهم فیتضح فی

۱- ۱) الأعراف:۴۶.

۲- ۲) الأنعام:۱۵۳.

۳- ۳) و تقدم ما یدل علی هذا بل و ما یوضحه فراجع.

أمور أربعه: الأول: فى أن التوحيد الوجدانى و الحضورى لكل أحد إنما هو بهم عليهم السّلام فبيانه أن للتوحيد مراتب: توحيد الذات. توحيد صفاته تعالى. توحيد الأفعال، فنقول: لا ريب فى أن البرهان العلمى بحيث يحصل التصديق بهذه، إنما هى بما صدر منهم عليهم السّلام فى بيانه كما علمت، و قد شرحه العلماء مفصلا فى كتب الكلام. و إنما المقصود هنا بيان أن وجدان هذه الأمور لأحد إنما هو بهم عليه السّلام و منهم و إليهم. و حاصله: أنه قد علمت ما

فى الكافى عن الصادق عليه السّلام فى حديث معاويه بن عمار عنه من قوله عليه السّلام: «نحن و اللّه الأسماء الحسنى، التى لا يقبل اللّه من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا» ، و علمت أنه تعالى إنما يعرف نفسه بأسمائه، فأسماؤه التى ترجع إلى صفاته تعالى كما تقدم هى ذواتهم المقدسه، التى هى مظاهر وحدانيته تعالى، و علمت أن الولايه باطن النبوه، و هى مظهر التوحيد و الوحدانيه، حيث إن ولايتهم ولايه اللّه كما صرح به فى كثير من الأخبار. و من أصرحها و أدلها على ذلك ما

فى الكافى بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تعالى: هُنالِكَ اَلْوَلايَةُ لِلّهِ اَلْحَقِّ (1)قال: «ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام» . فإنه عليه السّلام بين أن ولايه اللّه هى ولايه على عليه السّلام و لا ريب فى أنه تعالى بولايته يفعل ما يشاء فى الخلق الذى منه تعرّفه لعباده، فتعرّفه لهم إنما هو بعلى أمير المؤمنين عليه السّلام.

ص: ۳۶

۱- ۱) الكهف:۴۴.

و تقدم

قول الحجّه عليه السّلام فى دعاء رجب:

«فجعلتهم معادن لكلماتك، و أركانا لتوحيدك و آياتك و مقاماتك، التى لا تعطيل لها فى كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك و خلقك فتقها و رتقها بيدك» ، إلى قوله عليه السّلام: «فبهم ملأت سماءك و أرضك حتى ظهر أن لا إله إلاّ أنت» ، الدعاء.

فقوله «عج» : «يعرفك بها من عرفك» ،

و قوله «عج» : «لا فرق بينك و بينها» . . إلخ، ظاهر فيما قلنا من أنهم منشأ المعرفه و أصلها فى المظاهر، و أنهم عليه السّلام مظاهر التوحيد خصوصا

قوله عليه السّلام: «حتى ظهر أن لا اله إلاّ أنت» . و من المعلوم أن كل موحد فى كل مكان و زمان، إنما يكون توحيده منهم، و مما منحوه له حيث إنهم عليهم السّلام بما هم أركان التوحيد، و لا تعطيل لهم فى كل مكان، فلا محاله لا ظهور للتوحيد فى أحد إلاّ بهم عليه السّلام و هذا هو المقصود من كونهم دعائم توحيد الأخيار. و لعل إلى هذا كله يشير

قول على عليه السّلام فيما تقدم: «لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل معرفتنا» ، حيث إنه عليه السّلام انحصرت معرفته تعالى بسبيل معرفتهم و طريقهم الواقعى لذلك، فتأمل. و إليه يشير قول الحجه «عج» كما

فى تفسير نور الثقلين عن الخرائج و الجرائح عن القائم «عج» حديث طويل فيه يقول لكامل بن إبراهيم المدنى: «و جئت تسأل من مقاله المفوضه كذبوا، بل قلوبنا أوعيه لمشيه اللّه عز و جل، فإذا شاء شئنا و اللّه يقول: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ » . فيعلم منه أن قلوبهم عليهم السّلام أوعيه مشيته تعالى، و من المعلوم أن ظهور التوحيد لأحد إنما هو بمشيته تعالى و هى لا تكون إلاّ فيهم عليهم السّلام. و كيف كان فحقيقه التوحيد هو تنزيهه تعالى عن الشريک فى ذاته و صفته و فعله و عبادته، و لا تكون إلاّ بما بينوه و أسّسوه، و دلّوا عليه بذواتهم المقدسه دلاله موصله للمطلوب.

ففی الکـافی عن أبی الحسن موسـی علیه السّـلام قال: قال أبو عبـد اللّه علیه السّـلام: «إن اللّه تعالی خلقنا فأحسن خلقنا، و صورنا فأحسن صورتنا، و جعلنا خزّانه فی سـمائه و أرضه و لنا نطقت الشجر و بعبادتنا عبد اللّه، و لولانا ما عبد اللّه» . فبهم علیهم السّلام عبـد اللّه بحیث لولاهـم مـا عبـد اللّه. فهم علیهم السّـلام أرکـان التوحیـد و سبیله، و بـابه الـذی یؤتی منه، أی من ولایتهم، و هم المعلنون و الواصـفون للخلق التوحیـد بما لهم من الولایه الإلهیه. و من المعلوم أن الشـیء لا یتقوم إلاّ بأرکانه. و إلی جمیع هـذه یشیر قوله تعالی: سَنُرِیهِمْ آیٰاتِنٰا فِی اَلْآفٰاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ (۱).

ففی تفسیر البرهان بإسناده عن عبد اللّه بن بکر الأرجانی عن أبی عبد اللّه علیه السّـلام فی حدیث قال: یقول اللّه: سَنُرِیهِمْ آیٰاتِنٰا فِی اَلْآفٰاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ «فأیّ آیه فی الآفاق غیرنا أراها اللّه أهل الآفاق؟ !» . فالتوحید الذی أشیر إلیه بقوله تعالی: حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ إنما هو بإراءته تعالی آیاته فی الأنفس لکی یظهر ذلک.

فقوله علیه السّلام: «فأیّ آیه غیرنا» إلخ، معناه: أنه أیّ آیه تکون غیرنا سببا لظهور التوحید و الحق للخلق، فهم حینئذ تلک الآیات التی بها تبین الحق، فهم علیهم السّلام محتاجون إلیه تعالی، و من دونهم یحتاج إلیهم فی کل شیء بما أغناهم اللّه من نفسه، فهم مظاهر غنـاه تعـالی و منشأ الألطـاف. فظهر أنهـم علیـه السّـلام دعـائم توحیـد الأخیـار، أعنی التوحیـد الظهـوری و الوجـودی و الحضوری. و مجمل القول: أنه لا یظهر التوحید إلاّ فی الروح المجرد الفانی عن حدوده الواله فی خالقه، و هذا لا یکون إلاّ فیهم علیه السّلام. و من اتصف بهذه الصفات ترشح من نور

۱- ۱) فصّلت:۵۳.

توحیـدهم فیه. و بمـا هم علیهم السّـلام أقرب الموجودات إلیه تعالی أزلا و فعلا و أبـدا، فهم السابقون المقربون، و ما سواهم فی دون مرتبتهم، فلا یکاد یظهر فی أحـد التوحیـد إلاّ منهم علیهم السّـلام لمکان القرب و الأقـدمیه فی الوجود. هذا قطره من بعض علوم التوحید و نسأل اللّه تعالی بهم علیهم السّـلام أن یمنحونا من أنوار توحیدهم و معارفهم. و لهذا الکلام توضیح لا یکتب بل یبیّن بلسان الحال و الأنس من أهله عنـد أهله، خـذه و اکتمه و اغتنم و اللّه الهادی. و أما النبوّه: فقـد تقـدم أن باطنها الولایه فهی قـائمه بهـا، فالولایه التی هی باطن النبوه، هی منشأ إرسال الرسل کلّهم، و هی أولا و بالـذات له تعالی، قال تعالی: هُنٰالِکَ اَلْوَلاٰیَهُ لِلّٰهِ اَلْحَقِّ . و مظهر هـذه الولایه هو الأولیـاء، فأول المظاهر قلب النبی الأعظم الـذی فیه ذلک التجلی الأعظم، ثم انتقل إلی الأئمه علیهم السّلام فولایه النبی و الأئمه علیهم السّلام مظاهر لولایته تعالی. و إلیه تشیر أحادیث کثیره من

قوله علیه السّلام کما فی بصائر الدرجات و غیره: ولایتنا ولایه اللّه.

ففی بصائر الدرجات بإسـناده إلی أبی بصیر قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «ولایتنا ولایه اللّه، التی لم یبعث اللّه نبیا قط إلاّ بها» ، و مثله غیره. فهم علیهم السّلام مظاهر ولایه اللّه فی الخلق، فعن هذه الولایه الظاهره أرسل الرسل، و بعث الأنبیاء

کما روی عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «بعثت علی الأنبیاء فی الأظله» . و تقدم

عن المفضـل عن الصـادق علیه السّـلام أنه قـال: «أ مـا علمت أنه تعالی بعث محمـدا صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و هو روح إلی الأنبیاء، و هم أرواح، فدعاهم إلی توحیده. کیف و قد علمت: أن قلوبهم (أی أرواحهم المقدسه) أوعیه لمشیه اللّه تعالی،

و معلوم أن كل شـیء (منها إرسال الرسل) یكون بالمشیه كما لا یخفی، هذا و قال اللّه تعالی: وَ لَهُ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلیٰ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَكِیمُ (۱)»

فعن عیون الأخبار بإسناده إلی یاسر الخادم عن أبی الحسن علی بن موسی الرضا علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعلی علیه السّلام: «یا علی أنت حجّه اللّه، و أنت باب اللّه، و أنت الطریق إلی اللّه، و أنت النبأ العظیم، و أنت الصراط المستقیم، و أنت المثل الأعلی» .

و عن عبد اللّه بن عباس قال: قام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فینا خطیبا، فقال فی آخر خطبته: «نحن كلمه التقوی، و سبیل الهدی، و المثل الأعلی، و الحجه العظمی، و العروه الوثقی» ، الخطبه. و معلوم أن المثل الأعلی من یكون جمیع أفعاله تعالی فی الخلق قائما به، و مبینا لأفعاله تعالی مطلقا كما هو شأن المثل (بالتحریک) . فتحصل أن نبوه الأنبیاء تكون من ولایه النبی و الأئمه علیهم السّلام فهم دعائم الأنبیاء فی نبوّتهم، و هی مأخوذه و مستنده إلیهم علیهم السّلام كما لا یخفی. و أما الإیمان فإن له حقیقه تستقر فی قلب المؤمن، و هو منه تعالی یكون فی القلب، قال اللّه تعالی: أُولٰئِکَ كَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ اَلْإِیمٰانَ وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ .

فعن محاسن البرقی بإسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «الإیمان فی القلب و الیقین خطرات» . و من المعلوم أن نور الإیمان إنما هو من الإمام علیه السّلام كما علمت

فی حدیث أبی خالد الكابلی من قوله علیه السّلام: «و هم و اللّه ینورون قلوب المؤمنین» ، الحدیث. فالإیمان إذا كان فی القلب، فلا محاله یؤثر فی الصفات و العمل الجوارحی، كما سیجیء تحقیقه مفصلا فی أبواب الإیمان. و كیف كان فالأئمه علیهم السّلام دعائم إیمان الأخیار، أی أن إیمانهم منهم علیهم السّلام فهم أصله،

۱- ۱) الروم:۲۷.

و أمّا لأنّ متعلق الإيمان سواء كان هو اللّه تعالى أو الرسول أو الأئمه عليهم السّلام فإنما هو ببيانهم عليهم السّلام و أنهم متعلق ذلك. و من المعلوم أن متعلق الشىء و مستقره الحقيقى كالأصل له، و أما قبول الأعمال فسيجىء فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و بموالاتكم تقبل الطاعه المفترضه»

، إن الأعمال لا تقبل إلّا بولايتهم و هى شرط القبول. و من المعلوم أن الشرط عماد المشروط، و سيجىء بيانه و تحقيقه، إلّا أنا نذكر حديثا هنا يظهر به أصل المطلب.

ففيما أوحى اللّه تعالى إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليله المعراج أن قال: «يا محمّد و عزتى و جلالى، لو أن عبدا عبدنى حتى ينقطع، و يصير كالشن البالى، ثم أتانى جاحدا لولايتهم، لم أدخله جنتى و لا أظلّه تحت عرشى» ، الحديث. و سيأتى بتمامه مع غيره إن شاء اللّه تعالى.

قوله عليه السّلام: و ساسه العباد.

اشاره

فى المجمع: سست الرعيه سياسه أمرتها و نهيتها، و ساس زيد سياسه أمر و قام بأمره من السياسه، و هو القيام على الشىء بما يصلحه، و ساسه جمع سائس أى القائم على الشىء بما يصلحه، و المدبّر لأموره، و المربى له على كمال ما ينبغى. و فيه: و العباد فى الحديث و القرآن جمع عبد و هو خلاف الحر، و العبيد مثله، و يجمع أيضا على أعبد و عبيد و عباد، إلى أن قال: و العباده بحسب الاصطلاح هى المواظبه على فعل المأمور به، و الفاعل عابد، و الجمع عباد و عبده. أقول: و أكثر ما يستعمل العباد جمعا للعابد من العباده، و أما العبيد فأكثر موارد استعماله فى المماليك. و أما العباد فيستعمل فى المعنيين و هو و إن كان بمعنى خلاف الحر كما قيل إلّا أن المراد منه هنا العموم.

و لعلّه بلحاظ أن الجميع مملوک له تعالی، أو یراد منه من أقر بالعبودیه اعتناء بهم دون غیرهم. و کیف کان فهم علیهم السّلام ساسه الخلق أجمع، فهیهنا مقامان:

المقام الأول [فی معنی العبد] :

اعلم أن العبد له معنیان، أحدهما: المعنی المصطلح الشرعی و هو ما أشار إلیه الصادق علیه السّلام کما

فی مصباح الشریعه باب ۱۰۰، و حروف العبد ثلاثه ع ب د، فالعین علمه باللّه و الباء بونه عمّن سواه و الدال دنو من اللّه تعالی بلا کیف و حجاب، الحدیث. و من المعلوم أن هذه الدلاله اصطلاح منه علیه السّلام و هذا فی الحقیقه أیضا أمر عرضی کما لا یخفی. و کیف کان فالعبد بهذا المعنی مأخوذ من العباده، ثم إن العبد و جمعه إذا نسب الیه تعالی فقیل: عبد اللّه و عباد اللّه، فلا شبهه لأحد فی أن المراد منه حینئذ عبد رقّ، و عبد طاعه، و عبد عباده أی من لا یملک لنفسه ضرّا و لا نفعا و لا موتا و لا حیوه و لا نشورا. و من زعم غیر هذا حتی بالنسبه إلی الأنبیاء و الأوصیاء علیهم السّلام فهو مشرک کافر کفر الجاهلیه الأولی، کما قیل فی حق عیسی علیه السّلام و ردّهم اللّه تعالی بقوله: لَنْ یَسْتَنْکِفَ اَلْمَسِیحُ أَنْ یَکُونَ عَبْداً لِلّهِ وَ لاَ اَلْمَلاٰئِکَهُ اَلْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ یَسْتَنْکِفْ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ یَسْتَکْبِرْ فَسَیَحْشُرُهُمْ إِلَیْهِ جَمِیعاً (۱). ثم إن هنا کلاما فی کیفیه کون العبد مخلوقا له تعالی من حیث الوجود و الماهیه و الخلق، و تأثیر المشیه فیه، فقد اضطربت کلمات الأصحاب فی بیانه، و نحن نترکها خوفا من عدم إصابه الحق فیه، بل نتبع ظاهر الشرع، و نسأل اللّه تعالی التوفیق و الهدایه إلی الحق، فهو الهادی إلی الحق المبین. و إذا نسب إلیهم علیهم السّلام کما

فی بعض الزیارات:

«عبدک و ابن عبدک»

یحتمل أن

۱- ۱) النساء:۱۷۲.

یکون هذا هو المراد من هذه الفقره. «و ساسه العباد» أی ساسه عبیدهم الذین تجب علیهم طاعتهم علیهم السّلام. فنقول: المحتمل لکوننا عبیدا لهم ثلاثه: الأول: عبد طاعه و هذا مما لا خلاف فیه لأحد من الإمامیه لقوله تعالی: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اَللّٰهِ وَ اَلرَّسُولِ (۱).

ففی تفسیر نور الثقلین عن احتجاج الطبرسی قدّس سرّه عن الحسین بن علی علیهما السّلام له خطبه طویله و فیها: «و أطیعونا فإن طاعتنا مفروضه، إذ کانت بطاعه اللّه و رسوله مقرونه، قال اللّه عز و جل: أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اَللّٰهِ وَ اَلرَّسُولِ و قال: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی اَلرَّسُولِ وَ إِلیٰ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ اَلَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ اَلشَّیْطٰانَ إِلاّٰ قَلِیلاً (۲)» . و مثله أحادیث کثیره فی بیان تفسیر هذه الآیه، فإنها تدل علی وجوب طاعتهم کوجوب طاعه اللّه و رسوله، و لا نعنی بعبید الطاعه إلاّ هذا. الثانی: کوننا عبید رقّ لهم فیجری منهم علیهم السّلام علینا أحکام العبید مطلقا، و هذا مما وقع النزاع فیه. فذهب بعضهم إلی أنه ممنوع منه حتی أن بعضهم قال: لا یجب طاعه الإمام فیما یخالف حکمه (أی حکم الإمام) فی الشرع، فلو أراد أن یصلی علی المیت، و له وصی فی ذلک، أو ولی، و لم یأذن الوصی أو الولی له لم یجز له علیه السّلام التقدم فی الصلوه بدون إذنه، بدعوی أن کونهم أولی بالمؤمنین من أنفسهم کما سیأتی، إنما هو یدل علی وجوب الطاعه لهم فی الأحکام الشرعیه، و ما یرتبط بها کالجهاد و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر مما یتعلق بمصالحهم.

۱- ۱) النساء:۵۹.

۲- ۲) النساء:۸۳.

و هـذا كلام فاسد و خطأ فاحش لا يلتفت إليه، و الوجه فيه هو ما ذهب إليه كثير من أهل العلم و المعرفه من أنهم عليهم السّلام كما دلّ عليه النقل و العقل أولى بالمؤمنين من أنفسهم بالأولويه، التى كانت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يدل عليه قوله تعالى: اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (۱).

ففى تفسير البرهان محمد بن يعقوب بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْوٰاجُهُ أُمَّهٰاتُهُمْ وَ أُولُوا اَلْأَرْحٰامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتٰابِ اَللّٰهِ (۲). فقال: «نزلت فى الامره إن هذه الآيه جرت فى ولد الحسين عليه السّلام من بعده، فنحن أولى بالأمر و برسول اللّه من المؤمنين و المهاجرين و الأنصار» ، الحديث.

و فيه، عن على بن إبراهيم فى قوله تعالى: اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْوٰاجُهُ أُمَّهٰاتُهُمْ قال: «نزلت و هو أب لهم، و معنى أزواجه أمهاتهم، فجعل اللّه المؤمنين أولاد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جعله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أبا لهم، ثم لمن لم يقدر أن يصون نفسه، و لم يكن له مال، و ليس له على نفسه ولايه، فجعل اللّه تبارك و تعالى لنبيّه الولايه بالمؤمنين من أنفسهم و هو قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بغدير خم: يا أيها الناس أ لست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، ثم أوجب لأمير المؤمنين عليه السّلام ما أوجبه لنفسه عليهم من الولايه فقال: ألا من كنت مولاه فعلى مولاه» ، الحديث. فدلّت هذه الأحاديث على أولويتهم عليهم السّلام بالأمر من غيرهم فى جميع الأمور

و ورد عن على عليه السّلام قوله: «نحن صنائع ربنا و الخلق بعد صنائع لنا» .

و فى البحار (۳)فى بيان التوقيعات الوارده عنه «عج» و فيها: «نحن صنايع ربنا و الخلق بعد صنائعنا» .

۱- ۱) الأحزاب:۶.

۲- ۲) الأحزاب:۶.

۳- ۳) البحار: ج ۵۳-ص ۱۷۸.

و لا يبعد أن يكون مفاده مفاد

قوله: «و الخلق صنايع لنا» فتأمل.

و قوله تعالى فى الحديث القدسى مخاطبا رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «خلقتك لأجلى، و خلقت الأشياء لأجلك» ، فإن اللام فيهما ظاهر فى الملك بلحاظ الآثار، أى أن جميع آثارهم لك، كما أن آثار المملوك و منافعه لمولاه. و قد يرد على هذا بأن ظاهر الأخبار عنهم يأباه، و هو

ما رواه فى الكافى بإسناده إلى محمد بن زيد الطبرى قال: كنت قائما على رأس الرضا عليه السّلام بخراسان، و عنده عده من بنى هاشم، و فيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العباسى فقال: «يا إسحاق بلغنى أن الناس يقولون: إنا نزعم أن الناس عبيد لنا، و قرابتى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما قلته قط، و لا سمعته من أحد من آبائى قاله، و لا بلغنى عن أحد من آبائى قاله، و لكن أقول: الناس عبيد لنا فى الطاعه موال لنا فى الدين فليبلغ الشاهد الغائب» . و ردّ بأنه محمول على التقيه لمكان إسحاق بن موسى العباسى، إذ لا يخفى على المتتبع بكلماتهم أنه يستفاد منه كوننا عبيد رقّ لهم، و لكنهم عليه السّلام لم يظهروا ذلك تقيه من أعدائهم، و من بعض مواليهم الذين لا كتمان لهم فى الحديث كما لا يخفى. و لعلّه إليه يشير اشتهار التسميه عند الشيعه الخلّص بعبد النبى و عبد العلى و عبد الحسين و غير ذلك من الأئمه عليهم السّلام و هكذا عبد الزهراء، فإن فيها تلويحا إلى أنهم عبد رقّ لهم.

و فى زياره الحسين عليه السّلام زياره وارث المشهوره:

«المقرّ بالرّق، و التارک للخلاف عليكم»

فهو صريح فيما قلنا، و لكن لا ينبغى الإظهار به مطلقا عند كل أحد. هذا و لكن التحقيق أن يقال: (فى معنى كوننا عبدا لهم و هو المعنى الثالث) أن الملک الحقيقى كما حقق فى محله، فإنما هو له تعالى، و أما فى غيره فهو اعتبار، لا معنى له إلّا ترتب آثار المملوكيه الاعتباريه من جواز التصرفات بالاستقلال. و أما الملک الحقيقى الثابت له تعالى فله آثار حقيقيه كما

فى قولهم عليهم السّلام فى الدعاء:

«أمسيت لک عبدا داخرا، لا أملک لنفسی نفعا و لا ضرا، و لا موتا و لا حیاه و لا نشورا» ،

و کما فی قولهم:

«بیدک زیادتی و نقصی»

، فان هذه و أمثالها من آثار الملک الحقیقی الثابت له تعالی. و من المعلوم أن صفه المالکیه له تعالی إنما هی تظهر فی محمد و آله المعصومین علیهم السّلام حیث علمت أنهم علیهم السّلام الأسماء الحسنی له تعالی، و معنی کونهم کذلک و مظهرا لها أن آثارها تترتب علی الممالیک بالنسبه إلیهم، فهم متصرفون فیهم بل و فی جمیع الموجودات. کیف و قد علمت ثبوت الولایه التکوینیه لهم علیهم السّلام بما لا مزید علیه، التی حقیقتها التصرف فیها بإذنه تعالی، و من آثارها إطاعه الموجودات لهم تکوینا، کما یظهر من معجزاتهم الباهره، التی تجاوزت حدّ الإحصاء، هذا ثابت لهم تکوینا. و أیضا ثبت لهم وجوب إطاعه الخلق لهم من الملائکه المقربین و الأنبیاء المرسلین و المؤمنین و غیرهم بنص من اللّه العزیز الحکیم، و أحادیث من سید المرسلین صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هذه الإطاعه هی الملک العظیم الثابت لهم علیهم السّلام.

ففی تفسیر البرهان بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ اَلْکِتابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً (۱)إلی أن قال: «الملک العظیم أن جعل فیهم جائزه من أطاعهم أطاع اللّه، و من عصاهم عصی اللّه فهو الملک العظیم» .

و فیه، ابن بابویه إلی أن قال: حضر الرضا علیه السّلام جماعه مجلس المأمون لعنه اللّه إلی أن قال علیه السّلام: وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً یعنی الطاعه للمصطفین الطاهرین، فالملک هیهنا الطاعه لهم» . و فی الأحادیث الأخر المرویه فیه فسّر الملک بقوله علیه السّلام الطاعه المفروضه.

و فیه بإسناد عن برید العجلی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام. . إلی أن قال علیه السّلام: أَمْ لَهُمْ نَصِیبٌ مِنَ اَلْمُلْکِ (۲)، یعنی الإمامه و الخلافه فهم علیه السّلام المطاعون فی الخلق.

۱- ۱) النساء:۵۴.

۲- ۲) النساء:۵۳.

و لا ريب فى أن وجوب الطاعه لما كان كونهم مظهرا لمالكيته تعالى للخلق، فهم بلحاظ هذه المظهريه ثبت لهم وجوب الطاعه تشريعا، و لهم تلك الطاعه تكوينا كما علمت. إذا علمت هذا عرفت أنّا عبيد لهم فى مثل هذه الأمور، أى لهم المالكيه الحقيقيه الثابته له تعالى علينا، بما هم مظاهرها و بيدهم ترتيب آثارها. و لعمرى إن هذا فوق المالكيه العرفيه، التى يعبر عن المملوك بعبد رقّ، فان المالك لعبد رقّ لا يملك إلا جواز التصرفات الثابته له من الشرع، و أين هذا من ثبوت وجوب الإطاعه بنحو إطاعته تعالى، و ثبوت التصرفات التكوينيه فى العبيد إذا شاءوا بأمره تعالى كما دلت عليه معجزاتهم الباهره. و إنما نفوا عليه السّلام كون الناس عبد رقّ لهم بلحاظ نفى آثار المالكيه الاعتباريه، و التوسعه لهم فى التصرفات، فلا تتوقف تصرفاتهم فى نفوسهم و أحوالهم و أولادهم على إذنهم عليه السّلام لهم، و لا معنى لكون أحد عبد رقّ إلاّ هذه المملوكيه الاعتباريه بلحاظ الآثار. فهذا المعنى و ما له من الآثار فى جنب كون الخلق مورد التصرفاتهم التكوينيه، و آمريتهم التشريعيه أمر حقير لا يعتنى به. فالمهم هو ما ذكرنا من ثبوت الولايه التكوينيه و التشريعيه لهم عليه السّلام و وجوب الإطاعه لهم، و هم عليه السّلام لعلو مقامهم لم يعتنوا بهذه الأمور، بل جعلوا الناس فى التوسعه كما لا يخفى. و حيث علمت أن هذا المنصب و المقام ثابت لهم منه تعالى و هم مظاهره، فلا محاله لا يعملون هذه القدره و الولايه إلاّ فيما أذن اللّه لهم كما ورد عنهم عليه السّلام: أنهم المقصودون من قوله تعالى: عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ .

و قال الصادق عليه السّلام فى حديث كميت: «إن اللّه أقدرنا على ما نريد، و لا حول و لا

قوه إلاّ باللّه العلى العظيم» ، أى نحن مقتدرون به تعالى، و لا حول لنا و لا قوه إلاّ به تعالى. فثبت انا عبيد لهم فى الطاعه، و لهم علينا أعمال القدره كيف شاءوا بأمره تعالى. و هذه المملوكيه فوق مملوكيه الرقيه و إن كانت منفيه للتوسعه كما علمت، و ليس فوقها إلاّ عبد العباده، فنحن عباد اللّه تعالى فى العباده و لا نشرک به أحدا، و عبيد للأئمه عليهم السّلام أى تجب علينا طاعتهم، و لهم التصرف فينا تكوينا كيف شاءوا باذنه تعالى، فلو أمر عليه السّلام بأن نقتل أنفسنا فى الجهاد دونه لكان واجبا علينا ذلک بنصّ من القرآن و الحديث، فكيف بما دون إتلاف النفس من إتلاف الأولاد و الأموال و نحوها، فتأمل تعرف. و هنا أحاديث ربما يستفاد منها كوننا عبد رقّ لهم عليهم السّلام فى الواقع، و لكن لمكان التقيه كما علمت لم يظهروا ذلک، بل أخفوه حفظا لشيعتهم.

فعن الصادق عليه السّلام أنه قال: «رحم اللّه شيعتنا أوذوا فينا و لم نؤذ فيهم، شيعتنا منا، و قد خلقوا من فاضل طينتنا، و عجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمه، و رضينا بهم شيعه، يصيبهم مصابنا و تبكيهم أوصابنا، و يحزنهم حزننا، و يسرهم سرورنا» . و نحن أيضا نتألم لتألمهم، و نطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا، و نحن لا نفارقهم، لأن مرجع العبد إلى سيده، و معلوله على مولاه، فهم يهجرون من عادانا، و يجهرون بمدح من والانا، و يباعدون من ناوانا. «اللهم أحى شيعتنا فى دولتنا، و أبقهم فى ملكنا و مملكتنا، اللهم إن شيعتنا منا، مضافين إلينا، فمن ذكر مصابنا، و بكى لأجلنا استحى اللّه أن يعذبه بالنار» الحديث.

فقوله عليه السّلام: «لأن مرجع البدء إلى سيده» معوّله على مولاه ظاهر فيما قلنا (و اللّه العالم) . هذا و أنا أقول و أعترف: «بأنى عبد رق لهم، لا أملک فى قبالهم لنفسى نفعا و لا ضرّا و لا موتا و لا حياه و لا نشورا» .

و مع ذلک أنا (إن شاء اللّه) عبد اللّه و مملوکه، و ناصیتی بیده تعالی، یفعل بی ما یشاء رغما علی أنفی، و أنا (إن شاء اللّه) راض منه فیما فعل بی، أرجو منه الزلفی لدیه بولایتی لمحمد و آله الطاهرین (صلوات اللّه علیهم أجمعین) . و لعمری إن من اشتعل قلبه بنار محبتهم، فلذته إنما هی فی إفنائه نفسه فی طریق محبتهم، فلا یری لوجوده محلاّ بالنسبه إلیهم علیه السّلام فهو ذلیل حقیر فی علوّ مقامهم، و یری کونه عبد رق لهم فخرا لنفسه کما شوهد ذلک عن بعض الصحابه، و أین هذا الحال و إنکار کونه عبد رق لهم؟ ! . و لعله إنما نفوا کون الناس عبیدا لهم عبد رقّ، لعدم کون غالب الناس محبّا لهم بهذه المرتبه من المحبه، فالمحب یری نفسه أقل من عبد رق لهم. و أما غیره و إن کان واقعا کذلک إلاّ أنه لا یدرک له حتی یقال: إنک عبد رق لمولاک، فالأولی إخفاء هذا عنه، و جعله فی التوسعه کما علمت، و اللّه الهادی إلی الحقّ الحقیق.

المقام الثانی: فی معنی کونهم ساسه،

فنقول: قد علمت أن السائس هو القائم علی الشیء بما یصلحه، و المدبر لأموره، و المربی له علی ما ینبغی. فنقول: العباد یراد منه معناه العام من الملائکه و الإنسان سواء کان المراد منه عبد طاعه، أو عبد عباده للّه، أو عبد رقّ، أو عبد التذلیل، فإن العبد قد یکون بمعنی المعبد أی المذلل (بالفتح) ، لأن العباد قد ذلّلوا بالتکلیف الشاق، أو العبد المکرم کما أشیر إلیه فی قوله تعالی: وَ لَقَدْ کَرَّمْنٰا بَنِی آدَمَ (۱). ففی جمیع هذه الأمور حیث إنهم فقراء إلیه تعالی لقوله: یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ أَنْتُمُ اَلْفُقَرٰاءُ إِلَی اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ هُوَ اَلْغَنِیُّ اَلْحَمِیدُ (۲). و لا ریب فی أن الفقیر لا یملک لنفسه ضرّا و لا نفعا، و لا موتا و لا حیوه

۱- ۱) الإسراء:۷۰.

۲- ۲) فاطر:۱۵.

و لا نشورا كما علمت، فلا بد لهم من مدبر حكيم و سائس عليم، و هذه الصفات (أى صفه الحكمه و السياسه) له تعالى أولا و بالذات، إلّا أنه علمت مرارا أن محمدا و آله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مظاهر أتم لها فى الخلق فتجرى تلك الأمور بهم. فهم حينئذ ساسه العباد و الخلق سواء أ كان ملكا أم بشرا، فهم عليهم السّلام ساسه العباد، أى أنهم المعلمون طرق الرشاد، و كيفيه السلوك إليه تعالى، و الاقتصاد فى الأمور و التربيه لمن لا يعرف رشده لو لا السائس، حيث إن السائس يصلح المسوس و يرشده بالتدريج و التسهيل الطبيعى المطابق للحكمه بتسبيب أسباب التربيه، و تتميم القوابل الخلقيه بالمعالجه الحكميّه الإلهيه بحسب العلم و التعريف، و بحسب التدبير و التشريع و السلوك. و قد علمت أن هذه الصفات كلها له تعالى إلاّ أنهم عليه السّلام مظاهرها، و يعملون بها فى الخلق بإذنه تعالى و إلهامه لهم عليه السّلام فى جميع الموارد، قال اللّه تعالى فى حقهم: عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (١)و قال تعالى: يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ ارْتَضىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ (٢). و لعمرى إن هذه الآيات تعطى و تدل على أن اللّه خلقهم على ما وضعهم، و حيث إنهم بهذه المكانه من الواجديّه و العبوديه له تعالى، فصلحوا لأن يكونوا ساسه العباد بنحو مرضىّ له تعالى دون غيرهم. و هذا بالنسبه إلى الإنسان و الخلق فى عالم الوجود لا ريب فيه، و لذا وجبت طاعتهم علينا و التسليم لهم كما تقدم الحديث الدال عليه.

و فى الكافى بإسناده إلى أبى إسحاق النحوى قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فسمعته يقول: «إن اللّه عز و جل أدّب نبيه على محبته فقال: وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ

ص: ۵۰

۱- ۱) الأنبياء:۲۶-۲۷.

۲- ۲) الأنبياء:۲۸-۲۹.

عَظِيمٍ

(۱)

ثم فوض إليه فقال عز و جل: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۲)و قال عز و جل: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (۳). قال: ثم قال: و إن نبی اللّه فوّض إلی علی و ائتمنه فسلمتم و جحد الناس، فو اللّه لنحبّكم أن تقولوا إذا قلنا، و أن تصمتوا إذا صمتنا، و نحن فيما بينكم و بين اللّه عز و جل ما جعل اللّه لأحد خيرا فی خلاف أمرنا» .

و فيه أيضا بإسناده إلی عبد اللّه بن سنان قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «لا، و اللّه ما فوض اللّه إلی أحد إلاّ إلی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و إلی الأئمه، قال عز و جل: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ اَلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاكَ اَللّٰهُ (۴)و هی جاريّه فی الأوصياء صلّی اللّه عليه و آله و سلّم. و كيف كان فلهم سياسه الخلق لتأدّبهم بآداب اللّه بعد إحاطتهم بمواليد الخلق بدوا و بقاء، فهم يعلمون مصالح العباد فيصلحونهم آنا فآنا فی جميع شئونهم. و ليعلم أن هذا ليس من التفويض المستلزم لعزل اللّه تعالی نفسه عن أمور الخلق، كما سيجیء فی تحقيق التفويض إليهم، بل إنما هو لكونهم فی مقام حدّ الوجوب و الإمكان، فيتلقون منه تعالی شيئا فشيئا دون الخلق فيسوسون بما يتلقونه الخلق. هذا كله بالنسبه إلی الخلق و أما بالنسبه إلی خصوص الملائكه:

فعن جامع الأخبار (۵)، للصدوق رضی اللّه عنه بإسناد عن جابر بن عبد اللّه الأنصاری قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «إن اللّه خلقنی، و خلق عليا و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم من نور، فعصر ذلك النور عصره، فخرج منه شيعتنا،

۱- ۱) القلم:۴.

۲- ۲) الحشر:۷.

۳- ۳) النساء:۸۰.

۴- ۴) النساء:۱۰۵.

۵- ۵) جامع الأخبار ص ۹.

فسبحنا فسبحوا، و قدسنا فقدسوا، و هلّلنا فهلّلوا، و مجدنا فمجدوا، و وحدنا فوحّدوا. ثم خلق اللّه السموات و الأرض و خلق الملائكه، فمكثت الملائكه مائه عام، لا تعرف تسبيحا و لا تقديسا و لا تمجيدا، فسبحنا و سبّحت شيعتنا فسبّحت الملائكه لتسبيحنا، و قدّسنا فقدّست شيعتنا، فقدّست الملائكه لتقديسنا، و مجدّنا فمجدّت شيعتنا فمجدّت الملائكه لا تعرف تسبيحا و لا تقديسا إلّا من قبل تسبيحنا و تسبيح شيعتنا، فنحن الموحدون حين لا موحد غيرنا، و حقيق على اللّه تعالى كما اختصنا، و اختصّ شيعتنا أن ينزّلنا أعلى عليين، أن اللّه سبحانه و تعالى اصطفانا و اصطفا شيعتنا من قبل أن نكون أجساما، فدعانا و أجبنا، فغفر لنا و لشيعتنا من قبل أن نستغفر اللّه» .

و عن إرشاد القلوب بإسناده إلى محمد بن زياد قال: سأل ابن مهران عبد اللّه بن عباس عن تفسير قوله تعالى: وَ إِنّٰا لَنَحْنُ اَلصَّافُّونَ. وَ إِنّٰا لَنَحْنُ اَلْمُسَبِّحُونَ (1). قال: كنا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأقبل على بن أبى طالب عليه السّلام فلما رآه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تبسّم فى وجهه و قال: «مرحبا بمن خلقه اللّه قبل أبيه آدم بأربعين ألف عام» فقلت: يا رسول اللّه أ كان الابن قبل الأب؟ فقال: نعم إن اللّه تعالى خلقنى و خلق عليا قبل أن يخلق آدم بهذه المده، خلق نورا قسّمه نصفين، فخلقنى من نصفه، و خلق عليا من النصف الآخر قبل الأشياء، فنورها من نورى و نور على، ثم جعلنا عن يمين العرش. ثم خلق الملائكه، فسبّحنا و سبّحت الملائكه، فهلّلنا فهلّلت الملائكه، و كبرنا فكبرت الملائكه، و كان ذلك من تعليمى و تعليم على، و كان ذلك فى علم اللّه السابق أن الملائكه تتعلّم منّا التسبيح و التهليل، و كل شىء يسبّح اللّه و يكبّره و يهلله بتعليمى و تعليم على، و كان فى علم اللّه السابق أن لا يدخل النار محبّ لى و لعلى،

1- 1) الصافات:166.

و كذا كان فى علمه أن لا يدخل الجنه مبغض لى و لعلى. ألا و إن اللّه تعالى خلق الملائكه بأيديهم أباريق اللجين مملوه من ماء الجنه من الفردوس، فما أحد من شيعه على إلاّ و هو طاهر الوالدين تقى نقى آمن مؤمن باللّه، فإذا أراد أبو أحدهم أن يواقع أهله، جاء ملك من الملائكه الذين بأيديهم أباريق الجنه، فقطّر من ذلك الماء فى إنائه الذى يشرب به، فيشرب هو ذلك الماء، و ينبت الإيمان فى قلبه كما ينبت الزرع، فهم على بينه من ربّهم و من نبيهم، و من وصيّى على، و من ابنتى فاطمه الزهراء، ثم الحسن و ثم الحسين و الأئمه من ولد الحسين. قلت: يا رسول اللّه و من هم؟ قال: أحد عشر منّى أبوهم على بن أبى طالب عليه السّلام ثم قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الحمد للّه الذى جعل محبه على و الإيمان سببين» .

فقوله عليه السّلام فى حديث جابر: «فسبحنا فسبّحوا» ،

و قوله عليه السّلام: «فسبحنا، و سبحت شيعتنا، فسبحت الملائكه» ،

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث ابن عباس: «و كان ذلك من تعليمى و تعليم على، و كان ذلك فى علم اللّه السابق أن الملائكه تتعلّم منّا التسبيح و التهليل» .

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «و كل يسبح اللّه و يكبره و يهلله بتعليمى و تعليم على عليه السّلام» و هذا ظاهر فى أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على عليه السّلام علّموا الخلق و الملائكه، و كلّ شىء أن يكبر اللّه و يهلله. و من المعلوم أن هذا التعليم هو الذى أوقف الملائكه على التسبيح و التهليل على ما هم عليه من المقام المعلوم لكل واحد منهم فى مقام العبوديه و مقام التدبير فى الخلق. ففى الحقيقه إنما وقف كلّ على مرتبته و وظيفته بتعليم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الوصى عليه السّلام و هذا هو حقيقه السياسه الإلهيه الظاهره فى الخلق و الملائكه كما لا يخفى. هذا و قد ظهر مما تقدم ثبوت الولايه التكوينيه لهم فى الخلق مطلقا، و هو معنى جامع يشمل سياستهم للخلق بتلك الولايه و التدبير كما علمته مفصلا و الحمد للّه ربّ العالمين.

ص :۵۳

قوله عليه السّلام: و أركان البلاد

و فى المجمع: و ركنت إلى زيد اعتمدت عليه. . إلى أن قال: و ركن الشىء جانبه و الجمع أركان. أقول: أى جانبه الذى يعتمد الشىء عليه، فالركن هو المعتمد. و عن القاموس: الركن (بالضم) الجانب الأقوى و الأمر العظيم، و ما يقوى به من ملك و جند و غيره. و فى المجمع: و البلد يذكر و يؤنث و الجمع بلدان، و البلده: البلد و الجمع بلاد مثل كلبه و كلاب. و تطلق البلده و البلاد على كل موضع من الأرض عامرا كان أو خلاء. و منه قوله تعالى: إِلىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ (١)أى إلى أرض ليس فيها نبات و لا مرعى. أقول: فالمعنى إنهم أركان البلاد أى المعتمد عليها. و المراد من البلاد أهلها، أو الأعم، و من نفسها العامره دون الخربه، أى أن البلاد فى الدنيا كلها أنفسها و أهلها بما لهما من الآثار تعتمد عليهم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بحيث لولاهم لانعدمت بأصولها و فروعها، و يدل على هذا عده من الأحاديث. منها ما

فى الكافى بإسناده عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: «و اللّه ما ترك اللّه أرضا منذ قبض اللّه آدم عليه السّلام إلّا و فيها إمام يهتدى به إلى اللّه، و هو حجته على عباده، و لا تبقى الأرض بغير إمام حجه اللّه على عباده» .

و فيه عن أبى حمزه قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت» . أقول: أى انخسف بأهلها و ذهبت بهم.

و فيه بإسناده عن أبى بصير عن أحدهما صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: قال: «إن اللّه لم يدع الأرض بغير عالم، و لو لا ذلك لم يعرف الحق من الباطل» .

ص: ۵۴

۱- ۱) فاطر:۹.

أقول: المراد من العالم الإمام عليه السّلام.

و فيه الاثنان عن الوشا قال: سألت الرضا عليه السّلام هل تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لا، قلت: إنا نروى أنها لا تبقى إلّا أن يسخط اللّه تعالى على العباد، قال: لا تبقى إذا لساخت» . قال المجلسى رضى اللّه عنه: أى ليس مراد أبى عبد اللّه عليه السّلام السخط الذى تبقى معه العباد فقال: لا تبقى إذا لساخت. قيل: إما حقيقه أو كنايه عن هلاك البشر و ذهاب نظامها. أقول: الظاهر هو الهلاك الحقيقى كما لا يخفى.

و فيه بإسناده عن مفضل بن عمر، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام. . إلى أن قال عليه السّلام: «و كذلك يجرى لأئمه الهدى واحدا بعد واحد، جعلهم اللّه أركان الأرض أن تميد بأهلها، و حجته البالغه على من فوق الأرض و من تحت الثرى» ، الحديث و قد تقدم بتمامه.

و فيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: فضّل أمير المؤمنين عليه السّلام. . إلى أن قال: «جعلهم اللّه أركان الأرض أن تميد بأهلها» ، و قد تقدم

قوله عليه السّلام: «أن تميد بأهلها، ظهار فى أن الحجه لولاه لمادت الأرض بأهلها» . و إليه يشير ما فيه

بإسناده عن أبى هراسه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «لو أن الإمام رفع من الأرض ساعه لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله» .

و عن تفسير الفرات الفضل بن يوسف القصبانى معنعنا عن أبى جعفر محمد بن على عليه السّلام قال: «لو أن الإمام رفع من الأرض ساعه لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله» .

و عن تفسير الفرات الفضل بن يوسف القصبانى معنعنا عن أبى جعفر محمد بن على عليه السّلام أنه قال: «أيها الناس إن أهل بيت نبيكم شرّفهم اللّه بكرامته، و أعزّهم بهداه، و اختصّهم لدينه، و فضّلهم بعلمه، و استحفظهم و أودعهم علمه على غيبه،

فهم عماد لدينه شهداء عليه و أوتاد فى أرضه قوّام بأمره» ، الحديث.

و فيه، عن جعفر بن محمد معنعنا عن المفضل بن عمر قال: أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا مفضل إن اللّه خلقنا من نوره، و خلق شيعتنا منا، و سائر الخلق فى النار، بنا يطاع اللّه، و بنا يعصى، يا مفضل سبقت عزيمه من اللّه انه لا يتقبل من أحد إلاّ بنا، فنحن باب اللّه و حجته، و أمناؤه على خلقه، و خزانه فى سمائه و أرضه، حللنا عن اللّه، و حرمنا عن اللّه، لا نحتجب عن اللّه إذا شئنا، و هو قوله تعالى: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ و هو قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إن اللّه جعل قلب وليه وكر إرادته، فإذا شاء اللّه شئنا» . أقول:

قوله: «و أوتاد فى أرضه قوام بأمره» ،

و قوله: «بنا يطاع اللّه و بنا يعصى»

و قوله: «فنحن باب اللّه» ، ظاهر فى أنهم عليهم السّلام المعتمدون للخلق فى جميع أمورهم، و بانضمام الأحاديث المتقدمه يظهر أنهم المعتمدون لأجساد الخلق و أجسامهم من الإنسان و الحيوانات و الأحجار غيرهم، إذ لو لا هم لساخت و لماجت بأهلها، فاستقرارها جسما و حالا، و إيمانا و يقينا و عباده و هكذا إلى جميع الشئون فى جميع أنحاء الخلق، إنما هو بهم عليه السّلام و هو معنى كونهم أركانا للبلاد. و الحاصل أن جميع ما سوى اللّه قوّام بهم عليه السّلام سواء كانوا ظاهرين فى تصدى الأمور أم لا. فإن هذه المنزله من شئون ولايتهم الإلهيه التكوينيه و التشريعيه سواء أ كانوا ظاهرين و مبسوطى اليد، أو مخفيين مستورين، أو مقهورين بظلم الأعداء كما لا يخفى. و هذا يظهر من الأدعيه الوارده فى مفرده الوتر

من قوله:

«أنت اللّه عماد السموات و الأرض، و أنت اللّه قوام السموات و الأرض»

. و منه يظهر لمن تدبر أن الحسن عليه السّلام عماد هما، و أن الحسين عليه السّلام قوامهما.

و فى توحيد الصدوق بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن للّه عز و جل خلقا من رحمته خلقهم من نوره، و رحمته من رحمته لرحمته،

ص :۵۶

فهم عين اللّه الناظره، و أذنه السامعه، و لسانه الناطق فى خلقه بإذنه و أمناؤه على ما أنزل من عذر أو نذر أو حجه، فبهم يمحو السيئات، و بهم يدفع الضيم، و بهم ينزل الرحمه، و بهم يحيى ميتا، و بهم يميت حيّا، و بهم يبتلى خلقه، و بهم يقضى فى خلقه قضيّته. قلت: جعلت فداك من هؤلاء؟ قال: الأوصياء» فهذا الحديث خصوصا

قوله عليه السّلام: «و بهم يقضى فى خلقه قضيته» ظاهر فى أن قضاء الأمور التكوينى و التشريعى فى الخلق إنما هو بهم عليه السّلام يقضى فى خلقه قضيته ظاهر فى أن قضاء الأمور التكوينى و التشريعى فى الخلق إنما هو بهم عليه السّلام و هو معنى كونهم أركانا للبلاد، و اللّه الهادى إلى سبيل الرشاد. و قد يقال: معنى كونهم أركان البلاد أنهم مبدأ وجود كل شىء، كما دلّت الأحاديث على أن كل شىء خلق من أنوارهم، و أن كل شىء مظهر لمحمد و آله عليهم السّلام، و أن الآثار الحسنه إنما رتبت عليها لقبولها الولايه. فالمراد من البلاد أعم من بلاد الأرض و النفسانى بلحاظ الحقيقه و نفس الأمر، و هو أيضا أعم منها و من أهلها. و الحاصل: لمّا أن الأشياء خلقت من أنوارهم، و الآثار الحسنه من قبول ولايتهم، فهم أركان لها و المعتمد لها كما لا يخفى. و سيجىء بيان الأمرين أى أنهم منشأ وجود الأشياء، و أن الآثار الحسنه مترتبه على قبول الولايه فيما بعد إن شاء اللّه، و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و أبواب الإيمان

اشاره

الكلام هنا يقع فى أمور:

الأول [فى معنى الأبواب و الإيمان] :

الأبواب جمع باب، و هو ما يدخل منه إلى شىء مكانا أو معنى و من الثانى

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أنا مدينه العلم و على بابها، و من أراد المدينه فليأتها من بابها» ، و من لطيف ما نقل: «إن أعرابيا دخل المسجد فبدأ بالسلام على على عليه السّلام ثم سلم على

النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فضحك الحاضرون و قالوا له فى ذلك؟ فقال:

سمعت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: أنا مدينه العلم و على بابها فقد فعلت كما أمر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» . و فى المجمع: الأمن الأمان. أقول: و هذا معنى عامّ، فالأمان فى كل مورد يكون حسب ما يناسبه شرعا و عرفا، دنيا و آخره، و بيان مصاديقه يطول بيانه و هو لا يخفى على المتتبع. و فيه: الإيمان لغه هو التصديق المطلق اتفاقا من الكل.

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: التصديق المطلق أى العام، بيانه: أن الإيمان أفعال من الأمن، و هو يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد، فإذا عدى بالهمزه فى باب الأفعال عدى إلى مفعولين تقول آمنته غيرى بمعنى جعلته ذا أمن منه، ثم نقل فقيل: آمنه إذا أصدقه، و حقيقته حينئذ آمنه التكذيب و الخلفه، و هو فيه حقيقه لغويه، و إن كان أصله مأخوذا من غيره، و تعديته بالباء كقوله تعالى: يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ لتضمينه معنى الاعتراف، و هو يتعدى بالباء يقال: اعترفت به. و ربما يمكن إطلاق ما آمنت على معنى ما وثقت، فحينئذ معنى آمنت أى وثقت، و حقيقته صرت ذا أمن به أى ذا سكون و طمأنينه كذا ذكروه. فحينئذ كون الإيمان بمعنى التصديق باعتبار أنه بتصديقه سكن نفسه و صيّره ذا طمأنينه و آمن من طرف المؤمن به، فارتفع به القلق و الاضطراب عن النفس، حيث إن الشك موجب لقلق النفس و اضطرابه، و الإيمان باعث لسكونه. و كيف كان، فالإيمان الدال على الأمن مقابل الريب الذى هو قلق النفس و إضطرابها، فإيمان المؤمن هو تصديقه الذى يوجب سكون نفسه. و ربما يؤيده بل يدل عليه

حديث رفاعه: أ تدرى يا رفاعه لم سمّى المؤمن مؤمنا؟ قال: لا أدرى، قال: لأنه يؤمن على اللّه بتنجيز أمانه. أقول: أى بإيمانه ينجّز أمانه عند اللّه فيكون فى أمنه تعالى: و الظاهر أخذ الإيمان فى لسان أهل الشرع بهذا المعنى، و أن يكون هذا و هو الأصل فى الذى نقل الاتفاق

من الکل علیه: من أن الإیمان لغه عباره عن التصدیق المطلق کما علمته من المجمع. و کیف کان فالإیمان و خلافه الشک و القلق موردهما القلب.

فعن الصادق علیه السّلام أنه قال: «الإیمان ثابت فی القلب و الیقین خطرات، فمرّه یقوی فیصیر کأنه زبر الحدید، و مره یصیر کأنّه خرقه بالیه» ،

و عنه علیه السّلام: «کل قلب فیه شک فهو ساقط» . ثم إن الإیمان قد یعدّی بالباء فیقال: آمنت به فمعناه التصدیق به تعالی، و قد یعدّی باللام نحو آمنت للّه فمعناه الخضوع و القبول عنه، و الاتباع لما یأمر، و الانتهاء لما ینهی کذا ذکروه، هذا ما یرجع بلحاظ اللغه.

الثانی: فی الفرق بین الإسلام و الإیمان.

فنقول: الإسلام له إطلاقان عام و خاص، و من الخاص قوله تعالی: إِنَّ اَلدِّینَ عِنْدَ اَللّهِ اَلْإِسْلاٰمُ (۱)فأطلق الإسلام فی الآیه الشریفه علی الدین الذی هو حقیقه الإیمان.

و عن أمالی الطوسیّ (۲)، بإسناد المجاشعی عن الصادق علیه السّلام عن آبائه علیهم السّلام عن علی علیه السّلام قال: «الإسلام هو التسلیم، و التسلیم هو الیقین، و الیقین هو التصدیق، و التصدیق هو الإقرار، و الإقرار هو الأداء، و الأداء هو العمل» و مثله غیره فالإسلام حینئذ یساوق معنی الایمان کما لا یخفی. و من الأول قوله تعالی: قٰالَتِ اَلْأَعْرٰابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنٰا وَ لَمّٰا یَدْخُلِ اَلْإِیمٰانُ فِی قُلُوبِکُمْ (۳).

ففی الکافی (۴)، بإسناده عن جمیل بن دراج قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: قٰالَتِ اَلْأَعْرٰابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنٰا وَ لَمّٰا یَدْخُلِ

۱- ۱) آل عمران:۱۹.

۲- ۲) أما لی الطوسی ج ۲ ص ۱۳۷.

۳- ۳) الحجرات:۱۴.

۴- ۴) الکافی ج ۲ ص ۲۴.

اَلْإِيمانُ فِی قُلُوبِکُمْ فقال: أ لا تری أن الإیمان غیر الإسلام؟ و إلیه یشیر ما فیه.

عن فضیل بن یسار (۱)عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: قالَتِ اَلْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا یَدْخُلِ اَلْإِیمانُ فِی قُلُوبِکُمْ فقال: أ لا تری أن الإیمان یشارک الإسلام و الإسلام لا یشارک الإیمان؟ و مثله غیره و هو کثیر. فعلی هذا الإسلام أعم من الإیمان، و الإیمان فوقه بدرجه.

فعن تفسیر علی بن إبراهیم، بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن اللّه فضل الإیمان علی الإسلام بدرجه، کما فضّل الکعبه علی المسجد الحرام» و هناک أحادیث أخر بینت هذا الفرق، و شرحه العلماء بما لا مزید علیه فراجع البحار، هذا فی الفرق بین الإسلام و الإیمان بنظر، الأخبار، و اللّه العالم.

الثالث: فی بیان حقیقه الإیمان.

قد دلّت الآیات و الأخبار علی أن الإیمان حقیقه تقبل الزیاده و النقصان، قال اللّه تعالی: إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اَللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیاتُهُ زادَتْهُمْ إِیماناً (۲)

و فی الکافی بإسناده عن أبی عمیر و الزبیری عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت له: «صفه لی جعلت فداک حتی تمامه. . . ، و منه الناقص البیّن نقصانه، و منه الراجح الزائد رجحانه» ، الحدیث، فدل علی قبوله الزیاده و النقصان، و أیضا ربما عرف الإیمان بأمر بسیط.

کما فی الکافی بإسناده عن سلام الجعفی، قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن الإیمان فقال: «الإیمان أن یطاع اللّه و لا یعصی» و ربما عرف بتفصیل، کما

فی الکافی، الأربعه، عن أبی عبد اللّه، عن أبیه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «الإیمان له أرکان أربعه: التوکل علی اللّه، و تفویض الأمر إلی اللّه، و الرضا بقضاء اللّه، و التسلیم لأمر اللّه

۱- ۱) الکافی ج ۲ ص ۲۵.

۲- ۲) الأنفال:۲

تعالى» ، و هكذا نظيره من الأحاديث المفصّله لحقيقه الإيمان. و ربما عرف الإيمان بأنه مبثوث على الجوارح كلها، كما دلّت عليه أحاديث كثيره، منها:

عن أبى عمير و الزبيرى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام الحديث الطويل الذى ذكر فيه لكل جارحه إيمانا يخصّها بعمل خاص، و على هذا قد اضطربت فى تحقيقه كلمات الأصحاب، (رضوان اللّه عليهم) . فربما يظهر من كلمات بعضهم أن له معان متعدده متباينه على سبيل الاشتراك اللفظى. و من بعضهم أنه لا يقبل التفاوت و التشكيك و الكمال و النقص. و من بعضهم أنه ذو شأن واحد لا يتعداه إلى غيره. و من بعضهم أنه عباره عن مجموع عده أمور مختلفه متباينه فى محال مختلفه، يسمى ذلك المجموع من حيث المجموع إيمانا، بحيث ينتفى اسم الكل بانتفاء البعض هذا. و لكن التحقيق أن يقال: إن لفظ الإيمان باق على معناه الأصلى، و لكنه اختصّ باعتبار متعلقه. فهو عباره عن إيمان الإنسان نفسه من طرف الحق سبحانه أى بتصديقه يجعل نفسه فى المأمن الإلهى المشار إليه بقوله تعالى: إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِي مَقٰامٍ أَمِينٍ (1)و يزيل بذلك عن نفسه القلق و الاضطراب بحصول السكون و الثقه و الأمن له من طرف الحق سبحانه. و آمنه التكذيب و المخالفه. و بعباره أخرى: بالإيمان يعطى حالا و يكسب و يأخذ حالا، يعطى للحق الأمن من التكذيب و المخالفه فلا يكذب بآيات ربّه، و يكسب و يأخذ الأمن

۱- ۱) الدخان:۵۱.

النفسانی و السکون و الثقه المشار إلیه بقوله تعالی: وَ عَلیٰ رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ (۱)عقیب قوله تعالی: وَ إِذٰا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیٰاتُهُ زٰادَتْهُمْ إِیمٰاناً (۲). و هذا الأخذ و العطاء مغرسه القلب، کما علمت أن الإیمان مورده القلب لقوله تعالی: وَ لَمّٰا یَدْخُلِ اَلْإِیمٰانُ فِی قُلُوبِکُمْ (۳).

و قوله علیه السّلام: «الإیمان ثابت فی القلب» ، توضیحه: أن لشجره الإیمان أصلا هو المعرفه و الاعتقاد القلبی بالمعنی المتقدم من الأخذ و العطاء فی قبال الشک، مع قبول القلب تلک المعرفه فی مقابل الجحود القلبی و الإباء النفسانی. و من المعلوم أن هذا القبول النفسانی، و ما یقابله من الجحود النفسانی، تتفاوت درجاتهما بالنسبه إلی تمامیه الرسوخ فی النفس و عدمه فیهما أی فی القبول، الجحود، فهذان أمران: الأول: المعرفه و الاعتقاد القلبی. و الثانی: قبول القلب تلک المعرفه. فالأول ثبت بدرک العقل حسب الأدله و البراهین، أو بترکها لغلبه الجهل و الشبهات، و الثانی عمل القلب من القبول و الجحود، و هو من صنع اللّه تعالی فی العبد، کما دلّت علیه الأحادیث.

ففی توحید الصدوق (۴)، بإسناده عن محمد بن حکیم، قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: المعرفه صنع من هی؟ قال: «من صنع اللّه عز و جل، لیس للعباد فیها صنع» .

و فیه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «سته أشیاء لیس للعباد فیها صنع: المعرفه

۱- ۱) النحل:۹۹.

۲- ۲) الأنفال:۲.

۳- ۳) الحجرات:۱۴.

۴- ۴) توحید الصدوق ص ۴۱۰.

و الجهل، و الرضا و الغضب، و النوم و اليقظه» . و من المعلوم أن الجحود من آثار الجهل، و لهذا الكلام شرح يطول بيانه.

و فى الكافى (١)، بإسناده عن الفضيل، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان، هل لهم فيما كتب فى قلوبهم صنع؟ قال: «لا» . و حقيقه هذا الإيمان هو تسليم العبد جميع ما أنعمه اللّه إلى من يجب الإيمان به، مع الاعتقاد بأن تصرّفه لا يكون إلّا على وجه يصلح بحاله، و هو أمين فيما يعامل معه و لو قتله، أو أخذ جميع أمواله، أو أمر بقتل أولاده، أو فرق بينه و بين عياله، قال تعالى: فَلاٰ وَ رَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمٰا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٢)و قال تعالى: وَ مٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَهٍ إِذٰا قَضَى اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ اَلْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً مُبِيناً (٣).

القمى عن الباقر عليه السّلام و فيه: «و ذلك أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خطب على زيد بن حارثه زينب بنت جحش الأسديه من بنى أسد بن خزيمه، و هى بنت عمه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت: يا رسول اللّه حتى اؤامر نفسى فانظر؟ فأنزل اللّه عز و جل: وَ مٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَهٍ الآيه. فقالت: يا رسول اللّه أمرى بيدك فزوّجها إياه» ، فمن مورد الآيه يعلم أن المؤمن ليس له اختيار فى قبال قضاوه اللّه و النبى، حتّى بالنسبه إلى ما يرجع إلى نفسه كما لا يخفى. ثم إنّ للإيمان بعد هذين الأمرين أغصانا باعتبار التأثر بمقتضى تلك المعرفه القلبيه، و ظهور آثارها فى القلب بحدوث الحالات النفسانيه، التى تقتضيها تلك المعرفه، و ارتفاع أضدادها على درجاتها غير المتناهيه، و لها ثمرات و فروع تترتّب

١- ١) الكافى ج ٢ ص ١۵.

٢- ٢) النساء:۶۵.

٣- ٣) الأحزاب:٣۶.

علیها من فعل ما تقتضی تلک المعرفه فعله، و ترک ما تقتضی ترکه علی اختلاف الأفعال، و التروک فی قوه الاقتضاء و ضعفه بحسب مرتبتها. و بعباره أخری: تترتب علی قبول القلب تلک المعارف حالات نفسانیه من التوکل و الرضا و التسلیم و التفویض و أمثالها، التی ذکرت فی الأحادیث، و یترتب علی تلک الحالات، و تلک المعارف و الأعمال الخارجیه من إتیان الصلوات و العبادات و الأفعال الحسنه المترتبه علی جمیع الجوارح کل علی حسبه. فتحصل من الجمیع أن للإیمان أربعه شئون: الأول: شأن فی مقام الاعتقاد. الثانی: شأن فی مقام قبول القلب و النفس تلک المعارف. الثالث: شأن فی مقام الحالات و الأخلاق و الملکات. الرابع: شأن فی مقام العمل. و من المعلوم أن نسبه کل سابق إلی لاحقه کنسبه الأصل للفرع و البذر للزرع إذا الاعتقاد هو المؤثر فی قبول ما بعده، و القبول فرع الاعتقاد، الذی هو القبول فی القلب، و هذا القبول القلبی سبب لانبعاث الحالات النفسانیه الموافقه لتلک المعرفه، و هذه الحلات هی مبدأ الأفعال و التروک الخارجیه، و مثاله الذی یبین هذا المعنی مثال من أخبر بمجیء أسد فی مکانه، فإیمانه بالمخبر و خبره هو اعتقاد صدقه و قبول کلامه، و إذا اعتقد و قبل أثر فی حقه خوفا و هو الحال الحاصل له بعدهما. ثم بعد ذلک یتصدی و یطلب الهرب، فیهرب حینئذ بإرادته المنبعثه عن خوفه، فهذه مراتب أربع فبحصولها یکمل إیمانه بالمخبر حیث آمنه التکذیب و المخالفه، و جعل نفسه ذا أمن من الشک و الاضطراب بقبوله خبره اعتقادا أو قبولا و حالا أی خوفا و عملا أی هربا. فکل مؤمن بالنسبه إلی الدین و متعلقات الإیمان-علی ما سیأتی بیانه-إذا کان فی هذه الشئون الأربعه فهو مؤمن حقیقه کامل فی إیمانه.

و من المعلوم أن كل هـذه الشئون لها مراتب، فلو كان فى شأن من هـذه الشئون الأربعه واجدا لجميع مراتبه فهو من الكمّلين، و إذا نقص فى كل شأن بعض مراتبه فبقدره ينقص إيمانه. و هنا قسم آخر فى الكمال و النقص باعتبار تلك الشئون الأربعه، كلها أو بعضها. فإن كانت كلها موجوده مع مراتب كل واحد منها فهو الأكمل. و إن انتفى أحدها فإن كان المنتفى هو الأول أو الثانى انتفى الإيمان رأسا، كما تنتفى الشجره بانعدام أصلها أو ساقها الكبير المتصل بالأصل، فلو انتفت العقيده و القبول النفسانى فلا إيمان أصلا. و إن كان المنتفى الثالث أو الرابع، أو هما مع وجود الأولين فلا تنتفى أصل شجره الإيمان إنما ينعدم كماله. فهذا الإيمان كالشجره الناقصه التى لا غصن لها أو لا ثمره لها كما لا يخفى. فبانتفاء الثالث الذى هو كالغصن، أو الرابع الذى هو كالثمره باختلاف مراتبهما تنتقص الشجره، أو الإيمان و بإكمالهما و ما لهما من المراتب تكمل الشجره و الإيمان، هذا إذا كان الأوّلان اللذان هما كالأصل لشجره الإيمان موجودين. و أما إذا كانت صوره الثانى و الثالث موجودتين بدون الأولين كإيمان المخالفين أو المنافقين، فلا ريب فى أنه لا ينفع هذا الإيمان إذ ليس هذا الغصن و الثمره شجره حقيقه، بل صورته أو شبيهه بالشجره و ليس منها. فالمتظاهر بهذا النحو من الإيمان أى المتظاهر بالغصن و الثمر بدون الأصل هو المنافق أو المتصنّع أو المرائى أو ذو سمعه، بل فى الحقيقه ليس إيمانا، كما أن فى وجود الغصن و الثمره بدون الأصل ليس شجره، و إنما هو تشاكل و تشابه الشجره الأصليه. و هكذا هذا الإيمان ليس إيمانا بل يشابه الإيمان الأصلى، و يترتب عليه أحكام المؤمن فى الدنيا من حلّيه المناكح و المواريث و الذبائح، هذا فى الدنيا و قبل ظهور الحال، إذ الدنيا و ما لأهلها من الأحكام إنما هى قائمه بالصوره.

و أما إذا حان وقت الحكم بالواقع كزمان الظهور للحجّه روحى له الفداء، أو القيامه التى فيها ظهور الحقائق لقوله تعالى: يَوْمَ تُبْلَى اَلسَّرٰائِرُ (۱)فيضمحل هذا الإيمان، و ينكشف الكفر الباطنى. و إليه يشير

ما عن الصادق عليه السّلام: إن الشهادتين تؤخذان من المخالف فيحشر فى زمره الكفار.

ففى محاسن البرقى (۲)، عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: إذا قدمت الكوفه إن شاء اللّه فارو عنى هذا الحديث، «من شهد أن لا إله إلاّ اللّه وجبت له الجنه» فقلت: جعلت فداك يجيئنى كل صنف من الأصناف فاروى لهم هذا الحديث؟ قال: نعم، يا أبان بن تغلب إنه إذا كان يوم القيمه جمع اللّه تبارك و تعالى الأولين و الآخرين فى روضه واحده فيسلب لا إله إلاّ اللّه إلا من كان على هذا الأمر» . و كما ورد أيضا هذا المضمون فى ذيل قوله تعالى: رُبَمٰا يَوَدُّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كٰانُوا مُسْلِمِينَ (۳)و سيأتى بيانه إن شاء اللّه. ثم إن الفارق بين الإيمان الحقيقى و الصورى هو أن الإقرار باللسان يحكى ظاهرا عن الاعتقاد و القبول الباطنيين، و هو الإقرار بالحق قلبا و الإقرار اللفظى معا. فإن كان الأولان أى الاعتقاد و القبول القلبى موجودين فى الباطن، فهو إيمان حقيقى و إلاّ فإيمان صورى لفظى تترتب عليه الأحكام الظاهريه. فظهر مما ذكرنا أن الإيمان أمر وجدانى له مظاهر أربعه كما علمت، و كل مرتبه منها لفظى و هو ما ظهر باللفظ سوى المرتبه الرابعه، التى هى العمل، فإن طابق

۱- ۱) الطارق:۹.

۲- ۲) محاسن البرقى ص ۱۸۱ ح ۱۷۴.

۳- ۳) الحجر:۲.

اللفظ واقعه القائم بالقلب فهو إيمان حقيقى و إلاّ فهو نفاق فى كل مرتبه، و ربما يكون فى بعض المراتب حقيقيا و فى بعضها يكون نفاقا. ثم إنه سيأتى مفصلا أن الإيمان فى جميع مراتب صحته و قبوله لدى الحقّ مشروط بالولايه فى ركن فيها ثابت بالآيات و الأحاديث و سنذكرها مشروحه إن شاء اللّه تعالى. إذا علمت هذه المراتب و الشئون للإيمان فاعلم أن الأحاديث الوارده فى أبواب الإيمان المتفرقه بالألسنه المختلفه كل منها يشير إلى بعض هذه المراتب و الشئون، و إلى آثارها التى هى العلامه لوجود الإيمان فى تلك المرتبه، أو لبيان العلامه المطرده لوجود الإيمان أى مرتبته مما ورد من أن الايمان ما هو فى القلب بالألسنه المختلفه. فبعضها ينظر إلى مرحله العقيده. و بعضها إلى مرحله القبول القلبى.

و ما ورد من أن الإيمان هو التوكل و نحوه مثلا ـ كما هو لسان كثير من الأخبار، فهو ناظر إلى بيان الحالات المنبعثه عن القبول القلبى كما علمت.

و ما ورد من أن الإيمان هو مبثوث على الجوارح، فهو ناظر إلى مرحله الأعمال و الأفعال، التى هى آثار تلك الحالات. و حيث إن كل هذه المراتب إما صدق حقيقى أو صورى نفاقى، و لذا وردت أحاديث متضمنه لعلامات الإيمان، التى بها يعلم أنه حقيقى أو صورى، فهذه الطائفه و ما لها من ذكر العلامات

كقوله عليه السّلام: علامه الإيمان احتمال الأذى مثلا، ينظر إلى هذه الجهه من التمييز بين الحقيقى منه، الصورى. و ما ورد من أحاديث كثيره خارجه عن حدّ الإحصاء يدل على اشتراط قبول الإيمان، و ما لها من الحالات و الأفعال بالولايه، فهو ناظر إلى هذا الشرط الإلهى الواقعى، و سيجىء فى بيان عليه الولايه لقبول الإيمان فى مراتبه إن شاء اللّه تعالى.

ثم إنه لا يخفى على المتتبع الناقد المبصر تطبيق الأحاديث الوارده فى الأبواب المتفرقه للإيمان بالألسنه المختلفه على كل واحد من تلك الشئون و المراتب التى ذكرناها. و لا يخفى عليه أيضا أن كل مرتبه منها حيث تكون مختلفه بحسب الشده و الضعف و الرسوخ القلبى و عدمه، فلا محاله تكون آثارها مختلفه. و لذا ترى الآيات و الأحاديث تبين تلك الآثار على اختلافها لتلك المراتب لما هى مختلفه. و لعمرى إن ما ذكرناه هو الضابط الكلى فى تطبيق الأحاديث المختلفه بأسرها على موارد ذلك الضابط، و اللّه الهادى إلى سبيل الرشاد.

الأمر الرابع: فى بيان متعلق الإيمان.

فنقول و عليه التوكل: المهم فى هذا الأمر بيان القبول القلبى، و هو الأمر الثانى حسب ما تقدم من بيان شئون الإيمان. و ذلك أن الأمر الأول أعنى العقيده القلبيه فإنما هى ثابته بالأدله الوارده فى لسان الشرع و لسان العقل، فهى التى تؤدى إلى العقيده القلبيه، و تثبت متعلقها عند العقل و العاقل فى القلب فى جميع الشئون، و بيانه موكول إلى علم الكلام من هذه الجهه. و أما الأمر الثالث و الرابع أعنى الحالات و الأفعال المنبعثه عن تلك العقيده، و القبول القلبى: فهى أمران قائمان بالشخص المؤمن، و من حالاته و شئونه فلا متعلق له. نعم: الحالات الحاصله للإنسان لا بدّ من عرضها على المحكمات، لتميز حقّها من باطلها كما سيأتى. و أما الأمر الثانى أعنى القلبى: فحيث إنه يتعلق لشىء هو المقبول للقلب، الثابت له من العقل و القلب بالأدله المتقنه، فلا بد من بيان ذلك المقبول بأقسامه،

و هو المقصود بيانه فى هذا الشرح و بيان أبوابه. فنقول: متعلق الإيمان إنما هو التوحيد و الرساله و الولايه و شئونهما و هو المعارف الإلهيه و الإخبارات الإلهيه فمحكى هذه الأمور هو متعلق الإيمان.

ففى تحف العقول

(۱)

دخل عليه (أى على الصادق عليه السّلام) رجل فقال عليه السّلام له: ممن الرجل؟ فقال: من محبيكم و مواليكم، فقال له جعفر عليه السّلام «لا يحب اللّه عبد حتى يتولاه، و لا يتولاه حتى يوجب له الجنه، ثم قال له: من أىّ محبينا أنت؟ فسكت الرجل، فقال له سدير: و كم محبوكم يا بن رسول اللّه؟ ! فقال: على ثلاث طبقات: طبقه أحبونا فى العلانيه و لم يحبونا فى السّرّ. و طبقه يحبونا فى السّرّ و لم يحبونا فى العلانيه. و طبقه يحبونا فى السّرّ و العلانيه، هم النمط الأعلى، و شربوا من العذب الفرات، و علموا تأويل الكتاب، و فصل الخطاب، و سبب الأسباب، فهم النمط الأعلى، الفقر و الفاقه و أنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل، مسّتهم البأساء و الضراء، و زلزلوا و فتنوا فمن بين مجروح و مذبوح، متفرّقين فى كل بلاد قاصيه، بهم يشفى اللّه السقيم و يغنى العديم، و بهم تنصرون، و بهم تمطرون، و بهم ترزقون، و هم الأقلون عددا، الأعظمون عند اللّه قدرا و خطرا. و الطبقه الثانيه النمط الأسفل أحبونا فى العلانيه، و ساروا بسيره الملوك، فألسنتهم معنا و سيوفهم علينا. و الطبقه الثالثه النمط الأوسط أحبونا فى السّرّ و لم يحبونا فى العلانيه و لعمرى لئن كانوا أحبونا فى السّر دون العلانيه فهم الصوامون بالنهار القوامون بالليل يرى أثر الرهبانيه فى وجوههم، أهل سلم و انقياد. قال الرجل: فأنا من محبيكم فى السّر و العلانيه، قال جعفر عليه السّلام: إن لمحبينا فى السّر و العلانيه علامات يعرفون بها، قال الرجل: و ما تلك العلامات؟ !

۱- ۱) ص ۲۴۱ كلامه عليه السّلام فى وصف المحبه.

قـال علیه السّـلام: تلـک خلاـل، أولها: أنهم عرفوا التوحیـد حق معرفته و أحکموا علم توحیـده، و الإیمان بعـد ذلک بما هو و ما صفته، ثم علموا حدود الإیمان و حقائقه و شروطه و تأویله، قال سدیر: یا بن رسول اللّه ما سمعتک تصف الإیمان بهذه الصفه؟ ! قال: نعم یا سدیر لیس للسائل أن یسأل عن الإیمان ما هو؟ حتی یعلم الإیمان بمن، قال سدیر: یا بن رسـول اللّه إن رأیت أن تفسر مـا قلت. قـال الصـادق علیه السّـلام: من زعم أنه یعرف اللّه بتـوهم القلـوب فهـو مشـرک، و من زعم أنه یعرف اللّه بالاـسم دون المعنی فقـد أقرّ بـالطعن، لأـن الاسم محـدث، و من زعم أنه یعبـد الاسم و المعنی فقـد جعل مع اللّه شـریکا، و من زعم أنه یعبد المعنی بالصـفه لاـ بالإـدراک أحـال علی غـائب، و من زعم أنه یعبـد الصـفه و الموصوف فقـد أبطـل التوحیـد، لأـن الصـفه غیر الموصـوف، و من زعم أنه یضـیف الموصوف إلی الصـفه فقـد صـغّر بـالکبیر و مـا قـدروا اللّه حقّ قـدره. قیـل له: فکیف سـبیل التوحیـد؟ قال علیه السّـلام: باب البحث ممکن، و طلب المخرج موجود، إن معرفه عین الشاهد قبل صـفته، و معرفه صـفه الغائب قبـل عینه. قیـل: و کیف تعرف عین الشاهـد قبـل صـفته؟ قـال علیه السّـلام: تعرفه و تعلم علمه، و تعرف نفسـک به، و لاـ تعرف نفسـک بنفسـک من نفسـک، و تعلم أنّ ما فیه له و به کما قالوا لیوسف: إِنَّکَ لَأَنْتَ یُوسُفُ قٰالَ أَنَا یُوسُفُ وَ هٰـذٰا أَخِی فعرفوه به و لم یعرفوه بغیره، و لاـ أثبتوه من أنفسـهم بتوهم القلوب. أ مـا تری اللّه یقول: مٰا کٰانَ لَکُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَـجَرَهٰا یقول: لیس لکم أن تنصبوا إماما من قبل أنفسکم تسمّونه محقّا بهوی أنفسکم و إرادتکم. ثم قال الصادق علیه السّلام: ثلاثه لاٰ یُکَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ وَ لاٰ یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ وَ لاٰ یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَـذٰابٌ أَلِیمٌ من أنبت شـجره لم ینبته اللّه یعنی من نصب إماما لم ینصـبه اللّه، أو جحـد من نصبه اللّه، و من زعم أن لهذین سهما فی الإسلام، و قد قال

اللّه: وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ وَ یَخْتٰارُ مٰا کٰانَ لَهُمُ اَلْخِیَرَهُ (۱)» و ستأتی بقیته. أقول: إنما ذکرنا الحدیث بتمامه لما فیه من الفوائد الجمه و المعارف الکبیره و کیف کان،

فقوله علیه السّلام: «تعرفه و تعلم علمه، و تعرف نفسک به، و لا تعرف نفسک بنفسک من نفسک. . إلخ» ، یبین أن التوحید الحقیقی و هو الثابت له بهذه المرتبه. بیانه: أن المعرفه به تعالی إما علمیه ثابته بالأدله و البراهین، و هو لا یفید إلاّ اصل الوجود و هذا واضح لکل أحد، کل بحسب درکه حتی العجائز قال اللّه تعالی: أَ فِی اَللّٰهِ شَکٌّ فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (۲). و معلوم أن هذه المعرفه علمیّه أی یعلم بوجوده حسب، و هو أدنی المعرفه، و هی لازم لکل أحد.

ففی الکافی، باب أدنی العرفه بإسناده عن الفتح بن یزید، عن أبی الحسن علیه السّلام قال: سألته عن أدنی المعرفه فقال: «الإقرار بأنه لا إله غیره، و لا شبیه له، و لا نظیر، و أنه قدیم مثبت موجود غیر فقید، و أنه لیس کمثله شیء» . فالعلم و الإقرار بهذه الأمور هو أدنی المعرفه اللازمه لکل أحد. ثم إنه قد یترقی العالم بهذا إلی المرتبه الأعلی منها، و هی مرتبه مشاهده صفاته تعالی، فیری الحق فی صفاته تعالی. و هذه المرتبه و إن کانت أعلی من الأدنی إلاّ أنها إما مصادق

لقوله علیه السّلام: و من زعم أنه یعبد المعنی بالصفه لا بالإدراک، فقد أحال علی غائب ، و أما مصداق

لقوله علیه السّلام: و من زعم أنه یضیف الموصوف إلی الصفه فقد صغّر بالکبیر و ما قدرو اللّه حق قدره. بیانه: أن العارف به تعالی عن طریق الصفات، لا تکون معرفته به بنفسه تعالی، بل بالصفات المشیره إلیه تعالی، فهو تعالی حینئذ غائب عن هذا العارف،

۱- ۱) القصص:۶۸.

۲- ۲) إبراهیم:۱۰.

و من المعلوم أنه أحاله على غائب، فهذه المعرفه و إن كانت صحيحه و عليها أغلب الناس، إلّا أنها ليست بكامله لكونها معرفه صفاتيه لا عينيه. و أما العارف به بطريق إضافه الموصوف إلى الصفه، فلا محاله تنحصر معرفته به تعالى بما هو مضاف إلى الصفه، و أما المعبود فوق تلك الصفات فلا معرفه له به تعالى، و لازمه تصغيره تعالى إذ ذاته المقدسه غير منحصره الآثار بخصوص هذه الصفات، التى يكون مضافا إليها بل هو تعالى غير متناه و هو واسع عليم بحيث لا تحيط به صفاته بحيث تكون صفاته الظاهره مبيّنه له تعالى فقط، بل هو تعالى فوق ما يتصور من حيث إضافته إلى الصفات.

و لذا قال عليه السّلام فى حق هذا العارف و إن كان محقا: «فقد صغّر الكبير و ما قدروا اللّه حق قدره» ، فاستشهاده بهذه الآيه إشاره إلى ما ذكره من تصغير الكبير.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)، عن التوحيد، قال: قال زراره: قال أبو جعفر عليه السّلام: «إن اللّه لا يوصف و كيف يوصف و إنه قال فى كتابه: وَ مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك» .

و فيه، عنه، بإسناده عن أبى الحسن العسكرى عليه السّلام. . إلى أن قال بعد ذكر قوله تعالى: وَ اَلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ وَ اَلسَّمٰاوٰاتُ مَطْوِيّٰاتٌ بِيَمِينِهِ (۲)فقال عليه السّلام «ذلك تعيير اللّه تبارك و تعالى لمن شبّهه بخلقه، أ لا ترى أنه قال: وَ مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ » ، الحديث. و كيف كان: فهذه المعرفه أيضا ناقصه، حيث عرف اللّه تعالى من حيث الإضافه إلى صفاته تعالى مع أنه أكبر من أن يوصف هكذا. و لذا بعد هذين القسمين

قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟ قال عليه السّلام: «باب البحث ممكن، و طلب المخرج موجود» ، إن معرفه عين الشاهد قبل صفته، و معرفه صفه

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۵۰.

۲- ۲) الزمر:۶۷.

الغائب قبل عينه. فبيّن عليه السّلام أمرين بنحو الضابط لتحصيل المعرفه الحقه و يميّزها عن غيرها. و حاصله: أن المعرفه الحاصله عن شهود المعروف هو المعرفه الحقيقيه بدون دخاله الصفات لتحصيل تلك المعرفه، إذ هى حينئذ قبل الصفات، و هذا بخلاف معرفه الغائب عن الشهود، فإنه إذا كان المعروف غائبا فلا محاله، أوّلا تتعلق المعرفه بصفات الغائب فيذكر الغائب بصفاته، ثم منه تحصل المعرفه بعين الغائب، كما كان فى أقسام المعرفه السابقه من الصحيحه منها فإنها كلها كانت كذلك. و كيف كان: فتوضيح المعرفه الشهودى الحاصله عن شهود المعروف، بدون دخاله الصفات فيها، هو ما ذكره عليه السّلام بعد ما قيل له: و كيف تعرف عين الشاهد قبل صفته؟

قال عليه السّلام بقوله: «تعرفه و تعلم علمه و تعرف نفسك به و لا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، و تعلم أن ما فيه له و به كما قالوا ليوسف: إِنَّکَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هٰذَا أَخِی ، فعرفوه به و لم يعرفوه بغيره و لا أثبتوه بتوهم القلوب» الحديث. بيانه: أنه ذكر لمعرفه الرب طريقان: الطريق الأول: السير الآفاقى و هو وحده لا يوجب معرفه حقيقه، لأن إيجاب الموجودات الآفاقيه للمعرفه إنما هو لكونها آثارا و آيات، و هى لا توجب إلاّ علما حصوليا بوجود الصانع تعالى، و هو علم متعلق بقضيه ذات موضوع و محمول أعنى قولنا: الصانع موجود، و هذا من المفاهيم القائمه بالنفس وجودا ذهنيا. هذا مع أنه قام البرهان على أنه تعالى وجود محض لا مهيّه له، فيستحيل دخوله فى الذهن. فكل ما وصفه الذهن و تصوره واجبا، و حكم عليه بمحمولاته من الأسماء و الصفات فهو غيره سبحانه البته، و لهذا الكلام مجال للبحث مذكور فى محله، و لعله سيجىء توضيحه فيما بعد، فهذا الطريق لا يفيد معرفه شهوديّه.

الطريق الثانى: أعنى السير الأنفسى و هو منتج معرفه حقيقيه شهوديه، بيانه إجمالا: أن يوجّه الإنسان وجهه للحق سبحانه، و ينقطع عن كل صارف شاغل عن نفسه إلى نفسه حتى يشاهد نفسه كما هى، أى يشاهدها محتاجه بذاتها إلى الحق سبحانه، و ما هذا شأنه لا تنفك مشاهدته عن مشاهده مقوّمه. نعم فى حال انقطاعه عن نفسه و حدودها فإذا شاهد الحق حينئذ سبحانه عرفه معرفه ضروريه بأنه المقوم و القائم بنفسه و قيّوم كل شىء، ثم عرف نفسه به حقيقه لكونها محتاجه محضه قائمه الذات به سبحانه، ثم يعرف كل شىء به تعالى هكذا. و إلى هذا يشير

قوله عليه السّلام فيما تقدم تعرفه و تعلم علمه، و تعرف نفسك به، و لا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، و تعلم أن ما فيه له و به كما قالوا ليوسف. . إلخ» فهذه معرفه شهوديه بدون دخاله الصفات بل معرفه له تعالى به تعالى، كما لا يخفى.

و قوله عليه السّلام: «و تعلم علمه» بفتح العين و اللام بمعنى العلامه أو خصوص الاسم، أى تعرفه ثم تعلم علائمه و أوصافه به تعالى فهو مصداق

لقوله عليه السّلام قبلا: «إن معرفه عين الشاهد قبل صفته» .

ثم قال: «و تعلم نفسك به تعالى لا بغيره» و كونه بكسر العين و سكون اللام تكليف محض كما لا يخفى. و بالجمله فإذا شاهد ربّه هكذا عرفه و عرف نفسه و كل شىء به تعالى. و إلى ذلك أيضا يشير

ما فى توحيد الصدوق مسندا عن عبد الأعلى، عن الصادق عليه السّلام فى حديث: «و من زعم أنه يعرف اللّه بحجاب أو بصوره أو بمثال فهو مشرك، لأن الحجاب و الصوره و المثال غيره، و إنما هو واحد موحد فكيف يوحّد من زعم أنه عرفه بغيره، إنما عرف اللّه من عرفه باللّه، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه إنما يعرف غيره، ليس بين الخالق و المخلوق شىء و اللّه خالق الأشياء لا من شىء يسمى بأسمائه فهو غير أسمائه، و الأسماء غيره، و الموصوف غير الوصف.

فمن زعم انه يؤمن بما لا يعرف فهو ضالّ عن المعرفه، لا يدرك مخلوق شيئا إلاّ باللّه، و اللّه خلو من خلقه و خلقه خلو منه» ، الحديث. و هذا الحديث الذى هو من غرر أحاديثهم عليهم السّلام كالحديث السابق يشير إلى ما ذكرناه، و نشير إلى بعض ما يدل على ما ذكرنا

قوله عليه السّلام: و إنما هو واحد موحد أي واحد محض لا كثره فيه أى هو تعالى وجود محض لا مهيّه له، فلا يدخل فى الذهن، فليس بنحو يوجد تاره فى الخارج و أخرى فى الذهن، كساير الموجودات. و حيث إنه تعالى وجود محض فلا يستلزم معرفه شىء لمعرفته تعالى، ضروره أن معرفه شىء آخر هو العلم به و تصوره فى الذهن، و لا يمكن أن يكون المتصور الذهنى معرفا لما هو وجود محض إذ لا تعلق للاعتبار به تعالى، فهما من هذه الحيثيه متباينان فلا يمكن معرفه المباين بالمباين الأعلى فرض الاتحاد و هو خلف كما لا يخفى. هذا مضافا إلى أن العلم بشىء إذا كان موجبا للعلم بشىء آخر لزم أن يكون كل منها لهما جهه اختلاف و جهه اتحاد فيلزم من هذا التركب فيهما. و حيث إنه تعالى لا تركب فيه فيمتنع أن يعرف بغيره بهذا الوجه. و لعل إليه يشير

قوله عليه السّلام: «ليس بين الخالق و المخلوق شىء، فلو عرفته بالعلم التصورى، فقد جعلت بينك و بينه شىء، و هذا بخلاف ما لو عرفته به تعالى» . و إليه يشير أيضا

قوله عليه السّلام: «إنما عرف اللّه من عرفه باللّه» و عليه يتفرّع

قوله عليه السّلام: «فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف فهو ضالّ عن المعرفه أى بما لا يعرفه بنفسه» . و السر الأصلى و البرهان الجلى على أنه تعالى لا يعرف إلاّ به، هو

قوله عليه السّلام: «لا يدرك مخلوق شيئا إلاّ باللّه أى أن كل شىء معروف باللّه الذى هو نور السموات و الأرض، فكيف يعرف بغيره، لأنه تعالى مقوم كل ذات غير متقوم بالذات، فكل ما سواه تعالى متقوم به و غير متقوم بالذات» . و من المعلوم أن العلم بغير المستقل و غير المتقوم ذاتا بعد العلم بالمستقل الذى

يقومه. و بعباره أخرى: العلم أولا ـ و بالذات يتعلق بالمستقبل بالذات، ثم بالمتقوم بغيره، لأن وقوع العلم يقتضى استقلالا فى المعلوم بالضروره أى تحقّقا و ثبوتا فيه. و حينئذ فالعلم بغير المستقل و غير المتقوم بالذات إنما هو تكوينا يتبع المستقل الذاتى الذى هو معه. و الحاصل: الموجود الذاتى المستقل هو مقوم كل شىء خارجى أو ذهنى أو نفس الأمرى. فالآثار التى منها العلم إنما هو بالذات متعلق بالموجود بالذات و المتقوم بالذات، فثبت أنه لا يدرك مخلوق مطلقا شيئا إلاّ باللّه تعالى. ثم إنه لا تتوهم أن ذلك يوجب حلولا أو اتحادا تعالى عن ذلك علوّا كبيرا، إذ مرجع الكلام إلى أن الكل و الآثار مترشح منه تعالى. فالإسناد بالذات فى كل شىء إليه تعالى و بالعرض إلى الخلق، ففى ظرف الانقطاع عن الحدود الخلقيه يدرك ذلك الاستناد الحقيقى، و أين هذا من الاتحاد أو الحلول؟ و لذا ردّا لهذا التوهم الفاسد

قال عليه السّلام: «و اللّه خلو من خلقه و خلقه خلو منه» . فان قلت: يلزم من إدراك المخلوق كل شىء باللّه تعالى أن يستلزم العلم بالشىء علما بشىء آخر، و هذا نفاه صدر الحديث بالبيان المتقدم من أنه تعالى وجود محض، فلا يتعلق به العلم التصورى. قلت: المنفى فى صدر الروايه هو تحقق العلم الحصولى بالنسبه إليه تعالى بعلم آخر، و الثابت فى الذيل هو العلم الحضورى فالاستلزام المنفى هو فى العلم الحصولى. و هذا بخلاف العلم الحضورى لنا باللّه تعالى، فتأمل تعرف إن شاء اللّه. و الحاصل من الكل: أن البرهان و الأحاديث دلّت على أن المعرفه الفكريه

العلميه ليست بمعرفه حقيقيه، بل هی ما كانت بالنحو الذی ذكرنا من معرفته تعالی به لا بغيره.

و لذا سئل رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بم عرفت ربك؟ قال صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: «عرفت الأشياء بربی» (۱)و إلی ما ذكر يشير

ما رواه فی الكافی (۲)بإسناده عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أعرفوا اللّه باللّه، و الرسول بالرساله، و أولی الأمر بالأمر بالمعروف و العدل و الإحسان» .

فقوله عليه السّلام: «اعرفوا اللّه باللّه» يشير إلی ما ذكرنا من معرفته به تعالی. و هذا كله بيان لمتعلق الإيمان الذی أشير إليه

بقوله عليه السّلام فی حديث سدير: «نعم يا سدير ليس للسائل أن يسأل عن الإيمان: ما هو؟ حتی يعلم الايمان بمن» . و ما ذكره عليه السّلام تفسير

لقوله: «حتی يعلم الإيمان بمن» ، يظهر مما ذكرنا من بيان المتعلق للإيمان، ثم إنه يجری هذا البيان بعينه بالنسبه إلی الرساله و الولايه و شئونهما، و كذلك بالنسبه إلی صفاته تعالی و أفعاله، و جميع المعارف و الإخبارات الإلهيه، فلا نطيل بالبيان، لأنه غير خفی علی البصير الماهر المتتبع و اللّه الهادی إلی الصواب، هذا كلّه فی الإيمان.

الأمر الخامس: فی بيان معنی كونهم أبواب الإيمان.

فنقول و عليه التوكل: معنی كونهم أبوابه أنه لا يعرف الإيمان علما و لا حالا و لا متعلقا و لا تحصيلا إلّا بهم، فيجب علی الكل إتيان هذه الأبواب لتحقق الإطاعه للّه و للرسول و لأولی الأمر.

ففی الكافی (۳)بإسناده عن أبی بصير، عن الصادق عليه السّلام قال: «الأوصياء هم أبواب اللّه عز و جل، التی يؤتی منها، و لو لا هم ما عرف اللّه عز و جل، و بهم احتج اللّه

۱- ۱) انظر كتاب جامع السعادات.

۲- ۲) فی باب أنه لا يعرف إلّا به.

۳- ۳) فی باب أنه لا يعرف إلّا به.

تبارک و تعالی علی خلقه» .

و فیه، عن الصادق علیه السّلام و فی بصائر الدرجات باب ۱، قال علیه السّلام: «أبی اللّه أن یجری الأشیاء إلاّ بأسبابها، فجعل لکل شیء سببا، و جعل لکل سبب شرحا، و جعل لکل شرح علما، و جعل لکل علم بابا ناطقا، عرفه، من عرفه و جهله، من جهله ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و نحن» .

و عن بصائر الدرجات، بإسناده عن هاشم بن أبی عمار، قال: سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: «أنا عین اللّه، و أنا جنب اللّه، و أنا ید اللّه، و أنا باب اللّه» (۱).

و عن معانی الأخبار (۲)بإسناده عن الثمالی، عن علی بن الحسین علیه السّلام قال: «لیس بین اللّه و بین حجته حجاب، فلا للّه دون حجته ستر، نحن أبواب اللّه، و نحن الصراط المستقیم، و نحن عیبه علمه، نحن تراجمه وحیه، و نحن أرکان توحیده، و نحن موضع سرّه» . و قد تقدم

حدیث أبی عبد اللّه علیه السّلام من قوله: کان أمیر المؤمنین علیه السّلام «باب اللّه الذی یؤتی منه» .

و عن أبی جعفر علیه السّلام کما فی بصائر الدرجات. . إلی أن قال علیه السّلام: «فإن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم باب اللّه الذی لا یؤتی إلاّ منه، و سبیله الذی من سلکه وصل إلی اللّه، و کذلک کان أمیر المؤمنین علیه السّلام من بعده، و جری فی الأئمه واحدا بعد واحد» . و قد تقدم الحدیث بتمامه، و تقدم

حدیث جابر عن السجاد علیه السّلام من قوله: «یا جابر أ و تدری ما المعرفه؟ المعرفه إثبات التوحید أولا، ثم معرفه المعانی ثانیا، ثم معرفه الأبواب ثالثا» ، الحدیث. و قد تقدم أیضا

عن احتجاج الطبرسی حدیث ابن کوّاء. . إلی أن قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «نحن البیوت التی أمر اللّه أن یؤتی من أبوابها، فنحن أبواب اللّه

۱- ۱) البحارج ۲۴ ص ۱۹۴.

۲- ۲) البحارج ۲۴ ص ۱۲.

و بیوته» ، الحدیث. و الأحادیث التی دلّت علی أنهم علیه السّلام أبواب الإیمان و العلم، و أبواب اللّه کثیره جدّا فی متفرقات الأخبار. ثم إنه قد علمت أن الباب: هو ما یدخل منه إلی شیء خارجی أو معنوی، و کونهم أبوابا أی إلی المعانی و المعارف و التوحید، و لا ریب فی أنهم أبواب للعلوم کلها، کما نطقت به الأخبار المتواتره. و أما کونهم أبواب تحصیل تلک المعارف و الحالات المعنویه أما علما فظاهر حیث إنهم علیه السّلام بیّنوا کیفیه السلوک إلیها کما ذکرناه فیما تقدم، و أما وجدانا أی تحصیل الحقائق الواقعیه بالسلوک أو بهم علیه السّلام. أما الأول: فقد مرّ فیما تقدم. و أما بهم فبیانه: أنه قد تقدم أنهم حقیقه الأسماء الحسنی له تعالی، و أنها وسعت کل شیء بما لها سعه فی حدّ نفسها. و من المعلوم أن جمیع الموجودات خصوصا الأرواح لا تصل إلی الکمال إلاّ بالأسماء. و لما کانت هی أنفسهم الشریفه فلا محاله تکون الکلمات بهم علیهم السّلام. فهم علیهم السّلام الواسطه بین حقائق تلک الأسماء بما لها من السعه، و بین الموجودات الخارجیه، و الأرواح الکائنه فی صراط الکمال کل علی حسبه، فتلک الجهه الواسطیه هی المعبر عنها بکونهم أبوابا لنیلها. و هذا المقام کما علمت من شئون ولایتهم التکوینیه و هی مقام السفاره الإلهیه، و الترجمان الإلهی، و مقام الإفاضه من عالم الإطلاق الاسمی إلی عالم الموجودات الخارجی التکوینی. و إلی هذا کله أشیر

فی الزیاره کما تقدم

«إراده الرب فی مقادیر أموره تهبط إلیکم، و تصدر من بیوتکم»

و قد تقدم بیانه. و بعباره أخری: هم باب اللّه إلی الخلق بمعنی أن القوابل المهیّئه و الماهیات

الإمكـانيه تكون حياتهـا و جميع مـا لهـا من ربها، و تقبلها لتلك الفيوضات إنما هى بواسـطتهم، حيث إنهم عليهم السّـلام أبواب تلك الفيوضات و المعارف، فهم أبواب الخلق من اللّه إليهم. فحقائق الإيمان تتحقق فى القلوب بإفاضـتهم عليه السّلام كما أشار إليه أيضا

قوله عليه السّـلام فيما تقـدم: «و اللّه يا أبا خالد إن الأئمه هم الذين ينوّرون قلوب المؤمنين» . و الحاصل: أن حقائق الإيمان قائمه بهم، و لا تكون لأحد إلّا بإفاضـتهم عليهم السّلام فتكوينا لا ينال أحد شيئا إلّا بهم. و قد تقدم وجه تسميه أمير المؤمنين بأنه عليه السّلام يمير العلم للمؤمنين، كما تقدم شرحه. و إليه يشير

قوله عليه السّلام: و سبيله الذى من سلكه وصل إلى اللّه. هذا و الذى يدل على هذه الأمور أى كونهم عليه السّلام أبوابا و واسطه لنيل تلك الحقائق أن العلماء و الكمّلين من المؤمنين و الأبدال و غيرهم إنما اسـتفادوا تلك المقامات منهم عليهم السّلام. و إليه يشير ما

فى حـديث جابر المتقدم. . إلى أن قال جابر: «و أنا ما أعرف من أصـحابى على هذه الصـفه واحدا! ! قال: يا جابر، فإن لم تعرف منهم أحدا فإنى أعرف منهم نفرا قلائل يأتون و يسـلّمون و يتعلّمون من سرّنا و مكنوننا و باطن علومنا» ، الحديث، و سيجىء فيما بعد توضيحه إن شاء اللّه.

الأمر السادس: اعلم أن للايمان إطلاقين فى لسان الأخبار:

أحدهما: الإيمان بمعنى التصديق القلبى بشىء من الدين، الذى هو فوق الإسلام بدرجه، و دون اليقين بدرجه.

ففى الكافى، و الوافى، باب فضل الإيمان على الإسلام، بإسناده عن الوشا عن أبى الحسن عليه السّلام قال: سمعته يقول: «الإيمان فوق الإسلام بدرجه، و التقوى فوق الإيمان بدرجه، و اليقين فوق التقوى بدرجه، و ما قسّم فى الناس شىء أقل من اليقين» .

فعلم منه أن الإيمان هو التصديق بما وراء الحجاب، و هو ما دون اليقين و التقوى، و اليقين الذى هو الكشف للواقع هو فوقه، كما لا يخفى. و ثانيهما: إطلاقه على اليقين و على جميع المراتب التى تكون لأولياء اللّه تعالى.

ففيه بإسناده عن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صلى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب فى المسجد، و هو يخفق و يهوى برأسه، مصفرّا لونه، قد نحف جسمه و غارت عيناه فى رأسه، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول اللّه موقنا، فعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قوله، و قال له: إن لكل يقين حقيقه، فما حقيقه يقنيك؟ فقال: إن يقينى يا رسول اللّه هو الذى أحزننى، و أسهر ليلى و اظمأ هواجرى، فعزفت نفسى عن الدنيا و ما فيها، حتى كأنّى أنظر إلى عرش ربى، و قد نصب للحساب، و حشر الخلائق لذلك و أنا فيهم، و كأنى أنظر إلى أهل الجنه يتنعمون فى الجنه، و يتعارفون على الأرائك متكئون، و كأنى أنظر إلى أهل النار و هم فيها معذبون مصطرخون، و كأنى الآن أسمع زفير النار يدور فى مسامعى. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأصحابه: هذا عبد نور اللّه قلبه بالإيمان، ثم قال له: الزم ما أنت عليه، فقال الشاب: أدع اللّه لى يا رسول اللّه أن أرزق الشهاده معك فدعا له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاستشهد بعد تسعه نفر، و كان هو العاشر» . فهذا الحديث وارد لبيان اليقين، و ما له من الحقيقه و العلامه، و هو فوق درجه الإيمان بالمعنى السابق. و مع ذلك أطلق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليه لفظ الإيمان

بقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «هذا عبد نور اللّه قلبه بالإيمان» . و وجه إطلاقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الإيمان على اليقين، هو أن حقيقه الإيمان هو القبول و العقد القلبى و السكون إلى شىء كما علمت.

و هذا المعنى هو المراد

بقوله عليه السّلام فى حديث سدير: «نعم يا سدير ليس للسائل أن يسأل عن الإيمان ما هو؟ حتى يعلم الإيمان بمن» . و لذا فسّر الإمام عليه السّلام متعلق الإيمان بالتوحيد الشهودى على ما علمت من بيانه. و كيف كان، فالإيمان يطلق فى كلماتهم عليهم السّلام على اليقين و المراتب العاليه للتوحيد كما علمت. و عليه

فقوله عليه السّلام: و أبواب الإيمان، ليس المراد منه أبواب الإيمان التصديقى، الذى هو فوق مرتبه الإسلام و دون مرتبه اليقين، بل يعمّ جميع موارد إطلاقات الإيمان من اليقين و ما قبله من مراتب الإيمان كما لا يخفى. فهم عليهم السّلام أبواب جميع المقامات العاليه للأولياء. و لعله بهذا اللحاظ قيل: إنّ للإيمان مراتب، و عدّ من مراتبها مراتب اليقين. و إليه يشير من أنّ سلمان كان فى الدرجه العاشره من الإيمان، و يراد أنه كان فى درجه اليقين أيضا، و اللّه الهادى إلى الحقّ. و يمكن أن يقال: إنّ وجه إطلاق الإيمان على اليقين هو أن اليقين الحقيقى ما كان حقّ اليقين، و أمّا ما دونه من عين اليقين و علم اليقين، و إن كانا من اليقين، إلاّ أنهما لا يخلوان من حجاب على الواقع فيشترك مع الإيمان الذى هكذا، ضروره أنّ الإيمان هو مع الحجاب على الواقع، فبهذا اللحاظ أطلق الإيمان على كثير من موارد اليقين، كما فى الحديث المذكور: فإن زيد بن حارثه لم يعلم أنه كان فى مقام حق اليقين، بل كان إما فى مقام عين اليقين أو علم اليقين، فإن مقام علم اليقين أيضا يقتضى ما قاله زيد بن حارثه، قال اللّه تعالى كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اَلْيَقِينِ. لَتَرَوُنَّ اَلْجَحِيمَ . ضروره أن الواصل إلى مقام حق اليقين لم يبق له عين و لا أثر كما حقق فى محله، و اللّه العالم بحقائق الأمور.

الأمر السابع:

قد علم مما ذكرنا أن معنى أنهم أبواب الإيمان: أنه من سبيلهم، و طريق معرفتهم و بيانهم يصل الإنسان إلى الحقائق، فيعلم أنهم عليهم السّلام أركان هذه الحقائق و نفس معانيها، و هم تلك الحقائق فى نفس الأمر، فلا يوجد إلّا بهم و من عندهم، فمن أراد تلك الحقائق فلا بد من الارتباط و الاتصال بهم و تقدم فى المقدمه كيفيه الارتباط لها علامات ذكرت فى الأخبار. و لذا نذكر فى هذا الأمر أحاديث تجمع لحقائقها و علاماتها، و تكون بمنزله التميیز بين الواجد لها و عدمه، فنقول:

ففى الكافى، بإسناده عن عجلان أبى صالح، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام أوقفنى على حدود الإيمان، فقال: «شهاده أن لا إله إلّا اللّه و أنّ محمدا رسول اللّه، و الإقرار بجميع ما جاء به من عند اللّه، و صلوه الخمس، و أداء الزكاه، و صوم شهر رمضان، و حج البيت، و ولايه ولينا و عداوه عدونا و الدخول مع الصادقين» .

و فيه، بإسناده عن ابن أبى اليسع، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أخبرنى بدعائم الإسلام التى لا يسع أحد التقصير عن معرفه شىء منها، و التى من قصر عن معرفه شىء منها فسد عليه دينه و لم يقبل منه عمله، و من عرفها و عمل بها صلح له دينه، و قبل منه عمله و لم يضر به مما هو فيه لجهل شىء من الأمور جهله، فقال «شهاده أن لا إله إلّا اللّه، و الإيمان بأن محمدا رسول اللّه، و الإقرار بما جاء به من عند اللّه، و حقّ فى الأموال الزكاه، و الولايه التى أمر اللّه تعالى بها، ولايه آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» الحديث.

و فيه عن أبى الجارود، قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: يا بن رسول اللّه هل تعرف مودتى لكم، و انقطاعى إليكم، و موالاتى إيّاكم؟ قال: فقال: نعم، قال: فقلت: فإنى أسألك مسأله تجيبنى فيها، فإنى مكفوف البصر، قليل المشى، و لا أستطيع زيارتكم كلّ حين قال: هات حاجتك، قلت: أخبرنى بدينك الذى تدين اللّه عز و جل به أنت

و أهل بيتک، لأدين اللّه عز و جل به، قال: «إن کنت أقصرت الخطبه، فقد أعظمت المسأله، و اللّه لأعطينک دينی و دين آبائی الذی ندين اللّه عز و جل به: شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمدا رسول اللّه و الإقرار بما جاء به من عند اللّه، و الولايه لولينا و البراءه من عدونا، و التسليم لأمرنا، و انتظار قائمنا و الاجتهاد و الورع» .

و فيه، باب درجات الإيمان و منازله، بإسناده عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه تعالی وضع الإيمان علی سبعه أسهم: علی البر و الصدق و اليقين و الرضا و الوفاء و العلم و الحلم، ثم قسم ذلک بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعه الأسهم فهو کامل، محتمل، و قسم لبعض الناس السهم و لبعض السهمين و لبعض الثلاثه، حتی انتهوا إلی سبعه، ثم قال: لا تحملوا علی صاحب السهم سهمين، و لا علی صاحب السهمين ثلاثه فتبهضوهم. ثم قال کذلک حتی انتهوا إلی سبعه» .

و فيه، باب حدود الإسلام، بإسناده عن الثمالی، عن أبی جعفر عليه السّلام قال: «بنی الإسلام علی خمس، علی الصلاه و الزکاه و الصوم و الحج و الولايه، و لم يناد بشیء کما نودی بالولايه» .

و فی الکافی، بإسناد حسنه عن زراره، عن أبی جعفر عليه السّلام إلی أن قال: «ثم قال: ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه، و باب الأشياء و رضا الرحمن، الطاعه للإمام بعد معرفته، إن اللّه تعالی يقول: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ، وَ مَنْ تَوَلّٰی فَمٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً » . «أما لو أن رجلا قام ليله و صام نهاره، و تصدق بجميع ماله، و حجّ جميع دهره، و لم يعرف ولايه ولی اللّه فيواليه، و يکون جميع أعماله بدلالته إليه، ما کان له علی اللّه حقّ فی ثوابه، و لا کان من أهل الإيمان» ، الحديث، و سيأتی بتمامه.

و فی الکافی و الوافی، باب فضل الإيمان، بإسناده عن جابر، عن أبی جعفر عليه السّلام قال: قال لی: «يا جابر أ يکتفی من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ ! فو اللّه ما شيعتنا إلاّ من اتقی اللّه و أطاعه، و ما کانوا يعرفون يا جابر إلاّ بالتواضع و التخشع

و الأمانه، و كثره ذكر اللّه و الصوم و الصلاه، و البرّ بالوالدين، و التعهد للجيران من الفقراء و أهل المسكنه و الغارمين و الأيتام، و صدق الحديث، و تلاوه القرآن و كفّ الألسن إلاّ من خير، و كانوا أمناء عشائرهم فى الأشياء. قال جابر: فقلت: يا بن رسول اللّه ما نعرف اليوم أحدا بهذه الصفه! ! فقال: «يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أحبّ عليّا و أتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالا» . فلو قال: «إنى أحبّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فرسول اللّه خير من على، ثم لا يتّبع سيرته و لا يعمل بسنته ما نفعه حبّه إياه شيئا، فاتقوا اللّه و اعملوا لما عنده، ليس بين اللّه و بين أحد قرابه، أحبّ العباد إلى اللّه تعالى، و أكرمهم عليه أتقاهم، و أعملهم بطاعته» . «يا جابر و اللّه ما يتقرب إلى اللّه تعالى إلاّ بالطاعه، ما معنا براءه من النار، و لا على اللّه لأحد من حجه، من كان للّه مطيعا فهو لنا ولى، و من كان للّه عاصيا فهو لنا عدو، و ما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل و الورع» . أقول: ما ذكرناه فى الجمله معناه هو دينهم، و هو الولايه و الإيمان، و هذه الصفه أى الإيمان و الولايه لا تقوم إلاّ بالموصوف، أعنى ما ذكروه من الشيعه بما له من الصفات، و الفرع لا يتحقق إلاّ بالأصل، و هم عليهم السّلام فى جميع ذلك أبوابه فلا يوجد الإيمان إلاّ عنهم، و لا تتحقق هذه الصفات فى شيعتهم إلاّ بهم، و لا يصعد أحد بعمله إليه تعالى إلاّ بهم، و لا يقبل اللّه أعمالهم إلاّ بهم عليهم السّلام و لا يمدح أحد مؤمنا بإيمانه إلاّ هم، فقولهم فى ذلك مصدق. فألواح قلوب الأنبياء و المرسلين، و الملائكه المقربين، و الشهداء و الصالحين، و كلّ ساكن و متحرك، و كلّ رطب و يابس، و كلّ مقبل بإقباله، و كلّ مدبر بإدباره إنما ينتقش فيها من الإيمان و المعارف، أو الطبع و الخذلان بهم عليهم السّلام. فهم أبوابها أجمع صلوات اللّه عليهم أجمعين. جعلنا اللّه لهم و معهم و إليهم، و من مواليهم و شيعتهم و متبعيهم، و العاملين

بأمرهم، و المنتهين بنهيهم فى الدنيا و الآخره بمحمد و آله عليهم السّلام و الحمد للّه ربّ العالمين.

[۴]قوله عليه السّلام: و أمناء الرحمن.

اشاره

أقول: أمناء جمع أمين، و فى المجمع: المؤتمن على الشىء و منه محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمين اللّه على رسالاته. فمعنى أنهم عليهم السّلام أمناء الرحمن: أنه سبحانه ائتمنهم على دينه فى حفظه عن التغيير و التبديل و التحريف عن مواضعه، و عن إعمال الرأى فيه، و النطق عن الهوى بل هم عليهم السّلام عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . و معنى كونهم أمناء: أنهم مطهرون عمّا ينافى الأمانه، و مبرّأون عنه، لأنه خلاف الأمانه، و هو الخيانه يكون لأمور:

[دواعى الخيانه و انتفاؤها عنهم عليهم السلام]

منها: التخلق بالأخلاق النفسانيه من التكبر و الحسد و الحقد و غيرها.

و من المعلوم كما سيجىء بيانه أنهم عليهم السّلام معصومون مطهرون من الرجس بنصّ آيه التطهير، فلا يظلمون فى شىء بتضييع الأمانه لهذه الشهوات،

و منها: معرضيه السهو و النسيان.

و من المعلوم أن هذا منفىّ عنهم عليهم السّلام لما سيجىء فى شرح

قوله عليه السّلام : «عصمكم اللّه من الزلل» من أنهم محفوظون بحفظه تعالى لقوله تعالى: لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اَللّٰهِ بل علمت أن الحفظه من الملائكه إنما هى بأمرهم و من شئونهم، و من آثار ولايتهم التكوينيه. و قد تقدم

قول الباقر عليه السّلام عن كتاب كشف اليقين فى حديث. . إلى أن قال: «و نورا فى الظلم للنجاه، اختصهم لدينه، و فضلهم بعلمه، و آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، و جعلهم عمادا لدينه، و مستودعا لمكنون سرّه و أمناء على وحيه» الحديث.

فاللّه تعالى جعلهم عليهم السّلام كذلك فلا محاله يحفظهم عن السهو و النسيان، كيف و قد علمت أنهم حفظه و شهداء على الخلق، و أن لهم الولايه التكوينيه. و حينئذ كيف تجمع هذه المقامات مع السهو و النسيان؟ كما لا يخفى على أنّ آيه التطهير و آيه التكريم تدلان على نفى السهو عنهم بالملازمه العقليه. و ربما يقال: إنّ قوله تعالى: وَ لاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ اُمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (۱) يدل على أنهم حيث يكونون مخاطبين بهذا الخطاب تأويلا، لم يصدر منهم سهو، بدعوى أن السهو إنما يحصل بالالتفات إلى غيره تعالى، و من لم يلتفت لم يسه و لم يغفل و لم ينس، فتأمل.

و منها: الجهل،

فإنه منشأ للخيانه و لو عن قصور، و من المعلوم أنه منفى عنهم لما تقدم أنهم خزان العلم، و لقوله تعالى: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْكِتٰابِ فليس فيهم جهل يوجب خلاف الأمانه كما لا يخفى. و سيجىء أيضا بيانه.

و منها: وجود ما ينافى الأمانه

و من المعلوم نفيه عنهم عليهم السّلام و ذلك أن الذى استحفظوه و هو لوازم ذواتهم المقدسه، فحقيقتهم هو جوهره قدسيه منزهه عما يوجب الخلاف مطلقا، و لازمها الأمانه و التحفظ. و معلوم أن الشىء لا ينقلب عما هو عليه إلّا بإرادته تعالى. و اللّه أراد نفى الرجس عنهم، و أراد تطهيرهم، فهم عليهم السّلام خزائن الغيب، و المخزون فيها هو عين صفاتهم و حقيقتهم، التى ظهرت أشعتها فى الخلق، كما لا يخفى، و لعلّه سيجىء فى طى الشرح ما يوضح ذلك.

و منها: وجود ما يوجب عدم الوفاء و هو منفى عنهم،

لأنه تعالى علم منهم الوفاء بما اشترط عليهم، و أخبر بذلك فى آيه التكريم، فهم عليهم السّلام مؤتمنون على أنفسهم فحبسوها على طاعته، و حفظوها عن معصيته، كيف لا يكون كذلك. و أن ذواتهم المقدسه هى غيبه، الذى عنده تعالى مفاتحه لا يعلمها بحقيقتها إلّا هو

۱- ۱) الحجر:۶۵.

و أنفسهم عليهم السّلام التى لا علم لأحد بها إلّا له تعالى حيث إنها النفوس الملكوتيه الإلهيه، بل هى ذات اللّه العليا، التى خلقها و هى حقيقتهم و شجره طوبى، و سدره المنتهى، و جنه المأوى لا يصل إليها أحد، و هى حقيقه ولا يتهم التكوينيه، التى لها التصريف و التصرفات الكونيه، و من كان كذلك فكيف يحتمل فى حقّه خلاف الأمانه، و اللّه العالم الهادى إلى الحقّ المبين؟ !

و منها: أنّ قلوبهم لا ريب فى كونها محل مشيّه اللّه تعالى و إرادته،

و إنما جعلها محلّا لهما لما ائتمنهم عليها و علم تعالى أنهم لا يشاءون و لا يريدون إلّا ما شاء و أراد اللّه تعالى، و بالملازمه ينفى عنهم خلاف ما أراد و شاء، فقال تعالى فى حقّهم: عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (١)و قال تعالى: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ (٢)و قال تعالى: يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٣)فهو تعالى حفظهم أن لا يجدوا لأنفسهم و لا لشىء من ميولاتها و لا لشىء من مشياتها اعتبار وجود و لا وجود اعتبار و لا ينظرون إليها بالاستقلال أبدا.

ففى تفسير البرهان، بإسناده عن أبى الحسن الثالث عليه السّلام قال: «إنّ اللّه تبارك و تعالى جعل قلوب الأئمه موردا لإرادته، و إذا شاء شيئا شاءوه و هو قوله وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ » . فعلم أنه ليس فى نفوسهم المقدسه ما يوجب خلاف الأمانه، فهو المؤتمنون على دينه كما يحبّ اللّه و يرضى.

[وجه إضافه الأمناء إلى الرحمن]

و أما وجه الإضافه إلى الرحمن دون ساير صفاته تعالى، لأن الرحمن كما تقدم اسم دال على الرحمه الواسعه، التى وسعت كلّ شىء و كلّ أحد برّا كان أم فاجرا،

١- ١) الأنبياء:٢۶-٢٧.

٢- ٢) الإنسان:٣٠.

٣- ٣) الأنبياء:٢٨.

مؤمنا كان أم فاسقا، فالخلق كلّهم مشمولون بالرحمه الواسعه، و مستفيضون منه تعالى الفيض فى جميع شئونهم. و من المعلوم أن الأئمه هم المفوض إليهم أمر الخلق، كما سيجىء بيانه، و هم الواسطه فى إيصال الفيوضات منه تعالى إليهم، فهم عليهم السّلام فى جميع ذلك مؤتمنون حتى بالنسبه إلى أعدائهم. كما يومئ إليه ما

فى الكافى، بإسناده عن الحسين بن مصعب الهمدانى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «ثلاثه لا عذر لأحد فيها: أداء الأمانه إلى البرّ و الفاجر، و الوفاء بالعهد إلى البر و الفاجر، و برّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين» . فهم عليهم السّلام أول مصداق لأداء الأمانه حتى بالنسبه إلى الفاجر، فهم أمناء الرحمن أى مؤتمنون فى إيصال الفيض إلى الفجار أيضا بلا صدور شائبه خلاف أبدا.

و فى الحديث: إن على بن الحسين عليه السّلام قال: «لو أن قاتل أبى جعل عندى السيف الذى قتل به أبى أمانه لأديته له إذا طلبه» . فهم أمناء الرحمن للكلّ بمعنى أنهم عليهم السّلام ينظرون إلى الخلق بنظر اللّه إليهم، حيث شملتهم الرحمه الواسعه منه تعالى فهم عليهم السّلام بهذه الجهه و النظره يتعاملون مع الخلق، و هم أمناؤه تعالى فى ذلك، و لذا ترى أمير المؤمنين عليه السّلام يرفق بقاتله.

ففى البحار، باب كيفيه شهادته، فى حديث طويل إلى أن قال: «. . ثم التفت إلى ولده الحسن عليه السّلام و قال له: ارفق يا ولدى بأسيرك، و أرحمه و أحسن إليه، و أشفق عليه، أ لا ترى إلى عينيه قد طارتا فى أمّ رأسه، و قلبه يرجف خوفا و رعبا و فزعا؟ فقال له الحسن عليه السّلام: «يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر، و أفجعنا فيك، و أنت تأمرنا بالرفق به، فقال له: نعم يا بنى نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلاّ كرما و عفوا، و الرحمه و الشفقه من شيمتنا لا من شيمته، بحقّى عليك فأطعمه يا بنى مما تأكله» ، الحديث. فعلم أنهم عليهم السّلام يتعاملون مع الخلق كما يعاملهم اللّه بالرحمه الواسعه، نعم، فى أى

مورد انتفت الرحمه الواسعه انتفى لطفهم عليهم السّلام عنه، لانتفاء موضوعه، لا و العياذ باللّه لظلم منهم له، فقتلهم الأعداء و إجراءهم الحدود إنما هو بأمره تعالى فى موارده، التى لا تشملها الرحمه الواسعه، كما لا يخفى. و ملخص القول: إنّ الرحمن هو العله لاستوائه تعالى على العرش، أى هو العله للطفه تعالى على الخلق كلّهم بداعى هذه الصفه، و إلاّ فأين التراب و ربّ الأرباب؟ !

ففى التوحيد. . إلى أن قال: حدثنى مقاتل بن سليمان، قال: سألت جعفر بن محمد عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ فقال: «استوى من كلّ شىء، فليس شىء أقرب إليه من شىء» . فيعلم أنه تعالى استوى على الأشياء كلّها برحمته، حيث إن الرحمه هى الصفه الجامعه لصفات الإضافه المتعلقه لصفات الخلق، و هى الرحمه الواسعه التى وسعت كلّ شىء، و انبسطت فى الخلق آثارها، فهى خزائن غيبه التى أظهر عنها أفاعليها فى جميع الخلق، و أظهر بها صنائعه، و أبان بها أوامره و نواهيه. و بها أظهر فضائله فى الخلق، و منها ظهر بنيان عفوه و عدله، و انتشر بها كرمه و آلاؤه و بآثارها حمده الخلائق، و أثنى عليه أهل الثناء، و بها خلق ما خلق من الخلق العلوى و السفلى بأقسامها من الملائكه و أصناف الخلق و الحيوانات، و بها أعطى كلّ شىء خلقه ما به قوامه و معاشه، و بين بها وظائف المخلوقات، و بها أجرى الأقلام الإلهيه بما مضت به الاحتام، و بها جعلت الأسباب بإطلاقها مؤثرات فى الوجود فى التكوينيات و التشريعيات و الترقيات المعنويه فى جميع عوالم الوجود. و الحاصل: أنّ صفه الرحمه هى التى جعلت الخلائق بأسرها فى مجارى وجودها فى التأثير و التأثر و الترقى و التعالى و الفعل و الانفعال كلّها و لولاها لبقيت الموجودات فى أسر احتياجها محرومه عن جميع الفيوضات، باقيه فى ظلمات

الإمكـان و قعر سـجون الفقر. فكونهم عليهم السّـلام أمنـاء الرحمن إشـاره إلى أنّ جميع موارد إعمـال الرحمه فى الخلق إنمـا هو بهم، لأنه تعالى كما علمت أشهدهم خلقها، و أنهى علمها إليهم، و هم عليهم السّلام الحجّه البالغه عليهم أجمعين. و قد يقال: إنّ إشهادهم للخلق هو عباره عن عرض ولايتهم على الخلق كلهم.

ففى المحكى عن السرائر لابن إدريس، عن جامع البزنطى عن سليمان بن خالد، قال: سـمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «ما من شـىء و ما من آدمى و لا أنسى و لا جنّى، و لا ملك فى السموات و الأرض إلاّ و نحن الحجج عليهم، و ما خلق اللّه خلقا إلاّ و قـد عرض ولايتنا عليه، و احتـج بنا عليه، فمؤمن بنـا و كـافر و جاحـد حتى السـموات و الأرض و الجبال، الآيه يعنى الشـجر و الـدواب» ، الحـديث. و من المعلوم: أنه تعـالى لم يعرض ولا۔يتهم على الخلق إلاّ۔ بعـد مـا ائتمنهم على جميع مـا اسـتوى به من رحمـانيته على عرشه. فهم عليهم السّـلام مؤتمنون عليها، و أمرهم اللّه تعالى أن يؤدّوا الأمانات إلى أهلها، فأدّوا الأمانه إلى أنحاء الخلق بأنحاء الأداء، فأدّوا إلى كل ذى حقّ حقّه. حتى بالنسبه إلى أنفسهم الشريفه فأدّوا إليها جميع ما لها من الحقّ و الاستحقاق. و من ردّ الأمانـات هو أنه تعـالى لما عرفهم نفسه و عرفهم عليهم السّـلام اسـتحقاقه تعالى، بأن يسـبح و يهلل و يكبر و يوحّـد لما عرفهم نفسه تعـالى، و عرفوا مـا له تعالى من الاقتضاء الـذاتى من العظمه و الجمال بما يسـتحق تعالى به أن يحمـد و يسـبح، إلى آخر ما قلناه فأدّوا أمانه البارى تعالى أى عملوا بما تقتضيه ذاته المقدسه مما ذكرنا. فأولا عرفوه حقّ معرفته بما منحهم اللّه ذلك، فسبحوه و حمـدوه بحقائقهم عليهم السّـلام و هللوه و كبروه بتوحيـدهم عليهم السّـلام له تعالى، و عبـدوه حقّ عبادته بما عرفهم نفسه، و حيث عرفوا ذلک الأمر الإلهى، و أدّوا أمانته تعالى إليه فأفصحوا عن ذلک كلّه بقولهم: إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ .

ص: ٩١

ثم إنّهم عليهم السّلام منحوا لأهل التقوى و المعارف تقواهم و معارفهم، فصاروا (أى الخلق) بذلک أتقياء و عرفاء باللّه، و هکذا بالنسبه إلى کل مقام لأولياء اللّه، فإنما هو منهم عليهم السّلام کما تقدمت الإشاره إليه. فهذه الأمور من أداء الأمانه بأنحائه من شئون کونهم أمناء الرحمن. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام هبطوا إلى الأرض مطهرون عن جميع الآفات و النقائص المنافيه لقداستهم الذاتيه.

قال الحسين عليه السّلام:

«إلهى أمرت بالرجوع إلى الآثار، فأرجعنى إليها بکسوه الأنوار، و هدايه الاستبصار حتى أرجع إليک منها، کما دخلت إليک منها مصون السرّ عن النظر إليها، و مرفوع الهمّه عن الاعتماد عليها، إنک على کلّ شىء قدير» ، الدعاء. فالمطلوب له عليه السّلام بهذا الدعاء هو هذه القداسه الذاتيه، و قد منهم اللّه تعالى بما لم يمنح به غيرهم،

قوله عليه السّلام: حتى أرجع إليک منها کما دخلت إليک منها، يشير إلى ما حاصله. يتّضح بتوضيح مراده عليه السّلام:

فقوله إلهى أمرت بالرجوع إلى الآثار أى سيدى أنت أمرت عبادک بأن يرجعوا إلى آثار قدرتک فى آيات الآفاق و الأنفس، ليصلوا بذلک إلى معرفتک حيث قلت: أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى اَلسَّمٰاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنٰاهٰا وَ زَيَّنّٰاهٰا (۱) . وَ إِلَى اَلسَّمٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (۲)و قوله: أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ اَلْقُرْآنَ (۳)و قوله: . . أَ فِی اَللّٰهِ شَكٌّ فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (۴)و غيرها من الآيات الآمره بالتفکر فى آيات الآفاق، و لکنى أسألک و أرجوک أن ترجعنى إليک بإراءه تجلّيات أنوارک، لتکون بنورک توصلنى

ص: ۹۲

۱- ۱) سوره ق:۶.

۲- ۲) الغاشيه:۱۸.

۳- ۳) النساء:۸۲، محمد:۲۴.

۴- ۴) إبراهيم:۹.

إليک، و أسألک أن تهدينى إليک بهدايه استبصارک.

فقال عليه السّلام

«فأرجعنى إليک بكسوه الأنوار و هدايه الاستبصار-اللهم أرجعنى إليک هكذا-حتى أرجع إليک منها كما دخلت إليک منها- أى أرجعنى إليک بتجلّياتک حتى أصل إلى شهود حضرتک و جمالک بدون التوجّه إلى الآثار-كما دخلت إليک منها-أى كما أنى و إن كنت من آثارک و مظاهرک إلاّ أنه قد دخلت إليک، أى اتصلت بنور عزّک الأبهج منها أى من وجودى الذى هو من الآثار، فأعرضت عنها و محوت الحدود فانيا عن نفسى و ملحقا بنور عزّک الأبهج» .

و قوله عليه السّلام

«مصون السر عن النظر إليها، و مرفوع الهمّه عن الاعتماد عليها-أى افعل بى هذا فى حال كونى محفوظ النظر إلى الآثار، و همّتى مرفوعه عن أن يعتمد عليها، أو أنى اتصلت بنور عزّک الأبهج حال كونى مصون النظر إلى الآثار، و مرفوع الهمه عن الاعتماد عليها» .

و كيف كان فالمطلوب له عليه السّلام منه تعالى هو هذه القداسه الروحيه التى تحصل منها أمانه النفس و الروح و السرّ، التى هى ملاک كونهم عليهم السّلام أمناء الرحمن و الحمد للّه وحده.

قوله عليه السّلام: و سلاله النبيين.

اشاره

أقول: السلاله بضمّ أوله، قال فى المجمع: و السلاله: الخلاصه، لأنها تسلّ من الكدر و يكنى بها عن الولد. و السلاله: النطفه أو ما ينسلّ من الشىء القليل، إلى أن قال: و سلاله الوصيين أولادهم، إلى أن قال: و السل انتزاعک الشىء و إخراجه برفق. أقول: فسلاله الشىء ما انسل من صفوته، سميت بذلک، لأنها تسل من الكدر الذى يمكن أن يكون فى المنسّل منه، و لذا عبّر عنها بالخلاصه. و بهذا الاعتبار قيل للنطفه السلاله، لأنها خلاصه الطعام و الشراب و صفو

الغذاء و كذا إطلاقها على الولد، فسلاله الوصيين أولادهم الذين من صفوتهم، فالمتصفون بالصفوه منهم يقال لهم السلاله لا مطلقا، كما لا يخفى. و فى المحكى عن شرح الفقيه فى شرح هذه الفقره قال (۱): فإنهم عليهم السّلام ذريه نوح و إبراهيم و إسماعيل ظاهرا، و من طينه الأنبياء و الرسل روحا و بدنا، كما نطقت به الأخبار المتواتره، إلخ. أقول: ربما يقال: إنّ ظاهر كلامه رضوان اللّه عليه أن لا يكون المستلّ أعلى من المستلّ منه، إذ الولد من سلاله أبيه. فيلزم أن يكون الأئمه و الأنبياء طينتهم واحده، و يلزم إما أن يكون الأنبياء بما هم المستلّ منهم أعلى منهم عليهم السّلام أولا أقل من مساواتهم معهم و هو كما ترى. إلّا أن يقال: إنّ مراد الشارح هو بيان أن أرواحهم و أبدانهم لم تنسل من أرواح و أبدان غير الأنبياء من ساير الناس، الذين فيهم العهر و السفاح و الزناء الموجب لتكوّن السلاله المنسله منهم، بل فى عالم الوجود لم تنسل أرواحهم و أبدانهم إلّا من تلك الأرواح و الأبدان الطاهره. فسياق الكلام هو بيان طهارتهم عن تكونهم بغير هؤلاء الطاهرين، لا فى مقام بيان إثبات الفضيله لهم عليهم السّلام لكونهم عليهم السّلام منسلّين من تلك الأرواح و الأبدان، بل الأمر بالعكس كما لا يخفى. و كيف كان فظاهر كلامه ما تقدم. هذا مع أنّ الدليل لا يأبى عن كون الولد أفضل من الأب، بل دلّت الأخبار و انعقد الإجماع من الشيعه على أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خير الخلق كما تقدمت الإشاره إليه، و سيجىء أيضا، و على أنّ عليّا عليه السّلام نفسه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنصّ آيه المباهله من قوله تعالى: وَ أَنْفُسَنٰا . و من المعلوم أنّ المراد من كونه عليه السّلام نفسه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المماثله فى الفضيله لا الاتحاد، و مماثل الأفضل أفضل، فيكون على عليه السّلام أفضل الخلق بعد محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما يجرى لعلى

۱- ۱) هو الشيخ محمد تقى المجلسى الأول رحمه اللّه.

یجری لأولاده الأحد عشر الطیبین کما صرحت به الأحادیث المتقدمه. و هذا یقتضی اختلاف طینتهم علیهم السّلام مع طینه النبیین من حیث أرواحهم و طینتهم علیهم السّلام، و من حیث أبدانهم و أجسامهم و خلق نطفهم علیهم السّلام و خلق أرواح الشیعه و أنها من فاضل طینتهم، فنقول و علیه التوکل:

ففی الکافی بإسناده عن محمد بن مروان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «إنّ اللّه خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طینه مخزونه مکنونه من تحت العرش، فأسکن ذلک النور فیه فکنّا نحن خلقا و بشرا نورانیّین لم یجعل لأحد فی مثل الذی خلقنا منه نصیبا، و خلق أرواح شیعتنا من طینتنا، و أبدانهم من طینه مخزونه مکنونه أسفل من ذلک (تلک) الطینه و لم یجعل اللّه لأحد فی مثل الذی خلقهم منه نصیبا إلاّ للأنبیاء. و لذلک صرنا نحن و هم الناس، و صار سائر الناس همج للنار و إلی النار، و مثله أحادیث أخر بهذا المضمون. فدلّ هذا الحدیث و نحوه علی أنّ الطینه التی خلقوا منها لم یکن لأحد من الخلق فیها نصیب، و دلّ علی أنّ شیعتهم خلقوا من فاضل طینتهم، و لم یجعل اللّه لأحد فیما خلق منه شیعتهم نصیبا إلاّ الأنبیاء کما علمت، و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ إِنَّ مِنْ شِیعَتِهِ لَإِبْرٰاهِیمَ (1).

فعن مجمع البیان، روی أبو بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «لیهنئکم الاسم قلت: و ما هو؟ قال: الشیعه، قلت: إنّ الناس یعیّروننا بذلک، قال: أ ما تسمع قول اللّه سبحانه: وَ إِنَّ مِنْ شِیعَتِهِ لَإِبْرٰاهِیمَ و قوله: فَاسْتَغٰاثَهُ اَلَّذِی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَی اَلَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ انتهی. فأشار علیه السّلام بقوله: أ ما تسمع، إلی أنّ هذا الاسم هو الذی أطلق علی إبراهیم علیه السّلام فالشیعه فی مرتبته علیه السّلام» .

ص:95

1- 1) الصافات:83.

و لعلّه إليه يشير

قوله عليه السّلام: «و لم يجعل اللّه لأحد فى مثل الذى خلقهم منهم نصيبا إلّا الأنبياء» ، كما لا يخفى. و كيف كان فأرواحهم عليهم السّلام خلقت من نور عظمته تعالى، كما دلّت عليه أحاديث كثيره ربما نذكرها فى طى الشرح و قد تقدم بعضها، و دلّت الأحاديث أيضا على أنّ الأنبياء خلقوا من شعاع نورهم.

ففى البحار (۱)، عن جابر بن عبد اللّه قال: قلت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أول شىء خلق اللّه تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر إلى أن قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و أقام القسم الرابع فى مقام الحياه ما شاء اللّه. ثم نظر إليه بعين الهيبه فرشح ذلك النور، و قطرت منه مائه ألف و أربعه و عشرون ألف قطره، فخلق اللّه من كلّ قطره روح نبى و رسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق من أنفاسها أرواح الأولياء و الشهداء و الصالحين» . فحينئذ إذا كان خلق أرواح شيعتهم من شعاع نورهم، و أيضا إذا كان خلق أرواح الأنبياء من شعاع أنوارهم، فلا ريب فى أنّ نورهم عليهم السّلام تحت حقيقتهم أى منشعبه منها و منفعله بها، و أن ذلك الشعاع الذى خلقت منه حقائق الأنبياء تحت نورهم أى منشعبه منه و منفعله به. فحينئذ كيف يكونون عليهم السّلام قد حصلوا أو سلوا من طينه الأنبياء، فحينئذ

لابد من حمل كونهم سلاله النبيين على أحد معنيين:

أحدهما: أن أنوارهم وضعت فى تلك المحال الشريفه الطيبه الطاهره

أعنى: أصلاب الأنبياء و الأرحام المطهره. توضيحه: أن تلك الأصلاب و الأرحام المطهره، التى تستقر و تستودع فيها تلك الأنوار الطيبه الطاهره إنما هى قشور لتلك الألباب، أحاطت تلك الأنوار بها كإحاطه الأشعه بالسراج، و هم مدبّرون بتلك الألباب فقدرها فى ساير أطوارها

۱- ۱) البحار ج ۲۲ ص ۲۳.

بمقتضى الأسباب الإلهيه الجاريه فى تلك المحال الشريفه، فتلك الأنوار مفارقه لتلك المحال الشريفه فى التقدير و إن كانت مقارنه لها فى التدبير، فهى سبب لشرافه تلك المحاله الشريفه. و لأجل هذا كان كلّ من انتقل إليه ذلك النور المفارق أشرق وجهه، و عرفه نورا حتى يعرف بذلك النور و يستبان فى وجهه و غرسه إلى أن ينتقل منه إلى الرحم الطاهره، فيسلب منه ذلك النور و يتلألأ بوجه الحامل به المنتقل إليها إلى أن تضع الجنين، فيخرج مشرقا بما فيه فتشرق به الأرض و تسلب أمّه النور. فهم عليهم السّلام بما هم تلك الأنوار، و إنما صارت سلاله لتلك الأصلاب و الأرحام لشرافتها الذاتى فهى بالإضافه إلى محالها سلاله أى أشعه نوريّه أضيفت إلى تلك المحال، لا أنها استلت منها ليكون المستلّ منه أشرف من المستل، كيف و إن شرافتهم بسبب تلك الأنوار، و إلى ما ذكرنا تشير أحاديث كثيره، نذكر بعضها.

ففى البحار عن كتاب كنز جامع الفوائد، روى الشيخ أبو جعفر الطوسى بإسناده عن الفضل بن شاذان عن رجاله، عن موسى بن جعفر عليه السّلام قال: «إنّ اللّه تبارک و تعالى خلق نور محمد من اختراعه من نور عظمته و جلاله، و هو نور لاهوتيه الذى تبدّى و تجلّى لموسى عليه السّلام فى طور سيناء، فما استقر له و لا أطاق موسى لرؤيته، و لا ثبت له حتى خرّ صعقا مغشيا عليه، و كان ذلك النور نور محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. فلما أراد أن يخلق محمدا منه قسم ذلك النور شطرين، فخلق من الشطر الأول محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من الشطر الآخر على بن أبى طالب عليه السّلام و لم يخلق من ذلك النور غيرهما خلقهما بيده و نفخ فيهما بنفسه لنفسه، و صورهما على صورتهما، و جعلهما أمناء له و شهداء على خلقه و خلفاء على خليقته، و عينا له عليهم و لسانا له إليهم. قد استودع فيهما علمه، و علّمهما البيان و استطلعهما على غيبه، و بهما فتح بدء الخلائق، و بهما يختم الملک و المقادير. ثم اقتبس من نور محمد فاطمه ابنته، كما اقتبس نوره من المصابيح، هم خلقوا

من الأنوار، و انتقلوا من ظهر إلى ظهر، و من صلب إلى صلب، و من رحم إلى رحم فى الطبقه العليا من غير نجاسه، بل نقل بعد نقل لا ـ من ماء مهين، و لا ـ نطفه خشره كسائر خلقه، بل أنوار انتقلوا من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، لأنهم صفوه الصفوه اصطفاهم لنفسه، لأنّه لا يرى و لا يدرك و لا تعرف كيفيته و لا إنيّته، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه، المتصرفون فى أمره و نهيه، فبهم تظهر قدرته، و منهم ترى آياته و معجزاته، و بهم و منهم عباده نفسه، و بهم يطاع أمره. و لو لا هم ما عرف اللّه و لا يدرى كيف يعبد الرحمن، فاللّه يجرى أمره كيف يشاء فيما يشاء، لا يسأل عما يفعل و هم يسألون (۱).

و فيه أيضا و فى تفسير البرهان (۲)للسيد البحرانى، محمد بن العباس مرفوعا إلى محمد بن زياد، قال: سأل ابن مهران عبد اللّه بن عباس عن تفسير قوله تعالى: وَ إِنّا لَنَحْنُ اَلصّافُّونَ. وَ إِنّا لَنَحْنُ اَلْمُسَبِّحُونَ . فقال ابن عباس: إنا كنا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأقبل على بن أبى طالب عليه السّلام فلما رآه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تبسّم فى وجهه و قال: «مرحبا بمن خلقه اللّه قبل آدم بأربعين ألف عام» ، فقلت: يا رسول اللّه أ كان الابن قبل الأب؟ ! قال: «نعم، إن اللّه تعالى خلقنى و خلق عليا قبل أن يخلق آدم بهذه المده، و خلق نورا فقسمه نصفين، فخلقنى من نصفه، و خلق عليا من النصف الآخر قبل الأشياء كلّها، ثم خلق الأشياء فكانت مظلمه، فنورها من نورى و نور على، ثم جعلنا عن يمين العرش، ثم خلق الملائكه فسبحنا فسبحت الملائكه، و هللنا فهللت الملائكه، و كبرنا فكبرت الملائكه، فكان ذلك من تعليمى و تعليم على، و كان ذلك فى علم اللّه السابق أن لا يدخل النار محبّ لى و لعلى، و لا يدخل الجنه مبغض لى و لعلى» ، عليهما و على آلهما السلام.

۱- ۱) البحار ج ۳۵ ص ۲۹، أقول: و نقله أيضا السيد هاشم البحرانى فى غايه المرام.

۲- ۲) تفسير البرهان ج ۴ ص ۳۹.

«ألا-و إنّ اللّه عز و جل خلق الملائكه، بأيـديهم أباريق اللجين، مملوه من ماء الحياه من الفردوس، فما أحد من شيعه على إلاّ و هو طاهر الوالدين تقى نقى مؤمن باللّه، فإذا أراد أبو أحدهم أن يواقع أهله، جاء ملك من الملائكه الذين بأيديهم أباريق من ماء الجنه، فيطرح من ذلك الماء فى آنيته، التى يشرب منها، فيشرب من ذلك الماء و ينبت الإيمان فى قلبه كما ينبت الزرع. فهم على بينه من ربهم و من نبيهم و من وصيهم على و من ابنتى الزهراء ثم الحسن، ثم الحسين، ثم الأئمه من ولد الحسين عليه السّلام فقلت: يا رسول اللّه و من الأئمه؟ قال: أحد عشر منى و أبوهم على بن أبى طالب، ثم قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الحمد للّه الذى جعل محبه على و الإيمان سببين» ، انتهى. فعلم أنّ روح المؤمن و نطفته المعنويه أيضا من ماء الجنه.

فعن أمير المؤمنين عليه السّلام: «اتقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه، قال ابن عباس: كيف ينظر بنور اللّه؟ قال عليه السّلام: لأنا خلقنا من نور اللّه، و خلق شيعتنا من شعاع نورنا، فهم أصفياء أبرار أطهار متوسمون، نورهم يضىء على من سواهم كالبدر فى الليله الظلماء» .

و فى بصائر الدرجات بإسناده عن معاويه بن عمار، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك، هذا الحديث الذى سمعته منك، ما تفسيره؟ قال: و ما هو؟ قال: إن المؤمن ينظر بنور اللّه، فقال عليه السّلام: «يا معاويه، إنّ اللّه خلق المؤمنين من نوره، و صبغهم فى رحمته، و أخذ ميثاقهم لنا بالولايه على معرفته يوم عرفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه و أمّه، أبوه النور و أمّه الرحمه، و إنما ينظر بذلك النور الذى خلق منه» .

و فى البحار (۱)، عن أمالى الشيخ بإسناده عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول

۱- ۱) البحار ج ۳۰ ص ۳۱.

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «كنت أنا و على على عين العرش، نسبّح اللّه قبل أن يخلق آدم بألفى عام، فلما خلق آدم جعلنا فى صلبه، ثم نقلنا من صلب إلى صلب فى أصلاب الطاهرين و أرحام المطهرات حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب، فقسمنا قسمين، فجعل فى عبد اللّه نصفا، و فى أبى طالب نصفا، و جعل النبوه و الرساله فىّ، و جعل الوصيه و القضيه فى على، ثم اختار لنا اسمين اشتقهما من أسمائه، فاللّه محمود و أنا محمد، و اللّه العلى و هذا على، فإنى للنبوه و الرساله و على للوصيه و القضيه» .

و فى البحار (1)، عن كتاب رياض الجنان لفضل اللّه بن محمود الفارسى، قال: و بإسناده مرفوعا إلى جابر بن يزيد الجعفى، قال: قال أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السّلام: «يا جابر كان اللّه و لا شىء غيره و لا معلوم و لا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خلقنا أهل البيت معه من نوره و عظمته، فأوقفنا أظله خضراء بين يديه حيث لا سماء و لا أرض و لا مكان و لا ليل و لا نهار و لا شمس و لا قمر، يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس، نسبّح اللّه تعالى و نقدسه و نحمده و نعبده حقّ عبادته. ثم بدأ اللّه تعالى عز و جل أن يخلق المكان فخلقه، و كتب على المكان لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه على أمير المؤمنين و وصيّه، به أيّدته و نصرته. ثم خلق اللّه العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك. ثم خلق اللّه السموات فكتب على أطرافها مثل ذلك. ثم خلق الجنه و النار فكتب عليهما مثل ذلك. ثم خلق الملائكه و أسكنهم السماء، ثم ترآى لهم اللّه تعالى، و أخذ عليهم الميثاق له بالربوبيّه و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنبوه، و لعلى عليه السّلام بالولايه. فاضطربت فرائص الملائكه، فسخط اللّه على الملائكه، و احتجب عنهم، فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون اللّه من سخطه، و يقرّون بما أخذ عليهم

١- ١) البحار ج ٢٥ ص ١٧.

و يسألونه الرضا فرضى عنهم بعد ما أقرّوا بذلك، و أسكنهم بذلك الإقرار السماء، و اختصهم لنفسه، و اختارهم لعبادته، ثم أمر اللّه تعالى أنوارنا أن تسبح فسبّحت فسبّحوا بتبعنا، و لو لا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبّحون اللّه و لا كيف يقدّسونه. ثم إنّ اللّه عز و جل خلق الهواء، فكتب عليه لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول، على أمير المؤمنين وصيه، به أيّدته و نصرته. ثم خلق الجن و أسكنهم الهواء، و أخذ الميثاق منهم بالربوبيه، و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنبوه و لعلى عليه السّلام بالولايه فأقر منهم بذلك من أقر، و جحد منهم من جحد فأول من جحد إبليس لعنه اللّه، فختم له بالشقاوه و ما صار إليه. ثم أمر اللّه تعالى عز و جل أنوارنا أن تسبح فسبحت، فسبحوا بتسبيحنا، و لو لا ذلك ما دروا كيف يسبّحون اللّه. ثم خلق اللّه الأرض فكتب على أطرافها لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول، عليّ أمير المؤمنين وصيه، به أيدته و نصرته، فبذلك يا جابر قامت السموات بغير عمد و تنبت الأرض. ثم خلق اللّه آدم عليه السّلام من أديم الأرض، فسوّاه و نفخ فيه من روحه، ثم أخرج ذريته من صلبه، فأخذ عليهم الميثاق له بالربوبيه و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنبوه و لعلى عليه السّلام بالولايه، أقرّ منهم من أقرّ، و جحد من جحد، فكنّا أول من أقرّ بذلك. ثم قال لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و عزتى و جلالى و علوّ شأنى، لولاك و لو لا على و عترتكما الهادون المهديّون الراشدون ما خلقت الجنه و النار، و لا المكان و لا الأرض، و لا السماء و لا الملائكه و لا خلقا يعبدنى. يا محمد: أنت خليلى و حبيبى و صفيّى و خيرتى من خلقى، أحبّ الخلق إلىّ و أول ما ابتدأت إخراجه من خلقى، ثم من بعدك الصديق على أمير المؤمنين وصيك، به أيدتك و نصرتك، و جعلته العروه الوثقى و نور أوليائى و منار الهدى، ثم هؤلاء الهداه المهتدون.

ص :١٠١

من أجلكم ابتدأت خلق ما خلقت، و أنتم ضياء خلقى فيما بينى و بين خلقى خلقتكم من نور عظمتى، و احتجت بكم (1)عمّن سواكم من خلقى، و جعلتكم أستقبل بكم و أسأل بكم (أى جعلت الناس يستقبلون بكم إلىّ و أنتم قبله لهم) . و سيأتى فى شرح قوله: من قصده توجه بكم، ما يوضح ذلک إن شاء اللّه. فکلّ شىء هالک إلاّ وجهى و أنتم وجهى، لا تبدون و لا تهلكون و لا يبيد و لا يهلک من تولاّكم، و من استقبلنى بغيركم فقد ضلّ و هوى، و أنتم منار خلقى و حمله سرّى و خزّان علمى و سادات أهل السموات و أهل الأرض. ثم إنّ اللّه تعالى هبط إلى الأرض فى ظلل من الغمام و الملائكه (نسبه الهبوط إليه تعالى كنايه عن أمره، و توجهه إلى الأرض لجعل الخليفه فيه) و أهبط أنوارنا أهل البيت معه، و أوقفنا نورا صفوفا بين يديه، نسبّحه فى أرضه كما سبّحناه فى سمواته، و نقدّسه فى أرضه كما قدسناه فى سمائه، و نعبده فى أرضه كما عبدناه فى سمائه. فلما أراد اللّه إخراج ذريه آدم عليه السّلام لأخذ الميثاق سلک ذلک النور (أى نورهم عليهم السّلام) فيه، ثم أخرج ذريته من صلبه يلبّون، فسبّحناه فسبّحوا بتسبيحنا، و لو لا ذلک لا دروا كيف يسبحون اللّه عز و جل، ثم ترآى لهم بأخذ الميثاق لهم بالربوبيه، و كنا أول من قال: بلى، عند قوله: أ لست بربكم، ثم أخذ الميثاق منهم بالنبوه لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لعلى عليه السّلام بالولايه، فأقر من أقر و جحد من جحد. ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: فنحن أول خلق اللّه، و أول خلق عبد اللّه و سبّحه، و نحن سبب خلق الخلق، و سبب تسبيحهم و عبادتهم من الملائكه و الآدميين، فبنا عرف اللّه، و بنا وحد اللّه، و بنا عبد اللّه، و بنا أكرم اللّه من أكرم من جميع خلقه، و بنا أثاب من أثاب، و بنا عاقب من عاقب، ثم تلا قوله تعالى: وَ إِنّا لَنَحْنُ اَلصّافُّونَ. وَ إِنّا

ص: 102

1- 1) و فى نسخه و احتججت، و لعلّه الصحيح و احتججت، و كيف كان فليس المراد منه بمعنى الاحتياج، كما لا يخفى، منه.

لَنَحْنُ اَلْمُسَبِّحُونَ

(۱)

و قوله تعالی: قُلْ إِنْ کٰانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ اَلْعٰابِدِینَ (۲). فرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أول من عبد اللّه تعالی، و أول من أنکر أن یکون له ولد أو شریک، ثم نحن بعد رسول اللّه، ثم أودعنا بذلک النور صلب آدم علیه الصلاه و السلام، فما زال ذلک النور ینتقل من الأصلاب و الأرحام من صلب إلی صلب و لا استقر فی صلب إلّا تبین عن الذی انتقل منه انتقاله و شرف الذی استقر فیه حتی صار فی صلب عبد المطلب فوقع بأم عبد اللّه فاطمه فأفترق النور جزأین، جزء فی عبد اللّه و جزء فی أبی طالب، فذلک قوله تعالی: وَ تَقَلُّبَکَ فِی اَلسّٰاجِدِینَ (۳)یعنی فی أصلاب النبیین و أرحام نسائهم. فعلی هذا أجرانا اللّه تعالی فی الأصلاب و الأرحام و ولدنا الآباء و الأمهات من لدن آدم علیه السّلام» انتهی. و إنما نقلنا هذه الأحادیث بطولها لما فیها من المعارف الجمه، و الإشاره إلی بیان کونهم سلاله و صفوه، کما لا یخفی. فظهر أنهم علیهم السّلام بحقیقتهم أسرار الملک الوهاب، قد انجلت فی تلک العوالم، التی مرت إلیها الإشاره من جانب منها، فدلّت علی أنهم علیهم السّلام متعینون متمیزون، و أنهم إنما تعلقوا بتلک المحال الشریفه فصاروا سببا لشرافتها، فهم علیهم السّلام أودعوا فی تلک الأصلاب و الأرحام بما هم أنوار کونیّه و أشباح نورانیه، لهم من الکمال و الشعور و الدرک فی جمیع تلک العوالم. و لذا دلّت الأحادیث الکثیره علی أنهم کانوا یتکلمون فی بطن أمهاتهم کما روی ذلک فی فاطمه الزهراء و الحسین صلوات اللّه علیهما، و غیرهما، کما لا یخفی.

۱- ۱) الصّافات:۱۶۶،۱۶۷.

۲- ۲) الزخرف:۸۲.

۳- ۳) الشعراء:۲۱۹.

ثم إنه قد عبر عنهم بالنطف فی بعض الأخبار، و لکن من المعلوم أنه لا یراد منه النطف المادیه، التی تکون لسایر الخلق، و ذلک لأن النطفه فی لسان أهل البیت تستعمل فی التی هی عالم الغیب أی النطفه النوریه و المعنویه.

ففی المحکی عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده عن الحلبی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «النطفه تقع بین السماء و الأرض علی النبات و الثمر و الشجر، فیأکل الناس منه و البهائم فتجری فیهم» ، الحدیث.

و فی الکافی بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن فی الجنه لشجره تسمی المزن، فإذا أراد اللّه أن یخلق مؤمنا أقطر منها قطره، فلا تصیب بقله و لا ثمره أکل منها مؤمن أو کافر إلّا أخرج اللّه تعالی من صلبه مؤمنا» . أقول: و هذه الروایه تشرح المراد من

قوله فی الحدیث السابق: «النطفه تقع بین السماء و الأرض» و أنه لیس المراد منها النطفه المادیه بل المراد منها المعنویه و النوریه. و لهذا الحدیث شرح مفصل راجع الوافی فی باب صون المؤمن من الشر، فإذا کانت النطفه فی المؤمن هکذا ففیهم علیهم السّلام بطریق أولی فأولی. فتحصل من الجمیع أن المراد من کونهم سلاله النبیین، بمعنی الصفوه و الخلاصه من النبیین، و إن لم یکونوا من نوع طینتهم، بل هم أشرف منهم کما علمت. لکن اقتضت الحکمه الإلهیه فی مقام نزولهم علیهم السّلام إلی عالم الدنیا من طریق التناسل، أن تتعلق تلک الأنوار بتلک المحال الشریفه المناسبه لها فی مراتب النزول فی کلّ شیء منها بحسبها. و حیث لم یکن محال أشرف من أصلاب النبیین، فنزلوا إلیها بإذن اللّه تعالی، ثم سلّوا و تخلصوا منها بالولاده، فقیل: بهذه الاعتبارات سلاله النبیین. و قد یقال: إنّ المراد من السلاله الأولاد أی أنهم فی الظاهر أولاد النبیین، لأن الولد سلاله أبیه و لکن فیه ما فیه.

الثانی: من معنی کونهم سلاله النبیین

هو أنّ المراد من النبیین نفس رسول

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. بيانه: أنّ النبيين قد أطلق فى الآيه الآتيه على خصوص النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأريد من لفظ الجمع خصوص النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)، بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «أعينونا بالورع، فإنه من لقى اللّه عز و جل منكم بالورع، كان له عند اللّه فرج، إن اللّه عز و جل يقول: مَنْ يُطِعِ اَللّهَ وَ اَلرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اَللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلنَّبِيِّينَ وَ اَلصِّدِّيقِينَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً فمنّا النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و منّا الصديقون و الشهداء و الصالحون» .

و فيه بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام «إنه قال لأبى بصير: يا أبا محمد لقد ذكركم اللّه فى كتابه فقال: فَأُولٰئِكَ مَعَ اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اَللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلنَّبِيِّينَ وَ اَلصِّدِّيقِينَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً . فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الآيه النبيون و نحن فى هذا الموضع الصديقون و الشهداء و أنتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم اللّه عز و جل» .

و فى البحار (۲)، من كتاب رياض الجنان لفضل اللّه بن محمود الفارسى بحذف الأسانيد، عن أنس بن مالك قال: بينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صلى بنا صلوه الفجر، ثم استوى فى محرابه كالبدر فى تمامه، فقلنا: يا رسول اللّه إن رأيت أنّ تفسّر لنا هذه الآيه قوله تعالى: فَأُولٰئِكَ مَعَ اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اَللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلنَّبِيِّينَ وَ اَلصِّدِّيقِينَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِينَ . فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أما النبيون فأنا، و أما الصديقون فعلى بن أبى طالب، و أما الشهداء فعمّى حمزه، و أما الصالحون فابنتى فاطمه و ولداها الحسن و الحسين» الحديث.

۱- ۱) نور الثقلين ج ۱ ص ۴۲۶.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۱۶.

و عن تفسیر علی بن إبراهیم: و أما قوله: مَنْ یُطِعِ اَللّهَ وَ اَلرَّسُولَ فَأُولٰئِکَ مَعَ اَلَّذِینَ أَنْعَمَ اَللّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ اَلنَّبِیِّینَ وَ اَلصِّدِّیقِینَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولٰئِکَ رَفِیقاً . «فالنبیین رسول اللّه، و الصدیقین علی، و الشهداء الحسن و الحسین و الصالحین الأئمه، و حسن أولئک رفیقا القائم من آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم» الحدیث. أقول: لا بعد فی إطلاق النبیین علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فإنه نظیر قوله تعالی: إِنَّ إِبْرٰاهِیمَ کٰانَ أُمَّةً قٰانِتاً (1).

ففی تفسیر نور الثقلین فی تفسیر العیاشی، عن زراره و حمران و محمد بن مسلم، عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیه السّلام، عن قول اللّه: إِنَّ إِبْرٰاهِیمَ کٰانَ أُمَّةً قٰانِتاً لِلّٰهِ حَنِیفاً قال: «شیء فضل اللّه به» . أقول: أی فضل اللّه بأن جعله کالأمه مع أنه واحد تعظیما بشأنه.

و فیه عن أبو بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: إِنَّ إِبْرٰاهِیمَ کٰانَ أُمَّةً قٰانِتاً لِلّٰهِ حَنِیفاً قال: «سماه اللّه أمّه» .

و فیه، یونس بن ظبیان، عنه علیه السّلام: «إن إبراهیم کان أمه قانتا: أمه واحده» . فکما أطلق اللّه تعالی لفظ الموضوع للجمع علیه تعظیما بشأنه، فکذلک أطلق هنا لفظ النبیین علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعظم شأنه و علو مقامه فی النبوه، کما لا یخفی. فحینئذ معنی کونهم سلاله النبیین أی سلاله النبی محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فحینئذ یتجه المراد من الشارح المجلسی الأول رحمه اللّه فإنهم علیه السّلام قد سلوا من محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم جدهم سلّ النور من النور، کما أشار إلیه

أمیر المؤمنین علیه السّلام حیث قال: «أنا من محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کالضوء من الضوء» .

۱- ۱) النحل:۱۲۰.

فظهر من جميع ما ذكرنا: أن كونهم سلاله النبيين أنهم ودائع اللّه عند الأنبياء، و هم أدّوا ودائعه كما أمرهم، هذا بالنسبه إلى حقيقتهم النورانيه، ثم تعلقت تلك الأنوار بالنطف الطيبه تعلق ما بالقوه بالفعل كتعلق الشجر فى غيب النواه. و ظهر أن أرواح شيعتهم من فاضل طينتهم، و أن حقيقه نطف شيعتهم من ماء العرش، و هم الطيبون أبا و أمّا، بل

ورد أنّ حقيقه أنوار الشيعه كأنوارهم عليهم السّلام بنحو يفوق أنوار الأنبياء و أرواحهم.

ففى بصائر الدرجات بإسناد رفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول، جعلهم اللّه خلف العرش، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم» . ثم قال عليه السّلام: «إنّ موسى لما سأل ربّه ما سأل، أمر واحد من الكروبيين فتجلّى للجبل فجعله دكّا، فيعلم أن حقيقه أنوارهم فى الكروبيين خلف العرش فضائلهم أكثر من أن يحصى» . كيف و هم شعاع أنوار الأئمه عليهم السّلام و الفضل للأصل، و هو أنوار محمد و آله الطاهرين و يعجبنى أن أختم الكلام بما نقل فى فضل سيد الأنام محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن عمّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم العباس بن عبد المطلب قال: من قبلها طبت فى الظلال و فى مستودع حين يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر أنت و لا مضغه و لا علق بل نطفه تركب السفين و قد ألجم نسرا و أهله الغرق تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق و أنت لما ولدت أشرقت الأرض و ضاءت بنورك الأفق فنحن فى ذلك الضياء و فى النور و سبل الرشاد نخترق

ص :١٠٧

قوله عليه السّلام: و صفوه المرسلين.

الصفوه مثلثه الصاد: الخلاصه، و الكلام فى هذا كالكلام فى الجمله السابقه، فكونهم صفوه المرسلين أى أن طينتهم من طينه لم يجعل اللّه لأحد من الخلق فيهن نصيبا كما دلّ عليه حديث محمد بن مروان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام المتقدم. و يدل على هذا ما

فى البحار عن كتاب رياض الجنان (۱)ففيه: و من ذلك ما رواه جابر بن عبد اللّه قال: قلت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أول من خلق اللّه تعالى ما هو؟ فقال: «نور نبيك يا جابر، خلقه اللّه ثم خلق منه كلّ خير، ثم أقامه بين يديه فى مقام القرب ما شاء اللّه. ثم جعله أقساما فخلق العرش من قسم، و الكرسى من قسم، و حمله العرش و خزنه الكرسى من قسم، و أقام القسم الرابع فى مقام الحبّ ما شاء اللّه. ثم جعله أقساما، فخلق القلم من قسم، و اللوح من قسم، و الجنه من قسم، و أقام القسم الرابع فى مقام الخوف ما شاء اللّه. ثم جعله أجزاء، فخلق الملائكه من جزء، و الشمس من جزء، و القمر و الكواكب من جزء، و أقام القسم الرابع فى مقام الرجاء ما شاء اللّه. ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء، و العلم و الحلم من جزء، و العصمه و التوفيق من جزء، و أقام القسم الرابع فى مقام الحياء ما شاء اللّه. ثم نظر إليه بعين الهيبه، فرشح ذلك النور، و قطرت منه مائه ألف و أربعه و عشرون ألف قطره فخلق اللّه من كلّ قطره روح نبىّ و رسول. ثم تنفست أرواح الأنبياء، فخلق اللّه من أنفاسها أرواح الأولياء و الشهداء و الصالحين. و نظيره أحاديث كثيره كما لا يخفى، لمن راجع البحار فيستفاد منه أنهم عليهم السّلام صفوه المرسلين حيث إن نوره، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أول مخلوق له تعالى» .

ص: ۱۰۸

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۲۱.

و معلوم بضميمه ساير الأحاديث الكثيره أنّ أرواح الأئمه عليهم السّلام خلقت من نوره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما علمت و تعلم، فظهر أنّ أرواحهم أول خلق له تعالى قبل خلق كلّ شىء، فكانوا يهللون اللّه و يسبحونه حول العرش بمده، لا يحيط به العقل و لا يثبته القلم، و سيجىء بيانه عند شرح

قوله عليه السّلام:

«خلقكم اللّه أنوارا» . و يدل على طول مده خلقهم قبل الكلّ ما فى تفسير البرهان، عند قوله تعالى وَ هُوَ اَلَّذِى خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيّٰامٍ وَ كٰانَ عَرْشُهُ عَلَى اَلْمٰاءِ (۱).

و روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام كما فى البحار فى كتاب السماء و العالم أنه سئل عن مده ما كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الأرض و السماء فقال: «تحسن أن تحسب؟ فقال له: نعم، فقال: لو أنّ الأرض من المشرق إلى الغرب، و من الأرض إلى السماء حبّ خردل، ثم كلفت على ضعفك أن تحمله حبّه حبّه من المشرق إلى المغرب حتى أفنيته، لكان ربع عشر جزء من سبعين ألف جزء من بقاء عرش ربنا على الماء قبل أن يخلق الأرض و السماء ثم قال: إنما مثلت لك مثالا» .

و فى حديث مثله، قال عليه السّلام فى آخره: و أستغفر اللّه عن التحديد بالقليل، فحينئذ إذا كان بقاء العرش على الماء، لا يدخل تحت حصر، كيف بأنوارهم عليهم السّلام التى خلقت قبل كون العرش على الماء، فسبقتهم على الخلق لا بكيف و لا بوصف، و إليه يشير

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: «نور نبيك يا جابر خلقه اللّه، ثم خلق منه كلّ خير، ثم أقامه بين يديه فى مقام القرب ما شاء اللّه» .

فقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما شاء اللّه» ، يشير إلى تلك المده التى لا توصف، و كذلك ساير الإقامات التى ذكرت فى الحديث، و حدّد

بقوله: «ما شاء اللّه» ، لا يعلم كيفيته و لا مقداره كما لا يخفى. و لعله إليه يشير قوله تعالى: قُلْ لَوْ كٰانَ اَلْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّى لَنَفِدَ اَلْبَحْرُ

۱- ۱) هود:۷.

قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً

(۱)

. و قوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِی اَلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلاٰمٌ وَ اَلْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ کَلِمٰاتُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۲).

فعن تفسیر علی بن إبراهیم، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: قُلْ لَوْ کٰانَ اَلْبَحْرُ مِدٰاداً لِکَلِمٰاتِ رَبِّی الآیه، قال: «قد أخبرک أنّ کلام اللّه لیس له آخر و لا غایه و لا ینقطع أبدا» . أقول: لا ریب فی أنّ عدم انقطاع الکلام یحکی عن عدم انقطاع المحکی به کما لا یخفی.

و فی البحار عن مناقب آل أبی طالب، و تحف العقول، و الاحتجاج، سأل یحیی ابن أکثم أبا الحسن العالم علیه السّلام عن قوله تعالی: سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ کَلِمٰاتُ اَللّٰهِ ما هی؟ فقال: «هی عین الکبریت و عین الیمن و عین البرهوت و عین الطبریه و حمه ماسیدان و حمه افریقیّه و عین باحوران، و نحن الکلمات التی لا تدرک فضائلنا و لا تستقصی» . فهذا الحدیث بین معناها الظاهری و معناها التأویلی.

فقوله و نحن الکلمات. . إلخ یشیر إلی أنّ حقیقتها ذواتهم المقدسه، التی لا تدرک فضائلهم و لا تستقصی، و إطلاق الکلمه و الکلمات علیهم علیهم السّلام کثیره.

ففی البحار عن تفسیر القمی بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام فإن یشاء اللّه یختم علی قلبک، قال: «لو افتریت و یمح اللّه الباطل، یعنی یبطله و یحقّ الحقّ بکلماته یعنی بالأئمه و القائم من آل محمد (عج)» الخبر.

و فیه، عن بصائر الدرجات بإسناده عن جعفر بن محمد علیه السّلام قال: سمعته یقول:

۱- ۱) الکهف:۱۰۹.

۲- ۲) لقمان:۲۷.

«إن اللّه إذا أراد أن يخلق الامام من الامـام بعث ملكا فأخـذ شـربه من تحت العرش، ثم أوصـلها أو دفعها إلى الامام فيمكث فى الرحم أربعين يوما لا يسـمع الكلام، ثم يسـمع بعـد ذلك، فإذا وضـعته أمّه بعث ذلك الملك الـذى كان أخذ الشربه، و يكتب على عضـده الأيمن: و تمت كلمه ربّك صـدقا و عدلا لا مبدل لكلماته و هو السـميع العليم» ، فمكاتبته على عضده يبين أنه عليه السّلام حقيقه الكلمه و مصداقها.

و فيه عن مناقب آل أبى طالب، يحيى بن عبـد اللّه بن الحسين، عن الصـادق عليه السّـلام فى قوله تعالى: وَ لَقَـدْ سَـبَقَتْ كَلِمَتُنٰا لِعِبٰادِنَا اَلْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ اَلْمَنْصُورُونَ قال: «نحن هم» . فإن الظاهر أنّ المراد من

قوله: «نحن هم» ، أنهم الكلمه التى ذكرهـا اللّه للعبـاد المرسـلين. و كيف كـان فـأطلقت الكلمه على الأئمه عليهم السّـلام و على الإمامه و على ولايتهم كما لا يخفى على المتتبع لآثارهم. كل هـذا يشـير إلى أنهم الخلق الأول إلى الآخر، الـذى هو كلماته التى تحكى عن أنواع الخلق، فكلّ خلق شأن من شئونهم. فهم فى جميع المراتب صفوه اللّه و صفوه المرسلين و صفوه جميع الخلق، و لعمرى إنّ حـديث جـابر أحسن بيـان لهـذا، فـإنه بيّن أنهم عليهم السّـلام بعـد أن خلقهم اللّه، و أمرهم بالإدبار لتشـييد نظام عالم الوجود، فأخذوا عليهم السّـلام ينزلون من مقام إلى مقام الذى بيّنه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى هذا الحديث، و كلما وصـلوا مقامـا فى نزولهم بقوا فيه يسبحون اللّه بكـلّ لسـان يمكن فى ذلـك المقـام بكـلّ لغه ممكن، إلى أن وصـلوا إلى آخر مقـام من مقامات الاختصاص. فلما حصـلوا هناك و لحظهم سبحانه بعين الهيبه، رشح من أنوارهم تلك القطرات المذكوره، التى كان من كلّ منها روح نبىّ من الأنبياء إلى آخرهم فهم الصفوه، أى اصطفاهم و اختارهم من الأنوار الخالصه، التى لا ظلمه و لا دناسه

فيها، فهم فى جميع مراتب النزول التى مرت إليه الإشاره: مصطفون و مصفون و ملحوظون باللحاظ الإلهى الربوبى فى مستو واحد و إن نزلت بهم المقادير إلى مراتب الخلقه، و هم دائما فى حفظه تعالى و كنفه، و فى صدر كلّ منزله و مرتبه كانت لأحد من الخلق، و لذا هم السابقون إلى الإجابه له تعالى فى الذر، و فى عالم الدنيا و التكليف.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى النهج ما يقرب من هذا اللفظ: «أنزلوهم أحسن منازل القرآن» أى أىّ منزله ذكرت فى القرآن لأى ممدوح بلسان الوحى. فمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أحسن تلك المنزله فى جميع مراتبها، فأنزلوهم فى منازلهم، و لا تنحّوهم عنها، فهم صفوه اللّه و المرسلين فضلا عن النبيين و عن ساير الخلق. و ربما يقال: إنّ كونهم صفوه المرسلين ككونهم سلاله النبيين، إلاّ أنّ السابقه يراد بها اصطفاهم ذاتا و روحا و خلقا أوليّا، و بهذه الجمله الثانيه يراد بها اصطفاهم بلحاظ مقام البعث و التبليغ، فإنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مبعوث بأعلى مراتب التوحيد، و هاد إلى أقوم مراتب العبوديه كما يقول تعالى: إِنَّ هٰذَا اَلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ اَلْمُؤْمِنِينَ . نعم: هذا الاعتبار الثانى فرع الاعتبار الأول، كما لا يخفى. و إلى أهميه مقام الصفوه يشير ما

عن الكاظم عليه السّلام قال: «لن يبعث اللّه رسولا إلاّ بنبوه محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وصيه على عليه السّلام» .

و عن الصادق عليه السّلام قال: «ما من نبى جاء قطّ إلاّ بمعرفه حقّنا، و تفضيلنا على من سوانا» كما تقدم. و تقدم

قول الصادق عليه السّلام: «إنما أمر الناس بمعرفتنا و التسليم لنا و الردّ إلينا فيما اختلفوا» . كل ذلك يشير إلى علو مقامهم و أنهم عليهم السّلام بمرتبه فوق الخلق و دون الخالق، و لذا أمر الأنبياء و الناس كلّهم بمعرفتهم و تفضيلهم على من سواهم. اللّهم اجعلنا ممن أقرّ بفضلهم، و سلم لهم، و تبعهم فى ولايتهم، و جعلته معهم فى

الدنیا و الآخره، و من محبیهم، و خالص شیعتهم بمحمد و آله الطاهرین و الحمد للّه ربّ العالمین.

قوله علیه السّلام: و عتره خیره ربّ العالمین.

اشاره

أقول: الکلام فی شرح هذه الجمله یقع فی أمور خمسه:

الأول: فی معنی العتره و الآل و الأهل و الرهط

فنقول: قال المجلسی الأول رحمه اللّه فی المحکی عنه: العتره نسل الرجل و رهطه و عشیرته الأقربون، و هم أهل بیته

کما ورد متواترا عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إنی تارک فیکم الثقلین کتاب اللّه و عترتی أهل بیتی» ، و الخیره بسکون العین و فتحها: المختار، انتهی. أقول و فی معانی الأخبار (1)للصدوق رضوان اللّه علیه، قال مصنف هذا الکتاب قدس اللّه روحه: حکی محمد بن بحر الشیبانی، عن محمد بن عبد الواحد صاحب أبی العباس تغلب فی کتابه الذی سماه کتاب الباقریه، أنه قال: حدثنی أبو العباس تغلب، قال: حدثنی ابن الأعرابی و قال: العتره قطاع المسک الکبار فی النافجه و تصغیرها عتیره، و العتره: الریقه العذبه و تصغیرها عتیره، و العتره شجره تنبت علی باب وجار الضب، و أحسبه أراد وجار الضبع، لأن الذی للضب مکو و للضبع وجار. أقول: و عن القاموس: و الوجار بالکسر و الفتح حجر الضبع و غیرها، قیل: و قوله: و غیرها لا یدل علی أنه یستعمل فی الضب أیضا، و فیه ما لا یخفی. ثم قال: و إذا خرجت الضب من وجارها تمرغت علی تلک الشجره فهی لذلک لا تنمو و لا تکبر، و العرب تضرب مثلا للذلیل و الذله، فیقولون: أذل من عتره الضب. قال: و تصغیرها عتیره. و العتره ولد الرجل و ذریته من صلبه، فلذلک سمیت ذریه محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من علی و فاطمه علیها السّلام عتره محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

۱- ۱) معانی الأخبار ص ۹۱.

قال تغلب: فقلت لابن الأعرابی فما معنی قول أبی بکر فی السقیفه: نحن عتره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم؟ قال: أراد بلدته و بیضته، و عتره محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم لا محاله ولد فاطمه علیها السّلام. و الدلیل علی ذلک ردّ أبی بکر و إنفاذ علی علیه السّلام بسوره براءه

و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «أمرت ألاّ یبلغها عنّی إلاّ أنا أو رجل منی» فأخذها منه و دفعها إلی من کان منه دونه، فلو کان أبو بکر من العتره نسبا، دون تفسیر ابن الأعرابی: أنه أراد البلده، لکان محالا أخذ سوره براءه منه و دفعها إلی علی علیه السّلام. و قد قیل: إنّ العتره الصخره العظیمه، تتخذ الضبّ عندها حجرا یأوی إلیه، و هذا لقلّه هدایته. و قد قیل: إن العتره أصل الشجره المقطوعه، التی تنبت من أصولها و عروقها، و العتره فی غیر هذا المعنی

قول النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «لا فرعه و لا عتیره» . الفرع بالتحریک: أول ولد تنتجه الناقه، کانوا یذبحونه لآلهتهم یتبرکون بذلک، و العتیره أیضا هی الذبیحه، التی کانت تذبح للأصنام فی رجب فیصبّ دمّها علی رأسها. قال الأصمعی: کان الرجل فی الجاهلیه ینذر نذرا علی أنه إذا بلغت غنمه مائه أن یذبح رجبّه (رجیبه) و عتایره، فکان الرجل ربما بخل بشاته فیصید الضباء و یذبحها عن غنمه عند آلهتهم لیوفی بها نذره. و أنشد الحارث بن حلّزه: عنتا باطلا و ظلما کما تعتر عن حجره الربیض الضباء یعنی یأخذونها بذنب غیرها کما یذبح أولئک الضباء عن غنمهم. و قال الأصمعی: و العتره الریح، و العتره أیضا: شجره کثیره اللبن، صغیره یکون نحو القامه. و یقال: العتر، الضباء، الذکر، عتر یعتر عترا، إذا نعظ. و قال الریاشی: سألت الأصمعی عن العتره، فقال: هو نبت مثل المرزنجوش

ینبت متفرقا. أقول: قال الصدوق فی کمال الدین و تمام النعمه (۱)، قال أبو عبیده (هو القاسم ابن سلام، کظلام، المتوفی ۲۲۳ و کان من المشاهیر فی اللغه و الحدیث و الأدب) فی کتاب الأمثال، حکاه عن أبی عبیده: العتر و العطر أصل للإنسان، و منه قولهم: عادت لعترها لمیس (العتر: الأصل، و لمیس اسم امرأه مثل یضرب لمن یرجع إلی عاده سوء ترکها، و اللام فی لعترها بمعنی إلی، کما فی التنزیل: وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ أی عادت خلق کانت فارقته. ثم قال رحمه اللّه فی معانی الأخبار: قال مصنف هذا الکتاب رضی اللّه عنه: و العتره علی بن أبی طالب و ذریته من فاطمه، و سلاله النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هم الذین نصّ اللّه تبارک و تعالی علیهم بالامامه علی لسان نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هم اثنا عشر، أولهم علی و آخرهم القائم علیه السّلام علی جمیع ما ذهبت إلیه العرب من معنی العتره. و ذلک أنّ الأئمه من بین جمیع بنی هاشم و من بین جمیع ولد أبی طالب کقطاع المسک الکبار فی النافجه، و علومهم العذبه عند الحکمه و العقل (الحل و العقد) ، و هم الشجره التی

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «أنا أصلها و أمیر المؤمنین علیه السّلام فرعها، و الأئمه من ولده أغصانها، و شیعتهم ورقها، و علمهم ثمرها» . و هم علیهم السّلام أصول الإسلام علی معنی البلده و البیضه. و هم علیهم السّلام الهداه، علی معنی الصخره العظیمه التی یتخذ الضبّ عندها حجرا یأوی إلیها لقله هدایته. و هم أصل الشجره المقطوعه، لأنهم وتروا و ظلموا و جفوا و قطعوا و لم یوصلوا فنبتوا من أصولهم و عروقهم، و لا یضرّهم قطع من قطعهم، و إدبار من أدبر عنهم، إذ کانوا من قبل اللّه منصوصا علیهم علی لسان نبیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. و من معنی العتره هم المظلومون المأخوذون بما لم یجرموه و لم یذنبوه. و منافعهم کثیره، و هم ینابیع العلم علی معنی الشجره الکثیره اللبن، و هم علیهم السّلام ذکران غیر

۱- ۱) کمال الدین ص ۲۴۳.

إناث على معنى قول من قال: إنّ العتره هو الذكر، و هم جند اللّه عز و جل و حزبه، على قول الأصمعى: إن العتره: الريح،

قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «الريح جند اللّه الأكبر» ، فى حديث مشهور عنه عليه السّلام. و الريح عذاب على قوم و رحمه لآخرين، و هم عليهم السّلام كذلك، كالقرآن المقرون إليهم

بقول النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنى مخلف فيكم الثقلين، كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى» . قال اللّه عز و جل: وَ نُنَزِّلُ مِنَ اَلْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لاٰ يَزِيدُ اَلظّٰالِمِينَ إِلاّٰ خَسٰاراً . و قال عز و جل: وَ إِذٰا مٰا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زٰادَتْهُ هٰذِهِ إِيمٰاناً فَأَمَّا اَلَّذِينَ آمَنُوا فَزٰادَتْهُمْ إِيمٰاناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَ أَمَّا اَلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مٰاتُوا وَ هُمْ كٰافِرُونَ . و هم عليهم السّلام أصحاب المشاهد المتفرقه على المعنى الذى ذهب إليه من قال: إنّ العتره هو نبت مثل المرزنجوش ينبت متفرقا، و بركاتهم منبثّه فى المشرق و المغرب، انتهى ما عن معانى الأخبار. قال الصدوق رحمه اللّه فى كمال الدين و تمام النعمه (1): قال مصنف هذا الكتاب رحمه اللّه: إن سأل سائل عن

قول النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنّى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب اللّه و عترتى إلاّ أنهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض» ، فقال: ما تنكرون أن يكون أبو بكر من العتره، و كلّ بنى أميه من العتره، أو لا تكون العتره إلاّ لولد الحسن و الحسين عليهم السّلام فلا يكون على بن أبى طالب من العتره؟ فقيل له: أنكرت لما جاء به اللغه. و دل عليه قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأما دلاله قوله عليه السّلام

فإنه قال: عترتى أهل بيتى. و الأهل مأخوذ من إهاله البيت، و هم الذين يعمرونه، فقيل لكلّ من عمّر البيت أهل، كما قيل لمن عمّر البيت أهله و لذلك قيل لقريشى: آل اللّه لأنهم عمّار

۱- ۱) كمال الدين ص ۲۴۱.

بيته، و الآل: الأهل. قال اللّه عز و جل فى قصه لوط: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اَللَّيْلِ (۱). و قال: إِلاّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ (۲). فسمى الأول أهلا، و الآل فى اللغه: الأهل، و إنما أصله أنّ العرب إذا ما أرادت أن تصغر الأهل قالت: أهيل، ثم استقلت الهاء، فقالت: آل و أسقطت الهاء فصار معنى الآل كلّ من رجع إلى الرجل من أهله بنسبه، ثم استقر ذلك فى الأمه، فقيل لمن رجع إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بدينه: آل. قال اللّه عز و جل: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ اَلْعَذابِ . و إنما صح أنّ الآل فى قصه فرعون متبعوه لأن اللّه عز و جل إنما عذبه على الكفر و لم يعذبه على النسب، فلم يجز أن يكون قوله: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ ، أهل بيت فرعون، فمتى قال قائل: آل الرجل فإنما يرجع بهذا القول إلى أهله إلاّ أن يدل عليه بدلاله الاستعاره كما جعل اللّه عز و جل يقوله: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ .

و روى عن الصادق عليه السّلام أنه قال: «ما عنى إلاّ ابنته، و أما الأهل فهم الذريه و من الرجل و ولد أبيه و جده و دينه» كذا فى الأصل على ما تعورف، و لا يقال لولد الجد إلاّ بعد: أهل. أ لا ترى أنّ العرب لا تقول للعجم: أهلنا و إن كان إبراهيم عليه السّلام جدّهما. و لا تقول من العرب مضر لإياد: أهلنا، و لا لربيعه. و لا تقول قريش لسائر ولد مضر: أهلنا. و لو جاز أن يكون سائر قريش أهل الرسول عليهم السّلام بالنسب، لكان ولد مضر و سائر العرب أهله، فالأهل أهل بيت الرجل و دينه، فأهل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنو هاشم دون سائر البطون. فإذا ثبت أنّ

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنى مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب اللّه

۱- ۱) هود:۸۱.

۲- ۲) القمر:۳۴.

و عترتی أهل بیتی» ، فسأل سائل ما العتره؟ فقد فسّرها هو علیه السّلام بقوله «أهل بیتی» و هکذا فی اللغه أنّ العتره شجره تنبت علی باب جحر الضب. قال الهذلی: فما کنت أخشی أن أقیم خلافهم لسته أبیات کما تنبت العتر انتهی. أقول: هذا البیان کاف لبیان المعانی اللغویه لکلمه الآل و الأهل و العتره. و قد تقدم فی شرح أهل بیت النبوه بیان معان الأهل، و أنه لا یراد منه فی مثل هذه الإطلاقات إلاّ الأئمه علیهم السّلام، فراجع. و أما الرهط فسیجیء فی ذکر الأحادیث الوارده فی الباب. و أما السلاله فقد تقدم بیانه. و أما الذریه فسیجیء بیانها فی شرح

قوله علیه السّلام: و ذریه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. و هنا أحادیث کثیره دلت علی بیان المراد من هذه الکلمات فنذکر بعضها إن شاء اللّه تعالی.

ففی معانی الأخبار للصدوق (۱)رحمه اللّه، بإسناده عن أبی سعید الخدری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إنّی تارک فیکم أمرین، أحدهما أطول من الآخر کتاب اللّه عز و جل حبل ممدود من السماء إلی الأرض طرف بید اللّه و عترتی ألا و إنهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض» ، فقلت لأبی سعید: من عترته؟ قال: أهل بیته.

و فیه بإسناده، عن غیاث بن إبراهیم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبیه محمد بن علی، عن أبیه علی بن الحسین، عن أبیه الحسین علیهم السّلام قال سئل أمیر المؤمنین علیه السّلام عن معنی قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إنی مخلف فیکم الثقلین کتاب اللّه و عترتی» ، من العتره؟ فقال: أنا و الحسن و الحسین و الأئمه التسعه من ولد الحسین،

۱- ۱) معانی الأخبار ص ۸۹.

تاسعهم مهديهم و قائمهم لا يفارقون كتاب اللّه و لا يفارقهم حتى يردوا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حوضه» .

و فيه (۱)، بإسناده عن محمد بن سليمان الديلمى، عن أبيه، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك من الآل؟ قال: ذريه محمد، قال: فقلت: و من الأهل؟ قال: الأئمه عليهم السّلام فقلت: قوله عز و جل: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ اَلْعَذٰابِ قال: و اللّه ما عنى إلّا ابنته.

و فيه (۲)، بإسناده عن عبد اللّه بن ميسره قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام إنا نقول: اللّهمّ صلّ على محمد و آل محمد، فيقول قوم: نحن آل محمد! فقال: إنّما آل محمد من حرم اللّه عز و جل على محمد نكاحه.

و فيه بإسناده عن صاحب تغلب يقول: سمعت أبا العباس تغلب يسأل عن معنى قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنّى تارك فيكم الثقلين» ، لم سمّيا بثقلين؟ قال: لأن التمسك بهما ثقيل، و تقدم

حديث أبى بصير عن الصادق عليه السّلام من قوله فقلت: من عترته؟ قال: أصحاب العباء، إلخ. أقول: حديث الثقلين من الأحاديث المتواتره بين الفريقين و قد وردت بطرق كثيره جدا، كما لا يخفى. فالعتره قد قرنهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالقرآن و بين فضلهم و ما لهم. و هذه الجمله إشاره إلى إنهم عليه السّلام عتره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المشار إليها فى

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «و عترتى أهل بيتى» . ثم إن الظاهر من هذه الأحاديث أن المراد من العتره هم الأئمه عليهم السّلام و هذا هو المعلوم من مراده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلّا أنه ربما يقال: بأن الظاهر من موارد ورود الحديث عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو خصوص أصحاب الكساء الخمسه عليهم السّلام و إن باقى الأئمه إنما يدخلون فيهم من جهه اللزوم العقلى أو الشرعى الثابت من أدله الاشتراك أو الدّاله بأن

۱- ۱) معانى الأخبار ص ۹۴.

۲- ۲) معانى الأخبار:۹۳.

التسعه عليهم السّلام كالخمسه عليهم السّلام من حيث الذات و الصفات و الأفعال. ثم إن الكلام فى هذا بعد العلم بأنه يجرى لآخرهم ما يجرى لأولهم، كما تقدم بلا طائل، كما لا يخفى. بقى شىء و هو أنه روى عن الفريقين خصوصا عن العامه: أنه فى قراءه عبد اللّه ابن مسعود: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ اَلْأَقْرَبِينَ (و رهطك منهم المخلصين) و روى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أيضا.

و فى البحار عن كنز الفوائد بإسناده عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله عز و جل: و رهطك منهم المخلصين قال: على و حمزه و جعفر و الحسن و الحسين و آل محمد صلوات اللّه عليهم خاصه (۱). فيعلم من هذا الحديث و نحوه أنّ رهط النبى هو ما ذكره الباقر عليه السّلام لا غيرهم. أقول: إن حديث الثقلين من الأحاديث المشهوره المتواتره بين الفريقين، و قد وردت بألسنه مختلفه، و تضمنت على حقائق خفيه عن كثير من الناس فلا بأس بذكره، ثم الإشاره إلى تلك الحقائق و نستمد منه تعالى التوفيق لذلك فنقول.

فى معانى الأخبار و إكمال الدين (۲)، بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن على، عن أبيه على بن الحسين، عن أبيه الحسين بن على عن أبيه على بن أبى طالب عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنى مخلّف فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض كهاتين، و ضمّ بين سبابتيه» ، فقام إليه جابر بن عبد اللّه الأنصارى فقال: يا رسول اللّه و من عترتک؟ قال: «على و الحسن و الحسين و الأئمه من ولد الحسين إلى يوم القيمه» ، و قد تقدم مثله أيضا آنفا.

و فى البحار فى غيبه النعمانى، قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى خطبته المشهوره التى خطبها فى

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۲۱۳.

۲- ۲) معانى الأخبار ص ۹۱.

مسجد الخيف فی حجه الوداع: «إنی و إنکم واردون علی الحوض، حوضا عرضه ما بین بصری إلی صنعاء، فیه قد حان عدد نجوم السماء، و إنی مخلّف فیکم الثقلین الثقل الأکبر القرآن و الثقل الأصغر عترتی و أهل بیتی، هما حبل اللّه ممدود بینکم و بین اللّه عز و جل، ما إن تمسکتم به لن تضلوا، سبب منه بید اللّه و سبب بأیدیکم» .

علی بن إبراهیم القمی فی تفسیره عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال فی جمله کلام: ألا و إنی سائلکم عن الثقلین؟ قالوا: یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ما الثقلان؟ قال: «کتاب اللّه الثقل الأکبر طرف بید اللّه و طرف بأیدیکم فتمسکوا به لن تضلوا و لن تزلوا، و الثقل الأصغر عترتی أهل بیتی، فإنه قد نبأنی اللطیف الخبیر أنهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض کإصبعی هاتین و جمع بین سبابتیه، و لا أقول کهاتین و جمع بین سبابته و الوسطی، فتفضل هذه علی هذه. ثم إنّ الکلام فی شرح هذا الحدیث یقع فی جهات، ذکرها المجلسی رحمه اللّه فی البحار (۱)، إلّا إن المهم الإشاره إلی بعض أسرار الحدیث. فنقول و علی اللّه التوکل: قال بعض الأعلام و أهل المعرفه ما لفظه و حاصله مع توضیح لمحصوله: لا یخفی علیک أنّ الکتاب کتابان: کتاب صامت و هو ما بین الدفتین، و کتاب ناطق و هو الأئمه علیهم السّلام.

ففی تفسیر القمی، قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «ألا أنّ العلم الذی هبط به آدم من السماء إلی الأرض، و جمیع ما فضّلت به النبیون إلی خاتم النبیین عندی و عند عتره خاتم النبیین، فأین یتاه بکم بل أین تذهبون؟» .

و فی النهج: «و هذا القرآن إنما هو خط مسطور بین الدفتین، لا ینطق بلسان و لا بد له من ترجمان، و إنما ینطق عنه الرجال» .

فقوله علیه السّلام «إنما هو خط یشیر إلی القرآن الصامت»

و قوله علیه السّلام: «و إنما ینطق عنه

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۱۰۴-۱۶۶.

الرجال» يشير إلى القرآن الناطق. و كيف كان فالكتاب الناطق مشتمل على ما اشتمل عليه الصامت، لما تقدم من قول الصادق عليه السّلام من أن المراد من قوله تعالى: بَلْ هُوَ آيٰاتٌ بَيِّنٰاتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ هو صدورهم عليهم السّلام. و الكتاب الصامت مبين لما اشتمل عليه الناطق كمناهاه مكتوب القرآن لملفوظه فهما كالسبابتين و كلّ منهما دال على الآخر، كالمرآتين المتقابلتين اللتين يظهر فى كلّ منهما الآخر بما انعكس فيها، فإنه لا ريب فى أن كلّ ما اشتمل عليه القرآن من معرفته سبحانه بأسمائه و صفاته و أفعاله و آثاره، و معرفه حقائق الأشياء فى المبدإ و البرزخ (و المعاد) و المعارف و وجوه الحكمه، فيها و بيان صفات المواليد الثلاثه، و أحوال الإنسان و شقاوته و سعادته و ما يؤدى إلى كلّ منها. و بيان ما وقع و ما يقع إلى الأبد، و أحكام اللّه سبحانه و غيرها مما يدل عليها دلاله لفظيه، كلّها موجوده فى نفس الإمام عليه السّلام منقوشه بالوجود العلمى، الذى هو أعلى مرتبه من الوجود اللفظى و الكتبى، بل نفوسهم الشريفه مصاديق لتلك المعارف الإلهيه، فإن هذا هو المشار إليه بقوله تعالى: بَلْ هُوَ آيٰاتٌ بَيِّنٰاتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ و قد تقدمت الإشاره إليه و سيجىء أيضا. إذن كلّ ما يحكى عنه القرآن بجميع أنواعه حكايه لفظيه وصفيه تدل عليه علوم الإمام عليه السّلام دلاله علميه مرآتيه، أى فكما أن المطلع على ألفاظ القرآن ينتقل منها إلى تلك المعانى، كذلك المطلع على علومه عليه السّلام ينتقل إليها، و كلّ أثر يوجده الكتاب الصامت من التقريب و التعريف و التعليم و البشاره و الإنذار و التكميل و الترقّى إلى عالم القدس و النصح و الدعاء، إلى اللّه سبحانه بأنواع المقربات، كلّها يترتب على الإمام أعنى الكتاب الناطق، بل الموجود فى الناطق نفس المعانى و الحقائق القرآنيه بوجودها النفس الآمريّه، الذى تجلى بها اللّه تعالى لنبيه و الأئمه عليهم السّلام.

قال الصادق علیه السّلام (۱): «لقد تجلی لخلقه فی کلامه، و لکنهم لا یبصرون، فهو تعالی إنما تجلی بتلک الحقائق لا بتلک الألفاظ» ، کما لا یخفی. ضروره أن الألفاظ قوالب یحکی عنها، فالإمام علیه السّلام هو الذی عنده علم الکتاب، و کلّ شیء أحصی اللّه سبحانه فی الإمام المبین بنصّه الکریم، و سیجیء بیانه بالوجود العلمی و الواقعی، و أحصی سبحانه کلّ شیء فی الکتاب الکریم بالوجود اللفظی، قال تعالی: تِبْیٰاناً لِکُلِّ شَیْءٍ و قال تعالی: لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ یٰابِسٍ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ . و من المعلوم الفرق الظاهر بین کتاب العلم أی الکتاب الصامت اللفظی، و بین کتاب نفس العالم المنتقش فیها العلوم و المعارف تکوینا. و معنی کون الإمام علیه السّلام کتابا ناطقا أنه کتب اللّه سبحانه فی لوح نفسه المقدسه معانی القرآن و ألفاظه أیضا فإن الوحی النازل علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنما هو یمثل الموحی به بتمام وجوداته من الواقعی و اللفظی کما حقق فی محله، و هو هکذا انتقل فی قلب الإمام علیه السّلام کما حقق فی محله. فهو تعالی تجلی فیه فی نفس الإمام علیه السّلام بصفاته و آیاته و أفعاله مع استجماع الإمام علیه السّلام لسائر الشئون من تخلقه بما یستحقه القرآن و یستدعیه و یندب إلیه من الأخلاق الحمیده، و من علمه علیه السّلام بما یرغب إلیه من الأفعال المحموده، و من امتثاله علیه السّلام لأحکامه المرضیه فی جمیع المقامات. فهو علیه السّلام کتاب إلهی کتبه اللّه بیده ما به تجلیّه تعالی، و هو علیه السّلام انقاد و عمل بمقتضاه، فهو علیه السّلام بهذا الاعتبار کتاب ناطق ینطق عما انتقش فی نفسه الشریفه و تجلّی فیها من ربّه، و لذا یخبر الإمام عنه تعالی بلا واسطه، و قد تقدم بیانه و شرحه، فهو علیه السّلام الداعی إلی اللّه تعالی علی نحو دعاء القرآن مع زیاده القبول الدعاء بالفعل فإن دعاءه مستجاب قطعا، و هو یدعو ربّه بشراشر وجوده بأفعاله و صفاته

۱- ۱) البحار ج ۹۲ ص ۱۰۷.

و وجوده بما هو هو علیه السّلام. و سرّه أن حقیقه الإمام علیه السّلام لما کانت تلک المعارف، فهی لا محاله تدعو بذاتها و بحقیقتها إلی العمل و التخلق الظاهری، و إلی التشبه بتلک المعارف، التی هی من عنده تعالی ظهرت فی نفسه الشریفه. و قد حقق فی محلّه: أن الکمال الحقیقی إنما هو بالتشبه بالمبدإ صفه و عملا، خصوصا بنحو یناسب الهیکل البشری فی الظاهر بنحو یحکی بشراشر وجوده الظاهریه و الباطنیه عن التوحید و الصفات الربوبی، کما لا یخفی، فهذا هو الإنسان الکامل المظهر لصفاته تعالی علی الإطلاق. و الحاصل: أن الناطق و الصامت من حیث الحکایه عن المعارف متشارکان فی جمیع المقامات، و إن ازداد الناطق علی الصامت بأمور أخر کما علمتها، و کلّ منهما یدل علی صاحبه، و یشهد بحقیقته و تبیّنه، إذ جمیع صفات الإمام مسطور فی الکتاب، و یشهد له بذلک و یبیّنه، و إلاّ لم یکن فیه تبیان کلّ شیء، کما أن جمیع صفات القرآن لفظا و معنی و غیرهما تحصی فی الإمام علیه السّلام و یشهد الإمام له بالحقیقه تفصیلا علما و لفظا و تخلقا و هو علیه السّلام علی صوره القرآن تماما کاملا مع إجابته و قبوله، و إلیه یشیر

قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الحدیث المشهور: علی مع الحقّ و الحقّ مع علی

و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «علی مع القرآن و القرآن معه» . و إلیه یشیر ما

فی تفسیر العیاشی عن نویر بن أبی فاضه، عن أبیه، قال: قال علی علیه السّلام: «ما بین اللوحین شیء إلاّ و أنا أعلمه» (1).

و فیه عن یونس، عن عدّه من أصحابنا، قالوا: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إنّی لأعلم خبر السماء و خبر الأرض و خبر ما کان و ما هو کائن کأنّه فی کفّی» ، ثم قال علیه السّلام: «من کتاب اللّه أعلمه، إن اللّه یقول: فیه تبیان کلّ شیء» (2).

۱- ۱) تفسیر العیاشی ج ۱ ص ۱۷.

۲- ۲) تفسیر العیاشی ج ۲ ص ۲۶۶.

بقی شیء و هو أنه قد یقال علی ما ذکر: یکون الإمام علیه السّلام هو الثقل الأکبر دون الکتاب، مع أن الخبر السابق مصرح بخلافه. قلت: افتح مسامع قلبک لما یتلی علیک من الأسرار الربوبی. و حاصله: أنه لا ریب فی أن حقیقه القرآن إنما هی تجل منه تعالی فی قلب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الإمام علیه السّلام فحینئذ لکلّ منهما مقامان: ظاهری و باطنی. فالقرآن: له مقام الظاهر: و هو مقام اللفظ و الکتب و التصور الذهنی، و له مقام الباطن: و هو مقام نفس تلک الحقائق و المعارف المتجلّیه. و الإمام علیه السّلام: أیضا له مقامان: مقام الظاهر و هو مقام البشریه الموسومه بمقام الإمامه و الخلافه الإلهیه التی تتلو مرتبه النبوه، فهو فی هذا المقام لافظ للحقائق و کاتب لها، و مبین لمعانیه التصوریه، و له علیه السّلام أیضا المقام الباطنی و هو حقیقه نفسه المقدسه، التی تجلت فیه و فی قلب النبی تلک المعارف، إذ علمت أن القرآن حقیقته هو آیات بینات فی صدور الذین أوتوا العلم، فتلک الآیات البینات الکائنه فی صدورهم هی حقیقتهم و مقامهم الباطنی. و الإمام مشتمل علی جمیع تلک المقامات، و مع ذلک لا تبطل المقایسه المذکوره فی الحدیث نظرا إلی اتحادهما حینئذ، و ذلک لأن المقایسه بین الکتاب و العتره، أی بین الکتاب الصامت و الکتاب الناطق قد تکون بلحاظ مقام الظاهر من القرآن مع مقام الظاهر من الإمام، أو مع مقام الباطن له علیه السّلام و قد یکون بلحاظ مقام الباطن للقرآن مع المقام الظاهر له علیه السّلام أو مع المقام الباطن. فهذه صور أربع، فلا بد من أن یعلم أنه أی صوره تکون مرادا له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی المقایسه و تفضیله الکتاب علی العتره بقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الکتاب الثقل الأکبر و فی العتره الثقل الأصغر. فحینئذ نقول: لا ریب فی أن المقایسه لم تلاحظ بالنسبه إلی مقام الظاهر من الکتاب، و مقام الظاهر من الإمام، إذ هما من هذه الحیثیه مشترکان فی بیان

الحقائق، كلّ منهما يصدّق الآخر. و كذا لم تلاحظ المقايسه بين المقام الباطنى لهما، إذ علمت أن القرآن بباطنه و حقيقته هو حقيقه الإمام، فهما حينئذ متحدان ذاتا بحقيقه واحده، لها مبرزان أحدهما: لفظ الكتاب، و الآخر: بيان الإمام، كما لا يخفى. فبقى قسمان، أحدهما: المقايسه بين مقام ظاهر الكتاب مع مقام باطن الإمام، و لا ريب فى أن هذه المقايسه لم تكن مرادا له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. إذ من المعلوم أن مقام باطن الإمام عليه السّلام أفضل و أكبر من مقام ظاهر القرآن، مضافا إلى أن هذه المقايسه لم يكن لها وجه، إذ الناس بعد لم يعلموا واقع الإمام بما له الولايه، و بما هو حقيقه القرآن، بل كما تعلم أن هذا أمر علم تدريجا فيما بعد. فبقى القسم الرابع و هو أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاحظ المقايسه بين مقام باطن القرآن، لأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مقام أهميه القرآن و الرجوع إليه، مع مقام ظاهر الإمام. إذ العامه لا يعرفون من الإمام حين ذاك إلّا الإمام الظاهرى دونه بما له من المقام الواقعى، كما لا يخفى. فالتفضيل فى كلامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للكتاب على الإمام بهذا اللحاظ. و من المعلوم أن هذا التفضيل لا ينافى ما ذكرنا من أشرفيه مقام الإمام عليه السّلام فى الباطن إذ كلّ هذا يرجع إلى أفضليه القرآن بواقعه الذى هو واقع الإمام، فالإمام فى الواقع هو عين القرآن، فمرجع كلامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الأفضليه إلى أن القرآن و واقع الإمام أكبر من الثقل الأصغر أعنى مقام ظاهر الإمام عليه السّلام. توضيحه: أن القرآن بحقيقته الواقعيه و النفس الأمريه التى هى تجلياته تعالى، فهو بهذا الاعتبار فى مقام الفضل الإلهى تبارك و تعالى، و مقام الاقتضاء لسوق كلّ قابل له إلى الكمال. فلا ريب فى أنّ القرآن بهذا اللحاظ الواقعى أكبر شأنا، و هو الثقل الأكبر، حيث إنه حينئذ من كلام الحقّ و منسوب إليه تعالى و فعله المطلق. و هو بهذا اللحاظ أكبر شأنا من الإمام بلحاظ كونه عليه السّلام فى مرتبه الانفعال و الإجابه لهذا التجلى الأكبر، حيث إن الأول هو من صفات الحق، و هذا من صفات العبد

أعنى تقبله عليه السّلام تلك المعارف. فالمقايسه فى كلامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بهذا اللحاظ لا بلحاظ أنّ الإمام هو الآيه الكبرى التامه للحقّ تعالى، فإنه عليه السّلام بهذا اللحاظ كما علمت عين القرآن الواقعى، كما لا يخفى. و لك أن تقول: إنّ المقايسه لوحظت فى كلامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين القرآن بجميع مراتبه المندرجه فيه، التى هى هكذا عند الإمام واقعا، و بين الإمام بما هو مشتمل لنتائج المعارف الظاهره فيه عليه السّلام مع قطع النظر عن كونه عليه السّلام حاملا لحقائق القرآن الواقعيه بنفسه الشريفه. و لك أن تلاحظ المقايسه بين القرآن بجملتها، بما هو كلام صادر عن الأئمه عليهم السّلام فى الظاهر قولا- أو مع ما ظهر منهم من الأفعال الحسنه، و بين الإمام بما هو بشر مبين لتلك الحقائق لفظا و عملا و حقيقه. و معلوم أن القرآن بهذا اللحاظ أكبر من العتره بما هم بشر فتأمل تعرف. و لعمرى إن الكتاب فى الصدر الأول من الإسلام كان بمثابه من العظمه عند المسلمين، و هم بعد لم يكونوا كاملين عارفين بمقام الولايه للأئمه الطاهرين، و لذا كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يبين شئون الولايه لهم تدريجا، و مع الاحتياط فى بعض الموارد تلويحا. فالعتره لم تكن عند الناس بمثابه الظهور فيما لهم من الولايه الإلهيه كما لا يخفى هذا على المتتبع للآثار. و حينئذ فالنبى المعظم كان يخاطب القوم بما هو ظاهر عندهم، و ما هو معقول لهم، و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يلاحظ حال السامعين، و عدم قابليتهم لكشف أزيد مما هو ظاهر عندهم. و الوجه فيه أنّ أهل الظاهر الذين هم جمهور الأصحاب من المؤمنين منهم و المنافقين كانوا فى الظاهر يرون كتاب اللّه منتسبا إلى الحق و مضافا إليه تعالى، و يرون الإمام بل النبى مستقلا بشرا ظاهريا غير مضاف إليه سبحانه. فحينئذ لا محاله يكون الأول أشرف من الثانى إذا لوحظا كذلك، فهو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

لاحظ النسبه بينهما مما هو معتقدهم فی الظاهر و تکلم معهم علی قدر عقولهم، و إن کان أهل الحقّ قد هداهم اللّه إلی الحق المبین الذی بیّناه. و حیث إن المشی منه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان هکذا فی بیان المعارف الإلهیه، فإنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بین الحقائق الواقعیه و الولایه الثابته لهم تدریجا، و کذلک الأئمه علیهم السّلام فإنهم أرادوا سوق المسلمین المعتقدین فی الظاهر بما ذکر إلی حقیقه الأمر ببیان التأویل للآیات القرآنیه بولایتهم و بشئونهم و بحقیقتهم، کی یأخذها أهل المعرفه و یبقی الأعمی فی ظاهر ما صار إلیه المسلمون کما هو المراءی منهم. فالأخبار المتقدمه التی علمتها للإشاره إلی سوق الأفهام إلی تلک المعارف و أنها حقائق قامت بهم علیهم السّلام. فمنها

ما رواه علی بن إبراهیم القمی، عن أبی بصیر بسند متصل فی تفسیر قوله تعالی: ذٰلِکَ اَلْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ عن أبی عبد اللّه علیه السّلام إنه قال: «الکتاب علی، لا شک فیه هدی للمتقین» ، قال: «فیه تبیان لشیعتنا» . و کذا نقله فی تفسیر البرهان (١)،

و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إنهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض» ، فیه إشاره إلی ما ذکر. و قد علمت وجه عدم الافتراق، حیث إنهما فی الواقع متحدان، کلّ منهما یشهد علی الآخر، فهم لا یفارقون الکتاب، و الکتاب لا یفارقهم، بمعنی أنهم علیهم السّلام فی جمیع أحوالهم و أعمالهم و أقوالهم و أفعالهم و معتقداتهم لا یخرجون فیها عما حکم به الکتاب، و النبیّ الکریم فی الصغیره و الکبیره و الدقیقه و الجلیله، و الکتاب أیضا لا یفارقهم، لم یظهر من القرآن حقّ لأحد من الخلق فی جمیع الأحوال و الأقوال و الأعمال، و الاعتقادات فی ظاهر و لا باطن و لا ظاهر و لا باطن باطن، و لا تأویل و لا باطن تأویل، و لا قصه و لا مثال، و لا اعتبار و لا استدلال و لا اخبار، و لا حکم و لا علم و لا غیر ذلک مما یطابق الشرعی الواقعی و الوجودی التکوینی إلاّ بهم

١- ١) البرهان ج ١ ص ٥٣.

و عنهم و لهم. و إليه يشير

ما فی البحار عن عيون الأخبار، بإسناد التميمی، عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال الحسين عليه السّلام: خطبنا أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه، فقال: «سلونی عن القرآن أخبركم عن آياته فيمن نزلت و أين نزلت» .

و فيه عن أمالی الصدوق، عن أبی جعفر عليه السّلام، قال أمير المؤمنين عليه السّلام «ما نزلت آيه إلّا و أنا عالم متی نزلت، و فيمن نزلت، و لو سألتمونی عمّا بين اللوحين لحدثتكم» .

و فيه عن البصائر، عن أبی جعفر عليه السّلام أنه قال: «ما يستطيع أحد أن يدعی أنه جمع القرآن كلّه ظاهره و باطنه غير الأوصياء» (۱).

و فيه عن تفسير العياشی، عن الفضيل بن يسار، عن أبی جعفر عليه السّلام قال: و ما يعلم تأويله إلّا اللّه و الراسخون فی العلم، نحن نعلمه.

و فيه عنه، عن أبی بصير، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: «نحن الراسخون فی العلم، فنحن نعلم تأويله» . و لنعم ما فی العلل لمحمد بن علی بن إبراهيم، العله فی

قوله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: «لن يفترقا حتی يردا علیّ الحوض» أنّ القرآن معهم فی قلوبهم فی الدنيا، و إذا صاروا إلی ما عند اللّه عز و جل كان معهم، و يوم القيمه يردون الحوض و هو معهم. فظهر من جميع ما ذكرنا معنی العتره، و معنی هذه الجمله أی قوله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فی حديث الثقلين، و علم معناها اللغوی و معناها الواقعی النفس الأمری، الذی هو المقصود من هذه الجمل، و حقيقتها غيب لا يعلمها إلّا هم، أو من أرادوا أن يعرفوه كما علمت من خبر أبی الصامت المتقدم عن البصائر من

قوله: فمن يحتمله؟ قال: من شئنا. ثم إن فی حديث الثقلين إشاره إلی نكته أخری، و هی أنه لا بد من التمسك بهما دون أحدهما، إذ بعد ما أنهما لن يفترقا لا موضوع للتمسك بأحدهما، كما لا يخفی. فالافتراق محال و لذا عبر عنه بلفظ لن الذی هو لنفی الأبد كما حقق فی محلّه.

ص: ۱۲۹

۱- ۱) البحر ج ۹۲ باب القرآن.

فالمتمسک بظاهر القرآن دون العتره کما علیه أهل السنه لا یغنیهم من اللّه شیئا کما ستجیء الإشاره إلیه. و أما التمسک بالعتره دون القرآن فلاـ مورد له إلاّـ من الغالین فیهم، فإنهم تمسکوا بهم بدون ما وصفهم اللّه فی کتابه، و لعلّه یکون هذا من بعض العوام، فتأمل. و أما کیفیه التمسک بهما فتقدم شرحه فیما تقدم، و سیجیء إن شاء اللّه تعالی، و لا بأس بذکر بعض الأحادیث الوارده فی بیان هذا الأمر.

ففی البحار، عن البصائر، بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «أما و اللّه، إنّ فی أهل بیتی من عترتی لهداه مهتدین من بعدی یعطیهم (اللّه) : علمی و فهمی و حلمی و خلقی، و طینتهم من طینتی الطاهره، فویل للمنکرین لحقهم، المکذبین لهم من بعدی، القاطعین فیهم صلتی، المستولین علیهم، و الآخذین منهم حقّهم، ألا فلا أنالهم اللّه شفاعتی» .

و فیه، عنه بإسناده عن محمد بن عمر، عن الحسن، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «من سرّه أن یحیا حیاتی و یموت میتتی و یدخل الجنه، التی وعدنی ربی، قضیب من قضبانها غرسه بیده، ثم قال له: کن، فکان، فلیتول علی بن أبی طالب من بعدی، و الأوصیاء من ذریتی فإنهم لا یخرجونکم من هدی، و لا یعیدونکم فی ردی، و لا تعلموهم فإنهم أعلم منکم» .

و فیه، عنه بإسناده عن أحدهما علیهما السّلام، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «من سرّه أن یحیا حیاتی و یموت میتتی، و یدخل جنه ربی جنه عدن غرسها بیده، فلیتول علی ابن أبی طالب علیه السّلام و الأوصیاء من بعده، فإنهم لحمی و دمی أعطاهم اللّه فهمی و علمی» ، و فیه ما لفظه. أقول

: روی البرسی فی مشارق الأنوار، عن ابن عباس، قال: خطب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال: «معاشر الناس! إنّ اللّه أوحی إلیّ أنی مقبوض، و أنّ ابن عمّی هو أخی و وصیّی، و ولی اللّه و خلیفتی، و المبلغ عنی، و هو إمام المتقین، و قائد الغر

المحجلين، و يعسوب الدين، إن استرشدتموه أرشدكم، و إن تبعتموه نجوتم، و إن أطعتموه فاللّه أطعتم، و إن عصيتموه فاللّه عصيتم، و إن بايعتموه فاللّه بايعتم، و إن نكثتم. بيعته فبيعه اللّه نكثتم، إنّ اللّه عز و جل أنزل عليّ القرآن و على سفيره، فمن خالف القرآن ضلّ، و من تبع غير على ذلّ. معاشر الناس، ألا انّ أهل بيتى خاصتى و قرابتى و أولادى و ذريتى و لحمى و دمى و وديعتى، و انكم مجموعون غدا و مسئولون عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفونى فيهم، فمن آذاهم فقد آذانى، و من ظلمهم فقد ظلمنى، و من نصرهم فقد نصرنى، و من أعزّهم فقد أعزّنى، و من طلب الهدى من غيرهم فقد كذبنى، فاتقوا اللّه، و أنظروا ما أنتم قائلون غدا، فإنى خصم لمن كان خصمهم و من كنت خصمه فالويل له» . أقول: ففى هذه الأحاديث الشريفه و أمثالها و هى كثيره جدّا، بيان كاف لكيفيه التمسك بهم و التبرى من أعدائهم، و تقدم شرحه فى المقدمه.

الأمر الثانى: فى بيان كونهم خيره.

أقول: الخيره بسكون الياء و فتحها فهو المختار، و المراد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ففى تفسير نور الثقلين فى اعتقادات الإماميه للصدوق رحمه اللّه. . و قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «أنا أفضل من جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل، و من جميع الملائكه المقربين، و أنا خير البريه و سيد ولد آدم» .

و فى المحكى عن روايه ابن عمر (1): إنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: إنّ اللّه اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم، ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا، ثم اختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم، ثم اختار بنى هاشم فاختارنى منهم، فلم أزل خيارا من خيار، ألا من أحبّ العرب فيحبنى أحبهم و من أبغض

١- ١) منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه، للمحقق الخوئى رحمه اللّه ج ٧ ص ١٠٩.

العرب فيبغضنى أبغضهم» ، هذا فى كونه مختارا بحسب الآباء.

و فى شرح النهج للخوئى (۱)رحمه اللّه، و عن المناقب لأحمد بن حنبل و النسائى عن على عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إن اللّه خلق خلقه فى ظلمه، ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه من النور شىء اهتدى، و من أخطأ ضلّ، ثم فسر على عليه السّلام فقال: إنّ اللّه عز و جل حين شاء تقدير الخليقه و ذرء البريه، و إبداع المبدعات، ضرب الخلق فى صور كالهباء قبل وجود الأرض و السماء، و هو سبحانه فى انفراد ملكوته، و توحّد جبروته، فأشاع نورا من نوره فلمع، و قباء من ضيائه فسطع، ثم اجتمع ذلك النور فى وسط تلك الصور الخفيه، فوافق صوره نبينا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال اللّه له: أنت المختار المنتخب، و عندک ثابت نورى، و أنت كنوز هدايتى» ، الحديث. و يقرب منه

ما رواه فى معانى الأخبار ص ۱۰۲، بإسناده عن سعيد بن جبير عن عائشه، قالت: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «على سيد العرب، فقلت: يا رسول اللّه أ لست سيد العرب؟ ! قال: أنا سيد ولد آدم و على سيد العرب، قلت: و ما السيد؟ قال: من افترضت طاعته كما افترضت طاعتى» .

و عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: يا على لا يعرفك إلّا اللّه و أنا، و لا يعرفنى إلّا اللّه و أنت، و لا يعرف اللّه إلّا أنا و أنت» . و هذا يعطى مقاما للنبىّ و الوصى، ليس فوقه مقام و هو معنى المختار المطلق، كما لا يخفى. و حاصل معنى الحديث: أنّ الشىء لا يعرف غالبا إلّا بصفته إذا كان غائبا، فعلمك بزيد و معرفتك به إنما هو بالصوره التى تصورته بخيالك، فالعلم هو تلك الصوره، و هو عين المعلوم، و هو زيد أى منطبق عليه صدقا، فهذا هو العلم بزيد أو المعرفه به، و لكنه علم حصولى قائم بنفسك. ثم إنك إذا رأيت زيدا بعينك، فحينئذ تعرفه بالمشاهده، لا بواسطه تلك الصوره الخياليه القائمه بنفسك، بل حينئذ تكون معرفتك به حضوريا.

۱- ۱) منهاج البراعه. . ج ۷ ص ۱۰۳.

إذا علمت هـذا، فاعلم: أنّ مراتب معرفه اللّه بالنسـبه إلى العارفين به تعالى كثيره، فالأغلب علمهم به تعالى حصولى بنحو تقدم. و لكن هذا الحديث يعطى أنّ النبى و الوصى و كذا الأئمه بدليل الاشتراك كما تقدم، معرفتهم به تعالى معرفه حضوريه لا بواسطه الصور الخياليه، بل هم عليهم السّلام فى مقام المشاهده، فهم يعرفون بالحضور، كما تقدمت الإشاره إليه مرارا. نعم: هذا بالنسـبه إليه تعالى ليست معرفه بالكنه، بل معرفه حضوريه ليست فوقها معرفه لأحد. و حاصـلها أنه تعالى تجلى بجماله الحقيقى و أسمائه و صفاته لهم، و حيث إنهم صفاته فقد تجلى تعالى بهم لهم، و إلى هذه الحقيقه يشير ما ورد عنهم عليهم السّلام كما سيجىء أنه احتجب ربّنـا بنـا و أطلق على النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم الحجـاب الأعظم، و أطلق عليهم عليهم السّلام الحجب كما فى الزياره الرجبيه. و أما بالنسبه إلى معرفه النبى و الوصى معرفه بالكنه، أى أن

قوله صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم «يا على لا يعرفك إلاّ اللّه، و أنا و لا يعرفنى إلاّ اللّه و أنت» تكون المعرفه منهما كلّ بالنسبه إلى الآخر معرفه بـالكنه، أى أن عليـا عرف محمـدا بـالكنه، و محمـد عرف عليّا بالكنه بنحو لا يشاركهما فى معرفتهما أحـد كما لا يخفى. فحينئذ إذا انحصـرت معرفته تعالى فيهما عليهما و آلهما السـلام لا غير، فلازمه أنهما المختاران للّه تعالى لذلك المقام، و هو مقام المعرفه الخاصه المختصه بهما كما لا يخفى.

و فى مصباح الشيخ و الإقبال و غيرهما، فى خطبه يوم الغدير و الجمعه، عن أمير المؤمنين عليه السّلام إلى أن قال عليه السّلام: «و أشـهد أنّ محمدا عبده و رسوله، استخلصه فى القدم على ساير الأمم على علم منه، انفرد عن التشاكل و التماثل من أبناء الجنس، و انتجبه آمرا و ناهيـا عنه، أقامه فى سائر عالمه فى الأداء مقامه، إذ كان لا تـدركه الأبصار، و لا تحويه خواطر الأفكار، و لا تمثله غوامض الظنون فى الأسرار.

لا إله إلّا هو الملک الجبار، قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بلاهوتيّته، و اختصه من تكرمته بما لم يلحقه أحد من بريّته، فهو أهل ذلک بخاصته و خلته، إذ لا يختص من يشوبه التغيير، و لا يختار من يلحقه التظنين. و قد أمر بالصلوه عليه مزيدا فی تكرمته، و طريقا للداعی إلی إجابته، فصلی اللّه عليه، و كرم و شرف و عظم مزيدا لا يلحقه التقييد، و لا ينقطع علی التأبيد» . إلی أن قال عليه السّلام فی وصف العتره الطاهره: «و إن اللّه تعالی اختص لنفسه بعد نبيه من بريته خاصه، علاهم بتعليته، و سما بهم إلی رتبته، و جعلهم الدعاه بالحق إليه، و الأدلاء بالإرشاد عليه لقرن قرن و زمن زمن، أنشأهم فی القدم قبل كلّ مذروء و مبروء، أنوارا أنطقها بتحميده، و ألهمها شكره و تمجيده، و جعلها الحجج له علی كلّ معترف له بملكه الربوبيه، و سلطان العبوديه، و استنطق به الخرسات بأنواع اللغات بخوعا له بأنه فاطر الأرض و السموات. و أشهدهم خلقه، و ولاهم ما شاء من أمره، و جعلهم تراجم مشيته و ألسن إرادته، عبيدا لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ يحكمون بأحكامه، و يستنون بسنته، و يعتمدون حدوده و فرضه، و لم يدع الخلق فی بهماء صماء، و لا فی عمياء بكماء، بل جعل لهم عقولا مازجت شواهدهم، و تفردت فی هياكلهم، حققها فی نفوسهم، و استعبد لها حواسهم، فقرر بها علی أسماع و نواظر و أفكار و خواطر ألزمهم بها حجته، و أراهم بها محجته، و أنطقهم عما شهدته بألسن ذربه، بما قام فيها من قدرته و حكمته، و بين عندهم بها لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ و إن اللّه لسميع بصير شاهد خبير» ، الخطبه. أقول: تضمنت هذه الخطبه من أسرار الولايه، و غوامض العلم ما لم تتضمنه غيرها، فصلوات اللّه علی قائلها كما هو أهله و يستحقه، ثم إنه لا بد من شرح بعض جملها المشكله ليتضح المراد منها.

فنقول و على اللّه التوكل:

قوله عليه السّلام: استخلصه فى القدم. أقول: المراد من القدم ما يعم السرمد الذى هو وعاء المشيه الإلهيه، فإن روحه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمثابه من العظمه و السعه بحيث يسع مشيته تعالى.

و لذا قال تعالى: «ما وسعتنى أرضى و لا سمائى بل وسعنى قلب عبدى المؤمن»

و قال عليه السّلام: «قلوبنا أوعيه لمشيه اللّه» ، و القدم الزمانى و الدهرى أى استخلصه قبل خلق الزمان و الدهر، و القدم اللغوى أى السبق المطلق بالنسبه إلى أىّ متأخر فرض، و القدم الشرعى أيضا أى الذى هو عباره عن سته أشهر. و الحاصل: أنه لما دلت الأحاديث على أن أرواحهم خلقت من نور عظمته قبل خلق أىّ شىء فهم السابقون بحقيقه السبق الذاتى، و الأقسام المذكوره مظاهر لتلك القدم، و أسبق بالنسبه إلى الخلق، كما لا يخفى. و لذا قد يقال: إن المراد من السبق السبق قبل هذا العالم.

كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيما نقل عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين» .

و قال عليه السّلام: «كنت وليّا و آدم بين الماء و الطين» . نقل هذا عن ابن أبى جمهور الأحسائى فى كتابه المجلّى

قوله عليه السّلام: «انفرد (رسول اللّه) عن التشاكل و التماثل من أبناء الجنس» ، يعنى أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بما هو هو انفرد، و لا مشاكل له و لا مماثل له فى خلق اللّه، فمشيته تعالى لم تتعلق إلاّ به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. إذ ليس شىء هناك يساويه فى الرتبه، ليكون مثله، فتشمله المشيه أيضا، فهو بنفسه الشريفه القويه العظيمه قائم بتلك.

كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيما تقدم: «و نورى محيط بالعظمه و نور على محيط بالقدره، فليس فى عالم الإمكان أشرف منه و لا مساو له إلاّ ذاته المقدسه، و لا يدانيه فى تلك المرتبه الأعلى عليه السّلام لقوله تعالى: وَ أَنْفُسَنٰا ، حيث جعله اللّه نفس النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما تقدم

قوله عليه السّلام: آمرا و ناهيا» ، أى جعله مظهر أمره و نهيه فى تكاليف العباد، فلا يظهر مراده تعالى من التكاليف إلاّ منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قوله عليه السّلام: أقامه فى ساير عالمه فى الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار، إلخ. أقول: قد تقدم أنّ ذاته المقدسه لا تتعلق به معرفه أحد بالكنه، و هو تعالى جلّ أن يمس خلقه بذاته لتنزهه عن الحوادث، فخلق لنظام الوجود خلقا جعلهم وسائط للفيض و التربيه، فذاته المقدسه يفعل ما يشاء فى الوجود به، فهو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائم مقام الربّ فى الأداء عنه تعالى. فهذا نظير

قوله عليه السّلام كما تقدم:

و الحمد للّه الذى منّ علينا بحكام يقومون مقامه لو كان حاضرا فى المكان،

فهم قائمون مقامه تعالى فى الفعل و الأداء. و بعباره أخرى: إنه قال: هُوَ اَلْأَوَّلُ وَ اَلْآخِرُ وَ اَلظّاهِرُ وَ اَلْبٰاطِنُ الآيه فهذا الكلام يشير إلى أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له مقام الظاهريه للحقّ تعالى، فهو تعالى ظاهر به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى جميع الخلق، و وجهه الذى يتوجه إليه العباد. و لنعم ما قيل بالفارسيه: ظهور تو بمن است وجود من از تو و لست تظهر لولاى لم أكن لولاك فهو تعالى ظاهر به أى كل شىء أراد اللّه أن يؤديه إلى الخلق، فإنّه لا يكون إلاّ به. فلا يمكن لأحد أن يتلقى الفيض من جهه الخلق إلاّ بواسطته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لأنه الرابطه بين الحكمين أى المشيه الإلهيه و نزول متعلقه إلى أحد و الاستفاضه به، فهو حقيقه الربط بين الخالق و الخلق و الواسطه بينهما. فترتب الآثار من المقبولات الكونيه و القابلات الوجوديه، تتوقف عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

قوله عليه السّلام: قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بلاهوتيته. أقول: قد تقدم أنّ معرفه الإمام فضلا عن النبى هو معرفه اللّه، و ذلك لأنه تعالى تجلى بصفاته و علمه فيهم و هم حقائق أسمائه الحسنى، و هم عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

و لا فرق بينهم و بينه تعالى إلاّ إنهم عباده، إلخ.

ص :١٣۶

و حينئذ فالتكليف منه تعالى للعباد بتحصيل المعرفه، لا يرجع إلّا إلى معرفتهم، و إن ما وراء رتبته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و رتبتهم عليهم السّلام و وجوب معرفته و معرفتهم، لا يكلف اللّه تعالى العباد بذلك، لأن الخلق لا يحتملون ما وراء ذلك فهو موضوع عنه، إذ لا يتوقف وجودهم و نظام دينهم و دنياهم إلّا على معرفته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقط لا على غيره مما هو وراء ذلك. فهو تعالى قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بربوبيته، إذ بالأول يحصل الثانى للاقتران الحاصل من كونه مظاهر أسمائه. لا يقال إذا وضع عن الناس معرفه الذات، و إنه لا معنى لمعرفته تعالى إلّا بمعرفتهم، إذ هو تعالى بحقائقهم عرف نفسه هذا، و من المعلوم أن العباده تتوقف على المعرفه، و حيث لا معرفه للذات فلا عباده للذات، و هذا خلاف ظاهر الشرع و الشريعه و سنن الأنبياء و الأولياء و الأئمه عليهم السّلام و غيرهم، بل ربما يستشم منه الشرك، لأن العباده من العباد ترجع إلى عبادتهم عليهم السّلام و هو شرك بل كفر. لأنا نقول أولا: إنه قد عرفت أن معرفتهم بالنورانيه، و بما منحهم اللّه تعالى هو معرفته تعالى بالدلاله الالتزاميّه، فحينئذ يعبده العابدون بما عرف نفسه بهم عليهم السّلام فالمعبود حينئذ هو اللّه تعالى، فأين هذا من الشرك؟ ! و ثانيا: إن أرواحهم عليهم السّلام بما هم أسماؤه الحسنى، و بما هم مظاهر له تعالى كما تقدم

عن السجاد عليه السّلام من قوله عليه السّلام: «و نحن مظاهره فيكم» ، له اعتباران. الأول: أن يلاحظوا بالاستقلال، و لا ريب فى أنهم عليهم السّلام حينئذ مخلوقون، و ليسوا حينئذ مظاهر له تعالى، كما إذا لوحظ المرآه استقلالا، فحينئذ لا ترى فيها الصوره كما لا يخفى. و بهذا الاعتبار معرفتهم ليست معرفه اللّه تعالى، بل مجرد مفاهيم كسائر المفاهيم إلّا أنها من أحسن المفاهيم. الثانى: أن يكونوا فانين عن أنفسهم، بحيث لا ينظر إليهم عليهم السّلام بالاستقلال، بل بالنظر الآلى بحيث لا يرى فيهم إلّا ظهوره تعالى، و سيأتى لهذا البحث تحقيق فى

محله. و حينئذ تكون معرفتهم آله لمعرفته تعالى، و العابد العارف به تعالى من طريق معرفتهم هكذا لا يرى إلاّ اللّه، و لا يعبد إلاّ اللّه تعالى كما لا يخفى، فتدبر. قوله: إذ لا يختص من يشوبه التغيير، أقول: هذا عله اختصاصه تعالى النبى المعظم بتلك المقامات و الكرامات. و حاصله: أنه تعالى علم منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الوفاء بما اشترط عليه من العمل بأعباء الرساله، و كذلك بالنسبه إلى الأئمه عليهم السّلام و علم عدم تغيرهم عما وضعهم اللّه فيه، و علم حقيقه عبوديتهم و عدم خروجهم عما هو وظيفتهم، فلذا اختصهم بتلك المقامات إذ لا يختص اللّه من يشوبه التغيير، أى من يعرضه التغيير بمتابعه النفس و الهوى أو الشيطان و العياذ باللّه. و أما هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فحيث لم يكن كذلك فاختصّه اللّه بذلك، فإنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما وصفه: هو السراج المنير، و أنه لعلى خلق عظيم، و أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا ينطق عن الهوى، و أنه لذكر و نور من ربّه تعالى فلا إله إلاّ اللّه ربّ كل شىء و مالكه. و قد يقال: إن حقيقه النورانيه بما هو من نور عظمته تعالى كما تقدم، فهو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منه تعالى كانفصال شعاع النور من المنير فلا محاله هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائم ببقاء اللّه تعالى لا بإبقائه، فلا محاله لا يعرضه ما يعرض المخلوقين من الآفات و الحدود الخلقيه فهو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حينئذ أشبه بالمبدإ تعالى من غيره، فلا محاله يختص باللّه تعالى لكمال المشابه الذاتيه، و لعدم التغيير ذاتا، لأنه موجود ببقائه تعالى، و سيجىء فى آخر الشرح فى معنى صلوات اللّه تعالى عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أن معناه هو تطهيره تعالى روحه المقدسه عن كلّ ما يلزم مخلوقا من الآفات. و كيف كان فحقيقته المقدسه بمكان من النزاهه، بحيث لا يشوبه التغيير لكمال قربه إليه تعالى و مشابهته به، فلذا اختص اللّه تعالى إذ لا يختصّ اللّه تعالى من يشوبه التغيير، فتأمل تعرف إن شاء اللّه.

ص :١٣٨

قوله عليه السّلام: «و أمر بالصلوه عليه» ، أقول: فيه إشاره إلى أنه تعالى أمر عباده بالصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هى عباده منهم له تعالى بالامتثال لأمر الصلاه، و إنما أمر تعالى ذلك مزيدا فى تكرمته، إلخ، أى أن الصلاه له أثران: الأول: رفع لشأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنها و إن كانت من حيث إنه ثناء عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما يليق بجنابه و مقامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ أنه من حيث إنه طلب منه تعالى يكون بهذه الجهه عباده له تعالى و امتثالا لأمره. و كيف كان فهذه العباده سبب لرفع شأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذلك لأن النبى أول مقرب له تعالى، فهو مشاهد و مقترن به تعالى بالقرب الحقيقى، و هو تعالى لا غايه له و لا نهايه و لا بداءه فى الإمكان و لا أوليه، فالمقترن القائم بما هو هكذا لا محاله يكون مظهرا لتلك الأمور، فهو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا لاقترانه به تعالى لا نهايه له فى الرفعه فدائما له إمكان الرفعه. و لعله إليه يشير قوله تعالى: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فأمر اللّه تعالى عباده بالصلوه عليه طلبا لرفعه شأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منه تعالى، فهو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى نفسه لا غايه و لا نفاد له إلاّ إليه تعالى، فهو مغمور فى بحر الأحديه لا مرجع له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ إليه فى جميع شئونه. و من هذا يظهر أنّ الصلاه عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على الأئمه لها هذه الفائده العظيمه فيا لها من فائده ما أعزّها و أعظمها، و سيجىء لهذا قريبا مزيد بيان فيما بعد إن شاء اللّه. الثانى: هو ما أشار إليه عليه السّلام

بقوله: «و طريقا للداعى إلى إجابته» أى أنّ هذه الصلاه سبب لإجابته تعالى دعاء الداعى كما سيجىء إن شاء اللّه من الأمر بالصلوه عند الدعاء منه تعالى، و أنها سبب للقبول و الإجابه، و سيجىء بيانه مفصلا فى محله إن شاء اللّه.

قوله عليه السّلام: «و إن اللّه تعالى اختص لنفسه بعد نبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من بريته خاصه، علاّهم بتعليته و سما بهم إلى رتبته» إلخ. فيه إشاره إلى أمرين. الأول: إنه تعالى جعلهم عليهم السّلام مساوين لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى كلّ ما يريد اللّه لجميع

المخلوقات من الوساطه المذكوره آنفا، و إليه يشير ما فى دعاء ليله الجمعه فى السحر

من قوله:

«و أشهد أنهم فى علم اللّه و طاعته كمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» . نعم: ربما اختلفوا فى الظاهر فى مظاهر مراتب ذواتهم، و أنهم فى جميع المراتب بعد مرتبه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بدليل

قوله: «بعد نبيه» ، كما لا يخفى، إلاّ أن يراد من البعديه البعديه فى الظهور و الزمانيه لا المرتبه الرتبيّه، كما ربما يستفاد تلك من

قوله عليه السّلام كمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. الثانى: أنه يستفاد

من قوله عليه السّلام: «و علاّهم بتعليته» ، أنهم عليهم السّلام إنما بلغوا ما بلغوا بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو كذلك، فإن كلماتهم عليهم السّلام مشحونه بأنهم إنما اقتبسوا الفضائل منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو أنه تعالى رفعهم إلى المكان الذى رفعه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إليه، لأن مقامهم عليهم السّلام من مقامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و طينتهم واحده و نور واحد، إلاّ أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو السابق، و هم التابعون له فى جميع العوالم الربوبيه و الفضائل الإلهيه، فهم عليه السّلام رأوا ما رآه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سمعوا ما سمعه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهم فى رتبه متأخره عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فتأمل

قوله: «لقرن قرن و زمن زمن» . أقول: اللام للغايه أى اختصهم و علاهم لتلك الأغراض من الدلاله و الإرشاد لجميع القرون و الأزمان السابقه و اللاحقه، كما دلّت عليه الأحاديث كما سيجىء من أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنهم عليهم السّلام حجج اللّه على جميع الخلائق حتى الأنبياء، و فى جميع العوالم و الأزمنه كما أن هذا هو مقتضى كونه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خاتم الأنبياء، و أنه لا نبى بعده، فلا يختار اللّه تعالى عليهم فى الأبد خلقا يقدمهم عليهم، كما لا يخفى. و قد يقال: إنّ المراد منه أنه تعالى جعلهم بحيث يظهرون فى جميع الأوقات و الأزمنه فى كلّ عالم من جنسه أى من جنس ذلك العالم، فهم الحجج على العوالم فى كلّ عالم بحسبه، و يظهرون لهم فى جنس ذلك العالم، فإنهم عليهم السّلام مظاهر له تعالى لاسمه الظاهر و لسرّه الباطنى الذى به يكون تعالى قيوما للأشياء. أقول: هذا المعنى فى نفسه أمر ممكن، ربما يستفاد من بعض الأحاديث أنهم عليهم السّلام كذلك فى العوالم.

و لعله تجیء الإشاره إلیه فی طیّ الشرح، إلاّ أن هذا لم یعلم کونه المراد من هذه الجمله، و اللّه العالم.

قوله علیه السّلام: «أنشأهم فی القدم» ، المراد من القدم ما تقدم معناه فی

قوله علیه السّلام: «استخلصه فی القدم» . و فیه إشاره إلی أنهم علیهم السّلام فی مثل رتبه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الاستخلاص و الإنشاء فی القدم.

و قوله: «قبل کل مذروء و مبروء» . الأول: إشاره إلی عالم الذر أی أنه تعالی أنشأهم قبل مذروء. و الثانی: إشاره إلی أنه تعالی خلقهم و أنشأهم قبل خلق البریّه أی الناس فی خلقه الأبدان.

قوله علیه السّلام: «أنطقها» ، أی أنه تعالی أنطقهم علیهم السّلام فنطقوا بحقیقه حمده و بحقیقه شکره و بحقیقه تسبیحه، فعلمت الملائکه و الناس ذلک منهم علیهم السّلام کلّ فی مقامه، بل جمیع الموجودات علمت التسبیح منهم، إذ لکلّها التسبیح له تعالی کما دلّ علیه

قوله علیه السّلام فی الزیاره الجامعه فی یوم الجمعه: یسبح اللّه بأسمائه جمیع خلقه، و السلام علیکم و رحمه اللّه و برکاته، و لهذه الجمله معنی آخر سیجیء فی طیّ الشرح إن شاء اللّه تعالی.

قوله علیه السّلام: «و أشهدهم خلقه و ولاّهم من أمره» ، قد تقدم أنه تعالی أشهدهم خلق السموات و الأرض. و الخلق بمعنی أنه تعالی إمّا خلق الأشیاء بمنظرهم و مرآهم، بل علمت أنهم بحقیقتهم النوریه منشأ خلق الخلائق بالتفصیل السابق فی الحدیث، و علمت أنه تعالی خلق الخلق لهم و خلقهم علیهم السّلام لنفسه تعالی. و إما أنه تعالی أشهدهم لهم بعد خلقها، و الأول هو الأظهر من الأحادیث المتقدمه کما لا یخفی. فهم علیهم السّلام العارفون بحقائق الأشیاء و لهذه الإحاطه و التمکن من الخلق ولاّهم

اللّه تعـالى مـا شـاء من أمره، أى ممـا يرجع إلى نظـام الخلق و تربيتهم ممـا هو عبـاره عن ولا ـيتهم التكوينيه التى عرفت معناهـا و تفصيلها.

و قوله عليه السّـلام: «و جعلهم تراجم مشـيته» ، قـد علمت أن قلوبهم عليهم السّـلام أوعيه لمشـيته تعالى و ما تشاءون إلاّ أن يشاء اللّه، فهم عليهم السّـلام مشـيه اللّه و تراجمتهـا فهم المترجمون لهـا، أمـا بأفعـالهم، إذ علمت أنهم لا ـ يفعلون إلاّ ـ بمـا شاء و أراد، ففعلهم مبين لما شاءه تعالى، كما أنّ

قوله عليه السّلام: و ألسن إرادته، يشير إلى هذا أيضا أى أنهم عليهم السّلام ألسن بيان إرادته تعالى. و يمكن أن يراد منه أنه كما أن أفعالهم و ما هو شأن من شأنهم مصاديق و تراجم مشـيته، كذلك هم عليهم السّلام بوجودهم و شئونهم من أفعالهم و أقوالهم و أعمالهم كلّها ألسن تكوينا لإرادته تعالى أى إنّ إرادته تعالى تنطق بالمفعولات الصادره عنهم، فهم نطق إرادته تعالى.

قوله عليه السّـلام: عبيـدا لاـ يَسْـبِقُونَهُ بِـالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ الآيه، هـذه الجمله فى حكم العله، لكونهم عليهم السّـلام تراجم مشيته و ألسن إرادته، و ذلك لأنهم عليهم السّلام عبيد له تعالى بحيث لا يسبقونه بالقول، و لو بكلمه أو أقل و هم بأمره يعملون. و اعلم: أن دلاـله كلمه العبيـد على الانقيـاد و الخضوع له تعـالى أشـد، و أكثر من دلاـله العبـاد عليهـا. بيانه: أن العباد جمع للعبد بمعنى العبـاده غالبـا، و أمـا العبيـد فجمع له بمعنى المملوكيه الحـاكيه عن مسـلوبيه كلّ شـىء. و لـذا يقال للمملوكين من الخلق: عبيد، فيقال: هؤلاء عبيد فلان، مثلا، أى ليس لهم فى قبال فلان اختيار تصرف أبدا. و لذا لما

أجاب أمير المؤمنين عليه السّلام عن أسئله حبر من الأحبار فقال: يا أمير المؤمنين فنبى أنت؟ فقال: «ويلك، إنما أنا عبد من عبيد محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» قال

الصدوق رحمه اللّه: يعنى بـذلک عبد طاعته لا غير ذلک (۱)أی ليس لی شـیء إلّا و هو منه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم. فإذا أضيفت هذه الكلمه إليه تعالی-و لو معنی كما فی هذا الحديث-فإن

قوله عليه السّلام: «عبيدا» ، أی للّه تعالی، فيراد منه أنهم عليهم السّلام ليس لهم تصرف من قبل أنفسهم فی شیء، بل لا يتجاوزون مشيته و إرادته تعالی. فالعباد يعبدونه عباده خالصه، فيمكن أن يكون لهم اختيار فی بعض أفعالهم، و أما العبيد فلا اختيار لهم فی شیء أبدا. ثم إنه قد يطلق العباد بمعنی العبيد كما فی قوله تعالی: عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ و ذلک لتفسير قوله تعالی: لاٰ يَسْبِقُونَهُ ، الآيه، و بشهاده

قوله عليه السّلام: عبيدا لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ، الآيه. فإنه اقتباس للآيه الشريفه، كما لا يخفی، فتأمل.

و قوله عليه السّلام: «يحكمون بأحكامه و يستنون بسنته، و يعتمدون حدوده و فرضه» ، إشاره إلی بيان مصاديق ألسن إرادته من هذه الجهات.

و قوله عليه السّلام: «يعتمدون» ، لعلّه إشاره إلی أنهم عليهم السّلام لا يلتفتون قلبا و لا لسانا إلی غير حدوده تعالی، بل هم معتمدون و متعمدون لإجراء الحدود الإلهيه فقط و اللّه العالم.

قوله عليه السّلام: «و لم يدع الخلق فی بهماء صمّاء و لا فی عمياء بكماء» ، أقول: اعلم أن من أعظم نعم اللّه تعالی علی عباده العقل، فإنه الحجه الباطنه للّه تعالی.

ففی تحف العقول، عن موسی بن جعفر عليه السّلام. . إلی أن قال: «يا هاشم ما بعث اللّه أنبياءه و رسله إلی عباده إلّا ليعقلوا عن اللّه، فأحسنهم استجابه أحسنهم معرفه للّه، و أعلمهم بأمر اللّه أحسنهم عقلا، و أعقلهم أرفعهم درجه فی الدنيا و الآخره» ، إلی

۱- ۱) الحديث مذكور فی توحيد الصدوق.

أن قـال عليه السّـلام: «يـا هشام إن للّه على الناس حجتين حجه ظاهره و حجه باطنه. فأما الظاهره: فالرسل و الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام. و أما الباطنه: فالعقول.

و فى البحار، عن العلل، عن على بن أبى طالب، عن النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى حديث. . إلى أن قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ألا و مثل العقل فى القلب كمثل السراج فى وسط البيت» (۱).

و فيه عن روضه الواعظين، قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «قوام المرء عقله، و لا دين لمن لا عقل له» .

و فيه عن الاختصـاص، قال الصادق عليه السّـلام: «إذا أراد اللّه أن يزيل من عبـد نعمه، كان أول ما يغير منه عقله» ، و الأخبار فى فضل العقل كثيره جدّا. و السرّ فيه أنّ الأنبياء جاءوا بالعلم و المعارف عن اللّه تعالى، لتكميل العباد، و لا يمكن لأحد أن يستفيد منها إلّا بالعقل كما صرحت به الأخبار.

فقوله عليه السّـلام: «و لم يـدع الخلق» ، إلـخ، إشـاره إلى أنه كمـا أنه تعالى أرسل إليهم الرسل و أنزل إليهم الكتب، التى علمت أنها الحجه الظاهره له تعالى، كذلك لم يخلقهم فى بهماء صـماء عمياء بكماء، بحيث لا يفهمون، و لا يسمعون، و لا يبصرون، و لاـ يتكلمون، بـل جعـل فيهم غريزه العقل، فيه ما زجت شواهـدهم، أى بالعقل أدركت حواسـهم ما هو مقتضـى دركه. فالحواس الكائنه فى الإنسان بالعقل الممزوج به يحس ما يحس.

فقوله: ما زجت شواهدهم، المراد بالشواهد تلك الحواس الكائنه فيه.

و قوله: «تفردت فى هيـاكلهم» ، أى أنه تعالى جعل العقل فى الإنسان بحيث امتاز و تفرد هيكله البشـرى به عن غيره، لا بغيره من سائر الغرائز الحيوانيه.

و قوله: «حققهـا فى نفوسـهم» ، أى أثبتهـا فيهـا، فهى المـدار للتكليف و للحساب و لحسن الأفعال، و ساير الأمور الصادره منه، و جعلها فيه بحيث استعبد لها

۱- ۱) البحار ج ۱ ص ۹۹.

الحواس، فكلّ حاسّه تطيع تكوينا العقل الكائن فى صاحبها كما و كيفا، فمن كمل عقله كثر علمه و معارفه و مشاهداته و عبادته، و هكذا ساير الكمالات فيه. و إلى هذا كله يشير

قوله عليه السّلام: فقرر بها على أسماع ، أى بالعقول قرر الأسماع، مقرّها فى السماع الحقيقى و الصورى، و هكذا بالنسبه إلى

قوله عليه السّلام: و نواظر و أفكار و خواطر، فكلّ هذه إنما يعمل مقتضاها بالعقل المقرر فيه. و بعباره أخرى: أنه تعالى منح للمكلفين العقل، و هو بنفسه يدرك المعانى و الحقائق و الرقائق، فالحقيقه الإنسانيه و الروح الإنسانى بواسطه مزجها بالعقل تدرك الحقائق بالعقول، و تدرك النفوس الصور بها، و تدرك الروح الأشباح بالحس المشترك بها، و تدرك الروح بالعين الألوان بها، و تدرك الروح بالأذان الأصوات بها، و تدرك الروح الروائح بالحلمات بها، و تدرك الروح بالبشره الملموسات بها. و الحاصل: أن هذه المشاعر ظاهرها و باطنها الكائنه فى الإنسان، إنما يدرك بها الروح مقتضياتها بواسطه العقول الممزوجه بها. ففى الحقيقه أن تلك المدركات إنما هو بالعقل، كما أن البصر إنما يدرك المبصر بالنور.

و لذا قال عليه السّلام: «ألا و مثل العقل فى القلب كمثل السراج فى وسط البيت» كما تقدم. و معنى ممازجه العقل بها ظهور العقل بما له من الدرك فى تلك الحواس. ففى كلّ حاسه يظهر العقل بما يناسبه، و ما هو حقّه و مستحقه فى تلك الحاسه، حسب الحكمه الإلهيه فى خلقها، و قد جعلها فيها بحيث يستعملها أى العقول صاحبها فى تلك الحواس فيما يراد منها من الآثار، كما لا يخفى.

قوله عليه السّلام: «ألزمهم بها حجته» ، أى ألزم الإنسان و الخلق بما فيه من تلك الحواس و المشاعر و الشواهد حجته أى العقل، الذى علمت أنه الحجه الباطنه له

ص :۱۴۵

تعالی علی خلقه.

قوله علیه السّلام: «و أراهم بها محجته» أی أعلمهم أی الخلق بسبب العقول، التی مازجت شواهدهم محجته أی أنبیاءه و رسله و الأئمه، و ما جاءوا به من عند اللّه، و ما بیّنوه من المعارف و غوامض العلوم و الأدله العقلیه. فإن کلّ هذه إنما یراه الإنسان و الخلق منهم علیهم السّلام و یقبله منهم علیهم السّلام بالعقل الممزوج بشواهدهم و حواسّهم.

و قوله علیه السّلام: «و أنطقهم عما شهدته بألسن ذربه، بما قام فیها من قدرته و حکمته، و بیّن عندهم بها لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ و أن اللّه لسمیع بصیر شاهد خبیر» ، الخطبه. یرید علیه السّلام بهذا أنه تعالی جعل تلک الحجه الباطنه، التی مازجت حواسهم، و تحققت فی نفوسهم أعنی العقل بمثابه من الدرک و النورانیه و الوضوح، بحیث أنطقهم عما شهدته نفوسهم بعقولهم بألسن ذربه فصیحه بلیغه، کما أشیر إلیه فی قوله تعالی: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ و کذلک سایر آیات الفطره، و سایر الأحادیث الداله علی أن التوحید هی الفطره المشار إلیها فی قوله تعالی: فِطْرَتَ اَللّٰهِ اَلَّتِي فَطَرَ اَلنّٰاسَ عَلَيْهٰا کما فی توحید الصدوق و غیره. و إنما نطقوا بذلک بألسن ذربه فصیحه بسبب ما قام و ثبت فیها، أی فی نفوس الخلق من قدرته و حکمته، التی ظهرت للإنسان، و یتخلق بالعقل الکائن فیه، و بسبب أنه تعالی بیّن عندهم تلک الحقائق بتلک العقول. و حینئذ فمن هلک فإنما یهلک عن بینه، ثابته فی ذاته و نفسه، أعنی عقله حیث خالف عن وضوح ما هو حقیقته و فطرته، و یحیی من حی کذلک بالعقل و الوضوح، لا بالجهل و الاتفاق.

و قوله علیه السّلام: «و إن اللّه لسمیع بصیر شاهد خبیر» ، إشاره إلی أن الإنسان بما له من الأفراد المتفاوته فی الترقی بالعقل إلی الدرجات العالیه، أو المتنازله بجهله و سوء

اختياره إلی الدرکات المتسافله، و ما بین النوعین من المراتب کلّها بمسمع و مرءی و منظر و شهود و خبره منه تعالی، فلا یخفی علیه شیء فی الأرض و لا فی السماء، و هو العالم بجمیع خلقه کمّا و کیفا و حالا و مقاما، و الخلق و شئونه لا یخفی علیه، قال تعالی: أَ لاٰ یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اَللَّطِیفُ اَلْخَبِیرُ (۱).

و فی الحدیث القدسی: و کیف یخفی علیّ شیء أنا مبتدئه، و الحمد للّه ربّ العالمین.

الأمر الثالث: فی معنی الرب و بما له من المعنی العام، و بما هو المراد منه بما هو مضاف إلی العالمین.

فنقول و علیه التوکل: فعن الصحاح: ربّ کلّ شیء: مالکه، و ذکر غیره للربّ معنی المالک و المدبر و السید و المربی و المنعم و الصاحب و المصلح. و التحقیق کما قاله بعض الأکابر: أن الأصل فی معنی هذا اللفظ هو التربیه، و إصلاح شأن المربوب. و ذکر شیخنا البهائی رحمه اللّه فی تفسیر التربیه هنا أنّها تبلیغ الشیء کماله تدریجا و هو جید جدّا. ثم: إن المراد بالتربیه لیس خصوص التغذیه بالمعنی الأعم للحیوان و النبات، بل إصلاح الشأن مطلقا من رزق و تکمیل و إعطاء ما یحتاج إلیه، و دفع ما یضاره و ینافیه، بل خلقه أیضا، إن أرید بالمربوب الشیء الذی أعطی خلقه ثم هدی،

و روی القمی عن الصادق علیه السّلام فی المحکی عنه أنه قال فی معنی الرب: «خالق المخلوقین» . فالرب: هو القائم بأمر المربوب من هذه الجهات کلّها أو بعضها علی حسب ما تقتضیه الحکمه کمّا و کیفا بنحو یکون مرجع المربوب فی جمیع شئونه إلی ربّه.

۱- ۱) الملک:۱۴.

و من المعلوم أن الرب إذا كان بمعنى التربيه بالمعنى المذكور فلازمه كون المربى مالكا و مدبرا و سيدا و مربيا و منعما بالتربيه، و صاحبا له و مصلحا كما لا يخفى، خصوصا بالنسبه إليه تعالى. فهذه التفاسير تفسير يلازم حقيقه معنى الرب و هو ما ذكرناه. و إلى هذه الحقيقه بما لها من الآثار أشير

فيما روى فى العيون و تفسير الإمام، على ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السّلام: يعنى مالك الجماعات من كلّ مخلوق، و خالقهم و سائق (سائر) أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون، و من حيث لا يعلمون، يقلب الحيوانات فى قدرته، و يغذوها من رزقه، و يحوطها بكنفه، و يدبّر كلا منها بمصلحته الجمادات بقدرته، يمسك ما اتصل منها من التهافت، و المتهافت عن التلاصق، و السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، و الأرض أن تنخسف إلاّ بأمره. ثم إنّ أهل اللغه و غيرهم قالوا: إنّ الربّ اسم من أسمائه تعالى، و لا يقال فى غيره إلاّ بالإضافه. قال الصدوق فى التوحيد: و لا يقال لمخلوق: الربّ، بالألف و اللام، لأن الألف و اللام دالّتان على العموم، و إنما يقال للمخلوق: ربّ. و لعلّ وجه عدم استعماله فى غيره تعالى بدون الإضافه، أو مع الألف و اللام من جهه أن حذف المتعلق و المضاف إليه يفيد العموم كالألف و اللام، حيث لا عهد مع أن معناه العام منحصر فيه تعالى، كما لا يخفى. فحينئذ لا يطلق على غيره إلاّ مضافا أو نكره حيث لا عموم له. ثم إنّ الرب فى هذه الجمله أعنى

قوله عليه السّلام: «و عتره خيره ربّ العالمين» يراد منه المعنى العام الشامل لجميع لوازمه السبعه المذكوره، فإنها كلّها منطبقه عليه تعالى بحقّ الانطباق، فهو تعالى المالك و المدبر و السيد و المصلح و المربى و المنعم و الصاحب كما لا يخفى. نعم: قد يقال: إن المراد من كونه صاحبا هو المصاحبه لا المالكيه كما لا يخفى،

و هو أيضا تعالى مصاحب للمربوب، قال اللّه تعالى: وَ هُوَ مَعَكَمْ و قال: أَلاَ إِنَّهُ بِكَلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (۱)،

و فى الدعاء:

«يا صاحب كلّ نجوى» . ثم إن الرب قد علمت بعمومه لا يطلق إلاّ عليه تعالى. و أما فى غيره تعالى فيطلق مضافا إلاّ إذا كانت الإضافه بنحو يفيد العموم، فلا يطلق حينئذ أيضا إلاّ عليه كما فى المقام. فإن الرب لما أضيف إلى العالمين التى تعلم أنها اسم لما سوى اللّه، فهو رب لما سواه، فلا محاله لا يطلق إلاّ عليه تعالى. ثم إن الخيره لما أضيفت إلى ربّ العالمين، يراد من الرب كما علمت ذاته المقدسه، التى هى مربيه للجميع، و لا محاله تكون خيره هذا الرب خيره فوق جميع المختارين، و عتره هذه الخيره عتره فوق جميع الأنام. فالمضاف يكسب من المضاف إليه جميع ما له من الشأن و العظمه و الرفعه كما لا يخفى. و يستفاد حينئذ من هذه الإضافه أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو المربى بأمر اللّه، و اختياره تعالى لساير الخلق، و المصلح لما فسد منهم، و المدبر لهم بما فيه صلاحهم من الأمر و النهى و التأديب و الإرشاد، التى بها ينال الخلق حظوظهم من الدرجات و المقامات العاليات. و من هنا يعلم شده اعتنائه تعالى جلّ جلاله بتربيه عباده، و حسن تدبيره لهم، و إصلاحهم، و جزيل نعمه عليهم حيث اختار من خلقه خيرته و خير خلقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لإيصال هذه الخيرات إليهم، حيث علم تعالى أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شديد العنايه بما فيه صلاح نظامهم و دينهم و دنياهم و نفوسهم، و الآيات القرآنيه و الأحاديث المرويه مشحونه ببيان أوصافه الشريفه التى لا توجد فى غيره.

۱- ۱) فصّلت:۵۴.

و یکفیک فی بیان هذه الصفات البالغه فیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کمال الغایه الثابته له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بحسب الرتبه العالیه الممکنه فی أحد بکمالها و تمامها قوله تعالی: لَقَدْ جٰاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ مٰا عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۱)و الحمد للّه.

الأمر الرابع: فی معنی العالمین.

فی المجمع: قوله تعالی: هُدیً لِلْعٰالَمِینَ العالمون بفتح اللام أصناف الخلق، کلّ صنف منهم عالم، جمع لا واحد له من لفظه. و قیل: العالم یختص بمن یعقل و جمعه بالواو و النون. و ذهب أکثر المتکلمین إلی أن العالم إنما هو الجسمانی المنحصر فی الفلک العلوی، و العنصری السفلی. و عن بعض العارفین: المصنوع اثنان: عالم المادیات و عالم المجرّدات. و الکائن فی الأول: هو الجسم و الفلک و الفلکیات، و العنصر و العنصریات و العوارض اللازمه. و فی الثانی: هم الملائکه المسماه بالملإ الأعلی، و العقول و النفوس الفلکیه، و الأرواح البشریه المسماه بالنفوس الناطقه. و قیل: العالمون جمع عالم بفتح اللام اسم لما یعلم به، کالخاتم لما یختم به غلب فیما یعلم به الصانع سبحانه مما سوی اللّه، أی یستعمل فیما سواه تعالی بما هو علامه له تعالی و لصنعه. و قیل: عالم اسم لکلّ أحد من أفراد الإنسان بلحاظ أنه أنموذج من العالم الکبیر لما فیه ما فیه حرفا بحرف، و إلیه یشیر ما هو

المنسوب إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام:

أ تزعم أنّک جرم صغیر

و فیک انطوی العالم الأکبر.

إلخ أقول: المستفاد من الجمیع أن هذا اللفظ العالم یستعمل لما هو مشتمل علی

۱- ۱) التوبه:۱۲۸.

الجمع و العموم فى معناه، و لم يستعمل فى المشخصات، و هذا له مصاديق كما علمتها، فهو موضوع للجمع كالأنام و الرهط. نعم: فيمن يعقل كالملائكه و الثقلين كما نقل هذا عن ابن عباس و الأكثرين، و عليه فهو مشتق من العلم و خصّوا المذكورين بالذكر للتغليب. و أما على القول: إنه اسم لما يعلم به الخالق و الصانع كما تقدم، فهو مشتق من العلامه، و جمع حينئذ ليشمل كلّ جنس مما سمى به، و أما جمعه بالواو و النون دون الألف و التاء تغليبا لما فيه من صفات العقلاء. و كيف كان فإذا حلى بالألف و اللام يفيد العموم، فيشمل جميع العوالم، قال بعضهم: يقال: عالم الملك و عالم الإنس و عالم الجن، و عالم الأفلاك و عالم النبات و عالم الحيوان، و ليس كما توهم اسما لمجموع ما سوى اللّه بما هو أحد مصاديقه لا بالحصر، كما لا يخفى. و عدّ بعضهم العوالم إلى أن قال: و الذى عندنا من العوالم تسعه و ثلاثون ألف ألف و تسعمائه ألف و تسعمائه و ثمانون عالما. ثم إن فى بيان امتياز العالم عن عالم آخر كلاما يطول بيانه مفهوما و مصداقا، و لا فائده فى بيانه، هذا بحسب اللغه و موارد الاستعمال لهذه الكلمه، أعنى العالم و جمعه.

و فى الخصال، بإسناده عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ اَلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ . فقال: «يا جابر تأويل ذلك، أن اللّه عز و جل إذا أفنى هذا الخلق و هذا العالم، و أسكن أهل الجنه الجنه، و أهل النار النار جدد اللّه عز و جل عالما من غير فحوله و لا إناث يعبدونه و يوحّدونه، و خلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم، و سماء غير هذه السماء تظلهم، لعلّك ترى أن اللّه عز و جل إنما خلق هذا العالم الواحد، و ترى أن اللّه عز و جل لم يخلق بشرا غيركم، بلى و اللّه لقد خلق اللّه تبارك و تعالى ألف ألف

عـالم، و ألف ألف آدم، أنت فی آخر تلـک العوالم و أولئـک الآـدميين» . أقول: و الأحاديث الکثيره دلّت علی کثره العوالم من عالم الدنيا و الآخره و عالم الملائکه، و عالم جابلقا و جابلسا، و العوالم العرضيه و الطوليه، و بيانها و تحقيقها يطول و لا فائده فيه فعلا، کما لا يخفی. فـدلت هـذه الجمله بمجموعها علی أنهم عليه السّـلام عتره خيره ربّ العالمين بحيث لهم عليهم السّـلام و له صلّی اللّه عليه و آله و سـلّم-لمکـان کونهم مختـارين له تعـالی بمـا علمت-مقام إصـلاح جميع البريه، بل جميع ما فی الوجود و تربيتهم و إصـلاحهم و إرشـادهم و تبليغهم المراتب العـاليه. و لعمری إنهم عليهم السّـلام من أعظم نعم اللّه تعـالی علينـا، لأـنهم سبب وصولنا إلی المعـارف و المقامـات العـاليه بمتابعتهم و الاقتـداء بهم علما و عملا و حالا و اعتقادا و معرفه، کما لا يخفی و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و رحمه اللّه و برکاته

اشاره

الکلام هنا يقع فی أمور ثلاثه:

الأول: فی المعنی المراد من الرحمه فی هذه الجمله.

الثانی: فی بيان أن السـلام و الرحمه و الصلاه هل تزيد فی محلّهم عليهم السّلام و مثوباتهم من اللّه تعالی أم لا؟ الثالث: فی معنی البرکه و المراد بها هنا. أما الأول: فنقول: قد عرفت تحقيق الکلام فی معنی الرحمه فی شرح

قوله عليه السّـلام و معدن الرحمه، إلاّ أن الظاهر أن المراد من الرحمه المعطوفه علی السـلام هاهنا هو الرحمه الخاصه التی ليست فوقها رحمه.

ففی سفينه البحار (۱)، عن الصادق عليه السّلام فی قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ

۱- ۱) سفينه البحار ج ۱ ص ۵۱۷.

يَشٰاءُ قال: المختص بالرحمه نبى اللّه و وصيه صلوات اللّه و سلامه عليهما و آلهما، إن اللّه خلق مائه رحمه و تسعا و تسعين رحمه عنـده مذخوره لمحمد و على و عترتهما عليهم السّـلام و رحمه واحده مبسوطه على ساير الموجودين. أقول: قد علمت أن حقيقه الرحمه منه تعالى هو العطف على العبـد، و معلوم أن العطف إنما هو شـىء هو مصـداق للرحمه من الفضائل و الفواضل، و حيث ترى أنهم عليهم السّـلام بمكان من العطف منه تعالى بحيث لا يدانيهم أحد، كما نطقت به الآثار بل و الآيات القرآنيه فهم أقرب الخلائق إليه، و أكثرهم موردا لألطافه تعالى من حيث الكمالات من التوحيد و القدره و الصـفات الحميده. كيف و قد علمت أن لهم الولا-يه المطلقه من اللّه تعالى، فهم عليهم السّـلام مختصون بمصاديق رحمته تعالى بحيث لم يشاركهم أحـد فيها. و أما سائر الخلق حتى الأنبيـاء و الملا-ئكه، فجميع ما عنـدهم من الألطاف الـدنيويه و الأخرويه و المعنويه، فنسـبتها إليهم نسـبه الواحـد إلى المائه، بل علمت: أن هـذه الواحـده أيضا شامله للموجودين بواسـطتهم فهى منهم و كلّها منه تعالى، و التحديد بلحاظ التقريب و إلّا

قال عليه السّلام: «ليس لصفته حدّ محدود، و لا نعت موجود» ، فرحمته تعالى لا تحد و لا تنعت.

ففى سـفينه البحار، قال النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أوحى عز و جل إلى داود، كما لا تضيق الشمس على من جلس فيها، كذلك لا تضيق رحمتى على من دخل فيها» .

و فيها، عن الصادق عليه السّلام «إذا كان يوم القيامه نشر اللّه تبارك و تعالى رحمته حتى يطمع إبليس فى رحمته» ،

فقوله عليه السّلام:

«و رحمه اللّه»

، يراد منها الرحمه المختصه لهم عليهم السّلام بما اختصهم اللّه تعالى بها كما علمت. ثم إن الرحمه قد ذكرت لها معان فى اللغه: من العطف و إيصال الفضائل، أو رفع المكاره أو هى الحياه فى عالم الغيب، بل و فى الشـهاده، و بمعنى المغفره، و لكلّها شواهد و موارد استعملت فيها فى الكتاب، فهى بجميع معانيها و ما هو المخصوص بهم يراد

منها فی المقام فجمیع رحماته تعالی علیهم علیهم السّلام. و سیجیء فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و الرحمه الموصوله»

، أن الرحمه أطلقت فی الآیات و الأخبار علیهم علیهم السّلام و أنه ما المراد منها حین أطلقت علیهم علیهم السّلام. إلاّ أن الکلام فی أن الزائر إذا کان من أهل المعرفه فیقصد بها هذا المعنی، و إلاّ فإن قصد بها ما قصد به الإمام علیه السّلام الآمر بهذه الزیاره، فلها أیضا وجه و إلاّ فلا یعلم أن مجرد التلفظ بها یکون مستعملا فی هذا المعنی. و حینئذ فللزائر کما تقدم أن یجد فی تحصیل المعرفه حتی تکون زیارته کامله من حیث قصده للمعانی بما لها من المصادیق الکامله.

و عن تفسیر الإمام علیه السّلام قال علیه السّلام: و أما قوله: «اَلرَّحِیمِ» فإن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: «رحیم بعباده المؤمنین، و من رحمته خلق مائه رحمه، و جعل منها رحمه واحده فی الخلق کلّهم، فبها تتراحم الناس، و ترحم الوالده ولدها، و تحنّ الأمهات من الحیوانات علی أولادها، فإذا کان یوم القیامه أضاف هذه الرحمه الواحده إلی تسع و تسعین رحمه فرحمها أمه محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثم یشفعهم فیما یحبون له الشفاعه من أهل المله، حتی أن الواحد لیجیء إلی المؤمن من الشیعه فیقول له: اشفع لی فیقول له: أی حقّ لک علیّ؟ فیقول: سقیتک یوما ماء فیذکر ذلک فیشفع له فیشفع فیه. و یأتی آخر فیقول: إنّ لی علیک حقّا، فیقول: ما حقّک؟ فیقول: استظلت بظل جداری ساعه فی یوم حارّ فیشفع له، فیشفع فیه، فلا یزال یشفع حتی یشفع فی جیرانه و خلطائه و معارفه، و أن المؤمن أکرم علی اللّه تعالی مما یظنون» .

الأمر الثانی: اختلفت کلمات القوم فی أن الأعمال الصالحه هل تزید فی درجاتهم عنده تعالی أم لا؟

و إلی کلّ ذهب فریق، و لکلّ منهما دلیل و ردّ و إیراد ذکرت فی محلّها. و لکن مجمل القول فی ذلک: أنه قد تقدم فی باب الولایه و ما لها من المعنی أن لهم من اللّه تعالی مقام الولایه الإلهیه، بحیث لا یشارکهم أحد حتی الأنبیاء و الملائکه

المقربون و الأحاديث فى ذلک کثیره جدّا، و هناک أحادیث دلّت علی صفات الإمام بنحو لا یشارک فیها أحد، و هی کثیره و قد تقدم بعضها.

و منها ما عن الکافی، عن الرضا علیه السّلام فی حدیث طویل فی أوصاف الإمام إلی أن قال علیه السّلام: الإمام واحد دهره، لا یدانیه أحد، و لا یعادله عالم، و لا یوجد منه بدل، و لا له مثل، و لا نظیر مخصوص بالفضل کله من غیر طلب منه، و لا اکتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذی یبلغ معرفه الامام» ، الحدیث. فیستفاد من هذا الحدیث و أمثاله أن مقامهم السامی موهبه منه تعالی لهم بحیث لا یدانیهم أحد، کما سیجیء إن شاء اللّه فی شرح

قوله علیه السّلام:

آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین . نعم: هذا المقام السامی الثابت لهم إنما هو فوق مقام الموجودین من الملائکه المقربین و الأنبیاء و المرسلین و الأولیاء الصالحین من الأولین و الآخرین إلی یوم الدین. و أما ذواتهم المقدسه بالنسبه إلی ذاته المقدسه جلّت عظمته فهی قابله للزیاده، حیث إنهم علیه السّلام و ان کانوا فوق الخلق طرا، إلاّ أنهم بالنسبه إلی الذات المقدسه، التی لا تناهی له جلّت آلاؤه مربوبون مخلوقون، فهم فی مقام الاستفاده من الذات المقدسه فقط، و هذا المقام السامی أعطاهم اللّه من غیر طلب و لا اکتساب کما علمت من کلام الرضا علیه السّلام. فلهم المقام الثابت السامی فوق کل مقام، بحیث لا یدانیهم أحد، و هم مع ذلک فی مقام الزیاده من ذاته المقدسه کما تقدم

من قوله علیه السّلام: «و إنما العلم ما یحدث ساعه بعد ساعه»

و قوله علیه السّلام: «إنا لنزداد کلّ لیله جمعه» . و تقدم أن معناها أنهم علیه السّلام فی مقام حدّ الوجوب و الإمکان، فهم مستمدون دائما من ذاته المقدسه، و هم علیه السّلام فی الزیاده منه تعالی مع حفظ مقامهم الثابت لهم بحیث لا یدانیهم أحد. و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً

و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

على ما نقل عنه صلّى اللّه عليه و آله: «ربّ زدنى فيك تحيرا» . فالصلاه عليهم و طلب الرحمه منه تعالى، و إهداء الأعمال الصالحه لهم عليه السّلام إذا كانت فى معرض القبول من أحد، فإنما يؤثر فى ازدياد درجاتهم بهذا المعنى، لا أنه يؤثر فى مقام ولايتهم و علو درجاتهم بالنسبه إلى الخلق. فإن قلت: فعلى هذا فأى أثر لعبادتهم عليه السّلام له تعالى بعد ما كان مقامهم السامى ثابتا لهم عليه السّلام منه تعالى بلا طلب و لا اكتساب، و بعد عدم تأثير الصلوات و الدعوات فى مقامهم عليه السّلام؟ بل هناك أحاديث دلّت على أنهم إنما بلغوا إلى ما بلغوا بالأعمال الصالحه و الطاعات له تعالى.

ففى حديث المعراج المعروف: «يا أحمد هل تدرى لأىّ شىء فضلتك على ساير الأنبياء؟ قال: لا، قال اللّه تعالى: باليقين، و حسن الخلق، و سخاوه النفس، و رحم الخلق، و كذلك أوتاد الأرض لم يكونوا أوتادا إلاّ بهذا» .

و عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: «إن بعض قريش قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: بأىّ شىء سبقت الأنبياء، و أنت بعثت آخرهم و خاتمهم؟ قال: إنّى كنت أول من آمن بربّى، و أول من أجاب حين أخذ ميثاق النبيين و أشهدهم على أنفسهم، أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ » .

و عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: «سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأى شىء سبقت ولد آدم؟ قال: إننى أول من أقرّ بربى، إن اللّه أخذ ميثاق النبيين و أشهدهم على أنفسهم أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ فكنت أول من أجاب» . و الأحاديث كثيره فى أن الأئمه عليه السّلام إنما بلغوا إلى المقامات بالعمل، كما لا يخفى على المتتبع. و ظاهر هذه الأحاديث أنهم عليه السّلام إنما بلغوا بالأعمال الصالحه و الصفات الحميده و عبادته تعالى، فكيف التوفيق بين هذه و بين ما ذكر من مقامهم الثابت لهم منه تعالى بلا طلب و لا اكتساب؟

ص :۱۵۶

قلت: استمع لما يتلى عليک فى حلّ ما أشكل عليك، فإنه قل ما تظفر به، و حاصل الجواب بعد ذكر روايات تناسب المقام، فنقول:

فى الكافى بإسناده عن أبى عبدوا اللّه عليه السّلام قال: إن العبّاد ثلاثه، قوم عبدوا اللّه عز و جل خوفا فتلك عباده العبيد، و قوم عبدوا اللّه تبارک و تعالى طلب الثواب فتلك عباده الأجراء، و قوم عبدوا اللّه عز و جل حبّا له فتلك عباده الأحرار و هى أفضل العباده.

و فى النهج قال عليه السّلام: «إن قوما عبدوا اللّه رغبه فتلك عباده التجار، و إن قوما عبدوا اللّه رهبه فتلك عباده العبيد، و إن قوما عبدوا اللّه شكرا فتلك عباده الأحرار» .

و عن الخصال و أمالى الصدوق و العلل، بإسنادهم عن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام: «إن الناس يعبدون اللّه عز و جل على ثلاثه أوجه: فطبقه يعبدونه رغبه فى ثوابه فتلك عباده الحرصاء و هو الطمع. و آخرون يعبدونه خوفا من النار فتلك عباده العبيد و هى رهبه. و لكنّى أعبده حبّا له عز و جل فتلك عباده الكرام و هو الأمن لقوله عز و جل: وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ و لقوله عز و جل: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فمن أحبّ اللّه أحبّه اللّه، و من أحبّه عز و جل كان من الآمنين» (1). و قد اشتهر

عن أمير المؤمنين عليه السّلام قوله عليه السّلام: «إلهى ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فى جنتک بل وجدتک أهلا للعباده فعبدتک» . إذا علمت هذا فنقول: لا ريب فى أنّ العباده خوفا من النار أو طمعا فى الجنه إنما يرجع واقعها إلى حبّ النفس و العمل، لها إلّا أنه تعالى بفضله و كرمه قبلها حينئذ عباده لنفسه تعالى.

۱- ۱) -جامع أحاديث الشيعه فى أحكام الشريعه ص ۱۰۴ و ۱۰۵.

فالعبادات المأتی بها هکذا لا محاله تؤثر فی زیاده المثوبات، أو رفع المکاره الدنیویه أو الأخرویه عن العابد بفضله و کرمه تعالی. و أما الذی یعبده حبّا له أو شکرا له فإنما یعبد اللّه وحده، لا یرید بعبادته إلاّ أنه تعالی أهل لها، و لا یعبده لما یرجع منها إلی نفسه، فهذا العابد قد فنی عن نفسه و عن الخلق کلّهم و لیس یقصد إلاّ مولاه، کما ورد التفسیر لقوله تعالی: ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْکِتٰابَ اَلَّذِینَ اِصْطَفَیْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا فَمِنْهُمْ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سٰابِقٌ بِالْخَیْرٰاتِ. . (1).

ففی تفسیر الصافی و غیره عن الصادق علیه السّلام أنه سئل عنها؟ فقال: «الظالم یحوم حول نفسه، و المقتصد یحوم حول قلبه، و السابق یحوم حول ربّه عز و جل» . فظاهر الحدیث أن السابق لا یحوم إلاّ حول ربّه، قد تخلی عن النفس و القلب، أی لا یعمل لهما بل لا یقصد إلاّ ربّه، و هذا هو المقام السنّی الذی لیس فوقه مقام.

قال الصادق علیه السّلام کما فی تفسیر الصافی و غیره عند قوله تعالی: وَ اُذْکُرُوا اَللّٰهَ کَثِیراً قال علیه السّلام: «ما أنعم اللّه علی عبد أجلّ من أن لا یکون فی قلبه مع اللّه غیره» . إن هذه الطائفه لا مقصد لهم إلاّ مولاهم، قد خلعوا عن النفس شئونها، فعباده هؤلاء خالصه له تعالی، و لم یکونوا کذلک إلاّ لأنهم أحبّوا مولاهم فقط، فهم أحسن مصداق لقوله تعالی: وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ فلا محبوب لهم سواه تعالی. و إلی هذه العباده الخالصه أشار

الصادق علیه السّلام بقوله: «و لکنّی أعبده حبّا له فتلک عباده الکرام»

أو قوله علیه السّلام فی الحدیث السابق عنه: «فتلک عباده الأحرار» . أقول: الأحرار جمع حرّ و هو المتخلص نفسه من جمیع القیود سوی قید العبودیه لربه تعالی، فخرج عن قید حبّ النفس و حبّ الآخره فضلا عن حبّ الدنیا کما حقق فی محله، فهؤلاء لا یعمل فی قلبهم شیء سوی محبه خالقهم. و أما الکرام: فهم المأمونون عن عذابه تعالی، و عن أی عتاب منه تعالی، فهم

۱- ۱) -فاطر:۳۲.

فی مقـام الأـمن المشـار إلیه بقوله تعالی وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ یَوْمَئِذٍ آمِنُونَ . و أما المحب الـذی یعبـد اللّه حبّا له فهو محبوب له تعالی لمتـابعته للنبی صـلّی اللّه علیه و آله بسـبب الحبّ له تعـالی، فصـار هـذا الحبّ و المتابعه سـببا لکونه محبوبا له تعالی، فالـذی هو محب له تعـالی و محبوب له لاـ یعمـل إلاّـ بمقتضـی المحبه و لاـ یحوم إلاّ حول ربّه. فهـذه العناوین الثلاثه أی العباد بما هم من الکرماء الآمنین و الأحرار و المحبین، الـذین قـد صـفاهم اللّه من کدر کما دلّت علیه الأحادیث الکثیره. فعبادتهم إنما هی بعد ما منحهم اللّه تعـالی من الکرامه و الأـمن و الحبّ، فهم قبـل العمل قـد حباهم اللّه تعالی بتلک الکرامات، فعبادتهم لیست لتحصـیل شیء من المقام، بل قد أعطاهم اللّه من فضله أحسن المقام و إنما یعبدونه حبّا له. و إلیه یشیر ما

عن النهـج، عن أمیر المؤمنین علیه السّـلام کما تقـدم من قوله: «و إن قوما عبدوا اللّه شـکرا فتلک عباده الأحرار» . إذ من المعلوم أن العباده بما هی مأتی بها شـکرا إنما هو بعد العطیه إذ الشـکر و ما هو مصداقه یکون بعد العطاء کما لا یخفی. فحیث إنه تعالی حباهم بتلک المقامات التی أشار إلیها الرضا علیه السّـلام بلا طلب و لا اکتساب، فهم علیهم السّلام عملوا بأحسن العمل و عبدوه حقّ العبـاده، کـلّ ذلـک شـکرا له لما منحهم اللّه تعالی فی ابتـداء الخلقه. و قـد أشار إلی عبادتهم بقوله تعالی: عِبادٌ مُکْرَمُونَ. لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ و کذا سایر الآیات بمثلها، کما لا یخفی. و الحاصل: أنهم علیهم السّلام و کما علمت خلقهم تعـالی قبـل الخلق کلهم أجمعین، و حمّلهم علمه، و أعطاهم تلک المقامات الشـریفه، و جعلهم وسائط بینه و بین الخلق، و بعثهم إلی الثقلین بعـد ما أکملهم بتلک الکمالات. و حیث علم منهم الوفاء قبلهم، و قـدّمهم و أعطاهم أجر عملهم قبل عملهم لما علم منهم الوفاء بالعمل، فهم علیهم السّلام یعملون بعد ما منحهم اللّه تعالی ما منحهم شکرا

له. و إليه يشير

قوله عليه السّلام فى دعاء الندبه من قوله: . .

الذين استخلصتهم لنفسک و دينک، إذ اخترت لهم جزيل ما عندک من النعيم المقيم، الذى لا زوال له و لا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد فى درجات هذه الدنيا الدنيه و زخرفها و زبرجها، فشرطوا لک ذلک، و علمت منهم الوفاء به فقبلتهم و قربتهم، و قدمت لهم الذكر العلى و الثناء الجلى. .» الدعاء.

فقوله:

«فقبلتهم و قربتهم»

، إشاره إلى ما ذكرنا من أنه تعالى أعطاهم أجرهم فى أول يوم الوجود، لما علم منهم الوفاء، فهم الواجدون لتلک المقامات لطفا منه تعالى بلا طلب و لا اكتساب. نعم: إنما منحهم لما علم منهم الوفاء، و هم عبدوه شكرا لهذه العطايا الجزيله و المواهب الجليله. فتحصل من الجميع أن لهم مقاما شامخا، أى مقام الولايه المطلقه الكبرى، فهذه المنزله إنما هى منحه منه تعالى لهم بلا طلب و لا ـ اكتساب، و إنما هم يعبدونه حقّ العباده شكرا و حبّا له لا لتحصيل تلک المقامات. ثم إنّ أىّ عمل يوجب بنفسه استحقاق تلک المقامات العاليه الثابته لهم؟ ! و لعلّ هذا هو السرّ فى كون عبادتهم شكرا له، أى لا يمكن أن تكون عبادتنا سببا لتلک الألطاف، و إنما نحن نشكره لتلک الألطاف. فإن قلت: علمه تعالى بأنهم عاملون بالوظائف صار سببا للطفه لهم، فالسبب هو عملهم، غايه الأمر لما علم تعالى أنهم يعملون حباهم قبل العمل، و أما بالنسبه إلينا فحيث لم يعلم الوفاء منا فالعطيه تابعه منه تعالى للعمل و إلاّ فلا. قلت: نعم، إلاّ أنهم منحهم اللّه تعالى ما لم يمنح به أحدا، و تلک المنح و المقامات سابقه على العمل قد أعطاها لهم فى ابتداء الوجود. و قد علمت أنها منح لا يمكن كونها مسببا عن عمل، و لا يمكن و لا يكون عمل

قابلا للسببيه لتلك المنح العظيمه، فهى بلحاظ عظمتها و جلالتها، نعم لا تكون معلولا و مسببا لأىّ عمل و إن عظم و كثر. و بهذا النظر صحّ أنها بلا طلب و لا اكتساب، و حينئذ تكون أعمالهم و عباداتهم عليهم السّلام شكرا له فقط، و لم يعلم قطعا أن أعمالهم الآتيه هى السبب لتلك الألطاف العظيمه، بل الممكن واقعا أن تكون شكرا كما هو ظاهر كلماتهم عليهم السّلام. نعم: ربما يقال إنه من الأحاديث المذكوره عقيب قولنا إن قلت، يظهر أنهم السابقون فى الإجابه فى عالم الأرواح و الذّر، فهم قد أعطوا العبوديه و الإطاعه له تعالى فى سابق الخلقه قبل ساير الخلق، فحينئذ يتوهم أنها سبب لتلك الألطاف. و لكن يدفعه أنّ تلك الإجابات منهم عليهم السّلام أيضا كأعمالهم و عباداتهم فى الدنيا، إنما كانت بعد ما منحهم اللّه تلك العنايات الأزليه كما علمت. و حاصل الكلام: أن عباداتهم كانت حبّا و شكرا له، و لا نظر لهم فيها لما يرجع إليهم من المثوبات، و إنما هى ألطاف خاصه ابتدائيه منه تعالى لهم فقط، و هذا أمر لا ينفيه العقل، و لا يرده الاعتبار، بل بملاحظه الأحاديث الوارده فى بدو خلقهم تساعده، كما لا يخفى. ثم: إن الغرض بيان أن المقام المختص بهم مقام موهبتى لا كسبى، أعنى المقام الولايه الكبرى المتقدم ذكرها، لا أن أعمالهم لا تؤثر فيهم شيئا، بل علمت أنهم عليهم السّلام فى مقام حدّ الواجب و الإمكان فهم دائما مستمدون منه تعالى. فأعمالهم و أعمال شيعتهم لهم إنما يؤثر فيهم: إذا سلمنا التأثير لها فى استفادتهم منه تعالى فوق ما منحهم بما لم يمنح به أحدا من العالمين، كيف و أن ذاته المقدسه لا حدّ لها و لا نهايه، و هم مربوبون له تعالى و مستفيدون منه تعالى دائما، فهم دائما فى الزياده منه تعالى، فهم كما وصفهم اللّه تعالى عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. و إليه يشير ما فى شرح الصحيفه السجاديه بما حاصله أنه ما الفائده فى الدعاء

له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ فقيل: إن الدرجه له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثابته بأسباب منها الدعاء. و ردّ بأنه غير صحيح لأن درجاته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أعطاها اللّه تعالى له بدون طلب و لا اكتساب بنحو لا يؤثر فيه دعاء داع. فحينئذ معنى الدعاء هو الامتثال لأمره تعالى بقوله: صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً . فإن دعاءنا امتثال لهذا الأمر ضروره أن المقام المنيع له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثابت بصلواته تعالى و صلوات الملائكه، و إنما أمرنا بالدعاء و الصلوات متابعه و انقيادا له تعالى بالدعاء له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا، تشبيها به تعالى و بالملائكه، و فائده الدعاء حينئذ هو زياده الإيمان لنا و الزلفى لديه تعالى. ثم قال: و لعلّ الأقرب إلى الصواب هو ما ذكره بعين ما ذكرناه آنفا من أنهم فى مقام حدّ الواجب و الإمكان. فالدعاء يؤثر فى ترقيهم فى المقامات الربوبيه، التى لا نهايه لهما، كما لا يخفى و الحمد للّه ربّ العالمين.

الأمر الثالث: [فى معنى البركه و المراد بها هنا]

و أما

قوله عليه السّلام:

و بركاته

، عن القاموس: البركه محركه النماء و الزياده و السعاده، و التبريك الدعاء بها، و بارك على محمد و آل محمد أدم له ما أعطيته من التشريف و الكرامه، و تبارك اللّه (تقدّس و تنزّه صفته) خاصه باللّه.

و عن الكافى و غيره فى تفسير قوله تعالى: وَ جَعَلَنِي مُبٰارَكاً قال عليه السّلام: «أى نفّاعا» . و حينئذ معنى و بركاته عليهم عليهم السّلام أى أدام اللّه لكم من الخير التام، و النفع العام، و السعاده العظمى، و الرياسه الكبرى، و الزياده على أهل الدنيا. فعطفها على الرحمه يفيد طلب هذه الأمور لهم عليهم السّلام منه تعالى فهو دعاء لتنميه رحمته لهم عليهم السّلام و زيادتها بإسعادهم عليهم السّلام بالقرب منه تعالى لهم و لأتباعهم من شيعتهم.

فالبركه مطلقا طلب للنفع التام بالنسبه على ما أنعم به من النعم الدنيويه و الأخرويه، كما لا يخفى، و الحمد للّه ربّ العالمين.

[۵]قوله عليه السّلام: السّلام على أئمّه الهدى.

اشاره

أقول: الكلام هنا يقع فى مقامين: الأول: فى معنى الأئمه. و الثانى: فى معنى الهدايه.

أما الأول [فى معنى الأئمه.] :

فنقول: الأـئمه باليـاء و الهمزه جمع إمـام. قـال فى المجمع: و أصل أئمه أءممه فألقيت حركه الميم الأولى على الهمزه، و أدغمت الميم فى الميم، و خففت الهمزه الثـانيه، لئلاـ تجتمع همزتـان فى حرف واحـد مثـل آدم و آخر-إلـخ. و فيه: قوله: إِنِّى جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً أى يأتم بك الناس فيتبعونك و يأخـذون عنك، لأن الناس يأمون أفعاله أى يقصـدونها فيتبعونها، إلـخ. و فى معانى الأخبار، قال مصنف هذا الكتاب رضى اللّه عنه: سألت أبا بشير اللغوى بمدينه السلام عن معنى الإمام؟ فقال: الإمام فى لغه العرب هو المتقـدم بالناس. و الإمام هو المطمر و هو التر الـذى يبنى عليه البناء. و الإمام هو الـذهب الـذى يجعل فى دار الضـرب ليؤخذ عليه العيار. و الإمام هو الخيط الـذى يجمع حبّات العقـد. و الإمام هو الـدليل فى السـفر فى ظلمه الليل. و الإمام هو السـهم الـذى يجعل مثالا يعمل عليه السـهام، انتهى. فالإمام هو العالم و الرجل الجامع للخير و من هو على الحق، و الإمام هو المتقدم بالناس. و فى المحكى عن معانى الأخبار سمى الإمام إماما، لأنه قدوه للناس منصوب

من قبل اللّه تعالى مفترض الطاعه.

و عن تفسير القمى، عن على عليه السّلام أنه قال: أنا و اللّه الإمام المبين أبين الحقّ من الباطل.

و فى معانى الأخبار، عن الباقر، عن آبائه، عن الحسين بن على عليه السّلام قال: لما نزلت هذه الآيه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ ، قام أبو بكر و عمر من مجلسهما فقالا: يا رسول اللّه هو التوريه؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا، قالا: فهو الإنجيل؟ فقال: لا، قالا: فهو القرآن؟ فقال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين على عليه السّلام، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «هو هذا، إنه الإمام الذى أحصى اللّه تبارك و تعالى فيه علم كلّ شيء» .

و فى المحكى عن خطبه اللؤلؤه، عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى وصف بنى أميّه و بنى العباس، قال عليه السّلام فيهما: «إنهم أئمه الكفر و خلفاء الباطل» ، الخبر.

و قد روى طلحه بن زيد عن الصادق عليه السّلام أنه قال: «الأئمه فى كتاب اللّه إمامان، إمام عدل و إمام جور، قال اللّه تعالى: وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لا بأمر الناس، و قال: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى اَلنّارِ يقدمون قبل أمر اللّه، و يأخذون بأهوائهم خلافا لما فى كتاب اللّه» . أقول: الأحاديث كثيره فى بيان معنى الإمام حسب المراد منه فى استعماله فى الكتاب و السنّه و عند الأئمه عليهم السّلام و لعلّه سيأتى إن شاء اللّه بعض الأحاديث فى بيانه فى الشرح. و فى إضافه الأئمه إلى الهدى إشاره إلى أنهم أئمه الحقّ و أئمه العدل المشار إليها فى قوله تعالى: وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا فمصداقها فيهم عليهم السّلام. و المراد من الأئمه هنا بما لها من المعانى المتقدمه للإمام، فإنهم عليهم السّلام هم الكاملون فى الإمامه بجميع معانيها، كما لا يخفى.

و أما الأمر الثانى: أعنى معنى الهدايه و معنى كونهم أئمه الهدى.

فنقول: فی المجمع: و الهدی: الرشاد و الدلاله، و البیان یذکر و یؤنث، و الهدی: هدیان، هدی دلاله، فالخلق به مهدیون، و هو الذی تقدر علیه الرسل، قال تعالی: وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ فأثبت له الهدی الذی معناه الدلاله و الدعوه و البینه، و تفرّد هو تعالی بالهدی الذی معناه التوفیق و التأیید کما قال: إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ . أقول: المنفی هو الهدایه المختصه به، ثم إنه یظهر من قوله تعالی قُلِ اَللّهُ یَهْدِی لِلْحَقِّ و قوله تعالی: إِنَّ هذَا اَلْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ و قوله: إِنَّ عَلَیْنا لَلْهُدی و قوله تعالی: أَوْ أَجِدُ عَلَی اَلنّارِ هُدیً و قوله: وَ ما کانَ اَللّهُ لِیُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ و قوله تعالی: وَ هَدَیْناهُ اَلنَّجْدَیْنِ إن جمیع موارد الاستعمالات فیها هو بمعنی الدلاله. قال بعض الأفاضل کما فی المجمع: و بهذا یظهر ضعف القول: بأن الهدایه إن تعدت إلی المفعول الثانی بنفسها کانت بمعنی الدلاله الموصله إلی المطلوب، و إن تعدت باللام أو بإلی کانت بمعنی الدلاله علی ما یوصل. فإن المراد (و اللّه العالم) من قوله تعالی: قُلِ اَللّهُ یَهْدِی لِلْحَقِّ هو الهدایه الموصله مع أنّها تعدت باللام، و قوله: هَدَیْناهُ اَلنَّجْدَیْنِ یراد منه الدلاله علی ما یوصل مع أنّها تعدت بنفسها، و مثله قوله: إِنّا هَدَیْناهُ اَلسَّبِیلَ إِمّا شاکِراً وَ إِمّا کَفُوراً .

فعن الصادق علیه السّلام: أی عرّفناه إما آخذا و إما تارکا، فالمراد منه هو الدلاله و التعریف کما فسر مع أنها تعدت بنفسها. أقول: الهدایه بحسب المعنی علی ما عرفت و علی ما هو المشهور قسمان: -هدایه بمعنی إراءه الطریق إلی المطلوب. -و هدایه بمعنی الإیصال إلیه. و أما اللفظ الدال علی أحدهما فلا تعین له لأحدهما، بل یستفاد کلّ منهما

بحسب القرائن اللفظيه أو المعنويه، كما لا- يخفى. و أما معنى الهداية من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو الأئمه عليهم السّلام سيأتى معناها. و أما الهدايه منه تعالى، فقيل: إنها أقسام. منها: إفاضه القوى التى يتمكن بها العبد من الاهتداء إلى مصالحه كالقوى العقليّه و الحواس الباطنيه و المشاعر الظاهره. و منها: نصب الدلائل الفارقه بين الحقّ و الباطل و الصلاح و الفساد. و منها: الهدايه بإرسال الرسل و إنزال الكتب. و منها: أن يكشف عن قلوبهم السرائر، و يريهم الأشياء كما هى بالوحى و الإلهام و المقامات الصادقه، و هذا القسم يختص بنيله الأنبياء و الأولياء. ثم: إن طلب الهدايه منه تعالى فى جميع الأمور المطلوبه المرغوبه فيها قد يكون بلسان القول، و قد يكون بلسان الاستعداد. فما يكون بلسان الاستعداد لا يتخلف عنه المطلوب. و ما يكون بلسان القول و وافقه الاستعداد استجيب و إلاّ- فلا- (أى يمكن أن يستجاب و إن لا- يستجاب) كذا قيل. أقول: و لعلّ الطلب بلسان الاستعداد هو المشار إليه فى قوله تعالى وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ كما فسر بعضهم السؤال بسؤال الفطره و الاستعداد كما حقق فى محلّه، هذا بمقتضى كرمه و فضله حيث لا- يرد سائله، و لا يرد سؤالا حقيقيا بمثل سؤال الفطره و الاستعداد. و أما إذا كان بحسب اللفظ فإن اجتمع مع شرائط الاستجابه استجيب و إلاّ فلا، كما هو مقتضى الأحاديث الوارده فى باب الدعاء. و أما الهدايه من الرسول و من الأئمه عليهم السّلام فهاهنا أحاديث فسّرت ذلك و دلّت عليها فلا بد من ذكرها، ثم بيان ما يحتاج منها إلى البيان:

فنقول: فى الكافى، بإسناده عن الفضيل، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه

عز و جل: وَ لِكَلِّ قَوْمٍ هٰادٍ فقال: «كلّ إمام هاد للقرآن الذى هو فيهم» .

و فيه بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ فقال: «رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المنذر و لكلّ زمان منّا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم الهداه من بعده على عليه السّلام ثم الأوصياء واحد بعد واحد» .

و عن بصائر الدرجات، عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ قال: «يعنى تأمر بولايه على و تدعو إليها و هو الصراط المستقيم» .

و عن مناقب ابن شهرآشوب عن الكاظم عليه السّلام فى قوله تعالى: هُوَ اَلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَ دِينِ اَلْحَقِّ قال: «أى هو الذى أمر رسوله بالولايه لوصيه و الولايه هى دين الحق» .

و فيه، عن أبى جعفر عليه السّلام فى الآيه، قال: «الهدى سبيل على عليه السّلام أى قوله تعالى: سمعنا الهدى آمنّا به» .

و عن الكافى، عنه عليه السّلام فى قوله تعالى: فَمَنِ اِتَّبَعَ هُدٰايَ فَلاٰ يَضِلُّ وَ لاٰ يَشْقىٰ قال: «من قال بالأئمه و اتبع» .

و عن معانى الأخبار، عن على عليه السّلام قال فى خطبه له: «أنا الهادى و أنا المهتدى» .

و فى حديث آخر عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنهم هداه مهديون أى الأئمه عليهم السّلام» .

و فى الوافى عن الكافى بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، و لا تعرفون حتى تصدقوا، و لا تصدقون حتى تسلّموا أبوابا أربعه، لا يصلح أولها إلاّ بآخرها، ضلّ أصحاب الثلاثه و تاهوا تيها بعيدا، إن اللّه تعالى لا يقبل إلاّ العمل الصالح، و لا يتقبل إلاّ بالوفاء بالشروط و العهود، و من وفى للّه بشروطه، و استكمل ما وصف فى عهده نال ما عنده و استكمل وعده. إن اللّه تعالى أخبر العباد بطرق الهدى و شرع لهم فيها المنار، و أخبرهم كيف يسلكون فقال: وَ إِنِّي لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اِهْتَدىٰ و قال: إِنَّمٰا يَتَقَبَّلُ اَللّٰهُ مِنَ اَلْمُتَّقِينَ فمن اتقى اللّه تعالى فيما أمره لقى اللّه تعالى مؤمنا بما جاء به محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

هیهات هیهات فات قوم و ماتوا قبل أن یهتدوا، و ظنوا أنهم آمنوا، و أشرکوا من حیث لا یعلمون أنه من أتی البیوت من أبوابها اهتدی و من أخذ فی غیرها سلک طریق الردی، وصل اللّه تعالی طاعه ولی أمره بطاعه رسوله و طاعه رسوله بطاعته، فمن ترک طاعه ولاه الأمر لم یطع اللّه و لا رسوله، و هو الإقرار بما نزل من عند اللّه خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ و التمسوا البیوت التی أذن اللّه أن ترفع و یذکر فیها اسمه، فإنه. قد خبرکم أنهم رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِیهِمْ تِجٰارَهٌ وَ لاٰ بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اَللّٰهِ وَ إِقٰامِ اَلصَّلاٰهِ وَ إِیتٰاءِ اَلزَّکٰاهِ یَخٰافُونَ یَوْماً تَتَقَلَّبُ فِیهِ اَلْقُلُوبُ وَ اَلْأَبْصٰارُ (1)إن اللّه قد استخلص الرسل لأمره ثم استخلصهم مصدقین لذلک فی نذره فقال: وَ إِنْ مِنْ أُمَّهٍ إِلاّٰ خَلاٰ فِیهٰا نَذِیرٌ تاه من جهل و اهتدی من أبصر و عقل. إن اللّه تعالی یقول: فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَی اَلْأَبْصٰارُ وَ لٰکِنْ تَعْمَی اَلْقُلُوبُ اَلَّتِی فِی اَلصُّدُورِ (2)و کیف یهتدی من لم یبصر و کیف یبصر من لم ینذر (لم یتدین) ؟ اتبعوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أقرّوا بما نزل من عند اللّه، و اتبعوا آثار الهدی فإنهم علامات الإمامه و التقی. و اعلموا أنه لو أنکر رجل عیسی بن مریم علیه السّلام و أقرّ بمن سواه من الرسل لم یؤمن، اقتصوا الطریق بالتماس المنار، و التمسوا من وراء الحجب الآثار تستکملوا أمر دینکم و تؤمنوا باللّه ربکم» انتهی. فهذا الحدیث بیّن الأمر بما لا مزید علیه، و بیّن أنهم الهداه و أنه لا بد من متابعتهم لما معهم الدلائل و البراهین علی مدعاهم. ضروره أن الهدایه تلزمهم و تتبعهم بحیث کأنهم أئمتها مع أنهم أئمه الناس فی الهدایه.

و قوله علیه السّلام: «ضلّ أصحاب الثلاثه» ، یشیر إلی أنه الاشتمال بظاهر الصلاح و المعرفه و إظهار التصدیق، ما لم یکن من أهل التسلیم لولی اللّه، لا یفیده شیء کما شرحه و برهن علیه فیما بینه علیه السّلام.

1- 1) النور:37.

2- 2) الحج:46.

ثم: إنه يستفاد من هذه الأحاديث تصريحا و تلويحا أمور أهمها: أنها تشير إلى أن الهدايه بما لها من الأهميه إنما المقصود منها الهدايه إلى ولايه أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام، فالاهتداء بالولايه من أهم الأمور فى نظر الأئمه عليهم السّلام كما يظهر من مطاوى كلماتهم، و من تأويلهم كثيرا من الآيات بالولايه، كما لا يخفى على من راجع تفسير البرهان خصوصا مقدمته، فهم عليهم السّلام يهدون الخلق إلى الولايه بأمره تعالى. و السرّ فيه ما علمت سابقا من أن الولايه هى أساس الأمر و ذروه الأمر و سنام الأمر، إذ بها يعرف اللّه تعالى و معارفه و أحكامه، و ينجز وعده و وعيده و تجرى بها حدوده. و الحاصل: أن فعليه الدين فى جميع شئونه و مصاديقه من المبدإ إلى المعاد و ما بينهما، إنما هى بالولايه و بهدايه ولى الأمر و إشارته كما تقدم مفصلا. و من هذا يعلم أن المهتدى هو الذى اهتدى إلى الولايه، و إلاّ فلو عبد اللّه طول دهره بأحسن الوجوه ما نفعه ذلك كما سيجىء بيانه مفصلا، و تقدمت الإشاره إليه مرارا. فإياك أن تخرج عن هذه الدرعه الحصينه ولاء أهل بيت محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما أشير إليها فى الأدعيه، فإنه من التفت عن هذا السمت المستقيم، فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق. فظهر بحمد اللّه تعالى أن معنى كونهم أئمه الهدى أنهم عليهم السّلام أدله الهدى المطلق المشار إليها فى القرآن، فتلك الهدايه منهم بل هم عليهم السّلام نفس الهدى.

فعن تفسير الفرات، عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: فَإِمّٰا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً قال عليه السّلام: «على بن أبى طالب عليه السّلام» ، و هم المرشدون و الهادون

كما قال على عليه السّلام: «أنا الهادى و أنا المهتدى» ، كما تقدم، كيف لا و هم المهديون من اللّه سبحانه و تعالى و مكرمون بكرامته كما قال: عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ و إنهم عليهم السّلام هادون باللّه تعالى إلى اللّه سبحانه فيوصلون إلى المطلوب من شاءوا كما

ظهرت منهم تلك الأمور فى كثير من الناس، و إلى ما يوصل إلى المطلوب حسب ما تقتضيه الحكمه بل هم المطلوب و المطلوب ألطافهم و منوياتهم، كما تقدم من

قوله عليه السّلام: «إنما أمر الناس بمعرفتنا و التسليم لنا و الردّ إلينا» . ثم: إن من إضافه الأئمه إلى الهدى يستفاد الاختصاص، أى أن أئمه الهدى مختصه بهم لا تكون فى غيرهم كما علمته من الأحاديث المتقدمه. كيف و قد دلّت الآثار على أنهم مع الحق و الحق معهم و فيهم و بهم و منهم و لهم، فلا يفارقهم الهدى و لا يفارقونه حيث علمت أنهم حقائق القرآن و أحسن مصاديقه. و نحن نشكر اللّه على هذه النعمه العظمى التى ليست فوقها نعمه. ثم: إن كونهم هداه على أقسام من حيث القول، و من حيث العقل، و من حيث التصرف فى الأرواح و النفوس، و من حيث الذات، أى هم حقيقه الهدايه بذاتهم، سيجىء الكلام فى بيانها فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و الأدلّاء على مرضاه اللّه»

إن شاء اللّه تعالى.

قوله عليه السّلام: و مصابيح الدجى.

فى المجمع: المصباح: السراج الثاقب المضىء، و يعبّر عن القوه العاقله و الحركات الفكريه الشبيهه بالمصباح، و منه

قوله عليه السّلام: «فزهر مصباح الهدى فى قلبه» . و فيه: دجى كغنى أى مظلم،

و فى الحديث: «الإمام عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى و معميات السنن، أى عالم بما يرد عليه من الأمور المظلمه التى لا ظهور فيها لغيره» . و الدجى فى العباره هنا جمع دجيه بضم أوله و سكون الجيم و هى الظلمه، و المراد ظلمات العدم و الشك و الجهل و الفناء و كلّ أمر مبهم. فالظلمه حجاب على الواقع مطلقا كلّ بحسبه.

و ظلمه العدم عباره عن الموجودات المقدره، التی لم یوجد بنور الوجود کما تقدم

الحدیث عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إن اللّه خلق الأشیاء فی العدم، ثم رشّ علیها من نور وجوده، فالظلمه هو المانع لدرک الشیء ذاتا أو صفه أو خصوصیه و النور خلافه و رافعه و طارده» . ثم: إنه قد علمت أن معنی الظاهر للمصباح هو السراج، و لکن یراد منه هنا معناه الکنائی و هو النور. ثم: إن النور قد یراد منه الوجود، فحینئذ کونهم علیهم السّلام مصابیح الدجی أی بأنوارهم ظهرت الموجودات، کما دلّت علیه کثیر من الأحادیث من أن شیعتهم خلقوا منهم بل کلّ شیء خلق منهم کما تقدمت الإشاره إلیه. و قد یراد منه الیقین کما فی کثیر من الأحادیث بل و الآیات، فحینئذ الیقین بالمعارف و المبدإ و المعاد لا یکون إلّا بأنوارهم، و هم مصابیحه فبنورهم یرفع الشک و یحصل الیقین فی القلب، کما تقدم

فی حدیث أبی خالد من أنّ الأئمه هم الذین ینورون قلوب المؤمنین. و قد یراد منه العلم، و من المعلوم أن المعلوم و المعارف الحقه إنما أفیضت علی ألواح القلوب القابله بهم علیهم السّلام، و قد تقدم أن أمیر المؤمنین علیه السّلام هو الذی یمیر العلم للمؤمنین، أی یطعمهم و هذا ظاهر لا ستره علیه. و قد یراد منه أی من النور حیثیه التأثیر فی المستنیر، و سوقه إلی المطلوب کالسراج المستعان به فی الطریق للسیر إلی المقصد، و هم علیهم السّلام لهم هذه الجهه أیضا، فالأولیاء بنورهم یستضیئون و یسیرون إلی الدرجات العلی باستعانه نورهم، فهم علیهم السّلام عله الدرجات، و جعلت المکرمات و السعادات لهم لما استضاءوا بنورهم علیهم السّلام. و الحاصل: أن حقیقتهم علیهم السّلام هو النور کما عبر عنها فی القرآن بالنور فی قوله

تعالى: . . وَ اَلنُّورِ اَلَّذِى أَنْزَلْنٰا (۱). . اَلنُّورَ اَلَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ (۲)المفسر فى كلماتهم بذواتهم المقدسه. فحقيقتهم عليهم السّلام النور أى حقيقه المقامات و الدرجات و السعادات، فمن اتصل بهم و استضاء تحت ظل حقيقتهم بنفى حدوده و آرائه و أ هوائه. و بعباره أخرى من فنى نفسه فى قبالهم كذلك، حصلت له تلك الأمور كما تقدم.

ففى تفسير البرهان و غيره، محمد بن يعقوب بإسناده عن عمار الساباطى قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: أَ فَمَنِ اِتَّبَعَ رِضْوٰانَ اَللّٰهِ كَمَنْ بٰاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ اَللّٰهِ فقال: الذين اتبعوا رضوان اللّه هم الأئمه عليهم السّلام و هم و اللّه يا عمار درجات للمؤمنين، و بولايتهم و معرفتهم إيانا يضاعف اللّه لهم أعمالهم، و يرفع لهم الدرجات العلى. فعلم منه أنهم عليهم السّلام نفس درجات المؤمنين و بولايتهم أى بتسليط ولايتهم على أنفسهم بحيث لا يكون فى أنفسهم ما يخالف ولايتهم، و بمعرفتهم من أنهم الأسماء الحسنى و مظاهر الحقّ، و الاستضاء بأنوارهم يضاعف اللّه لهم أعمالهم و يرفع لهم الدرجات العلى بظهور درجاتهم عليهم السّلام فيهم، كما لا يخفى. هذا و قد تقدم فى شرح و موضع الرساله أنهم عليهم السّلام لهم مقام المعانى أى معانى الحق و الربوبيه و الأسماء الإلهيه، و لهم مقام الأبواب أى الإراءه و الهدايه و الطريقه إليه تعالى، و لهم مقام الإمامه و كونهم حجه اللّه على الخلق، و قد تقدم شرحها. و حينئذ كونهم مصابيح الدجى كنايه عن واجديتهم لهذه المقامات معنى. بيانه: أن السراج كما له دهن يكون نوره منه، و له نور هو ظاهر بنفسه و مظهر لغيره، فكذلك الأئمه عليهم السّلام فبلحاظ كونهم معانيه تعالى فهم واجدون لماده الإضائيه و النورانيه.

۱- ۱) التغابن:۸.

۲- ۲) الأعراف:۱۵۷.

فهذا المقام حقيقتهم و ما به قوامهم منه و به تعالى، و كونهم أبوابا مقام هدايتهم، و تعليمهم العلم بالبيان المتقدم، و كونهم إماما و حجه على الخلق مقام تربيتهم بإيصال الفيوضات الإلهيه منه تعالى إليهم، و سوقهم بها إلى الكمالات و الحقائق و الدرجات العلى، كما لا يخفى. فمن اقتدى بهم و استضاء بنورهم فقد نجا و بلغ من الخيرات الغايه القصوى. فظهر بحمد اللّه أنهم عليهم السّلام مصابيح الأكوان و الأعيان و الأزمان و الأعمال و الأحوال و الأقوال و الأفكار، و جميع أطوار من دونهم من الخلق، لأنهم عليهم السّلام قد علمت أن بنورهم ظهرت الموجودات، فهم حينئذ باب الوجود فكلّ شيء يصل إلى الخلق من خلق و رزق و ممات و حياه، فمنهم يعنى أن اللّه تعالى يتعلق فعله بالموجودات أجمع بواسطتهم، كما تقدمت الأحاديث الداله على هذا فى شرح معنى الولايه المطلقه الثابته لهم عليهم السّلام. فصح بقول مطلق أنهم مصابيح الدجى أى تستنير بهم الأكوان، و عنهم تظهر الأعيان عن ظلمه العدم و الجهل و الشك، و لا تنكشف تلك إلاّ بأنوار مصابيحهم. أقول: و إن شئت التصديق بما قلناه فانظر فيما ورد فى تفسير آيه النور، فإنه بالتأمل يظهر لك ما قلنا، و فوق ذلك بما هو خارج عن حدّ فهم البشر، و نحن نذكر بعض أحاديثها تيمنا و تبركا، فنقول و على اللّه التوكل:

ففى تفسير نور الثقلين (1)، قال على بن إبراهيم رحمه اللّه: قول اللّه عز و جل: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ إلى قوله وَ اَللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فإنه حدثنى أبى، عن عبد اللّه بن جندب، قال: كتبت إلى أبى الحسن الرضا (صلوات اللّه عليه) أسأله عن تفسير هذه الآيه فكتب إلىّ الجواب: أما بعد: «فإن محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان أمين اللّه فى خلقه، فلما قبض

١- ١) نور الثقلين ج ٣ ص ٦٠٦.

النبی کنا أهل البیت ورثته، فنحن أمناء اللّه فی أرضه، عندنا علم المنایا و البلایا و أنساب العرب و مولد الإسلام، و ما من فئه تضل مائه و تهدی مائه إلاّ و نحن نعرف سائقها و قائدها و ناعقها، و إنا لنعرف الرجل إذا رأیناه بحقیقه الإیمان و حقیقه النفاق، و إن شیعتنا لمکتوبون بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ اللّه عز و جل علینا و علیهم المیثاق. یردون موردنا و یدخلون مدخلنا، لیس علی مله الإسلام غیرنا و غیرهم إلی یوم القیمه، نحن الآخذون بحجزه نبینا و نبینا الآخذ بحجزه ربنا، و الحجزه النور و شیعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلک و من تبعنا نجا، و المفارق لنا و الجاحد لولایتنا کافر و متبعنا و تابع أولیائنا مؤمن، لا یحبنا کافر و لا یبغضنا مؤمن، فمن مات و هو یحبنا کان حقا علی اللّه أن یبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا و هدی لمن اهتدی بنا، و من لم یکن منا فلیس من الإسلام فی شیء، بنا فتح اللّه الدین و بنا یختمه، و بنا أطعمکم اللّه عشب الأرض، و بنا أنزل اللّه قطر السماء، و بنا آمنکم اللّه عز و جل من الغرق فی بحرکم، و من الخسف فی برکم، و بنا نفعکم اللّه فی حیاتکم و فی قبورکم و فی محشرکم، و عند الصراط و عند المیزان و عند دخولکم الجنان. مثلنا فی کتاب اللّه عز و جل کَمِشْکاهٍ المشکاه فی القندیل، فنحن المشکاه فِیها مِصْبٰاحٌ المصباح محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اَلْمِصْبٰاحُ فِی زُجٰاجَهٍ من عنصره اَلزُّجٰاجَهُ کَأَنَّهٰا کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ یُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبٰارَکَهٍ زَیْتُونَهٍ لاٰ شَرْقِیَّهٍ وَ لاٰ غَرْبِیَّهٍ لا دعیّه و لا منکره یَکٰادُ زَیْتُهٰا یُضِیءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ القرآن نُورٌ عَلیٰ نُورٍ إمام بعد إمام یَهْدِی اَللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ یَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ وَ اَللّٰهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ فالنور علی صلوات اللّه علیه، یهدی لولایتنا من أحب، و حقّ علی اللّه أن یبعث ولینا مشرقا وجهه منیرا برهانه، ظاهره عند اللّه حجّته، الحدیث.

و فیه (1)عن أمالی الصادق رحمه اللّه بإسناده عن الصادق علیه السّلام حدیث طویل یقول

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 605.

فیه: «أنا فرع من فرع الزیتونه، و قندیل من قنادیل بیت النبوه، و أدیب السفره، و ربیب الکرام البرره، و مصباح من مصابیح المشکاه التی فیها نور النور، و صفو الکلمه الباقیه فی عقب المصطفین إلی یوم الحشر» .

و فیه (۱)و قد روی عن الصادق علیه السّلام إنه سئل عن قول اللّه عز و جل: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکٰاهٍ فِیهٰا مِصْبٰاحٌ فقال: «هو مثل ضربه اللّه لنا» . فالنبی و الأئمه علیهم السّلام من دلالات اللّه و آیاته التی یهتدی بها إلی التوحید و مصالح الدین و شرایع الإسلام و السنن و الفرائض، و لا قوه إلاّ باللّه العلی العظیم.

و فیه عن أصول الکافی بإسناده عن صالح بن سهل الهمدانی، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکٰاهٍ فاطمه علیها السّلام فِیهٰا مِصْبٰاحٌ الحسن علیه السّلام اَلْمِصْبٰاحُ فِی زُجٰاجَهٍ الحسین علیه السّلام اَلزُّجٰاجَهُ کَأَنَّهٰا کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ فاطمه کوکب درّی یُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبٰارَکَهٍ إبراهیم علیه السّلام زَیْتُونَهٍ لاٰ شَرْقِیَّهٍ وَ لاٰ غَرْبِیَّهٍ لا یهودیه و لا نصرانیه یَکٰادُ زَیْتُهٰا یُضِیءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ نُورٌ عَلیٰ نُورٍ إمام منها بعد إمام یَهْدِی اَللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ یَشٰاءُ یهدی اللّه للأئمه علیهم السّلام من یشاء، و یضرب اللّه الأمثال للناس، إلی قوله: قلت: أَوْ کَظُلُمٰاتٍ ؟ قال: الأول و صاحبه یَغْشٰاهُ مَوْجٌ الثالث مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ . . . ظُلُمٰاتٌ الثانی بَعْضُهٰا فَوْقَ بَعْضٍ معاویه لعنه اللّه و فتن بنی أمیه إِذٰا أَخْرَجَ یَدَهُ المؤمن فی ظلمه فتنتهم لَمْ یَکَدْ یَرٰاهٰا وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اَللّٰهُ لَهُ نُوراً إماما من ولد فاطمه علیها السّلام فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ إمام یوم القیامه. فعلم من هذه الأحادیث ما ذکرناه و هو: أنه تعالی ضرب لنورهم مثلا و هو المصباح الذی استضاءه کلّ شیء منه، و ذلک لأن نورهم و فاضل وجودهم قد لاح

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۶۰۳.

شعاعه، و نور ضيائه على جميع الموجودات و الأشباح، بنورهم ظهر ما ظهر، و لهم خلقت الأكوان و على سبيلهم و هداهم دار رحى الإسلام و الإيمان. و هذه المنزله و النورانيه إنما هو مثل نوره تعالى

كما قال الصادق عليه السّلام هو مثل ضربه اللّه لنا، أى قوله تعالى كمشكاه إلخ مصداق

لقوله: مثل نوره، فإن الخبر و المبتدأ و إن اختلفا مفهوما إلّا أنهما متحدان مصداقا، فهم مثل نوره تعالى. فيعلم أن الآثار لهذا النور المشكاتى إنما هو مثل نوره فى قوله تعالى: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ . ثم إن الشيعه و تابعيهم إذا انقطعوا إليهم و اتصلوا بحبل ولايتهم، كما سيجىء بيانه مفصلا فى طى الشرح إن شاء اللّه، يفوزون بهذا المنهل الروى، و يشربون من هذا الكأس.

و إليه يشير ما فى تفسير نور الثقلين (1)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن طلحه بن يزيد، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السّلام فى هذه الآيه اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ قال: بدأ بنور نفسه مَثَلُ نُورِهِ مثل هداه فى قلب المؤمن كَمِشْكٰاهٍ فِيهٰا مِصْبٰاحٌ و المشكاه جوف المؤمن و القنديل قلبه، و المصباح النور الذى جعله فى قلبه يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبٰارَكَهٍ قال: الشجره: المؤمن زَيْتُونَهٍ لاٰ شَرْقِيَّهٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّهٍ قال: على سواء الجبل لا شرقيه أى لا شرق لها، و لا غربيه أى لا غرب لها إذا طلعت الشمس طلعت عليها، و إذا غربت غربت عليها. يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِيءُ يكاد النور الذى جعله فى قلبه يضىء، و إن لم يتكلم نُورٌ عَلىٰ نُورٍ فريضه على فريضه، و سنه على سنه يَهْدِي اَللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ يهدى لفرائضه و سننه من يشاء وَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ فهذا مثل ضربه اللّه للمؤمن. ثم قال: فالمؤمن يتقلب فى خمسه من النور: مدخله نور و مخرجه نور و علمه

۱- ۱) نور الثقلين ج ۳ ص ۶۰۵.

نور، و کلامه نور و مصیره یوم القیمه إلی الجنه نور. قلت لجعفر علیه السّلام: إنهم یقولون مثل نور الربّ، قال: «سبحان اللّه لیس للّه مثل» ، قال اللّه: فَلاٰ تَضْرِبُوا لِلّٰهِ اَلْأَمْثٰالَ . أقول: المنفی هنا کون المصباح بما یفهم منه المعنی العرفی مثلا لنور الرب، فنفاه علیه السّلام

بقوله سبحان اللّه لیس للّه مثل فی الخلق و مثلهم. و هذا لا ینافی ما قاله

الصادق علیه السّلام هو مثل ضربه اللّه لنا. توضیحه: أنه تعالی جعل المصباح مثلا لنوره لا لذاته تعالی. و إذا کان المراد من النور هو نور محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و نور سایر المعصومین بالتفسیر الآتی، فلا محاله یکون المثل مثلا لهم علیهم السّلام. و إطلاق النور علیهم علیهم السّلام فی الآیات من قوله تعالی: وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا (١)

و فی الأحادیث من قولهم علیهم السّلام: إن اللّه خلقهم من نوره، و سیجیء

قوله علیه السّلام: و نوره و برهانه کثیر، کما لا یخفی. فالمصباح الموصوف بکذا و کذا فی الآیه مثل لنورهم، و نورهم منه تعالی، فحینئذ لیس المصباح مثلا لنوره تعالی مطلقا، بل مثل لنوره من حیث إطلاقه علیهم علیهم السّلام. فصح

قوله علیه السّلام: «هو مثل ضربه اللّه لنا» ، لأن المراد من النور ذواتهم المقدسه کما لا یخفی. ثم إن هذا لا ینافی کونهم مثلا له تعالی کما أشار إلیه تعالی: وَ لِلّٰهِ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلیٰ (٢). و سیجیء فی شرح

قوله علیه السّلام: «و المثل الأعلی» أنهم علیهم السّلام المثل الأعلی له تعالی. فکونهم علیهم السّلام مثلا لنوره کما قلنا إنما هو بلحاظ علمهم و معارفهم، و بلحاظ

ص: ١٧٧

١- ١) التغابن:٨.

٢- ٢) النحل:۶٠.

کونهم مصادیق لأسمائه الحسنی، فهم علیهم السّلام بمقاماتهم النورانیه مثل نوره تعالی لا غیر، بأن یکون المصباح بما هو مصباح صوری مثلا لنور الربّ تبارک و تعالی. و إلی أنهم مثل نوره تعالی بلحاظ العلم و المعرفه، و أن المراد منه ذواتهم المقدسه أشار الصادق علیه السّلام کما فی تفسیر نور الثقلین (۱)، فإن صاحبه رحمه اللّه ذکر هذا الحدیث الآتی تصدیقا لقول الصادق علیه السّلام فی الحدیث السابق علیه من

قوله: «هو مثل ضربه اللّه لنا» ، کما تقدم. قال رحمه اللّه: و تصدیق ذلک

ما حدثنا به إبراهیم بن هرون الهبتی بمدینه السلام معنعنا عن الفضل بن یسار قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: اللّه نور السموات و الأرض؟ قال: کذلک اللّه عز و جل، قال: قلت: مثل نوره؟ قال: محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قلت: کمشکوه؟ قال: صدر محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قلت: فیها مصباح؟ قال: فیه نور العلم یعنی النبوه، قلت: المصباح فی زجاجه؟ قال: علم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی قلب علی علیه السّلام، قلت: کأنها کوکب دری؟ قال: لأیّ شیء تقرأ کأنها؟ قلت: فکیف جعلت فداک؟ قال: کأنّه، قلت: یوقد من شجره مبارکه زیتونه لا شرقیه و لا غربیه، قال: ذاک أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام لا یهودی و لا نصرانی، قلت: یکاد زیتها یضیء و لو لم تمسسه نار؟ قال: یکاد العلم یخرج من العالم من آل محمد من قبل أن ینطق به، قلت: نور علی نور؟ قال: الإمام فی إثر الإمام. أقول: و فی حدیث عن السجاد علیه السّلام ما یشابهه و فی ذیله بعد قوله تعالی: نُورٌ عَلیٰ نُورٍ یعنی إماما مؤیدا بنور العلم و الحکمه فی إثر الإمام من الإمام من آل محمد، و ذلک من لدن آدم إلی أن تقوم الساعه. فهؤلاء الأوصیاء الذین جعلهم اللّه عز و جل خلفاء فی أرضه و حججه علی خلقه، لا تخلو الأرض فی کلّ عصر من واحد منهم علیهم السّلام.

و قوله و ذلک من لدن آدم أی أنّ سنته تعالی علی أن لا تخلو الأرض من إمام،

۱- ۱) نور الثقلین ج ۳ ص ۶۰۳.

و كانت سنّته من لدن آدم عليه السّلام هكذا إلّا أنه بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى يوم القيمه يكون الإمام من ولد فاطمه عليها السّلام كما صرحت به الأحاديث الكثيره و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و أعلام التقى.

اشاره

فى المجمع: قوله فِي اَلْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ : أى الجبال الطوال، وأحدها علم، و قال: و العلم، علم الثوب من أطراز و غيره و هو العلامه و جمعه أعلام، إلى أن قال: و العلم: الرايه، إلى أن قال: و فى الحديث ذكر الأعلام و المنار، فالأعلام جمع علم و هو الحبل الذى يعلم به الطريق. أقول: لعلّه للأعمى، فكان الأعمى يجعل له حبلا به يعلم الطريق، كذا قيل إلى أن قال: و أعلام الأزمنه هم الأئمه عليهم السّلام لأنهم يهتدى بهم. أقول: قوله: كالجبال الطوال، تفسير للأعلام يعنى أنه جمع لعلم بمعنى الجبل الطويل، الذى يعلم فيه الطريق للبعداء. و التقى: أصله الوقاء فأبدلت الواو تاء، و لما أدخلت عليها اللام الشمسيه أدغمت فيها، و فى الفعل إذا دخلت عليه تاء الافتعال أدغمت التاء فى التاء فقيل: اتقى يتقى. و فى المجمع، قال الشيخ أبو على رحمه اللّه فيه أى فى قوله: اِتَّقُوا اَللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ ثلاثه وجوه. أحدها و هو أحسنها: أن معناه (أى معنى التقوى) أن يطاع و لا يعصى، و يشكر و لا يكفر، و يذكر فلا ينسى و هو المروى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام.

ففى معانى الأخبار بإسناده عن أبى بصير، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: اِتَّقُوا اَللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ قال: «يطاع فلا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر» . و ثانيها: أنه اتقاء جميع معاصيه، عن أبى على الجبائى.

ص: ۱۷۹

و ثالثها: أنه المجاهده فى اللّه، و أن لا تأخذه فى اللّه لومه لائم، و أن يقام له بالقسط فى الخوف و الأمن، عن مجاهد. إلى أن قال: و التقوى فى الكتاب العزيز جاءت لمعان الخشيه و الهيبه. و منه قوله تعالى: وَ إِيّاىَ فَاتَّقُونِ و الطاعه و العباده. و منه قوله تعالى: اِتَّقُوا اَللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ و تنزيه القلوب عن الذنوب، و هذه كما قيل فى الحقيقه هى التقوى دون الأولين. إلى أن قال: و التقوى (فعلى) كنجوى، و الأصل فيه وقوى من وقيته منعته قلبت الواو تاء. أقول: هذا هو الأصل فى معناه و هو المنع عما فيه الهلاك و الضرر، و هو معنى عام لجميع ما استعمل فيه هذه الكلمه، فالمنع فى كلّ مورد عن الضرر و الهلاک بحسبه، كما لا يخفى. قال المجلسى رحمه اللّه: التقوى من الوقايه و هى فى اللغه: فرط الصيانه. و فى العرف: صيانه النفس عما يضرها فى الآخره، و قصرها على ما ينفعها، و لها ثلاث مراتب: الأولى: وقايه النفس عن العذاب المخلد بتصحيح العقائد الإيمانيه. و الثانيه: التجنب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترک، و هو المعروف عند أهل الشرع. و الثالثه: التوقّى عن كلّ ما يشغل القلب عن الحقّ، و هذه درجه الخواص بل خاص الخاص. و حكى عن بعض الناسكين أنه قال له رجل: صف لنا التقوى، فقال: إذا دخلت أرضا فيها شوک كيف تعمل؟ فقال: أتوقى و أتحرّز، قال: فافعل فى الدنيا كذلک فهى التقوى. و أحسن تفسير جامع له

ما عن الصادق عليه السّلام سئل عليه السّلام عن تفسير التقوى.

فقال: «أن لا يفقدك حيث أمرك و لا يراك حيث نهاك» .

و عن كتاب المواعظ العدديه الذى هو تلخيص للاثنى عشريه، قال الصادق عليه السّلام: التقوى على ثلاثه أوجه: تقوى باللّه فى اللّه و هو ترك الحلال فضلا عن الشبهه، و هو تقوى خاص الخاص. و تقوى من اللّه و هو ترك الشبهات فضلا عن الحرام و هو تقوى الخاص. و تقوى من خوف النار و العقاب و هو ترك الحرام و هو تقوى العام. و مثل التقوى كماء يجرى فى نهر، و مثل هذه الطبقات الثلاث فى معنى التقوى، كأشجار مغروسه على حافه ذلك النهر من كلّ لون و جنس، كلّ شجر تستمصّ الماء من ذلك على جوهره و طعمه و لطافته، و كثافته ثم منافع من تلك الأشجار و الثمار على قدرها و قيمتها. قيل: و التقوى ثلاث: تقوى العوام و هى فعل الواجبات و ترك المحرمات. و تقوى الخواص و هى فعل الواجبات و المندوبات و ترك المحرمات و المكروهات. و تقوى خواص الخواص و هى فعل الواجبات الظاهره، التى تضمنتها الشريعه الحقّه، على ما قرره أهل العصمه مما فرضه اللّه و شرعه فتأمل. و هذه تفاسير للتقوى لغه و عرفا و شرعا.

[أحاديث التى تدل على ترغيب التقوى]

اشاره

و هنا أحاديث للترغيب على التقوى نذكرها فى الجمله، ثم نعقبها بما يلزمه من الكلام و هى على قسمين:

القسم الأول: ما ورد فى بيان أهل التقوى.

ففى الكافى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لا تذهب بكم المذاهب، فو اللّه ما شيعتنا إلّا من أطاع اللّه تعالى.

و فیه، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی الصفا، فقال: «یا بنی هاشم، یا بنی عبد المطلب، إنّی رسول اللّه إلیکم، و إنّی شفیق علیکم، و إن لی عملی و لکل رجل منکم عمله، لا تقولوا: إن محمّدا منّا و سندخل مدخله، فلا و اللّه ما أولیائی منکم و لا من غیرکم یا بنی عبد المطلب إلاّ المتقون، ألا فلا أعرفکم یوم القیمه تأتون تحملون الدنیا علی ظهورکم، و یأتینی الناس یحملون الآخره، إلاّ أنی قد أعذرت إلیکم فیما بینی و بینکم، و فیما بینی و بین اللّه تعالی فیکم» .

و فیه، عن الثمالی، عن علی بن الحسین علیه السّلام قال: «لا حسب لقرشی و لا لعربی إلاّ بالتواضع، و لا کرم إلاّ بالتقوی، و لا عمل إلاّ بالنیه، و لا عباده إلاّ بالثقه، ألا و أن أبغض الناس إلیّ من یقتدی بسنه إمام و لا یقتدی بأعماله» .

و فیه، عن أبی عبد اللّه عن أبیه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «حسب المرء دینه، و مروّته عقله، و شرفه جماله، و کرمه تقواه» .

و فیه بإسناده عن الشحام، قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «علیکم بتقوی اللّه و الورع و الاجتهاد، و صدق الحدیث و أداء الأمانه، و حسن الخلق و حسن الجوار، و کونوا دعاه إلی أنفسکم بغیر ألسنتکم، و کونوا زینا و لا تکونوا شینا، و علیکم بطول الرکوع و السجود فإن أحدکم إذا أطال الرکوع و السجود هتف إبلیس من خلفه و قال: یا ویله أطاعوا و عصیت و سجدوا و أبیت» . أقول: و الأخبار فی هذا الموضوع کثیره جدّا.

القسم الثانی: أحادیث وردت فی أنّ التقوی هو التمسک بالولایه لهم علیهم السّلام، و أن المتقین هم الأئمه علیهم السّلام بل هم علیهم السّلام نفس التقوی،

فنقول:

عن کنز الفوائد عن الرضا علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ أَلْزَمَهُمْ کَلِمَةَ اَلتَّقْوی ، قال: هی ولایه علی علیه السّلام.

و عن کشف الغمه و غیره عن بعض العامه و غیره عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال فی حدیث له: «إن اللّه عهد إلیّ فی علی علیه السّلام عهدا، فقلت: بینه لی یا رب، فقال: إن علیا

نور من أطاعنی، و رایه الهدی و الکلمه التی ألزمتها المتقین، من أحبّه أحبّنی و من أبغضه أبغضنی» .

و عن تفسیر فرات بن إبراهیم، عن الباقر علیه السّلام قال: «إن الأئمه هم الذین آتاهم اللّه تقویهم و أنهم أولو التقی» .

و فی روایه جابر عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ سَیُجَنَّبُهَا اَلْأَتْقَی قال: الأتقی علی علیه السّلام و شیعته.

و عن الاحتجاج عن علی علیه السّلام فی قوله تعالی: هُدیً لِلْمُتَّقِینَ قال: یعنی شفاء للمتقین من شیعته محمد و علی (صلوات اللّه علیهما و آلهما) فإنهم اتقوا أنواع الکفر فترکوها، و اتقوا الذنوب الموبقات فرفضوها، و اتقوا أسرار اللّه و أسرار الأئمه فکتموها، و اتقوا ستر العلوم عن أهلها ففیهم نشروها.

و عن المناقب عن کتاب ابن حنبل، أن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: یا علی حبّک تقوی و إیمان.

و روی عن علی علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ اِتَّقُوا اَللّهَ قال: «یعنی اتقوا اللّه فی ظلم آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ترک ولایتهم» .

و عن کتاب البرقی عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: فَأَمّا مَنْ أَعْطی وَ اِتَّقی قال: «أعطی الخمس، و اتقی ولایه الطواغیت» .

و عن تفسیر العیاشی عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: لَنْ تَنالُوا اَلْبِرَّ حَتّی تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ قال علیه السّلام: «نحن البر و التقوی و باب التقوی» ، الخبر. ثم إن المستفاد من هذه الأحادیث أن الأهم فی المقصود من الأمر بالتقوی هو التمسک بولایتهم، فإن حقیقه التقوی هو الوصول إلی ولایتهم و المعرفه بهم، لأنهم أهله و معدنه بل هم نفس التقوی، و ذلک کما قال بعضهم: إن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمه علیهم السّلام لما کانوا کاملین حدّ الکمال فی باب التقوی، عبّر عنهم بالتقوی أی وصلت تقواهم إلی حیث صاروا کأنهم نفس التقوی.

و الحاصل: أن التقوى لما كنت هى فرط الصيانه عما يضرها فى الآخره بل و فى الدنيا، و علمت أن الصراط المستقيم هو طريق الولايه، و أنه لا تقبل الأعمال إلّا بالولايه كما سيجىء، فصح أن نقول: حقيقه التقوى و الصيانه المذكوره هى الوصول إلى مقام الولايه، فكلما ازدادت المعرفه بهم ازدادت حقيقه التقوى فيهم و بهم، كما لا يخفى. ثم إن التقوى بما لها من المعانى المتقدمه لا تكون إلّا بهم عليهم السّلام و منهم و هم أبوابها.

فمعنى كونهم أعلام التقى أمور:

الأول: أنهم عليهم السّلام معروفون عند كلّ واحد بالتقوى كالمنار الذى لا يخفى،

فالتقوى لا تعرف إلّا منهم و لا تؤخذ إلّا عنهم، لأنهم أتقى المتقين، فهم عليهم السّلام العلامات التى يهتدى بها الناس.

و عن الباقر عليه السّلام كما فى تفسير مقدمه البرهان قال عليه السّلام: «إن اللّه عز و جل نصب عليا عليه السّلام علما بينه و بين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، و من أنكره كان كافرا، و من جهله كان ضالّا» .

و رواه فى الكافى عن الصادق عليه السّلام قال: «الإمام عليه السّلام علم بين اللّه و خلقه فمن عرفه كان مؤمنا» .

و فيه، عن تفسير القمى عن الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ، قال: «العلامات الأوصياء و النجم هو النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» .

و عن تفسير العياشى، عن أحدهما عليهما السّلام فى الآيه المذكوره، قال: «النجم على عليه السّلام» .

و عن داود الجصاص قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ، قال: «النجم هو رسول اللّه و العلامات هم الأئمه» .

و عن الرضا عليه السّلام قال: «نحن العلامات و النجم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» .

ص :۱۸۴

و عن الصادق عليه السّلام: «النبى النجم و العلامات الأئمه عليهم السّلام» . و من المعلوم كما هو المستفاد من هذه الأحاديث و غيرها أن جميع مراتب التقوى يجدها أهلها علما و منارا من محمد و آله الطاهرين دالا على طرقها، و منيرا لما بيّنوه من ظلمات أحوالها و طرقها، فبهم رفعت الظلمات عن أحوال المتقين، و عن طرق التقوى، و ذلك لأنهم عليهم السّلام سهلوا لهم بذلك سلوكها، و أعانوا بلطفهم سالكيها على سلوكها، و سددوا عليهم السّلام لما نقص من الدواعى إليها فى أنفس المتقين، و ذلك أن كل واحد إنما وصل إلى أىّ مرتبه من مراتب التقوى بهم عليهم السّلام أى أنهم تمموا النفوس القابله نواقصها، و تمموا المقبولات من الحقائق و المعارف الحاصله من سلوك التقوى، فهم عليهم السّلام فى كلّ مرتبه من التقى قاده أهلها و أئمتهم فى ذلك.

الثانى: من معانى كونهم أعلام التقى،

أنه قد علمت أن العلم (بالتحريك) بمعنى الجبل، فكونهم أعلام التقى أى جبال التقى. و الوجه فى إطلاق الجبال عليهم أمور: منها: كما أن الجبال رواسى، أى سبب لاستقامه الأرض بثقلها و ضخامتها، فكذلك الأئمه عليهم السّلام سبب لتثبت التقوى فى المتقين، فكلّ من رآهم بتلك العظمه من التقوى أثر فى ثبوت التقوى فيه، بل هذا جار فى غيرهم من أهل التقوى، فكلّ من رأى أهل التقوى اكتسب منه التقوى بالمجاذبه الروحيه، كما لا يخفى. نعم: هذا فيهم عليهم السّلام أكمل لكونهم أعظم المتقين، و لذلك كنّى عن عظمه تقواهم بالجبل. و منها: أن الجبل كما هو علامه للبعداء كما علمت، كذلك الأئمه عليهم السّلام علامات التقوى كما صرحت به الأحاديث المتقدمه فأنهم عليهم السّلام بجميع شئونهم مظاهر للتقوى، بحيث لا يخفى على أحد من الناس، فهم عليهم السّلام كالجبل فى ذلك من حيث إنه لا يخفى على أحد و لو كان بعيدا غالبا. و منها: أنه كما أن كلّ أحد إذا رأى الجبل رآه عظيما، فيظهر منه عظمته فى

نفسه، فكذلک الأئمه عليهم السّلام فكلّ من وصل إلى معرفتهم و علم بحالهم رآهم بحال عظيم لا يقدر أن يصفهم، و رأى نفسه صغيرا فى قبالهم. و ربما يقال: إن تأويل قوله تعالى: إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ اَلْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ اَلْجِبالَ طُولاً هو ذلک بمعنى أنه يراد من الجبال فى الآيه الأئمه عليهم السّلام و إنهم بمقام من العلو و العظمه بحيث لا يبلغه أحد. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام بمقام من مراتب التقوى بحيث من رآهم و وصل إليهم و إلى معرفتهم رآهم أربابها و عظماءها و أدلّاءها و أساسها و أصولها و فروعها، فلا محاله يستعظمهم فيراهم فى جميع شئون التقوى كالجبال، التى لا يبلغها أحد طولا، بل المستفاد من الأحاديث كما مرت الإشاره إليه أن التقوى إنما شرعت و سنت لتعظيمهم و رفع شأنهم. ضروره أن المتقى العالم يصل إلى مقام تعظيمهم، و يعرف رفعه شأنهم، فهو تعالى أمرنا بالتقوى، لنعلم سلطان تقواهم بما عندنا من التقوى، فنرى ضعفنا فى التقوى و عظمتهم و سلطانهم فيها. فحينئذ نعلم أن العامل بالواجبات حقيقه هم و ذواتهم المقدسه. و المحرمات إنما تركت حقيقه عنهم، و المندوبات إنما صدرت منهم حقيقه لا من غيرهم، و كذلک المكروهات إنما تركت منهم عليهم السّلام حقيقه، فجميع النواميس الإلهيه و المقدسات الشرعيه و الأسرار الربوبيه إنما قامت بهم، فهم عليهم السّلام عملوها و حفظوها و كتموها عن الأجانب، فلم يعمل بحقيقه التقوى و حقائق الشرع إلّا ذواتهم المقدسه فهم عليهم السّلام فى تلک المقامات فى مرتبه لا يصل إليها أحد، بل يستعظمها الجميع كما يستعظم الجبال.

و فى بحر المعارف للمولى عبد الصمد حديث يدل على ما قلناه و هو قول الصادق عليه السّلام ما مضمونه: نحن عبدنا اللّه، و أما سائر الناس فعبدوه بصوره العباده فراجعه.

فهم علیهم السّلام أعلام التقی بکلّ معنی، و علی کلّ احتمال و أحوال، و بکلّ اعتبار و تصور. ضروره أنهم علیهم السّلام المصداق الأتم للجذبه الأحدیه لصفه التوحید، فاللّه تعالی جاذبهم و حافظهم فی تلک المقامات، فأنّی لغیرهم حتی للأنبیاء المرسلین و الملائکه المقربین تلک المقامات! و نحن نسأل اللّه تعالی أن یرزقنا معرفتهم، و الکون معهم فی الدنیا و الآخره بمحمد و آله الطاهرین.

الثالث: من معانی کونهم أعلام التقی،

أن علم التقوی و بیان کیفیه السلوک فیها إنما هو منهم علیهم السّلام فلا یوجد علم صحیح فی ذلک إلّا منهم علیهم السّلام کما تقدم

قول الصادق علیه السّلام لحکم بن عیینه و سلمه بن کهیل: «شرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحیحا إلّا شیئا خرج من عندنا» . و قد علمت أن العلم محرکه بمعنی المنار فهم أعلامها أی منارها، أی أن نور العلم و المعرفه بالتقوی و طرقها منهم علیهم السّلام فهم النور لذلک کما أن أعداءهم الظلمه لذلک أی الحجاب علیها، و سیجیء إن شاء اللّه أن المراد من النور فی الآیات هم الأئمه، فهم منار التقوی أی بهم یظهر نورها للسالکین فیها کما أن المراد من الظلمه هم أعداؤهم (لعنهم اللّه) . و إلیه و إلی ما تقدم یشیر

ما فی التوحید، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبه له: «أنا عروه اللّه الوثقی و کلمه التقوی» .

و ما عن الإکمال، عن الرضا علیه السّلام فی حدیث له: «و نحن کلمه التقوی و العروه الوثقی» . و لعمری إن هذا واضح لا ستره علیه حتی للمخالفین، و سیجیء توضیحه فی طی الشرح إن شاء اللّه تعالی، و الحمد للّه ربّ العالمین.

قوله علیه السّلام: و ذوی النهی

. قیل: ذوی جمع ذی بمعنی الصاحب، إلّا أنّه أکثر ما یستعمل فی مقام الشرف و الثناء کقوله تعالی: وَ ذَا اَلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغٰاضِباً و صاحب یستعمل فیها و فی

ضدهما. أما الثناء

كقوله فى الدعاء: «يا صاحب كلّ نجوى» ، و أما ضده من اللؤم و العيب كقوله تعالى: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لاٰ تَكُنْ كَصٰاحِبِ اَلْحُوتِ و إذا كان المقام يقتضى المدح مطلقا ذكرا معا استعمل ذو فى الغيب و اللطيف و الباطن، و صاحب استعمل فى الشهاده و الغليظ و الظاهر كقوله تعالى: تَبٰارَكَ اِسْمُ رَبِّكَ ذِى اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِكْرٰامِ

و فى الدعاء كما تقدم:

«يا صاحب كلّ نجوى» ، و كما فى المقام ذوى النهى، لأن النهى من الغيب و اللطيف و الباطن. و أما النهى، ففى المجمع: قوله تعالى: لَآيٰاتٍ لِأُولِي اَلنُّهىٰ بضم النون أى لأولى العقول و الأحلام، و أحدها نهيه بالضم، لأنّ صاحبها ينتهى إليها عن القبائح، و قيل: ينتهى إلى اختياراته العقليه، إلى أن قال: و النهيه أيضا العقل الناهى عن القبائح و الجمع نهى كمدى. فحينئذ فالمراد من النهى فى المقام هو العقول أى ذوى العقول، فالمعنى أنتم صاحب العقل و هو كما فى المجمع: العاقل هو الذى يحبس نفسه و يردّها عن هواها و من هذا قولهم: اعتقل لسان فلان إذا حبس و منع من الكلام.

و فى الحديث: العقل غطاء ستير، أى يستر العيوب من الإنسان.

و فى حديث على عليه السّلام: العقل شرع من داخل و الشرع من خارج، و العقل نور روحانى تدرك النفس به العلوم الضروريه و النظريه، إلى أن قال عن بعض العارفين: و قد يطلق العقل على العلم المستفاد من ذلك. فيكون الأول: هو العقل المطبوع المراد بقوله تعالى: ما خلقت خلقا هو أحبّ لىّ منك كما فى الحديث. و الثانى: العقل المسموع المراد بحديث: ما كسب الإنسان شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى. إلى أن قال: و قد يراد بالعقل قوه النفس، و قد يراد به المصدر و هو فعل تلك

القوه، و قد يراد به ما يقابل الجهل و هو الحاله المقدمه على ارتكاب الخير و اجتناب الشر أى القوه المدبره فى إعانه الآخره، و موضع العقل على ما صرح به الحديث الدماغ. أقول:

و فى البحار عن العلل بإسناده عن أبى جميله، عمّن ذكره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إن الغلظه فى الكبد و الحياء فى الريح و العقل مسكنه الدماغ. أقول: لا ريب فى أن العقل من الروحانيين، كما صرح به فى الأحاديث. و من المعلوم أن الأمر الروحانى بذاته خارج عن الزمانيات و المكانيات، بل هو محيط بها. فحينئذ معنى بيان موضع العقل و مسكنه بيان طريق ارتباطه بهذا البدن العنصرى، و أنه من أى جهه يتعلق به البدن لتدبير أموره، و لا فائده فى تحقيق هذا البحث كما لا يخفى. مضافا إلى أن الباحثين فيه قد تحيّروا فى ذلك، و لم يفوا بحقّ المطلب كما لا يخفى، فالأولى الإعراض عنه و الأخذ بظاهر بيان الشرع، و اللّه الهادى. و فيه: و قال بعض اللغويين: القلب و الدماغ مجمعا العقل. و عن بعض العارفين: الممكن المجرد عن الجسميه إن احتاج فى كمالاته إلى البدن فهو النفس و إلّا فهو العقل. و فيه: و القوى العقليه على ما نقل عن أهل العرفان: أربع. منها: القوه التى يفارق فيها البهائم و هى القوه الغريزيه، التى يستعدّ بها الإنسان لإدراك العلوم النظريه، فكما أن الحياه تهيئ الجسم للحركات الاختياريه و الإدراكات الحسيّه فكذا القوه الغريزيه تهيئ الإنسان للعلوم النظريه و الصناعات الفكريه. و منها: قوه بها تعرف عواقب الأمور، فتقمع الشهوه الداعيه إلى اللذه العاجله، و تتحمل المكروه العاجل لسلامه الآجل، فإذا حصلت هذه القوه سمّى صاحبها

عاقلا- من حيث إن أقدامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب، لا- بحكم الشهوه العاجله و القوه الأولى بالطبع و الأخيره بالاكتساب. و إلى ذلك أشار

أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله:

رأيت العقل عقلين

فمطبوع و مسموع

فلا ينفع مسموع

إذا لم يكن مطبوع

كما لا تنفع الشمس

و ضوء العين ممنوع

و منها: قوتان أخريان. إحداهما: ما يحصل بها العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، و الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فيقال له التصورات و التصديقات الحاصله للنفس الفطريه. و الأخرى: التى تحصل بها العلوم المستفاده من التجارب بمجارى الأحوال. فمن اتصف بها يقال: إنه عاقل فى العاده، و الأولى منها حاصله بالطبع، و الأخرى بالاكتساب كما حرّر فى محلّه، انتهى ملخصا. أقول: قد عرّف العقل فى الأحاديث بتعاريف كلّها ترجع إلى بيان آثارها، و إلاّ فهو نور شأنه الدرك، كما علمت من

قول الصادق عليه السّلام: «العقل كالسراج وسط البيت» .

ففى معانى الأخبار، رفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان، قال: قلت: فالذى كان فى معاويه قال: تلك النكراء تلك الشيطنه و هى شبيهه بالعقل و ليست بعقل» .

و سئل الحسن بن على عليه السّلام فقيل له: ما العقل؟ فقال: «التجرع للغصه حتى تنال الفرصه» . و قد عرف العقل فى الشرع بألسنه مختلفه كلّها ترجع إلى بيان لوازم حقيقه واحده، بل تعاريف القوم كلها بيان للوازم حقيقه العقل، و أما هو فهو نور أصله

الکلّی فی نبینا محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و فی الأئمه علیهم السّلام، ثم له شعب فی شیعتهم و من حذا حذوهم، فالنهی لما کان بمعنی العقل کما علمت و هو حقیقه نبینا محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثم الأئمه علیهم السّلام فحینئذ لا محاله هم ذوو النهی.

ففی تفسیر نور الثقلین عن تفسیر علی بن إبراهیم، و قوله عز و جل: أَ وَ لَمْ یَهْدِ لَهُمْ یقول: «یبین لهم قوله: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِأُولِی اَلنُّهیٰ قال: نحن أولو النهی» الحدیث.

و فی مقدمه تفسیر البرهان و فی معانی الأخبار، عن عمار بن مروان قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قوله تعالی: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِأُولِی اَلنُّهیٰ قال: نحن و اللّه أولو النهی، قلت: ما معنی أولو النهی؟ قال «ما أخبر اللّه نبیه مما یکون بعده من ادعاء فلان إلی الخلافه و القیام بها، و الآخر من بعده و الثالث من بعدهما و بنی أمیه، فأخبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیا علیه السّلام و کان ذلک کما أخبر اللّه نبیه، کما أخبر نبیه علیا، و کما انتهی إلینا من علی علیه السّلام فما یکون من بعده من الملک فی بنی أمیه و غیرهم، فنحن أولو النهی الذی انتهی إلینا علم هذا کلّه فصرنا لأمر اللّه. فنحن قوّام اللّه علی خلقه، و خزانه علی دینه نخزنه و نستره و نکتم به من عدونا، کما اکتتم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی أذن اللّه له فی الهجره، و جاهد المشرکین، فنحن علی منهاج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی یأذن اللّه لنا فی إظهار دینه بالسیف و ندعو الناس إلیه، و نضربهم علیه عودا کما ضربهم رسول اللّه بدءا» . أقول: ما ذکره علیه السّلام بیان لأحد مصادیق المهم من موارد درک العقل و النهی من هذه الأمور.

و قوله: فصرنا لأمر اللّه، بیان مصداق

لقول الحسن علیه السّلام من أن العقل تجرع للغصّه، فهم علیهم السّلام مصادیق أهل النهی بنحو الأتم الأکمل، و إلیه أیضا یشیر ما فی ذیل الحدیث. و ربما یقال: إن معنی الحدیث الثانی بلحاظ تطبیق أولی النهی علیه، إنما هو

الانتهاء على أن المراد من النهى، أى الذى تنتهى إليه العلوم كما هو معنى النهى فإنه بمعنى الانتهاء و النهايه. و من المعلوم أن علوم الخلق و العلم المتعلق بالخلق ينتهى إليهم عليهم السّلام. و إليه يشير ما فى الزياره

من قوله عليه السّلام:

«ليس وراء الله و وراءكم منتهى»

، أى أن جميع الأمور و العلوم تنتهى إليكم، و ليس ما وراءكم شيء من الأمر أو العلم، فكلّ أمر انتهى إليهم عليهم السّلام فلا بد من الإمساك عما وراءه، لأنه ليس شيئا. فهم ذوو العقول الكامله، كما لا يخفى. و السرّ فى ذلك أن أصل العقل بنحو الكلى الجامع هو حقيقه محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ففى البحار، عن غوالى اللئالى، قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أول ما خلق اللّه نورى» .

و فيه و فى حديث آخر أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قال: «أول ما خلق اللّه العقل» . و يؤيده بل يدل عليه ما فيه

عن المحاسن بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «خلق اللّه العقل فقال له: ادبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال: ما خلقت خلقا أحبّ إلىّ منك، فأعطى اللّه محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تسعه و تسعين جزءا، ثم قسم بين العباد جزءا واحدا» ، فعلم أن العقل بعمدته فيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و فيه عن الكافى بإسناده عن جابر بن يزيد، قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: إن اللّه أول ما خلق خلق محمدا و عترته الهداه المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدى اللّه، قلت: و ما الأشباح؟ قال: ظل النور أبدان نورانيه بلا أرواح، و كان مؤيدا بنور واحد و هى روح القدس، فبه كان يعبد اللّه و عترته، و لذلك خلقهم حلماء علماء برره أصفياء يعبدون اللّه بالصلوه و الصوم و السجود و التسبيح و التهليل، و يصلون الصلوات و يحجّون و يصومون. أقول: الأحاديث الداله على أن أنوارهم أول خلق اللّه تعالى كثيره جدّا.

و فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام قال: «إن اللّه خلق محمدا من طينه من جوهره تحت العرش، و إنه كان لطينته نضج» (أقول:

النضج رشاش الماء) . فجبل طينه أمير المؤمنين عليه السّلام من نضج طينه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان لطينه أمير المؤمنين عليه السّلام نضج. فجبل طينه شيعتنا من نضج طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا، و قلوبنا تعطف عليهم، الوالد على الولد و نحن خير لهم، و هم خير لنا، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لنا خير و نحن له خير.

و فيه عن رياض الجنان و عن جابر أيضا قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أول ما خلق اللّه نورى ابتدعه من نوره، و اشتقه من جلال عظمته.

و فى البحار (۱)، عن أمالى الشيخ بإسناده عن الصادق عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام عن الحسن بن على عليه السّلام قال: سمعت جدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «خلقت من نور اللّه، و خلق أهل بيتى من نورى، و خلق محبوهم من نورهم، و سائر الخلق فى النار» . أقول: و هذا الحديث أشار به ما عن غوالى اللئالى كما تقدم. إذا علمت هذا، فاعلم أنه يستفاد من هذه الأحاديث، و من نظائرها التى بلغت فوق حدّ التواتر بحيث عسر إحصاءها، كما لا يخفى أن الخلق الأول هو النور المحمدى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المعبر عنه بالعقل أيضا، و هو بالنحو الأتم الأكمل مختص به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فليس فى الخلق من يساويه فى هذه الرتبه إلاّ الأئمه عليهم السّلام،

و إليه يشير ما فى الكافى عن الصادق عليه السّلام: قال: «ما تكلم رسول اللّه بكنه عقله قط» أى مع أحد من الخلق سوى الأئمه عليهم السّلام. و توضيحه: أن تلك الحقيقه النورانيه العقليه تكون أولا بالذات ظاهره منه تعالى فيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم تظهر فى أمير المؤمنين ثم فى ساير الأئمه و فى فاطمه الزهراء عليها السّلام على ترتيب ظهورهم فى الدنيا. و كيفيه الظهور فى الترتيب الوجودى كمثل السراج فإنه ابتداء مثلا واحد فى

۱- ۱) البحار ج ۱۵ ص ۲۰.

النور، فإذا اشتعلت منه سرج متعدده لم يتعدد حقيقه النور إلّا بالاعتبار المتعلق. فالحقيقه واحده ظهرت أولا فی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اشتعلت منه الحقیقه العلویه بعد وجود النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، ثم اشتعلت منها الحقیقه القائمه بالحسن علیه السّلام ثم الحسین و هکذا إلی القائم عجل اللّه تعالی فرجه و منهم فاطمه علیها السّلام علی حسب وجودها علیها السّلام. فتلک الحقیقه الواحده بما لها من الآثار واحده ذاتا و مظهرا، إلّا أن مظهرها یتبدل علی الترتیب الوجودی لهم علیهم السّلام. ففی زمان واحد لا تکون تلک الحقیقه إلّا قائمه بأحد المظاهر. ففی زمان النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تکون قائمه به صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فهو صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مظهر للعقل الکلّ و الولایه ثم انتقلت هذه إلی علی علیه السّلام نعم دون مرتبه النبوه کما لا یخفی، و علمت فیما سبق وجهه، ثم انتقلت فی الحسن علیه السّلام و کان الحسین صامتا، إلی أن انتقلت تلک الحقیقه إلیه، و هکذا إلی القائم علیه السّلام. و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام: لا یکون فی زمان واحد إمامان إلّا و أحدهما صامت کما لا یخفی. و إلی هذا الاشتعال الحقیقی النوری یشیر

قول علی علیه السّلام: «أنا من محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کالضوء من الضوء» . و أما أفضلیه النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی الوصی، ثم هو علی سایر الأوصیاء حسب ما فی بعض الأخبار، فالوجه الإجمالی أن الأفضلیه للمتقدم، فإن التقدم أحد وجوه الأشرفیه کما حقق فی محلّه. نعم ورد أن القائم أفضل التسعه. و لعل الوجه فیه کونه القائم بالأمر فبحقیقه القیام صار أفضل، و اللّه العالم. فتحصّل أن الحقیقه المحمدیه التی هی العقل و النور الأول قائمه أولا به صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثم بهم علی الترتیب الوجودی الخارجی. فجمیع المظاهر یکون فی الحقیقه هو مظاهر النور المحمدی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إن سمّی بالاسم الخاص من أسماء الأئمه علیهم السّلام. و کل واحد منهم مختص بشأن خاص من شئون الولایه المطلقه کما یستفاد من الأحادیث و الأدعیه، کما لا یخفی. فکلّ واحد منهم علیهم السّلام و إن کان له خصوصیه تخصّه علیه السّلام فی الظهور إلّا أنّه مع ذلک جمیع شئون الولایه ثابته لکلّ واحد منهم، کما

تقدم. و إلى هذا يشير ما تقدم

قوله عليه السّلام: «أولنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و آخرنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أوسطنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كلّنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» صلى اللّه عليهم أجمعين. ثم إنه يستفاد من الأحاديث السابقه و نظائرها أن شيعتهم أيضا ملحقون بهم عليهم السّلام كلّ على حسبه. فإنهم كما علمت خلقوا من نورهم و من فاضل نضج طينتهم. فالشيعه إنما بلغوا إلى الدرجات العاليه، لأجل تمسكهم بالأصل، الذى خلقوا منه و هو حقيقه الأنوار المحمديه و الولويه. فإنه بعد ما علمت أن العقل الكامل الحقيقى هو نور نبينا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و روحه، الذى تشعبت منه أنوار المعصومين، بل و أنوار الأنبياء و المرسلين كما تقدم. ثم خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم بأجمعهم، فلا محاله يكون للشيعه ارتباط بهم عليهم السّلام كما دلّ عليه كثير من الأخبار، فهم إذا اتبعوا أئمتهم عليهم السّلام فلا محاله يستفيدون من معارفهم و مما منحهم اللّه تعالى. و إليه يشير ما

فى البحار عن كتاب مشارق الأنوار للبرسى (رضوان اللّه عليه) ففيه عن الثمالى، قال: دخلت حبابه الوالبيه على أبى جعفر عليه السّلام فقالت: أخبرنى يا بن رسول اللّه، أين كنتم فى الأظله؟ فقال عليه السّلام: «كنّا نورا بين يدى اللّه قبل خلق خلقه، فلما خلق الخلق سبّحنا فسبّحوا و هللنا فهلّلوا و كبرنا فكبروا، و ذلك قوله عز و جل: وَ أَنْ لَوِ اِسْتَقامُوا عَلَى اَلطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْناهُمْ مٰاءً غَدَقاً الطريقه حبّ على عليه السّلام و الماء الغدق الماء الفرات و هو ولايه آل محمد عليهم السّلام» ، انتهى. فيعلم منه أن الاستقامه على محبتهم، التى هى الطريقه سبب لنيل الولايه، و هى عنوان لحقيقه المعارف الإلهيه. فالشيعه كان بدء خلقهم منهم عليه السّلام و يكون ختم أمرهم إليهم عليهم السّلام.

ففى خبر المفضل عن الصادق عليه السّلام: «إنّا خلقنا أنوارا و خلقت شيعتنا من شعاع

ذلک النور فلذلک سمیت شیعه، فإذا کان یوم القیمه التحقت السفلی بالعلیا» ، الخبر. و لعمری إن هذا لهی السعاده العظمی و البشاره الحسنه للشیعه، فینبغی التحفّظ علی هذه النعمه العلیا و الاستفاده منها کما هی حقّه، و الحمد للّه ربّ العالمین. ثم: إنه قد یطلق العقل علی الروح، و حینئذ نقول: معنی کونهم ذوی النهی أی ذوی الروح (بمعنی أن المراد من العقل الذی أطلق علیه النهی هو الروح) . و حینئذ فالمراد هو الروح المشار إلیه فی قوله تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (۱).

فعن الکافی، بإسناده عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا مٰا کُنْتَ تَدْرِی مَا اَلْکِتٰابُ وَ لاَ اَلْإِیمٰانُ قال: «خلق من خلق اللّه تبارک و تعالی أعظم من جبرئیل و میکائیل، کان مع رسول اللّه یخبره و یسدّده و هو مع الأئمه من بعده» (صلوات اللّه علیهم) .

و فیه، بإسناده عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد اللّه عن قول اللّه تعالی: یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی قال: «خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل کان مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو مع الأئمه علیهم السّلام و هو من الملکوت» ،

و فی ذیل بعض الأحادیث: «و لیس کلّ ما طلب وجد» ، أی بالنسبه إلی غیر الأئمه علیهم السّلام.

و فی تفسیر نور الثقلین عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: وَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلطّٰارِقِ قال: «السماء فی هذا الموضع أمیر المؤمنین، و الطارق الذی یطرق الأئمه علیهم السّلام من عند اللّه مما یحدث باللیل و النهار، و هو الروح الذی مع الأئمه علیهم السّلام یسدّدهم، قلت: و اَلنَّجْمُ اَلثّٰاقِبُ قال: ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم» .

و عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام بإسناده عن الحسن بن الجهم عن الرضا علیه السّلام قال: «إن اللّه عز و جل أیّدنا بروح منه مقدسه مطهره لیست بملک، لم تکن مع أحد ممن

۱- ۱) الشوری:۵۲.

مضى إلّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هى مع الأئمه منا تسدّدهم و توفقهم، و هى عمود من نور بيننا و بين اللّه عز و جل» . أقول: و الأخبار فى هذا الموضع كثيره جدّا، و قد تقدم شطر منها فيما تقدم فى معنى الولايه، و سيجىء مفصلا أيضا. و كيف كان فهم عليهم السّلام ذوو الروح المشار إليها فى الآيات القرآنيه. ثم: إن هنا إشكالين، أحدهما: أنه قد تكررت أن الروح كانت مع الأنبياء، فكيف الجمع بينهما و بين ما دلّ على أنه لم يكن فيمن مضى من الأنبياء إلّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما هو صريح حديث العيون. و ثانيهما: أنه صرح فى حديث العيون بأن هذه الروح ليست بملك مع أن الآيات دلّت على أنها ملك كما ربما يومئ إليه قوله تعالى: وَ جٰاءَ رَبُّكَ وَ اَلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا فتأمل. فنقول: أما الجواب عن الأول: أولا يمكن أن يقال: إن الروح كانت معهم بواسطتهم عليهم السّلام لا بدون الواسطه، فالنفى راجع إلى أنه لم تكن معهم كما كانت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بلا واسطه. و ثانيا: أن المستفاد من الأحاديث أن لهذه الروح مراتب، و إنما كانت فى الأنبياء السابقين ببعض مراتبها، فدرجاتهم كانت تدور مع تلك الروح قله و كثره قال تعالى: تِلْكَ اَلرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ و أما النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهى بجميع مراتبها كانت معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فالنفى راجع إلى الكليه. و يدل عليه أنها (أى الروح الكليه) هى فى الواقع العقل الكلى الذى هو نور نبينا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ففى الكافى، عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السّلام: قال: «لمّا خلق اللّه تعالى العقل استنطقه ثم قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال: أدبر، فأدبر، ثم قال: و عزتى و جلالى ما خلقت خلقا هو أحبّ إلى منك و لا أكملتك إلّا فيمن أحب» . و من المعلوم أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو حبيبه على الإطلاق، لا حبيب له إلّا هو و أهله.

و إن العقـل الكامل إنما هو فيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهو تعالى لم يكمله إلاّ فيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ هو حبيبه مطلقـا كمـا لاـ يخفى. فيستفاد منه أن الروح المشـار إليهـا بالعقل الكامل هى فيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بتمامها دون سائر الأنبيـاء. هـذا و أن أكمليه النبى على سائر الأنبياء ثابت بالآيات و الأحاديث الكثيره، و ليست إلاّ لأجل أكمليه الروح و العقل فيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كمـا لاـ يخفى. و أما الجواب عن الثانى فنقول: فى المجمع: و الملكوت كرهبوت: العزّ و السلطان و المملكه. و يقـال: الجبروت فوق الملكوت كمـا أن الملكوت فوق الملـك. فـالملكوت و هو مـا يقابل الملك فيشـمل الجبروت أيضا، و هذا الروح من عالم الملكوت و الجبروت.

فقوله عليه السّـلام: «ليست بملـك» ، أى ليست من الملاـئكه، بـل هو من الملكوت أى العـالم العلوى المحيط بعالم الملك، فإن الملكوت هو باطن العالم الظاهرى، بل باطن العالم العلوى الذى هو باطن العالم الملكى. و إليه يشير ما تقدم

من حـديث أبى بصـير من قوله عليه السّـلام: «و هو من الملكوت» أى من عـالم البـاطن المحيـط بالملـك الشامل لعالم الجبروت أيضـا كمـا علمـت. فإطلاـق الملـك على هـذه الروح كمـا فى بعض الأخبـار و كمـا فى الآيـات القرآنيه إنمـا هـو بلحـاظ معنى الملكوت، أى يراد من الملـك الملكوت لاـ الملاـئكه، كمـا لاـ يخفى. و ثانيـا: أن الملـك من الرسـاله. بيانه: قال فى المجمع: و الملـک من الملائکه واحـد و جمع و أصـله مألك، فقـدّم اللام و أخّر الهمزه، و وزنه مفعل من الألوكه و هى الرساله، ثم تركت الهمزه لكثره استعمالها فقيل: ملك، فلمّا جمعوه ردّوه إلى أصله فقالوا: ملائك، فزيدت الهاء للمبالغه أو لتأنيث الجمع. و عن ابن كيسان: هو فعال من الملك، و عن أبى عبيده: مفعل من لاک إذا

أرسل. . . إلخ. أقول: و سميت الملائكه ملائكه، لأنهم رسل كما قال تعالى: جٰاعِلِ اَلْمَلاٰئِكَهِ رُسُلاً . و حينئذ نقول: لا ريب فی أن لروح الموحی إليه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم له سمه الرساله منه تعالی إليه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فبهذه الجهه شابهت الملائكه فی الرساله، و إن كانت الرساله فی الملائكه أقوی منها فی الروح، إلاّ أنه بهذه المناسبه أطلق لفظ الملك عليه بما له من معنی الرساله.

فقوله عليه السّلام: ليست بملك أی ليست من الملائكه بالمعنی المعروف، فإنها أی الروح ليست من جنس الملائكه، بل هی خلق أعظم منها كما علمت، كيف و قد علمت أن الملائكه خلقت من شعاع أنوار الأنبياء، الذين خلق نورهم من شعاع نوره صلّی اللّه عليه و آله و سلّم كما تقدم. و مما يصرح بأن الروح ليست بملك،

ما رواه الكافی بإسناده عن سعد الاسكاف قال: أتی رجل أمير المؤمنين عليه السّلام يسأله عن الروح، أ ليس هو جبرئيل عليه السّلام؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: «جبرئيل عليه السّلام من الملائكه و الروح غير جبرئيل» . . فقال له: لقد قلت عظيما من القول! ما أحد يزعم أن الروح غير جبرئيل عليه السّلام. فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: إنك ضالّ تروی عن أهل الضلال، يقول اللّه تعالی لنبيه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم أَتیٰ أَمْرُ اَللّٰهِ فَلاٰ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ. يُنَزِّلُ اَلْمَلاٰئِكَهَ بِالرُّوحِ و الروح غير الملائكه» (صلوات اللّه عليهم) .

و فی بصائر الدرجات (1)، بإسناده عن أبی بصير قال: كنت مع أبی عبد اللّه عليه السّلام فذكر شيئا من أمر الإمام إذا ولد قال «و استوجب زياده الروح فی ليله القدر، قلت: جعلت فداك أ ليس الروح جبرئيل؟ قال: جبرئيل من الملائكه، و الروح خلق

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۶۴.

أعظم من الملائكه، أ ليس اللّه يقول: تَنَزَّلُ اَلْمَلاٰئِكَهُ وَ اَلرُّوحُ » . أقول: لمكان العطف و التفصيل الذى هو قاطع للشركه، يعلم بالتفصيل أن الملائكه غير الروح، و إذا أطلق عليها لفظ الملك فى بعض الأحوال فإنما هو بمعناه اللغوى، أما بمعنى الملكوت كما صرح به فى الحديث حيث إن الروح من الملكوت، فأطلق عليه لفظ الملك بلحاظ الملكوت، أو بمعنى الرساله كما علمت. فهم عليهم السّلام ذوو النهى أى أصحاب العقول الكامله بما لها من المعنى الجامع الشامل للروح أيضا و إن كان الروح عند الإطلاق لا يراد منه العقل إلاّ أنه قد يراد من العقل الروح. فبهذا اللحاظ فسرنا العقل بالروح أيضا، فهم عليهم السّلام أصحاب الروح المشار إليها فى الآيات السابقه، و لا سيما بعد اتحاد الروح حقيقه مع العقل الكلىّ، الذى هو نوره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما تقدّم، و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و أولى الحجى.

فى المجمع: و أولو جمع لا واحد له من لفظه، واحده ذو، أولات للإناث و أحدها ذات، تقول: جاءنى أولو الألباب و أولات الأحمال، و قال قبله: و أولى بضم الهمزه. قال الجوهرى: هو جمع لا واحد له من لفظه، واحده ذا للمذكر و ذه للمؤنث يمدّ و يقصر فإن قصرته كتبته بالياء و إن مددت بنيته بالكسر، و يستوى فيه المذكر و المؤنث، و تدخل عليه الهاء للتنبيه فيقال: هؤلاء و تدخل عليه الكاف للخطاب تقول: أولئك و ألاك. قال الكسائى: من قال: أولئك فواحده ذلك، و من قال: أولاك فواحده ذاك، و أولالك مثل أولئك. و ربما قالوا: أولئك فى غير العقلاء قال تعالى: إِنَّ اَلسَّمْعَ وَ اَلْبَصَرَ وَ اَلْفُؤٰادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كٰانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً .

قال: و أما الأولى بوزن العلى فهو أيضا جمع لا واحد له من لفظه، واحده الذى، إلخ. أقول: أولى على وزن دجى مجهولا، جرّا و نصبا، و أولو رفعا، و يؤتى بالواو فى الحالين، فرقا بين أولى و إلى الذى هو حرف جرّ، و تسمى هذه الواو واو الفارقه. و فى المجمع: و أولى الحجى أصحاب العقول، فهذه الجمله تدل على أنهم أصحاب العقول الكامله، التى بها تحصل جميع الكمالات، بل و جميع القربات و الزلفى لديه تعالى.

ففى الكافى، العدّه، عن البرقى، عن بعض أصحابه، رفعه، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما قسّم اللّه للعباد شيئا أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، و إقامه العاقل أفضل من شخوص الجاهل، و لا بعث اللّه نبيّا و لا رسولا حتى يستكمل العقل و يكون عقله أفضل من عقول جميع المجتهدين، و ما أدّى العبد فرائض اللّه حتى عقل، و لا بلغ جميع العابدين فى فضل عبادتهم ما بلغ العاقل و العقلاء، هم أولو الألباب الذين قال اللّه: إِنَّمٰا يَتَذَكَّرُ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ » انتهى. فعلم من هذا أهميه العقل، و أن به جميع الكمالات و القربات، و هم عليهم السّلام أولو الحجى أى أصحاب العقول الكامله، فلا محاله لهم الكمالات بأجمعها، و المراد من الحجى هو العقل. ففى اللغه: و الحجى بكسر الحاء المهمله: العقل و الفطنه و المقدار، و هو مفرد جمعه أحجاء و هو من حجى به كرضى به أولع به و لزمه أو عداه أى تجاوزه من الأضداد، أو من أحجى بالشىء: حجى به. و يقال: ما أحجاه بالشىء، ما أجدره،

قال على عليه السّلام فى الشقشقيه: «فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى» . أو من تحجّى بالسرّ أى حفظه، أو من تحجى عند الشىء وقف، أو من تحجاه أى منعه، أو من حجا بالمكان حجوا أقام به، أو من حاجيته محاجاه و حجاه و حجاء فحجوته أى فاطنته فغلبته، أو من الحجا من الستر

كما فى الحديث «من

بات على ظهر بيت ليس عليه حجا فقد برئت منه الذمه» أى لعدم الستر عليه يمنعه من السقوط. قيل: إنما أتى بالجمع فى النهى و بـالمفرد فى الحجى للسجع، و لاـ يـدل الجمع على أن عقولهم عليهم السّـلام متعـدده، كمـا لاـ يخفى. أقول: مـا ذكر من معـانى الحجى إنمـا هو لبيـان موارده و مظاهره، و ذلك لأن أصـله بمعنى العقل كما علمت. و هـذه الموارد بيان مظاهر أعمال العقل. و منه يعلم أن النهى اسم لأصل العقـل، و الحجى اسم له بلحـاظ أعمـاله فى تلـك المظـاهر. ثم: إن تلك المظاهر بعضـها يصـدق عليهم عليهم السّـلام و بعضـها لاـ يجرى فيهم بـل فى غيرهم أمـا الأول: فكونه بمعنى أولع به و لزمه، فمعلوم أنهم عليهم السّـلام ملاـزمون و مولعـون للحقّ. أو بمعنى عـداه فبمعنى أنهم مفـارقون للباطـل. أو بمعنى جـدير فهم عليهم السّـلام أجـدر بالاشـتمال لمتعلق العقل من الحقائق و الطهارات المعنويه الحاصـله به. أو بمعنى تحجى عنه الشىء أى وقف، فهم عليهم السّلام يقفون دون الأـمور المكروهه فضـلا عن المحرمه فلاـ يقتحمونه، لاـ أنهم يقفون عنـد الجهل بشـىء، لعـدم عروض الجهل لهم بشـىء أرادوا علمه، كمـا سيجىء قريبـا إن شـاء اللّه. أو بمعنى تحجـاه أى منعه فـإنهم عليه السّـلام يمنعهم حجـاهم عما لا يليق بقـداسه ساحه نفوسهم الزكيه من الأباطيل، فلا يحومونه أبدا، بحجاهم فيمتنع الحجى بهذا المعنى من الباطل بنفسه، و يمنع صاحبه منه أيضا. أو بمعنى حفظ، فمعلوم أنهم عليهم السّلام حافظون للحقائق و لحدودها، و يكتمون

الحقائق من غير أهلها، و لا يهملونها حيث ما كان. أو بمعنى حاجيته أى فاطنته فغلبته، فمعلوم أنهم عليهم السّلام غالبون بالعلم و القدره و كمال العقل على غيرهم فى مقام المحاجّه فى جميع الأمور، كما هو أظهر من الشمس، فهم غالبون على الخصم فى مقام المحاجه بحيث ينزعون إلى مدارك المدعى، قبل ما يتوجه إليه الخصم بمشاعره، و إن توجه إليها الخصم قبلهم سبقوه على الإدراك أى عملوا إنه متوجه إليها فيواجهونه بما يغلبونه، و ذلك لشدّه حجاهم عليهم السّلام و إدراكهم فى جميع الموارد بحيث لا يسبقهم فى ذلك سابق كما يعلم هذا من مظانّ محاجاتهم عليهم السّلام. و بعباره أخرى أن نفوسهم لذاتهم، و فطرتهم التى فطرهم اللّه عليها هم السابقون و هم الغالبون بلا مماراه و لا مغالبه، لأنهم حزب اللّه فَإِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْغٰالِبُونَ و لأنهم سبقوا و لا سابق، و لو فرض سابق فهو بالنسبه إليهم لاحق أو تابع أو متعلم منهم، فإن وجد لهم حاسد فهو قاصر منحط عن مقامهم و زاهق عن الحق، قد خرّ من دون سماء رتبتهم من حيث إنه حسد بهم فهو فيمن تخطفه الطير، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق. أو بمعنى الستر فهم عليهم السّلام بحجاهم و عقلهم يسترون عيوب الناس بحسن نظرهم فيمنعهم عليهم السّلام تلك الحجا و العقل عن فعل ما تبدوا به عوره الناس، فهم عليهم السّلام يسترونه بتلك الغريزه العقليه فلا يكشفونه. نعم: قد يكون الستر المنبعث من الحجى فى غيرهم عليهم السّلام سببا لستر عورته، فهو يستره لمنع حجاه عن كشفه، و هذا فيمن يكون فى ذاته عيب، و أما ذواتهم المقدسه فحيث إنها مطهره بآيه التطهير فلا يجرى فيهم الحجى بهذا المعنى كما لا يخفى. فهم عليهم السّلام أولو الحجى بما له من جميع هذه المعانى و المظاهر له. و أما الثانى: أعنى المعانى التى لا تجرى فيهم عليهم السّلام بل تجرى فى غيرهم، فهو

الحجی إذا کان بمعنی تحجی عنده أی وقف. فهذا کما علمت لا یصح إطلاقه علیهم، لأنهم علیهم السّلام لا یفقدون العلم و المعلوم، و لا یصیرون إلی المظنون و لا إلی الموهوم. نعم ربما یتراءی منهم المشی علی طبق المظنون أو المجهول مماشاه مع غیرهم، فإنما هو لازم علیهم للتقیه أو لبیان جوازه لشیعتهم، أو التخییر أو التعلیم فی بعض الأحیان، أو التسهیل علی الرعیه و إلاّ فهو عندهم علیهم السّلام معلوم. و أیضا لا یصح إطلاق الحجی علیهم بمعنی أقام أی یقیم علی أمر بحجاه حتی یجیء خلافه، بمعنی أنه لا ینتقل من الیقین السابق إلاّ إلی یقین یقابله أرجح منه بمرجح ذاتی أو خارجی یوجب الانتقال. فبعد الانتقال بهذا الیقین الواجد لمزیه الترجیح، یکشف عن أن الیقین السابق کان بصوره الیقین، و هذا المعنی أی الإقامه علی الیقین السابق حتی ینقضه بیقین أرجح لا یتصور فی المعصوم علیه السّلام فإنهم علیهم السّلام لا ینتقلون عن یقین إلی یقین أرجح منه، لأن هذا مستلزم لخفاء الواقع علیهم. و هذا ینافی عصمتهم من الزلل حتی بهذا النحو کما سیجیء. نعم إنما ینتقلون من الیقین الأول إذا فرض التکلیف فیه موقتا و انقضی زمانه، و ثبت لهم الیقین الآخر المنتقل إلیه بلحاظ زمانه المختص به، و وقع تکلیفهم به بهذا الیقین المنتقل إلیه، فهم علیهم السّلام دائما فی المشی علی طبق الراجح الواقعی لا الصوری القابل لظهور خلافه کما لا یخفی. و فی غیر هذه الصوره لا معنی لإقامتهم عند یقین ثم الانتقال منه بیقین أرجح، و أما غیرهم فلمکان الجهل فیهم فیتصور فیهم ذلک، و إنما یلزمهم الحجی التوقف إلی أن یعرض الیقین الأرجح فإنه فی غیر المعصوم یمکن أن یمضی قبل عروض الیقین الأرجح. مع أن الواقع یکون الأرجحیه فی المنتقل إلیه، الذی بعد لم یظهر له فی

الموضوعات و التكاليف، فيكون هذا العامل على طبق اليقين الأول غير عارف بالترجيح الثابت واقعا فى اليقين الثانى، و قد يكون غيره أحرز أرجحيه اليقين الثانى فمشى عليه و بقى هذا على خفاه عن ذلك. و بهذا يحصل الاختلاف فى درك الواقعيات و الأحكام عند العلماء فتراهم مختلفين فى الرأى و الفتوى، و ليس هذا إلّا لعدم كونهم معصومين، بل ربما وصل إليه اليقين الراجح الثانى. و مع ذلك يبقى على المرجوح لأنسه به، أو لقاعده ثابته عنده اقتضت الخلود على المرجوح مع ثبوت الراجح كما يتراءى ذلك من علماء السنه. فإنهم ربما ظهر لهم حقيقه الولايه و حقّانيّه وصايه أمير المؤمنين عليه السّلام و مع ذلك لأنسهم بعادتهم الثابته لهم فى زمان الجهل قد خلدوا عليها، و لم يمضوا على حسب الاستبصار الثابت لهم باليقين الثانى. أو إنك تراهم يعلمون بأفضليه أمير المؤمنين فى جميع الأمور مطلقا، و مع ذلك لقاعده حفظ المسلمين الثابت فى نظرهم لا يظهرون الحقّ مخافه تلك الشبهه الواهيه، كما لا يخفى. ثم: تلك القاعده ربما تكون بنحو لو تأمل فيها لظهر فسادها، و لكن تغفل عن التأمل فيه فيمشى على مقتضاها، و إن كان على خلاف ما يقتضيه اليقين الثانى فتبلى بفسادها فردا أو جامعه كما لا يخفى. و ربما يظهر له اليقين الثانى الأرجح و مع ذلك يمشى على طبق اليقين الأول المنحلّ، و ذلك إما لغرض دنيوى قد أخذ قلبه، فيصرف فكره إلى تلفيق مرجحات البقاء على طبق يقين الأول و هذا حاله كحال من يعلم و من لا يعلم. فمن حيث اليقين الأرجح الثابت فى حاق قلبه و عقله فهو يعلم بحقيه اليقين الثانى، و من حيث إساره نفسه بالمرجحات المتلفقه فيمشى على طبقها فهو لا يعلم أى نظرا إليها لا يعلم بل يرى نفسه فى الضلاله. و لعله إليها يشير قوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً

وَ عُلُوًّا

(۱)

فجحدوا بالحقّ، بسبب تلك المرجحات الملفقه، و استيقنتها أنفسهم بسبب اليقين الحاصل لهم و الراجح عند عقلهم بكونه عليه السّلام حقّا مثلا، و لكن مشيهم هذا يكون ظلما و علوا، كما لا يخفى. و إليه يشير قوله تعالى أيضا: وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (۲)يحسبون لتلك المرجحات الملفقه فيتوجه فيهم حسبانا لحسن الصنع مع أنهم من الأخسرين أعمالا، لثبوت اليقين لهم فى قلوبهم و إلاّ لما صح عقابهم، كما لا يخفى. و كيف كان، فالأئمه عليهم السّلام خارجون ذاتا من هذه التطورات النفسانيه حسب عروض اليقين بعد سبقه بغيره من خلافه، كما لا يخفى، و الحمد للّه ربّ العالمين.

[۶]قوله عليه السّلام: و كهف الورى

. أقول: فى المجمع: الكهف الملجأ، قال:

و منه فى وصف على عليه السّلام كنت للمؤمنين كهفا، لأنه يلجأ إليه على الاستعاره. قيل: الكهف غار واسع فى الجبل فإن كان صغيرا قيل له: غار، و المنقور فى الجبل كالبيت كهف، و المراد منه الملجأ و الحاوى للشىء و المأوى له، يعنى أنهم عليهم السّلام ملجأ الورى أى الخلق. و فيه أيضا: و الورى الخلف و منه: و أنتم كهف الورى أى يستظلون بكم كالكهف الذى يستظل به. أقول: المراد من الخلف: الخلق أى الخلق الذى يوجد فى العالم تدريجا فهم عليهم السّلام كهف لهم لا لخصوص الموجودين. ثم إن كونهم عليهم السّلام ملجأ لهم، إن الخلق يلجأون إليهم عند عروض الحاجه أو البلاء، أو الاحتياج إلى شىء دنيويا كان أو أخرويا، صوريّا كان أم معنويّا،

۱- ۱) النمل:۱۴.

۲- ۲) الكهف:۱۰۴.

فهم علیهم السّلام فی جمیع ذلک ملجأ لهم. ثم إنه لا یختص ذلک بالخلق العادی بل یعم الأنبیاء و الملائکه و جمیع الموجودات فإنها بأجمعها یلجأون إلیهم عند الاضطرار، فهم علیهم السّلام الکهف الحصین لهم. أما الأنبیاء،

ففی البحار (۱)، عن جامع الأخبار و أمالی الصدوق بإسناده عن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبد اللّه الصادق علیه السّلام یقول: «أتی یهودی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقام بین یدیه یحدّ النظر إلیه فقال: یا یهودی ما حاجتک؟ قال: أنت أفضل أم موسی بن عمران النبی، الذی کلّمه اللّه و أنزل علیه التوریه و العصا و فلق له البحر و أظلّه بالغمام؟ ! فقال له النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنه یکره للعبد أن یزکّی نفسه. و لکنی أقول: إن آدم علیه السّلام لما أصاب الخطیئه کانت توبته أن قال: اللهم إنّی أسألک بحق محمد و آل محمد لمّا غفرت لی فغفرها اللّه له. و إن نوحا لما رکب فی السفینه و خاف الغرق قال: اللهم إنی أسألک بحق محمد و آل محمد لما أنجیتنی من الغرق فنجاه اللّه عنه، و إن إبراهیم علیه السّلام لما ألقی فی النار قال: اللهم إنی أسألک بحق محمد و آل محمد لما أنجیتنی منها فجعلها اللّه بردا و سلاما، و إن موسی لما ألقی العصا و أوجس فی نفسه خیفه قال: اللهم إنی أسألک بحق محمد و آل محمد لما آمنتنی منها فقال اللّه جلّ جلاله: لاٰ تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ اَلْأَعْلیٰ . یا یهودی إن موسی لو أدرکنی، ثم لم یؤمن بی و بنبوتی ما نفعه إیمانه شیئا و لا نفعته النبوه، یا یهودی، و من ذریتی المهدی إذا خرج نزل عیسی بن مریم علیه السّلام لنصرته فقدمه و صلّی خلفه» .

و فیه (۲)عن تفسیر العسکری علیه السّلام قال علی بن الحسین علیه السّلام: «حدثنی أبی، عن أبیه، عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: قال: قال: یا عباد اللّه إن آدم لما رأی النور ساطعا من

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۳۱۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۳۲۷.

صلبه، إذ كان اللّه قد نقل أشباحنا من ذروه العرش إلى ظهره، رأى النور و لم يتبين الأشباح فقال: يا رب ما هذه الأنوار؟ قال اللّه عز و جل: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشى إلى ظهرك، و لذلك أمرت الملائكه بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح، فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ فقال: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقى و بريّاتى. هذا محمد و أنا الحميد المحمود فى أفعالى شققت له اسما من اسمى. و هذا على و أنا العلى العظيم شققت له اسما من اسمى. و هذه فاطمه و أنا فاطر السموات و الأرضين، فاطم أعدائى عن رحمتى يوم فصل قضائى، و فاطم أوليائى عما يعتريهم و يشينهم فشققت لها اسما من اسمى. هؤلاء خيار خليقتى و كرام بريّتى، بهم آخذ و بهم أعطى، و بهم أعاقب و بهم أثيب، فتوسل إلىّ بهم يا آدم، و إذا دهتك داهيه فاجعلهم إلىّ شفعاءك فإنى آليت على نفسى قسما حقا لا أخيب بهم آملا، و لا أردّ بهم سائلا، فلذلك حين زلت منه الخطيئه دعا اللّه عز و جل بهم فتاب عليه و غفر له» . إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيره الداله على أن دعاء الأنبياء إنّما استجيب بالتوسل و الاستشفاع بهم (صلوات اللّه عليهم) . فراجع البحار تحت هذا العنوان، و كذا فى غيره من الأبواب المتفرقه ما يدل على ذلك. و أما الملائكه،

ففى البحار (1)عن بصائر الدرجات بإسناده عن الأزهر البطّيخى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه عرض ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام فقبلها الملائكه، و أباها ملك يقال له: فطرس، فكسر اللّه جناحه. فلما ولد الحسين بن على عليه السّلام بعث اللّه جبرئيل فى سبعين ألف ملك إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يهنئهم بولادته، فمر

١- ١) البحار ج ٢٦ ص ٣٤١.

بفطرس فقال له فطرس: يا جبرئيل إلى أين تذهب؟ قال: بعثنى اللّه إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أهنئهم بمولود ولد فى هذه الليله، فقال له فطرس: احملنى معك و سل محمدا يدعو لى، فقال له جبرئيل: إركب جناحى فركب جناحه فأتى محمدا، فدخل عليه و هنأه فقال له: يا رسول اللّه إن فطرس بينى و بينه أخوه، و سألنى أن أسألك أن تدعو اللّه أن يرد عليه جناحه. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لفطرس أ تفعل؟ قال: نعم. فعرض عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام فقبلها، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: شأنك بالمهد فتمسح به و تمرغ فيه، قال: فمضى فطرس إلى مهد الحسين بن على عليه السّلام و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يدعو له. قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فنظرت إلى ريشه و إنه ليطلع و يجرى منه الدم، و يطول حتى لحق بجناحه الآخر، و عرج مع جبرئيل إلى السماء و صار إلى موضعه» . و مثله غيره من الأحاديث الداله على أنهم عليهم السّلام الكهف و الملجأ للملائكه عند الحاجه.

و فى البحار (۱)، عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان، روى أنه وجد بخط مولانا أبى محمد العسكرى عليه السّلام: «أعوذ باللّه من قوم حذفوا محكمات الكتاب، و نسوا اللّه ربّ الأرباب و النبيّ و ساقى الكوثر فى مواقف الحساب و لظى و الطامه الكبرى و نعيم دار الثواب، فنحن السنام الأعظم و فينا النبوه و الولايه و الكرم، و نحن منار الهدى و العروه الوثقى، و الأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا و يقتفون آثارنا، و سيظهر حجه اللّه على الخلق بالسيف المسلول لإظهار الحقّ. و هذا خط الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على أمير المؤمنين عليه السّلام» .

و روى أنه وجد أيضا بخطه عليه السّلام ما صورته: «قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوه و الولايه، و نورنا سبع طبقات أعلام الفتوى بالهدايه، فنحن ليوث الوغى

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۲۶۴.

و غیوث الندی و طعّان العدی، و فینا السیف و القلم فی العاجل، و لواء الحمد و الحوض فی الآجل، و أسباطنا حلفاء الدین، و خلفاء النبیین، و مصابیح الأمم، و مفاتیح الکرم، فالکلیم ألبس حله الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، و روح القدس فی جنان الصاقوره ذاق من حدائقنا الباکوره. و شیعتنا الفئه الناجیه و الفرقه الزاکیه صاروا لنا ردءا و صونا و علی الظلمه إلبا (1)و عونا و ستنفجر لهم ینابیع الحیوان بعد لظی النیران لتمام آل حم و طه و الطواسین من السنین. و هذا الکتاب دره من درر الرحمه، و قطره من بحر الحکمه، و کتب الحسن بن علی العسکری علیه السّلام فی سنه أربع و خمسین و مائتین.

فقوله علیه السّلام: و الأنبیاء کانوا یقتبسون من أنوارنا،

و قوله علیه السّلام: «و غیوث الندی»

و قوله علیه السّلام: فالکلیم، إلخ، یدل إلی أنهم الملجأ لهم فی تلک الأمور، کما لا یخفی بل هم ملجأ الجمیع فی جمیع الأمور. ثم: إنّ السرّ فی ذلک أن اللّه تعالی خلقهم قبل کلّ شیء، ثم خلق الأشیاء و أشهدهم خلقها، و أنهی إلیهم علمها کما تقدم ما یدل علی هذا، و رتبهم فی المقام المحمود مقام الولایه الکبری التامه تشریعا و تکوینا کما تقدم مفصلا. و حینئذ لا محاله جعلهم اللّه علیه السّلام ملاذ کلّ شیء و مرّد کلّ شیء، و إلیهم إیاب کلّ شیء و علیهم حساب کلّ شیء.

ففی المحکی عن المفید فی الاختصاص، و الصفار فی البصائر، بإسنادهما إلی أبی حمزه الثمالی ثابت بن دینار، قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «من أحللنا له شیئا أصابه من أعمال الظالمین فهو له حلال، لأن الأئمه منّا مفوّض إلیهم، فما أحلّوا فهو حلال و ما حرّموا فهو حرام» . و مثله ما

فی المحکی عن الاختصاص بإسناده عن محمد بن سنان قال: کنت

۱- ۱) الألب، القوم تجمعهم عداوه واحد.

عند أبی جعفر علیه السّلام فذکرت اختلاف الشیعه فقال: «إن اللّه لم یزل فردا متفردا فی الوحدانیه، ثم خلق محمدا و علیا و فاطمه علیهم السّلام فمکثوا ألف دهر، ثم خلق الأشیاء و أشهدهم خلقها، و أجری علیها طاعتهم، و جعل فیهم ما شاء، و فوض أمر الأشیاء إلیهم فی الحکم و التصرف و الإرشاد و الأمر و النهی فی الخلق، لأنهم الولاه فلهم الأمر و الولایه و الهدایه، فهم أبوابه و نوّابه و حجّابه یحللون ما شاء و یحرمون ما شاء و لا یفعلون إلاّ ما شاء اللّه . . عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ. لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ . فهذه الدیانه التی من تقدمها غرق فی بحر الإفراط، و من نقصهم من هذه المراتب التی رتّبهم اللّه فیها زهق فی بحر التفریط، و لم یعرف آل محمد حقّهم فیما یجب علی المؤمن من معرفتهم، ثم

قال علیه السّلام: خذها یا محمد فإنها من مخزون العلم و مکنونه» .

و فی بصائر الدرجات، بإسناده عن زراره، عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «إن اللّه فوض إلی نبیه أمر خلقه لینظر کیف طاعتهم» ، ثم تلا هذه الآیه: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا .

و فی الوافی عن الکافی بإسناده عن سماعه قال: کنت قاعدا مع أبی الحسن الأول علیه السّلام و الناس فی الطواف فی جوف اللیل فقال لی: «یا سماعه إلینا إیاب هذا الخلق و علینا حسابهم، فما کان لهم من ذنب بینهم و بین اللّه تعالی حتمنا علی اللّه تعالی فی ترکه لنا فأجابنا إلی ذلک، و ما کان بینهم و بین الناس استوهبناه منهم فأجابوا إلی ذلک و عوضّهم اللّه تعالی» . فعلم من هذه الأحادیث: أن أمر الخلق حدوثا و بقاء و دنیا و آخره فی جمیع العوالم موکول إلیهم علیهم السّلام بإذن منه تعالی. فحینئذ لا محاله یلجأ الکلّ إلیهم عند الحاجه، و عند ما قصروا فی شیء فی الدنیا و الآخره من الإنس و الجن و الملائکه کما لا یخفی، و أیضا یعلم أن الخلق

بأجمعهم مطيعون لهم و يجب ذلك عليهم. و إليه يشير ما

فى المحكى عن كتاب محمد بن شاذان بن نعيم بخطه، عن حمران بن أعين، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يحدث عن أبيه، عن آبائه أن رجلا كان من شيعه أمير المؤمنين عليه السّلام مريضا شديد الحمّى فعاده الحسين بن علىّ عليهم السّلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل فقال: قد رضيت بما أوتيتم به حقّا حقّا و الحمى لتهرب منكم، فقال له: «و اللّه ما خلق اللّه شيئا إلّا و قد أمره بالطاعه لنا، يا كباسه، قال: فإذا نحن نسمع الصوت و لا نرى الشخص يقول لبيك، قال: أ ليس أمرك أمير المؤمنين ألا توتى إلّا عدوا أو مذنبا، لكى يكون كفاره لذنوبه فما بال هذا» و كان الرجل المريض عبد اللّه بن شداد الهادى الليثى، و حكى أن ابن شهر آشوب حكى هذا عن زراره بن أعين أيضا. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام ملجأ الكلّ فى كلّ الأمور، كيف لا، و قد علمت أنهم باب اللّه إلى الخلق و باب الخلق إلى اللّه، و أن ذواتهم المقدسه سبب لتكميل القوابل من ماهيات الخلق، لما علمت أنهم عليهم السّلام أعضاد للخلق فلازم تلك الشئون الثابته لولايتهم المطلقه الإلهيه أنهم ملجأ الخلق، كيف لا، و قد علمت أيضا أن قلوبهم أوعيه لمشيه اللّه كما هو نصّ الحديث و هى مصدر جميع الأمور، فكلّ شىء من عين أو معنى أو جوهر أو عرض ذات أو صفه حال، أو ظرف أو جسم أو مكان أو زمان إنما هو صادر من المشيه التى فى قلوبهم عليهم السّلام، و يلازم هذا المعنى أن هذه الأمور تلتجأ إليهم عليهم السّلام حيث إنها بنفسها فقر محض، فكلّها تنظر فى قضاء حوائجها إلى تلك الذوات المقدسه، و تلتمس منها الفرج التماس الفرع من الأصل و المسبب من السبب من حيث الخلق و الرزق و الحياه و الممات، و النمو و البقاء و الحفظ و الرجاء، و الاستجاره و الوقايه إلى غير ذلك حسب ما تقتضيه ذوات الموجودات. و لا تظن أن ذلك علوّ بالنسبه إليهم، أو أنه مستلزم لكونهم شركاء له تعالى

عن ذلـك علوا كبيرا، و ذلـك لمـا علمت مرارا من الوسائط بين الخالق و الخلق فى هـذه الأمور، فالقـدره و التأثير منه تعالى في الكلّ بواسطه هذه الذوات المقدسه حيث إنهم الأسماء الحسنى التى ملأت أركان كلّ شىء، فهم عليهم السّلام عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و ورثه الأنبياء.

قـال فى المجمع: التراث بـالضم: مـا يخلفه الرجل لورثته، إلى أن قال: و الميراث مفعال من الإرث، و ياؤه مقلوبه من الواو أو من الورث. و هو على الأول على ما قيل: استحقاق إنسان بنسب أو سبب شيئا بالأصاله. و على الثانى: ما يستحقه بحذف الشىء. فالأول: استحقاق شىء بالمعنى المصدرى. و الثانى: نفس الشىء المستحق و قال: و ورثت الشىء من أبى إرثه-بالكسر فيهما- ورثا و وراثه و إرثا بألف منقلبه عن واو، و ورثه توريثا: أدخله فى ماله على ورثته. . إلخ. أقول: استحقاق الشىء يعمّ المال و غيره، فما ينتقل إليه من المورّث مما يخلفه فهم عليهم السّلام ورثه الأنبياء أى أن جميع خواص الأنبياء و آثارهم و متروكاتهم المختصه بهم لأحد عناوين النسب من الأخوه و الأبوه مثلا، أو المختصه للإبلاغ و التعريف و إقامه الدين و غيرها مما أعدوه لطاعه اللّه نحو عصا موسى و عمامه هارون و التابوت و السكينه و خاتم سليمان و غيرها مما يأتى ذكره فى الحديث الآتى، فجميعها لهم بالوراثه. و كذلك ورثتهم فى العلم، أى ورثوا جميع ما عندهم من العلوم مما أدركوه من الوحى بواسطه الملك أو الإلهام أو الفهم، و ما فيهم من القوه التى بها كانوا يخاطبون الحيوانات، و يعرفون بها نطق الجمادات و النباتات، و هفيف الرياح و جريان المياه،

و لمعان البروق و أصوات الرعود و تغطمط البحار و زهر الأشجار و غيرها. و الحاصل: أن جميع ما فرقه فی جميع أنبيائه و أوليائه و خلقه مما هو مزيه إلهيه و كمال معنوی قد جمعها اللّه لهم عليهم السّلام. فما كان منها فی غيرهم مما كان قبلهم فهم ورثته، و ما زاد عليها فهو منه تعالی لهم زياده و كرامه،

كما روی أنه آتاهم اللّه ما لم يؤت أحدا من العالمين. و كذلك ورثوا ما ثبت للأنبياء من وجوب الطاعه و الأعذار و الإنذار كما دلّت عليه الأحاديث الكثيره كما تقدم و يأتی. و كذلك ورثوا ما ثبت للأنبياء من الصفات الحميده، التی بها بعثوا و لأجلها أرسلوا، فجميع ذلك ثابت لهم عليهم السّلام. و السرّ فيه أنه يأتی فی شرح

قوله عليه السّلام:

«إن ذكر الخير كنتم أصله و فرعه. . إلخ» أن كلّ خير و كمال و مزيه إنما هی عنهم صدرت و بنورهم وجدت، و لسلطانهم و بيان عظمتهم قدّرت فی الوجود، و للثناء عليهم نشرت، ليرتفع بذلك شأنهم فی عالم الكون على الكلّ. فجميعها صفات أنوارهم و مظاهر آثارهم، فهی بالأصاله و الحدوث لهم عليهم السّلام و منهم ترشحت إلی غيرهم. فلا محاله هم الوارثون لها بعد فناهم. و إليه يشير قوله تعالی: وَ نَحْنُ اَلْوٰارِثُونَ (۱)و قوله تعالی: وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ اَلْوٰارِثِينَ (۲). كيف و قد علمت: أن الأنبياء و الملائكه خلقوا من رشح عرق أنوارهم، فلا محاله إليهم ترجع الأنبياء إلی أن يفنوا فيما يخصهم من أعباء الرساله.

فقوله عليه السّلام:

«و ورثه الأنبياء»

يعم جميع هذه الأمور و غيرها مما ذكر فی الأخبار. و إلی جميع ما ذكرنا تشير الأحاديث الوارده فی المقام: فمنها: ما

فی البحار (۳)، عن بصائر الدرجات، عن عبد اللّه بن عامر، عن ابن أبی نجران

۱- ۱) الحجر:۲۳.

۲- ۲) القصص:۵.

۳- ۳) البحار ج ۲۶ ص ۱۴۳.

قال: کتب أبو الحسن الرضا علیه السّلام رساله و أقرأنیها قال: قال علی بن الحسین علیه السّلام: «إن محمدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان أمین اللّه فی أرضه، فلما قبض محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کنا أهل البیت ورثته، فنحن أمناء اللّه فی أرضه، عندنا علم البلایا و المنایا و أنساب العرب و مولد الإسلام، و إنا لنعرف الرجل إذا رأیناه بحقیقه الإیمان و حقیقه النفاق. و إن شیعتنا لمکتوبون بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ اللّه علینا و علیهم المیثاق، یردون موردنا و یدخلون مدخلنا، نحن النجباء و أفراطنا إفراط الأنبیاء، و نحن أبناء الأوصیاء و نحن المخصوصون فی کتاب اللّه، و نحن أولی الناس باللّه، و نحن أولی الناس بکتاب اللّه، و نحن أولی الناس بدین اللّه، و نحن الذین شرع لنا دینه، فقال: فی کتابه (۱): شَرَعَ لَکُمْ (یا آل محمد) مِنَ اَلدِّینِ مٰا وَصّٰی بِهِ نُوحاً (فقد وصّانا بما وصّی به نوحا) وَ اَلَّذِی أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ (یا محمد) وَ مٰا وَصَّیْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِیمَ (و إسماعیل) وَ مُوسیٰ وَ عِیسیٰ (و إسحاق و یعقوب فقد علّمنا و بلغنا ما علمنا و استودعنا علمهم) . (نحن ورثه الأنبیاء و نحن ورثه أولی العزم من الرسل) أَنْ أَقِیمُوا اَلدِّینَ (یا آل محمد) وَ لاٰ تَتَفَرَّقُوا فِیهِ (و کونوا علی جماعه) کَبُرَ عَلَی اَلْمُشْرِکِینَ (من أشرک بولایه علی علیه السّلام) مٰا تَدْعُوهُمْ إِلَیْهِ (من ولایه علی) اَللّٰهُ یَجْتَبِی إِلَیْهِ مَنْ یَشٰاءُ (یا محمد) وَ یَهْدِی إِلَیْهِ مَنْ یُنِیبُ (من یجیبک إلی ولایه علی علیه السّلام)» . أقول: فی المصحف الشریف: اَللّٰهُ یَجْتَبِی إِلَیْهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ یَهْدِی إِلَیْهِ مَنْ یُنِیبُ (۲)

فی الوافی عن الکافی بإسناده عن سعید السمان قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام إذ دخل علیه رجلان من الزیدیه فقالا له: أ فیکم إمام مفترض الطاعه؟ قال: فقال: لا، قال: فقالا له: قد أخبرنا عنک الثقات أنک تفتی و تقرّ و تقول به و نسمیهم لک فلان و فلان و هم أصحاب ورع و تشمیر، و هم ممن لا یکذب، فغضب أبو

۱- ۱) الشوری:۱۳.

۲- ۲) الشوری:۱۳.

عبد اللّه علیه السّلام و قال: «ما أمرتهم بهذا، فلما رأیا الغضب فی وجهه خرجا، فقال لی: أ تعرف هذین؟ قلت: نعم هما من أهل سوقنا و هم من الزیدیه، و هما یزعمان أن سیف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عند عبد اللّه بن الحسن! ! . فقال: کذبا لعنهما اللّه، و اللّه ما رآه عبد اللّه بن الحسن بعینیه، و لا بواحده من عینیه و لا رآه أبوه. اللهّم إلاّ أن رآه عند علی بن الحسین علیه السّلام بعینه، فإن کانا صادقین، فما علامه فی مقبضه و ما أثر فی موضع مضربه؟ ! و إن عندی لسیف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. و إن عندی لرایه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و درعه و لامته و مغفره، فإن کانا صادقین فما علامه فی درع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟ و إن عندی لرایه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المغلّبه. و إن عندی ألواح موسی و عصاه، و إن عندی لخاتم سلیمان بن داود علیه السّلام. و إن عندی الطست الذی کان لموسی یقرب بها القربان. و إن عندی الاسم الذی کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذا وضعه بین المسلمین و المشرکین، لم یصل من المشرکین إلی المسلمین نشابه. و إن عندی لمثل الذی جاءت به الملائکه، و مثل السلاح فینا کمثل التابوت فی بنی إسرائیل، کانت بنو إسرائیل فی أی أهل بیت وجد التابوت علی أبوابهم أوتوا النبوه، و من سار إلیه السلاح منا أوتی الإمامه، و لقد لبس أبی درع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فخطت علی الأرض خطیطا، و لبست أنا فکانت و کانت، و قائمنا من إذا لبسها ملاها، إن شاء اللّه تعالی. أقول: فصرح فی هذا الحدیث ما ورثوه من الأنبیاء من تلک المواریث المذکوره.

و فیه، عن الکافی، بإسناده عن أبان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: لما حضرت

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الوفاه دعا العباس بن عبد المطلب و أمير المؤمنين عليه السّلام فقال للعباس: «يا عم محمد تأخذ تراث محمد و تقضى دينه و تنجز عداته؟ فردّ عليه فقال: يا رسول اللّه شيخ كثير العيال قليل المال من يطيقك و أنت تبارى الريح؟ ! قال: فأطرق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هنيئه ثم قال: يا عباس أ تأخذ تراث محمد و تنجز عداته و تقضى دينه؟ فقال: بأبى أنت و أمى شيخ كثير العيال قليل المال و أنت تبارى الريح! ! قال: أما إنى سأعطيها من يأخذها بحقّها ثم قال: يا على يا أخا محمد أ تنجز عداه محمد و تقضى دينه و تقبض تراثه؟ فقال: نعم، بأبى أنت و أمى، ذاك على و لى، قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من إصبعه فقال: تختم بها فى حياتى. قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته فى إصبعى، فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم. ثم صاح يا بلال علىّ بالمغفر و الدرع و الرايه و القميص و ذى الفقار و السحاب و البرد و الأبرقه و القضيب. قال: فو اللّه ما رأيتها قبل ساعتى تلك يعنى الأبرقه، فجىء بشقه كادت تخطف الأبصار فإذا هى من أبرق الجنه. فقال: يا على إن جبرئيل آتانى بها و قال: يا محمد اجعلها فى حلقه الدرع، و استزفر بها مكان المنطقه، ثم دعا بزوجى نعال عربيين جميعا، إحداهما مخصوف و الآخر غير مخصوف، و القميصين القميص الذى أسرى به فيه ليله المعراج و القميص الذى خرج به يوم أحد، و القلانس الثلاث قلنسوه السفر و قلنسوه العيدين و قلنسوه كانت يلبسها و يقعد مع أصحابه. ثم قال: يا بلال علىّ بالبغلتين الشهباء و الدلدل، و الناقتين الغضباء و القصواء، و الفرسين الجناح كانت تتوقف بباب المسجد لحوائج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يبعث الرجل فى حاجته فيركبه فيركضه فى حاجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حيزوم و هو الذى كان يقول: أقدم يا حيزوم، و الحمار عفير، فقال: أقبضها فى حياتى. فذكر أمير المؤمنين عليه السّلام: أن أول شىء من الدواب توفى عفير ساعه قبض

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقطع خطامه، ثم مرّ يركض حتى أتى بئر بنى حطمه بقبا فرمى بنفسه فيها فكانت قبره» .
أقول: قال الفيض رضى اللّه عنه فى الوافى فى تقديم ذكر أخذ التراث على قضاء الدين، و إنجاز العدات فى مخاطبه العباس، و بالعكس فى مخاطبه أمير المؤمنين عليه السّلام لطف لا يخفى. قوله رضى اللّه عنه: تبارى الريح أى تسابقه كنى به عن علو همته و تكراره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم القول عليه لإتمام الحجه. قوله: فنظرت الضمير لعلى عليه السّلام بنحو الالتفات فى الحكايه، و السحاب اسم عمامته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، الاستزفار شدّ الوسط بالمنطقه، الشهباء و الدلدل اسمان للبغلتين، الغضباء بالعين المهمله و الضاد المعجمه الناقه المشقوقه الأذن، و القصواء بالقاف و الصاد المهمله المقطوع طرف أذنها و ليس ناقتاه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كذلك، و لكنهما لقبا بذلك، و عفير كزبير اسم لحماره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الخطام بالحاء المعجمه و الطاء المهمله الرفام، و حيزوم اسم فرس جبرئيل، فخاطب صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فرسه بما كان خاطب جبرئيل فرسه بذلك يوم بدر.

و فى البحار (۱)، عن السرائر بإسناده عن حمران بن أعين، قال قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: عندكم التوراه و الإنجيل و الزبور و ما فى الصحف الأولى صحف إبراهيم و موسى؟ قال: نعم، قلت: إن هذا لهو العلم الأكبر! ! قال: «يا حمران لو لم يكن غير ما كان، و لكن ما يحدث بالليل و النهار علمه عندنا أعظم» .

و فيه، عنه (۲)بإسناده عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن عندنا لصحيفه طولها سبعون ذراعا إملاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خطّ على بيده، ما من حلال و لا حرام إلاّ و هو فيها حتى أرش الخدش» .

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۲۰.
۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۲۲.

و فیه، عنه (۱)بإسناده عن حریس الکنانی، قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام و عنده أبو بصیر، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إن داود ورث الأنبیاء، و إن سلیمان ورث داود، و إن محمدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ورث سلیمان و ما هناک، و إنا ورثنا محمدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عندنا صحف إبراهیم و ألواح موسی» .

و فیه، عنه (۲)بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال لی: «یا أبا محمد إن اللّه لم یعط الأنبیاء شیئا إلّا و قد أعطاه محمدا، و قد أعطی محمدا جمیع ما أعطی الأنبیاء، و عندنا الصحف التی قال اللّه: صُحُفِ إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ قلت: جعلت فداک و هی الألواح؟ قال: نعم» .

و فیه، عنه (۳)بإسناده عن عبد اللّه بن سنان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه سأله عن قول اللّه تعالی: وَ لَقَدْ کَتَبْنٰا فِی اَلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ اَلذِّکْرِ ما الذکر و ما الزبور؟ قال: «الذکر عند اللّه و الزبور الذی نزل علی داود، و کلّ کتاب نزل فهو عند العالم، و فی نسخه: فهو عند أهل العلم و نحن هم» .

و فیه، عنه (۴)عن محمد بن الفیض، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «کانت عصا موسی لآدم فصارت إلی شعیب، ثم صارت إلی موسی بن عمران، و إنها لعندنا، و إن عهدی بها آنفا و هی خضراء کهیئتها حین انتزعت من شجرتها، و إنها لتنطق إذا استنطقت، أعدت لقائمنا عجل اللّه فرجه یصنع بها ما کان یصنع موسی علیه السّلام و إنها لتروع و تلقف ما یأفکون و تصنع ما تؤمر به إنّها حیث أقبلت، تلقف ما یأفکون، یفتح لها شعبتان إحداهما فی الأرض و الأخری فی السقف و بینهما أربعون ذراعا تلقف ما یأفکون بلسانها» .

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۱۸۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۱۸۴.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) البحار ج ۲۶ ص ۲۱۹.

و عن أبی حمزه الثمالی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «ألواح موسی عندنا و عصا موسی عندنا و نحن ورثه النبیین» .

و عن أبی سعید الخراسانی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن القائم علیه السّلام إذا قام بمکه، و أراد أن یتوجه إلی الکوفه نادی منادیه: ألا لا یحمل أحد منکم طعاما و لا شرابا، و یحمل حجر موسی بن عمران و هو وقر بعیر، فلا ینزل منزلا إلّا انبعث عین منه، فمن کان جائعا شبع و من کان ظامیا روی، فهو زادهم حتی ینزل النجف من ظهر الکوفه» .

و فی البحار (۱)، عن السرائر، بإسناده عن عبد اللّه بن سلیمان قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «إن السلاح فینا کمثل التابوت فی بنی إسرائیل، کان حیث ما دار التابوت فثم الملک، و حیث ما دار السلاح فثم العلم» .

و فیه (۲)عنه بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «خرج أمیر المؤمنین علیه السّلام ذات لیله علی أصحابه بعد عتمه و هم فی الرحبه و هو یقول: همهمه فی لیله مظلمه خرج علیکم الإمام و علیه قمیص آدم و فی یده خاتم سلیمان و عصا موسی» .

و فی البحار، عن علل الشرائع، بإسناده عن مفضل بن عمر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «أ تدری ما کان قمیص یوسف؟ قال: قلت لا، قال: إن إبراهیم لما أوقدت له النار أتاه جبرئیل علیه السّلام بثوب من ثیاب الجنه و ألبسه إیاه، فلم یضرّه معه ریح و لا برد و لا حرّ، فلما حضر إبراهیم الموت جعله فی تمیمه و علقه علی إسحاق، و علقه إسحاق علی یعقوب، فلما ولد لیعقوب یوسف علقه علیه، فکان فی عضده حتی کان من أمره ما کان، فلما أخرج یوسف القمیص من التمیمه وجد یعقوب ریحه و هو قوله تعالی: إِنِّی لَأَجِدُ رِیحَ یُوسُفَ لَوْ لاٰ أَنْ تُفَنِّدُونِ فهو ذلک القمیص الذی

ص: ۲۲۰

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۲۰۶.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۲۱۹.

أنزل به من الجنه، قلت: جعلت فداك فإلى من صار هذا القميص؟ قال: إلى أهله و كل نبى ورث علما أو غيره فقد انتهى إلى محمد و آله» .

و فيه (۱)عنه بإسناده عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «ترك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من المتاع سيفا و درعا و عنزه و رحلا و بغلته الشهباء، فورث ذلك كله على بن أبى طالب عليه السّلام» .

و فيه (۲)عنه بإسناده عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «عندى سلاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا أنازع فيه. ثم قال: إن السلاح مدفوع عنه لو وضع عند شرّ خلق اللّه كان خيرهم. ثم قال: إن هذا الأمر يصير إلى من يلوى له الحنك، فإذا كانت من اللّه فيه المشيه خرج فيقول الناس: ما هذا الذى كان و يضع اللّه له يده على رأس رعيته» .

و فيه (۳)عنه بإسناده عن حمران، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «سألته عما يتحدث الناس أنه دفعت إلى أمّ سلمه صحيفه مختومه؟ قال: إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما قبض ورث على سلاحه و ما هنالك، ثم إلى الحسن و الحسين عليهم السّلام فلما خشيا أن يفتشا استودعا أمّ سلمه، قال: قلت: ثم قبضا بعد ذلك فصار إلى أبيك على بن الحسين ثم انتهى إليك أو صار إليك؟ قال: نعم» .

و عن أحمد بن أبى عبد اللّه، عن الرضا عليه السّلام (۴)قال: سألته عن ذى الفقار سيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أين هو؟ قال: «هبط به جبرئيل من السماء، و كانت حليته من فضه و هو عندى» . أقول: هذه جمله من الأحاديث بالسنه مختلفه دلّت على أنهم عليهم السّلام ورثه الأنبياء و ورثه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى جميع ما تركوه، و مما خصّوا به من المتاع و العلم و القدره.

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۲۱۱.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۲۱۰.

۳- ۳) البحار ج ۲۶ ص ۲۰۷.

۴- ۴) شرح الزياره للسيد الشبّر رضى اللّه عنه.

و لعمری إن الأحادیث فی هذا الکثیره کما لا یخفی علی المتتبع و فیما ذکر کفایه، و الحمد للّه ربّ العالمین.

قوله علیه السّلام: و المثل الأعلی.

اشاره

قال فی المجمع: و المثل بالتحریک عباره عن قول فی شیء یشبه قولا فی شیء آخر بینهما مشابهه لیبین أحدهما الآخر، و یصوّره و یدنی المتوهم من المشاهد. و إن شئت قلت هو عباره عن المشابهه بغیره فی معنی من المعانی، و إنه لإدناء المتوهّم من المشاهد، کقوله تعالی: مَثَلُهُمْ کَمَثَلِ اَلَّذِی اِسْتَوْقَدَ نٰاراً . و العرب قد تسمّی الصفه و القصه الرائقه لاستحسانها أو لاستغرابها مثلا فتشبه ببعض الأمثال لکونها مستحسنه کقوله تعالی: یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ . و قد یردّ المثل إلی أصله الذی کان علیه من الصفه، فیقال: هذا مثلک أی صفتک، قال تعالی: مَثَلُهُمْ فِی اَلتَّوْرٰاهِ أی صفتهم فیها. . إلی أن قال: و المثل بالکسر: الشبه. یقال: مثله بالسکون، و مثله بالتحریک کما یقال: شبهه و شبهه. . إلی أن قال:

و فی حدیث کمیل عن أمیر المؤمنین علیه السّلام: «یا کمیل مات خزّان الأموال و العلماء باقون ما بقی الدهر أعیانهم مفقوده و أمثالهم فی القلوب موجوده» . قال بعض الشارحین: الأمثال جمع مثل بالتحریک، و هو فی الأصل بمعنی النظیر ثم استعمل فی القول السائر الممثّل الذی له شأن و غرابه. و هذا هو المراد

بقوله: و أمثالهم فی القلوب موجوده، أی حکمهم و مواعظهم محفوظه عند أهلها یعملون بها و یهتدون بمنارها، انتهی. أقول: الظاهر أن المراد من

قوله علیه السّلام: و أمثالهم فی القلوب موجوده، أن العلماء مذکورون بصورهم و أمثالهم الخیالیه فی قلوب من نظر فی علومهم و قرأ کتبهم،

و تلک الصور الخیالیه هی أمثال العلماء لا- أن حکمهم و مواعظهم محفوظه. فإن الکلام منه علیه السّلام مسوق لبیان بقائهم بصورهم المثالیه دون خزّان الأموال، لإبقاء مقالهم فإنها معلوم البقاء من کلّ أحد، و لا- یدل علی امتیازهم عن أهل الدنیا بأنفسهم کما لا یخفی. و بعباره أخری: أن ذکرهم الصوری إنما هو بسبب أقوالهم و إخباراتهم و إیراداتهم للمسائل، فصورتهم المثالی موجوده بذلک لا أن تلک الحکم موجوده. و الوجه فیه أن ما یرجحه العالم فی نظره إنما هو فی الواقع صورته الباطنی، لأن معلوماته الراجحه فی الحقیقه صفاته بذاته، و الصفات صوره الموصوف، التی بها ظهر و إلی کون الرأی و العلم هو الصفه فی أی أمر کان، یشیر قوله تعالی: سَیَجْزِیهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَکِیمٌ عَلِیمٌ (1). فالعلوم و المعارف الباقیه منهم الظاهره فی قلوب المراجعین لها فی الحقیقه صوره للعالم المیت و مثاله، الذی به ظهر لنا فعلا أو هی سبب لذکره هکذا. و یمکن أن یکون المراد

بقوله: و أمثالهم فی القلوب موجوده هو الکنایه عن أنهم بهذه المعارف و العلوم مثابون عند اللّه تعالی بسبب ما خلّفوا من العلوم النافعه. ثم: إن قوله: الأمثال، جمع مثل بالتحریک و هو فی الأصل بمعنی النظیر، قد علمت أن المثل بالکسر هو بمعنی الشبه و النظیر، إلاّ- أنه قد یستعمل المثل بالتحریک فی النظیر أیضا کما لا یخفی. و کیف کان فالمثل بالتحریک هو ما عرفت معناه، و أنه بمعنی الحجه و الحدیث أیضا، و الجمع المثل بضمتین و بمعنی المشابهه بغیره فی معنی من المعانی. و توضیح ذلک: أن المثل یؤتی به فی مقام التمثیل بین شیئین، أحدهما: مجهول و الآخر معلوم لیبین المجهول، فهو عباره عن تنزیل الشیء المجهول عن مرتبه لا یمکن تناوله، و الإحاطه به فیها إلی مرتبه یمکن تعقّله لمن أرید منه أن یتعقل

۱- ۱) الأنعام:۱۳۹.

للمناسبه الكائنه بهما فی المرتبه الثانیه دون المرتبه الأولی مثل أن ترید إثبات أن الضدین لا یجتمعان، فتفرض لمن أردت تعلیمه اللیل و النهار، و إن اللیل إذا تحقق ینتفی النهار و بالعکس فتقرب بـذلک فی ذهن المتعلم أن کلّ ما کانا کـذلک فهما ضـدان، فحقیقه المثـل عبـاره عن مرتبه تفصـیل الشـیء و تبیینه. و ذلـک یختلف بالنسبه إلی مراتب الأمثال و الممثلات. إذا عرفت هـذا فاعلم: أنه لا یمکن أن یراد من المثل فی الزیاره بمعنی المثل بالکسر لأنه بمعنی الشبه و النظیر. و لا معنی لکونهم علیهم السّلام شبه غیرهم و نظیر غیرهم، فـإن الغیر إن کـان هـو غیر اللّه، فلازمه أن یکـون ذلـک الغیر هو أشـرف منهم حیث شـبهوا به. و من المعلوم أنهم خیر خلق اللّه فلا یکونون نظیرا لغیرهم، و إن کـان هو اللّه فمعلوم أنه تعـالی لا شـبه له و لا نظیر، قال تعالی: لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ (۱). نعم: قد یتکلف و یقال: إنه یمکن أن یراد من المثل بالکسر فحینئذ کونهم علیهم السّلام مثله الأعلی یراد منه ما توضـیحه: إن النفس یمکن تجریدها عن أی اعتبار لها بحیث لا یمکن الإشاره إلیها فی صـقع ذلک التجرّد، فهی فی تلک الحال خلق اللّه تعـالی بالخلق الأول العاری عن أی شـیء، فهی حینئـذ صـفه بها یعرف اللّه تعالی بصـفه التجرد أی من تجردها یستدل علی تجرده تعالی. و لعلّ

قوله علیه السّلام: «من عرف نفسه فقـد عرف ربّه» ، یشـیر إلی هـذه الکیفیه من المعرفه المستلزمه لمعرفه الرب فی التجرد أیضا. فاللّه سبحانه خلقها أولا هکـذا لیعرفها کـذلک، و أنه تعالی تجلی بها لها هکذا، و هی کذلک ذات العبد المعبر عنها بأنا. فذات العبد فی تلک الحال تعرف نفسها محدثها فقط، و أنه مجرد خلق هذا المجرد، فحینئذ یعرف خالقها کذلک أی بعد تجردها عن الاعتبارات و درکه

۱- ۱) الشوری:۱۱.

وجودها لاـ محاله أول ما يظهر له أن لها محدثا و خالقا و من كونها مجردا يعلم أن خالقها مجرد. و بعباره أخرى: حيث إنها حينئذ أثر فعله تعالى، فتدل عليه تعالى بأصل إيجاده تعالى إياها، لأن الموجود أثر الإيجاد و الإيجاد أثر الموجد. فهو تعالى حينئذ قد تعرف نفسه لهذه النفس المجرده بإيجادها كذلك، فهى بهذه الجهه موحّده لخالقها بأنه موجد وحدانى غير متكثر لما يرى فى نفسه التجرد الموجود به تعالى. و لعلّه إليه يشير أيضا قوله تعالى: فِطْرَتَ اَللّٰهِ اَلَّتِي فَطَرَ اَلنّٰاسَ عَلَيْهٰا (۱)بأن يراد من الفطره هى النفس المجرده عن أى اعتبار فهى أثر التوحيد، فالنفس حينئذ لتجرده مثل صفه تجرده تعالى. و حينئذ نقول: إذا ثبت وجود المثل فى النفوس المجرده، أى مثل صفته تعالى فى التجرد لا مثل ذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا، و هى إن صفه تجرد النفس صفه خلق لا تشبه شيئا من الخلق، فقد ثبت أن لصفته مثلا بالكسر. ثم إن تلك الأمثال النفسانيه بالمعنى المذكور تختلف اختلافا كثيرا متفاوتا تفاوتا كثيرا. و لكن أعلى تلك الأمثال محمد و آله (صلى اللّه عليهم أجمعين) فهم المثل الأعلى (بكسر الميم بهذا المعنى) . و وجه كونهم أعلى الأمثال أن قربهم إليه تعالى و طهارتهم الذاتيه عن كلّ دنيّه، و أنهم أول خلق اللّه دون غيرهم، فإنهم خلقوا من نور عظمته كما تقدمت الإشاره إليه. فكلّ هذا يقتضى أنهم أعلى المثل فى التجرد لصفه تجرده تعالى، فافهم و لا تزل قدما بعد ثبوتها، و اللّه الهادى إلى الصواب.

۱- ۱) الروم:۳۰.

ثم إنه قد يقرأ المثل بضمتين فهو حينئذ جمع المثل بالكسر، و حينئذ لا يصح إلّا بما ذكر كما لا يخفى. و قد يقال أيضا فى وجه كون المثل بالكسر: أمر آخر. و حاصله: أنه ثبت إن جميع الموجودات أسماء له تعالى، كما يستفاد من حديث حدوث الأسماء و غيره. و معلوم أن الاسم صفه لمسمى كما تقدم، فجميع الموجودات صفاته تعالى المحدثه الموجوده بإيجاده تعالى، فهى بأجمعها تدل على محدثها تبارك و تعالى و هى سمه للمسمى و علامه له. و حينئذ نقول: معنى أنهم عليهم السّلام المثل الأعلى (بكسر الميم) أنهم عليهم السّلام بحقيقتهم الأسمائيه الخفائيه مثل تلك الموجودات، التى هى صفات و أسماء محدثه داله عليه تعالى لا- مثل ذاته تعالى فإنه كفر و زندقه كما علمت. فالمماثله بين ذاتهم المقدسه و بين تلك الموجودات الأسمائيه كما لا يخفى. و أما كونهم المثل الأعلى بصفه الأعلائيه، فلأنّ دلالتهم عليه تعالى بذواتهم و صفاتهم أدلّ و أعلى منساير الموجودات كما

قال على عليه السّلام: «ما للّه نبأ أعظم منى، و لا آيه أكبر منى» ، و الآيه هو العلامه كما لا يخفى. و الحاصل: أن ذاته تعالى لا شبه له و لا نظير أبدا. فإن أطلقت المماثله فى الخلق فإنما هى بين أفرادها بعضها بالنسبه إلى البعض، فإن المخلوق مهما كان لا طريق له إلى حريم الذات، تعالى و تقدس و إنما يدور فى أنواعها. و لعلّه إليه يشير

قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «انتهى المخلوق إلى مثله و ألجأه الطلب إلى شكله» ، فافهم و تدبر تعرف. و كيف كان: فالظاهر أن يراد منه المثل بالتحريك، فحينئذ فهم عليهم السّلام مثل له تعالى بما له من المعانى. أما على كونه بمعنى الحجه فإنهم آيه اللّه و حججه و الأمثال التى ضربها اللّه

لخلقه. و أما كونه بمعنى القصه فهم عليهم السّلام قصه الحقّ بل و صفته. فإن من نظر فى أحوالهم عليهم السّلام و صفاتهم يرى أنها تقص عليه أحوال الأنبياء فى أنفسهم و مع أممهم، فكلّ ما كان فى سنه الأولين تجده فيهم فهم عليه السّلام بذواتهم و صفاتهم و أفعالهم حجج اللّه و آياته، و قصص اللّه الحق لما مضى، و اخبار اللّه الصدق عما يأتى. و هم هدى اللّه و سننهم سنن اللّه، و طريقهم و سبيلهم طريقه و سبيله، و لهذا فرض اللّه طاعتهم على الخلق، و لأنهم العالمون بكلّ ما يحتاج إليه الرعيه، محفوظون عن الخطإ و الغفله و السهو و الذنب الصغير و الكبير، و دعواتهم مستجابه و معجزاتهم ظاهره و براهينهم باهره، فمن اتبعهم و آمن بهم نجا و من تخلف عنهم هلك. و لعلّ إلى هذه المعانى يشير ما

فى الكافى عنه عليه السّلام من قوله عليه السّلام: «اعرفوا اللّه باللّه، و الرسول بالرساله، و أولى الأمر بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر» يعنى أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر صفه أولى الأمر، فإذا لم يجده العارف فيهم لم يكونوا أولى الأمر، لأن الشيء الذى ينسب إلى صفه إنما يعرف بتلك الصفه لا بغيرها. و أما كونهم عليهم السّلام المثل الأعلى له تعالى بمعنى المشابهه بالغير فى معنى من المعانى على ما عرفت تحقيقه فنقول:

هنا مقامان:

الأول: فى بيان المعنى المتحقق به أنهم المثل (بالتحريک) له تعالى.

و الثانى: فى بيان أنهم المثل الأعلى دون غيرهم،

اشاره

فنقول: أما الأول: فى بيان المعنى المتحقق به أنهم المثل (بالتحريک) له تعالى. قد دلت الآيات و الأحاديث على أن المثل الأعلى مختص به تعالى قال اللّه تعالى: وَ لِلّٰهِ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلىٰ .

فعن توحيد الصدوق عن الصادق عليه السّلام قال:

وَ لِلّٰهِ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلىٰ الذى لا يشبه شيء، و لا يوصف و لا يتوهم فذلك المثل الأعلى.

ص: ۲۲۷

و قیل: قوله: وَ لِلّٰهِ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلىٰ یعنی التوحید و الخلق و الأمر و نفی کلّ إله سواه و ترجم عن هذا بقول لا إله إلاّ اللّه. و قیل: معناه الوصف العجیب الشأن، الذی لیس لغیره ما یساویه و لا یدانیه. أقول:

قوله علیه السّلام: التوحید و الخلق و الأمر هو الوصف العجیب الشأن، فإن التوحید أمر عجیب لم یصل إلیه أفهام الأوحدی فضلا عن غیرهم إلاّ من علمه اللّه و أراه ذلک، و کذلک کیفیه الخلق و الأمر الذی من عالم الأمر. و یجمع هذه المعانی نفی کلّ إله سواه. و یدل علی هذا الجامع بهذه المعانی قول لا إله إلاّ اللّه کما لا یخفی. فحقیقه هذه المذکورات کلّ واحد منها مثل له تعالی، لا یکون ممثله غیره تعالی بل ینحصر فیه تعالی، و یدل علی هذا الانحصار لام الاختصاص فی قوله تعالی: وَ لِلّٰهِ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلىٰ فالمثل الأعلی بالقول المطلق مختص له تعالی. و بعباره أخری: المثل المفسّر بالتوحید، و الخلق و الأمر المحکی بقول لا إله إلاّ اللّه مختص به تعالی لاختصاصه تعالی بالتوحید و الخلق و الأمر. ثم إن هذا المثل الأعلی المختص به تعالی لا بد له من مظهر یکون مثلا لهذا المثل الأعلی المختص به، و هذا لا یکون إلاّ بکون الأئمه علیهم السّلام مثلا له تعالی بالمثل الأعلی، أی انعکس فیهم علیهم السّلام حقیقه أمثاله العلیا، فهم علیهم السّلام حینئذ الأمثال العلیا بما ظهر فیهم تلک الأمثال العلیا کانعکاس ضوء فی مرآه من مرآه أخری. فبلحاظ الانعکاس یصح أن یقال: إنهم المثل الأعلی له تعالی أی هم المظاهر لأمثاله العلیا، و مع قطع النظر عن هذا الانعکاس فله تعالی المثل الأعلی لا غیر، و بهذا یجمع ما فی التوحید من

قوله علیه السّلام:

وَ لِلّٰهِ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلىٰ أی الذی لا یشبهه شیء إلخ، و ما دلّ من الأحادیث الکثیره علی أنهم المثل الأعلی.

ففی المحکی عن فرات بن إبراهیم و غیره عن جماعه کالصادق علیه السّلام و ابن عباس و غیرهما، أن علیا علیه السّلام قال فی بعض خطبه، و نقله جابر الأنصاری عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال: «نحن المثل الأعلی و سبیل الهدی و کلمه التقوی و الحجه العظمی» .

و قال فی وجه الجمع فی مقدمه تفسیر البرهان: و لعلّ المراد کونهم علیهم السّلام معناه بحسب التأویل. أقول: الظاهر أن المراد من التأویل هو ما ذکرنا من کونهم علیهم السّلام مظاهر لتلک الأمثال المختصه به تعالی بالنحو المذکور آنفا. و قال بعض الأکابر (۱): إن المثل محرکه الحجه و الحدیث و الصفه. فالمراد من

قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: نحن المثل الأعلی و من قوله هنا: المثل الأعلی، أنهم الحجه العلیا أو الصفه العلیا کما تقدم. أو المراد منه أن اللّه تعالی مثل بهم فی القرآن فی آیه النور و غیرها. أقول: تقدم قول الصادق علیه السّلام فی تفسیر آیه النور فی شرح

قوله علیه السّلام

و مصابیح الدجی ، فقال: هو مثل ضربه اللّه لنا،

و قوله علیه السّلام: مثلنا فی کتاب اللّه عز و جل کمثل مشکوه، و تقدم هناک ما یوضح المراد هنا، فراجع. و یدل علی أن اللّه تعالی مثل لهم فی القرآن ما یحکی

عن کتاب الإبانه عن علی علیه السّلام أنه قال فی حدیث له علیه السّلام: و بنا ضربت الأمثال، أی کل مثل خیر عال جلیل ضربه اللّه فی القرآن فإنما هو فیهم و بهم و لهم، أی هم علیهم السّلام مظاهره بنحو تقدم، فظهر مما ذکرنا أنهم علیه السّلام أمثال له تعالی بمعنی أنهم مظاهر لأمثاله تعالی. فهم المثل و المثل هو المثل المختص به المشار إلیه بقوله: وَ لِلّٰهِ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلیٰ (۲)و قوله: وَ لَهُ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلیٰ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (۳).

[و الثانی فی بیان أنهم المثل الأعلی دون غیرهم]

و حینئذ کونهم علیه السّلام مظاهر لمثله الأعلی بحیث قد انعکس فیهم حقیقه مثله الأعلی علی وجوه.

الأول: [قول الصادق علیه السلام و لله المثل الأعلی]

أنه قال الصادق علیه السّلام کما تقدم: و للّه المثل الأعلی الذی لا یشبهه شیء. .

۱- ۱) هو الشیخ صاحب مقدمه تفسیر البرهان.

۲- ۲) النحل:۶۰.

۳- ۳) الروم:۲۷.

إلخ، و معناه تنزيهه تعالى عن وصف و مثل فى الخلق، أى كلما ذكر وصف شريف أو وضيع، أو ضرب مثل دنى أو رفيع، وجب أن يقال: اللّه تعالى أكبر من أن يوصف بهذا الوصف، أو يمثل بهذا المثل و أجل من أن يكيف بهما ضروره أنه تعالى أعلى من أن يمثل أو يشبه، و هو أيضا أعظم من أن يقاس بالباب الخلق، و أرفع من أن يعرف كيف هو فى سرّ و علانيه إلّا بما دلّ على نفسه فى كتابه و لسان أنبيائه. ففى كلّ مقام التمثيل الذى هو تحديد و توصيف و تكييف لا بد من أن يقال: هو أكبر و أعلى من أن يمثل أو يكيف و أعظم من أن يوصف. فهذا التنزيه المشار إليه

بقوله عليه السّلام: الذى لا يشبهه شيء، و الذى شرحناه إنما هو يظهر فيهم عليهم السّلام فإنهم عليهم السّلام نزهوه هكذا بذاتهم و صفاتهم و أفعالهم و أقوالهم دون غيرهم. فالمثل الأعلى بهذا المعنى التنزيهى كان فيهم، أى ظهر فيهم و هم مظاهره، و منه علم كونهم مثلا- بنحو الأعلى كما لا يخفى. إذ ليس غيرهم مصداقا يبين هذا التنزيه بما يليق بجنابه، كما لا يخفى فافهم تعرف بعون اللّه تعالى.

الثانى: أن حقيقه المثل الأعلى الدال على تنزيهه تعالى،

و على نفى تشبيهه، و نفى كونه تعالى معلوما لأحد بالكنه، و نفى إحاطه أحد به تعالى بحيث يكون محاطا و العياذ باللّه هو خلقه تعالى و ملكه، أى أنه تعالى خلق هذه الحقيقه و يملكها، نظير

قول السجاد عليه السّلام: «لك يا إلهى وحدانيه العدد أى هى لك و ملكك و خلقك فلا محاله لا تجرى عليك» . و بعباره أخرى: أن المثل الذى به يعرف اللّه تعالى من أنه ليس كمثله شيء و لا ضد له و لا ندّ له و لا شريك. و أمثال هذا من الأمور الداله على التوحيد الخالص بحسب الإمكان هو آيه ضربها اللّه تعالى، لكى يعرف بها، و هو مثل أعلى لمعرفته تعالى، التى هى ظهوره

لخلقه بهذه المعرفه. و هذا المثل فى كلّ شخص يكون منه أثر، و هو مظهر له و مصداق لهذا المثل بنحو يخصه إلّا أن أعلى هذا المثل هو محمد و آله الطاهرون صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. فهم حينئذ المثل الأعلى يعنى بذواتهم و هياكلهم و ساير شئونهم مظاهر التوحيد. فهم هياكل التوحيد، و هم أول هيكل خلقه اللّه تعالى و هم الأربعه عشر، (محمد و الأئمه و فاطمه الزهراء) (سلام اللّه عليهم أجمعين) . و حاصله: أن المثل الأعلى الذى له تعالى هو ما دلّ على توحيده، و هو مملوكه و خلقه و جار فيهم، و كلّ خلق له حظ منه إلّا أن محمدا و آله الطاهرين أعلى مظاهر ذلك المثل الأعلى، و اللّه الهادى إلى الصواب.

الثالث: أن معنى كونهم المثل الأعلى أنه تعالى خلقهم على أحسن صوره يقتضيها الإمكان،

و هى ما هم عليهم من الهيئه و الكينونه الحسنه المشار إليها بقوله: لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ (١). إذ المراد به كما فى الحديث هو الإنسان الكامل و هو محمد و آله الطاهرون. و قوله: ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِینَ (٢)يعنى رددناه إلى أقبح صوره يحتملها الإنسان و هو الإنسان الناقص و هم أعداء آل محمد (لعنهم اللّه) ، قال اللّه تعالى: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَدْعُونَ إِلَی اَلنّارِ وَ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ لا یُنْصَرُونَ وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هٰذِهِ اَلدُّنْیا لَعْنَهً وَ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ هُمْ مِنَ اَلْمَقْبُوحِینَ (٣)ففى يوم القيامه يظهر أنهم من المقبوحين، لأنه تبلى فيه السرائر كما لا يخفى. فالصوره الإنسانيه أعلاها و أحسنها هو صوره محمد و آله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أقبحها صوره أئمه المنافقين. و أما ما بين الصورتين فما قرب منها من الأحسن أحسن، و ما

١- ١) التين:۴.

٢- ٢) التين:۵.

٣- ٣) القصص:۴١ و ۴٢.

قرب منها إلى الأقبح أقبح. فمحمد و آله صلّى اللّه علیه و آله و سلّم المثل الأعلى أى فى عالم الصور الإمكانيه الإنسانيه هم علیهم السّلام أعلاها و أحسنها مثالا، و اللّه الهادی.

الرابع: أن حقائق أفراد الإنسان حسب ما اقتضته قابلياتها و حدودها صورا ظاهره و باطنه

على أقسام أربعه. فإن منها: ما يكون صورته حسنه ظاهرا و باطنا. و منها: ما هو بالعكس و هو ما كانت صوررته قبيحه ظاهرا و باطنا. و منها: ما صورته حسنه ظاهرا و قبيحه باطنا. و منها: بالعكس، فأحسن الأقسام هو الأول ثم الأخير ثم الثالث و أردأ الصور هو الثانى كما لا يخفى. ثم إن كلّا منها على جهه التشكيك لاختلاف المشخصات من مكملات القابليات. فالقسم الأول و هو ما كانت صورته حسنه ظاهرا و باطنا أعلاها و أحسنها صور محمد و آل محمد صلّى اللّه علیه و آله و سلّم. و الوجه فيه ما أشار إليه قوله تعالى: إِنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً و ما فى الأحاديث الداله على أنه تعالى خلقهم فأحسن صورهم و قد تقدم بعضها، و تلك الصور إنما كانت حسنه ظاهرا و باطنا، لأن مادتها و مشخصاتها و قوابلها و مكملاتها كلّها أنوار لا ظلمه فيها. و قد تقدم أن طينتهم من العليين بعد ما كانت أرواحهم و أنوارهم مخلوقه من نور عظمه اللّه تعالى، فحقائقهم موجوده طبق ما أراد اللّه المشار إليها بآيه التطهير، و لهذه الطهاره الكامله صاروا محلا لمشيه اللّه و مظاهر لأسمائه الحسنى، و لأنها بلغت إلى الكمال كادت أن تكون مطلقه بحيث لا تتوقف إضائتها و إفادتها إلى شرط كما أشار إليه تعالى: يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ (1)و ذلک لتخلصها من

۱- ۱) النور:۳۵.

الموارد و التركيبات التكوينيه. فلهذه الجهات كلّها اصطفاها اللّه تعالى و ارتضاها و اختصها و اختارها و اصطفاها لنفسه، فأضافها إلى نفسه بأن جعلها أمثالا له المشار إليه بقوله: وَ لَهُ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلىٰ ، كما أضاف البيت لشرافته إلى نفسه فقال: بيتى، فهم عليهم السّلام بهذه المرتبه التى لا يدانيها مزيه الخلق كانوا أمثاله العليا، و اللّه الموفق للصواب.

الخامس: أن الشيء كالإنسان مثلا إنما يعرف بأحواله الطارئه عليه

من العلم و القدره و الروح و النفس و العقل، و الوجود و الماهيه و الذات و الصفات، و الأفعال من القيام و القعود و ساير الحالات العارضه له من الأقوال و الهيئات المختلفه. و كلّ هذه فى الحقيقه أبدال له و أمثال له فهو يظهر على البدل فى هذه الأمثال. ثم إنه تعالى لما كانت ذاته المقدسه منزهه عن كلّ عارض يعرض الخلق مما ذكر، و هو مع ذلك يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، و يداه مبسوطتان ينفق ما يشاء و هو تعالى فى كلّ يوم فى شأن. و قد ثبت بالأحاديث المسلمه التى سبقت أنهم عليهم السّلام أسماؤه الحسنى، و معناه أنه تعالى يفعل فى الخلق بأسمائه، فلا محاله هم عليهم السّلام فى كلّ اسم له تعالى مظهره، كما أشير إليه فى حديث جابر المتقدم شرحه من

قوله عليه السّلام: «يا جابر عليك بالبيان و المعانى، قال: قلت: و ما البيان و المعانى؟ قال: فقال عليه السّلام: أما البيان: فهو أن تعرف اللّه سبحانه ليس كمثله شيء، فتعبده و لا تشرك به شيئا، و أما المعانى: فنحن معانيه و نحن جنبه و يده و لسانه و أمره و حكمه و علمه و حقه، إذا شئنا شاء اللّه و يريد ما نريده» ، الحديث.

فقوله: و نحن جنبه. . إلخ يشير إلى أن ما تصف به الحقّ من الصفات المؤثره فى الخلق، و الظاهره فيه من الجنب و اليد و اللسان و الأمر و نحوها مما هو أمثاله تعالى حيث بها يظهر فى الخلق و هى شئونه تعالى فإنما هو هم عليهم السّلام و هى جاريه فيهم و قائمه بهم عليه السّلام أمثاله تعالى، أى انطبقت تلك الأمثال فيهم فهم مصاديقها و هم لا

محاله مصداق لمثاله تعالی. حیث علمت أن تلک الصفات أمثال له تعالی بها عرف فی الخلق. و هذه الأمور و الصفات ببعض مصادیقها النازله جاریه فی سایر الخلق أیضا. کما أشار إلیه

فی حدیث أمیر المؤمنین علیه السّلام و قد سئل عن العالم العلوی فقال علیه السّلام: صور عاریه عن المواد، عالیه عن القوه و الاستعداد، تجلی لها فأشرقت، و طالعها فتلألأت، و ألقی فی هویتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، و خلق الإنسان ذا نفس ناطقه إن زکاها بالعلم و العمل فقد شابهت أوائل جوهر عللها، فإذا اعتدل مزاجها، و فارقت الأضداد فقد شارک بها السبع الشداد. . إلخ، و سیجیء بتمامه و شرحه.

فقوله علیه السّلام: و ألقی فی هویتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، یرید بالمثل الذی ألقاه فی هویتها ما أشرنا إلیه سابقا، و هو ما تعرف سبحانه لها من وصف معرفته، الذی هو أی ذلک الوصف ذاتها أی ذات تلک النفوس الإنسانیه، إذ لیس لها حقیقه و هویه سوی ذلک الوصف الملقی فیه. فالإنسان بحقیقته مثال له تعالی، الذی یعرف نفسه فیه، و هو ذو شئون فی الإنسان، فبجمیع شئونها مثال له تعالی به المعرفه و التجلی الإلهی إلاّ أن هذا له مراتب و أعلاها و أرفعها یکون فی محمد و آله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. فهم حینئذ المثل الأعلی أی الوصف الإلهی الظاهر فی الخلق، لتعرفه تعالی بالوجه الأتم الأکمل إنما هو ذواتهم المقدسه فأفهم تعرف إن شاء اللّه. و مما ذکرنا من الوجوه الخمسه یعلم وجه کونهم أعلی المثل (محرکه) و لا أعلی منهم فی المثل له تعالی، و مع ذلک نزید له توضیحا. فنقول: إن الأمثال له تعالی کثیره فی الخلق کما علمت، کما قال تعالی فی حقّ عیسی (علی نبینا و آله و علیه السّلام) : . وَ لَمّٰا ضُرِبَ اِبْنُ مَرْیَمَ مَثَلاً إِذٰا قَوْمُکَ مِنْهُ یَصِدُّونَ. وَ قٰالُوا أَ آلِهَتُنٰا خَیْرٌ أَمْ هُوَ مٰا ضَرَبُوهُ لَکَ إِلاّٰ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ

إِنْ هُوَ إِلاّٰ عَبْدٌ أَنْعَمْنٰا عَلَيْهِ وَ جَعَلْنٰاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرٰائِيلَ

(۱)

.

فعن الكـافی، عن أبی بصـير قـال: بينا رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم ذات يوم جالس إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السّـلام فقـال له: «إن فيک شـبها من عيسـی بن مريم، لو لا أن تقول فيک طوائف من أمتی ما قالت النصاری فی عيسـی بن مريم، لقلت فيک قولا لا تمرّ بملإ من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميک يلتمسون بذلک البرکه، قال: فغضب الأعرابيان و المغيره بن شعبه و غيره من قريش معهم. فقالوا: ما رضی أن يضرب لابن عمه مثلا إلاّ عيسی بن مريم، فأنزل علی نبيه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: وَ لَمّٰا ضُرِبَ اِبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً . إلی قوله: لَجَعَلْنٰا مِنْكُمْ يعنی من بنی هاشم مَلاٰئِكَةً فِي اَلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ إلخ، فلما سـمعوا ذلک قال المنافقون: إنما ذکر ذلک و شـبهه بعيسـی بن مريم لأنه يريد أن نعبده کما عبد النصاری عيسی عليه السّلام» . و بهذا المعنی قال أئمه المنافقين: إنما نصّ صلّی اللّه عليه و آله و سلّم عليه عليه السّلام ليتولی علينا، فنحن أولی منه، فقوله تعالی حکايه عنهم: أَ آلِهَتُنٰا خَيْرٌ أَمْ هُوَ أراد سبحانه الحکايه عن أئمه المنافقين يقولون: ء آلهتنا أولی بالاتباع و العباده خير، أم هو أی أم ولايه علی عليه السّـلام و طاعته. و قال اللّه تعالی حينئذ لنبيّه: ما ضـربوه أی هذا المثل إلاّ جدلا يعنی حين ضـربنا لهم المثل الحقّ بأن جعلنا لهم عيسـی فيهم مثلا لولينا فی سائر خلقنا، ضـربوا فی معارضـتک يا محمـد المثل الباطل جـدلا منهم ليدحضوا به الحقّ فقالوا: ء آلهتنا خير أم هو. أی ما يريد محمد بقوله فی علی. و اعلم أن الفرق بين المثل و الجدل کما عن بعضـهم: أن المثل دليل الحقّ و أن الجـدل دليل الباطل، فعبّر تعالی عن دليلهم الباطل بالجـدل، کما عبّر عن دليل الحقّ له تعالی بالمثل فتـدبر. و کيف کان فمن هذه الآيه و الحديث، يعلم أن المثل يطلق فی الخلق علی غيرهم

۱- ۱) الزخرف:۵۷-۵۹.

كعيسى و نحوه، و هو كثير فى القرآن و الأخبار، و لكنه سبحانه ما خلق شيئا إلّا و هو مثل لشىء، و له أيضا مثل حتى أن الدنيا الدنيه ضرب اللّه لها مثلا فقال: إِنَّمٰا مَثَلُ اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا كَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ اَلْأَرْضِ (1). إلّا أن الأمثال تتفاوت فى الدرجات كما علمت حتى تنتهى إلى أعلى الدرجات إمكانا و هى محمد و آله الطاهرون، فهم المثل الأعلى و ليس فوقهم مثل. نعم فى الأشياء مثلهم و مثل لهم بالنسبه إلى بعض شئونهم، و أما هم بذواتهم المقدسه المثل الأعلى له تعالى.

و عن المجمع: يا على إنما مثلك فى هذه الأمّه كمثل عيسى بن مريم.

و عن العيون، عنه عليه السّلام عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن على عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلى عليه السّلام: «يا على أنت حجه اللّه، و أنت باب اللّه، و أنت الطريق إلى اللّه، و أنت النبأ العظيمم، و أنت الصراط المستقيم، و أنت المثل الأعلى. فهم عليهم السّلام المثل الأعلى و الحجه الكبرى. ثم إن المقصود من كونهم المثل الأعلى أن للّه تعالى معرفه و عرفانا لا يمكن الوصول إليه إلاّ بالمثل، و لا مثل له تعالى إلّا ذواتهم المقدسه، و ذلك أنّ المعانى قد تكون غامضه فى الدقه و الخفاء و فى العقل، بحيث يحتاج فى بيانه إلى المثال لتقريبه إلى الذهن، كما علمت سابقا فيبين ذلك بالمثال. و من المعلوم أن معرفته تعالى من أغمض الأمور خفاء، فهو و إن ضرب له تعالى الأمثال فى الخلق. كلّ يبين شأنا من شأنه إلّا أن المثل الأعلى الذى يبين معرفته هو منحصر فيهم عليهم السّلام. و قد فسرناه بالوجوه الخمسه المتقدمه فبها يعرف اللّه تعالى، فهم عليهم السّلام مثله الأعلى فى جميع الأمور الباطنه من المعارف، و الظاهره من القدره و الأفعال و ساير شئونه الظاهره، فهم عليهم السّلام فى جميع تلك الأمور أمثاله العليا (صلوات اللّه عليهم

۱- ۱) يونس:۲۴.

أجمعين) بحيث بهم يعرف و يعلم و يبين شئونه تعالى. و قد علمت أن لهم فى القرآن الأمثال العليا فى قوله تعالى: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ كما تقدم و هى تدل على حسن شأنهم و عظم حالهم عنده تعالى و قرب منزلتهم لديه، رزقنا اللّه تعالى معرفتهم و الكون معهم فى الدارين بمحمد و آله. فإن حقيقه أرواحهم لا يكاد يصل إلى معرفتها إلاّ من سبقت له من اللّه الحسنى و كان من شيعتهم المخلصين، و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و الدعوه الحسنى.

أقول: الدعاء جاء فى اللغه على معان:

منها: النداء المتعدى إلى مفعول واحد. و منها: التسميه التى تتعدى إلى مفعولين. و منها: السؤال. و منها: العباده، و بجميع هذه المعانى جاء فى التنزيل. فالأول: قوله تعالى: أُجِيبُ دَعْوَةَ اَلدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ (١). و الثانى: قوله تعالى: قُلِ اُدْعُوا اَللّٰهَ أَوِ اُدْعُوا اَلرَّحْمٰنَ (٢). و الثالث: قوله تعالى: وَ اُدْعُوا شُهَدٰاءَكُمْ (٣). و الرابع: قوله تعالى: قُلْ مٰا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لاٰ دُعٰاؤُكُمْ (۴). و له مصاديق أخر مذكوره فى محله، هذا إذا كان ثلاثيا، و سيجىء فى شرح

قوله عليه السّلام:

«الأئمه الدعاه»

حيث إنها جمع داعى بيان معناه.

ص: ٢٣٧

١- ١) البقره:١٨۶.

٢- ٢) الإسراء:١١٠.

٣- ٣) البقره:٢٣.

۴- ۴) الفرقان:٧٧.

و أما إذا عدی بباب الأفعال فیقال: ادعیت الشیء أی طلبته لنفسی، و منه الدعوه فی الطعام اسم من دعوت الناس إذا طلبتهم لیأکلوا عندک، و الاسم الدعوی، و دعوی فلان کذا أی قوله کذا. و منه

قوله علیه السّلام:

و الدعوه الحسنی

أی یدعون الناس إلی مقاصد الحق، و هی قولهم علیهم السّلام أیضا و التوصیف بالحسنی أی أنها حسنه بذاتها و بالنسبه إلی سایر الدعاوی.

هذا و أن الدعوی الحسنی یراد بها فی المقام وجوه.

الأول: أن المراد بها أی الدعوه الولایه

فإنها هی المقصود من بعثه الأنبیاء حتی النبیّ الأکرم.

فعن أصول الکافی بإسناده عن الثمالی، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «أوحی اللّه إلی نبیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: فاستمسک بالذی أوحی إلیک إنک علی صراط مستقیم، قال: إنک علی ولایه علی و علی هو الصراط المستقیم» .

و فی بصائر الدرجات بإسناده عن أبی حمزه قال: سألت أبا جعفر عن قول اللّه تبارک و تعالی: وَ مَنْ یَکْفُرْ بِالْإِیمٰانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ إلی أن قال: و قال أبو جعفر علیه السّلام: إن علیا آیه لمحمد و إن محمدا یدعو إلی ولایه علی» ، الحدیث.

فعن ابن شهرآشوب فی مناقبه عن الرضا علیه السّلام فی قوله تعالی: کَبُرَ عَلَی اَلْمُشْرِکِینَ مٰا تَدْعُوهُمْ إِلَیْهِ قال: یعنی کبر علی المشرکین بولایه علی علیه السّلام ما تدعوهم إلیه من ولایته علیه السّلام.

و فی بصائر الدرجات بإسناده عن أبی بصیر قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «ولایتنا ولایه اللّه التی لم یبعث اللّه نبیا قط إلاّ بها» ، و نحوه کثیر و قد تقدم. فحینئذ معناها أنکم أهل الولایه التی هی الدعوی المقصوده فی بعثه کلّ نبی و هی الولایه الحسنه التی لا شیء أحسن منها.

و الثانی: أن المراد بالدعوه الحسنی دعوه إبراهیم علیه السّلام

و هذه أشیر إلیها فی

الآیات علی أنحاء، منها: قوله تعالی: وَ اِجْعَلْ لِی لِسٰانَ صِدْقٍ فِی اَلْآخِرِینَ (۱).

فعن تفسیر علی بن إبراهیم و قال: قال علی بن إبراهیم رحمه اللّه فی قوله عز و جل: وَ اِجْعَلْ لِی لِسٰانَ صِدْقٍ فِی اَلْآخِرِینَ قال: هو أمیر المؤمنین علیه السّلام.

و فی تفسیر البرهان، ابن بابویه بإسناده عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه عز و جل: وَ إِذِ اِبْتَلیٰ إِبْرٰاهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ إلی أن قال: ثم الحکم و الانتهاء إلی الصالحین فی قوله رَبِّ هَبْ لِی حُکْماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصّٰالِحِینَ یعنی بالصالحین الذین لا یحکمون إلاّ بحکم اللّه عز و جل، و لا یحکمون بالآراء و المقاییس حتی یشهد له من یکون من بعده من الحجج بالصدق. بیان ذلک فی قوله: وَ اِجْعَلْ لِی لِسٰانَ صِدْقٍ فِی اَلْآخِرِینَ أراد فی هذه الأمه الفاضله، فأجابه اللّه و جعل له و لغیره من الأنبیاء لسان صدق فی الآخرین، و هو علی بن أبی طالب علیه السّلام و ذلک قوله تعالی: وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ لِسٰانَ صِدْقٍ عَلِیًّا ، الحدیث. فدعوه إبراهیم علیه السّلام هو أن یجعل اللّه تعالی له لسان صدق فی الآخرین أی الأمم الآتیه، و هذه الأمه الفاضله فأجاب اللّه تعالی دعوته فی علی بن أبی طالب علیه السّلام فهو دعوه إبراهیم علیه السّلام. ثم إنه علیه السّلام أشهد علی ذلک بقوله تعالی: وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ لِسٰانَ صِدْقٍ عَلِیًّا . و منها: قوله تعالی: وَ جَعَلَهٰا کَلِمَةً بٰاقِیَةً فِی عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (۲).

فعن الاحتجاج للطبرسی رحمه اللّه عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حدیث طویل یقول فیه فی خطبه الغدیر: «معاشر الناس القرآن یعرّفکم أن الأئمه من بعده ولده (أقول أی من بعد علی علیه السّلام) و عرفتکم أنه منی و أنا منه حیث یقول اللّه عز و جل: کَلِمَةً بٰاقِیَةً فِی

۱- ۱) الشعراء:۸۴.

۲- ۲) الزخرف:۲۸.

عَقِبِهِ و قلت: لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما» .

و عن كتاب إكمال الدين و إتمام النعمه و معانى الأخبار و علل الشرايع و المناقب لابن شهرآشوب ما يقرب معنى مع الآخر و اللفظ للمناقب، الأعرج، عن أبى هريره قال: سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن قوله: وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِی عاقبه قال: «جعل الإمامه فى عقب الحسين يخرج من صلبه تسعه من الأئمه منهم مهدى هذه الأمه» . فالمعنى و جعلها أى جعلها إبراهيم عليه السّلام فى دعوته كلمه باقيه فى عقبه لعلهم يرجعون، و الكلمه الباقيه فى عقبه هم الأئمه عليهم السّلام

كما بينه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال: معاشر الناس القرآن يعرّفكم أن الأئمه من بعده ولده. و الحاصل: أن إبراهيم عليه السّلام بعد ما تبرّأ مما كانوا يعبدون جعل فى دعوته كلمه باقيه، لعل المشركين يرجعون إلى قبول دعوه الحقّ، فالأئمه المراد بهم من الكلمه الباقيه هم دعوه إبراهيم عليه السّلام. و منها: قوله تعالى: رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَکَ وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّکَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِکَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۱).

فعن تفسير نور الثقلين، عن تفسير العياشى عن أبى عمر الزبيرى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: أخبرنى عن أمه محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من هم؟ قال: أمه محمد بنو هاشم خاصه، قلت: فما الحجه فى أمه محمد إنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: قول اللّه: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنّا إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَکَ وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّکَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ .

۱- ۱) البقره:۱۲۸ و ۱۲۹.

فلما أجاب اللّه إبراهيم و إسماعيل، و جعل من ذريتهما أمه مسلمه، و بعث فيها رسولا منها (يعنى من تلك الأمه) يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمه، و ردف إبراهيم و إسماعيل دعوته الأولى بدعوته الأخرى، فسأل تطهيرا من الشرك و من عباده الأصنام ليصح أمره فيهم و لا يتبعوا غيرهم فقال: . وَ اُجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ اَلْأَصْنامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ اَلنّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فهذه دلاله على أنه لا يكون الأئمه و الأمه المسلمه التى بعث فيها محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ من ذريه إبراهيم لقوله: وَ اُجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ اَلْأَصْنامَ .

و فيه، عن تفسير العياشى و أما قوله: وَ اِبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ فإنه يعنى ولد إسماعيل عليه السّلام فلذلك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أنا دعوه أبى إبراهيم» . فعلم من

قوله: فهذه دلاله. . إلخ، أن الأئمه عليهم السّلام من ذريه إبراهيم، و هم الأمه المسلمه له تعالى حيث دعا اللّه، و سأله أن يجعل من ذريته أمه مسلمه، و المراد بها الأئمه عليهم السّلام من ذريه إبراهيم عليه السّلام

كما قاله عليه السّلام: و منهم الرسول الموصوف بكذا و كذا،

و كما صرح به النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أنا دعوه أبى إبراهيم عليه السّلام» ، فهم عليهم السّلام و النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دعوه إبراهيم كما لا يخفى.

الثالث: أنهم عليهم السّلام أهل الدعوه الحسنى لجميع الموجودات إلى اللّه تعالى

على حذف المضاف، فإن الاعتبار يساعد على أن يراد من الدعوه الحسنى أهلها كما لا يخفى، خصوصا إذا كانت معطوفا على المسلم عليهم فى الجمل السابقه، فإن السلام إنما يحسن على أهل الدعوه لا على نفس الدعوه إلاّ بالحذف و الإضمار كما لا يخفى. و يشير إلى هذا

ما فى بصائر الدرجات بإسناده عن عبد اللّه بن أبى يعفور قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا بن أبى يعفور، إن اللّه تبارك و تعالى واحد متوحد بالوحدانيه متفرد بأمره، فخلق خلقا ففردهم (فقدرهم نسخه) لذلك الأمر، فنحن هم، فنحن حجج اللّه فى عباده، و شهداؤه فى خلقه، و أمناؤه و خزانه على علمه، و الداعون إلى

سبیله، و القائمون بذلک، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه.

و فی البحار، عن الاختصاص بإسناده عن ابن سنان عن المفضل بن عمر قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إن اللّه تبارک و تعالی توحّد بملکه، فعرّف عباده نفسه، ثم فوض إلیهم أمره و أباح لهم جنته. فمن أراد اللّه أن یطهر قلبه من الجن و الإنس عرّفه ولایتنا. و من أراد أن یطمس علی قلبه أمسک عنه معرفتنا. ثم قال: یا مفضل و اللّه ما استوجب آدم أن یخلقه اللّه بیده و ینفخ فیه من روحه إلاّ بولایه علی علیه السّلام و ما کلم اللّه موسی تکلیما إلاّ بولایه علی علیه السّلام و لا أقام اللّه عیسی ابن مریم آیه للعالمین إلاّ بالخضوع لعلی علیه السّلام. ثم قال: أجمل الأمر، ما استأهل خلق من اللّه النظر إلیه إلاّ بالعبودیه لنا» .

و فی البحار، عن العلل بإسناده عن محمد بن سنان عن المفضل قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا مفضل أ ما علمت أن اللّه تبارک و تعالی بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو روح إلی الأنبیاء علیهم السّلام و هم أرواح قبل خلق الخلق بألفی عام؟ قلت: بلی، قال: أ ما علمت أنه دعاهم إلی توحید اللّه و طاعته و اتباع أمره، و وعدهم الجنه علی ذلک، و أوعد من خالف ما أجابوا إلیه و أنکره النار؟ فقلت: بلی، الخبر. فعلم من هذه الأخبار أن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمه علیهم السّلام أهل الدعوه الحسنی، أی دعوا الخلق و جمیع الموجودات إلی طاعه اللّه و توحیده، فهم الداعون إلی سبیله، و من أجابهم فی هذه الدعوه کان فی الجنه و إلاّ ففی النار، بل یستفاد هذا من الأحادیث الوارده فی أن ولایتهم عرضت علی جمیع الموجودات. فإن معناه أنه لا بد للخلق من قبول ولایتهم و الایتمار بأوامرهم و إجابه دعوتهم، و أنهم سفراء اللّه و رؤساء الخلائق کما لا یخفی.

ففی بصائر الدرجات بإسناده عن أبی حمزه الثمالی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قلت: جعلت فداک، إن الشیعه یسألونک عن تفسیر هذه الآیه عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ. عَنِ اَلنَّبَإِ اَلْعَظِیمِ قال: فقال: «ذلک إلیّ إن شئت أخبرتهم و إن شئت لم أخبرهم، قال:

فقـال: لكن أخبرك بتفسيرها، قـال: فقلت: عمّ يتساءلون؟ قال: فقال: هى أمير المؤمنين عليه السّـلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّـلام يقول: مـا للّه آيه أكبر منى، و لاـ للّه من نبـإ عظيم أعظم منى، و لقـد عرضت ولايتى على الأمم الماضيـه فأبت أن تقبلها، قال: قلت له: قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون؟ قال: هو و اللّه أمير المؤمنين» .

و فيه بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلاّ أهل الكوفه» .

و فيه بإسـناده عن عقبه عن أبى جعفر عليه السّـلام قـال: «إن اللّه خلـق الخلق فخلق من أحب و كـان مـا أحب أن يخلقه من طينه الجنه، و خلق مما أبغض و كان ما أبغض أن يخلقه من طينه النار، ثم بعثهم فى الظلال، قال: قلت: أى شـىء الظلال؟ قال: أ لم تر الظلّ فى الشـمس شـيئا و ليس بشـىء، ثم بعث فيهم النبيين يدعونهم إلى الإقرار باللّه و هو قوله: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اَللّهُ. ، ثم دعـاهم إلى الإـقرار بـالنبيين فـأقر بعضـهم و أنكر بعضـهم، ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر و اللّه بها من أحب و أنكرها من أبغض و هو قوله: فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ . ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: «كان التكذيب ثمّه» . ثم إن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمه عليهم السّـلام دعوا الناس فى جميع مراتب الوجود، الخلق إلى توحيـده فى كل عالم بحسبه، و الخلق أيضـا مختلفون فى القبول و الإجـابه كمـا صرحت فى الأخبار. فالملائكه و الناس و ساير الموجودات السـماويه و الأرضـيه، كل منها على قسـمين فى القبول و عـدمه، و فى سرعه القبول و بطئه كما لا يخفى. فمعنى هم الـدعوه الحسـنى هم أهل الـدعوه إلى التوحيد و الدين و الرساله و الولايه.

الرابع: أنهم عليهم السّلام دعوه اللّه التى دعا الناس بها إلى طاعته و رضاه و محبته

اشاره

و بعبـاره أخرى: أنه تعـالى اسـتعبد الخلق إلى عباده نفسه تعالى بهم عليهم السّـلام فهم الـدعوه الإلهيه التى بها يعبـد اللّه تعالى و ذلك بوجهين:

الوجه الأول: أنه تعالى جعلهم سبيله و طريقه الموصل إلى رضاه و محبته،

فهم ذلك السبيل و الطريق إليه تعالى بجعل اللّه تعالى ذلك، و من الضروره أن هذا يستلزم قطعا كونهم عليهم السّلام أول من سلك إلى رضاه تعالى بما منحهم اللّه تعالى، فبسلوكهم تحقق السبيل و الطريق إليه تعالى، فاستعبد الخلق إلى سلوكهم، و يدل عليه عده من الروايات.

ففى البحار (۱)، عن معانى الأخبار بإسناده عن المفضل قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الصراط فقال: هو الطريق إلى معرفه اللّه عز و جل و هما صراطان: صراط فى الدنيا و صراط فى الآخره. فأما الصراط الذى فى الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعه، من عرفه فى الدنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصراط الذى هو جسر جهنم فى الآخره، و من لم يعرفه فى الدنيا زلت قدمه عن الصراط فى الآخره فتردى فى نار جهنم.

و فيه، عنه بإسناده عن حماد بن عيسى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله اللّه عز و جل: اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ قال: هو أمير المؤمنين و معرفته، و الدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السّلام قوله عز و جل: وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ اَلْكِتٰابِ لَدَيْنٰا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ و هو أمير المؤمنين عليه السّلام فى أمّ الكتاب فى قوله: اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ .

و فيه، عنه بإسناده عن الثمالى عن على بن الحسين عليه السّلام قال: ليس بين اللّه و بين حجته حجاب، فلا للّه دون حجته ستر نحن أبواب اللّه، و نحن الصراط المستقيم و نحن عيبه علمه. و نحن تراجمه وحيه، و نحن أركان توحيده و نحن موضع سرّه.

و فيه، عنه بإسناده عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سألته عن هذه الآيه فى قول اللّه عز و جل: وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِی سَبِيلِ اَللّٰهِ أَوْ مُتُّمْ قال: فقال عليه السّلام أ تدرى ما سبيل اللّه؟ قال: قلت: لا و اللّه إلاّ أن أسمعه منك، قال: سبيل اللّه هو على عليه السّلام و ذريته، من قتل فى ولايته قتل فى سبيل اللّه، و من مات فى ولايته مات فى سبيل اللّه.

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۱۱-۱۴.

و فیه، عنه بإسناده عن حنان بن سدیر، عن جعفر بن محمد علیه السّلام قال: قول اللّه عز و جل فی الحمد: صِرٰاطَ اَلَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ یعنی محمدا و ذریته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و فیه، عن تفسیر القمی بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا اَلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ . قال: نحن السبیل فمن أبی فهذه السبل ثم قال: ذٰلِکُمْ وَصّٰاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ یعنی کی تتقوا.

و فیه، عنه أیضا بإسناده عن علی بن رئاب: قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام نحن و اللّه السبیل الذی أمرکم اللّه باتباعه، و نحن و اللّه الصراط المستقیم، و نحن و اللّه الذین أمر اللّه العباد بطاعتهم، فمن شاء فلیأخذ من هنا و من شاء فلیأخذ من هناک، لا یجدون و اللّه عنا محیصا. أقول: هذا الحدیث نقلته عن هامش البحار فإنه أصح متنا مما فی المتن کما لا یخفی. و هذه جمله من الأحادیث و مثلها کثیر فی هذا الباب کما لا یخفی، فدلت هذه علی أنهم هم السبیل الذی أمرنا باتباعه دون غیره. فهم علیهم السّلام حینئذ دعوه اللّه التی دعا اللّه العباد بها إلی طاعته و اتباعه، و من لم یتبعهم فقد تفرق عن السبل و ضل عن الطریق. و إلیه یشیر ما فیه

عن تفسیر القمی،

وَ إِنَّکَ لَتَدْعُوهُمْ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ قال إلی ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: وَ إِنَّ اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاکِبُونَ قال: عن الإمام لحادون. و إلیه الإشاره فی قوله تعالی: وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ وَ مٰا یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ فَیَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبٰادِی هٰؤُلاٰءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا اَلسَّبِیلَ. قٰالُوا سُبْحٰانَکَ مٰا کٰانَ یَنْبَغِی لَنٰا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِیٰاءَ (1)و قوله تعالی: وَ قٰالُوا رَبَّنٰا إِنّٰا أَطَعْنٰا سٰادَتَنٰا وَ کُبَرٰاءَنٰا

۱- ۱) الفرقان:۱۷-۱۸.

فَأَضَلُّونَا اَلسَّبِيلاَ

(۱)

. و الحاصل: أنه تعالى دعا الخلق بهم عليهم السّلام إلى عبادته، و يلزم هذا كونهم أول من أجاب إليه تعالى، فبإجابتهم إليه تعالى جعلوا السبيل و الطريق إليه تعالى، فأولا أنه تعالى دعاهم إلى سبيله فصاروا بذلک سبيله، ثم دعا عباده بهم عليهم السّلام إلى سبيله أی إلى ما فيه نجاتهم السرمديه و سعادتهم الأبديه، فبهم عليهم السّلام و بتوسطهم تمت الدعوه و ائتلفت الفرقه حيث أنهم عليهم السّلام ألسن اللّه التی دعت إليه تعالى، فاللّه تعالى دعا عباده إليه بألسنتهم، فهم ألسن اللّه كما تقدمت الإشاره إليه، فالخلق بنورهم أبصروا الطريق. بل علمت أن شيعتهم حيث إنهم خلقوا من فاضل طينتهم، فلا محاله إنما كانت فيهم القوه على الإطاعه و نور البصيره فيهم للإجابه، و تقويه عقولهم و مشاعرهم على الإدراک بسببهم عليهم السّلام فهم عليهم السّلام أعطوا لهم هذه الأمور الموجبه لترقياتهم فی الكمالات، بل و تحملوا مضافا إلى ذلک عن محبيهم عوائق الموبقات، بأن دعوا اللّه لأن يغفر لهم أو تحمّلوا المصاب لكی يدفع اللّه عنهم الموبقات بما لها من العوائق السيّئه، فبذلک كلّه وصلوا إلى أعلى الدرجات. فكلّ من وصل إلى درجه إنما هی بهم و بمتابعتهم فی العقائد و الصفات و الأفعال كما لا يخفی، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله الطاهرين.

الوجه الثانی: أنهم الكلمات التامات و الأسماء الحسنی،

التی أمر اللّه تعالى عباده أن يدعوه بها، أی أنه تعالى دعا الخلق إلى نفسه بهم حيث إنهم أسماؤه الحسنی، فالدعوه بهم عليهم السّلام عنده تعالى هی الدعوه الحسنی، أی الدعوه الحاصله لأحد عند اللّه تعالى إنما هی تتحقق بهم عليه السّلام لا بغيرهم، و إليه يشير عده من الروايات.

ففی البحار عن الإكمال بإسناده عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام قال: سألته عن قول اللّه عز و جل: وَ إِذِ اِبْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ

ص: ۲۴۶

۱- ۱) الأحزاب:۶۷.

فَأَتَمَّهُنَّ ما هذه الكلمات؟ قال: «هی الكلمات التی تلقاها آدم من ربّه فتاب علیه و هو أنه قال: أسألک بحقّ محمد و علی و فاطمه و الحسن و الحسین إلاّ تبت علیّ، فتاب اللّه علیه إنه هو التواب الرحیم، قلت له: یا بن رسول اللّه فما یعنی عز و جل بقوله: فأتمهن؟ قال: یعنی بأتمهن إلی القائم. اثنا عشر إماما تسعه من ولد الحسین علیه السّلام إلی یوم القیامه. قال: فقلت له: یا بن رسول اللّه فكیف صارت فی ولد الحسین علیه السّلام دون ولد الحسن علیه السّلام و هما جمیعا ولد لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سبطاه و سیدا شباب أهل الجنه؟ فقال علیه السّلام: إن موسی و هارون كانا نبیین رسولین أخوین فجعل اللّه النبوه فی صلب هارون دون موسی و لم یكن لأحد أن یقول: لم جعل اللّه ذلک؟ و كذلک الإمامه خلافه اللّه فی أرضه، و لم یكن لأحد أن یقول: لم جعلها اللّه فی صلب الحسین دون الحسن؟ لأن اللّه عز و جل هو الحكیم فی أفعاله لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ» .

و فیه، عن مناقب آل أبی طالب بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی إِلَیْهِ یَصْعَدُ اَلْكَلِمُ اَلطَّیِّبُ وَ اَلْعَمَلُ اَلصّٰالِحُ یَرْفَعُهُ قال: «ولایتنا أهل البیت، و أ هوی بیده إلی صدره فمن لم یتولنا لم یرفع اللّه له عملا» .

و فیه عن التوحید، عن الرضا علیه السّلام فی حدیث له علیه السّلام و فیه: «نحن كلمه التقوی و العروه الوثقی» .

و فیه عن كنز الفوائد بإسناده عن أبی برزه قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول «إن اللّه عهد إلیّ فی علی عهدا، فقلت: اللهم بین لی، فقال: اسمع، فقلت: اللهم قد سمعت، فقال اللّه عز و جل: أخبر علیا بأنه أمیر المؤمنین و سید المسلمین و أولی الناس بالناس، و الكلمه التی ألزمتها المتقین» . فعلم منها: أن الكلمات التامات و التی ألزمها اللّه تعالی للمتقین هم الخمسه النجباء إلی قائمهم (عج) بدلیل الاشتراک كما لا یخفی.

و عن الكافی بإسناده عن معاویه بن عمار، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه

عز و جل: وَ لِلّهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا قال: «نحن الأسماء الحسنى التی لا یقبل اللّه من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا» ، فدّلت علی أن الدعوه عنده تعالی هی الدعوه التی کانت بهم و بأسمائهم علیهم السّلام و هی معرفتهم التی هو شرط لقبول الأعمال کما تقدم مرارا.

الخامس: من معانی کونهم الدعوه الحسنی

أنه یستفاد من أحادیث الطینه و السعاده و الشقاوه أن الناس علی قسمین فی قبول الحق و عدمه.

ففی الکافی بإسناده مرفوعا عن أبی بصیر، قال: کنت بین یدی أبی عبد اللّه علیه السّلام جالسا و قد سأله سائل فقال: جعلت فداک یا بن رسول اللّه، من أین لحق الشقاء أهل المعصیه حتی حکم اللّه لهم فی علمه بالعذاب علی عملهم؟ فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «أیها السائل حکم اللّه عز و جل لا یقوم له أحد من خلقه بحقه، فلما حکم بذلک وهب لأهل محبته القوه علی معرفته، و وضع عنهم ثقل العلم بحقیقه ما هم علیه، و وهب لأهل المعصیه القوّه علی معصیتهم لسبق علمه فیهم، و منعهم إطاقه القبول منه، فوافقوا ما سبق لهم فی علمه، و لم یقدروا أن یأتوا حالا تنجیهم من عذابه، لأن علمه أولی بحقیقه التصدیق و هو معنی شاء ما شاء و هو سرّه» . قال المجلسی رحمه اللّه فی شرح هذا الحدیث: هو فی غایه الصعوبه و الإشکال، و تطبیقه علی مذهب العدلیه یحتاج إلی تکلفات کثیره. أقول: إنما إشکاله و صعوبته هی شبهه الجبر بالنسبه إلی أهل المعصیه مع منعهم تعالی إطاقه القبول منه، و لکن الظاهر أنه لا إشکال فضلا عن الصعوبه فیه. بیانه: أنه تعالی لما علم من قوم أنهم یطیعونه بحسن اختیارهم سهل علیهم الطاعه، و هو معنی

قوله علیه السّلام: «و وضع عنهم ثقل العمل بحقیقه ما هم علیه» أی بحقیقه اختیارهم الطاعه، و علم من قوم أن وکّلوا إلی اختیارهم أن یعصوه بسوء اختیارهم، فمنعهم إطاقه القبول منه جزاء لسوء اختیارهم.

فقوله فی أهل المعصیه: لسبق علمه فیهم، أی لسبق علمه بأنهم یختارون

المعصیه لسوء اختیارهم. و معنی منعهم القبول منه أنه تعالی یخذلهم و یکلهم إلی أنفسهم فهو نظیر قوله تعالی: طَبَعَ اَللّهُ عَلی قُلُوبِهِمْ (۱)و قوله: بَلْ طَبَعَ اَللّهُ عَلَیْها بِکُفْرِهِمْ (۲). و من المعلوم أن الخلق إذا وکّلوا إلی أنفسهم لفقرهم الذاتی، فلا یتمکنون أن یعملوا ما فیه نجاتهم، و هو معنی

قوله علیه السّلام: «و لم یقدروا أن یأتوا حالا تنجیهم من عذابه، و ذلک لعجزهم الذاتی فی ظرف کونهم مخذولین» . فعلم أن عدم إطاقه قبول أهل المعصیه منه تعالی إنما هو لأجل خذلانهم، الذی هو جزاء لسوء اختیارهم المعصیه، فعذابهم مستند إلی سوء اختیارهم لا إلیه تعالی فقط. ثم إن الصدوق رحمه اللّه ذکر هذا الحدیث فی التوحید بتغییر یوجب رفع الإشکال فراجع التوحید و مرآه العقول (۳)، و هو منه رحمه اللّه عجیب، و العلم عند اللّه تعالی. و کیف کان فالأخبار الکثیره دلّت علی أن الناس علی قسمین فی قبول الحق و عدمه، فنقول: المؤمنون هم الذین جعلهم اللّه أهل الحق بقبولهم الحق منه تعالی و هی دعوته الحسنی، و أهل المعصیه هم الذین جعلهم اللّه أهل الباطل، لعدم قبولهم الحق منه تعالی، و هی دعوتهم السوأی فسبق للمؤمنین خیر ما سبق فی الکتاب بالمعرفه و القبول و هو قوله تعالی (و اللّه العالم) : إلاّ الذین سبقت لهم من اللّه الحسنی و سبق للمنافقین شر ما سبق فی الکتاب بجحودهم و عدم القبول. و حینئذ نقول: جعل القبول و حقیقه الطاعه فی المؤمنین إنما هو بهم علیهم السّلام و هم حمله ذلک بل هم علیهم السّلام نفس ذلک الجعل و الایمان الموجود فیهم، و الطاعه القائمه بالخلق إنما هی شعبه منهم علیهم السّلام ظهرت فی الخلق کما سیأتی شرحه، و هذا و لکنّ

۱- ۱) النحل:۱۰۸، محمد:۱۶.

۲- ۲) النساء:۱۵۵.

۳- ۳) مرآه العقول ج ۲ ص ۱۶۷.

أعداءهم جعلت لهم الدعوه السوأى و هم عله ذلك، بل هم نفس ذلك الجعل و الكفر الموجود فى الخلق و المعصيه القائمه بأهل المعصيه إنما هى من شعبه من أعدائهم، و ذلك أن حقيقه الأئمه هى النور و حقيقه أعدائهم هى الظلمه، و لكلّ منهما شعب فى شيعتهم، فكلّ من الأئمه عليهم السّلام و الأعداء لهم مظاهر فى تابعيهم. و لعله إليهما يشير قوله تعالى: وَ كَلِمَةُ اَللّٰهِ هِيَ اَلْعُلْيٰا و قوله: وَ جَعَلَ كَلِمَةَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا اَلسُّفْلىٰ . فتحصل أن الدعوه قسمان: الحسنى العليا و السوأى السفلى، و حينئذ

قوله عليه السّلام:

«و الدعوه الحسنى»

أى أنتم تلك الدعوه الحسنى المشار إليها كما أن أعداءكم الدعوه السوأى، جعلنا اللّه من أهل دعوتهم الحسنى بمحمد و آله الطاهرين.

السادس: أنه تعالى دعا الخلق إلى طاعته،

و المدعو إليه الذى به يتحقق الطاعه أمور عديده كلها حسنه و موصله إليه، إلاّ أن أعلاها و أحسنها ما دعاهم إلى حبهم عليهم السّلام و ولايتهم و التسليم لهم و الرد إليهم و التوكل على اللّه و على ولايتهم. و إلى هذا يشير ما

فى الوافى بإسناده عن سدير، قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: إنى تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض! ! قال: فقال «و ما أنت و ذاك إنما كلف الناس ثلاثه: معرفه الأئمه و التسليم لهم فيما ورد عليهم و الرد إليهم فيما اختلفوا فيه» (1). فعلم: أن المهم فى نظر الشرع و التكاليف هو ما أشير إليه فى الحديث، و أن أهل الدعوه أى الشيعه هم الذين غفر اللّه لهم بقبولهم الولايه.

ففى البحار، عن كنز جامع الفوائد، روى شيخ الطائفه رحمه اللّه بإسناده عن زيد بن يونس الشحام، قال: قلت لأبى الحسن موسى عليه السّلام: الرجل من مواليكم عاص (عاق) يشرب الخمر و يرتكب الموبق من الذنب نتبرأ منه؟ فقال: «تبرءوا من فعله

۱- ۱) الوافى ج ۱ ص ۲۶، باب التسليم و فضل المسلّمين.

و لا تتبرءوا من خيره و أبغضوا عمله، فقلت: يسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: لا، الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا و لأوليائنا، أبى اللّه أن يكون ولينا فاسقا فاجرا، و إن عمل ما عمل، و لكنكم قولوا: فاسق العمل فاجر العمل، مؤمن النفس، خبيث الفعل طيب الروح و البدن. لا، و اللّه لا يخرج ولينا من الدنيا إلاّ اللّه و رسوله و نحن عنه راضون يحشره اللّه على ما فيه من الذنوب، مبيضا وجهه مستوره عورته، آمنه روعته، و لا خوف عليه و لا حزن، و ذلك أنه لا يخرج من الدنيا حتى يصفى من الذنوب إما بمصيبه فى مال أو نفس أو ولد أو مرض، و أدنى ما يصنع بولينا أن يريه اللّه رؤيا مهوله فيصبح حزينا لما رآه فيكون ذلك كفاره له، أو خوفا يرد عليه من أهل دوله الباطل، أو يشدد عليه عند الموت فيلقى اللّه عز و جل طاهرا من الذنوب آمنه روعته بمحمد و أمير المؤمنين (صلى اللّه عليهما و آلهما) . ثم يكون أمامه أحد الأمرين، رحمه اللّه الواسعه التى هى أوسع من أهل الأرض جميعا، أو شفاعه محمد و أمير المؤمنين عليهم السّلام فعندها تصيبه رحمه اللّه الواسعه، التى كان أحق بها و أهلها و له إحسانها و فضلها» .

و فيه، عنه مرفوعا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام إلى أن قال عليه السّلام: «يا أبا حمزه من آمن بنا و صدق حديثنا و انتظرنا كان كمن قتل تحت رايه القائم (عج) بل و اللّه تحت رايه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» .

و فيه، عنه، عن أبى بصير، قال: قال لى الصادق عليه السّلام: «يا أبا محمد إن الميت على هذا الأمر شهيد، قال: قلت: جعلت فداك و إن مات على فراشه؟ قال: و إن مات على فراشه فإنه حىّ يرزق» .

و فيما نقله ابن طاووس رحمه اللّه عن الحجه عليه السّلام فى الدعاء للشيعه حيث قال:

«اللهم اغفر لهم من الذنوب فإنهم ما فعلوه إلاّ اتكالا على حبنا» الدعاء.

و فى كتاب الجواهر السنيه فى الأحاديث القدسيه (۱)، للشيخ الحر العاملى (رضوان اللّه عليه) بإسناده عن طلحه بن زيد، عن الصادق عليه السّلام، عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أتانى جبرئيل من قبل ربى، فقال: يا محمد إن اللّه يقرئك السلام و يقول: بشّر أخاك عليّا بأنى لا أعذب من تولاه و لا أرحم من عاداه» .

و فيه (۲)بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «قال اللّه: لو اجتمع الناس كلّهم على ولايه على ما خلقت النار» .

و فيه (۳)و بهذا الإسناد قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يقول اللّه تعالى: «من آمن بى و بنبيى، و تولى عليا أدخلته الجنه على ما كان من عمل» . و مثله غيره و هو كثير، و علم من هذه الأحاديث أن حبهم و ولايتهم هو أحسن ما دعا اللّه العباد إليه عنده تعالى، فهم عليهم السّلام حينئذ الدعوه الحسنى أى أحسن الدعوات الإلهيه بين ما دعا عباده إليه.

السابع:

أن من المعلوم بالضروره أنه تعالى إنما كلّف العباد بتكاليف عديده، لأن يصلوا إلى مقام التوحيد، فليس تكليف إلاّ و هو مجعول بهذا الداعى، فالوصول إلى التوحيد مستلزم لجميع الطاعات الشرعيه و غايه لها قال اللّه تعالى وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ (۴)، و من المعلوم أيضا أنهم عليهم السّلام أعلى و أحسن مصداق للتوحيد من حيث العلم و من حيث الوصول إليه، حيث إن أفعالهم كلّها مستهلكه فى خدمه محبوبهم، و هذا الذى طلبه

أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله:

«و حالى فى خدمتك سرمدا» ، فليس لهم التفات إلى شىء سواه تعالى. فهم عليهم السّلام الحائزون لجميع أنواع العبادات و الطاعات، بحيث لا يشذ منهم شاذ،

ص: ۲۵۲

۱- ۱) كتاب الجواهر السنيه. . ص ۲۲۲.

۲- ۲) الجواهر السنيه ص ۲۳۶.

۳- ۳) الجواهر السنيه ص ۲۶۶.

۴- ۴) الذاريات:۵۶.

و حينئذ نقول: فلما كانوا عليهم السّلام كذلك فدعا اللّه تعالى عباده إلى طاعتهم إذ إن طاعتهم طاعته لمكان فنائهم فى توحيده تعالى، و إليه يشير

قوله عليه السّلام:

«من أطاعكم فقد أطاع اللّه»

، و قوله تعالى: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (۱)و سيجىء هناك شرحه إن شاء اللّه. فكانت دعوته تعالى إلى طاعتهم الدعوه الحسنى، لأنها مستلزمه قطعا لطاعته تعالى، فهى أى الدعوه إلى طاعتهم حسنه لهذه الجهه، و كيف لا يكون كذلك و هم سرّ المعبود و باب الإيجاد و الوجود، و الفيض السارى على جميع من فى الوجود؟ ! رزقنا اللّه طاعتهم بمحمد و آله الطاهرين.

[۷]قوله عليه السّلام: و حجج اللّه على أهل الدنيا و الآخره و الأولى.

فى المجمع: الحجه-بضم الحاء-الاسم من الاحتجاج، إلى أن قال: و جمع الحجه حجج كغرفه و غرف. و قيل: الحجه الكلام المستقيم على الإطلاق، و يراد بها الدليل و البرهان، ثم البرهان قد يكون باللفظ، و قد يكون بالعمل و هو إحداث مثل المستدل عليه فى الجهه المدعى ثبوتها، أو إحداث مثاله كذلك، و البرهان العملى أبلغ فى إثبات الدعوى لأنه لا يحتمل الخطأ، فإن بالعمل يوجد صفه الدعوى و لا توجد الصفه إلاّ بعد ثبوت الموصوف، فمرجع البرهان و الحجه العملى إلى إحاله الخصم إلى وجدان المدعى و الموصوف بالدعوى بإيجاد مثل المدعى. و من المعلوم أن أدل الدلائل فى مقام الحجه هو الوجدان و هذا بخلاف البرهان اللفظى فإنه لا يتجاوز إلاّ دعاء على المدعى، و من المعلوم أيضا أن الأذواق و الأفهام مختلفه لجوده الدرك و عدمها فى الأشخاص، فحينئذ لازمه طرّو الاشتباه فى الدلاله اللفظيه، و لذا يحتاج فى قطعيه الدلاله اللفظيه إلى احتفافه بالقرائن

۱- ۱) النساء:۸۰.

اللفظیه الأخری و الحالیه و نحوها و هذا بخلاف البرهان العملی. و أما الدنیا فهی مقابل الآخره سمیت بذلک لقربها، فهی مأخوذه من الدنو فإنها أدنی إلینا من الآخره، ثم إن الدنیا بلحاظ الزمان لیس مطرحا للکلام، بل المراد منها أهله، و لذا

قال علیه السّلام: «و حجج اللّه علی أهل الدنیا» ، ثم إن المراد من أهل الدنیا إما الموجودون فیها، و حینئذ یکون المراد من أهل الآخره بلحاظ العطف العاملون فی الدنیا إن خیرا فیجزون خیرا و إن شرا فشر، فهم علیهم السّلام حجج اللّه علی أهل الدنیا و الآخره بأیّ معنی فسّر فهم حجه اللّه علیهم أما فی الدنیا فلبیان الأوامر و النواهی الإلهیه و هو ظاهر بالآیات و الأحادیث، و أما کونهم حجج اللّه علیهم فی الآخره فلشهادتهم علیهم السّلام علی الناس فیما عملوا و ترکوا، و ستأتی الإشاره إلیه من الأحادیث. ثم إنه قد یقال: إن المراد من الأولی

فی قوله:

و الآخره و الأولی ، التأکید للدنیا، أو جیء به للسجع، أو هی صفه للحجج فإنهم علیهم السّلام أولی حجج اللّه، أو یقرأ بأفعل التفضیل فإنهم علیهم السّلام أکمل حجج اللّه، کذا نقل عن المجلسی الأول رحمه اللّه. و قد یقال: إن المراد من الدنیا الموجودون فی الدنیا و من الأولی الموجودون فی عالم الأرواح و الذر، فإنهم علیهم السّلام کما تقدم و سیأتی أیضا حجج اللّه علی الخلق فی تلک العوالم السابقه، و علی أیّ حال هم علیهم السّلام الحجج علی الخلق فی عالم الوجود مطلقا و یستفاد هذا من الأحادیث الداله علی أن أول الخلق الحجه و آخره الحجه، و لعلّه ستجیء الإشاره إلیه. و أما الآخره فهی ظاهره فی عالم المعاد إلّا أنه یشمل زمان الموت و ما بعده، لأن القبر أول منزل من منازل الآخره، و لذا ورد أنه إذا مات ابن آدم قامت قیامته، فیکون المعنی أنهم الحجج علی أهل البرزخ و أهل الآخره فی الحشر و النشر و مواقف القیامه و فی الجنه و النار. و قد یراد منها زمان الرجعه للأئمه علیهم السّلام کما

فی المحکی عن تفسیر العیاشی عن

الباقر علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ (۱)یعنی «لا یؤمنون بالرجعه أنها حقّ» .

و فی المحکی عن أبی بصیر عن أحدهما علیهم السّلام فی قوله تعالی: وَ مَنْ کٰانَ فِی هٰذِهِ أَعْمیٰ فَهُوَ فِی اَلْآخِرَهِ أَعْمیٰ (۲)«یعنی لا یؤمنون فی الرجعه» .

و فی المحکی عن تفسیر القمی، عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ لَلْآخِرَهُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ اَلْأُولیٰ (۳)قال: «یعنی الکرّه فی الآخره للنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم» .

و عن الکافی، عن الصادق علیه السّلام قال فی قوله تعالی: وَ مٰا لَهُ فِی اَلْآخِرَهِ مِنْ نَصِیبٍ (۴)«لیس له فی دوله الحقّ مع القائم (عج) نصیب» . فالآخره قد استعملت فی هذه الأمور فی عرف الشرع، فهم علیهم السّلام الحجج علی الخلق فی زمان الرجعه و قیام القائم (عج) و هذا لا ینافی إطلاق أهل الدنیا علی من فی زمان الرجعه، لأن الآخره المستعمله فی زمان الرجعه یراد منها معناها اللغوی و هو الزمان المتأخر، فهی بهذا اللحاظ یصح إطلاقها علی زمان الرجعه خصوصا بلحاظ الحکمه الداعیه علی هذا الاستعمال، کما یستفاد من الآیات المذکوره، کما لا یخفی. ثم إن هنا روایات دلّت علی ما ذکرنا فلا بد من ذکرها دلیلا قاطعا علی ما قال بعض الأعلام.

ففی الکافی بأسانید عدیده عن الکاظم و الرضا علیهم السّلام قالا: «إن الحجّه لا تقوم للّه علی خلقه إلاّ بإمام حتی یعرف» .

و عن الصادق علیه السّلام قال: «إن الحجه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق» .

و أیضا عن الصادق علیه السّلام قال : «ما زالت الأرض إلاّ و للّه فیها الحجّه یعرف

۱- ۱) الأنعام:۱۱۳.

۲- ۲) الأسراء:۷۲.

۳- ۳) الضحی:۴.

۴- ۴) الشوری:۲۰.

الحلال و الحرام و يدعو الناس إلى سبيل اللّه» .

و عن أبى بصير، عن أحدهما، قال: «إن اللّه لم يدع الأرض بغير عالم، و لو لا ذلك لم يعرف الحق من الباطل» .

و عن الباقر عليه السّلام قال: «و اللّه ما ترك اللّه أرضا منذ قبض اللّه آدم عليه السّلام إلاّ و فيها إمام يهتدى به إلى اللّه، و هو حجته على عباده، و لا تبقى الأرض بغير حجّه للّه على عباده» ، انتهى.

و فى الوافى (۱)عن الكافى بإسناده عن سليم بن قيس الهلالى عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «إن اللّه طهرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه و حجته فى أرضه، و جعلنا مع القرآن، و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا يفارقنا» .

و فيه بإسناده عن عبد اللّه بن القاسم عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «الأوصياء هم أبواب اللّه تعالى التى يؤتى منها و لولاهم ما عرف اللّه تعالى، و بهم احتج اللّه على خلقه» .

و فيه بإسناده عن هشام بن الحكم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال للزنديق الذى سأله من أين أثبت الأنبياء و الرسل؟ قال: «إنا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا و عن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكيما متعاليا، لم يجز أن يشاهده خلقه و لا يلامسوه فيباشرهم و يباشروه و يحاجوهم و يحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه يعبرون عنه إلى خلقه و عباده، و يدلّونهم على مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم و فى تركه فناؤهم. فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه و المعبرون عنه جلّ و عز، و هم الأنبياء و صفوته من خلقه و هم حكماء و مؤديون فى الحكمه و مبعوثون بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب فى شىء من أحوالهم

۱- ۱) الوافى كتاب أبواب خصائص الحجج.

و أفعالهم، و مؤيـدون عنـد الحكيم العليم بالحكمه، ثم ثبت ذلك فى كلّ دهر و زمان مما أتت به الرسل و الأنبياء من الدلائل و البراهين، لكى لا تخلو أرض اللّه من حجّه يكون معه علم يدل على صدق مقالته و جواز عدالته» .

و فى بصائر الـدرجات فى باب نادر بإسـناده عن سـعد بن الأصـبغ الأزرق قال دخلت مع حصـين و رجل آخر على أبى عبـد اللّه عليه السّلام قال: فاستخلى أبو عبد اللّه برجل فناجاه، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول للرجل: «أ فترى اللّه يمنّ فى بلاده و يحتج على عباده ثم يخفى عنه شيئا من أمره؟ !» . أقول: المراد ممن لا يخفى عليه شيئا هو الحجه كما لا يخفى.

و فيه بإسناده عن المفضل بن عمر الجعفى قال: سـمعت أبا عبد اللّه عليه السّـلام يقول «فضل أمير المؤمنين ما جاء به النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخذ به و ما نهى عنه انتهى عنه، جرى له من الفضل ما جرى لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لمحمد الفضل على جميع من خلق اللّه، المتعقب عليه فى شىء من أحكامه كالمتعقب على اللّه و على رسوله، و الراد عليه فى صغيره أو كبيره على حـد الشـرك باللّه. كان أمير المؤمنين باب اللّه الذى لا يؤتى إلاّ منه، و سبيله الذى من سـلك بغيره هلك، و كذلك جرى على أئمه الهـدى واحـدا بعـد واحد، جعلهم اللّه أركان الأرض أن تميد بأهلها، و الحجه البالغه على من فوق الأرض و من تحت الثرى» الحديث، و قد تقدم بتمامه.

و فى البحار (۱)، عن الخصال بإسـناده عن العبادى بن عبـد الخالق، عمّن حـدثه عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قال: «إن للّه عز و جل اثنى عشر ألف عالم، كل عالم منهم أكبر من سبع سموات و سبع أرضين ما يرى عالم منهم إنّ للّه عز و جل عالما غيرهم و إنى الحجه عليهم» .

و فيه عن بصائر الدرجات، ابن يزيد عن ابن أبى عمير عن رجاله عن أبى

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۴۱.

عبد اللّه علیه السّلام یرفع الحدیث إلی الحسن بن علی علیه السّلام أن قال: «إن للّه مدینتین إحداهما بالمشرق و الأخری بالمغرب علیهما سوران من حدید، و علی کلّ مدینه ألف ألف مصراع من ذهب، و فیها سبعون ألف ألف لغه یتکلم کل لغه بخلاف لغه صاحبه، و أنا أعرف جمیع اللغات، و ما فیهما و ما بینهما حجه غیری و الحسین أخی» .

و فیه عن مختصر الدرجات بإسناده عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول: «إن من وراء شمسکم هذه أربعین عین شمس، ما بین شمس إلی شمس أربعون عاما، فیها خلق کثیر ما یعلمون أن اللّه خلق آدم أو لم یخلقه، و أن من وراء قمرکم هذا أربعین قمرا، ما بین قمر إلی قمر مسیره أربعین یوما، فیها خلق کثیر ما یعلمون أن اللّه خلق آدم أو لم یخلقه، قد ألهموا کما ألهمت النحل لعنه الأول و الثانی فی کل وقت من الأوقات، و قد وکل بهم ملائکه متی لم یلعنوهما عذّبوا» .

و فیه عن السرائر من جامع البزنطی عن سلیمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «ما من شیء و لا من آدمی و لا إنسی و لا جنّی و لا ملک فی السموات إلاّ و نحن الحجج علیهم، و ما خلق اللّه خلقا إلاّ و قد عرض ولایتنا علیه و احتج بنا علیه، فمؤمن بنا و کافر و جاحد حتی السموات و الأرض و الجبال» الآیه.

و فیه عن کتاب المحتضر (تألیف الحسن بن سلیمان) مما رواه من الأربعین لسعد الإربلی بإسناده عن هشام بن سالم، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إنّ للّه عز و جل بالمشرق مدینه اسمها جابلقا لها اثنا عشر ألف باب من ذهب بین کل باب إلی صاحبه فرسخ، علی کل باب برج فیه اثنا عشر ألف مقاتل یهلبون (یهیئون) الخیل، و یشهرون السیف و السلاح ینتظرون قیام قائمنا و إنی الحجه علیهم» .

و فی الخصال فی آخر حدیث فیه بإسناده عن جابر بن یزید، قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: أَ فَعَيِينٰا بِالْخَلْقِ اَلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ فقال: «یا جابر تأویل ذلک: أن اللّه عز و جل إذا أفنی هذا الخلق و هذا العالم، و أسکن أهل الجنه الجنه، و أهل النار النار جدّد اللّه عز و جل عالما غیر هذا العالم،

و جدّد عالما من غير فحوله و لا إناث يعبدونه و يوحدونه، و خلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم، و سماء غير هذه السماء تظلهم، لعلّك ترى أن اللّه عز و جل لم يخلق بشرا غيركم، بل و اللّه لقد خلق اللّه تبارك و تعالى ألف ألف عالم، و ألف ألف آدم أنت فى آخر تلك العوالم و أولئك الآدميين» . أقول: هذه جمله من الأحاديث و لها نظائر كثيره دلت على كثره العوالم، و أنهم عليهم السّلام الحجه عليهم. و الوجه فيه أنه يستفاد

من قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «إن اللّه طهّرنا و عصمنا» ،

و قوله عليه السّلام: «فجعل القرآن معنا» ،

و قول الصادق عليه السّلام بعد نفى مشاركتهم مع الخلق: «مؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمه» ،

و قوله عليه السّلام عن جامع البزنطى: «و احتج بنا عليه» ، و من نظائره فى مطاوى أحاديثهم الشريفه فى هذه الموضوعات و هى كثيره جدّا، أن اللّه تعالى جهزهم بجهاز الحجيه فى الخلق، و جعلهم بحيث لا يخفى عليهم شىء من أمور السماء و الأرض، بل مما دون العرش إلى ما تحت الثرى كما نطقت به الأحاديث الكثيره مضافا إلى الآيات القرآنيه. فهم عليهم السّلام حينئذ أعظم حجج اللّه فى الوجود، حيث إنه تعالى خلقهم و أودع فى حقائقهم كلّ كمال ممكن من علم و كرم و حكم و حلم و جزم و حزم، و فهم و عقل و عزم و فضل و فصل، و ذكر و فكر و بصر و صبر و زهد، و ورع و تقوى و يقين و تسليم و رضا، و شجاعه و سماحه و نباهه و نجابه، و استقامه و اقتصاد و غيرها من كمالات الدين و الدنيا. فهم عليهم السّلام فى جميع مراتب الظهور فى عالم الأرواح و الأبدان و الدنيا و الآخره، و فى ساير عوالم الوجود متصفون بكلّ صفات الكمال الممكن فى ذلك العالم و ما خلق ما سواهم و من سواهم من أصناف الخلق من الملائكه و الجن و الإنس و ساير الموجودات السماويه و الأرضيه إلاّ و قد أمرهم بطاعتهم.

ففى المحكى عن كتاب محمد بن شاذان بن نعيم بخطه عن حمران بن أعين، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يحدث عن أبيه و عن آبائه عليه السّلام: «إن رجلا من شيعه أمير

المؤمنين عليه السّلام كان مريضا شديد الحمى، فعاده الحسين بن على عليه السّلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل، فقال: قد رضيت بما أوتيتم به حقّا حقّا، و الحمى لتهرب منكم، فقال له: و اللّه ما خلق اللّه شيئا إلاّ و قد أمره بالطاعه لنا، يا كباسه قال: فإذا نحن نسمع الصوت و لا نرى الشخص يقول: لبيك، قال: أ ليس أمرك أمير المؤمنين ألاّ تقربى إلاّ عدوا أو مذنبا، لكى يكون كفاره لذنوبه فما بال هذا؟ و كان الرجل المريض عبد اللّه بن شداد الهادى الليثى» ، و رواه ابن شهرآشوب أيضا. فعلم منه و من غيره أن كلّ شىء مأمور بإطاعتهم، و هم الوسيله فى الخلق فى كلّ أمر مطلوب و خبر مرغوب، هذا و لا يمكن لأحد من الخلق بأصنافهم ردّ وساطتهم، إذا رجع إلى عقله و فهمه، و إلى ما تعرفه العامه و الخاصه من ميزان التشخيص المتداول بينهم، و لا بميزان شرع من الشرايع أو بمقتضى طبع من الطبائع، فكلّ هذه تذعن و تصدق وساطتهم لما ترى الكمال، و ميزان تشخيص الحقّ من الباطل فيهم، و هو المراد من

قوله عليه السّلام: «و أوتينا فصل الخطاب» . بل نقول: كلّ من قبل الحقّ منهم علم بدركه أنهم عليهم السّلام أهل لذلك لا غيرهم و إن كان مخالفا لهم كما صرحت ألسن التاريخ من إقرار مخالفيهم بفضلهم، كما سيأتى بيانه فى شرح

قوله عليه السّلام:

«فبلغ اللّه بكم أشرف محل المكرمين» ، إلى قوله: «إلاّ عرفهم جلاله أمركم» ، بل و كلّ من لم يقبل منهم، و ردّ عليهم عملا أو بتوهم علم يعلم أنه مقصّر فى حقهم، تارك للاستقامه على ولايتهم، مخالف فى ذلك ربّه الجليل، و إن ما لفقه من العلم على ردّهم إنما هو موهون أوهن من نسج العنكبوت، و أنه متجنب عن الطريق المستقيم. و ليس هذا كلّه إلاّ لما قلنا من أنه تعالى عرّف كلّ شىء خلقه من بنى آدم، و من الجان و الشياطين و الملائكه، و سائر الحيوانات و النباتات و الجمادات، و الجواهر و الأعراض، و الذوات و الصفات، و الأعيان و المعانى، و كلّ شىء ظهر من مشيه اللّه تعالى شرافه مقال آل الرسول و عظم شأنهم و قرب منزلتهم، و أنه ليس بين الخلق

و الخالق باب و لا سبيل و لا واسطه إلّا منهم عليهم السّلام. و يدل على هذا كلّه مضافا إلى ما مر من الأحاديث ما

فى محكى مختصر بصائر سعد بن عبد اللّه الأشعرى للحسن بن سليمان الحلى من الحديث، الذى رواه من كتاب منهج التحقيق بإسناده إلى جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: «إن اللّه تعالى خلق أربعه عشر نورا من نور عظمته، قبل خلق آدم بأربعه عشر ألف عام فهى أرواحنا، فقيل له: يا بن رسول اللّه عدّدهم بأسمائهم من هؤلاء الأربعه عشر نورا؟ فقال: محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين و تسعه من ذريه الحسين و تاسعهم قائمهم (عليه و عليهم السلام) ثم عدّهم بأسمائهم. ثم قال: نحن و اللّه الأوصياء الخلفاء من بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و نحن المثانى التى أعطاها اللّه نبينا، و نحن شجره النبوه، و منبت الرحمه، و معدن الحكمه، و مصابيح العلم، و موضع الرساله، و مختلف الملائكه، و موضع سرّ اللّه، و وديعه اللّه تعالى فى عباده، و حرم اللّه الأكبر، و عهده المسئول عنه، فمن وفى بعهدنا وفى بعهد اللّه و من خفره فقد خفر ذمه اللّه و عهده، عرفنا من عرفنا و جهلنا من جهلنا، نحن الأسماء الحسنى، التى لا يقبل اللّه من العباد عملا إلّا بمعرفتنا. و نحن و اللّه الكلمات التى تلقاها آدم من ربّه فتاب اللّه عليه، إن اللّه تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، و صورنا فأحسن صورنا، و جعلنا عينه على عباده، و لسانه الناطق فى خلقه، و يده المبسوطه عليهم بالرأفه و الرحمه، و وجهه الذى يؤتى منه، و بابه الذى يدلّ عليه، و خزان علمه، و تراجمه وحيه، و أعلام دينه، و العروه الوثقى، و الدليل الواضح لمن اهتدى، و بنا أثمرت الأشجار و أينعت الثمار، و جرت الأنهار و نزل الغيث من السماء و نبت عشب الأرض. و بعبادتنا عبد اللّه، و لولانا ما عرف اللّه، و أيم اللّه لولا وصيه سبقت و عهد أخذ علينا، لقلت قولا يعجب منه، أو يذهل منه الأولون و الآخرون» . فظهر مما ذكر أنهم حجج اللّه تعالى على جميع العوالم، أى أنهم الحجج على جميع

من فی الوجود مما دون العرش إلی ما تحت الثری، ثم إنهم حجج اللّه تعالی علی الکل بجمیع أقسام الحجیه من القول المتضمن للبرهان العقلی، و العمل الدال علی صدق المدعی، فهم علیهم السّلام حجج اللّه تعالی قولا و فعلا و صفه، و أثبتوا کونهم حجه اللّه تعالی بالأمور القطعیه الداله علیها، و أهمها کون قولهم مطابقا للعقل و البرهان، و المعجزات الصادره عنهم الداله علی صدق دعواهم. و قد صارت الکتب مشحونه بمعجزاتهم بنحو تبهر منه العقول، و أذعنت بصدق دعواهم جمیع أهل الملل و النحل و العقول السلیمه، کما لا یخفی علی المتتبع للآثار، و اللّه الموفق إلی طاعته و العمل بالحقّ.

قوله علیه السّلام: و رحمه اللّه و برکاته.

أقول: الکلام فی الجمله کالکلام فی سابقه، و قد تقدم مفصلا فراجعه، و حاصل المعنی هنا: أن الرحمه بما لها من المعنی و المصادیق بأجمعها علیکم أهل البیت، فهی: إما جمله خبریه عن فعل اللّه تعالی بهم، حیث إنه تعالی جعل رحمته و برکاته علیهم، فإنهم أحسن مصادیق لقوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ اَلْقُریٰ آمَنُوا وَ اِتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ بَرَکٰاتٍ مِنَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لٰکِنْ کَذَّبُوا. . (1)الآیه. فهم علیهم السّلام أعلی المؤمنین إیمانا فلازمه نزول البرکات الإلهیه علیهم، و هی: إما برکات دنیویه، فمعلوم أن لهم علیهم السّلام منه تعالی البرکات فی أموالهم و أولادهم علیهم السّلام خصوصا فی زمان الرجعه.

فعن الخرائج و الجرائح عن الحسن بن علی علیه السّلام حدیث طویل فی الرجعه و فیه «و لتنزلن البرکه من السماء و الأرض حتی ان الشجره لتقصف بما یرید اللّه فیها من الثمر و لیوکل ثمره الشتاء فی الصیف و ثمره الصیف فی الشتاء و ذلک قوله تعالی: وَ لَوْ

1- 1) الأعراف:96.

أَنَّ أَهْلَ اَلْقُرىٰ » . و أما البركه فی أولادهم علیهم السّلام فهی المشاهد لنا وجدانا، فلا تری مجلسا إلا و فیه من ذراریهم کما لا یخفی، و اللّه تعالی یجعل البرکه فیهم من حیث الکثره فی زمان الرجعه خصوصا.

فعن تفسیر العیاشی عن الفضل بن محمد الجعفی قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه تعالی: حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ قال: «الحبه فاطمه علیها السّلام و السبع سنابل سبعه من ولدها سابعهم قائمهم قلت: الحسن؟ قال إن الحسن إمام من اللّه مفترض الطاعه، و لکن لیس من السنابل السبعه، أولهم الحسین و آخرهم القائم (عج) ، فقلت: فی کل سنبله مائه حبه؟ قال: یولد للرجل منهم فی الکوفه مائه من صلبه، و لیس ذاک إلاّ هؤلاء السبعه» . قال المحدث الحر العاملی رحمه اللّه فی کتاب إثبات الهداه بعد ذکر الحدیث: أقول: هؤلاء السبعه من جمله الاثنی عشر، و لیس فیه إشعار بالحصر کما هو واضح، و لعلّ المراد السابع من الصادق علیه السّلام لأنه هو المتکلم بهذا الکلام. (۱)و إما برکات معنویه من العلم و المعارف الإلهیه، فمعلوم أن العلوم و المعارف تنحدر من فاضل بحار علومهم الذخّاره کما تقدمت الإشاره إلیه مرارا فی شرح قوله تعالی: یَکٰادُ زَیْتُهٰا یُضِیءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ (۲).

و فی بصائر الدرجات بإسناده إلی نصر بن قابوس قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ. وَ مٰاءٍ مَسْکُوبٍ. وَ فٰاکِهَةٍ کَثِیرَةٍ. لاٰ مَقْطُوعَةٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَةٍ قال: «یا نصر لیس تذهب الناس إنما هو العالم و ما یخرج منه» إلخ، أی لیس المراد من الفاکهه ما یتبادر منه من التفاح و نحوه فقط، بل تأویله العلم الخارج من العالم بدون انقطاع و منع منه، و من المعلوم أنهم علیهم السّلام أحسن

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۲۸۲.

۲- ۲) النور:۳۵.

مصاديق العالم، و علمت أن البركه هو النفع المدام، لغه. ثم إن هذه الرحمه و البركه تسرى منهم عليهم السّلام إلى شيعتهم، خصوصا فى زمان رجعتهم و كرّتهم كما تقدم

من روايه داود بن كثير الرقى من قوله عليه السّلام: «و خلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق، و أن يصبروا و يصابروا و أن يتقوا اللّه، و وعدهم أن يسلّم لهم الأرض المباركه و الحرم الآمن» . أقول: فاللّه تعالى بهم يفتح البركات من السماء و الأرض، و هم عليهم السّلام يسلمونها إلى شيعتهم و محبيهم فى أنفسهم و ذرياتهم و أعمالهم، فتكون جميعا مباركه مع البركه و النفع الكثير الدائم. و إما جمله إنشائيه أى طلب و دعاء منه تعالى أن ينزل عليهم الرحمه و البركه، فهو حينئذ إشاره إلى قوله تعالى حكايه عن قول الملائكه لإبراهيم عليه السّلام: رَحْمَتُ اَللّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ اَلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (١).

ففى المحكى عن معانى الأخبار، أن الصادق عليه السّلام سلم على رجل، فقال الرجل: و عليكم السلام و رحمه اللّه و بركاته و رضوانه، فقال: «لا تتجاوزوا بنا قول الملائكه لأبينا إبراهيم عليه السّلام: رَحْمَتُ اَللّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ اَلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

و فى المحكى عن أصول الكافى بإسناده إلى أبى عبيده الحذّاء عن أبى جعفر عليه السّلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام بقوم فسلّم عليهم فقالوا: عليك السلام و رحمه اللّه و بركاته و مغفرته و رضوانه، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السّلام: «لا تجاوزوا بنا مثل ما قالت الملائكه لأبينا إبراهيم عليه السّلام إنما قالوا: رَحْمَتُ اَللّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ اَلْبَيْتِ . أقول: لعلّ وجه النهى أنهم عليهم السّلام حيث لهم المحل الأرفع الأعلى عند اللّه تعالى فلا بد من حفظ مقامهم عليهم السّلام كما حفظت الملائكه مقام إبراهيم عليه السّلام بتلك التحيه، و لا يجوز تنزيلهم عن مقامهم و جعلهم فى رتبه ساير الناس فى مقام التحيه. و من المعلوم أن عطفه و رضوانه أو و مغفرته و رضوانه إنما يناسب فى مقام

١- ١) هود:٧٣.

الـدعاء مقام ساير الناس من غير المعصومين الـذين هم فى معرض المعصـيه، فالدعاء إما لأن يطلب العفو عنهم أو يطلب حفظهم عن المعصـيه الممكنه فى حقهم. و من المعلوم أنه تعالى قد طهّرهم من الرجس تطهيرا، و عصـمهم من الزلل كما سيأتى شرحه، فلاـ بـد فى مقـام التحيه لهم من مراعـاه مقـامهم المنيع الـذى رتبهم اللّه فيه و هو بردّ التحيه بنحو مـا قالت الملائكه لإبراهيم عليه السّـلام كما لا يخفى. إذن فالجمله إنشائيه فى مقام طلب الرحمه المطلقه و بركاته المطلقه عليهم عليهم السّـلام منه تعالى، هذا و قد اسـتجاب اللّه تعالى هذا الدعاء من شيعتهم، فهم عليهم السّلام دائما فى معرض رحمه اللّه تعالى الواسعه و الخاصه و البركات الـدائمه من حيث العلم و العمـل و النسـل و سـاير مـا يتعلق بهم، كيف و هم الوسائط لهـذه الفيوضات منه تعالى إلى ساير الخلق كمـا تقـدم. فمرجع الـدعاء إلى أن رحمتـك و بركاتك عليهم عليهم السّـلام: ليفيضوا ذلك إلينا بإفاضـتك ذلك عليهم عليهم السّلام ففى الحقيقه يرجع الدعاء حينئذ إلينا بواسطتهم عليهم السّلام و الحمد للّه ربّ العالمين.

[۸]قوله عليه السّلام: السلام على محالّ معرفه اللّه.

[فى بيان معنى المحال و المعرفه لغه و اصطلاحا]

أقول: محالّ جمع محل، و هو مكان الشـىء الـذى ينزل إليه أو يكون فيه، و فى بعض النسخ بصـيغه المفرد فيراد منه إمّا الجنس، أو جىء بـه للإشـاره إلى أنهـم عليهـم السّـلام كنفس واحـده فى المعرفه. و أمـا المعرفه ففى المجمـع: عرفت اللّه هـو من عرفت الشـىء من بـاب ضـرب إذا أدركته، و المعرفه قـد يراد بها العلم بالجزئيات المـدركه بالحواس الخمسه كما يقال: عرفت الشـىء أعرفه (بالكسـر) عرفانـا إذا علمته بإحـدى الحواس الخمس. كمـا يقـال: عرفت اللّه، و لاـ يقـال: علمت اللّه و ذلك لأنه تعالى لا يكون مدركا بالحواس الخمس و مع ذلك تقع عليه المعرفه.

ص: ۲۶۵

أقول: و وجه إطلاق المعرفه عليه تعالى مع أنه تعالى بسيط محيط غير محاط دون العلم، إن المعرفه هو الإدراك للشىء، و إدراك الشيء عباره عن تمييزه عما سواه بحيث لا يشترك معه غيره، فلو أدركت الذات الربوبى بأوصافها دون ذاتها فقط بحيث يمتاز عن غيره فقد عرفته، و إن لم تكن قد عرفته بالكنه، فامتياز ذاته المقدسه عن غيرها صفه معرفه لها، كما أشير إليها

فى قوله عليه السّلام: «و توحيده تمييزه عن خلقه» ، و سيجىء ذكره، فالمراد من الإدراك فى تعريف المعرفه ثم إطلاقها عليه تعالى هو هذا المعنى أى الامتياز عن غيره. و أما وجه عدم إطلاق العلم عليه أن العلم يستلزم تصور المعلوم فى ذهن العالم، و هو تعالى غير متصور فى الأذهان كما حقّق فى محلّه، و لهذا لا يقال: علمت اللّه، و يقال: عرفته بالمعنى المذكور، و قد تطلق المعرفه على الإدراك المسبوق بالعدم أو على الإدراك الأخير من الإدراكين إذا تخلل بينهما عدم، كما لو عرفت الشىء ثم ذهلت عنه، ثم أدركته ثانيا، ثم إن المراد بمعرفه اللّه تعالى على ما قيل: الاطلاع على نعوته و صفاته الجلاليه و الجماليه بقدر الطاقه البشريه، و أما الاطلاع على الذات المقدسه فمما لا مطمع فيه لأحد. و فى المجمع أيضا قال سلطان المحققين: إن مراتب المعرفه مثل مراتب النار مثلا، و إن أدناها من سمع أن فى الوجود شيئا يعدم كلّ شىء يلاقيه، و يظهر أثره فى كل شىء يحاذيه، و يسمى ذلک الموجود نارا، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه تعالى معرفه المقلدين الذين صدّقوا بالدين من دون وقوف على الحجه، و أعلى منها مرتبه من وصل إليه دخان النار و علم أنه لا بد له من مؤثر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان، و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه معرفه أهل النظر و الاستدلال، الذين حكموا بالبراهين القاطعه على وجود الصانع، و أعلى منها مرتبه من أحسّ بحراره النار بحسب مجاورتها و شاهد الموجودات بنورها و انتفع بذلک الأثر. و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه معرفه المؤمنين المخلصين، الذين اطمأنت قلوبهم باللّه و تيقّنوا

أن اللّه نور السماوات و الأرض كما وصف به نفسه، و أعلى منها مرتبه من احترق بالنار بكليته و تلاشى فيها بجملته و نظير هذه المرتبه فى معرفه اللّه معرفه أهل الشهود و الفناء فى اللّه و هى الدرجه العليا و المرتبه القصوى، رزقنا اللّه الوصول إليها و الوقوف عليها بمنّه و كرمه، انتهى كلامه، رفع مقامه. و قيل: إن المراد من

قوله عليه السّلام: «من عرف اللّه» ، كما فى كثير من الأخبار هو المرتبه الثالثه أو الرابعه، و اللّه العالم. أقول: هذا معنى المعرفه لغه و اصطلاحا.

[فى بيان أحاديث الباب]

ثم إنه لا بد من ذكر أحاديث الباب ثم بيان ما يحتاج إلى التوضيح.

ففى الكافى و توحيد الصدوق بإسنادهما عن الفتح بن يزيد الجرجانى عن أبى الحسن عليه السّلام قال: سألته عن أدنى المعرفه؟ فقال: «الإقرار بأنه لا إله غيره و لا شبه له و لا نظير، و أنه قديم مثبت موجود غير فقيد، و أنه ليس كمثله شىء» .

و فى الكافى بإسناده عن ابن رئاب و عن غير واحد، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «من عبد اللّه بالتوهم فقد كفر، و من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، و من عبد الاسم و المعنى فقد أشرك، و من عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التى وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه، و نطق به لسانه فى سرائره و علانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام حقّا» .

و فى توحيد الصدوق فى ضمن روايه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام إلى أن قال: «و من زعم أنه يعرف اللّه بحجاب أو بصوره أو مثال فهو مشرك، لأن الحجاب و المثال و الصوره غيره و إنما هو واحد موحد، فكيف يوحد من زعم أنه عرفه بغيره، إنما عرف اللّه من عرفه باللّه، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه و إنما يعرف غيره، ليس بين الخالق و المخلوق شىء و اللّه خالق الأشياء لا من شىء يسمى بأسمائه فهو غير أسمائه، و الأسماء غيره و الموصوف غير الوصف. فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف فهو ضال عن المعرفه، لا يدرك مخلوق شيئا إلّا

بـاللّه، و لاـ يـدرك معرفه اللّه إلاّـ بـاللّه و اللّه خلو من خلقه و خلقه خلو منه، و إذا أراد شيئا كان كما أراد بأمره من غير نطق، لا ملجأ لعباده مما قضى، و لا حجه لهم فيما ارتضى، لم يقدروا على عمل و لا معالجه مما أحدث فى أبدانهم المخلوقه إلاّ بربهم، فمن زعم أنه يقوى على عمل لم يرد اللّه فقد زعم أن إرادته تغلب إراده اللّه تبارك اللّه ربّ العالمين» .

و فى البحار عن الاحتجاج، قال على عليه السّلام فى خطبه أخرى: «دليله آياته، و وجوده إثباته، و معرفته توحيده، و توحيده تمييزه عن خلقه، و حكم التمييز بينونه، صفه لا بينونه عزله. إنه ربّ خالق غير مربوب و غير مخلوق، ما تصور فهو بخلافه، ثم قال بعد ذلك: ليس بإله من عرّف بنفسه، هو الدال بالدليل عليه و المؤدّى بالمعرفه إليه» .

و فى التوحيد عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال عليه السّلام: «فى الربوبيه العظمى و الإلهيه الكبرى لا يكوّن الشىء لا من شىء إلاّ اللّه، و لا ينقل الشىء من جوهريته إلى جوهر آخر إلاّ اللّه، و لا ينقل الشىء من الوجود إلى العدم إلاّ اللّه» .

و فى التوحيد بإسناده عن أبى المعتمد مسلم بن أويس قال: حضرت مجلس على عليه السّلام فى جامع الكوفه فذكر الخطبه إلى أن قال عليه السّلام: «و كيف يوصف بالأشباح، و ينعت بالألسن الفصاح من لم يحلل فى الأشياء فيقال: هو فيها كائن و لم ينأ عنها فيقال: هو عنها بائن و لم يخل منها فيقال: أين و لم يقرب منها بالالتزاق، و لم يبعد عنها بالافتراق، بل هو فى الأشياء بلا كيفيه، و هو أقرب إلينا من حبل الوريد، و أبعد من الشبه من كلّ بعيد» .

و فى التوحيد بإسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن اللّه تبارك و تعالى كان و لا شىء غيره نورا لا ظلام فيه، و صادقا لا كذب فيه، و عالما لا جهل فيه، و حيّا لا موت فيه، و كذلك هو اليوم و كذلك لا يزال أبدا» .

و فيه بإسناده عن هارون بن عبد الملك قال: سئل أبو عبد اللّه عليه السّلام عن التوحيد فقال عليه السّلام: «هو عز و جل مثبت موجود لا مبطل و لا معدود، و لا فى شىء من صفه المخلوقين، و له عز و جل نعوت و صفات، فالصفات له و أسماؤها جاريه على المخلوقين، مثل السميع و البصير و الرءوف و الرحيم و أشباه ذلك، و النعوت نعوت الذات لا يليق إلّا باللّه تبارك و تعالى، و اللّه نور لا ظلام فيه، و حىّ لا موت فيه، و عالم لا جهل فيه، و صمد لا مدخل فيه، ربنا نورى الذات حىّ الذات عالم الذات صمدى الذات» .

و فى البحار، عن الاحتجاج، سئل أبو الحسن على بن محمد عليهما السّلام عن التوحيد، فقيل له: لم يزل اللّه وحده لا شىء معه، ثم خلق الأشياء بديعا، و اختار لنفسه أحسن الأسماء، أو لم تزل الأسماء و الحروف معه قديمه، فكتب: «لم يزل اللّه موجودا ثم كوّن ما أراد، لا رادّ لقضائه، و لا معقب لحكمه، تاهت أوهام المتوهمين، و قصر طرف الطارفين، و تلاشت أوصاف الواصفين، و اضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه، و الوقوع بالبلوغ على علوّ مكانه، فهو بالموضع الذى لا يتناهى، و بالمكان الذى لم يقع عليه الناعتون بإشاره و لا عباره هيهات هيهات» .

و فى التوحيد بإسناده عن الحسن بن سعيد الخزاز عن رجاله، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «اللّه غايه من غيّاه فالمغيّى غير الغايه، توحد بالربوبيه، و وصف نفسه بغير محدوديه، فالذاكر اللّه غير اللّه و اللّه غير أسماء، و كلّ شىء وقع عليه اسم شىء سواه فهو مخلوق، أ لا ترى قوله: العزه للّه العظمه للّه و قال: وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا و قال: قُلِ اُدْعُوا اَللّٰهَ أَوِ اُدْعُوا اَلرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فالأسماء مضافه إليه و هو التوحيد الخالص» (1). أقول: هذه جمله من الأحاديث التى وردت فى بيان معرفه اللّه مما يمكن للبشر الوصول إليها، و لها شرح يطول بيانه قد ذكر فى محلّه، و الغرض من ذكرها أن ما

1- 1) توحيد الصدوق ص ۵٨.

أدت إليه هذه الأحاديث من المعارف الإلهيه إنما هو موجود عندهم و قائمه بهم عليهم السّلام لا بغيرهم، و يدل على تحقق المعرفه و المعارف الإلهيه فيهم عدّه من روايات، فمنها:

ما فى البحار عن بصائر الدرجات بإسناده عن نصير العطار قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلى عليه السّلام: «يا على ثلاث أقسم إنّهنّ حقّ، إنك و الأوصياء عرفاء لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل معرفتكم، و عرفاء لا يدخل الجنه إلاّ من عرفكم و عرفتموه، و عرفاء لا يدخل النار إلاّ من أنكركم و أنكرتموه» .

و فيه (۱)عن البصائر و عن مختصر بصائر الدرجات بإسناده عن مقرن قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: جاء ابن الكوّاء إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين، وَ عَلَى اَلْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمٰاهُمْ فقال: «نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، و نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه عز و جل إلاّ بسبيل معرفتنا، و نحن الأعراف يعرفنا اللّه عز و جل يوم القيامه على الصراط، فلا يدخل الجنه إلاّ من عرفنا، و نحن عرفناه و لا يدخل النار إلاّ من أنكرنا و أنكرناه، إن اللّه لو شاء لعرف العباد نفسه، و لكن جعلنا أبوابه و صراطه و سبيله و الوجه الذى يؤتى منه. فمن عدل عن ولايتنا، أو فضل علينا غيرنا، فإنهم عن الصراط لناكبون، و لا سواء من اعتصم الناس به، و لا سواء من ذهب حيث ذهب الناس، ذهب الناس إلى عيون كدره يفرغ بعضها فى بعض، و ذهب من ذهب إلينا إلى عين صافيه تجرى بأمور (بأمر ربّها) لا نفاد لها و لا انقطاع» .

و فيه (۲)عن علل الشرايع عن سلمه بن عطا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: خرج الحسين بن على عليه السّلام على أصحابه فقال: «أيها الناس إن اللّه عز و جل ذكره ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عباده ما

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۲۵۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۳ ص ۸۳.

سواه، فقال له رجل: يا بن رسول اللّه بأبى أنت و أمّى، فما معرفه اللّه؟ قال: معرفه أهل كلّ زمان إمامهم الذى تجب عليهم طاعته» .

و فيه (١)عن إكمال الدين بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «الإمام علم بين اللّه عز و جل و بين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، و من أنكره كان كافرا» . فدلت هذه الأحاديث و نحوها على أن معرفه اللّه إنما هو بسبيل معرفتهم و من طريقهم و هم محالّه و سيجىء بيانه،

ثم إن هنا أمرين:

أحدهما: أنه لا سبيل إلى معرفه كنه ذاته تعالى،

و لم يكلف أحد بها بل منعوا عن ذلك.

ففى التوحيد بإسناده عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «تكلموا فى خلق اللّه و لا تكلموا فى اللّه، فإن الكلام فى اللّه لا يزيد إلّا تحيّرا» .

و فيه بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «اذكروا من عظمه اللّه ما شئتم، و لا تذكروا ذاته، فإنكم لا تذكرون منه شيئا إلّا و هو أعظم منه» .

و فيه بإسناده عن بريد العجلى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على أصحابه فقال: ما جمعكم؟ قالوا: اجتمعنا نذكّر ربّنا و نتفكر فى عظمته، فقال: لن تدركوا التفكر فى عظمته» . أقول: و الوجه فيه أنه تعالى محيط بكلّ شىء، فلا يكون محاطا بشىء كما حقّق فى محلّه.

و ثانيهما: أن المعرفه فى أىّ شخص كانت إنما هى من صنع اللّه لا من صنع بشر.

ففى توحيد الصدوق بإسناده عن محمد بن حكيم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام المعرفه صنع من هى؟ قال: «من صنع اللّه عز و جل ليس للعباد فيها صنع» .

و فيه بإسناده عن بريد بن معاويه العجلى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «ليس للّه على خلقه أن يعرفوا قبل أن يعرّفهم، و للخلق على اللّه أن يعرفهم، و للّه على الخلق

١- ١) البحار ج ٢٣ ص ٨٨.

إذا عرفهم أن يقبلوه، فدلت على أن المعرفه إنما هی علی اللّه تعالی، و لیس علی الخلق تحصیل المعرفه من قبل أنفسهم» ، و قد تقدم

قوله علیه السّلام: «هو الدال بالدلیل علیه» و هذا نظیر

قوله علیه السّلام فی الدعاء:

«یا من دلّ علی ذاته بذاته» . ثم إن المهم بیان المراد من المعرفه ثم بیان أنها فیهم علیهم السّلام و قائمه بهم، و أنهم محالها لا غیرهم فنقول: قد علمت أن المعرفه بشیء هو درکه بحیث یمتاز بجمیع شئونه عما سواه، فهذه بالنسبه إلیه تعالی لا یمکن بلحاظ ذاته المقدسه بنحو یدرک الإنسان ذاته تعالی، لما علمت من الأحادیث و الآیات الداله علی امتناعه، و هذا ظاهر لا خفاء فیه. نعم: یمکن تعلق المعرفه بالذات أی امتیاز الذات الربوبی عن غیره، بحیث یرجع إلی نفی الشریک عنه تعالی فی ذاته. و لعلّ

قوله علیه السّلام فیما تقدم: «توحیده تمییزه عن خلقه» ، یشیر إلی هذا، فلا محاله حینئذ لا معنی لمعرفته تعالی إلاّ بلحاظ معرفه أسمائه، التی وصف بها نفسه تعالی بحیث یمتاز عمّا سواه من غیره، و لا یشارکه فیه أحد، فمن عرف اللّه بصفاته، التی عرف نفسه بها و میّزه عن غیره فقد عرف اللّه. ثم: إن معرفه الصفات علی قسمین: الأول: معرفه تلک الأسماء بلحاظ مفاهیمها، و ما به امتیاز کلّ صفه عن غیره بنحو یمکن اتصاف ذاته المقدسه بها، مع حفظ مقام التوحید له تعالی، و هذا مبین فی الکتب الکلامیه و الکتب العرفانیه. و الثانی: معرفه مصادیق تلک الصفات، و أنها أین حلّت و کیف وجدت فی عالم الوجود؟ فحینئذ نقول:

قوله علیه السّلام:

«محال معرفه اللّه»

إشاره إلی أن ذواتهم المقدسه هی محال معرفه اللّه تعالی، و إضافه المحال إلیها من قبیل إضافه محل الشیء إلی نفسه، و هو فی الأمور المعنویه یفید معنی الإضافه البیانیه، فمرجع الکلام حینئذ إلی أنهم

نفس معرفه اللّه تعالى لا أن ذاتهم محل و المعارف شيء آخر قد حلت فيهم، بل هى نفس المعارف الإلهيه، و لذا

قال الحسين عليه السّلام فى بيان معرفه اللّه: «معرفه أهل كلّ زمان إمامهم» ، فحاصل كلامه عليه السّلام: أن معرفه اللّه هو معرفه الإمام عليه السّلام، و كذا

قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «و نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل معرفتنا،

فسبيل معرفتهم هو معرفه اللّه تعالى»

اشاره

و هذا يبيّن على وجوه

منها: ما عن الكراجكى (قدس اللّه روحه)

فإنه رحمه اللّه قال على ما حكى عنه فى البحار (١): اعلم أنه لما كانت معرفه اللّه و طاعته لا ينفعان من لم يعرف الإمام (أقول: كما دلّت عليه أحاديث كثيره و قد تقدم بعضها) و معرفه الإمام و طاعته لا تقعان إلاّ بعد معرفه اللّه، صحّ أن يقال: إن معرفه اللّه هى معرفه الإمام و طاعته، و لما كانت أيضا المعارف الدينيه العقليه و السمعيه تحصل من جهه الإمام، و كان الإمام آمرا بذلك و داعيا إليه، صحّ القول: إنّ معرفه الإمام و طاعته هى معرفه اللّه سبحانه، كما نقول فى المعرفه بالرسول و طاعته أنها معرفه باللّه سبحانه، قال اللّه عز و جل: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (٢)و ما تضمنه قول الحسين عليه السّلام من تقدم المعرفه على العباده غايه فى البيان و التنبيه، إلى آخر كلامه (زيد فى علو مقامه) . أقول: حاصل كلامه أنه بعد اشتراط قيود الأعمال و العقائد بالولايه، و بعد انحصار تحصيل تلك المعارف منهم و فيهم و بهم و ببيانهم، صحّ القول: إنّ معرفه الإمام عليه السّلام هى معرفه اللّه تعالى.

و منها: أن معرفه اللّه لا يمكن حصولها إلاّ بتعرّفه تعالى،

و تعريفه تعالى لمن يريد أن يعرفه نفسه، ثم إن تعرّفه و تعريفه تعالى هو وصفه لعبده، أى إظهار وصفه فى عبده بأن تكون حقيقه عبده و صفه تعالى، و معلوم أن الشيء إنما يعرف بوصفه، و ذلك الوصف الذى يعرف به هو حقيقه ذات العبد، و ليس له حقيقه غيرها، و هو

١- ١) البحار ج ٢٣ ص ٩٣.

٢- ٢) النساء:٨٠.

المعبر عنه بقوله تعالى: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي (۱)فالروح المضاف إليه هو وصفه تعالى. و هذا التعرّف و التعريف الذى هو ذات العبد أحدثه اللّه تعالى بفعله، يعنى أنه صفه الفعل الخاص به، و فرد من الفعل المطلق له تعالى، و هيئه من هيئات أفعاله تعالى، فمثل العبد و ذاته كمثل الكتابه التى هى هيئه حركه يد الكاتب، فهيئه الكتابه تدل على هيئه حركه اليد، فهيئه ذات العبد التى هى تعرف إليه، و تعريفه تعالى هيئه مشيته تعالى الخاصه بهذا العبد فذاته أثر مشيته تعالى و معلولها، فالأثر يدل على المؤثر الذى هو الفعل أى المشيه الخاصه مثلا، و الفعل يدل على الفاعل، لأن الفعل هو ظهور الفاعل و أثر منه. فتحصل أن ذات العبد التى هى أعلا مراتب وجوده، و حقيقته الأوليه هى معرفه اللّه أى تعرّفه و تعريفه تعالى، لأنها ذات العبد و صفته تعالى، و الصفه ما بها معرفه الموصوف، و إلى هذا لعلّه يشير

قوله عليه السّلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» حيث جعل معرفه النفس عين معرفه الرب، و ذلک لأن النفس هى صفته تعالى و تعرفه و تعريفه بنحو ما ذكر، فتحصل أن ذات كلّ أحد هى معرفه اللّه. ثم إنه عرّف نفسه لخلقه بخلقه و تجلى لهم بهم

كما فى النهج: لم تحط به الأوهام، بل تجلى بها لها، و امتنع بها منها، و لكن هذا التعرف و التجلى المذكور له مراتب، فكلّ يعرف اللّه تعالى على قدر ما فى ذاته من صفته تعالى، و لما كانت أرواح الأئمه عليهم السّلام بل الأربعه عشر و ذواتهم من أتم مظاهره تعالى كما علمت من

قول على عليه السّلام: «ما للّه آيه أكبر منى» ، فلا محاله أن ذواتهم المقدسه هى معرفه اللّه بالقول المطلق، لأنه تعالى تعرف بهم لهم و لخلقه بالنحو الأتم الأكمل و بالتجلى الأعظم فيهم عليهم السّلام. فتحصل أنهم معرفه اللّه تعالى، و حينئذ فإضافه المحل إليهم بلحاظ أن الشىء محل نفسه، فالإضافه بيانيه، فكونهم عليهم السّلام محال معرفه اللّه أى أنهم معرفه اللّه.

۱- ۱) الحجر:۲۹، سوره ص:۷۲.

و لعلّه يشير

قول الحسين بن على عليهما السّلام بعد السؤال عن معرفه اللّه تعالى: «معرفه أهل كلّ زمان إمامهم» ، إلخ. فمرجع قوله عليه السّلام إلى أن معرفه الإمام هو معرفه اللّه بعد إسقاط الإضافات البيانيه فى العباره كما لا يخفى. ثم إذا كنت أنت عرفت نفسك فقد عرفت ربّك، فما ظنك بهم عليهم السّلام؟ فمعرفه أنفسهم المقدسه هى معرفه اللّه تعالى. و إليه يشير أيضا

قول أمير المؤمنين عليه السّلام فيما تقدم: «نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل معرفتنا» ، أى أن معرفتنا بها يعرف اللّه يعنى هى معرفه اللّه تعالى. و إليه يشير أيضا

قوله لسلمان و أبى ذر رحمه اللّه: «معرفتى بالنورانيه معرفه اللّه» ، فافهم تعرف إن شاء اللّه.

و منها: ان اللّه تعالى جعل ذواتهم المقدسه خزائن معارفه،

و خزائن معرفه الخلق سواهم، فما من أحد من الخلق سواهم عرف اللّه إلاّ و قد تنزلت المعرفه من خزائن ذاتهم إليه، فهم بما عندهم معارف اللّه، و إن نزول المعارف منهم إلى الخلق مصداق لقوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (۱). و لعله إليه يشير

ما عن محمد بن يعقوب بإسناده عن عمار الساباطى، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: أَ فَمَنِ اِتَّبَعَ رِضْوانَ اَللّهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اَللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اَللّهِ (۲)فقال: «الذين اتبعوا رضوان اللّه هم الأئمه عليهم السّلام و هم و اللّه يا عمار درجات للمؤمنين و بولايتهم و معرفتهم إيانا يضاعف اللّه لهم أعمالهم، و يرفع لهم الدرجات العلى» .

فقوله عليه السّلام: «و بولايتهم و معرفتهم إيانا» إلخ، ظاهر فى أن معرفتهم الكائنه فيهم

ص: ۲۷۵

۱- ۱) الحجر:۲۱.

۲- ۲) آل عمران:۱۶۲-۱۶۳.

ما بها درجاتهم، فبقدر ما ينزل من معارفهم عليهم السّلام إلى قلوبهم تكون درجاتهم و تضاعف أعمالهم. رزقنا اللّه ذلك بمنه و كرمه إن شاء اللّه تعالى.

و منها: [فى اختلاف أخذ المعارف عن الناس بخلاف الأئمه عليهم السلام]

إنا نرى أن كلّ واحد من الخلق قد أخذ معارفه من أحد من الناس، فهم مختلفون فيها كما لا يخفى، و لكن نرى أن من أخذ معارفه منهم عليهم السّلام فهى صحيحه لا اختلاف فيها، و إذا نظرنا فيها بعين البصيره و العقل و الفهم و الدقه علمنا أنها هى المعارف الحقه لا المأخوذه من غيرهم، فيعلم من هذا الاستقراء و التفحص أنهم عليهم السّلام محال معرفه اللّه لا غيرهم، إذ المأخوذه من غيرهم غير صحيحه دون ما أخذت منهم، فالمعرفه الصحيحه عندهم لا عند غيرهم فهم محال معرفه اللّه. و إليه يشير ما تقدم من

قول الصادق عليه السّلام لحكم بن عيينه و سلمه بن كهيل: «شرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحيحا إلّا شيئا خرج من عندنا» . فمن صحه معارفهم و فساد معارف غيرهم و تناقضها يعلم أنهم عليهم السّلام محالها، و توجد عندهم لا عند غيرهم، فإذا أردت توضيح ما قلناه فراجع كتاب إحقاق الحقّ، لتعلم العقائد المتخالفه و المتهافته للعامه و لمن لم يقتبس معارفه منهم عليهم السّلام.

و منها: [فى بيان أن المعارف الإلهيه دقيقه لطيفه]

أن المعارف الإلهيه لما كانت دقيقه لطيفه، لأنها من الأسرار المعبر عنها

بقولهم: «إنّ أمرنا سرّ مستور» ، فإن المراد من أمرهم هو المعارف الإلهيه و الولايه المطلقه الإلهيه كما تقدم، فالمعارف الإلهيه حيث إنها حقّ محض و محض الحقّ، و هى كما نطقت به الأحاديث أدقّ من الشعر، و أحدّ من السيف، فلا محاله يكون دركها و أخذها و حفظها فى النفس مشكلا جدا، و لعل أكثر الناس بل جميعهم ربما يشتبهون فى تمييز حقها من باطلها، فلا محاله لا بد من عرضها من كلّ أحد إلى الإمام عليه السّلام، ليصدقها، فيعلم من تصديقه إياها أنها صحيحه فإذا عرضت عليهم، و طابقت المعتقد مع ما عندهم من المعارف الحقه صحيحه و إلّا فلا. و حينئذ لا بد من أن يكونوا محالا لمعرفه اللّه تعالى الصحيحه، التى لا ريب فيها أبدا، لكى يجعل ميزانا للتمييز، فحينئذ معنى كونهم محال معرفه اللّه أنه لا بد من ردّ

كلّ معرفه إليهم، فمن طريقهم و معارفهم يتجاوز المعارف إلى اللّه تعالى، فإنهم أبواب اللّه لا غيرهم، فلو لم يصدقوها لم يتجاوز المعارف المردوده إليه تعالى. و لعلّه إليه يشير قوله تعالى: إِلَيْهِ يَصْعَدُ اَلْكَلِمُ اَلطَّيِّبُ المفسّر بالولايه أى الولايه الصحيحه الكائنه فى العبد الحاصله منهم و المصححه بهم يصعد إليه تعالى. و الحاصل: أن معارف العباد لا بد من مطابقتها مع أصل المعارف الكائنه فيهم عليهم السّلام و مقترنه بها، حتى يتجاوزوا إلى اللّه تعالى، و إلّا لما كانت معرفه اللّه تعالى بل لغيره و إلى غيره كما لا يخفى. و لعلّه إلى ما ذكر يشير ما عرضه عبد العظيم الحسنى عليه السّلام حيث عرض دينه على إمامه فصدقه، و دعا له بأن يثبته اللّه تعالى عليه، فتأمل تعرف.

و منها: [فى خلق أرواح المؤمنين من فاضل طينتهم عليهم السلام]

أنه قد دلّت أحاديث كثيره على أنّ أرواح شيعتهم خلقت من فاضل طينتهم كما تقدم، و دلت أيضا أحاديث أخر على أن أمير المؤمنين عليه السّلام إنما سمى أمير المؤمنين، لأنه كان يمير العلم للمؤمنين، و قد تقدم حديثه. و تقدم

قول الصادق عليه السّلام «يا أبا خالد و اللّه إن الأئمه عليهم السّلام هم الذين ينورون قلوب المؤمنين» . فيعلم من ذلك كلّه أن كلّ معرفه إذا لم تؤخذ و لم تضف و لم تنسب إليهم عليهم السّلام كانت باطله و عدما محضا، و إن كانت ملفّقه بصوره علم. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام كالعله الماديه لوجود المعارف فى قلوب المؤمنين، فإذا لم تؤخذ منهم لم تكن معرفه بل صوره لا حقيقه لها، و من هذا يعلم أنه كما أن ماده المعارف تكون منهم، فكذلك صوره المعارف و حدودها منهم أيضا، فكما أنهم عليهم السّلام كالعله الماديه كذلك فهم كالعله الصوريه، فحدود المعارف و تمييزها أيضا منهم.

و منها: [فى عرض المعارف على معارفهم عليهم السلام]

أنه قد علمت أن المعارف لا بد من عرضها على معارفهم، فإن طابقت معها كانت صحيحه و إلّا كانت باطله، فحينئذ نقول: إذا عرضت المعارف عليهم فلهم أن يقبلوها و يصدقوها، و لهم أن يردّوها، فهم عليهم السّلام ميزان الرد و القبول، ثم إنّ

عدم القبول قد یکون بنحو الرد، و قد یکون بحیث لم یلتفتوا إلیها، و لم یسقوها من حوض معارفهم، فلا محاله تموت المعارف و تتفرق فیصیر مصداقا لقوله: وَ قَدِمْنٰا إِلیٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً (۱). فإن الآیه تدل علی أن العمل کان صحیحا قابلا للقبول، إلاّ أنه بالإقدام علی إفنائه صار هباء منثورا، کما دلّت الأحادیث الوارده فی تفسیر هذه الآیه المبارکه من أنه کانت أعمالهم أشد بیاضا من القباطی، و لکنه إنما أفناها اللّه تعالی لأجل أن عاملها لم یکن له ورع، بل کان مع هذا یعمل السیئات فأحبطت السیئات أعمالهم. و الحاصل: أن المعارف قد تکون صحیحه، و لکن لخلل فی العارف من سایر الجهات، فقد تکون هذه المعارف غیر معتن بها فتصیر فناء و هباء، فهم علیهم السّلام محال المعارف یعنی إذا لم یعتنوا بمعارفهم و لم یسقوها بماء حقائقهم و معارفهم التی هم محالها، فلا محاله تفنی و تموت بقاء، و إن کانت صحیحه حدوثا، و هذا بخلاف الرد فإنه یدل علی فسادها حدوثا کما لا یخفی. فتحصل أنهم محال المعارف أی بهم یعرف اللّه و تعرفه بهم، و هم المقدرون للمعارف و المعطون إیاها لشیعتهم و بهم إمضائها و ردها أو الإعراض عنها و بهم تمییز حقّها من باطلها، کلّ ذلک لأنهم محال المعارف الصحیحه الواقعیه الإلهیه، فهی عندهم و بهم و منهم بل هی هم لا غیرهم کما لا یخفی.

و منها: [أنهم الأسماء الحسنی]

أنه قد تقدم مرارا أنهم الأسماء الحسنی له تعالی، و الأسماء لها اعتباران: اعتبار حقیقتها من حیث المفهوم الممتاز عما سواه، و قد حقق هذا فی الکتب الکلامیه و العرفانیه. و قد تقدم عن الرضا علیه السّلام: أن الاسم عباره عن صفه لمسمی فهو معرّف له، فالموصوف و المسمی یعرف باسمه و صفته، و معنی کونهم علیهم السّلام الأسماء الحسنی کما

۱- ۱) الواقعه:۶.

تقدم عن أمير المؤمنين و الصادق عليهما السّلام أنهم حقائق تلك الأسماء، لا مفاهيمها كما لا يخفى. فهم حينئذ بما أنهم تلك الحقائق فلا محاله صفات له تعالى، و معرف له تعالى بحقائقهم، و هى حقيقه ولايتهم المطلقه، التى هى ولايه اللّه التى تجلى اللّه تعالى بها فيهم كما أشير إليه

بقوله عليه السّلام فى الدعاء:

«اللهم إنى أسألك بالتجلى الأعظم»

، فهم بحقائقهم و عقائدهم و صفاتهم و أعمالهم معرفون له تعالى، فإن ذواتهم المقدسه حيث كانت فانيه عن غيره تعالى و والهه فيه تعالى، فلا محاله لا أثر فيهم ظاهرا إلاّ و هو له تعالى. و إليه يشير

قوله عليه السّلام فيما تقدم: «لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك» .

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «من رآنى فقد رأى الحق» .

و قوله عليه السّلام فى إذن الدخول لعموم المشاهد المشرفه: «و الحمد للّه الذى منّ علينا بحكام يقومون مقامه لو كان حاضرا فى المكان» .

و قوله تعالى فى الأحاديث المتعدده ما حاصله: «لا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت يده و رجله و سمعه» ، إلخ.

و قوله عليه السّلام فيما تقدم: «ولايتنا ولايه اللّه التى ما بعث نبيّا قطّ إلاّ بها» . و غيرها من الألفاظ الوارده الحاكيه عن كونهم عليهم السّلام مظاهر له تعالى، فهم عليهم السّلام بما هم مظاهره فلا محاله معارفه و معرفوه تبارك و تعالى، و كيف و هم صنايع اللّه التى ظهرت فيها قدرته فعرف نفسه بها، ثم لا يخفى أنهم عليهم السّلام إنما كانوا محال معرفه اللّه تعالى بذواتهم و أرواحهم المقدسه، التى خلقت من نور عظمته، كما تقدم فيهم عليهم السّلام بتلك الروحيه النورانيه الجامعه لكلّ شىء محال معرفه اللّه تعالى كما لا يخفى. و ربما سيجىء الكلام فى توضيحه فى طىّ الشرح بما يبين ذلك إن شاء اللّه تعالى.

قوله عليه السّلام: و مساكن بركه اللّه.

أقول: المساكن جمع مسكن و هو محل الاستقرار و السكون بدون تحوّل و انتقال، أى بركه اللّه ساكنه و مستقره عندهم، و يمكن أن يراد من إضافه المسكن إليها الإضافه البيانيه، فإنهم عليهم السّلام نفس البركه و تلك المساكن هى نفس البركه التى تجرى للخلق. و أما البركه فقد تقدم أنها بمعنى النماء و الزياده و السعاده و النفع، و عن المجلسى الأول: أى بهم عليهم السّلام يبارك على الخلائق بالأرزاق الصوريه و المعنويه، كما تدل عليه الأخبار المتواتره، و نبّه عليه المحقق الدوانى فى شرح الهياكل.

أقول: قد تقدمت أحاديث كثيره عن التوحيد و غيره تدل على أن الأرزاق بقسميها إنما تصل إلى الخلق بواسطتهم و هذا لا ريب فيه، و لكن هذا ليس معنى لبركه، بل هو مقتضى كونهم وسائط الفيض المستفاد من كثير من الأخبار. و أما البركه فقد علمت أن معناها النماء و الزياده و السعاده و النفع، و هذه الأمور كما ترى هى صفات و آثار للأرزاق المعطاه للخلق لا نفس الأرزاق، فحينئذ معنى العباره أن الأرزاق بجميع معانيها على قسمين: أحدهما: ما لا بركه فيه، فإنا نرى كثيرا من أرزاق العباد بقسميها لا يكون ذا بركه فلا- نمو لها و لا زياده، و لا يسعد بها صاحبها و لا ينتفع بها، سواء أ كانت ماديه أو معنويه، فترى من له مال كثير لا بركه له، فلا نمو له و لا زياده، فلا ينتفع صاحبه منه و لا يسعد به، و كذا الأرزاق المعنويه فنرى من له العلم و العقل و الفهم و مع ذلك لا- يستفيد منها. فهو إما مصداق لقوله تعالى: مَثَلُ اَلَّذِينَ حُمِّلُوا اَلتَّوْرٰاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهٰا كَمَثَلِ اَلْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً (۱)حيث لم يستفد من علمه، أو مصداق لقوله تعالى: وَ لَقَدْ ذَرَأْنٰا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ يَفْقَهُونَ بِهٰا

۱- ۱) الجمعه:۵.

وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لاّٰ يُبْصِرُونَ بِهٰا وَ لَهُمْ آذٰانٌ لاّٰ يَسْمَعُونَ بِهٰا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ. .

(۱)

، فهؤلاء قد أعطوا الأرزاق المعنويه إلاّ أنه لا بركه لهم فيها. و ثانيهما: ما فيه البركات فكما أن ذواتهم المقدسه عليهم السّلام سبب لأصل الفيوضات و الأرزاق مطلقا، فكذلك هم السبب لبركتها حيث إنهم مساكنها، فالنمو و الزياده و السعاده و النفع منها إنما هى منهم عليهم السّلام. فبولايتهم و الارتباط بهم يبارك اللّه تعالى فى الأرزاق، و هذا بخلاف مخالفيهم فإنهم لا بركه لهم بما لها من المعانى فى أرزاقهم، كما نرى ذلك منهم و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و معادن حكمه اللّه.

أقول: معادن جمع معدن و هو بمعنى الأصل و محل الإقامه للشيء أو منبت أصل الشيء، و قد تقدم فى

قوله عليه السّلام:

«و معدن الرحمه»

. و أما الحكمه فنقول: هى من الحكم و هو (بالضم) لغه القضاء، و الحاكم منفذ الحكم، و كذلك الحكم (محركه) أى منفذ الحكم، و جمعه حكام، و الحكيم صاحب الحكمه عمليا أو علميا، و المحكمات جمع المحكم. قال فى المجمع، و هو فى اللغه المضبوط المتقن. و فى الاصطلاح-على ما ذكره بعض المحققين-يطلق على ما اتضح معناه، و ظهر لكل عارف باللغه (أقول: أى فى أى لغه، على الظاهر) و على ما كان محفوظا من النسخ و التخصيص أو منهما معا، و على ما كان نظمه مستقيما خاليا عن الخلل، و على ما لا يحتمل التأويل إلاّ وجها واحدا.

ص: ۲۸۱

۱- ۱) الأعراف:۱۷۹.

قال: و يقابله بكلّ من هذه المتشابه، إلى أن قال: قوله تعالى: وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً أى يعطى اللّه الحكمه (أى العلم) و يوفق للعمل، و قيل: الحكمه القرآن و الفقه. إلى أن قال: و الحكمه العلم الذى يرفع الإنسان عن فعل القبيح، مستعار من حكمه اللجام، و هى ما أحاط بحنكك الدابه يمنعها الخروج، و الحكمه: فهم المعانى. و سميت حكمه لأنها مانعه من الجهل.

و فى الحديث قوله تعالى: وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَةَ قال: هى طاعه اللّه و معرفه الإمام، و قوله: وَ يُعَلِّمُهُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ قيل: أى الفقه و المعرفه، و قيل (فى قوله تعالى: أُحْكِمَتْ آيٰاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ : أى أحكمت بالأمر و النهى ثم فصلت بالوعد و الوعيد، أو أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال و الاشتباه. إلى أن قال: و الحكم: العلم و الفقه و القضاء بالعدل، و هو مصدر حكم يحكم قال: و من أسمائه تعالى الحكيم و هو القاضى، فالحكيم فعيل بمعنى فاعل أو هو الذى يحكم الأشياء و يتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل، أو ذو الحكمه و هى معرفه أفضل الأشياء بأفضل العلوم. إلى أن قال: و الحكمه العمليه ما لها تعلق بالعمل كالعلم بأحوال أصول الموجودات الثمانيه: الواجب و العقل و النفس و الهيولى و الصوره و الجسم و العرض و الماده.

و فى الحديث: «ما من عبد إلاّ و فى رأسه حكمه و ملك يمسكها فإذا تكبر قال له: اتضع، و إذا تواضع قال: انتعش، فلا يزال أصغر الناس فى نفسه و أرفع الناس فى أعين الناس» .

و فى الحديث: «الكلمه الحكيمه ضاله الحكيم» ، إلى آخر كلامه رحمه اللّه. هذه موارد استعمال لفظ الحكمه، و المستفاد منها أن كل أمر كان مضبوطا و متقنا و ثابتا (أى كان بنحو تقتضيه البراهين المتقنه و العقول الكامله السليمه) فهو

فی نفسه حکمه، و باعتبار ثبوته لأحد یسمی محکما (بالفتح) و العالم به و صاحبه هکذا یسمی حکیما و المنفذ له و القاضی به یسمی حاکما فالحکم (بالضم) بمعناه الاسم المصدری هو الثابت فی نفس الأمر. و من هنا یعلم وجه تسمیه الآیات المحکمات بالمحکمات، لأنها ثابته عند کلّ أحد و واضحه، و لعلّه المراد من قول من قال: أی أحکمت عباراتها، بأن حفظت من الاحتمال و الاشتباه، و علم أیضا وجه تفسیرها بالفهم و الفقه، فإن الحقّ إذا ثبت فی القلب بنحو لا یقبل الزوال، فهو مما تعلق به الفهم و الفقه. و قال بعض الأعاظم فی قوله تعالی حِکْمَهٌ بالِغَهٌ (۱): الحکمه کلمه الحقّ، و البلوغ وصول شیء إلی ما تنتهی إلیه المسافه، و یکنّی به عن تمام الشیء و کماله إلخ. و لما کان القرآن محکما فسر الحکمه به أیضا، و تفسیر بعضهم لها بما کان محفوظا من النسخ و التخصیص هو تفسیر بلازمها، فإن الحفظ منهما من لوازم ثبوته فی القلب و الواقع بنحو لا یزول، ففی الحکمه أخذ معنی الثبوت و الامتناع عن الزوال کما یستفاد من قولهم: الحکمه مستعار من قولهم: حکمه اللجام و هی ما أحاط بحنک الدابه یمنعها الخروج، فکلّ أمر ثبت فی القلب بحیث لا یقبل الزوال و الخروج منه فهو حکمه، فالحکمه صفه عارضه للأمور فی القلب. و لذا فسّرت الحکمه (کما فی المحکی عن المفردات) بإصابه الحقّ بالعلم و العقل.

و قوله علیه السّلام: «الکلمه الحکیمه» ، أی التی هی فی نفسها محکمه تقتضیها الأدله و البراهین القطعیه و هی ضاله الحکیم.

و قوله علیه السّلام: «ما من عبد إلاّ و فی رأسه حکمه» ، أی ما به تحقق الحکمه، و هو العقل الذی منه الحکمه، و لذا قد تفسر الحکمه فی الأحادیث بالعقل أیضا. فکلّ أمر کان فی صقع وجوده ثابتا فهو من مصادیق الحکمه، و هی أفضل من

۱- ۱) القمر:۵.

العلم، لأنه قد لا يعمل صاحبه بمقتضى علمه، و هذا بخلاف الحكمه فإنها لما كانت ثابته فى القلب فلا محاله يستفيد صاحبها منها و لذا قال تعالى: وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً . إذا علمت هذا فلا بد من بيان المراد من

قوله عليه السّلام:

«و معادن حكمه اللّه» ،

و منه يعلم أيضا تفسير الحكمه بالإمام عليه السّلام و بطاعته فنقول و عليه التوكل:

فعن الكافى قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إنا أهل البيت شجره النبوه و موضع الرساله، و مختلف الملائكه و بيت الرحمه و معدن العلم» .

و فيه عن خثيمه قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا خثيمه نحن شجره النبوه و بيت الرحمه و مفاتيح الحكمه و معدن العلم» ، الحديث و قد تقدم بتمامه.

و فى غايه المرام (١)، عن ابن بابويه بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلى بن أبى طالب عليه السّلام: «يا على أنا مدينه الحكمه و أنت بابها، و لن تؤتى المدينه إلاّ من قبل الباب» .

و فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن مرازم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «علّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليا عليه السّلام ألف باب يفتح كلّ باب ألف باب» . و فيه عن المفيد رحمه اللّه بإسناده عن أم سلمه (رضى اللّه عنها) زوجه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قالت: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. . إلخ.

و فيه ابن يعقوب بإسناده عن بشير الدّهان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مرضه الذى توفى فيه: «ادعو لى خليلى، فأرسل إلى على عليه السّلام فلما نظر إليه أكب عليه يحدّثه، فلما خرج لقياه فقالا له: ما حدّثك خليلك؟ فقال: حدثنى ألف باب (يفتح ظ) كلّ باب ألف باب» .

و فيه عن الصفار قال: و رواه المفيد أيضا، بإسنادهما عن أبى إسحاق السبيعى قال: سمعت بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام ممن يثق به يقول: سمعت عليا عليه السّلام

١- ١) غايه المرام ص ٩٢٣.

یقول: «إن فی صدری هذا لعلما جما علمنیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لو أجد له حفظه یرعونه حقّ رعایته، و یروونه عنی کما یسمعونه منی إذا أودعتهم بعضه لیعلم به کثیرا من العلم مفتاح کلّ باب و کلّ باب یفتح ألف باب» .

و فیه ابن یعقوب بإسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «کان فی ذوابه سیف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صحیفه صغیره، قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: أیّ شیء کان فی تلک الصحیفه؟ قال: الأحرف التی یفتح کلّ حرف ألف حرف، قال أبو بصیر قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: فما خرج حرفان حتی الساعه» . و قد تقدم حدیث کامل التمار فی معنی الولایه.

و فیه، المفید بإسناده عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علمنی ألف باب من الحلال و الحرام یفتح کلّ باب ألف باب حتی علمت البلایا و الوصایا و فصل الخطاب، حتی علمت المذکرات من النساء و المؤمنین من الرجال» .

و فیه محمد بن الحسن الصفار بإسناده عن الأصبغ بن نباته قال: کنت مع أمیر المؤمنین علیه السّلام فأتاه رجل فسلّم علیه ثم قال: یا أمیر المؤمنین إنی أحبک فی اللّه و أحبک فی السرّ و العلانیه کما أحبک فی العلانیه، و أدین اللّه بولایتک فی السرّ کما أدینه فی العلانیه، قال: و بید أمیر المؤمنین عود فتطاطأ به رأسه ثم نکت بعوده فی الأرض ساعه ثم رفع رأسه إلیه ثم قال: «إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حدثنی بألف حدیث کلّ حدیث ألف باب، و إن أرواح المؤمنین لتلتقی فیشام فما تعارف منها ائتلف و ما تناکر منها اختلف، و بحقّ اللّه لقد کذبت، فما أعرف وجهک فی الوجوه، و لا اسمک فی الأسماء. ثم دخل علیه آخر فقال: یا أمیر المؤمنین إنّی لأحبک فی اللّه، و أحبک فی السرّ کما أحبک فی العلانیه، و أدین اللّه بولایتک فی السّر کما أدین بها فی العلانیه، قال: فنکت بعوده الثانیه فرفع رأسه إلیه فقال: صدقت إن طینتنا طینه مخزونه أخذ اللّه

میثاقها من صلب آدم فلم یشذ منها شاذ، و لا یدخل فیها داخل من غیرها، فاذهب فأعد للفقر جلبابا فإنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: و اللّه الفقر إلی شیعتنا أسرع من السیل إلی بطن الوادی» .

و فی أصول الکافی بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: هُوَ اَلَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ مِنْهُ آیٰاتٌ مُحْکَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ اَلْکِتٰابِ . قال: «أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام و أخر متشابهات، قال: فلان و فلان، فأما الذین فی قلوبهم زیغ، أصحابهم و أهل ولایتهم، فیتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنه و إبتغاء تأویله، و ما یعلم تأویله إلاّ اللّه و الراسخون فی العلم أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام» .

و فی أصول الکافی فی حدیث هشام الطویل عن موسی بن جعفر علیه السّلام: «یا هشام إن اللّه قال: وَ لَقَدْ آتَیْنٰا لُقْمٰانَ اَلْحِکْمَهَ ، قال: الفهم و العقل» .

و فی تفسیر نور الثقلین عن تفسیر علی بن إبراهیم، عن علی بن النظر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت: جعلت فداک ما تقول فی قوله تعالی: وَ لَقَدْ آتَیْنٰا لُقْمٰانَ اَلْحِکْمَهَ ؟ قال: «أوتی معرفه إمام زمانه» .

و فیه (۱)علی بن إبراهیم بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: وَ مَنْ یُؤْتَ اَلْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً فقال: «طاعه اللّه و معرفه الإمام علیه السّلام» .

و فیه یونس عن ابن مسکان، عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول:

وَ مَنْ یُؤْتَ اَلْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً قال: «معرفه الإمام و اجتناب الکبائر التی أوجب اللّه علیها النار» .

و فیه، فی تفسیر علی بن إبراهیم،

یُؤْتِی اَلْحِکْمَهَ مَنْ یَشٰاءُ وَ مَنْ یُؤْتَ اَلْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً قال: «الخیر الکثیر معرفه أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام» .

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۲۲۸.

و فیه، فی تفسیر العیاشی عن سلیمان بن خالد قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه: وَ مَنْ یُؤْتَ اَلْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً فقال: «إن الحکمه المعرفه و التفقه فی الدین، فمن تفقه منکم فهو حکیم، و ما أحد یموت من المؤمنین أحبّ إلی إبلیس من فقیه» .

و فیه، فی محاسن البرقی بإسناده عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه تبارک و تعالی: وَ مَنْ یُؤْتَ اَلْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً فقال: «هی طاعه اللّه و معرفه الإسلام» .

و فی مصباح الشریعه قال الصادق علیه السّلام: «الحکمه ضیاء المعرفه، و میزان التقوی و ثمره الصدق، و لو قلت: ما أنعم اللّه علی عباده بنعمه أنعم و أعظم و أرفع و أجزل و أبهی من الحکمه! لقلت: قال اللّه عز و جل: یُؤْتِی اَلْحِکْمَهَ مَنْ یَشاءُ وَ مَنْ یُؤْتَ اَلْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً وَ ما یَذَّکَّرُ إِلاّ أُولُوا اَلْأَلْبابِ أی لا یعلم ما أودعت و هیأت فی الحکمه إلاّ من استخلصته لنفسی و خصصته بها، و الحکمه هی النجاه، و صفه الحکمه الثبات عند أوائل الأمور، و الوقوف عند عواقبها، و هو هادی خلق اللّه إلی اللّه» . أقول:

قوله علیه السّلام: «الحکمه هی النجاه» إلخ بیان لآثارها الثابته للحکیم الذی یکون مشیه علی طبقها.

و قوله علیه السّلام: «و صفه الحکمه الثبات» إلخ یشیر إلی هذا المشی الهادی إلی الحقّ تعالی.

و فی تفسیر فرات بن إبراهیم، عن ابن عباس أنه قال فی قوله تعالی: وَ یُعَلِّمُهُمُ اَلْکِتابَ وَ اَلْحِکْمَهَ : «الکتاب القرآن و الحکمه ولایه علی علیه السّلام» .

و فیه عن الکاظم علیه السّلام قال: «نحن حکماء اللّه فی أرضه» .

و عن الکافی عن سیف التمار قال: کنا مع أبی عبد اللّه علیه السّلام جماعه من الشیعه فی الحجر فقال: «علینا عین فالتفتنا یمنه و یسره فلم نر أحدا فقلنا: لیس علینا عین،

فقال: و رب الكعبه و ربّ البنيه ثلاث مرات، لو كنت بين موسى و الخضر لأخبرتهما أنى أعلم منهما و لأنبئتهما بما ليس فى أيديهما: لأن موسى و الخضر أعطيا علم ما كان، و لم يعطيا علم ما يكون و ما هو كائن حتى تقوم الساعه، و قد ورثنا من رسول اللّه وراثه» .

و عن المجمع عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «إن اللّه تعالى آتانى القرآن، و آتانى من الحكمه مثل القرآن» . أقول: هذه بعض الأخبار المستفاد منها معنى الحكمه مفهوما و مصداقا و لازما فما فسّرت الحكمه بأنها المضبوط و المحكم، و حكمه اللجام فهى راجعه إلى بيان مفهومها و ما فسّرت الحكمه بأنها معرفه الإمام و ولايه على عليه السّلام فهى راجعه إلى أحسن مصاديقها، و منها تفسيرها بالقرآن فإنه من حيث إن مفاهيمه مضبوطه راجع إلى الأول، و من حيث إن حقائقه ثابته غير قابله للزوال و هى حقيقه القرآن، فهو راجع إلى المصداق، و ما فسّرت بأنها طاعه اللّه، فهى تفسير لها بلوازمها فهى أى الحكمه شىء مثبت منبع للخيرات، و موجب للانتفاع من أىّ شىء ذى فائده و نفع: و لذا عبّر عنها بالخير الكثير فى القرآن المجيد. قال بعضهم ما حاصله: إن الحكمه هى معرفه الإمام، و هى معرفتهم بالنورانيه، و هى مقام الفرقان و النور الذى هو حقيقه الولايه، و هى بنفسها حيث إنها مظهر لاسمه تعالى فهى ثابت محقق فى نفسه، و المظهر لها الذى هو الإمام هو المتصف بها حقيقه، و العارف بهذه الحقيقه هو الحكيم العارف بالإمام و بمقامه النورانى، و إنما تحصل هذه المعرفه بالإمام (للإمام) بالتقوى الموجب للوصول إلى عالم الإمام بقدر الوصول كما أو كيفا يكون عارفا به عليه السّلام و بقدره يكون حكيما. و حاصل الكلام فى كونهم عليهم السّلام معادن الحكمه أن من أسمائه تعالى الحكيم، و هو أن الحكمه الأزليه الذاتيه له تعالى التى أثرها إن فعله تعالى و خلقه إنما هو مشتمل لأتم المصالح، و واقع على أحسن النظم فى الخلق و ما سوى اللّه تعالى مطلقا، و هذا

الاشتمال على المصالح التامه، و الكون على أتم النظم يحكى عن كون ذاته المقدسه تبارك و تعالى متصفه بالحكمه الأزليه الذاتيه بذاته تعالى، و يكفى فى هذين الأمرين (أعنى خلق الأشياء مشتمله على المصالح التامه و النظم الأتم) و لا يكفى منه شىء من الخلق من هذه الحيثيه. ثم إن أول ما يظهر من فعله و خلقه الأول (أعنى أنوار محمد و آله الطاهرين) الحكمه الحقيقيه، و هذه الحكمه الحقيقيه آيه لتلك الحكمه الذاتيه، و هذه الحكمه هى الولايه المطلقه الثابته لهم عليهم السّلام حيث إن ولايتهم على جميع الأشياء هى التى تكون مقترنه بالحكمه، بل هى عين الحكمه، فبها صاروا متصرفين فى الأشياء عن حكمه كما لا يخفى، و لهذا إنه سبحانه أعطى كلّ شىء ما له و به نفعه و قوامه و ذاته لذاته لتلك الحكمه الكائنه فيهم عليهم السّلام. هذا و إن الكائنه فيهم نسبتها إلى الحكمه الذاتيه الإلهيه نسبه الشعاع إلى المنير، و إن ذاتهم المقدسه آيه اللّه العليا لتلك الحكمه الإلهيه الأزليه. ثم إن الحكمه الثابته لهم عليهم السّلام التى هى ولايتهم باللّه تعالى على جميع الخلق هى السبب لصدور الأكوان و اختراع الأعيان، و إبداع الهياكل الكونيه عن عالم القدر و الإلهى، و وصولها إلى مقام القضاء و الإمضاء الكونى على النظم الأتم، و الاشتمال على المصالح التامه فى كلياتها و جزئياتها العلوى و السفلى و الدنيوى و الأخروى، كلّ ذلك بإقداره و إذنه تعالى لهم عليهم السّلام فى تلك السببيه فى عالم الخلق، فكلّ حكمه موجوده فى الخلق فهى أشعه حكمتهم الكليه، التى هى أشعه الحكمه الإلهيه، فهم عليهم السّلام بالنسبه إلى الحكمه الإلهيه مظهرها، و بالنسبه إلى الحكمه الولويه حقيقتها، و بالنسبه إلى الحكمه الكائنه فى جزئيات الخلق مصادرها، فهم عليهم السّلام معادن الحكمه فى القسمين الآخرين و مظهر للقسم الأول كما لا يخفى. ثم إنه قد علمت أن الحكمه هو العلم و هو فى الحقيقه الولايه الثابته لهم، إذ حقيقتها هو العلم الحقيقى كما حقق فى محلّه.

فحينئذ نقول: المراد من العلم الذى فسّرت الحكمه به العلم اللإحاطى الذوقى، مقرونا بما يرتبط به من العمل، و هذا فى كلّ شىء بحسبه، بيانه: أن العلم منشأ لجميع الكمالات. منها: الحكمه و الحصه المحصله منه للحكمه، هو العلم الذى حقيقته إحاطه النفس بجهات العمل، من حيث اشتماله على النظم الكامل و المصالح المترتبه منه الموجبه لكماله، و لذا يكون هذا العلم مرتبطا بالعمل، لظهور أثره فى العمل كما لا يخفى. و لذا يعبر عن هذا العلم بالعلم الذوقى، إذ الذوق يحصل أثره فيما استعمل فيه، فهم عليهم السّلام معادن الحكمه المفسره بالعلم بهذا المعنى و هم عليهم السّلام مفاتيح هذه الحكمه، كما تقدم عن حديث خثيمه، و فى المحكى عن المجلسى الأول فى شرح هذه الجمله ما لفظه

كما ورد متواترا عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمه عليهم السّلام أنه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أنا مدينه العلم و على بابها» ، و علومهم علومه، و الحكمه هى العلوم الحقيقيه الإلهيه، و لا ريب فى أن علومهم عليهم السّلام من اللّه تعالى بل عين علم اللّه، انتهى. و المراد منه إما أن معلوماتهم عين معلومات اللّه تعالى بلا تفاوت بينهما، أو المراد أن علومهم جعلها اللّه تعالى عين علمه تعالى بهم عليهم السّلام و بمن دونهم من ساير الخلق. ثم إنه لا يراد أن علمه تعالى و علمهم عين الآخر بالتساوى، بحيث يكون كلّ ما علمه تعالى عين ما علموه و بالعكس فإن هذا غير صحيح، لاستلزامه انحصار علمه تعالى بما علموه، و هذا يستلزم انتهاء علمه مع أنه لا نهايه لعلمه تعالى.

ففى توحيد الصدوق قال رجل بمحضر الصادق عليه السّلام: الحمد للّه منتهى علمه

قال عليه السّلام: «لا تقل هذا فإنه ليس لعلمه منتهى بل قل: منتهى رضاه» . نقلته بالمعنى، بل المراد أن كلّ ما علموه عين علمه تعالى فيما علموه، لا أن كلّ ما علمه تعالى عين ما علموه مصداقا بنحو الكليه، فبين علمه تعالى و علمهم

العموم و الخصوص المطلق فكلّ ما علموه عين علمه تعالى لا بالعكس. ثم إنه لما كانوا عليهم السّلام باب اللّه إلى خلقه و باب خلقه إليه تعالى، فلا محاله أن علمه تعالى بخلقه بواسطه علمهم، و علم الخلق به تعالى إنما هو بهم و بإفاضه علومهم لشيعتهم كما تقدم مرارا من أن أمير المؤمنين عليه السّلام يطعم العلم للمؤمنين.

و قوله عليه السّلام: «يا أبا خالد إن الأئمه هم الذين ينورون قلوب المؤمنين» ، فعلوم المؤمنين من شعاع أنوار علومهم، و أما كون علمه تعالى بخلقه بهم، فيدل عليه كثير من الروايات الداله على أنهم محب الرب، و أنه تعالى ينظر إلى الخلق بهم، كما يظهر من خطاباته تعالى للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

و قوله تعالى فى الحديث القدسى: «لا أرى غيرهم و لا يرون غيرى» . فإنه يستفاد من أمثال هذه الروايات أنه تعالى عالم بخلقه بهم، و هم مظهر علمه تعالى بغيره، و قد تقدم ما يدل على هذا فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و خزّان علمه»

و ستأتى الإشاره إليه أيضا. إذن فالمستفاد من الأحاديث الكثيره أنه تعالى لم يجعل لافاضته و علمه و خلقه و رزقه، و إحيائه و إماتته بابا غير محمد و آله الطاهرين، جعلنا اللّه تعالى معهم و من أهل ولايتهم و محبتهم فى الدنيا و الآخره بفضله و كرمه و رحمته.

[۹]قوله عليه السّلام: و حفظه سرّ اللّه.

اشاره

أقول: الكلام هنا يقع فى أمور:

الأول: فى بيان الأحاديث الوارده فى هذا المعنى.

و الثاني: فى بيان معنى المراد منها. و الثالث: فى بيان المحتملين لها و بيان شرائطها. أما الأمر الأول فنقول:

ففى بصائر الدرجات بإسناده عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته

يقول: «إن حديث آل محمد صعب مستصعب، ثقيل مقنع أجرد ذكوان لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان أو مدينه حصينه، فإذا قام قائمنا نطق و صدّقه القرآن» .

و فيه بإسناده عن الأصبغ بن نباته، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش فانبذوا إلى الناس نبذا، فمن عرف فزيدوه، و من أنكر فأمسكوا، لا يحتمله إلّا ثلاثه ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان» .

و فيه بإسناده عن أبى حمزه الثمالى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن حديثنا صعب مستصعب، لا يؤمن به إلّا نبى مرسل أو ملك مقرّب أو عبد امتحن قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه، و ما أنكرت قلوبكم فردّوه إلينا» .

و فيه بإسناده عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول «حديثنا صعب مستصعب، قال: قلت: فسّر لى جعلت فداك، قال: ذكوان ذكى أبدا، قال: أجرد، قال: طرى أبدا، قلت: مقنع؟ قال: مستور» .

و فيه بإسناده عن عمرو بن شمر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن حديثنا صعب مستصعب أجرد ذكوان وعر شريف كريم، فإذا سمعتم منه شيئا و لانت له قلوبكم فاحتملوه و أحمدوا اللّه عليه، و إن لم تحتملوه و لم تطيقوه فردّوه إلى الإمام العالم من آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنما الشقى الهالك الذى يقول: و اللّه ما كان هذا، ثم قال: يا جابر إن الإنكار هو الكفر باللّه العظيم» . أقول: الخطاب لجابر فى ذيل الحديث، مع أنه لم يذكر فى السند لعلّه كان فى محضره عليه السّلام و لذا خاطبه عليه السّلام و اللّه أعلم.

و فيه بإسناده عن أبى الصامت، قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن حديثنا صعب مستصعب شريف ذكوان زكى وعر، لا يحتمله ملك مقرب و لا نبىّ مرسل و لا مؤمن ممتحن قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا يا أبا الصامت، فظننت

أن للّه عبادا هم أفضل من هؤلاء الثلاثه» .

و فيه بإسناده عن أبى الصامت قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرب و لا نبىّ مرسل و لا عبد مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله» .

و فيه عن يحيى بن سالم الفراء قال: «كان رجل من أهل الشام يخدم أبا عبد اللّه عليه السّلام فرجع إلى أهله فقالوا: كيف كنت تخدم أهل هذا البيت، فهل أصبت منهم علما؟ قال: فندم الرجل فكتب إلى أبى عبد اللّه يسأله عن علم ينتفع به، فكتب إليه أبو عبد اللّه عليه السّلام: أما بعد، فإن حديثنا حديث هيوب دغور، فإن كنت ترى أنك تحتمله فاكتب إلينا و السلام» .

و فيه عن سلمه بن صالح رفعه إلى أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن حديثنا هذا تشمئزّ منه قلوب الرجال، فمن أقرّ به فزيدوه، و من أنكره فذروه، إنه لا بدّ من أن تكون فتنه يسقط فيها كلّ بطانه و وليجه، حتى يسقط فيها من كان يشق الشعر شعرتين، حتى لا يبقى إلاّ نحن و شيعتنا» .

الأمر الثانى: فى بيان المعنى المراد من هذه الأحاديث من مفرداتها و جملها

فنقول:

قوله عليه السّلام: «صعب مستصعب» ، الصعب (بالفتح) العسر إلاّ بىّ، و المستصعب (بكسر العين) أو (بفتحها) مبالغه فى الصعب، أو الصعب ما يكون صعبا فى نفسه، و المستصعب ما يعده الناس صعبا. قال الفيروزآبادى: الصعب العسر، الأبىّ و استصعب الأمر صار صعبا، و الشيء وجده صعبا لازم متعد (كذا عن المجلسى رحمه اللّه) .

قوله عليه السّلام: «ثقيل» أى صعب يعسر تحمله.

قوله عليه السّلام: «مقنع» ، أى مستور.

قوله : «أجرد» ، أى طرى أبدا يعنى لا يعتريه البلى أبدا، بل هو دائما جديد، فلا تملّ منه قلوب العارفين به لما لا يعرضه الخلوقه.

و قوله عليه السّلام: «ذكوان» أى زكىّ، يعنى أنه فى نفسه لا يقبل الخدشه و الإشكال و الاضمحلال بحيث يرد و يبطل، بل هو دائما زكى مزكى فلا يلوّث بتلك الأمور، كيف و هو من شؤون الوحى الإلهى.

و فى حديث مفضل الآتى قال: «و أما الذكوان» ذكاء المؤمنين، أى أنه تعالى جعل فيهم ذكاء أى فهما به يحتملون ما يسمعونه منهم عليهم السّلام كما سيجىء التصريح به فى حديث أبى بصير الآتى.

و فيه أيضا: و أما الأجرد» فهو الذى لا يتعلق به شىء من بين يديه و لا من خلفه، و هذا كما قلنا من أنه طرىّ، أى لا يعتريه شىء يفسده من جميع الجهات، و فى جميع الأزمان.

قوله عليه السّلام: «خشن مخشوش» . أقول: لعلّه تفسير

لقوله عليه السّلام: «صعب مستصعب» . ففى المجمع: الخشونه ضد النعومه و الملاسه، إلى أن قال: و رجل خشن قوى شديد، و الأرض خشنه خلاف سهله. أقول: أى عسر المشى عليها، و حينئذ

قوله: خشن مخشوش أى قوى شديد يعسر تحمله و هو معنى صعب.

قوله عليه السّلام: «لا يحتمله» ، أى لا يؤمن به كما فى حديث أبى جعفر عليه السّلام.

قوله: «وعر» ، ففى المجمع: و مطلب وعر. قال الأصمعى: و لا تقل: وعر (بكسر العين) و قد وعر الشىء (بالضم) وعوره و ذلك توعر أى صار وعرا لا سهلا. أقول: فهو حينئذ بمعنى الخشن و الصعب.

قوله عليه السّلام: «شريف كريم» أى ذو شرافه بالنسبه إلى سائر المطالب، و كريم

إشاره إلى أنه مصداق لقوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ .

قوله: «تشمئز منه قلوب الرجال» ، أى تنقبض و تقشعر، يقال: اشمأزّ، أى انقبض و اقشعر. أقول: لأجل عدم تحمله و تعقله تعرضه هذه الحاله، و هى حاله إعراض القلب و انزعاجه عنه. ثم إن هناك أحاديث تفسّر بعض ما سبق فلا بد من ذكرها فنقول:

فى بصائر الدرجات، قال عمير الكوفى فى معنى حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرب و لا نبىّ مرسل، فهو ما رويتم: إن اللّه تبارك و تعالى لا يوصف، و المؤمن لا يوصف، فمن احتمل حديثهم فقد حدّهم، و من حدّهم فقد وصفهم، و من وصفهم بكمالهم فقد أحاط بهم و هو أعلم منهم، و قال: يقطع الحديث عمّن دونه فتكفى به. و فى مرآه العقول: و قال: يقطع عمّن دونه فيكتفى بهم، لأنه قال: صعب فقد صعب على كل أحد حيث قال: صعب. و فى المرآه: لأنه قال: صعب على كل أحد حيث قال: صعب، فالصعب لا يركب و لا يحمل عليه، لأنه إذا ركب و حمل عليه فليس بصعب. أقول: و لعلّه يشرحه

ما روى عن المفضل ففيه: قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «إن حديثنا صعب مستصعب، ذكوان أجرد لا يحتمله ملك مقرب و لا نبىّ مرسل و لا عبد امتحن قلبه للإيمان، أما الصعب فهو الذى لم يركب بعد، و أما المستصعب فهو الذى يهرب منه إذا رأى (رئى) و أما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين، و أما الأجرد فهو الذى لا يتعلق به شىء من بين يديه و لا من خلفه، و هو قول اللّه اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِيثِ (1)فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتى

۱- ۱) الزمر:۲۳.

يحدّه، لأن من حدّ شيئا فهو أكبر منه و الحمد للّه على التوفيق. و الإنكار هو الكفر» . أقول:

قوله عليه السّلام: أما الصعب فهو الذى لم يركب، قد علمت أن الصعب هو ما كان فى نفسه صعبا على كلّ أحد، لثقله و غموضه، و أما المستصعب فهو ما كان ثقيلا على أحد، لضعفه عن دركه، و لذا

قال عليه السّلام: «و أما الصعب فهو الذى لم يركب بعد» ، يعنى إلى الآن، فيمكن أن يحتمل فى زمان قيام القائم (عج) أو من كان قويا. و إليه يشير

ما فى البصائر بإسناده عن زياد بن سوقه قال: كنا عند محمد بن عمرو بن الحسن فذكر ما أتى إليهم فبكى حتى ابتلت لحيته من دموعه، ثم قال: إن أمر آل محمد أمر جسيم مقنع لا يستطاع ذكره، و لو قد قام قائمنا لتكلم به و صدّقه القرآن، و تقدم مثل ذيل هذا الكلام

عن أبى جعفر عليه السّلام من قوله عليه السّلام: «فإذا قام قائمنا نطق و صدقه القرآن» . فيعلم أن أذهان الناس و عقولهم بعد ضعيفه، فإذا قام القائم و نطق به، و كملت عقول الناس، قبله الناس كما لا يخفى. و أما تفسيره عليه السّلام المستصعب به فهو الذى يهرب منه إذا رأى (رئى) فهو الذى لا يمكن تحمله لأحد غيرهم. و لعلّه إليه يشير

ما عن أبى الصامت من قوله: قلت: فمن يحتمله؟ قال عليه السّلام: نحن.

و ما ورد من: أن الحسن بن على عليه السّلام ذكر من فضائل أهل البيت لرجل من الشام، فلم يلبث أن صار ذعرا و دهش مما سمع، فراجع.

و فى الكافى بإسناده عن بعض أصحابنا قال: كتبت إلى أبى الحسن صاحب العسكر عليه السّلام: جعلت فداك، ما معنى قول الصادق عليه السّلام: «حديثنا لا يحتمله ملك مقرب و لا نبىّ مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان؟ فجاء الجواب: إنما معنى قول الصادق عليه السّلام أى لا يحتمله ملك و لا نبىّ و لا مؤمن، إن الملك لا يحتمله حتى يخرجه إلى ملك غيره، و النبى لا يحتمله حتى يخرجه إلى نبىّ غيره، و المؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مؤمن غيره، فهذا معنى قول

جدّی علیه السّلام» . قال المجلسی رحمه اللّه: أی لا یصبر و لا یطیق کتمانه لشده حبّه لهم، و حرصه علی ذکر فضائلهم حتی ینقله إلی آخر فیحدثه به إلخ، و لکن عدم هذا التحمل بهذا المعنی لا ینافی عدم تحمل أحادیث مطلقا کما دلّ علیه کثیر من الأحادیث المتقدم، أو عدم تحمل بعضهم دون بعض.

فعن معانی الأخبار بإسناده عن سدیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «إن أمرنا صعب مستصعب لا یقرّ به إلاّ ملک مقرب أو نبیّ مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للایمان، فقال: إن فی الملائکه مقربین و غیر مقربین، و من الأنبیاء مرسلین و غیر مرسلین، و من المؤمنین ممتحنین و غیر ممتحنین، فعرض أمرکم هذا علی الملائکه فلم یقرّ به إلاّ المقربون، و عرض علی الأنبیاء فلم یقرّ به إلاّ المرسلون، و عرض علی المؤمنین فلم یقرّ به إلاّ الممتحنون» . فهذا الحدیث یدل علی أن من غرائب شئون ولایتهم ما لا یحتمله إلاّ هؤلاء الثلاثه (أی المقربون و المرسلون و الممتحنون) فتحصل أن أمرهم علی وجوه: منه ما لا یحتمله غیرهم. و منه ما لا یحتمله إلاّ من شاءوا. و منه ما لا یحتمله إلاّ هؤلاء الثلاثه. و منه ما لا یحتمل بقاءه إلاّ ینتقل إلی غیره، و ذلک لاختلاف مراتب علومهم و ولایتهم. قال المجلسی رحمه اللّه فی بیان صعوبه أمرهم: و قد قیل: و ذلک لأن مکنون العلم عزیز المنال دقیق المدرک صعب الوصول، یقصر عن وصوله الفحول من العلماء فضلا عن الضعفاء، و لهذا إنما یخاطب الجمهور بظواهر الشرع و مجملاته دون أسراره و أغواره، لقصور أفهامهم عن إدراکها، و ضیق حواصلهم عن احتمالها، إذ لا یسعهم الجمع بین الظاهر و الباطن فیظنون تخالفهما و تنافیهما فینکرون فیقتلون.

ص :۲۹۷

و أقول: بل الظاهر أن كلاّ من الخلق و لا سيما المقربين يحتمل علما لا يحتمله الآخر،

كما روى الكشى بإسناده عن أبى بصير قال: أبو عبد اللّه عليه السّلام قال: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «يا سلمان لو عرض علمك على مقداد لكفر، يا مقداد لو عرض علمك على سلمان لكفر» . أقول:

و فى توحيد الصدوق بإسناده عن أبى معمّر العدانى: أن رجلا أتى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام و ذكر فيه موارد شكه فى القرآن ثم أجاب عنه إلى أن قال عليه السّلام: «و ليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسره لكلّ الناس، لأن منهم القوى و الضعيف، و لأن منه ما يطاق حمله، و منه ما لا يطاق حمله إلاّ من يسهل اللّه له حمله و أعانه عليه من خاصه أوليائه» ، الحديث. و مما يدل على أن بعض أمورهم سرّ غامض ما

فى بصائر الدرجات بإسناده عن جابر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن أمرنا سرّ فى سرّ، و سرّ مستسرّ، و سرّ لا يفيد إلاّ سرّ و سرّ على سرّ و سرّ مقنع بسرّ» . أقول: هذا الحديث مفاده كمفاد أحاديث التقيه، أى أنه تعالى أخذ الميثاق من المؤمنين أن لا يذيعوا أمر الولايه لغير أهلها من المخالفين.

و فيه بإسناده عن مرازم قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن أمرنا هو الحقّ و حقّ الحقّ، و هو الظاهر و باطن الظاهر و باطن الباطن، هو السّر و سرّ السرّ و سرّ المستسرّ و سرّ مقنع بالسرّ» . فدلّت هذه الأحاديث على أن أمرهم من الأسرار السريره يعسر الوصول إليه، و الوجه فيه أنهم عليهم السّلام بلغوا من عوالم الإمكان أقاصيها، حتى أن فوق عوالمهم ليس عالم إلاّ و هو سرّ لا يمكن تعديه من اللّه تعالى إلى غيره، فهم عليهم السّلام حجابه و الحافظون لسرّه تعالى و الذابون عن حريمه.

ففى الدعاء:

و صلى اللّه على محمد المنتجب و على أوصيائه الحجب.

و إلى هذه الحجب

أشار أمير المؤمنين عليه السّلام فى بعض خطبه من قوله عليه السّلام: «و حال

دون غيبه المكنون حجب من الغيوب» . و منه يظهر إنهم عليهم السّلام أول الخلق و أشرفهم و أفضلهم و أقربهم من اللّه تعالى، و هذه المرتبه هى المرتبه المشار إليها

فيما روى فى الكافى بإسناده إلى محمد بن عبد الخالق و أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا أبا محمد إن عندنا و اللّه سرّا من سرّ اللّه، و علما من علم اللّه، و اللّه ما يحتمله ملك مقرب و لا نبىّ مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان، و اللّه ما كلّف اللّه أحدا غيرنا، و لا استعبد بذلك أحدا غيرنا، و إن عندنا سرّا من سرّ اللّه و علما من علم اللّه. أمرنا اللّه بتبليغه فبلغنا عن اللّه عز و جل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعا و لا أهلا و لا حماله يحتملونه، حتى خلق اللّه لذلك أقواما خلقوا من طينه خلق منها محمد و آله و ذريته عليهم السّلام و من نور خلق اللّه محمدا و ذريته، صنعهم بفضل صنع رحمته التى صنع منها محمدا و ذريته، فبلّغنا عن اللّه ما أمرنا بتبليغه فقبلوه و احتملوه ذلك (فبلغهم ذلک عنا فقبلوه و احتملوه) و بلغهم ذكرنا، فمالت قلوبهم إلى معرفتنا و حديثنا، فلو لا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك لا و اللّه ما احتملوه. ثم قال: إن اللّه خلق أقواما لجهنم و النار، فأمرنا أن نبلّغهم كما بلّغناهم و اشمأزوا من ذلک و نفرت قلوبهم و ردّوه علينا و لم يحتملوه و كذبوا به، و قالوا ساحر كذاب، فطبع اللّه على قلوبهم و أنساهم ذلک، ثم أطلق اللّه لسانهم ببعض الحق فهم ينطقون به و قلوبهم منكره ليكون ذلک دفعا عن أوليائه و أهل طاعته» . أقول: لا ريب فى أن فى أهل الخلاف من يقرّ بفضائل أهل البيت و علوّ مقامهم، بحيث يغترّ من لا علم له بحقيقه الأمر، و يذهب إلى صحه عقائدهم، و أنهم من أهل النجاه، و مع ذلک هذا المخالف يعتقد بولايه فلان و فلان و فلان لعنهم اللّه، فإقرارهم ببعض فضائل أهل البيت لا ينجيهم من العذاب لعقيدتهم بولايه الثلاثه، و إنما جعلهم اللّه مقرّين ببعض الفضائل، ليكون ذلک دفعا عن أوليائه و أهل طاعته. فالعاقل اللبيب من الشيعه لا بد له من أن لا يغتر بهؤلاء، فيزعم أنهم على

الحقّ، و هؤلاء كثيرون نحو عمر بن عبد العزيز و ابن أبى الحديد، و صاحب كتاب ينابيع الموده و أمثالهم، نعم لو آل أمرهم إلى التشيع فهم حينئذ من أهل النجاه، كما نقل فى حقّ بعضهم، و اللّه العالم. و لو لا ذلك ما عبد اللّه فى أرضه، فأمرنا بالكف عنهم و الستر و الكتمان، فاكتموا عمّن أمر اللّه بالكف عنه، و استروا عمّن أمر اللّه بالستر عنه و الكتمان عنه.

قال: ثم رفع يده و بكى و قال: اللهم إن هؤلاء لشرذمه قليلون، فاجعل محيانا محياهم، و مماتنا مماتهم، و لا تسلط عليهم عدوا لك فتفجعنا بهم فإنك إن أفجعتنا بهم، لم تعبد أبدا فى أرضك، و صلى اللّه على محمد و آله و سلم تسليما. أقول: قد تقدم فى بيان أهميه أمر الولايه من حيث غموض معناها، و أنها من الأسرار ما يشرح لك هذه الأحاديث، و يبين معانيها و شرحها ما يستفاد منها، و ما يشترط علينا من الإيمان بها، و بيان كيفيه الوصول إليها، و بيان تمييز حقّها من باطلها المدعى كونه حقا من المتصوفه (لعنهم اللّه تعالى) فراجع. و كيف كان فأسرارهم كثيره أهمها: أمر الولايه بما لها من المعنى المتقدم من الولايه التشريعيه و التكوينيه و المعارف الإلهيه، التى هى فوق الكمالات و العلوم المعلومه. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام كما كانوا محل الأسرار من أول الإيجاد، فكذلك هم محلّها بقاء بلا انتهاء.

ففى الكافى، عن أبى بصير قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقلت جعلت فداك إنى أسألك عن مسأله هاهنا أحد يسمع كلامى، قال: فرفع أبو عبد اللّه عليه السّلام سترا بينه و بين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك. قال: قلت جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علّم عليّا عليه السّلام بابا يفتح له منه ألف باب، قال: فقال: «يا أبا محمد إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علّم عليا عليه السّلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب، قال: قلت: هذا العلم؟ قال: فنكت ساعه فى

الأرض ثم قال: إنه لعلم و ما هو بـذلك. قال: ثم قال: يا أبا محمـد و إن عندنا الجامعه و ما يدريهم ما الجامعه! قال: قلت: جعلت فداك و ما الجامعه؟ قال: صحيفه طولها سبعون ذراعا بذراع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إملائه من فلق فيه، و خط على بيمينه فيها كلّ حلال و حرام، و كلّ شىء يحتاج إليه الناس حتى الأرش فى الخدش، و ضرب بيده إلىّ، فقال: تأذن لى يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزنى بيده و قال: حتى أرش هذا، كأنه مغضب، قال: قلت: هذا و اللّه العلم، قال: إنه لعلم و ليس بذاك. ثم سكت ساعه ثم قال: و إن عندنا الجفر و ما يدريهم ما الجفر! قلت: و ما الجفر؟ قال: وعاء من آدم فيه علم النبيين و الوصيين، و علم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لعلم و ليس بذلك. ثم قال: و إن عندنا لمصحف فاطمه عليها السّلام و ما يدريهم ما مصحف فاطمه عليها السّلام! قال: قلت: و ما مصحف فاطمه عليها السّلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، و اللّه ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا و اللّه العلم، قال: إنه لعلم و ما هو بذلك. ثم سكت ساعه، ثم قال: إن عندنا علم ما كان، و علم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعه! قال: قلت: جعلت فداك هذا و اللّه العلم، قال: إنه لعلم و ليس بذاك. قال: قلت: جعلت فداك فأىّ شىء العلم؟ ! قال: ما يحدث بالليل و النهار الأمر بعد الأمر، و الشىء بعد الشىء إلى يوم القيامه» .

و فيه بإسناده عن أبى يحيى الصنعانى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال لى «يا أبا يحيى إنّ لنا فى ليالى الجمعه لشأنا من الشأن.

ص :۳۰۱

قال: قلت: جعلت فداك و ما ذاك الشأن؟ قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى عليهم السّلام و أرواح الأوصياء الموتى، و روح الوصى الذى بين ظهرانيكم يعرج بها إلى السماء حتى توافى عرش ربّها، فتطوف به أسبوعا و تصلى عند كلّ قائمه من قوائم العرش ركعتين، ثم تردّ إلى الأبدان التى كانت فيها فتصبح الأنبياء و الأوصياء قد ملئوا سرورا، و يصبح الوصى الذى بين ظهرانيكم و قد زيد فى علمه مثل جمّ الغفير» . و مثله أحاديث أخر بهذا المضمون مع تفاوت يسير فى اللفظ.

و فيه بإسناده عن صفوان قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: كان جعفر بن محمد عليه السّلام يقول: «لو لا إنا نزاد لأنفدنا» . فيعلم من هذه الأحاديث أنحاء علومهم و أطوار أسرارهم، و تقدم بيان المراد

من قوله: ما يحدث بالليل و النهار

كقوله عليه السّلام فيما تقدم: «إنما العلم ما يحدث ساعه بعد ساعه» ، إن هذا إشاره إلى أنهم فى حدّ الواجب و الممكن، فيتلقون منه تعالى دائما ما ليس كان قبله. و إليه يشير قوله تعالى: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً و الحمد للّه ربّ العالمين.

الأمر الثالث: فى بيان المحتملين لها

اشاره

فنقول: المستفاد من حديث محمد بن عبد الخالق و أبى بصير: أن المحتملين لها هو الشيعه الذين خلقهم اللّه من طينه خلق منها محمد و آله الطاهرون. و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «و أما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين» ، أى أن المؤمنين بذكائهم يعلمونها و يحتملونها، و هؤلاء كأصحاب السرّ لأمير المؤمنين عليه السّلام و من كانوا كذلك لكلّ إمام عليه السّلام. ثم إن من المحتملين الملائكه المقربون و الأنبياء المرسلون كما تقدم، و تقدم فى عرض ولايتهم على الملائكه و الأنبياء، و كلّ شىء ما يدل على أن المحتمل من هؤلاء من هم، و يعلم من قول أبى الصامت: فظننت أن للّه عبادا هم أفضل من

هؤلاء الثلاثه، أن أولئك العباد هم الأئمه عليهم السّلام حيث لهم من العلم ما ليس لغيرهم، و ما لم يكلف به أحد غيرهم، و لكن غيرهم كلّ يحتمل من أسرارهم بقدر ظرفيته و صفاء قلبه، كما تقدمت الإشاره إليه سابقا.

[فی بیان وظیفه غیر المستعدین و القادرین لتحمل أسرارهم]

اشاره

ثم إنه يعلم من الأحاديث أن لغير المستعدين و القادرين لتحمل أسرارهم وظائف لا بدّ من مراعاتها.

منها: [فی رد علمه إلی الله و إلی الرسول و إلیهم علیهم السلام]

أنه إذا لم يحتمله أو اشمأز منه القلب فلا بد من ردّ علمه إلى اللّه و إلى الرسول و إليهم عليهم السّلام، و لا يجوز إنكاره كما

فى الكافى عن أبى جعفر عليه السّلام عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «و إنما الهالك أن يحدث أحدكم بشىء منه لا يحتمله فيقول: و اللّه ما كان هذا، و اللّه ما كان هذا. و الإنكار هو الكفر» .

و فى البصائر بإسناده عن سفيان بن السمط قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك إن الرجل ليأتينا من قبلك، فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر، فتضيق به صدورنا حتى نكذبه، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أ ليس عنى يحدثكم؟ قال: قلت: بلى، قال: فيقول لليل: إنه نهار؟ و للنهار: إنه ليل؟ قال: فقلت: لا، قال: ردّه إلينا فإنك إن كذبت فإنما تكذبنا» .

و فى المحكى عن الصدوق فى العلل بإسناده الصحيح عن أبى بصير، عن أحدهما عليهما السّلام قال: «لا تكذبوا بحديث أتاكم به مرجئ و لا قدرى و لا خارجى يسند إلينا، فإنكم لا تدرون لعلّه شىء من الحقّ، فتكذبوا اللّه عز و جل من فوق عرشه» . و قد يقال: بأن المراد من الكفر ما يقابل كمال الإيمان (أعنى التسليم التام) و هو إذا لم يعلم قطعا صدوره منه عليه السّلام. قيل: و يؤيده

ما رواه الصدوق رحمه اللّه فى معانى الأخبار بإسناده عن عبد الغفار الحجازى، قال: حدثنى من سأله (يعنى الصادق عليه السّلام) : هل يكون كفر لا يبلغ الشرك؟ قال: «إن الكفر هو الشرك، ثم قام فدخل المسجد فالتفت إلىّ و قال: نعم

الرجل يحمل الحديث إلى صاحبه فلا يعرفه فيردّه عليه فهى نعمه كفرها و لم يبلغ الشرك» . و قد يقال: إنه يحتمل أن يكون المراد بالخبر العظيم الذى يردّ التكذيب، الذى يكون بمحض الرأى من غير أن يعرضه على الآيات و الأخبار المتواتره، كما هو دأب كثير من المنتحلين إلى العلم، العارين عن المعرفه و الاطلاع على المعارف، و من المعلوم أنه فرق بين عدم الردّ و بين تكذيبه، و بين قبوله و بين العمل به. و ربما يؤيد هذا أو يدلّ عليه

ما رواه الصدوق رحمه اللّه فى معانى الأخبار بإسناده عن إبراهيم قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ألا هل عسى رجل يكذبنى و هو على حشاياه متكى؟ قالوا: يا رسول اللّه و من الذى يكذبك؟ قال الذى يبلغه الحديث فيقول: ما قال هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قط، فما جاءكم عنّى من حديث موافق للحقّ فأنا قلته، و ما أتاكم عنى من حديث لا يوافق الحقّ فلم أقله و لن أقول إلّا الحق» . و مثله

ما رواه الصفار فى البصائر بإسناده عن أبى عبيده قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «من سمع من رجل أمرا لم يحط به علما فكذب به، و من أمره الرضا بنا و التسليم لنا فإن ذلك لا يكفّره» . أقول: أى أنه إذا كان تكذيبه لما علم أنه مخالف لما علم صدوره منهم عليهم السّلام و كان فى مقام الرضا و التسليم أى يقرّ بأنه بأىّ معنى صدر من المعصوم فهو الحقّ، فلا ينكر الحديث بواقعه، و بما هو المراد منه عنده عليه السّلام فذاك لا يصير سببا لكفره، لأن هذا فى الحقيقه ردّ علمه إليهم لا إنكاره مطلقا كما تومئ إليه الأحاديث السابقه الداله على أن الإنكار هو الكفر، فإن الإنكار فيها محمول على الإنكار مطلقا، فتحصل أنه لا يجوز الإنكار مطلقا، نعم لا يعمل به و يرد علمه إلى أهله.

و منها الكتمان لما سمعه من أحاديثهم فى الأسرار سواء عرفها أم لم يعرفها،

فقد تقدم

قوله عليه السّلام فى حديث أبى جعفر عليه السّلام: «إن أمرنا هذا مستور مقنع بالميثاق من هتكه أذلّه اللّه» .

ص: ٣٠۴

و فی الکافی بإسناده عن ابن سنان أو غیره رفعه إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن حدیثنا صعب مستصعب، لا یحتمله إلاّ صدور منیره، أو قلوب سلیمه، أو أخلاق حسنه. إن اللّه أخذ من شیعتنا المیثاق کما أخذ علی ابن آدم: أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ ، فمن وفی لنا وفی اللّه له بالجنه، و من أبغضنا و لم یرد إلینا حقنا ففی النار خالدا مخلدا» . فالوفاء لهم إنما هو بکتمان سرهم أیضا بإضافه أداء حقهم علیهم السّلام و من هذا یعلم أن الحفظ لأسراره تعالی إنما هو بالکتمان، کما أنهم علیهم السّلام حفظوا تلک بمثل الکتمان أیضا.

ففی الوافی عن الکافی، بإسناده عن سلیمان بن خالد قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا سلیمان إنکم علی دین من کتمه أعزّه اللّه تعالی و من أذاعه أذلّه اللّه» .

و فیه عنه بإسناده عن الشحّام قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «أمر الناس بخصلتین فضیّعوهما، فصاروا منهما علی غیر شیء الصبر و الکتمان» .

و فیه عنه بإسناده عن الحذاء قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام: «و اللّه إن أحب أصحابی إلیّ أورعهم و أفقههم و أکتمهم لحدیثنا، و إن أسوأهم عندی حالا و أمقتهم الذی إذا سمع الحدیث ینسب إلینا و یروی عنا فلم یقبله اشمأزّ منه و جحده، و کفّر من دان به، و هو لا یدری لعل الحدیث من عندنا خرج و إلینا أسند، فیکون بذلک خارجا من ولایتنا» .

و فیه، عنه بإسناده عن حریز، عن معلی بن خنیس قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا معلی أکتم أمرنا و لا تذعه، فإن من کتم أمرنا و لم یذعه أعزه اللّه فی الدنیا، و جعله نورا بین عینیه فی الآخره یقوده إلی الجنه، یا معلی من أذاع أمرنا و لم یکتمه أذلّه اللّه به فی الدنیا، و نزع النور من بین عینیه فی الآخره، و جعله ظلمه تقوده إلی النار، یا معلی إن التقیه من دینی و دین آبائی، و لا دین لمن لا تقیه له، یا معلی إن اللّه یحب أن یعبد فی السّر، کما یحب أن یعبد فی العلانیه، یا معلی إن المذیع لأمرنا کالجاحد لنا» .

و فیه، عنه، محمد بن أحمد عن البزنطی قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السّلام عن

مسأله، فأبى و أمسک ثم قال: «لو أعطيناكم كلّ ما تريدون كان شرّا لكم، و أخذ برقبه صاحب هذا الأمر، قال أبو جعفر عليه السّلام: ولايه اللّه أسرّها إلى جبرئيل، و أسرّها جبرئيل إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أسرّها محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى على عليه السّلام و أسرّها على إلى من شاء اللّه. ثم أنتم تذيعون ذلک من الذى أمسک حرفا سمعه، قال أبو جعفر فى حكمه آل داود: ينبغى للمسلم أن يكون مالكا لنفسه مقبلا على شأنه عارفا بأهل زمانه. فاتقوا اللّه و لا تذيعوا حديثنا، فلو لا أن اللّه يدافع عن أوليائه و ينتقم لأوليائه من أعدائه، أ ما رأيت ما صنع اللّه بآل برمک و ما انتقم لأبى الحسن عليه السّلام، و قد كان بنو الأشعث على خطر عظيم يدفع اللّه عنهم بولايتهم لأبى الحسن عليه السّلام و أنتم بالعراق ترون أعمال هؤلاء الفراعنه، و ما أمهل اللّه لهم، فعليكم بتقوى اللّه و لا تغرنكم الدنيا، و لا تغتروا بمن أمهل له، و كان الأمر قد وصل إليكم» .

و فيه، بإسناده عن عيس بن أبى منصور قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول «نفس المهموم لنا المغتم لظلمنا تسبيح، و همه لأمرنا عباده، و كتمانه سرنا جهاد فى سبيل اللّه، قال لى محمد بن سعيد: أكتب هذا بالذهب فما كتبت شيئا أحسن منه» . أقول: هذه جمله من الأحاديث الآمره بكتمان أمر الولايه عن غير أهله، و بكتمان أسرارهم عن غير أهلها، و لا يكون الحفظ لها إلّا بالكتمان و هم عليهم السّلام حفظه سرّ اللّه بهذا الكتمان، بل الظاهر المستفاد ابتداء من

قوله عليه السّلام: و حفظه سرّ اللّه، هو بيان مقام حفظهم لها و عدم إذاعتها كما علمته من إمساک أبى الحسن الرضا عليه السّلام. و يدل على لزوم هذا الحفظ كما حفظوا هم عليهم السّلام ما

فى الوافى عن الكافى بإسناده عن إسماعيل بن مهران عمّن حدّثه عن جابر بن يزيد قال: حدثنى محمد بن على عليه السّلام سبعين حديثا لم أحدث بها أحدا قطّ، و لا أحدث بها أحدا أبدا، فلما مضى محمد بن على عليه السّلام ثقلت على عنقى و ضاق بها صدرى فأتيت أبا عبد اللّه عليه السّلام فقلت: جعلت فداک إن أباک حدثنى سبعين حديثا لم يخرج منّى شىء منها إلى أحد و أمرنى بسترها، و قد ثقلت على عنقى و ضاق بها صدرى، فما تأمرنى؟

فقـال: «يـا جابر إذا ضاق بک من ذلک شـیء، فاخرج إلی الجبّانه و احتفر حفیره، ثم دلّ رأسک فیها، و قل: حـدثنی محمـد بن علی بکـذا و کـذا ثم طمّه فإن الأرض تستر علیک، قال جابر: ففعلت ذلک فخفّف عنی ما کنت أجـده» . أقول: إن الکلام و إن کان یوجب خفه علی النفس إلاّ أنه علیه السّلام لعلّه أشار

بقوله: إن الأرض تستر علیک، إلاّ أنه لا تجـد من یستر علیک تلک الأحادیث و لا یـذیعها إلاّ الأرض، و یـدل هذا علی قله أهل الکتمان. قال المحدث الکاشانی رضی اللّه عنه مما یناسب إیراده فی هذا المقام

ما رواه أبو عبد اللّه محمد بن جعفر الحائری بإیصال الإسـناد إلی أبی الحسن علی بن میثم قال: حدثنی والدی میثم (رضوان اللّه علیه) قال: أصحرنی مولای أمیر المؤمنین علیه السّلام لیله من اللیالی حتی خرج عن الکوفه، و انتهی إلی مسجد الجعفی، و توجّه إلی القبله، فصلی أربع رکعات، فلما سلّم و سبح بسط کفیه و قال: «الهی کیف أدعوک و قد عصیتک، و کیف لا أدعوک و قد عرفتک، إلی آخر الـدعاء، ثم سـجد و عفر خدّه و قال: العفو العفو (مائه مره) . ثم قام و خرج، فاتبعته حتی برز إلی الصـحراء، و خـطّ له خطه و قـال لی: إیـاک أن تتجاوز هـذه الخطه، و مضـی عنی و کانت لیله مـدلهمّه فقلت: یا نفس أسـلمت مولاک و له أعداء کثیره، و أیّ عذر یکون لک عند اللّه و عند رسوله، و اللّه لأقفو أثره و لأعلّمن خبره، و إن کنت قد خالفت أمره، و جعلت أتبع أثره فوجـدته علیه السّـلام مطلقـا فی البئر إلی نصـفه یخـاطب البئر و البئر تخاطبه. فحسّ علیه السّـلام بی فالتفت و قال: من؟ قلت: میثم، فقال: یا میثم أ لم آمرک أن لا تتجاوز الخطه؟ قلت: یا مولای خشـیت علیک من الأعداء، فلم یصبر علی ذلک قلبی، فقال: سـمعت مما قلت شیئا؟ قلت: لا، یا مولای، فقال: یا میثم: و فی الصـدر لبانات إذا ضاق لها صدری نکت الأرض بالکف و أبدیت لها سری فمهما تنبت الأرض فذاک النبت من بذری

نقله عن کتاب عمل مساجد الکوفه. فانظر إلی أنه علیه السّلام کیف کان کتوما لأسرار الباری تعالی، و أنه کان یطلع فی البئر فیخاطبه، فهم علیهم السّلام هکذا حفظه لأسراره تعالی. و حاصل الکلام فی حفظهم علیهم السّلام لأسراره تعالی أنهم علیهم السّلام لا یظهرونها، أو لا یظهرون منها إلاّ ما یحتمل علی من یحتمل، کما یظهر من قول أمیر المؤمنین علیه السّلام المتقدم عن التوحید، أو أنهم علیهم السّلام لا یظهرونها إلاّ لبعضهم أو لبعض خواصهم، کما یظهر من

قوله علیه السّلام فی خبر أبی الصامت: أو من شئنا، نظیر سلمان رحمه اللّه و من شابهه أو أنهم لا یغیرونها و لا یبدلونها، فما کان منها ذاتیا لهم فهم علیهم السّلام یحفظونها عن التغییر عنهم بدوام التعهد لها فیما یرجع منها لهم علیهم السّلام أو لغیرهم، و بالتحفظ لها بالعلم و العمل بها. أما ما کان التحفظ لها بما هی لهم فلأنهم علیهم السّلام محال مشیه اللّه، فلا محاله لا یصدر منهم صفه أو فعل إلاّ ما هو مطابق لمشیته تعالی، و هی متحده متعلقه مع تلک الأسرار التی منحهم اللّه تعالی، و ذلک مثل ولایتهم و أمرهم فإنها له تعالی، و لکنها منهم کما دلّت علیها أخبار کثیره

من قولهم: «ولایتنا ولایه اللّه» فهم علیهم السّلام یحفظونها أی قائمون بمقتضاها، أو بتبلیغ دواعیها، أو أنهم علیهم السّلام مؤسسون لأساس بنیانها، أو بنیان متعلقاتها أو تعلقاتها فی قلوب شیعتهم، لکی تستقر فیها آثارها و تظهر فیها أنوارها، هذا کلّه فیما یرجع منها لهم علیهم السّلام. و أما التحفظ لها بما هی لغیرهم فتحفظهم لها بأنهم داعون الناس لها، خصوصا أنهم یدعون شیعتهم لها و حافظون لها عن مغالطه المشبّهین و المحرّفین و الملبسین للدین حتی لا یشتبه علمهم، بل یأخذونها منهم علیهم السّلام بیضاء نقیه طاهره ظاهره غیر خفیه بحیث تمتاز تلک الأسرار عن دعوی القائلین بالباطل من الذین وَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَلرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ. لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ (۱)

۱- ۱) الأنبیاء:۲۷،۲۶.

و تمتاز أيضا عما انتحله المبطلون الذين يلحدون فى أسمائه و معارفه تعالى. و قد يكون التحفظ عنها مطلقا بالتعبير عنها بالإشاره و السرّ، كما فى كثير من عبائرهم عليهم السّلام فيعلمها من كان من أهل إشارتهم و بشارتهم و أهل سرّهم من خواصهم، كما يدل عليه

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» ، هذا كلّه فى كيفيه حفظهم عليهم السّلام للأسرار، فهى باعتبار حقيقتها و باعتبار محتمليها تنقسم إلى هذه الأقسام و لكلّ منها حفظ يخصّه، و يظهر من خبر موسى و الخضر

كما عن الباقر عليه السّلام حيث قال: ما معناه: لو كنت عندهما لأخبرتهما بما لا يكون عندهما، إنهم عليهم السّلام حافظون للأسرار التى لم يعلمها الأنبياء عليهم السّلام.

[فى بيان مراتب الولايه السريه]

اشاره

و محصل الكلام: أن الولايه لما كانت بما لها من المعنى المراد له تعالى و لهم هى سرّ اللّه المستسرّ بالسرّ، فهى لا محاله لها فى عالم ما سواه تعالى مظاهر مختلفه. بيانه: أن الولايه السرّيه لها مراتب، مرتبه الحقيقه العقليه بلا عروض صوره أو ماده لها، و يعبر عن هذه المرتبه بالاسم الأعظم بنحو الجنس الشامل لاثنين و سبعين، اسما، و مرتبه الصوره المتميزه بعضها عن بعض ذاتا، و هى مرتبه الأسماء الحسنى التى هى أنواع بالنسبه إلى الإسم الأعظم، و هاتان المرتبتان تلاحظان بلحاظ التحقق و الوجود الواقعى النفس الأمرى كلّ منهما فى صقع عالمه، و مرتبه العلم (أى الصوره العلميه القائمه بأنفس العلماء) لا تحقق لها إلّا بالذهن، و ليست إلّا صورا علميه. و هناك مرتبه رابعه و هى مرتبه تشخيص بعض مصاديقها الجزئيه فى أذهان عامه المكلفين المتلقى من العلماء إليهم و المتميز بأذهانهم و عقولهم الناقصه، فهذه مراتب أربع.

أما المرتبه الأولى: فقد يعبر عنها بالذكر الأول و التجلى الأعظم،

و حقيقه الولايه الإلهيه و مرتبه غيب الغيوب فى نفسها، و العقل الأول فهذه المرتبه الثابته لهم منه تعالى هى حقيقه الولايه التى لا يحتملها غيرهم المعبّر عنها بقوله: نحن، بعد

ص: ۳۰۹

السؤال عمّن يحتملها فى حديث أبى الصامت المتقدم و المشار إليها

بقوله عليه السّلام: «لا يحتملها ملك مقرب و لا نبىّ مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان، و هى حقيقه ذاتهم و صفاتهم و أفعالهم و أمرهم و نهيهم و هى سرّ اللّه الذى لا يطلع عليه غيرهم» . و إليه يشير

قولهم عليهم السّلام: «لا يقاس بنا الناس» ،

و قوله عليه السّلام: فيما يأتى:

«آتاكم اللّه ما لم يؤت أحدا من العالمين»

، و علمت أن هذه المرتبه هى مرتبه الاسم الأعظم بتمامه و كماله المختص بهم عليهم السّلام دون ساير الأنبياء عليهم السّلام.

و أما المرتبه الثانيه: و هى مرتبه الأسماء الحسنى

و حقائق الصفات الربوبيه، التى تكون عامله فى عالم الوجود و بها قوام الموجودات بأسرها، كما أشير إلى هذا ما فى دعاء كميل و دعاء السمات و سائر الأدعيه الوارده فى هذا المورد، كما لا يخفى على المتتبع لآثارهم. و هذه المرتبه لا يحتملها إلّا ملك مقرب أو نبى مرسل أو مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان، و هذه الطبقات الثلاث لكلّ واحد منها مراتب مختلفه من الملائكه و الأنبياء و المؤمنين كما أشير إليه فى الأحاديث من أن ولايتهم عرضت على الكلّ. فكلّ من هذه الطبقات الثلاث له الفضل بقدر ما تحقق فيه من تلك الولايات و المعرفه بها كما تقدمت الإشاره إليه فيما سبق مرارا، و قد يعبّر عن هذه المرتبه بالذكر الثانى، و يندرج فى هذه المرتبه جميع مراتب معارف الأولياء من أعاليهم إلى أدنى المؤمنين. و بعباره أخرى: من سلمان رحمه اللّه إلى أدنى المؤمنين كما لا يخفى.

و أما المرتبه الثالثه: و هى مرتبه العلم الصورى القائم بالنفس

و هى مرتبه درك هذه الأمور بالعقل، و إن لم يكن واجدا لها بالحقيقه كالعلوم الحاصله لأغلب العلماء المتوغلين فى الماديات، فإنهم بعقلهم أدركوا تلك المعارف، و لكن لأجل اتّصافهم بحب الدنيا و الصفات الرذيله حرموا عن الاتصاف بها حقيقه كما تقدم سابقا شرحه مفصّلا، و هؤلاء أيضا على طبقات مختلفه تقدمت الإشاره إليها أيضا فيما تقدم فراجع.

و أما المرتبه الرابعه: و هی مرتبه تشخیص بعض مراتبها العلمیه الصوریه

کما أن هذا یوجد فی أغلب عوام الناس المحشورین مع العلماء کما لا یخفی. و هنا أمر دقیق من الأسرار فافتح مسامع قلبک، لکی تعیها ثم افهمها ثم اسأل اللّه تعالی التوفیق لمعرفتها و العمل بها. و حاصله: أن ذواتهم المقدسه لما کانت عین تجلیاته تبارک و تعالی، و هم المحتملون لحقائق علومه و معارفه کما تقدم من

قوله علیه السّلام: «و حمّلهم علمه» ، أی فی عالم الأرواح قبل الأبدان، فهم علیهم السّلام حینذاک علمه تعالی و معارفه، و هم حینئذ علم ما فی الواقع و نفس الغیب عن غیرهم حتی الملائکه، و هذا هو المراد من

قوله علیه السّلام فیما یأتی:

«و اصطفاکم بعلمه و ارتضاکم لغیبه و اختارکم لسرّه» .

فلو قیل حینئذ: لا یعلمون الغیب فله معنیان: أحدهما: أنهم لا یعلمون ما فی ذاته المقدسه تبارک و تعالی قال تعالی: قُلْ لاٰ یَعْلَمُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ اَلْغَیْبَ إِلاَّ اَللّٰهُ (۱)فنفی الغیب عن کلّ ذی عقل بإطلاقه فی السموات و الأرض بلحاظ نسبتها إلی سایر الآیات المثبته للغیب لمن ارتضاه کقوله: إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ (۲)الآیه، یقضی بأن الغیب المنفی فی هذه الآیه المبارکه هو الغیب المطلق، أی ما فی ذاته المقدسه غیر المتناهیه التی هی غیب الغیوب. و ثانیهما: أنهم علیهم السّلام حیث یکونون نفس علم الغیب، فلا غیب لهم فی عالم ما سوی سواهم، فلا محاله لا یعلمون الغیب لنفی موضوعه، فالنفی من باب السالبه بإنتفاء الموضوع و هذا أصل ثابت لهم علیهم السّلام فمهما نفی عنهم الغیب فهو بلحاظ نفی ما فی ذاته المقدسه الغائب عنهم علیهم السّلام و مهما ثبت لهم علم الغیب فهو بلحاظ حقیقتهم الأولیه النوریه، التی حمّلها اللّه تعالی علمه فهم نفس الغیب بهذا المعنی.

ص: ۳۱۱

۱- ۱) النمل:۶۵.

۲- ۲) الجن:۲۷.

هذا و أن

الناس فى إدراكهم لذواتهم المقدسه على طبقات ثلاث:

الأولى: من كان نور عقله ضعيفا جدّا

كأغلب المحجوبين على معرفتهم بالنورانيه، فهذه الطبقه ينظرون إليهم بالعقل المنحط الضعيف فيميزونهم بلحاظ هياكل البشريه، غايه الأمر الكامله، و لا معرفه لهم بأنهم عليهم السّلام فى عالم القرب الذى ليس فوقه قرب فهم حينئذ يقولون: إن الأئمه عليهم السّلام يعلمون الغيب بلحاظ ثبوته لهم بالآيات و الأخبار فيميزون الأئمه عليهم السّلام بذاتهم عن تلك الحقائق الغيبيه.

الثانيه: من كان نور عقله بنحو الاستواء

أى بلغ من الكمال بحيث فاق أقرانه، و عرف منازلهم و معارفهم و مقاماتهم فهؤلاء يجدون أنهم عليهم السّلام نفس العلم الغيبى المتقدم آنفا بيانه، و عرف أنهم عليهم السّلام نفس خزائن الغيب، و هم عليهم السّلام مفاتيحه التى لا يعلمها إلاّ اللّه، و من هذه الآيه بلحاظ هذا المعنى أنه لا يعلم أحد حقيقتهم النورانيه الغيبيه إلاّ أنا و أنت، و إن لى حقا لا يعرفه إلاّ اللّه و أنت، و إن لك حقّا لا يعرفه إلاّ اللّه و أنا» .

الثالثه: من كان نور عقله بنحو يلاحظ تلك الذوات المقدسه

مع ما لها من المقام المنيع منسوبه إليه تعالى، فحينئذ يلاحظ علمهم و حقيقتهم بالنسبه إليه تعالى فلا محاله ينفى عنهم ما هو ثابت لذاته المقدسه تبارك و تعالى، فحينئذ يقول: إنهم عليهم السّلام لا يعلمون الغيب (أى بلحاظ ذاته المقدسه تبارك و تعالى) كما تقدم، و إليه يشير قوله تعالى: قُلْ لاٰ يَعْلَمُ مَنْ فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ اَلْغَيْبَ إِلاَّ اَللّٰهُ . ثم إن المؤمن الممتحن من نظر إليهم عليهم السّلام بهذه العقول الثلاثه، أى تاره ينظر إليهم بما هم بشر فوق كلّ بشر فيقول: هم يعلمون الغيب نظرا إلى الآيات و الأخبار المثبته لهم ذلك، و تاره ينظر إليهم بلحاظ مقامهم المنيع النورانى فيقول: هم نفس الغيب، و تاره ينظر إليهم بلحاظ نسبتهم إليه تعالى فيقول: إنهم لا يعلمون الغيب و هم عليهم السّلام بهذه المنزله أى فى حد الواجب و الإمكان يستفيدون العلم منه تعالى، و إليه يشير ما تقدم من

قولهم: «إنما العلم ما يحدث ساعه بعد ساعه» ،

و قوله عليه السّلام:

«إن لنا فی لیالی الجمعه سرورا» کما تقدم. فالأئمه علیهم السّلام حافظون لأسراره تعالی إلّا الأصناف الثلاثه أعنی الملک المقرب و النبی المرسل و المؤمن الممتحن، فهؤلاء الثلاثه یعلمون أنّ ما علموه علیهم السّلام و أخبروا به مما مضی و مما یأتی و سایر العلوم أنه وراثه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تفهم من کتاب اللّه، و هذا المعنی هو السرّ الذی یحفظونه إلّا عن هؤلاء الثلاثه، لعدم کونهم من الأغیار فلا یذیعونها إلی غیرهم کما أنهم لا یذیعونها إلی غیرهم. و أحسن مصادیق للمؤمن الممتحن مثل سلمان و کمیل، و من حذا حذوهم فی کلّ زمان کما نطقت به الأحادیث أن لکلّ زمان مثلهما و فضائلهما و فضائل نظیرهما مذکور فی کتب الأخبار بما مزید علیه. ثم إن فضائل سلمان أظهر من الشمس و أبین، و أما کمیل فیکفی فی فضله ما ورد فی حقّه من الأحادیث خصوصا حدیث الحقیقه المشهوره المنسوبه إلیه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام، و حیث إن فی ذلک الحدیث إشاره إلی السرّ مضافا إلی دلالته علی فضیلته، فلا بأس بذکره و الإشاره إلی معانیه فنقول:

[فی بیان حدیث الحقیقه المشهوره المنسوبه إلی الکمیل]

اشاره

روی عنه أنه سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: ما الحقیقه؟ فقال علیه السّلام: «ما لک و الحقیقه؟ فقال کمیل: أ و لست صاحب سرّک؟ فقال علیه السّلام: بلی، و لکن یرشح علیک ما یطفح منی. فقال کمیل: أ و مثلک یخیّب سائلا؟ فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: الحقیقه کشف سبحات الجلال من غیر إشاره. فقال: زدنی بیانا. فقال علیه السّلام: محو الموهوم مع صحو المعلوم. فقال: زدنی بیانا. فقال علیه السّلام: هتک الستر لغلبه السرّ.

فقال: زدنى بيانا. فقال عليه السّلام: نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره. قال: زدنى بيانا. قال عليه السّلام: اطف السراج فقد طلع الصبح» .

أقول: الكلام فى شرحه يقع فى أمور:

الأول: [فى شرح اللغات الحديث]

الرشح ما يخرج شيئا فشيئا كما يرشح الإناء المتخلخل الأجزاء، و طفح يقال: طفح الإناء كمنع طفحا و طفوحا امتلأ و ارتفع و فاض، و سبحات الجلال أى نوره المنبئ عن عظمته تعالى، و المحو: الإزاله يقال: محوته محوا و محيته محيا إذا أزلته و الموهوم ما ذهب إليه الوهم، فإن الوهم ما يقع فى الخاطر يقال: وهمت الشيء أهمه و هما من باب ضرب إذا وقع فى خاطرك، و وهمت فى الشيء (بالفتح) أهم و هما إذا ذهب وهمك إليه، و أنت تريد غيره، و توهمت أى ظننت فإن التوهم الظن أيضا، و المراد منه هنا ما يقع فى الخاطر مما ليس بحقّ الحقّ. و الصحو: ذهاب الغيم يقال: أصحت السماء بالألف إذا انقشع عنها الغيم فهى مصحيه، و صحا من سكره صحوا إذا زال سكره فهو صاح الأمر.

الثانى: قوله رضى اللّه عنه: ما الحقيقه؟

إن الحقيقه المسئول عنها لا يراد منها ذاته المقدسه، لأنه لا معنى للسؤال عن حقيقه ذاته التى لا يمكن التعرف عليها مطلقا لكلّ أحد، خصوصا من مثل كميل الذى هو من أصحاب السر لأمير المؤمنين عليه السّلام العارف بهذا الأمر، بل المراد منها التوحيد الحقيقى و ظهوره الحقيقى فى عالم الكون و فى قلوب الأولياء بنحو الأتم الأكمل، الذى هو السّر و سرّ الولايه المطلقه المشار إليها سابقا، فأجابه عليه السّلام ببيان ما يمكن بيانه لمثل كميل، و سنوضحه بما منحنا اللّه تعالى من فهمه إن شاء اللّه تعالى. أقول: و يمكن أن يقال: إن المراد من الحقيقه هو ذاته تعالى، لكن ليس السؤال بنحو يكون عن كنهه تعالى، بل عن معرفته إجمالا

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السّلام من

قوله: ذاته حقيقه، فعلم كميل حيث إنه من أصحاب السّر، إن ذاته حقيقه إلاّ أنه أراد هنا أن يعلم الحقيقه بنحو يمتاز عن غيره لعارفه، لا بنحو الكنه، فإنه يمكن أن يعرف أحد الحقيقه بنحو يميزها عن المجاز و الباطل و الموهوم الخلقى، و إن كانت بعد غير معلومه بالكنه كما لا يخفى فتأمل تعرف. و قد يقال: إن الحقيقه فعليه من حقّ يحقّ حقّا و حقيقا إذا ثبت، و التاء فيها للخروج من الوصفيه إلى الاسميه، و اللام للعهد الذهنى أى ما فى ذهن المخاطب من حقيقه الحقائق، و هو وجود الحقّ سبحانه و تعالى فانه ثابت باق، و كلّ ما سواه زائل، فإن سرّ هذه الحقيقه مما يضنّ بكشفها على غير أهلها، و يضيق عن دركها نطاق أفهام العموم إلّا من أطلعه اللّه تعالى على ذلك من أوليائه الأمناء، و كيف كان فالسؤال عن كشف الحقيقه التى هى كلّ الكل، و الأصل الذى ما سواه الجزء و الفرع، و كيف يبحث عنها أحد و هى محيط و ما سواه محاط، فأنى يكون للمحاط العلم بمحيطه؟ فكلّ ما قيل إنه حقيقه أى ذاته تعالى فالحقيقه بخلافه،

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «كل ما خطر ببالك و تصور فى خيالك فاللّه تعالى بخلاف ذلك» فلا يمكن الجواب عن كشف الحقيقه إلّا من آثارها على الرمز و الإشاره

كما قال عليه السّلام: «الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره» ، و سيجىء شرحها. و ربما يقال (۱): المراد من الحقيقه المسئول عنها هى النفس الناطقه الكليه الإلهيه، أو حقيقه النفس بما لها من المعنى الكلى أو العقل الكلى، و هو بعيد جدّا كما لا يخفى عن أجوبته عليهم السّلام تدريجا.

الثالث: قال عليه السّلام: «ما لک و الحقيقه» .

أقول: لما سأل عن الحقيقه ردعه عليه السّلام بأنك لبعيد عن درك معناها، لغموضها و لاختصاصها بالأولياء المقربين الكملين من الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام فأثّر هذا الردع فى

۱- ۱) القائل على ما قيل: هو الشيخ عبد الرزاق الكاشانى فى شرح مصابيح القلوب.

قلب کمیل فازداد عطشه فی فهمها، مع علمه بأنه علیه السّلام قادر بأن یمنحه فهمها و یرقیه إلی درجه درک هذا المعنی، و ذلک بما أعطاه اللّه تعالی من الولایه المطلقه، التی من آثارها التصرف فی کمیل، بحیث یرتقی إلی مقام إمکان درک هذا المعنی، بل و إلی وجدانه و لذا قال: مستلطفا و مسترحما: أ و لست صاحب سرک؟ أی أنی طال ما رویت من عذب ماء معارفک، و وقفت علی بعض أسرارک، و علمت من علومک التی أسعفتنی بها، فکیف تمنعنی حینئذ عن کشف هذا المعنی و بیان هذا السرّ؟

فقال علیه السّلام فی جوابه: «بلی، و لکن یرشح علیک ما یطفح منی» .

الرابع: فی بیان هذه الجمله

فنقول: اعلم أن أسرار آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-التی هی حقیقه ولایتهم المطلقه المشار إلیها سابقا-أمر غامض قد علمت أنها لا یتحمله ملک مقرب و لا نبیّ مرسل و لا مؤمن ممتحن، فلا یتحمّله إلاّ هم علیهم السّلام أو من شاءوا کما تقدم. و من المعلوم أن کمیل بن زیاد لم یکن بمثابه النبی المرسل أو الملک المقرب بقول مطلق، فلذلک کلّه

قال علیه السّلام: بلی، أی أصدقک علی أنک صاحب سری، و لکن الذی سألت من بیان الحقیقه هو فوق درکک، فلا بد من أن تترقب إلی أن یرشح إلیک من تلک الأسرار و العلوم و المعارف، فتأخذها بحسب قدرتک و طاقتک. و الوجه فیه ما ذکره علیه السّلام لکمیل أیضا

کما فی النهج و غیره: «یا کمیل إن هذه القلوب أوعیه فخیرها أوعاها» ، إلی أن قال علیه السّلام: «إن هاهنا لعلما جمّا لو أصبت حمله» ، فیستفاد منه أن القلوب تأخذ العلوم بقدر ظرفیتها، فکما لا یأخذ إلاّ بقدر ظرفیتها لا یصلح لها السؤال و الاقتحام لما فوق ظرفیتها و درکها کما لا یخفی. و بالجمله لما ردعه علیه السّلام عن مسئوله أثّر فی قلبه شده الطلب فقال: أ و مثلک یخیب سائلا؟ فطلب منه علیه السّلام من طریق الاسترحام و الاستعطاف، فلما رأی الإمام علیه السّلام أنه صادق فی طلبه علی نحو الجدّ فأسعفه بمنحه لسؤاله، فرشح علیه من

وابل نواله فقال: الحقيقه. . إلخ، و هذا العمل من كميل مصداق

لقوله عليه السّلام: «من طلب شيئا و جدّ وجد، و من قرع بابا و لجّ ولج» .

قال عليه السّلام: الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره» .

الخامس: فى شرح هذه الجمله،

قوله: سبحات الجلال (بضم السين) جمع سبحه (بضم السين و سكون الباء) بمعنى النور، و أيضا يراد منه الجلال و العظمه، و معلوم أن ذاته المقدسه محتجب بهذه الأشعه الجلاليه و الجماليه. جمالك فى كلّ الحقائق سائر و ليس له إلّا جلالك ساتر

و قال عليه السّلام: «يا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه» ، و معلوم أن شده النور و زيادته تكون مانعا عن شهود من له النور، و هذا أمر ظاهر من الآيات و الأحاديث و الأدعيه و حينئذ نقول: التوحيد الحقيقى الكشفى الذى هو المسئول عنه، و المراد به من الحقيقه إنما يكون لأحد إذا انكشف عن قلبه أنوار الجلال الحاجبه له، و هذا لا يكون إلّا فى قلب الموحد حيث إنه لا ظهور للتوحيد الحقيقى إلّا فيه. قال اللّه تعالى

كما فى الحديث القدسى المشهور: «لا تسعنى أرضى و لا سمائى بل يسعنى قلب عبدى المؤمن» . ثم إن هذا الكشف بما له من المعنى المصدرى إنما هو من فعله تعالى، كما دلّ عليه قوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى اَلْآفَاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ حيث أسند الإراءه إلى نفسه تعالى فهو تعالى يرى أولياءه آياته فى مظاهر الآفاق و الأنفس إلى أن ينكشف لدى العبد أنه الحقّ الخالص غير المشوب بغيره،

و قال عليه السّلام: «يا من دلّ على ذاته بذاته» ، فانكشاف تلك الأنوار بيده تعالى و فى ظرفه تظهر الحقيقه. هذا بحسب الواقع، و أما إن كانت إضافه الكشف إلى مفعوله فظاهر أن الكشف

حینئذ فاعله هو اللّه تعالی، و إن کانت إضافته إلی فاعله أی زوال تلک الصفات عن التوحید الواقعی، فإسناده إلی الفاعل بحسب الظاهر مجازی، و إلاّ فالفاعل فی الحقیقه هو اللّه تعالی کما هو المستفاد

من قوله: «یا من دلّ علی ذاته بذاته» . فالحقیقه الظاهره المکشوفه لا یشار إلیها من جهه، لأنها خارجه عن الجهات، و محیطه بها کما حقق فی محلّه و لذا

قال علیه السّلام: «من غیر إشاره» . و عن العلاّمه الحلی (طاب ثراه) ما لفظه: و لا یمکن الجواب عن کشف الحقیقه إلاّ من آثارها علی طریق الرمز و الإشاره

کما قال علیه السّلام: «الحقیقه کشف سبحات الجلال من غیر إشاره» ، و ذلک لأن اللّه تعالی محجوب بصفاته و صفاته الجلالیه تتعلق بذاته، و صفاته الجمالیه تتعلق بأفعاله، و السالک الطالب للحقّ إذا سلک المفاوز الجسمانیه و عبر عن البحار الروحانیه وصل إلی صفات الجمال، ثم إلی صفات الجلال، فإذا جاوز هما تجلت له الحقیقه،

و قوله علیه السّلام: «من غیر إشاره» ، أی أن اللّه تعالی منزّه عن أن یکون مشارا إلیه أو یکون له حدّ و نهایه، لأن هذه الصفات من صفات المحدثات، و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام: «کلّ ما خطر ببالک و تصور فی خیالک فاللّه تعالی بخلاف ذلک» . ثم إن السبحات المراد بها أنوار الجلال أو نفس الجلال و العظمه، قد یراد منها صفاته تعالی، و المراد بکشفها حینئذ نفیها عنه تعالی

کما قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «و کمال الإخلاص نفی الصفات عنه. . إلخ»

و قال علی بن موسی الرضا علیه السّلام: «و نظام توحیده نفی الصفات عنه. . إلخ» و الوجه فیه أن الصفه لما کانت مخلوقه له تعالی کما دلت علیه الأحادیث الکثیره فی خلق الصفات، فهی حادثه مضافا إلی أن کلّ واحد منها له حدّ و فصل یمتاز عن غیرها مفهوما، فلا بد من نفیها عنه تعالی، و إلاّ یلزم الحدوث و التکثر فی ذاته المقدسه تعالی عن ذلک علوا کبیرا

قال علیه السّلام: «کان اللّه و لم یکن معه شیء و الآن کما کان» أی لیس مع ذاته المقدسه ما یقترن معها أزلا و أبدا.

فالحقيقه هو الكشف عن سبحات أنوار الصفات، و ظهور الحقّ منفيا عنه تلك الصفات، و قد يراد منها كشف الحدود الخلقيه عن ذاته المقدسه، بيانه أنه تعالى قال: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «بل هو فى الأشياء بلا كيفيه» كما فى توحيد الصدوق

و قال: «يا من كلّ شىء موجود به، يا من كلّ شىء قام به» و قال تعالى: أَلاٰ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ

قال عليه السّلام: «لا يخلو منه مكان و لا يحويه مكان» ،

و قال عليه السّلام: «إنه بكلّ مكان و مع كلّ إنس و جان و فى كلّ حين و أوان» . فالمستفاد من هذه الآيات و الأحاديث أن ذاته المقدسه محيطه بكلّ شىء و موجوده بحقيقه الوجود، و أن كلّ شىء موجود به، و الحدود الخلقى الملتفت إليها إنما هو مانع عن مشاهده جماله المقدس. فالحقيقه عباره عن كشف هذه الحدود عن جماله الأقدس، بصرف الالتفات عن تلك الحدود حتى حدّ نفسه، و الإعراض عنها بصرف التوجّه إليه تعالى و الوله إليه تعالى، و هذا المعنى هو المقصود من قوله

الحسين عليه السّلام فى دعاء عرفه بروايه السيد فى الإقبال:

«الهى علمت باختلاف الآثار و تنقلات الأطوار أن مرادك منى أن تتعرف إلى فى كل شىء حتى لا أجهلك فى شىء»

،

و قوله عليه السّلام: فيه:

«تعرفت لكلّ شىء فما جهلك شىء، و أنت الذى تعرف إلىّ فى كلّ شىء، فرأيتك ظاهرا فى كلّ شىء، و أنت الظاهر لكلّ شىء»

. و معلوم أن تعرفه تعالى لكلّ شىء إلى أوليائه، و ظهوره فى كلّ شىء لهم إنما هو فى ظرف الإعراض عن الحدود الخلقيه و عن نفسه، فالنظر إلى الأشياء بما لها من الحدّ و الحدود يكون فى ظرف خفائه و غيبه تعالى، و أما النظر إليه تعالى فى ظرف الإعراض عن الحدود فهو ظرف ظهور الحقيقه، نعم هذا كما علمت من فعله تعالى لعبده و ليس معلولا لشىء و إنما هو لطف من ألطافه كما علمت من قوله تعالى: سَنُرِيهِمْ. . . .

ص :٣١٩

و الحاصل: أن

قوله عليه السّلام: «كشف سبحات الجلال» ، معناه أن الحقيقه هى أن يكشف الحقّ حجاب الخلق عن أنوار عظمته، و ذلك إيماء إلى أن الحقيقه لا- تنكشف لأحد إلاّ بالكشف الإلهى لا التعلم البيانى، و السبحه كما علمت نور إضافه الكشف إلى السبحات، إضافه المصدر إلى المفعول الثانى المتعدى إليه كما يقال: كشف النقاب عن وجهه، ففى المقام المفعول الأول محذوف إذ تقديره كشف الحقّ عن سبحات وجهه، فالفاعل هو اللّه تعالى و حجاب الخلق الذى هو المفعول الأول محذوف، و السبحات هو المفعول الثانى المضاف إليه فى العباره. هذا

و قد ورد: أن للّه سبعين ألف حجاب من نور و ظلمه، لو كشف واحد منها لاحترقت سبحات وجهه من انتهى إليه بصره من خلقه، و المراد بهذه الحجب تعيّنات الوجود الساتره لنور الوجود المطلق. ثم إن

قوله عليه السّلام: «من غير إشاره» ، قد علمت معناه من أن المشار إليه لمّا لم يكن إلاّ الوجود المعين، فالحقّ المطلق الذى لا تعين له فلا- محاله فهو متعال عن الإشاره كما لا يخفى. و لا يخفى أن هذا لا يرجع إلى القول بوحده الوجود كما توهمه بعض، فإن القائلين به يقولون بكون الأشياء كلّها عينه تعالى عن ذلك علوا كبيرا، و لا يحتاج هذا القول إلى كشف السبحات، بل لا يرى إلاّ الحقّ و لو كان المرئى هو الحد و الحدود، و هذا باطل لضروره الدين و المذهب

قال عليه السّلام: «إن اللّه خلو من خلقه و خلقه خلو منه» . و الحاصل: أن المراد من كشف سبحات الجلال هو تميزه عن خلقه بحيث يشاهد التميز، فيرى الحقّ حقا و الخلق خلقا

قال عليه السّلام: «و توحيده تمييزه عن خلقه» و حكم التمييز بينونه صفه لا بينونه عزله أى التوحيد هو فى ظرف إزاله الصفات الخلقيه عنه و بينونته تعالى عنها لا إزالته تعالى عنها و اعتزاله عنها، فهو

كما قال على عليه السّلام «فى الأشياء بلا كيفيه» أى بلا نحو من أنحاء الظرفيه الكائنه فى الخلق،

کیف و قد قال تعالی: اَلْحَیُّ اَلْقَیُّومُ و قال تعالی: وَ هُوَ مَعَکَمْ أَیْنَ مٰا کُنْتُمْ . فالتوحید هو ظهوره تعالی لقلب العبد فی ظرف غفلته، و إعراضه عن الحدود الخلقیه و عن نفسه بکمال توجهه و ولهه إلیه تعالی. قال الشاعر: حین تغیبت بدا حین بدا غیّبنی و لا یکون هذا إلاّ فی حال الجذبه کما بینه علیه السّلام بعدا. ثم إن المراد من الإعراض عن الحدود الخلقیه یعمّ الإعراض عن جمیع أنحاء الحدود الخلقیه من الصفات و الأفعال فی الآفاق و الأنفس، و إلی هذه النکته أشار قوله تعالی: کُلُّ مَنْ عَلَیْهٰا فٰانٍ وَ یَبْقیٰ وَجْهُ رَبِّکَ ذُو اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِکْرٰامِ فما سوی وجهه الکریم یکون فانیا بالذات. فالحقیقه إنما هو ظهور بقاء وجهه الکریم و فناء من سواه، فالعبد فی هذه الحاله یقول

کما قال أمیر المؤمنین (علیه أفضل صلوات المصلین) علی ما نقل: «ما رأیت شیئا إلاّ و قد رأیت اللّه قبله» . و إلیه یشیر

ما فی بعض الأدعیه:

«و لا یسمع فیه صوت إلاّ صوتک، و لا یری فیه نور إلاّ نورک»

. و إلیه یشیر ما

فی الأحادیث القدسیه المرویه عن الأئمه علیهم السّلام من قوله: «لا یزال عبدی یتقرب إلی بالنوافل حتی أحبه، فإذا أحببته کنت یده و بصره» إلخ. فإن هذه الأمور و الصفات فی حال ظهور الحقیقه و التوحید الصفاتی و الأفعالی کما لا یخفی، و هذا من أخص ألطافه تعالی لأخص أولیائه

قال علیه السّلام:

«بک عرفتک و أنت دللتنی علیک، و لو لا أنت لم أدر ما أنت» .

و الحاصل: أن اللّه غیور بل أغیر کما قاله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

و قال علیه السّلام: «و لا أحد أغیر من اللّه تعالی» ، فتقضی غیرته أن لا یری جماله لأحد إلاّ فی ظرف الإعراض و الغفله عن

غيره تعالى و عن نفسه، ففى تلك الحاله يرى جماله لأوليائه و هذا هو المطلوب للأئمه عليهم السّلام من

قولهم فى دعاء الشعبانيه:

«إلهى هب لى كمال الانقطاع إليك، و أنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمه، و تصير أرواحنا معلقه بعز قدسك» .

و قال عليه السّلام:

«و اجعلنى ممن ناديته فأجابك، و لاحظته فصعق لجلالك، فناجيته سرّا و عجل لك جهرا» ، الدعاء. فلا ينال هذا إلّا منه تعالى فى ظرف الجذبه كما يشير إليه

قوله عليه السّلام «و لاحظته فصعق لجلالك» كما لا يخفى، رزقنا اللّه تعالى ذلك بمحمد و آله الطاهرين، آمين ربّ العالمين.

السادس:

لما بين عليه السّلام الحقيقه بقوله السابق، و علم منه كميل ما علم بعلم اليقين أراد أن يعلم بحقّ اليقين فقال ملتمسا منه عليه السّلام المزيد للبيان: زدنى بيانا، لما علم أنه عليه السّلام فاتح كلّ علم و مبين كلّ سرّ كما

قال عليه السّلام لكميل فى حديث آخر مفصّل رواه فى تحف العقول: يا كميل ما من علم إلّا و أنا أفتحه، و ما من سرّ إلّا و القائم يختمه، يا كميل لا تأخذ إلّا عنا تكن منا» .

فقال عليه السّلام: «محو الموهوم مع صحو المعلوم» ، قد علمت فيما سبق معنى المحو و الوهم و الصحو و حينئذ نقول: المحتمل لهذه الجمله أمور: الأول: أنه قد علمت فيما سبق أنه تعالى شىء بحقيقه الشيئيه، أى أن ما سواه شىء بالمجاز بالنسبه إليه تعالى

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أحسن كلمه قالتها العرب كلمه لبيد: ألا كلّ شىء ما خلا اللّه باطل و كلّ نعيم لا محاله زائل

و فى الدعاء:

يا حيا ليس كمثله حىّ،

و فى التنزيل: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. فتعطى هذه الأمور أن الوجود الحقيقى له تعالى و أن ما سواه موجود به ليس له وجود حقيقى بل هو موجود صورى و همى كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء،

فالموجودات قائمه به تعالى و هو قيومها لا حقيقه لها أبدا، و الآثار كلّها منه تعالى و ظهرت منه تعالى فى تلك المظاهر و بهذا المعنى قيل: لا موجود سوى اللّه، و هذا هو المراد من القول بوحده الوجود الحقيقى له تعالى، و لا يلزم منه كون جميع الأشياء هى الحقّ تعالى كما لا يخفى فلا يلزم منه كفر و لا خلاف الواقع. فالحقيقه هو ظهور الحق المعلوم و صحوه فى ظرف محو الموهوم أى إزاله الموجودات الوهميه، فعلم أن المراد من المعلوم هو الحقّ تعالى و توحيده المعلوم فى هذه الحاله، و قد علمت أن هذا يكون منه تعالى لعبده، و لهذا عبّر عليه السّلام فى جميع الجمل بصيغه المصدر المنبئ عن تحقق الفعل من دون نظر إلى فاعله، لوضوح أنه هو اللّه تعالى، و وجه كون هذه الجمله أبين لبيان الحقيقه من سابقتها هو أن الجمله السابقه تشير إلى تحقق وجود للصفات و الأنوار و السبحات المنكشفه عن التوحيد الحقيقى، و هذا بخلاف هذه الجمله فإنها ظاهره فى أن الموجودات بأسرها صوريه وهميه لا وجود لها فى قبال وجوده تعالى إلاّ بالوهم و الخيال. أقول: بالنسبه إلى وجوده تعالى الذى هو وجود حقيقى يكون وهما لا فى نفسه، و إلاّ فإنها محلّ أحكام و آثار يناسب وجودها الوهمى كما لا يخفى. الثانى: قد تقدم

قول الصادق عليه السّلام: «ما تصور فهو بخلافه» ،

و قال عليه السّلام: «من عبد اللّه بالتوهم فقد كفر» .

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لا تحيط به الأوهام بل تجلى لها بها و بها امتنع منها» .

و قال عليه السّلام: «من أشار إليه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه» .

قوله: «من أشار إليه» يعمّ الإشاره الخارجيه و الوهميه التصوريه فى الذهن كما لا يخفى.

و قال عليه السّلام: «لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها، و لم تقع على الأوهام بتقدير فيكون ممثلا» .

و قال عليه السّلام كما تقدم: «و من زعم أنه يعرف اللّه بحجاب أو بصوره أو مثال فهو

مشرك» .

و قال عليه السّلام: «فهو بالموضع الذى لا يتناهى، و بالمكان الذى لم يقع عليه الناعتون بإشاره و لا عباره هيهات هيهات» إلخ. فتعطى هذه الجمل إن ما نتوهمه فى الحقّ فإنما هو موهوم مردود مخلوق لنا، فهو تعالى بخلافه، فإنه تعالى محيط بكل شىء، فلا يحاط لا فى الخارج و لا فى الذهن بالتصور و الإشاره فحينئذ

قوله: محو الموهوم، أى إزاله الموهومات المتصوره فى الذهن لتشخيص الحقّ بل الحقّ، لا بد من أن يعتقد كونه فوق المتصور لكلّ أحد بحيث لا يشار إليه مطلقا،

و قوله: «مع صحو المعلوم» ، أى مع ظهور الحقّ بذاته للعبد لا بتصوره و توهمه

قال عليه السّلام: «يا من دلّ على ذاته بذاته» ،

و قال عليه السّلام كما تقدم: «هو الدال بالدليل عليه و المؤدى بالمعرفه إليه» . فالحقيقه و التوحيد هو تمييزه تعالى عن الموهومات و التصورات الذهنيه، و تنزيه ساحته المقدسه عن مشاركه غيره من الموهومات مع ذاته المقدسه المتعاليه، و إبقاؤها على ما هى عليه،

«كان اللّه و لا شىء معه و الآن كما كان» فظهور الحقّ و التوحيد بنفسه لعبده مع إزاله المتصورات الوهميه عن القلب هو الحقيقه. الثالث:

روى فى التوحيد بإسناده عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن شىء من التوحيد، فقال: «إن اللّه تباركت أسماؤه التى يدعى بها و تعالى فى علوّ كنهه، واحد توحد بالتوحيد فى علو توحيده ثم أجراه على خلقه، فهو واحد صمد قدوس يعبده كلّ شىء و يصمد إليه كلّ شىء و وسع كلّ شىء علما» .

و فيه عن على بن عقبه رفعه قال: سئل أمير المؤمنين عليه السّلام: بم عرفت ربّك؟ فقال: «بما عرّفنى نفسه. قيل: و كيف عرّفك نفسه؟ فقال: لا تشبهه صوره، و لا يحسّ بالحواس، و لا يقاس بالناس، قريب فى بعده، بعيد فى قربه، كل شىء و لا يقال: شىء فوقه، إمام كل شىء و لا يقال له: إمام، داخل

فى الأشياء لا كشىء فى شىء و خارج من الأشياء لا كشىء من شىء، خارج سبحان من هو هكذا و لا هكذا غيره و لكلّ شىء مبدأ (مبتدأ خ ل)» . فالمستفاد من هذين الحديثين و أشباههما أنه تعالى واحد أحد، ثم أجرى توحيده على خلقه، أى أن لخلقه مطلقا جهتين جهه خلقيه و هى ما به حدوده، و ما هو من هذه الجهه معرضا للآثار العارضه له من عوارض الخلقه، و هذه الجهه و ما لها من العوارض خلو عنه تعالى، و هو خلو منها كما تقدم الحديث المصرح به و جهه حقّيه أى ما بها ظهور الحق بوحدانيته، فهذه الجهه مظهر للتوحيد الجارى على الخلق، ففى كلّ موجود مطلقا جهه التوحيد، و تعديه الجريان بعلى للإشاره بأن هذه الجهه لها الغلبه و القاهريه على الجهه الخلقيه. و الحاصل: أن فى كل موجود مطلقا جهه مظهريه الحقّ، و التوحيد فهو تعالى من هذه الجهه داخل فى الأشياء، لكن لا كدخول شىء فى شىء من أنحاء الظرفيه المتصوره فى المخلوق، فهو داخل بالإحاطه و العلم و الغلبه، و خارج لا- كخروج شىء من شىء بل من جميع ما يعرض المخلوقات فهو تعالى خارج منها، و قد أعيت عقول العقلاء من الكلّ عن درك هذه الإحاطه بكيفيتها الواقعيه، كما أعيت عن درك كيفيه تعلق الروح الإنسانى بالبدن الجسمانى، فمن عدم معرفه هذا التعلق يعرف عدم معرفه إحاطته تعالى بالخلق كما لا يخفى، فتدبّر. فتحصل أنه تعالى مع كلّ موجود و أن فى كلّ شىء جهه مظهريه التوحيد، فالقلب إن كان متوجها إلى الجهه الخلقيه كان محجوبا عنه تعالى، و إن أعرض عنها بحيث فنى عن نفسه و عن حدوده و عن عوارضه ظهر له التوحيد فحينئذ نقول: معنى

قوله عليه السّلام: «محو الموهوم مع صحو المعلوم» ، هو محو الحدود الخلقيه و الإعراض عنها، و ظهور التوحيد من جهه الحقّ و التوحيد الذى أجراه تعالى على خلقه. نعم تقدم أن هذا لا يكون إلّا فى حال الجذبه المشار إليها

بقوله عليه السّلام:

«و اجعلنى

ص: ۳۲۵

ممن لاحظته فصعق لجلالك فناجيته سرّا» الدعاء. فالقلب حينئذ إذا أعرض عن الكثرات و الحدود ظهر فيه التوحيد، فلا يرى فيه إلاّ الحقّ و آثاره، ثم إنه قلّ من تدوم له تلك الحاله إلاّ للأوحدى و إلاّ للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمه عليهم السّلام فإنهم عليهم السّلام حينما كانوا فى تلك الحاله و المشاهده يخبرون عنه تعالى، و تظهر منهم عليهم السّلام آثار التوحيد و هو مقام العنديه له تعالى المشار إليه بقوله تعالى: وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ يَسْتَحْسِرُونَ (1). الرابع: اعلم أن الحقّ تعالى هو حقيقه الشيئيه كما تقدم

قوله عليه السّلام: «بل هو شىء بحقيقه الشيئيه و ما سواه» فإنما هو بالنسبه إليه تعالى باطل عاطل أوهام محض فشيئيه شىء إنما هو بظهور آثار الحقّ، الذى هو حقّ الشىء عليه، فالأشياء حينئذ فى تقبل الحقّ مختلفه، ثم إن القلب الإنسانى لما جىء به فى عالم الملك و عالم الجهل و الماده و النفس و الطبيعه، صار محجوبا عن مشاهده أنوار الجمال و الجلال بنحو الأتم و الأكمل، مع أنه تعالى جعل فيه حقيقه الإنسانيه التى هى مظهر للروح الذى نفخ فيه منه تعالى، فهو بتلك الروحيه قابل لمشاهده أنوار الجلال و الجمال، و لكن لما صار فى قوس النزول و عالم الطبيعه صار محجوبا. ثم إنه تعالى بفضله و كرمه رزقه عقلا درّاكا به يدرك الحقّ من الباطل، و هو فرقان و حجّه باطنى إلهى، ثم أردفه بالشرع الذى هو العقل المنفصل فى الإراءه و النورانيه و الحجّيه كما أن العقل هو الشرع المتصل كما لا يخفى. هذا و لكن العقل له جهتان جهه الإدراك و الإراءه، و جهه التحفظ و الداعويه إلى الحق، فعمل العقل إنما هو الدرك و أن يحفظ صاحبه عن الركون إلى الأرض و النفس و الطبيعه و الجهل و الظلمه، ضروره أن العقل من العقال التى تشدّ به الدابه لحفظها عن الضياع، فالجهه المطلوبه بنحو الأهم فى العقل هى هذه الجهه الحافظيه

١- ١) الأنبياء:١٩.

الباطنيه النورانيه عن الانحراف و الفساد، فإذا ظهر نور العقل فی القلب انكشف لديه المشهود بهذا النور من أنوار الجلال و الجمال و مظاهر الصفات و الكمال الربوبی فتنبعث فی القلب محبه لتلک الأنوار الجماليه و الجلاليه. ثم إنه تشتدّ تلک المحبه إلی أن تصل إلی درجه الشوق ثم منها إلی درجه العشق، فحينئذ يحرق جميع ما سوی المحبوب و المعشوق بحيث لا يبقی فيه شیء سوی اللّه و آثاره، فيفنی حينئذ موضوع العقل فإنه عقال و نور عن الانحراف فی ظرف وجود مظاهر الظلمه و النفس و الطبيعه، و من المعلوم أنه بعد ظهور المعشوق و المحبوب لا يبقی مظهر للنفس و ظلمات الجهل و الطبيعه کی تحتاج إلی العقل و إلی نوره، و سيجیء مزيد توضيح لهذا. و هذه نعمه يا لها من نعمه!

قال الصادق عليه السّلام: «ما أنعم اللّه علی عبد أجلّ من أن لا يكون فی قلبه مع اللّه غيره!» ، فالعقل جعل فی الإنسان لإراءه الحق و جماله و جلاله فإذا ظهرتا فی القلب فيملک القلب تلک الأنوار، فلا محاله يمحی العقل و موارده عن القلب، فحينئذ يظهر من العاشق ما لا يظهر من العاقل، لزوال العقل و تملک العشق للقلب

قال عليه السّلام: «هجم بهم العلم علی حقيقه البصيره فباشروا روح اليقين، و استلانوا ما استوعره المترفون، و انسوا بما استوحش منه الجاهلون» ،

و قال الباقر عليه السّلام: «المؤمن لا يأنس إلاّ باللّه أو بمؤمن مثله» . و الحاصل أنک تری صدور أفعال من العاشق كالإقدام علی القتل و الشهاده مع الشوق و العشق،

قال أمير المؤمنين عليه السّلام فی أوصاف الحسين عليه السّلام و أهل بيته و أصحابه: «و مصارع عشاق شهداء لم يسبقهم من قبلهم و لم يلحقهم من بعدهم» (۱). و إليه يشير ما قيل من أن العشق جنون إلهی (و قد قيل: إن هذا قول الصادق عليه السّلام) و المحبه نار فی القلوب تحرق ما سوی المحبوب، و إن المحبه شغل القلب بالحبيب عن كل بعيد و قريب،

و قال الصادق عليه السّلام فی تعريف السابق: «السابق يحوم

۱- ۱) نفس المهموم.

حوم ربّه» .

و فی مصباح الشریعه: قال الصادق علیه السّلام: «حب اللّه إذا أضاء علی سرّ عبد أخلاه عن کلّ مشاغل و کلّ ذکر سوی اللّه» ، إلی أن قال علیه السّلام: «و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: حب اللّه نار لا یمر علی شیء إلاّ احترق» ، الحدیث (۱). و لیس هذا العشق هو العشق المجازی المادی کما توهمه بعض من لا تحصیل له فی المعارف، فإنها قلوب خلت عن ذکر اللّه فأذاقها اللّه حبّ غیره، فأین هذا من العشق الحقیقی الذی هو شغل القلب بالحبیب عن کل بعید و قریب؟ ! إذا علمت هذا فنقول: المراد من

قوله علیه السّلام: «محو الموهوم مع صحو المعلوم» أنه إذا ظهر العشق و المحبه التامه فی قلب العاشق الإلهی فیحرق هذا المعلوم الصاحی جمیع ما سوی اللّه، حتی عقل هذا العاشق فلا یری غیر الحقّ، فهو بالعشق الهائج یشاهد الحقیقه فی ظرف محو العقل و الطبیعه، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله. الخامس: اعلم أنه ما من موجود إلاّ و هو مظهر للّه تعالی من حیث العلم و القدره و الحیاه و آثارها بالکلّ، إلاّ أن کلّ موجود یخص بتلک الآثار الإلهیه بقدر سعه وجوده و بقدر ما منحه اللّه تعالی، فحینئذ ربما یظن الجاهل بالحقیقه أنه تبارک و تعالی یکون کذلک أی مثل نفسه فی الکمالات، فلا محاله یجعل الربّ تبارک و تعالی محدودا بحدود الخلق قال اللّه تعالی: وَ مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ اَلْأَرْضُ جَمِیعاً قَبْضَتُهُ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ وَ اَلسَّمٰاوٰاتُ مَطْوِیّٰاتٌ بِیَمِینِهِ سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ (۲).

ففی تفسیر البرهان بإسناده عن الفضیل بن یسار، قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن اللّه لا یوصف، و کیف یوصف و قد قال اللّه فی کتابه: وَ مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، فلا یوصف بقدر إلاّ کان أعظم منه» .

۱- ۱) مصباح الشریعه باب ۹۶.

۲- ۲) الزّمر:۶۷.

و فيه بإسناده عن محمد بن عيسى بن عبيد قال: سألت أبا الحسن على بن محمد العسكرى عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَ اَلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ اَلْقِيامَةِ وَ اَلسَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ فقال: «ذلك تعيير اللّه تبارك و تعالى لمن شبهه بخلقه أ لا ترى أنه قال: وَ ما قَدَرُوا اَللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إذ قالوا: إن الأرض جميعا قبضته يوم القيامه و السماوات مطويات بيمينه كما قال عز و جل: وَ ما قَدَرُوا اَللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إذ قالوا: ما أَنْزَلَ اَللّهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ثم نزّه عز و جل نفسه عن القبضه و اليمين فقال: سُبْحانَهُ وَ تَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ ؟ . فدلّ هذان الحديثان على أن تشبيهه تعالى بما هو موجود فى المخلوقين من القدره مثلا، و لو بنحو فوق أنحاء ما للبشر من مثل قبضه الأرض، و تطويه السموات باليمين هو تنقيص له تعالى، و هو تعالى عيّرهم فى ذلك التشبيه، و هذا نظير

ما ورد عن الباقر عليه السّلام قال: «و هل يسمى عالما و قادرا إلاّ لأنه وهب العلم للعلماء و القدره للقادرين؟ ! و كلّما ميزتموه بأوهامكم فى أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، و البارى تعالى واهب الحياه و مقدر الموت، و لعل النمل الصغار تتوهم أن اللّه زبانيتين» ، الحديث. فإن المستفاد من هذا الحديث الشريف (روحى فداء لقائله) أمور: الأول: أنه لا يمكن توصيفه تعالى فى العلم و القدره بحيث نصل إلى كنه علمه و قدرته، و إنما علمنا أنه تعالى عالم و قادر لما وهب العلم و القدره للعلماء و القادرين، فيعلم أنه قادر عالم لأن معطى الشىء لا يكون فاقدا للشىء، فمن إعطائه العلم و القدره نعلم أنه عالم قادر، و أما الإحاطه بكنه علمه و قدرته بل و سائر صفاته فلا. الثانى: أنه عليه السّلام بيّن أن البشر كلما ميّز صفه للحق فإنما تمييزه بآله فى نفسه تشير إليها فى عالم تمييزه و عالم أدق تصوره للمعانى، و مع ذلك كلّه إن هذا التمييز و ما تميز به فهو مخلوق مصنوع لهذا الخلق، و هو مردود إليه فاللّه تعالى أعظم منه كما تقدم من

قوله عليه السّلام: «فلا توصف بقدر إلاّ كان أعظم منه» ، فلا يمكن الإشاره بهذه التمييزات

إليه تعالى، و معرفته تعالى بها فإنه لا سبيل إليه من هذه الأمور، بل لا يعلم من هذه الأوصاف الكائنه فى الخلق إلّا أنّ معطيها واجدها حقيقه، و أما العلم بكنه تلك الصفات الثابته له تعالى فلا- كما تقدم. ثم إنه عليه السّلام أعطى بيان الجامع لجميع الصفات و الآثار الموجوده فى الخلق

بقوله عليه السّلام: «و البارى تعالى واهب الحياه و مقدر الموت» . بيانه: أن حياه الإنسان بل و كلّ موجود إنما هو بالآثار القائمه به و المترتبه عليه، و يجمع الكلّ الحياه فاللّه تعالى هو واهبها (أى معطيها) أى معطى جميع تلك الصفات و الآثار الكائنه فى الخلق بما لها من الحدّ، الذى يفنى تلك الصفات و الآثار عند انقضاء الحدّ و القدر، و هو المراد من

قوله عليه السّلام: «و مقدر الموت» أى محدد لحدوده و إفنائه بذاته و بآثاره كما لا يخفى. الثالث: أنّه عليه السّلام بيّن أن جميع البشر و إن بلغوا من العلم إلى شق الشعر بشعرتين، و بلغوا فى الكمال إلى أقاصيها، و مع ذلك إنما مثلهم بالنسبه إليه تعالى كمثل النمله إذا أراد توهّم اللّه تعالى فلا- محاله يتوهم أن له تعالى زبانتين يبين أنكم (أى الخلق) فى تشخيص الحق بصفاته و ذاته، و إن بلغ إلى ما بلغ من العلم و الدقه و العقل، فإنما هو كالنمله يثبت له تعالى ما هو منزه عنه تعالى، و ذلك لقصوره الذاتى عن درك الحق، فالصفات الموجوده فينا فإنما هى للإشاره إلى أن معطيها واجد لتلك الصفات فقط، و أما التحديد له تعالى و التوصيف له تعالى بهذه الصفات الكائنه فينا أو الموصوفه بعقولنا فلا- فتلخص من الجميع أنه تعالى منزه عن تلك الصفات الكائنه فينا المحدوده و الموصوفه بتوصيفنا لها، و حينئذ نقول:

قوله عليه السّلام: «الحقيقه محو الموهوم و صحو المعلوم» ، يراد منه محو تلك الصفات الكائنه فينا، التى نظن أنها الكمالات لأحد لا غيرها كما تظن النمله هكذا فى الزبانتين: عنه (۱)تعالى، و عدم تمييزه تعالى بهذا المميز،

ص: ۳۳۰

۱- ۱) متعلق بمحو.

بل الحقيقه هو محو هـذه مع صـحو صـفاته تعالى على ما هى له من غير تحدد بحدود أو تميز بامتيازنا، و هذا لا يكون إلّا بلطف منه تعالى لعبـده، فتكشف له الحقيقه هكذا فى حال الجذبه و الوله فيه تعالى كما تقدم، و للأكابر فى ظهور هذه الحاله حكايات كثيره عجيبه ذكرت فى محلّه. و قد يقال: إن

قوله عليه السّـلام: «كشف سبحات الجلال من غير إشاره» ، يشير إلى مرتبه اليقين المجرد الذى هو علم اليقين و غيره فالتمس منه عليه السّلام علم اليقين، فأجاب عليه السّلام

بقوله: «محو الموهوم مع صـحو المعلوم» ، لأن الحقيقه إذا كشف عنها صـفات الجلال التى تتعلق بالـذات، أى شاهـد بعلم اليقين الـذات فى مرآه صـفات الجلال و أدرك أثر الحقيقه بعلم اليقين، فلا محاله ينمحى عنه وهمه، و يزول عنه شـكه و ظنّه، و شاهد آثار الحقيقه بنور علم اليقين، فمحو الموهوم هو كشف صـفات الجلال عن الـذات، و صـحو المعلوم هو ظهور آثار الحقيقه كما لا يخفى، هذا ملخص ما نقلناه عن العلّامه الحلى (رضوان اللّه تعالى عليه) فتأمل. و قد يقال أيضا: إن المراد من محو الموهوم مع صحو المعلوم هو إزاله وجود الخلق عنـد تجلى وجود الحق، فـإنه لما كان وجود الخلق زائلا عبّر عنه بالموهوم، و لما كان وجود الحقّ ثابتا عبّر عنه بـالمعلوم، فـإن العلم عقـد ثابت يطابق الواقع، و الوهم ما لا يطابقه، و الحقّ لـذاته موجود لا بالاعتقاد الوهمى فاعتقاد الوجود له وهم، و الصـحو كما علمت فى الأصل ذهاب الغيم و انكشافه عن السماء فاستعاره عليه السّلام بمعنى انكشاف كلمه وجـود الخلـق عن وجـود الحق فتأمـل. و زيـاده البيـان فى هـذا الجواب بلحـاظ أنه أشـير فيه إلى أن وجود الخلق موهوم لا حقيقه له، و هذا بخلاف الجواب السابق لا إشعار فيه لهذه الجهه.

الأمر السابع: فقال: زدنى بيانا،

فقال عليه السّـلام: «هتك الستر بغلبه السرّ» . أقول: و فى بعض النسخ: و غلبه السـر، و فى بعضـها: هتك السـر لغلبه السر، فالسر الثانى اسم وضع موضع الضمير كما لا يخفى.

و الستر (بكسر السين و سكون التاء) بمعنى الحجاب و الغطاء و جمعه أستار و بالفتح بمعنى المصدر، و المراد منه هنا الأول. و الهتك عباره عن التمزيق و الخرق و رفع الحجاب سواء كان بالاختيار أم لا. و أما السّرّ (بتشديد الراء و كسر السين) بمعنى الأمر المخفى كالسريره. فيمكن تفسير هذه الجمله الشريفه بوجوه فنقول: قد يقال: إن المراد من الستر الوجود الموهومى الثابت للخلق و الكثرات، و من السرّ وجوده تعالى الذى هو الوجود الحقيقى

قال عليه السّلام: «يا حيّا ليس كمثله حيّ»

و قال عليه السّلام: «يا من كل شىء موجود به» ، و حينئذ معنى هتك الستر أنه و إن كان الحق خلوا من الخلق و الكثرات و بالعكس كما تقدم، إلاّ أنه قد يغلب ظهوره تعالى فى قلب عبد بحيث يصرفه عما سواه فيذهل عن غيره تعالى، و هو معنى الهتك أى يرفع مانعيه وجود الكثرات عن ظهور الحق و الحقيقه، و إلى هذا الحال

أشار الحسين عليه السّلام فى قوله:

«أ لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك» . ثم إن وجود الكثرات يعمّ الوجودات الماديه أو العقليه، فالعقل كما علمت أيضا: هو حجاب على الحقيقه فإذا غلب السرّ عليه هتكه فيضمحل العقل حينئذ. و الحاصل أن نور العقل و وجوده العقلى المحدود قد ينطمس و ينمحى انطماس نور القمر فى نور الشمس، و ذلك عند تجلى السر أعنى وجود الحق و الحقيقه، و إليه يرجع ما قيل من أن ستر الحدوث قد ينهتك لغلبه سرّ القدم، و أما ما قيل من أن المراد من السر الحقيقه و من الستر الشريعه، فإذا وصل العبد إلى الحقيقه استغنى عن الشريعه كما قيل: لو ظهرت الحقيقه بطلت الشريعه، فمردود لوجوه: منها: أن لازمه وصول الحادث إلى القديم و هو محال كما لا يخفى. و منها: أن محمدا و آله الطاهرين هم أكمل الموحدين و العارفين و الواصلين و مع أنهم فى مقام ظهور الحقيقه لديهم و هم عند الحق (كما تقدم) فإنهم لم يرفعوا اليد عن الشريعه ما داموا موجودين كما لا يخفى على أحد.

و منها: أنه يستلزم الإباحه للواصل و هذا يرده الشرع و أهله كما لا يخفى، على أنه

روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: «الشريعه أقوالى و الطريقه أفعالى و الحقيقه أحوالى» ، فهذا ظاهر فى أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دائما يكون فى هذه الأمور الثلاثه حسب الظاهر و الباطن ما دام موجودا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و أما قوله تعالى: وَ اُعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ اَلْيَقِينُ فالمراد منه الموت كما فسّر به فى الروايه لا العلم اليقينى، و لا مقام الوصل المتعارف بينهم، على أنه يمكن أن يكون المراد من اليقين هو نتيجه العباده أى اعبد حتى تصل إلى مقام اليقين، لأن اليقين غايه للعباده، و لكن يدفعه أن التفسير بالموت يعطى أن المراد منه هو الغايه كما لا يخفى. و قد يقال: إن المراد من الموت المفسر به هو مقام الفناء الحاصل للواصل، لكن فيه أنه إن كان الفناء دائميا بحيث يكون العبد فيه صعقا لجلاله كما تقدم فهو كالموت و لا إشكال فيه، و إن لم يكن كذلك بأن كان والها فيه تعالى أو زالت عنه حاله الفناء فلا نسلّم حينئذ بصحته بل لا بدّ من تأويله بالموت الحقيقى كما لا يخفى. و قد يقال أيضا: إن المراد من الستر هو الصفات و من السرّ هو التوحيد، فالحقيقه هو هتك الصفات و نفيها عنه تعالى وجدانا لغلبه السرّ و هو التوحيد كما أشار إليه عليه السّلام

بقوله:

«حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور»

، أى أنوار الصفات فتصل إلى معدن العظمه (أى التوحيد) إلاّ أنه فرق بين هذه الجمله و بين

قوله: هتك الستر لغلبه السرّ، فإن هذه هتك من السرّ فيزول الحجاب، و هذه الجمله الأخيره فى الدعاء إنما هو خرق الحجب النوريه من الظاهر، لكى يصل إلى الباطن المشار إليه

بقوله:

فتصل إلى معدن العظمه

كما لا يخفى، و كيف كان فقد تقدم بيانه فى الجمله السابقه. و قد يقال: إن المراد من الستر هو ستر العلائق، و من السر هو قلب المؤمن الذى هو مظهر الحق

قال تعالى: «لا تسعنى أرضى و لا سمائى بل يسعنى قلب عبدى

المؤمن» فالقلب إذا صفا ظهر فيه الحق المشار إليه بقوله: بل يسعنى إلخ و إذا تكدر بظلم المعاصى صار محجوبا قال تعالى: خَتَمَ اَللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ. . (١)و قال تعالى: . . بَلْ رٰانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ (٢). و كيف كان فالقلب دائما فى الانقلاب

كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «مثل القلب مثل العصفور ينقلب فى كلّ ساعه» ،

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «سمّى القلب قلبا لسرعه تقلبه» ، فإذا صار القلب مزكّى بالصفات الحميده، و تخلى عن الصفات الرذيله صار مصداقا لقوله تعالى: إِلاّٰ مَنْ أَتَى اَللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٣)فلا محاله ينكشف فيه الحق، ففى هتك أستار الصفات الرذيله لغلبه السر، أعنى ظهور الحق فيه يكون العبد عارفا بالحقيقه، فتأمل تعرف. و قد يقال: إن المراد من السرّ هو الحب المفرط المعبر عنه فى لسان العرفاء الحقه بالعشق، و من الستر هو كتمانه، فالمحبه هى الرابطه بين قلب العبد و بين خالقه، بها يكمل العبد فى مقام العبوديه، و بها يسير العبد إلى درجات القرب و يعرض عن غيره تعالى، قال اللّه تعالى: وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ (۴)ثم إن العبد قد يكون قويا فى النفس فيكتم العشق فى قلبه إلى أن يموت،

ففى الخبر: «من عشق و عفّ و كتم فمات مات شهيدا» فإنه و إن كان هذا ظاهرا فى العشق المادى بقرينه

قوله: و عفّ، إلاّ أنه يمكن حمله على العشق الإلهى أو الأعم، فتأمل. و كيف كان لما كانت المحبه موجبه للإعراض عن غيره تعالى قلبا و سببا لمشاهده جمال الحق سرّا، إلاّ أنه غالبا يكون مكتوما، فأشار عليه السّلام إلى أنه قد يزيد المحبه إلى أن يوجب هتك الستر (أى الكتمان) فترى العاشق حينئذ يصدر عنه آثار

١- ١) البقره:٧.

٢- ٢) المطففين:١۴.

٣- ٣) الشعراء:٨٩.

۴- ۴) البقره:١۶۵.

المحبه و العشق علنا، فهذه الأحوال لا تكون إلاّ فى حال كشف الحقيقه و ظهورها. أقول: هذا الهتك للعاشق الحقيقى إنما يكون للضعفاء منهم، و أما الأقوياء فيخفون محبتهم فيما بينهم و بين خالقهم، كما ذكر هذا فى حال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعض الأنبياء السابقين كإبراهيم عليه السّلام و شعيب عليه السّلام و نحوهما عليهما السّلام و كذا حال الأئمه (صلوات اللّه عليهم أجمعين) و يلحق بهم فى الجمله بعض العارفين الإلهين، و هنا كلام طويل ذكر فى محلّه. و قد يقال: إن معنى هتك الستر لغلبه السرّ، إن سرّ الوجود الظاهرى الذى هو وجود الحق فى صقع الربوبيه إذا غلب على الباطن انهتك ستره، الذى هو وجود الخلق، و زياده هذا البيان على سابقه لإفادته عله هتك الستر و هو غلبه السرّ و هو اسم لما سرّ شيئا، و بالفتح مصدر و تقدم بيانه، و قال بعضهم: إن السائل لم يقنع منه عليه السّلام بعلم اليقين و التمس منه عليه السّلام مرتبه عين اليقين.

فأجاب عليه السّلام: «بأنها هتك الستر لغلبه السرّ» أى أن أسالك إذا محى مظنونات وهمه عند انكشاف سبحات الجلال عن الحقيقه، فيصحو له المعلوم و يعلم بعلم اليقين علامات الحقيقه، فيغلب حينئذ السرّ عليه و هو نور الحقيقه، و حينئذ يسكر السالك من شراب الوجد و يقف عقله، و يهتك الستر عليه و هو ناموس الشرع و العقل، فعند ذلك يأخذ فى الشطحيات و الكلمات التى لا يجوز التكلم بها فى الشرع، كما روى عن بعضهم من مثل: سبحانى ما أعظم شأنى، و مثل: أنا الحق، أو: ليس فى جبتى إلاّ اللّه، و نحوها. فإن كانوا حينئذ محفوظين بالعنايه الأزليه فلا محاله يواظبون فى عين هذا السكر على الفرائض و السنن، و إلاّ فتجرى عليهم أحوال و أمور خارجه عن الشرع و العقل، و يقول أهل الظاهر حينئذ بكفرهم و زندقتهم، فإذا أفاقوا من سكرهم اعتذروا بما جرى عليهم فى حال السكر من الشطحيات، و نهوا غيرهم عنها و قالوا: أين التراب و ربّ الأرباب و قالوا: تب علينا يا رب إنك أنت التواب،

أین العبودیه من الربوبیه أین المخلوقیه من الخالقیه؟ ! انتهی ملخصا عما ذکره العلامه الحلی (رضوان اللّه تعالی علیه) .

الأمر الثامن:

اشاره

فلما شرب کمیل من کأس إفاضاته علیه السّلام القدح المعلّی و المشرب المهنّی، و علم أن الأمر أدق و أخفی مما ظنه، فقال مستفیدا و ملتمسا الزیاده منه علیه السّلام: زدنی بیانا،

فقال علیه السّلام: «جذب الأحدیه لصفه التوحید» . قد یقال: إن معناه أن من خصائص الحقیقه أن یجذب بأحدیتها وصف التوحید عن الموحد، رفعا لتوهم إثنینیه بین الموحد و الموحّد، و زیاده هذا البیان لإفادته معنی التوحید. و کیف کان فهذه الجمله تفسر بأمور:

الأمر الأول: [فی بیان معنی الجذب و الأحدیه لغه]

أن الجذب لغه بمعنی الجر و المدّ یقال: جذبت ثوبه، أی أجذبته إلیّ بشده، و اللام فی

قوله علیه السّلام: «لصفه التوحید» ، إما بمعنی إلی کما فی قوله تعالی: سُقْنٰاهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ (۱)و إما بمعنی التعلیل فالمعنی حینئذ إن الحقیقه و حقیقه التوحید جذبه تعالی عبده إلی صفه التوحید و حقیقته، أو جذبه إلیه تعالی لعلّه صفه التوحید، أی حقیقه الوحدانیه إذا ظهرت فی قلب عبد تجذبه إلیه تعالی. و فی هذه الجمله إشاره إلی ما تقدم من: أن ظهور الحقیقه إنما هو فی حال الجذبه لا غیر، فظهور حقیقه التوحید لا محاله یکون بالجذبه، و هی کانت مراده فی الجمل السابقه باطنا إلاّ أنه لما طلب الزیاده للبیان صرّح بها علیه السّلام للبیان. و کیف کان فالجذبه هو الأصل فی ظهور هذه الحقائق و الأمور للسالک، و هی عند أهل المعرفه عباره عن إدناء اللّه تعالی عبده إلیه بالعنایات الإلهیه، و هی إما قبل السلوک فتصیر سببا لسلوک العبد، فیقال حینئذ للسالک: المجذوب السالک، و إما بعده أو فی أثنائه فیقال له: السالک المجذوب. و کیف کان: فلا بد من الجذبه و لا یعدلها شیء من الأعمال المقربه فی السلوک،

۱- ۱) الأعراف:۵۷.

و إليه يشير ما

فى الروايه على ما قيل من أن: جذبه من جذبات الرحمن أفضل من عباده الثقلين، و لنعم ما قيل فى الفارسيه: تا كه از جانب معشوقه نباشد كششى كوشش عاشق بيچاره بجائى نرسد ثم إنّ الأحديه مصدر جعلى، أى أن توحيده تعالى إذا ظهر لعبد يجذبه إلى صفته أى إلى حقيقته، و معنى جذبه إلى حقيقه التوحيد ليس هو صيروره العبد الممكن واجبا تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا، بل المراد و قائله (صلوات اللّه عليه) اعلم: «أن العبد لما قرب إليه تعالى بالجذبه يزول عنه آثاره و إراداته المحدوده، بل يتصف بصفات الحق تعالى كالحديده المحماه التى تظهر منها آثار النار فقط، مع أنها ليست بحقيقه النار، بل لكمال قربها إليها و نفى آثارها المختصه بها من حيث هى حديد ظهرت فيها آثار النار فكذلك العبد يظهر منه حينئذ آثار التوحيد» . و إليه يشير

ما ورد كثيرا من الأحاديث من قوله تعالى فى الحديث القدسى: «لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت يده و لسانه و بصره» إلى آخر ما فى الحديث و قد تقدم. فقوله تعالى: «كنت يده» إلخ، يشار به إلى ظهور صفاته تعالى فيه كما لا يخفى. و إليه يشير أيضا

قول الصادق عليه السّلام فى مصباح الشريعه «العبوديه جوهره كنهها الربوبيه» ، فإن المراد بالربوبيه (التى هى مصدر جعلى) هو ظهور صفاته تعالى فيه لأجل العبوديه، فالعبد حينئذ يتصف بالربوبيه أى يعمل عمل الرب، أى يظهر فيه أعماله تعالى، و حينئذ ربما ينسب العبد تلك الأفعال الربوبيه إلى نفسه

كما نقل عن خطب أمير المؤمنين عليه السّلام من قوله: «أنا خالق السماوات و الأرضين و رازق أهلها» .

و الوجه فيه أنه نفسه الشريفه (صلوات اللّه عليه) ليست بعامله بنفسها مستقله، بل هى حينئذ فانيه فى صفاته تعالى، فلا يظهر منها إلاّ آثار صفاته تعالى، فالنسبه إلى نفسه عليه السّلام فى الحقيقه نسبه إليه تعالى، فإنه عليه السّلام بعد ما كان منجذبا لصفه التوحيد أى مظهر لظهور صفه التوحيد فيه بآثارها، فلا محاله ليس هناك إلاّ آثار الحق. و إليه يشير قوله تعالى: وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ رَمىٰ (١)

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «من رآنى فقد رأى الحق» فإنه تعالى جعل رميه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رمى نفسه تعالى بعد نفى كون الرميه منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقوله: وَ مٰا رَمَيْتَ ، أى أنت فان عن نفسك فأفعالك ليست بأفعالك، بل هى أفعالى و أنت مظهر لها. ثم إن هذا أمر حقيقى واقعى نفس الأمرى إلاّ أنه خفى على كثيرين إلا من أبصره اللّه تعالى بالجذبه الأحديه فيرى أفعاله منه تعالى، كما هو ثابت للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمه عليهم السّلام و بعض أولياء اللّه تعالى. و إلى هذا الأمر الواقعى يشير قوله تعالى: يَدُ اَللّٰهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (٢)و قوله تعالى: لاٰ قُوَّةَ إِلاّٰ بِاللّٰهِ (٣)و قوله: وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ وَ يَخْتٰارُ مٰا كٰانَ لَهُمُ اَلْخِيَرَةُ (۴)و قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ (۵). و الحاصل: أن السالك إذا خلص من علائق الدنيا و من علائق البشريه و صفاتها بالسلوك و الجذبه الإلهيه، فيصير كالمرآه المصفاه تنتقش فيها صفات الحقّ و آثارها، كما علمت من الحديده المحماه أيضا، فحينئذ يكون آثاره آثاره تعالى لا آثار نفسه، و هذا المقام إنما هو ثابت بالنسبه إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمه عليهم السّلام و للأوحدى

ص: ٣٣٨

١- ١) الأنفال:١٧.

٢- ٢) الفتح:١٠.

٣- ٣) الكهف:٣٩.

۴- ۴) القصص:۶٨.

۵- ۵) هود:١٠٧.

من أوليـاء اللّه تعـالى، فلاـ تظن بأحـد ذلـك إلاّـ بـالثبت القـاطع لكـلّ محتملاـت الخلاف. و لنعم ما قيل بالفارسيه مخاطبا أمير المؤمنين عليه السّـلام: ز تو ظاهر صـفات لم يزليست ليس فى جبتى مقام و ليست كه أنا الحق بحق حضرت حق در تعيّن على و آل عليست و أما بالنسبه إلى غيره فمشكل ثبوتا، و أشكل منه إثباتا كما لا يخفى. رزقنا اللّه ذلك بفضله و كرمه و بمحمد و آله (عليه و عليهم السّلام) .

الأمر الثانى:

أن يراد من الحقيقه و حقيقه التوحيـد أنه تعالى يجـذب إلى عبده (أو لعبده) صـفه التوحيد يعنى يمنحه حاله السـكر و الدهشه و الحيره و الوله، اللهم إن قلوب المخبتين إليك والهه، و إنما تحصل له هذه الحاله لما يشاهده بسره جمال الحق، فالمحب العاشق إذا شاهـد بسـره جمـال المحبوب المعشوق يعرض له تلك الحاله، فيزيل حينئـذ عنه شـعاع العقل و آثاره و آمريته، و يـذهل عن حواسه و محسوسـاته الظـاهريه لانغمـاسه فى مشاهـده جمال الحق تعالى، فيعرضه منها فرح و انبساط و نشاط بما لا نهايه لها و لا يحكيه بيان. فمن شدّه الفرح و الانبساط و النشاط بانضـمام مشاهده جمال المحبوب، يعرض له حاله السكر و الدهشه و الحيره و الوله كمـا ذكرنا، فيغفل حينئـذ عن نفسه و عن غيرها، فلا يشاهـد إلّا الحق فى مرايا الوجود و مظاهر الموجود، و لهـذا العبـد فى هذه الحالات لذائذ روحيّه ذكرت فى محلّها نثرا أو شـعرا كما نرى كتب العرفاء الحقه الواصـلين إلى تلك الدرجه، الذائقين من هـذا الكـأس المعلى مشـحونه بـذلك، ثم ربما يـدوم ذلك الفرح و الانبساط و النشاط إلى أن تزول عنه حاله الـدهشه و الوله و السـكر، فتحصـل له حاله الصـحو عن السـكر مع بقاء الإنس و النشاط و مشاهـده جمال الحق، فهـذا العبـد حينئذ يكون فى حال المشاهده مع الاطمينان و الهدوء، و هذا أقوى من سابقه الذى كان له حاله الدهشه.

ص: ۳۳۹

و من هنا يعلم أن أهل السير الذين يفشون الأسرار، فإنما هو لنقصهم و عدم بلوغهم إلى الكمال، و إلى حاله الصحو المذكور. و أما الكاملون فهم دائما فى حال المشاهده، و مع ذلك يكتمون الأسرار، فلا يظهر منهم فعل يوجب كشف أسرارهم، و هذا يعلم من حال نسوه أهل مصر و حال زليخا حيث إن النسوه قطعن أيديهن لمشاهده جمال يوسف، لما عرضت لهن حاله الدهشه و الوله، و هذا بخلاف زليخا فإنها مع أنها كانت أشدّ حبّا له منهن ما قطعت يديها مع أنها كانت فى مقام مشاهده الجمال اليوسفى، و ذلك لأنها كانت فى مقام الصحو بعد السكر كما لا يخفى. هذا و قد يقال: إن المراد من صفه التوحيد هو أن يرى العبد الضرر و النفع، و العزه و الذله، و الفقر و الغناء، و المرض و الصحه، و البلاء و الرخاء كلّها منه تعالى فتساوى عنده جميع تلك الصفات المتضاده، لأنه يرى كلّها من قبل محبوبه و هذا مقام التسليم و الرضا. قال الشاعر: و من الدلائل أن تراه مسلما كلّ الأمور إلى المليك العادل و يدل عليه و على مدحه و لزومه أحاديث كثيره كما لا يخفى.

الأمر الثالث:

لا ريب فى أن صفه التوحيد تحكى عن الواحد الأحد المتفرد بالذات، الذى لا رسم له و لا اسم، و لا يشار إليه لعدم غيره هناك بل ليس هناك إلاّ وجود محض بلا صوره و رسم فصفه التوحيد بما لها من مقام الوحده الواحديه جاريه فى الخلق، و أما موصوفها و هو الوحده الأحديه ليس إلاّ وجود محض بحت فحينئذ نقول: قد يصل العبد إلى مقام صفه التوحيد بنحو تقدم بيانه. و قد يجذبه الربّ إلى مقام الأحديه أى يرفع عنه صفه التوحيد، و لا يبقى له إلاّ حقيقه التوحيد و مقام الأحديه، فالعبد حينئذ لا يرى نفسه أبدا، بل الجذبه

الأحديه تأخذ منه المنيه و الإنيه فلا يبقى إلّا الذات الأحديه، فلا يقال حينئذ موحد (بالكسر) و لا طالب و لا عاشق و لا أثر لغيره تعالى بل كلّها يفنى فى الحق، أى لا يرى إلّا الحق و آثار الحق لا آثار الخلق و لو بعنوان المظهريه، فالعارف إذا استغرق فى لجه التوحيد فلا يرى لنفسه أثرا أبدا. و لعلّه إليه يشير ما

فى دعاء السيفى الصغير من قوله عليه السّلام:

«اللهم أدخلنى فى لجه بحر أحديتك و طمطام يم وحدانيتك» ، الدعاء. و إليه يشير ما قيل فى العربيه: و صرت فناء فى بقاء مؤبّد لذات بديموميه سر مديه و أنظر فى مرآه ذاتى مشاهدا لذاتى بذاتى و هو غايه غايتى هو العاشق المعشوق فى كل صوره هو الناظر المنظور فى كل لمحه و حينئذ فاللام فى

قوله عليه السّلام: «لصفه التوحيد» لتقويه التعديه و تكون الجمله فى محل النصب مفعولا

لقوله عليه السّلام: «جذب الأحديه» ، و يكون الجذب حينئذ بمعنى الدفع و الرفع كما لا يخفى. و قد يقال: إن كميل بن زياد لما لم يقنع بمرتبه عين اليقين، و التمس منه عليه السّلام مرتبه حقّ اليقين،

فأجاب عليه السّلام بقوله عليه السّلام: «جذب الأحديه لصفه التوحيد» (لصفو التوحيد نسخه العلامه) أى أن من هتك ستره من غلبه السر، و سكر من شراب الوجد الحقيقى، ثم أفاق من سكره و جلس على سرير الصحو، و علم أن ليس فى الوجود إلّا اللّه و نفى الاثنينيه بالكليه، فهذا تمكن من التوحيد الحقيقى، و هو أن لا يرى فى الوجود إلّا اللّه الواحد المحض مع وجود كثره المكوّنات، و يعلم حينئذ أن الآثار مظاهر أفعاله و الأفعال مظاهر صفاته و صفاته ثابتات لذاته، و هذه مرتبه عليّه فى معرفه علم التوحيد، و ما لم يصل السالك إلى هذا المقام لا يدرك حقيقه التوحيد كالصبى الذى لا يدرك فوق البلوغ و إن كثرت له الأخبار عنه. و هذا المعنى

قليل الوجود ربما لا يكون فى غير الأئمه عليهم السّلام إلاّ للأوحدى النادر الملحق بالعدم، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

الأمر الرابع:

لا ريب فى أن العبد المتصف بصفه التوحيد يكون من أكمل أفراد البشر فضلا عن غيرهم، و ذلك لأن صفه الوحده جامعه لجميع أقسام الشرافه المتصوره فى الموجودات، لما ثبت فى محلّه من أن الكمالات إنما هى منه تعالى، و هو أحد فرد صمد، فمن اتصف بالوحدانيه و تشبه بالمبدإ من هذه الجهه صار مجمعا لتلك الكمالات، و لا ريب فى أن هذه الوحده سائره فى الخلق كما تقدم من

قوله عليه السّلام: «ثم أجراه» (أى التوحيد) على خلقه. فكلّ موجود له هذه الشأنيّه أى القابليه إلى تلك الكمالات لمكان تحقق جهه التوحيد فيه و لذا قيل: و فى كلّ شىء له آيه تدل على أنه واحد و من أشرفه الإنسان، و لعلّه إليه يشير ما

عن أمير المؤمنين عليه السّلام من قوله:

و أنت الكتاب المبين الذى

بأحرفه يظهر المضمر

فالإنسان بظاهره جامع لمراتب الملك و كمالاته، و بباطنه جامع لمراتب الملكوت و درجاته، و هذا أى كونه واجدا لمقام التوحيد بالفطره و الحقيقه المستلزم لجميع الكمالات الظاهريه و الباطنيه أحد معانى

قوله عليه السّلام: «إن اللّه خلق آدم على صورته، أى على جامعيه الكمالات الذاتيه» ،

و قوله: «الصوره الإنسانيه أكبر حجج اللّه على خلقه» ، كما ذكره المحقق الكاشانى فى كتبه، و ما قيل أيضا من أن حقائق العلم كلّها مظاهر للحقيقه الإنسانيه التى هى مظهر لاسم اللّه تعالى. و أحسن مصاديق لهذه الذوات المقدسه محمد و آله الطاهرون (صلوات اللّه عليهم أجمعين)

و لذا قالوا: «و اللّه نحن الأسماء الحسنى و الصفات العليا و الآيات الكبرى» كما سيجىء فى طى الشرح و تقدم بعضها، و سيجىء أنهم حقيقه كلمات

اللّه التی لا تحصی و لا تستقصی. إذن فهذا الإنسان الجامع لصفه التوحید یجذبه اللّه تعالی إلیه أی یجذب الموحد إلی مقام الأحدیه أی بساط أنسه و حزبه. و إلیه یشیر قوله تعالی فی النفس المطمئنه: اِرْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً (۱)، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله.

الأمر الخامس:

فلما عرف کمیل من بیاناته من غوامض الحقیقه فأراد أن یستکثر من معارفه و ألطافه الخاصه فقال: «زدنی بیانا» ،

فقال علیه السّلام: «نور یشرق من صبح الأزل فیلوح علی هیاکل التوحید آثاره» . فنقول: أما الهیکل فقد یطلق علی البناء المرتفع و علی محال الأصنام (و علی معابد النصاری و المکان المخصوص لهم) و علی البدن الإنسانی، فإنه کما علمت بناء عظیم من حیث إنه مجمع لجمیع آثار قدرته تعالی حیث إنه تعالی، خمّر طینه آدم بید قدرته أربعین صباحا کما نطقت به الأحادیث، و علی مجموع العالم الکبیر، و یقال له الإنسان الکبیر کما أنه یقال للإنسان العالم الکبیر، و علی صور الکواکب و أشکالها التی کانت النصاری و الصابئون منهم یضعونها فیعبدونها، فالهیکل یراد به ما هو مهم فی نفسه، و ما أهمته الأمور و النفوس فی عالم التقدیر و التقویم، فکلّ طائفه یطلقه علی ما هو أهم عنده فإضافه الهیکل إلی التوحید فی کلامه علیه السّلام إشاره إلی عظمه من لاح فیه آثار التوحید فأطلق علیه السّلام الهیکل بهذا الاعتبار. و أما صبح الأزل فیراد منه الصادر و الموجود الأول، الذی ظهر به و أبان به ما کان خفیا فی ذاته المقدسه، حیث إن الصبح یشار به إلی ما به ظهور الأشیاء، و هذا الصادر الأول قد یطلق علیه الدره البیضاء و آدم الأول و العقل الأول و نور و لوح و القلم و الحقیقه المحمدیه و غیر ذلک، و أما إطلاقها علی الذات المقدسه بأن تکون الإضافه بیانیه فصبح الأزل أی نفس الأزل المشار به إلی الذات المقدسه فمحتمل

۱- ۱) الفجر:۲۸.

أيضا فتأمل. ثم إن قوله: نور، أى ظهور نور كما لا يخفى قيل: لأن الحقيقه اسم المعنى فلا بد من تقدير المضاف لئلا يلزم تفسير اسم المعنى باسم الذات (أعنى النور) فتأمل فإن الحقيقه يشار بها إلى الحقائق الموجوده فى صقعها و فى نفس الأمر، لا إلى المعانى المتصوره فى الذهن فقط كما لا يخفى. و ليعلم أولا أنه عليه السّلام كأنه اطلع على ضمير السائل و ما اختلج فيه من أن التوحيد الحادث كيف يكون صفه القديم، فأزاله عليه السّلام بأن حقيقه التوحيد نور أزلى من أنوار صفات الحقّ سبحانه، تلوح آثاره على صور توحيد الخلق فيوحدونه بتوحيده تعالى لا بصفه من صفات أنفسهم، و كيف كان لم يقنع كميل بالبيان السابق الذى هو بيان مرتبه حق اليقين، فالتمس مرتبه حقيقه حق اليقين

فأجاب عليه السّلام بقوله: «نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره» يعنى أن من نفى الاثنينيه و تمكن من التوحيد الحقيقى و لم ير فى الوجود سوى المعبود فهذا يتمكن الحق عليه بصفاته الذاتيه. فعند ذلك يكون عبدا ربانيا فهو حينئذ و إن كان من الخلق، إلا أنه يكون مع الحقّ و الحق معه، فبالحق يسمع و به يبصر و به يبطش و به ينطق و به يمشى

كما ورد به الحديث الربانى: لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا و بصرا و لسانا و يدا. . إلخ.

فقوله عليه السّلام: «نور يشرق من صبح الأزل» . . إلخ إشاره إلى هذا المعنى. و بعباره أخرى: فالنور الذى يشرق من صبح الأزل كنايه عن الحقيقه، و هياكل التوحيد كنايه عن السلاك الواصلين إلى الحق المشرّفين بتجلى الصفات الذاتيه، و لفظ آثاره إشاره إلى أن لا يكون تجلى نور الحقيقه مع الدوام، بل تكون آثاره متجليه بالدوام، و اللّه العالم بحقائق الأمور.

و كيف كان فهذه الجمله أيضا تفسر بوجوه:

اشاره

ص: ۳۴۴

الوجه الأول:

أن حقيقه التوحيد لا ريب فى أنها أمر واقعى نفس الأمرى أصلا و فرعا، و إنما الكامل من ظهرت له تلك الحقيقه بأصلها و فروعها و آثارها، و من المعلوم أن النور بما له من المعنى العام الشامل للوجود هو الظاهر بنفسه و المظهر لغيره، فلا محاله لا بد من النور فى ظهور تلك الحقيقه و آثارها، و هذا النور بأى معنى كان بل بمعناه الجامع لا يكون بحيث يظهر التوحيد و حقيقته به للعبد إلّا ما كان إشراقه و ظهوره من صبح الأزل أى من ذاته المقدسه فيشرق منه فى قلب العبد فيترتب عليه أنه يلوح. . إلخ. فالفاء للتفريع أى أن الحقيقه هو أمر إذا أشرق من صبح الأزل نور الذات، فيلوح أى فيظهر على هياكل التوحيد أى على قلب ولى اللّه المهم الذى هو محل التوحيد

لقوله تعالى فى الحديث القدسى: «بل يسعنى قلب عبدى المؤمن» آثاره، أى آثار التوحيد، و إنما لم يقل عليه السّلام: فيلوح التوحيد، بل قال: آثاره، لأن حقيقه التوحيد بما هو و بواقعه لا يحاط به أبدا إلّا أنه بكلّ شىء محيط، فلا يحاط به و إلّا كان المحيط به أكبر منه وصفا و عظمه تعالى اللّه عن ذلك، أى عن أن يكون أكبر منه وصفا و عظمه علوا كبيرا. نعم يظهر فى قلب المؤمن الكامل آثاره فيشاهد بآثاره كما لا يخفى، و إلى هذه الدقه أشار تبارك و تعالى

فى قوله فى الحديث القدسى: «إن المشتاقين إلىّ الذين صفيتهم من كلّ كدر. . إلى أن قال: و خرقت من قلوبهم إلىّ خرقا ينظرون إلىّ» ، فقوله تعالى: و خرقت من قلوبهم إلىّ هو ظهور هذا النور فيه بحيث يترتب عليه ظهور آثار التوحيد، و العبد إذا وصل إلى محبه الخالق على الحقيقه بحيث خلا عن كلّ شاغل غيره نال هذه المرتبه العظمى.

قال الصادق عليه السّلام فى مصباح الشريعه: «حبّ اللّه إذا أضاء على سرّ عبد أخلاه عن كلّ شاغل و كلّ ذكر سوى اللّه عنده ظلمه» ، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. ثم لا يخفى أن أظهر مصداق لهذه الجمله هو الذوات المقدسه أعنى محمدا و آل

محمد (صلوات اللّه عليهم أجمعين) . بيانه: أنه قد تقدم أنهم عليهم السّلام حقيقه الأسماء الحسنى، فهم مرايا صفات اللّه العليا، فلا محاله منهم و بهم تظهر آثار الربوبيه و القدره كما تقدمت الإشاره فى بيان ولايتهم التكوينيه، حيث علمت أن هذا هو المستفاد من

قوله عليه السّلام: «لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك و خلقك» ، فهم الواجدون لحقيقه التوحيد

كما قالوا: نحن الموحدون، و بهم يظهر التوحيد

كما قالوا:

«فبهم ملأت سماءك و أرضك حتى ظهر أن لا إله إلاّ أنت»

، و تقدم أنه لولاهم ما عبد اللّه و لولاهم ما عرف اللّه كما صرحت به الأحاديث الكثيره. كيف لا يكونون كذلك

و قد ورد قولهم (روحى لهم الفداء) : «نحن أسرار اللّه المودعه فى الهياكل البشريه، يا سلمان نزّلونا عن الربوبيه، و ارفعوا عنا الحظوظ البشريه، فإنّا عنها مبعدون، و عما يجوز عليكم منزّهون، ثم قولوا فينا ما أستطعتم، فإن البحر لا ينزف، و سر الغيب لا يعرف، و كلمه اللّه لا توصف، و من قال: هناك لم و بم و ممّ و فيم، فقد كفر، و يدل على طهارتهم و أنهم منزهون عما يجوز علينا من الآثام و النواقص الظاهريه و الباطنيه قوله تعالى: إِنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ، و سيجىء إن شاء اللّه بيانه فيما يأتى. و حينئذ نقول: فالمراد من النور المشرق من الصبح الأزل هو الحقيقه المحمديه و آله الطاهرون الأربعه عشر (صلوات اللّه عليهم أجمعين) فهم عليهم السّلام بذواتهم آيات التوحيد و أدله الواحدانيه له تعالى، ثم إنه قد تقدم أن حقيقه ذواتهم المقدسه كذاته تعالى مخفيه عنا و لا تعرف إلاّ بالآثار، و من المعلوم أن الآثار العجيبه و الأفعال الغريبه كلّها منه تعالى إذ الآثار لا تكون إلاّ من الموجود بالوجود الحقيقى، و هو مختص به تعالى، و مع ذلك نرى بالوجدان من معجزاتهم، و خوارق العادات لهم، إنهم مظاهر لتلك الآثار و المعجزات، و ليسوا بما هم بشر سببا لتلك الآثار، و إلاّ لحصلت فى غيرهم أيضا لفرض وحده الملاك، فيعلم من هذا أنه تعالى قد رتبهم فى

تلك المراتب العليا، و منحهم تلك القدره و الكمالات حتى يكونوا عليهم السّلام-بما يظهر منهم تلك الآثار العجيبه-دليلا على وجوده و وحدانيته و على قدرته و علمه تعالى، حيث يعلم من هذه الآثار و أن موجدها واجدها لعدم إمكان إعطائها من فاقدها كما لا يخفى. فظهر بحمد اللّه أن المراد من النور المشرق هو الحقيقه المحمديه و هو حادث حيث إنه أثر يشرق من صبح الأزل (و المضارع يدل على الحدوث كما حقق فى محله) فهو مسبوق بمؤثره و هو ذاته تعالى و تقدس، و ما فى دعاء سهم الليل من

قوله عليه السّلام: «اللهم إنى أسألك بالحقائق الأزليه» ،

و ما فى بعض خطبه عليه السّلام من قوله: «كنّا فى تكوينه بكينونيّته قبل خلق التكوين أوليين أزليين موجودين منه بدأنا و إليه نعود» ، الظاهر فى كونهم أزليين فإنما يراد منه الأزليه بالنسبه إلى ساير الموجودات المتأخره عنهم عليهم السّلام، لا الأزليه التى هى صفه له تعالى كما حقق فى محلّه.

الوجه الثانى:

قد تقدم أن المستفاد من كثير من الأخبار أن أول ما خلق هو نور نبينا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ساير الموجودات صادره منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فمنها ما

عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قوله: «و أنا من اللّه و الكلّ منى»

و قول علىّ عليه السّلام: «نحن صنايع اللّه و الناس بعد صنايعنا» . و لعلّه بهذا المضمون

قوله: «خلق الأشياء بالمشيه» ، و قوله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ (۱)

و قوله عليه السّلام فى دعاء المبعث:

«اللهم إنى أسألك بالتجلّى الأعظم»

فتأمل. فيستفاد من هذه و أمثالها أن الصادر الأول هو الحقيقه المحمديه، و أن ساير الموجودات بأجمعها صادره من هذا الصادر الأول، الذى هو أثر للخالق جلّ و علا، و قد يعبر عن هذه الحقيقه المحمديه بالوجود المنبسط، فحينئذ يراد من الصبح الأزل الحقيقه المحمديه، و إضافته إلى الأزل إشاره إلى أنه مخلوق للأزل المكنّى به عن الذات الأحديه جلّ و علا، و المراد من هياكل التوحيد هو ساير

۱- ۱) الزمر:۶.

الموجودات الظاهره فیها آثار التوحید، السائره فیها من الصادر الأول، و الحقیقه المحمدیه التی هی الواسطه بین الحق الواجب و الخلق الممکن ضروره أنه لا سنخیه بین الخلق و الحق إلاّ بهذه الواسطه المحمدیه، کما لا یخفی علی المتتبع الماهر.

الوجه الثالث:

أن المراد من النور المشرق من صبح الأزل هو تجلی النور الأعظم من الذات المقدسه بنحو ظهر منه جمیع الموجودات قال تعالی: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (۱)،

و قال علیه السّلام:

«و بنورک اهتدینا»

، فالموجودات الظاهره فیها آثار التوحید إنما هی کذلک بإشراق هذا النور و التجلی الأعظم کما

فی النبوی المشهور: «إن اللّه خلق الأشیاء فی الظلمه، ثم رش علیها من نور وجوده» .

الوجه الرابع:

قیل: إن المراد من النور المشرق هو نور التوحید، یقع فی قلب من أراد اللّه تعالی أن یهدیه إلی مشاهده التوحید و الوحده فی جمیع الأشیاء، فیری هیاکل التوحید أعنی قلوب الموحدین التوحید بذلک النور المشرق من صبح الأزل، أی من أنوار صفاته تعالی، فتحصل لها مشاهده التوحید القلبی المنبئ عن التوحید الحقیقی القائم بذاته تعالی الذی شهد بذلک بنفسه تعالی قال تعالی: شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فقوله بعد ذلک: وَ اَلْمَلاٰئِکَهُ وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ إشاره إلی شهادتهم التوحید المنبئ عن التوحید الأول الذی شهد به لنفسه تعالی، و لذا عطف شهادتهم علی شهادته تعالی إشعارا بأن التوحید الحقیقی هو مختص به تعالی فقط. و أما التوحید فی غیره هو و إن کان بإشراقه تعالی إلاّ أنه مع ذلک توحید منبئ عن التوحید الحقیقی کما لا یخفی، و قد حقق فی محله مشروحا و هذا محتمل تصدّقه الآیات و الأحادیث.

[فی تفسیر قوله علیه السلام اطف السراج فقد طلع الصبح]

ثم إنه لما بیّن علیه السّلام بهذه البیان الوافی و استفاد منه کمیل و التذّ منه و بعد لم یشبع حتی

قال علیه السّلام: «منهومان لا یشبعان طالب علم. .» إلخ، حیث علم أن البحر بحر

۱- ۱) النور:۳۵.

علمه علیه السّلام لا ینفد، و کلمه اللّه لا توصف فاستزاد منه علیه السّلام فقال: زدنی بیانا،

فقال علیه السّـلام: «اطف السراج فقد طلع الصبح» ، هذا کما قیل: «لقد أغنی الصباح من المصباح» ، و قیل: إذا طلع الصباح استغنی عن المصباح، أی أنّ کشف صبح الحقیقه بالبیانات السابقه مستغن عن إضاءه صبح البیان زایدا علی ما مرّ فأطف السراج أی إعمال عقلک الذی هو السراج، فقد طلع الصبح أی صبح الحقیقه بالبیانات السابقه، و تبیّن الرشد من الغیّ. ثم إن کمیلا لعله جاوز حد المعرفه، و کاد أن یسرع إلی مقام لو طار طائر لاحترق جناحه، و ذلک لما سأل الإمام علیه السّـلام الزیاده بالمرتبه، التی هی نهایه مرتبه الوصول

فأجاب علیه السّـلام عنه بقوله علیه السّـلام: «اطف السراج فإن الصبح قد طلع» و منعه عن هذا المقام، لأن هذه المرتبه أی المرتبه المنبه بقوله: نور. . إلخ آخر مراتب السلوک و الکمال و لیس ما وراء عبّادان قریه، إذ هی مرتبه الوصول و لها المراتب الابتدائیه و الوسطیه و النهائیه، تؤخذ تلک المرتبه من النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من الحق. و هذه المرتبه العلیه موجوده لأمه محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یتمنی جمیع الأنبیاء أن یکونوا من هذه الأمه، لما شملتهم هذه المکرمه العظیمه من نبیهم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

کما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «علماء أمتی کأنبیاء بنی إسرائیل، أو أفضل من أنبیاء بنی إسرائیل» و هم العاملون بأحکام الشریعه و دقائقها و بأسرار الطریقه باطنا، فهم حینئذ العالمون الراسخون فی العلم الکاملون المکملون من أولیاء اللّه العظام، و هم أهل کمال الیقین إذ له مراتب: أولها: الیقین المجرد بواسطه النقل المحض و التصدیق بقول النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بحیث لا یدخله الشک و الریب و الظن. و ثانیها: الیقین الحاصل بواسطه العلم من جهه البرهان العقلی، و یسمی بعلم الیقین. و ثالثها: الیقین الحاصل من مرتبه المشاهده، و یسمی بعین الیقین. و رابعها: الیقین الحاصل بواسطه القرب.

و خامسها: اليقين الحاصل بواسطه الوصول، و هذه الثلاث الأخيره (عين اليقين و قرب اليقين و وصل اليقين) مختصه بالسالك الإلهى الحقيقى و ليس لغيره قدم فيها، رزقنا اللّه تعالى ذلك بمحمد و آله الطاهرين. و كيف كان فهذه الجمله لا بد أن تفسر فنقول: إنه لما أراد استكشاف الحقيقه منه عليه السّلام فكشفه عليه السّلام له

بقوله: «اطف السراج فقد طلع الصبح» . و حاصله: أنه عليه السّلام تصرف فى كميل فأراه الحقيقه بحيث لا يحتاج إلى البيان القولى. و بعباره أخرى: إن البيان القولى غايته إيصال المخاطب إلى علم اليقين، و لكن بعد يكون المسئول مثلا غير مشاهد وجدانا، و لكن إذا حصل عين اليقين و حق اليقين فلا يبقى حينئذ مجال للبيان القولى و لو كان بنحو علم اليقين، و الإمام عليه السّلام أوصله بتصرفه إلى عين اليقين و حقه. و مرجع هذا كله إلى أنه عليه السّلام أراه نفسه المقدسه، التى هى هيكل التوحيد و مظهره، و مظهر الحقيقه و مأواها حيث شاهد كميل حقيقه وجوده الشريف من حيث هو مظهر للحقيقه و التوحيد، فإن حقيقه نفسه المقدسه هى النورانيه الإلهيه التى أشير إليها فى

قوله عليه السّلام لسلمان: «معرفتى بالنورانيه معرفه اللّه»

و قوله عليه السّلام على ما نقل: «و نحن فى الحقيقه نور اللّه الذى لا يزول و لا يتغير» فلما تجلى عليه السّلام لكميل بالنورانيه فعرف الحقيقه منه عليه السّلام

فقال له: «اطف السراج فقد طلع الصبح» أى صبح وجوده النورانى، و حينئذ لما وصل كميل إلى هذه المعرفه بالنسبه إليه عليه السّلام فلا محاله استغنى عن البيان و عن ازدياده، و عن ساير ما قيل أو يقال فى بيان الحقيقه. إذ بعد الوجدان لا حاجه إلى البيان كما لا يخفى على أولى الألباب، و إنما تصرف عليه السّلام فيه بهذه الإراءه النفسانيه لأجل أن ما بينه عليه السّلام لبيان الحقيقه، و هو كان غايه البيان فى إفاده علم اليقين، و لكنه حيث لم يكن البيان كافيا عن مشاهده الحقيقه طلب الزياده فأراه عليه السّلام ما أراه، و الوجه فيه أن التوحيد لما كان فى صقع

وجوده بحيث لا اسم له و لا رسم و لا تناله الأوهام و لا يبين بلفظ أو كلام أو بيان، و إن بينوه بأحسن البيان فكلّ يدركه على قدر فهمه، هب أنه بينه خالق البيان كالربّ المتعال أو الإمام عليه السّلام الذى كلامه فوق كلام الخلق و دون كلام الربّ إلّا أن المخاطب لا يكاد يصل إلى مشاهده الواقع بالبيان، لأنه إنما يفهم من البيان بقدر ما دلّ عليه الكلام و فهمه منه بقدر دركه. و أين هذا فى الواقع الذى لا حد له و لا نعت له؟

قال عليه السّلام: «إنما الأدوات تحد أنفسها و الآلات تشير إلى نظائرها»

و قال: «انتهى المخلوق إلى مثله و ألجأه الطلب إلى شكله، فلا محاله لا بد من ذوق الواقع و وجدانه إلى إيصال المخاطب إلى مقام الوجدان للحقيقه، لكى يشاهده على ما هو عليه و لو فى الجمله» و هذا لا يكون إلّا بالتصرف الإلهى و قد منحه عليه السّلام لكميل فأوصله إلى هذا المقام رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله (عليه و عليهم السّلام) و الواقعيات لا تنكشف إلّا بالوجدان خصوصا مثل التوحيد حيث إنه من أغمض الأمور و أدقها، فهو بما له من الواقع مختص به تعالى فقط حيث قال تعالى: شَهِدَ اَللّهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلاّ هُوَ (۱)و ليس لأحد الشهاده بمثل هذه الشهاده. ذكر المحقق العارف الإلهى السبزوارى رحمه اللّه فى أول الشرح للأسماء الحسنى:

و فى الحديث: «التوحيد الحق هو اللّه و القائم به رسول اللّه و الحافظ له نحن و التابع فيه شيعتنا» ، فصدر الحديث يعطى أن التوحيد الحق الحقيقى مختص به تعالى كما دلّت عليه أيضا آيه شهد اللّه كما لا يخفى.

و لذا قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «ما عرفناک حق معرفتک» ،

و روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنه قال: «من سأل عن التوحيد فهو جاهل و من أجاب عنه فهو مشرک، و من عرّف التوحيد فهو ملحد، و من لم يعرفه فهو كافر» ،

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «من سأل عن التوحيد فهو جاهل» ، إما لأجل أن التوحيد بواقعه لما كان غير مبين بالبيان بنحو يوصل إلى

۱- ۱) آل عمران:۱۸.

كنهه، فالسؤال عنه لا يكون إلاّ عن جاهل بهذا المعنى أى عدم إمكان بيانه، و إما لأجل أن التوحيد لا بد و أن يدرك بتعليم اللّه كما تقدمت الإشاره إليه فإنه صنع اللّه لا صنع غيره، فالسؤال عنه عن الخلق جهل بالتوحيد و إن أجيب. و إما لأجل أن التوحيد أى وحدانيته تعالى أمر وجدانى لكلّ أحد، فلا يسأل إلاّ الجاهل قال تعالى: أَ فِي اَللّٰهِ شَكٌّ ،

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «و من أجاب عنه فهو مشرك» ، أى أجاب عن رأيه و بمقتضى دركه، لأنه لا يجيب إلاّ ما يتوهمه أنه اللّه، هذا مع أنه تعالى غيره و فوقه و محيط به فكيف يكون محاطا و إنما كان مشركا، لأنه وصفه و يصفه بصفه مخلوقه، فحينئذ قد جعل له شريكا

قال عليه السّلام: «من وصف اللّه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزّاه، و من جزّاه فقد جهله، و من أشار إليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه» .

قوله: «و من عرّف التوحيد» (بالتشديد) فهو ملحد، أى من عرّفه بالكنه فقد ألحد أى انحرف عن الصراط المستقيم إلى الصراط الباطل،

و لذا قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما عرفناك حقّ معرفتك» .

قوله: «و من لم يعرفه فهو كافر» ، لما عرفت من أن وجوده و وحدانيته بديهى لكل أحد، فمعرفه التوحيد لا محاله و لو بأدنى المعرفه تكون وجدانيا لا تصوّريا علميا قائما بالنفس كما هو شأن العلم، و قد عرفت فيما تقدم أنه لا يقال: علمت اللّه، و إنما يقال: عرفت اللّه لما ذكرناه، فالتوحيد هو حاصل بتعريف اللّه قال تعالى: يَهْدِي اَللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ .

قيل: سئل أمير المؤمنين عليه السّلام: عرفت اللّه بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أم عرفت محمدا باللّه؟ قال: «لو عرفت اللّه بمحمد لكان محمدا أوثق من اللّه، و لو عرفت محمدا باللّه ما احتجت إلى رسول اللّه، و لكنى عرفنى اللّه نفسه بلا كيف، و أرسل محمدا لبيان الحق و توضيح

الـدين» ، فعلم أن المعرفه له تعـالى إنمـا هو بتعريف إلهى. نعم أنه تعالى يعرف نفسه بأن يعرف لعبـده وليه فيعرف به ربّه، حيث إن وليه مظهر لمعرفته كما تقـدمت الإشاره إليه و لذا عرف الإمام الحقيقه لكميل بأن أراه نفسه المقدسه، التى هى مظهر التوحيد و اللّه ولى التوفيق. قال بعض العارفين على ما نقل عنه: شـهاده الحق للحق بالحق حق، و شهاده الخلق للحق بالحق خلق قديم، أى تختص الشـهاده الحقه بـالحق، و أما ما عن غيره فهو خلق إذ لا تصـدر من الخلق إلّا الخلق و الحق خلو منه كما تقـدم، فلا محاله يختص ظهـور الحق و الشـهاده الحقيقـه به تعـالى، و بتعريفه لمن يشـاء يهـدى لنـوره من يشـاء، رزقنـا اللّه ذلـك بمحمـد و آله الطـاهرين. ثم إنه لا بأس بـذكر رساله من العلامه الشيخ عبـد الرزاق فى شـرح حـديث الحقيقه فنقول: لا بـد قبل ذلك من بيان مقـدمه لتوضـيح بعض مشـكلات الرسـاله فنقول: قـد تقـدم أن الخلافه الإلهيه العظمى قـد تحققت فى النشأه الجامعه الإنسانيه، و اسـتحقت لها بحسب جوهر ذاتها لأجل تطوّرها بالأطوار الكونيه الوجوديه، و نشأتها بالشـئون العلميه و قابليتها لمظهريه الصـفات المتقـابله الإلـهيه، و قـد تقـدم شـرح ذلـك و إجمـاله. إن للإنسـان أولا مرتبه الهيولى الأولى و هى قوه صـرفه و إبهام محض، لا تحصّـيل لها و لا فعليه فى ذاتها، ثم تحوّل إلى الجماديه ثم إلى النباتيه ثم إلى الحيوانيه بمبادى طلوع نفسه الناطقه، و وقوع أشـعه شمسه على زوايـا بـدنه و أكناف قواه، و أول عضو يكون هو القلب الصـنوبرى، لأنه أول ما يتحرك من البـدن و آخر ما يسـكن منه، و إن نفسه النـاطقه لهـا مراتب: أولهـا: الصـدر المعنـوى الـذى هـو موضـع ازدحامـات القـوىّ المتـوجه إليه القوى الإلـهيه و الشـيطانيه. ثـم إن أدركتـه السـعاده الإلـهيه يتـدرج فى الاسـتكمال مـن حـال، إلى حـال حتى يطـوى مراتب العقـول السـاذجه و الاستعداديه و هلم إلى درجه العقل المستفاد، فيصعد به إلى درجه الكمال بعد أن

هبط منها فيدرک الکليات الروحانيه و الجسمانيه إلى أن يدرک المغيبات من الأمور الماضيه و الآتيه، و إلى أن يطرح الکونين بخلع النعلين و نفى الخواطر المتعلقه بغير اللّه تعالى، و يفنى عن غيره راجعا إلى الحق بالکليه فتضمحل الکثره فى شهوده متحققا بمقام الجمع منسلکا فى سلک صف الأعالى المهيّمين. ثم لا يقف حتى يرجع بسبب مشاهدته الوحده الصرفه إلى الصحو بعد المحو، فيجعل کل مقام أراده محطّ رحله فهو فرحان بالحق، و ينظر إلى الجمال الأول فى جميع المظاهر، فهو سائر بنور ربّه فى حقائق الأمور و الأشياء، و بصفاء ذاته يحاذى بها شطر الحق، و لا يشغله شىء عن شىء لکمال قابليته، فيتطور بکلّ طور، و يتلوّن بکلّ لون و هذا الحال يسمى بالتلوين فأجعله على ذکرک، لتعلم به ما فى الرساله و الشرح و حال العبد حينئذ على مفاد قوله تعالى و على مظهريه قوله تعالى على حسب ما يقتضيه حاله و هو قوله تعالى: کُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (۱). ثم اعلم أيضا: أن مراتب السير تکون فى أسفار أربعه على ما نقل عن صاحب الرساله: الأول: هو السير إلى اللّه من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، و هو نهايه مقام القلب و مبدأ التجليات الأسمائيه، و اعلم: أن القلب و الروح و النفس الناطقه واحده عند الحکماء، و فى اصطلاح العرفاء الروح هى اللطيفه الإنسانيه المجرده، و عند الأطباء هى البخار اللطيف المتولد فى القلب الصنوبرى القابل لقوه الحياه و الحس و الحرکه، و يسمّى هذا البخار فى اصطلاح العرفاء بالنفس، و المتوسط بينهما المدرک للکليات و الجزئيات بالقلب. فالقلب عند العرفاء جوهر نورانى مجرد يتوسط بين الروح بالمعنى الأول و النفس و الروح باطنه، و النفس مرکبه و ظاهره المتوسط بينه و بين الجسد. و بعباره أخرى: النفس عند العرفاء هى الروح البخارى، بل القوى و الطبايع

۱- ۱) الرحمن:۲۹.

سیما القوی و الطبایع التی هی مجبوله علی طاعه القلب، و هی أی القوی من صقعه و مقامه النازل، و القلب هو اللطیفه المدرکه للجزئیات و الکلیات، و الروح هو اللطیفه المدرکه للکلیات. هذا و لکن الحکماء لمّا کانت عنایتهم کثیره بالعلوم الحقیقیه، فالقلب عندهم المرتبه العاقله للمعقولات التفصیلیه، و الروح هو العقل البسیط الخلّاق بإذن ربّها للعقل التفصیلی، و لهذا البحث کلام طویل مذکور فی محلّه. الثانی: هو السیر فی اللّه بالاتصاف بصفاته و التحقق بأسمائه إلی الأفق الأعلی و نهایه الحضره الواحدیه. و الثالث: هو الترقی إلی عین الجمع و الحضره الأحدیه و هو مقام قاب قوسین ما بقیت الاثنینیّه، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنی و هو نهایه الولایه أی القرب الحقیقی. و الرابع: هو السیر باللّه عن اللّه للتکمیل و هو مقام البقاء بعد الفناء و الفرق بعد الجمع. أقول: و شرح هذه الأمور یذکر فی محالها، و إنما ذکرناها إجمالا، لتکون علی بصیره من اصطلاحات القوم، لتعرف ما فی الرساله فی شرح الحدیث فنقول: قال رحمه اللّه بعد ذکر الحدیث: الحقیقه هیهنا هو الشیء الثابت الواجب، الذی لا یمکن تغییره باعتبار ما، و لما کان کمیل قدّس سرّه من أصحاب القلوب (أقول: قد علمت حالهم) طالبا لمقام الولایه الذی هو مقام الفناء فی الذات الأحدیه (أقول: و علمت معناه) اقتضی حاله السؤال عن الحقیقه، فأجاب أمیر المؤمنین علیه السّلام بما یدل علیه علی أنه مقام عال بعید عن مقام صاحب القلب، لا یرتقی إلیه إلّا صاحب الاستعداد الکامل منهم. بتأیید نور التوفیق و الهدایه و سابق سابقه الحب و العنایه بطریق یختص بهم، و سرّ یلیق بحالهم، و ریاضه خاصه قلبیّه لا نفسیه و هو

قوله علیه السّلام: «ما لک و الحقیقه» ،

یعنی أین أنت من ذلک المقام حال کونک فی مقام القلب واقفا مع وجودک؟ فقال: أ و لست صاحب سرّک، أی أ لم أکن مستعدا لذلک المقام مع اطلاعی علی سرّک، و السرّ هو المعنی الذی لا یمکن ظهوره علی المشاعر النفسانیه حتی القوه الفکریه، و لا تطّلع علیه إلاّ من ترقی عن مقام النفس. و قد یقال علی القلب الواصل إلی مقام الروح عند ترقّی الروح إلی مقام التوحید، لشده لطافته و نوریته و غایه تجرده و بعده عن مقام النفس و القوی حینئذ، و لا تطلع علی ذلک المعنی إلاّ من تلک الجهه، و لا ینتقش السرّ إلاّ فی وجهه المنور، الذی یلی الروح لا فی وجهه الذی یلی النفس، و لهذا یطلق مجازا، و المراد هنا هو المعنی الأول، فأخبر علیه السّلام عن استعداده لذلک بترقیه عن مقام النفس بدلیل اطلاعیّته علی سرّه،

و قوله علیه السّلام فی جوابه: بلی و لکن یرشح علیک ما یطفح منّی تصدیق له علیه السّلام بأنه مستعد لذلک المقام لکنّه غیر واصل إلیه، لأن رشح النور من صاحب الکمال لا یکون إلاّ علی المستعد القابل. و هذا الکلام یدلّ علی أنه علیه السّلام فی مقام التکمیل و الاستقامه و التمکن، و إن کمیلا فی مقام القلب قابلا مترقیا لم یصل بعد إلی مقام الفناء، إذ لو لم یکن علیه السّلام فی مقام الاستقامه و التمکین فی الولایه، و هو مقام البقاء بعد الفناء فی عین الجمع، بل کان مستغرقا فی الذات الأحدیه، لم یکن له وجود حتی یطفح منه شیء، و کذا لو کان کمیل فی مقام الولایه مستغرقا فی عین الجمع لم یرشح علیه شیء، و کان علیه السّلام فی مقام فناء الفناء موجودا بالوجود الموهوب الحقانی ممتلیا بالنور الأحدی

کما وصفه النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: بأنه ممسوس فی ذات اللّه. یطفح منه ذلک النور عند قیامه بحقّ العبودیه، و یرشح علی المستعد السالک (فانظر) کما بیّن سرّه الذی هو النور الأحدی الذاتی، و هو نور الوجه الباقی، و بیّن سرّ کمیل الذی هو نور التجلیات الصفات فی مقام القلب أو السر (۱)و هو نور

۱- ۱) عطف علی قوله: و المراد هو المعنی الأول.

المكاشفه و المطالعه لا المشاهده، فسرّ كميل هو من أوائل أسراره عليه السّلام و طوالعها لا من حقائقها و جلائلها، و قول كميل: أ و مثلك يخيب سائلا؟ ! معناه: أن للسائل حقا إذ لو لم يشعر بالمسئول عنه بوجه لم يسأل عنه و لم يطلبه، و لو لم يستفد لذلك المطلوب لم يشعر به، و لهذا قيل: الطلب و الوجدان توأمان. و قال بعض العرفاء: ما لم يكن اللّه ليعطيه، لم يكن ليعطى داعيه و يصدقه قوله: اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَكُمْ (۱)، و قوله: وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ (۲)، و الكامل المكمّل المطلع على مقتضيات الاستعدادات يجب عليه التكميل على حسب اقتضاء الاستعدادات، فلا يخيب سائلا قطعا، و لهذا أجابه أولا

بقوله: الحقيقه كشف سبحات الجلال من غير إشاره و هو جواب على حسب رتبه السائل، إذ كان صاحب القلب و هو مقام تجليات الصفات و الجلال هو احتجاب الوجه الباقی بحجب الصفات، كما أن الجمال هو نور الوجه من دون الحجاب، و الوجه هو الذات الموجود مع جميع لوازمه. و السبحات هی الأنوار، و أنوار تجليات الصفات هی حجب الوجه و سميت سبحات الجلال كما أن أنوار تجلی الذات سميت سبحات الجمال،

و قوله عليه السّلام: من غير إشاره، أی بلا إشاره ما و لو عقليه أو روحيه بأينيّته عباره عن مقام الفناء المحض، أی الحقيقه هی طلوع الوجه الباقی بكشف حجب الصفات عنه لتفنی سبحات وجهه ما سواه كما قال تعالى: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ. وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ (۳)و قال: كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ (۴)، و مصداق ذلك

قول النبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إن للّه تعالى سبعين ألف حجاب من نور و ظلمه، لو كشفها لاحترقت سبحات

۱- ۱) غافر:۶۰.

۲- ۲) إبراهيم:۳۴.

۳- ۳) الرحمن:۲۶-۲۷.

۴- ۴) القصص:۸۸.

وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه» فهداه عليه السّلام إلى مقام الفناء و البروز من وراء حجب الصفات إلى عرصه كشف الذات، فلم يكتف بذلك لوفور قوه استعداده و علمه بأن ذلك الكشف قد يكون مع كون صاحبه فى مقام التلوين. و لا يدل على مقام الوحده إلّا بالالتزام و إن الذات الأحديه لا تخلو عن الصفات التى تلزمها دائما و استزاد البيان،

فقال عليه السّلام: «محو الموهوم مع صحو المعلوم» فأشار عليه السّلام بالأول إلى أنّ التلوين إنما يكون بحسبان صاحبه وجود غيره بالتوهم، و ليس فى الحقيقه وجود غيره، و ليس فى الحقيقه وجود الغير إلّا نقشا موهوما استقر و رسخ باستيلاء قوه الوهم و سلطان الشيطان علىّ القلب، فمن أخلصه اللّه تعالى من غباره محا عنه ذلك الوجود الموهوم، الذى ليس إلّا نقشا خاليا لا وجودا حقيقيا يحتاج إلى الفناء. و لهذا قال بعض العرفاء: الباقى باق فى الأزل و الفانى فإن لم يزل، و بالثانى إلى أن الإبهام اللازم للدلاله الالتزاميه هيهنا إنما يكون لسلطنه القوه العقليه و اعتبار العقل تكثر الصفات، و امتناع عروجه عن الحضره الواحديه إلى الحضره الأحديه، فمن عرف الحق بالطريق العلمى لم يخلص عن حجب الصفات إلى عين الذات، و لم يرتق عن الحضره الواحديه إلى عرصه الأحديه، فلا تنكشف الحقيقه إلّا لمن عزل عقله بنور الحق و جنّ بالجنون الإلهى.

كما قال الإمام جعفر الصادق عليه السّلام: «العشق جنون إلهى» ، فصحا معلومه عن مقام كثره الصفات و صفا عن كدوره الاعتبارات، و ارتفعت الكثرات العقليه عنه بنور العشق الحقيقى و الحب الذاتى، حتى بلغ صاحبه مقام الإخلاص الذى أشار إليه عليه السّلام

بقوله : «و كمال الإخلاص نفى الصفات عنه» إلى آخره، فصار علمه عينا، و توحيده حقا و شهودا و عيانا لا علما و بيانا، و لمّا نفى سلطان الوهم و العقل و طروهما عن طريق الحق عرف السائل أن ذلك لا يكون إلّا بظهور سلطان العشق، و ذلك لا يكون اختيارا و لا منوطا بسعى السالك و إرادته. فأشكل ذلك عليه فطلب زياده الوضوح،

ص :٣٥٨

فقال عليه السّلام: «هتك الستر لغلبه السر» أى أنك زعمت أن لك سرّا و لا شك فى وجوده، فما دام ذلك السرّ ضعيفا كامنا يقدر العقل أن يستره و القلب أن يخفيه، فلست صاحب حقيقه بل عالما عارفا غير محب، و إذ قوى و غلب فظهر سلطانه على العقل، و انطمس نور العقل بنوره، كما ينمحى نور القمر بنور الشمس، و صرت مغلوبا محكوما أسيرا فى قبضته، و كان حالك فى الجذبه المغلوبيه كحال المجانين، و انهتك ستر العقل و الشرح بقوه الحب صرت ذا حقيقه، فحدس السائل أن ذلك مقام السكر. فقد يسكر بعض السالكين بما لا يسكر به غيره، و قد يشرب أحدهم من شراب الحب أضعاف ما شربه غيره، و لم يسكر لقوه استعداده و كمال حاله و سكر غيره بأقل منه كثيرا كما كان حال موسى عليه السّلام عند قوله: أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ بالنسبه إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند قوله تعالى: مٰا زٰاغَ اَلْبَصَرُ وَ مٰا طَغىٰ (1)فلا يلزم من غلبه السر حصول الحقيقه كما قال أحدهم: شربت الحبّ كأسا بعد كأس فما نفد الشراب و لا رويت فعلم عليه السّلام قوه استعداده

فقال عليه السّلام: «جذب الأحديه لصفه التوحيد» ، أى النهايه فى غلبه السر قوه جذب نور الذات فى الحضره الأحديه، التى لا اعتبار للكثره فيها أصلا لصفه التوحيد المشعر بالكثره الاعتباريه فى الحضره الواحديه التى منشأ الأسماء و الصفات. و ذلك النور هو العين الكافوريه التى هى مشرب المقربين خاصه، فلا يبقى مع هذا الجذب و الشرب الحقانى للغير عين و لا أثر، و لما كان كميل عارفا بأن مقام الوحده و الفناء فى الذات و إن كان مقام الولايه ليس كمالا تامّا، لأن صاحبه لا يصلح الهدايه و التكميل ما لم يرجع من الجمع إلى التفصيل، و من الوحده إلى الكثره

۱- ۱) النجم:۱۷.

و لم يصل إلى مقام الصحو بعد السكر، و لم يحصل له مقام الاستقامه المأمور بها النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قوله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ (۱)استوضح و استزاد البيان،

فقال عليه السّلام: «نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره» أى ظهور النور الذاتى الأحدى الذى سميناه نور الوجه المشرق من أزل الأزل اللائح على مظاهر صفات الحق و ذاته، التى هى أعيان الموجودات سمّى هنا عليه السّلام «هياكل التوحيد» ، أى صور أسماء اللّه تعالى فى مقام التوحيد نفيا لتوهم الغير آثاره أى صفاته و أفعاله، أى ظهور الذات فى مظاهر الصفات و شهود الوحده فى صوره الكثره، و حضور الجمع فى عين التفصيل، و وجود التفاصيل فى عين الجمع. و عند ذلك غلب حال كميل فسكر، و جذب الشوق عنان تماسكه و استزاد البيان،

فقال عليه السّلام: «اطف السراج فقد طلع الصبح» ، أى دع البيان و العلم و أترك الحد العقلى، و اطف نور العقل الذى هو بالنسبه إلى نور الحق كالسراج بالنسبه إلى الشمس، فقد ظهرت عليك تباشير نور الحق و أوائله، التى هى بالنسبه إليه كنسبه نور الصبح إلى نور الشمس وقت الاستواء و عند الابتلاج لا يحتاج إلى السراج، و اللّه أعلم بحقائق أسراره.

قوله عليه السّلام: و حمله كتاب اللّه.

أقول-فى المقام الأول-إن الحمل فى اللغه جىء لمعان:

منها: الرفع و منه قوله تعالى: وَ حُمِلَتِ اَلْأَرْضُ وَ اَلْجِبٰالُ (۲)أى رفعت عن أماكنها، و يقال: حملت الشىء على ظهرى أحمله حملا (بالكسر) قال ابن السكيت: الحمل (بالفتح) ما كان فى بطن أو على رأس شجر، و الحمل (بالكسر) ما كان على ظهر أو رأس، و الحمل جمع حامل و منه حمله القرآن و حمله العرش، و يأتى بمعنى

۱- ۱) هود:۱۱۲.

۲- ۲) الحاقه:۱۴.

الأهل و منه

قوله عليه السّلام: «إن هيهنا لعلما جمّا لو أصبت حمله» أى أهلا، و حملته الرساله كلّفته حملها، و تحامل عليه أى مال، و تحاملت على نفسى أى تكلّفت للشىء على مشقه و تحمل و احتمل بمعنى.

و منه قول على عليه السّلام كما تقدم: «و لقد حملت على مثل حموله الرب» ، و منه و حمله كتاب اللّه، و سيجىء بيان معنى حملهم عليهم السّلام لكتاب اللّه تعالى، و الكتاب مصدر كالقتال و الضراب، و المصدر قد يراد به المفعول (أى المكتوب) و قد يراد به معانى أخر نذكر بعضها، و كتب كتابا من باب قتل، و كتبه كتابا و الاسم الكتابه (بالكسر) ، لأنها صناعه كالتجاره و العطاره و هى من نعم اللّه على الإنسان بها بقاء العلوم، و فوائد أخر ذكرها فى الحديث. و الكتب (بسكون التاء) له معان: منها: الفرض كقوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلصِّيٰامُ (١). و منها: الجمع كقوله تعالى: كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ اَلْإِيمٰانَ (٢)أى جمع. و منها: القضاء كقوله تعالى: كَتَبَ اَللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي (٣)أى قضى اللّه. و للكتاب معان: منها: اللوح المحفوظ أو القرآن كقوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ اَلشُّهُورِ عِنْدَ اَللّٰهِ اِثْنٰا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتٰابِ اَللّٰهِ (۴)و كقوله: وَ يُعَلِّمُهُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ (۵)و قوله: وَ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ (۶).

ص: ۳۶۱

١- ١) البقره:١٨٣.

٢- ٢) المجادله:٢٢.

٣- ٣) المجادله:٢١.

۴- ۴) التوبه:٣۶.

۵- ۵) البقره:١۵١.

۶- ۶) الزخرف:٢.

و منها: الإیجاب کقوله تعالی: کَتَبَ عَلیٰ نَفْسِهِ اَلرَّحْمَهَ (۱)أی أوجب هذا بحسب اللغه.

ثم إن الکلام فی شرح هذه الجمله یقع فی مقامین:

الأول: فی بیان کونهم حمله الکتاب و ما دلّ علیه من الأحادیث.

اشاره

و الثانی: فی بیان معنی الکتاب، فنقول: أما الأول:

فعن المناقب: عن الصادق علیه السّلام: «نحن حمله الکتاب» .

و عن بعض خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام فی وصف الأئمه علیهم السّلام: «إنهم حمله بطون القرآن» . أقول: و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ (۲)فإنه ورد النص: إن المراد منه أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأئمه علیهم السّلام کما سیجیء بیانه. و یشیر إلیه أیضا قوله تعالی: بَلْ هُوَ آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (۳).

ففی الکافی بإسناده عن أبی بصیر قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول فی هذه الآیه: بَلْ هُوَ آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ «فأومأ بیده إلی صدره» .

و فیه فی حدیث بعده قال: «هم الأئمه علیهم السّلام» .

و فی الکافی أیضا بإسناده عن جابر قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «ما ادّعی أحد من الناس أنه جمع القرآن کله کما أنزل إلّا کذاب، و ما جمعه و حفظه کما نزّله اللّه تعالی إلّا علی بن أبی طالب و الأئمه من بعده علیهم السّلام» .

و فیه بإسناده عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام أنه قال: «ما یستطیع أحد أن یدعی أن عنده جمیع القرآن کلّه ظاهره و باطنه غیر الأوصیاء» .

۱- ۱) الأنعام:۱۲.

۲- ۲) الرعد:۴۳.

۳- ۳) العنکبوت:۴۹.

و فيه بإسناده عن سلمه بن محرز قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن و أحكامه، و علم تغيير الزمان و حدثانه، إذا أراد بقوم خيرا أسمعهم و لو أسمع من لم يسمع لولى معرضا كأن لم يسمع، ثم أمسك هنيئه ثم قال: و لو وجدنا أوعيه أو مستراحا لقلنا» و اللّه المستعان.

و فيه بإسناده عن أبى عبد اللّه المؤمن عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «و اللّه إنى لأعلم كتاب اللّه من أوله إلى آخره كأنه فى كفى، فيه خبر السماء و خبر الأرض و خبر ما كان و خبر ما هو كائن قال اللّه عز و جل: فيه تبيان كلّ شيء» . أقول: هذه الجمله مقتبسه معنى من القرآن من قوله تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ اَلْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ (١).

و فيه بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

قالَ اَلَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اَلْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ قال: «ففرج أبو عبد اللّه عليه السّلام بين أصابعه فوضعها فى صدره ثم قال: و عندنا و اللّه علم الكتاب كلّه» .

و فيه بإسناده عن بريد بن معاويه قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: قُلْ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْكِتابِ ، قال: «إيانا عنى و على أولنا و أفضلنا و خيرنا بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» .

و فى البصائر (٢)، بإسناده عن الأصبغ بن نباته قال: قال: لما قدم على عليه السّلام الكوفه صلى أربعين صباحا فقرأ بهم سَبِّحِ اِسْمَ رَبِّكَ اَلْأَعْلَى فقال المنافقون: و اللّه ما يحسن أن يقرأ ابن أبى طالب القرآن، و لو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السوره! ! قال: فبلغه ذلك فقال عليه السّلام: «ويلهم لأنى لأعرف ناسخه و منسوخه، و محكمه و متشابهه، و فصله من وصله، و حروفه من معانيه، و اللّه ما حرف نزل على

١- ١) النحل:٨٩.

٢- ٢) البصائر ص ١٣٥.

محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلّا و أنا أعرف فيمن أنزل، و فى أىّ يوم نزل، و فى أى موضع نزل. ويلهم أ ما يقرأون إِنَّ هٰذا لَفِى اَلصُّحُفِ اَلْأُولىٰ صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسىٰ ؟ ! و اللّه و إنه عندى ورثتها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ورثها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من إبراهيم و موسى، ويلهم و اللّه إنى أنا الذى أنزل اللّه فىّ: وَ تَعِيَهٰا أُذُنٌ وٰاعِيَةٌ فإنا كنا عند رسول اللّه فخبّرنا بالوحى فأعيه و يفوتهم، فإذا خرجنا قالوا ما ذا قال آنفا» .

و فى المحكى عن تفسير العياشى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إنا أهل بيت لم يزل اللّه يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره، و إن عندنا من حلال اللّه و حرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدّث به أحدا» .

و فيه عنه عليه السّلام أيضا: «إن اللّه جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، و قطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن و بها نوّهت الكتب و يستبين الإيمان، و قد أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يقتدى بالقرآن و آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذلك حيث قال فى آخر خطبه خطبها: إنى تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر و الثقل الأصغر فأما الأكبر فكتاب ربّى، و أما الأصغر فعترتى أهل بيتى فاحفظونى فيهما فلن تضلوا ما تمسكتم بهما» الخبر، و تقدم بعض الكلام فيه فراجع.

و فيه عن الحرث بن المغيره، عده من أصحابنا عبد الأعلى و أبو عبيده، و عبد اللّه بن بشر الخثعمى سمعوا أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنى لأعلم ما فى السموات و ما فى الأرض، و أعلم ما فى الجنه، و أعلم ما فى النار، و أعلم ما كان و ما يكون قال: ثم مكث هنيئه فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب اللّه تعالى، إن اللّه تعالى يقول: فيه تبيان كلّ شىء» . أقول: قد علمت أن هذه الجمله مقتبسه معنى من القرآن، و تقدم أن المراد من الإمام المبين فى قوله تعالى: وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فِى إِمٰامٍ مُبِينٍ هو أمير المؤمنين عليه السّلام بنصّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ثم إن كونهم عليهم السّلام حمله للكتاب على أقسام:

منهـا: أنهم حملته أی أنهم حـافظون لأحکـامه الخمسه من الوجـوب و الحرام و المکروه و المسـتحب و المبـاح، و قـد یعـبر عنها بالوجوب و الراجـح و الحرام و المرجوح و الجائز، و أنهم حافظون معانی الکتاب بجمیع ما یحتمل من الظاهر بأقسامه و الباطن و بـاطن البـاطن إلی سبعه أبطن، و من التأویـل بأقسـامه کـلّ ذلک إما بما هو یرجع إلی السوره أو إلی الآیه أو إلی الکلمه أو إلی الحروف، فإن لکلّ سوره سـیاقا یعطی معنی خاصا للسوره و کـذا الآیه کما حقق فی محله. ثم إن ما یرجع إلی الحروف بأقسامها من الفکری و العـددی و اللفظی و الرقمی، و أیضا هم علیهم السّـلام حافظون لأحوال الآیات، و أوضاعها من الوصل و الفصل و الإدغـام و الإظهـار و الإخفاء، و تبـدیل حرف مکان حرف، و من أحوال کلمه رکبت من حروف کلمتین نحو حصب فإن الحاء منه مأخوذ من الحطب و الحصی و الحجاره و الصاد منه من الحصی و الباء منه من الحطب، و أمثال ذلک مما انطوی علی أسرار الموجودات. و أیضـا هم حـافظون للمعانی المراده من مقطعات السور من نحو أ لم و حم و أمثالهما، فهم علیهم السّـلام حافظون لجمیع هـذه الأقسام، و غیرها من أنحاء علوم القرآن، التی هی عنـدهم علیهم السّـلام و هم یعلمون کیفیه اسـتخراجها منه. و یدل علی ما قلنا

ما ورد منهم علیهم السّـلام فمنها ما فی توحید الصدوق، قال وهب بن وهب القرشی: سمعت الصادق علیه السّلام یقول: قدم وفد من أهل فلسطین علی الباقر علیه السّلام فسألوه عن مسائل فأجابهم ثم سألوه عن الصمد. فقال: «تفسیره فیه، الصمد خمسه أحرف فالألف دلیل علی إنّیته و هو قوله عز و جل: شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ (۱)و ذلک تنبیه و إشاره إلی الغائب عن درک الحواس، و اللام دلیل علی إلهیّته بأنه هو اللّه.

۱- ۱) آل عمران:۱۸.

و الألف و اللام مدغمان لا يظهران على اللسان، و لا يقعان فى السمع، و يظهران فى الكتابه دليلان على أن إلهيّته بلطفه خافيه، لاـ تدرك بالحواس، و لاـ تقع فى لسان واصف و لا أذن سامع، لأن تفسير الإله هو الذى أله الخلق عن درك ماهيته و كيفيته بحس أو بوهم، لاـ بل هو مبدع الأوهام و خالق الحواس، و إنما يظهر ذلك عند الكتابه دليل على أن اللّه سبحانه أظهر ربوبيته فى إبداع الخلق، و تركيب أرواحهم اللطيفه فى أجسادهم الكثيفه، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه كما أن لاـم الصمد لا تتبيّن و لا تدخل فى حاسّه من الحواس الخمس، فإذا نظر إلى الكتابه ظهر له ما خفى و لطف. فمتى تفكّر العبد فى ماهيه البارى و كيفيته أله فيه و تحير، و لم تحط فكرته بشىء يتصور له: لأنه عز و جل خالق الصور، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز و جل خالقهم و مركب أرواحهم فى أجسادهم، و أما الصاد فدليل على أنه عز و جل صادق و قوله صدق و كلامه صدق، و دعا عباده إلى اتباع الصدق بالصذق، و وعد بالصدق دار الصدق، و أما الميم فدليل على ملكه و أنه الملك الحق لم يزل و لا يزال و لا يزول ملكه، و أما الدال فدليل على دوام ملكه و إنه عز و جل دائم تعالى عن الكون (۱)و الزوال بل هو عز و جل يكوّن الكائنات الذى كان بتكوينه كلّ كائن. ثم قال عليه السّلام: لو وجدت لعلمى الذى آتانى اللّه عز و جل حمله لنشرت التوحيد و الإسلام و الإيمان و الدين و الشرائع من الصمد، و كيف لى بذلك و لم يجد جدّى أمير المؤمنين عليه السّلام حمله لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء و يقول على المنبر: سلونى قبل أن تفقدونى، فإن بين الجوانح منى علما جمّا هاه هاه، ألا لا أجد من يحمله، ألا و إنى عليكم من اللّه الحجه البالغه، لاٰ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اَللّٰهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ اَلْآخِرَهِ كَمٰا يَئِسَ اَلْكُفّٰارُ مِنْ أَصْحٰابِ اَلْقُبُورِ . ثم قال الباقر عليه السّلام: الحمد للّه الذى منّ علينا و وفّقنا لعبادته الأحد الصمد، الذى

۱- ۱) المراد من الكون الحدوث و التغيّر كما لا يخفى.

لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، و جنّبنا عباده الأوثان حمدا سرمدا و شكرا واصبا، و قوله عز و جل: لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ يقول: لم يلد عز و جل فيكون له ولد يرثه، و لم يولد فيكون له والد يشركه فى ربوبيته و ملكه، و لم يكن له كفوا أحد فيعاونه فى سلطانه» ، انتهى. أقول:

قوله عليه السّلام: «لو وجدت لعلمى. .» إلخ، ظاهر فيما قلنا من العلم بتفسير القرآن من حيث الحروف، و هذا لا يكون إلاّ منهم عليهم السّلام لأنه لا يرجع إلى اللغه و لا إلى العرف فى المتعارف حتى يرجع إليهما، بل يختص علمه بهم و بما منحهم اللّه تعالى من ذلك. و بعباره أخرى: أنهم عليهم السّلام عارفون و حافظون لكتاب اللّه تعالى من جميع الجهات، التى ترجع إليه من أقسام الدلالات من حيث المفردات و الجمل، و من حيث السياق فى الآيه أو فى السوره، و من حيث أحوال الحروف من الإدغام و الوصل و الفصل و ما يراد منها، و من كلّ واحد منها بأنفسها. و من حيث أحوال النزول و التأويل، و الناسخ و المنسوخ، و المحكم و المتشابه، و الظاهر و المجمل و المبين، و العام و الخاص و المطلق و المقيد، و الأمر و النهى و غير ذلك مما يجرى منها فى أحوال الأكوان و الأعيان من الدهر و الزمان مما هو مصدر كلّ موجود. و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «لنشرت التوحيد و الإسلام و الإيمان و الدين و الشرايع من الصمد» ،

و قوله عليه السّلام: «فإن بين الجوانح منى علما جما» . و كيف كان فهم حمله كتاب اللّه تعالى بكلّ معنى فى كلّ عالم لكلّ غايه، ليس فوقهم من يفوقهم، بل هم المهيّمون على الكلّ بما منحهم اللّه تعالى من الكتاب، الذى هو مهيمن على الكتب قال اللّه تعالى: وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ اَلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ اَلْكِتٰابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ (١).

١- ١) المائده:۴٨.

ففی تفسیر نور الثقلین عن الکافی بإسناده عن سعد الاسکاف قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «أعطیت السور الطوال مکان التوراه، و أعطیت المئین مکان الإنجیل، و أعطیت المثانی مکان الزبور، و فضلت بالمفصل «ثمان و ستون سوره» و هو مهیمن علی سائر الکتب، فالتوراه لموسی و الإنجیل لعیسی و الزبور لداود علیهم السّلام» .

و فیه عن کتاب الاحتجاج للطبرسی رحمه اللّه و عن معمّر بن راشد قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قد ذکر الأنبیاء (صلوات اللّه علیهم) : «و إن اللّه عز و جل جعل کتابی المهیمن علی کتبهم الناسخ لها» ، الحدیث.

و فیه عن روضه الکافی بإسناده عن علی بن عیسی رفعه قال: «إن موسی ناجاه ربه تبارک و تعالی فقال فی مناجاته: أوصیک یا موسی وصیه الشفیق المشفق بابن البتول عیسی بن مریم، و من بعده بصاحب الجمل الأحمر الطیب الطاهر المطهر، فمثله فی کتابک إنه مؤمن مهیمن علی الکتب کلّها» ، الحدیث. أقول: و معنی کونه مهیمنا علی الکتب أنه ناسخ لشریعتها، فهی لا داعویه لها فی قبال القرآن بل ساکته، و النطق و الأمر و النهی للقرآن، و أیضا معناه أنه لا ناسخ له حیث إن محمدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خاتم النبیین و کتابه آخر الکتب السماویه و بموته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انقطعت أنباء السماء و لازم هذا أنه لا یأتیه الباطل من بین یدیه بما ینسخه من السماء، و لا من خلفه بما یبطله من أقوال المبطلین المنتحلین إلی العلم کبعض الفلاسفه بل هو (أی القرآن) مهیمن علی الکتب فضلا علی العلوم البشریه فهو قائم بالعلوّ و الرفعه، و إلیه یشیر

قوله: «الإسلام یعلو و لا یعلی علیه» . ثم إنهم علیهم السّلام حاملون (بهذا المعنی) لسایر الکتب السماویه أیضا کما یشیر إلیه کثیر من الأخبار.

ففی بصائر الدرجات بإسناده عن هشام بن الحکم فی حدیث بریهه حین سأله موسی بن جعفر علیه السّلام فقال: «یا بریهه کیف علمک بکتاب اللّه؟ قال: أنا به عالم.

قال: فكيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقنى بعلمى فيه! قال: فابتدأ موسى عليه السّلام فى قراءه الإنجيل. فقال بريهه: و المسيح لقد كان يقرأها هكذا، و ما قرأ هذه القراءه إلّا المسيح. ثم قال: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنه. قال هشام: فدخل بريهه و المرأه على أبى عبد اللّه عليه السّلام و حكى هشام الكلام الذى جرى بين موسى و بين بريهه، فقال بريهه: جعلت فداك أين لكم التوراه و الإنجيل و كتب الأنبياء؟ فقال: هى عندنا وراثه من عندهم نقرؤها كما قرأوها، و نقولها كما قالوها، و اللّه لا يجعل حجّه (حجته خ ل) فى أرضه يسأل عن شىء، فيقول: لا أدرى. فلزم بريهه أبا عبد اللّه عليه السّلام حتى مات» .

و فيه بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال لى: «يا أبا محمد إن اللّه لم يعط الأنبياء شيئا إلّا و قد أعطى محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جميع ما أعطى الأنبياء، و عندنا الصحف التى قال اللّه: صُحُفِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ . قلت: جعلت فداك و هى الألواح؟ قال: نعم» .

و فيه بإسناده عن المفضل قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «ورث سليمان داود و إن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ورث سليمان و إنا ورثنا محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إن عندنا علم التوراه و الإنجيل و الزبور و تبيان ما فى الألواح. قال: قلت: إن هذا لهو العلم. قال: ليس هذا العلم، إنما العلم ما يحدث يوما بيوم و ساعه بساعه (بعد ساعه خ ل)» . و مثله كثير و سيجىء فى طىّ الشرح إن شاء اللّه تعالى

و أما المقام الثانى أعنى بيان معنى الكتاب

أقول و عليه التوكل:

ص: ۳۶۹

قد علمت أن الكتب (بسكون التاء) بمعنى الوجوب الذى هو بمعنى اللزوم فالكتاب: لغه هو معنى عام له مصاديق مختلفه فكلّ أمر جامع لأمور فهو كتاب، ثم إنه إما يكون جامعا لأمور معنويه أو لفظيه أو خارجيه، و المعنويه إما حقيقيه أو اعتباريه عقلائيه أو غير عقلائيه، أما الكتاب الجامع لأمور معنويه الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام حيث إنها جامعه لها أو لأمور لفظيه فكنقوش القرآن الكريم، و كذا نقوش سائر الكتب السماويه، بل و كذا نقوش سائر الكتب، أو لأمور خارجيه فكإطلاق الكتاب على جميع الموجودات الخارجيه من عالم الوجود كما حقق فى محله و سيجىء ذكره. و أما الكتاب بمعنى الجامع لأمور عقلائيه فكإطلاق الكتاب على العلوم المدونه من أنحاء العلوم، التى اقتضتها العقول السليمه من العلماء أو غير العقلائيه فكإطلاق الكتاب على مخترعات أهل الانحراف و المعاصى من متخيلاتهم الفاسده، كالقصص المفتعله و المطالب الباطله بنظر الدين و العقل، كما لا يخفى، و يلحق بهما الأمور الاعتباريه بقسميها، و كيف كان فهذه موارد إطلاق الكتاب إجمالا. ثم إنه نذكر بعضها على حسب ما اقتضته الأدله فنقول: فمنها ما ورد فى الأحاديث من تأويل الكتاب بعلى عليه السّلام و كذا بالأئمه عليهم السّلام.

فعن تفسير القمى عن الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى: الم ذٰلِكَ اَلْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ قال: «الكتاب على عليه السّلام و لا شك فيه هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ، قال: تبيان لشيعتنا» .

و فى روايه النصرانى الذى سئل الكاظم عليه السّلام عن تفسير حم و الكتاب المبين فى الباطن، فقال: «أما حم فهو محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أما الكتاب المبين فهو على عليه السّلام» .

و قد تقدم عن تفسير العياشى فى تفسير قوله تعالى: وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِى كِتٰابٍ مُبِينٍ عن الكاظم عليه السّلام إلى أن قال: وَ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ الإمام المبين» .

و عن القمى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: «أنا و اللّه الإمام المبين» .

أقول: و الکتاب و الإمام هما بمعنی أی أمیر المؤمنین علیه السّلام و مما یدل أیضا علی إطلاق الکتاب علی العلم کما تقدم فی مقدمه التفسیر ما

فی روایه الصدوق عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِیبَهٍ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِی أَنْفُسِکُمْ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهٰا (۱)قال علیه السّلام: «کتابه فی السماء علمه بها و کتابه فی الأرض أعلامنا لیله القدر» . و منها: إطلاق الکتاب علی القرآن کما دلّت علیه آیات کثیره. و منها: إطلاقه علی اللوح المحفوظ. و منها: إطلاقه علی التوراه کقوله تعالی: وَ لَقَدْ آتَیْنٰا مُوسَی اَلْکِتٰابَ (۲)(أی التوراه) . و منها: إطلاقه علی صحیفه الأعمال کقوله تعالی: فَأَمّٰا مَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِیَمِینِهِ (۳)(أی صحیفه أعماله) . و منها: إطلاقه علی الروح الذی هو أعظم من جبرئیل و میکائیل الذی قد یعبر عنه بروح القدس و بروح من أمر اللّه و عند الفلاسفه بالعقل الأول کما أشیر فی قوله تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا مٰا کُنْتَ تَدْرِی مَا اَلْکِتٰابُ وَ لاَ اَلْإِیمٰانُ وَ لٰکِنْ جَعَلْنٰاهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِنٰا (۴). فیستفاد من قوله تعالی: مَا اَلْکِتٰابُ أنه أطلق علی الروح الذی أوحی إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تقدم بعض الکلام فیه و سیجیء إن شاء اللّه أیضا. و حیث علمت أن الکتاب قد أطلق علی العالم کلّه، فحینئذ یمکن تأویل کونهم علیهم السّلام حمله الکتاب بأنهم حمله العالم.

ص: ۳۷۱

۱- ۱) الحدید:۲۲.

۲- ۲) البقره:۸۷.

۳- ۳) الحاقه:۱۹.

۴- ۴) الشوری:۵۲.

بیانه: أن كلّ شیء من العالم علم بنفسه، و العالم بأجمعه هو كتاب اللّه تعالی، و حینئذ معنی أنهم علیهم السّلام حمله كتابه تعالی أنهم علیهم السّلام حملته بالعلم و الإبلاغ و التبلیغ و القبض و البسط بالولایه التكوینیه و الشرعیه كما تقدم الكلام فیه مفصلا فی جمیع الشرعیات الحكمیه و الموضوعات الشرعیه، بل بمقتضی أن العلم هو المعلوم كما حقق فی محلّه، و سیجیء أن جمیع العوالم الوجودیه من رشحات وجودهم و جمیعها مستفاض من فیوضاتهم و أنها مخلوقه بهم و منهم بفعل اللّه تعالی كما تقدمت الإشاره إلیه فیما مضی. و الحاصل: أن الكتاب بأی معنی فسّر ظاهرا و باطنا و تأویلا فهم علیهم السّلام حملته بالنحو الأجمع الأتم الأكمل بحیث لا یدانیهم أحد، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا، هذا بلحاظ تفسیر القوم للكتاب. و هناك كلام عرشی و سرّ عرفانی لمعانی الكتاب و الكلام الإلهی لا بأس بذكره زیاده للبصیره علی حقائق الأمر فی

قوله علیه السّلام: «و حمله كتاب اللّه» ، فنقول: اعلم: أولا أنه فرق بین كلامه تعالی و كتابه كالفرق بین البسیط و المركب، فالكلام بسیط كما سیتضح و الكتاب مركب حیث ما تحقق، و كذلك أن الكلام من عالم الأمر و الكتاب من عالم الخلق، و أن الكلام إذا تشخص و خرج عن بساطته صار كتابا، كما أن الأمر إذا تشخّص صار فعلا، فالفعل زمانی متجدد كما ستعلم و الأمر بریء عن التغیر و التجدد. فعلیه فالكلام الإلهی غیر قابل للنسخ و التبدیل بخلاف الكتاب یَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ (أی فی الكتاب) وَ عِنْدَهُ أُمُّ اَلْكِتٰابِ ، أی عنده الكلام الإلهی الذی هو أم الكتاب، فبقرینه المقابله یدل علی عدم تغییر أمّ الكتاب كما لا یخفی. و اعلم: أن كلام اللّه هو نور من أنوار اللّه المعنویه النازل من عنده علی قلب من یشاء من عباده المحبوبین، قال تعالی: وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّی اَلْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِیمٍ عَلِیمٍ (1)

۱- ۱) النمل:۶.

و قال تعالى: وَ لٰكِنْ جَعَلْنٰاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِنٰا . و اعلم أيضا: أن المنزل على أغلب الأنبياء عليهم السّلام إنما هو كتابه تعالى كما يومئ إليه قوله تعالى: أَخَذَ اَلْأَلْوٰاحَ (١)فى النازل على موسى عليه السّلام و قوله: صُحُفِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ (٢)و الصحف هى الكتب، و هذا بخلاف ما نزّل على محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنه كلامه قال تعالى: نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِينُ. عَلىٰ قَلْبِكَ . (٣). فالنازل على القلب هو الكلام الإلهى على ما ستعرف معناه، و لا معنى لنزول الكتاب على القلب، لأنه اسم للصور المدونه، و هو بهذا اللحاظ من النقوش بحسب مواردها فهى بحقيقتها لا تصلح للنزول على القلب، و هذا بخلاف الكلام الذى هو نور و بسيط محض كما سيجىء معناه فإنه ينزل على القلب، و على الحقيقه المحمديه و عينه الثابت كما حقق فى محله. و كيف كان فصحيفه العالم الفعلى الخلقى هى كتاب اللّه و آياته أعيان الموجودات قال تعالى: إِنَّ فِي اِخْتِلاٰفِ اَللَّيْلِ وَ اَلنَّهٰارِ . . . لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (۴). و أما كلام اللّه و كلماته التامات فهى الهويات العقليه النوريه، التى وجودها عين الشعور و الإشعار و العلم و الإعلام، و كلامه أيضا ككتابه مشتمل على الآيات، و إلى الأول يشير قوله تعالى: تِلْكَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ و إلى الثانى قوله تعالى: تِلْكَ آيٰاتُ اَللّٰهِ نَتْلُوهٰا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ و اللّه العالم. و كلام اللّه و كلماته بما هو كلامه قائم به مشرق بأنواره على قلوب المحبين من النبى الأكرم و عترته الطاهره، و الذى يتلقاه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بحقيقته هو حقائق كلام اللّه المتبدله فى حقيقته بنقوش المعارف الإلهيه، فيصير كتابا فهو بحقيقته كتابه تعالى،

١- ١) الأعراف:١۵۴.

٢- ٢) الأعلى:١٩.

٣- ٣) الشعراء:١٩٣-١٩۴.

۴- ۴) يونس:۶.

الذی کتبه اللّه تعالی فی قلبه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالإشراق و هو صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یتلو علی الأمه هذه الآیات و العلامات الإلهیه قال تعالی: یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ توضیح نوری: اعلم: أن بین الباری تعالی و بین العالم وسائط نوریه و أسبابا فعّاله هی کأنها فوق الخلق و دون الخالق، لأنها حجب إلهیه و سرادق نوریه و أضواء قیومیه کأضواء هذه الشمس المحسوسه، کأنها برزخ بین الذات النیره الربوبی و بین الأشیاء المستنیره بها، و لا یطلق علیها أنها خالق، لأنها أنوار الخالق اللازم له، و لا أنه مخلوق لأنها لا تنفک عن الذات. و لعله إلیه یشیر ما

فی توحید الصدوق (۱)، بإسناده عن الحسین بن خالد قال: قلت للرضا علی بن موسی علیهما السّلام: یا بن رسول اللّه أخبرنی عن القرآن أ خالق أو مخلوق؟ فقال: «لیس بخالق و لا مخلوق و لکنه کلام اللّه عز و جل» . فتری أنه علیه السّلام فسّر کلام اللّه (أی القرآن) بما هو لیس بخالق و لا مخلوق فهو نور قیومی و حجب إلهی. و کیف کان قد یعبر عن تلک الوسائط بکلمات اللّه و بالکلمات التامات، و تقدم أنه تعالی تام و فوق التمام و هی کلمات تامات،

و فی الدعاء:

«أعوذ بکلماته التامات التی لا یجاوزهن برّ و لا فاجر من شرّ کل شیطان مرید» .

و إلیها یشیر قوله تعالی: قُلْ لَوْ کانَ اَلْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ اَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً (۲). أقول:

و فی الحدیث: «نحن تلک الکلمات» ، و سیجیء توضیحه. فالکلمات إشاره إلی ذوات نوریه بها یصل فیض الوجود إلی الأجسام و الجسمانیات، و شأن تلک الکلمات الإفاضه بعد الإفاضه، و لا شک فی أن الوسائط

۱- ۱) توحید الصدوق ص ۲۲۳.

۲- ۲) الکهف:۱۰۹.

هويّات وجوديه بسيطه و ذوات مجرده عن المواد الجسميه، مرتفعه عن عالم الأزمنه و الأمكنه محيطه بهما و بغيرهما. و من المعلوم أن كلّ مجرد أمر روحانى و وجود و عين العلم و الإدراك، كيف لا و هى مظاهر الأوليه له تعالى فى إراءه إدراكه و علمه فهذه الأنوار تشعر بهما إشعارا. و أما حقيقه علمه و إدراكه تعالى المشار إليه بقوله: وَ هُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصٰارَ. وَ هُوَ اَللَّطِيفُ اَلْخَبِيرُ (۱)فمما لا يوصل إلى حقيقته فهى لا محاله عقول قدسيه و أرواح عاليه، و هى متصله بالحق الأول اتصال الشعاع بالشمس، و إنما وصفت بأنها تامّات، لأن جميع ما لها من الكمال هو بالفعل ليس فيها شوب قوه استعداديه و لا كمال ينتظر و لا أحوال مترقبه الحصول، و قد يعبر عنها بعالم الأمر كما يعبر عن الأجسام و ما معها بعالم الخلق، و إليها يشير قوله تعالى: أَلاٰ لَهُ اَلْخَلْقُ وَ اَلْأَمْرُ (۲). فجميع ما فى عالم الأجسام إنما يصدر عن المبدإ الأعلى بواسطته، و التعابير عنها و إن كانت مختلفه إلّا أنها يشار بها إلى أمر واحد، فمن حيث إنه يقع بها إعلام الحقائق من اللّه تعالى يقال لها: الكلمات، و من حيث إنه يجب بها وجود الكائنات كلّ فى وقته يقال لها: الروح، قال: قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى (۳)و هى فى ذاتها واحده، وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَهٌ و إنما يتعدد بتعدد الآثار أو باعتبار جهات فيضانها على الأشياء، أو باعتبار تعلقاتها بها فيتكثّر بتكثّرها، و لعلّه إلى هذا التكثّرات يشير قوله تعالى: وَ أَوْحىٰ فِى كُلِّ سَمٰاءٍ أَمْرَهٰا (۴)كما لا يخفى. فهى كالوجود حقيقه بل نفسه تتكثّر بتكثّر الماهيات، لا بأن يكون للماهيّات تأثير فى الوجود بل باعتبار اتحاد المهيّه بالوجود كما حقق فى محله.

۱- ۱) الأنعام:۱۰۳.

۲- ۲) الأعراف:۵۴.

۳- ۳) الإسراء:۸۵.

۴- ۴) فصّلت:۱۲.

و بالجمله کلمات اللّه تعالی أمر موجود روحانی مؤید للأنبیاء علیهم السّلام بالوحی قال تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (۱)و سیجیء ان هذا الروح خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل إشاره إلی أنها هی تلک الکلمات التامّات النوریه فهی ملهم للأولیاء بالکرامه و محیی لقلوب السالکین من المؤمنین بالإیمان و الاطمینان و السکینه، و هی الروح لنفوس المکرمین و هی الروح العلوی الذی أنه لم یقع تحت ذل (کن) لأنه نفس کلمه کن و هو بعینه نفس الأمر. و هو قد علمت أنه غیر مخلوق فإنه حقیقه کلام اللّه تعالی، و لأنه أمر اللّه الذی به توجد الأشیاء، و لا شبهه فی أن قول الحق و کلامه فوق الأکوان و أعلی منها إذ بها یقع الفعل و التأثیر و التکوین، فکیف یقع تحت الکون و قد قال تعالی: وَ کَلِمَهُ اَللّٰهِ هِیَ اَلْعُلْیٰا (۲)و هذه الکلمات کما علمت و ستجیء أحادیثها هی بعینها حقیقه محمد و آله الطاهرین الأئمه و فاطمه الزهراء علیها السّلام و إلی جمیع ما ذکر تدل الأخبار الآتیه فی خلقه أنوارهم فی الشرح. و أحسن حدیث یدل علی هذا و أکمله حدیثان کما

فی غایه المرام (۳)للسید البحرانی (رضوان اللّه تعالی علیه) شرف الدین النجفی فیما نزل فی أهل البیت من القرآن، عن الشیخ أبی محمد الفضل بن شاذان بإسناده عن جابر بن یزید الجعفی، عن الإمام العالم موسی بن جعفر الکاظم علیه السّلام قال: «إن اللّه تبارک و تعالی خلق نور محمد من نور اخترعه من نور عظمته و جلاله و هو نور لاهوتیه الذی تبدأ آلاه أی (الإلهی الظاهر) من إلهیته من إنیّته الذی تبدأ منه و تجلی لموسی لرؤیته، و لا ثبت له حتّی خرّ صاعقا مغشیا علیه، و کان ذلک النور نور محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. فلما أراد أن یخلق محمدا قسّم ذلک النور شطرین فخلق من الشطر الأول

ص: ۳۷۶

۱- ۱) الشوری:۵۲.

۲- ۲) التوبه:۴۰.

۳- ۳) غایه المرام ص ۹

محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من الشطر الآخر على بن أبى طالب عليه السّلام و لم يخلق من ذلك النور غيرهما، خلقهما اللّه بيده و نفخ فيهما بنفسه لنفسه و صوّرهما على صورتهما، و جعلهما أمناء له و شهداء على خلقه، و خلفاء على خليفته، و عينا عليهم و لسانا له إليهم، قد استودع فيهما علمه، و علّمهما البيان، و استطلعهما على غيبه، و جعله نفسه و الآخر روحه، و لا يقوم أحدهما بغير صاحبه، ظاهرهما بشريه و باطنهما لاهوتيّه، طهروا للخلق على هياكل الناسوتيه حتى يطيقوا رؤيتهما و هو قوله تعالى: وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ مٰا يَلْبِسُونَ (۱)فهما مقاما ربّ العالمين و حجابا خالق الخلائق أجمعين بهما فتح بدء الخلق و بهما يختم الملك و المقادير. ثم اقتبس من نور محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاطمه ابنته كما اقتبس نوره من نوره و اقتبس من نور فاطمه و على و الحسن و الحسين كاقتباس المصابيح، هم خلقوا من الأنوار، و انتقلوا من ظهر إلى ظهر و من صلب إلى صلب و من رحم إلى رحم فى الطبقه العلياء من غير نجاسه بل نقلوا نقلا بعد نقل لا أنّه ماء مهين و لا نطفه جسره كسائر خلقه بل أنوار انتقلوا من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، لأنهم صفوه الصفوه اصطفاهم لنفسه و جعلهم خزّان علمه و بلغا عنه إلى خلقه، أقامهم مقام نفسه لا يرى و لا يدرك و لا يعرف كيفيه إنيته، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه المتصرفون فى أمره و نهيه. فبهم تظهر قوّته و منهم ترى آياته و معجزاته، و بهم و منهم عرّف عباده نفسه، و بهم يطاع أمره، و لو لا هم ما عرف اللّه و لا ندرى كيف نعبد الرحمن فاللّه يجرى أمره كيف يشاء فيما يشاء لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ .

و فيه: محمد بن خالد الطيالسى و محمد بن عيسى بن عبيد بإسنادهما عن جابر ابن يزيد الجعفى قال: قال أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السّلام: «كان اللّه و لا شىء غيره، و لا معلوم و لا مجهول فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمدا و خلقنا

۱- ۱) الأنعام:۹.

أهـل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظله خضـراء بين يـديه لا سـماء و لا أرض و لا مكان و لا ليل و لا نهار و لا شـمس و لا قمر، ففصل نورنا من نور ربّنا كشـعاع الشمس من الشمس، نسبّح اللّه و نقدسه و نحمده و نعبده حقّ عبادته، ثم بدا للّه تعالى أن يخلق المكان فخلقه و كتب على المكان: لا إله إلاّ اللّه محمـد رسول اللّه على أمير المؤمنين به أيـدته و به نصـرته. ثم كتّف اللّه العرش فكتب على سـرادقات العرش مثل ذلك، ثم السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثم خلق الجنه و النار فكتب عليهما مثل ذلك، ثم خلق اللّه الملائكه و أسـكنهم السماء ثم تراءى لهم تعالى، و أخذ منهم الميثاق له بربوبيّته و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بـالنبوه و لعلى عليه السّـلام بالولا ـيه فاضـطربت فرائص الملا ـئكه بسـخط اللّه تعالى على الملائكه، و احتجب عنهم فلاذوا بالعرش سـبع سـنين يستجيرون اللّه من سـخطه، و يقرون بما أخـذ عليهم و يسألونه الرضا فرضـى عنهم بعـد ما أقروا بـذله فأسـكنهم بذلك الإقرار السماء، و اختصّهم لنفسه و اختارهم لعبادته. ثم أمر اللّه تعالى أنوارنا أن تسبح فسبّحنا فسبّحت الملائكه بتسبيحنا، و لو لا تسبح أنوارنا ما دروا كيف يسبحون و لا كيف يقدسون. ثم إن اللّه خلق الهواء فكتب عليه: لا إله إلاّ اللّه محمدا رسول اللّه عليّا أمير المؤمنين وصـيّه به أيـدته و به نصـرته. ثم خلق اللّه الجنّ فأسـكنهم الهواء، و أخـذ الميثاق منهم له بالربوبيه و لمحمد صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنبوه و لعلى عليه السّلام بالولايه فأقرّ منهم من أقرّ و جحد من جحد، فأوّل من جحد إبليس لعنه اللّه تعـالى، فختم له بالشـقاوه و مـا صار إليه (ثم أمر اللّه تعالى أنوارنا أن تسـبح فسـبحت فسـبحوا بتسبيحنا، و لو لا ذلك ما دروا كيف يسبحون اللّه) . ثم خلق الأرض فكتب على أطرافها: لا إله إلاّ اللّه محمدا رسول اللّه عليا أمير المؤمنين وصيّه به أيدته و نصرته. فبذلك يا جابر قامت السماوات بلا عمد و ثبتت الأرض، ثم خلق اللّه آدم من

أديم الأرض، و نفخ فيه من روحه، ثم أخرج ذرّيّته من صلبه، فأخذ عليهم الميثاق بالربوبيه و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنبوه و لعلى عليه السّلام بالولايه، أقرّ منهم من أقرّ و جحد منهم من جحد فكنّا أول من أقرّ بذلك، ثم قال لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و عزتى و جلالى و علو شأنى لولاك و لو لا على و عترتكما الهادون المهتدون الراشدون ما خلقت الجنه و لا النار و لا المكان و لا الأرض و لا السماء و لا الملائكه و لا خلقا يعبدنى، يا محمد أنت حبيبى و خليلى و صفيّى و خيرتى من خلقى أحبّ الخلق إلىّ من ابتدأت من خلقى. ثم من بعدك الصديق على بن أبى طالب عليه السّلام وصيّك به أيدتك و نصرتك، و جعلته العروه الوثقى و نور أوليائى و منار الهدى، ثم هؤلاء الهداه المهتدون من أجلكم ابتدأت خلق ما خلقت فأنتم خيار خلقى و أحبّائى و كلماتى و أسمائى الحسنى، و أسبابى و آياتى الكبرى و حجتى فيما بينى و بين خلقى، فخلقتكم من نور عظمتى و احتجب بكم عمّن سواكم من خلقى، و جعلتكم استقبل بكم و أسأل بكم، و كلّ شىء هالك إلاّ وجهى و أنتم وجهى لا تبيدون و لا تهلكون، و لا يبيد و لا يهلك من تولاّكم و من استقبلنى بغيركم فقد ضلّ و هوى، و أنتم خيار خلقى و حمله سرّى و خزّان علمى، و ساده أهل السموات و أهل الأرض. ثم إن اللّه تعالى هبط إلى الأرض فى ظلل من الغمام و الملائكه، و أهبط أنوارنا أهل البيت معه، فأوقفنا صفوفا بين يديه نسبحه فى أرضه كما نسبّحه فى سمائه، و نقدّسه فى أرضه كما قدّسناه فى سمائه، و نعبده فى أرضه كما نعبده فى سمائه، فلما أراد اللّه إخراج ذريه آدم لأخذ الميثاق و سلك النور فيه، ثم أخرج ذرّيته من صلبه يلبّون فسبحنا فسبحوا بتسبيحنا، و لو لا ذلک لما دروا كيف يسبحون اللّه عز و جل، ثم تراءى لهم لأخذ الميثاق منهم بالربوبيه فكنّا أول من قال: بلى، عند قوله: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ ثم أخذ الميثاق منهم بالنبوه لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لعلى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالولايه فأقرّ من أقرّ و جحد من جحد. ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: فنحن أول خلق ابتدأه اللّه، و أول خلق عبد اللّه و سبحه،

و نحن سبب خلق الخلق، و سبب تسبيحهم و عبادتهم من الملائكه و الآدميين، فبنا عرف و بنا وحد اللّه و بنا عبد اللّه، و بنا أكرم اللّه من أكرم من جميع خلقه، و بنا أناب اللّه من أناب و عاقب من عاقب، ثم تلى قوله تعالى: وَ إِنّا لَنَحْنُ اَلصَّافُّونَ. وَ إِنّا لَنَحْنُ اَلْمُسَبِّحُونَ (۱)قُلْ إِنْ كٰانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ اَلْعٰابِدِينَ (۲)فرسول اللّه أول من عبد، و أول من أنكر أن يكون له ولد و شريك، ثم نحن بعد رسول اللّه، ثم أودعنا بعد ذلك صلب آدم، فما زال ذلك النور ينتقل من الأصلاب و الأرحام من صلب إلى صلب، و لا استقرّ فى صلب إلاّ تبيّن عن الذى انتقل منه انتقاله و شرف الذى استقر فيه. حتى صار فى عبد المطلب فوقع بأمّ عبد اللّه فاطمه، فافترق النور جزأين: جزء فى عبد اللّه و جزء فى أبى طالب فذلك قوله تعالى: وَ تَقَلُّبَكَ فِي اَلسّٰاجِدِينَ (۳)يعنى فى أصلاب النبيين و أرحام نسائهم، فعلى هذا أجرانا اللّه تعالى فى الأصلاب و الأرحام حتى آخرنا فى أوان عصرنا و زماننا، فمن زعم أنا لسنا ممن جرى فى الأصلاب و الأرحام و ولدنا الآباء و الأمهات فقد كذب» . أقول: لا بأس بالإشاره إلى شرح بعض جمل الحديثين.

قوله عليه السّلام: «و هو نور لاهوتيه» إلخ، الضمير راجع إلى نور عظمته، و هذا النور هو نور اللاهوتيه الذى اخترعه اللّه تعالى من نور عظمته و هو مبدأ خلق نور محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الذى اشتق منه نوره، و هذا النور الذى هو من نور العظمه هو النور الذى أشرنا إليه من أنّه الوسائط النوريه، و أسباب فعّاله هى فوق الخلق و دون الخالق، و هى الحجب الإلهيه و أضواء قيوميّه إلى آخر ما مر بيانه.

قوله عليه السّلام: «فهما مقاما ربّ العالمين» ، إلى قوله: «بهما فتح بدء الخلق و بهما يختم

ص: ۳۸۰

۱- ۱) الصافات:۱۶۶،۱۶۵.

۲- ۲) الزخرف:۸۱.

۳- ۳) الشعراء:۲۱۹.

الملك و المقادير» ، فضـمير التثنيه راجع إلى النور الـذى خلق منه خلق صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و علىّ عليه السّـلام و إلى ما نفخ فيه المشار إليه

بقوله: و نفخ فيهما بنفسه لنفسه، و هذا المنفوخ لم يعلم حقيقته، نعم عبر عنه بالروح فى

قوله عليه السّلام: «بعد ذلك و جعله نفسه و الآخر روحه» ،

فقوله: «و جعله نفسه» يشار به إلى ذلك النور الذى خلق منه محمد و علىّ.

و قوله: «و الآخر روحه» يشار به إلى ما نفخ فيه، و لعلّه إلى هذا المنفوخ يشار

بقوله عليه السّـلام: «و باطنهما لاهوتيه» . توضيحه: أنه عليه السّـلام لما بين أنه تعالى نفخ فيه بنفسه تعالى لنفسه، و صورهما على صورته أى على ما يقتضيه النور، و ما نفخ فيه بنفسه لنفسه، فصار لهما صوره و معنى، فالصوره هى الهيكل البشرى ليرتبط به مع الخلق بالمناسبه الصوريه، و المعنى هى الحقيقه اللاهوتيه المراد منه

فى قوله: و نفخ. و بعباره أخرى: المعنى المنفوخ بنفسه لنفسه المعبّر عنه

بقوله: و باطنهما لاهوتيه، و إنما عبر عنه باللاهوتيه لارتباطه معنى بالإلهيه. و كيف كان فهـذا الظاهر الناسوتى و الباطن اللاهوتى الثابتان لمحمـد و على (صـلوات اللّه عليهما و آلهما) هما مقاما ربّ العالمين، و حجابا لخالق الخلائق أجمعين (أى اللّه تعالى) و همـا الوسائط النوريه التى بهـا يصـل فيض الوجود إلى الموجودات، و هى هويـات نوريه عقليه، و هى عين الشـعور و الإشـعار و العلم و الإعلام من العلّام الحكيم، و هى الكلمات التامات المشار إليها فى الـدعاء و فى قوله: لِكَلِمٰاتِ رَبِّى و قـد تقـدم بيانه فى الجمله.

و قوله عليه السّلام: «و خلقنا أهل البيت معه من نور عظمته» ، يشار به إلى ما ذكرناه، كما أن

قوله عليه السّلام: «ففصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس» ، يشار به إلى ما تقدم من أنه له تعالى وسائط نوريه هى حجب إلهيه و أضواء قيوميه، و هى برزخ بين الذات الربوبى و بين الخلق و أنها لا خالق و لا مخلوق بالبيان المتقدم.

فقد بيّن هذان الحديثان: أن هذه الأنوار هى حقائق محمد و على و فاطمه و الأئمه عليهم السّلام. و إلى آثار هذه الحقائق النوريه و كيفيتها أيضا أشير فى

قوله عليه السّلام فى حديث جابر فى قوله تعالى فى الحديث القدسى: «فخلقتكم من نور عظمتى، و أحتجب بكم عمّن سواكم من خلقى، و جعلتكم استقبل بكم و أسأل بكم، و كلّ شىء هالك إلّا وجهى و أنتم وجهى لا تبيدون و لا تهلكون» إلخ.

فقوله: «أنتم وجهى لا تبيدون» ، تشير إلى أنهم عليهم السّلام تلك الأنوار القيوميه و السرادقات الفرديه، التى هى باقيه ببقائه لا بإبقائه و هذا معنى أنهم عليهم السّلام لا يبيدون و معنى أنه لا يبيد و لا يهلك من تولاهم. أقول: و لعمرى أن هذا نعمه ليست فوقها نعمه، و هى مما أنعم بها على شيعه أمير المؤمنين عليه السّلام فينبغى للعاقل اللبيب البصير اليقظان أن يجتهد فى أن يتولاهم عليهم السّلام و يتصل بهم روحا، ليصل إلى هذه المرتبه العظيمه الرفيعه الجليله، التى لا تبيد و لا تهلك، فلا شىء يعدل هذا الوصل بهم، و لا قيمه لما يرفع اللّه عنه، أو يصرف عنه من الدنيا فى الوصول إلى هذه الدرجه المنيعه، رزقنا اللّه تعالى ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: و أوصياء نبىّ اللّه

. أقول: الأوصياء جمع الوصى، فعن القاموس: أوصاه و وصّاه توصيه عهد إليه، و الاسم الوصايه و الوصيه و هو الموصى به أيضا، و الوصى الموصى، و الجمع الأوصياء. و فى المجمع: و الوصيه فعيله من وصى يصى، إذا وصل الشىء بغيره، لأن الموصى يوصل تصرفه بعد الموت بما قبله. . إلى أن قال: و أوصيت له بشىء، و أوصيت إليه إذا جعلته وصيك و الاسم الوصايه (بالكسر و الفتح) .

ص: ٣٨٢

أقول: فمعنى الوصيه لغه هو وصل الوصى إلى نفس الموصى (بالكسر) فى التصرفات كلّ بحسبه، و حينئذ كون الأئمه عليهم السّلام أوصياء نبى اللّه أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أوصلهم عليهم السّلام إلى نفسه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ما له التصرف الثابت من اللّه تعالى من الولايه الشرعيه و التكوينيه، و هذا هو المراد من قوله فى القاموس: عهد إليه، فى معنى الوصيه أى عهد إلى وصيه بذلك الاتصال و الاستنابه. و معلوم أنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كساير الأنبياء إنما كان معظم وصيّته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى من بعده، من الأئمه عليهم السّلام هو أمر الولايه المعهوديه و التمسک بها، و القيام بأعباء الإمامه و ترويج ما يتعلق بالدين و الولايه، و أما وصيّته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمته فترجع إلى التمسک بولايه الأئمه عليهم السّلام و متابعتهم كما لا يخفى. ثم إن المستفاد من أحاديث خلقتهم فى إبتداء الأمر خلقه نورانيه، و أنهم نور واحد و أن هذه الولايه أمر ثابت تكوينا فى نفس الأمر من أول الخلقه لهم عليهم السّلام فالوصيه كالنبوه منصب إلهى متعين له بتعيين اللّه تعالى لهم، و هما تحكيان عن مقام الولايه الإلهيه إلاّ أن النبوه لها جهه خاصه و هى الإنباء عن اللّه تعالى، و هى مختصه به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما تقدم بيانه مفصلا، و دلّت عليه الأحاديث الكثيره كحديث الرمانتين و نحوه، و الولايه مشتركه بينهم فباسم النبوه أخرج النبى عن إطلاق اسم الوصايه عليه لمكان اختصاص الإنباء به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و كيف كان فالنبوه و الولايه باطنهما أمر واحد و هو الولايه الإلهيه نعم يفترقان فيما قلناه، إلاّ أنه لا بد من إظهار الوصايه للأوصياء من النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المنبى عنه تعالى كما دلّ عليه آيه التبليغ، كما تقدم إذا لا طريق إلى العلم بكونها من اللّه تعالى إلاّ بإخبار النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاختصاص الإنباء به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لذا اعتنى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ببيان هذه الوصيه أشد الاعتناء ببيان الآيات القرآنيه و كلماته الشريفه فى هذا الموضوع المهم، و ذلک لأن تتميم الدين إنما هو بالولايه كما نطقت به الآيات و الأحاديث كما لا يخفى. ثم إن ثبوت الوصايه لهم عليهم السّلام أمر ثابت بالتواتر من طرق العامه و الخاصه، بل

هو ثابت بالآيات القرآنيه الداله على ثبوت الولايه لأمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام كآيه التبليغ و آيه إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اَللّٰهُ ، و أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ و نحوها، فإنها تعطى مقام الخلافه و الوصايه لهم عليهم السّلام كما لا يخفى، و قد تقدم فى الجمله بيانه، و سنذكر إن شاء اللّه بعض الأحاديث فى الباب تيمنا و تبركا بها، إلاّ أن هنا أمرا لا بدّ من ذكره و إن علم مما سبق و هو أنه يستفاد من آيه المباهله و من آيه التطهير و من أحاديث خلقتهم بالنورانيه و أنهم نور واحد.

و من قول على عليه السّلام: «أولنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أوسطنا محمد و كلنا محمد صلّى اللّه عليه و آله» .

و أيضا قول على عليه السّلام: أنا من محمد صلّى اللّه عليه و آله كالضوء من الضوء» . و من أحاديث كثيره فى أبواب متفرقه من أبواب عناوين ولايتهم عليهم السّلام أنهم نور و حقيقه واحده يجرى لأولهم ما يجرى لآخرهم، و أنهم كنفس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى جميع الأمور إلاّ النبوه كما علمت. و لعمرى إن هذا مسلم واضح كالشمس فى رابعه النهار، و حينئذ فلا معنى لجعل البحث فى أمر الوصيه مرددا بين أن تكون الوصيه بعنوان النيابه و الوكاله، بحيث لا يكون للوصى إلاّ إجراء العمل، و إلاّ فأصل العمل بحقيقته و آثاره للموصى، و ليس الوصى إلاّ عامل إجراء، أو بعنوان البدل، أى يكون الوصى بدلا عن الموصى، فالعمل مستند إليه حقيقه إلاّ أنه بدل عن الوصى فلا يلزم أن يكون الوصى واجدا لصفات الموصى، بل لو كان خاليا من أى صفه يمكن جعله وصيا بدلا عن الموصى، أو بعنوان المثليه أى يكون الوصى مثل الموصى ذاتا و صفه و عملا. و إنما يكون معنى الوصيه أنّ هذا المقام أى مقام التصرف الثابت أولا للموصى أنتقل بجميع شئونه إلى الوصى، و كيف كان فلا معنى لهذا الترديد، بل الأمر منحصر و ثابت فى القسم الثالث كما لا يخفى، فحينئذ لا نحتاج إلى بيان ما يمكن أن يستظهر منه الأمر الأول أو الأمر الثانى، و أنه ما المستفاد من ظاهر كلام القوم من القائلين

بالوصیه لهم علیهم السّلام؟ نعم ما ذکروه وجها لکلّ من القولین الأولیین من الأحادیث، له ظهور فیما استظهروه لمدعاهم إلاّ أنه انصراف بدوی لم یذکر بهذا الداعی، بل ذکروه علیهم السّلام لأمور خفیه دقیقه ترجع بعضها إلی أسرار مقام الولایه فی مرحله الظاهر، و بنظر العموم بنحو یفهمه عامه الناس و لا ترجع إلی أن واقع الوصایه هو بهذا اللحاظ الظاهر کما لا یخفی. فإن غایه ما یمکن أن یستدل لهم هو

ما عن تفسیر العیاشی عن جابر الجعفی قال: قرأت عند أبی جعفر علیه السّلام قول اللّه عز و جل: لَیْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَیْءٌ قال: «بلی و اللّه إن له من الأمر شیئا و شیئا و شیئا و لیس حیث ذهبت و لکنی أخبرک أن اللّه تبارک و تعالی لما أمر نبیه صلّی اللّه علیه و آله أن یظهر ولایه علی علیه السّلام فکّر فی عداوه قومه له و معرفته بهم، و ذلک للذی فضّله اللّه علیهم فی جمیع خصاله، کان أول من آمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بمن أرسل، و کان أنصر الناس للّه و رسوله و أقتلهم لعدوهما بغضا لمن خالفهما، و فضل علمه الذی لم یساوه به أحد و مناقبه التی لا تحصی شرفا. فلما فکر النبی صلّی اللّه علیه و آله فی عداوه قومه له فی هذه الخصال، و حسدهم له علیها ضاق عن ذلک، فأخبر اللّه أنه لیس له من هذا الأمر شیء، إنما الأمر فیه إلی اللّه أن یصیّر علیّا وصیّه و ولیّ الأمر بعده، فهذا عنی اللّه، و کیف لا یکون له من الأمر شیء و قد فوّض اللّه إلیه أن جعل ما أحل فهو حلال و ما حرم فهو حرام قوله: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ؟ الحدیث.

و ما فیه أیضا عن جابر قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: قوله لنبیه صلّی اللّه علیه و آله: لَیْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَیْءٌ فسره لی، قال: فقال أبو جعفر علیه السّلام: «لشیء قاله اللّه و لشیء أراده اللّه، یا جابر إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان حریصا علی أن یکون علی علیه السّلام من بعده علی الناس، و کان عند اللّه خلاف ما أراد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: قلت: فما معنی ذلک؟ قال: نعم عنی بذلک قول اللّه تعالی لرسوله لَیْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَیْءٌ یا محمد فی علی علیه السّلام و فی غیره، أ لم أتل علیک یا محمد فیما أنزلت من کتابی إلیک: الم. أَ حَسِبَ

اَلنّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ إلى قوله: و ليعلمن؟ قال: ففوض رسول اللّه الأمر إليه» إلخ. وجه الاستدلال أنه لما فكر صلّى اللّه عليه و آله فى وصايه أمير المؤمنين عليه السّلام قال اللّه تعالى له صلّى اللّه عليه و آله: لَيْسَ لَكَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَيْءٌ (۱). فإنه بعد نفى كون الأمر له صلّى اللّه عليه و آله يدل على أن أمر الوصايه ليس بيدك، لأنه لا يكون مناسبه ذاتيه بينك و بين الوصى، حتى تقتضى لزوم وصايه على عليه السّلام خاصه مثلا، بل لما كانت حقيقه الوصايه كالوكاله، فهى صالحه لكلّ أحد قام بها، فإن الوكيل يمكن أن يكون أجنبيا، و لا يلزم كونه من خواص الموصى، هذا تقريب الاستدلال للقول الأول. أو يقال: إنه يستفاد من نفى كون الأمر بيده صلّى اللّه عليه و آله فى الوصايه: أن الوصايه عباره عن بدليه شخص مقام شخص آخر فى القيام ببعض الأمور أو كلها مثلا. نعم ليس كالوكيل قائما مقامه فى الفعل بل هو بدل عنه بنفسه، و أما أفعاله فمستنده إليه نفسه، فلو كانت مناسبه ذاتيه بين الوصى و بين الموصى لما صح النفى المذكور كما لا يخفى فتأمل، و لكن فيه ما لا يخفى، فإنه مضافا إلى ما علمت من استفاده المناسبه الذاتيه بين الوصى و الموصى من الآيات و الأحاديث المتقدمه، أن هذا الاحتمال توهم محض. بيانه: أن الحديثين فى شرح الآيه المباركه أعنى قوله تعالى: لَيْسَ لَكَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَيْءٌ حاصلهما يرجع إلى أن الواجب عليه صلّى اللّه عليه و آله هو إبلاغ وصايه على عليه السّلام، ليكون حجه على الخلق و سببا لامتحانهم، و أما أنه لا يكون بعده صلّى اللّه عليه و آله وصى إلاّ أمير المؤمنين عليه السّلام فى الظاهر و فى مقام التصرف فلا، إذ لا بد من امتحان الخلق، فإن الحكمه الإلهيه اقتضت تخليه السبيل لأهل الباطل، لكى يعلم من يتبع الحق ممن ينقلب على عقبيه، و هذا لا ينافى كونه عليه السّلام وصيّا له صلّى اللّه عليه و آله واقعا كما هو الحق المحقق.

۱- ۱) آل عمران:۱۲۸.

فمفـاد الآـيه المباركه أنه ليس لک الاختيار فی نفی قيام الغير مقام أمير المؤمنين عليه السّـلام بل فوض الأمر إلينا و فوض صـلّی اللّه عليه و آله الأـمر إليه تعـالی، و إنمـا أراد صـلّی اللّه عليه و آله نفی ذلـک و انحصـار الخلاـفه الظـاهريه فی علی عليه السّـلام حرصا له صلّی اللّه عليه و آله علی أن يكون علی عليه السّلام هو الخليفه فی الظاهر أيضا بعده، و ذلک حبّا له و لهدايه الخلق. و لعمری إن هذا من شأنه صـلّی اللّه عليه و آله حيث إنه صلّی اللّه عليه و آله بعث رحمه للعالمين، و حيث إنه صلّی اللّه عليه و آله مظهر للرحمه اقتضت ذاته المقـدسه صـلّی اللّه عليه و آله إظهـار ذلـک، و حيث إن الحكمه الإـلهيه اقتضت امتحان الخلق بتخليه السبيـل لأهل الباطل فقال تعالی: لَيۡسَ لَکَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَىۡءٌ و ليس هـذا منه صـلّی اللّه عليه و آله اعتراض علی حكمته البالغه، بل ظهور للرحمه و تسليم للحكمه الإلهيه، بل لو لم يظهره صـلّی اللّه عليه و آله لكان شیء ما، و هو أنه كيف سكت صلّی اللّه عليه و آله عن هـدايه الخلق بانحصـار الخلاـفه فيه عليه السّـلام ظاهرا أيضا بأن يجعلها فيه عليه السّـلام ظاهرا فقط دون غيره؟ و كيف كـان فـأين هـذا من الإشـاره إلی حقيقه الوصـايه و أنها كالوكاله أو البـدليه أم لا؟ فتأمل تعرف إن شاء اللّه. ثم إن المسـتفاد من الآيات و الأحاديث أن أمر الوصـيه أمر ثابت من لدن آدم عليه السّـلام إلی نبينا محمد صـلّی اللّه عليه و آله فجميع الأنبياء كانت لهم الوصـيه، و لهم أوصـياء من بعدهم، فسنه اللّه جاريه فيهم أن يجعل لهم أوصياء من لدن آدم إلی الخاتم (صلوات اللّه عليهم أجمعين) . ففی إكمال الدين للصدوق رحمه اللّه اتصال الوصيه من لدن آدم عليه السّلام و أن الأرض لا تخلو من حجه للّه عز و جل علی خلقه إلی يوم القيمه،

بإسـناده عن الحسن بن محبوب السراد، عن مقاتـل بن سـليمان بن-دوال دوز-عن أبی عبـد اللّه عليه السّـلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله: «أنا سيد النبيين و وصيی سيد الوصيين و أوصياؤه ساده الأوصياء، إن آدم عليه السّلام سأل اللّه عز و جل أن يجعل له وصيا صالحا فأوحی اللّه عز و جل إليه: إنی

أكرمت الأنبياء بالنبوه، ثم اخترت خلقى، فجعلت خيارهم الأوصياء، فقال آدم عليه السّلام: يا رب فاجعل وصيى خير الأوصياء، فأوحى اللّه عز و جل إليه: يا آدم أوص إلى شيث و هو هبه اللّه بن آدم، فأوصى آدم إلى شيث و أوصى شيث، إلى ابنه شبان و هو ابن نزله الحوراء، التى أنزلها اللّه عز و جل على آدم من الجنه فزوجها شيئا. و أوصى شبان إلى ابنه مجلث، و أوصى مجلث إلى محوق، و أوصى محوق، إلى غثميشا، و أوصى غثميشا إلى أخنوخ و هو إدريس النبى عليه السّلام: و أوصى إدريس إلى ناخور، و دفعها ناخور إلى نوح عليه السّلام، و أوصى نوح إلى سام، و أوصى سام إلى عثامر، و أوصى عثامر إلى برعيشاشا، و أوصى برعيشاشا إلى يافث، و أوصى يافث إلى برّه، و أوصى برّه إلى جفيسه، و أوصى جفيسه إلى عمران، و دفعها عمران إلى إبراهيم الخليل عليه السّلام و أوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل، و أوصى إسماعيل إلى إسحاق، و أوصى إسحاق إلى يعقوب، و أوصى يعقوب إلى يوسف، و أوصى يوسف إلى بثرياء، و أوصى بثريا إلى شعيب، و أوصى شعيب إلى موسى بن عمران، و أوصى موسى إلى يوشع بن نون، و أوصى يوشع إلى داود، و أوصى داود إلى سليمان، و أوصى سليمان إلى آصف بن برخيا، و أوصى آصف بن بريخا إلى زكريّا، و دفعها زكريا إلى عيسى بن مريم عليه السّلام و أوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، و أوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، و أوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، و أوصى منذر إلى سليمه، و أوصى سليمه إلى برده، ثم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: و دفعها إلىّ برده، و أنا أدفعها إليك يا على، و أنت تدفعها إلى وصيك، و يدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك، واحدا بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، و لتكفرنّ بك الأمه، و لتختلفنّ عليك اختلافا شديدا، الثابت عليك كالمقيم معى، و الشاذّ عنك فى النار، و النار مثوى للكافرين» ، انتهى. أقول: هذا قد أشكل فيه بمقاتل بن سليمان فوثّقه بعضهم و ضعّفه الآخرون بل

طعنوا علیه بکلّ الطعن. ثم إن الوصیه تطلق علی معنیین: أحدهما: علی الوصی الذی ینوب عن المنوب عنه فیما هو شأنه و عمله و منصبه و هذا هو محل الکلام. و ثانیهما: علی الوصیه بالنسبه إلی مواریث الأنبیاء من الکتب، و سایر ما به ثبوت نبوتهم، فیوصون بنقل هذه إلی من بعدهم و إن کان الموصی إلیه نبیا أو وصیا. و الظاهر أن هذا الحدیث علی تقدیر صحته-کما هو الظاهر فإن الأکابر تلقوه بالقبول-إنما هو وارد مورد الثانی، أعنی الوصیه بالنسبه إلی المواریث النبویه لا- الوصیه التی نحن بصددها. نعم یحتمل کلا المعنیین کما أنه یستفاد منه أن أمر الوصیه فی الجمله کانت مسلمه من لدن آدم إلی الخاتم کما لا یخفی. هذا مضافا إلی اضطراب الموجود فی متنه،

فإن قوله: و أوصی یوشع إلی داود، لا یستقیم فإن بین یوشع بن نون و داود علیه السّلام علی ما قیل: أزید من ثلاثمائه سنه، فإن خروج بنی إسرائیل من مصر فی عام ۱۵۰۰ قبل المیلاد و کان داود علیه السّلام فی ۱۰۰۰ قبل المیلاد، فکیف یوصی یوشع إلی داود؟ و أیضا

قوله: و أوصی شمعون إلی یحیی بن زکریا خلاف الواقع فإن یحیی قیل: کان فی أیام عیسی علیه السّلام فکیف یوصی شمعون الذی هو بعد عیسی علیه السّلام بسنین إلی یحیی؟ و لعل هذا الاختلاف من مقاتل بن سلیمان العامی البتری. و کیف کان فنحن فی غنی عن هذا الحدیث لإثبات المدعی، فهناک أحادیث کثیره دلّت علی المطلوب و هی علی قسمین: قسم دلّ علی أن الأرض لا- تخلو من الحجه طرفه عین، و لا-زمه وجود إمام یکون حجه اللّه علی الخلق حتی فی زماننا، و حیث علمنا قطعا أن النبوه منقطعه

و ختمت بنبينا صلّى اللّه عليه و آله فلا محاله ثبتت الإمامه لإمام الزمان عليه السّلام. و قسم دلّ على وصايه أمير المؤمنين إلى القائم عليه السّلام و هى كثيره أيضا، و نحن نذكر من كلّ منهما شطرا تيمنا و تبركا. أما القسم الأول:

ففى إكمال الدين للصدوق رحمه اللّه بإسناده عن أبى الحسن الأول (يعنى موسى بن جعفر عليه السّلام) قال: «ما ترك اللّه عز و جل الأرض بغير إمام قط منذ آدم عليه السّلام يهتدى به إلى اللّه عز و جل، و هو الحجه على العباد، من تركه ضل و من لزمه نجا حقا على اللّه عز و جل» .

و فيه بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «الحجه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق» .

و فيه بإسناده عن أبى حمزه الثمالى عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام و هو يقول: «لن تخلو الأرض إلاّ و فيها رجل منّا يعرف الحق، فإذا زاد الناس فيه قال: قد زادوا، و إذا نقصوا منه قال: قد نقصوا، و إذا جاءوا به صدقهم، و لو لم يكن ذلك كذلك لم يعرف الحق من الباطل» . قال عبد الحميد بن عوّاض الطائى: باللّه الذى لا إله إلاّ هو لسمعت هذا الحديث من أبى جعفر عليه السّلام باللّه الذى لا إله إلاّ هو لسمعته منه.

و فيه بإسناده عن حمزه بن حمران قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «لو لم يبق فى الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجه أو كان الثانى الحجه» . و أما القسم الثانى:

ففى البحار نقلا عن إكمال الدين و عيون أخبار الرضا، بإسنادهما عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أبى لجابر بن عبد اللّه الأنصارى: إن لى إليك حاجه فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: فى أىّ الأوقات شئت، فخلى به أبو جعفر عليه السّلام قال له: «يا جابر أخبرنى عن اللوح الذى رأيته فى يدى أمّى فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ما أخبرتك به أنه فى ذلك اللوح مكتوبا؟

فقال جابر: أشهد باللّه أنى دخلت على أمّک فاطمه فى حياه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأهنّئها بولاده الحسين عليه السّلام فرأيت فى يدها لوحا أخضر ظننت أنه زمرد، و رأيت فيه كتابا أبيض شبيه بنور الشمس، فقلت لها: بأبى أنت و أمّى يا بنت رسول اللّه، ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا الوح أهداه اللّه عز و جل إلى رسوله صلّى اللّه عليه و آله فيه اسم أبى و اسم بعلى و اسم ابنى و أسماء الأوصياء من ولدى، فأعطانيه أبى ليسرّنى بذلك (ليبشّرنى بذلک خ ل) . قال جابر: فأعطتنيه أمک فاطمه عليها السّلام فقرأته و انتسخته فقال له أبى عليه السّلام: فهل لک يا جابر أن تعرضه علىّ؟ فقال: نعم، فمشى معه أبى عليه السّلام حتى انتهى إلى منزل جابر، فأخرج إلى أبى صحيفه من رقّ، قال جابر: فأشهد باللّه أنى هكذا رأيته فى اللوح مكتوبا: بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب من اللّه العزيز الحكيم لمحمد نوره و سفيره و حجابه و دليله، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين، عظّم يا محمد أسمائى، و اشكر نعمائى، و لا تجحد آلائى، إنى أنا اللّه لا إله إلاّ أنا قاصم الجبارين و مذلّ الظالمين و ديان الدين (و ديان يوم الدين) ، إنّى أنا اللّه لا إله إلاّ أنا فمن رجا غير فضلى، أو خاف غير عدلى عذّبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، فإيّاى فأعبد و علىّ فتوكل، إنى لم أبعث نبيّا فأكملت أيّامه و انقضت مدته إلاّ جعلت له وصيا و إنى فضلتک على الأنبياء، و فضّلت وصيّک على الأوصياء و أكرمتک بشبليک بعده و بسبطيک الحسن و الحسين، فجعلت حسنا معدن علمى بعد انقضاء مده أبيه، و جعلت حسينا خازن وحيى، و أكرمه بالشهاده و ختمت له بالسعاده، فهو أفضل من استشهد و أرفع الشهداء درجه عندى، و جعلت كلمتى التامه معه، و الحجه البالغه عنده، بعترته أثيب و أعاقب، أولهم على سيد العابدين، و زين أولياء الماضين، و ابنه شبيه جدّه المحمود، محمد الباقر لعلمى و المعدن لحكمى، سيهلک

المرتابون فى جعفر الراد عليه كالرّاد علىّ، حق القول منى لأكرمن جعفرا، و لأسرّنه فى أشياعه و أنصاره و أوليائه انتجبت بعده موسى و انتجبت بعده فتنه عمياء حندس، لأن خيط فرضى لا ينقطع و حجتى لا تخفى، و إن أوليائى لا يشقون، ألا و من جحد واحدا منهم فقد جحد نعمتى، و من غيّر آيه من كتابى فقد افترى علىّ. و ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّه عبدى موسى و حبيبى و خيرتى، إن المكذب بالثامن مكذب بكلّ أوليائى، و على وليى و ناصرى، و من أضع عليه أعباء النبوه و أمنحه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينه التى بناها العبد الصالح إلى جنب شرّ خلقى، حق القول منّى لأقرّن عينه بمحمد ابنه و خليفته من بعده، فهو وارث علمى و معدن حكمى، و موضع سرى و حجتى على خلقى، جعلت الجنه مثواه (لا يؤمن عبد به إلاّ جعلت الجنه مثواه خ ل) و شفعته فى سبعين ألفا من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار، و أختم بالسعاده لابنه على وليى و ناصرى، و الشاهد فى خلقى، و أمينى على وحيى، أخرج منه الداعى إلى سبيلى و الخازن لعلمى الحسن. ثم أكمل ذلك بابنه (محمد خ ل) رحمه للعالمين، عليه كمال موسى و بهاء عيسى و صبر أيوب، سيذلّ أوليائى فى زمانه و يتهادون رؤسهم كما تتهادى رءوس الترك و الديلم، فيقتلون و يحرقون، و يكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، و يفشو الويل و الرّنين فى نسائهم، أولئك أوليائى حقا، بهم أدفع كلّ فتنه عمياء حندس، و بهم أكشف الزّلازل، و أرفع الآصار و الأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمه و أولئك هم المهتدون» . قال عبد الرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع فى دهرك إلاّ هذا الحديث لكفاك فصنه إلاّ عن أهله.

و فى البحار نقلا عن إكمال الدين و عيون أخبار الرضا عليه السّلام و أمالى الصدوق بإسناده عن الثمالى، عن على بن الحسين، عن أبيه، عن جده عليه السّلام قال: قال رسول

اللّه صلّى اللّه علیه و آله: «الأئمه من بعدی اثنا عشر، أولهم أنت یا علی و آخرهم القائم، الذی یفتح اللّه (تعالی ذکره) علی یدیه مشارق الأرض و مغاربها» . أقول: و مثل هذا الحدیث کثیر جدا ذکره المجلسی فی البحار (۱)فراجع. فظهر من هذه الأحادیث: أن وصایتهم من اللّه تعالی و بیّنها الرسول صلّی اللّه علیه و آله فی مواطن کثیره لا تعدّ و لا تحصی، کما ثبتت وصایتهم بالمعجزات الباهره و الآیات الظاهره و النصوص المتواتره حتی من العامه، و قد روی العامه فی صحاحهم فی هذا المعنی ما یزید علی ستّین حدیثا، و فی بعضها التنصیص علی أسمائهم إلی القائم علیهم السّلام.

فرووا فی الجمع بین الصحیحین عن جابر بن سمره عن النبی صلّی اللّه علیه و آله: «أنه یکون من بعدی اثنا عشر خلیفه» ثم تکلم بکلمه خفیفه ثم قال: «کلهم من قریش» . و مثله کثیر. هذا مضافا أیضا إلی

ما روی عنه صلّی اللّه علیه و آله بالطریقین أنه قال صلّی اللّه علیه و آله: «من مات و لم یعرف إمام زمانه مات میته جاهلیه» . فتدل هذه الطائفه من الأحادیث علی بقاء الأئمه إلی انقضاء التکلیف، کما علمت من

قوله علیه السّلام: «الحجه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق» . فثبوت وصایتهم للنبی صلّی اللّه علیه و آله أظهر من الأمس و أبین من الشمس بالآیات و المعجزات و النصوص الکثیره من الطرفین. ثم إن کتب العلماء من العامه و الخاصه مشحونه ببیان آیه التبلیغ الداله علی وصایه أمیر المؤمنین علیه السّلام و خلافته، و کذا سایر الآیات کما تقدمت الإشاره إلیه، و أیضا حدیث الثقلین معروف من الطرفین بأسانید عدیده، و احتجاجات الأمیر و الأئمه علیه السّلام علی وصایتهم کثیره مذکوره فی الکتب الطوال، هذا کله مع أن العقل یقتضی أن کبیرا إذا جاء بأمر کبیر خصوصا بمثل قرآن له بطن بل و بطون لهدایه الخلق، و جاء بقوانین و شریعه و علوم غزیره، کیف یمکن أن یترک أمته بعده بدون

۱- ۱) البحار ج ۳۶.

نصب من يكون بمنزلته فى التبليغ و البيان و يرضى لأمته الانحراف من بعده؟ ! هذا لا يحكم به العقل، بل يحكم بخلافه كيف لا؟ ! مع أنا نرى أنه لو أسس رجل تأسيسا مهمّا أو اخترع اختراعا ذا أهميه و آثار كيف يمكن إهمال تلك المؤسسه أو هذا الاختراع إذا سافر مثلا بأن لا ينصب لها من يكون عارفا بأمورها هذا فى سفر الدنيا فكيف إذا أراد سفر الآخره، فهل يحكم العقل بجواز إهمالها بدون نصب عارف مدبر بأمورها؟ كلا. و لعمرى إن هذا بديهى بحكم العقل كما لا يخفى. فحينئذ فما ظنك بالرساله الإلهيه العظمى كيف يجوز أن يهمل الأمه بدون نصب وصى أو خليفه؟ و فى كلماته صلّى اللّه عليه و آله إشارات إلى هذا الحكم العقلى. و فى إذن الدخول للزياره إشاره إلى أن رياستهم عليه السّلام فطريه لكلّ مكلف و هى إشاره إلى ما قلنا من حكم العقل بذلك، و الحمد للّه أولا و آخرا.

قوله عليه السّلام: و ذريّه رسول اللّه و رحمه اللّه و بركاته.

فى المجمع: و الذريه مثلثه، اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر و أنثى كالأولاد و أولاد الأولاد و هلم جرّا، قيل: و أصلها الهمز، لأنها فعوله من «يذرأ اللّه الخلق» فأبدلت الهمزه ياء كنبيّ، فلم يستعملوها إلاّ غير مهموزه، و قيل: أصلها ذرّوره على وزن فعوله من الذّرّ بمعنى التفريق، لأن اللّه ذرّهم فى الأرض، فلما كثر التضعيف أبدلوا الراء الأخيره ياء فصارت ذرويه فأدغمت الواو فى الياء فصارت ذرّيّه، و تجمع على ذرّيّات و ذرارىّ (بالتشديد) . و فى إكمال الدين للصدوق، و أما الذريه فقد قال أبو عبيده: تأويل الذريات عندنا إذا كانت بالألف (أقول: بالألف و التاء) الأعقاب و النسل، و أما الذى فى القرآن: وَ اَلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنٰا هَبْ لَنٰا مِنْ أَزْوٰاجِنٰا وَ ذُرِّيّٰاتِنٰا قُرَّهَ أَعْيُنٍ (1)قرأها على عليه السّلام وحده (أقول: أى بصيغه المفرد) بهذا المعنى، و الآيه التى فى يس: وَ آيَهٌ لَهُمْ

۱- ۱) الفرقان:۷۴.

أَنّٰا حَمَلْنٰا ذُرِّيَّتَهُمْ

(١)

و قوله عز و جل: كَمٰا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (٢). فيه لغتان، ذريّه و ذريّه مثل عليّه و عليّه، و كانت قراءته بالضم و قرأها أبو عمرو و هى قراءه أهل المدينه إلاّ ما ورد عن زيد بن ثابت أنه قرأ: ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنٰا مَعَ نُوحٍ (بالكسر) و قال مجاهد فى قوله: إِلاّٰ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ : إنهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى و مات آباؤهم. فقال الفرّاء: إنما سموا ذريه لأن آباءهم من القبط و أمهاتهم من بنى إسرائيل قال: و ذلك كما قيل لأولاد أهل فارس الذين سقطوا إلى اليمن: الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم. قال أبو عبيده: (يريد الفراء) أنهم يسمون ذريه و هم رجال مذكورون لهذا المعنى، و ذريه الرجل كأنهم النشء الذين خرجوا منه و هو من ذروت أو ذريت و ليس بمهجور. و قال أبو عبيده: و أصله مهموز و لكن العرب تركت الهمزه فيه، و هو فى مذهبه من ذرأه اللّه الخلق كما قال اللّه جلّ ثناؤه: وَ لَقَدْ ذَرَأْنٰا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ (٣)و ذرأهم أى أنشأهم و خلقهم، و قوله عز و جل: يَذْرَؤُكُمْ (۴)أى يخلقكم، فكان ذريّه الرجل هم خلق اللّه عز و جل منه و من نسله و من أنشأ اللّه عز و جل من صلبه، انتهى ما عن الإكمال. أقول: و يدل على أن أولاد البنت من ذريه الرجل قوله تعالى فى عيسى بن مريم إنه من ذريّه نوح مع أنه ابن البنت، و ذلك قوله تعالى: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دٰاوُدَ وَ سُلَيْمٰانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ وَ زَكَرِيّٰا وَ يَحْيىٰ

ص: ٣٩۵

١- ١) يس:۴١.

٢- ٢) الأنعام:١٣٣.

٣- ٣) الأعراف:١٧٩.

۴- ۴) الشورى:١١.

وَ عِیسیٰ

(۱)

، یجعل عیسی بن مریم من ذریّه نوح من طرف الأم، مضافا إلی أنه

قال صلّی اللّه علیه و آله فی حقّ الحسن و الحسین: إنّهما ابنای، فأطلق صلّی اللّه علیه و آله الابن علیهما و هو ظاهر فی الحقیقه بدون المجاز. و لنعم ما قیل من أن اختصاص أصاله الولد بابن الابن دون ابن البنت منشأه استقباح انتساب البنت، فإن العرب کانت تأنف عن انتساب البنت إلیهم کما حکی الله تعالی عنهم بقوله: وَ إِذٰا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثیٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ کَظِیمٌ. یَتَوٰاریٰ مِنَ اَلْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مٰا بُشِّرَ بِهِ الآیه، و قول شاعرهم: بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد ناشئ عن تلک الحاله الجاهلیه و الإحن النفسانیه الردیه. و أما بحسب اللغه: فالابن عام یطلق علی ولد الابن و علی ولد البنت، و کفاک به قوله صلّی اللّه علیه و آله فی إطلاقه علی الحسن و الحسین علیه السّلام. هذا بحسب الإطلاق اللغوی، و أما بحسب المعنی و الواقع فلا ریب فی أن علیا نفس الرسول صلّی اللّه علیه و آله بنص آیه المباهله، و إن الحسن و الحسین ابناه بتصریحه صلّی اللّه علیه و آله حیث

قال صلّی اللّه علیه و آله: «ذریه کلّ نبی من صلبه و ذریتی من صلب علی» ، أی أن صلبه صلبی، فإنه صلّی اللّه علیه و آله إنما قال ذلک لاتحادهما علیهما السّلام کما لا یخفی. و أما الأحادیث الوارده فی هذا المعنی الدالّه علی أن الأئمه علیهم السّلام أولاد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فکثیره نذکر بعضها تیمنا و تبرکا فمنها:

ما رواه فی الکافی: بإسناده إلی أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال لی أبو جعفر علیه السّلام: «یا أبا الجارود ما یقولون فی الحسن و الحسین؟ قلت: ینکرون علینا أنهما ابنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. قال: فبأیّ شیء احتججتم علیهم؟

۱- ۱) النحل:۵۸،۵۹.

قلت: بقول اللّه عز و جل فی عیسی بن مریم: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دٰاوُدَ وَ سُلَيْمٰانَ. . . إلی قوله: وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ فجعل عیسی من ذریه إبراهیم. قال: فأیّ شیء قالوا لکم؟ قلت: قالوا: قد یکون ولد البنت من الولد و لا یکون من الصلب. قال: فبأیّ شیء احتججتم علیهم؟ قال: قلت: احتججنا علیهم بقول اللّه تعالی: فَقُلْ تَعٰالَوْا نَدْعُ أَبْنٰاءَنٰا وَ أَبْنٰاءَكُمْ قال: فأیّ شیء قالوا لکم؟ قلت: قالوا: قد یکون فی کلام العرب أبناء رجل واحد فیقول: أبناهما و إنما هما ابنا واحد. قال: فقال أبو جعفر علیه السّلام: و اللّه یا أبا الجارود لأعطینکها من کتاب اللّه مسمّی بصلب رسول اللّه و لا یردها إلاّ کافر. قال: قلت: و أین جعلت فداک؟ قال: حیث قال اللّه تعالی: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهٰاتُكُمْ وَ بَنٰاتُكُمْ وَ أَخَوٰاتُكُمْ إلی أن انتهی إلی قوله: وَ حَلاٰئِلُ أَبْنٰائِكُمُ اَلَّذِينَ مِنْ أَصْلاٰبِكُمْ فسلهم یا أبا الجارود هل لرسول اللّه نکاح حلیلتیهما؟ فإن قالوا: نعم، فکذبوا و فجروا، و إن قالوا: لا، فهما و اللّه ابناه لصلبه صلّی اللّه علیه و آله» .

و فی الصحیح عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال: «لو لم یحرم علی الناس أزواج النبی صلّی اللّه علیه و آله لقول اللّه عز و جل: وَ مٰا كٰانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اَللّٰهِ وَ لاٰ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوٰاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً حرم علی الحسن و الحسین لقوله تبارک و تعالی وَ لاٰ تَنْكِحُوا مٰا نَكَحَ آبٰاؤُكُمْ مِنَ اَلنِّسٰاءِ و لا یصلح للرجل أن ینکح امرأه جده» .

و فی المحکی عن الاحتجاج فی حدیث عن الکاظم علیه السّلام و فیه: أن الرشید قال له: لو جوّزتم للعامه و الخاصه أن ینسبوکم إلی رسول اللّه و أنتم من علی و إنما ینسب إلی أبیه، و فاطمه إنما هی وعاء و النبی جدّکم من قبل أمّکم؟ فقال له: «لو أن النبی صلّی اللّه علیه و آله

نشأ فخطب إليک کريمتک هل کنت تجيب؟ فقال: سبحان اللّه و لا أجيبه، بل أفتخر على العرب و قريش بذلک، فقال: لکنه لا يخطب إلىّ و لا أزوّجه، فقال: أحسنت يا موسى» ، الحديث.

و عن عابد الأحمسى قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام و أنا أريد أن أسأله عن صلوه الليل فقلت: السلام عليک يا بن رسول اللّه، فقال: «و عليک السلام أى و اللّه إنا لولده، و ما نحن بدون قرابه» ، الحديث.

و فى المحکى عن تفسير العياشى عن بشير الدهان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: «لقد نسب اللّه عيسى بن مريم فى القرآن إلى إبراهيم عليه السّلام من قبل النساء ثم تلا هذه الآيه: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دٰاوُدَ وَ سُلَيْمٰانَ إلى قوله: وَ زَکَرِيّٰا وَ يَحْيىٰ وَ عِيسىٰ » .

و عن عيون الأخبار فى باب جمل من أخبار موسى بن جعفر عليه السّلام مع هارون الرشيد (لعنه اللّه) و مع موسى بن المهدى حديث طويل بينه و بين هارون و فيه: ثم قال: کيف قلتم: إنا ذريه النبى و النبى لم يعقب و إنما العقب للذکر لا للأنثى، و أنتم ولد لابنته و لا يکون لها عقب؟ فقلت: «أسألک بحق القرابه و القربه و بما فيه إلاّ ما أعفيتنى عن هذه المسأله. فقال: لا، أو تخبرنى بحجتکم يا ولد على و أنت يا موسى يعسوبهم و إمام زمانهم کذا أنهى إلىّ، و لست أعفيک فى کلّ ما أسألک عنه حتى تأتينى فيه بحجه من کتاب اللّه تعالى، و أنتم تدعون معشر ولد على أنه لا يسقط عنکم منه شىء لا ألف و لا واو إلاّ تأويله عندکم و احتججتم بقوله عز و جل: مٰا فَرَّطْنٰا فِى اَلْکِتٰابِ و استغنيتم عن رأى العلماء و قياسهم. فقلت: تأذن فى الجواب؟ قال: هات. و قلت: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم. بسم اللّه الرحمن الرحيم وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دٰاوُدَ وَ سُلَيْمٰانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ وَ کَذٰلِکَ نَجْزِى اَلْمُحْسِنِينَ.

وَ زَكَرِيّا وَ يَحْيىٰ وَ عِيسىٰ وَ إِلْياسَ

(۱)

من أبو عيسى يـا أمير المؤمنين؟ قـال: ليس لعيسـى أب. فقلت: إنمـا ألحقناه بـذرارى الأنبياء عليهم السّـلام من طريق مريم عليها السّـلام، و كذلك ألحقنا بذرارى النبى صـلّى اللّه عليه و آله من قبل أمنا فاطمه عليها السّلام» . أقول: هذا مع أنه كان بين موسى و بين داود خمسـمائه سنه، و بين داود و عيسـى ألف سـنه و قد جعل اللّه عيسـى من ذريه إبراهيم عليه السّلام الذى قبلهم بسنين عديده، كذا عن تفسير على بن إبراهيم. فى حين إن الحسنين عليهما السّلام ولدا فى زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من بنته فاطمه عليها السّـلام. و أما قوله صـلّى اللّه عليه و آله سـيأتى شـرحه فى قوله عليه السّـلام و صلى اللّه على محمد و آله الطاهرين، فانتظر. ثم إنه تقدم معنى و رحمه اللّه و بركاته فلا نعيده، و أما جهه تكراره بعد عده من الجمل فلعله لأجل الدعاء، و الطلب منه تعالى الرحمه و البركه لهم لما يرجع فوائده إليهم عليهم السّلام و إلينا كما تقدم، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

[۱۰]قوله عليه السّلام: السلام على الدعاه إلى اللّه.

اشاره

الدعاه جمع داع كقضاه جمع قاض، و يدل على أنهم عليهم السّلام الدعاه إلى اللّه تعالى كالنبى صلّى اللّه عليه و آله قوله تعالى: قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اَللّهِ عَلىٰ بَصِيرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِي (۲).

فعن الكافى بإسـناده عن سـلام بن مستنير، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله: قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اَللّهِ عَلىٰ بَصِيرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِي قال: «ذاك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أمير المؤمنين و الأوصياء من بعدهما» .

۱- ۱) الأنعام:۸۴-۸۵.

۲- ۲) يوسف:۱۰۸.

و فیه بإسناده عن أبی عمرو الزبیری، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث طویل إلی أن قال علیه السّلام فی الآیه قال: «یعنی علی علیه السّلام أول من اتبعه علی الإیمان و التصدیق له و بما جاء به من عند اللّه عز و جل من الأمه، التی بعث فیها و منها و إلیها قبل الخلق ممن لم یشرک باللّه قط، و لم یلبس إیمانه بظلم و هو الشرک» .

و فی حدیث طویل عن الرضا علیه السّلام فی أوصاف الإمام إلی أن قال علیه السّلام: «الإمام أمین اللّه فی خلقه، و حجته علی عباده، و خلیفته فی بلاده، و الداعی إلی اللّه، و الذاب عن حرم اللّه» . أقول: لا ریب فی أن مقام الدعوه إنما هو لهم علیهم السّلام و مختصه بهم أصاله و لغیرهم بالإذن منهم تحت عنوان خاص فی موارد خاصه بینت فی کلماتهم، فلیس لغیرهم الدعوه إلیه تعالی مطلقا إلاّ إذا اندرج تحت العناوین المشروطه التی بینوها، فهم علیهم السّلام الدعاه إلی اللّه تعالی بقول مطلقا، و هذا مسلم لا ریب فیه، فإنهم الدعاه إلیه تعالی أی إلی معرفته و عبادته و طاعته و کیفیتها. هذا و الذی ینبغی أن یقال فی المقام هو: إن الدعوه باعتبار تنقسم إلی ثلاثه أقسام قال اللّه تعالی: اُدْعُ إِلیٰ سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ اَلْمَوْعِظَهِ اَلْحَسَنَهِ وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ .

ففی تفسیر نور الثقلین عن الکافی بإسناده عن أبی عمرو الزبیری، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام حدیث طویل یقول فیه علیه السّلام: «فأخبر أنه تبارک و تعالی أول من دعا إلی نفسه، و دعا إلی طاعته و اتباع أمره فبدأ بنفسه و قال: وَ اَللّٰهُ یَدْعُوا إِلیٰ دٰارِ اَلسَّلاٰمِ وَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ ثم ثنی برسوله فقال: اُدْعُ إِلیٰ سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ اَلْمَوْعِظَهِ اَلْحَسَنَهِ وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ یعنی بالقرآن» .

و فیه عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال: «و اللّه نحن السبیل الذی أمرکم اللّه باتباعه قوله: وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ قال: بالقرآن» .

و فيه: و روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله انه قال: «نحن المجادلون فى دين اللّه على لسان سبعين نبيا» .

فنقول: المستفاد من هذه الأحاديث أمور:

الأول: ان الدعوه على ثلاثه أقسام:

بالحكمه قد فسّرت بإصابه الحق بالعلم و العقل و بالحجه، التى تنتج الحق الذى لا مريه فيه و لا وهن و لا إبهام فيه، و فسّرت فى الأحاديث بالعقل و الفهم و معرفه الإمام فى قوله تعالى: وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً . بالموعظه و فسّرت بالبيان الذى تلين به النفس، و يرق له القلب، لما فيه من صلاح حال السامع من الغير و العبر و جميل الثناء و محمود الأثر. و بعباره أخرى: بالتذكير بالخير فيما يرّق له القلب، إلّا أن الموعظه منقسمه إلى حسنه و غير حسنه و المأذون فيها هو الحسنه. بالمجادله بالتى هى أحسن دون التى هى غير أحسن، فالمأذون فيها هو الأحسن دون غيرها بل و دون الحسن كما لا يخفى، و هى فسّرت بالمفاوضه على سبيل المنازعه و المغالبه، و هذا التفسير يعمّ غير الأحسن أيضا، و الأحسن تفسيرها بأنه الحجه التى تستعمل لفتل الخصم أى صرفه عما يصرّ عليه، و ينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذه عليه من طريق ما يتسلّمه هو و الناس، أو يتسلمه هو وحده فى قوله أو حجته.

الثانى: أن الأئمه عليهم السّلام يدعون الناس إليه بهذه الدعوات الثلاث،

فإن الناس أيضا على ثلاث طبقات: الخواص و هم أصحاب النفوس المشرقه قويه الاستعداد لإدراك الحقائق العقليه، و شديده الانجذاب إلى المبادى العاليه، و كثيره الألفه بالعلم و اليقين، فهؤلاء يدعون إليه تعالى بالحكمه و هى أيضا لها مراتب: البرهان المنتج لدرك الحقائق علما.

الإشارات الإلهيه التی لا تنسبک تحت العباره، بل یشار إلیها بالإلهامات الربوبیه و الإشراقات الرحمانیه کما کانت لأولیائه خصوصا لمثل

مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام کما تقدم من أنه قال: «فتح النبی صلّی اللّه علیه و آله لی ألف باب یفتح کلّ باب ألف باب من الحکمه» و قد تقدم ذکرها. الأذواق العرفانیه التی تحصل لأهل العشق و المحبه فی حال هیجان المحبه بینهم و بین محبوبهم، کما دلّ علیه کثیر من الأدعیه و الأحادیث الوارده فی هذا الموضوع. العوام و هم أصحاب النفوس الکدره، و الاستعدادات الضعیفه من شده ألفتهم بالمحسوسات، و قوه تعلقهم بالرسوم و العادات، قاصره عن تلقی البراهین من غیر أن یکونوا معاندین للحق، و أن یکونوا واجدین لبعض مراتب العلوم فی فنون شتیّ، فهؤلاء یدعون بالموعظه الحسنه و هی أیضا علی أقسام ذکرت فی الکتب المفصله المعده لها. أصحاب العناد و اللجاج الذین یجادلون بالباطل لیدحضوا به الحق، و یکابرون لیطفؤا نور اللّه بأفواههم، قد رسخت فی نفوسهم الآراء الباطله، و غلب علیهم تقلید أسلافهم فی مذاهبهم الخرافیه، لا تنفعهم المواعظ و العبر، و لا یهدیهم سائق البراهین إلی العلم و الیقین بالحق المبین، و هؤلاء لا یهدیهم سائق البراهین إلی العلم و الیقین بالحق المبین، و هؤلاء هم الذین أمر بمجادلتهم بالتی هی أحسن، ثم إنه قد یکون شخص واحد له هذه الحالات الثلاث أو بعضها فتدعی فی کلّ حال بما تخصّه کما لا یخفی.

الثالث: لا ریب فی أن الأئمه علیهم السّلام الذین هم الدعاه إلیه تعالی قد أهّلهم لذلک،

حیث منحهم الولایه التکوینیه و التشریعیه کما علمت فیما تقدم من أنه تعالی منحهم علمه فی عالم الأرواح و الأنوار و حکمته، و أنهم مصادیق أسمائه الحسنی و إنه فوض إلیهم دین اللّه بنحو سیجیء بیانه، و أنهم قدره اللّه تعالی و أعطی إلیهم ما أعطی

جميع الأنبياء من العلم و القدره و الزياده تدل عليه الأحاديث الوارده فی الاسم الأعظم الإلهی من أنها اثنان و سبعون اسما قد أعطی الأنبياء كلّ واحد منهم بعضها، و أما النبی و الأئمه (عليه و عليهم السّلام) قد أعطوا جميعها. و علمت أنه تعالی أشهدهم خلق السموات و الأرض و ما فيهما، و أنهم أعضاد و أشهاد و مناه إلی آخر ما مرّ، و علمت أيضا أن الموجودات خلقت من شعاع أنوارهم خصوصا الشيعه، حيث إنها خلقت من فاضل طينتهم، فلا محاله تكون حقائق الموجودات بماهيّاتها و أجناسها و أنواعها و أفرادها معلومه لديهم، قد علموا جميع ذلک بتعليم اللّه تعالی إياهم، فحينئذ نقول: معنی كونهم دعاه إليه أنهم عليهم السّلام يدعون جميع الموجودات كلّ فرد إليه تعالی بلسانه المختص به، فإن لكلّ موجود نطقا يختص به كما يعلم من قوله: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ (1)الآيه، فالتوحيد الساری فی الموجودات إنما هو منهم و هم دعوهم إليه سواء كان نبيا أو ملكا أو فلكا أو غير ذلک. و إليه يشير ما فی الأخبار من أن ولايتهم عرضت علی جميع الموجودات، و ما تقدم من أن جميع الموجودات مأمورون بإطاعتهم، و ليس هذا إلاّ لأنهم يدعونها إليه تعالی بعرض الولايه عليهم، التی هی مظهر التوحيد كما علمت، و عليهم القبول مع أن العقل يحكم بأن تسبيح كلّ موجود له تعالی إنما هو بعد تعلمهم ذلک و لا يعلمونه إلاّ بعد تعليم، و لا تعليم لها إلاّ بعد تعليمهم عليهم السّلام إياهم كيفيه التسبيح و العباده، فإنها كما تكون فی البشر توقيفيه فكذلک تكون فی سائر الموجودات توقيفيه أيضا، فالعقل يحكم بأن العدل الإلهی يقتضی أولا تعليمها كيفيه العباده و التسبيح بما يليق بجلاله و جماله تعالی ذكره، فهم عليهم السّلام دعاه جميع الخلق إليه تعالی. و علم من هذا أنهم عليهم السّلام دعاه إلی اللّه تعالی أی إلی معرفته، فهم عليهم السّلام أولا المظهر الأتم لمعرفته و معارفه، ثم يدعون الناس إلی هذه المعرفه، نعم كلّ موجود بحسب

1- 1) الإسراء:44.

استعداده و قابليّته، و إلى هذه الجهه يشير قوله تعالى: أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّماءِ مٰاءً فَسٰالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهٰا (۱)فقد فسّر الماء بالعلم و المعرفه كما لا يخفى. ثم إنهم عليهم السّلام قد علمهم اللّه تعالى كيفيه تعليم الموجودات معرفه اللّه، و ذلك إما بتنزلهم عليهم السّلام بلسان المعرفه إلى درجه فهم المدعو، فيلقون إليه تلك المعرفه المتبادله على قدر فهمهم، و إما بترفيعهم المدعو إلى مقام الفهم للدرجه العاليه من المعرفه فيعرفها، و بما يرفعون الجاهل إلى مقام الفهم العالى فيعرف العارف بحقها، و ربما يرفعون الموجود بنوع خاص إلى الموجود بنوع آخر أعلى منه، كما علمت من مخاطبه الحسين عليه السّلام للحمّى

بقوله: يا كباسه. . إلخ، فارفعه أولا إلى مقام الإنسانيه ثم خاطبه

بقوله: يا كباسه ، فافهم تغتنم. ثم إن الموجودات لما كانت لها مراتب من الظرف و الوجود فهم عليهم السّلام حيث إنهم بمقامهم الولوى محيطون بكلّ شيء بإحاطه اللّه، فيدعون كلّ موجود فى عالم كونه و هو على أقسام: الأول: عالم الماهيات قبل انوجاد الوجود حال كونهم فقراء بالذات عند بابه الكريم، فسألوه بحقيقه ذاتهم الفقر المحض الوجود و غناء الوجود، فدعوهم عليهم السّلام إليه تعالى فأوجدهم اللّه تعالى و أغناهم بأصل الوجود أولا، و بما يحتاجون إليه ثانيا و لعلّه إليه يشير قوله تعالى: وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ . و الثانى: عالم الشرع و هو على قسمين: الدعوه إليه تعالى فى عالم الذر حيث قيل لهم: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ (۲)فهم عليهم السّلام دعوا الناس فى ذلك العالم إلى التوحيد، فقد جعل اللّه تعالى فيهم ما يصلح لأن يخاطبوا بالدعوه إليه تعالى، فأجاب بعضهم بالقبول، و أنكر بعضهم كما ذكر مفصلا فى تفسير قوله تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (۳).

ص: ۴۰۴

۱- ۱) الرعد:۱۷.

۲- ۲) الأعراف:۱۷۲.

۳- ۳) الأعراف:۱۷۲.

الدعوه إليه تعالى فى عالم الدنيا و دار التكليف بالأمر و النهى التشريعى، فهم عليهم السّلام فى جميع تلك العوالم دعاه إليه تعالى، و هذا كما علمت يعطى أن اللّه تعالى قد جهّزهم بتمام لوازم الدعوه من جعلهم عليهم السّلام مظهرا لعلمه و قدرته و معارفه.

فعن الكافى، عن على، عن عمّه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «نحن ولاه أمر الله و خزنه علم الله و عيبه وحى اللّه» .

و فيه: عن سوره الكلبى قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: «و اللّه إنا لخزان اللّه فى سمائه و أرضه لا على ذهب و لا فضّه إلاّ على علمه» .

و فيه: عن سدير عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك ما أنتم؟ قال: «نحن خزّان علم اللّه، و نحن تراجمه وحى اللّه، نحن الحجه البالغه على من دون السماء و فوق الأرض» .

و فيه: عن على بن جعفر، عن أبى الحسن موسى عليه السّلام قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن اللّه خلقنا فأحسن خلقنا، و صوّرنا فأحسن صورتنا، و جعلنا خزّانه فى السماء و الأرض، و لنا نطقت الشجره، و بعبادتنا عبد اللّه، و لولانا ما عبد اللّه» فمعرفه اللّه و عبادته و التخلق بأخلاقه إنما هى منهم و عنهم، و هم الدعاه إليه من كلّ علم و عمل و اعتقاد. فالعلوم بأجمعها و المعارف بأكملها هى منهم و عنهم، بل دعوه الداعين إنما هى منهم و منتهيه إليهم، فكلّ دعوه لا تكون كذلك فهى باطله مردوده بالضروره. و الحمد للّه ربّ العالمين أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله عليه السّلام: و الأدلاء على مرضاه اللّه

اشاره

. الأدلاّء جمع دليل كالأغرّاء جمع غرير، و لا ريب فى أنهم عليهم السّلام يدلّون الخلائق بالشريعه الحقه إلى ما يوجب رضاه تعالى من مراتب القرب للّه و إلى اللّه و فى اللّه و مع اللّه.

و الفرق بينه و بين الـدعاه، أن الدعوه إليه تعالى ربما يدعيها كل أحد ممن آمن باللّه تعالى: لأن وحدانيته فضـلا عن وجوده، بل و كثير من صفاته تعالى كالخالقيه و الرازقيه و نحوهما مما هو ظاهر و بديهى لكل أحد إلاّ على أكمه لا يبصر القمر. و هذه (أى الدعوه) قد تخلو عن الحجه و البرهان فى حال الدعوه اتكالا على التصديق الإجمالى به تعالى الحاصل لكل أحد، و هذا بخلاف الدليل إلى مرضاته تعالى، فإنّ مرضاته تعالى لا ريب فى خفائها على كثيرين بل و على أهل الحق غير المعصومين.

و لذا ورد فى الدعاء من قولهم عليهم السّلام:

«و اهدنى لما اختلف فيه من الحق»

فـإن أهـل الحق ربمـا يختلفون فى بعض الأمور، و كـل يـدعى الإصـابه مع العلم الإجمالى بخلاف أحـدهم مثلا، فالوصول إلى مرضـاته لاـ بـد له من برهـان و حجه، و يعبر عنه بالـدليل فـإنه لاـ يكون إلاّـ عن حجه. و كيف كـان فمرضاته تعالى مخفيه على كثيرين إلاّـ عليهم عليهم السّـلام فهم الأدلاّـء على مرضـاته، فيعطى هـذا البيـان أن الوصول إلى مرضاته تعالى منحصر بـدلالتهم عليهم السّـلام: لأـنهم الواقفون إليهـا و العـالمون بهـا بمـا منحهم اللّه تعالى ذلك كما علمت مما تقـدم. و كيف كان فالـداعى و الدليل قد يستعمل كلّ منهما فى مقام الآخر منفردا إلاّ إذا اجتمعا كما فى المقام فيفرق بينهما بما قلناه، و إلى ما ذكر يشير ما قيل من: إن اللّه تعالى لمّا لا يشـتبه بغيره فيمكن الـدعوه إليه تعالى بلا برهان، و هـذا بخلاف مرضاته فإن مرضاته مخفيه فى مقامين: الأول: فى نفس الأمر الذى هو مرضـى له تعالى كبيان كيفيه الصلوه و الصوم، و أنحاء العبادات المجعوله فى الشرع، و لا يمكن لغيرهم عليهم السّـلام بيانها، فهم عليهم السّـلام الأدلاء عليها. و الثانى: فى الأفعال الصادره من العامل فإنها مشـتبه، فإن ما ترضـيه منها تشتبه بما يسخطه، لا يفرق بينهما إلاّ بالدليل و التعيين، و هم عليهم السّلام يبينون الدليل

و المعيّن لما هو مرضى له تعالى منها. و ربما يقال: إن معرفه اللّه لما كانت عقليه أى أن المكلفين يدركونه بالعقول، و لذا قيل: إنه لا يجوز التقليد فى الأصول، لأنه تعالى جعل فى كل واحد من العقل ما به يدرك معرفه اللّه تعالى، فالدعوه إليه تعالى ممكنه لكل واحد لمكان العقل، و هذا بخلاف الأعمال من حيث الاستناد إلى المكلفين، أو من حيث الكيفيه المجعوله فيها شرعا، فإنها لا يمكن للعقول مجرده عن الاستناد إلى النص و الأدله الصادره منهم عليهم السّلام معرفه ما يرضى اللّه منها مما يسخطه غالبا، فلا بد فيها من النص و التعيين بدلالتهم عليهم السّلام على المرضى منها، و لهذه الجهه جاز فيها التقليد و الاجتهاد، لتحصيل المرضيات منها من الأدله الشرعيه الوارده عنهم عليهم السّلام كما لا يخفى، و هذا راجع إلى ما قلناه آنفا كما لا يخفى. ثم إنه أيضا قد يفرق بينهما بأن الدليل كما أنه يطلق على الإنسان الذى هو الدليل، كذلك يطلق على ما يستدل به من البرهان و الحجه و المصاديق الخارجيه مما انطبق عليه البرهان و الحجه، و هذا بخلاف الداعى فإنّه لا يطلق على المدعو به، فان النبى صلّى اللّه عليه و آله مثلا هو الداعى بلحاظ أنه صلّى اللّه عليه و آله يدعو الناس إليه تعالى، و أما إطلاق الداعى عليه بلحاظ كونه صلّى اللّه عليه و آله مدعوا به، لأنه سبحانه و تعالى دعا عباده إليه صلّى اللّه عليه و آله و إن كان صحيحا فى نفس الأمر، إلّا أنه خلاف الظاهر مما تعرفه الناس و المتشرعه كما لا يخفى. و كيف كان فهم عليهم السّلام الأدلاء و المرشدون و البراهين القاطعه إلى ما فيه رضا اللّه تعالى، و هذا مما لا ريب فيه إلّا أن الكلام

فى بيان كيفيه كونهم عليهم السّلام الأدلاء إلى مرضاته و أنحائه

اشاره

فنقول: إنها على أقسام:

الأول: أنهم أدلاء عليها بالبيان العلمى المطابق مع العقل و البرهان القطعى،

بحيث تصدقه العقول و لا ترده البراهين القاطعه فى أقسام العلوم و المعارف الإلهيه، و هذا أيضا أمر مسلم لا شبهه فيه، فإن الكتب مشحونه بذكر بياناتهم الظاهره

المقرونه بـالبراهين القـاطعه فى أىّ موضوع علمى بيّنوه عليهم السّـلام لكـل أحـد، سواء أ كان من موافقيهم أم من مخالفيهم. بل ادعو عليهم السّـلام العلوم كلّهـا و أنهم لاـ يسـألون فى أمر إلاّـ أجـابوا عنه بـأحسن وجه، و يـدل على هـذا الأحـاديث الكثيره فى عناوين مختلفه مما ورد عنهم عليهم السّلام كما تقدم فى بيان أمر الولايه، و أنهم حجه اللّه، و أنه تعالى لم يجعل حجه فى خلقه يسأل عن أمر فيقول: لا أعلم، كما لا يخفى.

الثانى: أنهم أدلاء عليها بالعمل

فـإن أعمـالهم عليهم السّـلام كـأقوالهم حجه يرجع إليهـا فى تشـخيص الوظائف كما حقق فى الأصول. و كيف كان إنهم عليهم السّـلام لا يصدر منهم فعل يكون على خلاف مرضاته تعالى، بل جميع أفعالهم تدل على أنها مرضـيه له تعالى، و إليه يشـير قوله فى حقهم: بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ .

الثالث: أنهم عليهم السّلام أدلّاء عليها بالصفات الحميده،

فإنهم عليهم السّـلام متصـفون بأكمل الصـفات المحموده، بل سيجىء إن شاء اللّه أن كل صفه حميده فى أىّ رجل فهى منشعبه منهم عليهم السّلام كما دلّ عليه

قوله عليه السّلام:

«إن ذكر الخير كنتم أصله و فرعه» إلخ، و سـيجىء بيانه، و هذا أيضا ظاهر لا شك فيه حتى عند المخالفين و عند المعاندين لهم عليهم السّـلام، فهم بصـفاتهم يدلون على مرضاته تعالى، أى أن أىّ صفه كانوا متصفين بها فهى مرضيه للّه تعالى، فمن اتصافهم بها يعلم أنها مرضيه له تعالى، فهم عليهم السّلام الأدلاء على كونها صفه أيضا.

الرابع: أنهم بحقيقتهم النورانيه،

و بما هم مظهر للأسـماء الحسـنى، و بما هم قائمون بالأسـماء العظمى للّه تعالى، و بما هم المظهر الأتم له تعالى فى جميع صفاته الجلاليه و الجماليه، و بما هم محال معرفه اللّه تعالى كما تقـدم يدلون على مرضاته فى هذه الأمور من المعارف الغامضه الإلهيه، فلاـ بـد لكـل أحـد من العـارفين و السـالكين إليه تعالى، و الواصـلين إلى معرفته تعالى أن يعرضوا حالاتهم عليهم السّـلام بلحاظ تلك الحالات

الكائنه فيهم عليهم السّلام فيستدلون بها على مرضاته تعالى فيها بأن يروا و يعلموا أن ما وافق من تلك الحالات الكائنه فيهم مع الحالات الكائنه فيهم عليهم السّلام فهى مرضيه له تعالى و إلّا فلا. و بعباره أخرى: أنه قد علمت سابقا مفصلا أنهم معانيه تعالى و أبوابه و حجته، و علمت معنى أنهم معانى اللّه أى أنهم حقيقه الأسماء الحسنى، و بهم و منهم يتوصل إليها، و المعرفه بهم بما هم كذلك دليل على معرفته تعالى، فهم بحقيقتهم أدلاء على معرفته تعالى المرضيه له، التى خلق الخلق لها كما تقدم من

قول الحسين عليه السّلام: «إن اللّه ما خلق الخلق إلّا ليعرفوه» ، و تقدم أنه لا يعرف اللّه إلّا بسبيل معرفتهم، فمعرفتهم سبيل معرفه اللّه و دليلها، بل معرفتهم معرفه اللّه كما علمت من

قوله عليه السّلام: «إن معرفه اللّه معرفه أهل كل زمان إمامهم الذى تجب عليهم طاعته» . و الحاصل: أن اللّه تعالى يعرف بأسمائه التى هى صفاته تعالى، و هى ليست إلّا ذواتهم المقدسه

لقوله عليه السّلام: «و اللّه نحن الأسماء الحسنى» كما تقدم، فهم عليهم السّلام حينئذ بما هم مصاديق لها أدلاء للّه تعالى فإنّ شيعتهم يقتبسون معارفهم و حقائقهم منهم، فهم بما لهم من المراتب التى يختص كل منهم ببعضها أيضا أدلاء على اللّه، و بحقيقتهم التى هى بعض مراتب الأسماء الإلهيه أدلاء على اللّه، و بسبيل معرفتهم يعرف اللّه حيث إنها مقتبسه منهم عليهم السّلام بل فى الحقيقه أن ما فيهم من تلك الحقائق و المعارف لما كانت منهم عليهم السّلام فصح أن يقال: إن المعارف الكائنه فيهم المستدل بها على اللّه تعالى إنما هى منهم و بهم عليهم السّلام فهم عليهم السّلام فى ظهورهم فى شيعتهم أدلاء على اللّه تعالى، فتدبر تعرف.

[فى دلاله الأحاديث على أن شيعتهم ملحقون بهم فى الاقتباس]

و يدل على أن شيعتهم ملحقون بهم فى الاقتباس، و فى هذه الدلاله أخبار كثيره منها ما

روى عن الثمالى عن الباقر عليه السّلام و كذا فى تفسير نور الثقلين عن كتاب كمال الدين و تمام النعمه، و عن معانى الأخبار، و عن تفسير على بن إبراهيم. و اللفظ لكمال الدين بإسناده عن عمر بن صالح السابرى، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن هذه الآيه: أَصْلُهٰا ثٰابِتٌ وَ فَرْعُهٰا فِى اَلسَّمٰاءِ قال: «أصلها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فرعها

أمير المؤمنين و الحسن و الحسين ثمرها، و تسعه من ولد الحسين عليه السّلام أغصانها و الشيعه ورقها، و اللّه إن الرجل ليموت فتسقط ورقه من تلك الشجره. قلت: قوله: تُؤْتِي أُكُلَهٰا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهٰا قال: ما يخرج من علم الإمام إليكم فى كل سنه من كل فج عميق» . و مثله كثير باختلاف يسير فى العباره.

و فى تفسير نور الثقلين أيضا عن الخرائج و الجرائح: روى المجلسى عن الصادق عليه السّلام عن أبيه، و ذكر حديثا طويلا و فى آخره يقول الباقر عليه السّلام: «و أخبركم عما أردتم أن تسألوا عنه فى قوله تعالى: كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهٰا ثٰابِتٌ وَ فَرْعُهٰا فِي اَلسَّمٰاءِ نحن نعطى شيعتنا ما نشاء من العلم» .

و فيه عن تفسير العياشى بإسناده عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهم السّلام فى قول اللّه: ضَرَبَ اَللّٰهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهٰا ثٰابِتٌ وَ فَرْعُهٰا فِي اَلسَّمٰاءِ قال: «يعنى النبى صلّى اللّه عليه و آله الأصل الثابت و الفرع الولايه لمن دخل فيها» . و منها: أخبار الطينه التى تقدم بعضها فتدل هذه على أن الشيعه ملحقون بهم عليهم السّلام أصلا من حيث الروح و العلم و المعارف فإنها كلها مقتبسه منهم عليهم السّلام فالشيعه من حيث المبدإ خلقوا منهم أى من فاضل طينتهم و علمهم من علمهم عليهم السّلام و من حيث المنتهى و المعاد يكون إيابهم و حسابهم إليهم و عليهم عليهم السّلام كما سيجىء فى شرح

قوله عليه السّلام: «و إياب الخلق إليكم و حسابهم عليكم» . و يدل عليه أيضا و على ما تقدم ما

روى عن أبى الحسن عليه السّلام فى حديث طويل قال: «و إن شيعتنا لمكتوبون معرّفون بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ اللّه الميثاق علينا و عليهم، يردون مواردنا، و يدخلون مداخلنا، ليس على مله إبراهيم خليل الرحمن غيرنا و غيرهم، إنّا يوم القيمه آخذون بحجزه نبينا صلّى اللّه عليه و آله و نبينا آخذ بحجزه ربّه، و إن الحجزه النور، و شيعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلك، و من تبعنا نجا، و المتبع لولايتنا لاحق، و الجاحد لولايتنا كافر، و متبعنا و متبع أوليائنا مؤمن، لا يتبعنا كافر

و لا يبغضنا مؤمن، من مات و هو محبنا كان حقا على اللّه أن يبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا و هدى لمن اقتدى بنا» . و هذا يدل على علو رتبه الشيعه حيث إنهم ملحقون بهم عليهم السّلام ابتداء و انتهاء، و لذا أمر الضعفاء من الشيعه أن يتبعوا و يقصدوا الأكابر منهم، كما يشير إليه

قوله عليه السّلام: «و متبع أوليائنا مؤمن» .

و فى البحار (۱)، عن الصادق عليه السّلام «شيعتنا جزء منّا خلقوا من فضل طينتنا يسوؤهم ما يسوؤنا، و يسرهم ما يسرنا، فإذا أرادنا أحد فليقصدهم فإنهم الذى يوصل منه إلينا» ، الحديث.

فقوله: فليقصدهم، ظاهر فيما قلنا كما لا يخفى. و يدل على فضلهم أيضا ما

عن الصادق عليه السّلام قال «لمن قرأ عنده: فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لاٰ جَانٌّ فمن يسأل إذا لم يسأل عن ذنبه إنس و لا جان؟ قال: قلت: لا أدرى، قال عليه السّلام: إنما أنزل اللّه فيكم، و ذا و اللّه المؤمن من شيعتنا لا يسأل منكم الإنس و الجن، و إن اللّه تعالى ليولينا حسابه، و يأمرنا ما كان من حسنه نظهرها، و ما كان من سيئه نسترها، و إن اللّه تعالى لا يطلع على ذنب مؤمن أحدا من خلقه إجلالا لعبده المؤمن» .

و عن تفسير على بن إبراهيم: و قوله: فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ ، قال: «منكم (يعنى من الشيعه) إِنْسٌ وَ لاٰ جَانٌّ ، قال: معناه أن من تولى أمير المؤمنين عليه السّلام و تبرأ من أعدائه، و آمن باللّه، و أحل حلاله و حرّم حرامه، ثم دخل فى الذنوب، و لم يتب فى الدنيا عذب فى البرزخ، و يخرج يوم القيمه و ليس له ذنب يسأل عنه يوم القيمه» ، إلخ. و للآيه معان أخرى راجع تفسير مجمع البيان، و ورد فى معناها أحاديث أخر

۱- ۱) البحار ج ۶۸ ص ۲۴ رقم ۴۳.

تقرب من هذا المعنى المذكور عن الصادق علیه السّلام و إنما ذكرنا هذه الأحاديث بيانا لما شرّف اللّه تعالى الشيعه بالكرامه التى ليس فوقها كرامه، و الحمد للّه ربّ العالمين. فتحصل من جميع ما ذكر: أن جميع الأحكام و الحقوق الشرعيه التى فيها رضا اللّه فإنما هى بدلالتهم عليهم السّلام بل كلما لم يدلّوا عليه لم يكن للّه فيه رضا لما عرفت من أنهم عليهم السّلام بعد ما كانت لهم الولايه التكوينيه من اللّه تعالى، فلا محاله هم العارفون بجريان أمر الخلق بعناوينها فى مجريها الموجب للكمال و الوصول إلى السعاده، فلا محاله لا بد من تحصيل رضاه تعالى فى جميع جريان الأمور الشرعيه و التكوينيه من دلالتهم عليهم السّلام فكلّ موجود بشرا كان أم ملكا أم غيرهما إن انقادت فى قبال ولايتهم عليهم السّلام سلكت فى طريق السعاده و إلّا فلا محاله كانت مستنكفه و كافره بأنعم اللّه، و صارت إلى الشقاوه الأبديه. ثم إنه قد علمت أن الدليل قد يطلق على الإنسان المستدل به، فحينئذ إنهم عليهم السّلام أيضا الأدلاء على رضاه تعالى، و ذلك لأنهم بأنفسهم الحجه التى تستدل بها العقول على كل حق، فيستدل بهم على اللّه تعالى، بل و على أنفسهم كما يشير إليه

قوله علیه السّلام: «اعرفوا أولى الأمر بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر» فيستدل بهم على كونهم أتم مصداق لمراضى اللّه تعالى و على محبيهم، فإن علامات محبيهم و شيعتهم إنما عرفناها بهم عليهم السّلام إما ببيانهم و إما بتطابق أحوال شيعتهم بأحوالهم عليهم السّلام و يستدل بهم على جميع الفروع الخيريّه و الأوصاف الحميده، و الأفعال الحسنه و الاعتقادات الصحيحه. فما كانت منها فيهم فيعلم أنها فيها رضا اللّه و ما كانت منها فى غيرهم فإن طابقت مع ما كانت فيهم فيعلم أنها مما فيه رضا اللّه تعالى. و الحاصل: أن أولى الألباب يستدلون بهم و بشئونهم على كل خير مرغوب فيه و شرّ مرغوب عنه، فهل تجد فى نفسك احتمال أن يكون ما أخبروا به و اتصفوا به أو علموه مما ليس فيه رضا اللّه تعالى كما نحتمل ذلك عقلا لا مدفع عنه فى هذه

الأمور إذا كانت عن غيرهم؟ كلا، بل علمت مما تقدم أن ما كان فی غيرهم من الصواب فإنما هو إذا كان صادرا منهم و منتهيا إليهم، و السّرّ فی هذا (أی فی أن جميع اعتقاداتهم و أفعالهم و صفاتهم مرضيه للّه تعالی) هو أنه بعد ما كانوا عليهم السّلام فانين فی اللّه تعالی ليس لهم شیء من عند أنفسهم بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، و أنه لا فرق بينهم و بين خالقهم إلاّ أنهم عباده كما تقدمت الإشاره إليه، فلا محاله أن جميع ما يصدر منهم من تلك الأمور فإنما يصدر من اللّه تعالی. و إليه يشير ما تقدم من

قولهم عليهم السّلام «ولايتنا ولايه اللّه» . و إليه يشير أيضا قوله تعالی فی حق نبيه صلّی اللّه عليه و آله: وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ رَمیٰ فإنه كما أن حركه يد الرجل العاقل لا تصدر عن مقتضی جوارحه، و إنما تصدر عن مقتضی عقله، و إن كانت جوارحه مظهرا لها، فإن المحرك الحقيقی هو العقل لكن بواسطه اليد كما لا يخفی، فجميع شئونهم منه تعالی و صادره منه تعالی، بل من نظر بعين البصيره عرف أن حقيقه التوحيد المستفاده من لا إله إلاّ اللّه، و حقيقه النبوه و حقيقه الولايه المستفاده من محمد رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و علی و الأئمه عليهم السّلام حجج اللّه، و حقيقه الدين الذی هو عند اللّه الإسلام إنما يعرف و يستبان بهم عليهم السّلام لا بغيرهم بنحو الأتم الأكمل. إذا عرفت فاعلم: أنه تعالی لم يخلق شيئا جعله دليلا إلی رضاه أوضح من أئمتك عليهم السّلام و لا أصرح من ولايتهم، و لا أصح من مقالتهم، و لا أصدق من حالهم عليهم السّلام فهم عليهم السّلام الأدلاء إلی ما فيه رضاه فی جميع هذه الأمور بنحو لا شك فيه، و بنحو تطمئن به النفس، و تستغنی بهم عن جميع من سواهم. و إلی جميع ما ذكرنا يشير بعض الآيات و الأحاديث فنذكرها تيمنا و تبركا، ثم أنت استنبط المطالب منها فنقول: أما الآيات، فقوله تعالی: سَنُرِيهِمْ آيٰاتِنٰا فِی اَلْآفٰاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّٰی يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ .

ففی تفسير البرهان: أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه بإسناده عن أبی

عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث قال: یقول اللّه: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی اَلْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ «فأی آیه فی الآفاق غیرنا أراها اللّه أهل الآفاق؟» .

و فیه محمد بن العباس بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله عز و جل: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی اَلْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ أی أنه القائم (عج)» . و قوله تعالی: وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ (۱).

ففی تفسیر نور الثقلین عن أصول الکافی بإسناده قال: حدثنا داود الجصاص قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:

وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ قال: «النجم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و العلامات الأئمه علیهم السّلام» .

و فیه، عنه، عن أسباط بن سالم قال: سأل الهیثم أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ فقال: «رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله النجم و العلامات الأئمه علیهم السّلام» .

و مثله فیه، عنه عن الرضا علیه السّلام بعد ذکر الآیه قال: «نحن العلامات و النجم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» . و نظیره کثیر من الأحادیث فیه.

و فیه أیضا عن کتاب المناقب لابن شهرآشوب أبو المضا عن الرضا علیه السّلام قال النبی صلّی اللّه علیه و آله لعلی علیه السّلام: «أنت نجم بنی هاشم» .

و فیه و عنه قال علیه السّلام: «و أنت أحد العلامات» . أقول: العلامه هو الدلیل.

و فی حدیث الرضا علیه السّلام الطویل المتقدم بعضه فی وصف الإمام علیه السّلام: «الإمام الماء العذب علی الظماء، و الدال علی الهدی، و المنجی من الردی» و مما یدل علی أن مصدر کل خیر و عباده هم الأئمه علیهم السّلام روایات کثیره ذکرها فی البحار فی الباب الذی عقده لذلک فمنها:

۱- ۱) النحل:۱۶.

ما عن الشيخ أبى جعفر الطوسى رحمه اللّه بإسناده إلى الفضل بن شاذان، عن داود بن كثير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أنتم الصلوه فى كتاب اللّه عز و جل و أنتم الزكوه و أنتم الحج، فقال: «يا داود نحن الصلوه فى كتاب اللّه عز و جل، و نحن الزكوه و نحن الصيام، و نحن الحج و نحن الشهر الحرام و نحن البلد الحرام، و نحن كعبه اللّه و نحن قبله اللّه و نحن وجه اللّه، قال اللّه تعالى: فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ و نحن الآيات و نحن البينات. و عدونا فى كتاب اللّه عز و جل الفحشاء و المنكر و البغى، و الخمر و الميسر، و الأنصاب و الأزلام و الأصنام و الأوثان، و الجبت و الطاغوت، و الميته و الدم و لحم الخنزير. يا داود إن اللّه خلقنا فأكرم خلقنا و فضلنا، و جعلنا أمناءه و حفظته و خزّانه على ما فى السموات و ما فى الأرض، و جعل لنا أندادا و أضدادا و أعداء فسمانا فى كتابه و كنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء و أحبّها إليها، و سمّى أضدادنا و أعداءنا فى كتابه، و كنى عن أسمائهم، و ضرب لهم الأمثال فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه و إلى عباده المتقين» ، و مثله غيره.

و عن الكافى بإسناده إلى على بن جعفر عن أبى الحسن موسى عليه السّلام قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن اللّه خلقنا فأحسن خلقنا، و صورنا فأحسن صورنا، و جعلنا خزّانه فى سمائه و أرضه، و لنا نطقت الشجره، و بعبادتنا عبد اللّه تعالى، و لولانا ما عبد اللّه» . أقول: ما فى ذيل هذا الحديث ذكر فى كثير من الأحاديث كما لا يخفى، و هذه إشاره إلى حقيقه كونهم أدلاء على مرضاته تعالى كما لا يخفى، و فيما ذكر كفايه لإثبات ما ذكرنا كما لا يخفى، و الحمد للّه ربّ العالمين، و صلى اللّه على محمد و آله الطاهرين.

قوله علیه السّلام: و المستقرین فی أمر اللّه.

أقول: قال المجلسی: فی الأصل «المستوفرین» . أقول: المستوفر بمعنی المستعمل أی المسارع إلی القیام بأوامره تعالی من الواجبات و المندوبات، فالمستوفرون هم المسارعون فی ذلک و علی النسخه المشهوره «المستقرین» أی هم الثابتون علی أمر اللّه تعالی فی خدمه القیام بأمره و عبودیته، و الامتثال بما أمروا علیهم السّلام من العمل العبادی فیما بینهم و بین خالقهم، أو من العمل من تدبیر الصنع و أمر الخلق، و إیصال الفیوضات إلی مستحقیها و مواردها کما تقدم من أن هذا هو شأن ولایتهم التکوینیه المستفاد من

قوله علیه السّلام: «إراده الرب فی مقادیر أموره تهبط إلیکم و تصدر من بیوتکم» ، و صدورها من بیوتهم إلی الخلق، إنما هو من وظائفهم الثابته لهم بالولایه التکوینیه، أو من العمل التشریعی من أمر الخلق و دعائهم إلی اللّه کما تقدم، و إلی ما أمروا به من طاعتهم و نهیهم عن معاصی اللّه ببیان ما هو الطاعه لیعملوه، و ما هو المعصیه لیترکوه. و الحاصل: أنهم مستقرون فی أمر اللّه فیما أمروا به، أی لا ینتقلون عن أمره إلی أمر غیره، بحیث یکون الداعی لعملهم أمره تعالی مع غیره مشترکا، أو أمر غیره مستقلا، بل لا داعی لهم سوی أمره تعالی فلا ینفکون عن العلم بما أمروا آنا کما یومی إلیه: وَ لَهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ یَسْتَحْسِرُونَ. یُسَبِّحُونَ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لاٰ یَفْتُرُونَ (۱). فقوله: یُسَبِّحُونَ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ حال لمن الموصوله أو خبر بعد خبر، و قد تقدم

عن الصادق علیه السّلام: أن المراد من قوله تعالی: وَ مَنْ عِنْدَهُ هم الأئمه علیهم السّلام الذین لهم مقام العندیه، فدلت هذه الآیه علی أنهم علیهم السّلام لا یفترون عن عبادته و تسبیحه فی اللیل و النهار، و هو معنی الاستقرار فی أمر اللّه تعالی کما لا یخفی.

ص: ۴۱۶

۱- ۱) الأنبیاء:۱۹ و ۲۰.

و أیضا یشیر إلی هذا قوله تعالی: وَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَلرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ یَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضیٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَ مَنْ یَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّی إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِیهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِی اَلظّٰالِمِینَ (1).

ففی تفسیر نور الثقلین عن الاحتجاج للطبرسی رحمه اللّه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام حدیث طویل و فیه: «و ألزمهم الحجه بأن خاطبهم خطابا یدل علی انفراده و توحیده، و بأن لهم أولیاء تجری أفعالهم و أحكامهم مجری فعله فهم العباد المكرمون لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من حلّ محلّه أصفیاء اللّه الذین قال: فَأَیْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ الذین قرنهم اللّه بنفسه و برسوله، و فرض علی العباد من طاعتهم مثل الذی فرض علیهم منها لنفسه» . أقول: الظاهر (و اللّه العالم) أن قوله علیه السّلام: الذین قال: فَأَیْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ لبیان أن أفعالهم و أحكامهم إنما تجری مجری فعله تعالی، لأنهم وجه اللّه فی الوجود الذی أینما تولوا فثم وجه اللّه، فلهم تلك السعه و الإحاطه فی عالم الوجود، عاملون بأمره فی الكون فیما أمروا به مما تقدم ذكره.

و فیه: و روی الأصبغ بن نباته قال: كنا نمشی خلف علی علیه السّلام و معنا رجل من قریش فقال: یا أمیر المؤمنین قد قتلت الرجال، و أیتمت الأطفال، و فعلت ما فعلت، فالتفت إلیه علیه السّلام و قال: «إخسأ، فإذا هو كلب أسود فجعل یلوذ به و یبصبص، فرآه علیه السّلام فرحمه فحرّك شفتیه، فإذا هو رجل كما كان، فقال رجل من القوم: یا أمیر المؤمنین أنت تقدر علی مثل هذا و یناویك معاویه! ! فقال علیه السّلام: نحن عباد مكرمون لا نسبقه بالقول و نحن بأمره عاملون» .

1- 1) الأنبیاء:۲۶-۲۹.

و فیه: فی مصباح شیخ الطائفه قدّس سرّه فی خطبه مرویه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: «و إن اللّه اختص لنفسه بعد نبیه صلّی اللّه علیه و آله من بریته خاصه علاّهم بتعلیته، و سما بهم إلی رتبته، و جعلهم الدعاه بالحق إلیه، و الأدلاء بالإرشاد علیه لقرن قرن و زمن زمن، أنشأهم فی القدم قبل کلّ مذر و مبر، و أنوار أنطقها بتمجیده بتحمیده، و ألهمها شکره و تمجیده، و جعلها الحجج علی کل معترف له بملکه الربوبیه و سلطان العبودیه، و استنطق بها الخرسات بأنواع اللغات، بخوعا له بأنه فاطر الأرضین و السماوات، و أشهدهم خلقه، و ولاّهم ما شاء من أمره، جعلهم تراجمه مشیته، و ألسن إرادته عبیدا لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون، یعلم ما بین أیدیهم و ما خلفهم و لا یشفعون إلاّ لمن ارتضی و هم من خشیته مشفقون» .

و فی تفسیر البرهان (۱)، محمد بن العباس بإسناده عن أبی السفاح قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول:

وَ قٰالُوا اتَّخَذَ اَلرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ و أومی بیده إلی صدره و قال: لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ. یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ یَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ ارْتَضیٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ الآیه. أقول: المستفاد من هذه الآیات بعد قوله تعالی: عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ أنه تعالی بعد ما أکرمهم بخصائص و اصطفاهم لنفسه، بأن جعل أفعالهم و أحکامهم مجری فعله تعالی کما تقدم، فأخبر تعالی عن حقیقتهم و أعمالهم و أفعالهم القلبیه و الظاهریه فی الدنیا و الآخره فیعلم منها أمور: الأول: أنهم لا یسبقونه بالقول بل قوله تعالی مسبوق قولهم بل قولهم قوله تعالی

قال الحسین علیه السّلام: «أم کیف أترجم بمقالی و هو برز منک إلیک» . الثانی: أنهم عاملون بأمره فلا مؤثر و لا داعی فیهم علیهم السّلام سوی أمره سواء فسّر الأمر بالأمر التشریعی أو التکوینی، فهم عاملون بأمره تعالی التشریعی،

ص:۴۱۸

۱- ۱) البرهان ج ۳ ص ۵۷.

و بأمره تعالى التكوينى من إرادته و مشيته، و لذا

قالوا عليهم السّلام: «قلوبنا أوعيه لمشيه اللّه» و قال اللّه تعالى فى حقهم: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ . الثالث: أنهم عليهم السّلام فى جميع شئونهم و أعمالهم القلبيه و الظاهريه فى مرءى منه تعالى و منظره تعالى، و هم دائما تحت مراقبته تعالى و تربيته، و أنه تعالى هو المتولى لهم فقال تعالى: يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ . الرابع: أنهم عليهم السّلام لا يشفعون فى الدنيا و لا فى الآخره إلا لمن ارتضى اللّه دينه،

ففى التفسير المذكور عن التوحيد عن موسى بن جعفر عليه السّلام فى حديث طويل إلى أن قال: و أما قوله عز و جل: وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضىٰ فإنهم لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى اللّه دينه، و الدين الإقرار بالجزاء على الحسنات و السيئات» ، الحديث، فشفاعتهم أيضا مصداق لعملهم بأمر اللّه تعالى كما لا يخفى. الخامس: أنهم عليهم السّلام مع أنهم عاملون بأمره سرّا و علنا مشفقون من خشيته تعالى، و ذلك لمعرفتهم الوجدانيه بجلاله و جماله الواقعيين، فهم عليهم السّلام دائما مشاهدون لهما فلا محاله مشفقون من خشيته كما أثبتت ذلك حالاتهم العارضه لهم عند عبادتهم له تعالى، حيث إنهم علموا أنه لا قوام لهم إلاّ به تعالى،

ففى الدعاء:

«يا من كل شىء موجود به»

، فهم مشاهدون لهذا المعنى أى يشاهدون أنه لا قوام بولايتهم و سلطانهم على الخلق تشريعا و تكوينا إلاّ بأمره و إذنه تعالى، و هم فى قبضته تعالى لم يخرجوا من يده أبدا و كذلك كل شىء، فلا محاله هم مشفقون منه تعالى لمشاهده هذه السلطه الإلهيه و القيوميه الإلهيه للأشياء و لهم عليهم السّلام كما لا يخفى. السادس: أنهم عليهم السّلام فى قولهم و ادعائهم مقام الإمامه و الولايه على يقين و بصيره من ربّهم كما دلّ عليه قوله تعالى: قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اَللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِى و ليسوا فى ادعائهم تلك المقامات على ظن و احتمال، بل على يقين و شهود،

فهم عليهم السّلام يقولون: «نحن الحجه و الإمام على الخلق عن بصيره و يقين» .

ففيه، عن تفسير على بن إبراهيم قوله: و من يقل منهم: إنى إله من دونه فذلك تجزيه جهنم، قال: من زعم أنه إمام و ليس بإمام، و أما أئمتنا فهم يقولون: نحن أئمه، و هم أئمه على يقين منهم و نصّ من اللّه و رسوله، و يستفاد من هذه الآيه أن من ادعى الإمامه، و ليس هو بإمام فهو من الظالمين، قد ارتكب أعظم الظلم حيث ادعى ما ليس له، فلا محاله يجزيه اللّه تعالى جهنم. و يقال: هذه الآيه تعريضا و خطابا لجميع الخلق بالنسبه إليهم عليهم السّلام على أنهم عليهم السّلام مقرونون بالعبوديه و مستقرون فى أمر اللّه بنحو تقدم، و يرون أن هذا المقام منه تعالى و له لا لهم كما دلّ عليه

قوله عليه السّلام: «ولايتنا ولايه اللّه» ، و لا يدعون لأنفسهم فوق مقامهم من مقام الربوبيه، و إن كان قد تصدر منهم الأفعال الربوبيه و خوارق الأمور و المعجزات العجيبه، فإنهم مع ذلك لا يدعون فوق مقامهم من مقام الربوبيه، بل لو ادعوا ذلك فجزاؤهم قوله: فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ . و هذا التعبير تأكيد منه تعالى على رسوخهم عليهم السّلام فى العبوديه له تعالى، ليطمئن الخلق بأنهم عليهم السّلام راسخون فى مقام العبوديه، و السر فى ذلك ما تقدم من أنهم فانون عن النفس و باقون ببقاء اللّه، فليس فيهم غير آثار الربوبيه كما دلّ عليه

قوله عليه السّلام: «لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك» و قد تقدم بيانه، فإذا كانوا كذلك فلا داعى موجود فيهم سوى داعى اللّه تعالى، فهم حينئذ مستقرون فى أمر اللّه و لا يدعون غير مقامهم المحمود الذى أعطاهم اللّه تعالى. ثم إنه قد فسّر الآيه كما

فى تفسير على بن إبراهيم حيث قال عليه السّلام: «من زعم أنه إمام و ليس بإمام» ، فالكلام متوجه إلى غيرهم تعريضا لهم عليهم السّلام و هذا لا ينافى مع إرجاع الضمير إلى قوله: عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ بدعوى أنه كيف يمكن فى حقهم عليهم السّلام هذا القول مع أنهم عباد مكرمون؟ و الوجه فيه أنه تكون هذه الآيه نظير قوله

تعالی: لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ (۱)مع أنه لا یحتمل الإشراک فی حقّه صلّی اللّه علیه و آله و لیس هذا إلاّ أنه تعریض عنهم بنحو تقدم کما لا یخفی، فتأمل تعرف إن شاء اللّه.

[۱۱]قوله علیه السّلام: و التامّین فی محبه اللّه

اشاره

و الکلام فی شرحه یقع فی أمور:

الأمر الأول: [فی معنی الحب و التام لغه]

أقول: فی المجمع: الحب بضم الحاء المحبه، و بکسرها الحبیب و فیه: و أما محبه العبد للّه تعالی فحاله یجدها فی قلبه، یحصل منها التعظیم و إیثار رضاه و الاستیناس بذکره. أقول: و أما محبه اللّه للعبد، ففیه و عن بعض المحققین: محبه اللّه للعبد کشف الحجاب عن قلبه، و تمکینه من أن یطأ فی بساط قربه، فإن ما یوصف به سبحانه إنما یؤخذ باعتبار الغایات لا المبادئ و علامه حبّه للعبد توفیقه للتجافی عن دار الغرور، و الترقی إلی عالم النور، و الأنس باللّه و الوحشه ممن سواه، و صیروره جمیع الهموم هما واحدا، و فیه

و فی الحدیث: «إذا أحببت عبدی کنت سمعه الذی یسمع به» إلی آخر ما یأتی ذکره. ففیه أیضا: ذکر بعض الشارحین: أن هذا مبالغه فی القرب، و بیان لاستیلاء سلطان المحبه علی ظاهر العبد و باطنه و سرّه و علانیته، فالمراد: أنی إذا أحببت عبدی جذبته إلی محل الإنس، و صرفته إلی عالم القدس، فصیرت فکره مستغرقا فی أسرار الملکوت، و حواسّه مقصوره علی اجتذاب أنوار الجبروت، فثبت حینئذ فی مقام قدمه، و تمیز بالمحبه لحمه و دمه إلی أن تغیب عن نفسه و یذهل عن حسّه، حتی أکون بمنزله سمعه و بصره. . إلخ. و فیه: و أتممت الشیء أکملته. أقول: فالتام هو الذی لا ـ نقص فیه من جمیع الجهات من حیث أصله و لوازمه

۱- ۱) الزمر:۶۵.

و آثاره. و قيل: التام بمعنى الكامل لغه، و التام الذى ليس بزايد و لا ناقص، و الكامل الذى ليس بناقص، و قد يستعمل التام فيما ليس بناقص، و الكامل فى الزايد على التمام.

الأمر الثانى: فى معنى كونهم تامّين فى محبته تعالى.

و حاصله: أن النبى صلّى اللّه عليه و آله هو الذى حاز تماميه الكمال، كما هو المستفاد من قوله تعالى فى حقّه صلّى اللّه عليه و آله: . . . رَسُولَ اَللّهِ وَ خاتَمَ اَلنَّبِيِّينَ (۱)إذ الخاتميه تقتضى ذلک كما حقق فى محله، مضافا إلى قوله تعالى فى حقّه صلّى اللّه عليه و آله: إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (۲)و الأئمه عليهم السّلام حيث إنهم فروع له صلّى اللّه عليه و آله فى جميع شئونه صلّى اللّه عليه و آله فلا محاله هم التامون فى الكمال المنتقل إليهم عليهم السّلام منه صلّى اللّه عليه و آله فإن صفاتهم عليهم السّلام متحده كلّا و متفرعه من أصلهم النبى صلّى اللّه عليه و آله

لقول على عليه السّلام: «أولنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و أوسطنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و آخرنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و كلّنا محمد صلّى اللّه عليه و آله» . فهم عليهم السّلام تامون فى ذواتهم و فى صفاتهم، و فى أعمالهم و فى أفعالهم، و فى آثار أفعالهم، فهم عليهم السّلام كما ينبغى فيما ينبغى، و هذا الكمال التام الحاصل لهم عليهم السّلام لأجمعهم فإنما هو لأجل كونهم متصفين بكمال المحبه للّه تعالى، فهم مظاهر محبته تعالى و تامّون فيها، أى لا يكون منهم ما ليس فى المحبه و لا من المحبه ما ليس فيهم، بل هم المحبه كيف لا و المؤمن هو محل لمحبته تعالى؟ !

فعن أصول الكافى بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث. . إلى أن قال عليه السّلام: و ذلک قول اللّه عز و جل: إِنَّ اَللّهَ فالِقُ اَلْحَبِّ وَ اَلنَّوى فالحبّ طينه المؤمنين التى ألقى اللّه عليها محبته، و النوى طينه الكافرين الذين نأوا عن كل خير، و إنما سمى النوى من أجل أنه نأى عن كل خير و تباعد منه» .

۱- ۱) الأحزاب:۴۰.

۲- ۲) القلم:۴.

و فی تفسیر نور الثقلین عن تفسیر علی بن إبراهیم: و قوله: إِنَّ اَللّٰهَ فٰالِقُ اَلْحَبِّ وَ اَلنَّویٰ ، قال: «الحبّ ما أحبّه و النوی ما نوی عن الحق، و قال أیضا: فی قوله: إِنَّ اَللّٰهَ فٰالِقُ اَلْحَبِّ وَ اَلنَّویٰ قال: الحب أن یفلق العلم من الأئمه و النوی ما بعد عنه» ، الحدیث.

و فیه، عن تفسیر العیاشی، عن المفضل، قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قوله: فٰالِقُ اَلْحَبِّ وَ اَلنَّویٰ قال: «الحب المؤمن و ذلک قوله: وَ أَلْقَیْتُ عَلَیْکَ مَحَبَّهً مِنِّی و النوی الکافر الذی نأی عن الحق فلم یقبله» .

و ورد فی تفسیر قوله تعالی: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اَللّٰهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّهٍ عَلَی اَلْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّهٍ عَلَی اَلْکٰافِرِینَ (۱).

ففی تفسیر البرهان: قال الطبرسی: و روی ذلک عن عمار و حذیفه و ابن عباس، ثم قال: و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام قال: و روی عن علی علیه السّلام أنه قال یوم البصره: «و اللّه ما قوتل أهل هذه الآیه حتی الیوم، و تلا هذه الآیه» . أقول: قوله: و روی ذلک، إشاره إلی ما قیل من: أن المراد من الآیه هو أمیر المؤمنین علیه السّلام و أصحابه.

و فیه و من طریق المخالفین قال الثعلبی فی تفسیر الآیه فَسَوْفَ یَأْتِی اَللّٰهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ الآیه، قال: «نزلت فی علی علیه السّلام» . أقول: فعلم أن علیا و کذلک الأئمه علیهم السّلام بدلیل الاشتراک هم الذین یحبونه تعالی و کذلک المؤمن هو الحب لقوله تعالی: وَ أَلْقَیْتُ عَلَیْکَ مَحَبَّهً مِنِّی . فالاستشهاد منه علیه السّلام بهذه الآیه لبیان المصداق من أن المؤمن من ألقیت علیه المحبه منه تعالی فهم علیهم السّلام محل لمحبته تعالی، و هم تامون فی تلک المحبه أی لا یکون منهم ما لیس فی المحبه، بل أفعالهم و ذواتهم و صفاتهم و متصفه بالمحبه و من آثارها،

۱- ۱) المائده:۵۴.

و لیس للمحبه شیء من الواقع إلاّ و هو فیهم علیهم السّلام کما لا یخفی، و سیوضح ذلک إن شاء اللّه تعالی. و محبتهم علیهم السّلام متعلقه بذاته تعالی و بصفاته و بأفعاله فجمیعها محبوبه لهم، لأنهم کما سیأتی قد شاهدوا و أدرکوا جمالها و بهاءها فلا محاله أحبوها، و حیث إنهم علیهم السّلام مظاهر للمحبه بتمامها و شئونها فهم المحبون فی اللّه و للّه و هم المحبوبون فی اللّه و للّه، و حقیقه هذا الحب ذاتی لهم لیست إلاّ نور اللّه الأعظم، الذی ظهر فی قلوبهم و أفئدتهم علیهم السّلام خالصا مخلصا بحیث لا یوجد فیه (أی فی قلوبهم) غیر هذا النور من المحبه له تعالی. و بعباره أخری: أنهم علیهم السّلام بحقیقتهم النورانیه جبّلوا علی محبته تعالی بما لها من الحقیقه النفس الآمریه، فلا محاله جبل الخلق بأجمعهم من المحبین و المبغضین علی محبتهم علیهم السّلام فالکل یحبونهم. بیانه: أن الخلق بأنواعه و أقسامه بحیث لا یشذ منها شاذ مجبول و جار علی ما أحبّه اللّه تعالی من حیث المصلحه و الملاک کما دلّ علیه

قوله علیه السّلام فی الدعاء:

«لا یخالف شیء منها محبتک»

، و هذا لا ینافی قوله تعالی: وَ لاٰ یَرْضیٰ لِعِبٰادِهِ اَلْکُفْرَ (۱)المستفاد منه عدم رضاه تعالی بالکفر و الکافر بل و المعاصی کما لا یخفی، و ذلک أنه تدلّ الآیه علی عدم رضاه تعالی بالکفر و شئونه من حیث هو هو، فلا یکون هو بنفسه محبوبا له تعالی فی عرض محبوبیه الإیمان مثلا و هذا لا ینافی کونه محبوبا بلحاظ الجزاء، و بلحاظ کونه عقوبه للعبد المختار (بالکسر) الکفر و المعصیه علی الإیمان و الطاعه، فإن الإنسان لا یحب ضرب ابنه من حیث هو هو کما یحب إکرامه، و لکن یحب ضربه تأدیبا جزاء لمخالفته کما لا یخفی، فکذلک فی الآیه المبارکه فهو تعالی لا یحب الکفر و شئونه لعباده من حیث هو

۱- ۱) الزمر:۷.

هو، و لو فى حال معصيه العبد، و إن كان يحبه حينئذ بعنوان الجزاء كما لا يخفى، و كيف كان فالكلّ جار فى الوجود على حسب محبته تعالى ذاتا أو جزاء. و من المعلوم أيضا أن كلّ موجود مستفيض منه تعالى بواسطتهم حيث علمت أن لهم الولايه التكوينيه المتقدم شرحها. و من المعلوم أن كلّ أحد يحب المفيض عليه بالأصاله أو بالواسطه، نعم كثيرا ما يخطئون فى التطبيق، فيرون غيره تعالى أو غيرهم عليهم السّلام المفيض أو الواسطه فى الفيض، فهم بأجمعهم و لو أحبّوا الغير ظاهرا إلاّ أنه بالدقه قد أحبّوا اللّه تعالى و الأئمه عليهم السّلام فثبت أن الخلق يحبونهم سواء المحب و المبغض. و ببيان آخر: أنهم عليهم السّلام لما كانوا قد جبلوا على حبّه تعالى فلا محاله يحبّهم الخلق لحبهم اللّه، فإن الخلق لا محاله يحبون اللّه و يحبون من جبل على حبه، هذا مضافا إلى أن المحب يحبهم لكونه خلق من فاضل طينتهم كما تقدم، و أما المبغض فإنه يحبهم ذاتا لا يجد فيهم عليهم السّلام صفه يكرهها، و لا عيبا تنفّر منه الطباع، و لا ذنبا ينكره بعقله، بل المبغض لا يرى شيئا من أحوالهم و كمالاتهم و صفاتهم الحميده إلاّ و يميل إليه قلبه كما ترى ذلك من أحوال مخالفيهم. و مجمل القول: إن كلّ صفه جميله تحبها النفوس أو العقول فهى بجميع مراتبها كامله تامه لا توجد إلاّ فيهم عليهم السّلام فلا يراهم أحد كذلك إلاّ و يحبهم لما فيهم جميع ملاك المحبوبيّه، فلا يعارضهم أحد إلاّ بحسده و إن أبغضهم فبحسده أيضا، بل إن أعداءهم إنما أبغضوهم لما رأوا فيهم كل محبوب و مرغوب فيه و مطلوب إليه، لا يمكنهم الاتصاف بها، و أحبوها بحاق قلوبهم و بحكم عقلهم و أبغضوهم، لما لا يمكنهم الاشتمال عليها، و لما لا يمكنهم أن يحبوهم فى الظاهر أيضا مع ما يرون فيهم ما يحبون، و إلى هذا أشار

الصادق عليه السّلام فى قوله عليه السّلام ما معناه: «و اللّه إنهم لا يقدرون على أن يحبّونا و لو قدروا لأحبّونا» ، و كيف لا يكونون محبوبين للكل مع أنهم علماء حكماء فقهاء أتقياء كرماء أبرار مقربون زهّاد عبّاد شجعان رحماء أعزاء للّه على

الکافرین أذله علی المؤمنین. فتحصل: أنهم علیهم السّلام لما جبلوا علی محبته تعالی، فلا محاله هم تامّون فی محبته تعالی، أی لا یعملون إلاّ بمحبه اللّه، فهم علیهم السّلام متقلبون بذواتهم و أکوانهم، و أعمالهم و أقوالهم، و أحوالهم و ضمائرهم و ظواهرهم، و فی أوامرهم و نواهیهم و دعائهم الخلق فی محبه اللّه، لا یخرجون عنها أبدا، و هذا کمال الإخلاص فی العبودیه و العباده، و هم بهذه الجهات حقیقه قوله تعالی، و واقع قوله تعالی، و الموصوف بقوله تعالی: وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ حُنَفٰاءَ وَ يُقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا اَلزَّكٰاةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ اَلْقَيِّمَةِ (۱)و هو دینهم علیهم السّلام و ولایتهم، و هو حقیقه محبتهم له تعالی، و هو الإیمان، و هو الإسلام الخاص الذی هو الإسلام عند اللّه و هم علیهم السّلام بهذه الأمور کانوا تامّین فی محبته تعالی. و مما ذکر علم: أنهم علیهم السّلام عله الإیجاد عله فاعلیه و مادیه و صوریه و غائیه. بیانه: أنه تعالی إنما خلق الخلق، لکی یعرف

کما دلّ علیه الحدیث القدسی المشهور من قوله تعالی: «کنت کنزا مخفیا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لکی أعرف» ، فالمعرفه هی العله للخلق و کما دلّ علیه قوله تعالی: وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ (۲)

و عن الحسین علیه السّلام کما تقدم: «أیها الناس إنّ اللّه ما خلق الخلق إلاّ لیعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، و إذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عباده غیره، قیل: یا بن رسول اللّه ما معرفه اللّه؟ قال: معرفه أهل کلّ زمان إمامهم الذی تجب علیهم طاعته» ، الحدیث. فعلم منه: أن الغایه للخلق هو المعرفه التی تترتب علیها العباده، التی ینبغی أن یعبد اللّه تعالی بها، فالغایه هو المعرفه و العباده عن معرفه، و هذه المعرفه بصریح

قوله علیه السّلام لیست إلاّ معرفه الإمام علیه السّلام و ذلک کما تقدم لیس إلاّ لأجل أنهم علیهم السّلام محال

۱- ۱) البینه:۵.

۲- ۲) الذاریات:۵۶.

المعارف الإلهيه، بل هم نفسها كما علمت، فيعلم من المجموع أنهم عليهم السّلام متعلق الحب الإلهى و مظاهره، لما هم عين معارفه حيث إنهم عليهم السّلام عين أسمائه الحسنى التى عرف اللّه تعالى بها، فهم عليهم السّلام المحبوبون له تعالى و مظاهر الحب له تعالى، و معنى أنهم مظاهر حبّه أن المحبه التى هى العله الذاتيه للخلق، فإن المعرفه و إن كانت هى العله إلاّ أنها بما هى محبوبه له تعالى تكون عله و إلاّ فلا كما لا يخفى. و كيف كان إن المحبه بحقيقتها هى العله للخلق و لا ريب فى أن وجود أى موجود يقوم بالعله الفاعليه و الماديه و الصوريه و الغائيه كما حقق فى محلّه، فمعنى كون المحبه عله للخلق بأقسامها أن العله الفاعليه ليست إلاّ مظهرا للمحبه و هكذا البقيه. و حينئذ نقول: فهم عليهم السّلام بما هم حقيقه المحبه له تعالى، و مظهرها العله الفاعليه للخلق، بمعنى أن كل موجود وجدت بالمشيه و المشيه ظرفها قلوبهم عليهم السّلام و هى شأن من شئون المحبه، فالمحبه الإلهيه اقتضت المشيه القائمه بنفوسهم عليهم السّلام. فالمشيه و إن كانت عله فاعليه بمظاهرها إلاّ أنها بالدقه تكون شأنا للمحبه، فالمحبه هى العله الفاعليه فى الحقيقه، و هى ليست إلاّ قلوبهم المطهّره فهم عليهم السّلام العله الفاعليه للخلق، غايه الأمر بإذن اللّه تعالى حيث إنهم عليهم السّلام بجميع شئونهم لا يفعلون إلاّ ما يشاء اللّه، و ما أمرهم اللّه تعالى فى الأفعال الجزئى و الكلى كما لا يخفى، و أيضا هم عليهم السّلام العله الماديه، أما بالنسبه إلى أرواح الشيعه فقد علمت أنها خلقت من فاضل طينتهم النورانيه المتقدم شرحها، و أما بالنسبه إلى أبدانهم و كذلک بالنسبه إلى ساير المخلوقين بل و ساير الموجودين فى الكون، فلأجل أن جميع الموجودات خلقت من أنوار وجودهم حيث إنهم الأسماء الحسنى له تعالى. و من المعلوم أن كل موجود موجود بالاسم الإلهى و بحصّه منه كل بحسب ما يخصّه حدّا و شروطا كما يومى إليه

قوله عليه السّلام: «و بأسمائک التى ملأت أركان كل شىء» و إليه تشير الأحاديث الوارده فى خلقتهم النورانيه، و أن كل موجود مخلوق

ص: ۴۲۷

منهم كما تقدم بعضها، فماده الأشياء و الخلق موجوده منهم عليهم السّلام بهذا المعنى. و أيضا هم عليهم السّلام العله الصوريه، لأن كلّ موجود محدود و مصور بحدود و صور، كما اقتضته الحكمه الإلهيه و تعلّقت به الإراده الربانيه. و من المعلوم أنهم عليهم السّلام محل الحكم الإلهى، و قلوبهم مهبط الإراده الربانيه، كما يشير إليه فى الصحيح من الزياره الوارده

عن الصادق عليه السّلام للحسين عليه السّلام من قوله عليه السّلام: «إراده الرب فى مقادير أموره تهبط إليكم و تصدر من بيوتكم» ، و تقدم أيضا بيانه. فهم عليهم السّلام العله الماديه و الصوريه للخلق بنحو اقتضته المحبه الإلهيه التى هم مظاهرها. و أيضا هم عليهم السّلام العله الغائيه للخلق، و هذا أمر ظاهر لا ينكره أحد، كما دلت عليه الأحاديث القدسيه

من قوله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك» ، إلاّ أن الكلام فى معنى ذلك فنقول: إنّ له معنيين: الأول: أن جميع الموجودات من الفلك و الملك و الإنس و الجن و ساير الموجودات إنما خلقت لأجلهم أى لأجل تنعّمهم عليهم السّلام و تلذذهم و تعبّدهم و تكاملهم، فالكلّ خلقوا لأجلهم أى مقدمه لنيلهم عليهم السّلام مقاصدهم العاليه بالنحو الأتم و بالوجه الأيسر، فالكلّ يعطى فائدته إليهم و يستفيدون منه فى بلوغ مطالبهم و نيل مقاصدهم، و لهذا شواهد كثيره فى الأخبار كما لا يخفى، مضافا إلى ما تقتضيه قاعده إمكان الإشراف كما حقق فى محله. الثانى: أنه تعالى ما خلق الخلق إلاّ لمعرفته و لإظهار قدرته و عظمته، و من المعلوم أن كل موجود محل لمعرفته تعالى و مظهر لقدرته و عظمته، إلا أنه ليس فى الوجود موجود يكون مظهرا لمعرفته تعالى و لقدرته و لعظمته مثل ما يكون لمحمد و آله الطاهرين، و لذا

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «ما للّه آيه أعظم منى» .

فعلم: أن الغایه القصوی للخلق التی هی المعرفه الکامله التامه، لیست إلاّ ظاهره فی ذواتهم المقدسه بالنحو الأتم الأکمل فهم علیهم السّلام العله الغائیه للخلق أی أن المقصود الغائی له تعالی فی الخلق لا یکون إلاّ فیهم علیهم السّلام کما لا یخفی. و لعمری إن هذا ظاهر لمن تتبع الآثار الوارده عنهم بنحو أبین من الشمس، و حیث إنهم کذلک فهم علیهم السّلام «التامین» فی محبته تعالی. ثم إنه لا بد من أن یعلم أن محبوبهم علیهم السّلام هو الذات المقدسه لذاته، المستجمعه لملاکات المحبوبیه و أسمائه تعالی، لحسنها و أفعاله تعالی لکمالها: و ذلک لما تقدم من أن ملاک المحبوبیه بأجمعها مستجمعه فیه تعالی ذاتا و صفه و فعلا، و أنه تعالی أجمل من کل جمیل ذاتا و صفه و فعلا، و الوجه فیه: أن النقص فی حقه تعالی غیر متصوّر لا من حیث الجمال، و لا من حیث الجلال، و لا من حیث أی أمر مرغوب فیه، فهو تعالی بذاته و صفاته و أفعاله مستغرق فی کمال العزّ و الجمال و الجلال بنحو لا نهایه له و لا انقطاع، و الآیات و الأحادیث و الأدعیه و بیانات الأکابر من أهل المعرفه مشحونه فی بیان ما قلنا، فلا بد من المراجعه إلیه، و بیانه مفصّلا موکول إلی محله. ثم إنهم علیهم السّلام لما کانوا فی مقام المشاهده لهذا الجمال و الجلال الإلهی، و لتلک الصفات الحسنه و الأفعال الکامله بنحو لا یکون أحد فی مستواهم، و لا أحد أقرب إلیه تعالی منهم، فلا محاله هم علیهم السّلام مبتهجون به تعالی لتلک المشاهده، و تامّون فی محبته بنحو لا یتصور فوقه محبه، و سیجیء قریبا فی الأمر الآتی مزید بیان و توضیح لهذه الأمور إن شاء اللّه تعالی.

الأمر الثالث:

اعلم أن الحب عباره عن المیل إلی الشیء الملذّ، و کلما کان الملذّ أقوی فی اللذاذه کان المیل أقوی إلی أن یصل حدّ الإفراط فیسمّی عشقا، لذا قیل: إن الإفراط فی کلّ شیء مذموم إلاّ فی الحبّ، و هذا المیل إنما یحصل بعد المعرفه بذلک الشیء الملذ الجمیل، و هذه المعرفه إما بالحواس الظاهره أو بالعقل، و کلما کان الدرک و المعرفه أقوی کان الحب أقوی و البصیره الباطنه أقوی من البصر

ص: ۴۲۹

الظـاهرى، لأن القلب أشـدّ إدراكا من العين كما لا يخفى، و لـذا كانت المعانى الجميله المـدركه بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهره، فلا محاله تكون لذه القلوب بما تدركه من الأمور الشريفه الجميله الإلهيه التى تجلّ عن أن تدركها الحواس أتم و أبلغ. و لـذا نرى أن الطباع السليمه و العقول الصحيحه أكثر ميلا ـ إلى مـدركات العقـل من مـدركات العين، و عليه فحب الجمـال و الحسن، المعنويين و الظاهريين مطلوب لكل عاقل بصير مدرك لذلك الجمال و الحسن لما يدرك منهما اللذه الروحيه، و اللذه بنفسـها محبوبه لنفسـها لا لغيرها، بل كل شىء إنما يكون محبوبا لما يرى فيه من الجمال فهو مطلوب بالغير، بخلاف الجمال فإنه محبوب بنفسه و إن لم يستفد منه قضاء وطر كالخضره و الماء الجارى فهما محبوبان لا للشرب أو الأكل بل لأنفسهما، فلا وجه لمـا قيـل من أن الجمـال محبوب لأجـل قضاء الشـهوه فإن هـذا (أى قضاء الشـهوه) مطلوب آخر. و بعباره أخرى: إن قضاء الوطر مطلوب لنيل لذه الجمال، لا أن محبوبيه الجمال لأجل نيل قضاء الوطر، و لذا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تعجبه الخضره و المـاء الجـارى و ذلك لاستلذاذ النظر إليهما، بحيث ربما تنفرج عن الناظر الغموم و الهموم فيحبهما الإنسان لا لطلب وراء حظ النظر و لذا قيل: ثلاثه يذهبن عن قلبى الحزن الماء و الخضراء و الوجه الحسن

و روى: «عليكم بـالوجوه الحسـان» فإن هـذه الأمور مطلوبه بنفسـها لا لشـىء آخر مثل قضاء الوطر مثلا. إذا علمت هـذا فاعلم أن أجـل اللـذات و أعلاهـا معرفه اللّه تعالى، و النظر إلى وجهه الكريم، فمن شاهـد جمال وجهه و جلال عظمته و أدركهما بعقله و شاهدهما ببصيرته القلبيه لا تكاد تؤثر عليه لذه أخرى إلّا من حرم هذه اللذه. فإذا لا ينكر

حبّ اللّه إلاّ من قعد به القصور فى درجه البهائم، فلم يجاوز إدراكه الحواس، و دعوى أن المحبه لا تكون إلاّ مع الجنس و المثل، و حيث إن الخلق لا يجانس الخالق و لا يماثله فلا محاله لا يحبه و إنما حبّه له عباره عن المواظبه على طاعه اللّه عز و جل فدعوى باطله، و لعل قائلها توهم أن محبه اللّه كمحبه أهل الشهوه لمماثلهم فى قضاء الوطر جهلا عن أن هذا فى الجمال المدرك بالحواس كما تقدم. و أما الجمال المدرك بالعقل خصوصا مع المعرفه القويّه فهو جمال ملذّ لا يقاس به غيره إلاّ من قعد به القصور فى درجه الحيوانات و اللذات النفسانيه، فإذا لا لذه أشد من معرفته تعالى، و إدراك جماله و جلاله بل نقول: إن المحبه له تعالى هى الغايه القصوى من المقامات المندوبه إليها، و الذروه العلياء من الدرجات فما بعدها مقام إلاّ و هو ثمره من ثمراتها كالشوق و الأنس، و لا قبلها مقام إلاّ و هو مقدمه من مقدماتها كالصبر و الزهد و ساير المقامات. نعم: قلّ من العقول ما وصل إليها إلاّ أنه مع ذلک لا تخلو القلوب عن الإيمان بإمكانها، بل و عن الوجدان بأصلها و حقيقتها المبهمه فى القلب كيف و كل قلب جبل على حبّ منعمه كما حقق فى محلّه. و لعمرى إن من أنكر حبّ اللّه فلا محاله ينكر الإنس به تعالى و الشوق إليه تعالى، و لذه المناجاه معه تعالى و هذا الجاهل بعيد عن حقيقه العباده و العبوديه، محروم عن الألطاف الربوبيه فى الدنيا و الآخره، و محروم عن لذه العباده له تعالى كما لا يخفى، مع أن الأحاديث متكاثره على أن أولياء اللّه يأنسون به تعالى، و يلتذون بعبادته، و يشتاقون إليه تعالى. و كيف يمكن إنكار ذلک مع أن الأحاديث و الآيات أثبت إمكان محبته تعالى بل وقوعه بما لها من الآثار. أما الآيات: قوله عز و جل: يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ و قوله تعالى: اَلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ و قوله تعالى: قُلْ إِنْ كٰانَ آبٰاؤُكُمْ وَ أَبْنٰاؤُكُمْ وَ إِخْوٰانُكُمْ إلى قوله:

أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اَللّهِ وَ رَسُولِهِ

(۱)

، و هكذا غيرها. و أما الأحاديث: فكثيره جدّا نذكر بعضها فمنها: ما

عنه صلّى اللّه عليه و آله: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون اللّه و رسوله أحبّ إليه مما سواهما» ،

و قال صلّى اللّه عليه و آله فى دعائه:

«اللهم أرزقنى حبّك و حبّ من يحبّك، و حبّ ما يقربنى إلى حبّك، و اجعل حبّك أحبّ إلىّ من الماء البارد»

.

و فى الخبر المشهور: أن إبراهيم عليه السّلام قال لملك الموت إذ جاء لقبض روحه: «هل رأيت خليلا يميت خليله؟ فأوحى اللّه إليه: هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه؟ فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض» .

و فى مناجاه موسى: «يا بن عمران كذب من زعم أنه يحبنى، فإذا جنّه الليل نام عنى، أ ليس كلّ محبّ يحب خلوه حبيبه؟ أنا ذا يا بن عمران مطّلع على أحبائى، إذا جنّهم الليل حولت أبصارهم إلىّ من قلوبهم، و مثلت عقوبتى بين أعينهم، يخاطبوننى عن المشاهده، و يكلموننى عن الحضور، يا بن عمران هب لى من قلبك الخشوع، و من بدنك الخضوع، و من عينك الدموع فى ظلم الليل فإنك تجدنى قريبا» .

و روى: أن عيسى عليه السّلام مرّ بثلاثه نفر قد نحلت أبدانهم، و تغيّرت ألوانهم، فقال لهم: «ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار. فقال: حقّ على اللّه أن يؤمن الخائف، ثم جاوزهم إلى ثلاثه أخرى، فإذا هم أشدّ نحولا و تغيّرا فقال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنه. قال: حقّ على اللّه أن يعطيكم ما ترجون، ثم جاوزهم إلى ثلاثه أخرى فإذا هم

۱- ۱) التوبه:۲۴.

أشدّ نحولا و تغيرا، كان على وجوههم المرايا من النور فقال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: حبّ اللّه عز و جل. فقال: أنتم المقربون أنتم المقربون» .

و عن علل الشرايع، عن نبينا صلّى اللّه عليه و آله: «إن شعيبا عليه السّلام بكى من حبّ اللّه عز و جل حتى عمى، فردّ اللّه عليه بصره، ثم بكى حتى عمى، فردّ اللّه عليه بصره، ثم بكى حتى عمى، فردّ اللّه عليه بصره، فلما كانت الرابعه أوحى اللّه إليه: يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منك؟ إن يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك، و إن يكن شوقا إلى الجنه فقد أبحتك، فقال: إلهى و سيدى أنت تعلم أنى ما بكيت خوفا من نارك، و لا شوقا إلى جنتك، و لكن عقد حبّك على قلبى فلست أصبر أو أراك، فأوحى اللّه جلّ جلاله: أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمى موسى بن عمران عليه السّلام» .

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى دعاء كميل:

«فهبنى يا إلهى و سيدى و مولاى و ربّى صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك» .

و عن الحسين عليه السّلام فى دعاء عرفه:

«أنت الذى أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك و لم يلجأوا إلى غيرك ، و قال: يا من أذاق أحباءه حلاوه المؤانسه فقاموا بين يديه متملقين» .

و فى المناجاه الانجيليه المنسوبه إلى السجاد عليه السّلام:

«و عزّتك لقد أحببتك محبه استقرت فى قلبى حلاوتها و آنست ببشارتها، و محال فى عدل أقضيتك أن يسدّ أسباب رحمتك عن معتقدى محبتك» .

و فى المناجاه الثانيه عشره للسجاد عليه السّلام : «الهى فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك فى حدائق صدورهم، و أخذت لوعه محبتك بمجامع قلوبهم» ، الدعاء.

و فی کثیر من تلک المناجاه ما یقرب من هذه المضامین فراجعها. و الأحادیث و الأدعیه أکثر من أن تحصی و قد دلّت علی أن أولیاء اللّه متصفین بمحبه اللّه، و قد بینوا آثارها فی أدعیتهم و مناجاتهم، فثبت أن محبه اللّه تعالی أمر ثابت مسلم، و کم فرق بین من أنکر تعلق المحبه باللّه تعالی بدعوی واهیه کما تقدم و بین من قال: إنها أی المحبه مختصه للّه تعالی، و لا ترجع إلی النفس، لأن النفس بل جمیع الصفات لا تلحظ فی هذه المحبه، و إنما تلحظ الذات البحث المقدسه له تعالی، و ذلک لأن حبّ اللّه الذی هو نار لا تمر بشیء إلاّ أحرقته. کما عن مصباح الشریعه عن الصادق علیه السّلام یجعل المحب له تعالی مجردا عن جمیع السبحات، و سایر أنواع الجمال حتی عن التجرید، فحینئذ لا یجد المحب نفسه لترجع المحبه إلیها (أی إلی نفسه) بل هو فان عنها بالمحبه له تعالی کما حقق فی محلّه. ثم إن کون المحبه للّه هل هی تتعلق بالذات أو بالصفات؟ ربما یقال بالثانی بدعوی أن الذات البحث لا یمکن الوصول إلیها بجهه من الجهات إلاّ من نحو ما وصف به نفسه، و أمر به من تکلیفه، ففی الحقیقه محبه الذات راجعه إلی محبه الصفات، و لا ینافی هذا ما قیل من: أن المحبه إنما ترجع إلی النفس فلا بد من رجوعها إلی الذات، لأن هذه الکلیه بالنسبه إلی غیره تعالی، و أما بالنسبه إلیه تعالی فلمکان عدم إمکان الوصول إلی الذات، فلا محاله ترجع المحبه إلی ما ظهر منه تعالی من الصفات. و لکن فیه أنه و إن لم یمکن الوصول إلی الذات، و إلی معرفتها بالکنه، إلاّ أنه بعد ما عرّف اللّه تعالی نفسه بالصفات، فالروح الإنسانی بمعونه عقله یحب الذات بما تقع علیه هذه الصفات، و هذا لا یستلزم معرفه الکنه حتی یقال باستحالته لاستحالتها، هذا مع أن الظاهر من الآیات و الأحادیث و الأدعیه هو محبه الذات، حیث إن المخاطب المحبوب فیها هو من نحو

قوله: لقد أحببتک ،

و قوله: عقد حبّک علی قلبی،

و قوله : من زعم أنه یحبنی، و هذا ظاهر فی کون المحبوب هو ذاته المقدسه

ص :۴۳۴

على مـا هى عليهـا، و إن كانت معروفه من طريق الصـفات التى عرّف نفسه بها كما لا يخفى. و يـدل على هـذا ما يجـده المتعبد المحب، فـإنه إذا توجّه الـداعى العارف إلى الـذات تراه و قـد تغيّب عن نفسه و وجـدانه صار فانيا فيه تعالى، كأنه لا يـدرك إلاّ محبوبه، فلا توجه له بالصـفات و إن كان توجهه إليه تعالى من طريق الصـفات، فإن الذى ينظر فى المرآه يرى صوره و لا نظر له إلى المرآه كما لا يخفى، فالصفات كالمرآه للتوجه إليه تعالى و لو بوجه ما كما لا يخفى. و إليه يشير قوله: حين تغيّبت بدا حين بدا غيّبنى فيعلم من هذا: أن المحبه متعلقه بالذات من طريق الصـفات التى عرّف بها نفسه، و هنا كلام لا بأس بالإشاره إليه و هو: أنه وقع الكلام بين الأعلام فى أنه هـل يصـح اتصاف المحب فى شـده حبّه بـالعشق، فيكون عاشـقا له تعـالى أم لا، بل العشـق مختص بالمعاشـقه النفسانيه الحيوانيه؟ فنقول: قال فى المجمع: فى الحديث ذكر العشق و هو تجاوز الحدّ فى المحبه. يقال: عشـق عشـقا من بـاب تعب، و الاـسم العشق (بالكسر) . إلى أن قـال: و عن الغزالى: معنى كون الشـىء محبوبا، هو ميل النفس إليه فإن قوى سـمّى عشـقا، و عن جالينوس الحكيم: العشق من فعل النفس، و هى كامنه فى الـدماغ و القلب و الكبـد، و فى الدماغ ثلاث مسـاكن: التخيـل فى مقـدمه، و الفكر فى وسـطه، و الـذكر فى آخره، فلا يكون أحـد عاشـقا حتى إذا فارق معشوقه، لم يخل من تخيّله و فكره و ذكره، فيمتنع من الطعـام و الشـراب باشـتغال قلبه و كبـده، و من النوم باشـتغال الـدماغ بالتخيل و الـذكر و الفكر للمعشوق، فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به، و متى لم يكن كذلك لم يكن عاشقا. فإن ألهى العاشق خلت هذه

المساكن و رجع إلى الاعتدال، انتهى. أقول: قوله فى الحديث إشاره إلى

ما رواه فى الكافى بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أفضل الناس من عشق العباده فعانقها و أحبّها بقلبه، و باشرها بجسده و تفرغ لها، فهو لا يبالى على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر» . قال المجلسى رحمه اللّه فى مرآه العقول: و عشق من باب تعب، و الاسم العشق و هو الإفراط فى المحبه، أى أحبّها حبّا مفرطا من حيث كونه وسيله إلى القرب، الذى هو المطلوب الحقيقى، و ربما يتوهم أن العشق مخصوص بمحبه الأمور الباطله، فلا يستعمل فى حبّه سبحانه و ما يتعلق به، و هذا يدل على خلافه و إن كان الأحوط عدم إطلاق الأسماء المشتقه منه على اللّه تعالى، بل الفعل المشتق منه أيضا بناء على التوقيف. قيل: ذكرت الحكماء فى كتبهم الطبّيه: أن العشق ضرب من الماليخوليا و الجنون و الأمراض السوداويه، و قرروا فى كتبهم الإلهيه أنه من أعظم الكمالات و السعادات، و ربما يظن أن بين الكلامين تخالفا، و هو من واهى الظنون، فإن المذموم هو العشق الجسمانى الحيوانى الشهوانى، و الممدوح هو الروحانى الإنسانى النفسانى، و الأول يزول و يفنى بمجرد الوصال و الاتصال، و الثانى يبقى و يستمر أبد الآباد و على كلّ حال. و لنعم ما قاله المجلسى من: أن المذموم من العشق هو الجسمانى دون الروحانى منه فإنه ممدوح. أقول: إن من كانت سريرته طاهره من الصفات الرذيله، و كانت متصفه بالصفات الحميده، و من كمل عقله و صفا ذهنه، و لطف حسّه و صح تمييزه يرى بنور الباطن فرقا بين العشق المجازى أى المتعلق بالماديات و خصوصا بالصور الحسان الجميله، و بين العشق الحقيقى المتعلق بالمعنويات خصوصا باللّه تعالى،

و ذلك لأن العشق المجازى من آثار النفس أى الحقيقه الإنسانيه المتعلقه بعالم الماديات و المنصرفه عن المعنويات و عنه تعالى فلذته لذه نفسانيه. و العشق النفسانى إذا لم يصل صاحبه إلى المعشوق يكون أثره فى النفس، بحيث يوجد فيها حراره توجب تشويشا و اضطرابا فى النفس فهو مرض لها، و يسمى هذا المرض بالماليخوليا كما علمت، و أثره بقاء النفس و تقويتها و هيجانها إلى أن تصل إلى المعشوق، و ليس فيه (أى هذا الهيجان) تحصيل رضا غيره، بل لا يرى و لا يريد إلّا الوصول إلى المعشوق، لتسكين النفس و إرضاء نفسه، و هذا بخلاف العشق الحقيقى المتعلق به تعالى فإن أثره ليس إلاّ إفناء نفسه، و ليس فى قلب صاحبه اضطرابا و حراره لأجل الوصول إلى ما يحبه لنفسه كما كان فى العشق المجازى. بل لو وجد فيه حراره و هيجان فإنما هى للوصول إلى محبوبه بإفناء نفسه، فكم فرق بين الميل و العشق إلى شىء للوصول إلى تحصيل رضا نفسه و بقائها، و بين الميل و العشق إلى شىء للوصول إلى المحبوب بإفناء نفسه. و بعباره أخرى: أن فى العشق المجازى حبّ النفس، و ما يرجع إليها فى ظرف بقاء النفس، و فى الحقيقى حبّ المعشوق و ما يرجع إليه فى ظرف إفناء النفس، فتأمل تعرف حقيقه الأمر إن شاء اللّه. و الذى ينبغى أن يقال: إن تفسير الألفاظ لا بد من أن يكون بدون النظر إلى المصاديق، فإن بيان المعانى أمر و التطبيق على المصاديق أمر آخر ربما يخطأ العوام فى التطبيق بل و الخواص فنقول: الجامع بين الحب و العشق هو الميل فالحبّ هو الميل بدون الإفراط كما علمت، فإذا وصل حدّ الإفراط صار عشقا. ثم إن المحبه و العشق من حيث هما مفهومان لا يوصفان بمدح و لا ذمّ، و ليستا كصفتى العدل و الظلم حيث إنهما بنفسهما متصفان بالمدح و الذم، بل إنما يوصفان بهما باعتبار المتعلق، فإن كان ممدوحا كان الحبّ و العشق ممدوحا، و إن كان مذموما كانا مذمومين.

فحینئذ نقول: إن کان المراد من العشق هو المیل المفرط، فما الذی یشینه إذا تعلق به تعالی؟ و حینئذ فهل المراد منه إلاّ ما هو المراد من قوله تعالی: وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ ،

و من قوله علیه السّلام: «و اجعل قلبی بحبک متیما» ، أی مذلّلا، و من

قوله صلّی اللّه علیه و آله: «فعانقها و أحبها بقلبه» ، فإن المعانقه القلبیه هو الإفراط فی المحبه؟ . و ما ذکره جالینوس فی معنی العشق لا إشکال فیه، و إن انطبق علی المحبه المفرطه المتعلقه به تعالی، فإن العشق الذی هو من فعل النفس بما له من الآثار من الامتناع عن الطعام و الشراب و النوم، و من مداومه تخیل المحبوب و ذکره و فکره إذا تعلق به تعالی لا نری فیه مانعا، بل نری کثیرا من الأخبار قد حثّت علیه

بقوله صلّی اللّه علیه و آله فی الحدیث السابق: «فعانقها و أحبها بقلبه» أی کان دائما متوجها إلیها قلبا و باشرها بجسده (أی عمل بها) و صرف أوقاته فیها و تفرغ لها فهو لا یبالی. . إلخ، أی أعرض عن غیرها، بل صرف همّه و جمیع شئونه فیها و لم یبال بغیرها، و هذه الأوصاف من لوازم تخیّل المحبوب و صرف الذکر و الفکر.

فیه و فی مصباح الشریعه: قال الصادق علیه السّلام: «المشتاق لا یشتهی طعاما، و لا یلتذ شرابا، و لا یستطیب رقادا، و لا یأنس حمیما، و لا یأوی دارا، و لا یسکن عمرانا، و لا یلبس لینا، و لا یقرّ قرارا، و یعبد اللّه لیلا و نهارا راجیا بأن یصل إلی ما یشتاق إلیه، و یناجیه بلسان شوقه معبرا عما فی سریرته

کما أخبر اللّه تعالی عن موسی بن عمران فی میعاد ربّه بقوله: و عجلت إلیک ربّ لترضی، و فسّر النبی صلّی اللّه علیه و آله عن حاله: أنه ما أکل و لا شرب و لا نام و لا اشتهی شیئا من ذلک فی ذهابه و مجیئه أربعین یوما شوقا إلی ربّه» ، الحدیث. فانظر إلی هذه الجمل و تدبّر فی معانیها و تبصّر، تجد أن المشتاق الذی هو عنوان ملازم للعاشق کیف یکون حاله مع محبوبه الحقیقی جلّ و علا. و أما ما ذکره المجلسی رحمه اللّه عن الحکماء فی کتبهم الطبیه من: أن العشق ضرب من المالیخولیا و الجنون و الأمراض السوداویه، فلا یراد منه مطلق العشق، بل

المراد بمناسبه الموضوعات الطبيه هو العشق المتعلق بالشهوات النفسانيه و المعشوقات الماديه، و إنما كان بين الماليخوليا و الجنون و الأمراض السوداويه باعتبار انطباقه على المعشوقات الماديه، و اختياره فى مقام المحبه و العشق دون الحق و المحبوب الحقيقى، فإن هذا الاختيار السوء و التطبيق النفسانى إنما هو من الماليخوليا و الجنون و نحوهما. فإن الروح إذا مرضت بالأمراض السوداويه المحركه للشهوات الحيوانيه النفسانيه، و اتصف بالجنون أى بذهاب العقل المدرك للمحبوب الحقيقى يصير أسيرا لخيالات فاسده تسمى بالماليخوليا أى التصورات، التى لا واقع لها و لا يرغب فيها العاقل العارف، فهذه الحالات الرديه التى صارت سببا لتعليق العشق و المحبه بالمحبوبات النفسانيه هو المراد من قوله الحكماء، لا أنّ المراد مذمه العشق من حيث هو هو كما لا يخفى، كيف و ترى أن أولياء اللّه بأجمعهم و بمراتبهم من النبيين و الأئمه عليهم السّلام و ساير السابقين فى طريقتهم لا يخلون من تلك الحالات التى ذكرت للعشق. فإذا أردت فتفكر فى جمل المناجاه الخمس عشره و فيما تقدم عن مصباح الشريعه، و فى حالات أولياء اللّه العارفين العابدين، فإن الأحاديث و الأدعيه مشحونه بذكر تلك الحالات، و أظن أن عدم ذكر العشق فى الأحاديث و إن ذكر قليلا كما سمعته فى حديث النبى صلّى اللّه عليه و آله إنما هو لعدم فهم معناه خصوصا من العوام الذين تنصرف أذهانهم من ذكره إلى العشق المجازى المذموم، و أما أهل المعرفه فلا، بل يرون أن كمالهم فى تحصيل العشق كما علمت من المجلسى رحمه اللّه حيث قال: و قرروا فى كتبهم الإلهيه أنه من أعظم الكمالات و السعادات. و ذلك أنه لم يبلغ أحد إلى الدرجات العاليه و الكمالات التامه إلاّ بالمحبه و العشق، كما يستفاد من قوله تعالى: وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ أى بقوه الحبّ له تعالى متصفون، فبهذه القوه يسيرون حيث إن المحبه و العشق هو العامل الوحيد

القوى للسير إلى المحبوب و المعشوق، و لنعم ما قيل: جامى ره خدا بخدا غير عشق نيست گفتيم و السلام على تابع الهدى و قول بعضهم: إن تصديق العشق كلام صوفى، كلام موهوم ناشئ عن عدم فهم معناه الحقيقى. نعم: المتصوفه (لعنهم اللّه) كالعوام الأسراء للشهوه يستعملون العشق فى المحبوب المجازى المادى المتعارف بينهم، و لهم آثار تختص بهم بحيث ينبئ عن بطلانهم كأعمال العشق من العوالم فى المحبوبات الماديه، و أين هذا من العشق الكائن لأولياء اللّه الذى فسر هو و آثاره فى الأحاديث كما تقدم؟ ! نعم: لا بأس بالاحتياط بعدم إطلاق العشق و مشتقاته اسما و فعلا عليه تعالى، لعدم الورود مع كون الأسماء توفيقيه، و ما يتراءى من بعض العرفاء من إطلاق العشق عليه تعالى أو ساير مشتقاته، فإنما هو كإطلاق بعض المعانى عليه من الناس فى مقام التخاطب و الدعاء و إلقاء المعانى الجزئيه حسب ما يقتضيه الحال فى مقام ندائه كما لا يخفى، و إن أرادوا غير ما ذكرنا فمردود جدّا لما تقدم. إذا علمت هذا و تفطنته بحقيقته فاعلم: أن المقصود من

قوله عليه السّلام:

«و التامين فى محبه اللّه»

، أنهم لم يتركوا الحقيقه المحبه إلاّ و قد اشتملوا بها و اتصفوا بها، فبلغوا فى المحبه إلى حدّ الإفراط، و قد علمت أن الإفراط فى كلّ شىء مذموم إلاّ فى المحبه خصوصا بالنسبه إليه تعالى، و هذا المعنى (أى المحبه التامه) هى حقيقه العشق و إن لم يعبّر عنه بالعشق إلاّ أنه هو هو حقيقه، فإذا كانوا عليهم السّلام كذلك فلازمه أنهم عليهم السّلام فانون فيه تعالى. بيانه: أن العشق و المحبه ليست إلاّ ظهور جمال المحبوب و المعشوق فى قلب المسمى بالعاشق، فالمحبه و العشق ينشآن عن المحبوب و المعشوق فتقعان فى قلب

العاشق، و يتمكّنان فيه بحيث لا يبقى للعاشق أثر يستند إلى نفسه، بل ليس هو حينئذ إلّا فانيا فى المعشوق، بل ليس فى العاشق إلاّ ظهور العشق أى ظهور آثار جمال المحبوب فى طرف قلب العاشق. ففى الحقيقه إطلاق معنى العشق على العاشق عرضى لا ذاتى، فإن الخلق حقيقتهم فقر محض، فما ظهر فيهم فمنه تعالى، فالعاشق لا يصدر منه حينئذ إلّا ما هو آثار العشق الطارى عليه من المعشوق. و بعباره أخرى: إلّا آثار جمال المحبوب فتتماس حقيقه العاشق بآثار جمال المعشوق يلتذّ التذاذا، و لا يجد معرفه له تعالى، حينئذ لا يمكن أن يتصور أو يدرك بالحواس و لا بالعقل، و حينئذ لا يبالى العاشق أصبح بيسر أو بعسر كما أشير إليه فى المروى عنه صلّى اللّه عليه و آله كما تقدم، و ذلك لفنائه عن نفسه بل لا يشتهى غير الالتذاذ من جمال محبوبه كما تقدم من

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «إنه (أى موسى عليه السّلام) ما أكل و لا شرب و لا نام و لا اشتهى شيئا من ذلك» ، فإن عدم اشتهائه شيئا من ذلك يدل على فنائه عن نفسه، و عن مقتضيات الطبايع الموجوده فى النفوس البشريه. فحينئذ معنى كونهم عليهم السّلام تامّين فى محبه اللّه أنهم جاوزوا حدود الآثار و الأفعال و الصفات بالفناء عنها، و جاوزوا عن أنفسهم إلى أن وصلوا بكلّهم إليه تعالى، حتى إنهم لا يرون شيئا إلّا و يرون اللّه قبله و معه و بعده، و إنما بقوا فى هذا الحال بقوه المحبه و العشق له تعالى، التى ترجع إلى ظهور آثار الجمال منه تعالى، الذى يرجع إلى جذب الأحديه بجمالها لقلوبهم المطهره إلى النظر إلى وجهه الكريم، فيا لها من مقام ما ألذّه و ما أمتعه و ما أحسنه! فهم عليهم السّلام دائما مشاهدون لحضره جماله، و هم عنده تعالى بهذه العنايه الإلهيه كما تقدم الكلام فيه من قول الصادق عليه السّلام فى بيان قوله تعالى: وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ (1)و لذا نرى أنهم عليهم السّلام لم يبالوا بأىّ مصيبه وردت عليهم، بل يبتهجون بها، و لا يفرق عندهم بين المصائب و الرغائب، و لا بين الشده و الرخاء و هكذا، و ليس

۱- ۱) الأنبياء:۱۹.

صبرهم علیها إلّا لما هم فیه من مقام المشاهده المذکوره، و أیضا أنهم مشتغلون بعبادته تعالی بأکملها و أشدّها و أحمزها مع کثره اشتغالهم و ابتلائهم بأهل زمانهم من أهل الظلم و الجور، فکیف یمکن لأحد الثبات علی تلک العبادات إلّا بتلک الألطاف الموجبه لنشاطهم و أنسهم به تعالی، و لا نری و لا یری فی أحد حتی فی الأنبیاء و الملائکه المقربین ما یکون فیهم من هذه المشاهده الإلهیه کما سیجیء إن شاء اللّه بیانه عند

قوله علیه السّلام:

«آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین» . و من هنا یتضح معنی

قولهم علیهم السّلام فی زیارتهم:

«من أحبّکم فقد أحبّ اللّه»

فإن الظاهر فیهم لیس إلّا ما آثار اللّه تعالی، فمحبتهم لیس إلّا محبه تلک الآثار الإلهیه، فلا محاله من أحبّهم فقد أحبّ اللّه کما لا یخفی، و هذه المحبه بما هی راجعه إلی مقام شهودهم علیهم السّلام له تعالی هو الأصل لمقام ولایتهم المطلقه التکوینیه و التشریعیه، حیث إنهم بهذه الصفه فانون عن النفس و باقون باللّه و بجمیع أسمائه، فهم مظاهر تلک الأسماء التی ملأت أرکان کلّ شیء، فهم متصرفون بتلک الأسماء فی الکلّ تشریعا و تکوینا، و قد تقدم بیانه مفصلا فراجع، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله علیه السّلام: و المخلصین فی توحید اللّه.

اشاره

ففی المحکی عن المجلسی الأول رحمه اللّه قال: فإن أقصی مراتب المحبه ینجرّ إلی أن لا یری العارف إلّا اللّه، فإنه لا یری شیئا إلّا و یری اللّه بعده فی الابتداء، ثم معه ثم قبله ثم لا یری إلّا اللّه، و یری صفاته عین ذاته، بل یری جمیع الذوات و الصفات و الأفعال متلاشیه و فانیه فی ذاته و صفاته و أفعاله، بل لا یری فناءه أیضا کما قال: ما وحّد الواحد من واحد بل کلّ من وحّده جاحد و کتب العارفین مشحونه فی بیان هذه المراتب، و الحقّ أنه لا یمکن بیانه، و من لم یذق لم یدر، انتهی.

أقول: الكلام فی شرح هذه الفقره يقع فی مقامين:

الأول: فی معنی الخلوص.

و الثانی: فی معنی التوحيد، فنقول: فی المجمع: و الخالص فی اللغه كلّما صفی و تخلّص، و لم يمترج بغيره سواء كان ذلک الغير أدون منه أم لا، إلی أن قال: و خالصه فی الموده أی صافاه فيها، و خلاصه الشیء جيّده، و ما صفی منه مأخوذ من خلاصه السمن، و هو ما يلقی فيه تمر أو سويق، ليخلص من بقايا اللبن، و خلص الشیء من التلف من باب قعد خلوصا و خلاصا سلم و نجا و خلص الماء من الكدر صفی. . إلخ. فالمخلصين (إن قرئ بالكسر) فمعناه الذين أخلصوا فی توحيد اللّه، أی لم يمتزجوا فيه ما ليس من التوحيد فی ذواتهم و صفاتهم و أفعالهم، و إن قرئ بالفتح فمعناه الذين أخلصهم اللّه تعالی و اختارهم لتوحيده، فهم مظاهره حقيقه كما سيجیء بيانه. و بعباره أخری: الخلوص بمعنی الصافی إذا عدّی بباب الأفعال، فالمخلص منه علی صيغه اسم الفاعل معناه من يخلص الدين و الطاعه للّه تعالی، و إليه يشير قوله تعالی: وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ (۱)و علی صيغه اسم المفعول، يراد منه من ثبت له الخلوص و اتصف به فهو مخلص (بالفتح) أی أخلصه اللّه تعالی، ثم إنّ كلاًّ منهما يتعدد بتعدد متعلقه من العباده و الصفات الحميده و الأفعال الحسنه، و يجمع الكل الخلوص فی التوحيد فإن من أخلصه اللّه فی التوحيد فقد أخلصه فی جميع الأمور، لاستلزام الخلوص فی التوحيد الخلوص فيها. و إلی الثانی أشير فی قوله تعالی: إِلاّٰ عِبٰادَ اَللّٰهِ اَلْمُخْلَصِينَ فی موارد عديده فی القرآن الكريم، فهنا مقامان: الأول: مقام الإخلاص للدين و التوحيد.

۱- ۱) البينه:۵.

و الثانی: مقام الخلوص فی التوحید. فنقول: الإخلاص هو تجرید النیه عن الشوب، و أعلاها إراده وجهه تعالی. قیل: (کما عن المحقق الکاشانی) و ورد فی حقیقته أن تقول: ربی اللّه ثم تستقم کما أمرت، تعمل للّه لا تحب أن تحمد علیه، قال اللّه تعالی: أَلاٰ لِلّٰهِ اَلدِّینُ اَلْخٰالِصُ .

فعن الکافی، عن ابن مسکان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه تعالی: حَنِیفاً مُسْلِماً قال: «خالصا مخلصا لیس فیه شیء من عباده الأوثان» .

و فیه، بإسناده عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام: أن أمیر المؤمنین علیه السّلام کان یقول: «طوبی لمن أخلص للّه العباده و الدعاء، و لم یشتغل قلبه بما تری عیناه، و لم ینس ذکر اللّه بما تسمع أذناه، و لم یحزن صدره بما أعطی غیره» .

و فیه، بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً قال: «لیس یعنی أکثر عملا، و لکن أصوبکم عملا، و إنما الإصابه خشیه اللّه و النیه الصادقه و الحسنه، ثم قال: الإبقاء علی العمل حتی یخلص أشد من العمل، و العمل الخالص الذی لا ترید أن یحمدک علیه أحد إلاّ اللّه عز و جل، و النیه أفضل من العمل ألا و إن النیه هو العمل ثم تلا قوله عز و جل: قُلْ کُلٌّ یَعْمَلُ عَلیٰ شٰاکِلَتِهِ ، یعنی علی نیّته» .

و فیه بهذا الإسناد قال: سألته عن قوله اللّه عز و جل: إِلاّٰ مَنْ أَتَی اَللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ قال: «القلب السلیم الذی یلقی ربّه و لیس فیه أحد سواه، قال: و کلّ قلب فیه شرک أو شک فهو ساقط، و إنما أرادوا الزهد فی الدنیا لتفرغ قلوبهم للآخره» .

و فیه، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «ما أخلص عبد الإیمان باللّه أربعین یوما أو قال: ما أجمل عبد ذکر اللّه أربعین یوما إلاّ زهّده اللّه فی الدنیا و بصّره داءها و دواءها، و أثبت الحکمه فی قلبه، و أنطق بها لسانه ثم تلا: إِنَّ اَلَّذِینَ اِتَّخَذُوا اَلْعِجْلَ سَیَنٰالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّهٌ فِی اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی اَلْمُفْتَرِینَ فلا تری صاحب بدعه و مفتریا علی اللّه و علی رسوله و علی أهل بیته (صلوات اللّه علیهم) إلاّ ذلیلا» ،

الحديث. ثم إن صفه الإخلاص تعرف بالتفكر فى صفاته و أفعاله و المناجاه، إنه كيف يوجدها و يتصف بها، فالطريق إلى الإخلاص هو كسر خطوط النفس، و قطع الطمع عن الدنيا، و التجرد للآخره بحيث يغلب ذلك على القلب، و كم أعمال يتعب الإنسان فيها و يظن أنها خالصه لوجه اللّه تعالى و يكون فيها مغرورا، لأنه لا يدرى وجه الآفه.

فيه و فى مصباح الشريعه قال الصادق عليه السّلام: «الإخلاص يجمع فواضل الأعمال، و هو معنى مفتاحه القبول و توقيعه الرضا، فمن تقبل اللّه منه و رضى عنه فهو المخلص و إن قلّ عمله، و من لا يتقبل اللّه منه فليس بمخلص و إن كثر عمله اعتبارا بآدم عليه السّلام و إبليس، و علامه القبول وجود الاستقامه ببذل كل المحاب مع إصابه علم كل حركه و سكون، و المخلص ذائب روحه و باذل مهجته فى تقويم ما به العلم و الأعمال و العامل و المعمول بالعمل، لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل، و إذا فاته ذلك فاته الكل، و هو تصفيه معانى التنزيه فى التوحيد» .

كما قال الإمام (الأول خ) : «هلك العاملون إلّا العابدون، و هلك العابدون إلّا العالمون، و هلك العالمون إلّا الصادقون، و هلك الصادقون إلاّ المخلصون، و هلك المخلصون إلاّ المتقون، و هلك المتقون إلّا الموقنون، و إن الموقنين لعلى خطر عظيم، قال اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و آله: وَ اُعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ اَلْيَقِينُ و أدنى حدّ الإخلاص بذل العبد طاقته، ثم لا يجعل لعمله قدرا فيوجب به على ربّه مكافاه بعلمه، لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حقّ العبوديه لعجز، و أدنى مقام المخلص فى الدنيا السلامه من جميع الآثام، و فى الآخره النجاه من النار و الفوز بالجنه» . هذا ما ورد فى معنى الإخلاص و الترغيب فيه، و قال بعض العارفين فى معنى الإخلاص ما ملخصه: أن الإخلاص تصفيه العمل من كل شوب، و ذلك أن لا يعتد بعمله، و لا يرى أن عمله من كسبه يستحق به ثوابا منه تعالى، بل يراه موهبه منه

تعالی، فلا یری حینئذ لعمله عوضا و أجرا، و ذلک لإخراج نفسه مما دخلها فی العمل، بل یری أنه لا حول و لا قوه إلاّ باللّه العلی العظیم، و لازمه حینئذ أن لا یرضی بعمله بأن یراه مرضیا له تعالی، بل یبرأ منه بأن یکون بحوله و قوته، کلّ ذلک لما علم و عرف من أن المقصود من الأمر بالعمل هو الفناء فیه تعالی. فمن علم أن عمله لیس من کسبه، بل من حوله تعالی و قوته و إن أمر به، فلا محاله یکون المطلوب فناءه فی اللّه تعالی فی ظرف قیام العمل به، لما رأی نفسه ناقصا و نقصا لیس أهلا لوقوع العمل و قیامه به کما هو حقه و یستحقه الباری تعالی، فیخجل من عمله مع قیامه بحق العبودیه، فإنه عبد مأمور لا بد له من الامتثال، بل تذهل عن أن عمله فی مرءی منه تعالی تنقیصا لعمله و تحقیرا لنفسه، فلا یری إلاّ أنه موفق بنور التوفیق الإلهی، لقیامه به لما أقدره اللّه تعالی علیه و أطاقه له. فهذه الحالات تنتج أن العمل کأنه لیس منسوبا إلیه، لما لا یری لنفسه من وجود و حول و قوه، فلا یری من نفسه و عمله إلاّ حکمته تعالی الأزلیه و آثار قدرته تعالی مع محو رسم الغیر، فإذا اتصف بتلک الحالات و شاهد حکم اللّه علیه صار عبدا مخلصا، بل خالصا له تعالی، و خلص من رقّ الکون بأسره، و مما له من الرعونات و الآفات، انتهی ملخصا. فحینئذ نقول: لا ریب فی أنهم علیهم السّلام مخلصون فی توحید اللّه (بالکسر) و بالفتح فی الواقع و نفس الأمر، فإن ذواتهم المقدسه کما هم متصفون بصفه الإخلاص، و أنهم مخلصون فی التوحید، کذلک أنهم علیهم السّلام مخلصون (بالفتح) أی ثابت لهم صفه الخلوص منه تعالی، و العباره محتمله لکلا الأمرین، بل قرئت بکل منهما، فلا بد من تفسیرها علی القسمین فنقول: أما کونهم مخلصین (بالکسر) فی توحیده معناه أن غایه التفرید و التجرید له تعالی، الذی لیس وراءه مقام فی الإمکان هو ما جرّدوا و أفردوا، و هذا هو حقیقه الإخلاص کما

قال علی بن موسی الرضا علیه السّلام بمحضر المأمون (علیه لعائن اللّه) : «و لا

معرفه إلاّ بالإخلاص، و لا إخلاص مع التشبيه» أى أن الإخلاص هو تفريده تعالى و تجريده عما فيه شائبه التشبيه بخلقه كما لا يخفى فهو تعالى مبرّا و منزّه عما سواه مطلقا، و لازم هذا أنهم عليهم السّلام إنما وصفوا اللّه بما يليق بعزّ جلاله و قداسه ذاته و نزاهتها. و يستلزم هذا أن وصف غيرهم مما ليس من وصفهم عليهم السّلام له تعالى، فهو باطل لا يليق بجنابه المقدس، قال اللّه تعالى: سُبْحٰانَ اَللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ. إِلاّٰ عِبٰادَ اَللّٰهِ اَلْمُخْلَصِينَ (۱)أى أن وصف المخلصين (بالفتح) لكونهم مخلصين (بالفتح) إنما يليق بجنابه تعالى فقط، فالمخلصون (بالفتح) ينبغى لهم أن يكونوا مخلصين (بالكسر) فى بيان صفاته تعالى لا غيرهم. و إليه يشير

قول على عليه السّلام فيما تقدم: «نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل معرفتنا» ، أى بما وصفنا من التعريف لا من غيرنا، بل كل أحد سواهم كان من المضلّين الذين قال تعالى فى حقهم: وَ مٰا كُنْتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّينَ عَضُداً (۲)و السرّ فى ذلك (أى فى انحصار سبيل المعرفه فيهم و انحصار توصيفه تعالى فيهم) : أن كل مخلوق هو أثر خالقه، و مظهر لصفه خالقه بقدر وجوده كما و كيفا من حيث الكمال و النقص، و من المعلوم بصريح من الأحاديث، بل و بدلاله من الآيات أن الذوات المقدسه لمحمد و آله الطاهرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) بما خلقهم اللّه فى أكمل ما يمكن أن يوجد موجود، فلا محاله هم أعدل مزاجا من الباطن و مقام النورانيه، و من حيث الظاهر و مقام البشريه، فهم عليهم السّلام بوجودهم الكامل يحكمون كمال صفته تعالى حيث علمت أن وجودهم كوجود كلّ موجود أثر من آثار الخالق جلّ و علا، و الأثر يشابه صفه مؤثره التى صدر فيها وجوده، و حيث إنّ غيرهم لا يخلون عن الاعوجاج فى الظاهر و الباطن كليا أو جزئيا، فلا محاله لا يتمكن منهم توصيفه تعالى.

۱- ۱) الصافات:۱۵۹-۱۶۰.

۲- ۲) الكهف:۵۱.

و هذا بخلافهم فهم لكمالهم و اعتدال قابلياتهم مخلصون فى توحيد اللّه، أى يتمكنون لهذه الذاتيه الكامله لهم أن يصفوا البارى تعالى فى توحيده، و سيجىء قريبا مزيد توضيح لهذا الأمر إن شاء اللّه.

[و الثانى مقام الخلوص فى التوحيد]

اشاره

ثم إن كونهم مخلصين (بالكسر) فى توحيد معناه أنهم أخلصوا التوحيد له تعالى، و هذا يعمّ جميع أقسام التوحيد من التوحيد الذاتى و الصفاتى و الأفعالى و العبادى، فهنا أقسام أربعه:

الأول: أنهم مخلصون فى توحيد الذات.

فاعلم أن التوحيد لغه عباره عن جعل الشيئين شيئا واحدا فضلا عن الأشياء، فهو فى الذات عباره عما أشير فى قوله: قُلْ هُوَ اَللّهُ أَحِدٌ و قوله تعالى: لاٰ تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اِثْنَيْنِ إِنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فحينئذ توحيدهم عليهم السّلام للذات المقدسه، هو نهايه التجريد و التفريد بنفى جميع الصفات و الأفعال و الآثار عنه تعالى. و هو ما أشار إليه

أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: «أول الدين معرفته، و كمال معرفته التصديق به، و كمال التصديق به توحيده، و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهاده كلّ موصوف أنه غير الصفه، و شهاده كلّ صفه أنها غير الموصوف، فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثنّاه، و من ثنّاه فقد جزّأه، و من جزّأه فقد جهله، و من جهله فقد أشار إليه، و من أشار إليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من قال فيم فقد ضمّنه، و من قال علام فقد أخلا منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شىء لا بمقارنه، و غير كلّ شىء لا بمزايله» ، إلخ.

فقوله عليه السّلام: «لشهاده كل موصوف أنه غير الصفه» ، تعليلا

لقوله: «و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه» ، إشاره إلى توحيد الذات من حيث هى هى، و هذا لا ينافى ما وصف اللّه نفسه بصفات، و كذا النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام حيث وصفوه بصفات، لأن المقصود من

كلامه عليه السّلام: «و كمال الإخلاص نفى الصفات عنه» ، هو بيان

التوحيد الذاتی. و حاصله أن یعرف له ذاتا بسیطه لا کثره فیها لا فی اعتبار و لا فی الإمکان، و الفرض بمعنی أنه تعالی فی صقع الأحدیه ذات لیس له علم و لا قدره و لا سمع و لا بصر و لا حیاه غیر ذاته، أی هو ذات بسیط بحت بکل اعتبار و فرض بمعنی أن لا تکون تلک الصفات جزاء له. بل تعرف ذاتا کامله الذات صدرت عنها هذه الآثار، فالذات بسیط بحت لکنها کامله، إذ لو کانت ناقصه لما صدرت عنها آثار و کمالات، فصدور هذه الآثار المتعدده المتغایره یدل علی أنّ ذاته تعالی لیست بناقصه لا أنها متکثّره و إن شئت فاعتبر هذا من نحو قولک: زید کاتب خیاط نجار فإنک إنما تعنی بها ذاتا بسیطه، و تلک الذات هی التی حدثت عنها تلک الآثار من الکتابه و الخیاطه مثلا. فظهر أن معنی نفی الصفات عنه تعالی و المعرفه بالتوحید الذاتی، هو ما ذکرنا من إثبات معنی لا تعدد فیه، فتصفه بالعلم بمعنی أنه لیس یجهل، و أنه لا یعزب عنه شیء، و أنه أحاط بکلّ شیء علما، و بالقدره بمعنی أنه یصنع ما یرید و لا یعجزه شیء، و هکذا سایر الصفات فمعناه أن الذات المقدسه لا تتصف بخلاف هذه الصفه، و لا یلزم هذا تعددا و تکثرا فی الذات المقدسه، بل معناه أن ذاته یکفی من کلّ شیء و لا یکفی منه شیء کما تقدم.

الثانی: أنهم مخلصون للتوحید الصفاتی،

اشاره

و هو جعل الصفتین فما زاد صفه واحده قائمه به تعالی و هو قیّومها و حاصله یرجع إلی معنیین:

المعنی الأول:

أن صفاته تعالی ظاهره بحیث تکون صفات الخلق و أحوالهم غائبه، و متلاشیه فی صفته، فلیس فیما دون عزته و جلاله صفه لغیره، و فی الدعاء المروی فی المصباح للشیخ للیله الخمیس من

قوله علیه السّلام: «و الخلق مطیع لک خاشع من خوفک، لا یری فیه نور إلّا نورک، و لا یسمع فیه صوت إلّا صوتک، حقیق بما لا یحق إلّا لک، و النور إشاره إلی الصفات» ،

فقوله: «لا یری فیه نور إلّا نورک» ، إشاره

إلی توحید الصفات بلسان الحصر.

المعنی الثانی:

أن کل ما فی الکون من الذوات و الصفات و الجواهر و الأعراض صفاته تعالی، لأنها آثاره. و بعباره أخری: أن ما یری من الصفات فی المخلوقین هو صفاته تعالی، بلحاظ أنها آثاره تعالی و الآثار صفات المؤثر، غایه الأمر لا بحدودها و قیودها، بل بحقیقتها الملغاه عنها الحدود و القیود کما حقق فی محله، و إلیه یشیر قوله تعالی: لاٰ قُوَّهَ إِلاّٰ بِاللّٰهِ .

الثالث: أنهم مخلصون للتوحید الأفعالی،

أی جعل الأفعال فعلا واحدا له تعالی کما یومی إلیه قوله تعالی: وَ مٰا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ رَمیٰ و قوله تعالی: وَ تَحْسَبُهُمْ أَیْقٰاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذٰاتَ اَلْیَمِینِ وَ ذٰاتَ اَلشِّمٰالِ ،

و قوله فی الدعاء المتقدم:

«لا یسمع صوت إلّا صوتک»

، و قوله تعالی وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ وَ یَخْتٰارُ مٰا کٰانَ لَهُمُ اَلْخِیَرَهُ (۱). و الحاصل: أن کثیرا من الآیات و الأدعیه و الأحادیث دلّت علی التوحید الأفعالی له تعالی، بمعنی أنه لا فعل فی الوجود إلاّ و هو منه تعالی، فالموحد له تعالی بالتوحید الأفعالی یری ببصیرته القلبیه أن أی فعل فهو منه تعالی، و هذا هو المراد من قوله تعالی: وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ وَ یَخْتٰارُ و إلیه یشیر أیضا

القول بأنه: «لا جبر و لا تفویض بل أمر بین الأمرین» أی أن العبد لیس مفوضا فی الفعل بحیث یوجب تعطیله تعالی عنه، بل الفعل مستند إلیه تعالی و لیس مجبورا بحیث لا دخاله للعبد فیه، بل الفعل مستند إلیه أیضا إلاّ أن استناده إلی العبد معناه اختیاره الفعل الحسن أو القبیح، و إلاّ فالفعل فی الکل مستند إلیه تعالی فی حال استناده إلی العبد أیضا. و إلیه الإشاره

بقوله علیه السّلام: «هو القادر علی ما أقدرهم، و المالک لما ملکهم»

۱- ۱) القصص:۶۸.

فاستناد الفعل إلى العبد من حيث قيام الفعل به و إنه مظهر للفعل الإلهى لا ينافى توحيد الأفعال له تعالى. فإن قلت: بعد ما أسند الفعل إلى العبد و إلى اختياره، فكيف يصح القول بالتوحيد الأفعالى له تعالى؟ قلت: لا ريب فى أن الفعل أولا و بالذات مستند إليه تعالى. و ثانيا و بالعرض مستند إلى العبد من حيث كونه مظهرا لفعله تعالى، فالعبد بحسن اختياره أو بسوء اختياره للفعل الحسن أو القبيح يسند الفعل إليه بهذه الحيثيه، ليكون موردا للثواب أو العقاب و إلاّ فهو (أى العبد) فى حال استناد الفعل إليه يكون هو و فعله و اختياره الحسن و القبيح من فعله تعالى. فليس فعله (أى العبد) فى عرض فعله تعالى، بل فعله تعالى حقيقى، و فعل العبد اعتبارى أسند إليه لتصحيح العقاب و الثواب. فإن قلت: قال اللّه تعالى: مٰا أَصٰابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اَللّٰهِ وَ مٰا أَصٰابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ فدلت على أن الفعل السيّئ منسوب إلى العبد لا إليه تعالى. قلت: إن ما أصيبت من الحسنه فبذاتها و حقيقتها تكون منه تعالى، لأن العبد فقر محض ليس فيه ملاک الحسن، و هذا بخلاف السيئه فإنه من آثار الفقر و النقص الثابت للخلق، فهذه الآيه تعطى أن الفعل من حيث اتصافه بالحسن و السوء ينقسم إلى قسمين لا من حيث ذات الفعل بل ذات الفعل منه تعالى. و إليه الإشاره بقوله تعالى: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ فالفعل منه تعالى و إن كان عقابا، لأنه حينئذ كما تقدم يكون بعنوان الجزاء للعبد العاصى. و إليه الإشاره فى

قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، و أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، و أن الضار النافع هو اللّه تعالى» كما لا يخفى. و كيف كان فهم عليهم السّلام مخلصون له تعالى فى التوحيد الأفعالى، أى يرون الأفعال فعله تعالى بنحو يليق بقداسه ذاته المقدسه.

الرابع: أنهم مخلصون للتوحيد العبادى

أى يجعلون عبادتهم خالصه له، كما أشير إليه فى قوله تعالى: فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً و الأخبار و الأدعيه و بيان حالاتهم عليهم السّلام داله بالقطع على أنهم مخلصون و موحدون فى العباده كما لا يخفى. ثم إن الكلام فى أقسام العباده حسب اختلاف العابدين من حيث النيه و الغايه مفصّل جدّا موكول إلى محله، و لعله سيجىء فى طى الشرح ما يوضحه. ثم إن التوحيد فى هذه المراتب الأربع له مراتب كثيره جدا، و أعلى المراتب فى كل من هذه الأقسام الأربعه هو ما كان كل واحد منها فى غايه التجريد و التفريد عن كل ما سوى الحق، و هذه المرتبه الكامله فى هذه الأقسام الأربعه مختصه بهم عليهم السّلام، فهم المخلصون فى توحيد اللّه بالنحو الأتم الأكمل، هذا كله على قراءه المخلصين (بالكسر) فى توحيده تعالى، و أما لو قرئت و المخلصون فى توحيد اللّه (بالفتح) أى أخلصهم اللّه تعالى فى توحيده فضلا عن غير مراتب الدين فلا بد من بيانه فنقول و على اللّه التوكيل: اعلم أن حقيقه التوحيد أعظم و أجلّ من أن يحيط بها عقل من حيث العباره، أو يصل إليها فهم من حيث الإشاره، لأن العباره حجاب، و الإشاره و إن كانت أشدّ إيصالا من العباره إلاّ أنها أيضا نقاب، و هو غير انكشاف جمال المحبوب بلا ستره و لا حجاب. تجول عقول الخلق حول حمائها و لم يدركوا من برقها غير لمعه و هو (أى التوحيد) هو المقصد الأعلى للكل، و كل المقامات و الأحوال دونه من الأسباب الموصله إليه، و كل علم أو ذوق منه بقدر علمه و دركه الذوقى، و لذا تكلم فيه بعض بلسان العباره، و بعض بلسان الإشاره، و بعض بلسان الذوق و لكن مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ إلاّ أهله و هم المعصومون الأربعه عشر، و ذلك فضل اللّه

ص: ۴۵۲

يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم. و كيف كان إن مرتبه التوحيد أرفع درجه، و أمنع مقاما من أن يصل إليه أى سالك و لنعم ما قيل: يجلّ الهوى عن أن يكون شريعه إلى الناس إلاّ واحدا بعد واحد أقول: إلاّ من سبقت لهم من اللّه الحسنى باتباع أهل البيت، و الاستقامه على محبتهم، ليفيضوا عليه مما منحهم اللّه تعالى من التوحيد. و كيف كان فكلّ عرف التوحيد بحسب علمه و إدراكه: : التوحيد إثبات القدم و إسقاط الحدث. : التوحيد إفراد القدم عن الحدث. : التوحيد إسقاط الإضافات. : التوحيد إثبات أول بلا أول و لا آخر. : التوحيد إثبات الواحد من دون مشارك له فى وصف و لا نعت. : التوحيد نفى ما سوى التوحيد. : بقاء الحق و فناء ما دونه. و نظيرها فى كلام المتأخرين: : التوحيد إثبات الوجود و نفى الموجود. : التوحيد رؤيه العابد عين المعبود. : التوحيد رؤيه الكثره فى عين الوحده. : التوحيد مشاهده الجمع فى عين التفصيل، و مشاهده التفصيل فى عين الجمع. : التوحيد إثبات العين و إفناء الغير، و رؤيه الشّر محض الخير. : التوحيد تمييز الحق عن الخلق، و إفناء الخلق فى الحق.

إذن فجميع هذه العبارات يرجع بعضها إلى بعض بضرب من البيان و التأويل، و الكل يرجع إلى نفى وجود الغير، و إثبات وجود الحق مطلقا، و هذا المعنى الجامع له شئون يعبر بكلّ منها و الكلّ تعبير عن معنى واحد كما قيل: عباراتنا شتى و حسنك واحد و كل إلى ذات الجمال يشير ثم إن التوحيد الذى علمت أنه جعل الشيئين شيئا واحدا يكون على قسمين: الأول: التوحيد الظاهرى الشرعى الألوهى. و الثانى: التوحيد الوجودى، فالشيئان اللذان لا بد من توحيد هما عند الشرع و الظاهر هو الآلهه المقيده و الإله المطلق، ففى ظاهر الشرع وضع اسم التوحيد على نفى الآلهه المقيده و إثبات الإله المطلق و قالوا: لا إله إلاّ اللّه، و الدعوه الأوليه من الشارع لعموم الناس إنما هى إلى هذا التوحيد،

فعنه صلّى اللّه عليه و آله «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ اللّه» ، و قال تعالى: قُلْ يٰا أَهْلَ اَلْكِتٰابِ تَعٰالَوْا إِلىٰ كَلِمَهٍ سَوٰاءٍ بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّٰ نَعْبُدَ إِلاَّ اَللّٰهَ وَ لاٰ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً . (1). و معلوم أن تعالوا خطاب إلى العامه، فهذا التوحيد الألوهى يختص بالأنبياء و الرسل فى مقام التشريع و التبليغ، و أما أهل الباطن و الحقيقه قالوا: الشيئان اللذان لا بد من توحيدهما و الموجودات المقيده و الموجود المطلق، فالتوحيد عندهم اسم لنفى الموجودات المقيده و إثبات الوجود المطلق أى ليس فى الوجود إلاّ اللّه، و ليعلم أن صاحب الشرع (أى الأنبياء و الرسل و الأئمه عليهم السّلام) لهم اعتباران فباعتبار التبليغ و الإرشاد لعموم الناس فهم يدعون الناس إلى التوحيد الألوهى الشرعى كما تقدم، و باعتبار أنهم مظاهر للحق بالنحو الأتم الأكمل-كما تقدم فى تحقيق معنى الولايه التكوينيه و التشريعيه-فهم أحسن مصداق لأهل الباطن و الحقيقه. فبالاعتبار الأول هم أهل التوحيد الألوهى، و بالاعتبار الثانى هم أهل التوحيد الوجودى، و إلى هذه الجهه أشير فى كلام الشارع من قوله تعالى: كُلُّ

۱- ۱) آل عمران:۶۴.

شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ لَهُ اَلْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(۱)

و قوله تعالى: هُوَ اَلْأَوَّلُ وَ اَلْآخِرُ وَ اَلظّٰاهِرُ وَ اَلْبٰاطِنُ (۲)فالشرك فى التوحيد الأول هو جعل الآلهه فى قبال الإله المطلق. و الشرك فى التوحيد الثانى هو إثبات الوجود لغيره تعالى و هذا مبتلى به أكثر الناس و قد عبّر عنه فى الشرع بالشرك الخفى. و لكل من هذين التوحيدين بيان فى تعريفهما و كيفيه تحصيلهما موكول إلى محله. إلاّ إنا نذكر نبذا منهما تبصره لمن أراد أن يتبصّر فنقول و عليه التوكل: قوله تعالى: قُلْ يٰا أَهْلَ اَلْكِتٰابِ تَعٰالَوْا إِلىٰ كَلِمَهٍ سَوٰاءٍ بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمْ (۳)و قوله تعالى: أَ جَعَلَ اَلْآلِهَهَ إِلٰهاً وٰاحِداً إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ عُجٰابٌ (۴)يشير إلى التوحيد الألوهى، الذى عرفت أنه الوظيفه الأوليه و بحسب الظاهر للأنبياء، فظهور الأنبياء من لدن آدم إلى نبينا محمد صلّى اللّه عليه و آله لم يكن إلاّ لدعوه الخلق إلى التوحيد الألوهى، و الخلاص من الشرك الجلى الذى هو بإزاء هذا التوحيد الألوهى. هذا و قوله تعالى: أَ أَرْبٰابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اَللّٰهُ اَلْوٰاحِدُ اَلْقَهّٰارُ (۵)

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «لو أدليتم بحبل يهبط على اللّه» ، يشير إلى التوحيد الوجودى الباطنى الحقيقى، و هو دعوه العباد إلى مشاهده وجود المطلق من بين وجودات مقيده، و ظهور جميع الأولياء من لدن شيث إلى المهدى (عج) لم يكن إلاّ لدعوه الخلق إلى التوحيد الوجودى، و الخلاص من الشرك الخفى الذى هو بإزاء التوحيد الوجودى، و إلى هذا الشرك الخفى يشير قوله تعالى: وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (۶)

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «دبيب الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمله السوداء على الصخره

۱- ۱) القصص:۸۸.

۲- ۲) الحديد:۳.

۳- ۳) آل عمران:۶۴.

۴- ۴) سوره ص:۵.

۵- ۵) يوسف:۳۹.

۶- ۶) يوسف:۱۰۶.

الصماء فى الليله الظلماء» . فكلّ من اعتقد و توجه إلى الإله المطلق المشار إليه بعد إلاّ فى قولنا: لا إله إلاّ اللّه، و عدل عن الإلهيه المقيّده، و نطق بكلمه التوحيد الألوهى الظاهرى، و قام بعبادته على ما ينبغى، خلص من الشرک الجلى، و صار مؤمنا مسلما باتفاق المسلمين، و طهر من نجاسه الشرک ظاهرا و باطنا، و إن لم يكن كذلك بقى مشركا كافرا نجسا فى الظاهر و الباطن لقوله: إِنَّمَا اَلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ . هذا و كل من اعتقد و توجه إلى الوجود المطلق، و عدل عن الوجود المقيد، و رجع عن مشاهده المخلوق إلى مشاهده الخالق، و نطق بكلمه التوحيد الوجودى الباطنى بأن شاهد التوحيد بالرؤيه القلبيه، و قام بعبوديته على ما ينبغى، خلص من الشرک الخفى، و صار عارفا موحّدا محققا باتفاق الموحدين، و طهر من نجاسه الشرک الخفى ظاهرا و باطنا، و إن لم يكن كذلك و أقر بالتوحيد الأول كان طاهرا ظاهرا نجسا باطنا، فلا تدخل فى قلبه الملائكه و لا يظهر فيه التوحيد بحيث يراه قلبا. ثم إن الأنبياء عليهم السّلام كما أنهم داعون إلى التوحيد الألوهى، كذلک داعون إلى التوحيد الوجودى، لأنهم أيضا واجدون مقام الولايه، بل هى لهم أولا و بالذات، ثم يكون لأوصيائهم كما تقدم، و أيضا الأولياء و الأوصياء داعون إلى التوحيد الألوهى أيضا بحسب الظاهر، مضافا إلى دعوتهم للناس إلى التوحيد الوجودى، فالتوحيد لكلتا الطائفتين باعتبارين كما لا يخفى، و هنا أبحاث متعلقه بهذين القسمين من التوحيد موكوله إلى محلها. إذا علمت ما ذكرنا فاعلم أنهم عليهم السّلام مخلصون فى التوحيد (بالفتح) أى أخلصهم اللّه تعالى فى توحيده، بمعنى أنهم مظاهر للتوحيد الوجودى، فلا يرون فى الوجود إلاّ اللّه تعالى، فهم عليهم السّلام يشاهدون قيوميته تعالى للأشياء فى كل الأشياء المشار إليه بقوله تعالى: اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ و يشاهدون معيته لها فى

كلها المشار إليه بقوله: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ و قوله تعالى: فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ فلا الكثرات تمنعهم عن تلك المشاهدات، و لا المشاهدات تذهلهم عن العبوديه و القيام بالواجبات. فلهم مقام الجمع بين مشاهده الحق منزها عن الخلق رؤيه قلبيه، مع مشاهده الخلق بما هم قائمون به تعالى، مع مشاهده التوحيد الذاتى و الصفاتى و الأفعالى فى الخلق، و هذا التوحيد الوجودى بالمعنى المتقدم قد دلّت عليه الآيات و الأحاديث و الآثار و الأدعيه، و كلمات القوم من نثرهم و أشعارهم، فلعمرى كل من تأمل فى الآيات المتعلقه به، و سلك مسالك التوحيد، وصل إليه و أدرك ما أدركوا، و تيقن بما تيقنوا و صدق ما قالوا من قولهم تاره: توهمت قدما أن ليلى تبرقعت و أن حجابا دونها يمنع اللثما فلاحت فلا و اللّه ما كان حجبها و لكن طرفى كان من حسنها أعمى و لنعم ما قيل: يار بى پرده از در و ديوار در تجلى است يا أولى الأبصار شمع جوئى و آفتاب بدست روز بس روشن و تو در شب تار گر ز ظلمات خود رهى بينى همه عالم مشارق الأنوار كور وش قائد و عصا طلبى بهر اين راه روشن و هموار و قيل: آفتاب اندرون خانه ما در بدر ميرويم ذره مثال گنج در آستين و ميگرديم گرد هر گنج بهر يک مثقال و حاصل كلامنا: أن التوحيد الذى هو عباره عن معرفه ذاته المقدسه بالكنه فهو غير ميسّر لأحد،

ففى الحديث: «ما وحّد اللّه غير اللّه» و إليه يشير

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «لا

أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» . و لنعم ما قيل بالعربيه: ما وحّد الواحد من واحد إذ كلّ من وحده جاحد توحيده إياه توحيده و نعت من ينعته لاحد فقوله: إذ كل من وحده، أى توحيدا حقيقيا يبين كنه ذاته. و بالفارسيه: ما نتوانيم حق حمد تو گفتن با همه كروبيان عالم بالا و إليه يشير قوله تعالى: شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فإن هذه الشهاده شهادته المقدسه على وحدانيه ذاته المقدسه كما هو، ثم عطف جلّ جلاله قوله: وَ اَلْمَلاٰئِكَةُ وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ ، على نفسه، إلّا أن النبىّ و الأئمه و الصديقه (سلام اللّه عليه و عليهم) و عليها) لما كانوا الحجاب الأقرب، و طهرهم اللّه تعالى من الرجس الذى هو الشك كما تقدم، فلا محاله لا حجاب بينهم و بينه تعالى، فهو تعالى ظاهر لهم بنحو لا يكون لغيرهم، و ذلك لفنائهم عن نفسهم و عن جميع الحدود أى لا حجاب لهم. و بعباره أخرى: ارتفعت حجابيه الحجب عنهم، فهم يشاهدون التوحيد فى كلّ آن و شىء.

قال عليه السّلام: «ما رأيت. . إلّا و رأيت اللّه قبله و معه و بعده» .

و قال عليه السّلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» .

و قال عليه السّلام: «لم أعبد ربّا لم أره» ، فما هو غطاء لنا ليس غطاء لهم، فوجوده عندهم كعدمه، و لذا لو كشف ما ازدادوا يقينا، بل هم قبل كشف الحجب و بعده على ما هم عليه من اليقين، فهم عليهم السّلام مظاهر حقيقيه لوحدانيته تعالى، فهم يشاهدون هذا التوحيد، المختص به تعالى، و إن كانوا غير واصلين كنهه تعالى، فتأمل تعرف إن شاء اللّه، و قد تقدم من الأحاديث فى باب بيان الولايه التكوينيه ما يوضح لك هذا

فراجع. فمعنى كونهم مخلصين فى توحيد اللّه (على قراءه الفتح) هو أنه تعالى قد أخلصهم عن كلّ ما هو خلاف و حجاب على التوحيد، فهم المقربون بالقول المطلق على الكل بلا استثناء، ثم إنه تقدم-و سيجىء إن شاء اللّه فى محله-ما هو سبب لنيل هذا المقام حسب ما يمكن لغيرهم عليهم السّلام فانتظر. و إليه يشير ما فى بعض الخطب: كنّا فى تكوينه بكينونيته قبل خلق التكوين أولیين أزليين موجودين منه بدؤنا و إليه نعود. فقوله: فى تكوينه بكينونيته قبل خلق التكوين، يثبت لهم مقام القرب الذى عبّر عنه تاره بقوله تعالى: وَ أَدْنىٰ . و أخرى

بقوله عليه السّلام: «لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك» كما تقدم شرحه فتكون معنى الجمله (أى

قوله عليه السّلام: و المخلصين فى توحيد اللّه، على قراءه الفتح) فهم توحيد اللّه و أهل توحيده، أى أن التوحيد المختص به تعالى ظهر فيهم، فهم بعد فنائهم عن أنفسهم نفس التوحيد و أهله. و إليه يشير ما تقدم

من قول على عليه السّلام: «نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل معرفتنا» أى لا يعرف اللّه إلاّ بنا، حيث إنهم بذاتهم النورانيه القريبه بحق القرب معرفه اللّه و توحيده. فكلّ موحد قال بالتوحيد لدليل عقلى أو نقلى أو برهان عرفانى وجدانى ذوقى فإنما هو وصل إلى التوحيد الظاهر فيهم عليهم السّلام، فهم آيات التوحيد الظاهره لأهله، و سيجىء توضحيه أزيد من هذا فى شرح

قوله: «و من قصده توجّه بكم» . هذا و قد علمت سابقا أن الشىء إنما يعرف بآياته و صفاته،

و قد قال عليه السّلام: «ما للّه آيه أكبر منى»

و قال عليه السّلام: «و اللّه نحن الأسماء الحسنى» ، كما تقدم، فهم فى مقام القرب و خلّوا لحدّ بحيث لا يشار إليه بشىء، و لذا

قال علىّ عليه السّلام: «أنا الذى لا يقع عليه اسم و لا صفه» ، فقوله عليه السّلام هذا يشير إلى ذلك القرب المعبر عنه ب أَوْ أَدْنىٰ ،

و هذا كمال التجريد و التفريد، و هذا مقام المثل الأعلى كما تقدم:

«إنهم المثل الأعلى و الآيه الكبرى» فهم عليهم السّلام توحيد اللّه فى المقامات التى لا تعطيل لها فى كل مكان، الذى يعرف اللّه بهم من عرفه كما تقدم فإن قلت: إن مقام أَوْ أَدْنى مختص بالنبى بصريح الآيه، فكيف يكون حينئذ للوصى؟ قلنا: تقدم أن نفس الوصى نفس النبى كما دلّت عليه آيه المباهله، مضافا إلى ما تقدم من أن الولايه هى باطن النبوه، فراجع، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله عليه السّلام: و المظهرين لأمر اللّه و نهيه.

اشاره

أقول: هنا مقامان:

الأول: بيان معنى كونهم مظهرين لهما و كيفيته.

و الثانى: بيان معنى الأمر و النهى. المقام الأول: فنقول: لا ريب فى أن مرادات اللّه تعالى-من خطاباته و إلهاماته و كلماته التامه، التى تعمّ جميع الموجودات المخلوقه بأنواعها و أصنافها و أفرادها- أمر خفىّ لا يكاد يصل إلى دركه إلّا من رتّبه اللّه تعالى، و جعله فى مقام القرب و الولايه، و طهّره من جميع الحجب و الشكوك و أراه الأشياء كما هى، فالنبى صلّى اللّه عليه و آله و الأوصياء عليهم السّلام حيث إنه يتمثل الوحى أولا له صلّى اللّه عليه و آله بأقسامه التى أشير إليها قبلا، فهو صلّى اللّه عليه و آله يتلقى حقائق الوحى الإلهى كما هى، فيبيّنها للخلق كما أراد اللّه تعالى، و كذلك الأوصياء حيث إنهم عليهم السّلام قائمون مقامه صلّى اللّه عليه و آله فى جميع هذه الأمور. بل تقدم و يأتى أنّ ما يتلقاه النبى صلّى اللّه عليه و آله من الوحى الإلهى يعلمه الوصى و الأوصياء بعينه، كما علمت من حديث مشاركه أمير المؤمنين عليه السّلام مع النبى صلّى اللّه عليه و آله فى العلم فى حديث الرمانتين و نحوه، فهم عليهم السّلام عالمون و عارفون و شاهدون لحقيقه الوحى بما له من المعنى المتقدم فيظهرونه، و تقسيمه بالأمر و النهى لأجل أن الوصى

المأمور بتبليغه يندرج فى هذين القسمين من الأمر و النهى بما لهما من المعنى الجامع، فالأمر هو الجامع بجميع ما أمر صلّى اللّه عليه و آله بإتيانه الخلق له، و النهى هو الجامع لجميع ما أمر صلّى اللّه عليه و آله بترك الخلق له، و سيجىء المراد منهما إن شاء اللّه. ثم إنه لا ريب فى أن النبى صلّى اللّه عليه و آله إنما يعلم و يعرف الوحى و حقيقته بالإيحاء الإلهى بأقسامه، و سيجىء بيانه فى شرح

قوله عليه السّلام: «و على جدكم بعث الروح الأمين» ، و هذا لا ريب فيه. و أما كيفيه تلقى المرادات الإلهيه من الوحى للأوصياء عليهم السّلام فحاصله: أن معلوماتهم عليهم السّلام باعتبار على قسمين: الأول: ما كان تقديره منه تعالى سواء كان المقدر سابقا أو حالا أو مستقبلا، و كان الإمام عليه السّلام عالما بذلك التقدير فى زمان التكلم، فيعم هذا ما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيمه مما قدر فى علمه تعالى و أخبر به نبيه و أوصياءه. و الثانى: ما يحدث لهم ساعه بعد ساعه منه تعالى، كما دلّت عليه الأحاديث الكثيره، و قد تقدم بعضها

من قولهم عليهم السّلام: «إنما العلم ما يحدث ساعه بعد ساعه» . أما الأول: فتحصل لهم تلك العلوم و حقائق الأمر و النهى الإلهى بواسطه النبى صلّى اللّه عليه و آله و تعليمه إياهم، الذى يرجع إلى تعليمه صلّى اللّه عليه و آله القرآن و حقائقه إياهم كما دلّت عليه أخبار كثيره.

ففى بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن للّه علما خاصا و علما عاما، فأما علمه الخاص، فالذى لم يطلع عليه ملائكته المقربون و أنبياؤه المرسلون، فقد علمنا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» .

و فيه (۲)بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه تعالى علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله القرآن و علّمه شيئا سوى ذلك فما علّم اللّه رسوله فقد علّم رسوله عليا عليه السّلام» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۱۱.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۲۹۰.

و فیه (۱)بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سئل علی علیه السّلام عن علم النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال: «علم النبی علم جمیع النبیین، و علم ما کان و ما هو کائن إلی قیام الساعه، ثم قال: و الذی نفسی بیده إنی لأعلم علم النبی صلّی اللّه علیه و آله و علم ما کان و ما هو کائن فیما بینی و بین قیام الساعه» .

و فیه بإسناده عن عبد الأعلی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام «ابتداء منه: و اللّه إنی لأعلم ما فی السموات و ما فی الأرض، و ما فی الجنه و ما فی النار، و ما کان و ما یکون إلی أن تقوم الساعه، ثم قال: أعلمه من کتاب أنظر إلیه هکذا (ثم بسط کفیه) ثم قال: إن اللّه یقول: إنا أنزلنا إلیک الکتاب فیه تبیان کل شیء. أقول: هذا اقتباس من القرآن أو تغییر من الراوی و إلاّ فالآیه فی النحل هکذا: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ اَلْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ (۲). ثم إن هذا التعلیم لیس کتعلیم بعضنا لبعض من الإملاء و القراءه، بل المراد هو أنه کما أوحی اللّه تعالی إلی النبی بتمثل الوحی فی قلبه المبارک، بالنسبه إلی جمیع الأمور و الحقائق و المعارف و الحکمه، فکذلک انتقل جمیع ذلک إلی قلب الوصی کما کان فی قلب النبی، کما تقدم من

قوله علی علیه السّلام «من أن النبی علمنی ألف باب من الحکمه ینفتح من کل باب ألف باب» و ذلک کله فی زمان یسیر عند ارتحال النبی صلّی اللّه علیه و آله کما تقدم.

ففی بصائر الدرجات (۳)، بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «أوصی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی علی بن أبی طالب علیه السّلام بألف باب فتح کل باب ألف باب» . و من المعلوم أنه لم یعلمه صلّی اللّه علیه و آله له علیه السّلام کسایر التعالیم، فإنه یقتضی مده مدیده، فلیس إلاّ ما ذکرنا عن انتقاش قلب الوصی بما انتقش به قلب النبی صلّی اللّه علیه و آله و حاصله

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۲۷.

۲- ۲) النحل:۸۹.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۳۰۴.

يرجع إلى انتقال روح القدس منه صلّى اللّه عليه و آله إليه عليه السّلام كما تقدمت الإشاره إليه، و دلّت عليه أحاديث كثيره، و هذا مقام له عليه السّلام يتلو مقام النبوه فى الأخبار عن حقيقه أمر اللّه و نهيه كما لا يخفى. و أما الثانى: أعنى ما يحدث لهم عليهم السّلام ساعه بعد ساعه و فى الحال، فبيانه موكول إلى ذكر الأحاديث الوارده فى الباب ثم شرحها فنقول:

فى بصائر الدرجات (١)، بإسناده عن سليمان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام فقلت: جعلت فداك سمعتك و أنت تقول غير مره: «لو لا إنا نزداد لانفدنا» قال: «أما الحلال و الحرام فقد و اللّه أنزله اللّه على نبيه بكماله، و لا يزاد الإمام فى حلال و لا حرام، قال: قلت: تزدادون شيئا يخفى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ قال: لا إنما يخرج الأمر من عند اللّه فيأتى به الملك رسول اللّه فيقول: يا محمد ربّك يأمرك بكذا و كذا، فيقول: انطلق به إلى على، فيأتى عليّا عليه السّلام فيقول: انطلق به إلى الحسن، فيقول: انطلق به إلى الحسين. فلم يزل هكذا ينطلق إلى واحد بعد واحد حتى يخرج إلينا، قلت: فتزدادون شيئا لا يعلمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ فقال: ويحك كيف يجوز أن يعلم الإمام شيئا لم يعلمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الإمام من قبله؟» .

و فيه (٢)بإسناده عن أبى حمزه عن على بن الحسين عليه السّلام قال: قلت: جعلت فداك كل ما كان عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقد أعطاه أمير المؤمنين عليه السّلام بعده، ثم الحسن بعد أمير المؤمنين عليه السّلام ثم الحسين عليه السّلام، ثم كل إمام إلى أن تقوم الساعه؟ قال: «نعم مع الزياده التى تحدث فى كل سنه و فى كل شهر، أى و اللّه و فى كل ساعه.

و فيه (٣)بإسناده عن على بن يقطين، عن أبيه قال: سألت أبا الحسن عليه السّلام عن شىء من أمر العالم، فقال: «نكت فى القلب و نقر فى الأسماع، و قد يكونان معا» .

ص: ۴۶۳

١- ١) بصائر الدرجات ص ٣٩٣.

٢- ٢) بصائر الدرجات ص ٣٩٥.

٣- ٣) بصائر الدرجات ص ٣١۶.

و فیه، عنه قال: قلت: لأبی الحسن علیه السّلام: «علم عالمکم استماع أو إلهام؟ قال یکون سماعا و یکون إلهاما، و یکونان معا» .

و فیه بإسناده عن علی الثانی قال: سألت الصادق علیه السّلام عن مبلغ علمهم، فقال: «مبلغ علمنا ثلاثه وجوه ماض و غابر و حادث، فأما الماضی فمفسّر، و أما الغابر فمزبور، و أما الحادث فقذف فی القلوب، و نقر فی الأسماع، و هو أفضل علمنا و لا نبی بعد نبینا» . أقول: إنما قاله لئلا یتوهم أنهم علیهم السّلام أنبیاء، و سیجیء شرحه تفصیلا و تقدم أیضا، و إجماله

ما رواه فیه أیضا: حدثنا عن علی بن الحسین علیه السّلام أنه قال: علم علی فی آیه من القرآن و کتمنا الآیه، قال: أقرأ یا حمران، فقرأت: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لاٰ نَبِیٍّ قال: فقال أبو جعفر: و ما أرسلنا من رسول و لا نبی و لا محدث، قلت: و کان علی محدثا؟ قال: نعم فجئت إلی أصحابنا فقلت: قد أصبت الذی کان الحکم یکتمنا، قال: قلت: قال أبو جعفر علیه السّلام کان یقول: علی علیه السّلام «محدث، فقالوا لی: ما صنعت شیئا، ألاّ سألته من یحدثه؟» . قال: فبعد ذلک إنی أتیت أبا جعفر علیه السّلام فقلت: أ لیس حدثتنی أن علیا علیه السّلام کان محدثا؟ قال: «بلی، قلت: من یحدثه؟ قال: ملک یحدثه، قال: قلت: أقول: أنه نبی أو رسول؟ قال: لا، قال: بل مثله مثل صاحب سلیمان، و مثل صاحب موسی و مثله مثل ذوی (ذی نسخه البحار) القرنین» .

و فیه بإسناده عن أبی حمزه الثمالی قال: کنت أنا و المغیره بن سعید جالسین فی المسجد، فأتانا الحکم بن عیینه، فقال: لقد سمعت من أبی جعفر علیه السّلام حدیثا ما سمعه أحد قط، فسألناه فأبی أن یخبرنا به، فدخلنا علیه، فقلنا: إن الحکم أخبرنا أنه سمع منک ما لم یسمع منک أحد قط، فأبی أن یخبرنا به، فقال: «نعم وجدنا علم علی علیه السّلام فی آیه من کتاب اللّه: و ما أرسلنا من قبلک من رسول و لا نبیّ (و لا محدث) إلاّ إذا تمنّی ألقی الشیطان فی أمنیته (۱)فقلت: و أی شیء المحدث؟ فقال: ینکت فی أذنه

۱- ۱) الحج:۵۲.

فیسمع طنینا کطنین الطست، أو یقرع علی قلبه فیسمع وقعا کوقع السلسله علی الطست، فقلت: إنه نبیّ؟ ثم قال: لا، مثل الخضر و مثل ذی القرنین» .

و فیه بإسناده عن منصور بن حازم قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن عندنا صحیفه فیه أرش الخدش، قال: قلت: هذا هو العلم، قال: إن هذا لیس بالعلم، إنما هو أثره، إنما العلم الذی یحدث فی کلّ یوم و لیله عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و عن علی بن أبی طالب علیه السّلام» . فیعلم من هذه الأحادیث کیفیه أخذ علومهم علیه السّلام فإنها منه تعالی بواسطه الملک بعد ما یعلمه النبی صلّی اللّه علیه و آله أیضا ثم هم علیهم السّلام، بل إنهم علیهم السّلام یعلمون أصوات الجماد و النبات و الحیوان و هفیف الریاح، و أزیر المیاه و الأمواج، بل یعلمون مراده تعالی من کل موجود و شیء، فیقرأون ما فیه من آثار القدره و العظمه، و ما به قوامه من أسمائه الحسنی، بل بمجرد أن رأوا الملائکه یعلمون ما به قوامه و حاله و نطقه و تسبیحه من الأسماء التی هم قائمون بها. فإن قلت: لا ریب فی کونهم أوصیاء لا أنبیاء، کما صرحت به الأحادیث و الآیه و ضروره المذهب و لکن کیف یفرق بینهم-حینما تتنزل علیهم الملائکه- و بین النبی صلّی اللّه علیه و آله حینما یتنزل علیه الملک؟ قلت: الفرق هو أن إخبار الملک بأقسامه فی جمیع هذه الصوره یکون أولا إلیه صلّی اللّه علیه و آله ثم إلیهم علیهم السّلام کما علمته من حدیث سلیمان عن الصادق علیه السّلام فنبوه النبی فی جمیع الحالات إلی الآن محفوظه، و علمهم علیهم السّلام نور علمه صلّی اللّه علیه و آله، و أما قراءتهم من الموجودات، و ما یعلمون من مراداته تعالی منها فهو من القسم الأول کما لا یخفی. فهم علیهم السّلام مظهرون لأوامره و نواهیه تعالی الحاصله لهم من هذه الأمور المذکوره، و من القرآن الذی حقیقته قائمه فی صدورهم علیهم السّلام کما تقدم مع حفظ مقام النبوه له صلّی اللّه علیه و آله کما علمت.

المقام الثانی: فی بیان معنی الأمر و النهی

فنقول:

قد يراد من الأمر و النهى معناهما الكنائى، و هو آثار السلطنه و الولايه و الربوبيه، يقال: فلان ولى الأمر و النهى يعنى أنه المتصرف و المتسلط و له الحكم، و عليه فمعنى أنهم مظهرون لأمر اللّه و نهيه أنهم يظهرون حكمه و تسلّطه، و أنه تعالى آخذ بنواصى العباد، و معلوم أن هذه الأمور لا تظهر لأحد إلاّ بتعليمهم عليهم السّلام له، فالربوبيه و آثارها من السلطنه و الولايه، و أن له تعالى الحكم فى جميع مراتبها إنما هى ظاهره بهم عليهم السّلام، بل هم عليهم السّلام مظاهرها فى الخلق و الوجود، تعرف هذه المراتب الملائكه و الأنبياء و الأولياء المخلصون. و ليس المراد من كونهم مظاهرها فقط فى عالم الدنيا الفعلى، بل هم مظاهرها فى عوالم العقل و المثال و الدنيا و الآخره و البرزخ و فى عالم الملكوت، بل هم بحقيقتهم حمله تلك العظمه و الربوبيه.

قال الصادق عليه السّلام فى مصباح الشريعه: العبوديه جوهره كنهها الربوبيه، و هم أحسن مصداق لهذه الحقيقه المشار إليها فى هذه العباره، و لازم هذا أنهم عليهم السّلام مفاتيح تلك العظمه و الربوبيه. ثم إنه لا ينال منها أحد إلاّ بإعطائهم عليهم السّلام و إلاّ بإعانتهم لمن يريدها منهم، فبإعانتهم عليهم السّلام يقبل السائلون منهم تلك العطايا و الخيرات و العظمه و المقامات العاليه.

قال الصادق عليه السّلام كما تقدم: «أجمل الأمر ما استاهل أحد النظر من اللّه إليه إلاّ بالعبوديه لنا» (أى بالخضوع لنا) و أحسن وجه لكونهم مظاهر لتلك العظمه و الربوبيه الإلهيه أنهم عليهم السّلام العظمه الظاهره بأمر اللّه تعالى فى نفوس الخلائق تكوينا، فكل من نظر إليهم رأى فيهم تلك العظمه و إن كان من أعدائهم، كما سيجىء فى شرح

قوله عليه السّلام: «فبلغ اللّه بكم أشرف محل المكرمين» إلخ. كيف لا و هم عليهم السّلام الآيات التى أراها اللّه تعالى للخلق فى الأنفس و الآفاق حتى يتبين لهم أنه الحق، قال اللّه تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى اَلْآفَاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتّٰى

يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ

(۱)

.

ففی تفسیر البرهان (۲)، بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث قال: یقول اللّه: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی اَلْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ ، «فأی آیه فی الآفاق غیرنا أراها اللّه أهل الآفاق؟» . فهم علیهم السّلام المظهرون باللّه تعالی لعظمه اللّه التی لا تتناهی، و لسلطنته القاهره الغالبه علی کل شیء، کلّ ذلک بظهور ذواتهم المقدسه، قد علمت أنها خلقت من نور عظمته، فظهروا لذلک بإظهار اللّه تعالی لهم فی عالم الإمکان إظهارا معنونا تحت عنوان آیات اللّه و علاماته الحقه الحقیقیه الخارجیه، المضیئه أنوارها فی القلوب، فاللّه تعالی هو الذی أراها بقوله: «سنریهم» . ثم إنهم علیهم السّلام لما کانوا حقیقه تلک العظمه و السلطنه المکنی بها بالأمر و النهی، فلا محاله هم العاملون علی ما تقتضیه ذواتهم المقدسه من الأعمال بینهم و بین خالقهم، و لذا تری أنهم یعلمون بما یخصهم زایدا علی الواجبات العامه کما لا یخفی. هذا کلّه بلحاظ المعنی الکنائی للأمر و النهی، و أما المعنی الظاهر منهما: فهم علیهم السّلام آمرون و ناهون بأمره و نهیه تعالی فی العلم و الحکم و التبلیغ و الإنذار و الإعذار، و حقیقتهما بهذه المعانی فی مقام العمل خارجا لا یظهران إلاّ منهم و عنهم و فیهم و بهم و لهم: أما أنهما منهم: فلأنهم علیهم السّلام خزان العلم کما تقدم و محل الأمر و النهی، بل هم علیهم السّلام سرهما فهم علیهم السّلام مفتاحهما و مظهروهما. و أما أنهما عنهم: فمما ذکر یظهر أنهما أی الأمر و النهی عنهم یظهران کما تقدم فی بیان معانی أنهم محال معرفه اللّه، إذ أی علم صحیح و معرفه صحیحه لم یکونا قد صدرا إلاّ عنهم علیهم السّلام؟ ! و إلیه یشیر قوله تعالی: لِأُنْذِرَکُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ کما لا یخفی.

۱- ۱) فصّلت:۵۳.

۲- ۲) تفسیر البرهان ج ۴ ص ۱۱۴.

و أما أنهما فيهم: فقد علمت مرارا أن اليات القرآنيه حقيقتها فی صدورهم، و هی قائمه بنفوسهم المقدسه، قال اللّه تعالی: بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ و قد تقدم. و أما أنهما بهم: فلأن حقیقه الأمر و النهی و سرّهما و نتائجهما قائمه بهم، لما تقدم من أن لهم الولایه التکوینیه فی الوجود، التی کان من آثارها أن لا عمل لأهل الطاعه إلاّ بوجودهم و بأمرهم التکوینی و بهدایتهم الإلهیه. و أما أنهما لهم: أی یرجع نفعهما لهم و حاصله: أن عباده الخلق إنما هی للّه تعالی، فهو تعالی المعبود المطلق لا شریک له فی العباده، کما لا یخفی بضروره من الدین، إلاّ أنه تعالی جعل من عباده العباد و الملائکه حظا لهم علیهم السّلام. بیانه:

روی فی أصول الکافی بإسناده عن عبید اللّه بن عبد اللّه الدهقان، قال: دخلت علی أبی الحسن الرضا علیه السّلام فقال: «ما معنی قوله: وَ ذَکَرَ اِسْمَ رَبِّهِ فَصَلّی ؟ فقلت: کلما ذکر اسم ربّه قام فصلی، فقال لی: لقد کان اللّه عز و جل کلّف هذا شططا، فقلت: جعلت فداک فکیف هو؟ فقال: کلما ذکر اسم ربّه صلی علی محمد و آله» (۱).

و فی سفینه البحار (۲)، عن جمال الأسبوع، عن أبی عبد اللّه البرقی، یرفعه إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال له رجل: جعلت فداک أخبرنی عن قول اللّه تبارک و تعالی و ما وصف من الملائکه: یُسَبِّحُونَ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهارَ لا یَفْتُرُونَ . ثم قال: إِنَّ اَللّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی اَلنَّبِیِّ الآیه، کیف لا یفترون و هم یصلون علی النبی صلّی اللّه علیه و آله؟ فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إن اللّه تبارک و تعالی لما خلق محمدا صلّی اللّه علیه و آله أمر الملائکه فقال: انقصوا من (عن) ذکری بمقدار الصلوه علی محمد صلّی اللّه علیه و آله، فقول الرجل صلی اللّه علی محمد فی الصلوه مثل قوله: سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر» .

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۵۵۶.

۲- ۲) سفینه البحار ج ۲ ص ۴۶.

قوله علیه السّلام: «لما خلق محمدا» ، المراد منه خلق أبدانهم، لا أرواحهم فإنها قبل خلق الملائکه کما تقدم، علی أن الاعتبار یقتضی أنه یلزم الصلوه علیهم فی حال کونهم مخلوقین خلق تکوین و أبدان لدفع مضار الخلقه عنهم علیهم السّلام ببرکه الصلوه علیهم، و أما حال کونهم أرواحا، و فی مقام القرب الإلهی فلا معرضیه لهم لآفات الخلق لقربهم و حفظهم به تعالی. فافهم و تدبر. هذا و تقدم أیضا

عن الکافی، عن رجاله، عن معاویه بن عمار، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول فی قول اللّه عز و جل: وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا : نحن و اللّه أسماء اللّه الذی لا یقبل اللّه من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا. فتحصل من هذه الأحادیث: أن الصلوه علیهم عند ذکر اسم الربّ إنما هو عباده له تعالی، فلهم حظ من عباده العباد للّه تعالی بالصلوه علیهم، هذا کما یشیر إلیه

قوله علیه السّلام: «فقول الرجل: صلی اللّه علی محمد فی الصلوه مثل قول: سبحان اللّه. .» ، فإنه علیه السّلام بیّن أن الصلوه علیهم بمثابه عبادته تعالی بقول: سبحان اللّه. . ، و لذا تقوم الصلوه علیهم فی الصلوه مقام عبادته تعالی بمثل سبحان اللّه. . إلخ. فعباده الخلق له یرجع منها حظّ لهم علیهم السّلام، و هذا مما منحهم اللّه تعالی بأن أوجب علی الملائکه و الخلق فی الصلوه و العباده بالصلوه علیهم فی حال عبادتهم له تعالی، فلا محاله یکون لهم حظّ منها، و هذا معنی قولنا: یرجع نفعها لهم، أی نفع الأمر و النهی مطلقا حتی العبادی منهما. کیف لا و قد علمت أن جمیع الأعمال الصادره من الخلائق عن الأوامر و النواهی حتی من المخالفین لهم، فإنما هی من آثار سلطانهم إثباتا فی الموافقین لهم و شیعتهم حیث إنهم (رض) من شئونهم علیهم السّلام و نفیا فی المخالفین لهم حیث إنهم مطرودون عن بابهم طردا به یظهر سلطنتهم و غلبتهم علیهم السّلام علیهم (أی علی المخالفین) فکلّ یمدحهم بلسانه و یظهر شأنهم، أما الموافق فیظهر آثار جمالهم الربوبی، و أما المخالف فیظهر آثار جلالهم الربوبی کما لا یخفی، فالموافق یمدحهم و هو

ظاهر، و المخالف يمدحهم أى يقرّ بعظمتهم و جلالهم و علومهم و قهرهم عليهم (أى على المخالفين) بل قد جبل فى فطره الخلق الثناء عليهم عليه السّلام. فالموافق بذاته يصلى عليهم و يتبرأ من أعدائهم، و المخالف يقرّ بفضلهم و جلالتهم و يلعن أعداءهم و إن كان هو منهم، كما يلعن أهل النار بعضهم بعضا، فيظهر يوم القيمه فى النار ما كان متمكنا فى ذاتهم من لعن أعدائهم عليهم السّلام، و إن كانوا لا يشعرون بذلك فى الدنيا فتدبّر جدّا، و هذا تأويل قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ الآيه، فإنه عام يشمل الأعداء أيضا، و هم عليهم السّلام كما علمت الأسماء الحسنى و قد قال اللّه تعالى: سَبِّحِ اِسْمَ رَبِّكَ اَلْأَعْلَى فتدبّر هاديا مهديا. و اعلم أنه كيف يعلم من هذه الأحاديث أنه لهم المقام الأعلى عند العلى الأعلى المعبر عنه بمقام أَوْ أَدْنى كما تقدم، و هذا لا يفزع منه بعد ما

قالوا (صلوات اللّه عليهم أجمعين) : «اجعلوا لنا ربّا نؤبّ إليه، و قولوا فينا ما شئتم و لن تبلغوا» .

فقوله عليه السّلام: «و لن تبلغوا» ، يعطى أن لهم مقاما لا تصل إليه أفهامنا، فما ذكرناه مما ربما يفزع منه مما قد بلغه دركنا، و نحن نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا معرفتهم عليهم السّلام بفضله و كرمه، و صلى اللّه على محمد و آله الطاهرين، و سيجىء فى معنى الصلوه عليهم ما يوضح لك هذا فانتظر.

[۱۲]قوله عليه السّلام: و عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون.

اشاره

أقول: يقع الكلام فى أمرين:

الأول: قوله: و عباده المكرمون،

اشاره

المراد من العباد ذواتهم المقدسه، و لا ريب فى أنهم عليهم السّلام عباد له تعالى عبدوه حقّ عبادته، و فيه ردّ على من زعم أنهم أرباب من الذين غلوا فيهم، و رفعوهم عن مراتبهم التى رتبهم اللّه فيها. ثم إنه قيل: من الغلو فيهم القول بأنهم يعلمون الغيب، و ردّ بأنه إنما هو من الغلو إذا قيل باستقلالهم فيه من دون تعليمه تعالى إياهم، فلا بدّ من ذكر أدله الطرفين ثم بيان الحق منهما، فنقول:

قال المجلسی رحمه اللّه فی مرآه العقول: و الغیب ما غاب عن الشخص، إما باعتبار زمان وقوعه کالأشیاء الماضیه و الآتیه، أو باعتبار مکان وقوعه کالأشیاء الغائبه عن حواسنا فی وقتنا، و أما باعتبار خفائه فی نفسه کالقواعد، التی لیست ضروریات و لا مستنبطه منها بالفکر و ضد الغیب الشهاده، انتهی. أقول: الغیب ما غاب عن الحسّ، فإذا قیل: غیب اللّه أی ما غاب عن حواس الخلق بعضهم أو کلهم، و لا یراد منه الغیب عن ذاته المقدسه، لأن اللّه سبحانه لم تغب عنه غائبه قال تعالی: وَ مٰا یَعْزُبُ عَنْ رَبِّکَ مِنْ مِثْقٰالِ ذَرَّهٍ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِی اَلسَّمٰاءِ وَ لاٰ أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ أَکْبَرَ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ (۱).

و عن التوحید بعد هذه الآیه عن علی علیه السّلام: «کذلک ربنا لا یعزب عنه شیء، و کیف یکون من خلق الأشیاء لا یعلم ما خلق و هو الخلاق العلیم؟» . نعم فی الخلق یکون غیب و شهاده مطلقا، و فی حال أو مکان خاص دون غیرهما، فالقول بأنهم علیهم السّلام عالمون بالغیب یراد منه الغیب عند الناس و عند غیرهم، لقوله تعالی: إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ (۲)و سیأتی بیانه. فما کان عند غیرهم غیب فهو عندهم شهاده بعلم إحاطه و عیان، کما تقدم فی شرح ولایتهم التکوینیه، و إن کان علم الأخبار أیضا یصدق علیه الشهاده عند العالم به، و إن کان غیبا عند من لا یعلمه. فالمستفاد من تتبع کلمات الأصحاب (رضوان اللّه علیهم) : أن الأئمه علیهم السّلام إنما یعلمون الغیب بتعلیمه تعالی.

ففی الکافی بإسناده عن عمار الساباطی قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن الإمام یعلم الغیب؟ فقال: «لا، و لکن إذا أراد أن یعلم الشیء، أعلمه اللّه ذلک» . و قال المجلسی رحمه اللّه فی المرآه فی شرح هذا الحدیث: موثق، و قال: و حاصله: أنه

۱- ۱) یونس:۶۱.

۲- ۲) الجن:۲۷.

لا یعلم الغیب إلّا بتعلیم اللّه سبحانه، و به یجمع بین الآیات و الأخبار الوارده فی ذلک، انتهی. أی بتعلیمه تعالی إیاهم یجمع بین الآیات الوارده فی اختصاص الغیب به تعالی و بین الأخبار التی دلّت علی علمهم علیهم السّلام به، فإنها یحمل بهذا الحدیث علی أنهم إنما یعلمون الغیب بتعلیمه، و معنی هذا الحدیث أنهم علیهم السّلام بمنزله منه تعالی بحیث کلما أرادوا علم شیء أعلمهم اللّه تعالی ذلک الشیء، و هذا بخلاف غیرهم فإنه لیس لهم هذه المنزله کما لا یخفی. فلا نعلم من أطلق القول فیهم بأنهم علیهم السّلام یعلمون الغیب مطلقا و لو بدون تعلیمه تعالی، إلّا ما ذکره الطبرسی عن بعضهم ذلک و هو غلط بل ظلم للشیعه کما صرح رحمه اللّه بذلک. ففی مرآه العقول فی شرح قوله تعالی: وَ لِلّٰهِ غَیْبُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ قال: و قال فی الرابعه (أی الطبرسی) فی هذه الآیه معناه و للّه علم ما غاب فی السموات و الأرض، لا یخفی علیه شیء منه. ثم قال: وجدت بعض المشایخ ممن یتسم بالعدل و التشیع قد ظلم الشیعه الإمامیه فی هذا الموضع من تفسیره فقال: هذا یدل علی أن اللّه تعالی یختص بعلم الغیب، خلافا لما تقوله الرافضه: إنّ الأئمه علیهم السّلام یعلمون الغیب، و لا نعلم أحدا منهم استجاز الوصف بعلم الغیب لأحد من الخلق، و إنما یستحق الوصف بذلک من یعلم جمیع المعلومات لا بعلم مستفاد، و هذا صفه القدیم سبحانه العالم لذاته لا یشرکه فیه أحد من المخلوقین، و من اعتقد: أن غیر اللّه سبحانه یشرکه فی هذه الصفه فهو خارج عن مله الإسلام. أقول: ذکر أن أخبار الأمیر و الأئمه (علیه و علیهم السلام) بالمغیبات و الملاحم فإنما هو مما تلقوه من النبی صلّی اللّه علیه و آله، و ذکر أن نسبه القول بعلمهم للغیب مطلقا من دون تلقیهم منه صلّی اللّه علیه و آله سبّ قبیح و تضلیل لهم بل تکفیر. العیاذ باللّه منه.

و الحاصل: أن نسبه القول بأنهم عليهم السّلام يعلمون الغيب مطلقا غير معلوم، و ما ذكره هذا البعض غلط و اتهام لهم كما لا يخفى، و سيجىء ما يدل على قول المشهور من أنهم إنما يعلمون الغيب بتعليمه تعالى إياهم مفصلا، و أما أنهم يعلمونه مطلقا فلا، ثم إنه ربما يقال: إن المستفاد من التوقيع الخارج عن مولانا صاحب الزمان (صلوات اللّه عليه و على آبائه الطاهرين و روحى له الفداء) هو القول بعدم علمهم عليهم السّلام بالغيب مطلقا.

ففى المحكى عن الاحتجاج قال عليه السّلام: «يا محمد بن على تعالى اللّه عز و جل عما يصفون سبحانه و بحمده، ليس نحن شركاءه فى علمه و لا فى قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال فى محكم كتابه تبارك و تعالى: قُلْ لاٰ يَعْلَمُ مَنْ فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ اَلْغَيْبَ إِلاَّ اَللّٰهُ و أنا و جميع آبائى الأولين آدم و نوح و إبراهيم و موسى و غيرهم من النبيين و من الآخرين محمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على بن أبى طالب و الحسن و الحسين و غيرهم عليهم السّلام ممن مضى من الأئمه إلى مبلغ أيامى و منتهى عصرى عبيد اللّه، يقول اللّه عز و جل: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ أَعْمىٰ. قٰالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمىٰ وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً. قٰالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيٰاتُنٰا فَنَسِيتَهٰا وَ كَذٰلِكَ اَلْيَوْمَ تُنْسىٰ . يا محمد بن على قد آذانا جهلاء الشيعه و حمقاؤهم، و من دينه جناح بعوضه أرجح منه، و أشهد اللّه الذى لا إله إلاّ هو-و كفى باللّه شهيدا-و محمدا رسوله و ملائكته و أنبياءه و أولياءه، و أشهدک و أشهد كلّ من سمع كتابى هذا أننى برىء إلى اللّه و إلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب أو نشارک اللّه فى ملكه، أو يحلنا محلاّ سوى المحل الذى نصبه اللّه لنا و خلقنا له، و يتعدى بنا عما فسرته لک، و بينته فى صدر كتابى، و أشهدكم أن كلّ من نتبرأ منه فإن اللّه يبرأ منه و ملائكته و رسله و أولياؤه، و جعلت هذا التوقيع الذى فى هذا الكتاب أمانه فى عنقک، و عنق من سمعه أن لا يكتمه من مواليّ و شيعتى حتى يظهر على هذا التوقيع الكلّ من الموالى، لعلّ

اللّه عز و جل يتلافاهم، فيرجعوا إلى دين اللّه الحق، و ينتهوا عما لا يعلمون منتهى أمره و لا يبلغ منتهاه، فكلّ من فهم و لم يرجع إلى ما قد أمرته و نهيته، فقد حلت عليه اللعنه من اللّه، و ممن ذكرت من عباده الصالحين» ، انتهى.

فقوله عليه السّلام: «بل لا يعلم الغيب إلاّ اللّه» ،

و قوله عليه السّلام: «ممن يقول إنا نعلم الغيب» ، يدل بإطلاقه على نفى علم الغيب عنهم مطلقا، و لكن فيه مضافا إلى أنه محمول على التقيه كما قيل، و إن كان تأباه التأكيدات المذكوره فى كلامه عليه السّلام من التبرى و اللعن على من قال بأنهم يعلمون الغيب، إلاّ أنه لا بأس بالحمل عليها، مع ما اشتهر من العامه من الطعن على من يقول بأنهم عليهم السلام يعلمون الغيب مطلقا حتى من تعليمه تعالى إياهم، فإنه بهذا الحمل يجمع بينه و بين ما دلّ على أنهم يعلمون الغيب من تعليمه تعالى كما ستجىء الإشاره إليه، هذا مع ما ترى كثيرا من أخبارهم بالمغيبات كما لا يخفى. إنّ ظاهر

قوله عليه السّلام: ليس نحن شركاءه فى علمه و لا فى قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، إن المنفى هو كونهم عليهم السّلام عديلا له تعالى فى علم الغيب لا بعلم مستفاد بل لذاتهم كما أنه تعالى كذلك. و بعباره أخرى: المنفى كونهم شركاءه تعالى بالاستقلال، و فى قباله تعالى فى مطلق العلم و فى علم الغيب، بحيث لا يحتاجون إلى تعليمه تعالى، فإن هذا هو مقام الربوبيه التى نفوها عنهم بالآيات القرآنيه و بكلماتهم عليهم السّلام.

فقوله عليه السّلام: «بل لا يعلم الغيب غيره» ، عطف على المجرور فى

قوله عليه السّلام: فى علمه و لا فى قدرته، أى فكما أنه تعالى يختص بنفسه المقدسه بالعلم و القدره، كذلك يختص بعلم الغيب لذاته. و بعباره أخرى: كما أن اختصاصه بالعلم و القدره لذاته، فكذلك علمه تعالى بالغيب لذاته لا يشركه فى ذلك أحد، و فى هذا ردّ على الغلاه الذين يدعون أنهم عليهم السّلام أرباب، و يعلمون الغيب لذاتهم من دون تعليمه تعالى، فإن هذا يرجع إلى

کونهم علیهم السّلام شرکاء الباری تبارک و تعالی، و یدل علیه

أنه علیه السّلام قال: «إننی بریء إلی اللّه و إلی رسوله ممن یقول: إنا نعلم الغیب، أو نشارک اللّه فی ملکه، أو یحلنا محلا سوی المحل الذی نصبه اللّه لنا و خلقنا له» . فإنه علیه السّلام جعل علم الغیب فی سیاق المشارکه معه تعالی فی ملکه، فیظهر منه أن النفی هو علم الغیب لذاته المختص به تعالی، فإنه یوجب المشارکه له تعالی فی ملکه، و أما العلم به لتعلیمه تعالی کما صرح به کثیر من الآیات فلا، و لیس هذا القول فیهم من القول إنّه قد أحلهم محلا سوی المحل الذی نصبه اللّه لهم، بل القول بأنهم یعلمون الغیب مطلقا بدون التعلیم الإلهی کذلک کما لا یخفی، و لعلّه کان هناک من الشیعه من یقول بأنهم علیهم السّلام یعلمون الغیب مطلقا فبلغه علیه السّلام ذلک فأنکر علیهم بهذا النکیر. و الحاصل: أن هذا الحدیث إما محمول علی التقیه أو علی نفی علم الغیب بدون تعلیم إلهی کما لا یخفی، و ربما یقال: بحمل ما دلّ علی نفی الغیب عنهم مطلقا جمعا بینه و بین ما دلّ علی أنهم یعلمونه علی أن المنفی هو الغیب الأزلی الذی هو الذات المقدسه، و أشکل علیه بأن مرجع هذا الحمل إلی أنهم یعلمون جمیع ما سوی الذات دون الذات، و لکن فیه أنه علی خلاف الظاهر منهم علیهم السّلام فإنهم علیهم السّلام کما قال سیدنا و نبینا صلّی اللّه علیه و آله بقوله: رَبِّ زِدْنِی عِلْماً کانوا یسألونه تعالی علما، فإذا کان المنفی، الذات فلا محاله لا یجوز لهم السؤال عنها، و إن کان سؤالهم عما سواها فهو غیر صحیح. إذ المفروض أنهم یعلمون جمیع ما سوی الذات، فحینئذ فما معنی سؤالهم عنه تعالی، لأنه إما سؤال عن المحال (أی الذات) أو عما هو حاصل لهم و هو تحصیل للحاصل و هو باطل، مضافا إلی أنه لو سلّمنا علمهم بما سوی الذات فإنما نسب ذلک بالنسبه إلی الماضی و الحال من علومهم، و أما المستقبل فلا، فإن المستقبل یقال فیه بالبداء أو لا و الثانی باطل بضروره من المذهب و الأحادیث المتضافره الداله علی البداء للّه تعالی بأی معنی صحیح فسّر، و أما الأول فحینئذ کیف یصح

لهم علیهم السّلام العلم به و الإخبار به جزما مع وقوع البداء فیه؟ قیل: و إلیه یشیر

قول علی علیه السّلام لمیثم التمار: «لو لا آیه فی کتاب اللّه تعالی لأخبرتکم بما کان و ما یکون إلی یوم القیامه» و هو قوله تعالی: یَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ بل بهذا یخصّص ما دلّ علی عموم علمهم للغیب، فلا بد من استثناء المستقبل منه لمکان البداء، هذا و لکن فیه أن مرجع هذا الحمل إلی کونهم عالمین بما سوی الذات ممنوع. بیانه: أنه قد دلّت الآیات و الأحادیث و الأدعیه علی أنه لیس لأحد العلم بذاته المقدسه بنحو الاکتناه کقوله تعالی: أَلاٰ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطٌ فلا محاله لا یکون محاطا کما لا یخفی، و أما الأحادیث و الأدعیه الداله علی هذا فلا یخفی علی المتتبع لکلماتهم علیهم السّلام فحینئذ إن الأصل المسلم هو عدم العلم بالذات بنحو الاکتناه لأحد و هذا مما لا ریب فیه، ثم إنه من المسلم أنهم علیهم السّلام یسألونه تعالی زیاده العلم لقوله تعالی: رَبِّ زِدْنِی عِلْماً و الأحادیث الکثیره الوارده فی أبواب علومهم الداله علی أنهم یستزیدون منه تعالی العلم و إلّا لنفد ما عندهم و ذلک بالألسنه المختلفه. منها: أنهم یزدادون فی لیالی الجمعه کما تقدم بعضها. و منها: ما یحدث لهم ساعه بعد ساعه، و قد تقدم بعضها مع بیانه. فیعلم من هذا: أن ما سوی الذات منه ما هو معلوم لهم بتعلیمه تعالی لهم، و منه ما هو غیر معلوم لهم إلاّ إذا أعلمهم اللّه تعالی، فلا یلزم من نفی علمهم بالذات علمهم بما سوی الذات مطلقا حتی یقال: بأن سؤالهم عنه تعالی إما محال و إما تحصیل للحاصل، بل نقول: کلما ازدادوا إلی الأبد من علومه تعالی بتعلیمه تعالی لهم دائما فمع ذلک أنه یصدق علیهم عدم علمهم بالذات، و عدم علمهم ببعض ما سوی الذات کما سبق فی علمه تعالی إظهاره لأولیائه فی مدی الخلق. و مرجع هذا إلی أن ذاته المقدسه غیر متناه أبدا، و أنهم علیهم السّلام مهما علموا ما

علموا منه تعالى فلا يصلون إلى العلم بالـذات بنحو الاكتناه، فحينئـذ يحمل ما دلّ على نفى علم الغيب عنهم على هذا العلم (أى العلم بالـذات) كمـا لاـ يخفى، و أنه تعـالى فياض على الإطلاق و دائما بحيث لا ينفـد ما عنـده من العلم و الفيوضات، فلا محاله يصح السؤال منه مطلقا خصوصا منهم و لـذا خوطبوا بقوله تعالى: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً . و أما ثانيا فإنه على تقـدير استلزام نفى العلم بالـذات العلم بمـا سواهـا أنه لاـ ضـير فى علمهم بما سواها حتى بالنسبه إلى المسـتقبل، و القول بأنه كيف يمكن ذلك مع القول الحتمى بالبـداء، فلا بد بلحاظ البداء نفى العلم فيما سوى الذات بالنسبه إلى المسـتقبل مردود بما تقدم أولا من الأحاديث الداله على علمهم عليهم السّـلام بما يكون إلى يوم القيمه و بما هو فى النار و فى الجنه، و سيأتى فى تحقيق البداء أن القول به لا ينافى علمهم بالمستقبل بالنسبه إلى خصوص النبى و الأئمه عليهم السّلام و ذلك لأنهم عليهم السّلام هم لوح المحو و الإثبات.

قال عليه السّلام فى الزياره:

«و بكم يمحو اللّه ما يشاء و بكم يثبت»

، و أما

قول على عليه السّـلام فى حـديث ميثم: «لو لاـ آيه فى كتاب اللّه تعالى لأخبرتكم» ، فإنما هو عليه السّـلام نفى الإخبار به لمكان الآيه لا العلم كما لا يخفى، و لهذا المقام توضيح آخر سيجىء فى تحقيق معنى البداء إن شاء اللّه تعالى. و ربما يقال: بأن المراد من علم الغيب هو أن يعلم أحـد شيئا من عنـد نفسه، لاـ بـآله أو بتعليم غيره، فـالمنفى عنهم عليهم السّـلام هو العلم بالغيب بهـذا المعنى، فيصح حينئـذ أن يقال: إنهم لا يعلمون الغيب بهـذا المعنى (أى من عند أنفسهم) و إن صح أنهم عليهم السّـلام يعلمونه بتعليمه تعـالى لهم، و فيه أن هـذا المعنى خـارج عن موضوع كلاـم القوم من أنهم يعلمون الغيب بهـذا المعنى أم لاـ بـل موضوع الكلاـم من الكل (أى من النافين و المثبتين) بعد التسليم منهم على أنهم لا يعلمون من قبل أنفسهم، و أنه إذا علموا الغيب فهو من عند اللّه تعالى هو أنه هل أعلمهم اللّه تعالى الغيب أم لا؟

نعم: ذهب شرذمه قلیلون بأنهم أرباب من دون اللّه تعالی، فهؤلاء یقولون: بأنهم علیهم السّلام یعلمون الغیب من عند أنفسهم، و لکن ذرهم و ما یفترون. و بعباره أخری: أن علمهم بالغیب عند القائلین به إنما هو بتعلیمه تعالی لا بأنفسهم، و إلاّ لزم کونهم أربابا و هو باطل، فکذلک من یدعی أنهم یعلمون الغیب فلا یدعیه أنهم یعلمونه بدون تعلیمه و بأنفسهم بل یقولون: إنهم علیهم السّلام مخلوقون مربوبون و مع ذلک یعلمون الغیب بتعلیمه تعالی. و الحاصل: أن نفی علم الغیب عنهم بأنفسهم لیس لإثبات أنهم مخلوقون، و لم یکونوا أربابا بدعوی أن علم الغیب من عند أنفسهم یستلزم کونهم أربابا فلا بد من نفیه عنهم علیهم السّلام کذلک أی من عند أنفسهم، لکی یعلم أنهم لیسوا أربابا بل هم مخلوقون، بل القائلون بأنهم یعلمون الغیب مطلقا، و القائلون بأنهم لا یعلمونه مطلقا أو علی بعض الصور الآتیه فإنهم متفقون علی أنهم علیهم السّلام مخلوقون عباد له مکرمون. و بعد الفراغ عن هذا و أنه لیس شیء لهم إلاّ و هو منه تعالی، وقع النزاع فی أنه هل یعلمون الغیب أم لا؟ و بعباره أخری: أنه هل أعلمهم اللّه الغیب أم لا؟ فالقول إنهم یعلمون الغیب بتعلیمه تعالی هو أول الکلام فیهم، فرجع الکلام حینئذ إلی أنه لا بد فی إثبات علم الغیب لهم من إثبات الدلیل و هو أنه هل أعملهم اللّه ذلک أم لا؟ و إلاّ أنه کونهم عالمین بالغیب لا بد و أن یکون من تعلیمه تعالی لا ریب فیه، بل هو مقتضی کونهم علیهم السّلام عبیدا له تعالی، فتأمل تعرف. أقول: ستجیء إن شاء اللّه النصوص القرآنیه علی أنه تعالی أعلمهم مع البیان الشافی فی شرحه فانتظر، و تقدم ما یدل علیه أیضا. و ربما یقال: بأن المنفی عنهم هو العلم بالغیب من دون وراثه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أما ما ورثوه منه صلّی اللّه علیه و آله فإنهم عالمون به، فحینئذ ما دلّ علی أنهم لا یعلمون

الغیب یحمل علی ما لم یرثوه منه صلّی اللّه علیه و آله و ما دلّ علی أنهم یعلمون الغیب یحمل علی ما ورثوه منه صلّی اللّه علیه و آله و لکن فیه أن هذا إن رجع إلی القول بأنهم یعلمون الغیب بتعلیمه تعالی فهو هو، و إلاّ فالاشتراط بأن علم الغیب هو ما ورثوه منه صلّی اللّه علیه و آله لم یدل علیه دلیل کما لا یخفی. ثم إن المنکرین لعلمهم علیهم السّلام الغیب حملوا ما دلّ علی أنهم یعلمون الغیب علی أمور: منها: أنهم علیهم السّلام یعلمون کل ما سوی الأمور الخمسه التی دلّت النصوص علی أن اللّه تعالی تفرد بها و هی ما فی الآیه: إِنَّ اَللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلسّٰاعَهِ وَ یُنَزِّلُ اَلْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ مٰا فِی اَلْأَرْحٰامِ وَ مٰا تَدْرِی نَفْسٌ مٰا ذٰا تَکْسِبُ غَداً وَ مٰا تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ . و فی الحقیقه یرجع هذا القول إلی التفصیل فی المسأله فیقال: بأنهم یعلمون الغیب فیما سوی الخمسه و لا یعلمونها، و لکن فیه: أولا: أنهم علیهم السّلام أخبروا بأنهم لا یعلمون أشیاء کثیره لیست من هذه الخمسه. و ثانیا: أن هذه الخمسه تجمع أغلب الغیوب بل کلها یرجع إلی هذه، أو إلی أحدها بضرب من التأویل القریب، فلا یبقی إذا مصداق لغیرها من الغیب یعلمونه کما لا یخفی، مضافا إلی أنه إنه أرید من کلّ واحد من هؤلاء الخمسه مجرد ظاهرها مع قطع النظر عن تأویلها، فلا ریب فی أنها أقل القلیل فی قبال کثیر مما یعلمونه من الغیب فإنه لا حدّ له و لا إحصاء. و إن أرید منها معناها العام و ما تئول إلیه هذه الخمسه یشمل کثیرا من الغیوب، ففیه أنه حینئذ لا یبقی مصداق للغیب الذی یعلمونه کما علمت، مضافا إلی أنه حینئذ لا یکون هذا العلم القلیل بالغیب شأنا معتنی به لهم علیهم السّلام إما لقلته و إما لأنه نری حینئذ أن کثیرا من الخلق مثلهم کأصحاب النجوم و الرمّالین و الجفریین و الجوکیه و الکهنه و أهل القافه (القیافه) و زاجری الطیر، و غیرهم من أصحاب

التسخیر، الذین یعلمون أشیاء ممن هو مسخر لهم من الجن بل و الملک، أو من تسخیر الأرواح أو من إحضارها کما لا یخفی. فإن هؤلاء یعلمون أکثر مما یعلمونه علیهم السّلام بل قد نری أن بعضهم یعلم هذه الخمسه أو بعضها کما لا یخفی، هذا کله مضافا إلی أنهم علیهم السّلام قد أخبروا ببعض هذه الخمسه کما لا یخفی علی المتتبع، فلا بد من معنی الآیه و المراد منها بنحو یستقیم بظاهره، و سیجیء قریبا إن شاء اللّه. و منها: أن ما دلّ علی أنهم یعلمون الغیب فالمراد منه البعض لا الکلّ. بیانه: أنه لا ریب فی أنهم لا یعلمون کلّ شیء بنحو العام المجموعی، فإن العلم بکلّ شیء بهذا النحو مختص به تعالی کما لا یخفی، فیحمل ما دلّ علی أنهم لا یعلمون الغیب علی هذا، و هذا لا ینافی علمهم ببعض الغیوب، فیحمل علیه ما دلّ علی أنهم یعلمون الغیب، و فیه أن الاشتراط بالکلّ فی قولهم: لا نعلم الغیب، مما لا ملزم له لا لغه و لا شرعا و لا عرفا و لا عقلا و لا نقلا کما لا یخفی، و لا یتوقف صدق کونهم لا یعلمون الغیب علی هذا الاشتراط کما لا یخفی. ثم إنه بقی الکلام فی بیان المراد من الآیه الشریفه و هی قوله تعالی: إِنَّ اَللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلسّٰاعَهِ وَ یُنَزِّلُ اَلْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ مٰا فِی اَلْأَرْحٰامِ وَ مٰا تَدْرِی نَفْسٌ مٰا ذٰا تَکْسِبُ غَداً وَ مٰا تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ. (1). فنقول: قال المجلسی رحمه اللّه فی مرآه العقول فی شرح هذه الآیه ما ملخصه: أنّها تحتمل وجوها: الأول: أن المراد هو أن تلک الأمور لا یعلمها بالیقین و الدقه إلاّ اللّه، فما یری من أنهم علیهم السّلام أخبروا ببعضها، و کذا ما أخبر بها الملائکه لهم علیهم السّلام فإنما هو إخبار بالتقریب من الیوم و اللیل و الشهر لا بالدقه فإنه مخصوص به تعالی. و فیه أن اختصاص علم الغیب بهذه الخمسه به تعالی و بهذا المعنی لا مزیه فیه

1- 1) لقمان:۳۴.

يختص بها تعالى، فإنّ أى مزيه فى معرفه الآن الدقى لموت أحد بعد العلم به فى اليوم مثلا فليس هذا إلّا تخصيص بلا فائده. الثانى: أن العلم الحتمى فيها مختص به تعالى، و كلما أخبر اللّه تعالى من تلك الخمسه أو أخبروا به عليهم السّلام كان محتملا للبداء. و فيه أنه يلزم من هذا تخصيص البداء منه تعالى بهذه الخمسه مع أنه منقوض طردا و عكسا، فإنا نرى وجود البداء فى غير هذه الخمسه أيضا، كيف و قد وردت أحاديث كثيره بأنه ما بعث اللّه نبيا إلّا و اشترط عليه البداء فإطلاقها يأبى عن التخصيص بخصوص هذه الخمسه كما لا يخفى على المتتبع فيها، و أيضا نرى أنهم أخبروا بهذه الخمسه بنحو الحتم الذى ليس فيه البداء لما أعلمهم اللّه به أنه كذلك، فليس كلّ ما أخبر تعالى أو أخبروا بهذه الخمسه مما فيه البداء، و سيجىء فى بيان المختار فى المسأله تحقيق إجمالى فى البداء إن شاء اللّه و يقرب إلى هذا فى الضعف ما قاله. الثالث: أن تكون لهذه الخمسه مزيّه بين الأمور، هى أن الأمور غير هذه الخمسه إذا اطلع عليها أحد فإنما تطلّعه عليها بنحو فيها البداء، و أما هذه الخمسه فلا يخبر بها أحد مع البداء، بل إذا أخبر بها فإنما هو بنحو الحتم، فهذه الخمسه تختص من بين الأمور بأنها لا يخبر بها اللّه إلّا بالحتم دون غيرها كالإخبار بها فى ليالى القدر لحجه اللّه تعالى، أو أقرب من ليالى القدر من أيام وقوعها مثلا. ثم قال رحمه اللّه: و هذا وجه قريب تدل عليه الأخبار الكثيره إذ لا بد من علم ملك الموت بخصوص الوقت، كما ورد فى الأخبار، و كذا ملائكه السحاب بوقت نزول المطر، و كذا المدبرات من الملائكه بأوقات وقوع الحوادث. أقول فيه: إنه ممنوع كليا فإنه ربما أخبر تعالى لموت أحد من أنبيائه، و مع ذلك لم يمت لمكان البداء كما لا يخفى على المتتبع. الرابع: أن يكون المراد عدم علم غيره تعالى بها إلّا من قبله، فيكون كسائر

الغيوب، و يكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره من الوجوه. أقول: لم أعرف معنى محصّلا لهذا المحمل، فإن جميع الأمور لا يكون علمها إلاّ من قبله عند من يقول: بأنهم عليهم السّلام يعلمون الغيب، و لم يعلم وجه أظهريه الأمر فيها على أن الأظهريه لا توجب اختصاص علم الغيب بها به تعالى، كما هو المستفاد و المدعى من ظاهر الآيه. نعم قد يتوهم أن الاطلاع على الغيوب فى الأمور لكلّ أحد، ربما يخفى وجهه، فيتوهم أنه من بعض الأسباب من دون دخالته تعالى و من دون تعليمه، و هذا بخلاف هذه الخمسه، فإنها لا يحتمل فى العلم بها أنه من غير اللّه، بل الأمر فيه ظاهر أنها من تعليمه تعالى، و لعلّ هذا هو المراد من المحمل. و لكن فيه أيضا أن هذا مجرد استحسان ينافى الظاهر المستفاد و المدعى من الآيه الشريفه، من أن علم هذه الأمور يختص به تعالى، فإنه حينئذ يرجع إلى اختصاص الأظهريه لها به تعالى، و هو كما ترى أمر استحسانى. إذا علمت هذا فنقول: إن الظاهر من الآيه (و اللّه العالم) أنه تعالى قد جعل الأئمه عليهم السّلام دليلا لتبيان كلّ شىء فى القرآن المجيد، فهم لمكان إحاطتهم بعلم القرآن كلما أرادوا أن يعلموا شيئا علموه به، إلاّ هذه الخمسه فإنه تعالى اختص علمها بنفسه، فلو أرادوا أن يعلموها لا يكون إلاّ بتعليمه تعالى إياهم عليهم السّلام لا بمراجعتهم علم القرآن، فهذا وجه الاختصاص به تعالى، و لا يرد عليه أن هذا صحيح إذا أخذ بظاهر الآيه من خصوص الخمسه. و أما إذا كان المراد المعنى العام لهذه الخمسه، الذى علمت أن كلّ علم الغيب أو أكثره يرجع إليها بضرب من التأويل، فحينئذ لا يبقى لرجوعهم إلى القرآن فى العلم بالأمور كثير مصداق، فإنه يقال: لا ريب فى أن القرآن قد بين لهم عليهم السّلام كثيرا من العلوم و المعارف، و حقائق الأسماء الحسنى و الأسماء العظمى، و كثيرا من الوعد و الوعيد، و أخبار السماء و الأرض، و الدنيا و الآخره و الجنه و النار، فإن

الموضوعات التی أخبر بها القرآن و یکون علمها عندهم علیهم السّلام أکثر من أن تحصی، علی أن هذه الخمسه إنما هی أمور یتعلق أغلبها بالحوادث من وقوع الساعه و نزول الغیث، و ما فی الأرحام، و ما تکسبه نفس و وقت موتها فإن هذه راجعه إلی الحوادث الدنیویه، فأین هذه من علوم القرآن التی لا یحیط بها العقلاء، بل و لا الملائکه و لا الأنبیاء غیرهم علیهم السّلام؟ نعم اختصاص هذه الأمور الخمسه فی الآیه الشریفه إنما هی للإشاره إلی أن أمر الخلق بأصولها الأولیه، التی تجمعها هذه الخمسه إنما هی أمرها بیده و علمها عنده تعالی، فلا یتصرف فیها أحد من نفسه، لعدم علمه بها بل موقوف أمرها و تعلیمها علیه تعالی، ففی الحقیقه هذه الآیه الشریفه تبین سلطنه الحق تعالی، و نفوذه و قدرته الکامله فی الأمور بحیث لا یشترک فیه أحد، و سیجیء توضیح لهذه الآیه إن شاء اللّه تعالی. ثم إنه ربما یقال فی الجمع بین ما دلّ علی أنهم لا یعلمون الغیب، و بین ما دلّ علی أنهم یعلمونه بما حاصله: أنهم علیهم السّلام یعلمون ما اشتمل علیه الکتاب و هو علم کثیر قال اللّه تعالی: وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنٰاهُ فِی إِمٰامٍ مُبِینٍ (1)و قال تعالی: مٰا فَرَّطْنٰا فِی اَلْکِتٰابِ مِنْ شَیْءٍ (2)و غیر ذلک من الآیات، ثم ما اشتمل علیه القرآن علی أقسام لابد من جعل کل واحد منها، فیما جعله اللّه فیه من ظرفه، و هی علی ما یلی: منها: ما کان. و منها: ما یکون. و منها: المحتوم. و منها: المشروط. و منها: الموقوف.

ص:483

1- 1) یس:12.

2- 2) الأنعام:38.

أما الأول (أى ما كان فى علمه تعالى بأنه قدّره) : فقد اطلعهم عليهم السّلام بواسطه محمد صلّى اللّه عليه و آله فهذا فى كونه سابقا فى الجمله مما لا شك فيه، و أما أنه يبقى أو يتغير فعلى أقسام، منه ما أخبرهم عليهم السّلام بأنه لا يتغير أبدا، و علّمهم أنّه ليس فى عالم الغيب و الشهاده له مقتضى التغيير. نعم أخبرهم اللّه تعالى فى هذا القسم بأنه إذا شاء أن يغيّره سبّب و خلق له المقتضيات كما يشاء، فحينئذ يغيّره كيف يشاء: لأن إخباره بأن هذا لا يبقى، و ليس فى عالم الغيب و الشهاده ما يغيّره، لا يوجب سلب القدره عنه تعالى على أن يغيّره بتسبيب الأسباب لتغييره و لا يقال: كيف، و لا سبب له فى عالم الغيب و الشهاده، و ذلك لأنه تعالى بذاته سبب من لا سبب له، و سبب كلّ ذى سبب، و مسبب الأسباب من غير سبب كما وردت بهذا النصوص. و الحاصل: يعلمون فى هذا القسم أنه له تعالى أن يغيره بقاء إن شاء، فلم تكن يده مغلوله إلاّ أنهم لا يعلمون هل يشاء بذاته تغييرا أم لا؟ فعدم هذا العلم من هذا القسم ملحق بعلم الغيب المختص به، إذ لم يقل أحد ممن قال بأنهم عليهم السّلام يعلمون الغيب: إنه ليس هناك ما لا يعلمونه، بل هناك أشياء كثيره فى علمه الذاتى تعالى لا يعلمونه فهم عليهم السّلام مع ما يعلمونه مما كان يقوله تعالى لنبيه إلاّ أنهم مع ذلك لأجل علمهم بأنه تعالى له أن يغيره فهم من خشيته مشفقون، و إنما علمهم فعلا بأنه لا يتغير، لأجل ركونهم إلى قوله و تصديقهم بوعده، فهم مشفقون فى حال علمهم به بإعلامه تعالى لهم، و فى حال أنه له تعالى أن يغيره كما لا يخفى. أقول: يشكل جمع هذا مع قوله تعالى: فَلاٰ تَحْسَبَنَّ اَللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إلاّ أن يقال: إن السرّ فى قوله تعالى: عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ يبين أنهم فى عين اعتمادهم على وعد ربّهم، و أنه تعالى لا يخلف الوعد، مشفقون منه تعالى لمكان عدم سلب القدره منه عن التغيير.

و الحاصل: أنه من تصديقهم بوعده تعالى، و ثبات ركونهم إلى قوله تعالى فى حقهم: عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ يعلمون بعدم التغيير فيما أخبرهم تعالى به، و من علمهم أن كلّ هذه الأشياء حتى إخباره تعالى بعدم التغيير أشياء ممكنه، لا تخرج بالوعد عن الإمكان الذاتى، فإنه تعالى لو شاء أن يغيرها غيّرها فى هذا القسم أيضا كيف شاء، فهم من هذا الإمكان مشفقون. و بعباره أخرى: القول بالبداء فيما أخبر تعالى يجرى فى هذا القسم أيضا، و لهذا الاحتمال

روى عن الصادق عليه السّلام ما معناه: «إن إلياس النبى سجد و بكى و تضرع، فأوحى اللّه إليه: ارفع رأسك فإنى لا أعذبك، قال: يا رب إن قلت: لا أعذبك، ثم عذبتنى أ لست عبدك» . و إلى هذا أيضا يشير

قول السجاد عليه السّلام فى دعائه:

«إلهى و عزتك و جلالك لو أننى منذ بدعت فطرتى من أول الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيتك بكلّ شعره فى كل طرفه عين» ، إلى أن قال: «لما استحققت محو سيئه من سيأتى» ، راجع الدعاء، فإن مفاده مفاد ما روى عن إلياس النبى عليه السّلام كما لا يخفى، فهذا الاحتمال قد أوقعهم عليهم السّلام فى الخشيه منه مع وعده تعالى.

و ورد فى تفسير قوله تعالى: وَ لَئِنْ شِئْنٰا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ عن الرضا عليه السّلام: «فهو يعلم كيف يذهب و لا يذهب به أبدا» . و كيف كان إمكان تغيير ما أخبر به تعالى أوقعهم فى الخشيه منه تعالى، و إن علموا بالضروره أنهم عليهم السّلام ممن وعدهم النجاه، و أنهم إلى رضوانه صائرون البته، و إلاّ لما كان وجه لخوفهم منه تعالى، و هم يعلمون أنهم مقربون مرضيون، بل علمت فيما سبق: أن الجنه خلقت لهم و لأتباعهم. أقول: الإمكان الذاتى للتغيير يكون مسلوب الأثر بقوله تعالى: فَلاٰ تَحْسَبَنَّ اَللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ كيف يمكن تأثير الاحتمال فى هذا النحو من الخوف الكثير، مع وعده تعالى بالنجاه مثلا، بل الخوف المتراءى منهم بنحو لا يكون فى غيرهم،

فإنما هو من الخشيه من عظمه ربّهم تاره و الشوق إليه أخرى، و ترقب ازدياد المعرفه به مما خفى عنهم ثالثه، فإنهم عليهم السّلام و إن بلغوا إلى ما بلغوا، و لكن له تعالى تجليات ذاتيه خفيه غير متناهيه الظهور كما لا يخفى. و منه: ما أخبرهم أنه يتغيّر، و له تعالى أن لا يغيره بعين هذا البيان فهم عليهم السّلام يحكمون بقول اللّه أنه يتغير، و مع ذلک يعلمون عن تعليم اللّه لهم أن بيده ملكوت كل شىء، فإذا شاء فى هذا القسم عدم تغيير فعل كيف لا و لا راد لإرادته و لا معقب لحكمه؟ و يجرى فى هذا القسم ما تقدم من الكلام فى سابقه حرفا بحرف كما لا يخفى. و منه: ما أخبر تعالى بأنه لا يتغير هذا مع أنه تعالى لم يحتم لهم عليهم السّلام بأن يطلعهم على انتفاء مقتضى التغيير فى الشهاده، فهم فى مقام الشهاده غير مطلعين على انتفاء مقتضى التغيير بل يحتملونه. نعم يستلزم ظاهر إخباره تعالى لهم و لملائكته انتفاء مقتضى التغيير فى الغيب، لما علموا أنه تعالى إذا أخبر أنبياءه و رسله، فإنه لا يكذب نفسه، و لا يكذب المخبرين عنه بالصدق بحسب الإخبار الظاهرى، فحينئذ هم عليهم السّلام يخبرون عنه تعالى بأن هذا الشىء ثابت، إلّا أنه للّه فيه البداء فيما يشاء و يخبر به، فإنه يمحو ما يشاء و يثبت، فتأمل. فإن عدم اطلاعهم على انتفاء مقتضى التغيير فى الشهاده، مع استلزام إخباره تعالى انتفاء مقتضى التغيير فى الغيب، مما لا يمكن جمعها، فإن عالم الشهاده تابع لعالم الغيب كما لا يخفى، هذا كله بالنسبه فيما كان. و أما الثانى أعنى ما يكون: فهو على أقسام: منه: ما أخبرهم اللّه تعالى بوقوعه حتما على صفه كذا، فلا محاله يكشف هذا عن أنه لا مانع لوقوعه لا فى الغيب من موجبات القدر، أو مما يتوقف عليه قابليّته للوجود، بل الموانع مفقوده، و عله الإيجاد موجوده، و لا فى الشهاده من أسباب القضاء ممّا يتوقف عليه وجوده، بل كلّها موجوده كالدعاء و الصدقه و البر

بالوالـدين مثلاـ و عـدمها. و بعباره أخرى: الأسـباب السابقه على القضاء، و الإمضاء بالوجود كلّها موجوده، بل الأسـباب اللاحقه أيضا فإنه ربما يكون الشرط بلحاظ الزمان متأخرا عن المشروط، و السرّ فيه أن الشرائط اللاحقه زمانا ربما تكون سابقه دهرا كما حقق فى محلّه، بـل ربمـا تكون اللاـحقه بالفعـل و السابقه بالقوه، و من المعلوم أن ما بالفعل سابق دهرا على ما بالقوه و إن تأخر زمانا. و فيما كان كذلك فإنه سيكون، و يعلمون عليهم السّـلام أن ذلك خلق اللّه، و فى قبضـته و تحت إمضائه و قضائه. و منه: ما أخبرهم عليهم السّلام بأنه سيكون و لم يحتم لهم بكشف الحال فى الغيب و الشهاده، فهذا حكمه حكم ما كان فى عدم تغيّره مع عـدم الحتم، و احتمـال البـداء فيه كمـا تقـدم مشـروحا. و منه: المحتوم فهو كما مرّ. و منه: المشـروط و حينئـذ يعلمون عليهم السّـلام أنه يجوز أن يقع شـرطه و أن لا يقع، و الأول: أن ما وقع شرطه، يجوز أيضا أن لا يقع لإيجاد مانع أقوى يدفع الشرط عن التأثير، أو لمنع ذاته جلّ و علا فإنه سـبحانه ربما يمنع الأسـباب عن التأثير كما منع تأثير السـكين لذبح إسماعيل عليه السّلام. نعم حينئذ لو لم يمنعه تعالى، و أذن تكوينا فى وقوعه، فلازمه الوقوع، فعلم أنه مع عدم المنع و وجود الأسـباب لا بد من الإذن أيضـا و إلّا لم يقع. فالأسـباب السبعه من المشيه و الإراده و القدر و القضاء، و الإذن و الأجل و الكتاب، إذا لم يقع أى شىء كما صرح به فى الأخبـار عنهم عليهم السّـلام فبمجرد حصول الأسـباب الخـارجيه بـدون تلـك الأمور السـبعه الراجعه إلى إيجاد الفاعل، لا يكفى فى الوقوع، أ لا ترى قوله تعالى: قُلْنا يا نارُ كُونِى بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ فإنه مع وجود الأسـباب الخارجيه للاحتراق لم يتحقق الاحتراق، و ذلک لعدم تلک

الأسباب السبعه المذكوره الراجعه إلى إيجاد الفاعل فإن قوله تعالى: كُونِي بَرْداً يدل على عدم تلك الأسباب السبعه المذكوره كما لا يخفى. و كذا قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ اَلظِّلَّ وَ لَوْ شٰاءَ لَجَعَلَهُ سٰاكِناً (١)فقوله: وَ لَوْ شٰاءَ لَجَعَلَهُ سٰاكِناً يدل على أن الأصل فى تحقق مدّ الظل هو تلك الأسباب السبعه و إلّا لجعله ساكنا، و يجوز فيما وقع شرطه أن يقع المشروط، و ذلك لما يشاء اللّه تعالى من الأسباب و المتممات من المشخصات. و الحاصل: أنه إذا حصلت الأسباب المذكوره آنفا مع تحقق القابليه و متمماتها السبعه أيضا من الكم و الكيف و الجهه و الوقت و الرتبه و المكان و الوضع، فإذا اجتمعت هذه الأسباب السفليه المعده لقابليه المحل مع تلك الأسباب العلويه السابقه، أوجد تعالى بفضله ذلك الشىء لتماميّه علله منه تعالى كله أيضا مع تعلق المشيه به، فأمّ الكتاب الذى لا محو فيه و لا تغيير هو كون الشىء حين كونه فى ظرف وجود تلك الشرائط، أى بتحقيقه يعلم أنه مما هو فى أمّ الكتاب بدون محو و لا إثبات. نعم الشىء الممكن وجوده قبله، أى قبل هذا الموجود فى ظرف تحقق شرائطه، أو بعده أى ما يمكن أن يكون كذلك، فهو مما فيه المحو و الإثبات لا غيره. و كيف كان ما يجوز فيه المحو و الإثبات هو غير ما هو متحقق بتحقيق الشرائط كما تقدم، و الشىء ما لم يجد فيحتمل فيه المحو و الإثبات، و كل هذه الأقسام بهذه الشرائط مما يعلمونه عليهم السّلام بهذا النحو المذكور، و من الأشياء ما هو موقوف على مشيته تعالى فإن شاء إيجاد وجد و إلّا فلا بل هو باق فيما شاء اللّه إمكانه. و من المعلوم أنه لا شىء غيره تعالى إلّا و هو مما شاء اللّه إمكانه، فليس هناك ما شاء اللّه عدم إمكانه كما لا يخفى إلّا الممتنعات، و هى ليست إلّا الفروض الوهميه لا ممكنه الوجود، و لا يتعلق مشيته مما لا يشاء إمكانه فلا يشاء تعالى إيجاد ما لم يشأ

۱- ۱) الفرقان:۴۵.

إمكانه، إذ ليس شيئا غيره تعالى، أى ليس هناك شيء غيره تعالى، و غير ما شاء إمكانه، مما لم يشأ إمكانه و لا يكون شيئا حتى يشاءه تعالى كما لا يخفى. ثم إن من المعلوم: أن العالم بشيء و معلومه غير اللّه تعالى لا قوام له إلاّ به تعالى فى جميع أنحاء العلم، و ذلك لأن غيره تعالى فقر محض ذاتا و بقاء فأى أمر كان له لم يكن إلاّ باللّه و بإقداره. و منه: العلم، فلا محاله لا علم لهم عليهم السّلام مطلقا إلاّ به تعالى بنحو علّمهم فى ظرفه و شرائطه المتقدم ذكرها، فليس يعلمون علما بشيء إلاّ فى ظرفه، فهم بذاتهم لا يعلمون الغيب، و إنما يعلمون بتعليم اللّه لهم من طريق القرآن و النبى على أقسامه السابق ذكرها، هذا كله ما ذكره القوم فى المقام. و لكن التحقيق أن يقال و عليه التوكل: اعلم أن علم الغيب لا يراد منه فى لسان الشرع إلاّ ما استأثره تعالى لنفسه، و اتصافه بالغيب إنما هو بالنسبه إلى غيره تعالى، و إلاّ فهو تعالى ذات علاّمه و علم كلّه، فعلمه بالنسبه إليه تعالى حضورى بالنسبه إلى جميع المعلومات الخلقيه من الأزليه و الأبديه و السابقه منها على اللاحقه و بالعكس، و ما هو موجود فى صقع الخارج و ما هو بعد باق فى العدم أى فى عالم التقدير أو العلم الذاتى، فجميع هذه المعلومات حضورى بالنسبه إليه تعالى و لا يكاد يتصف بالغيب أبدا كيف و قد قال تعالى: لا يعزب عنه شيء فى الأرض و لا فى السماء. و الحاصل: أن ما استأثره اللّه تعالى لنفسه هو الموصوف بعلم الغيب بالنسبه إلى غيره تعالى، و أماساير العلوم الذى أعلمه اللّه تعالى أنبياءه و حججه، فليس بعلم الغيب فى عرفهم عليهم السّلام و إن كان غيبا عند غيرهم ممن لا يعلمه، فإن الغيب لغه كما تقدم عن المجلسى رحمه اللّه: هو ما غاب عن الشخص، و هذا أمر إضافى كما لا يخفى. فكل علم لهم مما أعلمهم اللّه تعالى فهو ليس بعلم الغيب، و إن كان بالنسبه إلى غيرهم من علم الغيب، بل علم الغيب هو ما استأثره تعالى لنفسه، و هذا هو مورد

النزاع عن المحققين من أهل العلم و المعرفه، و هـذا مما ينبغى أن يبحث عنه فيقال: هل الإمام عليه السّلام مثلا عالم به أم لا؟ و أما غيره فلا، كما لا يخفى. و يدل على ما ذكر

ما رواه فى الكافى بإسناده عن سماعه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن للّه تبارك و تعالى علمين: الأول أظهر عليه ملائكته و أنبياءه و رسله، فما أظهر عليه ملائكته و رسله و أنبياءه فقد علمناه. الثانى استأثر به تعالى فإذا بد اللّه فى شىء منه أعلمنا ذلك، و عرض على الأئمه الـذين كانوا من قبلنا» ، الحديث. فعلم منه أن الغيب هو ما استأثره لنفسه بحيث إذا بدا له تعالى أعلمه ذلك لهم عليهم السّلام، و يدل عليه أيضا

قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى النهج فيما يومئ به إلى وصف الأتراك قال عليه السّلام: «كأنى أراهم قوما «كأن وجوهم المجان المطرقه» يلبسون السرق و الديباج، و يعتقبون الخيل العتاق، و يكون هناك استمرار قتل حتى يمشى المجروح على المقتول، و يكون المفلت أقلّ من المأسور. فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك عليه السّلام و قال للرجل (و كان كلبيا) : «يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، و إنما هو تعلّم من ذى علم و إنما علم الغيب علم الساعه، و ما عدّده اللّه سبحانه بقوله: إِنَّ اَللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلسّٰاعَةِ وَ يُنَزِّلُ اَلْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مٰا فِي اَلْأَرْحٰامِ وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ مٰا ذٰا تَكْسِبُ غَداً وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اَللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . فيعلم اللّه سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى، و قبيح أو جميل، و سخى أو بخيل، و شقى أو سعيد، و من يكون للنار حطبا، أو فى الجنان للنبيين مرافقا، فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه أحد إلاّ اللّه، و ما سوى ذلك فعلم علّمه اللّه نبيه صلّى اللّه عليه و آله فعلّمنيه، و دعا لى أن يعيه صدرى، و تضطمّ عليه جوانحى» .

فقوله عليه السّلام: «فهذا علم الغيب» المشار إلى المعدود فى الآيه الشريفه، يدل على أن

هذا هو علم الغيب، و أما سواه فلا كما صرح به عليه السّلام بل هو كما

قال عليه السّلام: «تعلّم من ذى علم» . و يعلم من هذا الحديث و سابقه أيضا أن علم الغيب المشار إليه، هو الذى إذا أراد اللّه أن يعلمه لغيره و علمه له، فهذه الخمسه المشار إليها فى الآيه الشريفه بجميع خصوصيات كلّ واحد منها بحيث لا يعزب عنه جهه و لا شأن منه، كما أشير إليه

فى كلامه عليه السّلام: «علمه مختص به تعالى لا يعلمه إلاّ هو، إلاّ إذا بدا للّه تعالى بتعليمه حججه» كما لا يخفى، و السرّ فى اختصاص بعض العلم بذاته المقدسه هو أنه ذاته علاّمه و هو علم كله كما فى الحديث. و من المعلوم أنه لا نهايه له تعالى بخلاف غيره، فإنه مخلوق ذو حدود ذو نهايه، فلا محاله دائما يختص ذاته المقدسه بعلم يخصّه، و لا يشركه فيه أحد، هذا بحسب الذات المقدسه، و أما السّرّ فى أنه تعالى استأثر بعض العلم لنفسه إلاّ إذا بدا للّه تعالى فيعلمه لغيره هو، إن العلم المستأثر لنفسه و إن كان فى نفسه قابلا للتعليم لغيره تعالى كما يستفاد ذلك من

قوله عليه السّلام: «استأثره لنفسه» ، ضروره أن العلم الذى لا يمكن تعليمه لغيره لا يصح إطلاق الاستيثار لنفسه، بل هو حينئذ عين ذاته كالعلم بكنه ذاته فإنه هو تعالى لا غيره ليستأثره لنفسه كما لا يخفى. و كيف كان فالعلم المستأثر لنفسه فى قبال العلم الذى أظهره اللّه تعالى لرسله، و إنما قسم العلم بهذين القسمين فعبّر عن أحدهما بعلم الغيب و هو المستأثر لنفسه تعالى. و عن الآخر بالتعلم عن ذى علم كما علمت لمصلحه فى بيان العلم تدريجا حسب ما تقتضيه الحكمه الإلهيه و المصلحه الأزليه، فإن نظام عالم الوجود بأمور: منها: أن يفيض عليهم العلم تدريجا لا دفعه واحده، كما لا يخفى على أحد لا لأجل أن يكون هناك علم لا يعلمه إلاّ اللّه تعالى، فإن هذا مضافا إلى أنه ضرورى لما علمت من أن ذاته المقدسه لا يعلمها أحد، لا فائده حينئذ فى هذا التقسيم (أى تقسيم العلم) إلى علم الغيب و إلى غيره، بحيث يراد من علم الغيب ما لا يمكن

تعلیمه لأحد. و الحاصل: أن العلم الذاتی له تعالی خارج عن المقسم و علم الغیب الذی هو قسم للعلم الآخر الذی أعلمه اللّه تعالی رسله هما قسمان للعلم الممکن و القابل تعلیمه و بیانه فما اختص له و استأثره لنفسه، إلاّ إذا بدا للّه تعالی تعلیمه یسمی بعلم الغیب، و ما أظهر اللّه علیه ملائکته و رسله یسمی بتعلّم عن ذی علم، فعلم مما ذکر: أن علم الغیب دون علم الذات المقدسه هو مما یمکن تعلیمه لغیره، نعم مخصوص بما بما إذا بدا للّه تعالی تعلیمه کما تقدم. و حاصل العلم الذی استأثره لنفسه المعبّر عنه بعلم الغیب عن غیره تعالی، أنه تعالی لما أراد الخلق بأقسامه و أنواعه فی أزمنه و أمکنه مختلفه متعاقبه، فتعلقت المشیه الإلهیه بها علی ما ینبغی بنحو الأکل الأرجح فی الإمکان فقدّرها کذلک، و کلها کذلک مخلوق له تعالی قد تعلّق به العلم المستأثر لنفسه بلحاظ الجمع. و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و اللّه العالم، و ما قدّره اللّه تعالی فی ذلک الجمع یکون عن علمه الذی لا نفاد له، فتلک المقدرات بلحاظ التقدیر تکون محدوده، و بلحاظ العلم و القدره له تعالی لا تناهی لها أبدا، إلاّ أنه تعالی حکیم لا ینزلها إلاّ بقدر معلوم، و أما أصلها فهو الخزائن التی لا تفنی و لا یتصور فیها النقص بکثره الإنفاق، فهو تعالی ینفق منها کیف ما یشاء و یداه مبسوطتان، و إنفاقه عباره عن إیجادها و إنزالها عن عالم التقدیر إلی عالم التکوین فهو تعالی حین الإیجاد ینزلها من الغیب (أی من ذلک العالم التقدیر الجمعی الأولی المستأثر علمه الجمعی لنفسه تعالی) إلی البیوت التی ارتضاهم لغیبه المشار إلیه بقوله: إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ . و إلیه یشیر

فی قوله علیه السّلام فی الزیاره: «إراده الرب فی مقادیر أموره تهبط إلیکم، و تصدر عن بیوتکم» ثم إن هذا المنزل علی هذه البیوت (أی بیوت حقائقهم الروحیه) علی أقسام

نـذكرها إجمالاـ (و تقـدم تفصـيلا) فنقـول: فمنـه (أى من ذلـك المخزون المكنـون فى علم الغيب النـازل عليهم عليهم السّـلام) محتوم، أى ما لا يمكن تغييره و منه محتوم يمكن تغييره و هو قسمان: قسم منه لا يغيره لما وعد به و هو لا يخلف الميعاد. و قسم يغيره و هو الموقوف (أى المشروط) فيكون كـذا إن حصل كـذا هـذا فى الشـرط، و إن لم يحصل كـذا كان كـذا هـذا فى فقد المانع الذى هو كالشرط. ثم إن المانع عنده تعالى معلوم الحال، و أما عند غيره فقد يكون فى الغيب و الشـهاده، و قد يكون فى الغيب لا فى الشـهاده و لا عكس إذ ما كان فى الشـهاده فهو فى الغيب أيضا، ثم إن الموقوف إن وجد شـرطه و وجد المانع، فهو على حال كونه موقوفا إلّا إذا رجـح أحدهما فالحكم له، و أما إذا وجد الشـرط و فقد المانع فى الغيب و الشـهاده حتم وجوده، و دلّ على تماميه قوابله، و وصل علمه حينئذ إليهم عليهم السّـلام و أنه حينئذ مصداق ما شاء اللّه كان، و إن كان الشـرط مما ينتظر وجوده فيجوز حينئـذ الإخبار به كذلك، أى منتظر الوجود لانتظار الشـرط، و يجوز الإخبار به على الحتم إذا علموا منه تعالى أنه موجود الشـرط، و هو لا يخلف وعده، فيكون كالمحتوم إلّا قبل وجوده. و أما إذا وجد الشرط و فقد المانع فى الغيب، و لم يعلم فقدانه فى الشـهاده، فحينئذ يجوز الإخبار من غير حتم لإمكان البداء فيه، و سيجىء فائده البداء، و إنه مما لا بد من الاعتقاد به، و إنه ما عبد اللّه بشىء أفضل منه، ففى هذا الفرض قد يكون ما أخبروا به واقعا، و قد لا يكون واقعا لظهور البداء، و إلى هذا القسم من إخباراتهم يشـير ما ورد عنهم ما معناه: إذا أخبرناكم بأمر فكان كما قلنا فقولوا: صـدق اللّه و رسوله، و إن كان بخلاف ذلك فقولوا: صدق اللّه و رسوله، توجروا مرتين، و سيجىء فى الشرح عند

قوله عليه السّلام: «القوامون بأمره» ، بيان حال البداء و توضيحه مفصلا إن شاء اللّه تعالى، و نشير هنا إليه فى الجمله فنقول:

إن الحكمه الإلهيه فى استيثاره تعالى بعض العلم لنفسه إلّا إذا بد اللّه تعالى، هو أنه تعالى استعبد الخلق بذلك بأن أعلمهم علوما بلسان أنبيائه و حججه، و أخفى عنهم علوما ليتعبدوا بذلك له تعالى و يخافوا من غامض علمه المكنون، فيما أعلمهم هو علما يمكن فيه البداء كما دلت عليه أحاديث البداء، فالخلق و إن كانوا عالمين به إلّا أنهم لمكان البداء مشفقون منه تعالى، و هذا بخلاف ذلك العلم المستأثر لنفسه تعالى، فإنه إذا بدا للّه تعالى و خرج لأحد من حججه نفد و لا بداء فيه.

ففى الكافى بإسناده عن حريس قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «إن للّه علمين: علم مبذول و علم مكفوف. فأمّا المبذول فإنه ليس من شىء يعلمه الملائكه و الرسل إلّا نحن نعلمه. و أما المكفوف فهو الذى عند اللّه عز و جل فى أم الكتاب إذا خرج نفذ» . فيعلم منه: أن العلم الموصوف بأنه فى أم الكتاب، هو العلم الذى ليس فيه بداء، و هو إذا خرج نفذ أى لا رادع له من غيره تعالى بل هو من الحتم. و أحسن حديث يشرح هذا المعنى ما فيه أيضا

بإسناده عن سدير الصيرفى قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: بَدِيعُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ قال أبو جعفر عليه السّلام: «إن اللّه عز و جل ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السموات و الأرضين و لم يكن قبلهن سموات و لا أرضون، أ ما تسمع لقوله تعالى: وَ كٰانَ عَرْشُهُ عَلَى اَلْمٰاءِ ؟ فقال له حمران: أ رأيت قوله جل ذكره: عٰالِمُ اَلْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام إلّا من ارتضى من رسول، و كان و اللّه محمد ممن ارتضاه. و أما قوله: عٰالِمُ اَلْغَيْبِ فإن اللّه عز و جل عالم بما غاب عن خلقه، فيما يقدر من شىء، و يقضيه فى علمه قبل أن يخلقه، و قبل أن يفضيه إلى الملائكه، فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيه، فيقضيه إذا أراد، و يبدو له فيه فلا يمضيه، فأمّا العلم الذى يقدره اللّه عز و جل فيقضيه و يمضيه، فهو العلم الذى انتهى إلى

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم إلينا» ، الحديث.

قوله عليه السّلام: «فإن اللّه عز و جل عالم بما غاب» ، إلى قوله: «فذلك يا حمران علم موقوف عنده» إلخ بعد قوله عليه السّلام،

و أما قوله: «عالم الغيب» ، يدل على أن مصداق علم الغيب هو هذا العلم الذى فيه البداء له تعالى كما تقدم، فيقضيه إذا أراد أى إذا أخرج نفذ، فلا بداء فيه حينئذ، و قد يبدو له فيه فلا يمضيه كما لا يخفى. ثم إن العلم المستأثر لنفسه تعالى الذى هو مصداق لعلم الغيب قد يبدو له تعالى أن يعلمه حججه عليهم السّلام فيعلمهم كما لا يخفى، و لكنه تعالى مع ذلك أقدرهم على أنهم إذا شاءوا أن يعلموا ذلك العلم المستأثر لنفسه علموه. و لعمرى هذا مقام لم يعطه اللّه لأحد إلّا إياهم عليهم السّلام فهم فى مقام القرب منه تعالى، بحيث إذا شاءوا أن يعلموا من ذلك العلم المستأثر لنفسه علموه، و إليه يشير كثير من الأخبار الداله عليه منها:

ما فى الكافى بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم» ،

و قال عليه السّلام أيضا: «إن الإمام إذا شاء أن يعلم أعلم» ،

و قال عليه السّلام أيضا: «إذا أراد الإمام أن يعلم شيئا أعلمه اللّه ذلك» . فدلّت هذه على أنهم عليهم السّلام إذا أرادوا أن يعلموا من ذلك العلم المستأثر لنفسه تعالى علموه، و ليس معناها أن الإمام لا يعلم شيئا كساير الناس، و إنما إذا أراد أن يعلم علم، فإن هذا مخالف لضروره الدين و الكتاب و السنه فإنهم (كما تقدم و يأتى) عالمون بما كان، و ما يكون، و ما هو كائن إلى يوم القيمه، و إنما المراد من العلم فى هذه الأحاديث هو العلم المستأثر لنفسه، فهم عليهم السّلام إذا أرادوا أن يعلموا هذا العلم أعلمهم اللّه تعالى. و يدل على هذا بأحسن وجه ما

فى تفسير نور الثقلين عن كتاب الاحتجاج للطبرسى (رحمه اللّه تعالى) عن أمير المؤمنين عليه السّلام حديث طويل و فيه: «و ألزمهم الحجه بأن خاطبهم خطابا يدل على انفراده و توحيده، و بأن لهم أولياء تجرى

أفعالهم و أحكامهم مجرى فعله، و عرف الخلق اقتدارهم على علم الغيب بقوله: عٰالِمُ اَلْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ ، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من حلّ محلّه من أصفياء اللّه الذين قال: فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ الذين قرنهم اللّه بنفسه و برسوله، و فرض على العباد من طاعتهم مثل الذى فرض عليهم منها لنفسه» .

فقوله عليه السّلام: «و عرف الخلق اقتدارهم» إلخ، يدل على أنهم مقتدرون على تعلّم علم الغيب منه تعالى. و مما يدل على أنه لا يحجب عن الإمام أى علم أراد ما فيه أيضا

عن أبى حمزه قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «لا و اللّه لا يكون عالم جاهلا أبدا عالما بشىء جاهلا بشىء، ثم قال: اللّه أجلّ و أعزّ و أكرم من أن يفرض طاعه عبد يحجب عنه علم سمائه و أرضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه» . و قد تقدم فى معنى الولايه

عن أصول الكافى بإسناده عن أبى الحسن الأول عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرنى عن النبى ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: «ما بعث اللّه نبيا إلاّ و محمد صلّى اللّه عليه و آله أعلم منه، قال: قلت عيسى بن مريم، إلى أن قال عليه السّلام: و إن فى كتاب اللّه لآيات ما يراد بها أمر، إلاّ أن يأذن اللّه به مع ما قد يأذن اللّه، مما كتبه الماضون و جعله اللّه لنا فى أمّ الكتاب، إن اللّه يقول: وَ مٰا مِنْ غٰائِبَةٍ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْكِتٰابَ اَلَّذِينَ اِصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا فنحن الذين اصطفانا اللّه عز و جل، و أورثنا هذا الذى فيه تبيان كلّ شىء» ، الحديث. و قد تقدم بتمامه. فانظر كيف استدل و استشهد عليه السّلام على علمهم بالغيب أولا بقوله تعالى: مٰا مِنْ غٰائِبَةٍ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ أى كلّ علمها فيه، و هذا الكتاب بنصّ منه تعالى و هو قوله: ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْكِتٰابَ عندهم عليهم السّلام فهم يعلمون أى غائبه

ص :۴۹۶

فی الکتاب بتعلیم اللّه تعالی لهم کتابه، الـذی فیه تبیان کلّ شیء کما لا یخفی، بل نقول: إن الأئمه علیهم السّلام مطلعون علی الغیب من اللّه تعالی، و الاطلاع أخص من العلم، فإنه مساوق للرؤیه و المشاهده، و العلم أعم منه و من التصور کما لا یخفی إلاّ إذا أرید من العلم العلم الحضوری فإنه حینئذ یساوق الاطلاع. و کیف کان فهم علیهم السّلام مطلعون علی الغیب یدلّ علیه قوله تعالی: وَ مٰا کٰانَ اَللّٰهُ لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی اَلْغَیْبِ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشٰاءُ (1)، فدلت علی أن المجتبی من الرسل هو المطلع علی الغیب باطلاع اللّه تعالی له، و کذلک مثله الأوصیاء کما لا یخفی. ثم إنه قد علمت أن حقیقه علم الغیب هو الذی استأثره اللّه تعالی لنفسه، فهو معنی جامع إلاّ أنه تعالی بیّن مصادیقه فی الآیه الشریفه و هی الخمسه المذکوره فیها، و حیث علمت أن المراد من قوله تعالی: عٰالِمُ اَلْغَیْبِ فَلاٰ یُظْهِرُ عَلیٰ غَیْبِهِ أَحَداً هو علم الغیب المشار إلیه فی الآیه المذکوره، التی فیها تلک الخمسه، فحینئذ قوله: فَلاٰ یُظْهِرُ عَلیٰ غَیْبِهِ أَحَداً. إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ (2)یدلّ علی أنه تعالی یظهر رسوله علی الغیب أی علی تلک الأمور الخمسه المذکوره کما لا یخفی، و حینئذ فمعنی کون هذه الأمور الخمسه من علم الغیب بحیث لا یعلمه أحد هو أنه تعالی جعل لتحصیل العلم بسایر الغیوب غیر هذه الخمسه أسبابا لتعلمها و منحها لهم علیهم السّلام. فهم علیهم السّلام بالاختیار فی أی زمان شاءوا أن یعلموها علموها بل ربما یقال: بأنه تعالی جعل تلک الأسباب لغیرهم علیهم السّلام أیضا إلاّ أنه لا بتلک التوسعه بل کلّ بحسبه، و أما هذه الخمسه فهی مختصه له تعالی بمعنی أنه لم یجعل سببا لغیره یعلمونها من شاءوا بل أمرها بیده تعالی فکلما أراد تعالی أن یعلمه أحدا أعلمه و إلاّ فلا، و علیه

۱- ۱) آل عمران:۱۷۹.

۲- ۲) الجن:۲۶-۲۷.

فما تقدم من أنهم كلما شاءوا أن يعلموا من الغيب علموا مختص بغير هذه الخمسه، و أما هذه فقد اختصّ بها تعالى كلما شاء أن يعلم أحدا أو يعلمهم بخصوصيتها أعلمهم لا كلما أرادوا، فتأمل، و عليه فعلم الغيب قسمان: خاص و هى هذه الموارد الخمسه، و عام و هو ما سواها كما لا يخفى. و أما

ما ورد فى البحار عن الخصال، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «قال لى أبى أ لا أخبرك بخمسه لم يطلع اللّه عليها أحدا من خلقه؟ قلت: بلى. قال: إِنَّ اَللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلسّٰاعَهِ وَ يُنَزِّلُ اَلْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مٰا فِي اَلْأَرْحٰامِ وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ مٰا ذٰا تَكْسِبُ غَداً وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اَللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ، الظاهر فى أنه لم يطلع اللّه أحدا على هذه الخمسه، و هذا ينافى ما تقدم من أنه تعالى يظهر رسوله على تلك الخمسه محمول على علم الغيب الخاص. و بعباره أخرى: معناه أنه تعالى لم يجعل لأحد من خلقه سببا للاطلاع عليها متى شاء بل أمرها بيده فإن بدا له تعالى أن يعلم أحدا منها أعلمه. و سيأتى قول الصادق عليه السّلام لفضل، وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّٰ يَعْلَمُهٰا وَ لاٰ حَبَّهٍ فِي ظُلُمٰاتِ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ ، و هو فى علمهم و قد علموا ذلك. و سيجىء بتمامه إن شاء اللّه. هذا و قد تقدمت وجوه أخرى قد حملوا هذه الآيه المباركه عليها فراجع.

و فى تفسير نور الثقلين عن الخصال من الأربعه مائه فيما علم أمير المؤمنين أصحابه منها قوله عليه السّلام: «و بنا ينزل الغيث» .

و فيه عن كمال الدين و تمام النعمه عن الرضا عليه السّلام كلام طويل منه: «و بنا ينزل الغيث و ينشر الرحمه» .

بقى هنا أمران:

الأول: معنى قوله تعالى: و عنده مفاتح الغيب الآيه

الثانى: بيان كيفيه تعلمهم عليهم السّلام الغيب إذا أرادوا أن يعلموا فنقول:

الأمر الأول: لا ريب فى أن مفاتح الغيب غير علم الغيب، و من المعلوم أن الغيب هو ما غاب عن حواسك الظاهره و الباطنه، و كون شىء غائبا عنها ليس إلاّ بحجاب، فبرفع الحجب يصير الغيب عيانا، فحينئذ معناه أن رفع الحجب عن قلوب الخلائق إنما هو عنده تعالى و بيده، فقوله تعالى: وَ عِنْدَهُ مَفٰاتِحُ اَلْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ بعد إرجاع ضمير لا يعلمها إلى مفاتح أنه تعالى هو الذى يفتح باب العلم برفع الحجب القلبيه لمن يريد من خلقه نبيا كان أو وصيا أو غيره أو بتيسير السبيل إليه (أى إلى الغيب) بنصب الأدله له الموصله إلى الغيب، قوله: لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ أى لما كان أمرها بيده، فيفتح بابها لمن أراد و يغلق بابها عمّن يشاء بعدم نصب الأدله له. و الحاصل: أنه لا يقدر أن يفتح باب العلم به (أى بالغيب) للعباد إلاّ اللّه تعالى، فهذه الآيه ناظره إلى هذه الجهه و هى أن الأمر فى تعليم الغيب لأحد برفع حجبه بيده تعالى: لأنه عنده مفاتح الغيب. إذا علمت هذا فنقول: إن المستفاد من الأحاديث الوارده فى ذيل هذه الآيه المباركه إن الأئمه عليهم السّلام هم مفاتح الغيب فبهم يرفع اللّه الحجب عمن يشاء من عباده.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)، عن معانى الأخبار بإسناده إلى أبى بصير قال: سألته عن قول اللّه عز و جل: وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّٰ يَعْلَمُهٰا وَ لاٰ حَبَّةٍ فِى ظُلُمٰاتِ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِى كِتٰابٍ مُبِينٍ قال: فقال: «الورقه السقط و الحبه الولد، و ظلمات الأرض الأرحام و الرطب ما يحيى و اليابس ما يقبض، و كلّ ذلک فى كتاب مبين» .

و فى حديث آخر عن الكافى ما يقرب منه إلاّ أنه فى آخره «و كل ذلک فى إمام مبين» .

۱- ۱) نور الثقلين ج ۱ ص ۵۹۸.

و فی آخر عن العیاشی فی آخره قال: قلت: فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ ، قال: «فی إمام مبین» .

و فی آخر عن الاحتجاج فی آخره: «فی کتاب مبین و علم هذا الکتاب عنده» (أی عند أمیر المؤمنین علیه السّلام) . و من المعلوم أن المراد من قوله تعالی: إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ ،

و قوله علیه السّلام و علم هذا الکتاب عنده،

و قوله علیه السّلام: «و کل ذلک فی إمام مبین» ، یشیر إلی جمیع ما اشتملت علیه الآیه من مفاتح الغیب، إلی آخر الآیه. فیستفاد منه: أن الإمام المبین الذی صرح به فی المروی عن الاحتجاج هو أمیر المؤمنین علیه السّلام فحینئذ یعلم أنه تعالی جعل الأئمه مفاتح الغیب التی بها یرفع اللّه الحجب عن قلوب العباد کما لا یخفی. و یدلّ علیه أیضا ما

فی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن خیثمه الجعفی قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا خیثمه نحن شجره النبوه، و بیت الرحمه، و مفاتیح الحکمه، و معدن العلم، و موضع الرساله، و مختلف الملائکه، و موضع سرّ اللّه، و نحن ودیعه اللّه فی عباده، و نحن حرم اللّه الأکبر، و نحن ذمه اللّه، و نحن عهد اللّه، فمن وفی بذمتنا، فقد وفی بذمه اللّه، و من وفی بعهدنا، فقد وفی بعهد اللّه، و من خفرها، فقد خفر ذمه اللّه و عهده» .

فقوله علیه السّلام: «و مفاتیح الحکمه» بعد ما ذکر علیه السّلام فی سابقه و لاحقه من مقامات العلوم و المعارف و الرفعه یدل علی أن مفاتح العلم بیدهم، علی أن الحکمه أخص من العلم کما لا یخفی. و سیأتی

قول الصادق علیه السّلام لمفضل:

وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّٰ (علموها) وَ لاٰ حَبَّهٍ فِی ظُلُمٰاتِ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ یٰابِسٍ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ و هو فی علمهم، و قد

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۵۷.

علموا ذلک و سیجیء بتمامه إن شاء اللّه، و تقدم ما یلازم هذا من أن الأئمه علیهم السّلام هم الذین ینورون قلوب المؤمنین، و أن أمیر المؤمنین علیه السّلام هو الذی یطعم العلم للمؤمنین، و الحمد للّه وحده.

الأمر الثانی: فی بیان کیفیه تعلمهم علم الغیب

فنقول:

فی بصائر الدرجات بإسناده عن أبی حمزه قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول «إن منا لمن ینکت فی إذنه، و إن منا لمن یؤتی فی منامه، و إن منا لمن یسمع الصوت مثل صوت السلسله یقع علی الطست، و إن منا لمن یأتیه صوره أعظم من جبرئیل و میکائیل» ، فهذه وجوه تعلمهم علیهم السّلام العلوم الغیبیه.

و قوله علیه السّلام: «و إن منا لمن یأتیه صوره أعظم من جبرئیل و میکائیل» یشیر إلی

ما ورد فی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن أبی بصیر قال: قلت: قول اللّه: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا قال: «هو خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل، و کلّ بمحمد صلّی اللّه علیه و آله یخبره و یسدده و هو مع الأئمه یخبرهم و یسددهم» .

و فیه (۲)عن جابر قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن اللّه خلق الأنبیاء و الأئمه علی خمسه أرواح: روح القوه، و روح الإیمان، و روح الحیوه، و روح الشهوه، و روح القدس من اللّه، و سایر هذه الأرواح یصیبه الحدثان، فروح القدس لا یلهو و لا یتغیر و لا یلعب، و بروح القدس علموا یا جابر ما دون العرش إلی ما تحت الثری» . فدلت هذه الأحادیث علی أن علمهم علیهم السّلام مطلقا الذی یشمل الغیب أیضا، بل جله هکذا من خلق هو أعظم من جبرئیل و میکائیل یخبرهم، و هو روح القدس الذی هو من اللّه تعالی، و به علموا ما دون العرش إلی ما تحت الثری. و مثل هذه الأحادیث کثیره، و أحسن حدیث فی المقام یبین کیفیه علمهم الغیب علیهم السّلام هو ما

فی بصائر الدرجات بإسناده عن صالح بن سهل، عن أبی

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۵۶.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۵۴.

عبد اللّه علیه السّلام قال: «کنت جالسا عنده فقال: ابتدأ منه یا صالح بن سهل، إن اللّه جعل بینه و بین الرسول رسولا، و لم یجعل بینه و بین الإمام رسولا، قال: قلت: و کیف ذلک؟ قال: جعل بینه و بین الإمام عمودا من نور ینظر اللّه به إلی الإمام، و ینظر الإمام (إلیه) إذا أراد علم شیء نظر فی ذلک النور فعرفه» . و مثله

فیه عن إسحاق الحریری قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فسمعته و هو یقول: «إن للّه عمودا من نور حجبه اللّه عن جمیع الخلائق طرفه عند اللّه و طرفه الآخر فی أذن الإمام، فإذا أراد اللّه شیئا أوحاه فی أذن الإمام» . و نظیر هذا الحدیث کثیر جدا و یعلم منه إن علم الإمام مطلقا من ذلک النور، و یمکن أن یکون الحدیث الأول ناظرا إلی علم الغیب العام، و هو ما جعل اللّه له سببا للإمام علیه السّلام و هو ما إذا بدا للّه تعالی أعلمه، التی علمت أن من مصادیقها تلک الأمور الخمسه المذکوره فی الآیه المبارکه: إِنَّ اَللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلسّٰاعَهِ فإن

قوله علیه السّلام: «فإذا أراد اللّه شیئا أوحاه» ، ظاهر فی تعلیم هذا القسم من العلم بالغیب الخاص کما لا یخفی، فتأمل. فتحصل من جمیع ما ذکرنا أن النبی و الأئمه علیه السّلام یعلمون الغیب بالقرآن و بالروح القدس، کلّ ذلک بتعلیم اللّه لا مطلقا و أن الأخبار النافیه عنهم علم الغیب محموله علی استقلالهم بالعلم کما تقدم بیانه، کیف لا و قد تقدم و صرّح فی الأخبار الکثیره أیضا بأن العلوم کلها مستفاده من الاسم الأعظم، و هو بحروفها التی تبلغ اثنین و سبعین حرفا عندهم علیهم السّلام نعم واحد منها یختص به تعالی؟ و نختم هذا البحث بحدیثین:

أحدهما فی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اسم اللّه الأعظم علی ثلاثه و سبعین حرفا کان عند آصف منها حرف واحد، فتکلم به فخسف بالأرض ما بینه و بین سریر بلقیس، ثم تناول السریر بیده، ثم عادت

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۰۹.

الأرض كما كان أسرع من طرفه عين، و عندنا من الاسم اثنان و سبعون حرفا و حرف عند اللّه تعالى استأثر به فى علم الغيب المكنون» . أقول: المراد من علم الغيب المكنون إما العلم الذى هو عين ذاته المقدسه، التى لا نهايه لها، فلا يكون محاطا، بل هو محيط بكل شىء، و إما المراد منه علم الغيب الخاص كما لا يخفى.

الثانى: فيه بإسناده عن عبد الحميد بن الديلم، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه تبارک و تعالى أوحى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أنه قد قضيت نبوتک، و استکملت أيامک، فاجعل الاسم الأکبر، و ميراث العلم، و آثار علم النبوه عند على بن أبى طالب عليه السّلام فإنى لا أترک الأرض إلّا و لى فيها عالم تعرف به طاعتى، و تعرف به ولايتى، حجه بين قبض النبى إلى خروج النبى الآخر، فأوصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالاسم الأکبر و ميراث العلم، و آثار علم النبوه إلى على بن أبى طالب عليه السّلام» . أقول: فأصول العلم عنده صلّى اللّه عليه و آله و عندهم عليهم السّلام کل ذلک منه تعالى فکيف حينئذ يقال بعدم علمهم للغيب؟ نعم قد علمت مرارا أنه لا يکون إلّا منه تعالى بواسطه الرسول صلّى اللّه عليه و آله.

و فى الکافى (باب نادر فيه ذکر الغيب) بإسناده عن معمر بن خلّاد قال: سأل أبا الحسن عليه السّلام رجل من أهل فارس فقال له: أ تعلمون الغيب؟ فقال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «يبسط لنا العلم فنعلم، و يقبض عنّا فلا نعلم، و قال: سرّ اللّه عز و جل أسرّه إلى جبرئيل عليه السّلام و أسرّه جبرئيل إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله و أسرّه محمد إلى من شاء اللّه» . أقول: المراد بمن شاء اللّه هو أمير المؤمنين أو مع سائر الأئمه عليهم السّلام و معنى القبض و البسط فى العلم هو تعليمه تعالى لهم و عدمه، و هو العلم الذى يحدث لهم بالليل و النهار، و العلم الذى يحدث لهم ساعه بعد ساعه کما تقدم، و العلم الذى يحدث فى ليالى القدر و ليالى الجمعه کما لا يخفى.

و فى البحار نقلا عن بصائر الدرجات، عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

«سئل على عليه السّلام عن علم النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال: علم النبى صلّى اللّه عليه و آله علم جميع النبيين و علم ما كان و علم ما هو كائن إلى قيام الساعه. ثم قال: و الـذى نفسـى بيـده إنى لأعلم علم النبى صـلّى اللّه عليه و آله و علم ما كان، و علم ما هو كائن فيما بينى و بين قيام الساعه» .

و فى البحـار (1)، مصـباح الأـنوار بإسـناده إلى المفضـل قال: دخلت على الصادق عليه السّـلام ذات يوم فقال لى: «يا مفضل هل عرفت محمدا و عليا و فاطمه و الحسن و الحسـين عليهم السّـلام كنه معرفتهم؟ قلت: يا سـيدى و ما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضـل من عرفهم كنه معرفتهم كـان مؤمنـا فى السـنام الأعلى. قال: قلت: عرفنى ذلك يا سيّدى. قال: يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق اللّه عز و جل و ذرأه و برأه، و أنهم كلمه التقـوى و خزان السـموات و الأرضـين، و الجبـال و الرمـال و البحـار، و علمـوا كم فى السماء من نجم و ملك، و وزن الجبال و كيل ماء البحار و أنهارها و عيونها. و ما تسقط من ورقه إلاّ علموها و لا حبه فى ظلمات الأرض و لا رطب و لا يابس إلاّ فى كتاب مبين، و هو فى علمهم و قد علموا ذلك. فقلت: يا سيدى قد علمت ذلك و أقررت به و آمنت. قـال: نعم يـا مفضـل، نعم يـا مكرم، نعم يـا محبور، نعم يـا طيب، و طـابت لـك الجنه و لكل مؤمن بها» . و أقول أنا: يا سيـدى يـا صـاحب الزمـان (روحى لـك الفـداء) قـد علمت ذلـك و أقررت به و آمنت. فعلم من هـذا الحـديث الشـريف موارد علومهم الغيبيه، كلّ ذلك بتعليم اللّه تعالى إياهم (صلوات اللّه عليهم أجمعين) .

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۱۱۶.

و فى الكـافى و غيره أخبـار كثيره دلت على إخبـارهم عليهم السّـلام بالأمور الغيبيه، و هى كثيره جـدّا فراجعهـا، بل ظهر الإخبار بالمغيبات عن بعض أصحابهم كالميثم و رشيد الهجرى، بل و عن كثير من العلماء الربانيين، و أولياء اللّه تعالى الكاملين كما لا يخفى إلاّ أنه لا بد من مؤمن كمفضل (رضوان اللّه عليه) يؤمن بهذه، جعلنا اللّه تعالى من المؤمنين بهذه بمحمد و آله الطاهرين. بقى شىء لا بأس بالإشاره إليه و هو أنه ربما يقال: إن

قول الصادق عليه السّـلام فى حديث صالح بن سـهل: «و لم يجعل بينه و بين الإمام رسولا» ، ظاهر فى أن تعلمهم العلم قد يكون بغير واسطه الرسول و هـذا خلاف ما تقدم من كثير من الأخبار الداله على أن الرسول أعلمهم، و أنه الواسـطه بينهم و بين اللّه، و أنه لا علم لهم مطلقـا إلاّ به و منه صلّى اللّه عليه و آله. قلت: قـد علمت فى معنى الولايه لهم عليهم السّـلام أن الولايه هى باطن النبوه، و هى النور المراد من قوله تعـالى: وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْـكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا الـذى قـد عرفت مرارا أن هـذا الروح هو خلق أعظم من جبرئيـل و ميكائيـل، فهـذا الروح التى به حقيقه النبوه ليس بينه و بين اللّه رسولا بـل هو بنفسه مما أوحاه اللّه إليه. نعم الرسول فى كثير من شئون الرساله يوحى إليه بواسطه الرسول (أى جبرئيل) إلاّ أن حقيقه الرساله هو ذلك الروح و النور الموحى إليه صلّى اللّه عليه و آله و هى منتقله إلى الأوصياء كما تقدم، و دلّت عليه كثير من الأخبار من

قولهم عليهم السّـلام: «و إنه (أى ذلـك الروح) لفينا، و إنه ما صـعد منـذ نزل، فهو يسـدّد الأئمه و يخبرهم» ، كما تقـدم آنفا. إذا علمت هذا فاعلم أن المراد من

قوله عليه السّـلام: «و لم يجعـل بينه و بين الإمـام رسولا» ، يشـير إلى ختم الرساله كما كانت للنبى صـلّى اللّه عليه و آله بل الإمام يعلم الأمور بحقيقه الرساله، التى هى ذلك النور، و لذا

قال عليه السّـلام بعـده: جعل بينه و بين الإمام عمودا من نور. . إلـخ، فالمقصود من كلامه عليه السّـلام بيان أن الإمام يعلم الأمور بذلك النور، الذى هو حقيقه الرساله، لا بالرساله التى كانت لرسول اللّه من واسطه الرسول (أى جبرئيل) .

و من المعلوم أن هـذا الروح و النور حقيقه أولا و بالذات قائم بالنبى صـلّى اللّه عليه و آله فلا ينافى تعلّمهم عليهم السّـلام العلوم بـذلك النور من أن يكون ذلـك النور قائما بالنبى أيضا، و يعلم ما علموه به قبلهم كما تقـدم ما يـدل على ذلك. و الحاصل: أن الإمـام عليه السّـلام يعلم الأـمور بـذلك النور لاـ بالرساله، و هـذا النور أولا و بالـذات قائم به صـلّى اللّه عليه و آله ثم بهم عليهم السّـلام فتأمـل تعرف. و أقول أيضـا: كيف أنهم عليهم السّـلام لاـ يعلمون الغيب مع أنه عنـدهم الاـسم الأعظم و هم مظاهر علمه تعـالى و هم عليهم السّـلام فى مقـام الفناء لا علم لهم إلّا و هو علمه تعالى بل لا شـىء حينئـذ إلّا علمه؟ فالقول: بأنهم لا يعلمون الغيب، فى حال كونهم مظهرا لولايته تعالى نقص لعلمه تعالى، بل العالم بالغيب هو تعالى فقط إلا أنه ظهر تبارك و تعالى فيهم،

فبهم ملأت سماءك و أرضك حتى ظهر أن لا إله إلّا أنت، و لا فرق بينك و بينها إلّا أنهم عبادك ، الدعاء. و قد تقدم

«فإن آمنت بما قلنا فهنيئا لك و إلّا فإيّاك ثم إيّاك أن تنكر ذلك فتكفر من حيث لا تشعر» و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا و صلى اللّه على محمد و آله الطاهرين.

الأمر الثانى: فيما يتعلق بقوله عليه السّلام: «و عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون» .

أقول: قد يقرأ بتشديد الراء فى المكرّمين اقتباسا من قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِی آدَمَ ، و هذا بعيد جدّا خصوصا مع تذييله

بقوله عليه السّـلام: «الـذين لاـ يَسْـبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » فإنه ظاهر فى أنه اقتباس من قوله تعالى: بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . فإنهم عليهم السّـلام و إن كانوا أحسن مصـداق لقوله تعالى: وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِی آدَمَ إلّا أنه لا يراد من هـذه الجمله الإشـاره إلى هـذه الآيه، و على أى حال لا بأس بالإشاره إلى ما ورد فى شـرح قوله تعالى: وَ لَقَـدْ كَرَّمْنا بَنِی آدَمَ ثم تعقيب الكلام بشرح

ص: ۵۰۶

المقصود من الجمله فنقول:

ففى تفسير نور الثقلين عن تفسير على بن إبراهيم، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن اللّه لا يكرم روح الكافر، و لكن كرّم أرواح المؤمنين، و إنما كرامه النفس و الدم بالروح، و الرزق الطيب هو العلم» . أقول: قد علمت سابقا أنه ليس للكافر روح الإيمان بل هو مختص بالمؤمن. وساير أرواح الكافرين لا كرامه لها، و هذا هو المراد

من قوله: «إن اللّه لا يكرم روح الكافر، لما ليس فيه من روح الإيمان، و لكن كرّم أرواح المؤمنين بروح الإيمان المعطى لهم، لا لسائر الأرواح فإنها لا كرامه لها» كما علمت. نعم فى المؤمن لنفسه و دمه أيضا كرامه لما فيه روح الإيمان، و هذا هو المراد من

قوله عليه السّلام: «و إنما كرامه النفس و الدم بالروح (أى بروح الإيمان الذى يكون فى المؤمن)» . ثم إنه عليه السّلام بيّن أمرا كليا و هو أحسن وجه لكرامه اللّه للمؤمن

بقوله عليه السّلام: «و الرزق الطيب هو العلم» ، أى أن اللّه تعالى و إن أكرم المؤمن بدنه و نفسه أيضا كما ستأتى الإشاره إليه إلاّ أن الكرامه الحقيقيه هو العلم المشار به إلى المعرفه بالتوحيد و النبوه و الولايه، فإنه الرزق الطيّب الذى أكرم به اللّه تعالى المؤمن خاصه كما لا يخفى.

و فيه عن الخصال، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «المؤمن أعظم من الكعبه» . أقول: لكرامته على اللّه تعالى.

و فيه عن العيون بإسناده إلى الرضا عليه السّلام قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إن المؤمن يعرف بالسماء، كما يعرف الرجل ولده، و أنه لأكرم على اللّه تعالى من ملك مقرب» .

و عنه و بإسناده قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «يا على كرامه المؤمن على اللّه أنه لم يجعل لأجله وقتا حتى يهمّ ببائقه، فإذا هم ببائقه قبضه اللّه إليه» .

و فيه عن علل الشرائع بإسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: سألت أبا

عبد اللّه علیه السّلام فقلت: الملائکه أفضل أم بنو آدم؟ فقال: «قال أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام: إن اللّه عز و جل رکب فی الملائکه عقلا بلا شهوه، و رکب فی البهائم شهوه بلا عقل، و رکب فی بنی آدم کلیهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خیر من الملائکه، و من غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم» . أقول: فبهذین الغلبتین یعرف من بنی آدم من هو مورد لکرامته تعالی.

و فیه عنه، علی بن موسی الرضا، عن أبیه، عن آبائه، عن علی بن أبی طالب علیه السّلام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله فی حدیث طویل یقول فیه صلّی اللّه علیه و آله: «و إن الملائکه لخدّامنا و خدّام محبینا، یا علی الذین یحملون العرش و من حوله یسبحون بحمد ربّهم، و یستغفرون للذین آمنوا بولایتنا، یا علی لو لا نحن ما خلق آدم و لا حوّا، و لا الجنه و الا النار، و لا السماء و لا الأرض، و کیف لا نکون أفضل من الملائکه، و قد سبقناهم إلی معرفه ربنا و تسبیحه و تهلیله و تقدیسه؟ إن اللّه تبارک و تعالی خلق آدم فأودعنا صلبه، و أمر الملائکه بالسجود تعظیما لنا و إکراما، و کان سجودهم للّه عز و جل عبودیه، و لآدم إکراما و طاعه لکوننا فی صلبه، فکیف لا نکون أفضل من الملائکه و قد سجدوا الآدم کلّهم أجمعون» . أقول: أی کیف لا نکون أفضل منهم، و قد سجدوا لآدم الذی دوننا فی الشرف؟ و إنما صار مسجودا لهم لکونهم علیهم السّلام فی صلبه، فسجد الملائکه لمن شرفه منهم علیهم السّلام و لم یؤمروا علیهم السّلام بالسجود لآدم لهذه الجهه، و هو کونهم أشرف منهم و کونهم سببا للسجود کما لا یخفی.

و فیه عن أصول الکافی بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «ما خلق اللّه عز و جل خلقا أکرم علی اللّه عز و جل من مؤمن، لأن الملائکه خدّام المؤمنین، و أنّ جوار اللّه للمؤمنین، و أنّ الجنه للمؤمنین، و أن الحور العین للمؤمنین» ، الحدیث.

و فیه عن احتجاج الطبرسی رحمه اللّه عن النبی صلّی اللّه علیه و آله فی حدیث طویل و فیه: «یا رسول اللّه أخبرنا عن علی هو أفضل أم ملائکه اللّه المقربون؟ فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

و هل شرفت الملائکه إلّا بحبها لمحمد و علی و قبول ولایتهما؟ ! إنه لا أحد من محبی علی علیه السّلام نظّف قلبه من الغش و الدغل و العلل و نجاسه الذنوب إلّا کان أطهر و أفضل من الملائکه» . أقول: و تقدم هذا الحدیث بتمامه.

و فیه عن اعتقادات الإمامیه للصدوق رحمه اللّه: و قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «أنا أفضل من جبرئیل و میکائیل و إسرافیل و جمیع الملائکه، و أنا خیر البریه و سید ولد آدم» . أقول: هذه جمله أحادیث دلّت علی أن اللّه تعالی کرّم النبی و الأئمه علیهم السّلام علی الکلّ، و کرم المؤمنین شیعتهم علی الکلّ غیرهم، و أنّ فضیله کل أحد حتی الملائکه إنما هو بالإقرار بفضل محمد و آله و بولایتهم علیهم السّلام هذا کلّه علی قراءه و المکرّمین (بالتشدید) و هو کما تقدم خلاف الظاهر، بل الظاهر أنه اقتباس من قوله تعالی: عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ الآیه، قال اللّه تعالی: وَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَلرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ. لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ. یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ یَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضیٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَ مَنْ یَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّی إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِکَ نَجْزِیهِ جَهَنَّمَ کَذٰلِکَ نَجْزِی اَلظّٰالِمِینَ (۱).

ففی تفسیر نور الثقلین، عن تفسیر علی بن إبراهیم: و قوله عز و جل: وَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَلرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ ، قال: هو ما قالت النصاری: إن المسیح بن اللّه، و ما قالت الیهود: عزیر بن اللّه، و قالوا فی الأئمه ما قالوا، فقال اللّه عز و جل: سبحانه، أنفه له بَلْ عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ ، یعنی هؤلاء الذین زعموا أنهم ولد اللّه، و جواب هؤلاء الذین زعموا ذلک فی سوره الزمر فی قوله عز و جل: لَوْ أَرٰادَ اَللّٰهُ أَنْ یَتَّخِذَ وَلَداً لاَصْطَفیٰ مِمّٰا یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ .

و فیه أیضا عن الخرائج و الجرائح فی أعلام أمیر المؤمنین علیه السّلام فی روایات

۱- ۱) الأنبیاء:۲۶-۲۹.

الخاصه: اختصم رجل و امرأه إليه فعلا صوت الرجل على المرأه، فقال له على عليه السّلام «اخسأ و كان خارجيّا فإذا رأسه رأس الكلب، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين صحت بهذا الخارجى فصار رأسه رأس الكلب فما يمنعك عن معاويه؟ فقال: ويحك لو أشاء أن آتى بمعاويه إلى هاهنا على سريره، لدعوت اللّه حتى فعل و لكن للّه خزان لا على ذهب و لا فضه و لا إنكار على أسرار هذا تدبير اللّه أ ما تقرأ: بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » .

و فى حديث مثله فى ذيله فقال: «نحن عباد مكرمون» .

و فيه عن مصباح شيخ الطائفه قدّس سرّه فى خطبه مرويه عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «و إن اللّه اختص لنفسه بعد نبيه صلّى اللّه عليه و آله من بريته خاصه، علّاهم بتعليته و سما بهم إلى رتبته، و جعلهم الدعاه بالحقّ إليه، و الأدلاء بالرشاد عليه لقرن قرن و زمن زمن، أنشأهم فى القدم قبل كلّ مذروّ و مبروّ، أنوار أنطقها بتمجيده بتحميده، و ألهمها شكره و تمجيده، و جعلها الحجج على كل معترف له بملكه الربوبيه و سلطان العبوديه، و استنطق بها الخرسات بأنواع اللغات بخوعا له بأنه فاطر الأرضين و السموات، و أشهدهم خلقه، و ولّاهم ما شاء من أمره، جعلهم تراجمه مشيته، و ألسن إرادته عبيدا، لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يشفعون إلّا لمن ارتضى و هم من خشيته مشفقون» .

و فيه فى ذيل حديث نقله عن عيون الأخبار قال: «لا يشفعون إلّا لمن ارتضى اللّه دينه» .

و فيه عن تفسير على بن إبراهيم و قوله:

وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، قال: من زعم أنه إمام و ليس بإمام» . أقول: قد علمت فيما تقدم ما للأئمه عليهم السّلام من المعجزات و الكرامات، بل و من عجائب الأمور، فهذه قد توجب التوهم بأنهم عليهم السّلام الآلهه فى الأرض أو إله مطلقا، و هذه الآيات و تلك الأحاديث المرويه عنهم عليهم السّلام ردّ عليهم و على هذا التوهم،

فالآیات ترد من زعم فیهم أنهم إله أو و العیاذ باللّه و من یقل منهم (أی من الأنبیاء و الأئمه) إنی إله من دونه. فحینئذ حاصل الآیات، وَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَلرَّحْمٰنُ وَلَداً : أی تولد من الرحمن من ظهر برحمانیته، فهو یعطی کلّ ذی حق حقه، و یسوق إلی کل مخلوق رزقه، فرد اللّه علیه بقوله: سبحانه، أی هو تعالی منزه عن الولاده و التولد و التولید لم یلد و لم یولد، و إنما الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام خلق مدبرون، فلیسوا بولد للّه تعالی، بل عباد مکرمون، قائمون بخدمه العباده و رضا العبودیه، قد وسموا بالفقر و العجز الذاتی بحیث لا قوه لهم إلاّ باللّه دعاهم إلیه لما خلقهم، فأجابوه فأکرمهم بإجابته لخدمته بتلک الکرامات التی لیست لأحد غیرهم. فهم عباد مکرمون لا یسبقونه بالقول، لا فی العباده العملیه و العبودیه الصفتیه، و لا فی العبودیه الذاتیه و لا فی الحظوظ النفسیه، و لا فی التبلیغات الشرعیه، بل یجرون فی جمیع ذلک بما حدّه لهم، و هم بأمره یعملون، هذا و قد أقرّ اللّه تعالی لهم علیهم السّلام بتلک الحالات و العبودیه و شهد لهم علیهم السّلام بذلک بقوله تعالی: یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ أی کل شیء من أمره عملوا به فهو یعمله، و أعمالهم علیهم السّلام بمرأی منه و منظر، و لا یخفی علیه تعالی شیء منها. و لا یشفعون إلاّ لمن ارتضی اللّه دینه کما تقدم، فالشفاعه الثابته لهم بنص من اللّه تعالی لا یقومون بها إلاّ لمن ارتضی اللّه دینه، فهم علیهم السّلام بهذه المنزله من کونهم محلاّ للشفاعه منه تعالی لا یرفعون من وضعه اللّه تعالی، و لا یقدمون من أخره اللّه بالشفاعه إلاّ إذا رضی اللّه تعالی لهم، و أذن لهم بالشفاعه من شیعتهم و محبیهم و محبی محبیهم، و أیضا قد أخبر اللّه تعالی عنهم-مع کونهم عالمین بأمره، و لا یشفعون إلاّ لمن ارتضی-بأنهم علیهم السّلام عاملون بجمیع أوامره، و هم من خشیته مشفقون، خائفون من مقام عظمته تعالی وجلون من لقائه. کما قال تعالی: وَ اَلَّذِینَ یُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَهٌ أَنَّهُمْ إِلیٰ رَبِّهِمْ رٰاجِعُونَ

ص :511

و هذه خشیه منهم هو أثر علمهم به تعالی،

ففی الدعاء عن السجاد علیه السّلام:

«سبحانک أعلمهم بک أخوفهم منک» ، و فیه: «لا علم إلاّ خشیتک، و لا حکم إلاّ الإیمان بک، لیس لمن لم یخشک علم، و لا لمن لم یؤمن بک حکم» . ثم إنه تعالی أخبر (علی الفرض) بأنه: و من یقل منهم (أی الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام أو غیرهم من سائر الناس) إنی إله، أی إنی لم أفعل و لم أعمل بأمره و بحوله و قوته، أو قال: إنی أعمل بغیر أمره و بغیر قدرته و حوله، و أستقل فی ذلک کلّه بنفسی، فإن هذا معنی القول: أنه إله أی مستقل فی تلک بنفسه لا باللّه تعالی کما لا یخفی، فذلک نجزیه جهنم کذلک نجزی الظالمین. و الحاصل: أنهم علیهم السّلام یتکلمون بأمره، و یسکتون بأمره، و یجاهدون بأمره و یترکون الجهاد بأمره، و یقتلون و یقتلون بأمره فهذه مراتبهم التی رتبهم اللّه فیها، مع ما منحهم من القدره و المعجزات، فمن رفعهم عن مراتبهم بأن غلا فی حقهم، أو وضعهم عنها، و لو فرض أنهم علیهم السّلام عاملون مع أنفسهم کذلک، و إن لم یعاملوا قطعا، فهذا ظلم لذلک القائل مهما کان، فقال تعالی فی حقه: فَذٰلِکَ نَجْزِیهِ جَهَنَّمَ ، ثم قال تعالی قولا کلیا: کَذٰلِکَ نَجْزِی اَلظّٰالِمِینَ ، أی مهما قال قائل بتلک الأقوال فهو ظالم یکون جزاؤه جهنم، فقال تعالی: کَذٰلِکَ نَجْزِی اَلظّٰالِمِینَ .

قال علیه السّلام:

و رحمه اللّه و برکاته

، و هذا عطف علی:

السلام علی الدعاه إلی اللّه. . إلخ،

و قد علمت قبلا معنی الرحمه و البرکه، فلا نعیده، إلاّ أن ذکر الرحمه و البرکه هنا أیضا معناه: أن تلک الأوصاف التی ذکر فی هذا الفصل من السلام علیهم محفوظه علیهم من اللّه تعالی، و محفوظه برحمه اللّه تعالی، و مشموله ببرکاته تعالی فی کل حال لهم فی تلک الصفات بنسبتها و اللّه العالم، و الحمد للّه ربّ العالمین. انتهی الجزء الثانی و یلیه الجزء الثالث مبدوءا ب

«السلام علی الأئمه الدعاه»

المجلد ۳

اشاره

ص :۱

تتمه شرح متن الزياره

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ الحمد للّه ربّ العالمين و صلى اللّه على محمد و آله آل اللّه، و لعنه اللّه على أعدائهم أعداء اللّه. و بعد، هذا هو الجزء الثالث من الأجزاء الخمسه المسمّى ب «الأنوار السّاطعه فى شرح الزياره الجامعه» . كتبته و أبرزته فى عالم المطبوعات كى ينتفع به كل من يروم أن ينوّر بنور الولايه العظمى، و يشرح صدره لعلوم محمد و آله عليهم السّلام. و نشرع من جمله: السّلام على الأئمه الدعاه.

ص: ۵

[۱۳]قوله عليه السّلام: السلام على الأئمه الدعاه.

الأئمه جمع إمام نحو أكيسه جمع كساء. قال فى المجمع: أصل أئمه أءممه فألقيت حركه الميم الأولى على الهمزه و أدغمت الميم فى الميم، و خففت الهمزه الثانيه، لئلا تجتمع همزتان فى حرف واحد مثل آدم و آخر، فمن القراء من يبقى الهمزه مخففه على الأصل، و منهم من يسهلها و القياس بين بين، و بعضهم يعده لحنا و يقول: لا وجه فى القياس. أقول: و معنى تسهيلها هو قراءتها (أى الهمزه) بنحو يكون فى التلفظ ما بين الهمزه و الياء، و بعضهم يقلبها ياء، و بعضهم يقرأ الهمزه الثانيه محركه. أقول: و لعل هذه القراآت فيها من ألسن العرب غير الفصاح، و لذا قال بعضهم: إن هذا لحن و لا وجه للقياس. و الدعاه: جمع الداعى كقضاه جمع قاضى. و كيف كان فمعنى الجمله هو أن الإمام فى كتاب اللّه إمامان.

ص: ۷

ففی تفسیر نور الثقلین عن أصول الکافی (۱)، باسناده عن طلحه بن زید عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إن الأئمه فی کتاب اللّه عز و جل إمامان. قال اللّه تبارک و تعالی: (وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا) لا بأمر الناس، یقدمون أمر اللّه قبل أمرهم، و حکم اللّه قبل حکمهم، قال: (وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً یَدْعُونَ إِلَی اَلنّٰارِ) یقدمون أمرهم قبل أمر اللّه، و حکمهم قبل حکم اللّه، و یأخذون بأهوائهم خلاف ما فی کتاب اللّه عز و جل.

و فیه (۲)عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام حدیث طویل فی وصف الإمامه و الإمام، و ذکر فضل الإمام یقول فیه علیه السّلام: ثم أکرمه اللّه عز و جل (أی إبراهیم علیه السّلام) بأن جعلها فی ذریته و أهل الصفوه و الطهاره فقال عز و جل: (وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ نٰافِلَهً وَ کُلاًّ جَعَلْنٰا صٰالِحِینَ وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا وَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْهِمْ فِعْلَ اَلْخَیْرٰاتِ وَ إِقٰامَ اَلصَّلاٰهِ وَ إِیتٰاءَ اَلزَّکٰاهِ وَ کٰانُوا لَنٰا عٰابِدِینَ) فلم تزل فی ذریته یرثها بعض عن بعض قرنا قرنا حتی ورثها النبی صلّی اللّه علیه و آله. فقال اللّه جل جلاله: (إِنَّ أَوْلَی اَلنّٰاسِ بِإِبْرٰاهِیمَ لَلَّذِینَ اِتَّبَعُوهُ وَ هٰذَا اَلنَّبِیُّ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ اَللّٰهُ وَلِیُّ اَلْمُؤْمِنِینَ) فکانت خاصه، فقلدها صلّی اللّه علیه و آله علیا علیه السّلام بأمر اللّه عز و جل علی رسم ما فرض اللّه تعالی، فصارت فی ذریته الأصفیاء الذین أتاهم اللّه العلم و الإیمان بقوله تعالی: (قٰالَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ وَ اَلْإِیمٰانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِی کِتٰابِ اَللّٰهِ إِلیٰ یَوْمِ اَلْبَعْثِ) فهی فی ولد علی بن أبی طالب علیه السّلام خاصه إلی یوم القیامه إذ لا نبی بعد

۱- ۱) ج ۴ ص ۱۳۰.

۲- ۲) أصول الکافی: ج ۳ ص ۴۴۰.

محمد صلّى اللّه عليه و آله. و فى أصول الكافى مثله سواء.

و فيه عن كتاب المناقب لابن شهرآشوب عن النبى صلّى اللّه عليه و آله حديث طويل فى فضل على و فاطمه عليهما السّلام و فيه قال صلّى اللّه عليه و آله: و ارزقهما ذريه طاهره طيبه مباركه، و اجعل فى ذريتهما البركه، و اجعلهم أئمه يهدون بأمرك إلى طاعتك، و يأمرون بما يرضيك، الحديث.

و فى بصائر الدرجات بإسناده عن ابن أبى يعفور قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا بن أبى يعفور إن اللّه تبارك و تعالى متوحد بالوحدانيه متفرد بأمره، فخلق خلقا ففردهم لذلك الأمر، فنحن هم يا بن أبى يعفور، فنحن حجج اللّه فى عباده، و شهداؤه فى خلقه، و أمناؤه و خزّانه على علمه، و الداعون إلى سبيله، و القائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه. فالمستفاد من هذه الأحاديث المتضمنه لتلك الآيات أن الأئمه على قسمين: إمام يهدى بأمر اللّه. إمام يدعو إلى النار. و أن الأئمه الذين يهدون بأمر اللّه هم ذريه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فهذه الجمله فى الزياره كساير الجمل التى تكون قريبه المضمون مع هذه تدل على أن الأئمه عليهم السّلام هم الدعاه إليه تعالى، و أنهم المشار إليهم فى قوله تعالى: (وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا) . ثم إن الجمل الوارده فى هذه الزياره الشريفه المتضمنه لهذا المعنى على أقسام، كلّ منها يشير إلى جهه من جهات الدعوه إليه تعالى فنقول:

قوله عليه السّلام هنا:

السّلام على الأئمه الدعاه

، فهذه الدعوه عباره عما أودعه اللّه

ص :٩

تعالى فى حقيقتهم عليهم السّلام من أسرار التوحيد، التى بها يتصفون بصفه الداعويه الذاتيه، و الشأنيه الواصله إلى المرحله الفعليه، فهى بهذه المرتبه الفعليه يعبر عنها بكونهم الدعاه إلى اللّه، كما تقدم فى السابق من

قوله عليه السّلام:

السّلام على الدعاه إلى اللّه . و بالجمله، هذه الجمله للإشاره إلى القابليه الذاتيه للداعويه إليه تعالى مما جعل اللّه فيهم من أسرار التوحيد، و الجمله السابقه للإشاره إلى المرحله الفعليه الظاهره فى الخلق قولا و فعلا و صفه كما لا يخفى.

فقوله عليه السّلام هنا:

الدعاه إلى اللّه

، يشير إلى منصب الداعويه، كما أن

قوله عليه السّلام

السّلام على أئمه الهدى

، يشير إلى منصب الإمامه الذاتيه. و أمّا

قوله عليه السّلام:

الدعوه الحسنى

، فالمراد منها معناها الأسمى أى حقيقه الدعوه الإلهيه، التى هى أثر من تلك القابليه الذاتيه التى تقدم ذكرها، فإذا أظهروها - بالقول فيما يكون قوليا أو بالفعل فيما يكون فعليا-فيتصفون بالداعويه الفعليه إلى اللّه تعالى. و الحاصل: أن ما تحصل به الدعوه من بيان المعارف و الأحكام، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر تكون الدعوه الحسنى، و ملخص القول: أنهم عليهم السّلام بلحاظ القابليه الذاتيه المستجمعه للأسرار الإلهيه فهم الأئمه الدعاه ذاتا، و بلحاظ الإظهار و الفاعليه لتلك الدعوه، فهم الدعاه إلى اللّه قولا و عملا و بلحاظ بيان ما به الدعوه الإلهيه من ذكر المعارف و الأحكام و الأمر و النهى فهم عليهم السّلام الدعوه الحسنى. و كيف كان فهم عليهم السّلام دلّوا العباد على سبيل الرشاد، و أوضحوا أمر اللّه تعالى و نهيه، و أقاموا فى جميع العوالم ما كان معوجا فى جميع الأمور، و فى جميع أصناف

الخلق فهم علیهم السّلام دعوا جمیع الموجودات إلیه تعالی کلّ بلسانه من الجمادات و النباتات و الحیوانات و الناس بما فیهم الأنبیاء السابقون بل و الملائکه أیضا، و هذا أمر واضح لا یخفی علی المتتبع لآثارهم علیهم السّلام. و أمّا بیان کیفیه دعوه کل موجود إلیه تعالی فهو مختص بهم علیهم السّلام فإنهم العارفون بحقائق الموجودات بتعریف اللّه تعالی لهم، فلا محاله یدعون کلا منها بما یخصه فی الفهم و الدعوه کما لا یخفی. و هذه الجمله التی أشیر إلیها للإشاره إلی أنّهم علیهم السّلام متصفون بهذه الدعوه منه تعالی لا غیرهم فلهم هذه المناصب، و لقد قاموا علیهم السّلام بهذه الدعوه، و أجهدوا أنفسهم الشریفه، و أتعبوها بکلّ المشاق حتی ظهر أمر اللّه تعالی فی عالم الوجود، بحیث لولاهم لما عرف اللّه، و لولاهم لما عبد اللّه کما تقدم، و الحمد للّه ربّ العالمین.

قوله علیه السّلام: و القاده الهداه.

اشاره

أقول: فی المجمع: و القود أن یکون الرجل أمام الدابه آخذا بقیادها، القود (بالفتح فالسکون) الخیل، و القیاد (ککتاب) حبل تقاد به الدابه، و المقود الحبل یشدّ به الزمام أو اللجام تقاد به الدابه و الجمع مقاود. و فیه: و القائد واحد القواد و القاده،

و فی حدیث علی علیه السّلام: قریش قاده ذاده ، أی یقودون الجیوش، جمع قائد. انتهی ملخصا. أقول: و المعنی انهم علیهم السّلام یقودون شیعتهم إلی طریق النجاه و أعلا الدرجات، کما تقدم عنهم هذا کثیرا، و الهداه جمع الهادی، و لما کانت القاده حسب معناه اللغوی عاما یشمل من یقود غیره إلی الهدی أو إلی الضلال کما لا یخفی، فاتصفت فی العباره بالهداه إشاره إلی أنهم مصادیق قوله تعالی: (وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا) و قد

ص: ۱۱

تقدم الحديث فی بیان هذه الآیه، فهم علیهم السّلام القاده الهداه إلی کلّ خیر. أقول: و فیه أیضا إشاره إلی أنهم علیهم السّلام مصادیق قوله تعالی: (إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ) (۱).

ففی تفسیر نور الثقلین (۲)، عن أمالی الصدوق رحمه اللّه بإسناده إلی عباد بن عبد اللّه قال: قال علی علیه السّلام: «ما نزلت من القرآن آیه إلاّ و قد علمت أین نزلت و فیمن نزلت، و فی أیّ شیء نزلت، و فی سهل نزلت» أو فی جبل نزلت، قیل: فما نزل فیک؟ قال: لو لا أنکم سألتمونی ما أخبرتکم، نزلت فیّ هذه الآیه: (إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ) فرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المنذر و أنا الهادی إلی ما جاء به.

و فیه عن مجمع البیان، عن ابن عباس: لما نزلت هذه الآیه، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «أنا المنذر و علی الهادی من بعدی، یا علی بک یهتدی المهتدون» .

و فیه عن کشف المحجه ابن طاووس رحمه اللّه، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام حدیث طویل و فیه: قال اللّه تعالی لنبیه: (إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ) فالهادی بعد النبی هاد لأمّته علی ما کان من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فمن عسی أن یکون الهادی إلاّ الذی دعاکم إلی الحقّ و قادکم إلی الهدی.

و فیه عن أصول الکافی بإسناده عن الفضیل، قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: (وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ) فقال: کلّ إمام هاد للقرن الذی هو فیهم.

و فیه بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: (إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ) فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أنا المنذر، و لکلّ زمان منا هاد یهدیهم إلی ما جاء به نبی اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم الهداه من بعده علی ثم الأوصیاء واحدا بعد واحد.

و فیه عن تفسیر العیاشی، عن مسعده بن صدقه، عن جعفر بن محمد، عن أبیه

۱- ۱) الرعد:۷.

۲- ۲) ج ۲ ص ۴۸۲.

عن جده قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: فينا نزلت هذه الآيه: (إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ) فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أنا المنذر و أنت الهادى يا على، فهنا الهادى و النجاه و السعاده إلى يوم القيامه. أقول: فهنا، أى عند على و الأئمه عليهم السّلام.

و فيه عن عبد الرحيم القصير قال: كنت يوما من الأيام عند أبى جعفر عليه السّلام فقال يا عبد الرحيم، قلت: لبيك، قال: قول اللّه: (إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ) إذ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أنا المنذر و على الهادى، و من الهادى اليوم؟ قال: فمكثت طويلا، ثم رفعت رأسى فقلت: جعلت فداك هى فيكم توارثوها رجل فرجل حتى انتهيت فأنت جعلت فداك الهادى، قال عليه السّلام صدقت يا عبد الرحيم، إن القرآن حىّ لا يموت و الآيه حيه لا تموت.

و فيه عن تفسير على بن إبراهيم: حدثنى أبى عن حمّاد عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: المنذر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الهادى أمير المؤمنين و بعده الأئمه عليهم السّلام و هو قوله: (وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ) فى كل زمان هاد مبين، و هو ردّ على من ينكر أن فى كل أوان و زمان إماما، و أن لا تخلو الأرض من حجه كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لا تخلو الأرض من قائم بحجه اللّه إما ظاهر مشهور و إما خائف مغمور، لئلا تبطل حجج اللّه و بيناته. فهم عليهم السّلام يقودون المؤمنين فى جميع عوالم الوجود إلى ما فيه رضا الربّ تعالى، و إلى كلّ خير فى كلّ عالم، و إلى السعادات فى الدنيا و البرزخ و الآخره بالقول و الصفات الحسنه، و الأعمال الصالحه تشريعا و تكوينا، أما الأول: فظاهر و أما الثانى: فلأن المؤمنين بنورهم يهتدون إلى الحق كما تقدم من

قوله عليه السّلام: و اللّه إن الأئمه هم الذين ينورون قلوب المؤمنين، و من أن عليا عليه السّلام يمير العلم للمؤمنين. و تقدم أنهم عليهم السّلام الحفظه، فهم يحفظون بأمر اللّه و إذنه من استجاب لهم فى دعواتهم عليهم السّلام له فيحفظونهم من الأخطار فى كل حال، فينقلونهم بسبب حبّهم

ص: ١٣

و التمسک بولا-یتهم إلی منـازل الجنـان فی البرزخ و الآخره، حتی یردوهم منازلهم فی حظیره القـدس و فی جوار رب العالمین کلا علی حسب استجابته و قبوله الولایه، و التمسک بهم و العمل بما أمروا المعرفه لهم کما تقدم. و الحاصل: انهم علیهم السّلام یقودون شیعتهم بما ملکهم اللّه من أزمه القیاده و الأمور الإلهیه إلی رفیع الدرجات و جمیع الخیرات و منازل الجنان خالدین فیما یشتهون، بحیث لا خوف علیهم و لا یحزنون.

تذییل:

اعلم أنهم علیهم السّلام کما أنهم یقودون شیعتهم إلی تلک الدرجات، کذلک یسوقون أعداءهم إلی أضداد تلک الأحوال، من الدرکات السافله إلی أن یحلوا أعداءهم دار البوار و النکال و عظیم الأهوال، کما یشیر إلیه ما

فی زیاره صاحب الأمر (عج) :

السّلام علی نعمه اللّه السابغه و نقمته الدامغه.

و قد تقدم مرارا

قول علی علیه السّـلام: «أنـا قسیم الجنه و النـار» فلا-ریب فی أن معناه أنهم یقودون من أحبهم إلی الجنه، و من عاداهم یسوقونه إلی النار، کیف لا و قد

قـال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یـا علی حبـک إیمـان و بغضـک کفر» و معلوم أن منشأ الجنه هو الإیمان، و منشأ النار هو الکفر، فـإن کـان حبه إیمانـا فحبه منشأ الجنه، و إن کـان بغضه کفرا، فبغضه منشأ النار کما لا یخفی؟ ! و إلی هـذا یشیر ما عن الرضـا علیه السّـلام للمأمون (علیه اللعنه و العـذاب) فی بیـان وجه کون علی علیه السّـلام قسیم الجنه و النار، فراجع عیون أخبار الرضـا علیه السّـلام. و کیف کان، قال اللّه تعالی: (فَاهْـدُوهُمْ إِلی صِـرٰاطِ اَلْجَحِیمِ) و قال تعالی: (أَلْقِیٰا فِی جَهَنَّمَ کُلَّ کَفّٰارٍ عَنِیـدٍ) (۱)و لیس سوقهم علیهم السّـلام للظالمین إلی الجحیم و الشـقاوه إضلالا لهم، بل لما لم یقبل الأعداء منهم علیه السّلام الهدایه و الإیمان فحقّ علیهم العذاب لذلک، فکان جزاؤهم حینئذ أن یساقوا إلی العذاب و الجحیم. قال اللّه

۱- ۱) سوره ق:۲۴.

تعالی: (اُحْشُرُوا اَلَّذِینَ ظَلَمُوا وَ أَزْوٰاجَهُمْ وَ مٰا کٰانُوا یَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اَللّٰهِ فَاهْدُوهُمْ إِلیٰ صِرٰاطِ اَلْجَحِیمِ. وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ. مٰا لَکُمْ لاٰ تَنٰاصَرُونَ. بَلْ هُمُ اَلْیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ. وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ یَتَسٰاءَلُونَ. قٰالُوا إِنَّکُمْ کُنْتُمْ تَأْتُونَنٰا عَنِ اَلْیَمِینِ. قٰالُوا بَلْ لَمْ تَکُونُوا مُؤْمِنِینَ. وَ مٰا کٰانَ لَنٰا عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ بَلْ کُنْتُمْ قَوْماً طٰاغِینَ. فَحَقَّ عَلَیْنٰا قَوْلُ رَبِّنٰا إِنّٰا لَذٰائِقُونَ. فَأَغْوَیْنٰاکُمْ إِنّٰا کُنّٰا غٰاوِینَ. فَإِنَّهُمْ یَوْمَئِذٍ فِی اَلْعَذٰابِ مُشْتَرِکُونَ) (۱)الآیات. ففی هذه الآیات الشریفه جهات من الکلام. منها: الذی یدل علی ما قلنا و حاصله: أنه تعالی أمر بقوله: (فَاهْدُوهُمْ إِلیٰ صِرٰاطِ اَلْجَحِیمِ) أن یساقوا إلیها، فالهدایه کنایه عن السوق إلی النار بدلا عن الهدایه إلی الجنه، أی فکان الأولی أن یهدوا إلی الجنه، و لکنهم لسوء فعلهم هدوا إلی الصراط الجحیم و لیس هذا إضلال لهم، بل لما لم یکونوا مؤمنین فحق علیهم قول ربّهم من الوعید لهم إذ لم یؤمنوا بالعذاب، فسوقهم إلی الجحیم جزاء لفعلهم لا إضلالا لهم کما لا یخفی. و کیف کان، فباتصافهم علیهم السّلام بهذین الوصفین من الهدایه للمهتدین، و بسوقهم للظالمین إلی النار بذلک الملاک المذکور یقال لهم: القاده الهداه، بلحاظ الصفه الأولی، و الذاده الحماه کما سیأتی قریبا بلحاظ الثانیه.

و فی حدیث أبی الطفیل قال: قلت: یا أمیر المؤمنین أخبرنی عن حوض النبی صلّی اللّه علیه و آله فی الدنیا أم فی الآخره. قال: بل فی الدنیا، قلت: فمن الذائد علیه؟ قال: أنا بیدی لأوردنّه أولیائی و لأصرفن عنه أعدائی، الحدیث. أقول: قیل: المورد هو القائد، و الصارف هو الذائد، و لهذا الحدیث شرح یطول بیانه و لعلّه یجیء فی طی الشرح إن شاء اللّه تعالی.

۱- ۱) الصافات:۲۲-۳۳.

قوله علیه السّلام: و الساده الولاه

أقول: فی المجمع: السید: الرئیس الکبیر فی قومه، المطاع فی عشیرته و إن لم یکن هاشمیا و لا علویا، و السید: الذی یفوق فی الخیر، و السید: المالک، و یطلق علی الربّ و الفاضل و الکریم و الحلیم و المتحمّل أذی قومه و الزوج و المقدّم. قوله تعالی: (وَ أَلْفَیٰا سَیِّدَهٰا لَدَی اَلْبٰابِ) أی زوجها. . إلی أن قال:

و فی الحدیث: «العلماء ساده» ساد یسود سیاده، و الاسم السودد، و هو المجد و الشرف، فهو سید و الأنثی سیده، ثم أطلق علی الموالی لشرفهم، و إن لم یکن فی قومهم شرف، و الجمع ساده و سادات انتهی. و قال بعضهم: إن حقیقه السیاده هو المجد و الشرف، و سایر المعانی من لوازمها، و المجد عباره عن العلو الذی لا یدرک کنهه، و الفرق بینه و بین الشرف أنه بحسب الذات و الشرف بحسب الملکات و الصفات، و الولاه جمع الوالی و هو الأولی بالتصرف فیمن یولّی علیه. أقول: أمّا کونهم علیهم السّلام الولاه و الأولی بالتصرف، فقد تقدم مفصلا فی بیان معنی الولایه ما یدلّ علیه من الآیات و الأحادیث من قوله تعالی: (اَلنَّبِیُّ أَوْلیٰ بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) و قوله تعالی: (إِنَّمٰا وَلِیُّکُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ)

و قوله صلّی اللّه علیه و آله: «من کنت مولاه فعلی مولاه» . و قال بعض الأعاظم:

و قد ورد عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: (اَلنَّبِیُّ أَوْلیٰ بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) : أنها نزلت فی الإمره (یعنی الإماره) أی هو أحق بهم من أنفسهم حتی لو احتاج إلی مملوک لأحد هو محتاج إلیه جاز أخذه منه.

و ورد فی آیه الولایه من قوله: (إِنَّمٰا وَلِیُّکُمُ اَللّٰهُ) أی هو أحق بهم من أنفسهم حتی لو احتاج إلی مملوک لأحد هو محتاج إلیه جاز أخذه منه.

و ورد فی آیه الولایه من قوله: (إِنَّمٰا وَلِیُّکُمُ اَللّٰهُ) ، عن الصادق علیه السّلام: أن الخاتم

ص: ۱۶

الـذی تصـدق به کـان وزن حلقته أربعه مثاقیـل فضه، و وزن فصه خمسه مثاقیـل، و هی یاقوته حمراء قیمته خراج الشام، و خراج الشام ستمائه حمل فضه و أربعه أحمال من الذهب ، انتهی مختصـرا و تمام الکلام فیما تقدم فراجعه. و أمّا کونهم علیهم السّلام الساده فقد علمت: أن حقیقه السیاده هو المجد و الشرف، و باقی المعانی من لوازمها، و سیجیء فی شرح

قوله علیه السّلام فی الزیاره:

«فبلغ اللّه بکم أشـرف محلّ المکرّمین، و أعلی منازل المقربین، و أرفع درجات المرسلین، حیث لا یلحقه لاحق، و لا یفوقه فائق، و لا یطمع فی إدراکه طامع، و فیها: طأطأ کل شریف لشرفکم، و بخع کل متکبر لفضلکم» فهم علیهم السّلام فی محل من العلو و الشرف بحیث لا یدرک حقیقته فکیف بالوصول إلیه أو الطمع فیه، و تقدم

قوله علیه السّلام: إن أمرنا لا یحد، أی لا یحاط به علما فکیف الوصول إلیه. و الحاصل: أن ذواتهم المقدسه فی مقام القرب منه تعالی، و التلقی منه تعالی حقّ التجلیات الإلهیه بحیث لا یکون لأحد غیرهم کما

قال علیه السّلام فی الزیاره

«آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین»

، و سیجیء شرحه. و علیه: فهم الساده بحقیقه السیاده، بل کل واحد منهم سید السادات بعده تعالی، و من لوازمها سایر المعانی التی ذکرناهـا، فهم علیهم السّلام الساده بمعنی الرئیس و الکبیر، و لا ریب فی أنهم علیهم السّلام لمکـان ولایتهم الکلیه فلهم الریـاسه و العظمـه علی الکـلّ کمـا ظهرت آثارهمـا منهم علیهم السّلام فی الخلق من التمکن فی القلـوب قلـوب الأولیـاء بـل و الأعداء، و من المعجزات التی صدرت عنهم علیهم السّلام حیث دلّت علی کونهم بمقام من الریاسه و العظمه بحیث تصدر منهم هـذه الأمور الخـارقه للعـاده فی الخلق، و بمعنی المطـاع فی عشـیرته بـل فی قومه و جمیع الخلق إطـاعه تکوینیّه أو تشـریعیه. أما الثانی: فظاهر، إذ لا ریب، أن کل متشرع فانما هو یطیعهم فی شرعه، و سیجیء قریبا أن الملک العظیم هو الطاعه لهم.

و أمّا الأول: فهم مطاعون فى الخلق مطلقا، فإذا دعوا عليهم السّلام الخلق و لو غير البشر أجابتهم بحقائقهم و رقائقهم و بشئونهم و بأفئدتهم و قلوبهم و أرواحهم و نفوسهم و طبايعهم، بل و بالألفاظ و الأحوال و الأعمال و الأقوال و الحركات و الخواطر و الضمائر و السرائر، فكلّ شىء لهم كيف لا و قد قال اللّه تعالى فيما تقدم أنه ما خلق الخلق إلا لهم، و قد اشتهر

قول على عليه السّلام: «نحن صنايع اللّه و الخلق بعد صنايع لنا» فكل شىء لهم و لا محاله يطيعهم. و قد تقدمت إجابه الحمى للحسين عليه السّلام: حين دعاها

بقوله: «يا كباسه» بحيث سمع الصوت (صوت لبيک) دون المصوّت. و من راجع معجزاتهم علم يقينا أن كل شىء يطيعهم إذا شاءوا دعوهم بالجد، و بتصرف الولايه التكوينيه الثابته لهم عليهم السّلام، و تقدم أن الملک المعطى لهم هو الطاعه و ستجىء الإشاره إليه. و بمعنى الذى يفوق فى الخير، فإنهم عليهم السّلام فاقوا فى كل خير كلّ الخلائق، كيف لا مع أن كل خير لأى موجود فإنما هو منهم كما سيأتى من شرح

قوله عليه السّلام فى الزياره:

«إن ذكر الخير فأنتم أصله و معدنه و مأواه و منتهاه. . .» ،

فكلّ خير فى الوجود فإنما هو فرع منهم و هم أصله، و كيف لم يفوقوا كل خير،

و قد قال عليه السّلام فيما سيأتى:

«فبلغ اللّه بكم أشرف محلّ المكرّمين»

. فاللّه تعالى أحلّهم محلاّ لا يطمع طامع من الخلق سواهم فى إدراكه، و لا يفوقه و لا يلحقه أحد منهم أبدا. و بمعنى المالک سواء فسر بالمالكيه الماليه أو الحكميه، فقد تقدم كونهم مالكين للخلق، بحيث يكون الخلق ملكا لهم يتصرفون فيهم بما يشاءون كما تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و ساسه العباد»

و تقدم آنفا

عن الباقر عليه السّلام فى معنى الأولويه من قوله: «حتى لو احتاج إلى مملوک لأحد هو محتاج إليه جاز أخذه منه» و هذه هى الأولويه بالمالكيه فى التصرف من صاحب المال، إلاّ أنّهم عليه السّلام قد علمت قد جعلوا شيعتهم

و الخلق فی وسعه من ذلک. و أمّا المالکیه الحکمیه فأیضا قد تقدم أن الملک العظیم هو الحکم الذی أعطاهم اللّه، کما تقدم

فی تفسیر قوله تعالی: (وَ آتَیْنٰاهُمْ مُلْکاً عَظِیماً) عن الرضا علیه السّلام من قوله یعنی الطاعه للمصطفین الطاهرین، فالملک هیهنا الطاعه لهم علیهم السّلام الحدیث. أو فسر بمعنی المدبر و المربی و المتمم و المنعم و الصاحب، فإنهم علیهم السّلام مالکون للخلق بجمیع هذه المعانی أیضا، فإنه بعد ما ثبت لهم الولایه التکوینیه من التصرف فی الموجودات و الخلق، و أن إراده الربّ تصدر من بیوتهم إلی الخلق بعد ما تهبط إلیهم منه تعالی، و بعد ما ثبت أنهم علیهم السّلام عله الخلق خصوصا العله الغائیه، بل و غیرها کما تقدمت الإشاره إلیه، فلا محاله لهم التدبیر و التربیه، و تمیم کلّ ناقص، و إعطاء النعم الإلهیه للخلق، فإن هذه من شئون ولایتهم التکوینیه. و منها یعلم أنهم مصاحبون للخلق فی جمیع الأحوال کیف لا و هم سبب الإفاضه منه تعالی لهم؟ فلا یفارقون الخلق، فکیف یبقی خلق فی مفارقتهم، مع أن بقاء کلّ موجود بهم بالعله الفاعلیه فهم مصاحبون للخلق بهذا المعنی، و معنی کونهم العله الفاعلیه، أن الإیجاد الحقیقی، و إن کان منه تعالی، إلاّ أنّه لما کان الإیجاد منه لهم بسببهم، و هم فی طریق الإیجاد و سبب الموجودات، فلا محاله هم کالعله الفاعلیه للخلق باللّه تعالی، و قد تقدم تحقیقه سابقا. و مما ذکر یعلم کونهم ساده بمعنی الربّ و الشریف و الفاضل و الکریم، أما الربّ فلا یراد منه إلاّ معنی التربیه، و قد علمت أن لهم تربیه الخلق و إن أرید منه معنی آخر یرجع إما إلی معانی المالک، أو إلی سایر معانی السیاده المتقدمه، ضروره أنه لا یراد منه ما یراد منه فی إطلاقه علیه تعالی. و أما الشریف: فقد علمت أن أصل هذه الأمور هو الشرف و المجد الذاتی الثابت بما شرفهم اللّه تعالی، و منه یعلم معنی السیاده إذا فسر بالفاضل کما لا یخفی. و أمّا الکریم: فقد تقدم أنهم أحسن مصداق لقوله تعالی: (وَ لَقَدْ کَرَّمْنٰا بَنِی آدَمَ)

و قوله تعالى: (عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ) فهم محل الكرم منه تعالى فلا محاله هم الكرماء بجميع معنى الكريم كما لا يخفى، و بمعنى الحلم و التحمل لأذى قومه فلا ريب فيه لمن تتبع الأخبار وجد حلمهم، و تحملهم الأذى من جهال القوم، و عدم انتقامهم مع أنهم يقدرون على نحو لا يمكن أن يقع من غيرهم، كيف لا و قد جعل اللّه الملائكه المدبرين للأمور بأصنافهم من الموكلين على الماء و الأرض أو الجبال و أمثالها مأمورين بالإطاعه لهم فى أمر، كما يظهر من الأحاديث المرويه فى نزول الملائكه على الحسين عليه السّلام يوم عاشوراء، و أنهم مأمورون بالإطاعه له عليه السّلام فيما يأمرهم به، و مع ذلك لم يأمرهم بشىء بل جعل أمر الانتقام بيده تعالى. و أمّا كونهم ساده بمعنى الزوج فإنه لا يستقيم بظاهره. نعم لما كان إطلاق السيد على الزوج بلحاظ أن الزوج له رئاسه على الزوجه، أو له المالكيه الحكميه عليها، أو له الشرف عليها، أو أنه المطاع لها فى الجمله، إذ لا بدّ من إطاعتها له كما يستفاد من قوله تعالى: (اَلرِّجٰالُ قَوّٰامُونَ عَلَى اَلنِّسٰاءِ) (1)إذ المتيقن أنه يراد من الرجال الأزواج و من النساء الزوجات، لا كل رجل قوام على كل مرأه كما لا يخفى. و كيف كان فبهذه الجهات أطلق على الزوج السيد، و حيث إنهم عليهم السّلام و كما قد علمت أنّ لهم الرياسه و المالكيه، و هكذا غيرها على الخلق فهم زوج لهم، بهذه المعانى فهو من باب سبك مجاز من مجاز إذا أطلق عليهم السيد بمعنى الزوج، لا أنه يطلق عليهم الزوج بمعنى الفاعليه الزوجيه، كما تكون هذه للزوج بالنسبه إلى زوجته، و ان تكلف بعضهم بتصحيح إطلاق الزوج عليهم عليهم السّلام بالنسبه إليهم بمعنى الفاعليه الزوجيه، بضرب من التأويل الراجع إلى التأثير و التأثر المعنوى، و هو تكلّف بلا ملزم كما لا يخفى.

1- 1) النساء:34.

قوله عليه السّلام: و الذاده الحماه

الـذود فی اللغه بمعنی الطرد یقـال: لاـ تـذودوه عنـا، أی لا تطردوه، و یقال: رجل ذائـد، أی حامی الحقیقه دفاعا، و الـذاده جمع الذائـد. و الحمـاه جمع الحامی یقال: حمیت المکان من باب رمی حمیا و حمیه (بالکسـر) منعته عنهم، و حمیته حمایه إذا دفعت عنـه و منعت، و حمیت القـوم المـاء أی منعتهم إیّاه. و الحمی-کـإلی-المکـان و الکلاء و المـاء یحمی أی یمنع، و منه حمی السلطان و هو کالمرعی الذی حماه فمنع منه.

و فی الحـدیث: «ألاـ و إنّ لکـل ملک حمی، ألا و إنّ حمی اللّه محارمه، فمن رتع حول الحمی أوشک أن یقع فیه» أی قرب أن یـدخله، و یقـال: حامی الحمی، أی دافع مال لا ینبغی عن الحمی، کما أنه یقال: حامی الحقیقه، أی من تـذود عنها ما ینافیها. إذا علمت هـذا فنقول: الـذود متعـد إلی مفعول واحـد بنفسه، و إلی المفعول الثـانی بعن، فـالمفعول الثـانی هو المطرود عنه، کما أن المفعول الأول هو المطرود منه، فحینئـذ إن کان المفعول الثانی الحوض الکوثر مثلا فالمطرود هم الأعـداء طردوا عن الحوض، و إن کان المکاره و النار و الأذی مثلا فالمطرود هم الأحباء و الأولیاء و الشیعه مثلا. فإذا قیل: إنهم علیهم السّـلام الذاده لأولیائهم، أی أنهـم علیهـم السّـلام یـذودون و یطردون عنهم مـا لاـ یحب اللّه تعـالی من العقایـد البـاطله، و الخطرات الفاسـده، و الأعمـال القبیحه، و الأـقوال الردیه، و الأـحوال المسـتنکره بـل، و المأکـل و الملابس المحرمه بل و الأکل و الشرب المضـرّین بالبـدن أو العقـل، أو الـداعین إلی الشـهوات المحرمه و إلی القسوه، و الحاصـل یـذودونهم عن کـل مـا یکرهه اللّه تعـالی. و إذا قیل: إنهم یـذودون أعـداءهم أی أنهم یذودون و یطردون الأعداء عن کلّ ما یحب اللّه تعالی، و عن کلّ خیر الذی أحد مصادیقه الحوض الکوثر، و عن الاعتقادات الحقه و الأعمال الصالحه.

ص: ٢١

و کیف کان فهم علیهم السّلام الذاده لأولیائهم عن کلّ شرّ فی الدنیا و الآخره، کما أنهم یذودون أعداءهم عن کلّ خیر فیهما. و أما کیفیه ذودهم الأولیاء و الشیعه عمّا لا یحب اللّه تعالی، فهو إما بالدعاء لهم أو بالطلب منه تعالی لقبول دعائهم

کما فی الحدیث: إنهم علیهم السّلام قالوا لشیعتهم: إنّا من ورائکم بالدعاء، الذی لا یحجب عن بارئ السماء، و إمّا بالتعلیم و الإرشاد و الهدایه بل و الأخذ بالید، و إمّا ببذل فاضل حسناتهم علیهم السّلام لهم کما ورد أن المعصومین الخمسه علیهم السّلام جعلوا ثواب نصف أعمالهم فی دیوان شیعه أمیر المؤمنین علیه السّلام

فیما رواه فی معالم الزلفی (۱)، عن کتاب تحفه الإخوان و غیره بحذف الإسناد قال: دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام فرحا مسرورا مستبشرا فسلّم علیه فرد علیه السّلام، فقال علی علیه السّلام: یا رسول اللّه ما رأیتک أقبلت مثل هذا الیوم، فقال: حبیبی و قره عینی أتیتک أبشّرک، اعلم أن فی هذه الساعه نزل علیّ جبرئیل الأمین و قال: الحق جلّ جلاله یقرئک السلام و یقول لک: بشّر علیا أن شیعته الطایع منهم و العاصی من أهل الجنه، فلما سمع مقالته خرّ للّه ساجدا، فلمّا رفع رأسه رفع یدیه إلی السماء، ثم قال: اشهدوا علیّ أنی قد وهبت لشیعتی نصف حسناتی. فقالت فاطمه الزهراء علیها السّلام: یا رب اشهد علیّ فإنی وهبت لشیعه علی بن أبی طالب علیه السّلام نصف حسناتی. فقال الحسن علیه السّلام: یا رب اشهد علیّ أنی قد وهبت لشیعه علی بن أبی طالب علیه السّلام نصف حسناتی. فقال الحسین علیه السّلام: یا رب اشهد علیّ أنی قد وهبت لشیعه علی بن أبی طالب علیه السّلام نصف حسناتی. فقال النبی صلّی اللّه علیه و آله: ما أنتم بأکرم منّی اشهد علیّ یا ربّ أنی قد وهبت لشیعه علی

۱- ۱) ص ۲۹۲.

ابن أبی طالب علیه السّلام نصف حسناتی. فهبط الأمین جبرائیل علیه السّلام و قال: یا محمد إن اللّه تعالی یقول: ما أنتم بأکرم منی إنی قد غفرت لشیعه علی بن أبی طالب علیه السّلام و محبیه ذنوبهم جمیعا، و لو کانت مثل زبد البحر و رمل البر و ورق الشجر . و إما بتحمل الذنوب ثم المغفره منه تعالی کما ورد فی قوله تعالی: (لِیَغْفِرَ لَکَ اَللّهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ مٰا تَأَخَّرَ) .

ففی تفسیر نور الثقلین بإسناده عن عمر بن یزید بیاع السابری قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: قول اللّه فی کتابه: (لِیَغْفِرَ لَکَ اَللّهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ مٰا تَأَخَّرَ) قال: ما کان له ذنب و لا همّ بذنب، و لکن اللّه حمّله ذنوب شیعته ثم غفرها له، الحدیث.

و فیه فی حدیث آخر عن المجمع، عن الصادق علیه السّلام قال: سأله رجل عن هذه الآیه، فقال: و اللّه ما کان له ذنب، و لکنّ اللّه سبحانه ضمن أن یغفر ذنوب شیعه علی علیه السّلام ما تقدم من ذنبهم و ما تأخر.

و فی الکافی عن موسی بن جعفر علیه السّلام ما حاصله: أن اللّه تعالی غضب علی الشیعه فتحمل علیه السّلام تلک المصائب، لیدفع اللّه تعالی غضبه عنهم، فراجع، الحدیث. و إمّا باستیهابهم علیهم السّلام ذنوب شیعتهم منه تعالی إما فی الدنیا و إما فی الآخره کما لا یخفی علی من راجع أحادیث الشفاعه فإنها أکثر من أن تحصی. و إما بتسبیب الأسباب الموصله إلی السعاده الأبدیه لهم، کما یظهر ذلک من معاملاتهم علیهم السّلام مع شیعتهم. و إمّا بتحبیب الإیمان فی قلوبهم ببیان آثار ألطافه تعالی للمؤمنین، کما هو ظاهر کثیر من أحادیثهم. و إمّا . یکون طینتهم من فاضل طینتهم علیهم السّلام، کما تقدم فی کثیر من الأحادیث، فإن هذا أحسن وجه، لأن یذودوا عن شیعتهم المفاسد. فإن المستفاد من هذه الأحادیث أن الشیعه متصله بهم علیهم السّلام روحا، کما هو

صریح بعضها من

قوله علیه السّلام: شیعتنا جزء منا ، و فی بعضها:

أنه لا فرق بیننا و بینهم بعد تزکیتهم ، راجع تلک الأحادیث فهم علیه السّلام یحنون إلی شیعتهم کما أن شیعتهم یحنون إلیهم، فما ظنّک حینئذ بهم علیهم السّلام بالنسبه إلی شیعتهم؟ و إمّا بتنویرهم قلوب شیعتهم کما

فی الکافی بإسناده عن أبی خالد الکابلی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه تعالی: (فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا) فقال: یا أبا خالد النور و اللّه الأئمه علیهم السّلام یا أبا خالد لنور الإمام فی قلوب المؤمنین أنور من الشمس المضیئه بالنهار، و هم الذین ینورون قلوب المؤمنین، و یحجب اللّه نورهم عمّن یشاء فیظلم قلوبهم و یغشاهم، الحدیث. فعلم أنهم الذاده عن شیعتهم کل ما یکرهه اللّه، کل ذلک مما منحهم تعالی تفضلا لهم و لشیعتهم کما یومئ إلیه أیضا قوله تعالی: (وَ مٰا کٰانَ اَللّٰهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِیهِمْ) فوجوده علیه السّلام سبب لرفع العذاب عن أمته صلّی اللّه علیه و آله، بل ربما یسری هذا الأمر إلی شیعتهم فیدفع اللّه تعالی بواسطه أحد من الشیعه العذاب عن غیره من سائر الشیعه بل و عن غیرهم من أهل البلد.

ففی الکافی بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إن اللّه لیدفع بالمؤمن الواحد عن القریه الفناء.

و فیه بإسناده عن یونس بن ظبیان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إن اللّه تعالی یدفع بمن یصلی من شیعتنا عمّن لا یصلی من شیعتنا، فلو اجتمعوا علی ترک الصلوه لهلکوا، و إن اللّه لیدفع بمن یحج من شیعتنا عمّن لا یحج، و لو اجتمعوا علی ترک الحج لهلکوا، و إن اللّه لیدفع بمن یزکی من شیعتنا عمّن لا یزکی، و لو اجتمعوا علی ترک الزکوه لهلکوا، و هو قول اللّه تعالی: (وَ لَوْ لاٰ دَفْعُ اَللّٰهِ اَلنّٰاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ اَلْأَرْضُ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ ذُو فَضْلٍ عَلَی اَلْعٰالَمِینَ) (۱)فو اللّه ما نزلت إلاّ فیکم

۱- ۱) البقره:۲۵۱.

و لا عنى بها غيركم، الحديث. فإذا كان اللّه تعالى يدفع ببعض الشيعه عن الآخر منهم بأعماله الصالحه، فما ظنك بهم عليهم السّلام و ما لهم من العبادات و الأعمال المقبوله كلّها، فاللّه تعالى بهم و بأعمالهم الصالحه يدفع المكاره عن الناس خصوصا عن الشيعه فى الدنيا و الآخره. هذا كله بالنسبه إلى شيعتهم، و أمّا كيفيه ذودهم الأعداء عما يحبه اللّه تعالى فذلك لعله و بأمور: أمّا العله: فهى أن المنافق و الكافر إذا مال بطبع ماهيته و سوء اختياره إلى العقيده الباطله و العمل الباطل، فلا محاله تصادم هذه الطبيعه الثانيه ميل وجوده الأولى الذاتى الذى فطر على التوحيد إلى العمل الصالح، فكان حينئذ يحبّ الشر للفطره المغيّره لسوء اختياره عن أصلها، و هو حسب الفطره الثانيه المغيّره يميل إلى الشرّ، و إن كان بحسب الفطره الإيجاديه، التى هى فطره اللّه قبل أن يغيّر يميل إلى الخير، و لكن لا يمكنه العمل به لمانع أوجده فى نفسه و هو الفطره الثانيه المغيّره. و إلى هذه الحاله أشير فى قوله تعالى: (كُلَّمٰا أَرٰادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهٰا أُعِيدُوا فِيهٰا) أى (و اللّه العالم) كلما أرادوا أن يخرجوا بفطرتهم الإيجاديه التوحيديه منها أعيدوا فيها لوجود الفطره الثانيه المغيّره، و هذه هى المانعه عنهم لأن يخرجوا منها. و كيف كان فالعله لذودهم عليهم السّلام الأعداء عن كلّ الخير، هو تركهم الإيمان و قبول الولايه فلسوء اختيارهم يذادون عن كل خير.

ففى الكافى (۱)، باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد دعا قريشا إلى ولايتنا فنفروا و أنكروا: إلى أن قال: قلت: قوله تعالى: (. . مَنْ كٰانَ فِي اَلضَّلاٰلَهِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ اَلرَّحْمٰنُ مَدًّا) (۲)، قال: كلّهم كانوا فى الضلاله لا يؤمنون

۱- ۱) الكافى ۵:۱۲۵.

۲- ۲) مريم:۷۵.

بولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام و لا بولایتنا فکانوا ضالین مضلّین فیمدّ لهم فی ضلالتهم و طغیانهم حتّی یموتوا فیصیّرهم اللّه شرّ مکانا و أضعف جندا، الحدیث. فعلم منه أنّ إمداده تعالی لهم فی ضلالتهم إنّما هو لإنکارهم ولایه الأئمّه المعصومین علیهم السّلام. و أمّا الأمور الّتی بها یذودون أعداءهم عن الخیر: فهی إمّا بالخذلان، فإنّه لمّا مال المنافق بمحبّته إلی الشرّ خذلوه عن الورع و الهدایه جزاء لسوء اختیاره فخلی و طبعه، فحسن الشرّ لدیه و زان بنظره بسبب الخذلان العارض له، فحبّه للشرّ و ترجیحه علی الخیر لأمرین: سوء اختیاره و ترکه للولایه و الإیمان. خذلانهم علیهم السّلام إیّاهم، فهم فی ظرف الخذلان یمیلون إلی الشرّ بمیلهم الذاتی لسوء اختیارهم النفسانی، و فی هذا الظرف یتأکّد عزمهم علی الشرور. فباعتبار سوء اختیارهم یصحّ استناد الشرّ و الکفر إلیهم-أی إلی الأعداء- و باعتبار خذلان اللّه تعالی و الأئمه علیهم السّلام لهم یصحّ أن یقال: إنّ اللّه تعالی أضلّهم أی خذلهم، و أمدّ لهم فی طغیانهم لسوء اختیارهم. و کیف کان فبهذا الخذلان ذادوهم عن الخیر، الذی هو الحوض و الجنّه و السعادات الدنیویه و الأخرویه، أعاذنا اللّه تبارک و تعالی من الخذلان بمحمّد و آله الطیّبین الطاهرین علیهم السّلام. و أمّا قوله علیه السّلام: الحماه، قیل: إنّه کالذاده معنی، لأنّه کما یکون الذود أی الطرد عن الشرّ بداعی الرعایه، فکذلک الحمایه تکون بهذا الداعی، فکلاهما بمعنی، إلاّ أنّ الذاده تستعمل غالبا فی دفع المکاره عن المحبوب بخلاف الحماه، فإنّها تستعمل فی دفع الأعداء عن الخیر غالبا، و إن کان کلّ واحده منهما قد تستعمل فی معنی الآخر، هکذا قیل. أقول: إذا استعمل کل من الذاده و الحماه علی حده فهو کما قیل، و أما إذا اجتمعا

كما فى المقام فيعطى كلّ منهما للآخر عنوانا.

فقوله عليه السّلام:

الذاده الحماه،

يشار به إلى أنّهم عليهم السّلام لا يكون مقصدهم الأولى إلاّ حفظ الحقيقه، و هى التوحيد و هو تعظيم البارى تعالى بإجراء حدوده، و بيان معارفه و التحقق بالحقائق الإلهيه، فهم عليهم السّلام فى كونهم ذاده لحفظ الحقيقه سواء كان ذودهم الأولياء عن الشرّ، أو الأعداء عن الخير إنما هو بلحاظ حفظ حقيقه الشرع، و تنزيل التوحيد فى مظاهر الوجود، و لذا هم الحماه أيضا، أى هم حامون للحقيقه، و دافعون عنها المكاره، فهم ذائدون بداعى الحمايه عن الحقيقه، و حامون بالذود عن الأولياء الشّر و عن الأعداء، الخير. و قد يقال: يكون الحماه تفسيرا للذاده و هو كما ترى كما أنه قد يقال: بأن الذاده يعم الذود للأولياء عن الشر، و للأعداء عن الخير كما علمت، و إذا عقب بالحماه يختص بالذود عن الأولياء، فإن هذا الذود يكون حمايه دون ما كان للأعداء عن الخير كما لا يخفى فهذه محتملات العباره، و اللّه تعالى و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و ابن رسوله عليه السّلام أعلم.

قوله عليه السّلام: و أهل الذكر

اشاره

أقول: قد علمت سابقا فى شرح

قوله عليه السّلام:

أهل بيت النبوه

، معنى الأهل لغه و الفرق بينه و بين الآل، و علمت أن الآل يطلق و يراد منه أشراف الأهل، فهو حينئذ أخصّ من أهل، و قد يستعمله أهل الشرع على العكس، فيراد من الأهل شرعا أخصّ من ينسب إلى الرجل، فيراد منه غالبا فى كلماتهم الأئمه عليهم السّلام.

ففى معانى الأخبار بإسناده عن محمد بن سليمان الديلمى عن أبيه قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك من الآل؟ قال: ذريه محمد صلّى اللّه عليه و آله، قال: فقلت: و من الأهل؟ قال: الأئمه عليهم السّلام، فقلت: قوله عز و جل: (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ اَلْعَذٰابِ) قال: و اللّه ما عنى إلاّ ابنته. هذا إذا أضيف إلى الإنسان، و أمّا إذا أضيف إلى غيره من القريه و العلم، أو

حرفه خاصه فیراد منه المخصوصون بذلک الأمر بحیث یختصون به دون غیرهم.

فقوله علیه السّلام:

و أهل الذکر

، أی هم القوم المخصوصون بالذکر بما یراد منه من المعنی.

ففی البحار عن المناقب فی قوله تعالی: (فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّکْرِ) قال الباقر علیه السّلام: نحن أهل الذکر. فهذا الحدیث یبین المراد من الأهل و أنه الأئمه علیهم السّلام کما تقدم.

و أمّا الذکر: فقد أطلق فی القرآن المجید علی أمور:

منها: القرآن.

ففی بصائر الدرجات باسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه تعالی: (وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ) (۱)قال: الذکر القرآن و نحن قومه و نحن المسئولون.

و فیه (۲)بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه تعالی: (فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ) قال: کتاب اللّه الذکر و أهله آل محمد، الذین أمر اللّه بسؤالهم و لم یؤمروا بسؤال الجهال، و سمّی اللّه القرآن ذکرا فقال: (وَ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ اَلذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَیْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ) (۳). أقول: فحینئذ المراد من أهل الذکر القرآن فی قوله تعالی: (فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّکْرِ) .

ففیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی معنی الآیه إلی أن قال: رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أهل بیته المسئولون و هم أولو الذکر. فعلم منه أنهم أهل القرآن، و أنهم المسئولون، و أنهم قوم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بهذا المضمون أحادیث کثیره کما لا یخفی.

۱- ۱) الزخرف:۴۴.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۱ ح ۱۹.

۳- ۳) النحل:۴۴.

و منها: محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

ففی البحار عن تفسیر العیاشی، عن خالد بن نجیح، عن جعفر بن محمد علیه السّلام فی قوله تعالی: (أَلاٰ بِذِکْرِ اَللّٰهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ) (۱)قال: بمحمد صلّی اللّه علیه و آله تطمئن القلوب، و هو ذکر اللّه و حجابه. فحینئذ أهل الذکر یراد منه أهل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أی من یختصون به.

و منها: أمیر المؤمنین خاصه أو هو و الأئمه علیهم السّلام.

ففی البحار عن تفسیر علی بن إبراهیم:

(اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِکْرِ اَللّٰهِ) ، قال: الذین آمنوا الشیعه و ذکر اللّه أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام ثم قال: (أَلاٰ بِذِکْرِ اَللّٰهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ) .

و فی تفسیر نور الثقلین عن تفسیر علی بن إبراهیم و قوله: (وَ إِنْ یَکٰادُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَیُزْلِقُونَکَ بِأَبْصٰارِهِمْ لَمّٰا سَمِعُوا اَلذِّکْرَ) قال: لما أخبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بفضل أمیر المؤمنین علیه السّلام و یقولون إنه لمجنون، فقال: سبحانه، و ما هو یعنی أمیر المؤمنین علیه السّلام إلا ذکر للعالمین.

و فی تفسیر نور الثقلین، عن کتاب المناقب لابن شهرآشوب بعد أن ذکر قوله تعالی: (فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّکْرِ) ثم قوله تعالی: (إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّکْرَ وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ) . تفسیر یوسف القطان و وکیع بن الجراح و إسماعیل السری و سفیان الثوری أنه قال الحارث: سألت أمیر المؤمنین علیه السّلام عن هذه، قال: و اللّه إنّا لنحن أهل الذکر نحن أهل العلم نحن معدن التأویل و التنزیل. أقول: فیعلم أنهم علیهم السّلام حافظون للذکر بما هو فی صدورهم.

و فی البحار و قال سلیمان الصهرشتی، الذکر القرآن، إنا نحن نزلنا الذکر، و هم حافظون و العارفون بمعانیه.

و فی تفسیر البرهان، محمد بن یعقوب بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام عن

۱- ۱) الرعد:۲۸.

أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبه الوسيله قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إلى أن قال عليه السّلام: . . . أقول: بعد ذكر الآيه المناسبه و هى قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ اَلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَ كَانَ اَلشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ فأنا الذكر الذى عنه ضلّ، و السبيل الذى عنه مال و الإيمان الذى به كفر، و القرآن الذى إياه هجر، والدين الذى به كذّب، و الصراط الذى عنه نكب، الحديث،

قوله عليه السّلام: و السبيل الذى عنه مال إشاره إلى أنه عليه السّلام السبيل الذى يقوله الكافر: يَا لَيْتَنِى اِتَّخَذْتُ مَعَ اَلرَّسُولِ سَبِيلاً .

ففى تفسير البرهان عن محمد بن العباس بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قوله عز و جل: ﴿يَا لَيْتَنِى اِتَّخَذْتُ مَعَ اَلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ يعنى على بن أبى طالب عليه السّلام.

و عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: ﴿يَا لَيْتَنِى اِتَّخَذْتُ مَعَ اَلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ يعنى على بن أبى طالب عليه السّلام.

و فى مقدمه تفسير البرهان، عن الاختصاص، عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السّلام فى حديث إلى أن قال:

﴿فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِ اَللّٰهِ﴾ و ذكر اللّه أمير المؤمنين، الحديث.

و فيه، و فى الكافى عن سعد الخفاف أنه سأل الباقر عليه السّلام فقال: هل يتكلم القرآن؟ إلى أن قال عليه السّلام: قال اللّه عز و جل: ﴿إِنَّ اَلصَّلاٰةَ تَنْهىٰ عَنِ اَلْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اَللّٰهِ أَكْبَرُ﴾ فالنهى كلام و الفحشاء و المنكر رجال، و نحن ذكر اللّه و نحن أكبر.

و فيه و فى روايه طارق بن شهاب عن على عليه السّلام قال: إن الأئمه من آل محمد الذكر الحكيم.

و فى زيارات على عليه السّلام : أيّها الذكر الحكيم. و كيف كان فقد أطلق الذكر فى كثير من الأخبار على على عليه السّلام و على الأئمه عليهم السّلام، و وجه إطلاق الذكر أو الذكر الحكيم عليهم عليهم السّلام فقد ذكر فى مقدمه تفسير البرهان: قال شيخنا العلاّمه رحمه اللّه: فسّر الأئمه عليهم السّلام بالذكر، لأنهم يذكرون الناس ما فيه

صلاحهم من علوم التوحيد، و المعاد، و سائر المعارف و الأحكام التى أعظمها الولايه و معرفه الأئمه عليهم السّلام. أقول: بل الوجه انه قد برر فى محلّه أن للقرآن كتابه و هو ما بين الدفتين، و لفظا و هو ما تلفظ بتلك الكتابه، و لا ريب فى أنهما ليس لهما إلاّ جهه الحكايه عن المعنى، و يعبر عنهما بالوجود الكتبى و اللفظى للقرآن، و له وجود ذهنى و هو المعانى القرآنيه، التى تبادر من ألفاظه فى الذهن أو المعانى التى فسرها الأئمه عليهم السّلام فالمعانى القائمه بالنفس من تعقل مداليل تلك الألفاظ و القراآت المتلقّاه من الأئمه عليهم السّلام هو الوجود الذهنى للقرآن. و له وجود حقيقى خارجى موجود فى نفس الأمر، و هو ما أشير إليه فى قوله تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ) و قد تقدم أن المراد منه صدور الأئمه عليهم السّلام و أنها حقائق أرواحهم المطهّره، و فى قوله تعالى: (وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) المفسر بأمير المؤمنين عليه السّلام كما تقدم، و تقدم أن لا مراد بالكتاب الذى لا ريب فيه و بالكتاب المبين، الذى لا رطب و لا يابس إلاّ و هو فيه هو أمير المؤمنين عليه السّلام و تقدم أيضا أنهم عليهم السّلام الأسماء الحسنى للّه تعالى. فحينئذ فالوجود الخارجى للقرآن هو أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام و لا ريب فى أن القرآن الذى أطلق عليه الذكر، فإنما هو ذكر بلحاظ حقائقه التى هى نفس أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام فحينئذ أحسن مصاديق الذكر هو الأئمه عليهم السّلام و أمير المؤمنين عليه السّلام فبهذا اللحاظ أطلق الذكر عليهم بل لمكان أنهم عليهم السّلام متصفون بأكمل حقائق القرآن و أحسنها، فهم عليهم السّلام الذكر الأكبر. و مما ذكر علم وجه إطلاق الذكر على القرآن و على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما لا يخفى، و كيف كان لا يراد من الذكر فى

قوله عليه السّلام ، و أهل الذكر أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام إلاّ على تقدير كون الإضافه بيانيه كما لا يخفى، أى أن المراد من الأهل المضاف هو الذكر ثم إنّه إنّما أطلق الذكر عليه: لأجل أن الذكر لما كان ما به ظهور المذكور بحسب الذكر

کما و کیفا، و قد تقدم

قول السجاد علیه السّلام: «نحن مظاهره فیکم» فهم علیهم السّلام مظاهر الرب الذی بهم یذکر، فلا محاله هم علیهم السّلام أحسن مصداق لذکره تعالی.

ففی غایه المرام (۱)، مسندا إلی عبد الرحمن بن کثیر قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: (فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) قال: الذکر محمد صلّی اللّه علیه و آله و نحن المسئولون، قال: قلت: قوله: (وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ) ، قال: إیانا عنی و نحن أهل الذکر و نحن المسئولون. ثم إن الذکر له مراتب من اللفظ و الکتابه و ما فی الذهن، إلاّ أن المصداق الخارجی الذی هو حقیقتهم علیهم السّلام یکون هو الذکر الحقیقی و الذکر الأکبر کما تقدم

قول الباقر علیه السّلام: و نحن ذکر اللّه الأکبر، فإنه لا یراد من قوله: نحن، إلاّ حقیقتهم الربانیه التی هی مظهر له تعالی، و به تحصل الذکر الأکبر له تعالی بحیث لا یحصل من اللفظ و الکتابه و ما فی الذهن کما لا یخفی. ضروره أن توصیف الذکر بالأکبر لا یحسن إلاّ إذا کان الموصوف هو الذکر الحقیقی، لا الکتابه أو اللفظ أو التصور الذهنی کما لا یخفی.

و منها: الولایه،

ففی المقدمه عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی) قال: یعنی عن ولایه علی علیه السّلام.

و فی تفسیر القمی عنه علیه السّلام فی قوله تعالی: (اَلَّذِینَ کانَتْ أَعْیُنُهُمْ فِی غِطاءٍ عَنْ ذِکْرِی) ، قال: یعنی بالذکر ولایه علی علیه السّلام.

و فی تفسیر نور الثقلین (۲)، بإسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام حدیث طویل و فیه: قلت: قوله عز و جل: (اَلَّذِینَ کانَتْ أَعْیُنُهُمْ فِی غِطاءٍ عَنْ ذِکْرِی) قال: یعنی بالذکر ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام الحدیث.

و فیه: فی روایه أبی بصیر فی قوله: (وَ ما هِیَ إِلاّ ذِکْری لِلْبَشَرِ) قال: نعم ولایه

۱- ۱) غایه المرام ص ۲۴۰.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۳۱۱.

على عليه السّلام و قد أمروا بها. و عليه فمعنى أهل الذكر أى أهل الولايه كما لا يخفى، و كيف كان فهم عليهم السّلام أهل الذكر لتأهّلهم عليهم السّلام له و إنهم المستحفظون له، و المتحملون لحقائقه و معانيه، و المظهرون له بالبيان الشافى الكافى، و المبينون لحال الذكر الإلهى، و المستدلون عليه بالمجادله الحسنه و البراهين القاطعه، و الداعون إليه الخلائق، و لكونهم عليهم السّلام أهل الذكر بتلك المعانى فقد شيدوا أركانه، و أحكموا بنيانه و أيدوه فيما احتاج إلى التأييد. كيف لا و كل واحد من العتره و الذكر مبتن على الآخر، فالعتره كتاب ناطق و الذكر كتاب صامت و الآل عليهم السّلام مترجمون له و المستخلفون له، و القائمون بما كلفوا به فيه و ما دعاهم إليه، كيف لا و هم المخاطبون بالخطابات الإلهيه، ففى أبياتهم نزل الكتاب و هم أهله و معدنه و العالمون به. فظهر أنهم عليهم السّلام أهل الذكر بجميع معانى الذكر لا غيرهم؟ ! و يمكن ان يراد بالذكر ذكر اللّه كما تقدم، فهو حينئذ جامع لجميع معانى الذكر المتقدمه، كيف لا و هم ذكر اللّه الأكبر كما علمت؟ ثم إنه لا بأس بتذييل الكلام بأمر يتم الكلام به، و هو أنه يستفاد من أحاديث كثيره نذكر بعضها أنه لا بد لنا من سؤالهم و الرد إليهم فيما اختلفنا فيه و ليس عليهم الجواب بل لهم الاختيار فى الجواب و عدمه.

ففى بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن زراره قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: قول اللّه تبارك و تعالى: (فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ) من المعنى بذلك؟ قال: قلت: فأنتم المسئولون؟ قال: نعم، قال: قلت: و نحن السائلون؟ قال: نعم، قال: قلت: فعلينا أن نسألكم، قال: نعم، قلت: و عليكم أن تجيبونا؟ قال: ذاك إلينا إن شئنا فعلنا و إن شئنا لم نفعل، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب.

و فى البحار عن تفسير العياش، عن حمزه بن محمد الطيار قال: عرضت على

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۲.

أبی عبد اللّه علیه السّلام بعض خطب أبیه حتی انتهی إلی موضع فقال: کفّ فاسکت، ثم قال لی: اکتب و أملی علی أنه لا یسعکم فیما نزل بکم مما لا تعلمون إلاّ الکفّ عنه، و التثبت فیه و رده إلی أئمه الهدی حتی یحملوکم فیه علی القصد و یجلوا عنکم فیه العمی، قال: (فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ) .

و فیه عن کنز جامع الفوائد بإسناده عن أبی الحسن موسی علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: (لَقَدْ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکُمْ کِتٰاباً فِیهِ ذِکْرُکُمْ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ) قال: الطاعه للإمام بعد النبی صلّی اللّه علیه و آله.

و فیه بعد ما نقل عن بصائر الدرجات بإسناده عن عمر بن یزید قال: قال أبو جعفر علیه السّلام:

(وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ) قال: رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أهل بیته أهل الذکر و هم المسئولون، الحدیث. قال رحمه اللّه: بیان: فسّر المفسّرون الذکر بالشرف و السؤال بأنهم یسألون یوم القیمه عن أداء شکر القرآن و القیام بحقه و علی هذه الأخبار (المعنی) أنکم تسألون عن علوم القرآن و أحکامه فی الدنیا و الآخره. أقول: حاصله: أنه لما کان المراد بالذکر فی قوله تعالی: (وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ) القرآن بما هو شرف للمؤمنین، فهو حینئذ نعمه منه تعالی لهم فلا بدّ من أداء شکرها فلا محاله یسألون عن أداء هذا الشکر الذی هو القیام بحقه. و کیف کان علم أنه لا بدّ لنا من السؤال و إن أجابوا لا بدّ لنا من الطاعه و لیس علیهم الجواب، بل لهم الاختیار فی ذلک لما أعطاهم اللّه تعالی ذلک الاختیار بقوله تعالی: (هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا) الآیه. و السّرّ فیه هو أنه لما أشهدهم علیهم السّلام خلق الکلّ من السموات و الأرضین و الملائکه و الناس أجمعین کما تقدم بیانه مفصلا، و لما أنهی علمه إلیهم و حملهم علمه، و أیضا فوض إلیهم أمر دینه کما سیأتی الکلام فیه مفصلا إن شاء اللّه تعالی، فلا محاله هم العالمون بالأمور و حقائق الأشیاء و أرواح الخلائق، و یعلمون ما یصلحهم

عما یفسدهم، فلا یقدمون علی أمر إلّا و فیه المصلحه، فلا محاله إذا سألهم سائل نظروا فیما تقتضیه حقیقته لذاته، فیعرفون ما یصلح له فلا محاله أن صلح الجواب أجابوه فیما له، و إلّا أمسکوا عما لیس له بحسب المصلحه. فهذا هو السرّ فی إعطائهم اللّه تعالی مقام الاختیار لما منحهم ذلک المقام المنیع، الذی هو المعرفه بمصالح العباد فأعطاهم اللّه الاختیار فی ذلک بقوله تعالی: (هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ) کیف لا و هم علیهم السّلام سلکوا سبیل الربّ جلّ و علا یهدی اللّه تعالی بهم حال کونهم عبادا مکرمین لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون، بل و لا مشیه لهم فی شیء إلّا مشیه اللّه لما علمت أنه فی حقهم نزل و لا یشاءون إلّا أن یشاء اللّه، و الحمد للّه رب العالمین.

قوله علیه السّلام: و أولی الأمر

أقول: فی المجمع: أولو جمع لا واحد له من لفظه واحده ذو، أولات لإناث وأحدها ذات فقوله: جاءنی أولو الألباب و أولات الأحمال، قیل: هو بمعنی صاحب، إلّا أن الأولی یستعمل فی مقام التکریم و المدح غالبا، و صاحب علی العکس قال تعالی فی مقام الثناء: (وَ ذَا اَلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغٰاضِباً) و فی مقام العتب (فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ وَ لاٰ تَکُنْ کَصٰاحِبِ اَلْحُوتِ) فذکر بصاحب و بالحوت لا بالنون. و أمّا الأمر قال فیه: قوله تعالی: (یَتَنَزَّلُ اَلْأَمْرُ بَیْنَهُنَّ) (۱)أی یجری أمر اللّه و حکمه بینهن. أقول: فالأمر حینئذ بمعنی الحکم، و جیء بمعنی النفع و بمعنی القیمه فی قوله تعالی: (أَتیٰ أَمْرُ اَللّٰهِ) أی القیمه. أقول: الظاهر أن کلمه الأمر موضوع لکلّ ما یساوق معنی الشیء، إلّا أن أغلب

۱- ۱) الطارق:۱۲.

موارد استعماله فيما يكون فيه أهميه بأن يكون مورد نظر المتكلم مثلاً و حينئذ فله مصاديق كثيره، و الظاهر المتبادر إليه فى الذهن أنه يراد منه هناك ما قاله تعالى فى قوله: (أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ) أى هم عليهم السّلام المراد من قوله: (وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ) كما دلّت عليه أحاديث كثيره نذكر بعضها. و إليه يشير أيضا قوله تعالى: (وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى اَلرَّسُولِ وَ إِلىٰ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ اَلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ) فإن فيه إيماء إلى أنهم يجب عليهم إطاعه أولى الأمر كما ذكر فى الآيه السابقه، فوجوب الإطاعه لأمور: منها: أنهم يستنبطونه ما اختلف لديهم لهم، و قد يراد بالأمر ما ذكر فى قوله تعالى: (تَنَزَّلُ اَلْمَلاٰئِكَةُ وَ اَلرُّوحُ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) ، و قوله: (فِيهٰا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) كما ورد به النص.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)، عن كتاب كمال الدين و تمام النعمه بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: (يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ) قال: الأئمه ولد على و فاطمه عليهم السّلام إلى أن تقوم الساعه. أقول: و الأحاديث فى أن المراد من أولى الأمر هم الأئمه عليهم السّلام كثيره جدّا كما لا يخفى.

و فيه (۲)باسناده عن أبى جعفر الثانى عليه السّلام: أن أمير المؤمنين عليه السّلام قال لابن عباس: إن ليله القدر فى كلّ سنه، و إنه ينزل فى تلك الليله أمر السنه، و لذلك الأمر ولاه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال ابن عباس: من هم؟ قال: أنا و أحد عشر من صلبى.

و فيه (۳)عن احتجاج الطبرسى رحمه اللّه عن أمير المؤمنين، و فيه بعد أن ذكر عليه السّلام الحجج، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فرض على

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۴۱۴.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين: ج ۵ ص ۶۱۹.

۳- ۳) تفسير نور الثقلين: ج ۴ ص ۶۲۶.

العباد من طاعتهم مثل الـذى فرض عليهم ميثاقا لنفسه، و هم ولاه الأمر الـذين قال اللّه فيهم: (أَطِيعُوا اَللّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ) ، و قال فيه: و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الـذين يستنبطونه منهم. قال السائل: ما ذاك الأمر؟ قال عليه السّلام: الذى تنزل به الملائكه فى الليله، التى يفرق كلّ أمر حكيم من رزق و أجل و عمل و حياه و موت، و علم غيب السموات و الأرض، و المعجزات التى لا تنبغى إلّا للّه و أصفيائه، و السفره بينه و بين خلقهم و هم وجه اللّه الـذى قال: (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّهِ) الحديث. و يمكن أن يراد بالأمر أمر الولايه

لقوله عليه السّلام: «إن أمرنا صعب مستصعب» و ان يراد به ما فى قوله تعالى: (وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ تَقُومَ اَلسَّماءُ وَ اَلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) فهم عليهم السّلام أولو هذا الأمر. و قد يقال: إنّ المراد من الأمر فى مقابل النهى و إنما حذف للسجع، و فيه ما لا يخفى. و كيف كان لما كان للأمر معنى عام يشمل جميع الأمور فلا محاله يراد منه سرّ ولايتهم، الذى هو مقنع بالسّرّ كما تقدم و تكون جميع الأمور راجعه إليه

كما ورد فى تفسير قوله تعالى: (أَلا إِلَى اَللّهِ تَصِیرُ اَلْأُمُورُ) أى إلى ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام فولايتهم عليهم السّلام هى حقيقه الأمر الذى منه جميع الأمور كما لا يخفى.

[۱۴]قوله عليه السّلام: و بقيه اللّه

فى المجمع: و بقى الشىء يبقى من باب تعب دام و ثبت و يتعدى بالألف فيقال: أبقيته، و الاسم البقوى (بالفتح مع الواو) البقايا (بالضم مع الياء) و فيه: قوله تعالى:

(أَولُوا بَقِيَّهٍ)

(۱)

أی أولو تمییز و طاعه یقال: فی فلان بقیّه، أی فضل مما یمدح به و البقیه الرحمه،

و منه حدیث وصفهم علیهم السّلام: «أنتم بقیه اللّه فی عباده» أی رحمه اللّه التی منّ اللّه بها علی عباده.

و فی البحار (۲)، عن کتاب المناقب، أبو عبد اللّه علیه السّلام فی خبر: «و نحن کعبه اللّه و نحن قبله اللّه» . قوله تعالی: (بَقِیَّتُ اَللّٰهِ خَیْرٌ لَکُمْ) نزلت فیهم، بیان: فسّر أکثر المفسرین بقیه اللّه بما أبقاه اللّه لهم من الحلال بعد التنزه عما حرّم علیهم من تطفیف المکیال و المیزان، أو إبقاء اللّه نعمته علیهم، أو ثواب الآخره الباقیه. و أمّا الخبر: فالمراد به من أبقاه فی الأرض من الأنبیاء و الأوصیاء علیهم السّلام لهدایه الخلق، أو الأوصیاء و الأئمه علیهم السّلام الذین هم بقایا الأنبیاء فی أممهم، انتهی موضع الحاجه. و قال بعضهم: لتخلّقهم بأخلاق اللّه کأنهم بقیه اللّه، و نحن نذکر فی الجمله أخبار الباب ثم نعقّبه بما یقتضیه المقام من الکلام.

ففی تفسیر نور الثقلین عن أصول الکافی بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سأله رجل عن القائم (عج) یسلّم علیه بأمره المؤمنین؟ قال: لا ذاک اسم سمّی اللّه به أمیر المؤمنین علیه السّلام لم یسم به أحد قبله و لا یتسمی به بعده إلّا کافر. قلت: جعلت فداک کیف یسلم؟ قال: یقولون: السلام علیک یا بقیه اللّه ثم تقرأ: (بَقِیَّتُ اَللّٰهِ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ) .

و فیه، عنه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث طویل، إلی أن قال: فاغلق باب المدینه دونهم، فشکا أصحابه الجوع و العطش قال: فصعد جبلا یشرف علیهم فقال بأعلی صوته: یا أهل المدینه الظالم أهلها أنا بقیه اللّه یقول اللّه: (بَقِیَّتُ اَللّٰهِ خَیْرٌ

ص: ۳۸

۱- ۱) هود:۱۱۶.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۲۱۱.

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) ، الحديث.

و فيه، عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام فى حديث ولاده الرضا عليه السّلام إلى أن قال: و قال (أى الكاظم عليه السّلام) لأمّ الرضا عليه السّلام (نجمه عليها السّلام) : خذيه فإنه بقيه اللّه عز و جل فى أرضه.

و فيه، عن كتاب إكمال الدين و تمام النعمه فى حديث قال: خرج أبو محمد الحسن بن على عليه السّلام علينا، و على عاتقه غلام كان وجهه القمر ليله النور من أبناء ثلاث سنين فقال: يا أحمد بن إسحاق، لو لا كرامتك على اللّه عز و جل و على حججه ما عرضت عليك ابنى هذا، إنّه سمّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى أن قال: فنطق الغلام عليه السّلام بلسان عربى فصيح فقال: أنا بقيه اللّه فى أرضه، و المنتقم من أعدائه، و لا تطلب أثرا بعد عين، الحديث.

و فى حديث آخر فى خروجه عليه السّلام بعد ما أسند ظهره إلى الكعبه يقول: أنا بقيه اللّه و حجته و خليفته عليكم، فلا يسلم إليه مسلم إلّا قال: السلام عليك يا بقيه اللّه فى أرضه.

و فى تفسير نور الثقلين (۱)، حديث طويل فى شرح قوله تعالى: (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ اَلتّٰابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمّٰا تَرَكَ آلُ مُوسىٰ وَ آلُ هٰارُونَ تَحْمِلُهُ اَلْمَلاٰئِكَةُ) قال عليه السّلام: البقيه ذريه الأنبياء، الحديث.

و فيه فى حديث آخر عن الصادق عليه السّلام فقال: ذريه الأنبياء.

و فيه عن عده كتب: منها: المناقب، عن أبى هريره قال: سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن قوله: (وَ جَعَلَهٰا كَلِمَةً بٰاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) قال: جعل الإمامه فى عقب الحسين عليه السّلام يخرج من صلبه تسعه من الأئمه عليهم السّلام منهم مهدى هذه الأمه.

ص: ۳۹

۱- ۱) نور الثقلين ج ۱ ص ۲۰۵.

و نحو هـذه الأحاديث كثيره جدّا فحينئذ نقول: المستفاد من هذه الأحاديث أمور: الأول: أن الوجه فى إطلاق بقيه اللّه عليهم إمّا ما تقدم من أنهم عليهم السّلام تخلّقوا بأخلاق اللّه بمنتهاها حتى كأنهم بقيه اللّه تعالى، و إما باعتبار أنهم عليهم السّلام من أبقاهم اللّه تعالى بفضله و كرمه لهدايه الخلق فهم بقيته تعالى بإبقائه، و إمّا أنهم رحمه اللّه التى منّ بها على عباده، لما علمت من أن البقيه قد يأتى بمعنى الرحمه، و إمّا لأنّه تعالى بهم أبقى على العباد رحمته أو بهم إبقاؤهم كما هو مفاده

قوله عليه السّلام: «لو لا الحجه لساخت الأرض بأهلها» فهم سبب البقاء أو سبب بقاء الرحمه، فالحمل حينئذ للمبالغه كما لا يخفى. و إمّا لأنهم عليهم السّلام عندهم أعباء الرساله و حموله الرب كما تقدم، و عندهم الحكمه و العلم، و ما به الفخر و المدح، فبقايا العلم عندهم أى ورثوها من الأنبياء عليهم السّلام فبهذا اللحاظ أطلق عليهم بقيه اللّه، و إليه يشير قوله تعالى: (أُولُوا بَقِيَّةٍ) أى أصحاب البقيه، و بعباره أخرى: هم الواجدون لبقايا العلم و ما به المدح، و لذا فسّرت (أُولُوا بَقِيَّةٍ) ب(أولو) تمييز و طاعه أى فضل مما يمدح به، إما كونهم عليهم السّلام أولى تمييز فلا التمييز هو أثر العلم فهم أهل الذكر و القرآن الجامع لجميع العلوم كما تقدم، و لذا عندهم يكون فصل الخطاب عند تشابه الحق مع غيره فى العلوم و الموضوعات كما لا يخفى. و إمّا كونهم عليهم السّلام أولى طاعه فإما بمعنى أنهم أهل طاعه اللّه، فهذا أظهر من الشمس، بل ليس فى الوجود أطوع منهم للّه تعالى، كما دلت عليه الآيات و الأحاديث، و إما بمعنى المطاعيه فهذا أيضا ثابت بالآيات و الأحاديث لقوله تعالى: (أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ) المفسّر بهم عليهم السّلام كما تقدم آنفا، و علمت سابقا أن الملك العظيم هو الطاعه لهم فى قوله تعالى: (وَ آتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) بحيث يطيعهم الكلّ حتى الجمادات فضلا عن الملائكه أو البشر. و إما لكونهم من ذريه الأنبياء و من بقيتهم من حيث الأولاد، فهم بقيه الأنبياء

كما فسّر قوله تعالى: (وَ بَقِيَّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسى) و حينئذ إطلاق بقيّه اللّه عليهم بلحاظ أن الأنبياء لما كانوا مذكرين للّه تعالى، فهم بهذا اللحاظ للّه تعالى فأولادهم حينئذ أيضا بقيّه اللّه كما لا يخفى. و هنا وجه آخر فى إطلاق بقيه اللّه عليهم عليهم السّلام و حاصله: أن شعيبا عليه السّلام قال لقومه: بقيه اللّه خير لكم، أى ما أبقى اللّه لكم من الحلال إذا تنزهتم عما حرّم عليكم خير لكم إن كنتم مؤمنين. و من العلوم أن للقرآن تأويلا و بطنا كما صرحت به الأحاديث، فيمكن حينئذ أن يكون تأويلها: بأن ما أبقى اللّه لكم من آل محمد صلّى اللّه عليه و آله «الذين علمهم طعام حلال، إذا تجنبتم أعداءهم الذين علمهم طعام حرام و قد نهيتم عن تناوله، لأنه جهل محض ليس من الحق فى شىء» خير لكم، أى أن ما أبقى اللّه لكم من علم آل محمد عليهم السّلام الذى طعام حلال لروحكم خير من علم أعدائكم الذى صوره علم فى الظاهر، و جهل محض فى الواقع بل و فى الظاهر أيضا. و يؤيد هذا المعنى بل يدل عليه

ما رواه فى البحار (١)عن كتاب غيبه النعمانى، و بهذا الإسناد عن محمد بن منصور قال: سألت عبدا صالحا عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: (إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ اَلْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ) قال: فقال عليه السّلام: إن القرآن له ظاهر و باطن، فجميع ما حرّم اللّه فى القرآن فهو حرام على ظاهره، كما هو فى الظاهر و الباطن من ذلك أئمه الجور، و جميع ما أحلّ اللّه فى الكتاب فهو حلال، و هو الظاهر و الباطن من ذلك أئمه الهدى.

و فيه (٢)عن كنز الفوائد روى الشيخ أبو جعفر الطوسى رحمه اللّه بإسناده إلى الفضل ابن شاذان عن داود بن كثير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أنتم الصلوه فى كتاب اللّه عز و جل، و أنتم الزكوه و أنتم الحج، فقال: يا داود نحن الصلوه فى كتاب اللّه

١- ١) البحار ج ٢۴ ص ١٩٠.

٢- ٢) البحار: ج ٢۴ ص ٣٠٣.

عز و جل، و نحن الزكوه و نحن الصيام و نحن الحج، و نحن الشهر الحرام، و نحن البلد الحرام و نحن كعبه اللّه، و نحن قبله اللّه و نحن وجه اللّه قال اللّه تعالى: (فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ) و نحن الآيات و البينات. و عدوّنا فى كتاب اللّه عز و جل الفحشاء و المنكر و البغى، و الخمر و الميسر و الأنصاب، و الأزلام و الأصنام و الأوثان، و الجبت و الطاغوت، و الميته و الدم و لحم الخنزير. يا داود إن اللّه خلقنا فأكرم خلقنا و فضّلنا، و جعلنا أمناءه و حفظته و خزّانه على ما فى السموات و ما فى الأرض، و جعل لنا أضدادا و أعداء فسمانا فى كتابه، و كنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء و أحبّها إليه، و سمّى أضدادنا و أعداءنا فى كتابه، و كنّى عن أسمائهم، و ضرب لهم الأمثال فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه و إلى عباده المتقين. فصريح هذين الحديثين و أمثالهما يدلّ على ما ذكرنا من أن القرآن له تأويل و ظاهر، فالظاهر هو ما يتبادر منه، و الباطن هو ما فسّروه عليهم السّلام كما فى هذين الحديثين، و بمعونه الأحاديث السابقه يعلم أن باطن قوله تعالى: (بَقِيَّتُ اَللّٰهِ خَيْرٌ لَكُمْ) هو الأئمه عليهم السّلام و تأويلها هم عليهم السّلام كما فى ساير الآيات، بل الظاهر من الأحاديث أنه كما لا بدّ من الإيمان بظاهر الآيات، لا بد أيضا من الإيمان بباطنها المفسّر من عندهم عليهم السّلام.

ففى البحار (۱)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن الهيثم التميمى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا هيثم التميمى إن قوما آمنوا بالظاهر، و كفروا بالباطن فلم ينفعهم شىء، و جاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن، و كفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئا، و لا إيمان بظاهر إلاّ بباطن و لا بباطن إلاّ بظاهر.

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۳۰۲.

فهذا الحديث دلّ على أنه لا بدّ من الإيمان بجميع ما بينوه عليهم السّلام تأويلا و باطنا للآيات، كما ورد عنهم فی كثير من الآيات القرآنيه فی موارد شتی من شئون ولايتهم عليهم السّلام التی منها ما فی المقام، و يدل علی وجوب الإيمان بالظاهر و المشی عليه أيضا ردّا علی الباطنيه الذين اعتقدوا بأنه من عرف الأئمه عليهم السّلام بالباطن من أنهم حقائق تلك الأمور، فلا يحتاج بعد إلی إتيان العبادات فی الظاهر، و قد تقدم مفصلا بيان فی ردّهم فی بيان معنی الولايه، فراجع. ثم إن الوجه فی كونهم عليهم السّلام الصلوه و الصوم الحج و الكعبه و القبله و نحوها ممّا ذكره عليه السّلام فی الحديث السابق و فيما هو بمثله ما حاصله: أنه إنما خلق اللّه الخلق-و كما علمت-ليعبدون قال تعالی: (وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ) و علمت أيضا من

قول الحسين عليه السّلام فی السابق: «أن اللّه ما خلق الخلق إلاّ ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه» ، الحديث. فروح العباده المعروفه فهی حينئذ الغايه للخلق، و من المعلوم أنهم عليهم السّلام محال معرفه اللّه كما تقدم مفصلا، و أنه لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل معرفتهم، و أنه بهم عرف اللّه و بهم عبد اللّه كما تقدم مرارا، فإذا كانوا عليهم السّلام حقيقه المعرفه للّه تعالی بحيث

قال الحسين عليه السّلام: «إن معرفه اللّه معرفه أهل كلّ زمان إمامهم الذی تجب عليهم طاعته» فلا محاله هم عليهم السّلام أصل العباده و روحها الساری فی فروعها و أقسامها من الصلوه و الحج و غيرهما، و أيضا لا ريب فی أن للصلوه ظاهرا و هو الأفعال و الأقوال، و الأذكار و الهيئات المخصوصه التی افتتاحها التكبير و اختتامها التسليم، فهی بهذا المعنی هی الموضوع للأحكام الثابته لها فی الشريعه المقدسه، التی بيّنها العلماء و الفقهاء فی رسائلهم العمليه. فالصلوه بهذا المعنی هو الظاهر من الصلوه التی علمت أنه لا بدّ من الإيمان بها و المشی عليها، و لا ريب أيضا فی أن لها باطنا المشار إليه بقوله تعالی: (أَقِمِ اَلصَّلاٰةَ لِذِكْرِی)

و قوله عليه السّلام: «الصلوه معراج المؤمن»

و قوله عليه السّلام: «الصلوه قربان كلّ تقی»

ص:۴۳

و نحوها، إذ من المعلوم أن هذه التعاريف للصلوه لا تنظر إلاّ إلى جهه الباطن لها، فان باطنها معراج المؤمن و قربان كلّ تقى، و يتحقق ذلك بما

قال النبى صلّى اللّه عليه و آله فيما رواه فى الحقائق عنه صلّى اللّه عليه و آله: إنما الصلوه تمسكن و تواضع و تضرع، و تيأس (و تبأس خ ل) و تندم و تقنّع تمدّ يديك و تقول: «اللّهم فمن لم يفعل فهى خداج» و لا ـ ريب فى أن هذه العبارات فى تعريف الصلوه إنما هى لبيان معناها الباطن الذى به تكون معراجا للمؤمن كما لا يخفى. و لا ينظر فى الحديث إلى الجهه الظاهريه من الركوع و السجود و نحوهما، كما لا يخفى، و بهذه المعانى يتحقق ذكر اللّه تعالى فى الصلوه، فقوله تعالى: (أَقِمِ اَلصَّلاٰةَ لِذِكْرِی) الدال على أنه لا بدّ من إقامه الصلوه للذكر و هو باطن الصلوه. و من المعلوم أن الذكر لا يتحقق إلاّ بما ذكره صلّى اللّه عليه و آله من تلك الحالات، و لذا

قال صلّى اللّه عليه و آله بعد ذلك: تمدّ يديك و تقول: اللّهم، أى بعد تحقق هذه الحلات، تشرع و تأتى بالصلوه الظاهره التى عنوانها اللّهم، و إلا فمن لم يفعل تلك الحالات قلبا فصلاته خداج أى ناقصه. إذا علمت هذا (أى علمت أن حقيقه الصلوه هى الذكر، و هو عباره عن تلك الحالات المشار إليها) فحينئذ نقول: لا ريب فى أن تلك الحالات تكون فى الأئمه، و فى أرواحهم بالنحو الأتم الأكمل فهم عليهم السّلام حقيقه الصلوه لمكان تحقق حقائق تلك الحالات، التى هى باطن الصلوه فيهم عليهم السّلام كيف لا

و قد ورد أن الذاكر للّه فى الصلوه بلحاظ أن روح الصلوه هو الذكر، فإذا كان أحد ذاكرا فلا محاله هو فى الصلوه ما دام فى الذكر فإذا كان أحد من الناس يتمكن من الاتّصاف بالصلوه أو إن لم يأت بالأفعال الظاهريه لها فما ظنك بهم عليهم السّلام و هم دائما فى الذكر كما سيأتى فى شرح

قوله عليه السّلام:

و أدمتم (أدمنتم خ ل) ذكرهم؟ !

هذا و قد تقدم عن المفضل، عن الصادق عليه السّلام: أنهم عليهم السّلام دائما فى مقام الحضور و القرب عند اللّه تعالى المشار إليه فى قوله: (وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ

يَسْتَحْسِرُونَ) فإذا علمت أن حقيقه الصلوه التى هى الذكر إنما هى حقيقتهم و أرواحهم المطهره بالبيان المذكور، فاعلم أيضا أنهم عليهم السّلام حقيقه ساير العبادات، إذ جميعها بحسب الباطن يرجع إما إلى المعرفه و إما إلى تلك الحالات العبوديه له تعالى نحو إرجاع الفرع إلى أصله فهم عليهم السّلام أيضا حقيقه تلك العبادات. و كيف كان فبعد ما كانت الصلوه خير موضوع فى الشرع، بحيث لم يشرع مثلها فى المكانه و الأهميه، لجامعيتها لعناوين العبادات كما حقق فى محله، و كون حقيقتها أرواحهم المقدسه، فكانوا حقائق ساير العبادات بطريق أولى كما لا يخفى وجهه. و يشير بل يدلّ على ما ذكرنا ما

فى البحار (1)، و روى الشيخ أيضا بإسناده عن الفضيل، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال: «نحن أصل كل خير، و من فروعنا كل برّ، و من البرّ التوحيد و الصلوه و الصيام، و كظم الغيظ و العفو عن المسىء، و رحمه الفقير و تعاهد الجار، و الإقرار بالفضل لأهله، و عدونا أصل كلّ شرّ، و من فروعهم كل قبيح و فاحشه، فمنهم الكذب و النميمه، و البخل و القطيعه، و أكل الربا و أكل مال اليتيم بغير حقه، و تعدى الحدود التى أمر اللّه عز و جل، و ركوب الفواحش ما ظهر منها و ما بطن من الزنا و السرقه، و كل ما وافق ذلك من القبيح، و كذب من قال أنه معنا و هو متعلق بفرع غيرنا» . فهذا الحديث الشريف دلّ على أنهم أصل كلّ العبادات حتى التوحيد، و معنى الأصل يعنى حقيقته، و جميع ساير الفروع منشعبه منه، و أيضا أن عدوهم أصل كلّ شرّ، و جميع المعاصى منشعبه منهم، و الأحاديث الداله على هذا المعنى كثيره جدّا، و فيما ذكرنا كفايه، و من أراد التفصيل فليراجع المفصّلات. ثم إنّه قد فسّرت بقيه اللّه بالباقيات الصالحات، يعنى أحد مصاديق الباقيات الصالحات هو بقيه اللّه (أى الأئمه عليهم السّلام) كما تقدم، أو هى ولايتهم كما ورد فى التفسير.

ص: ۴۵

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۳۰۳.

ففی تفسیر نور الثقلین عن مجمع البیان: و روی أنس بن مالک عن النبی صلّی اللّه علیه و آله أنه قال لجلسائه: خذوا جنتکم، قالوا: حضر عدونا؟ قال: خذوا جنتکم من النار، قولوا: سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر، فإنّهن المقدمات، و هنّ المنجیات، و هنّ المعقبات، و هنّ الباقیات الصالحات. و فیه: و قیل: هی الصلوات الخمس.

و روی عنه علیه السّلام أیضا: أن من الباقیات الصالحات القیام باللیل لصلوه اللیل.

و فی البحار (۱)، عن کنز الفوائد بإسناده عن محمد بن إسماعیل بن عبد الرحمن الجعفی، قال: دخلت أنا و عمّی الحصین بن عبد الرحمن علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فسلّم علیه فردّ علیه السّلام و أدناه و قال: ابن من هذا معک؟ قال: ابن أخی إسماعیل، قال: رحمه الله و تجاوز عن سیّئ عمله، کیف مخلفوه؟ قال: قال: نحن جمیعا بخیر ما أبقی اللّه لنا مودتکم، قال: یا حصین لا تستصغر مودّتنا فإنها من الباقیات الصالحات، فقال: یا بن رسول اللّه ما استصغرها، و لکن أحمد اللّه علیها. أقول: ینبغی أن یحمد اللّه واجد الولایه علی أول النعم.

ففی البحار (۲)، عن العلل و معانی الأخبار و أمالی الصدوق بإسناده عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام قال: من أصبح یجد برد حبنا علی قلبه، فلیحمد اللّه علی بادی النعم، قیل: و ما بادی النعم؟ قال: طیب المولد.

و فیه، عنها، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا علی من أحبّنی و أحبّک و أحبّ الأئمه من ولدک، فلیحمد اللّه علی طیب مولده، فإنه لا یحبنا إلاّ من طابت ولادته، و لا یبغضنا إلاّ من خبث ولادته.

و فیه (۳)، عن العلل فی حدیث طویل عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: . . و فی أخری ثم رفع

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۳۰۴.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۱۴۶.

۳- ۳) البحار ج ۲۷ ص ۱۵۱.

رأسه صلّى اللّه عليه و آله فقال: معاشر الأنصار أعرضوا أولادكم على محبه على، قال جابر بن عبد اللّه: فكنا نعرض حبّ على عليه السّلام على أولادنا، فمن أحبّ عليّا علمنا أنه من أولادنا، و من أبغض عليّا عليه السّلام انتفينا منه، الحديث. هذا و قد يقال: إن المراد ببقيه اللّه هو آثار وجوده تعالى فى الخلق. بيانه: أنه لا ريب فى أنه تعالى يدبّر الأمر فى عالم الخلق بأسمائه الحسنى كما يومئ إليه

قوله عليه السّلام فى الدعاء:

و بأسمائك التى ملأت أركان كلّ شىء،

و قوله عليه السّلام فى زياره الحجج عليه السّلام يوم الجمعه: يسبح اللّه بأسمائه جميع خلقه . فالمراد بجميع الخلق هو جميع أنواع الموجودات من الأنبياء و الأئمه و الملائكه و البشر، و الحيوانات و النباتات و الجمادات، و ساير ما يرى منها و ما لا يرى، و ما علم منها و ما لم يعلم فجميعها يسبحونه تعالى بأسمائه. و من المعلوم أنه ليس المراد منه التسبيح اللفظى، لعدم صدوره ظاهرا من غير البشر و الملك، بل المراد التسبيح المعنوى كلّ بالاسم الذى به قوام وجوده، بنحو يكون من جهته قائما به تعالى، و هو تعالى قيّومه، و تسبيحه عباره عن تنزيهه تعالى عما لا يليق بجنابه المقدس، مما يكون هذا الموجود محدودا به و مبتلى به و مقيدا به، و محروما به عن مطلق الفيوضات تسبيحا حاليا يفسّره بالقول من اطلع عليه من الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام و لذا ورد فى الأحاديث عنهم أذكار الحيوانات و تسبيحها كما فى البحار، فراجع. و كيف كان لا ريب فى أنه تعالى يدبّر الأمور، و يربّى الخلق بأنواع التربيه، حيث إنه الربّ المطلق بأسمائه الحسنى، و لا ريب فى أن الأسماء الحسنى التى هى صفه له تعالى تكون فى عالم صقع وجودها غير محدود بحدّ منعوت بنعت

لقوله عليه السّلام: و ليس لصفته حدّ محدود بحدّ و منعوت بنعت

لقوله عليه السّلام: و ليس لصفته حدّ محدود، و لا نعت موجود» فالأسماء فى عالم الإطلاق مطلقه، و فى عالم الخلق تتحدّد بتحدد مجاريه، أى الموجودات يستفيد منها كلّ على حسب حدّه، لا أنها توجب تقييدا لها،

فالتحدد بها بلحاظ الأثر للمحدود، لا لها بأنفسها كما لا يخفى. هذا و قد علمت مرارا

أنهم عليهم السّلام قالوا: «و اللّه نحن الأسماء الحسنى» و قد تقدم شرحه فى الجمله، فحينئذ نقول: المستفاد ممّا ذكر أمور: الأول: أن الأسماء الحسنى له تعالى بجميع شئونها من حيث وجودها النفس الأمرى، الذى ليس لها حدّ محدود و لا نعت موجود، و من حيث ظهورها فى الخلق و استفاده الخلق منها، لفاقته إليها كلّها من حيث الأصل، و من حيث الظهور هى نفس الذوات المقدسه لمحمد و آله صلّى اللّه عليه و آله فتلك النفوس المطهره بالحاظ قربها إليه تعالى، و قيامها به تعالى بما هى هى صفات له تعالى بما لها من المعنى الواقعى، و الصفه عرفت أنها معرف للموصوف و الموصوف ظاهر فيها. فهم عليهم السّلام فى تلك المقام و الحال لا فرق بينهم و بين خالقهم إلاّ أنهم عباده و خلقه فتقها و رتقها بيده، بدؤها و عودها إليه كما تقدم شرحه، و إلى هذا المقام يشير ما

ورد عنه صلّى اللّه عليه و آله: «أن لنا مع اللّه حالات» الحديث، ففى تلك الحالات، و ذلك المقام ليس إلا ظهوره تعالى فى فنائهم عن أنفسهم و عن غيره تعالى، و بلحاظ تنزّل تلك الصفات فى عالم التعيّن الخلقى بالمعنى المتقدم، و فى مقام استفاده كلّ مخلوق منها و من تلك الأسماء كما علمت، فهم عليهم السّلام فى هذا العالم الخلقى ظاهرون بتلك الحقائق فى المظاهر المحدوده، فبهذا اللحاظ يقال لهم بقيه اللّه، فإن البقيه هى المرتبه النازله أو المحدوده من ذوى البقيه أى الأصل. و الحاصل: أن ما تنزل من عالم الإطلاق إلى عالم الخلق و الحدود من الأسماء الحسنى الإلهيه هو ذواتهم المقدسه، و هم بهذا اللحاظ بقيه اللّه تعالى، و حينئذ نقول: لما كانت جميع أفعال العباد الجوارحى و الجوانحى و القلبى إنما هى بالأسماء الحسنى الإلهيه، و هى أرواحهم و حقيقتهم عليهم السّلام فلا محاله تكون عباده الخلق له تعالى بهم عليهم السّلام من التسبيح و التحميد و التكبير و التهليل، فكلّها تصدر منهم إلاّ أنّها بهم عليهم السّلام و أيضا تكون معرفتهم له تعالى، و قصدهم إياه تعالى، و ذكرهم له تعالى

بهم علیهم السّلام أیضا، و سیجیء فی شرح

قوله علیه السّلام: «و من قصده توجه بکم» ما یوضح لک ذلک. بل قد یقال: خلق اللّه الخلق لهم و بهم و منهم رزق الخلق و الوری کما یومئ إلیه الحدیث الآتی إن شاء اللّه، و أیضا بهم و لهم و علیهم حفظ الخلق کما علمت فی شرح

قوله: «و حفظه و روّادا» بل عنهم و منهم و لهم أمات اللّه الخلق، و أیضا بهم و منهم و لهم إحیاء الخلق کلها بإذن اللّه، و بالتصرف الولایتی التکوینی کما مرّت الإشاره إلیه. و إلی هذه الأمور کلّها یشیر

ما رواه فی التوحید بإسناد صحیح عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إن للّه عز و جل خلقا من رحمته، خلقهم من نوره و رحمته من رحمته لرحمته، فهم عین اللّه الناظره، و أذنه السامعه، و لسانه الناطق فی خلقه بإذنه و أمناؤه علی ما أنزل من عذر أو نذر أو حجه، فبهم یمحو السیئات، و بهم یدفع الضیم، و بهم ینزل الرحمه، و بهم یحیی میتا، و بهم یمیت حیّا، و بهم یبتلی خلقه، و بهم یقضی فی خلقه قضیّته، قلت: جعلت فداک من هؤلاء؟ قال: الأوصیاء.

فقوله علیه السّلام: و بهم یدفع الضیم، و بهم ینزل الرحمه. . إلخ خصوصا

قوله: و بهم یقضی فی خلقه قضیته، یدل علی ما ذکرنا کما لا یخفی، فحیث هم علیهم السّلام بقیه اللّه بهذا المعنی، فلا محاله لهم تلک الشئون و التصرفات الأولویه فی الخلق. و قد یقال: إن المراد من بقیه اللّه آیاته تعالی، التی أراها اللّه الخلق فی الآفاق و فی الأنفس قال تعالی: (سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی اَلْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ) الآیه.

روی محمد بن قولویه فی کامل الزیارات (1)بسنده عن عبد اللّه بن بکر قال:

۱- ۱) کامل الزیارات ص ۳۲۶.

صحبت أبا عبد اللّه عليه السّلام فى طريق مكه من المدينه، فنزلنا منزلا يقال له: عسفان، ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش فقلت له: يا بن رسول اللّه ما أوحش هذا الجبل! ما رأيت فى الطريق مثل هذا، فقال لى: يا بن بكر أ تدرى أى جبل هذا؟ قلت: لا، قال: هذا جبل يقال له الكمد، و هو على واد من أوديه جهنم، و فيه قتله أبى الحسين عليه السّلام فذكر عليه السّلام ما كان سمعه من القتله و من الأول و الثانى (لعنهم اللّه) و ما يجيبهم بطوله إلى أن قال: قلت له: جعلت فداك فأنت تسمع ذا كلّه و لا تفزع؟ ! قال عليه السّلام: يا بن بكر إن قلوبنا غير قلوب الناس إنا مطيعون مصفون مصطفون، نرى ما لا يرى الناس، و نسمع ما لا يسمع الناس، و إن الملائكه تنزل علينا فى رحالنا. . إلى أن قال عليه السّلام: و ما من ليله تأتى علينا إلّا و أخبار كلّ أرض عندنا و ما يحدث فيها، و أخبار أهل الهوى من الملائكه، و ما من ملك يموت فى الأرض و يقوم غيره إلّا أتانا خبره و كيف سيرته فى الدين قبله، و ما من أرض من سته أرضين إلى السابعه إلّا و نحن نؤتى بخبرهم. . إلى أن قال عليه السّلام: و إنا لنحمل ما لا يقدر العباد على الحكومه فيه فنحكم فيه، فمن لم يقبل حكومتنا جبرته الملائكه على قولنا و أمرت الذين يحفظون ناحيته أن يفسروه على قولنا، و إن كان من الجن من أهل الخلاف و الكفر أوثقته و عذبته حتى يصير إلى حكمنا به، قلت: جعلت فداك فهل يرى الإمام ما بين المشرق و المغرب؟ فقال: يا بن بكر فكيف يكون حجه اللّه على ما بين قطريها، و هو لا يراهم و لا يحكم فيهم؟ و كيف يكون حجّه على قوم غيب لا يقدر عليهم و لا يقدرون عليه؟ و كيف يكون مؤديا عن اللّه و شاهدا على الخلق و هو لا يراهم؟ و كيف يكون حجه عليهم و هو محجوب عنهم، و قد حيل (جعل خ ل) بينهم و بينه أن يقوم بأمر ربّه فيهم و اللّه يقول: (مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ) يعنى به من على الأرض، و الحجه من بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله يقوم مقام النبى من بعده، و هو الدليل على ما تشاجرت فيه الأمه، و الأخذ بحقوق الناس و القيام بأمر اللّه و المنصف لبعضهم من

بعض؟ فإذا لم يكن معهم من ينفذ قوله و هو يقول: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي اَلْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ) فأىّ آيه فى الآفاق غيرنا أراها اللّه أهل الآفاق، و قال: (مَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَهٍ إِلاّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) فأىّ آيه أكبر منا، و اللّه إن بنى هاشم و قريشا لتعرف ما أعطانا اللّه، و لكن الحسد أهلكهم كما أهلك إبليس، الحديث. و إنما ذكرناه بأكثره لما فيه من الفوائد، و ما فيه من الدليل على السابق لبقيه اللّه كما لا يخفى، و لما فيه بيان أنهم عليهم السّلام أتم مصداق لقوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي اَلْآفَاقِ) ، و كيف كان فآيات اللّه تعالى بقيته فى الأرض بالبيان المتقدم فى كون الأسماء مصداق بقيه اللّه فى الخلق، و هم عليهم السّلام أحسن مصداق لها كما لا يخفى. و من المعلوم أن الآيه هى علامه ذوى الآيه، و مرآه لذى الآيه معرّف له، بل ظهور ذى الآيه بها، فالمعرفه بهم عليهم السّلام بما أنهم آيات اللّه معرفه باللّه تعالى كما تقدم مرارا، فحينئذ معنى قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي اَلْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ) (و اللّه العالم) هو أن اللّه تعالى يرينا فى أنفسنا ايّاهم بأن يرينا أنا من شعاع أنوارهم و ظهورهم، فيظهر أن الخلق منهم و بهم و لهم و إليهم فهم بالحقيقه قوام الخلق حتى بالنسبه إلى أعدائهم بنحو يناسبهم إذ لا حول و لا قوه إلاّ باللّه و هم حوله و قوته كما لا يخفى. و لهذا الكلام مزيد بحث ربما يأتى فى محله و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و خيرته

فى المجمع: و الخيره (بالكسر فالسكون) من الاختيار، و الخيره (بفتح الياء) بمعنى الخيار، و الخيار هو الاختيار، و الخيار هو اسم من تخيّرت الشىء مثل الطيره اسم من تطيّر، و قيل: هما لغتان بمعنى واحد، قاله فى المصباح، و الاختيار الاصطفاء و محمد صلّى اللّه عليه و آله خيرتک من خلقک (بكسر الخاء و بالياء و الراء المفتوحتين) أى المختار المنتخب، و جاء بتسكين الياء.

أقول: المراد منه هنا الجنس ليعمهم عليهم السّلام و معناه أنهم من اختارهم و اصطفاهم و اجتباهم من بين الخلائق و هذا الاختيار منه تعالى لهم يتحقق فی مقامین: الأول: فی مقام عالم الأرواح و الأنوار. و الثانی: «فیدل علیه ما

عن تفسیر نور الثقلین عن اعتقادات الصدوق رحمه اللّه و قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: أنا أفضل من جبرئیل و میکائیل و إسرافیل، و من جمیع الملائکه المقربین، و أنا خیر البریّه و سید ولد آدم» .

و فی منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه، عن ابن عمر، عنه صلّی اللّه علیه و آله، أنه صلّی اللّه علیه و آله قال: إن اللّه اختار خلقه، فاختار منهم بنی آدم، ثم اختار بنی آدم، فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختار منهم قریشا، ثم اختار قریشا فاختار منهم بنی هاشم، ثم اختار بنی هاشم فاختارنی منهم، فلم أزل خیارا من خیار، ألا من أحبّ العرب فیحبنی أحبهم، و من أبغض العرب فیبغضنی أبغضهم. و تقدم أیضا

عن المناقب، عن أحمد بن حنبل و النسائی، عن علی علیه السّلام حدیث إلی أن قال علیه السّلام: و قال اللّه له (أی للنبی صلّی اللّه علیه و آله) : أنت المختار المنتجب، و عندک ثابت نوری، و أنت کنوز هدایتی. و تقدم أیضا

عن معانی الأخبار، عن عائشه قالت: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أنا سید ولد آدم و علی سید العرب، قلت: و ما السید؟ قال: من افترضت طاعته کما افترضت طاعتی.

و فی البحار، عن غیبه النعمانی، الکلینی بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی خطبه له یذکر فیها حال الأئمه علیهم السّلام و صفاتهم فقال: إن اللّه تبارک و تعالی أوضح بأئمه الهدی من أهل بیت نبیه صلّی اللّه علیه و آله عن دینه، و أبلج بهم عن سبیل منهاجه، و فتح لهم عن باطن ینابیع علمه، فمن عرف من أمّه محمد صلّی اللّه علیه و آله واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوه إیمانه، و علم فضل طلاوه إسلامه، إن اللّه نصب الإمام علما لخلقه، و جعله حجه علی أهل طاعته، ألبسه اللّه تاج الوقار، و غشّاه من نور الجبار، یمد بسبب من السماء

لاـ ينقطع عنه مواده، و لاـ ينـال مـا عنـد اللّه إلاّـ بجهه أسـبابه، و لا يقبل اللّه الأعمال للعباد إلاّ بمعرفته. فهو عالم بما يرد عليه من مشـكلات الوحى، و معميات السـنن، و مشـتبهات الـدين، لم يزل اللّه يختارهم لخلقه من ولـد الحسـين (صـلوات اللّه عليهم) من عقب كلّ إمام، فيصـطفيهم لـذلک، و يجتبيهم، و رضـى بهم لخلقه، و يرتضـيهم لنفسه، كلما مضـى منهم إمام، نصب عز و جل لخلقه من عقبه إمامـا علمـا بيّنـا، و هاديا منيرا، و إماما قيما، و حجه عالما، أئمه من اللّه يهـدون بالحقّ و به يعـدلون، حجـج اللّه و رعـاته على خلقه، يـدين بهـداهم العبـاد، و تسـتهل بنورهم البلاـد، و تنمى ببركتهم التلاـد، و جعلهم اللّه حيـاه الأنـام، و مصابيح الظلام، و دعائم الإسلام، جرت بذلک فيهم مقادير اللّه على محتومها. فالإمام هو المنتجب المرتضى، و الهادى المجتبى، و القائم المترجى، اصطفاه اللّه لذلک، و اصطفيه على عينه فى الذّر حين ذرأه، و فى البريه حين برأ، ظلاّ قبل خلقه نسمه عن يمين عرشه، محبّـوا بـالحكمه فى علـم الغيـب عنـده، اختـاره بعلمـه، و انتجبـه بتطهيره بقيه من آدم، و خيره من ذريه نـوح و مصـطفى من آل إبراهيم، و سلاله من إسـماعيل، و صـفوه من عتره محمد صـلّى اللّه عليه و آله لم يزل مرعيا بعين اللّه، يحفظه بملائكته، مدفوعا عنه وقوب الغواسق و نفوث كـلّ فـاسق، مصـروفا عنه قوارف السوء، مبّرأ من العاهات، محجوبا عن الآفات، مصونا من الفواحش كلّها، معروفا بالحلم و البر فى بقاعه، منسوبا إلى العفاف و العلم و الفضل عند انتهائه. مسندا إليه أمر والده، صامتا عن المنطق فى حيـاته، فـإذا انقضت مـده والـده انتهت به مقـادير اللّه إلى مشـيّته، و جاءت الإراده من عنـد اللّه فيه إلى محبته، و بلغ منتهى مـده والـده، فمضـى و صار أمر اللّه إليه من بعـده و قلده اللّه دينه، و جعله الحجه على عباده، و قيّمه فى بلاده، و أيده بروحه، و أعطاه علمه، و اسـتودعه سـرّه، و انتـدبه لعظيم أمره، و أتاه فضل بيان علمه، و نصـبه علما لخلقه، و جعله حجه على أهل عالمه، و ضـياء لأهل دينه، و القيم على عباده، رضى اللّه به إماما لهم، استحفظه علمه، و استحباه حكمته، و استرعاه لدينه،

و حباه مناهج سبله و فرائضه و حدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، و تحبير أهل الجدل بالنور الساطع و الشفاء النافع بالحق الأبلج، و البيان من كل مخرج على طريق المنهج، الذى مضى عليه الصادقون من آبائه، فليس يجهل حق هذا العالم إلاّ شقى، و لا يجحده إلاّ غوى، و لا يصدّ عنه إلاّ جرىّ على اللّه جل و علا، الحديث. فالمستفاد من هذه الأحاديث و أمثالها: أن اللّه تعالى اختارهم من بين أمثالهم من الخلائق من جميع أنواع البشر، فضلا عن الجن و الحيوانات و النباتات و المعادن و الجماد، فاللّه تعالى اختارهم من بينهم كلهم على الكل، و انتقاهم و اجتباهم لأمره كما مرت الإشاره إليه، و ادعى انعقاد الإجماع من الفرقه المحقه على تفضيلهم عليهم السّلام على الخلق، بل و على الأنبياء و الرسل و الملائكه المقربين، كما ظهر ذلك من الأحاديث المتقدمه أيضا، و لا يخالف الفرقه المحقه إلاّ من لا يعبأ بقوله من المخالفين. و أمّا المقام الأول (أعنى كونهم عليهم السّلام خيره فى عالم الأرواح و الأنوار) فيدل عليه كثير من الأخبار، و قد تقدم شطر منها فى المباحث المتقدمه، و أحسن كلام دلّ على هذا الاختيار فى ذلك العالم ما تقدم

من خطبه أمير المؤمنين عليه السّلام فى يوم الغدير و الجمعه و عن مصباح الشيخ الطوسى رحمه اللّه. و منها: و أشهد أن محمدا عبده و رسوله استخلصه فى القدم على سائر الأمم على علم منه، انفرد عن التشاكل و التماثل من أبناء الجنس، انتجبه آمرا و ناهيا عنه، أقامه فى سائر عالمه فى الأداء. إلى أن قال عليه السّلام: و اختصه من تكرمته بما لم يلحقه أحد من بريّته، فهو أهل ذلك بخاصته و خلته، إذ لا يختص من يشوبه التغيير، و لا يختار من يلحقه التظنين إلى أن قال عليه السّلام: و إن اللّه تعالى اختصّ لنفسه بعد نبيه من بريّته خاصه، علاّهم بتعليته، و سما بهم إلى رتبته، إلى أن قال عليه السّلام: أنشأهم فى القدم قبل مذرؤ و مبرؤ أنوارا أنطقها، إلى أن قال عليه السّلام: و أشهدهم و ولاّهم ما شاء من أمره، و جعلهم تراجمه مشيته و ألسن إرادته، الخطبه.

فقوله علیه السّلام: استخلصه فی القدم علی سایر الأمم،

و قوله علیه السّلام: و اختصه من تکرمته بما لم یلحقه أحد من بریته،

قوله علیه السّلام: فی شأن الأئمه علیهم السّلام: أنشأهم فی القدم قبل مذرؤ و مبرؤ، یدل علی اختیاره تعالی النبی و الأئمه علیهم السّلام علی سائر الخلق فی عالم الأنوار و الأرواح کما لا یخفی. ثم إن هنا کلاما و حاصله: أن الاختیار لشیء لا بدّ له من المختار منه من بین أمثاله، فإن الاختیار لشیء یساوی الانتخاب له، و الانتقاء من بین أشیاء، فلا بدّ هناک من أشیاء لیختار منها هذا الشیء، هذا و قد دلّ الدلیل القطعی کما تقدم مرارا علی أنهم علیهم السّلام خلقوا قبل الخلق بألف دهر کما فی حدیث، و بتعدید آخر کما فی سائر الأحادیث، فحینئذ کیف یصح الاختیار منه تعالی لهم قبل الخلق، و لا تظن أنهم علیهم السّلام ما کانوا خیره من خلقه إلاّ بعد أن خلق الخلق، و إلا یلزمک أنهم ما بلغوا تلک المراتب العالیه التی رتبهم اللّه فیها المشار إلیها بکونهم خیرته، إلاّ بعد أن خلق خلقه، مع أن هذا أیضا خلاف ما دلت الأخبار بالضروره علی أنهم کانوا خیره من أول خلقهم علیهم السّلام قبل سایر الموجودات کما تقدم. و الجواب عن هذا بما حاصله: أن الخلق کلهم بلا استثناء فی علمه تعالی فی جامع واحد، فهو تعالی عالم بکیفیه الخلق، کل فی مرتبته و حاله و صفته، فعلمه تعالی بالخلق قبل الخلق و بعد الخلق یکون سواء، کما نطقت به الأخبار فی توحید الصدوق من

قوله علیه السّلام: علمه بالأشیاء قبل خلقها کعلمه بها بعد خلقها، کما یشیر قوله تعالی إلی هذا بالنسبه إلیه علیهم السّلام: (وَ لَقَدِ اِخْتَرْنٰاهُمْ عَلیٰ عِلْمٍ عَلَی اَلْعٰالَمِینَ) فاستحقوا الاختیار من اللّه تعالی قبل العالمین، و ما ذکرنا فی الآیه تأولیها کما لا یخفی. و الحاصل: أنه تعالی اختارهم فی مقام علمه الأزلی، فکانوا علیهم السّلام خیرته و صفوه خلقه فی علمه تعالی، ثم بعد ما البسوا حلّه الوجود الخارجی کانوا علیهم السّلام خیره الخلق أیضا، لما هم خیرته تعالی فی عالم علمه، و السرّ فی أنه تعالی اختارهم فی علمه علی

العالمين هو أنه تعالى خلقهم خيرا محضا، لا شرّ فيهم ذاتا و صفه و فعلا، لانتفاء مقتضى الشّر فيهم، و هو الشک کما تشير إليه آيه التطهير النازله فى حقهم المفسّر فيها الرجس المنفى بالشک کما تقدم. و كيف كان، فإذا كانوا موجودين فى أول الوجود فى عالم الأنوار و الأرواح خيرا محضا بنحو يجمع جميع الخيرات، فلا محاله يقتضى ذلک أن يكونوا خيره له تعالى، لأنهم حينئذ واجدون لملاک الاختيار أى ملاک كونهم مختارين (بالفتح) فلا بدّ من أن يكونوا خيره، و هذا بخلاف غيرهم حتى بالنسبه إلى الملائكه، بل و بالنسبه إلى الأنبياء فإنهم (أى الملائكه و الأنبياء) إذا لوحظوا بالنسبه إليهم عليهم السّلام كان فيهم نقص ما يوجب نفى بعض مراتب الخير و مصاديقه، فلم يكونوا (أى الملائكه و الأنبياء) خيرا محضا، فلا يكونوا بقول مطلقا مختارين (بالفتح) له تعالى. ثم إن معنى هذا الاختيار هو الإبانه و الاستخلاص و الاختصاص. أمّا الإبانه: فلأجل واجديتهم ملاک الخيره أبانهم اللّه تعالى، أى فضّلهم عن ساير الخلق، فلم يهملهم فى الخلق بلا رعايه منه تعالى لهم، بل أبانهم عليهم السّلام منهم أى جعلهم فى مرتبه خاصه لهم. و أما الاستخلاص: فمعناه أنه تعالى لما أوجدهم واجدين لملاک الخير كلّه، فاستخلصهم لنفسه بأن منحهم مقام القرب و الولايه الكبرى الإلهيه، و ساير ما اختصهم عليهم السّلام كما تقدمت الإشاره إليه. و أمّا الاختصاص: فمعناه أنه تعالى اختصهم بذلک المقام الرفيع لذلک الملاک بحيث لم يشاركهم فى مقامهم أحد من الخلق، كما يشير إليه ما سيأتى فى شرح

قوله عليه السّلام:

«آتاكم اللّه ما لم يؤت أحدا من العالمين»

فهم عليهم السّلام فى مقام لا يساويهم أحد، و لا يدانيهم أحد، فضلا عن أن يفوقهم أحد، كما دلّت عليه كثير من الأخبار المذكوره فى هذا الشرح فى مظانّها، و يدلّ على هذه الأمور الثلاثه ما تقدم من خطبه أمير المؤمنين عليه السّلام آنفا فى صلوه يوم عيد الغدير

و الجمعه. ثم إن الاختيار لما كان معناه ما قلناه من تلك الأمور الثلاثه، فيلزمها أنهم عليهم السّلام خاصه اللّه، و هم أبدا عنده تعالى فلا يفقدون البارى تعالى بالحجاب أبدا، كما أنه تعالى لا يفقدهم حيث ما يريدهم من مقام الطاعه و القرب، فلا يكون فيهم عليهم السّلام ما يوجب نفى القرب عنه تعالى مما ليس فيه رضاه تعالى. و إلى هذا يشير ما تقدم

عن المفضل، عن الصادق عليه السّلام حينما ذكر عليه السّلام بعض ما خصّهم اللّه تعالى به، و فيه قال له المفضل: هل بذلك شاهد من كتاب اللّه تعالى؟ قال: نعم يا مفضل، قوله تعالى: (وَ لَهُ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لاٰ يَفْتُرُونَ) إلى قوله (وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) ويحك يا مفضل أ تعلمون أن ما فى السموات هم الملائكه، و من فى الأرض هم الجن و البشر، و كلّ ذى حركه، فمن الذين قال: و من عنده، قد خرجوا من جمله الملائكه و البشر، و كلّ ذى حركه، فنحن الذين كنا عنده و لا كون قبلنا، و لا حدوث سماء و لا أرض، و لا ملك و لا نبى و لا رسول، الحديث. فحقيقه الاختيار بما له من المعنى المتقدم هو الكون عنده تعالى، و هذا مقام لا يدانيه مقام، إذ فيه حقيقه الاختصاص و الاصطناع لنفسه (أى الاستخلاص) و هذه الأمور هى نتيجه الاختيار. و إليه يشير أيضا:

«نحن صنايع ربنا و الخلق بعد صنائع لنا» أى اصطفينا لنفسه و هو معنى الاختيار، و صنع الخلائق لنا، و هو معنى قوله تعالى

فى الحديث القدسى: «خلقتك لأجلى و خلقت الأشياء لأجلك» ، كما لا يخفى، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله علیه السّلام: و حزبه

فی المجمع: الحزب (بالکسر فالسکون) الطائفه و جماعه الناس، قال اللّه تعالی (أُولٰئِکَ حِزْبُ اَللّٰهِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ) (۱). ففی اللوامع النورانیه (للسید البحرانی رحمه اللّه) علی بن إبراهیم: أولئک حزب اللّه یعنی الأئمه علیهم السّلام: أعوان اللّه (أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ) و قال تعالی فی المائده: (وَ مَنْ یَتَوَلَّ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْغٰالِبُونَ) .

ففی تفسیر نور الثقلین (۲)، عن احتجاج الطبرس، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام حدیث طویل و فیه: و الهدایه هی الولایه کما قال اللّه عز و جل: (وَ مَنْ یَتَوَلَّ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْغٰالِبُونَ) الذین آمنوا فی هذا الموضع هم المؤتمنون علی الخلائق من الحجج و الأوصیاء فی عصر بعد عصر. أقول: فقوله تعالی: (فَإِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ) الآیه، خبر لقوله: وَ مَنْ یَتَوَلَّ اَللّٰهَ و قوله: (وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا) و إنما أدخل علیه الفاء لما أشرب فیه معنی الشرط، فالمعنی: هؤلاء المؤمنون (أی المؤتمنون) هم حزب اللّه الغالبون.

و فیه عن کتاب التوحید، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: یجیء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم القیامه آخذا بحجزه ربّه، و نحن آخذون بحجزه نبینا، و شیعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن و شیعتنا حزب اللّه، و حزب اللّه هم الغالبون، و اللّه ما یزعم أنها حجزه الإزار، و لکنها أعظم من ذلک، یجیء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله آخذا بدین اللّه، و نجیء نحن آخذین بدین نبینا، و تجیء شیعتنا آخذین بدیننا.

و عن النبی صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی حزبک حزبی و حزبی حزب اللّه» .

و فی المحکی عن الأمالی، عن علی علیه السّلام قال: نحن النجباء و حزبنا حزب اللّه، و حزب الشیطان الفئه الباغیه.

۱- ۱) المجادله:۲۲.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۵۳۷.

و عن تفسير الواحدى فى قوله تعالى: (فَإِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْغٰالِبُونَ) يعنى شيعه اللّه و رسوله هم الغالبون.

و فى زياره الحجه عليه السّلام:

أشهد أن حزبك هم الغالبون.

فقوله عليه السّلام: و حزبه ، إشاره إلى أنهم الغالبون و هم أحسن مصاديق حزب اللّه. هذا و لكن المهم بيان أن الغلبه كيف صارت لحزب اللّه تعالى فلا بدّ من بيان سرّه فنقول: الظاهر من قوله تعالى: (وَ مَنْ يَتَوَلَّ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ) هو أن من فوض أمره إلى اللّه تعالى، و اعتصم به، و قام بواجب حقه، فلا محاله يكون مؤيدا بنصر اللّه و تأييده، فإن هؤلاء قد تبرّءوا من حولهم و من قوتهم، و التجئوا بحوله تعالى و قوته، فلا محاله تكون لهم الغلبه. ثم إن تولى اللّه و رسوله قد يكون فى أخذ العلم و معالم الدين منهم، و قد يكون فى متابعتهم صفه و عملا و حالا، ففى جميع هذه المراتب إنما تكون الغلبه لمن كان من أهل ولايتهم. و بعباره أخرى: قد علمت من حديث الاحتجاج أن الذين آمنوا فى هذا الموضع هم الأئمه عليهم السّلام و هم عليهم السّلام كما تقدم مرارا حقيقه الأسماء الحسنى الإلهيه، و هم القائمون بقدره اللّه فى عالم الوجود، كما تقدم

قوله صلّى اللّه عليه و آله: و كان نورى محيطا بالعظمه، و نور على محيطا بالقدره» فلا محاله تكون الغلبه للأئمه عليهم السّلام و لمن تولاهم، كما صرّح به صدر الآيه الشريفه و قال تعالى: (كَتَبَ اَللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي) فدلّ هذا على ثبوت الغلبه لرسله كما قال أيضا: (إِنَّ اَللّٰهَ بٰالِغُ أَمْرِهِ) فدلّت هذه الآيات على أن الغلبه كانت فى حزب اللّه الذين هم الأئمه عليهم السّلام. و بعباره أخرى: أنه تعالى لما خلقهم فى أول الإيجاد، و حمّلهم علمه، و جعلهم حقائق أسمائه الحسنى، فلا محاله لا تكون الغلبه لشىء إلاّ لهم عليهم السّلام فإنهم قدره اللّه و يد اللّه و جنب اللّه و حزب اللّه الغالبون، فجميع الخلائق فى قبضتهم، كيف لا و قد خلق اللّه الخلق من فاضل أشعه أنوارهم، و من عكوس تلك الأشعه خلق

أعداءهم؟ ! و قد علمت فيما تقدم أن جميع الإمدادات الإلهيه لجميع الخلائق إنما هى بهم عليهم السّلام فهم يد اللّه، التى فى قبضتها ملكوت كلّ شىء، و كلّ شىء مطيع لهم، كما علمت من

حديث عبد اللّه بن شداد عن الحسين عليه السّلام: و اللّه ما خلق اللّه شيئا إلاّ قد أمره بالطاعه لنا. فإذا كانوا عليهم السّلام كذلك فلا محاله كلّ من تولاّهم كان فى حزبهم الغالب و قد أمرنا بذلك، و إليه يشير ما

فى دعاء الصباح و المساء:

«أصبحت اللهم معتصما بذمامك المنيع، الذى لا يطاول و لا يحاول» إلى قوله: «فى جنه من كل مخوف بلباس سابغه ولاء أهل بيت نبيك محتجبا من كل قاصد لى إلى أذيه بجدار حصين الاعتراف بحقهم موقفنا أن الحق لهم و معهم و فيهم و بهم» الدعاء.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى المحكى عن أنيس السمراء فى دعاء له، إلى أن قال: «لم تكن الدعائم من أطراف الأكناف، و لا من أعمده فساطيط السجاف إلا على كواهل أنوارنا» .

و فيه أيضا من قوله عليه السّلام: «نحن العمل و محبتنا الثواب، و ولايتنا فصل الخطاب، و نحن حجبه الحجاب. .» . و حاصل كلامه عليه السّلام: أن دعامه عالم الوجود و أكنافه من أظلاله و حضائره، و فسطاط أهل العالم و مجامعهم، و أستار العوالم الوجوديه كلها من أكوانها و أعيانها و هياكلها و أحوالها، و أفعالها و أقوالها و أعمالها و حركاتها و سكناتها، و ارتباطات بعضها ببعض و نسبتها، لم تكن تلك كلها إلا على كواهل أنوارنا، و أظهر قوانا النورانيه، فلا يقوم شىء من خلق اللّه إلاّ بقيوميّه أنوارنا، و ذلك لما قاله عليه السّلام من ان الدهر الذى هو عنوان ما سوى اللّه قد قسمت حدوده بأقسامها و فصولها فيهم عليهم السّلام أى هم العالمون بها و بحدودها. و هم القائمون بإدارتها و أخذ منهم لهم عليهم السّلام العهد للقبول منهم، و لا يخفى عليهم شىء من أمرهم، فحينئذ لا أمر منه تعالى لأحد إلاّ لأجلهم، و لا ثواب إلاّ محبتهم التى

فيها جميع نعم اللّه تعالى، إذ بولايتهم يفصل الخطاب عمّن قبل ولايتهم، فما ميّز من الباطل من العذاب، و الدخول فى الأمن الإلهى، كيف و هم حجبه الحجاب فإن النبى صلّى اللّه عليه و آله هو الحجاب الأكبر له تعالى، و هم عليهم السّلام حجبته صلّى اللّه عليه و آله و المقربون إليه صلّى اللّه عليه و آله فهم الحجبه بالنسبه إلى الخلق بينهم و بينه صلّى اللّه عليه و آله. و من المعلوم أنه لا فيض إلّا به صلّى اللّه عليه و آله و لا وسيله بين الخلق و بينه صلّى اللّه عليه و آله إلّا هم عليهم السّلام. فتحصّل ممّا ذكر: أن الغلبه إنما هى لهم عليهم السّلام و لمن تولاهم فى الدنيا و الآخره، و لهذا الكلام مزيد بحث لا يسعه المقام و اللّه العالم، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله عليه السّلام: و عيبه علمه

قال فى المجمع: و العيبه (بالفتح) : مستودع الثياب، أو مستودع أفضل الثياب، و عيبه العلم على الاستعاره. أقول: فالعلم باعتبار على قسمين: -قسم منه مبذول بين الناس و هو ما يرجع إلى أصول دينهم و فروعه ممّا لا بدّ من تعلّمه، و قد بيّنوه عليهم السّلام للناس. -و علم مكنون لا يظهروه إلّا لأهله فهو أفضل العلم و مستودع عندهم فى السّر، إذ هم خزنه علم اللّه و مستودع سرّه.

ففى بصائر الدرجات (1)، بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: نحن ولاه أمر اللّه، و خزنه علم اللّه، و عيبه وحى اللّه، و أهل دين اللّه، و علينا نزل كتاب اللّه، و بنا عبد اللّه، و لولانا ما عرف اللّه، و نحن ورثه بنى اللّه و عترته.

ص: ۶۱

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۶۱.

و فی البحار (۱)، عن کتاب المحتضر للحسین بن سلیمان، رواه من کتاب الخطب لعبد العزیز بن یحیی الجلودی قال: خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: «سلونی قبل أن تفقدونی، فأنا عیبه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سلونی فأنا فقأت عین الفتنه بباطنها و ظاهرها، سلوا من عنده علم البلایا و المنایا و الوصایا و فصل الخطاب، سلونی فأنا یعسوب المؤمنین حقا و ما من فئه تهدی مائه أو تضل مائه إلاّ و قد أتیت بقائدها و سائقها، و الذی نفسی بیده لو طویت لی الوساده فأجلس علیها، لقضیت بین أهل التوراه بتوراتهم، و لأهل الإنجیل بإنجیلهم، و لأهل الزبور بزبورهم، و لأهل الفرقان بفرقانهم» . قال: فقام ابن الکوّا إلی أمیر المؤمنین و هو یخطب بالناس فقال: یا أمیر المؤمنین أخبرنی عن نفسک، فقال: ویلک أ ترید أن أزکّی نفسی، و قد نهی اللّه عن ذلک، مع أنی کنت إذا سألت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أعطانی، و إذ سکّت ابتدأنی، و بین الجوانح منّی علم جمّ، و نحن أهل البیت لا نقاس بالناس. أقول: و مثله کثیر من کلامه علیه السّلام کما لا یخفی علی المتتبع. و یمکن أن یراد من کونهم عیبه علم اللّه ما حاصله: أنهم علیهم السّلام بعد ما أشهدهم اللّه خلق السموات و الأرض و الأشیاء، و حملهم علمه، کما صرحت به الأحادیث الکثیره، فلا محاله یکون لهم علم بالأشیاء بالنسبه إلی جمیع ما سوی اللّه بجمیع شئونها و أقسامها، و أحوالها و أطوارها، و أعراضها و حدودها و مکائیلها کما علمت ذلک من حدیث المفضل السابق ذکره، و هذا العلم لا محاله لا یکون لغیرهم، بل هو أولا و بالذات یکون للّه تعالی. ثم إنه تعالی منحهم ذلک العلم لما جعلهم قواما للحق، و لما فوّض إلیهم أمر الخلق، کما علمت من التفویض المجاز، و سیأتی توضیحه، فهم علیهم السّلام عالمون بالخلق

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۱۵۲.

من حیث وعاء وجودهم فی الزمان و المکان، و لسایر الخصوصیات بهذا العلم، و هو العلم المستودع عندهم منه تعالی، لا یعلمه إلّا هم من تعلیمه تعالی إیاهم، و لا یمکن لغیرهم أن یعلموه و إلّا لکانوا فی رتبتهم مع

أنه علیه السّلام قال: و نحن أهل بیت لا نقاس بالناس، و سیأتی فی شرح

قوله علیه السّلام:

«آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین»

، ما یزید لهذا توضیحا، و الحمد للّه رب العالمین.

قوله علیه السّلام: و حجته

اشاره

فی المجمع: و الحجه (بضم الحاء) الاسم من الاحتجاج، قال تعالی (فَلِلّٰهِ اَلْحُجَّةُ اَلْبٰالِغَةُ) (۱)و قیل: الحجه البرهان و الدلیل. فنقول: لا ریب فی أنهم علیهم السّلام حجج اللّه تعالی علی الخلائق من الملائکه و الأنبیاء و الخلق أجمعین، و الکلام یقع فی أمور ثلاثه:

الأول: فی أنهم لما ذا صاروا حجه اللّه علی الخلق أجمعین؟

الثانی: فی لزوم الحجه علی الخلق من اللّه تعالی و عدمه. الثالث: فی کونهم علیهم السّلام حجج اللّه علی جمیع الخلائق حتی الملائکه و الأنبیاء فی جمیع العوالم من عالم الأرواح، و ما دونه کذا یوم القیمه. أمّا الأول: فنقول: الوجه و السّر فی أنه تعالی جعلهم الحجج علی الخلائق دون غیرهم، هو أنه تعالی خلقهم کاملین فی العلم و المعارف، و حمّلهم علمه، و أعطاهم حکمته، و أتاهم ما لم یؤت أحدا من العالمین.

ففی بصائر الدرجات ما تقدم عن الصادق بروایه عبد الرحمن بن کثیر. و فیه بإسناده عن عبد اللّه بن أبی یعفور، قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: یا بن أبی یعفور إن اللّه تبارک و تعالی واحد متوحد بالوحدانیه متفرد بأمره، فخلق خلقا

۱- ۱) الأنعام:۱۴۹.

ففرّدهم لـذلك الأمر فنحن هم، يا بن أبى يعفور فنحن حجج اللّه فى عباده، و شهداؤه فى خلقه و أمناؤه و خزّانه على علمه، و الداعون إلى سبيله، و القائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه. أقول: و مثله كثير من الأحاديث، فدلّ هذا و نحوه على أنهم إنما صاروا حجج اللّه، لما أفردهم اللّه لأمره، و هم أهل دينه و خزنه علمه، فبهذا الملاك و الواجديه صاروا حجج اللّه على الخلق دون غيرهم، فبهم عرف اللّه و عبد لا بغيرهم كما لا يخفى.

أمّا الثانى: (أعنى لزوم الحجه و الاضطرار إليه)

فلما ذكره الصادق عليه السّلام

ففى الوافى عن الكافى بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال للزنديق الذى سأله: من أين أثبت الأنبياء و الرسل؟ إنا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا و عن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكيما متعاليا، لم يجز أن يشاهده خلقه، و لا يلامسوه فيباشرهم و يباشروه، و يحاجهم و يحاجّوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه و عباده و يدلونهم على مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم و فى تركه فناؤهم. فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه، و المعبرون عنه جلّ و عزّ، و هم الأنبياء و صفوته من خلقه، حكماء مؤدّبون فى الحكمه مبعوثون بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب فى شىء من أحوالهم، مؤيّدون عن الحكيم العليم بالحكمه، ثم ثبت ذلك فى كلّ دهر و زمان مما أتت به الرسل و الأنبياء من الدلائل و البراهين، لكيلا تخلو أرض اللّه من حجه، يكون معه علم يدل على صدق مقالته و جواز عدالته. أقول: و هذا الحديث كاف فى إثبات لزوم الحجه، و مثله كثير من الأخبار و بيان الأعلام، فمن أراد الاطلاع عليها فليراجع المطوّلات مثل الوافى و نحوه.

و فى كمال الدين و تمام النعمه بإسناده عن أبى الحسن الأول (يعنى موسى بن

جعفر علیهم السّلام قال: ما ترک اللّه عز و جل الأرض بغیر إمام قطّ منذ قبض آدم علیه السّلام، یهتدی به إلی اللّه عز و جل، و هو الحجه علی العباد من ترکه ضلّ، و من لزمه نجا حقّا علی اللّه عز و جل.

و فیه بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته و هو یقول: لم تخل الأرض منذ کانت من حجه عالم، یحیی فیها ما یمیتون من الحقّ، ثم تلا هذه الآیه: (یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اَللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْکافِرُونَ) .

و فیه عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: الحجه قبل الخلق مع الخلق و بعد الخلق.

و فیه عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إن الأرض لم تخل إلاّ فیها عالم کیما إن زاد المسلمون شیئا ردّهم إلی الحق و إن نقصوا شیئا تمّمه لهم.

و فیه عن أبی الحسن اللیثی قال: حدثنی جعفر بن محمد عن آبائه علیهم السّلام أن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: إن فی کل خلف من أمتی عدلا من أهل بیتی، ینفی عن هذا الدین تحریف الغالین، و انتحال المبطلین، و تأویل الجاهلین و إن أئمتکم قادتکم إلی اللّه عز و جل، فانظروا بمن تقتدون فی دینکم و صلاتکم. و فی هذه الأحادیث دلاله علی لزوم الحجه منه تعالی للعباد حفظا للدین، و ردّا للمبطلین کما لا یخفی.

أمّا الثالث: (أعنی کونهم علیهم السّلام حجج اللّه علی الکلّ فی جمیع العوالم) .

ففی المحکی عن الاحتجاج، عن الباقر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم الغدیر: إن اللّه قد جعلنا (یعنی نفسه و الأئمه علیهم السّلام حجّه علی المقصرین و المعاندین، و المخالفین و الخائبین، و الآثمین، و الظالمین من جمیع العالمین، الخبر.

و عن کنز الفوائد عن أبی ذر، و فی کتاب سلیم بن قیس عنه أیضا أنه قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: إن علیّا علیه السّلام حجّه اللّه علی خلقه، و لم یزل یحتج بعلی فی کل أمه فیها نبیّ مرسل و أشهدهم معرفته، الخبر.

ص: ۶۵

و تقدم الحديث عن بصائر الدرجات الطويل عن أبی عبد اللّه علیه السّلام و فیه: و أمناء اللّه علی ما أهبط اللّه من علم أو عذر أو نذر، و شهداؤه علی خلقه، و الحجّه البالغه علی من فی الأرض، جری لآخرهم من اللّه مثل الذی أوجب لأولهم، فمن اهتدی بسبیلهم و سلم لأمرهم، فقد استمسک بحبل اللّه المتین و عروه اللّه الوثقی، و لا یصل إلی شیء من ذلک إلاّ بعون اللّه. الحدیث.

و فی البحار عن مشارق الأنوار بإسناده عنا لحسن بن محبوب، عن جابر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام: أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال لعلی علیه السّلام: یا علی أنت الذی احتجّ اللّه بک علی الخلائق أجمعین، حین أقامهم أشباحا فی ابتدائهم، و قال لهم: (أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ) و قال: و محمد نبیکم؟ قالوا: بلی، قال: و علی إمامکم؟ قال: فأبی الخلائق جمیعا عن ولایتک، و الإقرار بفضلک، و عتوا عنها استکبارا إلاّ قلیلا منهم، و هم أصحاب الیمین، و هم أقل القلیل، و إن فی السماء الرابعه ملک یقول فی تسبیحه: سبحان من دلّ هذا الخلق القلیل من هذا العالم الکثیر علی هذا الفضل الجلیل.

و تقدم عن کتاب ریاض الجنان: عن أنس بن مالک قال: بینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله صلی صلوه الفجر. . إلی أن قال صلّی اللّه علیه و آله: یا علی لقد جعلک اللّه حجه بالغه علی العباد إلی یوم القیامه.

و فی کمال الدین و تمام النعمه بإسناده عن الحارث بن نوفل قال: قال علی علیه السّلام لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا رسول اللّه أ منّا الهداه أم من غیرنا؟ قال: بل منّا الهداه (إلی اللّه) إلی یوم القیامه، بنا استنقذهم اللّه عز و جل من ضلاله الشرک، و بنا یستنقذهم من ضلاله الفتنه، و بنا یصبحون إخوانا بعد ضلاله الفتنه، کما بنا أصبحوا إخوانا بعد ضلاله الشرک، و بنا یختم اللّه کما بنا فتح.

و فی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن برید العلجی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۶۳.

عن قول اللّه تبارک و تعالی: (وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰاکُمْ أُمَّهً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَی اَلنّٰاسِ وَ یَکُونَ اَلرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیداً) قال: نحن أمه الوسط، و نحن شهداء اللّه علی خلقه و حجته (و حججه ن ل) فی أرضه.

و فی تفسیر البرهان بإسناده عن سدیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: نحن الحجه البالغه علی من دون السماء و فوق الأرض.

و فی البحار عن الخصال بإسناده عمّن حدثه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: نحن الحجه البالغه علی من دون السماء و فوق الأرض.

و فی البحار عن الخصال بإسناده عمّن حدثه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إن للّه عز و جل اثنی عشر ألف عالم، کلّ عالم منهم أکبر من سبع سموات و سبع أرضین، ما یری عالم منهم أن للّه عز و جل عالما غیرهم، و إنّی الحجه علیهم.

و فیه عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبی سعید قال: قال الحسن بن علی علیه السّلام: إن للّه مدینه بالمشرق و مدینه بالمغرب، علی کلّ واحده سور من حدید، فی کلّ سور سبعون ألف مصراع من ذهب یدخل من کل مصراع سبعون ألف لغه آدمیین، و لیس فیها لغه إلاّ مخالفه للأخری، و ما منها لغه إلاّ و قد علمتها، و لا فیهما و لا بینهما ابن نبیّ غیری و غیر أخی و أنا الحجه علیهم. أقول: و مثله کثیر.

و فیه عن السرائر بإسناده عن سلیمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: ما من شیء و لا من آدمی و لا إنسی، و لا جنی و لا ملک فی السموات إلاّ و نحن الحجج علیهم، و ما خلق اللّه خلقا إلاّ و قد عرض ولایتنا علیه، و احتجّ بنا علیه، فمؤمن بنا و کافر و جاحد حتی السموات و الأرض و الجبال. الآیه. أقول: لعلّ المراد بقوله: الآیه، الآیه التی ذکر فیها أنواع الموجودات من قوله تعالی: (إِنّٰا عَرَضْنَا اَلْأَمٰانَهَ عَلَی اَلسَّمٰاوٰاتِ. .) الآیه.

و فیه، و من کتاب البصائر لسعد بن عبد اللّه بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إنّ

اللّه عز و جل خلق جبلا محيطا بالدنيا من زبرجده خضراء، و إنما خضره السماء من خضره ذلك الجبل، و خلق خلفه خلقا لم يفترض عليهم شيئا ممّا افترضه على خلقه من صلوه و زكوه و كل يلعن رجلين من هذه الأمه و سمّاهما. فتحصّل ممّا ذكرنا من الأحاديث: أنهم الحجج للّه تعالى بتمام ملاك الحجيه على جميع الخلائق فى جميع العوالم: من عالم الأرواح و الذّر و الدنيا و الآخره و غيرها، هذا مع أن العقل يحكم بأنه لا بدّ من كونهم حجج اللّه تعالى على الخلق هكذا، و ذلك بعد ما ثبت أنهم عليهم السّلام معصومون عن الخطإ و الجهل و النسيان و الغفله، و الخيانه و الطمع، و جميع ما ينافى الركون إليهم فى أفعالهم و أحوالهم، و أعمالهم و أقوالهم، و حركاتهم و سكناتهم من بدو خلقهم إلى ختمه فى جميع عوالمهم. بل و ثبت أيضا أنهم فى منتهى مرحله الكمال من العلم و المعارف الإلهيه، و الحلم و الحكم، و الكرم و الشجاعه، و الزهد و العباده، و الورع و اليقين، و التقوى و الصدق و العفّه، و ساير الصفات الحميده المرغوب فيها، فلا محاله كانوا لمكان تلك الأمور حجج اللّه تعالى على الخلق أجمعين، إذ الحجه إما يعتمد عليها فى مقام الأمور و النهى و بيان المعارف، فهم عليهم السّلام لمّا كانوا واردين لحقائق المعارف، و عارفين بحقائق الأوامر و النواهى الإلهيه، فلا محاله إذا أمروا بشىء أو نهوا عنه أو بينوه كان حقّا، و لا بدّ من أخذه و متابعته و المشى عليه عقلا و شرعا، و لا نعنى بالحجه إلاّ هذا. و إمّا يعتمد عليها فى مقام الاقتداء بهم من حيث الكمالات و الحالات المعنويه، فيقتدى بها فى مقام السير و السلوك إلى اللّه تعالى فلا ريب فى أنهم عليهم السّلام أحسن مصاديق الكمالات و الحالات و المعارف كما دلّت عليه أخبار كثيره، فهم عليهم السّلام الصديقون فى جميع شئونهم و حالاتهم، دلّ عليه ذلك أنهم أهل طاعه للّه تعالى فى جميع أنحاء العباده و الطاعه، و لم يصدر منهم خلاف ما يقتضى العبوديه فى جميع الحالات أبدا. و إليه يشير ما

فى بصائر الدرجات بإسناده عن أحمد بن محمد قال: سألت الرضا عليه السّلام عن قول اللّه تعالى: ﴿يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ كُونُوا مَعَ

اَلصّٰادِقِينَ) ، قال: الصادقون الأئمه الصديقون بطاعتهم.

فقوله عليه السّلام: بطاعته، يشير إلى أنه إنّما يستدل على أنهم صديقون بسبب طاعتهم له تعالى، إذ الطاعه تدل على أنهم فى كلّ ما يعتقدون، أو يتصفون، أو يقولون من الوظائف الإلهيه صادقون بسبب طاعتهم له تعالى، فيما تقتضيه عبوديتهم له تعالى بالنسبه إلى العقائد و الصفات و الوظائف، و لأجل كونهم عليهم السّلام واجدين لحقائق المعارف المستدل عليها بطاعتهم له تعالى كانوا شهداء على الخلق يوم القيامه، كما تقدم مفصّلا فلكونهم حجج اللّه تعالى صاروا شهداء على الخلق، و اللّه تعالى يحتج بهم، و يستشهد بهم على خلقه فى مقام إعطاء الثواب أو إجراء العقاب. فكلّ أحد فى مقام التعلم أو المتابعه فى السلوك يقتدى بهم عليهم السّلام، لكونهم حجج اللّه تعالى فى هذه الأمور، هذا مع أنه لم ير أحد من المتابعين لهم، بل و من المخالفين لهم ما ينافى كونهم حجج اللّه تعالى بل أقرّ الجميع من المؤالف و المخالف على فضلهم عليهم السّلام كما سيجىء توضيحه

فى قوله عليه السّلام:

فبلغ اللّه بكم أشرف محل المكرمين

، هذا مضافا إلى أن الخلق بجميع أنحائهم من الملائكه و الأنبياء و الأولياء، بل و الحيوانات، بل و الجمادات لا يرى ما يميل إليه نفسه و يهواه، و يحبه و يشتهيه بفطرته إلاّ و قد رآه موجودا فيهم عليهم السّلام. فهم (أى الخلق أجمعون) يميلون إليهم عليهم السّلام و يحيونهم عليهم السّلام و يعظمونهم، و يرونهم حجه له تعالى فى المقام الأعلى بفطرتهم، و إليه يشير ما فى الاستئذان الذى ذكر للدخول إلى البقاع المشرفه للأئمه عليهم السّلام للزياره من

قوله عليه السّلام:

«ثم مننت عليهم باستنابه أنبيائک، لحفظ شرايعک و أحكامک، فأكملت باستخلافهم رساله المنذرين، كما أوجبت رياستهم فى طر المكلفين. . إلخ» . فالجمله الأخيره دالّه على ما قلنا، فثبت أن كونهم عليهم السّلام حجج اللّه تعالى ثابته بالنقل الإلهى و الشرعى، و بالعقل و الفطره، و قد أوضحت ذلک الأحاديث الوارده فى هذا الباب و فيما ذكرناه كفايه، هذا مضافا إلى أنه تعالى قد أيّدهم عليهم السّلام و أيّد كونهم

ص :69

حججه بأن جعل الآيات و البينات و المعجزات الظاهرات الباهرات صادره عنهم و بأيديهم و بسببهم دون غيرهم، كلّ ذلك تشييدا له تعالى، لكونهم عليهم السّلام حججا له و تثبيتا لقرب عباده فى الركون إليهم عليهم السّلام و متابعتهم، و الاعتقاد بكونهم حججه، فأظهر فيهم لخلقه آيات الآفاقى و الأنفسى فأراها لهم بهم. و تقدم

قوله عليه السّلام: «أىّ آيه أعظم منا أراها أهل الآفاق» فراجع، فهم الحجج و الآيات الإلهيه بوجودهم، و بما صدر منهم من تلك الأمور الخارقه للعادات و المعجزات الباهره، إلاّ أن الناس قد جحدوها لكفرهم قال اللّه تعالى: (وَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يَجْحَدُونَ) ، فروى عن المفضل بن عمر، عن الصادق عليه السّلام فى هذه الآيه

قال عليه السّلام: «و هى و اللّه آياتنا» . أقول: أى التى جحدوها هى آياتهم من أنفسهم المقدسه، و ما صدر منهم من تلك الآيات و المعجزات الباهرات، رزقنا اللّه تعالى متابعتهم، و اليقين بهم و بولايتهم بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: و صراطه

اشاره

الصراط فى اللغه هو الطريق، و الصراط هو الجادّه، لأنه يسترط السابله، أى يبتلع أبناء السبيل المختلفين، و قيل: لأنهم يسترطون الطريق. و أمّا بيان كونهم عليهم السّلام صراطه تعالى، فهذا يتوقف على بيان الأحاديث الوارده فى تلو الآيات المتضمنه لبيان الصراط ثمّ نعقبه بالتوضيح، فنقول:

ففى تفسير نور الثقلين (1)، عن المجمع: . . و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إن اللّه تعالى منّ علىّ بفاتحه الكتاب. . إلى قوله: (اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ) صراط الأنبياء، و هم الذين أنعم اللّه عليهم.

و فيه فى تفسير على بن إبراهيم فى الموثق، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام:

(اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ

۱- ۱) نور الثقلين ج ۱ ص ۱۷.

اَلْمُسْتَقِيمَ) قال: الطرق و معرفه الإمام.

و بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: و اللّه نحن الصراط المستقیم.

و فی معانی الأخبار بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: (اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِیمَ) قال: هو أمیر المؤمنین و معرفته، و الدلیل علی أنه أمیر المؤمنین قول اللّه عز و جل (وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ اَلْکِتٰابِ لَدَیْنٰا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ) و هو أمیر المؤمنین علیه السّلام فی أم الکتاب فی قوله: (اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِیمَ) .

و بإسناده إلی المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن الصراط فقال: هو الطریق إلی معرفه اللّه عز و جل، و هما صراطان: صراط فی الدنیا، و صراط فی الآخره: فأمّا الصراط فی الدنیا: فهو الإمام المفترض الطاعه، من عرفه فی الدنیا و اقتدی بهداه مرّ علی الصراط، الذی هو جسر جهنم فی الآخره، و من لم یعرفه فی الدنیا زلّت قدمه عن الصراط فی الآخره، فتردی فی نار جهنم.

و فی معانی الأخبار بإسناده إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: الصراط المستقیم أمیر المؤمنین علیه السّلام.

و فیه بإسناده عن سید العابدین علی بن الحسین علیه السّلام قال: نحن أبواب اللّه، و نحن الصراط المستقیم.

و فیه عن أصول الکافی بإسناده إلی أبی جعفر علیه السّلام قال: أوحی اللّه إلی نبیه صلّی اللّه علیه و آله (فَاسْتَمْسِکْ بِالَّذِی أُوحِیَ إِلَیْکَ إِنَّکَ عَلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ) ، قال: إنک علی ولایه علیّ و علیّ علیه السّلام هو الصراط المستقیم.

و فیه عن کتاب کمال الدین للّه تمام النعمه بإسناده إلی خثیمه الجعفی، عن أبی جعفر علیه السّلام حدیث طویل، و فیه یقول علیه السّلام: و نحن الطریق الواضح، و الصراط المستقیم إلی اللّه عز و جل، و نحن نعمه اللّه علی خلقه.

و فیه فی تفسیر العیاشی، عن عبد اللّه بن سلیمان قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام

قوله: (قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً) ، قال: البرهان محمد صلّى اللّه عليه و آله و النور على عليه السّلام: قلت له: صراطا مستقيما، قال: الصراط المستقيم على عليه السّلام.

و فيه (۱)، عن بريد العلجى عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

(وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا اَلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) قال: تدرى ما يعنى بصراطى مستقيما؟ قلت: لا، قال: ولايه على و الأوصياء، قال: أ تدرى ما يعنى فاتبعوه؟ قال: يعنى على بن أبى طالب عليه السّلام، قال: أ و تدرى ما يعنى و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله؟ قلت: لا، قال: ولايه فلان و فلان و اللّه، قال: أ و تدرى ما يعنى فتفرق بكم عن سبيله؟ قلت: لا، قال: يعنى سبيل على عليه السّلام.

فيه عن سعد، عن أبى جعفر عليه السّلام:

(وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ) قال آل محمد عليهم السّلام الصراط الذى دلّ عليه.

و فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عن قول اللّه تبارك و تعالى: (وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ) قال: هو و اللّه على، هو و اللّه الميزان و الصراط.

و فيه عن تفسير على بن إبراهيم، عن أبى جعفر عليه السّلام فى الآيه قال عليه السّلام: نحن السبيل، فمن أبى فهذه السبل (فقد كفر، ن خ) . أقول:

قوله عليه السّلام: فمن أبى فهذه السبل ، أى من أبى أن نكون نحن السبل، فهذه السبل المتفرقه ترونها: إنّها لا تهدى إلى الحق بخلاف سبلنا، فإنها تهدى إليه، و لذا ذكر فى بعض النسخ فقد كفر بعد قوله: فهذه السبل.

و فيه عن الاحتجاج، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله فى خطبه الغدير. . إلى أن قال صلّى اللّه عليه و آله: معاشر الناس أنا صراطه المستقيم، الذى أمركم باتباعه، ثم على من بعدى ثمّ من ولدى من صلبه أئمه يهدون بالحق و به يعدلون.

۱- ۱) معانى الأخبار ج ۱ ص ۶۴۴.

و فیه (۱)فی تفسیر علی بن إبراهیم: و أمّا قوله: (قُلْ کُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا (أی انتظروا أمراً) فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ اَلصِّراطِ اَلسَّوِیِّ وَ مَنِ اِهْتَدیٰ) فانه حدثنی أبی، عن الحسن بن محبوب، عن علی بن رئاب، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال: و اللّه نحن السبیل الذی أمرکم اللّه باتباعه، و نحن و اللّه الصراط المستقیم، و نحن و اللّه الذین أمر اللّه بإطاعتهم، فمن شاء فلیأخذ هنا، و من شاء فلیأخذ هنا، لا تجدون و اللّه عنا محیصا. أقول: و فی هذا الحدیث شرح لقوله علیه السّلام فی الحدیث السابق: فمن أبی فهذه السبل، کما لوحنا إلیه.

و فیه (۲)، و فی روایه أبی الجارود، عن أبی جعفر علیه السّلام: . . إلی أن قال: و قوله: (وَ إِنَّکَ لَتَدْعُوهُمْ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ) ، قال: إلی ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام.

و فیه عن أمالی الشیخ رحمه اللّه عن النبی صلّی اللّه علیه و آله یقول لعلی علیه السّلام: من أحبّک لدینک، و أخذ بسبیلک، فهو ممن هدی إلی صراط مستقیم، و من رغب عن هواک و أبغضک و انجلاک، لقی اللّه یوم القیامه لا خلاق له.

و فیه، فی تفسیر علی بن إبراهیم قال:

(وَ إِنَّ اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاکِبُونَ) قال: عن الإمام لحادون.

و فی اللوامع النورانیه (۳)للسید البحرانی (رضوان اللّه علیه) بإسناده عن المفضل بن عمر قال: حدثنی ثابت الثمالی، عن سید العابدین علی بن الحسین (صلی اللّه علیهما) قال: لیس بین اللّه و بین حجته حجاب، و لا للّه دون حجته ستر، نحن أبواب اللّه، و نحن الصراط المستقیم، و نحن عیبه علمه، و نحن تراجمه وحیه، و نحن أرکان توحیده، و نحن موضع سرّه.

۱- ۱) معانی الأخبار ج ۳ ص ۴۱۱.

۲- ۲) معانی الأخبار ج ۳ ص ۵۴۸.

۳- ۳) اللوامع النورانیه ص ۸.

و فی مقدمه تفسیر البرهان (۱)، و فی تفسیر القمی و غیره عن الثمالی عن الباقر علیه السّلام قال: فی قوله تعالی: (صِرٰاطِ اَللّٰهِ) یعنی علیّا، و قال الباقر علیه السّلام: معنی علی علیه السّلام صراط اللّه أنه الصراط إلی اللّه، کما یقال: فلان باب السلطان إذا کان یوصل به إلیه، ثم إن الصراط هو الذی علیه علی علیه السّلام.

و فیه و فی تفسیر فرات عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: (عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاکِبُونَ) قال: عن ولایه علی علیه السّلام،

و رواه فی کشف الغمه عن علی علیه السّلام قال: ناکبون عن ولایتنا.

و فی کنز الفوائد عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحٰابُ اَلصِّرٰاطِ اَلسَّوِیِّ وَ مَنِ اِهْتَدیٰ) ، قال: الصراط السویّ القائم (عج) و اهتدی من اهتدی إلی طاعته.

و عن الباقر علیه السّلام أنه قال: أصحاب الصراط السوی علی علیه السّلام.

و عن ابن عباس أنه قال: و اللّه هو محمد و أهل بیته.

و فی البحار عن تفسیر القمی:

(إِنَّ اَللّٰهَ لَهٰادِ اَلَّذِینَ آمَنُوا إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ) یعنی إلی الإمام المستقیم.

و فیه، عنه:

(إِلیٰ صِرٰاطِ اَلْعَزِیزِ اَلْحَمِیدِ) ، الصراط الطریق الواضح و إمامه الأئمه علیهم السّلام. هذا شطر من الأحادیث الوارده فی هذا الباب، و من أراد المزید فعلیه بالبحار باب ۱۶ فی أنهم السبیل و الصراط و المیزان ج ۳۵، و باب أنهم السبیل و الصراط ج ۲۴، و باب الصراط من کتاب المعاد ج ۸.

ثم إنه لا بدّ من تقدیم أمور لتوضیح کونهم علیهم السّلام صراط اللّه،

الأمر الأول: لا ریب فی أن للصراط معنی ظاهریا و حقیقه معنویه.

أما الأول: فهو قسمان: قسم فی الدنیا و قسم فی الآخره.

اشاره

۱- ۱) تفسیر البرهان ص ۲۱۲.

و الذی فی الدنیا: فله مصادیق.

اشاره

توضیحه: أنه قد تحقق فی محله أن الألفاظ موضوعه للمعانی العامه، فکلّ لفظ موضوع لمعنی عام، و له مصادیق مختلفه بحسب الخصوصیه و النوعیه و الفردیه، و متحده بحسب ذلک المعنی العام الموضوع للمعنی الجامع المشترک بین تلک الأفراد المختلفه: فمنها: لفظ الصراط فهو کما علمت ما به استراط الطریق، و ما به طیّ الطریق بنحو یوصل السابله إلی المقصد، فهذا المعنی له مصادیق: بعضها فی الآخره و بعضها فی الدنیا: أمّا الدنیوی فمنها: الطریق الذی یسلکه الإنسان للوصول إلی مکان خاص، فالصراط حینئذ هو ما استعمل فی المعنی الخارجی. و منها: ما یستعمل فی طریق تحصیل الغنی، فیقال: التجاره هو الطریق، و الصراط لتحصیل الغنی، أو فی طریق تحصیل الصحه، فیقال شرب الدواء طریق تحصیل الصحه. و کیف کان فجمیع هذه المصادیق مصادیق للصراط، فکما أن الإنسان لا یصل إلی المکان الذی قصده، إلّا بطیّ طریقه و مسافته، کذلک لا یصل إلی تلک المقاصد إلّا بطیّ تلک الوسائل و المقدمات. إذا علمت هذا فنقول: لا شکّ فی أن الوصول إلی نعیم البرزخ و الجنه و الآخره بأقسامها و أنواعها متوقفه علی معارف و أخلاق و أعمال هی الموصله إلیها، و یعبر عن مجموعها بالدین و الشریعه، و حینئذ فصراط نعیم الآخره و صراط الذی أنعم اللّه علیهم هو الدین و العباده أعنی المشی علیه قال تعالی: (وَ أَنِ اُعْبُدُونِی هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِیمٌ) .

بقی هنا أمران:

الأول:

أن الصراط الذی فسّرناه بالطریق بما له من المعنی العام، ربما یقال

بـالفرق بينه و بين الطريق، بـأن الطريق هو مطلق طيّ المسـافه بـذلك المعنى العـام، و هـذا بخلاـف الصـراط، فإنه يتبادر منه طيّ مسافه على نحو الاسـتعلاء على شـيء و التحفظ من شـيء كالجسـر و القنطره، حيث إن وضع الصـراط المفسـر بالجسر و القنطره مثالا، إنما هو للمشـى على شيء يوجب الحفظ من الوقوع فى خطر التلف أو الغرق أو الحق مثلا، فبينهما عموم و خصوص مطلق فالصـراط أخص من الطريق، كما يسـتفاد ذلك من موارد اسـتعمال الصـراط، و هذه الخصوصـيه التى ذكرناها فى معنى الصراط تعتبر فى مفهومه، و مع ذلك هو (أى الصراط) من أحد مصاديق معنى الطريق بما له من المعنى العام كما لا يخفى.

الثانى: أن الصراط قد يتصف بالاستقامه

كقوله تعـالى: (هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ) و نحوه، فربما يقال: بان التوصـيف للاحتراز، فهناك صـراط معوّج، و قـد يعبر عنه بالسـبل المتفرقه، فإن الصـراط إذا أعوج صار تلك السـبل المتفرقه كما أشير إليه فى الآيه السابقه مع تفسيرها فحينئذ نقول: الصراط على قسمين: مستقيم: و هو بالنسبه إلى السير المكانى السير الذى يكون فى أقصر الخطوط المتصوره بين ابتداء السير و المقصد. و غير مسـتقيم: و هو مـا كـانت خطوطه معوجه تكون أطول من ذلـك الخط المسـتقيم. هـذا فى الصـراط المكانى، و أمّا فيما نحن فيه فنقول: فالصـراط المعنوى الذى هو الدين، قد يتصف بالاسـتقامه إمّا باعتبار التوسط و ترك الإفراط و التفريط فيه، كما يشير إليه ما

فى البحار عن تفسـير العسـكرى عليه السّـلام: الصـراط المسـتقيم صـراطان: صـراط فى الـدنيا و صـراط فى الآخره: فأمّا الصـراط المستقيم فى الدنيا: فهو ما قصر من الغلوّ، و ارتفع عن التقصير، و استقام فلم يعدل إلى شىء من الباطل. و أمّا الصراط فى الآخره: فهو طريق المؤمنين إلى الجنه، الذى هو مستقيم لا

یعدلون عن الجنه إلی النار، و لا إلی غیر النار سوی الجنه. و أمّا باعتبار کون سلوکه کسلوک الطریق المستقیم فی سرعه الوصول إلی المقصود و قربه، ضروره أن المشی فی الصراط المستقیم أسرع وصولا من المشی فی الصراط و الطریق المعوج، أمّا فی الدنیا فنری أن المتابع لهم علیهم السّلام فی الدین و العلم و المعارف یکون أسرع وصلا إلی الحق.

ففی البحار (1)، عن بصائر الدرجات، بإسناده عن مقرن قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: جاء ابن الکوّاء إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: یا أمیر المؤمنین (وَ عَلَی اَلْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ یَعْرِفُونَ کُلاًّ بِسِیمٰاهُمْ) فقال: نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسیماهم، و نحن الأعراف الذین لا یعرف اللّه عز و جل إلاّ بسبیل معرفتنا، و نحن الأعراف یعرفنا اللّه عز و جل یوم القیامه علی الصراط، فلا یدخل الجنه إلاّ من عرفنا و نحن عرفناه، و لا یدخل النار إلاّ من أنکرنا و أنکرناه. إن اللّه لو شاء لعرف العباد نفسه، و لکن جعلنا أبوابه و صراطه و سبیله و الوجه الذی یؤتی عنه. فمن عدل عن ولایتنا، أو فضّل علینا غیرنا فإنهم عن الصراط لناکبون، و لا سواء من اعتصم بما اعتصم الناس به، و لا سواء من ذهب حیث ذهب الناس، ذهب الناس إلی عیون کدره یفرغ بعضها من بعض، و ذهب من ذهب إلینا إلی عین صافیه تجری بأمور (تجری بأمر ربّها، کذا فی مختصر البصائر) لا نفاد لها و لا انقطاع.

و تقدم ما روی عن الصادق علیه السّلام أنه قال لحکم بن عیینه، و سلمه بن کهیل: «شرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحیحا إلاّ شیئا خرج من عندنا» .

فقوله علیه السّلام: «و ذهب من ذهب إلینا إلی عین صافیه» ، هو حقیقه سرعه الوصول إلی الحق الذی لا نفاد له و لا انقطاع، بخلاف من ذهب إلی غیرهم، فإنه ذهب إلی عیون کدره، من غیرهم لا وضوح لها و لا حق فیها، و کذا

قوله علیه السّلام: «فلا تجدان علما

1- 1) البحار ج 24 ص 253.

صحيحا إلاّـ شيئا خرج من عنـدنا» فـإن العلم إذا كان صـحيحا (أى مطابقا للواقع) و مأخوذا عن منطق الوحى، فلا محاله يوصـل المتعلم به من هذا العالم له إلى الواقع سريعا، و إلى مرضاته تعالى سريعا، و هذا بخلاف المأخوذ من غيرهم فإنه ربما يسلكه إلى وادى الهلاـكه و الضـلاله أو الحيران، كمـا ترى من المخـالفين و من ذهب إلى عيون الكـدره. هـذا فى الـدنيا و أمّا السـرعه إلى النعيم فى الآخره،

ففيه عن مناقب ابن شهرآشوب، تفسير مقاتل، عن عطاء، عن ابن عباس:

(يَوْمَ لاٰ يُخْزِى اَللّٰهُ اَلنَّبِيَّ) لا يعـذب اللّه محمـدا و الذين آمنوا معه، و لا يعذب على بن أبى طالب و فاطمه و الحسن و الحسين و حمزه و جعفرا (نُورُهُمْ يَسْـعىٰ) يضىء على الصراط لعلى و فاطمه مثل الدنيا سبعين مره فيسعى نورهم (بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) و يسعى عن إيمانهم، و هم يتبعونها (يتبعونهما) فيمضـى أهل بيت محمد و آله زمره على الصـراط مثل البرق الخاطف، ثم قوم مثل الريح، ثم قوم مثل عـدو الفرس، ثم يمضـى قوم مثل المشـى، ثم قوم مثل الحبو، ثم قوم مثل الزحف. و يجعله اللّه على المؤمنين عريضا، و على المـذنبين دقيقا، قال اللّه تعالى: (يَقُولُونَ رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا) حتى يجتاز به على الصـراط قال: فيجوز أمير المؤمنين فى هودج من الزمرّد الأخضر، و معه فاطمه على نجيب من الياقوت الأحمر حولها سبعون ألف حوراء كالبرق اللامع، الحديث.

فقوله: ثم قوم مثل الريح. . إلخ، يشير إلى سرعه السير إلى الوصول إلى النعيم يوم القيامه على الصراط، و هذا من أثر سرعه السير إلى الحق من متابعتهم عليهم السّلام فى الدنيا كما لا يخفى.

ثم إنه يقابل الصراط المستقيم قسمان من الصراط:

أحدهما: غير المستقيم

و هو الطريق الذى لم يتمحض للقرب إلى المقصد، بل هو بين تقريب و تبعيد نظير الطريق المكانى، الذى هو مشتمل على توجه نحو المقصود

و انحراف عنه، فكأنه مركب من المستقيم و غيره، و بقدر ما فيه من المستقيم يوصل إلى المقصود، و بقدر ما فيه من الانحراف يبعده عنه، و يؤخر الوصول إلى المقصد، فسالك طريق العبوديه و الطاعه المحضه هو السالك للصراط المستقيم الذى تقدم بيانه. و الآخرون (أى السالك لغير المستقيم) هم الذين خلطوا بينه و بين غيره، فسلوكهم مشتمل على الاستقامه و الانحراف، فبقدر ما فيه من الطريق المستقيم يقربون إلى المقصود، فإن كان طريقهم المستقيم غالبا على ما فيه الانحراف أدّاهم لا محاله و لو بعد بطء إلى المطلوب، و إلاّ فهم إمّا هالكون و إما مرجون لأمر اللّه إمّا يعذبهم أو يتوب عليهم.

و ثانيهما: الطريق الذى لا استقامه فيه،

بل هو انحراف محض كطريق الكفار و المخالفين كما

قال عليه السّلام: و تدرى ما يعنى فتفرق بكم عن سبيله؟ قلت: لا، قال ولايه فلان و فلان، و كما قال تعالى: (غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ اَلضّالِّينَ) .

ففى المحكى عن تفسير العسكرى عليه السّلام عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث فى ذيله قال فى اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ : هم اليهود الذين قال اللّه فيهم: (مَنْ لَعَنَهُ اَللّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ) و فى اَلضّالِّينَ قال: هم النصارى الذين قال اللّه فيهم: (قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً) . و فى ذيله على ما فى تفسير الإمام عليه السّلام ثم قال أمير المؤمنين عليه السّلام: كل من كفر باللّه فهو مغضوب عليه و ضالّ عن سبيل اللّه.

و عن معانى الأخبار، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله:

(اَلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) شيعه على عليه السّلام يعنى أنعمت عليهم بولايه على بن أبى طالب عليه السّلام لم تغضب عليهم و لم يضلّوا.

و عن الكافى فى الصحيح عن معاويه بن وهب قال: لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أقول: آمين إذا قال الإمام (غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ اَلضّالِّينَ) قال: هم اليهود و النصارى و لم يجب فى هذا.

و نقل عن القمی أنه روی بسند معتبر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قرأ اهدنا الصراط المستقیم صراط الذین أنعمت علیهم غیر المغضوب علیهم و غیر الضالین قال: اَلْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ النصاب و اَلضّالِّینَ الشکاک الذین لا یعرفون الإمام علیه السّلام. و مثل هذه أخبار کثیره فی مطاوی الأحادیث فی الأبواب المتفرقه. و کیف کان فالصراط المعوج هو صراط الکفار و المغضوب علیهم و الضالین، و الظاهر أنه یدخل فیهم الجاحد للحق و المعاند له عن علم و تعمد بلا تدارک بالتوبه، و المقصر الذی تهیّئ له أسباب الهدایه و الرشاد، و لکنه أعرض عنها و عاند و أصرّ علی خلافه، فهؤلاء کلّهم داخلون فی المغضوب علیهم، کما أن المرید للحق و الطاعه و لکن اعتل فی تحصیل الحق و مصادیقه إلی أن أخطأ و اعتقد خلافه، أو بقی حیران کما یری من کثیر من أهل الخلاف و المتصوفه و الفلاسفه، الذین أخذوا دینهم منها، فهؤلاء داخلون فی الضالین عن الطریق المستقیم، فإن الضال لیس من یرید الباطل أولا بل الضال من یرید الحق، و لکنه أخطأ بتقصیره عن الجد فی التفحص و الانقیاد للحق. و بعباره أخری: المتوجه إلی الصراط المستقیم إذا عرض له تقصیر ما فی طلب الهدایه، و أخطأ عنه بسبب عدم بذل الجهد بکماله فی تحصیل المقصود، فهو ضال عن الحق و مدبر عنه، و قد زلّ عن الحق لاستکباره أو عناده أو لعصبیته. و الحاصل: أنه قد یتوجه الإنسان إلی الحق، و لکن لمکان اتصافه بتلک الصفات الخبیثه من الاستکبار و العناد و العصبیه ربما یخطئ و یختار الباطل، أو یتحیر فهو من الضالین کما تومئ إلیه الأحادیث الکثیره من

قولهم علیهم السّلام: «أصول الکفر ثلاثه» .

ففی الخصال (۱)، باسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «أصول الکفر ثلاثه: الحرص و الاستکبار و الحسد» .

۱- ۱) الخصال ص ۷۸.

فأما الحرص فآدم حين نهى عن الشجره حمله الحرص على أن يأكل منها، و أمّا الاستكبار فإبليس حين أمر بالسجود فأبى. و أمّا الحسد فابنا آدم حين قتل أحدهما صاحبه حسدا. فالمستفاد منه أن هذه الصفات لها استعداد للوصول إلى الكفر، و إن كان ربما تداركه التوفيق و العنايه الإلهيه فخلص من الكفر كما فى آدم عليه السّلام و لكون الحرص سببا لأكل آدم عليه السّلام من تلك الشجره بحيث يوجب المعصيه كلام طويل مذكور فى محله، فانه قد حقق أنّ الأنبياء معصومون، فلصدر هذا الحديث معنى لا ينافى عصمه الأنبياء مذكور فى محله. و كيف كان يقابل الصراط المستقيم هذا القسم من الصراط المعوج الموصل إلى النار، و هو صراط الكفار و المغضوب عليهم و الضالين و الشكاك و ما علمت ذكرهم، هذا كله فى معنى الصراط فى الدنيا بما له من المعنى الظاهرى.

و أمّا الصراط فى الآخره بمعناه الظاهر

فهو كما فى الأحاديث قال اللّه تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصٰادِ) .

ففى البحار (1)، و روى عن الصادق عليه السّلام أنه قال: «المرصاد قنطره على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمه» .

و فيه عن أمالى الصدوق بإسناده عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام قال: الناس يمرون على الصراط طبقات، و الصراط أدقّ من الشعر و من حدّ السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، و منهم من يمرّ مثل عدو الفرس، و منهم من يمرّ حبوا، و منهم من يمرّ مشيا و منهم من يمرّ متعلقا قد تأخذ النار منه شيئا و تترك شيئا، و تقدم

قول الصادق عليه السّلام: «مرّ على الصراط الذى هو جسر جهنم فى الآخره» .

و فيه عن معانى الأخبار، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا على إذا

١- ١) البحار ج ٨ ص ۶۴.

كان يوم القيامه أقعد أنا و أنت، جبرئيل على الصراط، فلم يجز أحد إلّا من كان معه كتاب فيه براه بولايتك. و تقدم حديث ابن عباس.

و فيه عن الكافى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال أبو ذر (رضوان اللّه عليه) : سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «حافتا الصراط يوم القيامه الرحم و الأمانه، فإذا مرّ الوصول للرحم المؤدى للأمانه نفذ إلى الجنه و إذا مرّ الخائن للأمانه القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل و تكفّأ به الصراط فى النار» .

و فيه عن النهج: و اعلموا أن مجازكم على الصراط، و مزالق دحضه، و أهاويل زلله و تارات أ هواله (۱).

و فيه عن كتاب فضائل الشيعه للصدوق رحمه اللّه بإسناده عن السكونى، عن الصادق عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أثبتكم قدما على الصراط أشدكم حبّا لأهل بيتى. و تقدم أيضا ما عن تفسير الإمام عليه السّلام من معنى الصراط فى الدنيا و الآخره. أقول: لا بدّ من تحقيق الكلام فى هذه الأحاديث، فنقول: قد دلّت هذه الأحاديث على أنه فى يوم القيامه يوضع جسر على متن جهنم، لا بدّ فى الوصول إلى الجنه من المرور عليها، فإن المستفاد من الآيات و الأخبار ان النار بما هى عذاب تحيط بأهل المحشر، فالوسيله التى تكون بها النجاه منها هو المعبّر عنه الجسر الموضوع على متن تلك النار، و أما كيفيه حقيقتها فمعنى يبعد عن الأذهان معرفتها، و لا طريق إليه إلّا بما يستفاد من الألفاظ المعبّر بها عنه من

قولهم عليهم السّلام: «إنه جسر أو قنطره» و هو يقتضى أن يكون كذلك نظرا إلى أن المعاد جسمانى كما هى العقيده و قد حقق فى محله، فلا محاله يكون ساير مشتملاته أيضا جسمانيا كما لا يخفى. و الاعتبار الصحيح يقتضى أن يكون سلوك ذلك الصراط الأخروى مطابقا

۱- ۱) نهج البلاغه الخطبه ۸۳ ص ۱۱۱.

لسوک الصراط المتقدم فی دار الدنیا، فهو یمرّ غدا علی ذلک الصراط علی نحو ما کان یسلکه فی الدنیا. نعم ربما یکون سلوکه فی الآخره علیه أحسن و أسرع مما سلکه فی الدنیا، و ذلک لتدارک حاله الرحمه الخاصه الإلهیه، ثم إنه قد علمت التعبیر عنه

فیما رواه الصدوق عن الصادق علیه السّلام بأنه أدق من الشعر و من حدّ السیف (و أحد من السیف) . و هذا التعبیر یشار به إلی أمرین، أحدهما: یکون فی الدنیا، و ثانیهما فی الآخره. أمّا الأولی: أنه تقدمت أحادیث کثیره جدّا دلّت علی أن أمرهم علیهم السّلام صعب مستصعب، و أنه سرّ مستسر، و أنه لا یحتمله أحد بکنهه إلاّ من شاءوا، أو هم علیهم السّلام فقط و معلوم أن هذه التعابیر تدل علی غموض أمر الولایه بما هی مظهر للتوحید، و باطن للرساله کما تقدم، فقلّ من یحتملها بحقیقتها، کیف لا و هی الأمانه التی عرضت علی السموات و الأرض فأبین أن یحملنها و أشفقن منها؟ ! و تقدم أن الولایه الثابته لهم التی هی ولایه اللّه قد تضمنت معنی التوحید و المعرفه الإلهیه، و لا ریب فی أن شأن التوحید و معرفته تعالی یکون بمثابه من الدقه إلی حدّ لا یوصف، کیف لا و لا یمکن المعرفه بالکنه لأحد حتی لأشرف المخلوقات صلّی اللّه علیه و آله فقل ما یکون معرفته مطابقه لما علیه الواقع من جمیع الوجوه لغیرهم علیهم السّلام هذا بحسب واقع التوحید. و حینئذ فکما أن وقوع البصر علی الشعره و درکها صعب و مشکل جدّا فکذلک درک الحقائق یکون دقیقا یخفی علی کثیرین،

و لذا ورد فی الدعاء:

«اللّهمّ اهدنی لما اختلف فیه من الحق بإذنک»

فإن الحقّ ربما یختلف فیه بأن یدعی کلّ واحد أن الحقّ معه، کما نری من الفلاسفه حیث اختلفوا فی علمه تعالی، الذی هو عین ذاته، فعرّفوه بتعاریف ربما تبلغ إلی سته أقوال أو ثلاثه عشر قولا، کلّ یدعی منهم أن الحق معه و لذا لا بدّ فی درک الحق الحقیق من الأخذ عمّن یکون منطقه منطق الوحی کالنبی و الأئمه علیهم السّلام کما علمت من

قوله صلّی اللّه علیه و آله: فلا تجد أن علما صحیحا

إلاّ خرج من عندنا. ثم إن لشأن العبوديه له تعالى و توحيده حدّا و معيارا فى مقام التعظيم له دقيقا، يكون الخروج منه لأجل الغلو أو التقصير، خارجا عن الاستقامه التى تكون مطلوبه من كل أحد، فقلّ أيضا من يخرج عمّا هو وظيفته فى هذا المقام، بنحو ينبغى له تعالى، فذاك دقه عقليه، و هذا دقه عمليه، و لذا

ورد أنه عليه السّلام قال: «إياك و ان تخرج نفسك من التقصير ، و ذلك لعدم تحقق العمل بالوظيفه كما ينبغى له تعالى من كل أحد، و بهذه الجهه عبر عن الصراط بما له من المعنى العام المنطبق على الدين و الولايه فى الدنيا، و على الجسر الموضوع على متن جهنم فى الآخره بأنّه أدقّ من الشعر. و أمّا التعبير عنه بأنه أحدّ من السيف، و ذلك لأن الأعمال المشروعه، بل و الصفات و العقائد إنما تنتج للإنسان الفوز إلى الدرجات العلى، إذا كانت عن إخلاص و عداله، بأن تكون الأعمال صادره عن إخلاص و إنصاف و عداله خارجا عن حدّ الإفراط و التفريط، مستجمعه لجميع الحدود و الشرائط الظاهريه المقرره فى الفقه، و الباطنيه المقرره فى علمى الكلام و الأخلاق، لكى تقع صحيحه و كامله و مقرونه بالقبول، فالأعمال بلحاظ الوجود الخارجى مشروطه بشرائط صعبه، و بلحاظ المنشإ النفسانى للعامل فأيضا مشروطه بشرائط صعبه. و قد علمت أن الصراط فى الآخره موافق للصراط الدنيوى، و حقيقه الصراط الدنيوى الذى هو الدين المفسر بهذه الأمور من الأعمال المستجمعه لتلك الشرائط التى ذكرنا أنّ تحصيلها صعب جدّا. و السرّ فيه أن

قوله عليه السّلام فيما روى فى البحار (1)، عن تفسير على بن إبراهيم، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لما نزلت هذه الآيه (وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ، سئل عن ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: أخبرنى الروح الأمين، إلى أن قال صلّى اللّه عليه و آله: ثم يوضع عليها (اى

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۶۵.

على جهنم) الصراط أدقّ من الشعره، و أحدّ من السيف، عليها ثلاث قناطر، فأما واحده فعليها الأمانه و الرحم، و أما ثانيها فعليها الصلوه، و أما الثالثه فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلفون الممر عليها، فتحبسهم الرحم و الأمانه، فإن نجوا منها حبستهم الصلوه، فإن نجوا منها، كان المنتهى إلى ربّ العالمين جلّ و عزّ و هو قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ) و الناس على الصراط فمتعلق بيد و تزول قدم و يستمسک بقدم، الحديث، أخذنا منه موضوع الحاجه. فان كون الصراط أحدّ من السيف، فإنما هو لأجل أن المشى على ما يقتضيه الرحم و الأمانه، و كذا الصلوه، و خصوصا عدل ربّ العالمين صعب جدّا، لأن هذه لا تناسب ما تشتهيه النفس الأماره بالسوء، فكما أن السيف الحاد يقطع كل شىء، و لا يقاومه شىء إلاّ قدّه، فكذلک الأمانه و الرحم و الصلوه، و لعل العدل الإلهى لا تقاومه النفس و ما تشتهيه، فالمشى عليها صعب جدا يساوى الموت و قطع النفس، و لعله إليه يشير ما

فى حديث المعراج من قوله تعالى: يموت الناس مره، و يموت أحدهم فى كل يوم سبعين مره من مجاهده أنفسهم و هواهم، و الشيطان الذى يجرى فى عروقهم، الحديث. و الحاصل: أن الاستقامه على الحق الحقيق بنحو يقتضيه العدل الإلهى، و الصلوه التى ينبغى أن يؤتى بها وقت العباده أحدّ من السيف بحيث لا يبقى للإنسان شىء من آثار النفس و الهوى، بل يصير فانيا فيه تعالى كما حقق فى محله. و كيف كان فالناس يوم القيامه مختلفون فى المرور عليها، كما يختلفون فى الدنيا فى القيام بوظائف الدين بنحو يقتضيه الواقع، حيث إن واقع الدين الحقيقى مظلم على الناس، يسعى الناس فيه على قدر أنوارهم، ضروره أن أمر الدين فى الدنيا مشتبه جدّا، لا يصل إليه أحد إلاّ بنور المعرفه، فمن كانت نورانيه معرفته أكثر كانت إصابته للحق و مشيه عليه أحسن و أتقن، فيكون أثره فى الآخره بنحو تقدم ذكره من السرعه و البطء المشار إليهما كما لا يخفى.

هذا كله فى معنى الصراط الظاهرى فى الدنيا و الآخره،

و أمّا حقيقه الصراط المعنويه

التى هى السّر و القوام للصراط الدنيوى و الأخروى فحاصله: أنه قد تقدم: أن معرفه اللّه هى معرفه الإمام عليه السّلام كما

قال الحسين عليه السّلام بعد ما سئل عن معرفه اللّه، قال عليه السّلام: «معرفه أهل كان زمان إمامهم الذى تجب عليهم طاعته» و علمت معناه. و أنهم عليهم السّلام محال معرفه اللّه، و تقدم الحديث

عن البحار عن كنز الفوائد عن داود بن كثير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أنتم الصلوه فى كتاب اللّه عز و جل و أنتم الزكوه و أنتم الحج؟ فقال: «يا داود نحن الصلوه فى كتاب اللّه عز و جل، و نحن الزكاه و نحن الصيام و نحن الحج، و نحن الشهر الحرام و نحن البلد الحرام، و نحن كعبه اللّه و نحن قبله اللّه، و نحن وجه اللّه قال اللّه تعالى: (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّهِ) و نحن الآيات و البينات» الحديث. و مثله أحاديث قد تقدم ذكرها و علمت معنى كونهم عليهم السّلام تلك الأمور، و لا ريب فى أن تلك الأمور المذكوره فى الحديث المتقدم، خصوصا مع ما

روى الشيخ بإسناده عن الفضل، بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال: «نحن أصل كلّ خير، و من فروعنا كلّ برّ، و من البر التوحيد و الصلاه و الصيام، و كظم الغيظ، و العفو عن المسىء، و رحمه الفقير، و تعاهد الجار و الإقرار بالفضل لأهله. و عدونا أصل كل شرّ» الحديث. هى كلها حقيقه الدين و الشرع المبين، و هى كما صرح فى هذين الحديثين ليست إلّا ذواتهم المقدسه. و بعباره أخرى: أن الدين أصولا و فروعا و أخلاقا و أعمالا لو كان تشخصا حسيّا، و قالبا مرئيا لكان أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام لأنهم فى كل مقامات الدين قد استجمعوا جميع أنحائه، ففى مقام الإيمان و المعرفه و التوحيد، و سائر المعارف الإلهيه هم عليهم السّلام كل الإيمان و كل المعارف و محالها و مظهر التوحيد، كما علمت هذه مما تقدم مفصلا، و أيضا فهم عليهم السّلام فى مقام جميع الأخلاق الحسنه هم الكاملون فيه، بحيث لا يخرج عن صفاتهم شىء من تلك الأخلاق الحسنه، بل لو فرض فى أحد صفه زايده

على ما كان فيهم عليهم السّلام فى مقام الصفات فهو خارج عن العداله، و داخل فى حدّ الإفراط و ليس من جزء الدين. و أيضا فهم عليهم السّلام فى مقام الأعمال تكون أعمالهم هو العمل المطلوب فى الدين، و لو لم يكونوا كذلك لم يؤمر بالاقتداء بهم و الأخذ بسنتهم و التأسى بهم، هذا مع الآيات و الأحاديث الكثيره فى الأبواب المتفرقه، التى قد أمرتنا بمتابعتهم و إطاعتهم و التأسى بهم، كما لا يخفى على أىّ مسلم كان ذا حظ قليل من الدين. إذا علمت هذا فإذا كان الدين حسب ما نطقت به الأخبار الكثيره صراطا، و كان الدين تلك الأمور المذكوره فى الحديث السابق ذكره، و كانوا عليهم السّلام بذواتهم المقدسه تلك الأمور، فلا محاله كانت حقيقه الصراط و صورته الخارجيه فى الدنيا و الآخره صراطا حقيقيا، و كان ظاهر الدين صراطا شرعيا، فمن عرفهم عليهم السّلام و اقتدى بهداهم نجا، لأنّ معرفتهم هكذا و الاقتداء بهم هو الدين الحقيقى، كيف لا و قد علمت أنه لا يعرف الدين بجميع مراتبه من العلم به، و المعرفه به و الوجدان به، إلاّ بهم فإنهم عليهم السّلام بينوه علما و أظهروه معرفه و تمثلوه وجدانا خارجيا. ففى الحقيقه صوره الدين أيضا هم عليهم السّلام إذ لم يعرف الظاهر منه إلاّ منهم، كما أن حقيقه الدين أيضا هم، فحينئذ فهم بقول مطلق الدين، و هم بقول مطلق الصراط فى الدنيا و الآخره و فى الظاهر فيهما و فى الحقيقه فالإمام عليه السّلام حينئذ هو الصراط صوره و حقيقه، و معرفته صراط للعارف بهم، إذ علمت أن الإمام و الدين متحدان مصداقا و إن اختلفا مفهوما، فمعرفه الإمام هو معرفه الدين، و معرفه الدين و الإمام هو الصراط، و العمل به سلوك هذا الصراط، و ليس العمل حينئذ إلاّ الاقتداء بهم، و الاستنان بسنتهم و الأخذ بطريقتهم فى كل مقام لهم. و هذا الاقتداء هو عين التمسك بالدين و العمل به، إذ كل شأن من شئونهم داخل فى الدين، و ليس للدين شأن خارج عن شئونهم عليهم السّلام فهم عليهم السّلام أرباب الدين و حقيقه الدين و الصراط المستقيم بقول مطلق، رزقنا اللّه متابعتهم و الاقتداء بهم،

و الکون معهم فی الدنیا و الآخره بمحمد و آله الطاهرین.

الأمر الثانی: [المشی فی صراطهم علی قسمین]

قد علمت معنی الصراط بلحاظ السرّ و الحقیقه المعنویه، و هو ذواتهم المقدسه بالبیان المتقدم، فحینئذ نقول: المشی فی صراطهم علیهم السّلام علی قسمین: قسم ظاهری و هو المشی علی حسب الوظائف المقرره فی الشریعه المقدسه من حیث العقائد الحقه، و الصفات الحمیده و الأعمال الصالحه، و سایر الأمور المدونه فیها، و علی هذا قاطبه أهل الإیمان بما لهم من الطبقات من الزاهدین و العابدین و الذاکرین و العلماء و أمثالهم. و قسم معنوی لا یکون إلاّ للأوحدی و لمن سبقت له من اللّه تعالی الحسنی. و حاصله: أن السیر للإنسان کما قد یکون ظاهریا من العمل بالوظائف، أو الاتصاف بالصفات الحسنه، و هذا سیر لا یکون معه شهود للحقائق و لواقع ذواتهم المقدسه علیهم السّلام بل غالبا یکون مع الحجاب بین السایر و بینهم علیهم السّلام و قد یکون السیر معنویا محضا. و حاصله: أن الأئمه علیهم السّلام لما کانت ذواتهم المقدسه بالحقیقه أنوار إلهیه و مظاهر للتوحید و للمعارف الحقه، فهم من تلک الجهه هیاکل التوحید و معانیه، و مظاهر الحق و مرائیه، فهم یسیرون إلیه تعالی بتلک الأنوار الإلهیه کما عرفتها سابقا مرارا و مفصلا فحینئذ نقول: تحقق السیر المعنوی للإنسان إنّما یکون إذا کان فی قلبه و ذاته من تلک الأنوار شعبه بحیث تؤثر فیه من جذباتهم الإلهیه، فیکون هذا السایر منجذبا إلیه تعالی تبعا للجذبه التی تکون فیهم علیهم السّلام منه تعالی فهم منجذبون إلیه تعالی بانجذابهم علیهم السّلام إلیه بالجذبه الإلهیه. یدل علی ما ذکر ما رواه

فی البحار (۱)، عن أمالی الصدوق بإسناده عن أبی عاصم، عن الصادق علیه السّلام قال: شیعتنا جزء منا خلقوا من فضل طینتنا، یسوؤهم ما

۱- ۱) البحار ج ۶۸ ص ۲۴.

يسوؤنا و يسرهم ما يسرنا، فإذا أرادنا أحد فليقصدهم فإنهم الذى يوصل منه إلينا.

و فيه عنه بسناده عن عاصم بن حمزه، عن على عليه السّلام و عن الحارث، عنه عليه السّلام عن النبى صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: مثلى مثل شجره أنا أصلها و على فرعها و الحسن و الحسين ثمرتها و الشيعه ورقها، فأبى أن يخرج من الطيب إلاّ الطيب.

و فيه، عن المحاسن، عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: و اللّه ما بعدنا غيركم، و أنكم معنا فى السنام الأعلى فتنافسوا الدرجات.

و فيه، عنه، عن أبى العلاء قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إن لكل شىء جوهرا، و جوهر ولد آدم محمد صلّى اللّه عليه و آله و نحن و شيعتنا.

و فيه، عنه، عن سدير قال: أبو عبد اللّه عليه السّلام: أنتم آل محمد أنتم آل محمد

و فيه عنه، عن فضيل بن يسار، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: أنتم و اللّه نور فى ظلمات الأرض.

و فيه (۱)عن الكافى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: شيعتنا أهل الهدى، و أهل التقى، و أهل الخير، و أهل الإيمان، و أهل الفتح و الظفر.

و فيه، عن رياض الجنان، عن جابر الجعفى قال: كنت مع محمد بن على عليهما السّلام قال: يا جابر خلقنا نحن و محبّونا من طينه واحده بيضاء نقيعه من أعلا عليين، فخلقنا نحن من أعلاها، و خلق محبونا من دونها، فإذا كان يوم القيامه التحقت السفلى بالعليا، فضربنا بأيدينا إلى حجزه نبينا، و ضربت شيعتنا بأيديهم إلى حجزتنا، فأين ترى يصيّر اللّه نبيه و ذريته، و أين ترى يصير ذريته محبينا؟ فضرب جابر بن يزيد على يده و قال: دخلناها و ربّ الكعبه. أقول: فهذه الأحاديث و ما شابهها و هو كثير جدّا دلّت على أن الشيعه تكون حقيقتها من فضل حقيقتهم، فلها الاستعداد و إمكان الالتحاق بهم عليهم السّلام فى الدنيا،

۱- ۱) البحار:۱۸ ص ۱۸۶.

و لهم إمکان مشاهده هذا الاتصال المعنوی، نعم لا بد له من طیّ مسافه معنویه و منازل روحیه حتی یصل الإنسان إلی إمامه علیه السّلام حالا و عملا و علما و تشبه به علیه السّلام فحینئذ تظهر له معرفه الإمام علیه السّلام بالحقیقه علی حسب درکه، و لکن لا بد من عبادات جسمانیه و روحانیه، و تقوی ظاهریه و باطنیه، و اقتداء به فی کل الأمور و تحصیلا لعلمهم و حالاتهم علیهم السّلام. إذ من لم یکن عنده حظ ما من شیء، لا یعرف حال من له الحظ الأوفر منه، فمن لم یذق شیئا لم یدر ما حال الذائقین، فکلّ مقام ثابت للأئمه و لأولیائه تعالی، لیس للعبد فیه نصیب فهو محروم عنه، و عن معرفه أهله من هذه الجهه و الصفه. و کیف کان إن معرفه الأئمه علیهم السّلام و الالتحاق بهم روحا علی نحو الیقین موقوف علی حصول الارتباط المعنوی بهم، و ظهور مقامات ولایتهم الباطنیه علی النفس المتصله بهم علیهم السّلام حتی یکون التصدیق بإمامتهم و بأحوالهم و بمقاماتهم عن عیان، لا عن خبر و سماع، کما یری هذا من حال بعض خواصهم علیهم السّلام کسلمان علیه السّلام و نحوه. و لنعم ما قیل فی بیان هذا الدرک و المشاهده: مرادیست که او را نه انتهاست نه غایت نهایت همه دلها به پیش اوست بدایت علوم او ز طریق تجلی است و تدلی نه از طریقه بحث است و عقل و نقل روایت و یشیر إلی أوصاف هؤلاء و علومهم و کیفیه سیرهم و سرّهم کثیر من الأخبار منها

فی النهج قال علیه السّلام فی کلام له علیه السّلام لکمیل بن زیاد النخعی رحمه اللّه إلی أن قال علیه السّلام: اللّهم بلی! لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجه، إما ظاهرا مشهورا، و إما خائفا مغمورا، لئلا تبطل حجج اللّه و بیناته، و کم ذا و أین أولئک؟ أولئک و اللّه الأقلون عددا، و الأعظمون عند اللّه قدرا، یحفظ اللّه بهم حججه و بیناته، حتی یودعوها نظراءهم،

و يزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقه البصيره، و باشروا روح اليقين، و استلانوا ما استوعره المترفون، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقه بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء اللّه فى أرضه، و الدعاه إلى دينه، اه اه شوقا إلى رؤيتهم! انصرف يا كميل إذا شئت (۱).

و فيه، قال عليه السّلام عند تلاوته:

(يُسَبِّحُ لَهُ فِيهٰا بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللّٰهِ) : إن اللّه سبحانه و تعالى جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقره، و تبصر به بعد العشوه، و تنقاد به بعد المعانده، و ما برح للّه- عزت آلاؤه-فى البرهه بعد البرهه، و فى أزمان الفترات، عباد ناجاهم فى فكرهم، و كلمهم فى ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظه فى الأبصار و الأسماع و الأفئده. إلى أن قال عليه السّلام: فلو مثلتهم لعقلك فى مقاومهم المحموده، و مجالسهم المشهوده، و قد نشروا دواوين أعمالهم، و فرغوا لمحاسبه أنفسهم على كلّ صغيره و كبيره أمروا بها فقصّروا عنها، أو نهوا عنها ففرّطوا فيها. . إلى أن قال عليه السّلام: لرأيت أعلام هدى، و مصابيح دجى، قد حفّت بهم الملائكه، و تنزلت عليهم السكينه، و فتحت لهم أبواب السماء، و أعدّت لهم مقاعد الكرامات، فى مقعد اطلع اللّه عليهم فيه، فرضى سعيهم، و حمد مقامهم. . (۲)

و فيه ، فى وصف سالك الطريق إلى اللّه تعالى: قد أحيا عقله و أمات نفسه حتى دقّ جليله، و لطف غليظه، و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، و سلك به السبيل، و تدافعته الأبواب إلى باب السلامه و دار الإقامه، و ثبتت رجلاه بطمأنينه بدنه فى قرار الأمن و الراحه بما استعمل قلبه و أرضى ربّه.

فقوله عليه السّلام: ناجاهم فى فكرهم، و كلمهم فى ذات عقولهم،

و قوله عليه السّلام: و نزلت عليهم السكينه و فتحت لهم أبواب السماء،

و قوله عليه السّلام و تدافعته الأبواب إلى دار

۱- ۱) نهج البلاغه ص ۴۹۵.

۲- ۲) نهج البلاغه ص ۳۴۲-۳۴۳.

السلامه و دار الإقامه، يبيّن لهم مقاما شامخا عنده تعالى، فلا محاله تكون حينئذ أرواحهم معلقه بالمحل الأعلى كما قاله عليه السّلام فى كلامه مع كميل، و هذا المحل هو المحل المرتبط بمقامهم عليهم السّلام المشهوده لهم حينئذ كما لا يخفى. و الحاصل: أن للإنسان سيرا معنويا إلى اللّه تعالى حال كونه متصلا روحا بهم عليهم السّلام و منجذبا إليه تعالى بانجذابهم عليهم السّلام إليه تعالى، فربما يظهر للسالک هذا السير المعنوى فى حال الخلسه أو فى المنام، فيرى سيره فيها على ما هو عليه من الصوره المعنويه، و يرى نفسه سالكا فيها، فيكون صراطه المستقيم إليه تعالى و إلى معرفه تلك الصوره و الحاله المشهوده له فى حال الخلسه، فما ذكر من الأحاديث فى صفات الشيعه و نحوها، و حصر الشيعه فى تلک الصفات، يشير إليهم بما هم فى هذا السير المعنوى كما تقدم. أقول: لا بأس بتفصيل الكلام فى هذا المقام، لشرح الصراط المستقيم المعنوى، فاستمع لما يتلى عليک ثم نسأل اللّه تسأل التوفيق لهذا السير، فنقول: قال اللّه تعالى: (كَلاّٰ إِنَّ كِتٰابَ اَلفُجّٰارِ لَفِى سِجِّينٍ. وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سِجِّينٌ. كِتٰابٌ مَرْقُومٌ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) (١)و قال تعالى فى هذه السوره: (كَلاّٰ إِنَّ كِتٰابَ اَلْأَبْرٰارِ لَفِى عِلِّيِّينَ. وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا عِلِّيُّونَ. كِتٰابٌ مَرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ اَلْمُقَرَّبُونَ) .

و عن أصول الكافى بإسناده عن أبى حمزه الثمالى قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إن اللّه خلقنا من أعلى عليين، و خلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، و خلق أبدانهم من دون ذلک، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآيه: (كَلاّٰ إِنَّ كِتٰابَ اَلْأَبْرٰارِ لَفِى عِلِّيِّينَ. وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا عِلِّيُّونَ. كِتٰابٌ مَرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ اَلْمُقَرَّبُونَ) (٢)و خلق عدونا من سجين، و خلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، و أبدانهم من دون ذلک، قلوبهم تهوى إليهم، لأنّها خلقت مما خلقوا منه ثم تلا هذه

١- ١) المطفّفين:٧-١٠.

٢- ٢) المطففين:١٧-٢١.

الآیه: (كَلاّ إِنَّ كِتٰابَ اَلفُجّارِ لَفِی سِجِّینٍ. وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا سِجِّینٌ. كِتٰابٌ مَرْقُومٌ) .

و عن مجمع البیان، عن البراء بن عازب قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: سجین أسفل سبع أرضین.

و عن أصول الكافی فی روایه أبی الجارود، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: السجین الأرض السابعه و علیون السماء السابعه. أقول: السجین مبالغه من السجن، بمعنی الحبس كسكّیر و شریّب من السكر و الشرب، فمعناه الذی یحبس من دخله علی التخلید، لأنه سجن فی سجن إلی أسفل سافلین، و یقابله العلیون (فهو مبالغه فی العلو) و معناه علو علی علو مضاعف، ففیه شیء من معنی السفل الإضافی و الانحباس الإضافی بقرینه مقابلته مع السجین. إذا علمت هذا فاعلم أن للعلوم و المعارف و الإدراكات جوهریه نورانیه، كما أن للجهل المركب و الكفر و الشرك جوهریه ظلمانیه، و لكلّ منهما عالم وراء هذا العالم، فحقیقه العلوم و المعارف، و الكفر و الشرك جواهر مجردات عن الماده العنصریه فی غیب هذا العالم إمّا فی طرف علیین الذی یشهده المقربون من حقیقه محمد و آله الطاهرین، و إمّا فی طرف سجین الذی یقابله كما علمت.

فقوله علیه السّلام: «إن اللّه خلقنا من أعلی علیین» یشیر إلی تلك الحقیقه الغیبیه التی تكون فی طرف علیین، كما أن

قوله علیه السّلام: «و خلق عدونا من سجین» یشیر إلی الحقیقه الغیبیه التی تكون فی طرف سجین، ثم إن قوله تعالی: (كَلاّ بَلْ رٰانَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ مٰا كٰانُوا یَكْسِبُونَ) یدل علی أن للنفس و القلب بحسب طبعها الأولی صفاء و جلاء یدرك به الحق كما هو و تمیز بینه و بین الباطل، و تفرق بین التقوی و الفجور، كما قال تعالی: (وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا) (۱)كما تدل علی أن الأعمال السیئه نقوشا و صورا فی النفس تنتقش و تتصور بها، و تمنعها عن أن تدرك الحق.

۱- ۱) الشمس:۸.

و یدل أیضا تعالی: (فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ) علی أن عمل الخیر یراه الإنسان فی نفسه کما یومئ إلیه مما

عن أصول الکافی رفعه عن بعض قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: تذاکروا و تلاقوا و تحدثوا فإن الحدیث جلاء للقلوب، إن القلوب لترین کما یرین السیف و جلاؤه الحدیث. فیستفاد من المجموع أن للأعمال الحسنه أثرا و هو أنها تصعد بصاحبها إلی ذلک العالم العلوی، کما أن للأعمال السیئه أثرا و هو أنها تهبط بصاحبها إلی ذلک العالم السلفی، و أیضا أن الأخلاق الحسنه لها صوره بهیّه، کما أن للأخلاق السیئه صوره قبیحه تکون کلّ منهما من نتائج الأعمال الحسنه و السیئه، حیث إن لهما أیضا تجسّمات حسنه و قبیحه کما حقق فی، محله فحینئذ نقول: السیر المعنوی الذی هو باطن فی الإنسان و فی أعماله الحسنه و القبیحه هو أنه کلما فعل خیرا فهو بمنزله خطوه معنویه تقربه إلی علیین، فهو سلوکه فی الصراط المستقیم، و کلما فعل شرّا فهو بمنزله خطوه معنویه تقربه إلی سجین و إلی أسفل سافلین، فهو سلوک له إلی الجحیم.

ففی تفسیر نور الثقلین: روی عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام أنه قال: أما المؤمنون فیرفع أعمالهم و أرواحهم إلی السماء فتفتح لهم أبوابها، و أما الکافر فیصعد بعمله و روحه حتی إذا بلغ إلی السماء نادی مناد أهبطوا إلی سجین و هو واد بحضر موت یقال له: برهوت. فدلّت هذه الروایه علی ما ذکرناه، بل المستفاد من روایه أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام: أن هیهنا سموات سبعه و أرضین سبعه، لکل منها سکان و اقتضاءات و أهل، و کل إنسان بحسب مقام باطنه ساکن فی واحد منها علی حسب ما تقتضیه أعماله و أخلاقه الحسنه أو السیئه فهو ساکن فیه إن کان واقفا، و قعدت به تلک الحالات علی تلک المنزله من مراتب العلیین أو السجین، و قد یکون توقفه بنحو الإقامه التی تقبل السفر إلی ما بعده إن کان حاله متبدلا، بحیث لم تکن تلک

الحالات ملكه له و موجبه للسكون فيه كما لا يخفى. و الحاصل: أنّ الإنسان و ان كان ببدنه فى الدنيا إلّا أنه فى الباطن بحسب أعماله و أخلاقه فى أحد تلك الأماكن، فسالك السماء و العليين سالك فى الصراط المستقيم، و سالك الأرض و السجين سالك إلى الجحيم. و أمّا بيان السر فى أن الأعمال و الأخلاق بقسميهما كيف يوجبان السير الباطنى إما إلى عليين و إما إلى السجين هو أنه: إن المستفاد من أحاديث العقل و الجهل أن حقيقه العقل نازلت من عند العرش فى مقام القرب إلى اللّه سبحانه، كما أن حقيقه الجهل فى مقابله أى فى كمال البعد عنه تعالى، و أن حقيقه العقل هو الكلى المجرّد النورانى، و له جنود من الملكات و الأعمال و العلوم فى عالم المجردات، كما أن الجهل هو الكلى البسيط الظلمانى له جنود من الملكات و الأعمال بنحو الكلى يقابل جنود العقل على نحو مذكور فى الأحاديث. فالعقل و الجهل الكليان بمنزله الأصل الواقع كلّ منهما فى عالمه، هذا عند الربّ و فى مقام القرب، و ذاك فى منتهى مقام البعد عنه تعالى، و لكن جنود كل منهما يظهر فينا، فبقدر ظهور كلّ من الجندين فى الإنسان يقرب الإنسان إلى منزل أصله و سلطانه و مأواه، فهو سلوك و صراط بالنسبه إليه، و علمت أن الأعمال و الأخلاق بقسميها يؤثر فى الإنسان أثرا بيّنا يكون ذلك الأثر نتيجه سيره إلى الأصل من العقل و الجهل الكليين، فالإنسان واقع فى هذا الميدان بين جنود العقل و الجهل، كلّ منهما يدعوه إلى مقتضاه. يدلّ على ما ذكرنا ما

فى الكافى (۱)، بإسناده عن سماعه بن مهران قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام و عنده جماعه من مواليه، فجرى ذكر العقل و الجهل، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: اعرفوا العقل و جنده و الجهل و جنده تهتدوا فقال سماعه: فقلت: جعلت فداك لا نعرف إلّا ما عرفتنا، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إن اللّه عز و جل خلق

۱- ۱) الكافى ج ۱ ص ۲۱.

العقـل، و هو أول خلق من الروحـانيين عن يمين العرش من نوره فقـال له: ادبر، فـأدبر، ثم قـال: أقبـل، فأقبـل، فقال اللّه تبارک و تعـالى: خلقتـک خلقـا عظيمـا و کرمتـک على جميع خلقى. قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانيا فقال له: ادبر، فأدبر ثم قال له: أقبل، فلم يقبل، فقال له: اسـتکبرت، فلعنه، ثم جعل للعقل خمسه و سـبعين جنديا، فلما رأى الجهل ما أکرم اللّه به العقل، و مـا أعطاه أضـمر له العـداوه فقال الجهل: يا رب هـذا خلق مثلى خلقته و کرمته و قويته، و أنا ضـدّه و لا قوه لى به، فأعطنى من الجنـد مثل ما أعطيته، فقال: نعم، فإن عصـيت بعـد ذلک أخرجتک و جنـدک من رحمتى، قال: و قـد رضـيت، فأعطاه خمسه و سبعين (جنـديا) ، فکـان ممـا أعطى العقـل من الخمسه و السـبعين جنـديا الخير و هو وزير العقـل، و جعل ضـده الشرّ و هو وزير الجهل. إلى أن قال عليه السّـلام: فلا تجتمع هذه الخصال کلها من أجناد العقل إلّا فى نبىّ أو وصـى نبىّ، أو مؤمن قد امتحن اللّه قلبه للإيمـان، و أمّـا سـائر ذلـک من موالينا فإن أحـدهم لا يخلو من أن يکون فيه بعض هـذه الجنود، حتى يسـتکمل و ينفى من جنود الجهل، فعنـد ذلک يکون فى الـدرجه العليا مع الأنبياء و الأوصـياء، و إنما يـدرک ذلک بمعرفه العقل و جنوده، و بمجانبه الجهل و جنوده، وفقنا اللّه و إياکم لطاعته و مرضاته. أقول:

قوله عليه السّلام: «عن يمين العرش من نوره» يدل على ما ذکرنا من أن العقل يکون عند العرش، و فى مقام القرب منه تعالى،

و قوله عليه السّلام: «لعنه» يدلّ على أن الجهل فى منتهى مرتبه البعد، فإن اللعن هو الطرد و البعد کما لا يخفى،

و قوله عليه السّـلام: إنما يدرک ذلک بأن يتصف به بمعرفه العقل و جنوده، أى بتحصيل تلک الحقائق التى هى العقل و جنوده، و بمجانبه الجهل و جنوده أى بالتخلّى عنها، کلّ ذلک بالأعمال الصالحه و العبادات الشرعيه و السلوک الصحيح کما لا يخفى.

و فيه (۱)، بإسناده عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إن للقلب أذنين، فإذا همّ العبد بذنب، قال له روح الإيمان: لا تفعل، و قال له الشيطان: افعل، و إذا كان على بطنها نزع منه روح الإيمان.

و فيه عن أبان بن تغلب، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ما من مؤمن إلاّ لقلبه أذنان فى جوفه، أذن ينفث فيها الوسواس الخناس، و أذن ينفث فيها الملك فيؤيد المؤمن بالمالك فذلك قوله: (وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) . فيعلم من هذين الحديثين أن روح الإنسان دائما بين النفثتين إحداهما من الملك و الآخر من الشيطان، فيدعوه اللّه تعالى إليه بلسان الملك و الشيطان يدعوه إليه قال اللّه تعالى: (وَ أَنِيبُوا إِلىٰ رَبِّكُمْ) (۲)و قال تعالى عن لسان الشيطان (اَلشَّيْطٰانُ يَعِدُكُمُ اَلْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشٰاءِ) (۳)فان قبل الروح الدعوه الإلهيه و مشى على طبقها فلا محاله يصير إلى العليين، و إن قبل دعوه الشيطان الذى هو حقيقه الجهل فلا محاله يصير إلى السجين. و بعباره أخرى: أن اللّه خلق الأرواح قبل الأبدان بألفى عام، على ما مرّ من الأحاديث، و فى عالم الأرواح خاطبهم بقوله: (أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ) ، فأصل حقيقته هو ذلك المقام الذى خوطب بذلك الخطاب، و كان فى ذلك المقام عارفا بربّه، ثم نزل بعد ذلك حتى وصل إلى هذا العالم المشحون بأسباب الغفله، و البعد عن الحضور، و عن تلك المعرفه، ثم إنه بعد ما نزل إلى الدنيا، و نسى ما كان قد عرفه من المعارف الإلهيه فى عالم الأرواح خوطب فى الدنيا بالخطاب و الأحكام الإلهيه الشرعيه المتضمنه لبيان العقائد الحقه و الأعمال الصالحه و الصفات الحميده، ليعرج بسبب امتثالها، و يصل به إلى ذلك المقام الذى كان له أولا، و لذا كان روح الصلوه

۱- ۱) الكافى ج ۲ ص ۲۶۷.

۲- ۲) الزمر:۵۴.

۳- ۳) البقره:۲۶۸.

المأمور بها هو العروج

كما ورد: «إن الصلوه معراج المؤمن» فعلمه بهذه الوظائف الشرعيه سلوک صراط مستقيم يوصله إلى ربّه، کما تقدم

من قول الصادق عليه السّلام فی حديث ما مضمونه: و من عمل بما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و آله وصل إلى اللّه. . فهذا السلوک يوصله إلى ذلک المقام الأولى، کما کان واصلا قبل ذلک فی عالم الأرواح، کما علمت حتى يقابل القوس الصعودى القوس النزولی، و لعل إليه يشير قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ. إِلاَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا) (۱)فتأمل تعرف إن شاء اللّه. فجميع هذه المنازل و السير إليه تعالى هو بالعقل، الذى به السير إليه تعالى، ضروره أن حقيقته تقتضى الرجوع إليه تعالى بحقيقته النوريه،

کما يدل عليه الحديث القدسى: «ادبر فأدبر» ، ثم قال له: «أقبل، فأقبل» فإقباله إليه تعالى بعد رجوعه إلى الدنيا و إلى عالم النفس و الطبيعه هو السير الصعودى بالنسبه إلى ما کان فيه. و الحاصل: أن العقل و من کان فيه يکون إدباره رجوعه إلى الدنيا بالسير النزولی، و إقباله هو السير الصعودى إليه تعالى کما لا يخفى، فتأمل تعرف إن شاء اللّه. و يدل على ما ذکر أيضا ما

فی تفسير نور الثقلين: أبی رحمه اللّه مسندا عن زراره قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: (وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلى) قال: ثبتت المعرفه و نسوا الموقف و سيذکرونه يوما، و لو لا ذلک لم يدر أحد من خلقه و لا من رازقه.

و فيه عن تفسير على بن إبراهيم مسندا عن ابن مسکان، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام فی قوله: (وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ) إلى قوله: (قالُوا بَلى) قلت: معاينه کان هذا؟ قال: نعم فثبتت المعرفه، و نسوا الموقف و سيذکرونه، و لو لا ذلک لم يدر أحد من خالقه

۱- ۱) التين:۴-۶.

و رازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه فی الذر و لم یؤمن بقلبه فقال اللّه: (فَمَا کَانُوا لِیُؤْمِنُوا بِمَا کَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) فتأمل فی الحدیثین تعرف ما ذکرناه. إذا علمت هذا فاعلم: أنه لما کان کل حرکه و سکون من العبد إما یقرّبه إلیه تعالی و إلی رضوانه و مقام أولیائه، و إلی الإضافات المعنویه من البرکات و الثواب الأخروی، و إمّا یبعده عنه تعالی و عن هذه الأمور، و یقربه إلی الهوان و الغضب منه تعالی، و إلی مواطن أعدائه من شیاطین الجن و الإنس و الکفره و الشقاوه و البعد و العقاب، و إمّا یوسطه حیث لا خیر فیه و لا شر، و ذلک لالتباس الأمر علیه فی هذه الدار الظلمانیه البعیده عن عالم النور، مع شده الحاجه إلی معرفه ذلک فی جمیع أنحاء شئونه و تنقّلاته، و اجتماعاته و افتراقاته و إنکاره و إنظاره و لحظاته، لیکون بسبب تلک المعرفه و المشی علیها سالکا سبیل العلیین. ثم إنه یری الناس غالبا من القسم الثانی، و أما القسم الأول فقلیلون علی أنهم علی قلتهم یعملون بظاهر الشرع من دون معرفه، و من دون سیر معنوی یجدون أثره فی أنفسهم کما لا یخفی، فحینئذ أغلب الناس إما من القسم الثانی و إما من القسم الثالث المتحیّر فی السلوک و الطریق، و إن کانوا ربما مشوا فی الظاهر علی ظاهر الشرع، فحینئذ من أهم الأمور و ألزمها بعد الالتزام بالعبودیه، و بأصل الدین و المعارف الإلهیه هو الاهتداء بتوسط هاد من جنس البشر، و لیس هو إلّا النبی و الأئمه الاثنی عشر (صلوات اللّه علیهم) إذ هو الواسطه بین الحق و الخلق فی مقام الهدایه، و المبین للحق بکلامه و علمه و خلقه و عمله. و حینئذ فمن کان اهتداؤه و اقتداؤه و علمه بالإمام علیه السّلام أکثر کان أعلم و أعرف بالحق، إذ علمت أن الإمام هو مع الحق و الحق معه، و هو مظهر لمعارفه، بل هو عین معارفه کما تقدم، فحینئذ ظهر أنّ معرفته (أی الإمام) معرفه الصراط، و هو (أی الإمام) الصراط، فکما أن المار علی الصراط یصل إلی ما بعده سالما، فکذلک أن المقتدی به علما و عملا و معرفه و روحا و ارتباطا و اتصالا یکون فی الجنه، و هذا هو

حقیقه الصراط و هی حقیقتهم علیهم السّلام.

فقوله علیه السّلام: «و صراطه» أی صراط اللّه یکون بهذا المعنی، فمن کان ثابتا معه نجا کالثابت علی الصراط، و المختلف عنه هالک کالذی زلّ قدمه عن الصراط، و قد علمت أقسام المارّین علی الصراط یوم القیامه فیما تقدم، و أقسامهم إنما هی بلحاظ أن الثابت مع الإمام علیه السّلام فی الدنیا إما ثابت باستقامه و قوه بلا کلفه، بل عن میل و رغبه، و محبه و عشق بإمامه بحیث صار فانیا فیه فهو مار علی الصراط کالبرق الخاطف، و إما مع کلفه یسیره فهو کالماشی علی الصراط، و إما مع تکلف شدید فهو کمن یمرّ حبوا کما تقدم. و أما من ثبت مع الإمام فی الدنیا تاره، و ینحرف عنه أخری، أو ثبت معه من جهه من الحقائق و المعارف دون جهه کبعض المتفلسفه من المسلمین، فهو یمرّ یوم القیامه علی الصراط متعاقبا، تأخذ النار منه شیئا من انحرافه عنه علیه السّلام و تترک منه شیئا، و لعلّ هذا هو السرّ فی أن العبد فی صلاته یطلب منه تعالی، بعد الحضور بین یدی السلطان المطلق، و عرض العبودیه له، و تخصیص الاستعانه الداله علی العجز و النقص، الهدایه بقوله: (اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِیمَ) المفسر بمعرفه أمیر المؤمنین. و من المعلوم أنه لیس المراد من معرفه الإمام معرفه شکله و أوصافه البشریه، فإنها و إن کانت فی غایه المطلوبیه لما فیه من عجائب اللطف منه تعالی له علیه السّلام فالکفار و الفجار المشاهدون له علیه السّلام یعرفون ذلک و أن الموالین لهم علیهم السّلام الغائبین عنهم علیهم السّلام و عن خدمتهم لا یشاهدون ذلک، بل المراد معرفه إمامته و مقام ولایته المطلقه الإلهیه التشریعیه و التکوینیه، بما لها من المعنی المتقدم مشروحا، فالإمام بهذه المعروفیه و المنزله هو مصداق الدین، و حقیقه الصراط المستقیم، فالمقتدی به بنحو ما تقدم هو السالک للصراط المستقیم. فیعلم من هذا أن طلب الهدایه إلی الصراط متحد مصداقا حقیقیا مع معرفه أمیر المؤمنین علیه السّلام کما لا یخفی، و أمّا سرّ کون الإمام علیه السّلام صراط اللّه، و أن معرفته معرفه

اللّه كما نطقت به الأحاديث و الروايات، و أن السير الحقيقى هو معرفته عليه السّلام و الارتباط به عليه السّلام روحا و عملا، فحاصله كما عن بعض الأكابر (رضوان اللّه عليه) : أن الذى يظهر من التأمل فى الإمام، و فى صفاته أنه مظهر للحق بإنيته، أى أنه تعالى أثبت وجوده فى العالم بوجود الإمام عليه السّلام إذ هو تعالى الظاهر به عليه السّلام بوجوه: منها: أنه عليه السّلام أسماؤه الحسنى، كما تقدم

عن الصادق، و عن أمير المؤمنين عليهما السّلام من قولهم: و اللّه نحن الأسماء الحسنى، و معنى كونهم أسماءه الحسنى أنها ظاهره فيهم عليهم السّلام. و قد علمت سابقا أنه تعالى إنما عرف نفسه لعباده باسمائه و صفاته، فإذا كانت أسماؤه ظاهره فيهم عليهم السّلام فهم لا محاله يصيرون عين معرفته تعالى، فهم عين معرفه اللّه تعالى، أى ما به معرفه للخلق، فلا محاله تكون معرفتهم عليهم السّلام هكذا معرفه الحق، و هذه المعرفه بهم هكذا هو الطريق و الصراط إلى معرفه اللّه تعالى و توضيحه: أن الإمام عليه السّلام الذى هو مظهر للأسماء الحسنى، لما كان فانيا عن نفسه، و باقيا بربّه أى ليس فى جميع شئونه استقلال بنفسه، و ليس بين جميع شئونه و حالاته، و بين ربّه حجاب نفسانى و غير نفسانى، بل لا يرى منه ظاهرا و باطنا إلاّ و هو أثر منه تعالى فقط. و جميع صفاته عليه السّلام تكون فانيه فى ربّه، و فانيه عن نفسه المقدسه، أى لا ينسب إلى نفسه عليه السّلام و لا تحدّ بحدود خلقيه، بل هى (أى صفاته عليه السّلام) انعكاس صفات الحق فيه عليه السّلام و هكذا بالنسبه إلى إرادته فهو عليه السّلام فان عن إرادته، بل هو تابع على الإطلاق لإراده ربّه، أى لا تكون فيه عليه السّلام إراده إلاّ إراده اللّه تعالى، و إرادته عليه السّلام انعكاس إرادته تعالى، و ظهور إرادته تعالى فيه عليه السّلام، و هكذا بالنسبه إلى أفعاله فهو عليه السّلام فان عن أفعاله، بل ليس أفعاله عليه السّلام إلاّ ظهور أفعاله تعالى، و انعكاس أفعاله تعالى فيه عليه السّلام فهو المظهر للتوحيد ذاتا و صفه و أفعالا و ما يتبعها. فإذا هو عليه السّلام مرآه لمعرفه اللّه تعالى بعنوان مطلق ليس فيه عليه السّلام من غيره تعالى

شیء، و

لذا ورد: «أنه من أحبّكم فقد أحبّ اللّه، بقول مطلق، و من عرفهم فقد عرف اللّه بقول مطلق» ، نعم حيث إنهم عليهم السّلام إنما صاروا كذلك بواسطه النبى صلّى اللّه عليه و آله بل

ورد: أولنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و آخرنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و أوسطنا محمد صلّى اللّه عليه و آله، بل له أولا و بالذات، ثم لهم عليهم السّلام تأخرا رتبيا لا زمانيّا و لا مكانيا كما علمت من أحاديث بدو خلقهم عليهم السّلام بالنورانيه، نعم فى عالم الوجود فى الدنيا بالتدريج فلا محاله كل معصوم يحكى عن المعصومين قبله إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله. فمعرفه الإمام أىّ إمام من المعصومين عليهم السّلام و فى أىّ زمان تكون مرآه لمعرفه النبى صلّى اللّه عليه و آله و للإمام قبله أيضا، لأنّه عليه السّلام مماثل له صلّى اللّه عليه و آله و نائب عنه صلّى اللّه عليه و آله و خليفه له، و قائم مقامه صلّى اللّه عليه و آله فى جميع الشئون سوى خصائص النبى و النبوه صلّى اللّه عليه و آله كل ذلك لأجل أنهم نور واحد كما علمت، ثم إنه لما كان الإمام مظهرا للأسماء الحسنى، فلا محاله يكون نظام عالم الوجود به عليه السّلام ضروره أن العالم يدور و ينتظم بالأسماء كما تقدم كل على حسب ظرفه، فإذا كانوا عليهم السّلام مظهرا لها فلا محاله هم نظام العالم، و هم مظهر العدل الإلهى فى شئونه عليه السّلام و فى شئون العباد و الخلق كلهم كما لا يخفى. ثم إن الإمام عليه السّلام حاك بوجوده، و بجميع علومه و أفعاله و صفاته عمّا سوى اللّه من شئون العالم الدنيوى و الأخروى من المبدإ و المعاد، فهو وجود جامع كيف لا و هو الكتاب التكوينى الإلهى الجامع كما حقق فى محله؟ فحينئذ فالمعرفه به كما هى معرفه للّه تعالى، كذلك هو معرفه للعالم و شئونه من المبدإ و المعاد فكما هو عليه السّلام حاك عما مضى و الحال، كذلك حاك عن المعاد بجامعيته فإنه قد علمت أنه عليه السّلام وجود جامع، و المعاد ليس إلا هو المجمع، و الجمع بين العوالم المتضاده و توافق العالم و ظهور البعض فى الآخر. و جميع هذه ظاهر فى صفات الإمام عليه السّلام و من استشرافه عليه السّلام على عالم الآخره، فحينئذ العارف بالإمام بما هو هو العارف بأصول الدين، و جميع ما سوى اللّه من المبدإ و المعاد.

ص: ١٠٢

و الحاصل: أنه علیه السّلام هو المجمع لآیات الآفاق و الأنفس من اللّه تعالی، فالمعرفه به معرفه بها فیترتب علی المعرفه به علیه السّلام أنه الحق کما لا یخفی، فتأمل تعرف إن شاء اللّه، و أیضا أنه علیه السّلام مع ما له من هذه المراتب العظیمه عبد مطلق ظهرت فیه العبودیه بکمالها و تحققت فیه علیه السّلام. فحینئذ فالمعرفه به علیه السّلام معرفه بکیفیه العبودیه و حقیقتها، کما أنها (أی معرفته علیه السّلام) معرفه الربوبیه أیضا، حیث إنه علیه السّلام مظهر للربوبیه بصفاتها کما علمت، فمتابعه هذا الإمام علیه السّلام بما هو کذلک خلقا و إراده و عملا هو العبودیه و العباده و المعرفه باللّه تعالی، فهو حینئذ الصراط الخارجی و التابع له کذلک سالک فی هذا الصراط کما لا یخفی. و بعباره أخری: لما کانوا بنحو قیل فیهم علیهم السّلام:

«إن ذکر الخیر کنتم أوله و أصله و فرعه و معدنه و مأواه و منتهاه

، کما سیجیء شرحه إن شاء اللّه تعالی، فلا محاله یکون الصراط المستقیم الذی هو اکتساب الخیرات کلّها إلی أن یصل الإنسان إلی المقصود الأعلی هو ذواتهم المقدسه علیهم السّلام. فهم علیهم السّلام أصل الصراط المشتمل علی جمیع ما یقرب العبد إلی اللّه سبحانه بهذا الاعتبار، و معنی المشی فی هذا الصراط (ای و معنی کونهم علیهم السّلام صراطا لتابعیهم) هو أن یحصل فی التابع رشحات منه علیه السّلام و من تلک الخیرات التی هو أصلها و فرعها کل بقدر مرتبته و تشیّعه، و السرّ المستتر فی کون الشیعه التابع لهم علیهم السّلام هکذا یکون ماشیا فی الصراط هو أنهم علیهم السّلام الأصل للطینه الطیبه، التی هی أصل الخیرات، لقداستها الذاتیه، و التی هی طینه المؤمنین و الشیعه کما علمت، فالشیعه بطینتهم تکون تبعا لطینتهم علیهم السّلام حیث إنها أصل لها کما تقدم. ففی الحقیقه رجوع الطینه الفرعیه، التی تکون فی الشیعه إلی الطینه الأصلیه، التی تکون فی الإمام هو السیر المعنوی، و هو السیر فی الصراط المستقیم، و هو المراد من

قوله علیه السّلام: «الشیعه من الشعاع کشعاع الشمس» فکما أن شعاع الشمس تابع

ص :۱۰۳

للشمس فكذلك الشيعى تابع للإمام عليه السّلام كما تقدم التصريح به هكذا فى الأحاديث السابقه. . ، لذا عبر عن الشيعه بالجزء فى الخبر المتقدم قريبا بهذه العنايه، و هو معنى أن الشيعه أخذون بحجزتهم عليهم السّلام فالإمام عليه السّلام هو الصراط للكلّ، و لكلّ من تبعهم و خصوصا للشيعه. ثم إن معنى كونهم صراطا أنهم الهداه للخلق بالنسبه إلى جميع المعارف و السعادات و المقامات و هى على أقسام. منها: تعلّم العلم منهم عليهم السّلام بالمشافهه، أو بمطالعه أخبارهم الحاكيه عما صدر عنهم من قول أو عمل، أو بالأخذ عن تعلم منهم عليهم السّلام. و منها: الهدايه من طرف العقل الذى هو حجه داخليه ابتداء، و بملاحظه آيات الآفاق و الأنفس. و بعباره أخرى: قد يهتدى الإنسان من العقل من حيث هو نور، و قد يهتدى به من حيث أعماله فى الآيات الآفاقيه و الأنفسيه. و منها: الهدايه من طرف ما يجرى اللّه تعالى على ألسن العباد من الحكم و النصائح. و منها: كما علمت من طرف اتصال النفس المتصف بصفات التشيع بالإمام عليه السّلام فيستمد منه، كما نقل ذلك عن أولياء اللّه تعالى فهم حين اتصالهم الروحى بإمامهم و بولايته يشاهدون من الحقائق و المعارف ما لا يشاهدونه فى غير تلك الحالات، و قصصهم مشهوره و كثيره. و منها: الهدايه من طرف صحه الحواس الباطنيه المدركه لأمور غائبه عن مشاعر هذا العالم،

ففى توحيد الصدوق فى حديث: «إن اللّه إذا أراد بعبد خيرا فتح العينين اللذين فى جوفه فيبصر بهما الغيب» . و منها: الهدايه بوقوع النور الإلهى فى قلبه، كما فى حديث عنوان البصرى من

قوله عليه السّلام: ليس العلم بالتعلم بل هو نور يقع فى قلب من أراد اللّه أن يهديه.

ص :۱۰۴

و الحاصل: أن الإمام عليه السّلام مظهر للاسم الهادی بجمیع أنحاء الهدایه الثابته و الکائنه فی الخلق، فالتابع له علیه السّلام یهتدی بهداه فی جمیع هذه المراتب فهو (أی الإمام) صراطه الواضح إلیه تعالی فی هذه الأمور تکوینا و تشریعا، و هو من لوازم ثبوت الولایه التکوینیه و التشریعیه لهم کما تقدم شرحه مفصلا، و فی المحکی عن شیخنا البهائی (رضوان اللّه علیه) ما لفظه: و اعلم أن أصناف هدایته جلّ شأنه، و إن کانت مما لا یحصر مقداره، و لا یقدر انحصاره إلّا أنها علی أربعه أنحاء: أولها: الهدایه إلی جلب المنافع و دفع المضار بإضافه المشاعر الظاهریه و المدارک الباطنیه و القوه العاقله، و إلیه یشیر قوله تعالی: (أَعْطیٰ کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدیٰ) . و ثانیها: نصب الدلائل العقلیه الفارقه بین الحق و الباطل و الصلاح و الفساد و إلیه یشیر قوله عزّ و علا: (وَ هَدَیْنٰاهُ اَلنَّجْدَیْنِ) . و ثالثها: الهدایه بإرسال الرسل و إنزال الکتب، و إلیه یومئ قوله تعالی: (وَ أَمّٰا ثَمُودُ فَهَدَیْنٰاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا اَلْعَمیٰ عَلَی اَلْهُدیٰ) . و رابعها: الهدایه إلی طریق السیر إلی حضائر القدس، و السلوک إلی مقامات الأنس بانطماس آثار التعلقات البدنیه، و اندراس أکدار الجلابیب الجسمیه، و الاستغراق فی ملاحظه أسرار الکمال، و مطالعه أنوار الجمال، و هذا النوع یختص به الأولیاء و من یحذو حذوهم. ثم قال: فإذا تلا هذه الآیه أصحاب المرتبه الثالثه أرادوا الهدایه للمرتبه الرابعه، و إذا تلاها أصحاب المرتبه الرابعه أرادوا الثبات علی ما هم علیه من الهدی، کما روی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام من تفسیر اِهْدِنَا بثبتنا أو زیادته. قوله (رضوان اللّه علیه) : و إذا تلا هذه الآیه أصحاب المرتبه الثالثه. . . إلخ. المراد منها قوله تعالی: (اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِیمَ) ، کما یظهر من سیاق الکلام، و أنه ذکر هذا الکلام بعض الأعلام فی تفسیر هذه الآیه کما لا یخفی.

ص:١٠٥

أقول: الهدايه فی جمیع هذه المراتب من إفاضات الإمام علیه السّلام علی الخلق، لمکان ولایتهم علیهم السّلام التکوینیه کما لا یخفی، ففی الحقیقه هم الصراط فی جمیع ذلک کما لا یخفی. هذا و قد یقال: معنی کونهم علیهم السّلام صراطه تعالی ما حاصله: أن المستفاد من قوله تعالی: (یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ أَنْتُمُ اَلْفُقَرٰاءُ إِلَی اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ هُوَ اَلْغَنِیُّ) (۱)هو أن الخلق بجمیع أقسامهم و شئونهم و حدودهم لیسوا إلّا فقرا محضا و معدما محضا، لیس لهم شیء من الوجود و سایر ما به قوامهم فی جمیع شئونهم إلّا منه تعالی، فالخلق هو الفقر و العدم و ما به حیاتهم هو حقائق الأسماء الحسنی الإلهیه، کلّ بحسب ظرفه و احتیاجه کما تقدم و حیث تقدم: أنهم علیهم السّلام الأسماء الحسنی، فلا محاله أن الخلق متقلبون و متصرفون فی تلک الأسماء، فالخلق حینئذ متصرفون فی فواصل حقائقهم علیهم السّلام و ترشحاتها فهم (أی الخلق) دائما مستفیضون و متسمدون بواسطه حقائقهم علیهم السّلام. ففی الحقیقه هم علیهم السّلام الصراط بحقائقهم إلی مطلوبات الخلق، فلا یصل أحد إلی مقصد و سعاده و معرفه و مقام إلّا بهم علیهم السّلام فالخلق الذی هو الفقر المحض یصل إلی اللّه تعالی، و إلی سائر ألطافه الدنیوی و الأخروی بواسطتهم، بل بهذا البیان أن أعداءهم أیضا مستفیضون منهم علیهم السّلام فی الوصول إلی مقاصدهم. نعم الأعداء محرومون عن کثیر من السعادات فی الدنیا، و عنها کلیا فی الآخره، لعداوتهم الموجبه لانقطاعهم عنهم علیهم السّلام الذی یلزم انقطاع الفیض منهم علیهم السّلام کما لا یخفی، فحینئذ نقول: فهم علیهم السّلام صراط اللّه، أی طریق اللّه إلی خلقه فی الخلق و الرزق و الحیاه و الممات. فهذه الأمور الأربعه تصل من اللّه تعالی إلی الخلق بواسطتهم علیهم السّلام، و هم أیضا طریق الخلق إلی اللّه تعالی فی جمیع مطالبهم فی ذرّات الأمور الأربعه المذکوره، التی هی أرکان ما فی الإمکان، فجمیع الخلائق یسعون إلی اللّه، و إلی ما منه بدؤهم فی

۱- ۱) فاطر:۱۵.

جميع المطالب بأعمالهم و أقوالهم و أحوالهم، و وجوداتهم و قوابلهم بحقيقه استعدادهم كل ذلک بواسطتهم علیهم السّلام و هذه الأمور كلها وجدت فی الخلق منهم و بواسطتهم، إذ قد علمت فيما تقدم أن الأئمه علیهم السّلام بأنوارهم بدأ الخلق منهم على التفصيل المذكور فی الأحاديث، نعم الأعداء خلقوا من أظله شعاعهم فهم مخلوقون بالتبع كما حقق فی محله. و بعباره أخرى: الجعل الإلهی الذی ذرأ فيه جميع الخلائق بما هم عليه و بما هم فيه و لما هم له، عنهم علیهم السّلام صدر و بهم ظهر، و فی بطن علمهم أی علمه فيهم بطن و حقائقهم فی حقائقهم علیهم السّلام بطن و استتر، فالخلائق كلهم قائمون فی الوجود بظلّهم الذی مدّه اللّه تعالى شأنه، و جعل الدليل عليهم شمس حقيقتهم علیهم السّلام. و الحاصل: أن الفعل مطلقا منه تعالى، إلاّ أنه تعالى يفعل ما يفعل بأسمائه و هم علیهم السّلام أسماؤه تعالى، فاللّه تعالى بهم خلق ما خلق، و رزق ما قدر من الأقوات، و أحيا و أمات بهم كما تقدم من

قول أمير المؤمنين عليه السّلام فی وصف الإمام: و اللّه ما الإمام إلاّ من يحيى و يميت، أو ما يقرب منه معنى فراجع. ثم إنه تعالى لو شاء لأعطى كل واحد من خلقه كل ما شاء كما شاء بمقتضى جوده الكلی، و لكمال غناه عما سواه بحيث لا يوجد جاهل و لا فقير مطلقا، و لكنه تعالى للطفه و رحمته و حكمته أن جعل الاختلاف فی مراتب خلقه من حيث العلم و الجهل و الغنى و الفقر، و القوه و الضعف، و اقتضت حكمته أنه تعالى يفعل بالأسباب من العلل الأربع الفاعليه و الماديه و الصورويه و الغائيه، لوجود الخلق و الرزق و الحياه و الممات، كل ذلک لتتحقق مظاهر أسمائه الحسنى، التی ربما لا تعدّ و لا تحصى، فجعل أكثر خلقه عاجزا عن القبول لتلک الاستعدادات العاليه للمراتب العاليه، بل جعلهم عاجزين عن القبول لإيجاداتهم على ما هم عليه بلا واسطه، بل لم يكونوا كذلک إلاّ بالأسباب و المتممات للقوابل، فحيث إن حكمته تعالى اقتضت وجوب الاختلاف فی مراتب أنواع الخلقه، لظهور مجارى أسمائه الحسنى المتعدده فلا محاله

ص :١٠٧

يكون فى الخلق ضعفاء بذاتهم و صفاتهم و إدراكاتهم و ساير شئونهم، و مع ذلک فهم محتاجون فى الكمال إلى ما به وصولهم إلى الكمال، فلا محاله حينئذ اقتضت الحكمه الإلهيه خلق محمدا و أهل بيته المعصومين عليهم السّلام و جعلهم خزائن لتلک الكمالات بأسبابها بحقيقه ما هم عليهم السّلام أهله. فاقتضت الحكمه حينئذ أن يكونوا عليهم السّلام خزائن رحمته و محبته، و أبواب فيضه و مدده، و نواب إفاضاته، و حفظه آلائه و نعمه، و حمله آثار و جوده و كرمه إلى ما شاء من جميع خلقه بأنواعهم و أقسامهم، و اقتضت حكمته للزوم حفظ نظام الخلق المشىء وجوده على النحو الأتم الأكمل، معارضه أن لا يكون له سبحانه طريق، و لا باب يفيض عنده عطاياه و إمداداته غيرهم عليهم السّلام فهم حينئذ صراطه تعالى فى علمه تعالى بخلقه

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أنا عين اللّه و رؤيته تعالى لهم على ما هم عليه و إمداده تعالى، بل و قيوميته تعالى إياهم، و جميع ما بهم منه تعالى من خلق و رزق و موت و حياه» . ثم إنهم عليهم السّلام لما كانوا عالمين بعلمه، و قادرين بقدرته، و مسلطين بالسلطه الإلهيه على خلقه تعالى، فلا محاله هم عليهم السّلام عالمون بحقائق الوحى الإلهى و بحقائق الموجودات، فهم حينئذ مترجمون لكلامه بنحو يبيّنون معانى الوحى للخلق لكل بحسب فهمه و إدراكه، كما لا يخفى و سيجىء توضيحه إن شاء اللّه، فهم مترجمون للخلق الشرعيات الإلهيه، و الأمور التكوينيه بلوازمهما و ملزوماتهما، فبهم و بحقائقهم خلق اللّه الخلق، و ألزمهم التشريع و التكليف من العقائد و الأعمال، و بهم خلق الموجودات بمقاديرها و كيفياتها و رتبها و أمكنتها و أوقاتها و آجالها و ما يلزمها. و الحاصل: أنه تعالى تقضى بهم قضيته كما تقدم من قول الصادق عليه السّلام و

كما ورد: إراده الرب فى مقادير أموره تهبط إليكم، و تصدر من بيوتكم، و الصادر عما فصل من أحكام العباد، هذا كله بالنسبه إلى ما يصل من اللّه إلى الخلق مطلقا، و أما

بالنسبه إلى ما يصل من الخلق إليه تعالى، فبهم عليهم السّلام و بالاتباع لهم عليهم السّلام و الأخذ عنهم فى معالم الدين مطلقا، و الولايه لهم و البراءه من أعدائهم، و من ولايه أعدائهم و الرضا بهم عليهم السّلام تقبل الأعمال العباديه، و يدخل الإنسان فى زمره المؤمنين، و فى زمره أولياء اللّه، و بترك الولايه و بقيه الأمور ترد الأعمال على صاحبها. و مما ذكرنا ظهر أنهم عليهم السّلام الصراط لما من اللّه تعالى إلى الخلق، و أيضا الصراط لما من الخلق إليه تعالى من قبول أعمالهم، و تقربهم إليه تعالى، و مشاهدتهم معارفه و حقائق الأشياء، فهم عليهم السّلام الصراط المستقيم فى ذلك كلّه، و كونهم صراطا مستقيما لأجل أن هذا الصراط (أى هدايتهم من اللّه للخلق و سوقهم الخلق مما لهم إليه و وساطتهم لذلك كلّه) إنما هو على حدّ الاعتدال من العدل و الحكمه المقتضيه لصلاح الخلق و أخباراتهم و أعمالهم إذا اتبعوهم فيها. و بعباره أخرى: أنهم عليهم السّلام يسيّرون الخلق التابعين لهم بنحو خلقهم اللّه تعالى بمقتضى حكمته فى علم الغيب، فالتارك لهم إنما هو ظالم و سائر فى الفساد و حاكم بالزور، و إلى هذا يشير

ما ورد من أنهم عليهم السّلام «الصراط المستقيم و القسطاس المستقيم» رزقنا اللّه الاهتداء بهم عليهم السّلام و المشى فى صراطهم المستقيم بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليهم السّلام و نوره

فى المجمع: و النور كيفيه ظاهره بنفسها مظهره لغيرها، و الضياء أقوى منه و أتم، و لذلك أضيف للشمس، و قد يفرق بينهما بأن الضياء، ضوء ذاتىّ و النور ضوء عارضىّ، كما فى الشمس فإن نورها ذاتى، فيقال: ضياء الشمس بخلاف القمر فيقال: نور القمر، لأنه مكتسب من الشمس كما لا يخفى. إلى أن قال: و النور: الضياء، و هو خلاف الظلمه و سمّى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم نورا للدلالات الواضحه التى لاحت منه للبصائر، و سمّى القرآن نورا للمعانى التى تخرج

الناس من ظلمات الكفر، و يمكن أن يقال: سمّى نفسه تعالى نورا لما اختص به إشراق الجلال و سبحات العظم التى تضمحل الأنوار دونها، و على هذا لا حاجه إلى التأويل. . إلخ. أقول: لا بدّ من بيان كونهم عليهم السّلام نورا ثم معنى إضافته إليه تعالى فاللازم ذكر الآيات و الأحاديث الداله على أنهم النور و أنهم نور اللّه تعالى فنقول:

ففى البحار (۱)، باسناده عن أبى خالد الكابلى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قوله تعالى: (فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا) فقال: يا أبا خالد النور و الله الأئمه (النور و اللّه نور الأئمه) من آل محمد إلى يوم القيامه، هم و اللّه نور اللّه الذى أنزل، و هم و اللّه نور اللّه فى السموات و الأرض، و اللّه يا أبا خالد لنور الإمام فى قلوب المؤمنين أنور من المس المضيئه بالنهار، و هم و اللّه ينورون قلوب المؤمنين، و حجب نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، و اللّه يا أبا خالد لا يحبنا عبد و يتولانا حتى يطهر اللّه قلبه، و لا يطهّر قلب عبد حتى يسلم لنا، و يكون سلما لنا إذا كان سلما لنا سلّمه اللّه من شديد الحساب، و آمنه من فزع يوم القيامه الأكبر.

و فيه، عنه بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله: (نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ) ، قال: قال: أئمه المؤمنين نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم حتى ينزلوا منازل لهم. أقول: أى نور الأئمه يسعى بين يدى المؤمنين.

و فى تفسير نور الثقلين (۲)، عن تفسير العياشى، عن بريد العجلى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه: (أَ وَ مَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً يَمْشِی بِهِ فِی اَلنّٰاسِ) ، قال: الميت الذى لا يعرف هذا الشأن يعنى هذا الأمر، و جعلنا له نورا، إماما يأتم به يعنى على بن أبى طالب عليه السّلام قال: فقوله: (كَمَنْ مَثَلُهُ فِی اَلظُّلُمٰاتِ لَيْسَ

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۳۰۸.

۲- ۲) نور الثقلين ج ۱ ص ۶۳۲.

بِخَارِجٍ مِنْهَا) ، فقال بيده هكذا هذا الخلق الذى لا يعرف شيئا.

و فيه (١)على بن إبراهيم بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل (اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ اَلرَّسُولَ اَلنَّبِيَّ اَلْأُمِّيَّ) إلى قوله: (وَ اِتَّبَعُوا اَلنُّورَ اَلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ) قال: النور فى هذا الموضع أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام.

و فى البحار عن كنز جامع الفوائد باسناده عن جابر الجعفى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قوله اللّه عز و جل: (يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال: الحسن و الحسين عليهما السّلام قلت: و يجعل لكم نورا تمشون به، قال: يجعل لكم إماما تأتمون به.

و فى حديث آخر فيه بسند آخر و فيه بعد قوله تأتمون به: و هو على بن أبى طالب عليه السّلام. أقول: و الأخبار فى تفسير النور المذكور فى القرآن بهم عليهم السّلام كثيره جدّا كالأحاديث الوارده فى تفسير آيه النور، و نحن نذكر منها فى تفسيرها حديثا جامعا فيه فوائد كثير.

ففى تفسير البرهان (٢). . و عنه قال: حدثنى أبى، عن عبد اللّه بن جندب، قال: كتبت إلى أبى الحسن الرضا عليه السّلام أسأله عن تفسير هذه الآيه، فكتب إلىّ الجواب: أمّا بعد: فإن محمدا صلّى اللّه عليه و آله كان أمين اللّه فى خلقه، فلما قبض النبى صلّى اللّه عليه و آله كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء اللّه فى أرضه، عندنا علم المنايا و البلايا، و أنساب العرب، و مولد الإسلام، و ما من فئه تضل مائه إلّا و نحن نعرف سائقها و قائدها و ناعقها، و إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقه الإيمان و حقيقه النفاق، و إن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ اللّه علينا و عليهم الميثاق، و يردون موردنا، و يدخلون مدخلنا، ليس على مله الإسلام غيرنا و غيرهم إلى يوم القيامه.

١- ١) تفسير نور الثقلين: ج ٢ ص ٨٣.

٢- ٢) تفسير البرهان ج ٣ ص ١٣٥.

نحن الآخذون بحجزه نبينا، و نبينا آخذ بحجزه ربنا، و الحجزه النور، و شيعتنا أخذون بحجزتنا، من فارقنا هلك، و من تابعنا نجا، و المفارق لنا و الجاحد لولايتنا كافر، و متبعنا و تابع أوليائنا مؤمن (و المتبع لولايتنا مؤمن) لا يحبنا كافر، و لا يبغضنا مؤمن، و من مات و هو يحبنا كان حقّا على اللّه أن يبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا، و هدى لمن اهتدى بنا، و من لم يكن معنا فليس من الإسلام من شیء، بنا فتح اللّه الدين، و بنا يختم (يختمه) ، و بنا أطعم اللّه عشب الأرض، و بنا أنزل اللّه قطر السماء و بنا آمنكم اللّه من الغرق فی بحركم، و من الخسف فی برّكم، و بنا نفعكم اللّه فی حياتكم، و فی قبوركم، و فی محشركم، و عند الصراط، و عند الميزان، و عند دخول الجنه، مثلنا فی كتاب اللّه مشكاه، و المشكاه فی القنديل، فنحن المشكاه، فيها مصباح، المصباح محمد رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله المصباح فی زجاجه من عنصره الطاهر، الزجاجه كأنها كوكب درّی، توقد من شجره مباركه زيتونه لا شرقيه و لا غربيه، و لا دعيه و لا منكره، يكاد زيتها يضیء، و لو لم تمسسه نار، كمثل القرآن نور على نور، إمام بعد إمام، يهدی اللّه لنوره من يشاء، و يضرب اللّه الأمثال للناس، و اللّه بكلّ شیء عليم، فالنور على عليه السّلام يهدی اللّه لولايتنا من أحبّ، و حقّ على اللّه أن يبعث ولينا مشرقا وجهه، منيرا برهانه، ظاهره عند اللّه حجته، حقا على اللّه أن يجعل أولياءنا المتقين و الصديقين، و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا. فشهداؤنا لهم فضل على الشهداء بعشر درجات، و لشهيد شيعتنا فضل على كلّ شهيد غيرنا بتسع درجات، فنحن النجباء، و نحن أفراط الأنبياء، و نحن أولاد الأوصياء، و نحن المخصوصون فی كتاب اللّه، و نحن أولى الناس برسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و نحن الذين شرع اللّه لنا دينه فقال فی كتابه: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ اَلدِّينِ مٰا وَصّٰی بِهِ نُوحاً وَ اَلَّذِی أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ (يا محمد) وَ مٰا وَصَّيْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ) قد علمنا و بلغنا ما علمنا و استودعنا علمهم و نحن ورثه أولى العلم و أولى العزم من الرسل و الأنبياء (و نحن ورثه أولى العلم، بحار) . (أَنْ أَقِيمُوا اَلدِّينَ (يا آل محمد صلّی اللّه عليه و آله)

وَ لاٰ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (و كونوا على جماعتكم بحار) كَبُرَ عَلَى اَلْمُشْرِكِينَ من أشرك بولايه على عليه السّلام ما تدعوكم (مٰا تَدْعُوهُمْ) إِلَيْهِ من ولايه على عليه السّلام إن اللّه (يا محمد) يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ من يجيبك إلى ولايه على بن أبى طالب عليه السّلام و قد بعثت بكتاب فيه هدى، فتدبره و افهمه فإنه شفاء لما فى الصدور، الحديث بتمامه. فظهر مما ذكر: أن كلمه نور كثيرا ما فى القرآن قد أطلق، و فسّر بهم عليهم السّلام و يدل أيضا على أنهم عليهم السّلام نور اللّه ما ورد فى بدء خلقهم عليهم السّلام و قد تقدم كثير منها. و منها:

فى البحار (۱)، عن الكشى، عن الصدوق رحمه اللّه عن رجاله عن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو يخاطب عليا عليه السّلام و يقول: يا على إن اللّه تبارك و تعالى كان و لا شىء معه. فخلقنى و خلقك روحين من نور جلاله فكنا أمام العرش، الحديث.

و فيه (۲)عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: إن اللّه تعالى خلق أربعه عشر نورا من نور عظمته، قبل خلق آدم بأربعه عشر ألف عام فهى أرواحنا، فقيل: يا بن رسول اللّه عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعه عشر نورا؟ محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين و تسعه من ولد الحسين و تاسعهم قائمهم، ثم قال إلى آخر الحديث و قد تقدم بتمامه ظاهرا.

و فيه (۳)باب نادر فى معرفتهم (صلوات اللّه عليهم) بالنورانيه قال: روى عن محمد بن صدقه أنه قال: سأل أبو ذر الغفارى سلمان الفارسى (رضوان اللّه عليهما) يا أبا عبد اللّه ما معرفه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بالنورانيه؟ قال: يا جندب فامض بنا حتى نسأله عن ذلك، قال: فأتيناه فلم نجده، قال: فانتظرناه حتى جاء، قال

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۴.

۳- ۳) البحار: ج ۲۶ ص ۱.

(صلوات اللّه عليه) : ما جاء بكم؟ قالا: جئناک یا أمیر المؤمنین نسألک عن معرفتک بالنورانیه، قال (صلوات اللّه علیه) : مرحبا بکما من ولیّین متعاهدین لدینه لستما بمقصّرین، لعمری إن ذلک الواجب علی کل مؤمن و مؤمنه، ثم قال (صلوات اللّه علیه) : یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین. قال علیه السّلام: إنه لا یستکمل أحد الإیمان حتی یعرفنی کنه معرفتی بالنورانیه، فإذا عرفنی بهذه المعرفه، فقد امتحن قلبه للإیمان، و شرح صدره للإسلام، و صار عارفا مستبصرا، و من قصّر عن معرفه ذلک فهو شاک و مرتاب، یا سلمان و جندب قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال علیه السّلام: معرفتی بالنورانیه معرفه اللّه عز و جل، و معرفه اللّه عز و جل معرفتی بالنورانیه، و هو الدین الخالص الذی قال اللّه تعالی (وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِیَعْبُدُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ اَلدِّینَ حُنَفٰاءَ وَ یُقِیمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ یُؤْتُوا اَلزَّکٰاهَ وَ ذٰلِکَ دِینُ اَلْقَیِّمَهِ) (۱)، الحدیث. أقول: یعرف من هذا الحدیث الشریف وجه إضافه نوره، أی إضافه کونهم أنوارا إلیه تعالی، و ذلک لأن حقیقتهم النوریه هی معرفه اللّه، کیف و اللّه تعالی خلقهم من نور عظمته کما علمت، و تقدم الکلام فیه مفصلا، فظهر مما ذکر أنهم نور اللّه، الذین نوروا العلم بعلمهم الإلهی، و بهدایتهم للخلق إلیه تعالی بأقسامها، و بدلالتهم للخلق إلیه تعالی حیث إنهم علیهم السّلام الأنوار اللائحه، التی تلوح لبصائر الخلق، فیقتدی بهم کلّ علی حسب استنارته منهم علیهم السّلام و قد تقدم أن تضاعف درجات المؤمنین إنما هو علی حسب معرفتهم بهم علیهم السّلام. و بعباره أخری: قد علمت أن النور هو الظاهر بنفسه، و من أسمائه تعالی الظاهر و النور کما ورد نور السموات و الأرض، و قد علمت أنهم الأسماء الحسنی، فمظهر هذا الاسم هو ذواتهم المقدسه، فهم بنور اللّه تعالی، و بکونهم مظهرا له ینورون العالم، و یظهرون التوحید فی الوجود بما له من المعانی و المعارف و المظاهر و المصادیق

۱- ۱) البینه:۵.

فی الخلق بذاتهم علیهم السّلام نوّروا العالم بنور الوجود

ففی زیاره الحجه (عج) :

«السلام علیک یا عین الحیوه»

، فالوجود لجمیع الخلق إنما هو بنورهم. و الحاصل: أن جمیع ما سواهم و سوی اللّه تعالی موجود بهم و بنورهم کما تقدم و حقق فی محله، و یمکن أن یراد من

قوله علیه السّلام: و نوره ، أیضا ما ورد فی الأحادیث الکثیره من أن عندهم علیهم السّلام النور الذی فسر به سوره إنا أنزلناه.

ففی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن إسحاق الحریر قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فسمعته و هو یقول: إن للّه عمودا من نور حجبه اللّه عن جمیع الخلائق، طرفه عند اللّه و طرفه الآخر فی أذن الإمام، فإذا أراد اللّه شیئا أوحاه فی أذن الإمام.

و فیه (۲)بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: إنا أنزلناه نور کهیئه العین علی رأس النبی صلّی اللّه علیه و آله و الأوصیاء، لا یرید أحد منا علم أمر من أمر الأرض أو أمر من أمر السماء إلی الحجب التی بین اللّه و بین العرش إلّا رفع طرفه إلی ذلک النور، فرأی تفسیر الذی أراد فیه مکتوبا.

فقوله علیه السّلام: إن للّه عمودا من نور، یشیر إلی أنّ فی قلوبهم علیهم السّلام نورا مرتبطا بینهم و بینه تعالی، فهم ذلک النور الإلهی المرتبط بهم علیهم السّلام و تقدمت الأحادیث الوارده فی شرح قوله تعالی: (وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا)(۳)ما فیه ذکر النور، فراجع. ثم إنه یستفاد من کثیر من الأحادیث، و قد تقدم بعضها أن بعض الشیعه و المؤمنین لهم من هذا النور نصیب، فقلوبهم منوره بنورهم علیهم السّلام کما تقدم

فی حدیث أبی خالد الکابلی و فی البحار (۴)، عن الکنز بإسناده عن کعب بن عیاض قال: طعنت

ص: ۱۱۵

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۳۹.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۴۲.

۳- ۳) الشوری:۵۲.

۴- ۴) البحار ج ۲۳ ص ۳۱۹.

على على عليه السّلام بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فوكزنى فى صدرى، ثم قال: يا كعب إن لعلى عليه السّلام نورين: نور فى السماء و نور فى الأرض، فمن تمسك بنوره أدخله اللّه الجنه، و من أخطأه أدخله اللّه النار، فبشّر الناس عنى بذلك.

و فيه (۱)عن الخصال بإسناده عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لما خلق اللّه عز و جل الجنه خلقها من نور عرشه، ثم أخذ من ذلك النور ففرّقه (فعرفه أو فقذفه، ن) فأصابنى ثلث النور و أصاب فاطمه عليها السّلام ثلث النور و أصاب عليا عليه السّلام و أهل بيته ثلث النور، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى إلى ولايه آل محمد، و من لم يصبه من ذلك النور ضلّ عن ولايه آل محمد صلّى اللّه عليه و آله.

و فى بصائر الدرجات (۲)، باسناده عن معاويه بن عمار قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك هذا الحديث الذى سمعته منك ما تفسيره؟ قال و ما هو؟ قال: إن المؤمن ينظر بنور اللّه، فقال: يا معاويه إن اللّه خلق المؤمنين من نوره و صبغهم فى رحمته و أخذ ميثاقهم لنا بالولايه على معرفته يوم عرفهم نفسه فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه و أمه، أبوه النور و أمه الرحمه، و إنما ينظر بذلك النور الذى خلق منه.

و فيه، فى حديث، و فيه بعد قوله عليه السّلام: «يوم عرفهم نفسه» فهو المتقبل من محسنهم، المتجاوز عن مسيئهم، من لم يلق اللّه ما هو عليه (بما هو عليه خ بحار) لم يتقبل منه حسنه، و لم يتجاوز عنه سيئه، رزقنا اللّه تعالى من نورهم و نور ولايتهم بمحمد و آله الطاهرين.

۱- ۱) البحار: ج ۲۳ ص ۳۰۸.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۸۰.

قوله علیه السّلام: و برهانه. هذا علی نسخه العیون دون التهذیب. أقول: سیأتی فی الزیاره قریبا

قوله علیه السّلام:

و نوره و برهانه عندکم

، فهنا أطلق النور و البرهان علیهم علیهم السّلام بلحاظ ذاتهم و حقیقتهم، و هناک ذکر أن نوره تعالی و برهانه عندهم علیهم السّلام فلعله للإشاره إلی أنه من أراد أن یقف علی نوره و برهانه، فنوره و برهانه عندهم لا عند غیرهم، فبهذا الاعتبار لا بأس بالتکرار، و کیف کان فنذکر شرح البرهان الذی عندهم فیما یأتی، و منه یظهر إن شاء اللّه کیفیه أنهم علیهم السّلام برهانه تعالی بذاتهم، فترقب.

قوله علیه السّلام:

و رحمه اللّه و برکاته

، قد تقدم بیانه إلاّ أن فی تکرار هذه الجمله بعد کل تسلیمه بناء علی أن الجمل إنشائیه لا إخباریه یفید طلب الرحمه منه تعالی لهم علیهم السّلام و البرکه. و قد تقدم أن طلب ذلک کالصلوه علیهم یزید فی الألطاف الإلهیه لهم علیهم السّلام من حیث إن ذاته المقدسه تبارک و تعالی غیر متناهیه بخلاف ذواتهم علیهم السّلام فلا محاله یحسن التکرار، کما یحسن تکرار الصلوه علیهم (علیهم الصلوه و السلام) فی کل آن کما لا یخفی.

[۱۵]قوله علیه السّلام: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له کما شهد اللّه لنفسه.

اشاره

أقول: شرح هذه الجمل یقع فی جهات:

الجهه الأولی:

فی المجمع: قوله: (شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ) قیل: معناه بین و أعلم، کما یقال: شهد فلان عند القاضی، أی بیّن و أعلم لمن الحق و علی من هو. أی یبین أن الحق ثابت لمن (و اللام للنفع) و أنه علی من و علی للضرر. أقول: أی أنه تعالی بیّن أنه لا إله إلاّ هو إما بإرسال الرسل و إنزال الکتب، و إما بإراءته تعالی آیاته الآفاقیه و الأنفسیه حتی یتبین لهم أنه الحق، و قوله: اعلم لمن الحق و علی من، أی یبین تعالی أن الوحدانیه و الإلهیه الحقه یستحق لمن فی الوجود،

و يبين أنه لا يستحق إلا لذات الواجب المستجمع لجميع الصفات الجلاليه و الجماليه، أو فالتوحيد له و حقه تعالى، و يبين أنها ينبغى لجميع الخلق أن يشهدوا على أن التوحيد و الوحدانيه الحقه يكون له تعالى، فيشهدوا عليه عند الكل خلافا على المشركين و المنكرين لوحدانيته تعالى، و قيل: الشهاده معناه حضور المشهود به عند الشاهد كما سيجىء توضيحه. و فيه: و الشهيد من أسمائه تعالى و هو الذى لا يغيب عنه شىء و الشاهد الحاضر، و فعيل من أبنيه المبالغه فى فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم، و إذا أضيف إلى الأمور الباطنه فهو الخبير، و إذا أضيف إلى الأمور الظاهره فهو الشهيد إلخ. أقول: فالشهيد هو العالم بالأمور الظاهره مع إظهارها علنا. و فيه: و شهدت على الشىء اطلعت عليه و عاينته فأنا شاهد و الجمع أشهاد و شهود، و شهدت العيد أدركته و شاهدته عاينته، و شهدت المجلس حضرته و قولهم: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، أى الحاضر يعلم ما لا يعلمه الغائب، إلى أن قال: و شهد بكذا، يعدى بالباء لأنه بمعنى أخبر، و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه يتعدى بنفسه، لأنه بمعنى أعلم. . إلخ. أقول: فقوله: شهدت العيد أدركته، و قوله: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه يتعدى بنفسه، لانه بمعنى أعلم، يعطى أن شهد بمعنى الدرك و العلم، و الأول أخص من الثانى، لأنّ العلم هو الصوره الحاصله فى النفس سواء أدركه القلب أم لا، و هذا بخلاف الدرك فانه عباره عن وجدان القلب حقيقه المشهود به، فعلى هذا

قوله عليه السّلام:

و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه. . إلخ أى أدركت مفاد لا إله إلاّ اللّه دركا وجدانيا، نعم ربما يكون معناه أعلم مفاد لا إله إلاّ اللّه و إن لم يكن قد أدركه قلبا دركا وجدانيا كما هو المشاهد من كثير من غير الكاملين كما لا يخفى. هذا بخلاف ما إذا عدى بعلى مثل شهدت على الشىء، أى اطلعت عليه، أى

سواء أدركه أم لا فإن الاطلاع أعم كما لا يخفى، أو عدى بالباء كقولهم: شهد بذلك، أى أخبر به أو أعلم به فإنه حينئذ أعم من اليقين و من الظن المعتمد عليه فى الشرع كما لا يخفى. و كيف كان

فقوله:

أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، أى أدرك أنه لا إله إلاّ اللّه عن علم و يقين الحاصلين عن المشاهده، أو عن الدليل و البرهان القطعى كما عند الأكثر. و الحاصل: أشهد أى أرى حضور المشهود به، أعنى مفاد لا إله إلاّ اللّه بواسطه إراءته تعالى إيّاى من الآيات الآفاقيه و الأنفسيه رؤيه وجدان و انكشاف، و أما مفاده المنكشف فهو أنه لا معبود بالحق إلاّ الذات المقدسه، التى هى مستجمعه لجميع صفات الجلال و الجمال بوحدته، و لا شريك له فى استحقاقه للعبوديه، و فى هذه الصفات الذاتيه.

و قوله عليه السّلام:

كما شهد اللّه لنفسه و شهدت له ملائكته ، يعنى أن توحيده تعالى بالتوحيد الحقيقى و الإخلاص التحقيقى، ليس مما تطيقه القدره البشريه و القوه الإنسانيه، لكى تشهد له تعالى بالذات و الصفات شهودا و إدراكا بالكنه، كما شهد تعالى لنفسه كما

قال صلّى اللّه عليه و آله: «سبحانك لا أصفك إلاّ بما وصفت به نفسك» . فالخلق عاجزون عن أن يوحدوه تعالى كما وحد نفسه تعالى، بل غايه الإمكان أن يقال: نشهد بوحدانيته كما شهد هو تعالى بها، و فيه إشاره إلى قوله تعالى (شَهِدَ اَللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَ اَلْمَلائِكَهُ وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ) (۱)من خلقه (من الأنبياء و المرسلين و الأولياء و الصالحين و الموحدين و العارفين) لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم، و التوصيف بالعزيز و هو الغالب القاهر إشاره إلى أنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى كبريائه و دركه و توحيده و لذا

قال عليه السّلام: كما شهد اللّه لنفسه كما لا يخفى.

۱- ۱) آل عمران:۱۸.

و التوصيف بالحكيم بعده أى أنه تعالى بعد ما كانت ذاته المقدسه فى أرفع المحل بحيث سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، إلّا أنه تعالى عليم و فاعل للأشياء بحسب الحكمه و المصالح، أى أنه تعالى بعد علو مكانه، و انقطاع كل أحد دون معرفته الذاتيه، ليس بنحو لا أثر له تعالى فى خلقه، بل هو الفاعل لما يشاء بالحكمه الإلهيه، بحيث لا يضر شيئا واحدا علو مكانه، فهو يفعل كأنه مرءى لكلّ أحد بالعين، و ذلك بحكمته البالغه و قدرته النفاذه فى الأشياء لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم. و قد يقال: وجه التوصيف بالعزيز و هو ما لا يكاد يوجد لقله وجوده، هو أنه تعالى لا يمكن أن يظهر هويته تعالى فى عالم من العوالم

قال عليه السّلام:

«يا من لا يعلم ما هو و لا أين هو و لا حيث هو و لا كيف هو إلّا هو»

و الوجه فيه أن العوالم بأجمعها لا تسع لوجوده تعالى، فإن وجوده تعالى ذاته المقدسه و هى لا انقطاع لها و لا أمد لها و لا نهايه لها لا بالعدم و لا بالوجود الآخر الذى هو طارده، بل هو تعالى محيط بتمام العوالم (أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) (1)فلا يكون محاطا و موردا لتأثير من شىء، فهو محيط علما بالأشياء، و داخل فى الأشياء لا كدخول شىء فى شىء، و خارج عنها لا كخروج شىء عن شىء، و سيجىء توضيحه إن شاء اللّه تعالى، و مع ذلك فهو حكيم لما مرّ بيانه.

الجهه الثانيه: فى وجه الشهاده بالوحدانيه.

اشاره

اعلم أنه قد علمت أن الشهاده عباره عن الدرك و الوجدان، و هو إما بالعين أو بالقلب، و الأول ظاهر فى المرئيات، و أمّا الثانى الذى به يحصل الدرك به تعالى أى بوحدانيته، فحيث تكون الوحده مشهودا بها كما هو المطلوب فهو (اى هذا الدرك القلبى) يحصل بأمور: منها: و هو الأصل: أنك تستدل أولا عقلا بوحده الأثر، أى بوحده النظم فى

۱- ۱) فصلّت:۵۴.

عالم الوجود على وحده المؤثر، فإن مشاهده الوحده فى آثار الموجودات من الفلكيات و الأرضيات و ما فيهما يدل على وحده المؤثر، بل ترى فى كلّ موجود جهه وحده تكون حافظه لشئون ذلك الموجود، فهو بما له من الشئون المختلفه قائم بتلك الجهه الواحده. و الحاصل: أن جميع ما سوى المدعى أن اللّه تعالى له جهه وحدانيه يدل على وحده موجوده، فلو كان هناك موجد آخر لوقع الاختلاف فى الجهه الوحدانيه فى الموجودات، مثلا لو كان لك ظلّ واحد علمت منه أن هناك سراجا واحدا، و لو كان لك ظلّان دلّا على السراجين، لما تعلم عقلا من أن الظل الواحد لا يكون من سراجين و لا أن الظلّين من سراج واحد، و هكذا فى المقام تعلم من الجهه الوحدانيه فى الوجود أن هناك موجدا واحدا، إذ لا تكون الجهه الواحده من موجودين، كما لا يكون الأثران و الجهتان المختلفتان من موجد واحد، فنعلم قطعا من الجهه الواحده الجاريه فى الخلق على أن الخالق واحد و ليس هناك خالق آخر، لأنه إن كان فهو إما يكون أعلى من هذا فهذا نقص لهذا. و قد ثبت فى محله أن الناقص لا يكون إلها، لما نرى من كمال الموجودات الداله على كمال موجودها، و إن كان مساويا فأيضا يوجب نقص كل منهما، فإن كون الإله أعلى من سواه هو الكمال الأتم، فهو أكمل من كونه مساويا فتحقق الكمال الأتم اللازم و الثابت فى الإله، الذى لا يكون إلّا بعدم مساو له، تدل على أنه لا مساوى له، فإثبات المساواه نقص بل و حاجه إذ لو لا المساوى لما حصل له هذا النقص، هذا مع أن الغنى المطلق و الوجوب الحق منزه عن كل نقص كما حقق فى محله. و بعباره أخرى: لا بدّ من نفى النقص من الإله مطلقا، إذ بهذا النفى يتحقق غناه المطلق، و ذلك لأنّ النقص يدعو إلى الاحتياج و إلى التتميم فى ذاته، فلا يكون واجب الوجوب بالذات كما لا يخفى. و بعباره أخرى: ليس فى صقع الوجود إلّا الذات الواجب البحت الكامل بنحو

الأـتم، الـذى لاـ يفرض فوقه كمال أبـدا، فهو الـذات الواجب الأزلى الأبـدى المسـتجمع لجميع الكمالات و الصـفات الجماليه و الجلاـليه، و ما يفرض خارج الـذات المقـدس فهو الموجود الحائز و الممكن بالإمكان الـذاتى، فحينئـذ لو فرض واجب آخر فلا صقع لوجـوده إلاّـ فى ظرف الإمكـان، لمـا علمت من أنه لاـ يمكن فى ظرف الوجـوب لثبوت وحـدته، فـإذا فرض أنه لم يوجد مفروض الواجب إلاّ فى ظرف المكان، فلا محاله لا يكون بـذاته واجب الوجود، بل يمتنع و يكون ممكن الوجود كما لا يخفى. فظهر من جميع ما ذكرنا: أنه لو فرض تعـدد الآلهه وقع التصادم و التـدافع فى مركز الوجوب، و فى الكمال المطلق و الغنى الحق، و أن ذاته المقـدسه التى هى الغنى المطلق يدفع توهم وجود آلهه أخرى كمثله تعالى، و يقتضـى نفى آلهه أخرى، و إلاّ لما كان واجب الوجـود، فحينئـذ بهـذا البرهـان العقلى وجب العلم و حصـل العلم القطعى و الحضور الحقيقى و العيـان البـديهى بحيث لا يحتمل النقيض عقلا بوحده الواحد، بحيث يدرك القلب و العقل دركا وجدانيا، فهذا معنى أشـهد (اى أجد و أدرك) أن لا إله إلاّـ اللّه وحـده لاـ شـريك له. و بعبـاره أخرى: قال تعالى: (وَ مٰا كٰانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمٰا خَلَقَ وَ لَعَلاٰ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ) (1)يعنى لو كـان هنـاك إلهـان كاملاـن، لاقتضـى كمال كل واحـد منهما طلب العلو على الآخر، فهـذا الاقتضاء يقتضـى التصـادم بينهمـا دائمـا، فلو شـاء واحد منهما أن يخلق إنسانا، و شاء الآخر أن يخالفه طلبا للعلو فيخلق بهيمه فحيث فرض وجوب وجودهمـا ذاتـا، الـذى لاـزمه وجود مـا أراد أن يخلقه، فيكون الخلق منهمـا على مشـيتهما من إراده خلق الإنسان من أحـدهما و البهيمه من الآخر، و معلوم بالضـروره أن اختلاف إرادتهما إنسانا و بهيمه فى حاله واحـده بنحو الوجوب من أعظم المحال، فيلزم عدم وجود ما أراد أو هو باطل لمنافاته لوجوب وجودهما.

۱- ۱) المؤمنون:۹۱.

و إذا ثبت بطلان هـذا، و نرى فى الخلق وجود الأشياء فلا محاله يـدل على وحـده الخالق تبارک و تعالى، و إلى هذا الاختلاف فى الإراده بنحو ما ذكر يشير قوله تعالى: (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَهٌ إِلَّا اَللّهُ لَفَسَدَتا) (١)أى لزم من إراده خلق كلّ منهما عدم خلق موجود، و الفساد فى النظام الخلقى و حيث يرى الموجودات و النظام الكامل، فيعلم بوحده الخالق جلّ جلاله و عظم شأنه.

ثم إن توحيده تعالى بهذه الوحده له مظاهر فى مواطن أربعه.

اشاره

و بعباره أخرى: أن وحدانيه الذاتيه تبارک و تعالى لا بدّ من أن يعتقد بها فى مظاهر الكثرات، و هى مظاهر الصفات و الأفعال و فى العبادات فهى هنا أربعه مواطن للتوحيد:

الأول: توحيد الذات و هو يتضح بأمرين:

بنفى الشريک له و لو بنحو التساوى و قد تقدم. بتحقق الأحديه و دركها فى الذات بمعنى تفريده عن الكثره فى ذاته بكل اعتبار، و بكل ما يتوهم من الكثره حتى اعتبار المعنى الكلى، و إن هـذا فرد من مفهومه بحيث يستحيل وجود غيره فهذا أيضا منفى عنه تعالى. و بعباره أخرى: أنه قد تتوهم الأوهام لأنسها بالكثره و التعدد أن المستثنى المثبت بعد إلّا فى قولک: لا إله إلّا اللّه، هـو كلى إلاّ ـ أن المثبت هو فرد منه و جزئى منه بحيث يستحيل وجود جزئى آخر غيره بـدعوى أن هـذا لا ـ ينافى توحيده الذاتى تبارک و تعالى، و لكن يدفعه أن المستفاد من قوله تعالى: (وَ قالَ اَللّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اِثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ) (٢)هو أنه لا بدّ من التفريد البحت فى الذات المقدسه عند الشهاده بوحدانيته بقوله: (لا إِلهَ إِلاَّ اَللّهُ) (٣).

ص: ١٢٣

١- ١) الأنبياء:٢٢.

٢- ٢) النحل:٥١.

٣- ٣) الصافات:٣٥.

و هذه الآیه تنصیص علی هذا و هو توحید الذات، و لذا أکّد

بقوله علیه السّلام:

«وحده لا شریک له

(فی الزیاره)» فإن هذا التأکید لأجل نفی اعتبار التعدد فی مقام الشهاده، فالقول: بأن المستثنی المثبت بعد إلا، یمکن أن یکون کلیا إلّا أنه لم یوجد إلّا فرد واحد منه، و إن کان بحسب الوضع فی کلمه الجلاله أمرا ممکنا إلّا أنه مناف لظهور الآیه الشریفه، فلا بدّ من أن یکون المراد من المشهود به و من المستثنی المثبت بعد إلا هو الفرد البحت لما ذکرنا من دلاله الآیه الشریفه علیه. هذا علی أن احتمال کون المستثنی المثبت بعد إلا هو کلی لم یوجد له إلّا فرد واحد إنما نشأ من الاختلاف الواقع فی وضع لفظ الجلاله أعنی اللّه فی أنه هل هو علم للذات المقدسه أو مشتق، فعلی الأول لا یراد من لفظه الجلاله إلّا الذات البحت، و هذا بخلاف القول الثانی فإنه حینئذ کلّی، غایه الأمر لا یراد منه إلا فرد واحد حیث إنه لا یوجد له إلا فرد واحد، و لکن هذا الابتناء مدفوع علی القولین و توضیحه یتوقف علی تحقیق الکلام فی وضع کلمه الجلاله ثم بیان المطلوب فنقول و علیه التوکل. لا خلاف فی أن الألف و اللام فی لفظ الجلاله حرف تعریف فی الأصل لا من أصل الکلمه کما صرح به بعضهم، و ذهب بعضهم إلی أن أصله الإلاه و جوز سیبویه أن یکون أصله لاها من لاه یلیه تستر و احتجب، و قیل بمعنی ارتفع و یبعده کثره دوران إله فی الکلام و استعمال إله فی المعبود و إطلاقه علی اللّه، فلو کان بمعنی تستر و احتجب أو ارتفع لما کثر استعماله فی غیره تعالی. و کیف کان فعلی کون أصله الإلاه فهو کلفظ الناس حیث إن أصله الأناس فحذف منه الهمزه و عوض منه الألف و اللام کما عن أبی علی النحوی أو من دون تعویض کما ذکره غیره. فالإله مشتق من أله (بالفتح) إلهه أی عبد عباده علی ما ذکره الجوهری و وافقه جماعه.

و عن المصباح: أله يأله من باب تعب إلهه عبد عباده و تألّه: تعبد و الإله المعبود و هو اللّه سبحانه ثم استعار المشركون لما عبدوا من دونه، و آله على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أى معبود ككتاب بمعنى مكتوب، و إما بمعنى مؤتمّ به فلما أدخلت عليه الألف و اللام حذفت الهمزه تخفيفا لكثرته فى الكلام، و لو كانتا عوضا منها لما اجتمعت مع المعوض فى قولهم: الإله، و قطعت الهمزه فى الابتداء للزومها تفخيما لهذا الاسم. و أجود منه ما ذكره الجوهرى من تعليل تسميه الأصنام بالآلهه لاعتقادهم أن العباده تحقق لها، و أسماؤهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه الشىء فى نفسه. و فى الواقع، و كيف كان فعلى القول بكونه مشتقا هو على نحو ما ذكر باتفاقهم، و قيل: إنه اسم جنس كالرجل و الفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا و كذا السنه على عام القحط، و البيت على الكعبه، و الكتاب على كتاب سيبويه، هذا فى الإلاه، و أما اللّه بحذف الهمزه تختصّ بالمعبود الحق لم يطلق على غيره. ثم إن ما ذكر من أصل اشتقاقه فيما تقدم هو المتفق عليه على القول بالاشتقاق، و قيل: إنه مشتق من أله (بالكسر) أى تحير، و ذكر الجوهرى: أنه أصله الوله، و رد بمخالفته لكثير من كلام أهل اللغه. و كيف كان فالمناسبه ظاهره إذا كان مشتقا من أله أى تحير إذ تحيرت الأوهام و غمضت مداخل الفكر و عجزت العقول عن إدراكه. و قيل: من ألهت إلى فلان أى سكنت إليه فإن النفوس لا تسكن إلاّ إليه و العقول لا تقف إلاّ لديه قال تعالى: (أَلاٰ بِذِكْرِ اَللّٰهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ) . و قيل: من الوله، و هو ذهاب العقل لما نرى سواء فيه الواصلون إلى ساحل بحر العرفان و الواقفون فى ظلمات الجهاله و تيه الخذلان. و قيل، من أله الفصيل إذا ولع بأمه لأن العباد تتضرع إليه فى البليات فهذه

أقاويلهم فى معنى اشتقاقه. و فى المجمع: و اللّه اسم علم للذات المقدسه الجامعه لجميع الصفات العليا و الأسماء الحسنى.

و فى الحديث: سأل عن معنى اللّه، فقال: استولى على ما دقّ و جلّ، و فيه: اللّه معنى يدل عليه بهذه الأسماء، و كلها غيره. أقول: أى الأسماء غير الذات المقدسه.

و فى الحديث: يا هشام اللّه مشتق من إله، و الإله يقتضى مألوها كان إلها إذ لا مألوه، أى لم تحصل العباده بعد، و لم يخرج وصف العبوديه من القوه إلى الفعل.

و فى المنقول عن جوامع التوحيد: «كان إلها إذ لا مألوه» معناه سمى نفسه بالإله قبل أن يعبده أحد من العباد. قيل: و هو غير مشتق من شىء بل هو علم لزمته الألف و الأم، و قال سيبويه نقلا عنه: هو مشتق و أصله إله أدخلت عليه الألف و اللام فبقى الإله ثم نقلت حركه الهمزه إلى اللام و سقطت فبقى اللّه فأسكنت اللام الأولى و أدغمت و فخّم تعظيما، لكنه ترقّق مع كسره ما قبله. أقول: قد يقال: إنّ

قوله عليه السّلام فى الحديث: يا هشام اللّه مشتق من إله. . . إلخ، يرجح كونه مشتقا لا علما، و لكن يدفعه أن المراد منه (و اللّه العالم و ابن رسوله) هو الاشتقاق المعنوى أى معنى اللّه يقتضى مألوها لأن معناه إله أى عبد نظير: إن العلى مشتق من العلى الأعلى، فإنه لا ريب فى أنه اشتقاق معنوى فتدبر. و فيه: (و لا إِلَهَ إِلاَّ اَللّهُ) قال الزمخشرى نقلا عنه: قد بلغنى أن المختار فيها أن يكون أصلها (اللّه إله) ثم قدّم الخبر فقيل: إله اللّه، ثم أدخل (لا) و (إلا) لتحصيل الحصر فصار (لا إله إلاّ اللّه) . أقول: توضيحه: أن اللّه إله يعنى أن المبتدأ هو اللّه، و من المعلوم أن المبتدأ هو المعرفه، أى ما عرف حاله عند المتكلم و المخاطب و الخبر هو المجهول بلحاظ نسبته

إلى المبتدإ فإذا قيل: اللّه إله، أى أن اللّه الذى عرفه الأنبياء و الرسل، و نطقت به الكتب السماويه هو إله لا الأصنام و غيرها مما يعبدها الجاهلون. قوله: ثم قدم الخبر فقيل: إله اللّه، يعنى إذا قيل: إله اللّه، بحيث قدّم الخبر فيستفاد منه الحصر، أى أن المتكلم يبين بقوله: إله اللّه، أن معبودى هو اللّه لا ـ غيره، إلاّ ـ أن هذا حصر بالإضافه إلى المتكلم أفاده تقديم الخبر كما لا يخفى. قوله: أدخل عليه لا و إلاّ لتحصيل الحصر أى أن تقديم ما حقه التأخير، و إن كان يفيد الحصر، إلاّ أنه يفيد حصرا إضافيا بالنسبه إلى المتكلم كما علمت، و أمّا الحصر الحقيقى المنبى عن الواقع فهو الحصر المستفاد من الإثبات بعد النفى كما فى المقام، و لذا بيان للحصر الحقيقى الواقعى النفس الأمرى قيل فى المقام لا إله إلاّ اللّه بلسان النفى و الإثبات كما لا يخفى. و نقل عن الخليل و متابعيه و أكثر الأصوليين و الفقهاء من العامه: أن اسم الجلاله ليس بمشتق، و أنه اسم علم له سبحانه، و احتج لذلك بأنه لو كان مشتقا لكان معناه كليا لا يمنع نفس تصوره عن وقوع الشركه فيه فلا يكون إلاّ اللّه موجبا للتوحيد المحض، و أيضا احتج بأن الترتيب العقلى ذكر الذات ثم نعته بالصفات، و لذا إنا نقول: اللّه الرحمن الرحيم العالم القادر، و لا نقول بالعكس فدلّ على أنه اسم علم، و أيضا احتج له بأنه لو كان صفه و سائر أسمائه تعالى أيضا صفات، فحينئذ يلزم أن لا يكون للبارى تعالى اسم مع أنه لم تبق العرب شيئا من الأشياء إلاّ سمته فكيف لم تسم خالق الأشياء و مبدعها؟ ! و هذا محال. أقول: لا ريب فى أن اللّه أصله الإله من إله و هو فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه أى معبود ككتاب بمعنى مكتوب كما علمت التصريح بذلك لغه و حديثا، و أله بمعنى عبد و أصل العبوديه هو الخضوع و التذل، أو بمقتضى الانصراف إلى الفرد الكامل هو غايه الخضوع و التذلل، ثم حيث إنه يقتضى مألوها (أى معبودا) فيكون الإله هو المعبود الذى لأجله يقع الخضوع و التذلل الكامل.

ثم إن المعبود الذی یراد من لفظ الإله فی موارد اطلاقاته قد یؤخذ و یراد منه بالإضافه إلی شخص خاص فیقال: معبود زید، و تاره یؤخذ مطلقا، و علی الأول فلا یبعد انصرافه إلی من کان من شأنه أن یعبده ذلک الشخص الخاص، و کان معبوده قابلا و أهلا لذلک، و إلّا فلو کان بحیث لم یکن أهلا له فهو (أی المعبود) حینئذ متخذ للعبودیه ادعاء لا أنه معبوده، فلیس فی صراط المعبودیه التی تنصرف إلیه الأذهان فی مقام العباده و لو فی عرف المشرکین، و لکن هذا بنظر العرف العام من متابعی النفس و الهوی. و لکن بنظر الشرع الإلهی و العقلاء الکاملین لما لم یکن المخلوق أهلا لذلک (أی للمعبودیه) فی ظرف الواقع کان إطلاق الإله و المعبود و لو مقیدا علی المخلوق المتخذ معبودا خطأ فی الإطلاق للاشتباه فی المصداق فی عقیدتهم العمیاء کما سبق عن الجوهری، أو کان مبنیا علی اعتقاد المخطی، فیکون إطلاق إله هذیل و معبودهم علی الصنم المتخذ للعبودیه مبنیا علی اعتقادهم الفاسد، فیکون المعنی أنه معبود بزعمهم و علی حسابهم. و کیف کان فعلی نظر الأنبیاء و الأئمه و العقلاء و الکملین بعد تخطئه أهل العرف المشرکین لا مصداق للإله حقیقه و فی نفس الأمر سوی الواحد الحق فقط، و أما إطلاقه علی غیره فهو مبنیّ علی الزعم الفاسد بلحاظ المعبود بالإضافه إلی شخص خاص دون اللّه تعالی باطل لا واقع له. و أمّا الثانی: أعنی أخذ المعبود مطلقا أی ما هو المعبود المطلق فهذا یعتبر علی ثلاثه وجوه: ما هو مأخوذ بمعنی الشأنیّه و الاستحقاق مع قطع النظر عن تحقق العابد فی الخارج بأن یقال: إن لفظ إله إذا أطلق یراد منه ما شأنه المعبودیه بنحو الاستحقاق الذاتی. أن یراد منه عند إطلاقه ما هو المعبود بالفعل لکلّ من سواه استغراقا بأن

يكون معبودا مطلقا يعبده جميع من سواه. فهذان القسمان لا ريب فى اختصاص لفظ الإله و لفظ اللّه حينئذ بالحق تعالى على الظاهر من الأدله المتقنه، إذ هو الذى ما من شىء إلاّ يسبح بحمده (إِنْ كُلُّ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ آتِی اَلرَّحْمٰنِ عَبْداً) (۱)فعليهما لا يراد منه إلاّ الحق تعالى. أن يراد منه فى إطلاقه (أى إطلاق لفظ إله) على وجه الإجمال بحسب الوضع (أى المعبوديه بنحو الإجمال) من طرف العابدين فيمكن شموله للجميع و لبعضهم، و لكن ربما يحمل على العموم، و إذا حلى بالألف و اللام قوى، ذلك لأن الألف و اللام قد أشرب فيهما معنى الإشاره فيقتضى التعريف الإشاره التى مدلولها التعيين و لا يتعين المعبود بمعنى الفعليه من حيث كونه معبودا إلاّ بإضافته إلى العابد، و لا تعين لشىء من العابدين فى اللفظ، لتساوى نسبتها إلى اللفظ و امتناع الترجيح من غير مرجح، فتعين إراده الجميع و التوصيف بالمعبوديه المطلقه لكلّ أحد نظير ما قرروه فى إفاده الجمع المحلى باللام العموم فى الأصول. و بعباره أخرى فى بيان حاصل المقصود: أنه بعد ما علمت بطلان إراده معبود خاص من إطلاق لفظ إله، فلا محاله يتعين مدلوله بالحقّ تعالى، و معنى تعيّنه له تعالى أنه لا معبود لأحد من الخلق طرأ إلاّ ذاته المقدسه، و حينئذ إن كان الموضوع له للفظ إله سواء قلنا بالعلميه أو بكونه مشتقا، لا يمتنع تصوره عن وقوع الشركه فيه من له شأنيه العباده أو فعليتها، التى علمت أنه حينئذ يتعين فى الحق تعالى فى الصورتين أو من هو معبود بالإجمال، و حينئذ معلوم بالضروره أنه لا يراد الإجمال فى المعبوديه بالشأنيه، لأنه يرجع إلى القسم الأول. غايه الأمر أن الأول كان بنحو الكلى و هذا فى الجمله، بل لا بدّ من أن يراد منه المعبوديه الفعليه غايه الأمر بنحو الإجمال فحينئذ نقول: بمقتضى قصر النظر إلى

۱- ۱) مريم:۹۳.

لفظ إله مجردا ربما يقال: بأنّه حينئذ لا يدل إلّا على من هو معبود بالفعل فى الجمله، أى بالنسبه إلى بعض العابدين، و لكن يدفعه أنه لا بدّ من حمله على العموم بالنسبه إلى العابدين، لمكان الألف و اللام، و لعدم إمكان الترجيح بلا مرجح بالبيان المتقدم. ثم إنه يظهر مما ذكرنا أنه لا حاجه إلى تقييد الإله فى كلمه لا إله إلّا اللّه بقولهم: لا إله (أى لا معبود بالحق) إلّا اللّه بدعوى أنه إله يطلق على المعبود الأعم من الحق و الباطل فلا بدّ من تقييده بالحق، و هذا بخلاف اللّه المحلى بالألف و اللام فإنه حينئذ ظاهر فى المعبود بالحق، لما عرف بأنه موضوع للذات المستجمع لجميع صفات الجلال و الجمال، و ذلك لما تقدم فى معنى إله من أنه لا وجه لإطلاقه على غيره تعالى إلّا بزعمهم الفاسد، و أما إطلاقه عليه تعالى إما بلحاظ الشأنيه أو الفعليه أو الإجمال المحمول على العموم للألف و اللام، أو عدم الترجيح بلا مرجح كما تقدم، فحينئذ لا محاله لا يراد منه إلّا المعبود بالحق بحيث لا يكون جوهر الكلمه بلحاظ صلاحيتها الذاتيه هو الحق تعالى، لا أنه بالتقييد يدل على أنه المعبود بالحق كما لا يخفى، فالإله هو الذى يعبده جميع من سواه بالاستحقاق الذاتى، و تتأكد هذه الدلاله عند حذف الألف و قطع همزه التعريف بصيرورته كالمنسلخ عن الإضافه الخاصه حين القطع و الحذف، فلا يتوهم حينئذ إن الألف و اللام أفادا معنى الإضافه المفيده لمعنى التعريف. و كيف كان إن كثره استعمال الإله فيه تعالى، و هجر غيره حتى صار كالأعلام الشخصيه فى الاختصاص به تعالى، بل هو منها حقيقه بحسب ظاهر النظر فى العرف، و فى دوران الاستعمال و هذه (أى صيرورته كالأعلام الشخصيه) عرفا تكون حكومه يرجع إليها فى جميع موارد الاستعمال بين المثبتين للاشتقاق، أى كونه مشتقا منحصرا فى فرد بحيث لا يوجد له فرد آخر، و بين القائلين بالعلميه الشخصيه أو الاسميه أى كونه اسم جنس كما تقدم، و ذلك لأجل أن الوضع العرفى الذى علمته هو الطارئ على المعنى الأصلى اللغوى بحسب الوضع الأولى، فهذا الطرو يجعله علما

من الأعلام الشخصيه. فإن قلت: القائلون بالاشتقاق أيضا لا يريدون منه فى موارد الإطلاق معنى إلّا الذات و لو بالقرائن، و كذلك القول بكونه اسم جنس، فما الفرق فى موارد إطلاقه حينئذ بين القول بالاشتقاق أو القول بالوضع الطارئ العرفى و هل ما قلتم إلّا تعسّف ظاهر؟ قلت: الفرق هو أن المتبادر على القول بالاشتقاق لا بدّ من أن يكون هو المعنى الوصفى، الذى لا يمتنع تصوره من وقوع الشركه فيه كما علمت بحسب الوضع، إلّا أنه بالقرائن لا يراد منه إلّا الفرد الواحد، و هذ بخلاف ما قلنا من أنه بحسب الوضع الطارئ العرفى لا يتبادر منه إلّا الذات المقدسه و الفرد البحت من حيث هو هو. و بعباره أخرى: أن المدعى أن لفظ إله يكون-كالعلامه و المفيد و بحر العلوم و غيرهم-، حيث إنها بحسب الوضع الأولى اللغوى موضوع للمعنى الوصفى العام و متمحّض فيها، إلّا أنه بحسب الوضع الطارئ عليه العرفى لا يراد منها إلّا الأفراد المخصوصه من دون تبادر المعنى الوصفى أولا ثم بالقرائن يراد منها الفرد بل لا يراد منها أولا إلّا الفرد كما يا يخفى. و مما ذكرنا يظهر معنى تفسير إله فى بعض الأدعيه و الأحاديث بإله كلّ شىء، فإنه تفسير لحاق الكلمه بلحاظ الوضع الطارئ، و أيضا ظهر معنى قولهم إنه الاسم الذى لا ينبغى أن يسمى به غير اللّه، و لم يتسم به مخلوق إذ علمت أن معنى اللفظ حينئذ منحصر فيه تعالى. فظهر مما ذكر أن المراد من موارد إطلاق اللّه الذى علمت أن أصله إله لا يكون إلّا الذات المقدسه الفرد البحت، سواء قلنا بأنه موضوع بنحو العلميه للذات أو أنه مشتق أو أنه اسم جنس لما علمت من قضيه الوضع الطارئ العرفى على الوضع اللغوى الأولى فلا بدّ من أن يراد منه بعد إلّا الفرد البحت و الذات المقدسه كما لا يخفى.

هذا تفسير كلمه التوحيد بلحاظ مفرداتها، و أما مضمونها جمله فهو و إن حصل من بيان المفردات إلّا أن حاصل المستفاد منها ما توضيحه أن أوهام المتوهم من عامه الناس الذين أغلبهم من المشركين و الغافلين عن حقائق الأمور قد انست من جهه كثره الفاعلين المدعين للاستقلال بالفعل، و المالكين المدعين للمكنه الحقيقه، و المتكبرين على الناس ظلما أو جهلا فى الأمور، و المستعبدين لهم لإطاعتهم إطاعه العبد لخالقه كما شاهدوها عن الفراعنه. فإن معنى الإله فى جميع موارد إطلاقه هو إله الحق، و الإله الذى زعموا أنه إله من معبوداتهم المتعارفه بأنحائها، و بهذا اللحاظ جوّزوا إطلاق إله على الجميع من المعبود بالحق و الباطل إطلاقا حقيقيّا عندهم إما بوضع الإله لها بنحو التشكيك حيث إن المشركين و إن كانوا يعتقدون بمعبوديه الأصنام مثلا إلّا أن المرتكز فى أذهانهم و لو كانوا غافلين عنه هو المعبود بالحق و الإله الحقيقى، كما ربما يشير إليه قوله تعالى حكايه عنهم: (مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اَللّٰهِ زُلْفىٰ) (١). فلا محاله حينئذ إذا قيل بإطلاق الإله على الحق و الباطل بالوضع فلا بدّ من أن يكون بنحو التشكيك بأن يكون للموضوع له مراتب مختلفه فى الشده و الضعف فى ملاك المعبوديه يكون أفضلها المعبود بالحق الذى يعبدون غيره من المراتب الدنيّه ليقربوهم إليه زلفى، و لا يمكن أن يقال: بأنّه موضوع لمطلق الإله الأعم من الحق و الباطل بنحو التواطؤ، كالإنسان بحيث يطلق على جميع أفراده من الحق و الباطل على السواء، لما علمت من أن المرتكز فى أذهانهم هو إله الحق و إن ذهبوا إلى عباده الآلهه الباطله فقوله تعالى: (لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اَللّٰهُ) إنما نزلت ردعا لأوهامهم الباطله رحمه منه تعالى لهم و هدايه منه تعالى لنجاتهم. فحينئذ يكون معنى جمله كلمه التوحيد هو نفى الآلهه الباطله الثابته فى

ص: ١٣٢

١- ١) الزمر:٣.

أوهامهم، المتخذه من أنسهم من تلك الإطلاقات الفاسده التى قد علمتها، و هذا النفى هو مدلول كلمه لا. و أيضا معناه إثبات الوحده أى إله الحق تعالى، الذى كان فى مرتكز أذهانهم بكلمه إلاّ-فقيل: لا إله إلاّ اللّه، و الاستثناء حينئذ استثناء الحق من الباطل الممزوج بالحق الإجمالى حيث كانوا يدعون التشريك كما علمت، ففى الواقع أن الاستثناء مرجعه إلى تخليص الحق الارتكازى من أوهامهم الباطله بلحاظ ادعائهم لا أن المستثنى الحق كان داخلا فى عموم المستثنى منه بحيث كان الحق، بل الاستثناء فى عرض الباطل و مشتركا معه، بل جىء بإلاّ لنفى الباطل و تخليص الحق. و حينئذ مفاده مفاد قوله تعالى: (قُلِ اَللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ. .) (۱)فالتوحيد الحقيقى هو ظهور اللّه بما له من المعنى و رفع اللّه القلبى عن غيره كما لا يخفى، هذا فى الواقع، ثم إن هذه الكلمه جىء بها لتؤثّر فى قلب المشركين بما حاصله نفى الآلهه الباطله من أوهامهم بأداه لا، و إثبات الثابت فى الواقع و فى مرتكزاتهم بأداه إلاّ، فكأنّه يكون لا مكنسه لإزاله الأوهام الباطله، و إزاله تلك الأغبره الوهميه الفاسده للتوصل و ظهور الثابت و إثباته فى الظاهر بعد ما كان مرتكزا فى حاق أنفسهم كما قال تعالى (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ) (۲)ثم إنّ ما ذكرناه إنما هو بلحاظ نظر المشركين لا ما هو الواقع، و إلاّ فقد علمت معنى إله وضعا أوليا و وضعا طاريا ثانويا فلا تغفل.

الثانى من مظاهر التوحيد توحيده الصفاتى

المدلول عليه بقول: لا-حول و لا-قوه إلاّ باللّه العلى العظيم: ضروره أن كل صفه أثر من آثار القدره التى هى حقيقه الحول و القوه، فإن إعمال القدره فى شىء يوجب تحويله من حال إلى حال، فبهذه الجهه يعبّر عنها بالحول، و حيث إنه بحقيقته مكنون فى القادر به يكون تحوّل تلك

ص: ۱۳۳

۱- ۱) الأنعام:۹۱.

۲- ۲) لقمان:۲۵.

الأحوال فیعبر عنها بالقدره. و کیف کان لا بدّ فی التوحید الذاتی من التوحید الصفاتی، بل هذا التوحید من آثار التوحید الذاتی، و قد أشیر إلی هذا التوحید (أی الصفاتی) و إلی التوحید الأفعالی

بقوله علیه السّلام: «لا شریک له» ، أی لیس له ندّ فی صفاته (أی لیس کمثله شیء لا فی الذات و لا فی الصفات و لا فی الأفعال) و من هنا ظهر حال التوحید الأفعالی، الذی هو المظهر للتوحید المطلق، و یدلّ علیه أیضا قوله تعالی: (أَرُونِی مٰا ذٰا خَلَقُوا مِنَ اَلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْکٌ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ) (۱)فإن توحیده الأفعالی لما کان أمرا بدیهیّا لا یشرکه أحد، فسأل عن الشریک فی أفعاله تعالی، فهل لما یدعی أنه الشریک فعل؟ لا محاله یکون الجواب منهم منفیا، و هذا نظیر قوله تعالی فی بیان أن وجوده تعالی أمر بدیهیّ لا شکّ فیه حیث قال تعالی: (أَ فِی اَللّٰهِ شَکٌّ فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ) (۲). ثم إنه یلزم من هذا التوحید فی المواطن الثلاثه التوحید فی العباده المشار إلیه بقوله تعالی: (وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِیَعْبُدُونِ) (۳)و بقوله: (وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً) (۴)ضروره أنه بعد ما ثبتت وحدته الذاتیه و الصفاتیه و الأفعالیه، فلا محاله تستحق ذاته المقدسه بأن یعبد وحده بحیث لا یشرک فی عبادته، بل هذه التوحیدات الثلاث یقتضی أنه تعالی لم یخلقهم إلاّ للعباده، بعد ما ثبت غناه الذاتی الذی یلزم توحیده فی الصفات و الأفعال، فلا مقصود للخلق حینئذ إلاّ العباده له تعالی کما لا یخفی، إذ لیس بیدهم حینئذ أمر من صفه أو فعل، و إنما هو قائم بنفسه تعالی فی الأمور کلها، فلا بد من أن یراد من الخلق العباده، و یدل علی هذا اللام

۱- ۱) فاطر:۴۰.

۲- ۲) إبراهیم:۱۰.

۳- ۳) الذاریات:۵۶.

۴- ۴) الکهف:۱۱۰.

الغائيه المذكوره فى قوله تعالى: (لِيَعْبُدُونِ) كما لا يخفى. ثم إنه عليه السّلام إنما ذكر

قوله:

أشهد أن لا إله إلاّ اللّه

بعد تلك التسليمات الخمسه دون غيره لعلّه لوجوه: الأول: أنه بعد ما ذكر فى الجمل السابقه فى التسليمات أوصاف الإمام، و آثار ولايته التكوينيه و التشريعيه، و أنه مظهر له تعالى بحيث عرف اللّه تعالى بسبب معرفتهم عليهم السّلام لتلك الصفات المذكوره كما تقدم، فحينئذ كأنّ الزائر بعد ذكره هذه التسليمات، و إحصائه و أحاطته بمضامينها، فقد وصل إلى معرفته تعالى التى هى المقصود من بيان تلك الأوصاف، و من معرفته تلك الصفات، فظهر حينئذ فى قلبه التوحيد و ألوهيته تعالى بنحو لم يكن ظاهرا فيه قبلا، فقال فى غايه اللذه و الشوق عن معرفه حقيقه: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، كما لا يخفى على العارف البصير. الثانى: أن الزائر لما ذكر الإمام عليه السّلام بتلك الصفات السنيه، التى هى آثار ولايتهم التكوينيه، و التى هى مظاهر أنوار جلاله و جماله تعالى، فأثر فى نفسه عظمه الإمام عليه السّلام و ظهر الإمام حينئذ فى قلبه بمقامه السامى، الذى ليس فوقه مقام، فكأن الزائر حينئذ فى مظنّه توهم أن يدعى أن ظهور هذه الأنوار و العظمه منهم عليهم السّلام هو من أنوار المخلوقين و عظمتهم، بحيث كاد أن يقع فى خطر الغلو، و أن ينسب هذه الصفات إليهم عليهم السّلام بالذات

فقال عليه السّلام:

أشهد أن لا إله إلاّ اللّه

، بعدها دفعا لهذا التوهم، و تلويحا إلى أن هذه الأنوار و الصفات و العظمه إنما هى للّه تعالى لا لهم بالذات، بل ليسوا هم عليهم السّلام إلاّ المظاهر له تعالى و لتلك الصفات كما لا يخفى. الثالث: أن الإمام عليه السّلام لما علّم الزائرين كيفيه زيارتهم عليهم السّلام بتلك الأوصاف العظيمه، و هو عليه السّلام فى هذا البيان أظهر مقامه السامى و مقامهم عليهم السّلام فلو لم يعقبه

بقوله عليه السّلام:

أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، لأمكن أن يتوهم أنهم ادعو الربوبيه لأنفسهم بالبيان السابق،

فقال عليه السّلام:

أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، للإشاره إلى الإقرار منهم عليهم السّلام بالعبوديه، و أنه لا إله إلاّ اللّه، و للإشاره إلى مقام الربوبيه له تعالى، و أنه المعبود

بالحق كما لا يخفى.

قوله عليه السّلام: كما شهد اللّه لنفسه.

اشاره

أقول: شبّه عليه السّلام شهادته فى

قوله عليه السّلام:

أشهد أن لا إله إلّا اللّه

، بشهادته تعالى لنفسه فى قوله: (شَهِدَ اَللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ) (۱)

و وجه التشبيه أمور:

الأول:

أنه كما تكون وحدانيته تعالى المشار إليها بقوله تعالى: (لا إِلهَ إِلاّ هُوَ) فى قوله: (شَهِدَ اَللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ) أمرا بديهيا لنفسه تعالى، حيث إنه تعالى لا يوجد فى أزليته و لا فى أبديته غيره كما قال تعالى: (قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اَللّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي اَلسَّماواتِ وَ لا فِي اَلْأَرْضِ) (۲)فإنه تعالى لا يعلم أن معه غيره لا فى ذاته و لا فى صفاته و لا فى أفعاله و لا فى استحقاقه لأن يعبد، بل هو يجد نفسه بنفسه عند نفسه بمعنى أن وجدانه (بمعنى المصدريه) هو عين وجوده و ذاته و وجدانه (بمعنى المصدريه) لذاته و ذاته وجوده تعالى و تقدس. و بعباره أخرى: أنه تعالى لا يرى غير نفسه شيئا أبدا فى صقع ذاته المقدسه، و إقراره تعالى بهذا المعنى للخلق هو ظهوره بالوحدانيه و هو وجه الباقى جلّ و علا الذى تقتضى إفناء الخلق و فناءه فتدبر. ثم إنه لا يذهب عليك من تكثر العبارات و تكثر عباراتنا أنا نريد الكثره، بل ليس المراد إلّا التنبيه العقلى الدقيق على أنه شىء بحقيقه الشيئيه واحد بحقيقه الوحده أى أحدى المعنى، فكل صفاته و إن تكثرت فى التعبير فإنها يراد منها هذا الذى ذكرنا، فإذا قلنا: إنه عالم (أى علم بذاته) أو إنه بصير (أى إنه بصير بذاته) و كيف كان لا يراد منها إلّا التفهيم و التبيين و التوصل إلى إثبات الثابت فى القلوب و الأهوام بالفطره الإلهيه.

۱- ۱) آل عمران:۱۸.

۲- ۲) یونس:۱۸.

و المراد بإثبات الثابت أنه بعد ما ثبت وصفه لعبده، و للمقرّ بالشهاده بظهور أوصافه، التى عرف نفسه بها لعبده، فقد بين نفسه بهذا التعريف الوصفى لعبده، فعنده عرفه بالوصف الذى ظهر منه تعالى فيه، فالتعابير و إن تعددت فإنما يشار بها إلى ما ظهر من مضامينها فى نفس العبد، التى بها عرف اللّه نفسه لعبده، فمن دلاله هذه الأوصاف المعلومه عنده يقرّ بالوحدانيه له تعالى بقوله: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، فليس فى الشهاده اللفظيه و إن كان فيها ذكر الأوصاف الكثيره مغايره و لا كثره لا حيثا و لا اعتبارا و لا عقلا و لا فى الأزل و لا فى الأبد، و لا فى ظهوره تعالى بأوصافه لعبده فى قلبه. إذ العبد و ما ظهر فى قلبه من تلك الأوصاف المعرفه لربّه، لا يراد منها إلاّ الإشاره إليه تعالى بما هو هو أى بهذه الأمور يريد إثباته (أى إثبات الثابت فى الواقع) و معنى الإثبات الإقرار به و نفى ما سواه تعالى، لكى لا يرى ظهور إلاّ له تعالى، فكلّ من يقول: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، لا يريد من الشهاده بالوحدانيه له تعالى إلاّ بهذا الوجه الذى ذكرنا، و ذلك أنه لا طريق للعبد إلى الإقرار بوحدانيته، و إلى شهادته له تعالى إلاّ بذلك الوصف، الذى ظهر منه تعالى فى قلبه، بل لا حقيقه للعبد من حيث هو ذو نفس ناطقه عارفه بربّها فطره، إلاّ ذلك الوصف الذى ظهر ربّه به له، أى الذى ظهر ربّه بذلك الوصف لهذا العبد، بل ظهر تبارك و تعالى بعبده أى بوجوده عند (أى بإيجاد عبده لعبده) كما تقدمت الإشاره إليه. فإقرار العبد بالوحدانيه فى قوله: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، مع تشبيهه بإقراره تعالى لنفسه بقوله: كما (شَهِدَ اَللّٰهُ) لنفسه يراد منه تشبيه شهادته له تعالى بشهادته تعالى لنفسه من حيث بداهه وحدانيته، أى كما أن وحدانيته تعالى لنفسه أمر بديهى له بالبيان المتقدم، فكذلك شهادتى بديهيه لى بالبيان المتقدم أى أنى أشهد بالبداهه بوحدانيته تعالى من حيث وصفه تعالى، الذى ظهر منه فى القلب، و الذى منه عرّف نفسه لى، فقد عرفته بالوحدانيه فى نفسى بما عرفنى نفسه فى نفسى،

فشهادتی بدیهیه کشهادته البدیهیه لنفسه تعالی. و من المعلوم أن الشهادة البدیهیه للعبد لا تکون إلاّ بنحو ذکرناه، و إلاّ فمن لم یکن عارفا بهذا البیان فلعله لا یکون کلامه صادقا فی قوله: کما (شَهِدَ اَللّٰهُ) لنفسه إذا أراد من التشبیه البداهه فی الشهاده، إلاّ إذا کان مراده الوجه الآتی من وجه الشبه کما لا یخفی. و إلی ما ذکرنا یشیر ما فی کلامهم من تقسیم التوحید إلی توحید الصدیقین و إلی توحید غیرهم، و ان الأول هو التوحید و إثبات الوحده له تعالی من طریق البداهه الوجدانیه الظاهره، و إلیه یشیر قوله تعالی: (أَ فِی اَللّٰهِ شَکٌّ فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ) ،

و قوله علیه السّلام: «ما رأیت شیئا إلاّ و قد رأیت اللّه قبله»

و قوله علیه السّلام: «کیف یستدل علیک بما هو فی وجوده مفتقر إلیک، أ لغیرک من الظهور ما لیس لک حتی یکون هو المظهر لک، متی غبت حتی تحتاج إلی دلیل یدلّ علیک، و متی بعدت حتی تکون الآثار هی التی توصل إلیک» . فإن هذه الجمل کلها تشیر إلی ظهوره تعالی فی بصیره القلب، التی هی أقوی من بصر العین، و ذلک بالوجه الذی ذکرنا، أو بما هو أوضح منه، و لنعم ما قیل: لقد ظهرت فلا تخفی علی أحد إلاّ علی أکمه لا یبصر القمرا و ما قیل: دلی کز معرفت نور و صفا دید بهر چه بنگرد اول خدا دید

الثانی من وجه التشبیه

أن یقال: إنه قد علمت أن توحیده و وحدانیته تعالی بدیهی عنده تعالی بالبیان المتقدم، إلاّ أنه لا یمکن لغیره تعالی الشهاده بالوحدانیه بعین ما شهد به تعالی لنفسه، إذ لا ریب فی أنه تعالی عالم بکنه ذاته، و لا ریب فی أن غیره تعالی و إن کان رسولا خاتما أو ولیا خاتما، لا یکون عالما بکنهه تعالی، فلا

محاله لاـ یمکن لغیره الشهاده بالوحدانیه الذاتیه عن معرفه، بل تختص به تعالی، ذلک و ما ذکر فی الوجه السابق من بداهه الإقرار للعبد أیضا بالبیان المتقدم، فإنما هو بداهه فی أنّ وجوده الغائب عن الأوهام و القلوب، لا فی بداهه مشاهده ذاته کما هو هو کما لا یخفی.

و لذا ورد فی الخبر: «ما وحد اللّه غیر اللّه»

و عنه صلّی اللّه علیه و آله: «لا أحصی ثناء علیک أنت کما أثنیت علی نفسک» ،

و ورد: «ما عرفناک حقّ معرفتک» ، و إلیه یشیر أیضا

ما ورد: «أن اللّه احتجب عن القلوب کما احتجب عن الأبصار» . و لعله إلیه یشیر أیضا قوله تعالی: (وَ مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (۱)

و قال علی علیه السّلام: «لا یدرکه بعد الهمم، و لا یناله غوص الفطن» و قیل أیضا شعرا. ما وحد الواحد من واحد إذ کل من وحده جاحد توحیده إیاه توحیده و نعت من ینعته لاحد و لعدم امکانه لأحد

قال علیه السّلام: «لا تکلموا فی ذات اللّه، فإنه لا یزیدکم إلا تحیرا» کما فی توحید الصدوق

و فی الدعاء:

«یا من لا یعلم ما هو إلاّ هو»

فعلی هذا: فدع عنک بحرا ضلّ فیه السوابح و علی هذا فقولک: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له کما شهد اللّه لنفسه، معناه أنک تشبّه توحیدک له تعالی بتوحیده لنفسه، ترید بذلک أنی أشهد له بأحدیه لا یعرفها غیره، و هی أحدیه الوجوب التی هی أحدیه هی ذاته، و یکون حاصل المعنی أن المدرک للعبد و إن بلغ ما بلغ هو أحدیه الوجوب و أحدیه الذات، و هذه الأحدیه مرآه و آیه للأحدیه الذاتیه المشهوده له تعالی و لنفسه تعالی، و لا طریق للعبد إلی الأحدیه المشهوده إلاّ من هذه الأحدیه المرآتیه.

۱- ۱) الأنعام:۹۱.

و بعباره أخرى: معناه أنى لا أدرك إلّا أحديه هى آيه و مرآه أحديته الذاتيه جلّ و علا، و حينئذ لا ريب فى أن جميع الخلائق من نبى مرسل و ملك مقرب و مؤمن كامل ممتحن إنما يدركون هذه الأحديه المرآتيه، التى هى آيه أحديته الذاتيه، و إن تفاوت مراتب المدركين و المدركات من الأحديات، التى هى آيات أحديته، التى هى ذاته التى شهدتها لنفسه تعالى تفاوتا غير متناه فى عالم الممكنات. و من المعلوم أن هذه الأحديه المرآتيه غايه ما يمكن للعبد أن يشير بها إلى أحديته الذاتيه فى مقام التوحيد، سواء كانت هذه ثابته عنده علما أو مدركه وجدانا، فليس له تعالى ظهور لعبده إلّا بهذه الوحده، التى عرفت أنها ترجع إلى مراتب أربع فى التوحيد، و هذه الوحده المرآتيه لا يمكن التوصل بها إلى معرفه ذاتيه و الإحاطه و العلم لكنهه تعالى إلّا بالإشاره، و لذا غايه الإقرار بوحدانيته تعالى إنما هو بإظهارها فى ضمن كلمه التوحيد حال تشبيهها بتوحيده تعالى لنفسه. و بعباره أخرى، أن قول: لا إله إلّا اللّه، و إن كان يدل على التوحيد إلّا أنه لا يدل إلّا على ما أدركه القائل بها، و ما أدركه معلوم لنفسه لا ما هو الواقع فى ذاته تعالى، فحينئذ لا يكون الأعلى و الأحسن فى مقام الإقرار بالوحدانيه بهذه الكلمه المباركه إلّا بالتشبيه أى إلا بتشبيهها بتوحيده تعالى كما لا يخفى. ثم إن الوجه فى أن التوحيد و الوحده المرآتيه لا تدلّ على بيان كنه المدلول عليه، أى لا يدل على بيان كنهه تعالى، هو أن هذه الوحده المرآتيه ظهور منه تعالى فى عالم قلوب أوليائه، و هو خلق منه تعالى، و الخلق مهما كان أقرب يكون محدودا بالنسبه إلى ذاته تعالى، التى لا اسم له و لا رسم و لا حدّ و لا إشاره و لا توهم، فالعبد بما هو خلق و دركه التوحيد و الوحده المرآتيه بما هى خلق، لا يمكن لها الوصول إلى كنه ذاته المقدسه، لأن غايه ما يعرفه غيره تعالى قد علمت أنه آيه، و الآيه غايه ما تدلّ على ذى الآيه لا على كنه ذى الآيه فى خصوص المقام، و ذلك لأنّ هذه الوحده مهما كانت فى الظهور فهى مخلوقه، و هى بفقرها الذاتى و حاجتها فى الاستناد إلى غيره،

تدل على غنى مطلق. هو لا يستند إلى غيره فهو تعالى فى غناه و ساير صفاته الذاتيه لا يستند إلى غيره، و إلّا لتحول دليلا بعد ما كان مدولا عليه. و بعباره أخرى: فلو كانت ذاته المقدسه تستند إلى غيره، لكان دليلا على ذلك الغير، و المفروض أنها مدلول عليها بتلك الوحده المرآتيه، فهو تعالى لا يدل بدلاله المحتاجين و المخلوقين على غيره يكون هو الخالق، بل هو مدلول آياته الآفاقيه و الأنفسيه، و معنى كونه تعالى دالا على ذاته بذاته هو أن ذاته تعالى بآثارها تدل على ذاته. و بعباره أخرى: بخلقه الآيات تدل ذاته على ذاته، و هذه الداله غير دلاله المخلوق على خالقه، على أن معنى كونه دالا على ذاته أن المدلول هو ذاته المقدسه لا غيره، و هذا غير دلاله الأشياء على خالقها الذى هو غيرها، و أيضا هذا غير الدلاله المنفيه عنه تعالى، فإن المنفيه هى دلالته تعالى على غيره لا دلالته على نفسه و ذاته، كما لا يخفى

فقوله عليه السّلام: دلّ على ذاته بذاته خارج عما نحن فيه، من أنه تعالى لا يكون دليلا على غيره خروجا موضوعيا فتدبر تفهم إن شاء اللّه. فظهر مما ذكرنا: أنه لا يمكن الدلاله على ذاته المقدسه بالكنه من شىء، و لو من الوحده المرآتيه بأعلى مراتب ظهورها فى أشرف المخلوقات،

و لذا قال صلّى اللّه عليه و آله: «ما عرفناک حقّ معرفتک» . و كيف كان فما عرفت من الوحده الحقيقيه التى شهدت بها له تعالى من الوحده المرآتيه دلّک هذا الذى عرفته على الوحده، التى شهد بها تعالى لنفسه شهاده وجدانيه له تعالى، بحيث لا يشترک فيها غيره من جميع المخلوقين، و وجه الدلاله أن الوحده المرآتيه التى هى مشهوده لک، مستنده واقعا إلى تلک الوحده التى شهد بها تعالى لنفسه، و هذه أيضا مفتقره إليها و تلک (أى الوحده التى هى مشهوده تعالى) ظاهره بهذا الوحده التى تكون مشهودا لک، فهى مرآه لها و داله عليها دلاله المظهر على الظاهر و المخلوق على الخالق، فقولک: أشهد أن لا إله إلّا اللّه كما شهد

اللّه لنفسه، معناه أنى بهذه الشهاده أى الوحدانيه المرآتيه التى عرفتها و تعنى بالتشبيه فى قولك: كما شهد، ما لم تعرفه من الوحدانيه التى شهد بها تعالى لنفسه. ففى الحقيقه بالتشبيه تشير إلى تلك الشهاده التى شهد بها لنفسه، و تجعل الشهاده للوحده المذكوره لك مرآه لتلك الشهاده التى شهد بها تعالى لنفسه، و لعل المعرفه الصحيحه التى هى غايه ما يمكن أن يراد من العباده هى هذه التى ذكرناها و لا طريق إلى غيرها، بل ربما يقال: إنّ الخطابات و الأدعيه التى تتوجه من العباد إليه تعالى لا تدل إلّا على معنى، تكون مرآه لما يناسب ذاته المقدسه كل بحسبه، و ذلك لأنّ الخطابات و الأدعيه كلها خلق قد أقدرك اللّه عليها فبها تتوصل إلى الحق، و يكون كيفيه التوصل بها إليه تعالى بنحو ذكرناه فى الشهاده و المعرفه بالوحده المرآتيه. فظهر معنى أشهد أن لا إله إلّا اللّه كما شهد اللّه لنفسه بناء على أن تكون الكاف للتشبيه.

الوجه الثالث للتشبيه:

هو أن يكون التشبيه بلحاظ التوصيف، أى أنى أشهد أن لا إله إلّا اللّه بنحو وصفه اللّه تعالى لنا، و أمرنا أن نصفه و أن نوحّده بلسان أنبيائه و كتبه. و الحاصل: أن شهادتى بالوحدانيه له تعالى إنما تكون على وصفه تعالى لنا أن نشهد له و أن نوحّده به. و بعباره أخرى: أنه قد علمت أنه تعالى قد عرّف نفسه لكل أحد من خلقه، فكلّ قد عرفه بما أظهر تعالى فيه (أى فى نفسه) من آياته الأنفسيه بحيث تجلى اللّه تعالى بتلك الآيات الأنفسيه لذلك الشخص

كما قال عليه السّلام: «تجلى لها بها» و قد مرّ شرحه، و علمت سابقا أن تعرفه لك هو ظهروه تعالى لك و قد مرّ أيضا شرحه، إلّا أن هذه المعرفه معرفه شخصيه أى بحسب ما ظهر من الآيات فى نفس العارف، و ليست معرفه كليه لما علمت من اختلاف مراتب ظهوره فى الآيات الأنفسيه فى

الخلق. فأدنی المخلوقین قد عرف اللّه تعالی بما عرفه به نفسه، و أشرف المخلوقین أیضا قد عرفه اللّه تعالی نفسه بالآیات، التی جعلها فیه

کما قال صلّی اللّه علیه و آله و قال علیه السّلام: «ما للّه آیه أکبر منی» و بین المرتبتین مراتب کثیره لا تتناهی جدّا. و کیف کان فهذه المعرفه معرفه شخصیّه، و المعرفه الکلیّه هی التی وصفها اللّه تعالی و أثبتها لنفسه و حینئذ معنی

قوله:

أشهد کما شهد لنفسه

، أنی أشهد بالوحدانیه التی وصفها اللّه تعالی لنا فی کتبه و بلسان أنبیائه، و إن لم یکن ظاهره بحقیقتها لنا، بل کانت ظاهره له تعالی فقط، إلاّ أنا نشهد بالوحدانیه حال کونها موصوفه بما وصفها اللّه لنا، و تبین هذه الجهه بقولک: کما شهد لنفسه، و یؤیده بل یدل علیه ظاهر العطف فی قوله تعالی: (شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ اَلْمَلاٰئِکَهُ وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ. .) (1)المقتضی للتشریک. و بعباره أخری: أن ظاهر العطف هو اشتراک المعطوف مع المعطوف علیه فی الشهاده، مع أنه قد علمت أن الشهاده الحقیقیه مختصه به تعالی لا یشترک معه أحد، فحینئذ لا بدّ من أن یکون المراد المعطوف علیه أی شهادته تعالی لنفسه فی الآیه المبارکه هی الشهاده التوصیفیه لخلقه، لا الشهاده الحقیقیه لذاته، لیصح العطف الدال علی الاشتراک و حینئذ قولک: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه کما شهد اللّه لنفسه، داخل فی شهادته بهذا النحو، فالکاف قد أتی لها للاتحاد بین الشهادتین، فشهادته تعالی لنفسه تکون عین شهادتک له تعالی فی الوصف له تعالی بالوحدانیه، الذی ذکره تعالی بلسان أنبیائه و کتبه. ثم إن التوصیف قد یکون بلحاظ الکلیه بالنسبه إلیه تعالی، و قد یکون بلحاظ توصیفه تعالی نفسه لکلّ فرد من عباده بالخصوص، و ما ذکرنا هو مبنی علی الأول، و أما علی الثانی فحینئذ یکون معناه أنی أشهد له بالوحدانیه کما وصف نفسه

1- 1) آل عمران:18.

و وحدانيته له بالخصوص، فحينئذ يكون معناه: أنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و هى شهادته لنفسه أن لا إله إلاّ اللّه و هى شهادته لنفسه ان لا إله إلاّ هو لى، أى توصيفه تعالى وحدانيته لى بالخصوص، فأنا أشهد بهذه الشهاده التى شهد تعالى بها لى بالوصف. ثم إن الوصف قد يكون بلحاظ الكليه بالنسبه إليه تعالى، و قد يكون بلحاظ توصيفه تعالى نفسه لكل فرد من عباده بالخصوص، و ما ذكرنا هو مبنى على الأول، و أما على الثانى فحينئذ يكون معناه أنى أشهد له بالوحدانيه كما وصف نفسه و وحدانيته له بالخصوص فحينئذ يكون معناه: أن لاـ إله إلاّـ اللّه، و هى شهادته لنفسه أن لاـ إله إلا هو لى، أى توصيفه تعالى وحدانيته لى بالخصوص فأنا أشهد بهذه الشهاده التى شهد تعالى بها لى بالوصف. و بعباره أخرى: أشهد بالوحدانيه كما عرفها لى بتوصيفها لى، و توصيفها لى عباره عن ظهوره تعالى لى بنفسى أى بالآيات و الصفات و الأوصاف التى بينها لى فى نفسى كما تقدم مرارا، هذا كله بناء على أن تكون الكاف للتشبيه، و يحتمل أن تكون للتعليل و معناه أنى أشهد أن لا إله إلاّ اللّه لأنه شهد أن لا إله إلاّ اللّه. و بعباره أخرى: كما أن الإنسان يعتمد فى الأمور العظيمه و المطالب الدقيقه على عظماء أهل العلم و المعرفه، بل كما أنه يعتمد كل جاهل بأمر على العالم به فى المشى على علمه فى ذلك العلم و الاعتماد عليه، فكذلك فى المقام تكون معنى الشهاده أنه لما كان اللّه تعالى عالما بجميع الأمور و عالما بنفسه و بصفاته و بوحدانيته، و أنه لا شريك معه، و هو تعالى شهد على وحدانيته فأنا بتلك العله أشهد أن لا إله إلاّ اللّه. و الحاصل: أنه تعالى عالم، فلو وجد معه غيره لما وحد نفسه، فلما وحد نفسه علم وحدانيته، فأنا أشهد لها لأنّه شهد بها فالكاف للعله، و يدلّ بالالتزام على ما يدلّ على وحدانيته ممّا بينه فى كتبه و بلسان أنبيائه، ثم إنه تعالى ما كان محتاجا لأن يشهد لنفسه بالوحدانيه، و إنما يشهد بها ليدلنا على ما فيه هدايتنا إلى ما أعدّ من

الخيرات فی الـدنیا و الآخره لموحـدیه، و علی ما فیه نجاتنا مما أعد من العقوبات فی الدنیا و الآخره لمنکری توحیده. و هنا وجه آخر دقیق لشـهادته تعـالی بوحـدانیته لنفسه علی جمیع التقادیر و حاصـله: أنه قـد ثبت فی محلّه أنه لا یکون فی صـقع الوجود و عالمه إلاّ ذاته المقدسه و صفاته و أفعاله تعالی، قال تعالی: (لا إِلهَ إِلاّ هُوَ) (۱)و قال تعالی: (لا قُوَّهَ إِلاّ بِاللّهِ) (۲)، و قال: (وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ یَخْتارُ ما کانَ لَهُمُ اَلْخِیَرَهُ) (۳)، فمرجع هـذا إلی التوحیـد الـذاتی و الصـفاتی الأفعالی فی عالم الوجود. و هـذا بالنسـبه إلی الواقع و نفس الأـمر، و أمّـا فی الظاهر و فی نظر الخلق فهم مع قطع النظر عن تعریفه تعالی لنا نفسه هکـذا محجوبون عن هـذه المعـارف، فلا یکاد یصل أحـد إلیها إلاّ بتعریفه تعالی فحینئـذ قوله تعالی: (شَـهِدَ اَللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ) (۴)، للتنبیه علی هذه المعارف. و بعباره أخری: للإشاره إلی أن ماده جمیع أکواننا فی جمیع مراتب الإیجادات من الصـفات و الأفعال و المثوبات الـدنیویه و الأـخرویه هو ذاته المقـدسه تبـارک و تعـالی، فقوله تعـالی: (لاـ إِلهَ إِلاّـ هُوَ) هو أنه تعالی بـذاته أصل کل الأمور من الأفعال و الصـفات مطلقا، و توحیدنا له و قبولنا لتوحیده بقولنا: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، هو قبولنا لتلک المعارف. و بعباره أخری: هو قبولنا للوحدانیه الذاتیه و الصـفاتیه و الأفعالیه، فالشـهاده الحقیقیه منه تعالی هو بیان تلک المعارف، و شهادتنا له تعالی حقیقه هو قبولنا بنحو ما ذکرناه، فتأمل تعرف راشدا إن شاء اللّه تعالی.

۱- ۱) البقره:۱۶۳.

۲- ۲) الکهف:۳۹.

۳- ۳) القصص:۶۸.

۴- ۴) آل عمران:۱۸.

قوله عليه السّلام: و شهدت له ملائكته و أولو العلم من خلقه

اشاره

الكلام يقع هنا فى جهات:

الجهه الأولى:

قوله عليه السّلام:

و شهدت

، عطف على أشهد للإشعار على أن الشهاده بوحدانيته أمر ثابت عند الملائكه و أولى العلم، و إنما خصّ العطف بهم دون جميع الخلق، لعدم الاعتناء بغير أولى العلم إذ غيرهم كالأنعام بل هم أضل، فلا يعتنى بهم و بأفعالهم و أقوالهم. إذن فالإقرار بوحدانيته مسلم عند الملائكه و أولى العلم، فهذا للتنبيه أيضا على أن وحدانيته أمر لا ينكره الملائكه و أولو العلم فهى من مهامّ ما أقرّ به الملائكه و أولو العلم، فينبغى لكل أحد أن يتبعهم فى ذلك، على أنه لو لم يكن الإقرار بالوحدانيه أمرا مهمّا لما كانت الملائكه و أولو العلم-المراد منهم الأنبياء و الأولياء كما سيأتى-مقرّين بها كما لا يخفى.

الجهه الثانيه: فى بيان معنى الملائكه.

ففى المجمع: الملك من الملائكه واحد و جمع، و أصله مألك فقدّم اللام و أخّر الهمزه، و وزنه مفعل من الألوكه و هى الرساله، ثم تركت الهمزه لكثره الاستعمال فقيل: ملك، فلما جمعوه ردّوه إلى أصله فقالوا: ملائك، فزيدت التاء للمبالغه أو لتأنيث الجمع. . إلى أن قال: و اختلف فى حقيقه الملائكه، فذهب أكثر المتكلمين-لما أنكروا الجواهر المجرده-إلى أن الملائكه و الجن أجسام لطيفه قادره على التشكل بأشكال مختلفه. و فى شرح المقاصد: الملائكه أجسام لطيفه نورانيه كامله فى العلم، و القدره على الأفعال الشاقه، شأنها الطاعات، و مسكنها السموات، و هم رسل اللّه إلى الأنبياء، يسبحون الليل و النهار لا يفترون، لا يعصون اللّه ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون. . إلخ.

أقول:

ففی البحار (۱)، عن الاختصاص بإسناده عن المعلی بن محمد، رفعه إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اللّه عز و جل خلق الملائکه من نور» الخبر.

و فیه (۲)، عن الاحتجاج بإسناده إلی أبی محمد العسکری علیه السّلام فیما احتج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله به علی المشرکین: و الملک لا تشاهده حواسّکم، لأنه من جنس هذا الهواء لأعیان منه، و لو شاهدتموه بأن یزداد فی قوی أبصارکم لقلتم: لیس هذا ملکا بل هذا بشر، الخبر.

و فی خصال الصدوق (۳)، بإسناده عن محمد بن طلحه، بإسناد یرفعه إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: الملائکه علی ثلاثه أجزاء، فجزء لهم جناحان، و جزء لهم ثلاثه أجنحه، و جزء لهم أربعه أجنحه.

و فیه عن الحسن بن محبوب، عمّن ذکره عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: الجن علی ثلاثه أجزاء، فجزء مع الملائکه، و جزء یطیرون فی الهواء، و جزء کلاب و حیّات، و الإنس علی ثلاثه أجزاء، فجزء تحت ظل العرش یوم لا ظل إلّا ظله، و جزء علیهم الحساب و العذاب، و جزء وجوههم وجوه الآدمیین و قلوبهم قلوب الشیاطین. قال المجلسی فی البحار (۴): تکمله، اعلم أنه أجمعت الإمامیه بل جمیع المسلمین -إلّا من شذّ منهم من المتفلسفین، الذین أدخلوا أنفسهم بین المسلمین لتخریب أصولهم، و تضییع عقائدهم-علی وجود الملائکه، و أنهم أجسام لطیفه نورانیه أولو أجنحه مثنی و ثلاث و رباع، و أکثرهم قادرون علی التشکل بالأشکال المختلفه، و أنه سبحانه یورد علیهم بقدرته ما یشاء من الأشکال و الصور علی حسب الحکم و المصالح، و لهم حرکات صعودا و هبوطا، و کانوا یراهم الأنبیاء و الأوصیاء علیهم السّلام و القول بتجردهم و تأویلهم بالعقول و النفوس الفلکیه و القوی و الطبائع، و تأویل

۱- ۱) البحار ج ۵۹ ص ۱۹۱.

۲- ۲) البحار ج ۵۹ ص ۱۷۱.

۳- ۳) خصال الصدوق-باب الثلاثه ص ۱۴۵.

۴- ۴) البحار ج ۵۹ ص ۲۰۲.

الآيات المتضافره، و الأخبار المتواتره تعويلا على شبهات واهيه، و استبعادات وهميه زيغ عن سبيل الهدى، و اتباع لأهل الجهل و العمى. أقول: لم يعلم ثبوت إجماع الإماميه على جسمانيه الملائكه مطلقا، بل المستفاد من الأحاديث أن الكروبيين و المهيمين ليسوا بأجسام بل مجردات، نعم التجرد الحقيقى مختصّ به تعالى، و ساير المجردات على القول بها مجردات بالنسبه كما حق فى محلّه. ثم ذكر رحمه اللّه الأقوال فى حقيقه الملائكه مع الأدله نفيا و إثباتا، و نحن لا نتعرض لها روما للاختصار ثم ذكر رحمه اللّه أقسامهم و أوصافهم، فمن أراد الإحاطه بها فليراجع الجلد المذكور منه، هذا و لكن نحن نذكر بعض الأحاديث فى بيان خلق بعض الملائكه مما يظهر منه عظمته تعالى فنقول:

ففى البحار (۱)، عن تفسير القمى بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه سأل: هل الملائكه أكثر أم بنو آدم؟ فقال: و الذى نفسى بيده لملائكه اللّه فى السموات أكثر من عدد التراب فى الأرض، و ما فى السماء موضع قدم إلّا و فيها ملك يسبّحه و يقدّسه، و لا فى الأرض شجر و لا مدر إلّا و فيها ملك موكل بها، يأتى اللّه كل يوم بعملها و اللّه أعلم بها، و ما منهم أحد إلّا و يتقرب كل يوم إلى اللّه بولايتنا أهل البيت، و يستغفر لمحبينا، و يلعن أعداءنا، و يسأل اللّه أن يرسل عليهم العذاب إرسالا.

و فيه (۲)، عن التوحيد و الخصال بإسنادهما عن زيد بن وهب قال: سأل أمير المؤمنين عن قدره اللّه جلّت عظمته، فقام خطيبا: فحمد اللّه و أثنى عليه ثم قال: إن للّه تبارك و تعالى ملائكه، لو أن ملكا منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه و كثره أجنحته، و منهم من لو كلفت الجن و الإنس أن يصفوه ما وصفوه، لبعد ما بين مفاصله، و حسن تركيب صورته، و كيف يوصف من ملائكته من سبعمائه

۱- ۱) البحار ج ۵۹ ص ۱۷۶.

۲- ۲) البحار ج ۵۹ ص ۱۷۸.

عام ما بين منكبه و شحمه أذنه؟ و منهم من يسدّ الأفق بجناح من أجنحته دون عظم يديه، و منهم من فى السموات إلى حجزته، و منهم من قدمه على غير قرار فى جوّ الهواء الأسفل، و الأرضون إلى ركبتيه، و منهم من لو ألقى فى نقره إبهامه جميع المياه لوسعته، و منهم من لو ألقيت السفن فى دموع عينه لجرت دهر الداهرين فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

و فيه (۱)، عن الكافى، عن السكونى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إن للّه ملكا رجلاه فى الأرض السفلى مسيره خمس مائه عام، و رأسه فى السماء العليا مسيره ألف سنه يقول: سبحانك (سبحانك خ ل) حيث كنت فما أعظمك! قال: فيوحى اللّه عز و جل إليه ما يعلم ذلك من يخلف بى كاذبا.

و فيه (۲)، عن التوحيد، بالإسناد المتقدم عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: إن للّه تبارك و تعالى ملكا من الملائكه نصف جسده الأعلى نار، و نصفه الأسفل الثلج، فلا النار تذيب الثلج، و لا الثلج يطفئ النار، و هو قائم ينادى بصوت له رفيع: سبحان الذى كفّ حر هذه النار، فلا تذيب هذا الثلج، و كفّ برد هذا الثلج فلا يطفئ النار، اللّهم يا مؤلفا بين الثلج و النار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك.

و منه بهذا الإسناد عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: إن للّه تبارك و تعالى ملائكه ليس شىء من أطباق أجسادهم إلّا و هو يسبح اللّه تعالى، و يحمده من ناحيته بأصوات مختلفه لا يرفعون رءوسهم إلى السماء، و لا يخفظونها إلى أقدامهم من البكاء و الخشيه للّه عز و جل.

و فيه، عنه، عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام هل فى السماء بحار؟ قال: نعم أخبرنى أبى عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إن فى السموات السبع لبحارا عمق أحدها مسيره خمس مائه عام، فيها ملائكه قيام منذ

۱- ۱) البحار ج ۵۹ ص ۱۹۷.
۲- ۲) البحار ج ۵۹ ص ۱۸۳ عن التوحيد ص ۱۸۲.

خلقهم اللّه عز و جل و الماء إلى ركبهم، ليس منهم ملك إلاّ و له ألف و أربع مائه جناح، فى كل جناح أربعه وجوه، فى كل وجه أربعه ألسن، ليس فيها جناح و لا وجه و لا لسان و لا فم إلا و هو يسبح اللّه تعالى بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه.

و فيه عنه بإسناده عن الأصبغ قال: جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين و اللّه إن فى كتاب اللّه تعالى لآيه قد أفسدت علىّ قلبى و شككتنى فى دينى، فقال له عليه السّلام: ثكلتك أمك و عدمتك و ما تلك الآيه؟ قال: هو قول اللّه تعالى: (وَ اَلطَّيْرُ صَافّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ) فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: يا بن الكواء إن اللّه تعالى خلق الملائكه فى صور شتّى، إلاّ أنّ للّه تعالى ملكا فى صوره ديك أبحّ أشهب، براثنه فى الأرضين السابعه السلفى، و عرفه مثنى تحت العرش، له جناحان جناح فى المشرق و جناح فى المغرب واحد من نار و الآخر من ثلج. فإذا حضر وقت الصلوه قام على براثنه، ثم رفع عنقه من تحت العرش، ثم صفق بجناحيه كما يصفق الديوك فى منازلكم فينادى: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، و أشهد أن محمدا سيد النبيين، و أن وصيه سيد الوصيين، و أن اللّه سبوح قدوس رب الملائكه و الروح، قال: فتخفق الديكه بأجنحتها فى منازلكم فتجيبه عن قوله و هو قوله عز و جل: (وَ اَلطَّيْرُ صَافّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ) من الديكه فى الأرض. أقول: الأحاديث فى هذا الباب كثيره جدا فراجع البحار ج ۵۹.

الجهه الثالثه: فى معنى شهاده الملائكه بالوحدانيه له تعالى

فنقول: قد علمت

قوله عليه السّلام: فينادى (أى ذلك الملك الذى هو بصوره الديك) أشهد أن لا إله إلاّ اللّه. . إلخ، فيمكن أن تكون شهادته و كذا شهاده سائر الملائكه باللفظ، و يمكن أن تكون بالمعانى المعبّره عنها باللفظ، و قد يقال: إن المراد من الأجنحه للملائكه هو الأمر الموكل بأعماله، الذى أقدره اللّه تعالى عليه، فهى بأعمالها فى مواردها و عدم مخالفتها لما أمرت به تكون مقره بالشهاده على التوحيد، و ذلک لأن الإقرار اللسانى لا يراد

منه إلاّ بما هو حاك عن الإيقان القلبى، و الإيقان القلبى لا يراد منه إلاّ حق الامتثال لمن أقر بوحدانيته و عظمته. فلو أن أحدا عمل بما أمره اللّه و لم يخالف أبدا كما حكى اللّه تعالى عنهم بقوله: (لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) المفسّر بالملائكه أيضا، فقد أقر بحقيقه وجوده على توحيده كما لا يخفى، و ربما يدل عليه ما ورد من الأحاديث الداله على أن المعصيه هى شرك باللّه تعالى، و أن الطاعه الحقيقه هى حقيقه الإقرار بالتوحيد بجميع شئونه، و اللّه العالم.

الجهه الرابعه: فى بيان المراد من أولى العلم.

ففى تفسير نور الثقلين عن تفسير العياش، عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن هذه الآيه: (شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ اَلْمَلاٰئِكَهُ وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ) قال أبو جعفر عليه السّلام: شهد اللّه أنه لا إله إلاّ هو، فإن اللّه تبارك و تعالى يشهد بها لنفسه و هو كما قال: فأمّا قوله: (وَ اَلْمَلاٰئِكَهُ) فإنه أكرم الملائكه بالتسليم له بهم، و صدقوا و شهدوا كما شهد لنفسه، و أمّا قوله: (وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ) فإن أولى العلم الأنبياء و الأوصياء و هم قيام بالقسط (و القسط العدل فى الظاهر) و العدل فى الباطن أمير المؤمنين عليه السّلام.

و فيه عن مروان القمى قال: سألت أبا الحسن عليه السّلام عن قوله تعالى: (شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ اَلْمَلاٰئِكَهُ وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ) ، قال عليه السّلام: هو الإمام. أقول: فالمراد من أولى هم الأنبياء و الأوصياء كما ذكر. و على هذا فيكون

قوله عليه السّلام: من خلقه ، للتبعيض، بخلاف ما إذا أريد منه العوام فانه حينئذ للبيان كما لا يخفى، و على الأول (أى كون المراد من أولى العلم الأنبياء و الأوصياء فقط) يستفاد منه أن غيرهم و إن حصلت منهم الشهاده بالتوحيد إلاّ أنها لا تخلو واقعا من شوب الكفر، بل نفس الكفر حقيقه

كما ورد فى النمله أنها إذا تصورت خالقها فإنها تثبت له زبانتين ، لزعمها أن كمال الخلاق فى ذلک كما ذكر فى

الحدیث. نعم یمکن أن یقال: إن جمله أولی العلم إنما صیغت لبیان انقیاد جمیع الخلق له تعالی بشهادته له بالوحدانیه، فحینئذ یشمل العموم إلاّ أن هذا أیضا فیه شیء إذ علمت أن غیر المخلصین (بالفتح) من العباد یکون اللّه تعالی منزها عن توصیفهم لقوله تعالی: (سُبْحانَ اَللّٰهِ عَمّٰا یَصِفُونَ. إِلاّٰ عِبٰادَ اَللّٰهِ اَلْمُخْلَصِینَ) (۱)فنزه اللّه نفسه المقدسه عن توصیف غیر المخلصین لها، حینئذ لا یلیق أن یراد من أولی العلم الأعم الشامل لغیر المخلصین فضلا عمّن دونهم و عن العوام بعد ما عطف علیه تعالی. و بعباره أخری: لا یلیق عطف شهاده غیر المخلصین علی شهادته تعالی، لتنزهه تعالی عن توصیف و توحید غیر المخلصین، فتدبر، و هذا بخلاف وصف الملائکه و أولی العلم من خلقه من الأنبیاء و الأوصیاء المخلصین فإنه حینئذ لایق للعطف، حیث إنهم یعرفونه حقّ معرفته، و یعظمونه حقّ عظمته لمکان خلوصهم و حصول مراد اللّه تعالی بشهادتهم و ثنائهم له تعالی، هذا مع أن الأنسب إراده العموم لتصح عطفه علی الملائکه، کما سیجیء. و لما أطلق کثیرا فی الأخبار أولو العلم ع لی العلماء (غیر الأنبیاء و الأوصیاء) فیشمل من عرف اللّه تعالی بالدلیل بحیث یعرفون خصوص التوحید، أو الأعم منه و من سایر علوم الدین، و یشمل العالم بالعلم الحقیقی الذی هو نور یقع فی قلب من أراد اللّه أن یهدیه و علامته الخشیه منه تعالی

لقوله علیه السّلام فی الدعاء:

«سبحانک أعلمهم بک أخوفهم منک،

أو ما یقرب منه فی العباره،

و فی الدعاء أیضا:

لا علم إلاّ خشیتک، و لا حکم إلاّ الإیمان بک، لیس لمن لم یخشک علم، و لا لمن لم یؤمن لک حکم.

ص: ۱۵۲

۱- ۱) الصافات:۱۵۹-۱۶۰.

بـل يمكن أن يقـال: إن كل علم فى أى موضوع لأىّ أحـد يوجب لصاحبه من طريق علمه الإقرار بالوحـدانيه له تعالى، فإن العلم مهما كان يـدلّ على معلوم مشـتمل على الحكم و الصالـح و آثار القدره، و هى تدل على خالقها و معطيها، فتدل بالملازمه على توحيده، لعدم إمكان تلك الأمور من غيره تعالى كما لا يخفى.

الجهه الخامسه: فى وجه العطف فى الآيه الشريفه

فنقول: قـد ذكر الملاـئكه قبـل أولى العلم فى الزياره و فى الآيه الشـريفه و فى الأحاديث، فعلى كون المراد من أولى العلم الأعم من الأنبياء و الأوصـياء، فيشمل جميع الخلق بناء على كون من للبيان، فلا إشكال فيه لأنّ الملائكه حينئذ لقربهم إليه تعالى أفضل من الخلق بقول مطلق، و إن كان فيهم من هو أفضل من الملائكه كما لا يخفى. و إن أريد منهم الأنبياء و الأوصـياء خاصه فأيضا يمكن أن يقـال: إن الملاـئكه على الإطلاق، حيث كان فيهم من هو أفضل من بعض الأنبياء، فحينئـذ بلحاظ العموم فى الملائكه قـدم على الأنبيـاء بلحـاظ وجود المفضول فيهم، بالنسـبه إلى الملاـئكه، فـإنه و إن كـان فيهم من هو أفضـل من الملائكه كما لا يخفى إلاّـ أن المسـامحه فى التعبير و التقـديم كـان بهـذا اللحـاظ، و أمـا مع قطع النظر عن هـذه الجهـات فربمـا يقال: إنه لا وجه لتقـديم الملائكه فى الـذكر على الأنبياء و الأوصـياء، مع أن فيهم من هو أفضل من جميع الخلق حتى جميع الملائكه، فحينئـذ قد يجاب بأن ذلك محمول على لحاظ الترقى فى الـذكر، فإنه يبتدأ بالأدنى ثم بالأعلى، و لكن فيه إن كان المراد الذكر اللفظى فلا ترجيـح فيه بهـذا اللحـاظ، بـل الأـولى تقـديم الأـعلى، و إن كان بلحاظ الحال و السـلوك فإنه و إن كان الأدنى أسـبق واقعا فى السـلوك، فكـان المنـاسب تقـديم ذكره فى اللفـظ، ليطـابق اللفـظ الواقع إلاـ أن هـذا إذا كانت الزياره و القول بهـذه الكيفيه من الشـهاده صادرا من غير الإمام عليه السّـلام أو منه و كان فى مقام التعليم لا فى مقام الزياره كما لا يخفى. و كيف كان فعلى هـذا الجواب قد يقال: فكان المناسب تقديم شهاده الملائكه

و أولی العلم علی اللّه تعالی، مع أنه قدم شهادته علیهما فی جمیع الموارد، و أجیب بأن توحیده تعالی نفسه قبل ذلک، لأنه تعالی المعلم و الداعی فی أصل الشهاده، فکان حق التعظیم التقدیم، و قد یجاب أیضا عن أصل الإشکال بأن التقدیم محمول علی ما تعرفه العوام من أن الملائکه هم الوسائط بین اللّه و بین الخلق، کما هو ظاهر الأدله، أو علی أن الملائکه لما کانوا لبساطتهم و تجردهم أشدّ استغراقا و أدوم ذکرا من غیرهم بحسب العموم فقدموا فی الذکر.

ففی الدعاء عن السجاد علیه السّلام:

«اللهم و حمله عرشک الذین لا یفترون من تسبیحک، و لا یسأمون من تقدیسک، و لا یستحسرون فی عبادتک، و لا یؤثرون التقصیر علی الجد فی أمرک، و لا یغفلون عن الوله إلیک» إلی أن قال علیه السّلام: «و الذین لا تدخلهم سأمه من دءوب، و لا إعیاء من لغوب، و لا فتور، و لا تشغلهم عن تسبیحک الشهوات، و لا یقطعهم عن تعظیمک الغفلات» الدعاء، و هذا بخلاف المادیات و المرکبات، لکثره الموانع فیها، و لهذه الجهه کان المؤمن الصالح فی البشر أفضل من الملائکه، و الطالح منهم أکثر شرّا من الأنعام.

ففی الحدیث عن العلل و غیره عن الصادق علیه السّلام حین سأله عبد اللّه بن سفیان: الملائکه أفضل أم بنو آدم؟ فقال: أمیر المؤمنین علیه السّلام: اعلموا أن اللّه رکب فی الملائکه عقلا بلا شهوه، و رکب فی البهائم شهوه بلا عقل، و رکب فی بنی آدم کلیهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خیر من الملائکه، و من غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم. و قد یقال: إن الملائکه لما کانوا وسائط فی التعلیم بالوحی غالبا بحسب الظاهر کما تقدم، فحسن تقدیم ذکرهم علی أولی الأمر بلحاظ التقدیم الوساطی لا المعنوی و إلاّ فالملائکه متأخرون خلقا عن الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام کبروا فکبرت الملائکه و هکذا. أقول: هکذا قیل و لعلّ الوجه فی تقدم الملائکه أن الناس غالبا معتقدون بأن الملائکه هم أهل التوحید قاطبه بخلاف البشر، ففی الظاهر هم أشرف عندهم من

الناس، فقدم فی الذکر مسامحه لهذه الجهه، فتأمل. هذا و قد یقال: إن الواو لمطلق الجمع، و لا یدلّ علی تفضیل المعطوف علیه علی المعطوف، بل کل منهما مستقر فی محلّه من الشرافه المختصه به سواء قدّم أم أخّر، فتدبر. أقول: الشهاده بوحدانیته تعالی قد تلاحظ فی عالم الأنوار و الأرواح و العقول القادسه، ففی هذه المرتبه لا ریب فی أفضلیه شهاده من هو أقرب إلیه تعالی، فحینئذ حق الشهاده و حقیتها لا یکون إلاّ منه تعالی، ثم من نور النبی و الأئمه و الزهراء علیهم السّلام ثم من الملائکه الأقرب منهم إلی اللّه تعالی فالأقرب، ثم من الخلق أی من أرواحهم المتعلقه بالأبدان الأعرف منهم له تعالی فالأعرف، هذا کله ینتهی إلی أضعف الخلق إیمانا من المؤمنین، هذا بحسب الواقع، فلا محاله لا بدّ من تطابق الظاهر فی مقام اللفظ للواقع، فحینئذ یقع الإشکال فی أنه کیف قدّم الملائکه علی الأنبیاء مع أفضلیه النبیّ و الأئمه علیهم السّلام علیهم و ما ذکر من الأجوبه لا یغنی من الحق شیئا؟ فحینئذ نقول فی الجواب الفصل: إن الشهاده حقیقه تنحل إلی الشاهد و الشهاده و المشهود به و المشهود له، و لا ریب فی أن هذه العناوین منفیه فی صقع الربوبی، فهناک لیس إلاّ الذات الحق البحت، فلا اسم له و لا رسم له و لا تعین له إلاّ هو هو، فتحقق الشهاده یلازم التعیّن للذات فی عالم الأمور، ثم فی عالم الخلق، و لا ریب فی أن أول التعیّنات الإلهیه إنما تحقق بحقیقه أنوار محمد و الأئمه و الزهراء (صلی اللّه علیهم أجمعین) کما نطقت به الأحادیث الکثیره. فحینئذ نقول: لازم ما ذکرناه هو أن قوله: (شَهِدَ اَللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ) إنما تحقق منه تعالی بتجلیه تعالی بأنوار محمد و آله الطاهرین لهم، فبأنوارهم تحقق الشهاده منه تعالی، فالشاهد و هو اللّه، و المشهود له و هو اللّه، و المشهود به من الشهاده و هو الوحدانیه له تعالی إنما تحقق بتجلیه تعالی بأنوارهم القائمه به تعالی، و الباقیه ببقائه و إبقائه بحسب مراتبه فی التجلی کما حقق فی محله.

و هـذه التجليات هى حقيقه محمـد و آل محمد الطاهرين، التى بها تحقق الشـهاده الحقيقيه، فعليه فالنبى و الأئمه و الزهراء عليهم السّلام بحقيقتهم النورانيه متقدمون على الكلّ من الملائكه و غيرهم فى هذه الشهاده و تحققها، و لذا قال تعالى: (شَهِدَ اَللّٰهُ. .) و لم يقـل شـهد هو تلويحا إلى أن أنوار الأئمه و النبى صلّى اللّه عليه و آله التى هى معنى-اللّه-كما تقـدم هو المقصود و المنظور من هـذه الشـهاده، أى بتجليه تعـالى بهـذه الأـنوار لها تحققت هـذه الشـهاده، فالنبىّ و الأئمه و الزهراء عليهم السّلام داخلون فى كلمه-اللّه-فى الشـهاده، فهو بأسمائه تعالى بما هو اللّه الذى هو اسم للذات بلحاظ الأسماء، شهد بوحدانيّته لا بما هو هو، فإنه بما هو هو ليس إلاّ هو فلا تعيّن هنـاك و لا اسم و لا رسم، و لـذا قلنـا: إن اللّه اسم له تعالى بلحاظ استجماعه لصـفات الجمال و الجلال، و تقدم أن النبى و الأئمه عليهم السّلام هم الأسـماء الحسـنى، فهو شـهد بوحدانيته بأسـمائه الحسـنى، التى عبّر عنها ب-اللّه-و التى هى حقيقه محمـد و آله الطاهرين، فأهل الكشف و الحقيقه يرون فى قوله تعالى شـهد اللّه أن النبى و الأئمه و الزهراء عليهم السّلام بلحـاظ مقامـاتهم النورانيه و الأسـمائيه له تعالى مقـدمون على الكلّ، و أما المحجوبون عن الحقائق و الأنوار يرون التقـدم أولا للّه تعـالى ثم للملائكه ثم لأولى العلم، فالآيه بعباراتها التى هى للعوام قـدم فيها الملائكه على الأنبياء و بإشارتها من جعل-اللّه-فاعلا للشهاده، الذى هو اسم له تعالى بلحاظ أسمائه الحسنى، قدم فيها النبى و الأئمه عليهم السّلام على الكلّ، و تقدم

قول الصـادق و الحسـين عليهمـا السّلام: «إن القرآن على أربعه أقسـام: العبـاره و الإشاره و اللطائف و الحقائق» فالعباره للعوام، و الإشاره للخواصّ، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء. و هنا معارف غامضه أعرضنـا عنها مخافه شنعه الجهال و اللّه و رسوله و الأئمه عليهم السّلام أعلم بحقائق الأمور.

قوله عليه السّلام: لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم.

قيل: كرّر للتأكيد و التوصيف.

ص: ۱۵۶

أقول: لما بين الإمام عليه السّلام أوصاف الإمام المزور عليه السّلام بما تقدم، فربما توهّم الاستقلال لهم عليهم السّلام بتلك المكانه العظمى من تلك الأوصاف العليا فعلم عليه السّلام الزائر

بقوله:

أشهد أن لا إله إلاّ اللّه كما شهد. . إلخ. تنبيها إلى أن تلك المقامات إنما هى منه تعالى لهم عليهم السّلام و لدلاله كلمه التوحيد على انحصار الكمالات فيه تعالى، و أن ما وجد منها فى غيره فإنما هو آثاره تعالى و مظاهره تعالى فى أوليائه و سائر خلقه، كما حقق فى محله و ستجىء الإشاره إليه و لعلّه تقدم أيضا. و كيف كان: فقول الزائر بعد تلك التسليمات بما فيها من الأوصاف لهم عليهم السّلام: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه كما شهد اللّه. . إلخ، إنما هو امتثالا لأمره عليه السّلام فى الزياره و اقتداء، بشهاده اللّه تعالى لنفسه و شهاده الملائكه و أولى العلم كما يظهر من كاف التشبيه، فإن التشبيه يعطى أن الزائر لا يشهد بتوحيده تعالى مستقلا فعلا بل أدرج نفسه تبعا فى مقام الشهاده فى شهادته تعالى نفسه و شهاده الملائكه و أولى العلم، ثم إنه لما شهد بالتوحيد كذلك أشرقت أنوار التوحيد منه تعالى فى قلبه، فرجع إلى نفسه حين ما شاهد سناءها و ضياءها فقال من عند نفسه: لا إله إلا هو العزيز الحكيم. ففى الحقيقه أن هذا الإقرار بالتوحيد شهاده منه للّه تعالى مستقلا و أما ما قبله، فهو شهاده له تعالى تبعا و امتثالا، و أما توصيفه حينئذ بالعزيز الذى معناه المتفرد بالعزه و القدره، و بالحكيم الذى معناه الذى لا يعدل عن العدل فى أفعاله و صفاته و حقيقته فإنما هو للتأكيد الإجمالى لما دلّ عليه جمله الكلام السابق. و حاصله: أنه لما أمر بالشهاده له تعالى كما شهد لنفسه امتثالا و تبعا للتنبه منه على أن الكمالات مختصه به تعالى، لأنه الواحد فى الذات و الصفات و الأفعال، كما هو مفاد كلمه التوحيد كما سيجىء و كانت شهادته شهاده تبعيه لا حقيقيه و واقعيه بنحو يليق بذاته المقدسه كما علمت، و لذا شبهه بشهادته تعالى بقوله: كما شهد اللّه لنفسه، ففى الحقيقه أكمل شهادته لكى يليق به تعالى بالتشبيه المستلزم لا لحاقه بشهادته تعالى.

ثم إنه لما أراد أن يشهد هو له تعالى من عند نفسه، و علم من نفسه عجزه عن الشهاده اللائقه بذاته المقدسه، و أراد تكميلها لكى يليق بذاته المقدسه، فذكر الوصفين أعنى العزيز الحكيم للتكميل. ففى الحقيقه أن شهادته السابقه قد أكملها بالتشبيه، و هذه الشهاده قد أكملها بالتوصيف، و وجهه أنه قد علمت أن العزيز معناه المتفرد بالعزّه و القدره، كما أن الحكيم معناه الذى لا يعدل عن العدل، فكأنه جعل شهادته له تعالى كامله بهذا التوصيف الموجب لكون المشهود به الذى هو عقيب إلّا هو المتفرد بالعزه و القدره، و الذى لا يعدل عن العدل، فيلزمه الإقرار بالمعبود الواقعى بما هو أحد متفرد، له الوحدانيه الكبرى فى الواقع الذى لا يمسه نقص، لأنّه الحكيم الذى لا يعدل عن العدل. فعلم ممّا ذكر: أن هذه الشهاده ليست للتكرير، و لا بداعى التوصيف فقط، بل هى شهاده منحازه عما قبلها، حيث إن السابقه كانت تبعيه و هذه من عند نفسه، كما علمت. نعم: يمكن أن يراد منهما التكرار و التوصيف معا (أى كرر بداعى التوصيف) أى أشهد به تعالى بما هو موصوف بكذا، و يمكن أن يكون المراد من قوله: لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم، بيان ما شهد به اللّه لنفسه و الملائكه و أولو العلم باللفظ المشار إليه فى الذكر الحكيم، أى أن ما شهد اللّه لنفسه و شهد له ملائكته و أولو العلم هو قوله تعالى: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ) (١)و يمكن أن يكون هذا التهليل اقتباسا من قوله تعالى حيث إن

قوله:

«أشهد أن لا إله إلاّ اللّه كما شهد اللّه لنفسه» إلخ، تلويح إلى آيه شهد اللّه، و حيث إنه تعالى ذيلها بقوله: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ) فتبع الإمام عليه السّلام ذلك

فقال:

لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم.

ص :١٥٨

١- ١) آل عمران:۶.

ثم إنه قد علمت معنى العزيز الحكيم إجمالا، إلاّ أنّه لا بأس بيانهما مفصلا فنقول: قال الصدوق رحمه اللّه: العزيز معناه أنه لا يعجزه شيء، و لا يمتنع عليه شيء أراده، فهو قاهر للأشياء، غالب غير مغلوب، و قد يقال في المثل: من عزّ بزّ (أي من غلب سلب) و قوله عز و جل حكايه عن الخصمين: (وَ عَزَّنِي فِي اَلْخِطٰابِ) (۱)(أي غلبني في مجاوبه الكلام) و معنى ثان أنه الملك و يقال للملك: عزيز، كما قال إخوه يوسف ليوسف عليه السّلام: (يٰا أَيُّهَا اَلْعَزِيزُ) (۲)(و المراد يا أيّها الملك) . و قال: الحكيم معناه أنه عالم، و الحكمه في اللغه العلم. و منه قوله عز و جل: (يُؤْتِي اَلْحِكْمَهَ مَنْ يَشٰاءُ) (۳)و معنى ثان أنه محكم، و أفعاله محكمه متقنه من الفساد، و قد حكمته و أحكمته لغتان و حكمه اللجام سميت بذلك، لأنّها تمنع الدابه من الجرى الشديد و هى ما أحاطت بحنك الدابه. انتهى. و قيل: هو بمعنى التكرم عن النقائص، و التنزه عن الرذائل و الأضداد و الأنداد و الشركاء، و الذى لا يطاول و لا يحاول، و الشديد ففى المجمع: قوله تعالى: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مٰا عَنِتُّمْ) أى شديد يغلب، إلى أن قال: و الاسم العزه و هى القوه و الغلبه. . إلخ. و قيل فى تفسير الحكمه فى قوله: (وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَهَ) أى من يوفق للعلم و العمل به، فإذا هو تعالى العزيز الحكيم أى يوصف ذاته المقدسه بالوحدانيه و العدل، يعنى أنه العزيز الذى لا يغالبه إله آخر بما يدعى أنه إله بالزعم الفاسد، و الحكيم الذى لا يعدل عن العدل فى أفعاله، و قد جعلت الحكمه فى حديث العقل و الجهل ضد الهوى قال عليه السّلام فى عداد جنودهما: و الحكمه و ضدها الهوى، قال المحدث الكاشانى: يعنى (الحكمه) الأخذ باليقينيات الحقه فى القول و العمل. أقول: أى بدون متابعه الهوى الذى هو ضدّه فيها.

۱- ۱) سوره ص:۲۳.

۲- ۲) يوسف:۸۸.

۳- ۳) البقره:۲۶۹.

و قال الکاظم علیه السّلام فی حدیث هاشم فی قوله تعالی: (وَ لَقَدْ آتَیْنا لُقْمانَ اَلْحِکْمَهَ) قال العقل و الفهم. و بالجمله الحکیم إذا أطلق علیه تعالی فالمراد منه العالم المطلق الذی لا یغایا و لا ینتهی علمه و لا تکتنه حقیقته، و تجری أفعاله علی مقتضی الحکمه (أی علی مقتضی الصلاح و العدل) فی جمیع أنحاء مشیته و لذا قال تعالی: (وَ تَمَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً) (۱)و قد تقدم معنی الحکمه و موارد استعمالها فلا نعید، إلاّ أن هنا ذکرنا معناها المناسب فی إطلاقها علیه تعالی و الحمد للّه ربّ العالمین.

[۱۶]قوله علیه السّلام: و أشهد أن محمدا عبده المنتجب و رسوله المرتضی

اشاره

أقول: الکلام فی شرح هذه الجمل یقع فی جهات:

الجهه الأولی: أن الشهاده قد یراد منها الإقرار فی الظاهر

بأنه صلّی اللّه علیه و آله رسول اللّه إلی الخلق کافه و هذا ثابت بالأدله النقلیه و العقلیه، کما هو مذکور فی کتب الکلام، و دلّت علیه الآثار و المعجزات، و من أحسنها دلاله علیه القرآن، الذی هو معجز مستقل فی إثباته، و شاهد حاضر فی مرءی المسلمین لبیانه، و هو باق یتحدی العلم فی صدق دعواه صلّی اللّه علیه و آله بالرساله المقرونه بالمعجزات أیضا. و لعمری إن هذا من شده وضوحه لا یحتاج إلی بیان، و الحمد للّه علی التصدیق به، و قد یراد منها الشهاده المشهوده لأصحاب الکشف و الشهود خاصه من أهل اللبّ و العلم و المعرفه. و حاصله: أنه بعد ما نری بالوجدان أن الخلق بأجمعهم ما خلا الأنبیاء و الأوصیاء، کلّهم فی معرض الخطإ و الغفله و السهو و النسیان، و المعصیه و مخالفه الحق، و نری التعارض و التمانع و التضارب بین عقائدهم و آرائهم و أفعالهم الفاسده

۱- ۱) الأنعام:۱۱۵.

المتخذه كلّها من غير الشرع، هذا مع ادعاء كلّ واحد منهم من أكابرهم الفهم و العقل، و أيضا نرى بعضهم الذين تباعدوا عن الأنبياء و الأوصياء، و اعتقدوا فى الأمور العقليه و الآثار الباطنيه بما عليه أهل السحر و الكهانه من تأثر الكواكب و الطلسمات الباطله و الأصول الوهميه، التى هى مؤثره عندهم بالاستقلال من دون استناد إلى خالقها، لأنهم أنكروه. و الحاصل: هؤلاء أيضا يكون بينهم التضارب و التعارض فى جميع أمورهم، فمنهم من يستند إلى النوم، أو إلى السحر، أو إلى الكهانه، أو إلى الرياضات الباطله، فمن كان له عقل سليم لا يمكن له الرجوع إليهم و المشى بآرائهم لمشاهده تلك المخالفات، و أيضا بعد ما نرى حسب الأدله العقليه التى قرروها فى علم الكلام من أوصافه تعالى و معارفه، التى اقتضتها الأدله العقليه، و كذا من الأدله، التى اقتضت النبوه العامه و الإمامه العامه بما لها من الأوصاف، فنرى أن جميع ذلك منطبق على ما جاء به الشرع من بيان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى صفاته تعالى و صفات النبى و الأوصياء و المعارف الإلهيه. و الحاصل: أن من عرف اللّه، و عرف صفاته و أفعاله و آثار أفعاله بالأدله العقليه، ظهر له بالضروره أن محمدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خصوصا إذا كان ممن عرف أسرار هذا الدين و المذهب الحق الجعفرى بظاهره و باطنه من المعارف، التى عجزت عن مثلها الألبّاء و عقلاء العالم، و أيضا عرف و أحاط علما بسيره هذا النبى و أوصيائه، و أوامره و نواهيه و آدابه و أخلاقه، و شرعه الذى عليه أهل بيته عليهم السّلام و اتباعهم حصل له القطع بأنّ هذه السيره التى جاء بها هذا النبى صلّى اللّه عليه و آله قد صدرت عن حكمه ربانيه لا يمكن مثلها من الخلق و إن بلغ فى الكمال ما بلغ، لا من جهه عقولهم و لا خيالاتهم، و لا من منامهم، و لا من يقظتهم، و لا من فطنتهم، و إن كان من أهل الفلسفه الدقيقه، أو من أهل السحر و الكهانه و الرياضه، و لا من ساير ما يمكن عليه الاعتقاد من غير الوحى كما لا يخفى، مضافا إلى ما عرفت من التضارب

و التعارض بينهم، و هذا بخلاف ما جاء به النبىّ و أهل بيّته و أوصـياؤه المعصومون عليهم السّلام فنرى أن أقوالهم يصدق بعضها بعضا، و كذا أفعالهم تصدق أقوالهم، و جار لآخرهم كما كان لأولهم من دون معارضه و ممانعه كما لا يخفى على البصير الناقد الساير فى سيرهم عليهم السّلام و أفعالهم، فيعلم منها أن هذا النظام التام الذى يكون جاريا على مقتضى الحكمه، لا يكون إلّا عن مصلحه إلهيه، و لا يكون إلّا عن وحى إلهى دون ما كان فى غيرهم. و كيف كان فيظهر مما ذكر اليقين بالشهاده بأنّ محمدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من حيث العقل السليم كما لا يخفى، ثم إن هنا كلاما و حاصله: أنه و إن كان المرئى من المعصومين من الأنبياء و الأوصياء هو أن ما صدر منهم إنما هو على مقتضى الحكمه، فيكشف أنه عن وحى إلهى، إلّا أنه نرى من بعض الأنبياء بعض ما يوهم الخلاف، كما فى قصه يونس فإنه أتاه الوحى بأنّه ينزل على قومه العذاب، فأخبر يونس عليه السّلام بهلاكهم، ثم إنه كان عاقبه أمرهم أن رفع العذاب عنهم و لم يهلكوا، فقال يونس: كذبنى الوحى (بتخفيف الذال المعجمه) أى أخلفنى فلا يرون وجهى، أى لا يرون حرمه بوجهى عند اللّه تعالى. فهذا نقض لتلك القاعده المتخذه من سيره الأنبياء من أنهم لا يفعلون إلّا بالوحى الإلهى غير قابل التخلف. و جوابه: أنه ثبت بالتواتر أن للّه تعالى البداء (أى الإبداء) كما حقق فى محله، و أنه لم يبعث اللّه تعالى نبيا إلّا و قد أخذ عليه القول بالبداء و الإقرار بولايه أمير المؤمنين عليه السّلام و أن يكون فى تراثهم كما صرحت بهذا الأحاديث الكثيره. فحينئذ نقول: إن صدور ما يوهم الخلاف من النبى كيونس عليه السّلام بحسب الظاهر إنما كان لغرض صحيح فى نفس الأمر و فى اللوح المحفوظ، و إن كان المراءى فى الظاهر خلاف ما هو فى الواقع. و حاصله: أنه ربما يصدر من بعض الأنبياء ما يكون تركه أولى، كما كان عن آدم عليه السّلام و كذا فى يونس، فاللّه تعالى يفعل به فى الظاهر ما يصلحه عن هذا، مع أنه فى

الواقع يكون على وفق الحكمه الإلهيه، و لذا يظهر بعد لهذا النبى و لغيره تلك الحكمه، و حاصل قصه يونس عليه السّلام أنه لما عرض عليه ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام تردّد فى قبولها، كما روى ذلك عن السجاد عليه السّلام فكان هذا الترديد تركه أولى من مثله، ففعل اللّه تعالى إصلاحا لشأنه. فهنا مطلبان: الأول: أنه كيف تردد فى الولايه، الثانى: أنه كيف فعل اللّه به لإصلاحه. أمّا الأول: فربما يقال: إنّ ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام عباره عن مظهريته عليه السّلام لجميع الصفات الإلهيه الحسنه، التى منها كظم الغيظ، و قبول الشفاعه فى حق العصاه، و هذه الصفه قد تردد و تخلّف عنها يونس عليه السّلام و ذلك أنه لما رجع قومه عن العناد، و جعلوا العالم روبيل شفيعا بينهم و بين يونس، ليشفع لهم عند اللّه، و يكظم هو غيضه عنهم، فلم يقبل يونس قول روبيل، و لم يقبل شفاعته فيهم، مع أنه من شأن الكامل الذى أكمل مصداقه أمير المؤمنين عليه السّلام أن يقبل الشفاعه فبردّه شفاعته قد ردع ولايه أمير المؤمنين من هذه الحيثيه، و لم يصبر معهم و معه. قال اللّه تعالى: (إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً) يعنى لقومه، و هو معنى التردد فى ولايه أمير المؤمنين، كما قال تعالى: (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) و هذا تقصير فى حق مثله، لأنه نقص فى المسافه إلى الدرجات العلى، و لم يكن ذلك و (العياذ باللّه) منه ذنبا، أو تقصيرا فى حق قومه بحسب الظاهر، فإنهم لمعصيتهم استحقوا العذاب، فلو لم يرحمهم يونس عليه السّلام لما كان ذنبا إلاّ أن سعه رحمته تعالى تقتضى العفو عنهم، إذا كان هناك شافع، فمع حصول الشافع كما علمت و ردّه و عدم قبوله كأنه ردّ و عدم اعتناء بالنسبه إلى تلك الرحمه الواسعه كما لا يخفى. هذا مع أنه قد اتفق مثل ذلك بل أشد منه لأمير المؤمنين عليه السّلام فلم يصدر منه عليه السّلام إلاّ العفو عنهم، أو أنه أخبر بالعفو عنهم، كل ذلك اعتمادا منه على سعه رحمته الواسعه تبارك و تعالى، فراجع أحواله عليه السّلام فى البحار.

ص :١٦٣

ثم إن لهذا البحث من حيث شرح معنى الولايه كلاما طويلا لعله يجیء فيما بعد إن شاء اللّه. و أمّا الثانی: و حاصله: أنه لما وقع من يونس عليه السّلام ذلک الترديد، و كان من أمر يونس أن سأل ربّه أن ينزل على قومه العذاب ليهلكهم، فأتاه الوحی أنه ينزل عليهم العذاب، مع أنه كان فی علمه تعالى و فی اللوح المحفوظ أنه تعالى لم يرد هلاكهم لعلمه تعالى بأنهم يؤمنون، و أمّا يونس فظن أن اللّه تعالى يريد هلاكهم لوعده تعالى أن ينزل عليه العذاب، و لم يتوجه إلى ان العذاب الموعود هو بدون الإهلاک، بل أخذ بظاهر الوعيد، و ذلک لأنّ الملک المحدّث (بالكسر) قد أخفى عليه حرفا من الوحی بأمره تعالى فغاب عنه عليه السّلام و هو أنه لم يرد اللّه تعالى هلاكهم، و لكنه ظن أن اللّه تعالى يريد هلاكهم. و هنا لما ابتلى بهذا الظن و كان من شأنه أن يدفعه عن نفسه بقبول شفاعه روبيل عليه السّلام و لكنه لم يقبل ذلک فابتلاه ممّا بصره بحال نفسه، و نجا ممّا كان فيه. و كذا ما كان من موسى عليه السّلام حيث أذن اللّه تعالى له لاختياره من قومه رجالا لميقاته، فوقع اختياره على شرار قومه، و إنما فعل اللّه تعالى هذا به، ليكون علمه آيه لحق يريد اللّه إظهاره، و هو أنه تعالى بهذا أظهر الحقّ، و نصّ به على ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام و بطلان ولايه من تقدم عليه عليه السّلام لدعواهم أنه تكون الولايه باختيار المسلمين، وجه الدلاله و الإظهار أنه لو صحّ اختيار المسلمين فی هذا الأمر لصح اختيار موسى عليه السّلام و هو من الأنبياء أولی العزم، مع أنه لم يكن اختياره مطابقا للحق الواقع، و شرحه أزيد من هذا موكول إلى علم الكلام. فظهر ممّا ذكرنا: أن العراف بأحوال النبی صلّى اللّه عليه و آله و أفعاله و معارفه، و كذا ما كان من أوصيائه عليهم السّلام يقطع بأنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من عند اللّه تعالى قطعا وجدانيا عن معرفه، هذا مضافا إلى أنه قد يقال: بأنه لو صحّ فرض العصمه لأحد، و تأسيس الأحكام منه بدون الوحی الخاص، لكان مخالفا للضروره، و هی أنه يلزم منه عدم احتياج

الناس إلى قبول من أرسله اللّه تعالى نبيا و إلى كتبهم، بل كانوا مستغنين عنهم للاكتفاء بهذا المعصوم المؤسس بدون الوحى بل بالفكر البشرى، هذا مع أن العقلاء و الكمّلين قد صرح كثير منهم باحتياجهم إلى الأنبياء، و أنهم بعد ما ثبت عندهم صحه رسالتهم قبلوها بلا نكير منهم، كما لا يخفى على المتتبع لأحوالهم. هذا مضافا إلى أنه لو فرض العصمه لأحد، إلّا أنه لا يكفى هذا الجواز فى تأسيس الشرع بدون الوحى بمجرد العصمه، و ذلك لأنّ التشريع لا بدّ من أن يكون ممّن له الإحاطه بجميع أسرار الوجوب، و أسرار أنحاء الموجود، و العلم باستعداداتهم الذاتيه. و من المعلوم أن مجرد العصمه لا يستلزم هذا العلم و الإحاطه، إلّا إذا اقترنت بالوحى الخاص من علام الغيوب، و نحن إذا راجعنا صاحب شريعتنا صلّى اللّه عليه و آله و رأينا أن ما أسسه على كمال الحكمه و الصواب ظاهرا و باطنا بنحو يعجز جميع عقلاء الخلق فضلا عن غيرهم عن الوصول إليه، و الإتيان بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، علمنا أنه كان عن وحى خاص، فيكون لا محاله صاحب هذا الشرع هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الظاهر و هو نبينا محمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. و كذا يعلم أنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الباطن ممّا تقدم ممّا حاصله: أن من عرف فى الجمله نمط انتظام الوجود، و ارتباط بعضه لبعض على وفق المصلحه، و عرف أحوال هذا النبى صلّى اللّه عليه و آله فى الباطن و الواقع و نفس الأمر كما تقدم. و لعمرى إن هذا أوضح من الشمس، و من طلب الزياده فليراجع المطولات فى هذا الموضوع. هذا كله فى بيان الوجه للشهاده برسالته صلّى اللّه عليه و آله.

الجهه الثانيه: فى تحقيق معنى لفظ محمد صلّى اللّه عليه و آله

اشاره

و الكلام فيه باعتبار كونه علما لنبينا صلّى اللّه عليه و آله يقع فى مقامين:

الأول: فى بيان اشتقاقه و معناه اللغوى المعنى به فى إطلاقه عليه صلّى اللّه عليه و آله.

الثانی: فی بیان اشتقاقه المعنوی، فنقول: فی المجمع: و أحمد اسم نبینا صلّی اللّه علیه و آله فی الإنجیل لحسن ثناء اللّه علیه فی الکتب بما حمد من أفعاله. و ذکر ابن العربی: أن للّه تعالی أحدا و ألف اسم و للنبی ألف اسم، و من أحسنها محمد و محمود و أحمد و المحمد کثیر الخصال المحموده، قیل: لم یسم به أحد قبل نبینا صلّی اللّه علیه و آله ألهم اللّه أهله أن یسموه به و محمد صلّی اللّه علیه و آله اسمه فی القرآن سمی به، لأنّ اللّه و ملائکته و جمیع أنبیائه و رسله، و جمیع أممهم یحمدونه و یصلون علیه، انتهی ما أردنا نقله. و محمد اسم مفعول من حمّد (بالتشدید) من باب التفعیل، و محمود اسم مفعول من الثلاثی المجرد من حمد، و لعلّ الفرق بینهما أن محمدا یدلّ علی أکثریه ممدوحیته کما تقدم عن ابن العربی من أن الأنبیاء و الأمم و الملائکه و اللّه تعالی یحمدونه، و سیأتی فی معنی الاشتقاق المعنوی الفرق بینهما أیضا. و أمّا ما ذکره ابن العربی من أن له صلّی اللّه علیه و آله ألف اسم فإنما یراد منه الاسم المعنوی کما سیجیء بیانه. ثم إنه یستفاد من الأخبار شرافه هذا الاسم باعتبار علمیته للنبی صلّی اللّه علیه و آله و إن أطلق علی غیره.

ففی السفینه عن الکافی عن أبی رافع، قال: سمعت النبی صلّی اللّه علیه و آله یقول: إذا سمیتم محمدا فلا تقبحوه و لا تجبهوه (۱)و لا تضربوه، بورک بیت فیه محمد و مجلس فیه محمد و رفقه فیه محمد.

و فیه، عنه، عن أبی هارون مولی آل جعده قال: کنت جلیسا لأبی عبد اللّه علیه السّلام بالمدینه ففقدنی أیاما، ثم إنی جئت إلیه، فقال لی: لم أرک منذ أیام یا أبا هارون؟ فقلت:

۱- ۱) جبهه: أصابه بمکروه.

ولـد لی غلام، فقال: بارک اللّه لک، فما سـمیته؟ قلت: سـمیته محمـدا، فأقبل علیه السّـلام بخـدّه نحو الأرض و هو یقول: محمد محمـد محمـد، حتی کـاد یلصق خـدّه بالأرض، ثم قـال: بنفسـی و بولـدی و بأمی و بأبوی، و بأهل الأرض کلهم جمیعا الفـداء لرسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله لا تسـبه و لا تضـربه و لا تسـئ إلیه، و اعلم انه لیس فی الأرض دار فیها محمد إلّا و هی تقدس کلّ یوم.

و أمّا المقام الثانی أعنی بیان اشتقاقه المعنوی

فنقول: الاسـم علی قسـمین: اسم لفظی: و هو الأعلام و المعارف من الأعلام الشخصیه و الکنی و الألقاب، فإنها موضوع لمعنی خـاص إذا أطلق یفهم منه ذلک المعنی بالوضع و لو بالغلبه، و لا یراد من الاسم اللفظی بعـد وضـعه إلّا المعنی الشخصـی، الـذی وضع له و إن کـان له معنی عـام قبل الوضع الخاص، نعم قـد یلاحظ فی الوضع تحقق معنی العام لـذلک اللفظ فی اللغه مع قطع النظر عن الوضع الخاص، کما إذا وضع لأحد اسم المحسن لکثره إحسانه مثلا و هکذا غیره. و اسم معنوی: کالقادر لمن اتصـف بحقیقه القـدره، و العـالم لمن اتصف بـالعلم، فکون رجـل قـادرا و عالما، و إطلاقهما علیه لیس باعتبار وضع القادر و العالم علیه کمـا فی سـابقه، بـل باعتبـار اشـتمال المسـتعمل فیه لمبـدإ هـذا الاسم اللفظی، فمن کان ذا قـدره یقال له: القادر، و هکـذا، ففی الحقیقه حقیقه القـدره بما هو معنی قائم بهذا الشـخص اسم معنوی لهو، لذا یمکن أن ینتزع لشـخص بلحاظ اشتماله علی معانی کثیره من الأوصاف أسـماء بحسبها کما لا یخفی. إذا علمت هذا فاعلم: أن أسماء اللّه تعالی و أسماء النبی و الأئمه علیهم السّلام تکون غالبـا من هـذا القسم، بـل إذا وضع له صـلّی اللّه علیه و آله مثلاـ اسم کمحمـد صـلّی اللّه علیه و آله فإنمـا یراد منه بلحاظ الجهه المعنویه لاـ الوضع الشخصـی، فهـذا الاـسم باعتبـار الاـسم اللفظی له، و باعتبار الاسم المعنوی لأنه یطلق علیه بلحاظ کونه ممـدوحا کثیرا کمـا علمت، ثم إن الأسـماء المعنویه قـد یکون مفادهـا مفاد الاسم بما له من المعنی المفرد کقولک له تعالی: یا رازق العباد،

و قد يكون مفاده بلحاظ معنى الجمله الخبريه كقولك: يا حبيب من لا حبيب له. و الوجه فيه أن فى الأسماء المعنويه لم يلحظ فيها اللفظ بما هو دال على الشخص الخاص، بل يراد منه الدلاله على أمر معنوى قائم بالمستعمل فيه. و من المعلوم أن هذا يختلف من حيث المعنى الإفرادى و الإضافى و الجملى. و من هنا يعلم أن قول ابن العربى: إن له تعالى أحدا و ألف اسم و له صلّى اللّه عليه و آله الف اسم، إنما يراد منه الاسم المعنوى، إذ من المعلوم أنه ليس له تعالى أحد و ألف اسم بالوضع، بل المراد بيان أوصافه تعالى القائمه به، فأسماؤه تعالى صفاته تعالى، كما تقدم من قول الرضا عليه السّلام من أن الاسم صفه لمسمى، و اما كون ألف اسم له صلّى اللّه عليه و آله فمعناه أن أوصافه تعالى كلها جاريه فيه صلّى اللّه عليه و آله. و بعباره أخرى: أنه صلّى اللّه عليه و آله مظهر لأوصافه تعالى، فالأوصاف أولا و بالذات قائمه به تعالى و ثانيا و بالعرض ظاهره فيه صلّى اللّه عليه و آله و ظهورها فيه لا ينافى قيامها به تعالى أيضا لما حقق فى المعارف من التوحيد الصفاتى له تعالى المستلزم لكون جميع الصفات راجعه إليه تعالى بنحو الوحده و قائمه به تعالى، و إن كانت ظاهره فى مظاهر الخلق، و لهذا الكلام مجال عريض موكول إلى محله. فالالف اسم للنبى صلّى اللّه عليه و آله هو عين الأسماء الثابت له تعالى بإضافه اسم آخر، إلّا أنه يكون إطلاقها عليه تعالى باعتبار اقتضاء ذاته تعالى تلك الأوصاف بنحو حقق فى علم الكلام، و أما إطلاقه عليه صلّى اللّه عليه و آله باعتبار مظهريته صلّى اللّه عليه و آله لها كما علمت، و أمّا الاسم المخصوص به تعالى فلعلّه معنى الوجوب الذاتى المختص به تعالى، أو هو الاسم الذى استأثره لنفسه لئلا يعلم ما فى نفسه و يعلم ما فى أنفس غيره كما صرّح به فى الأخبار. و بعباره أخرى: أن ذاته المقدسه حيث اتصفت بالوجوب الذاتى المفسّر بالأبدى و الأزلى و الذى لا نهايه له، و يشار بهذا إلى حقيقه لا رسم لها و لا اسم و لا يقبل الإشاره، و لذا فسر ذلك الاسم المستأثر لنفسه بما أثره أنه يعلم به ما فى أنفس

غیره و لا یعلم ما فی نفسه، و ذلک لوجوبه و إمکان غیره، و لا یمکن إحاطه الممکن بالواجب، و هو معنی لا یعلم ما فی نفسه، و هذا بخلاف الواجب فإنه لوجوبه محیط بالممکن کما صرّح به فی الأخبار، و هو معنی یعلم ما فی أنفس غیره کما لا یخفی، و اللّه العالم. ثم إنه ممّا ذکرنا یعلم اشتقاق اسمه صلّی اللّه علیه و آله و اسم غیره من الأئمه علیهم السّلام من اسمه تعالی بالاشتقاق المعنوی، کما أشیر فی الأحادیث الوارده فی هذا الموضوع، فلا بدّ أولا من ذکرها ثم من بیان ما یوضحها فنقول:

فی البحار (۱)، عن کتاب قصص الأنبیاء بالإسناد إلی الصدوق إلی قوله: عن أبی هریره قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لما خلق اللّه آدم و نفخ فیه من روحه، التفت یمنه العرش فإذا خمسه أشباح فقال: یا رب هل خلقت قبلی من البشر أحدا؟ قال: لا، قال علیه السّلام: فمن هؤلاء الذین أری أسماءهم؟ فقال: هؤلاء خمسه من ولدک لولاهم ما خلقتک، و لا خلقت الجنه و لا النار و لا العرش و لا الکرسی، و لا السماء و لا الأرض، و لا الملائکه و لا الجن و لا الإنس، هؤلاء خمسه شققت لهم أسماء من أسمائی فأنا المحمود و هذا محمد، و أنا الأعلی و هذا علی، و أنا الفاطر و هذه فاطمه، و أنا ذو الإحسان و هذا الحسن، و أنا المحسن و هذا الحسین. و فی حدیث ابن عباس: و الرابع فأنا المحسن و هذا حسن، و الخامس فأنا ذو الإحسان و هذا الحسین، آلیت علی نفسی أنه لا یأتینی أحد و فی قلبه مثقال حبّه من خردل من محبه أحدهم إلاّ أدخلته جنتی، و آلیت بعزتی أنه لا یأتینی أحد و فی قلبه مثقال حبه من خردل من بغض أحدهم إلاّ أدخلته ناری. یا آدم هؤلاء صفوتی من خلقی بهم أنجی من أنجی و بهم أهلک من أهلک. و فی حدیث ابن عباس أیضا صرح بهذا الاشتقاق.

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۵.

و فیه (۱)عن کشف الیقین بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: و الذی بعثنی بالحق بشیرا ما استقر الکرسی و العرش، و لا دار الفلک، و لا قامت السموات و الأرض إلاّ بأن کتب علیها (کتب اللّه علیها) : لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علی أمیر المؤمنین، و أن اللّه تعالی لما عرج بی إلی السماء و اختصنی اللطف بندائه قال: یا محمد، قلت: لبیک ربّی و سعدیک، قال: أنا المحمود و أنت محمد شققت اسمک من اسمی، و فضلتک علی جمیع بریتی، فانصب أخاک علیّا علما لعبادی یهدیهم إلی دینی. یا محمد إنی قد جعلت علیّا أمیر المؤمنین، فمن تأمّر علیه لعنته، و من خالفه عذبته، و من أطاعه قربته، یا محمد إنی جعلت علیّا إمام المسلمین، فمن تقدم علیه أخزیته، و من عاصه أشجبته، إن علیا سید الوصیین و قائد الغرّ المحجلین، و حجتی علی الخلیقه أجمعین (و حجتی علی الخلق أجمعین ظ صح) .

فقوله فی حدیث أبی هریره: فأنا المحمود و هذا محمد. . . إلخ،

و فی حدیث ابن عباس: أنا المحمود و أنت محمد، مع أن المحمود أیضا اسم له صلّی اللّه علیه و آله یشیر إلی الاشتقاق المعنوی. و حاصله: أن تحقق ما به استحقاق الحمد من أوصاف الکمال، التی مرجعها إلی السماء الجمالیه و الجلالیه إنما هو فی ذاته تعالی المقدسه بنحو الوجوب و الحقیقه الذاتیه أزلا و أبدا، بحیث لم تکن موروثه من أحد و لا مکتسبه من شیء فی ظرف عدمها أولا، و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فی بیان حقیقته تعالی علم کله و قدره کله و نور کله کما فی توحید الصدوق، فذاته المقدسه بلحاظ هذه الکمالات الذاتیه یتتضی أن تکون محموده بقول مطلقا، فبهذا اللحاظ یکون محمودا بنحو الاقتضاء الذاتی و ینسب إلیها الحمد أولا و بالذات.

۱- ۱) بحار الأنوار: ج ۲۷ ص ۸.

ثم إنه قد علمت أن الاسم صفه لمسمى، فحينئذ معنى أسمائه المعنويه صلّى اللّه عليه و آله هو صفاته صلّى اللّه عليه و آله، و قد علمت أيضا آنفا أن الحقيقه المحمديه ليست إلاّ مظاهر لصفاته تعالى، فأىّ اسم معنوى و أى صفه معنويه له صلّى اللّه عليه و آله يكون صفه و اسما له تعالى قد ظهرت فيه صلّى اللّه عليه و آله فحينئذ نقول: كون محمد بما هو اسم له صلّى اللّه عليه و آله مشتقا من اسمه تعالى المحمود، و معناه أن حقيقته صلّى اللّه عليه و آله قد اتصفت بصفاته تعالى، و ظهرت فيه صلّى اللّه عليه و آله منها ما استحق به أن يكون محمدا، أى من يمدحه اللّه تعالى و جميع الخلائق كما تقدم، و هذه الصفات قد ظهرت فيه صلّى اللّه عليه و آله منه تعالى فكأنها فرع من الأصل الذى هو فيه تعالى. و من المعلوم أن الفرع مشتق من الأصل، فبهذا اللحاظ يقال: إن اسمه صلّى اللّه عليه و آله أى صفته صلّى اللّه عليه و آله أى كونه محمدا صلّى اللّه عليه و آله مشتق من المحمود، أى من الذات المقدسه التى تستحق هذه الصفات بالذات و بالأصل، و هكذا الكلام فى اشتقاق على من العلى الأعلى، و فى اشتقاق فاطمه من كونه تعالى فاطرا، و فى اشتقاق الحسن و الحسين من كونه ذا الإحسان و قديم الإحسان، فإن أصل هذه الصفات يكون منه تعالى و فرعه و اشتقاقاته تكون فيهم عليهم السّلام كل على ما ذكر. نعم هنا نكته دقيقه شريفه و هى: أن حقيقه النبويه و المحمديه لما كانت مستجمعه فى المظهريه لجميع صفات الجلال و الجمال الربوبى أطلق عليه بقول مطلقا أنه محمد أى يحمده اللّه و الملائكه و الأنبياء و جميع الأمم، و ذلك لجامعيته صلّى اللّه عليه و آله فى الصفات التى توجب هذا الحمد من الكل، ففى الحقيقه جميع الاشتقاقات التى ذكرت فى ساير المعصومين عليهم السّلام من أمير المؤمنين و فاطمه الزهراء و ساير الأئمه (عليهم الصلوه و السلام) ملحوظه فيه صلّى اللّه عليه و آله بنحو الإجمال و يشار إليه بأنه محمد بقول مطلقا، و أما فيهم عليهم السّلام فحيث إن كلاّ منهم عليهم السّلام له منصب إلهى، و هو مظهريته فى صفه من صفاته تعالى مختصه به على ما اقتضته الحكمه الأزليه، فلا محاله يكون لكل واحد اسم مختصّ به كما ذكر فى الحديث السابق.

ففی البحار (۱)، عن الخصال و أمالی الصدوق و علل الشرایع بإسناده عن یونس بن ضبیان قال: قال أبو عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لفاطمه علیها السّلام تسعه أسماء عند اللّه عز و جل فاطمه و الصدیقه و المبارکه و الطاهره و الزکیه و الراضیه و المرضیه و المحدثه و الزهراء. ثم قال علیه السّلام: أ تدری أیّ شیء تفسیر فاطمه؟ قلت: أخبرنی یا سیدی، قال فطمت من النشر، قال، ثم قال: لو لا أن أمیر المؤمنین تزوجها لما کان لها کفو علی وجه الأرض آدم فمن دونه.

و فیه، عن عیون أخبار الرضا بالأسانید الثلاثه عن الرضا علیه السّلام عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إنی سمیت ابنتی فاطمه لأنّ اللّه عز و جل فطمها و فطم من أحبها من النار. و مثله أحادیث کثیره.

و فیه عن علل الشرایع، إلی أن قال: حدثنا عبد اللّه بن الحسن بن حسن قال: قال أبو الحسن علیه السّلام: لم سمیت فاطمه فاطمه؟ قلت: فرقا بینه و بین الأسماء قال: إن ذلک لمن الأسماء، و لکن الاسم الذی سمیت به أن اللّه تبارک و تعالی علم ما کان قبل کون، فعلم أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یتزوج فی الأحیاء، و أنهم یطمعون فی وراثه هذا الأمر من قبله، فلما ولدت فاطمه سماها اللّه تبارک و تعالی فاطمه لما أخرج منها و جعل فی ولدها، ففطمهم عما طمعوا، فبهذا سمیت فاطمه، لأنها فطمت طمعهم، و معنی فطمت قطعت.

و فیه عن علل الشرایع، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: لما ولدت فاطمه علیها السّلام أوحی اللّه عز و جل إلی ملک فانطلق به لسان محمد صلّی اللّه علیه و آله فسماها فاطمه. ثم قال: إنی فطمتک بالعلم و فطمتک عن الطمث، ثم قال أبو جعفر علیه السّلام: و اللّه لقد فطمها اللّه تبارک و تعالی بالعلم، و عن الطمث بالمیثاق.

۱- ۱) البحار ج ۴۳ ص ۱۰.

و فيه عنه أيضا، عن محمد بن المسلم الثقفى قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: لفاطمه عليها السّلام وقفه على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامه كتب بين عينى كل رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ فاطمه بين عينيه محبّا، فتقول: يا إلهى و سيدى سميتنى فاطمه، و فطمت بى من تولانى و تولى ذريتى من النار، وعدك الحق و أنت لا تخلف الميعاد، فيقول اللّه عز و جل: صدقت يا فاطمه إنى سميتك فاطمه، و فطمت بك من أحبّك و تولاك و أحبّ ذريتك و تولاهم من النار، و وعدى الحق و أنا لا أخلف الميعاد، و إنما أمرت بعبدى هذا إلى النار، لتشفعى فيه فأشفعك، و ليتبين ملائكتى و أنبيائى و رسلى و أهل الموقف موقفك منى و مكانتك عندى، فمن قرأت بين عينيه مؤمنا فخذى بيده و أدخليه الجنه.

و فيه، عن مصباح الأنوار، عن أبى جعفر، عن آبائه عليهم السّلام قال: إنما سميت فاطمه بنت محمد الطاهره لطهارتها من كلّ دنس، و طهارتها من كلّ رفث، و ما رأت قط يوما حمره و لا نفسا. أقول:

قوله عليه السّلام: يتزوج فى الأحياء، الأحياء جمع حىّ و هو قبيله العرب الذين يعيشون،

قوله: فلما ولدت فاطمه، الى قوله: لما اخرج منها و جعل فى ولدها. و حاصله: أنه تعالى جعلت فاطمه عنده تعالى ما بها قطع أمل الأحياء من طمعهم فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى وراثه هذا الأمر، و ذلك أنه لما ولدت أخرج اللّه منها ما (أى أئمه) و جعل فى ولدها أى جعل ما أخرج منها فى ولدها أى جعل الأئمه فى ولدها، و جعلهم الوارثين لهذا الأمر. و كيف كان: فلما ولدت فاطمه عليه السّلام انقطع طمعهم فى وراثه هذا الأمر لما جعلها فى ولدها فهى عليها السّلام قد قطعت و فطمت آمالهم فى وراثه هذا الأمر، فلذا سميت فاطمه عليها السّلام، ثم إن الوجه فى كون اسمها مشتقا معنويا من اسمه تعالى هو أنه تعالى هو الذى فطم من النار عباده، و لكن أظهر هذه الصفه فيها صرح بهذا

فى حديث محمد ابن مسلم الثقفى حيث يقول اللّه تعالى: «إنما أمرت بعبدى هذا إلى النار لتشفعى»

ص :۱۷۳

إلى قوله: «و ليتبين ملائكتى موقفك منى» أى ليظهر أنك مظهر هذه الصفه و هو النجاه من النار، و أصرح من هذا

قول أبى جعفر عليه السّلام: و اللّه لقد فطمها اللّه تبارك و تعالى بالعلم، و من الطمث فى الميثاق. و من المعلوم أن الطمث لم يكن فى الميثاق، و إنما معناه أنه تعالى جعلها مظهرا لعلمه و لطهارته الذين أثرهما القطع عن الطمث،

و قوله: بالعلم ، أى بما منحها اللّه من علمه و معارفه الذى هو سبب لتقربها إليه تعالى المستلزم لتلك الطهاره المعنويه، كما أشير إليها فى حديث مصباح الأنوار عن أبى جعفر عليه السّلام. ثم إن المحدث المجلسى (رضوان اللّه عليه) قال: بيان: لا يقال: المناسب على ما ذكر فى وجه التسميه أن تسمى مفطومه إذ الفطم بمعنى القطع يقال: فطمت الأمّ صبيها، و فطمت الرجل عن عادته و فطمت الحبل، لأنا نقول: كثيرا ما يجىء فاعل بمعنى مفعول، كقولهم: سرّ كاتم و مكان عامر، و كما قالوا فى قوله تعالى: (عِيشَهٍ رٰاضِيَهٍ) و (مٰاءٍ دٰافِقٍ) و يحتمل أن يكون ورد الفطم لازما أيضا. قال الفيروزآبادى: أفطم السخله حان أن يفطم، فإذا فطمت فهى فاطم و مفطومه و فطيم، انتهى. و يمكن أن يقال: إنها فطمت نفسها و شيعتها عن النار و عن الشرور، و فطمت نفسها عن الطمث لكون السبب فى ذلك ما علم اللّه من محاسن أفعالها و مكارم خصالها، فالإسناد مجازى، انتهى. أقول: و على هذا يفسر

ما روى عن الصادق عليه السّلام أنه قال: سميت فاطمه لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا و دينا و حسبا،

و أيضا روى: سميت فاطمه لانقطاعها عن فواطم التسعه (1). هذا بحسب اللغه و تطبيق معناه اللغوى عليها عليها السّلام إلّا أنه قد علمت أن السرّ فيه

۱- ۱) رياحين الشريعه ج ۱ ص ۴۲.

هو کونها علیها السّلام مظهرا لصفته تعالی بنحو تقدم، و أما ما ورد من أنها مشتق معنی من الفاطر (کما تقدم فی حدیث أبی هریره عنه صلّی اللّه علیه و آله) و کما

فی البحار (۱)، عن تفسیر العسکری علیه السّلام فی حدیث طویل إلی أن قال علیه السّلام فقال: ما هذه الأشباح یا رب؟ فقال: یا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقی و بریّاتی، هذا محمد و أنا الحمید المحمود فی أفعالی شققت له اسما من اسمی، و هذا علی و أنا العلی العظیم شققت له اسما من اسمی و هذه فاطمه و أنا فطار السموات و الأرضین، فاطم أعدائی عن رحمتی یوم فصل قضائی، و فاطم أولیائی عما یعتریهم و یشینهم، فشققت لها اسما من اسمی، و هذا الحسن و هذا الحسین و أنا المحسن المجمل شققت لهما اسما من اسمی. فما معنی اشتقاقها من الفاطر فأقول: فی المجمع: قوله تعالی: (فاطِرِ اَلسَّماواتِ) أی خالقها و مبتدعها و مخترعها من فطره یفطره (بالضم) أی خلقه. و عن ابن عباس: کنت لا أدری ما فاطر السموات حتی أتانی أعرابیان یختصمان فی بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أی ابتدأت حفرها. إذ علمت هذا فاعلم: أنه یحتمل أن یکون و أنا فاطر السموات و الأرضین قد ذکرت فی مقام العله لأفعاله تعالی التی منها أنه فاطم الأعداء عن الرحمه، و الأولیاء عمّا یعذبهم یعنی إنما أنا فعلت ما فعلت لأنی فاطر السموات و الأرضین أی مبتدعها و خالقها، فلی السلطنه علیها کیف ما أشاء و کیف ما أفعل، و لذا عقبه تعالی

بقوله: فاطم أعدائی، فإن هذا هو الاسم الأصلی المختص به ذاتا، و قد أظهره فیها علیها السّلام حیث جعلها سببا لفطم الأعداء عن الرحمه و الأولیاء عن النار کما شرحته الأحادیث السابقه. و یمکن أن یکون معنی الفاطر من الفطور و هو الانشقاق الحاصل فی الشیء بالکسر و الثقل و نحوهما، فحینئذ معنی کونه تعالی فاطرا أی یکون بقدرته تعالی علیها مسلطا.

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۳۲۶.

قال فى المجمع: (اَلسَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) أى مثقله بيوم القيامه إثقالا يؤدى إلى انفطارها، و انفطرت السماء انشقت، و الفطور: الصدوع و الشقوق (و يَتَفَطَّرْنَ) يتشققن. . إلخ. و حينئذ يكون اشتقاق فاطمه من الفاطر بلحاظ أن الفاطر بما أن له معنى عاما دالا على القدره و التاثير فى الأشياء كالمساء مثلا بحيث يجعله منشقّا، فلا محاله هو حاك عن القدره و لا ريب فى أن الفطم بمعنى القطع فى مصاديقه المذكوره فى الأحاديث بما علمت، إنما هو أحد مصاديق القدره و أعمالها فى الموجودات خصوصا فى يوم القيامه بالنسبه إلى الأولياء و الأعداء كما علمت، هذا كله فى اشتقاق فاطمه عليها السّلام. و أمّا اسم على عليه السّلام: فقد ظهر مما ذكر كيفيه اشتقاقها المعنوى من العلى الأعلى أو العلى العظيم، حيث إن أصل العلو بقول مطلق يكون له تعالى أن جميع ما سواه، و يكون فرعه و ظهوره و اشتقاقه فى على أمير المؤمنين عليه السّلام. و إليه يشير ما تقدم من

قول النبى صلّى اللّه عليه و آله: و كان نورى محيطا بالعظمه، و نور على محيطا بالقدره، فعلى عليه السّلام بظهور علوه تعالى فيه فهو على من العلى الأعلى. و أمّا اشتقاق الحسن و الحسين عليهما السّلام كما

فى الحديث السابق من قوله تعالى: و أنا ذو الإحسان و هذا الحسن، و أنا المحسن و هذا الحسين و كما فى هذا الحديث، و

كما فى بعض الأحاديث من قولهم: يا قديم الإحسان بحق الحسين فتوضيحه أنه فى المجمع: و الحسن نقيض القبح و الجمع محاسن على غير قياس، إلى أن قال: و حسنت الشىء تحسينا زينته. أقول: الحسن معناه ما يساوق الجميل، و له مصاديق كثيره كما ذكر فى الآيات و غيرها فإذا عدّى بباب الإفعال أو التفعيل فمعناه جعل الشىء حسنا، أو إيجاد الأمر الحسن، فالمحسن هو الذى يفعل الأمور الحسنه

كما ورد فى قوله تعالى: (إِنّا نَراكَ

مِنَ اَلْمُحْسِنِينَ)

(۱)

. عن أبی عبـد اللّه علیه السّـلام قـال: کـان یوسع المجلس و یسـتقرض للمحتاج و یعین الضـعیف. و من المعلوم أن إیجاد الأمور الحسنه لا یکون إلّا ممن له الحسن و له ملکه إیجاد الأفعال الحسنه. و حینئذ نقول: قد علمت أن الاشتقاق المعنوی لا یلاحظ فیه قواعد اللغه و الألفاظ، بل الملحوظ فیه هو المعانی الأصلیه و الفرعیه، فقوله: أنا ذو الإحسان أی حقیقه هذه الصفه قائمه بی و هو کونه تعالی صاحب الإحسان، و واجد ما به الإحسان، من الأمر الحسن القائم به تعالی.

و قوله تعـالی بعـد ذلـک: «و هـذا الحسن» أی هـذا ممن جعلته مظهرا للحسن الـذی هو قـائم بی، فجمیع ما یکون من الحسن فی الحسن علیه السّلام من الصفات و الأفعال و القدره و الولایه إنما هو ظهور لحسنه تعالی.

و قوله تعالی: «و أنا المحسن و هذا الحسین» فمعناه بلحاظ الاشتقاق المعنوی هو أن صفه المحسنیه تکون أولا و بالذات قائمه به تعالی بالبیان المتقـدم، و تکون هـذه الصـفه ظاهره فی الحسین علیه السّـلام و لـذا کان نجاه الخلق به علیه السّـلام أکثر من غیره بحسب الظاهر، کما هو المشاهد من التوسل به بذکر المصائب و بزیارته علیه السّـلام و لهذا الکلام شـرح طویل فی محله. أقول: و ممّا ذکرنا یمکن أن تعرف کیفیه اشتقاق أسماء سایر الأئمه علیهم السّلام بعد تشخصیها کما لا یخفی.

الجهه الثالثه: فی معنی العبد.

اشاره

أقول: قد یبحث فیه بلحاظ اللفظ، و قد یبحث فیه بلحاظ المعنی.

أمّا الأول:

ففی المجمع: قوله تعالی: (وَ نَحْنُ لَهُ عٰابِدُونَ) أی خاضعون أذلاء من

۱- ۱) یوسف:۳۶.

قولهم: طريق معبـد، أى مـذلل قد عثر الناس فيه، و قال قبل هذا قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كٰانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ اَلْعٰابِدِينَ) يعنى إن كنتم تزعمون للرحمن ولـدا فأنا أول الجاحـدين لما قلتم و الآنفين من قولهم: عبد إذا جحد و أنف. و فيه: و العباد فى الحديث و القرآن جمع عبد و هو خلاف الحر، و العبيد مثله، و له جموع كثيره و الأشـهر منها أعبد و عبيد و عباد، فمعناه لغه هو الخضوع و الذلّه و بمعنى جحد و أنف و له اشتقاق بهذا المعنى، و أما معناه الاسمى الجامد فهو خلاف الحر.

و أمّا الثانى: ففى معناه (أى العباده) تعبيرات،

اشاره

ففى المنقول عن الشـيخ أبى على: هى غايه الخضوع و التـذلل، و لـذلك لا تحسن إلاّ للّه تعالى الذى هو مولى النعم، فهو حقيق بغايه الشـكر. و قيل: العباده بحسب الاصـطلاح هى المواظبه على فعل المأمور به و الفاعل عابد و الجمع عباد. و فى المجمع: قال المحقق الطوسـى فى الأخلاـق الناصـريه: قال الحكماء: عباده اللّه ثلاثه أنواع: الأول: ما يجب على الأبـدان كالصـلاه و الصـيام و السـعى فى المواقف الشـريفه لمناجاته جلّ ذكره. الثانى: ما يجب على النفوس كالاعتقادات الصحيحه من العلم بتوحيد اللّه، و ما يستحقه من الثنـاء و التمجيـد و الفكر فيمـا أفـاضه اللّه سبحانه على العـالم من وجوده و حكمته، ثم الاتساع فى هـذه المعارف. الثالث: ما يجب عنـد مشاركات الناس فى المـدن و هى فى المعاملات و المزارعات و المناكـح و تأديه الأمانات، و نصح البعض للبعض بضـروب المعاونـات، و جهـاد الأعـداء و الـذب عن الحريم و حمـايه الحـوزه-انتهى. أقول: قـال الراغب فى المفردات ما ملخصه: أن العبدويه إظهار التذلل و العباده أبلغ منها، لأنه غايه التذلل، و لا يستحقها إلاّ من له غايه الأفضل و هو اللّه تعالى

و لهذا قال: (أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ) .

و العباده ضربان:

الضرب الأول: عباده بالتسخير

كسجود الحيوانات و النباتات و الظلال قال اللّه تعالى: (وَ لِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصالِ) (۱)فهذا سجود تسخير، و هو الدلاله الصامته الناطقه المنبهه على كونها مخلوقه و أنها خلق فاعل حكيم.

و الضرب الثانی: عباده بالاختیار

و هی لذوی النطق و هی المأمور بها فی نحو قوله تعالی: (اُعْبُدُوا رَبَّكُمُ) (۲). و العبد یقال: علی أربعه أضرب: الأول: عبد بحكم الشرع و هو الإنسان الذی یصح بیعه و ابتیاعه نحو العبد بالعبد. و الثانی: عبد بالعباده و الخدمه، و الناس فی هذا ضربان: عبد للّه مخلصا كقوله تعالی: (وَ عِبادُ اَلرَّحْمنِ ، إِنَّ عِبادِی ، عَبْدَنا أَیُّوبَ ، عَبْداً شَكُوراً) و نحو ذلك. و عبد للدنیا و أعراضها و هو المعتكف علی خدمتها و مراعاتها

قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «تعس عبد الدرهم و تعس عبد الدینار» . و علی هذا النحو یصح أن یقال: لیس كل إنسان عبدا للّه، فإن العبد علی هذا بمعنی العابد، لكن العبد أبلغ من العابد، و الناس كلّهم عباد اللّه، بل الأشیاء كلّها كذلك لكن بعضها بالتسخیر و بعضها بالاختیار. انتهی. و قال الحكیم المتأله السبزواری فی شرحه الأسماء من دعاء الجوشن: فإن

۱- ۱) الرعد:۱۵.

۲- ۲) البقره:۲۱.

العرفاء ثلثوا القسمه و قالوا: العباده للعامه و هو التذلل للّه تعالى، و العبوديه للخاصه الذين صححوا النسبه إليه تعالى بصدق القصد إليه فى سلوك طريقه و العبوديه لخاصه الخاصّه الذين شهدوا نفوسهم قائمه بالحق فى عبوديتهم فهم يعبدونه فى مقام أحديه الجمع و الفرق. . . إلخ.

و فى مصباح الشريعه: قال الصادق عليه السّلام: العبوديه جوهره كنهها الربوبيه، فما فقد من العبوديه وجد فى الربوبيه، و ما خفى عن الربوبيه أصيب فى العبوديه. إلى أن قال عليه السّلام: و تفسير العبوديه بذل الكلّ، و سبب ذلك منع النفس عمّا تهوى، و حملها على ما تكره. إلى أن قال عليه السّلام: و حروف العبد ثلاثه (ع ب د) فالعين علمه باللّه، و الباء بونه عمن سواه، و الدال دنّوه من اللّه تعالى بلا كيف و لا حجاب إلخ.

و روى الشيخ البهائى (عليه الرحمه) فى الكشكول عن خط الدروس عن عنوان البصرى إلى أن قال (أى الصادق عليه السّلام) : يا أبا عبد اللّه ليس العلم بالتعليم، و إنما هو نور يقع على قلب من يريد اللّه تبارك و تعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولا فى نفسك حقيقه العبوديه، و اطلب العلم باستعماله و استفهم اللّه يفهمك، قلت: يا شريف، قال: قل يا أبا عبد اللّه، قلت: يا أبا عبد اللّه ما حقيقه العبوديه؟ قال: ثلاثه أشياء، أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله اللّه ملكا، لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال اللّه يضعونه حيث أمرهم اللّه (و لا يدبر العبد لنفسه تدبيرا) . و جعل اشتغاله فيما أمره اللّه تعالى به و نهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله اللّه ملكا هان عليه الإنفاق فيما أمره اللّه تعالى أن ينفق فيه، و إذا فوض العبد تدبير نفسه إلى مدبرها هانت عليه مصائب الدنيا، و إذا اشتغل العبد بما أمره اللّه تعالى و نهاه لا يتفرّغ منهما إلى المراء و المباهاه مع الناس، و إذا أكرم اللّه العبد بهذه الثلاثه هانت عليه الدنيا و ابليس و الخلق، و لا يطلب الدنيا تكاثرا أو تفاخرا، و لا يطلب ما

عنـد الناس عزّا و علوا، و لا يـدع أيامه باطلا، فهـذا أول درجه التقى، قال اللّه تعالى: (تِلْكَ اَلدّٰارُ اَلْآخِرَةُ نَجْعَلُهٰا لِلَّذِينَ لاٰ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فَسٰاداً وَ اَلْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ، الحـديث. و قيل: العباده نصب العبـد نفسه فى مقام المملوكيه لربّه، و ما تقـدم من أن العبوديه هو الخضوع فإنمـا هو تفسير باللازم. و بعباره أخرى: أن اعتبار العبوديه من أحـد للّه تعالى، بعـد طرح خصوصيات موارد استعمالها، ليس إلاّ أن يرى العبد نفسه مملوكه للّه تعالى ملكا، يسوغ له تعالى من حيث هو مالكه و مولاه أن يتصرف فيه كيف يشاء، و بما أراد، و يسلب عن العبـد استقلال الإراده مطلقا، فهو سبحانه مالك كلّ ما يسـمى شيئا بحقيقته الملكيه، فأى شىء فرض من ذوى العقول، بـل و لاـ من غيرهم من ذوى الشعور و الإراده لا يملك من نفسه و لا من غيره شيئا لا لنفسه و لا لغيره من ضرّ و لا نفع و لا موت و لا حيوه و لا نشور. و هو (أى العبد) لا يستقل بالنسبه إلى أمر فى الوجود من ذات أو وصف أو فعل أبـدا، اللّهمّ إلا ما ملكه اللّه تعالى ذلك تمليكا بحيث لا يبطل ملكه تعالى أيضا، و لا ينتقل به الملك عنه تعالى إلى غيره و ذلك بنحو بينه عليه السّلام فى

قوله: «بل هو المالك لما ملكهم، و القادر على ما عليه أقدارهم، و هو على كلّ شـىء قدير، و بكلّ شىء محيط» . أقول: و جميع هـذه التفاسير يعطى أن العبـاده هى الأعمـال العبـاديه، التى تصـدر من الإنسـان بما هى حاكيه من تحقق صـفه العبوديه فى قلب العابـد، و إلاّ فهو صوره محض لا أثر لها، فالإنسان إنما يكون عابـدا له تعالى إذا تحقق فى قلبه صـفه العبوديه، و هى الخضوع و الانقيـاد، و نصب الإنسـان نفسه فى مقام المملوكيه، و أمّا العبوديه التى عرفت تفسيرها عن المحقق السبزوارى فهو معنى مختصّ بالأولياء الواصلين إلى مرحله الفناء، و شرحه موكول إلى محله.

و کیف کان فهو صلّی اللّه علیه و آله عبد له تعالی بتمام معنی العبودیه و العبدیه المفسره فی التعابیر السابقه و ذلک بالعقل و النقل. أمّا الأول: فإنه صلّی اللّه علیه و آله بظاهره و باطنه عبد داخر للّه لا یملک لنفسه نفعا و لا ضرّا إلاّ باللّه کما هو أقر لنفسه صلّی اللّه علیه و آله بذلک. و أمّا الثانی: فلقوله تعالی: (تَبٰارَکَ اَلَّذِی نَزَّلَ اَلْفُرْقٰانَ عَلیٰ عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعٰالَمِینَ نَذِیراً) (۱)، و قوله تعالی: (سُبْحٰانَ اَلَّذِی أَسْریٰ بِعَبْدِهِ لَیْلاً) (۲)، فقد أثبت له صلّی اللّه علیه و آله صفه العبدیه له تعالی، و کفی به دلاله و دلیلا. هذا و قد ثبت فی محله أن صفه العبودیه مقدمه علی صفه الرساله، و أنها أخص من الرساله و أقرب، و ذلک لأنّ العبدویه خصوصا فی مثله صلّی اللّه علیه و آله هو الاستغراق فی خدمه المولی، الذی یفسر قوله علیه السّلام فیما تقدم من أن العین یدل علی علمه باللّه تعالی، و الباء علی بونه من الخلق، و الدال علی دنوه من الخالق، فهذه الجمل هی حقیقه الاستغراق فی خدمه المولی و الفناء عن الخلق و النفس و الدنیا کما لا یخفی. و یدل علی لزوم تقدیم العبودیه علی الرساله نظرا إلی أن قوام الرساله بالعبودیه ما رواه

فی الکافی عن الصادق علیه السّلام قال: إن اللّه اتخذ إبراهیم عبدا قبل أن یتخذه نبیا، و أن اللّه اتخذه نبیا قبل أن یتخذه رسولا، و أن اللّه اتخذه رسولا قبل أن یتخذه خلیلا، و أن اللّه اتخذه خلیلا قبل أن یجعله إماما، فلما جمع له الأشیاء قال: (إِنِّی جٰاعِلُکَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً)

(۳)

، و مثله أخبار أخر. و أمّا الرساله: فهی إیصال أمر المرسل (أی اللّه تعالی) إلی الخلق، و هو مقام بعد مقام العبودیه و واجدیه حقائق النبوه و الرساله کما لا یخفی.

الجهه الرابعه فی شرح قوله: المنتجب و رسوله المرتضی،

أقول:

ص: ۱۸۲

۱- ۱) الفرقان:۱.

۲- ۲) الإسراء:۱.

۳- ۳) البقره:۱۲۴.

فی المجمع: النجیب الفاضل من کلّ حیوان، و قد نجب (بالضم) ینجب نجابه: إذا کان فاضلا نفیسا فی نوعه، و الجمع النجباء. . إلی أن قال: و انتجبه اختاره و اصطفاه، و المنتجب: المختار. و عن القاموس: النجب محرکه الحاء الشجر، أو قشر عروقها، إلی أن قال: و انتجبه أخذ قشره. أقول: ففی المقام یراد منه صلّی اللّه علیه و آله عبد قد کشف اللّه تعالی عنه جمیع الحجب بینه تعالی و بینه صلّی اللّه علیه و آله حتی أوصله إلی قاب قوسین أو أدنی. و أما

قوله علیه السّلام:

و رسوله المرتضی ، إشاره إلی قوله: (عٰالِمُ اَلْغَیْبِ فَلاٰ یُظْهِرُ عَلیٰ غَیْبِهِ أَحَداً. إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ) (۱).

فعن الکافی، عن الباقر علیه السّلام فی هذه الآیه قال: و کان محمد صلّی اللّه علیه و آله ممن ارتضاه.

و عن الخرائج، عن الرضا علیه السّلام فی الآیه: فرسول اللّه عند اللّه مرتضی، و نحن ورثه ذلک الرسول، الحدیث. و قد یقال فی وجه اتصاف العبد: بأنه المنتجب و الرسول بکونه المرتضی، و یقدم الأول علی الثانی، لأنّ الانتجاب أخصّ من الارتضاء، إذ قد یرتضی الشخص شیئا خاصا أو شخصا، و إن لم یکن ذلک المرتضی خیره الموجودین و منتجبا بقول مطلقا فی جمیع الأمور، و هذا بخلاف المنتجب فإنه مرتضی بقول مطلقا، فکلّ منتجب مرتضی و لا عکس، ثم إنه لما کان المنتجب أخصّ، و علمت أن العبودیه أخصّ صفه للعبد الخاص و هی أقرب من الرساله، وصف به العبد الأخص من الرسول. هذا و قد تقدم

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبه یوم الغدیر و الجمعه من قوله علیه السّلام: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله، استخلصه فی القدم علی سایر الأمم علی علم منه، انفرد عن التشاکل و التماثل من أبناء الجنس، و انتجبه آمرا و ناهیا عنه، أقامه فی سایر عالمه فی الأداء مقامه، إذ کان لا تدرکه الأبصار، و لا

۱- ۱) الجن:۲۶-۲۷.

تحویه خواطر الأفکار، و لا تمثله غوامض الظنون فی الأسرار. و تقدم شرحه و هذا کاف فی بیان معنی الانتجاب، و أنه أمر قبل الرساله کما لا یخفی، و الحمد للّه ربّ العالمین.

قوله علیه السّلام: أرسله بالهدی و دین الحقّ لیظهره علی الدین کله و لو کره المشرکون

أقول: تحقیق الکلام فیه یقع فی أمور:

الأمر الأول:

أقول: هذه الجمله اقتباس من قوله تعالی (هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ. . .) (۱).

ففی مرآه العقول (۲)، عن الکافی، عن أبی الحسن الماضی علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه عز و جل: (یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ) ، قال: یریدون لیطفئوا ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام بأفواهم، قلت: (وَ اَللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) قال: و اللّه متم الإمامه لقوله عز و جل: (فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا) فالنور هو الإمام، قلت: (هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ اَلْحَقِّ) قال: هو الذی أمر رسوله بالولایه لوصیه و الولایه هی دین الحق، قلت: (لِیُظْهِرَهُ عَلَی اَلدِّینِ کُلِّهِ) ، قال یظهره علی جمیع الأدیان عند قیام القائم (عج) الحدیث.

و عن مجمع البیان، و روی العیاشی بالإسناد عن عمران بن میثم، عن عبایه أنه سمع أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: هو الذی أرسل عبده بالهدی و دین الحق لیظهره علی الدین کله، أ ظهورا ذلک بعد؟ قالوا: نعم، قال: کلّا و الذی نفسی بیده حتی لا یبقی قریه إلّا و ینادی فیها شهاده أن لا إله إلّا اللّه و محمد رسول اللّه بکره و عشیا. أقول: الآیه ذکرها علیه السّلام اقتباسا، و لذا ذکر علیه السّلام عبده بدل رسوله المذکور فی الآیه، و لعلّه نزلت هکذا أیضا و اللّه العالم.

۱- ۱) التوبه:۳۳.

۲- ۲) مرآه العقول ج ۵ ص ۱۳۲.

و فی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن کتاب کمال الدین و تمام النعمه بإسناده إلی أبی بصیر قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام فی قوله عز و جل: (هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ اَلْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی اَلدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْمُشْرِکُونَ) فقال: و اللّه ما نزل تأویلها بعد، و لا ینزل تأویلها حتی یخرج القائم (عج) فإذا خرج القائم (عج) لم یبق کافر باللّه العظیم و لا مشرک بالإمام إلاّ کره خروجه، حتی لو کان کافر أو مشرک فی بطن صخره لقالت: یا مؤمن فی بطنی کافر فاکسرنی و اقتله.

و عن المجمع، عن الباقر علیه السّلام فی هذه الآیه: أن ذلک یکون عند خروج المهدی من آل محمد (صلوات اللّه علیهم) فلا یبقی أحد إلاّ أقرّ بمحمد صلّی اللّه علیه و آله.

و فی خبر آخر عن العیاشی قال: لیظهره اللّه فی الرجعه.

و عن مجمع البیان أیضا: قال المقداد بن الأسود: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: لا یبقی علی وجه الأرض بیت مدر و لا وبر إلاّ أدخله اللّه کلمه الإسلام إما بعزّ عزیز أو بذل ذلیل أما یعزّهم فیجعلهم اللّه من أهله فیعزوا به و أما یذلهم فیدینون به. هذه بعض الأحادیث الوارده فی بیان الآیه، و سیأتی شرحه فی شرح

قوله علیه السّلام:

مصدق برجعتکم»

إن شاء اللّه.

الأمر الثانی: قوله تعالی: (بالهدی و دین الحق) .

قد علمت أن دین الحق هی الولایه، و تقدم ما یدل علی هذا، و أما الهدی فقد تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام: «السلام علی أئمه الهدی» ، بیان معنی الهدایه و موارد استعمالها ممّا لا مزید علیه، إلاّ أنه قد یقال: إن الهدایه قد تکون من الهادی بنحو توصل بالعنایه و التوفیق و المعونه، و ذلک بإلقاء النور من الهادی فی المهدی حتی یشیر به، و یکون ذلک مقتضیا لمیل طبیعه المهدی إلی ما یرید اللّه منه، کما تقدم

فی حدیث أبی خالد من قوله علیه السّلام: «و هم و اللّه ینورون قلوب المؤمنین» الحدیث مرّ بتمامه.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۲۱۱.

فحینئذ یعدی بنفسه إشعارا بعدم توسط شیء آخر فی الهدایه، و لا توقفها علی أمر، و قد یکون بإرائه الطریق الأقرب، و رفع الموانع المقتضیه للضد، و ذلک باللطف و التوفیق من الهادی بالنسبه إلی المهدی، فحینئذ یعدّی باللام إشعارا بقرب المسافه المستفاد من اللام، و بتسهیل السیر إلی المطلوب، و هذا فی تلو المرتبه الأولی إذ لیس فیها الإیصال إلی المطلوب إلّا المطلوب، إلّا أنه بلحاظ اللطف و التوفیق قد جعل الوصول إلی المطلوب میسّرا للمهدی فیصل إلیه بذلک اللطف و التوفیق، و قد یکون بإرائه الطریق و تخلیه السرب دون بذل اللطف و التوفیق، بل العنایه بهما من الهادی تقف علی میل المهدی، فحینئذ یعدی بإلی إشعارا ببعد المسافه المعبر عنه بتوقف اللطف علی میل العبد و اللّه الهادی.

الأمر الثالث:

لا ریب فی أن الهدایه بما لها من المعنی قد ظهرت منهم علیهم السّلام إلی الخلق، إلّا أن الخلق متفاوتون فی قبول الهدایه سواء فسرت الهدی بالولایه أو بالأعم، و ذلک لاختلاف قبول قلوب الناس نور المعرفه و الولایه فحینئذ نقول توضیحا لذلک:

فی مرآه العقول (۱)، عن الکافی، عن أحمد بن محمد مرسلا قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: دعامه الإنسان العقل، و العقل منه الفطنه و الفهم و الحفظ و العلم، و بالعقل یکمل و هو دلیله و مبصره و مفتاح أمره، فإذا کان تأیید عقله من النور کان عالما حافظا ذاکرا فطنا فهما فعلم بذلک کیف و لم و حیث، و عرف من نصحه و من غشّه، فإذا عرف ذلک عرف مجراه و موصوله و مفصوله، و أخلص الوحدانیه للّه و الإقرار بالطاعه، فإذا فعل ذلک کان مستدرکا لما فات و أراد علی ما هو صائر، و ذلک کلّه من تأیید العقل.

و فیه (۲)، بإسناده عن أبی خالد الکابلی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه

۱- ۱) مرآه العقول ج ۱ ص ۸۱.

۲- ۲) مرآه العقول ص ۲۵۲.

تعالى: (فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا) فقال: یا أبا خالد النور و اللّه الأئمه علیهم السّلام یا أبا خالد لنور الإمام فی قلوب المؤمنین أنور من الشمس المضیئه بالنهار، و هم الذین ینورون قلوب المؤمنین، و یحجب اللّه نورهم عمّن یشاء فتظلم قلوبهم و یغشاهم بها.

و فی الخصال (۱)، عن أبی عبد اللّه جعفر بن محمد، عن أبیه، عن آبائه عن علی علیه السّلام قال: المؤمن یتقلب فی خمسه من النور، مدخله نور و مخرجه نور و علمه نور و کلامه نور، و منظره یوم القیامه إلی النور.

و فیه (۲)، عن أبی عبد اللّه، عن أبیه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أربع من کنّ فیه کان فی نور اللّه الأعظم، من کانت عصمه أمره شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنی رسول اللّه، و من إذا أصابته مصیبه قال: إنا للّه و إنا إلیه راجعون، و من إذا أصاب خیرا قال: الحمد لله ربّ العالمین، و من إذا أصاب خطیئه قال: أستغفر اللّه و أتوب إلیه.

أقول: إذا علمت هذا فاعلم: أن أهل الإیمان طائفتان:

الطائفه الأولی: من وقف علی عتبه الصوره،

و لم ینفتح له باب فی قلبه إلی عالم المعنی و الملکوت فلا یعلم إلا ظاهرا من الحیوه الدنیا، و ظاهرا من الأمور الدینیه، فهو من أهل التقلید، فیکون مشربه من عالم المعاملات الدینیه، فلا سبیل له إلی عالم العقل و الأمور العقلائیه و الروحانیه. و کیف کان فهو محبوس فی قید الصوره، و هؤلاء علی مراتب قد تقدمت الإشاره إلیهم فی أوائل الشرح، و غایه ما یکون العامل منهم ما أشارت إلیه الآیه المبارکه: (وَ آخَرُونَ اِعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صٰالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً عَسَی اَللّهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ) (۳)و هؤلاء موکل أمرهم إلی القیامه فإما من

ص: ۱۸۷

۱- ۱) الخصال ص ۲۶۲.

۲- ۲) الخصال ص ۲۰۳.

۳- ۳) التوبه:۱۰۲.

خفت موازينه، و إما ممن ثقلت على حسب ما يكتب من أعمالهم الملكان.

الطائفه الثانيه: هم السائرون و المسافرون روحا و قلبا من عالم الصور إلى عالم المعنى،

و من مضيق المحسوسات إلى متسع المعقولات هؤلاء أيضا قسمان: الأول: من يسير بقدمى الشرع و العقل على طريق الآخره و الجنان فهو إما يعبد اللّه خوفا من النار أو يعبد طمعا فى الجنه كما تقدمت الإشاره إليه، فهم سائرون إليه تعالى، و فى سبيل مرضاته إلاّ بنحو يكون مآله إلى دفع المضار عن نفسه و جلب المنافع إليه مطلقا خصوصا فى الآخره. الثانى: من يسير بجناحى العرفان و العشق و المحبه فى فضاء عالم الحقيقه إلى عالم الربوبيه و معدن الإلهيه متوجها بشراشر قلبه و سرّه إلى حضره مولاه، غير ملتفت إلى ما سواه. فحينئذ الأقسام بحسب النوع ثلاثه: القسم الأول: الواقفون المحجوبون، و هؤلاء لا نتكلّم فى حالهم، و إن كان قد تقدم فى أوائل الشرح بعض الكلام فيهم، و إنما المهم بيان القسمين الآخرين، ثم إن الأحاديث المذكوره تشير إلى القسم الأول منها و يلوح إلى الثانى، و هناك أحاديث أخر وردت فى حال القسم الثانى، و سنذكر بعضها إن شاء اللّه تعالى.

فقوله عليه السّلام: دعامه الإنسان. . إلخ، يشير إلى حال القسم الأول و توضيحه: أن دعامه الشيء هو أصله الذى ينشأ منه فروع أحواله، و شعب أوصافه و كماله، و دعامه الإنسان العقل الذى منه ينشأ سائر صفاته الحسنه، و الأحوال و الملكات و القوى و الاستعدادات كالفطنه و الفهم و الحفظ و العلم و غيرها، كما أن أضدادها تنشأ من ضد العقل الذى هو الجهل، كلّ هذا ممّا أشار إليه عليه السّلام

بقوله: دعامه الإنسان العقل. . إلخ. و أوضح عليه السّلام ذلك ببيان آثاره و لوازمه و بكونه مكملا للإنسان، و دليلا و حجه له أو عليه و مبصرا له على صيغه الفاعل على بناء الأفعال أو التفعيل، أى جاعله

بصيرا و موجبا لبصيرته، أو بكسر الميم و فتح الصاد اسم آله أى ما به بصيرته، أو بفتح الميم و الصاد اسم مكان أى ما فيه بصيرته و علمه. و حاصله: أنه موجب لرؤيته للأشياء كما هى، و يكون مفتاح لأبواب العلم و الرحمه.

و أما قوله عليه السّلام: فإذا كان تأييد عقله من النور. . إلخ، فتوضيحه موقوف على بيان أمر و هو: أن العقل الذى هو حجه اللّه تعالى الباطنه بينه و بين خلقه، فإنما يكون شأنه الكشف كالسراج، و قد تقدم

قول الصادق عليه السّلام: العقل كالسراج وسط البيت، فشأن العقل هو الإراءه و هو خلق روحانى دقيق لطيف، شأنه إرائه الأمور الملكوتيه و الإلهيه، فهو بنفسه يكشف عما يتعلق به، فإن كان فى الأمور الماديه الدينيه، فيظهر لصاحبه حقيقتها، و إن كان من الأمور الإلهيه، فيظهر له تلك الأمور الإلهيه. و بعباره أخرى: أنه لا بدّ من منظر و مرىء للعقل، لكى يعطى كشفا لصاحبه عن ذلك، فحينئذ

قوله عليه السّلام: «فإذا كان تأييد عقله من النور» يشير إلى أن المنظر له إذا كان من النور، أى أعانه النور بأن أراه الموارد العاليه من الأمور الإلهيه من حقائق الأسماء الحسنى و المعارف الربوبيه و نحوها، و أعمل صاحب العقل العقل فى تلك الموارد النورانيه التى أراها النور، فلا محاله يتقوى العقل و يترقى إلى الكمالات. و بعباره أخرى: أن الروح الإنسانى يطير بجناح العقل و المعرفه فمسيره العقل و لكن العقل إنما يسيره إذا كان مويدا بالنور بالنحو المذكور، فيستمد العقل من النور ثم يمدّ بما عند الروح فى السير إلى الدرجات العاليه. و ليعلم أيضا: أن هذا النور من الملكوت الأعلى، و ليس هو نورا من الأنوار المحسوسه الكائنه فى عالم الظلمات، بل الكائن فيها هو العقل الذى هو أيضا يعبر عنه بالنور، إلاّ أن هذا النور نور ظاهر فى عالم الدنيا، و ذلك نور من سنخ الملكوت الأعلى، نعم هو (أى هذا النور) من سنخ النور العقلى إذ الشىء (أى العقل مثلا) لا

ص :۱۸۹

يتقوى و لا يستكمل و لا يتغذّى إلّا بما هو من سنخ ذاته و نوعه. ثم إن المراد من النور الملكوتى الذى شأنه هو ظهور الأشياء عند الحس و العقل هو المعرفه الإلهيه، التى عرفت أنها لا تكون إلا بإذن اللّه، و ليس للبشر فيها صنع، و يطلق على أرواح الأئمه عليهم السّلام لما علمت سابقا من أن ذواتهم المقدسه إنما هى حقيقه الأسماء الحسنى، و هم حقيقه معارف اللّه تعالى، و قد يطلق على رحمه اللّه تعالى الشامله لعباده كلّ بحسبه، و حينئذ يطلق أيضا على ما يلقيه اللّه تعالى فى قلوب العارفين من صفاء و جلاء به يظهر عليهم حقائق الحكم و دقائق الأمور، و قد يطلق النور على الربّ تبارك و تعالى، لأنه نور الأنوار، و منه يظهر جميع الأشياء فى الوجود العينى. ثم أفاد عليه السّلام بعد ما بين أن تأييد العقل الإنسانى ليس إلّا بما هو من جنس العلم و المعرفه و سايرها أن العقل المؤيد بنور البصيره العلميه، أعنى العلم باللّه و اليوم الآخر، ممّا يهتدى به الإنسان إلى سلوك السبيل إلى اللّه، و يتمكن من الخلاص عن الجحيم و النجاه من العذاب الأليم الذى منشأه البعد عن عالم الرحمه و الرضوان و الاحتجاب عن الحق بالهوى إلى عالم الغضب و النيران، و بين عليه السّلام أن الإنسان يعلم ذلک و يهتدى تلک الهدايات الإلهيه بسبب ذلک النور، الذى أيد عقله به و علم به كيفيه السلوک إلى الآخره، و يعلم علّه ذلک السلوک. و بذلک تحصل له الداعى للخروج من النقص إلى الكمال، و من الهبوط و الدنو السفلى إلى الشرف و العلو، و من الشقاوه إلى السعاده، و من الظلمات إلى النور، و يعلم أيضا جهه الآخره و منازلها و صراطها المستقيم، و يعلم أيضا الأئمه الهداه من أئمه الضلال، و المعلم الناصح من المغوى الغاشى، فإذا عرف هذه الأمور معرفه صحيحه و علما يقينيا عرف مجراه و مسلكه المستقيم هو إلى سمته أو معدول عنه أو موصول لمطلوبه الذى يقصده أو مفصول عنه. كل ذلک بينه عليه السّلام

بقوله: فعلم بذلک كيف، أى كيفيه السلوک و الوصول إلى

الـدرجات و الحقائق (و لم) أى عرف العله التى بها هبط إلى هـذا المنزل الأدنى الـذى وقع فيه (و حيث) أى يعلم مواضع الأمور فيضـعها فيهـا كالإمامه يضـعها فى أهل بيت الرساله، و النصـيحه عنـد من يقبلها، و الحكمه فيمن هو أهل لها، أو عرف الكيفيه و العله لنفسه من جهه أنه من أىّ مرتبه و أىّ عالم أتى إلى هـذا العالم، الـذى هو فيه اليوم، و إلى أىّ مقام و مصـير يرجع من هـذا العالم. و كيف كان أنه يعلم حينئذ أحوال المبدإ و المعاد و ما فيهما و النظر إليها و فيها حق النظر و الاعتبار، و هذا كما

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام حيث قال كما فى النهج: رحم اللّه أمرءا أعدّ لنفسه و استعدّ لرمسه و علم من أين و فى أين و إلى أين.

فقوله عليه السّلام: من أين، إشاره إلى معرفه المبدإ تعالى و ملائكته و رسله.

و قوله: فى أين ، إشـاره إلى معرفه النفس، و كيفيه كونهـا فى هـذه النشـاه، و معرفه عبوديتهـا و افتقارها، و كيفيه سـلوكها منهج النجاه و صراط الآخره.

و قوله: إلى أين، إشاره إلى العلم بأحوال المعاد، و منازلها من القبر و البرزخ و الصـراط و الميزان و الكتاب و الحساب و العرض و الجنه و النار. و الحاصل: أن معرفه ذلك كله إنما هو بتأييد العقل من النور (أى نور المعرفه) و البصـيره، إذ بذلك النور يخرج ذاته من النقص و القصور، و يسـعى إلى اللّه بقـدمى الإيمـان و العبوديه، و يطير بجنـاحى العلم و العمـل إلى فضاء عالم القرب و الشهود.

قوله عليه السّـلام: فإذا عرف ذلك (أى إذا علم العاقل المؤيـد بالنور) هـذه الأمور، و علم طريقى الخير و الشـر، و سبيلى النجاه و الهلاك، و ما مبـدأ طريق الخير و النجاه، و ما غايته و ما الوقوع فى سـمته، و ما العـدول عنه، و ما الموصل إليه، و ما المنقطع عنه بنحو مرّ بيـانه، فلا بـدّ لهـذا الشـخص أن يخلص للّه بالوحـدانيه باطنا و قلبا من غير شائبه رياء أو غرض، و يقرّ له تعالى بالطاعه و الانقيـاد بالعبوديه ظاهرا و بـدنا، فيكون بسـره و علنه و نفسه و بـدنه و قلبه و قالبه منخرطا فى سـلك خـدمه مولاه و عبادته عارفا بحقه، مستغرقا فى بحر طاعته طالبا معرضا عما سواه.

فإذا نزل هذه المنزله، و تلافى ما فرط، و التزم بالخضوع و الخشوع، و كان واردا على الموت و البعث و ما بعدهما بقلب سليم و سرّ صحيح، و نفس خاشعه للّه تعالى، صابره على بلائه، شاكره لنعمائه، و عقل عارف به عاشق مشتاق لحضرته، طالب لما عنده تعالى من النعيم المقيم، الذى لا زوال له و لا اضمحلال، و من السرور الدائم و الحضور فى الجنان و الروح و الريحان و الرحمه و الرضوان، فإذا وصل إلى هذه المعارف و الألطاف الإلهيه علم بحقيقه ما هو فيه الآن، و عرف حقيقه الدنيا و العله التى بها هبط إلى آخر ما مرّ. ثم إنه قد علمت أن النور الذى به التأييد للعقل هو أرواح الأئمه عليهم السّلام و أنوارهم و له أشار

فى حديث أبى خالد من قوله عليه السّلام: النور و اللّه الأئمه عليهم السّلام،

و قوله: و هم الذين ينورون قلوب المؤمنين، و يحجب اللّه نورهم عمّن يشاء، فتظلم قلوبهم و يغشاهم بها، فلا محاله لا بدّ من تحصيل هذا النور منهم بالتوسل بهم و التضرع لديهم، و قد تقدم

قول الصادق عليه السّلام فى حديث مفضل عن الاختصاص: أجمل الأمر ما استأهل خلق من اللّه النظر إليه إلاّ بالعبوديه لنا (أى إلاّ بالخضوع لنا و بالانقياد و التسليم لنا كالعبد فى قبال مولاه) فإذا منحوه هذا النور يصل إلى ما ذكرناه آنفا. و إليه يشير أيضا ما تقدم

عن الخصال، عن على: «المؤمن يتقلب فى خمسه أنوار» الحديث، فإنه حينئذ يصير تمام شئونه منورا بنور المعرفه، فلا محاله يكون مخرجه و مدخله و علمه و كلامه و منظره نورا، فهذا الشخص قد جلا قلبه فهو شاهد الأمور الربوبيه، و تحصل له قابليه أن يكون من القسم الثالث المشار إليه سابقا، هذا كلّه بعض الكلام فى حال القسم الأول من الطائفتين. و أما القسم الثانى: أعنى بهم من يسير بجناحى العرفان و العشق و المحبه فى فضاء عالم الحقيقه إلى عالم الربوبيه إلى آخر ما تقدم، فهؤلاء قد أشير إليهم فى الأحاديث نذكر بعضها، ثم نعقبها بما لا بدّ منه فى شرحها من الكلام فنقول:

فی البحار (۱)، عن إرشاد القلوب، و روی عن المفضل بن صالح قال: قال لی مولای الصادق علیه السّلام یا مفضل إن للّه تعالی عبادا عاملوه بخالص من سرّه، فقابلهم بخالص من برّه، فهم الذین تمرّ صحفهم یوم القیامه فارغا، فإذا وقفوا بین یدیه ملأ هالهم من سرّ ما أسروا إلیه، فقلت: و کیف ذلک یا مولای؟ فقال: أجلهم انّ تطلع الحفظه علی ما بینه و بینهم.

فقوله علیه السّلام: عاملوه بخالص من سرّه، أی بنیّه خالصه لا یشوبها غیره تعالی، و ذلک لخلو قلوبهم عن غیره.

ففی البحار (۲)، و عن سفیان بن عیینه قال، سألت الصادق علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: (إِلاّٰ مَنْ أَتَی اَللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ) قال: «السلیم الذی یلقی ربّه، و لیس فیه أحد سواه» و قال: «کلّ قلب فیه شک أو شرک فهو ساقط» . و إنما أرادوا الزهد فی الدنیا، لتفرغ قلوبهم للآخره، فهؤلاء قد سلمت قلوبهم عن غیره تعالی، فلیس فیها إلاّ اللّه، و لا ریب فی أن قلبا لیس فیه غیر اللّه تکون معاملته مع اللّه بخالص من سرّه. و یؤیده ما

فی مصباح الشریعه، قال الصادق علیه السّلام: «صاحب النیه الصادقه صاحب القلب السلیم» لأنّ سلامه القلب من هواجس المذکورات تخلص النیه للّه فی الأمور کلها قال اللّه تعالی: (یَوْمَ لاٰ یَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ. إِلاّٰ مَنْ أَتَی اَللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ) . أو المراد من

قوله علیه السّلام: «عاملوه بخالص من سرّه» أن قلوبهم قد انعقدت علی معرفته تعالی، و لا ریب فی أنها من أخصّ الأمور و أسرّها، فلا یفطن لها أحد حتی الملائکه.

ص: ۱۹۳

۱- ۱) البحار ج ۷۰ ص ۲۵۲.

۲- ۲) البحار ج ۷۰ ص ۵۹.

ففی الکافی (۱)، قال رسول اللّه علیه السّلام. . إلی أن قال: «و ما یضمر النبی صلّی اللّه علیه و آله فی نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدین» الحدیث. و من المعلوم أن ما یضمره صلّی اللّه علیه و آله هو غایه معرفته تعالی و یظهر من قوله: أفضل، أن هذه المعرفه المضمره تعادل اجتهاد المجتهدین بل أفضله. و کیف کان فهؤلاء مبتهجون بمعرفتهم له تعالی، و یکون جمیع معاملاتهم علی ما تقتضیه تلک المعرفه کما لا یخفی.

و فی البحار (۲)، عن کتاب الکفایه بإسناده عن یونس بن ضبیان، و کذا فی تفسیر البرهان فی قوله تعالی: (قٰالَ یٰا إِبْلِیسُ مٰا مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِیَدَیَّ) قال: دخلت علی الصادق علیه السّلام. . إلی أن قال: ثم قال علیه السّلام: إن أولی الألباب الذین عملوا بالفکره حتی ورثوا منه حبّ اللّه، فإن حبّ اللّه إذا ورثه القلب و استضاء به أسرع إلیه اللطف، فإذا أنزل منزله اللطف صار من أهل الفوائد، فإذا صار من أهل الفوائد تکلم بالحکمه (فإذا تکلم بالحکمه) صار صاحب فطنه، فإذا نزل منزله الفطنه عمل فی القدره، فإذا عمل فی القدره عرف الأطباق السبعه، فإذا بلغ هذه المنزله صار یتقلب فی فکره بلطف و حکمه و بیان، فإذا بلغ هذه المنزله جعل شهوته و محبته فی خالقه، فإذا فعل ذلک نزل المنزله الکبری فعاین ربّه فی قلبه. الحدیث.

و فی البحار و تفسیر الصافی و اللفظ الثانی. . و عن الصادق علیه السّلام أنه سئل عنها، فقال: الظلم یحوم حول نفسه، و المقتصد یحوم حول قلبه، و السابق یحوم حول ربّه عز و جل.

قوله سئل عنها أی عن قوله تعالی: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْکِتٰابَ) الآیه. ثم إن شرح هذین الحدیثین مفصل موکول إلی محله، إلاّ أن

قوله علیه السّلام: فإذا فعل ذلک نزل المنزله الکبری، و عاین ربّه فی قلبه، یشیر إلی حال هذه الطائفه و الجمل السابقه تشیر إلی مراتب سیرهم الموصل لهم إلی هذه الدرجه الرفیعه، و حال

۱- ۱) الکافی ج ۱ ص ۴۰۳.

۲- ۲) البحار ج ۳۶ ص ۴۰۳.

هؤلاء هو ما أشار إليه فی

حدیث الصادق علیه السّلام من قوله علیه السّلام: و السابق یحوم حول ربّه عز و جل، و ذلک لأنه لا یکون فی قلبه سواه، فلا توجه منه إلی غیره تعالی، و هذه نعمه لیست فوقها نعمه

کما روی عن الصادق علیه السّلام: ما أنعم اللّه علی عبد أجل من أن لا یکون فی قلبه مع اللّه غیره» . و الغرض من بیان هذه الأحادیث الإشاره إلی حال الطائفه الثانیه، و أنهم کیف اهتدوا بالعقل المؤید بالنور الذی هو الأئمه علیهم السّلام و منه یعلم أن جمیع الهدایات تکون منهم علیهم السّلام فالهدی الذی جاء به الرسول الذی هو الولایه کما تقدم هو هداهم، و نورهم الذی به ینورون قلوب المؤمنین من شیعتهم، و قد تقدم أن لهم الولایه التکوینیه فی التصرف فی عالم الوجود بإذنه تعالی، و أن أرواحهم هو حقیقه القرآن و حقیقه الأسماء الحسنی، و أنهم أقرب الخلق إلیه تعالی، فلا محاله لا تکون هدایه بجمیع مراتبها لأحد إلّا و هی منهم علیهم السّلام. ثم إن لازم العرفان و المعرفه به تعالی هو المحبه و العشق إلیه تعالی، و هذه المحبه و العشق من فروعها و هما یحصلان من الفکر کما أشار إلیه

فی حدیث یونس بن ضبیان عن الصادق علیه السّلام بقوله علیه السّلام فیه: «و جعل شهوته و محبته فی خالقه» ، یشیر إلی وصوله إلی مقام المحبه الحقیقیه المختصه به تعالی فقط،

و قوله علیه السّلام: «و عاین ربّه فی قلبه» ، یشیر إلی المعرفه الحقیقیه کما لا یخفی. و سیجیء لهذا الکلام مزید توضیح قریبا إن شاء اللّه تعالی.

[۱۷]قوله علیه السّلام: و أشهد أنکم الأئمه الراشدون المهدیّون

اشاره

أقول: الکلام هنا یقع فی مقامین:

الأول: فی بیان الشهاده بولایتهم و إمامتهم.

و الثانی: فی بیان کونهم علیهم السّلام راشدین مهدیین. المقام الأوّل: و أما الکلام فی کونهم أئمه فقد تقدم، إلّا أن الکلام هنا فی مقام الشهاده لهم بذلک فنقول:

قوله علیه السّلام: و أشهد أنکم الأئمه الراشدون، فی مقام بیان الشهاده الثالثه بعد الشهادتین و هذا مسلم شرعا. و بعباره أخرى: أن الشهاده بولایتهم و إمامتهم لا بدّ من أن تکون بعد الشهادتین أما عقیده فهی واجبه بجمیع الأدله التی دلّت على کونهم علیهم السّلام أوصیاء النبی صلّى اللّه علیه و آله کما تقدم

فی قوله علیه السّلام: «و أوصیاء نبی اللّه» و أما الإقرار اللسانی فهو مستحب. و بعباره أخرى: أنه تستحب الشهاده الثالثه عند الإقرار بالشهادتین مطلقا خصوصا فی الأذان و الإقامه، نعم فیهما لا بعنوان الجزئیه لهما بل بالعنوان الاستحبابی النفسی، فیکون من قبیل مستحب فی واجب، أو مستحب على الاختلاف فی الأذان و الإقامه. و کیف کان فالتصریح بالنبوه له صلّى اللّه علیه و آله یستلزم التصریح بإمامتهم، فمن شهد بالرساله یشهد بالإمامه، و هذا کان أمرا معلوما من صدر الإسلام، نعم غیّره المبطلون، و یدل على هذا

ما نقل عن الشیخ سعد بن إبراهیم الأردبیلی من علماء العامه فی کتاب الأربعین له بإسناده إلى المقداد بن الأسود الکندی قال: کنت مع رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و هو متعلق بأستار الکعبه و یقول: «اللّهم أعضدنی، و اشدد أزری، و اشرح صدری، و ارفع ذکری» . فنزل جبرئیل علیه السّلام و قال له: أقرأ: (أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ. وَ وَضَعْنٰا عَنْکَ وِزْرَکَ. اَلَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ. وَ رَفَعْنٰا لَکَ ذِکْرَکَ. (بعلی صهرک) فقرأها النبی على ابن مسعود فألحقها فی تألیفه و أسقطها عثمان، فیعلم منه أن المعاندین فرقوا بین النبی و الوصی مع أنه تعالى قد قرنهما معا فی هذه القراءه. و نحن نذکر أحادیث أخر تدلّ على الاستحباب مطلقا، ثم نعقبه بالدلیل العقلی و الذوق العرفانی الدال على لزومها، و أنها کالشهاده برسالته صلّى اللّه علیه و آله فنقول:

فی البحار (۱)، عن الاحتجاج عن القاسم بن معاویه قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: هؤلاء یروون حدیثا فی معراجهم أنه لمّا أسری برسول اللّه رأی علی العرش (لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه أبو بکر الصدیق) فقال: سبحان اللّه غیّروا کلّ شیء حتی هذا، ! قلت: نعم، قال: إن اللّه عز و جل لما خلق العرش، کتب علی قوائمه (لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه علی أمیر المؤمنین) . أقول: ثم عدّ علیه بهذا النحو أمورا من الماء و الکرسی و اللوح، و إسرافیل و جبرائیل، و السموات و الأرضین و الجبال و الشمس و القمر.

فقال علیه السّلام: کتب فی جمیع هذه مثل ما کتب علی العرش، إلی أن قال علیه السّلام: فإذا قال أحدکم: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه، فلیقل: علی أمیر المؤمنین ولیّ اللّه.

و فی کتاب القطره (۲)للسید العلاّمه السید أحمد المستنبط، روایه نقلها عن فقه المجلسی رحمه اللّه ما هذا لفظه: و یستحب أن یزاد فی التشهد ما نقله أبو بصیر عن الصادق علیه السّلام و هو:

بسم اللّه و باللّه و الحمد للّه، و خیر الأسماء کلّها للّه، أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، أرسله بالحقّ بشیرا و نذیرا بین یدی الساعه، و أشهد أن ربّی نعم الربّ و أن محمدا نعم الرسول و أن علیا نعم الوصی و نعم الإمام، اللّهم صل علی محمد و آل محمد، و تقبل شفاعته فی أمته و ارفع درجته.

أقول: و هذه الروایه صریحه فی استحباب الشهاده الثالثه فی التشهد کما لا یخفی.

و فیه أی البحار عن الخصال و الأمالی، عن جابر: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مکتوب علی باب الجنه: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علی أخو رسول اللّه، قبل أن تخلق السموات و الأرض بألفی عام.

و فیه عن أمالی ابن الشیخ بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لما

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱.

۲- ۲) کتاب القطره ص ۲۲۱.

عرج بی إلی السماء، رأيت علی باب الجنه مكتوبا: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علی حبيب اللّه، الحسن و الحسين صفوه اللّه، فاطمه أمه اللّه علی باغضيهم لعنه اللّه.

و فيه عن كتب اليقين فی إمره أمير المؤمنين، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله: و الذی بعثنی بالحق بشيرا ما استقر الكرسی و لا ـ العرش، و لا ـ دار الفلك، و لا ـ قامت السموات و الأرض إلاّ بأن كتب اللّه عليها: (لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علی أمير المؤمنين) .

و فی حديث آخر عن الروضه: مكتوب علی أوراق الجنه: (لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علی بن أبی طالب ولی اللّه، الحسن و الحسين صفوه اللّه) .

و فيه عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله. . إلی أن قال: فرفع رأسه (أی آدم عليه السّلام) فإذا مكتوب علی العرش: لا ـ إله إلاّ ـ اللّه محمد نبیّ الرحمه و علی مقيم الحجه، من عرف حقّ علیّ زكی و طاب، و من أنكر حقّه لعن و خاب، أقسمت بعزتی أن أدخل الجنه من أطاعه و إن عصانی، و أقسمت بعزتی أن أدخل النار من عصاه و إن أطاعنی. أقول: قوله تعالی: «من أطاعه» أی أقر بولايته و إمرته (و إن عصانی) أی و لم يؤد التكاليف، و قوله تعالی: (من عصاه) ای أنكر ولايته (و إن اطاعنی) أی و إن عمل بالتكليف.

و فيه عن الصدوق، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: مسطور بخط جليل حول العرش: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علی أمير المؤمنين.

و فيه عن الصدوق، عنه صلّی اللّه عليه و آله: أنه مكتوب علی أبواب السماء و حجب النور و أركان العرش: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علی بن أبی طالب أمير المؤمنين، نقلت هذا الحديث بالمعنی. أقول: و مثل هذه كثيره فی متفرقات أبواب الولايه، ثم إنه يقع الكلام فی هذه

الأحاديث فی أمور: الأول: أنه یستفاد منها أن هذه الشهاده مقرونه بالشهادتین، و هو یعطی أن ولایته و إمرته فی عدل وحدانیته تعالی و رسالته صلّی اللّه علیه و آله و أنه لا بدّ من الإقرار بها بعد الإقرار بالشهادتین کما فی الحدیث الأول. و لعمری إنه لا شکّ فی هذا بإجماع من المسلمین من أنهم علیهم السّلام هم الذین یقتدی بهم فی کل شیء، لاتفاق الألسن و القلوب علی أنهم علیهم السّلام لا یساویهم من سواهم فی العلم و العمل و الکرم و الشجاعه و التقوی و الزهد، و التجافی عن دار الغرور، و الإقبال علی اللّه سبحانه، و القیام بأوامره، و الانتهاء عن نواهیه، و الإخلاص و الصدق، و ما تقدم من شئون الولایه التی أثبتتها لهم الآیات القرآنیه و الأحادیث الصحیحه النبویه صلّی اللّه علیه و آله. هذا مع أنهم علیهم السّلام منزهون عن النقائض و ذمائم الأفعال، لما سیأتی قریبا من أن عصمتهم نقیض ذلک أی کونهم منزهین عنها. هذا و قد ثبت بالوجدان لکل أحد أنهم علیهم السّلام فی الرتبه الحسنه المحموده من کل أمر حسن محمود عند اللّه تعالی و عند جمیع الخلق، بحیث لا یدانیهم أحد، و لا تحوم حومهم حائمه الأفکار، و لا تدرک أدنی مقامهم النظائر و الأبصار، فحینئذ لا محاله یجب علی کل أحد بالفطره الذاتیه و العقلیه، و الوجدان المنزه عن شوائب العصبیه، و بما جبله اللّه علیه من التوحید أن یرضی بهم علیهم السّلام أئمه، بل نری نحن بالوجدان أنه لا یرد هذا أحد من الخلق، إلا عدوهم حسدا و عنادا. و حینئذ نقول: الذی یحکم العقل السلیم، و ما أمر به النبی الکریم، و ما نطق به القرآن العظیم ممّا لا یستقصی بأنحاء البیان من التصریح و التبیین، و التلویح و التعیین، و الإشاره و العباره کما لا یخفی علی ذوی الفکر و الدین السلیم، بالتسلیم لهم و الردّ إلیهم و الاقتداء بهم، و القبول منهم و الأخذ عنهم فیما علم و فیما لا یعلم، هذا و قد تقدم من

قول الصادق علیه السّلام: إنما أمروا بمعرفتنا و التسلیم لنا و الردّ إلینا فیما اختلفوا،

و هـذا أمر لاـ ستره عليه، و هو ثـابت فى الـدنيا و فى الملإـ الأـعلى كمـا علمت من الأحاديث السابقه. نعم: يقع الكلام فى أنه ما معنى كتابه هذه الشـهاده على تلك الأمور من العرش و الكرسـى و الجنه و أوراقها و غيرها من المذكورات؟ فنقول: لا ريب فى أنه لاـ يكون فى عـالم الوجود إلاـ ذاته المقـدسه جلّت عظمته و صـفاته و أفعـاله و لاـ ريب فى أن الموجودات إنمـا هى مظـاهر صفـاته و أفعاله، فجميع المظاهر من الصـفات و الأفعال تـدل على ذاته المقـدسه، و تـدل على أنها من آثارها فى الوجود و عالم الخلق، و تدل على أن المؤثر فيها (اى الصـفات و الأفعال) هو الواحد الأوحد و هذا هو المراد من قوله عليه السّلام كما تقدم من أنه تعالى أجرى توحيـده فى الخلق، و هـذا التوحيـد هو التوحيد الصـفاتى و الأفعالى المذكور فى كلماتهم، و دركه هو الوصول إليه (أى إلى التوحيـد الصـفاتى و الأفعـالى) . و بعبـاره أخرى: أن جميع الموجودات مظـاهر صـفاته و أسـمائه تعـالى، و الاسم و الصـفه تـدلّ على المسـمى دلاله اللفظ على المعنى، هـذا و قد علمت أن حقيقه ذواتهم المقدسه هى أسماؤه الحسـنى و صـفاته العليـا جلت آلاـؤه. و بعبـاره ثالثه: أن جميع الموجودات له جهتان: الجهه الخلقيه: و هى الحـدود التى يعبر عنها بالماهيه و يفسر بالجنس و الفصل بلحاظ الآثار الخاصه و العامه كما لا يخفى. و الجهه الخالقيه: التى يليها الربّ، و التى هى قائمه به تعالى و إليه يشير

قوله عليه السّلام:

يا من كلّ شىء موجود به، يا من كلّ شىء قائم به،

فكل شـىء قائم و موجود به تعالى، فالجهه التى بها قوامها منه تعالى هو الجهه الخلقيه، قال اللّه تعالى (لا إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ) (١)فقوله تعـالى: (اَلْقَيُّومُ) يشـير إلى هـذه الأـمور. إذا علمت هـذا فقـد ظهر لك: أن جميع الموجودات من العرش و الكرسـى، و المياه

١- ١) البقره:٢٥٥.

و الجبال، و الملائكه، و الشمس و القمر بل و كل شىء ممّا ذكر فى تلك الأحاديث، و ما لم يذكر بالتفصيل بل أشير إليه بالإجمال فهو مظاهر أسمائه و أفعاله، و كلها تدل عليه، و حيث إن ذواتهم المقدسه هى حقيقه الأسماء كما علمت مرارا، فلا محاله تكون تلك الموجودات مظاهر تلك الذوات المقدسه، فباعتبار دلالتها على التوحيد دلاله تكوينيه يقال: إنه كتب عليها لا إله إلاّ اللّه، ضروره أن الكتابه هو الثبت و الثبت فى كلّ شىء بحسبه، فإذا كان التوحيد جاريا فيها بأن خلقها اللّه تعالى هكذا (أى داله على التوحيد) فهى تدل عليه، كما يدل اللفظ على المعنى، بل هذه الدلاله آكد من دلاله اللفظ لطرو احتمال الخلاف و الاشتباه و الاحتمال فيه، و هذا بخلاف الدلاله التكوينيه الإلهيه كما لا يخفى. و حيث إن حقيقه النبى صلّى اللّه عليه و آله هو حقيقه النبوه و الرساله، و هو حقيقه تجلى الاسم الأعظم، كما أشير إليه فى الأدعيه، و هو التجلى الجامع المتضمن لجميع التجليات الإلهيه، بحيث يندرج فيها جميع مظاهر الولايه الإلهيه التى ثبتت لأمير المؤمنين عليه السّلام و لذا كانت الشهاده بالولايه عقب الشهاده بالرساله، لأنها فرعها و تلك أصلها و هذا تفصيلها و تلك إجمالها. و من المعلوم أن جميع الموجودات تكون متفرعه من هذا التجلى الأعظم، فلا محاله كلّ موجود بما هو فرع عن هذا الأصل يدل على أصله، و على أنه إنما ألبس خلع الوجود بما له من الآثار من هذا الأصل الشريف و العنصر العفيف (أعنى الحقيقه المحمديه) التى هو التجلى الأعظم بنحو ما ذكر من الدلاله فى سابقه، فلا محاله كل موجود ثبت فيه و كتب عليه محمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. و حيث إن باطن النبوه كما علمت مرارا هو الولايه، التى هى أولا و بالذات للنبى الأعظم، ثم هى للولى أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام و علمت أن الولايه التى هى مقام تفصيل النبوه و الرساله تشريعا و تكوينا هو مقام و منصب إلهى واقع فى حدّ الوجوب و الإمكان، بمعنى أن كل ممكن يتقبل بلسان استعداده الفيوضات من المبدإ

الأعلى بواسطه حقيقه الولايه التى مجملها فيه صلّى اللّه عليه و آله و تفصيلها بهم عليهم السّلام فحينئذ لا محاله كلّ موجود بما هو أيضا فرع من هذا الأصل الواسطى الحقيقى (أعنى الولايه التى هى حقيقه الأئمه عليهم السّلام يدل على هذا الأصل الأصيل بنحو تقدم فى سابقه، و إنما ذكر أمير المؤمنين عليه السّلام لأنه عليه السّلام رمز للكلّ، و لدليل الاشتراك لهم فى هذا المعنى كما تقدم: أن ما يجرى لأولهم يجرى لآخرهم، فراجع. و إليه يشير أيضا

قوله عليه السّلام: الحسن و الحسين صفوه اللّه، فإن الصفوه، بما لها من المعنى المتقدم ذكره، هو عنوان لمن له تلك المقامات المولويه كما لا يخفى. و أمّا

فى بعض الأحاديث من قوله: فاطمه عليها السّلام أمه اللّه، فحاصله: أن الأمه فى النسوه كالعبد الحقيقى فى الرجال، فكما أن العبوديه الكامله، التى هى حقيقه العبد الحقيقى هى أعلى مقام، و أعلى من صفه الرساله، لذا قدمت عليها كما تقدم، فكذلك صفه الأمتيه هى حقيقه العبوديه، و بما أنها (صلوات اللّه عليها) مظهر وحيد للعصمه، و مظهر الاسم الخفى الإلهى الذى تسرى منه الألطاف الخفويه الإلهيه فهى عليها السّلام فى جميع شئونها مخفيه و لذا قيل فى حقّها: المجهوله قدرها، و ذلك لخفائها عن الأفهام و البصائر. و لهذه الجهه عبر عنها عليها السّلام بالأمه مضافه إلى اللّه تعالى، و صفه الأمه للّه تعالى عنوان لمقامها الذى هو تلو مقام الولايه، غايه الأمر عبر عنها بالأمه للّه تعالى، رزقنا اللّه تعالى معرفتها. فمعنى كتابتها عليها هو أن حقيقتها عليها السّلام بما هى أمه للّه تعالى ظاهره فى الجنه لأهلها، و أنها متصفه بحقيقه العبوديه التى هى منشأ جميع المقامات كما تقدم، إلّا أنه لعصمتها عبر عنها بالأمه كما لا يخفى، و اللّه العالم بحقائق الأمور.

المقام الثانى (أعنى معنى كونهم الراشدين)

فنقول: الرشد هو الهدى، و عن القاموس، الرشد الاستقامه على طريق الحق مع تصلب فيه.

و فى تفسير نور الثقلين، عن مجمع البيان: روى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال:

«و لیؤمنوا بی، أی و لیتحققوا أنی قادر علی إعطائهم ما سألوا لعلّهم یرشدون (أی لعلهم یصیبون الحق و یهتدون إلیه) . ففی هذا الحدیث فسّر الرشد بإصابه الحق و الاهتداء إلیه، و لا ریب فی أنهم علیهم السّلام هم المصیبون للحق، و المهتدون إلیه، و المتصلبون فیه کما هو المشاهد منهم علیهم السّلام فی أفعالهم و أقوالهم علیهم السّلام، و حینئذ فالرشد هو کمال روحی (ای کشف للواقع لدیه) أثره درک الحق و تمییزه عن الباطل و المشی علیه بنحو الجزم. هذا

و قد روی العامه عنه صلّی اللّه علیه و آله أنه قال: علیکم بسنتی و سنه الخلفاء الراشدین من بعدی، فإن صح الحدیث فالمراد به هم علیهم السّلام کما رووا، فیکون هذا الحدیث مفاده مفاد ما صح عنه صلّی اللّه علیه و آله عند الفریقین من

قوله صلّی اللّه علیه و آله: إنی مخلف فیکم الثقلین کتاب اللّه و عترتی أهل بیتی، و مفاد

قوله صلّی اللّه علیه و آله: مثل أهل بیتی کسفینه نوح من رکبها نجا و من تخلّف عنه هوی. و لعل

قوله علیه السّلام: الأئمه الراشدون ، یشیر إلی أن المروی عنه صلّی اللّه علیه و آله عند العامه لا یراد منهم إلاّ هم علیهم السّلام کما لا یخفی. هذا و إن کونهم راشدین أی مهتدین، و أیضا هم مهدیون کما ذکر بعید هذا، فکونهم مهتدین فباعتبار استقامه ذواتهم المقدسه و قوابلهم المطهره کما أشیر إلیه فی حقه صلّی اللّه علیه و آله و فی حقهم علیهم السّلام (بدلیل الاشتراک) فی قوله تعالی: (إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ) (1)و لوّح إلیه فی قوله تعالی: (اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَیْثُ یَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ) (2)کما لا یخفی علی ذوی البصائر. و أیضا بالنسبه إلی أولیاء اللّه أشیر إلی هذه القابلیه فی

قول الصادق علیه السّلام کما فی توحید الصدوق: و وضع عنهم ثقل العمل بحقیقه ما هم علیه. و الحاصل: أنه بعد ما جاءت من اللّه تعالی الهدایه لکل بحسبه و منزلته، فمن

١- ١) القلم:۴.

٢- ٢) الأنعام:١٢۴.

اهتـدی بها فهو المهتدی، و الناس فی ذلک متفاوتون فی قبول الهدایه، لتفاوت ذواتهم فی الطهاره الروحیه کما و کیفا إلّا الأئمه علیهم السّلام فإنهم علیهم السّلام بقول مطلق هم الراشدون أی المهتدون و المصیبون للحق و المهتدون إلیه بحیث قبلوا بقوابلهم جمیع مراتب الاهتـداء کما لا یخفی علی أحـد. و أما کونهم مهـدیین، أی الـذین هـداهم اللّه تعالی باعتبار عظیم فضـله و جزیل نعمه علیهم، حتی وفّقهم لکل ما یحب و یرضـی بما أمدهم من نوره، فالاهتداء من اقتضاء طهاره قوابلهم علیهم السّـلام و الهدایه من مدد النور منه تعالی لهم کما أشیر إلیه فی أوائل الشرح فی تفسیر قوله تعالی: (وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا) . فهم علیهم السّـلام مهدیون بذلک النور و توضیحه: أنه قد تقدم أن حقیقتهم علیهم السّـلام النور المنزل علیه صلّی اللّه علیه و آله، و علمت سابقـا أن ولایتهم و شئونها إنما هی لأرواحهم النورانیه فحینئـذ نقول: إنهم علیهم السّـلام بـذلک النور الـذی اخترعه اللّه تعالی من نور عظمته کانوا موجودین، و هـذا النور لیس غیرهم کما أنهم علیهم السّـلام لیسوا غیره، و هـذا النور لعلّه هو الحقیقه التی أشـیر بها إلی جمیع الأسماء الحسنی الإلهیه، فهم علیهم السّلام متّقون بذلک النور، و هم مشاهدون به جلاله و جماله تعالی الظاهرین لهم علیهم السّـلام فی مقام القرب ساعه بعـد ساعه جلالا و جمالا جدیـدا. فهم علیهم السّـلام بهـذا النور المفسر بهـذا المعنی قـد علموا طریق محبته تعـالی و محبته، و قـد وضع عنهم علیهم السّـلام ثقـل العمل و أعطوا علیهم السّـلام قوه العمل کل ذلک بحقیقه أنهم لیسوا إلّا ذلک النور، و لـذا أطلق علیهم النور فی القرآن کما علمت، و هـذا النور حیث علمت سابقا أن طرفه متصـل بـذاته المقـدسه جلّ و علا و طرفه الآخر متصل بقلب الإمام، و هـذا النور یظهر به دائما جماله و جلاله الـذین هما ملاک کونه تعالی محبوبا لهم علیهم السّـلام بنحو الأتم الأکمل، فبهذا الظهور النورانی أحبوه بتمام المحبه و أطاعوه، بحیث وضع عنهم ثقل العمل، و عرفوا منه تعالی ما عرفوا ممّا لیس لأحد غیرهم فیه شرکه و لا نصیب کما لا یخفی.

و لما كان هذا النور من نور عظمته تعالى و متصلا به تعالى

كما ورد: أن نور المؤمن لأشد اتصالا بنور اللّه من شعاع الشمس بها، و منفصلا عنه تعالى كانفصال شعاع الشمس منها كما صرح به فى الأخبار، فلا محاله يكون ذلك النور الذى هو حقيقتهم عليهم السّلام ممكنا قائما به تعالى، فهو تعالى حافظ لذلك النور، فهو تعالى حافظ لهم عليهم السّلام و لطاعتهم، فهم عليهم السّلام أطاعوه بقوته تعالى (أى بحفظه تعالى) بنحو ما علمت، و لذلك وضع عنهم ثقل العمل فهم ليسوا إلاّ حقيقه قبولهم عليهم السّلام ذلك النور، و إنما قبلوه لفضله و تفضله و عنايته لهم عليهم السّلام. و الحاصل: أنهم بكينونيته كائنين فهم حينئذ مهتدون مهديون، فتدبر فيما ذكرنا تهتدى إلى معرفتهم راشدا إن شاء اللّه تعالى.

قوله عليه السّلام: المعصومون

ففى المجمع: و يسمى النكاح عصمه لأنها (أى العصمه) لغه: المنع. . الى أن قال: (وَ اَللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ اَلنّٰاسِ) أى يمنعك منهم فلا يقدرون عليك، و عصمه اللّه للعبد: منعه من المعصيه و عصمه اللّه من المكروه من باب ضرب: حفظه و وقاه.

و فى البحار عن معانى الأخبار، بإسناده عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن على بن الحسين عليه السّلام قال: الإمام منّا لا يكون إلاّ، معصوما، و ليست العصمه فى ظاهر الخلقه فيعرف بها فلذلك لا يكون إلاّ منصوصا، فقيل له: يا بن رسول اللّه فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل اللّه، و حبل اللّه هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامه، و الإمام يهدى إلى القرآن، و القرآن يهدى إلى الإمام، و ذلك قول اللّه عز و جل: (إِنَّ هٰذَا اَلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) .

و فيه، عنه، عن الحسين الاشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: إن الإمام لا يكون إلاّ معصوما؟ قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن ذلك، فقال المعصوم هو الممتنع باللّه من جميع محارم اللّه، و قد قال اللّه تبارك و تعالى: (وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّٰهِ

فَقَدْ هُدِیَ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ) .

و فیه، عن إکمال الدین، عن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول، أنا و علی و الحسن و الحسین و تسعه من ولد الحسین مطهرون معصومون.

و فیه، عن العلل، و رواه أیضا الصدوق فی الخصال بإسناده عن سلیم بن قیس قال: سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: إنما الطاعه للّه عز و جل و لرسوله و لولاه الأمر، و إنما أمر بطاعه أولی الأمر، لأنهم معصومون مطهرون لا یأمرون بمعصیته.

و فیه، عن الاختصاص، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول: إن اللّه اتخذ إبراهیم عبدا قبل أن یتخذه نبیا، و اتخذه نبیا قبل أن یتخذه رسولا، و اتخذه رسولا قبل أن یتخذه خلیلا، و إن اللّه اتخذ إبراهیم خلیلا قبل أن یتخذه إماما، فلما جمع له الأشیاء و قبض یده قال له: (إِنِّی جٰاعِلُکَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً) فمن عظمها فی عین إبراهیم: (قٰالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قٰالَ لاٰ یَنٰالُ عَهْدِی اَلظّٰالِمِینَ) . قال المجلسی رحمه اللّه: قوله: و قبض یده، من کلام الراوی، و الضمیران المستتر و البارز راجعان إلی الباقر علیه السّلام أی

قال علیه السّلام: فلما جمع له هذه الأشیاء قبض یده، أی ضمّ أصابعه إلی کفّه، لبیان اجتماع تلک الخمسه له (ای العبودیه و النبوه و الرساله و الخله و الإمامه) و هذا شایع فی أمثال هذه المقامات.

و فیه، عن الخصال: قوله عز و جل: (لاٰ یَنٰالُ عَهْدِی اَلظّٰالِمِینَ) عنی به أن الإمامه لا تصلح لمن قد عبد صنما أو وثنا، أو أشرک باللّه طرفه عین، و إن أسلم بعد ذلک. . إلخ.

و فیه عن الاختصاص، عنهم علیهم السّلام. . إلی أن قال: فقال اللّه تبارک و تعالی: (لاٰ یَنٰالُ عَهْدِی اَلظّٰالِمِینَ) . من عبد صنما أو وثنا أو مثالا لا یکون إماما.

و عن بصائر الدرجات بإسناده عن المفضل، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: یا مفضل إن اللّه تبارک و تعالی جعل للنبی صلّی اللّه علیه و آله خمسه أرواح: روح الحیاه فیه دبّ و درج، و روح القوه فیه نهض و جاهد، و روح الشهوه فیه أکل و شرب و أتی النساء من

حلال و روح الإيمان فيه أمر و عدل، و روح القدس فيه حمل النبوه، فإذا قبض النبى انتقل روح القدس فصار فى الإمام، و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يلهو و لا يسهو، و الأربعه الأرواح تنام و تلهو و تغفل و تسهو، و روح القدس ثابت يرى به ما فى شرق الأرض و غربها و برّها و بحرها، قلت: جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم و ما دون العرش. و مثل هذا الخبر كثير.

و فيه عن الكافى و من لا يحضره الفقيه (و اللفظ الثانى) بإسناده عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إن اللّه تبارك و تعالى أنام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن صلوه الفجر حتى طلعت الشمس، ثم قام فبدأ فصلى الركعتين اللتين قبل الفجر، ثم صلى الفجر، و أسهاه فى صلاته فسلم فى الركعتين، ثم وصف ما قال ذو الشمالين، و إنما فعل ذلك به رحمه لهذه الأمه، لئلا يعير الرجل المسلم إذا هو نام عن صلاته أو سها فيها فقال: قد أصاب ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. أقول: قوله: ثم وصف ما قاله: ذو الشمالين، الظاهر أنه من كلام سعيد الأعرج أى وصف الصادق عليه السّلام ما قاله: ذو الشمالين، من سؤاله عنه صلّى اللّه عليه و آله: أ قصرت أم نسيت كما فى كثير من الأخبار، و الأخبار فى هذا الباب كثيره جدّا. و أما معنى العصمه فقد عرفت أنها لغه المنع. قيل: و فى اصطلاح أهل العدل لطف يمنع المكلف من ترك شىء من الواجبات، و فعل شىء من المحرمات، يفعله اللّه تعالى به غير مانع بسبب القدره على ترك الواجبات و فعل المحرمات، و إلّا لم يستحق مدحا و لا ثوابا، بل لم يكن مكلفا كما سيأتى بيانه. هذا و قد تقدم

قوله عليه السّلام: هو المعتصم بحبل اللّه،

و قوله عليه السّلام: هو الممتنع باللّه من جميع المحارم، فى تفسير العصمه فيكون حاصلها: أن الإمام عليه السّلام يكون فى حصنه تعالى الذى هو حقيقه القرآن، و هو عليه السّلام بهذه الحقيقه معتصم بحبل اللّه، و لا يكون

حصنه تعالى غير النور الذى أشير إليه فى قوله تعالى: (إِنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ) .

ففى البحار (۱)، عن كنز الفوائد فى تفسير الثعلبى قال: قال جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام: قوله عز و جل: (طه) أى طهاره أهل البيت (صلوات اللّه عليهم) من الرجس، ثم قرأ: (إِنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) . فهم عليهم السّلام دائما مطهرون من موجبات النقص و المعاصى بتطهير اللّه تعالى إياهم، و بمصاحبه الروح المفسر بالنور الذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل كما تقدم معهم. و الحاصل: أن نفوسهم المطهره البشريه و إن كانت كسائر النفوس البشريه لها اقتضاء الخلاف (العياذ باللّه) إلاّ أنها لما كانت مشاهده لأنوار جماله تعالى و لصحبتهم للنور الإلهى الذى هو حقيقه أرواحهم النوريه، التى هى عند ربّها دائما كما علمت، فلا محاله تكون نفوسهم معتصمه باللّه تعالى و ممتنعه به، فهم معصومون به تعالى و بتطهيره تعالى إياهم، فلا تصدر عنهم معصيه بما لها من المعانى الآتيه. كيف و اللّه تعالى عاصمهم لموتهم عليهم السّلام فى قبضته تعالى، و هو تعالى قد أيدهم بروح منه (اى الذى علمته آنفا) و اصطفاهم لسرّه و لنفسه و هم عليهم السّلام أيضا لم يفعلوا و لن يفعلوا شيئا إلاّ بأمر اللّه كما حكى اللّه تعالى عنهم بقوله: (عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (۲)و تقدم أن قلوبهم أوعيه لمشيه اللّه، و أنهم لا يشاءون إلاّ ما شاء اللّه، كلّ ذلك يدل على عصمتهم، و على أنهم معتصمون به تعالى كما لا يخفى. فظهر أن العصمه عباره عن قوه الفعل، و استمداده من ذلك النور الإلهى من

۱- ۱) البحار ج ۳۵ ص ۲۰۵.

۲- ۲) الأنبياء:۲۶-۲۷.

حیث لا یغلب مع کونهم علیهم السّلام قادرین علی المعاصی حسب نفوسهم البشریه، و لیس معنی العصمه أن اللّه تعالی یجبره علی ترک المعصیه، بل یفعل به ألطافا یترک المعصیه باختیاره مع قدرته علیها، و تلک الألطاف تکون قوه العقل و کمال الذکاء و الفطنه، و صفاء النفس و کمال الاعتناء لطاعه اللّه تعالی کلّ ذلک لمصاحبه ذلک النور و ما دلّت علیه آیه التطهیر. و إلی هذه الألطاف أشار الصادق علیه السّلام فیما رواه

فی البحار (1)، عن محمد بن نعمان قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إن اللّه عز و جل لم یکلنا إلی أنفسنا، و لو وکلنا إلی أنفسنا لکنا کبعض الناس، و لکن نحن الذین قال اللّه عز و جل لنا: (اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ) . فهم علیهم السّلام فی حفظه تعالی و کنفه و عصمته مع کونهم علیهم السّلام قادرین علی المعاصی، و لو لم یکونوا قادرین علی المعاصی، لکانوا غیر مکلفین و اللازم باطل فالملزوم مثله، و النبی أولی من کلف حیث قال تعالی: (وَ اُعْبُدْ رَبَّکَ حَتّٰی یَأْتِیَکَ اَلْیَقِینُ) بل قیل: إنهم لو لم یکونوا قادرین علی المعصیه، لکانوا أدنی مرتبه من صلحاء المؤمنین القادرین علی المعاصی التارکین لها. هذا بحسب الأدله النقلیه من الآیات و الأحادیث، مضافا إلی أن البراهین العقلیه تدل علیه و هی علی وجوه: منها: أنه لو لم یکن النبی أو الإمام معصوما لانتفی الوثوق بقوله و وعده و وعیده، فلا یطاع فیکون تنصیبه عبثا. و منها: أنه لو کان یخطئ لاحتاج إلی من یسدّده و یمنعه عن خطئه فإما أن یکون من یسدّده معصوما فثبت المطلوب و هو لزوم العصمه فیه، أو غیر معصوم فتسلسل و هو باطل.

۱- ۱) البحار ج ۲ ص ۲۰۹.

و منها: أنه يقبح من الحكيم أن يكلف الناس باتباع من يجوز عليه الخطا. و منها: أنه يجب صدقه لأنه لو كذب و الحال أن اللّه تعالى أمرنا بطاعته، لوجب علينا أن نطيعه فى الكذب و هو محال. و منها: أنه لو عصى لأقيمت عليه الحدود، و وجب إنكار الرعيه عليه فيسقط محله عن القلوب. و منها: أن القلوب تشمئز ممن تصدر عنه المعصيه فى الأمور العرفيه، فكيف فى الأمور الدينيه، فلا محاله تعرض عنه النفوس فتعطل أحكام الشريعه و هو كما ترى. فهذه جمله من الأدله العقليه المركبه من القضايا العقليه أو النقليه، بقى شىء و هو أن عصمه الإمام هل تكون عن المعاصى الكبيره، أو الأعم منها و من الصغيره، أو الأعم منها و من ترك الأولى، أو الأعم منها و من سائر الأمور المرجوحه من الزلّات القلبيه و نحوها؟ فنقول: قال المجلسى (رضوان اللّه عليه) : تبيين، و حاصله ملخصا: أن الإماميه أجمعوا على عصمه الأنبياء و الأئمه (صلوات اللّه عليهم) من الذنوب الصغيره و الكبيره عمدا أو خطأ أو نسيانا قبل النبوه و الإمامه و بعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا اللّه سبحانه، و لم يخالف فيه إلاّ الصدوق محمد بن بابويه و شيخه ابن الوليد (قدس اللّه روحيهما) فجوزا الإسهاء من اللّه تعالى، لا السهو الذى يكون من الشيطان و خلافهما لا يضر بالإجماع لكونهما معلومى النسب. و أمّا السهو فى غير ما يتعلق بالواجبات و المحرمات كالمباحات و المكروهات فظاهر أكثر أصحابنا أيضا الإجماع على عدم صدوره عنهم، يدل عليه مضافا إلى أنه سبب التنفير الخلق منهم، قوله تعالى: (وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ. إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ) (1)و قوله: (إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّٰ مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ) (2)و لما ورد بنحو العموم من التأسى

۱- ۱) النجم:۳-۴.

۲- ۲) الأنعام:۵۰.

بأفعالهم و أقوالهم،

و ما ورد عن الرضا عليه السّلام فی وصف الإمام عليه السّلام: فهو معصوم مؤيد موفق مسدد، قد أمن من الخطإ و الزلل و العثار، و غيره من الأحاديث الداله على هذا، و قد تقدم بعضها، و من أراد الاطلاع كاملا فليراجع البحار (۱)فحاصله: أنه قد يقال: إن معنى إسهائه تعالى إياه صلّی اللّه عليه و آله فی قضيه خارجيه لمصلحه، و هی ما ذكرها الصادق عليه السّلام من أنه رحمه لهذه الأمه، كما تقدم فی حديث سعيد الأعرج لا ينافی عصمته صلّی اللّه عليه و آله بعد ما كان الإسهاء لبيان أحد الأحكام و التكاليف الإلهيه، و كذا نومه صلّی اللّه عليه و آله عن الصلاه، و إليه أشير ما فی رساله المفيد رحمه اللّه و السيد النقيب المرتضى رحمه اللّه من قوله: فصل: و لسنا ننكر أن يغلب النوم على الأنبياء عليه السّلام فی أوقات الصلاه، حتّی تخرج فيقضوها بعد ذلك، و ليس عليهم فی ذلك عيب و لا نقص، لأنّه ليس ينفك بشر من غلبه النوم، و لأنّ النائم لا عيب عليه، و ليس كذلك السهو، لأنّه نقص عن الكمال فی الإنسان، و هو عيب يختصّ به من اعتراه، إلی آخر كلامه رحمه اللّه. و هذه العباره كما ترى قد فصّل بين النوم و السهو فحينئذ نقول ما به التخلّص عن أصل الشبهه فی نومه و سهوه صلّی اللّه عليه و آله و حاصله: أنّ المستفاد من

حديث المفضل عن الصادق عليه السّلام المتقدم عن البصائر من: أن النبی و الإمام لهما روح القدس،

و هو كما وصفه عليه السّلام: و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يلهو و لا يسهو و الأربعه الأرواح تنام و تلهو و تغفل و تسهو، الحديث. إن النبی و الإمام لهما حالتان: الحاله الأولى: الحاله التی بها تتم أمور معاشهم البشريه المترتبه على تلك الأرواح الأربعه غير روح القدس، و تلك الأرواح تعرضها ما ذكر من النوم و اللهو و الغفله و السهو. الحاله الثانيه: الحاله التی بها يتم أمر الرساله و الإمامه و الولايه، ثم إنهم عليهم السّلام

ص: ۲۱۱

۱- ۱) البحار ج ۷۱ باب سهو و نومه صلّی اللّه عليه و آله.

إذا كانوا فى مقام التصدى لأمور الرساله و الإمامه، و بيان أمر التبليغ من الأحكام و المعارف و الإخبار الإلهى فلا ريب فى أنهم عليهم السّلام فى تلك الحاله لا يعرض لهم النوم و اللهو و الغفله و السهو

لقوله عليه السّلام: و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يلهو و لا يسهو، و لان ما ذكر من الأدله العقليه المتقدمه و الشرعيه من أنهم عليهم السّلام يعتصمون بحبل اللّه تعالى كما تقدم انما تجرى فى هذه الحاله. فلو سها النبى أو الوصى فى حاله بيان الأحكام و غيرها، يتنفر الإنسان منه و يسقط كلامه عن الحجيه إلى آخر ما ذكرنا من الوجوه العقليه، و هذا بخلاف الحاله الأولى. و من المعلوم أن لهم إعمال هذه الحاله، و المشى فيها كسائر البشر و بما تعرض لهم حينئذ تلك الأمور فيها و لا تضر هذه بالحاله الثانيه، إلّا أنه ربما يقال من أن هذا ينافى ما ورد من عموم ما دلّ على التأسى بأفعالهم و أقوالهم، و هى كما ترى عام يشمل الحاله الأولى فكيف التوفيق بينهما؟ و لكن فيه أن هذا صحيح لو لا ظهور جهه الصدور لأفعالهم، و إلّا فلو علم أن فعلهم هذا الفعل الخاص مثلا مبنى على إعمال السهو أو غلبه النوم فحينئذ يكون كالمستثنى من ذلك العوام فلا يقتدى بهم حينئذ كما لا يخفى. و الحاصل: أن عموم ما دلّ على لزوم التأسى بأفعالهم يكون متبعا، إلّا إذا علم من فعل خاص صادر منهم عليهم السّلام أنه خارج عن ذلك العموم، فلا يتبع حينئذ إلّا فى قضيه مثله، فتدبر تعرف. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام فى الحاله الأولى إنما يتبع حالهم فيما لا يعلم أنه مبنى على إعمال تلك العوارض و إلّا فلا، و اللّه العالم بحقائق الأمور. هذا و قد علمت قبلا أنهم عليهم السّلام بلحاظ كون قلوبهم أوعيه لمشيته تعالى، فلا محاله لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون، فضلا عن صدور المعصيه منهم عليهم السّلام كيف و هم عليهم السّلام بلحاظ عصمه اللّه تعالى إياهم ميتون فى قبضه قدرته تعالى، فأين

من هذه الأرواح المقدسه و المتعبده بهذه الكيفيه من العصمه، و إليه يشير

قوله عليه السّلام فيما تقدم: إن اللّه عز و جل لم يكلنا إلى أنفسنا، الحديث. بقى هنا شىء، فى البحار (۱)، تذنيب: اعلم أن الإماميه (رضى اللّه عنهم) اتفقوا على عصمه الأئمه عليهم السّلام من الذنوب صغيرها و كبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلا لا عمدا و لا نسيانا و لا لخطإ فى التأويل و لا للإسهاء من اللّه سبحانه، و لم يخالف فيه (أى فى الإسهاء) إلاّ الصدوق محمد بن بابويه و شيخه ابن الوليد (و قد تقدم قولهما) إلى أن قال: فأما ما يوهم خلاف ذلك من الأخبار و الأدعيه فهى مأوله بوجوده. أقول: المراد من الأخبار ما تقدم من سهو النبى صلّى اللّه عليه و آله و نومه عن الصلوه و قد تقدم بيانه و جوابه.

و فيه (۲)، عن كتابى الحسين بن سعيد الجوهرى عن حبيب الخثعمى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنا لنذنب و نسىء ثم نتوب إلى اللّه متابا، قال الحسين ابن سعيد: لا خلاف بين علمائنا فى أنهم عليهم السّلام معصومون عن كل قبيح مطلقا و أنهم عليهم السّلام يسمون ترك المندوب ذنبا و سيئه بالنسبه إلى كمالهم عليهم السّلام. انتهى. أقول: و أما الوجوه التى ذكرها المجلسى فحاصلها ملخصا: أنهم عليهم السّلام يسمون ترك المستحب و فعل المكروه بل المباح ذنبا بالنسبه إلى رفعه شأنهم و جلالهم، و ذلك لانحطاط ذلك عن سائر أحوالهم المتعاليه كما لا يخفى، و هو كما ترى إذ لا يمكن المصير إلى أنهم عليهم السّلام يفعلون المكروه أو يتركون المستحب، فتدبر، أو أنهم لما أمروا بنزولهم إلى مقام التبليغ إلى الخلق فلا محاله ينصرفون عن مقام القرب، فإذا رجعوا إليه تعالى وجدوا لأنفسهم الطاهره تقصيرا بالنسبه لعظمته تعالى يتضرعون بذلك، و يعبرون عن حال التبليغ المستلزم للانصراف عن مقام القرب بالذنب و المعصيه.

ص: ۲۱۳

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۲۰۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۲۰۷.

و لكن فيه أنه قد تقدم أنهم عليهم السّلام لا يفارقون حالاتهم الربوبيه و إن كانوا فى مقام التبليغ، كيف و قد كانوا مأمورين بذلك، و أن ظهور عبوديتهم عن هذه الحالات التبليغيه، أو أن كمالاتهم و مقاماتهم لا ريب فى أنها تفضل منه تعالى إياهم، فإذا نظروا إلى أنفسهم فرأوها أنها لو لا توفيقه تعالى لها لكانت مذنبه، و لو لا هدايته تعالى لكانت مخطئه، فبلحاظ عجز أنفسهم لو لا توفيقه يعبرون عنها أنها مسيئه و مخطئه، فتدبر، أو أنهم لما كانوا دائما فى الترقى كما تقدم فلا محاله يرون الحاله السابقه قصورا أو تقصيرا فتابوا منها، و لعلّه إليه يشير

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «و إنى لأستغفر اللّه فى كلّ يوم سبعين مره» . أو أنهم عليهم السّلام لما كانوا فى غايه المعرفه لمعبودهم كما تقدم، فلا محاله يرون أن ما أتوا به من العبادات و إن كانت عن جدّ و جهد تام يكون عن قصور و تقصير عن أن يليق بجناب ربّهم، و لذا عدوا طاعاتهم لقصورها هكذا معصيه، و من ذاق من كأس المحبه جرعه شائقه لا يأبى عن قبول هذا الوجه، بل الوجوه السابقه كما لا يخفى. أقول: و فى البحار (۱)، فى باب عصمتهم عليهم السّلام و لزوم عصمه الإمام عليه السّلام عن كشف الغمه ما حاصله: أنه قدس سرّه بعد ما نقل الدعاء

عن أبى الحسن موسى عليه السّلام من قوله عليه السّلام فى سجده الشكر: «ربّ عصيتك بلسانى، و لو شئت و عزتك لأخرستنى، و عصيتك ببصرى و لو شئت و عزتك لأكمهتنى، و عصيتك بسمعى و لو شئت و عزتك لأصممتنى، و عصيتك بيدى و لو شئت و عزتك لكنعتنى، و عصيتك بفرجى و لو شئت و عزتك لأعقمتنى، و عصيتك برجلى و لو شئت و عزتك لجذمتنى، و عصيتك بجميع جوارحى التى أنعمت بها علىّ و لم يكن هذا جزاءك منى، الدعاء. إنه اجتمع مع السيد النقيب رضى الدين أبى الحسن على بن موسى بن طاووس فسأله ذلك، فأجاب: بانه عليه السّلام كان ليعلم الناس، إنه قدس سرّه لم يرضه لأنه كان عليه السّلام

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۲۰۳.

بقوله فی السحر، و لیس عنده من یعلمه، ثم إنه قدس سرّه حسب أن من کرامات موسی بن جعفر علیه السّلام أن ألهم بالجواب بما حاصله: أن النبی و الأئمه علیهم السّلام تکون أوقاتهم مشغوله باللّه تعالی، و قلوبهم مملوه به، و خواطرهم متعلقه بالملإ الأعلی، و هم أبدی بالمراقبه، و متوجهون إلیه و مقبلون بکلهم إلیه، فمتی انحطوا عن تلک المرتبه العالیه و المنزله الرفیعه إلی الاشتغال بالمأکل و المشرب و التفرغ إلی النکاح، و غیره من المباحات عدّوه ذنبا و اعتقدوه خطیئه و استغفروا منه. ثم ذکره قدس سرّه ما یوضح ذلک و ما یقربه إلی الأذهان من الأمثله. أقول: هذا صحیح إلاّ أنه لا یلائم ما ورد من التعبیرات الصعبه، و العبارات الصریحه فی صدور أنواع المعاصی التی یستحق صاحبها أشدّ العذاب، کما فی دعاء أبی حمزه و غیره کما لا یخفی، هذا مضافا إلی أنه قد تقدم: أن الأئمه علیهم السّلام لهم مقام العندیه لدی اللّه تعالی، فهم علیهم السّلام دائما مواجهون لذلک المقام، و لا یغفلون عنه حین نزولهم إلی الرخص و التبلیغ و الإرشاد. ثم إنهم کیف یعدّون الاشتغال بالمأکل و المشرب و التفرغ إلی النکاح ذنبا و خطیئه عظیمه، مع أنها کانت عن تکلیف منه تعالی، و کانت وظیفه لهم لا بدّ لهم من العمل بها؟ کیف و قد کان ظهور عبودیتهم لربّهم فی هذه الحالات، التی کانت بینهم و بین الخلق ففیها ظهر صبرهم و رضاهم بقضائه و قدره، و التسلیم لأمره، هذه الحالات منهم مستمره حتی فی حال المأکل و المشرب و المنکح کما لا یخفی؟ فتدبر. هذا و الذی ینبغی أن یقال فی الجواب عن هذا الإشکال وجوه: الأول:

فی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن عمر بن یزید بیاع السابری قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام قول اللّه فی کتابه: (لِیَغْفِرَ لَکَ اَللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ مٰا تَأَخَّرَ) قال: ما کان له ذنب و لا همّ بذلک، و لکن اللّه حمّله ذنوب شیعته، ثم غفر لها (وَ یُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکَ وَ یَهْدِیَکَ صِرٰاطاً مُسْتَقِیماً. وَ یَنْصُرَکَ اَللّٰهُ نَصْراً عَزِیزاً) .

۱- ۱) نور الثقلین ج ۵ ص ۵۴.

و فیه، عن مجمع البیان روی المفضل بن عمر الصادق علیه السّلام قال: سأله رجل عن هذه الآیه، فقال: «و اللّه ما کان له ذنب، و لکن اللّه سبحانه ضمن أن یغفر ذنوب شیعه علی علیه السّلام ما تقدم من ذنبهم و ما تأخّر.

و فی تفسیر البرهان عن ابن بابویه عن جعفر بن محمد علیه السّلام فی حدیث طویل أنه قال: و قد قال النبی صلّی اللّه علیه و آله لعلی علیه السّلام «یا علی ان اللّه تبارک و تعالی حمّلنی ذنوب شیعتک، ثم غفرها لی و ذلک قوله عز و جل: (لِیَغْفِرَ لَکَ اَللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ مٰا تَأَخَّرَ) .

و فیه مرفوعا عن أبی الحسن موسی علیه السّلام إلی أن قال: و إنما حمّله اللّه ذنوب شیعته علی من مضی منهم و من بقی منهم ثم غفرها له. أقول: هذه الأحادیث و ظاهر الآیه فی مقام الامتنان منه تعالی علیه صلّی اللّه علیه و آله فی غفران ذنب شیعته، فهو و الأئمه علیهم السّلام تصدّوا لتلک الضراعات و الإقرار بالمعاصی شکرا له تعالی و أداء لهذا الامتنان کما یظهر من حدیث موسی بن جعفر علیه السّلام، کما فی تفسیر نور الثقلین (۱)، علی ما رواه

فی الاحتجاج للطبرسی. . إلی أن قال: و قال علیه السّلام: و لقد کان صلّی اللّه علیه و آله یبکی حتی یغشی علیه، فقیل له: یا رسول اللّه أ لیس اللّه قد غفر لک ما تقدم من ذنبک و ما تأخّر؟ قال: بلی، أ فلا أکون عبدا شکورا؟ الحدیث. و من المعلوم أنّ بکاءه صلّی اللّه علیه و آله إلی أن یغشی علیه لعلّه کان لأجل ذنوب شیعته، فکان صلّی اللّه علیه و آله و کذا الأئمه علیهم السّلام یرون ذنوب شیعتهم ذنوبهم فینسبونها إلی أنفسهم الشریفه، فکأنهم علیهم السّلام تحمّلوها مع تقصیراتهم علی أنفسهم الشریفه، فکانوا لهذه الجهه یخافون منها فیتضرعون لدیه، و یعبّرون عن أنفسهم بتلک المعاصی الصادره من شیعتهم تنزیلا و طلبا للمغفره، و أداء للشکر علی ما امتن اللّه به علیهم من المغفره لذنوبهم. و لعله إلیه یشیر، ما

فی الوافی عن الکافی، عن علی بن محمد بن عیسی، عن

۱- ۱) نور الثقلین ج ۵ ص ۵۵.

بعض أصحابنا، عن أبى الحسن موسى عليه السّلام قال: «إن اللّه تعالى غضب على الشيعه، فخيرنى نفسى أو هم، فوقيتهم و اللّه بنفسى. أقول: أى فاخترت هلاكى، و تحمّلت تلك المصائب دونهم،

فقوله عليه السّلام فوقيتهم و اللّه بنفسى ظاهر فى أنه عليه السّلام قد عرّض نفسه الزكيه المقدسه فى إتيان ما يوجب العفو و المغفره للشيعه. و بعباره أخرى: أن الشيعه لما عملوا المعاصى الموجبه لغضبه تعالى، فكان عليهم أن يعملوا من التضرّعات و العبادات، و الإقرار بالمعاصى، و طلب المغفره ما يكون سببا لعفوه تعالى عنهم، و لكن لم يفعلوا ذلك، فأراد اللّه تعالى إهلاكهم، فخيّره تعالى بين أن يهلكهم، أو يهلك موسى بن جعفر عليه السّلام فوقاهم عليه السّلام بنفسه، أى فعل عوضا عنهم تلك الأمور من التضرعات، و تحمّل تلك المصائب. و الحاصل: أن الأئمه عليهم السّلام لما غفر اللّه تعالى ذنوب شيعتهم منّه عليهم، تصدوا عن شيعتهم لإتيان تلك التضرعات أداء لحقّه تعالى فى قبال تلك المعاصى و أداء لشكرهم له تعالى فى قبال ذلك الامتنان، فتأمل تعرف راشدا، و لعل ما قلناه هو المستفاد من

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «أنا و على أبوا هذه الأمّه» . بيانه: أن الأبوين بنظر الشرع و العرف كضامن الجريره، فكما أن الأبوين يتحملان ما جناه الولد من الضمان مثلا، فكذلك يتحملان إظهار العذر لمن جنى عليه الولد. فحينئذ نقول: إنّ النبى و الأئمه عليهم السّلام يتحملان عذر ما جنت الشيعه من المعاصى من طلب المغفره، و البكاء و التضرع، و التألّم من تلك المعاصى بنحو كأنّها صدرت منهم، و يوضح لك هذا أنه لو جنى الولد على أحد، و لم يعتذر الأب إلى المجنى عليه عدّ هذا خلاف الأدب من الأب، و هذا بخلاف ما لو اعتذر إليه فإنه حسن منه، و الأئمه عليهم السّلام تحمّلوا هذا الاعتذار لطفا منهم على الشيعه، و هنا وجه آخر و هو أنه تقدم أن جميع الفيوضات حتى موادّ المعصيه إنما هى تصل إليهم منه تعالى بواسطه

الأئمه عليهم السّلام فالأئمه لما كانوا واسطه لمواد المعاصى فهم بهذا اللحاظ يعتذرون منه تعالى عن معاصيهم، التى عملوها بالقوى التى وصلت إليهم منه تعالى بواسطتهم، و هذا نظير ما لو أعطى الأب سكينا إلى الابن ليعمل به خيرا فعمل به شرّا بأن جرح به أحدا، فالأب و إن لم يكن عاملا مستقلا فى الجرح إلا أنه لمكان السببيه البعيده ينسب الجرح إلى نفسه أيضا، فيعتذر من المجروح، و هذا شايع بحيث لو لم يعتذر لوبخّه العقلاء، بل يرون الاعتذار منه حسنا، فتأمل تعرف إذا أمكن تطبيق المثل على الممثّل، و اللّه العالم بحقائق الأمور. و قد يقال: إنه قد تقدم أن الشيعه خلقوا من فاضل طينتهم، و أنها خلقت من أسفل طينه، و خلقت أنوارهم عليهم السّلام من أعلاها، فكلما صدرت من الشيعه ذنوب فكأنها صدرت منهم عليهم السّلام بذلك الاعتبار، و لذا يستغفرون اللّه تعالى منها، و لعلّ هذا هو السّرّ فى أنه تعالى حمّل ذنوب الشيعه عليهم ثم غفر لها. الثانى: لا بدّ من ذكر ما هو كالمقدمه لبيانه فيقول:

فى النهج: قال عليه السّلام: ألا و أن الظلم ثلاثه: فظلم لا يغفر، و ظلم لا يترك، و ظلم مغفور لا يطلب. فأما الظلم الذى لا يغفر فالشرك باللّه، قال تعالى (إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) . و أما الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات. و أما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص هناك شديد ليس هو جرحا بالمدى و لا ضربا بالسوط، و لكنه ما يستصغر ذلك معه، فإياكم و التلّون فى دين اللّه، فإن جماعه فيما تكرهون من الحق خير من فرقه فيما تحبون من الباطل، و إن اللّه سبحانه لم يعط أحدا بفرقه خيرا ممن مضى و لا ممن بقى. انتهى.

و فى دعاء أبى حمزه فى السحر عن السجاد عليه السّلام:

إلهى لم أعصك حين عصيتك و أنا بربوبيتك جاحد، و لا بأمرك مستخف، و لا لعقوبتك متعرّض، و لا لوعيدك متهاون، لكن خطيئه عرضت، و سولت لى نفسى، و غلبنى هواى، و أعاننى عليها

ص: ۲۱۸

شقوتی. الدعاء.

و فی الکافی (۱)، فی باب تنقل أحوال القلب عن أبی جعفر علیه السّلام. . إلی أن قال: «و لو لا أنکم تذنبون فتستغفرون اللّه، لخلق اللّه خلقا حتی یذنبوا ثم یستغفروا اللّه فیغفر اللّه لهم. إنّ المؤمن مفتّن توّاب، أ ما سمعت قول اللّه عز و جل: (إِنَّ اَللّٰهَ یُحِبُّ اَلتَّوّٰابِینَ وَ یُحِبُّ اَلْمُتَطَهِّرِینَ) و قال: (وَ أَنِ اِسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَیْهِ) .

و فیه (۲)، بإسناده، یرفعه إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اللّه علم أن الذنب خیر للمؤمن من العجب، و لو لا ذلک ما ابتلی مؤمن بذنب أبدا» .

و فیه (۳)، بإسناده عن عبد الأعلی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت له: ما الکبر؟ فقال: أعظم الکبر أن تسفه الحقّ و تغمص الناس، قلت: و ما سفه الحق؟ قال: یجهل الحق و یطعن علی أهله. إذا علمت هذا فاعلم أن المعصیه علی قسمین: یکون من الشرک الذی لا یغفر، أو من القسم الذی لا یترک و هو ظلم العباد بعضهم لبعض، فهذا القسم لم یر فی کلماتهم علیه السّلام و فی أدعیتهم أو أحادیثهم أنهم أقروا به أبدا، بل ینفونه عنهم علیه السّلام کما علمته من

قول السجاد علیه السّلام:

«ما عصیتک إذ عصیتک و أنا بربوبیتک جاحد» الدعاء.

فهذا ینفی المعصیه التی هو الشرک به تعالی عنهم، کما أنهم ینفون ظلمهم علیهم السّلام للعبد

قال أمیر المؤمنین فی النهج: و اللّه لئن أبیت علی حسک السّعدان مسهّدا، أو أجرّ فی الأغلال مصفّدا، أحبّ إلیّ من أن ألقی اللّه و رسوله یوم القیامه ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشیء من الحطام، الحدیث. فکلّ معصیه تکون من الشرک، أو من الهوان له تعالی، أو من الظلم علی العباد کانت من المناواه للّه تعالی فلا یعملونها-و العیاذ باللّه-و لا یعبّرون بها فی مقام

۱- ۱) الکافی ج ۲ ص ۴۲۴.
۲- ۲) الکافی ج ۲ ص ۳۱۳.
۳- ۳) الکافی ج ۲ ص ۳۱۱.

التضّرع و المناجاه كما لا يخفى على أحد. و قسم من الظلم على النفس من المعاصى، التى تكون بين العبد و بينه تعالى، و هذه المعصيه قد علمت أنها مغفوره، و لا يطلب بها بعد الاستغفار. بل

فى الكافى (۱)، بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «سمعته يقول: من أذنب ذنبا فعلم أن اللّه مطلع عليه إن شاء عذّبه، و إن شاء غفر له، غفر له و إن لم يستغفر. فيستفاد منه أن هذا الذنب مغفور من أول صدوره، فلا يحسب ذنبا مؤاخذا، فحينئذ لو فرض-و العياذ باللّه-أنه صدر منهم ذنب من هذا القسم الذى هو ظلم على النفس، فلا ريب فى أنه لا يحسب ذنبا من الأول، لأنه لا ريب فى أنه صادر عن إقرار منهم عليهم السّلام بالنسبه إليه تعالى فى أنه مطلع عليهم، و أنه إن شاء عذّبهم، و إن شاء غفر لهم كما لا يخفى، فليس هذا الذنب لو فرض صدوره ذنبا ينافى العصمه، لأنه مضافا إلى أنه ظلم على النفس، لا فى الشريعه و بيان الأحكام أنه ليس ذنبا مؤاخذا، و معنى أنه غير مؤاخذ، أنه غير مؤثر فى القلب من إيجاد الرين و البعد عنه تعالى، بل المستفاد من أسرار كلماتهم أنه تعالى لما كان غفارا، و كانت المغفره من صفاته الجماليه كما حقق فى محلّه، و هذه الصفه تقتضى مذنبا ليكون مظهرا لتحقيق المغفره فيه كما لا يخفى، و حينئذ تكون هذه الحكمه هى الموجبه لتسلط الذنب على العباد دون العجب، هذا الذنب خير للمؤمن كما علمت من حديث الصادق عليه السّلام المتقدم و إلا لما ابتلى مؤمن بالذنب أبدا، و لعل سرّه ما ورد فى بعض الأحاديث القدسيه من

قوله فى الحديث القدسى: أنين المذنبين أحبّ إلىّ من تسبيح المسبّحين. و ذلك لأن الأنين و البكاء خال عن العجب الذى هو مهلك كما علمت، و لذا

ورد فى الحديث القدسى كما فى الجواهر السنيه للشيخ الأجل العاملى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «قال اللّه تعالى لداود: يا داود بشّر المذنبين و أنذر الصديقين، قال كيف أبشّر المذنبين و أنذر الصديقين؟ قال: بشّر المذنبين أنى أقبل التوبه، و أعفو عن

۱- ۱) الكافى ج ۲ ص ۴۲۷.

الـذنب، و أنـذر الصـديقين أن لاـ يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس من عبـد أنصـبته للحساب إلا هلك» . و منه يعلم أن تسـلط الـذنب يكون خيرا له، لأنه ينجرّ إلى أنينه و تضرّعه تعالى. و إليه يشير

مـا فى الكافى (۱)، بإسـناده عن عمرو بن جميع قـال: قـال أبو عبـد اللّه عليه السّـلام: «من جاءنا يلتمس الفقه و القرآن و تفسـيره فـدعوه، و من جاءنا يبـدى عوره قـد سترها اللّه فنحوه» ، فقال له رجل من القوم: جعلت فـداک، و اللّه إننى لمقيم على ذنب منذ دهر أريـد أن أتحول عنه إلى غيره فمـا أقـدر عليه، فقال له: «إن كنت صادقا فإن اللّه يحبک، و ما يمنعه أن ينقلک منه إلى غيره إلاـ لكى تخـافه» . و الحاصـل: أن الحكمه فى تسـلط الـذنب على المـؤمن دون العجب و الكـبر، هو أنه ربمـا يوجب الـذنب أن يتضرع إليه تعالى بالأنين و البكاء و التمرغ فى التراب، و فى هذا رضا الرب و سروره

كما أوحى إلى موسى عليه السّـلام «يا موسـى سـرورى فى أن تبصبص إلىّ» . اذا علمت هذا كله فنقول: إن المعصيه و أعنى بها ظلم العبـد لنفسه لهـا جهتـان: الأـولى: العمل الخارجى المحرّم كالنظر إلى الأجنبيه مثلا. و الثانيه: جهه تأثيره فى قلب المؤمن من الانقلاب و التضـرع و الخوف و الابتهال و نحوها، التى هى من لوازم إيمانه القلبى، فقلب المؤمن إذا عصـى اللّه بهـذه المعصـيه، فينقـدح فيه هـذا الانقلاب بمقتضـى إيمانه و عصـيانه، فتؤثر فيه هذه الحالات من التضرعات كما لا يخفى. و من المعلوم العمل الخارجى قـد اضـمحل و ذهب فناء فهو ليس بشـىء، و إنما العذاب أو المغفره على ما بقى منه فى القلب فإن بقى رينه فلا محاله يكون صاحبه معذبا و إن أثر إيمانه و اضطرب منه و تضرع فيكون مغفورا.

۱– ۱) الكافى ج ۲ ص ۴۴۲.

و بعباره أخرى: أن الآثار المترتبه على العبد مغفره و عقابا إنما هى على الحالات الكائنه فى القلب بعد المعصيه، ثم إن تلك الحالات قد تكون عن منشإ خارجى كالنظر إلى الأجنبيه مثلا الذى هو معصيته عملا، و قد تكون عن تصوّر تلك الحاله و إيجادها فى القلب، و إن لم يكن لها منشأ من الخارج، فإذا تصوّرها أحد بحيث أثر فى قلبه، فيكون باكيا متضرعا كمن عمل تلك المعصيه عملا خارجيا، و هذه الحاله هى المطلوبه فى مقام المناجاه و التضرع و البكاء، فلا بدّ من تحصيلها بعلاج. و لعله إليه يشير ما

فى الكافى (۱)، بإسناده عن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أكون أدعو فاشتهى البكاء و لا يجيئنى، و ربما ذكرت بعض من مات من أهلى فأرقّ و أبكى، فهل يجوز ذلك؟ فقال: نعم فتذكرهم فإذا رققت فابك و ادع ربّك تبارك و تعالى.

و فيه عن عنبسه العابد قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن لم يكن بك بكاء فتباك» . و التباكى حمل النفس على البكاء، و السعى فى تحصيله و لو بعلاج، و إن لم يكن له منشأ خارجى منه، بل لا يبعد أن بكاء أغلب أولياء اللّه يكون هكذا، و حينئذ نقول فبكاء الأئمه عليهم السّلام و إقرارهم بالمعاصى يحكى عن إيجاد هذه الحاله فى قلوبهم الشريفه، و إن يكن منشأها من العمل الخارجى صادرا منهم، لكى يتضرعوا لديه تعالى، فبهذا الأنين الذى هو أحبّ عنده تعالى من التسبيح فهم عليهم السّلام ينزّلون أنفسهم منزله العاملين بتلك المعاصى، فيتصوّرون تلك الحالات التى تكون لهم، و التى أشرنا إليها فيبكون و يتضرعون. و من المعلوم أنّهم عالمون بتلك الحالات من العصاه غيرهم، لأنهم أعطوا العلم بحقائق الأشياء كلها، فهم عليهم السّلام بمجرد تصوّر تلك الحالات يتضرّعون، فيرون

۱- ۱) الكافى ج ۲ ص ۴۸۳.

نفوسهم كأنها هى العامله خارجا لتلك المعاصى، فيقرون بها و يتضرعون عنها، لما تقدم من أن الشيعه خلقت من فاضل طينتهم، فينسبون معاصيهم إلى أنفسهم الشريفه، و إما لأنهم عليهم السّلام لما كانوا عالمين بحقائق الأمور بكلّياتها و جزئياتها، و يعلمون أنه تعالى عالم بجميع الأمور، فهم عليهم السّلام دائما يرون أنفسهم بحضره المولى تعالى و تقديس، و يرون أن المعاصى التى تصدر من العباد أنها بحضره منه تعالى، و يرون أيضا عظمته تعالى دائما، فحينئذ يستحيون من المولى سبحانه، و يعتذرون منه، و يخجلون منه بأشد الخجاله أن الأرض تخسف بهم، و لا يرون صدور المعاصى من العباد بحضرتهم لديه تعالى، فبهذه الاعتبارات ينسبون معاصى العباد إلى أنفسهم الشريفه، و كأنها صدرت منهم لما يرونه بحضره المولى سبحانه. فإن قلت: أ ليس هذا الإقرار ظاهرا فى نسبه المعصيه إليهم نسبه خارجيه، و التنزيل المذكور ظاهر فى خلافه. و بعباره أخرى: ظاهر

قوله: «و عصيتك بلسانى» أنه صدر منه معصيه اللسان خارجا لا تنزيلا. قلت: بعد ما اقتضت الأدله الخارجيه من الآيات و الأحاديث الداله على أنهم لم يعملوا المعاصى كما

قال عليه السّلام: «و اللّه ما كان له ذنب» إنهم عليهم السّلام لم يعملوا بالمعاصى خارجا قطعا فلا محاله تكون النسبه نسبه مجازيّه بلحاظ التنزيل المذكور. و بعباره أخرى: لا بد من التنزيل المذكور أولا ثم استناد المعصيه إليهم عليهم السّلام كما لا يخفى، مضافا إلى أنه قد علمت أنه على بعض الوجوه صحت نسبه المعصيه إليهم عليهم السّلام لما علمت من أن الشيعه خلقت من فاضل طينتهم عليهم السّلام، و اللّه العالم بحقائق الأمور. الثالث:

فى توحيد الصدوق (۱)، باسناده عن زراره قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن اللّه تبارك و تعالى خلو من خلقه، و خلقه خلو منه، و كلّ ما وقع عليه اسم شىء ما خلا اللّه عز و جل فهو مخلوق، و اللّه خالق كلّ شىء تبارك الذى ليس كمثله

۱- ۱) توحيد الصدوق ص ۱۰۵.

شیء. أقول: معنی کونه تعالی خلوا من الخلق أنه تعالی مباین ذاتا و إنّیا بینه و بین الخلق فلا حلول حینئذ و لا اتحاد، نعم بینونه صفه لا بینونه عزله کما تقدم شرحه فی بیان

قول الأمیر علیه السّلام: و توحیده تمیزه عن خلقه و حکم التمیز بینونه صفه لا بینونه عزله.

و فیه (۱)، بإسناده عن هشام بن الحکم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال للزندیق حین سأله ما هو؟ قال: هو شیء بخلاف الأشیاء-ارجع بقولی-شیء-إثبات معنی- و أنه شیء بحقیقه الشیئیه غیر أنه لا جسم و لا صوره.

و فی الکافی (۲)، بإسناده عن زید الشحام عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یتوب إلی اللّه عز و جل فی کل یوم سبعین مره» ، فقلت: أ کان یقول أستغفر اللّه و أتوب إلیه؟ قال: لا، و لکن کان یقول: أتوب إلی اللّه، قلت: إن رسول اللّه کان یتوب و لا یعود و نحن نتوب و نعود، فقال: اللّه المستعان. أقول: المستفاد من هذه الأحادیث أنه تعالی بحقیقته و صفاته الذاتیه شیء بحقیقه الشیئیه، و أن ما سواه-و إن أطلق علیه شیء-فهو مخلوق أی لیس بحقیقه الشیئیه، فالشیئیه الحقیقیه هو الموجود الذی یکون خالقا غیر مخلوق، و ما کان مخلوقا فهو لیس شیء حقیقه و لذا

قال علیه السّلام فی الحدیث السابق: و کل ما وقع علیه اسم شیء ما خلا اللّه عز و جل فهو مخلوق، و اللّه خالق کل شیء -فیظهر منها أن الخلق-بأجمعه لیس بشیء حقیقه بل هو ظلّ الشیء أو هو ظهور الشیء الحقیقی علی ما مرّ بیانه سابقا. و حینئذ نقول: قد علمت سابقا أنهم علیهم السّلام بحقیقتهم النوریه القائمه به تعالی متوجهون إلیه تعالی، و هم دائما عند الرب، و فی تلک المقامات یظهر لهم و یتجلی من

ص: ۲۲۴

۱- ۱) توحید الصدوق ص ۱۰۴.

۲- ۲) الکافی ج ۲ ص ۴۳۸.

ذاته المقدسه آثار الجمال و الجلال بلا تکرار فی التجلّی، فهم علیهم السّلام مشاهدون تلک الحقیقه التی هی شیء بحقیقه الشیئیه و یشاهدون آثارها، و هذه المشاهده تؤثر فی حقیقتهم علیهم السّلام أثرا لا یدرکه إلا من ذاق محبه المؤانسه، و من شاهد جماله تعالی، فهم علیهم السّلام مشتعلون بنار المحبّه و العشق الإلهی، و یشاهدون حقیقته و عظمته تعالی، فمشاهده هذین الأمرین أعنی جماله و عظمته التی هی عباره عن جلاله ینفی عن حقیقتهم کلّ ما سواه حتی أنفسهم الشریفه المقدسه، و هم یبرزون و یعبرون فی تلک الحالات عن حقیقه وجودهم بالذنب، لما یرون من کونه حدّا بالنسبه إلیه تعالی ذنبا، و إن کانوا بالنسبه إلی غیرهم من الخلق فی کمال التقرب و السعه، و مشاهده هذا الحدّ یکون علیهم علیهم السّلام ثقیلا، بحیث تؤثر فیهم أثر البکاء و الأنین أکثر من تأثیر المعصیه فی قلب العاصین إذا ندموا و رأوا أنینها علی قلوبهم، فهم علیهم السّلام فی تلک الحاله یضجّون إلیه تعالی شوقا إلی جماله، و خوفا من مشاهده عظمته و جلاله، و فی تلک الحاله یرون وجودهم و جمیع أعضائهم من المعصیه حیث إنها تقلّبت و عملت فی الحدّ، الذی هو وجودهم و مانعهم عن المراتب الغائبه عنهم من ذاته المقدسه تبارک و تعالی التی لا نهایه لها و لا نفاد. و بعباره أخری: أن الخلق مهما کان لا بد له من العمل، إذ الطریق له إلی خالقه بالعمل، و هذا موقوف علی وجود العامل أعنی الوجود الخلقی، و قد علمت فیما تقدم

من قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبه له: «و خلقه الخلق حجاب بینه و بینهم» فالخلق و إن کان أشرف المخلوقات فهو حجاب، و لذا عبر عنهم علیهم السّلام بالحجب و عبر عنه صلّی اللّه علیه و آله بالحجاب الأکبر کما فی الأحادیث. و الحاصل: أن وجود الکامل حجاب بینه و بین ربّه، و هذا لا ینفک من المخلوق حال وجوده، فالمخلوق محجوب بوجوده، و هذا الوجود فی قبال مشاهده الحق تعالی یعدّ عندهم علیه السّلام و عند الواصلین تقصیرا، و المقصر مذنب و المذنب خائف من ذنبه.

ص :225

قال الشاعر عن لسان حالهم: أقول و ما أذنبت قالت مجيبه وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فهم عليهم السّلام و إن لم يلحظوا أنفسهم فى وجدانهم بين يدى ربّهم لفنائهم حين ذاک عن أنفسهم، و لكنهم موجودون فى نفس الأمر فهم: يثقل عليهم ذلک الوجود الواقعى المغفول عنه لهم أيضا. و هنا بيان يوضح كيفيه فنائهم عن أنفسهم عليهم السّلام و محوهم فى ربّهم، و حاصله: أن من جرد نفسه عن كل اعتبار عرف ربّه حين فقد نفسه و فقدان وجدانه، فحينئذ يظهر له ربّه بوجوده أى بوجود نفسه قال الشاعر: حين تغيبت بدا حين بدا غيبنى و توضيحه: أن وجوده الذى ظهر ربّه به حينئذ، أى حين فنائه عن نفسه، هو آيه ربّه و دليل ربّه على نفسه و صفه ربّه التى عرفه بها، أى صفه ربّه التى عرف اللّه تعالى نفسه لعبده بهذه الصفه، كما تقدم بيانه سابقا، و علمت أن حقيقه النفس الإنسانى الناطقه هو الموجود الذى إذا عرفها الإنسان فقد عرف ربّه، بهذا البيان و بالبيان المتقدم سابقا فالواصل الفانى عن النظر إلى نفسه لا يدرک إلا الحقيقه، التى هى وصف ربّه تعالى لنفسه تعالى، و قد ظهر ذلک الوصف بهذا الوجود، فالفانى حينئذ نفسه مفقود من الوجدان، و من أن يجده أو يتوجه إليه بمعنى أن الواصل الفانى لا يجد نفسه، بل يجد وصف ربّه، و هذا الوصف الإلهى و إن كان فى الحقيقه هو نفسه أى نفس الواصل، إلا أن المعرفه و المشاهده الحاصله للفانى حينئذ لا تكون بلحاظ نفسه الخلقى الحجابى المتوجه إليه من حيث هى هى، بل هذه المعرفه و المشاهده تكون له من حيث هى صفه له تعالى قد ظهرت فى هذا العبد. و بعباره أخرى: و إن كان للعبد الفانى وجوده إلا أنه ملحوظ بلحاظ، و أنه صفته تعالى لا بلحاظ أنه موجود مستقل، و يشير إلى هذا ما فى كلام الصادق عليه السّلام فى

وصف المعراج.

قال عليه السّلام: «فكان بينهما حجاب يتلألأ بخفق و لا أعلمه الاّ و قد قال زبرجد» . بيانه: أن قوله يتلألأ يراد منه شفّافيته حتى كاد أن يضمحل، و هو إشاره الوجود الخلقى الذى كان له صلّى اللّه عليه و آله و قد صار من كمال القرب، و من كمال الفناء عن التوجه إلى النفس بمرحله نهايه الفناء، بحيث كاد أن يفنى بالمره، و يشير إلى هذا

قوله عليه السّلام بخفق فخفقانه أى اضطرابه إنما هو عباره عن أنه كاد أن يفنى من أثر لحاظ وصفه تعالى، و كذلك كل نفس له هذه المرتبه، فتحصل أنّ لهم عليهم السّلام فى هذه الحاله وجودا، و لكن مع تلألئه و شفافيته و اضطرابه حجاب بنسبته، و يكون حينئذ بنظرهم ذلك الوجود ذنبا بالبيان المتقدم، فلأجل ذلك يبكون و يخافون و يستغفرون، و هذا الوجود فى الحقيقه تقصير فى الخليقه إذا لوحظت إلى ذاته المقدسه الجميله الجليه الغنيه، التى لها السلطنه و الغلبه و الكبرياء الذاتى، إلا أن هذا الوجود الشفّافى لا بد منه فى فرض بقاء الخلق، لأنه موضع مظاهره تعالى الجميله و الجليله، و هو أى هذا الوجود متصف و متوسم بالعجز الذى وسم اللّه الخلق به، و لو لا كذلك أى أنه موسوم بالعجز لما وجد لأنه يلازم كونه شريكا له تعالى إذا لم يكن عاجزا، فالخروج عن حقيقه الشرك و التحقق بحقيقه العبوديه، و تسليم جميع شئون الربوبيه له تعالى إنما هو بهذا العجز و بالإقرار به و وجدانه، فإذا كان العبد كذلك صار مظهرا للصفات الربوبيه فلا يظهر فيه حينئذ إلا صفاته تعالى و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «إذا تم الفقر فهو اللّه»

و قوله عليه السّلام كما فى مصباح الشريعه: «العبوديه جوهره كنهها الربوبيه» فافهم تعرف إن شاء اللّه تعالى، فظهر وجه أنهم عليهم السّلام فى ذلك الاشتعال بتلك النار-نار المحبه-يتضرّعون و يعبرون عنهم و عن أعضائهم بتلك التعابير، فهم عليهم السّلام بلحاظ وجودهم و حدودهم كأنهم فى البعد عنه تعالى، و ذلك لأنه تعالى دائما يكون فى التجلى بلا تكرار لحقيقتهم عليهم السّلام فهم يرون حقيقتهم بعيدا عنه تعالى بلحاظ تلك التجليات المتكرره بالنسبه إليهم، و لذا يتوبون إليه تعالى متابا.

ص :۲۲۷

و بعباره أخرى: إن قيام العبد بوظائف العبوديه إنما يكون بمقدار معرفته لجلاله و جماله و كبريائه و عظمته تعالى، و حيث إنه لا يمكن لأحد معرفه كنهه تعالى جلالا و جمالا و عظمه، و لذا

قال صلّى اللّه عليه و آله: «ما عرفناک حقّ معرفتک، و ما عبدناک حقّ عبادتک» فهم عليهم السّلام يرون أنفسهم بالنسبه إلى ما خفى عنهم من العظمه و الجلال و الجمال مقصرين عن القيام بما يجب له تعالى لذاته، فبهذه الجهه دائما يستحيون و يعتذرون منه تعالى، و يخافون على أنفسهم من أن وظائف شأنه تعالى لعلّها كانت متروكه منهم عليهم السّلام و إليه يشير قوله تعالى: (وَ اَلَّذِينَ يُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلىٰ رَبِّهِمْ رٰاجِعُونَ) (۱). و من المعلوم أنهم عليهم السّلام أحسن مصاديق هذه الآيه المباركه. و بعباره أخرى: أنهم عرفوا اللّه فإذا نظروا إلى مقامه تعالى، صغر عندهم كلّ شيء فى حقه تعالى،

قال عليه السّلام فى وصف المتقين: «عظم الخالق فى أنفسهم، فصغر ما دونه فى أعينهم. و حينئذ عرفوا عليهم السّلام أن كل عامل لا يقوم بحقه تعالى، لأن توفيقه عبده بخدمته نعمه توجب شكرا، و هكذا و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «إنه كان يقول صلّى اللّه عليه و آله: «أتوب إلى اللّه» بعد ما نفى عليه السّلام أنه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «أستغفر اللّه» . و بعباره أخرى: أنه صلّى اللّه عليه و آله ما كان يقول: «أستغفر اللّه» ، بل كان يقول: «أتوب إلى اللّه» ، و الوجه فيه أنه قيل كما تقدم: إن الاستغفار و التوبه كالجار و المجرور إذا اجتمعا افترقا، و إذا افترقا اجتمعا، أى إذا ذكرا معا كان لكل منهما معنى يخصه، و إذا ذكر أحدهما منفردا استعمل فى معنى الآخر أيضا، و ذلک أن الاستغفار حقيقته طلب المغفره منه تعالى، و ذلک يستدعى صدور الذنب عن المستغفر. و أما التوبه فحقيقتها الرجوع إليه تعالى، و لو لم يصدر منه ذنب، و إن كان الاستغفار بوحدته، ربما يطلق على التوبه و بالعكس، و حينئذ نقول

قوله عليه السّلام: لا و لكن كان يقول: «أتوب إلى اللّه» ، معناه أنه صلّى اللّه عليه و آله لما يكن مرتكبا للمعصيه لعصمته

ص: ۲۲۸

۱- ۱) المؤمنون:۶۰.

فلا يستغفر اللّه بما له من معنى طلب المغفره المستلزمه لارتكاب الذنب، بل كان يقول: «أتوب إلى اللّه» الذى معناه أنه لما كان دائما مشاهدا لجماله و عظمته تعالى فهو صلّى اللّه عليه و آله و كذا الأئمه عليهم السّلام فكان يتوب إليه تعالى، أى يرجع إليه تعالى من الحاله السابقه على مشاهده ذلك الجمال و الجلال الجديد. و هذا الحديث الشريف يعطى أن الأئمه كالنبى صلّى اللّه عليه و آله فى توبتهم و استغفارهم، الذى هو أيضا بمعنى التوبه فى حقهم كما لا يخفى، و إن عبّروا عن أنفسهم بتلك التعابير المتقدمه، فإنما هو بلحاظ مشاهدتهم جماله و عظمته، و رجوعهم عن حالتهم السابقه عن هذه المشاهده إلى التجلى الجمالى و الجلالى الجديد، و حيث إن هذا أى التجلى دائمى لهم فلا محاله يكون خوفهم و بكاؤهم و تضرعاتهم بهذه الدواعى أيضا دائمه كما لا يخفى، و هذه التوبه هى المراد من قوله تعالى: (وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ) (١)، فدلّت هذه الآيه على أنه من تاب فقط سقط عنه اسم الظلم دون من لم يتب فإنه ظالم فبناء على أن المراد من التوبه هو الرجوع إليه تعالى، فلا بد حينئذ للذى يرى فى نفسه منه تعالى آثارا من الجمال و الجلال من أن يتوب إليه تعالى، أى يرجع و يعود إليه تعالى من الحاله التى كان فيها قبلا، و إلاّ لكان ظالما لنفسه، و لذا كان النبىّ و كذا الأئمه عليهم السّلام يتوبون إليه تعالى فى كلّ يوم سبعين مره، إذ من المعلوم أنه لم يكن يصدر منه صلّى اللّه عليه و آله ذنب فى كلّ يوم سبعين مره و لو على القول بصدور المعصيه منه صلّى اللّه عليه و آله، بل كان هذا التكرار إلى السبعين بل قيل كان أزيد، و إنما يعدّ إلى السبعين للمثال و التكثير لتكرار التجلى له صلّى اللّه عليه و آله فهو صلّى اللّه عليه و آله بعدد التجلى كان يتوب إليه تعالى و كذا الأئمه عليهم السّلام. و بعباره أخرى: أن النبى و الأوصياء عليهم السّلام كانوا فى تلك المقامات التى شرحناها، و كانت حالتهم بلحاظ تلك المشاهدات تقتضى تلك المناجاه و الضراعات، و تلك التعبيرات عن أنفسهم الشريفه، فأين هذا من صدور المعصيه منهم عليهم السّلام بعد ما

١- ١) الحجرات:١١.

علمت من الآيات و الأحاديث الداله على طهارتهم و عصمتهم؟ ! هذا أدل الدليل عليه الوجدان، فإنه لم ير أحد صدور مكروه منهم عليهم السّلام فضلا عن المعصيه، و سيأتى قريبا عن أمير المؤمنين ما هو صريح فى عدم ارتكابه عليه السّلام مكروها، بل قد تقدم أنه لم ير مثلهم عابد له تعالى، فتدبر فيما ذكرناه يظهر لك الحال، و اللّه العالم بحقائق الأحوال. ثم اعلم: أن الجواب عن الإشكال المذكور على أقسام: منها: ما يكون عمّا توهم من صدور المعصيه منهم عليهم السّلام. و منها: ما هو جواب عنه بالنسبه إلى آدم عليه السّلام خاصه. و منها: ما هو جواب بالنسبه إلى ساير الأنبياء، و تفصيله موكول إلى محله. هذا و ينبغى أن يقال خاتمه للمقال: إن المعصيه روحها من الإنيّه و التكبر و التمرّد، و هو يقضى أن يأتى العبد الفعل بعنوان الاستقلال و المعنى الأسمى، فكل فعل كان هكذا فهو معصيه عند أهل المعرفه، و لو كان مباحا بظاهر الشرع، ضروره أن ادعاء الاستقلال فى العمل يلازم نفى الربوبيه فى التأثير، و هذا شرك عظيم، و أما الطاعه التى روحها الانقياد و التسليم و مشاهده العبد سرّا بأن شراشر وجوده ملك له تعالى، و أن الأفعال كلها منه تعالى، فلا محاله تكون العباده الصادره منه صادره بعنوان الآليّه الحرفيه، و هى أى العباده المقرره شرعا نسب شريف توجب ارتباط العبد إلى مولاه حال كونه مقرّا بالعجز و المسكنه، و أنه لا حول و لا قوّه إلاّ به تعالى، و على ما ذكر فلو كان العبد ناسيا أو مخطئا أو جاهلا بل أو مكرها أو مضطرا، و عمل عملا لا يكون ذلك العمل طاعه و لا معصيه لخلوه عن عنوان الاستقلال الموجب للمعصيه، و عن عنوان الانقياد له تعالى الموجب للطاعه، كل ذلك لفرض النسيان و أخواته مثلا الموجب لسلب هذين العنوانين منه، و علمت مرارا أن الطاعه و المعصيه إنما هى للعبد و عليه. و بعباره أخرى: تقع الطاعه له و الضرر عليه قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً

فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها)

(۱)

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لأنه لا تضرّه معصيه من عصاه، و لا تنفعه طاعه من أطاعه» فالطاعه و المعصيه كل منهما يتحقق فى دائره الخلق، و أما الخالق فهو كما كان لا يتغير بهذه الأمور كما لا يخفى، فحينئذ يظهر أن عباده العارفين لا تزيد فى سلطانه تعالى، كما أن الكافرين و معصيه العاصين لا تنقص منه مثقال ذره، فلا محاله تكون الأوامر و النواهى منه بهذا اللحاظ إرشادا لخلقه إلى منافعهم و مضارّهم و لا يرجع إليه تعالى منهما نفع و لا ضرّ، فحينئذ إذا علم العبد هذا المعنى فلا محاله إذا عمل بالمعاصى فقد ظلم نفسه و عصى ربّه، أى انحرف عن طاعته بما يرجع إلى ضرر نفسه لا إلى ضرر ربّه فلا تكون معصيته هنا لسلطانه تعالى خصوصا عن جحود لربوبيته، أو تكون استخفافا بأمره أو تهاونا بنهيه، بل يكون العبد ظالما لنفسه و لذا

قال سيد العابدين فى دعاء كميل:

«ظلمت نفسى»

،

و قال السيد السجاد عليه السّلام:

«ما عصيتك إذ عصيتك و أنا بربوبيتك جاحد» ، الدعاء. فحينئذ تكون تلك المعاصى على تقدير صدورها من أحد غير موجبه للقطع عن العبوديه للرب المتعال أو الإنكار و الجحود، فلا توجب هذه المخالفه تهاونا و جساره على مقام المولى سبحانه، و لذا نقل

عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: «إنّ ذنوبى و إن كانت قطيعه و لكنى ما أردت بها قطيعه» . أقول: أى يريد عليه السّلام ما عصيته حين عصيته و أنا منقطع عنه تعالى بالإنكار لربوبيته أو بالتهاون لأمره، و نتيجه هذه المعصيه هو الحرمان عن النصيب منه تعالى، و لذا قال تعالى: (ما يَفْعَلُ اَللّٰهُ بِعَذٰابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ) (۲)، يعنى: إن آمنتم و صرفتم نعماءكم فيما خلقتكم لأجلها فلا يعذبكم اللّه بمعاصيكم، لأن هذه المعصيه إنما صارت ضررا على مصالحكم لا على مصالح ربّكم، و هذه المحروميه قابله الجبران بالعفو و الغفران،

۱- ۱) فصلت:۴۶.

۲- ۲) النساء:۱۴۷.

و اللّه الموفق للسداد، و هذا بخلاف الشرک و الجحود کما لا یخفی. قال تعالی (إِنَّ اَللّهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ) (۱).

قوله علیه السّلام: المکرّمون

أقول: لا بد من ذکر أحادیث تکون کالمقدمه لشرح هذه الکلمه الشریفه

فنقول:

فی تفسیر نور الثقلین (۲)، عن أمالی شیخ الطائفه قدّس سرّه بإسناده إلی زید بن علی علیه السّلام عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: (وَ لَقَدْ کَرَّمْنٰا بَنِی آدَمَ) یقول: فضلنا بنی آدم علی سائر الخلق، و حملناهم فی البر و البحر، یقول: علی الرطب و الیابس و رزقناهم من الطیبات، یقول: من طیبات الثمار کلها، و فضلناهم، یقول: لیس من دابه و لا طائر لا تأکل و تشرب بفیها، و لا ترفع بیدها إلی فیها طعاما و شرابا، غیر ابن آدم فإنه یرفع إلی فیه بیده طعامه فهذا من التفضیل.

و فیه عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده عن أبی حمزه الثمالی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن اللّه لا یکرم روح الکافر، و لکن کرم أرواح المؤمنین، و إنما کرامه النفس و الدم بالروح و الرزق الطیب هو العلم» .

و فیه بإسناده عن أصبغ بن نباته: أن علیّا علیه السّلام سئل عن قول اللّه تبارک و تعالی: (وَسِعَ کُرْسِیُّهُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ) قال: السموات و الأرض و ما بینهما من مخلوق فی جوف الکرسی، و له أربعه أملاک یحملونه بإذن اللّه، فأمّا ملک منهم ففی صوره الآدمیین و هی أکرم الصور علی اللّه. .

و فی البحار (۳)، عن التوحید بإسناده إلی الحسین بن خالد، قال: قلت للرضا علیه السّلام: یا بن رسول اللّه إنّ الناس یروون أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: إن اللّه خلق آدم

۱- ۱) النساء:۴۸.

۲- ۲) نور الثقلین ج ۳ ص ۱۸۷.

۳- ۳) البحار ج ۴ ص ۱۱.

على صورته، فقال: قاتلهم اللّه لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مّر برجلين يتسابّان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح اللّه وجهك و وجه من يشبهك، فقال صلّى اللّه عليه و آله: يا عبد اللّه لا تقل هذا لأخيك، فإن اللّه عز و جل خلق آدم على صورته.

و فيه بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عما يروون أن اللّه عز و جل خلق آدم على صورته فقال: هى صوره محدثه مخلوقه، اصطفاها اللّه و اختارها على سائر الصور المختلفه فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبه إلى نفسه فقال بَيْتِيَ ، و قال وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي .

و فى تفسير نور الثقلين (۱)، عن الخصال فيما علّم أمير المؤمنين عليه السّلام أصحابه: إذا نظر أحدكم فى المرآه فليقل: «الحمد للّه الذى خلقنى فأحسن خلقى، و صوّرنى فأحسن صورتى، و زان منى ما شان من غيرى، و أكرمنى بالإسلام.

و فيه عن عيون الأخبار بإسناده إلى الرضا عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ المؤمن يعرف بالسماء كما يعرف الرجل أهله و ولده، و أنه لأكرم على اللّه من ملك مقرب.

و بإسناده قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «يا على كرامه المؤمن على اللّه أنه لم يجعل لأجله وقتا حتى يهمّ ببائقه، فإذا همّ ببائقه قبضه اللّه إليه» .

و فيه عن تفسير العياشى، عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام

(وَ فَضَّلْنٰاهُمْ عَلىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنٰا تَفْضِيلاً) قال: خلق كلّ شىء منكبا غير الإنسان خلق منتصبا.

و فيه بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «ما خلق اللّه عز و جل خلقا أكرم على اللّه عز و جل من مؤمن، لأن الملائكه خدام المؤمنين، و أن جوار اللّه للمؤمنين، و أن الجنه للمؤمنين، و أن الحور العين للمؤمنين، الحديث.

و فيه عن علل الشرايع بإسناده عن عبد اللّه بن سنان، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام: الملائكه أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين على بن أبى

۱- ۱) نور الثقلين ج ۳ ص ۱۸۸.

طالب علیه السّلام: «إن اللّه عز و جل رکب فی الملائکه عقلا بلا شهوه، و رکب فی البهائم شهوه بلا عقل، و رکب فی بنی آدم کلتیهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خیر من الملائکه، و من غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم.

و بإسناده إلی عبد السلام بن صالح الهروی، عن علی بن موسی الرضا، عن آبائه، عن علی بن أبی طالب علیه السّلام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله حدیث طویل یقول فیه صلّی اللّه علیه و آله «فإن الملائکه لخدّامنا و خدّام محبینا، یا علی الذین یحملون العرش و من حوله یسبّحون بحمد ربهم و یستغفرون للذین آمنوا بولایتنا، یا علی لو لا نحن ما خلق اللّه آدم و لا حواء، و لا الجنه و لا النار، و لا السماء و لا الأرض، و کیف لا نکون أفضل من الملائکه، و قد سبقناهم إلی معرفه ربنا و تسبیحه و تهلیله و تقدیسه؟ إن اللّه تبارک و تعالی خلق آدم فأودعنا صلبه، و أمر الملائکه بالسجود تعظیما لنا و إکراما، و کان سجودهم للّه عز و جل عبودیه، و لآدم إکراما و طاعه، لکوننا فی صلبه، فکیف لا نکون أفضل من الملائکه، و قد سجدوا لآدم کلّهم أجمعون؟» .

و فیه عن الاحتجاج الطبرسی قدّس سرّه عن النبی صلّی اللّه علیه و آله حدیث طویل و فیه: «یا رسول اللّه أخبرنا عن علیّ، هو أفضل أم ملائکه اللّه المقربون؟ فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «و هل شرفت الملائکه إلا بحبها لمحمد و علی و قبول ولایتهما أنه لا أحد من محبی علیّ علیه السّلام نظّف قلبه من الغش و الدغل و العلل و نجاسه الذنوب، إلا کان أطهر و أفضل من الملائکه» . و ذکر بعضهم فی تفسیر قوله تعالی: (اَلرَّحْمٰنُ. عَلَّمَ اَلْقُرْآنَ. خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ. عَلَّمَهُ اَلْبَیٰانَ) (۱).

عن مجمع البیان، قال الصادق علیه السّلام: البیان، الاسم الأعظم الذی به علم کلّ شیء

و القمی، عن الرضا علیه السّلام:

(اَلرَّحْمٰنُ. عَلَّمَ اَلْقُرْآنَ) قال: «اللّه علم القرآن» ، قیل: (خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ) قال: ذاک أمیر المؤمنین، قیل: (عَلَّمَهُ اَلْبَیٰانَ) ، قال: «علّمه

۱- ۱) الرحمن:۱-۴.

بیان» کلّ شیء یحتاج إلیه الناس، و قال تبارک اسمه: (وَ لَقَدْ کَرَّمْنٰا بَنِی آدَمَ) .

و فی کتاب قره العیون (۱)للمحقق الکاشانی (رضوان اللّه علیه) فی حدیث الأعرابی الذی سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام عن النفس. . إلی أن قال، فقال: یا مولای و ما النفس اللاهوتیه الملکوتیه الکلیه؟ فقال: «قوه لاهوتیه، جوهره بسیطه حیّه بالذات، أصلها العقل، منه بدت، و عنه دعت، و إلیه دلّت و أشارت، و عودتها إلیه أکملت و شابهته، و منها بدت الموجودات، و إلیها تعود بالکمال فهو ذات اللّه- الإضافه لامیه کما لا یخفی-العلیا، و شجره طوبی، و سدره المنتهی، و جنه المأوی، من عرفها لم یشق، و من جهلها ضل سعیه و غوی. فقال السائل: یا مولای ما العقل؟ قال: «جوهر درّاک، محیط بالأشیاء من جمیع جهاتها، عارف بالشیء قبل کونه، فهو عله الموجودات، و نهایه المطالب. أقول: إذا علمت هذه الأحادیث فاعلم أن التکریمات التی کرم اللّه بها-و إن کانت بحسب الظاهر لمطلق الإنسان-إلا أنها فی الحقیقه لمحمد و آله الطاهرین و أهل بیته المنتجبین بمحل من الإمکان، و فی مکانه بحیث لا یحوم حول حماها إنسان، بل کلّ ما سواهم من سائر الخلق و الموجودات و الملائکه و الأنبیاء و البشر، فالتکرمه التی تکون لها فبالتبعیه و المعلولیه کلّ واحد منها بنسبته. فالمصداق لتلک التکریمات بالنحو الأتم الأکمل هو محمد و أهل بیته صلّی اللّه علیه و آله لما تقدم من

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام ما مضمونه: «انزلوهم أی آل محمد صلّی اللّه علیه و آله أحسن منازل القرآن و هی علی قسمین: ظاهریه. و باطنیه. و نحن نذکر القسمین بالنسبه إلی محمد و آله الطاهرین، و منه یظهر حال الباقین، و لعلّنا نشیر إلیه فی طیّ المباحث، فنقول و علی اللّه التوکل.

۱- ۱) قره العیون ص ۳۶۷.

[تكريمات التى ذكر لمحمد و آله الطاهرين]

اشاره

اشاره

إن اللّه تعالى أكرم الإنسان أى محمدا و آله الطاهرين، ذاتا و صوره، معنويه و ظاهريه و صفات أيضا معنويه و ظاهريه، و أفعالا، و هناك كرامات أخرى صوريه و معنويه، فهو متصف بحسب الصوره و المزاج الأعدل بما يأتى بيانه، و اعتدال القامه، و التميز بالعقل، و الأفهام بالنطق تاره، و بالإشاره أخرى، و بالخطّ ثالثه، و بالهدايه إلى أسباب المعاش و المعاد، و التسليط على ما فى الأرض، و التمكن من الصناعات، و انسياق الأسباب و تهيئتها، و المسببات العلويه و السفليه بنحو تعود منافعها إليهم إلى غير ذلك، فنقول:

أما تكريمه ذاتا

فقد خلق اللّه تعالى ذواتهم بالفعل، و ذات كلّ إنسان بالقوه من نور كينونيته و نور عظمته و نور مشيته، كما تقدمت الأخبار الناطقه بذلك فى شأنهم عليهم السّلام ثم ألبسها اللّه صوره ربوبيته تعالى، و هيكل توحيده، كما تقدم عن موسى ابن جعفر عليه السّلام بل أضاف اللّه تعالى ذات هذا الإنسان الكامل، الذى عرفت هو محمد و آله صلّى اللّه عليه و آله إلى نفسه المقدسه، فيما تقدم

قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث الأعرابى حيث قال عليه السّلام: «فهى ذات اللّه العليا» ، أى ذات اللّه التى اصطفاها و كرمها و نسبها، و جعلها صفته الدّاله عليه، و آيته المبيّنه على أنه الحقّ تعالى، و كتابه المبين و صراطه المستقيم، و قد تقدم بيانها فراجع فهى أقرب الذوات إليه تعالى و أكرمها عليه تعالى.

و أما تكريمه صفاتا

فإنه تعالى قد أنزل القرآن، و أدب فيه الإنسان بما لا مزيد عليه من آدابه الكريمه بنحو الكمال الأتم، و بيّن فيه الصفات الجميله، التى هى حلل الألبسه الروحيه للإنسان من العقل و الحياء و العلم و الفقه، و التقوى، و الرأفه و الرحمه، و الجود و الكرم، و الحلم و الحكمه، و البيان و التبيين، و القدره و الصبر، و الشجاعه و المروه، و العفه و ساير الصفات الحميده التى ذكرت فى الأحاديث، و كل هذه الصفات تكون من صفاته تعالى، التى أظهرها فى الخلق بربوبيته حيث إنه تعالى ربّ العالمين بهذه و نحوها، و قد أكرم اللّه تعالى الإنسان بهذه الصفات المعنويه و الظاهريه.

و أما تكريمه أفعالا،

فقد أنزل فی کتابه علی لسان نبیه صلّی اللّه علیه و آله ما به معرفه الأفعال الکریمه و الحسنه بنحو لا یشذّ عنها من الأفعال المحموده شاذّ، و بین فیه له ما به صرف جمیع أفعاله فی خدمته تعالی و طاعته، و قد بیّنها الأئمه علیهم السّلام کلّ ذلک فی کلماتهم و أدعیتهم، و علّموا أنه کیف ینبغی أن یفعل العبد فی مقام العبودیه و المناجاه و الضراعات، و صرف الآمال إلیه تعالی بما لا مزید علیه. و لعمری إنها نعمه لیست فوقها نعمه، سبحان اللّه الذی جعل لنا أئمه و قاده و ساده بحیث لولاهم ما عبد اللّه تعالی، و لولاهم ما عرف اللّه تعالی.

و أما تکریمه تعالی بالصوره الحسنه،

فهی علی قسمین: ظاهریه. و معنویه. و أما الصوره الظاهریه فقد أکرمه تعالی بحسن الصوره جسما قال تعالی: (لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ) (۱)، و قال تعالی: (فَتَبارَکَ اَللّهُ أَحْسَنُ اَلْخالِقِینَ) (۲)، فقد صوره اللّه تعالی فی انتصاب القامه، و صفاء لونه، و بضاضه جلده بأن جعله رقیقا یؤثر فیه أدنی شیء، و حسن ترکیبه، بحیث بلغ فی بعضهم حسن الترکیب و الملاحه التی یدرک و لا یوصف، و اعتدال أعضائه کلّ منها حسب ما تقتضیه الصوره المعتدله الحسنه، و کثره الانتفاع بها، و صلاحها لأکثر الأعمال، فإنک تری بعض الأعضاء من سایر الحیوانات لا یصدر منه إلا قلیل من العمل، و أما أعضاء الإنسان فمن کل واحد منها تصدر أعمال کثیره، و مع الانضمام إلی الآخر منها بعضا أو کلا تصدر أفعال کثیره أخری، بحیث یظهر فیها آثار الربوبیه، و صفاتها منه سبحانه و تعالی، أظهر فیها آثار قدرته، و جعلها مظهرا لربوبیته، و یظهر منها التدبیر العجیب، و القیام بأمور عجیبه غریبه، لا یکاد یظهر

۱- ۱) التین:۴.

۲- ۲) المؤمنون:۱۴.

من ساير أعضاء الحيوانات، هذا مضافا إلى أنه تظهر من بعض هيئات هذه الأعضاء فى بعض التراكيب مثل الركوع و السجود، و القنوت و التشهد، و الرفع و الوضع لليدين و الرأس هيئات العبوديه، التى تحكى عن معانى باطنيه تناسب حال العبد فى مقام عبوديته لخالقه بإظهار تلك الهيئات الداله على أنحاء عبوديته ظاهرا و باطنا بما يناسب مقام عظمته تعالى، كما ذكر ذلك كله فى أسرار الصلوه، فراجعها فى كتبها المعدّه لبيانها، فيظهر للمتأمل فيها أن الإنسان يحتاج فى مقام العبوديه إلى تلك الأعضاء بما لها من الهيئات، و الصوره الحاصله من هيئاتها المختلفه، و يرى أنه بها يكون توجهه إليه تعالى، و هى تكون وجيهه له تعالى، و بها قيامه لديه تعالى و بها قيّوميته به تعالى. و بعباره أخرى: هذه الأسرار إنما هى ظاهره لأدنى المعرفه و الدقه بأسرار الخلقه، التى أهمها و أعظمها الخلقه الإنسانيه، التى منها انتصاب وجهه بحيث يقابل بأجمعه إلى من يقابله كذلك، و هذا حسن فى نفسه يظهر فيما إذا لم يقابل أحد بتمام وجهه إلى من يدانيه، فإنك تراه قبيحا كما لا يخفى. و كيف كان فالإنسان منتصب الوجه إلى من يقابله، و هذا بخلاف الحيوانات، فإنه إنما يقابل ببعضه، أو ببعض بعد بعض بحيث لا يكون فى مواجهه بعضهم لبعض الحسن الذى يكون فى مواجهه الإنسان، و يلحق بهذه التكرمه أنه تعالى جعل الإنسان بحيث يرفع بيده طعامه لئلا يطأطئ رأسه للطعام، ذلك إجلاله له لما ألبسه اللّه تعالى من صورته كما تقدم حديثه، هذا كلّه بالنسبه إلى نوع الإنسان. و أما حسن الصوره الذى تكون لمحمد و آله الطاهرين، فلهم صور حسنه لا يكون فى الممكنات شىء يدانيهم، بحيث لو ظهروا للناس ببعضها لما رآهم أحد إلا مات على الفور شوقا إليهم.

ففى مدينه المعاجز (۱)، عن البرسى روى جعفر الهاشمى، قال: كنت عند أبى

۱- ۱) مدينه المعاجز ص ۵۳۵.

جعفر الثانی (أی الجواد علیه السّلام) ببغداد فدخل علیه یاسر الخادم یوما، و قال: یا سیدنا، إن سیدتنا أم جعفر تستأذنک أن تصیر إلی سیدتنا أم الفضل. . إلی أن قال: فدخل و الستور تشال بین یدیه، فما لبث أن خرج راجعا و هو یقول: فلما رأینه أکبرنه، الحدیث. أقول: فظهر علیه السّلام بنحو فوق ما ظهر یوسف للنسوه، و حدث بهن ما حدث بالنسوه من رؤیتهن لیوسف، و لذا ذکر فی آخر الحدیث.

قلت له: یا سیدی و ما کان إکبار النسوه؟ قال: هو ما حصل لأم الفضل فعلمت أنه الحیض. أقول: فإنها قالت: و اللّه یا عمّه إنه لما اطلع حاله، حدث ما یحدث بالنساء، فضربت یدی إلی أثوابی فضممتها، الحدیث. أقول: المستفاد من هذا الحدیث أنه علیه السّلام أظهر لهن صورته الجمیله، التی جعلها اللّه تعالی لهم، فعرض لهن من حیث بهجتها ما عرض لنسوه یوسف علیه السّلام فیعلم أنه تعالی جعلهم فی أحسن صوره فی الظاهر، و إن کانوا علیهم السّلام لا یظهرون للناس بصورتهم الحقیقیه.

ففی البحار عن مناقب آل أبی طالب علیه السّلام: قال عسکر مولی أبی جعفر علیه السّلام: دخلت علیه فقلت فی نفسی: یا سبحان اللّه ما أشدّ سمره مولای و أضوء جسده! قال: فو اللّه ما استتممت الکلام فی نفسی حتی تطاول، و عرض جسده و امتلأ به الإیوان إلی سقفه و مع جوانب حیطانه، ثم رأیت لونه و قد أظلم حتی صار کاللیل المظلم، ثم ابیض حتی صار کأبیض ما یکون من الثلج، ثم احمر حتی صار کالعلق المحمّر، ثم اخضر حتی صار کأخضر ما یکون من الأغصان الخضره، ثم تناقص جسمه حتی صار فی صورته الأولی و عاد لونه الأول، و سقطت لوجهی مما رأیت. فصاح بی: یا عسکر تشکون فننبئکم، و تضعفون و نقویکم، و اللّه لا یوصل معرفتنا إلاّ من منّ اللّه علیه بنا و ارتضاه لنا ولیّا.

ص: ٢٣٩

أقول: منه يعلم أيضا أنهم عليه السّلام مظاهر قدرته تعالى، فيعملون بها حتى فى أنفسهم كيفما شاءوا، و نحن نسأل اللّه تعالى أن يمنّ علينا بمعرفتهم عليهم السّلام و أن يجعلنا من أوليائهم بمحمد و آله الطاهرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) . أقول: هذا و قد تقدم أنهم عليهم السّلام حقيقه الأسماء الحسنى، التى منها أنها تعالى أجمل من كل جميل، كما فى دعاء الجوشن فهم عليهم السّلام مظهر لجماله تعالى هذا.

و قد ذكر المجلسى فى أواخر حقّ اليقين حديثا حاصله: أن الحسين عليه السّلام يظهر نوره لأهل الجنه حين يرومون زيارته تعالى، فيغشى عليهم أربعين سنه، فيظنون أنه نور الربّ جلّ و علا، ثم يظهر لهم أنه نور الحسين عليه السّلام فمن جماله الظاهر من نوره يغشى عليهم، فهناك تظهر حقيقه جمالهم عليهم السّلام كل هذا مما أنعم اللّه عليهم و آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين و الحمد للّه وحده. بل نقول: إن الصور الحسنه التى تكون لغيرهم من الملائكه و الناس أجمعين، هى من تفضلاتهم لهم، هذا و قد ألبسوا من شعاع صورهم الحسنه الملائكه المسيحين بالرضوان فى الجنه، فإنهم على أجمل صوره و كلها من عطاياهم،

كما روى: أن الجنه قد خلقت من نور الحسين عليه السّلام، فإنه يشمل ملائكتها أيضا، فتأمل.

و أما تكريمه بالمزاج الأعدل

فإجماله: أنه تعالى ركب فيه من الأخلاط الأربعه بنحو الاعتدال فى كلّ منها، بحيث لو غلب واحد منها على الآخر لاضطرب نظام وجوده، و هذا الاعتدال مقرون بأعراض أخرى من كثافات الطعام و الشراب، و الهواء، و المكان و الزمان، و امتزجت تلك بهذه بنحو يستوجب البقاء فى الدنيا إلى مده تحكم المصالح الإلهيه بحسنها، و بلزوم بقائها بهذا المقدار حسب نظام العالم البشرى، فلم يجعل عمره أقل القليل، و لا أكثر مما ينافى صحته و احترامه، و ما يمكن له التمتع من الدنيا، نعم هذا بحسب النوع كما لا يخفى. ثم جعل ذلك الامتزاج بنحو يعرض له الفناء، ليقع له فراق الروح للبدن الذى يدفن فى الأرض، فتأكل الأرض ما فيه، فإذا تخلص من جميع الغرائب و الآفات،

التی کانت فیه من طیله بقائه فی الدنیا، ثم یبعثه صافیا خالصا، و یرکبه ترکیبا جسمانیا فی الآخره بنحو یصلح للبقاء أبدا، و ذلک أنه تعالی جعل اعتدال طبایعه فی الآخره بمیزان مستقیم غیر ما کان علیه فی الدنیا. و بعباره أخری: جعل تلک الطبایع فی الآخره علی أکمل اعتدال، بحیث یلزم منه أن یکون الإنسان هناک واحدا بسیطا، لا یعرض له التضاد و لا الکثره الموجبتان للفناء کما کان فی الدنیا کذلک. و الحاصل: أن لطفه تعالی اقتضی ترکیبه فی الدنیا بنحو یبقی بقدر اللزوم الصحیح، ثم یعرض له الموت، ضروره أن البقاء السرمدی فی دار الدنیا ینافی رحمته تعالی و رأفته و لطفه بالإنسان، فجعله بنحو ینتقل إلی دار الآخره، لکی یتنعم من لذائذها الأبدیه بدون مشقه، ثم إن هذا المزاج الأعدل قد لاحظ بالنسبه إلی الأبدان، و إلی ما به قوه البقاء و العمل و النظام اللازم فی عالم الوجود الدنیوی بنحو الأتم الأکمل الأحسن، و قد یلاحظ بالنسبه إلی طبایعه المعنویه، و هی أیضا قد جعلها اللّه تعالی بنحو یوجب توجهه إلی التوحید الذی هو المقصود من خلقه الإنسان. فنقول: قد أکرمه اللّه تعالی بأن جعل له الصراط المستقیم، و هو صراط اللّه تعالی، و هو صراط معارفه من العلم و الحلم و العقل و الحیاء و سایر الصفات الحمیده التی ذکروها من الجنود العقل، التی قیل هی ظل التوحید و ما یقتضیه التوحید. و بعباره أخری: قد جعل اللّه تعالی فی باطنه و سره ما هو آثار التوحید الإلهی، بحیث لو مشی تحت ظلالها، و جرّد نفسه عن خلاف مقتضاها الذی هو التجرید عمّا سواه تعالی فلا محاله یصل إلی التوحید. و من المعلوم أن هذه الأمور تکون فیهم علیهم السّلام بنحو الأتم الأکمل، بحیث تتعدی تلک الأمور منهم علیهم السّلام إلی شیعتهم، حیث علمت أن قلوب شیعتهم خلقت من شعاع

نورهم، و من فاضل طينتهم، فنور قلوب شيعتهم من شعاع أجسامهم المثاليّه كشعاع الشمس من الشمس و لكن بين النورين فرق كبير. فهذه الأوصاف العظيمه لا تكون بكمالها إلا فيهم عليهم السّلام و لا تقع على حقيقتها و لا على حقيقه تكرمه اللّه سبحانه لها إلا فيهم عليهم السّلام ثم تنتقل منهم عليهم السّلام إلى قلوب شيعتهم كما علمت سابقا من

قوله عليه السّلام: «يا أبا خالد و اللّه إن الأئمه هم الذين ينورون قلوب شيعتهم» .

و اما تكريمه تعالى إياه باعتدال القامه،

فإنها إذا لم تكن معتدله مستقيمه، لكانت إما مائله أو منكبه، و تكون بغير ما شأن سيره إلى الكمال كما لا يخفى، فإنه فى هذه الهيئه يتمكن من الأعمال الكثيره الموجبه لترقيه إلى الكمال من العبادات و هذا بخلاف ما إذا كانت قامته على غير هذه الصوره، فإنها حينئذ تكون عاجزه عن ذلك السير العملى كما لا يخفى. و ربما يقال: إن اعتدال قامه الإنسان فى الظاهر-بلحاظ تمكينه من أعمال العبادات بأقسامها المتقدم ذكرها-عنوان لسيره الباطن. بيانه: أن غير الإنسان و إن كان له سير فى السلسله الطوليه، و ذلك كالمعادن فإنها تنتقل من الجمادات إلى المعادن، ثم لا تتجاوزهنّ، و كالنباتات فإن أصلها من الجمادات ثم تنتقل منها إلى المعادن، ثم منها غالبا إلى النباتات، ثم لا تتجاوزهنّ، و كالحيوانات أيضا فإن أصلها من الجمادات، ثم منها إلى المعادن، ثم منها إلى النباتات، ثم منها إلى الحيوانات، ثم لا تتجاوزهنّ، إلاّ أن هذا السير فى هذه الأمور سير محدود لمحدوديه المقتضيات فيها من حيث الماده و الهيئه و الصوره، فالعوامل الإلهيه لا يؤثر فيها السير من الأدنى إلى الأعلى إلا بنحو تقتضيه موادها ماده و صوره، و هذا بخلاف الإنسان فإنه مضافا إلى ذلك السير المشار إليه، أعنى سيره الأصلى من الجمادات إلى المعادن، ثم منها إلى النباتات، ثم منها إلى الحيوانات، ثم تنتقل منها بالعوامل الإلهيه و التربيه الشرعيه إلى رتبه الملائكه، ثم منها إلى رتبه

الإنسان الكامل، ثم منها إلى الحضره الإلهيه، و أعنى بها أنه يصل إلى مقام الفناء فى اللّه، و المراد منه شهوده كلّ وجود و كل كمال وجود فى وجود الحق، و المراد من الشهود هو العلم و المعرفه الحقيقيه الوجدانيه بالروح الكلى الإلهى. و بعباره أخرى: فى بيان هذا السير للإنسان، أن أول مقام الإنسان كونه مقدّرا فى علم اللّه تعالى، ثم سار إلى صلب آدم و مقام مسجوديته للملائكه، بعد ما صار روحا موجودا فى جنه الأرواح و عالم القدس، و عالم صور الأسماء الإلهيه كلّها، ثم سار إلى أن تعلق بالبدن بواسطه لطيفه حيوانيه متوسطه بين الروح العقلائى، و هذا البدن الكثيف الظلمانى المركب من الأضداد، المنشأ للعداوه و العناد و الحسد و الفساد، المحجوب عن عالم المعاد، و هذا غايه النزول عن الفطره الإلهيه، و الكون فى حدود السفاله و النقصان، لكونه حينئذ مركبا و متقلبا من طبايع العناصر كساير أنواع الحيوانات، و هى فى مراتب التسفّل بالنسبه إلى ساير الجواهر و الأعيان، إلا أنه تعالى أكرمه بأن جعل فى ذاته قوه الترقى إلى حدّ الكمال، و الارتقاء إلى أنوار المبدإ المتعال، سائرا إلى حدّ سكّان عالم النور، متنعّما بنعم الآخره و السرور، فلم يجز فى العنايه الإلهيه و الألطاف الأوليه أن يهمله فى مراتع الشهوات كالديدان و الحشرات من غير هدى، و تعطيله عما خلق لأجله، و أن يترك سدى، و حيث إنه تعالى قد خصّه بكمال خلق لأجله، و بفعل يتممه إذا وفق له، فلا محاله أكرمه حينئذ بالشرع المبيّن له هذا الفعل الذى يؤديه إلى كماله. و بعباره أخرى: قد يسّر اللّه تعالى له الرجوع إلى الفطره الإلهيه، و العود إلى المبدإ بالسير الرجوعى على عكس السير النزولى، قال تعالى: (ثُمَّ اَلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ) (۱)و قال تعالى: (اِرْجِعِى إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً) (۲)فبالخلاص عن تلك القيود التى أشير إليها من الأضداد، و الصفات الرذيله، و التبرى عن هذا الوجود،

ص: ۲۴۳

۱- ۱) عبس:۲۰.

۲- ۲) الفجر:۲۸.

و ردّ الأمانات إلى أهلها، و الخروج عن كلّ حول و قوه إلى حول اللّه و قوته يحصل له الكمال الأتم، أعنى الوصول إلى التوحيد. و الحاصل: أنه لا يزال يسير من مقام أعلى منه حتى يصل إلى مقام الرضوان و المحبه الإلهيه، و يبقى يسير بهما صاعدا إلى ما لا نهايه له و لا غايه، ثم إن من المسلم به أن هذا المقام ميسور لهم عليهم السّلام بل هم سائرون فيه بكماله و تمامه، فهم إلى الآن و إلى الأبد فى سير مشاهده جلاله و جماله تعالى، اللذين لا نهايه لهما، كما تقدمت الإشاره إليه، و هذه المقامات فى الحقيقه من آثار حكومته تعالى إياهم لروحهم و بالعلم، الذى هو الرزق الطيب للروح الإنسانى، و ذلك عند طاعتهم للّه، و اتقائهم معاصى اللّه، لما تقدم مرارا من أن من اتقى اللّه علّمه ما لم يعلم قال اللّه تعالى: (وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اَللّٰهُ) (۱)و قال تعالى: (وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اِسْتَوىٰ آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ) (۲)

و عن على أمير المؤمنين عليه السّلام ما هو من قوله عليه السّلام: «ليس العلم فى السماء فينزل إليكم، و لا فى الأرض فيصعد إليكم، و لكن العلم مجبول فى قلوبكم تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم» . و من المعلوم أن غير المتقى بحكم الأموات، كما أن الكافر يكون ميتا لا فوز له من الإيمان و العمل الصالح، فلا محاله يكون محروما عن العلم الذى هو رزق الروح للإنسان، ثم إن من المعلوم أيضا أنه تعالى جعل لمحمد و آله (عليه و عليهم السلام) من هذه التكرمه ما جعل لهم به خزائن غيبه علمه بحقيقه ما هم أهله، و قد تقدم مرارا ما يوضح لك هذا. إذا علمت هذا فنقول: استقامه الإنسان، و اعتدال قامته حاكيه عن تحقيق إمكان سيره المعنوى فى تلك المقامات المشار إليها، التى يكون الإنسان إلى ما لا نهايه له، فمن خلق صورته مستقيما معتدلا بنحو يتمكن من الأعمال و العبادات

۱- ۱) البقره:۲۸۲.

۲- ۲) القصص:۱۴.

بلحاظ تمكنه منها، و من إعمال الصفات الحميده بحيث لا نهايه لأنواع أفعاله الممكنه له، يعلم أن فى باطنه استعدادا و قوه قويّه قابله للترقى إلى ما لا نهايه له، و لذا قد يسّر اللّه له السبيل بأن أقعده فى مكان هذا الإمكان المكين، الذى هو منشأ لتلك الأعمال الكثيره، التى لا نهايه لها كما لا يخفى، فإن هذا الإمكان الروحى و الإمكان الجسمى الحاصلين له هما الذان جعلا الإنسان فى مرتبه قابله للسير إلى اللّه تعالى دون سائر الموجودات حتى الملائكه، و أن يقبله اللّه تعالى له، و هو أيضا لهذا متمكن من الإقبال إليه تعالى حين دعاه بتلك الدعوات من قوله تعالى: (فَفِرُّوا إِلَى اَللّٰهِ . . وَ سٰارِعُوا . . و سٰابِقُوا . . وَ أَنِيبُوا . .) الى غير ذلك، إذ من المعلوم أنه تعالى كيف يصح منه إذ يدعوهم إليه بقوله: ففرّوا إلى اللّه مع عدم إمكان أن يسيروا إليه، بل لا بدّ أولا من أن يجعلهم متمكّنين بجميع أنواع التمكّن، ثم يدعوهم إليه تعالى، و إلا ما للتراب و مشاهده جمال أنوار ربّ الأرباب بلطفه و تفضله له بهذه التفضلات كما لا يخفى، و من هذا كله يعلم أن انكباب ما عدا الإنسان و انعطافه إلى الأرض غالبا يحكى عن صوره سيره إلى اللّه تعالى. و بعباره أخرى: إنّ نظر ما سوى الإنسان إلى الأرض يعطى أن حقيقته لا تتجاوز سيرها عما فى الأرض، و سيره إليه تعالى لا يكون إلا إلى ما ظهر منه تعالى من القدره و العلم فى الأرض دون ما ظهر فى السماء، و هذا بخلاف الإنسان و استقامته و اعتدال صورته، مع ما له من تلك الإمكانات يعطى أن حقيقته قابله للسير إلى ما لا نهايه له بنحو تقدم بيانه، فسير الإنسان معنويه طوليه إلى ما لا نهايه له، و أما غيره فسيره محدود منقطع لا يصل إلى درجه الإنسان، ثم إن فى الملائكه ما هو بصوره الإنسان، فهو ملحق حكما بالإنسان رتبه، و ما كان بصوره الحيوانات فهو أقل رتبه مما هو بصوره الإنسان، و إن كان هذا أيضا لا يغفل عن خدمه اللّه تعالى طرفه عين، إلا أنه يخدمه تعالى فى الجهه السفلى من مراكز ظهوره تعالى.

ص: ۲۴۵

فإن قلت: فعلى ما ذكرت لا بدّ من تخصيص الكمالات و الكرامات بالإنسان مع

أنه ورد أنه يدخل الجنه حمار النبى صلّى اللّه عليه و آله اليعفور و ناقته الغضباء و حمار عزير و حماره بلعم بن باعورا، و كلب أهل الكهف و ما أشبه ذلک، بل

ورد أن كل صنف من أصناف الحيوانات يدخل بعضها فى الجنه إلا الثلاثه، المسوخ و السباع و النواصب.

ففى تفسير نور الثقلين، عن تفسير على بن إبراهيم فى تفسير قوله تعالى: (إِذْ أَوَى اَلْفِتْيَةُ إِلَى اَلْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً) ، الحديث. . إلى أن قال: فقال الصادق عليه السّلام: لا يدخل الجنه من البهائم إلا ثلاث حمار بلعم بن باعور و ذئب يوسف عليه السّلام و كلب أصحاب الكهف.

و فى سفينه البحار عن الصادق عليه السّلام فى حديث إلى أن قال: فإن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: ما من بعير يوقف عليه موقف عرفه سبع حجج، إلا جعله اللّه من نعم الجنه و بارک فى نسله، الحديث. هذا و إن صدور الإيمان و الإقرار بالحق من الحيوانات كما يصدر من سائر المؤمنين يعلم أن لهذه الحيوانات حضّا و نصيبا من الإنسانيه كلّ على حسبها، فمن حيث اكتسابها هذه الروحيه الإنسانيه صارت ملحقه حكما بالإنسان، فتدخل الجنه على أن الجنه مراتب يبعد بعضها عن البعض بعد السماء عن الأرض، فالحيوانات بعضها يدخل الجنه، إلا أنها لا تكون فى درجه الآدميين، بل تكون فى الدرجه السافله من الجنه، على أنها فى الجنه تكون فى محضر من أهل الجنه، يستفيدون منها كما كانوا يستفيدون منها فى الدنيا مع أنها حيوانات و هم أناسىّ. و الحاصل: أنها تدخل الجنه حيوانا لا إنسانا، نعم يكون ذا شعور لتلک الروحيه البرزخيه، و هناک فرق آخر بينها و بين الإنسان، و هو أن الإنسان إله الترقى فى السلسله الطوليه بلا نهايه، و هذا بخلاف الحيوانات فإنها و إن فرض إمكان ترقيها لبعض المراتب الإنسانيه إلا أنها محدوده جدّا، بل معدوده فردا كما و كيفا، كيف و الحيوانات و إن بلغت ما بلغت لم تخلع الصوره الحيوانيه، و ما لبست الصوره

الإنسانيه، بل غايه ما لها الاشتمال ببعض مراتب النفس البرزخيه المشار إليها كما لا يخفى. ثم إن الحيوانات كما تكون فى الدنيا فى خدمه الإنسان كما ترى، ففى الجنه إن دخلت تكون كذلك فهى مملوكه للإنسان لا مالكه، كذلك فى الجنه تكون فى خدمه أهل الجنه لا ـ مالكه، فحينئذ أين الحيوانات الداخله فى الجنه و الإنسان الذى قال اللّه تعالى فى حقّ الداخلين منهم فى الجنه (وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً) (۱)فدلّ على أن الإنسان إذا دخل الجنه يكون ملكا و مالكا ملكا كبيرا، و هذا بخلاف الحيوانات فإنها تكون مملوكه فيها لا مالكه لقصورها الذاتى، و إنما دخلت الجنه لتلك النفس البرزخيه كما لا يخفى.

و أما تكريمه تعالى إياه بالعقل المميز به بين الحق و الباطل

فنقول

فى البحار (۲)، عن المحاسن عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «خلق اللّه العقل فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل» . ثم قال: «ما خلقت خلقا أحبّ إلى منك، فأعطى اللّه محمدا صلّى اللّه عليه و آله تسعه و تسعين جزءا، ثم قسم بين العباد جزءا واحدا» .

و فيه (۳)، عن الاحتجاج فى خبر ابن السكيت قال: فما الحجه على الخلق اليوم؟ فقال الرضا عليه السّلام: «العقل تعرف به الصادق على اللّه فتصدقه، و الكاذب على اللّه فتكذبه» فقال ابن السكيت: هذا هو و اللّه الجواب.

و فيه (۴)، عن تفسير الإمام عليه السّلام عن أبى محمد عليه السّلام قال: قال على بن الحسين عليه السّلام: «من لم يكن عقله أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه» .

و فيه عن أمير المؤمنين عليه السّلام «من لم يكن أكثر ما فيه عقله، كان بأكثر ما فيه قتله» .

۱- ۱) الإنسان:۲۰.

۲- ۲) البحار ج ۱ ص ۹۷.

۳- ۳) البحار ج ۱ ص ۱۰۵.

۴- ۴) البحار ج ۱ ص ۹۴.

و فیه عن أمالی الشیخ عن الرضا علیه السّلام یقول: «ما استودع اللّه عبدا عقلا استنقذه به یوما» .

و فیه، فی حدیث هشام عن موسی بن جعفر علیه السّلام: یا هشام إن للّه علی الناس حجتین: حجه ظاهره و حجه باطنه، فأما الظاهره فالرسل و الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام، و أما الباطنه فالعقول.

و فی الکافی (۱)، إلی أن قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «ما قسّم للعباد شیئا أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، و إقامه العاقل أفضل من شخوص الجاهل. و لا بعث اللّه نبیا و لا رسولا حتی یستکمل العقل، و یکون عقله أفضل من جمیع عقول أمته، و ما یضمر النبی صلّی اللّه علیه و آله فی نفسه أفضل من اجتهاد المجتدین، و ما أدی العبد فرائض اللّه حتی عقل عنه، و لا بلغ جمیع العابدین فی فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، و العقلاء هم أولوا الألباب، الذین قال اللّه تعالی (وَ مٰا یَذَّکَّرُ إِلاّٰ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ) (۲).

و فیه (۳)، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام: قال: «حجه اللّه علی العباد النبیّ، و الحجه فیما بین العباد و بین اللّه العقل» .

و فیه. . عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد مرسلا قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: دعامه الإنسان العقل، و العقل منه الفطنه و الفهم و الحفظ و العلم، و بالعقل یکمل، و هو دلیله و مبصره و مفتاح أمره، فإذا کان تأیید عقله من النور، کان عالما حافظا ذاکرا فطنا فهما، فعلم بذلک کیف و لم و حیث، و عرف من نصحه و من غشّه، فإذا عرف ذلک عرف مجراه و موصوله و مفصوله، و أخلص الوحدانیه للّه، و الإقرار بالطاعه، فإذا فعل ذلک کان مستدرکا لما فات و واردا علی ما هو آت، یعرف ما هو

۱- ۱) الکافی ج ۱ ص ۱۲.

۲- ۲) آل عمران:۷.

۳- ۳) الکافی ج ۱ ص ۱۲.

فیه و لأیّ شیء هو هاهنا و من أین یأتیه، و إلی ما هو صائر، و ذلک کله من تأیید العقل. أقول: قد تقدم بعض الکلام فی شرح هذا الحدیث، و لعمری هذا الحدیث بیّن بما لا مزید علیه فی فضل العقل، فعلم من هذه الأحادیث فضل تکریمه تعالی إیاه بالعقل، و أنه سبب محبه اللّه لعبده، کیف لا و هو الممیز الفارق بین الحق و الباطل، و الخیر و الشرّ، و مبین لطریق النجاه من طریق الهلاک، و هو حجه اللّه تعالی الباطنه و النعمه الباطنه و النور و الحیاه الأبدیه؟ و الأحادیث فی فضل العقل کثیره جدّا کیف لا و هو المایز الوحید بین الإنسان و غیره من الحیوانات، و به ترقّیه و تعالیه إلی أشرف المنازل و أعلی الدرجات المعنویه و الظاهریه؟ فأکرم به من نعمه أنعم اللّه به علی العباد!

و أما تکریمه تعالی إیاه بالإفهام بالنطق و الإشاره الظاهریه و المعنویه و الخطّ و الکتابه.

فنقول: إن اللّه تعالی لما خلق الإنسان جامعا، فاقتضت هذه البینه الجامعه أن یکون مالکا و مملکا، و أن تکون شئونه کثیره لا تکاد تحصی، و لا ریب فی أن من هذا شأنه یحتاج فی مآربه و مطالبه فی مقام إمضائها و إیجادها إلی وسائل کثیره بحسب شئونه، فأسبغ اللّه تعالی علیه نعمه الکثیره المترادفه، فعلّمه النطق لیؤدی به مطالبه إلی مآربه، و وسّع علیه فی ذلک بأن أضاف إلیه التمکن من الإشاره، و الخطّ أیضا، لیوسع فی التأدیه فی شئونه، کل ذلک تعطفا علیه و رحمه و رأفه، و لم یفعل اللّه تعالی بمثل هذا فی غیره من سائر الخلق أنه تعالی أکرم الإنسان بهذه عامه، و أکرم أولیاءه و أصفیاءه من النبی و الأئمه علیهم السّلام خاصه بالمزید من ذلک، و هو أنه تعالی منحهم ما أفهموا الجماد، و أنطقوا به الصم الصلاد، و أنقاد إلی إجابه کتابتهم و إشارتهم جمیع من فی البلاد فهم علیهم السّلام الذین فهموا عن اللّه ما أراد، و فهّموا بفاضل فهمهم کلّ من فهم و استفاد، فلا یفهم شیء من جمیع الخلق شیئا إلا فهمه اللّه بفاضل

ما فهموا، و أنطقهم اللّه و نطق ما سواهم من فاضل نطقهم، فكلّ لسان حالى أو مقالىّ ينطق بالثناء عليهم ثناء أشير إليه بقوله تعالى: (وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (۱).

و قوله فى الزياره:

«يسبح اللّه بأسمائه جميع خلقه»

و هم عليهم السّلام الناطقون على كلّ لسان بكلّ لغه كما فى الأخبار من أنها سبعون ألف لغه، و يشير إلى ما ذكرنا الأحاديث الكثيره، فمنها:

فى البحار (۲)، عن بصائر الدرجات ص ۱۵۱، عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إنى لأعرف من لو قام على الشاطى البحر، لندب بدواب البحر و بأمهاتها و عماتها و خالاتها.

و فى البحار (۳)، عن مناقب آل أبى طالب عليه السّلام: أصاب الناس زلزله على عهد أبى بكر، ففزع إلى علىّ عليه السّلام أصحابه، فقعد على عليه السّلام على تلعه، و قال: كأنكم قد هالكم، و حرّك شفتيه و ضرب الأرض بيده، ثم قال: ما لك؟ اسكنى فسكنت، ثم قال: أنا الرجل الذى قال اللّه تعالى: (إِذٰا زُلْزِلَتِ اَلْأَرْضُ) الآيات، فأنا الإنسان الذى أقول لها: مالك (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا) إياى تحدث.

و فيه (۴)، عن البصائر بإسناده عن زراره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام لابن عباس: «إن اللّه علّمنا منطق الطير، كما علّمه سليمان بن داود، و منطق كلّ دابه فى برّ أو بحر.

و فيه عن الاختصاص ص ۲۹۸ بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: بينا أبو عبد اللّه البلخى مع أبى عبد اللّه عليه السّلام و نحن معه إذ هو بظبىّ يثغو و يحرك ذنبه، فقال أبو

۱- ۱) الإسراء:۴۴.
۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۳۷۲.
۳- ۳) البحار ج ۲۵ ص ۳۷۹.
۴- ۴) البحار ج ۲۷ ص ۲۶۴.

عبد اللّه علیه السّلام: «أفعل إن شاء اللّه، قال: ثم أقبل علینا فقال: علمتم ما قال الظبیّ؟ قلنا: اللّه و رسوله و ابن رسوله أعلم، فقال: «إنه أتانی فأخبرنی أن بعض أهل المدینه نصب شبکه لأنثاه فأخذها و لها خشفان لم ینهضا و لم یقویا للرعی، فسألنی أن أسألهم أن یطلقوها، و ضمن لی أنّها إذا أرضعت خشفیها حتی یقویا علی النهوض و الرعی أن یردها علیهم، فاستحلفته فقال: برئت من ولایتکم أهل البیت إن لم أف. و أنا فاعل ذلک إن شاء اللّه. فقال له البلخی: سنّه فیکم کسنّه سلیمان علیه السّلام.

و فی عیون أخبار الرضا علیه السّلام (۱)، بإسناده عن أبی الصلت الهروی قال: کان الرضا علیه السّلام یکلّم الناس بلغتهم و کان و اللّه أفصح الناس و أعلمهم بکلّ لسان و لغه! فقلت له یوما: یا بن رسول اللّه إنی لأعجب کم معرفتک بهذه اللغات علی اختلافها؟ فقال: «یا أبا الصلت أنا حجه اللّه علی خلقه، و ما کان اللّه لیتخذ حجه علی قوم، و هو لا یعرف لغاتهم، أ و ما بلغک قول أمیر المؤمنین علیه السّلام أوتینا فصل الخطاب؟» فهل فصل الخطاب إلا معرفه اللغات؟

و فیه (۲)، عن عبد الرحمن بن أبی نجران، قال: کتب أبو الحسن الرضا علیه السّلام و أقرأنیه رساله إلی بعض أصحابنا: إنا لنعرف الرجل إذا رأیناه بحقیقه الإیمان و بحقیقه النفاق.

و فی مناقب آل أبی طالب علیه السّلام (۳)، سلیمان الجعفری قال: کنت عند أبی الحسن الرضا علیه السّلام و البیت مملو من الناس یسألونه و هو یجیبهم، فقلت فی نفسی: ینبغی أن یکونوا أنبیاء، فترک الناس ثم التفت إلیّ فقال: یا سلیمان إن الأئمه حلماء علماء یحسبهم الجاهل أنبیاء و لیسوا أنبیاء.

۱- ۱) عیون أخبار الرضا ص ۲۲۸.

۲- ۲) عیون اخبار الرضا ص ۲۲۷.

۳- ۳) مناقب آل أبی طالب ج ۴ ص ۳۳۴.

و فی البصائر (۱)، عن جعفر بن محمد الصوفی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام محمد بن علی الرضا علیه السّلام و قلت له: یا بن رسول اللّه لم سمّی النبی الأمّی؟ قال: ما یقول الناس؟ قلت له: جعلت فداک یزعمون إنما سمی النبیّ الأمّی، لأنه لم یکتب، فقال: «کذبوا علیهم لعنه اللّه أنی یکون ذلک و اللّه تبارک و تعالی یقول فی محکم کتابه: (هُوَ اَلَّذِی بَعَثَ فِی اَلْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیٰاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحِکْمَهَ) فکیف کان یعلمهم ما لا یحسن؟ و اللّه لقد کان رسول اللّه علیه السّلام یقرأ و یکتب باثنین و سبعین أو بثلاثه و سبعین لسانا، و إنما سمّی الأمّی، لأنه کان من أهل مکّه و مکّه من أمّهات القری، و ذلک قول اللّه تعالی فی کتابه: (لِتُنْذِرَ أُمَّ اَلْقُریٰ وَ مَنْ حَوْلَهٰا) .

و فیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه سئل عن قول اللّه تبارک و تعالی: (وَ أُوحِیَ إِلَیَّ هٰذَا اَلْقُرْآنُ لِأُنْذِرَکُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ) قال بکلّ لسان.

و فی المحکی عن الشیخ رجب البرسی (رضوان اللّه تعالی علیه) عن أمیر المؤمنین علیه السّلام. . إلی أن قال علیه السّلام: أنا المتکلم بکل لسان.

و فی مدینه المعاجز للسید البحرانی (رضوان اللّه تعالی علیه) عن کتاب الإقبال بإسناده المتصل عن أسماء بنت وائله بن الاسقع، قال: سمعت «أقول الظاهر قالت و لکنه فی النسخه هکذا» أسماء بنت عمیس الخثعمیّه تقول: سمعت سیدتی فاطمه علیها السّلام تقول: لیله دخل بی علی بن أبی طالب علیه السّلام أفزعنی فی فراشی، قلت: فیم أفزعت یا سیده النساء؟ قال: سمعت الأرض تحدّثه و یحدثها فأصبحت أنا فزعه، فأخبرت والدی علیه السّلام فسجد سجده طویله، ثم رفع رأسه و قال: یا فاطمه البشری بطیب النسل، فإن اللّه فضل بعلک علی سائر خلقه، و أمر الأرض تحدثه بأخبارها، و ما یجری علی وجهها من شرقها إلی غربها.

۱- ۱) البصائر ص ۲۲۵.

و فی البحار (۱)، فی حدیث نقله عن أبی ذر و سلمان عن أمیر المؤمنین علیه السّلام. . إلی أن قال: و أنا المنادی من مکان قریب، قد سمعه الثقلان الجن و الإنس، و فهمه قوم، إنی لأسمع کلّ قوم الجبارین و المنافقین بلغاتهم، و أنا الخضر عالم موسی، و أنا معلم سلیمان بن داود، و أنا ذو القرنین، و أنا قدره اللّه عز و جل، الحدیث. فهذه بعض الأحادیث التی دلّت علی أنهم علیهم السّلام یفهمون اللغات، و یکلمون کلّ موجود بلسانه القالی و الحالیّ، و یخبرون عما فی ضمیر الناس لما یقرأون حقائقهم، جعل اللّه سبحانه و تعالی لهم فی الإشاره و الکتابه و النطق و الفهم ما لم یجعل لغیرهم، کیف لا یکونون کذلک و هم حجج اللّه علی جمیع أصناف الخلق؟ و من أراد المزید فی هذا فلیراجع الأبواب من الأحادیث فی هذا الموضوع، و اللّه العالم.

و أما تکریمه تعالی بالهدایه إلی أسباب المعاش،

فقد دلّ الإنسان علی أنواعها من الغرس و الزرع بأقسامه، و التجاره و استخراج المعادن البرّیه و البحریه و آلاتهما، و بالهدایه إلی أسباب العشره من تهیئه أنواع الحلی و الزینه، و أنواع النسائج، و أنواع المطاعم و المشارب، و تمیز جیّدها من ردیها و نافعها من ضارها، و المسکن بأنواعها الصیفیه و الشتویه، و تربیه المواشی بما فیه صلاحها و صلاحهم فی هذا الزمان من الاختراعات الجدیده من المراکب السریعه البریه و الجویّه و البحریه کما لا یخفی. و من المعلوم أن ما یعمله الإنسان من هذه الأمور المذکوره، التی یتیقّن العارف أنها لیست فی قوه البشر للإهداء إلیها إلا بهدیه اللّه تعالی، هن من تکریمه تعالی إیاه، و کم للّه تعالی من مثل هذه التکریمات للخلق خصوصا للإنسان من أول یوم ولدته أمه. أ لا تری إلی المولود من الإنسان بل و من الحیوان کیف هداه اللّه تعالی إلی التقام

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۵.

الثدی و امتصامه، الـذی فیه رزقه علی وضع لا یکاد الکبیر العاقل یتمکن من فعله إلا بعد المعالجه العسیره؟ ثم إن هذه الکرامه کمـا تری لهـا جهتـان: جهه العلم و جهه العمـل، و قـد منحها اللّه تعالی للإنسان هـذا، و لکن خصّ اللّه تعالی نبیّه و الأئمه علیهم السّلام بالجهه الأولی بأحسن ما هدی الخلق عامه إلیه، فهم علیهم السّلام أعلم الناس فی هذه الجهه، کما ظهر من بیاناتهم علیهم السّلام فی مقام التعلیم. و إلیه یشیر

مـا ذکره فی کتـاب بیـان الأـئمه (۱)، و نحـن نـذکره تأییـدا لمـا ذکرنـا، قـال: روی فی أخبـار الإمـام أمیر المـؤمنین علیه السّـلام بالمغیبـات هو أنه ذهب فی سریه من الجیش إلی بعض بلاـد الحجـاز المسـمی بالظهران، فوقف فی مکان فیه الرمل، فجعل یجّر الرمـل و ینحیه، و ینظر فی الأـرض ما تحت الرمل فقال له بعض أصـحابه: لما ذا تفعل ذلک یا أمیر المؤمنین؟ ، قال: إن فی هـذا المکـان عینـا من النفط، قیل: و ما هو النفط؟ قال: عین تشـبه الزیت لو أخرجتها من هـذا المکان لأغنیت جمیع العرب. منها: و قد جاء فی الحدیث عن الإمام علیه السّلام ذکر الکبریت و النفط و القیر و أنها من المعادن التی أودعها اللّه تعالی فی الأرض،

و روی أنه لما رجع الإمام أمیر المؤمنین من قتال أهل صفین أخبر بأمور غائبه.

منهـا: أنه وقف علی صـدر نهر فی شـمال العراق، و نظر إلی المـاء ینزل من الأـعلی إلی الأسـفل. فقال: و إنه لیمکن أن یسـتضاء العراق من هذا الماء، و فی روایه قال علیه السّلام: لو شئت لجعلت من هذا الماء نورا، فهذه الأحادیث و ما شابهها تدل علی أنهم علیهم السّلام کانوا عالمین بهذه الأمور المترعه من عیون النفط، و استخراجها من معادنها، و کذا البرق و الکهرباء کما لا یخفی. و أما الجهه الثانیه أعنی جهه العمل فهم علیهم السّلام و إن کانوا ربما یعملون لمعاشهم أنه

۱- ۱) بیان الأئمه ص ۳۲۱.

تعالی أغناهم عن ذلک بقوله: (وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاٰهِ وَ اِصْطَبِرْ عَلَیْهٰا لاٰ نَسْئَلُکَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُکَ وَ الْعٰاقِبَهُ لِلتَّقْویٰ) (۱)فإنه سبحانه لما بین له صلّی اللّه علیه و آله وظیفه التبلیغ، و من المعلوم أنه من أصعب الأمور، و لذا قال: (وَ اِصْطَبِرْ عَلَیْهٰا) الدال علی الأمر بالصبر الأکید المستفاد من اصطبر الذی هو من باب الافتعال الدال علی زیاده التحمل فی الصبر کما لا یخفی فقال (لاٰ نَسْئَلُکَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُکَ) ، فقد وعده صلّی اللّه علیه و آله بذلک و کفاه مؤنته، و قد کفی اللّه مؤنه الرزق لکثیر من عباده المؤمنین خصوصا من مثل أهل العلم کما دلّت علیه الأخبار المذکوره فی محلّه، ثم إنا نری أن القیام بأعباء الرساله أمر عظیم صعب جدّا، لا یکاد یجتمع مع الاشتغال بالعمل بمذاهب التجاره مثلا لا لعدم القدره له صلّی اللّه علیه و آله علیها، بل لعدم إمکان اجتماع الأمرین فی زمان واحد. نعم لما کان قبل الرساله متمکنا من التجاره، فکان صلّی اللّه علیه و آله یتجر مع بعض أقربائه، و هذا بخلاف زمان الرساله، لعدم إمکان الجمیع کما لا یخفی کما أنه لا یجتمع هذا العمل مع الاشتغال بالدرس و الاجتهاد لأغلب العلماء کما لا یخفی لمنافاته مع استفراغ الوسع للاستنباط، فبهذه الجهه قد کفاهم اللّه تعالی مؤنه الطلب تسهیلا لما قاموا به من أمر الرساله و التبلیغ، أو أمر الاجتهاد و الاستنباط، فمن هذه الجهه قد کفاهم اللّه مؤنه الکسب، و له جهه أخری و هو: أنه صلّی اللّه علیه و آله و کذا الأئمه علیهم السّلام لما کانوا علیهم السّلام مستغرقین فی خدمه خالقهم و العمل بوظائفهم، فلا محاله لا یبقی لهم فراغ للعمل بأسباب المعاش، و یدل علی ذلک ما ورد من بیان أحوالهم من العبادات الکثیره و الأعمال الشاقه فی أمر الدین، و الالتزام الجدی بالوظائف کما لا یخفی، و نحن نذکر حدیثا یدل علی هذا خصوصا علی التزامهم بأعمال جمیع الأمور الراجحه فی الشرع

فعن جابر الأنصاری عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حدیث أنه قال: و الذی فلق الحبه و برأ النسمه ما قطعت غنما، و لا لبست سراویلی قائما، و لا قعدت علی عتبه،

۱- ۱) سوره طه:۱۳۲.

و لا بلت على حافه نهر، و لا بين بابين و لا قائما، و لا قلمت أظفارى بفمى، و لا انثرت فى يوم الأربعاء (أقول: و لا ادهنت) و لا أكلت قثرا و لا سمكا ماريا، و لا قطعت رحما، و لا رددت سائلا، و لا قلت كذبا، و لا شهدت زورا، و لا نمت على وجهى، و لا على يدى اليسرى، و لا تختمت بخاتمين، و لا جلست على زباله، و لا بيتها فى منزلى، و لا رأيت برا مطروحا فتجاوزته، و لا لبست نعل يسارى قبل يمينى، و لا نمت فى خراب، و لا اطلعت فى فرج، و لا مسحت وجهى بذيلى، و ما من شىء من هذه يفعله أحد منكم إلا أورثه غما لا أصل له فتجنبوه، الحديث. فانظر إلى أنه عليه السّلام كيف كان ملتزما بالعمل بمثل هذه الوظائف التى قلّما تمكن له العمل بها، كيف و هذه الأمور كما صرحت بها الأخبار الكثيره من النوافل التى توجب كون فاعلها محبوبا له تعالى،

ففى الحديث: لا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، الحديث. هذا مضافا إلى أن هذه الأمور تكون متممه و مكمله للقابليات و القلوب الطاهره الموصله إلى أعلى الدرجات، ثم إن هذه الأمور و الالتزام بالعمل بها الموجب للمحبه قد جعلها اللّه تعالى فى خزائنه، و هى قلوب الأولياء خصوصا النبى و الأئمه عليهم السّلام و لذا قلّ من عمل بها هكذا إلّا هم عليهم السّلام. ضروره أنها من أنفس الأمور لهم إذ بها تكون فعليه محبوبيتهم له تعالى، و بها يظهرون عبوديتهم له تعالى فى الدنيا، و بها يتحفظون عن مزالّ الأمور و التلوّن بلوث المعاصى الموجبه للبعد عنه تعالى. و كيف كان فالأئمه عليهم السّلام أولا عملوا بها حقّ العمل، ثم إنهم عليهم السّلام نشروها للعباد ليفوزوا بها إلى أعلى الدرجات من سبقت له من اللّه الحسنى، هذا و قد أرشد اللّه تعالى عباده كلهم إلى هذه الأمور، التى بها كمالهم ببركه بيانهم عليهم السّلام إياها لهم، فنالوا بذلك محبته تعالى المستلزم لكفايته تعالى أولا مؤنه الكسب، ثم لينالوا أعلى مراتب القرب، فسبق السابقون على حسب إجابتهم للدعوه الإلهيه إلى سبيل الرشاد.

و من المعلوم أن أسبق السابقين هم محمد و آله (صلى اللّه تعالى عليه و عليهم) ثم تبعهم فى ذلك العباد الأمثل فالأمثل، و ليس لهم الفوز بها علما و عملا إلّا بهم عليهم السّلام و سيأتى توضيحه

فى قوله عليه السّلام:

«من أراد اللّه بدأ بكم، و من وحده قبل منكم، و من قصده توجه بكم»

إن شاء اللّه تعالى.

و أما تكريمه تعالى بالتسليط على ما فى الأرض،

فتستخرج منها المعادن و النفط، و ما يتولد منهما إلى ما لا نهايه من أنواع المصنوعات كما هو المتراءى اليوم من الاختراعات العجيبه جدّا، كل ذلك بما منحه اللّه تعالى من العقل و الفهم و الفطنه، و الاطلاع على دقائق أسرار الموجودات، فترى الإنسان لهذه الماده التى رزقها اللّه تعالى له، قد قهر و غلب، و استولى على ما فى الأرض إلى أن انقادت له الحيوانات بما علّمه اللّه تعالى من التربيه لها، بل و النباتات من حيث تركيب بعضها مع البعض، و التغرس إلى غرس ما لم يكن سابقا، و كذا حصل له السلطه على الجمادات البريه و البحريه و التعمل فيها، و استخراج أنواع المصنوعات من معادنها، و ما جعل اللّه تعالى فيها من الآثار العجيبه، كل ذلك بالعقل و الفهم هذا كله بالنسبه إلى العموم، و لكن قد جعل اللّه تعالى لمحمد و آله (عليه و عليهم السلام) جميع الأشياء منقاده لهم بالطبع أى بالطوع و الرغبه بمقتضى ذاتها. و بعباره أخرى: جعلها اللّه تعالى منقاده و تابعه لإرادتهم عليهم السّلام كتبعيه الظل و الأشعه للمنير. و الحاصل: أنه تعالى جعل أمور الإنسان منقاده له، لكن بالتعمل و إعمال الفكر و العقل و الفهم مع توسط الآلات و الأسباب كما هو المشاهد، و لكن جعلها لمحمد و آله عليهم السّلام تابعه لإرادتهم بدون إعمال الوسطاء، و أنه تعالى لما أكرمهم عليهم السّلام باصطناعهم عليهم السّلام له تعالى و اختصّهم لنفسه، فأغناهم اللّه تعالى بالتسليط على جميع الأشياء بلا وساطه شىء فيستنقذون منها كذلك كلّ ذلك بسبب إقبالهم عليهم السّلام بكليتهم إليه تعالى، بحيث لا يلتفتون إلى غيره فملكهم اللّه تعالى ملكوت كلّ شىء

فیتصورون فیها ما شاءوا و هذا بخلاف سائر البشر و یشیر إلی ما ذکرنا عدّه من الأحادیث نذکر بعضها تیمّنا و تبرکا.

ففی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن سمعه بن مهران، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إن الدنیا تمثل للإمام فی فلقه الجوز، فما تعرض لشیء منها و إنه لیتناولها من أطرافها، کما یتناول أحدکم من فوق مائدته ما یشاء، فلا یعزب عنه منها شیء.

و فیه (۲)، بإسناده عن عبد الرحیم أنه قال: ابتدأنی أبو جعفر علیه السّلام فقال: إن ذا القرنین قد خیّر السحابین فاختار الذلول، و ذخر لصاحبکم الصعب، قلت: و ما الصعب؟ قال: ما کان من سحاب فیه رعد و برق و صاعقه، فصاحبکم یرکبه، أما أنه سیرکب السحاب، و یرقی فی الأسباب أسباب السموات السبع خمس عوامر و اثنتان خراب.

و فیه (۳)، بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: لما صعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الغار، طلبه علی بن أبی طالب علیه السّلام و خشی أن یغتاله المشرکون، و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی حرا و علی علیه السّلام علی ثبیر، فبصر به النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال ما لک یا علی؟ قال: بأبی أنت و أمّی خشیت أن یغتالک المشرکون فطلبتک، فقال النبی صلّی اللّه علیه و آله ناولنی یدک یا علی فجرف الجبل حتی خطا برجله إلی الجبل الآخر، ثم رجع الجبل إلی قراره.

و فیه بإسناده عن صالح بن سعید قال: دخلت علی أبی الحسن علیه السّلام فقلت له: جعلت فداک فی کل الأمور أرادوا إطفاء نورک و التقصیر بک حتی أنزلوک هذا الخان الأشنع خان الصعالیک، فقال: ها هنا أنت یا بن سعید، ثم أومأ بیده فقال: انظر فإذا أنا بروضات ناضرات فیهن خیرات عطرات و ولدان کأنّهم اللؤلؤ، و أطباق رطبات، فحار بصری! فقال: حیث کنا فهذا لنا عتید، و لسنا فی خان الصعالیک.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۰۸.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۰۹.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۴۰۷.

أقول: يستفاد من هذه الأحاديث تسلطهم عليهم السّلام على الدنيا بما فيها من أنواع الموجودات، فيصرفون فيها ما شاءوا، و يستفيدون منها بما شاءوا بلا وساطه شیء، و يدل على هذا أيضا الأحاديث الوارده فی بيان معجزاتهم عليهم السّلام فإنها شاهده على ما ذكرناه، راجع مدينه المعاجز للسيد البحرانى رضى اللّه عنه. ثم إن هذه التكرمه بل غيرها فی الحقيقه من آثار العقل و الفطنه، الذى أكرمه اللّه تعالى به كما لا يخفى، و له آثار أخر من التكرمات. منها: أنه تعالى لما أقدر الإنسان على تدبير معاشه، فكان من تمام قدرته عليه أن أكرمه اللّه تعالى بأن ألهمه التمييز فی التدبير لمعاشه بالتمكين من الصناعات، و التمكن من إعمال القدره على ما يحتاج إليه، بحيث لا يحتاج فی شئونه شيئا إلا هو متمكن من صنعه كما هو المتراءى اليوم من إيجاد أنواع الصناعات فی المآكل و المشارب، و بالتمكن من إيجاد أسبابها من المكائن و التسلّط على أنواع المزروعات و النباتات، فمن امتزاجها بعضها مع بعض، و التعمل فيها بسبب تلك المكائن توجد أنواع المأكولات و المشروبات البهيه و اللذيذه كما لا يخفى. هذا بالنسبه إلى نوع البشر الذين لم يكن عقلهم كاملا بحيث لا يأكلون إلا ما كان لهم نافعا ضارا لهم، مع أن بقاءهم متوقف على هذا، أى أكل النافع و ترك الضار، فلا محاله يتسببون فی ذلك بالأسباب من إعمال العقل فی ايجاد المآكل النافعه و ترك الضار، و هم فی ذلك مختلفون فربما اعتقد بعضهم أن هذا نافع له دون غيره بل هو ضار، و ربما اعتقد غيره عكس ذلك، كما يتراءى ذلك فی تشخيص الأطباء منهم، فهم مع ما أنعم اللّه تعالى عليهم بالعقل متفاوتون فی ذلك، و هذا بخلاف محمد و آله الطاهرين فإنهم عليهم السّلام لما اعتدلت أمزجه نفوسهم غايه الاعتدال فی الاستعداد و فاقت الأضداد فلا يوجد فی أنفسهم الشريفه ما هو خلاف اعتدال الطبع، فلا محاله لا يأكلون و لا يشربون إلا ما وافق اعتدال مزاجهم، كلّ ذلك لكمال عقلهم و دركهم و علمهم بالأشياء النافعه، و أنهم يأكلون فی وقته، فإنه ربما كان الشیء نافعا

إلا أنه إذا أكل فى غير وقته، و عند فقدان شرائط كماله كان مضرا و هذا النحو من الأكل لا يصدر منهم عليهم السّلام. هذا مضافا إلى خلو طبائعهم عليهم السّلام من الأضداد المضره فى النفس فلا محاله لا تكون مواد الضرر موجوده فى ذواتهم، فهم لا محاله يستفيدون من الأطعمه و الأشربه حقّ الاستفاده و إن كانت أقل القليل، هذا بالنسبه إلى أنفسهم الشريفه بل نقول: إنهم عليهم السّلام لما كانوا مستغرقين فى الإقبال إلى ربّ العباد شاركوا بأنفسهم الشريفه السبع الشداد لما علمت من اعتدالها و مفارقه أضدادها، فكان مقتضى نفوسهم و طبيعتها إنشاء الأسباب، و الأشياء التى منها الأكل و الشرب على مقتضى الحكمه الكائنه فى أسرار الخليقه كما لا يخفى. بل نقول إن أسرار الخليقه فى الحقيقه إنما كانت أسرار محكمه مطابقه لمقتضى الحكمه، بحيث لا يكون ما عمل على هيئتها و ملاحظه نظمها إلا على أكمل وجه فى الصنعه، و هذه كلها لا تكون إلا هيئات نفوسهم و أمثال صورهم، التى انعكست أظلتها فى الخلائق، فكلّ عمل متقن حصل فى الوجود، و كان منشأ للكمال و الآثار الحسنه فهو منهم عليهم السّلام و من أشعه نفوسهم المكرمه بالتكريمات الإلهيه، فسبحان من جعلهم خزائن غيبه، و مصادر فيضه و سيبه، و رزقنا اللّه متابعتهم، و الاقتباس من أنوار معارفهم و ما رزقهم اللّه تعالى فى الدنيا و الآخره بمحمد و آله الطاهرين. و منها تكرمته تعالى إياهم بالعقل بأن دلّهم على علم الصنع فى الأشياء على حسب قابليتهم، و قد تمّ بيان بعضها إلا أنه نشير هنا إلى بعض ما تركناه، و هو أنه تعالى قد هيّأ لهم الأسباب العلويه و السفليه، فعلّمهم كيفيه إعمالها، لاستخراج مقتضياتها، فهم بقدر رسوخهم فى ذلك العلم يزرعون بأنواع الزراعات، و يصنعون و يأكلون و يلبسون، و يبيعون على حسب المنافع و يشترون، و يعملون الأعمال من سائر الصناعات التى أشير إليها سابقا، إلا أن المقصود هنا بيان أنه تعالى أطلعهم على ما غاب عنهم و ما سيكون بعد اطلاعهم من علم الجفر و النحو و الرمل و زجر

الطير و الأوضاع الكونيه من العلوم، قيل: و من أعجبها العلوم الخمسه المكتوبه من الكيمياء و الليمياء و الريمياء و الهيمياء و السيمياء التى أخفاها الحكماء أشد الخفاء، و لذا استعملوا فى ذكرها الإشارات و الرموز باللوازم البعيده. قيل: فعلم الكيمياء زراعه الذهب و الفضه و الجواهر النفيسه من الألماس و الياقوت و الزمرد و الفيروزج و اللؤلؤ و غير ذلك على وجه أعلى من المعدن و أصح. و علم الليمياء على الطلسمات، و منه ما يعمل بطبايع العقاقير، و علم الريمياء علم الشعبذات، و علم الهيمياء علم التسخيرات، و علم السيمياء علم التخيلات و هو من التسخيرات، أو من الطلسمات و العقاقير، فيعملون بها الأمور العجيبه الخارقه للعاده، فمنها ما هو محرم، و منها ما هو مباح، فهو تعالى أوقف عباده عليها لمصالحهم، فالجائزه منها لنفع المتقين، و الحرام منها لانعدام أعداء الدين، فإنه ربما يقال بأن المحرم منها و إن كان الواجب الاجتناب عنها إلا أنه ربما يعمل لهلاك العدو المعادى للمؤمنين و الأئمه عليهم السّلام فإنه بعد ما كانوا مهدورى الدم فلا إشكال فى إفنائهم بهذا الأمر الخارق للعاده المحرم إعماله بالنسبه إلى المؤمنين، نعم تشخيص موارد المحرم من الجائز منها مشكل جدّا، فتدبر. و منها: ما تقدم من اختراعهم بالعقل المراكب البريه و البحريه و الجويه، كما هو المتراءى اليوم فإنها قد بلغت فى الترقى إلى ما يبهر منه العقل كما لا يخفى و قد تقدمت الإشاره إليه آنفا.

و أما تكرمته تعالى إياه بالإسلام،

فنقول: قد ثبت فى علم الكلام أن الأحكام الإلهيه و الشرعيه و إن عبر عنها بالتكليف إلا أنها فى الواقع ألطاف منه تعالى لعباده، ليتوصلوا بها إلى الدرجات العاليه و السعاده الأبديه، و حيث إن الإنسان كان قد خلقه اللّه تعالى مستعدا للترقى و الكمال لما أودع فيه من فطره التوحيد، قال تعالى: (فِطْرَتَ اَللّٰهِ اَلَّتِی فَطَرَ اَلنّٰاسَ عَلَیْهٰا) (١).

١- ١) الروم:٣٠.

قال الصادق علیه السّلام فی بیانها بعد ما سئل عن الفطره، قال: «فطرهم علی التوحید» ، کما فی توحید الصدوق.

و فی الکافی عن الصادق علیه السّلام: أن اللّه خلق قلوب المؤمنین مطویّه علی الإیمان، فإذا أراد استناره ذلک نضحها بالحکمه و زرعها بالعلم، و الزارع لها و القیّم علیها ربّ العالمین، إلا أنه لما کان الإنسان جاهلا بکیفیه العمل فی مقام الاستفاده مما منحه اللّه تعالی من العقل و الإمکانات الذاتیه و الإیمان الإجمالی و التوحید الفطری، و أکرمه اللّه تعالی بالإسلام أی بالتکالیف الإلهیه حیث إنها هی الطریق إلی الإمدادات الربوبیه، التی یلتزم بها العبد فی مقام العبودیه و الاتصاف بالمعارف الإلهیه. و کیف کان فاللّه تعالی أکرمه بالتکلیف علی حسب ما اقتضته الحکمه الإلهیه بحسب الأزمنه و الأمکنه و القوابل، و ما تقتضیه الظروف فی العباد، و لذا قد یجعل له الحکم واقعیا، و قد یجعل له تقیه حسب ما تقتضیه الحکمه الشرعیه کما حقق فی محله، و قد تقدم فی أول الکتاب أن التکالیف تختلف علی حسب اختلاف المکلفین، فما کان اقتضاء المحل منهم أعلی کان وصف التکلیف أشرف و أدقّ، و العمل به أفضل کل ذلک تفضیلا لما تقضیه الحکمه الإلهیه فی الشریعه الإسلامیه، حیث إن الدین هو الإسلام المتضمن لبیان هذه الأحکام عن تلک الأحکام و العلل الشرعیه الإلهیه، و إنما سمی هذا الدین بالإسلام مع أن کل دین للّه هو الإسلام، لشرفه علی الأدیان عنده تعالی فاشتق اسما له من التسلیم و الانقیاد له تعالی و لأهل الحق، و من السلامه عن کل ما یؤذی أولیاءه و عن کل ما یوجب البعد عنه تعالی من المعاصی قال تعالی: (اُدْخُلُوا فِی اَلسِّلْمِ کَافَّهً) (1). ثم إن هذه التکرمه بالإسلام مستلزمه لتکرمته تعالی إیاهم بإیداع تلک

1- 1) البقره:208.

الاستعدادات فيهم من العقل و الإيمان و التوحيد الفطرى، و لذا لا دليل على أنهم ما منحوا تلك الإمكانات إلا بإخباره تعالى بلسان أنبيائه، فعليه فلا يقال: إن هذه الأمه استحقوا الإسلام لاستعداداتهم الذاتيه فلا تكرمه له تعالى إياهم، بل إنما استحقوا بذاتهم و غيرهم من سائر الأمم لما كانوا ناقصين فاقدين لهذا الاستعداد، فلا محاله لم يستحقوا هذا الدين، و ذلك لأن هذا الذاتى أيضا مما منحه اللّه تعالى لهم، هذا مضافا إلى أنه تعالى له أن يمنعهم الإسلام و إن كانوا مستحقين لذلك، لأن الخير بيده و من ملكه فهو جواد إن أعطى و جواد إن منع، فإنه إن أعطى أعطى ما ليس لهم، و إن منعهم منعهم ما لم يكن لهم، فليس للحق عليه تعالى تحكّم فى الاستعطاء لأجل مقتضى ذاتهم، إذ لم يكونوا بذلك الذاتى مالكين لما عند اللّه حتى يستحقوا منه بالحتم، نعم لما كان من تكرمته سبحانه لمحمد و آله بأن جعل لهم عليهم السّلام الإسلام الذى هو دينه و جعله فرعا لهم عليهم السّلام و غصنا من شجره ولايتهم، و ثمره لشجره دعوتهم، فكان الذى قبل هذه الدعوه هو شيعتهم، و ذلك لما فى ذاتهم من الميل إليهم، و إلى دعوتهم عليهم السّلام لما خلقوا من فاضل طينتهم عليهم السّلام. ففى الحقيقه الإسلام الحقيقى انما هو الشيعه، لتلك المناسبه الذاتيه الطينيه، و أما غيرهم و إن كان فى ذاتهم الاستعداد الإلهى للقبول، إلا أنهم لعدم قبول الولايه فى مظانها الدنيويه و ما قبلها عالم الأرواح صاروا محرومين عن قبول الإسلام الحقيقى، كما لا يخفى و سيجىء شرحه إن شاء اللّه تعالى.

[تكرمه سجود الملائكه لهم عليهم السلام]

ثم إنه يستفاد مما تقدم من حديث عبد السلام بن صالح الهروى من

قوله عليه السّلام فيما قال: و أمر الملائكه بالسجود تعظيما لنا و إكراما، الحديث. إنه من أفضل تكرمه كرم بها الغنى المالك الجبار عباده الضعفاء حيث أسجد لهم الملائكه المقربين المستغرقين بخدمته، و معلوم أن السجود أعظم مراتب الخضوع و الذله،

و لذا ورد: أقرب ما يكون العبد إلى اللّه إذا كان ساجدا و فى بعض الروايات: إذا كان ساجدا جائعا.

و یستفاد منه أیضا أن هذه التکرمه لآدم علیه السّلام الجاریه لأولاده أیضا، إنما کان البعث لها کون أشباحهم علیهم السّلام فی صلب آدم،

و لذا قال صلّی اللّه علیه و آله: و کان سجودهم للّه عز و جل عبودیه، و لآدم إکراما و طاعه لکوننا فی صلبه. ففی الحقیقه یکون السجود إظهارا لآثار ما کرم اللّه محمدا و آله الطاهرین. أقول: و لعمری إن هذه تکرمه لمحمد و آله صلّی اللّه علیه و آله و یا لها من تکرمه لهم حیث جعلهم اللّه تعالی موصولین به تعالی، و ممزوجین بما نسبه إلیه تعالی من المسجودیه، التی هی مختصه له تعالی و إن الداعی مختلف، حیث إن السجود لهم علیهم السّلام إکرام و طاعه کما علمت، إلا أنه یستفاد منه أن طاعتهم طاعته تعالی، ضروره أن السجود لهم سجود له تعالی فی الحقیقه قصدا کما علمت، و أیضا تکون معصیتهم معصیته، و رضاهم رضاه، و سخطهم سخطه. و إلیه یشیر

ما روی فی التوحید و الکافی عن الصادق علیه السّلام فی تفسیر قوله تعالی: (فَلَمّا آسَفُونا اِنْتَقَمْنا مِنْهُمْ) (۱)، قال: إن اللّه تبارک و تعالی لا یأسف کأسفنا، و لکنه خلق أولیاء لنفسه یأسفون و یرضون، و هم مخلوقون مدبّرون، فجعل رضاهم لنفسه رضا، و سخطهم لنفسه سخطا، و ذلک لأنه جعلهم الدعاه إلیه و الأدلاء علیه، فلذلک صاروا کذلک و لیس أن یصل إلی اللّه کما یصل إلی خلقه، الحدیث. أقول: هذا بعض المعانی المذکوره للمکرمین أی الممدوحین منه تعالی بالتکرمات الظاهریه، و لعلها کلها تشیر إلی التکرمه الباطنیه لهم خاصه علیهم السّلام و هی أنهم علیهم السّلام المکرّمون أی المطهّرون بآیه التطهیر و المنزهون عما تقع علیه عبارات الناس. کما

روی عن علی علیه السّلام فی خطبه قوله علیه السّلام: ظاهری إمامه و باطنی غیب لا یدرک

و فی خطبته أیضا: «إنما الذی لا یقع علیه اسم و لا صفه» .

۱- ۱) الزخرف:۵۵.

أی من المخلوقين لعدم دركهم حقيقته عليه السّلام فكيف لهم التسميه أو التوصيف؟ ! و قصارى الكلام أن الثناء على اللّه تعالى إنما هو بأسمائه و هم عليهم السّلام أسماؤه و كلّ شیء يسبح اللّه بأسماء كما فی زيارتهم فی يوم الجمعه و هم عليهم السّلام أسماؤه، و إنما يسبح اللّه تعالى الخلق كل على قدر معرفته بالأسماء و بقدر إحاطته بها. و من المعلوم أنهم مختلفون فی ذلک، و لا يسبح اللّه فی الحقيقه إلّا هم عليهم السّلام و لذا قال تعالى: (سُبْحانَ اَللّهِ عَمّا يَصِفُونَ. إِلاّ عِبادَ اَللّهِ اَلْمُخْلَصِينَ) (١). المفسر بهم عليهم السّلام و أنهم أكمل المخلصين كما لا يخفی، فهم عليهم السّلام العارفون به تعالى، و هم معارفه و محال معارفه، و لا يعرف اللّه إلّا بسبيل معرفتهم كما علمته سابقا، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا، و صلّى اللّه على محمد و آله الطاهرين الأطيبين.

قوله عليه السّلام: المقرّبون

اشاره

اعلم: أن القرب إما منه تعالى للعبد، و إما قرب العبد إلى اللّه تعالى.

أمّا الأوّل:

و إليه أشير فی قوله عليه السّلام فی تفسير قوله تعالى: (اَلرَّحْمنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوى) (٢).

ففی توحيد الصدوق عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: (اَلرَّحْمنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوى) قال: استوى من كلّ شیء فليس شیء أقرب من شیء لم يبعد منه بعيد و لم يقرب منه قريب، استوى من كلّ شیء.

فقوله عليه السّلام: فليس شیء أقرب إليه من شیء، يفسر

قوله عليه السّلام: لم يبعد منه بعيد، و لم يقرب منه قريب، أی ما يتصور كونه بعيدا ليس بالنسبه إليه تعالى بعيدا، و إن فرض كونه قريبا إليه، ليس هو أقرب إليه تعالى من قريب آخر، بل الكلّ متساوون

١- ١) الصافات:١٠٩.

٢- ٢) سوره طه:٥.

فی أنه تعالی استوی منه،

و لذا قال علیه السّلام بعد هذا التفصیل استوی من کلّ شیء، أی الکلّ متساوون فی هذا الاستواء، و المراد من استوائه تعالی علی الکلّ المساواه فی النسبه، أی أنه تعالی قیّوم لکلّ شیء بالمساواه، و مستو علیه بالعلم و القدره و الغلبه، و الأخذ بالناصیه بنسبه هذا بحسب الظاهر، و اللّه العالم. و یمکن أن یراد من الاستیلاء علیه، أو الاستقامه علیه کما قیل، فهذا الاستیلاء و الاستواء منه تعالی لکل شیء استلزم قرب المستولی علیه إلیه تعالی بالملازمه العقلیه، إلا أن هذا القرب لیس قربا یطلبه أولیاء اللّه تعالی، فلیس هذا فضلا، و لا فضیله لأحد، لأن أنقص خلق و شرهم له هذا القرب من شئون عظمته تعالی و قاهریته بالنسبه إلی الخلق، فهو من أوصافه الجلالیه کما لا یخفی. و إلیه یشیر ما

فی دعاء الجوشن الکبیر من قوله علیه السّلام:

«یا من هو فی علّوه قریب»

قال المحقق العارف السبزواری رضی اللّه عنه: یعنی أنه فی عین کونه فی مقام غیب غیبوبه قریب إلی أدنی الأدانی، و عرشه محیط بالفرش لا کالعالی الجسمانی حیث یخلو منه الدانی. نعم هو قریب لا بالمقارنه کمقارنه الشیء مع الشیء مع الشیء بل قربه قرب الشیء مع الشیء، و السرّ فی هذا القرب أنه لما کانت الموجودات فقراء فی ذواتها إلیه تعالی، و متقوّمات فی وجوداتها بقیومیته تعالی، و منطویات بظهوراتها فی ظهوره، بل هی نفس الفقر و الظهور، کان قربه تعالی أعلی القربات غیر مشوب بشیء من أنحاء البعد، فلیس له مکان و زمان حتی یتقرب من شیء بحسبهما فهو قریب إلی کل شیء بلا کیفیه ثابته فی المتقاربین فی المخلوقین. و لعله إلیه یشیر قوله تعالی: (وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْ حَبْلِ اَلْوَرِیدِ) (۱). فإن الورید عرق متفرق فی البدن، فیه مجاری الدم، و المعنی و اللّه العالم أن حیوه الإنسان بذلک الورید، بل هی هو من شده القرب و الاتحاد، فهو تعالی أقرب إلی

۱- ۱) سوره ق:۱۶.

حیاته التی هی وجوده من حبل الورید، و إضافه الحبل إلیه بیانه، و هذا تقریب منه تعالی للمقصود، أعنی قربه به بجمله ساذجه یسهل تلقیها لعامه الأفهام، و إلا فأمر قربه تعالی إلی الإنسان أعظم من ذلک، و من أن یوصف و لکونه دقیقا یشقّ تصویره علی أکثر الأفهام، بیّنه سبحانه فی کلامه بنحو آخر و هو قوله تعالی (أَنَّ اَللّهَ یَحُولُ بَیْنَ اَلْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ) (۱)، فهذا کمال قربه من جمیع الجهات بلا کیفیه مکانیه زمانیه.

و أما الثانی: أعنی قرب العبد إلیه تعالی،

اشاره

فهو علی قسمین:

القسم الأول: الاعتباری،

بمعنی أن العبد المتقرب إلیه تعالی یکون مورد نظره تعالی، بأن یرحمه، و یستجیب دعاءه و یرزقه الرزق الحسن، و یدخله الجنه و ینعمه بنعمها و هکذا. و بعباره أخری: یکون محترما عنده تعالی، و هذا التقرب یحصل بإتیان الأعمال الصالحه من الوظائف الشرعیه مطلقا، إذا کانت صادره عن إخلاص، و قد دلّت علیه کثیر من الأدله علی ثواب الأعمال کما لا یخفی. و هذا القرب یکون للمؤمن و لأولیاء اللّه تعالی أیضا، إلا أنه لیس المراد من

قوله علیه السّلام:

و المقرّبون

، بل المراد منه هو القسم الثانی من القرب بما له من المعنی الأعلی.

القسم الثانی:

و حاصله: أن المستفاد من الأحادیث من مثل

قوله علیه السّلام: «و خلقه الخلق حجاب بینه و بینهم» ، أن نفس الخلق هو الحجاب، و حقیقه الخلق هو الحدّ الموجب لخفاء الحق، و ذلک الحد إما بالجهل بالمرّه أو ببعض مراتبه الکثیره، أو بالعجز بالمره أو ببعض مراتبه الکثیره، أو بالمظلمه بالمره أو ببعض مراتبها الکثیره، أو بالشک بتمامه أو ببعض مراتبه الکثیره، أو بالغفله بتمامها أو ببعض مراتبها الکثیره فإنها من أعظم الحجب، بل هی الحجاب غالبا للکل، و لذا قیل إن الغفله عنه تعالی هو المانع لمشاهدته تعالی بالقلب، و إلا فلو ذهل الإنسان عن الحدود الخلقیه و انغمس فی التوجه إلیه تعالی بالإعراض عن حدوده و هوی نفسه، فربما یتجلی لقلبه شطر

۱- ۱) الأنفال:۲۴.

الحق، فكلما كان التوجه أدوم و أشدّ كان التجلى أزيد كما لا يخفى. فالخلق هو الحجاب المنقسم بهذه الأنواع المنقسمه إلى افراد كثيره فى كل نوع منها، فالوجود الحقيقى لا حدّ له أصلا و لا رسم و لا نعت، فإذا وجد شىء بإيجاده تعالى وجد بالحدّ المفسر بما ذكر، و هذه الحدود كثيره جدّا.

ففى الحديث: «إن بين اللّه تعالى و بين خلقه سبعين ألف حجاب من نور و ظلمه» فكلّ موجود مساوق للحدّ الذى هو الحجاب، فإذا تخلق الإنسان بأخلاق اللّه، و وصل إلى مرتبه الفناء فى اللّه تعالى، الذى علمت أنه عباره عن مشاهده كلّ كمال فى وجوده تعالى، و هذا الوصل له مراتب حسب السالكين، فالواصل الكامل هو المتقرب إليه بالقرب المعنوى، ثم لا يخفى أنه ليس المراد منه القرب إلى ذاته تعالى بالتماس و الحلول و الآحاد كما توهمه بعض المتصوفه (لعنهم اللّه) بل المراد هو ظهور حقائق أسمائه الجلاليه و الجماليه لدى العارف به تعالى بحسب تجرّده عن الحدود الخلقيه، و التخلق بالأخلاق الإلهيه، ثم إن هاهنا أمثله للقوم فى بيان تقريب هذا القرب المعنوى إلى الذهن، فنحن نذكرها، ثم نعقبها بالأحاديث الوارده الداله على أنهم عليهم السّلام أحسن مصاديق المقربين إليه تعالى، فنقول عليه التوكل. قالوا: مثال القرب «وَ لِلّٰهِ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلىٰ» المرآه فى استضاءتها من الشمس، فإنها أقرب إلى الشمس من الأرض معنى و قابليه، فإن الشمس تشرق عليها و على الأرض بنسق واحد و نسبه واحده، إلا أن المرآه لشدّه قابليتها لأجل صفائها الذاتى المفارق بها عن الأرض يكون استشراقها من الشمس و اتصافها من نور الشمس أشدّ من غيره من الأرض، أو من ساير ما طلعت عليه الشمس كالأجسام الرقيقه، فلهذه القابليه الشديده إذا نظرت إليها حينئذ تراها كالشمس لا فرق بين المرآه و بين الشمس فى الإضاءه، إلا أن إضاءه المرآه من الشمس، و المرآه كالأرض فى أن الشمس لم تشرق عليها أكثر من إشراقها على الأرض، و لكن لشدّه قربها المعنوى

للشمس، و إن كانت على الأرض و إلى هذا القرب يشير ما فى

دعاء الحجه عجل اللّه فرجه الوارد فى شهر رجب من قوله عليه السّلام:

و مقاماتک التى لا تعطيل لها فى كل مكان يعرفک لا فرق بينک و بينها إلا أنهم عبادک و خلقک.

فقوله عليه السّلام:

لا فرق بينک و بينها

، نظير قولک: إن المرآه لا فرق بينها و بين نور الشمس إلا أنها مستضاءه من الشمس أى لا وجود لها بنفسها مستقلا من حيث الاستشراق، بل هى فقر مثل

ما ذكر فى الدعاء من قوله:

إلا أنهم عبادک . و إليه أيضا يشير ما

روى عن الصادق عليه السّلام على ما ذكره كثير من العلماء فى كتبهم العرفانيه من قوله عليه السّلام:

«لنا مع اللّه حالات، نحن فيها هو، و هو نحن، و نحن نحن، و هو هو» . فنقول: إنه يمكن درک ما قاله عليه السّلام من المثال المذكور، فإن المرآه حين أشرقت عليها الشمس، لها أن تقول بلسان حالها، لى مع الشمس حالات، أى حينما أشرقت عليها، فإنها حين لم تشرق عليها تكون كسائر الفلزات، إلا أنها حين الإشراق لها أن تقول: أنا الشمس، و الشمس أنا، كل ذلک بلحاظ الإشراق فقوله: أنا، حين الإشراق يراد منه المرآه المشرقه لا غيرها، فهى حينئذ الشمس و الشمس هى، و لها حينئذ أن تقول أنا أنا، أى بلحاظ ذاتى مع قطع النظر عن الإشراق أنا أنا أى أنا الفلز المظلم، و لها حينئذ أن تقول: هى هى أى الشمس هى الشمس، أى حين الإشراق الشمس شمس لا أن الشمس حينئذ مرآه، بل هى هى أى مع قطع النظر عن المرآه هى هى، فليس هناک حلول و لا اتحاد بل ظهور فى مظاهر المرآه، و قد علمت أن الموجودات كلّ بحسبه لها نحو من الاستضاءه من أنوار جماله و جلاله، و علمه و قدرته، إلا أن كل واحد بحسبه وحّده إلا محمد و آله الطاهرون فإنهم لكمال قربهم المعنوى يصحّ لهم هذا القول دون غيرهم. و مثال آخر: الحديده المحماه من النار فانها حينئذ كالنار فى فعلها، و لا فرق بينها و بينها فى الإحراق، إلا أن النار تحرق بفعلها، و الحديده تحرق بفعل النار الظاهره

على الحديـده، و ذلك لمجاورتها و قربها من النار بحيث إذا نظرت إلى الحديده لم تر إلا حمره النار، فالعارف الواصل إذا كان قربه إليه تعـالى كقرب الحديـده إلى النـار، و كـان لـذاته قابليه كقابليه الحديـده فى قبولها لحراره النار، فلا محاله تؤثر فيه الآثار الربوبيه من العلم و القـدره و النورانيه و الفعـل، فيكون فعله تعـالى فعله، و بـالعكس مع حفـظ مقـام ربوبيته تعالى و مقام عبوديه العبـد حينئـذ إذا أعمل قـدره فى الموجودات كقـدره اللّه تعالى يكون عمله بفعله تعالى، نظير ما علمت من أن فعل الحديده من الإحراق بفعل النار الظاهر عليها و كـذلك هـذا العبد، إذا علمت هذا فنقول: إن الأئمه عليهم السّـلام هم المقربون بهذا النحو من القرب. بيانه: أنهم عليهم السّلام لصفاء روحهم عليهم السّلام حيث إنهم خلقوا من نور عظمته كما علمت مرارا و أنّهم المطهرون من كـل شـك و حجـاب و رذيله، كما دلّت عليها آيه التطهير النازله فيهم عليهم السّـلام و سـتأتى أيضا الأخبار الـداله على هـذا أيضا، فلا محاله يكون قربهم إلى ربهم بمثابه من الشده بحيث صاروا مخلصين (بالفتح) و منزهين عن غيره تعالى فعلا و صفه، و ليس لهم التفات إلى غيره أبدا، فقد خلصت طاعتهم له تعالى و انقطاعهم إليه تعالى بحيث غابوا فى حضوره عن أنفسـهم، و هذا الحال هو حقيقه العبوديه التى كنهها الربوبيه، فهم حينئـذ كالحديده المحماه التى ليس فيها إلا أثر النار فقط، فلا محاله حينئذ قد ظهر عليهم عليهم السّـلام فعله تعالى، كما ظهر على الحديده فعل النار، فكان فعلهم فعل اللّه، و إلى هذا القرب بهذا المعنى يشير قـوله تعـالى: (وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ رَمىٰ) (١)، فحينئـذ إذا كـان فعلهم فعـل اللّه تعـالى، و فعـل اللّٰه تعالى ظاهر منهم فيكون الإقبـال إليهم عليهم السّـلام إقبالا إليه تعـالى و إطـاعه له قـال تعـالى: (مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَـدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ) (٢)، و معصيتهم معصيه له تعالى و رضاهم رضا اللّه و سخطهم سخطه تعالى، و الأخذ عنهم هو الأخذ عن اللّه تعالى، و الرّد عليهم ردّ

١- ١) الأنفال:١٧.

٢- ٢) النساء:٨٠.

علیه تعالی و هکذا کما دلّت علیه الأخبار، و سیأتی فی الشرح

لقوله علیه السّلام:

«من أحبکم فقد أحب» إلخ ما یزید ذلک وضوحا. ثم إنه قد تقدم أن الأئمه علیهم السّلام لهم مقام العندیه للّه تعالی المشار إلیه فی قوله تعالی: (إِنَّ اَلَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ. .) (۱)(. . وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ یَسْتَحْسِرُونَ) (۲)، و قد تقدم حدیث مفضل بن عمر فی بیان قربهم علیهم السّلام عنده تعالی المشار إلیه بقوله (عِنْدَ رَبِّکَ) أو (عِنْدَهُ) فی الآیه الثانیه، فظهر أن هذا القرب یختصّ بهم علیهم السّلام و لا یشارکهم أحد حتی الأنبیاء و الملائکه المقربون، و إن کان لکلّ منهم قرب إلیه تعالی یخصّه إلا أنه دون القرب الذی یکون لهم علیهم السّلام و إلی هذا القرب المعنوی المختصّ بهم علیهم السّلام یشیر ما ورد من الأحادیث فی شأنهم، منها:

ما فی المحکی عن کنز الفوائد عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: (فَأَمّٰا إِنْ کٰانَ مِنَ اَلْمُقَرَّبِینَ) قال: هذا فی أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأئمه من عبده علیه السّلام.

و فی غایه المرام (۳)للسید البحرانی رحمه اللّه بإسناده عن الباقر علیه السّلام. . إلی أن قال: قال أبو جعفر محمد بن علی الباقر علیه السّلام: «کان اللّه و لا شیء غیره، و لا معلوم و لا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمدا و خلقنا أهل البیت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّه خضراء بین یدیه لا سماء و لا أرض و لا مکان، و لا لیل و لا نهار، و لا شمس و لا قمر ففصل نورنا من نور ربّنا کشعاع الشمس من الشمس نسبّح اللّه و تقدّسه. . إلی أن قال علیه السّلام عنه تعالی: و کل شیء هالک إلا وجهی و أنتم وجهی، لا تبیدون و لا تهلکون، و لا یهلک و لا یبید من تولاّکم، و من استقبلنی بغیرکم فقد ضلّ و هوی. . إلی أن قال أبو جعفر علیه السّلام: فنحن أول خلق ابتدأ اللّه، و أول خلق عبد اللّه

۱- ۱) الأعراف:۲۰۶.

۲- ۲) الأنبیاء:۱۹.

۳- ۳) غایه المرام ص ۱۰۲.

و سبحه، و نحن سبب خلق الخلق، و سبب تسبيحهم و عبادتهم من الملائكه و الآدميين، فبنا عرف اللّه، و بنا وحّد اللّه، و بنا عبد اللّه، و بنا أكرم اللّه من أكرم من جميع خلقه، الحديث بطوله فى ص ١٠٢ فراجعه.

فقوله عليه السّلام: ففضل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس،

و قوله عليه السّلام: «إنهم تعالى خلقهم من نور عظمته» يشير و يدل على هذا القرب المعنوى الذى ذكرناه كما لا يخفى.

و فى تفسير نور الثقلين (١)، عن أمالى شيخ الطائفه رضى اللّه عنه بإسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «لما عرج بى إلى السماء و دنوت من ربى عز و جل حتى كان بينى و بينه قاب قوسين أو أدنى، قال لى: يا محمد من تحب من الخلق؟ قلت: يا رب عليّا قال: التفت يا محمد، فالتفت عن يسارى فإذا على بن أبى طالب عليه السّلام» .

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «حتى كان بينى و بينه. . إلخ يشير إلى ذلك القرب، الذى لم يكن لأحد حتى للملائكه المقربين كما صرحت به الأحاديث» . ثم إن هذا القرب و ما له من رؤيه الفؤاد ما رأى المشار إليه بقوله تعالى: (مٰا كَذَبَ اَلْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ) (٢)يراد منه المشاهده العينيه للفؤاد، و هى نوع من الإدراك الشهودى للإنسان وراء الإدراك بأحد الحواس الظاهره، أو بالحواس الباطنه من التخيّل و التفكير، و ذلك كما أننا نشاهد من أنفسنا أننا نرى مع أنه ليست هذه المشاهده العيانيه إبصارا بالبصر و لا معلوما بالفكر، و كذا نرى من أنفسنا أننا نسمع و نشمّ و نذوق و نلمس، أننا نتخيل و نتفكر، و ليست هذه الرؤيه ببصر، أو من الحواس الظاهره أو الباطنه فإنا كما نشاهد مدركات كلّ واحده من هذه القوى بنفس تلك القوه، كذلك نشاهد إدراك كلّ منها لمدركها، و ليست هذه المشاهده بنفس تلك القوه، بل بأنفسنا المعبّره عنها بالفؤاد.

١- ١) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ١۵٨.

٢- ٢) النجم:١١.

و إنما ذكرنا هذا البيان دفعا لما توهم من تحقيق الرؤيه منه عليه تعالى بالبصر، بل المراد هو درك الفؤاد بنحو ما ذكرنا المعبر عنه برؤيه الفؤاد، و هذه الرؤيه قد علمت أنها تكون لنا أيضا، و لم تكن رؤيه البصر قطعا كما لا يخفى. و هناك أحاديث كثيره وارده فى بيان معراجه صلّى اللّه عليه و آله و كيفيته و حقيقته، تدل على قربه صلّى اللّه عليه و آله و قربهم منه تعالى بحيث لا يشاركهم فيه أحد، فراجع. و يشير إلى ما ذكرنا

ما رواه بعضهم عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: إن للّه تعالى شرابا لأوليائه إذا شربوا سكروا، و إذا سكروا طابوا، و إذا طابوا ذابوا، و إذا ذابوا أخلصوا، و إذا أخلصوا طلبوا، و إذا طلبوا وجدوا، و إذا وجدوا وصلوا، و إذا وصلوا اتصلوا، و إذا اتصلوا لا فرق بينهم و بين حبيبهم. قيل:

قوله عليه السّلام: «إن للّه تعالى شرابا» يشير إلى قوله تعالى: (وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً) (۱).

و قوله عليه السّلام: «و إذا اتصلوا لا فرق بينهم و بين حبيبهم» يشير إلى ما قلناه من القرب المعنوى، الذى يكون فعل المحبوب ظاهرا فى المحب بحيث ينفى المحبّ عن نفسه. قيل: و هذا شراب المحبّه بكأس الشوق و الإراده فى عالم الأرواح قبل الأجساد، حتى لا يبقى بينهم و بينه مغايره، و لا من إنّيتهم بقيّه، و يكون المحبّه و المحب و المحبوب شيئا واحدا كما قيل: «إذا تمّ الفقر فهو اللّه» و المراد بهذا الوحده ما أشرنا إليه فى الحديده المحماه التى ليس فيها شىء إلا أثر النار. قيل: و ليس هذا هو السكر المذموم أعنى الموجب للمحبّ و السالك الهتك و الشطح، بل هو السكر المحمود المخصوص بالكمال المكمّل الموجب للمشاهده و الذوق، و التحيّر فى جمال المعشوق المعبّر عنه بالسير فى اللّه دون السير للّه و باللّه

ص: ۲۷۳

۱- ۱) الإنسان:۲۱.

فإنهما منقطعان غير باقيين، و هذا بخلاف الأول فإنه باق و مصداق هؤلاء هم المحبوبون من الأنبياء و الأولياء و التابعين من شيعتهم الخلّص المكمّل على قدم الصدق و الإخلاص التام، فإنهم وصلوا إلى اللّه تعالى من غير عمل سابق و سبب لاحق، بل بمحض العنايه و كمال المحبه كما تقدم من

قول الرضا عليه السّلام: «كل ذلك بلا طلب و لا اكتساب بل لطف من المفضل الوهاب» ، فراجع. و هؤلاء هم الأبرار المقربون، الذين شربوا من شراب المحبّه و الشوق بكأس العشق و العنايه و الإراده الذاتيه قبل أن يخلق العالم و ما فيه، و تقدم أنه إلى هذا الشراب أشير فى قوله تعالى: (وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً) (۱).

قوله عليه السّلام: المتّقون

اشاره

أقول: الكلام فى شرح هذه الكلمه يقع فى أمور: فى تعريف التقوى. فى مراتب التقوى. فى آثارها. فى مصاديق المتّقين.

الأول: فى تعريف التقوى.

قال فى المجمع: و التقوى فعلى كنجوى، و الأصل فيه و قوى من وقيته منعته، قلبت الواو تاء. قال: و التقوى فى الكتاب العزيز جاءت لمعان: الخشيه و الهيبه، و الطاعه و العباده، و تنزيه القلوب عن الذنوب، و هذه-كما قيل-هى الحقيقه فى التقوى دون الأولين، هذا فى أصل التقوى.

۱- ۱) الإنسان:۲۱.

و أما التقوى المشار إليها فى قوله تعالى: (اِتَّقُوا اَللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ) (١)و أصل تقاه وقاه، فهو

ما رواه الصدوق فى معانى الأخبار عن أبى بصير قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تعالى (اِتَّقُوا اَللّٰهَ حَقَّ تُقٰاتِهِ) قال: يطاع فلا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر. و قيل: حقّ التقوى اتقاء جميع المعاصى. و قيل: إنه المجاهده فى اللّه و أن لا تأخذه فى اللّه لومه لائم، و أن يقام له بالقسط فى الخوف و الأمن. أقول: قد يقال: إن حقّ التقوى منسوخ بقوله تعالى: (فَاتَّقُوا اَللّٰهَ مَا اِسْتَطَعْتُمْ) و ردّ بوجوه و بيانه موكول فى التفسير فراجعه. و فى السفينه: قال المجلسى: التقوى من الوقايه، و هى فى اللغه فرط الصيانه، و فى العرف صيانه النفس عما يضرها فى الآخره، و قصرها على ما ينفعها فيها و لها ثلاث مراتب: الأولى: وقايه النفس عن العذاب المخلّد بتصحيح العقائد الإيمانيه. و الثانيه: التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك، و هو المعروف عند أهل الشرع. و الثالثه: التوقى عن كلّ ما يشغل القلب عن الحقّ، و هذه درجه الخواص، بل خاص الخاص. و حكى عن بعض الناسكين أنه قال له رجل: صف لنا التقوى، فقال: إذا دخلت أرضا فيها شوك ما كنت تعمل؟ فقال: أتوقى و أتحرّز، قال: فافعل فى الدنيا كذلك فهى التقوى.

و فيه سئل الصادق عليه السّلام عن تفسير التقوى، فقال: أن لا يفقدك حيث أمرك، و لا

١- ١) آل عمران:١٠٢.

يراك حيث نهاك. و أحسن حديث فى تعريف التقوى و بيان أقسامها

ما فى مصباح الشريعه، قال الصادق عليه السّلام: التقوى على ثلاثه أوجه: -تقوى باللّه فى اللّه و هو: ترك الحلال فضلا عن الشبهه، و هو تقوى خاص الخاص. -و تقوى من اللّه و هو: ترك الشبهات فضلا عن الحرام، و هو تقوى الخاص. -و تقوى من خوف النار و العقاب و هو: ترك الحرام و هو تقوى العام. و مثل التقوى كماء يجرى فى نهر، و مثل هذه الطبقات الثلاث فى معنى التقوى كأشجار مغروسه على حافه ذلك النهر من كلّ لون و جنس، و كل شجره منها تمتصّ الماء من ذلك النهر على قدر جوهره و طعمه و لطافته و كثافته، ثم منافع الخلق من تلك الأشجار و الثمار على قدرها و قيمتها. قال تعالى: (صِنْوٰانٌ وَ غَيْرُ صِنْوٰانٍ يُسْقىٰ بِمٰاءٍ وٰاحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَهٰا عَلىٰ بَعْضٍ فِي اَلْأُكُلِ) (١). فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار، و مثل الأشجار و الأثمار فى لونها و طعمها مثل مقادير الإيمان، فمن كان أعلى درجه فى إيمان و أصفى جواهر بالروح كان أتقى، و من كان أتقى كانت عبادته أخلص و أطهر، و من كان كذلك كان من اللّه أقرب، و كلّ عباده غير مؤسسه على التقوى فهى هباء منثور. قال اللّه تعالى: (أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيٰانَهُ عَلىٰ تَقْوىٰ مِنَ اَللّٰهِ وَ رِضْوٰانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيٰانَهُ عَلىٰ شَفٰا جُرُفٍ هٰارٍ فَانْهٰارَ بِهِ فِي نٰارِ جَهَنَّمَ) (٢). و تفسير التقوى ترك ما ليس بأخذه بأس حذرا عما به بأس، و هو فى الحقيقه طاعه و ذكر بلا نسيان، و علم بلا جهل، مقبول غير مردود.

۱- ۱) الرعد:۴.

۲- ۲) التوبه:۱۰۹.

و قال بعضهم: تقوى المقربين من غفله لمحه عن القرب مع اللّه تعالى، و تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و أعلام التقى»

، معنى التقوى التى هم عليهم السّـلام أهلها و يأمرون بها، فراجعه. هذا بعض الكلام فى تعريف التقوى، و تفسيره بحسب اللغه و الأحاديث و كلمات القوم.

الثانى: فى مراتب التقوى.

فعلم من

قول الصادق عليه السّلام فى تفسير حق التقوى: أن التقوى إما فى القلب و هو أن يذكر اللّه و لا ينسى، و إما فى الجوارح فهو أن يطاع و لا يعصى و اما فى اللسان و هو أن يشكر على نعمائه و لا يكفر و لا يبعد أن يقال: إن مراتب التقوى تدور مدار مراتب الإيمان، و يدل على ذلك:

ما فى البحار عن مشكاه الأنوار نقلا عن المحاسن، قال أمير المؤمنين عليه السّـلام: التقوى سنخ الإيمان، إلى أن قال: و قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «لا يغرنك بكاؤهم انما التقوى فى القلب» . أقول: كما أن الإيمان فى القلب

لقوله عليه السّلام: «الإيمان ما وقّر به القلب» ، و قد تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و أبواب الإيمان، بيان الإيمان و أصله و مراتبه»

، فراجعه. نعم، التقوى الكامل انما هو فوق الإيمان.

ففى الوافى عن الكافى عن الوشا عن أبى الحسن عليه السّـلام قال سمعته يقول: «الإيمان فوق الإسلام بدرجه، و التقوى فوق الإيمان بدرجه، و اليقين فوق التقوى بدرجه، و ما قسّم فى الناس شىء أقل من اليقين» . هذا و قد علمت من

قوله عليه السّـلام فى مصباح الشريعه: مراتب التقوى الثلاث حسب اختلاف المتقين، فلكلّ طائفه مرتبه من التقوى تخصّها، و اللّه العالم.

الثالث: فى آثارها.

فقد دلت أحاديث كثيره على آثار التقوى و علاماتها، بل جميع علامات الإيمان

علائم التقوى أيضا، لأن التقوى سنخ الإيمان و فرعه كما لا يخفى، و نحن نذكر نبذا منها للتبرك بها، فنقول:

فى البحار عن تفسير العياشى و روضه الواعظين عن أبى بصير عن جعفر عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: «إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، و أداء الأمانه، و الوفاء بالعهد، و قله الفخر و البخل، و صله الأرحام، و رحمه الضعفاء، و قله المواتاه للنساء، و بذل المعروف، و حسن الخلق، و سعه الحلم، و اتباع العلم فيما يقرّب إلى اللّه، طوبى لهم و حسن مآب، و طوبى شجره فى الجنه أصلها فى دار رسول اللّه، فليس من مؤمن إلا و فى داره غصن من أغصانها لا ينوى فى قلبه شيئا إلاّ أتاه ذلك الغصن به، و لو أن راكبا مجدا سار فى ظلّها مائه عام لم يخرج منها، و لو أن غرابا طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتّى يبيض هرما ألا ففى هذا فارغبوا إن للمؤمن من نفسه فى شغل، و الناس منه فى راحه إذا جنّ عليه الليل فرش وجهه و سجد للّه تعالى ذكره بمكارم بدنه، و يناجى الذى خلقه فى فكاك رقبته ألا فهكذا تكونوا.

الرابع: فى بيان مصاديق المتقين.

مما تقدم ظهرت طبقات المتقين و مراتبهم من الخلق، فالمحسنون منهم هم الذين جمعوا المراتب الثلاث التى أشير إليها فى حديث مصباح الشريعه، و قاموا بكل ما يراد فيها، و هم أهل محبه اللّه، و هم على مراتب يتفاضلون فيها على قدر معرفتهم و علمهم و أخلاقهم و صدقهم إلى أن تنتهى بهم المراتب إلى مقام الأولويه المطلقه فى الإمكان و عالم الخلق فيفردون حينئذ عن الخلق أجمعين، و هذه الطبقه أعلاهم و أكملهم محمد و آله الطاهرون ثم يأتى ما سواهم، فهم المتقون على الحقيقه، و ما سواهم فهم فى التقى أتباعهم، و هم عليهم السّلام أحسن مصداق لقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اِتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا

اَلصّالِحاتِ ثُمَّ اِتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اِتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اَللّهُ يُحِبُّ اَلْمُحْسِنِينَ)

(۱)

و ربما يقال: إنّ التقوى المذكوره فى الآيه المباركه ثلاث مرات تشير كل واحده منها إلى واحده من المراتب المذكوره فى حديث مصباح الشريعه على الترتيب، و اللّه العالم. و يعجبنى أن أذكر نبذا من الأحاديث الوارده فى تقواهم عليهم السّلام خصوصا فى أمير المؤمنين عليه السّلام.

ففى البحار نقلا عن المحاسن باسناده عن أبى أيوب الأنصارى، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أقول: أى لعلى بن أبى طالب عليه السّلام إن اللّه زيّنك بزينه لم تزيّن العباد بشىء أحبّ إلى اللّه منها و لا أبلغ عنده منها الزهد فى الدنيا، و إن اللّه قد أعطاك ذلك، جعل الدنيا لا تنال منك شيئا، و جعل لك من ذلك سيماء تعرف بها.

و فى كتابه لعثمان بن حنيف، و هو عامله على البصره ما يشعر بزهده عليه السّلام و تقواه: ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه ألا و إنكم لا تقدرون على ذلك، و لكن أعينونى بورع و اجتهاد، و عفه و سداد. .

و فى البحار أيضا، و روى أبو عبد اللّه بن حمومه البصرى بإسناده عن سالم الحجدرى قال: شهدت على بن أبى طالب عليه السّلام أتى بمال عند المساء، فقال: اقتسموا هذا المال. فقالوا: قد أمسينا يا أمير المؤمنين، فأخّره إلى غد، فقال لهم: تقبلون لى أن أعيش إلى غد؟ قالوا: ما ذا بأيدينا، فقال: «لا تؤخروه تقسموا» .

و فيه: الباقر عليه السّلام فى خبر: «و لقد ولى خمس سنين و ما وضع آجره و لا لبنه على لبنه، و لا أقطع و لا أورث بيضاء و لا حمراء» .

و فيه، عن المحاسن عن زيد بن الحسن، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «كان أمير المؤمنين عليه السّلام أشبه الناس طعمه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يأكل الخبز و الخلّ و الزيت و يطعم الناس الخبز و اللحم» .

۱- ۱) المائده:۹۳.

و فیه، عن مناقب ابن شهرآشوب، الباقر علیه السّلام: «أنه ورد علیه أمران کلاهما للّه رضا، أخذ بأشدهما علی بدنه» .

و قال معاویه لضرار بن ضمره: صف لی علیّا، قال: «کان و اللّه صوامّا بالنهار، قوامّا باللیل، یحب من اللباس أخشنه، و من الطعام أجشبه، و کان یجلس فینا، و یبتدئ إذا سکتنا، و یجیب إذا سألنا، یقسم بالسویه، و یعدل فی الرعیه، لا یخاف الضعیف من جوره، و لا یطمع القوی فی میله و اللّه لقد رأیته لیله من اللیالی، و قد أسبل الظلام سدوله، و غارت نجومه، و هو یتململ فی المحراب تململ السلیم، و یبکی بکاء الحزین، و لقد رأیته مسیلا للدموع علی خده، قابضا علی لحیته، یخاطب دنیاه فیقول: «یا دنیا أ بی تشوقت، و لی تعرضت لا حان حینک، فقد أبنتک ثلاثا لا رجعه لی فیک، فعیشک قصیر، و خطرک یسیر، آه من قله الزاد و بعد السفر و وحشه الطریق» . أقول: فإن شئت أکثر من هذا فراجع باب زهده و تقواه و ورعه علیه السّلام فی البحار، و لعمری إن الکتب حتی من المخالفین مشحونه من ذلک.

قوله علیه السّلام: الصّادقون

قیل: إن الصدق عباره عن حدّ الشیء، و واقعه و تقرّره و وجوده فی صقعه بحدوده و قیوده المعرّفه له، و حینئذ فالمراد بالصادقین فی قوله تعالی: (وَ کُونُوا مَعَ اَلصّادِقِینَ) (۱)الذین هم الحاملون و الواجدون لحقائق الأسماء الحسنی الإلهیه و حقیقه العبودیه، التی کنهها الربوبیه بالجدّ و الواقع و الحقیقه، و یلزمه الصدق فی القول بان یطابق ما فی الواقع. و بعباره أخری: الصدق اسم لحقیقه الشیء بعینه حصولا و وجودا، و یقال: رمح

۱- ۱) التوبه:۱۱۹.

صدوق أی صلب قوی حصل له أمکن لها حتی تکون تلک الحقیقه تامه کامله فهو الصدق، فإذا تحقق هذا المعنی من الصدق فی أحد یلزمه صدق القصد فی قیامه بالدین و تحصیل المعارف، فیتلافی کل تفریط، و یتدارک کلّ فائت، و یعمر کل خراب فی نفسه من العقائد و الصفات و الأفعال، و حینئذ لا تتمّ الحیاه فی الدنیا الّا للحق، و حیث إنه حینئذ متصف بالصدق و طلب له، فلا محاله یری من نفسه أثر النقصان، و لا یلتفت حینئذ إلّا إلی ترقیه نفسه، فلا یشغل عن الخدمه له تعالی، و لا عن الجد فی العمل لما ذاق من اللذه فی طاعه معبوده تعالی. و کیف کان فإذا رسخ الصدق فی النیه و العزم و الأفعال و الأقوال و الصفات و العقائد، و من المعلوم أن کل واحد من هذه له مراتب، و من کان فی جمیعها متصفا بالصدق فهو صدیق، و أحسن کلام فی بیان حقیقه الصدق و آثاره ما

فی مصباح الشریعه: قال الصادق علیه السّلام: الصدق نور متشعشع فی علمه کالشمس یستضیء بها کلّ شیء تغشاها من غیر نقصان یقع علی معناها، و الصادق حقّا هو الذی یصدق کل کاذب بحقیقه صدق ما لدیه، و هو المعنی الذی لا یسمع معه سواه أو ضد مثل آدم علی نبینا و آله و علیه السلام صدق إبلیس فی کذبه حین أقسم له کاذبا، لعدم ما به من الکذب فی آدم علیه السّلام. قال اللّه تعالی: (وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) (۱)، لأن إبلیس أبدع شیئا و کان أول من أبدعه، و هو غیر معهود ظاهرا و باطنا فخسر هو بکذبه علی معنی لم ینتفع به من صدق آدم علیه السّلام علی بقاء الأبد، و أفاد آدم علیه السّلام بتصدیقه کذبه بشهاده اللّه عزّ و جل له بنفی عزمه عما یضاد عهده فی الحقیقه علی معنی لم ینقض من اصطفائه بکذبه شیئا. فالصدق صفه الصادق، و حقیقه الصدق تقتضی تزکیه اللّه تعالی لعبده، کما ذکر عن صدق عیسی علیه السّلام فی القیامه بسبب ما أشار إلیه من صدقه و هو براءه الصادقین

۱- ۱) سوره طه:۱۱۵.

من رجال أمّه محمد صلّى اللّه عليه و آله فقال اللّه تعالى: (هٰذٰا يَوْمُ يَنْفَعُ اَلصّٰادِقِينَ صِدْقُهُمْ) (١).

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «الصدق سيف اللّه فى أرضه و سمائه أينما هوى به يقده، فإذا أردت أن تعلم أ صادق أنت أم كاذب فانظر فى صدق معناك و عقد دعواك و غيّرهما بقسطاس من اللّه تعالى كأنك فى القيامه، قال اللّه تعالى: (وَ اَلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ اَلْحَقُّ) فإذا اعتدال بغور دعواك ثبت لك الصدق، و أدنى حدّ الصدق أن لا يخالف اللسان القلب و لا القلب اللسان، و مثل الصدق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع لروحه إن لم ينزع، فما ذا يصنع؟» . أقول: يشير أواخر كلامه عليه السّلام إلى أن الصدق له مراتب متعدده يطلق عليها بنحو التشكيك، فأدناه أن لا يخلف اللسان القلب و لا القلب اللسان، و أعلاه كمثل من هو فى النزع قد تجمّعت جميع شئونه فى شأن واحد، فلم يبق له التفات إلى غير النزع لعظم الخطب النازل و هو المراد

من قوله عليه السّلام: «إن لم ينزع، فما ذا يصنع» ، أى يرى نفسه منحصره فى النزع الذى لا بد منه، فلا محاله ليس له عمل إلّا به فكذلك أعلى مراتب الصدق فإن صاحبه محترق فى نار المحبه، التى أوجبت له حال الصدق فى عبوديته لمولاه، و قد اشغلته حراره نارها بالطلب عن كل شأن حتى عن نفسه، فهو فى فناء محبوبه غائب عن نفسه و شئونها كمثل النازع روحه، فصفه الصدق الحقيقى الحاصل من نار المحبه توجب إعراضه عمّا سواه تعالى و عن نفسه و بدنه بحيث يذهل عنها و يشتغل بالنظر إلى محبوبه و إلى مرضاته، كما أن النازع يذهل عن بدنه و يشتغل بالنزع. و الصادق أيضا يفرّ عن نفسه إلى محبوبه كل ذلك لمشاهده الحق تعالى، و مشاهده أن ما سواه حتى نفسه هو الباطل المضمحل الذى لا ينبغى الالتفات أبدا إليه، و هذه المراتب بما لها من الكمال الأتم لا ينالها إلا محمد و أهل بيته (عليهم الصلاه و السلام) لأن من سواهم على قسمين:

١- ١) المائده:١١٩.

الجاهلون. و العالمون من الأنبياء و المرسلين و أولياء اللّه تعالى. أما الجاهلون: فهم الذين إذا حصل لهم أدنى توجّه و إقبال، بحيث قلّ اشتغالهم بالدنيا بالنسبه إلى غيرهم توهّموا أن لا مقام إلا مقامهم، و ليس ما وراء مقامهم مقام، و هؤلاء كالكاذبين فى دعواهم أو كالجاهلين فى دعواهم و كالمتوهمين للكمال لأنفسهم، و ذلك كأغلب المتصوّفه خصوصا من العامه و من المغترين من غيرهم و قد مرّ بعض الكلام فى المتصوّفه (لعنهم اللّه) فى صدر الشرح. و أما العالمون: من أولياء اللّه تعالى و حتى من الأنبياء و المرسلين، فأنوار قلوبهم و أضواء أفئدتهم، و صفاء أجسامهم، و اعتدال أمزجتهم و معارفهم و علومهم و إن كانت بالنسبه إلى من دونهم فى غايه الرجحان و الأهميه إلا أنها بالنسبه إلى نهايه المراتب الثابته لأهلها و هم محمد و آل محمد (صلى اللّه عليه و عليهم أجمعين) ناقصه بل متسافله، و هم مع قربهم فهم فى نقص بالنسبه إلى محمد و آله صلّى اللّه عليه و آله حيث إنهم قريبون من محمد و آل محمد صلّى اللّه عليه و آله كيف لا مع أن ما لهم من الأنوار فإنما هى من شعاع شمس حقيقتهم عليهم السّلام فكما أن الشعاع مع قربه من الشمس المنيره يرى نقصه بالنسبه إليها فكذلك هؤلاء يرون نقصهم بالنسبه إلى محمد و آله صلّى اللّه عليه و آله و كيف كان فهم يدركون قصور مشاعرهم و قلوبهم عن الإحاطه بنهايه المراتب التى تكون لمحمد و آله صلّى اللّه عليه و آله. فظهر و الحمد للّه تعالى أن تلك المراتب النهائيه بكمالها مختصه بالذات أولا و منه تعالى لمحمد و آله السادات الغر الميامين (صلى اللّه عليه و عليهم أجمعين) . و يشير إلى ما ذكرنا عده من الأحاديث نذكر بعضها تيمّنا، فنقول:

ففى البحار (1)، عن السرائر عن يريد العجلى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: ﴿يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ كُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِينَ﴾ ، قال: إيّانا عنى.

و فيه عن المناقب، جابر الأنصارى عن الباقر عليه السّلام فى قوله: « وَ كُونُوا مَعَ

١- ١) البحار ج ٢٤ ص ٣١.

اَلصّٰادِقِینَ » أی آل محمد صلّی اللّه علیه و آله.

و فیه، عن السرائر عن أحمد بن محمد قال: سألت الرضا علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: (یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ کُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِینَ) (۱)، قال: الصادقون الصدیقون بطاعتهم. أقول:

قوله علیه السّلام: «الصدیقون بطاعتهم» ، أی بسبب طاعتهم یعلم أنهم صدیقون، فإن الصدق یقتضی الطاعه و أیضا یشیر إلی أنهم متصفون بجمیع جهات الصدق، و لذا کانوا صدّیقین بالطاعه له تعالی من جمیع الجهات.

و فیه (۲)، عن الکنز، رفعه إلی أبی أیوب الأنصاری، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «الصدیقون ثلاثه: حزقیل مؤمن آل فرعون، و حبیب صاحب یاسین، و علی بن أبی طالب، و هو أفضل الثلاثه.

و فیه عن جعفر بن محمد عن آبائه علیهم السّلام قال: «هبط علی النبی صلّی اللّه علیه و آله ملک له عشرون ألف رأس فوثب النبی صلّی اللّه علیه و آله لیقبل یده، فقال له الملک: مهلا یا محمد، فأنت و اللّه أفضل من أهل السموات و أهل الأرضین أجمعین، و الملک یقال له محمود، فإذا بین منکبیه مکتوب لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، علی الصدیق الأکبر، فقال له النبی صلّی اللّه علیه و آله: حبیبی محمود منذ کم هذا مکتوب بین منکبیک؟ قال: من قبل أن یخلق اللّه آدم أباک باثنی عشر ألف عام.

و فی البحار (۳)، علماء أهل البیت: الباقر و الصادق و الکاظم و الرضا علیهم السّلام و زید بن علی فی قوله تعالی: (وَ اَلَّذِی جٰاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُتَّقُونَ) (۴)، قالوا: هو علی علیه السّلام.

۱- ۱) التوبه:۱۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۳۸.

۳- ۳) البحار ج ۳۵ ص ۴۰۷.

۴- ۴) الزمّر:۳۳.

و فيه عن تفسير القمى، فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله: (مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اَللّٰهَ عَلَيْهِ (و لا يغيّروا أبداً) فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ) أى أجله، و هو حمزه و جعفر بن أبى طالب، (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) أجله، يعنى عليا عليه السّلام يقول: (وَ مٰا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. لِيَجْزِيَ اَللّٰهُ اَلصّٰادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) الآيه.

و فيه (١)، عنه عن على عليه السّلام قال:

(رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اَللّٰهَ عَلَيْهِ) ، فأنا و اللّه المنتظر و ما بدّلت تبديلا. أقول: و الأخبار فى هذا كثيره جدّا، ثم إن الآيات تفسر الصدق بحقيقته و آثاره و قد وصف اللّه الصادقين بقوله: (لَيْسَ اَلْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ وَ لٰكِنَّ اَلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ اَلْمَلاٰئِكَهِ وَ اَلْكِتٰابِ وَ اَلنَّبِيِّينَ وَ آتَى اَلْمٰالَ عَلىٰ حُبِّهِ ذَوِي اَلْقُرْبىٰ وَ اَلْيَتٰامىٰ وَ اَلْمَسٰاكِينَ وَ اِبْنَ اَلسَّبِيلِ وَ اَلسّٰائِلِينَ وَ فِي اَلرِّقٰابِ وَ أَقٰامَ اَلصَّلاٰهَ وَ آتَى اَلزَّكٰاهَ وَ اَلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذٰا عٰاهَدُوا وَ اَلصّٰابِرِينَ فِي اَلْبَأْسٰاءِ وَ اَلضَّرّٰاءِ وَ حِينَ اَلْبَأْسِ أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُتَّقُونَ) (٢). فقوله: (وَ كُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِينَ) أى مع الذين هذه صفاتهم، و هم قد علمت آل محمد صلّى اللّه عليه و آله فيعلم أنهم الموصوفون بهذه الصفات و يدل على هذا ما فى البحار (٣)، أقول:

قال السيد ابن طاووس (قدس اللّه روحه) : رأيت فى تفسير منسوب إلى الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: (وَ كُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِينَ) ، يقول: كونوا مع على بن أبى طالب و آل محمد (صلوات اللّه عليهم) . قال اللّه تعالى: (مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اَللّٰهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ) ، و هو حمزه بن عبد المطلب عليه السّلام (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) و هو على ابن طالب عليه السّلام يقول اللّه: (وَ مٰا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) .

ص: ٢٨٥

١- ١) البحار ج ٣٥ ص ٤٠٨.

٢- ٢) البقره:١٧٧.

٣- ٣) البحار ج ٢٢ ص ٣٣.

و قال اللّه: (اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ كُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِينَ) ، و هم هنا آل محمد (صلى اللّه عليه و عليهم أجمعين) . بقى شىء و هو أن ذكر الصادقين فى الزياره للإشاره إلى قوله تعالى: (وَ كُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِينَ) ، أى هم عليهم السّلام الذين أمر اللّه تعالى بالكون معهم. فعن المحقق الطوسى فى لزوم الكون معهم، و كيفيه الكون معهم قال قدس سرّه: و وجه الاستدلال بها أن اللّه تعالى أمر كافه المؤمنين بالكون مع الصادقين، و ظاهر أن ليس المراد به الكون معهم بأجسامهم بل المعنى لزوم طريقتهم و متابعتهم فى عقائدهم و أقوالهم و أفعالهم. أقول: هذا فى بيان كيفيه الكون معهم عليهم السّلام. و اما الوجه فى لزوم ذلك، فقال قدّس سرّه: و معلوم أن اللّه تعالى لا يأمر عموما بمتابعه من يعلم صدور الفسق و المعاصى عنه مع نهيه عنها، فلا بد من أن يكونوا معصومين لا يخطئون فى شىء حتى يجب متابعتهم فى جميع الأمور. انتهى ما نحتاج إليه من كلامه. أقول: فمن الأمر بالكون معهم تعلم عصمتهم لما كانت ثابته بالآيات و الأدله المسلمه، فأمر اللّه تعالى بالكون معهم بالنحو المفسر كما لا يخفى. و لنختم الكلام بذكر بعض الأحاديث فى فضيله الصدق فى الكلام.

ففى سفينه البحار عن الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام «إن اللّه عز و جل لم يبعث نبيا إلا بصدق الحديث و أداء الأمانه إلى البرّ و الفاجر» .

و فيه عنه عن أبى كهمش قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: عبد اللّه بن يعفور يقرئك السلام، قال: عليك و عليه السلام إذا أتيت عبد اللّه فاقرئه منّى السلام و قل له: إن جعفر بن محمد يقول لك انظر ما بلغ به على عليه السّلام عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فألزمه فإنما على عليه السّلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بصدق الحديث و أداء الأمانه.

و فيه عنه قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل و سجوده ذلك

شیء قد اعتاده، فلو ترکه استوحش لذلک، و لکن انظروا إلی صدق حدیثه و أداء أمانته، و الحمد للّه ربّ العالمین.

[۱۸]قوله علیه السّلام: المصطفون

فی المجمع: صفیّته من الکدر، تصفیه أزلته عنه، و صفو الشیء خاصه و خیاره، إلی أن قال: محمد صلّی اللّه علیه و آله صفوه اللّه من خلقه أی مصطفاه، و سیأتی أن المراد من المصطفین فی الآیه المبارکه هم الأئمه علیه السّلام و الاصطفاء هو الاختیار، فمعنی اصطفاه اللّه و معنی الاصطفاء هو أخذ الصفو من الشیء یعنی جیّده و المأخوذ مصطفی

فقوله علیه السّلام:

المصطفون

، أی الذین اختارهم اللّه تعالی من جمیع خلقه صفوه أی جعلهم صفوه الخلق فهم علیهم السّلام فی الخلق الأول و هو عالم الأنوار و الأرواح، و فی سایر مراتب الخلق إلی خلق عالم الأجسام و الکون فی الأرحام الطاهره و الأصلاب المطهره مصطفون، أی فی جمیع تلک المراتب صفوه اللّه، و قد تقدم الکلام فیه فی شرح

قوله علیه السّلام

و صفوه المرسلین

فهم علیهم السّلام المصطفون أی لم یصطف اللّه أحدا کما اصطفاهم، بل و لم یصطف أحدا من خلقه حتی من الأنبیاء السابقین إلا لأجل متابعتهم و الائتام بهم، و الوفاء لهم بما عاهد علیه اللّه من ولایتهم،

و تقدم عن العسکری علیه السّلام: «و الکلیم ألبس حلّه الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء. و کیف کان فاللّه تعالی اصطفاهم بالذات لنفسه، و اصطفی بهم غیرهم من الخلق حتی الأنبیاء و الملائکه المقربین و إلی هذا الاصطفاء تشیر الآیات و الأحادیث الکثیره و نحن نذکر نبذا منها.

ففی البحار (۱)، عن الکنز، عن سوره بن الکلیب قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: ما معنی قوله عز و جل: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْکِتٰابَ اَلَّذِینَ اِصْطَفَیْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا) (۲)قال: الظالم

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۲۱۹.

۲- ۲) فاطر:۳۲.

لنفسه الذی لا یعرف الإمام، قلت فمن المقتصد؟ قال: الذی یعرف الإمام، قلت: فمن السابق بالخیرات؟ قال: الإمام، قلت: فما لشیعتکم؟ قال: تغفر ذنوبهم، و تقضی دیونهم، و نحن باب حطّتهم و بنا یغفر لهم.

و فی حدیث آخر فی ذیله: یا أبا إسحاق بنا یقبل اللّه عثراتکم، و بنا یغفر اللّه ذنوبکم، و بنا یقضی اللّه دیونکم، و بنا یفکّ وثاق الذّل من أعناقکم، و بنا یختم و یفتح لا بکم. أقول: و مثل هذا الخبر کثیر، و هذا محمول علی المصداق الحقیقی السابق هو الإمام علیه السّلام و قد یفسر بنحو العموم، و إن کان حینئذ أحسن مصداقه أیضا هو الإمام.

ففیه، عن معانی الأخبار بإسناد متصل إلی الصادق جعفر بن محمد علیه السّلام أنه سئل عن قول اللّه عز و جل: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْکِتٰابَ اَلَّذِینَ اِصْطَفَیْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا فَمِنْهُمْ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سٰابِقٌ بِالْخَیْرٰاتِ بِإِذْنِ اَللّٰهِ) فقال: الظالم یحوم حوم نفسه، و المقتصد یحوم حوم قلبه، و السابق یحوم حوم ربّه عز و جل. و أحسن حدیث فی المقام ما فیه

عن الکنز عن ابن عباس قال: دخلت علی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقلت: یا أبا الحسن أخبرنی بما أوصی إلیک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ قال: «سأخبرکم، إن اللّه اصطفی لکم الدین و ارتضاه، و أتم نعمته علیکم، و کنتم أحقّ بها و أهلها، و إن اللّه أوحی إلی نبیّه أن یوصی إلیّ، فقال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی احفظ وصیتی، و ارع زمانی، و أوف بعهدی، و أنجز عداتی، و اقض دینی، و أحی سنتی، و ارع ملّتی، لأن اللّه تعالی اصطفانی و اختارنی، فذکرت دعوه أخی موسی فقلت: اللهم اجعل لی وزیرا من أهلی کما جعلت هارون من موسی، فأوحی اللّه عز و جل إلیّ: أن علیّا وزیرک و ناصرک و الخلیفه من بعدک، ثم یا علی أنت من أئمه الهدی، و أولادک منک، فأنتم قاده الهدی و التقی، و الشجره التی أنا أصلها و أنتم فرعها، فمن تمسک بها فقد نجا، و من تخلّف عنها فقد هلک و هوی، و أنتم الذین أوجب اللّه تعالی مودّتکم و ولایتکم، و الذین ذکرهم اللّه فی کتابه و وصفهم لعباده، فقال عز و جل من

قائل: (إِنَّ اَللّهَ اِصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَى اَلْعٰالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ وَ اَللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فأنتم صفوه اللّه من آدم و نوح و آل إبراهيم و آل عمران، و أنتم الأسره من إسماعيل و العتره الهاديه من محمد صلّى اللّه عليه و آله.

و فيه (۱)، عن أمالى ابن الشيخ، بإسناده عن إبراهيم بن عبد الصمد، قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السّلام يقرأ: (إن اللّه اصطفى آدم و آل إبراهيم و آل عمران و آل محمد على العالمين) قال: هكذا نزلت. أقول: و مثله،

عن تفسير العياشى، و كذا عن العامه، عن أبى وائل قال: قرأت مصحف عبد اللّه بن مسعود: (إن اللّه اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران و آل محمد على العالمين) ، و الحديث فى العمده لابن بطريق.

و فيه، عن تفسير القمى، قال على بن إبراهيم فى قوله تعالى: (قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّهِ وَ سَلاٰمٌ عَلىٰ عِبٰادِهِ اَلَّذِينَ اِصْطَفىٰ) قال: هم آل محمد صلّى اللّه عليه و آله. أقول: فعلى المؤمن أن يتبعهم حتى يفوز بسعاده الدارين.

ففى البحار (۲)، عن تفسير العياشى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «الروح و الراحه، و الرحمه و النصر، و اليسر و اليسار، و الرضا و الرضوان، و المخرج و الفلج (۳)، و القرب و المحبه من اللّه و من رسوله لمن أحبّ عليّا، و ائتمّ بالأوصياء من بعده، حقّا عليّ أن أدخلهم شفاعتى، و حقّ على ربّى أن يستجيب لى فيهم، لأنهم أتباعى، و من تبعنى فإنه منّى، مثل إبراهيم جرى فيّ لأنه منّى و أنا منه، و دينه دينى و دينى دينه و سنّته سنّتى، و سنّتى سنّته، و فضلى فضله، و أنا أفضل منه، و فضلى له فضل، و ذلك تصديق قول ربّى: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ وَ اَللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۲۲۲.

۲- ۲) البحار ج ۲۳ ص ۲۲۷.

۳- ۳) أى الفوز و الغلبه.

قوله علیه السّلام: المطیعون للّه

أقول: الطاعه للّه تعالی فرع الانقیاد القلبی له تعالی، کما أن المعصیه فرع التّمرد القلبی، فمن کان منقاد القلب لا محاله یکون قلبه خاضعا خاشعا له تعالی و یکون مطیعا له، و کذلک التّمرد یکون سببا للمعصیه، فمن کان تمرده أکثر کانت معصیته أکثر. ثم إن کمال الطاعه یکون فرع کمال الانقیاد، و علیه فاختلاف مراتب الطاعه فرع اختلاف مراتب الانقیاد القلبی، و هی فرع المعرفه باللّه تعالی، و هی فرع رفع الحجب و الشکّ بالنسبه إلیه تعالی و النسبه إلی صفاته، و من هذا یعلم أن درجات الأولیاء فرع عن هذه الأمور، فمن کانت معرفته أکثر کانت طاعته أحسن، و من کان الشکّ و الحجب عنه مرفوعا بنحو الأتم کان فناؤه عن نفسه و بقاؤه بربه و انقیاده له تعالی أتم و أکمل. إذا علمت هذا، فنقول: قد علمت فیما سبق ما ورد فی تفسیر قوله تعالی: (وَ لَهُ مَنْ فِی اَلسَّماٰوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ یَسْتَحْسِرُونَ) (1)

من قول الصادق علیه السّلام للمفضل، قال علیه السّلام: «ویحک یا مفضل أ لستم تعلمون أن من فی السموات هم الملائکه، و من فی الأرض هم الجن و البشر و کلّ ذی حرکه فمن الذین قال: (وَ مَنْ عِنْدَهُ) قد خرجوا من جمله الملائکه و البشر و کلّ ذی حرکه. فنحن الذین کنا عنده و لا کون قبلنا و لا حدوث سماء و لا أرض و لا ملک و لا نبیّ» الحدیث. و تقدم شرح الحدیث و دلالته علی أنهم أقرب الموجودات قبلا و فعلا و بعدا بالنسبه إلیه تعالی، فهم متصفون إلا أنه بمقام العندیه لدیه تعالی، و هذا یدل علی حصول کمال المعرفه لهم علیهم السّلام له تعالی، و علی انتفاء کلّ شکّ عنهم کما دلّ علیه قوله

۱- ۱) الأنبیاء:۱۹.

تعالی: (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ) (۱)و قد فسر الرجس بالشک، فالمنفی حینئذ هو الشک عنهم علیهم السّلام بتمام معانیه و مصادیقه فهم علیهم السّلام فی مقام قد شاهدوا جماله تعالی و جلاله، فهم مبتهجون به تعالی و متلذّذون به تعالی و بجماله، فلا محاله لا تؤثر فیهم الجهات البشریه الکائنه فیهم علیهم السّلام بنحو یوجب صدور المعصیه عنهم علیهم السّلام و العیاذ باللّه، و ذلک لأن المعاصی من الصفات النفسانیه بلحاظ الالتذاذ، و تحصیل المقامات المادیه الفانیه، و حیث إنهم علیهم السّلام قد التذّوا بمعارفه التی لا تدرکه العقول الکامله حیث إنهم علیهم السّلام فوق مقام العقل، بل هم فی مقام العشق و الفناء عن النفس فی قبال ظهور المحض للحق تعالی، فلا اعتناء لهم بالذات إلی هذه اللذات الفانیه النفسانیه، فلا محاله لا یعصون اللّه تعالی، بل هم من خشیته مشفقون، علی أن جهات البشریه الکائنه فیهم لیس کسائرها الکائنه فی غیرهم، و ذلک لأنها فیهم تکون بنحو الکمال فی علمها، و لا ریب فی أن الکمال فی کلّ أمر و لو کان مادیا هو عباره عن صرفه فیما خلقه اللّه تعالی له، و هذا یلازم الطاعه له تعالی مع الاستفاده من کلّ منها و الالتذاذ بها بنحو المترتب منها. و الحاصل: أن المؤمن أیضا یلتذّ من الجهات النفسانیه البشریه، إلاـ أنه یکون بنحو المرضی للّه تعالی لا مطلقا، أو بنحو المرضی للنفس الأمّاره بالسوء، فافهم تعرف إن شاء اللّه تعالی. فظهر أنهم علیهم السّلام هم المطیعون للّه تعالی بالقول المطلق، و بحیث لا یدانیهم فی الطاعه غیرهم حتی و إن کانوا الملائکه المقربین و الأنبیاء المرسلین، و هم علیهم السّلام لا یحبّون إلا طاعه تعالی، و لا یریدون إلا من والاهم و إلا المطیعین للّه تعالی.

ففی البحار (۲)، عن المناقب لابن شهرآشوب، عن سعید بن جبیر فی قوله تعالی: (وَ اَلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ .) قال: هذه

ص: ۲۹۱

۱- ۱) الأحزاب:۳۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۱۳۲.

و اللّه خاصه فی أمیر المؤمنین علی علیه السّلام کان دعاؤه یقول: «ربّنا هب لنا من أزواجنا» ، یعنی فاطمه و ذرّیاتنا، یعنی الحسن و الحسین، قره أعین.

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: و اللّه ما سألت ربّی ولدا نضیر الوجه، و لا ولدا حسن القامه، و لکن سألت ربّی ولدا مطیعا للّه خائفا وجلا منه حتی إذا نظرت إلیه و هو مطیع للّه قرّت به عینی. و هنا بیان آخر لکونهم مطیعین للّه تعالی بنحو لا یدانیهم أحد. و حاصله: أن الروح الإنسانی، و النفس الناطقه، و الکلیه الإلهیه بلحاظ حقیقتها الأولیه تختلف لما فی القرب إلیه تعالی، فمن کان منه أقرب کانت قابلیته لظهور الأسماء الحسنی الإلهیه فیه أکثر، و لازمه حینئذ أنه للّه أطوع لانتفاء موارد خلاف الطاعه له تعالی عنه بحقیقه القرب. و بعباره أخری: أن الروح الکذائی کملت القابلیه فیه، و قلّت المتممات فیه، و الشروط لحصول حقیقه العباده، بل بالقرب الکامل حصلت الإطاعه التامه، هذا کّله بخلاف من لیس له هذا القرب، فلا بدّ له فی الطاعه له تعالی من تتمیم القابلیات و الشروط، و إلا فهو المرتبه الناقصه من الطاعه. و قد علمت أن أرواح محمد و آله الأئمه الطاهرین (علیه و علیهم صلوات اللّه) فی مقام القرب النهائی له تعالی، فلیسوا محتاجین إلی تتمیم القابلیات، لعدم نقص فیهم علیهم السّلام کما لا یخفی، فطاعتهم للّه تعالی تکون قبل کلّ شیء و أعلی من کلّ شیء، و لا تتوقّف علی شرط، لا تکون لعله من الفرار عن النار، أو الدخول فی الجنه، لفراغهم عن ذلک، بل تکون لکونه تعالی أهلا للعباده و الطاعه.

قال علی علیه السّلام: ما عبدتک خوفا من نارک، و لا طمعا فی جنتک، بل وجدتک أهلا للعباده فعبدتک. و لذا بمجرد أن دعاهم إلی الطاعه أجابوه طوعا لأمره، کما دلّت علیه الأحادیث الوارده فی قوله تعالی: (وَ اَلسّابِقُونَ اَلسّابِقُونَ. أُولٰئِکَ اَلْمُقَرَّبُونَ) .

ص :۲۹۲

ففی تفسیر البرهان (۱)، عن الحسن بن علی علیه السّلام فی قوله عز و جل: (وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلسّٰابِقُونَ. أُولٰئِکَ اَلْمُقَرَّبُونَ) قال: أبی أسبق السابقین إلی اللّه عز و جل و إلی رسوله، أقرب الأقربین إلی اللّه و إلی رسوله.

و فیه، عن ابن عباس: السبّاق ثلاثه: حزقیل مؤمن آل فرعون إلی موسی، حبیب صاحب یس إلی عیسی، و علی بن أبی طالب إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و هو أفضلهم (صلوات اللّه علیهم) .

و فیه، عن داود بن کثیر الرقی، قلت لأبی عبد اللّه جعفر بن محمد علیه السّلام: جعلت فداک أخبرنی عن قول اللّه عز و جل: (وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلسّٰابِقُونَ. أُولٰئِکَ اَلْمُقَرَّبُونَ) ، قال: نطق اللّه بهذا یوم ذرأ الخلق فی المیثاق قبل أن یخلق الخلق بألفی سنه، فقلت: فسّر لی ذلک، فقال: إن اللّه عز و جل لما أراد أن یخلق الخلق من طین رفع لهم نارا و قال لهم: ادخلوها، فکان أول من دخلها محمد صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین و الحسن و الحسین و تسعه من الأئمه إماما بعد إمام، ثم اتبعهم شیعتهم فهم و اللّه السابقون.

و فی تفسیر نور الثقلین (۲)، عن کتاب کمال الدین و تمام النعمه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنه قال فی جمیع من المهاجرین و الأنصار فی المسجد أیام خلافه عثمان: فأنشدکم باللّه، أ تعلمون حیث نزلت: (وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلْأَوَّلُونَ مِنَ اَلْمُهٰاجِرِینَ وَ اَلْأَنْصٰارِ) (وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلسّٰابِقُونَ. أُولٰئِکَ اَلْمُقَرَّبُونَ) سئل عنها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال: أنزلها اللّه تعالی فی الأنبیاء و أوصیائهم، فأنا أفضل أنبیاء اللّه و رسله و علی بن أبی طالب وصیّی، أفضل الأوصیاء، قالوا: اللهم، نعم. فدلت هذه الآیات و الأحادیث و أمثالها علی أنهم علیهم السّلام من أول وجودهم، و فی جمیع مراتب وجودهم لا یخرجون عن طاعته تعالی، لما علمت من فعلیه مقتضی الطاعه فیهم علیهم السّلام و هو رؤیه جماله و جلاله تعالی، و اضمحلال الطبایع البشریه

۱- ۱) تفسیر البرهان ج ۴ ص ۲۷۶.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۲۷.

الموجبه للمعصیه فی قباله تعالی، مع عدم سلب الاختیار عنهم، کما تقدم سابقا مفصلا، فوجودهم علیهم السّلام مطلقا خیر محض، فهم المطیعون للّه تعالی علی الحقیقه، بمعنی سبقهم إلی الطاعه و عدم التأخر عنها فی حال کما علمت، بل طاعتهم علیهم السّلام تکون عن صدق و إخلاص و خلوص و استخلاص فی نهایه الطاعه بحیث لا یشغلهم عنها أیّ شاغل کما أخبر عنهم اللّه تبارک و تعالی فی قوله: (رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِیهِمْ تِجٰارَهٌ وَ لاٰ بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اَللّٰهِ وَ إِقٰامِ اَلصَّلاٰهِ وَ إِیتٰاءِ اَلزَّکٰاهِ) (۱)و قوله تعالی: (عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ. لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ) (۲)کیف لا یکونون کذلک، و قد أدّبهم اللّه تعالی، و کذلک حیث یقول: (وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاٰهِ وَ اصْطَبِرْ عَلَیْهٰا) (۳)و قوله تعالی: (وَ اُذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً وَ دُونَ اَلْجَهْرِ مِنَ اَلْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ وَ لاٰ تَکُنْ مِنَ اَلْغٰافِلِینَ) (۴). و تقدم أنه تعالی منحهم مقام العندیه لدیه تعالی بنحو لا یفترون عن عبادته. قال تعالی: (إِنَّ اَلَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ) (۵)و قال: (وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ یَسْتَحْسِرُونَ. یُسَبِّحُونَ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لاٰ یَفْتُرُونَ) (۶)الآیات و قد تقدم مرارا شرحها. و الحاصل: أنهم علیهم السّلام فی جمیع العوالم: عالم الذر و عالم النور، و عالم الحجب، و عالم الدهر و الزمان کما نطقت بها الأحادیث سابقون علی أهل کل عالم إلی طاعه الملک العلاّم، بحیث لا یلحقهم لاحق و لا یسبقهم سابق، و لا یطمع فی إدراکهم طامع من جمیع الخلایق، فهم فی الحقیقه متفردون عن کل الخلق بمقام لا یدانیهم أحد کما

۱- ۱) النور:۳۷.

۲- ۲) الأنبیاء:۲۶-۲۷.

۳- ۳) طه:۱۳۲.

۴- ۴) الأعراف:۲۰۵.

۵- ۵) الأعراف:۲۰۶.

۶- ۶) الأنبیاء:۲۰.

سیأتی بیانه فی شرح

قوله علیه السّلام:

آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین

فلا یکون أحد فی مرتبتهم. و أما ما تراءی عنهم مما یدل بظاهره علی مساواه غیرهم لهم، أو مشارکتهم إیاهم فهو جار علی تعرفه عامه الناس، و جار فی مقام بیان الأحوال و الأمور بنحو یعرفها العامه من الناس، لا بنحو یکون مبیّنا لحالهم بحیث یشارکون الناس، و لذا

ورد عنهم علیهم السّلام کما تقدم: «لا یقاس بنا الناس» رزقنا اللّه تعالی معرفتهم، و حشرنا فی زمرتهم بمحمد و آله الطاهرین. ثم إنه تقدم فی بیان کونهم عباد الرحمن ما یبین لک عبادتهم علیهم السّلام و أنهم أعبد الخلق و أطوعهم للّه تعالی، و ذکرنا بعض ما ورد فی زهدهم خصوصا فی زهد أمیر المؤمنین علیه السّلام. و الحاصل: أن کونهم مطیعین للّه تعالی له مظاهر فی ذواتهم علیهم السّلام، من حیث العقیده له تعالی، و من حیث محبتهم له تعالی و مشاهدتهم قلبا لجماله و جلاله تعالی، و یقینهم به تعالی، فهم قلبا مطیعون و منقادون له تعالی، و من حیث اتصافهم بالصفات الحمیده التی توجب حقیقه العبودیه له تعالی، و من حیث أفعالهم و أقوالهم العبادیه التی یعملونها باللیل و النهار، فهم علیهم السّلام فی جمیع ذلک مطیعون للّه تعالی حقّ الطاعه بحیث لا یساویهم أحد، و قد دلّت الأحادیث فی الأبواب المتفرقه علی تحقق طاعتهم له تعالی فی جمیع تلک المظاهر، حتی بذلوا أنفسهم و أموالهم فی سبیله و قاتلوا و جاهدوا لإعلاء کلمه اللّه و دینه کما لا یخفی علی أحد، و ذکرها یوجب الخروج عن حدّ الکتاب فی الزیاره الجامعه لأئمه المؤمنین.

قوله علیه السّلام:

«لا یسبقکم ثناء الملائکه فی الإخلاص و الخشوع، و لا یضادّکم ذو ابتهال و خضوع، أنّی و لکم القلوب التی تولّی اللّه ریاضتها بالخوف و الرجاء، و جعلها أوعیه للشکر و الثناء، و آمنها من عوارض الغفله، و صفّاها من سوء الفتره، بل یتقرب أهل السماء بحبکم و بالبراءه من أعدائکم، و تواتر البکاء علی مصابکم و الاستغفار لشیعتکم

و محبّيكم» الزياره. و الحمد للّه الأول و الآخر و الظاهر و الباطن.

قوله عليه السّلام: القوامون بأمره

اشاره

الكلام فى هذه الجمله فى مقامين:

الأول: فى كونهم قوّامين.

و الثانى: فى معنى بأمره. أما الأول: فنقول: القوّام مبالغه فى قائم، و هـذه المبالغه إما بلحاظ الكم و الكثره العدديه أى أنهم عليهم السّـلام كثيروا القيـام بأمره اللّه، و إما بلحاظ الكيف و الشـده أى أنهم عليهم السّـلام شديـدوا القيام بأمر اللّه، أى أنهم قائمون به بحقّ القيام، و لا يزلّهم عن القيام صعوبته مهما بلغت فى الصعوبه، و أنهم بالنحو الأتم الأكمل، و كيف كان فهما معا مرادان: فلا ريب فى أنهم عليهم السّـلام لم يتجاوزوا أمر اللّه فى قليل أو كثير فى واجب أو منـدوب فهم عليهم السّـلام عاملون و قائمون به، كيف لاـ و هم عليهم السّـلام المشرعون لتلـك الأحكام بأمر اللّه تعالى، و هم العاملون بها بما لها من المصالـح التى دعت إلى تلك التشـريعات؟ ! و قد علمت أنه ليس فيهم مقتضـيات المعصيه بالفعل بل هى اضمحلّت فى قبال مشاهده جماله و جلاله، فلا يؤثر فيهم فى ترك القيام بالأمر، فهم عليهم السّـلام قائمون بكل أمر على أكمل ما ينبغى، و ما ورد عنهم عليهم السّـلام من أنهم عليهم السّـلام كـانوا يفعلون بعض المكروهـات، أو يتركون بعض المنـدوبات فهو مما كان واجبا عليهم ذلك: بيانه: أنهم عليهم السّـلام لما كانوا متصـدّين لأمر الإمامه و الهـدايه للحق، فاللّه تعالى قـد يأمرهم بالتحكم لإتيان المكروه أو ترك المندوب ليبيّنوا الجواز فى ذلك للناس، و حينئذ لا يجوز لهم ترك المحتوم أى ترك المكروه أو إتيان المندوب، بل يجب عليهم إتيان الأول و ترك الثانى، لأن هذا يكون واجبا عليهم.

ص :۲۹۶

و بعباره أخرى: إن إتيان المكروه أو ترك المندوب قد يكون لراحه النفس، و قد يكون للتهاون بها و هما بالنسبه إلى غيرهم ممكنان، و أما بالنسبه إليهم عليهم السّلام منفيان لما ذكرنا من كونهم قوامين بأمره بالبيان المتقدم. و أما إتيان المكروه أو ترك المندوب إذا كان لبيان الرخصه، لكى يقتدى بهم فى مقام الضروره فهو واجب حينئذ، و لعلّه يشير

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «إن اللّه يحب أن يؤخذ برخصه، كما يحب أن يؤخذ بفرائضه، فخذوا برخص اللّه و لا تشددوا على أنفسكم. إنّ بنى إسرائيل لما شددوا على أنفسهم شدّد اللّه عليهم» ثم إن الظاهر من هذه الجمله، و اللّه العالم، سواء كانت المبالغه بلحاظ الكم أو الكيف، هو أنهم عليهم السّلام قوّامون بأمر الإمامه و الهدايه مهما كان صعبا، فهم عليهم السّلام ممثلون لأمره تعالى فى قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمٰا تُؤْمَرُ) (١)و قوله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ) (٢)، فلا تأخذهم فى اللّه لومه لائم، و لا يركنون إلى أهواء غيرهم فى القيام بالأمر، و لا يعرض لهم الوهن فى القيام بالأمر فهذا هو المراد منها. و لا يراد منه أنهم قوامون بالعمل بالواجبات، و المستحبات، و ترك المحرمات و المكروهات بل المباحات فإن هذه الجهه تلحق بجهات عبوديتهم، و أنهم المطيعون للّه تعالى كما تقدم. أعنى كونهم قوامين بالأمر مع الشدّه، و حقّ القيام التام، فلا ريب فى أنهم يفوزون بأمر اللّه على أكمل وجه يمكن وقوعه فى عالم الإمكان و الوجود و هم عليهم السّلام فى هذه الرتبه سواء بمعنى أن كل واحد منهم عليهم السّلام يقوم بأمر اللّه على أكمل وجه و أتمّه، بل يسبقون بالعمل قبل أمرهم للعباد بالعمل.

ففى النهج قال عليه السّلام: و اللّه ما أمرتكم بشىء إلا و قد سبقتكم إليه، و ما نهيتكم عن شىء إلا و قد انتهيت عنه قبلكم، لعن اللّه الآمرين بالمعروف التاركين له، و الناهين

١- ١) الحجر:٩٤.

٢- ٢) الشورى:١٥.

عن المنكر العاملين به. فإن قلت: نرى اختلاف قيامهم عليهم السّلام فى الشده و السهوله، بل ربما يكون لواحد منهم عليهم السّلام اختلاف فى حال قيامهم، فهو فى حال يكون قيامه فى الشده، و فى حال فى السهوله فقيام أمير المؤمنين بعد وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم يكن كقيامه فى زمن خلافته الظاهريه، أو قيام الحسن عليه السّلام لم يكن كقيام الحسين عليه السّلام و هكذا بالنسبه لسائر الأئمه إذا قيس قيام بعضهم مع بعض فإنه نرى فيه تفاوتا بيّنا، فحينئذ كيف يصح إطلاق القول بأنهم بأجمعهم قوّامون بأمر اللّه بأشدّ ما يكون؟ قلت: لا ريب فى أن

قوله عليه السّلام: «القوّامون» عام استغراقى لا مجموعى، فينحلّ حينئذ إلى قضايا متعدده حسب عددهم عليهم السّلام فيرجع الأمر إلى أن كل واحد منهم عليهم السّلام يكون قواما بأمر اللّه تعالى بأشد ما يكون بالنسبه إليه. و بعباره أخرى: أنه قد ثبت فى محله أن لكل واحد منهم عليهم السّلام وظيفه تخصه عليه السّلام ليست لغيره من الأئمه، فكلّ واحد منهم مأمور بأمر هو عليه السّلام منصدع به، و لا يلاحظ القيام بالأمر بنحو الشده بالنسبه إلى الواقع و نفس الأمر فإنه لا تحصل له بل بنسبه ما يتعلق بهذا المقام من الوظيفه، و لا ريب فى أن كل واحد منهم عليهم السّلام قوّام بأمر اللّه، الأمر الذى يتوجه إليه، و يخصّه من أمر الإمامه و الهدايه و الوظيفه من القعود أو القيام أو السكوت أو الكلام حسب ما اقتضته الحكمه الإلهيه، على أنه لم يعلم أن قيام أمير المؤمنين فى أوائل وفات النبى صلّى اللّه عليه و آله كان أسهل من قيامه حين خلافته الظاهريه. إن قيام الحسن عليه السّلام بالصلح كان أسهل من قيام الحسين عليه السّلام بالجهاد، بل إن قعود أمير المؤمنين عليه السّلام فى أول الأمر كان فى غايه الشدّه، و فى غايه حق العمل بالوظيفه التى عينها اللّه تعالى له، كما يشير إلى صعوبته على عليه السّلام كما قاله عليه السّلام فى الخطبه الشقشقيه خصوصا من

قوله عليه السّلام : فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجا.

و فى زياره أئمه المؤمنين عليهم السّلام فى وصف صبره عليه السّلام:

«هائج القلب كاظم الغيظ»

فقعوده حينئذ عليه السّلام كان فى غايه الشده عليه عليه السّلام مع ما له من الإمكان من الحروب،

و فى غايه القيام بأمر اللّه حيث إنه حينئذ عليه السّلام قد سلم نفسه لمرضاه اللّه و عمل بحق ما أراده اللّه تعالى فهو عليه السّلام فى جميع حالاته قائم بالأمر الإلهى بأشده و بحق ما يمكن له من القيام،

كما أشار إليه فى الخطبه الشقشقيه: «فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجا» إلخ. و هكذا الكلام فى قيام الحسن عليه السّلام بالصلح بالنسبه إلى قيام الحسين عليه السّلام بالشهاده و لعلّه بالنسبه إلى تسويتهما أشار النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله

فى قوله فى حقهما: «الحسن و الحسين عليهما السّلام إمامان قاما أو قعدا، أى أنهما قائمان بأمر الإمامه حق القيام سواء قام الحسين أو قعد الحسن عليهما السّلام كما لا يخفى. و من هنا يعلم خطأ ما ربما يتوهم من اختلاف قيامهم عليهم السّلام فى العبادات شده و ضعفا، فلا يقال: إن بعضهم أشد عباده من بعض لأنه يقال: كل واحد منهم قد قام بحقّ العباده بالنسبه إلى نفسه الشريفه، كما علمت أن العام فى

قوله:

«القوّامون»

، عام استغراقى لا مجموعى، فهو منحل إلى كل واحد منهم عليهم السّلام فكل واحد منهم عليهم السّلام، قوّام بأمر اللّه من العباده و آت بها بنحو الأتم الأشد الأكمل كما لا يخفى. و يدل على هذا

ما روى عنهم عليهم السّلام ما معناه، أن فى الصراط عقبات كئود لا يطأها بسهوله إلا محمد و آله، و هذا دليل على أنهم عليهم السّلام لا يقع منهم تقصير فى شىء من الأمور العباديه أو الأمور المتعلقه بأمر الإمامه و الهدايه، فكلّ واحد منهم قوّام بأمره تعالى حقّ القيام و أتمّه و أكمله. و أما ما يتراءى منهم من الإقرار بالتقصير أو المعاصى فقد علمت الجواب عنه مفصلا سابقا فلا نعيد، فحينئذ ظهر و ثبت أنهم لم يكن لهم عليهم السّلام تخلف عن كمال ما ينبغى من القيام بأمر اللّه تعالى فى حال من الأحوال، فيصدق عليهم أجمعين عليهم السّلام بأن كل واحد منهم قوّام بأمر اللّه تعالى على أكمل وجه يمكن وقوعه فى الإمكان و الوجود بالنسبه إليه، و لا يكون ذلك، و هذا المعنى من أحد غيرهم كما علمت و كما هو المشاهد من غيرهم فإنهم بعيدون عن مراتبهم عليهم السّلام ببون بعيد كما لا يخفى على أحد.

و أما الكلام فى المقام الثانى: أعنى أمر اللّه الذى هم عليهم السّلام قوّامون به.

اشاره

فنقول: يمكن أن يراد منه هو أمره تعالى من الأحكام الشرعيه التى طلبها الشارع من المكلّفين بما لها من الأقسام الخمسه، إلا أنه قد علمت أن ظاهرا من الجمله الشريفه هو القيام بأمر الإمامه و الهدايه بما لها من الصعوبه، و لذا كانت المبالغه بلحاظ الشده و حق القيام، و عليه فالظاهر أن المراد من الأمر هو الإمامه، و الأمر المشار إليه فى قوله تعالى: (تَنَزَّلُ اَلْمَلاٰئِكَهُ وَ اَلرُّوحُ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) (۱)، و لعله إليه يشير أيضا عموم قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمٰا تُؤْمَرُ) ، فالأمر بتحمل المشقه بما يؤمر إنما يكون فى الإمامه و الولايه و الثبات فيه كما لا يخفى. و تقدم: أن الأئمه عليهم السّلام قائمون مقام النبى صلّى اللّه عليه و آله فى جميع الأمور سوى النبوه. و تقدم

قول الصادق عليه السّلام كما فى بصائر الدرجات

(۲)

، جرى من الفضل ما جرى لمحمد صلّى اللّه عليه و آله إلى أمير المؤمنين، و لمحمد الفضل على جميع من خلق، إلى أن قال عليه السّلام: «و كذلك جرى على أئمه الهدى واحدا بعد واحد، إلى أن قال عليه السّلام عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام و هو قوله عليه السّلام: و لقد حمّلت على مثل حمولته و هى حموله الرب تبارك و تعالى» ، الحديث. قد تقدم بتمامه فى شرح

قوله عليه السّلام:

و موضع الرساله

، و كيف كان فهذا الأمر قد مرّ تفسيره فى بيان أقسام نزول الملائكه عند

قوله عليه السّلام:

«و مختلف الملائكه»

، و عند شرح

قوله عليه السّلام:

و مهبط الوحى

، فراجعه فإنه يفيدك بهذا الأمر جدّا، إلا إنا نذكر هنا بعض ما يلزم ذكره. فنقول: إن هذا الأمر يشمل ما ينزل عليهم عليه السّلام فى ليالى القدر و ليالى الجمعه، و فى كل يوم و ساعه كما تقدم مفصلا، و يشمل أمر ما تجدد فى الوجود مما يظهر حكم القدر

الإلهى من إثبات ما لم يكن و محو ما كان، المعبّر عنه فى الآيات و الأحاديث

۱- ۱) القدر:۴.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۲۰۱.

الکتاب المحو و الإثبات. فنقول: لا بد من تفصیل القول فی بیان معنی، أمّ الکتاب و کتاب المحو و الإثبات، و ما یلزمهما من البداء و بیان سایر معانی الکتاب الذی أطلق علیها. فاعلم أن المستفاد من الآیات و الأحادیث: أن العلم هو من صفات ذات اللّه تعالی المقدسه، و حیث إنه لا نهایه لکنه تعالی فلا نهایه لعلمه.

ففی توحید الصدوق (۱)، بإسناده عن جابر الجعفی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول: «إن اللّه نور لا ظلمه فیه، و علم لا جهل فیه، و حیاه لا موت فیه» .

و فیه (۲)، إلی أن قال: حدثنی أبو علی القصّاب، قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فقلت: «الحمد للّه منتهی علمه» ، فقال: لا تقل ذلک، فإنه لیس لعلمه منتهی.

و فیه (۳)، بإسناده عن ابن سنان، عن جعفر بن محمد عن أبیه علیه السّلام قال: إن للّه تعالی علما خاصا و علما عاما، فأما العلم الخاص فالعلم الذی لم یطلع علیه ملائکته المقربین و أنبیاءه المرسلین، و أما علمه العام فإنه علمه الذی أطلع علیه ملائکته المقربین و أنبیاءه المرسلین، و قد وقع إلینا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. فعلم من هذه الأحادیث أنه لا نهایه لعلمه تعالی کذاته المقدسه، حیث إن العلم ذاته المقدسه و هو قول الصادق علیه السّلام. کما

فیه (۴)، عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «لم یزل اللّه عز و جل ربنا و العلم ذاته و لا معلوم» الحدیث. و علم أیضا منها أن علمه علی قسمین: الأول: العلم الخاص، و هو العلم الذاتی الذی لا نهایه له، فیقتضی بطبعه أن یختصّ به تعالی و إلا لعلم ما فی ذاته، و لازمه حینئذ العلم بکنهه و نهایه ذاته، و هما

۱- ۱) توحید الصدوق ص ۱۳۸.

۲- ۲) توحید الصدوق ص ۱۳۴.

۳- ۳) توحید الصدوق ص ۱۳۸.

۴- ۴) توحید الصدوق ص ۱۳۹.

بالنسبه إليه تعالى منفيان. و الثانى: العلم العام، الذى علمه أنبياءه و ملائكته، و وصل منهم إلى العلماء و إلى الخلق. إذا علمت هذا، فاعلم أن حقيقه أمّ الكتاب التى قد يعبّر عنها باللوح المحفوظ، و حقيقه كتاب المحو و الإثبات بما لها من المعنى العام يطلقان على مصاديق مختلفه، و يكون لكل مصداق حكم يخصّه، فاللوح المحفوظ بالنسبه إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله هو العلم الذاتى الذى يكون من صفاته الذاتيه تبارك و تعالى، مصداقه هو العلم الخاص له تعالى و كونه محفوظا يراد منه انه معلوم و محفوظ لديه تعالى فقط، و إليه الإشاره فيما رواه:

فى التوحيد (۱)، عن الحسين بن بشار، عن أبى الحسن على بن موسى الرضا عليه السّلام قال: سألته أ يعلم اللّه الشىء الذى لم يكن أن لو كان كيف كان يكون أو لا يعلم إلا ما يكون؟ فقال: إن اللّه تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء. . إلى أن قال عليه السّلام: فلم يزل اللّه عز و جل علمه سابقا للأشياء قبل أن يخلقها، فتبارك ربنا علّوا كبيرا خلق الأشياء و علمه بها سابق لها كما شاء، و كذلك لم يزل ربّنا عليما سميعا بصيرا. و مثله غيره من الأحاديث،

فقوله عليه السّلام: «و علمه بها سابق لها كما شاء» يشير إلى العلم الذاتى الأزلى الأبدى الذى هو لا نهايه له و لا يفسّر، و معلومه جميع الأشياء بلا استثناء. و أما كتاب المحو و الإثبات بالنسبه إليه صلّى اللّه عليه و آله ما يبدو له من ذلك العلم الذاتى، الذى ما كان يعلمه بالنسبه إلى الإثبات فظاهر، و هو ما يعلمه من تعليمه تعالى إياه، و أما بالنسبه إلى المحو فهو لا مصداق له صلّى اللّه عليه و آله إلا بمعنى البداء، أى أنه صلّى اللّه عليه و آله يقرّ له بالبداء بما ربما يظهر له منه تعالى فى حقه صلّى اللّه عليه و آله ما لم يعلمه من بعض الحوادث المختصه به صلّى اللّه عليه و آله من رفع شىء أو وضع شىء فى حقه صلّى اللّه عليه و آله و لذا كانوا يخافون منه تعالى من هذه

۱- ۱) التوحيد ص ۱۲۷.

الجهه، لاحتمال أن يبدو من ذاته المقدسه ما يكون فى أمر عليهم و كذا الأئمه، و لذا

ورد فى زياره الكاظمين عليهما السّلام:

«السلام عليكما يا من بدا للّه فى شأنكما»

، أى بدا للّه فى إمامتكما بعد ما احتملتما رفع الإمامه عنكما» فتدبر تعرف. و كذا الكلام بعينه يجرى فى الأئمه عليهم السّلام كما علمت آنفا من أنفسهم بمنزله الرسول صلّى اللّه عليه و آله يجرى فيهم ما يجرى فيه سوى النبوه، فظهر مما ذكر أن كتابى المحو و الإثبات بالنسبه إلى النبى و الأئمه (عليه و عليهم السلام) من العلوم الواضحه، و كونهما محوا أو إثباتا فإنما هو بالنسبه إلى غيرهم عليهم السّلام و إلا فهم يعلمون بلا شك، نعم لا يظهرون علمهم بها لمصلحه فى ذلك، يشير إليها و يدل على هذا عدّه من الأحاديث:

ففى تفسير نور الثقلين عن التوحيد للصدوق باسناده إلى أصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السّلام حديث طويل يقول فيه: و لو لا آيه فى كتاب اللّه لأخبرتكم بما كان، و بما يكون، و بما هو كائن إلى يوم القيامه و هى هذه الآيه: (يَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ اَلْكِتٰابِ) .

و فى حديث آخر فيه عن قرب الإسناد بهذا المضمون إلا أن فيه: و اللّه لو لا آيه فى كتاب اللّه لحدثتكم بما يكون إلى أن تقوم الساعه. فدلّ هذا الحديث على أنه عليه السّلام عالم بالأمور كلها، و إنما هذه الآيه تمنعه عن الإخبار بها، و الحديث بها عن العلم بها كما لا يخفى.

و فى تفسير نور الثقلين، عن أصول الكافى ما هو صريح فيما قلناه ففيه (۱)، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إن اللّه عز و جل أخبر محمدا صلّى اللّه عليه و آله بما كان منذ كانت الدنيا، و بما يكون إلى انقضاء الدنيا، و أخبره بالمحتوم من ذاك، و استثنى عليه فيما سواه، أى بيّن أن فيما سواه البداء و إمكان المحو.

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۵۱۷.

بل الظاهر من الأحاديث و الأدعيه أن قلوبهم المطهره و حقيقتهم المقدسه هی قلم المحو و الإثبات كما دلّ عليه: ما

عن الخصال عن علی عليه السّلام فی حديث طويل و فيه يقول عليه السّلام: و بنا يمحو اللّه ما يشاء و بنا يثبت.

و فی الزياره المطلقه للحسين عليه السّلام كما فی كامل الزيارات:

و بكم يمحو اللّه ما يشاء و يثبت.

كيف لا يكونون كذلك، و قد تقدمت مرارا الأحاديث التی دلّت علی أن قلوبهم أوعيه لمشيئه اللّه تعالی و إرادته،

فعنهم عليه السّلام: قلوبنا أوعيه لمشيئه اللّه، و ورد فی قوله تعالی: (وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ) . كما

عن الخرائج و الجرائح عن (القائم عجل اللّه فرجه) حديث طويل فيه يقول لكامل بن إبراهيم المدنی و حيث تسأل من مقاله المفوضه: كذبوا، بل قلوبنا أوعيه لمشيئه اللّه عز و جل، فإذا شاء شئنا و اللّه يقول: (وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ) و الحديث أوردته عن تفسير نور الثقلين (۱).

و فی تلك الزياره المتقدمه:

إراده الرب فی مقادير أموره تهبط إليكم و تصدر من بيوتكم ، الزياره. و من المعلوم أن جميع مقادير الأمور من مثبتاتها و ممحوها إنما يكون بالمشيئه و الإراده منه تعالی، و هما يهبطان فی قلوبهم عليهم السّلام فيصبح

قوله عليه السّلام: بنا يمحو اللّه ما يشاء و بنا يثبت. و من المعلوم أنهم عليهم السّلام فی مقام القرب إليه تعالی، و فی مقام من تلق العلم منه تعالی لا تحيط به الأوهام و هم مأمونون علی أسرار الرب، و لذا لا يحدثون إلا بما شاء اللّه و لو لا ذلك العلم و القرب لما كان بهم المحو و الإثبات،

ثم إن هنا أمورا لا بد من بيانها.

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۴۸۶.

الأمر الأول: فی بیان حقیقه المحو و الإثبات. و الثانی: فی بیان السرّ فی ذلک، و بیان موضوع المحو و الإثبات. و الثالث: فی بیان حقیقه البداء و أنه ما عبد اللّه بشیء بمثل البداء. فنقول: أما الأمر الأول:

ففی تفسیر نور الثقلین، عن الکافی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال فی هذه الآیه: (یَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ اَلْکِتٰابِ) قال: فقال: و هل یمحی إلا ما کان ثابتا و هل یثبت إلا ما لم یکن؟

و فیه عن تفسیر العیاشی عن مسعده بن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه سئل عن قول اللّه: (اُدْخُلُوا اَلْأَرْضَ اَلْمُقَدَّسَهَ اَلَّتِی کَتَبَ اَللّٰهُ لَکُمْ) قال: کتبها لهم ثم محاها، ثم کتبها لأبنائهم فدخلوها و اللّه یمحو ما یشاء و یثبت و عنده أم الکتاب.

و فیه (1)، عن مجمع البیان، روی عمران بن حصین عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: هما کتابان کتاب سوی أمّ الکتاب یمحو اللّه منه ما یشاء و یثبت، و أم الکتاب لا یغیر منه.

و فیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: هما أمران، موقوف و محتوم، فما کان من محتوم فأمضاه، و ما کان من موقوف فله فیه المشیئه یقضی فیه ما یشاء. و المستفاد من هذه الأحادیث أن أمّ الکتاب هو الذی فیه ما علمه اللّه تعالی أزلا و أنه لا یغیّر أبدا و هو محفوظ عنده تعالی، و بهذا الاعتبار یسمّی باللوح المحفوظ. و أما کتابا المحو و الإثبات ففیهما عبارتان عن جمله من المقادیر بعضها محتوم و بعضها موقوف، و المراد من محتومها هو الذی لا یغیّر فهو بهذا الاعتبار مصداق لما فی أمّ الکتاب، و الإمام علیه السّلام یعلمه بهذا الوصف، و أما الموقوف منها فهو معلق علی شیء کالدعاء مثلا.

ففی تفسیر نور الثقلین، عن تفسیر العیاشی، عن عمار بن موسی عن عبد اللّه علیه السّلام سئل عن قول اللّه: (یَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ اَلْکِتٰابِ) قال: إن ذلک الکتاب یمحو اللّه فیه ما یشاء و یثبت، فمن ذلک الذی یرد الدعاء القضاء، و ذلک

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ص ۵۱۷.

الدعاء مكتوب علیه الذی یرد به القضاء حتی إذا صار إلی أمّ الکتاب لم یغن الدعاء فیه شیئا.

و فی المحکی، عن تفسیر العیاشی، عن الصادق علیه السّلام عن أبیه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إن المرء لیصل رحمه، و ما بقی من عمره إلا ثلاث سنین فیمدّها اللّه ثلاثین سنه، و إن المرء لیقطع رحمه و قد بقی من عمره ثلاث و ثلاثون سنه فینقصها اللّه ثلاث سنین أو أدنی، قال: و کان الصادق علیه السّلام یتلو هذه الآیه (آیه المحو و الإثبات) و نحوه غیره. فهذه الأحادیث دلّت علی أن الدعاء یرد القضاء المبرم کما فی بعض الأحادیث، و یدل علی أن الدعاء الذی یوجب ردّ القضاء بنحو کان القضاء معلقا علی، مثلا: بقاء العمر کان معلقا علی الدعاء، و بهذا الاعتبار کان موقوفا هو أیضا مکتوبا علیه، أی کتب فی اللوح أن هذا الدعاء الشخصی مما یوجب إثبات القدر علیه، و إخراجه عن کونه موقوفا، و هذا العمل یعبر عنه بعالم المحو و الإثبات، فإنه لم یدع اللّه تعالی به محاه حینئذ و إن دعا أثبته، و المراد من الإثبات إبقاؤه و إدامته بقاء، و إخراجه عن کونه موقوفا علی الدعاء، فکتاب المحو و الإثبات یتعلقان بالأمرین: المحتوم و الموقوف، و العمل لهذه الأمور بأمر اللّه تعالی هو الملائکه.

ففی تفسیر نور الثقلین (1)، عن تفسیر العیاشی عن حمران قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: (یَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ اَلْکِتٰابِ) فقال: یا حمران، إذا کان لیله القدر و نزلت الملائکه الکتره إلی السماء الدنیا، فیکتبون ما یقضی فی تلک السنه من أمر، فإذا أراد اللّه أن یقدم شیئا أو یؤخره ینقص منه أو یزید، أمر الملک فمحا ما یشاء ثم أثبت الذی أراد، قال: فقلت له عند ذلک: فکلّ شیء یکون و هو عند اللّه فی کتاب؟ قال: نعم، قلت: فیکون کذا و کذا ثم کذا و کذا حتی ینتهی إلی آخره؟ قال: نعم، قلت: فأیّ شیء یکون بعده؟ قال: سبحان اللّه، ثم یحدث

١- ١) تفسیر نور الثقلین ج ٢ ص ٥١٢.

اللّه أیضـا ما شاء تبارک و تعالی. و کیف کان ففی کتاب المحو و الإثبات تتحقق أمور لمصالـح سـتأتی الإشاره إلیها، و هی أن هنـاک حکمـا محتومـا قـد أعلمه اللّه تعـالی النبی و الإمام بهـذه الکیفیه، و لا یخلفه أبـدا و أن هناک حکما و کونه موقوفا علی الدعاء الخاص، فمعلوم له تعالی عن اللوح المحفوظ و للنبی و الإمام علیه السّلام أیضا إلا أنهم لا یخبرون به، و هو تعالی و النبی و الإمـام بتعلیم اللّه یعلمون أن هـذا یـدعو أو یترک الـدعاء. و قـد یقـال: إن اللوح المحفوظ له ثلاـث جهـات: إحـداها: الأـمور المکتوبه بنحو المحتوم المسـتحیل تغیره. و ثانیها: الأمور المحتومه التی یمکن تغییرها، و لکنه لا یغیره تفضّلا منه و عدلا، لما فی ذلـک من اللطف فی التکلیف، و لعـل سـرّه أن لاـ یقنط المؤمن من رحمته تعالی بالنسـبه إلی ما حققه لهم کـذلک بالنسـبه إلی بعض مکـاره الأـمور و لاـ یتهـاون الکافرون بسـنته، و أیضا یسـتلزم من إمکان التغییر أن لا یتّکل العاملون بطاعتهم له تعالی علی أعمـالهم إذ لو علموا أنّ له تعـالی أن یغیّر مـا یشـاء کما شاء و إن کان لم یغیره فعلا و أمضاه، و لا یقنط العاصون من رحمته لما علموا أیضـا من أن له تعـالی أن یرحمهم إن شـاء کما شاء حیث إنه تعالی لا یظلم أحـدا. و ثالثها: الأمور الموقوفه فی لوحه لوح المحو و الإثبـات فإمکـان الأـمرین بهـا ثابت إلی أن یسـتقر الشـیء بتحقیق الموقوف علیه، فحینئـذ یکتب هـذا الأمر فی الجهتین الأـولیین إمـا فی المحتوم و اللوح المحفوظ أو فی المحتوم الممکن تغییره و لکن لاـ یغیّره. ثم إن لوح المحو کمـا علمت تکون فی هذه الجهه الثالثه، و أما لوح المحو و الإثبات فیهما فی اللوح المحفوظ، أی أن هناک مکتوبا أن هذا الأمر من الإثبات أو من المحو، أی معلوم فیه أن الشرط الموقوف علیه یتحقق أم لا، فلا یکون فیه بالنسبه إلی المحو و الإثبات شکّ أو تردید.

إذن فالجهه الأولى، التى يستحيل تغييرها لما عرفت أنّ فيها الأمور المحتومه التى يستحيل تغييرها و الموقوفه أيضا، أى يكون فى اللوح المحفوظ ما هو موقوف بأن جعل هكذا، فلا يمكن حينئذ أن لا يكتب المحتوم محتوما أو الموقوف موقوفا، بل يكتب المحتوم محتوما و الموقوف موقوفا. نعم، إن كان الأمر من الأمور المحتومه التى يمكن تغييرها و لكن ما غيّره لما قلنا تكّرما منه و صدقا لما وعد به فهو من أقسام الجهه الثانيه. فيبقى فى هذه الجهه الأولى: المحتوم الذى لا يمكن تغييره، ثم إن المحتوم الذى يمكن تغييره، فإن كان لم يغيّر فهو من الجهه الثانيه، و إن غيّر كان من أقسام لوح المحو و الإثبات، و أعنى الجهه الثالثه. فإمكان التغيير فى المحتومات من الجهه الثانيه، و وقوعه أى التغيير من الجهه الثالثه. و أما الجهه الثانيه: أعنى المحتومات التى يمكن تغييرها، و لكنه تعالى لم يغيّرها، لما قلنا فله تعالى أن يغيرها بعلمه و قدرته على ما يشاء. و أما الجهه الثالثه: أعنى الأمور الموقوفه التى هى من لوح المحو و الإثبات، و علمت أنها أيضا مكتوبه هكذا فى اللوح المحفوظ. فالأمور الموقوفه منها بما هى مجعوله موقوفه ففى الجهه الأولى. و بقاؤهما كذلك مع عدم التغيير ففى الجهه الثانيه. و المحو و الإثبات باعتبار وقوعهما و جعلهما ففى الجهه الأولى، و بقاؤهما مع عدم التغيير ففى الجهه الثانيه، و تحقيق التغيير أى المحو و الإثبات ففى الجهه الثالثه. و ينتج مما ذكر، أن التغيير و التبديل فى الثالثه و تحقيق ذلك أى جعلهما فى الأوليين: فالجهه الأولى بما فيها يستحيل فيها البداء. و أما الجهه الثانيه: ففيها البداء

ص :٣٠٨

بتغيير البقاء لها إن شاء تعالى، و إن كان اللّه تعالى يجرى فضل هذه الجهه على موارد الاستحقاق، و هنا لا يخلف اللّه الميعاد (وَعْدَ اَللّٰهِ لاٰ يُخْلِفُ اَللّٰهُ وَعْدَهُ) . و أما الجهه الثالثه: فهى محل الدعوى و الموانع، أى محل الامتحان، و تضارب الإراده التكوينيه و التشريعيه، و محل ظهور الشبهات، و جهل عن واقع الأمر، و أنها كيف تكون. و لكن هذا كلّه بحسب الظاهر، و أما فى قعر هذه التقديرات شمس مضيئه لا يعلمه إلا اللّه، و من أراد أن يعلمه بدون تعليمه تعالى فقد ضاد اللّه فى حكمه، و نازعه فى سلطانه، و كشف عن سّره الذى جعله اللّه تعالى، فباء بغضب من اللّه و مأواه جهنم و بئس المصير. نعم، إلا ما أعلم اللّه تعالى عباده بذلك، و قد علّمه للنبى و الأئمه (عليه و عليهم السلام) كما علمت، و ستأتى الأخبار الداله عليه، فتدبر تعرف إن شاء اللّه. ثم إن هنا حديثا يبين موضوع كتابى المحو و الإثبات و البداء فهو أحسن حديث فى هذا الموضوع:

ففى أصول الكافى، حسين بن محمد عن معلى بن محمد قال: سئل العالم كيف علم اللّه؟ قال: علم و شاء و أراد و قدر، و قضى و أمضى، فأمضى ما قضى، و قضى ما قدر، و قدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئه، و بمشئته كانت الإراده، و بإرادته كان التقدير، و تقديره كان القضاء، و بقضائه كان الإمضاء، و العلم متقدم على المشيئه، و المشيئه ثانيه، و الإراده ثالثه، و التقدير واقع على القضاء بالإمضاء (1)فللّه تبارک و تعالى البداء فيما علم متى شاء، و فيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا أوقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم فى المعلوم قبل كونه، و المشيه فى المنشإ قبل عينه، و الإراده فى المراد قبل قيامه، و التقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها عيانا و وقتا، و القضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام، المداركات بالحواس من ذوى

۱- ۱) قوله بالإمضاء متعلق بواقع.

لون و ريح و وزن و كيل و ما دبّ و درج من إنس و جنّ و طير و سباع، و غير ذلك مما يدرك بالحواس، فللّه تبارك و تعالى فيه البداء مما لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك، فلا بداء، و اللّه يفعل ما يشاء، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، و بالمشيئه عرف صفاتها و حدودها و أنشأها قبل إظهارها، و بالإراده ميزان نفسها فى ألوانها و صفاتها، و بالتقدير قدر أقواتها و عرف أولها و آخرها، و بالقضاء أبان للناس أماكنها و دلّهم عليها، و بالإمضاء شرح عللها و أبان أمرها، و ذلك تقدير العزيز العليم . فهذا الحديث الشريف بين موارد المحو و الإثبات و البداء، و هو من غرر الأحاديث، و شرح هذا الحديث الشريف بما له من الإشارات و النكات الدقيقه مما يطول به الكلام و اللّه الموفق للصواب. إلا أنه يستفاد منه، أن الأمور إذا نزلت من عالم العلم و المشيئه و الإراده إلى عالم القضاء بالإمضاء فلا بداء حينئذ، و عن هذا

عبر عليه السّلام فى قوله: «فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء، أى وقع العين فى الخارج بحيث يكون مدركا بالحواس، مضافا إلى كونه مفهوما فلا بداء، فمن وقوعه ينتفى موضوع البداء، و أما ما كان من الأمور قبل الوقوع فهو مما يحتمل فيه البداء، إلا إذا علم أنه من الجهه الأولى التى يستحيل فيه البداء. ثم إن كتابى المحو و الإثبات على ما عرفتهما، إنما جعلهما فى الخلق لتحقيق العبوديه، بما لها من المعانى فى الخلق، إذ لولاهما لقلّت عبادتهم بعد ما علموا أن الأمور محتومه فقط، و هذا بخلاف ما لو أنّ أمرهم كان مرددا بين السعاده و الشقاوه، و الخير و الشر، و الجنه و النار فلا محاله يسعون إلى العباده و لنجاه أنفسهم، و الالتزام بهذا الأمر هو الالتزام بالبداء الذى دلّت عليه أخبار كثيره. و بعباره أخرى: أن الحكمه فى جعل البداء فى الأمور للعباد، حتى بالنسبه للأنبياء (على نبينا و آله و عليهم السلام) كما دلّت عليه الأخبار الكثيره الآتيه أن البداء يوجد الخوف فى العبد، بحيث لا يتكل على عمله العبادى فيغترّ به، و يأمن

من مكر اللّه تعالى، و لا ييأس منه تعالى إذا عمل بالمعاصى، بل فى الأمرين بحيث إنه يحتمل البداء فى عواقب أموره، حتى بالنسبه إلى نفسه، فإن كان سعيدا احتمل البداء بأن يصير شقيّا، أو كان شقيّا احتمل البداء بأن يصير سعيدا، فبالقول بالبداء و عقيدته به يكون بين الخوف و الرجاء فى حال العباده و المعصيه معا، كما لا يخفى. و هذا الخوف هو حقيقه العبوديه،

قال صلّى اللّه عليه و آله لأبى ذر: «ما عبد اللّه بمثل طول الحزن» ، فراجع الحديث، و أما الأحاديث الوارده فى البداء:

ففى أصول الكافى (١)، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: «ما عظّم اللّه بمثل البداء.

و فيه (٢)، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «ما بعث اللّه نبيّا حتى يأخذ ثلاث خصال: الإقرار له بالعبوديه و خلع الأنداد، و أن اللّه يقدّم ما يشاء و يؤخر ما يشاء» .

و فى تفسير نور الثقلين (٣)، عن أصول الكافى بإسناده عن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «ما تنبّأ نبىّ قط حتى يقرّ للّه بخمس، بالبداء، و المشيئه، و السجود، و العبوديه، و الطاعه» . أقول: المراد من المشيئه هو ما فسّره عليه السّلام فى الحديث السابق

من قوله: «و أن اللّه يقدم ما يشاء و يؤخر ما يشاء» ، و هو إشاره إلى كتابى المحو و الإثبات، فلا بد حينئذ من توضيح الكلام فى مقامين: فى مقام كتابى المحو و الإثبات. فى مقام البداء و ما له من المعانى المراده منه، فنقول: أما المقام الأول: فقد علمت

قوله عليه السّلام: «وقع القضاء بالإمضاء» فلا بد.

و قوله عليه السّلام: «فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء» .

و فى الكافى أيضا (٤)، بإسناده عن على بن إبراهيم الهاشمى، قال: سمعت أبا

١- ١) أصول الكافى ج ١ ص ١۴۶.

٢- ٢) أصول الكافى ج ١ ص ١۴٧.

٣- ٣) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ۵١٧.

۴- ۴) الكافى ج ۴ ص ١۵٠.

الحسن موسی بن جعفر علیه السّلام یقول: «لا یکون شیء الا ما شاء اللّه و أورد و قدر و قضی» ، قلت: ما معنی قضی؟ قال: «إذا قضی إمضاء فذلک الذی لا ردّ له» .

و فیه (۱)، بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال: «لا یکون شیء فی الأرض و لا فی السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشیئه، و إراده، و قدر، و قضاء و أذن، کتاب، و أجل، فمن زعم أنه یقدر علی نقض واحده فقد کفر» .

و فیه (۲)، بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن للّه علمین: علم مکنون مخزون لا یعلمه إلا هو من ذلک یکون البداء، و علم علّمه ملائکته و رسله و أنبیاءه فنحن نعلمه. إذا علمت هذا، فنقول: المستفاد من هذه الأحادیث هو، أن أمّ الکتاب و اللوح المحفوظ هو الذی علمه بالعلم المکنون، و سابق علی الأشیاء بلا استثناء، ففی ذلک العلم بما له من المعلومات لا بداء له تعالی به، و لا یتغیّر کما مرّت الإشاره إلیه. و أما کتابا المحو و الإثبات، فقد علمت سابقا أن المراد من الإثبات هو المعلوم الأزلی الذی لم یشإ اللّه تعالی تغییره بل أراد بقاءه، فالمراد من الإثبات هو إدامه ما علمه و أخبر به فهو من مظاهر أمّ الکتاب و من مصادیقه بدون عروض تغیّر له. و أما کتاب المحو فهو أیضا باعتبار إظهاره قبل المحو و محوه بعد الإظهار من مظاهر أمّ الکتاب، إلا أنه من مظاهره و مصادیقه بهذا الاعتبار من التغییر، و هو تعالی عالم بهذا التغییر کما ستجیء الإشاره إلیه، إلا أنه تعالی لمصلحه أخبر عباده أن له تعالی أن یؤخّر أو یقدم أی یغیّر بعض ما أخبر به عباده لمصلحه، فهذا التغییر أعنی کتاب المحو هو المقوم لکتابی المحو و الإثبات. و بعباره أخری: إن کتاب المحو أعطی عنوانا و اسما لکتاب الإثبات و إلا فهو عین أمّ الکتاب و مصداقه کما علمت.

۱- ۱) الکافی ج ۴ ص ۱۴۹.

۲- ۲) الکافی ج ۴ ص ۱۴۷.

و أمـا بيـان مـا به تحقيق كتـاب المحو، و إن شـئت قلت، ما وجب أن يكون كتاب المحو و الإثبات. فحاصـله: أنه لا ريب فى أن التقدير الذى هو عباره عن أنه تعالى قدر أقواتها، و عرف أولها و آخرها كما فى روايه العالم عليه السّلام، أو هو عباره عن تقدير الشـىء من طوله و عرضه كما فى روايه أبى الحسن موسـى عليه السّـلام، فإنما يراد منه الشىء بحدوده من جميع الجهات، و هذا يتعيّن بالتقـدير و هو أعم من أن يتعلق به الإيجاد الخـارجى أم لا، و إن كان الموجود الخارجى يتوقف على التقـدير كما علمت من حديث أبى الحسن موسـى عليه السّـلام إلا أنه توقف الشىء على مقتضيه لا على علته التامه كما لا يخفى. و أما المشيئه التى هو عباره عما به تحقق الفعل، و هو المراد من

قـوله عليه السّـلام قلت: مـا معنى المشـيئه؟ قـال: ابتـداء الفعـل، فهى أيضـا كالتقـدير من حيث إن الوجود الخـارجى يتوقف عليه وجودا، إلاـ أنه كتوقف المعلول على المقتضـى لاـ على العله التـامه، فالمشـيئه تشـمل جميع الموجودات فى أوقاتها التى شاء اللّه تعالى وجودها فيها، فهى بالنسـبه إلى المشىء وجوده كالوجوب المشاء فعلا للواجب المعلّق بمجىء زمانه، و إن كان متأخرا عن زمان إنشاء الوجوب كما لا يخفى. فالشـىء المشـىء وجوده بالنسبه إلى المشيه و التقدير و سابقها العلم بالنسبه إلينا يمكن فى حقه المحو و البـداء. و أمـا مرحله القضاء بالإمضاء، كما فى حـديث العالم أو مرحله القضاء و الإراده كما فى غيره فهو مرتبه إذا حصـلت فقـد تحقق و وقع العين المفهوم المدرک كما علمت فحينئذ فلا بداء. توضـيحه بنحو يظهر الأمر فى المقام الثانى، أعنى بيان حقيقه البداء هو أن الحكم البتى بالنسبه إلينا هو الذى تحقق بعد المشيئه و الإراده و التقدير و القضاء و يسمّى الفعل الصادر منـا عن الحكم البتى فعلا اختياريّا، ثم إنه تعالى عـدّ الموجودات و إيجادها فعلا لنفسه صادره عن علمه قـدرته، فلا محاله تكون أفعاله

اختیاریا له فهی بما هی اختیاریّ له تعالی لا بد لها من المشیئه و الإراده و التقدیر و القضاء، ثم إنّ المشیئه من حیث ارتباطها بالفاعل تسمی مشیّه، أی أنها صدرت من الفاعل صدورا یناسبه، و من حیث ارتباطها بالفعل و تعلقها به یسمی إراده، و التقدیر الذی علمت معناه هو متأخر عن المشیّه بکلا معنییها فالمشیّه بالاعتبار الأول أعم من وجود المشیء وجوده بالفعل و عدمه. نعم، لا بد من المشیّه و الإراده و التقدیر و القضاء، و من تحققها فی نفس الفاعل منا بعد العلم السابق بها أیضا، إلا أن بعضها یعبّر بعنوان المقتضی، و بعضها بعنوان العله التامه. و کیف کان لا یتحقق الشیء بالحتم إلا بالقضاء بالإمضاء، و هو عباره عن الإراده التکوینیه التی تعلق بها الإمضاء، فاستتبعت المعلول و المراد و حینئذ ینتزع منه الحکم الذی هو الأمر، و العله الأخیره التی لا واسطه بینها و بین الفعل، فإذا تحققت هذه الأمور بأجمعها فلا بدّ من وقوع الفعل، و إن نقض أحدها فیکشف عن وجود المانع، و هذا المانع قد یکون جلیّا فلا بدّ من دفعه فی إراده الموجود. و أما إذا کان خفیّا کما یکون کثیرا ما بالنسبه إلینا کذلک ینتزع حینئذ منها البداء. و بعباره أخری: أن البداء عباره عن ظهور مانع فی التأثیر قد خفی علینا، و کان معلوما عند اللّه تعالی، فمن عدم وجود المعلوم یکشف عن وجود المانع، و اللّه تعالی قد أخفی هذا المانع لمصالح کانت فی نظره. و لعله ستجیء الإشاره إلیها، ففی هذا الموضوع یتحقق البداء، أی کتاب المحو، و لذا قیل: إن البداء فی حقّه تعالی عباره عن الإبداء أی إظهار ما خفی لا بمعناه الحقیقی أعنی إبداء ما لم یکن کما هو فی حقنا. و هنا مثال یوضح لک هذا الأمر بتمام الوضوح، فنقول: إذا قرّبنا نارا من قطن، و النار مقتضیه للإحراق، ینتزع من المورد مشیه الإحراق، ثم بزیاده قربها إراده

الإحراق، ثم من كيفيه قربها و شكل القطن و وضعه منها، و سائر ما يقارن المورد ينتزع تقدير الإحراق من حيث الكم و الكيف مثلا، فحينئذ إن احترق القطن يعلم أنه من الأمر المحتوم الذى لا يردّ و لا يبدل، و إن لم يحترق و ظهرت رطوبه فى القطن مخفيّه علينا فمنعت عن أن تؤثر النار فى القطن فهذا هو البداء، أى ظهور ما خفى علينا كما هو المفروض و إن كان يابسا لا مانع معه من الاحتراق، كان ذلك قضاء و إمضاء و هو الإحراق من الفاعل و الاحتراق من المحل و هو محل الحكم البتّى. و بعباره أخرى: فى تحقيق معنى البداء، و هو أنه لا ريب فى أنا لا نريد شيئا إلا لمصلحه علمناها فنريده لتلك المصلحه، ثم إنه ربما يتعلق العلم بمصلحه أخرى فى مورد المصلحه السابقه توجب ردّ المصلحه الأولى، فحينئذ نريده بهذا الداعى الأخير الناشئ من المصلحه الثانيه، فحينئذ نقول فى الاعتذار عن رفع اليد عن الأولى إلى الثانيه: قد بدا لنا، فالبداء فى حقّنا هو ظهور ما كان خفيا من الفعل، لظهور ما كان خفيا من المصلحه و العلم، هذا أصل معنى البداء، ثم إنه توسعنا فى الاستعمال فاستعملناه على ظهور كل فعل كان الظاهر أولا خلافه، فيقال: بدا له، أن يفعل كذا، أى ظهر من فعله ما كان الظاهر منه خلافه. ثم إنه قد علمت، أن الشىء إنما يوجد بعد وجود مقتضياته و علله التامه، التى يستحيل معها عدمه، بل يجب حينئذ وجوده و من العلل عدم وجود المانع، كما علمت، فحينئذ نقول: إذا وجد الشىء يكشف عن وجود علله و عدم موانعه، و إذا لم يوجد مع وجود علله يكشف عن وجود المانع، فيتحقق حينئذ البداء. و من المعلوم أن علمه تعالى بالموجودات و الحوادث مطابق لما فى نفس الأمر من وجودها، فله تعالى علم بالأشياء من جهه عللها التامه، و هو العلم الذى لا بداء فيه أصلا، و له علم بالأشياء من جهه مقتضياتها التى تكون موقوفه التأثير على وجود الشرائط و فقد الموانع، و هذا العلم يمكن أن يظهر خلاف ما كان ظاهرا منه بفقد شرط أو وجود مانع و هو المراد بقوله: (يَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ) .

و بعباره أخرى: قد يكون الظاهر للخلق تمام ما هو فى الواقع من وجود العلل و فقد الموانع، و قد يظهر لمصلحه بعضها و يخفى وجود المانع منها أو تعلقه على شىء كالدعاء، أو صله الرحم مثلا، و هذا الإخفاء يكون لمصلحه إلزام العباد بالدعاء، و العمل نظير ما ورد، أنه تعالى أخفى أولياءه فى الخلق، لئلا يهان أحد، و أخفى ليله القدر فى الليالى أو الليالى المخصصه، لئلا يقتصر على ليله واحده فى العباده كما لا يخفى. علم أن الالتزام بالبداء يوجب تعظيمه تعالى، لأن البداء يوجب خوفا و قلقا فى العباد من حيث إنهم لا يعلمون ما ذا يبدو لهم فى عواقبهم بالنسبه إلى الخير و الشر، و قبول الأعمال و عدمه و هكذا فلا محاله يخافون منه تعالى، و يقومون مقام التعظيم و العبوديه له تعالى، و سيجىء بعض المصالح الأخرى له عن المجلسى قدّس سرّه. ثم إنه نقل قدّس سرّه عن السيد الداماد قدّس سرّه كلاما فى البداء لا بأس بذكره توضيحا له، قال قدّس سرّه: «البداء منزلته فى التكوين منزله النسخ فى التشريع، فما فى الأمر التشريعى و الأحكام التكليفيّه نسخ فهو فى الأمر التكوينى و المكوّنات الزمانيه بداء، فالنسخ كأنه بداء تشريعى و البداء كأنه نسخ تكوينى و لا بداء فى القضاء. أقول: كما مرّ بيانه، و لا بالنسبه إلى جانب القدس الحق، (أقول: و قد تقدم بيانه) و الفارقات المحضه من الملائكه القدسيه و فى متن الدهر الذى هو ظرف مطلق الحصول القارّ و الثبات البات و دعاء علم الوجود كله، و إنما البداء فى القدر و فى امتداد الزمان الذى هو أفق التقضّى و التجدّد، و ظرف التدريج و التعاقب و بالنسبه إلى الكائنات الزمانيه و من فى عالم الزمان و المكان و إقليم الماده و الطبيعه، و كما أن حقيقه النسخ عند التحقيق انتهاء الحكم التشريعى و انقطاع استمراره لا رفعه و ارتفاعه عن وعاء الواقع، فكذا حقيقه البداء عند الفحص البالغ انبتات استمرار لأمر التكوينى و انتهاء اتصال الإفاضه و مرجعه إلى تحديد زمان الكون و تخصيص وقت الإفاضه، لا أنه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه و بطلانه فى حدّ حصوله، انتهى.

ص :۳۱۶

أقول: هذا نعم البيان لتوضيح موضوع البداء، و تقدم ما هو شرح لهذا الكلام و اللّه الهادى إلى الحق. فإن قلت: ظاهر

قوله عليه السّلام: ما بعث اللّه نبيا حتى يأخذ عليه ثلاث خصال. . إلى أن قال: و إن اللّه يقدم ما يشاء و يؤخّر ما يشاء. يشمل النبى الأكرم و الأئمه عليهم السّلام فلازمه أن لا يعلموا بواقع الأمور و هو كما ترى. قلت: أولا: أنه لا بدّ من التخصيص بعد تلك الأحاديث و الأدله المتقنه، التى علمت أن فى بعضها القسم ب–و اللّه–بغيرهم. و ثانيا: قد علمت أنهم عليهم السّلام و إن كانوا قد علموا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامه كما هو فى علمه تعالى بتعليمه تعالى، إلّا إنه بالنسبه إلى ما صدر منه تعالى و وجد كما لا يخفى. و أما بالنسبه إلى علمه الذاتى الذى لم يطلع عليه أحدا كما علمته سابقا، فيمكن أن يكون لهم عليهم السّلام البداء بالنسبه إلى ذلك العلم، أى أنهم عليهم السّلام يخافون مما يمكن ظهوره من علمه المكنون الذاتى ما فيه خوفهم و ابتلاؤهم عليهم السّلام فتدبر تعرف. و لعلّ إليه يشير ما

فى تفسير نور الثقلين، عن الكافى، عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن للّه علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، و علم علّمه ملائكته و رسله و أنبياءه، فنحن نعلمه.

فقوله: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، يراد منه العلم الذاتى الذى لا نهايه له، فيعطى بإطلاقه تحقق البداء لهم عليهم السّلام أيضا و اللّه العالم. و لعلّ الصحيح فى الجواب هو الأول، ثم إنه و إن ورد من أن الأمور قد تمت بما هى كائن إلى يوم القيامه.

ففى تفسير نور الثقلين، عن من لا يحضره الفقيه، إلى أن قال: قال الفضل بن

عباس: قال لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إذا سألت فاسأل اللّه، و إذا استعنت فاستعن باللّه عز و جل، قد مضی العلم بما هو کائن، فلو جهد الناس أن ینفعوک بأمر لم یکتبه اللّه لک، لم یقدروا علیه، و لو جهدوا أن یضرّوک بأمر لم یکتبه اللّه علیک، لم یقدروا علیه. فدلّت هذه الروایه علی أن العلم قد مضی بما هو کائن فلا یغیر، إلا أنه لا یلزم هذا التکاسل فی الدعاء و العباده، و ذلک لما علمت من أن فی العلم الذی مضی بما هو کائن إلی یوم القیامه ما هو موقوف و ما فیه البداء، فلا بد من التضرع و الدعاء. و لعل هذا الحدیث یشیر إلی قطع النظر و التوجه إلی الخلق، و أنه لا بد من الاعتماد و التوکل علی اللّه و الرضا بقضائه و قدره و أن یسأل منه تعالی ما یرید و یستعین به، فهو من الأحادیث الآمره بالدعاء، نظیر

ما ورد: فی الکافی (۱)، بإسناده عن میسّر بن عبد العزیز عن أبی عبد اللّه علیه السّلام: قال: قال لی یا میسّر ادع و لا تقل، إن الامر قد فرغ منه، إن عند اللّه عز و جل منزله لا تنال إلا بمسأله، و لو أن عبدا سدّ فاه و لم یسأل لم یعط شیئا، فسل تعط یا میسّر إنه لیس من باب یقرع إلا یوشک أن یفتح بصاحبه. و کیف کان فالأحادیث الآمره بالدعاء کثیره جدّا، کیف و هو دأب الأنبیاء و النبی و الأئمه علیهم السّلام کما لا یخفی. نعم، لکل من العباد مع اختلاف طبقاتهم دعاء یخصه، و الدعاء یعمّ اللفظی و النفسی. اما الأول: فظاهر، و أما الثانی: فإذا صار العبد فی مرحله الفناء عن النفس، أعنی أنه یری کل کمال فی الحق تعالی و یری نفسه فقیره محضه، فلا محاله یصیر بشراشر وجوده دعاء، تلفظ بالدعاء أم لا، و لذا

ورد أن أمیر المؤمنین علیه السّلام «کان رجلا دعّاء» و إلیه یشیر

قول الصادق علیه السّلام کما فی مصباح الشریعه: الدعاء استجابه

۱- ۱) الکافی ج ۲ ص ۴۶۶.

الكلّ، و من هذا يظهر، أن سكوت إبراهيم عليه السّلام فى الدعاء من جبرئيل

بقوله: أما إليك فلا، و من اللّه تعالى بقوله: علمه بحالى حسبى عن مقالى، كان من هذا القبيل فإنه عليه السّلام كان حينذاك فانيا عن النفس، و قد اشتعلت نار المحبه فى قلبه الشريف فلم يبق له شىء و كان شراشر وجوده محوا فى محبوبه، و اللّه الهادى. و لعل البداء إنما جعل من اللّه تعالى و التزم كل نبىّ مبعوث به للدعاء أى لكى يدعو اللّه تعالى، و لا يقول: الأمر قد فرغ منه كما علمت و الالتزام بالبداء هو عين العباده بل أفضله كما دلّ عليه ما رواه.

فى الكافى (۱)، بإسناد عن زراره بن أعين عن أحدهما عليه السّلام قال: ما عبد اللّه بشىء بمثل البداء، فالالتزام به هو العباده و موجب للعباده كما لا يخفى. قال المجلسى قدّس سرّه معنى هذا الحديث: أن الإيمان بالبداء من أعظم العبادات القلبيه، لصعوبته و معارضته الوساوس الشيطانيه فيه، و لكونه إقرار بأن له الخلق و الأمر، و هذا كمال التوحيد أو المعنى أنه من أعظم الأسباب و الدواعى لعباده الربّ تعالى.

و روى عن الصادق عليه السّلام فى مرآه العقول (۲)، من قوله عليه السّلام: «لو علم الناس ما فى القول فى البداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه، الحديث» . و قال ما حاصله: و ذلک لأن أكثر مصالح العباد موقوفه على القول به، إذ لو اعتقدوا أن كل ما قدر فى الأزل فلا بد من وقوعه حتما، لما دعوا اللّه فى شىء من مطالبهم و ما تضرعوا إليه، و ما استكانوا لديه، و لا خافوا منه و لا رجوا إليه، انتهى ملخصا. و كيف كان، فالأئمه عليهم السّلام قائمون و قوامون بأمر اللّه تعالى مما علّمهم اللّه تعالى من أمّ الكتاب و كتابى المحو و الإثبات.

۱- ۱) الكافى ج ۲ ص ۵۱۶.

۲- ۲) العقول ج ۲ ص ۱۳۲.

و لعمری إن القیام بکتابی المحو و الإثبات صعب جدّا خصوصا للعالم بجمیع الأمور، و هذا من شئون ولایتهم المطلقه الإلهیه فإنهم علیهم السّلام فی مثابه من التسلیم لأمر اللّه تعالی، بحیث یعاملون مع الناس بمقتضی البداء و مقتضی کتابی المحو و الإثبات، و لا یخبرون الناس بواقع علمهم کما علمت من

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام من قوله: «لو لا آیه فی کتاب اللّه» ، الحدیث. أقول: و هنا کلام للمحقق السبزواری رضی اللّه عنه و لعلّه کلام جامع لبیان موضوع أمّ الکتاب و کتابی المحو و الإثبات، مع الإشاره إلی انطباق هذه الکتب علی الإنسان الکامل خصوصا علی محمد و آله علیهم السّلام فلا بأس بذکره، ثم الإشاره إلی بعض ما هو لازم فنقول: قال قدّس سرّه: عند

قوله علیه السّلام:

«یا من هو عنده أمّ الکتاب»

أم الکتاب هو العقل الممکن الأشرف سمی به لاحتوائه بکلّ الحقائق، لکونه بسیط الحقیقه، جامعا لکمالات ما دونه باعتبار ماهیته و کتاب ماهیته، و کونه قلما علی ما فی القرآن و الأحادیث کقوله تعالی: (ن. وَ اَلْقَلَمِ وَ مٰا یَسْطُرُونَ)

و قوله صلّی اللّه علیه و آله: «أول ما خلق اللّه القلم» ،

و قوله صلّی اللّه علیه و آله: «جفّ القلم بما هو کائن» ، و غیر ذلک باعتبار فعالیته و إفاضته لصور ما دونه. أقول: و لعلّه أشار إلی هذه المعانی ما

فی تفسیر نور الثقلین عن کتاب علل الشرائع عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث طویل یقول علیه السّلام فی آخره: و قد سئل عن قوله عز و جل: (ن. وَ اَلْقَلَمِ وَ مٰا یَسْطُرُونَ) و أما ن فکان نهرا فی الجنه أشدّ بیاضا من الثلج، و أحلی من العسل، قال اللّه عز و جل: «کن مدادا فکان مدادا» ثم أخذ شجره فغرسها بیده ثم قال: و الید القوه و لیس حیث تذهب إلیه المشبّهه، ثم قال لها: کونی قلما، ثم قال له: اکتب فقال له: یا رب و ما أکتب؟ قال: ما هو کائن إلی یوم القیامه، ففعل ذلک، ثم ختم علیه و قال: لا تنطقنّ إلی یوم الوقت المعلوم.

و فیه (1)، عن الخصال عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی أن قال صلّی اللّه علیه و آله: «و أما النون فنون و القلم

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۳۸۷.

و ما يسطرون، فالقلم قلم من نور و كتاب من نور فى لوح محفوظ يشهده المقربون» . و مثله عن معانى الأخبار و تفسير العياشى، و هـذا التفسـير أى نور الثقلين فى تفسـير (ن) وَ اَلْقَلَمِ ، و مجمع البيان بتفاوت غير مغيّر للمعنى. قال قدّس سرّه فى الشرح: أو أمّ الكتاب جمله عالم العقل، و هى مع تفاوت مراتبها لشده اتصالها المعنوى و بساطتها الحقيقيه، و كون كلها فى كلها لعدم حجاب بينها كأنها موجود واحد و الكتب الإلهيه و الصحف المكرمه المرفوعه المطهره كثيره. الأول: أمّ الكتاب. الثانى: الكتاب المبين و هو النفس الكليه و يسمى اللوح المحفوظ، و إليها الإشاره بقوله: (ن. وَ اَلْقَلَمِ وَ مٰا يَسْطُرُونَ) إلى ما صدر عنها من الموجودات. أقول: كما علمت التصريح به من قول النبى صلّى اللّه عليه و آله فى حديث الخصال. الثالث: كتاب المحو و الإثبات و هو النفس المنطبعه و تسمى لوح القدر. أقول: قد تقدم من الأحاديث ما بين هذين الكتابين مع الشرح. قال قدّس سرّه: و الحق أن الكتاب المبين الذى لا رطب و لا يابس إلا فيه أعمّ، يشمل الأول و الثالث أيضا. أقول: يعنى أن الكتاب المبين يشمل أمّ الكتاب و كتابى المحو و الإثبات. قال قدّس سرّه: و إلى هذا الكتاب. أقول: الكتاب المبين الذى يشتمل عليهما، أشار بقوله تعالى: يَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ اَلْكِتٰابِ) (1)أى هـذه الآيه الشريفه لما أضاف إلى كتابى المحو و الإثبات أمّ الكتاب بالعطف، فحينئذ يمكن أن يراد من المعطوف و المعطوف عليه الكتاب المبين الذى يشمل هذه الكتب الثلاثه: أعنى أمّ الكتاب و الكتاب المبين و كتاب المحو و الإثبات.

١- ١) الرعد:٣٩.

هذا و ربما يقال بأنه خلاف الظاهر إلاّ أنه ستأتى روايات فى بيان مصداق القسم الخامس من الكتب، و أنه أمير المؤمنين عليه السّلام ما يقرّب هذا المعنى و يصدقه. قال قدّس سرّه: و الرابع: الكتاب المسطور، و هو المنقوش على الرق المنشور أعنى الهيولى و يسمى سجل الوجود و إليه الإشاره بقوله: وَ اَلطُّورِ. وَ كِتٰابٍ مَسْطُورٍ. فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ (۱). أقول:

و فى تفسير البرهان (۲)، بإسناده عن على بن سليمان، عمّن أخبره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله عز و جل: (وَ كِتٰابٍ مَسْطُورٍ. فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ) فالرقّ كتاب كتبه اللّه عز و جل فى ورقه آس، و وضعه على عرشه قبل خلق الخلق بألفى عام، يا شيعه آل محمد إنى أنا اللّه أجبتكم قبل أن تدعونى، و أعطيتكم قبل أن تسألونى، و غفرت لكم قبل أن تستغفرونى. أقول: و لعلّ المذكور هو بعض ما فى الكتاب، و اللّه العالم. و الخامس: الكتاب الجامع للكل و هو الإنسان، و لا سيما الكامل منه و هو الكتاب الصغير المستنسخ من الكتاب الكبير و إليه الإشاره بقوله تعالى: (وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فِى إِمٰامٍ مُبِينٍ) (۳)فكل إنسان بل كل نفس من النفوس الحيوانيه كتاب من كتب اللّه، فالإنسان من حيث روحه و عقله الإجمالى كتاب عقلى، و من حيث قلبه و عقله التفصيلى كتاب نفسى، و من حيث خياله كتاب المحو و الإثبات. أقول: و يدل على أنّ الكتاب الجامع هو الإنسان الكامل، و أنه هو الأئمه عليهم السّلام. روايات كثيره خصوصا فى حقّ أمير المؤمنين.

ففى تفسير نور الثقلين عن أصول الكافى بإسناده عن أبى ربيع الشامى قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: (وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّٰ يَعْلَمُهٰا وَ لاٰ

۱- ۱) الطور:۱-۳.

۲- ۲) تفسير البرهان ج ۴ ص ۴۲۰.

۳- ۳) يس:۱۲.

حَبَّهٍ فِی ظُلُمٰاتِ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ یٰابِسٍ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ) قال: فقال: الورقه السقط، و الحبه الولد، و ظلمات الأرض الأرحام، و الرطب ما یحیی من الناس، و الیابس ما یغیض و کل ذلک فی إمام مبین. أقول: لعل التفسیر منه علیه السّلام کما ذکر بما ذکره بیان لبعض المصادیق و کیف لا

فقوله علیه السّلام: «و کل ذلک فی إمام مبین» تفسیر الکتاب المبین الذی فیه کلّ شیء و أنه هو الإمام المبین.

و فی مقدمه تفسیر البرهان (۱)، و فی روایه النصرانی الذی سأل الکاظم علیه السّلام عن تفسیر (حم. وَ اَلْکِتٰابِ اَلْمُبِینِ) فی الباطن یقال: أما حم فهو محمد صلّی اللّه علیه و آله و أما الکتاب المبین فهو علی علیه السّلام. و فی بعض الزیارات، أنهم الکتاب المسطور.

و فی تفسیر البرهان (۲)، و ذکر ابن عباس عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنه قال: «أنا و اللّه الإمام المبین، أبین الحقّ من الباطل، و ورثته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» .

و فی شرح نهج البلاغه للمحقق الخوئی (۳)، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبه کان یخطبها للناس: «أنا نقطه باء بسم اللّه، و أنا جنب اللّه الذی فرطتم فیه، و أنا القلم و أنا اللوح المحفوظ، و أنا العرش و أنا الکرسی، و أنا السموات السبع و الأرضین» ، الخطبه.

و فی تفسیر نور الثقلین (۴)، عن معانی الأخبار بإسناده إلی الجارود، عن أبی جعفر محمد بن علی الباقر، عن أبیه عن جده علیهم السّلام قال: «لما نزلت هذه الآیه علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» (وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنٰاهُ فِی إِمٰامٍ مُبِینٍ) قام أبو بکر و عمر عن

۱- ۱) تفسیر البرهان ص ۲۸۲.

۲- ۲) تفسیر البرهان ج ۴ ص ۵.

۳- ۳) شرح نهج البلاغه للمحقق الخوئی ج ۱۹ ص ۳۲۴.

۴- ۴) تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۳۷۹.

مجلسـهما و قالا: «یا رسول اللّه هو التوراه؟ قال: لا، قالا: فهو الإنجیل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، فأقبل أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: هو هذا إنه الإمام الذی أحصی اللّه فیه تبارک و تعالی علم کلّ شیء» .

و فی مقـدمه تفسیر البرهـان عن تفسیر القمی عن الصـادق علیه السّـلام فی قوله: (الم. ذٰلِکَ اَلْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ) قال: علی علیه السّـلام و لاـ شـک فیه هـدی للمتقین، قال: تبیان لشـیعتنا. فهـذه الأحادیث و ما مثلها تـدل علی أن الکتاب الجامع لجمیع الأقسام المتقـدمه هو الإنسان الکامل، و دلّت علی أنه النبی و أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّـلام و هذا یدلّ أیضا علی أن الأئمه علیهم السّلام هم کتابا المحو و الإثبات کما لا یخفی. قال قدّس سرّه: و فی کیفیه مقابله الکتاب الصغیر مع الکتاب الکبیر تطویل عظیم عسی أن نذکر قلیلا منها. أقول: ذکر فی شرح

قوله علیه السّلام ص ۱۵۰ «یا من فی الآفاق آیاته» أی فی النواحی من عوالم الوجود علاماته، و الاسم مأخوذ من الآیه أعنی قوله تعالی: (سَنُرِیهِمْ آیٰاتِنٰا فِی اَلْآفٰاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ) (۱)و فی التعبیر بالآیـات إشـاره إلی أن عـالم الآفاق کتاب تکوینی له کالکتاب التـدوینی، إلی أن قـال قـدّس سـرّه، و قیـل بالفارسـیه: بنزد آنکه جـانش در تجلّی است همه عالم کتاب حق تعالی است عرض اعراب و جوهر چون حروف است مراتب همچو آیـات و وقوف است از أو هر عـالمی چون سورهٔ خاص یکی زان فاتحه و آن دیگر إخلاص

ص: ۳۲۴

۱- ۱) فصلت:۵۳.

و فی الاکتفاء بالآفاق فی الاسم إشاره إلی تطابق الکتاب الآفاقی و الکتاب الأنفسی، و أن کلّا منهما تام فیه جمیع ما فی الآخر، قال ابن جمهور قدّس سرّه: الکتب ثلاثه: الآفاقی و القرآنی و الأنفسی، فمن قرأ الکتاب القرآنی الجمعی علی الوجه الذی ینبغی فهو کمن قرأ الکتاب الآفاقی بأسره إجمالا و تفصیلا، و من قرأ الکتاب الآفاقی علی الوجه المذکور فهو کمن قرأ الکتاب الأنفسی إجمالا و تفصیلا، و لهذا اکتفی النبی صلّی اللّه علیه و آله بواحد منهما فی معرفته تعالی

بقوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ، لأنه کان عارفا بأن من یعرف نفسه علی ما ینبغی، و یطالع کتابه علی ما هو علیه فی نفسه یعرف ربّه علی ما ینبغی، و إلیه الإشاره بقوله تعالی: (اِقْرَأْ کِتٰابَکَ کَفیٰ بِنَفْسِکَ اَلْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً) (۱). و کذلک من طالع الکتاب القرآنی علی وجه التطبیق تجلّی له الحق تعالی فی صور ألفاظه و ترکیبه و آیاته و کلماته تجلّیا معنویا لما أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السّلام

بقوله: «لقد تجلّی لعباده فی کلامه، و لکن لا یبصرون» . و من طالع الکتاب الآفاقی علی ما هو علیه تجلّی له الحق تعالی فی صور مظاهره الأسمائیه و ملابسه الفعلیه الکونیه المسماه بالحروف و الکلمات و الآیات، المعبر عنها بالموجودات العلویه و السفلیه، و المخلوقات الروحانیه و الجسمانیه علی الإطلاق و التعیین تجلّیا شهودیّا عیانیا، لأنه لیس فی الوجود سوی اللّه و صفاته و أسماؤه و أفعاله فالکل هو و به و منه و إلیه. و من طالع الکتاب الأنفسی الصغیر الإنسانی و طبّقه علی الکتاب الآفاقی تجلّی له الحق تعالی فی الصوره الإنسانیه الکامله و النشأه الحقیقیه الجامعه تجلّیا ذاتیا شهودیا عیانیا بحسب ما یشاهده فی کل عین من حروفه و کلماته و آیاته، المعبر عنها بالقوی و الأعضاء و الجوارح، فکلّ من طالع کتابه الخاص به، و شاهد نفسه المجرده و بساطتها و جوهریتها و وحدتها و بقاءها و دوامها و إحاطتها بعالمها عرف الحق

۱- ۱) إسراء:۱۴.

و شاهده و عرف أنه محيط بالأشياء و صورها و معانيها عاليها و سافلها، شريفها و خسيسها مع تجرده و وحدته و بقائه و دوامه فى ذاته و حقيقته. قالوا: و كذلك الحق إذا أراد أن يشاهد نفسه فى المرآه الكامله الذاتيه الجامعه يشاهدها فى الإنسان الكامل بالفعل و فى غير الكامل بالقوه، لأنه مظهر الذات الجامعه لا غير، و إلى هذا

أشار نبينا صلّى اللّه عليه و آله بقوله: «خلق آدم على صورته» مراده على صوره كمالاته الذاتيه الجامعه للكمالات الأسمائيه و الصفاتيه، و إذا أراد أن يشاهدها فى المرآه الكماليه الأسمائيه و الصفاتيه و الأفعاليه يشاهدها فى العلم المسمّى بالآفاق، لأنه هو مظهر أسمائه و صفاته و أفعاله، و من هذا قيل: أراد اللّه أن يظهر ذاته الجامعه فى صوره جامعه فأظهرها فى صوره الإنسان، و أراد أن يظهر الأسماء و الصفات و الأفعال فى صوره كامله مفصله فأظهرها فى صوره العالم، فليس يشاهد اللّه تعالى نفسه و ذاته المقدسه من حيث الكمالات الذاتيه و الأسمائيه إلا فى هذين المظهرين. انتهى. أقول: و قد ذكر (رضوان اللّه عليه) فى الهامش بعض ما يوضح كلام ابن جمهور فقال قدّس سرّه: قولنا: إن عالم الآفاق كتاب تكوينى، قد مرّ أن الألفاظ موضوعه للمعانى العامه، فالكتاب موضوع لما ينتقش فيه سواء كان ماديا أو مجردا و سواء كان نقشه معقولا أو محسوسا أو متخيلا أو موهوما، فالنفس أيضا كتاب سماويّه كان أو أرضيه، و قواها كتب عقلا كانت أو خيالا أو حسّا، و قال فيه أيضا: قولنا الآفاقى، ثم الآفاقى كتاب المحو و الإثبات و هو سجل الكون و النفس المنطبعه الفلكيه، و الكتاب المتين و هو النفس الكليه، و أمّ الكتاب و هو العقل الكلى من جهه ماهيّته فهى صحف مكرمه مرفوعه مطهره. أقول: فجميع هذه من الآيات الآفاقيه، ثم قال فيه قدّس سرّه: أيضا قولنا و كذلك الحق إذا أراد. . إلخ إنما كان الإنسان مرآه ذاتيه، و موجودات الآفاق مرايا صفاتيه و أسمائيه، لأن الإنسان الكامل مظهر اسم الجلاله، الذى هو اسم الذات الأقدس

بخلاف الموجودات الآفاقيه، فإن الملک مظهر السبوح القدوس، و الفلک مظهر الرب الرفیع الدائم، و الحیوانات الأخری مظاهر السمیع البصیر و قس علیه سائر الأسماء و مظاهرها کما یعرفه علماء الأسماء، و لذا فرقوا بین المرآتین الذاتیه و الصفاتیه: چو آدم را فرستادیم بیرون جمال خویش بر صحراء نهادیم أقول: و مما ذکرنا یعلم إجمالا- کیفیه مقابله الکتاب الصغیر مع الکتاب الکبیر، و قد ذکر أیضا فی الهامش فی ص ۱۵۱، بیان المقابله بینهما و تطبیق کلّ منهما مع الآخر ترکناه حذرا من التطویل.

قوله علیه السّلام: العاملون بإرادته

قیل: بإرادته للّه أو باللّه و هو أظهر، فإنهم کانوا فی أعلی مراتب القرب من جهه القیام بالنوافل الموجبه لحبّه تعالی إیاهم الموجب لأن یسمعوا باللّه، و یبصروا به، و یبطشوا به، و یمشوا به کما صرّح بها

فی الحدیث القدسی: «ما زال العبد یتقرب إلیّ بالنوافل حتی أحبّه، فإذا أحببته کنت سمعه الذی یسمع به، و بصره الذی یبصر به، و یده التی یبطش بها. و بعباره أخری: أنهم یعملون بإرادته تعالی لا بإرادتهم، کیف و قد علمت أنهم لا یریدون إلاّ ما أراد اللّه نظیر أنهم لا یشاءون إلا ما شاء اللّه، و تقدم

قوله علیه السّلام فی الزیاره:

إراده الرب فی مقادیر أموره تهبط إلیکم.

و من المعلوم أنها عامه تشمل أعمالهم علیهم السّلام الفاضله، و کیف یعملون بإرادته تعالی، و قلوبهم مهبط إرادته تعالی فهم علیهم السّلام لا یفعلون شیئا إلا بعهد من اللّه، و لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون. و بعباره أخری: أن قلوبهم محل مشیئته تعالی، و هم ألسنه إرادته تعالی، کما

علمت من الأخبار، فليس لهم مشيئه لأنفسهم و لا إراده لأنهم عليهم السّلام بالنسبه إليه تعالى كالميت بين يدى الغسال. و قد تقدم ما

نقل عن السيد بحر العلوم (رضى اللّه تعالى عنه) فيما نسب إليه أنه روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى ميت و هو يمشى، فلينظر إلى على ابن أبى طالب عليه السّلام» فهم عليهم السّلام قد أماتوا أنفسهم و تركوا ملاحظتها و اعتبارها بين يديه تعالى، و صارت مشيئتهم مشيئه اللّه، و إرادتهم إراده اللّه، فإن اللّه هو الفاعل بهم ما يشاء، و إلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: (وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ رَمىٰ) ففى الحقيقه ليس لهم عليهم السّلام إراده و إنما الإراده إرادته تعالى، كما علمت من

قوله:

«إراده الرب تهبط إليكم»

أو أنهم يصدرون عن إرادته تعالى، و إرادتهم تابعه لإرادته تعالى، بل مضمحله فى إرادته. و قد ذكر فى علم المعارف ما يوضح كيفيه اضمحلال إراده اللّه تعالى، فكيف بهم عليهم السّلام و هم من القرب و المعرفه به تعالى بما لا يساويهم أحد كما لا يخفى؟ و علم أيضا معنى كونهم يعملون بإرادته أى يعملون للّه، أى أنهم عاملون بما يطابق إرادته تعالى و محبته تعالى، كما أن هذا هو المتفاهم عند العلماء و اللّه العالم. ثم إنه ذكر العلماء على ما نقل عنهم قدّس سرّه معانى مختلفه لكونه تعالى سمعهم و بصرهم. . إلخ كما فى الحديث. منها: أنه كنايه عن شده القرب، و استيلاء سلطان المحبه على ظاهر العبد و باطنه، حتى غيّبه عن نفسه و عن كلّ الخلق.

قال الصادق عليه السّلام فى مصباح الشريعه: حبّ اللّه إذا ضاء على سرّ عبده أخلاه عن كل شاغل و كل ذكر سوى اللّه. فإذا وصل العبد إلى هذه الدرجه فلا محاله كان اللّه فى سرعه الإجابه كسمعه فى إدراك مسموعاته، و هكذا بالنسبه إلى بصره و يده و رجله. فقوله تعالى: كنت سمعه. . إلخ، معناه: كنت فى سرعه الإجابه لما يريد كسرعه

السمع فی درک المسموعات و هکذا فتأمل. و منها: أنه کنایه عن أنه تعالی یشغله بامتثال أوامره و نواهیه، حتی یکون بمنزله من لا یسمع إلا ما أمر بسماعه، و لا یری إلا ما أمر برؤیته، فسماع العبد و رؤیته حینئذ کانّه سماعه تعالی و رؤیته حیث لا یسمع إلا ما أمر به، و لا یری إلا ما أمر به، و اللّه العالم.

قوله علیه السّلام: الفائزون بکرامته

أقول: الباء للسببیه یعنی أنهم بسبب کونهم مکرمین بالمعانی التی تقدم ذکرها فی شرح

قوله علیه السّلام : المکرّمین ، الذی أشار به إلی الآیه الشریفه و هی قوله تعالی: (عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ. لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ) (1)فازوا إلی غایه الفوز بحیث لم یدانهم أحد. و الحاصل: أنه تعالی أکرمهم بما لم یکرم به أحدا من خلقه، لحقیقه ما هم علیه من القرب و المعرفه، و من کونهم مظاهر جماله و جلاله إلی آخر ما تقدم، فلا محاله فازوا بما لم یفز به أحد من الخلق، و ظفروا بما طلبوا من الکرامه لدیه، و وصلوا إلی المقام الأعلی و المکان الرفیع.

[19]قوله علیه السّلام: اصطفاکم بعلمه

قد تقدم معنی کونهم مصطفین قریبا، و هنا أشار إلی أنّ هذا الاصطفاء یکون بعلمه، و الباء للسببیه بمعنی: أنه تعالی اصطفاهم بعلمه الذی هو من صفاته الذاتیه المستجمعه لجمیع الکمالات من القدره الکامله، و الحکمه المتقنه، و المصالح الکامله و هکذا.

1- 1) الأنبیاء:26-27.

و بعباره أخرى: أنه قد ثبت فى محله أن كل كمال يرجع إلى العلم بلا استثناء، و جميع كمالاته تعالى آثار علمه تعالى. فيكون حاصل المعنى أنه تعالى اصطفاهم بحقيقته، التى يكون جميع الحقائق منشعبه منها، فهم عليهم السّلام مصطفون و مختارون بالفتح بما لا يمكن و لا يتصور فوقه اصطفاء و لا اختيار، حيث إنه من اللّه و بعلمه فلا يحاذيهم أحد فى هذا الاصطفاء، و لا يكون فى صقع الوجود بمثلهم من حيث الاصطفاء و الكمال. فهذا المعنى يساوق معنى

قولهم عليهم السّلام: «نحن صنائع ربنا. . إلخ» أى نحن مخلوقون بقدره ربنا و علمه اللذين ليس فوقهما علم و لا قدره، فنحن فوق المخلوقين. و بعباره أخرى: أنه تعالى أعمل فيهم حين خلقهم علمه النافذ و قدرته الكامله، فأوجدهم بأحسن وجه ما ينبغى، و أكمل ما يمكن، و أجمع للكمالات بما يمكن كما

قال عليه السّلام: إن اللّه خلقنا و أحسن خلقنا، و صوّرنا و أحسن صورنا. . إلخ، و لذا ورد أنهم الآيات التى أراها اللّه تعالى لعباده حتى يتبيّن لهم أنه الحق و تقدم

قوله عليه السّلام: «فأىّ آيه للّه أكبر منا أهل الآفاق» أو ما هو بمعناه

قال النبى و الوصى (صلى اللّه عليهما و آلهما) : «ما للّه آيه أكبر منى، و لا للّه نبأ أعظم منى» ، كلّ ذلك يشير إلى أنهم بكمال من الاصطفاء حيث إنهم مصطفون بعلمه بنحو ما ذكر. و تقدم

قول النبى صلّى اللّه عليه و آله: «إن اللّه اصطفانى و اختارنى» ، و معنى الاصطفاء فى شرح

قوله عليه السّلام:

«المصطفون»

، فما ذكره المجلسى قدّس سرّه فى شرح الفقيه من قوله اصطفاكم بعلمه، أى عالما بأنكم أهل الاصطفاء، فإن هذا المعنى فى نفسه و إن كان صحيحا إلا أنه لا يراد منه من هذه الجمله، لأنه خلاف ظاهرها كما لا يخفى. و قد يقال: معنى كونهم اصطفاكم بعلمه أنه تعالى لما جعلهم خزان علمه، و معلوم أنه عام يشمل جميع العلوم، فيلزمه إحاطتهم عليهم السّلام بجميع الأشياء إحاطه علميه، و هذا لا يمكن إلا بتجريدهم و تصفيتهم من جميع مراتب الوجود و تزكيتهم و تنزيهه عن تمام الحدود، و بلوغه تعالى بهم إلى مرتبه التجرد التام، التى يمكن

بلوغها للممكنات حتى يصيرهم مطلقين، ليمكن اجتماعهم و إحاطتهم علما مع كل قيد، و إلا لما أمكنهم الوصول إلى عالم الحدود الخلقيه لهدايتهم و ترقّيهم إلى الكمال، بل و لعله لا يمكنهم عليهم السّلام الترقى إلى ما فوقهم إلى الكمالات العاليه، التى تكون بينهم و بين الذات الربوبى كما تقدمت الإشاره إليه. و بعباره أخرى: أنه تعالى اصطفاهم بعلمه، أى جعلهم مختارين له بالفتح بالعلم بإظهار علمه فيهم، و هو يقتضى تجردهم عن جميع الحدود الخلقيه لما ذكرنا، فإذا اصطفاهم كذلك بنحو اللابشرط، فهم يجتمعون مع ألف شرط، أى أنهم صائرون و عالمون بجميع أنواع الخلق مع ما لها من الحدود، و هذا المعنى أنسب للنسخه التى تكون مع اللام، و هو

قوله:

اصطفاكم لعلمه

، أى اصطفاكم مجردين لتحمل علمه و لغايه علمه. و بعباره أخرى: اختاركم و اصطفاكم حمله لعلمه، لتؤدوا عنه أحكامه إلى خلقه، أو حفظه لعلمه لأن غيركم لا يقدر على حفظ علمه، و هذا العلم لعلّه المراد منه عالم المشيه الكليه الإلهيه الذى هو مواد علمهم عليهم السّلام و هو الاسم الأعظم الذى له ثلاثه و سبعون حرفا استأثر اللّه بواحد منها فى علم غيب الغيوب، بحيث لا يعلمه ملك مقرب و لا نبىّ مرسل، و علّم محمدا و آله (صلى اللّه عليه و عليهم أجمعين) اثنين و سبعين حرفا منها، و هو صلّى اللّه عليه و آله ورّثها أهل بيته، و تقدم ذلك مفصلا أنهم عليهم السّلام كمحمد صلّى اللّه عليه و آله فى العلم إلا فى النبوه و عقد لهذا بابا فى الكافى فراجعه و هو باب أن عندهم الاسم الأعظم. و قد يقال: على نسخه الباء للاستعانه. و حاصله: حينئذ أنه تعالى اطلع على جميع خلقه و هو بكلّ شىء عليم، فأحاط بكلّ شىء علما فاختار منهم الصفوه بعلمه بعد تمييزهم. و كيف كان فقد اصطفى محمدا و آله صلّى اللّه عليه و آله عن علم منه تعالى بهم بأنهم أهل الاصطفاء، حيث انفردوا عن التماثل و التشاكل بجميع ذلك كله، إلا أنه قد تقدم أن

کون الباء للاستعانه خلاف الظاهر، فتدبر.

قوله علیه السّلام: و ارتضاکم لغیبه

هذه الجمله إشاره إلی قوله: (فَلاٰ یُظْهِرُ عَلیٰ غَیْبِهِ أَحَداً. إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ) (۱). أقول: قد یقال: إن الارتضاء اختیار خاص، یعنی: الشیء قد یکون مختارا و أن یرتضی لذاته، بل ربما کان مکروها لذاته، و لکن لا یکون مرتضی إلا هو مختار، فمعنی الارتضاء هو معنی الاصطفاء و الاختیار. و کیف کان قوله تعالی: (مِنْ رَسُولٍ) ، بیان لمن ارتضی و حاصله أنه تعالی یرتضی من رسله من یشاء، لیتحمل ما یشاء تعالی من غیبه، و ذلک حیث یراه أهلا بذلک، و أهلیته کونه محبوبا له تعالی، لتحقیقه بحقائق العبودیه و المحبه له تعالی و الإطاعه، و هکذا إلی سایر أوصاف النبی التی ذکر فی الأخبار. و من المعلوم بالقطع أن النبی صلّی اللّه علیه و آله هو أول مصدق لهذه الحقائق و الصفات کما دلّت علیه الأخبار، و أیضا دلت علی أن کلّ ما علمه النبی صلّی اللّه علیه و آله فقد علّمه علیّا و الطیبین من ذریته الأئمه علیهم السّلام.

ففی تفسیر نور الثقلین (۲)، عن أصول الکافی عن سدیر الصیرفی قال: سمعت حمران بن أعین یسأل أبا جعفر علیه السّلام عن قوله جلّ ذکره: (عٰالِمُ اَلْغَیْبِ فَلاٰ یُظْهِرُ عَلیٰ غَیْبِهِ أَحَداً) فقال أبو جعفر علیه السّلام: «إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ و کان و اللّه محمد ممن ارتضاه» . و أما قوله: عٰالِمُ اَلْغَیْبِ فإن اللّه عز و جل بما غاب عن خلقه فیما یقدر من شیء، و یقضیه فی محله قبل أن یخلقه، و قبل أن یقضیه إلی الملائکه، فذلک یا حمران علم

۱- ۱) الجن:۲۶-۲۷.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۴۴۱.

موقوف عنده إليه فيه المشيه، فيقضيه إذا أراد، و يبدو له فيه فلا يمضيه، فأما العلم الذى يقدره اللّه عز و جل و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذى انتهى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم إلينا، الحديث.

و فيه (۱)، عن احتجاج الطبرسى قدّس سرّه عن أمير المؤمنين عليه السّلام حديث طويل و فيه: و ألزمهم الحجه بأن خاطبهم خطابا يدل على انفراده و توحيده، و بان لهم أولياء تجرى أفعالهم و أحكامهم مجرى فعله، و عرف الخلق اقتدارهم على علم الغيب بقوله: (عٰالِمُ اَلْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً. إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ) ، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: و من حلّ محلّه من اصفياء اللّه الذين قال: (فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ) الذين قرنهم اللّه بنفسه و برسوله، و فرض على العباد من طاعتهم مثل الذى فرض عليهم منها لنفسه.

و فيه عن الخرائج و الجرائح، روى محمد بن الفضل الهاشمى عن الرضا عليه السّلام: نظر إلى ابن هذاب فقال: إن أنا أخبرتك أنك ستبتلى فى هذه الأيام بدم ذى رحم لك لكنت مصدقا لى؟ قال: لا، فإن الغيب لا يعلمه إلا اللّه تعالى، قال عليه السّلام: أو ليس أنه يقول: (عٰالِمُ اَلْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً. إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ) ؟ فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند اللّه مرتضى، و نحن ورثه ذلك الرسول الذى اطلعه اللّه على ما يشاء من غيبه، فعلمنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامه. الحديث. فهذه الأحاديث و نحوها دلّت على أنه صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام ممن ارتضاهم اللّه تعالى لغيبه، لحقيقه ما هم أهله مما تقدم ذكره. أقول:

و فيه (۲)، عن تفسير على بن إبراهيم:

(عٰالِمُ اَلْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً. إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ) يعنى: عليّا المرتضى من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و هو منه، قال اللّه تعالى: «فإنه يسلك» الحديث يأتى بتمامه قريبا.

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۴۴۴.

۲- ۲) المصدر نفسه.

فدلّ هذا الحديث على أن المرتضى من الرسول هو على عليه السّلام فلا يكون من رسول بيانا لمن ارتضى بل للتعديه كما يقال: شربت من الماء. فمعناه حينئذ لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضاه من رسوله فيكون مصداق من فى من ارتضى أمير المؤمنين عليه السّلام الذى ارتضاه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هذا بخلاف التفسير السابق، مصداق، من، فى السابق هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كان من رسول بيانا له، كما تقدم، فعلى التفسير السابق المستثنى من أحد الذى ثبت له علم الغيب هو الرسول، و يكون ثبوته للأئمه بتلك الأحاديث الداله على المنزله. و أما على التفسير الثانى: يكون المستثنى هو أمير المؤمنين المرتضى من الرسول بالمنطوق لا بالمنزله، و لعل هذا التفسير الثانى راجع إلى التأويل للآيه، و ذلك أنه لما ثبت أن عليا نفس الرسول صلّى اللّه عليه و آله فإثبات الغيب لأحدهما إثبات للآخر أيضا، فحينئذ قد يفسر من ارتضى بالرسول، و قد يفسر بلحاظ هذا التأويل بعلى عليه السّلام كما لا يخفى. و كيف كان فقد أثبتت هذه الآيه و الأحاديث أنهم عليهم السّلام ممن علّمهم اللّه تعالى علم الغيب، و قد صرحت به الأحاديث الكثيره، و هذا مما لا ريب فيه، و هو مستفاد من الآيات كما لا يخفى. و حاصله: أن اللّه تعالى يظهر رسله على ما يشاء من الغيب المختص به، فالآيه هذه إذا انضمّت إلى الآيات التى تخصّ علم الغيب به تعالى كقوله: (وَ عِنْدَهُ مَفٰاتِحُ اَلْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ) (1)، و قوله تعالى: (وَ لِلّٰهِ غَيْبُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ) (2)، أفاد ذلك المعنى الأصاله و التبعيه، أما الأصاله فهو تعالى يعلم الغيب لذاته، و أما التبعيه فهو أن النبى و الأئمه عليهم السّلام بدليل المنزله يعلمون الغيب بتعليم من اللّه تعالى لهم، و قد دلّت أخبار كثيره جدّا على هذه التبعيه كما لا يخفى على المتتبع لها.

١- ١) الأنعام:٥٩.

٢- ٢) النحل:٧٧.

أقول: قد تقدم مفصلا فى شرح

قوله عليه السّلام

«و عباده المكرمين»

ما أوضح أنهم عليه السّلام عالمون بالغيب بتعليمه تعالى، إلا أنا نذكر هنا نبذا فى هذا الموضوع يتم به الكلام. فنقول: لا ريب، أن من قال: إنهم عليهم السّلام لا يعلمون الغيب لا ينكرون أنهم قد أخبروا بأشياء كثيره من الغيب، فحينئذ لا محاله إما يقال فى مقام الجميع بأن ذلك الإخبار بتعليم اللّه نبيه صلّى اللّه عليه و آله و هو صلّى اللّه عليه و آله علّمهم كما تقدم، أو هو وراثه منه صلّى اللّه عليه و آله لهم عليه السّلام كما روى عنهم عليهم السّلام أيضا، و تقدم أنهم علموا ذلك من القرآن الذى فيه تبيان كلّ شىء، و تفصيل كل شىء و علمه عندهم كما لا يخفى. فهم عليهم السّلام كما علمت لا يعلمون الغيب ذاتا و يعلمونه تعليما منه تعالى، أو تعليما من الرسول أو لما عندهم من الاسم الأعظم كما تقدم. و قد أقدرهم اللّه تعالى به على ما يشاءون من العلوم، أو لتعليم الملائكه إياهم حيث إنهم محدثين كما تقدم مفصلا فى شرح

قوله:

«و مهبط الملائكه»

و لما عنهم من مصحف فاطمه عليها السّلام أو الجامعه أو الجفر، أو ساير الكتب السماويه التى عندهم كما وردت الأخبار بهذه كلّها، هذا مضافا إلى أن اللّه تعالى يسلك من بين أيديهم، و من خلفهم رصدا من الملائكه مؤيدات لهم، و من إمدادته تعالى لهم كما دلّت عليه الأحاديث التى تقدمت فى

قوله عليه السّلام:

«و مهبط الوحى»

،

و فى ذيل خبر على بن إبراهيم المتقدم آنفا فإنه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا قال: فى قلبه العلم، و من خلفه يعلمه علمه و يزقّه العلم زقّا، و يعلمه اللّه إلهاما. و الرصد التعليم من النبى صلّى اللّه عليه و آله ليعلم النبى أن قد أبلغوا رسالات ربّه و أحاط على عليه السّلام بما لدى الرسول من العلم، و أحصى كل شىء عدد ما كان و ما يكون منذ خلق اللّه آدم إلى أن تقوم الساعه من فتنه أو زلزله. الحديث. أقول: قد تقدم مفصلا الكلام فى أنهم عليهم السّلام يعلمون الغيب و معناه، و أنه ما المراد من الغيب فى شرح

قوله عليه السّلام:

عباد مكرمون

، فراجعه فإنه ينفع فى المقام، و اللّه العالم بالأمور.

ص :۳۳۵

قوله عليه السّلام: و اختاركم لسرّه

قد يقال: إن قوله عليه السّلام هذا بعد

و ارتضاكم لغيبه

، إما للتأكيد، و التخصيص بعد التعميم لأن الغيب يعمّ السّر. أقول: العلم بما له من العلوم و الأقسام قد يتصف بكونه غيبا عند الجاهل به، و قد يكون مشهورا عند العالم به، و قد يكون الأمر المعلوم من الأسرار، أى مما ينبغى أن يسرّ به و لا يفشى به إلا عند أهله، فهو بعد ما أفشى لأهله من الأسرار أيضا فلا بد من حفظه من الأغيار الذين ليسوا بأهل، و هذا بخلاف علم الغيب فإنه بعد الإفشاء يخرج عن كونه علم الغيب كما لا يخفى. فعلى هذا لا تكون هذه الجمله لا تأكيدا و لا تخصيصا، بل هى تأسيس فى نفسها كما لا يخفى. و نقل عن بعضهم: أن سرّ آل محمد صلّى اللّه عليه و آله صعب مستصعب، فمنه ما يعلمه الملائكه و النبيون و هو ما وصل إليهم بالوحى، و منه ما يعلمه هم و لم يجر على لسان مخلوق غيرهم و هو ما وصل إليهم بغير واسطه. أقول: كما علمت فى شرح

قوله عليه السّلام:

و مهبط الوحى

، أن من الوحى ما يكون من اللّه تعالى إليه صلّى اللّه عليه و آله بلا وساطه جبرئيل، و يصل منه صلّى اللّه عليه و آله حينئذ إليهم عليهم السّلام و قد تقدم شرحه، قال: و هو السرّ الذى ظهرت به آثار الربوبيه عنهم فارتاب لذلك المبطلون و فاز العارفون، فكفر به من أنكر و فرط و من غلا فيهم، و فاز من أبصر و اتبع النمط الأوسط، انتهى. أقول: و من القسم الثانى معرفتهم عليهم السّلام معرفه حقيقيه على نحو ما عرفته فى شرح

قوله عليه السّلام:

«محال معرفه اللّه»

بمقامات اللّه التى لا تعطيل لها فى كل مكان، و حقيقه معانيه التى علمته من

قول السجاد عليه السّلام: «و أما المعانى فنحن معانيه» و حقيقه ظاهره تعالى و وجهه و بابه و جنابه و حكمه الذى يصير إليه كل شىء و أمره الذى قام به كل شىء و كلماته التامات التى علمت أنهم عليهم السّلام هى تلك الكلمات

التی لا تستقصی و لا یدرک غورها، و علمت فیما سبق أن هذا السرّ هو الذی أشار إلیه الصادق علیه السّلام فی حدیث ابن الصامت من

قوله علیه السّلام: نحن نحتمل فی جواب قوله: «فمن یحتمله» و أشار إلیه أیضا

فی حدیث أبی بصیر المتقدم قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: یا أبا محمد إن عندنا و اللّه سرّا من سرّ اللّه و علما من علم اللّه، و اللّه ما یحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للإیمان، و اللّه ما کلف اللّه أحدا غیرنا، و لا استبعد بذلک أحدا غیرنا و إن عندنا سرّا من سرّ اللّه و علما من علم اللّه، أمرنا اللّه بتبلیغه، فبلغنا عن اللّه تعالی ما أمرنا بتبلیغه، فلم نجد له موضعا و لا أهلا و لا حماله یحتملونه حتی خلق لذلک أقواما، خلقوا من طینه خلق منها محمد و آله و ذریته علیه السّلام و من نوره خلق اللّه محمدا و ذریته، و صنعهم بفضل صنع رحمته التی صنع منها محمدا و ذریته، فبلغنا عن اللّه ما أمرنا بتبلیغه فقبلوه و احتملوا ذلک، فبلغهم ذلک عنّا فقبلوه و احتملوه، و بلغهم ذکرنا فمالت قلوبهم إلی معرفتنا و حدیثنا فلو لا أنهم خلقوا من هذا لما کانوا کذلک لا، و اللّه ما احتملوه. أقول:

قوله علیه السّلام: إن عندنا و اللّه سرّا من سرّ اللّه، إلی قوله: ما کلّف اللّه أحدا غیرنا، یشیر إلی ما ذکرنا من أمر الولایه، و ما ظهرت به آثار الربوبیه. . إلخ

و قوله علیه السّلام: و علما من علم اللّه، إلی قوله علیه السّلام: حتی خلق لذلک أقواما، یشیر إلی أن من العلم و ما هو من أسرارهم ما لا یحتمله إلا الشیعه و الملائکه المقربون و الأنبیاء و المرسلون و هو المشار إلیه فیما رواه.

فی البصائر عن الصادق علیه السّلام من قوله: إن حدیثنا صعب مستصعب، خشن مخشوش فانبذوا إلی الناس نبذا، فمن عرف فزیدوه، و من أنکر فأمسکوا، لا یحتمله إلا ثلاثه، ملک مقرب، أو نبیّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإیمان، و فی حدیث، أو مؤمن نجیب امتحن اللّه قلبه للإیمان. أقول: و قد ذکر فی الأخبار أن المسلمین هم النجباء، فیعلم أن الامتحان إنما هو بالتسلیم لهم کما تقدم.

و کیف کان فهنا أسرار لهم علیهم السّلام لا یحتمله إلا الشیعه، نحو کونهم حجج اللّه علی جمیع خلقه من الإنس و الجن و الملائکه، و الحیوانات و النباتات و المعادن، و قد تقدم أن اللّه تعالی قد احتج بهم علیهم السّلام علی خلقه، فجمیع مراتب الخلق من الرزق و الموت و الحیوه یکون بیدهم بإذن اللّه تعالی.

و فی المحکی عن الاختصاص بإسناده إلی سماعه قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فارعدت السماء و أبرقت، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: أما أنه ما کان من هذا الرعد و من هذا البرق من أمر صاحبکم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمیر المؤمنین علیه السّلام. فیعلم منه ما یرید اللّه من الخلق حتی من مثل الرعد و البرق، فهو یوجد بأمر الإمام، و قد کلّفه اللّه بذلک الأمر، و هم أبواب الخلق إلیه تعالی، و أبواب اللّه إلی الخلق، و هذه الأسرار مما قد أخذ علی الشیعه أن یکتموها إلا عن أهلها، و علیهم بیانها لأهلها علی قدر معرفتهم و احتمالهم لها. و لعمری إنه تعالی لا یطلع أحدا من الشیعه علی هذه الأسرار إلا إذا علم اللّه تعالی صدقه فی ولایتهم علیهم السّلام بل علی قدر معرفته لولایتهم و مقاماتهم یعلّمه اللّه تعالی تلک الأسرار، نسأل اللّه تعالی ذلک. و تقدم،

عن الاختصاص (۱)، بإسناده عن المفضل بن عمر عن الصادق علیه السّلام أنه قال لمفضل بن عمر: إنّ اللّه تبارک و تعالی توحّد بملکه، فعرّف عباده نفسه، ثم فوّض إلیهم أمره و أباح لهم جنّته، فمن أراد اللّه أن یطهر قلبه من الجنّ و الإنس عرّفه ولایتنا، و من أراد أن یطمس علی قلبه أمسک عنه معرفتنا، ثم قال: یا مفضل و اللّه ما استوجب آدم أن یخلقه اللّه بیده و ینفخ فیه من روحه إلا بولایه علی علیه السّلام. الحدیث. و قد تقدم بتمامه فعلم من هذا الخبر أن جمیع الخلق إنما استأهل منه تعالی النظر إلیه بأن یمنحه من ألطافه بسبب الولایه، فمن أنکرها لا یستأهل لذلک اللطف، و قد تقدم شرحه مفصلا.

۱- ۱) الاختصاص ص ۲۴۴.

و حاصل ما علم من هذه الأخبار، أن أسرارهم منها ما علمه الملائكه و الأنبياء و خواصّ شيعتهم، و إنما يحتملونه بتعليم آل محمد عليهم السّلام إياهم، و إنما احتمل الشيعه أسرارهم المشار إليها و لو بتعليمهم عليهم السّلام لأن طينتهم من فاضل طينه محمد و آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و العقل أيضا يساعد هذا اللطف منهم عليهم السّلام لشيعتهم، و ذلك لأنّ مشيتهم التى هى مشيه اللّه تعالى مكمّله لما نقص من قابليه من أرادوا تعليمه و مشيتهم عليهم السّلام تتعلق بهم كذلك. إما بإقبالهم عليهم السّلام عليهم فتستضىء بذلك قلوبهم كما ربما يستفاد

من حديث خالد عن الصادق عليه السّلام: «و اللّه إن الأئمه هم الذين ينورون قلوب المؤمنين» الحديث. فحينئذ تنكشف لهم الأسرار. و إما بعنايه خاصه منهم عليهم السّلام لهم كما ربما يظهر مما تقدم

فى تفسير قوله تعالى: (وَ أَنْ لَوِ اِسْتَقامُوا عَلَى اَلطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْناهُمْ مٰاءً غَدَقاً) (۱)، قال عليه السّلام: أى لو استقاموا على حبّ آل محمد صلّى اللّه عليه و آله لأفدناهم علم آل محمد.

و مما روى عن الباقر عليه السّلام من قوله: ما أحبّنا عبد و أزاد فى حبّنا، و عرضت عليه مسأله إلا ألقينا فى روعه الجواب عنها، نقلته بالمعنى فراجعه. و ذلك نحو العلم بحقيقه الأمر بين الأمرين و بحقيقه ولايتهم و شئونها فإنها قل ما يصل إليها أفهام الخواص فضلا عن عامه الناس من الشيعه، فهذه الأمور و أشباهها لا يعلمها إلا العالم عليه السّلام من علّمه العالم عليه السّلام إياه كما نصّ عليه فى الأحاديث، و قد تقدم سابقا ذكر أحاديث الباب و شرحها مفصلا عند

قوله عليه السّلام:

«و حفظه سرّ اللّه»

و سيأتى أيضا بعض الكلام فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و حفظه لسرّه»

و نذكر هناك الفرق بين هذه الجمل المتقاربه من حيث المعنى، ثم إن ما اختصوا به من الأسرار الربوبيه التى أشير إليها إجمالا لا يجوز لغيرهم أن يطلبوه، و من طلبه فقد عصى، و استوجب عقوبه طلبه بما يناسب حاله، كما ذكر هذا الطلب فى آدم و حوّاء عليهما السّلام و كذلك أيوب فابتليا بما ذكر فى

۱- ۱) الجن:۱۶.

الأخبار، و رغب عن الخضوع لها يونس عليه السّلام فالتقمه الحوت، و كذلك فطرس كما تقدم، فعذب بالجزيره، ثم لما تاب هؤلاء و سألوا اللّه بمحمد و آله (صلى اللّه عليهم أجمعين) قبل اللّه توبتهم، و قصصهم مذكوره فى الكتب المفصله فراجعها خصوصا فى تفسير البرهان، و الحمد للّه ربّ العالمين.

[۲۰]و قوله عليه السّلام: و اجتباكم بقدرته

أقول: لا ريب فى أن الاجتباء هو الاختيار و الاصطفاء كما فى اللغه، و هذا الاجتباء له مصاديق من حيث الشده و الضعف فى الاختيار. فحينئذ ربما يقال: إنما نسب الاجتباء إلى القدره مبالغه فى تعظيم مقام الاجتباء لهم عليهم السّلام لأن اجتباءهم عليهم السّلام واقع على أكمل وجه، و هو يكون عن القدره البالغه التى لا تعجز فى شىء من الكمال و إن عظم، و قد يقال: إن المشى وجوده بلحاظ تعلق الإراده به مهما كان مختارا و باعتبار لحاظ الكمال، و كونه من صفوه الموجودات يكون مصطفى، و باعتبار تحققه فى الخارج على أحسن وجه و أكمل و أتم وجه ممكن يكون مجتبى، لأن الاجتباء عنوان الفعل فى الخارج، أى يكون مصداقه ما هو موجود خارجا، و لذا جعل الاجتباء بالقدره التى هى السبب للفعل و العمل، بخلاف سائر الجمل المتقدمه على هذا و المتأخره عليه فإنها عللت بالصفات المعنويه الثابته قبل الفعل. فتدبر تعرف. و قد يقال: إنهم عليهم السّلام لما كانوا مظهر قدرته كما دلّت عليه الأخبار، فحينئذ معنى الاجتباء بالقدره هو أنهم مصدر آثارها و باب فيوضاتها لا غيرهم و هم عليهم السّلام بمكان من هذه المظهريه لها بحيث ينحدر عنهم السيل، و لا يرقى إليهم الطير، فلا أحد فى القدره و آثارها مثلهم، فيكون الباء حينئذ بمعنى اللام الغائيه، أى اجتباهم لغايه إظهار قدرته تعالى النافذه، التى ليست فوقها قدره فى الوجود.

و بعباره أخرى: أن قدرته تعالى قد ظهرت فى المقدورات و فى القادرين، إلا أن كلاّ منهم بحسب ظرفيته و لا ريب فى قدرته الكامله، لم تكن ظاهره فى أولئك القادرين، فحينئذ وجب فى الحكمه الإلهيه حيث إنه شاء أن يعرف خصوصا فى كمال قدرته أن يخلق خلقا أقوى و أقرب إليه تعالى، و إلى قدرته الذاتيه مما يتقوى به من ساير المخلوقات المحدوده، فاختارهم اللّه تعالى و خلقهم لقدرته الكامله، و جعلهم أعضادا للخلق كما تقدم، فحينئذ فاللّه تعالى أقدرهم على تحمل ما شاء من علمه، و على أداء ما حملهم من الولايه التكوينيه و التشريعيه المتقدم ذكرهما، فأقدرهم على تبليغ ما أمرهم على تبليغه فى التشريع و على تقديرهم للأشياء بأن جعلهم مقدرين-بالكسر-للأشياء بإذن اللّه تعالى، كما تقدم فى شرح

قول الحجّه (عليه أفضل الصلاه و السلام، و عجل اللّه تعالى فرجه، و جعلنى اللّه فداه) فى دعاء رجب:

«و مناه و أذوادا» . و الحاصل: أنهم عليهم السّلام مقدرون-بالفتح-له تعالى بما أقدرهم على ما ذكر و هو معنى اجتباهم بقدرته، فهم حينئذ مقدرون-بالكسر-لما ذكر فتأمل تعرف بعونه تعالى. و يقرب من هذا ما قيل: إنه تعالى اجتباهم بقدرته إلى عالم القضاء الإلهى أعنى عالم القدره فى الخلق، و هو عالم تنزيلهم عليهم السّلام إلى عوالم الأسماء الحسنى، التى هى مراتب اسم اللّه تعالى، و ذلك لأن الاجتباء افتعال من الجبايه و الجباوه و الجبوه و الجباه و الجبا أيضا بكسرهن، ما جمع فى الحوض من ماء كما نقل ذلك كلّه عن القاموس فيصير المعنى: أن اللّه تعالى قد جمع فيكم تمام مقدوراته، و ملأ بكم بها إعلاما على قضائه لها، كما جمع الماء فى الحوض و امتلأ به فالباء للتعديه حينئذ لتضمين معنى الجمع بالامتلاء كما لا يخفى، و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: و أعزّكم بهداه

أقول: لا بدّ أولا من شرح معانی العزّ و الهدایه، ثم بیان المراد من هذه الجمله. فنقول: فی المجمع ما حاصله: أن العزّ بمعنی الشده و الغلبه یقال عزّه یعزّه عزا إذا غلبه و بمعنی التقویه و التشدید فی الأمر کقوله تعالی: (فَعَزَّزْنٰا بِثٰالِثٍ) أی قوینا و شددنا ظهورهما، و الاسم العزه و هی القوه و الغلبه و العزه: المغالبه و الممانعه و بمعنی الحمل کقوله تعالی: (أَخَذَتْهُ اَلْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ) أی حملته العزّه التی فیه من الغیره و حمیه الجاهلیه علی الإثم، و قوله تعالی: (رَبِّ اَلْعِزَّةِ) أی الغلبه، و قوله تعالی: (أَعِزَّةٍ عَلَی اَلْکٰافِرِینَ) أی یعازّون الکافرین، أی یغالبونهم و یمانعونهم، من عزّه: إذا غلبه بمعنی الاستبداد و الشق علی النفس کما لا یقال: عزیز علیّ أن أراک کذا و بمعنی الأنفه یقال: عزّ علیّ أن کذا، أی أتنفر و أتضجر منه و أتجنّب عنه، و العزّ بالکسر خلاف الذل و عز الشیء عزّا و عزازه إذا قلّ و لا یکاد یوجد فهو عزیز، و عزّ فلا یعزّ عزّا و عزازه صار عزیزا أی قوی بعد ذله و الجمع أعزّه. و فیه: معانی الهدایه ما حاصله: أن الهدایه: بمعنی الدلاله کقوله (اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِیمَ)

فعن الصادق علیه السّلام: أرشدنا للزوم الطریق المؤدّی إلی محبتک و المبلغ إلی جنتک، من أن نتّبع أهواءنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلک. و بمعنی الکتاب و الشریعه کقوله: (فَمَنِ اِتَّبَعَ هُدٰایَ فَلاٰ یَضِلُّ وَ لاٰ یَشْقیٰ) أی القرآن و الشریعه. و بمعنی البیان کقوله تعالی: (أَ وَ لَمْ یَهْدِ لَهُمْ) أی أ و لم یبیّن لهم. و بمعنی الإمضاء کقوله تعالی: (أَنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَهْدِی کَیْدَ اَلْخٰائِنِینَ) أی لا یمضیه و لا ینفذه. و قد یقال: أی لا یصلحه فالهدایه بمعنی الإصلاح. و بمعنی الطریقه کقوله تعالی: (فَبِهُدٰاهُمُ اِقْتَدِهْ) أی بطریقتهم فی الإیمان باللّه و توحیده و عدله دون الشرایع الأخر، فالهدی و الرشاد و الدلاله و البیان یذکر و یؤنث.

و الهدی منه تعالی التوفیق و التأکید کما قال: (إِنَّکَ لاٰ تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ) أی یوفق و یؤید من یشاء، و قیل الهدی الحفظ انتهی ما عن المجمع ملخصا. أقول: قد ذکر معنی الهدایه

فی قوله علیه السّلام:

«الهداه»

إلاـ أن البیان هنا یرجع إلی معنی أنه تعالی أعزّهم بهداه، فنقول: معنی هذه الجمله بلحاظ معانی العزّ و الهدایه هو أنه تعالی جعلکم أعزه بالهدایه هادیا أو مهدیا، و شدّکم بهداه و إرشاده للزوم الطریق المؤدی إلی محبته و المبلغ إلی جنته، وقّاکم بتعریفه و تنبیهه لکم و قوّاکم بالتقوی، و بما أمضی لکم من محتوم أمره و قضائه من سننه و طریقته و آرائه، و أصول شرایعه و فروعها و شدّکم و قوّاکم علی حفظ ما جعله للمکّلفین من الإیجادات و أسبابها، و التشریعات و آدابها علی الخلق، و أیدکم بما به تکونون غالبین لما تریدون، ظاهرین علی من تعادون. و بعباره أخری: أعزّکم و غلبکم علی عالم الإمضاء الإلهی الذی هو عالم القضاء فی الخلق فهو تعالی أعزکم، أی أوصلکم إلی ما یرید، و أوصل بکم عالم إمضائه و قضائه بالوجود بأن غلبکم و سلّطکم علی کل شیء و علی إمضائه فی الخلق فأنتم الأعزّه، و محلّ العزه التی هی للّه تعالی و إلیه یشیر قوله تعالی: (وَ لِلّٰهِ اَلْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ) ، و الحمد للّه ربّ العالمین.

قوله علیه السّلام: و خصّکم ببرهانه

اشاره

أقول: فی المجمع: و خصّه بالشیء خصوصا من باب قعد، و خصوصیه بالفتح أفصح من الضم، و خص الشیء خلاف عمّ. و فیه: البرهان بالضم فالسکون الحجّه و البیان. . إلی أن قال: و سمیت الحجه برهانا لبیانها و وضوحها، و عن ابن الأعرابی: البرهان الحجه من البرهونه و هی البیضاء من الجواری.

ص: ۳۴۳

و حاصل المعنی حینئذ أنه تعالی جعلکم من بین عامه الخلق حتی الملائکه و الأنبیاء مخصوصین ببرهانه، أی بما هو الحجه و البیان علی الخلق فی إثبات التوحید و المعارف و الأحکام الإلهیه ثم إن حقیقه البرهان التی هی الحجه و البیان للمبرهن علیه إنما یصح صدوره عمّن هو فی وضوح و بیان من اللّه الملک العلاّم. و قد تقدم: أنهم علیهم السّلام فی مقام العندیه لدی الرب المشار إلیه فی قوله تعالی: (وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ) (۱)، و من المعلوم أن هذا المقام یستدعی وضوح المعارف عنده بالوجدان. و تقدم: أن الرجس المنفی فی آیه التطهیر هو الشک المستلزم لنفی الحجب الموجب لمشاهده الحق و الحقائق بالوجدان. و تقدم أیضا:

عن الکافی عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قوله تبارک و تعالی: (وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا مٰا کُنْتَ تَدْرِی مَا اَلْکِتٰابُ وَ لاَ اَلْإِیمٰانُ) قال: خلق من خلق اللّه أعظم من جبرئیل و میکائیل کان مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یخبره و یسدّده و هو مع الأئمه من بعده. و تقدم:

عن البصائر عن إسحاق الحریری قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فسمعته و هو یقول: إن للّه عمودا من نور، حجبه اللّه عن جمیع الخلائق طرفه عند اللّه و طرفه الآخر فی أذن الإمام، فإذا أراد اللّه شیئا أوحاه فی أذن الإمام. فالمستفاد من هذه الأحادیث و نظائرها التی هی أکثر من أن تحصی هو أن الإمام علیه السّلام له هذا المنصب الإلهی الذی منه إقامه البرهان فی الخلق کما لا یخفی.

ثم إن البرهان قد یقرر بوجوه:

منها: القرآن

اشاره

فإنه تعالی أنزله فی حجراتهم، و علّمهم مقاصده و إرادته فیه، و جعلهم حفظه أحکامه و قوّاما بما أنزل فیه من أوامره و نواهیه و معارفه. و من المعلوم أن القرآن مظهر مشیه اللّه و بانضمام

ما ورد: «أن قلوبنا أوعیه لمشیه

۱- ۱) الأنبیاء:۱۹.

اللّه» ، ينتج أن قلوبهم محل مشيته تعالى الكائنه فى القرآن، حيث إنه نزل فى دورهم و إن صدورهم محل الآيات البينات القرآنيه كما نطقت به الأحاديث الكثيره، و قد تقدم بعضها، و حينئذ فلا محاله أن الأئمه عليهم السّلام هم العالمون بما ينطق به القرآن، إذ لا يمكن لأحد من خلق اللّه أن يعمل بما ينطق به القرآن كالأئمه عليهم السّلام فإنهم حيث خوطبوا به يعرفونه حقّ معرفته فلا محاله هم الناطقون بحقائقه. و إليه يشير ما تقدم من

قول أمير المؤمنين عليه السّلام ما معناه: أن القرآن صامت فلا بد من رجال يترجمونه، و هم هم عليهم السّلام فالأئمه عليهم السّلام هم المبلغون عنه و المبشرون ببشائره، كما قال تعالى: (لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ) (۱)أى و من بلغ ان يكون منذرا منهم ينذركم به كما فسّرت هكذا فى الأحاديث.

ففى أصول الكافى باسناده عن مالك الجهنى، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام قوله عز و جل: (وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا اَلْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ) قال: من بلغ أن يكون إماما من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. و الحاصل: أن القرآن بألفاظه الواقعيه و معانيه، و حقائقه و بطونه، و تأويلاته و معارفه التى انبأت عن جلاله و جماله تعالى كلها تكون متحققه فى صدورهم الشريفه، و متجليه بتجلى اللّه بها عندهم عليهم السّلام ضروره أنه تعالى أظهر الحقائق القرآنيه فى القرآن بالقرآن لنفوسهم الطاهره، فهم شاهدون لها كما

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إن اللّه عرف نفسه لخلقه فى كلامه من غير أن يروه، أى من غير أن يروه بالبصر، فراجع النهج. فلا محاله هم عليهم السّلام المؤدون عنه إلى الموجودين و المكلّفين فى كل زمان ما أظهره اللّه لهم بالقرآن، و قد أنال اللّه حملته و هم الأئمه عليهم السّلام ما بسببه يبلّغون حقائقه و معارفه و أحكامه من المجد و الشرف و العزّ الذى لا يخبو جديده على تطاول الأيام و الدهور فهم عليهم السّلام بواسطه القرآن حيث إنهم عليهم السّلام حملته حقيقه قد نالوا أعلى المقامات فى العلم

۱- ۱) الأنعام:۱۹.

بحيث طأطأ كلّ شريف لشرفهم، و بخع كل متكّبر لطاعتهم، و سيأتى بيانه فى شرح هذه الفقره من الزياره إن شاء اللّه تعالى.

و بعباره أخرى: كون القرآن برهانا من وجوه.

منها: من حيث اللفظ،

فإن لفظ القرآن أيضا برهان على حقانيته، فإنه معجز يعجز عنه الثقلان بإتيان مثله كما قال تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) (۱)و قوله تعالى: (لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كٰانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (۲)فانه سبحانه أظهر بألفاظه المعجزات الخارقات للعبادات المقرونات بالتحدى.

و منها: ما أظهر اللّه تعالى فيه من العلوم

و الأسرار و الأخبار بالحادثات على مرّ الدهور.

ففى بصائر الدرجات (۳)، باسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دعا عليا فى المرض الذى توفى فيه، فقال: يا على ادن منى أسرّ إليك ما أسرّ اللّه إلىّ، و ائتمنك على ما ائتمنى اللّه عليه، فعل ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعلى عليه السّلام و فعله على عليه السّلام بالحسن عليه السّلام و فعله الحسن عليه السّلام: الحسين عليه السّلام و فعله الحسين عليه السّلام بأبى، و فعله أبى بى» (صلوات اللّه عليهم أجمعين) . و نرى الكتب مشحونه من علومهم عليه السّلام و ما أسرّوه إلى حواريهم، و قد تقدم ذكر عدّه من خواص أصحاب الأئمه عليهم السّلام الذين كانوا من أصحاب السرّ، و تقدمت أحاديث الباب مرارا فراجعها.

و منها: أنه تعالى ذكر فى القرآن أنحاء البراهين و الحجج،

التى بها يقوم الحق و يبطل الباطل، و قد ذكر العلماء فى أحوالهم عليهم السّلام فى الأزمنه المتماديه ما صدر منهم للناس من ذكر تلك البراهين و الحجج، و قد شرحها العلماء فى كتبهم الكلاميه

۱- ۱) البقره:۲۳.

۲- ۲) الإسراء:۸۸.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۳۷۷.

و غيرها من البحار و نحوه، و هـذا بعض الكلام فى كون القرآن برهانا، و لعمرى إن البسط فيه خارج عن قـدرتنا، و كيف، و هو الكتاب المنزل من لدن حكيم عليم خبير؟ و الحمد للّه ربّ العالمين.

و منها: أى و من وجوه البرهان التى اختصهم اللّه بها،

أنه تعـالى اختصـهم بـالمعجزات الخـارقه للعادات، فإنها برهان اللّه و حجته و آياته المصـدقه-بالكسـر- لرسله و أوليائه و ذلك مثـل: إحيـاء المـوتى، و إبراء الأبرص، و الإخبـار بمـا يـدخرون فى بيـوتهم، و إنطـاق الجمـادات و الحيوانـات العجـم، و إحيـاء الجمادات بإعطائها أرواحا حيوانيه و سلبها منها، و قـد شاع بين المؤالف و المخالف ما صدر منهم من تلك المعجزات بنحو أقرّ الجميع بعلو مقامهم عنـد اللّه تعالى، و بما منحهم من كرامته، و إن شـئت تفصـيل ذلك فراجع الكتب المدونه فى معجزاتهم من بعض أبواب كتب البحـار خصوصـا من كتاب مـدينه المعاجز للسـيد البحرانى (رضوان اللّه تعالى عليه) و من كتاب البصائر، فإن فيها أبوابا فى ذكر معاجزهم بأنحاء مختلفه، و نحن نتركها مخافه التطويل، فعليك بالرجوع إليها.

و منها: أنه أخصهم ببرهانه بأن أعطاهم الاسم الأعظم الأكبر

الذى به يفعلون ما شاءوا و يعملون ما أرادوا.

ففى بصائر الدرجات (١)، بإسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن اسم اللّه الأعظم على ثلاثه و سبعين حرفا، و إنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سـرير بلقيس، ثم تناول السـرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسـرع من طرفه عين، و عندنا نحن من الاسم الأعظم اثنان و سـبعون حرفا، و حرف عند اللّه اسـتأثر به فى عالم الغيب عنده و لا حول و لا قوه الا باللّه العلىّ العظيم.

١- ١) بصائر الدرجات ص ٢٠٨.

و فيه (۱)، حديث طويل فی ردّ الشمس لأمير المؤمنين عليه السّلام حتی صلّی صلاه العصر، و فی آخره فإنی سألت اللّه باسمه العظيم فردّ علیّ الشمس.

و فيه (۲)، بإسناده عن جابر عن أبی جعفر عليه السّلام قال: سألته عن علم العالم، فقال: يا جابر إنّ فی الأنبياء و الأوصياء خمسه أرواح، روح القدس و روح الإيمان و روح الحيوه و روح القوه و روح الشهوه، فبروح القدس يا جابر علمنا ما تحت العرش إلی ما تحت الثری، ثم قال: يا جابر، إن هذه الأرواح يصيبه الحدثان، إلّا أنّ روح القدس لا يلهو و لا يلعب. هذا و الذی ينبغی أن يقال فی بيان كونهم عليهم السّلام ممن أخصّه اللّه ببرهانه هو أن حقيقه البرهان هو الوضوح و البيان، و ما به وضوح الشیء مطلقا، كما تقدم هذا المعنی هو المنطبق علی معنی النور الذی عرّف بأنه الظاهر بنفسه المظهر لغيره، و لا ريب فی أن حقيقتهم عليهم السّلام هو النور، و بلحاظ أنهم عليهم السّلام أقرب الخلائق إليه تعالی بحيث لا حجاب بينهم و بين اللّه أبدا كما تقدم

عن أبی حمزه عن السجاد عليه السّلام من قوله عليه السّلام: ليس بين اللّه و بين حجته حجاب، فلا للّه دون حجته ستر، و علمت أن الرجس المنفی عنهم عليهم السّلام بآيه التطهير هو الشك المستلزم لنفی الحجب عنهم عليهم السّلام فيما بينهم و بين اللّه تعالی كما هو حديث أبی حمزه الثمالی. فلا محاله لا تكون حقيقتهم عليهم السّلام إلّا النور المقرب إليه تعالی، الظاهر باللّه تعالی، و المظهر لغيره من حقائق الموجودات و المعارف الإلهيه، و تدل علی هذا عده من الأحاديث.

منها: الروايات الكثيره الداله علی أول خلق اللّه،

و أنهم خلقوا نورا هی كثيره جدا، و قد ذكرنا بعضها فی طی الشروح السابقه و نشير هنا إليها إجمالا.

ففی البحار عن الكنز، روی الصدوق (رحمه اللّه) فی كتاب المعراج عن رجاله

ص: ۳۴۸

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۱۷.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۴۷.

عن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو يخاطب عليا عليه السّلام و يقول: يا على إن اللّه تبارك و تعالى كان و لا شىء معه، فخلقنى و خلقك روحين من نور جلاله فكنا عند ربّ العالمين نسبّح اللّه و نقدّسه و نحمده و نهلّله، الحديث.

و فيه (۱)، عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إن اللّه تعالى خلق أربعه عشر نورا من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعه عشر ألف عام فهى أرواحنا، الحديث.

و فيه (۲)، فى باب معرفتهم بالنورانيه عن أمير المؤمنين و فيه قال عليه السّلام: معرفتى بالنورانيه معرفه اللّه عز و جل، و معرفه اللّه عز و جل معرفتى بالنورانيه. . إلى أن قال: كنت أنا و محمد صلّى اللّه عليه و آله نورا واحدا من نور اللّه عز و جل. . إلخ.

و فى الكافى باب أن الأئمه نور اللّه عز و جل فى حديث تحت رقم ۴، عن أبى خالد الكابلى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه تعالى: (فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا) فقال: يا أبا خالد النور و اللّه الأئمه عليهم السّلام يا أبا خالد، لنور الإمام فى قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئه بالنهار، و هم الذين ينورون قلوب المؤمنين، و يحجب اللّه نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم و يغشاهم بها.

و فيه تحت رقم ۶، حديث عن أبى الحسن عليه السّلام، إلى أن قال عليه السّلام: و الإمامه هى النور ذلك قوله عز و جل: (فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا) قال: النور هو الإمام. فعلم من هذه الأحاديث و نحوها أن حقيقه الإمام النور، و قد علمت أنه الظاهر بنفسه و المظهر لغيره، فلا محاله لا يخفى عليه شىء، فأرواحهم المقدسه من حيث إنها نور تكون بحيث لا جهل لها بأىّ شىء و هى عارفه بالشىء لتجرّدها و نورانيّتها، فهى نظير المرآه التى لا يواجهها شىء إلا و تنتقش فيها صورته، فبرهانه تعالى حيث إنه مضاف إليه تعالى فلا محاله يراد منه ما هو واضح فى نفسه و موضح لغيره

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۴.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۳.

بالكليه، هذا الأمر متحقق فيهم عليهم السّلام و قد أخصهم اللّه تعالى به فكما أنه تعالى نور، أى ظاهر بنفسه و مظهر لغيره و هو برهان على كلّ شىء بهذا اللحاظ

و لذا ورد فى الدعاء:

يا برهان،

كذلك أنهم عليهم السّلام مظهر لهذا البرهان الإلهى بما اختصّهم اللّه تعالى به فهم نور، أى مظهر للنور ظاهر بنفسه و مظهر لغيره. و الحاصل: أن حقيقتهم هو البرهان النورى و مظهر للبرهان النورى الإلهى، و إلى آثار هذا النور تشير عده من الأحاديث فى أبواب متفرقه نذكر بعضها.

ففى بصائر الدرجات بصائر الدرجات ص ۴۳۹، بإسناده عن إسحاق الحريرى، قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فسمعته و هو يقول: إن للّه عمدا من نور حجبه عن جميع الخلائق طرفه عند اللّه و طرفه الآخر فى أذن الإمام فإذا أراد شيئا أوحاه فى أذن الإمام.

و فيه عن أبى بكر الحضرمى قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا أبا بكر ما يخفى علىّ شىء من بلادكم.

و فيه عن أبى الحسن عليه السّلام، إلى أن قال: فذكروا الإمام و فضله، قال: إنما منزله الإمام فى الأرض بمنزله فى السماء و فى موضعه هو مطلع على جميع الأشياء كلها.

قوله عليه السّلام: و فى موضعه، أى الإمام فى موضعه أى مقامه الذى وضعه اللّه تعالى فيه، و هو مقام الإمامه و مقام النورانيه مطلع على جميع الأشياء.

و فيه ص ۲۸۹، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: أن اللّه أخذ الميثاق ميثاق شيعتنا من صلب آدم، فنعرف خياركم من شراركم.

و فيه ص ۲۸۸، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقه الإيمان و بحقيقه النفاق. فدلّت هذه الأحاديث على أن بحقيقتهم النورانيه الإلهيه كانوا آيه للعالمين، و حجج اللّه على الخلق أجمعين، فهم برهانه المبين الذى أخصهم به، و من آثار هذا النور الإلهى أنهم عليهم السّلام مظاهر برهان ربوبيته، و آيات علمه و قدرته، و قد تقدم مرارا

ما یدل علی هذا.

ففی البصائر ص ۹۱، بإسناده عن أسود بن سعید قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فأنشأ یقول ابتداء من غیر أن یسأل: نحن حجه اللّه، و نحن باب اللّه، و نحن لسان اللّه، و نحن وجه اللّه، و نحن عین اللّه فی خلقه، و نحن ولاه أمر اللّه فی عباده. و قد تقدم مثله مرارا، و تقدم ما یدل علی أنهم مظاهر القدره للّه تعالی. و الحاصل: أنهم علیهم السّلام الآیات التی أراها تعالی الخلق لإثباته و إثبات دینه، و تقدم فی

قول الصادق علیه السّلام ما معناه: فأیّ آیه أکبر للّه و أراها أهل الآفاق منا؟! فظهر من جمیع ما ذکر أنهم علیهم السّلام هم برهانه تعالی، و أنه ظهر علیهم و هم أظهروه للخلق، بحیث لم یکن لاحد من غیرهم ما لهم فی هذا المقام، و هو معنی الاختصاص ببرهانه، و الحمد للّه ربّ العالمین.

قوله علیه السّلام: و انتجبکم بنوره

أقول: الانتجاب هو الاختیار و الاصطفاء و الباء للسببیه. فالمعنی: أنه تعالی اختارکم و اصطفاکم بسبب نوره، و المراد من النور هو العلم فالمعنی: بسبب علمه، و بهذه العله لا بأمر آخر یمکن أن تکون عله للاصطفاء کما فی سایر الخلق، و معلوم أن علمه تعالی نافذ و شامل لا یشوبه جهل فی جهه من الجهات، فحینئذ یکون المختار و المصطفی بعلمه هو المتصف بجمیع الکمالات، و بجمیع ما ینبغی أن یکون فی المختار المطلق بحیث لا یکون فوقه مختار آخر أحسن منه و إلا فیلزم أن یکون هو المختار کما لا یخفی. ثم إن المراد من هذا العلم هو الکتاب الأول، أو الحق الأول، أو العلم الذی یساوق معنی الربوبیه. و الحاصل: أن المراد منه العلم المخلوق لا العلم الذاتی، لأن الانتخاب معنی فعلی، و الذات لا تکون فعلا لنفسها، و لأجل أن المراد منه العلم المخلوق بنفسه عبّر

عنها بالنور كذا قيل، كما قيل إنه يجوز أن يرد من النور ذواتهم المقدسه، بمعنى أنه تعالى لم يختارهم لشىء غيرهم أى لما كانت حقيقتهم النور كما علمت سابقا. فاللّه تعالى اختارهم بحقيقتهم النوريه و لحقيقتهم النوريه لا بشىء و لشىء آخر، فالمعنى أنه تعالى بسبب أنهم عليهم السّلام حقيقه النور المخلوق النورى اصطفاهم و اختارهم، لكونهم كذلك لا لجهه أخرى، و إضافه النور إلى نفسه تعالى حينئذ لأنه مخلوقه تعالى كما لا يخفى. و يقرب إلى هذا المعنى جعل الباء بمعنى من، أى اجتباكم و خلقكم و أوجدكم من نوره، أو اجتباكم متلبسين بنوره، و قد دلّت كثير من الأخبار على أنهم خلقوا من نور عظمته، و تقدم بعضها و منها ما:

فى البحار (1)، عن إكمال الدين بإسناده عن أبى حمزه قال: سمعت على بن الحسين عليه السّلام يقول: إن اللّه عز و جل خلق محمدا و عليا و الأئمه الأحد عشر من نور عظمته أرواحا فى ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون اللّه عز و جل، و يقدسونه، و هم الأئمه الهاديه من آل محمد (صلوات اللّه عليهم أجمعين) . و يمكن أن يقال: إن كون المراد من النور العلم مع أنه لا وجه له، لتكراره إذ قد تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و اصطفاكم بعلمه»

ما يقرب إلى هذا التفسير. نعم لو أريد من النور ذواتهم المقدسه لا يرد عليه هذا إلا أنه أيضا خلاف الظاهر فحينئذ نقول: الانتجاب افتعال من نجب، و فى اللغه نجب بالضم نجابه إذا كان فاضلا نفيسا فى نوعه. و من المعلوم أن الانتجاب بما هو مزيد يراد منه المعنى المراد من مجرده، فيكون المعنى: اختاركم و اصطفاكم بالفضل و النفاسه. و من المعلوم أنه يشار به إلى أنهم فى غايه النفاسه من جميع الجهات خصوصا

1- 1) البحار ج 25 ص 15.

من حيث الجمال، كيف لا و هم عليهم السّلام مظاهر جماله؟

و قوله عليه السّلام:

بنوره

يشار به إلى أنه إنما جعلكم فى غايه النفاسه و الفضل و الجمال، لأنكم مصطفون من نوره، و بسبب نوره، فالنور بما هو منشأ لجميع الكمالات، و النفاسه و الفضل إنما ذكر سببا لنفاستهم و جمالهم و فضلهم، فالمعنى: أنكم فى غايه الكمال لأنه تعالى خلقكم و انتجبكم بنوره، الذى هو أصل الجمال و منشأ كل جمال، و قد ذكر فى الأحاديث ما يدل على أنهم عليهم السّلام أجمل من كل جميل، و قد تقدم بعض الكلام فيه سابقا.

قوله عليه السّلام: و أيّدكم بروحه

أقول: فى المجمع قوله تعالى: (وَ أَيَّدْنٰاهُ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ) أى قوّيناه، و الأيد و الأد القوه-و حينئذ نقول: قد علمت أن حقيقتهم عليهم السّلام هو النور كما ذكر فى أحاديث بدء خلقتهم، و تقدم كثير منها، فهم عليهم السّلام بحقيقتهم النورانيه التى هى منشأ جميع الكمالات من العلم و القدره و العبوديه قد نزلوا من عالم القدس و القرب الربوبى إلى عالم الدنيا و الطبايع، للتبليغ و لتكميل النفوس الناقصه، بل لتكميل كل موجود إلى ما يراد منه من كماله، فبنزولهم إلى عالم الرخص قد واجهوا الجهّال و الأمور الصعبه. فاللّه تعالى إتماما للنعمه عليهم قوّاهم و أيدهم بروحه، الذى قد علمت المراد منه، و أنه خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل.

ففى الكافى عن أبى بصير ليث المرادى قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تعالى: (وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا مٰا كُنْتَ تَدْرِي مَا اَلْكِتٰابُ وَ لاَ اَلْإِيمٰانُ) قال: خلق من خلق اللّه تعالى أعظم من جبرئيل و ميكائيل، كان مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يخبره و يسدّده و هو مع الأئمه من بعده.

و فى الصحاح عن ليث قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تعالى: (وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) قال: خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلّى اللّه عليه و آله و هو مع الأئمه يسدّدهم و ليس

كما طلب وجد. فعلم من هذه الأحاديث و نحوها أنهم مؤيدون، أى أن اللّه تعالى قوّاهم بهذا الروح. تقدم شىء منه مرارا فراجعه، فنفوسهم المطهره دائما تكون متنوره بالأنوار القدسيه الإلهيه، و الحمد للّه ربّ العالمين.

[۲۱]قوله عليه السّلام: و رضيكم خلفاء فى أرضه

اشاره

اشاره

أقول: الكلام فى هذه الجمله يقع فى ثلاثه مواضع.

الأول: فى معنى الخليفه.

و الثانى: فى معنى رضاه تعالى بكونهم خلفاء. و الثالث: فى معنى كونهم خلفاء فى الأرض، و بيان وجه التخصيص بها. الكلام فى الموضع الأول: فى المجمع: (جَعَلَكُمْ خَلاٰئِفَ فِی اَلْأَرْضِ) أى سكّان الأرض، يخلف بعضهم بعضا، واحدهم خليفه. . إلى أن قال: قوله تعالى: (يٰا دٰاوُدُ إِنّٰا جَعَلْنٰاكَ خَلِيفَةً فِی اَلْأَرْضِ) الخليفه يراد به فى العرف لمعنيين: إما كونه خلفه (خلفا) لمن كان قبله من الرسل. أو كونه مدبرا للأمور من قبل غيره. قوله: (إِنِّی جٰاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً)

فى حديث على عليه السّلام ما حاصله: إن اللّه تعالى خلق فى الأرض من الجن و النسناس فعملوا بالمعاصى و سفك الدماء، فعظم ذلك على الملائكه فغضبوا للّه، و قالوا: هذا خلقك الضعيف يعملون هكذا و أنت تمهلهم، فلما سمع ذلك من الملائكه، قال: (إِنِّی جٰاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً) . . إلى أن قال: و خلف فلان فلانا إذا كان خليفه يقال خلفه فى قومه إلى أن قال: الخلف بالتحريك و السكون من يجىء بعد من مضى إلا أنه بالتحريك فى الخير بالتسكين فى الشر، يقال خلف صدق سوء خلف بالتسكين، و معناهما جميعا القرن من الناس. و للخلف معان أخر.

أقول: المستفاد من موارد استعمال لفظ الخلف الخليفه هو النيابه عن الغير فی أمر، و لو بمثل الکون فی مکان المنوب عنه، و هذا المعنی العام قد تضاف إلیه خصوصیه بمناسبه مقام أو حال مثلا کما قیل فی المعنی الثانی فی قوله تعالی: (إِنّا جَعَلْناکَ خَلِیفَهً فِی اَلْأَرْضِ) من أنه المدبر للأمور، و لعلّه یرجع إلی المعنی الأول ضروره کونهم علیهم السّلام خلفاء لمن کان قبلهم من الرسل، لیس المراد منه مطلق أن یحل محلهم بل الخلافه فی شئون الرساله، و هو معنی کونه مدبرا و أما ما فی حدیث علی علیه السّلام من قوله تعالی: (إِنِّی جاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِیفَهً) (1)بعد ما سمع اللّه تعالی من الملائکه ما سمع، فمعناه بلحاظ کونه جوابا للملائکه: إنّی أطهّر الأرض منهم و أخلف علیهم بالخلیفه أی: المستخلفین عنهم، و هم البشر بحیث لا یکونون بمثل أولئک العصاه، و المراد أن یکونوا حینئذ خلف صدق و أهل طاعه، کما علمت أن الخلف بالتحریک فی الخیر، و قد یقال فی معنی قوله تعالی: (إِنِّی جاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِیفَهً) ما حاصله: أن الخلافه مجعوله لأن یحکی الخلیفه مستخلفه بالفتح، ففی المقام حیث إن المستخلف عنه هو اللّه تعالی، فلا بد من حکایته بالتسبیح و التقدیس و التحمید، و هذه حاصله من الملائکه حیث قالوا: (وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ) لا من الموجودات الأرضیه التی شأنها الفساد و سفک الدماء لأنها أجسام مادیه مرکبه من القوی الغضبیه و الشهویه مضافا إلی أن دار الدنیا دار التزاحم و المحدودیه، و لذا قالوا: (أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ اَلدِّماءَ) مضافا إلی کثیر من الموجودات الأرضیه التی کانت قبل خلق آدم علیه السّلام و أنهم أفسدوا و سفکوا الدماء، و لیس قولهم هذا اعتراضا علیه تعالی، بل لأجل تعرّف ما جهلوه و استیضاح ما أشکل علیهم من أمر هذا الخلیفه و لذا قالوا: (إِنَّکَ أَنْتَ اَلْعَلِیمُ اَلْحَکِیمُ) حیث إن هذه الجمله مصدره بإنّ التعلیلیه المشعره بتسلّم مدخولها اللّه تعالی بقوله: (إِنِّی أَعْلَمُ

١- ١) البقره:٣٠.

مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ)

(۱)

(وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا)

(۲)

. و حاصله: أنه تعالى بين أن هذه الخلافه خلافه اللّه تعالى، لا خلافه نوع من موجودات الأرض حتى يجرى فيهم ما جرى فيمن كانوا قبلهم، فليس الخلافه خلافه عن المخلوقين السابقين كما كان المراد منها فيما تقدم بل خلافه اللّه تعالى، و إلى هذه الخلافه الإلهيه يشير عدد كثير من الأخبار الداله على أن ولايتهم عليهم السّلام ولايه اللّه كما تقدم، حيث إن ولايتهم عليهم السّلام بما لها من المعنى العام الشامل للتكوينى منها و التشريعى هى من أخص آثار الخلافه الإلهيه كما ستعرفه إن شاء اللّه تعالى. و الوجه فى كون هذه الخلافه خلافه اللّه لا غير هو تعليم اللّه تعالى آدم الأسماء، التى سيجىء بيان المراد منها، و يكون معنى تعليم الأسماء إبداع هذا العلم الإلهى المشار إليه بقوله: (وَ عَلَّمَ) فى الإنسان بحيث يظهر منه آثاره تدريجا دائما فلو كان من المهتدين أمكنه أن يخرجه أى العلم من القوه إلى الفعل فيصير كاملا فى الوجود، كما ستجىء الإشاره إليه و على هذا فلا تختص هذه الخلافه بآدم عليه السّلام بل يشاركه فيها بنوه، و لعله يؤيد عموم الخلافه قوله تعالى: (إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) (۳)و قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنٰاكُمْ خَلاٰئِفَ فِي اَلْأَرْضِ) (۴)و قوله تعالى: (وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفٰاءَ اَلْأَرْضِ) (۵)فبين سبحانه أن هذه الخلافه بلحاظ إبداع هذا العلم فيه يكون خليفه اللّه، فحينئذ يحكى بأفعاله و صفاته و علمه عن المستخلف عنه و هو اللّه تعالى، و لا محاله لا يكون ممن يفسد فى الأرض أو يسفك الدماء، بل يكون مانعا عنها، و موجبا لنشر العدل و العلم و المعارف، و الكمالات المعنويه و الظاهريه، كما يشاهد هذا بالنحو الأتم الأكمل فى المعصومين عليهم السّلام.

۱- ۱) البقره:۳۰.

۲- ۲) البقره:۳۱.

۳- ۳) الأعراف:۶۹.

۴- ۴) یونس:۱۴.

۵- ۵) النمل:۶۲.

و بعباره أخرى: أنه تعالى قرر الملائكه على ما ادعوا من تحقيق سفك الدماء و الفساد من الموجود الأرضى، و قرر أنهم أهل التسبيح و التقديس، و إنما أراد سبحانه إبداع شىء آخر، و هو أنّ هناك أمرا لا تقدر الملائكه على حمله و لا تتحمله، و إنما يتحمله هذا الخليفه الإلهى المجعول فى الأرض، فإن هذا يحكى عن اللّه تعالى أمرا غامضا، و سرّا مستترا ليس فى وسع الملائكه، و لا محاله يتدارك بذلك أمر الفساد و سفك الدماء، و ليس الملائكه تقدر على هذا التدارك لما ليس فيها من ذلك السرّ، و لذا لا تصلح للخلافه الإلهيه، و هذا بخلاف الإنسان فإنه بهذا اللحاظ صالح لهذه الخلافه، فيعلم منه ضمنا جوابه تعالى عن أن الملائكه لا تصلح للخلافه الإلهيه، لقصور حقيقتها المحدوده عن هذا بخلاف الإنسان الذى هو العالم الكبير و الكتاب المبين الإلهى الجامع، كما سيجىء بيانه. ثم إن المراد من تعليم آدم الأسماء هو كشف حقائق الموجودات و أعيانها له، لا مجرد ما يتكلفه الوضع اللغوى من إعطاء المفهوم، فالمعلوم له حينئذ هو الحقائق الخارجيه و الوجودات العينيه، مع أنها أيضا مستوره تحت ستر الغيب، غيب السموات و الأرض، و العلم بها على ما هى عليه كان أولا ميسورا ممكن الوجود، أرضى لا للملك السماوى، لما علمت من محدوديه خلق الملك بما له من السعه المختصه به، فإنه و إن كان مجرّدا إلا أنه مجرد فى أمر دون أمر، و هذا بخلاف الإنسان فإن فيه بالقوه شأنيه الوصول إلى أىّ أمر و أىّ كمال بالفعل و الإحاطه بها، و هذه الجهه الكائنه فى الإنسان هى دخيله فى الخلافه الإلهيه، و الملك حيث إنه فاقدها غير قابل لها كما لا يخفى. و معنى كون المسميات هى الحقائق بما هى عليه أنها أعيان و مسمّيات و موجودات أحياء عقلاء ذوى شعور كامل، محجوبين تحت حجاب الغيب، و ليس المراد من العلم بها نحو العلم الذى عندنا بأسماء الأشياء، فإن العلم هو المفهوم و التصور، و ذلك هو الدرك و التحقق بها فبهذا التحقق و الاشتمال صار الإنسان

أفضل من الملک، لا بالعلم المفهوم المستفاد من اللغه المستعمل بالألفاظ فی مقام التفهم، فإنّ هذا أمر یعلمه الملائکه أحسن من آدم، حیث إنهم یعلمونها بدون اللفظ، لکونها مجردات بخلاف الإنسان فإنه یحتاج إلی التکلّم فی هذا العالم. و قد یقال: إن المراد من تعلیم آدم الأسماء کلها هو خلقه من أجزاء مختلفه و قوی متباینه حتی استعد لإدراک أنواع المدرکات من المعقولات و المحسوسات، و المتخیلات و الموهومات، و إلهامه معرفه ذوات الأشیاء و خواصها، و أصول العلم، و قوانین الصناعات و کیفیه آلاتها، و التمییز بین أولیاء اللّه و أعدائه، فتأتی بمعرفه ذلک کلّه مظهریته لأسمائه تعالی. و بعباره أخری: صار بهذه المعرفه مظهرا للأسماء کلها، و وصل إلی مرتبه جامعیه جمیع الکمالات الوجودیه الإلهیه به حتی صار منتخبا لکتاب اللّه الکبیر، الذی هو العالم الأکبر کما

قال أمیر المؤمنین:

«أ تزعم أنک جرم صغیر. .»

و سیأتی بتمامه، و هذا بخلاف الملائکه فإنها وحدانیه الصفه لیس فی جبلتهم خلط و لا ترکیب، و لهذا لا یفعل کل صنف منهم إلا فعلا واحدا فإما هو راکع فقط أو ساجد فقط، أو قائم فقط، کما دلّت علیه الأخبار و أشار إلیه قوله تعالی فی حقهم: (وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ) (۱)فلیس فیهم تزاحم و تباغض، فهم کالحواس کل حاسه تفعل فعلها و لا تزاحم الأخری» (لاٰ یَعْصُونَ اَللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ وَ یَفْعَلُونَ مٰا یُؤْمَرُونَ) فکل صنف منهم مظهر لاسم واحد من الأسماء الإلهیه لا یتعداه، و هذا بخلاف الإنسان فإنه لجامعیته لها کما علمت قد فاق الملائکه، و ذلک بمعرفته الکامله و مظهریته الشامله، فمعنی قوله تعالی: (أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ) (۲)أخبرهم بالحقائق المکنونه عنهم، و المعارف المستوره علیهم، لیعرفوا جامعیتک لها و یعرفوا قدره اللّه علی الجمع بین الصفات المتباینه، و الأسماء المتناقضه و مظاهرها بما فیها من التضاد فی مخلوق واحد

۱- ۱) الصافات:۱۶۴.

۲- ۲) البقره:۳۳.

كما قيل: ليس على اللّه بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد و إلى هذا يشير ما فى المحكى

عن الصادق عليه السّلام: «أن اللّه عز و جل علّم آدم أسماء حججه كلّها، ثم عرضهم و هم أرواح على الملائكه» فقال: (أَنْبِئُونِي بِأَسْمٰاءِ هٰؤُلاٰءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ) بأنكم أحق بالخلافه فى الأرض، لتسبيحكم و تقديسكم من آدم، فقالوا: (سُبْحٰانَكَ لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِلاّٰ مٰا عَلَّمْتَنٰا إِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَلِيمُ اَلْحَكِيمُ) قال اللّه تبارك و تعالى: (يٰا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ) فلما أنبئهم بأسمائهم وقفوا على عظيم منزلتهم عند اللّه عزّ ذكره، فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء اللّه فى أرضه و حججه على بريته، ثم غيّبهم عن أبصارهم و استعبدهم بولايتهم و محبتهم و قال لهم: (أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) » . أقول: يستفاد من

قوله عليه السّلام: «و استعبدهم بولايتهم و محبتهم، عموم الخلافه حيث إنه ظاهر فى ولايتهم و محبتهم عليهم السّلام، كما لا يخفى.

و عن تفسير العياشى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عن قول اللّه: (وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا) ما هى؟ قال: أسماء الأوديه و النبات و الشجر و الجبال من الأرض، و فى روايه أسماء أنبياء اللّه و أوليائه و عتاه أعدائه. أقول: قد علمت المراد من قوله الأسماء، فحقيقه ما هذه الأمور عليها هى المعلومه بالوجدان و الدرك له عليه السّلام و لعلّ المراد منها الأسماء الحسنى، التى بها خلقت المخلوقات كلّها، و إنما أضيفت إلى المخلوقات فى

قوله عليه السّلام أسماء الأوديه. . إلخ، لأن المخلوقات كلها مظاهر الأسماء التى فيها ظهرت، فإن صفات اللطف كلّها أو جلّها ظهرت فى الأولياء، و صفات القهر كلّها أو جلّها ظهرت فى الأعداء، و لعلّه إليه يشير ما فى الدعاء من

قوله عليه السّلام:

و بأسمائك التى ملأت أركان كل شىء . ثم إن هناك أحاديث يستفاد منها عموم الخلافه لآدم و بنيه و خصوصا

للمعصومين عليهم السّلام و نحن نذكر بعضها، ثم نعقبه بما لا بد له من الشرح، فنقول:

فى تفسير نور الثقلين (۱)، عن عيون الأخبار بإسناده عن على بن موسى الرضا، عن أبيه عن آبائه عن على عليه السّلام قال: «بينما أنا أمشى مع النبى صلّى اللّه عليه و آله فى بعض طرقات المدينه إذ لقينا شيخا طوّال كثّ اللحيه بعيد ما بين المنكبين، فسلّم على النبى صلّى اللّه عليه و آله و رحّب به، ثم التفت إلىّ فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء و رحمه اللّه و بركاته، أ ليس كذلك هو يا رسول اللّه؟ فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: بلى، ثم مضى، فقلت: يا رسول اللّه ما هذا الذى قال لى هذا الشيخ و تصديقك له؟ قال: أنت كذلك و الحمد للّه، إن اللّه عز و جل قال فى كتابه: (إِنِّي جٰاعِلٌ فِي اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً) ، و الخليفه المجعول فيها آدم عليه السّلام، قال عز و جل: (يٰا دٰاوُدُ إِنّٰا جَعَلْنٰاكَ خَلِيفَةً فِي اَلْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ اَلنّٰاسِ بِالْحَقِّ) فهو الثانى، و قال عز و جل حكايه عن موسى حين قال لهارون عليه السّلام: (اُخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ) فهو هارون إذ استخلفه موسى عليه السّلام فى قومه، فهو الثالث. و قال عز و جل: (وَ أَذٰانٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى اَلنّٰاسِ يَوْمَ اَلْحَجِّ اَلْأَكْبَرِ) و كنت أنت المبلغ عن اللّه عز و جل و عن رسوله، و أنت وصيى و وزيرى و قاضى دينى و المؤدّى عنّى، و أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبىّ بعدى، فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ، أ و لا تدرى من هو؟ قلت: لا، قال: ذاك أخوك الخضر عليه السّلام فاعلم» .

و عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: إن اللّه مثل لى أمتى فى الطين، و علمنى أسماءهم كما علّم آدم الأسماء كلّها. أقول: قد علمت أن ملاك الخلافه الإلهيه هو هذا العلم، و قد علّمه اللّه تعالى للنبى، و تقدم ما يوضح لك أزيد من هذا.

ص: ۳۶۰

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۴۰.

و فی تفسیر نور الثقلین (۱)، محمد بن مسلم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: أهدی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الجوح (۲)فیه حبّ مختلط، فجعل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یلقی إلی علیّ علیه السّلام حبه حبه و یسأله أیّ شیء هذا؟ و جعل علی یخبر، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أما إن جبرئیل أخبرنی أن اللّه علمک اسم کل شیء کما علّم آدم الأسماء کلها.

و فی تفسیر نور الثقلین (۳)، عن الکافی و بإسناده إلی أبی جعفر علیه السّلام قال: و لقد قال اللّه عز و جل فی کتابه لولاه الأمر من بعد محمد صلّی اللّه علیه و آله خاصه: (وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی اَلْأَرْضِ کَمَا اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ. .) إلی قوله: (فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْفٰاسِقُونَ) یقول: استخلفنی لعلمی و دینی و عبادتی بعد نبیکم کما استخلف وصاه آدم بعده حتی یبعث النبی الذی یلیه (یَعْبُدُونَنِی لاٰ یُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً) یعبدون بإیمان لا نبی بعد محمد صلّی اللّه علیه و آله فمن قال غیر ذلک فأولئک هم الفاسقون، فقد مکن ولاه الأمر بعد محمد بالعلم و نحن هم، فاسألونا فإن صدّقناکم فأقرّوا و ما أنتم بغافلین.

و فیه عن تفسیر علی بن إبراهیم: و قوله: (وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی اَلْأَرْضِ کَمَا اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ اَلَّذِی اِرْتَضیٰ لَهُمْ وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً یَعْبُدُونَنِی لاٰ یُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً. .) نزلت فی القائم من آل محمد (علیه و علی آبائه السلام) . المستفاد من الآیات و الأحادیث و کلمات الأعلام، أن لکل بشر ناقصا کان أو کاملا- نصیبا من الخلافه بقدر حصته الإنسانیه کما قال تعالی: (وَ هُوَ اَلَّذِی جَعَلَکُمْ خَلاٰئِفَ اَلْأَرْضِ) (۴)أی أن کل واحد من أفاضل البشر و أراذلهم خلیفه من خلفائه

ص: ۳۶۱

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۴۷.

۲- ۲) أقول: لعله اسم لوعاء مصنوع من شیء مخصوص.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۶۱۶.

۴- ۴) الأنعام:۱۶۵.

فی أرض الـدنیا، فالأفاضل مظاهر جمال صـفاته فی مرآه أخلاقهم الربانیه، فإنه سـبحانه تجلی بذاته و جمیع صـفاته لمرآه قلوب الکـاملین المتخلقین بأخلاقه، لتکون مرآه قلوبهم لجلال ذاته و جمـال صـفاته مظهرا بـالضم و مظهرا بالفتـح. و أما الأراذل فهم مظاهر له تعالی بمعنی أنهم یظهرون جمال صـنایعه و کمال بـدایعه فی مرآه حرفهم و صـنایعهم، و هم أهل الغفله عن الحقائق و المعارف، و هم الذین عمّرت بهم الدنیا بما فیها من أنواع الصـنایع المسـتحدثه و المسـتعذبه بأنواع التجملات، کما هم المتراءی فی زماننا هـذا، و لـذا قیل: لو عقل الناس لخربت الـدنیا. إن عمارتها بهؤلاء الجاهلین عن الحقائق، و کذا یظهرون سائر الحرف و الصـنائع التی تحتـاج إلیهـا النـاس من الحیـازه و التجاره و سایر الأعمال الصـعبه. و کیف کان فالخلافه العظمی إنما هی للإنسان الکامل المربّی لأفراد العالم کلها بجهته الروحانیه الآخـذه عن اللّه تعالی ما یطلبه الرعایا، و بجهه العبودیه المبلّغه إلیهم ذلک فإنه بهاتین الجهتین یتمّ أمر الخلافه. قال بعض أهل المعرفه: إن الإنسان الکامل هو بمنزله روح العالم و العالم جسده، فکما أن الروح إنما یدبّر الجسد، و یتصـرّف فیه بما یکون له من القوه الروحانیه و الجسـمانیه، کذلک الإنسان الکامل یدبّر العالم و یتصرف فیه بواسـطه الأسـماء الإلـهیه الـتی أودعهـا فیه، و علمهـا إیـاه، و رکبّهـا فی فطرته، فإنهـا بمنزله القوه من الروح، فـإن کـل حقیقه من الحقائق ذات الإنسان الکامل، و نشأ برزخ من حیث أحدیه جمعها بین حقیقه ما من حقائق بحر الوجوب و بین حقیقه مظهریه لها من حقائق بحر الإمکان التی هی عرشـها، و تلک الحقیقه الوجوبیه مسـتویه علیها، فلما ورد التجلی الکمالی الجمعی علی المظهر الکمالی الإنسانی تلقاه بحقیقه الأحدیه الجمعیه الکمالیه، و سری سرّ هذا التجلی فی کل حقیقه من حقائق ذات الإنسان الکامل، ثم فاض نور التجلی منها علی ما یناسبها من العالم فما وصلت الآلاء و النعماء الوارده بالتجلی الرحمانی علی حقائق العالم الا بعد تعیّنه فی الإنسان الکامل بمزید صنعه لم

يكن فى التجلى قبل تعيّنه فى مظهريه الإنسان الكامل: فحقائق العالم و أعيانها رعايا له و هو خليفته عليها، و على الخليفه رعايه رعاياه على الوجه الأنسب الأليق، و فيه تتفاضل الخلائق بعضهم على بعض، و أفضلهم فى ذلك و أتمهم الأئمه المعصومون عليهم السّلام،

و لذا ورد عن الصادق عليه السّلام و عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى وصيته، و عن الحجه (عج) فى التوقيع الصادر منه عليه السّلام على ما قيل: «نحن صنائع اللّه و الناس بعد صنائع لنا» أى نحن الذين علّمنا اللّه و أقدرنا على كل شىء بقدرته، فصرنا بذلك الإنسان الكامل، و لذا كان الناس أى الخلق صنائع لنا، بواسطتنا أعطاه اللّه الوجود، و ما به قوامه الظاهريه و الباطنيه، فهم يفعلون بفعل اللّه و بإقداره تعالى إياهم فى ذلك. و يدل على هذا ما تقدم

عن كامل الزيارات فى زياره الحسين عليه السّلام من قوله:

إراده الرب فى مقادير أموره تهبط إليكم و تصدر من بيوتكم

، تقدم شرحها. قال بعض العارفين: فلما رأيت الحديده الحاميه تتشبه بالنار و تفعل فعلها، فلا تتعجب من نفس استشرقت و استضاءت و استنارت بنور اللّه، فأطاعتها الأكوان، و لأجل أن الإنسان الكامل هو الخليفه الإلهى، أى الوساطه الخلقيه بالمعنى الأتم، فله الأوليه فى خلق و الآخريه و الظاهريه و الباطنيه و العبوديه و الربوبيه، أى مظهريته لصفه الرب تعالى، و إلى الأول يشير

قوله صلّى اللّه عليه و آله: أول ما خلق اللّه نورى فإنه أول مخلوق بتمام معنى الأوليه من الخلق الأول و الرتبه العليا الأولى و الأوليه فى الكمال الأتم،

و لذا ورد: أن الحجه أول خلق اللّه و آخر من يموت أيضا الحجه، و قد تقدّم حديثه و منه يعلم آخريته، مضافا إلى أنه آخر مراتب الوجود فى سلسله العود و آخر ما يظهر من الموجودات إذ ما من موجود إلا و هو به موجود فهو آخرها لا محاله. و أما الظاهريه: فهو الظاهر بالجسم و الخلق الأحسن و الأعلى،

و لذا قال على عليه السّلام: ظاهرى الإمامه و باطنى غيب لا يدرك كما تقدم، أى أن أىّ شىء يظهر منى فهو إمام فى مرتبه لا يدانيه من نوعه شىء.

و إما الباطنيه: فهو باطن بالروح و الأمر و الكمالات المعنويه كما لا يخفى. و أما العبوديه: فبالحاجه إلى خالقه دائما و الحدوث و المربوبيه حيث إنه تعالى ربّه و مربيه.

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: نزلونا عن الربوبيه-أى بالذات-ثم قولوا فى فضلنا ما استطعتم، فإن البحر لا ينزف، و سرّ الغيب لا يعرف، و كلمه اللّه لا توصف.

و عنه عليه السّلام: نحن أسرار اللّه المودعه فى هياكل البشريه.

و عن الصادق عليه السّلام: اجعلوا لنا ربّا نؤب إليه ثم قولوا فى فضلنا ما شئتم. و أما الربوبيه: أى كونه مظهرا لصفه الرب تعالى، فلأجل أنه لما أكمله اللّه تعالى بالعلم، و جعله خليفته فى الخلق فلا محاله له صفه تربيه الخلق و أفراد العالم بأجمعها بالخلافه الإلهيه و النشأه الروحانيه، فإنه متمكن فى مرتبه بين الوجوب و الإمكان يأخذ من الجهه الروحانيه عن اللّه سبحانه ما يطلبه الرعايا، و يبلغه بجهه الجسمانيه إليهم، و بهاتين الجهتين يتم أمر خلافته، و إليه يشير بالالتزام قوله تعالى: (وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنٰاهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنٰا عَلَيْهِمْ مٰا يَلْبِسُونَ) (۱)أى يجعل ذلك كذلك، ليجانسكم فيبلّغكم أمرى بالنحو المذكور، فعلم أن الإنسان الكامل هو أكبر الأشياء بعد اللّه تعالى، و عليه فالعالم هو الإنسان الصغير، و الإنسان الكامل هو العالم الكبير، للخليفه الاستيلاء على المستخلف عليه، فلا محاله هو أكبر و أعظم منه و لظهور كل شىء فيه بصوره الجمع و وصفه، و لأجل جامعيته بين إجمال الجمعيه الإلهيه و قوتها و بين تفصيل العالم و فعليه أحدهما فيه دفعه و الآخر بالتدريج. و بعباره أخرى فيه تفصيل العالم بالعلم، و قد أعطاه اللّه دفعه و فعليته هذا التفصيل بالتدريج حسب ما تقتضيه الحكمه الإلهيه، ففعليه الأمور أيضا بواسطه ولى اللّه المطلق كما علمت،

قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

۱- ۱) الأنعام:۹.

دواؤک فیک و ما تشعر

و داؤک منک و ما تبصر

و تزعم أنک جرم صغیر

و فیک انطوی العالم الأکبر

و أنت الکتاب المبین الذی

بأحرفه یظهر المضمر

و لنعم ما قیل بالفارسیه: هر چه در عالم کبیر بود همه شرح کتاب أکبر تست و کیف کان، الإنسان الکامل کتاب منتخب من أم الکتب، التی هی عباره عن الحضره الأحدیه الجمعیه الإلهیه، مشتمل علی حقائقها الفعلیه الوجوبیه، و منطو علی دقائق نسب صفاتها الربوبیه بحیث لا یشذ عنها شیء منها سوی الوجوب الذاتی فإنه لا قدم فیه للممکن الحادث و إلّا لزم قلب الحقائق و إلی هذه الأکملیه أشیر فیما تقدم من الأحادیث.

و ما روی عن الصادق علیه السّلام: أن الصوره الإنسانیه أکبر حجه للّه علی خلقه، و هی الکتاب الذی کتبه بیده، و هی الهیکل الذی بناه بحکمه و هی مجموع صور العالمین، و هی المختصر من العلوم فی اللوح المحفوظ، و هی الشاهد علی کل غائب، و هی الحجه علی کل جاحد، و هی الطریق المستقیم إلی کل خیر، و هی الصراط الممدود بین الجنه و النار. أقول: قد تضمن هذا الحدیث الشریف من غرر معارفهم علیهم السّلام و من المعلوم أنه لا مصداق حقیقی لهذه الأمور المذکوره الّا الأئمه علیهم السّلام، و قد ذکر فی أحادیثهم الوارده فی بیان شئون ولایتهم هذه الأمور و إثباتها لهم علیهم السّلام و غیرها کما لا یخفی علی المراجع لها، و أیضا

فی الحدیث المشهور عن النبی صلّی اللّه علیه و آله کما تقدم: أن اللّه خلق آدم علی صورته، و فی روایه: علی صوره الرحمن. قیل: یعنی، خلقه علی صفته حیّا عالما مریدا قادرا سمیعا بصیرا متکلّما، و لما کانت الحقیقه تظهر فی الخارج بالصوره، أطلق الصوره علی الأسماء و الصفات

مجازا، لأن الحق سبحانه بها يظهر فى الخارج، هذا باعتبار أهل الظاهر. و أما عند المحققين: فالصوره عباره عما لا يعقل من الحقائق المجرّده الغيبيه و لا تظهر إلا بها، و الصوره الإلهيه هو الوجود المتعين بساير التعينات، التى بها يكون مصدرا لجميع الأفعال الكماليه و الآثار الفعليه، هذا بيان إجمالى للإنسان الكامل الذى هو خليفه اللّه. و قد علمت أن أحسن مصداق لها هم المعصومون عليهم السّلام ثم الأنبياء، كل على حسبه، و الأولياء كل على قدر إنسانيته و كمالاته المعنويه. بل علمت أن كل موجود من البشر له نصيب من الخلافه الإلهيه، و أحسن كلام قيل فى المقام فى بيان هذه المراتب ما عن المحدث الكاشانى رضى اللّه عنه. قال قدّس سرّه: فصل، ثم الإنسان الذى هو خليفه اللّه فى أرضه و المقصود من خلقه نبى أو ولى، و النبى إما رسول أو غيره، و الولى إما إمام أو غيره، و إنما ينقسم بهذه الأقسام بسبب اختلاف طرق تحصيله للعلم، فإن حصول العلوم التى ليست بضروريه فى باطن الإنسان إنما تكون بوجودها مختلفه، فتاره يكون بالاكتساب و التعليم و يسمى استبصارا و اعتبارا و هو طريق أهل النظر من العلماء و الحكماء، و تاره يهجم عليه كأنه ألقى إليه من حيث لا يدرى سواء كان عقيب طلب أو شوق أو لا، و سواء كان مع الاطلاع على السبب المفيد له أو لا، فإنه قد يكون بمشاهده الملك الملهم للحقائق من قبل اللّه و سماع حديثه، و قد يكون بمجرد السماع من غير رؤيه، و قد يكون بنفثه فى الروع من غير سماع ينكت فى القلب نكتا أو يلهم إلهاما، و ربما يكون الهجوم فى النوم كما يكون فى اليقظه، و المشاهده يختص بها الأنبياء و الرسل (صلوات اللّه عليهم) . و الحديث يكون لأوصيائهم أيضا، و النبى يوحى إليه بالعمل، و الرسول يوحى إليه بالعمل و التبليغ، و الولى يحدثه الملك أو يلهم إلهاما بالعمل، و الإمام يحدثه الملك بالعمل و التبليغ، فكلّ رسول نبى و لا عكس، و كل رسول أو نبى أو إمام فهو

ولی محدث و لا- عکس، و کل رسول إمام و لا- عکس، و لا- نبی إلا- ولایته أقدم علی نبوّته، و لا رسول إلا نبوته أقدم علی رسالته، و لا- إمام إلا ولایته أقدم علی إمامته، و الولایه باطن النبوه، و الإمامه و النبوه باطن الرساله، و باطن کل شیء أشرف و أعظم من ظاهره، لأن الظاهر محتاج إلی الباطن، و الباطن مستغن عن الظاهر، و لأن الباطن أقرب إلی الحق، فکلّ مرتبه من المراتب المذکوره أعظم من لاحقتها و أشرف، و أیضا فإن کلا- من النبوه و الولایه صادره عن اللّه و متعلقه باللّه، و کلا من الرساله و الإمامه صادره عن اللّه و متعلقه بعباد اللّه فیکون الأولیان أفضل، و أیضا کل من الرساله و الإمامه متعلقه بمصلحه الوقت و النبوه و الولایه لا تعلق لها بوقت دون وقت، و مع ذلک کله فلا یجب أن یکون الولی أعظم من النبی و لا من الرسول و لا- من الإمام، و لا النبی أعظم من الرسول، بل الأمر فی الکل بالعکس فی ولیّ یتبع نبیّا أو رسولا أو إماما، أو نبی یتبع رسولا لأن لکل من النبی و الإمام مرتبتین و للرسول ثلاث مراتب و للولی واحده، فمن قال: إن الولی فوق النبی، فإنما یعنی بذلک فی شخص واحد بمعنی أن النبی من حیث إنه ولی أشرف منه من حیث إنه نبی و رسول، و کذا الإمام من حیث إنه ولی أشرف منه من حیث إنه إمام، کیف یکون الولی أفضل مطلقا و لا- ولی إلا و هو تابع لنبی أو إمام و التابع لا یدرک المتبوع أبدا فیما هو تابع له فیه إذ لو أدرک لم یکن تابعا. نعم، قد یکون ولی أفضل من نبی إذا لم یکن تابعا له کما کان أمیر المؤمنین علیه السّلام أفضل من جمیع الأنبیاء و الأولیاء بعد نبینا صلّی اللّه علیه و آله و کذا أولاده المعصومون علیهم السّلام. أقول: و علم مما ذکر أن الغایه القصوی فی إیجاد هذا العالم الکونی و مکّوناته الحسّیه هی خلقه الإنسان و غایه خلقه الإنسان ماهیه العقل المستفاد أی مشاهده المعقولات و الاتصال بالملإ الأعلی، و العبودیه الذاتیه التی هی الفناء فی الحق و الخلافه الإلهیه.

كما قال سبحانه: (وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ) (۱).

و فی الحدیث القدسی: خلقت الأشیاء لأجلک و خلقتک لأجلی.

و فی حدیث آخر: لولاک لما خلقت الأفلاک.

و عن النبی صلّی اللّه علیه و آله أنه قال: یا علی، لو لا نحن ما خلق اللّه آدم و لا حواء، و لا الجنه و لا النار، و لا السماء و لا الأرض، فلو لا الخلیفه لن توجد الخلیقه، و لا بد من أن یکون وجوده مستمرا فی جمیع الأعصار و الدهور حتی یقوم به الأمر، و یدوم به النوع، و تحفظ به البلاد، و یهتدی به العباد، و یمسک به السموات و الأرضون، و إلا فیکون الکل هباء و عبثا، إذ لا یرجع إلی غایه و لا یؤل إلی عاقبه ففنیت إذن و خربت.

کما قال الرضا علیه السّلام: لو خلت الأرض طرفه عین من حجه لساخت بأهلها.

و قال الصادق علیه السّلام: لو بقیت الأرض بغیر إمام لساخت.

و قال الباقر علیه السّلام: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعه لماجت بأهلها، کما یموج البحر بأهله.

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: اللهم بل لا تخلو من قائم للّه بحجه إما ظاهر مشهور و إما خائف مغمور.

و قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: فی کل خلف من أمتی عدول من أهل بیتی ینفون عن الدین تحریف الغالین و انتحال المبطلین و تأویل الجاهلین.

و فی الحدیث المشهور و المتفق علیه بین الخاصه و العامه: من مات و لم یعرف إمام زمانه فقد مات میته جاهلیه.

و روی الصدوق فی کمال الدین و تمام النعمه (۲)، عن الصادق جعفر بن محمد عن أبیه عن جدّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: الأئمه من بعدی اثنا عشر، أوّلهم علی بن

۱- ۱) الذاریات:۵۶.

۲- ۲) کمال الدین. . ج ۱ ص ۲۵۹.

أبی طالب و آخرهم القائم، هم خلفائی و أوصیائی و أولیائی و حجج اللّه علی أمتی بعدی المقرّ بهم مؤمن و المنکر لهم کافر.

و فی توحید الصدوق بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إن للّه عز و جل خلقا من رحمته خلقهم من نوره، و رحمته من رحمته لرحمته، فهم عین اللّه الناظره، و أذنه السامعه، و لسانه الناطق فی خلقه بإذنه، و أمناؤه علی ما أنزل من عذر أو أنذر أو حجه فبهم یمحو السیّئات، و بهم یدفع الضیم، و بهم ینزل الرحمه و بهم یحیی میتا و بهم یمیت حیا، و بهم یبتلی خلقه و بهم یقضی فی خلقه قضیّته، قلت: جعلت فداک من هؤلاء؟ قال: الأوصیاء.

فقوله علیه السّلام: و بهم یقضی. . إلخ، دلیل علی أنهم علیهم السّلام متصرفون فی الخلق تصرفا تکوینیا إذ المراد من قضیته هو إیجاد الخلق و الأمر و الشئون الربوبیه کما لا یخفی. و کیف کان فالمقصود من خلقه الإنسان انما هو وجود خلیفه اللّه المشار إلیه بقوله عز و جل: (إِنِّی جٰاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِیفَهً) (۱)و خلقه سائر الأکوان من الجماد و النبات و الحیوان إنما هی لضرورات نفس الإنسان و استخدامه إیاها و انتفاعه بها و تظل هذه التکریمات للإنسان خصوصا للکامل منه لأجل أنه تعالی علمه الأسماء بنحو تقدم ذکره و أسجد الملائکه له، و لذا کان الملائکه بأجمعها مسخرین لأجله و مطیعین له موکلین به، و لعلّ المراد من الأمر بالسجود له هو هذا التسخیر و الإطاعه له و القیام بما یحتاج إلیه کما لا یخفی. إذا علمت هذا، فاعلم أن

قوله علیه السّلام:

و رضیکم خلفاء فی أرضه

، إما یراد به الإشاره إلی أنهم أعلی مصداق لقوله تعالی: (وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ) (۲)، و قد علمت أنه وردت روایات أنها نزلت فیهم و أن کمال الاستخلاف فی زمان القائم (عج) کما علمت.

ص: ۳۶۹

۱- ۱) البقره:۳۰.

۲- ۲) النور:۵۵.

أو أنه إشاره إلى أنهم الخلفاء، فى قوله تعالى: (إِنِّی جٰاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِیفَةً) و قد علمت وجهها مفصلا فهم علیهم السّلام أحسن مصداق لخلافه اللّه، و هم المراد من الخلیفه المذکوره فى القرآن بالنحو الأتم لتمامیه ملاکها فیهم کما علمت. و أما کونهم علیهم السّلام خلفاء الرسول الأعظم صلّى اللّه علیه و آله فهو أمر أوضح من الشمس قد دلّت علیه الآیات و الأحادیث الکثیره من الفریقین، و قد تقدم بعضها فى أوائل الشرح. ثم إنه قد وقع التصریح فى کلمات القوم لکلمات مختلفه دلّت على مقام خاص لما أطلقه علیه فلا بأس بالإشاره إلیها لیتم الکلام. فنقول: إن للإنسان بحسب التدرج فى مدارج الکمال و السعاده أصنافا فإنه، إن صدق الأنبیاء فیما جاءوا به من اللّه سبحانه فهو مسلم و قد مرّ تعریفه بأنه بالإقرار بالشهادتین یکون مسلما، و إن قرن بهذا موالاه الأئمه الهداه علیهم السّلام کما دلّت علیه الأحادیث الخارجه عن الحصر، فهو مؤمن و إن اشتغل مع هذا فى أغلب أوقاته بالعباده فهو عابد أى تحققت فیه العبودیه و قد قسموها على ثلاثه أقسام: العابد بالعباده: و هى للعامه و هو التذلّل للّه تعالى و یلزمه إتیان الأعمال الصالحه من الواجبات و غیرها. و العبودیه: و هى للخاصه الذین صححوا النسبه إلیه تعالى بصدق القصد إلیه فى سلوک الطریقه، و یلزمه الاتصاف بالصفات الحمیده، و الاجتناب عن الصفات الرذیله بنحو ما ذکر فى کتب الأخلاق. و العبوده: و هى للخاصّه الخاصه الذین شهدوا نفوسهم قائمه بالحق فى عبودیتهم، فهم یعبدونه فى مقام أحدیه الجمع و الفرق، و فى الحقیقه هذه المرتبه من العبوده، هى الجامعه لتمام الکمالات، کیف و إن الکاملین المتّصفین بالفقر و العبید هم المتحققون بالعبودیه، أى الموقنون بالاتصاف بالأسماء الإلهیه، لیس من مقتضیات ذواتهم بل بفنائهم فى ذات الحق، فمقتضى ذواتهم لیس إلا العبودیه بهذا المعنى،

و لذا

قیل: إنه قیل للنبی صلّی اللّه علیه و آله فی لیله المعراج: سل ما تبتغیه من السعادات، قال صلّی اللّه علیه و آله: أضفنی إلیک بالعبودیه یا ربّ، فنزل فی حقّه، (سُبْحٰانَ اَلَّذِی أَسْریٰ بِعَبْدِهِ. .) . و کیف کان فالعابد من اشتغل بالعباده کلّ علی حسب منزلته، و إن کان مع ذلک تارکا للدنیا و شهواتها فهو زاهد ترکا یرجع إلی قطع العلاقه القلبیه بها، بحیث لا یؤثر وجود الدنیا و شهواتها فی قلبه وجودا و عدما، و إن عرف مع ذلک الأشیاء علی ما هی علیها بالتحقیق فهو عارف و قد قیل فی تعریف العارف: من أشهده اللّه تعالی ذاته و صفاته و أفعاله و العالم إذا جعل مقابلا له: من أطلعه اللّه علی ذلک لا عن شهود، فهو فی مقام علم الیقین، و العارف فی مقام عین الیقین أو حق الیقین، و تقدم ما یوضح لک هذا فراجعه. و کیف کان فالعارف إن أوصله اللّه تعالی مع هذا إلی مقام القرب و أیّده بالإلهام و نفث الروع فهو ولی، و قد تقدم فی أوائل الشرح شرح حال الولی، و إن خصّه مع هذا بالکتاب فهو رسول، و إن خصّه مع هذا بنسخ الشریعه السابقه فهو من أولی العزم، و إن أخصّه مع هذا بخاتمیه النبوه فهو الخاتم فهذه عشره کامله. و تقدّم أنّ الإنسان الکامل هو غایه خلق السموات و ما فیهنّ و هو منطبق علی الواحد الختمی و هو نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله و سلم فهو المقصود من الکلّ و الغایه للکّل و تقدمت أحادیث الباب آنفا

من الحدیث القدسی: «یا بن آدم خلقت الأشیاء لأجلک و خلقتک لأجلی»

و ما ورد فی حقّ النبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلم: «لولاک لما خلقت الأفلاک» . و کیف کان فالنبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلم خاتم کلّ کمال إنسانی، و جامع کلّ جمال و جلال فی حکیم ربّانی فهو إذا خلیفه سبحانی و إن کلّ من بعده أظلّته لکلّیته، و قد یطلق علی الخلیفه الإلهی الذی هو أکمل الموجودات فی زمانه، الغوث و الغوث، و من دون الغوث من سائر رجال اللّه من الأقطاب و الأوتاد و الأبدال و الأفراد بمعنی المنفردین و النقباء و النجباء، و أمثالهم کلّهم مستمدّون من الغوث و الغوث فی زماننا، هذا هو قائم آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم صاحب الأمر و الزمان المهدی المنتظر (عجّل اللّه تعالی فرجه الشریف) .

ص: ٣٧١

كما أنّه أى الغوث يسمّى عند الحكماء مدبّر العالم و إنسان المدينه، و هو المسمّى بالفارقليط كما

قال عيسى عليه السّلام: نحن نأتيكم بالتنزيل و أمّا التأويل فسيأتى الفارقليط فى آخر الزمان و العالم يدور مدار هؤلاء. قال المحقق السبزوارى فى شرح الأسماء، أقول: و أمّا عند أهل اللّه من الإماميه و أرباب الحقيقه من الاثنى عشريه العالم يدور على سبعه من أقطاب و اثنى عشر من الأولياء. أمّا سبعه من الأقطاب: فهم كبار الأنبياء و الرسل و هؤلاء آدم و نوح و إبراهيم و داود و موسى و عيسى و محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم تطبيقا على الكواكب السبعه السيّاره. و أمّا الاثنا عشر من الأولياء: فهم أوصياء محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم تطبيقا على البروج الاثنى عشر لكن اعلم أيّدنا اللّه و ايّاك أنّ جميع الأنبياء و الرسل من آدم إلى عيسى عليه السّلام مظهر من مظاهر خاتم الأنبياء محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و جميع الأوصياء و الأولياء مظهر من مظاهر سيد الأوصياء على عليه السّلام

لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: بعث علىّ مع كلّ نبى سرّا و بعث معى جهرا، و كما أنّ كلّ الأنبياء كالأقمار المقتبسين من شمس نبوه خاتم الأنبياء، أو كالفرع و الأغصان و الأوراق المتفرعه من أصل شجره طوبى النبوه الختميه المحمديه، كذلك كلّ الأولياء كالأقمار المقتبسين من نور شمس ولايه سيّد الأولياء، أو كالفرع و الأغصان و الأوراق المتوزعه من أصل شجره طوبى الولايه الختميه العلوى إلخ. أقول: فظهر ممّا تقدم أنّ جميع مراتب الكاملين بما لهم من الاسم المخصوص مأخوذه من النبى الأكرم و الغوث الأعظم فكلّهم من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم، و لقد تقدم من الأحاديث ما يوضح لك هذا، و يشرحه لك و اللّه الهادى إلى الحق المبين.

أمّا الكلام فى الموضع الثانى: و هو معنى رضاه تعالى بخلافتهم عليهم السّلام.

أقول: لا بدّ أولا من معنى الرضا، فنقول: فى المجمع: الرضوان من اللّه ضد السخط و قيل: هو المدح على الطاعه و الثناء و الرضى مثله فرضى اللّه ثوابه و سخطه

عقـابه. . ، إلى أن قال: و رضـيت بالشـىء رضـى اخترته و ارتضـيته مثله، و رضـيت عن زيـد، و رضـيت عليه لغه و الاسم الرضاء بالمـدّ. . إلى أن قـال: و الراضـى الـذى لا يسـخط بما قـدّر عليه، و لا يرضـى لنفسه بالقليل من العمل. . إلـخ. و فى المحكى عن القاموس: رضى عنه و عليه رضى و رضوانا بكسر الراء و ضمّها ضد السخط.

و فى مصباح الشريعه: صفه الرضا أن يرضى المحبوب، و المكروه و الرضا شعاع نور المعرفه و الراضى فان عن جميع اختياره، و الراضى حقيقه هو المرضى عنه، و الرضا اسم تجتمع فيه معانى العبوديه، و تفسير الرضا سرور القلب. أقول:

قوله عليه السّـلام: و الراضـى حقيقه هو المرضـى عنه ، لاـ يراد منه معنى الاتحاد مع اللّه تعالى فإنّه باطل و كفر، بل المراد منه أن الراضـى لما لم يكن فيه كراهه على ما يفعله اللّه تعالى، فحينئـذ فى الحقيقه ليس فى وجوده إلاّ ما هو فعل اللّه و ما هو رضاه فهو فـان عن كـلّ شـىء، فكأنّه ليس هناك إلاّ اللّه تعالى و لـذا قالوا: الرضا باب اللّه الأعظم، و السالك إذا وصل إلى مقام الرضا لم يكن له إنكار على شـىء من الأشياء فقـد دخل الجنه، و لذا كان خازن الجنه مسـمّى بالرضوان. قال بعض العارفين فى معنى: لم يكن له إنكـار، أى كـلّ مـا يرد من المصـائب عليـك كن شاكرا، و إلاّ فكن راضـيا، و إلاّ فكن صابرا، و دونه ليس إلاّ الكفر، و يجمع هذه الصـفات أنّه لم يكن له إنكار. بعباره أخرى: إذا وردت عليك المصائب كن أوّلا فرحانا مرجّحا، و رده على عدمه، و إلاّ فكن متساوى النسبه إليهما و إلاّ تطق فكن مسلّيًا مسـكّنا نفسك فى كراهتها و إلاّ كفرت فى الطريقه. أقول: و فى الشريعه و إنّمـا خصّ موضوع الكلاـم بالمصائب، لأنّ المواهب و المسـرّات لم يكن لأحـد إنكارها كما لا يخفى. و قيل: الرضا هو الوقوف مع مراد اللّه تعالى بحيث لا يخالجه إراده منه، و لا يعارضه داعيه و اختبار و لا يعتريه تردد، و هـذا يسـتلزم فناء إراده الراضـى فى إراده

اللّه تعالى، و هذه الصفه أى الرضا لا تكون إلاّ أن يكون اللّه أحبّ الأشياء إليه، قال تعالى: (وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ) (١)و أولى الأشياء بالتعظيم قال تعالى: (مٰا لَكُمْ لاٰ تَرْجُونَ لِلّهِ وَقٰاراً) (٢)و أحقّ الأشياء بالطاعه، قال اللّه تعالى: (أَطِيعُوا اَللّٰهَ) فمن كان كذلك كان راضيا و من رضى عن اللّه بكل ما قضى و قدر فقد خرج عن حظوظه، و فنت إرادته فى إراده اللّه و استوت حالاته، فلا يفرح بحصول مرغوب و لا يحزن بفواته، و لا يساء و لا يغتم بوقوع مكروه، و لا يفرح بزواله، و يتساوى عنده النعمه و البلاء، و الشده و الرخاء، و السرّاء و الضرّاء، لأنّه مريد بإراده اللّه تعالى لا بإراده نفسه، و من هذه صفته يرى كلّ ما أصابه بإراده اللّه تعالى، و لا يميل إلى شيء ليس فى يده، فلا محاله لا يخاصم الخلق كيف و هو يراهم براء من أفعالهم، أسراء تحت حكم اللّه تعالى لأنّ اللّه تعالى يفعل بهم ما يفعل إمّا جزاء و إمّا عقوبه و كلّها لمصلحه يراها اللّه تعالى، و يرى أيضا كلّ ما قسم له واصلا إليه، و كلّ ما لم يقدر له ممتنع الحصول فلا يلح فى المسأله إلاّ من اللّه، و لا يسأل أحدا شيئا إلاّ إذا ظنّ أنّ المطلوب يمكن أن يكون موقوفا على السؤال شرعا، و مع ذلك يجمل فى السؤال و الطلب، و لا سؤال له إلاّ من اللّه تعالى، و إذا وصل العبد مقام الرضا عن اللّه فلا محاله تمحى صفاته و إرادته، و تقوم صفات الحق من الرضا و السخط و الإراده مقام إرادته و صفاته، فليس له حينئذ صفه و لا إراده و لا رضا و لا سخط إلاّ و هو فرع إراده اللّه و سخطه و رضاه تعالى، و يصير مصداقا لقوله: (وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ) (٣)فحينئذ لا محاله لا يتحكم فى الأشياء بالتشهّى و الهوى بترجيح شيء على شيء، و إيثار أمر دون أمر، بل يمضى فى ذلك كلّه على ما يقتضيه رضاه تعالى، فلا يختار حالا دون حال، لأنّه حينئذ مختار باختيار اللّه تعالى، و لا يعمل التمييز فيما فيه راحته و سروره، بل يختار ما يختاره المحبوب تعالى، و لو كان دخول النار، و علمت

١- ١) البقره:١۶۵.

٢- ٢) نوح:١٣.

٣- ٣) الإنسان:٣٠.

أنّ هـذه الأمور لا تكون إلّا لأهل المحبه له تعالى فإنّها تسهل عليه هـذه فقط، كما لا يخفى. إذا علمت هـذه الأمور، فاعلم: أنّ صفه الرضا أين ما وجدت تكون أحكامها شامله للراضى و المرضى عنه و لا تختص بأحدهما لما علمت من

قول الصادق عليه السّلام: و الراضى فى الحقيقه هو المرضى عنه، و رضا اللّه تعالى عن أحد يلازم رضاه عنه تعالى بحسب الحقيقه، و حقيقه الرضا بما له من الآثار المذكوره للكون إلاّ فى الكاملين و لا كامل فى الوجود إلّا محمد و آله الطاهرون المعصومون فهم الراضون حقيقه عنه تعالى و هو الراضى عنهم، فرضا اللّه عنهم و عن خلافتهم يلازم رضاهم عليهم السّلام عنه تعالى كما لا يخفى و تدل على هذا روايات: منها ما

فى تفسير البرهان (١)، باسناده عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله: (يا أَيَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّهُ اِرْجِعِى إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَهً مَرْضِيَّهً) يعنى الحسين بن على عليه السّلام.

و فى حديث آخر بعده (٢)، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، إلى أن قال: إنّما يعنى الحسين بن على عليه السّلام فهو ذو النفس المطمئنه الراضيه المرضيه، و أصحابه من آل محمد (صلوات اللّه عليهم) الراضون عنه يوم القيامه و هو راض عنهم، الحديث. أقول: و أصحابه من آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم لعلّه يشير به إلى المستشهدين من بنى هاشم، و اللّه العالم.

و فيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله: (يٰا أَيَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّهُ اِرْجِعِى إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَهً مَرْضِيَّهً فَادْخُلِى فِى عِبٰادِى وَ اُدْخُلِى جَنَّتِى) قال: نزلت فى على بن أبى طالب عليه السّلام.

و ورد عنهم عليه السّلام أنّ تأويل قوله تعالى: (رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ) مؤول بعلى بن أبى طالب عليه السّلام.

١- ١) تفسير البرهان ج ۴ ص ۴۹۰.

٢- ٢) تفسير البرهان ج ۴ ص ۴۹۱.

و قال الحسين عليه السّلام فى خطبته المعروفه: رضا اللّه رضانا أهل البيت. فإذا ثبت من هذه الأحاديث و الآيات أنّهم عليه السّلام ممّن رضى اللّه تعالى عنهم بأحسن الرضا، فمعناه أنّهم عليه السّلام بتمام شئونهم و أفعالهم و ذواتهم و صفاتهم و خصوصا شئون ولايتهم المطلقه، التى هى ولايه اللّه تعالى قد رضى اللّه تعالى عنهم، فحينئذ معنى و رضيكم خلفاء فى أرضه: أنّه تعالى رضيهم أى أنّ جعله تعالى ايّاهم خلفاء فى أرضه و هم مقرون برضاه تعالى بأنّ رضى أن يكونوا خلفاء أو رضى بخلافتهم بما لها من المعانى المتقدمه أو رضيهم عليه السّلام للخلافه لو وجد ملاكها من العلم بالأسماء بالنحو الذى تقدم بيانه، أو ظهر رضاه بقبول خلافتهم فمن أقرّ بولايتهم فاللّه تعالى عنه راض و إلاّ فلا.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)، عن الكافى عن سدير الصرفى قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام جعلت فداك يا بن رسول اللّه هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا و اللّه، إنّه إذا آتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول ملك الموت: يا ولى اللّه لا تجزع فو الذى بعث محمدا لأنا أبرّ بك و أشفق عليك من والد رحيم لو حضرك افتح عينيك فانظر، قال: و يمثل له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و الأئمه عليه السّلام رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينظر فينادى روحه مناد من قبل ربّ العزّه فيقول: يٰا أَيَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّةُ إلى محمد و أهل بيته اِرْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَةً بالولايه مَرْضِيَّةً بالثواب، فَادْخُلِي فِي عِبٰادِي يعنى محمدا و أهل بيته وَ اُدْخُلِي جَنَّتِي ، فما من شىء أحب إليه من استلال روحه و اللحوق بالمنادى. فعلم منه، أنّ رضاه تعالى عن المؤمن هو برضاه بالولايه، أو ظهر رضاه تعالى بجعلهم خلفاء، فمظهر رضاه تعالى يكون فى خلافتهم فمن أراد رضاه طلبه من خلافتهم. و الحاصل: أنّ خلافتهم هى رضاه تعالى، أو يكون المراد من رضيكم خلفاء أنّ

۱- ۱) تفسير البرهان ج ۵ ص ۵۷۷.

خلافتهم مظهره-بالکسر-لرضاه فمن أراده يطلبه منها فهی مظانّه، و هذا راجع إلی القسم السابق بالملازمه فإنّ كونها مظهرا-بالفتح-لرضاه-يلازم كونها مظهرا- بالکسر-لها أو يراد منه أنّ خلافتهم ركن رضاه تعالی، أو سبب رضاه كما دلّت عليه الأخبار الكثيره.

ففی تفسير نور الثقلين (۱)، عن روضه الكافی بإسناده عن أبی حمزه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول لرجل من الشيعه: أنتم أهل الرضا عن اللّه جلّ ذكره برضاه عنكم و الملائكه إخوانكم فی الخير، فإذا اجتهدتم ادعوا، و إذا غفلتم اجتهدوا، و أنتم خير البريه دياركم لكم جنه، و قبوركم لكم جنه، للجنه خلقتم، و فی الجنه نعيمكم و إلی الجنه تصيرون. . إلخ. و مثله أحاديث أخری كثيره و قد يقال: بأنّ رضا اللّه تعالی كما علمت هو ثوابه، فحينئذ معنی رضيكم خلفاء أی أثابكم اللّه بالخلافه فلخلافتهم عليه السّلام ثواب منه تعالی لهم، لما فيهم من حقيقه العبوديه و الإطاعه له تعالی، أو أنّه تعالی أثابكم بالخلافه أی أمدّكم و أيّدكم للخلافه و فی مقام إقامه الدين. و الحاصل: حيث إنّه تعالی حمّلهم أعباء الرساله و الإمامه، التی هی حقيقه الخلافه، و كانت هذه حموله الربّ صعبه الأمر، فأمدّهم اللّه تعالی، و أيّدهم فی هذا الأمر أی أمر الخلافه، هذا إذا قلنا: إنّ المراد من رضاه تعالی ثوابه إيّاهم عليهم السّلام. و قد يقال: إنّ المراد من رضاه تعالی ثوابه لمن قبل ولايتهم، فمعنی الكلام حينئذ أنّه تعالی رضيهم خلفاء أی جعل خلافتهم ثواب الطائعين من عباده، الذين قبلوها و عملوا بمقتضاها، و هو أعظم مراتب الإثابه، فنفس قبول الولايه ثواب لمن قبلها حيث إنّه يستفيد منها الأصول و المعارف الإلهيه بما يبتهج منها أحسن الابتهاج كما لا يخفی. أو المراد من كونها ثوابا لهم هو أنّ قبول خلافتهم و الانقياد لأهلها من الأئمه عليه السّلام

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۵، ص ۶۴۷.

موجب لجعله تعالى إيّاهم ملوكا و أعاظم بسبب القيام بمقتضاها، كما يرى ذلك فى كثير من علماء الشيعه، الذين قد بلغوا ببركه الولايه و قبولها أحسن مقام فى العالم كما لا يخفى. أو أنّها ثواب لهم فى الآخره بنعيم الجنان، كما دلّت عليه الأخبار الكثيره و أحسن ما ورد فى هذا المعنى ما تقدم:

عن الكافى عن الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى: (أَ فَمَنِ اِتَّبَعَ رِضْوٰانَ اَللّٰهِ كَمَنْ بٰاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اَللّٰهِ) إلى قوله: (هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ اَللّٰهِ) فقال عليه السّلام: الذين اتبعوا رضوان اللّه هم الأئمه عليهم السّلام و هم و اللّه درجات للمؤمنين، و بولايتهم و معرفتهم إيّانا يضاعف اللّه لهم، و يرفع اللّه لهم الدرجات العلى، الحديث، و قد مرّ مرارا. و قد يقال: إنّ الرضا قد يكون لغه بمعنى الإقرار فى الشىء، أى جعله مكانه، كما

ورد فى الحديث أنّهم عليهم السّلام قالوا لشيعتهم فى حقّ مخالفيهم: ارضوا ما رضى اللّه لهم من ضلال، أى أقرّوهم على ما أقرّهم اللّه عليه، فحينئذ معنى رضيكم خلفاء فى أرضه، هو أنّه تعالى أقرّكم فى مقام ولايتكم و خلافتكم، و أثبتكم فيها بحيث لا يمكن لأحد معارضتكم فيها بالعلم و الكمال، و ذلك لعدم من يكون فى رتبتكم و منزلتكم حتى يعارضكم فيها، و هذا من فضل اللّه تعالى لهم، و سيأتى مزيد بيان له فى شرح

قوله عليه السّلام:

آتاكم اللّه ما لم يؤت أحدا من العالمين.

و قد يقال: إنّ الرضا قد يكون بمعنى الإذن فيقال: رضى المالك أن يبيع وكيله داره أى أذن فيه، فحينئذ معناه أنّه تعالى أذن فى خلافتكم فى أرضه، و مرجع إذنه تعالى إلى أنّه تعالى أذن لهم فى أن يتصرّفوا فى الأمور شرعيه كانت أم تكوينيه، تصرّف المالك فيما يملكه ضروره أنّ الخلافه المأذونه فيها هى الخلافه الإلهيه، التى مرجعها إلى الولايه، التى هى ولايه اللّه تعالى، كما تقدمت الأحاديث فى ذلك عن بصائر الدرجات مرارا. و الخلافه كما علمت هى الاستنابه عن المستخلف عنه، بحيث يكون فعل الخليفه المستخلف عنه، و هذا يقتضى أن يكون للخليفه ما للمستخلف عنه من

التصرّف فی الأمور و الأشیاء بنحو کان للمستخلف عنه کما لا یخفی. کیف لا و قد علمت فیما سبق أنّه تعالی أشهدهم خلق الأشیاء من السموات و الأرض و الخلق و غیرها، و أنّه تعالی أنهی علمه إلیهم، و أنّه تعالی حمّلهم علمه و جعلهم أولیاء علی سائر خلیقته و یدلّ هذا علی الإذن المطلق؟

ما فی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن بصائر الدرجات عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: کان سلیمان عنده اسم اللّه الأکبر الذی إذا سأل به أعطی و إذا دعا به أجاب و لو کان الیوم لاحتاج إلینا.

و فیه عن علل الشرایع بإسناده عن أبی الحسن موسی بن جعفر علیه السّلام، و ساق الحدیث. . إلی أن قال: ثمّ قال علیه السّلام: قد و اللّه أوتینا ما أوتی سلیمان و ما لم یؤت سلیمان، و ما لم یؤت أحد من الأنبیاء، قال اللّه عزّ و جلّ فی قصه سلیمان: (وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) .

و فی تفسیر البرهان (۲)، روی عن سلمان الفارسی. . إلی أن قال: فقال الحسن علیه السّلام عن أمیر المؤمنین: إنّ سلیمان بن داود و کان مطاعا بخاتمه، و أمیر المؤمنین بما ذا یطاع؟ فقال علیه السّلام أنا عین اللّه فی أرضه، أنا لسان اللّه الناطق فی خلقه، أنا نور اللّه الذی لا یطفأ، أنا باب اللّه الذی یؤتی منه، و حجته علی عباده. ثمّ قال: أ تحبّون أن أریکم خاتم سلیمان بن داود؟ قال: نعم، فأدخل یده إلی جیبه فأخرج خاتما من ذهب فصّه من یاقوته حمراء، علیه مکتوب محمد و علی، الحدیث. فعلم من هذه الأحادیث أنّ لهم التصرّف فی الأمور بما منحهم اللّه تعالی من مقام الخلافه الإلهیه، التی هی الولایه المطلقه الکلیه الإلهیه. و الحاصل: أنّه تعالی رضی بخلافتهم، أی أذن لهم فیها بأن یعملوا بها ما له تعالی أن یعمل، نعم إنّ الأئمه علیهم السّلام لا یعملون إلاّ ما أمرهم اللّه تعالی کما حکاه اللّه تعالی عنهم بقوله: (لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ) و تقدم شرحه مفصّلا، و تفسیر

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۴، ص ۴۵۸.

۲- ۲) تفسیر البرهان ج ۵، ص ۶۰.

الرضا بالإذن لیس ببعید، بل الإذن ملازم للرضا و إن لم یفسّر به کما لا یخفی. هذا و قد علمت أنّ الرضا فی اللغه یأتی بمعنی الاختیار، فحینئذ معناه أنّه تعالی اختارکم من بین سائر خلقه لخلافته الإلهیه، و فی جمیع العوالم، أی أنّهم علیهم السّلام خلفاؤه تعالی فی جمیع العوالم کما تقدم وجهه. فاختار اللّه تعالی ذواتهم لذلک، أو اختار خلافتهم، و قد علمت أنّ فی هذه الخلافه الإلهیه للخلیفه التصرّف فیما یشاء کیف یشاء.

فی تفسیر البرهان (۱)، عن زید الشحّام قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: (هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ) قال: أعطی سلیمان ملکا، ثمّ جرت هذه الآیه فی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و کان یعطی ما یشاء من یشاء و یمنع من یشاء، (ما یشاء) و أعطاه أفضل ممّا أعطی سلیمان لقوله تعالی: (وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) . فکذلک، صاحب هذه الخلافه، الخلافه الإلهیه، ینقاد له کلّ شیء من المعانی و الأعیان، و الذوات و الصفات، و السکون و الحرکات، و الأفعال و الأعمال، و الأحوال و الآجال و الکتب و الرخص و غیرها کلّ ذلک، لأنّ هذه الخلافه خلافه اللّه و ولایه اللّه الحقّ بقول مطلق، و ذلک لأنّ غیر هذه الخلافه و إن کانت حقّا، لکنها لیست کلّیه شامله و لا خالصه من جمیع الهفوات و القصورات و التقصیرات، بل ربّما کانت خلافه جور أو مشوبه به بحقّ و باطل، أو ظاهره فی بعض الأمور، أو خلافه باطنیه فی بعض الأمور. و کیف کان لیس کالخلافه الإلهیه التی ینطبق علیها قوله تعالی: (هُنٰالِکَ اَلْوَلاٰیَهُ لِلّٰهِ اَلْحَقِّ) (۲)و لا تنطبق هذه الآیه إلّا علی الخلافه التی رضیها اللّه تعالی لهم.

ففی تفسیر نور الثقلین (۳)، بإسناده عن علی بن حسان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:

۱- ۱) تفسیر البرهان ج ۴، ص ۴۹.

۲- ۲) الکهف:۴۴.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۳، ص ۲۶۲.

سألته، و عن عبد الرحمن بن كثير قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قوله تعالى: (هُنٰالِكَ اَلْوَلاٰيَهُ لِلّٰهِ اَلْحَقِّ) ، قال: ولايه أمير المؤمنين. و كيف كان فاختار اللّه و رضى لهم عليهم السّلام تلك الولايه الإلهيه الكلّيه، التى تقدم فى أوائل الشرح شرحها و اللّه الهادى إلى الحق.

أما الكلام فى الموضع الثالث: و هو تخصيص الخلافه بكونها فى الأرض.

فنقول:

قوله عليه السّلام: فى أرضه ، إشاره فيه إلى أنّهم عليهم السّلام أحسن مصداق لقوله تعالى: (إِنِّي جٰاعِلٌ فِي اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً) فإنّ الخليفه إنّما يراد منه إظهار مراد المستخلف عنه فيما ظهر خلافه أو يتوقع ظهور خلافه و ذلك فى مجمع العصاه و المتمردين، ثمّ إنّه لما كان إبليس حاكما على طوائف الجن فطغوا و خالفوا أمر اللّه، فأرسل اللّه عليهم جنوده فقتلوهم و أسروا إبليس و صعدوا به إلى السماء كذا قيل.

و فى تفسير البرهان عن عيسى بن أبى حمزه قال: قال رجل لأبى عبد اللّه عليه السّلام. . إلى أن قال: ثمّ خلق فيها الجن و قدّر لهم عشره آلاف عام فلمّا قربت آجالهم فسدوا فيها و سفكوا الدماء و هو قول الملائكه أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء كما سفكت بنو الجان، الحديث. فلوحظ فى هذه العباره مقابله أهل الجور و الطغيان من الشياطين و شياطين هذه و جنودهم من أهل الزيغ و العدوان، و حيث إنّ أهل المعصيه و الجور فى كلّ زمان كانوا فى الأرض، فرضى اللّه تعالى أهل العدل ليقيموا العدل فيها و يدفعوا أهل الظلم و الطغيان و يملؤها قسطا و عدلا كما ملأها شياطين الإنس و الجن ظلما و جورا، فالتخصيص بالأرض لظهور آثار الخلافه فيها حيث إنّ الطغاه يتمردون فيها، فخليفه اللّه يعارض فيها بالعلم و البرهان و الحجه و المعجزات. و قد يقال: إنّ التخصيص بالأرض لإراده التوقيت بالزمان، أى زمان وجود المكلّفين، لإجراء أحكام التكاليف عليهم فى الدنيا، فمعناه: خلفاء لأهل الأرض

حين كونهم فى الأرض أى فى الدنيا، ضروره أنّ كونهم خلفاء لا يراد منه إلّا كونهم خلفاء على الناس و أهل الأرض كما لا يخفى، فلا يراد منه حصر الاستخلاف فى الأرض من التخصيص، بل يراد منه بيان التوقيت لظهور أيام الخلافه حيث علمت أنّها فى مقابله خلافه أئمه الجور فحينئذ لا تكون خلافتهم منحصره فى الأرض، فقد علمت أنّ خلافتهم عامه لكل شىء لأهل الأرض و السماء، و من فى الغيب و الشهاده أهل الدنيا و الآخره. و تقدم

عن الصادق عليه السّلام: أنّ الحجه قبل الخلق، و مع الخلق، و بعد الخلق، و لا ريب فى أنّ الحجه من صفات الخليفه الإلهى. و تقدم

عن المفضل بن عمر الجعفى عن الصادق عليه السّلام فى بيان فضل أمير المؤمنين عليه السّلام، إلى أن قال عليه السّلام: كان أمير المؤمنين عليه السّلام كذا و كذا، إلى أن قال: و الحجه البالغه على من فوق الأرض و من تحت الثرى.

و عن الصادق عليه السّلام: أنّ للّه عزّ و جلّ اثنى عشر ألف عالم كلّ عالم منهم أكبر من سبع سماوات و سبع أرضين ما يرى عالم منهم أنّ للّه عزّ و جلّ عالما غيرهم و إنّى الحجه عليهم. و تقدم فى شرح: و الحجه على أهل الدنيا و الآخره و الأولى، ما يستفاد منه كونهم عليهم السّلام حجج اللّه على ما سوى اللّه من جميع العوالم. و تقدم عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى وصف النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى استخلاف اللّه له،

قال عليه السّلام: أقامه فى سائر عالمه، يعنى فى جميع خلقه. ثمّ آثار الخليفه الإلهى تظهر فى أمور: منها: إظهار العدل، و العدل فى قبال من يظهر الجور و الظلم و العدوان. و منها: أنّه تعالى يجرى على أيديهم أفاعيله و أوامره و نواهيه فى ساير خلقه، و ذلك بواسطه أنّه تعالى سخّر لهم عليهم السّلام لا لغيرهم ملائكه الجن بل الإنس فيما أرادوا و سائر ما صنع لهم عليهم السّلام من الموجودات.

و منها: أنّه تعالى أظهر على لسانهم علمه و معارفه، بحيث لم يصدر من غيرهم، كما تقدم الكلام فيه فى شرح

قوله عليه السّلام:

و خزّان علمه ، و تقدم آنفا

قول الباقر عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى: (وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي اَلْأَرْضِ) (۱)إلى أن قال: و كلّ ولاه الأمر بعد محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالعلم و نحن هم فاسألونا فإن صدّقناكم فأقرّوا و ما أنتم بفاعلين. و منها: أنّه تعالى مكّنهم فى الأرض لإقامه دين اللّه حتى فى زمان غيبتهم، إذ ليس فى زماننا هذا زمان غيبتهم دين و لا هدى إلاّ بهم حصل لنا، و منهم وصل إلينا، كما لا يخفى. و منها: خصوص التمكين، الأعم من الظاهرى و الباطنى فى زمان رجعتهم عليهم السّلام خاصه، لا التمكين المطلق غير الظاهرى فإنّه ربّما لا تعرفه العامه من الناس، لأنهمّ إنّما يعرفون التمكين بالملك الظاهرى و التسلّط الخارجى، و ذلك لا يكون إلاّ عند قيام القائم (عج) إن شاء اللّه و فى زمان رجعتهم لعلّه إليه يشير قوله تعالى: (وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي اَلْأَرْضِ) فإن لفظ وعد يشير إلى ظهور الخلافه الإلهيه فى الرجعه و فى قيام القائم (عج) و إلاّ لما حسن الوعد، لأنّ اللّه سبحانه لم يجعلهم خلفاء بالوعد لا بالفعل، بل علمت مرارا أنّهم عليهم السّلام خلفاء على ما سوى اللّه فى جميع العوالم قبل الخلق و بعد الخلق و مع الخلق. و كيف كان فالوعد يشير إلى ظهور يمكّنهم فى الأرض و تسلّطهم الخارجى على أعداء اللّه تعالى. و هناك تظهر آثار الخلافه بأحسن ظهور رزقنا اللّه تعالى رؤيه قائم آل محمد (صلّى اللّه عليه و على آبائه الطاهرين) و تملكه إن شاء اللّه و سيجىء تمام الكلام عند شرح

قوله عليه السّلام:

مصدّق برجعتكم

و السلام.

۱- ۱) النور:۵۵.

قوله علیه السّلام: و حججا علی برّیته.

أقول: تقدم الکلام فی الحجج فی

قوله علیه السّلام:

و حجج اللّه علی أهل الدنیا و الآخره و الأولی

، إلاّ أنّ الفرق بین الجملتین هو أنّ السابقه فی مقام بیان کونهم علیهم السّلام حجج اللّه علی الکلّ، و هنا لمکان العطف علی (خلفاء) فی مقام بیان کونهم حججه مورد لرضاه، فیجری فیه ما ذکر فی رضاه تعالی بکونهم خلفاء. و أمّا البریه، فقال فی المجمع: قوله تعالی: (هُوَ اَللّٰهُ اَلْخٰالِقُ اَلْبٰارِئُ اَلْمُصَوِّرُ) فالخالق هو المقدّر لما یوجده، و البارئ الممیّز بعضه عن بعض بالأشکال المختلفه، و المصوّر الممثل. قال بعض الأعلام: قد یظنّ أنّ الخالق و البارئ و المصوّر ألفاظ مترادفه، و أنّ الکلّ یرجع إلی الخلق و الاختراع و لیس کذلک، بل کلّ ما یخرج من العدم إلی الوجود مفتقر إلی تقدیر أوّلا، و إیجاده علی وفق التقدیر ثانیا، و إلی التصویر بعد الإیجاد ثالثا، فاللّه تعالی خالق من حیث هو مقدّر، و باریٔ من حیث هو مخترع، و موجد و مصوّر من حیث إنّه رتّب صور المخترعات أحسن ترتیب، انتهی. و قد یقال: إنّ الخالق منشئ عالم الأحدیه، و البارئ منشئ عالم الأحدیه، و المصوّر منشئ عالم الکثره. و قد یقال: إنّ الخالق هو الموجد للکون، و البارئ هو الموجد للعین، و المصوّر هو الموجد للتقدیر. و یقال: هو من البراء (بالمدّ و القصر) و هو التراب، و المعنی حینئذ المخلوقه من التراب فعلی کونها من (براء) یکون المراد منها کلّ ما دخل تحت الإراده، و علی أنّها من البراء (أی التراب) فتکون مختصه بما کوّن من العناصر، فتخرج الملائکه من البریه، و هنا کلام طویل لا فائده فی بیانه. أقول: اعلم أنّ جمیع ما سوی اللّه تعالی من الأعالی و الأدانی، و المجرّدات و المادیات، و العقول و النفوس، و الحیوانات و النباتات و جمیع أصناف الخلق معنون

بعنوان أنّه مخلوق، و اللّه تعالى خالقه، و هو تعالى خالق كلّ شىء، فجميع أصناف الخلق و إن كانت متخصصه بخصوصيته من حيث النوع و الفرد و التجرّد و الماده، لكنها متّصفه بصفه أنّه مخلوق، فالخليقه كالجنس يشمل جميع أنواع الموجودات، و إن شئت فقل: إنّ الخلق مساوق للإيجاد و الوجود. و أمّا المصوّر فهو ظاهر فى الممثل أى معطى الصوره و خالقها و ممثلها، فهو ناظر إلى هذه الخصوصيه، و لعلّ هذا هو المراد من قوله: من فسّر المصوّر بالموجد للتقدير فتأمّل، فإنّ التقدير ظاهر فى خلق التقدير فى قبال خلق التكوين، و المصوّر هو الموجد للصوره فى خلق التكوين، و لذا قال بعضهم: المصوّر هو موجد، و مصوّر من حيث إنّه مرتّب صور المخترعات، و أمّا البارئ فهو ناظر إلى خلق الموجودات بلحاظ كثرتها و انتشارها فى العالم، و لعلّه ناظر إلى عظمه قدرته تعالى فى الخلق، لكثرته على أنواعها فى عالم الوجود فالبريه-الحق-أنّها من براء بالمعنى المذكور (أى الخلق بلحاظ كثرته) . و أما ما قاله بعض الأعلام من أنّ: كلّما يخرج من العدم إلى الوجود مفتقر إلى تقديره. . إلخ، ففيه ما لا يخفى فإنّ التقدير المذكور هو التقدير فى العلم و قبل خلق التكوين، فتفسير الخالق به ليس بصحيح، لأنّ الخالق يراد منه الخالق بالتكوين، فإن أريد به المقدّر فى الخارج فهو المصوّر، إذ التقدير و التصوير الخارجى مترادفان كما لا يخفى. و أمّا تفسير البارئ بالمخترع ففيه: أنّ الاختراع هو الابتداع و الإنشاء، فكونه تعالى خالقا من حيث إنّه لم يخلق شيئا مشابها لشىء كان قبله، بل كان خلقه ابتدائيا فسمّى مخترعا، فالاختراع هو الإيجاد لا عن شىء و لا من شىء و لا مشابها لشىء، فتفسير البارئ به غير تام، بل هو عباره عن الخلق بلحاظ كثرته المنبئ عن عظمه خالقه لكثرته، و لذا يقال فى مقام التعجّب: سبحان البارئ، بلحاظ كون التعجّب من كثره الخلق و الحمد للّه وحده.

قوله علیه السّلام: و أنصارا لدینه.

اشاره

الکلام یقع فی مقامین:

الأوّل: فی کونهم أنصارا.

الثانی: فی معنی الدین. فنقول: الأنصار جمع ناصر، و النصر الإعانه، و المنع من الشیء کما فی المجمع. و قیل: الناصر هو الذابّ (أی المدافع) . و کیف کان فلا ریب فی أنّهم علیهم السّلام یذبّون عن دین اللّه، و یعینونه بما یناسبه، و یمنعونه عن أن یصل إلیه تحریف الغالین، أو إبطال المعاندین، فهم علیهم السّلام یبطلون بالبرهان حجه المخالفین و هم علیهم السّلام ینصرون الدین بالعمل من العبادات و المجاهدات و المجاهده فی سبیل اللّه تعالی و لو بمثل سفک المهج و تحمّل المصائب، و الأذی من الأعادی، کلّ ذلک حفظا و نصره للدین و ثباتا علیه و تثبیتا له کما لا یخفی علی من راجع أحوالهم علیهم السّلام و محاجّاتهم التی صارت الکتب مشحونه بها.

و قال الصادق علیه السّلام: فإنّ فینا أهل البیت فی کلّ خلف عدولا ینفون عنه تأویل المبطلین، و تحریف الغالین، و انتحال المبطلین، و تأویل الجاهلین.

و عنه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: یحمل هذا الدین فی کلّ قرن عدول ینفون عنه تأویل المبطلین، و تحریف الغالین، و انتحال الجاهلین، کما ینفی الکبریت خبث الحدید. ثمّ إنّ المراد (علی الظاهر) من

قوله علیه السّلام: عدول، أنفسهم الشریفه فإنّهم علیهم السّلام أحسن مصداق لها، و لکن یحتمل أنّه یراد منها الأعم منهم علیهم السّلام و من شیعتهم الذین یقتفون آثارهم و یعرفون أحکامهم، و أنهم الممتحنون المحتملون لعلومهم. فیظهر من کثیر من الأحادیث و الأدعیه و الزیارات: أنّ نصره الدین قد تکون بغیر الأئمه من الشیعه الذین قد وصفوهم بما یأتی ذکره،

ففی الزیاره للشهداء علیهم السّلام:

السلام علیکم یا أنصار دین اللّه

،

و فی الدعاء:

و اجعلنی ممّن تنتصر به لدینک، و لا

تستبدل بی غیری.

و أمّا الأحادیث فهی أكثر من أن تحصـی كما لا یخفی علی من راجع الأخبار الوارده فی تعـدیل الثقات من الرواه و أنّه لولاهم لانـدرس الـدین، و أنّه قـد أمروا علیهم السّـلام بمتـابعتهم أی متـابعه الشیعه الكاملین الموصوفین بأوصاف خاصه، و نحن نـذكر بعضها توضیحا للمقصود، فمنها:

ما فی البحار (۱)، و قال الرضا علیه السّـلام: قال علی بن الحسین علیه السّلام: إذا رأیتم الرجل قد حسن سمته و هدیه، و تماوت فی منطقه، و تخاضع فی حركاته، فرویدا لا یغرّنكم، فما أكثر من یعجزه تناول الدنیا، و ركوب الحرام منها، لضـعف نیّته و مهانته و جبن قلبه، فنصب الـدین فخّا لها، فهو لا یزال یختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من الحرام اقتحمه، و إذا وجـدتموه یعفّ عن مال الحرام، فرویـدا لاـ یغرّنكم، فـإنّ شـهوات الخلق مختلفه، فمـا أكثر من ینبو عن مـال الحرام و إن كثر، و یحمـل نفسه علی شوهاء قبیحه فیـأتی منهـا محرّما، فإذا وجـدتموه یعفّ عن ذلك فرویـدا لا یغرّنكم حتی تنظروا ما عقـده عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثمّ لا یرجع إلی عقل متین فیكون ما یفسـده بجهله أكثر مما یصـلحه بعقله. فإذا وجـدتم عقله متینا فرویدا لا یغرّنكم حتی تنظروا مع هواه یكون علی عقله؟ أو یكون مع عقله علی هواه؟ و كیف محبّته للریاسـات البـاطله و زهـده فیها، فإنّ فی الناس من خسر الـدنیا و الآـخره یترك الـدنیا للـدنیا، و یری أنّ لـذه الریاسه الباطله أفضل من لـذه الأموال و النعم المباحه المحلّله، فیترك ذلـك أجمع طلبـا للرئـاسه حتی إن قیـل له: اتّق اللّه، أَخَـذَتْهُ اَلْعِزَّهُ بِالْإِثْمِ فَحَسْـبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ اَلْمِهٰادُ ، فهو یخبط خبط عشواء، یقوده أوّل باطل إلی أبعـد غایات الخساره، و یمـدّه ربّه بعـد طلبه لما یقدر علیه فی طغیانه، فهو یحل ما حرّم اللّه و یحرّم ما أحلّ اللّه، لا یبالی بما فات من دینه إذا سلمت له رئاسته، التی قد یتّقی من أجلها، فأولئك الذین غضب اللّه علیهم

۱- ۱) البحار ج ۲، ص ۸۴.

و لعنهم و أعدّ لهم عذابا مهينا. و لكن الرجل كلّ الرجل نعم الرجل هو الذى جعل هواه تبعا لأمر اللّه، و قواه مبذوله فى رضا اللّه، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ فى الباطل، و يعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النعيم فى دار لا ـ تبيد و لا تنفد، و إنّ كثير ما يلحقه من سرّائها إنّ اتبع هواه يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له و لا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل فبه فتمسّكوا و بسنّته فاقتدوا و إلى ربّكم به فتوسّلوا، فإنه لا تردّ له دعوه و لا تخيب له طلبته. فالمستفاد من هذا الحديث الذى نقلناه بطوله لما فيه من الفائده: أنّ الرجل هو الذى جعل هواه تبعا لأمر اللّه، و هذا من صفات الشيعه الكاملين و قد أشير أيضا إليهم و إلى أوصافهم،

فما ورد فى تفسير قوله تعالى: (وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ اَلْقُرَى اَلَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً) (۱).

ففى تفسير نور الثقلين (۲)، عن أبى حمزه الثمالى قال: أتى الحسن البصرى أبا جعفر عليه السّلام فقال: لأسألك عن أشياء من كتاب اللّه، فقال له أبو جعفر عليه السّلام: أ لست فقيه أهل البصره؟ قال: قد يقال ذلك. . إلى أن قال عليه السّلام: فنحن القرى التى بارك اللّه فيها، و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ فيمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم أن يأتونا فقال: (وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ اَلْقُرَى اَلَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً) و القرى الظاهره الرسل و النقله عنّا إلى شيعتنا و فقهاء شيعتنا إلى شيعتنا. الحديث. فيعلم من هذا الحديث أنّ الشيعه خصوصا فقهاءهم الذين وصفهم الصادق عليه السّلام فى حديث عمر بن حنظله المعروف

بقوله: «من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه» هم الذين نصروا دين اللّه تعالى بتسديد أئمتهم، و تعليمهم إيّاهم و إمدادهم لهم بأحاديثهم،

۱- ۱) سبأ:۱۸.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۴، ص ۳۳۰.

و تنویرهم لقلوبهم کما علمته من حدیث أبی خالد الکابلی و تعریفهم کیف یعلمون و یعملون و یعلّمون عوامّهم، فهم بهذه الأمور صاروا أنصار الدین، و الوجه فیه أنّ الحق لم یوجد إلاّ عند الأئمه علیه السّلام و فقهاء الشیعه من محدّثیهم و غیرهم من العلماء قد أخذوا منهم علیهم السّلام فکما أنّ الأئمه علیهم السّلام هم الأنصار لدین اللّه، الذین ینفون عنه کلّ ما لیس منه، و یتمّون ما نقص منه.

ففی کمال الدین و تمام النعمه (۱)، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ اللّه تبارک و تعالی لم یدع الأرض إلاّ و فیها عالم یعلم الزیاده و النقصان، فإذا زاد المؤمنون شیئا ردّهم، و إذا نقصوا شیئا أکمله لهم، و لو لا ذلک لالتبست علی المؤمنین أمورهم، فکذلک فقهاء الشیعه فإنّهم أیضا هم الأنصار للدین بالتعلیم و الإشاعه و الإرشاد کما لا یخفی، و کیف لا و قد أخذوا علمهم من الأئمه علیهم السّلام لا غیرهم حیث علموا أنّ الحق عندهم لا عند غیرهم؟

ففی البحار (۲)، عن المحاسن بإسناده عن محمد بن مسلم، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: أمّا أنّه لیس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب إلاّ شیء أخذوه منّا أهل البیت، و لا أحد من الناس یقضی بحق و عدل و صواب إلاّ مفتاح ذلک القضاء و بابه و أوّله و سببه علی بن أبی طالب علیه السّلام فإذا اشتبهت علیهم الأمور کان الخطأ من قبلهم إذا أخطأوا، و الصواب من قبل علی بن أبی طالب علیه السّلام.

و فیه (۳)، عن البصائر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّه قال: أبی اللّه أن یجری الأشیاء إلاّ بالأسباب، فجعل لکل سبب شرحا، و جعل لکلّ شرح علما و جعل لکل علم بابا ناطقا عرفه من عرفه، و جهله من جهله، ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و نحن.

و فی حدیث نقله فی البحار فی کتاب الإمامه عن الاحتجاج عن أبی جعفر علیه السّلام

۱- ۱) کمال الدین. . ج ۱، ص ۲۰۳.
۲- ۲) البحار ج ۲، ص ۹۴.
۳- ۳) البحار ج ۲، ص ۹.

و فى آخره: فليذهب الحسن يمينا و شمالا فو اللّه ما يوجد العلم إلّا هاهنا و كان عليه السّلام يقول: محنه الناس علينا عظيمه إن دعوناهم لم يجيبونا، و إن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا. و كيف كان فالنصره للدين بالعموم و النحو الأتمّ الأكمل يكون منهم عليهم السّلام فى جميع مراتب الدين من التوحيد إلى أرش الخدش، فهم فى جميع ذلك القوّام به كما تقدم فى (القوّامون بأمره) و الشيعه و فقهاؤهم لما أخذوا منهم دينهم و كانوا مأمورين بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و إعانه الأئمه و نصرتهم إذا دعوهم، و بتبليغ الأحكام و إرشاد الناس و الجهّال فلا محاله كلّ واحد منهم بحسب ما عنده من العلم و الإيمان يكون لا محاله ناصرا لدين اللّه تعالى. هذا و نحن نرى اجتهاد العلماء و المؤمنين فى نصره الدين بالعلم و التعليم و الكتابه، بل و فى الجهاد ضد الأعداء، و إماته الباطل، و إحياء الحق بما لا مزيد عليه فى بعضهم. بقى شىء و هو: أنّه لا ريب فى أنّ النصره للدين من الأئمه عليه السّلام تكون بالأصاله و بالجعل الإلهى الذى منحهم به، و أما بالنسبه إلى غيرهم فهو نصره بالتبع حيث إنّهم تابعون فى العلم و الأحكام و المعارف لأئمتهم عليه السّلام ففى الحقيقه أنّ النصره العلميه بل و العمليه تكون منهم عليهم السّلام و ما صدر من شيعتهم تكون بلحاظ متابعتهم للأئمه عليهم السّلام و ذلك لأنّ قبول العمل و قبول النصره للدين من أى أحد كان إنّما يصحّ إذا كان مقرّا بفضلهم عليهم السّلام و لولايتهم، و تابعا لأمرهم فى الدين، فلا محاله تكون النصره تبعيه، كذا قيل. و لكن هنا إشكال صعب و حاصله:

أنّه نقل عن الشيخ يس بن صلاح البحرانى أنه روى فى كشكوله قال : كتب رجل إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام يسأله أن يدعو اللّه له أن يجعله ممّن ينتصر به لدينه، فأجاب عليه السّلام: رحمك اللّه، إنّما ينتصر اللّه لدينه بشرّ خلقه. فربّما يقال: إذا كان نصره الدين أمرا مرغوبا فيه،

و لذا ورد فى الدعاء:

و اجعلنى

ممّن تنتصر به لدينك،

فكيف التوفيق بينه و بين هـذا الجواب؟ كيف و قـد علمت أنّ نصـره الـدين من خواص آثار الإمامه، و قد دلّت عليه هذه الجمله من الزياره من

قوله عليه السّلام: و أنصارا لدينه، أى رضيكم أنصارا لدينه، فإذا كان اللّه ينتصر لدينه بشرّ خلقه، فليس هذه الصفه ممّا به المزيه لهم عليهم السّلام لا يشترک فيه غيرهم، بل يشترک معهم شرّ خلق اللّه. و حينئذ قد يقال فى الجواب. أولا: إما أنّ السائل لعلّه لم يكن ممّن يعمل بأصل الشـرع كما هو حقّه، فزعم أنّه إن كان ممّن ينتصـر به الدين فهو إذا من الصالحين فأجابه عليه السّلام: بأنّ مجرّد كون الإنسـان ممّن ينتصـر به الـدين لا يوجب انخراط الإنسان فى سـلک الصالحين، بل لا بـدّ من العمل بمقتضـى الشـرع المبين، و ذلک لأنّه تعالى قـد ينصـر دينه بشـرّ خلقه، أى كونک ممّن ينتصـر به الدين قد تجتمع مع كونک من شـرّ خلق اللّه، و هذا لا يدل على أنّ النصره للدين أمر مرغوب عنه كما لا يخفى. و بعباره أخرى: أنّ نصره الدين على قسمين: ما يكون من كون الناصـر من أهـل السعاده. ما يكون مع كونه شـرّ خلق اللّه، فنصـره الـدين حسن جـدّا مرغوب فيه، إلّا أنّها لا تـدل مطلقا على أنّ الناصر من خيار خلق اللّه. و بعباره أخرى: أنّ نصره الدين ليست من العلامات المختصه، لكون الناصر من أهل السعاده بل اللازم أعم، و عليه

فالدعاء الوارد من نحو:

«اللهمّ اجعلنى ممّن تنتصر به لدينک»

من الـذين هم أهـل السعاده و الإيمـان، فتأمّـل. فـالجواب على مـا زعمه السائل. ثانيا: أنّ السائل لعلّه طلب فى نفسه أعلى مراتب الدين، التى لا تكون إلّا لمحمد و آله الطاهرين، و علم الإمام عليه السّلام ذلک منه فأجابه بأنّ طلب ذلک المقام العالى لا يكون إلّا من أهله بالحق، و من أراد، أو ادّعى ذلک المقام المختص بهم لا يكون إلّا

شرّ خلق اللّه. و الحاصل: لعلّ السائل ادّعى رتبتهم عليهم السّلام فردّه الإمام عليه السّلام بأنّ طلب هذا المقام لا يكون إلّا من شرّ خلق اللّه، و قد نرى فى التاريخ أنّ من كان مدّعيا لمقام الأنبياء و الأولياء و الأئمه كان من شرّ الخلق كما لا يخفى على من يتتبع الآثار. أقول: هذا الجواب خلاف الظاهر العرفى جدّا فإنّ

قوله عليه السّلام: إنّما ينتصر اللّه لدينه بشرّ خلقه، ظاهر فى أنّ طلب أحد أن يكون ممّن ينتصر به للدين أمر مرغوب فيه، و لكن احذر أن تكون من شرّ خلق اللّه الذى ينتصر به الدين، فإنّ الانتصار للدين يعمّ كون الناصر من خيار الخلق أو من شرار الخلق، و إن كان المصداق الأعلى منه المختص بالأئمه عليهم السّلام لا يكون إلّا من الأخيار، و اللّه العلاّم بحقيقه الأحوال، فحينئذ الجواب هو الأوّل كما لا يخفى. و نقول توضيحا للمقام: إنّ نصره الدين هى فى نفسها أمر مرغوب فيه، و من مقامات الأئمه عليهم السّلام و مقامات أولياء اللّه تعالى كالصلاه الحقيقيه التى هى معراج المؤمن و كسائر العبادات، و معلوم أنّ العامل بها و بسائر العبادات قد يكون هو بنفسه ممن قد هذّب نفسه فيمكنه إيجاد العلم مع الإخلاص و الإيمان، فلا محاله يكون عمله مقبولا منه، و هذا بخلاف ما إذا كان ممّن كان متّصفا بصفه النفاق، فإنّه حينئذ إذا أدى العباده أو نصر الدين إنّه حينئذ و إن كان العمل فى نفسه-مع قطع النظر عن العامل-أمرا مرغوبا فيه، إلّا أنّ هذا العمل الصادر عن نفاق لا يكون كمالا للعامل، بل يوجب عقوبه له لما أوجده بدون الإخلاص. فهذا العمل الكذائى لا يدلّ على أنّ العباده و النصره ليست أمرا مرغوبا فيهما، بل يمكن أن تكون من أحسن أنحاء العمل العبادى و القربى، إلّا أنّ هذا الشخص قد أتى به فاسدا، فالمذمّه ترجع إلى العامل لا إلى نقص فى حقيقه العمل و العباده مثلا، فالإمام عليه السّلام أجاب السائل بأنّك تسأل أن يجعلك اللّه ممّن ينتصر به الدين هذا دعاء عام قد يلازم مع الكمال النفسانى و قد يلازم النفاق.

و کیف کان فهذا الحدیث کما تری لا یدلّ علی أنّ النصره للدین فی نفسها لیست أمرا مرغوبا فیها بل کالصلاه مثلا بل هی فی غایه المرغوبیه فیها، فالتحذیر راجع إلی أنّه لا بدّ لک من تهذیب نفسک، و تسأل معه أن ینتصر بک الدین لا مطلقا، فهذا نظیر أن یقال: اللهمّ اجعلنی من المصلّین، فیقال له: یا هذا قد تکون الصلاه من المنافق، فلا تکون الصلاه موجبا للعروج الروحانی بل أسأل اللّه تعالی أن یهدیک و یجعلک من المصلّین بالصلاه الحقیقه التی هی معراج المؤمن. و کیف کان فالأئمه علیهم السّلام هم الأنصار لدین اللّه بجمیع أقسام النصره، و فی جمیع الأحوال سرّا و علنا قولا و عملا، بل علمت أنّه لم یکن نصره للدین من أحد إلّا و هی منهم علیهم السّلام من حیث العلم و التوفیق الإلهی و التنوّر القلبی، فصحّ حینئذ بقول مطلق: أنّهم الأنصار للدین و أنّ نصره من سواهم من آثار نصرتهم له، فالذی منهم هو الأصل و ما فی غیرهم هو فرعه کما لا یخفی. هذا تمام الکلام فی المقام الأوّل،

و أمّا الکلام فی المقام الثانی (أعنی بیان معنی الدین)

فنقول: فی المجمع: و الدین هو وضع إلهی لأولی الألباب یتناول الأصول و الفروع، قال تعالی: (إِنَّ اَلدِّینَ عِنْدَ اَللّهِ اَلْإِسْلاٰمُ) (۱). أقول:

فی تفسیر نور الثقلین عن محمد بن مسلم، عن أبی جعفر علیه السّلام قال:

(إِنَّ اَلدِّینَ عِنْدَ اَللّهِ اَلْإِسْلاٰمُ) قال: یعنی الدین فیه الإیمان و قال: و الدین الطاعه و الجزاء.

و فیه: الدین التوحید و الحکم و الحساب المستقیم. ففی کلّ مورد یراد فیه أحد هذه المعانی بما یناسبه و حینئذ لا ریب فی أنّ الدین هو الشرایع بما لها من الأحکام و الأوامر و النواهی، و المعارف و الأخبار بما کان أو بما یکون و بما جاء به النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم و قد نشر الدین من کلماتهم و بیاناتهم خصوصا من مولانا جعفر بن محمد الصادق علیه السّلام و قد انتشر الدین بهذا المعنی منه علیه السّلام بحیث صار المذهب الجعفری (علیه الصلاه و السلام) .

۱- ۱) آل عمران:۱۹.

هذا و لکن الظاهر من

قوله علیه السّلام: و أنصارا لدینه، أنّ المراد من الدین ما یعمّ المذکور و الواقع للدین فإنّهم علیهم السّلام أنصاره أی یذبّون عنه، و یحفظونه من أن یزاد علیه أو أن ننقص منه. و بعباره أخری: أنّ الدین له ظاهر و هو بیان ظاهر الشرع و قد بیّنوه، و ظهر لکلّ أحد، و له واقع حقیقه و المراد منه واقع التوحید و واقع الولایه، التی علمت أنّها باطن الرساله فهم علیه السّلام بوجودهم یحفظون الحقائق الدینیه بالتأییدات الإلهیه، و ما کان من واقع الدین عن أحد من شیعتهم فهو محفوظ بحفظهم علیهم السّلام له و لذا کانوا أرکانا للتوحید و عناصر الأبرار، بنحو تقدم بیانه. و یدلّ علی ما ذکرنا عدّه من الروایات،

ففی سفینه البحار (۱)عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: (فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً) قال: الولایه. أقول: الولایه قد یراد منها خلافه الأئمه علیهم السّلام لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی الظاهر فهی بهذا المعنی و إن کانت من الدین، و لکن قد مرّت أحادیث و آیات دلّت علی أنّ الولایه، التی هی ولایه اللّه تعمّ هذا و الولایه التکوینیه، و تقدم عن الصادق علیه السّلام فی بیان أنّ الدین معرفه الرجال و توضیحه:

و قال علیه السّلام فیه: فأفضل الدین معرفه الرسل و ولایتهم. . إلی أن قال: ثمّ إنّی أخبرک أنّ الدین و أصل الدین هو رجل، و ذلک الرجل هو الیقین و الإیمان و هو إمام أمّته أو أهل زمانه، فمن عرفه عرف اللّه و دینه، و من أنکره أنکر اللّه و دینه، و من جهله جهل اللّه و دینه، و لا یعرف اللّه و دینه و حدوده و شرایعه بغیر ذلک الإمام فذلک معنی: أنّ معرفه الرجال دین اللّه. . إلی أن قال: إنّ تبارک و تعالی إنّما أحبّ أن یعرف بالرجال، و أن یطاع بطاعتهم، فجعلهم سبیله و وجهه الذی یؤتی منه، لا یقبل اللّه من العباد غیر ذلک، لا یسأل عمّا یفعل و هم یسألون، الحدیث.

۱- ۱) سفینه البحار ج ۱ ص ۴۷۶.

فعلم من هذا الحديث أنّ الدين حقیقته هو الإمام المعبّر عنه بالرجل المعرف بالیقین و الإیمان.

و فی البحار (۱)عن کتاب فضائل علی علیه السّلام أنّه قال لسلمان الفارسی و أبی ذر الغفاری (رضوان اللّه علیهما) : إنّه لا یستکمل أحد الإیمان حتی یعرفنی کنه معرفتی بالنورانیه، فإذا عرفنی بهذه المعرفه فقد امتحن اللّه قلبه للإیمان، و شرح صدره للإسلام، و صار عارفا مستبصرا، و من قصر عن معرفه ذلک فهو شاک مرتاب، یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال علیه السّلام: معرفتی بالنورانیه معرفه اللّه عزّ و جلّ و معرفه اللّه عزّ و جلّ، معرفتی بالنورانیه، و هو الدین الخالص الذی قال اللّه تعالی: (وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِیَعْبُدُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ اَلدِّینَ حُنَفٰاءَ وَ یُقِیمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ یُؤْتُوا اَلزَّکٰاهَ وَ ذٰلِکَ دِینُ اَلْقَیِّمَهِ) .

و عن تفسیر القمّی فی قوله تعالی: (أَنْ أَقِیمُوا اَلدِّینَ) أی إقرار بالولایه

و عن مناقب ابن شهرآشوب، عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: (فَمٰا یُکَذِّبُکَ بَعْدُ بِالدِّینِ) قال: الدین علی علیه السّلام.

و عن الصادق علیه السّلام کما فی مقدمه تفسیر البرهان فی قوله تعالی: (أَقِیمُوا اَلدِّینَ) : أی الإمام علیه السّلام.

و عن البصائر، عن الصادق علیه السّلام قال: نحن أهل دین اللّه.

و عن الباقر علیه السّلام قال فی حدیث له: إنّ أئمه الحق و أتباعهم هم الذین علی دین اللّه، و إنّ أئمه الجور لمعزولون عن دین اللّه الحق، الخبر. أقول: إنّ الظاهر من هذه الأحادیث أنّ الدین فی الحقیقه هو الولایه و صاحب الولایه، فکونهم علیهم السّلام أنصارا لدینه، و أنّه تعالی رضیهم أنصارا لدینه یعمّ جمیع معانی الدین خصوصا بالنسبه إلی الولایه، فإنّهم یحفظونها و یحفظون شیعتهم من أن یزیلوا عن ولایتهم علیهم السّلام و نحن نسأل اللّه تعالی الثبات علی ولایتهم علیهم السّلام فی الدنیا

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۲.

و الآخره.

قوله عليه السّلام: و حفظه لسرّه

أقول: تقدم الكلام فيه فى

قوله عليه السّلام:

و حفظه سرّ اللّه ، إلاّ أنّ التكرار هنا بلحاظ أنّه تعالى رضيهم حفظه لسرّه، فيدلّ على أنّهم عليهم السّلام قد حفظوا سرّ اللّه، و قاموا به كما هو حقّه بحيث رضى اللّه تعالى بكونهم حفظه لسرّه.

قوله عليه السّلام: و خزنه لعلمه

أقول: تقدم الكلام مفصّلا فى كونهم عليهم السّلام خزّان علمه فى شرح الجمله السابقه من الزياره، و التكرار أيضا بلحاظ أنّهم عليهم السّلام فى كونهم خزنه لعلمه بمثابه من الحفظ، و العمل بما يقتضيه كونهم خزنه لعلمه بحيث رضى اللّه تعالى عنهم من حيث كونهم خزنه لعلمه، و تقدم معنى العلم الذى أعطاهم اللّه تعالى و بيان شرحه، إلاّ أنّه ربّما يقال: إنّ الجمله السابقه أعنى

قوله عليهم السّلام:

«و خزّان علم اللّه»

يعمّ جميع العلوم التى أعطاها اللّه تعالى لهم، و هو يعمّ العلم الحادث و التجليّات الإلهيه، التى تكون متجلّيه فى قلوبهم الشريفه فى حال فنائهم عمّا سواه حتى عن أنفسهم الشريفه. و قد دلّت على هذا التجلّى و العلم أخبار بل آيات كثيره تقدم ذكرها فى مطاوى الشرح و فى شرح الجمله السابقه، هذا و لكن هذه الجمله أعنى

قوله عليه السّلام:

«خزنه لعلمه»

يراد منه العلم الحادث المتعلّق بالشريعه من الأحكام و المعارف و الأخلاقيات التى بها تكميل النفوس. و الحاصل: أنّ المراد به العلم المتعلّق بالشرع و التبليغ للأحكام و ما شابهه، و ذلک كلّه لمكان تعلّق الرضا بهذه الجمله. بيانه: أنّ الجمله السابقه و هى كونهم خزّان علم اللّه لا يكون إلاّ بفضله و منحه و عطائه، و هو إعطاء منه تعالى لهم ابتدائى، و لا يحسن تعلّق الرضا به، لأنّه تفضل

ابتدائى و أمره بيده تعالى إن شاء أعطاه لهم و إن شاء أخذه منهم. نعم هو متعلّق لمشيئته تعالى بالأصاله و إن استلزم رضاه أيضا، إلّا أنّه غير منظور فى الكلام، و هذا بخلاف هذه الجمله: أى و رضيكم خزنه لعلمه، و ذلك ظاهر فى أنّه تعالى قد رضيهم خزنه لعلمه الذى منحهم و الذى هو الشرع من الأحكام و المعارف الموجبه للتكميل. فحيث إنّهم عليهم السّلام عملوا بمقتضى الوظيفه فيها فرضى اللّه عنهم فى هذا العلم بلحاظ قيامهم عليهم السّلام فيه بما هو الواجب عليهم فى إقامه الشرع و الدين، و اللّه العالم بمراد أوليائه عليهم السّلام.

قوله عليه السّلام: و مستودعا لحكمته

أقول: تقدم الكلام فى بيان الحكمه فى

قوله عليه السّلام:

و معادن حكمه اللّه

، مفصّلا إلّا أنّ هذه الجمله أشير فيها إلى أمرين: الأوّل: أنّه تعالى رضيهم مستودعين لحكمته بنحو تقدم معناه فى «رضيكم لحكمته خلفاء فى أرضه» نعم يجرى فيه من المعانى ما يناسبه، فحيث إنّهم عليهم السّلام قد قاموا بحق الوديعه الإلهيه أى الحكمه المستودعه عندهم، و عملوا بحقّها فى الخلق، بحيث أظهروها فيما أمرهم تعالى بإظهاره، و أخفوها فيما أمرهم تعالى بإخفائه، فلا محاله قد رضيهم مستودعا لحكمته (صلوات اللّه عليهم أجمعين) . الثانى: أنّه تعالى استودعهم حكمته، إلّا أنه ما الفرق بين كونهم معادن حكمه اللّه و بين كونهم مستودعين لحكمته؟ الاستيداع هو الاستيمان على شىء و ذلك بأن تضع ملكك عند من تثق به، فالشىء المستودع عند أحد و إن كان موردا للاستفاده منه إلّا أنّه كالعاريه فإن رقبته ليس للمستودع (بالفتح) بل هو للمستودع (بالكسر) و فيما نحن فيه يراد من الشىء المستودع عندهم عليهم السّلام المعبّر عنه بالحكمه و العلم و العقل الكامل و المكمّل (بالفتح) المشار إليه

بقوله تعالى فى الحديث القدسى:

«و لا أكملتك إلاّ فيمن أحب» . و منه يعلم الفرق بين الجملتين، فإنّ

قوله عليه السّلام:

معادن حكمه اللّه

، أشير به إلى نفس تحقق الحكمه عندهم عليهم السّلام و عبّر عنهم عليهم السّلام بمعادنها نظرا إلى أنّها لا توجد أصلا و فرعا إلاّ عندهم و منهم كما هو شأن المعدن، و أمّا

قوله عليه السّلام

مستودعا لحكمته ، يشار به إلى أنّ هذه الحكمه أو أنّ كونهم معادن حكمته تعالى ليست ذاتيا لهم، بل هى وديعه عندهم عليهم السّلام و لذا تعلّق بها رضاه تعالى أىّ أنّه تعالى رضيهم مستودعا لحكمته و يدلّ هذا بالالتزام على أنّهم عليهم السّلام قاموا بشأن الوديعه من حفظها و العمل بها كما ينبغى، و يدلّ بالالتزام على عبوديّتهم الحقيقيه عليهم السّلام حيث إنّ هذه الجمله تحكى عن أنّهم عليهم السّلام لما كانوا متّصفين بحقيقه العبوديه و أنّهم قاموا بحقّها، و لم يعارضوا بلحاظ واجديتهم لتلك الحكمه و العلم و المعارف التى كانت عندهم شيئا من أوصاف الربوبيه، بل تعاملوا معها بما يوافق ربوبيته تعالى كما هو حقّها، و ذلك لا يكون إلاّ لكونهم فى كمال العبوديه فرضيهم مستودعين لحكمته. و ممّا ذكر يعلم: أنّ قراءه مستودعا (بالكسر) بدعوى أنّهم عليهم السّلام أودعوا الحكم التى أعطاهم اللّه تعالى عنده تعالى و رضيهم عليهم السّلام كذلك أى رضى اللّه عن أنّهم أودعوا الحكمه عنده تعالى ليس كما ينبغى، و ذلك لما عرفت من أنّ الاستيداع هو الاستيمان، و ذلك يستدعى مالكيه المستودع (بالكسر) لما يستودعه و كون المستودع عاريه عند المستودع عنده و هو فيما نحن فيه بالعكس كما لا يخفى إلاّ بضرب من المجاز و التأويل فى مالكيه المستودع لما يستودعه، بأن يراد من الملك له أعم من الملك الحقيقى أو الاعتبارى و هو تكلّف بلا وجه. مضافا إلى أنّ هذه الجمل المتعاطفه بعضها على بعض قد ذكرت بلحاظ الامتنان، فإنّه تعالى قد منّ عليهم عليهم السّلام بأن رضيهم خلفاء و مستودعا (بالفتح) لحكمته، و لا ريب فى أنّ هذا يناسب القراءه بالفتح لا بالكسر فتأمّل، فإنّه قد يقال: إنّ الامتنان بلحاظ أن رضيهم مستودعين (بالكسر) لحكمته و اللّه العالم.

و قد يراد منها المعرفه التى تقابل الجهل و الشك فإنّها حين ذاك هى العلم أو علم اليقين، و كيف كان المعرفه قد تطلق على ما يقابل الإنكار و يراد منها حينئذ الشهود بالنسبه إلى ما عرفه، نعم فى كل مورد يراد من الشهود ما يناسبه كما حقق فى محلّه. و قد يقال: إنّ المراد منها ضياء المعرفه الثابته فى الفؤاد، أو هى نور نفس الفؤاد، و إن كان بلحاظ تحقق المعرفه فيه، أو هى النور الإلهى المعبّر عنه فى الأخبار بالفراسه و التوسم كما تقدم الكلام فيه مفصّلا، و قد يراد منها مواريث الأنبياء كما سيأتى

فى روايه خثيمه قوله عليه السّلام: و نحن مستودع مواريث الأنبياء. و حاصل الكلام فى الأمرين هو أنّه تعالى رضيهم مستودعا لحكمته، أى اختارهم اختيار محبه، فرضاه تعالى عنهم بذلك إنّما كان لمحبّته تعالى إيّاهم، و قد تقدم أنّهم المحبوبون له تعالى بتمام ملاك المحبوبيه، التى ينبغى أن تكون فى محبوبه تعالى و معنى رضاه تعالى بذلك أنّه يثق بهم عليهم السّلام فى حفظ الحكمه و وضعها موضعها بأنّ يبذلوها لأهلها و لمن يحفظها و يمنعوها عن غير أهلها و من لم يحفظها. و قد يقال: إنّ المراد من الحكمه هو أنفسهم الشريفه، و يؤيّده ما تقدم من تفسير الحكمه فى الأحاديث بمعرفه الإمام عليه السّلام إلّا أنّ هذا خلاف الظاهر من الجمله، حيث إنّ الظاهر منها أنّه تعالى استودعهم حكمته فهم المستودعون (بالفتح) لحكم اللّه تعالى، و أنّه تعالى رضيهم أن يكونوا كذلك. و كيف كان فإنّ أريد من الحكمه أنفسهم الشريفه، فحينئذ يراد من الحكمه مقام الولايه الإلهيه و الروح الأعظم فهى التى استودعها اللّه لهم، و يراد من أنفسهم ما سوى الولايه و الروح التى هى الأعظم فهى التى استودعها اللّه لهم، و يراد من أنفسهم ما سوى الولايه و الروح التى هى أعظم من جبرئيل و ميكائيل من ساير أرواحهم و هياكلهم البشريه فالمستودع (بالفتح) هو الولايه الإلهيه المعبّر عنها بالروح فى قوله تعالى: (وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا) (۱)و قد تقدم مرارا شرحها و المستودع فيه هو نفوسهم البشريه.

۱- ۱) الشورى:۵۲.

فیرجع المعنی إلی أنّه تعالی استودعهم أنفسهم (أی الحکمه) أی الولایه الإلهیه، و الروح الموحی إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلم لیؤدّوها بلحاظ آثارها، و بعض حقیقتها إلی المستحقین، فیعملوا بها، فهم علیهم السّلام یؤدّون الولایه الثابته لهم بکلیتها لبعض شیعتهم علی حسب صلاحیتهم و ظرفیتهم، أو أنّهم علیهم السّلام یؤدّون الولایه لأهلها لیعلموا منها المعارف الإلهیه، و یعملوا بآثارها من التصرفات المولویه التکوینیه کما یری من بعض شیعتهم و أصحابهم الخواص. و کیف کان فهم علیهم السّلام لما حفظوا الحکمه المستودعه عندهم علی نحو إراده المستودع (بالکسر) تبارک و تعالی و وضعوها مواضعها-لما عرفوا علیهم السّلام بالتوسم و التفرّس الثابت لهم-عند من یحفظها فبذلوها لهم مسدّدین و مؤیدین لهم علی حسب ما کتب لهم فی اللوح المحفوظ الثابت عندهم علیهم السّلام. و بعباره أخری: أنّهم علیهم السّلام إذا أدّوا الحکمه إلی شیعتهم المستحقین لها، أعانوهم علی العمل بها و بمقتضاها، و أعانوا علی التبلیغ و الأداء کما لا یخفی. و تقدم أنّهم علیهم السّلام قد أقرّوا بالنسبه إلی بعض أنّه من شیعتهم، و أنکروا بعضا آخر أن یکونوا کذلک، کما یستفاد هذا من الأحادیث التی ذکرت فی بصائر الدرجات فی باب أنّهم یعرفون شیعتهم و أنّ أسماءهم لمکتوبه فی صحیفه عندهم فراجعها، و أیضا من عرفوا أنّه ممّن ینکرها فهم علیهم السّلام أیضا أنکروهم و منعوهم عنها (أی عن الولایه) و أهمّ ما قاموا بحفظ الحکمه و الولایه الإلهیه التی هی حقیقه إمامتهم کما عرفته سابقا هو أنّهم علیهم السّلام حفظوا أنفسهم علی هذه الودیعه الإلهیه من الحکمه و الولایه، و قاموا بخدمتها و المشی علی محض حقیقتها و إن کان صعبا و موجبا لسفک المهج و خوض اللجج، و تحمّل المصائب و المشاق من الأعمال. فإنهم علیهم السّلام لما خوطبوا بخطاب:

خلقتک لأجلی و خلقت الأشیاء لأجلک، التذّوا من هذا الخطاب الإلهی الذی بیّن أنّه تعالی اختصّهم لنفسه، فجعلوا أنفسهم الشریفه فی جمیع الأحوال بحیث یلیق بجنابه تعالی، و بحیث یلیق بأن تکون لأجله

تعالی، فهم فی منتهی القداسه و الطهاره الذاتیه و النفسیه و العملیه فی جمیع الأحوال، فلم تعرض علیهم فی حالاتهم الظاهریه و الباطنیه ما یعارض تلک القداسه و الطهاره من المعاصی بل و ترک الأولی بالفعل أبدا، کما یومئ إلیه ما

فی حدیث المعراج قوله تعالی: «و یعظّمونی حقّ عظمتی» . و الحاصل: أنّه تعالی استودعهم الحکمه و الولایه و دینه و هم علیهم السّلام قاموا بما یستحقه تعالی فی ذلک، و عملوا بمقتضاها و التعبیر عنها بالاستیداع هو للإشاره إلی أنّ هذه الودیعه من عطایاه تعالی لهم علیهم السّلام و من خزائنه تعالی التی أفاضها علیهم علیهم السّلام و أنّ ما أفاضه علیهم لم یخرج من قبضه یده تعالی، بل هو المالک لما ملّکهم و القادر علی ما أقدرهم علیه، بل کلّ ما جعله تعالی عند أحد من خلقه فهو عاریه و ودیعه عند ما یشاء أن یستردّه استردّه، لأنّه تعالی مالکه و مالک التصرف فیه ملکا غیر موقت و لا مشروط بغیر إرادته تعالی، بل لا یتحقق شیء إلاّ بإرادته و إیجاده، و إن صدر فی الخارج بحسب الظاهر عن غیره. کما أشیر إلیه فی قوله تعالی: (وَ اَللّهُ خَلَقَکُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ) (۱)و أنّ ما یعمله العباد فی عین انتسابه إلیهم مخلوق له تعالی کما هو ظاهر الآیه الشریفه، کما یومئ إلی ما ذکرنا ما

عن إثبات الوصیه للمسعودی عن علی علیه السّلام فی خطبه: سبحانک ملأت کلّ شیء، و باینت کل شیء، فأنت لا یفقدک شیء، و أنت الفعّال لما تشاء، تبارکت یا من کلّ مدرک من خلقه، و کلّ محدود من صنعه، الخطبه.

فقوله علیه السّلام: و کلّ محدود من صنعه، یدلّ علی أنّ کلّ فعل و محدود فی الوجود فهو من صنعه تعالی کما لا یخفی.

۱- ۱) الصافات:۹۶.

قوله عليه السّلام: و تراجمه لوحيه

أقول: تراجمه جمع ترجمان و هو المترجم المفسّر للّسان يقال: ترجم فلان كلاما بيّنه و أوضحه، و ترجم كلام غيره عبّر عنه بلغه غير لغه المتكلّم، و اسم الفاعل ترجمان،

و فى الحديث: الإمام يترجم عن اللّه تعالى، يعنى بقوله: السلام عليكم، أى يقول لأهل الجماعه: أمان لكم من عذاب اللّه يوم القيامه، كذا فى المجمع. أقول: المستفاد من موارد استعمال الترجمه هو أنّه يراد منها إيضاح المعنى الخفى و الغائب عن حواس غير المترجم سواء كان ذلك المعنى المذكور بكلام أم لا. و قوله: لوحيه، اللام للتعديه، و قد تقدم أنّ الوحى يطلق على معان: منها: كلّ ما ألقيته إلى غيرك كما عن القاموس، و معلوم أنّ ما يلقى إلى الغير يعم الكلام و غيره كالإشاره و الإلهام و قد فسّر الوحى بهما أيضا، و معلوم أنّ الترجمه للوحى تعمّ جميع أقسامه من الإشارات و الإلهامات فيرجع المعنى إلى أنّهم عليهم السّلام تراجمه لوحيه تعالى بما له من المعانى المتعلّقه بالأنبياء و الرسل، و ما يطلق من الملك أو من اللّه تعالى على الأئمه عليهم السّلام من الحديث حيث تقدم أنّهم عليهم السّلام محدّثون بل تقدم

أنّ المؤمن ملهم ، و كذا يعمّ الموارد التى أطلق الوحى فيها فى الحيوانات و الشياطين و غيرها كما تقدم تفصيله فى شرح قوله عليه السّلام: و مهبط الوحى. و الفرق بين هذه الجمله و ما تقدم هو أنّ السابقه تشير إلى أنّهم عليهم السّلام مهبط و محل للوحى، و هذه تشير إلى أنّهم عليهم السّلام تراجمه وحيه لا غيرهم. و الحاصل: أنّهم عليهم السّلام تراجمه الوحى بجميع معانيه، فهم عليهم السّلام يترجمون أقسام الوحى منه تعالى إلى أنحاء الخلق من الأنبياء و غيرهم، و هم العارفون بحقائق الأمور بتعليمه تعالى إيّاهم، فلا محاله هم التراجمه لوحيه كما هو حقّه لا غيرهم، و تقدم الكلام مفصّلا فى شرح الوحى و أقسامه فى

قوله عليه السّلام:

و مهبط الوحى،

فراجعه. ثمّ إنّه يستفاد من العطف أنّه تعالى إنّما رضى كونهم عليهم السّلام تراجمه لوحيه

ص: ۴۰۲

لا غيرهم، و ذلک لإحاطتهم بحقائق الأمور لمعرفتهم علیهم السّلام بمواقع الترجمه و أنّه کیف یبیّنون أحکامه و معارفه و حقائقه للخلق بحسب الأشخاص و الأوقات و الأزمنه حسب ما تقتضیه المصالح الإلهیه فحیث هم علیهم السّلام عارفون بجمیع هذه الجهات فی مقام الترجمه فرضیهم تراجمه لوحیه لا غیرهم. هذا و نحن نری أنّ غیرهم من مخالفیهم قد فسّروا القرآن و غیره ممّا یحتاج فیه إلی الترجمه و التفسیر بما لا یرضی به العقلاء، لما فیه من الاختلاف و التضاد، و ما یؤدّی إلی ما لا یحسن نسبته إلیه تعالی، کل ذلک لجهلهم بحقائق الأمور و مقاصد الحق، و هذا بخلاف ترجمتهم علیهم السّلام فإنّها خالیه عن أی إشکال و موضحه لحقیقه الأمر، و هذا أدلّ دلیل علی إمامتهم و عصمتهم و علمهم، و منصبهم الإلهی کما حقق فی محلّه. ففیه تعریض أیضا إلی أنّه تعالی إنّما رضیهم تراجمه لوحیه لا غیرهم، فلا بدّ من متابعتهم فی فهم معانی الوحی بأقسامها لا متابعه غیرهم کما لا یخفی، و الحمد للّه.

قوله علیه السّلام: و أرکانا لتوحیده

أرکان هو جمع رکن، و رکن الشیء جانبه، و قیل: هو الجانب الأقوی،

و قوله علیه السّلام:

أرکانا لتوحیده

، و أنّه تعالی رضیهم کذلک یحتاج بیانه إلی بسط فی المقال فنقول و علیه التوکّل: کونهم أرکانا لتوحیده معناه أنّه لا یقبل اللّه تعالی التوحید من أحد إلاّ إذا کان مقرونا باعتقاد ولایتهم، و قد تقدمت أخبار کثیره دلّت علی أنّ مخالفیهم مشرکون و أنّ کلمه التوحید فی القیامه تسلب من غیر شیعتهم، فولایتهم بمنزله الرکن للبیت الذی لا قوام له إلاّ به. و ممّا یدلّ علیه من الأخبار ما

فی البحار (۱)، عن أمالی الصدوق بإسناده عن

۱- ۱) البحار ج ۲۷، ص ۱۶۷.

محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السّلام قال: نزل جبرئيل على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال: يا محمد السلام يقرئك السلام و يقول: خلقت السموات السبع و ما فيهم و الأرضين السبع و من عليهن، و ما خلقت موضعا أعظم من الركن و المقام، و لو أنّ عبدا دعانى هناك منذ خلقت السماوات و الأرضين ثمّ لقينى جاحدا لولايه على لأكبته فى سقر.

و فيه (۱)، عن أبى حمزه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: من خالفكم و إن تعبد و اجتهد منسوب إلى هذه الآيه: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ. عامِلَةٌ ناصِبَةٌ. تَصْلى ناراً حامِيَةً) .

و فيه (۲)، عن أمالى الصدوق، عن سديف قال: حدّثنى محمد بن على الباقر عليه السّلام و ما رأيت محمديا قط يعدله

قال: حدّثنا جابر بن عبد اللّه الأنصارى، قال: خطبنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال: أيّها الناس من أبغضنا أهل البيت بعثه اللّه يوم القيامه يهوديا، قال: قلت: يا رسول اللّه و إن صام و صلّى و زعم أنّه مسلم؟ فقال: و إن صام و صلّى و زعم أنّه مسلم.

و فيه (۳)، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: التاركون ولايه على، المنكرون لفضله المظاهرون أعداءه، خارجون عن الإسلام من مات منهم على ذلك.

و فيه (۴)، عن ثواب الأعمال للصدوق رحمه اللّه عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ عدوّ على عليه السّلام لا يخرج من الدنيا حتى يجرع جرعه من الحميم، و قال: سواء على من خالف هذا الأمر صلّى أو زنا.

۱- ۱) البحار ج ۲۷، ص ۱۶۸.

۲- ۲) البحار ج ۲۷، ص ۲۱۸.

۳- ۳) البحار ج ۲۷، ص ۲۳۵.

۴- ۴) المصدر نفسه.

و فی حدیث آخر: قال الصادق علیه السّلام: إنّ الناصب لنا أهل البیت لا یبالی صام أم صلّی، زنا أم سرق إنّه فی النار إنّه فی النار.

و فیه (۱)، عن محاسن البرقی، عن الحارث بن مغیره النضری قال: سمعت عثمان ابن المغیره یقول: حدّثنی الصادق عن علی علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: من مات بغیر إمام جماعه مات میته جاهلیه. قال الحارث بن مغیره (أقول: أی لعثمان بن المغیره) : فلقیت جعفر بن محمد علیه السّلام فقال: نعم، قلنا (أی قلنا للصادق علیه السّلام: فمات میته جاهلیه؟ قال: میته کفر و ضلال و نفاق. أقول: و الأحادیث بهذه المضامین متضافره جدّا، خارجه عن حدّ الإحصاء، و یدلّ علی هذا أیضا عده من الأحادیث التی روتها الخاصه و العامه.

ففی البحار (۲)، عن مناقب ابن شهرآشوب، عن عده قالوا: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: علی خیر البشر، فمن أبی فقد کفر، و من رضی فقد شکر. و مثله کثیر فی ذلک الباب. و یمکن أن یکون معنی کونهم أرکانا لتوحیده أنّهم لو لم یکونوا لم یتبیّن توحیده تعالی، فهم أرکانه

کما قالوا: بنا وحّد اللّه بنا عرف اللّه بنا عبد اللّه.

ففی بصائر الدرجات (۳)، بإسناده عن عبد الرحمن بن کثیر قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: نحن ولاه أمر اللّه، و خزنه علم اللّه، و عیبه وحی اللّه، و أهل دین اللّه، و علینا نزل کتاب اللّه، و بنا عبد اللّه، و لولانا ما عرف اللّه، و نحن ورثه نبی اللّه و عترته. و مثله غیره. و قد یقال: إنّ معناه أنّ اللّه تعالی جعلهم أرکانا للأرض، لأجل أن یوحده الخلق کما تقدمت أحادیث دلّت علی هذا من

قول الصادق علیه السّلام: جعلهم اللّه أرکان الأرض

۱- ۱) البحار ج ۲۳، ص ۷۷.

۲- ۲) البحار ج ۳۸، ص ۷.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۶۱.

أن تميد بأهلها و حجّته البالغه على من فوق الأرض و من تحت الثرى.

و فى بصائر الدرجات (۱)، عن أبى حمزه، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: و اللّه ما ترك الأرض منذ قبض اللّه آدم إلّا و فيها إمام يهتدى به إلى اللّه، و هو حجه اللّه على عباده، و لا تبقى الأرض بغير إمام حجه اللّه على عباده.

و فيه (۲)، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعه لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله. و قد يقال: إنّ حقيقه التوحيد هو سرّ من أسرار آل محمد (عليه و عليهم السلام) و هو فى نفسه ركن فى الدين، إذ لو أسقط التوحيد لبطلت الشرايع مع ما لها من الأعمال و الصفات و رجعت إلى الشرك، و حينئذ فالتوحيد هو الركن و الجانب الأقوى للدين، و من المعلوم أنّه لا يمكن بلوغ السالكين إلى حقيقه توحيد ربّ العالمين إلّا بمعرفتها، و من المعلوم أنّه لا يمكن المعرفه و التوحيد الحقيقى و الهدايه الحقيقيه إلّا بالوصول إليهم فى عوالمهم، و حيث إنّهم عليهم السّلام هم الواصلون إلى حقيقه التوحيد و سرّه و هم أصله و مظاهره فلا محاله هم أركان التوحيد لا يمكن الوصول إليه إلّا بمتابعتهم و الاتصال بهم علما و عملا و صفه بنحو يوجب الوصول إلى عوالمهم، و هذا أيضا معنى

قولهم عليهم السّلام: بنا عرف اللّه بنا عبد اللّه ، و أنّهم أبواب الإيمان و أنّهم القاده الهداه، كما تقدم بيانه. هذا و الذى ينبغى أن يقال هو: أنّ الكلام فى التوحيد، ثمّ فى كونهم عليهم السّلام أركانا له كثير جدا لا يسعه هذا المقام مضافا إلى قصورى عن دركه، و لكن أذكر فى المقام مجملا من الكلام ممّا منحنى اللّه تعالى من دركه فنقول: التوحيد هو جعل الشىء واحدا (أى الحكم) بوحدانيّته، و هو إمّا علمى: و هو الذى يظهر بالبرهان، و قد تكلّف لبيانه علم الكلام، و إمّا عينى: و هو ما ثبت بالبرهان و وجد فى القلب، و قد

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۸۵.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۸۸.

ادّعاه أهل الذوق من العرفاء الحقّه الذين سلكوا مسلك الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام و هذّبوا نفوسهم عن الرذائل و النقائص بنحو ذكر فى علم السلوك و إما حقّى: و هو ما يختص بذاته المقدسه. و قد تقدم أنّ قوله تعالى: (شَهِدَ اَللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ) (۱)يشير إلى هذا التوحيد المختص به تعالى بحيث لم يشاركه فيه أحد. ثمّ إنّ التوحيد إمّا توحيد الذات أو الصفات أو الأفعال أو العباده، أمّا توحيد الذات فالحقى منه لا يمكن لأحد الوصول إليه، بل هو مختص به تعالى، فهو مساوق للعلم بكنه الذات المقدسه، و قد علمت مرارا أنّه لا يمكن لأحد الوصول إليه كيف و كلّ ما سواه محاط له تعالى و هو محيط به (أَلاٰ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) (۲)و المحاط لا يحيط بالمحيط، و إلاّ لم يكن محاطا كما لا يخفى،

و قال المحقق السبزوارى فى شرح الأسماء ص ۳: و فى الحديث: التوحيد الحق هو اللّٰه و القائم به رسول اللّٰه و الحافظ له نحن و التابع فيه شيعتنا،

قوله عليه السّلام: التوحيد الحق يشير إلى التوحيد الحقى كما قلنا و كما لا يخفى. و أمّا العلمى منه: فله مراتب خمس حسب اختلاف أحوال الموحّدين: الأولى: مرتبه التصوّر و هى إدراك أنّ للعالم مؤثرا، و هذه المرتبه هى التى نفوس الخلائق مجبوله عليها باقتضاء فطرتها التى فطر الناس عليها، و قد تقدّم

قوله عليه السّلام فى تفسير الفطره التى فطر الناس عليها فى قوله تعالى: (فِطْرَتَ اَللّٰهِ اَلَّتِي فَطَرَ اَلنّٰاسَ عَلَيْهٰا) (۳)انّه التوحيد

و قوله صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم: و كلّ مولود يولد على الفطره إلاّ أنّ أبويه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه. الثانيه: مرتبه التصديق و الإذعان لوجوده تعالى الثابت بالبراهين الساطعه و الأدلّه القاطعه قال سبحانه: (أَ فِي اَللّٰهِ شَكٌّ فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ) (۴).

۱- ۱) آل عمران:۱۸.

۲- ۲) فصلت:۵۴.

۳- ۳) الروم:۳۰.

۴- ۴) إبراهيم:۱۰.

الثالثه: مرتبه التوحید و التفرید عن الشرکاء المشار إلیه بقوله: (قُلْ هُوَ اَللّٰهُ أَحَدٌ) (۱)و قوله: (أَنَّمٰا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ) (۲)و قد حقق و بیّن هذا التوحید فی کتب أهل المعرفه و فی علم الکلام أیضا. الرابعه: مرتبه الإخلاص أی جعله خالصا عن النقائص، قال تعالی: (اَللّٰهُ اَلصَّمَدُ) (۳)أی المتعالی عن الکون و الفساد، و قوله تعالی: (لَمْ یَلِدْ وَ لَمْ یُولَدْ) (۴)دالّ علیه أیضا لما فی الولاده من الکون و الفساد، أو جعل العمل خالصا له قال تعالی: (فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِكْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً) (۵). الخامسه: مرتبه نفی الصفات عن الذات الواحد الربوبی تعالی و تقدّس، و هی غایه العرفان و منتهی قوه الإنسان. و أمّا التوحید العینی: فقد علمت أنّه مختص بأهل الذوق، و لا یکاد یصل إلیه إلاّ أهله، و لا یکاد ینخرط فی سلک العباده إذ کلّ ما عبّر عنه فهو علم التوحید، فلا یدرک واقعه إلاّ بالتهذیب و السلوک بنحو ذکره أهله، و لعلّه ستجیء الإشاره إلیه فی طیّ الشرح. و أمّا الکلام فی التوحید الصفاتی و الأفعالی: فهو إمّا علمی فتجری فیه المراتب الخمس بحسبها کما لا یخفی. و إمّا ذوقی: فهو حاصل لأهله کما تقدم. و أمّا الحقی منها: فهو مختص به تعالی کما لا یخفی. فحینئذ نقول: أمّا التوحید بما له من المعانی، فالعلمی منه: لا ریب فی أنّ الأئمه علیهم السّلام هم الأرکان فیه بمعنی أنّ علم التوحید بتمامه و مراتبه لم یبیّنه أحد مثل ما بیّنوه علیهم السّلام فهم فی علم التوحید أرکان له، إذ الجانب الأقوی من علمه متوقف علی

۱- ۱) الأخلاص:۱.

۲- ۲) فصلت:۶.

۳- ۳) الإخلاص:۴.

۴- ۴) الإخلاص:۳.

۵- ۵) الکهف:۱۱۰.

بیانهم علیهم السّلام کما لا یخفی علی أحد، و تقدم فی الشرح ما یدلّ علی ذلک مرارا. و أمّا الحقی: فحیث إنّه مختص به تعالی فلا محاله هو تعالی رکنه. و أمّا العینی: من أقسام التوحید: فهو المقصود منه فی کونهم أرکانا له، و الظاهر من الجمله هو هذا التوحید. فحینئذ نقول: اعلم أنّ الأئمه علیهم السّلام هم الأرکان للتوحید العینی بما له من المعانی من الذاتی و الصفاتی و الأفعالی و العبادی. أمّا الذاتی: و المراد به التوحید الذی هو حق معنی لا اله إلاّ اللّه الذی لا یتحقق إلاّ بشهود خلوص التفرّد بالألوهیه، و هذا التفرّد بالألوهیه هو التوحید الذاتی الذی لا یمکن لأحد الوصول إلیه. و بعباره أخری: إنّ توحید الذات هو شهود تفرّده بالألوهیه، و لا یتحقق هذا الشهود بالتفرّد لأحد إلاّ بهم، فهم لهذه الجهه رکنه و أرکانه. و الوجه فیه: أنّه بعد ما لم یمکن لأحد المعرفه بالکنه، فلا محاله غایه ما یمکن من المعرفه بالذات هو شهود تفرّده بالألوهیه، و هذا التفرّد و الوحده هو التوحید الذی أجراه علی خلقه کما تقدم الحدیث المصرّح به، و هذا الشهود و التفرّد الألوهی لا یمکن لأحد ظهوره بالنحو الأتم الأکمل إلاّ بمحمد و آله الطاهرین فقط، و هو المشار إلیه فی قوله تعالی: (وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ) (1)و قد تقدم شرحه فی شرح حدیث کمیل. و کیف کان فهذا التوحید و التفرّد الألوهی هو إظهار وصفه تعالی فی عبده (أی فی عباده محمد و آله الطاهرین صلّی اللّه علیه و آله) و المراد من وصفه هو إظهار هذا التوحید، و هو المقام الذی عبّر عنه

بقوله علیه السّلام فی الدعاء:

«لا أری إلاّ وجهک، و لا أسمع إلاّ صوتک»

و قد تقدم، و هذا الوصف الربوبی (أی التفرّد) هو الذی لیس کمثله شیء، و هذا الشهود هو المعبّر عنه بمقام العندیه المشار إلیه بقوله تعالی: (إِنَّ اَلَّذِینَ

١- ١) آل عمران:١٨.

عِنْدَ رَبِّکَ)

(۱)

و قـد تقدم شـرحه مفصّـلا، و هذا هو حقيقه التقرب التى تقدم شـرحه أيضا، و هذا هو مقام الفناء عن النفس و عمّا سواه. فالأئمه عليهم السّـلام دائما فى مقام حضور هذا الشـهود حيث إنّهم عليهم السّـلام حين ذاک مجرّدون عن أنفسهم و عن جميع ما سواه، فمشاهـده هـذا التفرّد الـذى ليس کمثله شـىء، و الـذى هـو مرآه للتوحيـد الـذاتى الحقى المختص بکنهه تعـالى يکون لهم عليه السّـلام و هذا التفرّد متحقق و قائم بهم عليه السّـلام و هم مظهره، و هم بهذا اللحاظ حجاب الربّ، و حجاب الذات کما صرّحت به الأحاديث، و هم عليهم السّلام بهذا اللحاظ الآيات المراد بها فى قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى اَلْآفَاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ) (۲)و هم حقيقه التوحيـد و المثـل الأعلى و رکن التوحيـد، فهو تعالى تعرف لکل من سوى الأئمه بهـذه الآيه، و هم عليهم السّـلام العضـد المتقوّم به هـذا التوحيـد. و لهذا کانوا أرکانا له، و حيث جعلهم اللّه تعالى کذلک، فقد رضـيهم أرکانا لتوحيده، ثمّ إنّه إذا جرّد نفسه عن کلّ صـفه و نسـبه و اعتبار حتى عن الإشاره و عن تجريـده بحيث لا يجـد نفسه أيضا، فهـذا العارف الکـذائى قد عرف نفسه و أنّهـا الـذى ليس کمثلهـا شـىء، و أنّهـا آيه التوحيـد، و أنّهـا الآـيه النفسـى التى أراها اللّه تعالى، ثمّ إذا سـبقت له من اللّه الحسـنى و صار مصداقا لقوله: (سَـنُرِيهِمْ آيَاتِنَا) يجد حينئذ فى ذلک العالم و التجرّد أنّ تلک الآيه أو آيات الأنفسى هى آياتهم عليهم السّـلام و هى شـعبه من حقيقتهم، و يجـد حينئـذ أنّهم عليهم السّـلام أرکان لـذلک التوحيد، إذ يجد حينئذ إنّ تلک الآيه قائمه بهم عليهم السّـلام فهم حينئذ أرکان للتوحيد الذاتى الممکن لأحد الوصول إليهم، فهو قائم بهم، و لا يمکن لأحد الوصول إليه إلّا بالوصول إلى معرفتهم. رزقنا اللّه تعالى ذلک بمحمد و آله. و أمّا الصـفاتى منه: فنقول: إنّ صـفاته تعالى إمّا ذاتيه فحينئذ لا يراد منها إلّا

۱- ۱) الأعراف:۲۰۶.

۲- ۲) فصلت:۵۳.

الذات المقدسه، التی تستحق تلک الصفات ذاتا، و لا یکون فی صعق الذات غیر الذات لا واقعا و لا فرضا و لا اعتبارا، إذ لیست فی ذلک الصعق إلاّ الأحدیه الذاتیه، فإن ذکرت صفات الذات المتعدده فإنّما هی بلحاظ مظاهرها الخارجیه المتعدده التی سیجیء بیانها، و إلی هذا التوحید یشیر

قوله علیه السّلام: «و کمال التوحید نفی الصفات عنه» أی أنّ کمال توحیده تنزیه الذات عن کثره الصفات الحادثه المخلوقه و مفاهیمها المتعدده، و قد صرّح فی الحدیث بما ذکرناه.

ففی الکافی: محمد بن أبی عبد اللّه رفعه إلی أبی هاشم الجعفری قال: کنت عند أبی جعفر الثانی فسأله رجل فقال: أخبرنی عن الربّ تبارک و تعالی له أسماء و صفات فی کتابه، و أسمائه و صفاته هی هو؟ فقال أبو جعفر علیه السّلام: إنّ لهذا الکلام وجهین إن کنت تقول: هی هو، أی أنّه ذو عدد و کثره، فتعالی اللّه عن ذلک، و إن کنت تقول: هذه الصفات و الأسماء لم تزل، فإن لم تزل محتمل معنیین. فإن قلت: لم تزل عنده فی علمه و هو مستحقها، فنعم، و إن کنت تقول: لم تزل تصویرها و هجاؤها و تقطیع حروفها، فمعاذ اللّه أن یکون معه شیء غیره، بل کان اللّه و لا خلق، ثمّ خلقها وسیله بینه و بین خلقه یتضرعون بها إلیه و یعبدونه و هی ذکره. و کان اللّه و لا ذکر و المذکور بالذکر هو اللّه القدیم الذی لم یزل، و الأسماء و الصفات مخلوقات، و المعانی و المعنی بها هو اللّه الذی لا یلیق به الاختلاف و لا الائتلاف، و إنّما یختلف و یأتلف المتجزّی فلا یقال: اللّه مؤتلف و لا قلیل و لا کثیر، و لکنه القدیم فی ذاته، لأنّ ما سوی الواحد متجزّئ و اللّه واحد لا متجزّئ، و لا متوهم بالقله و الکثره، و کل متجزئ أو متوهم بالقله و الکثره فهو مخلوق دالّ علی خالق له، فقولک: إنّ اللّه قدیر خبرت أنّه لا یعجزه شیء، فنفیت بالکلمه العجز، و جعلت العجز سواه و کذلک قولک: عالم إنّما نفیت بالکلمه الجهل، و جعلت الجهل لسواه. و إذا أفنی اللّه الأشیاء أفنی الصوره و الهجاء و التقطیع، و لا یزال من لم یزل عالما،

فقال الرجل: فكيف سمّينا ربّنا سميعا؟ فقال: لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، و لم نصفه بالسمع المعقول بالرأس، و لذلك سمّيناه بصيرا، لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك، و لم نصفه ببصر لحظه العين، و كذلك سمّيناه لطيفا لعلمه بالشىء اللطيف مثل البعوضه و أخفى من ذلك. الحديث. فهذا الحديث شرح الفرق بين الأسماء الذاتيه و الأسماء و الصفات المخلوقه، و من تأمّل فى معنى

قوله عليه السّلام: إنّما نفيت بالكلمه الجهل، و مثله يظهر له معنى قولنا: إنّ الصفات كلّها ترجع إلى واحد، و ذلك لأنّ التفسير بالنفى لا يعطى عنوانا للمفسّر بنحو يوجب التعدد كما لا يخفى. و الحاصل: أنّ الذات الأحديه و إن استحقت صفات ذاتيه، إلّا أنّها لا توجب تعددا فى الذات، ففى الذات لا يكون إلّا الوجود البحت الأحدى، و إنّما تعددها بلحاظ مظاهرها الخلقيه. و أمّا الصفات الربوبيه التى خلقها اللّه تعالى، و التى تقدم الكلام فيها مفصّلا فى شرح

قوله عليه السّلام: «إنّ اللّه خلق اسما بالحروف غير مصوّت» الحديث، التى أشير إليها فى قوله تعالى: (وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا) فلا ريب فى أنّها صفات حادثه مخلوقه، و تقدم

عن الرضا عليه السّلام: انّ الاسم هو صفه لمسمّى. فحاصل الكلام: أنّ له تعالى صفات و أسماء مخلوقه تكون مظهرا لذلك الاستحقاق الذاتى لها، و تقدم فى شرح الآيه

قوله عليه السّلام: و اللّه نحن الأسماء الحسنى، و قد تكرر منهم عليهم السّلام مثل

قولهم: نحن قدره اللّه و عينه و أذنه، و جنبه و لسانه، و أمره و حكمه، و حقه و خزّان علمه و قلبه.

ففى بصائر الدرجات، بإسناده عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فأنشأ يقول ابتداء من غير أن يسأل: نحن حجه اللّه، و نحن باب اللّه،

و نحن لسان اللّه، و نحن وجه اللّه، و نحن عين اللّه فى خلقه، و نحن ولاه أمر اللّه فى عباده.

و فيه عن عبد اللّه بن أبى يعفور قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام يا بن أبى يعفور إنّ اللّه تبارك و تعالى واحد متوحّد بالوحدانيه متفرّد بأمره، فخلق خلقا ففردهم بذلك الأمر، فنحن هم يا بن أبى يعفور، فنحن حجج اللّه فى عباده و شهداء فى خلقه و أمناؤه و خزّانه على علمه، و الداعون إلى سبيله و القائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه.

و فيه بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: أنا علم اللّه، و أنا قلب اللّه الواعى، و لسان اللّه الناطق، و عين اللّه الناظر، و أنا جنب اللّه، و أنا يد اللّه.

و فيه عن خثيمه، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: نحن جنب اللّه، و نحن صفوته، و نحن خيرته، و نحن مستودع مواريث الأنبياء، و نحن أمناء اللّه، و نحن حجه اللّه، و نحن أركان الإيمان، و نحن دعائم الإسلام، و نحن من رحمه اللّه على خلقه، و نحن الذين بنا يفتح اللّه و بنا يختم و نحن أئمه الهدى، و نحن مصابيح الدجى، و نحن منار الهدى، و نحن السابقون، و نحن الآخرون، و نحن العلم المرفوع للخلق (لأهل الدنيا، ن) من تمسّك بنا لحق، و من تخلّف عنّا غرق، و نحن قاده الغرّ المحجّلين، و نحن خيره اللّه، و نحن الطريق و صراط اللّه المستقيم إلى اللّه، و نحن من نعمه اللّه على خلقه، و نحن المنهاج، و نحن معدن النبوه، و نحن موضع الرساله، و نحن الذين إلينا مختلف الملائكه، و نحن السراج لمن استضاء بنا، و نحن السبيل لمن اقتدى بنا، و نحن الهداه إلى الجنه، و نحن عزّ الإسلام (و نحن عرى الإسلام، ن) و نحن الجسور و القناطر من مضى عليها (علينا) سبق، و من تخلّف عنها محق، و نحن السنام الأعظم، و نحن الذين بنا نزل الرحمه و بنا تسوقون الغيث، و نحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا و نصرنا و عرف حقنا و أخذ بأمرنا فهو منّا و إلينا. فالمستفاد من هذه الأحاديث عند أهل البصيره: أنّه ليس لهذه الصفات معانى

إلاّ حقائقهم، و تقدم أنّهم معانی اللّه، و علمت أنّ اللّه اسم له تعالی بلحاظ أسمائه الجلالیه و الجمالیه، و معانی اللّه تلک الأسماء، و معانی تلک الأسماء هم علیهم السّلام لقوله علیه السّلام: و اللّه نحن الأسماء الحسنی. هذا و قد حقق فی محلّه لما لا مزید علیه أنّ جمیع الصفات ترجع إلی صفه واحده و هو العلم، فالصفات المتعدده هی مظاهر العلم، ثمّ إنّ توحید الصفات یرجع إلی أنّ تلک الصفات کلّها للّه الواحد القهار، فهو فی الحقیقه المتصف بها، و هی کلّها قائمه به تعالی، فالتوحید الصفاتی هو مشاهده کلّ صفه منه تعالی و أنّها قائمه به و کونهم علیهم السّلام أرکانا له (أی للتوحید الصفاتی) هو أنّ تلک الصفات، لما علمت أنّها ترجع إلی حقیقه واحده، و هی لیست إلاّ حقیقتهم علیهم السّلام فلا محاله هم أرکانها کما لا یخفی. فهم بما هم رکن التوحید الصفاتی قائمون به تعالی، فإدراک التوحید الصفاتی لا محاله لا یکون إلاّ بمعرفه حقیقتهم، التی هی حقیقه الأسماء و الصفات الإلهیه، التی بأجمعها قائمه به تعالی، و أنّه تعالی هو المتصّف بها بنحو یلیق بجلاله و جماله مع حفظ أحدیته و قد حقق فی محلّه، و منه یعلم أن تکثر المتعلّق أوجب تکثر الصفات، و إلاّ فهی بحقیقتها واحده و هی حقیقتهم علیهم السّلام و علمت أنّ توحیدها عباره عن عدم مشارکه غیره تعالی فیها، فالصفات بما لها من الرکن الذی هو حقائقهم قائمه به تعالی، و هو الفاعل بها فی الخلق وحده لا شریک له و دعوی المشارکه شرک. و إلیه یشیر قوله تعالی: (وَ یَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِینَ أَشْرَکُوا أَیْنَ شُرَکاؤُکُمُ اَلَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. ثُمَّ لَمْ تَکُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّ أَنْ قالُوا وَ اَللّهِ رَبِّنا ما کُنّا مُشْرِکِینَ. اُنْظُرْ کَیْفَ کَذَبُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ) (۱). ثمّ إنّ تحقق الشرک فی أحد من الصفات یتحقق إمّا بلحاظ الشرک فی اللّه تعالی فی صفاته، و إمّا بلحاظ الشرک فی الولایه و الإمامه لما علمت من أنّ الصفات

۱- ۱) الأنعام:۲۲-۲۴.

الربوبيه لما كانت حقائقهم، فإنكار ولايتهم، و إنكار فضلهم، و إنكار القول بقولهم هو الشرک فی التوحید الصفاتی من هذه الجهه کما لا یخفی، و إلیه تشیر الأحادیث الدالّه علی کفر المخالفین، لأنّ إنکار الإمامه و فضائلهم یساوق إنکار التوحید الصفاتی، لما علمت من ظهور التوحید الصفاتی فیهم علیهم السّلام. و إلیه یشیر

قول الصادق علیه السّلام: هیهات فات قوم و ماتوا قبل أن یهتدوا، و ظنّوا أنّهم آمنوا و أشرکوا من حیث لا یعلمون. و لهذا الکلام بسط فی المقال مذکور فی محلّه فتأمّل تعرف. فظهر أنّهم علیهم السّلام أرکان التوحید الصفاتی أیضا، و أنّه یحصل منهم و بمعرفتهم کذلک، و أنّه یظهر فیهم علیهم السّلام. و أمّا التوحید الأفعالی فنقول: لا بدّ أوّلا من أحادیث تتعلّق بموضوع الکلام ثمّ شرحه فنقول:

فی توحید الصدوق (1)، بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنّ للّه عزّ و جلّ خلقا من رحمته خلقهم من نوره و رحمته من رحمته لرحمته، فهم عین اللّه الناظره، و أذنه السامعه، و لسانه الناطق فی خلقه بإذنه، و أمناؤه علی ما أنزل من عذر أو نذر أو حجه، فبهم یمحو السیئات، و بهم یدفع الضیم، و بهم ینزل الرحمه، و بهم یحیی میتا، و بهم یمیت حیّا، و بهم یبتلی خلقه، و بهم یقضی فی خلقه قضیته، قلت: جعلت فداک من هؤلاء؟ قال: الأوصیاء.

و فیه (2)، فی حدیث الزندیق الذی أتی أبا عبد اللّه علیه السّلام و ساق الحدیث إلی أن قال: قال السائل: فیعانی الأشیاء بنفسه، قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: هو أجلّ من أن یعانی الأشیاء بالمباشره و المعالجه، و هو تعالی نافذ الإراده و المشیئه فعّال لما یشاء الحدیث.

۱- ۱) توحید الصدوق ص ۱۶۷.

۲- ۲) توحید الصدوق ص ۱۶۷.

و فیه (۱)، بإسناده عن أبی سعید القمّاط قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: خلق اللّه المشیئه قبل الأشیاء، ثمّ خلق الأشیاء بالمشیئه.

و فی تفسیر نور الثقلین عن الخرائج و الجرائح، عن القائم (عج) حدیث طویل فیه یقول لکامل بن إبراهیم المدنی: و جئت تسأل من مقاله المفوّضه، کذبوا، بل قلوبنا أوعیه لمشیئه اللّه عزّ و جلّ، فإذا شاء شئنا و اللّه یقول: (وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ) . أقول: المستفاد من هذه الروایات أنّه تعالی فعّال لما یشاء، و أنّ خلق الأشیاء بالمشیئه، و المراد من خلقها هو فعله تعالی أی إیجاده تعالی لها، فالفعل بالکلّی فی عالم الوجود یکون منه تعالی

کما فی الدعاء أیضا:

یا فاعل کلّ إراده

، و یدل علیه قوله تعالی أیضا: (وَ اَللّٰهُ خَلَقَکُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ) (۲)و لذا قیل: لا مؤثر فی الوجود إلاّ اللّه، و أیضا: أنّه تعالی إنّما یخلق الأشیاء بالمشیئه کما فی حدیث أبی سعید القمّاط، و علمت أیضا: أنّ قلوبهم علیهم السّلام أوعیه لمشیئه اللّه، بمعنی أنّ المشیئه تنزل فی قلوبهم فهی کالإراده

قال علیه السّلام:

إراده الربّ فی مقادیر أموره تهبط إلیکم. . الزیاره،

فتأمّل. و کیف کان المستفاد منها أنّ الفعل کلا منه تعالی، و لکن اللّه تعالی یفعل ما یفعل بهم لما ذکر، و یدلّ علیه أیضا ما فی حدیث محمد بن مسلم من

قوله علیه السّلام: «و بهم یدفع الضیم، و بهم ینزل الرحمه، و بهم یحیی میتا و یمیت حیّا» خصوصا

قوله علیه السّلام: «و بهم یقضی فی خلقه قضیّته» الحدیث، فیظهر منها أنّهم علیهم السّلام أرکان للتوحید الأفعالی حیث إنّ فعله تعالی یکون بهم فی الخلق فهم رکنه، و بهم یتحقق ما یتحقق، فالتوحید الأفعالی بمعنی أنّ الأفعال کلّها منه تعالی و إن استندت ظاهرا إلی الفاعل الخلقی إلاّ أنّ الإیجاد یتحقق رکنه بهم علیهم السّلام. فظهر ممّا ذکر کونهم علیهم السّلام أرکانا للتوحید الأفعالی، و أنّه تعالی رضیهم کذلک،

۱- ۱) توحید الصدوق ص ۳۳۹.

۲- ۲) الصافات:۹۶.

و أنّهم الأعضاد أی المعتمد و المستعان،

ففی الدعاء:

«أعضاد و أشهاد»

و تقدم شرحه فإنّه تعالی جعلهم أعضاد الخلق (أی المعتمد) و هو معنی الرکن،

و تقدم الحدیث عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله: (مٰا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ . . . وَ مٰا کُنْتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّینَ عَضُداً) قال: رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قال: اللهمّ أعمّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبی جهل بن هشام، فأنزل اللّه: (وَ مٰا کُنْتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّینَ عَضُداً) (یعنیهما) فدلّت الآیه بالمفهوم علی أنّه تعالی قد اتخذ المهتدین عضدا للدین، و أشهدهم خلق السماوات و الأرض. و الحاصل: أنّهم عضد ظهور فعله فی الخلق، أی أنّهم المعتمد و المستعان بما هم حقائق أسمائه فی الإیجاد، و مع ذلک قد حفظهم اللّه إذ هو القیوم و هم القیّمون به تعالی فی کونهم أعضادا، و أقدرهم اللّه علی السببیه، فمن عرفهم بهذه المعرفه علم و وجد أن لا مؤثر فی الوجود إلاّ اللّه، و وجد کونهم رکنا فی التأثیر باللّه تعالی، و هم بهذه الجهه صفته تعالی، و هو الواصف نفسه لعباده بهم، فهم حینئذ أرکان التوحید الأفعالی باللّه تعالی، و هو معنی رضیهم أرکانا لتوحیده. و لعلّه إلی هذه المعرفه بهم علیهم السّلام المستلزمه لمعرفه التوحید الأفعالی له تعالی بل و سائر معارفه کما تقدر یشیر

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «نحن الأعراف الذین لا یعرف اللّه إلاّ بسبیل معرفتنا (أی بمعرفتنا)» و تقدم الکلام فیه مفصّلا فی شرح

قوله علیه السّلام:

السلام علی محال معرفه اللّه.

و أمّا التوحید العبادی (أعنی توحید العباده و المعبود بالعباده بحیث لا یشرک فی المعبود و فی عبادته غیره تعالی) إنّما یکون بهم علیه السّلام، ثمّ إنّ حقیقه التوحید العبادی بالمعنی المصدری، و إن کانت تتحقق بالإخلاص للّه تعالی، و بنفی الدواعی النفسانیه کما حقق فی محلّه، إلاّ أنّ المقصود هنا هو بیان أنّ هذا التوحید العبادی الذی یصدر عن إخلاص لا یتحقق مصداقا إلاّ إذا کان بنحو یکون الأئمه علیهم السّلام رکنا له و توضیحه:

أنّ حقيقه التكاليف الإلهيه مشتمله على سرّ العبوديه الذى بتحققه تتحقق العبوديه، التى تليق بجنابه المقدّس، و ذلك السرّ العبودى هو وفق إرادته و أمره تعالى، و به يتحقق اجتناب نهيه و كراهته، فالعبوديه الحقيقيه، التى هى العباده الخاليه عن أى نهى و كراهه منه تعالى إنّما تتحقق مشتمله على ذلك السرّ و ذلك السرّ لا يتحقق كما هو حقّه، و كما هو مراده تعالى إلاّ منهم و بهم عليهم السّلام و بهم تتحقق حقيقه الامتثال له تعالى و هم ركنه و أصله، فالأعمال العباديه المشتمله على هذا الركن و الأصل مصداق حقيقى للامتثال للأمر الإلهى. و هذا يقرب بوجوه: الأوّل: أنّهم عليهم السّلام ركن لهذا التوحيد العبادى، و ذلك لأنّه سبحانه لما لم تحط به العباد، و لم تدرك كنهه، و لا تعلم العباد أيضا ما يريد اللّه تعالى منهم من الإطاعه و الانقياد التى تليق بجنابه المقدس، و أيضا لم يهملهم فى طريق العباده، بل حثّهم عليها و جعلها غايه خلقهم فقال: (وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ) (١)فلا محاله تقتضى الحكمه الإلهيه و اللطف الإلهى أن يهديهم و يرشدهم إلى طريق عبادته، التى تليق بجنابه فهداهم و أرشدهم بقوله تعالى: (وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا وَ ذَرُوا اَلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمٰائِهِ) (٢). فبين تعالى لهم أنّ له الأسماء الحسنى و أمرهم أن يدعوه بها. و الحاصل: أنّه لما لم يكن أن يدعى بذاته المقدسه لعدم إمكان ذلك لهم، تعيّن أن يدعى بالأسماء الحسنى، فانحصرت العباده التى هى فعل ما يرضى به الربّ، و العبوديه التى هى رضا الرب، و رضى ما يفعل فى مقام العباده فيهم و بهم، و لتوضيح هذا نذكر أوّلا أخبار الباب، ثمّ نعقّبه بما يوضح به المقصود، فنقول و على اللّه التوكّل:

ص:۴۱۸

١- ١) الذاريات:۵۶.

٢- ٢) الأعراف:١٨٠.

ففی الکافی بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عزّ و جل: (وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا) ، قال: نحن و اللّه الأسماء الحسنی التی لا یقبل اللّه من العباد إلاّ بمعرفتنا.

و فی المحکی عن البرسی رحمه اللّه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبه له قال: أنّا الأسماء الحسنی، التی أمر اللّه عزّ و جلّ أن یدعی بها، الخطبه.

و فی تفسیر البرهان (۱)، قوله:

(وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا) علی بن إبراهیم قال: قال: الرحمن الرحیم.

و فی توحید الصدوق (۲)و بهذا الإسناد عن محمد بن سنان قال: سألته (أی عن الرضا علیه السّلام عن الاسم ما هو؟ قال: صفه لموصوف.

و فیه (۳)، بإسناده عن علی بن الحسن بن علی بن فضّال، عن أبیه قال: سألت الرضا علی بن موسی علیه السّلام عن بسم اللّه، قال: معنی قول القائل: بسم اللّه أی اسم علی نفسی سمه من سمات اللّه عزّ و جلّ و هی العباده، قال: فقلت: ما السمه؟ فقال: العلاّمه.

و فی المحکی عن خطبه لأمیر المؤمنین علیه السّلام. . إلی أن قال: الذی کنّا بکینونیته قبل خلق الخلق.

و فی المحکی عن الصادق علیه السّلام فی حدیث. . إلی أن قال: و هو المکوّن و نحن المکان، و هو المشیء و نحن الشیء، و هو الخلق و نحن المخلوقون، و هو الربّ و نحن المربوبون، و هو المعنی و نحن أسماؤه، و هو المحتجب و نحن حجبه. الحدیث. فنقول: الاسم، إمّا لفظی: و هو ما دلّ بالوضع علی معنی عینی کزید، أو وصفی کقائم، و إمّا معنوی: و هو ما کان صفه لموصوف، فکما أنّ الاسم اللفظی یدلّ علی

۱- ۱) تفسیر البرهان ج ۲، ص ۵۲.

۲- ۲) توحید الصدوق ص ۱۹۲.

۳- ۳) توحید الصدوق ص ۲۲۹.

المعنی، و یکون علامه علیه، کذلک الاسم المعنوی یدل علی معنی، و یکون علامه له، و بهذه الحیثیه یشارک الاسم اللفظی فی الدلاله و العلامیه. نعم إنّ اللفظ یدل علی المعنی الموضوع له، و المعنوی یدلّ علی المتصف بذلک المعنی، و حیث علمت أنّه تعالی لا سبیل إلی العلم بکنه ذاته، و لا یمکن التوجه إلیه توجها عبادیا، إلّا بنحو هو تعالی جعله طریقا، و هو تلک الأسماء الحسنی، فلا محاله فی مقام العباده أنّ تلک الأسماء الحسنی (أی الأسماء المعنویه منها لا اللفظیه) هی التی بها یعبد ذاته المقدسه، و هی حقائق لا بدّ من الاتصاف بها حین العباده، و من المعلوم أنّ تلک الأسماء المعنویه لیست إلّا ذواتهم المقدسه. و الحاصل: أنّه قد تقدم أنّه تعالی إنّما ظهر فی الخلق بالأسماء المعنویه، التی هی صفاته تعالی و معرّفه کما علمت ذلک من

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام ما قرب بهذا اللفظ: إنّ اللّه تعالی تجلّی لعباده فی کلامه من غیر أن یروه، أی عرّف نفسه بتجلیه الکلام المراد به معانیه، و هی الأسماء المعنویه من غیر أن یروه بعین الرأس، فهو تعالی متجلّی بالأسماء، و لا طریق یوصل سالکه إلیه تعالی إلّا تلک الأسماء المعنویه، و اللّه تعالی یری الخلق و یربّیهم من طریق تلک الأسماء، و لذا ورد منه تعالی فی بیان حال أولئک المقرّبین من

قوله تعالی: «لا یرون غیری و لا أری غیرهم» . فمعنی قوله تعالی: «لا یرون غیری» أی أنّهم فانون عن أنفسهم لا یتوجهون إلّا إلیه تعالی، و معنی قوله: «لا أری غیرهم» أی لا أری خلقی و لا أربّیهم إلّا من طریقهم، و لذا نری فی القرآن أنّه تعالی جعل نبیّه مخاطبا (بالفتح) فی جمیع الأمور حتی إذا أراد أن یخاطب فی الواقع غیره صلّی اللّه علیه و آله و سلم یخاطبهم من طریق خطابه لنبیه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فیقول: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) (1)و ستأتی الإشاره إلیه. و کیف کان فاللّه تعالی ظاهر بأسمائه الحسنی المعنویه فی خلقه، کما تدل علی هذا الأحادیث الوارده فی بیان الأسماء الحسنی أیضا، فحینئذ لا بد فی مقام التوجه إلیه

۱- ۱) الزمر:۶۵.

تعالى من أن يتوجه العابد من الطريق المعدّ له (أى الأسماء الحسنى) و هى ذواتهم المقدسه،

ففى الدعاء:

«أين وجه اللّه الذى إليه يتوجه الأولياء»

و وردت أحاديث كثيره فى قوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ) (۱)من أنّهم وجهه الذى لا يهلك، فراجع. فظهر أنّ السرّ فى هذا هو أنّه تعالى ظاهر بهم عليه السّلام بما هم أسمائه الحسنى، و تقدم شرح

قوله عليه السّلام:

فبهم ملأت سماءك و أرضك حتى ظهر أنّ لا إله إلاّ أنت.

و بعباره أخرى: أنّ التسبيح و التقديس، و التحميد و التكبير و التهليل، و الخضوع و الخشوع، و الركوع و السجود، و جميع الطاعات و أنواع العبادات، و كذلك العبوديه التى تتحقق بالصفات الحسنه مثل العفه و الأمانه، و الرضا و التسليم، و الصبر و اليقين و الإيمان و ما شابهها كلّ ذلك أسماء معنويه، تكون تلك المعانى حقيقتها ذواتهم المقدسه، و ذلك لما تقدم من أنّ حقيقه التسبيح و التقديس و التحميد إلى آخر ما ذكر إنّما تحققت فى عالم الوجود، و فى بدء الوجود، و فى بقاء الوجود، و نهايه الوجود بهم و منهم عليه السّلام بنحو تعلّقت الملائكه فى مقام قربهم و تجرّدهم منهم عليهم السّلام. و الحاصل: أنّ واقع الإيمان و الرضا و اليقين و الصبر و ساير ما ذكر إنّما هى بحقائقها قائمه بهم بل هى هم عليهم السّلام و كذلك الركوع و السجود بما هما نوعان من الخضوع و الخشوع الخاص فى مقام العباده لا تكون متحققه إلاّ بهم، و تقدم سابقا بيان كونهم حقيقه الصلاه و الصوم. . و إلخ فراجعه، و هذه هى تلك الأسماء الحسنى، التى خلقها اللّه تعالى لنفسه أى لأن يدعى بها، و خلق سائر الخلق لها. أى للعباده بها، و هى أمثاله العليا و النعم التى لا تحصى، و هى التى اختصها لنفسه و جعلها طريقا إلى عبادته أى طريقا إلى أنّه كيف ينبغى أن يعبد.

۱- ۱) القصص:۸۸.

و علمت من

قول الرضا عليه السّلام: أنّ هذه الأسماء صفه لموصوف، أى أنّ هذه الصفات الحسنى صفات له تعالى (أى دالّه عليه تعالى) بأنّه تعالى موصوف بهذه الصفات، و أنّ العبد لا بدّ من أن يتسم بها فى مقام العباده، لما علمت من أنّ الاسم الذى هو الصفه يكون علامه للموصوف، و لا يكون العبد بوجوده علامه له تعالى، إلاّ إذا اتصف بتلك الصفات، فحين الاتصاف بها و هو حين عبادته له تعالى بها يكون بوجوده هكذا (علامه له تعالى) و هو معنى

قوله عليه السّلام: أى اسم على نفسى سمه من سمات اللّه و هى العباده، أى تحقق بهذه السمه عنوان العباده التى هى العلامه له تعالى. و لذا

قال عليه السّلام بعد قوله: ما السمه؟ فقال: العلامه، أى أنّ العبد حينئذ يكون علامه له تعالى بحيث يظهر بعبادته معبوديته و عظمته و جلاله، و أنّه ملك سبوح قدوس إلى آخر ما ذكر، و حيث إنّ الصفه قائمه و متحققه بالموصوف، و إن كانت غيره ذاتا، فلا محاله إذا تحققت هذه فى عبد فى مقام العباده لا يكون إلاّ بنحو تكون صفه له تعالى و قائمه به تعالى، و هى لا تكون كذلك إلاّ بالإخلاص و الفناء عن النفس و الذهول عمّا سواه تعالى. ففى هذه الحالات يكون العبد-بما هو-واجدا لتلك الصفات علامه له تعالى لا بغيره من النفس و دواعيها، فأىّ عبد كان فى مقام العباده كذلك كانت عبادته كامله، و مهما نقص من تلك الأمور شيء منها نقصت العباده، فربّما نقصت إلى أنّ لا تكون لعباده عبد حقيقه أبدا و هو عباده المرائى كما لا يخفى. و من المعلوم أنّ العباده الكامله بحيث لا يشدّ عنها شيء من تلك الصفات الحسنى، التى يكون قوّام العباده بها لا تصدر إلاّ عنهم عليهم السّلام كما هو المراءى عنهم عليهم السّلام و قد أخبر اللّه تعالى عن أنّ عبادتهم عليهم السّلام كذلك و انّها كامله بقوله: (عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ) (1)و قوله تعالى: (إِنَّ اَلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ

۱- ۱) الأنبياء:۲۶.

وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ)

(۱)

و قد تقدم شرحهما مفصّلا.

و قد ذكر صاحب بحر المعارف عنهم عليهم السّلام أنّهم قالوا: ما عبد اللّه إلاّ نحن، و أمّا سائر الناس فعبادتهم صوره العباده، فراجعه. فمن كان فى مقام العباده و العبوديه متصفا بصفاتهم و حقائقهم، كانت عبادته مقبوله بهم، بل فى الحقيقه إنّ تحقق تلك الصفات فى عبد إنّما هى منهم، و تلك الصفات مترشّحه منهم فيه، فهم عليهم السّلام حينئذ ينوّرون قلوب شيعتهم بمنحهم تلك الصفات لهم أى بإشراقهم عليهم السّلام فى قلوبهم، فالعباد فى الحقيقه شعب من شعبهم الذاتيه، التى هى تلك الصفات و الأسماء الحسنى. رزقنا اللّه تعالى فهم هذه المعانى، و منحنا تلك الصفات بفضله و كرمه. خذه و اغتنم و اسأل اللّه زياده بصيره فى هذا. و ليعلم أن كونهم عليهم السّلام أركانا للتوحيد العبادى لا يرجع إلى أنّهم المعبودون للخلق، بل معناه أنّهم عليهم السّلام حيث كانوا أسماءه الحسنى، التى أمر اللّه تعالى أن يدعوه بها فهم عليهم السّلام حينئذ طريق لعباده الربّ، فالمعبود هو تعالى من طريق أسمائه التى هى ذواتهم المقدسه. و علمت أنّهم عليهم السّلام فانون فيه تعالى أى أنّهم فانون عن أنفسهم، فالتوجه بهم حال كونهم فانين إليه تعالى توجه إليه تعالى. و كيف كان فحقيقتهم عليهم السّلام تلك الصفات و الأسماء الحسنى، التى تكون بوجودها علامه له تعالى، و هم عليهم السّلام متصفون بها من أوّل وجودهم عليهم السّلام و قد دلّ على هذا

قوله عليه السّلام: كنّا بكينونيته قبل خلق الخلق، أى كان كوننا بكينونيته و هو المفسّر فى

قول الصادق عليه السّلام: هو المكوّن و نحن المكان، إلى قوله: و هو المعنى و نحن أسماؤه، و هو المحتجب و نحن حجبه. و من المعلوم أنّ الموصوف لا يعلم بأنّه يستحق صفات، إلاّ إذا ظهرت منه صفات فيما سواه تدلّ على أنّ ذاته تستحق تلك الصفات، فهو تعالى أظهر تلك

۱- ۱) الأعراف:۲۰۶.

الصفات أی خلقها لنفسه، أی لیظهر بها فی الخلق، و أنّهم یعبدونه من طریقها، و الموصوف بکنه ذاته محتجب بهذه الصفات، و هذه الصفات حجبه، فکما أنّ المحتجب بشیء لا طریق إلی معرفته إلاّ من ذلک الحجاب، فکذلک لا طریق إلی معرفته تعالی إلاّ من طریقهم علیهم السّلام بما هم أسماؤه تعالی،

و لذا قالوا: بنا عرف اللّه، بنا عبد اللّه، لولانا ما عرف اللّه، لولانا ما عبد اللّه، فاللّه تعالی عبد و عرف بهم. و بعباره أخری: قد علمت انّه تعالی إنّما خلق الخلق، لکی یعرف و یعبد لقوله تعالی: (وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِیَعْبُدُونِ)

و قول الحسین علیه السّلام: «إنّ اللّه ما خلق الخلق إلاّ لیعرفوه فإذا عرفوه عبدوه»

و للحدیث القدسی المشهور: «کنت کنزا مخفیا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لکی أعرف» و قد علمت فیما تقدم أنّ المعرفه بشیء عباره عن تمیّزه عمّا سواه، ففی المقام لا یعرف اللّه بنحو یمیّز عمّا سواه، إلاّ بما وصف نفسه لخلقه بنفس ذلک الخلق و تلک المعرفه، هکذا تحققت فی أوّل الوجود بخلق محمد و آله الطاهرین حال کونهم أنوارا و هم علیهم السّلام فی ذلک المقام صفاته تعالی، التی بها عرّف نفسه لهم علیهم السّلام فهو تعالی عرّف نفسه لهم بهم علیهم السّلام أی بما هم صفاته و أسماؤه الحسنی. ثمّ إنّ المستفاد من قوله تعالی: (إلاّ لیعبدوه) ، و قوله: إلاّ لیعرفوه، و قوله تعالی: (فأحببت أن أُعرف) : أنّ أوّل المخلوق لا بدّ من أن یکون هو العارف به تعالی، ضروره أنّ الباعث إلی الإیجاد لما کان هو المعرفه وجب أن تکون المعرفه سابقه علی ما سواها، و هی تقتضی وجود العارف أوّلا، و لا یجوز لهذا الاستظهار وجود خلق سابق غیر عارف، بل لا بدّ من تحقق المعرفه و العارف أوّلا و هو الخلق الأوّل کذلک و لذا

قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم: أوّل ما خلق نوری. فالنوریه عباره عن معرفته تعالی، و باعتبار اضافته إلی نفسه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عباره عن العارف به تعالی بنوره و هو نفسه الشریفه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و حیث إنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و الأئمه علیهم السّلام أوّل صادر، فلا محاله هم أشرف المخلوقات، للتقدّم و للواجدیه لملاک الشرافه، و هی

کونه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و کونهم علیهم السّلام صفاته و أسماءه الحسنی بنحو الأتم و الأکمل، فهم علیهم السّلام فی تلک الحقیقه الاسمیه الحسنائیه معرفه له تعالی، فهم حینئذ صفاته و معارفه تعالی لا غیرهم، و هم بتلک الصفات علامات له تعالی و أدلّاء علیه تعالی نحو دلاله الاسم اللفظی علی المعنی الموضوع له کما علمت و لا یمکن ابتداء و لا بقاء إطلاق الاسم اللفظی علیه تعالی، لأنّه لا یجوز أن یقع علی اللّه شیء لا لفظ و لا معنی من الخلق. أمّا الأوّل: فظاهر لأنّ الاسم اللفظی تتوقف دلالته علی معناه، علی تصوّر المعنی أوّلا، ثمّ وضع اللفظ له، و هذا بالنسبه إلیه تعالی محال، لعدم إمکان تصوّر الخلق معناه تعالی إلاّ بنحو هو بیّنه. و أمّا الثانی: فلأجل انّ المعانی التی یراد إطلاقها علیه تعالی، لا طریق إلی الوصول إلیها و المعرفه بها بنحو یلیق بأن یطلق علی جنابه المقدّس، إلاّ إذا بیّنه اللّه تعالی من قبل نفسه، کما علمت من قوله تعالی: (وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا) (1)حیث علمت أنّها فی مقام بیان کیفیه أن یدعی بشیء. و بعباره أخری: أنّ الأسماء المعنویه إنّما أطلقت علیه تعالی لکونها متضمنه لآثار صفاته، فیستدلّ بها حینئذ علیه تعالی، و لأنّه تعالی هو الذی بیّنه لا غیره، فبهذه الجهه أطلق الاسم المعنوی علیه تعالی. و أمّا ما یتراءی من إطلاق الأسماء اللفظیه علیه تعالی، فإنّما هی بلحاظ أنّ إطلاقها علیه من جهه دلالتها أولا علی المعانی و الصفات و الأسماء المعنویه، ثمّ منها یستدلّ علیه تعالی. و بعباره أخری: أنّ اللفظ یدلّ علی المعنی، و هو متضمن لآثار صفاته تعالی، فتدلّ علیه تعالی و تعرفه بنحو تقدم ذکره، فمنه یعلم أنّ الأسماء اللفظیه دلالتها سعه و ضیقا و شرافه یتبع الأسماء المعنویه، و ذلک أیضا بوضع الشارع إذ هو العالم بکیفیه تلک الدلاله، و مقایستها مع المعانی و الأسماء المعنویه، و لذا قیل: إنّ أسماء اللّه توقیفیه، و من هذا یعلم أنّ الأسماء اللفظیه لا تکون أجمع له تعالی بلحاظ شموله لجمیع

۱- ۱) الأعراف:۱۸۰.

الصفات، إلاّ بلحاظ أجمعيه مدلولها من الأسماء المعنويه كلفظ اللّه تعالى، إذ هى التى تكون واسعه قد وسعت كلّ آثار الصفات الإلهيه من الكمال المطلق و الغناء المطلق، و القدس و العزّه و الوحده الذاتيه بما له لذاته. و لا تكون هذه إلاّ جمعيه إلاّ فى الأسماء الحسنى المعنويه، التى اختارها اللّه تعالى لنفسه فهى (أى تلك الأسماء الحسنى) بما تضمنت من الدلاله الذاتيه تدلّ بنفسها على المعانى القدسيه، التى يليق بجنابه تعالى، و هى بكمالها و تمامها تكون ذواتهم المقدسه (أى ذوات محمد و آله الطاهرين) و لما كانوا عليهم السّلام هم الأسماء الحسنى كما مرّ

من قول جابر: و أمّا المعانى فنحن معانيه، أى معانى اللّه بلحاظ الصفات، فلا محاله هم عليهم السّلام ذوات و معان لتلك الأسماء الحسنى اللفظيه. فالأسماء الحسنى ظاهرها ألفاظ و باطنها معان و هى أى (المعانى) أسماء معنويه له تعالى، فالأسماء اللفظيه أسماء الأسماء المعنويه له تعالى، و هو تعالى لا يعرف و لا يعبد إلاّ بأسمائه، فتوحّد تعالى بهم فى عبادته أى من أراد أن يوحّده توحيدا عباديا لا يكون إلاّ بتلك الأسماء المعنويه و هى ذواتهم المقدسه، فهم حينئذ أركان توحيده العبادى و أنّه تعالى رضيهم كذلك، إذ لا يفقدهم اللّه تعالى منذ عبد فى الخلق بهم، و هو معنى الركنيه فى العباده. و بعباره أخرى: أنّه تعالى جعلهم بحيث مهما عبد من أحد عبد بهم عليهم السّلام لأنّهم أسماؤه، و لم يجعل طريقا آخر غيرهم لعبادته فهم أركانه حينئذ، و علمت أنّ هذه الأسماء فانيه فيه تعالى و عن نفسها، فالتوجه بها إليه تعالى توجه به تعالى كما يومئ إليه

قوله فى الزياره:

«و من قصده توجه بكم»

و قوله:

«و من أحبّكم فقد أحبّ اللّه»

. فهذه الصفات التى هى حقائقهم كالمرآه للذات المقدس الربوبى، و هو تعالى ظاهر بهم، فكما أنّ الناظر فيها يرى العكس فيها بسببها فى حال فناء المرآه فالمرءى فيها هو العكس دون المرآه، و إن كان النظر بواسطتها كما لا يخفى. و من هنا يظهر سرّ ما فى الأحاديث الدالّه على شرك منكر الولايه

للأئمه علیهم السّلام فمن دعا غیرهم بالولایه و نزّل غیرهم بمنزلتهم فقد أشرک باللّه فی عبادته.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن أصول الکافی: عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: (وَ لَقَدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ وَ إِلَی اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ. .) یعنی أشرکت فی الولایه غیره (بَلِ اَللّٰهَ فَاعْبُدْ وَ کُنْ مِنَ اَلشّٰاکِرِینَ) یعنی بل اللّه فاعبد بالطاعه و کن من الشاکرین أن عضدتک بأخیک و ابن عمّک. و فیه (۲)، فی تفسیر علی بن إبراهیم: ثمّ خاطب اللّه عزّ و جلّ نبیّه فقال: (وَ لَقَدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ وَ إِلَی اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَ لَتَکُونَنَّ مِنَ اَلْخٰاسِرِینَ) فهذه مخاطبه للنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم و المعنی لأمّته و هو ما قاله

الصادق علیه السّلام: إنّ اللّه عزّ و جلّ بعث نبیّه بإیّاک أعنی و اسمعی یا جاره، و الدلیل علی ذلک قوله عزّ و جلّ: (بَلِ اَللّٰهَ فَاعْبُدْ وَ کُنْ مِنَ اَلشّٰاکِرِینَ) و قد علم اللّه أنّ نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یعبده و یشکره، و لکن استعبد نبیّه بالدعاء إلیه تأدیبا لأمّته. و هکذا غیره من الأحادیث الدالّه علی أنّ منکر الولایه مشرک، فالخطاب و إن کان للنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلّا أنّه لأمّته، لأنّه بمنزله ایّاک أعنی و اسمعنی یا جاره کما قال الصادق علیه السّلام و الوجه فیه أنّ حقیقه الولایه التی هی ولایه اللّه، و الولایه هی تلک الأسماء الحسنی، التی هی حقائقهم، و هی مظاهر له تعالی، و ما به معرفته تعالی، و التی أمر الناس أن یدعی بها و یعبد بها، فالإعراض عنها و الإشراک بها إعراض عن عبادته أو شرک فیها کما لا یخفی. فظهر من جمیع ما ذکر أنّه تعالی رضیهم أرکانا لتوحیده الذاتی و الصفاتی و العبادی. فصلوات اللّه علیهم أجمعین إلی یوم الدین، و رزقنا اللّه معرفتهم بمحمد و آله الطاهرین.

ص: ۴۲۷

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۴، ص ۴۹۷.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۴، ص ۴۹۸.

[۲۲]قوله علیه السّلام: و شهداء علی خلقه

أقول: قد دلّت أحادیث کثیره علی کونهم علیهم السّلام شهداء علی الخلق بألسنه مختلفه.

ففی الکافی (۱)، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: (وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ) قال: النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم و أمیر المؤمنین علیه السّلام.

و فیه (۲)، عن سماعه قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عزّ و جلّ: (فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِیداً) قال: نزلت فی أمّه محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم خاصه فی کلّ قرن منهم إمام منّا شاهد علیهم و محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم شاهد علینا.

و فیه عن برید العجلی قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: (وَ کَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّهً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النّاسِ) قال: نحن الأمّه الوسطی، و نحن شهداء اللّه علی خلقه و حججه فی أرضه، قلت: قول اللّه عزّ و جلّ: (مِلَّهِ إِبْراهِیمَ) ؟ قال: إیّانا عنی خاصه، هو سماکم المسلمین من قبل فی الکتب التی مضت و فی هذا القرآن، لیکون الرسول علیکم شهیدا فرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم الشهید علینا بما بلغنا عن اللّه عزّ و جلّ، و نحن الشهداء علی الناس، فمن صدق صدّقناه یوم القیامه، و من کذب کذّبناه یوم القیامه.

و فیه عن أحمد بن عمر الحلال قال: سألت أبا الحسن علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ (أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ وَ یَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) فقال: أمیر المؤمنین علیه السّلام الشاهد علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی بیّنه من ربّه.

و فیه (۳)، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: إنّ اللّه تبارک و تعالی طهّرنا و عصمنا، و جعلنا شهداء علی خلقه، و حجّته فی أرضه، و جعلنا مع القرآن، و جعل القرآن معنا

۱- ۱) الکافی ج ۱، ص ۴۳۵.

۲- ۲) الکافی ج ۱، ص ۱۹۰.

۳- ۳) الکافی ج ۱، ص ۱۹۱.

لا نفارقه و لا يفارقنا.

و فی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه تبارک و تعالی: (وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰاکُمْ أُمَّهً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَی اَلنّٰاسِ) قال: نحن الشهداء علی الناس بما عندهم من الحلال و الحرام و ما منعوا منه.

و فی تفسیر نور الثقلین (۲)، عن تفسیر العیاشی، و عن أبی عمرو الزبیری، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال اللّه: (وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰاکُمْ أُمَّهً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَی اَلنّٰاسِ وَ یَکُونَ اَلرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیداً) فإن ظننت أنّ اللّه عنی بهذه الآیه جمیع أهل القبله من الموحّدین أ فتری أنّ من لا تجوز شهادته فی الدنیا علی صاع من تمر، یطلب اللّه شهادته یوم القیامه، و تقبّلها منه بحضره جمیع الأمم الماضیه؟ کلاّ لم یعن اللّه من هذا من خلقه. یعنی الأمّه التی وجبت لها دعوه إبراهیم: (کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ) ، و هم الأمّه الوسط و هم خیر أمّه أخرجت للناس. و مثله غیره من الأحادیث فی الکتب المعتبره. و تدلّ علیه الأخبار الدالّه علی إخبارهم بضمائر الناس و وقایعهم و شیعتهم و هی مذکوره

فی بصائر الدرجات ص ۲۴۲، عن أبی کهمش قال: کنت نازلا بالمدینه فی دار فیها وصیفه کانت تعجبنی، فانصرفت لیلا ممسیا فاستفتحت الباب ففتحت لی فمددت یدی فقبضت علی ثدیها، فلمّا کان من الغد دخلت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فقال: یا أبا کهمش تب إلی اللّه ممّا صنعت البارحه.

و فیه عن غیر واحد عن أبی بصیر قال: قدم إلینا رجل من أهل الشام، فعرضت علیه هذا الأمر فقبله، فدخلت علیه و هو فی سکرات الموت، فقال: یا أبا بصیر قد قبلت ما قلت لی بالجنه، فقلت أنا ضامن لک علی أبی عبد اللّه علیه السّلام بالجنه، فمات فدخلت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فابتدأنی فقال: قد وفی لصاحبک بالجنه.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۸۷.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۱۱۳.

و تدلّ علیه أیضا الأخبار الکثیره الدالّه علی عرض الأعمال علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم و الأئمه علیهم السّلام بألسنه مختلفه و هی کثیره.

ففی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت له: إنّ أبا الخطاب کان یقول: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یعرض علیه أعمال أمّته کل خمیس فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: لیس هو هکذا، و لکن رسول اللّه تعرض علیه أعمال هذه الأمّه کلّ صباح أبرارها و فجّارها فاحذروا و هو قول اللّه عزّ و جلّ (اِعْمَلُوا فَسَیَرَی اَللّٰهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ) .

و فیه (۲)، بإسناده عن برید العجلی قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فسألته عن قوله تعالی: (اِعْمَلُوا فَسَیَرَی اَللّٰهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ) قال: إیّانا عنی.

و فی حدیث قال: هم الأئمه علیهم السّلام، و مثله کثیر.

و فی روضه الکافی (۳)، بإسناده عن یوسف بن أبی سعید قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام ذات یوم، فقال لی: إذا کان یوم القیامه و جمع اللّه تبارک و تعالی الخلائق کان نوح علیه السّلام أوّل من یدعی به فیقال له: هل بلّغت؟ فیقول: نعم، فیقال له: من یشهد لک؟ فیقول: محمد بن عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قال: فیخرج نوح علیه السّلام فیتخطّی الناس حتی یجیء إلی محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم و هو علی کثیب المسک و معه علی علیه السّلام و هو قول اللّه عزّ و جلّ: (فَلَمّٰا رَأَوْهُ زُلْفَهً سِیئَتْ وُجُوهُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا) فیقول نوح لمحمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم: یا محمد إنّ اللّه تبارک و تعالی سألنی هل بلّغت؟ فقلت: نعم، فقال: من یشهد لک؟ فقلت: محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم فیقول: یا جعفر یا حمزه اذهبا و اشهدا له أنّه قد بلّغ، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: فجعفر و حمزه هما الشاهدان للأنبیاء علیهم السّلام بما بلّغوا، فقلت: جعلت فداک فعلی علیه السّلام أین هو؟ فقال: هو أعظم منزله من ذلک.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۲۴.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۲۷.

۳- ۳) روضه الکافی ص ۲۶۷.

و فی الوافی عن الکافی فی أحادیث لیله القدر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: لقد خلق اللّه تعالی لیله القدر. . إلی أن قال علیه السّلام: و أیم اللّه لقد قضی الأمر أن لا یکون بین المؤمنین اختلاف، و لذلک جعلهم شهداء علی الناس، لیشهد محمد علینا، و لنشهد علی شیعتنا، و لیشهد شیعتنا علی الناس، أبی اللّه أن یکون فی حکمه اختلاف، أو بین أهل علمه تناقض، الحدیث. أقول: حقیقه الشهاده حضور المشهود عند الشاهد، لأنّه من شهده إذا حضره، و تقدم أنّ للّه علمین: علم مختص بنفسه و علم علّمه الأنبیاء، فجمیع عند الأئمه علیهم السّلام و مرجع هذا إلی أن ما وصل من علمه تعالی إلی عالم المشیئه، فقد أحاط اللّه به محمدا و آله الطاهرین، و أنّهم علیهم السّلام وعاؤها، و یلزم منه أنّ حقیقه محمد و آله علیهم السّلام محیطه بتمام مبادئ الخلق علما، لأنّهم علیهم السّلام مظاهر کلّیه لاسم اللّه، و سائر الخلق مظاهره الجزئیه.

و عن الکافی، و عن محمد بن سنان قال: کنت عند أبی جعفر الثانی علیه السّلام فذکرت اختلاف الشیعه، فقال: إنّ اللّه لم یزل فردا متفرّدا فی وحدانیته، ثمّ خلق محمدا و علیّا و فاطمه فمکثوا ألف دهر، ثمّ خلق الأشیاء و أشهدهم خلقها، و أجری علیها طاعتهم، و جعل فیهم منه ما شاء، و فوّض أمر الأشیاء إلیهم، فهم قائمون مقامه یحلّلون ما شاءوا، و یحرّمون ما شاءوا و لا یفعلون إلاّ ما شاء اللّه. فظاهر هذا الحدیث و نحوه دالّ علی أنّه تعالی أشهدهم خلق الخلق کلّها، و قد تقدم شرحه، فیلزم منه أنّهم علیهم السّلام عالمون بحقائقها و شاهدون حقیقتها، و لذا جعلهم اللّه تعالی شهداء علی الخلق لما أشهدهم خلقها. و بعباره أخری: أنّه تعالی لما کان أصل خلقه تعالی للخلق بملاک المحبه أی أحب أن یعرف کما

قال فی حدیث قدسی: «فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لکی أعرف» فخلق أوّلا- محمدا و آله الطاهرین محالاّ- لمعارفه و لمعرفته الخاصه فهم الکاملون فی المعرفه، و حیث إنّه تعالی حمّلهم علمه کما علمت سابقا، و أشهدهم خلقها، و ألزم علی الخلق طاعتهم بالنصّ القرآنی و الأحادیث الکثیره کما لا یخفی،

فلا محاله قد جعلهم شهداء على الخلق أيضا كما صرّح به فى حديث بريد العجلى فهم عليهم السّلام يوم القيامه الشهداء على نحو بيّنه الصادق عليه السّلام فى ذلك الحديث و ساير الأحاديث المتقدمه. ثمّ إنّ هنا كلاما و حاصله: أنّ المستفاد من حديث أبى عمرو الزبيرى عن الصادق عليه السّلام المروى عن العياشى أنّ مقام الشهاده على الخلق مختص بهم عليهم السّلام مع أنّ المذكور

فى حديث أبى جعفر الباقر عليه السّلام من قوله عليه السّلام: لقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، و لذلك جعلهم شهداء على الناس، الحديث دالّ على أنّ الشيعه أيضا تكون شهداء على الناس فكيف التوفيق؟ و حينئذ يقال فى الجواب: إنّ المراد بالأمّه من قوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) هو الأئمه عليهم السّلام بالأصاله، و تشمل الشيعه بالتبعيه، و الوجه فيه الأخبار الدالّه على لحوق الشيعه بهم طينه بالذات و انّ خاتمتهم الخير عاقبه.

ففى البحار (۱)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن جابر الجعفى، قال كنت مع محمد بن على عليه السّلام فقال: يا جابر خلقنا نحن و محبّونا من طينه واحده بيضاء نقيه من أعلى عليين، فخلقنا نحن من أعلاها و خلق محبّونا من دونها، فإذا كان يوم القيامه التفّت العليا بالسفلى، و إذا كان يوم القيامه ضربنا بأيدينا إلى حجزه نبينا، و ضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجزتنا، فأين ترى يصير اللّه نبيّه و ذرّيته و أين ترى يصير ذرّيته محبّيها فضرب جابر يده على يده، فقال: دخلناها و ربّ الكعبه ثلاثا.

و فيه (۲)، بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: خلقنا اللّه من نور عظمته، ثمّ صوّر خلقنا من طينه مخزونه مكنونه من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنّا نحن خلقا و بشرا نورانيين، لم يجعل لأحد فى مثل الذى خلقنا منه نصيبا، و خلق أرواح شيعتنا من أبداننا و أبدانهم من طينه مخزونه مكنونه أسفل من

۱- ۱) البحار ج ۲۵، ص ۱۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۵، ص ۱۳.

تلک الطینه و لم یجعل اللّه لأحد فی مثل ذلک الذی خلقهم منه نصیبا إلاّ الأنبیاء و المرسلین، فلذلک صرنا نحن و هم الناس و سائر الناس همجا فی النار و إلی النار. أقول: تقدم شرح هذا و بعض ما له من الشرح، و کیف کان فهذا الحدیث و ما شابهه دلّ علی أنّ الشیعه خلقت من فاضل طینه الأئمه علیهم السّلام و أنّهم قد خلقت أرواحهم ممّا خلق منه أبدان الأئمه علیهم السّلام فلا محاله فهم ملحقون بهم علیهم السّلام من حیث القابلیه للوصول إلی الدرجات العلی، التی منها قبول شهادتهم کما لا یخفی، ثمّ إنّه لا ریب فی قبول شهاده الشیعه فی الدنیا خصوصا العدول منهم، فلا محاله تقبل شهادتهم فی الآخره، لأنّ ملاک القبول سواء، و کیف لا تقبل شهاداتهم مع أنّه تعالی بحکم الشرع قد قبل شهادتهم فی الدنیا، مع أنّهم کانوا فی معرض العصیان، بل ربّما صدرت منهم المعصیه، لأنّه لا یعتبر فی قبول شهاده الشاهد العصمه کما لا یخفی. و حینئذ ففی الآخره لا بدّ من أن تقبل شهاداتهم بالطریق الأولی، لأنّه تعالی قد کفّر عنهم حینئذ سیئاتهم بمحن الدنیا و بلائها، و عند الموت، و فی القبر و البرزخ و أهوال یوم القیامه حتی أکثرهم یحشر یوم القیامه، و لیس علیه ذنب یطالب به مع أنّهم حین یحشرون مع أئمتهم علیهم السّلام و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم باهی بهم الأمم الماضیه، و أخبر اللّه تعالی عن سلامه رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم و أهل بیته علیه السّلام من أن یصل إلیهم من شیعتهم أذی، قال تعالی: (وَ أَمّٰا إِنْ کٰانَ مِنْ أَصْحٰابِ اَلْیَمِینِ. فَسَلاٰمٌ لَکَ مِنْ أَصْحٰابِ اَلْیَمِینِ) (1). و تقدم أنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم و کذا الأئمه علیهم السّلام قد تحمّلوا ذنوب شیعتهم، و قد غفرها اللّه تعالی لنبیهم، هذا مع استغفار الملائکه للشیعه کما لا یخفی، و کلّ هذا ممّا دلّت علیه الأحادیث المعتبره کما لا یخفی.

فقوله علیه السّلام فی حدیث أبی جعفر علیه السّلام: «و لتشهد شیعتنا علی الناس» یراد منه هذا الشیعی الذی قد طهّره اللّه تعالی، و حمله علی إراده الأنبیاء بکونهم من شیعتهم علیهم السّلام

1- 1) الواقعه:۹۰-۹۱.

بعيد جدا، نعم يمكن دخول الأنبياء فى شيعتهم بل هم أحق بذلك، و لكن سائر الشيعه أيضا داخلون فيه، و تدل عليه أيضا الأخبار الوارده فى شهاده من كان مثل سلمان و أبى ذر و نحوهما يوم القيامه كما لا يخفى.

و قوله: «على الناس» هم المشهود عليهم فيما لهم و عليهم، فإنّ الشيعه يوم القيامه كالأئمه و الأنبياء تشهد للشيعه بالصدق، و أنها قد عملت الصالحات، و على المخالفين بالكفر و إنكار الولايه. و لعمرى إنّ شهاده الشيعه على مخالفيهم الذين آذوهم فى الدنيا، يكون أقرب و أشفى لغيظهم، و موجبا لقرّه عينهم، حيث يرون مخالفيهم و أعداءهم فى العذاب، و أنّه تعالى قد قبل شهاداتهم عليهم كما لا يخفى. و تحصّل ممّا ذكر أنّه تعالى قد رضيهم عليهم السّلام شهداء على خلقه لما هم عليه من الحق و الصدق و الحفظ، و الإحاطه بكل شىء من خلقه، لأنّه تعالى أنهى إليهم علمه، و أشهدهم خلق جميع الخلق مضافا إلى أنّهم عليهم السّلام هم العاملون بأمره تعالى كما تقدم، و إليه صائرون، و فى قبضته تعالى كائنون، و هم فى توليه تعالى رياضتهم و سياستهم سائرون، ثمّ إنّه لو لم يكن الأئمه شهداء على الخلق، فمن تظنّ أن يكون شهيدا عليهم مع أنّهم عليهم السّلام من أكمل أفراد البشر و الخلق كما لا يخفى، و فيهم ملاك الشهاده بنحو الأتم و الأكمل. و لعمرى إنّ شهادتهم عليهم السّلام على الخلق يوم القيامه من أعظم موارد إقامه الحجه على المنكرين، حيث لا يجد الخلق طعنا عليهم عليهم السّلام فى شىء يمكن أن يطعن به على الشاهد، و ذلك لعلوّ مقامهم و طهارتهم و كمالاتهم، بحيث لا يشك فى فضائلهم و مناقبهم و قداستهم أحد حتى و إن كان من المخالفين، فتكون لا محاله شهادتهم عليهم السّلام من أعظم الحجج و الشهادات فى القيامه بل و فى الدنيا كما لا يخفى. ثمّ إنّ الشيعه التى تشهد يوم القيامه على المخالفين، فإنّما هو بالنسبه إلى ما كان فيهم من العلم و الحفظ، و العمل و الكمال لا مطلق الشهاده على مطلق الخلق كما لا

یخفی. بقی شیء و هو أنّه لیس المراد بشهادتهم علی سائر الخلق بالنسبه إلی خصوص أعمالهم الظاهره، بل علی کل شیء من حقائقهم و المراتب الإیمانیه، و التوحید و الولایه و المحبه و غیر ذلک من معانی الأحوال و الأمور، و یدل علیه عدّه من الأحادیث. منها: الأحادیث الوارده فی الطینه و هی کثیره. منها: ما

فی بصائر الدرجات (۱)، باسناده عن سدیف المکی قال: سمعت محمد ابن علی علیه السّلام یقول: حدّثنی جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: إنّ ربّی مثل لی أمّتی فی الطین، و علّمنی أسماء الأنبیاء (الأشیاء ن) کما علّم آدم الأسماء کلّها فمرّ بی أصحاب الرایات فاستغفرت لعلی و شیعته. و منها: الأحادیث الوارده فی أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام عرف ما رأی فی المیثاق و غیره و هی کثیره. منها: ما

فی البصائر أیضا (۲)، بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام: إنّ رجلا جاء إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام و هو مع أصحابه فسلّم علیه، ثمّ قال: أنّا و اللّه أحبّک و أتولّاک، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: ما أنت کما قلت، ویلک إنّ اللّه خلق الأرواح قبل الأبدان بألفی عام، ثمّ عرض علینا المحبّ لنا، فو اللّه ما رأیت روحک فیمن عرض علینا، فأین کنت؟ فسکت الرجل و لم یراجعه.

و فیه (۳)، بإسناده عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إنّ اللّه أخذ میثاق شیعتنا من صلب آدم، فنعرف بذلک حبّ المحبّ و إن أظهر خلاف ذلک بلسانه، و نعرف بغض المبغض و إن أظهر حبّنا أهل البیت.

۱- ۱) بصائر الدراجات ص ۸۶.

۲- ۲) بصائر الدراجات ص ۸۷.

۳- ۳) بصائر الدراجات ص ۹۰.

و فيه (۱)، بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: انّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقه الإيمان و بحقيقه النفاق. و منها: الأحاديث الوارده فى أنّهم عليهم السّلام الأعراف.

ففى تفسير نور الثقلين (۲)، فى كشف المحجه لابن طاووس رحمه اللّه عن أمير المؤمنين عليه السّلام حديث طويل فيه: فالأوصياء قوّام عليكم بين الجنه و النار، لا يدخل الجنه إلّا من عرفهم و عرفوه، و لا يدخل النار إلّا من أنكرهم و أنكروه، لانّهم عرفاء العباد، عرفهم اللّه إيّاهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعه لهم، فوصفهم فى كتابه فقال عزّ و جلّ: (وَ عَلَى اَلْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمٰاهُمْ) و هو الشهداء على الناس، و النبيون شهداؤهم بأخذهم لهم مواثيق العباد بالطاعه.

و فيه (۳)، عن تفسير العياشى و عن الثمالى قال: سئل أبو جعفر عليه السّلام: (وَ عَلَى اَلْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمٰاهُمْ) فقال أبو جعفر عليه السّلام: نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلّا بسبب معرفتنا، و نحن الأعراف الذين لا يدخل الجنه إلّا من عرفنا و عرفناه، و لا يدخل النار إلّا من أنكرنا و أنكرناه و ذلك بأنّ اللّه لو شاء أن يعرّف نفسه لعرّفهم، و لكن جعلنا سببه و سبيله و بابه الذى يؤتى. فالمستفاد من هذه الأحاديث بعناوينها المختلفه أنّهم عليهم السّلام عارفون بحقائق العباد من كونهم أهل المحبه أو البغض و أهل الولايه، أو أنّهم منكرون لها، و أهل الإيمان الحقيقى و النفاق و غير ذلك، و أصرح ما يدلّ على ذلك

قوله عليه السّلام: لأنّهم عرفاء العباد، عرفهم اللّه عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعه» و أيضا

قوله عليه السّلام: «و لكن جعلنا سببه و سبيله و بابه الذى يؤتى منه» صريح فى أنّهم عليهم السّلام أصل المعرفه للّه بحيث من كانت معرفتهم فيه موجوده فهو من أهل النجاه و إلّا فلا.

ص: ۴۳۶

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۸۸.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۳۲ ح ۱۲۹.

۳- ۳) تفسير نور الثقلين ج ۲، ص ۳۴، ح ۱۳۴.

بل

قوله عليه السّلام فى حديث أبى بصير من قول الصادق عليه السّلام: «نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال و الحرام و ما ضيّعوا منكم أيضا، يدلّ على شهادتهم بحقيقتهم على أحوالهم لا على مجرّد الأعمال إذ الأعمال الصالحه و كذا الطالحه قد فنت حقيقتها الفعليه، و بقيت الآثار منها فى العامل، فهم عليهم السّلام حينئذ شهداء عليهم فى أفعالهم بالنسبه إلى الروحيات المنتقشه فى نفوسهم أيضا، فلا تختص الشهاده على مجرّد الأفعال فقط كما لا يخفى و الحمد للّه أوّلا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله عليه السّلام: و أعلاما لعباده

اشاره

فى المجمع: و العلم (بالتحريك) : علم الثوب من أطراز و غيره، و هو العلامه و جمعه أعلام مثل سبب و أسباب، و جمع العلامه علامات. و علّمت له علامه (بالتشديد) وضعت له أماره يعرفها. و العلم الرايه. . إلى أن قال: فالأعلام جمع علم و هو الجبل الذى يعلم به الطريق، و المنار (بفتح الميم) : المرتفع الذى يوقد فى أعلاه النار لهدايه الضلال و نحوه. و أعلام الأزمنه هم الأئمه عليهم السّلام لأنهم يهتدى بهم.

و منه حديث يوم الغدير «و هو الذى نصب فيه أمير المؤمنين عليه السّلام علما للناس» و فيه: قوله تعالى: (فِي اَلْبَحْرِ كَالْأَعْلاٰمِ) أى كالجبال الطوال. . و الأعلام جمع علم و هو الجبل الذى يعلم به الطريق. أقول: لا بدّ من ذكر أخبار الباب، ثمّ نعقبه بالكلام اللازم فنقول:

فى مقدمه تفسير البرهان (۱)، عن الباقر عليه السّلام قال: قال اللّه لنبيّه: قد جعلت أهل بيتك بعدك علما منك، و ولاه أمرى بعدك، و أهل استنباط علمى. الخبر.

و فيه (۲)، و عن الباقر عليه السّلام قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ نصّب عليا عليه السّلام علما بينه و بين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، و من أنكره كان كافرا، و من جهله كان ضالاّ.

۱- ۱) تفسير البرهان ص ۳۳۹.

۲- ۲) تفسير البرهان ص ۲۴۳.

و رواه فى الكافى عن الصادق عليه السّلام قال: الإمام علم بين اللّه و خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا.

و فى البحار باب أنّهم عليهم السّلام النجوم و العلامات، فيه أحاديث كثيره، منها ما عن أمالى الشيخ عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ: (وَ عَلاٰمٰاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) قال: النجم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و العلامات الأئمه عليه السّلام من بعده (عليه و عليهم السلام) . أقول: قد تقدم معنى الأعلام فى شرح

قوله عليه السّلام:

و أعلام التقى ، فراجعه. و حاصل معانيه: أنّ العلم (بالتحريك) إذا أريد منه معنى الجبل، فمعناه حينئذ أنّه كما أنّ الرواسى سبب لاستقامه الأرض لثقلها و ضخامتها، فكذلك الأئمه عليهم السّلام كانوا سببا لمنع العباد عن الفناء و تثبيتهم فى وجودهم أو شئونهم، و ذلك لأنهم- أولا-سبب لتثبيت وجودهم

كما ورد: لو لا الحجه لساخت الأرض بأهلها، و تقدم الكلام فيه مفصّلا، و ثانيا بلحاظ أحوالهم من التقوى و قد تقدم الكلام فى أنّهم أعلام التقوى للمتقين، و ثالثا بلحاظ المعارف الإلهيه. . فلا ريب أنّهم عليهم السّلام بفاضل عقولهم ينوّرون عقول العباد، فالعباد بعقلهم الذى هو من فاضل عقولهم عليهم السّلام يعقلون المعارف الإلهيه، و الأمر و النهى الإلهى، و يعرفون الحق من الباطل، و تقدم من

قوله عليه السّلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام هو الذى يمير العلم للمؤمنين (أى يطعمهم)

و قول الصادق عليهم السّلام لأبى خالد الكابلى: و اللّه يا أبا خالد إنّ الأئمه هم الذين ينوّرون قلوب المؤمنين. و الحاصل: أنّ العباد بفضل هديهم اهتدى المهتدون منهم، و بفضل أعمالهم عليهم السّلام عمل العاملون منهم، فكانوا عليهم السّلام فى جميع ما ذكر جبالا رواسى، ألقى اللّه تعالى أشباحهم و أطوار ظواهرهم فى أراضى قلوب الخلائق أن تميد بهم الحوادث، فلا يستقر لهم علم و لا عمل و لا فكر و لا ذكر، فبظهور عظمتهم و حقيقتهم فى تلك الأمور فى قلوب العباد ثبتوا فيها و صاروا كما قال تعالى: (يُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا

بِالْقَوْلِ اَلثّابِتِ)

(۱)

. و بعباره أخرى: إنّ إشراقات أنوارهم مثلها مثل ظهور الشاخص تستضىء منها قلوب العباد، و تنتقش فيها صور تلك الإشراقات من المعارف و غيرها، كما تنتقش الصور فى المرآه، التى ليست صورتها فى الحقيقه شيئا، بل هو ظهور الشاخص فيها، فجميع ما فى قلوبهم من المعارف و الأحوال، فإنّما هى من إشراقاتهم عليهم السّلام لها فكلّما ازدادت تلك الإشراقات ازداد مقامهم و رفعت درجاتهم، كما دلّ عليه

قول الصادق عليه السّلام فيما رواه العمار الساباطى قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: (أَ فَمَنِ اِتَّبَعَ رِضْوانَ اَللّهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اَللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اَللّهِ) (۲)فقال: الذين اتبعوا رضوان اللّه هم الأئمه، و هم و اللّه يا عمار درجات للمؤمنين، و بولايتهم و معرفتهم إيّانا يضاعف اللّه لهم أعمالهم و يرفع اللّه لهم الدرجات العلى. و من المعلوم أنّ أنوار حقائقهم لا تتناهى كمّا و كيفا بالنسبه إلى الخلق، فمن كان من أهل ولايتهم المخلصين، فلا محاله يتدرج فى معالى معارفهم بما لا نهايه له كما لا يخفى. ثمّ إنّ العلم-محركه-بمعنى الجبل أيضا يكون ممّا يعلم به الطريق كما تقدم، فكذلك الأئمه فى جميع ما ذكرهم الأعلام أى الطريق لها) فبهم يستدلّون عليها و يصلون إليها، فبالأخذ عنهم و الاقتداء بهم وصل إلى المعانى و المعارف من وصل، نعم انّما يمكن ذلك لمن علّموه ما شاءوا، فلا ينتفع أحد من علومهم و معارفهم، و إن سمع منهم أو رأى ذلك عنهم عليهم السّلام إلاّ إذا علّموه ظاهرا فى أيام الظهور، أو باطنا كما فى زماننا هذا زمان الغيبه. انظر الأحاديث التى تقدمت فى قوله تعالى: (وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) (۳)كلّها صريحه فيما ذكرناه كما لا يخفى.

ص: ۴۳۹

۱- ۱) إبراهيم:۲۷.

۲- ۲) آل عمران:۱۶۲.

۳- ۳) آل عمران:۱۶.

هذا و إن علومهم و معارفهم فی نفسها صعبه المنال علما، و أصعب منها درکا أی أصعب من تصدیقها هو التحقق بها وجدانا، و لا طریق لها إلّا بهم و منهم، و إلیه تشیر الأحادیث المتقدمه من

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «إنّ حدیثنا صعب مستصعب خشن مخشوش، فانبذوا إلی الناس نبذا، فمن عرف فزیدوه، و من أنکر فأمسکوا لا یحتمله إلّا ثلاث: ملک مقرّب أو نبی مرسل أو عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإیمان،

و قول الصادق علیه السّلام لأبی الصامت: إنّ أمرنا لا یحتمله أحد، قلت: فمن یحتمله؟ قال: نحن أو من شئنا، و تقدم متن الحدیث. و الحاصل: أنّ هذه الجبال جبال أمورهم و معارفهم، لا یسلک الطریق فیها لعظمها و علوّها، و بعدها عن الأذهان إلّا بالعلامات الموضوعه فیها للسالک إلیها و هم علیهم السّلام تلک العلامات کما لا یخفی. و من هذا یعلم أنّهم أعلام للعباد بمعنی أنّهم کالجبال الطویله کأنّها فی الهواء لعلوّها، فالناس فی الطرق المنخفضه دائما یستشرقون من تلک الأعلام و العلامات، التی جعلها اللّه لهم و هی ذواتهم المقدسه من حیث العلم و المعارف، و التوحید و العباده، التی جعلت فی أعلی محل و أرفع منزله بحیث لا یلحقهم لاحق و لا یفوقهم فائق. و بعباره أخری: أنّ اللّه تعالی شأنه قد علا قدرهم و رفع شأنهم، و آتاهم ما لم یؤت أحدا من العالمین و حمّلهم علمه، و جعلهم مظاهره فی خلقه، و جعل ولایتهم ولایته، و فضّلهم علی العالمین و سائر الخلق أجمعین، فلا محاله قد رضیهم أعلاما، فعباده یهتدون بهم فی ظلمات البر و البحر، و فی ظلمات الجهل و النفس و الطبایع الجسمانیه، بل و فی الظلمات النفسانیه التی تعرض لأغلب النفوس من أ هوائهم الفاسده و آرائهم الکائده إلی النور و الرشد و السعاده، و الکمالات و المعارف الإلهیه من التوحید و الولایه و شئونها، فجمیع العباد فی طرق المعتقدات و الأحوال و الأعمال فی کل شیء یهتدون بهم، بل لا حقّ لهم فی الوجود إلّا منهم، لأنّهم علیهم السّلام

مظاهر الحق و مع الحق كما صرّح به فی الأخبار.

بقی هنا أمران:

الأوّل:

أنّ الأئمه علیهم السّلام كما هم أعلام العباد فی الأمور الدینیه و المعارف الإلهیه، كذلك هم أعلامهم فی الأمور الدنیویه من العلم بطرق الأرض و ما فیها و كیفیه استخراج معادنها برّا و بحرا و من المعرفه بالجبال من حیث كونها محلّا للمعادن أو محلّا للعیون و كیفیه إجرائها علی الأرض، و كذلك هم العلامون و الأعلام للاهتداء إلی الأمور المتعلّقه بالنجوم و الأفلاك و الحاصل إلی علم الهیئه و النجوم، فهم علیهم السّلام فی جمیع ذلك أعلام للعباد یستدل بهم علیهم السّلام علیها كما لا یخفی، و دلّت علیه الأحادیث الوارده فی الأسئله التی وردت فی هذه الأمور و أجابوا علیهم السّلام عنها. و یشیر إلیه بل یدلّ علیه

ما روی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام من قوله: «فو اللّه إنّی لأعلم بطرق السماء من طرق الأرض» و أیضا تدلّ علیه الأخبار التی بیّنت أقسام الملائكه و أحوالها و أفعالها و غیر ذلك، كلّ ذلك یدلّ علی إحاطتهم علیهم السّلام بتلك الأمور السماویه كما لا یخفی.

الثانی:

أنّهم علیهم السّلام أعلام للاهتداء إلی الحق بالنسبه إلی الخلق حتی بالنسبه إلی الملائكه و الأنبیاء و تدلّ علی هذا عدّه من الأخبار. منها: ما تقدم

من حدیث مفضل عن الصادق علیه السّلام من قوله: إنّ اللّه تعالی بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و هو روح إلی الأنبیاء و هم أرواح فدعاهم إلی التوحید، و تقدم الحدیث بلفظه و تقدم أیضا أحادیث كثیره دلّت علی انّهم علیه السّلام هم المعلّمون للملائكه التسبیح و التقدیس و التحمید فراجعها. و منها:

ما روی أنّ جبرائیل علیه السّلام كان جالسا عند النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم فأتی علی علیه السّلام فقام له جبرئیل، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلم: أ تقوم لهذا الفتی؟ فقال: إنّ له علیّ حقّ التعلیم، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلم: و كیف ذلك یا جبرئیل؟ فقال: لما خلقنی اللّه تعالی سألنی: من أنت و ما اسمك، و من أنا و ما اسمی؟ فتحیرت فی الجواب. ثمّ حضر هذا الشاب فی عالم الأنوار و علّمنی

الجواب، فقال: قل: أنت ربّی الجلیل و اسمک الجمیل، و أنا العبد الذلیل و اسمی جبرئیل، و لهذا قمت له و عظّمت له، فقال النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم: کم عمرک یا جبرئیل؟ فقال: یا رسول اللّه یطلع نجم من العرض فی کلّ ثلاثین ألف سنه مرّه، و قد شاهدته طالعا ثلاثین ألف مرّه. و کیف کان فالأنبیاء و الرسل و الملائکه المقرّبون و غیرهم و الخلق، بل و سائر الخلق من الحیوانات و الجمادات و النباتات ما عرفت ربّها و لا تسبیحها إلّا بهم علیهم السّلام و منهم، تدلّ علی هذا الأحادیث المتقدمه بالخصوص و بالإطلاق کما لا یخفی.

قوله علیه السّلام: و منارا فی بلاده

المنار (بفتح المیم) هو الشیء المرتفع الذی توقد علیه النار لهدایه الضال و کونهم علیهم السّلام منارا علی قسمین: الأوّل: أنّهم علیهم السّلام منار للخلق یهتدون بهم فی موارد الضلاله إلی النور و الحقّ و الیقین، و هو الظاهر من الجمله. الثانی: أنّهم علیهم السّلام منار فی البلاد بمعنی أنّه تعالی جعلهم فی مقام عال مرتفع، و جعل لحقیقتهم نورا به یعلمون حقائق الأمور، و ما یحدث فی العالم من الأفعال و سائر الأمور، تدل علی کل منهما أخبار کثیره. و ممّا یدل علی الأوّل

ما فی الکافی (1)، و بصائر الدرجات، عن یحیی بن عبد اللّه ابن الحسن صاحب الدیلم قال: سمعت جعفر بن محمد علیه السّلام یقول و عنده أناس من أهل الکوفه: عجبا للناس أنّهم أخذوا علمهم کلّه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فعملوا به و اهتدوا، و یرون أنّ أهل بیته لم یأخذوا علمه، و نحن أهل بیته و ورثته، فی منازلنا نزل الوحی، و من عندنا خرج العلم إلیهم، أ فیرون أنّهم علموا و اهتدوا و جهلنا نحن

۱- ۱) الکافی ج ۱ ص ۳۹۸، و بصائر الدرجات ص ۱۲.

و ضللنا؟ ! إنّ هذا المحال.

و فی الکافی (۱)، عن أبی مریم قال: قال أبو جعفر علیه السّلام لسلمه بن کهیل، و الحکم بن عتیبه: شرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحیحا إلّا شیئا خرج من عندنا أهل البیت.

و فیه، بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: لیس عند أحد من الناس حق و لا صواب، و لا أحد من الناس یقضی بقضاء حق إلّا ما یخرج منّا أهل البیت، و إذا تشعّبت بهم الأمور الخطأ منهم و الصواب من علی علیه السّلام.

و فی بصائر الدرجات (۲)، بإسناده عن أبی حمزه الثمالی قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول عن قول اللّه عزّ و جلّ: (وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَیْرِ هُدیً مِنَ اَللّٰهِ) قال: عنی اللّه بها من اتخذ دینه و رأیه من غیر إمام من أئمه الهدی. فدلّت هذه الأحادیث و ما نحوها علی أنّ الهدایه منهم و الحق منهم، و أنّ العلم الصحیح لا یکون إلّا منهم.

و فی الکافی (۳)، بإسناده عن أبی خالد الکابلی قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: (فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا) فقال: یا أبا خالد النور و اللّه نور الأئمه من آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی یوم القیامه، و هم و اللّه نور اللّه الذی أنزل، و هم و اللّه نور اللّه فی السماوات و الأرض، و اللّه یا أبا خالد لنور الإمام فی قلوب المؤمنین أنور من الشمس المضیئه بالنهار، و هم و اللّه ینوّرون قلوب المؤمنین، و یحجب اللّه نورهم عمّن یشاء فتظلم قلوبهم، و اللّه یا أبا خالد لا یحبّنا عبد و یتولّانا حتی یطهّر اللّه قلبه، و لا یطهّر اللّه قلب عبد حتی یسلم لنا و یکون سلما لنا، فإذا کان سلما سلّمه اللّه من شدید الحساب و آمنه من فزع یوم القیامه الأکبر. فعلم من هذا الحدیث أنّ الأئمه هم النور، و بهم یتنوّر القلب، فهم المنار فی البلاد

۱- ۱) الکافی ص ۳۹۹.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۱۳.

۳- ۳) الکافی ج ۱ ص ۱۹۴.

للعباد و لقلوب المؤمنين.

و فيه (۱)، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: (قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اَللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِي) قال: ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأوصیاء من بعدهم. فظاهر الحدیث أنّ الداعی عن بصیره إلی اللّه تعالی الذی هو حقیقه کون أحد منارا هم الرسول و الأئمه (علیه و علیهم السلام) و قد تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

«السلام علی أئمه الهدی»

ما یوضح هذا. و کیف کان فقد رضیهم اللّه تعالی أن یکونوا منارا فی البلاد، یهتدی بأنوارهم و علومهم الناس إلی الحق و ینجون عن الضلاله، فهم علیهم السّلام منار للعلم الصحیح و للمعارف و الصفات الحمیده، و لإراءه السلوک الصحیح، و لسوق العباد فی السلوک الصحیح الموصل إلی الحق بجمیع شئونهم، و هم من أجلّ نعم اللّه علینا حیث اهتدینا بهم فصلوات اللّه علیهم أجمعین. و ممّا یدل علی الثانی أحادیث کثیره، منها:

ما فی بصائر الدرجات (۲)، بإسناده عن أبی حمزه الثمالی، قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: إنّ الإمام منّا لیسمع الکلام فی بطن أمّه، حتی إذا سقط علی الأرض، أتاه ملک فیکتب علی عضده الأیمن: (وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ) (۳)حتی إذا شبّ رفع اللّه له عمودا من نور یری فیه الدنیا و ما فیها، لا یستر عنه منها شیء.

و فیه (۴)بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام. . إلی أن قال: فإذا شبّ رفع اللّه فی کلّ قریه عمودا من نور مقامه فی قریه و یعلم ما یعمل فی القریه الأخری.

۱- ۱) الکافی ج ۱، ص ۴۲۵.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۳۵.

۳- ۳) الأنعام:۱۱۵.

۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۴۳۶.

و فیه (۱)، بإسناده عن إسحاق الحریری قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فسمعته هو یقول: إنّ للّه عمودا من نور، حجبه اللّه عن جمیع الخلائق، طرفه عند اللّه و طرفه الآخر فی أذن الإمام، فإذا أراد اللّه شیئا أوحاه إلیه فی أذن الإمام.

و فیه (۲)، بإسناده عن أبی الصباح قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنه کان مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل، کان یوفّقه و یسدّده و هو مع الأئمه من بعده.

و فی حدیث آخر: و هو مع الأئمه یخبرهم و یسددهم.

و فی حدیث آخر: و إنّه لفینا.

و فی حدیث آخر: ثمّ لم یصعد إلی السماء منذ هبط إلی الأرض. و نحو هذه الأحادیث کثیر تقدم بعضها فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و مهبط الوحی»

فنقول: أمّا الأوّل: فمعناه أنّ الأئمه علیه السّلام ینوّرون قلوب شیعتهم من الذین یستجیبون دعوتهم علیه السّلام و کذلک ینوّرون قلوب الملائکه باستجابتهم لهم علیهم السّلام. و کیف کان فباستجابتهم و قبولهم منهم علیهم السّلام کانوا مؤمنین، و معنی کونهم مؤمنین هو أنّه تعالی یکتب فی قلوبهم الإیمان من مداد ذلک النور الذی کان حقیقتهم علیهم السّلام، و أیضا معناه أنّه تعالی یؤیّدهم بروح منه، و هذا الروح هو الملک الذی من نورهم.

ففی المحکی عن الکافی و العیاشی، عن الصادق علیه السّلام قال: ما من مؤمن إلاّ و لقلبه أذنان فی جوفه، أذن ینفث فیه الوسواس الخنّاس، و أذن ینفث فیه الملک، فیؤید اللّه المؤمن بالملک فذلک قوله: (وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) (۳).

ص: ۴۴۵

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۳۹.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۵۷.

۳- ۳) المجادله:۲۲.

فیعلم منه أنّ کتابه الإیمان الذی حقیقته النور هو الملک الذی فسّر بالروح أی روح الإیمان کما لا یخفی، و هذا الإیمان هو السکینه النازله فی قلب المؤمن.

فعن الکافی (۱)، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه عزّ و جلّ: (وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) قال: هو الإیمان.

و فی حدیث آخر: عن قوله: (وَ أَلْزَمَهُمْ کَلِمَهَ اَلتَّقْویٰ) قال: هو الإیمان. فالإیمان المفسّر به السکینه تاره و التقوی أخری هو النور الذی یکون فی قلب المؤمن منهم علیهم السّلام کما علمته

من حدیث أبی خالد الکابلی من قوله علیهم السّلام: و هم و اللّه ینوّرون قلوب المؤمنین و هذا الروح (أی روح الإیمان) تحضر و تغیب فی المؤمن عند الطاعه و المعصیه.

ففی الکافی (۲)، بإسناده عن أبی خدیجه قال: دخلت علی أبی الحسن علیه السّلام فقال: إنّ اللّه تبارک و تعالی أیّد المؤمن بروح منه تحضره فی کلّ وقت یحسن فیه و یتقی، و تغیب عنه فی کلّ وقت یذنب فیه و یعتدی، فهی معه یهتز سرورا عن إحسانه، و تسیخ فی السری عند إساءته، فتعاهدوا عباد اللّه نعمه بإصلاحکم أنفسکم تزدادوا یقینا و تربحوا نفیسا ثمینا، رحم اللّه امرئا همّ بخیر فعمله، أو همّ بشر فارتدع عنه ثمّ قال: نحن نؤید الروح بالطاعه للّه و العمل له. و کیف کان فالمؤمن بلحاظ محبّته لهم علیهم السّلام یستجیب دعوتهم علیهم السّلام و یقبل قولهم، و یهتدی بهداهم بتمام معانیه، و الإیمان الحاصل الجدید المعبّر عنه بالملک المؤیّد (بالکسر) إنّما هو من نورهم و تنویرهم للقلوب فهو مخلوق من نورهم.

و قوله علیهم السّلام فی حدیث أبی خالد الکابلی: «و یحجب اللّه عزّ و جلّ نورهم عمّن یشاء فتظلم قلوبهم» یرید علیه السّلام أنّ من لم یستجب للّه و رسوله حین دعاه إلی الولایه و المحبّه و لم یقبل قولهم، خلق اللّه من ردّه أی ردّ هذا المنکر لولایتهم و عدم قبوله لها

ص: ۴۴۶

۱- ۱) الکافی ج ۲، ص ۱۵.

۲- ۲) الکافی ج ۲، ص ۲۶۸.

حجابا من ظلمه تظلم قلوب المنكرين به، و ذلك الحجاب مخلوق من غضبه تعالى عليه، فيثمر ذلك الغضب حين ردّه الحق عداوه محمد و آل محمد، فلا محاله يصير مأواه إلى جهنم و بئس المصير. و كيف كان فيحجب اللّه تعالى بذلك الحجاب نور الأئمه عليهم السّلام عن قلب هذا المنكر، و لعلّه إليه يشير قوله تعالى: (بَلْ طَبَعَ اَللّٰهُ عَلَيْهٰا بِكُفْرِهِمْ) (۱)و نعنى بالنور المحجوب ولايتهم و محبتهم عليهم السّلام فلا يتولونهم و لا يحبونهم كما هو المشاهد منهم، ثمّ إنّ الأئمه عليهم السّلام كما ينوّرون قلوب شيعتهم بقبولهم لولايتهم، كذلك ينوّرون عالم الأجسام بل جميع الموجودات كما علمت سابقا، هذا من الأحاديث الدالّه على أنّ الموجودات كلّها خلقت من أنوارهم. و الحاصل: أنّ ذوات الموجودات قد أفيضت عليها من فاضل أنوارهم، فانبعثت عنها القوابل الحسنى، التى صارت مستعده لترتب الآثار الحسنه عليها، نعم هذا فيما قبل ولايتهم منها. و الحاصل: أنّه قد تقدم أنّ ولايتهم قد عرضت على جميع الموجودات بعد ما كان وجودها منهم عليهم السّلام لما تقدم: فما قبل منها ولايتهم ترتبت عليه الآثار الحسنه، و ما أنكرت انتفت عنها الآثار الحسنه، و ترتّبت عليها آثار السوء أو الآثار الناقصه كما تقدم من حديث البطيخ و نحوه، و قد تقدم شرحه مفصّلا، فكلّ أثر حسن فى موجود يكون من أنوارهم النازله منهم إليه، لقبول الولايه، و كلّ أثر ناقص أو سيّئ فى موجود يكون من الظلمه الحاكيه عن غضبه تعالى له الموجبه لمحجوبيه أنوارهم عنه كما لا يخفى. و أمّا الثانى: أعنى أن يكون المراد من المنار كونهم فى مقام عال، بمعنى كون حقيقتهم نورا يعلمون به حقائق الأمور و أعمال العباد، كما دلّت عليه الأحاديث

۱- ۱) النساء:۱۵۵.

السابقه فحاصل معناها: أنّه قد دلّت أحاديث كثيره على أنّ العقل الكل إنّما هو حقيقه محمد و آله الطاهرين.

ففی الکافی فی کتاب العقل و الجهل، فی حدیث سماعه بن مهران، و ساق الحدیث. . إلی أن قال: فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق العقل، و هو أوّل خلق من الروحانیین عن یمین العرش من نوره، الحدیث.

و فی طرائف الحکم نقلا عمّا نقله فی البحار، عن علل الشرایع فی أسئله الشامی لأمیر المؤمنین علیه السّلام عن أوّل ما خلق اللّه تبارک و تعالی فقال علیه السّلام النور.

و فیه، عنه، عن الاختصاص، عن الصادق علیه السّلام: خلق اللّه العقل من أربعه أشیاء من العلم و القدره و النور و المشیئه بالأمر، فجعله قائما بالعلم دائما فی الملکوت.

و فی الکافی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ما کلّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم العباد بکنه عقله قط، و قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: إنّا معاشر الأنبیاء أمرنا أن نکلّم الناس علی قدر عقولهم. إذا علمت هذا فاعلم: أنّ العقل الکل المعبّر عنه بالنور أیضا هو حقیقه محمد و آله الطاهرین، و هو المعبّر عنه بعمود النور فی الحدیث السابق، فمعنی کلّیته هو جامعیّته للعلم و القدره و النور و المشیئه بالأمر کما قال الصادق علیه السّلام، و لازم هذه الأمور أنّه لا یعزب عنه شیء لکونه علما و نورا، و لا یعجزه شیء لکونه قدره و مشیئه بالأمر لذا

قال علیه السّلام: قائما بالعلم، أی تکون قدرته و مشیئته عن علم، فهو بلحاظ کلّیته و إحاطته بالأشیاء دائم فی الملکوت، أی فی عالم الملک المحیط بالأشیاء کلّها. و کیف کان فالعقل بما هو کذلک یلاحظ فیه أمور ثلاثه: الأوّل: أنّه یدرک به حقائق الأشیاء بنحو الانکشاف، بحیث یکون العقل مضیء الدرک بالمعنی المصدری، فهذا الدرک فعل ذلک النور العمودی، الذی هو حقیقه العقل، و له بهذا اللحاظ التربیه و التدبیر للأشیاء.

و الثانی: أنّه نفس تلک الحقائق فیراد منه حینئذ النفس الکلّیه و الروح الکل الذی هو أعظم من جبرئیل و میکائیل فهو بنوریته جمیع الأشیاء بنحو الجمیع، و تکون الأشیاء مظاهره بنحو التفصیل فی الموجودات. و الثالث: أنّه نفس العلم أی أنّ جمیع الأشیاء منکشفه لدیه، ثمّ إنّهم علیهم السّلام لما کانوا منارا أی نورا و عقلا کلّیا بالمعنی المتقدم، فلا محاله یهتدی بهم المهتدون فی عالم الوجود من الملائکه و الأنبیاء، و سایر البشر و الموجودات. و الحاصل: أنّ المعنی الأوّل المتقدم أثر لهم علیهم السّلام بلحاظ أنّهم العقل الکلّ و النور الإلهی کما لا یخفی، فهم علیهم السّلام بلحاظ کونهم منارا بهذا المعنی ینیرون لأهل البلاد، و هی الدنیا و الأرض و الأجساد و الوجود بلحاظ سریانه فی الموجودات، فهم علیهم السّلام بهذا اللحاظ الوساطه الوحیده بین الخالق جلّ جلاله و الخلق بتمام مصادیقه. و ممّا ذکرنا یعلم أنّ المراد من البلاد لا یختص بالقری و الأرض و لو بلحاظ أهلها، بل یعمّ الأشیاء و النفوس و حقائق الأشیاء و صفاتها فإنّهم علیهم السّلام قد رضیهم اللّه تعالی منارا فیها علی ما سمعت من المعنیین، رزقنا اللّه تعالی معرفتهم بمحمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: و أدلّاء علی صراطه

أدلّاء جمع دلیل، و قد تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

و الأدلّاء علی مرضاه اللّه

معنی کونهم علیهم السّلام أدلّاء و فی شرح صراطه معنی کونهم علیهم السّلام صراط اللّه فراجعه، إلّا أنّ الفرق بین هذه الجمل أنّ کونهم علیهم السّلام أدلّاء علی مرضاته یشار به إلی أنّ تحصیل حقیقه رضاه لا یکون إلّا بدلالتهم، فینحصر تحصیلها منهم علیهم السّلام، و کونهم صراطه یشار به إلی أنّهم علیهم السّلام نفس الصراط إلیه تعالی لمن یسلک طریق الحق، و تقدم بیانه مشروحا. و أمّا کونهم علیهم السّلام أدلّاء علی صراطه یراد به أنّهم علیهم السّلام یدلّون الخلق علی هذا

الصراط بما له من المعانی المتعدده من الصراط العلمی و المعنوی و الدنیوی و الأخروی، فلا یکون غیرهم أدلّاء علیه. و کیف کان فهم علیهم السّلام أدلّاء علی صراطه بتمام معانی الدلاله من الأدلّه العلمیه و العملیه و الحالیه و الصفاتیه، بل إنّ وجودهم علیهم السّلام بجمیع شئونها أدلّاء علی صراطه، و المراد من الصراط هنا هو المؤدّی إلی محبّته تعالی و إلی جنّته.

ففی معانی الأخبار (۱)، قال: قال جعفر بن محمد الصادق علیه السّلام فی قوله عزّ و جلّ: (اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِیمَ) قال: یقول: ارشدنا إلی الصراط المستقیم للزوم الطریق المؤدّی إلی محبتک و المبلغ إلی دینک (جنتک ن) و المانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلک، الحدیث. و تقدمت أحادیث کثیره فی شرح قوله: و صراطه، فی بیان المراد من الصراط و أنّه أمیر المؤمنین علیه السّلام و لعلّ الطریق المؤدّی إلی محبّته هو فی الظاهر ما

عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی تفسیر الآیه کما فی تفسیر الصافی: یعنی أدم لنا توفیقک الذی أطعناک به فیما مضی من أیامنا حتی نطیعک فی مستقبل أعمارنا، الحدیث، فحاصله هو طاعه الربّ فی القیام بأوامره، و اجتناب نواهیه، و التخلّق بآدابه علی ما نهج لهم من دینه، و بیّن لعباده من معرفته من الأحکام الشرعیه المبیّنه بلسان الشرع، و فی الباطن أنّ الطریق هو النبی و الإمام علیه السّلام کما علمت من تصریح کثیر من الأخبار علیه. ثمّ إنّ کونهم علیهم السّلام أدلّاء علی الصراط هو أنّهم علیهم السّلام الطریق و الصراط و هو علی قسمین: الأوّل: أنّهم الصراط و الطریق بمعنی أنّهم طریق اللّه إلی خلقه، أی کلّما تعلّقت به الحکمه الأزلیه و المشیئه الإلهیه أن یصل منه تعالی إلی الخلق، فهو إنّما یصل منه تعالی إلی الخلق بواسطتهم، فهم طریق اللّه إلی الخلق.

۱- ۱) معانی الأخبار ص ۲۹.

الثانی: أنّ طریق الخلق إلی اللّه تعالی هم علیهم السّلام. أمّا الأوّل: فیدلّ علیه عدّه من الأحادیث، منها:

ما فی البحار عن إکمال الدین، قال الرضا علیه السّلام: «نحن حجج اللّه فی أرضه (فی خلقه) و خلفاؤه فی عباده و أمناؤه علی سرّه، و نحن کلمه التقوی و العروه الوثقی، و نحن شهداء اللّه و أعلامه فی بریّته بنا یمسک اللّه السماوات و الأرض أن تزولا، و بنا ینزل الغیث و ینشر الرحمه، لا تخلو الأرض من قائم منّا ظاهرا و خاف، و لو خلت یوما بغیر حجه لماجت بأهلها کما یموج البحر بأهله.

و فی تفسیر نور الثقلین و عن أبی حمزه الثمالی قال: أتی الحسن البصری أبا جعفر علیه السّلام و ساق الحدیث. . إلی أن قال: فقال: (أی أبو جعفر علیه السّلام للحسن) أ رأیت حیث یقول: (وَ جَعَلْنٰا بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ اَلْقُرَی اَلَّتِی بٰارَکْنٰا فِیهٰا قُریً ظٰاهِرَهً وَ قَدَّرْنٰا فِیهَا اَلسَّیْرَ سِیرُوا فِیهٰا لَیٰالِیَ وَ أَیّٰاماً آمِنِینَ) یا حسن بلغنی أنّک أفتیت الناس فقلت: هی مکه، فقال أبو جعفر علیه السّلام: فهل یقطع علی من حجّ مکه و هل یخاف أهل مکه، و هل تذهب أموالهم فمتی یکونوا آمنین؟ بل فینا ضرب اللّه الأمثال فی القرآن. فنحن القری التی بارک اللّه فیها، و ذلک قول اللّه عزّ و جلّ فیمن أقرّ بفضلنا حیث أمرهم أن یأتونا فقال: (وَ جَعَلْنٰا بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ اَلْقُرَی اَلَّتِی بٰارَکْنٰا فِیهٰا قُریً ظٰاهِرَهً) و القری الظاهره الرسل و النقله عنّا إلی شیعتنا أو فقهاء شیعتنا، و قوله (وَ قَدَّرْنٰا فِیهَا اَلسَّیْرَ) مثل للعلم (سِیرُوا فِیهٰا لَیٰالِیَ وَ أَیّٰاماً) مثل لما یسیر من العلم فی اللیالی و الأیام عنّا إلیهم فی الحلال و الحرام و الفرائض و الأحکام (آمِنِینَ) فیها إذا أخذوا عن معدنها الذی أمروا أن یأخذوا منه، آمنین من الشک و الضلال، و النقله من الحرام إلی الحلال، لأنّهم أخذوا العلم ممّن وجب لهم بأخذهم إیّاه عنهم المغفره، لأنّهم أهل میراث العلم من آدم إلی حیث انتهوا ذریه مصفّاه بعضها من بعض فلم ینته الاصطفاء إلیکم بل إلینا انتهی و نحن، تلک الذریه المصفّاه لا أنت و أشباهک یا حسن، الحدیث.

و تقدم مرارا

قول أمير المؤمنين عليه السّلام: نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل معرفتنا. فيعلم من هذه الأحاديث و ما شابهها أنّهم عليهم السّلام باب اللّه فى المدد و الفيض منه تعالى إلى جميع خلقه فى جميع شئونهم من أصل وجودهم و لوازمه، و لم يجعل اللّه بابا منه تعالى لإفاضه الوجود إلى الخلق و لبيان معارفه و أحكامه، و ما تحتاج إليه الخلائق و الموجودات غيرهم، و سيأتى مزيد توضيح لهذا فى شرح

قوله عليه السّلام: «من أراد اللّه بدأ بكم، و من وحّده قبل عنكم و من قصده توجّه بكم» . و الحاصل: أنّهم طرق اللّه إلى الخلق لا غيرهم، ثمّ إنّ المستفاد منها أنّهم طرق اللّه تعالى تشريعا و تكوينا. أمّا التشريعى: فظاهر من الآيات و الأحاديث من نحو قوله تعالى: (اُدْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ) (۱)و قوله: (قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اَللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ) (۲)و قوله تعالى (وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ) (۳)و قوله تعالى: (أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِى اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ) (۴). فالمستفاد منها أنّه تعالى جعلهم طرقه إلى الخلق بهم و منهم يصل الشرع منه تعالى إلى الخلق. و أمّا الأحاديث فلا تكاد تحصى و تقدم آنفا بعضها. و الحاصل: أنّهم عليهم السّلام الأبواب التى تصدر عنهم أوامر اللّه و نواهيه، و عزائمه و رخصه و إرادته و معارفه و ما أشبه ذلك، لأنّ جميع ذلك لا يكون إلاّ عن مشيئته تعالى، و قد تقدم مرارا أنّهم عليهم السّلام محل تلك المشيئه، و لعلّه إليه يشير

الحديث القدسى:

ص: ۴۵۲

۱- ۱) النحل:۱۲۵.

۲- ۲) يوسف:۱۰۸.

۳- ۳) الحشر:۷.

۴- ۴) النساء:۵۹.

«لا تسعنى أرضى و لا سمائى بل يسعنى قلب عبدى المؤمن» ببيان أنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الأئمه عليهم السّلام هم أكمل أفراد العباد المؤمنين، و انّ معنى

قوله: «لا يسعنى» ، أى لا يسع ما سوى القلب المؤمن من الأرض و السماء إرادتى و مشيئتى، و متعلّقاتها من أوامره و نواهيه و جميع ما يريده من عباده. بل يسع هذه كلّها قلب محمد و آله الطاهرين، فقلوبهم (صلوات اللّه عليهم) تسع تلك الأمور كلّها مع تكاليفها، التى يكون متعلّقها الموجودات الدنيويه و الأخرويه و إنّما وسعت قلوبهم تلك الأمور، لأنّها (أى قلوبهم الطاهره) صدرت عنه تعالى، و خلقت من نور عظمته، و من فاضل نوره، أو أنّ قلوبهم عليهم السّلام عكوس نوره تعالى، و أنّها (أى القلوب) خلقت و صوّرت بنحو الجمع الشامل على صور هيئات عباده و خلقه، فهم النموذج الخلقى، و الخلق كلّه تفاصيلهم و فروعهم. و من المعلوم أنّ الفرع يأخذ حكمه و علمه و فيضه عن أصله، ثمّ إنّه لما لم يكن لقلوب غيرهم محلّ مشيئته تعالى، فلا محاله انحصرت قلوبهم فى كونها أبوابا لمشيئه اللّه تعالى، كما لا يخفى. فظهر أنّهم عليهم السّلام صراطه و طرقه فى خلقه إلى خلقه فى التشريعيات. و أمّا التكوينى: أى كونهم الطريق التكوينى له تعالى: فلما مرّ من أنّ قلوبهم أوعيه لمشيئه اللّه، و من المعلوم أنّ جميع الموجودات إنّما توجد بالمشيئه كما

فى الحديث: إنّ اللّه تعالى خلق الأشياء بالمشيئه، و خلق المشيئه بنفسها، أى أنّها مخلوقه ابتداء، و تقدم أيضا

قوله عليه السّلام طى الزياره : «إراده الربّ فى مقادير أموره تهبط إليكم و تصدر من بيوتكم» ، و تقدم شرحها. فالمستفاد أنّهم عليهم السّلام الطريق إليه تكوينا، أى أنّ التكوينيات خلقت من طريقهم كما لا يخفى، فهم كالعلل الفاعليه للأشياء، و اللّه العالم بحقائق الأمور. الثانى: أى أنّ طريق الخلق إلى اللّه تعالى هم عليهم السّلام فبيانه: أنّ هذا يكون على قسمين:

القسم الأوّل: أنّهم علیهم السّلام الطرق إلی اللّه تعالی بالإرشاد و الهدایه، و بیان الأحکام و المعارف الشرعیه، و هذا أوضح من أن یخفی علی أحد، و قد دلّت علیه الآیات و الأحادیث الکثیره، و قد تقدم بعضها آنفا. القسم الثانی: أنّهم علیهم السّلام الطرق إلی اللّه تعالی للخلق، أی لا یصل أحد من الخلق إلیه تعالی إلاّ بهم، فهم الطریق التکوینی للخلق إلیه تعالی لا العلمی فقط، و حاصله: أنّه تعالی کما جعلهم طرق الخلق علما و معارفا إلیه تعالی، کذلک جعلهم طرقا للخلق إلیه تعالی حالا و تکوینا، و سیجیء فی شرح

قوله علیهم السّلام: «من أراد اللّه بدأ بالسیر فیکم و بکم» و سیأتی تفصیله، و هذا یقرب بوجوه: الأوّل: أنّ الاعتقاد بولایتهم علیهم السّلام و إطاعتهم و محبّتهم هو الطریق لکلّ أحد فی وصوله إلی محبته تعالی، و جنّته و قربه و الفوز بما لدیه، و إنّما تصدر أعمال الخلائق إلی اللّه تعالی إذا کانت جاریه علی سنّتهم و طریقهم، و کانت مأخوذه عنهم علیهم السّلام بالتسلیم لهم و الردّ إلیهم فیما اختلفوا، کلّ ذلک بقبول ولایتهم و التبری من أعدائهم و أنّ یوالوا من والوا و یعادوا من عادوا، و یعادوا أعداءهم یدلّ علی هذا عده من الأخبار تقدم بعضها، و نحن نذکر بعضها تبرّکا.

ففی الکافی (۱)، باسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عزّ و جلّ: (إِلَیْهِ یَصْعَدُ اَلْکَلِمُ اَلطَّیِّبُ وَ اَلْعَمَلُ اَلصّالِحُ یَرْفَعُهُ) ولایتنا أهل البیت، و أ هوی بیده إلی صدره، فمن لم یتولّنا لم یرفع اللّه له عملا.

و فی البحار (۲)، عن أمالی المفید بإسناده عن العلاء عن محمد عن أحدهما علیهما السّلام قال: قلت له: إنّا نری الرجل من المخالفین علیکم له عباده و اجتهاد و خشوع، فهل ینفعه ذلک شیئا؟ فقال: یا محمد إنّما مثلنا أهل البیت مثل أهل بیت کانوا فی بنی إسرائیل، و کان لا یجتهد أحد منهم أربعین لیله إلاّ دعا فأجیب، و إنّ رجلا منهم

۱- ۱) الکافی ج ۱ ص ۴۳۰.

۲- ۲) البحار ج ۲۷، ص ۱۹۱.

اجتهد أربعين ليله ثمّ دعا فلم يستجب له، فأتى عيسى بن مريم عليه السّلام يشكو إليه ما هو فيه و يسأله الدعاء له فتطهّر عيسى و صلّى ثمّ دعا فأوحى إليه: يا عيسى إنّ عبدى أتانى من غير الباب الذى أوتى منه، إنّه دعانى و فى قلبه شك منك، فلو دعانى حتى ينقطع عنقه، و تنتشر أنامله ما استجبت له، فالتفت عيسى عليه السّلام فقال: تدعو ربّك و فى قلبك شك من نبيّه؟ فقال: يا روح اللّه و كلمته قد كان و اللّه ما قلت، فاسأل اللّه أن يذهب به عنّى، فدعا له عيسى عليه السّلام فتقبّل اللّه منه و صار فى حدّ أهل بيته، لذلك نحن أهل البيت لا يقبل اللّه عمل عبد و هو يشك فينا. أقول: و مثله كثير جدّا، بل ربّما ادّعى أنّه أكثر من ألف حديث بهذا المعنى، و يعلم من هذه الأحاديث أنّهم هم الطرق للخلق إليه تعالى، بمعنى أنّ الاعتقاد بولايتهم طريق الخلق إليه تعالى فى الوصول إلى الدرجات و قبول الأعمال كما لا يخفى. الثانى: أنّهم عليهم السّلام طرق الخلق إلى اللّه تعالى حالا، و حاصله: أنّ قد تقدم مرارا أنّهم عليهم السّلام حقائق الأسماء الحسنى الإلهيه، و لا ريب فى أنّ الأسماء الحسنى لها دخاله تامه فى وجود الأشياء، و فى بلوغها إلى كمالها، كما يستفاد ذلك من

قوله عليه السّلام فى الدعاء:

«و بأسمائك التى ملأت أركان كلّ شىء»

و قال عليه السّلام فى حديث خلق الأسماء الذى تقدم شرحه: «لفاقه الخلق إليها» أى لاحتياج الخلق إليها فى شئونها احتياجا تكوينيا، و أيضا من المعلوم أنّ الحقائق القرآنيه من معارفها التوحيديه و الأخلاقيه إنّما تكون فى صدورهم عليهم السّلام بمعنى أنّهم عليهم السّلام هم حقائقها لقوله تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ) (۱)و تقدم أنّها فى صدورهم أى أنّ صدورهم تلك الحقائق. و حينئذ نقول: لا ريب فى أنّ الوصول إلى التوحيد و المعارف الإلهيه، و التوجه إليه تعالى و عبادته إنّما هو بروح العبد المؤمن، و أنّ روحه لا يكاد يصل إلى تلك

۱- ۱) العنكبوت:۴۹.

الأمور إلّا باشتماله على تلك الأسماء، و تلك الصفات الحميده، و لا ريب فى أنّ تلك الأسماء و تلك الصفات الحميده تكون بنحو الأتم الأكمل عندهم عليهم السّلام بل هم تلك كما لا يخفى، فحينئذ كلّ روح من المؤمنين اشتمل على تلك الأسماء و الصفات يمكنه الوصول إلى تلك الأمور الإلهيه و حيث إنّ تلك الأسماء و الصفات عندهم فلا محاله من اتصل بهم اتصالا معنويا بأن منحوا عليهم السّلام له من تلك الأسماء و الصفات يمكّنه الوصول إلى الدرجات العلى و إلّا فلا. فظهر أنّهم عليهم السّلام هم الطريق الحقيقى الواقعى الاسمى و الصفاتى و الحالى إلى اللّه تعالى للخلق، و لعلّ إليه يشير ما فى الصلوات المرويه لأيام شعبان المعظم من

قوله عليه السّلام: «و اجعله لى طريقا إليك مهيعا» أى اجعل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم نفسه طريقا مبسوطا إليك، فجعل نفس النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم طريقا إليه تعالى للداعى، و من المعلوم أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إنّما يكون طريقا إليه تعالى، إذا اتصل العبد به اتصالا معنويا، بأن اتصف بصفاته صلّى اللّه عليه و آله و سلم و بأسمائه الحقيقيه القائمه بنفسه الشريفه كما لا يخفى. و لعلّ إلى هذا يشير ما مرّ مرارا

ما فى الكافى عن عمار الساباطى قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: (أَ فَمَنِ اِتَّبَعَ رِضْوٰانَ اَللّٰهِ كَمَنْ بٰاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ اَللّٰهِ) فقال: الذين اتبعوا رضوان اللّه هم الأئمه عليهم السّلام و هم و اللّه يا عمار درجات للمؤمنين، و بولايتهم و معرفتهم إيّانا يضاعف اللّه لهم أعمالهم، و يرفع اللّه لهم الدرجات العلى.

فقوله عليه السّلام: و هم و اللّه يا عمار درجات للمؤمنين، ظاهر فيما قلنا، فإنّ كونهم عليهم السّلام درجات لهم إنّما هو بظهورهم بحقائقهم النورانيه، التى هى حقائق الأسماء الإلهيه، و حقائق الصفات الحميده فى قلوب المؤمنين، و اتصاف قلوب المؤمنين بتلك لأنوار، و لعلّ

قوله عليه السّلام فى حديث أبى خالد الكابلى من قوله: «و هم و اللّه ينوّرون قلوب المؤمنين» ، يشير إلى ما ذكرنا أيضا. و الحاصل: أنّ العقائد الحقّه و الأسماء الحسنى الإلهيه و الصفات الحميده،

و الحالات العبوديه بوجوداتها الواقعيه، إنّما هى قائمه بهم عليهم السّلام فمن اتصف بها بأن تبعهم عليهم السّلام و جعلهم طريقه فى هذه الأمور إلى اللّه تعالى فلا محاله يصل إليه تعالى. و من المعلوم أنّ هذا لا يكون إلاّ بأن تترشح تلك الأمور منهم عليهم السّلام إليه، و هذا يحتاج إلى كمال الانقياد إليهم و كمال الخشوع لديهم،

قال عليه السّلام كما تقدّم: «أجمل الأمر ما استأهل أحد النظر من اللّه إليه إلاّ بالعبوديه لنا» أى بالخشوع و الخضوع لنا، و يحتاج إلى محبّتهم، و إلى أن تحنّ القلوب إليهم، بل إلى موضع أقدامهم كما علمت

قوله عليه السّلام فى إذن الدخول:

«و اجعل أرواحنا تحنّ إلى موضع أقدامهم»

. و هذا كلّه يرجع إلى كمال المتابعه لهم فى الظاهر و الباطن، أمّا فى الظاهر فاتّباع أوامرهم و اجتناب نواهيهم، و أمّا فى الباطن فبالاتصاف بصفاتهم، و بجعل الإراده و الأهواء تبعا لهم كما حكى هذا عن بعضهم بالنسبه إليهم عليهم السّلام و إذا تحققت هذه الأمور بالنسبه إلى أحد فلا محاله يسيّرونه إليه تعالى بحقيقتهم كما لا يخفى. ثمّ إنّ المتراءى من معجزاتهم عليهم السّلام أنّهم قد تصرّفوا فى كثير من الناس، فصاروا من الكملين و المحبّين لهم عليهم السّلام و لهذا قصص و حكايات لعلّنا نذكر بعضها إن شاء اللّه، و أيضا نرى أنّ من تبعهم حق المتابعه، وصل إلى ما لم يصل غيره، و إن بلغ من العلم ما بلغ، و لقد سمعت من بعض المحدّثين أنّ سلمان عليه السّلام كان لا يهوى إلاّ ما هواه على عليه السّلام فبلغت متابعته له عليه السّلام إلى هذا بحيث صار هواه تكوينا تبعا لهواه عليه السّلام و نحن نسأل اللّه تعالى هذا التوفيق و المتابعه لهم بمحمد و آله الطاهرين. فظهر ممّا ذكر أنّهم عليهم السّلام الطرق إليه تعالى، بمعنى أنّهم طريق اللّه إلى الخلق، و طريق الخلق إليه تعالى، فهم بقول مطلق الطرق إلى اللّه تعالى للخلق إليه، و للحقّ إلى الخلق، كما علمت. الثالث: الذى يقرب به كونهم عليهم السّلام طريق الخلق إلى اللّه تعالى: أنّهم عليهم السّلام كلمات اللّه تعالى فى عالم الوجود، و توضيحه بعد ذكر أحاديث الباب، فنقول:

فی البحار (۱)، عن مناقب آل أبی طالب و تحف العقول و الاحتجاج، سأل یحیی ابن أکثم أبا الحسن العالم علیه السّلام عن قوله: سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ کَلِمٰاتُ اَللّٰهِ ، ما هی؟ فقال: هی عین الکبریت، و عین الیمن، و عین البرهوت، و عین الطبریه، و حمه ماسیدان و حمه إفریقیه، و عین باحوران، و نحن الکلمات، التی لا تدرک فضائلنا و لا تستقصی.

و فیه عن تفسیر القمی:

لاٰ تَبْدِیلَ لِکَلِمٰاتِ اَللّٰهِ ، أی لا تغیّر للإمامه.

و فیه عن تفسیر القمی، عن محمد بن مسلم، عن أبی جعفر علیه السّلام:

فَإِنْ یَشَإِ اَللّٰهُ یَخْتِمْ عَلیٰ قَلْبِکَ ، قال: لو افتریت (وَ یَمْحُ اَللّٰهُ اَلْبٰاطِلَ) (۲)یعنی یبطله (وَ یُحِقُّ اَلْحَقَّ بِکَلِمٰاتِهِ) (۳)یعنی بالأئمه و القائم من آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

و فیه عن أمالی ابن الشیخ، عن أبی جعفر، عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: إنّ اللّه عهد إلیّ عهدا، فقلت: ربّ بیّنه لی، قال: اسمع قلت: سمعت، قال: یا محمد إنّ علیّا رایه الهدی بعدک، و إمام أولیائی، و نور من أطاعنی، و هو الکلمه التی ألزمتها المتقین، فمن أحبّه فقد أحبّنی، و من أبغضه فقد أبغضنی، فبشّره بذلک.

و فیه عن تفسیر العیاشی، عن جابر قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن تفسیر هذه الآیه فی قول اللّه: (وَ یُرِیدُ اَللّٰهُ أَنْ یُحِقَّ اَلْحَقَّ بِکَلِمٰاتِهِ وَ یَقْطَعَ دٰابِرَ اَلْکٰافِرِینَ) و ساق الحدیث إلی أن قال: و أمّا قوله: بکلماته، قال: کلماته فی الباطن علی هو کلمه اللّه فی الباطن، الحدیث.

و فیه عن مناقب آل أبی طالب، عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: (وَ لَقَدْ سَبَقَتْ کَلِمَتُنٰا لِعِبٰادِنَا اَلْمُرْسَلِینَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ اَلْمَنْصُورُونَ) قال: نحن هم.

و فی المحکی عن منتخب البصائر، عن علی علیه السّلام أنّه قال: أنا کلمه اللّه التی یجمع بها

۱- ۱) البحار ج ۲۴، ص ۱۷۴.

۲- ۲) الشوری:۲۴.

۳- ۳) الشوری:۲۴.

المتفرّق، و يفرّق بها المجتمع. أقول: قد تقدم الشرح فى موارد كثيره أنّهم عليهم السّلام قد أطلقت عليهم الكلمه مطلقه، أو مضافه إليه تعالى، أو موصوفه بالتامات

كما فى الزيارات:

السلام على الكلمه التامه.

و أمّا وجه إطلاقها عليهم عليهم السّلام ففى مقدمه تفسير البرهان قال شيخنا العلاّمه رحمه اللّه فى بيان أنّهم عليهم السّلام كلمه التقوى و ما بمعناها إطلاقها عليهم عليهم السّلام أما باعتبار أنّهم عليهم السّلام كلمات اللّه يعبّرون عن مراد اللّه، كما أنّ الكلمات تعبّر عمّا فى الضمير. . إلخ. أقول: فى المجمع: التكليم التجريح، أى أنّ الكلام بالمعنى المصدرى هو المؤثر فى المخاطب، كما أنّ التجريح يؤثر فى المجروح، و تأثير الكلام عباره عن دلالتها على أمر يقع فى ذهن المخاطب بحيث يؤثر فيه بالانتقاش فيه و العلم به بواسطه هذا الكلام، فكل أمر كان له هذا الأثر يصحّ إطلاق الكلام عليه. و من المعلوم أنّ الموجودات بأجمعها تؤثر فى الناظر إليها بنظر الاعتبار أمرا و هو قدرته تعالى و علمه و حكمته و عظمته، فبهذا الاعتبار صحّ إطلاق الكلمات عليها، و من المعلوم أنها مختلفه فى هذا التأثير، فكلّ موجود كان تأثيره فيما ذكر من العلم و الحكم و غيرهما أتمّ كان من الكلمات التامه. و من المعلوم أنّ محمدا و آله الطاهرين بشراشر وجودهم و بظاهرهم و باطنهم يكون لهم هذا التأثير، فلهم التأثير فى العلم بالبيان، و فى العظمه بإظهارها بالمعجزات، و بالبيان أيضا، و هكذا بالنسبه إلى القدره، و فى الحكمه بالبيان و الإظهار بها لأهلها كما لا يخفى، فهم حينئذ أحسن مصداق للكلمات التامات الإلهيه، مضافا إلى أنّهم مظاهر له تعالى، و حقائق للأسماء الحسنى كما مرّ مرارا، فلا محاله هم بحقيقه ما هم عليه من مقام الإمام و الولايه الكلّيه الإلهيه الكلمات التامات، و لذا فسّر فى بعض التفاسير الكلمه بإمامتهم، كما لا يخفى على المراجع. فحينئذ ظهر أنّهم عليهم السّلام طرق الخلق إليه تعالى، إذ لا يصل عبد إليه تعالى بأىّ

معنى كـان للوصـل إلاّـ بكلمـاته تعـالى، أى إلاّـ بما يؤثر فيه (أى فى العبـد) علمه و حكمته، و عظمته و معرفته تعالى و هى (أى تلك الكلمات) بما هى كذلك ليست إلاّ ذواتهم المقدسه (صلوات اللّه عليهم أجمعين) و الحمد للّه ربّ العالمين.

قوله عليه السّلام: عصمكم اللّه من الزلل

أقول: قد تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

المعصومون ، معنى العصـمه، و معنى كونهم عليهم السّلام معصومين بما له من الكلام، فراجعه. و تقدم أنّ العصمه عباره عن قوه عقلهم عليهم السّـلام و استمدادهم من الأـنوار الإـلهيه من حيث لاـ يغلبون بالأهواء، و ليس معنى العصـمه أنّ اللّه تعالى أجبرهم على ترك المعاصـى، بـل هى عبـاره عن لطف منه تعـالى منحه لهم، فيه يـتركون المعاصـى اختيـارا مع قـدرتهم عليهـا، و ذلك اللطف هو قوه العقل و الأنوار الإلهيه المشار إليها، و المنصوص عليها فى الأخبار المتقدم من

قوله عليه السّـلام فى بيـانه: هو المعتصم بحبل اللّه، و حبل اللّه هو القرآن. و كيف كان فالعصـمه لغه هو المنع، و فى الاصـطلاح كما قيل: هو اللطف المانع للمكلّف من ترك الواجبات و فعل المحرّمات، يفعله اللّه به (أى بالمعصوم) غير مانع من القـدره على المعصـيه. قيل: و هـذا يتمّ على القول بعـدم دخول الإراده فى مفهوم القدره، و إلاّ فلو كانت الإراده داخله فى مفهومها و قلنا: إنّ العصـمه هى لطف تمنع المكلّف عن ترك الواجبـات. . إلـخ، بمعنى أنّهـا تمنعه عن إراده المعصـيه، فلاـزمه أنّ العصـمه توجب سلب القدره عن المكلّف على المعاصـى و هو كما ترى، لاسـتلزامه رفع التكليف، و أن لا يسـتحق ثوابا و لا عقابا، لأنّ المعصوم حينئـذ مجبول على الطـاعه بالإجبـار، و هـذا خلاف ضـروره الـدين. و حينئـذ فالحق أنّ الإراده غير داخله فى مفهوم القـدره، بل الإراده تتعلّق

بالفعل وجودا و عدما فی ظرف کون المکلّف قادرا، هذا و قد قیل: إنّ العصمه تستلزم أمورا أربعه: الأوّل: صدق القول. الثانی: حسن الفعل. الثالث: حفظ الحقوق. الرابع: حفظ نظم المعاش و المعاد عمّا یؤدّی إلی الباطل الموجب لفساد المعاش و المعاد. و قیل: عصمتهم علیهم السّلام هی طهارتهم الأصلیه و أنفسهم القدسیه، لکونهم مخلوقین من نور اللّه، و مؤیّدین بروح القدس، و کونهم فی شده الصفاء فی القلوب و العزم علی الطاعه. أقول: یرجع هذا إلی ما ذکرنا من قوه العقل، و شده الذکاء المانع من الاقتحام فی المعصیه ذاتا، و لا یرغب من هذا صفته فی المعصیه اختیارا کما لا یخفی. و قیل: العصمه اسم للمرتبه التی لا یری العبد المتصف بها فی نفسه إلاّ اللّه، بحیث یری موته و حیاته و انقطاعه منه تعالی، فهو فان عن نفسه باق بربّه، و یکون تعالی سمعه و بصره و یده و لسانه و إرادته و هکذا، فمن کان کذلک کیف یقدم علی المعصیه، و لو کان فی منتهی القدره علی المعصیه، بل هو حینئذ متنزّه عنها، بحیث یقذّر المعصیه ذاتا، و یتنفّر منها کما لا یخفی. و تمام الکلام قد تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

المعصومون

، فراجعه. و أمّا الزلل: ففی المجمع: الزلل و هو الخطأ و الذنب. . إلی أن قال: و المزله موضع الخطر، و المزله (بکسر الزاء و فتحها) بمعنی المزلقه أی موضع تزلق فیه الأقدام. . إلی أن قال: و زلّت النعل زلقت و زلّ عن مکانه إلخ. أقول: قد تقدم کونهم علیهم السّلام معصومین و لکن لما کان الظاهر منه کونهم علیهم السّلام معصومین من المعاصی، و هی ما یصدر من الإنسان عن علم بکونه معصیه، و هذا

لاـ ينافى صدور ما هو خلاف الواقع، إذا صدر عن جهل، فلا يكون معصيه، و إن كان فيه نقص خصوصا ممّن كان له منصب الإمامه، فذكر عليه السّلام هنا أنّه تعالى عصمهم من الزلل بما لها من المعانى التى نذكرها إن شاء اللّه، لا أنّهم معصومون من خصوص المعاصى كما لاـ يخفى. و كيف كان فنقول: إنّه تعالى قد عصمهم من الزلل بما لها من المعانى و هى أمور، و قد علمت أنّ الزلل بمعنى الذنب و الخطإ. أمّا الذنب: فبالنسبه إلى المعاصى، و قد علمت أنّهم عليهم السّلام معصومون عن المعاصى، و تقدم الكلام فيه مفصّلا. و أمّا الخطأ: فهو قد يكون فى القول المعبرّ عنه بالكذب، و هو على أقسام: منها: الإخبار عن نفسه بما ليس بحق فى الواقع، و هو إمّا عن جهل بالواقع بأن أثبت لنفسه ما لم يكن له و كان جاهلا بالواقع، و إمّا عن علم و هو أقبحهما كمن علم أنّه ليس واجدا لشرائط منصب و ادّعى واجديته لها. ثمّ الأوّل على قسمين: ما يخبر عن نفسه بما ليس له، و يعلم بالفطره أنّه ليس له، و لكن مع ذلک جهله بالتغير الحاصل فى خلقه من عروض الكفر و الصفات الرذيله، و هذا كما أخبر اللّه تعالى عن المنافقين حيث (قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اَللّٰهِ) ، فهذه الشهاده شهادتهم بالفطره، بمعنى أنّ فطرتهم لو خليت، مع قطع النظر عمّا عرض لها من الكفر و النفاق و الصفات المذمومه، تشهد بأنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم رسول اللّه، لكون رسالته صلّى اللّه عليه و آله و سلم مطابقه لما فطرت عليه العقول، إلاّـ أنّ العقول قد تكون سليمه أى غير مشوبه بالشک الحاصل من الكفر و النفاق و الحجاب و الصفات الرذيله فتشهد بها موقنه. و قد تكون غير سليمه، فبمقتضى حقيقتها الأوليه تشهد بها، و بمقتضى الحاله العارضه لها تجحدها، و لعلّه إليه يشير قوله تعالى: (وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا

أَنْفُسُهُمْ)

(۱)

أی أنكروا بها ظاهرا لما منعتهم الصفات الرذيله العارضه لهم، و استيقنتها أنفسهم بلحاظ فطرتهم الأوليه. و الحاصل: قولهم: (نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اَللّهِ) ، يكون شهاده بالفطره (وَ اَللّهُ يَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ) هذا هو الواقع، (وَ اَللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ اَلْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ) فقد كذّبهم اللّه تعالى فى شهادتهم بما هو المطابق للواقع، و إنّما كذّبهم اللّه من جهه تغيرهم الفطره بالأعراض الدنيويه و الكفر و الصفات الرذيله، و لهذا الكلام شرح يطول بيانه يذكر فى التفسير. ما تقدم من أنّه يعلم أنّ ما أخبر به عن نفسه ليس له، فهو كاذب بالفطره و بالعقيده، هذا و حينئذ معنى أنّه تعالى عصمهم من الزلل بهذه المعانى أنّه تعالى عصمهم أن يخبروا عن أنفسهم بما ليس لهم من اللّه تعالى بهذه الأقسام الثلاثه، و يدل بالملازمه على أنّ فطرتهم السليمه التى خلقت على التوحيد لم يغيروها بما لا ينبغى صدوره منهم عليهم السّلام بل هم سالمون مطهّرون ظاهرا و باطنا، فما أخبروا عن أنفسهم الشريفه، فإنّما هو مطابق للواقع حيث إنّهم عليهم السّلام لا ينطقون عن الهوى بل إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى و هم عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. و قد يكون الخطأ فى الاعتقادات و هو على أقسام، و ذلك بأن يعتقد ما يخالف الواقع و نفس الأمر، فلا محاله يكون المعتقد (بالفتح) باطلا لعدمه فى الوجود، و هذا الاعتقاد بالخلاف قد يكون بعد الاعتقاد بالحق و الواقع، أو بعد العلم به عن المدارك الشرعيه الصحيحه، إلاّ أنّه تكبر و حسد بشىء من أعراض الدنيا، أعتقد خلافه الباطل، و قد يكون قبل الاعتقاد بالحق، لكونه بعد لم يوفق لقبول الحق، أو أنّه قصّر فى قبوله، أو أنّه اتبع هواه بما صدّه عن قبول الحق، أو أنّه كان غير مبال فى التفحّص عن الحق و قبوله، فوقع فى الاعتقاد الباطل.

۱- ۱) النمل:۱۴.

ففی جمیع هذه الصور یکون اعتقاده المخالف للواقع افتراء علی اللّه تعالی بالکذب، ثمّ إنّ فی جمیع هذه الصور قد یکون افتراؤه بالاعتقاد المخالف للواقع، أو یکون بالقول بأن یقول: الأمر کذا فی هذه الصور فإنّه أیضا افتراء قولی یحکی عن الاعتقاد، أو یکون بالاستناد بأن أسند إلی اللّه ما لم یکن مستندا إلیه فی الواقع بنحو یحکی عن العقیده. ففی جمیع هذه الصور یکون قد افتری علی اللّه تعالی، و قد یکون الخطأ فی النسبه و الإسناد، و ذلک فی کلّ موضع یثبت سببا فی الوجود بذاته، کما لو قال: أنا أفعل، و لم یقل: باللّه أو إن شاء اللّه، ففی الفرض قد أسند الفعل إلی نفسه، مع أنّ کل شیء ما سوی اللّه انّما هو موجود باللّه سواء کان موجودا بدون النسبه أو مع النسبه، و ذلک

لقوله علیه السّلام: «یأمن کلّ شیء موجود به»

و قولهم علیهم السّلام فی المتواتر عنهم علیهم السّلام: «لا جبر و لا تفویض بل أمر بین الأمرین» ففی هذه المواضع أیضا افتراء و خطأ.

فقوله علیه السّلام:

«عصمکم اللّه من الزلل»

بهذه المعانی فی الاعتقادات معناه أنّه تعالی قد عصمهم علیهم السّلام عن أن یعتقدوا خلاف ما فی الواقع و نفس الأمر و ما هو کان فی الصعق الربوبی ممّا هو من الاعتقادات الحقّه فی الأصول و الضروریات الدینیه و الفروع، و کذا بالنسبه إلی الموجودات، و النسب الخارجیه فی الموجودات من الأفعال و الحوادث الواقعه، فإنّهم علیهم السّلام یعتقدون بها وجودا و نسبه بنحو ما هو الواقع الثابت منه تعالی، کیف لا ـ و هم علیهم السّلام محقّقوا الحقائق و مظاهر التجلّیات الربوبیه فالحق فی جمیع مصادیقه الأصولی و الضروری و الفروعی مأخوذ منهم، و هم فیها مظاهر لما تلقّوها منه تعالی، کما علمته ممّا سبق من الأحادیث الوارده فی مقام ولایتهم و علمهم و قربهم إلیه تعالی. و قد یکون الخطأ فی الأفعال، و هذا أیضا علی أقسام، و ذلک إمّا بأن یفعل شیئا بما هو من الشرع، مع أنّه لیس ما أمره اللّه تعالی علی لسان الشرع، فحینئذ مع العلم بالمخالفه فلا ریب فی أنّه تشریع محرّم ففعله خطأ و ذنب، و قد یکون خطأ فعله

لأجل تقليده ممّن لا يصح تقليده، أو عمل على رأيه مستقلّا، و لم يكن مجتهدا و لا محتاطا، أو عمل بالظن غير المعتبر شرعا، نعم لو كان معتبرا فلا يبعد عدم صدق الخطإ حينئذ لحجيّه ظنّه، و قد يكون فعله ممّا يعمّ به البلوى من إحداث أمور المنافع الناس، و لكن كان جاهلا بتكليفه شرعا فيها ففى مثله لا يبعد تحقق الخطإ، و إنّه غير معذور فيما فعله. نعم فى مفروض الأعمال إذا كانت مسائله من المسائل النادره وقوعا، و ممّا يدق دليله و تحصيل دليله من الشرع، سواء كان من المعتقدات أو من الأعمال، كما فى الأمور المستحدثه، التى يصعب استخراجه من الأصول الفقهيه، فلا يبعد فيها قبول العذر، و عدم صدق الخطإ فتأمّل، و قد يكون الخطأ فى الأحوال، و ذلك بأن يكسب صفه و حالا يعتقد أنّها مرضيه للشرع، مع أنّها ليست منه، و قد يكون الخطأ فى الحال بأن يعتقد أنّه متصف بالصدق أو الأمانه أو العبوديه، مع أنّها ليست كما قرر فى الشرع و بيّن فيه. و الحاصل: أنّه يظن أنّ تلك الصفات التى اتصف بها صفات شرعيه، مع أنّها ليست كذلك، و خطأه يكون فى ظنّه و تشخيصه و اعتقاده أنّها مشروعه، و قد يكون الخطأ فى الأحوال، بمعنى أنّه أمر مثلا بالاستقامه فى العباده، و لم يستقم، و ظنّ أنّه استقام أو أمر بالخشيه القلبيه فى مقام الرهبه و الدعاء و لم يخش، أو أنّه التفت إلى أمر أثّر فيه حالا مع أنّه أمر بترك الالتفات إليه كما فى الالتفات إلى زخارف الدنيا و مناظرها و مناصبها بحيث تؤثر فيه حبّها، و من الخطإ فضول الكلام فيما ليس محرّما، و إلّا فهو الخطأ فى القول، مع أنّه ذنب كما عرفت، و منه فضول الطعام و الأفكار و الأنظار و الحركات، التى لا طائل لها، بل جميع فضول الأشياء يكون من الخطإ، نعم للأولياء، و قد يكون الزلل فى التقصير فى التبليغ و الأداء، و فى التقصير فى الاحتذاء و المشى على كلّ ما جرى عليه نظام الإيجاد و الوجود و انتظام الموجود. و محصّل القول: إنّ كلّ ما ليس مرادا له سبحانه بالذات أو بالعرض.

و بعباره أخرى: ما ليس مرادا له تعالى بالتحريم أو بالمرجوحيه، أو كان ممّا لا ينبغى صدوره ممّن كان من المقرّبين يكون صدوره من الخطإ سواء كان عن قصد و علم أو بلا علم و بلا قصد، فيما كان التقصير فى مقدماته على ما فصّل فى محلّه و فصّلناه فى الجمله، فجميعه من الزلل بقول مطلق. إذا علمت هذا فاعلم: أنّه تعالى قد عصم محمدا و آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم من تلك الزلل الظاهريه و الباطنيه و الحاليه و العلميه و العمليه و القوليه، و ما فى الضمائر من الاعتقادات الباطله، و التأثير من الاحتمالات و الموهومات المؤثره فى القلب، و الحاجبه عن مشاهده الحق، و كذلك عصمهم اللّه تعالى من صفه الإنكار الحاصل من الشكوك، و من نفس الشكوك و الجهل و الغفله و السهو و التكلّف فى الأمور، و الدعاوى الباطله أى بغير حق، و النسيان و الفواحش ما ظهر منها و ما بطن. و علمت أيضا أنّه تعالى عصمهم من المعاصى كبيرها و صغيرها، بل و من التساهل فيما يراد منهم، أو التماهل فيما يراد تعجيله، بل علمت أنّ أعمالهم فيما يراد منهم تكون طبق إراده اللّه و وفق مشيئته كلّ على طبق محبّته، و الوجه فى ذلک كلّه أنّه تعالى جعل أرواحهم من نور عظمته، و هو تعالى يفيض عليهم من الإمدادات النوريه، و ذلک لحسن قابليتهم عليهم السّلام لذلک و لسعتها و قوتها بنحو انكشف بتلک الإمدادات تلک الظلمات من قلوبهم. كيف لا و قد علمت فيما تقدم أنّ قلوبهم عليهم السّلام محال فعله تعالى، و لا فعل لهم عليهم السّلام إلّا بفعله تعالى، لأنّهم عليهم السّلام مظاهر توحيد الذات و الصفات و الأفعال كما تقدم شرحه، و إليه يشير قوله تعالى: (وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ رَمىٰ) (1)و علمت فيما سبق أنّهم عليهم السّلام كالحديده المحماه فإنّها كما لا تحرق إلّا بما ظهر فيها من آثار النار و فعلها، بل المحرق حقيقه هو النار الظاهره فيها و بفعلها الظاهره فى الحديده، فليست الحديده إلّا مظهرا للنار و لآثارها، و إن أسند فعل الإحراق إلى الحديده

۱- ۱) الأنفال:۱۷.

ظاهرا إلاّ أنّ الإحراق فی الواقع مستند إلی حراره النار بل إلی النار کما لا یخفی. فکذلک إنّ أفعال الأئمه علیهم السّلام و صفاتهم و حقیقتهم لیست إلاّ آثار ذاته تعالی و صفاته و أفعاله، قد ظهرت کلّها فیهم علیهم السّلام و کلّ ذلک لفنائهم علیهم السّلام عن أنفسهم الشریفه و بقائهم بربّهم فی جمیع شئونهم. و الحاصل: أنّ حقیقه ما هم علیه من النور الإلهی القائم به تعالی بحیث، یکون ظهوره تعالی بهم و فیهم، هو حقیقه عصمتهم من الزلل بتمام المعانی المتقدمه من الأصول و الفروع بلا استثناء. و لعمری إنّ هذه العصمه الکبری ممّا تختص بهم علیهم السّلام بحیث لم یتصف بها حتی الأنبیاء السابقون، فالأنبیاء و إن کانوا معصومین من المعاصی إلاّ أنّ قلوبهم لم تکن بمثابه قلوب محمد و آله الطاهرین من الأئمه و الصدیقه الکبری (سلام اللّه علیهم أجمعین و روحی لهم الفداء) فلا محاله لا تکون الأمور الواقعه مکشوفه لهم کما هی هی، قال تعالی: (تِلْکَ اَلرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ) (۱). و لا ریب فی أنّ التفضیل إنّما هو بلحاظ ملاک التفضیل، و هو راجع إلی ظهور حقائق المعارف لدیهم، و قد ظهرت کلّها فی قلوب محمد و آله الطاهرین دون قلوب سائر الأنبیاء کما لا یخفی. و لهذا الکلام مجال واسع، و حیث إنّی لست من أهل التحقیق فیها ترکته مخافه الزلّه، و اللّه العالم و الحمد للّه ربّ العالمین.

[۲۳]قوله علیه السّلام: و آمنکم من الفتن

فی المجمع: قال تعالی: (لَهُمُ اَلْأَمْنُ) أی الأمان، إلی أن قال: و الأمان عدم الخوف، و هذا الأمان لازم لعصمتهم علیهم السّلام ففی الحقیقه أنّه تعالی لمّا خلقهم من نوره،

۱- ۱) البقره:۲۵۳.

فقد جعلهم فی هذا الاسم الإلهی أی مقام الأمن

و فی حدیث رفاعه: یا رفاعه أ تدری لم سمّی المؤمن مؤمنا؟ قال: لا أدری، قال: لأنّه یؤمن علی اللّه فیجیز أمانه، و المؤمن من أسمائه تعالی سمّی اللّه تعالی به، لأنّه یؤمن من عذابه من أطاعه.

فقوله علیهم السّلام:

«آمنکم»

أی أنتم ممّن أجاز اللّه تعالی أمانه، أی قبله و جعله فی مقام الأمن فی قوله تعالی: (أُولٰئِکَ لَهُمُ اَلْأَمْنُ) (1)و هو فی مطلق الأمور الدنیویه و الأخرویه إلّا أنّ فی هذه الجمله خصیصه بالأمن من الفتن. و کیف کان فقد آمنکم اللّه تعالی من الفتن و هو جمع فتنه، و هی تطلق علی أمور یصح أن یراد من

قوله علیه السّلام

من الفتن

بعضها دون بعض، و نحن نذکرها و نشیر إلی ما یصحّ ممّا لا یصح أن یراد منها فنقول: فی المجمع: و الفتنه فی کلام العرب الابتلاء و الامتحان و الاختبار، و أصله من فتنت الفضه إذا أدخلتها فی النار لتتمیّز. . إلی أن قال: الفتنه تکون من اللّه و من الخلق، و تکون فی الدین و الدنیا کالارتداد و المعاصی و البلیه و المصیبه و القتل و العذاب و یقال: فتنه عمیاء صماء، أی لا یری منها مخرج، و المراد بها صاحبها یقع فیها علی غیر بصیره، فیعمون فیها و یصمّون عن تأمّل الحق و استماع النصح. و فی المحکی عن القاموس: الفتن الإحراق بالنار، و منه علی النار یفتنون، و الفتنه (بالکسر) الحیره کالمفتون، و إعجابک بالشیء یقال: فتنه یفتنه فتنا و فتونا و أفتنه. و فیه: و الفتنه الضلال و الإثم و الکفر و الفضیحه، و العذاب و الجنون و المحنه، و اختلاف الناس فی الآراء، و فتنه یفتنه أوقعه فی الفتنه کفتنه و أفتنه فهو مفتن و مفتون و وقع فیه لازم و متعدّ کافتتن فیهما (أقول: أی إن فتنه) و أفتنه یقع فی الصفتین اللازم و المتعدّی أی یستعملان لازما و متعدیا.

1- 1) الأنعام:82.

فنقول: من المعانى لها الضلال و الهدايه معا كقوله تعالى: (إِنْ هِيَ إِلاّٰ فِتْنَتُکَ تُضِلُّ بِهٰا مَنْ تَشٰاءُ وَ تَهْدِی مَنْ تَشٰاءُ) (۱)كذا قيل. و فيه: أنّ المراد (و اللّه العالم) من الفتنه فى الآيه هو ما جعله اللّه تعالى فى السامرى امتحانا لهم، فضّل به قوم باتباعهم السامرى و هدى به آخرون بأن لم يتبعوه، و لكن يمكن أن يقال: إنّ المراد من قوله: (إِنْ هِيَ إِلاّٰ فِتْنَتُکَ) (۲)أى أنّ مجموع ما عملته فى السامرى المعبّر عنه بالفتنه هو عباره عن الضلال و الهدايه الصادرتين منك فى بنى إسرائيل، فتأمّل. و كيف كان فلا ريب فى أنّ الفتنه بهذا المعنى بلحاظ شمولها للضلال قد آمنهم اللّه تعالى منها. و منها: الاختيار و التخليص كقوله تعالى: (وَ فَتَنّٰاکَ فُتُوناً) (۳)قال فى المجمع: أى خلّصناك من الغش و الشر إخلاصا، و الفتنه بهذا المعنى يصدق عليهم مثبتا لا منفيا كما لا يخفى، لأنّه تعالى قد خلّصهم من الغش و الشر إخلاصا كما دلّت عليه آيه التطهير، فلا محاله لا يراد من الفتن من

قوله عليه السّلام:

و آمنكم من الفتن ، بهذا المعنى كما لا يخفى. و منها: الاختبار، قال تعالى: (الم. أَ حَسِبَ اَلنّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ) (۴)أى لا يختبرون، و هذا أيضا لا يراد بلحاظ المعنى، لأنهم عليهم السّلام قد اختبرهم اللّه بما يناسبهم و هو أنّ امتحانهم عليهم السّلام لإظهار مقامهم لغيرهم، لا للامتحان بلحاظ ظهور أحوالهم لأنفسهم الشريفه كما لا يخفى. و كيف كان فما كان من الفتن مذموما فهو منفى عنهم عليهم السّلام و قد عصمهم اللّه تعالى

ص: ۴۶۹

۱- ۱) الأعراف:۱۵۵.

۲- ۲) الأعراف:۱۵۵.

۳- ۳) طه:۴۰.

۴- ۴) العنكبوت:۱-۲.

منها، و ما كان ممدوحا و لا يقال بشأنهم فهو ثابت لهم، فالفتنه بمعنى الكفر و الشرك و الجنون و الإيقاع فى المآثم و أمثالها فهو منفى عنهم عليهم السّلام لما تقدم.

قوله عليه السّلام: «و طهّركم من الدنس، و أذهب عنكم الرجس أهل البيت و طهّركم تطهيرا» .

أقول: الكلام يقع فى أمور: الأوّل: فى معنى طهّر و معنى تطهيرا، فنقول: قال فى المجمع: و طهرت المرأه من الحيض من باب قتل، و فى لغه: من باب قرب أى نقيت و التطهّر و التنزّه و الكفّ عن الإثم، و قال فيه: و فى الحديث ذكر الطهاره و هى مصدر قولك: طهّر الشيء (فتحا و ضما) بمعنى النزاهه، و منه ثياب طاهره، و قوم يتطهّرون أى يتنزّهون. و فيه: قوله: (وَ أَنْزَلْنا مِنَ اَلسَّماءِ ماءً طَهُوراً) أى طاهرا نظيفا يطهّر من توضأ منه و اغتسل من جنابه. أقول: فعلى هذا فالطهاره هى النقاوه و التنزّه و التخليص و النظافه، و هذه أمور تحصل بسبب أمر عمّا يضادها، أى أنّ النقاوه و التنزّه و غيرهما ممّا ذكر تحصل بسبب كالماء أو التوبه أو الطاعه مثلا-عمّا يضادها من الأرجاس و الأنجاس و الخبائث و المعاصى، و غيرها من المعايب و النقائص الظاهريه و الباطنيه. و بعباره أخرى: أنّ من الأمور ما يستخبث و يعبّر عنه بالنجاسات و الأقذار، و هى إمّا تعرض فى الأعيان الخارجيه كالنجاسات و الأوساخ العارضه لها، و إمّا تعرض فى الأقوال و الأفعال كالمعاصى المتحققه بهما، و إمّا تعرض فى القلوب، و هى على أقسام سنتعرّض لها إن شاء اللّه. فاستعمال الطهاره فى جميع هذه الأمور يكون بنحو الحقيقه، و قد يكنّى ببعضها عن بعض كما فى قوله تعالى: (وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ) (۱)، قال فى المجمع: أى عملك فأصلح

ص: ۴۷۰

۱- ۱) المدثر:۴.

أو قصّر، أو لا تلبسها على فخر و كبر. و قيل: معناه اغسل ثيابك بالماء. و قيل: كنّى بالثياب عن القلب. و قيل: معناه لا تكن غادرا فإنّ الغادر دنس الثياب. قوله: (فِيهِ رِجٰالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اَللّٰهُ يُحِبُّ اَلْمُطَّهِّرِينَ) (١). قيل: المراد الطهاره من الذنوب، و الأكثر أنّها الطهاره من النجاسات.

قيل: نزلت فى أهل قبا روى ذلك عن الباقر و الصادق عليهما السّلام

و روى أنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال لهم: ما تفعلون فى طهركم، فإنّ اللّه قد أحسن عليكم الثناء؟ فقالوا: نغسل أثر الغائط بالماء. . إلخ. أقول: و أنت إذا علمت حقيقه الطهاره و موارد استعمالها بنحو الضابط الكلّى، تعلم المراد من موارد الاستعمال من حيث الطهاره الحاصله فى القلب أو الأعمال أو الأعيان، ثمّ إنّ

قوله عليه السّلام فيما يأتى: «و طهّركم تطهيرا» ، يشير إلى أنّه تعالى قد طهّرهم بالطهاره الكامله و حاصله: أنّ المراد من الطهاره الحاصله لهم عليهم السّلام هو الطهاره بتمام معانيها من الحاصله فى القلوب و الأفعال و الأعيان، أى الأبدان و الثياب مثلا، إلّا أنّ الأخير لم يكن مقصودا من الكلام كما لا يخفى. و كيف كان فالمفعول المطلق (أعنى قوله: تطهيرا) يستفاد منه حصول الطهاره الكامله لهم عليهم السّلام و حاصله: أنّ الطهاره فى الظاهر قد تكون رافعه للنجاسه الظاهريه دون الحدثيه، كما لو غسل الجنب يده من النجاسه الظاهريه، و قد تكون الطاهره تزيل صوره الخبث دون حقيقتها كما لو غسل يده المتنجسه بالبول بالماء القليل من دون التطهير الشرعى بأن غسله مره، أو تزيل حكم النجاسه دون لونها كما لو غسل الثوب المتنجس بالدم بحيث طهّر شرعا و بقى لونه المعفو عنه، أو غسله بحيث أزال لون النجاسه و جرمها و لكن بقيت رائحتها (أى رائحه الدم) مثلا. و قد تكون الطهاره مبيحه غير رافعه للحدث كالتيمم فى ضيق الوقت، و قد تكون رافعه للحدث غير كامله كما لو توضأ و لم يقرأ الدعوات المأثوره للوضوء،

١- ١) التوبه:١٠٨.

فقد ورد أنّه لا يطهّر منه إلّا الأعضاء المغسوله، و قد تكون كامله كما لو قرأها و لم تكن مزيله لبعض الأوساخ غير المانعه، كما لو توضأ مع الأدعيه، و عليه الأوساخ، التى لا تكون مانعه للصلاه هذا كلّه فى الطهاره الظاهريه، و كذلك تكون الطهاره الباطنيه بلحاظ الكفر و الشك و الإنكار و الوسوسه و الوقف القلبى، و النسيان و الغفله و السهو و التقصير و القصور، أو عدم الرضا و الجهل و التردد و الالتفات، فإنّ القلوب قد تكون طاهره من جميعها، و قد تكون طاهره من بعضها، فقوله تعالى (وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (۱)يراد منه أنّه تعالى قد طهّر قلوبهم عليهم السّلام عن جميعها، كما يأتى بيانه. فظهر أنّ الطهاره الظاهريه كما أنّها تكون ذات مراتب، فكذلك الباطنيه تكون ذات مراتب، فاللّه تعالى قد طهّرهم عليهم السّلام عن جميعها. ثمّ إنّ معنى الدنس الذى طهّرهم اللّه عنه كما فى المجمع: أصل الدنس الوسخ، يقال: دنس الثوب يدنس دنسا: توسّخ. و تدنّس مثله، و دنّسه غيره تدنيسا. و أما أقسامه فمنها: دنس النسب من الزنا أو النكاح بغير طيب النفس، أو بالمهر الحرام، أو المشتبه، و من الدنس الملحق بالزنا

ما ورد: أنّ ولد الزنا لا يطهّر إلى سبعه آباء، أى إلى الأولاد المتأخرين من ولد الزنا هذا، و كيف كان فقد طهّرهم من الدنس بهذا المعنى،

و ورد فيهم عليهم السّلام: لم تدنّسكم الجاهليه الجهلاء.

و فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اللّه كان إذ لا كان فخلق الكان و المكان، و خلق الأنوار، و خلق نور الأنوار الذى نوّرت منه الأنوار، و أجرى فيه من نوره، الذى نوّرت منه الأنوار، و هو النور الذى خلق منه محمدا و عليّا، فلم يزالا نورين أزليين، إذ لا شىء كوّن قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين فى الأصلاب

۱- ۱) الأحزاب:۳۳.

الطاهره حتی افترقا فی أطهر طاهرین فی عبد اللّه و أبی طالب.

و فی الوافی عن من لا یحضره الفقیه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام: أنّ آدم ولد له شیث، و أنّ اسمه هبه اللّه، و هو أوّل وصی أوصی إلیه من الآدمیین فی الأرض، ثمّ ولد له بعد شیث یافث، فلمّا أدرک أراد اللّه أن یبلغ بالنسل ما ترون، و أن یکون ما جری به القلم من تحریم ما حرّم اللّه من الأخوات علی الإخوه، أنزل اللّه بعد العصر فی یوم الخمیس حوراء من الجنه اسمها نزله، فأمر اللّه عزّ و جلّ آدم أن یزوّجها من شیث فزوّجها منه، ثمّ أنزل بعد العصر من الغد الحوراء من الجنه و اسمها منزله فأمر اللّه عزّ و جلّ آدم أن یزوّجها من یافث فزوّجها منه فولدت لشیث غلاما، و ولد یافث جاریه. فأمر اللّه سبحانه آدم حین أدرکا أنّ یزوّج ابنه یافث من ابن شیث، ففعل، و ولدت الصفوه من النبیین و المرسلین من نسلهما، و معاذ اللّه أن یکون ذلک علی ما قالوا من أمر الإخوه و الأخوات.

و ورد فی تفسیر قوله تعالی: (وَ تَقَلُّبَکَ فِی اَلسّاجِدِینَ) (۱)یعنی فی أصلاب النبیین و أرحام نسائهم. و فی تفسیر نور الثقلین و فی مجمع البیان قیل: معناه و تقلّبک فی أصلاب الموحّدین من نبی إلی نبی حتی أخرجک نبیا،

عن ابن عباس فی روایه عطا و عکرمه و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام قالا: فی أصلاب النبیین نبی بعد نبی حتی أخرجه من صلب أبیه عن نکاح غیر سفاح من لدن آدم علیه السّلام.

و فی سفینه البحار (۲)، فی ماده کفن و فی إرشاد المفید أنّه سأل السندی بن شاهک موسی بن جعفر علیه السّلام: أن یأذن له أن یکفّنه فأبی علیه السّلام و قال: «إنّا أهل بیت مهور نسائنا و حج صرورتنا و أکفان موتانا من طهره أموالنا، و عندی کفنی» فظهر من هذه

ص: ۴۷۳

۱- ۱) الشعراء:۲۱۹.

۲- ۲) سفینه البحار ج ۲ ص ۴۸۶.

الأحـاديث أنّهم عليهم السّـلام ولـدوا من الآبـاء و الأمّهـات الطـاهرات، و لم يلحقهم دنس فى الولاـده بتمـام معنـاه، لا فى أصـل النسب، و لا من جهه الشـبهه فى المهر أو غير ذلک کما لا يخفى. و منها: الـدنس الـذى يلحق العقل و النفس و الجسم فى أمور المعارف و المعتقدات و الأحوال و الأعمال و الأقوال، أمّا الدنس فى العقل فعمدته الشک فى التوحيد و المعارف.

ففيه، عن تفسير العياشى، عن أبى جعفر عليه السّـلام فى حـديث طويـل فى بيـان آيه التطهير و فى آخره، ثمّ قال أبو جعفر عليه السّـلام: الرجس هو الشک و اللّه لا نشکّ فى ديننا أبـدا. و الرجس کما سـيجىء بيانه قريبا هو الـدنس و الوسخ المعنوى کما لا يخفى، فقلوبهم عليهم السّلام مطهّره عن الشک.

و فى النهج فى خطبه له عليه السّـلام: و لقد علم المسـتحفظون من أصـحاب محمد صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم أنّى لم أرد على اللّه و لا على رسوله ساعه قط، الخطبه. و کيف کان فالريب و الشک و نحوهما منفى عن قلوبهم، بل هى مقر لليقين و الاستقامه و الثبات، و الطمأنينه و السکينه و الوقار. و من هنا يعلم طهارتهم عليهم السّلام عن النکس فى القلب حيث إنّه من آثار الشرک.

ففى الکافى فى باب القلب عن أبى جعفر عليه السّـلام قال: القلوب أربعه: قلب فيه نفاق و إيمان، و قلب منکوس، و قلب مطبوع، و قلب أزهر أجرد، فقلت: مـا الأـزهر؟ قـال: فيه کهيئه السـراج، قـال: فأمّـا المطبوع فقلب المنـافق، و أمّا الأزهر فقلب المؤمن، إن أعطاه شـکر، و إن ابتلاه صبر، و أمّا المنکوس فقلب المشرک ثمّ قرأ هذه الآيه (أَ فَمَنْ يَمْشِى مُکِبًّا عَلىٰ وَجْهِهِ أَهْدىٰ أَمَّنْ يَمْشِى سَوِيًّا عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْـتَقِيمٍ) و أمّا القلب الذى فيه إيمان و نفاق فهم قوم کانوا بالطائف إن أدرک أحدهم أجله على نفاقه هلک، و إن أدرک على ايمانه نجا. هذا بالنسبه إلى أرواحهم و عقولهم عليهم السّلام و أمّا الدنس فى النفس فلا ريب فى أنّ

نفوسهم عليهم السّلام أحسن مصداق لقوله تعالى: (يَا أَيَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّةُ. اِرْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ) (۱)، فالصفات الرذيله منفيه عن نفوسهم، بل هى مطهّره عن الجهل و الغفله و النسيان، كما دلّت عليه الروايات، التى دلّت على أنّ لهم الروح القدس، الذى لا ينام و لا يسهو و لا يغفل و قد تقدمت، فنفوسهم الشريفه تحت ظلّ عقولهم الكامله مقر العلم و الحفظ و التذكّر و الخيالات الحسنه. و أمّا الدنس فى الجسم الذى هو محل الأعمال و قيامها به على اختلافها فلا ريب فى أنّ أعمالهم كلّها حسنه، و إن كانت من مثل مباشره النساء، فإنّها كما يرضاه الربّ، بل علمت فيما تقدم أنّ عمده أعمالهم فى العبادات فهم عليهم السّلام غير تاركين للأعمال الصالحه من المستحبات فضلا عن الواجبات، إلّا فى بعض الموارد لبيان الجواز الذى هو من التبليغ و الإرشاد فهم عليهم السّلام عاملون بما أمرهم اللّه تعالى بدون استقلال و لا طلب الراحه كما لا يخفى على من تتبع أحوالهم عليهم السّلام. ثمّ إنّه لما كانت قلوبهم قد نفى عنها الشك و الريب، فلا محاله ليس لهم التردد فى الأمور مطلقا فهم عليهم السّلام فى حال اليقين و البصيره، فلا يترددون أبدا بين الحق و الباطل كما يكون لغيرهم، و لذا نرى غيرهم ممّن هو متردّد ربّما مال إلى الباطل و لو جهلا بالأمور كما لا يخفى. و كيف كان فجميع آثار الشك منفى عنهم لنفى منشئه و هو الشك، و من هنا يعلم أنّهم عليهم السّلام ليس لهم توقف فى الأمور و المعارف لتوقف القلب. بيانه: أنّه يستفاد من الأحاديث أنّ توقف القلب فى الأمور ربّما يعبّر عنه بالسهو، و ذلك أنّه ربّما تمرّ على القلب ساعات يكون القلب فيها واقفا و هو سهوه، و لعلّ هذا الحال هو ملال القلب،

ففى النهج: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمه.

ص: ۴۷۵

۱- ۱) الفجر:۲۷-۲۸.

و يشير إلى هذا الوقف القلبى ما

فى الكافى عن الشحام قال: زاملت أبا عبد اللّه عليه السّلام قال: فقال لى: اقرأ، فافتتحت سوره من القرآن فقرأتها فرقّ و بكى، ثمّ قال: يا أبا أسامه ارعوا قلوبكم بذكر اللّه تعالى و احذروا النكت، فإنّه يأتى على القلب تارات أو ساعات الشك من صباح ليس فيها إيمان و لا كفر شبه الخرقه الباليه أو العظم النخر، يا أبا أسامه أ ليس ربّما تفقدت قلبك فلا تذكر به خيرا و لا شرّا، و لا تدرى أين هو، قال: قلت له: بلى إنّه ليصيبنى و أراه يصيب الناس، قال: أجل ليس يعرى منه أحد. قال: فإذا كان ذلك فاذكروا اللّه تعالى و احذروا النكت، فإنّه إذا أراد بعبد خيرا نكت إيمانا، و إذا أراد به غير ذلك نكت غير ذلك، قال: قلت: و ما غير ذلك جعلت فداك ما هو؟ قال: إذا أراد كفرا نكت كفرا.

قوله عليه السّلام: و احذروا النكت، ربّما يقرأ بالثاء المثلثه بمعنى نقض العهد، أى عهد الإيمان، و قد يقرأ (كما فى بعض النسخ) بالمثناه، فالمراد احذروا نكت الكفر كما صرّح فى الحديث و لعلّه أظهر. و مثله غيره من الأخبار. و كيف كان فالكلام فى بيان سبب هذا الوقف القلبى، ثمّ فى بيان ما يزيله، فنقول: أمّا السبب قد يكون لأجل حبّ الدنيا و كثره ذكرها، بحيث ترى محبّ الدنيا يذكر اللّه تعالى بما ورد من الأدعيه لغرض دنيوى أو بداع مادى، فهذا الذكر و إن كان حسنا إلّا أنّه لا يوجب صفاء القلب لخبث الداعى و الغرض، فحينئذ يكون القلب باقيا على محجوبيته، فربّما ظهرت آثاره من الوقف، بل و من الشك و التردد فى الدين، -نعوذ باللّه تعالى منه-و هذا بخلاف الذكر الإلهى،

قال عليه السّلام فى النهج: أمّا بعد فإنّه سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقره، و تبصر به بعد العشوه، و تنقاد به بعد المعانده. . و قد يكون السبب له كثره الاشتغال بما لا يعنيه، و أمثال ذلك من كلّ ما ليس للّه

تعالی، و قد یکون السبب ممارسه أهل الباطل و المعصیه الذین قد ران علی قلوبهم آثار الکفر و المعاصی، فیتلطّخ قلبه من ظلمهم و باطلهم و إنکار للحق، و لا أقلّ من الوقف فی الأمور و الحقائق، و قد یکون السبب-و العیاذ باللّه-ائتلافه فی عالم الذر مع أرواح المخالفین بحیث أثّر فیه حال الوقف فی الأمور أو الحق. فظهر ممّا ذکر أنّ وقف القلوب مختلف حسب اختلاف أسبابها فی القلب، فربّما وقف بین الکفر و الإیمان، و ربّما وقف دون ذلک فی الضروریات الدینیه، أو بعض الأحکام، أو بعض الأمور ممّا لا یوجب کفرا. و کیف کان فالمراد من الوقف أنّه ربّما ینکت فی قلبه، أی یحصل بعد الوقف میله الذاتی إلی الإیمان، فینکت فیه ما اقتضاه وجوده بمیله من الإیمان بمراتبه أو ببعضها، حسب ما تقتضیه ذاته و میله بتذکیر اللّه تعالی له من المعارف و البراهین، التی توجب ذلک کمّا من المراتب و کیفا من الیقین و الاستقامه، و ربّما یحصل بعد الوقف میله الذاتی إلی الکفر فینکت فیه (أی فی قلبه) الکفر، لمیله ذلک و عدم ترجیحه الإیمان علی الکفر، لعدم تذکیر اللّه تعالی له بما یوجب الإیمان حسب ما یراه تعالی من المصلحه، و ما یراه تعالی جزاء له لسوء فعله. و الحاصل: أنّ الوقف هو تساوی الحالین المذکورین، و النکت هو ترجیحه أحد الأمرین بعده من الکفر و الإیمان، و الوقف هو تساوی الطرفین دون ظهور الترجیح لأحدهما، و بهذا یفترق عن الشک إذ هو عباره عن استقلال المیل لکلّ من الطرفین مع قطع النظر عن الآخر بحیث کلّ منهما یعلم عمله، فیحصل الشک و التردید، و هذا بخلاف الوقف المعبّر عنه بالسهو القلبی أیضا فهو حاله السکون القلبی الذی یشبه الغفله. و بعباره أخری: أنّ الشاک متوجّه إلی تردده، و منشإ شکّه، فهو فی ریب و نقل و انتقال تاره إلی هذا المیل و الموجب، و أخری إلی الأخری، و هذا بخلاف الوقف حاله السکون و السهو و ما یشبه الغفله کما لا یخفی.

ص: ۴۷۷

فظهر ممّا ذكر أنّ للقلب أحوالا: الأوّل: حال الثبات و المحض على الإيمان كما هو حال أولياء اللّه الوارد فى حقّهم: أنّهم كالجبل الراسخ، و نحوه الأوصاف المذكوره لهم فى محلّه، أو المحض على الكفر كما هو حال الكفار و المنافقين الذين أخبر اللّه تعالى عنهم بقوله: (وَ طُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ) (١)و بقوله: (سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ) (٢)و بقوله: (لاٰ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّٰى يَرَوُا اَلْعَذٰابَ اَلْأَلِيمَ) (٣)و قد فسّرت حالاتهم فى تفسير تلك الآيات كما لا يخفى. الثانى: حال الشك و هو الاستقلال النفسى فى أعمال ميله بدون الاستقرار على أحد الطرفين. الثالث: حال الوقف و هو حال ميله الذاتى إلى الخير و إلى الشرّ بدون صفه الفعل، أى بدون ترجيح لأحدهما، بل يكون الميل إليهما متساويا غير مؤثر للترجيح و العمل القلبى من قبول أحدهما، و هذا هو الحال الذى لا يذكر به خير و لا شرّ ترجيحا و عملا، بل لا يدرى أين هو كما فى الحديث، و التعبير عن هذا الحال بالوقف بحسب الظاهر، و إلاّ ففى الحقيقه هو ميل ذاتى خال عن الانبعاث الفعلى أى باعث فعلى، بحيث يبعث الجوارح أو الجنان و الجوانح على الفعل، بل هو ميل ذاتى إلى الوقف عنهما كما لا يخفى. أقول: و ربّما يطلق وقف القلب على ما يعرض للأولياء الكملين، و هو عباره عن سجود القلب بين يدى اللّه تعالى، و تحت العرش عرش العظمه و الكبرياء و الجبروت الظاهره فى قلوبهم، و المراد من سجوده هو خضوعه لديه و فناؤه عن النفس و فناؤه فى الربّ بالمعنى المتقدم، و هو رؤيته كل جمال و كمال فيه تعالى فقط.

١- ١) التوبه:٨٧.

٢- ٢) البقره:۶.

٣- ٣) الشعراء:٢٠١.

و لعمری إنّ هذا الحال هو أقوی و أحسن حال القلوب، و حقیقته أنّه (أی قلب هذا الولی) حینئذ لا یشعر بنفسه و لا بغیره تعالی، لاستغراقه فی رؤیه جماله و جلاله -رزقنا اللّه تعالی ذلک بمحمّد و آله الطاهرین-و هذا الحال أسرع حال للسیر إلیه تعالی کما لا یخفی و قد حقّق فی محلّه. و أمّا الکلام فی بیان ما یزیل هذا الوقف المذموم، فهو أن یکون الإنسان مراعیا لقلبه بالتوجّه إلیه تعالی و بذکره، و لعلّه إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فی الحدیث المتقدّم «ارعوا قلوبکم بذکر اللّه» ، و تقدّم

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أمّا بعد فإنّه سبحانه جعل الذکر صفاء للقلوب» الحدیث. و أحسن ذکر للّه تعالی هو القرآن، قال تعالی: (وَ نُنَزِّلُ مِنَ اَلْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِینَ) (۱)، و قد ذکر علماء الأخلاق فی بیان ما یوجب تنوّر القلب ما یفید فی المقام، فینبغی الرجوع إلیه و من الدنس و الطبع علی القلب، و ذلک إذا عمل المعاصی عن علم فیوجب ذلک سوادا فی القلب.

ففی الوافی (۲)عن الکافی، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: ما من عبد إلاّ و فی قلبه نکته بیضاء، فإذا أذنب ذنبا خرج فی القلب نکته سوداء، فإن تاب ذهب ذلک السواد، و إن تمادی فی الذنوب زاد ذلک السواد حتی یغطّی البیاض، فإذا غطّی البیاض لم یرجع صاحبه إلی خیر أبدا، و هو قول اللّه تعالی: (کَلاّٰ بَلْ رٰانَ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ) (۳).

و فی حدیث بعد ما ذکر ما یقارب هذا قال علیه السّلام: فلا یفلح بعدها أبدا. أقول: و لعلّ قوله تعالی: (بَلْ طَبَعَ اَللّٰهُ عَلَیْهٰا بِکُفْرِهِمْ) (۴)یشیر إلی هذا الرین الحاصل للعبد المذنب الموجب للکفر و اللّه العالم.

۱- ۱) الإسراء:۸۲.

۲- ۲) الوافی: ج ۱، ص ۱۶۷، باب غوائل الذنوب.

۳- ۳) المطففین:۱۴.

۴- ۴) النساء:۱۵۵.

و كيف كان فاللّه تعالى قد طهّر قلوبهم المطهّره عن هذا الدنس، كما لا يخفى، و من الدنس، نكس القلب و هو من آثار الشرك.

ففى الكافى فى حديث عن أبى جعفر عليه السّلام. . إلى أن قال عليه السّلام: و أمّا القلب المنكوس فقلب المشرك، وجه كون قلبه منكوسا أنّ القلب إذا استضاء بنور العقل صار متعاليا و سما فى العلو، و أمّا إذا دخل فيه الجهل بما هو ظلمه كما علمته سابقا، فلا محاله توجب ظلمته نكسا له، لأنّه حينئذ ناظر إلى نفسه و إلى الجهه السفلى، لأنّ عدم العلو هو السفل للقلب، و لعلّه إليه يشير قوله تعالى: (نٰاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) (۱)فإنّه لمّا أنكر الحقّ فلم يرفع رأسه إليه تعالى فلا محاله يكون ناكسا إلى نفسه أو إلى السفل و اللّه العالم. هذا و قد طهّرهم اللّه تعالى عن هذا أيضا، لما تقدّم مرارا من أنّ أرواحهم و قلوبهم عليهم السّلام مظهر للتوحيد كما علمته فيما تقدّم. و من الدنس القلوب التى فيها نفاق و إيمان، بيانه: أنّ الدنس القلبى المعبّر عنه بالنفاق له مراتب، فربّما بلغ مرتبه الكفر الذى لا يجامع أى مرتبه من الإيمان، و لو كانت ضعيفه، و ربّما يكون بمرتبه يجامع مع بعض مراتب الإيمان، و لكن بحيث له أثر فى القلب من الظلمه و المشى على المعاصى، فحينئذ يكون صاحبه فى خطر عظيم.

قال الصادق عليه السّلام فى بيان أقسام القلب: و أمّا القلب الذى فيه إيمان و نفاق فهم قوم كانوا بالطائف، إن أدرك أجله أحدهم على نفاقه هلك، و إن أدركه على إيمانه نجا. أقول: لأنّ الأجل يأتى بما يكون القلب عليه من حال الكفر أو الإيمان كما حقّق فى علم الأخلاق. و كيف كان فهذا القلب الذى فيه نفاق هو قلب المنافق بما له من المراتب، فإنّ النفاق أيضا ذو مراتب، و لعلّ هؤلاء هم المعارون فى الإيمان.

۱- ۱) السجده:۱۲.

ففی البحار (۱)،

عن الکافی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ العبد یصبح مؤمنا و یمسی کافرا و یصبح کافرا، و یمسی مؤمنا، و قوم یعارون الإیمان ثمّ یسلبونه و یسمّون المعارین، ثمّ قال: فلان منهم.

و فیه، عن رجال الکشی، عن عیسی شلقان قال: قلت لأبی الحسن علیه السّلام و هو یومئذ غلام قبل أوان بلوغه: جعلت فداک، ما هذا الذی یسمع من أبیک أنّه أمرنا بولایه أبی الخطّاب ثمّ أمرنا بالبراءه منه؟ قال: قال أبو الحسن علیه السّلام من تلقاء نفسه: إنّ اللّه خلق الأنبیاء علی النبوّه فلا یکونون إلّا أنبیاء، و خلق المؤمنین علی الإیمان فلا یکونون إلّا مؤمنین، و استودع قوما إیمانا فإن شاء أتمّه و إن شاء سلبهم إیّاه، و إنّ أبا الخطاب کان ممّن أعاره اللّه الإیمان فلمّا کذب علی أبی سلبه اللّه الإیمان، قال: عرضت هذا الکلام علی أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: فقال: لو سألتنا عن ذلک ما کان لیکون عندنا غیر ما قال. أقول: فیعلم من هذا الحدیث أنّ المراد من فلان فی الحدیث السابق عن الکافی هو أبو الخطّاب. و کیف کان فالنفاق البالغ مرتبه الکفر، فقد ظهر ممّا تقدّم أنّه تعالی قد طهّرهم منه، و أمّا الذی یجامع مع الإیمان و مع بعض مراتبه فهذا أیضا دنس للقلب، لأنّه بهذا اللحاظ فی خطر السقوط. و الحاصل: أنّ القلب الذی فیه إیمان و کفر یکون بمقدار فیه الکفر ملوّثا و هو دنس له، و اللّه تعالی قد طهّر قلوبهم علیهم السّلام عن هذا النحو من الدنس أیضا، فلا یکون فی قلوبهم إلّا الإیمان المحضّ. و من الدنس وسوسه القلب و حدیث النفس، بما ربّما یوجب الخروج عن الحقّ و الدین، و سببه أنّ القلب علی حسب الغالب یکون فیه بحسب الذات ما یوجب المشی علی طبق الحقّ و الواقع، حیث إنّه تعالی خلقه علی فطره التوحید کما

۱- ۱) البحار ج ۶۹ ص ۲۲۵.

تقدّمت الأحاديث المصرّحه به سابقا، و إليه يشير قوله عليه السّلام فی حديث أبی عبد اللّه عليه السّلام

كما فی الكافی (۱)من قوله عليه السّلام: «إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق الناس كلّهم على الفطره، التی فطرهم عليها، لا يعرفون إيمانا بشريعه و لا كفرا بجحود، ثمّ بعث اللّه الرسل تدعوا العباد إلى الإيمان به، فمنهم من هدى اللّه، و منهم من لم يهده اللّه» و يكون فيه أيضا بحسب ماهيّته حيث إنّه لو لا التفضّل الإلهی يكون مظلما، فينفخ فيه الشيطان من الأمر بالشرور بالوسوسه، فربّما تستحكم فيه الأوهام الباطله، التی ليست لها حقيقه، و لا قرار لها فی القلب، و لم تتعلّق بأمر اللّه تعالى من طاعته و ذكره و معرفته و معرفه صفاته، و لعلّه إلى هذين الحالين يشير ما

فی الكافی (۲)، عن حمّاد، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: «ما من قلب إلاّ و له أذنان على إحداهما ملك مرشد، و على الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره و هذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصی، و الملك يزجره عنها، و هو قول اللّه عزّ و جلّ: (عَنِ اَلْيَمِينِ وَ عَنِ اَلشِّمٰالِ قَعِيدٌ. مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (۳). و كيف كان فالمستفاد من هذه الأحاديث أنّه ربّما تختلج فی القلب هذه الوساوس، فربّما توجب الوسوسه أنّ يذهب القلب إلى حدوث القديم تعالى، أو إلى قدم الحادث، أو إلى فسق الأنبياء-و العياذ باللّه-أو إنكار الضروريات، أو إلى أنواع السفسطه، و ربّما تستحكم تلك الأوهام فی القلوب حتى تحصل لصاحبها فی حال الصلاه و العبادات، و هذه الأوهام ربّما تعرض للمؤمن فيتألّم منها، و يتوهّم أنّها تضرّ باعتقاده و يكون علاجها: الالتفات إلى ذكر اللّه و الإعراض عنها.

ففی الكافی (۴)، عن محمّد بن مسلم، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: جاء رجل إلى

۱- ۱) الكافی ج ۲، ص ۴۱۷.

۲- ۲) الكافی ج ۲، ص ۲۲۶.

۳- ۳) سوره ق:۱۷-۱۸.

۴- ۴) الكافی ج ۲، ص ۴۲۵.

النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال: يا رسول اللّه هلكت، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «أتاك الخبيث» فقال لك: «من خلقك» ؟ فقلت: اللّه، فقال لك: اللّه من خلقه؟ فقال: إى و الذى بعثك بالحقّ لكان كذا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ذاك و اللّه محض الإيمان. قال ابن أبى عمير: فحدّثت بذلك عبد الرحمن بن الحجاج، فقال: حدّثنى أبى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إنّما عنى بقوله هذا «و اللّه محض الإيمان» خوفه أن يكون قد هلك، حيث عرض له ذلك فى قلبه.

و فيه (1)، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: إنّه يقع فى قلبى أمر عظيم فقال: قل: لا إله إلاّ اللّه، قال جميل: فكلّما وقع فى قلبى شىء، قلت: لا إله إلاّ اللّه، فيذهب عنّى.

و فى حديث علىّ بن مهزيار عن الجواد عليه السّلام. . إلى أن قال: فقال عليه السّلام: و الذى نفسى بيده، إنّ ذلك تصريح الإيمان، فإذا وجدتموه فقولوا: آمنّا باللّه و رسوله، و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه. و كيف كان فالمستفاد من هذه الأحاديث أنّ تلك الوساوس ممّا تعرض للمؤمن، و علاجها ما ذكر، و على أى حال هو دنس للقلب خصوصا إذا كان باقيا فى القلب، عصمنا اللّه منها كما عصم أولياءه، هذا و قد طهّرهم اللّه تعالى عنه أيضا. و من الدنس عروض الغفلات فى العبادات الفعليه و القوليه من المناجاه، فإنّها أيضا دنس للقلب حين العباده، و قد طهّرهم اللّه تعالى عنها، كما تدلّ عليه الأحاديث الوارده فى حالاتهم فى العبادات الحاكيه عن كمال توجههم عليهم السّلام إليه تعالى، كما لا يخفى على المتتبّع لآثارهم عليهم السّلام. و حاصل الكلام: أنّه تعالى لمّا خلقهم أنوارا من نور عظمته، و منحهم الروح القدس، الذى لا يسهو و لا يغفل، و الذى به علموا الأشياء كما مرّ مرارا، فلا محاله هم عليهم السّلام دائما فى حال التوجّه و الإخلاص و الإقبال إليه تعالى، فلا تعرض لهم تلك النقائص الدنسيه لا على عقولهم و لا على أرواحهم و نفوسهم و طبائعهم، بل و لا

۱- ۱) الكافى ج ۲، ص ۴۲۴.

على موادهم و صورهم الخلقيه كما حقّق في محله، كيف و هم أحسن مصداق لقوله تعالى: (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (۱)و لقوله: (وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لاٰ يَسْتَحْسِرُونَ) (۲)و قد تقدّم شرحهما فراجعهما، فإنّه مفيد للختام. هذا و قد عبّر عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالسراج المنير فى قوله تعالى: (وَ سِرَاجاً مُنِيراً) (۳)(و سِرَاجاً وَهّاجاً) (۴)أى ليس فيه شيء من الظلمه، هذا و قد مدحه اللّه تعالى بقوله: (إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (۵)و الحمد للّه ربّ العالمين. و أمّا

قوله عليه السّلام:

«و أذهب عنكم الرجس أهل البيت و طهّركم تطهيرا»

فنقول فى المجمع: قوله تعالى: (كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اَللّٰهُ اَلرِّجْسَ عَلَى اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ) (۶)أى اللعنه فى الدنيا و العذاب فى الآخره، قوله تعالى: (فَزٰادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ) (۷)أى نتنا إلى نتنهم، و النتن عباره عن الكفر أى كفرا إلى كفرهم. . . إلى أن قال: و الرجس و الرجز واحد و هو العذاب. . إلى أن قال: قيل: الرجس (بالكسر) القذر، و قيل: العقاب و الغضب. إلى أن قال: قوله: (إِنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ) (۸)أى الأعمال القبيحه و المآثم. و الرجس لطخ الشيطان و وسوسته، و قوله تعالى: (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ) أى رجس الشيطان قال بعضهم: الرجس هو اسم لكلّ ما يستقذر من عمل. . إلى أن قال: و الشكّ فى الدين، أى أنّ الرجس فسّر بالشكّ كما سيأتى حديثه.

۱- ۱) الأنبياء:۲۶-۲۷.

۲- ۲) الأنبياء:۱۹.

۳- ۳) الأحزاب:۴۶.

۴- ۴) النبأ:۱۳.

۵- ۵) القلم:۴.

۶- ۶) الأنعام:۱۲۵.

۷- ۷) التوبه:۱۲۵.

۸- ۸) الأحزاب:۳۳.

أقول: الظاهر أنّ الرجس هو ما يستقذر من الأمور الظاهريه أو الباطنيّه. أمّا الظاهريه: فظاهر فيطلق على كلّ جنس، و كلّ ما يعده العرف قذرا، بل فى المحكىّ عن الشيخ فى التهذيب: إنّ الرجس هو النجس بلا خلاف، و لذا حمل قوله تعالى: (إِنَّمَا اَلْخَمْرُ وَ اَلْمَيْسِرُ وَ اَلْأَنْصابُ وَ اَلْأَزْلاٰمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ اَلشَّيْطانِ) (١)على أنّ المراد من الرجس فيها النجس، و إن علمت أنّه بمعنى القذر و هو عام كما لا يخفى. و أمّا الباطنيه: فله مصاديق كثيره من الصفات الرذيله، و أهمّها الكفر، إلاّ أنّه فسّر الرجس فى آيه التطهير بالشكّ.

ففى غايه المرام عن محمّد بن يعقوب بإسناده عن أبى بصير، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام و ساق الحديث. . إلى أن قال فى بيان آيه التطهير و قال عليه السّلام: «الرجس هو الشكّ، و اللّه لا نشكّ فى ربّنا أبدا» . و كيف كان فهذه الجمله اقتباس من الآيه الشريفه: (إِنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فقد طهّرهم اللّه تعالى من جميع مصاديق الرجس من النجاسات الظاهره و الباطنه فى كلّ مرتبه من مراتب وجوداتهم، و فى أى حال من أحوال تكاليفهم، و من الكبائر و الصغائر و المكروهات الظاهريه و الباطنيه حتى من مثل ترك الأولى. و الحاصل: أنه تعالى طهّرهم من الذنوب و القبائح الموجبه لتلوّث القلب و الروح و النفس، و الحواس و الجوارح، و الجسد و الأعراض، فهم عليهم السّلام مطهّرون من جميع ذلك من التلوّث، فهم عليهم السّلام مطهّرون من كلّ ما يحتمل، و يعرض من حدث، أو خبث باطنى أو وسخ أو نقص، أو ما لا ينبغى، أو غير كمال ما ينبغى ظاهرا أو باطنا صغيرا أو كبيرا، عن قصد أو نسيان أو غفله أو سهو، أو تقصير أو قصور، أو عدم الرضا منه تعالى، أو لجهل أو لتردّد أو لأجل الالتفات إلى غير الحقّ، أو الشكّ أو الإنكار أو غير ذلك ممّا فيه شائبه الرداءه فقد طهّرهم اللّه تعالى من جميع ذلك.

١- ١) المائده: ٩٠.

و أمّا ما يخرج عنهم عليهم السّلام من المدفوعات فهى أيضا ليست كما يخرج من ساير الناس،

و فى الحديث (۱): «و لا يرى له (أى للإمام عليه السّلام) بول و لا غائط، لأنّ اللّه عزّ و جلّ قد وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه» . و أمّا الحدث الحاصل لهم فهو أيضا ليس كالحدث من غيرهم، و لذا دلّ الدليل على جواز دخول النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الوصى عليه السّلام مسجد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم جنبا كما لا يخفى، و هذا من خصائصهم المختصّه بهم عليهم السّلام كما لا يخفى، و أمّا ما يتراءى ظاهرا من صدور المكروهات، أو ترك الأولى فقد تقدّم الكلام فيه مفصّلا فى بيان أنّهم المعصومون، و أنّ صدور ذلك منهم لمصلحه، يكون لتلك المصلحه جائز الفعل لبيان التعليم و بيان الجواز للناس، و تقدّم الجواب عمّا يتوهّم من صدور المعصيه منهم من طلبهم المغفره منه تعالى، فراجع. و كيف كان فالجمله مقتبسه من الآيه الشريفه، و قد دلّت أحاديث كثيره من الفريقين على أنّها مختصّه بأهل البيت عليهم السّلام كما لا يخفى، و نحن نذكر حديثا منها للتبرّك.

ففى البحار (۲)عن أمالى الشيخ بإسناده عن دعبل، عن الرضا عن آبائه، عن علىّ بن الحسين عليهم السّلام عن أمّ سلمه قالت: نزلت هذه الآيه فى بيتى و فى يومى، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عندى، فدعا عليّا و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام و جاء جبرئيل، فمدّ عليهم كساء فدكيا، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتى، اللّهمّ اذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيرا، قال جبرئيل: و أنا منكم يا محمّد؟ فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم: و أنت منّا يا جبرئيل، قالت أمّ سلمه: فقلت: يا رسول اللّه و أنا من أهل بيتك، و جئت لأدخل معهم، فقال: كونى مكانك يا أمّ سلمه إنّك إلى خير أنت من أزواج نبى اللّه، فقال جبرئيل: اقرأ يا محمّد: (إِنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ

ص: ۴۸۶

۱- ۱) البحار: ج ۲۵، ص ۱۱۶.

۲- ۲) البحار ج ۳۵ ص ۲۰۸.

تَطْهِيراً) فى النبىّ و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام.

و فى حديث آخر عن الباقر عليه السّلام فيه و فى آخره: ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: «الرجس هو الشكّ، و اللّه لا نشكّ فى ديننا أبدا» .

[۲۴]قوله عليه السّلام: فعظّمتم جلاله.

فى مجمع البحرين: و عظمته تعظيما وقّرته توقيرا و فخّمته، و التعظيم التبجيل، و العظمه و الكبرياء. و فيه: و العظيم الذى قد جاوز قدرته، و جلّ عن حدود العقول حتى لا يتصوّر الإحاطه بكنهه و حقيقته. و فيه: الجلال: العظمه و جلال اللّه عظمته. و فيه: و الجليل من أسمائه تعالى و هو راجع إلى كمال الصفات، كما أنّ الكبير راجع إلى كمال الذات، و العظيم راجع إلى كمال الذات و الصفات. أقول: معنى فعظّمتم أنّهم عليهم السّلام أدركوا بمعرفتهم عظمته (أى كبرياءه) لما علمت من أنّ العظمه هو الكبرياء. و بعباره أخرى: أنّ العظمه فى العظيم هى صفه فى كنه العظيم، أثرها الكبرياء فى الظاهر، فمن شاهد تلك الصفه و نورها يستحقر نفسه كلّ شيء سوى اللّه تعالى، و إلى هذه المشاهده يشير

قول أمير المؤمنين عليه السّلام:

«إلهى هب لى كمال الانقطاع إليك، و أنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمه، و تصير أرواحنا معلّقه بعزّ قدسك»

و هذا الوصول المشاهد فيه معدن العظمه هو كمال التوحيد الذى أشار إليه

أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: و كمال توحيده نفى الصفات عنه. و الوجه فيه أنّ مشاهده معدن العظمه هو بخرق الصفات، و نفيها عنه تعالى، و بالدخول فى عالم الوجود المطلق، و عالم نفى الأسماء، و عالم قاب قوسين أو أدنى،

و هذا العالم هو عالم الوله و التحيّر المشار إليه

بقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «ربّ زدنى فيك تحيّرا» كما هو المروى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم، و من لم يشاهد تلك الصفه المعبّر عنها بمعدن العظمه، لم يمكنه التعظيم له حقّ العظمه، و إليه يشير ما

فى حديث المعراج فى وصف هؤلاء قوله تعالى: و يعظّمونى حقّ عظمتى. . ثمّ إنّ هذا المشاهد المعظّم له تعالى يرى نفسه خاشعا له تعالى و حقيرا. و إليه يشير ما

فى اللوامع النورانيه (۱)، و فى تفسير الإمام أبى محمّد العسكرى عليه السّلام قال: قيل للباقر عليه السّلام: إنّ بعض من ينتحل موالاتكم يزعم أنّ البعوضه علىّ عليه السّلام و أنّ ما فوقها و هو الذباب محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال الباقر عليه السلام سمع هؤلاء شيئا و لم يضعوه على وجهه إنما كان رسول الله قاعدا ذات يوم هو و علىّ عليه السّلام إذ سمع القائل يقول: ما شاء اللّه و شاء محمّد، و سمع آخر يقول: ما شاء اللّه و شاء علىّ، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: لا تقرنوا محمّدا و عليّا باللّه عزّ و جلّ، و لكن قولوا: ما شاء اللّه ثمّ شاء محمّد ثمّ شاء علىّ. إنّ مشيه اللّه هى القاهره التى لا تساوى و لا تكافى و لا تدانى، و ما محمّد رسول اللّه فى دين اللّه و فى قدرته إلاّ كذبابه تطير فى هذه الممالك الواسعه و ما على عليه السلام فى دين الله إلا كبعوضه فى جمله هذه الممالك، مع أنّ فضل اللّه على محمّد و على هو الفضل الذى لا يفى به فضله على جميع خلقه من أوّل الدهر إلى آخره، هذا ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى ذكر الذباب و البعوضه فى هذا المكان، فلا يدخل فى قوله: (إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مٰا بَعُوضَةً. .) (۲). و إلى هذا الخشوع و الخضوع بالنسبه إلى عظمته تعالى يشير

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «و ما محمّد رسول اللّه فى اللّه و فى قدرته إلاّ كذبابه. . . إلخ» . فالأئمّه عليهم السّلام لمّا اصطفاهم اللّه تعالى و ارتضاهم لغيبه إلى آخر ما تقدّم، فلا محاله من هذه الجهات البالغه بهم إلى ما بلغوا، قد عظموا اللّه تعالى حقّ تعظيمه لجلاله، و كان تعظيمهم له تعالى كما يليق بجنابه، و على وفق محبّته تعالى كما يشاء اللّه تعالى

۱- ۱) اللوامع النورانيه ص ۱۴.

۲- ۲) البقره:۲۶.

و یرید، فلیس بعد ثنائه تعالی لنفسه بنفسه ثناء أخصّ و لا أعلم و لا أکمل و لا أشمل من ثنائهم علیهم تعالی، لأنّهم علیهم السّلام قد عظّموا و أثنوا بحقیقه ما هم علیه من المحل، الذی أخصّهم اللّه تعالی به جلاله الذی شاهدوه من معدن العظمه، بحیث لم یشارکهم فیه غیرهم، بل قد علمت سابقا أنّهم علیهم السّلام علموا الملائکه بل و سایر الخلق التسبیح و التقدیس و التعظیم و التهلیل، کما لا یخفی و کما یشیر إلیه

قوله علیهم السّلام: «بنا عبد اللّه، بنا عرف اللّه، لولانا ما عبد اللّه لولانا ما عرف اللّه» ، و

قولهم علیهم السّلام: «سبّحنا و سبّحت الملائکه» الحدیث. ثمّ إنّ الجلال هو العظمه کما علمت، فحینئذ معنی عظّمتم جلاله، أی عظّمتم عظمته، التی أدرکتموه بحقیقتها، فلم تقصروا فیها بالثناء اللائق لها، و هذا بخلاف غیرهم فإنّهم لمکان عدم معرفتهم بجلاله تعالی، و عدم وصولهم إلی معدن العظمه، لا یمکنهم التعظیم له تعالی کما هو حقّه. ثمّ إنّ هناک أحادیث وردت فی بیان عظمه المخلوقات الإلهیّه، التی یظهر منها عظمته تعالی کما لا یخفی علی المتتبّع لها، و للعلماء بیانات فی تقریبها مذکوره فی محلّها.

قوله علیه السّلام: «و أکبرتم شأنه»

أقول: فی المجمع: أکبرته أی استعظمته، فمعنی أکبرتم أی أعظمتم شأنه، أی جعلتم شأنه فی نفسکم عظیما. و فیه: و الشأن الأمر و الحال و هو من شأنت شأنه، و معناه قصدت قصده، و الشأن واحد الشئون، و هی مواصل قبائل الرأس و ملتقاها، و منها تجیء الدموع و قیل: یأتی بمعنی المقام.

و فی تفسیر نور الثقلین (1)، فی تفسیر علیّ بن إبراهیم: و قوله: (یَسْئَلُهُ مَنْ فِی اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ) قال: یحیی و یمیت، و یرزق و یزید

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۱۹۳.

و ينقص.

و فيه عن أصول الكافى خطبه مرويه عن أمير المؤمنين عليه السّلام و فيها: «الحمد للّه الذى لا يموت، و لا تنقص عجائبه، لأنّه كلّ يوم فى شأن من إحداث بديع لم يكن» .

و فى المجمع و عن أبى الدرداء، عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى قوله: كلّ يوم هو فى شأن قال: من شأنه أن يغفر ذنبا، و يفرّج كربا، و يرفع قوما، و يضع آخرين.

و فيه (۱)، فى تفسير علىّ بن إبراهيم:

(وَ مٰا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مٰا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) مخاطبه لرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم: (وَ لاٰ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاّٰ كُنّٰا عَلَيْكُمْ شُهُوداً) قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إذا قرأ هذه الآيه بكى بكاء شديدا. و نقل هذا عن مجمع البيان و عن الصادق عليه السّلام. و كيف كان فعظّمتم شأنه أى أمره أو حاله أو مقامه تعالى، إنّما يكون ممّن عرفها منه تعالى، و من المعلوم أنّهم عليهم السّلام هم العارفون بها أمّا ما أمره تعالى الذى أشير إليه

فى قوله عليه السّلام: «من إحداث بديع لم يكن» ،

و فى قوله: «أن يغفر ذنبا و يفرّج كربا» الحديث. فمن المعلوم أنّهم عليهم السّلام هم العارفون بها، و بسائر أفعاله و أحكامه و مقاديره، و بما فيها من الحكم و الأسرار، ما لا تدركه الأبصار، و لا تقدره غوامض الأفكار، و وجدوا صنعا متقنا عن علم محكم و أمر مبرم يشهد للربّ بالوحدانيه و القدره و التفرّد بالصنع الأكمل الأتمّ، و لذا كان صلّى اللّه عليه و آله و سلم إذا قرأ تلك الآيه بكى بكاء شديدا، و ذلك من عظم ما يرى من شأن اللّه تعالى الذى يحدثه، و أمّا حاله تعالى بلحاظ ذاته تعالى فمعلوم أنّه غير معلوم لأحد. نعم إنّما يعرف ذلك ممّا دلّ عليه من آثاره و أفعاله، و الآيات التى دلّت على قدرته القاهره، التى لا نهايه لها، و على علم لا نهايه له، و على كرم وجود و فضل سرمد، و فيض و مدد و غناء و بقاء أبدى و معلوم أنّه لا يعرف هذا إلاّ هم عليهم السّلام

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۸.

فهم علیهم السّلام وجدوا منها ما تهیم فیه الأفکار، و تنحسر دونه الأبصار، فهم علیهم السّلام علموا ذلک کله و عرفوها، و بلغوا منها إلی ما بلغوا

قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم: ربّ زدنی فیک تحیّرا، و ذلک لمّا ظهر له من حاله تعالی ما لا یکاد یهتدی إلیه سبیلا إلاّ به و منه تعالی، فلیس لهذا التحیّر نهایه، و ذلک لعدم نهایه عظمته تعالی. فهم علیهم السّلام یشاهدون تلک الشئون و العظمه منه تعالی، فیکبرون هذا الشأن الذی هو حال العظمه و السلطنه دائما، و یعظّمونه تعظیما لا یکون من غیرهم کما علمت سابقا، و إلی عظمه هذا الحال منه تعالی یشیر ما

عن الکافی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رجل عنده: اللّه أکبر، فقال: اللّه أکبر من أی شیء؟ فقال: من کلّ شیء، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: حدّدته، فقال الرجل: کیف أقول؟ قال: قل: اللّه أکبر من أن یوصف، فیعلم منه أنّه تعالی أکبر من أن یوصف بشیء، فما یوصف بشیء إلاّ و هو أکبر منه، و ذلک لعظم شأنه و عزّ جلاله. و الحاصل: أنّهم علیهم السّلام أکبروا شأنه أی حاله تعالی، لمّا أدرکوا عظمته جلّ جلاله و أدرکوا مقامه، أعنی به ما انکشف لدیهم علیهم السّلام من وحدانیّته و صفاته فنقول: قد تقدّم أنّه تعالی عرّف نفسه لهم علیهم السّلام بما أظهر فیهم من صفاته فهم علیهم السّلام مجلی و مظهر لأسمائه تعالی، التی هی صفه له تعالی، و التی بها عرف نفسه، ففی الحقیقه أنّه تعالی عرف نفسه لهم علیهم السّلام بهم علیهم السّلام و قد تقدّم بیانه فی شرح

قوله علیه السّلام:

السلام علی محالّ معرفه اللّه،

و تقدّم

قول السجاد علیه السّلام: «و نحن مظاهره فیکم» . و الحاصل: أنّ ما تجلّی اللّه تعالی لهم بهم هو مقامه تعالی لدیهم فی کلّ آن، فهم مجلی لتلک التجلّیات، التی هی المقامات الربوبیه الظاهره لهم فی جمیع مظاهرها التکوینیه و التشریعیه من الکتب الإلهیّه، و حیث إنّهم علیهم السّلام المظاهر الأتمّ لتلک التجلّیات، فهم حینئذ عارفون بکلّ ما تجلّی به ربّهم فی عالم الإمکان من صفاته و أفعاله، فلا محاله لهم المعرفه الأتمّ الأکمل، فحینئذ بهذه المشاهده العظمی، التی لیست لغیرهم قد أکبروا شأنه (أی مقامه) أی تجلّیاته تبارک و تعالی، و هم علیهم السّلام

خافوا مقامه بحق ما يليق بجانبه المقدّس، و اللّه تعالى العالم بشئونه.

قوله عليه السّلام: و مجدتم كرمه

فى المجمع: المجد الشرف الواسع، و المجد الكرم و العزّ،

فى الحديث «المجد حمل المغارم و إيتاء المكارم» . و فيه: و المجد و التمجيد تشريف و تعظيم. و فيه: و مجدته إذا مدحته مدحا جيّدا، و مجدنى عبدى أى شرّفنى و عظّمنى. و فيه: و الكريم صفه لكلّ ما يرضى و يحمد. و فيه: و الكرم إيثار الغير بالخير. و فيه: و الكرم نقيض اللؤم، و قد كرم الرجل فهو كريم و كرم الشىء كرم نفس و عزّ فهو كريم. قوله: نفس، أى هو أمر نفيس يتنافس فيه و يرغب و كان جيّدا جدّا. فحينئذ معنى قوله عليه السّلام: أى عظّمتم كرمه، و جعلتم كرمه شريفا، و مدحتم كرمه مدحا جيّدا. و أمّا كرمه فيراد منه جميع صفاته الممدوحه التى يرضى و يحمد، و من المعلوم أنّها كذلك بل ليس مثلها فى غيره تعالى. و بعباره أخرى: إنّ ذاته الكريمه المشتمله على الصفات المجيده لمّا كانت معلومه لديهم عليهم السّلام بأحسن ما تعرف، فهم عليهم السّلام عصموها و مدحوها و شرّفوها بأحسن التشريف بنحو يليق بها، حيث إنّهم عليهم السّلام مظاهرها و العارفون بها كما هى هى، فلا محاله لا يصدر من أحد حقّ التمجيد لها إلّا منهم عليهم السّلام كما لا يخفى.

ص: ۴۹۲

قوله علیه السّلام: و أدمنتم ذکره

فی المجمع: و أدمن فلان علی کذا إدمانا إذا واظبه و لازمه. و فیه: و الذکر نقیض النسیان، و قیل: حقیقه الذکر عباره عن صعود الذاکر إلی مرتبه المذکور، و ذلک بخرق الحجب الظلمانیه و النورانیه الکائنه بین الخلق و اللّه تعالی. و بعباره أخری: حقیقه الذکر هو حضور المذکور فی ذات الذاکر، بحیث ینفی عن نفسه، فلا یری إلاّ المذکور و هو المراد (و اللّه العالم) من

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الدعاء:

و انقلنی من ذکری إلی ذکرک

، أی أفن نفسی بحیث لا یکون لی أثر و لا ذکر إلاّ ذکرک، و حینئذ معنی إدمان ذکره هو تثبت هذا الذکر الحضوری و عدم زواله أبدا، و لا یکون ذکر لأحد إلاّ بذکره تعالی،

ففی الدعاء:

«اللّهمّ أنت الذاکر قبل الذاکرین»

و معلوم أنّ ما ذکرنا مرتبه من أذکاره، بمعنی أنّا ذاکروه بحوله و قوّته، و لولاه لم یتأتّ لنا ذکره، و یشیر إلی أنّ حقیقه الذکر هو حضور المذکور لدی الذاکر

ما فی الحدیث القدسی: «أنا مع عبدی إذا ذکرنی»

و قوله تعالی: «أنا جلیس من ذکرنی» . و کیف کان فللذکر مراتب و هم علیهم السّلام قد أدمنوا جمیعها و نحن نذکرها، ثمّ نذکر السبب لإدمانهم علیهم السّلام له فنقول: منها: الذکر اللفظی فقد ورد فی فضله أحادیث کثیره.

ففی مرآه العقول (۱)، عن الکافی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ما اجتمع فی مجلس قوم لم یذکروا اللّه عزّ و جلّ، و لم یذکرونا إلاّ کان ذلک المجلس حسره علیهم یوم القیامه، ثمّ قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إنّ ذکرنا من ذکر اللّه، و ذکر عدوّنا من ذکر الشیطان» .

۱- ۱) مرآه العقول ج ۱۲ ص ۱۲۰.

و فیه (۱)، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «لا بأس بذکر الموت و أنت تبول فإن ذکر اللّه عزّ و جلّ حسن علی کلّ حال، فلا تسأم من ذکر اللّه» .

و فیه (۲)، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال اللّه عزّ و جلّ: «یا بن آدم اذکرنی فی ملإ أذکرک فی ملإ آخر من ملئک» .

و فی البحار (۳)، عن عدّه الداعی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام. . إلی أن قال علیه السّلام: و کان أبی کثیر الذکر، لقد کنت أمشی معه، و إنّه لیذکر اللّه، و آکل معه الطعام، و إنّه لیذکر اللّه، و لو کان یحدث القوم ما یشغله ذلک عن ذکر اللّه، و کنت أری لسانه لاصقا بحنکه یقول: لا إله إلاّ اللّه. و الأحادیث فی هذا الباب کثیره جدّا تدلّ علی الحثّ علی ذکره، و أنّهم علیهم السّلام کانوا مداومین علیه. و منها: الذکر النفسی أو القلبی.

ففی مرآه العقول (۴)، عن زراره عن أحدهما علیهما السّلام قال: «لا یکتب الملک إلاّ ما سمع» و قال اللّه عزّ و جلّ: (وَ اُذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً) (۵)فلا یعلم ثواب ذلک الذکر فی نفس الرجل غیر اللّه عزّ و جلّ لعظمته.

و فی البحار (۶)، عن معانی الأخبار، عن الحسین البزاز قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: أ لا أحدّثک بأشدّ ما فرض اللّه عزّ و جلّ علی خلقه؟ قلت: بلی، قال: إنصاف الناس من نفسک، و مواساتک لأخیک، و ذکر اللّه فی کلّ موطن أما أنی لا أقول: سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر ، و إن کان هذا من ذلک، و لکن

۱- ۱) مرآه العقول ج ۱۲ ص ۱۲۳.

۲- ۲) مرآه العقول ج ۱۲ ص ۱۲۷.

۳- ۳) البحار ج ۹۳ ص ۱۶۱.

۴- ۴) مرآه العقول ج ۱۲ ص ۱۴۱.

۵- ۵) الأعراف:۲۰۵.

۶- ۶) البحار ج ۹۳ ص ۱۵۴.

ذكر اللّه فى كلّ موطن إذا هجمت على طاعه أو معصيه.

فقوله عليه السّلام: «و لكن ذكر اللّه فى كلّ موطن» ، يشير إلى الذكر النفسى أى يكون قلبه و نفسه ذاكرا له تعالى، فلا محاله يكون أثره ترك المعصيه. و منها: الذكر الحالى و هو أن لا يكون فى قلبه غير اللّه، فيغلب ذكره تعالى على ذكر ما سواه، فيمحيه عنه فلا يكون حاله إلاّ مستغرقا بذكره تعالى. و أجل شىء للعبد أن لا يكون فى قلبه مع اللّه غيره. ثمّ إنّه إذا كان حال العبد هكذا، فلا محاله يكون فى جميع أموره مستقيما و ذاكرا له تعالى.

ففى البحار (۱)، عن الخصال: الذكر مقسوم على سبعه أعضاء: اللسان و الروح، و النفس و العقل، و المعرفه و السرّ و القلب، و كلّ واحد منها يحتاج إلى الاستقامه، فاستقامه اللسان صدق الإقرار، و استقامه الروح صدق الاستغفار، و استقامه القلب (الظاهر و استقامه النفس) صدق الاعتذار، و استقامه العقل صدق الاعتبار، و استقامه المعرفه صدق الافتخار، و استقامه السرّ السرور بعالم الأسرار، و استقامه القلب صدق اليقين و معرفه الجبّار (كما فى المصدر) . فذكر اللسان الحمد و الثناء، و ذكر النفس الجهد و الفناء، و ذكر الروح الخوف و الرجاء، و ذكر القلب الصدق و الصفاء، و ذكر العقل التعظيم و الحياء، و ذكر المعرفه التسليم و الرضا، و ذكر السرّ على رؤيه اللقاء، حدّثنا بذلك أبو محمّد عبد اللّه بن حامد رفعه إلى بعض الصالحين عليه السّلام. فالمستفاد من هذه الأحاديث أنّ ذكره تعالى إذا غلب على قلبه و باطنه، فلا محاله تكون آثاره فى باطنه و صفاته و أفعاله، و هو ما فصّله فى الحديث المنقول عن الخصال و حاصله: أنّ الذكر الحقيقى الثابت فى حقيقه العبد، هو الذى تكون آثاره منتشره فيما ذكره، و هو لا يكون إلاّ بعد استقامه تلك الأمور ممّا ذكر، لكى يكون

۱- ۱) البحار ج ۹۳ ص ۱۵۳.

الذكر الحاصل فيه كما ينبغى، و كما يناسب جلاله تعالى بالنسبه إلى ذلك العضو و الأمر، كما لا يخفى. و ممّا ذكر يعلم إجمالا حال الـذكر الحضورى فتفصـيله: أنّ للذكر صوره و هو الذكر اللفظى، و معنى و هو مفهومه التفصـيلى القائم بالنفس، و حقيقه و هو غـايه التوجّه بالروح، و اللب إلى المتوجّه إليه الحقّ تعالى، بحيث يظهر فيه بما هو وجود صـرف، و إنّ كلّ الموجودات منه و به و إليه، و أنّه أصـل كـلّ ظهور، و نور كـلّ نور، و معنى كـل لبوب و قشور و ثابت بلا تغيّر و دثور، بحيث لا يتمكّن عنـد نوره الأبهر ظلمه و لا نور، و أنّه نور وارد عليه من ذاته المقدّسه تجلّى فيه به فيعرفه حينئذ هكذا. فهو (أى هذا النور) عكس من وجهه الكريم تجلّت به مرآه قلبه، و هذا الروح و القلب بما هو كذلك يهتزّ اهتزازا لا يوصف، و يبتهج ابتهاجا لا يكيّف، و لا سيّما أنّه يستشـعر حينئـذ أنّ لهـذا الموجود الحقّى معيّه قيوميه معه، فيحلو حينئـذ ذكره تعالى بهـذا المعنى حلاوه لذيذه، و تكون حلاوتها بقدر الجمال و الجلال، و هذا النور البهى منه تعالى هو السبب فى سروره و ابتهاجه، و بهذا اللحاظ

قال عليه السّلام فى الدعاء:

يا سرور العارفين،

حيث خصّ السـرور بالعـارف، و هو من أشـهده اللّه تعـالى ذاته و صـفاته و أفعاله بنحو يكون فى مقام عين اليقين أو حقّ اليقين. فسرور العارف ليس بجنّه النعيم، كما أنّه كذلك للعابدين، بل هو وجهه الكريم، فهم لا فرح لهم إلّا بهذا

قال تعالى: «يا داود بى فافرح» و كيف كان ليس للعارف همّ إلّا همّ وصاله، و لو فرح بشىء فهو بما هو مرآه لجماله البهى، فهذا الشـهود لـه مراتب على اختلاـف مراتب القرب، و حينئـذ أنّهم عليهم السّـلام كمـا علمت فى أعلى مراتب القرب، بـل هم عليهم السّـلام فى مقـام قـاب قوسـين أو أدنى، و فى مقـام عنـد اللّه كمـا علمت من الآيات و الأحاديث، فلا محاله يكون فرحهم عليهم السّلام و سرورهم لمكان تلك المشاهده البهيّه بنحو الأتمّ و أشدّ و أحسن.

ص :۴۹۶

و بهذه الجهه یکون ذکرهم له تعالی أدوم و أدمن، إذ طبع هذه المشاهده یقتضی جذبهم علیهم السّلام إلیه تعالی دائما، و یجب صرف توجّههم ذاتا إلی غیره تعالی کما لا یخفی علی أهل البصیره، و لأجل هذه المشاهده الدائمیه

قالوا فی حقّهم:

«و أدمنتم ذکره»

و قوله علیه السّلام: «ما رأیت شیئا إلاّ و رأیت اللّه قبله و معه و بعده، إذ علمت أنّ العارف خصوصا هم علیهم السّلام من أشهده اللّه تعالی ذاته و صفاته و أفعاله، و لیس العالم إلاّ ظهور ذاته تعالی فی أفعاله و صفاته تبارک و تعالی و تقدّس، و هو أی العالم، شهود لهم علیهم السّلام بما هو مظاهره تعالی، فلا یرون شیئا إلاّ و یرونه تبارک و تعالی کما علمت. و بهذا اللحاظ أیضا

ورد فی الدعاء:

«یا من له ذکر لا ینسی»

فإنّه یمکن أن یراد بالذکر ذاکریّته تعالی بناء علی کون المصدر أرید به الفاعل، و حینئذ کونه لا ینسی هو أمر ظاهر، لأنّه تعالی ذاکر و لا ینسی، قال تعالی: (وَ مٰا کٰانَ رَبُّکَ نَسِیًّا) (1)، و یمکن أن یراد بالذکر مذکوریّته تعالی بأن یذکره أولیاؤه دائما فهو حینئذ بهذا اللحاظ المذکور آنفا، فإنّ أولیاءه العارفین به تعالی حیث إنّه تعالی أشهدهم علی نفسه و صفاته و أفعاله، کما تقدّم فلا محاله لا ینسونه. بل یمکن أن یقال فی خصوص هذه الجمله: إنّ عدم نسیان ذکره تعالی یکون لکلّ أحد، ضروره أنّ کلّ إنسان بل کلّ حیوان ذاته غیر خالیه عن الجهه النوریه، التی هی جهه إضافته إلی ربّه، فلا محاله لا یخلو کلّ أحد عن مذکوریه هذا النور، فلا محاله لا یخلو حینئذ عن مذکوریّته تعالی، لأنّ هذا النور قد علمت أنّه مضاف إلیه تعالی، و حینئذ یرجع مضمون الجمله إلی ما دلّت علیه الآیات و الأحادیث من أنّ الإقرار بوحدانیّته تعالی و بوجوده أمر فطری لکلّ أحد، کما حقّق فی محلّه. أقول: و حینئذ یمکن أن یراد من

قوله علیه السّلام:

«و أدمنتم ذکره»

، هذا الذکر الفطری الذاتی، الذی هو التوحید، و الذی فطر الناس علیه، قال اللّه تعالی: (فِطْرَتَ اَللّٰهِ اَلَّتِی

1- 1) مریم:۶۴.

فَطَرَ اَلنّٰاسَ عَلَيْهٰا)

(١)

فتأمّل تعرف إن شاء اللّه. و كيف كان فإدمان الـذكر الحقيقى هو مشاهـده التوحيـد الحقيقى المترتّب على معرفه النفس، و هـذا حاصـل لهم عليهم السّـلام بنحو الأـتمّ الأكمـل و بلوازمه، فلاـ محـاله هم عليهم السّـلام مـدمنون له على اختلاـف مراتبه، و على اختلاـف معانى الإدمان من الإدامه، التى هى عـدم ترك شـىء تاره، و الملازمه له أخرى، و المسابقه و المبادره إلى ما يراد منه من الأعمـال الصـالحه ثـالثه، و المواظبه على أفعـاله رابعه، و كيف كـان فهم السـابقون إلى الخيرات، بل هم القاده السابقون إلى أعلى الدرجات، و قد تقرّر حينئذ أنّهم عليهم السّـلام لا يغفلون عن ذكر اللّه أبدا، لمكان حضورهم لديه تعالى، و لمكان ظهوره تعالى بهم و لهم. و ذلك لما علمت أنّ لهم عليهم السّـلام مقام العنـديه للّه تعالى بحيث لا يصل إليهم أحـد، و لا يـدانيهم خلق، فهم المديمون و الملازمون و المواظبون لذكر اللّه تعالى، بل المستفاد ممّا تقدّم من أنّ لهم مقام العنديه لديه تعالى، أنّ مقامهم فوق مقام الذكر و الذاكرين، فإنّ

قوله عليهم السّـلام فى حـديث مفضل السابق: «فنحن الـذين عنـده» يـدلّ على أنّهم مصـداق حقيقى لقوله تعالى: (وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لاٰ يَفْتُرُونَ) (٢)، فهم حينئـذ حقيقه الحضور و حقيقه الذكر. فهم بهذا اللحاظ أصل كلّ خير فى عالم الوجود و فرعه المنتشر فى الخلق كما سيأتى بيانه، و هذا الحضور و الذكر الحقيقى الذى هو حقيقتهم على الحقيقه هو مقـام و أمر فوق تمـام الأـمور، و منشـأ لعبـادتهم حق العبـاده، و منشأ لجميع شئونهم، بل لجميع شـئون أولياء اللّه تعالى من النبيّين و الصدّيقين و غيرهم، و إليه يشير

قوله عليه السّـلام كمـا فى الكـافى: «و ما يضـمر النبىّ أفضل من اجتهاد المجتهـدين، فإنّ ما يضـمره هو ذلك الحضور و الظهور الربوبى، الذى منشأ كلّ خير، و فيض كلّ مستفيض، و لا يكون

١- ١) الروم:٣٠.

٢- ٢) الأنبياء:١٩-٢٠.

هذا لغيرهم» . هذا و قد ظهر أنّهم عليه السّلام هم الذكر الحقيقى بل و فوق الذكر، و إلى هذا يشير ما

فى البحار (۱)، عن تفسير القمّى:

(وَ إِنْ يَكٰادُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصٰارِهِمْ لَمّٰا سَمِعُوا اَلذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) قال: لمّا أخبرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بفضل أمير المؤمنين عليه السّلام قالوا: هو مجنون، فقال اللّه سبحانه: و ما هو (يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام) بمجنون. إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ. أقول: فأطلق اللّه تعالى الذكر على أمير المؤمنين عليه السّلام أى أنّ ذكر فضائله الخاصّه ممّا هو مظهر له تعالى ذكر للعالمين الذين يريدون معرفته تعالى.

و فيه عن عيون الأخبار، عن الهروى قال: سأل المأمون الرضا عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: (اَلَّذِينَ كٰانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطٰاءٍ عَنْ ذِكْرِى وَ كٰانُوا لاٰ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً) فقال عليه السّلام: إنّ غطاء العين لا يمنع من الذكر، و الذكر لا يرى بالعين، و لكن اللّه عزّ و جلّ شبّه الكافرين بولايه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام بالعميان، لأنهم كانوا يستثقلون قول النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيه، و لا يستطيعون له سمعا. أقول: فأطلق قوله تعالى ذكرى على أمير المؤمنين عليه السّلام بالبيان المتقدّم.

و فيه عن كنز جامع الفوائد، عن جابر الجعفى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: (وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذٰاباً صَعَداً) قال: من أعرض عن علىّ يسلكه العذاب الصعد و هو أشدّ العذاب، فأطلق ذكر ربّه عليه عليه السّلام.

و فيه عن مناقب آل أبى طالب، أبو صالح عن ابن عبّاس فى قوله تعالى: (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) أى من ترك ولايه علىّ أعماه اللّه و أصمّه عن الهدى.

و فيه عنه عن كتاب ابن رميح قال أبو جعفر عليه السّلام:

(قُلْ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مٰا أَنَا مِنَ اَلْمُتَكَلِّفِينَ. إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ) قال: أمير المؤمنين عليه السّلام.

۱- ۱) البحار ج ۳۵ ص ۳۹۴.

و فيه عن طريق العامّه عن أنس بن مالك (عن ابن عبّاس، نسخه اللوامع) قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم:

(اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اَللّهِ أَلاٰ بِذِكْرِ اَللّهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ) أ تدرى من هم يا بن أمّ سليم؟ قلت: من هم يا رسول اللّه؟ قال: نحن أهل البيت و شيعتنا. فهم عليهم السّلام و الشيعه مطمئنون بذكر اللّه و فسّر ذكر اللّه، بأمير المؤمنين و الأئمّه عليهم السّلام.

ففى اللوامع النورانيه (۱)، علىّ بن إبراهيم قال: قال: اَلَّذِينَ آمَنُوا الشيعه، و ذكر اللّه أمير المؤمنين و الأئمّه عليهم السّلام.

و فيه، العيّاشى بإسناده عن خالد بن نجيح، عن جعفر بن محمّد عليه السّلام فى قوله: (أَلاٰ بِذِكْرِ اَللّهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ) قال: بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم تطمئن القلوب، و هو ذكر اللّه و حجابه. أقول: عطف قوله عليه السّلام: و حجابه على ذكر اللّه يشعر بأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم حقيقه الذكر الأول الذى هو الحجاب الأقرب الأعظم كما لا يخفى على من له البصيره، و أنت إذا تأملت فيما ذكرناه بعين البصيره تقدر على استظهار ما قلناه من هذه الأحاديث و نحوها، و اللّه الموفق للهدايه و الصواب.

قوله عليه السّلام: و وكّدتم ميثاقه، و أحكمتم عقد طاعته.

اشاره

فى المجمع: و وكّدت الشيء (بالتشديد) و أكّدته إيكادا و توكيدا و تأكدا: شدّدته، و تؤكّد الأمر و تأكّد بمعنى. و فيه: الميثاق اليمين المؤكّده، لأنّها يستوثق بها من الأمر. إلى أن قال: و الميثاق هو العهد المأخوذ على الزوج حال العقد من (إمساك بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسٰانٍ) . إلى أن قال: و الميثاق العهد مفعال من الوثاق و هو فى الأصل حبل أو قد يشدّ به

۱- ۱) اللوامع النورانيه ص ۱۶۶.

الأسير و الدابه، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، و الجمع المواثيق و المياثيق. أقول: الكلام فى شرح هذه الجمله يقع فى أمور:

الأوّل: فى معنى توكيدهم عليهم السّلام ميثاقه.

الثانى: فى معنى ميثاقهم عليهم السّلام المأخوذ عليهم، و أنّه فى أىّ وقت كان، و الميثاق المأخوذ عن شيعتهم و فى وقته و عالمه. الثالث: فى كيفيّه أخذ الميثاق و أنّه كيف كان، فهل كان بنحو التكليف أم لا؟ و فى معنى توكيد غيرهم عليهم السّلام من الشيعه الميثاق، فنقول و اللّه الموفّق للصواب: أمّا الأمر الأوّل: فتوكيدهم الميثاق قد يلاحظ بالنسبه إلى أنفسهم الشريفه، بأن صمّموا فى عالم نفوسهم المقدّسه على تأكيد الميثاق و تشديده، أى تأكيد العمل و المشى على طبق ما عاهدوا اللّه عليه، بحيث لم تحدث نفوسهم الشريفه على احتمال مخالفه الميثاق و العياذ باللّه فيما بينهم و بين ربّهم، هذا سواء فسّر الميثاق بالميثاق الذى أخذه تعالى على أرواحهم فى عالم الذرّ بقوله: (أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ) (۱)أو بالميثاق الذى أخذ عليهم فى تبليغ و إعلاء كلمه التوحيد بقوله تعالى: (وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِنَ اَلنَّبِيِّينَ مِيثٰاقَهُمْ وَ مِنْكَ) أى تبليغ الرساله و الدعاء إلى التوحيد. و أحسن ما يدلّ على تسديدهم هذا الميثاق هو عملهم عليهم السّلام فإنّهم عليهم السّلام قد تصدّوا لإحياء الدين بكلّ ما كانوا يقدرون عليه، فتحمّلوا المشاق و الأذى و المصائب فى ذلك، كلّ ذلك تأكيدا لما عاهدوا عليه و واثقوه عليه، و هذا واضح لمن نظر فى أحوالهم عليهم السّلام. و قد يلاحظ بالنسبه إلى غيرهم من الأمّه أو من الشيعه فإنّهم عليهم السّلام أيضا قد أكّدوا الميثاق المأخوذ على الأمّه مطلقا، و على الشيعه فى عالم الأرواح، بأن يبيّنوا لهم ذلك الميثاق أوّلا و أمروهم بالعمل عليه، بل ربّما واظبوا على بعض شيعتهم على ذلك، بأن عاونوهم و أيّدوهم عملا على العمل به كما لا يخفى.

۱- ۱) الأعراف:۱۷۲.

هذا و فی بعض النسخ: «و ذکرتم میثاقه» هذا بالنسبه إلی غیرهم من الأمّه أو الشیعه، فقد دلّت الأحادیث علی أنّ الناس قد نسوا الموقف، أی موقف أخذ المیثاق علیهم فی عالم الذرّ و الأرواح فی هذا العالم الجسمانی و الأئمه علیهم السّلام ذکّروهم بذلک المیثاق، و هذا أحد معانی قولهم علیهم السّلام فی تلک الأحادیث، و سیذکرونه. و کیف کان فالتذکیر بالنسبه إلی غیرهم لا بالنسبه إلی نفوسهم الشریفه فإنّهم علیهم السّلام لم ینسوا المیثاق المأخوذ علیهم أبدا فی جمیع أطوار وجودهم، کما دلّت علیه الأحادیث الکثیره، و لعلّک تقدر علی استظهار ذلک ممّا تقدّم من الأحادیث الوارده فی بیان ولایتهم التکوینیه هذا کلّه بالنسبه إلی توکیدهم علیهم السّلام أو تذکیرهم المیثاق.

الأمر الثانی و الثالث: فی معنی المیثاق المأخوذ علیهم و علی شیعتهم و فی وقته، و أنّه کان بأیّ نحو،

ثمّ إنّه نذکر أوّلا أحادیث الباب، ثمّ نعقبه بما یحتاج إلی البیان، فنقول و علی اللّه التوکّل:

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن داود الرقّی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّه قال: لمّا أراد اللّه أن یخلق الخلق نثرهم بین یدیه فقال لهم: من ربّکم؟ فأوّل من نطق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأئمّه علیهم السّلام فقالوا: أنت ربّنا فحملهم العلم و الدین. ثمّ قال للملائکه: هؤلاء حمله دینی و علمی و أمنائی فی خلقی و هم المسئولون. ثمّ قال لبنی آدم: أقرّوا للّه بالربوبیّه و لهؤلاء النفر بالولایه و الطاعه، فقالوا: ربّنا أقررنا، فقال اللّه للملائکه: اشهدوا، فقال الملائکه: شهدنا، قال علیّ علیه السّلام: أن لا تقولوا غدا: (إِنّٰا کُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِینَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمٰا أَشْرَکَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَ کُنّٰا ذُرِّیَّهً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِکُنٰا بِمٰا فَعَلَ اَلْمُبْطِلُونَ) (۲)یا داود ولایتنا مؤکّده علیهم فی المیثاق.

و فیه بإسناده عن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: کیف أجابوا و هم ذرّ؟ قال: جعل فیهم ما إذا سألهم أجابوه (یعنی فی المیثاق) .

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۹۲.

۲- ۲) الأعراف:۱۷۲-۱۷۳.

و فیه (۱)، بإسناده عن زراره قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: (وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ) ؟ قال: ثبتت المعرفه و نسوا الوقت و سیذکرونه یوما، و لو لا ذلک لم یدر أحد من خالقه و لا من رازقه.

و فیه، عن زراره قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: أصلحک اللّه، قول اللّه عزّ و جلّ فی کتابه: (فِطْرَتَ اَللّٰهِ اَلَّتِی فَطَرَ اَلنّٰاسَ عَلَیْهٰا) قال: فطرهم علی التوحید عند المیثاق، و علی معرفته أنّه ربّهم، قلت: و خاطبوه، قال: فطأطأ رأسه، ثمّ قال: لو لا ذلک لم یعلموا من ربّهم و لا من رازقهم.

و فیه (۲)، عن الکافی بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال له رجل: کیف سمّیت الجمعه جمعه؟ قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ جمع فیها خلقه لولایه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم و وصیّه فی المیثاق فسماه یوم الجمعه لجمعه فیه خلقه.

و فیه، عن تهذیب الأحکام فی الدعاء بعد صلاه الغدیر المسند إلی الصادق علیه السّلام:

و مننت علینا بشهاده الإخلاص لک بموالاه أولیائک الهداه المهدیّین من بعد النذیر المنذر و السراج المنیر، و أکملت الدین بموالاتهم و البراءه من عدوّهم، و أتمت علینا النعمه، التی جدّدت لنا عهدک، و ذکرتنا میثاقک المأخوذ منّا فی مبدإ خلقک، و جعلتنا من أهل الإجابه، و ذکرتنا العهد و المیثاق و لم تنسنا ذکرک فإنّک قلت: (وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ) . شهدنا بمنّک و لطفک بأنّک أنت اللّه لا إله إلاّ أنت ربّنا، و محمّد عبدک و رسولک نبیّنا، و علیّ أمیر المؤمنین و الحجّه العظمی و آیتک الکبری و النبأ العظیم الذی هم فیه مختلفون، الدعاء.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۹۶.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۹۷.

و فیه (۱)، عن تفسیر العیّاشی، عن جابر قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: متی سمّی أمیر المؤمنین علیه السّلام أمیر المؤمنین؟ قال: قال: و اللّه أنزلت هذه الآیه علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم: (وَ أَشْهَدَهُمْ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ) و أنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلم رسول اللّه و أنّ علیّا أمیر المؤمنین علیه السّلام فسماه اللّه و اللّه أمیر المؤمنین.

و فیه (۲)، عن الکافی بإسناده عن بکیر بن أعین قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام لأیّ علّه وضع الحجر فی الرکن الذی هو فیه و لم یوضع فی غیره؟ و لأیّ علّه یقبل؟ و لأیّ علّه أخرج من الجنه؟ و لأیّ علّه وضع میثاق العباد فیه و العهد فیه، و لم یوضع فی غیره، و کیف السبب فی ذلک؟ تخبرنی جعلنی اللّه فداک، فإنّ تفکّری فیه لعجب قال: قال: سألت و أعضلت فی المسأله و استقصیت، فافهم الجواب، و فرّغ قلبک و أصغ سمعک أخبرک إن شاء اللّه. إنّ اللّه تبارک و تعالی وضع الحجر الأسود و هی جوهره أخرجت من الجنه إلی آدم علیه السّلام فوضعت فی ذلک الرکن لعلّه المیثاق، و ذلک أنّه لمّا أخذ من بنی آدم من ظهورهم ذرّیتهم، حین أخذ اللّه علیهم المیثاق فی ذلک المکان، و فی ذلک المکان تراءی لهم، و فی ذلک المکان یهبط الطیر علی القائم (عج) فأوّل من یبایعه ذلک الطیر، و هو و اللّه جبرئیل علیه السّلام و إلی ذلک المقام یسند القائم ظهره و هو الحجّه، و الدلیل علی القائم و هو الشاهد لمن وافی (وافاه ن) فی ذلک المکان و الشاهد علی من أدّی إلیه المیثاق، و العهد الذی أخذ اللّه عزّ و جل علی العباد. فأمّا القبله (۳)و الاستلام فلعلّه العهد تجدیدا لذلک العهد و المیثاق و تجدیدا للبیعه، لیؤدّوا إلیه العهد الذی أخذ اللّه علیهم فی المیثاق، فیأتوه فی کلّ سنه و یؤدّوا إلیه ذلک العهد و الأمانه الذین أخذا (۴)علیهم أ لا تری أنّک تقول: أمانتی أدّیتها

ص: ۵۰۴

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۹۸.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۹۹.

۳- ۳) بضمّ القاف أی وضع الفم علیه المعبّر عنه بالفارسیه بوسیدن.

۴- ۴) بألف التثنیه فی الذین و أخذ.

و میثاقی تعاهدته لتشـهد لی بالموافاه و و اللّه ما یؤدّی ذلک أحد غیر شیعتنا، و لا حفظ ذلک العهد و المیثاق أحد غیر شیعتنا، و أنّهم لیأتوه فیعرفهم و یصـدّقهم، و یـأتیه غیرهم فینکرهم و یکـذّبهم، و ذلـک أنّه لم یحفـظ ذلک غیرکم، فلکم و اللّه یشـهد و علیهم اللّه یشهد بالخفر (۱)و الجحود و الکفر، و هو الحجّه البـالغه من اللّه علیهم یوم القیامه، یجیء و له لسان ناطق و عینیان فی صورته الأولی، تعرفه الخلق و لا تنکره، یشـهد لمن وافاه و جـدّد المیثاق و العهـد عنـده بحفظ العهـد و المیثاق و أداء الأمانه، و یشـهد علی کلّ من أنکر و جحـد و نسـی المیثاق بالکفر و الإنکار. فأمّا علّه ما أخرجه اللّه من الجنّه، فهل تـدری ما کان الحجر؟ قال: لا، قال: کان ملکا من عظماء الملائکه عند اللّه، فلمّا أخذ اللّه من الملائکه المیثاق کان أوّل من آمن به و أقرّ ذلک الملک، فاتّخذه اللّه أمینا علی جمیع خلقه، فألقمه المیثاق، و أودعه عنده، و اسـتعبد الخلق أن یجدّدوا عنده فی کلّ سنه الإقرار بالمیثاق و العهـد الـذی أخـذ اللّه عزّ و جـل علیهم، ثمّ جعله اللّه مع آدم فی الجنّه یـذکره المیثاق، و یجـدّد عنـده الإقرار فی کلّ سـنه، فلمّا عصـی آدم و أخرج من الجنه أنساه اللّه العهـد و المیثاق الـذی أخـذ اللّه علیه و علی ولده لمحمّد صـلّی اللّه علیه و آله و سـلم و لوصیّه علیه السّـلام و جعله تائهـا حیران. فلمّـا تاب اللّه علی آدم حول ذلک الملک فی صوره بیضاء، فرماه من الجنّه إلی آدم و هو بـأرض الهنـد، فلمّـا نظر إلیه أنس إلیه، و هو لا ـ یعرفه بـأکثر من أنّه جوهره، و أنطقه اللّه عزّ و جـلّ فقال له: یا آدم أ تعرفنی؟ قال: لا، قال: أجل، استحوذ علیک الشـیطان فأنساک ذکر ربّک، ثمّ تحول إلی صورته التی کان مع آدم علیه السّـلام فی الجنه، فقال لآدم: أین العهد و المیثاق؟ فوثب إلیه آدم علیه السّلام و ذکر المیثاق و بکی و خضع و قبله و جدّد الإقرار بالعهد و المیثاق، ثمّ حوّله اللّه عزّ و جـلّ إلی جوهره الحجر درّه بیضـاء صـافیه تضـیء، فحمله آدم علی عـاتقه إجلالا ـ له و تعظیمـا، فکان إذا أعیا حمله عنه

۱- ۱) الخفر: نقض العهد.

جبرئیل علیه السّلام حتی وافی به مکّه، فما زال یأنس به بمکّه و یجدّد الإقرار له کلّ یوم و لیله. ثمّ إنّ اللّه عزّ و جلّ لمّا بنی الکعبه وضع الحجر فی ذلک المکان، لأنّه تبارک و تعالی حین أخذ المیثاق من ولد آدم أخذه فی ذلک المکان، و فی ذلک المکان القم الملک المیثاق، و لذلک وضع فی ذلک الرکن، و تنحّی آدم من مکان البیت إلی الصفا و حوالی المروه، و وضع الحجر فی ذلک الرکن، فلمّا نظر آدم من الصفا، و قد وضع الحجر فی الرکن کبّر اللّه و هلّله و مجّده فلذلک جرت السنه بالتکبیر و استقبال الرکن الذی فیه الحجر من الصفا، فإنّ اللّه أودعه المیثاق و العهد دون غیره من الملائکه، لأنّ اللّه عزّ و جلّ لمّا أخذ المیثاق له بالربوبیّه و لمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم بالنبوّه و لعلیّ علیه السّلام بالوصیّه، اصطکّت فرائص الملائکه فأوّل من أسرع إلی الإقرار ذلک الملک، و لم یکن فیهم أشدّ حبّا لمحمّد و آله صلّی اللّه علیه و آله و سلم منه، فلذلک اختاره اللّه من بینهم، و ألقمه المیثاق، و هو یجیء یوم القیامه، و له لسان ناطق و عین ناظره یشهد لکلّ من وافاه إلی ذلک المکان و حفظ المیثاق.

و فی الکافی (۱)عن أبی جعفر علیه السّلام و ساق الحدیث. . إلی أن قال: ثمّ أمر نارا فأجّجت، فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها فهابوها، و قال لأصحاب الیمین ادخلوها فدخلوها، فکانت علیهم بردا و سلاما، فقال أصحاب الشمال: یا ربّ أقلنا فقال: قد أقلتکم اذهبوا فادخلوها فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعه و الولایه و المعصیه. هذا و المستفاد من هذه الأحادیث أنّ المراد من المیثاق هو المأخوذ فی الذرّ، الذی أشیر إلیه فیما تقدّم، إلاّ أنّه یقع الکلام فی بیان المراد منه بالنسبه إلی الأئمّه علیهم السّلام و بالنسبه إلی غیرهم.

۱- ۱) الکافی ج ۲ ص ۸.

أمّا الأوّل: فقد يقال: هو تبليغ الرساله و الدعاء إلى التوحيد. و بعباره أخرى: هو جميع التكاليف التى تناسب مقام قربهم له تعالى، و هو ما أشير إليه

فى حديث داود الرقى من قوله عليه السّلام: فحملهم العلم و الدين، و هما كنايه عن المعارف الإلهيّه و الاشتمال بها وجدانا فهم عليهم السّلام وكّدوها بالثبات عليها عقيده و صفه و عملا فى جميع أحوالهم و وجوداتهم، و تحمّلوا فيها الأذى بما لا مزيد عليه كما أشير إليه سابقا. و بعباره أخرى: الميثاق هو ما يشدّ به الشىء كما تقدّم، و هو يرجع إلى المشى على طبق ما أخذ العمل به منهم عليهم السّلام إلى الالتزام بذلك، و قد عاهدوا اللّه عليه و عملوا و التزموا به. و إليه يشير ما

فى دعاء الندبه:

«فشرطوا لك ذلك، و علمت منهم الوفاء»

الدعاء و ما

فى تفسير نور الثقلين (۱)، عن الكافى، عن صالح بن سهل، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: بأىّ شىء سبقت ولد آدم؟ قال: إنّنى أوّل من أقرّ بربى، إنّ اللّه أخذ ميثاق النبيّين و أشهدهم على أنفسهم أ لست بربّكم قالوا: بلى فكنت أنا أوّل من أجاب. و أمّا نفس المعارف و الدين فهو يرجع إلى حقيقه مقامهم النفسانى الذى قد منحهم اللّه تعالى، و الذى هو مقام ولايتهم التكوينيه، التى تقدّم ذكرها سابقا. و أمّا الثانى: فهو الإقرار المأخوذ منهم فى الذرّ المذكور

فى حديث داود الرقّى أيضا من قوله تعالى، ثمّ قال لبنى آدم: أقرّوا للّه بالربوبيه و لهؤلاء النفر بالولايه و الطاعه، فقالوا: ربّنا أقررنا، فقال اللّه للملائكه: اشهدوا، فقال الملائكه: شهدنا، فالميثاق المأخوذ من غيرهم من ساير الناس هو الإقرار بالتوحيد للّه تعالى، و النبوّه له صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الولايه لهم عليهم السّلام و المشى عليها و الالتزام بها هو توكيدها، و إلى هذا

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۹۴.

التوكيد يشير ما تقدّم من الدعاء بعد صلاه يوم الغدير. و بعباره أخرى: الالتزام المأخوذ منهم فى الذرّ، هو الالتزام المأخوذ منهم يوم الغدير، فالعهد المأخوذ يوم الغدير، هو المأخوذ منهم فى الذرّ بالنسبه إلى الولايه، بل و ساير الأمور من التوحيد و ما يتبعه و الرساله و الدين و ما استتبعهما كما لا يخفى، و توكيدها هو المشى عليها و الوفاء بها كما لا يخفى، بل المستفاد من الأخبار أنّ اللّه تعالى قد أخذ على جميع ما خلق من الملائكه و غيرهم من سائر الموجودات الميثاق على الولايه، كما صرّحت به الأخبار الوارده على أنّ ولايتهم عرضت على جميع الموجودات. و كيف كان فمن تتبع أحاديثهم عليهم السّلام وجد أنّ اللّه تعالى قد أخذ على جميع الخلق من الجنّ و الإنس و الملائكه، و الحيوانات و النباتات و الجمادات، طاعتهم، و عرض عليهم ولايتهم، كما دلّت على أنّ الماء الأجاج لم يقبل ولايتهم، و الأرض السبخه كذلك و الأشياء المرّه إنّما كانت مرّه، لأنّها لم تقبل ولايتهم كما تقدّم من حديث شراء بلال البطيخه المرّه و قد تقدّم.

و عن طريق العامّه عن أنس بن مالك قال: دفع علىّ بن أبى طالب عليه السّلام إلى بلال درهما ليشترى به بطّيخا، قال: فاشتريت به، فأخذ بطيخه فقطعها فوجدها مرّه فقال: يا بلال ردّ هذا إلى صاحبه و آتنى بالدرهم، إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال لى: إنّ اللّه قد أخذ حبّك على البشر و الشجر و الثمر و البذر، فما أجاب إلى حبّك عذب و طاب، و ما لم يحبّك خبث و مرّ، و إنّى أظنّ أنّ هذا ممّا لا يحبّنى. و بالجمله فالميثاق المأخوذ على غيرهم من سائر الخلق ولايتهم و محبّتهم، فيجب على كلّ من سواهم طاعتهم، و قد تقدّم أنّ هذا هو الملك الكبير الذى منحهم اللّه تعالى، و كلّ ما سواهم مطيعون لهم خصوصا الملائكه، كيف و هم علموا التوحيد و التسبيح و التقديس و التهليل منهم عليهم السّلام كما تقدّم، و تقدّم

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى هذا المعنى: و كان ذلك من تعليمى و تعليم علىّ عليه السّلام و كان ذلك فى علم اللّه السابق أنّ الملائكه

تتعلّم منّا التسبيح و التهليل، و كلّ شيء يسبّح اللّه و يكبّره و يهلّله بتعليمى و تعليم علىّ عليه السّلام-الحديث. هذا و قد ظهر أيضا أنّ زمان هذا الميثاق زمان أخذه هو عالم الذرّ و الأرواح، و أنّه تعالى قد جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه كما فى حديث أبى بصير المتقدّم آنفا، و أنّه كان تكليفا منه تعالى عليهم كما لا يخفى لتحقّق شرطه، و أمّا توكيدهم الميثاق بالنسبه إلى شيعتهم، و أنّهم عليهم السّلام قاموا بولايتهم التكوينيه و التشريعيه، التى منحهم اللّه تعالى بأن بيّنوا حقيقتها لشيعتهم، و بيّنوا حدودها و شرائطها و آثارها، و كيفيّه القيام بها للوصول إلى آثارها و الاستفاده منها، و بيّنوا أنّ الشيعه كيف يلتزمون بها و بعباده اللّه و بطاعتهم عليهم السّلام و بيان الفرق بين طاعتهم و طاعه اللّه تعالى. و أيضا أعانوهم باللطف منهم عليهم السّلام لهم من تأييدهم فى القيام بها، مضافا إلى أنّهم عليهم السّلام دعوا اللّه تعالى فى حقّهم و سألوه التوفيق لهم فى ذلك، بل استغفروا اللّه تعالى، ليعفوا عن هفواتهم و تقصيراتهم، و كيف كان فهم عليهم السّلام أوردوا شيعتهم حياض ولايتهم بكلّ ما أمكنهم عليهم السّلام من التبليغ و التأييد و الدعاء و الإعانه لهم، كما أنّهم عليهم السّلام ذادوا أعداءهم عن ولايتهم بعد إنكارهم لها، و دفعوا شرورهم و أشرارهم عن شيعتهم بكلّ ما يمكنهم ممّا تقدّم ذكره. و الحاصل: أنّهم عليهم السّلام لمّا كانت الشيعه خلقوا من فاضل طينتهم، فقد حسبوهم من أنفسهم عليهم السّلام و رتّبوا على التنزيل بل التحقيق آثاره التى منها أنّهم كما أكّدوا ميثاقهم، فكذلك أكّدوا ميثاق شيعتهم، لتنزيلهم منزله أنفسهم عليهم السّلام فيا له من لطف و كرامه منهم عليهم السّلام لشيعتهم! فجزى اللّه محمّدا و آله الأطيبين عن الشيعه خير الجزاء، و أحسن الجزاء، و أكمل الجزاء جزاء لا يدانيه جزاء و لا يعدله جزاء فى الدنيا و الآخره، و رزقنا اللّه تعالى محبّتهم و الشوق إليهم، و إلى موطن أقدامهم فى الدنيا و الآخره بمحمّد و آله الطاهرين.

[۲۵]و أمّا قوله علیه السّلام: و أحکمتم عقد طاعته.

فأقول: فی المجمع: قوله تعالی: (أُحْکِمَتْ آیٰاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ) (۱)أی أحکمت بالأمر و النهی، ثمّ فصّلت بالوعد و الوعید، أو أحکمت عباراتها بأن حفظت من الاحتمال و الاشتباه. و فیه: قوله تعالی: (یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (۲)هی جمع عقد بمعنی المعقود و هو (أی العقد) أوکد العهود و الفرق بین العقد و العهد أنّ العقد فیه معنی الاستیثاق و الشدّ و لا یکون إلّا من متعاقدین، و العهد قد یتفرّد به الواحد، فکلّ عهد عقد، و لا یکون کلّ عقد عهدا، و أصله عقد الشیء بغیره، و هو وصله به کما یعقد الحبل. أقول: فمعنی الجمله حینئذ أنّکم أحکمتم عقد الطاعه بما للعقد من المعنی الذی نذکره، أی أثبتم للکلّ و أوضحتم بنحو لا یحتمل فیه الخلاف، و لا یعرض لأحد لوضوحه الاشتباه، أنّکم ملتزمون بعقد طاعته، و هذا الإحکام ثابت لأنفسهم الشریفه فیما بینهم و بین خالقهم، و قد عقد قلبهم علیهم السّلام علیه، و دلّ علیه قیامهم بالعمل بالوظائف الشاقّه بتمام الجدّ، کما دلّت علیه أحوالهم المأثوره من العباده و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر، و الصبر علی حوادث الأمور الصعبه و لو بمثل القتل فکیف بما دونه. و بعباره أخری: أنّهم علیهم السّلام صاروا بإحکام عقد الطاعه له تعالی کالمیّت بین یدیّ الغسّال، فهم فی قبضته تعالی، و فوّضوا أنفسهم و أولادهم و أموالهم و جمیع ما آتاهم اللّه تعالی إلیه، فهو تعالی المتصرّف فیها کیف یشاء، و هم علیهم السّلام لا یریدون إلّا ما أراد اللّه و لا یشاءون إلّا ما یشاء اللّه کما تقدّم، و تقدّم

قول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم: «من أراد أن ینظر إلی میّت و هو یمشی، فلینظر إلی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام» فهذه الجمله کأنها تفسیر للجمله السابقه أعنی

قوله علیه السّلام:

«و وکّدتم میثاقه»

فإنّ توکیدها یظهر بإحکام

ص: ۵۱۰

۱- ۱) هود:۱.

۲- ۲) المائده:۱.

الطاعه له تعالی بالنحو المذکور کما لا یخفی. و لغیرهم من الناس، و ذلک بالمواعظ الشافیه، و النصائح الکافیه، و بإظهار الدین المبین، و إعلان شریعه سیّد المرسلین، و الترغیب فی ثوابه، و التخویف و التهدید من عقابه، فإنّ هذه الأمور منهم علیهم السّلام کما تدلّ علی أنّهم أحکموا عقد الطاعه له تعالی فیما بینهم و بین ربّهم، کذلک تدلّ علی أنّهم أدّوا ما کان واجبا علیهم من التبلیغ بنحو ما ذکر، فإنّه (أی التبلیغ) أیضا من طاعاتهم کما لا یخفی. و أمّا بیان المراد من عقد الطاعه فهو عامّ یشمل الواجبات، التی تجب علیهم علیهم السّلام منه تعالی من الأعمال العبادیه و التبلیغات الشرعیه، کما ذکرنا هذا، و لکن قد یقال: إنّ المراد من عقد الطاعه هو ما أشیر إلیه فی تفسیر قوله تعالی: (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (1)أی العهود.

ففی تفسیر نور الثقلین (2)، عن تفسیر علیّ بن إبراهیم، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قوله: (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) ، قال: أی بالعهود.

و فیه: عن أبی جعفر الثانی علیه السّلام فی قوله: (یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) قال: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عقد علیهم لعلّی علیه السّلام بالخلافه فی عشره مواطن ثمّ أنزل اللّه: (یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) التی عقدت علیکم لأمیر المؤمنین علیه السّلام. و لا ریب فی شمول عقد الطاعه لهذا العقد و العهد الذی أخذه للّه تعالی علیهم لأمیر المؤمنین علیه السّلام و حینئذ معناه أنّکم أحکمتم عقد الطاعه أی العهد الذی أخذه اللّه تعالی لأمیر المؤمنین علیه السّلام و ذلک بالمشی علیه عقیده و عملا، و تبلیغه للخلق و حثّهم علیه و علی العمل به کما لا یخفی. و لعمری إنّهم علیهم السّلام أحکموا عقد الطاعه و أضبطوه و أتقنوه لشیعتهم، حیث بیّنوا لهم العروه الوثقی الحقیقیه التی هی ولایه أمیر المؤمنین و الأئمّه علیهم السّلام و ذلک بتبلیغهم

ص: ۵۱۱

۱- ۱) المائده:۱.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۴۸۴.

و قودهم إليها بأنوارهم المعنويه و الإضاءات الروحانيه بحيث أخرجوهم من ظلمات الجهل بالولايه، التى كانت قد غشّت قلوب كثير من المخالفين بالنسبه إلى ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام بحيث كانت الولايه عليهم أدقّ من الشعر و أحدّ من السيف، و لكن بلطفهم بالنسبه إلى شيعتهم صارت الولايه لهم أوضح من الشمس، و أوسع ممّا بين السماء و الأرض فأضاءت لهم سبل الرشاد إلى رضوان اللّه تعالى و الجنان و جوار الأئمّه عليهم السّلام فى منازلهم الأخرويه، فيا لها من نعمه أنعمها عليها بهم عليهم السّلام! و الحمد للّه على الولايه كما يحبّ و يرضى.

قوله عليه السّلام: و نصحتم له فى السرّ و العلانيه.

فى المجمع: قوله تعالى: (تُوبُوا إِلَى اَللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) (۱)هى فعولا من النصح، و هو خلاف الغش-إلى أن قال: و أصل النصيحه فى اللغو الخلوص، يقال: نصحته و نصحت له. . إلى أن قال: و النصيحه لفظ حامل لمعان شتّى، فالنصيحه للّه الاعتقاد فى وحدانيّته، و إخلاص النيّه فى عبادته و نصره الحقّ فيه، و النصيحه لكتاب اللّه هو التصديق به، و العمل بما فيه، و الذبّ عنه دون تأويل الجاهلين و تحريف الغالين و انتحال المبطلين، و النصيحه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم التصديق بنبوّته و رسالته و الانقياد لما أمر به و نهى عنه. أقول: قال بعض الأعاظم: النصح الخلوص، و إظهار الشىء على ما هو عليه، فحقيقه النصح للّه تعالى التثبت فى حقيقه العبوديه، و نفى جميع ما آتاه اللّه من نفسه و إثباتها له، و صرف جميعها فيما خلقه اللّه تعالى لأجله. و المراد بالسرّ يعنى فيما بين اللّه و بين أنفسهم عليهم السّلام فى معاملتهم مع اللّه و فى العلانيه، يعنى معاملتهم مع الناس باعترافهم بالعبوديه له تعالى، و تعليمهم سبيل عبوديّته و شرائع دينه، و الحثّ على نفى الأنداد، و تخليص الأسرار له تعالى،

۱- ۱) التحريم:۸.

و تحریض العباد علی طاعته و طاعه رسوله و تعظیم شعائره، و نهیهم عن القول فیهم علیهم السّلام بما لا یلیق لعزّ جلاله، و تحمّلهم أذی ممّن ظلمهم فی الدعوه إلیه تعالی، و صبرهم فیما جری علیهم من قضائه، و أمثال ذلک ممّا به قوام حقیقه العبودیه. أقول: هذا بالنسبه إلیهم و أمّا النصیحه منّا، أمّا بالنسبه إلیه تعالی فهو بالتحقیق بتوحیده و رؤیه عدله، و القیام بأمره، و اجتناب نواهیه، و إخلاص النیّه فی عبادته و خدمته، و نصره الحقّ فیه بمحبّه أحبائه له تعالی، و بغض أعدائه له تعالی، و فعل ما یرضی، و الرضا بما یفعل، و جعل نفسه بما لها من الشئون الظاهریه و الباطنیه علی موافقه إرادته، و طلب رضاه و محبّته، و طاعه رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم و طاعه أولیائه الأئمّه الطاهرین علیهم السّلام فیما یرجع إلیهم، أو إلی اللّه تعالی بنحو ما بیّنوه لهم. و أمّا بالنسبه إلی رسوله و الأئمّه (علیه و علیهم السلام) فهو بالإیمان برسالته و بولایتهم و إمامتهم، و بما جاء صلّی اللّه علیه و آله و سلم به عن ربّه من أحوال المبدإ و المعاد، و الدنیا و الآخره، و الانقیاد لما أمر به و نهی عنه، و قبول نصحه و الاهتداء بإرشاده، و المتابعه له فی أقواله و أفعاله و عقائده بحسب ما یفهمه و بحسب طاقته، و بالنصح للأئمّه علیهم السّلام بالإخلاص فی محبّتهم، و الاحتمال لعلمهم، و متابعتهم أیضا فی الأقوال و الأفعال و العقائد، و عدم الشکّ فیهم و الاستقامه علی ولایتهم و التسلیم لهم، و الردّ إلیهم و الانقیاد و الخضوع و القبول فیما یرد عنهم فی شأنّهم و فضائلهم، و بذل الجهد و المجهود فی القیام بواجب حقّه. و قبول أوامرهم و نواهیهم، و متابعتهم فی کلّ الأحوال و الأقوال و الأعمال، و موالاتهم، و موالاه ولیّهم و إن کان أبعد بعید، و معاداه عدوّهم و إن کان أقرب قریب، و الاحتجاب بذمّتهم، و التمسّک بحبلهم، و الاعتراف بحقّهم، و الاعتصام بذمامهم، و التوقّی بولایتهم، و الاتکال علی حبّهم، و الانتظار لرجعتهم، و الاستعداد لنصرتهم، و الدعاء بتعجیل فرجهم، و المصابره لأیامهم و هوی الأفئده إلیهم، و معرفه أنّ الحق لهم و معهم و فیهم و عندهم و بهم و عنهم و إلیهم و مدّ البصر

و البصائر إليهم فى جميع الأمور و الأحوال، لأنّهم عليهم السّلام وجه الملك المتعال، و به يلحق النصح لكتابه، و هو كما تقدم بالتصديق به و الإيمان بمحكمه و متشابهه، و ردّ متشابهاته إلى محكمه، و قبول معانيه على ما أريد و ما أنزل و على النحو الذى تجلّى لقلب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم. هذا و قد علمت معنى كون النصيحه سرّا و علانيه، و حاصله: أنّ من تحقق قلبنا بمعرفه اللّه تعالى سرت حقيقتها و آثارها فى الباطن و السرّ و الظاهر و العلن، و فى جميع أركانه و مشاعره و جميع حالاته، فصاحب هذه المعرفه يكون ناصحا له تعالى بالمعانى المتقدمه سرّا و علنا كما لا يخفى و اللّه العالم.

قوله عليه السّلام: و دعوتم إلى سبيله بالحكمه و الموعظه الحسنه

اعلم أنّ ما يتصوّره الإنسان و هو المسمّى بالعلم سواء كان تصوّريا أو تصديقا إن كان بعد الرؤيه بالعين بمعنى أنّه ينتزع علمه عن الرؤيه فهو علم عيان أى يسمّى بالعلم العيانى، و إن كان بعد معاينه أسبابه و ما يتفرّع عليها و ما يتوقف عليه بنحو يستلزم رؤيه هذه الأسباب و الأمور ذلك العلم فهو علم إحاطه. ثمّ إنّ العلم المستفاد من هذين الأمرين يسمّى بالحكمه، و ذلك لأنّ منشأه المشاهده المستفاده من كتاب اللّه التدوينى و التكوينى من الآفاقى و الأنفسى، و تكون تلك المشاهده منها بعين الفؤاد و بصر القلب، و حقيقه عين الفؤاد و نور البصر هو نور من اللّه تعالى المعبّر عنه فى الأحاديث بالتوسم و الفراسه كما لا يخفى.

ففى بصائر الدرجات (1)، حدّثنا محمد بن عيسى، عن سليمان الجعفرى قال: كنت عند أبى الحسن عليه السّلام قال: يا سليمان اتّق فراسه المؤمن فإنّه ينظر بنور اللّه، فسكت حتى أصبت خلوه فقلت: جعلت فداك، سمعتك تقول: اتّق فراسه المؤمن

ص: ۵۱۴

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۷۹.

فإنّه ينظر بنور اللّه، قال: نعم يا سليمان إنّ اللّه خلق المؤمن (المؤمنين) من نوره و صبغهم فی رحمته و أخذ ميثاقهم لنا بالولايه، و المؤمن أخو المؤمن لأبيه و أمّه، أبوه النور و أمّه الرحمه، و إنّما ينظر بـذلك النور الـذی خلق منه. و هذا العلم الحکمتی لا يقابله الإنکار لأنّ صاحبه معاين بقلبه للواقع، فلا يفقده ليکون جاهلا کما فی العلم فانّه کما سيأتی ربّما يمحی عن قلب صاحبه فيکون جاهلا. و بعباره أخری: أنّ الحکمه (أی العلم المستفاد من المشاهـده) لا يعرض علی صاحبه الإنکار، لمکان المشاهده التی هی تجلّی المشهود، ففی حال التجلّی لا ـ إنکار قلبا، و أمّا غيرها أی غير الحکمه ففی حال تحققه يعرض لصاحبه خاطره خلافه، إلاّ أنّه يدفعه بالدليل عملا لا قلبا، فافهم تعرف إن شاء اللّه. و أيضا صاحب الحکمه لا يتوقف و لا يعرضه التوقف، ليکون شاکّا کما فی علم اليقين، فإنّه ربّما يعرضه الشک و لو لأجل عروض الغفله، أو إهماله للعمل بمقتضی علم اليقين، فتحصل له الشک کما لا يخفی، و هـذا بخلاف الحکمه و العلم العيانی، و ذلک لأنّ صاحبه يکون مشاهدا للواقع بنحو ما ذکر، فما دامت فيه المشاهده يکون له علم العيان و الحکمه، و اللّه سبحانه يتعامل مع هذا الشخص بما ظهر فی فؤاده و هو يتعامل مع ربّه بما فيه، و هذا العلم العيانی يشترط فی تحققه الإنصاف مع الربّ، و أن يکون صادقا مع اللّه و الرسول و الأوصياء ليصير موردا لألطافهم الخاصه.

ففی المحکی عن الباقر عليه السّلام: ما من عبد أحبّنا و زاد فی حبّنا، و أخلص فی معرفتنا، و سأل مسأله إلاّ نفثنا فی روعه جوابا لتلک المسأله. و الحاصل: أنّ المحب لهم عليهم السّلام يمنح له علمهم کما تقدم

فی شرح قوله تعالی

(وَ أَنْ لَوِ اِسْتَقامُوا عَلَى اَلطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً)

(۱)

قول الصادق عليه السّلام: أی لو استقاموا

ص: ۵۱۵

۱- ۱) الجن:۱۶.

على حبّ آل محمد لأفدناهم علم آل محمد، و هذا بخلاف من قرع غير بابهم، و أراد دخول البيت من ظهره، فإنّه و إن كان ربّما عرف الدليل و كيفيه الاستدلال العلمى و العملى لدرك الواقع بمثل استعمال الرياضات و الأذكار المعروفه، إلاّ أنّه لا يصل و لا يعلم حقّ المعارف و الحقائق، نعم يكشف له بعض ما أشكل عليه فى مذهبه الباطل بصوره الحق، فيحسب أنّه على الحق مع الجهل بأنّه قد ضلّ سعيه، و هو يحسب أنّه يحسن صنعا. فهؤلاء مصداق لقوله تعالى: (أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وٰادٍ يَهِيمُونَ. وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مٰا لاٰ يَفْعَلُونَ) (١)فإنّه ربّما قد خرج حينئذ من ظلمه الجهل، إلاّ أنّه دخل فى ظلمه النفاق، فلا يعمل بما يعلم و لقوله تعالى: (وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا) كما قال تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اَللّٰهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهٰا) (٢)و هؤلاء قد وبّخهم اللّه تعالى بقوله: (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) (٣). و كيف كان فهؤلاء وقعوا فى الشيطنه التى هى شبيه الحكمه، و أحسن مصاديق لهؤلاء علماء بعض الفرق و المتصوّفه بأجمعهم كما لا يخفى، ثمّ أين هؤلاء المدّعون للحكمه، و كيف يقاس بهن الذين رزقهم اللّه تعالى ذوق المعرفه بعين الفؤاد و نور البصيره، و ظهور مقتضى الفطره التى فطر اللّه العباد عليها و التى هى التوحيد، الذين قد شاهدوا الحقائق و المعارف بقراءه ما كتبه اللّه تعالى فى ألواح الآفاق و الأنفس من الآيات الدالاّت على معرفه الأشياء كما هى. توضيحه: أنّ الأشياء كلّها مرايا للمعانى، و أعيان الموجودات كلّها مظاهر للآيات الإلهيه. و بعباره أخرى: أنّ الموجودات مرايا يرى منها البصير علمه تعالى، و حكمته

۱- ۱) الشعراء:۲۵-۲۶.

۲- ۲) النحل:۸۳.

۳- ۳) المؤمنون:۶۹.

و قـدرته، و جمـاله و جلالـه، و رحمته و ألطـافه بنحو ليس فيهـا شـبه و لا أوهام و لا شـكوك، كلّ ذلک كما علمت بنور اللّه و الفراسه التى منحها اللّه تعالى. إذا علمت هذا

فقوله عليه السّلام:

«و دعوتم إلى سبيله بالحكمه»

أى منحتم شيعتكم الحكمه، أى المشاهده القلبيه لحقائق الأمور و المعارف بحيث عرفوا بذلک سبيل الوصول إلى معرفته تعالى، و إلى مرضاته و ألطافه الخاصه، و إنّما قلنا لشـيعتهم، لأنّ هذا لطف لكل من أتاهم عارفا بحقّهم و هم الشيعه كما لا يخفى. و إن كان ما يتصوّره الإنسان من السـمع، و من الخطاب الملقى إليه، فيسـتفيد من اللفظ المعانى على حسب بصيرته بأوضاع اللغات، و معرفته باصـطلاح التخاطب فى مقام المكالمه، فهذا العلم يسـمّى بعلم إخبار. و هذا قد يعرضه الخطأ كثيرا فإنّه ربّما يفهم منه غير مـا وضع له اللفـظ، أو غير مراد المخاطب المتكلّم لغفلته عن بعض القرائن، التى توجب صـرف اللفظ إلى غير ما يكون اللفظ فيه ظاهرا مع فقـدها، و هذا العلم هو علم أكثر المحجوبين، الذين هم لم يستضـيئوا بنور الحكمه، و لم يتفرّسوا بنور الإيمان، فهم فى عين علمهم جاهلون، و فى خيالاتهم المسـمّيات عنـدهم بالعلم مترددون، فربّما يظنّون خلاف الواقع واقعا، و ينكرون الواقع جهلا بالأمور كما لا يخفى. و امّا

قوله عليه السّلام:

و الموعظه الحسنه

، فقد علمت مما تقدم أنّها فسّرت بالبيان، الذى تلين به النفس، و يرقّ له القلب لما فيه من صلاح حال السامع من الغير و العبر و جميل الثناء و محمود الأثر إلى آخر ما تقدم، و علمت أنّها (أى الموعظه الحسـنه) هى المأذون فيها، و غير الحسـنه و هى المنهى عنها، و قـد يقال فى تفسـيرها بما حاصـله: أن تقف مع خصـمک فى مقام الاسـتدلال على حـدود الشـرع و العقل، فتـدعوه حين الـدعوه إلى ما فيه السـلامه و النجاه، و الاحتياط و الراحه من محتملات طرفى النزاع، كلّ ذلک ليسـهل لک معالجه الخصم، فلو دعوته إلى خصوص طرف كان ينكره لم يقبل، و لعمى عليه الطريق طريق الحق، و هذا بخلاف ما إذا جاملته، و جعلته

فى سعه من اختار، فيرجع باختياره لا بإجباركـ إلى عقله فلعلّه حينئذ يقبل الحقّ المعلوم لدى العقل. و الحاصل: أن تدعوه إلى الحق مع إضاءه عقله لدركه بأن توسّع عليه طريق النظر العقلى، لا أن تظلمه عليه فيبقى على عماه، و هذا النحو من الدعوه إلى الحق يثمر علم اليقين، لأنّ المدعو يرجع إلى اختيار ما فيه نجاته من المحتملين فى مورد النزاع من قبول الحق، و لا أقل من أن يصير شاكّا أو متوقفا لا منكرا، فلا يقوم على الداعى بالمخاصمه و النزاع. و الحاصل: أنّ الموعظه الحسنه هو جعل الطرف فى سعه، بحيث يرجع بنفسه إلى ما يحكم به عقله فى مورد النزاع، مع عدم المشاجره الموجبه لهيجان صفات النفس، الموجبه لخفاء الحق، فحينئذ إمّا يقبل الحق أو يقف عنده و لا يعارض أهله. أقول: هذا كلام حسن فى تفسير الموعظه الحسنه إلّا أنه يدل على أنّ المراد من الموعظه الحسنه هو الاستدلال كما هو ظاهر قوله تعالى: (اُدْعُ) أى بالدليل عن هذه الأقسام الثلاثه، و هذا (و اللّه العالم) خلاف الظاهر المتبادر منها عرفا، فإنّ الموعظه خصوصا الحسنه لم يلحظ فيها إقامه الدليل بل المطلوب فيها هو البيان بنحو يرقّ القلب و تلين به النفس إلى آخر ما تقدم، و إلاّ فلو كانت الموعظه الحسنه ما ذكر لما كان فرق بينها و بين المجادله بالتى هى أحسن، فإنّها أيضا هى الاستدلال بنحو يرجع الخصم إلى عقله فيقبله لا بنحو آخر يوجب بقاء عماه كما فى المجادله بغير التى هى أحسن، فتأمّل. و أمّا المجادله بالتى هى أحسن فإنّه و إن لم يذكره هنا، إلّا أنه قد تقدم معناه فى شرح

قوله عليه السّلام:

«السلام على الدعاه إلى اللّه»

و تقدم أنّها فسّرت بالحجه التى تستعمل لفتل الخصم عمّا يصرّ عليه، و ينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذه عليه من طريق ما يتسلّمه هو و الناس، أو بتسلّمه هو وحده فى قوله أو حجته، و هنا حديث مفصّل ذكر فيها المجادله بالتى هى أحسن و غيرها، فلا بأس

ص :۵۱۸

بذكرها للتبصّر فنقول:

فی تفسیر نور الثقلین (۱): قال أبو محمد الحسن العسکری علیه السّلام: ذکر عند الصادق علیه السّلام الجدال فی الدین، و أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و الأئمه علیهم السّلام قد نهوا عنه، فقال الصادق علیه السّلام: لم ینه عنه مطلقا، و لکنه نهی عن الجدال بغیر التی هی أحسن، أ ما تسمعون اللّه یقول: (وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ اَلْکِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) ؟ قیل: یا بن رسول اللّه ما الجدال بالتی هی أحسن و بالتی لیست بأحسن؟ قال: أمّا الجدال الذی بغیر التی هی أحسن أن تجادل مبطلا، فیورد علیک مبطلا، فلا تردّه بحجه قد نصبها اللّه، و لکن تجحد قوله أو تجحد حقا یرید ذلک المبطل أن یعین به باطله، فتجحد ذلک الحق مخافه أن یکون له علیک فیه حجه، لأنّک لا تدری کیف المخلص منه. فذلک حرام علی شیعتنا، أن یصیروا فتنه علی ضعفاء إخوانهم و علی المبطلین. أمّا المبطلون فیجعلون ضعف الضعیف منکم إذا تعاطی مجادله و ضعف ما فی یده، حجه له علی باطله، و أمّا الضعفاء منکم فتعمی قلوبهم لما یرون من ضعف المحق فی ید المبطل، و أمّا الجدال بالتی هی أحسن فهو ما أمر اللّه تعالی به نبیّه أن یجادل به من جحد البعث بعد الموت و إحیاءه له، فقال اللّه حاکیا عنه: (وَ ضَرَبَ لَنٰا مَثَلاً وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قٰالَ مَنْ یُحْیِ اَلْعِظٰامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ) ، فقال اللّه فی الردّ علیه: (قُلْ (یا محمد) یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ. اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ اَلشَّجَرِ اَلْأَخْضَرِ نٰاراً فَإِذٰا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) . فأراد اللّه من نبیّه أن یجادل المبطل الذی قال: کیف یجوز أن یبعث هذه العظام و هی رمیم؟ قال: فقل یحییها الذی أنشأها أوّل مره، أ فیعجز من ابتدأه لا من شیء أن یعیده بعد أن یبلی؟ بل ابتداؤه أصعب عندکم من إعادته. ثمّ قال: (اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ اَلشَّجَرِ اَلْأَخْضَرِ نٰاراً) ، أی إذا کمن النار الحاره فی الشجر الأخضر الرطب ثمّ یستخرجها فعرّفکم أنّه علی إعاده من بلی أقدر.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۴، ص ۱۶۲.

ثمّ قال: (أَ وَ لَيْسَ اَلَّذِي خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِقٰادِرٍ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلىٰ وَ هُوَ اَلْخَلاّٰقُ اَلْعَلِيمُ) أی إذا كان خلق السماوات و الأرض أعظم و أبعد فی أوهامكم، و قدركم أن تقدروا عليه من إعاده البالی فكيف جوّزتم من اللّه خلق هذا الأعجب عندكم و الأصعب لديكم، و لم تجوّزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعاده البالی؟ قال الصادق عليه السّلام: فهذا الجدال بالتی هی أحسن، لأنّ فيها قطع عذر الكافرين و إزاله شبههم. و أمّا الجدال بغير التی هی أحسن فإن تجحد حقا لا يمكنك أن تفرق بينه و بين باطل من تجادله، و إنّما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق، فهذا هو المحرّم، لأنّك مثله جحد هو حقا، و جحدت أنت حقا آخر. قال أبو محمد الحسن العسكری عليه السّلام: فقام إليه رجل آخر فقال: يا بن رسول اللّه أ يجادل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم؟ قال الصادق عليه السّلام: مهما ظننت برسول اللّه من شیء فلا تظنن به مخالفه اللّه تعالى أ ليس اللّه قال: (وَ جٰادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) و (قُلْ يُحْيِيهَا اَلَّذِي أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ) لمن ضرب للّه مثلا فتظن أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم خالف ما أمره اللّه به فلم يجادل ما أمره به، و لم يخبر عن أمر اللّه بما أمره أن يخبره به؟ هذا و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

[۲۶]قوله عليه السّلام: و بذلتم أنفسكم فی مرضاته، و صبرتم على ما أصابكم فی جنبه

اشاره

اشاره

أقول: و بذلتم بالمداومه على العبادات، و بإظهار الطاعات، و إبداء الشريعه الحقّه، و تعليم الفرقه المحقّه، و إعلاء كلمه اللّه، و تشييد دين اللّه سرّا و جهرا، و إن أصابكم ما أصابهم من القتل و الأسر و سقى جبابره زمانهم السموم لهم حتى

قالوا عليه السّلام: «ما منّا إلاّ و هو شهيد» ، أی إمّا بالسم أو بالقتل أو بهما، و فی التعبير بالبذل إشاره إلى أنّهم عليهم السّلام فدوا أنفسهم مع ما كانوا عليه من شده الطاعات، و تحمّل المشاق و الأذى فی سبيل مرضاته بذلا، أی بدون بدل و بدون إراده جزاء منه تعالى.

و الحاصل: أنّ هذه الجمله تشير إلى أنّهم عليهم السّلام إنّما كانوا يتحمّلون ما يتحمّلون للّه تعالى، لكونه تعالى أهلا لذلک، كما يشير إليه

قوله عليه السّلام: «و أمّا نحن فنعبده حبّا له»

و قوله: «ما عبدتک خوفا من نارک، و لا طمعا فی جنتک، بل وجدتک أهلا للعباده فعبدتک» فإنّ هذه التحمّلات للّه تعالى تكون عباده كما لا يخفى. و كيف كان فهم عليهم السّلام بذلوا أنفسهم فی مرضاه اللّه تعالى حتى أضرّوا بأنفسهم فی المأكل و المشرب و المطعم و الملبس كما هو مذكور فی الأخبار، فراجع ما ورد فی أحوال على بن الحسين عليه السّلام و كذا سائر الأئمه عليهم السّلام من مجاهداتهم مع أنفسهم، و من عباداتهم و بكائهم و خشوعهم، و زهدهم و ورعهم و كرمهم و صدقاتهم، و القيام بالجهاد فی سبيل اللّه و الجهاد مع النفس، و ضد الكفار حيث ما اقتضى التكليف الإلهى. و الحاصل: أنّهم بلغوا فی هذه المجاهدات بحيث نوّه بهم بين الخلق، و ضربت بهم و بعبادتهم و مجاهدتهم الأمثال بين المؤالف و المخالف. و الحاصل: أنّه لو حاول أحد أن يحصى ما ترتب على بذلهم أنفسهم فی طاعه اللّه تعالى من المشاق و الآلام و الجوع، و معاداه الأعداء الكثيره فی اللّه تعالى، و ما يترتب على هذه لما كان يحيط به،

و قوله عليه السّلام:

«و صبرتم على ما أصابكم فی جنبه»

مترتب على

قوله عليه السّلام

«و بذلتم»

و ذلک أنّهم لما بذلوا أنفسهم فی مرضاته، صبروا على ما أصابهم من ذلک البذل من مشقه العبادات و التعب الشديد، و سهر الليالى و التوجّه التام إليه تعالى بما له من الحالات، التى تعجز عقولنا عن دركها، و من الجوع من الصيام حتى ربّما بقوا ثلاثه أيام صائمين لم يفطروا إلاّ بالماء، و ربّما كانوا يربطون حجر المجاعه على بطونهم، و من مشقه كلفه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و ما تحمّلوا من مخالفيهم فی هذا المقام من معاداه الباغين الكافرين و المنافقين معهم، حتى جرى عليهم من القتل و الشهاده و السجن و سائر أنواع الظلم، و هذا كسابقه أمر ظاهر.

ص :۵۲۱

و لکن یقع الکلام هنا فی أمرین:

الأوّل: فی معنی الصبر و أنواعه.

الثانی: فی معنی الجنب. أمّا الأوّل فنقول:

فی مرآه العقول (۱)، قال المحقق الطوسی قدّس سرّه: الصبر حبس النفس عن الجزع عند المکروه، و هو یمنع الباطن عن الاضطراب، و اللسان عن الشکایه، و الأعضاء عن الحرکات غیر المعتاده، انتهی. قال المجلسی رحمه اللّه (و قد مرّ) : إنّ الصبر علی البلاء، و علی فعل الطاعه، و علی ترک المعصیه، و علی سوء أخلاق الخلق (بالفتح) . قال الراغب: الصبر الإمساک فی ضیق، یقال: صبرت الدابه حبستها بلا علف، و صبرت فلانا خلفته خلفه لا خروج له منها. و الصبر حبس النفس علی ما یقتضیه العقل أو الشرع أو عمّا یقتضیان حبسها عنه. فالصبر لفظ عام، و ربّما خولف بین أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن کان حبس النفس لمصیبه سمّی صبرا لا غیر و یضاده الجزع، و إن کان فی محاربه سمّی شجاعه و یضادّه الجبن، و إن کان فی نائبه مضجره سمّی رحب الصدر و یضادّه الضجر، و إن کان فی إمساک الکلام سمّی کتمانا و یضادّه الإذاعه، و قد سمّی اللّه تعالی کلّ ذلک صبرا و نبّه علیه بقوله: (وَ اَلصّابِرِینَ فِی اَلْبَأْسٰاءِ وَ اَلضَّرّٰاءِ وَ حِینَ اَلْبَأْسِ) (۲)(وَ اَلصّابِرِینَ عَلیٰ مٰا أَصٰابَهُمْ) (۳)(وَ اَلصّابِرِینَ وَ اَلصّٰابِرٰاتِ) (۴)و سمّی الصوم صبرا لکونه کالنوع له، و قوله: (اِصْبِرُوا وَ صٰابِرُوا) (۵)أی احبسوا أنفسکم علی العباده

۱- ۱) مرآه العقول ج ۸، ص ۱۲۰.

۲- ۲) البقره:۱۷۷.

۳- ۳) الحج:۳۵.

۴- ۴) الأحزاب:۳۵.

۵- ۵) آل عمران:۲۰۰.

و جاهدوا أ هواءكم، و قوله عزّ و جلّ: (وَ اِصْطَبِرْ لِعِبٰادَتِهِ) (۱)أی تحمّل الصبر بجهدك، و قوله: (أُوْلٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ اَلْغُرْفَةَ بِمٰا صَبَرُوا) (۲)أی بما تحمّلوه من الصبر فی الوصول إلی مرضاه اللّه. أقول: و فی المجمع:

و فی الحديث: الصبر صبران: صبر علی ما تكره، و صبر علی ما تحب. فالصبر الأوّل: مقاومه النفس للمكاره الوارده عليها، و ثباتها و عدم انفعالها، و قد يسمّی سعه الصدر، و هو داخل تحت الشجاعه. و الصبر الثانی: مقاومه النفس لقوّتها الشهويه، و هو فضيله داخله تحت العفه. . إلی أن قال: و الصبر تاره يستعمل بعن كما فی المعاصی، و تاره بعلی كما فی الطاعات.

و فيه عن الكافی بين أقسامه و ما له من الثواب، و فی البحار (۳)، عن الكافی، يرفع الحديث إلی علی عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم: الصبر ثلاثه: صبر علی المصيبه، و صبر علی الطاعه، و صبر عن المعصيه. فمن صبر علی المصيبه حتی يردها بحسن عزائها، كتب اللّه له ثلاثمائه درجه ما بين الدرجه إلی الدرجه، كما بين السماء إلی الأرض. و من صبر علی الطاعه كتب اللّه له ستمائه درجه ما بين الدرجه إلی الدرجه، كما بين تخوم الأرض إلی العرش. و من صبر عن المعصيه كتب اللّه له تسعمائه درجه ما بين الدرجه، إلی الدرجه كما بين تخوم الأرض إلی منتهی العرش. ثمّ إنّه لا يخفی علی أحد فضيله الصبر، و كفی فی فضله أنّه وردت فی القرآن كما قيل ثمانون آيه فی الصبر، و نحن نذكر بعض الأحاديث الوارده فيه تذكره لمن أراد الصبر.

ففی الكافی باب الصبر رقم ۱، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: الصبر رأس الإيمان

ص: ۵۲۳

۱- ۱) مريم:۶۵.

۲- ۲) الفرقان:۷۵.

۳- ۳) و فی البحار ج ۷۱، ص ۷۷.

و فيه رقم ۶، عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ الحرّ حرّ على جميع أحواله، إن نابته نائبه صبر لها، و إن تداكّت عليه المصائب لم تكسره، و إن أسر و قهر و استبدل باليسر عسرا كما كان يوسف الصدّيق الأمين (صلوات اللّه عليه) لم يضرر حريّته أن استعبد و قهر و أسر، و لم يضرره ظلمه الجب و وحشته و ما ناله إلى أن منّ اللّه عليه، فجعل الجبار العالى له عبدا بعد أن كان (له) مالكا، فأرسله و رحم به أمّه، و كذلك الصبر يعقب خيرا، فاصبروا و وطّنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا.

و فيه رقم ۷، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: الجنه محفوفه بالمكاره و الصبر، فمن صبر على المكاره فى الدنيا دخل الجنه، و جهنم محفوفه باللذات و الشهوات، فمن أعطى نفسه لذّتها و شهوتها دخل النار.

و فيه رقم ۱۷، عن أبى حمزه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل أجر ألف شهيد.

و فيه رقم ۲۰، عن بعض أصحابه قال: لو لا أنّ الصبر خلق قبل البلاء، لتفطّر المؤمن كما تتفطر البيضه على الصفا.

و فيه رقم ۲۳، عن جابر قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: يرحمك اللّه ما الصبر الجميل؟ قال: ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس.

و فيه، بعده عن أبى عبد اللّه أو أبى جعفر عليه السّلام قال: من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز.

و فيه رقم ۲۵، عن بعض أصحابه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّا صبّر و شيعتنا أصبر منّا، قلت: جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: لأنّا نصبر على ما نعلم، و شيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون. أقول: أمّا صبر المؤمن على البلاء، فهو داخل تحت الصبر على المصيبه، كما لا يخفى.

و أمّا الثانى (أى معنى الجنب) :

فهو فى اللغه على معان، إلّا أنّ المراد منه هنا

جهه الشیء، أی صبرتم علی ما أصابکم فی جهه الربّ، و فی سبیله و لوجهه و لأوامره و رضاه، و قربه و جواره، و طاعته و حقّه، کما قیل هذه الوجوه فی قوله تعالی: (عَلیٰ مٰا فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اَللّٰهِ) و لها معان أخر یطلق بلحاظها علیهم علیهم السّلام کما تقدم من أنّهم جنب اللّه، أی وجه اللّه، و شرحه و المراد منه مذکور فی محلّه.

قوله علیه السّلام: و أقمتم الصلاه

قیل: إقامه الصلاه عباره عن تعدیل أرکانها، و حفظها من أن یقع فیها زیغ فی أفعالها، من أقام العود إذا قوّمه. و قیل: من قامت السوق إذا أنفقت، فمعنی أقمتها جعلتها نافقه، فإنّها إذا حوفظ علیها کانت کالنافق الذی یرغب فیه، و إذا ضیّعت کانت کالمکاسد المرغوب عنه. و قیل: إقامتها عباره عن التشمیر لأدائها من غیر فتور و لا توان من قولهم قام بالأمر إذا جدّ فیه و تجلّد، و ضدّه قعد فیه و تقاعد، و علی کلّ حال فالمراد أنّکم أقمتموها حقّ إقامتها من الخضوع و الخشوع، و الإخلاص و حضور القلب، و جمیع ما هو شرط للقبول و الکمال. أقول: و قد یقال: إنّ الصلاه لمّا کانت حقیقتها معراج المؤمن، فلا محاله یکون أحسن مصداق لها هو محمد و آله الطاهرون، و حیث إنّ لهم الولایه الکلّیه الإلهیه، أی لهم القرب الحقیقی بالنسبه إلیه تعالی، کما تقدم من شرح قوله تعالی (وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ) (۱)فحینئذ تکون إقامه الصلاه عباره عن إقامه الولایه المطلقه الکلّیه النوریه الإلهیه، لأنّ حقیقه الصلاه ذکره تعالی حقیقه، لقوله تعالی: (أَقِمِ اَلصَّلاٰهَ لِذِکْرِی) (۲). و حقیقه الذکر هو صعود الذاکر إلی مرتبه المذکور، بحیث یمحو عن نفسه تمام

۱- ۱) الأنبیاء:۱۹.

۲- ۲) طه:۱۴.

الحدود، و يتخلّى عن جميع القيود، و يرفع تمام الحجب، و يقف فى مرتبه الفناء و الموت فى قبضه ربّ العالمين، بحيث لا يكون إلاّ قائما به تعالى، و يكون هو تعالى قيّومه، و هذا القيام به تعالى فى الحقيقه هو ظهور اسم اللّه تعالى فى مظاهره، و هى فى الإنسان محمد و آله الطاهرون

لقوله عليه السّلام كما تقدم:

و نحن مظاهره فيكم

. فحقيقه الصلاه بما لها من المصداق الحقيقى هم محمد و آله الطاهرون، فهم عليهم السّلام هم الذين أقاموها بحقيقتها هكذا لا غيرهم، و نحن إذا أردنا إقامه الصلاه فلا بدّ لنا من متابعتهم فى هذا السير النورى، و الفناء المعنوى بالمتابعه لهم فى مظاهر الصلاه فعلا و هو الصوره الصلاتيه، و معنى و هو الارتباط و الاتصال بهم عليهم السّلام فى تلك الحالات المعنويه، و بهذا اللحاظ فسّر قوله تعالى: (يَتَسٰاءَلُونَ عَنِ اَلْمُجْرِمِينَ. مٰا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ. قٰالُوا لَمْ نَكُ مِنَ اَلْمُصَلِّينَ) (۱)، باتّباع الأئمه عليهم السّلام.

ففى الكافى عن الصادق عليه السّلام قال: فيها عنى لم نك من أتباع الأئمه الذين قال اللّه فيهم: (وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلسّٰابِقُونَ. أُولٰئِكَ اَلْمُقَرَّبُونَ) (۲)أ ما ترى الناس يسمّون الذى يلى السابق فى الحلبه مصلّيا؟ فذلك الذى عنى حيث (قٰالُوا لَمْ نَكُ مِنَ اَلْمُصَلِّينَ) أى لم نك من أتباع السابقين. و قد يقال: معنى إقامتها هو بيان حدودها و شرائطها الظاهريه و المعنويه، فكلّ من أقامها عن بيانهم فكأنهم عليه السّلام حينئذ قد أقاموها، و لو كان صدورها عن غيرهم من المكلّفين، فهذا أحد معانى

قولهم عليهم السّلام: بنا عرف اللّه و بنا عبد اللّه. و قد قال: إنّ معنى إقامتها هو أنّهم عليهم السّلام لما تصدّوا لبيان أحكام اللّه، و اجتهدوا فى إبطال شبه المعاندين، و اجتهدوا فى إقامه الدين ببذل نفوسهم الشريفه بحيث قتلوا شهداء، و تحمّلوا الأذى من المخالفين كلّ ذلك، ليسهّل الأمر على الشيعه و المسلمين، ليتمكّنوا من إقامه أحكامه تعالى، التى منها الصلاه بل هى أهمّها، و لذا خصّت

۱- ۱) المدثر:۴۰.

۲- ۲) الواقعه:۱۰.

بالذكر. فيرجع معنى أقمتم الصلاه إلى أنّ إقامه الصلاه، و لو كانت من غيركم، إلاّ أنّه لما كان السبب فى إمكان إقامتها من المكلّفين هو جدّهم و جهدهم عليهم السّلام فكأنّهم حينئذ أقاموها فتدبّر تعرف هذا. و هنا كلام و حاصله: أنّ الظاهر من

قوله عليه السّلام:

«و أقمتم الصلاه»

هو إقامه الصلاه بما لها من الصوره الظاهريه من الحدود و الشرائط، و بما لها من الصوره المعنويه، التى عبّر عنها بمعراج المؤمن، و قربان كلّ تقى، و خير موضوع، إلاّ أنّه ربّما يقال: إنّ المراد منها هو ولايه أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام و ذلك لما تقدم

ممّا رواه الشيخ الطوسى رحمه اللّه فى كنز الفوائد على ما ذكر فى البحار عن داود بن كثير، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أنتم الصلاه فى كتاب اللّه عزّ و جلّ، و أنتم الزكاه فقال: و نحن الصيام، و نحن الحج، و نحن الشهر الحرام، و نحن البلد الحرام، و نحن كعبه اللّه، و نحن قبله اللّه، و نحن وجه اللّه، قال اللّه تعالى: (فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ) و نحن الآيات، و نحن البيّنات. و عدوّنا فى كتاب اللّه عزّ و جلّ الفحشاء و المنكر و البغى، و الخمر و الميسر و لحم الخنزير. يا داود إنّ اللّه خلقنا فأكرم خلقنا و فضّلنا، و جعلنا أمناءه و حفظته، و خزّنه على ما فى السماوات و ما فى الأرض، و جعل لنا أضدادا و أعداء فسمانا فى كتابه، و كنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء، و أحبّها إليه، و سمّى أضدادنا أعداءنا فى كتابه، و كنّى عن أسمائهم، و ضرب لهم الأمثال فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه و إلى عباده المتّقين. أقول: المراد من أحسن الأسماء هو ما قاله عليه السّلام من أنّهم الصلاه و الزكاه و الصوم. . إلخ فإنّها أحسن الأسماء قد ذكرها اللّه كنايه عنهم كما سنذكره، و كذا المراد من قوله: فى أبغض الأسماء إليه، هو الفحشاء و المنكر و البغى و الخمر و الميسر. . إلخ، كما لا يخفى.

و ما رواه فى البحار (۱)، عن أبى ذر و سلمان (رضوان اللّه عليهما) إلى أن قال عليه السّلام: معرفتى بالنورانيه معرفه اللّه عزّ و جلّ، و معرفه اللّه عزّ و جل معرفتى بالنورانيه،

۱- ۱) البحار ج ۲۶، ص ۱.

و هو الدين الخالص، الذى قال اللّه تعالى: (وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ حُنَفٰاءَ وَ يُقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا اَلزَّكٰاةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ اَلْقَيِّمَةِ) يقول: ما أمروا إلاّ بنبوّه محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و هو دين الحنيفه المحمديه السمحه، و قوله: و يقيموا الصلاه، فمن أقام ولايتى فقد أقام الصلاه، و إقامه ولايتى صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبى مرسل أو عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان. إلى أن قال عليه السّلام: المؤمن الممتحن هو الذى لا يرد من أمرنا إليه شىء إلاّ شرح صدره لقبوله، و لم يشكّ و لم يرتب، إلى أن قال: قال سلمان: قلت: يا أخا رسول اللّه و من أقام الصلاه أقام ولايتك؟ قال: نعم يا سلمان، تصديق ذلك قوله تعالى فى الكتاب العزيز: (وَ اِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ اَلصَّلاٰةِ وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ إِلاّٰ عَلَى اَلْخٰاشِعِينَ) فالصبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الصلاه إقامه ولايتى، فمنها قال اللّه تعالى: (وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ) و لم يقل: و إنّهما لكبيره، لأنّ الولايه كبير حملها إلاّ على الخاشعين، و الخاشعون هم الشيعه المستبصرون، الحديث. فحينئذ نقول: إنّ الظاهر من

قوله عليه السّلام:

«و أقمتم الصلاه»

هو إقامتها بحدودها كما تقدم، إلاّ أنّ تأويلها لأهل البصيره هو إقامه الولايه، فإنّهم أقاموها و أمروا شيعتهم بإقامتها، فبإقامتها إقامه الصلاه، و قد تقدم شرح هذا سابقا، إلاّ أنّا نذكر هنا مجملا منه، فنقول: المراد من الصلاه، التى من أقام الولايه فقد أقامها هى الصلاه التى تكون معراج المؤمن، و هو حصول القرب الحقيقى الذى هو روح الولايه، فإنّها كما عرفت لغه أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، و هذا القرب المعنوى الحقيقى لا يحصل إلاّ بالفناء المطلق، الذى معناه إسقاط جميع الحدود الخلقيه و ظهور التجلّيات الربوبيه، و تمكن الأسماء الحسنى، بل و الأسماء العظمى فى العبد، بحيث لا يكون فيه إلاّ أثر الرب، و هذا المعنى بحقيقته ثابت فى محمد و على و فاطمه و الأئمه (عليهم أفضل السلام و التحيه) .

فمعنى

«فمن أقام ولايتى» هو إقامتها بجميع معانيها من الإقرار بها أوّلا، و درك معناها المعنوى ثانيا، و الاتصاف بحقائقها ثالثا، و هذه تحصل من الإقرار بها فى المرحله الأولى، و لذا وردت أحاديث كثيره خارجه عن حدّ الإحصاء فى الأبواب المتفرّقه دلّت على أنّ شرط قبول الأعمال، بل و سائر أصول الدين هو قبول الولايه، بل هو أهمّها كما تقدم. و الحاصل: أنّ الحقيقه الإنسانيه إذا اتصفت بتلك المراحل الثلاث من الإقرار بها، و درك معانيها، و الاتصاف بها قلبا و روحا، فصاحب هذه الحقيقه يمكنه إقامه الصلاه كما هى، بل هذه الحالات بما لها من الاتصالات بالمبدإ الأعلى حسب القرب و الولايه، و ظهور صفات الحق فيه هو حقيقه الصلاه كيف

و قد ورد: أنّ الذاكر للّه فهو فى الصلاه، فما ظنّك بمن اتصل قلبه بالحق تعالى بالنحو المذكور، فهو دائما فى ذكره الحقيقى المتقدم تفسيره، فحينئذ هو فى الصلاه دائما؟ و هذا الشخص يشتاق إلى إقامه الصلاه الخارجيه القائمه ببدنه، فإنّ هذا الذى أقام الولايه يمكنه إقامه الصلاه، و هذا معنى

قوله عليه السّلام: فمن أقام ولايتى فقد أقام الصلاه.

و قوله عليه السّلام: نحن الصلاه. . إلخ، حيث إنّ حقيقتهم عليهم السّلام هى حقيقه الصلاه و الولايه بالمعنى المتقدم. و لعمرى إنّ هذا يستلزم استلزاما مؤكدا للمداومه على الصلاه خارجا، و أين هذا ممّا زعمه الجهلاء و السفهاء من أنّ من علم الصلاه المعنويه و الولايه لا يحتاج إلى الصلاه و العباده الخارجيه؟ فإنّ هذا جهل و زور و تسويل من الشيطان الرجيم نعوذ باللّه منه. و كيف كان فالولايه بمعناها الواقعى التى وسعت كلّ شىء، و لا يشذ عنها شىء، قائمه بمحمد و آله الطاهرين، و هى هكذا روح الصلاه، و لا تكاد إقامه الصلاه على الحقيقه الحقّه ظاهرا و باطنا على أكمل الوجوه إلّا بمحمد و آله الطاهرين، فإنّ الصلاه الحقيقيه هى صوره الولايه و الصلاه المولويه هى علّه الوجود، و لا يقيمها، إلّا من جعلهم اللّه مظهرا لها، و حملتها هم محمد و آله الطاهرون، فحقيقه الولايه أصل

الإمام علیه السّلام و هو حقیقه الصلاه، و لذا

قالوا: نحن الصلاه. . إلخ، و حقیقه الصلاه الظاهریه فرع الإمام، فمن أقام الولایه فقد أقام الصلاه. و الحاصل: أنّ الصلاه الظاهره ولایه ظاهریه، فلو لم تقبل الولایه لا صلاه لصاحبها، و الولایه الواقعیه صلاه باطنیه، فمن اتصف بها فهو فی الصلاه و مقیم لها، و هذه کلّها مع أسرارها ظاهرا و باطنا لا تتحقق إلّا بالإمام علیه السّلام و هو حامل لها و لأسرارها، و المتحمّل لأعبائها الظاهریه و الباطنیه، رزقنا اللّه معرفه ذلک بمحمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: و آتیتم الزکاه

فی المجمع: و قد تکرر ذکر الزکاه فی الکتاب و السنّه، و هی إمّا مصدر زکی إذا نمی، لأنّها تستجلب البرکه فی المال و تنمیه و تفید النفس فضیله الکرم، و إمّا مصدر زکا إذا ظهر لأنّها تطهّر المال من الخبث و النفس البخیله من البخل. و فی الشرع: صدقه مقدره بأصل الشرع ابتداء. ثبت فی المال أو فی الذمه للطهاره لهما، فزکاه المال طهر للمال و زکاه الفطره طهر للأبدان. فنقول: ظاهر العباره أنّهم علیهم السّلام أعطوا الزکاه بقسمیها المقرره فی الشرع. و وجه الاختصاص بالذکر بهذه الفریضه المالیه هو أنّ الزکاه لها أهمیه کبیره فی الشرع، و لذا قلّ ما أمر اللّه تعالی العباد بالإیمان باللّه و الرسول و بالصلاه إلّا و قد أمر بإیتاء الزکاه أیضا کما لا یخفی علی مسلم، و کفی فی أهمیتها أنّه یقال لتارکها کتارک الحج عند موته: مت إن شئت یهودیا أو نصرانیا. فمعنی الجمله أنّکم أدّیتم هذه الفریضه المهمه شرعا کما هو حقّها، و یمکن أن یراد منها زکاه النفس المشار إلیها بقوله تعالی: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاها) (۱)و معنی إیتائها حینئذ تطهیرها عن الرذائل. و کیف کان فالمراد تزکیه نفوسهم علیهم السّلام من أرجاس الجاهلیه، و اتّباع الهوی

۱- ۱) الشمس:۹.

الـذى هو الطهـاره المشـار إليهـا بـآيه التطهير، و لكن فيه أنّ آيه التطهير تعنى أنّ اللّه تعـالى طهّرهم لا أنّهم عليهم السّـلام طهّروا أنفسهم، إلاّ أن يقال: تطهيرهم لها باعتبار التطهير بقاء حيث كان يمكنهم رفع اليد عنها، فما رفعوا اليد عمّا منحهم اللّه تعالى، بل أبقوا الطهاره الإلهيه، و هـذا معنى التزكيه بالنسـبه إليهم عليهم السّـلام. هذا و قد يقال: إنّ المراد من قولهم: و آتيتم الزكاه، معنى دقيق لعلّه سرّ و بـاطن لإيتـاء الزكاه الظاهرى و حاصـله: أنّ الزكاه هو إعطاء مال أو شـىء آخر بعـد تحقّق النصاب، أى واجـديّه شىء من مال أو غيره من العلم، و سائر الكمالات المعنويه، فحينئذ فالاعتبار يقضـى بأنّه كما تجب الزكاه فى المال و فى الرءوس كمـا فى الفطره، كـذلك تجب زكـاه الملكات (بالفتـح) المعنويه من العلم و القـدره، و الجمال و الجلال الإلهى، فمن منحه اللّه تعالى تلك، فيجب عليه الزكاه لطفا للمستحقّين، قال الشاعر مخاطبا لهم بالفارسـيه: نصاب حسن در حدّ كمال است زكوتم ده كه مسكين و فقيرم و كيف كان فهم عليهم السّلام لمّا كانوا مستفيضين منه تعالى بكلّ الفيوضات الإلهيّه بحيث

قالوا فى حقّهم كما سيجىء:

آتاكم اللّه ما لم يؤت أحدا من العالمين

، فلا محاله لمـا بلغت الألطـاف الإلـهيّه بالنسـبه إليهم حـدّ النصاب بل و فوق ذلك، و لـذا أدّوا الزكاه، فتصـدّوا لإعطاء العلم و القدره، و الجمال و الجلال، و لقاء اللّه للمستحقّين من الشيعه الذين يعتقدون أنّهم قد بلغوا فى الكمال حدّ النصاب، فسألوا منهم الزكاه زكاه هذه الألطاف الخاصّه و هم عليهم السّلام منحوهم لكلّ على حسب سؤاله و ظرفيّته. بل المتأمّل البصير يرى أنّ جميع الموجودات مسـتفيضون منهم عليهم السّـلام و من زكاه كمالاتهم، فهم عليهم السّـلام فى المحلّ الرفيع الـذى عندهم خزائن اللّه تعـالى، و إنّمـا ينزل منهم من تلـك الكمالات و الحقـائق إلى كـلّ موجـود بقـدر معلوم. انتهى الجزء الثـالث و يليه الجزء الرابع مبدوءا ب «و أمرتم بالمعروف و نهيتم عن المنكر»

ص :۵۳۱

المجلد ۴

اشاره

ص :۱

[الجزء الرابع]

[تتمه شرح متن الزیاره]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ الحمد للّه ربّ العالمین و صلّی اللّه علی محمد و آله الطاهرین، و اللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین. و بعد، هذا هو الجزء الرابع من أجزاء کتابنا «الأنوار السّاطعه فی شرح الزیاره الجامعه» و یشرع إن شاء اللّه من

قوله علیه السّلام:

«و أمرتم بالمعروف و نهیتم عن المنکر»

. کتبته لمن یروم أن یحلّ مشکلاتها و یفهم مغزاها عن طرق أهل البیت (علیهم صلوات اللّه المنّان) .

ص: ۵

[۲۷]قوله علیه السّلام: و أمرتم بالمعروف و نهیتم عن المنکر.

هذا إشاره إلی قوله تعالی: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْکَرِ (۱).

ففی تفسیر نور الثقلین (۲)عن تفسیر العیاشی، عن أبی عمر الزبیری، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْکَرِ قال: «یعنی الأمه التی وجبت لها دعوه إبراهیم علیه السّلام فهم الأمه التی بعث اللّه فیها و منها و إلیها، و هم الأمه الوسطی، و هم خیر أمه أخرجت للناس» .

و فیه، عنه، عن ابن سنان، عن أبی عبد اللّه، قال: قرأت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ ، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «خیر أمه تقتلون أمیر المؤمنین و الحسن و الحسین ابنی علی علیه السّلام فقال القاری: جعلت فداک کیف نزلت؟ فقال: کنتم خیر أئمه أخرجت للناس، أ لا تری مدح اللّه لهم: تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْکَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ » .

۱- ۱) آل عمران:۱۱۰.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۳۱۷.

و كيف كان فالأمر بالشىء هو الدعاء إليه، و الحث على إتيانه و فعله، و المراد بالمعروف هنا (و اللّه العالم) هو: المطلوب الشرعى مطلقا، فيعم الواجب و المستحب، و ما يتعلق بالعقائد من أصول الدين و ما هو مطلوب من الصفات الحميده و الأفعال الحسنه، و أيضا تشمل المعارف الإلهيه، التى بسببها يترقى الإنسان إلى الكمالات المعنويه، كما أن المراد من المنكر الذى نهوا عنه هو: كل ما هو مذموم و مرغوب عنه شرعا من العقائد الباطله كالشرك باللّه تعالى، و إنكار رسله و كتبه، و العقائد الباطله و الصفات الرذيله، و الأفعال القبيحه، التى بينها الشارع، و هذا لا إشكال فيه، كما لا يخفى، إلّا أنّه ينبغى الإشاره إلى أمر و هو: أن هذه الدعوه إلى المعروف، و النهى عن المنكر إنما وجبت عليهم عليه السّلام لأنها فرع ولايتهم، و فرع كونهم مظاهر لأسمائه الحسنى. و بعباره أخرى: أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر تاره يكونان بالنسبه إلى الأصول و إلى الدعوه إليها و إلى الدين الحنيف، و يكونان بالنسبه إلى الكفار و المشركين، و ذلك لإعلاء كلمه التوحيد بهذا النحو منهما، لا يجب إلّا على الإمام العادل عليه السّلام المنصوب منه تعالى، و أخرى يكونان بالنسبه إلى الفروع و الأحكام بالنسبه إلى من هو معتقد بها إلّا إنه تارك لها و هذا واجب مع شرائطه المذكوره فى محله. و أما الأول المخصوص بهم عليه السّلام فهو على قسمين (أى المعروف المأمور به و الذى يجب أن يؤمر به، و المنكر المنهى عنه و الذى يجب أن ينهى عنه على قسمين) : الأول: ما هو المعروف بظاهر الشريعه كالتوحيد و أمثاله، و كالصلوه و أمثالها و ما هو المنكر بظاهر الشريعه كالشرك و أمثاله، و كالزنا و الغصب و الفواحش و أمثالها. و الثانى: ما هو منشأ المعروف و منشأ المنكر، و بعباره ما هو المنكر واقعا و المعروف الحقيقى واقعا.

فبيانه: أنه تعالى قال: إِنَّ اَللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ اَلْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي اَلْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ اَلْفَحْشاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ وَ اَلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۱).

و فی تفسیر نور الثقلین (۲)فی تفسیر علی بن إبراهیم: قوله:

إِنَّ اَللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ اَلْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي اَلْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ اَلْفَحْشاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ وَ اَلْبَغْيِ قال: «العدل شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أن محمدا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الإحسان أمیر المؤمنین علیه السّلام و الفحشاء و المنکر و البغی فلان و فلان و فلان» .

و فیه فی تفسیر العیاشی، عن سعد، عن أبی جعفر علیه السّلام:

إِنَّ اَللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ اَلْإِحْسانِ. . . ، قال سعد: إن اللّه یأمر بالعدل و هو محمد، و الإحسان و هو علی و إیتاء ذی القربی و هو قرابتنا، أمر اللّه العباد بمودتنا و إیتائنا، و نهاهم عن الفحشاء و المنکر، من بغی علی أهل البیت، و دعا إلی غیرنا. و مثله غیره من الأحادیث. فیعلم من هذه الأحادیث أن المراد من العدل هو رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من الإحسان هو علی أمیر المؤمنین علیه السّلام و أن المراد من الفحشاء و المنکر و البغی هو الثلاثه المکنی عنهم بفلان و فلان و فلان. فالمعروف حقیقه من عرفه اللّه تعالی و أمر به و هو محمد صلّی اللّه علیه و آله المکنی عنه فی الآیه بالعدل، و هو أیضا علی علیه السّلام المکنی عنه بالإحسان. و المنکر من نهی اللّه تعالی عنه، و هو العناوین الثلاثه أی الفحشاء و المنکر و البغی المفسر بالثلاثه. و هم علیهم السّلام مظهر لهذه الدعوه الإلهیه، فلا یدعون الناس، و لا یأمرون إلاّ بما دعا إلیه و أمر به اللّه تعالی. و بلحاظ هذا التفسیر یکون حاصل دعواهم، و أمرهم بالمعروف، و نهیهم عن المنکر هو دعوتهم الناس، و أمرهم بالرساله و الولایه لمحمد و آله الطاهرین، و نهیهم

۱- ۱) النحل:۹۰.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۷۷.

عن ولایه من بغی علیهم و غصب حقهم و هم الثلاثه کما لا یخفی. فظهر مما ذکرنا: أن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر بالنسبه إلی الأصول، و الولایه، و بیان صاحب الولایه و ما له من المناصب الإلهیه، و بیان أعدائه و ما لهم من الصفات الرذیله، و الموانع الموجبه للبعد عنه تعالی و عن الدین، إنما هو مختص بهم علیهم السّلام لأنه من مناصب ولایتهم الإلهیه، و لا یمکن لأحد تأویل ظاهر الآیات بما ذکر إلّا هم (صلوات اللّه علیهم أجمعین) لأنهم المخاطبون بالخطابات الإلهیه، و العارفون بمقاصده تبارک و تعالی، نعم الأمر بالمعروف الظاهر من ظواهر الشرع، و النهی عن المنکر المعروف من ظواهر الشرع علی ما بینته الأخبار و الآیات من حیث التکالیف الشرعیه، فهو واجب علی کل أحد فیما إذا تحققت شرائطه المذکوره فی محله (و اللّه العالم) . و لهذا الکلام شرح طویل لعلک تعرفه مما تقدم من الشرح، و ما یأتی منه، و الحمد للّه أولا و آخر و ظاهرا و باطنا.

قوله علیه السّلام: و جاهدتم فی اللّه حقّ جهاده.

أقول: فی المجمع: قوله تعالی: وَ جٰاهِدُوا فِی اَللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ (1)أی فی عباده اللّه. قیل: الجهاد بمعنی رتبه الإحسان، و معنی رتبه الإحسان هو أنک تعبد ربک کأنک تراه، فإن لم تکن تراه، فإنه یراک، و لذلک قال: حقّ جهاده، أی جهادا حقا کما ینبغی بجذب النفس، و خلوصها عن شوائب الریاء و السمعه مع الخشوع و الخضوع، و الجهاد مع النفس الأماره و اللوامه فی نصره النفس العاقله المطمئنه، و هو الجهاد الأکبر، و لذلک

ورد عن النبی صلّی اللّه علیه و آله أنه رجع من بعض غزواته، فقال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلی الجهاد الأکبر» .

۱- ۱) الحج:۷۸.

قوله: وَ اَلَّذِينَ لاٰ يَجِدُونَ إِلاّٰ جُهْدَهُمْ ، قرئ بفتح الجيم و ضمها: أى وسعهم و طاقتهم، و قيل: المضموم الطاقه و المفتوح المشقه. إلى أن قال: و الجهاد (بكسر الجيم) مصدر جاهد يجاهد جهادا و مجاهده، و بفتح الجيم الأرض الصلبه، و شرعا بذل المال و النفس لإعلاء كلمه الإسلام و إقامه شعائر الإيمان. إلى أن قال: و فيه: أفضل الجهاد جهاد النفس و هو قهرها و بعثها على ملازمه الطاعات، و مجانبه المنهيات، و مراقبتها على مرور الأوقات، و محاسبتها على ما ربحته و خسرته فى دار المعامله من السعادات، و كسر قوتها البهيميه و السبعيه بالرياضات، كما قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا (1)انتهى. أقول:

فى تفسير نور الثقلين (2)عن تفسير على بن إبراهيم. . . إلى أن قال: و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «هذه الآيه (3)لآل محمد (صلوات اللّه عليهم) و لأشياعهم» .

و فى اللوامع النورانيه (4)عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: وَ اَلَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَمَعَ اَلْمُحْسِنِينَ قال: «نزلت فينا» . هذا و قد ظهر أن الجهاد عند المتشرع هو بذل النفس و المال لإعلاء كلمه التوحيد، و الولايه و شعائرها، و هو المعبر عنه بالجهاد الأصغر فى قبال الجهاد مع النفس الذى هو الجهاد الأكبر، و هو على أقسام صحيحه و باطله، و قد تقدم فى المقدمه ما هو ديدن الصوفيه (لعنهم اللّه) فى الرياضات الباطله، و أما الحقه منها فهو

ص: ١١

١- ١) الشمس:٩.

٢- ٢) تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ١۶٨.

٣- ٣) أى الآيه الآتيه فى الحديث الآتى.

۴- ۴) اللوامع النورانيه ص ٢٩.

المذکور عند العلماء الربانیین، و قد تقدمت الإشاره إلیه، و لا بأس بالإشاره الإجمالیه إلی ما به تمییز الریاضه الباطله من الحقه فنقول: تقدم فی المقدمه

قول الصادق علیه السّلام ما یقرب إلی هذا المعنی: من عمل بما جاء به النبی صلّی اللّه علیه و آله وصل إلی اللّه، و حاصله: أنّه صلّی اللّه علیه و آله أتی بالشرع و هو بمعنی الطریق إلیه تعالی، أی إلی معرفته و توحیده بما لها من المعانی المفسره فی کلمات أهل بیت العصمه و الطهاره، أو من مخصوص کلامهم فهو سلوک و مجاهده و ریاضه صحیحه، و هذا هو دأب العلماء الربانیین، و ما کان من غیرهم فهو باطل بتمام أقسامه، و لهذا الکلام شرح طویل مذکور فی محله. ثم لیعلم أن ظاهر هذه الجمله أعنی

قوله علیه السّلام:

«و جاهدتم فی اللّه حقّ جهاده»

، هو الجهاد فی سبیل اللّه لإعلاء کلمه التوحید و الولایه، و لو ببذل النفس، و الشهاده، و تحمل الآلام الشاقه من السجن و غصب الحقوق و أمثالها، لا الجهاد مع النفس لإصلاحها، فإنهم علیهم السّلام منزهون عن دناسه النفس، فأنفسهم طاهره مطهره کما أخبر اللّه تعالی بذلک فی آیه التطهیر. و إن أبیت إلاّ أن یراد منها الأعم منه و من الجهاد مع النفس، فحینئذ معنی جهادهم مع أنفسهم هو عدم إقدامهم علی المکاره أو المعاصی مع تمکنهم منها. ضروره أن عصمتهم علیه السّلام و إن أوجبت عدم صدور المعاصی عنهم، إلاّ أنه لا بنحو الجبر، بل بنحو الاختیار، فعصمتهم لم تنف إمکان إقدامهم علی المعاصی.

قال علی علیه السّلام: «لو لا التقی لکنت أدهی العرب» ، أی أنی یمکننی الدهاء، إلاّ أن التقوی المعبر بها هنا بالعصمه تمنعنی عنه کما لا یخفی، فجهادهم مع النفس عباره عن عدم إقدامهم علی المعاصی بعد ما کانت لهم ممکنه کما لا یخفی، إلاّ أن جهادهم معها لأجل تطهیرها عن الرذائل،

قال الحسن علیه السّلام لمعاویه ما حاصله: «إن اللّه تعالی قد طهرنی من الرذائل، کما قد برّاک من الفضائل» ، صدق ولی اللّه. و کیف کان فهم علیهم السّلام جاهدوا فی اللّه تعالی أی فی سبیل طاعته و محبته و توحیده

ص: ۱۲

حق جهاده، فجاهدوا الکفار و المنافقین عملا و لسانا، و جاهدوا مع أنفسهم علی حدّ یقصر عنه جمیع العباد حتی الملائکه، و هذه الآیه إشاره إلی قوله تعالی: وَ جٰاهِدُوا فِی اَللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ (۱)فإنه و إن کان خطابا للمؤمنین بنحو العموم، إلاّ أنه تعالی عنی آل محمد صلّی اللّه علیه و آله بالخصوص.

ففی تفسیر نور الثقلین (۲)عن أصول الکافی، عن برید العجلی، قال: قلت: لأبی جعفر علیه السّلام: قوله تعالی: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِرْکَعُوا وَ اُسْجُدُوا وَ اُعْبُدُوا رَبَّکُمْ وَ اِفْعَلُوا اَلْخَیْرَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ وَ جٰاهِدُوا فِی اَللّٰهِ حَقَّ جِهٰادِهِ هُوَ اِجْتَبٰاکُمْ (۳)قال: «إیانا عنی و نحن المجتبون» ، الحدیث. و هم علیهم السّلام أعطوا الجهاد فی اللّه تعالی حقه و بتمام أنحائه من الخروج بالسیف، و بذل النفس و المال، و الزهد عن حطام الدنیا و زخرفها، و عبادات شاقه، و القیام بالسنن و الآداب کل ذلک بنحو الأتم و الأکمل، بحیث کل من کان فی زمنهم متصفا بشیء من الکمالات الصوریه و المعنویه، صار مضمحلا فی جنب کمالهم، و مقهورا و مغلوبا فی عرضهم حتی أن مخالفیهم و معاندیهم ربما أظهروا للناس بعض الصفات الحمیده، و بعض الأعمال الصالحه الصوریه من الخیرات و المبرّات و الصلوات، لینحرف بذلک الجهله من الناس عن دین اللّه و عن الأئمه علیهم السّلام. و لکن مع ذلک کله، و مع جهودهم و أعمالهم فی ذلک کانت فی جنب الأئمه علیهم السّلام و أعمالهم و جهادهم کرماد اشتدت به الریح فی یوم عاصف، فلم یقدروا بتلک الأعمال و إظهارها القیام فی قبال الأئمه علیهم السّلام بل افتضحوا بذلک، و ذلک لظهور جهاد الأئمه علیهم السّلام فی أنه کان للّه و باللّه بنحو الکمال، و بنحو یصدقه الشرع و الدین و العقل السلیم، و بدون معارضه عمل آخر یضاده، کما کان ذلک من أعدائهم، و کما لا یخفی

ص: ۱۳

۱- ۱) الحج:۷۸.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۵۲۱.

۳- ۳) الحج:۷۷ و ۷۸.

على من تتبع أحوالهم عليهم السّلام، كل ذلک منهم عليهم السّلام ليتم على الخلق أنهم حجج اللّه تعالى عليهم دون غيرهم. و ليعرف الناس حتى مخالفوهم أن الحق معهم، و من جحد فإنه يجحد مع استيقان أنفسهم بأنهم عليهم السّلام حجج اللّه على الخلق، و لا يبقى على اللّه لأحد حجّه من الخلق، و لهذا مزيد توضيح فى شرح

قوله عليه السّلام:

«فبلغ اللّه بكم أشرف محل المكرمين»

، فانتظر و الحمد للّه وحده.

[۲۸]قوله عليه السّلام: حتى أعلنتم دعوته.

أقول: قوله عليه السّلام: حتى، غايه للجمل المتقدمه من

قوله عليه السّلام:

فعظمتم جلاله

إلى ما بعدها، و المعنى أنتم قمتم بتلک الأمور إلى أن ترتب عليها إعلان الدعوه الإلهيه، فما رفعتم اليد عنها دون الإعلان المذكور كما لا يخفى. ثم إنه قد يقال: المراد من الدعوه التى أعلنوها أى أظهروها هو سؤاله تعالى عنهم فى عالم الأرواح و الذر حين سألهم فقال: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، فهذا السؤال الذى كان منه تعالى فى ذلک العالم، كما نطق به القرآن، قد أعلنه الأئمه عليهم السّلام بالبيانات الشافيه من حيث بيان ظرف السؤال و كيفيته، كما صرّحت به الأخبار فى ذيل تلک الآيه الشريفه. و منه يعلم أيضا: أنهم عليهم السّلام بينوا كيفيه جواب هذا السؤال الإلهى من الأرواح فى تلک العوالم، و الوجه فى كونهم عليهم السّلام هم المعلنون لهذه الدعوه بهذا المعنى، و جوابها هو أنهم عليهم السّلام تراجمه الوحى الإلهى، كما سيجىء بيانه، و هم لسانه المعبر عنه تعالى و عن أمره و نهيه و حقائق الأمور، و حيث إنهم عليهم السّلام أصل كل موجود حيث جعلهم اللّه تعالى الأعضاد و الأشهاد و المناه، أى المقدرون لحدود الخلق بإذن اللّه تعالى و إرادته، و كذلک هم الأذواد و الحفظه للخلق، و قد تقدم شرح هذه المفردات فلا محاله هم عليهم السّلام ألسنه الحق فى الواقع التى بها أجابوا سؤال ربّهم، بل هم المجيبون عن

ص: ۱۴۰

سؤاله تعالی بلسان الخلق کما لا یخفی. و کیف کان فهم علیهم السّلام عند الأداء و التبلیغ عنه سبحانه تعالی کما هو ظاهر من کلماتهم علیهم السّلام بینوا کیفیه هذا السؤال الإلهی و الجواب الخلقی فی عالم الأرواح، بحیث علمه کل أحد، بل بینوه بنحو علمه کلّ شیء بحسب حاله کما لا یخفی. و قد یقال: إن المراد من الدعوه سؤال الخلق ربهم حسب إمکانهم الماهوی، و حسب سؤال فطرتهم، مع قطع النظر عن تلبسهم بلباس الوجود، فأعطاهم اللّه تعالی ما سأله کل منهم بلسان حاله و استعداده و احتیاجه، و إلی هذا السؤال یشیر قوله تعالی: وَ آتاکُمْ مِنْ کُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ (۱)، کما قیل، فأعلنوا علیهم السّلام دعوه الخلق إیاه سبحانه، و ذلک لما علمت أنهم هم المحیطون بحقائق الأشیاء و استعداداتها، کما تقدم فی شرح الولایه التکوینیه الثابته لهم علیهم السّلام. هذا و لکن الظاهر من الجمله (و اللّه العالم) هو إعلان الدعوه التشریعیه، فهم علیهم السّلام تصدوا بتلک الجمل المتقدمه فعملوا بها، حتی أظهروا دعوته تعالی- تشریعا-عباده إلی عبادته و العمل بدینه. و الحاصل: أن الأئمه علیهم السّلام لما کانوا خزان علمه، و حمله کتابه و علمه، و مستودع سرّه، و أمناء أمره و نهیه، فبلغوا عن أمر اللّه تعالی ما أمرهم بتبلیغه حتی أعلنوا دعوته، نعم لما کان التشریع عاما یشمل جمیع مراتبه لجمیع مراتب الخلق، کما علمت ذلک آنفا فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و دعوتم إلی سبیله بالحکمه و الموعظه الحسنه»

فلا محاله یراد من الدعوه معناها العام، الذی یشمل جمیع المعارف الإلهیه، و کیفیه العمل بالدین فی طریق السلوک إلی اللّه تعالی بجمیع مراتبه کما لا یخفی. و قد یقال: إن الدعوه من دعاه أی طلب إقباله، أی أنه تعالی طلب إقبال الخلق إلیه تعالی، بشراشر وجودهم، لیقبلوا منه تعالی فیوضاته، التی هی غیر متناهیه فی جمیع شئون الخلق من البدو إلی الختم، و لا ریب فی أن الأئمه علیهم السّلام هم الوسائط فی

ص: ۱۵

۱- ۱) إبراهیم:۳۴.

إیصال ذلک الفیض إلیهم، فهم بینوا ذلک الطلب الإلهی لهم، و إلیه یشیر

قولهم علیهم السّلام فی الأحادیث الکثیره: «بنا عرف اللّه و بنا عبد اللّه»

و قوله علیه السّلام فی الدعاء:

«فبهم ملأت سماءک و أرضک حتی ظهر أن لا إله إلاّ أنت» .

و قد یقال: إن الدعوه هی العباده،

ففی الخبر: «الدعاء هو العباده» بل هو مخّ العباده، و حینئذ معنی إعلان العباده إما من قبل أنفسهم فلا ریب فی أنهم علیهم السّلام عبدوه حقّ عبادته، و جاهدوا فی سبیله حقّ جهاده کما تقدم، و کما هو واضح لمن تتبع أحوالهم علیهم السّلام، و أما من قبل الخلق فلا ریب فی أنهم علیهم السّلام لم یقبلوا من أحد عباده إلاّ ما وافقت ملتهم و سنتهم، و الإقرار بولایتهم و محبتهم کما هو صریح کثیر من الأخبار، فما طابقت لما قالوا قبلت و إلاّ ردّت. فهم علیهم السّلام بینوا للناس کیفیه العباده، و کیفیه الدعوه إلی الدین، و هذا أیضا أحد مصادیق بیان الدعوه.

ففی الوسائل عن الزهری قال: دخل رجال من قریش علی علی بن الحسین علیهما السّلام فسألوه: کیف الدعوه إلی الدین؟ فقال: تقول: «بسم اللّه الرحمن الرحیم، أدعوک إلی اللّه عز و جل و إلی دینه، و جماعه أمران: أحدهما معرفه اللّه عز و جل، و الآخر العمل برضوانه، و إن معرفه اللّه عز و جل أن یعرف بالوحدانیه و الرأفه و الرحمه، و العزه و العلم و القدره، و العلو علی کل شیء، و أنه النافع الضار القاهر لکل شیء، الذی لا تدرکه الأبصار و هو لا یدرک الأبصار و هو اللطیف الخبیر، و أن محمدا عبده و رسوله، و إن ما جاء به الحق من عند اللّه عز و جل و ما سواه هو الباطل، فإذا أجابوا إلی ذلک فلهم ما للمسلمین و علیهم ما علی المسلمین» . أقول:

قوله علیه السّلام: أحدهما معرفه اللّه عز و جل و الآخر العمل برضوانه، یشیر إلی أن الدعوه الإسلامیه و قبولها قائم بأمر قلبی، و هو الإقرار بالوحدانیه له تعالی، کما وصف بها نفسه، و کما أعلنوها لنا ببیاناتهم الکافیه فی لسان الأخبار و الأدعیه و لسان القرآن الکریم بما فسروه لنا، و الإقرار برساله النبی صلّی اللّه علیه و آله و ولایه الأئمه علیهم السّلام

و بسایر أصول الدین، و الضروریات التی یجب أن یعتقد بها من المعاد، و ما له من الشئون و الواجبات الإلهیه الضروریه کالرجعه، و ظهور صاحب الأمر (عج) و أمثالها. و أمر ظاهری و هو العمل برضوانه، الذی یفسر تاره بالقیام بأوامره، و اجتناب نواهیه علی ما حدّد فی الشرع، و تاره بإقامه ولایتهم و الاقتداء بهم علیهم السّلام و الأخذ عنهم، و التسلیم لهم، و الرد إلیهم و التفویض إلیهم فی أمور الدین، و محبتهم بالقلب و اللسان، و الأرکان و الاعتصام بذمتهم، و البراءه من أعدائهم، و الاعتقاد بأن الأعمال بل و المعارف لا تفید شیئا إلّا إذا کان مع الاعتقاد و الإقرار بولایتهم، بحیث تکون تلک بدون هذا الاعتقاد هباء منثورا. فهذان الأمران کل منهما مرتبط بالآخر ارتباط الشرط بالمشروط، أو الرکن بما له الرکن، فهم علیهم السّلام قد أعلنوا جمیع هذه الأمور التی هی حقیقه دعوته تبارک و تعالی، بل فی الحقیقه أنه تعالی أعلن دعوته بهم علیهم السّلام إذ هم ألسنته و تراجمته، و لذا

قال علیهم السّلام فی دعاء رجب:

«فبهم ملأت سماءک و أرضک»

، لا أنهم ملأوا سماءک و أرضک، کما لا یخفی کذا قیل. فتحصل أن الدعوه الإلهیه من قبله تعالی و من قبل الخلق، و کذلک الدعوه الخلقیه بلسان ذاتهم بما لها من المعنی، فجمیعها قد بینها الأئمه علیهم السّلام بتلک الجمل السابقه علی هذه الجمله کما أشرنا إلیه. و مما ذکر علم أمران: الأول: أن الأئمه علیهم السّلام هم العالمون بمراده تعالی و متعلق دعوته کما هو هو، و لذا أعلنوا کما هو مقصوده تعالی. الثانی: علم مما ذکر کیفیه دعوتنا الخلق إلیه تعالی فإنهم علیهم السّلام بینوا لنا کیف ندعو الناس إلیه تعالی من کیفیه دعوتهم علیهم السّلام لهم إلیه تعالی، و من الحدیث المذکور آنفا کما لا یخفی، اللهم وفقنا لإجابه دعوتک بمحمد و آله.

قوله عليه السّلام: و بينتم فرائضه

ففی المجمع: خَلَقَ اَلْإِنْسانَ. عَلَّمَهُ اَلْبَيانَ أی فصل ما بين الأشياء، و تبيان كل شیء يحتاج الناس إليه، و يقال: البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فی الضمير، إلی أن قال: و الفرق بين البيان و التبيان هو أن البيان جعل الشیء مبيّنا بدون حجه، و التبيان جعل الشیء مبينا مع الحجه. و فيه: الفرض التوقيت و منه قوله تعالی: فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ اَلْحَجَّ (1)أی وقته أو أوجبه. إلی أن قال: و فرض اللّه علينا كذا، و افترض: أی أوجب، و الاسم الفريضه، و سمی ما أوجبه اللّه الفرض، لأن له معالم و حدودا. . إلی أن قال: و الفرق بين الفريضه و الواجب هو أن الفريضه أخصّ من الواجب، لأنها الواجب الشرعی، و الواجب إذا كان مطلقا يجوز حمله علی العقلی و الشرعی، و الفريضه فعليه بمعنی مفعوله و الجمع فرائض. قيل: اشتقاقها من الفرض الذی هو التقدير، لأن الفرائض مقدرات. و قيل: هی من فرض القوس و هو الجزء الذی يقع فيه الوتر. . فقال: و كتاب الفرائض يعنی المواريث. أقول: يعنی أنه قد يطلق الفرائض علی المواريث. و حينئذ معنی الجمله أنكم بينتم أی كشفتم مع الحجه و البرهان، و الوضوح و التسلط المعنوی بالمنطق الفصيح المعرب عما فی الضمير، أی فی واقع الشرع و اللوح المحفوظ ما كان مستسرا من أسرار الفرائض الإلهيه و رخصه، و ميزتم ما بينهما، و فصلتم بينهما تفصيلا، يتضح لكل أحد فی كل ما يحتاج إليه الناس، و بينتم هكذا ما كان غامضا من أحكامه تعالی، و من مأخذها من الآيات القرآنيه، أو الأعم منها، و مما ألهمه تعالی إليهم، و أوضحه لهم من اللوح المحفوظ، و أيضا بينتم تلك الأمور بما شيدتم من الأدله المتقنه العقليه و الشرعيه، و بالغتم فی ذلك إلی أن ظهر للكل تلك الفرائض محكمه أصولها و فروعها، خصوصا لمن اقتدی بهم،

1- 1) البقره:197.

و اهتدى بهداهم. ثم إن تلك الفرائض تعمّ الاعتقاديات و المعارف الإلهيه، و الكمالات المعنويه و الأعمال الواجبه، بل جميع الأحكام الخمسه لما علمت أن الفرض هو التوقيت، و معلوم أن جميع الأحكام موقتات بحدودها و شرائطها من جميع الجهات، من حيث الزمان و المكان و ساير الشرائط، و مجمل القول فى الفرائض هو أنه إما يرجع إلى الاعتقاد كالاعتقاد بكلمتى الشهاده، و بما يجب للّه، و يمتنع من أحوال المبدإ و المعاد، كما ورد فى علم الكلام، و كالإذعان بإمامه الأئمه و التصديق بما جاء به النبى صلّى اللّه عليه و آله من أحوال الدنيا و الآخره، و إما يرجع إلى الترك كالمحرمات و المكروهات، و فى الحقيقه هذا داخل فيما سبق. و كيف كان فالأئمه عليهم السّلام بينوا ذلك بالنحو المذكور بالبيانات و الأدله، بنحو تسكن النفس إليه، و يحصل به الجزم، و تفصيل هذا بأكثر من هذا مذكور فى الكتب الكلاميه و الفقهيه و المعارف الإلهيه، و قد بينها علماء الشيعه (رضوان اللّه تعالى عليهم) كلا منها فى بابه مع التوضيح، و الشرح المفاض عليهم من أئمتهم عليهم السّلام فجزاهم اللّه تعالى عنّا خير الجزاء.

قوله عليه السّلام: و أقمتم حدوده.

أقول: حدّ الشىء عباره عما به قوام ذلك الشىء، و يتميز فى ذاته عما سواه به، و إقامتها عباره عن تعديل أركانها، و استيفاء شرائطها و حفظها عما يوجب انهدامها أو نقصانها، أو خروجها عن الاعتدال، كل ذلك تاره علما بالبيان و التعليم، و أخرى عملا بإجرائها أى إجراء الحدود الإلهيه. و لعلّ المراد من إقامتها هو إجراؤها فى مواردها كما شرعت فى الدين، فإن إقامه الحدود و إجراءها من أصعب الأمور، إذ تشخيص الأحكام و الديات و الحدود، و إجراؤها فى مواردها مشكل جدّا، و إن أريد من الحدود ما يعمّ

الجزاآت الشرعيه و ساير الأحكام، فيراد من إقامتها حينئذ الإتيان بها فى الخارج بحدودها و شرائطها المجعوله لها فى الدين بحيث تقام فى الخارج كما ينبغى. و الحاصل: أن الظاهر من إقامه الحدود هو إيجادها فى الخارج كما شرعت، و كما ينبغى سواء أريد بالحدود جميع الأحكام، أو أريد بها خصوص الجزاآت الشرعيه، و اللّه العالم.

قوله عليه السّلام: و نشرتم شرائع أحكامه

فى المجمع: و نشرت الخبر أنشره و أنشره ضما و كسرا: أذعته، و قال: و نشر المتاع و غيره ينشره نشرا بسطه. و فيه: الشرعه (بالكسر) الدين، و الشرع و الشريعه مثله، مأخوذ من الشريعه و هى مورد الناس للاستسقاء، سميت بذلك لوضوحها و ظهورها، و جمعها شرائع. . . إلى أن قال: و الشريعه: ما شرع اللّه لعباده و افترضه عليهم. و قال: قوله تعالى: ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ (١)أى أحياه. و فيه: و الحكم: العلم و الفقه و القضاء بالعدل، و هو مصدر حكم يحكم. . . إلى أن قال: و الحكم الشرعى: طلب الشارع الفعل أو تركه مع استحقاق الذم بمخالفته. فنقول: لا ريب فى أنهم عليهم السّلام نشروا و أحيوا شرايع أحكامه تعالى أولا بالتحمل لها كما شرّع فى اللوح المحفوظ، ثم بالقيام بنشرها بين العباد، و بحفظها عن الانحراف و الاعوجاج، بل بلغوها للمكلفين كما هى هى، ثم إنهم عليهم السّلام عملوا بمقتضاها فى مرأى من الناس، ليعلموها كما

قال صلّى اللّه عليه و آله: «صلّوا كما رأيتمونى أصلى» ، فإن النشر بهذا النحو أوضح للأحكام من البيان كما لا يخفى، مضافا إلى أن العمل بها منهم عليهم السّلام خصوصا على أكمل وجه و أشد مواظبه و محافظه، يكون أدعى للخلق إلى القيام بها كما لا يخفى.

١- ١) عبس:٢٢.

ثم إنه و إن كان المتبادر عند المتشرعه من الأحكام هى الأحكام الخمسه، إلّا أن المراد منها (و اللّه العالم) هو العموم، أى جميع الأحكام و المعارف و الأصول و الفروع، بل و بيان الأمور التكوينيه، بل و الأحكام التكوينيه من تصرفاتهم عليهم السّلام فى الكون حسب ما تقتضيه الحكمه الإلهيه فى نظام العوالم كلها، كما لا يخفى هذا على من تتبع آثارهم فى الأبواب المتفرقه من كلماتهم عليهم السّلام. ثم إن نشر الشرايع منهم عليهم السّلام أمر واضح خصوصا من الإمام الصادق و الناطق بالحق جعفر بن محمد عليهم السّلام فإنه نشر الشرائع إلى أن استند المذهب إليه، فقيل: إن الشيعه مذهبهم المذهب الجعفرى عليهم السّلام. ثم إن المستفاد من هذه الجمله أن نشر الشرائع مختصّ بهم عليهم السّلام و ليس لغيرهم أهليه ذلك، مضافا إلى أنه لا يجوز لغيرهم التصدى لهذا الأمر من قبل أنفسهم، لصراحه الأخبار بذلك، و لأن غيرهم ليس عندهم الحق و لا المعارف، بل كل من أصاب حقا أو معرفه فإنه منهم عليهم السّلام.

ففى البحار (۱)، الخطيب فى تاريخه عن ثابت مولى أبى ذر قال: دخلت على أمّ سلمه فرأيتها تبكى، و قالت: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «على مع الحقّ، و الحقّ مع على، و لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض يوم القيامه» .

و فيه (۲)، عن البصائر، عن الحسين الأحمسى، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنا أهل البيت عندنا معاقل العلم، و آثار النبوه، و علم الكتاب، و فصل ما بين الناس» .

و فى المحكى عن الكافى فى صحيح محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب، و لا أحد من الناس يقضى بقضاء حق، إلّا ما خرج منا أهل البيت، و إذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم،

۱- ۱) البحار ج ۳۸ ص ۲۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۲۵۰.

و الصواب من علی علیه السّلام» . و مثله أحادیث أخر. و مما ذکرنا یعلم أن الحق معهم و منهم و هم أهله، کما سیجیء شرحه و هم علیهم السّلام قد نشروه. قال بعض الأعاظم (۱)عند شرح

قوله علیه السّلام:

«و نشرتم أحکامه»

: و الإضافه بیانیه من قبیل خاتم فضه، أو المراد بالشرائع أدله الأحکام من الکتاب، و إن کان من الصادقین علیه السّلام أکثر. و قد ذکر الشیخ المفید فی الإرشاد، و ابن شهرآشوب فی معالم العلماء، و الطبرسی فی أعلام الوری و غیرهم: أن الذین رووا عن الصادق علیه السّلام خاصه من الثقات علی اختلافهم فی الآراء کانوا أربعه آلاف رجل. و ذکر المحقق فی أوائل المعتبر فی حق جعفر بن محمد علیهما السّلام: أنه روی عنه من الرجال ما یقارب أربعه آلاف رجل، و برز بتعلیمه علیه السّلام من الفقهاء الأفاضل جم غفیر کزراره بن أعین و أخویه بکر و حمران، و جمیل بن دراج، و محمد بن مسلم، و یزید بن معاویه، و الهشامین، و أبی بصیر، و عبد اللّه و محمد و عمران الحلبیین، و عبد اللّه بن سنان، و أبی الصباح الکنانی، و غیرهم من أعیان الفضلاء حتی کتبت من أجوبه مسائله أربعمائه مصنف سمّوها أصولا. و فی حقّ الجواد علیه السّلام: قد کان من تلامذته فضلاء کالحسین بن سعید، و أخیه الحسن، و أحمد بن محمد أبی نصر البزنطی، و أحمد بن محمد بن الخالد البرقی، و شاذان بن الفضل القمی، و أیوب بن نوح بن دراج، و أحمد بن محمد بن عیسی، و غیرهم ممن یطول تعدادهم، و کتبهم الآن منقوله بین الأصحاب داله علی العلم الغزیر. انتهی. و قد ذکر جمله من الأصحاب أن أبان بن تغلب قد روی عن الصادق علیه السّلام ثلاثین ألف حدیث، انتهی کلامه رفع مقامه.

۱- ۱) هو الحجه السید عبد اللّه شبر (رضوان اللّه علیه) .

[٢٩]قوله عليه السّلام: و سننتم سنّته

فی المجمع: و السنه فی اللغه: الطريقه و السيره و الجمع سنن كغرفه و غرف. و فی الصناعه هی طريقه النبی صلّی اللّه عليه و آله قولا و فعلا و تقريرا أصاله أو نيابه. . إلی أن قال: و سننت الماء علی وجهی: أرسلته إرسالا من غير تفريق، فإذا فرّقته فی الصب قلت بالشين المعجمه. و امض علی سنتك أی علی وجهك. قيل: و سننتم سنته أی بينتم طريقته تعالی، فإن الطريقه و إن كان النبی صلّی اللّه عليه و آله قد جاء بها إلاّ أنها حيث الطريقه إليه تعالی فأضيفت إليه تعالی. و كيف كان فالمراد أن ما جعله رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله من السنن، التی سنّها للسلوك إلی اللّه تعالی، التی هی فی الحقيقه الطريقه إليه تعالی، و هی المشی علی سيرته تعالی قد بينتموها و أوضحتموها و سلكتموها علما و عملا، و ما جاوزتموها لا فی حقير و لا جليل، لا فی السرّ و لا فی العلانيه، و فی الحقيقه و إن كانت السنه قد جعلها اللّه تعالی و بينها رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله إلاّ أنهم عليهم السّلام أوضحوها توضيحا بحيث صحّ استنادها إليهم عليهم السّلام و لو لا توضيحهم لما ظهرت و تبينت للناس كما هی، كما لا يخفی. و عطف سننتم علی نشرتم شرائع أحكامه من قبيل عطف الخاص علی العام إن أريد منها المستحبات، أو من قبيل العطف التوضيحی إن أريد منها الأعم، فإنه يساوق حينئذ الشرائع فيراد منه حينئذ التأكيد. أو يراد

من قوله عليه السّلام: نشرتم ، البيان العلمی لها،

و من قوله: و سننتم، البيان و التوضيح العملی لها، أی تصديتم لبيانها و تحملتم المشاق فی تثبيتها فی الخلق. هذا و قد يقال: إن المراد من السنه، التی هی بمعنی الطريقه طريق الحق إلی خلقه، و هو إيجاده تعالی إياهم و إرشاده لهم علی ما تقتضيه الحكمه الإلهيه و العنايه الربانيه، و أيضا يراد منها طريق الخلق إلی خالقهم، و هو قبولهم منه تعالی الإيجاد بالانوجاد التكوينی، و الإرشاد التشريعی بالقبول من الأنبياء و الرسل و الأئمّه عليهم السّلام. و كيف كان فهم عليهم السّلام بينوا هذين الطريقين و أوضحوهما للسالكين إليه تعالی

بالبیان الشرعی، فمعنی و سننتم سنته أی وضعتم تکوینا و تشریعا الطریق منه تعالی إلی الخلق و منهم إلیه تعالی علی ما شاء اللّه تعالی، لأنهم محال مشیته لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون. و بعباره أخری: معناه أنکم أرسلتم شریعته و طریقته، التی هی واقعا و تکوینا الماء الذی جعل منه کل شیء حی، و هو العلم، فقد أرسلتموها علی حقائق الموجودات القابلات بذواتها، فمنها قابل بالاستجابه، و منها قابل بعدمها، و هذا فی الواقع، و أما فی الظاهر و التشریع فقد بینوا هذه الحقیقه بأنهم علیهم السّلام شرعوا لکل مکلف، بل لکل ذرات الوجود ما تقتضیه قابلیته من الأحکام الخمسه، فأرسلوا تلک الأحکام ظاهرا و تشریعا طبق إرسال الماء الحقیقی الذی هو العلم و الفیض الإلهی التکوینی. فمن أخذ بهذه الطریقه نجا، بأن صار حیّا بالماء التکوینی الذی منه حیاه کل شیء، و من حاد عنها هلک و خسر خسرانا مبینا قال اللّه تعالی: فَمَنْ یُرِدِ اَللّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی اَلسَّماءِ کَذٰلِکَ یَجْعَلُ اَللّهُ اَلرِّجْسَ عَلَی اَلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ (۱)رزقنا اللّه تعالی بمحمد و آله الطاهرین متابعتهم و النجاه بهم، آمین رب العالمین.

قوله علیه السّلام: و صرتم فی ذلک منه إلی الرضا، و سلمتم له القضاء، و صدقتم من رسله من مضی.

أقول: فی المجمع: الرضوان من اللّه ضد السخط، و قیل: هو المدح علی الطاعه و الثناء، و «الرضی» مثله، فرضی اللّه ثوابه، و سخطه عقابه من غیر شیء یتداخله فیهیّجه من حال إلی حال، لأن ذلک من صفات المخلوقین العاجزین المحتاجین. . .

ص: ۲۴

۱- ۱) الأنعام:۱۲۵.

إلی أن قال: و رضیت بالشیء رضی اخترته و ارتضیته مثله و رضیت عن زید و رضیت علیه لغه، و الاسم الرضا (بالمد) و رضیت باللّه ربا قنعت به و لم أطلب معه غیره. أقول: فالمعنی إنکم قمتم بمضامین الجمل المتقدمه من

قوله علیه السّلام:

فعظّمتم جلاله ، إلی قوله علیه السّلام: و سننتم سنته ، إلی أن وصلتم إلی رضوان اللّه تعالی، و یحتمل أن یکون کلمه للسببیه أی صرتم بسبب تلک الأمور و تلک الجمل إلی رضاه أما إلی رضاه تعالی علیکم بأن صرتم أتم مصداق لقوله تعالی: رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ بأن لم یسخط علیکم فی القیام بتلک الأمور لما جئتم بها کما أراد تعالی أو إنه تعالی رضی عنکم أی مدحکم و أثنی علیکم فی القیام بتلک الأمور کما هو حقها فأثابکم علی ذلک جزیل الثواب. هذا إن أرید من الرضا رضاه تعالی عنهم، و إن أرید منه رضاهم عنه تعالی، فمعناه أنکم قمتم بتلک الأمور حال کونکم صائرین و قائمین بها مع الرضا عنه تعالی، مختارین أمره علی غیره، و مرتضین به لا بغیره، أو قانعین به و بثوابه عن غیره و عن جزاء غیره، و الحاصل صرتم فی ذلک أتم مصداق لقوله تعالی: وَ رَضُوا عَنْهُ (1)و لکن الظاهر من العباره هو الأول، أی قمتم بأعباء الإمامه بنحو رضی اللّه عنکم فی ذلک القیام بالمعانی المتقدمه. فإن

قوله علیه السّلام:

«صرتم فی ذلک منه إلی الرضا»

، ظاهر فی أن القیام بتلک صار سببا فی حال الإتیان بها إلی أن أوصلکم إلی الرضا، و معلوم أن المعنی الثانی یلزمه الرضا منهم عنه من أول الأمر لا بالآخره إذ لا معنی لأنکم ما کنتم راضین عنه. و قد یقال: إن المعنی أنکم قمتم بتلک الأمور مع تحمل المشاق، و مع منع الطواغیت لکم و إیذائهم إیاکم، و مع ذلک کنتم راضین بتلک الأذیه و المظلومیه لا

1- 1) المائده:119.

بظلمهم، و يؤيده

قوله بعد:

و سلمتم له القضاء،

أى فى تلك الأمور حال كونها مع أذيتهم لهم عليهم السّلام أو أنكم راضون بتلك الأمور و القيام بها، مع ما قدر اللّه تعالى من أن يكون القيام بها بنحو لا يكون التكليف بها للناس بنحو الإلجاء، بل يكون بالاختيار لِيَجْزِيَ اَلَّذِينَ أَسٰاؤُا بِمٰا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ اَلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (١). و الحاصل: أنكم صرتم و قمتم بها فى صراط رضاه تعالى حيث ما شاء، مع أذيه الطواغيت، و مع سائر المكاره، فتأمل. أقول: و السرّ فى أنهم عليهم السّلام رضوا عنه تعالى فى هذه الأحوال أنهم عليهم السّلام عالمون بأن ما يقضى اللّه تعالى عليهم هو عين الصلاح فيما هو محبوب أو مكروه، فيكون بذلك مسرورا و مبتهجا، و لما فيه من ذكر المولى تعالى لعبده، و عدم نسيانه له، فكأنه بقضاه مطلقا أتحفه بتحفه، أو أهداه بهديه، فحقيقه الرضا هو السرور و الابتهاج كما قيل: و بهجه بما اقتضى اللّه رضا.

ففى المحكى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال: «لقى الحسن بن على عليه السّلام عبد اللّه بن جعفر فقال: يا عبد اللّه كيف يكون المؤمن مؤمنا، و هو يسخط قسمه و يحقر منزلته، و الحاكم عليه اللّه، و أنا الضامن لمن لم يهجس فى قلبه إلّا الرضا أن يدعو اللّه فيستجاب له» .

و عنه أنه قال لمن سأله بأى شىء يعلم المؤمن بأنه مؤمن؟ قال: «بالتسليم للّه، و الرضا فيما ورد من سرور و سخط» .

و عنه قال: «لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول لشىء قد مضى: لو كان غيره» .

و عنه أنه قال: «إن أعلم الناس باللّه أرضاهم بقضاء اللّه عز و جل» . ثم إنه قد يقال: إن الظاهر من قوله: إلى الرضاء، أنهم عليهم السّلام بلغوا مقام الرضوان بذلك، فلازمه أنه تعالى قد منحهم كل المنح، فلا يبقى حينئذ لهم السؤال منه تعالى

١- ١) النجم:٣١.

لشیء آخر، هذا و قد قال تعالی فی حقهم: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً (۱)، فکیف التوفیق بینهما؟ أقول: إنهم علیهم السّلام لما بلغوا بالقیام بتلک الأمور إلی مقام الرضا، علموا یقینا أنه تعالی لا یمنعهم من أن یمنحهم شیئا فرضوا به و تیقنوا بصدق وعده، و لکن لما قاموا علیهم السّلام بصدق العبودیه بین یدیه تعالی بما هم فقراء إلیه تعالی، و بما تجلی لهم من عظمته تعالی لهم علیهم السّلام فلا محاله یسألونه تلک المنح بقاء و إبقاء لألطافه علیهم، مضافا إلی أن جمیع منحه لا تسعها الدنیا، فلا محاله یسألونه تعالی منها تدریجا إنجازا لوعده. هذا مضافا إلی أنه یمکن أن یقال: إنهم فی الوجود و عالم الإمکان بلغوا بسبب الرضا إلی غایه ما صدر عنه تعالی فهم راضون عنه تعالی، إلاّ أنه حیث کان تبارک و تعالی غیر متناه کما لا یخفی، فلا محاله یسألونه دائما بلحاظ عدم نهایته تعالی، و قد تقدم فی شرح السلام و الصلاه علیهم ما یوضح لک هذا المعنی، فراجعه. و أما

قوله علیه السّلام:

«و سلمتم له القضاء»

، قیل: هذا من عطف اللازم علی الملزوم، إذ لازم البلوغ إلی مقام الرضا هو التسلیم للقضاء، کما دلّ علیه الحدیث المتقدم، إلاّ أن الظاهر من قوله: و سلمتم، هو أنهم علیهم السّلام لم ینقدح فی قلوبهم الشریفه حرج و لا شبهه، و لا اعتراض بالنسبه إلی قضائه تعالی، فهو حینئذ تأکید لما سبق، فتأمل. و أما

قوله علیه السّلام:

«و صدقتم من رسله من مضی»

. أقول: لعلّه إشاره إلی أنکم أول مصداق لقوله تعالی: آمَنَ اَلرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلاٰئِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ (۲)فالإیمان بالرسل هو التصدیق بهم لا بمجرد الإقرار بأنهم أنبیاء و رسل، بل بالأدله القاطعه و الحجج الواضحه کما دلت علیها کلماتهم علیهم السّلام فی مقام الاحتجاج، بل أظهروا المعجزات

۱- ۱) طه:۱۱۴.

۲- ۲) البقره:۲۸۵.

الداله على أنهم أنبياء و رسل، و أنهم صادقون فى ادعائهم الرساله ردّا لمنكريهم، و تأييدا لمصدقيهم من الأمم السابقه و اللاحقه، و يلحق بذلك معرفه أسمائهم و أعدادهم و أحوالهم، و بيان ما أوتوا من الوحى و المعجزات، كل ذلك بإخبار اللّه تعالى لهم عليهم السّلام فى كتابه الكريم، و بما علمهم الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و بما علموه من اللوح المحفوظ، و واقع القرآن الكريم الذى لا رطب و لا يابس إلّا و هو فيه.

[۳۰]قوله عليه السّلام: فالراغب عنكم مارق، و اللازم لكم لاحق، و المقصر فى حقكم زاهق

أقول: هذه الجمل تفريع عقلى على الجمل السابقه، أى بعد ما ثبت أنكم عظمتم جلاله، و هكذا ساير الجمل إلى أن صرتم إلى مقام رضوان اللّه تعالى عنكم، فلا محاله فالراغب عنكم مع ظهور هذه الأوصاف و الأحوال منكم مارق عن الدين المبين، ضال عن طريقه سيد المرسلين، و داخل فى حزب الشياطين، و اللازم لكم بإمامتكم، و الأخذ بأقوالكم و المتابع لأعمالكم بحيث يجعلكم نصب عينيه فى السلوك إلى اللّه تعالى، و يدور معكم حيثما تدورون، لاحق بكم حيث ما تنزلون فى الدنيا و الآخره، و لاحق بكم فى الدرجات العاليه، حيث سلك الطريق الحق فهو معكم لا يموت أبدا، بل حىّ عند اللّه مرزوق.

و فى المحكى عن الكافى، عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اَلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ أَمْوٰاتاً قال: «هم و اللّه شيعتنا حين صارت أرواحهم فى الجنه، و استقبلوا الكرامه من اللّه عز و جل، و استيقنوا أنهم كانوا على الحق و على دين اللّه، فاستبشروا بمن لم يلحقوا بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين» ، الحديث.

و فى المجمع عنه عليه السّلام: «و يشمل كل من قتل فى سبيل اللّه عز و جل سواء كان قتله بالجهاد الأصغر و بذل النفس طلبا لرضاء اللّه، أو بالجهاد الأكبر و كسر النفس و قمع الهوى بالرياضه» .

و المقصر فى حقكم و إمامتكم و رتبكم العاليه أو فى متابعتكم زاهق و مضمحل يقال: زهق السهم إذا جاوز الهدف و لم يصبه. و قد يقال: إن المراد من هذه الجمله أن من قال بإمامتكم، و لكن قصّر فى حقكم، أى قصّر فى الوصول إلى سركم فى عالم القلب و الباطن، فإنه و إن كان ناجيا فى الجمله إلّا أنه زاهق أى ساقط عن الاشتمال على الحقيقه، فهو كحبه أخذ لبّها فلا يثمر و لا ينمو و لا يترتب عليه إلّا ما ترتب على القشر، فهذا مأخوذ من زهق العظم كمنع زهوقا إذا اكتنز مخّه. و كيف كان فالكامل من عرف أسرارهم، لا من أقرّ بظاهرهم فقط، فإنه ناج ناقص،

و لذا ذكر فى آخر الزياره:

أسألك أن تدخلنى فى جمله العارفين بهم.

أقول: فى المجمع: زهوق النفس بطلانها، و زهق الباطل أى زال و بطل، و فيه: و تزهق أنفسهم أى تبطل و تهلك، و قال: زهق الشىء تلف، فحينئذ معنى الجمله أن المقصر فى حقكم هالك و زائل و باطل، و هذا هو ظاهر فى التقصير فى قبول إمامتهم لا فى أسرارهم كما قيل و اللّه العالم. ثم إنه لا يخفى الفرق بين القصور و التقصير فإنه إنما يكون الإنسان زاهقا إذا كان مقصرا، بمعنى أنه ظهرت له حقانيتهم من اللّه تعالى و من رسوله صلّى اللّه عليه و آله و مع ذلك قصر فى حقهم و بقى على الباطل، فهذا رجل زاهق و مضمحل لا ما إذا كان قاصرا، فلو أن أحدا لم يبلغه الحق، و كان باقيا فى حاله الجهل بحقهم عليهم السّلام قصورا فهو ليس بزاهق.

ففى المحكى عن الخصال، عن الصادق عليه السّلام عن أبيه، عن جده، عن على عليه السّلام قال: «إن للجنه ثمانيه أبواب، باب يدخل منه النبيون و الصديقون، و باب يدخل منه الشهداء و الصالحون، و خمسه أبواب يدخل منها شيعتنا و محبّونا، فلا أزال واقفا على الصراط أدعو و أقول: ربّ سلّم شيعتى و محبى، و أنصارى و أوليائى، و من تولانى فى دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك، و شفعت فى شيعتك، و يشفع كل رجل من شيعتى، و من تولانى و نصرنى، و حارب

من حاربنى بفعل أو قول فى سبعين من جيرانه و أقربائه، و باب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلّا اللّه، و لم يكن فى قلبه مثقال ذره من بغض أهل البيت» .

و فى المحكى عن تفسير القمى مسندا عن ضريس الكنانى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك ما حال الموحدين المقرّين بنبوه محمد صلّى اللّه عليه و آله من المذنبين، الذين يموتون و ليس لهم إمام، و لا يعرفون ولايتكم؟ فقال: «أما هؤلاء فإنهم فى حفرتهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح و لم يظهر منه عداوه، فإنه يحدّ له حدّا إلى الجنه، التى خلقها اللّه بالمغرب، فيدخل عليهم الروح فى حفرته إلى يوم القيامه، حتى يلقى اللّه فيحاسبه بحسناته و سيئاته، فإما إلى الجنه و إما إلى النار، قال: و كذلك يفعل بالمستضعفين و البله و الأطفال، و أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم. و أما النصاب من أهل القبله فإنه يحدّ لهم حدّا إلى النار، التى خلقها اللّه فى المشرق، فيدخل عليهم اللهب و الشرر و الدخان و فوره الحميم إلى يوم القيامه، ثم بعد ذلک مصيرهم إلى الحميم» .

و فى تفسير نور الثقلين (۱)عن أصول الكافى، عن عمر بن أبان، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن المستضعفين فقال: «هم أهل الولايه، فقلت: و أى ولايه؟ قال: أما أنها ليست بالولايه فى الدين، و لكنها الولايه فى المناكحه و الموارثه و المخالطه، و هم ليسوا بالمؤمنين و لا بالكفار، و منهم المرجون لأمر اللّه عز و جل» .

و فيه (۲)قال حمران: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن المستضعفين. قال: «هم ليسوا بالمؤمن و لا بالكفر و هم المرجون لأمر اللّه» .

و عن ابن الطيار قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «الناس على ستّ فرق يؤلون إلى

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۲۶۵.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۲۶۶.

ثلاث فرق: الإیمان و الکفر و الضـلال، و هم أهل الوعد الذین وعدوا الجنه و النار، و هم المؤمنون و الکافرون، و المستضـعفون و المرجون لأمر اللّه إما یعذبهم و إما یتوب علیهم، و المعترفون بذنوبهم خلطوا عملا صالحا و آخر سیّئا، و أهل الأعراف» .

عن الحارث، عن أبی عبـد اللّه علیه السّـلام قال: سألته بین الإیمان و الکفر منزله فقال: «نعم و منازل لو یجحد شـیئا منها أکبّه اللّه فی النار، و بینهما آخرون مرجون لأمر اللّه، و بینهما المستضعفون، و بینهما آخرون خلطوا عملا صالحا و آخر سیئا و بینهما قوله: وَ عَلَی اَلْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ » . و حینئذ نقول: المقصر فی حقهم هو الذی یعدل بهم غیرهم من سائر الخلق، أو یتقدم علیهم فی قول أو فعـل، فهو هالـک حیث قصّـر فی حقهم، فـإن حقهم علی الجمیع أن یرفعوا مقامهم عن جمیع الخلائق و یضـعوا عن مقام الخالق جلّ و علا، کما هذا هو المراد من

قول الصادق علیه السّلام: «اجعلوا لنا ربّا نؤب إلیه، و قولوا فینا ما شئتم

(۱)

أو

قولهم علیهم السّلام: نزلونا عن الربوبیه و قولوا فی حقنا ما شئتم» ، و قد تقدم الحدیث.

و فی البحار (۲)الطیـالیس عن الفضـیل بن عثمـان قـال: سـمعت أبا عبـد اللّه علیه السّـلام یقول: «اتقوا اللّه و عظّموا اللّه و عظّموا رسوله صلّی اللّه علیه و آله و لا تفضلوا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أحدا فإن اللّه تبارک و تعالی قد فضله، و أحبوا أهل بیت نبیکم حبّا مقتصـدا، و لا تغلوا، و لا تفرقوا، و لا تقولوا ما لا نقول، فإنکم إن قلتم و قلنا متم و متنا، ثم بعثکم اللّه و بعثنا فکنا حیث یشاء اللّه و کنتم» .

و فیه (۳)عن الخصال الأربعمائه قال أمیر المؤمنین علیه السّـلام: «إیاکم و الغلو فینا، قولوا إنا عبیـد مربوبون، و قولوا فی فضـلنا ما شئتم» .

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۲۸۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۲۶۶.

۳- ۳) البحار ج ۲۵ ص ۲۷۰.

و فيه (۱)عن العيون، عن الرضا عليه السّلام فى حديث إلى أن قال عليه السّلام: «قال على عليه السّلام: يهلك فىّ اثنان و لا ذنب لى محب مفرط و مبغض مفرّط» . أقول: المبغض المفرط هو المقصر فى حقهم.

و فيه (۲)فى حديث قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لا تتجاوزوا بنا العبوديه، ثم قولوا ما شئتم و لن تبلغوا» الحديث. و كيف كان فاللازم إبقاؤهم عليهم السّلام على ما رتبهم اللّه تعالى عليه، و هو مقام عظيم جدّا، كيف لا

و قال على عليه السّلام فى وصيته: «نحن صنايع اللّه و الخلق بعد صنايع لنا» أى نحن الذين اصطنعنا اللّه تعالى لنفسه، و أخصّنا، و جعلنا محال مشيته و خزنه علمه، و حفظه حكمه و سره.

و قوله عليه السّلام: «و الخلق بعد صنايع لنا» ، أى صنعهم لنا، و جعلنا أولياءه فيهم، لندعوهم إلى طاعته و عبادته، فهم العلماء باللّه، و الخلق هم المتعلمون منهم، ليصلوا إلى معارفه، فمن أخذ منهم كالشيعه (رضوان اللّه عليهم) أخذ بالحظ الوافر، و من أعرض عنهم هوى إلى جهنم و بئس المصير. و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا، اللهم اجعلنا و اجعلنى من المتمسكين بهم و بولايتهم، و المستضيئين من أنوارهم بمحمد و آله الطاهرين.

[۳۱]قوله عليه السّلام: و الحقّ معكم و فيكم و منكم و إليكم، و أنتم أهله و معدنه

أقول: فى المجمع فى تفسير الحق ما حاصله: أن الحق من أسمائه تعالى و هو الموجود المتحقق وجوده و إلهيّته، و ضد الباطل، و بمعنى الحظ و النصيب، و حقيقه الشىء كنهه، و الحق أصله المطابقه و الموافقه، و يأتى بمعنى الواجب و اللازم و الجدير، و الحقيقه فى مصطلح العلماء ما قابل المجاز، و التاء فيها للنقل من الوصفيه

ص: ۳۲

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۲۷۲.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۲۷۴.

إلى الاسميه الصرفه، و حقّ الشيء يحق (بالكسر) أى وجب. و فى المحكى عن القاموس: الحق من أسماء اللّه تعالى أو من صفاته، القرآن ضد الباطل، و الأمر المقضى و العدل و الإسلام، و المال و الملك، و الواجب، و الموجود الثابت و الصدق، و الموت و الحزم و واحد الحقوق. انتهى. أقول: الحق إما يطلق بمعنى الصفه، فيكون لا ـ محاله له موصوف فى موارد إطلاقاته، فمعناه حينئذ المطابقه و هى عباره عن كون الموصوف ثابتا فى نفسه و واقعه فقوله رحمه اللّه فيما تقدم من أن الحق من أسمائه أى من صفاته، لأن أسماءه تعالى ترجع إلى الصفات، و هو الموجود المتحقق وجوده يراد منه ما ذكرنا من أن الصفه تشير إلى ثبوت الموصوف فى نفس الأمر. و الحاصل: أن الصفه ترجع بالدقه إلى ثبوت أمر للموصوف، فينتزع منه قضيه خبريه، و هو أن ذاك الشيء موصوف بكذا، فباعتبار مطابقيه الخبر لواقعه يقال لذلك الواقع: الحق، فمن تطابق الصفه للواقع ينتزع للواقع صفه الحق أى الحقيقه كما لا يخفى. و لهذا المعنى الوصفى للحق مصاديق، منها صفاته تعالى، و منها القرآن، و منه ضدّ الباطل، و الأمر المقضى و العدل و الإسلام و الواجب و الصدق. و إما يطلق بالمعنى الاسمى و هو الشيء الثابت فى صقع وجوده، فبهذا الاعتبار يكون مصداقه هو اللّه تعالى بنفسه المقدسه، و الأشياء الثابته فى عالمها من الموجود الثابت، و الموت و الحزم و المال و الملك. فحينئذ

قوله عليه السّلام:

و الحق معكم

، إن أريد منه المعنى الوصفى، فمعناه أن كل ما قلتم و أخبرتم به فهو حق، و إن كل ما هو مطابق لواقعه فهو معكم لا ـ مع غيركم، فالقرآن الذى هو الحق، و بيان صفاته تعالى المندرجه فى القرآن و ضد الباطل، و الأمر المقضى و العدل و الإسلام و الواجب مطلقا و الصدق كلها معكم لا يفارقكم و لا تفارقونه، فهو (أى الحق) بهذه المعانى ملازم لكم، فمن أرادها (أى معانى الحق)

فلا محاله يجب أن يأخذها منكم، و إن أريد منه المعنى الاسمى فمعناه أنه تعالى معكم، و إن كل ثابت و موجود فى نفسه و عالمه فهو معكم، أى أنتم مطلعون بها و تخبرون عنها عن مشاهده. و قد يقال: إن كون الحق (أى اللّه تعالى) معهم على هذا المعنى، يراد منه ما ذكره تعالى بقوله: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ ، فحينئذ قد يستشكل بأنه تعالى مع كل أحد، فلا خصوصيه لهم عليهم السّلام بذلك، و قد يجاب عنه بما حاصله: أنه تعالى معهم بالرحمه و العنايه و اللطف و غيرها من جهات الفضل، فإنه تعالى و إن كان مع الكل، إلاّ أنه يكون معهم بالإحاطه العلميه و القدره و السلطنه، و هذا يعمّ الكل، و يكون معهم عليهم السّلام بتلك الصفات من الرحمه و العنايه و اللطف، و مرجعه إلى أنه تعالى معهم بالظهور الذاتى و الصفاتى و الأفعالى، بحيث إنه تعالى أراهم نفسه المقدسه بما لها من تلك الصفات. و يلزم هذا أنهم عليهم السّلام يكونون معه تعالى معيه ترجع إلى معنى العنديه المشار إليها بقوله: وَ مَنْ عِنْدَهُ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ لاٰ يَسْتَحْسِرُونَ و قد تقدم عن الصادق عليه السّلام حديث يبين هذه العنديه. و الحاصل: أنه ليس المراد المعيه القيوميه فإنه عام لكل أحد، و لا العنديه الذاتيه بحيث يرجع إلى الحلول و الاتحاد، بل المراد من أن الحق معهم بهذا المعنى الاسمى، هو أنه تعالى ظهر لذواتهم المقدسه بصفاته و علمه و أفعاله، و هم عليهم السّلام عنده، و يشاهدون هذه الصفات منه تعالى، و ليس لغيرهم هذه المعيه، و إلى هذه المعيه يشير

ما روى عن الصادق عليه السّلام على ما فى كلماتهم من قوله عليه السّلام: «لنا مع اللّه حالات، نحن فيها هو، و هو نحن، إلاّ أنه هو هو و نحن نحن» ، و لهذا الحديث شرح يطول بيانه. و حاصله: أنهم لشده قربهم عليهم السّلام إليه تعالى ظهرت لديهم صفاته تعالى، بحيث تلاشت عندها الحدود الخلقيه، فلم يبق إلاّ أنهم عباده، فهذا الحديث بلحاظ

الاستثناء الوارد فيه مفاده مفاد

قوله عليه السّلام فى الدعاء:

«لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك. . . إلخ» ، و قد تقدم شرحه فيما سبق، فلا تظن ما قد توهم بعضهم من معنى الحلول و الاتحاد و لو فى الجمله، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا. و أما قوله: و فيكم، أى الحق فعلى المعنى الوصفى فظاهر، أى أن كل ما هو مطابق لواقعه مما ذكرناه سابقا فهو فيكم أى عندكم، أو أنه متحقق بواقعه الحق فيكم، و أنكم متصفون به، فأنتم أتم مصداق له، و أما على المعنى الاسمى، فمعلوم أنه لا يراد منه أن ذاته المقدسه فيكم لأنه تعالى لا يحاط بل هو محيط، بل المراد منه أنه تعالى بلحاظ صفاته و أفعاله متجلى فيكم و أنتم مرآته، أى أن الحق تعالى بصفاته يرى فيكم و أنتم مظاهره، كما تقدم من

قول السجاد عليه السّلام: «نحن مظاهره فيكم» . و مما ذكر يظهر الحال فى

قوله عليه السّلام:

«و منكم و إليكم، و أنتم أهله و معدنه»

فإن الحق بما له من المعنى الوصفى و الاسمى، لا يوجد عند أحد إلاّ و هو منهم، و يرجع إليهم عند فناء الخلق، و هم عليهم السّلام أهله أى أصحابه و معدنه بالمعنى المتقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و معدن الرساله»

فراجع. و بعباره أخرى: و الحق معكم (بمعنييه) كما

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «الحق مع على و على مع الحق يدور معه حيثما دار»

و قال: «اللهم أدر الحق معه حيثما دار» (و فيكم) أى و فى متابعتكم و فى أقوالكم إذا أردناه لا فى متابعه غيركم و لا قول غيركم (و منكم) لما نرى من أن ما لم يخرج منهم فهو باطل بالوضوح أو بالدقه و التأمل و إن ما صدر منهم فهو حق.

و فى المحكى عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: ليس عند أحد من الناس حق و لا صواب، و لا أحد من الناس يقضى بقضاء حق إلاّ ما خرج منا أهل البيت، و إذا تشعبت بكم الأمور كان الخطأ منهم و الصواب من على عليه السّلام.

و عن زراره قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فقام له رجل من أهل الكوفه يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «سلونى عما شئتم فلا تسألونى عن شىء إلاّ نبّأتكم به،

قال: إنه ليس أحد عنده علم إلّا شيء خرج من عند أمير المؤمنين عليه السّلام فليذهب الناس حيث شاءوا فو اللّه ليس الأمر إلّا من هيهنا و أشار بيده إلى بيته» .

و عن أبى مريم قال: قال أبو جعفر عليه السّلام لسلمه بن كهيل و الحكم بن عيينه: «شرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحيحا إلّا شيئا خرج من عندنا أهل البيت» .

و فى روايه أخرى: «فليشرق الحكم أو ليغرّب أما و اللّه لا يصيب العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السّلام» . أقول: فظهر أن العلم منهم عليهم السّلام لا من غيرهم. (و إليكم) أى كل حق فى أيدى الناس فمرجعه إليكم، لأنه منكم أخذ أو أنكم الباعث على وصوله إلى الخلق. فإن قلت: ما الفرق بينه و بين قوله عليه السّلام: منكم؟ قلت: معنى كون الحق منهم أن منشأه منهم، و معنى كونه إليهم أنه إذا أصيب بحق، فبالاستقراء و التحقيق يعلم أنه يرجع إليهم عليهم السّلام لا-إلى غيرهم، فجميع كلمات الحكمه التى توجد فى كلام الناس خصوصا المخالفين لهم كالحسن البصرى و من يحذو حذوه كلها مأخوذه من كلامهم و من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام كما لا يخفى على الماهر البصير و المتتبع الخبير. (و أنتم أهله) لما نرى أن العلم مطلقا حتى الكائن عند الأنبياء و الملائكه كلهم قد انتهى إليهم بالمآل فهى (أى العلوم) كلها عندهم، و ما كان منه عندهم فهو صادر منهم عليهم السّلام إلى الأنبياء و الملائكه كما نطقت به الأخبار الكثيره كما لا يخفى و قد تقدم بعضها. فأنتم المختصّون بالحق كاختصاص الأهل بذيه، و أنتم اللائقون به كما هو لائق بكم. (و معدنه) أى صاحبه و أصله و قد تقدم شرحه فى

قوله عليه السّلام:

«و معدن الرساله»

و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله علیه السّلام: و میراث النبوه عندکم

فی المجمع: و المیراث مفعال من الإرث و یاؤه مقلوبه من الواو أو من الموروث و هو علی الأول علی ما قیل: استحقاق إنسان بموت آخر بنسب أو سبب شیئا بالأصاله، و علی الثانی ما یستحقه إنسان بموت آخر بنسب أو سبب بالأصاله. و فی المحکی عن روضه المتقین قال: من علوم جمیع الأنبیاء و کتبهم و أخلاقهم الکامله حتی إنه کان عندهم ألواح موسی و عصاه و حجره و خاتم سلیمان و قمیص یوسف و ذو الفقار سیف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و درعه و عمامته و رایته و عنزته و غیرها، و کان عندهم من الکتب الجامعه التی کان من إملاء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و خط علی علیه السّلام بیده و الجفر الذی فیه علوم الأنبیاء و المرسلین و المشهور إنه الکتاب المعروف المرموز الذی بیننا و قیل: غیره و هو عند صاحب الأمر (عج) . أقول: إن الجفر عنده علیه السّلام لا ما هو المشهور عندنا. و مصحف فاطمه علیها السّلام الذی فیه علوم ما سیأتی بإملاء جبرئیل و خط أمیر المؤمنین علیه السّلام و کان ذلک بعد وفاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لرفع حزنها علیها السّلام. . . إلی أن قال: و بالجمله کل نبی ورث علما أو غیره کما فی الأخبار المتواتره، فقد انتهی إلیهم علیهم السّلام انتهی کلامه. أقول: المقصود من هذه الجمله بیان فضیله لهم علیهم السّلام بأن عندهم میراث الأنبیاء، و هو إما بأن یکون المراد منه العلم، أو ما یترکه النبی صلّی اللّه علیه و آله من خصائصه، کما تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و ورثه الأنبیاء»

، و تقدمت الأحادیث المصرح فیها بهذه الأمور، و تقدم أیضا مرارا أن جمیع العلوم التی کانت للأنبیاء و ما کان لنبینا صلّی اللّه علیه و آله فهی عندهم کما صرحت به الأحادیث الکثیره. نعم: لعل الفرق بین

قوله علیه السّلام:

«و ورثه الأنبیاء»

، و بین

قوله علیه السّلام:

«و میراث النبوه عندکم»

، هو أن الجمله الأولی تشیر إلی ما یترکه الأنبیاء من خصائصهم، التی ذکرت فی کلام روضه المتقین من السلاح و غیره و تقدمت الإشاره إلیها فی

شرحها. و بعباره أخرى: أن المضاف هناك الوارث و هو ظاهر فى الشخص، و كذلك المضاف إليه يراد منه أشخاص الأنبياء، و ورثه شخص من شخص إنما هو بلحاظ ما يتركه، و هذه تشير إلى ما يورثه الأنبياء من العلم و المعارف، و ذلك لمكان إضافه الميراث إلى النبوه الظاهره فى المنصب الإلهى القائم بالعلم الإلهى كما لا يخفى، مضافا إلى أن المضاف هنا هو الميراث لا الوارث، فيراد منه ما هو من شأن النبوه من العلم و المعارف كما لا يخفى. و لعل التكرار للإشاره إلى أن الأنبياء كما يورثون العلم و المعارف، فكذلك يورثون الأموال، دفعا لما يتوهمه بعضهم من أن الأنبياء لا يورثون المال أبدا، و ذكرت له روايه أيضا، و علل بأنهم (أى الأنبياء) كالآباء للأمه، فما لهم لهم لكلهم أى للناس، لئلا يظن بهم الرغبه فى الدنيا. قال فى المجمع: و قد ردّ أصحابنا هذا الحديث و أنكروا صحته و هو الحق، لمخالفته القرآن الكريم، و ما خالفه فهو زخرف مردود باطل لا يعتد به. نعم:

روى ثقه الإسلام عن الصادق عليه السّلام: «أن العلماء ورثه الأنبياء، و ذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهما و لا دينارا، و إنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشىء منها فقد أخذ حظّا وافرا» ، و هو بعد تسليم صحته ليس فيه دلاله على عدم التوريث المطلق كما هو ظاهر انتهى. أقول: و ذلك لأن الحديث ظاهر فى أن الأنبياء ليس من شأنهم الاعتناء بجمع الأموال و توريثها من حيث شأن النبوه، بل المال الذى يأخذونه من حيث منصب النبوه و الولايه فإنما هو الحقوق الإلهيه، التى يجب صرفها فيما عيّنه اللّه تعالى، فشأنهم بيان المعارف و العلوم، و هذه مما يورثون بها لمن بعدهم من أوصيائهم أو العلماء، و لا يورثون للناس من حيث نبوتهم. نعم: و هذا لا ينافى تملكهم الأموال، التى كانت بأيديهم على نحو ما تكون

الأموال بأيدى الناس من متملكاتهم بالحيازه و البيع و الشراء و الإرث من الآباء و غيرهم، فالأنبياء من هذه الجهه كغيرهم يجرى عليهم أحكام الدين و أحكام الإرث، إلّا أن هذه الجهه ليست ملحوظه لهم و لا لغيرهم من أمتهم كما لا يخفى. و الحاصل: أن شأن النبوه لا تعلق له بالمال، بل هو مصروف فى العلم و المعارف و بيان الأحكام و الأحاديث، فالمراد من نفى ما سوى العلم فى

قوله عليه السّلام: «لم يورثوا دينارا و لا درهما» عدم اعتدادهم به لخروجه من شأن النبوه لا أنهم لا يورثون و لا يرثون، كيف و قد قال تعالى مخبرا عن سؤال زكريا من ربّه وارثا يرثه من قوله عليه السّلام: يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (۱)، و عن سليمان من أنه ورث من أبيه داود الصافنات الجياد. و كيف كان فهم لا يعدون المال إرثا، لعدم التفاتهم إلى الدنيا و ما فيها، و أما اعتناؤهم بالخصائص المذكوره مع أنها من المال و الدنيا، لأجل أنها كانت ذات شأن عظيم تدل على عظمتهم عليهم السّلام و معجزاتهم كما فى بعضها، و تدل على تعيين الوصيه و الوصى على الأمه كما فى بعضها، على أن بعضها كانت منزله من السماء، فله خصوصيه تدل على عظمه مقام المنزل إليه كما لا يخفى، فلهذا اختص بالذكر، و بكونها ميراثا فى الجملتين كما لا يخفى، و الحمد للّه ربّ العالمين.

[۳۲]قوله عليه السّلام: و إياب الخلق إليكم، و حسابهم عليكم

اشاره

أقول: إياب الخلق إليهم أى رجوعهم إليهم لأجل الحساب. يوضحه: قوله عليه السّلام: و حسابهم عليكم، و الكلام هنا يقع فى مقامين:

الأول: فى السرّ و الوجه فى ذلك.

و الثانى: فى بيان الأخبار الداله على ذلك، و على بيان المواقف التى يكون فيها

۱- ۱) مريم:۶.

رجوعهم إليهم و حسابهم عليهم و كيفيه ذلك حتى فى الجنه و فى النار، فنقول: أما الأول:

ففى بصائر (۱)عن جابر الجعفى قال: كنت مع محمد بن على عليه السّلام فقال عليه السّلام: «يا جابر خلقنا نحن و محبينا (۲)من طينه واحده بيضاء نقيه من أعلى عليين، فخلقنا نحن من أعلاها، و خلق محبونا من دونها، فإذا كان يوم القيامه التفت العليا بالسفلى، و إذا كان يوم القيامه ضربنا بأيدينا إلى حجزه نبينا، و ضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجزتنا، فأين ترى يصيّر اللّه نبيه و ذريته؟ و أين ترى يصيّر ذريته محبيها؟ فضرب جابر يده على يده فقال: دخلناها و ربّ الكعبه ثلاثا» .

و فيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه عز و جل خلقنا من عليين، و خلق محبينا من دون ما خلقنا منه، و خلق عدونا من سجين، و خلق محبيهم مما خلقهم منه، فلذلك يهوى كل إلى كل» . أقول: و نظير هذه كثيره جدّا فى ذلك الباب، و فى غيره كما لا يخفى. فحينئذ نقول: المستفاد من هذه الأحاديث أن الشيعه بحقيقتها الروحيه فرع لتلك الذوات المقدسه على نحو بينوه عليهم السّلام و تقدم سابقا ما يدل على ذلك أيضا، و معلوم أن الفرع يرجع فى جميع أموره إلى أصله، ففيما نحن فيه ترجع الشيعه فى جميع أطوارها و حالاتها فى الدنيا و الآخره إليهم عليهم السّلام دلّ على ذلك

قوله عليه السّلام: «فلذلك يهوى كل إلى كل» . فحقيقه الشيعه تهوى بذاتهم و قلوبهم إليهم عليهم السّلام و هم عليهم السّلام بما هم أصل لهم التفات و نظر إليهم فى الدنيا و الآخره. أما فى الدنيا فلما تقدم من الأحاديث الداله على أنهم عليهم السّلام يراعون شيعتهم، و يواظبون و يراقبون أحوالهم، كما لا يخفى و هى كثيره جدا. و أما فى الآخره فلهذه الأحاديث، و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «فإذا كان يوم القيامه

۱- ۱) بصائر الدرجات باب ۹ ص ۱۵.

۲- ۲) أقول: الظاهر أن يكون محبونا بالواو كما لا يخفى.

التفت العليا بالسفلى» . فقوله: التفت، إما بمعنى الالتفات أى يلتفت الأئمه عليهم السّلام بشيعتهم، أو بمعنى الالتفات أى الإحاطه و الرعايه أى يلتفت الأئمه عليهم السّلام بالشيعه، و معلوم أنه يراد منه التوجه و العنايه بهم كما لا يخفى. و كيف كان فرجوع الشيعه إليهم و كون حسابهم عليهم، إنما هو بمقتضى الأصل، أى أصل رجوع الفرع إلى أصله كما لا يخفى، و إليه تشير الأحاديث الداله على أنهم خلقوا من فاضل طينتهم كما لا يخفى، و يدل على أنهم فرع لهم ما

فى حديث عبد الغفار الجارى فى البصائر إلى أن قال عليه السّلام: «الطينات ثلاثه طينه الأنبياء و المؤمن من تلك الطينه، إلّا أن الأنبياء هم صفوتها، و هم الأصل و لهم فضلهم، و المؤمنون الفرع من طينه لازب» الحديث، و تقدم أيضا ما يدل على أن الأنبياء خلقوا من فاضل طينتهم أيضا. و هذا بالنسبه إلى الشيعه فظاهر، و أما بالنسبه إلى غيرهم من مخالفيهم و ساير الخلق، فلأجل أن الأعداء أيضا خلقوا من فاضل وجود الشيعه، أى خلقوا لأجلهم، لتوقف كثير من منافع الشيعه عليهم، فهم بضرب من التأويل يراجعون إليهم، فبهذا اللحاظ يكون حسابهم و إيابهم أيضا إلى الأئمه عليهم السّلام هذا مضافا إلى ما تقدم من أنه تعالى أشهدهم عليهم السّلام خلق السموات و الأرض، و خلق الأشياء التى منها الأعداء أيضا و ساير الخلق، و أنهى علمه إليهم عليهم السّلام و فوض إليهم عليهم السّلام أمرها (أى أمر الأشياء) فلا محاله يكون إياب الخلق و رجوعهم إلى من فوض إليه أمرهم كما لا يخفى. و الحاصل: أن الشيعه و من أحبهم من الأولين و الآخرين، فلأجل كون خلقهم منهم، فلا محاله يكون رجوعهم و حسابهم إليهم و عليهم، و أما غيرهم فلأجل أنه تعالى فوض أمر الخلق مطلقا إليهم فى أصل الخلقه بتمامها كما لا يخفى.

و أما الثانى: فى بيان كيفيه رجوعهم إليهم و حسابهم عليهم

فنقول: لا بدّ أولا

من ذكر الأخبار الوارده فی هذا الباب، ثم بیان المستفاد منها، فنقول:

فی تفسیر نور الثقلین (۱)عن أمالی شیخ الطائفه قدس سره بإسناده إلی عبد اللّه بن سنان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إذا کان یوم القیامه، وکلنا اللّه بحساب شیعتنا، فما کان للّه سألنا اللّه أن یهبه فهو لهم، و ما کان لنا فهو لهم، ثم قرأ أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إِنَّ إِلَیْنا إِیابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا حِسابَهُمْ» .

و فیه عن روضه الکافی، عن سماعه قال: کنت قاعدا مع أبی الحسن الأول علیه السّلام و الناس فی الطواف فی جوف اللیل فقال لی: «یا سماعه إلینا إیاب هذا الخلق و علینا حسابهم، فیما کان لهم من ذنب بینهم و بین اللّه عز و جل حتمنا علی اللّه عز و جل فی ترکه لنا فأجابنا إلی ذلک، و ما کان بینهم و بین الناس استوهبناه منهم فأجابوا إلی ذلک و عوضهم اللّه عز و جل» . أقول: هذان الحدیثان و نحوهما وارده فی خصوص الشیعه، لمزیتهم لدیهم علیهم السّلام و هناک أحادیث أخر لإیاب الخلق مطلقا و رجوعهم إلیهم علیهم السّلام.

ففیه أیضا عنه بإسناده عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال: «یا جابر إذا کان یوم القیامه جمع اللّه عز و جل الأولین و الآخرین لفصل الخطاب دعی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و دعی أمیر المؤمنین علیه السّلام فیکسی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حله خضراء، تضیء ما بین المشرق و المغرب، و یکسی علی علیه السّلام مثلها و یکسی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حله وردیه یضیء لها ما بین المشرق و المغرب، و یکسی علی علیه السّلام مثله ثم یصعدان عندها، ثم یدعی بنا فیدفع إلینا حساب الناس، فنحن و اللّه ندخل أهل الجنه الجنه و أهل النار النار» ، الحدیث.

و فیه عن احتجاج الطبرسی رحمه اللّه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول فیه علیه السّلام: «و الناس یومئذ علی طبقات و منازل، فمنهم من یحاسب حسابا یسیرا، و ینقلب إلی أهله

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۵۶۸.

مسرورا، و منهم الذين يدخلون الجنه بغير حساب، لأنهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا بشىء، و إنما الحساب هناك على من تلبس بها هاهنا، و منهم من يحاسب على النقير و القطمير و يصير إلى عذاب السعير» .

و فى معالم الزلفى للسيد البحرانى (رضوان اللّه تعالى عليه و روحى فداه) عن طرائف السيد ابن طاووس فى طريقه بإسناده عن الحرث و سعيد بن بشير، عن على بن أبى طالب عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أنا واردكم، و أنت يا على الساقى، و الحسن الذائد و الحسين، و على بن الحسين الفارض، و محمد بن على الناشر، و جعفر بن محمد السائق، و موسى بن جعفر محصى المحبين و المبغضين و قامع المنافقين، و على بن موسى زين المؤمنين، و محمد بن على منزل أهل الجنه درجاتهم، و على بن محمد خطيب الشيعه مزوجهم الحور العين، و الحسن بن على سراج أهل الجنه يستضيئون به، و الهادى شفيعهم يوم القيامه حيث لا يأذن إلاّ لمن يشاء و يرضى» . قلت: و رأيت فى بعض الكتب فى الحديث المهدى بدل الهادى. أقول: لا ريب فى أن المراد من الهادى فى كلامه عليه السّلام هو بقيه اللّه تعالى (عج) عبّر عنه عليه السّلام بالهادى وصفا، و لعله تصحيف من الراوى.

و فيه عن البرسى، عن الأصبغ بن نباته، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: «أنا أخو رسول اللّه، و وارث علمه، و معدن حكمه، و صاحب سرّه، و ما أنزل اللّه حرفا فى كتاب من كتبه، إلاّ و قد صار إلىّ، و زادنى علم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامه. أعطيت علم الأنساب و الأسباب، و أعطيت ألف مفتاح، يفتح كل مفتاح ألف باب، و أمددت بعلم القدر، و إن ذلك يجرى إلى الأوصياء من بعدى ما جرى الليل و النهار، حتى يرث اللّه الأرض و من عليها و هو خير الوارثين، أعطيت الميزان و اللواء و الكوثر، أنا المقدم على بنى آدم يوم القيامه، أنا المحاسب للخلق، و أنا منزلهم منازلهم، أنا عذاب أهل النار، إلىّ ذلك من فضل اللّه علىّ» ، الخطبه.

و عنه روى البرقى فى كتاب الآيات عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: «يا على أنت ديّان هذه الأمه، و المتولى حسابها، و أنت الركن الأعظم، ألا و إن المآب إليك، و الحساب عليك، و الصراط صراطك، و الميزان ميزانك، و الموقف موقفك يومئذ» . هذا

و عنه قال: روى جابر بن عبد اللّه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «يا جابر عليك بالبيان و المعانى، قال: فقلت: و ما البيان و المعانى؟ قال: فقال على عليه السّلام: أما البيان فهو أن تعرف اللّه سبحانه ليس كمثله شىء، فتعبده و لا تشرك به شيئا. و أما المعانى فنحن معانيه، و نحن جنبه و يده و لسانه، و أمره و حكمه، و كلمته و علمه، إذا شئنا شاء اللّه، و يريد اللّه ما نريده، فنحن المثانى الذى أعطاها اللّه نبينا، و نحن وجه اللّه الذى يتقلب فى الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين، و من جهلنا فأمامه سجين و لو شئنا خرقنا الأرض و صعدنا السماء، و إن إلينا إياب الخلق، ثم إنّ علينا حسابهم» .

و عنه روى المفضل بن عمر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى شرح هذه الآيات، فإنه قال سألته من هم؟ فقال: «يا مفضل من تراهم نحن، و اللّه هم إلينا راجعون، و علينا يعرضون، و عندنا يقفون، و عن حبنا يساءلون» .

و فيه ابن بابويه و محمد بن الحسن الصفار فى بصائر الدرجات، و سعد بن عبد اللّه القمى فى بصائر الدرجات بأسانيدهم عن أبى حمزه الثمالى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال لى: «يا أبا حمزه لا تضعوا عليا دون ما وضعه اللّه، و لا ترفعوه فوق ما رفعه اللّه، كفى عليا أن يقاتل أهل الكره و أن يزوج أهل الجنه» . أقول: قد دلت أحاديث كثيره على أنهم عليهم السّلام قدره اللّه و جنب اللّه و يد اللّه و هكذا، و هذه تدل على أن ذواتهم المقدسه هى حقيقه الأسماء الحسنى، التى يكون له تعالى، و معلوم أنه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد بها، فاللّه تعالى بهم يقضى فى الخلق فى الدنيا و الآخره قضيته، كما تقدم

عن توحيد الصدوق قول الصادق عليه السّلام

فی حدیث صحیح: و بهم یقضی قضیته، الظاهر فیما ذکرنا بل صریح فیه، کیف و لهم الولایه التکوینیه التی تقدم معناها، فحینئذ لا إشکال فی أن یکون إیاب الخلق إلیهم و حسابهم علیهم، مع أن الرجوع إلیه تعالی و الحساب علیه تعالی، لأنهم قدرته و أسماؤه، فیصح استناد ذلک إلیهم فی عین الاستناد إلیه تعالی، کما حقق فی محله فی شرح الأمر بین الأمرین، و قد تقدم. و کیف کان فهذه جمله من الأحادیث و هو کثیره جدّا، تدل علی أن إیاب الخلق إلیهم و حسابهم علیهم، و علی بیان مناصبهم، و علی کیفیه ذلک، و قد دلّت أحادیث أخر علی کیفیه ذلک.

ففی البحار (۱)عن تفسیر فرات بن إبراهیم، عن عبید بن کثیر معنعنا عن أبی هریره أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: «أتانی جبرئیل علیه السّلام فقال: أبشّرک یا محمد بما تجوز علی الصراط؟ قال: قلت: بلی، قال: تجوز بنور (اللّه ظ) و یجوز علی بنورک، و نورک من نور اللّه، و تجوز أمتک بنور علی، و نور علی من نورک، و من لم یجعل اللّه له نورا فما له من نور» .

و فیه عن الخصال، عن الصادق علیه السّلام عن آبائه، عن علی علیهم السّلام. . إلی أن قال: «فلا أزال واقفا علی الصراط أدعو و أقول: ربّ سلّم شیعتی و محبی و أنصاری، و من تولانی فی دار الدنیا» ، الحدیث.

و فیه عن کتاب فضائل الشیعه للصدوق عن الصادق عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «أثبتکم قدما علی الصراط أشدّکم حبّا لأهل بیتی» .

و فیه عن عقائد الصدوق، و قال النبی صلّی اللّه علیه و آله لعلی علیه السّلام: «یا علی إذا کان یوم القیامه، أقعد أنا و أنت و جبرئیل علی الصراط، فلا یجوز علی الصراط إلاّ من کانت معه براءه بولایتک» .

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۶۹.

و فیه عن أمالی الصدوق، عن محدوج بن زید الذهلی أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله آخی بین المسلمین، ثم قال: «یا علی أنت أخی، و أنت منی بمنزله هرون من موسی غیر أنه لا نبی بعدی، أ ما علمت یا علی أنه أول من یدعی به یوم القیامه یدعی بی، فأقوم عن یمین العرش فی ظلّه فأکسی حله خضراء من حلل الجنه، ثم یدعی بالنبیین بعضهم علی أثر بعض، فیقومون سماطین عن یمین العرش فی ظله، و یکسون حللا خضراء من حلل الجنه، ألا و إنی أخبرک یا علی أن أول من یدعی یوم القیامه یدعی بک هذا، لقرابتک منی، و منزلتک عندی، فیدفع إلیک لوائی، و هو لواء الحمد، فتسیر به بین السماطین. و إن آدم و جمیع من خلق اللّه یستظلون بظل لوائی یوم القیامه، و طوله مسیره ألف سنه، سنانه یاقوته حمراء قصبه فضّه بیضاء زجّه دره خضراء، له ثلاث ذوائب من نور، ذؤابه فی المشرق، و ذؤابه فی المغرب، و ذؤابه فی وسط الدنیا مکتوب علیها ثلاثه أسطر، الأول: بسم اللّه الرحمن الرحیم ، و الآخر: الحمد للّه ربّ العالمین و الثالث: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه ، طول کل سطر مسیره ألف سنه، و عرضه مسیره ألف سنه، فتسیر باللواء، و الحسن عن یمینک، و الحسین عن یسارک حتی تقف بینی و بین إبراهیم فی ظل العرش، فتکسی حله خضراء من حلل الجنه. ثم ینادی مناد من عند العرش: نعم الأب أبوک إبراهیم، و نعم الأخ أخوک علی، ألا و إنی أبشرک یا علی أنک تدعی إذا دعیت، و تکسی إذا کسیت، و تحیّا إذا حییّت» . أقول: و نظیر هذا الحدیث کثیر جدا. و کیف کان فقد دلت هذه الأحادیث المتضافره علی أن رجوع الخلق و إیابهم فی الدنیا لأمور دینهم و دنیاهم، و أحکام شرایعهم، و إصلاح معادهم بالعقائد الحقه، و الأعمال الصالحه، و الصفات الحمیده، و إصلاح معاشهم الدنیوی، بل و الأخروی، و أیضا رجوعهم إلیهم فی الآخره، لأجل الحساب و الشفاعه، کلها

يكون إليهم، و إلى ما يستفاد من كلامهم، و لهذه الجهات نرى رجوع الشيعه إلى مشاهدهم، للاستشفاع و التوسل بهم فى نجاح هذه الأمور، كما لا يخفى، و كذا حساب الخلق عليهم كما علمت، و لا استبعاد فى ذلك. ضروره أنه تعالى قد وكل بالعذاب و الحساب و الكتاب جمعا من الملائكه، كما نطقت به الآيات و الأحاديث فى الدنيا و الآخره، و من المعلوم أن الأئمه عليهم السّلام أفضل من الملائكه كما تقدم، بل علمت أن الملائكه علموا المعارف بتعليمهم، و خلقوا و أعطوا تلك القوى و المقامات من اللّه تعالى بواسطتهم تكوينا كما حقق فى محله. و ببيان آخر: إن لآل محمد صلّى اللّه عليه و آله فى كل شىء و كل نفس سرّا، و هذا السرّ هو حقيقه اسم اللّه، الذى يكون قوام ذلك الشىء و تلك النفس به، و هذا الاسم هو سبب ظهور هذا الشىء و وجوده كما

قال عليه السّلام:

«و بأسمائك التى ملأت أركان كل شىء»

، و قد علمت مرارا أنهم هم حقائق الأسماء الحسنى التى تكون للّه، فهم عليهم السّلام مظاهر لكل الأسماء الحسنى الإلهيه، فلجامعيتهم لتلك الأسماء و مظهريتهم بها، شملوا جميع الموارد الجزئيه لتلك الأسماء، و لهذه الجهه يكون رجوع الخلق إليهم و حسابهم عليهم، لأن قوامهم بهم عليهم السّلام لهذا السرّ. و لهذه الجهه أيضا يكونون عليهم السّلام شهداء على الخلق يوم القيامه، و ذلك لإحاطتهم و علمهم عليهم السّلام بهم، و هذا هو معنى كونهم عليهم السّلام خلفاء اللّه فى أرضه و سمائه بلحاظ هذا السرّ، و بهذه الجهه أيضا كانوا عليهم السّلام معاذ الخلق و ملاذهم لكل شده، و مرجعهم فى كل شبهه، و مستسقيهم فى كل العلوم، هذا و قد تقدم ما يستفاد منه أنه تعالى أجل و أعظم من أن يبرز للخلق، ليحاسب لهم و عليهم بنفسه، لعدم سعه عالم الإمكان مطلقا فى الدنيا و الآخره، و فى جميع عوالم الوجود، لبروزه و ظهوره جلّ جلاله و عظم شأنه، فلا بد من نصب خليفه يباشر حسابهم. هذا و قد علم عدم قابليه أحد للخلافه منه تعالى من أول الخلق إلى انقضاء العوالم إلاّ آل محمد (صلوات اللّه عليهم أجمعين) كيف و هم الذين قد خلقهم اللّه من

نور عظمته، و اصطفاهم بعلمه و ارتضاهم لغيبه و اختارهم لسرّه، و اجتباهم بقدرته، و أعزهم بهداه، و خصهم ببرهانه، و انتجبهم لنوره، و أيدهم بروحه، و رضيهم خلفاء فی أرضه و حججا على بريته، و قد تقدم شرح هذه الجمل بما يعلم منه سعه وجودهم، و تحقق مبادى الخلق مطلقا فيهم، فتمام مراتب الوجود بما لها من الشئون من أوله إلى آخره، قد صارت فعليه فی عوالمهم عليهم السّلام فهم أركان التوحيد، و عناصر الأبرار، و دعائم الأخيار مما تقدم من شرحها. و الحاصل: أنه لما كانوا عليهم السّلام وجه اللّه الذى لا يفنى و لا يهلك، و الذى توجه الأولياء إليه تعالى، فلازمه أن مسير كل موجود من الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان و الملك متوجه إليهم عليهم السّلام و مستفيضه منه تعالى بهم، لأنهم باب اللّه تعالى تكوينا و تشريعا كما مرّ مرارا، و مثلهم عليهم السّلام فی هذا كمثل الأشعه من السراج، فإن كل جزء منها متوجه إلى الشعله المضيئه، التى هى وجه النار الغائبه، و الظاهره بتلك الشعله، و تلك النار لا تدرك، و ليس لتلك الأشعه المشيره تحقق و لا وجود، إلّا بذلك التوجه إلى الشعله، لأنّها هى وجه النار الغائبه، و هى التى تمدّ الأشعه بما به بقائها. فالأئمه عليهم السّلام هم الشعله الإلهيه و الوجهه الألوهيه قال تعالى: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰاةٍ فِيهٰا مِصْبٰاحٌ اَلْمِصْبٰاحُ فِی زُجٰاجَةٍ اَلزُّجٰاجَةُ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّیٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبٰارَكَةٍ (1)و ساير الخلق بمراتبهم كالأشعه لهذه الشعله الإلهيه، فهم عليهم السّلام يمدّونهم بما به بقاؤهم، لأنهم عليهم السّلام وجه اللّه، الذى هو غايب عن الأبصار، و الظاهر بتلك الشعله أى أنوار محمد و آله الطاهرين، و الخلق أشعتهم يستضيئون بها و يستمدون منها. فهم عليهم السّلام الوسائط بهذا المعنى بين اللّه تعالى و جميع الخلق، فلا محاله يكون

1- 1) النور:35.

رجوع الخلق إليهم و حسابهم عليهم، بل هذا الرجوع و الحساب يكون دائما متحققا بينهم عليهم السّلام و بينهم، إلّا أنه يوم القيامه يظهر ذلک للخلق علنا، كما لا يخفى على أولى البصيره و الألباب بحقائق ولايه محمد و آله الطاهرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين و روحى لهم الفداء) هذا و الحمد للّه رب العالمين أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله عليه السّلام: و فصل الخطاب عندكم.

فى المجمع: قوله تعالى: وَ آتَيْنٰاهُ اَلْحِكْمَهَ وَ فَصْلَ اَلْخِطٰابِ (۱)الخطاب هو توجه الكلام نحو الغير للإفهام، و قد ينقل إلى الكلام الموجه نحو الغير، و فصل الخطاب هو الفصل بين اثنين،

و عن الرضا عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «و أوتينا فصل الخطاب فهل فصل الخطاب إلّا معرفه اللغات؟ !» و فيه أيضا بعد هذه الآيه المباركه قيل: هو (أى فصل الخطاب) أما بعد، و قيل: البينه على الطالب و اليمين على المطلوب، و قيل: الفهم فى الحكومات و الفصل فى الخصومات. و فى مجمع البيان: إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، هذا جواب القسم، يعنى أن القرآن يفصل بين الحق و الباطل بالبيان عن كل واحد منهما، و روى ذلک عن الصادق عليه السّلام. قال بعض الأعاظم رحمه اللّه: الفصل إبانه أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجه، و التعبير بالفصل، و المراد الفاصل للمبالغه كزيد عدل، انتهى. و قيل: فصل الخطاب من باب إضافه الصفه إلى الموصوف، أى الخطاب الفاصل بين الحق و الباطل. و قيل: فصل الخطاب هو فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل. و قيل: الكلام المفصول الذى لا يشتبه على السامع.

۱- ۱) سوره ص:۲۰.

و فی المحکی عن جوامع الجامع، عن علی علیه السّلام فهو قول البینه علی المدعی و الیمین علی المدعی علیه، و فی المحکی عن الکشاف، و قیل للکلام البین: فصل، بمعنی المفصول کضرب الأمیر، لأنهم قالوا: کلام ملتبس (و فی کلامه لبس) و الملتبس المختلط. فقیل فی نقیضه فصل أی مفصول بعضه عن بعض، فمعنی فصل الخطاب البین من الکلام الملخص، الذی بیّنه من یخاطب به لا یلتبس علیه. و من فصل الخطاب و ملخصه أن لا یخطی صاحبه مظان الفصل و الوصل، فلا تقف فی کلمه الشهاده علی المستثنی منه و لا یتلو قوله: فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ (۱)إلاّ موصولا بما بعده، و لا وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ ، حتی یصله بقوله: لا تَعْلَمُونَ و نحو ذلک، و کذا مظان العطف و ترکه و الإضمار و الإظهار و الحذف و التکرار. و إن شئت کان الفصل بمعنی الفاصل کالصوم و الزور، و أردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب، الذی یفصل بین الصحیح و الفاسد، و الحق و الباطل، و الصواب و الخطأ و هو کلامه فی القضایا و الحکومات و تدابیر الملک و المشورات.

و عن علی بن أبی طالب علیه السّلام هو قوله: البینه علی المدعی و الیمین علی المدعی علیه، و هو من الفصل بین الحق و الباطل، و یدخل فیه قول بعضهم: أما بعد، لأنه یفتح إذا تکلم فی الأمر، الذی له شأن بذکر اللّه و تحمیده، فإذا أراد أن یخرج إلی الغرض المسوق إلیه فصّل بینه و بین ذکر اللّه بقوله: أما بعد، و یجوز أن یراد بالخطاب الفصل الذی لیس فیه اختصار مخل و لا إشباع ممل، و منه ما جاء فی صفه کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فصل لا نزر و لا هذر، انتهی. و هنا أحادیث دلت علی أن فصل الخطاب عندهم علیهم السّلام.

ففی تفسیر نور الثقلین (۲)فی عیون الأخبار بإسناده إلی أبی الصلت الهروی

۱- ۱) الماعون:۴.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۴۴۴.

قال: كان الرضا عليه السّلام يكلم الناس بلغاتهم، و كان و اللّه أفصح الناس و أعلمهم بكل لسان و لغه، فقلت له يوما: يا بن رسول اللّه إنى لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها! فقال: «يا أبا الصلت أنا حجه اللّه على خلقه، و ما كان اللّه ليتخذ حجه على قوم، و هو لا يعرف لغاتهم، أ و ما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: أوتينا فصل الخطاب، فهل فصل الخطاب إلاّ معرفه اللغات» .

و فيه فى كتاب الخصال بإسناده إلى الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله علمنى ألف باب من الحلال، و الحرام مما كان و ما يكون إلى يوم القيامه، كل باب منها يفتح ألف باب، حتى علمت المنايا و البلايا و فصل الخطاب» .

و فيه فى كتاب كمال الدين و تمام النعمه عن يزداد بن إبراهيم، عمّن حدثه من أصحابنا، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «و اللّه لقد أعطانى اللّه تبارك و تعالى تسعه أشياء لم يعطها أحد قبلى خلا النبى صلّى اللّه عليه و آله لقد فتحت لى السبل، و علمت الأسباب، و أجرى لى السحاب، و علمت المنايا و البلايا و فصل الخطاب» ، الحديث. أقول: و مثلها كثير كما لا يخفى.

و عن تفسير فرات، عن الباقرين عليهما السّلام قالا: «نحن فصل الخطاب و دلاله الخير» .

و عن المناقب، عن على عليه السّلام قال: «أنا فصل القضاء» .

و فى بعض زيارات الأمير عليه السّلام:

«صلّ على على فصل قضائك بين خلقك» .

و فى بعضها:

«يا فاصل الحكم و الناطق بالصواب» .

و فى بعضها:

«يا فصل الخطاب» . إذا علمت هذا فنقول: لا ريب فى أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام و فاطمه الزهراء (سلام اللّه عليها) لهم مقام معلوم عند اللّه تعالى، و هو أنه تعالى منحهم علمه، و هو

العلم بحقائق الأشياء، و أنه تعالى أشهدهم خلقها و حملهم علمه، و علمهم الأسماء الحسنى، التى بها قوام حقائق الأشياء كلها، فالأشياء كلها بلا استثناء بحقائقها تكون مكشوفه عندهم عليهم السّلام و علمهم بالنسبه إليها يكون نافذا فيها، و لا يعزب عنهم منها شيء، كل ذلک بتعليمه تعالى إياهم بالقرآن.

ففى تفسير القمى فى قوله تعالى: أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ اَلْكِتٰابَ مُفَصَّلاً (١)قال: يعنى التفصيل بين الحق و الباطل مبينا كلا منهما. أقول: أى مميزا بين الحق و الباطل. و لا ريب فى أن القرآن بحقيقته فيهم و عندهم قال تعالى: بَلْ هُوَ آيٰاتٌ بَيِّنٰاتٌ فِى صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (٢)و المراد منه صدورهم عليهم السّلام كما صرحت به الأخبار، و قد تقدم بعضها، و علمت فى مطاوى الشرح مرارا، كيف و إن نسخه أعمال كلّ نفس بجميع شئونها التى هى مرتبه خاصه من اسم اللّه، التى هى مصدر تمام المراتب فى كل النفوس، بل و كل الأشياء تكون عندهم لاشتمال مباديهم عليهم السّلام على تمام مراتب اسم اللّه تعالى من الكليه و الجزئيه، التى تكون أركان كل شيء، و يكون قوام كل شيء بها، كما علمت هذا فيما سبق مرارا. فلازم هذه الأمور أنه لا يشتبه عليهم الحق من الباطل، لا بوجودهما الواقعى، و لا فى مقام البيان و التعبير و اللفظ، و من المعلوم أن الخطاب الفاصل بين الحق و الباطل، إنما يكون صادرا ممن له هذه الإحاطه العلميه بالواقعيات كما هى هى، و هذا مختص بهم عليهم السّلام فلا محاله يكون فصل الخطاب، و الخطاب الفاصل عندهم سواء فسّرت بالقرآن فإنه أحسن مصداق له لقوله تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (٣)و هو أصل فى كون خطاباتهم و كلامهم عليهم السّلام فصلا، أم فسرت بمعرفه اللغات كما فى

١- ١) الانعام:١١۴.

٢- ٢) العنكبوت:۴٩.

٣- ٣) الطارق:١٣.

کلام الرضا (روحی لتراب نعله الفداء) فإنّ هذا من آثار إحاطتهم علیهم السّلام علما بحقائق الأمور. فمعرفتهم اللغه علیهم السّلام من أحد مصادیق فصل الخطاب، لعلمهم الشامل النافذ الموجب لفصل الخطاب کما لا یخفی، أو فسرت بتلک التفاسیر المتقدمه فإنها بأجمعها ترجع إلی ما ذکرنا من کون المتکلم لما کان عالما بحقائق الأمور، فلا محاله یکون کلامه فی الحکومات و غیرها فصلا، و الکلام الفصل بالنحو الأحسن الأتم یکون عندهم، و أما بالنسبه إلی غیرهم فإن حکم أو فصل بین الحق و الباطل فهو حکم و فصل علی الظاهر. ثم إن الفصل بین الحق و الباطل قد یکون فی الأمور العادیه کما ذکر بعضها صاحب الکشاف، و هذا القسم یکون لکثیر من الناس من ذوی العلم و الفهم و الذکاوه، و قد یکون فی الأمور العلمیه، و المعارف الإلهیه، و الدقائق المعنویه، فهذه بأجمعها بنحو الأتم تختص بهم علیهم السّلام، و أما غیرهم من سایر الناس من العلماء الربانیین، فکلامهم فصل بقدر علمهم بحقائق الأمور، ففی الحقیقه لا یکون کلامهم فصلا من حیث الواقع النفس الأمری لعدم إحاطتهم به هکذا لما علمت من أن هذا مختص بهم علیهم السّلام فلا محاله لا تطلق علی غیرهم علیهم السّلام إن کلامهم فصل بقول مطلق إلّا بالنسبه إلیهم علیهم السّلام. و إلی هذه النکته یشیر

قوله علیه السّلام: و فصل الخطاب ، أی بقول مطلق عندکم فإنه محمول علی الفرد الکامل، و بهذا اللحاظ کان هذا الأمر من مختصاتهم، کما قال أمیر المؤمنین فی الخبر المتقدم عن الأصبغ و کذا فی غیره فلا یقال: إن فصل الخطاب قد یکون لغیرهم کما علمت من کلام صاحب الکشاف و غیره، لما علمت من أن ما کان لغیرهم مضافا إلی أنه یکون فی الأمور العادیه، التی لا یعسر تمییز حقها عن باطلها، إنما یکون بالنسبه إلی علمهم و إحاطتهم، لا بالنسبه إلی حقیقه ذلک الشیء فی نفسه.

ص :۵۳

ففی الحقیقه لا یکون کلامهم (أی غیر الأئمه علیهم السّلام) فصلا بالنظر إلی واقع الأمر فی المعارف الإلهیه کما لا یخفی، بل یمکن أن یقال: إن أیّ کلام فصل وجد فی کلام غیرهم، فهو فی الحقیقه مأخوذ منهم علیهم السّلام إما بالتعلیم منهم علیهم السّلام أو بمتابعتهم فی بیان حکم ذلک الأمر مثلا کما لا یخفی، و قد دلت علیه أحادیث کثیره مثل

قوله علیه السّلام: فما کان من حق فهو من علی علیه السّلام. و عن المجلسی الأول رحمه اللّه: و فصل الخطاب عندکم، أی الخطاب الذی یفصل به بین الحق و الباطل، کما کان أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الوقایع و الأحکام، فإنه کان یحکم فی کل واقعه بخلاف حکمه فی الأخری،

و روی عنهم علیهم السّلام: «إن للّه تعالی فی کل واقعه حکما خاصا بها» . أقول: المراد من قوله: بخلاف حکمه فی الأخری، هو ما أشار إلیه بعده من قوله: إن للّه تعالی حکما فی کل واقعه. . . إلخ، و مرجعه إلی أن له تعالی و له علیه السّلام فی کل واقعه حکما یفصل به بین الحق و الباطل، و إن کان ربما یتراءی فی الظاهر اختلاف بین الحکمین فصاعدا مثلا، فإنه اختلاف صوری یرتفع لو اطلع الإنسان علی الواقع. و إلی هذا و توضیحه یشیر

ما فی الکافی (1)بإسناده عن عبد اللّه بن سلیمان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألته عن الإمام فوض إلیه کما فوض إلی سلیمان بن داود؟ فقال: «نعم و ذلک أن رجلا سأله عن مسأله فأجابه فیها، و سأله آخر عن تلک المسأله فأجابه بغیر جواب الأول، ثم سأله آخر فأجابه بغیر جواب الأولین، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن (أو أعط) بغیر حساب و هکذا هی قراءه علی علیه السّلام. قال: قلت: أصلحک اللّه فحین أجابهم بهذا الجواب یعرفهم الإمام؟ قال:

۱- ۱) الکافی ج ۱ ص ۴۳۸.

سبحان اللّه أ ما تسمع اللّه يقول: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ (۱)و هم الأئمه علیهم السّلام و إِنَّها لَبِسَبِیلٍ مُقِیمٍ (۲)لا یخرج منها أبدا، ثم قال لی، نعم إن الإمام إذا أبصر إلی الرجل عرفه و عرف لونه، و إن سمع کلامه من خلف حائط عرفه و عرف ما هو إن اللّه یقول: وَ مِنْ آیاتِهِ خَلْقُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلاٰفُ أَلْسِنَتِکُمْ وَ أَلْوٰانِکُمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْعٰالِمِینَ (۳)و هم العلماء فلیس یسمع شیئا من الأمر ینطق به إلاّ عرفه، ناج أو هالک فلذلک یجیبهم بالذی یجیبهم» . أقول:

فقوله علیه السّلام: فلیس یسمع شیئا. . . إلخ، یشیر إلی أنهم علیهم السّلام عالمون بواقع الأمر و القضایا، فیحکمون فی کل واقعه بما یرونه من حکم اللّه فیه، و إن کانت الواقعتان متساویتین فی الموضوع و المحمول فإنهما مختلفتان فی الجهات الواقعیه، و لذا یحکمون لکل منهما بحکم تخصه کما لا یخفی. و هنا کلام و هو أنه یستفاد مما مر من الروایات و الزیارات مثل

قوله علیه السّلام: أنا فصل القضاء، أو

صلّ علی فصل قضائک

، و نحوهما، أنهم علیهم السّلام مضافا إلی أنهم یفرقون بین الحق و الباطل فی جمیع الأمور لا سیما الأحکام، إنما صاروا فصل الخطاب بلحاظ أن ولایتهم مفصل الحق عن الباطل، و بهم علیهم السّلام و بولایتهم یتمیز المحق من المبطل، و الصواب من الخطإ، و الهدایه من الضلاله، و الإیمان من الکفر، إذ مناط ذلک الفرق و التمییز هو حبهم و ولایتهم و عرفان حقهم علیهم السّلام و یوضح هذا زیاده تفسیر الحق بولایتهم علیهم السّلام، و معلوم أن فصل الخطاب، أو فصل القضاء إنما هو بالحق. و لعمری إن هذا یظهر من کثیر من الأخبار الخارجه عن حدّ الإحصاء تصریحا و تلویحا کما لا یخفی علی أهل الولایه.

۱- ۱) الحجر:۷۵.

۲- ۲) الحجر:۷۶.

۳- ۳) الروم:۲۲.

[۳۳]قوله علیه السّلام: و آیات اللّه لدیکم

أقول: آیات جمع آیه و هی بمعنی العلامه، و قد یراد بها العبره و العجائب، و عن الجوهری: الآیه: العلامه، و الأصل أویه (بالتحریک) و جمع الآیه آی و آیات. قال فی المجمع: و الآیه من القرآن. قیل: کل کلام متصل إلی انقطاعه. و قیل: ما یحسن السکوت علیه. و قیل: هی جماعه حروف من قولهم: خرج القوم بآیتهم، أی بجماعتهم، انتهی. و قیل: سمیت الآیه من القرآن آیه، لأنها علامه لانقطاع کلام من کلام، أو لکون نظام کل منها علامه من اللّه سبحانه و تعالی. أقول: التعاریف المذکوره للآیه کلها غیر مطرده و لا منعکسه کما لا یخفی، و قد أعیی فکر الکثیر عن تعریفه الجامع المانع و لم یأتوا بشیء، هذا مع أن المفهوم منها بالنسبه إلی آیات القرآن بدیهی، و لعل الذی أتعب بعضهم فی تفسیرها هو أنهم ظنوا بأنه لا بد من امتیاز الآیات کل منها عن الآخر بحیث یکون کل فرد منها مثلا فردا یصدق علیه أنه آیه بوحده مع أنه إلزام بلا ملزم. و الظاهر (و اللّه العالم) أن الآیه بما لها من المعنی العام هو العلامه، و هی إما فی اللفظ أو فی المعنی، فالألفاظ بلحاظ تألیفها الداله علی حسن النسق و الفصاحه و البلاغه بنحو یعجز عن إتیان مثلها الثقلان، فهی آیات دلت و أعلمت أنها من اللّه تعالی، و أما معانی القرآن فالأمر بالنسبه إلیها أظهر، فإنها بلحاظ دلالتها علی الحقائق و المعارف و الحکم، و الصفات الربوبیه، و غوامض العلم، و التوحید و شئونه أعلنت و دلت علی أنها آیات من لدن حکیم خبیر، فالآیات القرآنیه آیات بلحاظ علامتیها و دلالتها علی تلک الأمور الشامخه الخارجه عن طوق البشر، فبهذا اللحاظ أطلقت علیها الآیه. و لا ینظر فی إطلاق الآیه علیها إلی خصوصیات کیفیه الأداء، بأن یکون کلامه

منقطعا بعضها عن بعض بنحو يحسن السكوت عليه، أو بلحاظ الجماعه من الحروف، أو بلحاظ اتصاله إلى انقطاعه، فإن هذه الأمور غير دخيله فى صدق الآيه عليها حتى يبحث عنها، نعم يقع فيما به التميز لتعداد الآيه. و بعباره أخرى: فى بيان المناط لتشخيص الآيه بحيث يمتاز به عن الأخرى فى مقام العدد، و لعل التعاريف ناظره إلى هذه الجهه، و الظاهر أن المناط بكل واحد منها لهذه الجهه، و لا يترتب عليه كثير فائده بعد حفظ ظاهر الآيه، و تشخيص ظهور بعضها فيما سيقت الآيه لبيانه عن بعض بنحو حقق فى التفاسير فى مبحث حجيه ظواهر القرآن. و كيف كان فقد قال بعض الأعاظم: إن المراد من

قوله:

و آيات اللّٰه لديكم

، هى المعجزات التى أعطيت جميع الأنبياء عليهم السّلام و غيرها التى كانت بأيديهم عليهم السّلام و يظهرونها بحسب المصالح، أو الآيات القرآنيه كما أنزلت مع تفاسيرها، و محل نزولها، و ناسخها و منسوخها و غير ذلک، أو الأعم لو لم يدخل الآيات فى المعجزات، و إلاّ فكل آيه بما فيها من الحقائق الكثيره تدل على أنها من اللّٰه تعالى و على صدق من أرسل إليه و من بينها، و كتب العامه و الخاصه مشحونه بذكر معجزاتهم مع أن ما وصل إلينا بالنظر إلى ما لم يصل إلينا ما تعرضت له الكتب و المصادر من حرف و تحريف. . كالقطره بالنظر إلى البحر، و كذا ما أظهروه بالنسبه إلى ما لم يظهروه، انتهى. فنقول: قوله رحمه اللّٰه: هى المعجزات التى أعطيت جميع الأنبياء، و غيرها التى كانت بأيديهم. . إلخ، قد يقال: إن المراد هو أن المعجزات التى كانت تظهر على يد الأنبياء السابقين كانت لديهم، و كانوا عليهم السّلام يظهرونها على أيديهم بمثلها بحسب المصالح، و حينئذ فمعناه أنه كما كان الأنبياء لديهم من المعجزات، و كانوا يظهرونها حسب المصالح، فكذلک تكون تلک المعجزات بملاكها و أسبابها لدى الأئمه عليهم السّلام يظهرونها بحسب المصالح، فهى حينئذ كساير المعجزات تظهر منهم عليهم السّلام المختصه بهم بحيث لم

تکن للأنبیاء السابقین. و إلیه یشیر ما

فی الکافی (1)عن أبی حمزه الثمالی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «ألواح موسی علیه السّلام عندنا، و عصا موسی عندنا، و نحن ذریه النبیین» .

و فی حدیث بعده فی بیان أحوال القائم (عج) . . إلی أن قال: «و یحمل حجر موسی و هو وقر بعیر، فلا ینزل منزلا إلاّ انبعث عین منه، فمن کان جائعا شبع، و من کان ظامئا روی، فهو زادهم حتی ینزلوا النجف من ظهر الکوفه» .

و فیه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «خرج أمیر المؤمنین علیه السّلام ذات لیله بعد عتمه و هو یقول: همهمه همهمه و لیله مظلمه، خرج علیکم الإمام علیه قمیص آدم، و فی یده خاتم سلیمان و عصا موسی علیه السّلام» . و مثله غیره و هو کثیر من متفرقات الأحادیث و الأبواب. و قد یقال: إن المراد من کون معجزات الأنبیاء السابقین لدیهم (أی لدی الأئمه علیهم السّلام) هو أن الآیات التی هی المعجزات أظهرها اللّه تعالی بهم علیهم السّلام (أی بواسطه الأئمه علیهم السّلام) لأنبیائه السابقین لتصدیقهم فی إظهار أمر ولایتهم، فالأنبیاء لما ظهرت منهم المعجزات بواسطه الأئمه علیهم السّلام فصدقوا لذلک بولایتهم الإلهیه التکوینیه، أو أنه تعالی أظهرها لهم بهم علیهم السّلام لإعلاء کلمتهم أی الأئمه، و تأسیس مدائحهم التی تتلی بألسنه أعمال الخلائق و حرکات أجسامهم و نفوسهم و عقولهم. و بعباره أخری: أنه تعالی بجهه إجراء المعجزات للأنبیاء السابقین بتوسط الأئمه علیهم السّلام قد نشر ثناء الأئمه علیهم السّلام لهم (أی للأنبیاء) حیث إن الأئمه علیهم السّلام لهم المقام السنی التی تتلی بألسنه أعمال الخلائق. . إلخ، فبإجراء المعجزات بهم علیهم السّلام علی یدی الأنبیاء أظهر اللّه تعالی هذه الولایه التکوینیه العامه، التی تکون لهم علیهم السّلام فی عالم الوجود.

1- 1) الکافی ج 1 ص 231.

و حینئذ معنی أن آیات اللّه أی معجزات الأنبیاء لدیکم، و أنها لدیهم علیهم السّلام هو أنها (أی تلک المعجزات) صفاتهم الواقعیه و شأنهم الولوی و آثار أفعالهم الإلهیه، بل تلک المعجزات مظاهرهم کما صرح به أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الخطب التی نقلها الشیخ الحافظ البرسی رحمه اللّه من قوله علیه السّلام: «أنا کذا و أنا کذا» ، فراجع، فإن المستفاد منها أن تلک المعجزات، التی ظهرت فی الظاهر علی أیدیهم (أی الأنبیاء) إنما کانت فی الحقیقه منهم علیهم السّلام و من أمیر المؤمنین علیه السّلام. و کیف کان المستفاد من خواص الأخبار أن تلک المعجزات، بل جمیعها فی کل الأوقات هی مظاهرهم و صور أفعالهم و أمثالهم، و هی آیاتهم و صورهم و لا بأس بذکر خبر عن البحار یظهر منه ما ذکرنا.

ففیه (1)قال رحمه اللّه: أقول: ذکر والدی رحمه اللّه أنه رأی فی کتاب عتیق جمعه بعض محدثی أصحابنا فی فضائل أمیر المؤمنین علیه السّلام هذا الخبر، و وجدته أیضا فی کتاب عتیق مشتمل علی أخبار کثیره قال: روی عن محمد بن صدقه أنه قال: سأل أبو ذر الغفاری سلمان الفارسی (رضوان اللّه علیهما) : یا أبا عبد اللّه ما معرفه أمیر المؤمنین علیه السّلام بالنورانیه؟ قال: یا جندب فامض بنا حتی نسأله عن ذلک، قال: فأتیناه فلم نجده، قال: فانتظرناه حتی جاء، قال علیه السّلام: «ما جاء بکما؟ قال: جئناک یا أمیر المؤمنین نسألک عن معرفتک بالنورانیه. قال علیه السّلام: مرحبا بکما من ولیین متعاهدین لدینه لستما بمقصّرین، لعمری إن ذلک الواجب علی کل مؤمن و مؤمنه، ثم قال علیه السّلام: یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال علیه السّلام: إنه لا یستکمل أحد الإیمان حتی یعرفنی کنه معرفتی بالنورانیه، فإذا عرفنی بهذه المعرفه فقد امتحن اللّه قلبه للإیمان و شرح صدره للإسلام، و صار عارفا مستبصرا، و من قصّر عن معرفه ذلک فهو شاک و مرتاب، یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین.

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۱.

قال علیه السّلام: معرفتی بالنورانیه معرفه اللّه عز و جل، و معرفه اللّه عز و جل معرفتی بالنورانیه، و هو الدین الخالص الذی قال اللّه تعالی: وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ حُنَفٰاءَ وَ يُقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا اَلزَّكٰاةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ اَلْقَيِّمَهِ (۱)یقول: ما أمروا إلاّ بنبوه محمد صلّی اللّه علیه و آله و هو الدین الحنیفیه المحمدیه السمحه، و قوله: یقیمون الصلوه، فمن أقام ولایتی فقد أقام الصلوه، و إقامه ولایتی صعب مستصعب لا یحتمله إلاّ ملک مقرب أو نبی مرسل أو مؤمن امتحن اللّه قلبه للإیمان، فالملک إذا لم یکن مقربا لم یحتمله، و النبی إذا لم یکن مرسلا لم یحتمله، و المؤمن إذا لم یکن ممتحنا لم یحتمله. قلت: یا أمیر المؤمنین من المؤمن، و ما نهایته، و ما حدّه حتی أعرفه؟ قال علیه السّلام: یا أبا عبد اللّه. قلت: لبیک یا أخا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. قال: المؤمن الممتحن هو الذی لا یرد من أمرنا إلیه شیء إلاّ شرح صدره لقبوله، و لم یشک و لم یرتب، اعلم یا أبا ذر أنا عبد اللّه عز و جل و خلیفته علی عباده، لا تجعلونا أربابا و قولوا فی فضلنا ما شئتم، فإنکم لا تبلغون کنه ما فینا و لا نهایته، فإن اللّه عز و جل قد أعطانا أکبر و أعظم مما یصفه و أصفکم، أو یخطر علی قلب أحدکم، فإذا عرفتمونا هکذا فأنتم المؤمنون. قال سلمان: قلت: یا أخا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من أقام الصلوه أقام ولایتک؟ قال: نعم یا سلمان تصدیق ذلک قوله تعالی فی الکتاب العزیز: وَ اِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ اَلصَّلاٰةِ وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ إِلاّٰ عَلَى اَلْخٰاشِعِينَ (۲)، فالصبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الصلوه إقامه ولایتی، فمنها قال تعالی: وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ و لم یقل: و إنهما لکبیره، لأن الولایه کبیر حملها إلاّ علی الخاشعین، و الخاشعون هم الشیعه المستبصرون، و ذلک

۱- ۱) البینه:۵.

۲- ۲) البقره:۴۵.

لأن أهل الأقاويل من المرجئه و القدريه و الخوارج و غيرهم من الناصبيه يقرّون لمحمد صلّى اللّه عليه و آله ليس بينهم خلاف، و هم مختلفون فى ولايتى منكرون لذلك جاحدون بها، إلاّ القليل و هم الذين وصفهم اللّه فى كتابه العزيز فقال: إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلاّ عَلَى اَلْخاشِعِينَ (۱)و قال اللّه تعالى فى موضع آخر فى كتابه العزيز فى نبوه محمد صلّى اللّه عليه و آله و فى ولايتى فقال عز و جل: وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَهٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ (۲)فالقصر محمد صلّى اللّه عليه و آله و البئر المعطله ولايتى عطلوها و جحدوها، و من لم يقر بولايتى لم ينفعه الإقرار بنبوه محمد صلّى اللّه عليه و آله إلاّ أنهما مقرونان، و ذلك أن النبى صلّى اللّه عليه و آله نبى مرسل و هو إمام الخلق، و على من بعده إمام الخلق و وصى محمد صلّى اللّه عليه و آله كما قال له النبى صلّى اللّه عليه و اله: أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنه لا نبى بعدى، و أولنا محمد و أوسطنا محمد و آخرنا محمد، فمن استكمل معرفتى فهو على الدين القيم كما قال اللّه تعالى: وَ ذٰلِكَ دِينُ اَلْقَيِّمَهِ (۳)و سأبيّن ذلك بعون اللّه و توفيقه. «يا سلمان و يا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات اللّه عليك، قال: كنت أنا و محمد نورا واحدا من نور اللّه عز و جل، فأمر اللّه ذلك النور أن يشق، فقال للنصف: كن محمدا، و قال للنصف: كن عليّا، فمنها قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: على منى و أنا من على، و لا يؤدى عنى إلاّ على، و قد وجّه أبا بكر ببراءه إلى مكه، فنزل جبرئيل عليه السّلام فقال: يا محمد، قال: لبيك، قال: إن اللّه يأمرك أن تؤدّيها أنت أو رجل عنك، فوجّهنى فى استرداد أبى بكر فرددته، فوجد فى نفسه و قال: يا رسول اللّه أنزل فىّ القرآن، قال: لا، و لكن لا يؤدى إلاّ أنا أو على. يا سلمان و يا جندب، قالا: لبيك يا أخا رسول اللّه، قال عليه السّلام: من لا يصلح لحمل صحيفه يؤديها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كيف يصلح للإمامه؟ يا سلمان و يا جندب فأنا

۱- ۱) البقره:۴۵.

۲- ۲) الحج:۴۵.

۳- ۳) البينه:۵.

و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كنّا نورا واحدا صار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله محمد المصطفى، و صرت أنا وصيه المرتضى، و صار محمد الناطق، و صرت أنا الصامت، و إنه لا بد فى كل عصر من الأعصار أن يكون فيه ناطق و صامت، يا سلمان صار محمد المنذر، و صرت أنا الهادى، و ذلك قوله عز و جل: إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ (۱)فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المنذر و أنا الهادى. اَللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ وَ مٰا تَغِيضُ اَلْأَرْحٰامُ وَ مٰا تَزْدٰادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ . عٰالِمُ اَلْغَيْبِ وَ اَلشَّهٰادَةِ اَلْكَبِيرُ اَلْمُتَعٰالِ. سَوٰاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ اَلْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سٰارِبٌ بِالنَّهٰارِ. لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اَللّٰهِ. . . (۲)قال: فضرب عليه السّلام بيده على الأخرى و قال: صار محمد صاحب الجمع، و صرت أنا صاحب النشر، و صار محمد صاحب الجنه، و صرت صاحب النار أقول لها: خذى هذا و ذرى هذا، و صار محمد صلّى اللّه عليه و آله صاحب الرجعه، و صرت أنا صاحب الهدّه، و أنا صاحب اللوح المحفوظ، ألهمنى اللّه عز و جل علم ما فيه. نعم يا سلمان و يا جندب، و صار محمد يس وَ اَلْقُرْآنِ اَلْحَكِيمِ ، و صار محمد ن وَ اَلْقَلَمِ ، و صار محمد طه مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ ، و صار محمد صاحب الدلالات، و صرت أنا صاحب المعجزات و الآيات، و صار محمد خاتم النبيين، و صرت أنا خاتم الوصيين، و أنا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ ، و أنا النبأ العظيم اَلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ، و لا أحد اختلف إلاّ فى ولايتى، و صار محمد صاحب الدعوه، و صرت أنا صاحب السيف، فصار محمد نبيّا مرسلا، و صرت أنا صاحب أمر النبى صلّى اللّه عليه و آله قال اللّه عز و جل: يُلْقِي اَلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ (۳)و هو روح اللّه لا يعطيه و لا يلقى هذا الروح إلاّ على ملك مقرب أو نبى مرسل أو وصى منتجب. فمن أعطاه اللّه هذا الروح، فقد أبانه من الناس، و فوض إليه القدره و إحياء

ص: ۶۲

۱- ۱) الرعد:۷.

۲- ۲) الرعد:۸-۱۱.

۳- ۳) غافر:۱۵.

الموتی، و علم ما کان و ما یکون، و سار من المشرق إلی المغرب، و من المغرب إلی المشرق فی لحظه عین، و علم ما فی الضمائر و القلوب، و علم ما فی السموات و الأرض، یا سلمان و یا جندب، و صار محمد الذکر الذی قال اللّه عز و جل: قَدْ أَنْزَلَ اَللّٰهُ إِلَیْکُمْ ذِکْراً. رَسُولاً یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیٰاتِ اَللّٰهِ (۱). إنی أعطیت علم المنایا و البلایا، و فصل الخطاب، و استودعت علم القرآن و ما هو کائن إلی یوم القیامه، و محمد صلّی اللّه علیه و آله أقام الحجه حجه للناس، و صرت أنا حجه اللّه عز و جل، جعل اللّه لی ما لم یجعل لأحد من الأولین و الآخرین لا لنبی مرسل و لا لملک مقرب، یا سلمان و جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال علیه السّلام: أنا الذی حملت نوحا فی السفینه بأمر ربی، و أنا الذی أخرجت یونس من بطن الحوت بإذن ربی، و أنا الذی جاوزت بموسی بن عمران البحر بإذن ربی، و أنا الذی أخرجت إبراهیم من النار بإذن ربی، و أنا الذی أخرجت أنهارها، و فجرت عیونها، و غرست أشجارها بإذن ربی. و أنا عذاب یوم الظله، و أنا المنادی من مکان قریب، قد سمعه الثقلان الجن و الإنس و فهمه قوم، إنی لأسمع کل قوم، الجبارین و المنافقین بلغاتهم، و أنا الخضر عالم موسی، و أنا معلم سلیمان بن داود، و أنا ذو القرنین، و أنا قدره اللّه عز و جل، یا سلمان و یا جندب أنا محمد و محمد أنا، و أنا من محمد و محمد منّی، قال اللّه تعالی: مَرَجَ اَلْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیٰانِ. بَیْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ یَبْغِیٰانِ (۲). یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال: إن میتنا لم یمت، و غائبنا لم یغب، و إن قتلانا لن یقتلوا، یا سلمان و یا جندب، قالا: لبیک صلوات اللّه علیک، قال علیه السّلام: أنا أمیر کل مؤمن و مؤمنه ممن مضی و ممن بقی، و أیدت بروح العظمه، و إنما أنا عبد من عبید اللّه، لا تسمونا أربابا و قولوا فی فضلنا ما شئتم، فإنکم لن تبلغوا

۱- ۱) الطلاق:۱۰ و ۱۱.

۲- ۲) الرحمن:۱۹ و ۲۰.

من فضلنا كنه ما جعله اللّه لنا و لا معشار العشر، لأنا آيات اللّه و دلائله، و حجج اللّه، و خلفاؤه و أمناؤه و أئمته، و وجه اللّه، و عين اللّه، و لسان اللّه. بنا يعذب اللّه عباده، و بنا يثيب، و من بين خلقه طهرنا و اختارنا و اصطفانا، و لو قال قائل: لم و كيف و فيم، لكفر و أشرك لأنه لا يسأل عما يفعل و هم يسألون يا سلمان و يا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات اللّه عليك، قال عليه السّلام: من آمن بما قلت، و صدق بما بينت و فسرت و شرحت و أوضحت و نورت و برهنت فهو مؤمن ممتحن، امتحن اللّه قلبه للإيمان، و شرح صدره للإسلام، و هو عارف مستبصر، قد انتهى و بلغ و كمل، و من شكّ و عند و جحد و وقف و تحيّر و ارتاب فهو مقصر و ناصب. يا سلمان و يا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات اللّه عليك، قال عليه السّلام: أنا أحيي و أميت بإذن ربى، و أنا أنبئكم بما تأكلون و ما تدخرون فى بيوتكم بإذن ربى، و أنا عالم بضمائر قلوبكم. و الأئمه من أولادى عليهم السّلام يعلمون و يفعلون هذا إذا أحبّوا و أرادوا، لأنا كلنا واحد، أولنا محمد، و آخرنا محمد، و أوسطنا محمد، و كلّنا محمد، فلا تفرقوا بيننا، و نحن إذا شئنا شاء اللّه، و إذا كرهنا كره اللّه، الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا و خصوصيتنا، و ما أعطانا اللّه ربّنا، لأن من أنكر شيئا مما أعطانا اللّه، فقد أنكر قدره اللّه عز و جل و مشيّته فينا. يا سلمان و يا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات اللّه عليك، قال عليه السّلام: لقد أعطانا اللّه ربنا ما هو أجل و أعظم و أعلى و أكبر من هذا كلّه. قلنا: يا أمير المؤمنين ما الذى أعطاكم، ما هو أعظم و أجلّ من هذا كله؟ قال: قد أعطانا ربنا عز و جل علمنا للاسم الأعظم، الذى لو شئنا خرقت السموات و الأرض و الجنه و النار و نعرج به إلى السماء، و نهبط به الأرض، و نغرّب و نشرّق، و ننتهى به إلى العرش، فنجلس عليه بين يدى اللّه عز و جل، و يطيعنا كل شىء حتى السموات، و الأرض، و الشمس، و القمر، و النجوم، و الجبال، و الشجر،

و الدواب و البحار و الجنه و النار. أعطانا اللّه ذلک کله بالاسم الأعظم، الذی علمنا و خصّنا به، و مع هذا کله نأکل و نشرب، و نمشی فی الأسواق، و نعمل هذه الأشیاء بأمر ربنا، و نحن عباد اللّه المکرمون الذین لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون، و جعلنا معصومین مطهّرین، و فضّلنا علی کثیر من عباده المؤمنین، فنحن نقول: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِی هَدٰانٰا لِهٰذٰا وَ مٰا کُنّٰا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لاٰ أَنْ هَدٰانَا اَللّٰهُ. وَ لٰکِنْ حَقَّتْ کَلِمَهُ اَلْعَذٰابِ عَلَی اَلْکٰافِرِینَ ، أعنی الجاحدین بکل ما أعطانا اللّه من الفضل و الإحسان. یا سلمان و یا جندب فهذه معرفتی بالنورانیه، فتمسّک بها راشدا، فإنه لا یبلغ أحد من شیعتنا حدّ الاستبصار حتی یعرفنی بالنورانیه، فإذا عرفنی بها کان مستبصرا بالغا کاملا، قد خاض بحرا من العلم، و ارتقی درجه من الفضل، و اطّلع علی سرّ من سرّ اللّه و مکنون خزائنه» .
أقول: هذا إذا فسّرت الآیات بالمعجزات، و إن فسّرت بالآیات القرآنیه فمعناه: إن تفاسیرها المتعدده من ظاهر و ظاهر إلی سبعه، و من باطن و باطن باطن إلی سبعه، و من تأویل و باطن کذلک کلها عندهم علیهم السّلام و کذلک ما یراد منها من أمر و نهی، و دعاء و ترغیب و ترهیب، و قصص و أمثال و أخبار، و حدّ و مطلع، و عباره و إشاره، و تلویح و تصریح، و إیماء و مجمل و مبیّن، و عام و خاص، و ناسخ و منسوخ، و ماض و حال و مستقبل کلها عندهم، و أیضا قد یراد منها شیء لشیء، و شیء من شیء، و شیء إلی شیء، و شیء فی شیء، و شیء بشیء، و شیء بدل شیء، و هذه کلها علمها و معرفتها عندهم علیهم السّلام. و إلیه یشیر ما

فی قول الصادق علیه السّلام: «إنما یعرف القرآن من خوطب به» . و أیضا قد یراد منها الحقیقه أو المجاز، أو حقیقه بعد حقیقه، و مجاز بعد مجاز، و مجاز بعد حقیقه، و حقیقه بعد مجاز، و محکم و ظاهر، و متشابه و مرجوح و متساوی، و إبهام و إیهام، و اختیار و تعمیه، و فتنه و مخادعه و غیر ذلک مما اشتملت

علیه آیات القرآن فکلها عندهم. و الحاصل: أن علوم القرآن بأجمعها و أقسامها المذکوره عندهم علیه السّلام.

ففی المحکی عن العیاشی بإسناده عن حمران بن أعین، عن أبی جعفر علیه السّلام: «ظهر القرآن الذی نزل فیهم و بطنه الذین عملوا بمثل أعمالهم» . فهذه الروایه دلت علی أن القرآن ظهره هو بالنظر إلی الذین نزل فیهم، و هم مصداقه حین النزول، و بطنه من کانوا بمثلهم فی المتأخرین، فإنهم مصداق له باطنا و تأویلا، و بیان هذه مع ما قلنا من أقسامه کلها عندهم علیهم السّلام.

ففی الکافی (۱)باب أنه لم یجمع القرآن کله إلاّ الأئمه علیهم السّلام و أنهم یعلمون علمه کله، بإسناده عن جابر قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «ما ادّعی أحد من الناس أنه جمع القرآن کله کما أنزل إلاّ کذّاب، و ما جمعه و حفظه کما نزّله اللّه تعالی إلاّ علی بن أبی طالب علیه السّلام و الأئمه من بعده علیهم السّلام» .

و فیه عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام أنه قال: «ما یستطیع أحد أن یدعی أن عنده جمیع القرآن کله ظاهره و باطنه غیر الأوصیاء علیهم السّلام» . أقول: قال بعض الأعاظم رحمه اللّه:

قوله علیه السّلام: إن عنده القرآن کله. . إلخ ، الجمله و إن کانت ظاهره فی لفظ القرآن، و مشعره بوقوع التحریف فیه لکن تقییدها بقوله: ظاهره و باطنه، یفید أن المراد هو العلم بجمیع القرآن من حیث معانیه الظاهره علی الفهم العادی، و معانیه المستنبطه علی الفهم العادی. . . إلخ. أقول: بل المراد هو الإشاره إلی معانیه الباطنیه، التی لا تصل إلیه أوهام العقلاء، و إن بلغوا من العلم إلی منتهاه الظاهری، و إلیه یشیر قوله علیه السّلام: ما یستطیع أحد. . . إلخ، و لا نظر له علیه السّلام (و اللّه العالم) إلی مسأله التحریف، لأن قوله علیه السّلام: ظاهره، ظاهر فی أن ظاهره أیضا دقیق، و من حیث المجموع لا یکون مقدور أحد فی الاستظهار و الاستفاده کما هو المراد الإلهی، فتدبر.

۱- ۱) الکافی ج ۱ ص ۲۲۸.

و فیه عن سلمه بن محرز قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «إن من علم ما أوتینا تفسیر القرآن و أحکامه، و علم تغییر الزمان و حدثانه إذا أراد اللّه بقوم خیرا أسمعهم، و لو أسمع من لم یسمع لولی معرضا کأن لم یسمع، ثم أمسک هنیئه، ثم قال: و لو وجدنا أوعیه أو مستراحا لقلنا و اللّه المستعان» .

و فیه عن عبد الأعلی مولی آل سام قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «و اللّه إنی لأعلم کتاب اللّه، من أوله إلی آخره فی کفّی، فیه خبر السماء و خبر الأرض، و خبر ما کان و خبر ما هو کائن، تبیانا لکل شیء. أقول: هذا اقتباس منه علیه السّلام معنوی من قوله تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ اَلْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ (۱).

و فیه عن عبد الرحمن بن کثیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:

قٰالَ اَلَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اَلْکِتٰابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ

(۲)

قال: ففرّج أبو عبد اللّه علیه السّلام بین أصابعه فوضعها فی صدره ثم قال: «و عندنا و اللّه علم الکتاب کله» .

و فیه عن برید بن معاویه قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: قُلْ کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ (۳)قال: «إیانا عنی، و علی أولنا و أفضلنا و خیرنا بعد النبی صلّی اللّه علیه و آله» . أقول: بل یمکن أن یقال: إن المراد من الآیات فی

قوله علیه السّلام: و آیات اللّه لدیکم، هو جمیع الآیات النازله فی الکتب الإلهیه من القرآن و غیره.

ففی الکافی (۴)عن هشام بن الحکم فی حدیث بریه (أو بریهه کما فی سائر النسخ) أنه لما جاء معه إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام فلقی أبا الحسن موسی بن جعفر علیه السّلام فحکی له

۱- ۱) النحل:۸۹.

۲- ۲) النمل:۴۰.

۳- ۳) الرعد:۴۳.

۴- ۴) الکافی ج ۱ ص ۲۲۷.

هشام الحکایه، فلما فرغ قال أبو الحسن علیه السّلام لبریه: «یا بریه! کیف علمک بکتابک؟ قال: أنا به عالم، ثم قال: کیف ثقتک بتأویله؟ قال: ما أوثقنی بعلمی فیه، قال: فابتدأ أبو الحسن علیه السّلام یقرأ الإنجیل، فقال بریه: إیاک کنت أطلب منذ خمسین سنه أو مثلک، قال: فآمن بریه و حسن إیمانه، و آمنت المرأه التی کانت معه. فدخل هشام و بریه و المرأه علی أبی عبد اللّه علیه السّلام، فحکی له هشام الکلام الذی جری بین أبی الحسن موسی علیه السّلام و بین بریه، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اَللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ ، فقال بریه: أنّی لکم التوراه و الإنجیل و کتب الأنبیاء؟ قال: «هی عندنا وراثه من عندهم نقرؤها کما قرءوها، و نقولها کما قالوا، إن اللّه لا یجعل حجه فی أرضه، یسأل عن شیء فیقول لا أدری» . أقول: فمن هذا الحدیث و أضرابه یعلم أن جمیع الآیات و الکتب الإلهیه عندهم، کما حقق فی محله أیضا، و کیف کان فعندهم جمیع الآیات، کیف لا و إن جمیع الآیات الإلهیه فی الکتب المنزله إنما هی دلالات للأسماء الحسنی الإلهیه إلی اسم اللّه الأعظم، الذی لیس فی عالم الوجود شیء إلاّ و هو صوره منه، أو أثر من آثاره، و قد علمت مرارا

قولهم علیهم السّلام: «و اللّه نحن الأسماء الحسنی» ؟

ففی الکافی (۱)بإسناده عن جابر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اسم اللّه الأعظم علی ثلاثه و سبعین حرفا، و إنما کان عند آصف منها حرف واحد، فتکلم به فخسف بالأرض ما بینه و بین سریر بلقیس، حتی تناول السریر بیده، ثم عادت الأرض کما کانت أسرع من طرفه العین، و نحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان و سبعون حرفا، و حرف واحد عند اللّه تعالی استأثر به فی علم الغیب عنده، و لا حول و لا قوه إلاّ باللّه العلی العظیم» . أقول: و حینئذ فالآیات التی هی آثار للاسم الأعظم الذی هو عندهم تکون لدیهم بحقائقها و آثارها کما لا یخفی.

۱- ۱) الکافی ج ۱ ص ۲۳۰.

إذا علمت هذا فاعلم:

أنه ذكر المجلسی رحمه اللّه فی البحار عن الاحتجاج: جاء بعض الزنادقه إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام و قال: لو لا ما فی القرآن من الاختلاف و التناقض، لدخلت فی دینکم، فقال له علی علیه السّلام: و ما هو؟ فذکر آیات رأی تناقضها مع آیات أخری، فأجاب علیه السّلام عن کل منها بما یدفع به التناقض المتراءی فی النظر فی الظاهر، إلی أن قال علیه السّلام: «ثم إن اللّه جل ذکره بسعه رحمته و رأفته بخلقه، و علمه بما یحدثه المبدلون من تغییر کتابه قسم کلامه ثلاثه أقسام، فجعل قسما منه یعرفه العالم و الجاهل، و قسما لا یعرفه إلّا من صفا ذهنه، و لطف حسّه، و صحّ تمییزه ممن شرح اللّه صدره للإسلام، و قسما لا یعرفه إلّا اللّه و أمناؤه الراسخون فی العلم. و إنما فعل ذلک لئلا یدعی أهل الباطل من المستولین علی میراث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من علم الکتاب ما لم یجعله اللّه لهم، و لیقودهم الاضطرار إلی الایتمار لمن ولاه أمرهم، فاستکبروا عن طاعته تعززا و افتراء علی اللّه عز و جل، و اغترارا بکثره من ظاهرهم و عاونهم، و عاند اللّه جل اسمه و رسوله صلّی اللّه علیه و آله» الحدیث.

و فیه (1)عن التوحید بإسناده عن أبی معمر السعدانی: أن رجلا أتی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام فقال: یا أمیر المؤمنین إنی شککت فی کتاب اللّه المنزل، قال له علی علیه السّلام: «ثکلتک أمّک، و کیف شککت فی کتاب اللّه المنزل؟ فذکر موارد شکّه من الآیات التی رآها متناقضه مع الأخری، فأجاب علیه السّلام عنها. . . إلی أن قال: و لیس کل العلم یستطیع صاحب العلم أن یفسّره لکل الناس، لأن منهم القوی و الضعیف، و لأن منه ما یطاق حمله، و منه ما لا یطاق حمله، إلّا أن یسهّل اللّه له حمله، و أعانه علیه من خاصه أولیائه» ، الحدیث. فالمستفاد من هذین الحدیثین و أشباههما أن بعض الآیات خصوصا المتشابهات، لا یعلمها أحد إلّا اللّه و الراسخون فی العلم و هم الأئمه علیهم السّلام علی ما تأتی أحادیثه، و کذا بالنسبه إلی باطن القرآن و تأویله، فلا محاله یختص واقع الآیات

١- ١) الکافی ج ١ ص ١٢٧.

القرآنیه بهم فی المتشابهات، بل و فی المحکمات حسب ما یری من تفسیرهم علیهم السّلام لها باعتبار الحروف و سایر الجهات، کما ستأتی الإشاره إلیه، فیعلم منها أن الآیات بواقعها و حقائقها خصوصا فی المتشابهات و البطون منها إنما هی لدیهم، و أما غیرهم فإما لا یعلمونها کالقسم الثالث، الذی أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الحدیث الأول، و إما لا یعلمها إلّا من صفا ذهنه، إلی آخر ما ذکره علیه السّلام بل ربما لا یعلم معانی الآیه من کان ضعیفا فی الاحتمال کما ذکره علیه السّلام فی الحدیث الثانی، فحینئذ صح القول: إنّ آیات اللّه لدیهم. و حیث إن هذا بحث کثیر الفوائد لا بأس بتطویل الکلام فیه، لیتضح الحق فنقول: إنه قد وردت أحادیث کثیره بألسنه مختلفه علی أنه لا یجوز تفسیر القرآن بالرأی، بل لا بد من متابعه ما ورد من أهل بیت العصمه و الطهاره.

ففی البحار عن منیه المرید عن النبی صلّی اللّه علیه و آله: «من تکلم فی القرآن برأیه فأصاب فقد أخطأ» .

و عن الکافی، عن الصادق، عن أبیه علیهما السّلام قال: «ما ضرب القرآن بعضه ببعض إلّا کفر» .

و روی العامه عن ابن عباس، عن النبی صلّی اللّه علیه و آله أنه قال: «من قال فی القرآن بغیر علم فلیتبوء مقعده من النار» .

و فی البحار (1)عن أمالی الصدوق بإسناده عن الریان، عن الرضا علیه السّلام عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: قال اللّه جلّ جلاله: «ما آمن بی من فسّر برأیه کلامی، و ما عرفنی من شبّهنی بخلقی، و ما علی دینی من استعمل القیاس فی دینی» .

و فیه عن أمالی الصدوق و التوحید و عیون أخبار الرضا علیه السّلام بإسناده عن الهروی قال: قال الرضا علیه السّلام لعلی بن محمد الجهم: «لا تتأوّل کتاب اللّه عز و جل

۱- ۱) البحار ج ۹۲ ص ۱۰۷.

برأيک، فإن اللّه عز و جل يقول: وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ اَلرّٰاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ. . . » .

و فيه عن تفسير العياشى، عن زراره، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «ليس شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآيه تنزل أولها فى شىء، و أوسطها فى شىء، و آخرها فى شىء ثم قال: إِنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً من ميلاد الجاهليه» .

و فيه عنه، عن أبى الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: اللّه أعلم، فإن الرجل ينزع بالآيه فيخر بها أبعد ما بين السماء و الأرض» .

و فيه عن منيه المريد، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: «من قال فى القرآن بغير علم، فليتبوء مقعده من النار» ،

و قال صلّى اللّه عليه و آله: «من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»

و قال صلّى اللّه عليه و آله: «من قال فى القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامه ملجما بلجام من نار» ،

و قال صلّى اللّه عليه و آله: «أكثر ما أخاف على أمتى من بعدى رجل يتأوّل القرآن يضعه على غير موضعه» .

و فيه عن تفسير العياشى، عن عمار بن موسى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «سألت عن الحكومه قال: من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر، و من فسّر آيه من كتاب اللّه فقد كفر» .

و فى المحكى عن الكافى، عن الصادق عليه السّلام أنه قال لأبى حنيفه: «أنت فقيه أهل العراق؟ قال: نعم، قال: بم تفتيهم؟ قال: بكتاب اللّه و سنه نبيه صلّى اللّه عليه و آله، قال: يا أبا حنيفه تعرف كتاب اللّه حقّ معرفته، و تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: نعم، قال: يا أبا حنيفه لقد ادعيت علما ويلك ما جعل اللّه ذلك إلاّ عند أهل الكتاب، الذين أنزل عليهم ويلك و لا هو إلاّ عند الخاص من ذريه نبينا محمد صلّى اللّه عليه و آله و ما ورثك اللّه من كتابه حرفا» .

و عن الكافى بإسناده إلى زيد الشّحام قال: دخل قتاده بن دعامه على أبى

جعفر علیه السّلام فقال: «یا قتاده أنت فقیه أهل البصره؟ فقال: هکذا یزعمون، فقال أبو جعفر علیه السّلام: بلغنی أنک تفسّر القرآن، فقال له قتاده: نعم، فقال له أبو جعفر علیه السّلام: فإن کنت تفسّره بعلم فأنت أنت و أنا أسألک، إلی أن قال أبو جعفر علیه السّلام: ویحک یا قتاده إن کنت إنما فسّرت القرآن من تلقاء نفسک فقد هلکت و أهلکت، و إن کنت قد فسرته من الرجال فقد هلکت و أهلکت. . إلی أن قال: ویحک یا قتاده إنما یعرف القرآن من خوطب» .

و عن أمیر المؤمنین فی خطبه له علیه السّلام قال علیه السّلام: «إن علم القرآن لیس یعلم ما هو إلاّ من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، و بصر به عماه، و سمع به صممه، و أدرک به ما قد فات و حیی به بعد إذا مات، فاطلبوا ذلک من عند أهله و خاصته فإنهم خاصته نور یستضاء به أئمه یقتدی بهم، هم عیش العلم، و موت الجهل، و هم الذین یخبرکم حلمهم عن علمهم، و صمتهم عن منطقهم، و ظاهرهم عن باطنهم، لا یخالفون الحق و لا یختلفون» الخطبه، و قد ذکر بعضها فی النهج. أقول: قال بعض الأعاظم: اعلم أن المفسر إما أن یفسّر ظاهر القرآن أو إشاراته و دقائقه و بواطنه، فالقسم الأول من التفسیر من ترجمه المراد من الألفاظ، و ما استعمل فیها، و بیان ما هو المقصود من الکلام ابتداء الذی هو الشایع المعروف فی کتب التفسیر، فإن القرآن عباره عن ألفاظ و کلمات عربیه مؤلفه علی النهج العربی، فکما أن لکل کلام عربی معنی إذا عرض علی عرف العرب، فهم منه ذلک المعنی بعد ملاحظه مساق الکلام و خصوصیاته، و سایر القرائن الحالیه و المقالیه المتصله و المنفصله، کذلک آیات القرآن و جمله إذا عرضت علیهم بجمیع الخصوصیات، التی هی علیها و ملاحظه القرائن المتصله و المنفصله یفهمون منها معان خاصه بملاحظه معانی المفردات و خصوصیات الإعراب و التألیف، و مساق الکلام و القرائن المکتنفه باللفظ و غیرها. و کل کلام تام بأیّ لغه کانت إذا عرض علی العارف بتلک اللغه یفهم منه معنی،

و يحكم بأنه هو معنى ذلك الكلام، و لا شك فى أن ظاهر القرآن كلام عرفى نزل بلغه العرب، و طريقه العقلاء و المسلمين خصوصا جاريه على حمل كل كلام على الظاهر المتبادر منه بعد ملاحظه جميع الخصوصيات، و لعل مثل هذه الترجمه لا يعد تفسيرا فضلا عن كونه تفسيرا برأى، فقد ذكر بعض العلماء أن التفسير أصله الكشف و الإظهار و كذلك ساير تقاليبه، و من ذلك سفرت المرأه إذا كشفت عن وجهها. إلى أن قال: فلا يبعد أن يكون التفسير هو بيان كلام لا يفيد بنفسه ذلك المعنى، فيكون مساوقا لتعيين الجمل و كشف المغلق، نعم لا يبعد اندراج ما دلّت عليه القرائن الخفيه فيه (أى فى التفسير) باعتبار إظهار تلك القرينه، و أما بعد الالتفات إليها، فإن كانت معتبره عند العقلاء كانت كسائر القرائن الظاهره و إلّا لم يصح الاعتماد عليها، و بالجمله فكل آيه لها ظاهر معنى لفظى بملاحظه جميع الخصوصيات، فهو حجه فيه على ما فصل فى علم الأصول فيصح تفسيرها به. . إلى أن قال ما ملخصه: أن الأمر بالتمسك بالثقلين (أى القرآن و العتره) يشير إلى التمسك بظاهر القرآن، الذى هو حجه فيما يتبادر منه بنحو ما قلنا، و كذلك الأحاديث الوارده فى عرض الأخبار عند التعارض على الكتاب العزيز، و الأخذ بما وافقه و هى كثيره جدا مذكوره فى محله. فالمستفاد من هذه الأخبار أن القاعده الشرعيه هو إرجاع الأخبار إلى الكتاب، و جعل الميزان منها عند التعارض هو الكتاب مطلقا، و الأخذ بما وافقه و أشبهه، و طرح ما خالفه أو لا يشبهه بل و ما لا يوافقه و ما لا يخالفه إذا لم تكن مستجمعه لشرائط الحجيه، و العجب من جماعه عكسوا الأمر فلم يأخذوا بالكتاب بنفسه أصلا، و جعلوا الحديث ميزانا للكتاب. أقول: أى فى الأخذ بالظاهر من الكتاب ضروره أن ظاهر الكتاب بنحو بيناه يكون حجه، فهو المرجع بهذه الجهه لإرجاع المتعارضين إليه، و لا يحسن حينئذ جعل الحديث ميزانا و إرجاع الكتاب إليه، نعم بالنسبه إلى التفسير و المعانى

الباطنيه للقرآن، فالمرجع فيها هو الحديث الذى يكون حجه كما لا يخفى، بل لا بد من رد متشابهات القرآن إلى محكماته، فكما أنه يرد متشابهات الأخبار و متعارضاتها إليه (أى الظاهر منه) بنحو ما ذكرناه، كذلك يرد متشابهات القرآن إلى محكماته.

فقد روى عن أبى حيون مولى الرضا عليه السّلام قال: من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه، فقد هدى إلى صراط مستقيم. ثم قال عليه السّلام: «إن فى أخبارنا محكما كمحكم القرآن، و متشابها كمتشابه القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، و لا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا» . فانظر إلى هذا الحديث الشريف كيف سوى بين الكتاب و الحديث فى الاشتمال على القسمين (أى المتشابه و المحكم) و كيف حكم فى كل منها بحكم واحد، و هو ردّ المتشابه فيها إلى المحكم، فإن كان الاشتمال عليهما مانعا عن الحجيه عمّ المقامين (أى الكتاب و الخبر) . و بعباره أخرى: إن المحكم منهما حجه فيهما، و المتشابه فيهما لا بدّ من رده إلى المحكم منهما، فما كان منهما حجه و هو المحكم منهما، أو ما كان غير حجه منهما و هو المتشابه يكون بنحو واحد كما لا يخفى. ثم إن الأمر بالأخذ بظاهر القرآن

كقوله عليه السّلام: «فيمن عثر فانقطع ظفره» ، أنه يعرف هذا و أشباهه من كتاب اللّه كقوله تعالى: مٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي اَلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ

و كقوله عليه السّلام من: «إن اللّه لا يخاطب الخلق بما لا يعلمون» ، معلوم من الأخبار، و هو ناظر إلى ما قلنا من الإرجاع إلى محكماته، التى هى الحجه دون المتشابه، و حينئذ نقول: فما أحدثه بعض الأخباريين من عدم جواز استنباط العلوم من القرآن بعيد عن إصابه الحق و الصواب، و لعله كفران بهذه النعمه العظيمه، التى أنعم اللّه سبحانه على عباده، حيث أنزل إليهم كتابا جامعا لأنواع المعارف، ليدبّروا آياته كما أمرهم بذلك، و ليتذكر أولو الألباب، و أنه آيات بينات لا إجمال و لا ريب

فیه. کیف و الإجمال و الإغلاق و عدم وفاء اللفظ بالمراد نقص فی الکلام، و مناف لبلاغه الکلام، و کلام اللّه سبحانه منزه عن کل نقص و هو کامل تامّ، نعم لا بد فی الأخذ بظاهر القرآن و المعنی الذی یتبادر منه عرفا من الاطلاع علی معانی المفردات، و قوانین تألیفها، و ملاحظه القرائن الحالیه و المساقیه و المقالیه، و جمیع دقائق الکلام و البحث عن القرائن المنفصله من الأحادیث، و سائر الأدله العقلیه و النقلیه. فأما حمل القرآن علی معنی من دون اطلاع علی القواعد اللفظیه، أو عدم الالتفات إلی القرائن و الدقائق اللفظیه، أو عدم البحث عن القرائن المفصله، و ملاحظه الناسخ من المنسوخ و المجمل و المفصل و غیرهما، أو تخصیص شیء منها بمورد خاص بملاحظه استحسان عقلی، أو نکته غیر عرفیه، أو محض میل نفسه إلیه أو تعصب لمذهبه أو تقلید مفسِّر غیر معصوم فیما لم یؤخذ عن المعصوم، أو خیال سبق إلی ذهنه، أو قاعده خارجیه فاسده إلی غیر ذلک، أو حمل اللفظ المحتمل لوجهین أو وجوه علی معنی الأمور المشار إلیها من القیاس و الاستحسان و المیل النفسانی و نحوها. أو تصرف آخر غیرها (أی غیر المذکوره من هذه الأقسام) بواحد منها (أی من هذه الأقسام) کما هو کثیر من تفسیرات المفسرین فهو غیر صحیح، و فیها یتحقق تفسیر القرآن بالرأی، و ضرب بعض القرآن ببعض الموجب للکفر و القول فی القرآن بغیر علم، و من دون سؤال العلماء آل محمد صلّی اللّه علیه و آله مع التمکن منه، کما هو شأن قتاده و أبی حنیفه و أضرابهما، و الأخذ فی الدین بالهوی و المقاییس و التفسیر من تلقاء النفس و عن الرجال، و الخوض و المجادله و التکلم فی القرآن بغیر علم، و اتباع المتشابه و ظنی التأویل و انتزاع الآیه الذی یخربه أبعد من السماء، و الغفله عن نزول أول الآیه فی شیء و آخرها فی شیء و غیرها. ثم إن ما ذکرناه من أن الأخذ بظاهر القرآن إنما هو بعد الإحاطه بالقواعد

اللفظيه مع الشروط المتقدمه من الفحص عن القرائن المنفصله، و الدليل المعارض إلى غير ذلك مما تقدم، فإنما هو بلحاظ عالم ألفاظ القرآن، و نشره المعبر عنه فى الأحاديث بالتنزيل، و إلاّ فللقرآن مراتب كثيره خارجه عن قدره العامه من الناس، كيف و قد عرفت أنه على ثلاثه أقسام: قسم منه للعارف و الجاهل، و قسم منه لمن صفا ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمييزه، و هذا القسم خارج من القسم الأول، بل القسم الأول بالنسبه إليه كالقطره بالنسبه إلى البحر. و كيف كان فالعالم بالقواعد اللفظيه، و بما يتوقف عليه إعمال الألفاظ يكون شأنه مقصورا على اللفظ، و ليس له التعدى إلى الاستمداد بنفسه لشىء من ينابيع القرآن و بحوره، التى لا يدرك غورها إلاّ من كان ممن وصفه عليه السّلام

بقوله: من صفا ذهنه. . . إلخ، و هذا القسم بالنسبه إلى القسم الثالث المشار إليه

بقوله عليه السّلام: و قسما لا يعرفه إلاّ اللّه و أمناؤه الراسخون فى العلم، فإن هؤلاء ممن نستدل بهم على ربنا، و نستنصحهم على أنفسنا، و نتّهم عليهم آراءنا، و نجعلها تبعا لهم، و نستغش بهم أ هواءنا، فلا نرى لها فى قبالهم شأنا، فإن هؤلاء أى (الأمناء الراسخون) ممن يأخذون المعانى و الحقائق من القرآن، فهم بلحاظ هذه الجهه حجج اللّه تعالى علينا و ليس هم إلاّ الأئمه عليهم السّلام. و تقدمت الأحاديث عن الكافى و غيره بما دلّ على أن القرآن بتمامه إنما هو عندهم عليهم السّلام و إن من ادعى ذلك من غيرهم فهو كذّاب، بل لا يحصى و لا يعلم جميع مراتب صرف واحد من القرآن غيرهم عليهم السّلام أو من علّموه من خواص شيعتهم حسب إمكان دركه و ظرفيه وجوده.

ففى البحار: و ذكر أبو عمر الزاهد، و اسمه محمد بن عبد الواحد فى كتابه بإسناده: أن على بن أبى طالب عليه السّلام قال: «يا بن عباس إذا صليت العشاء الآخره فالحقنى إلى الجبان، قال: فصليت و لحقته و كانت ليله مقمره، قال: فقال لى: ما تفسير الألف من الحمد؟ قال: فما علمت حرفا أجيبه، فتكلّم فى تفسيرها ساعه تامّه، قال: ثم قال

لی: فما تفسیر اللام من الحمد؟ قال: فقلت: لا أعلم، فتکلّم فی تفسیرها ساعه تامه، قال: ثم قال: ما تفسیر المیم من الحمد؟ فقلت: لا أعلم، قال: فتکلم فیها ساعه تامه، قال: ثم قال: ما تفسیر الدال من الحمد؟ قال: قلت: لا أدری، قال: فتکلم فیها إلی أن برق عمود الفجر، قال: فقال لی: قم أبا عباس إلی منزلک و تأهب لفرضک، قال أبو العباس عبد اللّه بن العباس: فقمت و قد وعیت کل ما قال، ثم تفکرت فإذا علمی بالقرآن فی علم علی علیه السّلام کالقراره فی المتغنجر (أی کالغدیر فی جنب البحر کذا قیل)» .

و فیه: و روی النقاش أیضا حدیث تفسیر لفظه الحمد، فقال بعد إسناده عن ابن عباس قال: قال لی علی علیه السّلام و ساق الحدیث. . . إلی أن قال بعد سؤاله عن اللام، ثم قال: فما تفسیر الحاء من الحمد؟ قال: فقلت: لا أعلم، قال: فتکلم فی تفسیرها ساعه تامه.

و فیه (۱)، أسرار الصلوه، قال علی علیه السّلام: «لو شئت لأوقرت سبعین بعیرا من تفسیر فاتحه الکتاب» .

و فیه عن دره الباهره قال الصادق علیه السّلام: «کتاب اللّه عز و جل علی أربعه أشیاء، علی العباره و الإشاره، و اللطائف و الحقائق، فالعباره للعوام، و الإشاره للخواص، و اللطائف للأولیاء، و الحقائق للأنبیاء» . فالمستفاد من هذه الأحادیث أن علم القرآن، و علم إشاراته و لطائفه و حقائقه، إنما هی عندهم بأجمعها، و إن من شارکهم فیها من غیرهم، فإنما هو بالنسبه إلی ما علموه أقل القلیل، مضافا إلی أنه یکون مأخوذا منهم علیهم السّلام و لا یکون لأحد الإحاطه بجمیع جهات القرآن حتی من الجهات الظاهریه إلّا لهم علیهم السّلام.

ففیه: قال السید ابن طاووس رحمه اللّه فی کتاب سعد السعود: روی یوسف بن

۱- ۱) البحار ج ۹۲ ص ۱۰۳.

عبد اللّه بإسناده عن أبى الطفيل قال: شهدت عليا عليه السّلام يخطب و هو يقول: «سلونى فو اللّه لا تسألونى عن شىء إلّا أخبرتكم، و اسألونى عن كتاب اللّه، فو اللّه ما من آيه إلّا و أنا أعلم بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل» .

قال المجلسى رحمه اللّه: أقول: و قال: أبو حامد الغزالى فى كتاب بيان العلم اللدنى فى وصف مولانا على بن أبى طالب عليه السّلام ما هذا لفظه: و قال أمير المؤمنين عليه السّلام إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «دخل لسانه فى فمى فانفتح فى قلبى ألف باب من العلم، مع كل باب ألف باب، و قال (صلوات اللّه عليه) : لو ثنيت لى وساده و جلست عليها، لحكمت لأهل التوراه بتوراتهم، و لأهل الإنجيل بإنجيلهم، و لأهل القرآن بقرآنهم» . و هذه المرتبه لا تنال بمجرد العلم، بل يتمكن المرء فى هذه الرتبه بقوه العلم اللدنى. . . إلخ. فتحصل مما ذكرنا: أن القرآن باعتبار الألفاظ يكون علمه للكل مع تلك الشرائط، و باعتبار الحقائق و البطون بما هو هو من حقيقه تمثل الوحى الإلهى، فإنما هو عند النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام و بين المرتبتين مرتبه بل مراتب كثيره تكون للأولياء المشار إليهم فى حديث الصادق عليه السّلام و فى حديث أمير المؤمنين عليه السّلام المشار إليه بالقسم الثانى، و لعل المراد منهم الخواص الكاملون من الشيعه، مع ما لهم من المراتب المتعدده فى ذلك كما لا يخفى، فهؤلاء هم المنزفون بحرا لا ينزف و الماتحون عيونا لا تنضب، و الواردون مناهل لا تغاض، و السافرون منازل لا يضل نهجها، و السائرون أعلاما لا يعمى عنها، و القاصدون آكاما لا يجاز عنها. و كيف كان فالعلماء فيه ريّ عطشهم، و الفقهاء فيه ربيع قلوبهم، و الصلحاء فيه محاجّ طرقهم، و المستأنسون باللّه به و بتلاوته كيفيه أنسهم، و مع هذا كله فقد علمت أن حقائقها الحقه الإلهيه إنما هى عندهم لا غيرهم، و هذا معنى

قوله عليه السّلام:

«و آيات اللّه لديكم»

، أى الآيات القرآنيه بواقعها الإلهى تكون لديكم، كيف و أنت إذا تأملت فيما قدمناه علمت أن الحقائق القرآنيه ليست شريعه لكل وارد، و لا يطلع عليها إلّا

من علموه و منحوه ذلـك. بقى الكلام فى بيان ما ربما يكون وجها فى اختصاص معانى وجوه الآيات و التنزيل و التأويل، و الظهر و البطن، و الحد و المطلع، و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و البطون و التأويل و غير ذلك بهم عليهم السّلام فإن الأحاديث الكثيره دلت على ذلك، و نحن نذكر بعضها، ثم نعقب ببيان ذلك الوجه فنقول:

فى البحار (۱)عن المحاسن بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفى، قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن شىء من التفسير فأجابنى، ثم سألته عنه ثانيه فأجابنى بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك، كنت أجبتنى فى هذه المسأله بجواب غير هذا قبل اليوم! فقال: «يا جابر إن للقرآن بطنا و للبطن بطن، و له ظهر و للظهر ظهر، يا جابر ليس شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآيه يكون أولها فى شىء و آخرها فى شىء، و هو كلام متصل منصرف على وجوه» .

و فيه عن معانى الأخبار بإسناده عن حمران بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن ظهر القرآن و بطنه، فقال: «ظهره الذين نزل فيهم القرآن، و بطنه الذين عملوا بأعمالهم، يجرى فيهم ما نزل فى أولئك» .

و فيه عن تفسير العياشى، عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن هذه الروايه: «ما فى القرآن آيه إلاّ و لها ظهر و بطن، و ما فيه حرف إلاّ و له حدّ، و لكل حدّ مطلع، ما يعنى بقوله: لها ظهر و بطن؟ قال: ظهره و بطنه تأويله، منه ما مضى، و منه ما لم يكن بعد يجرى كما تجرى الشمس و القمر كلما جاء منه شىء وقع قال اللّه تعالى: وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ اَلرّٰاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ (۲)نحن نعلم» .

و فيه (۳)عن المحاسن، عثمان، عن سماعه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن اللّه

۱- ۱) البحار ج ۹۲ ص ۹۲.

۲- ۲) آل عمران:۷.

۳- ۳) البحار ج ۹۲ ص ۹۰.

أنزل عليكم كتابه الصادق البار، فيه خبركم و خبر ما قبلكم و خبر ما بعدكم، و خبر السماء و خبر الأرض، فلو أتاكم من يخبركم عن ذلك لعجبتم» .

و فيه (۱)عن تفسير العياشی، عن مرازم قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنّا أهل البيت لم يزل اللّه يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره، و إن عندنا من حلال اللّه و حرامه ما يسعنا من كتمانه ما نستطيع أن نحدّث به أحدا» .

و فيه (۲)عن بصائر الدرجات بإسناده عن زراره عن أبی جعفر عليه السّلام قال: «تفسير القرآن على سبعه أحرف، منه ما كان و منه ما لم يكن بعد ذلك، تعرفه الأئمه عليهم السّلام» .

و فيه عنه بإسناده عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد اللّه يقول: «قد ولدنی رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أنا أعلم كتاب اللّه، و فيه بدء الخلق، و ما هو كائن إلى يوم القيامه، و فيه خبر السماء و خبر الأرض، و خبر الجنه و خبر النار، و خبر ما كان، و خبر ما هو كائن، أعلم ذلك كأنما أنظر إلى كفّی، إن اللّه يقول: فيه تبيان كل شیء» . أقول: علمت أنه اقتباس من القرآن.

و فيه (۳)عن المحاسن بإسناده عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ و له أصل فی كتاب اللّه، لكن لا تبلغه عقول الرجال» . أقول: قال بعض الأعاظم: أقول: يحتمل أن يكون المطلع اسم مكان على وزن المشدد، بمعنى مكان الاطلاع من موضع عال، و أن يكون على وزن المصعد، أی مصعدا يصعد إليه.

۱- ۱) البحار ج ۹۲ ص ۹۶.

۲- ۲) البحار ج ۹۲ ص ۹۸.

۳- ۳) البحار ج ۹۲ ص ۱۰۰.

قيل: و محصل معناه قريب من معنى التأويل و البطن، كما أن معنى الحد قريب من معنى التنزيل و الظهر. أقول:

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: «ما من آيه إلاّ و لها أربعه معان: ظاهر و باطن و حدّ و مطلع، فالظاهر التلاوه، و الباطن الفهم، و الحدّ هو أحكام الحلال و الحرام، و المطلع هو مراد اللّه من العبد بها» . أقول: و حينئذ الظاهر هو ظاهر الآيه التى تقرأ، و الباطن هو فهم معانيها، و الحدّ أى ما به حد الأعمال و حدودها، التى لا يجوز التعدى عنها من أحكام الحلال و الحرام، و التى تجعل الإنسان فى حدها (أى فى حدودها و دائرتها) فى العمل، و المطلع (بالتشديد) هو أنه بعد ما علم العبد هذه الأمور الثلاثه، فكأنه صعد من عالم الجهل بالعلم و الفهم، و من عالم البعد بالعمل إلى عالم القرب و العلو النفسانى، فحينئذ يعلوه هكذا يطلع، و يشاهد ما أراد اللّه منه من هذا العلم و هذه التكاليف، و هو حقيقه العبوديه، و الإقرار بربوبيته تعالى عن معرفه و ترتيب آثارهما، أى آثار العبوديه من الخضوع و التسليم، و الرضا بقضائه و قدره و أمثالها، و آثار الربوبيه من وحدانيته و واجديته لصفات الجلال و الجمال، و الأنس به و الالتذاذ من معرفته و عبادته، كما لا يخفى. و أما ما

فى حديث فضيل من قوله عليه السّلام: «ما فى القرآن آيه إلاّ و لها ظهر و بطن، و ما فيه حرف إلاّ و له حدّ و مطلع» ، إلى قوله: «يجرى كما تجرى الشمس» ، فلعل المراد منه أن لكل من المفردات و المركبات من الحروف و الكلمات، أو من الكلمات و الجمل معان محدوده جزئيه و حقائق كليه، فتحصل تلك الكليه من تجريد الجزئيات عن الخصوصيات، التى لا دخل لها فى نفس تلك الحقيقه، و عن تعلق الحكم بها (أى بالجزئيات) كما سبق فيما قبله، فإن الذين نزلت فيهم الآيه لهم خصوصيات لا دخل فيها لما حكم فى الآيه عليهم، و إنما مناط الحكم هو القدر المشترك الحاصل فيهم و فيمن كان له مثل أعمالهم.

إذ لا ـ ريب فى أن الجزئيات كلها تندرج بالدقه تحت قاعده كليه هو المعوّل عليها، فيعم الأفراد الماضيه و الآتيه، فكلما جاء موضوعه الكلى فى ضمن فرد من الأفراد، وقع عليه المحمول الكلى، و ذلك كالشمس و القمر فإنهما نيران، و يظهران كل جسم كثيف قابلهما بلا اختلاف فيهما، و إنما الاختلاف من جهه تقابل الأجسام بهما، كذلك كل خبر أو إنشاء تعلق بموضوع جزئى حقيقى، فإنما يتعلق به من حيث عنوان كلى هو المناط، الذى لا تبديل فيه و لا تغيير، و سائر الخصوصيات المشخصه لا دخل لها بذلك الحكم. و لعل هذا هو المراد من القضيه الحقيقه المبحوث عنها فى بعض مسائل الأصول فى قبال القضايا الخارجيه، التى يعبّر عنها بالقضايا الشخصيه، فكل حكم لوحظ فيه الشخص فهو قضيه شخصيه، و إلّا فهى حقيقته بالدقه، و إن انطبقت على بعض مصاديقها الجزئيه، و لعل الآيات القرآنيه من خبرياتها و إنشائياتها تكون كذلك أى بنحو القضيه الحقيقيه، و هذا الحكم الكلى ثابت فى محله لا يتغير و لا يتبدل، و لا تبديل لكلمات اللّه سبحانه، و لن تجد لسنه اللّه تبديلا، و لن تجد لسنه اللّه تحويلا. و لعل إليه يشير ما

فى روايه المعلّى على ما فى البحار (1)عن المحاسن عمن ذكره، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى رساله: «و أما ما سألت من القرآن، فذلك أيضا من خطراتك المتفاوته المختلفه، لأن القرآن ليس على ما ذكرت، و كل ما سمعت فمعناه غير ما ذهبت إليه، و إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه، فأما غيرهم فما أشكله عليهم و أبعده من مذاهب قلوبهم و لذلك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إنه ليس شىء بأبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، و فى ذلك تحيّر الخلائق أجمعون إلّا ما شاء اللّه» ، الحديث.

١- ١) البحار ج ٩٢ ص ١٠٠.

و ما فی روایه محمد بن مسلم من قوله علیه السّلام: «و القرآن ضرب فیه الأمثال» إلی آخره، بیانه: إن المثل یطلق کثیرا علی ما یفید حال مماثله بتوسط الأمر الجامع بینهما، الذی هو المعیار و المناط، و إلاّ فالجزئی لا یکون بنفسه کاسبا لمجهول کما تقرر فی علم المنطق، مثلا المؤمن الذی ذکر فی سوره یس شخص جزئی حقیقی قیل له: . . . اُدْخُلِ اَلْجَنَّهَ قٰالَ یٰا لَیْتَ قَوْمِی یَعْلَمُونَ ، لکن الذی یرتبط بوقوع هذا الخطاب علیه من خصوصیاته هو إیمانه و أعماله الصالحه من دعوه قومه، أو تحمل الأذی فی جنب اللّه مثلا دون شکله و لونه و نسبه و اسمه، فتنزیل الآیه وحده الرجل الذی یسعی هو ذلک الشخص بعینه، و تأویله من کان یعمل بمثل عمله. فمفاد التأویل قضیه کلیه منتزعه من هذه القضیه الشخصیه بعد إلغاء الخصوصیات، و هو أن کل من آمن و عمل بمثل عمله یقال له: أدخل الجنه سواء کان ممن مضی، أو ممن یأتی، فکلما جاء شخص بصفته، وقع حکمه علیه کما لا یخفی. و إلیه أیضا یشیر

ما روی عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول «إن للقرآن تأویلا فمنه ما جاء، و منه ما لم یجئ، فإذا وقع التأویل فی زمان إمام من الأئمه علیهم السّلام عرفه إمام ذلک الزمان» .

و ما روی عن زراره عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «تفسیر القرآن علی سبعه أوجه منه ما کان، و منه ما لم یکن بعد تعرفه الأئمه علیهم السّلام» ، و قد تقدم الحدیث. و هذا معنی ما اشتهر عن حال بعض من أنه یعطی الحکم بالمثال، أی یبین الحکم الکلی بالمثال الجزئی بما ذکرناه، ثم إن الذی ینبغی أن یقال فی شرح المقال فی المقام هو ما ذکره بعض الأکابر من: أن کل محمول خارج عن ذات الموضوع و لا لازم لمهیّته، فإنما یعرضه لعله موجبه لعروضه، و لا بدّ من أن یکون للموضوع اختصاص لتلک من أنها عله موجبه ذلک الاختصاص، لتأثیره فی إلحاق ذلک المحمول علیه، فالموضوع الواقعی هو الوصف العنوانی المنتزع من ذلک الاختصاص الناعت، و سائر الخصوصیات الذاتیه و العرضیه خارجه عن موضوع

الحكم فی الواقع لا دخل لها فی عروضه. فإذا قال لابنه یا بنی لا تشرک باللّه، فالمخاطب ذلک الشخص الخاص، لکن صوره النهی الإرشادی لم تتعلق به إلاّ من حیث کون الشرک ظلما عظیما، و کون لقمان شفیقا علیه، لا یرضی بصدور الظلم منه، فکل موجود کان شرکه ظلما عظیما، و کان هناک من یشفق علیه اندرج تحت العنوان الواقعی، و إن خرج عن الصوره، و إذا جردت النهی عن الناهی، و لاحظت أن ذلک الفعل بحیث ینبغی النهی عنه الذی هو حقیقه النهی الإرشادی، فقط اشتراط الشفقه و القضیه حینئذ إن کل شیء کان شرکه ظلما عظیما، فینبغی تحذّره عنه و امتناعه منه. و إذا لاحظت أنه قد صدر من لقمان هذا الکلام لأجل أنه حکیم، و جردته عن سائر خصوصیاته، علم منه أن کل من کان حکیما فهو ینهی عن الشرک معنی، ثم إذا جردت الحکیم عن کونه شخصا خارجیا، و لاحظت أن الحکمه صفه العقل، و أن العقل هو الحکیم الذی یمنع عن الشرک لکونه ظلما، و أن صدور النهی عن لقمان لمکان عقله المتصف بالحکمه، صارت القضیه أن العقل المتصف بالحکمه ینهی عن الشرک، لذلک فالعقل لقمان یعظ بذلک، و کل عاقل حکیم یعظ بذلک، و المخاطب کل موجود له قابلیه النهی عنه، متصف بالصفات الموجبه لکون الشرک ظلما من الماضین و الآتین، و المنهی عنه هو الشرک من حیث کونه ظلما عظیما، فالعنوان الواقعی هو الظلم العظیم فی أی مفهوم یتحقق. و إذا لاحظت العقل رأیت حقیقته نورا متسعا یستضیء به الکل (أی کل الموجودات) و یشملها فی جمیع العوالم کلها، و هو من حیث کونه موجودا ممکنا، فلا محاله یکون قائما بغیره، و له قیوم أوجده بإشراقه، فهو من حیث کونه ممکنا لیس لنفسه ما له من الإضاءه و الإناره، بل یکون تلک من موجدها، و هو مظهر له من هذه الجهه فبالحقیقه تکون الإضاءه و الدرک لذلک الموجد المشرق، إذ هو بالنسبه إلیه عرضی و هو ذاتی (أی قائم بذاته) فآثاره منه لا محاله، إذ کل ما بالعرض من

جمیع شئونه یکون لما بالذات، فبالحقیقه إن تلک التجریدات فی القضیه السابقه رجعت إلی هذا الموجد الحقیقی القائم بنفسه و القیوم لغیره، فجمیع الهیئات العارضه لهذه القضیه من العوالم الواسعه إلی العالم المضیق الصوری و هو قوله تعالی: یا بُنَیَّ لا تُشْرِکْ بِاللّهِ إِنَّ اَلشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ (۱)، یکون تجلیات و مظاهر لذلک الموجد القائم بنفسه، و فی الحقیقه قد ظهر فی تلک الهیئات و تجلی بها. و إلی هذا کله یشیر ما

فی البحار(۲)عن أسرار الصلوه: و قال الصادق علیه السّلام: «لقد تجلی اللّه لخلقه فی کلامه، و لکنهم لا یبصرون» ، فتدبر تعرف إن شاء اللّه تعالی. ثم إن ما ذکرناه تقاس علیه الأمور الخارجیه من القضایا مطلقا، فإن کل نسبه خارجیه یعبّر عنها الکلام إنما تتحقق لعله و العله فاعلیه و مادیه و صوریه و غائیه، و لا یخلو عن إمکانات استعدادیه و معدات و شرائط و انتفاء موانع، و الکلام الحاکی عن النسبه الخارجیه إذا جردتها، و قطعت النظر عن جمیع ما لا یرتبط بتحقق تلک النسبه الخارجیه، و أخذت بما یرتبط بتحققه عقلا-علی المیزان العقلی، صار الکلام الجزئی قاعده کلیه خارجیه من أول العالم إلی آخره، و جمیع الأمور الخارجیه الجزئیه مندرجه تحت کلیات معینه فی الواقع بالبیان المتقدم، لا تبدیل لها أبدا ما دامت السموات و الأرض، کما أن إعرابات الکلمات العربیه الواقعه فی ألسنه الفصحاء کلها مندرجه تحت القواعد النحویه. و التکالیف الشخصیه مندرجه تحت الأحکام الفقهیه الکلیه، و الکلیات ثابتات، و الجزئیات داثرات، و للتجرید درجات کما عرفت، و للکلیات مراتب کلما قلّت قیودها بالتجرید اتسعت دائره عمومه و شموله و قلّت عددا، و کلما نزلت بإلحاق القیود و لحاظها تعددت بحسبها و تضیقت لتقیّدها. ثم اعلم: أن العوالم کثیره و لکل شیء حقیقه فی کل عالم من العوالم من حیث

۱- ۱) لقمان:۱۳.

۲- ۲) البحار ج ۹۲ ص ۱۰۷.

الضيق و السعه، و سرعه الانقضاء و بطئها، و الثبات و عدمه، كما أن لزيد وجودا فى الخارج و وجودا فى الحسّ المشترک، و وجودا معنويا فى الوهم، و وجودا متوسطا فى المتخيله، و وجودا كليا فى العقل، و الأول جزئى حقيقى يمتنع فرض الاشتراک فيه مقترن بمادته الجسمانيه، و الثانى مجرد عن الماده مقترن بما اكتنفته من الخصوصيات، و الثالث مجرد عن الخصوصيات الصوريه ملبوس بالمعانى الكائنه فيه، و الرابع ملبوس بها معا، و الخامس مجرد عن جميع المشخصات و جميع اللواحق، التى لا دخل لها فى نفس تلک الحقيقه الكليه من المعانى و الصور، مع اختلاف ما سوى الأول من المراتب فى مقدار التلبس و التجرد. فربما يلاحظ العقل حقيقه الشىء مجردا عن جميع ما سواه، و ربما يلاحظه ملبوسا بعوارض كليه، فيكون التصور على الأول (النوع) و على الثانى الصنف، و اللواحق و الخصوصيات لها كليات متصوره بالعقل و معان مدركه بالوهم، و صور مدركه بالحق، و لها ضمّ و تفريق يحصلان بالمتخيله، و كما أنک إذا أبصرت زيدا ارتسمت صورته فى الحسّ، ثم معناه فى الوهم، ثم الجميع فى المتخيله، ثم تمام حقيقته فى العقل، كذلک توجد حقيقته الكليه أولا فى عالم من عوالم الوجود، ثم معانيه فى آخر، ثم الجامع لهما فى ثالث، أو فى حدّ مشترک بين عالمين، ثم صورته مجرده عن الماده فى رابع، ثم المتلبس بالماده العنصريه فى هذا العالم. و الأول فى عالم العقل، و الثانى فى عالم المعانى، و الرابع فى عالم المثال، و الثالث فى المتوسط بينهما، و الخامس فى عالم الحسّ و الشهاده، و لكل منها درجات و ذلک لأن موجودات هذا العالم كلها مركبات من الماده و الصوره، و الحصص الكليه، و الخصوصيات المشخّصه، و وجود كل مركب مسبوق بوجود سابقه سبقا ذاتيا عقلا، أو سبقا خارجيا بالحدس الناشىء من ملاحظه تقابل القوس الصعودى فى عالم الإنسان مع القوس النزولى فى العالم الكبير، و عن ملاحظه سنه اللّه سبحانه فى خلق الأشياء من التدريج فى إيجادها و ترتيبها على ما تقتضيه الحكمه بوضعها فى

مواضعها، و تنزيلها منزله و مرتبه البسيط مقدمه على المركب، فتقدمه بالوجود وضع له فى محله. فإن الكليات أشرف من الجزئيات الداثره و الفانيه، فإن قاعده الإمكان الأشرف تقتضى أن تكون الكليات وجودها متقدما على الجزئيات فتأمل، و أيضا فإن الحكمه الإلهيه المقتضيه لإبداع الأشياء إنما تتخصص متدرجه. و بعباره أخرى إنما تبدع الأشياء و تفرزها بالحصص الوجودى متدرجه، فلا يتعلق أولا بالماديات المركبه و الجزئيات، أ لا ترى أن صفه الجود فى الجواد منا إنما تقتضى الإنفاق و الإعطاء الكلى؟ فلو كنّا قادرين على أن نوجده على صفته الكليه لأوجدناه كذلك، و كانت تلك الصفه كافيه فى صدور ذلك الكلى منّا من دون حاجه إلى ضم أمر آخر. و أما الإنفاق على زيد بطريق جزئى، فلا يكفى تلك الصفه فى صدوره، بل لا بد من خصوصيات تنضم إليه توجب تحصيل تلك الطبيعه فى ضمن ذلك الفرد من أدوات متعلق بزيد، و بأنه مستحق للإنفاق عليه، و بالشىء الذى ينفق عليه، و غير ذلك، و حينئذ فالجواد المطلق القادر على جميع الأشياء ينبغى أن يكون صدور الكليات عنه مع قدرته مقدما على صدور الجزئيات، و قد قال اللّه سبحانه: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (۱)و لا نريد بالكلى هنا المفهوم الذهنى، الذى يمتنع عروض الوجود العينى له، إذ الكلى إذا جاء فى ظرف الخارج يصير فردا، بل أمرا آخر يحاكيه المفهوم الكلى الذهنى و هو عنوان له. و حينئذ فيشبه أن يكون لكل آيه مراتب من حيث المدلول بحسب عوالم مفاده، فإن القرآن حكايه عن الأفعال و الأحكام الإلهيه، و فيه تبيان كل شىء، و حينئذ فلا يبعد أن تكون حكايه القرآن عن كل واقعه على نحو ينطبق على جميع

۱- ۱) الحجر:۲۱.

عوالمه، بشرط أن يراعى فى كل منها المعنى بحيث يناسب ذلك العالم، إذ متاع البيت يشبه صاحب البيت، و حينئذ فلا بد من نقل تلك القضيه بجميع أجزائها إلى ذلك العالم، و أخذ كل واحد على الوجه المناسب له، و حينئذ فقد يكون ما هو حقيقه فى هذا العالم مجازا معنويا فى بعض العوالم إما بتوسع فى نسبه المحمول إلى الموضوع، أو فى غيره كما فى نسبه القتل إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله فإنه إذا لوحظ النبى فى عالم المجردات يكون نسبه القتل إليه صلّى اللّه عليه و آله حينئذ بلحاظ العلم و الجهل الكلى فى الأرواح. لكن نسبه القتل بينهما لا تقع فى نفس ذلك العالم، بل فى مظاهرهما و آثارهما كما أن القتل الحسّى لا يقع على الأرواح، بل على الأجسام التى هى مظاهر للأرواح، و قد يكون اللفظ مجازا فى عالم الشهاده، و حقيقه فى عوالم أخر كالنور و الظلمه، التى كثر ذكرهما فى الآيات و الأخبار فى شأن المكلفين كقوله تعالى: اَللّٰهُ وَلِيُّ اَلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَى اَلنُّورِ (1)إذ الظلمات بحسب الظاهر هو الجهل بمصالحه و مفاسده أو ما أشبه ذلك، و هو مجاز بعلاقه المشابهه، لكنه على معناه الحقيقى فى عالم المثال و البرزخ و غيرهما. و قد يكون العرض فى عالم جوهرا فى عالم آخر كأعمال المكلفين التى تتجسّم فى النشأه البرزخيه و عالم القيامه، ثم إن الآيه القرآنيه إذا كانت بحسب المعنى لها عوالم، و لكل عالم نحو من الوجود و المصداق فللعارف بها هكذا كالأئمه عليهم السّلام أن يفسّروها مرّه بلحاظ الظاهر، و تاره بلحاظ الباطن، و أخرى بلحاظ التأويل، و رابعه بلحاظ تأويل التأويل، ثم إنه فى كل مرتبه قد يراد من المعنى المقصود المعنى العام الشامل لأنواع و أصناف أقسامه، فيفسّر تاره بلحاظ مصداق نوع، و أخرى بلحاظ مصداق صنف. و من المعلوم أن الأئمه عليهم السّلام عالمون و عارفون بجميع الشئون بنحو أوحاه اللّه

ص: ۸۸

۱- ۱) البقره:۲۵۷.

تعالى إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و مثّله فى قلبهم المبارک، فهم علیهم السّلام مشاهدون بحقائقه کلها کما علمت أنه آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (۱)ففى کل شخص أو أى مسأله یعلمون أنه (أو أنها) من أىّ مصادیق القرآن بحسب ما ینطبق علیه (أو علیها) کما لا یخفى، و لهذا ربما یرى الجاهل بهذه الأمور اختلافا بین الجوابین فیما یرى اتحاد موضوعهما، مع الجهل بأن الموضوع فى کل منهما غیره فى الآخر بحسب ملاحظه هذه الأمور، التى یوجب لحاظها تغییرا فى الأخذ بظاهر الکلام. فظهر مما ذکر أن الآیات القرآنیه بجمیع شئونها و عوالمها تکون لدیهم، و لا تکون هکذا عند غیرهم، بل و لا عشر أعشار ما عندهم علیهم السّلام لا یکون عند غیرهم کما لا یخفى على المتتبع للآثار. و قد یقال: إن المراد من الآیات

فى قوله علیه السّلام:

«و آیات اللّه لدیکم»

هو ما أودعه اللّه تعالى فى سایر خلقه مما أودعه فى کیفیه خلقهم ذاتا و صفه و فعلا حیث إنها بحیث تنبئ عن الحکم و المصالح التى جعلها فیها، و لا یمکن لأحد الإحاطه بها، أو بیانها کما خلقه اللّه تعالى فإنها کلها عندهم علیهم السّلام و قد بیّنوها للناس کما فى حدیث توحید المفضل و نحوه، و من أراد الاطلاع على هذه الأمور، فلیراجع السماء و العالم من البحار، أو یراد منها ما أودعه اللّه تعالى فیهم من الأمثال، التى ضربها للخلق مما فیه اعتبارهم و تنبیههم و تعلیمهم و تعریفهم، و جمیع ما یراد منهم مما نصبه اللّه تعالى آیه مبینه و مبصره فى الآفاق و فى أنفس الخلق. قال تعالى: وَ تِلْکَ اَلْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما یَعْقِلُها إِلاَّ اَلْعالِمُونَ (۲)و هم علیهم السّلام العالمون بها، و قال تعالى: وَ کَأَیِّنْ مِنْ آیَهٍ فِی اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ یَمُرُّونَ عَلَیْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ (۳)و هم علیهم السّلام یعلمونها و لا یعرضون عنها بل یلاحظونها

۱- ۱) العنکبوت:۴۹.

۲- ۲) العنکبوت:۴۳.

۳- ۳) یوسف:۱۰۵.

و قال تعالى: وَ ضَرَبْنا لَكُمُ اَلْأَمْثالَ (۱)و هم عليهم السّلام يعرفونها، و قال تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي اَلْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ اَلْحَقُّ (۲)و هم عليهم السّلام قد رأوها و أراهم اللّه تعالى تلك. و جميع هذه الآيات لديهم عليهم السّلام إما بمعنى أنهم عليهم السّلام العالمون الذين يعقلونها، أو أنها ضربت لهم، أو أنها صدرت عنهم تشريعا بالبيان، أو تكون بالإعجاز، أو أنها آياتهم، بل الحجج المضروبه منه تعالى لبيان حقيقتهم، أو أنها آيات محامدهم كسوره هل أتى حيث نزلت فيهم، و كذا ساير الآيات النازله فى شأنهم، و قد عقد لها المجلسى بابا فى البحار فراجع، فإن فى القرآن آيات تدل على محامدهم و الثناء عليهم، أو أن تلك الآيات من صفاتهم لما علمت من أن القرآن ظهور الأسماء الإلهيه التى تجلى اللّه بها. و قد علمت أنهم الأسماء الحسنى، فحينئذ تكون صفاتهم بلحاظ حقيقتها الواقعيه، فالآيات حينئذ آيات و علامات بالحقيقه لهم عليهم السّلام أو معنى أنها لديهم أنهم عليهم السّلام المعرفون بها، فإنهم عليهم السّلام عرفوا للخلق بتلك الآيات إما ببيانها أو بقيامها بهم عليهم السّلام فى الخارج بلحاظ أنهم عليهم السّلام أحسن مصداق لها،

قال عليه السّلام فى النهج ما يقرب من هذا: «أنزلوهم (أى آل محمد صلّى اللّه عليه و آله) أحسن منازل القرآن» ، أو المراد منها إنهم عليهم السّلام الدالون عليها بأنحاء الدلاله، أو أنهم عليهم السّلام هم الموردون حياض الانتفاع بها شيعتهم، و الذائدون عنها أعدائهم. أقول: و يمكن أن يراد من هذه الجمله أنهم هم نفس تلك الآيات الإلهيه، و معنى كونها لديهم أن كونها كونهم، فإن الشىء عند نفسه فيصح أن يقال: هو لديه أى أن الشىء لديه و لدى نفسه، و متقوّم به بأن يمسكه اللّه تعالى به فهو (أى ذو الآيه) لدى

۱- ۱) إبراهيم:۴۵.

۲- ۲) فصلت:۵۳.

الآیه ما شاهدها دون ما فقدها، فإنه حینئذ لا یکون لدیه، فافهم تعرف، ثم إنه إنما أطلق علیهم أنهم آیات اللّه، لأنهم علیهم السّلام علامات جلیله و جلیّه و واضحه لعظمه اللّه و قدرته و لطفه و رحمته، مضافا إلی أنه وردت أحادیث صریحه فی ذلک.

ففی البحار (۱)عن تفسیر القمی:

وَ اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ آیٰاتِنٰا غٰافِلُونَ قال: أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام و الدلیل علی ذلک قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «ما للّه آیه أکبر منی» .

و فیه عنه، عن داود بن کثیر الرقّی قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه وَ مٰا تُغْنِی اَلْآیٰاتُ وَ اَلنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۲)قال: «الآیات الأئمه و النذر الأنبیاء» .

و فیه عنه،

فَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ فِی جَنّٰاتِ اَلنَّعِیمِ. وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا قال: «و لم یؤمنوا بولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام فَأُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِینٌ (۳). و هذه الأحادیث دلّت علی أن المراد من الآیات هو ولایتهم علیهم السّلام.

و فیه عنه،

سَیُرِیکُمْ آیٰاتِهِ فَتَعْرِفُونَهٰا

(۴)

قال: «أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام إذا رجعوا یعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم» .

و فیه عنه ، بَلْ هُوَ آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (۵)قال: «هم الأئمه علیهم السّلام قوله: وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا (۶)«یعنی ما یجحد أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام إلاّ الکافرون» .

و فی المحکی عن الباقر علیه السّلام أنه قال: «کان علی علیه السّلام یقول: ما للّه عز و جل آیه أکبر

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۲۰۶.

۲- ۲) یونس:۱۰۱.

۳- ۳) الحج:۵۷،۵۶.

۴- ۴) النمل:۹۳.

۵- ۵) العنکبوت:۴۹.

۶- ۶) العنکبوت:۴۹.

منی» .

و عن الصادق علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: أَتَتْکَ آیاتُنا (۱)و قوله سبحانه: وَ لَمْ یُؤْمِنْ بِآیاتِ رَبِّهِ (۲)«الآیات الأئمه أی لم یؤمن بهم و ترکهم معانده فلم یتّبع آثارهم» الخبر.

و عن إکمال الدین، عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ (۳)قال: «یعنی خروج القائم (عج) منّا» ، الخبر.

و فی تفسیر البرهان بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث قال: یقول اللّه سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی اَلْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ «فأیّ آیه فی الآفاق غیرنا أراها اللّه أهل الآفاق» . أقول: من تأمّل فی الأحادیث الوارده فی کیفیه بدو خلقهم، و ما أعطاهم اللّه تعالی من العلم و القدره و الولایه التشریعیه و التکوینیه الإلهیه، و أنها مظاهره عندهم، و هم الأسماء الحسنی الإلهیه، و عندهم الاسم الأعظم بتمام حروفه سوی واحد منها الذی استأثره تعالی عنده. علم بالقطع و الیقین بل بالوجدان أنهم الآیات الإلهیه، التی أراها اللّه تعالی أهل الآفاق، و أنهم أکبر آیه للّه تعالی، و الحمد للّه ربّ العالمین، و صلی اللّه علی محمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: و عزائمه فیکم

قال فی المجمع: یقال: عزمت عزما و عزما (بالضم) و عزیمه: إذا أردت فعله و قطعت علیه، و العزم و العزمه: ما عقد علیه قلبک إنک فاعله.

ص: ۹۲

۱- ۱) طه:۱۲۶.

۲- ۲) طه:۱۲۷.

۳- ۳) الأنعام:۱۵۸.

و قال: و فى تفسير الشيخ أبى علي: أولو العزم أولو الجد و الثبات و الصبر، و قال: و عزم عزما و عزيمه: اجتهد و جدّ فى أمره، و قال: و فى الحديث: من عزائم اللّه كذا، عزائم اللّه: موجباته، و الأمر المقطوع عليه لا ريب فيه و لا شبهه، و لا تأويل فيها و لا نسخ فيه. قال:

و فى حديث: «شهاده أن لا إله إلاّ اللّه، فإنها عزيمه الإيمان» ، أى عقيدته المطلوبه للّه تعالى من خلقه، و ما زاد عليها كمال لها، و العزيمه هى إراده الفعل و القطع عليه، و الجد فى الأمر. و قال: و عزم اللّه لى أى: خلق اللّه فىّ قوه و صبرا. و عزم اللّه لى: أى خلق اللّه لى عزما.

و فى الحديث «الزكاه عزمه من عزمات اللّه تعالى» أى حق من حقوقه، و واجب من واجباته، و العزائم: الرقى، و عزمت عليكم: أى أقسمت عليكم. و قال: و عزائم المغفره: محتّماتها، و المراد ما يجعلها حتما. و العوازم: جمع عازمه و هى التى جرت به السنّه من الفرائض و السنن من قوله تعالى: فَإِذٰا عَزَمَ اَلْأَمْرُ (1)أى لزم فرض الجهاد. و تلخيصها: أن العوازم هى: الأمور الثابته بالكتاب و السنه، و عوازم الأمر: ما أمر اللّه فيها، انتهى ملخصا. أقول: العزائم جمع عزيمه و هى الشىء الذى لا بد منه، و يختلف باختلاف الموارد، فحينئذ معنى و عزائمه فيكم: أن الإراده القطعيه بنحو عقد عليها القلب على فعل مثلا- بنحو الجدّ و الثبات و الصبر و الاجتهاد فى تحصيل مرضاته تعالى فيكم، أو أن عزائم اللّه و موجباته، التى هى مقطوع بها فى الدين بحيث لا ريب و لا شبهه و لا تأويل و لا نسخ فيها من العقائد و الأحكام و المعارف الإلهيه كلها فيكم، أى عندكم و أنتم متلبّسون بها، و متحققون بحقائقها و عاملون بها، أو أن العقيده المطلوبه من

۱- ۱) محمد:۲۱.

العباد للّه تعالى و هى: ما دلّت عليه كلمه التوحيد تكون فيكم، أى أنتم متصفون بمفادها بنحو الأتم الأكمل على ما هى عليه فى الواقع، أو أنه تعالى خلق و جعل فيكم العزم أى القوه و الصبر على الأمور.

و فى الدعاء:

«و قد علمت أن أفضل زاد الراحل إليك عزم إراده يختارك بها»

الدعاء، فإن المستفاد منها أن العزم له دخل عظيم فى الوصول إلى نتائج الأعمال الصالحه، و الفوز بالمقامات العاليه، حيث جعل أفضل الزاد إليه تعالى عزم الإراده، فإنه الذى يجعل جميع عناوين العبادات من الصلوه و الحج و الصوم و غيرها على نحو المطلوبيه له تعالى، حيث إن المراد من عزم الإراده بقرينه تعقيبها لقوله: يختارك بها،

و قوله عليه السّلام بعد ذلك: «و قد ناجاك بعزم الإراده قلبى» هو الخلوص و الإخلاص للّه تعالى فى إتيان الأعمال له تعالى، فلا محاله تكون الأعمال منتجه بما وعد اللّه العالمين بها، مضافا إلى أنه (أى عزم الإراده يوجب الاستقامه فى الأمر، التى هى السبب الوحيد للوصول إلى السعادات الأبديه، قال تعالى: إِنَّ اَلَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ ثُمَّ اِسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ اَلْمَلاٰئِكَهُ (١)الآيه، و كذا غيرها و لذا أمر صلّى اللّه عليه و آله بالاستقامه فى قوله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ (٢)

و قال صلّى اللّه عليه و آله: «شيّبتنى سوره هود» ، قيل: لما فيها من هذه الآيه المباركه، فالاستقامه التى هى حقيقه العزم، مضافا إلى أنه ملازم للإخلاص يكون مظهرا لعبوديه العبد لدى سيّده، و قائما بوظيفته اللازمه عليه كما لا يخفى. أو أن الواجبات الإلهيه و حقوقه تعالى من الزكوه مثلا و نحوها تكون فيكم، أى علمها و بيان حقيقتها و كيفيه عملها يكون فيكم، أى عندكم و منكم، و كذا عندكم عوازمه، التى جرت بها السنه من الفرائض و السنن الثابته بالكتاب و السنه، و ما أمر اللّه تعالى بها، فإنها كلها تكون فيكم و عندكم، أو أنكم تأخذون بالعزائم

١- ١) فصلت:٣٠.

٢- ٢) هود:١١٢.

دون الرخص، أى أنتم تتحملون مشقه العزائم على أنفسكم، و لا تأخذون بالرخص كذا قيل. و فيه: أنهم عليهم السّلام كانوا أيضا يأخذون بالرخص،

فقد روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله: «إن اللّه يجب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه (أو قال: بفرائضه) فخذوا برخص اللّه و لا تشددوا على أنفسكم، إن بنى إسرائيل لما شددوا على أنفسهم شدّد اللّه عليهم» . أقول: و التشديد منهم تركهم الأخذ بالرخص، و حيث إنه نهى عنه تنزيها، فبعيد منهم عليهم السّلام ترك الرخص، فتأمل. أو أن الواجبات الإلهيه اللازمه التى لا رخصه فى تركها من الاعتقاد بإمامتهم و عصمتهم، و وجوب متابعتهم و موالاتهم كلها فيكم أى عندكم، و قد بيّنوها بالآيات و الأخبار المتواتره الصادره منهم عليهم السّلام أو أن العزائم التى أقسم اللّه تعالى بها فى القرآن كالشمس و القمر و الضحى و التين و الزيتون و البلد إنما هى فيكم، أى أنتم المقصودون بها و القيّمون عليها فإنها قائمه بكم و بولايتكم و أنتم الواسطه لاستفاضتها الفيض من المبدإ المتعال. هذا و قد وردت أحاديث قد فسرت تلك العزائم بهم عليهم السّلام كما لا يخفى على المتتبع لآثارهم. ففى البحار ج ۲۴ ذكر أحاديث كثيره فى تفسير كثير من الآيات التى قد فسرت و أولت بهم عليهم السّلام فمنها:

فيه ص ۷۶ عن تفسير القمى:

وَ اَلنَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ

(۱)

قال: النجم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا هوى، لما أسرى به إلى السماء و هو فى الهواء.

و فيه عن الكنز، عن ابن عباس فى قول اللّه عز و جل: وَ اَلشَّمْسِ وَ ضُحٰاهٰا (۲)

ص: ۹۵

۱- ۱) النجم:۱.

۲- ۲) الشمس:۱.

قال: هو النبی صلّی اللّه علیه و آله وَ اَلْقَمَرِ إِذٰا تَلاٰهٰا (۱)قال: علی بن أبی طالب علیه السّلام وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا جَلاّٰهٰا (۲)قال: الحسن و الحسین علیهما السّلام وَ اَللَّیْلِ إِذٰا یَغْشٰاهٰا بنو أمیه، الحدیث.

و فیه عن تفسیر القمی،

وَ هُوَ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهٰا فِی ظُلُمٰاتِ اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ

(۳)

قال: النجوم آل محمد صلّی اللّه علیه و آله.

و فیه عن الکنز، عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: فَلاٰ أُقْسِمُ بِرَبِّ اَلْمَشٰارِقِ وَ اَلْمَغٰارِبِ (۴)قال: «المشارق الأنبیاء و المغارب الأوصیاء» . قال المجلسی رحمه اللّه: بیان: عبّر عن الأنبیاء بالمشارق، لأن أنوار هدایتهم تشرق علی أهل الدنیا، و عن الأوصیاء بالمغارب، لأن بعد وفاه الأنبیاء تغرب أسرار علومهم فی صدور الأوصیاء، ثم تفیض عنهم علی الخلق بحسب قابلیاتهم و استعدادهم. أقول: و لعل التعبیر عن الأوصیاء بالمغارب، لأنهم علیهم السّلام بعد النبی غربوا عن الخلق و استتروا عنهم، فکما أن الشمس تغرب عند المساء، و تغیب عن الناس مع وجودها فی وراء الأفق، فکذلک الأوصیاء غابوا و غربوا عنهم مع وجودهم فی وراء أفق العامه العمیاء، فلم یستضیء بهم إلاّ شیعتهم، و کیف کان فقد وردت أحادیث فی هذا الموضوع، فراجع (۵). أو المراد أن سور العزائم أو آیات العزائم نزلت فیکم، یعنی أن المقصود منها بنحو تنطبق علیه تلک العزائم أنتم، فبهذا اللحاظ کأنها نزلت فیهم، فتأمل، أو أن المراد أن الأحکام التی یجب علینا قبولها فإنما هی بمتابعتکم إذ إنها فیکم، فلا محاله تؤخذ عنکم بمتابعتکم، أو أن المراد أن العزائم أی خصوص المواثیق المؤکده،

ص: ۹۶

۱- ۱) الشمس:۲.

۲- ۲) الشمس:۴.

۳- ۳) الأنعام:۹۷.

۴- ۴) المعارج:۴۰.

۵- ۵) البحار ج ۲۴.

و العهود الموثقه الإلهيه قد أخذها اللّه تعالى علينا فيكم أى فى متابعتكم. و الحاصل: أن اللّه تعالى أخذ منا تلك العهود فى متابعتكم، و قد يقال: إن المراد أن ملكوت كل شيء الذى لا بد منه فى وجود كل موجود، بحيث لولاه لما يوجد فإنما هى فيكم، و حينئذ يكون من العزيمه المفسره بالملكوت هو عالم الأمر الإلهى، الذى هو من شئون اسم اللّه الأعظم، الذى هو مبدأ ظهور الأشياء، فهو ذلك الأمر و عالم الأمر إنما هو فيكم إذ أنتم مصدر الأشياء بإرادته تعالى و إذنه.

قال عليه السّلام فى الزياره كما فى كامل الزيارات:

«إراده الرب فى مقادير أموره تهبط إليكم و تصدر من بيوتكم»

الزياره، و قد تقدم ما يمكن أن يكون شرحا لهذه الجمله، فراجع، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله عليه السّلام: و نوره و برهانه عندكم و أمره إليكم

قد يقال: إن المراد من و نوره هو العلوم و الحقائق و الهدايات، التى هى حقائق القرآن الذى هو النور، قال تعالى: يا أَيُّهَا اَلنّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (1)يعنى القرآن كما فسر به، و إطلاق النور على القرآن كثير جدا، و كذا المراد من برهانه هو القرآن أيضا، لما تقدم من قوله تعالى: قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فالقرآن برهان باعتبار كونه حجه على الخلق إلى يوم القيامه، أو المراد منه الدلائل الظاهره و المعجزات الباهره التى صدرت عنهم عليهم السّلام فإنها كلها تكون عندهم، فهم مظاهر آيات اللّه و علومه و برهانه كما تقدم أيضا.

و قوله:

و أمره إليكم

، من الإمامه و إظهار العلوم و من الأحكام الإلهيه، التى صدرت عنهم لمكان ولايتهم التشريعيه و التكوينيه، قال تعالى: وَ ما آتاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، و قال تعالى: هٰذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ

۱- ۱) النساء:۱۷۴.

بِغَيْرِ حِسٰابٍ

(۱)

. أقول: تقدم الکلام فی

«و نوره و برهانه»

و فی قوله علیه السّلام:

«و خصّکم ببرهانه » ، فلا نعید إلاّ أن

قوله علیه السّلام:

«و نوره و برهانه عندکم»

، ظاهر فی أن المراد منها هو ما به ظهور الحق، و لا ریب أنه بعلومهم و ولایتهم ظهر الحق للناس، و کذا البرهان فإنه یراد منه أن الحجه و الدلیل الموجب لإثبات الحق و الدین الإلهی إنما هو عندکم، و هو إما نفس النبی صلّی اللّه علیه و آله کما

فی المحکی عن تفسیر العیاشی، عن عبد اللّه بن سلیم، قال: قلت للصادق علیه السّلام: فی قوله تعالی: قَدْ جٰاءَکُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّکُمْ (۲)، قال: «البرهان محمد صلّی اللّه علیه و آله» ، أو النبوه و العظمه کما یستفاد هذا من فحوی ما

فی المحکی عن مجمع البیان، عن الصادق علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: لَوْ لاٰ أَنْ رَأیٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ إنه النبوه و العصمه المانعه من ارتکاب الفواحش، و من المعلوم أن النبوه و العصمه عندهم علیهم السّلام أی حقائقها.

و فی تفسیر نور الثقلین عن تفسیر علی بن إبراهیم: قوله تعالی: یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ قَدْ جٰاءَکُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکُمْ نُوراً مُبِیناً (۳)«فالنور أمیر المؤمنین علیه السّلام ثم قال: فَأَمَّا اَلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ اِعْتَصَمُوا بِهِ فَسَیُدْخِلُهُمْ فِی رَحْمَهٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ. . و هم الذین تمسّکوا بولایه أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام» .

و فیه، و فی تفسیر العیاشی عن عبد اللّه بن سلیمان قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: قوله: قَدْ جٰاءَکُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکُمْ نُوراً مُبِیناً (۴)قال: «البرهان محمد صلّی اللّه علیه و آله و النور علی علیه السّلام قال: قلت له: صِرٰاطاً مُسْتَقِیماً ، قال: الصراط المستقیم علی علیه السّلام» .

۱- ۱) سوره ص:۳۹.

۲- ۲) النساء:۱۷۴.

٣- ٣) النساء:١٧٤.

٤- ٤) النساء:١٧٤.

و أما قوله علیه السّلام:

«و أمره إلیکم»

، فنقول: قد یقال: إن المتبادر من و أمره هو الشأن، أی ما هو شأنه تعالی اللایق به هو إلیکم، و شأنه تعالی کثیره قال تعالی کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ (۱).

فعن تفسیر علی بن إبراهیم: و قوله: یَسْئَلُهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ (۲)قال: «یحیی و یمیت و یرزق و یزید و ینقص» .

و فی المحکی عن الکافی، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبه و فیها: «الحمد للّه الذی لا یموت، و لا تنقضی عجائبه، لأنه کل یوم هو فی شأن من إحداث بدیع لم یکن» .

و عن المجمع، عن أبی الدرداء عن النبی صلّی اللّه علیه و آله فی قوله: کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ قال: «من شأنه أن یغفر ذنبا، و یفرج کربا، و یرفع قوما، و یضع آخرین» . أقول: و لکن یجمعه بحیث لا یشذّ عنه شأن ولایته تعالی، و هی جامعه لشئون المعبود جلّ و علا و هی ثابته لهم علیهم السّلام.

ففی بصائر الدرجات (۳)أحادیث دلّت علی أن ولایتهم ولایه اللّه منها: ما رواه بإسناده عن أبی بصیر قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «ولایتنا ولایه اللّه، التی لم یبعث اللّه نبیا قط إلاّ بها» . أقول: ولایتهم ولایه اللّه بما لها من المعنی المتقدم شرحه فی أول الشرح فی الدنیا و الآخره. و بعباره أخری: أنهم علیهم السّلام مظاهرها مطلقا فی جمیع عوالم الوجود.

ففی تفسیر نور الثقلین عن الکافی بإسناده عن علی بن حسان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألته عن قوله عز و جل: هُنٰالِکَ اَلْوَلاٰیَهُ لِلّٰهِ اَلْحَقِّ (۴)قال: «ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام» .

۱- ۱) الرحمن:۲۹.

۲- ۲) الرحمن:۲۹.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۷۵.

۴- ۴) الکهف:۴۴.

و من المعلوم أن ولايته لا تتحقق إلّا فی الخلق، و لا تتحقق فيهم إلّا بهم عليهم السّلام حيث إنهم مظاهرها على ما فسّروا ولايه اللّه بولايه أمير المؤمنين عليه السّلام و هم ذكروا أن ولايتهم ولايه اللّه، فالمستفاد حينئذ منها أن شأنه تعالى و ولايته إليهم، فإن لفظ الأمر عام يشمل جميع أموره تعالى من عالم الأمر، و هو كما قلنا ظاهر فی ولايته تعالى و هم مظاهرها، و حينئذ فمعنى أن ولايه اللّه تعالى و أمره إليهم أنه تعالى فوّض أمره و ولايته إليهم عليهم السّلام. و لكن حيث إنه تعالى فوّض إليهم أمر الخلق لم يرفع يده سبحانه عن شیء من ذلک، بل الولايه الثابته لهم عليهم السّلام و صاحب الولايه أعنی النبی صلّی اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام تحت ولايته تعالى، و فی قبضته يتصرّف فيها كيف يشاء، و الولی أيضا يتصرف فيها بإذنه كيف شاء اللّه تعالى كما أخبر تعالى عن حقيقتهم بما لهم تلک الولايه قال: بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. . . الآيات، و قد تقدم بيانها. فاللّه تعالى هو الولی المطلق، ثم من دونه بإذنه تعالى وليّه، فالولی و ولايته قائمان بمدد اللّه تعالى كقيام الصوره فی المرآه، فالولی هو المظهر، و ولايته تعالى هو الظاهر فيه كما

قال عليه السّلام:

«و نحن مظاهره فيكم»

، و هذا هو السرّ

لقوله عليه السّلام:

«و أمره إليكم»

، أی أمره من الشأن و الولايه الإلهيه الذی لا يشاركه فيه غيره فی كل حال إليكم، أی أنتم قائمون به، و تعملون فيه أی فی أمره بأمره لا بأمركم، فلم يكونوا مستقلين و منحازين عنه تعالى فيه فإنه شرک، مضافا إلى أنه لو جاز استقلالهم به و لو فرض قيامهم به بإذن اللّه لجاز استغناؤهم عن أمره سبحانه، و هذا باطل بالضروره، لأن الخلق مهما كان و بلغ ما بلغ لا يستغنی عن الحق، قال تعالى: يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ أَنْتُمُ اَلْفُقَرٰاءُ إِلَى اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ هُوَ اَلْغَنِيُّ (١)

و قال صلّی اللّه عليه و آله: «الفقر فخری» . هذا مضافا إلى أنه لو كانوا مستقلين فيه لم يكن حينئذ الأمر أمره تعالى، بل هو

١- ١) فاطر:١٥.

أمرهم، و حينئذ لا معنى

لقوله:

«و أمره إليكم»

، بالإضافه بل ينبغى أن يقال: و الأمر إليكم. و كيف كان فالتفويض الصحيح، الـذى يستفاد من هذه الجمله هو: التفويض الذى لا يستلزم عزل الحق عن الخلق، فإن العزل المـذكور يستلزم ألوهيتهم، و هو باطل، و هذا هو التفويض المنهى عنه فى الأحاديث كما ستعلم، ثم إنه لا بد من بيان حقيقه هذا التفويض الصحيح، ليتميز عن الباطل منه، فنقول: لا بد أولا من بيان أمر تتشخص فيه حدود الألوهيه و الربوبيه له تعالى، بحيث يكون أصلا محكما ترد إليه متشابهات الأقوال، و يتميز أيضا مقام الأئمه عليهم السّلام بالنسبه إليه تعالى فى الجمله فنقول: لا ريب على كل ذى مسكه من أنّ القول بألوهيه الأئمه عليهم السّلام أو بكونهم شركاء للّه تعالى فى المعبوديه، أو فى الخلق و الرزق بنحو الاستقلال لا بنحو كونهم وسائط منه تعالى، أو أن اللّه تعالى حلّ فيهم، أو اتحدّ بهم، أو أنهم يعلمون الغيب بغير تعليم من اللّه بالوحى و الإلهام، أو أنهم عليهم السّلام كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأن معرفتهم تغنى عن جميع الطاعات، و لا تكليف معها بترك المعاصى كلها كفر أو شرك أو إلحاد و خروج عن الدين، كما دلّت عليه الأدله العقليه و النقليه الثابته فى كتب أصول العقائد. يدل على هذا من الآيات قوله تعالى فى آل عمران: مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اَللّٰهُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحُكْمَ وَ اَلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّٰاسِ كُونُوا عِبٰاداً لِي مِنْ دُونِ اَللّٰهِ (1)الآيه و قال تعالى فى الرعد: أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشٰابَهَ اَلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اَللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ اَلْوٰاحِدُ اَلْقَهّٰارُ (2)، و قال تعالى فى سوره الروم: اَللّٰهُ اَلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكٰائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحٰانَهُ

۱- ۱) آل عمران:۷۹.

۲- ۲) الرعد:۱۶.

وَ تَعالیٰ عَمّا یُشْرِکُونَ

(۱)

.

و من الأخبار ما فی البحار (۲)عن العیون، الهمدانی، عن علی عن أبیه، عن الهروی قال: قلت للرضا علیه السّلام: یا بن رسول اللّه ما شیء یحکیه عنکم الناس، قال: و ما هو؟ قلت: یقولون: إنکم تدعون أن الناس لکم عبید، فقال: «اللهم فاطر السموات و الأرض عالم الغیب و الشهاد أنت شاهد بأنی لم أقل ذلک قطّ، و لا سمعت أحدا من آبائی علیهم السّلام قاله قطّ، و أنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمه و إن هذه منها، ثم أقبل علیّ و قال: یا عبد السّلام إذا کان الناس کلهم عبیدنا علی ما حکوه عنّا فمن نبیعهم، فقلت: یا بن رسول اللّه صدقت. ثم قال: یا عبد السّلام أ منکر أنت لما أوجبه اللّه عز و جل لنا من الولایه کما ینکره غیرک؟ قلت: معاذ اللّه بل أنا مقرّ بولایتکم» .

و فیه عن قرب الإسناد للطیالسی، عن الفضیل بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «اتقوا اللّه، و عظّموا اللّه، و عظّموا رسوله صلّی اللّه علیه و آله و لا تفضلوا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أحدا فإن اللّه تبارک و تعالی قد فضّله، و أحبّوا أهل بیت نبیکم حبّا مقتصدا، و لا تغلوا، و لا تفرقوا، و لا تقولوا ما لا نقول، فإنکم إن قلتم و قلنا متّم و متنا، ثم بعثکم اللّه و بعثنا فکنا حیث یشاء اللّه و کنتم» .

و فیه عن الخصال الأربعمائه قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «إیّاکم و الغلو فینا، قولوا: إنا عبید مربوبون، و قولوا فی فضلنا ما شئتم» .

و فیه عن العیون بإسناده عن الحسین بن خالد الصیرفی، قال: قال أبو الحسن علیه السّلام: «من قال بالتناسخ فهو کافر» ، الحدیث.

و فیه عن الاحتجاج و غیره فی حدیث. . . إلی أن قال (أی الرضا علیه السّلام) و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «لا تتجاوزوا بنا العبودیه، ثم قولوا ما شئتم، و لن تبلغوا، و إیاکم

۱- ۱) الروم:۴۰.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۲۶۸.

و الغلو كغلو النصاری فإنی بریء من الغالین» .

و فیه عن بصائر الدرجات بإسناده عن کامل التمار، قال: کنت عن أبی عبد اللّه علیه السّلام ذات یوم فقال لی: «یا کامل اجعل لنا ربّا نؤب إلیه، و قولوا فینا ما شئتم، قال: قلت: نجعل لکم ربّا تئوبون إلیه و نقول فیکم ما شئنا؟ قال: فاستوی جالسا، ثم قال: و عسی أن نقول: ما خرج إلیکم من علمنا إلاّ ألفا غیر معطوفه» . أقول: کأنه استعظم کلامه علیه السّلام

حیث قال علیه السّلام: «و قولوا فینا ما شئتم» ، بتوهم أنهم قد علموا مقام الأئمه، و لو فی ظرف عدم کونهم إلها، فعلیه فکیف یمکن أن یقال فیهم فوق ما علموا منهم؟ فأجابه عنه بأنکم ما علمتم حقیقه علمنا، و ذلک لأنه ما خرج إلیکم من علمنا إلاّ ألف غیر معطوفه و هی کنایه عن القلّه، فإن المعطوفه یکون أو غیر المعطوفه یکون و هذه أقلّ معنی من الأولی، و قد تقدم شرحه.

و فیه عن رجال الکشی، عن الوشا، عن بعض أصحابنا، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «من قال بأننا أنبیاء فعلیه لعنه اللّه و من شک فی ذلک فعلیه لعنه اللّه» . و هناک أحادیث أخر فیه مع شرحها ذکرها رحمه اللّه فراجعها. و کیف کان فالمستفاد من هذه الآیات و الأحادیث ما تقدم من نفی الألوهیه عنهم علیهم السّلام و إثباتها له تعالی فقط. إذا علمت هذا فاعلم أنّ هناک أحادیث دلّت علی أنهم علیهم السّلام قد فوّض إلیهم أمر الدین و أمر الخلق و الأشیاء، فلا بد من ذکرها، ثم بیان المقصود منها، فنقول:

فی البحار (1)عن العیون بإسناده عن یاسر الخادم قال: قلت للرضا علیه السّلام: ما تقول فی التفویض؟ فقال: إن اللّه تبارک و تعالی فوّض إلی نبیه صلّی اللّه علیه و آله أمر دینه فقال: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فأما الخلق و الرزق فلا، ثم قال علیه السّلام: «إن اللّه عز و جل خالق کل شیء، و هو یقول عز و جل: اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَکُمْ ثُمَّ رَزَقَکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ هَلْ مِنْ شُرَکٰائِکُمْ مَنْ یَفْعَلُ مِنْ ذٰلِکُمْ مِنْ شَیْءٍ

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۲۸.

سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ

(۱)

.

قوله علیه السّلام: «أما الخلق و الرزق فلا» ، أی أنهم لم یفوض إلیهم أمر الخلق و الرزق، بحیث یکونون رازقین و خالقین فی قباله تعالی مستقلا، و أما کونهم وسائط للخلقه، بحیث یکون اللّه تعالی خالقا بهم فستعلم شرحه قریبا.

و فیه عن بصائر الدرجات بإسناده عن عبد اللّه بن سلیمان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سأله رجل عن الإمام فوّض اللّه إلیه کما فوض إلی سلیمان؟ فقال: «نعم، و ذلک أنه سأله رجل عن مسأله فأجاب فیها، و سأله رجل آخر عن تلک المسأله، فأجاب بغیر جواب الأول، ثم سأله آخر عنها، فأجابه بغیر جواب الأولین، ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أعط بغیر حساب، هکذا فی قراءه علی علیه السّلام قال: قلت: أصلحک اللّه فحین أجابهم بهذا الجواب یعرفهم الإمام؟ قال: سبحان اللّه أ ما تسمع قول اللّه تعالی فی کتابه: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ و هم الأئمه، و أنها لبسبیل مقیم لا یخرج منها أبدا، ثم قال: نعم إن الإمام إذا نظر إلی رجل عرفه، و عرف لونه، و إن سمع کلامه من خلف حائط عرفه و عرف ما هو، لأن اللّه یقول وَ مِنْ آیٰاتِهِ خَلْقُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلاٰفُ أَلْسِنَتِکُمْ وَ أَلْوٰانِکُمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْعٰالِمِینَ (۲)فهم العلماء و لیس یسمع شیئا من الألسن إلاّ عرفه ناج أو هالک فلذلک یجیبهم بالذی یجیبهم به» . أقول: هذا إشاره إلی التفویض فی بیان الحکم علی ما یراه الإمام حین السؤال و الجواب، ما هو الحکم الإلهی فی هذه القضیه الشخصیه؟ و سیأتی بیانه.

و فیه عن بصائر الدرجات بإسناده عن زراره، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «وضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دیه العین و دین النفس و دیه الأنف، و حرم النبیذ و کل مسکر، فقال له رجل: فوضع هذا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من غیر أن یکون جاء فیه شیء؟ قال: نعم

۱- ۱) الروم:۴۰.

۲- ۲) الروم:۲۲.

ليعلم من يطع الرسول و من يعصيه» . أقول: سيأتى بيان المراد من هذا التفويض فى بيان أقسامه.

و فيه عن بصائر الدرجات فى نوادر محمد بن سنان قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام «لا و اللّه ما فوّض اللّه إلى أحد من خلقه إلاّ إلى الرسول و إلى الأئمه عليهم السّلام فقال: إِنّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ اَلْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ اَلنّاسِ بِما أَراكَ اَللّهُ و هى جاريه فى الأوصياء.

و فيه عن الاختصاص و بصائر الدرجات بإسناده عن الثمالى، قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «من أحللنا له شيئا أصابه من أعمال الظالمين فهو له حلال، لأن الأئمه منا مفوّض إليهم، فما أحلّوا فهو حلال، و ما حرّموا فهو حرام» . أقول: سيأتى إن هذا فى الموضوعات لا الأحكام. و مثله

ما فيه عنهما بإسناده عن رفيد مولى أبى هبيره، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إذا رأيت القائم أعطى رجلا مائه ألف، و أعطى آخر درهما، فلا يكبر فى صدرك، فإن الأمر مفوّض إليه» .

و فيه عن تفسير العياشى، عن جابر قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: قوله: لنبيه صلّى اللّه عليه و آله لَيْسَ لَكَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَيْءٌ ، فسره لى، قال: فقال أبو جعفر عليه السّلام «لشىء قاله اللّه، و لشىء أراده اللّه، يا جابر إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان حريصا على أن يكون على عليه السّلام من بعده على الناس، و كان عند اللّه خلاف ما أراد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: قلت: فما معنى ذلك؟ قال: نعم عنى بذلك قول اللّه لرسوله صلّى اللّه عليه و آله: ليس لك من الأمر شىء يا محمد فى على الأمر إلىّ فى على و فى غيره، أ لم أتل عليك يا محمد فيما أنزلت من كتابى إليك: الم. أَ حَسِبَ اَلنّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ (۱)إلى قوله: وَ لَيَعْلَمَنَّ (۲)قال: فوّض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الأمر إليه» . أقول: ذكر هذا الحديث فى المقام إنما هو لدفع ما يتوهم من أن التفويض إلى

ص: ۱۰۵

۱- ۱) العنكبوت:۱-۲.

۲- ۲) العنكبوت:۳.

الرسول و إلی الأئمه ربما ینافیه قوله تعالی: لَیْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَیْءٌ فإنه یندفع بما قاله علیه السّلام من أنّ الآیه وارده فی مورد خاص، و هو موضوع کون أمیر المؤمنین علی الناس ظاهرا بعده صلّی اللّه علیه و آله فإنه تعالی بیّن لنبیه أن الأمه لا بد لهم من أن یمتحنوا کما أنزلنا إلیک، و امتحانهم إنما هو بما وقع من الفتن بعده صلّی اللّه علیه و آله و تمام الکلام موکول فی محله، فلیس قوله: لَیْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَیْءٌ (۱)، ینافی التفویض المذکور. و لذا

روی فیه عن تفسیر العیاشی، عن جابر الجعفی قال: قرأت عند أبی جعفر علیه السّلام قول اللّه: لَیْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَیْءٌ قال: «بلی و اللّه، إن له من الأمر شیئا و شیئا و شیئا، و لیس حیث ذهبت، و لکنی أخبرک أن اللّه تبارک و تعالی لما أمر نبیّه صلّی اللّه علیه و آله أن یظهر ولایه علی علیه السّلام فکّر فی عداوه قومه له و معرفته بهم و ذلک للذی فضّله اللّه به علیهم فی جمیع خصاله، کان أول من آمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بمن أرسله، و کان أنصر الناس للّه و لرسوله، و أقتلهم لعدوهما، و أشدهم بغضا لمن خالفهما و فضل علمه الذی لم یساوه أحد، و مناقبه التی لا تحصی شرفا. فلما فکّر النبی صلّی اللّه علیه و آله فی عداوه قومه له فی هذه الخصال، و حسدهم له علیها، ضاق عن ذلک، فأخبر اللّه أنه لیس له من هذا الأمر شیء، إنما الأمر فیه إلی اللّه أن یصیّر علیا وصیّه و ولی الأمر بعده، فهذا عنی اللّه، و کیف لا یکون من الأمر شیء و قد فوّض اللّه إلیه أن جعل ما أحل فهو حلال، و ما حرم فهو حرام، قوله: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۲). أقول:

قوله علیه السّلام: «و کیف لا یکون. . . الخ» ، ظاهر فیما قلنا من أنه لیس لک من الأمر شیء، مسوق لبیان ما حتمه اللّه فی أمر علی علیه السّلام و فی افتتان الأمه به علیه السّلام بعده صلّی اللّه علیه و آله و هذا لا ینافی تفویض الأمر إلیه صلّی اللّه علیه و آله فی سایر الأشیاء.

ص: ۱۰۶

۱- ۱) آل عمران:۱۲۸.

۲- ۲) الحشر:۷.

و فیه (۱)عن الکافی بإسناده عن زراره قال: سمعت أبا جعفر، و أبا عبد اللّه علیه السّلام یقولان: «إن اللّه عز و جل فوّض إلی نبیه أمر خلقه، لینظر کیف طاعتهم، ثم تلا هذه الآیه: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا .

و فیه عنه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اللّه تبارک و تعالی أدّب نبیّه صلّی اللّه علیه و آله فلما انتهی به إلی ما أراد قال له: وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ (۲)ففوض إلیه دینه فقال: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا و إن اللّه عز و جل فرض الفرائض، و لم یقسم للجدّ شیئا، و إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أطعمه السدس، فأجاز اللّه جلّ ذکره له ذلک، و ذلک قول اللّه عز و جل: هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ (۳). أقول: قد ذکروا علیهم السّلام فی غیر واحد من الأخبار قولهم علیهم السّلام: إن اللّه تبارک و تعالی أدّب نبیّه صلّی اللّه علیه و آله فلما انتهی إلی ما أراد، و ذلک لمعنی و حاصله: أنه صلّی اللّه علیه و آله إنما وضع بعض الأحکام کما أشیر إلیه فی هذا الحدیث، و فیما تقدم من حدیث زراره من وضع دیه العین و نحوها بعد ما أدّبه اللّه تعالی بحیث صار صلّی اللّه علیه و آله کما أراد من إحاطته صلّی اللّه علیه و آله بمصالح الأمور، و أنه لا یرید شیئا إلاّ ما أراده اللّه تعالی، فبعد هذه المنزله فوض إلیه أمر الدین حتی فی وضع الأحکام هکذا، و أمضی اللّه تعالی، و أجاز ما وضع علما منه تعالی أنه صلّی اللّه علیه و آله لا یضع حکما إلاّ ما یریده اللّه، و سیأتی توضیح لهذا قریبا إن شاء اللّه. و هذا من خصائصه صلّی اللّه علیه و آله حیث إنه أشرف الأنبیاء من جمیع الجهات، و إلیه یشیر ما فیه

عن بصائر الدرجات فی حدیث، و قال فی آخره: «و لم یفوض إلی أحد من الأنبیاء غیره» .

و فیه عن بصائر الدرجات بإسناده عن زراره قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن

۱- ۱) البحار ج ۱۷ ص ۴.

۲- ۲) القلم:۴.

۳- ۳) ص:۳۹.

أشياء من الصلوات و الديات و الفرائض، و أشياء من أشباه هذا فقال: «إنّ اللّه فوض إلى نبيّه» .

و فيه عنه بإسناده عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قال لى جعفر بن محمد عليه السّلام: «إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يفوض إليه، إن اللّه تبارك و تعالى فوض إلى سليمان عليه السّلام ملكه فقال: هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ (۱)و إن اللّه فوض إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله نبيه فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۲)فقال رجل: إنما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مفوضا إليه فى الزرع و الضرع. فلوّى جعفر عليه السّلام عنه عنقه مغضبا فقال: فى كل شىء و اللّه فى كل شىء» .

و فى البحار (۳)من كتاب رياض الجنان لفضل اللّه بن محمود الفارسى بالإسناد عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فذكرت اختلاف الشيعه فقال: «إن اللّه لم يزل فردا متفردا بالوحدانيه، ثم خلق محمدا و عليّا و فاطمه عليهم السّلام فمكثوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء و أشهدهم خلقها، و أجرى عليها طاعتهم، و جعل فيهم ما شاء، و فوض أمر الأشياء إليهم فى الحكم و التصرف و الإرشاد و الأمر و النهى فى الخلق، لأنهم الولاه فلهم الأمر و الولايه و الهدايه، فهم أبوابه و نوابه و حجابه، يحللون ما شاء، و يحرمون ما شاء، و لا يفعلون إلاّ ما شاء عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . فهذه الديانه التى من تقدمها غرق فى بحر الإفراط، و من نقصهم عن هذه المراتب التى رتّبهم اللّه فيها زهق فى برّ التفريط، و لم يوف آل محمد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم، ثم قال: خذها يا محمد فإنها من مخزون العلم و مكنونه» . أقول: و مثله عن الكافى مع اختلاف فى اللفظ.

۱- ۱) سوره ص:۳۹.

۲- ۲) الحشر:۷.

۳- ۳) البحار ج ۲۵ ص ۳۳۹.

و فی بصائر الدرجات (۱)بإسناده عن معلی بن خنیس، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۲)قـال: «آل محمـد، فعلی الناس أن یسألوهم و لیس علیهم أن یجیبوا، ذلک إلیهم إن شاءوا أجابوا و إن شاءوا لم یجیبوا» . أقول: و مثله کثیر، و هذا أیضا یدل علی تفویض أمر الجواب إلیهم علیهم السّلام کما ستأتی الإشاره إلیه. أقول: قال المجلسی رحمه اللّه فی البحار (۳): و أما التفویض فیطلق علی معان بعضها منفی عنهم علیهم السّلام و بعضها مثبت لهم. فالأول: التفـویض فی الخلـق و الرزق و الـتربیه و الإمـاته و الإحیـاء، فـإن قومـا قـالوا: إن اللّه تعـالی خلقهم و فوض إلیهم أمر الخلق، فهم یخلقون و یرزقون و یمیتون و یحیون، و هـذا الکلاـم یحتمـل وجهین: أحـدهما: أن یقـال: إنهم یفعلون جمیع ذلـک بقـدرتهم و إرادتهم، و هم الفاعلون حقیقه، و هذا کفر صـریح دلت علی استحالته الأدله العقلیه و النقلیه، و لا یستریب عاقل فی کفر من قال بـه. و ثانیهمـا: أن اللّـه تعـالی یفعـل ذلـک مقارنـا لإـرادتهم کشـق القمر، و إحیـاء المـوتی، و قلب العصـا حیّه، و غیر ذلـک من المعجزات، فإن جمیع ذلک إنما تحصل بقـدرته تعالی مقارنا لإرادتهم، لظهور صـدقهم، فلا یأبی العقل عن أن یکون اللّه تعالی خلقهم و أکملهم و ألهمهم ما یصلح نظام العالم، ثم خلق کل شیء مقارنا لإرادتهم و مشیتهم، و هذا و إن کان العقل لا یعارضه کفاحـا، لکن الأخبـار السالفه تمنع من القول به فیما عـدا المعجزات ظاهرا بل صـراحا، مع أن القول به قول بما لا یعلم إذ لم یرد ذلک فی

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۳۹.

۲- ۲) الأنبیاء:۷.

۳- ۳) البحار ج ۲۵ ص ۳۴۸.

الأخبار المعتبره فيما نعلم. أقول: قوله رحمه اللّه أن يقال: إنهم يفعلون جميع ذلك بقدرتهم. . إلخ، أى بنحو الاستقلال فى قبال الحق تعالى فإن هذا كفر صريح، و أما القول بأن لهم عليهم السّلام المدخليه فى الخلق، بحيث يصح الاستناد إليهم بنحو يصح استناد ما استند إليهم إليه تعالى بالوجه الذى أشار إليه أخبار الأمر بين الأمرين فلا كفر فيه بل هو الحق، و بيان هذا يتوقف على بيان الأخبار فى الباب بالمقدار اللازم، ثم بيان المدعى المستفاد منها فنقول:

فى توحيد الصدوق (1)بإسناده عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام قالا: «إن اللّه عز و جل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذبهم عليها، و اللّه أعزّ من أن يريد أمرا فلا يكون، قال: فسئلا عليهما السّلام هل بين الجبر و القدر منزله ثالثه؟ قالا: نعم أوسع مما بين السماء و الأرض» .

و فيه (2)بإسناده عن معاذ بن جبل قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. . . إلى أن قال: ثم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «عن اللّه أروى حديثى، إن اللّه تبارك و تعالى يقول: «يا بن آدم بمشيتى كنت أنت الذى تشاء لنفسك ما تشاء، و بإرادتى كنت أنت الذى تريد لنفسك ما تريد و بفضل نعمتى عليك قويت على معصيتى، و بعصمتى و عونى و عافيتى أديت إلىّ فرائضى، فأنا أولى بحسناتك منك، و أنت أولى بسيئاتك منى» الحديث.

و فى حديث آخر رواه عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال عليه السّلام فى ذيله: ثم قال: قال اللّه عز و جل : «يا بن آدم أنا أولى بحسناتك منك، و أنت أولى بسيئاتك منّى، عملت المعاصى بقوتى التى جعلتها فيك» .

1- 1) توحيد الصدوق ص 360.

2- 2) توحيد الصدوق ص 344.

و فيه (۱)بإسناده عن سليمان بن جعفر الجعفرى، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال: ذكر عنده الجبر و التفويض، فقال: «أ لا أعطيكم فى هذا أصلا لا تختلفون فيه، و لا تخاصمون عليه أحدا إلّا كسرتموه؟ قلنا: إن رأيت ذلك، فقال إن اللّه عز و جل لم يطع بإكراه، و لم يعص بغلبه، و لم يهمل العباد فى ملكه، هو المالك لما ملكهم، و القادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن اللّه عنها صادا، و لا منها مانعا، و إن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم و بين ذلك فعل، و إن لم يحل و فعلوه، فليس هو الذى أدخلهم فيه، ثم قال عليه السّلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه» .

و فيه (۲)بإسناده عن مهزم قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أخبرنى عما اختلف فيه من خلّفت من موالينا، قال: قلت: فى الجبر و التفويض، قال: فسلنى قلت: أجبر اللّه العباد على المعاصى؟ قال: اللّه أقهر لهم من ذلك، قال: قلت: ففوض إليهم؟ قال: اللّه أقدر عليهم من ذلك، قال: قلت: فأىّ شىء هذا أصلحك اللّه؟ قال: فقلب يده مرتين أو ثلاثا ثم قال: لو أجبتك لكفرت» . أقول:

قوله عليه السّلام: «اللّه أقهر لهم من ذلك» ، و ذلك حيث إن القائل بالجبر يقول: إن اللّه تعالى لو جعل عباده مختارين لفات عنه إنفاذ مشيته فيهم، كما ذهبت إليه المفوضه

فقال عليه السّلام: «إنه تعالى أقهر لهم من ذلك، و ليست الملازمه ثابته، بل هو قاهر عليهم مع اختيارهم» ، و إليه يشير ما تقدم من

قوله عليه السّلام: «هو المالك لما ملكهم» . فنقول: المستفاد من هذه الأحاديث و هى كثيره أن العباد فى أفعالهم كانوا مختارين، و لذا يصحّ استناد الفعل إليهم، و مع ذلك قد صحّ استناده إليه تعالى، بل ما أراده كان و يكون، و إليه يشير

قول أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «اللّه أقدر عليهم من ذلك» ،

و قول الرضا عليه السّلام: «هو المالك لما ملكهم» . فإن قلت: إن أحاديث الباب وارده مورد المعاصى غالبا.

۱- ۱) توحيد الصدوق ص ۳۶۱.

۲- ۲) توحيد الصدوق ص ۳۶۲.

قلت: إنها قد وردت فی موردها و لا تختص بها، فالمستفاد منها هو الأمر الکلی و القاعده الکلیه، التی تشمل جمیع الأفعال من العباد حتی الأنبیاء و الأئمه، بل و الملائکه کما لا یخفی فلا یختص المستفاد منها بالمعاصی، کیف و قد ثبت فی العقل أن حکم الأمثال فیما یجوز و ما لا یجوز سواء. و الحاصل: أن جمیع الأفعال تجری فیه مسأله الأمر بین الأمرین، و لعله إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فی حدیث التوحید قال: فسئلا علیهما السّلام: هل بین الجبر و القدر منزله ثالثه؟ قالا: «نعم أوسع ما بین السماء و الأرض» ، أی أن تلک المنزله تسع ما بین السماء و الأرض، أی أنّ کل ما یقع فیهما فهو مصداق لتلک المنزله الثالثه، و حینئذ نقول: کل فعل صدر من أی شخص فإنه هو بقدرته تعالی و بحوله و قوته صدر، و یصح استناده إلی الشخص و إلیه تعالی، فالقول بأنه مستند إلیه تعالی فقط، بحیث یکون العبد مجبورا، فهو کفر و القائل به کافر کما فی حدیث رواه فی التوحید عن الصادق علیه السّلام کما أن القول باستناده إلی العبد فقط لتوهین اللّه فی سلطانه، فهو أیضا کفر و القائل به کافر. ثم إن الفعل یختلف سعه و ضیقا بحسب اختلاف سعه قدرته و ضیقها، فکل یعمل علی حسب ما أقدره اللّه تعالی فحینئذ تقول: إن قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ خَلَقَکُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ (1)ظاهر فی أن العمل الذی استند إلی العباد یکون متعلقا لخلقه تعالی إیاه و مستندا إلیه تعالی، فالعامل کما یصحّ أن یقول: إنی عملت، کذلک یصحّ أن یقال: إن عمله عمل اللّه تعالی الفعال لما یشاء، و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فی الدعاء:

یا فاعل کل إراده

، و قولهم فی التوحید الافعالی یشیر إلی هذا المعنی من أن کل فعل مستند إلیه تعالی بهذا البیان. إذا علمت هذا فنقول: لا مانع من أن یعطی اللّه تعالی ولیه و أولیاءه القدره و القوه، بحیث یعمل فی العالم عالم الوجود الأفعال المهمه و الوسیعه من خلق

۱- ۱) الصافات:۹۶.

السموات و الأرض و غيرها، و يكون معنى استناد الفعل إلى الولى كاستناد الفعل إلى أىّ شخص فى فعله بنحو الأمر بين الأمرين لا- بنحو الجبر، و لا بنحو التفويض المطلق، فلو قال على عليه السّلام مثلا: أنا خالق السموات و الأرض، فإن أراد عليه السّلام (و لم يرد) إنه فاعل بالتفويض الباطل فهو باطل و القول به كفر، و أما لو أراد عليه السّلام أنه تعالى أقدرنى على ذلك كما أقدر أدنى الأشخاص فى أقل الأفعال فلا كفر فيه، بل هو محض الحسن، و إليه يشير ما

قاله الصادق عليه السّلام فى حديث كميت الشاعر: إن اللّه أقدرنا على ما نريد، فإن ظاهره هو أنه تعالى أقدرهم على ما يريدون بنحو يصح الاستناد إليهم عليهم السّلام. كيف و قد تقدم

عن التوحيد من أنه تعالى أقدر ملكا، فخلق سبع سموات و سبع أرضين، ثم إنه استند الخلق إلى نفسه استقلالا و عجب من نفسه، فأرسل اللّه تعالى إليها نارا فأحرقتها، ثم قيل له: إن كنت مستقلا فى خلقها فانف عنها النار، و كيف كان فلا مانع من إبقاء ظواهر الأحاديث على ما هى ظاهره فيه على أن يكون المعنى المراد منها هو المعنى المراد من الأمر بين الأمرين، و لعمرى إن أحاديثه معتبره، و نحن نذكر بعضها ثم نعقبها بالشرح فنقول: منها:

ما ذكره المجلسى رحمه اللّه فيما حكى عنه فى المجلد الرابع عشر من الطبع السابق عن بعض مؤلفات القدماء، عن القاضى أبى الحسن الطبرى. . . إلى أن قال: عن الشيخ المعتمر الرقى رفعه إلى أبى جعفر ميثم التمار قال: كنت بين يدى مولاى أمير المؤمنين عليه السّلام إذ دخل غلام و جلس فى وسط المسلمين، فلما فرغ عليه السّلام من الأحكام نهض إليه الغلام و قال: يا أبا تراب أنا إليك رسول جئتك برساله تزعزع لها الجبال من رجل حفظ كتاب اللّه من أوّله إلى آخره، و علم علم القضايا و الأحكام، و هو أبلغ منك فى الكلام، و أحق منك بهذا المقام فاستعد بالجواب و لا تزخرف المقال. فلاح الغضب فى وجه أمير المؤمنين عليه السّلام و قال لعمار: «اركب جملك، و طف فى قبائل الكوفه و قل لهم: أجيبوا عليّا، ليعرفوا الحق من الباطل، و الحلال و الحرام

و الصحه و السقم، فركب عمار فما كان إلاّ هنيئه حتى رأيت العرب كما قال اللّه تعالى: وَ نُفِخَ فِي اَلصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ اَلْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (۱)فضاق جامع الكوفه، و تكاثف الناس تكاثف الجراد على الزرع الغضّ فی أوانه، فنهض العالم الأردع (۲)و البطل الأنزع، و رقى فی المنبر و راقى، ثم تنحنح فسكت جميع من فی الجامع. فقال عليه السّلام: رحم اللّه من سمع فوعى، أيها الناس يزعم أنه أمير المؤمنين و اللّه لا يكون الإمام إماما حتى يحيى الموتى، أو ينزل من السماء مطرا، أو يأتى بما يشاكل ذلك مما يعجز عنه غيره، و فيكم من يعلم أنى الآيه الباقيه، و الكلمه التامه، و الحجه البالغه، و لقد أرسل إلى معاويه جاهلا من جاهليه العرب عجرف (۳)فی مقاله و أنتم تعلمون، لو شئت لطحنت عظامه طحنا، و نسفت الأرض من تحته نسفا، و خسفتها عليه خسفا، إلاّ أن احتمال الجاهل صدقه. . . إلى أن قال: و اللّه لو شئت لمددت يدى هذه القصيره فی أرضكم هذه الطويله، و ضربت صدر معاويه بالشام، و أخذت بها من شاربه أو قال من لحيته فمدّ يده و ردّها، و فيها شعرات كثيره، فتعجبوا من ذلك، ثم وصل الخبر بعد مده أن معاويه سقط من سريره فی اليوم الذى كان عليه السّلام مدّ يده و غشى عليه، ثم أفاق و افتقد من شاربه و لحيته شعرات» . أقول: هذه الروايه أحد مسانيد الخطبه الشقشقيه، ذكرها و ذكر مسانيدها المتعدده الشارح الخوئى قدّس سرّه فراجعه، و إنما ذكرتها استشهادا

بقوله عليه السّلام: «و اللّه لا يكون الإمام إماما. . . إلخ» ، فإنه ظاهر فی استناد إحياء الموتى إلى الإمام عليه السّلام. و منها:

ما فی توحيد الصدوق (۴)بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا

ص: ۱۱۴

۱- ۱) يس:۵۱.

۲- ۲) الأردع من يعجبك.

۳- ۳) العجرفه الخرق و قله المقالات.

۴- ۴) توحيد الصدوق ص ۱۶۷.

عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن للّه عز و جل خلقا من رحمته خلقهم من نوره و رحمته من رحمته لرحمته، فهم عین اللّه الناظره، و أذنه السامعه، و لسانه الناطق فی خلقه بإذنه، و أمناؤه علی ما أنزل من عذر أو نذر أو حجه، فبهم یمحو السیئات، و بهم یدفع الضیم، و بهم ینزل الرحمه، و بهم یحیی میّتا، و بهم یمیت حیّا، و بهم یبتلی خلقه، و بهم یقضی فی خلقه قضیته، قلت: جعلت فداک من هؤلاء؟ قال: الأوصیاء» .

و فی بصائر الدرجات (۱)بإسناده عن سماعه بن مهران قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إن الدنیا تتمثّل للإمام فی فلقه الجوز، فما تعرض لشیء منها، و إنه لیتناولها من أطرافها، کما یتناول أحدکم من فوق مائدته ما یشاء، فلا یعزب عنه منها شیء» .

و فی البحار (۲)ما رواه جابر بن عبد اللّه فی تفسیر قوله تعالی: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ (۳)قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «أول ما خلق اللّه نوری ابتدعه من نوره، و اشتقه من جلال عظمته، فأقبل یطوف بالقدره حتی وصل إلی جلال العظمه فی ثمانین ألف سنه، ثم سجد للّه تعظیما، ففتق منه نور علی علیه السّلام فکان نوری محیطا بالعظمه، و نور علی محیطا بالقدره» ، الحدیث.

و فیه (۴)عن بصائر الدرجات بإسناده عن علی بن جعفر، عن أبی الحسن علیه السّلام أنه سمعه یقول: «لو أذن لنا لأخبرنا بفضلنا، قال: قلت له: العلم منه؟ قال: فقال لی: العلم أیسر من ذلک» .

و فیه عن بصائر الدرجات عن غیر واحد من أصحابنا قال: خرج عن أبی الحسن الثالث أنه قال: «إن اللّه جعل قلوب الأئمه موردا لإرادته، فإذا شاء شیئا شاءوه و هو قول اللّه: وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ یَشاءَ اَللّهُ (۵)» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۰۸.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۲۲.

۳- ۳) آل عمران:۱۱۰.

۴- ۴) البحار ج ۲۵ ص ۳۷۲.

۵- ۵) الإنسان:۳۰.

و فيه (۱)و فی روایه سعید بن المسیب و عبایه بن ربعی: أن علیّا علیه السّلام ضرب الأرض برجله فتحرکت فقال: «أسکنی فلم یأن لک ثم قرأ: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها (۲)» .

و فی البحار (۳)عن غیبه النعمانی بإسناده عن أبی نعیم محمد بن أحمد الأنصاری قال: وجه قوم من المفوضه و المقصره کامل بن إبراهیم الهمدانی إلی أبی محمد علیه السّلام (العسکری علیه السّلام) . . . إلی أن قال (أی الحجه عجل اللّه تعالی فرجه الشریف) ثم قال: «و جئته تسأله عن مقاله المفوضه کذبوا، بل قلوبنا أوعیه لمشیه اللّه فإذا شاء شئنا و اللّه یقول: وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اَللّهُ (۴)ثم رجع الستر إلی حالته فلم أستطع کشفه» .

و فیه (۵)فی حدیث طارق بن شهاب عن أمیر المؤمنین علیه السّلام نقله عن مشارق الأنوار للحافظ رجب البرسی (رضوان اللّه تعالی علیه) . . . إلی أن قال علیه السّلام فی وصف الإمام علیه السّلام: «سرّ الواحد و الأحد، فلا یقاس بهم من الخلق أحد، فهم خاصه اللّه و خالصته، و سرّ الدیان و کلمته، و باب الإیمان و کعبته، و حجه اللّه و محجته، و أعلام الهدی و رایته، و فضل اللّه و رحمته، و عین الیقین و حقیقته، و صراط الحق و عصمته، و مبدأ الوجود و غایته، و قدره الرب و مشیته، و أمّ الکتاب و خاتمته، و قال علیه السّلام قبل هذا: و الإمام بشر ملکی، و جسد سماوی، و أمر إلهی الصفات زاید الحسنات، عالم بالمغیبات نصّا من رب العالمین، و نصا من الصادق الأمین. . . إلی أن قال علیه السّلام: و أمره بین الکاف و النون (و فی نسخه: لا بل هم الکاف و النون)» .

و فی الجواهر السنیه فی الأحادیث القدسیه نقلا عن الحافظ البرسی قال: ورد

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۷۹.

۲- ۲) الزلزله:۴.

۳- ۳) البحار ج ۲۵ ص ۳۳۶.

۴- ۴) الإنسان:۳۰.

۵- ۵) البحار ج ۲۵ ص ۱۷۴.

فى الحديث القدسى عن الرب العلى أنه يقول: «عبدى أطعنى أجعلك مثلى، أنا حى لا أموت، أجعلك حيّا لا تموت، أنا غنى لا أفتقر، أجعلك غنيا لا تفتقر، أنا مهما أشأ يكن، أجعلك مهما تشأ يكن» .

قال: و منه (أى من الحديث القدسى) : «إن للّه عبادا أطاعوه فيما أراد، فأطاعهم فيما أرادوا، يقولون للشىء: كن، فيكون» . أقول: و نظير هذه الأحاديث كثير جدا، يستفاد منها مع اختلاف ألفاظها أمرا معنويا متواترا، و هو أن العبد إذا كان مطيعا له تعالى جدا، ألبسه اللّه تعالى لباس الكرامه الكبرى» و هو أنه يكون فاعلا للأمور الخارقه للعاده، و هذا فى شأن غير المعصوم فما ظنك بهم؟ بل هم أفضل من غيرهم، كيف

و قد ورد فيهم فى الدعاء المعروف فى رجب عن الحجه (عج) :

«لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك»

و قد تقدم فى صدر الشرح شرحه. و كيف كان فالغرض ببيان هذه الأحاديث بيان أمر و هو أن المراءى من استناد الأفعال إلى الإمام عليه السّلام على اختلافها و كثرتها، بل و إلى غيرهم من سائر أولياء اللّه تعالى على حسب مراتبهم يحتمل ثبوتا أن يراد منها أمور: الأول: أن يكونوا مستقلين فى العمل و الفعل فى قباله تعالى، و هذا كفر صريح لا مصير إليه بالأدله القطعيه كما لا يخفى. الثانى: أن يكون هو و اللّه فاعلين كل منهما مستند إليه الفعل، غايه الأمر بنحو الاشتراك، و هذا أيضا شرك صريح لا مصير إليه. الثالث: أن اللّه تعالى يخلق الأفعال مقارنا لمسألتهم كما فى الاحتجاج عنه عليه السّلام

و قد خرج التوقيع و فيه: «فأما الأئمه عليهم السّلام فإنهم يسألون اللّه تعالى فيخلق و يسألونه فيرزق إيجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم» . قال المجلسى فيما نقلنا عنه سابقا: و هذا و إن كان العقل لا يعارضه كفاحا، لكن الأخبار السابقه تمنع من القول به كما تقدم. و يظهر مما نذكره أن هذا الكلام غير

مستقیم لظاهره کما ستعرفه قریبا إن شاء اللّه. الرابع: أن یکون الفعل مستندا إلیهم بنحو بیّناه فی الجمع بین الأمر بین الأمرین بنحو لا یکون جبرا و لا تفویضا، خصوصا بعد ما ورد من الأحادیث الکثیره من أن قلوبهم أوعیه لمشیه اللّه تعالی، فإن هذه الأحادیث إذا انضمت إلی مسأله الأمر بین الأمرین بالنحو المتقدم بیانه، فیستفاد منها أمر دقیق و هو أنهم علیهم السّلام حیث کانوا فانین فی اللّه تعالی بالمعنی المتقدم، و أنهم لم یریدوا و لم یشاءوا إلاّ ما أراد اللّه و شاء، فلا محاله یکون فعلهم فعله کما قال تعالی: وَ مٰا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ رَمیٰ (1)فیصح حینئذ إطلاق القول بأنهم فعلوا کذا و کذا فإنه فی الحقیقه یرجع إلی معنی أنه تعالی فعل کذا

و کذا، المعبّر عنه بقول:

«لا فرق بینک و بینها إلاّ أنهم عبادک فتقها و رتقها بیدک» ، الدعاء. بل نقول: حیث إنهم علیهم السّلام لم یکن لهم إراده و مشیه کما علمت، بل قلوبهم أوعیه لمشیته تعالی، فحینئذ کما یصح استناد فعلهم إلیه تعالی، کذلک یصحّ استناد فعله تعالی إلیهم، إذ بعد ما علم أنهم لم یفعلوا إلاّ ما شاء بنحو کان هذا أصلا فی أفعالهم، فحینئذ فی مقام التعبیر لا یفرق فی الاستناد إلیهم أو إلیه تعالی کما قال تعالی: وَ مٰا نَقَمُوا إِلاّٰ أَنْ أَغْنٰاهُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ (2)فإنه تعالی أسند فعل الإغناء إلی رسوله فی قباله تعالی، مع أنه لا ریب فی أنه لا یراد منه الاستقلال فی الاستناد، و لیس هذا إلاّ لما قلناه من أنه لما کان فعل الرسول فعله تعالی و إنما هو مظهر لفعله تعالی، فصح إطلاق الاستناد إلیه صلّی اللّه علیه و آله. فإن قلت: لا یستفاد مما قلت إلاّ أنهم علیهم السّلام مظاهر له تعالی، فأین و الاستناد إلیهم علیهم السّلام و لو بنحو الأمر بین الأمرین؟ قلت: نعم جمیع الممکنات مظاهر له تعالی کل بحسبه، إلاّ أن المظهریه یختلف

ص: ۱۱۸

۱- ۱) الأنفال:۱۷.

۲- ۲) التوبه:۷۴.

بحسب اختلاف المظاهر،

قال على عليه السّلام: «ما للّه آيه أكبر منى» ، أى ما للّه مظهر أوسع منى، و هذا لا ينافى كونهم عليهم السّلام مظاهر له تعالى حتى فى الاستناد إليهم. و بعباره أخرى: أنهم مظاهره تعالى فى جميع الأمور حتى فى النسبه فتأمل. و بعباره ثالثه: أنهم عليهم السّلام مظاهره فى ظرف النسبه إليهم، و إلاّ فلو لم ينسب إليهم شىء، لما كانوا مظاهر، بل كانوا أجانب عن الفعل بالمره، بل و هكذا غيرهم من ساير الخلق فإنهم أيضا مظاهره هكذا، إلاّ أنه كل بحسب ظرفيته، فتدبر تعرف هذا، مع أنه قد أسند اللّه تعالى الفعل إليهم بقوله: وَ مٰا رَمَيْتَ و بقوله: إِلاّٰ أَنْ أَغْنٰاهُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ فقد أسند الفعل إليه صلّى اللّه عليه و آله كما لا يخفى، و هذا هو الظاهر من قوله تعالى: وَ اَللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ (۱)كما تقدم فإنه تعالى أسند الفعل إلى الخلق فى ظرف كونهم و فعلهم مستندا إليه تعالى كما لا يخفى. ثم إن السرّ فى إطلاق الاستناد إليهم من اللّه تعالى كما فى قوله: إِلاّٰ أَنْ أَغْنٰاهُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أو

قوله عليه السّلام: «أنا خالق السموات و الأرض» ، مع أن الأصل هو ما عرفت من أنه لا استقلال و لا شراكه فى الاستناد فى قباله تعالى، هو أنهم عليهم السّلام يفعلون ما يفعلون بإذنه، و معناه أن من المعلوم أن الإنسان لا يفعل شيئا إلاّ بالمشيه، فإذا كانت مشيتهم عليهم السّلام عين مشيته تعالى، فما صدر منهم إنما هو صادر منه تعالى،

قال الحسين عليه السّلام:

«أم كيف أترجم بمقالى و هو برز منك إليك»

و إنما صارت مشيتهم عليهم السّلام عين مشيته تعالى، لأنه تعالى غمسهم فى أنوار أسمائه الحسنى.

ففى البحار (۲): أقول: قال الشيخ أبو الحسن البكرى الشهيد الثانى بإسناده عن جماعه منهم ابن عباس، و ساق الحديث. . . إلى أن قال: فروى عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «كان اللّه و لم يكن معه شىء، فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلّى اللّه عليه و آله. . . إلى أن قال: فخلق منه اثنى عشر حجابا من القدره و العظمه و العزه، و الهيبه و الجبروت، و الرحمه

۱- ۱) الصافات:۹۶.

۲- ۲) البحار ج ۱۵ ص ۲۶.

و النبوه، و الكبرياء و المنزله، و الرفعه و السعاده و الشفاعه. . . ، إلى أن قال: ثم إن اللّه تعالى أمر نور رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يدخل فى حجاب القدره، فدخل و هو يقول: سبحان العلى الأعلى، و بقى على ذلك اثنى عشر ألف عام، و هكذا بالنسبه إلى ساير الحجب إلى آخرها، مع ذكرها المخصوص. . . إلى أن قال: ثم إن اللّه تعالى خلق من نور محمد صلّى اللّه عليه و آله عشرين بحرا من نور، فى كل بحر علوم لا يعلمها إلاّ اللّه تعالى، ثم قال لنور محمد صلّى اللّه عليه و آله: أنزل فى بحر العزّ، و هكذا إلى تمام العشرين» . انتهى ملخصا بعضه فإنه طويل جدا، فيه من المعارف ما لا يكاد يحصى، و إنما أشرنا إليه للإشاره إلى أنه تعالى كيف غمس نوريته فى تلك الحجب و البحار مع تلك الأذكار فى تلك المده الكثيره، و أنه تعالى كيف أدبه و صنعه بآدابه و تربيته حيث غمسه فى أنوار فيوضاته القدسيه بحيث استولت الأنوار على ذواتهم

بحيث لما سمع القلم اسم محمد صلّى اللّه عليه و آله خرّ ساجدا و قال: «سبحان الواحد القهار، سبحان العظيم الأعظم، ثم رفع رأسه من السجود و كتب: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه» . ثم قال: يا رب و من محمد الذى قرنت اسمه باسمك و ذكره بذكرك؟ قال اللّه تعالى له: «يا قلم فلولاه ما خلقتك، و لا خلقت خلقى إلاّ لأجله، فهو بشير و نذير» الحديث السابق ذكره. و كيف كان فلأجل هذا الغمس محقت إنياته صلّى اللّه عليه و آله و إنياتهم عليهم السّلام لما هم عليهم السّلام و هو صلّى اللّه عليه و آله واحد، فإنهم خلقوا منه صلّى اللّه عليه و آله حيث كان كذلك، و كيف كان فبعد ما كانوا كذلك فلم يصدر عنهم شىء إلاّ و هو صادر عنه تعالى، لأنهم عليهم السّلام فى كل أحوالهم لم يكن لهم اعتبار و لا اختيار من أنفسهم، نعم لهم حينئذ من الوجود ما بقى من صافى إنياتهم مما يمسك وجودهم عن التلاشى، و كان ذلك البقاء ببقائه تعالى، فهم الذين لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون و هم الذين عند ربهم كما تقدم، و كيف كان فلا يصدر عنهم شىء إلاّ بما شاء اللّه أو بمشيته ما شاء كان.

و بعباره أخرى: إن ما شاءوه يكون فى الحقيقه و أولا بالذات موجودا بمشيته تعالى و بالعرض و بالصوره يكون بمشيتهم، التى هو عين مشيته تعالى، فالأفعال بصورتها صادره منهم عليهم السّلام بما شاءوا و مشيتهم هى بما لها من الأثر، و هو الفعل صوره لمشيته تعالى فى عالم الملك، و إنما صارت مشيتهم بما لها من الآثار صوره مشيته تعالى، لأنه تعالى خلقهم على هيئه إرادته، و هيكل وحدته، و صوره كينونيته فى الخلق، و إليه يشير

قوله عليه السّلام لكميل: «نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره» ،

و قوله: «نحن صنايع اللّه» ، فإنه بمناسبه الحكم و الموضوع هم صنايعه أى صور إرادته. و هو المراد من باطن

قوله: «إن اللّه خلق آدم على صورته» ، أى على هيئه إرادته، لأنه تعالى منزه عن الصور، و هذه الصوره التى تكون لهم عليهم السّلام فى واقع أنوارهم الذاتى و التى لا حدّ لها و لا نعت، كيف و هم حينئذ حقائق أسمائه الحسنى التى لا حدّ لها و لا نعت، كما

قال على عليه السّلام: «و ليس لصفته حدّ محدود، و لا نعت موجود» ، و هو المراد من قوله فيما تقدم فى صدر الشرح

قول الصادق عليه السّلام: «إن أمرنا لا يحدّ» ، و إليه يشير

قول على عليه السّلام: «أنا الذى لا يقع عليه اسم و لا صفه» فإنه يشير إلى هذه الصوره المشيه الإلهيه، التى هو التجلى الأعظم منه تعالى بهم و لهم عليهم السّلام و لهذا

قال عليه السّلام أيضا: «ظاهرى إمامه و باطنى غيب لا يدرك» ،

و قالوا أيضا: «نحن تلك الكلمات لا يستقصى و لا يدرك فضلنا» ، و قد تقدم. فحينئذ نقول: إذا كانت ماهيتهم هيئه إرادته تعالى، و وجودهم نور المشيه الإلهيه و صورتها الإمكانيه، فلا محاله تكون أفعالهم و أقوالهم على ما يوافق مراد اللّه، و إليه يشير قوله تعالى: اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ (۱)أى يعلم حيث يجعل رسالته فى مظاهر صور إرادته و مشيته، كى لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

۱- ۱) الأنعام:۱۲۴.

لهذه العله و بهذه الجهه کانت حقائقهم النوریه، التی لا إنیه لها نفسانیه تراجمه مشیته تعالی، فأفعالهم کأقوالهم معنی مشیته تعالی و مترجمه لها فی عالم الملک، أی تبیّن مشیته تعالی، و لذا کانت أفعالهم کأقواهم و تقریراتهم حجه لنا تشریعا کما هو ظاهر، و تکوینا حیث إن فعلهم فعله.

قال علی علیه السّلام فی خطبته یوم الغدیر و الجمعه علی ما تقدم قال: «فجعلهم ألسنه إرادته» ، ففعلهم فعله تعالی أظهره اللّه بهم، کما أن کلامهم تعالی تکلم بهم و هو أحد معانی قوله تعالی: لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ (۱)أی أن قولهم قوله لا قولهم فتدبر، ثم إنه تعالی لهذه الأمور کلها فرغهم لنفسه تعالی و اصطنعهم لنفسه تعالی، فأخلی أفئدتهم و جمیع مشاعرهم مما سواه تعالی، ملأها من علمه و مشیته و إرادته

کما قال علیه السّلام فی حدیث بدء خلقهم کما فی البحار و التوحید: «و حمّلهم علمه و دینه فجعلهم خزائن علمه و عیبته و حکمه و اقتداره» ، ثم إنه تعالی حفظهم و سددهم و عصمهم عما لیس له فأمرهم ففعلوا بأمره وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ . و هذا هو المراد من قوله تعالی لنبیه: لِتَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ (۲)فإنه تعالی هکذا أو بأدق منه أراه حقائق مشیته و إرادته فی خلقه، و لذا

قال علیه السّلام: «و بهم یقضی فی الخلق قضیته» ، و إلیه یشیر ما تقدم

عن الکافی، عن الصادق علیه السّلام فی هذه الآیه: «و اللّه ما فوض اللّه إلی أحد من خلقه إلاّ إلی رسوله صلّی اللّه علیه و آله و إلی الأئمه علیهم السّلام» ، قال اللّه تعالی: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ. . . (۳)و هی جاریه فی الأوصیاء. فظهر أنهم علیهم السّلام کان رأیهم کرأی النبی صلّی اللّه علیه و آله صوابا فیما فوض إلیهم فی الفعل و القول، مما أشیر إلیه فی الأخبار السابقه، لأجل ما ذکرناه من أن فعلهم و قولهم

۱- ۱) الأنبیاء:۲۷.

۲- ۲) النساء:۱۰۵.

۳- ۳) النساء:۱۰۵.

فعله و قوله تعالى بالبيان المتقدم، و لا يفعلون بمقتضى نفوسهم البشريه، بل بمقتضى ما أراه اللّه تعالى لهم بالنحو المتقدم، ثم إن الذى يجب علينا هو نفى ربوبيتهم، و نفى كونهم شركاء مع اللّه، و نفى التفويض الذى هو يوجب عزل الحق عن السلطنه و التأثير، و أما ما عداها من معانى التفويض الصحيحه التى ذكرناها، فلا دليل على ردها، بل لا بد من حملها على ظاهرها مخافه أن نكون من أهل هذه الآيه بَلْ كَذَّبُوا بِمٰا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ (1)، و قد تقدم سابقا أخبار كثيره دلّت على عدم جواز رد ما نسب إليهم، و لو كان الناسب من القدريه، بل اللازم ردّ علمه إليهم لا تكذيبهم فراجع. ثم إنه يظهر مما ذكره أن ما قاله فى البحار عقيب ما نقلناه عنه من قوله: و ما ورد من الأخبار الداله على ذلك و أمثالها، فلم يوجد إلاّ فى كتب الغلاه و أشباههم فيه أنه إن أريد من قوله: على ذلك، أى على أنهم يفعلون تلك الأمور المنسوبه إليهم بقدرتهم و إرادتهم بنحو الاستقلال فهو صحيح، و قد علمت أنه كفر صريح، و إن أريد منه ما ذكره من أنه تعالى فعل ذلك مقارنا لإرادتهم إلى آخر ما ذكره فى القسم الثانى السابق ذكره ففيه: أنه لا كفر فيه و لا غلو، على أن نسبه من ذكر هذه الأحاديث فى كتبه إلى الغلاه كحافظ رجب البرسى (رضوان اللّه عليه) ليس مما ينبغى صدوره منه رحمه اللّه. هذا مضافا إلى ما علمت من المراد من قولهم عليهم السّلام فى تلك الأخبار مما ليس فيه كفر و لا إلحاد، بل عين الحق، فتأمل، لئلا يشتبه عليك الأمر، ثم قال رحمه اللّه بعد ذلك مع أنه يحتمل أن يكون المراد كونهم عله غائيه لإيجاد جميع المكونات، و أنه تعالى جعلهم مطاعين فى الأرضين و السموات، و يطيعهم بإذن اللّه تعالى كل شىء حتى الجمادات، و أنهم إذا شاءوا أمرا لا يردّ اللّه مشيتهم، و لكنهم لا يشاءون إلاّ أن يشاء اللّه.

1- 1) يونس:39.

أقول: کونهم علیهم السّلام عله غائیه لإیجاد الممکنات مما لا ریب فیه، کما علمته من الأحادیث القدسیه، و أنها کثیره جدا، کما أنه دلّت أحادیث کثیره علی أنهم مطاعون فی الوجود بإذنه تعالی، إلاّ أن هذا مما لا یمکن حمل

قوله علیه السّلام: «أنا خالق السموات و الأرضین» ، أو

قوله: «بهم یقضی فی الخلق قضیته» ، الظاهر فی کونهم سببا لها (لظهور الباء فی السببیه) فی کونهم عله غائیه، أو أنهم مطاعون فیهما، فإن تلک العبارات ظاهره فی استناد الأفعال إلیهم بنحو الفاعلیه، و أین هذا من کونهم مطاعین أو کونهم عله غائیه؟ علی أنه ذکر بعضهم أن العله ترجع إلی العله الفاعلیه بدعوی أن الغایه هی الصوره العلمیه للفاعل الذی، هو بهذه الصوره الکائنه فیه یکون عله فاعلیه لا مطلقا، و لکن فیه ما فیه، و تحقیق الکلام فیه نفیا و إثباتا موکول إلی محله. ثم إنه رحمه اللّه ذکر بعد هذا: و أما ما ورد من الأخبار فی نزول الملائکه و الروح لکل أمر إلیهم، و أنه لا ینزل ملک من السماء لأمر إلاّ بدأ بهم فلیس ذلک لمدخلیتهم فی ذلک، و لا الاستشاره بهم، بل له الخلق و الأمر تعالی، و لیس ذلک إلاّ لتشریفهم و إکرامهم و إظهار رفعه مقامهم. أقول: فیه أنه قد ثبت فی محله و ستأتی الإشاره إلیه أن الملائکه بجمیع أقسامها، فإنما هی من شئونهم، کیف و قد خلقوا من أنوارهم، و کذا سایر الأمور، کما دلّت علیه الأخبار، و منها ما ذکرناه عن استاد الشهید الذی ذکره رحمه اللّه و تقدم بعضه، و حینئذ فکیف لا یکون نزولهم و الابتداء بهم لمدخلیتهم، بل هو لعین مدخلیتهم لذلک، کیف و الفرع قائم بالأصل، و أخذ منه ما یفعله کما لا یخفی، و هذه المدخلیه فوق الاستشاره التی احتملها و نفاها رحمه اللّه فإنهم أجل من أن یستشیر الملائکه منهم، بل هذا نقص لهم، بل یکون نزولهم لدیهم علیهم السّلام للاستیذان التکوینی الذی جعله اللّه تعالی بل لهم، لکونهم أسبابا للخلقه، و لهم کما لا یخفی. ثم قال رحمه اللّه: الثانی: التفویض فی أمر الدین، و هذا أیضا یحتمل وجهین:

أحدهما: أن يكون اللّه تعالى فوض إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام عموما أن يحلّوا ما شاءوا و يحرموا ما شاءوا من غير وحى و إلهام، أو يغيّروا ما أوحى إليهم بآرائهم، و هذا باطل لا يقول به عاقل، فإن النبى صلّى اللّه عليه و آله كان ينتظر الوحى أيّاما كثيره لجواب سائل، و لا يجيبه من عنده، و قد قال تعالى: وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ. إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ (١). أقول: و قد قال تعالى أيضا: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنٰا بَعْضَ اَلْأَقٰاوِيلِ. لَأَخَذْنٰا مِنْهُ (٢). قال رحمه اللّه: و ثانيهما: أنه تعالى لما أكمل نبيه صلّى اللّه عليه و آله بحيث لم يكن يختار من الأمور شيئا إلاّ ما يوافق الحق و الصواب، و لا يحل بباله ما يخالف مشيته تعالى فى كل باب فوّض إليه تعيين بعض الأمور كالزياده فى الصلوه، و تعيين النوافل فى الصلوه و الصوم و طعمه الجد و غير ذلك مما مضى و سيأتى، إظهارا لشرفه و كرامته عنده، و لم يكن أصل التعيين إلاّ بالوحى، و لم يكن الاختيار إلاّ بإلهام، ثم كان يؤكد ما اختاره صلّى اللّه عليه و آله بالوحى، و لا فساد فى ذلك عقلا، و قد دلّت النصوص المستفيضه عليه مما تقدم فى هذا الباب، و فى أبواب فضائل نبينا صلّى اللّه عليه و آله من المجلد السادس. أقول: هذا صحيح (و تقدم من الأخبار ما يدل على ذلك) إلاّ أن قوله رحمه اللّه: و لم يكن الاختيار إلاّ بإلهام، و لم يكن أصل التعيين إلاّ بالوحى، لعله مستدرك لا يحتاج إلى ذكره لما علمت آنفا، و أشار إليه هو رحمه اللّه قبل هذا من أنه تعالى أكمل نبيه صلّى اللّه عليه و آله بحيث لم يكن يختار إلاّ ما يوافق الحق و الصواب، و ذكرنا أن قلوبهم أوعيه لمشيّته تعالى و هم تراجمه مشيته تعالى. ثم قال رحمه اللّه بعد كلمات: الثالث: تفويض أمور الخلق إليهم من سياستهم و تأديبهم، و تكميلهم و تعليمهم، و أمر الخلق بإطاعتهم فيما أحبّوا و كرهوا، و فيما

١- ١) النجم:۴.

٢- ٢) الحاقه:۴۴-۴۵.

علموا جهه المصلحه فیه و ما لم یعلموا، و هذا حق لقوله تعالی: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۱)و غیر ذلک من الآیات و الأخبار، و علیه یحمل

قولهم علیه السّلام: «نحن المحللون حلاله، و المحرمون حرامه» ، أی بیانهما علینا، و یجب علی الناس الرجوع فیهما إلینا، و بهذا الوجه ورد خبر أبی إسحاق المیثمی. أقول: هذا صحیح، و لکن فیه أنه خلاف ظاهر أحادیث التفویض فإنها ظاهره فی التفویض، فی الأحکام لا فی تطبیقها علی الموضوعات، فإن هذا معلوم من أحادیثهم، و تقدم ما یزیدک بصیره فی هذا فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و ساسه العباد»

، و الاستشهاد لمقصوده بالآیه الشریفه و إن کان صحیحا بلحاظ استفاده العموم منها بالنسبه إلی الأحکام و الموضوعات، إلاّ أن أحادیث الباب ظاهره فیما قلناه (و اللّه العالم) . الرابع: تفویض بیان العلوم و الأحکام بما رأوا المصلحه فیها بسبب اختلاف عقولهم، أو بسبب التقیه فیفتون بعض الناس بالواقع من الأحکام، و بعضهم بالتقیه، و یبینون تفسیر الآیات و تأویلها، و بیان المعارف بحسب ما یحتمل عقل کل سائل، و لهم أن یبینوا، و لهم أن یسکتوا

کما ورد فی أخبار کثیره: علیکم بالمسأله، و لیس علینا الجواب ، کل ذلک بحسب ما یریهم اللّه من مصالح الوقت، کما ورد فی خبر ابن أشیم و غیره، و هو أحد معانی خبر محمد بن سنان فی تأویل قوله تعالی: لِتَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ (۲). و لعل تخصیصه بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام لعدم تیسّر هذه التوسعه لسائر الأنبیاء و الأوصیاء علیهم السّلام بل کانوا مکلفین بعدم التقیه فی بعض الموارد، و إن أصابهم الضرر، و التفویض بهذا المعنی أیضا ثابت حق بالأخبار المستفیضه. أقول: و مما یدل علی هذا أیضا قوله رحمه اللّه: بسبب اختلاف عقولهم (أی عقول

۱- ۱) الحشر:۷.

۲- ۲) النساء:۱۰۵.

النـاس و المخـاطبين (بالفتـح) . الخـامس: الاختيـار فی أن یحکموا بظـاهر الشـریعه أو بعلمهم، و بما یلهمهم اللّه من الواقع و مخ الحق فی کـل واقعه، و هـذا أظهر محامل خبر ابن سـنان، و علیه أیضا دلت الأخبار. السادس: التفویض فی العطاء فإنه تعالی خلق لهم الأرض و ما فیها، و جعل لهم الأنفال و الخمس و الصفایا و غیرها، فلهم أن یعطوا ما شاءوا و یمنعوا ما شاءوا کما مرّ فی خبر الثمالی. أقول: هذا صـحیح و لکنه أحد معانی التفویض، لا أنه منحصر فیه کما هو ظاهر. فتحصّل من جمیع ما ذکرنا أنهم علیهم السّلام لمـا کـانوا خلفـاء اللّه فی أرضه و سـمائه، و هـذا أمر عام یشـمل کون إیاب الخلق إلیهم فی القیامه کما تقـدم، و أن أمر الخلائق مفوض إلیهم فی الدنیا بالمعانی الصـحیحه المتقدمه، کیف لا و هم مظاهر آیاته و صـفاته تعالی فلهم الحکم و الأمر فی الخلق بما رتّبهم اللّه تعالی فیه؟ و لنختم الکلام فی هـذا المقال بما یزیـدک بصـیره فی مقامهم الشامـخ السامی، الـذی جعله اللّه تعالی لهم، و بما هو دلیل کلی لجمیع ما تقدم، و هو

ما رواه فی بصائر الـدرجات بإسـناده عن أبی بصـیر، عن خثیمه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سـمعته یقول: «نحن جنب اللّه، و نحن صـفوته، و نحن خیرته، و نحن مسـتودع مواریث الأنبیـاء، و نحن أمناء اللّه، و نحن حجه اللّه، و نحن أرکان الإیمان، و نحن دعـائم الإسـلام، و نحـن من رحمه اللّه علی خلقه، و نحن الـذین بنـا یفتـح اللّه و بنـا یختم، و نحن أئمه الهـدی، و نحن مصـابیح الـدجی، و نحن منـار الهـدی، و نحن السابقون، و نحن الآخرون، و نحن العلم المرفوع للخلق، من تمسّک بنا لحق، و من تخلف عنّا غرق، و نحـن القـاده الغرّ المحجّلین، و نحن خیره اللّه، و نحن الطریـق و صـراط اللّه، المسـتقیم إلی اللّه، و نحن من نعمه اللّه علی خلقه، و نحن المنهاج، و نحن معدن النبوه، و نحن موضع الرساله، و نحن الذین إلینا مختلف الملائکه، و نحن

السراج لمن استضاء بنا، و نحن السبیل لمن اقتدی بنا، و نحن الهداه إلی الجنه، و نحن عزّ الإسلام، و نحن الجسور و القناطر، من مضی علیها سبق، و من تخلف عنها محق، و نحن السنام الأعظم، و نحن الذین بنا نزل الرحمه، و بنا تسقون الغیث، و نحن الذین بنا یصرف عنکم العذاب، فمن عرفنا و نصرنا، و عرف حقنا، و أخذ بأمرنا فهو منّا و إلینا، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا» .

[۳۴]قوله علیه السّلام: من والاکم فقد و إلی اللّه، و من عاداکم فقد عادی اللّه، و من أحبکم فقد أحبّ اللّه، و من أبغضکم فقد أبغض اللّه، و من اعتصم بکم فقد اعتصم باللّه.

أقول:

فی البحار (۱)عن أمالی الصدوق بإسناده عن ابن نباته قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: «أنا سید ولد آدم، و أنت یا علی و الأئمه من بعدک سادات أمتی، من أحبنا فقد أحبّ اللّه، و من أبغضنا فقد أبغض اللّه، و من والانا فقد والی اللّه، و من عادانا فقد عادی اللّه، و من أطاعنا فقد أطاع اللّه، و من عصانا فقد عصی اللّه» .

و فیه (۲)عن تفسیر العیاشی، عن أبی خالد الکابلی، عن أبی جعفر علیه السّلام:

(مُلْکاً عَظِیماً) «أن جعل فیهم أئمه، من أطاعهم أطاع اللّه و من عصاهم عصی اللّه، فهذا ملک عظیم» (وَ آتَیْنٰاهُمْ مُلْکاً عَظِیماً) . و لا ریب فی أن طاعتهم واجبه دلّت علیها أخبار کثیره، منها ما

فیه ص ۲۹۸ عن تفسیر الفرات، أحمد بن القاسم معنعنا عن أبی مریم قال: سألت جعفر بن محمد علیه السّلام أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ (۳)، کانت طاعه مفترضه؟ قال: «کانت طاعه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خاصّه مفترضه لقول اللّه تعالی: مَنْ یُطِعِ

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۸۸.

۲- ۲) البحار ج ۲۳ ص ۲۹۱.

۳- ۳) النساء:۵۹.

اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّهَ

(۱)

و كانت طاعه على بن أبى طالب عليه السّلام طاعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» .

و فى غايه المرام (۲)ابن بابويه بإسناده قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «الأئمه من ولد الحسين من أطاعهم فقد أطاع اللّه، و من عصاهم فقد عصى اللّه، هم العروه الوثقى، و هم الوسيله إلى اللّه تعالى» .

و فى تفسير نور الثقلين (۳)عن كتاب الاحتجاج للطبرسى رحمه اللّه عن أمير المؤمنين عليه السّلام حديث طويل و فيه: «و أجرى فعل بعض الأشياء على أيدى من اصطفى من أمنائه، فكان فعلهم فعله، و أمرهم أمره كما قال: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّهَ .

و فيه (۴)عن الكافى بإسناده عن زراره، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «ذروه (۵)الأمر و سنامه و مفتاحه، و باب الأشياء و رضا الرحمن تبارك و تعالى الطاعه للإمام بعد معرفته، ثم قال: إن اللّه تبارك و تعالى يقول: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّهَ وَ مَنْ تَوَلّٰى فَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (۶). و زاد فى حديث آخر فى آخره: «أما لو أن رجلا قام ليله و صام نهاره، و تصدق بجميع ماله، و حجّ جميع دهره، و لم يعرف ولايه ولى اللّه فيواليه، و يكون جميع أعماله بدلالته، إليه ما كان له على اللّه حق فى ثوابه، و لا كان من أهل الإيمان» .

و فيه عن أصول الكافى بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: فَلَمّٰا آسَفُونٰا اِنْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ (۷)فقال: «إن اللّه عز و جل لا يأسف كأسفنا، و لكنه خلق أولياء

۱- ۱) النساء:۸۰.

۲- ۲) غايه المرام ص ۲۴۵.

۳- ۳) نور الثقلين ج ۱ ص ۴۳۲.

۴- ۴) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۴۳۱.

۵- ۵) الذروه المكان العالى و كذا السنام.

۶- ۶) النساء:۸۰.

۷- ۷) الزخرف:۵۵.

لنفسه یأسفون و یرضون، و هم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، و سخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاه إلیه و الأدلاء علیه، فلذلک صاروا کذلک، و لیس أن ذلک یصل إلی اللّه کما یصل إلی خلقه، و لکن هذا معنی ما قال من ذلک» ، الحدیث بطوله.

و فی البحار (۱)عن کنز الفوائد، إلی أن قال: و روی أبو عبد اللّه الحسین بن جبیر فی کتاب نخب المناقب لآل أبی طالب علیه السّلام حدیثا مسندا إلی الرضا علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من أحب أن یتمسک بالعروه الوثقی فلیتمسّک بحبّ علی بن أبی طالب علیه السّلام» .

و روی أیضا فی الکتاب المذکور عن الحسین بن جبیر، بإسناده إلی أبی جعفر الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: إِلاّٰ بِحَبْلٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ حَبْلٍ مِنَ اَلنّٰاسِ (۲)قال: «حبل من اللّه کتاب اللّه، و حبل من الناس علی بن أبی طالب علیه السّلام» .

و فیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: وَ اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللّٰهِ جَمِیعاً (۳)قال: «نحن الحبل» .

و فی البحار (۴)عن أمالی الشیخ، عن أبی الحمراء خادم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. . . إلی أن قال الشیخ الخادم (رضوان اللّه علیه) بعد کلام: ثم قال له (أی رسول اللّه لعلی علیهما و آلهما السّلام) . . . إلی أن قال: «یا علی من حاربک فقد حاربنی، و من حاربنی فقد حارب اللّه، یا علی من أبغضک فقد أبغضنی، و من أبغضنی فقد أبغض اللّه، و اقعس اللّه جده و أدخله نار جهنم» .

و فیه (۵)عن أمالی الصدوق، عن أنس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من ناصب

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۸۳.

۲- ۲) آل عمران:۱۱۲.

۳- ۳) آل عمران:۱۰۳.

۴- ۴) البحار ج ۲۷ ص ۲۲۱.

۵- ۵) البحار ج ۲۷ ص ۲۳۳.

علیا حارب اللّه، و من شک فی علی فهو کافر» . فالمستفاد من هذه الأحادیث: أن اللّه تعالی حیث أمر بموالاتهم و محبتهم و الاعتصام بهم، و نهی عن معاداتهم و بغضهم، فلا محاله یکون الموالی لهم موالیا له تعالی، و السرّ فی ذلک کله أنه تعالی لما جعل رضاهم رضا نفسه، فقد وصلهم بنفسه، فیکون ما یتعلق بهم ما یتعلق به تعالی من تلک الأمور، و ذلک أن النبی صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام لهم جهتان: جهه خلقیه بشریّه و جهه إلهیه، فما یصل إلیهم من الجهه البشریه فلا یصل إلیه تعالی، و ما یصل إلیهم من الجهه الإلهیه المعبر عنها

فی الدعاء بقوله:

«لا فرق بینک و بینها إلاّ أنهم عبادک» ، الدعاء، و تقدم شرحه، فیصل إلیه تعالی، لأنهم علیهم السّلام من هذه الجهه فانون عن أنفسهم، و باقون ببقائه تعالی، و من هذه الجهه أنهم وجه اللّه و عین اللّه إلی آخر ما مرّ

فی الحدیث السابق عن بصائر الدرجات، و لذا قال اللّه تعالی: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (1)و قال علیه السّلام: «من أحبنا فقد أحبّ اللّه» ، إلی آخر ما تقدم فی الحدیث. و کیف کان فهم فی هذه الجهه قائمون مقامه تعالی، فیصح بهذه الجهه أن ینسب إلیه تعالی ما نسب إلیهم من هذه الجهه، و هذا واضح لا ریب فیه، و الحمد للّه رب العالمین.

[۳۵]قوله علیه السّلام: أنتم السبیل الأعظم، و الصراط الأقوم، و شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء

أقول: السبیل و الطریق بمعنی، إلاّ أنه ربما یفترقان فی موارد الاستعمال کما ذکر فی اللغه، فقد قیل: السبیل هو الطریق، إلاّ أن الطریق من الطرق و هو بمعنی القرع، و لذا یقال للآتی باللیل: طارق، لاحتیاجه إلی قرع الباب، و یقال للمسلک و الجاده:

۱- ۱) النساء:۸۰.

الطريقه و الطريق، كأن الإنسان يقرعه فى السلوك و الطىّ، و المراد بالمسلك ما يعمّ المذهب كما لا يخفى. و عن القاموس: الصراط (بالكسر) الطريق ثم السبيل، و إن كان يطلق على الطريق و الصراط الصورى المادى، إلّا أنه غالبا يستعمل فيما يكون السير فيه معنويا، و هو إما يكون إلى اللّه و إلى الحق و الخير و الجنه و نحوها كسبيل الهدى و الرشاد و أمثالهما، و بهذا المعنى ورد تأويله بالولايه و الأئمه و بخصوص على (عليه و عليهم السّلام) و بسبيلهم و طريقهم بل بشيعتهم أيضا، حتى ورد أنهم سبيل اللّه و سبيل الهدى و الرشاد. و إما يكون ما يقابل الحق و الخير، أى الكفر و الضلال، و الباطل و الهوى و أمثالهما، و بهذا المعنى ورد تأويله بولايه الثلاثه، و بالجمله هو مقابل الأول، و تقدم أنه تعالى عبّر عن الأول بالسبيل مفردا لوحدته و اتحاد سالكيه إليه تعالى، و عن الثانى بالسبل جمعا لاختلافه و اختلاف سالكيه، كما تقدم فى شرح قوله: و صراطه. ثم إن وجه اتصاف السبيل بالأعظم و الصراط بالأقوم هو أن السبيل بمعنى الطريق، و هو بعدد أنفاس الخلائق، و كل واحد منهم يكون نفسه طريقه إليه تعالى، و هو عظيم بالنسبه إلى نفسه، و بالنسبه إلى ما يتوقف عليه سيره من وجوده و موجوديته من المعارف و القوى الظاهريه و الباطنيه، و أيضا تختلف كل منها بحسب الكليه و الجزئيه بلحاظ نفسه، أو بالإضافه إلى غيره، و لكنها مع كثرتها و تعددها، ليس فيها ما يشمل جميع شئون الألوهيه بحيث يصل من نفسه إلى جميعها إلّا حقيقه نفوسهم المقدسه المطهره. فلهم عليهم السّلام الجهه الكليه للسير إليه تعالى، بحيث يظهر بها جميع الشئون الربوبيه و يوصل بها إلى جميعها، نعم لا إلى الكنه، بل إلى ما أجاز تعالى كما لا يخفى، فهم عليهم السّلام السبيل الأعظم فى كل خير نازل من خزائنه تعالى، و فى كل خير صاعد من أعمال الخلائق إليه تعالى، و تقدم فى شرح قوله: و صراطه، الكلام مبسوطا جدّا، و ذكرنا

أنهم عليهم السّلام الطريق منه تعالى إلى جميع خلقه فى وصول الفيض منه تعالى لكل إيجاد، أو تكليف لطفى إلهى، فلا يستفيض أحد شيئا بجميع شئون الوجود إلّا بواسطتهم عليهم السّلام، و كذلك أنهم عليهم السّلام الطريق من الخلق إليه تعالى، أى لا يستمد شىء من الخلق بأقسامه و جواهره و أعراضه و أجسامه من اللّه إلّا بواسطتهم، و لا يصل أحد إلى معرفته ذاتا أو صفه أو غيرها، و لا يصل عمل منهم إليه تعالى، إلّا بواسطتهم عليهم السّلام و تقدم شرحه سابقا. و منه يعلم أيضا كونهم عليهم السّلام الصراط الأقوم، و ذلك أنهم عليهم السّلام بعد ما كانوا حجج اللّه تعالى على خلقه، و أنه ليس بينهم و بينه تعالى ستر و لا حجاب، كما تقدم عن السجاد عليه السّلام و أنهم معصومون و مؤيدون بنور الروح، الذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل كما تقدم، و أنهم العروه الوثقى التى لا انفصام لها، فلا محاله يكون صراطهم هو الصراط الأقوم، لا انقطاع له دون البلوغ إلى الحق، فهو قوى و قويم، أى صراط أقامه اللّه تعالى بقوته و قدرته، فلا محاله لا انفصام له أبدا، و هذا معنى كونه أقوم. ثم إنه قد تقدمت أخبار الباب فى شرح

قوله عليه السّلام:

و صراطه

، مفصلا بما لا مزيد عليه منّا، إلّا أنه ربما فسّر السبيل بولايتهم عليهم السّلام كما فى الأحاديث، فلا بأس بذكر بعضها، و الإشاره إلى وجهها، فنقول:

ففى المحكى عن المناقب، عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اَللّهِ (1)قال: «عن ولايه على عليه السّلام» .

و فى روايه أخرى: يعنى «بالسبيل عليا، و لا ينال ما عند اللّه إلّا بولايته» .

و فى البحار (2)عن تفسير العياشى القمى:

وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ قال: «إلى ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام قال: وَ إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ

۱- ۱) النحل:۸۸.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۱۴.

عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ قال: عن الإمام لحادون» .

و فيه (۱)عن الخصائص بالإسناد عن الأصبغ، عن على عليه السّلام و فى كتبنا عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله: وَ إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ قال: «عن ولايتنا» .

و فيه (۲)عن كنز جامع الفوائد، عن موسى بن جعفر عليه السّلام، و أيضا فيه بإسناده عن ابن نباته فى قوله عز و جل: وَ إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ عَنِ اَلصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ قال: «عن ولايتنا أهل البيت» . و فى خبر آخر قال: «عن ولايتنا» .

و فيه (۳)عن كنز الفوائد، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: وَ لٰكِنْ جَعَلْنٰاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِنٰا (۴)قال: «ذاك على بن أبى طالب عليه السّلام» ، و فى قوله: وَ إِنَّكَ لَتَهْدِى إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ قال: «إلى ولايه على بن أبى طالب عليه السّلام» . أقول: هذه نبذه منها دلت على أن الصراط و السبيل هو ولايتهم عليهم السّلام و قد تقدمت أخبار عن بصائر الدرجات و غيره فى أن ولايتهم ولايه اللّه، فلا محاله تكون ولايتهم بما هو مفسّر بالسبيل و الصراط هى الموصله إليه تعالى و إلى الحق، و إلى الجنه، و هم عليهم السّلام بحقيقتهم الولويه السبيل و الصراط إليه تعالى، حيث علمت أن الولايه بقسميها تشريعيه و تكوينيه معناه التصرف فى الخلق بالأمر و النهى، و القلب و الانقلاب فى الموجود على حسب ما أقدرهم اللّه، و ما تقتضيه المصلحه، و لا ريب فى أنها لا تكون إلاّ و هى موصله إلى الحق، لأنها ولايه اللّه، و اللّه تعالى يدعو بولايته إلى الحق كما لا يخفى، و قد تقدم شرحه مفصلا فى «و صراطه» فراجعه.

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۱۶.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۲۲.

۳- ۳) البحار ج ۲۴ ص ۲۴.

۴- ۴) الشورى:۵۲.

و أما قوله: «و شهداء دار الفناء»

اشاره

، فنقول: هناک أخبار فی ذیل آیات دلّت علی أنهم الشهداء، فنذکر بعضها ثم نعقبها بالکلام فنقول:

فی بصائر الدرجات (۱)بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه تبارک و تعالی: وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰاکُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَی اَلنّٰاسِ (۲)قال: «نحن الشهداء علی الناس بما عندهم من الحلال و الحرام و ما ضیّعوا منه» .

و فیه عن عمر بن حنظله قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: الآیه، قال علیه السّلام: «هم الأئمه علیهم السّلام» .

و فیه عن یزید بن معاویه قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: قول اللّه تعالی: الآیه قال: «نحن الأمه الوسط (الوسطی) و نحن شهداء اللّه علی خلقه و حجته فی أرضه» .

و فیه بإسناده عن قیس الهلالی، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: «إن اللّه طهّرنا و عصمنا، و جعلنا شهداء علی خلقه، و حجته فی أرضه، و جعلنا مع القرآن، و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا یفارقنا» . و تقدم ما یدل علی هذا فی السابق.

و فی تفسیر نور الثقلین (۳)عن کتاب المناقب لابن شهرآشوب، أبو حمزه الثمالی، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ یَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً (۴)قال: «نحن الشهود علی هذه الأمه» .

و فیه عن مجمع البیان. . إلی أن قال: و قال الصادق علیه السّلام: «لکل زمان و أمه إمام، تبعث کل أمه مع إمامها» .

و فی مقدمه تفسیر البرهان، و فی المناقب عن سلیم بن قیس، عن علی علیه السّلام قال:

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۸۲.

۲- ۲) البقره:۱۴۳.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۷۳.

۴- ۴) سوره النحل الآیه ۸۹.

«إن اللّه تعالى إيّانا عنى بقوله: شُهَدٰاءَ عَلَى اَلنّٰاسِ ، فرسول اللّه شاهد علينا، و نحن شهداء على خلقه، قال اللّه تعالى: وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً . . . إلى قوله تعالى: عَلَيْكُمْ شَهِيداً (1). أقول: و الوجه فى كونهم عليهم السّلام الشهداء على الناس هو ما روى فى ذيل قوله تعالى: وَ قُلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اَللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ و هى كثيره، و نحن نذكر بعضها.

ففى بصائر الدرجات (2)بإسناده عن محمد بن مسلم و زراره قالا: سألنا أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الأعمال تعرض على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: «ما فيه شك، ثم تلا هذه الآيه: وَ قُلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اَللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ (3)قال: إن للّه شهداء فى أرضه» .

و فيه بإسناده عن عبد اللّه بن أبان قال: قلت للرضا عليه السّلام: إن قوما من مواليك سألونى أن تدعو اللّه لهم، فقال: «و اللّه إنى لتعرض علىّ فى كل يوم أعمالهم» .

و فيه، بإسناده عن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «الإمام يسمع الصوت فى بطن أمّه، فإذا سقط إلى الأرض كتب على عضده الأيمن: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ فإذا ترعرع نصب له عمودا من نور من السماء إلى الأرض يرى به أعمال العباد» .

و فيه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام. . . إلى أن قال: «فإذا خرج إلى الأرض أوتى الحكمه، و زّين بالعلم و الوقار، و ألبس الهيبه، و جعل له مصباح من نور يعرف به الضمير، و يرى به أعمال العباد» .

و فيه، عن الحسن بن راشد قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: . . . إلى أن قال بعد

1- 1) البقره:١۴٣.

2- 2) بصائر الدرجات ص ۴٣.

3- 3) التوبه:١٠۵.

ذكر الآيه: فإذا شاء مضى الإمام الذى كان من قبله، رفع لهذا منارا من نور ينظر به إلى أعمال الخلائق، فبهذا يحتج اللّه على خلقه» .

و فيه (۱)بإسناده عن محمد بن مروان، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن الإمام يسمع الصوت فى بطن أمّه، فإذا بلغ أربعه أشهر كتب على عضده الأيمن: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ. . فإذا وضعته سطع له نور ما بين السماء و الأرض، فإذا درج رفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق و المغرب» .

و فيه، عن أبى حمزه الثمالى، قال: قال أبو جعفر عليه السّلام. . . إلى أن قال: «حتى إذا شبّ رفع اللّه له عمودا من نور يرى فيه الدنيا و ما فيها، لا يستر عنه منها شىء» .

و فيه (۲)عن محمد بن مروان، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول. . . إلى أن قال عليه السّلام: «فإذا صار الأمر إليه جعل اللّه له عمودا من نور، يبصر به ما يعمل به أهل كل بلده» .

و فى حديث بعده قال عليه السّلام: «يعلم ما يعمل به القريه الأخرى» .

و فيه (۳)بإسناده عن إسحاق الحريرى قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فسمعته و هو يقول: «إن للّه عمودا من نور حجبه اللّه عن جميع الخلائق طرفه عند اللّه و طرفه الآخر فى أذن الإمام، فإذا أراد اللّه شيئا أوحاه فى أذن الإمام» .

و فيه، بإسناده عن صالح بن سهل، «إن اللّه جعل بينه و بين الرسول رسولا، و لم يجعل بينه و بين الإمام رسولا، قال: قلت: و كيف ذاك؟ قال: جعل بينه و بين الإمام عمودا من نور ينظر اللّه به إلى الإمام، و ينظر الإمام (إليه، بحار) إذا أراد علم شىء، نظر فى ذلك النور فعرفه» . أقول: المراد من قوله: رسولا، هو جبرئيل أى أنه تعالى جعل بينه و بين

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۳۴.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۳۷.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۴۳۹.

الرسول ملكا و رسولا، فالرسول رسول عنه تعالى يوحى إليه بواسطه الملك أحيانا كما علمت سابقا، و هذا هو الفرق بين الرسول و الإمام، فإن الرسول يوحى إليه بواسطه الملك، و الإمام لا يوحى إليه بواسطه الملك، و تقدم أن حقيقه ذلك النور هو الروح الذى أوحاه اللّه تعالى إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله فى قوله: وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (١)، و هذا الروح هو حقيقه النبوه المختصه بالنبى صلّى اللّه عليه و آله ابتداء، ثم إنه لفيهم و صار إليهم، فهم يعلمون ما يعلمون بواسطه ذلك النور الذى هو حقيقه النبوه. فحاصل هذا الحديث: أن النبى أوحى إليه ذلك الروح ابتداء، و أوحى إليه تفصيلا بواسطه الملك (أى جبرئيل) و أما الإمام فلا يكون عمله إلاّ بواسطه الروح، الذى هو حقيقه النبوه، و أعظم من جبرئيل و ميكائيل كما تقدم، و هذا هو الفرق بينه و بين الرسول كما تقدم، فلا تظن أن الحديث يعطى مقام النبوه للإمام عليه السّلام بل هو ظاهر و صريح فى أنه (أى الإمام) يعلم بواسطه عمود النور، الذى هو النازل إليه صلّى اللّه عليه و آله أولا ثم جعل فيهم، و تقدم الكلام فيه مفصلا فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و مختلف الملائكه»

. و يدل على هذا

ما فيه (٢)أيضا بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إنا أنزلناه نورا كهيئه العين على رأس النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأوصياء عليهم السّلام لا يريد أحد منا علم أمر من أمر الأرض أو أمر من أمر السماء إلى الحجب التى بين اللّه و بين العرش إلاّ رفع طرفه إلى ذلك النور فرأى تفسير الذى أراد فيه مكتوبا» . أقول: قد ذكر عليه السّلام إنا أنزلناه نور على رأس النبى و الأوصياء، و هو شاهد على ما قلناه من أن النور فى جميع تلك الروايات يراد منه الروح، الذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل، و هو أولا يكون فيه صلّى اللّه عليه و آله ثم يكون فيهم عليهم السّلام.

١- ١) الشورى:٥٢.

٢- ٢) بصائر الدرجات ص ۴۶۲ رقم ۵.

و فيه بإسناده عن أبى بكر الحضرمى قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا أبا بكر ما يخفى علىّ شيء من بلادكم» .

و فيه بإسناده عن على بن أحمد بن محمد، عن أبيه قال: كنت أنا و صفوان عند أبى الحسن عليه السّلام (۱)فذكروا الإمام و فضله قال: «إنما منزله الإمام فى الأرض بمنزله القمر من السماء فى موضعه هو مطلع على جميع الأشياء كلها» .

و فى تفسير البرهان (۲)، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه بإسناده عن عبد اللّه بن بكر الأرجانى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث طويل قلت له: جعلت فداك فهل يرى الإمام ما بين المشرق و المغرب؟ قال: «يا بن بكر فكيف يكون حجه على ما بين قطريها، و هو لا يراهم و لا يحكم فيهم، و كيف يكون حجه على قوم غيّب، لا يقدر عليهم و لا يقدرون عليه، و كيف يكون مؤديا عن اللّه و شاهدا على الخلق و هو لا يراهم، و كيف يكون حجه عليهم، و هو محجوب عنهم، و قد حيل بينهم و بينه أن يقوم بأمر ربه فيهم و اللّه يقول: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ كَافَّةً لِلنّٰاسِ (۳)يعنى به من على الأرض و الحجه من بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله و هو يقوم مقام النبى، و هو الدليل على ما تشاجرت فيه الأمه و الأخذ بحقوق الناس» ، الحديث.

و فيه فى حديث بعده فقال الرضا عليه السّلام: «إنما هو مثل القمر يدور فى كل مكان يراه (أو تراه) من كل مكان» .

و فيه (۴)بإسناده عن الحرث بن المغيره النضرى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «اتقوا الكلام فإنّا نؤتى به» .

و فيه بإسناده عنه، و عن أبى بكر الحضرمى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «ما

۱- ۱) أبى عبد اللّه (البحار) .

۲- ۲) تفسير البرهان ج ۳ ص ۳۵۲.

۳- ۳) سبأ:۲۸.

۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۳۹۶.

يحدث فيكم حدث إلاّ علمناه، قلت: و كيف ذاك؟ قال: يأتينا به راكب يضرب» .

و فيه (۱)بإسناده عن إسماعيل الأزرق قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن اللّه أحكم و أكرم و أجل و أعلم من أن يكون أحتج على عباده بحجه، ثم يغيب عنهم شيئا من أمرهم» .

و فيه و فى حديث عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام بمنى عن خمسمائه حرف من الكلام فأقبلت أقول: كذا و كذا يقولون، قال: «فتقول قل كذا و كذا، فقلت: جعلت فداك هذا الحلال و الحرام و القرآن أعلم أنك صاحبه و أعلم الناس به و هذا هو الكلام، فقال لى: و تشك يا هشام؟ من شك أن اللّه يحتج على خلقه بحجه لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه فقد افترى على اللّه» . هذه جمله من الأحاديث الوارده فى الباب فنقول:

يقع الكلام فى أمور:

الأول: فى مورد الشهاده

و هى كما تقدم لا ينحصر فى الشهاده على أعمالهم الظاهره، بل هى عباره عن تحمل حقائق أعمال الناس فى الدنيا من سعاده و شقاوه و ردّ و قبول بالنسبه إلى التوحيد و الإيمان بالرسول و الولايه للأئمه عليهم السّلام و كونهم أهل محبتهم أم لا، و الانقياد له تعالى و لهم و التمرد بالنسبه إليه تعالى و إليهم، فيتحملونها منهم فى الدنيا، فيشهدون بها يوم القيامه إما لهم أو عليهم، و هذه الشهاده المتحمله فى الدنيا و المبينه فى الآخره ترجع إلى أن المشهود به له نحو من الحيوه و الوجود، يحضر يوم القيامه على ما كان فى النشأه قال اللّه تعالى: وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً (۲). نعم لحقايق الأعمال فى الدنيا وجود، و لها فى الآخره وجود يناسب عالم الآخره، و لا دليل على اتحاد خصوصيات الموجود فيهما كما لا يخفى. و مما ذكر يعلم وجه كونهم عليهم السّلام شهداء دار الفناء، فإن الإضافه لبيان ظرف

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۲۲.

۲- ۲) الکهف:۴۹.

التحمل لها و هى الدنيا، و سيأتى أنهم عليهم السّلام لإحاطتهم العلمى و الوجودى، الذى منحهم اللّه تعالى يتحملون هذه الشهادات بحقائقها فى دار الفناء إلى دار البقاء، و ظهر أيضا الفرق بين

قوله عليه السّلام:

«و شهداء على خلقه»

، فيما تقدم و بين

قوله عليه السّلام هنا:

«و شهداء دار الفناء»

، فإن الأولى تشير إلى بيان شأنهم فى هذا الأمر، أى تحمل الشهاده، و هذه تشير إلى الظرف الذى يتحمل فيه تلك الشهاده فتأمل. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام يشهدون على الأنبياء فإن اللّه تعالى أرسلهم، و يشهدون لهم عليهم السّلام بأنهم قد بلغوا رسالات ربهم، و يشهدون لمن أجابهم و أطاعهم بإجابته و إطاعته، و على من أعرض و عصى بإعراضه و عصيانه، أى يظهرون حقيقه ما يشهدون له أنه بلّغ ما أمر بتبليغه، و يشهدون على أمته و لهم و كذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

الثانى: فى بيان السّر فى تحمل هذه الشهاده

فنقول: الوجه هو أنه تعالى حملهم العلم و أمر الخلافه و أعباء الرساله و حموله الرب، و أشهدهم خلق الأشياء و عرفهم حقائق الأشياء، فهم عليهم السّلام علموا بتعليمه تعالى عالم المشيه و مظاهرها، فلا محاله هم عالمون بحقائق الأمور، و شاهدون لها بحيث لا يخفى منها شىء لهم كما نطقت به الأحاديث المتقدمه، و تقدم بيان هذا السر فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و شهداء على خلقه»

، ثم إنهم شهداء على الشيعه و على مخالفيهم، بل على جميع الخلق، فإن هذا لازم كونهم عليهم السّلام قد أشهدهم خلق الأشياء، و كونهم حجه على الخلق أجمعين كما لا يخفى.

الثالث:

قد تقدم أن الشهاده لا تختص بهم عليهم السّلام بل تكون للشيعه أيضا، إلاّ أن شهادتهم بالنسبه إلى من يشهدون له أو عليه تكون موردا لشهادتهم عليهم السّلام له و تقدم وجه أن الشيعه أيضا لهم الشهاده فى الجمله يوم القيامه، و ذكر أحاديث الباب و

شرحها عند

قوله عليه السّلام:

«و شهداء على خلقه»

، فراجعها.

الرابع:

أنه قد يقال: إن ظاهر بعض الأحاديث المتقدمه من نحو

قوله عليه السّلام فى حديث حرب بن المغيره: «اتقوا الكلام فإنا نؤتى به» فى أن ما شهدوا به من

أقوال الخلائق مطلقا، فإنما هو من أخبار الملائكه أو الجن، مع أن ظاهر سائر الأحاديث الكثيره، بل و الآيات فى أنهم يرون أعمال العباد بأنفسهم بنور اللّه، و بذلك العمود من النور المشار إليه فى كثير من الأخبار، فكيف التوفيق بينهما؟ و لكنه يقال فى الجمع بينهما: إن الملائكه بأجمعها إنما هى من شئونهم و عواملهم فى الوجود، فإن مدركاتهم عليهم السّلام للأشياء كل بحسبها إنما هو شأن من شئونهم يسمى ذلك الشأن بالملك، أو بالقوى الساريه فى الوجود المسخره لهم عليهم السّلام. فالملائكه بالنسبه إليهم كالقوى و الخواطر النفسانيه بالنسبه إلينا، فكما إنا إذا عملنا عملا فتاره ننسبه إلى أنفسنا فنقول: كذا علمت و كذا عملت، و أخرى ننسبه إلى خواطرنا فنقول: خطر ببالى و علمت بقوتى كذا و كذا، فمرجع الكل إلى أن الحقيقه الإنسانيه التى هى الجواهره اللطيفه الملكوتيه، تعمل أعمالها بمعونه هذه القوى المعبر عنها بالخواطر أيضا، فإن الخواطر و القوى شأن من شئون حقيقتنا الإنسانيه كما لا يخفى. و الإمام لما كان هو قطب عالم الإمكان، و له القدره عليها و الإحاطه بها، فهو الإنسان الكبير الذى يكون جميع قوى عالم الوجود من الملائكه بأقسامها من شئون هذا القطب، و الإمام الذى هو الإنسان الكبير، فلا مانع من أن ينسب الرؤيه تاره إلى نفسه المقدسه و أخرى إلى الملائكه التى هى من شئونهم عليهم السّلام كما لا يخفى.

و أما قوله عليه السّلام: «و شفعاء دار البقاء» ،

اشاره

فنقول: فى المجمع: و فى الحديث تكرر ذكر الشفاعه فيما يتعلق بأمور الدنيا و الآخره، و هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب و الجرائم و فى غيره، بل ربما يطلق على مطلق السؤال للغير و الدلاله إلى الشر أو الخير، و كل ذلك قد يكون فى الدنيا و فيما يتعلق بها، بل تحقق بعض أفرادها لا يكون إلاّ فيها، لكن أكثر استعمالها فى القرآن بالنسبه إلى الآخره. أقول: قوله: يطلق على مطلق السؤال للغير و الدلاله إلى الشر أو الخير، يدل

على أن الشفاعه كما تكون فى الأمور الخيريه كذلك تكون فى الشر، إلاّ أن الشفاعه فى الشر يطلق عليها الماحل

قال صلّى اللّه عليه و آله فى القرآن: «فإنه شافع مشفّع و ماحل مصدق» . و فيه يقال: محل فلان بفلان إذا قال عليه قولا يوقعه فى مكروه. . . إلى أن قال الماحل هو الذى يسعى بالنميمه إلى الملوك. أقول: فالشفاعه فى الشر هو بمعنى الماحل: و النميمه أحد مصاديق القول الذى يوقعه فى المكروه، فلا تكون الشفاعه فى الشر أو الماحل إلاّ فى النميمه، بل هو عام لكل ما يكون مكروها على المشفوع له كما لا يخفى. و كيف كان قوله تعالى: مَنْ يَشْفَعْ شَفٰاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهٰا (1)يشير إلى الشفاعه فى الخير، و ذلك كمن يصلح بين اثنين يكن له جزء منها، و من يشفع شفاعه سيئه يكن له كفل منها، أى من يمشى بالنميمه مثلا يكن له إثم منها. و فيه: و اسم الفاعل شفيع و الجمع شفعاء، مثل كريم و كرماء، و شافع أيضا، و شفعت الشىء شفعا من باب نفع ضممته إلى الفرد. أقول: هذا بحسب موارد استعماله فى اللغه، و حينئذ قيل: فالشفاعه من الشفع مقابل الوتر، كان الشفيع ينضم إلى الوسيله الناقصه، التى مع المستشفع فيصير به زوجا بعد ما كان فردا، فيقوى على نيل ما يريده، و لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته و ضعفها و قصورها. أقول: قد يقال: إنها عباره عن طلب زياده المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب، أو هى طلب إسقاط العقاب عمن يستحقه، و قد يقال أيضا: إنها على خمسه أقسام: الأول: و هو الإزاحه من هول الموقف و تعجيل الحساب، و هذا مختص بالنبى صلّى اللّه عليه و آله.

١- ١) النساء:٨٥.

الثانی: فی إدخال قوم الجنه بغیر حساب، و هی أیضا مختصه به صلّی اللّه علیه و آله. الثالث: هی لقوم استوجبوا النار، فیشفع فیهم نبینا صلّی اللّه علیه و آله و من یشأ اللّه. الرابع: فیمن دخل النار من المؤمنین، فالشفاعه فیهم، هو إخراجهم منها، و هذا یکون للنبی صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام و المؤمنین و الملائکه. الخامس: الشفاعه فی زیاده الدرجات فی الجنه لأهلها، انتهی ملخصا. أقول: إن الأربعه الأولی منها ترجع إلی أنها هو السؤال فی التجاوز عن الذنوب، و إلّا فیرجع إلی الشفاعه بمعنی طلب الزیاده، و هو نوع من الشفاعه أیضا، و هذه هی التی لا ینکرها أحد حتی المعتزله الذین ینکرون الشفاعه علی ما قیل. إذا علمت هذا فنقول:

لا بد من بیان مورد الشفاعه و حقیقتها.

أما الأول

فنقول: لا ریب فی أن الإنسان بمقتضی حبه لنفسه، و إن له قوه تحریک الإراده، فلا محاله بمعونه قوی الغضب و الشهوه دائما یکون فی مقام دفع المضار، و جلب المنافع بالأسباب، ثم إن تلک الأسباب قد تکون أسبابا مادیه، و تکون تحت اختیاره، کما إذا عطش أو جاع أو مرض، أو أراد زیاده الصحه، أو رفع الحر أو البرد، فإنه فی هذه الأمور یتوسل بالأسباب المادیه المعده لها، التی تکون تحت اختیاره، ففی هذه الأمور لا یستشفع بأحد بعد ما کانت الأسباب ممکنه التوسل بها له کالأکل و الشرب و اللبس و المداواه مثلا. و الحاصل: أن المنافع و المضار التی تکون أسبابها تحت الاختیار لا یتوسل الإنسان فی تحصیلها إلّا بأسبابها المعده لها و لا یستشفع بغیره، هذا و قد تکون الخیرات و الشرور و المنافع و المضار مما قد أثبته القوانین الکلیه الإلهیه مثلا. أو غیر إلهیه، ففی مثل هذه لا ریب فی أن العامل بها مورد للثواب فی عمل الخیر، و مأمون عن العقاب فی ترکه ما هو معصیه و مخالفه لتلک القوانین، و أما إذا خالف فی الأمرین فلا محاله یقع إما فی عدم النفع فیما إذا ترک الواجب و إما فی المضره فیما إذا فعل المحذور، و لم یکن فی إمکان ما به یخرج عن عدم النفع، أو یدفع به عن نفسه المضره.

فلا محاله يتوسل بالشفاعه فى الأمرين فهذا مورد الشفاعه، و هذا كما ترى لا يختص بمله خاصه، بل هو عام يشمل جميع الملل الحقه و الباطله، إلّا أن الكلام فيما نحن فيه لا يقع إلّا بالنسبه إلى المله الحقه الإسلاميه و الإماميه.

و أما الثانى (أعنى حقيقه الشفاعه) :

اشاره

فتاره يقع فيها بلحاظ أصل معنى الشفاعه، و أخرى فى شرائط الشفيع، و ثالثه فى شرائط المشفوع له فنقول:

أما الأول:

اشاره

قال بعض الأعلام رحمهم اللّه الشفيع لا يطلب من المولى مثلا أن يبطل مولويه نفسه و عبوديه عبده، فلا يعاقبه، و لا يطلب منه أن يرفع اليد عن حكمه و تكليفه المجعول، أو ينسخه عموما، أو فى خصوص الواقعه فلا يعاقبه، و لا يطلب منه أن يبطل قانون المجازات عموما أو خصوصا، فلا يعاقب لذلک رأسا، أو فى خصوص الواقعه، فلا نفوذ و لا تأثير للشفيع فى مولويه و عبوديه، و لا فى حکم و لا فى جزاء حکم. بل الشفيع بعد ما يسلم جميع الجهات الثلاث المذکوره، إنما يتمسک إما بصفات فى المولى الحاکم توجب العفو و الصفح کسؤدده و کرمه و سخائه و شرافه محتده، و إما بصفات فى العبد تستدعى الرأفه و الحنان، و تثير عوامل المغفره کمذلّته و مسکنته و حقارته و سوء حاله، و إما بصفات فى نفسه أعنى نفس الشفيع من قربه إلى المولى و کرامته و علوّ منزلته عنده فيقول: ما أسألک إبطال مولويتک و عبوديته، و لا أن تبطل حکمک و لا أن تبطل الجزاء، بل أسألک الصفح عنه، بأن لک سؤددا و رأفه و کرما، و أنک لا تنتفع بعقابه و لا يضرّک الصفح عن ذنبه، أو بأنه جاهل حقير مسکين لا يعتنى مثلک بشأنه، و لا يهتم بأمره، أو بأن لى عندک من المنزله و الکرامه ما يوجب إسعاف حاجتى فى تخليصه و العفو عنه، انتهى موضع الحاجه. أقول: فيستفاد مما قاله إن الشفاعه هى التوسل بوسائل مثل الذى ذکر من الصفات فى المولى، أو فى العبد المجرم، أو فى نفس الشفيع بنحو تکون هذه الوسائل حاکمه على الحکم الموجب للعقاب، أو رفع الثواب مثلا بنحو لا يضاده، بل يکون

حاكما عليه بدون مضاده. و بعباره أخرى: أن الشفاعه التى هى التوسل بتلك الوسائل، توجب إخراج هذا العبد من موضوع كونه ممن يجب عقابه للمخالفه، و إدخاله تحت موضوع آخر، و هو أنه بلحاظ تلك الصفات يكون ممن ينبغى أن يعفى عنه أو يصفع عنه، و فى الحقيقه أنه تعالى كما جعل الأحكام الأوليه سببا لأن تكون مخالفتها موجبه للعقاب، فكذلك أنه تعالى جعل أسبابا ناشئه من لطفه و رحمته، لإظهار عفوه و صفحه، فالمجرم و إن كان بلحاظ جرمه محكوما بالعقاب، إلاّ أنه بلحاظ استشفاعه، و بلحاظ تحقق الشفاعه فيه، و بلحاظ تلك الصفات يكون موردا للعفو و الصفح. و هذا كما علمت ليس إبطالا للأحكام كما زعمه قوم، بل تحكيم لأسباب أخرى، قد جعلها اللّه تعالى فى ظرف تحقق شرائطه، و سيجىء قريبا أن الشفاعه فى الحقيقه ترجع إليه تعالى أولا و بالذات، ثم إلى غيره بالعرض أى بإذنه قال تعالى: مَنْ ذَا اَلَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ (۱)ثم إن الشفاعه كما يأتى بيانها إنما تكون مع تحقق شرائط فى الشافع و المشفوع له لا مطلقا، مضافا إلى ما علمت من أنها على القاعده العقليه، و ليست مستلزمه لإبطال الأحكام الإلهيه، بل هى موجبه لإخراج موضوع عن موضوع حكم و إدخاله فى موضوع آخر، إلاّ أنه مع ذلك اشتبه الأمر على بعض،

فاستشكلوا على الشفاعه بأمور نذكر بعضها مع الجواب بعونه تعالى.

الاشكال الأول:

أن رفع العقاب بالشفاعه بعد ما كان ثابتا بمقتضى الحكم الأولى إما يكون عدلا و إما يكون ظلما، فإن كان الأول، فلازمه أن أصل الحكم الأولى يكون ظلما تعالى اللّه عنه علوا، و إن كان الثانى فلا ريب فى أنه لا يجوز نسبه طلب الظلم منه تعالى إلى الأنبياء لا فى الدنيا و لا فى الآخره، و جوابه أولا بالنقض

۱- ۱) البقره:۵۵.

بالأوامر الامتحانيه، فرفع الحكم الامتحانى و إثباته أولا كلاهما عدل، و سرّه اختبار سريره المكلف من إخراج باطن أمره، و إخراج ما فيه بالقوه إلى ما بالفعل، فيما ترك أو امتثل فكذلك الشفاعه، إذ من الممكن أن تكون النجاه لجميع المؤمنين مكتوبه، ثم يجعل الأحكام بنحو الامتحان ليهلك الكافرون بكفرهم، و أما المؤمنون فالمطيع منهم ترفع درجاته، و أما المسيئون منهم فينالون بالشفاعه النجاه المكتوبه لهم، و ثانيا بالحل و هو أنه قد علمت آنفا أن الشفاعه ليست هى إبطال الأحكام الأولى، بل هى فى الحقيقه تحكيم لأسباب أخرى فى الموضوع، و إدخاله فى موضوع آخر، فأين هذا من المضاده حتى يقال ما قيل؟

الاشكال الثانى:

أن سنه اللّه تعالى جرت على صون أفعاله من التخلف و الاختلاف، فما قضى و حكم به يجريه على وتيره واحده من غير استثناء قال تعالى: فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اَللّهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اَللّهِ تَحْوِيلاً (١)و من المعلوم أن الشفاعه موجبه للاختلاف فى سنته تعالى و فعله، فإن رفع العقاب عن جميع المجرمين موجب لنقض الغرض المحال مضافا إلى أنه لعب ينافى الحكمه حكمه التشريع، و رفع العقاب عن بعض دون بعض موجب للاختلاف فى فعله أيضا، فالقول بالشفاعه لعله مبتن على الأهواء و الأوهام، التى ربما تقضى فى الحق و الباطل، و عن الحكمه و الجهل على السواء، و هو كما ترى خصوصا فى حقه تعالى. و الجواب عنه: هو أنه تعالى لا ريب فى أن سنته واحده، لكن ليست وحدتها قائمه على أصل صفه واحده من صفاته، بل هى قائمه على ما يستوجبه جميع صفاته و هى كثيره، فإنه تعالى مفيض ما فى الوجود من حياه أو موت أو رزق أو نعمه، فننسبها كلها إليه تعالى، إلاّ أن كل واحده منها منسوبه إليه تعالى بنحو يخصّه و نحو يقتضيه، لا كلها بنحو واحد، و إلاّ لأوجب البطلان و الهرج و المرج فى الوجود، و لبطلت الأسباب و التأثيرات المختلفه كما لا يخفى فهو اللّه تعالى مشفى للمريض،

١- ١) فاطر:۴٣.

لكن لا من حيث إنه مميت منتقم قهار شديد العقاب، بل لأنه رءوف رحيم شافى و هكذا، كما أنه لا يهلك جبارا، لأنه رءوف رحيم بل لأنه منتقم شديد البطش. و بعباره أخرى: كل أمر من الأمور يرتبط به تعالى من جهه ما يتضمنه من المصالح و الخيرات، فعدم اختلاف سنته، و عدم اختلاف فعله إنما هى بالنسبه إلى جميع صفاته المربوطه به تعالى، لا بالنسبه إلى صفه واحده، فوقوع الشفاعه، و ارتفاع العقاب، لأجل عده من الأسباب كالرحمه و المغفره، و الحكم و القضاء، و إعطاء كل ذى حق حقه و الفصل و القضاء، كل ذلك لا يوجب اختلافا فى السنه الجاريه، و ضلالا فى الصراط المستقيم.

الإشكال الثالث:

أن وعد الشفاعه يوجب التجرى على المعصيه، و إغراء لهم على المعصيه، و هو مناف للغرض الشرعى، و هو السوق إلى العبوديه و الطاعه، فلا بد من التأويل لما يدل على وعد الشفاعه بنحو لا ينافى هذا الأصل المسلّم. و الجواب عنه: أولا: بالنقض بآيات المغفره و الرحمه الواسعه له تعالى، و هى كثيره جدا. و ثانيا: بالحل بأن وعد الشفاعه إنما يوجب التجرى بشرطين و إلّا فلا. تعيين المذنب أو الذنب بنحو لا يقع فيهما اشتباه، بحيث يكون بنحو الانجاز من غير تعلق بشرط جائز. أنه إن قيل: إن الفرد الفلانى، أو الطائفه المخصوصه، أو جميع الناس لا يعاقبون لكان ذلك موجبا للتجرى بالنسبه إليه أو إليهم. و أما إذا أبهم الأمر، فلم يعيّن أن الشفاعه فى حق من تؤثر، و فى أى ذنب توجب رفع عقوبته، فحينئذ حيث إن كل نفس عاصيه لا تعلم شمول الشفاعه لها، فلا محاله لا يوجب وعد الشفاعه تجريا بالنسبه إليه، كما لا يخفى، بل هذا الإبهام فى الأمرين يوقظ قريحه رجائها، فلا محاله لا تكون قنوطا من رحمه اللّه تعالى، أو يأسا من روحه، فهو حينئذ يكون قلبه بين الرجاء من وعد الشفاعه و بين الخوف

ص: ۱۴۸

من أنه لاـ يعلم أنها شامله له أم لا، فالآيات التى تهدد العاصين مثل قوله تعالى: كَلّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (۱)و قوله تعالى: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ اَلَّذِينَ أَساؤُا اَلسُّوایٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اَللّٰهِ (۲)توجب خوفا فى القلوب مطلقا خصوصا فى قلوب العاصين. و الآيات التى توقظ قريحه الرجاء مثل قوله تعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ (۳)، توجب مضافا إلى حصول الرجاء فى القلب رفع اليد عن المعاصى الكبيره طمعا فى أن يغفر اللّه تعالى المعاصى الصغيره، فهذا البيان منه تعالى موجب لجلب القلوب، و انجذابها إليه تعالى بالإطاعه، و ترك المعاصى الكبيره، التى عسى أن تكون موصله لترك المعاصى كلها، و هو بيان شاف بحكم الفطره السليمه بحسنه كما لا يخفى، و هذا البيان الإلهى ربما أوجب انقلاع العبد عن المعاصى، و ركوبه على صراط التقوى و الصراط المستقيم، فيصير حينئذ من المحسنين، فلا تتوقف حينئذ نجاته على الشفاعه، لما سيأتى من أن الشفاعه للعاصين، و أما المحسنون فيدخلون الجنه بإحسانهم، بل ربما يشفعون لغيرهم كما سيأتى بيانه. و الحاصل: أن القرآن لم ينطق فى خصوص المجرمين بالتعيّن، و لم يعين الذنب المغفور بالشفاعه بعينه، بل أثبت الشفاعه فى البعض و فى بعض الذنوب فى بعض الجهات و بعض الأوقات و بعض الأشخاص من دون تعيين، فلاـ يوجب تجرى العاصين قطعا، بل يوجب توقيظ رجائهم و خوفهم منه تعالى بالبيان المتقدم، فلا إشكال فيه أصلا، و لهذا الجواب بيان مفصل راجع المفصلات كما أن هناك إشكالات أخر مع جوابها لا بد للرجوع إليها و اللّه الهادى.

ص: ۱۴۹

۱- ۱) المطففين:۱۴.

۲- ۲) الروم:۱۰.

۳- ۳) النساء:۳۱.

هذا بعض الکلام فی بیان حقیقه الشفاعه و موردها، فثبت أنها أمر عقلی لا إشکال فیه، مضافا إلی ما ورد من الآیات و الأحادیث بثبوتها، و أنه لا بد من الاعتقاد بها، فنحن نذکر بعض الآیات و الأحادیث فی هذا الموضوع فنقول: أما الآیات فکثیره منها قوله تعالی: وَ اِتَّقُوا یَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَ لا یُقْبَلُ مِنْها شَفاعَهٌ وَ لا یُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ (۱)، و قال تعالی: مَنْ ذَا اَلَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ (۲)، و قال تعالی: وَ لا تَنْفَعُ اَلشَّفاعَهُ عِنْدَهُ إِلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتّی إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّکُمْ قالُوا اَلْحَقَّ وَ هُوَ اَلْعَلِیُّ اَلْکَبِیرُ (۳)، و سیأتی بعضها فی طی ذکر الأحادیث. أقول: هذه الآیات قد أثبتت الشفاعه مع ما لها من الشرط فی الشافع و المشفوع له کما سیجیء بیانها، و فیها نکته و هی أن آیات الشفاعه لم تذکر بنحو الإطلاق بأن یقول: إنا لنشفع لکم، لیمکن أن یستظهر منه أنها لم تکن مشروطه بشرط، بل غالبا أو جمیعا ذکرت بلسان الحصر المستفید منه تقییدها بشرط، بل شروط کما لا یخفی، و هی بهذا اللسان تدل علی أن الشفاعه لا تبطل أدله الأحکام الأولیه و لا تعارضها، بل فی موضوعها و فی تحقق شرائطها تکون حاکمه علی تلک الأدله الأولیه للأحکام کما لا یخفی. و أما الأحادیث فکثیره جدا و نذکر بعضها اللازم فنقول:

ففی البحار (۴)عن الخصال مسندا عن أنس بن مالک قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لکل نبی دعوه قد دعا بها، و قد سأل سؤالا، و قد أخبأت دعوتی لشفاعتی لأمتی یوم القیامه» .

۱- ۱) البقره:۴۸.

۲- ۲) البقره:۲۵۵.

۳- ۳) سبإ:۲۳.

۴- ۴) البحار ج ۸ ص ۳۴.

و فیه عن الأربعمائه قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «لا تعنونا فی الطلب و الشفاعه لکم یوم القیامه فیما قدمتم» .

و قال علیه السّلام: «لنا شفاعه و لأهل مودتنا شفاعه» .

و فیه عن أمالی الصدوق بإسناده عن الحسین بن خالد، عن الرضا، عن أبیه عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام: قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من لم یؤمن بحوضی، فلا أورده اللّه حوضی، و من لم یؤمن بشفاعتی، فلا أناله اللّه شفاعتی، ثم قال علیه السّلام: إنما شفاعتی لأهل الکبائر من أمتی، فأما المحسنون فما علیهم من سبیل، قال الحسین بن خالد: فقلت للرضا علیه السّلام: یا بن رسول اللّه فما معنی قول اللّه عز و جل وَ لاٰ یَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ ارْتَضیٰ (۱)؟ قال: لا یشفعون إلاّ لمن ارتضی اللّه دینه» .

و فیه عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: لاٰ یَمْلِکُونَ اَلشَّفٰاعَهَ إِلاّٰ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً (۲)، قال: «لا یشفع و لا یشفع لهم و لا یشفعون إِلاّٰ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً إلاّ من أذن له بولایه أمیر المؤمنین و الأئمه من بعده فهو العبد عند اللّه» ، الحدیث.

و فیه عن أمالی الصدوق بإسناده عن محمد بن عماره، عن أبیه قال: قال الصادق جعفر بن محمد علیه السّلام: «من أنکر ثلاثه أشیاء فلیس من شیعتنا المعراج و المسأله فی القبر و الشفاعه» .

و فیه عن تفسیر علی بن إبراهیم فی حدیث. . . إلی أن قال: ثم قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الشفاعه فی أمته، و لنا شفاعه فی شیعتنا، و لشیعتنا شفاعه فی أهالیهم، ثم قال: و إن المؤمن لیشفع فی مثل ربیعه و مضر، و إن المؤمن لیشفع حتی لخادمه و یقول: یا رب حق خدمتی کان یقینی الحر و البرد» . أقول: فالمستفاد من هذه الأحادیث (و هی کثیره جدا، مع ما فیها من التأکید

ص:۱۵۱

۱- ۱) الأنبیاء:۲۸.

۲- ۲) مریم:۸۷.

على ثبوتها، و الإنكار و التشنيع على منكرها) أن الشفاعه للنبى صلّى اللّه عليه و آله و للأئمه عليهم السّلام و للمؤمنين، نعم فى المؤمنين الذين ارتضى لهم دينهم، كما صرح به فى الأخبار. ثم إن المستفاد من الآيات و الأحاديث أن مورد الشفاعه (أى المشفوع لهم يوم القيامه) هم الدائنون بدين الحق من أصحاب الكبائر، فما

فى أمالى الصدوق عن الرضا عليه السّلام من قوله (أى النبى صلّى اللّه عليه و آله) : «إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى، فأما المحسنون، فما عليهم من سبيل» ، يدل على أن المرتضى دينه هو المؤمن بدينه صلّى اللّه عليه و آله و هم الذين

قد عيّنهم أبو عبد اللّه عليه السّلام بقوله فى الحديث السابق: «إلّا من أذن له بولايه أمير المؤمنين و الأئمه من بعده عليهم السّلام فهو العهد عند اللّه» الحديث، دلّ على ما هو الشرط فى الشافع و المشفوع لهم و الشفاعه، فإن المستفاد من

قوله عليه السّلام قبله قال: «لا يشفع و لا يشفع لهم، و لا يشفعون إلّا من اتخذ عند اللّه عهدا» ، هو ما ذكرناه كما لا يخفى، فالمؤمن بالولايه هو الذى ارتضى دينه و هو الذى اتخذ عند اللّه عهدا. و مما ذكر علم شرائط الشافع أيضا كما لا يخفى. ثم إنه قد يستفاد من كلمات بعض الأعاظم أن التوبه و الاستغفار سواء كان من المذنب، أو من غيره فى حقه كالملائكه فى حق المؤمنين، أو المؤمن فى حق أخيه المؤمن، و كذا الأعمال الصالحه، أو كونها فى الأيام المتبركه، أو فى الأمكنه الشريفه، كل ذلك تكون بمنزله الشافع، و لكن فيه أنه خلاف الظاهر من الشافع، و أنه من الأسباب الموجبه لكونه من المحسنين الذين لا سبيل عليهم. و الحاصل: أن كل شافع سبب لغفران الذنب، و أما كل ما هو سبب للغفران فليس بشافع كما لا يخفى، و حيث إنه لا نفع معتدا به فى بحثه فالأولى تركه، و كيف كان فالظاهر أن الشفعاء هم الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام و المؤمنون بعناوينهم المذكوره فى الآيات و الأحاديث قال تعالى: بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ (1)، إلى قوله: وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ

ص:152

1- 1) الأنبياء:26.

لِمَنِ اِرْتَضىٰ

(۱)

، فهذه الآیه تشمل بإطلاقها الأنبیاء، و قال تعالی: وَ کَمْ مِنْ مَلَکٍ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ لاٰ تُغْنِی شَفٰاعَتُهُمْ شَیْئاً إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ أَنْ یَأْذَنَ اَللّٰهُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یَرْضیٰ (۲)، فدلّت هذه الآیات علی أن الملائکه تشفع بعد إذنه تعالی. و أما سائر أصناف المؤمنین فیدل علی کونهم شفعاء

قول أبی جعفر علیه السّلام: «لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: . . . و لنا شفاعه فی شیعتنا، و لشیعتنا شفاعه فی أهالیهم» الحدیث

فقوله علیه السّلام: «و لشیعتنا شفاعه» یشمل جمیع أفراد الشیعه الاثنی عشریه کما لا یخفی. ثم إنه قد یقال: إن الأسباب الکونیه شفعاء عند اللّه بما هم وسائط بینه و بین الأشیاء، و لکن فیه أنه لیس کل سبب شفیعا اصطلاحا نعم هو الشفیع لغه و لا کلام لنا فیه، فالمراد بالشفاعه هی المتعلقه بالثواب و العقاب فی رفع ذنب کالشرک فما دونه، و کما تقع هذه من الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام و المؤمنین بالنسبه إلی أهل المعاصی الکبیره ممن یدین دین الحق کما تقدم.

بقی الکلام فی زمان وقوع الشفاعه

فنقول: المستفاد من أحادیث الباب أن تعلق الشفاعه بالمجرمین، إنما هو بعد ابتلائهم بالعذاب، إما بعذاب جهنم فینجیهم اللّه بالشفاعه، و إما بعذاب القیامه و قد یقال: إن عذاب القیامه من عذاب جهنم، کما یستفاد من بعض الأخبار، و هذا فی الجمله لا ریب فیه، و أما کون جمیع عذاب القیامه من عذاب جهنم فلا، فإن المستفاد من الأحادیث أن لمواقف القیامه أهوالا من حیث هی موقف لها، لا من حیث إن فیه عذاب جهنم، و کیف کان فالشفاعه زمانها یوم القیامه بعد شمول البلاء و العذاب لأهله إما من عذاب جهنم و إما من عذاب الموقف. فإن قلت: قد دلّت أحادیث کثیره علی حضور النبی صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام عند الموت و عند مسأله البرزخ، و أنهم علیهم السّلام یعینون المیت علی الشدائد و ینجونه منها

۱- ۱) الأنبیاء:۲۸.

۲- ۲) النجم:۲۶.

و هل هـذا إلّا شـفاعه منهم عليهم السّـلام لهم؟ قلت: قـد يقال: إن هذا ليس من الشـفاعه، بل هو من قبيل التصـرفات و الحكومه الموهوبه لهم عليهم السّـلام بإذن اللّه سـبحانه، فهـذا نظير وساطه الإمام عليه السّـلام يوم القيامه فى الـدعوه لرعاياه و متابعيهم له، التى تسـتتبع إعطاء كتابهم بيمينهم كقوله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِیَ كِتابَهُ بِیَمِینِهِ. . . (۱)، فطلب الإمام إياهم و متـابعتهم لـه عليه السّـلام المـوجبه لإعطـاء كتـابهم بيمينهم، يكـون من قبيـل الحكـومه الإلـهيه الموهـوبه لهم عليهم السّـلام. و الحاصـل: أن أسباب النجاه كثيره فى موارد كثيره فى الـدنيا، و فى البرزخ، و فى القيامه، و ليست هـذه من باب الشـفاعه، بل من باب إظهار مقام الإمام و المناصب الإلهيه. و بعباره أخرى: أن موجب النجاه قد يكون بأمر مستقل للإمام عليه السّـلام مثلا كهذه الأمور، و قـد يكون بنحو إذا انضم إليه أمر آخر ينتـج النجاه، كما علمته فى معنى الشـفاعه فهو الشـفاعه، فافهم. فتحصل أن كل موجب للنجاه ليس من الشـفاعه، و إن كانت هى من أسـباب النجاه، فالشـفاعه تقع فى آخر موقف من مواقف القيامه، و حقيقتها استيهـاب المغفره بـالمنع فى دخول النـار، أو إخراج بعض من كـان فيهـا، كل ذلك لأجل اتساع الرحمه الإلهيه، و ظهور كرامته تعالى للمشفوع لهم، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

[۳۶]قوله عليه السّلام: و الرحمه الموصوله

اشاره

فى المحكى عن القاموس: الرحم (بالكسـر) ككتف بيت نبت الولد و وعائه و القرابه و أصـلها و أسـبابها، و الجمع أرحام، و قال: الرحمه: الرقه و المغفره و العطف. أقول: و ذكر العلماء أنها إذا نسبت إلى اللّه تعالى فالمراد الغايه المترتبه عليها

۱- ۱) الاسراء:۷۱.

كالثواب مثلا، و لا يبعد إراده أسباب تلك و الموجب لها كالإطاعه مثلا، و كيف كان

فلنذكر أولا أخبار الباب

، ثم بيان الوجه فى كونهم عليهم السّلام الرحمه، ثم بيان كونها الموصوله، فنقول:

فى البحار (۱)عن كنز جامع الفوائد بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله عز و جل: يَوْمَ لاٰ يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ. إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ اَللّٰهُ (۲)، قال: «نحن و اللّه الذين رحم اللّه و الذين استثنى و الذين تغنى ولايتنا» .

و فيه عنه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى: يَوْمَ لاٰ يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ. إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ اَللّٰهُ ، قال: «نحن أهل الرحمه» .

و فيه عن الكافى: العده عن سهل، عن محمد بن سليمان، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال لأبى بصير: «يا أبا محمد و اللّه ما استثنى اللّه عزّ ذكره بأحد من أوصياء الأنبياء و لا أتباعهم، ما خلا أمير المؤمنين و شيعته فقال فى كتابه و قوله الحق: يَوْمَ لاٰ يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ. إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ اَللّٰهُ (۳)يعنى بذلك عليا و شيعته» .

و فيه (۴)عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام بالأسانيد الثلاثه، عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «النجوم أمان لأهل السماء، و أهل بيتى أمان لأمتى» . أقول: سيأتى أن كونهم أمانا للأمه معنى كونهم الرحمه.

و فيه (۵)عن تفسير العياشى، عن أبى الحسن عليه السّلام فى قوله: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ. . . (۶)قال: «الفضل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و رحمته أمير المؤمنين عليه السّلام» .

ص: ۱۵۵

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۲۰۵.

۲- ۲) الدخان:۴۱ و ۴۲.

۳- ۳) الدخان:۴۱.

۴- ۴) البحار ج ۲۷ ص ۳۰۹.

۵- ۵) البحار ج ۳۵ ص ۴۲۳.

۶- ۶) النور:۲۰.

و فیه عن الکنز، عن جعفر بن محمد علیه السّلام فی قوله تعالی: یُدْخِلُ مَنْ یَشٰاءُ فِی رَحْمَتِهِ (۱)قال: «الرحمه ولایه علی بن أبی طالب علیه السّلام و الظالمون ما لهم من ولی و لا نصیر» .

و فیه عن أمالی الصدوق بإسناده عن النبی صلّی اللّه علیه و آله فی حدیث طویل، أنه قال لعلی علیه السّلام: «و الذی بعث محمدا بالحق نبیّا، ما آمن بی من أنکرک، و لا أقرّ بی من جحدک، و ما آمن باللّه من کفر بک، إن فضلک لمن فضلی، و إن فضلی لفضل اللّه، و هو قول اللّه عز و جل: قُلْ بِفَضْلِ اَللّٰهِ الآیه، ففضل اللّه نبوه نبیکم، و رحمته ولایه علی ابن أبی طالب علیه السّلام فبذلک (قال: بالنبوه و الولایه) فلیفرحوا (یعنی الشیعه) هو خیر مما یجمعون (یعنی مخالفیهم من المال و الأهل و الولد فی دار الدنیا) .

و فی تفسیر نور الثقلین (۲)عن زراره، عن أبی جعفر علیه السّلام و حمران عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ قالا: «فضل اللّه رسوله صلّی اللّه علیه و آله و رحمته ولایه الأئمه علیهم السّلام» .

و فی المحکی عن تفسیر العیاشی، عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ اَلْأَرْحٰامَ ، قال: «قرابه الرسول و سیدهم علی علیه السّلام أمروا بمودتهم، فخالفوا ما أمروا به» .

و عن تفسیر الفرات بن إبراهیم، عن الصادق علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: وَ لِذٰلِکَ خَلَقَهُمْ (۳)، قال: «أی للرحمه خلقهم (أی الشیعه) و قال: و الرحمه التی یقول طاعه الامام علیه السّلام» الخبر.

و عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ یَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ یَشٰاءُ (۴)قال: «الرحمه علی علیه السّلام» .

ص: ۱۵۶

۱- ۱) الإنسان:۳۱.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۴۳۳.

۳- ۳) هود:۱۱۹.

۴- ۴) البقره:۱۰۵.

و عن المناقب: ابن عباس في قوله: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ (١)«فضل اللّه محمد صلّى اللّه عليه و آله و رحمته على عليه السّلام» . و قيل: فضل اللّه على عليه السّلام و رحمته فاطمه عليها السّلام. أقول: هذه بعض أحاديث الباب، فالمستفاد منها أن المراد من الرحمه فى تلك الآيات ولايه الأئمه عليهم السّلام أو طاعتهم و الائتمام بهم عليهم السّلام أو علم الإمام.

ففى المحكى عن الكافى، عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (٢)، قال: يقول: علم الإمام، و وسع علمه الذى هو من علمه كل شىء و هو شيعتنا» الخبر. أو المراد منها النبى صلّى اللّه عليه و آله أو على بن أبى طالب عليه السّلام أو فاطمه الزهراء (سلام اللّه عليهم أجمعين) فهم عليهم السّلام خصوصا أمير المؤمنين عليه السّلام الرحمه.

و أما كونها الموصوله،

ففى المحكى عن الصادق عليه السّلام عن الكافى فى قوله: وَ اَلَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (٣)، «نزلت فى رحم آل محمد صلّى اللّه عليه و آله» و قد يكون فى قرابتك، ثم قال: «فلا تكونن ممن يقول للشىء: إنه فى شىء واحد» .

و عن العياشى، عنه عليه السّلام: «الرحم معلقه بالعرش فيقول: اللهم صل من وصلنى، و اقطع من قطعنى، و هو رحم آل محمد، و هو قول اللّه: وَ اَلَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ و رحم كل ذى رحم» (و العياشى: و رحم كل مؤمن) . أقول: حقيقه الرحمه المراد بها هنا هو حقيقه محمد و آله الطاهرين، التى هى النور المحمدى، الذى هو أول خلق اللّه، و الذى خلق منه أنوار الأئمه و الزهراء عليها السّلام على ما بينته الأخبار المذكوره فى محلها، و معنى كونها موصوله ما تقدم من

قول الصادق عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى: وَ اَلَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (۴)و ما

١- ١) النور:٢٠.

٢- ٢) الأعراف:١۵۶.

٣- ٣) الرعد:٢١.

۴- ۴) الرعد:٢١.

حکی عن تفسیر العسکری علیه السّلام لقوله تعالی: اَلرَّحْمٰنُ (۱)، إن الرحمن مشتق من الرحمه، و قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: «قال اللّه تعالی: «أنا الرحمن و هی من الرحم، شققت لها اسما من اسمی من وصلها وصله» (أقول: أی من وصل تلک الرحم وصله اللّه، و کذا فیمن قطعها) و من قطعها بتّته» . ثم قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «إن الرحمه التی اشتقها اللّه تعالی من اسمه بقوله أنا الرحمن هی رحم محمد صلّی اللّه علیه و آله و إن من إعظام اللّه إعظام محمد صلّی اللّه علیه و آله و إن من اعظام محمد إعظام رحم محمد صلّی اللّه علیه و آله و إن کل مؤمن و مؤمنه من شیعتنا هو من رحم محمد صلّی اللّه علیه و آله و إن إعظامهم من إعظام محمد صلّی اللّه علیه و آله، فالویل لمن استخف بشیء من رحم محمد صلّی اللّه علیه و آله و طوبی لمن عظّم حرمته و أکرم رحمه و وصلها» . أقول: فالرحمن الذی هو الاسم له تعالی، إنما یتسمی اللّه تعالی به، إذا تحققت الرحمه فی الخارج، کما أنه لا یقال لزید: إنه قائم، إلاّ إذا تحقق منه القیام کما لا یخفی، کذلک لا یکون هو تعالی رحمن إلاّ إذا تحققت حقیقته فی الخارج، و هی حقیقه محمد و آله المعبّر عنها بالرحم، المشار إلیه

فی قول الصادق علیه السّلام: «نزلت فی رحم آل محمد صلّی اللّه علیه و آله» فهم علیهم السّلام الرحم (أی الرحمه) أو محلها أو مظهرها، فهم علیهم السّلام من هذه الجهات صفه و اسم له تعالی، و بها یعرف اللّه بهذه الصفه، فهو تعالی و إن کان مصدر الرحمه إلاّ أن الصادر (أی الرحمه) بما هی صفه مخلوقه هی حقیقه محمد و آله الطاهرین. فحینئذ محصل کلام

أمیر المؤمنین علیه السّلام علی ما فی تفسیر العسکری علیه السّلام: أن الرحم هی الرحمه و الرحمن و هی بلحاظ أصلها الأولی عامه المشار إلیها بقوله تعالی: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ لکنها یراد منها الرحمه الخاصه فی قوله تعالی: اَلرَّحْمٰنُ بعلی و فاطمه و الحسن و الحسین و التسعه المعصومین من ذریته (علیهم الصلوه و السّلام) و یلحق بهم علیهم السّلام من سائر الخلق من سبقت له العنایه باتّباعهم،

۱- ۱) الرحمن:۱.

فمن تبعهم فله من تلك الرحمه و من تلك الرحم بنسبه قبوله من ذلك المقام، أعنی مقام المتابعه و المشایعه و قبول الولایه، و هذه المتابعه و المشایعه هی التی توجد رتبه الشعاع فی التابع کما و کیفا الموجبه لکونه شیعه لهم علیهم السّلام و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فیما تقدم: «و إن کل مؤمن و مؤمنه من شیعتنا هو من رحم محمد صلّی اللّه علیه و آله» . فظهر مما ذکرنا من الأخبار و البیان أن المراد من الرحمه الموصوله هی الرحمه التی أمر اللّه تعالی بها أن توصل فی قوله: وَ اَلَّذِینَ یَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ (۱). و بعباره أخری: أن المستفاد من الآیه الشریفه أن المؤمنین أمروا بوصل ما أمر اللّه به أن یوصل، و هذا هی تلک الرحمه التی هی حقیقه محمد و آله، فهذه الرحمه هی التی أمر اللّه بها أن توصل، فبلحاظ أن المؤمنین و الشیعه یصلون برحم آل محمد، التی هی الرحمه بالمتابعه و المشایعه، فلا محاله یکون محمد و آله الطاهرون هم الرحمه الموصوله بصله الشیعه لهم علیهم السّلام فالموصوله (أی هذه الرحمه) موصوله بعضها ببعض، فالشیعه موصولون بالأئمه علیهم السّلام و الأئمه علیهم السّلام موصولون بمحمد صلّی اللّه علیه و آله و محمد صلّی اللّه علیه و آله موصول باللّه، فهذه هی حقیقه الوصل المراد من قوله: الموصوله. و بعباره أخری: أن الشیعه لما خلقوا من فاضل طینتهم، و من شعاع نورهم، کما دلت علیه أحادیث کثیره، فهم لا محاله متصلون بهم کاتصال شعاع الشمس بها، و حیث ثبت أیضا أنهم علیهم السّلام هم الرحمه، التی هی الرحم المشتق من اسم الرحمن، و الذی أمر اللّه به أن یوصل، و هم تابعون للأئمه علیهم السّلام بالمشایعه مشتقون منهم معنی، فکل مؤمن و مؤمنه من رحم آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و موصول بهم علیهم السّلام و هم موصولون برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو صلّی اللّه علیه و آله موصول باللّه تعالی، و إلی هذا الوصل بما له من هذا المعنی یشیر ما

فی بصائر الدرجات بإسناده عن جابر الجعفی قال: کنت مع محمد بن علی فقال: «یا جابر خلقنا نحن و محبونا من طینه واحده بیضاء نقیه من أعلی علیین،

۱- ۱) الرعد:۲۱.

فخلقنا نحن من أعلاها، و خلق محبّونا من دونها، فإذا كان يوم القيامه التفت العليا بالسفلى، و إذا كان يوم القيامه ضربنا بأيدينا إلى حجزه نبينا، و ضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجزتنا، فأين ترى يصيّر اللّه نبيه و ذريته؟ و أين ترى يصير ذريته محبيها؟ فضرب جابر يده على يده فقال: دخلناها و رب الكعبه، ثلاثا» .

و فيه بإسناده عن معاويه بن عمار قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك هذا الحديث الذى سمعته منك ما تفسيره؟ قال: و ما هو؟ قال: «إن المؤمن ينظر بنور اللّه، فقال: يا معاويه إن اللّه خلق المؤمنين من نوره، و صبغهم فى رحمته، و أخذ ميثاقهم لنا بالولايه على معرفته يوم عرّفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه و أمّه، أبوه النور و أمّه الرحمه، و إنما ينظر بذلك النور الذى خلق منه» .

و فى المحكى عن الصادق عليه السّلام حين سأله المفضّل. . . إلى أن قال عليه السّلام: «ألا إنّا خلقنا من نور اللّه، و خلق شيعتنا من ذلك النور، فإذا كان يوم القيامه التحقت السفلى بالعليا، ثم قرن عليه السّلام بين إصبعيه الوسطى و السبابه، و قال: كهاتين، ثم قال: يا مفضل أ تدرى لم سميت الشيعه شيعه؟ يا مفضل شيعتنا منّا، و نحن من شيعتنا، أ ما ترى هذه الشمس أين تبدو؟ قلت: من مشرق، قال: و إلى أين تعود؟ قلت: مغرب، قال عليه السّلام: هكذا شيعتنا منّا بدءوا و إلينا يعودون» . و يمكن أن يراد من الرحمه الموصوله: أن الرحمه الرحمانيه عامه لكل أحد فى الدنيا، و أما الرحمه الرحيميه المشار إليها بقوله: وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهٰا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ (1)الآيه، فهى لا محاله مختصه بالمؤمنين، كما دلّت عليه أحاديث كثيره، و حينئذ معنى كونهم الرحمه الموصوله أن الرحمه، التى تكون موصوله بالمؤمن من الدنيا إلى الآخره، بحيث لا تنفك عنه إنما هى الرحمه التى تكون منهم و بهم عليهم السّلام فهم عليهم السّلام الرحمه الموصوله من الدنيا إلى الآخره لمن يتمسك بولايتهم و محبتهم، فالشيعه بالتمسك بهم و بمحبتهم متصلون بهم، و هم رحمه لهم،

۱- ۱) الأعراف:۱۵۶.

و موصولون بهم، و هذا الاتصال كما علمت متصل برحمه اللّه لا محاله. و من هذا يعلم أن من وصلهم وصله اللّه تعالى برحمته و رضوانه و محبته، و من قطعهم قطعه اللّه تعالى من رحمته و وصله ببغضه، و قطعه من رضوانه و وصله بسخطه، و قطعه من محبته و وصله بمقته. و بعباره أخرى: أن توصيف الرحمه بالموصوله لإخراج الرحمه، التى ليست بموصوله، و هى الرحمه، التى تشمل جميع العباد حتى العصاه و الكفره، فهذه الرحمه ليست بموصوله برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الذى هو موصول باللّه تعالى، فالرحمه التى تشمل غير الشيعه إنما هى الرحمه غير الموصوله و هى فى الحقيقه رحمه صوريه غير دائمه، و ما كان من الرحمه هكذا ليست برحمه حقيقه، لأن الرحمه الحقيقيه ما يلائم النفس مطلقا، فالكافر إذا علم أنه ستنقطع عنه هذه الرحمه، فلا محاله يشمئزّ من هذا القطع، و إن كان فعلا- مشمولا للرحمه إلاّ- أنها رحمه مشوبه بما لا يلائم النفس. و كيف كان فالرحمه المقطوعه عن الخير المطلق الثابته لغير الشيعه، ليست رحمه مطلقه، بل إنما هى رحمه مؤقته اقتضى العدل الإلهى ذلك لغير الشيعه فى الدنيا، و سبب قطعها إنما هو سوء أعمال العصاه و الكفره، لا لأجل نقص من الرحمه بحسب الاقتضاء و اللطف الإلهى كما حقق فى محله.

قوله عليه السّلام: و الآيه المخزونه

فى المجمع: قوله تعالى: لَقَدْ كٰانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آيٰاتٌ لِلسّٰائِلِينَ (١)هى جمع آيه و هى العبره، و الآيات العلامات و العجائب. . .، إلى أن قال: و الآيه من القرآن. قيل: كل كلام متصل إلى انقطاعه. و قيل: ما يحسن السكوت عليه.

١- ١) يوسف:٧.

و قیل: هی جماعه حروف من قولهم: خرج القوم بآیتهم أی بجماعتهم. و قال الجوهری: الآیه العلامه و الأصل أویه (بالتحریک) و جمع الآیه آی و آیات، انتهی، و قد یقال: إن إطلاق الآیه علی الآیات القرآنیه، لأجل أن نظام کل منها علامه من اللّه سبحانه، و قد علمت أنها فی اللغه بمعنی العلامه، و ما یوجب العبره و العجب و لا ریب فی أن الآیات القرآنیه لها هذه الخواص الثلاث من العلامه و العبره و العجب لما فیها من عجائب القدره و الحکمه. أقول: و بهذه الجهه أطلقت الآیه علیهم علیهم السّلام. قال بعض الأعلام: و الوجه فیه أنهم علیهم السّلام علامات جلیله واضحه لعظمه اللّه و قدرته و علمه، و لطفه و رحمته، و هذه بأجمعها أیضا دلالات علی طریق تحصیل جنته و رضوانه و قربه کما لا یخفی. ثم إن توصیف الآیه بکونها مخزونه یشیر إلی أنها من الأسرار، أی أنهم الآیات المستوره، و من الأسرار المودعه فی النفوس البشریه باعتبار أنه یعرف بها رب العالمین، و به یعبد اللّه تعالی بحیث لولاه فی سرّ البشر لما عبد اللّه و لما عرف، و لما کان لهم طریق فی أنفسهم إلی معرفته تعالی، فهذه الآیه مخزونه أی مکتوبه فی نفوس الخلق، و یراد من توصیفها بها أیضا وجوب صونها و حفظها عن أن یوصل إلیها بشیء من نزعات الشیطان، و یجب أیضا کتمانها لئلا تعرضها مدلهمات ثیاب الجاهلیه من أهل الغفله، و المحجوبین عن المعارف الإلهیه، و لئلا تصیر فی معرض الإضاعه فإن الشیء یضیع بالإذاعه.

و لذا ورد: استعینوا علی حوائجکم (أی علی نجاحها و بقائها) بالکتمان، و هذا الحفظ لا بد من مراعاته لها فی جمیع أحوال هذا السر الباطن، و جمیع مراتب ظهورها فی الإنسان إلی أن یودیها إلی معطیها محفوظه عن هذه الآفات المادیه، بل لا بد من تقلید رقابنا بالخضوع لها، و الخشوع لها فی السرّ و العلانیه، فإنه أمانه اللّه التی یجب التعظیم لها، کما سیجیء قریبا بیانه.

ص :۱۶۲

و إلی ما ذکر تشیر عده من الأخبار،

ففی البحار (۱)عن أمالی ابن الشیخ بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ (۲)، قال: «النجم رسول اللّه، و العلامات الأئمه من بعده» (علیه و علیهم السّلام) .

و فیه عن تفسیر العیاشی، عن معلی بن خنیس، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ فالنجم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و العلامات الأوصیاء بهم یهتدون.

و فیه عنه، عن أبی مخلّد الخیاط قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ (۳)قال: «النجم محمد صلّی اللّه علیه و آله و العلامات الأوصیاء» .

و فیه عن المناقب، عنه صلّی اللّه علیه و آله: «أنت أحد العلامات (أی أنه صلّی اللّه علیه و آله قال لعلی علیه السّلام)» .

و فی مقدمه تفسیر البرهان و عن الباقر علیه السّلام أنه قال: «کان علی علیه السّلام یقول: ما للّه عز و جل آیه أکبر منی» .

و عن الصادق علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: أَتَتْکَ آیاتُنا (۴)و قوله سبحانه: وَ لَمْ یُؤْمِنْ بِآیاتِ رَبِّهِ (۵): الآیات الأئمه، أی لم یؤمن بهم، و ترکهم معانده، فلم یتبع آثارهم، الخبر.

و فیه عن إکمال الدین، عن الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ (۶)الآیه قال: «یعنی خروج القائم (عج)» .

و فیه، فی الکافی عن الصادق علیه السّلام أنه قال فی قوله تعالی: اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ

ص: ۱۶۳

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۸۱.

۲- ۲) النحل:۱۶.

۳- ۳) النحل:۱۶.

۴- ۴) طه:۱۲۶.

۵- ۵) طه:۱۲۷.

۶- ۶) الأنعام:۱۵۸.

رَبِّهِمْ

(۱)

«یعنی کفروا بولایه علی علیه السّلام» الخبر. و مثل هذه الأخبار أخبار کثیره کما لا یخفی. فالمستفاد من الآیات و الأحادیث: أن الآیه تطلق علی أمور کثیره، کما ورد التفسیر لها فی مواردها (أی موارد ذکر الآیات فی الآیات القرآنیه) إلّا أنه لیس للّه تعالی آیه أتم و أکبر و أدل إلّا هم علیهم السّلام أو منهم أو لهم أو عنهم، کما علمته من الأخبار المتقدمه.

و فی المحکی عن الکافی، عن داود الرقی قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قوله تبارک و تعالی: وَ مٰا تُغْنِی اَلْآیٰاتُ وَ اَلنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۲)، قال: «الآیات الأئمه، و النذر الأنبیاء» (صلوات اللّه علیهم أجمعین) .

و فی تفسیر نور الثقلین (۳)بإسناده عن أبی حمزه، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: جعلت فداک إن الشیعه یسألونک عن تفسیر هذه الآیه: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ اَلنَّبَإِ اَلْعَظِیمِ (۴)، قال: «ذلک إلیّ إن شئت أخبرتهم، و إن شئت لم أخبرهم، ثم قال: لکنی أخبرک بتفسیرها، قلت: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ ، قال: فقال: هی فی أمیر المؤمنین علیه السّلام کان أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: ما للّه عز و جل آیه هی أکبر منی، و لا للّه من نباء أعظم منی» .

و فیه عن تفسیر علی بن إبراهیم، عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام فی قوله: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ اَلنَّبَإِ اَلْعَظِیمِ قال: «قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: ما للّه نبأ أعظم منّی، و ما للّه آیه أکبر منی، و لقد عرض فضلی علی الأمم الماضیه علی اختلاف ألسنتها فلم تقرّ بفضلی» .

۱- ۱) الکهف:۱۰۵.

۲- ۲) یونس:۱۰۱.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۴۹۱.

۴- ۴) النبإ:۲.

و یمکن أن یراد من الآیات الآیات التی کانت عندهم من الأنبیاء السابقین و من النبی صلّی اللّه علیه و آله فتلک الأمور المختصه بهم، التی کانت آیه و علامه لنبوتهم، تکون عندهم مخزونه، و کونها عندهم إما یراد منه أنهم علیهم السّلام تلک الآیات بأجمعها کما

عن أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أنا عصا موسی أنا ناقه صالح» ، کما ذکره فی البحار فی الخطبه الوارده عنه علیه السّلام فی معرفته علیه السّلام بالنورانیه فراجعها، و مثلها خطبه البیان التی قیل: إن العامه أیضا رووها عنه علیه السّلام. و أما یراد منه أنها عندهم مخزونه محفوظه أمانه منه تعالی عندهم.

ففی البحار (۱)عن بصائر الدرجات، عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال لی: «یا أبا محمد إن اللّه لم یعط الأنبیاء شیئا إلاّ و قد أعطی محمدا جمیع ما أعطی الأنبیاء، و عندنا الصحف التی قال اللّه: صُحُفِ إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ (۲)قلت: جعلت فداک و هی الألواح؟ قال: نعم» .

و فیه عن بصائر الدرجات عن أبی حمزه الثمالی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن فی الجفر أن اللّه تبارک و تعالی لما أنزل ألواح موسی علیه السّلام أنزلها علیه، و فیها تبیان کل شیء و هو کائن إلی أن تقوم الساعه، فلما انقضت أیام موسی، أوحی اللّه إلیه أن استودع الألواح، و هی زبرجده من الجنه الجبل فأتی موسی الجبل فانشق له الجبل، فجعل فیها الألواح ملفوفه. . . إلی أن قال علیه السّلام: ثم دعا أمیر المؤمنین علیه السّلام (أی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله) فقال: دونک هذه، ففیها علم الأولین و الآخرین، و هی ألواح موسی، و قد أمرنی ربّی أن أدفعها إلیک. قال: یا رسول اللّه لیست أحسن قراءتها؟ قال: إن جبرئیل أمرنی أن آمرک أن تضعها تحت رأسک لیلتک هذه، فإنک تصبح و قد علمت قراءتها، قال: فجعلها تحت رأسه، فأصبح و قد علّمه اللّه کل شیء فیها، فأمره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن ینسخها

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۱۸۴.

۲- ۲) الأعلی:۱۹.

فنسخها فى جلد شاه، و هو الجفر و فيه علم الأولين و الآخرين و هو عندنا و الألواح، و عصا موسى عندنا، و نحن ورثنا النبى صلّى اللّه عليه و آله» ، و تقدم فى معنى و ورثه الأنبياء ما يوضح لك هذا من أن خصائص الأنبياء و النبى الأعظم كلها عندهم فراجعه. و أما

قوله عليه السّلام:

«المخزونه»

، فقد علمت بعض معانيها و حاصله: أنهم الآيات التى لا يعلم حقيقتها إلاّ اللّه تعالى، لأنهم حقيقه الاسم المخزون عنده تعالى، الذى لا يخرج منه إلاّ إليه، أى لا يظهر فى الوجود إلاّ إلى الوجه الربوبى، و لا يعرفه غيره، و هو حقيقه ولايتهم التى هى ولايه اللّه تعالى التى لا حد لها و لا رسم و لا يعرفها أحد و لا يحد لأحد كما صرّح به فى الأخبار و قد تقدم ما يشير إليه. و قد يقال: بأن المراد من كونها مخزونه أنها (أى الآيات) لعزّتها و علوّ قيمتها و علوّ قدرتها، قد أخزنها اللّه تعالى لنفسه، فإن الشىء العزيز عند الشخص يخزنه و يصونه عن غيره،

ففى الحديث: «إن للّه ضنائن يضن بها عن البلاء، يحييهم فى عافيه، و يميتهم فى عافيه» . و فى المجمع: الضنائن الخصائص من الضنن، و هو ما يختصه و يضن به أى يبخل به لمكانه منه و موقعه عنده. و كيف كأن فلو كان للّه تعالى عباد ضنائن بالمعنى المذكور، فما ظنك بهم عليهم السّلام الذين قد اصطفاهم اللّه لنفسه؟ فهم عليهم السّلام بلحاظ تلك المكانه منه تعالى من حيث كونهم حقيقه الاسم المخزون عنده تعالى الآيه المخزونه. و قد يقال: إنهم الآيه المخزونه لأجل أنهم بمثابه من النور الإلهى الذى لا يتحمل غيرهم رؤيته، بحيث لو رآه غيرهم لا نمحق وجوده فيجب حينئذ لهذه العله خزنها و سترها، و لنعم ما قيل بالفارسيه: أحمد ار بگشايد آن پر جليل تا ابد مدهوش ماند جبرئيل

و قـد يقـال: بكونهم الآيات المخزونه، لعـدم وجود ظرف يسـعها غير الظرف الإلهى، الـذى هم فيه مخزونون، و ذلک لأن تلک الآيات تكون حقيقتها فى الإحاطه و السعه، بحيث تسع كل ممكن، فلا يسعها ممكن، و إلّا لكان أكبر منها، و إليه يشير قوله عليه السّلام فيما تقدم من

قوله عليه السّلام تقريبا: «إن أمرنا لا يحد، لأن من حدّ شيئا فهو أكبر منه» . و كيف كان فهم عليهم السّلام فى الصقع الذى رتّبهم اللّه تعالى فيه، و له من العلوّ و الرفعه و السـعه ما يشـمل الكل، و لا يشـمله الكل، فلا محاله تكون مخزونه لغيرها. و قـد يقال: إن حقيقتهم التى هى مظهر لعظمته تعـالى و لأسـمائه، لا بـد من أن تكون مخزونه إبقـاء لعظمتها، و حفظا لنظام العالم، فإن الحكمه الإلهيه اقتضت سترها، و كونها مخزونه لبقاء النظام، و لحفظ عظمتهم ضـروره أنّ الشـىء إذا صار معلوما و مبتـذلا ذهب بهاؤه و انمحت عظمته. و قد يقال: إن المراد من كونها مخزونه أنها مخزونه لخلص عباده، و هم العارفون ببعض رتبهم. و بعباره واضحه: أنه تعالى جعلهم الآيه المخزونه لعباده العارفين، أى اختصهم لعباده العارفين، فهى مخزونه لغير العارفين و معلومه لهم، فهو تعالى أخزنهم عن غيرهم لهم، لكونهم أهلا لمعرفتهم، و لكن فيه أنه لم يكن حينئـذ لهذه الجمله بيان لفضـيلتهم عليهم السّلام كما لا يخفى، فتأمل. و قـد يقال: إن المراد من كونهم الآيات المخزونه، ما حاصـله من أن القرآن الـذى هو آيات اللّه تعالى لها ظاهر و باطن، و ظاهرها ما هو المتبادر منها عنـد العارفين بالكلام و بأسلوب الخطاب، و العالمين بالمعارف الإلهيه، و باطنها هو حقيقته، التى لا يعلمها إلّا اللّه و الراسخون فى العلم المفسّر بالأئمه عليهم السّلام. و بعباره أخرى: أن للقرآن محكما و متشابها، و أنّ لكل منهما باطنا و تأويلا، لا يعلم المتشابهات منه و تأويله إلّا الأئمه عليهم السّلام و حيث إن الأئمه عليهم السّلام كما تقدم هم حقائق

تلک الآیات کما قال سبحانه: بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ (۱)و قد تقدم أن المراد منه هو صدورهم علیهم السّلام فالقرآن بحقیقته هو صدورهم، فالآیات البینات هی فی صدورهم، بل هی نفس صدورهم و حقائقهم، فهم بتلک الحقائق، و بذلک اللحاظ مخزونه عن غیرهم کما لا یخفی، و إلیه یشیر

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فیما تقدم مما حاصله: أن اللّه تعالی جعل القرآن علی ثلاثه أقسام: قسم یعلمه العارف و الجاهل، و قسم یعلمه من کان قد صفی ذهنه، و لطف حسّه، و صحّ تمییزه، و قسم (و هو المراد منه هنا) یختص علمه بالأئمه علیهم السّلام و النبی صلّی اللّه علیه و آله لئلا یدعی أحد النبوه و الإمامه، نقلناه بالمعنی. و کیف کان فهم علیهم السّلام الآیات المخزونه، التی قد عجز الناس، بل و الملائکه عن درکها و المعرفه بها، لغموض حقیقتها، و علوّ معناها، و سعه وجودها، فلا محاله تکون مخزونه، فإنها و إن صارت بالنسبه إلی أولیاء اللّه معلومه، إلاّ أنها بلحاظ کنهها تکون مخزونه، و تقدم

قول الصادق علیه السّلام لأبی الصامت: «إن أمرنا لا یحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للإیمان، قلت: فمن یحتمله؟ قال: نحن» . أقول: أی لا غیرنا، و قد تقدم شرحه و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله علیه السّلام: و الأمانه المحفوظه

فی المجمع: الأمانه ما یؤتمن علیها الإنسان، و ائتمنه علی الشیء أمنه، یقال: اؤتمن فلان-علی ما لم یسمّ فاعله- أقول: أی أن الأمانه صفه فی الإنسان یؤتمن علیها بلحاظ تلک الصفه، و هی قائمه بالنفس کسائر الصفات النفسانیه. و فی المحکی عن القاموس: الأمانه و الأمنه ضد الخیانه، و قال: الأمین القوی

۱- ۱) العنکبوت:۴۹.

و المؤتمن، و قال أيضا: هو أمين، أى مأمون به ثقه. و فى المصباح المنير قيل للوديعه الأمانه. أقول: لما لم يعط الوديعه إلّا للأمين، فأطلق عليها الأمانه، لأنها مودعه عند الأمين بلحاظ صفه الأمانه. و كيف كان قد يقال: إن الأمانه المحفوظه، أى التى يجب حفظها على الناس و لو بأن يبذلوا أنفسهم و أموالهم فى حراستها، لأن قوامهم و قوام دينهم و دنياهم بهم، إنما هى ولايتهم و إمامتهم، و هى التى عرضت على السموات و الأرض، فقد وردت أحاديث (كما سيأتى) قد دلّت على أن الأمانه المعروضه عليهما هى الولايه، فالأئمه عليهم السّلام بلحاظ ولايتهم هم أمانه اللّه، التى يجب على الخلق حفظها، بأن يقيدوا رقابهم بقيد العبوديه و الخضوع لهم، و تسليم أنفسهم و أموالهم إليهم عليهم السّلام بحيث لا يختاروا إلاّ ما اختاروه، و لا يريدون إلاّ ما أرادوه، و لا يعملون إلاّ بما أمروه إلى غير ذلك مما يجب على الرعيه بالنسبه إلى الإمام عليه السّلام و الأمانه أى الولايه بمثابه من الأهميه إليه تعالى، بحيث أمر اللّه تعالى الإمام السابق أن يؤديها إلى الإمام اللاحق، كما ستأتى الأخبار الداله عليه. أقول: لا بد أولا من ذكر الأحاديث الوارده فى تفسير قوله تعالى: إِنّا عَرَضْنَا اَلْأَمانَهَ (1)، و قوله تعالى: إِنَّ اَللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا اَلْأَماناتِ إِلى أَهْلِها (2)، ثم التعقيب ببيان المراد منها فنقول:

فى تفسير البرهان (3)ابن بابويه بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن اللّه تبارك و تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، فجعل أعلاها و أشرفها أرواح محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه بعدهم عليهم السّلام

١- ١) الأحزاب:٧٢.

٢- ٢) النساء:٥٨.

٣- ٣) تفسير البرهان ج ٣ ص ٣٤٠.

فعرضها على السموات و الأرض و الجبال فغشيها نورهم. . . إلى أن قال: (أى اللّه تعالى) فولايتهم أمانتى عند خلقى، فأيكم يحملها بأثقالها، و يدعيها لنفسه دون خيرتى فأبت السموات و الأرض و الجبال أن يحملنها، و أشفقن من ادعاء منزلتها و تمنى محلها عن عظمه ربّها-إلى أن قال عليه السّلام: فلم يزل أنبياء اللّه بعد ذلك يحفظون هذه الأمانه، و يخبرون بها أوصياءهم و المخلصين من أممهم، فيأبون حملها و يشفقون من ادعائها، و حملها الإنسان الذى قد عرف فاصل كل ظالم منه إلى يوم القيامه، و ذلك قول اللّه عز و جل: إِنّا عَرَضْنَا اَلْأَمانَهَ عَلَى اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا اَلْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً (۱).

و فيه، عنه بإسناده عن أبى بصير قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: إِنّا عَرَضْنَا اَلْأَمانَهَ عَلَى اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا اَلْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً ، قال: «الأمانه الولايه و الإنسان هو أبو الشرور المنافق» .

و فيه عنه، عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل الآيه، فقال: «الأمانه الولايه من ادعاها بغير حق كفر» .

و فيه عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه تبارك و تعالى الآيه، قال: «هى الولايه أبين أن يحملنها و حملها الإنسان، و الإنسان الذى حملها أبو فلان» .

و فيه عن الصادق عليه السّلام عن قوله تعالى الآيه قال: «يعنى بها ولايه على بن أبى طالب عليه السّلام» . أقول: و مثله

فى تفسير نور الثقلين عن الكافى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى الآيه، قال: «هى ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام» .

۱- ۱) الأحزاب:۷۲.

و فیه عن غوالی اللئالی و فی الحدیث: «أن علیا علیه السّلام إذا حضر وقت الصلوه یتململ و یتزلزل و یتلوّن، فیقال له: ما لک یا أمیر المؤمنین؟ فیقول: جاء وقت الصلوه، وقت أمانه عرضها اللّه علی السموات و الأرض فأبین أن یحملنها و أشفقن منها» .

و فی تفسیر نور الثقلین (۱)عن کتاب معانی الأخبار بإسناده عن یونس بن عبد الرحمن قال: سألت موسی بن جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: إِنَّ اَللّٰهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا اَلْأَمٰانٰاتِ إِلیٰ أَهْلِهٰا (۲)، فقال: هذه مخاطبه لنا خاصّه أمر اللّه تبارک و تعالی کل إمام منا أن یؤدّی الإمام الذی بعده یوصی إلیه، ثم هی جاریه فی سائر الأمانات، و لقد حدثنی أبی عن أبیه أن علی بن الحسین علیه السّلام قال لأصحابه: «علیکم بأداء الأمانه، فلو أن قاتل الحسین بن علی علیه السّلام ائتمننی علی السیف الذی قتله به لأدیته إلیه» .

و فیه عن أصول الکافی بإسناده عن أبی کهمش قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: عبد اللّه بن أبی یعفور یقرئک السّلام، قال: «علیک و علیه السّلام إذا أتیت عبد اللّه فاقرأه السّلام و قل له: إن جعفر بن محمد یقول لک: انظر ما بلغ به علی علیه السّلام عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فالزمه، فإن علیا علیه السّلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بصدق الحدیث و أداء الأمانه» . و مثلهما أخبار کثیره.

و فی مقدمه تفسیر البرهان عن الکافی، عن الرضا علیه السّلام قال فی حدیث له: «إن الإمام علیه السّلام أمین اللّه فی خلقه» .

و فیه عن تفسیر الفرات، عن الباقر علیه السّلام قال: «نحن الأمانه التی عرضت علی السموات و الأرض و الجبال» .

ص: ۱۷۱

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۴۱۱.

۲- ۲) النساء:۵۸.

و فیه عن کتاب سعد السعود: رأیت فی تفسیر عن الباقر علیه السّلام فی هذه الآیه (أی آیه رد الأمانه) أنه قال: «هذه الآیه فی أمر الولایه أن تسلّم إلی آل محمد صلّی اللّه علیه و آله» . أقول:

قوله علیه السّلام: «أن تسلّم إلی آل محمد صلّی اللّه علیه و آله» ، معناه أن الدین الخالص الذی هو للّه إنما هو الولایه، و معنی أن تسلم الولایه إلی آل محمد صلّی اللّه علیه و آله هو أن الواجب من اللّه تعالی علی خلقه أن یحفظوا هذه الولایه و أهلها، بأن یحفظوا أولا أهل الولایه أی محمدا و آله الطاهرین، ثم ما لهم علیهم السّلام ثم عرضهم و دینهم، و أن یعرفوهم بما عرفهم اللّه، و یعرفوا منزلتهم التی رتّبهم اللّه و یقروهم فیها و یحبوهم و یتولوهم و یتبرءوا من أعدائهم، و الواجب أیضا هو الرد إلیهم فیما اختلفوا، و التسلیم لهم فی کل حال، و التزام حدودهم، و القیام بأوامرهم، و اجتناب نواهیهم علی حسب ما حددوا بأن یبذلوا أنفسهم دونهم و مالهم و أهلهم باللسان و الید و القلب و جمیع جوارحهم، و أن لا یعصوهم فی شیء من ذلک و أن یمتثلوا أوامرهم و یجتنبوا نواهیهم و یؤثروهم علی أنفسهم فی کل شیء، و بهذه الأمور و نحوها یتحقق معنی تسلیم الولایه لآل محمد صلّی اللّه علیه و آله و بمراعاه هذه الأمور یتحقق کونها محفوظه. و الحاصل: أن الأمانه المحفوظه معناها أنه لا بد من أن تحفظ هذه الأمانه، و حفظها بهذه الأمور المذکوره، و یمکن أن یراد بکونها محفوظه ما ذکرناه فی المخزونه فی قوله و الآیه المخزونه بجمیع معانیها، فإن المخزونه و المحفوظه یرجع کل منهما إلی الآخر معنی بضرب من البیان، و یمکن أن یقال: إن معنی کونها محفوظه أن ولایتهم، التی عرفت أنها المراد من الأمانه حسب بیان الأحادیث أنه تعالی قد حفظها (أی الأمانه المفسّره بالولایه) بأن جعلها فی رعایته و حفظه، فلا یقدر أحد من الخلق أن یخفض قدرهم أو یغیرهم عما رتّبهم اللّه فیها. و إلی هذا الحفظ یشیر ما ورد فی تفسیر قوله تعالی: یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اَللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْکافِرُونَ (1).

۱- ۱) الصف:۸.

ففی الکافی (۱)عن أبی الحسن علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه تبارک و تعالی: یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ قال: «یریدون لیطفؤا ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام بأفواههم، قلت: قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ قال: یقول: و اللّه متم الإمامه و الإمامه هی النور و ذلک قوله عز و جل: فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا (۲)قال: النور الإمام» . و یمکن أن یراد من المحفوظه أنه تعالی قد حفظ هذه الأمانه سواء فسّرت بالولایه، أو بأرواحهم الطیبه بلحاظ مظهریتها له تعالی و لأسمائه الحسنی بالعصمه و التأیید و التسدید، و الإمداد الإلهی و النور الربوبی بحیث لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه، و إنما کانوا علیهم السّلام أمانه اللّه فی خلقه، أو کانت ولایتهم أمانه اللّه فی خلقه، لأن ولایتهم ولایه اللّه کما تقدمت الأحادیث الداله علیها، فهی له تعالی ظهرت بهم فی الخلق. و کذلک إذا فسّرت الأمانه بأنفسهم الشریفه، ضروره أن أرواحهم بما هی مظاهره فی الخلق، کما تقدم قول علی بن الحسین علیه السّلام الدال علی ذلک، فإنما هی أمانه منه تعالی فی الخلق، و هم المقصودون بالغایه من الخلق،

کما قال تعالی فی الحدیث القدسی، الذی ذکره المحقق الحر العاملی فی الجواهر السنیه فی الأحادیث القدسیه مخاطبا له صلّی اللّه علیه و آله: «خلقت الأشیاء لأجلک و خلقتک لأجلی» . و تقدم فی حدیث المفضل عن الصادق علیه السّلام أن المعروض علی السموات و الأرض و الجبال هو أرواحهم علیهم السّلام، و کیف کان فالمعروض علیها هو الأمانه سواء فسّرت بأنفسهم الشریفه أو بولایتهم التی هی ولایه اللّه و کل منهما یرجع إلی الآخر بضرب من التأویل الحسن و الواضح کما لا یخفی، فإن عروض أرواحهم أیضا بلحاظ ولایتهم کما لا یخفی، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

۱- ۱) الکافی ج ۲ ص ۳۶۵.

۲- ۲) التّغابن:۸.

قوله عليه السّلام: و الباب المبتلى به الناس

اشاره

أقول: الكلام فى شرح هذه الجمله فى مقامين:

الأول: فى المعنى المراد من الباب.

و الثانى: فى معنى ابتلاء الناس به. أما الأول: فلا بد من ذكر أحاديث الباب ثم بيان المستفاد منها فنقول:

فى مقدمه تفسير البرهان عن كتاب كنز الفوائد، عن أبى ذر: أن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: «إن عليا باب اللّه الأكبر، فمن أراد اللّه فليدخل الباب» ، الخبر.

و فى كتاب سليم بن قيس قال: سمعت سلمان الفارسى رحمه اللّه يقول: «إن عليا باب فتحه اللّه، من دخله كان مؤمنا، و من خرج عنه كان كافرا» .

و رواه الكلينى عن الباقر عليه السّلام و فيه: «و من لم يدخل فيه» .

و فى المناقب عن على عليه السّلام أنه قال فى حديث له: «أنا باب اللّه الذى يؤتى منه، اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ سُجَّداً ، الخبر.

و فى معانى الأخبار عن الصادق عليه السّلام قال: قال على عليه السّلام فى خطبه: أنا باب حطّه» .

و فى بعض الأخبار: أن الأئمه عليهم السّلام باب القرآن، و باب الإيمان، و باب المقام، و أبواب الجنان، و باب الأحكام، و الباب الاقصد، و باب اليقين، و باب التقوى.

و روى الكفعمى عن الباقر عليه السّلام أنه قال فى معنى أنهم عليهم السّلام باب اللّه: «إن اللّه احتجب عن خلقه بنبيه و الأوصياء من بعده، و فوّض إليهم من العلم ما علم احتياج الخلق إليه، و لما استوفى النبى صلّى اللّه عليه و آله على على عليه السّلام العلوم و الحكمه قال: أنا مدينه العلم و على بابها، و قد أوجب اللّه على خلقه الاستكانه لعلى عليه السّلام بقوله: اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ سُجَّداً ، و قوله: حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطٰايٰاكُمْ وَ سَنَزِيدُ اَلْمُحْسِنِينَ ، أى الذين لا يرتابون فى فضل الباب و علو قدره» ، الخبر.

و فى الكافى عن على عليه السّلام أنه قال فى حديث له: «أنه قد جعل اللّه للعلم أهلا،

ص: ۱۷۴

و فرض على العباد طاعتهم بقوله: وَ أْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها (۱)، فالبيوت هى بيوت العلم، الذى استودعه الأنبياء، و أبوابها أوصياؤهم» ، انتهى ما أردنا نقله منه.

و فى البحار (۲)عن البصائر، عن هاشم بن أبى عمار قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: «أنا عين اللّه، و أنا جنب اللّه، و أنا يد اللّه، و أنا باب اللّه» .

و فى سفينه البحار (۳)الباقر عليه السّلام: «إن عليا باب فتحه اللّه، فمن دخله كان مؤمنا، و من خرج منه كان كافرا» .

و فيه عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «بى أنذرتم، و بعلى بن أبى طالب عليه السّلام اهتديتم، و قرأ: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ (۴)و بالحسن عليه السّلام أعطيتم الإحسان، و بالحسين تسعدون، و به تشبّثون، ألا و إن الحسين باب من أبواب الجنه، من عانده حرم عليه ريح الجنه» .

و فى تفسير نور الثقلين (۵)عن كتاب الاحتجاج للطبرسى، و عن الأصبغ بن نباته قال: كنت عند أمير المؤمنين عليه السّلام فجاءه ابن الكوّا فقال: يا أمير المؤمنين قول اللّه عز و جل: وَ لَيْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لكِنَّ اَلْبِرَّ مَنِ اِتَّقى وَ أْتُوا اَلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها (۶)فقال عليه السّلام: «نحن البيوت، أمر اللّه أن يؤتى أبوابها، نحن باب اللّه و بيوته التى يؤتى منه، فمن بايعنا و أقرّ بولايتنا، فقد أتى البيوت من أبوابها، و من خالفنا، و فضّل علينا غيرنا، فقد أتى البيوت من ظهورها، و أنهم عن الصراط لناكبون» ، الحديث.

و فيه عن تفسير العياشى، عن سعد، عن أبى جعفر عليه السّلام: قال: سألته عن هذه

ص: ۱۷۵

۱- ۱) البقره:۱۸۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۱۹۴.

۳- ۳) سفينه البحار ج ۱ ص ۱۰۸.

۴- ۴) الرعد:۷.

۵- ۵) سفينه البحار ج ۱ ص ۱۰۸.

۶- ۶) البقره:۱۸۹.

الآیه: وَ لَیْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِهٰا وَ لٰکِنَّ اَلْبِرَّ مَنِ اِتَّقیٰ وَ أْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا فقال: «آل محمد صلّی اللّه علیه و آله أبواب اللّه و سبیله و الدعاه إلی الجنه، و القاده إلیها، و الأدلاء علیها إلی یوم القیامه» .

و فیه، و قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «أنا مدینه العلم و علی بابها، و لا تؤتی المدینه إلاّ من بابها» ، و یروی: «أنا مدینه الحکمه» .

و فیه (۱)عن العیون بإسناده إلی الحسین بن خالد عن الرضا علی بن موسی عن أبیه، عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لکل أمه صدّیق و فاروق، و صدّیق هذه الأمه و فاروقها علی بن أبی طالب، إن علیا سفینه نجاتها و باب حطّتها» .

و فیه، عن الخصال فی مناقب أمیر المؤمنین علیه السّلام و تعدادها قال علی علیه السّلام: «و أما العشرون: فإنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول لی: مثلک فی أمتی مثل باب حطّه فی بنی إسرائیل، فمن دخل فی ولایتک، فقد دخل الباب کما أمره اللّه عز و جل» .

و فیه یقول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حدیث طویل: «و نحن باب حطّه» .

و فیه و فی کتاب التوحید بإسناده عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبته: «أنا باب حطّه» .

و فی روضه الکافی خطبه لأمیر المؤمنین علیه السّلام و هی خطبه الوسیله، قال فیها علیه السّلام «ألا و إنی فیکم أیها الناس کهارون فی آل فرعون، و کباب حطّه فی بنی إسرائیل» .

و فی المجمع: و روی عن الباقر علیه السّلام قال: قال: «نحن باب حطّتکم» . أقول: و قد وردت أخبار کثیره

أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: «أنا مدینه العلم و علی بابها» . إذا علمت هذه فنقول: قد یراد من الباب: الباب الذی ابتلی اللّه بنی إسرائیل بدخولها سجّدا، و أن یقولوا حطّه أی هو حطّه لذنوبنا، أو حطّ عنا ذنوبنا، فدخلها

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۷۰.

قوم منهم کـذلک فنجوا، و قوم منهم لم یـدخلوها فهلکوا، و إلیهم الإشاره بقوله تعالی فَبَدَّلَ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَیْرَ اَلَّذِی قِیلَ لَهُمْ (۱)و قضیتهم مـذکوره فی التفاسیر، و قـد ذکروا وجوها لمعنی الباب فی الآیه فلیراجع إلیها، فالأئمه علیهم السّـلام کـذلک أی بحکم ذلک الباب، فمن دخل فی باب متابعتهم نجا، و من لم یدخل هلک. و قد یراد منه باب الحکم و العلم و المعارف،

کما صرّح به النبی الأعظم صلّی اللّه علیه و آله بقوله الذی رواه الخاصه و العامه: «أنا مدینه العلم و علی بابها، و من أراد المدینه (أی مدینه العلم و الفضیله و التوحید) فلیأتها من بابها» . و قد یراد منه أن لکل شیء بابا یناسبه، و باب الرحمن، و باب الجنان، و باب العلم و المعارف هو محمـد و آله الطاهرون، و قد قال تعالی: وَ أْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها (۲). ثم إن حقیقه هذا الباب هو مقام ولایتهم التی هی ولایه اللّه تعالی، و قد علمت أنها سنام الأمر، و أساس الأمر، و ذروه الأمر و بها بیان التوحید و النبوه و الولایه و معارف الدین، و حینئذ نقول: دخول الباب إنما هو بالدخول فی ولایتهم، کما

قال علیه السّـلام: «فمن بایعنا و أقرّ بولایتنا، فقـد أتی البیوت من أبوابها» ، و لا بد من أن یکون الدخول فیها بالخشوع و الخضوع لها، فإن بنی إسـرائیل أمروا بالـدخول سـجدا تعظیما لمحمـد و آل محمد صـلّی اللّه علیه و آله و لولایتهم علیهم السّـلام و هکذا الباب فی زماننا لا بد من الدخول فیه سجدا، أی تعظیما لهم و لولایتهم علیهم السّلام. یدل علی ما ذکرناه

ما رواه فی تفسیر البرهان (۳)قال الإمام العسـکری علیه السّـلام: قال اللّه تعالی: اذکروا یا بنی إسرائیل إِذْ قُلْنَا (لأسلافکم) اُدْخُلُوا هٰذِهِ اَلْقَرْیَهَ (و هی أریحا من بلاد الشام و ذلک حین خرجوا من التیه) فَکُلُوا مِنْهٰا (من القریه) حَیْثُ شِئْتُمْ

۱- ۱) البقره:۵۹.

۲- ۲) البقره:۱۸۹.

۳- ۳) تفسیر البرهان ج ۲ ص ۱۳.

رَغَداً (واسعا بلا تعب) وَ اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ (باب القريه) سُجَّداً (مثّل اللّه عز و جل على الباب مثال محمد صلّى اللّه عليه و آله و على عليه السّلام، و أمرهم أن يسجدوا تعظيما لذلک المثال، و يجددوا على أنفسهم بيعتهما، و اذكروا موالاتهما، و ليذكروا العهد و الميثاق المأخوذين عليهم لهما) . وَ قُولُوا: حِطَّةٌ (أى قولوا إن سجدونا للّه تعالى تعظيما لمثال محمد و على عليهما و آلهما السّلام، و اعتقادنا لولايتهما حطه لذنوبنا و محو لسيئاتنا) قال تعالى: نَغْفِرْ لَكُمْ (بهذا الفعل) خَطٰايٰاكُمْ (السالفه و نزيل عنكم آثامكم الماضيه) وَ سَنَزِيدُ اَلْمُحْسِنِينَ (من كان منكم لم يفارق الذنوب، التى فارقها من خالف الولايه، و ثبت على ما أعطى اللّه من نفسه من عهد الولايه و إنا نزيدهم، فهذا الفعل زياده درجات و مثوبات، و ذلک قوله: و سنزيد المحسنين) الحديث. و كيف كان فالباب هو ولايتهم، و الدخول فيها هو الإقرار بها، و لا بد من التواضع لها و لهم، فإن بنى إسرائيل بهذا الملاک أمروا بدخول الباب، فكذلک هذه الأمه أمروا بدخول هذا الباب (أى باب ولايتهم) تعظيما لهم عليهم السّلام و خضوعا لهم عليهم السّلام.

و أما المقام الثانى (أعنى كون الناس قد ابتلوا بهذا الباب)

فنقول: معنى كون الناس مبتلين بهذا الباب أن اللّه تعالى امتحن عباده بولايتهم، فمن أقرّ بها صار مؤمنا ممتحنا، كما تقدمت الأخبار الداله على أن المؤمن الممتحن هو المقرّ بولايتهم، و هذه الولايه هى التى أخذ اللّه تعالى الميثاق على جميع خلقه من الناطق منهم و الصامت بقبولها، فمن قبلها صلح، و من لم يقبلها فسد حتى الأنبياء بل و الأئمه عليهم السّلام فإنه قد أخذ من الجميع قبول الولايه و نصرتها.

ففى تفسير البرهان (۱)و روى صاحب كتاب الوحده بإسناده عن أبى حمزه الثمالى، عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إن اللّه تبارک و تعالى

۱- ۱) تفسير البرهان ج ۱ ص ۲۹۴.

أحد واحد، و تفرد فی وحدانیته، ثم تکلم بکلمه فصارت نورا، ثم خلق من ذلک النور محمدا و خلقنی و ذریتی، ثم تکلم بکلمه فصارت روحا، فأسکنها اللّه تعالی فی ذلک النور، و أسکنه فی أبداننا، فنحن روح اللّه و کلمته، و بنا احتجب من (علی خ) خلقه، فما زلنا فی ظلّه خضراء حیث لا شمس و لا قمر، و لا لیل و لا نهار، و لا عین تطرف نعبده و نقدسه و نسبحه، و ذلک قبل أن یخلق خلقه. و أخذ میثاق الأنبیاء بالإیمان و النصره لنا، و ذلک قوله عز و جل: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِیثٰاقَ اَلنَّبِیِّینَ لَمٰا آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتٰابٍ وَ حِکْمَهٍ ثُمَّ جٰاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ (1)یعنی محمدا صلّی اللّه علیه و آله و لتنصرون وصیه، فقد آمنوا بمحمد و ینصرون وصیه و سینصرونه جمیعا، و إن اللّه أخذ میثاقی مع میثاق محمد بالنصره بعضنا لبعض، فقد نصرت محمدا، و جاهدت بین یدیه، و قتلت عدوه، و وفیت اللّه بما أخذ علیّ من المیثاق و العهد و النصره لمحمد صلّی اللّه علیه و آله و لم ینصرنی أحد من أنبیاء اللّه و رسله، و ذلک لما قبضهم اللّه إلیه و سوف ینصروننی» .

و فیه بإسناده عن فرج بن شیبه قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول و قد تلا وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِیثٰاقَ اَلنَّبِیِّینَ لَمٰا آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتٰابٍ وَ حِکْمَهٍ ثُمَّ جٰاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ «یعنی رسول اللّه (وَ لَتَنْصُرُنَّهُ) یعنی وصیه أمیر المؤمنین، و لم یبعث اللّه نبیا و لا رسولا، إلاّ و أخذ اللّه علیه المیثاق لمحمد بالنبوه و لعلی بالإمامه» .

و فیه عن بکیر قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن اللّه أخذ میثاق شیعتنا بالولایه لنا، و هم ذرّ یوم أخذ المیثاق علی الذّر بالإقرار له بالربوبیه و لمحمد صلّی اللّه علیه و آله بالنبوه، و عرض اللّه علی محمد صلّی اللّه علیه و آله الأئمه الطیبین و هم أظلّه، و خلقهم من الطین الذی خلق منه آدم، قال: و خلق أرواح شیعتنا قبل أبدانهم بألفی عام، و عرض علیهم و عرّفهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیا، و نحن نعرفهم فی لحن القول» .

1- 1) آل عمران:81.

أقول:

فقوله علیه السّلام: «و لم یبعث نبیا و لا رسولا، إلّا و أخذ علیه المیثاق لمحمد بالنبوه و لعلی بالامامه» ،

و قوله علیه السّلام: «و عرض علیهم و عرّفهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیا»

و قوله علیه السّلام فی حدیث أبی حمزه: «و إن اللّه أخذ میثاقی مع میثاق محمد بالنصره بعضنا لبعض» ، یدل علی أن الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام و الناس خصوصا الشیعه، قد أخذ منهم المیثاق علی نصره الولایه حیث ما حلّت، و ذلک لما علمت مرارا من أنها باطن النبوه و مظهر التوحید، و منها بیان الحقائق و المعارف، فهذه الولایه حقیقه الباب الذی ابتلی به الناس بأن یقبلوها و یدخلوها سجدا أی تعظیما لها. ثم إن حقیقه الابتلاء به هو أنه تعالی لما جعل هذا الباب المفسّر بالولایه باب السعاده فی الدنیا و الآخره، و أوضح ذلک لعباده بنحو لا یشک فیه أحد، فأجری تکلیفه علی عباده، بأن یختاروا هذا الباب فهو (أی الباب) میزان السعاده و الشقاوه، و هو مما به الامتحان، و به یتحقق قوله تعالی: لِیَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَیِّنَهٍ وَ یَحْییٰ مَنْ حَیَّ عَنْ بَیِّنَهٍ (1)فمن دخله حیّ عن بینه، و من أنکره هلک عن بینه، لأنه تعالی بیّن أن هذا الباب هو المیزان للحیوه الطیبه و الهلاک و البوار الأبدی، و هو میزان متابعه النفس و الشیطان و مخالفتهما. فهو سبحانه بیّن أن هذا الباب هو میزان السعاده و الشقاوه، و جعل فی الخلق نفسا، و خلّی بینهم و بین الشیطان الذی یزین لهم أعمالهم، و منحهم الاختیار فی دخول هذا الباب بنحو تقدم، و إن یترکوه فتسلط النفس و الشیطان فی ظرف وضوح حقانیه الباب مع وجود الاختیار للناس، و هذه کلها أسباب الامتحان و الابتلاء، و هذا ما یمتحن اللّه به عباده، و هذا معنی

قول النبی صلّی اللّه علیه و آله فیما تقدم عن الخصال فی الخصله، التی هی العشرون لعلی علیه السّلام: «مثلک فی أمتی مثل باب حطّه فی بنی إسرائیل فمن دخل فی ولایتک، فقد دخل الباب کما أمره اللّه عز و جل» . و کیف کان فکل من آمن باللّه و رسله و بالأئمه علیهم السّلام فله هذا الابتلاء بهذا الباب،

۱- ۱) الأنفال:۴۲.

و ذلک لیمیز الخبیث من الطیب، و لیظهر ممن کان إیمانه صوریّا ما یکتمه من النفاق، و من کان إیمانه حقیقیا ما یستره من الإیمان الخالص، و إلیه الإشاره بقوله تعالی: الم. أَ حَسِبَ اَلنّٰاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ یُفْتَنُونَ (۱)فالامتحان و الفتنه للمؤمن، لیصیر الامتحان له تمحیصا. و الحاصل: أن المؤمن لا محاله مبتلی و واقع فی معرض الامتحان بهذا الباب باب الولایه و له تمحیص، بل و له البلاء و المصائب فی امتحانه، لیصفوا عن أکدار الشرک و تخلیص باطنه، فیلاقی ربّه و هو طاهر مطهر، و وردت أحادیث کثیره فی امتحان المؤمن بالولایه و تمحیصه و ابتلائه بالمصائب، کل ذلک لتطهیره و تخلیصه من شوائب الشرک الخفی الباطنی، فهنا ثلاثه أمور: الامتحان بالولایه و التمحیص و الابتلاء، و إلی کل منها أحادیث کثیره نذکر بعضها: أما بالنسبه إلی الامتحان بالولایه،

ففی بصائر الدرجات (۲)بإسناده عن سدیر الصیرفی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن أمرکم هذا (أی ولایه الأئمه علیهم السّلام) عرض علی الملائکه فلم یقرّ به إلاّ المقربون، و عرض علی الأنبیاء فلم یقرّ به إلاّ المرسلون، و عرض علی المؤمنین فلم یقرّ به إلاّ الممتحنون» .

و فیه (۳)عن الفضیل، عن أبی الحسن علیه السّلام فی قول اللّه تعالی: یُوفُونَ بِالنَّذْرِ (۴)«الذی أخذ علیهم المیثاق من ولایتنا» . و أما بالنسبه إلی التمحیص،

ففی کتاب الغیبه للنعمانی رحمه اللّه أحادیث کثیره فی التمحیص منها ص ۱۰۸ بإسناده إلی أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال: «مع القائم (عج) من العرب شیء یسیر، فقیل له: إن من یصف هذا الأمر منهم لکثیر قال: لا بد للناس من أن یمحصوا و یمیزوا و یغربلوا، و سیخرج من الغربال خلق

۱- ۱) العنکبوت:۱-۲.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۶۷.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۹۰.

۴- ۴) الإنسان:۷.

كثير» .

و قال: و حدثنا على بن الحسين. . . إلى أن قال: عن عبد اللّه بن أبى يعفور، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه سمعه يقول: «ويل لطغاه العرب من شرّ قد اقترب، قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: شىء يسير، فقلت: و اللّه إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير! فقال: لا بد للناس من أن يمحصوا و يميّزوا و يغربلوا، و يخرج من الغربال خلق كثير» . و أما بالنسبه إلى البلاء، ففى البحار عقد له بابا ذكر فيه ثمانيه و ثمانين حديثا بألسنه مختلفه، و نحن نذكر بعضها.

ففى البحار (1)عن مجالس المفيد، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن فيما ناجى اللّه به موسى بن عمران: أن يا موسى ما خلقت خلقا هو أحبّ إلىّ من عبدى المؤمن، و إنى إنما ابتليته لما هو خير، له و أنا أعلم بما يصلح عبدى، فليصبر على بلائى، و ليشكر نعمائى، و ليرض بقضائى أكتبه فى الصديقين إذا عمل بما يرضينى و أطاع أمرى» .

و فيه عن جامع الأخبار قال أمير المؤمنين على عليه السّلام: «الجزع عند البلاء تمام المحنه، و قال عليه السّلام: قال النبى صلّى اللّه عليه و آله: إن البلاء للظالم أدب، و للمؤمن امتحان، و للأنبياء درجه، و للأولياء كرامه» . أقول: جميع هذا الأحاديث داله على أن المؤمن يمتحن بهذه الأمور، ليعلم ثباته على الإيمان و الولايه لمحمد و آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و لعمرى إن المؤمن الممتحن الصابر الأخذ بقوائم دينه لقليل.

ففى البحار فى باب قله عدد المؤمنين عن صفات الشيعه للصدوق بإسناده عن الفضل بن قيس، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال لى: «كم شيعتنا بالكوفه؟ قال: قلت

1- 1) البحار ج 67 ص 235.

خمسون ألفا، فما زال يقول. . . إلى أن قال: و اللّه لوددت أن يكون بالكوفه خمسه و عشرون رجلاـ يعرفون أمرنا الذى نحن عليه، و لا يقولون علينا إلاّ الحق» .

و فيه عن الكافى بإسناده عن قتيبه الأعشى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «المؤمنه أعزّ من المؤمن، و المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟» .

و فيه عنه، عن كامل التمار قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «الناس كلّهم بهائم (ثلاثا) إلاّ قليل من المؤمنين و المؤمن غريب ثلاث مرّات» .

[۳۷]قوله عليه السّلام: من أتاكم نجا و من لم يأتكم هلک.

اشاره

أقول: لما ثبت كونهم عليهم السّلام الباب المبتلى به الناس، و الممتحن به الناس، فلا محاله يكون النجاه و الهلاک منوطا بإتيان هذا الباب و عدمه، فهنا مقامان:

الأول: أن من أتاهم نجا.

الثانى: أن من لم يأتهم هلک. أما الأول فنقول: إن إتيانهم إما يكون بمعرفتهم، أو بالردّ إليهم فيما اختلفوا و بالمعرفه بفرض طاعتهم و بوجوب النصيحه لهم عليهم السّلام و باللزوم لجماعتهم و بموالاتهم، و بالاقتداء بهم، و بالكون معهم، و بالتسليم لهم فى كل حال، يدل على هذا عده من الأحاديث نذكر بعضها مما فيه الكفايه فنقول:

ففى الوافى عن الكافى، الأربعمائه، عن زراره، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه، و باب الأشياء و رضا الرحمن تعالى الطاعه للإمام بعد معرفته، ثم قال: إن اللّه تعالى يقول: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ وَ مَنْ تَوَلّٰى فَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (۱)» .

و فيه عنه، بإسناده عن أبى سلمه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: «نحن

۱- ۱) النساء:۸۰.

الذين رضا اللّه طاعتنا، لا يسع الناس إلّا معرفتنا، و لا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمنا، و من أنكرنا كان كافرا، و من لم يعرفنا و لم ينكرنا كان ضالا حتى يرجع إلى الهدى، الذى افترض اللّه عليه من طاعتنا الواجبه، فإن يمت على ضلالته يفعل اللّه به ما يشاء» .

و فيه، عنه، عن عبد الحميد بن أبى العلاء قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت مولى لأبى عبد اللّه عليه السّلام فملت إليه لأسأله عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فإذا أنا بأبى عبد اللّه عليه السّلام و ساق الحديث. . . إلى أن قال: فلما خرج من المسجد قال لى: «يا أبا محمد و اللّه لو أن إبليس سجد للّه تعالى بعد المعصيه و التكبر عمر الدنيا، ما نفعه ذلك، و لا قبله اللّه تعالى، ما لم يسجد لآدم كما أمر اللّه تعالى أن يسجد له، و كذلك هذه الأمه العاصيه المفتونه بعد نبيها صلّى اللّه عليه و آله و بعد تركهم الإمام الذى نصبه نبيهم صلّى اللّه عليه و آله فلن يقبل اللّه تعالى لهم عملا، و لن يرفع لهم حسنه حتى يأتوا اللّه تعالى من حيث أمرهم، و يتولوا الإمام الذى أمروا بولايته. و يدخلوا فى الباب الذى فتحه اللّه و رسوله لهم، يا أبا محمد إن اللّه افترض على أمه محمد صلّى اللّه عليه و آله خمس فرائض الصلوه و الزكوه و الصيام و الحج و ولايتنا، فرخص لهم فى أشياء من الفرائض الأربعه، و لم يرخص لأحد من المسلمين فى ترك ولايتنا لا و اللّه ما فيها من رخصه» .

و فيه، عنه بإسناده عن ابن أبى يعفور، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خطب الناس فى مسجد الخيف فقال: «نضر اللّه عبدا سمع مقالتى، فوعاها و حفظها و بلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل للّه، و النصيحه لأئمه المسلمين، و اللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطه من ورائهم، المسلمون إخوه تتكافى دماؤهم و يسعى بذمتهم أدناهم» . و فى حديث زاد فى آخره: و هم يد على من سواهم.

أقول: لا يغل من الغلول أو الإغلال أی لا يخون، و يحتمل أن يكون من الغل بمعنی الحقد و الشحناء أی لا يدخله حقد يزيله عن الحق، كذا ذكر المحقق الكاشانی فی الوافی.

و فيه، عنه بإسناده، عن إسماعيل بن جابر قال: قلت لأبی جعفر عليه السّلام: «أعرض عليك دينی الذی أدين اللّه تعالی؟ قال: فقال: هات، قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له و أن محمدا صلّی اللّه عليه و آله عبده و رسوله، و الإقرار بما جاء به من عند اللّه، و أن عليا كان إماما فرض اللّه طاعته، ثم كان بعده الحسن إماما فرض اللّه طاعته، ثم كان بعد الحسين إماما فرض اللّه طاعته، ثم كان بعده علی بن الحسين إماما فرض اللّه طاعته، حتی انتهی الأمر إليه، ثم قلت: أنت يرحمك اللّه، قال: فقال: هذا دين اللّه و دين ملائكته» .

و فيه، عنه بإسناده، عن العجلی، عن أبی جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله: «ما نظر اللّه عز و جل إلی ولی له، يجهد نفسه بالطاعه لإمامه و النصيحه، إلاّ كان معنا فی الرفيق الأعلی» .

و فی الوافی أيضا عن الكافی بإسناده عن زراره قال: قلت لأبی جعفر عليه السّلام: أخبرنی عن معرفه الإمام منكم واجبه علی جميع الخلق، فقال: «إن اللّه تعالی بعث محمدا صلّی اللّه عليه و آله إلی الناس أجمعين رسولا و حجه للّه علی جميع خلقه فی أرضه، فمن آمن باللّه و بمحمد رسول اللّه، و اتّبعه و صدقه، فإن معرفه الإمام منا واجبه عليه، و من لم يؤمن باللّه و برسوله و لم يتبعه و لم يصدقه و يعرف حقهما، فكيف تجب عليه معرفه الإمام و هو لا يؤمن باللّه و رسوله و يعرف حقهما؟ قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن باللّه و رسوله، و يصدق رسوله فی جميع ما أنزل اللّه، أ يجب علی أولئك حق معرفتكم؟ قال: نعم أ ليس هؤلاء يعرفون فلانا و فلانا؟ قلت: بلی، قال: أ تری أن اللّه هو الذی أوقع فی قلوبهم معرفه هؤلاء، و اللّه ما أوقع ذلك فی قلوبهم إلاّ الشيطان، لا و اللّه ما ألهم المؤمنين حقنا إلاّ اللّه» .

أقول: قد يقال: إن

قوله عليه السّلام: «فكيف تجب عليه معرفه الإمام» ، يدل على أن الكفار ليسوا مكلفين بشرايع الإسلام، و قد يقال: إن المراد من قوله عليه السّلام هذا بيان التلازم، أى أن من لم يؤمن باللّه و رسوله لا يؤمن بالأئمه عليهم السّلام لا أنه إن من لم يؤمن باللّه و رسوله، لا يجب عليه الإيمان بالأئمه و بالشرايع مثلا. و الحاصل: أن إنكارهم للّه و لرسوله لازم لإنكارهم للأئمه عليهم السّلام فهم منكرون لهما بالملازمه و فى عرض الآخر، فهم معاقبون على الفروع، كما هم معاقبون على الأصول، و لهذا الكلام بحث موكول فى محله، و لعله سيجىء فى طىّ المباحث الآتيه إن شاء اللّه.

و فيه، عنه بإسناده، عن جابر الجعفى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «من سره أن يحيى حياتى و يموت ميتتى، و يدخل الجنه التى وعدنيها ربى، و يتمسك بقضيب غرسه ربى بيده، فليتوّل على بن أبى طالب عليه السّلام و أوصياءه من بعده عليهم السّلام فإنهم لا يدخلونكم فى باب ضلال و لا يخرجونكم من باب هدى، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، و إنى سألت ربى أن لا يفرق بينهم و بين الكتاب حتى يردا علىّ الحوض هكذا و ضمّ بين اصبعيه، و عرضه ما بين صنعاء إلى أيله، فيه قد حان فضه و ذهب عدد النجوم» . أقول: صنعاء بلد باليمن كثيره الأشجار و المياه تشبه دمشق، و قريه بباب دمشق، و أيله (بالفتح و المثناه التحتانيه) جبل بين مكه و المدينه، و بلد بين ينبع و مصر، كذا فى الوافى.

و فيه، عنه، محمد، عن أحمد، عن البزنطى، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال سألته عن قول اللّه عز و جل: يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ كُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِينَ (1)قال: «الصادقون هم الأئمه و الصديقون بطاعتهم» .

ص: ۱۸۶

۱- ۱) التوبه:۱۱۹.

أقول:

قوله علیه السّلام: «و الصدیقون بطاعتهم» ، یراد منه أن دلیل کونهم الصادقین هو طاعتهم للّه تعالی، فإن الطاعه و العمل أبین دلیل علی الصدق و التصدیق بالحق و ما یلزمه، کما تقدمت الإشاره إلیه. و مثله أحادیث أخر.

و فیه، عنه بإسناده، عن سدیر قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: إنی ترکت موالیک مختلفین یتبرأ بعضهم من بعض، قال: فقال: «و ما أنت و ذاک، إنما کلّف الناس ثلاثه: معرفه الأئمه علیهم السّلام و التسلیم لهم فیما ورد علیهم، و الردّ إلیهم فیما اختلفوا فیه» .

و فیه، عنه بإسناده، عن کامل التّمار قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «قد أفلح المؤمنون، أ تدری من هم؟ قلت: أنت أعلم، قال: قد أفلح المؤمنون المسلّمون، إن المسلّمین هم النجباء فالمؤمن غریب فطوبی للغرباء» . أقول: المؤمن غریب هو المسلم النجیب، و لا ریب فی أنه هکذا غریب لندرته و قلّه أمثاله.

و فیه عنه بإسناده عن الکاهلی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «لو أن قوما عبدوا اللّه وحده لا شریک له، و أقاموا الصلوه، و آتوا الزکوه، و حجّوا البیت، و صاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشیء صنعه اللّه عز و جل، أو صنعه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلاّ صنع خلاف الذی صنع، أو وجدوا ذلک فی قلوبهم، لکانوا بذلک مشرکین، ثم تلا هذه الآیه: فَلاٰ وَ رَبِّکَ لاٰ یُؤْمِنُونَ حَتّٰی یُحَکِّمُوکَ فِیمٰا شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً (1)، ثم قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: علیکم بالتسلیم» .

و فیه، عنه بإسناده، عن یحیی بن زکریا الأنصاری، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «من سرّه أن یستکمل الإیمان کله، فلیقل القول منّی فی جمیع الأشیاء، قول آل محمد فیما أسرّوا و ما أعلنوا، و فیما بلغنی عنهم و فیما لم یبلغنی» .

و فیه، عنه بإسناده، عن الفضیل بن یسار قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن الروح

۱- ۱) النساء:۶۵.

و الراحه، و الفلج و العون، و النجاح و البركه، و الكرامه و المغفره، و المعافاه و اليسر، و البشرى و الرضوان، و القرب و النصر و التمكن، و الرجاء و المحبه من اللّه تعالى لمن تولّى عليّا عليه السّلام و أتمّ به، و برىء من عدوه، و سلّم لفضله و للأوصياء من بعده، حقا عليّ أن أدخلهم فى شفاعتى، و حق على ربى تبارك و تعالى أن يستجيب لى فيهم، فإنهم أتباعى، و من تبعنى فإنه منّى» .

و فى البحار (١)عن أمالى ابن الشيخ بإسناده، عن يونس بن عبد الجبار، عن على بن الحسين عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم عليه السّلام فرحوا و استبشروا، و إذا ذكر عندهم آل محمد صلّى اللّه عليه و آله اشمأزت قلوبهم، و الذى نفس محمد بيده لو أن عبدا جاء يوم القيامه بعمل سبعين نبيا، ما قبل اللّه ذلك منه حتى يلقاه بولايتى و ولايه أهل بيتى» .

و فيه، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تبارك و تعالى: وَ إِنِّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اِهْتَدى (٢)قال: «و من تاب من ظلم، و آمن من كفر، و عمل صالحا، ثم اهتدى إلى ولايتنا، و أومأ بيده إلى صدره» .

و فيه، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن الثمالى قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فحمد اللّه و أثنى عليه، ثم قال: «إن اللّه اصطفى محمدا بالرساله، و أنبأه بالوحى، فأنال فى الناس و أنال، و فينا أهل البيت معاقل العلم، و أبواب الحكمه، و ضياء الأمر، فمن يحبنا منكم نفعه إيمانه، و يقبل منه عمله، و من لم يحبنا منكم لم ينفعه إيمانه، و لا يقبل منه عمل» . أقول: أنال أى أعطى و جاد و بثّ فى الناس» .

و فيه عن المحاسن بإسناده عن عمر بن أبان الكلبى، قال: قال لى أبو

١- ١) البحار ج ٢٧ ص ١٧٢.

٢- ٢) طه:٨٢.

عبد اللّه علیه السّلام: «ما أکثر السواد؟ قلت: أجل یا بن رسول اللّه، قال: أما و اللّه ما یحج للّه غیرکم، و لا یصلّی الصلاتین غیرکم، و لا یؤتی أجره مرتین غیرکم، و إنکم لرعاه الشمس و القمر و النجوم و أهل الدین، و لکم تغفر و منکم یقبل» .

و فیه عن الخصال بإسناده عن أبی سعید الخدری، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «من رزقه اللّه حبّ الأئمه من أهل بیتی، فقد أصاب خیر الدنیا و الآخره، فلا یشکّن أحد أنه فی الجنه، فإن فی حبّ أهل بیتی عشرین خصله، عشر منها فی الدنیا و عشر فی الآخره. أما فی الدنیا: فالزهد و الحرص علی العمل، و الورع فی الدین، و الرغبه فی العباده، و التوبه قبل الموت، و النشاط فی قیام اللیل، و الیأس عما فی أیدی الناس، و الحفظ لأمر اللّه و نهیه عز و جل، و التاسعه بغض الدنیا، و العاشره السخاء. و أما فی الآخره: فلا ینشر له دیوان، و لا ینصب له میزان، و یعطی کتابه بیمینه، و یکتب له براءه من الناس، و یبیّض وجهه، و یکسی من حلل الجنه، و یشفع فی مائه من أهل بیته، و ینظر اللّه عز و جل إلیه بالرحمه، و یتوج من تیجان الجنه، و العاشره یدخل الجنه بغیر حساب فطوبی، لمحبّی أهل بیتی» .

و فی البحار (1)عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام بالأسانید الثلاثه، عن الرضا عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی إن اللّه قد غفر لک و لأهلک و لشیعتک، و محبّی شیعتک، و محبّی محبّی شیعتک، فأبشر فإنک الأنزع البطین، منزوع من الشرک بطین من العلم» .

و فی البحار (2)عن بصائر الدرجات، بإسناده عن برید، قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «بنا عبد اللّه، و بنا عرف اللّه، و بنا وحد اللّه، و محمد صلّی اللّه علیه و آله حجاب اللّه» .

أما الثانی أعنی أن من لم یأتهم هلک:

فیدل علیه أیضا عده کثیره جدا من

ص: ۱۸۹

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۷۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۳ ص ۱۰۲.

الروايات، نذكر بعضها مما فيه الكفايه.

ففى البحار (۱)عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام و بهذا الإسناد قال: قال النبى صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السّلام: «من أحبّك كان مع النبيين فى درجتهم يوم القيامه، و من مات و هو يبغضك فلا يبالى مات يهوديّا أو نصرانيا» .

و فيه عنه بهذا الإسناد قال: قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و أخذ بيد على عليه السّلام: «من زعم أنه يحبنى و لا يحب هذا فقد كذب» .

و فى البحار (۲)عن تفسير العياشى، عن مسعده بن صدقه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبته: قال اللّه: اِتَّبِعُوا مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءَ قَلِيلاً مٰا تَذَكَّرُونَ (۳)ففى اتباع ما جاءكم من اللّه الفوز العظيم، و فى تركه الخطأ المبين» .

و فيه عن بشاره المصطفى بإسناده عن الثمالى، عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عليه السّلام قال: «من دعا اللّه بنا أفلح، و من دعاه بغيرنا هلك و استهلك» .

و فيه (۴)عن اكمال الدين بإسناده عن محمد بن الفضيل، عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «يا على أنت و الأئمه من ولدك بعدى حجج اللّه على خلقه، و أعلامه فى بريته، فمن أنكر واحدا منهم فقد أنكرنى، و من عصى واحدا منهم فقد عصانى، و من جفا واحدا منهم فقد جفانى، و من وصلكم فقد وصلنى، و من أطاعكم فقد أطاعنى، و من والاكم فقد والانى، و من عاداكم فقد عادانى، لأنكم منّى خلقتم من طينتى و أنا منكم» . أقول: و الأخبار فى هذا الباب كالباب السابق كثيره، و سيأتى تمام الكلام فى هذا فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و من جحدكم كافر» .

ص: ۱۹۰

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۷۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۳ ص ۱۰۲.

۳- ۳) الأعراف:۳.

۴- ۴) البحار ج ۲۲ ص ۹۷.

و کیف کان فقد دلّت الأحادیث الکثیره علی وجوب معرفتهم، و الردّ إلیهم، و فرض طاعتهم، و وجوب النصیحه لهم، و اللزوم بجماعتهم و موالاتهم و الاقتداء بهم، و الکون معهم، و التسلیم لهم فی کل حال، و إن من کان معهم، نجا و کان من المفلحین، و إن من لم یأتهم، أو ردّ علیهم، أو اعترض علیهم، أو عدل بهم سواهم، أو تقدمهم، أو تأخّر عنهم، أو قدم علیهم غیرهم، أو شک فیهم، أو فی شیء فی فضائلهم، أو مال بقلبه إلی من فعل ذلک من الناس من أهل الخلاف و الجور و الظلم، و کان هذا المیل منه إلیه بعد أن تبیّن الهدی له، کما نری ذلک فی بعض عوامنا المعاصرین فهو هالک و کان من الخاسرین، و الحمد للّه رب العالمین و صلّی علی محمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: إلی اللّه تدعون، و علیه تدلّون، و به تؤمنون، و له تسلّمون، و بأمره تعلمون، و إلی سبیله ترشدون، و بقوله تحکمون.

اشاره

أقول: هذه الجمل السبع کأنها فی حکم التعلیل

لقوله علیه السّلام:

«و الباب المبتلی به الناس من أتاکم نجا و من لم یأتکم هلک»

، و فی تقدیم الظرف فیها إشاره إلی أن مضمون هذه الجمل بنحو الأتم الأکمل منحصر فیهم علیهم السّلام. و کیف کان

فقوله:

«إلی اللّه تدعون»

، قد تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

«الدعاه إلی اللّه»

، ما هو شرح لهذه الجمله، و تقدم بیان أقسام الدعوه من الدعوه بالحکمه و الموعظه الحسنه، و بالمجادله بالتی هی أحسن، و أیضا تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و الأدلاء علی مرضاه اللّه»

، بیان معنی الدلیل، و أنهم علیهم السّلام أدلاء علیه و علی مرضاته علما و عملا و حالا، فراجعه فإنه یفید فی المقام.

و أما قوله عليه السّلام: «و به تؤمنون»

، فهم عليهم السّلام أحسن مصاديق المؤمن، بل هم بولايتهم عين الايمان.

ففى اللوامع النورانيه (۱)للسيد البحرانى رحمه اللّه: على بن إبراهيم بإسناده إلى

۱- ۱) اللوامع النورانيه ص ۳۲۹.

عبد الرحمن بن كثير قال: سألت الصادق علیه السّلام عن قوله تعالى: أَمْ نَجْعَلُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي اَلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ اَلْمُتَّقِينَ كَالْفُجّارِ (۱)قال: «أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه. و المفسدين فى الأرض حبتر و زريق و أصحابهما، أَمْ نَجْعَلُ اَلْمُتَّقِينَ أمير المؤمنين عليه السّلام كَالْفُجّارِ حبتر و زريق (و دلام خ) و أصحابهما» . ذكره فى البرهان أيضا.

و فى البحار (۲)بإسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى: أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً الآيه، قال ابن عباس رضى اللّه: أما المؤمن فعلى بن أبى طالب عليه السّلام و أما الفاسق فعقبه بن معيط.

و فيه، و عن الحسين بن على عليه السّلام أنه قال للوليد: «كيف تشتم عليّا، و قد سمّاه اللّه مؤمنا فى عشر آيات و سمّاك فاسقا» .

و فيه عن تفسير العياشى، عن عكرمه أنه قال: «ما أنزل اللّه جل ذكره: يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إلاّ و رأسها على بن أبى طالب عليه السّلام» .

و فيه عن كنز الفوائد بإسناده عن عبد الرحمن بن مسلم، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله عز و جل: إِنَّ اَلَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ اَلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (۳)إلى آخر السوره، «نزلت فى على عليه السّلام و فى الذين استهزؤا به من بنى أميه، و ذلك أن عليّا مرّ على قوم من بنى أميّه و المنافقين فسخروا منه» . أقول: فعبّر تعالى عن على بقوله: من الذين آمنوا.

و فيه عن مناقب ابن شهرآشوب، أبو حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اِسْتَحَبُّوا اَلْكُفْرَ عَلَى اَلْإِيمانِ (۴)قال: «فإن الإيمان ولايه على بن أبى طالب عليه السّلام» .

ص: ۱۹۲

۱- ۱) ص:۲۸.

۲- ۲) البحار ج ۳۵ ص ۳۳۸.

۳- ۳) المطففين:۲۹.

۴- ۴) التوبه:۲۳.

الباقر علیه السّلام «و زید بن علی، و من یکفر بالإیمان، قال: بولایه علی علیه السّلام» .

الباقر و الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا یُنٰادَوْنَ لَمَقْتُ اَللّٰهِ أَکْبَرُ مِنْ مَقْتِکُمْ أَنْفُسَکُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَی اَلْإِیمٰانِ فَتَکْفُرُونَ (۱)قالا: «إلی ولایه علی علیه السّلام» .

و فیه عن تفسیر القمی:

إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِینَ إِذٰا ذُکِرَ اَللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

(۲)

إلی قوله: لَهُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَهٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ (۳)«فإنها نزلت فی أمیر المؤمنین علیه السّلام و أبی ذر و مقداد و سلمان (رضوان اللّه علیهم) .

و فیه عن کشف الغمه مما خرجه العزّ الحنبلی قوله تعالی: أَ فَمَنْ کٰانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کٰانَ فٰاسِقاً لاٰ یَسْتَوُونَ (۴)«المؤمن علی و الفاسق الولید» .

و فیه عن تفسیر فرات أبو القاسم العلوی معنعنا عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «من الخیر لعلی بن أبی طالب أمیر المؤمنین علیه السّلام ما لم یقل لأحد قال: إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِکَ هُمْ خَیْرُ اَلْبَرِیَّهِ (۵)، فعلی و اللّه خیر البریه» . أقول: و نظیر هذه الأحادیث المرویه عن الفریقین کثیره جدا، و کیف لا و هم علیهم السّلام المؤمنون بوجوده تعالی و بوحدانیته، و جمیع صفاته و أفعاله التی وصف اللّه بها نفسه، و أخبر بها أنه فعله؟ فهم علیهم السّلام المؤمنون بقوله تعالی: قُلْ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ (۶)، فهم علیهم السّلام مؤمنون بأن جمیع الأمور منه تعالی و به و له و إلیه، و هم علیهم السّلام مؤمنون بما عرف اللّه لهم به من وصفه فی ذواتهم المقدسه، فهم العارفون بما لا یشارکهم فیها أحد، و أیضا هم علیهم السّلام المؤمنون بوعده تعالی و وعیده، و بکتبه و رسله

۱- ۱) غافر:۱۰.

۲- ۲) الأنفال:۲.

۳- ۳) الأنفال:۴.

۴- ۴) السجده:۱۸.

۵- ۵) البینه:۷.

۶- ۶) النساء:۷۸.

و ملائکته، و بالقرآن و بنبیه، و أنهم علیهم السّلام حججه علی خلقه و أنهم مظاهره و معانیه و أبوابه، و خزّان علمه، و حفظه سره إلی آخر أوصافهم علیهم السّلام فإنهم مؤمنون بذلک الإیمان. و إلی هذا الأمور یدل ما

فی تفسیر نور الثقلین عن الکافی بإسناده إلی سلام عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا (۱)، قال: «إنما عنی بذلک علیا علیه السّلام و فاطمه و الحسن و الحسین و جرت بعدهم فی الأئمه علیهم السّلام ثم یرجع القول من اللّه فی الناس فقال: فإن آمنوا، یعنی الناس بمثل ما آمنتم به یعنی علیا و فاطمه و الحسن و الحسین و الأئمه علیهم السّلام، فقد اهتدوا و إن تولّوا فإنما هم فی شقاق، قال عزّ من قائل: . . فَإِنَّما هُمْ فِی شِقاقٍ (۲).

فی المجمع: و روی عن الصادق علیه السّلام أنه قال: «یعنی فی کفر» . أقول: قد دلّ هذا الحدیث الشریف علی أن الأئمه علیهم السّلام هم المعنیّون فی قوله: آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا ، و هذا یشمل جمیع ما أنزل إلیهم علیهم السّلام و هنا ملاحظه دقیقه و هی أن أصل الإیمان و حقیقته هو التصدیق بکل حق و القیام به، و نفی کل باطل و الاجتناب عنه، و هذا بحقیقته لا یکون إلاّ للّه تعالی، فهو المؤمن بنفسه و بما قاله و عمله و أنزله بنحو الأتم الأکمل، و لهذا جعل اللّه تعالی الدین الخالص الذی لا یکون إلاّ هکذا، أی لا یکون إلاّ ما کان متعلقا للإیمان به بنحو ما ذکر لنفسه فقال: أَلا لِلّهِ اَلدِّینُ اَلْخالِصُ . و من المعلوم أن غیره الذی یشوبه التغییر، و یلحقه التظنین، و تأخذه الغفله و السهو، لا یمکنه الإیمان الحقیقی، لأنه حین ما تأخذه الغفله و السهو یزول عنه، و یتغیر عنه الإذعان و الإیمان، فحینئذ لا یکون الإیمان الحقیقی إلاّ له تعالی، فحینئذ نقول: إذا کان مصداق قوله تعالی: آمَنّا بِاللّهِ هم الأئمه علیهم السّلام بنحو قرّره اللّه تعالی

۱- ۱) البقره:۱۳۶.

۲- ۲) البقره:۱۳۷.

و أثبته و أمضاه بقوله تعالى: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مٰا آمَنْتُمْ بِهِ (١)فإنه يدلّ على أنهم هم المؤمنون حقا، فلا محاله يكون إيمانهم عليهم السّلام كإيمانه تعالى أى بنحو الحقيقه. و بعباره أخرى: يكون إيمانهم عليهم السّلام مظهرا لإيمانه تعالى دون سائر الناس، و أما سائر الناس فإن كان إيمانهم بمثل إيمانهم عليهم السّلام فقد اهتدوا، و إلا فلا، فإيمانهم مقياس و ميزان لإيمان الناس، فكل إيمان كما و كيفا كان بمثل إيمانهم و مشابها له كان سببا للهدايه و إلا فلا، فتأمل تعرف. أقول: بيان آخر فى أن إيمانهم عليهم السّلام هو الإيمان الحقيقى بحيث يليق أن يكون مظهرا أتم لإيمانه تعالى و حاصله: أن الإيمان قد يعبّر عنه بالتصديق القلبى، و هذا قد يلازم العمل، و هو ما إذا كان مع التصديق القبول و التعلق بمتعلق الإيمان المعبر عنه بالفارسيه (بگرويدن) و قد لا يلازمه فيكون تصديقا محضا بدون التعلق و القبول بمتعلق الإيمان، و من المعلوم أن التصديق القلبى مهما كان أقوى و أثبت فى القلب كان تعلق القلب و قبوله لمتعلق الإيمان أشدّ و أقوى. و هذا المعنى مقول بالتشكيك فله مراتب كثيره، فقد يكون التصديق و التعلق و القبول بنحو يلازم العمل الصورى فقط، كما ترى ذلك فى كثير من المقدسين الظاهريين، و قد يكون بنحو أقوى يلازم الاتصاف بالأخلاق الحسنه، و إزاله الصفات الرذيله، مضافا إلى العمل فيكون صاحبه مشيه على طبق الصفات الحميده، و قد يكون بنحو أقوى من هذا بحيث يتعلق القلب بمتعلق الإيمان و هو اللّه تعالى بنحو لا يلتفت إلى غيره أبدا، و لكل من هذه الدرجات حالات و درجات تخصّ بتلك الدرجه، كما أن لكل منها منافيات لا يدفعها إلاّ قوه إيمانه فى تلك الدرجه، و ربما كان حال درجه سابقه منافيا لحال الدرجه اللاحقه كما لا يخفى. و لهذا المبحث بيان و شرح يطول ذكره، و لعل العارف بحقائق الإيمان و درجاته

١- ١) البقره:١٣٧.

و موارد إطلاقاته لا يخفى عليه شرح الكلام و بيانه فى هذا المبحث، ثم إن كل أحد يدعى أنه مؤمن إلاّ أنه إذا قيس إيمانه بما ذكر من تلك المراتب و الدرجات يعلم أن إيمانه ضعيف و يكون فى بعض الدرجات، و أما الأئمه عليهم السّلام فحيث إنهم عليهم السّلام فى أعلى درجات الإيمان و أقوى مراتبه بحيث لا يدانيهم أحد، فلا محاله أطلق القول المنصرف إلى الفرد الأكمل عليهم

فقال عليه السّلام:

«و به تؤمنون» . فبلحاظ أن إيمانهم مظهر لإيمانه تعالى و أنه إيمان بالحقيقه، و أنه بنحو الأتم الأكمل الشامل لجميع الدرجات و المراتب كانت هذه الجمله أى

قوله عليه السّلام:

«و به تؤمنون»

، من شئون ولايتهم و خصائصهم، إذ علمت أنه لا يشاركهم أحد فى إيمانهم كما لا يخفى.

و أما قوله عليه السّلام: «و له تسلمون»

اشاره

فإما يقرأ بالتخفيف من أسلم يسلم و إما بالتشديد من سلّم يسلّم،

أما الأول:

ففى الكافى (۱)بإسناده عن سالم الخياط قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: فَأَخْرَجْنٰا مَنْ كٰانَ فِيهٰا مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ. فَمٰا وَجَدْنٰا فِيهٰا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ (۲)، فقال أبو جعفر عليه السّلام: «آل محمد لم يبق فيها غيرهم» . أقول: أى أنهم الكاملون فى الإسلام و لا يحاذيهم أحد، و هذا من التأويل.

و فى اللوامع النورانيه عن أمالى الشيخ بإسناده عن عبد اللّه بن العباس فى هذه الآيه وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً قال: أسلمت الملائكه فى السماء و المؤمنون فى الأرض طوعا أولهم و سابقهم من هذه الآيه على بن أبى طالب عليه السّلام و لكل أمه سابق. الحديث.

و فى غايه المرام عن ابن بابويه فى أماليه بإسناده عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «على بن أبى طالب أقدم أمتى سلما،

۱- ۱) الکافی ج ۱ ص ۴۲۵.

۲- ۲) الذاریات:۳۵-۳۶.

و أكثرهم علما، و أصحّهم دينا، و أفضلهم يقينا، و أحلمهم حلما، و أسمحهم كفّا، و أشجعهم قلبا، و هو الإمام و الخليفه بعدى» .

و فيه عن ابن بابويه بإسناده عن الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام عن أبيه، عن آبائه عليهم السّلام قال: «خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عليه خميصه قد اشتمل بها، فقيل: يا رسول اللّه من كساك هذه الخميصه؟ قال: كسانى حبيبى و صفيّى و خاصّتى و خالصتى، و المؤدّى عنّى و وصيّى و وارثى و أخى، و أوّل المؤمنين إسلاما و أخلصهم إيمانا، و أسمح الناس كفا سيد الناس بعدى قائد الغرّ المحجّلين إمام أهل الأرض على بن أبى طالب، فلم يزل يبكى حتى ابتلّ الحصى من دموعه شوقا إليه» . أقول: و مثله أحاديث كثيره من الفريقين كما لا يخفى.

و فى مقدمه تفسير البرهان (۱)ففى الكافى و غيره عن الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اَللّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ (۲)، قال: «نزلت فى على، كان أول من أسلم و أخلص وجهه للّه، و هو محسن أى مؤمن مطيع» . هذه بعض الأحاديث فى هذا الباب و لا ريب فى أنهم أحسن مصداق للمسلم حيثما أطلق فى الآيات و الأحاديث كما، لا يخفى.

و أما الثانى أعنى القراءه بالتشديد:

فهم عليهم السّلام المسلّمون له تعالى فى جميع الأمور تشهد بذلك أفعالهم و أحوالهم، و تحمّلهم المصائب و الحوادث الواقعه عليهم من الأعداء. و كيف كان فالتسليم كما علمت سابقا هو الانقياد و الإخبات، و قد دلّت أحاديث كثيره على أنهم عليهم السّلام هم المخبتون فى قوله تعالى: وَ بَشِّرِ اَلْمُخْبِتِينَ (۳).

۱- ۱) تفسير البرهان ص ۱۸۷.

۲- ۲) لقمان:۲۲.

۳- ۳) الحج:۳۴.

ففى مقدمه تفسير البرهان عن كنز الفوائد، عن الباقر عليه السّلام فى قوله عز و جل: وَ بَشِّرِ اَلْمُخْبِتِينَ الآيه، قال: «نزلت فينا خاصّه» . أقول: أى أنهم المصداق الأتم لها (و اللّه العالم) . ثم إن حقيقه الإسلام هو التسليم،

ففى الكافى (1)فى باب نسبه الإسلام: عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لأنسبن الإسلام نسبه لا ينسبه أحد قبلى، و لا ينسبه أحد بعدى إلاّ بمثل ذلك، إن الإسلام هو التسليم، و التسليم هو اليقين، و اليقين هو التصديق، و التصديق هو الإقرار، و الإقرار هو العمل، و العمل هو الأداء. إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، و لكن أتاه من ربه فأخذه. إن المؤمن يرى يقينه فى عمله، و الكافر يرى إنكاره فى عمله. فو الذى نفسى بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين و المنافقين بأعمالهم الخبيثه. و كيف كان فحقيقه التسليم له تعالى ما كان هو خلع الإنيه فى التحقق، و محق الذات عن التذوّت فى قباله تعالى عند ذكره تعالى، و حيث إن العبد المسلّم (بالتشديد) الفانى عن نفسه عند توجهه إليه تعالى، إنما يحصل له حاله الخلع و المحق المذكورين فى محله، إذا ظهرت فى قلبه أنوار عظمته و جلاله و جماله، فحينئذ لا محاله لا يبقى له شىء من الآثار الخلقيه، فيكون جميع ما يصدر من العبد حينئذ من المناجاه و الدعاء و الإجابات، و الأمر و النهى و البعث، و المشى فى جميع الأكوان الخلقيه، و النزول إلى الرخص، و إلى إصلاح أمر الخلق به تعالى، أى يكون صدور جميع تلك الأمور به و منه تعالى. فحينئذ يكون العبد الكذائى بجميع شئونه من شئونه تعالى، فيكون إذن اللّه تعالى و عينه و لسانه و يده و قلبه، و حكمه و علمه، و أمره و معانيه كلها و أبوابه

١- ١) الكافى ج ٢ ص ۴۵.

و بيوته، و مساجده إلى غير ذلك مما نطقت به الأخبار و أثبتها لهم عليهم السّلام هكذا، و هو تعالى قد أقامهم عليهم السّلام لنفسه هكذا، و اصطفيهم لنفسه هكذا، و لم يبق لهم عليهم السّلام فى أفعالهم إلاّ فعله تعالى، و فى صفاتهم إلاّ صفاته، و فى أسمائهم إلاّ أسماؤه، و لا ريب فى أن التسليم بهذا المعنى إنما هو لهم عليهم السّلام بما له من الآثار المذكوره، و حيث إنهم كاملون فى التسليم، فلا محاله لهم تلك الآثار بكمالها و تمامها، و أما غيرهم فكل بحسب ما له من صفه التسليم و آثاره كما و كيفا.

فمن هنا يعلم معنى قوله عليه السّلام: «و بأمره تعملون»

، حيث إنه بعد ما كانوا مسلمين له تعالى بحقيقه التسليم فلا محاله يعملون بأمره و بإرادته لا بارادتهم، حيث علمت أنه ليس لهم أمر إلاّ أمره، و لا إراده إلاّ إرادته، و فى هذه الجمله إشاره إلى قوله تعالى: بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (۱)و قد تقدم شرحه.

و فى تفسير نور الثقلين (۲)عن الاحتجاج للطبرسى رحمه اللّه عن أمير المؤمنين عليه السّلام حديث طويل و فيه: «ألزمهم الحجه بأن خاطبهم خطابا يدلّ على انفراده و توحيده، و بأن لهم أولياء تجرى أفعالهم و أحكامهم مجرى فعله، فهم العباد المكرمون، لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من حلّ محله أصفياء اللّه الذين قال: فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ ، الذين قرنهم اللّه بنفسه و برسوله، و فرض على العباد من طاعتهم مثل الذى فرض عليهم منها لنفسه» ، الحديث. أقول:

قوله عليه السّلام: «تجرى أفعالهم و أحكامهم مجرى فعله» ، صريح فيما ذكرناه فى معنى التسليم، و إليه أيضا يشير

قوله عليه السّلام فى حديث الخرائج المتقدم بعد أن قال عليه السّلام للخارجى: اخسأ: و لكن للّه خزّان لا على ذهب و لا فضه، و لا إنكار على أسرار،

۱- ۱) الأنبياء:۲۶-۲۷.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۴۲۱.

هذا تدبير اللّه أ ما تقرأ: بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ. لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (۱).

فقوله: و لكن للّه. . . الخ ، إشاره إلى مقامهم الإلهى الثابت لهم بالتسليم، و إلى ما لهم من تلك الآثار الإلهيه، و لهذا عبّر عليه السّلام عن فعله بالنسبه إلى الخارجى

بقوله عليه السّلام: «هذا تدبير اللّه» ، فكان فعله عليه السّلام مصداقا لتدبيره تعالى، فافهم. و كيف كان فهم عاملون بأمره و لا يسبقونه بالقول على حد قوله تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ قَتَلَهُمْ (۲)و كونهم عاملين بأمره أيضا على حدّ قوله تعالى: وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ رَمىٰ (۳)فأبان اللّه تعالى بهذين الآيتين و ما أشبههما تفرّده بالصنع وحده لا شريك له، و قال تعالى: أَلاٰ لَهُ اَلْخَلْقُ وَ اَلْأَمْرُ (۴)و لا يتمّ هذا (أى التفرد بالصنع) مع ما يرى من صدور الأفعال، و انتسابها إلى الأسباب الظاهريه و الفاعلين من البشر، إلاّ بأن يكون الفاعلون من البشر على حدّ ما وصفهم بقوله: لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (۵)الظاهر فى كونهم فانين فى قبضه قدرته تعالى، بحيث تجرى أفعالهم مجرى أفعاله، كما صرّح به الحديث الآنف ذكره. و مما ذكر يظهر صحه قوله تعالى: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ مٰا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَرُونِي مٰا ذٰا خَلَقُوا مِنَ اَلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ (۶)تحديا للمشركين و الكفار، بيانه: أنه تعالى جعل فعل أوليائه فعله تعالى بنحو ما تقدم ذكره، فهو تعالى يعمل فى الخلق بهم عليهم السّلام بحيث يكون فعله فعلهم و بالعكس، و بهذه الجهه و المنزله العظمى تجرى على أيديهم المعجزات فهم عليهم السّلام يد اللّه و قدرته و مظاهره، و الذى يدعى من

۱- ۱) الأنبياء:۲۶-۲۷.

۲- ۲) الأنفال:۱۷.

۳- ۳) الأنفال:۱۷.

۴- ۴) الأعراف:۵۴.

۵- ۵) الأنبياء:۲۷.

۶- ۶) الأحقاف:۴.

دون اللّه تعالى إن كان حقا فلا بد من أن تصدر على يديه المعجزات بنحو يعجز عنها الثقلان، و بنحو أيضا تحكى عن أن أفعالهم أفعاله تعالى لكونه معجزه. فحينئذ يصحّ توبيخه تعالى المشركين و ردّه إياهم بأن ما تدعون من دونه تعالى، أرونى ما ذا خلقوا من الأرض من الأفعال الخارقه بنحو الإعجاز، و لو فى الأرض و الدنيا، و بهذا اللحاظ ذكر الأرض قبل السموات أم لهم شرك فى السموات، كل ذلك إشاره و تلويح إلى أن أولياءه عليهم السّلام قد خلقوا من الأرض، كما ذكر عن عيسى (على نبينا و آله و عليه السّلام) : وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْئَةِ اَلطَّيْرِ بِإِذْنِي (۱)و كما ظهر من تلك المعجزات الكثيره منهم عليهم السّلام بل لهم شرك فى السموات، أى يعملون فيها بإذنه تعالى، فهم عليهم السّلام عاملون فيها بإذنه تعالى،

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام ما مضمونه: أنه تعالى أرى موسى عليه السّلام ملكه فى الملكوت حيث خرّ صعقا، فراجع الحديث فى تفسير البرهان فى ذيل الآيه المباركه. و كيف كان فكل ما يعمله أولياؤه فهو حق، حيث إنه بإذنه تعالى، و ما يعمله غيرهم من الأباطيل فإنما هى إفك، فأفعالهم بل و ما يعملون من المعجزات فكلها على ما كان يفعله عيسى عليه السّلام على ما حكاه اللّه تعالى عنه، هذا

و قد تقدم عنهم عليهم السّلام: «اجعلوا لنا ربّا نئوب إليه، و قولوا فينا ما شئتم و لن تبلغوا فقال السائل: نقول ما شئنا، فقال عليه السّلام: و ما عسى أن تقولوا؟ و اللّه ما خرج إليكم من علمنا إلاّ ألف غير معطوفه» ، و قد تقدم شرحه.

و أما قوله عليه السّلام: «و إلى سبيله ترشدون»

، أى السبيل القويم و الصراط المستقيم الذى مرّ بيانه، و بقوله تحكمون لا بالآراء و الاستحسان و القياس كما هو دأب غيرهم. و بعباره أخرى: ترشدون الخلق و تهدونهم إلى الطريق الحق، الذى لا بد من التثبت عليه و التصلب فيه، و إلى معرفته تعالى و كيفيه عبادته كما تقدم

قوله عليه السّلام: «لولانا ما عرف اللّه، لولانا ما عبد اللّه» ، و تحكمون أيضا بقوله تعالى المشار إليه

۱- ۱) المائده:۱۱۰.

بقوله تعالى: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَيْکَ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَيْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ (۱).

ففى الکافى عن محمد بن سنان، و عن عبد اللّه سنان، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى هذه الآيه: «لا و اللّه ما فوض اللّه إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و إلى الأئمه عليه السّلام يرشدون الناس إليه» ، و إن كان المراد أنفسهم الشريفه، لما تقدم من أنهم السبيل إليه بل هم السبيل الأعظم، فحينئذ فما معنى كونهم يرشدون الناس إلى أنفسهم خاصه، فإنه مضافا إلى أنه لم يعهد منهم أنهم عليهم السّلام أرشدوا الناس إلى أنفسهم، إن الإرشاد إلى أنفسهم خاصه سدّ منهم لباب التوحيد، و هو مناف لمقام ولايتهم و عبوديتهم و شأنهم كما لا يخفى. و كذا بعينه

فى قوله:

«و بأمره تعملون»

، باعتبار أن أمره تعالى قد يطلق عليهم عليهم السّلام

و فى قوله:

و بقوله تحكمون

، فإنهم أيضا قد أطلق أنهم قوله تعالى و الجواب: إن أنفسهم الشريفه لها اعتباران: الأول: اعتبار التشخيص، و أنهم مخلوقون مربوبون و لو بلحاظ علو مقامهم، و لا ريب فى أنه لا معنى لأنهم يرشدون الناس إلى أنفسهم الشريفه بهذا الاعتبار. و الثانى: اعتبار أنهم سبيل اللّه من حيث قيامهم به تعالى، و فناؤهم عن أنفسهم الشريفه البشريه، و أنهم مظاهره تعالى، كما تقدم مرارا أنهم ليسوا إلاّ مظاهر لجماله و جلاله و معارفه تعالى. فبهذا الاعتبار لا يكون الإرشاد إلى أنفسهم الشريفه إلاّ إرشادا إليه تعالى حيث إنه سبيله حقا فهم عليهم السّلام بمثابه

قوله: «من أحبّكم فقد أحبّ اللّه» ، و قوله تعالى مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (۲)كما لا يخفى و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

۱- ۱) النساء:۱۰۵.

۲- ۲) النساء:۸۰.

[۳۸]قوله علیه السّلام: سعد من والاکم، و هلک من عاداکم، و خاب من جحدکم، و ضلّ من فارقکم، و فاز من تمسّک بکم، و أمن من لجأ إلیکم، و سلم من صدّقکم، و هدی من اعتصم بکم

[فی بیان قوله سعد من والاکم]

أقول: السعاده ضد الشقاوه بمعنی الشده و العسر، فمعناها هو الرخاء و الیسر فی شئونه فی الدارین الدنیا و الآخره. و بعباره أخری: هی الحیوه الطیبه فیهما کما أن

قوله:

«و هلک من عاداکم»

، هو هلاک الدین، و هو من الشقاوه الحقیقیه فی الدارین و سیأتی تحقیقها قریبا. و کیف کان فسعاده من والاهم فی الدنیا یکون بأمور، منها: أنهم علی الشریعه السمحه السهله، و أنهم تکفّر عنهم عظائم الذنوب بقلیل من البلایا من النقص فی الأموال و الأنفس و الأمراض، و قد یکون البلاء لرفع الدرجه، و الأخبار فی هذا کثیره جدا، و نحن نذکر بعضها مما فیه الکفایه.

ففی الشافی (۱)عن الکافی، عن الصادق علیه السّلام: «أن المؤمن لیکرم علی اللّه حتی لو سأله الجنه بما فیها، أعطاه ذلک من غیر أن ینقص من ملکه شیئا، و إن اللّه لیتعاهد عبده المؤمن بالبلاء، کما یتعاهد الغائب أهله بالطرف، و أنه لیحمیه الدنیا کما یحمی الطبیب المریض» .

و فیه عنه علیه السّلام: «أنه لیکون للعبد منزله عند اللّه فما ینالها إلاّ بإحدی خصلتین: إما بذهاب ماله أو ببلیه فی جسده» .

و فیه عنه، عن عبد اللّه بن أبی یعفور قال: شکوت إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام مما ألقی من الأوجاع و کان مسقاما، فقال لی: «یا عبد اللّه لو یعلم المؤمن ما له من الأجر فی المصائب لتمنی أنه قرض بالمقاریض» .

و فیه عنه علیه السّلام سئل أ یبتلی المؤمن بالجذام و البرص و أشباه هذا؟ قال: «و هل کتب البلاء إلاّ علی المؤمن» .

۱- ۱) ما ذکرناه یکون عن الشافی للفیض رحمه اللّه.

و فيه عنه، عن الصادق عليه السّلام: أن فى كتاب على عليه السّلام: «إنّ أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون، ثم الأمثل فالأمثل، و إنما يبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنه، فمن صحّ دينه و حسن عمله اشتد بلاؤه و ذلك أن اللّه تعالى لم يجعل الدنيا ثوابا لمؤمن، و لا عقوبه لكافر، و من سخف دينه و ضعف عمله قل بلاؤه، و إن البلاء أسرع إلى المؤمن التقى من المطر إلى قرار الأرض» .

و فيه عنه، عن الباقر عليه السّلام: «إن اللّه تعالى إذا أحبّ عبدا غتّه بالبلاء غتّا، و ثجّه بالبلاء ثجّا، فإذا دعاه قال: لبيك عبدى لئن عجلت لك ما سألت إنى على ذلك لقادر، و لئن ادّخرت لك فما ادخرت لك خير لك» . أقول: الغث الغمس، و الثجّ الصبّ.

و فيه عنه، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله: «لا حاجه للّه فيمن ليس له فى ماله و بدنه نصيب، أى ما يأخذه ليبلوه فيهما» .

و فيه عنه، عن الصادق عليه السّلام: «إن المؤمن ليهول عليه فى نومه، فتغفر له ذنوبه، و إنه ليمتحن فى بدنه فيغفر له ذنوبه» .

و فيه عنه عليه السّلام: «إذا أراد اللّه بعبد خيرا عجل عقوبته فى الدنيا، و إذا أراد بعبد سواء أمسك عليه ذنوبه حتى يوافى بها يوم القيامه» .

و فيه عنه، عن الصادق عليه السّلام: «إن العبد إذا كثرت ذنوبه، و لم يكن عنده من العمل ما يكفّرها ابتلاه بالحزن ليكفّرها» .

و فيه عن كتاب التمحيص، عن جابر: إن على بن الحسين عليه السّلام إذا كان عنده من العمل ما يكفّرها ابتلاه بالحزن ليكفّرها.

و فيه عن كتاب التمحيص، عن جابر: إن على بن الحسين عليه السّلام إذا كان رأى المريض قد برأ قال له: «يهنئك الطهور من الذنوب» .

و فى المحكى عن الكاظم عليه السّلام: «من عاش فى الدنيا عيشا هنيئا فليتهم فى دينه، فإن البلاء أسرع إلى المؤمن من اللمح بالبصر» .

و عن الباقر عليه السّلام: «طينه المؤمن من كل شىء إلّا الكذب و الخيانه» .

و عنه صلّى اللّه عليه و آله: «إن ولى على عليه السّلام لن تزول له قدم حتى تثبت له أخرى» .

و عن سعدان بن مسلم، عن الصادق عليه السّلام: «المؤمن مبتلى طوبى للمؤمن إذا صبر على البلاء و سلّم للّه القضاء، قلت: جعلت فداك من المؤمن الممتحن؟ قال الذى امتحن بوليه و عدوّه، إذا مرّ بإخوانه اغتابوه، و إذا مرّ بأعدائه لعنوه، فصبر على تلك المحنه كان مؤمنا ممتحنا» .

و عن كتاب التمحيص، عن يونس بن يعقوب قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «ملعون كل بدن لا يصاب فى كل أربعين يوما، قلت: ملعون؟ قال: ملعون، قلت: ملعون؟ قال: ملعون، فلما رآنى قد عظم ذلك علىّ قال: يا يونس إن من البليه الخدشه و اللطمه و العثره، و النكبه و الهفوه، و انقطاع الشسع، و اختلاج العين، و أشباه ذلك، إن المؤمن أكرم على اللّه من أن يمرّ عليه أربعون يوما لا يمحصه فيها من ذنوبه و لو بغم يصيبه ما يدرى ما وجهه، إن أحدكم ليضع الدراهم بين يديه فيزنها فيجدها ناقصه فيغم بذلك، ثم يعيد وزنها فيجدها سواء فيكون ذلك حطّا لبعض ذنوبه» .

و عن كتاب مسكن الفؤاد للشهيد الثانى رحمه اللّه روى أن أسماء بنت عميس (رضوان اللّه عليها) لما جاءها خبر ولدها محمد بن أبى بكر أنه قتل و أحرق بالنار فى جيفه حمار، قامت إلى مسجدها، فجلست فيه، و كظمت غيضها حتى شخبت يداها دما.

و فيه أيضا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «دعى النبى صلّى اللّه عليه و آله إلى طعام، فلما دخل إلى منزل الرجل، نظر إلى دجاجه فوق حائط قد باضت، فتقع البيضه على وتد فى حائط فتثبت عليه و لم تسقط و لم تنكسر، فعجب النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال له الرجل: أ عجبت من هذه البيضه؟ فو الذى بعثك بالحق نبيا ما رزيت شيئا قط، فنهض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لم يأكل من طعام الرجل شيئا، و قال صلّى اللّه عليه و آله: من لم يرزأ فما للّه فيه من حاجه» .

أقول: فهـذه البلايا تكون من اللّه تعالى للمؤمن، ليصلح بها حاله، و يـدفع بها ما هو أعظم منها من عـذاب الآخره أو الـدنيا مع ما فيها من الأجر العظيم، حيث إنها (أى البلايا) تكون من أعظم نعم اللّه تعالى عليه، فيجب شكرها و لو أن اللّه تعالى أعطى الرخاء لعبـده بعـد هـذه البلايا، فهو عنده محمود جدا، لأنه حينئذ ترويح له و تفريج و تذكير له ليرجو فى الشده الرخاء، ثم أنه تعالى لا يـديم له الرخاء، لئلا يركن إلى الـدنيا و دار الفناء، و هذا بخلاف ما إذا لم يبتله بالبلاء، فإن النعم إذا كانت من دون البلاء و غير مسبوقه بها، فلم تعظم فى عين العبد و لم يشكرها بل ربما كفر بها كما ربما نرى ذلك فى بعض المترفين. و كيف كان فالبلايا قسمان: قسم منها يكون فى الدين، و هذه البلايا مما أعاذ اللّه منها أولياءه من أن يبتليهم بها، كما صرحت به الأدعيه و الأخبار. و قسم منها بلاء حسن، و البلايا الجميله فإنها ترد على محبى أمير المؤمنين عليه السّلام هـديه من اللّه تعالى إما لرفع الـدرجه، فإن عنـد اللّه مقامات لأوليائه شريفه جـدا، لا تنال إلاّ بالمحن و احتمال البلايا فى هذه الدنيا، و إما لتكون كفاره لذنوبه، و إما لتدفع بلايـا أعظم منهـا، كمـا صـرحت به الأحـاديث المتقـدمه، و إليه الإشـاره فى قـوله تعـالى: وَ لِيُبْلِيَ اَلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاٰءً حَسَناً (1)و المؤمنون قد جعل اللّه لهم بدنا على البلاء صابرا، و باللّه و بقضائه راضيا، فلا يشكون البلوى، فيبدل اللّه تعالى لحمهم غير لحمه، و دمهم غير دمه، و بشره غير بشرته، أى تكون هـذه مما لم تعص اللّه فيه، بل يكون طاهرا طيبا كما ورد فى الأخبار. أقول: و قد ذكر بعضهم أمورا كثيره لبيان السعاده الدنيويه لمن والاهم عليهم السّلام و نحن نذكرها مختصرا لما فيها من المنافع و التنبيه قال:

۱- ۱) الأنفال:۱۷.

و منها: أن المحب و الموالى لهم يوفق للصواب فى اعتقاداته و علومه، و أفعاله و أقواله و أعماله، و هذا بخلاف غيرهم كما نرى ذلك منهم. و منها: أن يجعل اللّه لهم قلبا ذاكرا و متوجها إليه تعالى، فيتقلى من ملائكه الرحمن الإلهامات، و الأفكار الصائبه الربوبيه، فبها يعرف آيات اللّه تعالى الآفاقيه و الأنفسيه، و يعرفها حق معرفتها، و بهذه الجهه يخلص للّه الوحدانيه فى جميع أفعاله و حاله و شئونه، فيكون مصداقا لقوله تعالى: وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً (1)، و هذا بخلاف غيرهم من المخالفين، فإنهم لتركهم الولايه قد أعمى اللّه قلوبهم، فهم لا يفقهون، بل هم مصداق لقوله تعالى: وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ (2)الآيه. و منها: أن يرزقه اللّه زوجه صالحه تسرّه إذا نظر إليها، و تطيعه إذا أمرها، و تحفظه إذا غاب عنها فى نفسها. و منها: أن يبصره اللّه عيوب نفسه، فيشتغل بإصلاحها، و ينصرف عن عيوب غيره، فيكون لما يرى من عيوبه ماقتا لنفسه، و يرى نفسه مقصرا فى طاعه ربّه، و مستح منه تعالى، و خائف منه تعالى غير آمن العقوبه، مع أنه راج منه تعالى المثوبه و المغفره، و هذه أحوال العباد و المؤمنين العارفين، و قد رزقها اللّه تعالى لمحب على عليه السّلام. و منها: أن يظهر اللّه تعالى أعماله الصالحه للعباد، ليكون محبوبا عند القلوب، فمن رآه يستحسنه من عدو و صديق، و يرى أنه عند اللّه تعالى قد عامل اللّه بالعبوديه له تعالى و عامله اللّه تعالى بالكرامه. و منها: أنه تعالى يرزقه الحيوه الطيبه المشار إليها بقوله: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰاهً طَيِّبَهً (3)، المفسره تاره بالقنوع كما عن القمى، و بالقناعه كما روى هذا عن على عليه السّلام أو مع القناعه كما روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله.

۱- ۱) البقره:۲۶۹.

۲- ۲) الأعراف:۱۷۹.

۳- ۳) النحل:۹۷.

و منها: أنه تعالى يقبض روحه باختياره و رضاه، ليكون محبا للقاء اللّه تعالى، لأن من كره لقاء اللّه كره لقاءه و ملاقاته تعالى مع الكراهه عذاب أليم للروح، و قد عصمه اللّه من ذلك، و يدل على هذا أخبار كثيره نذكر بعضها.

ففى محاسن البرقى (۱)عن أبى حمزه الثمالى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «قال اللّه تبارك و تعالى: ما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددى عن المؤمن، فإنى أحبّ لقائه و يكره الموت، فأزويه عنه، و لو لم يكن فى الأرض إلاّ مؤمن واحد لاكتفيت به عن جميع خلقى، و لجعلت له من إيمانه أنسا لا يحتاج معه إلى أحد» .

و فى فضائل الشيعه للصدوق رحمه اللّه الحديث الرابع و العشرون و بهذا الإسناد عن سدير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك يا بن رسول اللّه، هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: «لا، إذا أتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت: يا ولى اللّه لا تجزع فو الذى بعث محمدا بالحق، لأنا أبرّ بك، و أشفق عليك من الوالد الرحيم لولده حين حضره افتح عينيك و انظر قال: و يمثل له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه عليهم السّلام هم رفقاؤك. قال: فيفتح عينيه و ينظر، و تنادى روحه من قبل العرش: يا أيتها النفس المطمئنّه ارجعى إلى محمد و أهل بيته و ادخلى جنتى، قال: فما من شيء أحبّ إليه من انسلال روحه و اللحوق بالمنادى» .

و فى قره العيون (۲)للمحقق الكاشانى عن الكافى بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «إن العبد إذا كان فى آخر يوم من أيام الدنيا، و أول من يوم من أيام الآخره، مثل له ماله و ولده و عمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: و اللّه إنى كنت عليك حريصا شحيحا، فما لى عندك؟ فيقول: خذ منى كفنك، قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: و اللّه إنى كنت لكم محبا، و إنى كنت عليكم محاميا، فما لى عندكم؟ فيقولون: نودّيك إلى حفرتك

۱- ۱) محاسن البرقى ص ۱۵۹.

۲- ۲) قره العيون ص ۴۵۶.

فنواریک فیها، قال: فیلتفت إلی عمله فیقول: و اللّه إنی کنت فیک لزاهدا، و إن کنت علیّ لثقیلا، فما لی عندک؟ فیقول: أنا قرینک فی قبرک و یوم نشرک حتی أعرض أنا و أنت علی ربک. قال: فإن کان للّه ولیّا أتاه أطیب ریحا و أحسنهم (أحبهم خ ل) منظرا و أحسنهم ریاشا (۱)، فقال: أبشر بروح و ریحان و جنه نعیم، و مقدمک خیر مقدم، فیقول له: من أنت؟ فیقول: أنا عملک الصالح ارتحل من الدنیا إلی الجنه، و إنه لیعرف غاسله، و یناشد حامله أن یعجله، فإذا أدخل قبره أتاه ملکا القبر کالبرق الخاطف فیقولان له: من ربّک و ما دینک و من نبیّک؟ فیقول: اللّه ربّی، و دینی الإسلام، و نبّی محمد صلّی اللّه علیه و آله. فیقولان له: ثبتک اللّه فیما یحبّ و یرضی، و هو قول اللّه تعالی: یُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ اَلثّٰابِتِ فِی اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ فِی اَلْآخِرَهِ (۲)ثم یفسحان له فی قبره مدّ بصره، ثم یفتحان له بابا إلی الجنه، ثم یقولان له: نم قریر العین نوم الشاب الناعم، فإن اللّه تعالی یقول: أَصْحٰابُ اَلْجَنَّهِ یَوْمَئِذٍ خَیْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِیلاً . قال: و إذا کان لربّه عدوّا، فإنه یأتیه أقبح من خلق اللّه زیّا و ریّا، و أنتنه ریحا فیقول: أبشر بنزل من حمیم، و تصلیه جحیم، و أنه لیعرف غاسله و یناشد حملته أن یحبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقیا عنه أکفانه، ثم یقولان له: من ربّک و ما دینک و من نبیک؟ فیقول: لا أدری، فیقولان: لا دریت و لا هدیت، فیضربان یافوخه بمرزبه معهما ضربه، فما خلق اللّه تعالی من دابه إلاّ و یذعر لها ما خلا الثقلین، ثم یفتحان له بابا إلی النار، ثم یقولان له: نم بشرّ حال فیه من الضیق مثل ما فیه القنا من الزجّ، حتی إن دماغه لیخرج من ضفره و لحمه، و یسلط اللّه علیه حیّات الأرض و عقاربها و هوامها، فتنهشه، حتی یبعثه اللّه من قبره، و إنه لیتمنی قیام

۱- ۱) الرناش ما ظهر من اللباس الفاخر.

۲- ۲) إبراهیم:۲۷.

الساعه مما هو فيه من الشر» .

و فى كثير من الأخبار: أنه يسأل عن إمامه.

و عنه عليه السّلام: «و اللّه لا يبغضنى عبد أبدا فيموت إلاّ رآنى عند موته حيث يكره، و لا يحبّنى عبد أبدا فيموت على حبّى إلاّ رآنى عند موته حيث يحبّ» .

و فى روايه عن الباقر عليه السّلام: «و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله باليمين» .

و عن الصادق عليه السّلام فى الميت: «تدمع عيناه عند الموت، قال: ذاك عند معاينه رسول اللّه فيرى ما يسره، ثم قال: أ ما ترى الرجل يرى ما يسّره و ما يحبّه فتدمع عينه لذلك و يضحك» .

و فى خبر آخر: فيقول له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، و أما ما كنت تخاف فقد أمنت منه» .

و فى محاسن البرقى (۱)عنه، عن ابن فضال، عن على بن عقبه، عن عقبه بن خالد قال: دخلنا على أبى عبد اللّه عليه السّلام أنا و معلى بن خنيس فقال: «يا عقبه لا يقبل اللّه عن العباد يوم القيامه إلاّ هذا الذى أنتم عليه و ما، بين أحدكم و بين أن يرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه هذه، و أومأ بيده إلى الوريد، قال: ثم اتّكأ و غمز إلى المعلّى أن سله فقلت: يا بن رسول اللّه إذا بلغت نفسه هذه فأىّ شىء يرى؟ فردد عليه بضع عشره مرّه (أى شىء يرى) فقال فى كلها: يرى، لا يزيد عليها، ثم جلس فى آخرها فقال: يا عقبه، قلت: لبيك و سعديك. فقال: أبيت إلاّ أن تعلم؟ فقلت: نعم يا بن رسول اللّه إنما دينى مع دمى، فإذا ذهب دمى كان ذلك، و كيف بك يا بن رسول اللّه كل ساعه و بكيت، فرق لى فقال: يراهما و اللّه، قلت: بأبى أنت و أمى من هما؟ فقال: ذاك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على عليه السّلام يا عقبه لن تموت نفس مؤمنه أبدا حتى تراهما، قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن أ يرجع إلى الدنيا؟ قال: لا، بل يمضى أمامه، فقلت له: يقولان شيئا جعلت فداك؟ فقال: نعم

۱- ۱) محاسن البرقى ص ۱۷۵ تحت رقم ۱۰۸.

يدخلان جميعا على المؤمن، فيجلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند رأسه و على عليه السّلام عند رجليه فيكبّ عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيقول: يا ولى اللّه أبشر أنا رسول اللّه، إنى خير لك مما تترك من الدنيا، ثم ينهض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيقدم عليه على (صلوات اللّه عليه) حتى يكبّ عليه فيقول: يا ولى اللّه أبشر أنا على بن أبى طالب الذى كنت تحبّنى أما لأنفعنّك، ثم قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: أما إن هذا فى كتاب اللّه عزّ و جل، قلت: أين هذا جعلت فداك من كتاب اللّه؟ قال: فى سوره يونس قول اللّه تبارك و تعالى هاهنا: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كٰانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ اَلْبُشْرىٰ فِى اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا وَ فِى اَلْآخِرَهِ لاٰ تَبْدِيلَ لِكَلِمٰاتِ اَللّٰهِ ذٰلِكَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (١)» . أقول: و نظير هذه الأحاديث كثيره جدا، فيظهر منها أنه تعالى قد خصّ شيعه على و عباده الصالحين بالسعاده الدنيويه و الأخرويه، بما ذكروا بأنه تعالى لا يقبض روحه إلاّ برضاه، لتكون باختياره محبّا للقاء اللّه تعالى، لأن من كره لقاء اللّه، كره اللّه لقاءه و إنما يفعل اللّه تعالى به ذلك (أى يقبض روحه) برضاه مع حبّه للقاء اللّه تعالى لما ثبت فى محله: أن الروح فى حال النزع إن كانت مع حبّها له تعالى كانت فى نعيم مقيم و سرور و بهجه إلى أن يدخل الجنه، و إن كانت مع كراهتها له تعالى كانت فى عذاب و شده و ضيق، كما علمته من بيان موت عدوّ اللّه تعالى. و لعمرى إن هذه السعاده هى السعاده المنجيه، التى لا يعدلها شيء، حيث يحضر عنده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام و أمير المؤمنين (روحى له الفداء) و يبشرونه بما سمعت، و هذه السعاده إنما هى لمن والاهم و آمن بسرّهم و علانيتهم و أحبّهم، و أقرّ بفضلهم و مقامهم الذى رتبهم اللّه فيه، و جحد أعداءهم و ما يدعون لهم من المقام، و أبغضهم كما لا يخفى، فالمقرون بولايتهم التشريعيه و التكوينيه التى مرّ مرارا بيانهما له هذه السعاده الأبديه.

و أما قوله عليه السّلام: «و هلك من عاداكم»

، أى بالخلود فى النار و بئس المصير، فكل

ص: ٢١١

١- ١) يونس:٦٣-٦۴.

ما کان من السعاده لمن والاهم یکون ضدّه لمن عاداهم من الشقاوه حرفا بحرف، و تقدم ما لأعدائهم من العذاب، کما فی الحدیث المروی فی الکافی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام مضافا إلی أنه ورد فی قوله تعالی: وَ قَدِمْنا إِلیٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً (۱).

فی الکافی عن الصادق علیه السّلام أنه سئل عن هذه الآیه، فقال: «إن کانت أعمالهم لأشدّ بیاضا من القباطی، فیقول اللّٰه عز و جل لها: کونی هباء منثورا و ذلک أنهم کانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه» . و فی روایه لم یدعوه.

و فی المحکی عن البصائر، عن الصادق علیه السّلام أنه سئل أعمال من هذه؟ قال: «أعمال مبغضینا و مبغضی شیعتنا» .

و عن القمی، عن الباقر علیه السّلام قال: «یبعث اللّٰه یوم القیامه قوما بین أیدیهم نور کالقباطی، ثم یقال له: کن هباء منثورا، ثم قال: أما و اللّٰه إنهم کانوا یصومون و یصلون، و لکن کانوا إذا عرض لهم شیء من الحرام أخذوه، و إذا ذکر لهم شیء من فضل أمیر المؤمنین علیه السّلام أنکروه. و الهباء المنثور هو الذی تراه یدخل البیت من الکوه من شعاع الشمس» .

و قوله علیه السّلام: «و خاب من جحدکم»

، أی لم ینل ما طلبه من الثواب و حسن العاقبه، بل خسر و هلک من أجل جحوده ولایتهم و إمامتهم، فهو خسر فی الدنیا و الآخره و فی البرزخ، أما فی الدنیا فلما ورد علی قلوبهم من رین المعصیه و الطبع القلبی حتی لم یوفّقوا إلی الحق لا فی الاعتقاد، و لا فی الأعمال، و لا فی طهاره مولد، و لا برزق حلال، بل ورد علیهم فی جمیع ذلک ظلمات الباطل و الشکوک، کل ذلک لجحودهم ولایه محمد و آله (صلوات اللّٰه علیهم أجمعین) و لإطاعتهم للطاغوت و موالیهم أئمه الکفر.

ص: ۲۱۲

۱- ۱) الفرقان:۲۳.

فالشیطان ولیهم فی الدنیا و الآخره، یخرجهم من النور الذی أتت به الأنبیاء، و أتی به القرآن، و بیّنه الأئمه علیهم السّلام من الدعوه إلی قبول الولایه إلی الظلمات، التی هی ولایه أعدائهم کل ذلک لأجل جحودهم الولایه بعد ظهور الآیات القاطعات الظاهرات ببیان النبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله بنحو حصل لهم الیقین بالحق، و بلزوم قبول ولایه الأئمه علیهم السّلام و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَیْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا (۱)، و الأحادیث الداله علی ما ذکرنا کثیره جدا، و نحن نذکر بعضها لمن أراد التبصر.

ففی ثواب الأعمال و عقاب الأعمال (۲)عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «لو أن کل ملک خلقه اللّه عز و جل، و کل نبی بعثه اللّه، و کل صدیق، و کل شهید شفعوا فی ناصب لنا أهل البیت أن یخرجه اللّه عز و جل من النار ما أخرجه اللّه أبدا، و اللّه عز و جل یقول فی کتابه: مٰاکِثِینَ فِیهِ أَبَداً (۳)» . أقول: الآیه وارده لخلود أهل الجنه و الاستشهاد به إما بلحاظ المعنی أو أنها قریبه المضمون لقوله تعالی حکایه عن مالک جهنم: إنکم ماکثون، أو أنه اشتبه الراوی فی النقل لاقتراب اللفظین فی الاثنین و هو الأظهر.

و فیه (۴)بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبیه، عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إن الجنه تشتاق لأحباء علی علیه السّلام یشتد ضوؤها لأحباء علی علیه السّلام و هم فی الدنیا قبل أن یدخلوها، و إن النار لتغیظ و یشتد زفیرها علی أعداء علی علیه السّلام و هم فی الدنیا قبل أن یدخلوها» .

و فیه (۵)بإسناده عن محمد بن جعفر، عن أبیه علیه السّلام قال: «نزل جبرئیل علیه السّلام علی

۱- ۱) النمل:۱۴.

۲- ۲) ثواب الأعمال. . . ص ۲۴۷.

۳- ۳) الکهف:۳.

۴- ۴) ثواب الأعمال. . . ص ۲۴۷.

۵- ۵) ثواب الأعمال. . . ص ۲۵۰.

النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال: یا محمد السّلام یقرئک السّلام، و یقول: خلقت السموات السبع و ما فیهن و الأرضین السبع و ما علیهن، و ما خلقت موضعا أعظم من الرکن و المقام، و لو أن عبدا دعانی منذ خلقت السموات و الأرضین، ثم لقینی جاحدا لک و) لولایه علی لأکبته فی سقر» . فعلم من هذه الأحادیث و نحوها هلاکهم فی الآخره، و أما هلاکهم فی البرزخ فلما علمت من حدیث أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حال قبض روح الأعداء.

و أما قوله علیه السّلام: «و ضلّ من فارقکم» .

أقول: ضل أی تاه و ضاع و بطل، و الضلاله هو ضد الرشاد، فصاحبها لا یهتدی إلی شیء من الحق لما فارق الأئمه، و ذلک لأن الحق بتمامه و کماله و مراتبه فیهم و منهم و إلیهم، و هم أهله و معدنه، کما سیجیء فی شرح قوله علیه السّلام: «إن ذکر الخیر. . . إلخ» ، فالمفارق لهم کالمتحیر لا یدری أین یذهب فی طریق الحق و تکون أعمالهم أیضا هباء منثورا کما تقدمت الأحادیث الداله علیه. و کیف کان فمن فارقهم فقد هلک هلاک الشقاء أبد الآبدین، و لا یکاد یری السعاده، لأنه فقد کل خیر بترکه لولایه محمد و آله الطاهرین. و قد یقال: معنی ضلّ من فارقکم بترکه متابعتهم، هو بیان حال المستضعفین المفارقین لهم من دون نصب و عناد، فإنهم الضّالون و للّه فیهم المشیه إن یشأ یعذبهم و إن یشأ یعف عنهم کما ورد عنهم. أقول: الظاهر یعمّ هذا: و من فارقهم من عناد بعد ثبوت الحجه علیه کما لا یخفی.

[۳۹]و أما قوله علیه السّلام: «فاز من تمسک بکم» .

اشاره

أی فاز فوزا عظیما، و نال ما أراد من النعیم المقیم بتمسکه و اعتصامه بهم علیهم السّلام و قد مضی فی شرح

قوله علیه السّلام:

«من اعتصم بکم فقد اعتصم باللّه» . ثم إن الفوز أی النجاه من النار و من غضب الجبار، و الظفر بالخیر و السعاده

الأبديه، إنما هو بالتمسك بهم أى بأن يعتقد بولايتهم الخاصه، التى هى التولى بهم، و التبرى من أعدائهم، و هى الراجعه إلى معرفه اللّه سبحانه، و معرفه أوليائه و أنبيائه، و الإيمان بسرهم و علانيتهم، و ما بيّنوه من صفه التوحيد و العدل و النبوه و الإمامه و المعاد، و الصلوه و الزكوه و الحج و الصوم، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و جميع التكاليف الشرعيه و الآداب الإلهيه. فمن تمسك بهذه الأمور كلها من حيث العقائد و الأعمال، فقد فاز بجميع شئون الخير و السعاده، و من قصّر فيما يرجع إلى الأعمال بعد ما اعتقد بما يرجع منها إلى العقائد و الضروريات، فهو من العصاه الذى يرجى فى حقه التوبه و الشفاعه، و هو مع هذا فى خطر عظيم، إذ ربما يؤدى فى المعاصى إلى إنكار ولايتهم عليهم السّلام و العياذ باللّه منه.

و أما قوله عليه السّلام: «و أمن من لجأ إليكم» .

أقول: لجأ إلى الحصن، لجأ بالتحريك مع الهمزه من بابى نفع و تعب، و التجأ إليه أى اعتصم، فالحصن ملجأ (بفتح الجيم) . و يقال: الجأت ظهرى إليك أى اعتمدت فى أمورى إليك، كما يعتمد الإنسان بظهره إلى ما يستند إليه. و الأمن هو الأمان، و الأمنه مصدر آمنت، و الأمنه الذى يثق بكل شىء، و أمن يأمن (بفتح العين) أمنا و آمنا و أمانا و أمنه، اطمأن فهو آمن و أمين و أمن و أمن الأسد سلم أى منه، و الأمان الطمأنينه و العهد و الحمايه و الذمه، و أمن يأمن (بكسر العين) أمنا وثق به و أركن إليه. و حينئذ فمعناه من اعتمد من أموره، أى أمور دينه كله إليكم، و اعتصم بكم فيها فهو أمن، أى دخل فى وثاقكم و عهدكم و حمايتكم و ذمتكم و اطمأن بكم، و سلم مما يكرهه من المعاصى، و من ضررها و عقوباتها و من الخطإ فى الاعتقادات و الجهل و الضلاله، فيها و من تسلط الشيطان عليه فى أن يسلبه الإيمان و التوحيد

و الولایه.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)عن روضه الکافی، عن زید الشحّام قال: دخل قتاده ابن دعامه البصری علی أبی جعفر علیه السّلام و ساق الحدیث. . إلی أن قال علیه السّلام «ویحک یا قتاده ذلک من خرج من بیته بزاد و راحله و کراء حلال یروم هذا البیت عارفا بحقّنا فهو یهوانا قلبه، قال اللّه عز و جل: فَاجْعَلْ أَفْئِدَهً مِنَ اَلنّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ (۲)و لم یعن البیت فیقول: إلیه، فنحن و اللّه دعوه إبراهیم (صلی اللّه علیه) من هوانا قلبه قبلت حجّته و إلاّ فلا یا قتاده فإذا کان کذلک کان آمنا من عذاب جهنم یوم القیامه، قال قتاده: لا جرم و اللّه لا فسّرتها إلاّ هکذا، فقال أبو جعفر علیه السّلام: ویحک یا قتاده إنما یعرف القرآن من خوطب به» . و من المعلوم أن من لجأ إلیهم بأن عرف حقّهم و هواهم بقلبه، فهو لا محاله أمن من عذاب جهنم یوم القیامه، و لا ریب أیضا، أن ولایتهم علیهم السّلام موجبه للأمن من المعاصی الکبیره من مثل الشرک و الضلاله، و الخروج من الدین، بل لو کانت بتمامها موجوده فی أحد لآمنته من جمیع المعاصی کما لا یخفی، و منه یظهر آمنهم من الضلاله فی الاعتقادات علی أن الظاهر منه أن الملتجأ إلیهم أمن من العذاب و سوء العاقبه، و ذلک بتوفیق منه تعالی له للتوبه، و الخروج عما لیس فیه رضاه تعالی.

و أما قوله علیه السّلام: «و سلم من صدّقکم» .

أی و سلم من العذاب و الهلکه من صدّقکم فی إمامتکم و سائر شئونکم، و ببیان آخر: من صدقکم: بأن آمن و قبل ولایتهم الحقیقیه و اعتقد بولایتهم التکوینیه و التشریعیه التی هی منصب إلهی تال لمنصب الرساله الإلهیه، بأن عقد قلبه و فؤاده بالمعرفه بها، و حسن اعتقاده بها، و ثبت علیها قلبا، و أقرّ بها لسانا، و قام عملا بما تقتضیه من الإتیان بجمیع ما أمر اللّه به، و ترک جمیع ما نهاه عنه.

ص:۲۱۶

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۳۲۹.

۲- ۲) إبراهیم:۳۷.

فقوله:

و سلم من صدقكم

، يساوق

قوله:

«سعد من والاكم»

، أی صدق بولایتکم. و لعله إلیه یشیر ما

فی المحکی عن تفسیر العیاشی، عن أبی حمزه الثمالی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قلت: أصلحک اللّه أی شیء إذا عملته استکملت حقیقه الإیمان؟ قال: «توالی أولیاء اللّه محمدا و علیا و فاطمه و الحسن و الحسین و علی بن الحسن ثم انتهی الأمر إلینا، ثم ابنی جعفر و أومأ إلی جعفر و هو جالس، فمن و إلی هؤلاء فقد و إلی أولیاء اللّه، و کان مع الصادقین کما أمره اللّه» الحدیث. و معنی سلم أی سلم فی دینه من جمیع المضار و المکاره الدنیویه و الأخرویه و من العذاب الأخروی و کان من الآمنین یوم القیامه.

و أما قوله علیه السّلام: «و هدی من اعتصم بکم»

، أی إلی طریق النجاه، و لعله إشاره إلی قوله تعالی: وَ اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللّٰهِ (۱)، و قد ورد أن المراد بالحبل الأئمه علیهم السّلام فمن اعتصم بهم، فقد اعتصم بحبل اللّه، و هدی إلی الهدایه الإلهیه، و إلی کل خیر فی الدنیا و الآخره. ثم إن حقیقه الهدایه عامه شامله لجمیع مصادیقها من الوصول إلی أقصی الغایات، التی هی معرفته تبارک و تعالی، و هذه تترتب علی کمیه الاعتصام و کیفیتها، فمن کان اعتصامه بهم علیهم السّلام أشدّ و أقوی، کانت هدایته أحسن و أبلغ إلی جمیع مراتبها، رزقنا اللّه تعالی حقیقه الاعتصام بهم بمحمد و آله الطاهرین.

[۴۰]قوله علیه السّلام: من اتّبعکم فالجنه مأواه، و من خالفکم فالنار مثواه

اشاره

أقول: المأوی: المنزل. و المثوی (بالفتح) : المنزل من ثوی بالمکان یثوی ثواء (بالمد) إذا قام فیه. أقول: کون متابعتهم علیهم السّلام سببا لدخول الجنه، و مخالفتهم سببا لدخول النار، مما

۱- ۱) آل عمران:۱۰۳.

قد أجمعت علیه الأخبار من الطرفین بحد لا یکاد یحصی، و نحن نذکر بعضها، و إن کان قد تقدم کثیر منها، ثم نشیر إلی سرّ هذا الأمر، فنقول:

ففی الشافی عن الکافی، عن النبی صلّی اللّه علیه و آله: «من سرّه أن یحیی حیوتی و یموت میتتی، و یدخل الجنه التی وعدنیها ربی، و یتمسک بقضیب غرسه ربی بیده، فلیتول علی بن أبی طالب، و أوصیاءه من بعده، فإنهم لا یدخلونکم فی باب ضلال، و لا یخرجونکم من باب هدی، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منکم، و إنی سألت ربی أن لا یفرق بینهم و بین الکتاب حتی یردا علیّ الحوض هکذا و ضمّ بین إصبعیه، و عرضه ما بین صنعاء إلی أیله قدحان فضه و ذهب عدد النجوم» .

و فی ثواب الأعمال و عقاب الأعمال (۱)للصدوق رحمه اللّه بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «کل ناصب و إن تعبّد و اجتهد یصیر إلی هذه الآیه: عٰامِلَهٌ نٰاصِبَهٌ. تَصْلیٰ نٰاراً حٰامِیَهً (۲)» .

و فیه (۳)بإسناده عن حنان بن سدیر، عن أبیه قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «إن عدوّ علی علیه السّلام لا یخرج من الدنیا حتی یجرع جرعه من الحمیم، و قال: سواء علی من خالف هذا الأمر صلّی أم زنا» .

و فی حدیث آخر قال الصادق علیه السّلام: «الناصب لنا أهل البیت لا یبالی صام أم صلّی، زنا أم سرق، أنه فی النار أنه فی النار» .

و فی المحکی عن أبی الحسن محمد بن أحمد بن علی بن الحسین بن شاذان فی مناقبه من طرق العامه أن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی أنت أمیر المؤمنین و إمام المتقین، یا علی أنت سید الوصیین، و وارث علم النبیین، و خیر الصدیقین، و أفضل السابقین، یا علی أنت زوج سیده نساء العالمین، و خلیفه خیر

۱- ۱) ثواب الأعمال. . . ص ۲۴۷.

۲- ۲) الغاشیه:۳-۴.

۳- ۳) ثواب الأعمال. . . ص ۲۵۰.

المرسلین، یا علی أنت مولی المؤمنین، یا علی أنت الحجه بعدی علی الناس أجمعین، استوجب الجنه من تولاک، و استحق دخول النار من عاداک. یا علی و الذی بعثنی بالحق بالنبوه و اصطفانی علی جمیع البریه، لو أن عبدا عبد اللّه ألف عام، ما قبل اللّه ذلک منه إلاّ بولایتک، و ولایه الأئمه من ولدک، و إن ولایتک لا یقبلها اللّه إلاّ بالبراءه من أعدائک و أعداء الأئمه من ولدک، بذلک أخبرنی جبرئیل علیه السّلام فمن شاء فلیؤمن و من شاء فلیکفر» .

و فی کتاب طوالع الأنوار عن مناقب ابن شاذان، عن أبی سعید الخدری قال سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: «إذا کان یوم القیامه أمر اللّه ملکین یقعدان علی الصراط، فلا یجوز أحد إلاّ ببراءه علی بن أبی طالب علیه السّلام و من لم یکن له براءه علی أمیر المؤمنین کبه علی منخریه فی النار، و ذلک قوله تعالی: وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ فقلت: فداک أبی و أمّی یا رسول اللّه ما معنی براءه أمیر المؤمنین؟ قال: مکتوب لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب وصی رسول اللّه» .

و فیه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سئل عن قوله تعالی أَلْقِیا فِی جَهَنَّمَ کُلَّ کَفّارٍ عَنِیدٍ (1): «یا علی إذا جمع اللّه الناس یوم القیامه فی صعید واحد، کنت أنا و أنت یومئذ عن یمین العرش، فیقول اللّه تعالی: یا محمد صلّی اللّه علیه و آله و یا علی علیه السّلام قوما و ألقیا من أبغضکما و کذّبکما فی النار» .

و فیه عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إلی أن قال عن اللّه تعالی «و إنی آلیت بعزّتی أن لا أدخل النار أحدا تولاه (یعنی علیا علیه السّلام) و سلّم له و للأوصیاء من بعده، و لا أدخل الجنه من ترک ولایته و التسلیم له و للأوصیاء من بعده، و حقّ القول منّی لأملأن جهنم و أطباقها من أعدائه و لأملأن الجنه من أولیائه و من شیعته» .

۱- ۱) ق:۲۴.

و فی المحکی عن أمالی الطبرسی بإسناده عنه صلّی اللّه علیه و آله أنه قال: «مثل أهل بیتی مثل سفینه نوح من رکبها نجا، و من تخلّف عنها زخّ فی النار» . هذا بعض أحادیث الباب، و هی کثیره جدا کما لا یخفی علی المتتبع،

بقی الکلام فی بیان سرّ هذا الأمر

فنقول أولا:

روی فی بصائر الدرجات فی باب خلق أبدان الأئمه علیهم السّلام بإسناده عن أبی حمزه الثمالی قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن اللّه خلقنا من أعلی علیین، و خلق قلوب شیعتنا مما خلقنا منه، و خلق أبدانهم من دون ذلک، فقلوبهم تهوی إلینا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآیه: کَلاّ إِنَّ کِتابَ اَلْأَبْرارِ لَفِی عِلِّیِّینَ. وَ ما أَدْراکَ ما عِلِّیُّونَ. کِتابٌ مَرْقُومٌ. یَشْهَدُهُ اَلْمُقَرَّبُونَ (١)، و خلق عدونا من سجّین، و خلق قلوب شیعتهم مما خلقهم منه، و أبدانهم من دون ذلک، فقلوبهم تهوی إلیهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآیه: کَلاّ إِنَّ کِتابَ اَلْفُجّارِ لَفِی سِجِّینٍ. وَ ما أَدْراکَ ما سِجِّینٌ. کِتابٌ مَرْقُومٌ (٢)» .

و فیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اللّه خلق المؤمن من طینه الجنه، و خلق الناصب من طینه النار، و قال: إذا أراد اللّه بعبد خیرا طیّب روحه و جسده، فلا یسمع من الخیر إلاّ عرفه، و لا یسمع شیئا من المنکر إلاّ أنکره، قال: و سمعته یقول: الطینات ثلاثه، طینه الأنبیاء و المؤمن من تلک الطینه، إلاّ أن الأنبیاء هم صفوتها، و هم الأصل، و لهم فضلهم، و المؤمنون الفرع من طینه لازب، کذلک لا یفرّق اللّه بینهم و بین شیعتهم، و قال: طینه الناصب من حمإ مسنون، و أما المستضعفون فمن تراب، لا یتحوّل مؤمن عن إیمانه، و لا ناصب عن نصبه، و للّه فیهم المشیه جمیعا» .

و فیه بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبیه، عن جده علیه السّلام قال: قال علی بن الحسین علیه السّلام: «ثم إن اللّه بعث جبرئیل إلی الجنه، فأتاه بطینه من طینتها، و بعث ملک

١- ١) المطففین:١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١.

٢- ٢) المطففین:٧ و ٨ و ٩.

الموت إلى الأرض، فجاء بطينه من طينتها، فجمع الطينتين، ثم قسّمها نصفين، فجعلنا من خير القسمين، و جعل شيعتنا من طينتنا، فما كان من شيعتنا مما يرغب بهم عنه من الأعمال القبيحه، فذاك مما خالطهم من الطينه الخبيثه، و مصيرها إلى الجنه، و ما كان فى عدونا من برّ و صلوه و صوم و من الأعمال الحسنه، فذاك لما خالطهم من طينتنا الطيّبه و مصيرهم إلى النار» .

و فيه فى باب ضلال الذين ضلّوا من أئمه الحق بإسناده عن معلّى بن خنيس، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اَللّٰهِ (1)، من يتخذ دينه رأيه بغير إمام هدى (من اللّه الهدى) الظاهر (من أئمه الهدى) .

و فيه بإسناده عن أبى حمزه الثمالى قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اَللّٰهِ قال: «عنى اللّه بها من اتخذ دينه رأيه من غير إمام من أئمه الهدى» . فالمستفاد من هذه الأحاديث أن من خلق من طينتهم، فلا محاله يتّبعهم فتصير الجنه مأواه، و من خلق من طينه الأعداء، فلا محاله يخالفهم باختياره، فيصير إلى النار. إذ كل شىء يرجع إلى أصله كما حقق فى محله، ثم أنه لما كان فى هذا شبهه الجبر خصوصا بالنسبه إلى المخالفين

فقال عليه السّلام فى ذيل حديث أبى حمزه: «و للّه فيهم المشيه جميعا» ،

و فى بعض الأحاديث الأخر: «و جعل فيهم البداء» . و حاصله: أن المخالفين ليسوا مجبورين فى اختيار الكفر و المعصيه، بل للّه فيهم المشيه، فيمكن فى بعض الظروف و الشرائط أن يختاروا الإيمان و الطاعه، كيف و مطلقات الآيات و الأحاديث الداله على أن من أخذ بالدين و تمسّك به، فهو من الناجين كما دلّ عليه حديث معلى بن خنيس و نحوه، فإنه ظاهر فى أن من اتخذ دينه رأيه، أى اتخذه كذلك بسوء اختياره لا بالجبر كما لا يخفى، و هيهنا أبحاث دقيقه موكوله إلى مظانها.

ص: ۲۲۱

۱- ۱) القصص:۵۰.

[۴۱]قوله علیه السّلام: و من جحدکم کافر، و من حاربکم مشرک، و من ردّ علیکم فی أسفل درک من الجحیم

اشاره

أقول: قال بعض الأعاظم: و قد دلّت أخبار کثیره علی کفر المخالفین، یحتاج جمعها إلی کتاب مفرد، و الجمع بینها و بین ما علم من أحوالهم علیهم السّلام من معاشرتهم و مؤاکلتهم و مجالستهم و مخالطتهم، یقتضی الحکم بکفرهم، و خلودهم فی الآخره فی النار، و جریان حکم الإسلام علیهم فی الدنیا رأفه و رحمه بالطائفه المحقّه، لعدم إمکان الاجتناب عنهم

قال:

«و من حاربهم مشرک باللّه»

،

و قد قال صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی حربک حربی، و من حاربه فقد حارب اللّه تعالی» ، و یجری لآخرهم ما یجری لأولهم، و من رد علیهم شیئا من أقوالهم أو أخبارهم فی أسفل درک من الجحیم. أقول: لا بد من بیان أمور ثلاثه بما لها من الأحکام.

الأول: معنی الجحد و الحکم بأن جاحدهم کافر.

الثانی: معنی المحاربه معهم و الحکم بأن المحارب لهم مشرک. و الثالث: معنی الردّ علیهم و الحکم بأن الرد علیهم فی أسفل درک من الجحیم، أما الأول: فاعلم بأنّ الجحود هو الإنکار مع العلم یقال: جحد حقّه جحدا و جحودا، أی أنکره مع علمه بثبوته، کما فی المجمع و إلیه یشیر قوله تعالی: وَ جَحَدُوا بِها وَ اِسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ (۱)أی جحدوا بالآیات بألسنتهم و استیقنوها فی قلوبهم، و الاستیقان أبلغ من الإیقان، و الکفر ضد الإیمان، و قد کفر باللّه جحد، فالکفر قد فسّر بالجحود، کما أن الجحود من أحد أقسام الکفر.

ففی الشافی عن الکافی قیل للصادق علیه السّلام: أخبرنی عن وجوه الکفر فی کتاب اللّه، قال: «الکفر فی کتاب اللّه تعالی علی خمسه أوجه» : منها: کفر الجحود، و الجحود علی قسمین و الکفر بترک ما أمر اللّه، و کفر البراءه و کفر النعمه، فأما کفر الجحود فهو الجحود بالربوبیه و هو قول من یقول: لا ربّ

۱- ۱) النمل:۱۴.

و لا جنه و هو قول صنف (صنفين خ ل) من الزنادقه يقال لهم: الدهريه، و هم الذين يقولون: و ما يهلكنا إلاّ الدهر، و هو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم على غير تثبت منهم، و لا تحقيق لشىء مما يقولون قال اللّه تعالى: إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ إن ذلك كما يقولون و قال: إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ يعنى بتوحيد اللّه تعالى. فهذا أحد وجوه الكفر، و أما الوجه الآخر من الجحود على معرفه، و هو أن يجحد الجاحد و هو يعلم أنه حق قد استيقن عنده، و قد قال اللّه تعالى: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا الحديث. أقول: قد يقال: إن

قوله عليه السّلام:

«و من جحدكم كافر»

يراد به القسم الثانى من الجحود نظرا إلى ثبوت الأدله الشرعيه القطعيه من الآيات و الأحاديث على ثبوت ولايتهم و إمامتهم، و وجوب إطاعتهم، و تقدمهم على غيرهم فى الوصايه و الخلافه، و سائر شئون الدين من الفريقين بحيث لا يرتاب فيه أحد، و مع ذلك كيف نرى من المخالفين إنكار فضلهم عليهم السّلام و جحد مقام إمامتهم، فالمخالف قد جحد و هو يعلم أن ولايتهم حق، و قد استيقن بها قلبا كما لا يخفى، و هذا الجحد و الإنكار إنما هو من جهه الظلم و العلو و متابعه الهوى، فربما يوافق مع الإقرار بالتوحيد و الرساله إلاّ أنه ينكر الولايه. و الحاصل: أنه جحود للولايه و كفر بها لا للربوبيه، و قد يقال: إن الجاحد لولايتهم كافر بالمعنى الأول، أى يلازم جحد ولايتهم جحد الربوبيه و إنكارها بدعوى أن الإيمان باللّه و بربوبيته و آياته و كتبه و رسله و اليوم الآخر مقرون بالإيمان بهم، فمن لم يؤمن بهم لم يؤمن باللّه و لا بربوبيته و آياته و كتبه و رسله و اليوم الآخر دلّت على هذا نصوص كثيره لا تحصى من الفريقين و من أعدائهم و نحن نشير إلى بعضها.

فمنها

ما رواه فى غایه المرام (۱)عن أمالى ابن بابویه بإسناده عن حذیفه بن أسید الغفارى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله: «یا حذیفه إن حجه اللّه علیک بعدى على بن أبى طالب، الکفر به کفر باللّه، و الشرک به شرک باللّه، و الشکّ فیه شکّ فى اللّه، و الإلحاد فیه إلحاد فى اللّه، و الإنکار له الإنکار للّه، و الإیمان به إیمان باللّه، لأنه أخو رسول اللّه و وصیه و إمام أمته و مولاهم، و هو حبل اللّه المتین و عروته الوثقى التى لا انفصام لها، و سیهلک فیه اثنان و لا ذنب له محب غال و مقصر. یا حذیفه لا تفارقن علیا فتفارقنى، و لا تخالفنّ علیّا فتخالفنى، إن علیا منى و أنا منه من أسخطه فقد أسخطنى، و من أرضاه فقد أرضانى» . أقول: و نظیره کثیر. و منها ما

فى ثواب الأعمال و عقاب الأعمال للصدوق بإسناده عن أبى عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن اللّه تبارک و تعالى جعل علیّا علیه السّلام علما بینه و بین خلقه، لیس بینهم و بینه علم غیره، فمن تبعه کان مؤمنا، و من جحده کان کافرا، و من شک فیه کان مشرکا» .

و فیه بإسناده عن الحسین بن أبى العلاء قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «لو جحد أمیر المؤمنین علیه السّلام جمیع من فى الأرض، لعذّبهم اللّه جمیعا و أدخلهم النار» . رواهما البرقى فى المحاسن أیضا.

و فى المحاسن (۲)بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إذا قدمت الکوفه إن شاء اللّه فارو عنى هذا الحدیث: من شهد أن لا إله إلاّ اللّه وجبت له الجنه، فقلت: جعلت فداک یجیئنى کل صنف من الأصناف فأروى لهم هذا الحدیث؟ قال: نعم، یا أبان بن تغلب إنه إذا کان یوم القیامه جمع اللّه تبارک و تعالى الأولین و الآخرین فى روضه واحده، فیسلب لا إله إلاّ اللّه إلاّ من کان على هذا الأمر» .

۱- ۱) غایه المرام ص ۶۰۶.

۲- ۲) المحاسن ص ۱۸.

و فى المحكى عن مناقب بن شاذان، عن أمير المؤمنين. . . إلى أن قال: عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن اللّه عز و جل. . . إلى أن قال تعالى: و إن لم يشهد أن لا إله إلاّ أنا وحدى أو شهد بذلك، و لم يشهد أن محمدا صلّى اللّه عليه و آله عبدى و رسولى، أو شهد بذلك و لم يشهد أن على بن أبى طالب عليه السّلام خليفتى، أو شهد بذلك و لم يشهد أن الأئمه من ولده حججى، فقد جحد نعمتى، و صغّر عظمتى، و كفر بآياتى و كتبى و رسلى، إن قصدنى حجبته، و إن سألنى حرمته، و إن نادانى لم أسمع نداءه، و إن دعانى لم أستجب دعاءه، و إن رجانى خيّبته، و ذلك جزاؤه منى، و ما أنا بظلام للعبيد» ، الحديث.

و فى بصائر الدرجات عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن ولايتنا عرضت على السموات و الأرض و الجبال و الأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفه» .

و فى الجواهر السنيه فى الأحاديث القدسيه للشيخ الحر العاملى رحمه اللّه عن مناقب الخوارزمى بإسناده عن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «لما خلق آدم، و نفخ فيه من روحه، عطس آدم فقال: الحمد للّه ، فقال اللّه: حمدنى عبدى و عزتى و جلالى لو لا عبدان أريد أن أخلقهما فى دار الدنيا ما خلقتك، قال: يا رب أ يكونان منّى؟ قال: نعم يا آدم ارفع رأسك فانظر، فرفع رأسه فإذا على العرش: لا إله إلاّ اللّه محمد نبى الرحمه و على مقيم الحجه، من عرف حق على زكى و طاب، و من أنكر حقه لعن و خاب، أقسمت بعزتى أدخل الجنه من أطاعه و إن عصانى، و أن أدخل النار من عصاه و إن أطاعنى» .

و فيه ص (۱)عن أبى سليمان عنهم قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «ليله أسرى بى إلى السماء، قال لى الجليل جلّ جلاله: آمَنَ اَلرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ، فقلت: وَ اَلْمُؤْمِنُونَ ، فقال: صدقت يا محمد، من خلفت فى أمتك؟ قلت: خيرها، قال: على بن أبى طالب؟ قلت: نعم يا ربّ، قال يا محمد. . . إلى أن قال تعالى: و عرضت

۱- ۱) الجواهر السنيه. . . ص ۳۱۲.

ولايتكم على أهل السموات و الأرض، فمن قبلها كان عندى من المؤمنين، و من جحدها كان عندى من الكافرين» ، الحديث.

و عن الكافى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن اللّه نصب عليّا علما بينه و بين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، و من أنكره كان كافرا، و من جهله كان ضالاّ، و من نصب معه شيئا كان مشركا، و من جاء بولايته دخل الجنه، و من جاء بعدواته دخل النار» .

و فيه عن أبى إبراهيم عليه السّلام قال: «إن عليا باب من أبواب الجنه، فمن دخل بابه كان مؤمنا، و من خرج من بابه كان كافرا، و من لم يدخل فيه و لم يخرج منه كان فى الطبقه، التى للّه تعالى فيهم المشيه» .

و فى حديث آخر عنه عليه السّلام: «إن عليا باب من أبواب الهدى» . أقول: و هذه الأحاديث صريحه فى أن منكر ولايتهم كان من الكافرين، نعم حكما و فى القيامه، و إنما يعامل معهم بالطهاره تسهيلا للأمه المحقه كما تقدم، و يؤيد هذا بل يدل على كفرهم الباطنى أنه كان الكثير من أعداءهم يصرّحون فى خلواتهم بإنكار البعث و الرساله و الربوبيه. و كيف كان فولايتهم و محبتهم و الاتباع لهم قد جمع فيه جميع أنحاء الإيمان و الإسلام، فلم يخرج عن ولايتهم شىء منهما و هم مبينهما، كما أن عداوتهم و خلافهم قد جمعا جميع أنحاء الكفر و أحواله لا يخرج عنهما شىء منه. بل كما قال بعض الأعاظم: ليس للكفر معنى فى الحقيقه إلاّ عداوتهم و مخالفتهم، لأن العارف بولايتهم يعاين الحق و الباطل و الإيمان و الكفر بنور الولايه فيقبل الإيمان و يجتنب الكفر كما هو المشاهد فلا للّه معصيه إلاّ معصيتهم، و لا طاعه إلاّ طاعتهم، و لا معرفه للّه إلاّ معرفتهم و بسبيل معرفتهم، كل ذلك للعارف بولايتهم كما لا يخفى، ثم إن الكتب قد صرّحت بقضايا عن المخالفين دلّت على كفرهم الباطنى، و لعلنا نذكر بعضها فيما يأتى. ثم أنه قد ثبت فى محله أن الولايه باطن النبوه، و هى مظهر للتوحيد، فالتوحيد

ظاهر فی الولایه و بها، و هی باطن النبوه بمعنی أن النبی لم یأت عنه تعالی إلّا بالولایه، فمقام النبوه الذی هو أعلی المقامات، و صاحبها أقرب الخلق إلیه تعالی، إنما هو متقوّم بالولایه الکلیه الإلهیه، و هی ساریه فیه صلّی اللّه علیه و آله ثم فیهم علیهم السّلام کما لا یخفی. فهذه العناوین الثلاثه مرتبطه کل منها بالآخر ارتباطا ذاتیا، فبفقدان أحدها یفقد الکل، و هذا هو الوجه بسلب التوحید عن منکری الولایه یوم القیامه کما تقدم، و قد تقدم فی صدر الشرح ما یوضح لک هذا فراجعه.

و أما قوله علیه السّلام: «و من حاربکم مشرک» .

أقول: المراد من المحاربه معهم هو أن یشهر السیف لقتالهم علیهم السّلام طاعه لأولیاء الشیطان، و یدخل فیها من أطلق لسانه فی سبّهم و سبّ محبیهم حبّا لأولیاء الشیطان، و بغضا لهم و لأولیاء الرحمن، و من ردّ علیهم أو عارضهم فیما یحکمون به، و ما یأمرون به و ما ینهون عنه کل ذلک بعد ما تبین له هدایتهم علیهم السّلام و بل یمکن أن یقال: دخول من أبغضهم بقلبه لرضا الطواغیت فی المحاربه معهم. ثم إن المراد من الشرک الذی یکون ثابتا لمن حاربهم إما شرک الطاعه أی من حاربهم فقد جعل للّه تعالی شریکا، و هو الطواغیت فی إطاعته تعالی، و إما شرک عباده بأن جعل بذلک شریکا فی المعبودیه، و توضیحه: أن من أطاع النبی و الأئمه فقد أطاع اللّه لقوله تعالی: أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ (۱)المفسّر بهم علیهم السّلام کما تقدم، و لقوله تعالی: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (۲)و هذا بخلاف من حاربهم و أطاع الطواغیت، فإن طاعتهم و حربهم یرجع إلی إنکار ولایه أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام و قد علمت آنفا أن إنکار إمامتهم مساوق لإنکار التوحید و الرساله، فالمحارب لهم منکر معنی لربوبیته تعالی مطلقا، أو موجب لجعل الشریک فی عبادته تعالی، فإن عبادته الخالصه هی ما کانت مع الإقرار بالولایه،

۱- ۱) النساء:۵۹.

۲- ۲) النساء:۸۰.

و أما مع الإنكار، لها، فكأنه عبد اللّه و عبد الطاغوت كما لا يخفى. و أما الأحاديث الداله على أن حربهم حرب الرسول صلّى اللّه عليه و آله كثيره وارده فى متفرقات الأبواب.

ففى غايه المرام (۱)فى حديث طويل عن على عليه السّلام. . . إلى أن قال: و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أ ما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى، سلمك سلمى، و حربك حربى. . . إلخ.

و فى ثواب الأعمال و عقاب الأعمال (۲)بإسناده عن معلى بن الخنيس قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: قال اللّه عز و جل: «ليأذن بحرب منى من أذل عبدى المؤمن، و ليأمن من غضبى من أكرم عبدى المؤمن» . أقول: هذه الجمل الثلاث و إن كانت مشتركه فى أن صاحبها فى الضلاله إلاّ أن الجاحد لهم يكون كافرا بلحاظ الإنكار القلبى، و المحارب يكون مشركا بلحاظ الحرب و المعارضه لهم و الرد عليهم، و إن لم يعمل بعمل من مثل الحرب و السب، بل بمجرد الرد لأقوالهم فهو فى درك الجحيم. ثم إن المراد من الرد ما يعمّ رد ما لا يفهمه فرده بأن نفاه واقعا، و هذا لما علمت من أن ما ورد منهم و اشمأزّت منه القلوب، فلا بد من ردّ علمه إليهم، و ليس لنا إنكاره، فإن الإنكار على حدّ الشرك، و قد تقدمت أحاديثه، و ما كان ثقيلا على نفسه كما إذا تبين حكمهم عليهم السّلام فى بعض الموارد بما لم يعلم وجهه لنا، و كان الحكم ثقيلا، أو تبين له بعض الأمور العظيمه الراجعه إلى ولايتهم المطلقه الصعبه، فردّه كما هو المراءى من المخالفين حيث ينكرون و يردون فضائل الأئمه عليهم السّلام. بل و بعض الناس المنتحلين إلى ولايتهم كما فى زماننا هذا فنراهم، يردون بعض فضائلهم المهمه و ما يرده لشهوه نفسه، كمن غلبت عليه البطاله و الشهوات

ص: ۲۲۸

۱- ۱) غايه المرام ص ۳۵۹.

۲- ۲) ثواب الأعمال. . . ص ۲۸۴.

النفسانیه فرد علیهم ما ثبت له من فضائلهم أو حکما من أحکامهم، و ما کان ردّه علیهم بعد ثبوته له من اللّه تعالی و رسوله صلّی اللّه علیه و آله ظلما و علوا، کما هو شأن أئمه الضلال، الذین هم طلع شجره الزقوم، بل ربما یقال: إن هذا الأمر هو المراد دون السابقه، و لکن الظاهر التعمیم کما لا یخفی. ثم إن المراد من الرد التکذیب، و ترک العمل بما حکموا، و أما الترک بدون التکذیب کما هو شأن فسقه الناس ممن یقبلون قولهم و لا یعملون به، فهو من المعاصی قابل للعفو. و بعباره أخری: فهو من المعاصی فی الفروع لا فی الأصول. أقول:

و فی غایه المرام (۱)فی حدیث الأربعین مما رواه فی أحادیث الغدیر، و هو حدیث طویل و فیه: قال صلّی اللّه علیه و آله: «معاشر الناس سیکون من بعدی أئمه یدعون إلی النار، و یوم القیامه لا ینصرون، إن اللّه و أنا بریئان منهم، معاشر الناس إنهم و أنصارهم و أشیاعهم و أتباعهم فی الدرک الأسفل من النار، و لبئس مثوی المتکبرین» .

بقی هنا شیء و هو بیان المراد من أسفل درک من الجحیم،

فنقول: المستفاد من الأحادیث أن الکائن فی أسفل درک الجحیم إنما هم رءوس أئمه الضلال.

ففی تفسیر البرهان

(۲)

فی ذیل قوله تعالی: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِینَ. لَها سَبْعَهُ أَبْوابٍ لِکُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (۳)بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام عن أبیه، عن جده علیهم السّلام قال: «للنار سبعه أبواب، باب یدخل منه فرعون و هامان و قارون، و باب یدخل منه المشرکون و الکفار ممن لم یؤمن باللّه طرفه عین، و باب یدخل منه بنو أمیه هو لهم خاصه لا یزاحمهم فیه أحد و هو باب لظی، و هو باب

۱- ۱) غایه المرام ص ۹۹.

۲- ۲) تفسیر البرهان ج ۲ ص ۳۴۵.

۳- ۳) الحجر:۴۳ و ۴۴.

سقر و هو باب الهاويه، تهوى بهم سبعين خريفا، فكلما فارت بهم فوره قذف بهم فى أعلاها سبعين خريفا، فلا يزالون هكذا أبدا مخلّدين. و باب يدخل منه مبغضونا و محاربونا، و خاذلونا، و أنه لأعظم الأبواب و أشدّها حرّا، قال محمد بن فضيل الزرقى (راوى الحديث عنه عليه السّلام) : فقلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: الباب الذى ذكرته عن أبيك عن جدك، يدخل منه بنو أميه، يدخل من مات منهم على الشرك، أو من أدرك منهم الإسلام؟ فقال: لا ـ أمّ لك أ لم تسمعه يقول: و باب يدخل منه المشركون و الكفار؟ فهذا الباب يدخل منه كل مشرك و كل كافر لا يؤمن بيوم الحساب، و هذا الباب الآخر يدخل منه بنو أميه، لأنه هو لأبى سفيان و معاويه و آل مروان خاصه يدخلون من ذلك الباب فتحطبهم النار حطبا، لا تسمع لهم فيها واعيه، و لا يحيون فيها و لا يموتون» .

و عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: «يؤتى بجهنم لها سبعه أبواب: بابها الأول للظالم و هو زريق، و بابها الثانى لحبتر، و الباب الثالث للثالث، و الرابع لمعاويه، و الباب الخامس لعبد الملك، و الباب السادس لعسكر بن هوسر، و الباب السابع لأبى سلامه، فهم أبواب لمن تبعهم» أقول: و عسكر بن هوسر كنايه عن بعض خلفاء بنى أميه أو بنى العباس، و كذا أبو سلامه كنايه عن أبى جعفر الدوانيقى، و يحتمل أن يكون عسكر كنايه عن عايشه و ساير أهل الجمل، إذ كان اسم جمل عايشه عسكرا، و روى أنه كان شيطانا، كذا فى ذيل تفسير البرهان. (1)

و فيه (2)ثم قال (أى على بن إبراهيم) : و فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ (3)، «فوقوفهم على الصراط، و أما لها سبعه أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فبلغنى (و اللّه أعلم) إن اللّه جعلها (أقول: لا يخفى أن قوله: أما لها سبعه أبواب، فهو كلام على بن إبراهيم رحمه اللّه عليه، و لذا قال: فبلغنى و اللّه أعلم أن اللّه. . . إلخ، فإن هذا النحو من الكلام ليس من نحو كلام الإمام عليه السّلام فقوله: إن اللّه جعلها. . . إلخ، أول الروايه ينقلها بالمعنى مرسلا كما لا يخفى)

ص: ٢٣٠

١- ١) تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٤٥.

٢- ٢) تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٤٦.

٣- ٣) الحجر:٤٣.

سبع درجات أعلاها الجحيم، يقوم أهلها على الصفا منها تغلى أدمغتهم فيها كغلى القدور بما فيها. و الثانيه لظى نَزّٰاعَةً لِلشَّوىٰ. تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰى. وَ جَمَعَ فَأَوْعىٰ. و الثالثه سقر لاٰ تُبْقِى وَ لاٰ تَذَرُ. لَوّٰاحَةٌ لِلْبَشَرِ. عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ . و الرابعه الحطمه و منها ثبور شرر كالقصر، كأنها جمالات صفر، تدق كل من صار إليها كالكحل (مثل الكحل) فلا تموت الروح كلما صاروا كالكحل (مثل الكحل) عادوا. و الخامسه الهاويه فيها ملك، و يدعون: يا مالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنيه من صفر من نار، فيه صديد ماء يسيل من جلودهم كأنه مهل، و إذا رفعوا ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شده حرّها، و هو قول اللّه: وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغٰاثُوا بِمٰاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى اَلْوُجُوهَ بِئْسَ اَلشَّرٰابُ وَ سٰاءَتْ مُرْتَفَقاً (١)و من هوى فيها هوى سبعين عاما فى النار كلما احترق جلده بدل جلدا غيره. و السادسه هى السعير فيها ثلاثمائه سرادق فى كل سرادق ثلاثمائه قصر من نار، فى كل قصر ثلاثمائه بيت من نار، فى كل بيت ثلاثمائه لون من عذاب النار فيها حيّات من نار، و جوامع من نار، و عقارب من نار، و سلاسل من نار، و أغلال من نار، و هو الذى يقول اللّه: إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ سَلاٰسِلَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِيراً (٢). و السابعه جهنم و فيها الفلق و هو جبّ فى جهنم إذا فتح أسعر النار سعيرا، و هو أشد النار عذابا، و أما صعود فجبل من صفر من نار وسط جهنم، و أما آثام فهو واد من صفر مذاب تجرى حول الجبل فهو أشد النار عذابا» .

و فيه (٣)عن محمد بن يعقوب، و عن ابن بابويه، و نحن نذكر اللفظ للثانى

١- ١) الكهف:٢٩.

٢- ٢) الإنسان:۴.

٣- ٣) تفسير البرهان ج ۴ ص ۴٠٨.

باسناده عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «لما نزلت هذه الآیه: وَ جِیءَ یَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ (۱)سئل عن ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال: أخبرنی الروح الأمین أن اللّه لا إله غیره إذا جمع الأولین و الآخرین، أتی بجهنم تقاد بألف زمام، آخذ کل زمام مائه ألف ملک من الغلاظ الشداد، و لها هدّه و تغیّظ و زفیر، و إنها لتزفر الزفره فلو لا أن اللّه عز و جل أخّرهم إلی الحساب لأهلکت الجمیع، ثم یخرج منها عنق یحیط بالبر و الفاجر، فما خلق اللّه عز و جل عبدا و لا نبیا إلاّ نادی: ربّ نفسی نفسی، و أنت تنادی یا نبی اللّه: أمتی أمتی، ثم یوضع علیها صراط أدق من حدّ السیف (کذا) علیه ثلاث قناطر، أما واحده فعلیها الأمانه و الرحم» الحدیث، و قد تقدم.

و فی البحار عن معانی الأخبار بالإسناد إلی المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إن اللّه خلق الأرواح قبل الأجساد بألفی عام، فجعل أعلاها و أشرفها أرواح محمد و علی و فاطمه و الحسن و الحسین و الأئمه بعدهم (صلوات اللّه علیهم أجمعین) و ساق الحدیث فی قصه آدم و حواء. . . إلی أن قال: قالا: ربنا فأرنا ظالمیهم فی نارک حتی نراها، کما رأینا منزلتهم فی جنتک، فأمر اللّه تبارک و تعالی النار فأبرزت جمیع ما فیها من ألوان النکال و العذاب، و قال اللّه عز و جل مکان الظالمین لهم المدعین لمنزلتهم فی أسفل درک منها: کُلَّما أَرادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْها أُعِیدُوا فِیها » الحدیث.

و فیه (۲)عن الخصال، عن أبی الحسن موسی علیه السّلام فی حدیث طویل یقول فیه: «یا إسحاق إن فی النار لوادیا یقال له: سقر، لم ینفس منذ خلقه اللّه، لو أذن اللّه عز و جل له فی التنفس بقدر مخیط لاحترق ما علی وجه الأرض و إن أهل النار لیعوذون من حرّ ذلک الوادی و نتنه و قذره و ما أعد اللّه فیه لأهله، و إن فی ذلک الوادی لجبلا یتعوّذ جمیع أهل ذلک الوادی من حرّ ذلک الجبل و نتنه و قذره، و ما

۱- ۱) الفجر:۲۳.

۲- ۲) تفسیر البرهان ج ۲ ص ۳۱۱.

أعد اللّه فيه لأهله، و إن فی ذلک الجبل لشعبا يتعوذ جميع أهل ذلک الجبل من حرّ ذلک الشعب و نتنه و قذره و ما أعد اللّه فيه لأهله. و إن فی ذلک الشعب لقليبا يتعوذ جميع أهل ذلک الجبل من حرّ ذلک القليب و نتنه و قذره، و ما أعد اللّه فيه لأهله، و إن فی ذلک القليب لحيّه يتعوذ جميع أهل ذلک القليب من حيث تلک الحيه و نتنها و قذرها، و ما أعد اللّه فی أنيابها من السم لأهلها، و إن فی جوف تلک الحيه لصناديق فيها خمس من الأمم السالفه، و اثنان من هذه الأمه، قال: قلت: جعلت فداک و من الخمسه و من الاثنان؟ قال: فأما الخمسه فقابيل الذی قتل هابيل، و نمرود اَلَّذِی حَاجَّ إِبْرٰاهِيمَ فِی رَبِّهِ فقال: أَنَا أُحْيِی وَ أُمِيتُ ، و فرعون الذی قال: أَنَا رَبُّكُمُ اَلْأَعْلىٰ ، و يهود الذی هوّد اليهود، و بولس الذی نصّر النصاری، و من هذه الأمه الأعرابيان» .

و فيه (1)ص ۳۱۲ عن أمالی الصدوق، عن النبی صلّی اللّه عليه و آله فی سياق قصه يحيی عليه السّلام قال: قال زكريا عليه السّلام: حدثنی جبرئيل عليه السّلام عن اللّه عز و جل: «أن فی جهنم جبلا يقال له السكران، فی أصل ذلک الجبل واد يقال له الغضبان لغضب الرحمن تبارک و تعالی، فی ذلک الوادی جبّ قامته مائه عام، فی ذلک الجب توابيت من نار، فی تلک التوابيت صناديق من نار، و ثياب من نار، و سلاسل من نار و أغلال من نار» .

و فيه عن تفسير فرات بن إبراهيم، محمد بن أحمد معنعنا عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله ذات يوم: «يا علی إن جبرئيل أخبرنی أن أمّتی تغدر بک من بعدی، فويل ثم ويل ثم ويل لهم (ثلاث مرات) قلت: يا رسول اللّه و ما ويل؟ قال: واد فی جهنم أكثر أهله معادوک، و القاتلون لذريتک، و الناكثون لبيعتک، فطوبی ثم طوبی ثم طوبی (ثلاث مرات) لمن أحبّک و والاک، قلت: يا رسول اللّه و ما طوبی؟ قال: شجره فی دارک فی الجنه، ليس دار من دور شيعتک فی الجنه إلاّ و فيها غصن

۱- ۱) تفسير البرهان ج ۲ ص ۳۱۲.

من تلک الشجره، تهدل علیهم بکل ما یشتهون» ، أی ترسل و ترخی علیهم. أقول: هذا بعض الأحادیث فی بیان طبقات جهنم و بیان الأسفل منها، و هناک أحادیث أخر فی بیان درجات النار و درکاتها، و فیها اختلاف فی البیان فلبیانها و الجمع بینها مقام آخر. و کیف کان فالمراد من الذین ردّ علیهم أئمه الضلال و اتباعهم و إن کان ظاهر بعض الأحادیث أن الأسفل منها لأئمه الضلال کما لا یخفی، ثم إن الظاهر من الأسفل هو ما کان أنزل درکاتها، إما بلحاظ المکان المستلزم لشده العذاب، و إما بلحاظ کیفیه العذاب. و بعباره أخری: لیس للمکان من حیث هو هو دخل فی شده العذاب إلّا بلحاظ الضیق و البعد، و هما یرجعان إلی أشده بلحاظ الکیف، فحقیقه الأسفلیه لها تتحقق بشده کیفیه العذاب، کما هو ظاهر من بعض تعابیر الأحادیث. ثم إن الوجه فی کونهم فی أسفل درک من الجحیم أنهم بعد ما بیّن لهم الرسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله الحق و أنه فی ولایتهم علیهم السّلام بأحسن البیان و التوضیح بما لا مزید علیه، و بحیث انقطع عنهم العذر فی ترکه، و مع هذا قابلوه بالإنکار و الجحود و العداوه الشدیده، و سعوا غایه جهدهم فی أذی أهل بیته بما لا یقدر علی مثله أحد من المنافقین و المشرکین و الکافرین، بل نقول: إن أئمه الجور و أتباعهم المخصوصین بهم قد أسّسوا الشبهات و العناد و الجحود للحق لجمیع الخلق، ممن کان من زمانهم أو یکون إلی یوم القیامه. أسّسوا ذلک ببدعهم و صفاتهم الرذیله القائمه بأحقادهم الباطنیه لمحمد و آله الطاهرین، و ببطلانهم و بعدهم عن الحق و الحقیقه، فثمرات نفاقهم و کفرهم و شرکهم و عداوتهم باقیه فی قلوب أتباعهم إلی یوم القیامه، فأتباعهم معذبون بإضلالهم و هم (أی أئمه الضلال) معذبون بقدر عذاب أتباعهم، مع ما لهم من العذاب، وَ لَیَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَیُسْئَلُنَّ یَوْمَ الْقِیامَهِ عَمّا کانُوا یَفْتَرُونَ (1).

1- 1) العنکبوت:۱۳.

و قد دلّت أحاديث كثيره على هذا منها: ما فى تفسير البرهان (۱)على بن إبراهيم، قال اللّه عز و جل: لِيَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ كٰامِلَةً الآيه، قال: قال: يحملون آثامهم، يعنى الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السّلام و آثام كل من اقتدى بهم و هو

قول الصادق عليه السّلام: «و اللّه ما اهرقت محجمه من دم، و لا قرع عصا بعصا، و لا غصب فرج حرام، و لا أخذ مال من غير حله إلّا وزر ذلك لفى أعناقهما، من غير أن ينقص من أوزار العاملين شىء» .

و فيه بإسناده عن الكميت بن زيد الأسدى قال: دخلت على أبى جعفر عليه السّلام فقال: «و اللّه يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، و لكن لك ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لحسان بن ثابت: لن يزال معك روح القدس ما دمت منّا (ما ذبيت عنا، خ) قال: قلت: أخبرنى عن الرجلين؟ قال: فأخذ الوساده فكسرها فى صدره، ثم قال: يا كميت ما أهرق محجمه من دم، و لا أخذ مال من غير حلّه، و لا قلب حجر عن حجر إلّا ذاك فى أعناقهما» . و مثله أخبار أخر كثيره كما لا يخفى.

[۴۲]قوله عليه السّلام: أشهد أن هذا سابق لكم فيما مضى، و جار لكم فيما بقى

قال بعض الأعلام: أى جار لكم فيمن مضى و تقدم منكم، و جار لكم فيما بقى منكم، قال: و ما تستعمل فى أولى العقول كثيرا، و المعنى سابق لكم فيما مضى من الأزمنه السالفه أو الكتب المتقدمه، و جار لكم فيما بقى منها. و قال بعضهم: أشهد أن هذا أى وجوب متابعتكم، أو كل واحد من المذكورات فى الزياره سابقا لكم فيما مضى من الأئمه أو فى الكتب المتقدمه. و قال بعضهم: هذه إشاره إلى ما شهد به من أول الزياره إلى هنا، يعنى أن ما

۱- ۱) تفسير البرهان ج ۲ ص ۳۶۴.

شهدت إنما هى لكم من أول ما خلقكم إلى ما شاء اللّه تعالى إلى الأبد من غير اختصاص بعالم دون عالم، أو زمان دون زمان، بل لازم لذواتكم من بدو خلقكم و إبداء أنواركم. أقول: إن ما ذكر فى الزياره من الجمل، إنما هو بيان لشئون ولايتهم المطلقه الإلهيه تشريعيه أو تكوينيه، و لا ريب، أنها ثابته لهم من حيث إن أرواحهم، التى هى مظهر لجماله و جلاله، و هى محطّ لتلك الشئون الإلهيه، و لا ريب فى أن تلك الشئون ثابته لهم بلحاظ حقيقتهم، و هى خارجه عن الزمان و المكان، فلا محاله تكون تلك ثابته لهم فى جميع الأزمنه و الدهور، لا تختص لهم بزمان دون زمان لعدم دخالته فيها نفيا و إثباتا، و أيضا إن تلك الشئون لما كانت لحقيقه أنفسهم الطاهره بلحاظ اشتمالها للروح القدسى كما تقدم، فمهما ظهرت تلك الروح القدسى فلا محاله ثبتت تلك الآثار و الشئون الإلهيه، فلا محاله حينئذ لا تختص بواحد منهم بل تعمّ جميعهم عليهم السّلام فى حال ظهور الروح القدسى فيهم كما يظهر ذلك من أخبار كثيره. فمنها ما

فى البحار (۱)عن أمالى ابن الشيخ بإسناده عن سعيد الأعرج قال: دخلت أنا و سليمان بن خالد على أبى عبد اللّه جعفر بن محمد عليه السّلام فابتدانى فقال: «يا سليمان ما جاء عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام يؤخذ به، و ما نهى عنه ينهى عنه، جرى له من الفضل ما جرى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لرسوله الفضل على جميع من خلق اللّه، العائب على أمير المؤمنين فى شىء كالعائب على اللّه و على رسوله صلّى اللّه عليه و آله و الراد عليه فى صغير أو كبير على حدّ الشرك باللّه. كان أمير المؤمنين عليه السّلام باب اللّه الذى لا يؤتى إلاّ منه، و سبيله الذى من تمسّك بغيره هلك، كذلك جرى حكم الأئمه عليهم السّلام من فوق الأرض و من تحت الثرى، أ ما علمت أن أمير المؤمنين عليه السّلام كان يقول: أنا قسيم اللّه بين الجنه و النار، و أنا الفاروق الأكبر (و أنا الصادق الأكبر خ ل) و أنا صاحب العصا و الميسم، و لقد أقرّ لى جميع

ص: ۲۳۶

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۵۲.

الملائكه و الروح بمثل ما أقرّوا لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و لقد حملت مثل حموله محمد، و هو حموله الرب، و إن محمدا صلّى اللّه عليه و آله يدعى فيكسى فيستنطق فينطق، و أدعى فاكسى و استنطق فأنطق، و لقد أعطيت خصالا لم يعطها أحد قبلى، علمت البلايا و القضايا و فصل الخطاب» . أقول: المستفاد منه أن مقامهم عليهم السّلام مقامه صلّى اللّه عليه و آله فى وجوب الإطاعه لهم فى جميع الأمور و الإقرار بفضلهم عليهم السّلام و ذلك لأنهم كمحمد صلّى اللّه عليه و آله فى كونهم حملوا حموله الرب، و لعمرى إن هذا هو السرّ فى كونهم كمحمد صلّى اللّه عليه و آله فى تلك الشئون كما لا يخفى.

و فيه (۱)عن قرب الإسناد، ابن عيسى، عن البزنطى، عن الرضا أنه عليه السّلام كتب إليه: قال أبو جعفر عليه السّلام: «لا يستكمل عبد الإيمان حتى يعرف أنه يجرى لآخرهم ما يجرى لأولهم فى الحجه و الطاعه، و الحلال و الحرام سواء، و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السّلام فضلهما» ، الخبر.

و فيه (۲)عن إكمال الدين بإسناده عن الثمالى، عن أبى جعفر، عن أبيه عن جده الحسين (صلوات اللّه عليهم) قال: دخلت أنا و أخى على جدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فأجلسنى على فخذه. و أجلس أخى الحسن على فخذه الآخر، ثم قبّلنا و قال: «بأبى أنتما من إمامين سبطين اختاركما اللّه منى و من أبيكما و من أمكما، و اختار من صلبك يا حسين تسعه أئمه تاسعهم قائمهم، و كلهم فى الفضل و المنزله سواء عند اللّه تعالى» .

و فيه (۳)عن بصائر الدرجات بإسناده عن الحارث النظرى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: «رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و نحن فى الأمر و النهى و الحلال و الحرام نجرى مجرى واحد، فأما رسول اللّه و على (عليهما و آلهما السّلام) فلهما فضلهما» .

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۵۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۳۵۶.

۳- ۳) البحار ج ۲۵ ص ۳۵۷.

و فی حدیث آخر بعده عن أبی الحسن علیه السّلام قال: «نحن فی العلم و الشجاعه سواء، و فی العطایا علی قدر ما نؤمر» .

و فیه (۱)عن کتاب المحتضر، و منه عن زید الشحام قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: أیّما فضل الحسن علیه السّلام أم الحسین علیه السّلام؟ فقال: «إن فضل أولنا یلحق بفضل آخرنا، و فضل آخرنا یلحق بفضل أولنا، و کل له فضل، قال: قلت له: جعلت فداک وسّع علیّ فی الجواب، فإنی و اللّه ما سألتک إلا مرتادا (أی طالبا لمعرفتکم) فقال: نحن من شجره طیبه، برأنا اللّه من طینه واحده، فضلنا من اللّه، و علمنا من عند اللّه، و نحن أمناؤه علی خلقه، و الدعاه إلی دینه، و الحجاب فیما بینه و بین خلقه، أزیدک یا زید؟ فقلت: نعم. فقال: خلقنا واحد، و علمنا واحد، و فضلنا واحد، و کلنا واحد عند اللّه تعالی، فقال: أخبرنی بعدّتکم؟ فقال: نحن اثنا عشر هکذا حول عرش ربنا عز و جل فی مبتدإ خلقنا، أولنا محمد صلّی اللّه علیه و آله و أوسطنا محمد صلّی اللّه علیه و آله و آخرنا محمد صلّی اللّه علیه و آله» . أقول: هذا الحدیث الشریف أوضح التسویه بما لا مزید علیه و بما هو وجه لها، و نحن نسأل اللّه تعالی التوفیق لإطاعتهم، و المشی فی صراطهم بحقهم، و الحشر معهم یوم القیامه بمحمد و آله الطاهرین.

[۴۳]قوله علیه السّلام: و إن أرواحکم و نورکم و طینتکم واحده، طابت و طهرت، بعضها من بعض.

اشاره

أقول: الروح هو ما یشیر الإنسان بقوله: أنا، أعنی النفس الناطقه المستعده ببیان و فهم الخطاب، و لا تفنی بفناء الجسد، و إنه جوهر لا عرض، و هی المعنی فی القرآن و الحدیث، و قد تحیر العقلاء فی حقیقتها، و اعترف کثیر بالعجز عن معرفتها

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۶۳.

حتی قیل: إن

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» ، معناه أنه کما لا یمکن التوصل إلی معرفه النفس، لا یمکن التوصل إلی معرفه الرب، و مما یعضد هذا قیل: قوله تعالی: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی (1)و کیف کان فهی غیر داخله فی البدن بالجزئیه و الحلول، بل هی منزهه عن صفات الجسمیه متعلق بالجسم تعلق التدبیر و التصرف فقط. و قال بعض الأعلام ما حاصله: أن حقیقه الإنسان هو جوهره لطیفه ملکوتیه، و هی تستخدم هذا البدن الجسمانی فی حاجاته مسخّرا له تسخیر المولی لخدمه، و هی روح لتوقف حیاه البدن علیه، و قلب لتقلبه فی الخواطر، و عقل لاکتسابه العلوم و اتصافه بالمدرکات. أقول: فروح کل أحد ما هو حقیقته الأولیه، التی خلقها اللّه تعالی، و هی منشأ و مأوی للکمالات، و حینئذ نقول: المراد من أرواحهم (و اللّه و رسوله و الأئمه علیهم السّلام أعلم) هو الروح القدسی أو هو مع سایر أرواحهم.

ففی بصائر الدرجات (2)بإسناده عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال: «یا جابر إن فی الأنبیاء و الأوصیاء خمسه أرواح: روح القدس و روح الإیمان و روح الحیوه و روح القوّه و روح الشهوه، فبروح القدس یا جابر علمنا (عرفوا) ما تحت العرش إلی ما تحت الثری، ثم قال: یا جابر إن هذه الأرواح یصیبه الحدثان إلاّ أن روح القدس لا یلهو و لا یلعب» .

و فیه (3)بإسناده عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه تبارک و تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا مٰا کُنْتَ تَدْرِی مَا اَلْکِتٰابُ وَ لاَ اَلْإِیمٰانُ؟ (4)قال: «خلق من خلق اللّه أعظم من جبرئیل و میکائیل، کان مع

۱- ۱) الإسراء:۸۵.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۴۷.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۴۵۵.

۴- ۴) الشوری:۵۲.

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یخبره و یسدده و هو مع الأئمه علیهم السّلام من بعده» . أقول: فلهم علیهم السّلام روح القدس کالأنبیاء، بل لهم بنحو الأتم الأکمل. ثم إن المراد من نورکم هو الروح و یکون تفسیرا له، کما سیجیء من أنه تعالی خلقهم من نوره، أو النور الذی یکون لهم کالعمود، فیرون به جمیع الأمور، و یعلمون به جمیع الأشیاء.

ففیه (۱)بإسناده عن إسحاق الحریری قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فسمعته و هو یقول: «إن للّه عمودا من نور، حجبه اللّه عن جمیع الخلائق، طرفه عند اللّه و طرفه الآخر فی أذن الإمام، فإذا أراد اللّه شیئا أوحاه فی أذن الإمام» .

و فیه بإسناده عن أبی حمزه الثمالی قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن الإمام منا یسمع الکلام فی بطن أمه حتی إذا سقط علی الأرض، أتاه ملک فیکتب علی عضده الأیمن: وَ تَمَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِکَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ ، حتی إذا شبّ رفع اللّه له عمودا من نور یری فیه الدنیا و ما فیها، لا یستر عنه منها شیء» . و مثله کثیر بألسنه مختلفه. فالمستفاد منها أن المراد من أرواحهم أی حقیقتهم، التی بها حیاتهم فی عوالمهم واحده و من نورهم هو إما عالم عقلهم حیث یراد من العقل فی الأحادیث کما فسّر

قوله صلّی اللّه علیه و آله: «أول ما خلق اللّه نوری» ،

بقوله صلّی اللّه علیه و آله: «أول ما خلق اللّه العقل» ، أو یراد من نورهم ذلک العمود النورانی المذکور فی الأحادیث، و هو الموهوب لهم منه تعالی، فتکون حینئذ الإضافه فی أرواحکم بیانیه، و فی أنوارکم لامیّه کما لا یخفی.

و أما قوله: «طینتکم»

، ففی المجمع: و الطینه: الخلقه، و طانه اللّه علی الخیر جبله علیه.

و فیه (۲)بإسناده عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام قال: «إن اللّه خلق محمدا من

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۳۹.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۱۴.

طینه من جوهره تحت العرش، و إنه کان لطینته نضج، فجبّل طینه أمیر المؤمنین علیه السّلام من نضج طینه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کان لطینه أمیر المؤمنین علیه السّلام نضج، فجبل طینتنا من فضل طینه أمیر المؤمنین علیه السّلام و کانت لطینتنا نضج، فجبل طینه شیعتنا من نضج طینتنا، فقلوبهم تحن إلینا، و قلوبنا تعطف علیهم تعطف الوالد، علی الولد و نحن خیر لهم، و هم خیر لنا، و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لنا خیر، و نحن له خیر» . أقول: فی المجمع: و الجبّل (بکسر الجیم و تشدید الباء) الخلق. قیل: و المراد من النضج: الجزء کالفضل المستعمل فی الجزء فی

قولهم علیهم السّلام: «خلقوا من فاضل طینتنا» . و کیف کان فهذه الجمل تشیر إلی حقیقه الروحیه و النوریه، و إلی عالم مثالهم المعبر عنه بالطینه، أو إلی عالم أجسامهم، و تشیر إلی أن عالمهم المثالی هو العالم الذی منه خلق أرواح شیعتهم.

ففی بصائر الدرجات (۱)عن جابر الجعفی قال: کنت مع محمد بن علی علیه السّلام فقال علیه السّلام: «یا جابر خلقنا نحن و محبینا (محبونا ظ) من طینه واحده، بیضاء نقیه من أعلی علیین، فخلقنا نحن من أعلاها، و خلق محبونا من دونها، فإذا کان یوم القیامه التقّت العلیا بالسفلی، و إذا کان یوم القیامه ضربنا بأیدینا إلی حجزه نبینا، و ضرب أشیاعنا بأیدیهم إلی حجزتنا، فأین تری یصیّر اللّه نبیه و ذریته، و أین تری یصیر ذریته محبیها؟ فضرب جابر یده علی یده فقال: دخلناها و ربّ الکعبه ثلاثا» .

و فیه (۲)عن محمد بن مروان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «خلقنا من نور عظمته، ثم صوّر خلقنا من طینه مخزونه مکنونه من تحت العرش، فأسکن ذلک النور فیه، فکنا نحن خلقا (خلقنا و بشرا) نورانیین، لم یجعل لأحد فی مثل الذی خلقنا منه نصیبا، و خلق أرواح شیعتنا من أبداننا (من طینتنا خ) و أبدانهم من طینه

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۶.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۲۰.

مخزونه مکنونه أسفل من تلک الطینه، و لم یجعل اللّه لأحد فی مثل ذلک الذی خلقهم منه نصیبا إلاّ للأنبیاء و المرسلین، فلذلک صرنا نحن و هم الناس، و صار سائر الناس همجا فی النار و إلی النار» . أقول: فهذا الحدیث الشریف بیّن أنّ حقیقتهم النورانیه و أرواحهم، إنما هی من نور عظمته تعالی، و أما طینتهم التی هی عباره عن عالمهم المثالی، فهی من طینه مخزونه من تحت العرش، ثم إنه تعالی جعل ذلک النور فی الصوره المخلوقه من تلک الطینه العرشیه، و لم یشارکهم فی هذه الخلقه أحد، ثم إنه تعالی خلق أرواح الشیعه من أبدانهم أی من تلک الطینه المخلوقه منها أمثالهم الشریفه. ثم إن المستفاد من

قوله علیه السّلام: «إلاّ الأنبیاء» ، أنهم (أی الأنبیاء) لم یکونوا فی مرتبتهم الروحیه و النوریه، بل هم فی مرتبه خلق شیعتهم کما لا یخفی، و کفی بهذا شرفا لهم علیهم السّلام و لشیعتهم، ثم إن

قوله علیه السّلام: «واحده» ، تشیر إلی أن أرواحهم فی عالم الأرواح واحده، و أنوارهم فی عالم النورانیه و أمثالهم و أجسامهم فی عالمها واحده. و الحاصل: أنهم علیهم السّلام فی کل مرتبه من مراتب الخلقه متحدون فی تلک المرتبه، لا یتفاضل بعضهم علی بعض، یدل علی هذا عده من الأحادیث نحن نذکر بعضها تیمنا و تبرکا.

ففی البحار (۱)عن کنز الفوائد: روی الصدوق رحمه اللّه فی کتاب المعراج عن رجاله إلی ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو یخاطب علیا علیه السّلام و یقول : «یا علی إن اللّه تبارک و تعالی کان و لا شیء معه، فخلقنی و خلقک روحین من نور جلاله، فکنّا أمام عرش ربّ العالمین نسبح اللّه و نقدسه و نحمده و نهلله، و ذلک قبل أن یخلق السموات و الأرضین، فلما أراد أن یخلق آدم خلقنی و إیاک من طینه واحده من طینه علیین، و عجننا بذلک النور، و غمسنا فی جمیع الأنوار و أنهار الجنه.

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳.

ثم خلق آدم و استودع صلبه تلک الطينه و النور، فلما خلقه استخرج ذريته من ظهره، فاستنطقهم و قررهم بالربوبيه، فأول خلق إقرارا بالربوبيه أنا و أنت و النبيون على قدر منازلهم و قربهم من اللّه عز و جل، فقال اللّه تبارک و تعالى: صدقتما و أقررتما يا محمد و يا على و ستقيما خلقى إلى طاعتى، و كذلک كنتما فى سابق علمى فيكما، فأنتما صفوتى من خلقى و الأئمه من ذريتكما و شيعتكما، و كذلک خلقتكم. ثم قال النبى صلّى اللّه عليه و آله: يا على فكانت الطينه فى صلب آدم، و نورى و نورک بين عينيه، فما زال ذلک النور ينتقل بين أعين النبيين و المنتجبين حتى وصل النور و الطينه إلى صلب عبد المطلب، فافترق نصفين، فخلقنى اللّه من نصفه، و اتخذنى نبيّا و رسولا، و خلقک من النصف الآخر فاتخذک خليفه (على خلقه) و وصيا و وليا، فلما كنت من عظمه ربى كقاب قوسين أو أدنى قال لى: يا محمد من أطوع خلقى لک؟ فقلت: على بن أبى طالب عليه السّلام فقال عز و جل: فاتخذه خليفه و وصيا، فقد اتخذته صفيا و وليا، يا محمد كتب اسمک و اسمه على عرشى من قبل أن أخلق الجنه محبه منى لكما، و لمن أحبّكما و تولاّكما و أطاعكما. فمن أحبكما و أطاعكما و تولاّكما كان عندى من المقربين، و من جحد ولايتكما، و عدل عنكما كان عندى من الكافرين الضالين، ثم قال النبى صلّى اللّه عليه و آله: يا على فمن ذا يلج بينى و بينک، و أنا و أنت من نور واحد و طينه واحده، فأنت أحق الناس بى فى الدنيا و الآخره، و ولدک ولدى، و شيعتكم شيعتى، و أولياؤكم أوليائى، و أنتم معى غدا فى الجنه» .

و فيه البحار (۱)و مما رواه من كتاب منهج التحقيق بإسناده عن محمد بن الحسين، رفعه عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: «إن اللّه تعالى خلق أربعه عشر نورا من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعه عشر ألف عام

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۴.

فهی أرواحنا، فقیل له: یا بن رسول اللّه عدّهم بأسمائهم، فمن هؤلاء الأربعه عشر نورا؟ فقال: محمد و علی و فاطمه و الحسن و الحسین و تسعه من ولد الحسین علیهم السّلام و تاسعهم قائمهم، ثم عدّهم بأسمائهم، ثم قال: نحن و اللّه الأوصیاء الخلفاء من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و نحن المثانی التی أعطاها اللّه نبیّنا، و نحن شجره النبوه، و منبت الرحمه، و معدن الحکمه، و مصابیح العلم، و موضع الرساله، و مختلف الملائکه، و موضع سرّ اللّه، و ودیعه اللّه جلّ اسمه فی عباده، و حرم اللّه الأکبر و عهده المسئول عنه. فمن وفی بعهدنا، فقد وفی بعهد اللّه، و من خفره (۱)فقد خفر ذمه اللّه و عهده، عرفنا من عرفنا، و جهلنا من جهلنا، نحن الأسماء الحسنی، التی لا یقبل اللّه من العباد عملا إلّا بمعرفتنا، و نحن و اللّه الکلمات التی تلقاها آدم من ربه فتاب علیه، إن اللّه تعالی خلقنا فأحسن خلقنا، و صورنا فأحسن صورنا، و جعلنا عینه علی عباده، و لسانه الناطق فی خلقه، و یده المبسوطه علیهم بالرأفه و الرحمه، و وجهه الذی یؤتی منه، و بابه الذی یدل علیه، و خزان علمه، و تراجمه وحیه، و أعلام دینه، و العروه الوثقی، و الدلیل الواضح لمن اهتدی. و بنا أثمرت الأشجار و أینعت الثمار، و جرت الأنهار، و نزل الغیث من السماء، و نبت عشب الأرض، و بعبادتنا عبد اللّه، و لولانا ما عرف اللّه، و أیم اللّه لو لا وصیّه سبقت، و عهد أخذ علینا، لقلت قولا یعجب منه أو یذهل منه الأولون و الآخرون» . أقول: هذا ظاهر فی خلق الطینه المتعلقه بعالم المثال لهم، أو خلق أبدانهم علیهم السّلام کما لا یخفی.

و فیه (۲)عن کمال الدین، عن أبی حمزه الثمالی، قال: سمعت علی بن الحسین علیه السّلام یقول: «إن اللّه عز و جل خلق محمدا و علیا و الأئمه الأحد عشر من نور عظمته أرواحا فی ضیاء نوره، یعبدونه قبل خلق الخلق، یسبّحون اللّه عز و جل،

۱- ۱) قوله علیه السّلام: خفره، أی نقضه.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۱۵.

و يقدسونه، و هم الأئمه الهاديه من آل محمد (صلوات اللّه عليهم أجمعين) .

و أما قوله عليه السّلام: «طابت و طهرت بعضها من بعض» .

أقول: هذه الجمله لعلها تشير إلى أمرين: الأول: تشير إلى أن تناسلهم عن آبائهم كان طيبا طاهرا، بأن كان عن نكاح صحيح دون السفاح، أو وقوع النكاح بدون الشرط اللازم، و أيضا كان التناسل من آباء و أمهات مؤمنين و مؤمنات لا غيرهم، كما دلّت عليه أخبار كثيره من أنهم عليهم السّلام كان تناسلهم من أصلاب النبيين عليهم السّلام.

ففى تفسير البرهان (1)على بن جعفر بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

اَلَّذِی یَراکَ حِینَ تَقُومُ. وَ تَقَلُّبَکَ فِی اَلسّاجِدِینَ ، قال: فى أصلاب النبيين عليهم السّلام» .

و فيه عن أبى ذر رحمه اللّه قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. . . إلى أن قال صلّى اللّه عليه و آله: «فلم يزل ينقلنا اللّه عز و جل من أصلاب طاهره إلى أرحام طاهره حتى انتهى إلى عبد المطلب، فقسّمنا نصفين، فجعلنى فى صلب عبد اللّه، و جعل عليا عليه السّلام فى صلب أبى طالب، و جعل فىّ النبوه و البركه، و جعل فى على الفصاحه و الفروسيه، و شقّ لنا اسمين من أسمائه فذو العرش محمود و أنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و اللّه الأعلى و هذا على عليه السّلام» .

و فيه (2)عن محمد بن العباس بإسناده عن أبى الجارود قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَ تَقَلُّبَکَ فِی اَلسّاجِدِینَ (3)قال: «يرى تقلّبه فى أصلاب النبيين من نبى إلى نبى، حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السّلام» .

و فيه عنه، عن الشيخ أبى محمد الفضل بن شاذان بإسناده، عن جابر بن يزيد الجعفى، عن الإمام العالم موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام قال: «إن اللّه تبارك و تعالى

۱- ۱) تفسير البرهان ج ۳ ص ۱۹۲.

۲- ۲) تفسير البرهان ج ۳ ص ۱۹۳.

۳- ۳) الشعراء:۲۱۹.

خلق نور محمد صلّى اللّه عليه و آله من نور اخترعه من نور عظمته و جلاله، و هو نور لاهوتيه الذى بدا منه، و تجلّى لموسى بن عمران لطلب رؤيته، فما ثبت و لا استقر، و لا طاقه له لرؤيته حتى خرّ صعقا مغشيا عليه، و كان ذلک النور نور محمد صلّى اللّه عليه و آله فلما أراد أن يخلق محمدا صلّى اللّه عليه و آله منه، قسّم ذلک النور شطرين، فخلق من الشطر الأول محمدا صلّى اللّه عليه و آله و من الشطر الآخر على بن أبى طالب عليه السّلام و لم يخلق من ذلک النور غيرهما. خلقهما بيده، و نفخ فيهما بنفسه لنفسه، و صوّرهما على صورتهما، و جعلهما أمناء له، و شهداء على خلقه، و خليفته على خليقته، و عينا له عليهم، و لسانا له إليهم، قد استودع فيهما علمه، و علّمهما البيان، و استطلعهما على غيبه، و جعل أحدهما نفسه و الآخر روحه، و لا يقوم واحد بغير صاحبه، ظاهرهما بشريه، و باطنهما لاهوتيه، ظهر للخلق على هياكل الناسوتيه حتى يطيقوا رؤيتهما، و هو قوله تعالى وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ مٰا يَلْبِسُونَ (۱)فهما مقاما ربّ العالمين، و حجابا خالق الخلائق أجمعين، بهما فتح بدء الخلق، و بهما يختم الملک و المقادير. ثم اقتبس من نور محمد فاطمه ابنته عليها السّلام كما اقتبس نوره من نوره، و اقتبس من نور فاطمه و على و الحسن و الحسين عليهم السّلام كاقتباس المصابيح، هم خلقوا من الأنوار، و انتقلوا من ظهر إلى ظهر، و من صلب إلى صلب، و من رحم إلى رحم فى الطبقه العليا من غير نجاسه، بل نقلا بعد نقل، لا أنه من ماء مهين، و لا نطفه جشره كسائر خلقه، بل أنوار انتقلوا من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، لأنهم صفوه الصفوه، اصطفاهم لنفسهم، و جعلهم خزّان علمه، و بلّغا عنه إلى خلقه، أقامهم مقام نفسه، لا يرى و لا يدرک، و لا تعرف كيفيه انيته، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه، المتصرفون فى أمره و نهيه، فبهم يظهر قدرته، و منهم ترى آياته و معجزاته، فبهم و منهم عرف عباده نفسه (۲)، و بهم يطاع أمره، و لولاهم ما عرف اللّه، و لا يدرى

ص: ۲۴۶

۱- ۱) الأنعام:۹.

۲- ۲) أقول: الظاهر عباده نفسه.

کیف یعبد الرحمن، فاللّه یجری أمره کیف یشاء فیما یشاء لاٰ یُسْئَلُ عَمّٰا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ (۱)» . أقول: هذا الحدیث الشریف من غرر أحادیثهم المتضمنه لغوامض معارفهم و علومهم علیهم السّلام و له شرح کثیر لا یسع المقام ذکره، مضافا إلی غموضه، و إنی لست من أهل التحقیق فیه، صرفنا عنه النظر، و کیف کان فبیّن هذا کیفیه خلقتهم النورانیه، و کیفیه خلقتهم الجسمانیه و المادیه، و إن لها شأنا یخصّهم علیهم السّلام و لا یشارکهم فیها أحد. و الحاصل: أن

قوله:

«بعضها من بعض»

إشاره إلی أن تناسلهم کان بعضها من بعض فی حال الطیب و الطهاره فی الأصلاب و الأرحام، و بالنسبه إلی سایر ما یجب مراعاته فی التناسل، لحصول طیب الولاده و طهارتها من الإیمان، و الأعمال الصالحه، و الصفات الحمیده و التوحید، کلها بالنسبه إلی الوالدین، و هذه کلها کانت بالنسبه إلی آبائهم و أمهاتهم علیهم السّلام موجوده کما أشار إلیه

قوله فی زیاره الوارث

«أشهد أنک کنت نورا فی الأصلاب الشامخه و الأرحام المطهره، لم تنجسک الجاهلیه بأنجاسها، و لم تلبسک من مدلهمات ثیابها»

. فظهر أن أرواحهم و نورهم و طینتهم فی الطیب و الطهر مما ذکر من النقائص واحده، لا تفاضل فیها بوجه من الوجوه، و هذا یستفاد من

قوله:

«بعضها من بعض»

الظاهر فی الاتحاد. و بعباره أخری: أن

قوله علیه السّلام:

«بعضها من بعض»

، و إن کان ظاهره الفصل بینهم، و إلّا لما کان هذا «بعض» و هذا «بعض» إلّا أن قوله: من بعض، یعطی الاتحاد فی الواقع یعنی أن هذا الفصل یکون فی ظاهر الخلقه و فی عالم القلب و الفؤاد الظاهری، و أما فی النور و الواقع فهم واحد، و لذا کان بعضهم من بعض، فالمغایره فی

١- ١) الأنبياء:٢٣.

الظاهره، و فى الفؤاد و القلب و الصوره الظاهريه، و أما فى عالم النور فهم واحد، و إليه يشير ما تقدم من

قوله عليه السّلام: «كلنا محمد صلّى اللّه عليه و آله» . و الحاصل: أن كل ما فرض بعضها منها فى الظاهر، فهو من البعض الآخر فى الواقع، و ذلک البعض الآخر فى الظاهر أيضا من هذا البعض فى الواقع، فالفصل فى الظاهر و الاتحاد فى الواقع، و إن شئت قلت: فالفصل فى عالم المثال و القلب و الفؤاد، و التشخصات الخلقيه و الاتحاد فى الواقع و عالم العقل و النور، الذى خلق من نور عظمته تعالى، و من هذا البيان تنحل مسأله عويصه، و هى أنه قد دلّت أحاديث و جمل منهم عليهم السّلام على أنهم واحد فى الرتبه و الفضل و العلم، و دلّت أحاديث أخر على تفاضلهم عليهم السّلام فى بعض الأمور، و حاصل الحل: أن ما دلّ على اتحادهم فى العلم، فهو محمول و ظاهر فى الواقع و الجهه النورانيه، و ما دلّ على اختلاف درجاتهم، فهو محمول و ظاهر فى الظاهر و الجهات الشخصيه. ثم إن التحقيق فى المسأله يتوقف على بيان الأقوال فيهم عليهم السّلام ثم بيان ما يساعده الدليل منهم عليهم السّلام فى ذلک فنقول: ذهب بعضهم إلى أن الأربعه عشر عليهم السّلام كلهم فى جميع الأمور الظاهريه و الباطنيه سواء، و بعضهم ذهب إلى أن محمدا و عليا (صلى اللّه عليهما و آلهما) سواء دون غيرهما منهم، و منهم من يفضل عليّا عليه السّلام على محمد صلّى اللّه عليه و آله و هذا قول الغرابيه الكفره القائلين بأن محمدا بعلى أشبه من الغراب بالغراب و الذباب بالذباب و قالوا: بعث جبرئيل عليه السّلام إلى على عليه السّلام فغلط و ذهب إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله و هم يلعنون (لعنهم اللّه) صاحب الريش، يعنون جبرئيل عليهم السّلام. و بعضهم من يستثنى محمدا صلّى اللّه عليه و آله و عليا عليه السّلام و يسوى بين الباقين عليهم السّلام، و هذه الأقوال لا يعبأ بها. ثم إنه لا ريب من العلماء و الأدله فى أن محمدا صلّى اللّه عليه و آله أفضل من الكل، ثم فضل على بعده على الباقين، ثم إنهم اختلفوا فى الباقين، فمنهم من قدم فاطمه عليها السّلام على الباقين كما هو فى الذكر، فإنهم يذكرونها بعد على عليه السّلام المذكور بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله ثم

یذکرون سائر الأئمه علیهم السّلام، و منهم من فضّل الحسنین علیهما السّلام علیها و علی التسعه من ذریه الحسین علیه السّلام و هم (أی التسعه) سواء إلاّ علی علیه السّلام فإنه أفضل، و منهم من جعل محمدا صلّی اللّه علیه و آله أفضل الخلق أجمعین، ثم علی ثم الحسن ثم الحسین ثم القائم (عج) ثم الأئمه الثمانیه ثم فاطمه علیها السّلام ثم إنهم اختلفوا فی أن التفاضل علی القول به فی موارده هل هو لزیاده العلم أو له و للعمل، أو هو محض عنایه اللّه تعالی لهم، أو لزیاده سائر الصفات فی بعضهم علی البعض کالقوه و الشجاعه و الکرم و غیر ذلک. إذا علمت هذا فنقول: ینبغی أن یجعل موضوع النزاع فی موردین: الأول: فی عالم الظاهر و عالم الماده و الجسمانیات. الثانی: فی عالم الواقع و الأنوار، و المظهریه للولایه الکلیه الإلهیه، فنقول: أما الأول: فلا ریب فی أن عالم الجسم و الماده یکون فی غایه الضیق بالنسبه إلی عالم الأنوار و الواقعیات، کما لا یخفی هذا علی أهله، و لا ریب فی أن الحقائق و الواقعیات تظهر فی عالم الظاهر و الجسمانیات فی مواردها محدوده مرعیا فیها الحکم و المصالح الموجبه لتحدیدها کما و کیفا، فلو أن أشخاصا متعدده کانوا فی الإمکانات الأولیه علی حدّ سواء و مرتبه واحده، و لکن لا ریب فی أن کل واحد منهم یظهر إمکاناته علی حسب ما تقتضیه الظروف و الشرائط کما و کیفا، فلو أن أحدا منهم أعطی من إمکاناته لواحد عشره و الآخر مائه فإنه و إن کان فی الظاهر من أعطی المائه یحسب أسخی من الذی أعطی عشره، إلاّ أن هذا التفاضل صوری اقتضته الحکمه و الظروف و الشرائط فی العالم الإمکانیه، و إلاّ فالمعطی عشره له أن یعطی مائه، و المعطی مائه له أن یعطی العشره إذا اقتضت الحکمه ذلک. و کیف کان فالتفاضل صوری بلحاظ عالم الملک و الماده، و أما بلحاظ الواقع فجمیعهم سواء، و لا ریب فی أن التفاضل الصوری لا یوجب مفضولیه المعطی عشره فی المثال بالنسبه إلی المعطی مائه، فالتفاضل الصوری تفاضل فی الظاهر، إلاّ أنه لیس مما یوجب نقصا فی المفضل علیه صوره کما لا یخفی، فما دلّ من الأحادیث

على تفضيل بعضهم على بعض فى الصوره يكون هكذا، و هذا ليس نقصا للمفضّل عليه واقعا كما لا يخفى، و لما ذكرنا شواهد كثيره فى الشرع و الأحاديث، و فى العرف كما لا يخفى على المتتبع. و أما الثانى: (أعنى عالم الواقع و الأنوار المظهريه لجماله و جلاله) فنقول:

ففى البحار (۱)عن كتاب المختصر، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: «إن اللّه تعالى خلق أربعه عشر نورا من نور عظمته، قبل خلق آدم بأربعه عشر ألف عام فهى أرواحنا، فقيل له: يا بن رسول اللّه عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعه عشر نورا؟ فقال: محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين و تسعه من ولد الحسين و تاسعهم قائمهم، ثم عدهم بأسمائهم ثم قال: نحن و اللّه الأوصياء الخلفاء من بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» الحديث بطوله.

و فيه عن كتاب المقتضب مسندا عن سلمان الفارسى (رحمه اللّه تعالى عليه) قال: دخلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلما نظر إلىّ قال: «يا سلمان إن اللّه عز و جل لم يبعث نبيا و لا رسولا إلاّ جعل له اثنى عشر نقيبا، قال: قلت: يا رسول اللّه عرفت هذا من الكتابين؟ قال: يا سلمان فهل علمت نقبائى الاثنى عشر الذين اختارهم اللّه للامامه من بعدى؟ فقلت: اللّه و رسوله أعلم، قال: يا سلمان خلقنى اللّه من صفاء نوره، فدعانى فأطعته، و خلق من نورى عليا فدعاه إلى طاعته فأطاعه، و خلق من نورى و نور على عليه السّلام فاطمه فدعاها فأطاعته، و خلق منى و من على و من فاطمه الحسن و الحسين فدعاهما فأطاعاه. فسمانا اللّه عز و جل بخمسه أسماء من أسمائه، فاللّه المحمود و أنا محمد، و اللّه العلى و هذا على، و اللّه فاطر و هذه فاطمه، و اللّه الإحسان و هذا الحسن، و اللّه المحسن و هذا الحسين، ثم خلق من نور الحسين تسعه أئمه فدعاهم فأطاعوه، قبل أن يخلق اللّه سماء مبنيه، أو أرضا مدحيه، أو هواء أو ماء أو ملكا أو بشرا، و كنّا بعلمه أنوارا

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۴.

نسبحه و نسمع له و نطیع» الحدیث بطوله. أقول: و مثله أحادیث کثیره، و قد تقدم بعضها أیضا. و کیف کان فالمستفاد منها أن نورهم و علومهم سواء بالنسبه إلی علم الدین و الحلال و الحرام، و أما من حیث الذات، فربما یقال: إن المستفاد

من حدیث بصائر الدرجات کما فی البحار (۱)بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أو عمّن رواه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلنا: الأئمه بعضهم أعلم من بعض؟ قال: «نعم، و علمهم بالحلال و الحرام و تفسیر القرآن واحد» .

و فیه، عنه، عن أبی بصیر قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام «یا أبا محمد کلّنا نجری فی الطاعه و الأمر مجری واحدا و بعضنا أعلم من بعض» .

و فیه، عنه، عن بعض رجاله، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «لیس شیء یخرج من عند اللّه إلاّ بدأ برسول اللّه، ثم أمیر المؤمنین، ثم بمن بعده، لیکون علم آخرهم من عند أولهم، و لا یکون آخرهم أعلم من أولهم» .

و فیه، عنه، عن أبی الصباح مولی آل سام قال: کنّا عند أبی عبد اللّه علیه السّلام أنا و أبو المغری إذ دخل علینا رجل من أهل السواد فقال: السّلام علیک یا أمیر المؤمنین و رحمه اللّه و برکاته، قال له أبو عبد اللّه علیه السّلام: «علیک السّلام و رحمه اللّه و برکاته، ثم اجتذبه و أجلسه إلی جنبه، فقلت لأبی المغری، أو قال لی أبو المغری: إن هذا الاسم ما کنت أری أحدا یسلم به إلاّ علی أمیر المؤمنین علی (صلوات اللّه علیه) فقال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: یا أبا الصباح أنه لا یجد عبد حقیقه الإیمان حتی یعلم أن لآخرنا ما لأولنا» .

و فیه، عنه، عن مالک بن عطیه، قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: الأئمه یتفاضلون قال: «أما فی الحلال و الحرام فعلمهم فیه سواء، و هم یتفاضلون فیما سوی ذلک» .

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۵۸.

فالمستفاد من هذه الأحاديث أنهم عليهم السّلام فى العلم الظاهر واحد، و أما من حيث الواقع و الذات فهم متفاوتون، فحينئذ نقول: لا ريب فى أنهم عليهم السّلام فى العلم بالأحكام و الحلال و الحرام، و ما يحتاجون إليه الناس واحد، كما أنه لا ريب فى أنهم فى وجوب طاعتهم أيضا واحد، هذا و لكن هل لهم تفاضل فيما سوى ذلك مما يختص كل واحد منهم به؟ فربما يقال: نعم، نظرا إلى

قوله عليه السّلام فيما تقدم، قلنا: الأئمه بعضهم أعلم من بعض؟ فقال: نعم، و علمهم بالحلال و الحرام و تفسير القرآن واحد، فإن قوله عليه السّلام: نعم، يدل على أعلميه بعضهم عليهم السّلام من بعض بعد تسويتهم فى علم الحلال و الحرام و تفسير القرآن، فحينئذ نقول: ربما يقال: معنى أعلميه بعضهم من بعض هو أن حقيقه الأئمه عليهم السّلام هو التجلى الإلهى فى سرّه، بل الإمام عليه السّلام ليس إلّا ذلك التجلى، و كنه هذا التجلى هو ما ظهر هو تعالى للإمام عليه السّلام فهو إمام به و حقيقته، التى هى آيه ربه الكبرى، هو ذلك التجلى الإلهى، و لا ريب فى أن هذا التجلى كان أولا فى عالم السرمد و الغيب الخارج عن الزمان و المكان لمحمد صلّى اللّه عليه و آله قبل أن يكون لعلى عليه السّلام، و كان أيضا ظهور هذا التجلى لعلى عليه السّلام قبل الحسن عليه السّلام و له عليه السّلام قبل الحسين عليه السّلام و للحسين عليه السّلام قبل القائم (عج) و له (عج) قبل الثمانيه عليهم السّلام و لهم عليهم السّلام قبل فاطمه عليهم السّلام. هذا بحسب بعض الأحاديث و إن كان يظهر من بعضها أنه كان التجلى لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و على عليه السّلام فى مرتبه واحده، ثم لفاطمه عليها السّلام ثم للحسن و الحسين عليهما السّلام ثم لسائر الأئمه عليهم السّلام، و قد تقدمت بعض الأحاديث الداله على ترتيب هذا الخلق و التجلى فيهم عليهم السّلام، ثم إن التجلى فيهم عليهم السّلام كيف ما كان يختلف كيفا، و لعله بلحاظ اختلافه كيفا قالوا: بعضنا أعلم، أى أعرف، أى أشدّ تجليا من بعض و اللّه العالم بهم. و إنى أستغفر اللّه تعالى من هذا البيان، و إنما قلته بحسب الظاهر، و إلّا فإنّا آمنّا باللّه، و بما أنزله على نبيه صلّى اللّه عليه و آله و عليهم عليه السّلام و آمنا بنبيه صلّى اللّه عليه و آله و بهم عليهم السّلام لا نفرق بين

أحد منهم و نحن له مسلمون و بما منحهم اللّه تعالى و رتبهم فيه مقرون مذعنون، و الحمد للّه رب العالمين.

[۴۴]قوله عليه السّلام: خلقكم اللّه أنوارا، فجعلكم بعرشه محدقين.

اشاره

أقول: شرح هذه الجمله من المشكلات، و محل اختلاف الأنظار، و نحن نذكر مما فضل اللّه تعالى علينا من فهمنا فنقول: يقع الكلام فی جهات ثلاث:

الأولی: فی معنی إنه تعالی خلقهم أنوارا.

الثانيه: فی معنی العرش. الثالثه: فی معنی كونهم عليهم السّلام محدقين بالعرش أما الأولی فنقول: المستفاد من الأخبار الكثيره أن للنبی صلّی اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام بل و لغيرهم من ساير الناس نحوين من الخلقه، أحدهما الخلقه الروحيه و النوريه، و ثانيهما الخلقه الماديه و الصوريه و الجسميه. [@@]

فقوله عليه السّلام:

«خلقكم اللّه أنوارا»

، يشير إلی الخلق الأول، و

قوله عليه السّلام:

«حتی منّ علينا فجعلكم فی بيوت أذن اللّه. . . إلخ»

، يشير إلی القسم الثانی من الخلق، و هذان مما دلّ كثير من الأخبار عليهما، و أما الثانی فظاهر معناه من الأخبار، و ستعلم بعضها فيما يأتی، و أما الأول (أعنی ما دلّ علی خلقهم عليهم السّلام النوری) فاختلف فی معناه، و نحن نذكر بعض الأحاديث فی الباب، ثم نعقبه بما يستتبع من الكلام، فنقول و عليه التكلان.

ففی البحار (۱)، روی عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «كان اللّه و لا شیء معه، فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلّی اللّه عليه و آله قبل خلق الماء و العرش و الكرسی، و السموات و الأرض، و اللوح و القلم، و الجنه و النار، و الملائكه، و آدم و حواء بأربعه و عشرين

۱- ۱) البحار ج ۱۵ ص ۲۷.

و أربعمائه ألف عام، فلما خلق اللّه تعالى نور نبينا محمد صلّى اللّه عليه و آله بقى ألف عام بين يدى اللّه عز و جل واقفا يسبح و يحمده، و الحق تبارك و تعالى ينظر إليه و يقول: يا عبدى أنت المراد و المريد، و أنت خيرتى من خلقى، و عزتى و جلالى لولاك ما خلقت، الأفلاك، من أحبّك أحببته، و من أبغضك أبغضته، فتلألأ نوره، و ارتفع شعاعه، فخلق منه اثنى عشر حجابا» الحديث. أقول: و لعلّ هذا الحديث هو المروى عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى معانى الأخبار، و قد ذكره فى البحار، فى هذا المجلد فى الصفحه الرابعه باختلاف يسير، فراجع.

و فيه البحار (۱)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن على بن معمّر، عن أبيه قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تبارك و تعالى: هٰذٰا نَذِيرٌ مِنَ اَلنُّذُرِ اَلْأُولىٰ (۲)قال: «يعنى به محمدا صلّى اللّه عليه و آله حيث دعاهم إلى الإقرار باللّه فى الذّر الأول» . أقول:

قوله عليه السّلام: «فى الذر الأول» ، سيجىء معناه قريبا إن شاء اللّه.

و فيه (۳)عن تفسير الفرات بإسناده عن قبيصه بن يزيد الجعفى قال: دخلت على الصادق عليه السّلام و عنده ابن ظبيان و القاسم الصيرفى فسلّمت و جلست و قلت: يا بن رسول اللّه أين كنتم قبل أن يخلق اللّه سماء مبنيّه، و أرضا مدحيه، أو ظلمه، أو نورا؟ قال: «كنا أشباح نور حول العرش، نسبح اللّه قبل أن يخلق آدم عليه السّلام بخمسه عشر ألف عام، فلما خلق اللّه آدم عليه السّلام فرغنا فى صلبه، فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر حتى بعث اللّه محمدا صلّى اللّه عليه و آله» ، الخبر. أقول: قوله: أين كنتم، يستفاد منه أنهم كانوا مخلوقين قبل خلق السماء و الأرض و غيرهما، و كان هذا أمرا مسلما عند الشيعه، و إنما سؤاله عنه عليه السّلام من حيث إنهم أين كانوا،

فقوله عليه السّلام: «كنا أشباح نور حول العرش» ، يشير إلى الخلق

۱- ۱) البحار ج ۱۵ ص ۳.

۲- ۲) النجم:۵۶.

۳- ۳) البحار ج ۱۵ ص ۷.

الأول،

و قوله: «فلما خلق آدم عليه السّلام فرغنا فى صلبه» ، يشير إلى الخلق الثانى.

و فيه، عنه بإسناده، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «خلقنى نورا تحت العرش قبل أن يخلق آدم عليه السّلام باثنى عشر ألف سنه، فلما أن خلق اللّه آدم عليه السّلام فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب إلى صلب، حتى افترقنا فى صلب عبد اللّه بن عبد المطلب و أبى طالب، فخلقنى ربّى من ذلك النور، لكنه لا نبى بعدى» .

و فيه، عنه، عن أبى ذر الغفارى، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله فى خبر طويل فى وصف المعراج ساقه. . . إلى أن قال: قلت: «يا ملائكه ربى هل تعرفونا حق معرفتنا؟ فقالوا: يا نبى اللّه و كيف لا نعرفكم و أنتم أول ما خلق اللّه خلقكم أشباح نور من نوره فى نور من سناء عزّه، و من سناء ملكه، و من نور وجهه الكريم، و جعل لكم مقاعد فى ملكوت سلطانه و عرشه على الماء، قبل أن تكون السماء مبنيّه، و الأرض مدحيه، ثم خلق السموات و الأرض فى سته أيام، ثم رفع العرش إلى السماء السابعه فاستوى على عرشه، و أنتم أمام عرشه تسبحون و تقدسون و تكبرون؟ ثم خلق الملائكه من بدء ما أراد من أنوار شتّى، و كنا نمرّ بكم و أنتم تسبحون و تحمدون، و تهللون و تكبرون، و تمجدون و تقدسون، فنسبّح و نقدّس، و نمجّد و نكبّر، و نهلل بتسبيحكم و تحميدكم، و تهليلكم و تكبيركم، و تقديسكم و تمجيدكم، فما أنزل من اللّه فإليكم، و ما صعد إلى اللّه فمن عندكم فلم لا نعرفكم، اقرأ عليا منّا السّلام» .

فقوله: «و أنتم أول ما خلق اللّه» ، يشير إلى الخلق الأول يوضحه

قولهم : «قبل أن تكون السماء مبنيه. . . إلخ» ،

و قولهم: «و أنتم أمام عرشه تسبحون. . . إلخ» ، يدلّ على أنهم عليهم السّلام كانوا أنوارا ذاكرين للّه تعالى بالتسبيح و التحميد و التهليل و غيرهما، لا أنهم كانوا أشباح صور بلا شعور و درك، كما ذهب الصدوق و السيد المرتضى (رحمه اللّه عليهما) و سيجىء بيان رد قولهما و أنه مخالف لما ثبت بتواتر الأخبار و ضروره الدين،

و قولهم: «ثم خلق الملائكه» ، يشير إلى سبق خلقهم خلقها، كما دلت عليه

أخبار أخر، و سيجىء بعضها، بل الأحاديث دلت على أن خلقها من خلقهم عليهم السّلام كما سنشير إليه.

و قولهم: فما نزل من اللّه فإليكم، و ما صعد إلى اللّه فمن عندكم، يستفاد من كمال قربهم عليهم السّلام منه تعالى، بحيث لا أقرب منهم إليهم تعالى، كما دلّت عليه أحاديث كثيره، و ساعده الوجدان العرفانى كما حقق فى محله و حاصله: أن ما نزل من ذاته المقدسه، فأول ما يتلقاه هو أنفسكم الشريفه لقربها إليه تعالى، و إليه يشير

قوله عليه السّلام فى الزياره:

«إراده الرب فى مقادير أموره تهبط إليكم» الزياره.

و قولهم: «و ما صعد إلى اللّه فمن عندكم» ، ما صعد من الخلق من حقيقه العبوديه، و الحمد و الثناء و الدعاء من الخلق، فيمر بكم و أنتم تتلقونه ثم منكم يصعد إليه تعالى، إذ لا طريق إليه تعالى إلاّ منكم، لأنكم أقرب الخلق إليه تعالى، و هو تعالى قد احتجب بكم،

كما فى الحديث: «احتجب ربنا بنا» . و كيف كان فحيث إن أنوارهم و خلقهم النورانى، قد أمكنها اللّه فى مقام بين الوجوب و الإمكان، و بين الحق و الخلق، فلا محاله لا ينزل من الخلق إلاّ إليهم، و ما يصعد إليه إلاّ منهم و من عندهم، و هذا المقام هو المشار إليه

بقولهم: «و جعل لكم مقاعد فى ملكوت سلطانه» فتدبر تعرف إن شاء اللّه.

و فيه، عن منتخب البصائر بإسناده عن سلمان الفارسى (رضوان اللّه عليه) فى حديث طويل قال: قال النبى صلّى اللّه عليه و آله: «يا سلمان، فهل علمت من نقبائى و من الاثنى عشر الذين اختارهم اللّه للإمامه بعدى؟ فقلت: اللّه و رسوله أعلم، قال: يا سلمان خلقنى اللّه من صفوه نوره و دعانى فأطعت، و خلق من نورى عليا فدعاه فأطاعه، و خلق من نورى و نور على فاطمه فدعاها فأطاعته، و خلق منى و من على و فاطمه الحسن و الحسين فدعاهما فأطاعاه، فسمانا بالخمسه الأسماء من أسمائه. اللّه المحمود و أنا محمد، و اللّه العلى و هذا على، و اللّه الفاطر و هذه فاطمه، و اللّه ذو الإحسان و هذا الحسن، و اللّه المحسن و هذا الحسين، ثم خلق منا من صلب الحسين

تسعه أئمه فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق اللّه سماء مبنيه، و أرضا مدحيه، أو هواء أو ملكا أو بشرا، و كنا بعلمه نورا نسبحه و نسمع و نطيع» الخبر. أقول:

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «قبل أن يخلق اللّه» ، ظرف

لقوله: «يا سلمان خلقنى اللّه من صفوه نوره» ، فدل على تقدم خلق أرواحهم على خلق السماء و الأرض و المذكورات بعدهما،

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «فأطعت» ،

و قوله صلّى اللّه عليه و آله «فأطاعه» ، و هكذا ما ذكره صلّى اللّه عليه و آله من إطاعتهم عليهم السّلام يدل على أنهم عليهم السّلام كانوا مطيعين له حين كونهم أنوارا، و أصرح منها

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «و كنا بعلمه نورا نسبحه و نسمع و نطيع» ، فإن التسبيح و السمع و الإطاعه لا تكون إلّا من العاقل الشاعر، لا من الصوره و الشبح، و خلق التقدير و التصوير، كما ذهب إليه بعض من لا خبره له بالمعارف الإلهيه. فإن قلت:

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «و كنا بعلمه» ، ظاهر فى الوجود العلمى، لا المخلوق الخارجى، و لو فى ظرف الأظله، و عالم المشيه المعبر عنه بالفيض الأقدس. قلت: لا بد من صرف النظر عن الظهور البدوى، فإن

قوله عليه السّلام: «كنّا» ، يراد منه كان التامه المشار به إلى الوجود فى مرتبه الواحديه و عالم المشيه، و هو الكون المجرد عن الصوره و الماده، بل هو صرف الوجود بمفاد كان التامه المعبر عنه بالفيض الأقدس.

فقوله: «بعلمه» ، لا يراد منه فى علمه، أى إنه تعالى عالم بأنه يخلق هذا النور هكذا، بل الباء سببيه، أى كنا موجودين بسبب علمه، نظير ما تقدم من

قوله عليه السّلام فى الزياره:

«و اختاركم بعلمه»

، أى اختاركم بالعلم بأن أعمل فيكم علمه، بحيث جعلكم محلا لأسمائه الحسنى، لا أنه خلقكم مجمله مهمله من غير علم و رويّه على أن

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «نسبح و نسمع و نطيع» ، ظاهر فيما قلنا من أنهم عليهم السّلام كانوا عاقلين شاعرين مكلفين، فهو قرينه على صرف الظهور المذكور المدعى إلى ما ذكرناه، كما لا يخفى.

و فيه، عن كنز جامع الفوائد بإسناده، عن الثمالى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال

أمير المؤمنين عليه السّلام: «إن اللّه تبارک و تعالى أحد واحد توحّد فی وحدانیته، ثم تکلّم بکلمه فصارت نورا، ثم خلق من ذلک النور محمدا صلّی اللّه علیه و آله و خلقنی و ذریتی، ثم تکلّم بکلمه فصارت روحا، فأسکنه اللّه فی ذلک النور و أسکنه فی أبداننا، فنحن روح اللّه و کلماته، و بنا احتجب عن خلقه، فما زلنا فی ظله خضراء حیث لا شمس و لا قمر، و لا لیل و لا نهار، و لا عین تطرف، نعبده و نقدسه و نسبحه قبل أن یخلق الخلق» ، الخبر. أقول:

قوله علیه السّلام: «ثم تکلم بکلمه فصارت نورا» ، هذا النور هو الحقیقه المحمدیه و العلویه،

قوله: «ثم تکلم» ، إلى قوله: «فأسکنه اللّه فی ذلک النور» ، هذا الروح هو القوه الفعالیه العقلیه التی بها تتحقق الفعل و الانفعال من ذلک النور، فالنور حقیقه محضه للأشیاء المعبر عنها بعالم المشیه و الفیض الأقدس، و الروح هو الحیوه، التی بها الفعل و الانفعال، و هو المعبر عنه بالعقل الفعّال، ثم إنه لما کان هذا الخلق قبل خلق الزمان و منشئه فلا محاله لا یکون المراد من قوله علیه السّلام: «ثم» ، التراخی الزمانی بل الرتبی، فعلیه فلا منافاه أن یکون أول الخلق نوره صلّی اللّه علیه و آله أو روحه کما صرح بهما فی الأحادیث الأخر، فکلاهما فی رتبه تکون أولا بالنسبه إلى سایر الخلق و مراتبه کما لا یخفى.

قوله: «و بنا احتجب عن خلقه» ، إشاره إلى قربهم بالنسبه إلیه تعالى، بحیث لا حجاب أقرب منهم إلیه تعالى، و کثیرا أطلق الحجب علیهم،

ففی الزیاره:

«و على أوصیائه الحجب»

،

و فی الحدیث فی شأن النبی صلّی اللّه علیه و آله: «هو الحجاب الأکبر» ، و التعبیر عنهم بالحجب، إنما هو بالنسبه إلى غیرهم، و معنى کونهم حجابا له تعالى هو أنهم علیهم السّلام بحقیقتهم النوریه فی مرحله قابله للاتصال به تعالى و الأخذ منه الخیر ثم الإفاضه إلى الخلق، و سیجیء

قوله علیه السّلام: «یفصل نورنا عن نور ربنا، کما یفصل نور الشمس عنها» ، و هذا معنى اتصالهم روحا به تعالى، فاللّه تعالى لا یعرفه حق المعرفه إلاّ هم، لقربهم دون غیرهم، فهم علیهم السّلام حجاب له تعالى عن الخلق، و لذا لا سبیل إلى معرفته إلاّ بهم علیهم السّلام کما تقدم، و ذلک لأنهم الحجب له تعالى لا غیرهم فتأمل تعرف،

و قوله عليه السّلام: «فما زلنا. . . إلخ» ، إشاره إلى تقدم هذا الخلق لهم عليهم السّلام بالنسبه إلى غيرهم، كما يشير إليه أيضا

قوله عليه السّلام: «قبل خلق الخلق» .

و فيه، عن كنز جامع الفوائد، عن محمد بن الحسن الطوسى رحمه اللّه فى كتابه مصباح الأنوار بإسناده، عن أنس، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: «إن اللّه خلقنى و خلق عليا و فاطمه و الحسن و الحسين قبل أن يخلق آدم عليه السّلام حين لا سماء مبنيه، و لا أرض مدحيه، و لا ظلمه و لا نور، و لا شمس و لا قمر، و لا جنه و لا نار، فقال العباس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول اللّه؟ فقال: يا عم لما أراد اللّه أن يخلقنا تكلّم بكلمه خلق منها نورا، ثم تكلم بكلمه أخرى فخلق منها روحا، ثم مزج النور بالروح فخلقنى و خلق عليا و فاطمه و الحسن و الحسين، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، و نقدسه حين لا تقديس. فلما أراد اللّه تعالى أن ينشئ خلقه فتق نورى فخلق منه العرش، و العرش من نورى، و نورى من نور اللّه، و نورى أفضل من العرش، ثم فتق نور أخى على فخلق منه الملائكه، فالملائكه من نور على، و نور على من نور اللّه، و على أفضل من الملائكه، ثم فتق نور ابنتى فخلق منه السموات و الأرض، فالسموات و الأرض من نور ابنتى فاطمه، و نور ابنتى فاطمه من نور اللّه، و ابنتى فاطمه أفضل من السموات و الأرض، ثم فتق نور ولدى الحسن فخلق منه الشمس القمر، فالشمس و القمر من نور ولدى الحسن، و نور الحسن من نور اللّه، و الحسن أفضل من الشمس و القمر، ثم فتق نور ولدى الحسين فخلق منه الجنه و الحور العين فالجنه و الحور العين من نور ولدى الحسين و نور ولدى الحسين من نور اللّه و ولدى الحسين أفضل من الجنه و الحور العين» ، الخبر. أقول:

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «إن اللّه خلقنى و خلق عليا» ، إشاره إلى الخلق الأول،

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «لما أراد اللّه أن يخلقنا» ، إشاره إلى كيفيه هذا الخلق الأول لهم عليهم السّلام،

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «فلما أراد اللّه تعالى أن ينشئ خلقه» ، إشاره إلى كيفيه خلقه تعالى سائر خلقه من المذكورين فى الحديث، فمن جملتها يستفاد أن نورهم عليهم السّلام منشأ

لخلق تلك الأمور المذكوره، فيستلزم تقدم خلقهم النورى عليها كما لا يخفى، ثم إن كون نورهم عليهم السّلام منشأ لخلق تلك الأمور، إنما يصحّ إذا كان نورهم شيئا مثبتا حقيقيا موجودا، قابلا لأن يخلق منه تلك الأمور، فلو كان نورهم صرف الشبح أو صوره محضه أو صورا علميه محضه كما زعمه بعض من لا معرفه له بالأئمه عليهم السّلام لما صح انتشاء تلك الأمور من تلك الأنوار المقدسه كما لا يخفى.

و أما قوله صلّى اللّه عليه و آله: «فتق نورى فخلق منه العرش» ، فالمراد من العرش (و اللّه العالم) هو جميع ما سوى اللّه تعالى فإنه كما سيجىء قريبا أن العرش يطلق على أمور، منها جميع ما سوى اللّه تعالى كما يستفاد من تفسير قوله تعالى: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ (1)بقوله عليه السّلام كما سيجىء أى استوى على ما دقّ و جلّ و إن قربه بالنسبه إلى الأشياء سواء، و سيجىء متن حديثه،

فقوله: «فخلق منه العرش» ، أى جميع ما سوى اللّه، ضروره أن نوره كما تقدمت الإشاره إليه هو عالم المشيه و الفيض الأقدس، الذى فيه حقيقه جميع الأشياء بلا صوره و لا ماده، و حينئذ فمعنى خلق العرش منه هو انتشاؤه منه تفصيلا فى لباس الصوره و الماده، كل بحسب ما تقتضيه الحكمه الإلهيه و المشيه الأزليه.

و فيه، عن معانى الأخبار بإسناده، عن أبى ذر (رحمه اللّه عليه) قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «خلقت أنا و على بن أبى طالب من نور واحد نسبح اللّه يمينه العرش قبل أن خلق آدم بألفى عام، فلما أن خلق آدم عليه السّلام جعل ذلك النور فى صلبه» ، الحديث. أقول: قد ظهر لك مما تقدم دلاله هذا الحديث على ما ذكرنا.

و فيه، عنه، عن الصادق عليه السّلام قال: «إن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و عليا عليه السّلام كانا نورا بين يدى اللّه جلّ جلاله، قبل خلق الخلق بألفى عام، و إن الملائكه لما رأت ذلك النور رأت له

1- 1) طه:5.

أصلا، و قد انشعب منه شعاع لا مع، فقالت: إلا هنا و سيّدنا ما هذا النور؟ فأوحى اللّه عز و جل إليهم: هذا نور من نورى أصله نبوّه، و فرعه إمامه، فأما النبوه فلمحمد عبدى و رسولى، و أما الإمامه فلعلى حجتى و ولى، و لولاهما ما خلقت خلقى» ، الخبر. أقول:

قوله عليه السّلام: «و إن الملائكه لما رأت» ، أى بعد أن خلقها اللّه تعالى،

قوله عليه السّلام: «رأت له أصلا، و قد انشعب منه شعاع لامع» . أقول: أى رأت الملائكه أن ذلك النور كأنه حامل لحقائق الأمور، و مشتمل على حقائق الأشياء بنحو الأصليه، أى بدون صوره و ماده، بل بنحو الحقيقه المحضه، و هذا ظاهر فى أن هذا النور و هو نورهم عليهم السّلام شىء مخلوق فى عالمه، و كان أصلا مثبتا موجودا لا صوره و شبحا و تقديرا فإن المرئى صوره لا يكون له أصاله و حقيقه كما لا يخفى. نعم إذا أراد اللّه بعبد خيرا أعطاه فهم ذلك النور كما أعطاه للملائكه.

و فيه، عن علل الشرايع بإسناده، عن المفضل قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام «يا مفضل أ ما علمت أن اللّه تبارك و تعالى بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو روح إلى الأنبياء عليهم السّلام و هم أرواح قبل خلق الخلق بألفى عام؟ قلت: بلى، قال: أ ما علمت أنه دعاهم إلى توحيد اللّه و طاعته و اتباع أمره، و وعدهم الجنه على ذلك، و أوعد من خالف ما أجابوا إليه و أنكره النار؟ فقلت: بلى» ، الخبر. أقول:

قوله عليه السّلام: «أ ما علمت» ، يشعر بأن بعثه النبى صلّى اللّه عليه و آله و هو روح المستلزم لتقدم خلقه على عالم الأجسام و الأجساد كان أمرا مسلما معلوما، و كيف لا يكون كذلك و قد تواترت الأحاديث بذلك عنهم عليهم السّلام كما علمت؟ و يستفاد منه أيضا أنه تعالى قد بعث محمدا صلّى اللّه عليه و آله و هو روح على الأنبياء و هم أرواح فدعاهم إلى آخر ما ذكر، فهذا ينادى بالصراحه على تقدم خلق روحه صلّى اللّه عليه و آله و أرواحهم عليهم السّلام بالملازمه المعلومه من سائر الأحاديث على خلق أرواح السائرين، و على خلق الأبدان

و الأجساد. ثم أنه كيف يمكن بعثه النبى صلّى اللّه عليه و آله عليهم عليهم السّلام فى عالم الأرواح و دعاهم إلى التوحيد مع أنه صلّى اللّه عليه و آله يكون شبحا و صوره محضه و هل هذا إلاّ جهاله بحقيقه ما خلقهم اللّه تعالى؟ ثم أنه لا يمكن عقلا حمل هذا الحديث على تحقق هذه الدعوه بعد خلق الثانى و خلق الأبدان، و ذلك لأن النبى صلّى اللّه عليه و آله صار موجودا فى الأبدان بعد انقضاء الأنبياء و موتهم، فكيف يمكن دعوته صلّى اللّه عليه و آله لهم إلى التوحيد بعد الخلق المادى؟ فلا محاله يدل بالعقل و الصراحه على تقدم خلقه صلّى اللّه عليه و آله لخلق الأول النورى على خلق الأبدان كما لا يخفى، و لعمرى هذا دليل قاطع على ردّ من أنكر تقدم خلق أنوارهم عليهم السّلام.

و فيه، عن أمالى الشيخ بإسناده، عن أبى خالد الكابلى، عن ابن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «ألا إنى عبد اللّه و أخو رسوله و صديقه الأول قد صدّقته و آدم بين الروح و الجسد، ثم إنى صديقه الأول فى أمتكم حقّا، فنحن الأولون و نحن الآخرون» .

و فيه عن تفسير القمى بإسناده، عن ابن سنان قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أوّل من سبق من الرسل إلى (بلى) رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ذلك أنه كان أقرب الخلق إلى اللّه تبارك و تعالى» ، الخبر. أقول: صراحه هذا الخبر على ما ذكرناه أوضح من الشمس.

و فيه، عن علل الشرايع بإسناده، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن بعض قريش قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: بأى شىء سبقت الأنبياء و فضّلت عليهم، و أنت بعثت آخرهم و خاتمهم؟ قال: إنى كنت أول من أقرّ بربى جلّ جلاله، و أول من أجاب حيث أخذ اللّه ميثاق النبيين على أنفسهم: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ (1)، فكنت أول نبى قال بلى، فسبقتهم إلى الإقرار باللّه عز و جل» .

ص:۲۶۲

۱- ۱) الأعراف:۱۷۲.

أقول:

قوله صلّی اللّه علیه و آله: «فکنت أول نبی قال بلی» ، لا یستقیم معناه، إلاّ بالتقدم المذکور، و إلاّ فلا ریب فی أنه صلّی اللّه علیه و آله کان آخرهم موجودا خارجیا، و قد سبق الأنبیاء بما لهم من الإقرار قبله، و القول بأنه بلحاظ عالم الذر الصلبی، و أن المعنی أن فیه صلّی اللّه علیه و آله قابلیه الإقرار أزید من غیره و أمثاله شطط من الکلام.

و فیه، عن العلل بإسناده، عن داود الرقی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «لما أراد اللّه عز و جل أن یخلق الخلق خلقهم و نشرهم بین یدیه، ثم قال لهم: من ربّکم؟ فأول من نطق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأئمه (صلوات اللّه علیهم أجمعین) فقالوا: أنت ربّنا، فحملهم العلم و الدین، ثم قال للملائکه: هؤلاء حمله دینی و علمی و أمنائی فی خلقی، و هم المسئولون، ثم قال لبنی آدم: أقرّوا اللّه بالربوبیه و لهؤلاء النفر بالطاعه و الولایه، فقالوا: نعم ربنا أقررنا، فقال اللّه جلّ جلاله للملائکه: اشهدوا، فقالت الملائکه: شهدنا علی أن لا تقولوا غدا: إِنّٰا کُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِینَ (1)، أو یقولوا: إِنَّمٰا أَشْرَکَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَ کُنّٰا ذُرِّیَّهً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِکُنٰا بِمٰا فَعَلَ اَلْمُبْطِلُونَ ، یا داود الأنبیاء مؤکده علیهم فی المیثاق» . أقول: إن الخلق بمعنی الإیجاد أو بمعنی التقدیر یطلق علی موارد فأولا بالقرائن، لا بد من أن یعلم أن المراد منه خلق الإیجاد، کما فی هذه الأحادیث بقرینه ترتیب آثار الإیجاد و الوجود علیه من الإقرار و الطاعه و الدعوه و تحمیل العلم، فإنها قرینه علی أن المراد من الخلق فیها هو الإیجاد لا التقدیر، ثم إن خلق الإیجاد حیث کان ذا مراتب، فالأحادیث قد وردت لبیانه فی مراتبه المختلفه المتعاقبه، فهذا الحدیث الشریف یراد من الخلق فیه

فی قوله علیه السّلام: «لما أراد اللّه عز و جل أن یخلق الخلق» ، هو خلق الأرواح أعم من أرواحهم و من أرواح الملائکه و الآدمیین. و لا ریب فی أن هذا الخلق و إن کان خلق الأرواح و هی قبل الأبدان، إلاّ أنه

۱- ۱) الأعراف:۱۷۲.

یراد منه الخلق بلحاظ خلق الملائکه و الأرواح الأخری، و قد علمت أن خلق أرواحهم متأخره عن خلق أرواحهم و أنوارهم علیهم السّلام و سیجیء فی بیان الوجه لاختلاف السنه الأحادیث فی بیان قبلیه خلق الأرواح تاره بألفین و أخری بأربعه عشر ألفا، و ثالثه بغیرها مما تقدم من الاختلاف أنّه محمول علی اختلاف تقدم خلق الأرواح و تأخرها بالنسبه إلیهم علیهم السّلام و بالنسبه إلی غیرهم من الملائکه و الآدمیین، فتدبّر تعرف

قوله علیه السّلام: «فأول من نطق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» إلی قوله: «فقالوا: أنت ربنا» ، ظاهر فیما قلنا من أن المراد من الخلق الأول النوری الذین کانوا موجودین فی عالم المشیه و الفیض الأقدس. و لذا

قال علیه السّلام: «فحملهم العلم و الدین» ، فإن هذا قرینه قاطعه علی أن المراد منه الخلق الحقیقی لا الصوری و الأشباحی کما ذهب إلیه بعض، ضروره أنه لا معنی لتحمیل العلم و الدین الصوره و الشبح علی أن

قوله تعالی للملائکه: «هؤلاء حمله دینی» ، إلی قوله: «و هم المسئولون» ، لا یصح حسن تعبیره إلّا إذا کان بنحو الوجود الحقیقی، و لا معنی لارتکاب المجاز باعتبار ما یؤول و فیما یأتی، فإنه مضافا إلی أنه ینافی

قوله: «حملهم العلم و الدین» ، کما علمت خلاف الظاهر من

قوله صلّی اللّه علیه و آله: «أنت ربنا» ، کما لا یخفی. و یدل علی ما قلنا صریحا

قوله علیه السّلام: «یا داود الأنبیاء مؤکده علیهم فی المیثاق» فإن قوله علیه السّلام: «فی المیثاق» ، إشاره إلی عالم الأرواح و ظرف لقوله: «مؤکده علیهم» فهو ظرف لغو و لا معنی للتأکید بالنسبه إلی الصور و الأشباح فی المیثاق کما لا یخفی. و لعمری إن ارتکاب المجاز فی جمیع هذه الأحادیث و صرفها عن ظاهرها جرأه علی اللّه تعالی، أعاذنا اللّه تعالی منه.

و فیه (1)، عن الکافی بإسناده، عن محمد بن سنان قال: کنت عند أبی جعفر الثانی علیه السّلام فأجریت اختلاف الشیعه، فقال: «یا محمد إن اللّه تبارک و تعالی لم یزل

۱- ۱) البحار ج ۱۵ ص ۱۹.

متفردا بوحدانيته، ثم خلق محمدا و عليا و فاطمه فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، و أجرى طاعتهم عليها، و فوض أمورها إليهم، فهم يحللون ما يشاءون و يحرمون ما يشاءون و لن يشاءوا إلاّ أن يشاء اللّه تبارك و تعالى، ثم قال: يا محمد هذه الديانه التى من تقدمها مرق، و من تخلف عنها محق، و من لزمها لحق، خذها إليك يا محمد» . أقول: دلاله هذا الحديث على المدعى من جهات، و عمدتها

قوله عليه السّلام: «فأشهدهم خلقها» ، إذ من المعلوم أن إشهاده تعالى خلقه إياهم لا معنى له، إلاّ إذا كانوا عليهم السّلام موجودين عاقلين شاعرين فى صقع عبّر عنه بألف دهر، و لعلك تقدر على الاستشهاد بساير جمل الحديث بنحو تقدم فى أمثاله فلا نعيد.

و فيه، عن كتاب فضائل الشيعه، عن أبى سعيد الخدرى، و فى تفسير البرهان عن ابن بابويه بإسناده، عن أبى سعيد الخدرى، و اللفظ للثانى: قال: كنّا جلوسا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول اللّه أخبرنى عن قول اللّه عز و جل لإبليس: أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ اَلْعٰالِينَ (1)، من هم يا رسول اللّه الذين هم أعلى من الملائكه؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أنا و على و فاطمه و الحسن و الحسين، كنا فى سرادق العرش، نسبّح اللّه فسبّحت الملائكه بتسبيحنا قبل أن خلق اللّه آدم عليه السّلام بألفى عام. فلما خلق اللّه عز و جل آدم عليه السّلام أمر الملائكه أن يسجدوا له، و لم يؤمروا بالسجود إلاّ لأجلنا، فسجدت الملائكه كلهم أجمعون إلاّ إبليس أبى أن يسجد فقال اللّه تبارك و تعالى: يٰا إِبْلِيسُ مٰا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمٰا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ اَلْعٰالِينَ ، قال: من هؤلاء الخمسه المكتوب أسماؤهم فى سرادق العرش؟ فنحن باب اللّه الذى يؤتى منه، بنا يهتدى المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه اللّه و أسكنه جنته، و من أبغضنا أبغضه اللّه و أسكنه ناره، و لا يحبنا إلاّ من طاب مولده» .

۱- ۱) ص:۷۵.

أقول: المستفاد من هذا الحديث الشريف أن النبى و الأئمه و فاطمه الزهراء (عليه و عليهم السّلام) خلقهم فى قبال خلق آدم و الملائكه، فهم قسم ثالث للخلق آدم و الملائكه و العالين، فالتفصيل المستفاد من الآيه المباركه قاطع للشركه فهم أى (العالين) منفصلون ذاتا خلقا عن آدم و الملائكه، فقوله تعالى: أَمْ كُنْتَ مِنَ اَلْعالِينَ (۱)، يعنى أنك لم تسجد إمّا للاستكبار أو لكونك من العالين الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم. و من المعلوم أن جعل العالين قسيما للملائكه، و خارجا عنهم تخصّصا فى الأمر بالسجود، إنما يصح إذا كان العالون موجودين عاقلين شاعرين، و إلّا فجعل الصوره و الشبح قسيما للملائكه، ثم توبيخ الشيطان فى ترك السجود، و بيان وجه العذر له فى تركه بأنه أ كان من العالين أى من الصور و الشبح مما لا يستقيم من عاقل، فضلا عن الرب الجليل العالم،

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «كنا فى سرادق العرش» ، إلى قوله صلّى اللّه عليه و آله: «بألفى عام» ، صريح أيضا فى المدعى، ثم إن السرادق هو كل ما أحاط بشىء كما فى المجمع، فإضافه السرادق إلى العرش بيانيه، فالعرش هو الذى محيط بكل شىء، فهو سرادق لكل شىء، فحينئذ معنى كنا فى سرادق العرش يعنى فى عالم هو محيط بجميع الأشياء، و كونهم فيها هو وجودهم فيها و إحاطتهم بها. و أما كيفيه هذا الكون فسيجىء توضيحه فى الجهه الآتيه فى بيان كيفيه كونهم عليهم السّلام محدقين بالعرش، و حيث إن العرش موجود كما علمت فهو بمعنى عالم المشيه، التى فيها حقائق الأشياء بدون صوره و ماده كما تقدم و يأتى، فلا محاله يراد من قوله عليه السّلام: «كنّا» ، أى وجدنا. و بعباره أخرى: يراد من الكون فيه ما هو مفاد كان التامه، فحينئذ فما يلوح عن بعض من أنه فرق بين قولهم: كنا، أو خلقنا، فإن الثانى ظاهر فى الخلق

۱- ۱) ص:۷۵.

الخارجی دون الأول، فإنه ظاهر فی الکون العلمی خصوصا إذا حمل العرش علی معنی العلم فمدفوع جدا، ضروره أن العرش لا یراد منه العلم فی الحدیث، بل المراد عالم المشیه المطلقه المعبر عنه بالفیض الأقدس و هو مخلوق جدا، و أنه یستفاد من ترتیب آثار الموجود الخارجی علیهم علیهم السّلام إن المراد من قوله علیه السّلام: «کنّا» ، هو الوجود بمفاد کان التامه، لا الوجود العلمی کما لا یخفی.

و فیه، عن کمال الدین بإسناده، عن أبی حمزه قال: سمعت علی بن الحسین علیه السّلام یقول: «إن اللّه عز و جل خلق محمدا و علیا و الأئمه الأحد عشر من نور عظمته أرواحا فی ضیاء نوره (من نور عظمته فأقامهم أشباحا فی ضیاء نوره خ ل) یعبدونه قبل خلق الخلق، یسبحون اللّه عز و جل، و یقدسونه و هم الأئمه الهادیه من آل محمد (صلوات اللّه علیهم أجمعین)» .

و فیه، عنه بإسناده، عن المفضّل قال: قال الصادق علیه السّلام: «إن اللّه تبارک و تعالی خلق أربعه عشر نورا قبل خلق الخلق بأربعه عشر ألف عام فهی أرواحنا، فقیل له: یا بن رسول اللّه و من الأربعه عشر؟ فقال: محمد و علی و فاطمه و الحسن و الحسین و الأئمه من ولد الحسین آخرهم القائم، الذی یقوم بعد غیبته فیقتل الدجال، و یطهر الأرض من کل جور و ظلم» .

و فیه، عن ریاض الجنان بإسناده إلی جابر الجعفی، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «یا جابر کان اللّه و لا شیء غیره لا معلوم و لا مجهول، فأول ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمدا صلّی اللّه علیه و آله و خلقنا أهل البیت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّه خضراء بین یدیه حیث لا سماء و لا أرض و لا مکان، و لا لیل و لا نهار و لا شمس و لا قمر» ، الخبر.

و فیه (۱)و عن جابر بن عبد اللّه قال: قلت لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أول شیء خلق اللّه ما هو؟ فقال: «نور نبیّک یا جابر خلقه اللّه ثم خلق منه کل خیر» .

۱- ۱) البحار ج ۱۵ ص ۲۴.

و فيه، عن جابر أيضا قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أول ما خلق اللّه نورى، ابتدعه من نوره، و اشتقه من جلال عظمته» .

و فيه، عن الكافى، عن المفضّل قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: كيف كنتم حيث كنتم فى الأظله؟ فقال: «يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا فى ظله خضراء، نسبحه و نقدسه، و نهلله و نمجده و ما من ملك مقرب و لا ذى روح غيرنا حتى بدا له فى خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكه و غيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا» . أقول: هذا الحديث ناصّ فى كونهم عليهم السّلام مخلوقين مسبّحين و مقدسين له تعالى مع العقل و الشعور قبل خلق الملائكه أو ذى روح، و دلّ على أنه تعالى أنهى (أى جعل و أعطى) علم كيفيه الخلق بأصنافها و أحوالها إليهم عليهم السّلام.

و فيه، عنه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه كان إذ لا كان، فخلق الكان و المكان، و خلق نور الأنوار، الذى نوّرت منه الأنوار، و أجرى فيه من نور الذى نوّرت منه الأنوار، و هو النور الذى خلق منه محمدا و عليا، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شىء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين فى الأصلاب الطاهره حتى افترقا فى أطهر طاهرين فى عبد اللّه و فى أبى طالب عليه السّلام» .

قوله عليه السّلام: «فلم يزالا نورين» ، إشاره إلى الخلق الأول، و لذا وصفهما بأولين و أوضحه، أى تقدم خلقهما على غيرهما

بقوله عليه السّلام: «إذ لا شىء كون قبلهما» ،

و قوله عليه السّلام: «فلم يزالا يجريان فى أطهر طاهرين. . . إلخ» ، إشاره إلى الخلق الثانى أى المثالى و الجسمانى كما لا يخفى.

و فيه، عنه عن جابر بن يزيد قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: «يا جابر إن اللّه أول ما خلق خلق محمدا و عترته الهداه المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدى اللّه قلت: و ما الأشباح؟ قال: ظل النور أبدان نورانيه بلا أرواح، و كان مؤيدا بروح واحد، و هى روح القدس، فبه كان يعبد اللّه و عترته، و لذلك خلقهم حلماء علماء برره أصفياء

يعبدون اللّه بالصلوه و الصوم و السجود، و التسبيح و التهليل، و يصلون الصلوات و يحجّون و يصومون» . أقول:

قوله عليه السّلام: «أول ما خلق» ، إلى قوله: «و لذلک خلقهم حلماء» ، إشاره إلى الخلق الأول،

قوله عليه السّلام: «أشباح نور» ، الإضافه بيانيه، أبدان نورانيه بلا أرواح يدل على كون الإضافه بيانيه، و المراد من

قوله: «بلا أرواح» ، أى بلا روح حيوانيه لا مطلقا، و ذلک لما تقدم و تقرر فى محله أن لهم فى الدنيا أرواحا خمسه إحداها روح القدس، فالمنفى هنا هو الأرواح الحيوانيه، و أما القدسيه فلا، بل هى فيهم فى ذلک الصقع الربوبى، و لذا

قال عليه السّلام: «و كان مؤيدا بروح واحد و هى روح القدس» . فكل واحد منهم عليهم السّلام فى تلک الحالات كان ذا روح قدسيه بها كان يعبد اللّه تعالى كما

قال عليه السّلام: «فبه كان يعبد اللّه» ، و تذكير الضمير إما بلحاظ ما ذكر، أو أن المؤنث المجاز بعد ما كان معلوم المراد لا ضير فى إرجاع ضمير المذكور إليه، إذ علامه التأنيث و التذكير معرفات، فإذا علم المراد فالمشى على خلاف القاعده لا بأس به، مضافا إلى أنه قد اشتهر أن الأمر فى التذكير و التأنيث سهل فتدبر،

قوله عليه السّلام: «و لذلک خلقهم حلماء» ، إشاره إلى الخلق الثانى الجسمى، و قوله: «و لذلک: بيان لعلّه خلقهم فى الدنيا حلماء. . . إلخ» ، و الوجه فيه أنهم عليهم السّلام بعد ما كانوا عليهم السّلام فى الخلق الأول مؤيدين بروح القدس، و كانت هذه الروح حقيقتهم فى جميع عوالمهم اللاحقه بهم، فلا محاله كانوا فى الخلق الثانى حلماء. . . إلخ.

و فى تفسير البرهان (1)بإسناده عن داود بن كثير الرقى، قال: قلت لأبى عبد اللّه جعفر بن محمد عليهما السّلام: جعلت فداک أخبرنى عن قول اللّه عز و جل: وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلسّٰابِقُونَ. أُولٰئِکَ اَلْمُقَرَّبُونَ (2)قال: «نطق اللّه بهذا يوم ذرأ الخلق فى الميثاق، قبل أن يخلق الخلق بألفى سنه، فقلت: فسّر لى ذلک فقال: إن اللّه عز و جل لما أراد أن

۱- ۱) تفسير البرهان ج ۴ ص ۲۷۵.

۲- ۲) الواقعه:۱۰ و ۱۱.

يخلق الخلق من طين، رفع لهم نارا و قال لهم: ادخلوها، فكان أول من دخلها محمد و أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و تسعه من الأئمه إماما بعد إمام، ثم اتبعهم شيعتهم فهم و اللّه السابقون» .

و فى البحار (۱)عن كمال الدين و عيون الأخبار و علل الشرايع بإسنادهم، عن الهروى، عن الرضا، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ما خلق اللّه عز و جل خلقا أفضل منّى و لا أكرم عليه منّى، قال على عليه السّلام: فقلت: يا رسول اللّه أنت أفضل أو جبرئيل: فقال صلّى اللّه عليه و آله: يا على إن اللّه: تبارك و تعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، و فضلنى على جميع النبيين و المرسلين، و الفضل بعدى لك يا على و للأئمه من بعدك، و إن الملائكه لخدّامنا و خدّام محبينا، يا على الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون للذين آمنوا بولايتنا. يا على لو لا نحن ما خلق آدم و لا حوّا، و لا الجنه و لا النار، و لا السماء و لا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكه و قد سبقناهم إلى معرفه ربنا و تسبيحه و تهليله و تقديسه، لأن أول ما خلق اللّه عز و جل خلق أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده و تحميده، ثم خلق الملائكه فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا، استعظموا أمرنا فسبّحنا لتعلم الملائكه، إنا خلق مخلوقون و إنه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكه بتسبيحنا، و نزّهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكه أن لا إله إلاّ اللّه، و إنّا عبيد و لسنا بآلهه يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا: لا إله إلاّ اللّه. فلما شاهدوا كبر محلنا كبّرنا لتعلم الملائكه أن اللّه أكبر من أن ينال عظم المحل إلاّ به (من أن ينال و إنه عظيم خ ل) فلما شاهدوا ما جعله لنا من العزّ و القوه قلنا: لا حول و لا قوه إلاّ باللّه، لتعلم الملائكه أن لا حول لنا و لا قوه إلاّ باللّه، فلما شاهدوا ما أنعم اللّه به علينا، و أوجبه لنا من فرض الطاعه قلنا: الحمد للّه، لتعلم الملائكه ما

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۳۳۵.

تحقق للّه تعالی ذکره علینا من الحمد علی نعمه، فقالت الملائکه الحمد للّه، فبنا اهتدوا إلی معرفه توحید اللّه و تسبیحه و تهلیله و تحمیده و تمجیده» ، الحدیث أقول: هذا الحدیث الشریف صریح فی تقدم خلقهم قبل الملائکه و أنهم علیهم السّلام کانوا عالمین و مهللین، و مقدسین و مسبّحین و ممجدین، و هذه آثار المخلوق الذی یکون ذا عقل و شعور و کمال، لا من کان صرف الصوره و الظل بمنزله الفیء، کما لا یخفی، بل المستنبط منه لأهل التحقیق أنهم علیهم السّلام إذ کانوا هناک کانوا مظاهر لجلال اللّه و جماله و قدرته و کماله بما لها من المعانی الحقیقیه، التی هی الأسماء الحسنی للّه تعالی، فلأجل ظهورهم کذلک فی نظر الملائکه استعظموهم علیهم السّلام فسبّحوا و هللوا و کبّروا. و حوقلوا و حمدوا اللّه تعالی، لئلا تقع الملائکه فی الشرک، أو فی عباده غیر اللّه تعالی، و لا ریب فی أنهم علیهم السّلام لو کانوا مجرد الصوره و الشبح لما توهمت الملائکه ذلک، و لما احتیج إلی التسبیح و التهلیل و غیر ذلک لدفع الشرک عنهم، کما لا یخفی.

و فی مرآه العقول (۱)بإسناده، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن اللّه عز و جل خلق الخلق، فخلق من أحب مما أحب، و کان ما أحب أن خلقه من طینه الجنه، و خلق من أبغض مما أبغض، و کان ما أبغض أن خلقه من طینه النار، ثم بعثهم فی الظلال، فقلت: و أی شیء الظلال؟ فقال: أ لم تر إلی ظلّک فی الشمس شیئا و لیس بشیء، ثم بعث منهم النبیین فدعوهم إلی الإقرار باللّه عز و جل و هو قوله عز و جل: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اَللّهُ (۲)ثم دعوهم إلی الإقرار بالنبیین، فأقرّ بعضهم و أنکر بعض، ثم دعوهم إلی ولایتنا فأقرّ بها و اللّه من أحبّ، و أنکرها من أبغض، و هو قوله: فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ (۳)ثم قال أبو جعفر علیه السّلام: کان التکذیب ثمه» .

۱- ۱) مرآه العقول ج ۷ ص ۳.

۲- ۲) الزخرف:۸۷.

۳- ۳) یونس:۷۴.

أقول:

قوله: «ثم بعثهم فی الظلال» ، إشاره إلی الخلق الأول، و هو خلق الأرواح قبل الأبدان، إلّا أنه ربما يقال بل قد قيل: بأن المراد من الظلال المفسّر

بقوله عليه السّلام: «شيئا و ليس بشیء» ، هو أن الحيوه و التكليف فی ذلك الوقت لا يصيران سببا للثواب و العقاب كأفعال النائم، و لا يبقی إذ ليس له وجود بل مثال و حكايه عن الحيوه و التكليف فی الأبدان، و هذا نظير ما يسمی الوجود الذهنی بالوجود الظلّی لعدم كونه منشأ للآثار و مبدأ للأحكام، فإذا المراد من الحيوه فی ذلك الوقت هو الصوره و الشبح. و لكن فيه أن المراد بالظل هو عالم الأرواح، أو المثال علی اختلاف بينهما كما سيأتی، و إنما شبه الروح بالظل للطافته و عدم كثافته، أو علی قول مردود من كونه تابعا لعالم الأجساد الأصليه. و كيف كان فالمراد به عالم الأرواح أو الذرّ المبائن لعالم الأجسام الكثيفه، و هو للطافته يحكی عن هذا العالم المادی، كما حقق فی محله، فهو ظل (أی عالم الأرواح ظل) بالنسبه إلی عالم الماده، و إليه يشير

قول أمير المؤمنين عليه السّلام فی بعض خطبه كما فی مرآه العقول (۱): «إلّا أن الذريه أفنان أنا شجرتها، و دوحه أنا ساقيها، و إنی من أحمد صلّی اللّه عليه و آله بمنزله الضوء من الضوء، كنا أضلالا تحت العرش قبل البشر، و قبل خلق الطينه التی كان منها البشر أشباحا حاليه لا أجساما ناميه» . فأطلق عليه السّلام علی أرواحهم أضلالا، ثم إن

قوله عليه السّلام: «بعثهم فی الضلال» ، يشير إلی ما قلنا، ضروره أن البعث يطلق علی من بعث من ذوی الأرواح لا مجرد الصوره، و يؤكده

قوله عليه السّلام: «ثم بعث منهم النبيين» ، أی فی ذلك العالم، كما لا يخفی فحينئذ قوله: «شيئا» ، أی روحا، و ليس بشیء أی شیء جسمی كما لا يخفی.

و فيه (۲)عن أبی بصير قال: قلت لأبی عبد اللّه عليه السّلام: كيف أجابوا و هم ذرّ؟ قال:

۱- ۱) مرآه العقول ج ۷ ص ۳۱.

۲- ۲) مرآه العقول ج ۷ ص ۳۶.

«جعل فیهم ما إذا سألهم أجابوه یعنی فی المیثاق» . أقول:

قوله: «یعنی فی المیثاق» ، ظرف

لقوله: «جعل فیهم» ، أی فی عالم المیثاق و الذر.

و فیه (۱)، عن العیاشی عن تفسیر بإسناده، عن الأصبغ بن نباته، عن علی علیه السّلام قال: أتاه ابن الکواء فقال: یا أمیر المؤمنین أخبرنی عن اللّه تعالی هل کلّم أحدا من ولد آدم قبل موسی علیه السّلام؟ فقال علیه السّلام: «قد کلّم اللّه جمیع خلقه برّهم و فاجرهم، و ردّوا علیه الجواب، فثقل ذلک علی ابن الکواء، و لم یعرفه، فقال له: کیف کان ذلک یا أمیر المؤمنین؟ فقال له: أ و ما تقرأ کتاب اللّه إذ یقول لنبیّه: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ (۲)فأسمعهم کلامه و ردّوا علیه الجواب، کما تسمع فی قول اللّه یا بن الکواء قالوا بلی. فقال لهم: «إنی أنا اللّه لا إله إلاّ أنا و أنا الرحمن» ، فأقرّوا له بالطاعه و الربوبیه، و میّزا الرسل و الأنبیاء و الأوصیاء، و أمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا بذلک فی المیثاق، فقالت الملائکه: شهدنا علیکم یا بنی آدم أن تقولوا یوم القیامه: إِنّٰا کُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِینَ (۳)» ثم قال العیاشی: قال أبو بصیر: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام أخبرنی عن الذر حیث أشهدهم علی أنفسهم أ لست بربکم قالوا بلی، و أسرّ بعضهم خلاف ما أظهر، کیف علموا القول حیث قیل لهم: أ لست بربکم؟ قال: «إن اللّه جعل فیهم ما إذا سألهم أجابوه» .

و روی أیضا عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه: أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ (۴)، قلت: قالوا بألسنتهم؟ قال: «نعم، و قالوا بقلوبهم، قلت: و أیّ شیء

۱- ۱) مرآه العقول ج ۷ ص ۳۷.

۲- ۲) الأعراف:۱۷۲.

۳- ۳) الأعراف:۱۷۲.

۴- ۴) الأعراف:۱۷۲.

كانوا يومئذ قال: صنع فيهم ما اكتفى به» . أقول:

قوله عليه السّلام فى حديث ابن الكواء: «فأسمعهم كلامه و ردّوا عليه الجواب» ، ظاهر فيما قلناه، على أنه لو كان خلقهم فى الذر و عالم الأرواح خلق صوره و شبح لما كان ما ذكره عليه السّلام جوابا لابن الكواء، فإنّ سؤاله هل كلم أحدا من ولد آدم سؤال عن تحقق المكالمه مع من يصح معه المكالمه، لا مع الصور و الشبح و الجواب أيضا كذلك، و أصرح من هذا

قوله عليه السّلام فى حديث أبى بصير: «صنع فيهم ما اكتفى به» أو

قوله: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه» ، أى من العقل و الشعور و هو دليل الحيوه لا الشبح و الصوره.

و فى تفسير البرهان (۱)و غيره فى ذيل الآيه المباركه وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ الآيه، عن زراره، عن أبى جعفر عليه السّلام. إلى أن قال عليه السّلام: «فخرجوا كالذر، فعرفهم و أراهم نفسه، و لو لا ذلك لم يعرف أحد ربّه» ، الحديث.

و فى حديث آخر عنه عليه السّلام. . إلى أن قال عليه السّلام: «فخرجوا كالذر، فعرفهم و أراهم صنعه، و لو لا ذلك لم يعرف أحد ربّه» ، الحديث.

و فيه تفسير البرهان (۲)عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلىٰ (۳)، قلت: معاينه كان هذا؟ قال: «نعم، فثبتت المعرفه و نسوا الموقف و سيذكرونه، و لو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه و رازقه، فمنهم أقرّ بلسانه فى الذر و لم يؤمن بقلبه فقال اللّه: فَمٰا کٰانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمٰا کَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ » .

و فيه، عنه عليه السّلام. . . إلى أن قال: «فثبتت المعرفه فى قلوبهم و نسوا الموقف و سيذكرونه يوما، و لو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه و من رازقه» .

۱- ۱) تفسير البرهان ج ۲ ص ۴۷.

۲- ۲) تفسير البرهان ج ۲ ص ۴۸.

۳- ۳) الأعراف:۱۷۲.

و فیه (۱)عن طریق العامه یرفعه إلی حذیفه الیمانی قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لو یعلم الناس متی سمی علی أمیر المؤمنین ما أنکروا فضله، سمی أمیر المؤمنین و آدم بین الروح و الجسد» ، الحدیث. أقول: و مثلها کثیر بهذه المضامین، و هذه کما تری صریحه فیما نحن بصدده

فقوله: «فعرفهم نفسه أو أراهم صنعه»

و قوله علیه السّلام: «و لو لا ذلک لم یدر. . . إلخ» ،

و قوله علیه السّلام: «نعم» ، بعد السؤال بقوله: «قلت: معاینه کان هذا؟» صریح فیما قلناه. أقول: الأخبار الداله علی ما ذکرنا کثیره جدا، و قد ذکرها المجلسی رحمه اللّه فی البحار فی کتاب السماء و العالم ج ۶۱ و ذکر الأقوال فیها، و ما اختلف فیها من أقوال العلماء، و ذکرها أیضا فی مرآه العقول ج ۷ کذلک، و العجب من المفید (رضوان اللّه تعالی علیه) کیف أنکر ظواهر هذه الأحادیث و مدالیلها المقطوعه، مستدلا تاره بأنها أحادیث آحاد، و قد علمت أنها فوق حدّ التواتر، و أخری بأنها مما قد بنت الغلاه علیها أباطیل کثیره، و صنّفوا فیها کتبا لغوا فیها و هزوا فیما أثبتوه منه فی معانیها، و ذکر أیضا أن ما نسبوه من کتاب الأشباح و الأظله إلی محمد بن سنان لم یعلم صحه النسبه، مضافا إلی أنه قد طعن علیه بالغلو. و ثالثه بأن الأخبار التی جاءت بأن ذریه آدم علیه السّلام استنطقوا فی الذّر فنطقوا فأخذ علیهم العهد فأقرّوا، فهی من أخبار التناسخیه، و قد خلطوا فیها و مزجوا الحق بالباطل، و رابعه بأن الأرواح لو کانت مخلوقه قبل الأجساد للزم أن تقوم الأرواح بأنفسها، و لا تحتاج إلی آلات تعلّقها، و لکنّا نعرف ما سلف لنا من الأرواح قبل خلق الأجساد، کما نعرف أحوالنا بعد خلق الأجساد، و هذا محال لا خفاء بفساده، هذا و لنعم ما قاله المجلسی رحمه اللّه قال فی مرآه العقول (۲): و أقول: طرح ظواهر الآیات و الأخبار المستفیضه بأمثال تلک الدلائل الضعیفه و الوجوه السخیفه جرأه

۱- ۱) تفسیر البرهان ج ۲ ص ۴۸.

۲- ۲) مرآه العقول ج ۷ ص ۴۴.

على اللّه و على أئمه الـدين، و لو تـأملت فيما يـدعوهم إلى ذلك من دلائلهم، و ما يرد عليها من الاعتراضات الوارده، لعرفت أن بأمثالهـا لاـ يمكن الاـجتزاء على طرح خبر واحـد، فكيف يمكن طرح تلـك الأخبـار الكثيره الموافقه لظـاهر الآـيه الكريمه بها و بأمثالهـا. أقول: و مما يهون الخطب أن العصـمه مختصه بأهلها. و قال رحمه اللّه فى البحار (۱)فى كتاب السماء و العالم: و أقول: قيام الأرواح بأنفسـها، أو تعلقها بالأجساد المثاليه، ثم تعلقها بالأجساد العنصـريه مما لا دليل على امتناعه. أقول: فقوله (أى المفيد رحمه اللّه) فيمـا تقـدم: إن الأرواح لو كانت مخلوقه للزم. . إلـخ، ليس إيرادا واردا على القول بأن الأرواح خلقت قبل الأبـدان، لعـدم الـدليل على امتناع ما قاله. ثم قال المجلسـى رحمه اللّه: و أما عدم تذكر الأحوال السابقه، فلعلّه لتقلبها فى الأطوار المختلفه أو لعـدم القوى البـدنيه، أو كون تلـك القوى قـائمه بما فارقته من الأجساد المثاليه أو لإذهاب اللّه تعالى تـذكر هـذه الأمور عنها لنوع من المصلحه

كما ورد: إن الذكر و النسـيان من صنعه تعالى، مع أن الإنسان لا يتذكر كثيرا من أحواله الطفوليه و الولاده، و التأويل الذى ذكره (أى المفيـد) للحـديث فى غايه البعـد، و لا سيما مع الإضافات الوارده فى الأخبار المتقدمه. أقول: فإن المفيد رحمه اللّه قد أول تلك الأحاديث بكثرتها على فرض صـحتها على خلق الأشـباح و الصوره، و قـد علمت فيما تقـدم أن كثيرا من أخبار الباب يأبى ذلك التأويل فراجع، و أيضا قد علمت

قوله عليه السّلام فيمـا تقـدم: «و نسوا الموقف فسيذكرونه» ، فـإنه صـريح فى أن الأرواح قـد نست تلك الحالات الكائنه لها فى الذر، لأنها قد صارت فى أسفل سافلين، و محجوبا بالحجب النوريه و الظلمانيه، كما صرحت به

ص: ۲۷۶

۱- ۱) البحار ج ۶۱ ص ۱۴۴.

الأحاديث،

و قوله عليه السّلام: «فسيذكرونه» ، ظاهر فى أنه إذا رفعت الحجب، تتذكر الأرواح حالاتها السابقه، كما لا يخفى، و اللّه الموفق للصواب. هذا بعض الكلام فى شرح

قوله عليه السّلام:

«خلقكم اللّه أنوارا»

،

و أما الكلام فى الجهه الثانيه و هى معنى العرش

فنقول و عليه التوكل: نذكر أولا معنى العرش لغه و ما ذكره الأكابر فى معناه، ثم نذكر الأحاديث الوارده فى شرحه، ثم نعقبه بما ألهمنا اللّه تعالى فى شرحه فنقول: فى المنجد: العرش مصدر جمعه أعراش و عروش و عرشه و عرش، سرير الملك إلى أن قال: المظله الخيمه، البيت الذى يستظل فيه، القصر. . . إلى أن قال: ركن الشىء و قوامه، يقال: ثل عرشه، أى ذهب عزه و هى أمره، و من البيت سقفه، و من القوم رئيسهم، عرش الطائر: عشّه. و فى البحار (١)قال الشيخ المفيد رحمه اللّه: العرش فى اللغه الملك. . إلى أن قال: و قال تعالى مخبرا عن واصف ملك ملكه سبإ: وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢)يريد بها ملك عظيم، فعرش اللّه ملكه، إلى. . . أن قال: و أما العرش الذى تحمله الملائكه فهو بعض الملك، و هو عرش خلقه اللّه تعالى فى السماء السابعه و تعبد الملائكه بحمله و تظيمه، كما خلق سبحانه بيتا فى الأرض، و أمر البشر بقصده و زيارته و الحج إليه و تعظيمه. . . إلخ. و قال السبزوارى رحمه اللّه فى شرح

قوله عليه السّلام: «يا من له العرش و الثرى» : العرش قد يطلق و يراد به علمه المحيط، و قد يطلق و يراد به الفيض المقدس، و قد يطلق و يراد به عالم العقل، و قد يطلق و يراد به الفلك الأطلس. و أما الروايات الوارده فى الباب فكثيره جدا، و نحن نذكر بعضها، و منه يظهر أيضا معنى العرش بنظر الشرع فنقول:

١- ١) البحار ج ٥٨ ص ٧.

٢- ٢) النمل:٢٣.

ففى البحار (۱)عن الخصال و المعانى و العياشى و الدر المنثور فى حديث أبى ذر، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: «يا أبا ذر ما السموات السبع فى الكرسى إلّا كحلقه ملقاه فى أرض فلاه و فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاه على تلك الحلقه» .

أقول:

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «ما السموات» ، إلى قوله صلّى اللّه عليه و آله: «فى أرض فلاه» ، بيان لعظمه الكرسى من حيث الكبر الصورى على السموات، لما سيأتى من أن الكرسى يطلق على الموجود الفعلى فى عالم ما سوى، و هذا بخلاف العرش فإنه يطلق عليه و على العلم الذى لا نهايه له.

و قوله صلّى اللّه عليه و آله : «فضل العرش. . . إلخ» ، بيان لعظمه العرش من حيث المعنى و الصوره على الكرسى، و ذلك لأن العرش قد يراد منه العلم (أى علمه تعالى) و لعله هو المراد منه هنا، و حينئذ فالعظمه للعرش بلحاظ العلم هو العظمه المعنوى و لذا عبر عنها بالفضل. و بعباره أخرى: عظمه العرش على الكرسى من جميع الجهات من الصورى و المعنوى كما لا يخفى.

و فيه (۲)الفقيه و العلل و المجالس للصدوق، روى عن الصادق عليه السّلام أنه سئل لم سميت الكعبه كعبه؟ قال: «لأنها مربعه، فقيل له: و لم صارت مربعه؟ قال: لأنها بحذاء البيت المعمور و هو مربع فقيل له: و لم صار البيت المعمور مربعا؟ قال: لأنه بحذاء العرش و هو مربع، فقيل له: و لم صار العرش مربعا؟ قال: لأن الكلمات التى بنى عليها الإسلام أربع، سبحان اللّه، و الحمد للّه و لا إله إلّا اللّه، و اللّه أكبر» . أقول: فى المنجد فى معنى المكعب: المجسم الذى له سته سطوح مربعه متساويه، . . . إلى أن قال فى معنى الكعبه: كل بيت مربع (الغرفه) البيت الحرام بمكه، سميت بذلك لتربيعها، و قيل: لنتوئها، أى خروجها من موضعه من غير أن ينفصل،

۱- ۱) البحار ج ۵۸ ص ۵.

۲- ۲) البحار ج ۵۸ ص ۵.

فهو ناتى أى مرتفع كالبيت و نحوه، كذا يستفاد من اللغه. أقول: فالبناء المعروف فى مسجد الحرام إنما سمى كعبه، لأنه الجسم الذى له سته سطوح مربعه، و إن لم تكن متساويه، و لتربيعها و خروجها عن سطح الأرض سميت كعبه، فمنه يعلم وجه تسميه الكعبه بكعبه

و لذا قال عليه السّلام فى وجهه: لأنها مربعه، فإن كل مربع هكذا، فهو كعبه بالمعنى العام، و أما وجه تربيع ساير ما ذكره عليه السّلام فهو يرجع إلى أن الكلمات التى بنى عليها الإسلام أربع، فحينئذ فالمستفاد منه أن العرش الذى معناه العلم، كما هو الظاهر منه فى هذا الحديث هو مفاد تلك الكلمات الأربع، التى هى حقايق العلم و أصوله، و حيث إن العلم بلحاظ المعنى ينقسم إلى أربعه و هو التنزيه و التحميد و التهليل و التكبير و يرجع إليها جميع العلوم و المعارف. و حيث إن هذه الأربع كلمات أمور معنويه، فلا محاله لا بد من أن تكون مظاهره فى عالم الملك، الذى هو بعض مصاديق العرش أيضا أربعه بالنحو الذى ذكره عليه السّلام و أما كون حقائق العلم هى تلك الأربع كلمات، لأن التوحيد الحقيقى الذى هو نتيجه الشرع و الخلق، و المقصود الأعلى منها إذا ظهر فى قلب الولى بعد مشيه على طبق الشرع و مرضاته تعالى، فأول ما يتلقى منه تعالى فى القلب هو تنزيهه تعالى عما لا يليق بجنابه المقدس، ثم بعد ما يرى العبد ما يرى من وحدانيته المقدسه المنزهه فيقدح فى قلبه تحميده تعالى، فيكون شراشر وجوده حامدا له، ثم بعد ما وجد ما وجد يهلله تبارك و تعالى، و ينفى عنه كل ضد و ند. فهو بشراشر وجوده مصداق لقوله: لا إله إلاّ اللّه ، و يتحقق فيه مفاده، ثم بعد ذلك يرى عظمته تعالى فى قلبه، كل بحسب قربه إليه تعالى، فلا محاله يكبره بقلبه بحقيقه التكبير، فيكون بحقيقته مكبرا له تعالى من أن يوصف، فإذا تحقق قلب العبد و الولى بالكلمات الأربع تلك فهو حائز بالعلم و المعرفه الحقيقيه، و يستلزمه أنه يعلم سائر العلوم الدخيله لحصول تلك الكلمات الأربع فحينئذ صحّ أن يقال: قلب المؤمن عرش الرحمن، و لعله بهذا اللحاظ يطلق العرش عليه كما سيأتى، فتدبر.

و فیه (۱)، الکافی، عن عده من أصحابه، عن أحمد بن محمد البرقی رفعه قال: سأل الجاثلیق أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال له: أخبرنی عن اللّه عز و جل یحمل العرش أو العرش یحمله؟ فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «اللّه عز و جل حامل العرش و السموات و الأرض، و ما فیهما و ما بینهما، و ذلک قول اللّه عز و جل: إِنَّ اَللّٰهَ یُمْسِکُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ أَنْ تَزُولاٰ وَ لَئِنْ زٰالَتٰا إِنْ أَمْسَکَهُمٰا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ کٰانَ حَلِیماً غَفُوراً (۲)، قال: فأخبرنی عن قوله: وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمٰانِیَهٌ (۳)فکیف ذاک؟ و قلت: إنه یحمل العرش و السموات و الأرض. فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: إن العرش خلقه اللّه تبارک و تعالی من أنوار أربعه: نور أحمر منه احمرت الحمره، و نور أخضر منه اخضرت الخضره، و نور أصفر منه اصفرت الصفره، و نور أبیض منه ابیض البیاض، و هو العلم الذی حمله اللّه الحمله، و ذلک نور من نور عظمته، فبعظمته و نوره أبصر قلوب المؤمنین، و بعظمته و نوره عاداه الجاهلون، و بعظمته و نوره ابتغی من فی السموات و الأرض من جمیع خلائقه إلیه الوسیله بالأعمال المختلفه و الأدیان المشتبه (المشتته خ ل) فکل شیء محمول یحمله اللّه بنوره و عظمته و قدرته، لا یستطیع لنفسه ضرّا و لا نفعا، و لا موتا و لا حیوه و لا نشورا، فکل شیء محمول، و اللّه تبارک و تعالی الممسک لهما أن تزولا، و المحیط بهما من شیء، و هو حیاه کل شیء، و نور کل شیء، سبحانه و تعالی عمّا یقولون علوا کبیرا. قال له: فأخبرنی عن اللّه عز و جل أین هو؟ فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: هو هیهنا و هیهنا و فوق و تحت، و محیط بنا و معنا و هو قوله: مٰا یَکُونُ مِنْ نَجْویٰ ثَلاٰثَهٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَهٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ أَدْنیٰ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ أَکْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَیْنَ مٰا

۱- ۱) البحار ج ۵۸ ص ۹.

۲- ۲) فاطر:۴۱.

۳- ۳) الحاقه:۱۷.

كٰانُوا

(۱)

، فالکرسی محیط بالسموات و الأرض و ما بینهما و ما تحت الثری وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ یَعْلَمُ اَلسِّرَّ وَ أَخْفَی و ذلک قوله تعالی: وَسِعَ کُرْسِیُّهُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ لاٰ یَؤُدُهُ حِفْظُهُمٰا وَ هُوَ اَلْعَلِیُّ اَلْعَظِیمُ (۲)، فالذین یحملون العرش هم العلماء الذین حملهم اللّه علمه، و لیس یخرج من هذه الأربعه شیء خلق اللّه فی ملکوته، و هو الملکوت الذی أراه اللّه أصفیاءه و أراه خلیله علیه السّلام فقال: وَ کَذٰلِکَ نُرِی إِبْرٰاهِیمَ مَلَکُوتَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لِیَکُونَ مِنَ اَلْمُوقِنِینَ (۳)، و کیف یحمل حمله العرش (اللّه) و بحیاته حییت قلوبهم و بنوره اهتدوا إلی معرفته» . أقول: هذا الحدیث من غوامض علومهم علیهم السّلام فلا یصل إلی معناه إلاّ من شملته العنایه الإلهیه، فنقول:

قوله علیه السّلام: «و لیس یخرج ممن هذه الأربعه» ، أی الأربعه أنوار التی هی معنی العرش فی

قوله علیه السّلام: «إن العرش خلقه اللّه تبارک و تعالی من أنوار أربعه» ، فیستفاد منه أن العرش أعظم مصداقا من الکرسی، فإن الکرسی محیط بالسموات و الأرض، و العرش محیط بالکرسی. و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام ما فیه ص ۱۷ عن الدر المنثور، عن أبی ذر قال: سئل النبی صلّی اللّه علیه و آله عن الکرسی؟ فقال: «یا أبا ذر ما السموات السبع و الأرضون السبع عند الکرسی، إلاّ کحلقه ملقاه بأرض فلاه، و إن فضل العرش علی الکرسی کفضل الفلاه علی تلک الحلقه» . أقول: قد تقدم معنی الحدیث. فإن قلت:

ففی البحار (۴)عن تفسیر علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن النضر عن موسی بن بکر، عن زراره، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: وَسِعَ کُرْسِیُّهُ اَلسَّمٰاوٰاتِ

۱- ۱) المجادله:۷.

۲- ۲) البقره:۲۵۵.

۳- ۳) الأنعام:۷۵.

۴- ۴) البحار ص ۲۲.

وَ اَلْأَرْضَ ، السموات و الأرض وسعن الكرسى، أم الكرسى وسع السموات و الأرض؟ قال: «بل الكرسى وسع السموات و الأرض و العرش، و كل شىء خلق اللّه فى الكرسى» فالمستفاد منه على الظاهر أن الكرسى أعظم من العرش. قلت: إن قرئ و العرش (منصوبا) عطفا على الأرض، أو مرفوعا بالابتداء، و يكون كل شىء معطوفا عليه، فحينئذ فالمراد بالكرسى العلم، ليرادف معناه مع العرش، كما أن

ما ورد من أن العرش محيط بالكرسى محمول على العلم، و قد يقال: إن العرش فى هذا الحديث معطوف على الكرسى أى و العرش أيضا وسع السموات و الأرض، فالمعنى أن الكرسى و العرش كلا منهما وسع السموات و الأرض، و حينئذ فالمراد بكل شىء خلق اللّه (كل ما خلق اللّه فيهما) . و كيف كان فالعرش كما يستفاد من كثير من أخبار الباب أوسع من الكرسى، و كيف كان و هو بمعنى العلم و العلم أوسع ما يكون فى عالم ما سوى اللّه تعالى، و ما ورد من كونه فى الكرسى أو ما يساويه محمول على ساير معانيه كما لا يخفى، و أما تلك المعانى الأربعه التى هى معنى العرش من الأنوار الأربعه فقد يقال: بأن المراد منها هى الجواهر القدسيه، التى هى وسائط جوده تعالى، و ألوانها كنايه عن اختلاف أنواعها، الذى هو سبب اختلاف الأنواع الرباعيه فى هذا العالم الحسى كالعناصر و الأخلاط و أجناس الحيوانات، أعنى الإنسان و البهائم و السباع و الصور و مراتب الإنسان أعنى الطبع و النفس الحساسه و النفس المتخيله و العقل، و أجناس المولدات كالمعدن و النبات و الحيوان و الإنسان. و قيل: إنه تمثيل لبيان تفاوت تلك الأنوار بحسب القرب و البعد من نور الأنوار، فالنور الأبيض هو الأقرب، و الأخضر هو الأبعد، فكأنه ممتزج بضرب من الظلمه، و الأحمر هو المتوسط بينهما ثم ما كان بين كل اثنين ألوان أخرى كألوان الصبح و الشفق المختلفه الألوان، لقربها و بعدها من نور الشمس. و قيل: المراد بها صفاته تعالى، فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات و إفاضه

الأرواح، التی هی عیون الحیاه و منابع الخضره، و الأحمر غضبه و قهره علی الجمیع بالإعدام و التعذیب، و الأبیض رحمته و لطفه علی عباده قال تعالی: أَمَّا اَلَّذِینَ اِبْیَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِی رَحْمَتِ اَللّٰهِ (1). و قیل: إن المراد من النور الأصفر العباده و صوره لها و هذا کما أن الصفره هی المشاهده فی وجوه العابدین المتهجدین، و لأنه إذا رأی العارف فی المنام صفره یعبر بأنه یوفق للعباده، و قد ورد فی الخبر أیضا أنه ألبسهم اللّه من نوره لما خلوا به فتأمل، و من النور الأبیض العلم، و لذا عبر اللبن المرئی فی المنام بالعلم الخالص عن الشکوک و الشبهات، و النور الأحمر المحبه و هو المشاهد فی وجوه المحبین عند طغیانها، و من النور الأخضر المعرفه و هو العلم المتعلق بذاته تعالی و صفاته سبحانه. کما هو المستفاد

مما روی عن الرضا علیه السّلام أنه سئل عما یروی أن محمدا صلّی اللّه علیه و آله رأی ربّه فی صوره الشاب الموفق فی صوره أبناء ثلاثین سنه رجلاه فی خضره؟ فقال علیه السّلام: «إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حین نظر إلی عظمه ربه کان فی هیئه الشاب الموفق و سن أبناء ثلاثین سنه، فقال الراوی: جعلت فداک من کانت رجلاه فی خضره؟ قال: ذاک محمد صلّی اللّه علیه و آله کان إذا نظر إلی ربه بقلبه جعله فی نور مثل نور الحجب حتی یستبین له ما فی الحجب، إن نور اللّه منه أخضر و منه أحمر و منه أبیض و منه غیر ذلک. . . إلخ» . فالظاهر من الحدیث الشریف أنه صلّی اللّه علیه و آله کان حینئذ فی کمال العرفان و خائضا فی بحار معرفه الرحیم المنان، و کانت رجلاه فی النور الأخضر، و قائما فی مقام من المعرفه لا یطیقها أحد من الملائکه و البشر.

و فیه (2)عن تفسیر علی بن إبراهیم ، وَ اَلْمَلَکُ عَلیٰ أَرْجٰائِهٰا وَ یَحْمِلُ عَرْشَ

١- ١) آل عمران:١٠٧.

٢- ٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٧.

رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمانِیَهٌ. یَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ

(۱)

، قال: «حمله العرش ثمانیه، لکل واحد ثمانی أعین کل عین طباق الدنیا» .

و فی حدیث آخر: «حمله العرش ثمانیه: أربعه من الأولین، و أربعه من الآخرین، فأما الأربعه من الأولین فنوح و إبراهیم و موسی و عیسی علیهم السّلام و أما الأربعه من الآخرین فمحمد و علی و الحسن و الحسین (صلوات اللّه علیهم أجمعین) و معنی یحملون العرش یعنی العلم» .

و فیه، عن الخصال بإسناده، عن حفص بن غیاث قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن حمله العرش ثمانیه لکل واحد منهم ثمانی أعین، کل عین طباق الدنیا» .

و منه، عن ابن الولید، عن الصفار مرسلا قال: قال الصادق علیه السّلام: «إن حمله العرش أحدهم علی صوره ابن آدم، یسترزق اللّه لولد آدم، و الثانی علی صوره الدیک، یسترزق اللّه للطیر، و الثالث علی صوره الأسد، یسترزق اللّه للسباع، و الرابع علی صوره الثور، یسترزق اللّه للبهائم، و نکس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائیل العجل، فإذا کان یوم القیامه صاروا ثمانیه» .

و فیه (۲)عن معانی الأخبار بإسناده، عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن العرش و الکرسی ما هما؟ فقال: «العرش فی وجه هو جمله الخلق و الکرسی وعاؤه، و فی وجه آخر هو العلم الذی أطلع اللّه علیه أنبیائه و رسله و حججه، و الکرسی هو العلم الذی لم یطلع علیه أحدا من أنبیائه و رسله و حججه» .

و فیه (۳)عن کتاب تأویل الآیات الظاهره نقلا عن کتاب محمد بن العباس بن ماهیار بإسناده، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول فی قوله تعالی:

۱- ۱) الحاقه:۱۷ و ۱۸.

۲- ۲) البحار ج ۵۲ ص ۵۸.

۳- ۳) البحار ج ۵۲ ص ۳۵.

اَلَّذِینَ یَحْمِلُونَ اَلْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ ، قال: «یعنی محمدا و علیّا و الحسن و الحسین و نوحا و إبراهیم و موسی و عیسی علیهم السّلام» .

و فیه (۱)فی بعض الکتب عن علی بن الحسین علیه السّلام: «إن فی العرش تمثال جمیع ما خلق اللّه» . أقول: هذا بعض الأحادیث فی الباب. قال المجلسی رحمه اللّه فی البحار (۲): تحقیق و توفیق، اعلم: ان ملوک الدنیا لما کان ظهورهم و إجراء أحکامهم علی رعیتهم إنما یکون عند صعودهم علی کرسی الملک، و عروجهم علی عرش السلطنه، و منهما تظهر آثارهم، و تتبین أسرارهم، و اللّه سبحانه لتقدسه عن المکان لا یوصف بمحل و لا مقرّ، و لیس له عرش، و لا کرسی یستقر علیهما بل یطلقان علی أشیاء من مخلوقاته، أو صفاته الکمالیه علی وجه المناسبه، فالکرسی و العرش یطلقان علی معان: أحدها: جسمان عظیمان خلقهما اللّه تعالی فوق سبع سموات، و ظاهر أکثر الأخبار أن العرش أرفع و أعظم من الکرسی و یلوح من بعضها العکس. أقول: قد علمت أن العرش أعظم، و ما یلوح منه العکس قد علمت تأویله مما لا ینافی کون العرش أعظم. قال رحمه اللّه: و الحکماء یزعمون أن الکرسی هو الفلک الثامن، و العرش هو الفلک التاسع، و ظواهر الأخبار تدل علی خلاف ذلک من کونهما مربعین ذاتی قوائم و أرکان. أقول: قد علمت أن العرش قد یطلق علی العلم، فهو بهذا المعنی ینافی قول الحکماء، و أما سایر استعمالاته فیمکن حملها علی ما قاله الحکماء بضرب من التأویل.

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۳۶.

۲- ۲) البحار ج ۵۸ ص ۳۷.

قال رحمه اللّه: و ربما يؤوّلان بالجهات و الحدود و الصفات، التی بها استحقا التعظیم و التکریم، و لا حاجه لنا إلی هذه التکلفات، و إنما سمیا بالاسمین لبروز أحکامه، و تقدیراته من عندهما، و إحاطه الکروبیین و المقربین و أرواح النبیین و الأوصیاء بهما و عروج من قربه من جنابه إلیهما، کما أن أوامر الملوک و أحکامهم و آثار سلطنتهم و عظمتهم تبدو منهما و یطیف مقربو جنابهم و خواص ملکهم بهما، و أیضا لما کانا أعظم مخلوقاته الجسمانیه، و فیهما من الأنوار العجیبه، و الآثار الغریبه ما لیس فی غیرهما من الأجسام، فدلالتها علی وجوده و علمه و قدرته و حکمته سبحانه أکثر من سایر الأجسام، فلذا خصّا بهذین الاسمین من بینهما، و حملتهما فی الدنیا جماعه من الملائکه کما عرفت، و فی الآخره إما الملائکه أو أولو العزم من الأنبیاء مع صفوه الأوصیاء علیهم السّلام کما عرفت. و یمکن أن یکون نسبه الحمل إلیهم مجازا، لقیام العرش بهم فی القیمه، و کونهم الحکام عنده و المقربین له به. و ثانیها: العلم کما عرفت إطلاقهما فی کثیر من الأخبار، و قد مرّ الفرق بینهما فی معانی الأخبار و غیره، و ذلک أیضا لأن منشأ ظهوره سبحانه علی خلقه العلم و المعرفه، و به یتجلی علی العباد، فکأنه عرشه و کرسیه سبحانه و حملتهما نبینا و أئمتنا علیهم السّلام لأنهم خزان علم اللّه فی سمائه و أرضه، لا سیّما ما یتعلق بمعرفته سبحانه. و ثالثها: الملک و قد مرّ إطلاقهما علیه فی خبر (حنان) و الوجه ما مرّ أیضا. و رابعها: الجسم المحیط و جمیع ما فی جوفه أو جمیع خلق اللّه کما ذکره الصدوق رحمه اللّه و یستفاد من بعض الأخبار، إذ ما من شیء فی الأرض و لا فی السماء و ما فوقها إلاّ و هی من آیات وجوده، و علامات قدرته، و آثار وجوده و فیضه و حکمته، فجمیع المخلوقات عرش عظمته و جلاله و بها تجلی علی العارفین بصفات کماله، و هذا أحد المعانی التی خطرت ببالی الفاتر فی قولهم علیهم السّلام و ارتفع فوق کل منظر، فتدبر.

و خامسها: إطلاق العرش على كل صفه من صفاته الكماليه و الجلاليه، إذ كل منها مستقر لعظمته و جلاله، و بها يظهر لعباده على قدر قابليتهم و معرفتهم، فله عرش العلم و عرش القدره، و عرش الرحمانيه، و عرش الرحيميه، و عرش الوحدانيه، و عرش التنزه كما مرّ فى خبر حنان و غيره. و قد أوّل الوالد رحمه اللّه الخبر الذى ورد فى تفسير قوله تعالى: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ (1)، إن المعنى استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء، إن المراد بالعرش هنا عرش الرحمانيه و الظرف حال أى الرب سبحانه حال كونه على عرش الرحمانيه استوى من كل شيء، إذ بالنظر إلى الرحيميه التى هى عباره عن الهدايات و الرحمات الخاصه بالمؤمنين أقرب، أو المراد أنه تعالى بسبب صفه الرحمانيه حال كونه على عرش الملك و العظمه و الجلال استوى نسبته إلى كل شيء، و حينئذ فائده التقييد بالحال نفى توهم أن هذا الاستواء مما ينقص من عظمته و جلاله شيئا. و سادسها: إطلاق العرش على قلب الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام و كمّل المؤمنين، فإن قلوبهم مستقر محبته و معرفته سبحانه

كما روى: «إن قلب المؤمن عرش الرحمن»

و روى أيضا فى الحديث القدسى: «لم تسعنى سمائى و لا أرضى، و وسعنى قلب عبدى المؤمن» ، ثم اعلم أن إطلاقهما على بعض المعانى عند التصريح به، أو إقامه القرائن عليه لا ينافى وجوب الإذعان بالمعنى الأول الذى هو الظاهر من أكثر الآيات و الأخبار، و اللّه المطلع على الأسرار. أقول: لا ريب فى أن المستفاد من اللغه و موارد استعمال لفظ العرش أنه موضوع لما به ظهور العظمه و العلو لمن له العظمه و العلو، و قد يكون هو (أى المستعمل فيه العرش) مظهر للعلو للشيء كما فى استعماله فى السقف و أشباهه.

١- ١) طه:۵.

و كيف كان لا ريب أيضا فى أن ظهور العظمه و العلو حسب مظاهرهما من العرش مختلف كما و كيفا و موضوعا، فقد يكون شىء مظهرا لبروز العظمه و العلو من حيث العلم، و قد يكون من حيث القدره، و قد يكون من حيث السطوه، و قد يكون من حيث العظمه، و هكذا ففى أىّ مورد من الموارد المعنويه أو الخارجيه يكون فيه ظهور لكمال و جلال و جمال منه تعالى فهو عرشه. و لا ريب فى أن مظاهره مختلفه، فكون العلم عرشا له تعالى باعتبار ظهوره علمه، الذى لا يشذّ عنه شىء من السعه و الإحاطه الحاكيه عن عظمته العلميه تبارك و تعالى، و كذا الجسم المحيط كما تقدم بما فيه من الموجودات، فإنما صار عرشا لظهور مظاهر قدرته و خلقه و آياته عليه تعالى، و كذا كون قلوب الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام عرشا له تعالى باعتبار ظهور كمالاته تعالى فيها، و كذا قلب المؤمنين كل على حسب كمال إيمانه، و ظهور آثاره تعالى فيه، و قس عليه ساير موارد الإطلاقات، فإن الألفاظ كما حقق فى محله موضوعه للمعانى العامه، و ما ذكر من موارد الاستعمال إنما هو ببيان مصاديقه. فاستعمال العرش فى جميع الموارد بنظر العرف و الشرع يكون بنحو الحقيقه إذ إنها مصاديق لذلك المعنى العام الذى عرفته، ثم إن التمييز بين موارد استعماله فى العظمه و العلو شده و ضعفا إنما هو ببيان النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام فبه تظهر عظمه موارد استعماله، و ليس لغيرهم هذه القدره كما لا يخفى، و منه يعلم أن أعظم موارد استعمال العرش فى العظمه و العلو بحيث لا ثانى له هو قلب النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام ثم الأنبياء ثم الأولياء الأمثل فالأمثل كما لا يخفى، فتدبّر تعرف بعونه تعالى، و الحمد للّه ربّ العالمين و صلى اللّه على النبى و آله.

و أما الكلام فى الجهه الثالثه أعنى معنى كونهم عليهم السّلام محدقين بالعرش،

نذكر أولا أحاديث فمنها يظهر معنى كونهم عليهم السّلام محدقين، فنقول:

ص: ٢٨٨

فی تفسیر البرهان (۱)و روی صاحب کتاب المقتضب فی إمامه الاثنی عشر بإسناده، عن أبی سلیمان (سلمی) راعی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: «سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: «لیله أسری بی إلی السماء قال لی الجلیل جلّ جلاله: آمَنَ اَلرَّسُولُ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ ، فقلت: وَ اَلْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ ، فقال تعالی: صدقت یا محمد، من خلّفت فی أمتک؟ قلت: خیرها، قال اللّه تعالی: علی بن أبی طالب علیه السّلام؟ قلت: نعم، قال: یا محمد إنی اطلعت علی الأرض اطلاعه فاخترتک منها، فشققت لک اسما من أسمائی، فلا أذکر فی موضع إلاّ ذکرت معی، فأنا المحمود و أنت محمد، ثم اطلعت الثانیه فاخترت منها علیا و شققت له اسما من أسمائی فأنا الأعلی و هو علی. یا محمد إنی خلقتک و خلقت علیا و فاطمه و الحسن و الحسین و الأئمه من ولده من نوری، و عرضت ولایتکم علی أهل السموات و الأرض، فمن قبلها کان عندی من المؤمنین، و من جحدها کان عندی من الکافرین، یا محمد لو أن عبدا من عبادی عبدنی حتی ینقطع أو یصیر کالشن البالی، ثم آتانی جاحدا لولایتکم ما غفرت له حتی یقرّ بولایتکم، یا محمد تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم، فقال لی: التفت عن یمین العرش، فالتفت فإذا بعلی و فاطمه و الحسن و الحسین و علی بن الحسین و محمد بن علی و جعفر بن محمد و موسی بن جعفر و علی بن موسی و محمد بن علی و علی بن محمد و الحسن بن علی و المهدی فی ضحضاح من نور قیام یصلون، و هو فی وسطهم (یعنی المهدی) کأنه کوکب درّی، فقال: یا محمد هؤلاء الحجج، و هو الثائر من عترتک، و عزتی و جلالی إنه للحجه الواجبه لأولیائی و المنتقم من أعدائی» .

و فی المحکی عن الاحتجاج، عن القاسم بن معاویه بن عمار قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: هؤلاء یروون حدیثا فی معراجهم أنه لما أسری برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله رأی علی العرش: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أبو بکر الصدیق، فقال: (سبحان اللّه غیّروا کل شیء حتی هذا؟ ! قلت: نعم، قال: إن اللّه عز و جل لما خلق العرش کتب

۱- ۱) تفسیر البرهان ج ۳ ص ۲۶۶.

على قوائمه: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على أمير المؤمنين» و لما خلق اللّه عز و جل الماء كتب على مجراه: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على ولى اللّه» و لما خلق اللّه عز و جل الكرسى كتب على قوائمه: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على ولى اللّه أمير المؤمنين» و لما خلق اللّه عز و جل اللوح كتب فيه: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على أمير المؤمنين» . و لما خلق اللّه عز و جل أسرافيل كتب على جبهته: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على ولى اللّه أمير المؤمنين» و لما خلق اللّه عز و جل جبرئيل كتب على جناحيه: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على ولى اللّه أمير المؤمنين» و لما خلق اللّه عز و جل السموات كتب على أكنافها: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على أمير المؤمنين» و لما خلق اللّه عز و جل الأرضين كتب فى أطباقها: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على أمير المؤمنين» و لما خلق اللّه عز و جل الجبال كتب فى رءوسها: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على أمير المؤمنين» و لما خلق اللّه عز و جل الشمس كتب عليها: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على أمير المؤمنين» و لما خلق اللّه عز و جل القمر كتب عليه: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على أمير المؤمنين» و هو السواد الذى ترونه فى القمر، فإذا قال أحدكم: «لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه، فليقل: على أمير المؤمنين» . أقول: قد علمت سابقا أن العرش يطلق على وجه على جمله الخلق، و على العلم الذى اطلع اللّه عليه أنبياءه كما عن الصادق عليه السّلام و علمت أن فى العرش تمثال جميع ما خلق اللّه كما عن السجاد عليه السّلام و ما ذكره بعضهم من أن العرش يراد منه الجواهر القدسيه، التى هى وسائط جوده تعالى بأنحائها، أى أنحاء الجواهر من العناصر و الأخلاط، و أجناس الحيوانات من الإنسان و غيره، و أقسامها و أجناس المولدات من المعادن و النبات و غيرها، بل يشمل العرش الملائكه بأقسامها. و الحاصل أنه يراد جميع ما سواه تعالى، فإنما يرجع إلى قول الصادق و السجاد عليهما السّلام كما لا يخفى.

فحينئذ معنى أنهم عليهم السّلام محدقون بعرشه أى أنهم مطيفون و محيطون بهذه الأمور كلها إحاطه علما و قدره كما تقدم من

قول النبى صلّى اللّه عليه و آله: «و كان نورى محيطا بالعلم و نور على محيطا بالقدره» ، و اختصاص كل منهما بأحدهما بلحاظ المظهريه و أن الإحاطه العلميه التى كانت له صلّى اللّه عليه و آله أعظم و أشمل من غيره كما لا يخفى كما يقتضيه مقام النبوه، و إليه يشير ما

فى حديث أبى سلمان راعى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من قوله تعالى: «فلا أذكر فى موضع إلاّ ذكرت معى» ، فإنه تعالى يذكر علما أو صفه و هم عليهم السّلام مظهر لهما، فحقيقتهم هو العلم و الصفات الإلهيه،

كما قال على عليه السّلام: «و اللّه نحن الأسماء الحسنى» . فالوقوف به تعالى وقوف بهم عليهم السّلام لأنه لا طريق إلى الوقوف به تعالى إلاّ بالوقوف بهم، كما يشير إليه

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجه بكم»

، و سيأتى بيانه. و كيف كان فكونهم محدقين بعرشه أى عالمين و محيطين و مطيفين بجميع ما سواه تعالى حتى الملائكه إحاطه علميه و قدرتيه، و إلى هذه الإحاطه و شمول القدره يشير ما ذكر آنفا عن الاحتجاج من كتابته لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه على ولى اللّه و أمير المؤمنين على جميع الأشياء المذكوره فى الحديث، الشامله لجميع ما سواه تعالى، و معنى كتابتها عليها أنه لما كان جميع الأشياء موجوده بأسمائه الحسنى، فكل موجود مما فيه من تلك الأسماء كما و كيفا، كما أشير إليه

فى دعاء كميل:

«و بأسمائك التى ملأت أركان كل شىء» .

و حقيقه تلك الأسماء بأنواعها و مصاديقها الخارجيه، إنما هى حقيقتهم كما علمت من

قوله عليه السّلام: «و نحن الأسماء الحسنى» ، و هذه الأسماء هى الجهه الربوبيه فى الأشياء، التى بها تستفيض الأشياء الفيض منه تعالى لا نفسها، و من هذه الجهه قيامها به تعالى، و هى جهه الربط بينها و بينه تعالى، و بهذا اللحاظ لا يكاد يخفى شىء من الموجودات عنهم عليهم السّلام، كيف و هم سبب الخلق كما تقدم، أى سبب قيامها به تعالى و سبب وجودها منه تعالى، و سبب أرزاقها منه تعالى، فحقيقتهم فى

الأشياء موجوده بنحو يشابه وجوده تعالى فيها بلا كيفيه، كيف و هم فى الوجود أشبه به تعالى من وجود غيرهم، لأنهم وجه اللّه الذى لا يبيد و لا يهلك، كما دلت عليه الأخبار الكثيره.

و فى المحكى عن الاختصاص، عن سماعه قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فأرعدت السماء فأبرقت، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أما أنه ما كان من أمر هذا الرعد و من هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، فقلنا: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السّلام» . أقول: يدل هذا على أن ما يقع فى الخارج فإنما هو بأمرهم، كيف لا و هم سببها، كما علمت أن هذا جار فى جميعهم عليهم السّلام و لا يختص بأمير المؤمنين عليه السّلام إلّا فى إمره المؤمنين، فإنها مختصه به (صلوات اللّه عليه) نعم له عليه السّلام الفضل الذى يخصّه، و هذا ثابت بدليل الاشتراک كما لا يخفى و قد تقدمت أحاديثه. أقول: و إلى هذه الدقيقه و الحقيقه المحمديه و العلويه يشير ما ورد فى الأخبار من أنهم عليهم السّلام يظهرون فى الصور كيف ما شاءوا بل هذا الظهور منهم فى كل شىء لكل شىء، فحينئذ كونهم محدقين بالعرش بالفعل، معناه أنهم بأشباههم النوريه ظاهرون فيها و بإيجاداتهم و تأثيراتهم باللّه تعالى و بإذنه تعالى و بإيجاده تعالى و صنعه لما صنع بهم، يظهر الموجودات بأسرها من وجودهم و أرزاقهم و حياتهم و مماتهم، فافهم و تأمل. و الحاصل: أن معنى كونهم محدقين بالعرش أنهم محيطون و عالمون بها و مطيفون بها، يدل عليه كتابه أسمائهم و حقيقتهم عليها، و أن العرش (أى ما سواه) مستند إليهم فى الوجود و فى الاستفاضه منه تعالى، و أنهم عليهم السّلام المظهرون لما أودع اللّه تعالى فى العرش و فى الأشياء من حكمه و مصالحه و علومه، و آثار قدرته و وجوده تعالى، لأنهم عليهم السّلام خزان علمه و حفظه سره، و هم مفاتيح تلک الأمور، فهم الخازنون لها و المظهرون لها كلا منها بإذنه تعالى، كيف و هم عليهم السّلام حقيقتها الأصليه

ص: ۲۹۲

التی بها وجودهم، فالموجودات فی الحقیقه آثار وجودهم، و هم و هی من آثار وجوده تعالی، یدل علی هذا

قولهم علیهم السّلام فیما تقدم: «لو لا الحجه لساخت الأرض بأهلها» . و بعباره أخری: أنه تعالی خلق الخلق بملاک رحمته الرحیمیه و الرحمانیه للمؤمنین و غیرهم، بل لسایر الموجودات و هم علیهم السّلام حقیقه الرحمه الإلهیه قال تعالی: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ رَحْمَهً لِلْعٰالَمِینَ (۱)، و قال تعالی: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ (۲)الآیه، و قد فسر الرحمه و الفضل بمحمد و علی (علیهما و آلهما السّلام) فی کثیر من الأخبار الوارده فی تفسیر تلک الآیات کما لا یخفی، و من عندهم آثار کل شیء، الذی بها وجوده و أصل وجوده، کل ذلک لأنهم علیهم السّلام مستفیضون منه تعالی العلم و الحقائق، ثم یفیضونها للموجودات لکل بحسبه و لسان استعداده و طلبه الذاتی، کما تقدم فی بیان الولایه الکلیه الإلهیه التکوینیه الثابته لهم علیهم السّلام، هذا بعض الکلام فی المقام، و له الحمد أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

قوله علیه السّلام: حتّی منّ علینا بکم، فجعلکم فی بیوت أذن اللّه أن ترفع و یذکر فیها اسمه.

اشاره

أقول: شرح هذه الجمل من جهات:

الجهه الأولی: فی بیان منن اللّه تعالی بأن جعلهم فی بیوت. . . إلخ

، فنقول: لا ریب فی أن المقصود من الخلق هو معرفه الخالق، کما تقدم

من قول الحسین علیه السّلام: «أیها الناس إن اللّه ما خلق الخلق إلاّ لیعرفوه» الحدیث،

و من الحدیث المشهور من قوله تعالی: «کنت کنزا مخفیا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لکی أعرف» ، و أیضا ثبت فی محله أن الخلق بما هم جاهلون و عاجزون، لا یقدرون علی

۱- ۱) الأنبیاء:۱۰۷.

۲- ۲) البقره:۸۳.

تحصیل معرفته تعالی،

کما قال السجاد علیه السّلام: «و إنه لا طریق إلی معرفتک إلاّ بالعجز عن معرفتک» ، أی لا بد للخلق من الإقرار بالعجز، فحینئذ یتفضل الباری علیهم بالمعرفه، و فی الکافی باب منعقد لخصوص أن المعرفه من صنع اللّه تعالی. فحینئذ ینحصر حصول المعرفه به تعالی فی أن یعرفهم اللّه تعالی نفسه، و هو تعالی أحب أن یعرف، و أن یعرفوه بما عرفهم من نفسه بلسان نبیه و الأئمه علیهم السّلام. و بعباره أخری: أن یعرفوه بسبیل معرفتهم، و قد تقدم فی موارد من الشرح أنه لا سبیل إلی معرفته إلاّ بسبیل معرفتهم، فراجع، فحینئذ اقتضت الحکمه الإلهیه علی أن خلق ما شاء من خلقه علی حقیقه معرفته، و علی کونهم محالا لمعرفته، لیتوسل الخلق بسبیل معرفتهم إلی معرفته تعالی، و تقدم أیضا

قول الباقر علیه السّلام: «فنحن أول خلق ابتدأ اللّه، و أول خلق عبد اللّه و سبحه، و نحن سبب خلق الخلق، و سبب تسبیحهم و عبادتهم من الملائکه و الآدمیین فبنا عرف اللّه، و بنا وحد اللّه، و بنا عبد اللّه، و بنا أکرم اللّه من جمیع خلقه» ، الحدیث ذکره السید البحرانی رحمه اللّه فی غایه المرام ص ۱۰۴. و مثله کثیر کما لا یخفی، فسبحان من جعل الأئمه علیهم السّلام فی أول الخلق النعمه الکبری، و الآلاء العظمی علی من سواهم، فما للّه تعالی نعمه أعظم منها علینا، حیث إنه تعالی خلقهم، و أنهی إلیهم علمه، و أشهدهم أمر خلقه، و جعلهم الهداه إلیه، فمن اهتدی بهم نجا، و من تخلف عنهم هلک، و جعلهم أعضاد الخلق إلی کل خیر من سعاده الدنیا و الآخره فلا یسعد من سعد إلاّ بهم، و لا یشقی من شقی إلاّ بمخالفتهم و ترک متابعتهم، بل علمت أنه تعالی بفضل وجودهم أوجد من سواهم و ما سواهم، فرزق الخلق و نجاتهم و هدایتهم فی الدارین، و قبول عبادتهم، و دفع البلاء عنهم، و وصولهم إلی کل خیر، إنما هو بهم و بمتابعتهم و بقبول ولایتهم علیهم السّلام فلا منّه حینئذ أعظم من مننه تعالی علینا من هذه النعمه، و نحن نذکر حدیثا جامعا قد ذکر فیه هذه النعماء.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱): قال علی بن إبراهیم رحمه اللّه فی قول اللّه عز و جل: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ ، إلی قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ فإنه حدثنی أبی، عن عبد اللّه بن جندب قال: کتبت إلی أبی الحسن الرضا علیه السّلام أسأله عن تفسیر هذه الآیه؟ فکتب إلیّ الجواب: أما بعد: «فإن محمدا صلّی اللّه علیه و آله کان أمین اللّه فی خلقه، فلما قبض النبی کنّا أهل البیت ورثته، فنحن أمناء اللّه فی أرضه، عندنا علم المنایا و البلایا و أنساب العرب و مولد الإسلام، و ما من فئه تضل مائه و تهدی مائه إلاّ و نحن سائقها و قائدها و ناعقها، و إنا لنعرف الرجل إذا رأیناه بحقیقه الإیمان و حقیقه النفاق. و إن شیعتنا لمکتوبون بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ اللّه عز و جل علینا و علیهم المیثاق، یردون موردنا، و یدخلون مدخلنا، لیس علی مله الإسلام غیرنا و غیرهم إلی یوم القیامه، نحن الآخذون بحجزه نبینا، و نبینا الآخذ بحجزه ربنا، الحجزه النور و شیعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلک، و من تبعنا نجا، و المفارق لنا و الجاحد لولایتنا کافر، و متبعنا و تابع أولیائنا مؤمن، لا یحبنا کافر و لا یبغضنا مؤمن، فمن مات و هو یحبنا کان حقا علی اللّه أن یبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا، و هدی لمن اهتدی بنا، و من لم یکن منا فلیس من الإسلام فی شیء، بنا فتح اللّه الدین و بنا یختمه، و بنا أطعمکم اللّه عشب الأرض، و بنا أنزل اللّه قطر السماء، و بنا أمنکم اللّه عز و جل من الغرق فی بحرکم، و من الخسف فی برّکم. و بنا نفعکم اللّه فی حیاتکم و فی قبورکم و فی محشرکم، و عند الصراط، و عند المیزان، و عند دخولکم الجنان، مثلنا فی کتاب اللّه عز و جل کمثل مشکوه المشکوه فی القندیل فنحن المشکوه فِیهٰا مِصْبٰاحٌ المصباح محمد صلّی اللّه علیه و آله اَلْمِصْبٰاحُ فِی زُجٰاجَهٍ من عنصره اَلزُّجٰاجَهُ کَأَنَّهٰا کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ یُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبٰارَکَهٍ

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۶۰۶.

زَيْتُونَهٍ لاٰ شَرْقِيَّهٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّهٍ

(۱)

لا دعيه و لا منكره يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِیءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ القرآن نُورٌ عَلىٰ نُورٍ إمام بعد إمام يَهْدِی اَللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ وَ اَللّٰهُ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيمٌ فالنور على (صلوات اللّه عليه) يهدى لولايتنا من أحب، و حق على اللّه أن يبعث ولينا مشرقا وجهه، منيرا برهانه، ظاهره عند اللّه حجته» ، الحديث. أقول: قد دل هذا الحديث على أنه تعالى منّ علينا بهم فی الدارين، بما ذكر فيه من النعماء و الآلاء و الألطاف و نحن نشكر اللّه تعالى كما ينبغی، لكرم وجهه و عزّ جلاله على هذه النعمه العظمى و المنّه الجسميه، و له الحمد و الشكر أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

الجهه الثانيه: فی بيان معنى البيوت التی أذن اللّه أن ترفع، . . . إلخ.

اشاره

أقول: قال الشارح المجلسی رحمه اللّه: إشاره إلى أن هذه الآيات التی بعد آيه النور وردت فيهم، كما أن الآيات التی بعدها وردت فی أعداءهم كما ورد فی الأخبار المتكثره، و المراد بالبيوت البيوت المعنويه التی هی بيوت العلم و الحكمه و غيرهما من الكمالات، و الذكر فيها كنايه عن الاستفاضه منهم، و الصوريه التی هی بيوت النبی و الأئمه عليهم السّلام فی الحيوه و فی مشاهدهم بعد الوفاه. أقول: لا بد من ذكر الأحاديث الوارده فی الباب ثم بيان المستفاد منها، فنقول:

ففی تفسير نور الثقلين (۲)بإسناده، عن جابر، عن أبی جعفر عليه السّلام فی قوله عز و جل: فِی بُيُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اِسْمُهُ (۳)، قال: «هی بيوت الأنبياء و بيت على منها» .

و فيه، عن المناقب لابن شهرآشوب، أبو حمزه الثمالی فی خبر: لما كانت السنه

۱- ۱) النور:۳۵.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۶۰۷.

۳- ۳) النور:۳۶.

التی حج فیها أبو جعفر محمد بن علی و لقیه هشام بن عبد الملک، أقبل الناس یتساءلون علیه، فقال عکرمه: من هذا؟ علیه سیماء زهره العلم لأخزینه، فلما مثل بین یدیه ارتعدت فرائصه و أسقط فی أیدی أبی جعفر علیه السّلام و قال: یا بن رسول اللّه لقد جلست مجالس کثیره بین یدی ابن عباس و غیره، فما أدرکنی ما أدرکنی آنفا، فقال له أبو جعفر علیه السّلام: «ویلک یا عبید أهل الشام إنک بین یدی بیوت أذن اللّه أن ترفع و یذکر فیها اسمه» .

و فیه عن کتاب کمال الدین و تمام النعمه، عن أبی حمزه الثمالی، عن أبی جعفر محمد بن علی الباقر علیه السّلام حدیث طویل و فیه یقول علیه السّلام: «إنما الحجه فی آل إبراهیم لقول اللّه عز و جل: فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ اَلْکِتابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً (۱)و الحجه الأنبیاء و أهل بیوتات الأنبیاء حتی تقوم الساعه، لأن کتاب اللّه ینطق بذلک و وصیه اللّه جرت بذلک فی العقب، من البیوت التی رفعها اللّه تبارک و تعالی علی الناس فقال: فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اَللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اِسْمُهُ ، و هی بیوتات الأنبیاء و الرسل و الحکماء و أئمه الهدی» .

و فیه عن روضه الکافی، أبان، عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اَللّهُ أَنْ تُرْفَعَ قال: «هی بیوت النبی صلّی اللّه علیه و آله» .

و فیه، عن روضه الکافی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال: «وصل اللّه طاعه ولی أمره بطاعه رسوله و طاعه رسوله، بطاعته، فمن ترک طاعه ولاه الأمر لم یطع اللّه و لا رسوله، و هو الإقرار بما أنزل من عند اللّه عز و جل: خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ (۲)و التمسوا البیوت التی أذن اللّه أن ترفع و یذکر فیها اسمه فإنه أخبرکم أنهم: رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اَللّهِ وَ إِقامِ اَلصَّلاهِ وَ إِیتاءِ اَلزَّکاهِ یَخافُونَ یَوْماً تَتَقَلَّبُ فِیهِ اَلْقُلُوبُ وَ اَلْأَبْصارُ ، الحدیث.

۱- ۱) النساء:۵۴.

۲- ۲) الأعراف:۳۱.

و فیه (۱)عن أبی حمزه الثمالی قال: قال أبو جعفر علیه السّلام لقتاده: «من أنت؟ قال: أنا قتاده بن دعامه البصری، فقال له أبو جعفر علیه السّلام: أنت فقیه أهل البصره؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر علیه السّلام: ویحک یا قتاده إن اللّه خلق خلقا من خلقه، فجعلهم حججا علی خلقه، فهم أوتاد فی أرضه، قوّام بأمره، نجباء فی علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظله عن یمین عرشه، قال: فسکت قتاده طویلا، ثم قال: أصلحک اللّه، و اللّه لقد جلست بین یدی الفقهاء و قدام (الظاهر قدامهم) فما اضطرب قلبی قدام واحد منهم ما اضطرب قدّامک. فقال له أبو جعفر علیه السّلام: أ تدری أین أنت بین یدی فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اِسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیهٰا بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ. رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِیهِمْ تِجٰارَهٌ وَ لاٰ بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اَللّٰهِ وَ إِقٰامِ اَلصَّلاٰهِ وَ إِیتٰاءِ اَلزَّکٰاهِ (۲)فأنت ثم و نحن أولئک، فقال له قتاده: صدقت و اللّه جعلنی اللّه فداک، و اللّه ما هی بیوت حجاره و لا طین» ، الحدیث.

و فیه، عن أصول الکافی بإسناده، عن صالح بن سهل الهمدانی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (۳)، إلی قوله: قلت: أَوْ کَظُلُمٰاتٍ قال: «الأول و صاحبه، یَغْشٰاهُ مَوْجٌ الثالث، مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ . . . ظُلُمٰاتٌ الثانی بَعْضُهٰا فَوْقَ بَعْضٍ معاویه لعنه اللّه و فتن بنی أمیه إِذٰا أَخْرَجَ یَدَهُ المؤمن فی ظلمه فتنتهم لَمْ یَکَدْ یَرٰاهٰا وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اَللّٰهُ لَهُ نُوراً إماما من ولد فاطمه علیها السّلام فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ إمام یوم القیامه» . أقول: معنی جعلهم فی البیوت تنزّلهم علیهم السّلام عن عالم إطلاق الحقائق و الأسماء الربوبیه إلی عالم حدود الخلقیه، لتربیه الخلق و تهذیبه، فلا محاله تکون بیوتهم بیوت العلم و الحکمه و التوحید و المعارف، فهی بذاتها الطاهره الإلهیه، تقتضی أن

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۶۰۹.

۲- ۲) النور:۳۶ و ۳۷.

۳- ۳) النور:۳۵.

ترفع ذاتا لرفعه العلم و الحكمه، و يذكر فيها اسمه تعالى، لأنها مظاهره تعالى و مظاهر صفاته و جلاله و جماله، فلا محاله لا يذكر اسمه إلّا فيها كما لا يخفى. و إلى هذا يشير

قوله عليه السّلام فى حديث الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: «فإنه أخبركم أنهم رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ الآيه، أى أخبركم أنهم (يعنى أن البيوت) إنما هى رجال» . و من المعلوم أن الرجال المعبر عنها بالبيوت لا يراد منها إلّا بلحاظ كونها مظهرا للعلم و التوحيد و الكمالات كما لا يخفى، و بهذا المعنى يفسّر

قوله عليه السّلام: بيوت النبى و بيت على و الأئمه عليهم السّلام، و يفسر بها

قوله عليه السّلام: و التمسوا البيوت التى إذن اللّه أن ترفع. . . إلخ، فالتماس البيوت أى التماس أولئك الرجال بما هم مظاهر العلم و الحكمه و الكمال كما لا يخفى. ثم إن كون المراد من البيوت بيوت العلم و المعارف لا ينافى إراده البيت الظاهرى أيضا كما هو ظاهر

قوله: «هى بيوت النبى» ،

و قوله عليه السّلام: «و بيت على منها أو من أفاضلها» ، كما فى بعض الأحاديث، لأن تلك البيوت الصوريه قد تشرفت باولئك الرجال، الذين هم بيوت العلم و الحكمه، فاكتسبت منهم رفعه، فبهذا اللحاظ قد أذن اللّه تعالى أن ترفع و يذكر فيها اسمه، و يلحق بها مشاهدهم المشرفه بعد وفاتهم بالملاك المذكور كما لا يخفى.

و أما قوله عليه السّلام: «أذن اللّه أن ترفع و يذكر فيها اسمه»

اشاره

، فالكلام فيها فى أمرين:

الأول: بيان المراد من أذن اللّه أن ترفع.

الثانى: بيان المراد من أذن أن يذكر فيها اسمه، و فيه بيان معنى الذكر فنقول: أما الأول: المراد من الإذن إما الإذن الشرعى التكليفى بأن أذن اللّه، أى أمر اللّه تعالى عباده أمرا تكليفيا بتعظيم تلك البيوت و رفع شأنها، سواء أريد منها البيوت الظاهريه من مساكنهم عليهم السّلام و كذا مشاهدهم الشريفه، أو أريد منها البيوت المعنويه من العلم و الحكمه و المعارف و من أنوارهم المقدسه، نعم إذا أريد منها المساكن و المشاهد الظاهريه فرفعها بتعظيمها و احترامها بما يليق بها، لا رفع بنائها و تزيينها،

إلاّ إذا كان فی ترکها إهانه لها، فحينئذ ترفيع بنائها و تزيينها بما يناسب رفع شأنها، و منه يعلم حرمه تخريبها، و إزاله ما به احترامها مما يوجب زينتها کما لا يخفی. و إن أريد منها البيوت المعنويه فرفعها واجب بالطريق الأولی إذ علمت أنها کذلک المقصود الأصلی منها، فاحترامها حينئذ بالاهتمام بها بمعارفها، و المتابعه لها و الاعتقاد بها و العمل علی مقتضاها کما لا يخفی. و إما يکون المراد من الإذن الإذن التکوينی الإلهی، بمعنی أنه تعالی قدّر و قضی، و حکم فی اللوح المحفوظ برفعها، و قد أظهر اللّه تعالی هذه الرفعه فی مظاهر الأکوان و الأعيان الوجوديه، فهم عليهم السّلام بلحاظ حقائقهم النوريه و ظواهرهم البشريه فی منتهی الرفعه من العلم و المعارف و الحکمه و الظهور بها و تمکنهم بتلک الأمور فی القلوب مطلقا بحيث لا يمکن إنکار فضلهم حتی من أعاديهم، کما سيجیء بيانه أيضا فی

قوله عليه السّلام:

«فبلغ اللّه بکم أشرف محل المکرمين. . . إلخ»

، و لعله إليه يشير قوله تعالی: يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اَللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اَللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْکافِرُونَ (١)، و قوله تعالی: هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِينِ اَلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَی اَلدِّينِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْمُشْرِکُونَ (٢).

ففی تفسير نور الثقلين (٣)فی تفسير العياشی، عن أحمد بن محمد قال: وقف علیّ أبو الحسن الثانی عليه السّلام فی بنی زريق فقال لی و هو رافع صوته: «يا أحمد، قلت: لبيک، قال: إنه لما قبض رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله جهد الناس علی إطفاء نور اللّه، فأبی اللّه إلاّ أن يتم نوره بأمير المؤمنين» .

و فيه، عن قرب الإسناد للحميری، معاويه بن حکيم، عن أحمد بن محمد بن أبی نصر قال: وعدنا أبو الحسن عليه السّلام ليله إلی مسجد دار معاويه فجاء فسلّم فقال:

١- ١) الصف:٨.

٢- ٢) التوبه:٣٣.

٣- ٣) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢١١.

«إن النـاس قـد جهـدوا على إطفـاء نور اللّه حين قبض اللّه تبـارك و تعـالى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أبى اللّه إلاّ أن يتم نوره، و قـد جهـد على بن أبى حمزه على إطفاء نور اللّه حين قبض أبو الحسن فـأبى اللّه إلاّ أن يتم نوره، و قـد هـداكم اللّه لأمر جهله الناس فأحمدوا اللّه على ما منّ عليكم به» .

و فيه (۱)، عن أصول الكافى بإسـناده عن أبى الحسن الماضى عليه السّلام قال: قلت: هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ اَلْحَقِّ قال: «هو الـذى أمر رسوله بالولايه لوصيه، و الولايه هى دين الحق، قلت: لِيُظْهِرَهُ عَلَى اَلـدِّينِ كُلِّهِ ؟ قال: يظهر على جميع الأديان عنـد قيـام القـائم (عـج) قال: يقول اللّه: وَ اَللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولايه القائم (عـج) وَ لَوْ كَرِهَ اَلْكٰافِرُونَ بولايه على، قلت: هـذا تنزيل؟ قال: نعم، أما هذا الحرف فتنزيل و أما غيره فتأويل» ، الحديث. أقول:

قوله عليه السّلام: «جهـد الناس على إطفاء نور اللّه، فأبى اللّه إلاّ أن يتم نوره بأمير المؤمنين» ، المراد من نور اللّه هو مقام ولايتهم و حقـائقهم النورانيه بما هى مظاهر للعلم و المعارف و الأسـماء الإلهيه كما لا يخفى، و قـد أبى اللّه إلاّ أن يتم بأمير المؤمنين أى بحقيقته و بيـانه و أحواله و أفعاله، و إظهار مقامه فى الخلق، و منه يعلم معنى الحـديث الثانى كما لا يخفى. ثم إن إذنه التكوينى برفعهـا بالنسبه إلى البيوت المعنويه، فظاهر مما ذكرنا، و أما إذا أريـد منها البيوت الظاهريه فمشاهـدهم عليهم السّلام فأيضا هو تعـالى قـد قـدّر ترفيعهـا بظهور الكرامـات و المعجزات و الاسـتضاء بها، و إنها مورد لاحترام الناس خصوصا لأهل الولايه كما لا يخفى فإنها مظاهر للكرامات و موارد للاحترام، و إن أزال المعاندين عن بعضـها صوره الحرم و القبه و الضـريح لها كما فى أئمه البقيع عليهم السّلام إلاّ أنها مع ذلک آثار العظمه تظهر منها خصوصا لأهلها كما لا يخفى و سيجىء.

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۲۱۲.

و أما الثانی: أعنی بیان إذنه تعالی أن یذکر فیها اسمه،

اشاره

و فیه أیضا بیان المراد من الذکر فنقول: إذنه تعالی أن یذکر فی تلک البیوت اسمه الذی فیه ذکره تعالی، إذ هو تعالی یذکر و یدعی بأسمائه فهو یکون علی قسمین:

الأول: أن یذکر فی تلک البیوت أسماؤه تعالی من الأذکار الوارده عنهم علیهم السّلام أو القرآن الکریم

حیث إنهم علیهم السّلام یقرأونها حق قراءته. و الحاصل: أن المراد من ذکر أسمائه فی تلک البیوت أنه تعالی لا یذکر إلاّ بأسمائه کما قال تعالی: وَ لِلّهِ اَلْأَسْماءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِها (۱)، و هذه الأسماء لا تتحقق فی الخارج بحیث توجب ذکره تعالی بها کما ینبغی، إلاّ إذا ذکرت فی بیوتهم إما بذکرهم علیهم السّلام تلک الأسماء، أو بتعلیمهم العباد تلک الأسماء لکی یذکروا بها ربّهم. و بعباره أخری: أنه تعالی أذن أن یذکر اسمه فی تلک البیوت لا فی غیرها، لأجل أنهم علیهم السّلام یبیّنون تلک الأسماء کما و کیفا، و أنه کیف یجب أن یذکر اللّه بها لما علمهم اللّه تعالی ذلک، فیستفاد منه الحصر أی إنما أذن اللّه تعالی أن یذکر اسمه فیها لا فی غیرها، لأن غیرهم لا یعرفونها، و لا یعلمون بیان ذکر تلک الأسماء، التی بها ذکر اللّه تعالی، و هذا المعنی یستفاد من کثیر من الأخبار کما لا یخفی، فجمیع الأسماء التی فیها ذکر اللّه من الأسماء اللفظیه أو المعنویه. و بعباره أخری: کل صفه تستحقّه ذاته المقدسه الجلیله مما یوجب تسبیحه تعالی أو تقدیسه أو تحمیده أو تهلیله أو تکبیره أو غیرها مما تدل علی صفه له تعالی، أو اسم له، التی بها یکون ذکره تعالی ذکرا لفظیا أو عملیا أو حالیا أو قلبیا أو اعتقادا، أو سائر الوظائف التی تجب علی العباد الإتیان بها، لتعظیمه تعالی من الشعائر الدینیه، فإنما هی بتمامها تذکر فی تلک البیوت، و یصدر بیانها منها لا من

۱- ۱) الأعراف:۱۸۰.

غیرها، لما تقرر من أن العبادات و الأسماء الإلهیه توفیقیه کما تقدمت الإشاره إلیه سابقا.

الثانی: أن یکون المراد من إذنه تعالی أن یذکر فیها اسمه هو أن حقیقه ذکره تعالی بأسمائه الحسنی،

التی یـدعی بها لا یتحقق تکوینا إلاّ فی تلک البیوت، أی بیوت العلم و الحکمه و المعارف، أی تلک الأنوار المقـدسه، التی هی حقائقهم النفیسه الشریفه، فهم علیهم السّلام الذین یذکرون اللّه تعالی بتلک الأسماء کما ینبغی لکرم وجهه و عزّ جلاله، فیکون مفاد هذه الجمله علی هذا المعنی مفاد قوله تعالی: سُبْحانَ اَللّهِ عَمّا یَصِفُونَ. إِلاّ عِبادَ اَللّهِ اَلْمُخْلَصِینَ (۱)، و مفاد

قوله تعالی فی حدیث المعراج: «و یعظموننی حق عظمتی» . و ذلک مقتضی کونهم علیهم السّلام حقیقه الأسماء الحسنی الإلهیه،

کما روی عن أمیر المؤمنین و عن الصادق علیهما السّلام من قولهما: «و اللّه نحن الأسماء الحسنی» ، و مقتضی کونهم محال معرفه اللّه بالبیان المتقدم، و مقتضی کونهم عند اللّه، و أن لهم مقام العندیه المشار إلیها فی قوله تعالی: وَ مَنْ عِنْدَهُ لا یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ الآیه و قد تقدم بیانها و بیان ما ورد من الأحادیث فی شرحها، و علی هذا ففی الحقیقه أن ذکره تعالی بأسمائه لا یتحقق إلاّ منهم علیهم السّلام، و أما من غیرهم فلا یتحقق ذکره تعالی بأسمائه کما هو حقه. و توضیح هذا یتوقف علی بیان الذکر له تعالی فنقول: قال السبزواری عند

قوله:

«یا خیر الذاکرین»

: حقیقه الذکر حضور المذکور لدی الذاکر إما بذاته أو بوجهه. . إلی أن قال: و هو تعالی خیر الذاکرین بحسب ذاکریته لنفسه، لأن علمه بنفسه أتم من علمنا به، لکون الأول (أی علمه بنفسه) بالکنه، و الثانی (أی علمنا به) بالوجه.

۱- ۱) الصافات:۱۵۹ و ۱۶۰.

أقول: و المستفاد منه أن حقيقه الذكر التى هى حضور المذكور فرع العلم و المعرفه بالمذكور، و حيث إنه تعالى أعلم و أعرف بنفسه من غيره فذكره تعالى خير الذاكرين أى أتم من ذكر الذاكرين، و أما ذكر غيره تعالى من عباده فبالوجه الذى به أى بذلك الوجه يذكر المذكور (أى اللّه تعالى) فذكر غيره تعالى له تعالى لا يكون إلاّ بالوجه، و هذا الوجه هو حقيقه الأسماء الحسنى الإلهيه، و حيث إنه ثبت فى محله أنهم عليهم السّلام وجه اللّه الذى لا يهلك و لا يبيد، كما وردت به أحاديث فى ذيل قوله تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ (۱)، و سيأتى بيانها فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجه بكم» . فلا محاله هم الذين يذكرون اللّه بالوجه الأتم، لأنهم عليهم السّلام حقيقه تلك الأسماء، و المشاهدون لأنوار جماله و جلاله بحيث لا يساويهم فى هذه الرتبه أحد، و أما من سواهم، فمن كان أعرف به تعالى و أعلم به تعالى تحقق فى قلبه من أسمائه الحسنى بنحو أوجب معرفته به تعالى من سنخ معرفتهم عليهم السّلام به تعالى، فهو بتلك المرتبه الموجبه لتحقق الوجه الإلهى لهذا العبد، فهو ذاكر له تعالى بتلك المرتبه. و من المعلوم أن تحصيل الذكر بالوجه، و بتلك الأسماء الحسنى الإلهيه لا يكون إلاّ ببيانهم، بل و إلاّ بإعطائهم و تسديدهم و تنويرهم عليهم السّلام القلوب، و لا يكاد يحصل هذا إلاّ بالتوسل بهم و بالسلوك الصحيح الشرعى. و بعباره أخرى: أن ذكره تعالى بالوجه بالأسماء و الأدعيه المأثوره عنهم، و خصوصا بالقرآن الكريم، و إن كان بيانا لذكره تعالى إلاّ أن الحقيقه منها، و السير فى مراتبها، لا يكون إلاّ لمن كان مهذّبا و سالكا سبيل الشرع، و متخلقا بأخلاق اللّه تعالى، و منزها نفسه من الصفات الرذيله و العلائق الماديه، فهذا يمكنه ذكره تعالى بتلك الأسماء و الأذكار حسب تصفيه باطنه و أنسه به تعالى كما لا يخفى، و الناس فى هذه الحالات متفاوتون جدا كما لا يخفى.

۱- ۱) القصص:۸۸.

[۴۵]قوله علیه السّلام: و جعل صلواتنا علیکم، و ما خصّنا به من ولایتکم طیبا لخلقنا، و طهاره لأنفسنا، و تزکیه لنا، و کفّاره لذنوبنا

قال الشارح المجلسی رحمه اللّه: و جعل عطف علی أذن بالخبریه أو الإنشائیه الدعائیه، و لا بأس به لکونه بصورتها کما فی قوله تعالی: حَسْبُنَا اَللّٰهُ وَ نِعْمَ اَلْوَکِیلُ (۱)، صلواتنا علیکم، و ما خصنا به من ولایتکم طیبا مفعول ثان لجعل، لخلقنا (بالضم) أی جعلکم اللّه فی بیوت تصیر الصلوه فیها، و إظهار الولایه سببا لکرامه اللّه علینا بالأخلاق الحسنه، أو یکون عطفا علی من و هو أظهر، و طهاره لأنفسنا من الرذائل کما حلّانا بالفضائل، و تزکیه لنا من الأعمال القبیحه، أو فی القیامه. و قد یقال: قوله: «لخلقنا» (بالفتح) ، إشاره إلی ما استفاض فی الروایات من أنّ ولایتهم و حبهم علیهم السّلام علامه طیب الولاده، أو بالضم أی جعل صلواتنا علیکم و ولایتنا بکم سببا لتزکیه أخلاقنا، و طهاره لأنفسنا من الرذائل، و سببا لتحلیتها بالفضائل و تزکیه لنا من الاعتقادات الفاسده و المذاهب الباطله الکاسده. أقول: لا بد من ذکر الأخبار الوارده الداله علی أن الصلوه علیهم، و قبول ولایتهم توجب طیب الخلق و الخلق، و تزکیه الباطن، و کفاره الذنوب، ثم نعقبه بما یناسب المقام من الکلام فنقول:

ففی البحار (۲)عن أمالی الصدوق و العیون بإسناده، عن علی بن الحسین بن فضّال، عن أبیه قال: قال الرضا علیه السّلام: «من لم یقدر علی ما یکفّر به ذنوبه، فلیکثر من الصلوه علی محمد و آله، فإنها تهدم الذنوب هدما،

و قال علیه السّلام: الصلوه علی محمد و آله تعدل عند اللّه عز و جل التسبیح و التهلیل و التکبیر» .

۱- ۱) آل عمران:۱۷۳.

۲- ۲) البحار ج ۹۴ ص ۴۷.

و فیه (۱)، عن أمالی الطوسی بإسناده، عن الصادق علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: علیّ إجابه لدعائکم و زکوه لأعمالکم» .

و فیه عن جامع الأخبار، و قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی من صلّی علیّ کل یوم أو کل لیله وجبت له شفاعتی، و لو کان من أهل الکبائر» .

و فیه، عنه و قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «من صلی علیّ مره، خلق اللّه تعالی یوم القیامه علی رأسه نورا، و علی یمینه نورا، و علی شماله نورا، و علی فوقه نورا، و علی تحته نورا، و فی جمیع أعضائه نورا» .

و فیه قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «صلاتکم علیّ جواز دعائکم، و مرضاه لربکم، و زکوه لأعمالکم» .

و فیه (۲)، عن جمال الأسبوع بإسناده عن عبد الرحمن بن کثیر قال: سألته عن قول اللّه تبارک و تعالی: إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی اَلنَّبِیِّ یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً (۳)، فقال: «صلوه اللّه تزکیه له فی السماء، قلت: ما معنی تزکیه اللّه إیاه؟ قال: زکاه بأن برأه من کل نقص و آفه یلزم مخلوقا، قلت: فصلوه المؤمنین؟ قال: یبرّؤنه و یعرّفونه بأن اللّه قد برأه من کل نقص هو فی المخلوقین من الآفات التی تصیبهم فی بنیه خلقهم، فمن عرفه و وصفه بغیر ذلک فما صلّی علیه. قلت: فکیف نقول و نحن إذا صلّینا علیهم؟ قال: تقولون: اللهم إنا نصلّی علی محمد نبیّک و علی آل محمد کما أمرتنا، به و کما صلّیت أنت علیه، فکذلک صلاتنا علیه» . أقول: المستفاد من هذه الروایات الکثیره و قد ذکرنا بعضها أن الصلوه علیهم توجب غفران الذنوب حتی الکبائر، بل فی بعضها کان کیوم ولدته أمّه، و توجب

۱- ۱) البحار ج ۹۴ ص ۵۴.

۲- ۲) البحار ج ۹۴ ص ۷۱.

۳- ۳) الأحزاب:۵۶.

زكوه الأعمال و إن يبرأه اللّه تعالى من كل نقص و آفه، و أنها مرضاه للرب، و سبب لاستجابه الدعاء.

و فى البحار (۱)، عن المحاسن بإسناده، عن أبى عبد اللّه المدائنى قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إذا يرد على قلب أحدكم حبّنا فليحمد اللّه على أولى النعم، قلت: على فطره الإسلام؟ قال: لا، و لكن على طيب المولد، إنه لا يحبنا إلّا من طابت ولادته، و لا يبغضنا إلّا الملزق الذى تأتى به أمه من رجل آخر فتلزمه زوجها، فيطلع على عوراتهم و يرثهم أموالهم، فلا يحبّنا ذلك أبدا، و لا يحبنا إلّا من كان صفوه من أى الجيل كان» .

و فيه (۲)، عن الإرشاد بإسناده، عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله يقول لعلى بن أبى طالب علیه السّلام: «أ لا أسرك أ لا أمنحك أ لا أبشّرك؟ فقال: بلى يا رسول اللّه بشرنى، قال: خلقت أنا و أنت من طينه واحده، ففضلت منها فضله فخلق اللّه منها شيعتنا، فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم، فإذا كان يوم القيامه دعى الناس بأسماء أمهاتهم سوى شيعتنا» .

و فيه (۳)، عن الكنز روى شيخ الطائفه رحمه اللّه بإسناده، عن زيد بن يونس الشحام قال: قلت لأبى الحسن موسى علیه السّلام: «الرجل من مواليكم عاص يشرب الخمر، و يرتكب الموبق من الذنب نتبرأ منه؟ فقال: تبرّأوا من عمله و لا تتبرّءوا من خيره، و أبغضوا عمله، فقلت: يسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: لا، الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا و لأوليائنا، أبى اللّه أن يكون ولينا فاسقا فاجرا، و إن عمل ما عمل، و لكنّكم قولوا: فاسق العمل فاجر العمل مؤمن النفس خبيث الفعل طيب الروح و البدن، لا، و اللّه لا يخرج ولينا من الدنيا إلّا و اللّه و رسوله و نحن عنه راضون

ص: ۳۰۷

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۵۲.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۱۵۵.

۳- ۳) البحار ج ۲۷ ص ۲۷.

یحشره اللّه علی ما فیه من الذنوب مبیضا وجهه، مستوره عورته، آمنه روعته، لا خوف علیه و لا حزن. و ذلک أنه لا یخرج من الدنیا حتی یصفی من الذنوب إما بمصیبه فی مال أو نفس أو ولد أو مرض، و أدنی ما یصنع بولینا أن یریه اللّه رؤیا مهوله، فیصبح حزینا لما رآه، فیکون ذلک کفاره له أو خوفا یرد علیه من أهل دوله الباطل، أو یشدّد علیه عند الموت، فیلقی اللّه عز و جل طاهرا من الذنوب آمنه روعته بمحمد و أمیر المؤمنین (صلوات اللّه علیهما و آلهما) ثم یکون أمامه أحد الأمرین رحمه اللّه الواسعه، التی هی أوسع من أهل الأرض جمیعا، أو شفاعه محمد و أمیر المؤمنین (صلوات اللّه علیهما و آلهما) فعندها تصیبه رحمه اللّه الواسعه، التی کان أحق بها و أهلها و له إحسانها و فضلها» . أقول:

قوله علیه السّلام: «طیب الروح و البدن» ، یدل علی أن الشیعه و المحب لهم و ولیّهم یکون بسبب قبول ولایتهم طیب الروح و البدن و هو طهاره النفس

کما قال علیه السّلام: «و طهاره لأنفسنا» ، و إما کونه سببا لکفاره الذنوب فظاهر، و تدلّ علیه أخبار کثیره جدا.

و فیه (۱)، عن کتاب المحتضر، و منه عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی إن جبرئیل أخبرنی عنک بأمر قرّت به عینی و فرح به قلبی، قال: یا محمد، قال اللّه عز و جل: اقرأ محمدا منی السّلام و اعلمه أنّ علیا إمام الهدی و مصباح الدجی و الحجه علی أهل الدنیا و أنه الصدیق الأکبر و الفاروق الأعظم و إنّی آلیت و عزتی و جلالی أن لا أدخل النار أحدا تولّاه و سلّم له و للأوصیاء من بعده، حق القول منی لأملأن جهنم و أطباقها من أعدائه و لأملأن الجنه من أولیائه و شیعته» .

و فیه (۲)، عن کتاب فضائل الشیعه للصدوق رحمه اللّه بإسناده، عن ابن عباس قال:

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۳۲.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۱۳۶.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «حبّ على بن أبى طالب عليه السّلام يأكل السيئات، كما تأكل النار الحطب» .

و فى البحار (1)، عن تفسير القمى بإسناده، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه: وَ إِنِّى لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اِهْتَدىٰ (2)، قال: «أ لا ترى كيف اشترط و لم تنفعه التوبه أو الإيمان و العمل الصالح حتى اهتدى؟ و اللّه لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدى، قال: قلت: إلى من جعلنى اللّه فداك؟ قال: إلينا» .

و فيه (3)، عن بصائر الدرجات، محمد بن عيسى، عن صفوان، عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تبارك و تعالى: وَ إِنِّى لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اِهْتَدىٰ (4)قال: «و من تاب من ظلم، و آمن من كفر، و عمل صالحا، ثم اهتدى إلى ولايتنا، و أومأ بيده إلى صدره» .

و فى الشموس الطالعه (5)للاردوبادى رحمه اللّه عن الرضا عليه السّلام، عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «حبنا أهل البيت يكفّر الذنوب، و يضاعف الحسنات، و إن اللّه ليتحمل من محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد، إلاّ ما كان منهم على إصرار و ظلم المؤمنين فيقول للسيئات: كونى حسنات» .

و فيه، عن القمى، عن الصادق عليه السّلام إنه سئل عن قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اَللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مٰا تَأَخَّرَ (6)فقال: «ما كان له ذنب و لا هم بذنب، و لكنّ اللّه حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له» .

و فيه، عن العيون، عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول

ص: ۳۰۹

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۶۸.

۲- ۲) طه:۸۲.

۳- ۳) البحار ج ۲۷ ص ۱۷۶.

۴- ۴) طه:۸۲.

۵- ۵) الشموس الطالعه ص ۳۷۲.

۶- ۶) الفتح:۲.

اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إذا كان يوم القيامه و لينا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه و بين الناس استوهبناها فوهبت لنا، و من كانت مظلمته فيما بينه و بيننا كنا أحق من عفا و صفح.» أقول: و الأخبار فى هذا الباب كثيره كما علمت. ثم إن المراد من الصلوه هو قول:

«اللهم صلّ على محمد و آل محمد»

، و نحوه مما ورد فى المأثور، و قد يقال: إن المراد منها هو الصلوات اليوميه، إما بلحاظ اشتمالها على الصلوه عليهم، و إما بلحاظ ما تقدم من أنهم عليهم السّلام أصل الصلوه بلحاظ حقائقها الحاكيه عن عبوديه العبد و ربوبيه الرب بأنحائها و شئونها، و الصلوه المأتى بها منا إنما هى التلبس بتلك الحالات، التى أصلها يكون لهم عليهم السّلام، و حينئذ كان صلواتنا تكون عليهم، أى لهم بلحاظ التشبّه بهم، و أخذ تلك الحالات الصلواتيه منهم، فتأمل. و كيف كان فالصلوه و الولايه أوجبتا طيب الخلق و الخلق و طهاره النفس و كفاره الذنوب، و السرّ فى ذلك هو أنه قد ثبت من أخبار كثيره قد مضى شطر منها فى طى الشرح، و يأتى أيضا أن الشيعه و محبيهم خلقوا من فاضل طينتهم، و ثبت فى محله فى المعارف الإلهيه أن الإنسان الكامل هو حجه اللّه و هم محمد و آله الطاهرون، بما لهم من الشئون فى التوحيد و آثاره المعبر عنها بالرساله و الولايه، و ما لها من الآثار، فهم عليهم السّلام مظاهره تعالى و حقائق الأسماء الحسنى الإلهيه. و الشيعه حيث إنهم خلقوا من فاضل طينتهم، فلا محاله يكون أصلهم منهم عليهم السّلام فهم بالذات و الأصل كما صرحت به الروايه المتقدمه طيب الروح و البدن، لكونهم من فرع تلك الطينه العليه، التى خلقت منها أبدان و عالم المثال لمحمد و آله الطاهرين، ثم إنهم (أى الشيعه) بعد الاختلاط فى بعض العوالم بأرواح الأعداء الذين خلق طينتهم من الطينه السجّين، قد اكتسبوا منهم آثارهم من المعاصى، فإذا كان أحد من الشيعه محبا لهم عليهم السّلام و مقرا بولايتهم، فقد استمسك قلبا بالعروه

الوثقى (أعنى حقيقتهم) التى هى مظهر التوحيد و الولايه. و لا ريب فى أن هذا الارتباط أقوى من الحال الذى حصل لهم من ذلك الاختلاط الموجب للمعاصى فلا محاله يؤثر هذا الارتباط الواقعى المعنوى أثره فيوجب طيب الخلق و الخلق و النفس و كفاره الذنوب، و إنما كانت الصلوه عليهم عليهم السّلام سببا لتلك الأمور، لأن الصلوه عليهم ترجع حقيقه العبد إلى أصله، بأن يجدد الارتباط، و يستمد من أنوارهم، فيغلب تلك الأنوار حينئذ على قلبه، فيطهر ما صدر منه من المعصيه فيكون غاسلا لها. و لعله إليه يشير

ما رواه فى البحار (۱)عن معانى الأخبار بإسناده عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السّلام قال: «من صلّى على النبى صلّى اللّه عليه و آله فمعناه أنى أنا على الميثاق و الوفاء الذى قبلت حين قوله: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ (۲)» .

و فيه (۳)و قال النبى صلّى اللّه عليه و آله: «من صلى علىّ مره خلق اللّه تعالى يوم القيامه على رأسه نورا، و على يمينه نورا، و على شماله نورا، و على فوقه نورا، و على تحته نورا، و فى جميع أعضائه نورا» . و من المعلوم أن خلق النور لتلك المواضع إنما هو ظهور أنوار ولايتهم فيها، فالأنوار حينئذ تغسل آثار المعاصى، فيكون من أهل الجنه، و إليه يشير ما فيه أيضا

قال صلّى اللّه عليه و آله: «لن يلج النار من صلّى علىّ» ،

و قال عليه السّلام: «الصلوه على نور الصراط، و من كان له على الصراط من النور، لم يكن من أهل النار» .

و فى روايه عبد الرحمن بن عوف، أنه صلّى اللّه عليه و آله قال: «جاءنى جبرئيل و قال: إنه لا يصلى عليك أحد، إلاّ و يصلى عليه سبعون ألف ملك، و من صلى عليه سبعون ألف ملك كان من أهل الجنه» .

۱- ۱) البحار ج ۹۴ ص ۵۴.

۲- ۲) الأعراف:۱۷۲.

۳- ۳) البحار ج ۹۴ ص ۶۴.

أقول: نقله عن جامع الأخبار. و قد صرّح بما ذكرنا كثير من الأخبار، كما لا يخفى على المتتبع لها. و بعباره أخرى: السرّ فى ذلك كله ما ذكره بعض الشارحين من أن حبّهم عليهم السّلام و ولايتهم نور من كل ظلمه، و حياه من كل موت، و طهر من كل دنس و رجس، و شفاء لما فى الصدور، و هدى و رحمه للمؤمنين، فإذا تفضل اللّه بهما على عبد كان منيرا ظاهرا ببعض الأعمال الصالحات و باطنه بحسن الاعتقاد و الاقتصاد و السداد، فإذا وقعت منه سيئه فلم تصدر من قلبه، بل وقعت منه و قلبه منكر عليه، فتكون مجتثه ليست متأصّله فيه مع تأصّل النور فيه، لأنهم خلقوا من طينه أئمتهم عليهم السّلام و هى نور و من ماء ولايتهم و هو نور، و حين خاطبهم فى الذر أجابوه فغمسهم فى رحمته و هى نور، فالأنوار متأصّله فيه و لا نفاذ لها. و ظلمه السيئه مجتثه نافذه، لعدم تأصّلها و قلّتها، فإذا وقعت منه و ندم عليها استولت عليها تلك الأنوار فمحقها بواسطه الندم، لأن الندم على فعل السيّئه من نور ولايتهم، إذ معناه تجديد العهد المأخوذ عليه، و كذا عدم الإصرار، و منه عدم العزم على البقاء على المعصيه، فإن تلك الأنوار تحولها، كما نقول فى النهر الجارى إذا تنجس موضع منه فتغير بالنجاسه فزال التغيير بتدافعه، فإنه يطهر و لا يحتاج إلى نزح ما فيه النجاسه، الذى هو مثل البلاء للمؤمن، الذى يكون مكفّرا للسيئه، بل تلك الأنوار التى أشرنا إليها هى أنهار تجرى من الكوثر، و هى بكثره جريانها و تدافعها تزيل التغيير، الذى حدث من المعصيه المجتثه، فيطهر صاحبها، و لا يحتاج إلى البلاء الذى هو نزع المتنجس و إزاله النجاسه، لأن حبّهم يستهلك الذنوب كما أن الماء الذى له ماده تجرى يستهلك النجاسه فلا يحمل خبثا، كما هو حكم الكرّ إذا لم يتغير منه ما يبقى بعده كرّ لم يتغير، و كالجارى إذا لم تتغير الماده، فالتغيير فى المؤمن الذى لا يبقى معه كرّ غير متغير، و هو ولايه أعدائهم، فإن من كان كذلك و العياذ باللّه كان نجسا، لا يطهر أولئك الذين لم يرد اللّه أن يطهر قلوبهم، و أما الذى يبقى معه

حال المعصيه أصل الإيمان، الذى هو بمنزله بقاء كرّ طاهر يطهر بزوال النجاسه كما مثّلنا، لأن المحب خلقه اللّه من النور و غمسه فى الرحمه يعود إلى الرحمه.

و فى الكافى بسنده إلى أبى عبيده الحذاء قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن الاستطاعه و قول الناس بها و تلا هذه الآيه: وَ لاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ (۱)، قال: «يا أبا عبيده الناس مختلفون فى إصابه القول و كلهم هالك، قال: قلت: قوله: إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ (۲)قال: هم شيعتنا و لرحمته خلقهم و هو قوله، و لذلك خلقهم، يقول: لطاعه الإمام، الرحمه التى يقول: وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (۳)، يقول: علم الإمام، وسع علمه الذى هو من علمه كل شىء» ، الحديث. أقول: هذا البيان أحسن بيان للمقصود، و هو مطابق و مأخوذ من الأحاديث الوارده من الأئمه عليهم السّلام و نحن نسأل اللّه تعالى أن يثبتنا على ولايتهم فى الدنيا و الآخره بمحمد و آله الطاهرين.

[۴۶]قوله عليه السّلام: «فكنّا عنده مسلّمين بفضلكم، و معروفين بتصديقنا إيّاكم.

اشاره

أقول: الفاء سببيه، أى أنه تعالى لما جعل صلاتنا عليكم و موالاتنا لكم سببا لطيب خلقنا. . . إلخ، فعلم منه إنا كنا فى علمه تعالى مسلّمين، أى لكوننا فى علمه مسلّمين بفضلكم صار سببا لجعله تعالى صلاتنا و موالاتنا لكم طيبا لخلقنا. . . إلخ. و كيف كان فالكلام يقع فى أمرين:

الأول: فى بيان أنا كنا مسلّمين بفضلهم عليهم السّلام.

الثانى: فى بيان كوننا معروفين بتصديقنا إيّاهم، فنقول: أما الأول: فقد دلت أحاديث كثيره على أن شيعتهم و محبيهم هم الذين قبلوا ولايتهم، و سلّموا بفضلهم فى عالم الأرواح و عالم الذر.

ص: ۳۱۳

۱- ۱) هود:۱۱۸.

۲- ۲) هود:۱۱۹.

۳- ۳) الأعراف:۱۵۶.

ففی بصائر الدرجات ص ۸ بإسناده، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن اللّه خلق الخلق، فخلق من أحبّ مما أحبّ، و کان ما أحبّ أن یخلقه (خلقه) من طینه الجنه، و خلق من أبغض مما أبغض، و کان ما أبغض أن یخلقه من طینه النار، ثم بعثهم فی الضلال، قال: قلت: أی شیء الضلال؟ قال: أ لم تر إذا ضلّل فی الشمس شیء و لیس بشیء، ثم بعث فیهم النبیین یدعونهم إلی الإقرار باللّه و هو قوله: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَیَقُولُنَّ اَللّهُ (۱)، ثم دعاهم إلی الإقرار بالنبیین، فأقرّ بعضهم، و أنکر بعضهم، ثم دعاهم إلی ولایتنا فأقرّ بها و اللّه من أحبّ، و أنکرها من أبغض و هو قوله: فَما کانُوا لِیُؤْمِنُوا بِما کَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، ثم قال أبو جعفر علیه السّلام: کان التکذیب ثمّه» .

و فی البحار (۲)، عن الکنز بإسناده، عن محمد بن حمران قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام فقوله: عز و جل: فَأَمّا إِنْ کانَ مِنَ اَلْمُقَرَّبِینَ (۳)، قال: ذاک من کانت له منزله عند الإمام، قلت: وَ أَمّا إِنْ کانَ مِنْ أَصْحابِ اَلْیَمِینِ (۴)، قال: ذاک من وصف هذا الأمر، قلت: وَ أَمّا إِنْ کانَ مِنَ اَلْمُکَذِّبِینَ اَلضّالِّینَ (۵)، قال: الجاحدین للإمام» .

و فیه (۶)، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن عبد اللّه بن جندب عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام أنه کتب إلیه فی رساله: «إن شیعتنا مکتوبون بأسمائهم و أسماء آبائهم، أخذ اللّه علینا و علیهم المیثاق، یردون موردنا، و یدخلون مدخلنا، لیس علی مله الإسلام غیرنا و غیرهم» .

و فیه (۷)، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن أصبغ بن نباته، أن أمیر

۱- ۱) الزخرف:۸۷.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۴.

۳- ۳) الواقعه:۸۸.

۴- ۴) الواقعه:۹۰.

۵- ۵) الواقعه:۹۲.

۶- ۶) البحار ج ۲۶ ص ۱۲۳.

۷- ۷) البحار ج ۲۶ ص ۱۳۰.

المؤمنين علیه السّلام صعد المنبر، فحمد اللّه و أثنی علیه، ثم قال: «یا أیها الناس إن شیعتنا خلقوا من طینه مخزونه قبل أن یخلق آدم بألفی سنه، لا یشذّ فیها (منها خ) شاذ، و لا یدخل منها داخل، و إنی لأعرفهم حین ما أنظر إلیهم، لأن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما تفل فی عینی و أنا أرمد قال: اللهم أذهب عنه الحرّ و القرّ و البرد، و بصّره صدیقه من عدوه، فلم یصبنی رمد بعد و لا حرّ و لا برد، و إنی لأعرف صدیقی من عدوی» ، الحدیث.

و فیه، عن الاختصاص بإسناده، عن عبد اللّه بن الفضل الهاشمی قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا عبد اللّه بن الفضل إن اللّه تبارک و تعالی، خلقنا من نور عظمته، و صنعنا برحمته، و خلق أرواحکم منّا، فنحن نحنّ إلیکم، و أنتم تحنّون إلینا، و اللّه لو جهد أهل المشرق و المغرب أن یزیدوا فی شیعتنا رجلا، أو لینقصوا منهم رجلا ما قدروا علی ذلک، و إنهم لمکتوبون عندنا بأسمائهم و أسماء آبائهم و عشائرهم و أنسابهم، یا عبد اللّه بن الفضل و لو شئت لرأیتک اسمک فی صحیفتنا قال: ثم دعا بصحیفه فنشرها، فوجدتها بیضاء لیس فیها أثر الکتابه، فقلت: یا بن رسول اللّه ما أری فیها أثر الکتابه، فمسح یده علیها، فوجدتها مکتوبه، و وجدت فی أسفلها اسمی، فسجدت للّه شکرا» . أقول: قد دلّت هذه الأحادیث و غیرها (و هی کثیره جدّا) علی أن شیعتهم و محبیهم قد سلّموا بفضلهم علیهم السّلام عند اللّه و ذلک بقبول ولایتهم فی عالم الأرواح و الذّر، کما تقدم کثیر من أخبار هذا الباب، و نقل فی بعض النسخ مسمّین بدل مسلّمین، و علی هذا یناسب ما ذکرنا من أن أسماءهم عندهم علیهم السّلام. و کیف کان فالشیعه و المحبّ لهم من بدو خلقهم کانوا مسلّمین بفضلهم، و مذکورین فی جمله محبیهم و أهل ولایتهم. و بعباره أخری: أنهم کانوا فی علمه تعالی، و فی اللوح المحفوظ مکتوبین بأسمائهم، أی کانت حقائقهم و أنفسهم النورانیه مسلّمین أی منقادین لطاعه الأئمه علیهم السّلام و الاقتداء بهم و الولایه لهم و البراءه من أعدائهم، و قد یقرأ بتخفیف

اللام، أی کنا مسلمین بفضلکم، أی کنا سلما لکم، أی سلما بفضلکم، و مشینا فی ذلک طریق العدل و الإنصاف، و عدم التعدی بالنسبه إلیکم و إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و إلی موالیکم أیضا، و هذا السلم هو حقیقه الإیمان لما ورد من أن من لم یسلم لهم و لفضلهم و ولایتهم کان ناقصا فی الإسلام الحقیقی، بل کان کافرا واقعا، و إن جری علیه حکم الإسلام ظاهرا، کما هو المستفاد من کثیر من الأخبار.

ففی البحار (۱)، عن أمالی الصدوق بإسناده، عن شریف المکی قال: حدثنی محمد بن علی الباقر علیه السّلام «و ما رأیت محمدیا قطّ یعدله، قال: حدّثنا جابر بن عبد اللّه الأنصاری قال: خطبنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال: أیها الناس من أبغضنا أهل البیت، بعثه اللّه یوم القیامه یهودیّا، قال: قلت: یا رسول اللّه و إن صام و صلّی و زعم أنه مسلم؟ فقال: و إن صام و صلّی و زعم أنه مسلم» .

و فیه، عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام ص ۲۳۲ بالأسانید الثلاثه، عن الرضا، عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «حرمت الجنه علی من ظلم أهل بیتی، و علی من قاتلهم، و علی المعین علیهم، و علی من سبّهم أُولٰئِکَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ وَ لاٰ یُکَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ وَ لاٰ یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ وَ لاٰ یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ .

و فی تفسیر البرهان (۲)، عن جابر بن یزید قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: رُبَمٰا یَوَدُّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کٰانُوا مُسْلِمِینَ (۳)، قال: «هو إذا خرجت أنا و شیعتی، و خرج عثمان و شیعته و ثقل بنی أمیه فعندها یودّ الذین کفروا لو کانوا مسلمین» . أقول: قد طبّق الذین کفروا علی عثمان و شیعته کما لا یخفی.

و فیه، عن الإمام العسکری علیه السّلام فی حدیث شفاعه الأئمه للشیعه، و أنه یفدی

ص: ۳۱۶

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۲۱۸.

۲- ۲) تفسیر البرهان ج ۲ ص ۳۲۵.

۳- ۳) الحجر:۲.

للشیعه من النصاب. . إلی أن قال علیه السّلام: «و ذلک ما قال اللّه عز و جل: رُبَمٰا یَوَدُّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا ، یعنی بالولایه لو کانوا مسلمین (بفتح السین و تشدید اللام) فی الدین، منقادین للإمامه لیجعل مخالفوهم فداءهم» . فالمستفاد من هذه الأخبار و نظائرها: أن المخالفین لهم ملحقون بالیهود و الکفار یوم القیامه.

و أما الثانی: أعنی بیان کوننا معروفین بتصدیقنا إیّاهم،

فإما یراد منه کوننا معروفین عند عامه الناس بأنّا من شیعتکم و أتباعکم و المصدقین بکم و بولایتکم و بما قلتم و عملتم، سواء أرید بالناس هذه الأمه أو الأمم السابقه، فإن الکتب السماویه السابقه قد أخبرت بوصف محبیهم و وصف أعدائهم، و أما إنّا معروفون عند أهل السماء من الملائکه المستغفرین للشیعه، و کیف کان فالشیعه معروفون بکونهم مصدّقین بهم علیهم السّلام عند هؤلاء، و تدل علیه عده من الأحادیث.

ففی البحار (۱)، عن کنز الفوائد بإسناده، عن أبی بصیر قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا أبا محمد إن للّه ملائکه تسقط الذنوب عن ظهر شیعتنا، کما تسقط الریح الورق من الشجر أوان سقوطه، و ذلک قوله عز و جل: وَ یَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِینَ آمَنُوا (۲)، و استغفارهم و اللّه لکم دون هذا الخلق، یا أبا محمد فهل سررتک؟ قال: فقلت: نعم» .

و فیه (۳)، عن تفسیر القمی بإسناده، عن حمّاد، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه سئل: هل الملائکه أکثر أم بنو آدم؟ فقال: «و الذی نفسی بیده لملائکه اللّه فی السموات أکثر من عدد التراب فی الأرض، و ما فی السماء موضع قدم إلاّ و فیها ملک یسبّحه و یقدّسه، و لا فی الأرض شجره و لا مدر إلاّ و فیها ملک موکل بها، یأتی اللّه کل یوم

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۲۰۹.

۲- ۲) غافر:۷.

۳- ۳) البحار ج ۲۴ ص ۲۱۰.

بعملها (بعلمها خ) و اللّه أعلم بها، و ما منهم أحد إلاّ و يتقرب كل يوم إلى اللّه بولايتنا أهل البيت، و يستغفر لمحبينا، و يلعن أعداءنا و يسأل اللّه أن يرسل عليهم العذاب إرسالا. أقول: و الأخبار بهذا المضمون كثيره، و هى تدل على معروفيه شيعتهم و محبيهم عندهم كما لا يخفى.

و فيه، عن تفسير القمى بإسناده، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله: وَ كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ يعنى بنى أميه اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ اَلْعَرْشَ «يعنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الأوصياء من بعده عليهم السّلام يحملون علم اللّه وَ مَنْ حَوْلَهُ يعنى الملائكه يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أى شيعه آل محمد رَبَّنٰا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تٰابُوا من ولايه فلان و فلان و بنى أميه وَ اِتَّبَعُوا سَبِيلَكَ أى ولايه على ولى اللّه وَ قِهِمْ عَذٰابَ اَلْجَحِيمِ . رَبَّنٰا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنّٰاتِ عَدْنٍ اَلَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبٰائِهِمْ وَ أَزْوٰاجِهِمْ وَ ذُرِّيّٰاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ يعنى من تولّى عليا عليه السّلام فذلك صلاحهم وَ قِهِمُ اَلسَّيِّئٰاتِ وَ مَنْ تَقِ اَلسَّيِّئٰاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ يعنى يوم القيامه وَ ذٰلِكَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ لمن نجّاه اللّه من هؤلاء يعنى من ولايه فلان و فلان، ثم قال: إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا يعنى بنى أميه يُنٰادَوْنَ لَمَقْتُ اَللّٰهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى اَلْإِيمٰانِ (۱)يعنى إلى ولايه على عليه السّلام فَتَكْفُرُونَ » . أقول فدلّت هذه الروايه على كفر بنى أميه. و كيف كان فالمستفاد من هذه و أمثالها أن الشيعه يوم القيامه أيضا معروفون

ص: ۳۱۸

۱- ۱) غافر:۶-۱۰.

عند أهل المحشر بسبب تلك الكرامات التى تشملهم من اللّه تعالى، فجميع هذه المعروفيه لهم فى تلك الأماكن و المواطن فإنما هى بسبب تصديقهم ولايه الأئمه و الائتمام بهم عليهم السّلام فى جميع أمور الدين كما لا يخفى.

[۴۸ و ۴۷]قوله عليه السّلام: فبلغ اللّه بكم أشرف محل المكرّمين، و أعلى منازل المقرّبين، و أرفع درجات المرسلين

اشاره

الكلام يقع فى مقامين:

الأول: فى معنى الباء فى بكم،

فهل هى للتعديه كما هى الظاهر، فإن بلغ لا يتعدى إلّا بالتضعيف، أو الباء بالنسبه إلى المفعول الثانى، فيقال: بلّغه منه (بالتشديد) أو بلغ به الأمر الكذائى، أى بلّغه ذلک الأمر الكذائى، فعلى كونه للتعديه، فمعناه أنه تعالى بلّغهم أى الأئمه عليهم السّلام أشرف محل المكرمين. . . إلخ، و هو ظاهر، و يؤيده أيضا قوله فيما بعد حتى لا يبقى ملك مقرب، إلى

قوله:

«إلّا عرّفهم جلاله أمركم» . فإن هذا السياق يعطى أن المبلغ (بالفتح) هم الأئمه عليهم السّلام بحيث عرف جميع الخلق مقامهم العالى، فتكون الجمل مفادها مفاد

قوله عليه السّلام فيما بعد:

«آتاكم اللّه ما لم يؤت أحدا من العالمين»

، و سيأتى شرحه، على أن جعل الباء سببيه لا يلائم

قوله:

«حيث لا يلحقه لاحق، و لا يفوقه فائق، و لا يطمع فى إدراكه طامع»

، إذ معناه حينئذ أنه تعالى بلغ بكم غيركم من النبيين و المؤمنين من الشيعه إلى مقام لا يفوقهم فائق. . . إلخ حتى الأئمه عليهم السّلام فيلزم منه أفضليه الشيعه و الأنبياء منهم عليهم السّلام مع أنه كما سنذكره قريبا الأمر بالعكس. و القول: بأن المراد من أشرف محل المكرمين. . . إلخ إنما هو بحسب إمكان ذاتهم و قابلياتهم، و هذا لا ينافى أفضليه الأئمه عليهم السّلام منهم لأكمليه قابلياتهم من غيرهم مجاز فى الكلام، فإنه تأويل و إلزام بلا ملزم، على أن سياق الكلام يأباه، فإن الكلام مسوق لبيان أن المبلغين (بالفتح) قد بلغوا إلى ما لا يمكن أن يلحقه لاحق، أو يفوقه

فائق، أو لا يطمع فی إدراكه طامع، و حينئذ فحمل هذه علی حسب القابليه الذاتيه بحيث تكون فوقهم درجات بلا نهايه لغيرهم حمل مستهجن، كما لا يخفی. و الحاصل: أن المبلغين (بالفتح) هم الأئمه عليهم السّلام علی أن يكون الباء للتعديه و زايده، كما لا يخفی، و إما كونه سببيه و إن المبلغين (بالفتح) غيرهم، فيحتاج تصحيحه إلی تكلّف بارد خارج عن سياق الكلام و فهم العرف السالم، كما لا يخفی، ثم إن هذه الجمل الثلاث من المكرمين و المقربين و المرسلين حيث إنها ذات مراتب كما يستفاد من الآيات، كما لا يخفی.

فقوله عليه السّلام:

«فبلغ اللّه بكم أشرف محل المكرمين، و أعلی منازل المقربين، و أرفع درجات المرسلين»

، يبين أنه تعالی جعلهم فی أكمل و أعلی و أرفع و أشرف تلك المراتب، و هی مرتبه ولايتهم المطلقه التكوينيه و التشريعيه، التی هی دون مرتبه الربوبيه المطلقه، و فوق مرتبه الكمالات المتصوره لأحد، كيف و قد عرفت أن حقيقتهم النورانيه منفصله من نور ذاته تعالی، و أنه تعالی احتجب بهم، و سيأتی بعض الأخبار الموضحه لهذا إن شاء اللّه.

المقام الثانی: فی أفضليتهم عليهم السّلام علی الجميع.

قال الشارح المجلسی رحمه اللّه:

«فبلغ اللّه بكم»

، أی بلغكم أشرف محل المكرمين، و أفضل مراتبهم، و أعلی منازل المقربين (من المرسلين) و أرفع درجات المرسلين، و هی درجات نبينا صلّی اللّه عليه و آله فيلزم منه أفضليتهم عليهم السّلام علی الأنبياء كما ذكره العلامه النيسابوری فی تفسير قوله تعالی: وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ (۱)، بأنه لا تزال الشيعه قديما و حديثا يستدلّون بهذه الآيه علی أفضليه علی عليه السّلام علی جميع الأنبياء، بأنه نفس النبی صلّی اللّه عليه و آله و هو أفضل منهم.

و قال: و يؤيده ما روی عنه صلّی اللّه عليه و آله أنه قال: «من أراد أن ينظر إلی آدم فی علمه،

۱- ۱) آل عمران:۶۱.

و إلى نوح فى عبادته، و إلى إبراهيم فى خلّته، و إلى موسى فى هيبته، و إلى عيسى فى زهده، و إلى يحيى فى ورعه، فلينظر إلى على بن أبى طالب عليه السّلام فإن فيه سبعين خصله من الأنبياء بأنّ كل واحد منهم امتاز عن سائرهم بخصله واحده من هذه الخصال، فمن اجتمع فيه جميعها يكون أفضل» . و الأخبار عندنا متواتره بذلك فى جميع الأئمه عليهم السّلام. أقول: نذكر بعضها ثم نعقبها بالكلام فنقول: منها: ما تقدم آنفا عن حماد بن عيسى، و منها:

ما فى بصائر الدرجات (۱)، عن أبى الصباح الكنانى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال سمعته يقول: «و اللّه إن فى السماء لسبعين صفا من الملائكه، لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلهم، يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم، و إنهم ليدينون بولايتنا» .

و فيه عن سدير الصيرفى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن أمركم هذا عرض على الملائكه فلم يقرّبه إلّا المقربون» .

و فيه (۲)، بإسناده، عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: وَ لَقَدْ عَهِدْنٰا إِلىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (۳)، قال: «عهد اللّه فى محمد صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه من بعده عليهم السّلام فترك، و لم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا، و إنما سمّى أولو العزم أولو العزم، لأنه عهد اللّه فى محمد و الأوصياء من بعده و المهدى و سيرته، فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك و للإقرار به» .

و فيه (۴)، بإسناده عن حذيفه بن أسيد الغفار قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ما تكاملت النبوه لنبى فى الأظله حتى عرضت عليه ولايتى و ولايه أهل بيتى، و مثّلوا

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۶۷.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۷۰.

۳- ۳) طه:۱۱۵.

۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۷۳.

له فأقروا بطاعتهم و ولايتهم» .

و فيه (۱)، بإسناده عن عبد الأعلى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «ما نبئ نبی قط إلاّ بمعرفه حقنا و بفضلنا عمّن سوانا» . و مثله كثير فی بابه.

و فيه بصائر الدرجات (۲)، بإسناده عن أبی الحسن الأول عليه السّلام و ساق الحديث. . . إلی أن قال عليه السّلام: «إن اللّه يقول فی كتابه: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ اَلْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ اَلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ اَلْمَوْتى (۳)، فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما يقطع به الجبال، و يقطّع به البلدان، و يحيی بن الموتی بإذن اللّه، و نحن نعرف ما تحت الهواء، و إن كان فی كتاب اللّه لآيات ما يراد بها أمر من الأمور التی أعطاه اللّه الماضين النبيين و المرسلين، إلاّ و قد جعله اللّه ذلک كلّه لنا فی أمّ الكتاب، إن اللّه تبارك و تعالی يقول: وَ ما مِنْ غائِبَهٍ فِی اَلسَّماءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّ فِی كِتابٍ مُبِينٍ (۴)، ثم قال جلّ و عزّ ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْكِتابَ اَلَّذِينَ اِصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا (۵)، فنحن الذين اصطفانا اللّه، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذی فيه تبيان كل شیء» .

و فيه بصائر الدرجات (۶)، عن بعض الصادقين يرفعه إلی جعفر قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «يمصون الثماد، و يدعون النهر العظيم، قيل له: و من النهر العظيم؟ قال: رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و إنه و العلم الذی أتاه اللّه، إن اللّه جمع لمحمد صلّی اللّه عليه و آله سنن النبيين من آدم هلّم جرّا إلی محمد صلّی اللّه عليه و آله، قيل له: و ما تلک السنن؟ قال: علم النبيين، و إن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله صير ذلک كلّه عند أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له الرجل: يا بن رسول الله فأمير

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۷۴.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۱۱۴.

۳- ۳) الرعد:۳۱.

۴- ۴) النمل:۷۵.

۵- ۵) فاطر:۳۲.

۶- ۶) بصائر الدرجات ص ۱۱۷.

المؤمنین أعلم أو بعض النبیین؟ فقال أبو جعفر علیه السّلام: اسمعوا ما یقول: إن اللّه، یفتح مسامع من یشاء إنی حدثت أن اللّه جمع لمحمد صلّی اللّه علیه و آله علم النبیین و أنه جعل ذلک کله عند أمیر المؤمنین، و هو یسألنی هو أعلم أم بعض النبیین» .

و فیه (۱)، بإسناده، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن اسم اللّه الأعظم علی ثلاثه و سبعین حرفا، و إنما کان عند آصف منها حرف فتکلم به، فخسف به الأرض ما بینه و بین سریر بلقیس، ثم تناول السریر بیده، ثم عادت الأرض کما کانت أسرع من طرفه عین، و عندنا نحن من الاسم اثنان و سبعون حرفا، و حرفا عند اللّه استأثر به فی علم الغیب عنده، و لا حول و لا قوه إلاّ باللّه العلی العظیم» . و غیره کثیر

و فی بعضها: «و احتجب حرفا لئلا یعلم ما فی نفسه، و یعلم ما فی نفس العباد» .

و فیه (۲)بإسناده، عن سلمان الفارسی رحمه اللّه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی قول اللّه تبارک و تعالی: قُلْ کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ (۳)فقال: «أنا هو الذی عنده علم الکتاب، و قد صدقه اللّه و أعطاه الوسیله فی الوصیه، و لا تخلی أمته من وسیله اللّه و إلی اللّه فقال: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِبْتَغُوا إِلَیْهِ اَلْوَسِیلَهَ (۴).

و فی البحار (۵)، عن تفسیر القمی قال الصادق علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ الآیه، «کان المیثاق مأخوذا علیهم للّه بالربوبیه، و لرسوله بالنبوه، و لأمیر المؤمنین و الأئمه بالإمامه، فقال: أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ و محمد نبیکم و علی إمامکم، و الأئمه الهادون أئمتکم؟ ف قٰالُوا بَلیٰ ، فقال اللّه: أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ

ص: ۳۲۳

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۰۷.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۲۱۷.

۳- ۳) الرعد:۴۳.

۴- ۴) المائده:۳۵.

۵- ۵) البحار ج ۲۶ ص ۲۶۸.

اَلْقِيامَهِ (أى لئلا تقولوا يوم القيمه) إِنّا كُنّا عَنْ هٰذا غافِلِينَ ، فأوّل ما أخذ اللّه عز و جل الميثاق على الأنبياء بالربوبيه، و هو قوله: وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ اَلنَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ (۱)، فذكر جمله الأنبياء ثم أبرز أفضلهم بالأسامى فقال: وَ مِنْكَ يا محمد، فقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأنه أفضلهم وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسَى اِبْنِ مَرْيَمَ ، فهؤلاء الخمسه أفضل الأنبياء و رسول اللّه أفضلهم» ، الحديث.

و فيه، عن عيون أخبار الرضا بهذا الإسناد قال: قال على عليه السّلام: «نحن أهل البيت، لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن، و فينا معدن الرساله» .

و فيه، عن التفسير للعسكرى عليه السّلام و ساق الحديث. . . إلى أن قال تعالى: «يا موسى أ ما علمت أن محمدا صلّى اللّه عليه و آله أفضل عندى من جميع ملائكتى و جميع خلقى» . أقول: هذه جمله من الأحاديث دلّت على أفضليتهم على جميع الخلق حتى الأنبياء السابقين، و قد وردت أحاديث كثيره داله على هذا فى متفرقات الأبواب، خصوصا باب استشفاع الأنبياء بهم فى موارد اضطرارهم و هى كثيره جدا فمنها:

ما فى البحار (۲)عن الاختصاص، ابن سنان، عن المفضل بن عمر قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن اللّه تبارك و تعالى توحّد بملكه، فعرّف عباده نفسه، ثم فوّض إليهم أمره، و أباح لهم جنته، فمن أراد اللّه أن يطهّر قلبه من الجن و الإنس عرّفه ولايتنا، و من أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا، ثم قال: يا مفضل و اللّه ما استوجب آدم أن يخلقه اللّه بيده، و ينفخ فيه من روحه إلاّ بولايه على عليه السّلام و ما كلّم اللّه موسى تكليما إلاّ بولايه على عليه السّلام و لا أقام اللّه عيسى بن مريم آيه للعالمين إلاّ بالخضوع لعلى عليه السّلام، ثم قال: أجمل الأمر ما استأهل خلق من اللّه النظر إليه إلاّ بالعبوديه لنا» . و قد عقد المجلسى رحمه اللّه فى البحار ج ۲۶ بابا فيه أن دعاء الأنبياء استجيب

۱- ۱) الأحزاب:۷.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۲۹۴.

بالتوسل بهم علیهم السّلام و فیه أحادیث کثیره.

و ذکر السید الشبّر (رضوان اللّه تعالی علیه) فی شرحه و عن الزیّات قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: «أی شیء تقول الشیعه فی موسی و عیسی و أمیر المؤمنین علیه السّلام قلت: یزعمون أن موسی و عیسی أفضل من أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: أ یزعمون أن أمیر المؤمنین علیه السّلام علم ما علم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ قلت: نعم، لکن لا یقدمون علی أولی العزم من الرسل أحدا، قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: فخاصمهم بکتاب اللّه، قلت: فی أی موضع منه؟ قال: قال اللّه لموسی: وَ کَتَبْنٰا لَهُ فِی اَلْأَلْوٰاحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ (۱)، و قال لعیسی وَ لِأُبَیِّنَ لَکُمْ بَعْضَ اَلَّذِی تَخْتَلِفُونَ فِیهِ (۲)، و قال تبارک و تعالی لمحمد صلّی اللّه علیه و آله: وَ جِئْنٰا بِکَ عَلیٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِیداً (۳)، وَ نَزَّلْنٰا عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ تِبْیٰاناً لِکُلِّ شَیْءٍ (۴)» . أقول: وجه المخاصمه: أنه تعالی أعطی لموسی من کل شیء، أی من الأشیاء بعضها، فإن کلمه من للتبعیض (لا کلها)، و قال فی حق عیسی: وَ لِأُبَیِّنَ لَکُمْ بَعْضَ اَلَّذِی تَخْتَلِفُونَ فِیهِ (لا کله) فالمعطی لهم بعض الأمور، و أما فی حق محمد صلّی اللّه علیه و آله قال: وَ جِئْنٰا بِکَ عَلیٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِیداً ، أی علی هؤلاء الأنبیاء، و لا ریب فی أن الشاهد مهیمن علی المشهود علیه و فائق علیه بالعلم و القدره، فهو أفضل منه، و قال فی حقه صلّی اللّه علیه و آله أیضا: وَ نَزَّلْنٰا عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ تِبْیٰاناً لِکُلِّ شَیْءٍ (۵)، فأعطاه اللّه تعالی ما فیه تبیان لکل شیء. و من المعلوم أن هذا أفضل من المعطی له البعض، إذ الأفضلیه إنما هو بالعلم و المعارف کما لا یخفی، یدل علیه ما فیه أیضا

عن الصادق علیه السّلام قال: «إن اللّه خلق أولی العزم من الرسل، و فضلهم بالعلم، و أورثنا علمهم، و فضلنا علیهم فی علمهم،

۱- ۱) الأعراف:۱۴۵.

۲- ۲) الزخرف:۶۳.

۳- ۳) النساء:۴۱.

۴- ۴) النمل:۸۹.

۵- ۵) الزخرف:۶۳.

و علّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما لم يعلموا، و علمنا علم الرسول و علمهم» ، الحديث. أقول: فهم عليهم السّلام علموا جميع العلوم دونهم كما لا يخفى، فهم أفضل منهم، ثم إنهم عليهم السّلام فى الفضل و العلم كرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و له صلّى اللّه عليه و آله خصائص امتاز بها عنه عليهم السّلام ذكرت فى محله. أقول: و السرّ فى كونهم (أى النبى و الزهراء و الأئمه عليه و عليهم السّلام) أفضل من الأنبياء فضلا عن غيرهم هو أن هؤلاء عليهم السّلام مظاهر الجلال و الجمال للّه تعالى، كما دلّت عليه آيات و أحاديث كثيره، قد ذكرناها فى مطاوى الشرح. و لنعم ما قاله السبزوارى رحمه اللّه فى شرحه ص ۲۸، قال: اعلم: أيّدنا اللّه و إياك أن جميع الأنبياء و الرسل من آدم إلى عيسى عليه السّلام مظهر من مظاهر خاتم الأنبياء محمد صلّى اللّه عليه و آله و جميع الأوصياء و الأولياء مظهر من مظاهر سيد الأولياء على عليه السّلام

لقوله صلّى اللّه عليه و آله: «بعث على مع كل نبى سرّا، و بعث معى جهرا» ، و كما أن كل الأنبياء كالأقمار المقتبسين من شمس نبوه خاتم الأنبياء، أو كالفروع و الأغصان و الأوراق المتفرعه من أصل شجره طوبى النبوه الختميه المحمديه، كذلك كل الأولياء كالأقمار المكتسبين من نور شمس ولايه سيد الأولياء، أو كالفروع و الأغصان و الأوراق المتوزعه من أصل شجره طوبى الولايه الختميه العلويه. و لنعم ما قيل بالفارسيه: گر تو را آئينهٔ ديده جليست در هر آينه معاينه عليست و لقائل أخر: جز اسد اللّه درين بيشه نيست غير على هيچ در انديشه نيست و أحسن ذينک ما قيل: اسد اللّه در وجود آمد غير على هيچ در انديشه نيست

أقول: إذا تأمّلت فی

قوله (عج) فی دعاء رجب:

«فبهم ملأت سماءک و أرضک حتی ظهر أن لا إله إلاّ أنت»

، و تأمّلت فیما مضـی من معنی کتابه أسمائهم علیهم السّلام علی جمیع الموجودات علمت أن حقائقهم، التی هی حقائق الأسماء الحسنی الإلهیه، التی ملأت أرکان کل شیء، هی التی لا یشذ عنها شاذ، فالأنبیاء و أوصیاؤهم و الأولیاء و من دونهم، إنما أخذوا الحقائق و المعارف منهم علیهم السّلام،

و قد تقدم حدیث المفضل عن الصادق علیه السّلام: «إنه تعالی بعث النبی صلّی اللّه علیه و آله و هو روح علی الأنبیاء و هم أرواح فدعاهم إلی توحیده» ، فإنه یدل علی أنه صلّی اللّه علیه و آله بعث علیهم علیه السّلام فهم أخذوا أعباء الرساله منه صلّی اللّه علیه و آله کما لا یخفی. فهم علیهم السّلام بمثابه من الفضل و العلو من الدرجه. . .

إلی أن قال علیه السّلام:

«حیث لا یلحقه لاحق، و لا یفوقه فائق، و لا یسبقه سابق، و لا یطمع فی إدراکه طامع»

. قال الشارح المجلسی (رضوان اللّه تعالی علیه) : (حیث لا یلحقه لاحق) ممن هو دونکم (و لا یفوقه فائق) منهم علی الأنبیاء کأولی العزم، و إن فاقوا علی غیرهم لا یفوقون علیکم. أقول: أی لو کان هناک فائق علی الأنبیاء کأولی العزم، فإنهم فاقوا علی غیرهم من غیر أولی العزم، إلاّ أنهم لا یفوقون علیکم. قال: و النبی صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السّلام مستثنیان بالأخبار. أقول: لا وجه لهذا الاستثناء فإنه فی غیر محله، لأن سیاق الکلام فی علوّ مقامهم أجمع علیه السّلام علی غیرهم مطلقا لا فی بیان تفضیل بعضهم علی بعض، فإن هذا المقام قد تقدم أنهم علیهم السّلام بلحاظ الظاهر کانوا سواء فی العلم و الکمال، و أما بلحاظ الواقع فالفضل لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم لعلی علیه السّلام ثم للزهراء علیها السّلام ثم لغیرهم من سائر المعصومین، أو إن القائم (عج) أفضل التسعه إلی غیر ذلک من الأقوال المستفاده من الأخبار، و قد تقدم بیانه فی الجمله فراجع. و کیف کان و السرّ فی عدم لحوق غیرهم بهم، و عدم تفوق فائق علیهم، بل

و عدم طمع أحد فى إدراك مقامهم، لأن غيرهم يعلمون أن تلك المقامات، التى لهم هى مواهب خاصه من اللّه تعالى لهم، فلا يمكن الوصول إليها بالسعى و الاجتهاد،

كما تقدم عن الرضا عليه السّلام فى بيان أوصاف الإمام. . . إلى أن قال عليه السّلام: «كله من غير طلب منه له و لا اكتساب، بل اختصاص من المتفضل الوهاب» الحديث فى البحار

(۱)

على أن المنصف من أى صنف كان حتى من أولى العزم أو من حمله العرش من الملائكه المقربين إذا راجع حقيقته، و ما أعطاه اللّه من المعرفه به تعالى، و قايسه بالنسبه إلى معارفهم و إلى حقائق أنفسهم بما لها من الآثار العجيبه، يرى نفسه فى مقام دون مقامهم، و فى منزله لا يمكنه أن يطمع فى إدراك مقامهم، لعدم صلاحيته لذلك، و

لهذا قال جبرئيل عليه السّلام للنبى صلّى اللّه عليه و آله ليله الإسراء: «لو دنوت خطوه لاحترقت» ، لما علم أنه لا يمكنه السير معه صلّى اللّه عليه و آله فيما زاد على مقدوره مما أتاه اللّه تعالى، و كيف كان فقد طأطأ كل شريف لشرفكم، كما سيجىء بيانه، و هناك أحاديث تومئ و تشعر و تصرّح بعلوّ مقامهم الرفيع بحيث لا يكاد يمكن تعقّله فضلا عن الوصول، إليه و نحن نذكر قليلا منها: ما

فى البحار (۲)، المختصر من نوادر الحكمه، يرفعه إلى أبى بصير قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فدخل عليه المفضل بن عمر، فقال: مسأله يا بن رسول اللّه، قال: سل يا مفضّل، قال: ما منتهى علم العالم؟ قال: «قد سألت جسيما، و لقد سألت عظيما، ما السماء الدنيا فى السماء الثانيه إلّا كحلقه درع ملقاه فى أرض فلات، و كذلك كل سماء عند سماء أخرى، و كذا السماء السابعه عند الظلمه، و لا الظلمه عند النور، و لا ذلك كلّه فى الهواء، و لا الأرضون بعضها فى بعض، و لا مثل ذلك كله فى علم العالم (يعنى الإمام) مثل مدّ من خردل دققته دقّا، ثم ضربته بالماء حتى إذا اختلط ورغا، أخذت منه لعقه باصبعك، و لا علم العالم فى علم اللّه تعالى إلّا مثل مدّ

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۱۲۴.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۳۸۵.

من خردل دققته دقّا، ثم ضربته بالماء حتى إذا اختلط ورغا، انتهزت منه برأس إبره نهزه، ثم قال عليه السّلام: فيكفيك من هذا البيان قليله و أنت بأخبار الأمور تصيب

و فى بصائر الدرجات مسندا، عن أبى الصامت قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرب، و لا نبى مرسل، و لا عبد مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله» . و فى بعضها قلت: «فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا» . أقول: قد دلّ حديث أبى بصير على أن علومهم عليهم السّلام لا تكاد تعقل، فإنه إذا كان ما ذكره عليه السّلام من السموات بما هى وسيعه و كبيره بالنحو المذكور، و الهواء و الظلمه و الأرض بعضها فى بعض بالنسبه إلى علم الإمام عليه السّلام كمثل لعقه تؤخذ بالصبع من المدّ المدقوق المضروب بالماء فهذا ما أقله، فالمقيس بما هو كثير من السموات و غيرها، قد قيس على هذا المقيس عليه لبيان القلّه، فكيف حينئذ يمكن تصور علم الإمام عليه السّلام بما هو هو فى واقعه، فضلا عن علمه تعالى الذى كان علم الإمام بالنسبه إليه كنسبه اللعقه المذكوره بالنسبه إلى السموات و غيرها؟ ! ثم إن ما فى حديث أبى الصامت من أنه لا يحتمل علمهم غيرهم، قد دلّ على أن لهم علما يختص بهم عليهم السّلام و هو مقام ولايتهم الكليه الإلهيه، الذى لا يحدّ كما فى بعض الأحاديث، و كيف كان فقد دلّت هذه الأحاديث على أنّ لهم مقاما من العلم، الذى هو أصل كل كمال و شرف لا يكون لغيرهم و لا يشاركهم فيه أحد.

و فى البحار (۱)ما رواه فى أن معرفته بالنورانيه معرفه اللّه، إلى أن قال عليه السّلام: «اعلم يا أبا ذر أنا عبد اللّه عز و جل خليفته على عباده، لا تجعلونا أربابا، و قولوا فى فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا و لا نهايته، فإن اللّه عز و جل قد أعطانا أكبر

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۸۵.

و أعظم مما يصفه و أصفكم، أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون» . و مما يدل على أنه لا يطمع فی إدراک مقامهم طامع، و إن فعل ردّ علیه ما تمنی و لم یعط

ما رواه فی البحار (۱)، عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام مسندا عن الهروی قال: قلت للرضا علیه السّلام: یا بن رسول اللّه أخبرنی عن الشجره، التی أکل منها آدم و حوّاء ما کانت فقد اختلف الناس فیها، فمنهم من یروی أنها الحنطه، و منهم من یروی إنها العنب، و منهم من یروی أنها شجره الحسد؟ فقال: «کل ذلک حق، قلت: فما معنی هذه الوجوه علی اختلافها؟ فقال: یا أبا الصلب إن شجره الجنه تحمل أنواعا، فکانت شجره الحنطه و فیها عنب و لیست کشجره الدنیا، و إن آدم لما أکرمه اللّه تعالی ذکره بإسجاد ملائکته له و بإدخاله الجنه. قال فی نفسه: هل خلق اللّه بشرا أفضل منی؟ فعلم اللّه عز و جل ما وقع فی نفسه فناداه: ارفع رأسک یا آدم فانظر إلی ساق عرشی، فرفع آدم رأسه فنظر إلی ساق العرش، فوجد علیه مکتوبا: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه علی بن أبی طالب أمیر المؤمنین و زوجته فاطمه سیده نساء العالمین، و الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنه، فقال آدم علیه السّلام: یا ربّ من هؤلاء؟ فقال عز و جل: من ذریتک، و هم خیر منک و من جمیع خلقی، و لولاهم ما خلقتک و لا خلقت الجنه و النار، و لا السماء و الأرض، فإیّاک أن تنظر إلیهم بعین الحسد، فأخرجک من جواری، فنظر إلیهم بعین الحسد و تمنّی منزلتهم، فتسلط الشیطان علیه حتی أکل من الشجره، التی نهی عنها، و تسلّط علی حواء لنظرها إلی فاطمه علیها السّلام بعین الحسد حتی أکلت من الشجره کما أکل آدم، فأخرجهما اللّه عز و جل عن جنته، و أهبطهما عن جواره إلی الأرض» . فدلّت هذه الروایه علی أن تمنی مقامهم لا یکون لأحد حتی من الأنبیاء.

ص: ۳۳۰

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۲۷۳.

فهذه الجمل أعنى

قوله: «حيث لا يلحقه لاحق. . . إلخ» ، جمل خبريه لا إنشائيه، لوقوعها بعد لفظ (حيث) فإنها ظاهره فى أنها من آثار بلوغهم عليهم السّلام إلى أشرف محل المكرمين. . . إلخ، فالمناسب لها حينئذ هو كونها خبريه لا إنشائيه كما لا يخفى.

و فى بصائر الدرجات (۱)مسندا، عن هشام بن الحكم، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أَمْ يَحْسُدُونَ اَلنّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اَللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ اَلْكِتابَ وَ اَلْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً (۲)، ما ذلك الملك العظيم؟ قال: «فرض الطاعه و من ذلك طاعه، جهنم لهم يوم القيامه يا هشام» . أقول: المستفاد من هذه الروايه بقرينه

قوله عليه السّلام: و من ذلك طاعه جهنم. . . إلخ أن المراد من الطاعه هو طاعه جميع الأشياء لهم، بمعنى أنه إذا أمروا شيئا من الموجودات بشىء لا يمكنه المخالفه، بل لا بد له من الطاعه، هذا إذا أمروا بالأمر الولائى التكوينى، فلا يمكن حينئذ لشىء مخالفتهم، و أما إذا أمروا بالأمر التشريعى، فقد يقع فيه المخالفه كما لا يخفى. و إليه يشير

قوله عليه السّلام فيما رواه أبو بصير عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ اَلنّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اَللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ اَلْكِتابَ وَ اَلْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ، قال: «الطاعه المفروضه، فإنها ظاهره فى الطاعه التشريعيه» . و كيف كان فلهم عليهم السّلام قسمان من الطاعه التشريعيه كما هو المسلم لهم من الكتاب و السنه، و الطاعه التكوينيه، و ذلك إذا أمروا واحدا أو شيئا بالأمر الولائى، فحينئذ لا يمكن للمأمور المخالفه، و الملك العظيم هو هذان الطاعتان، خصوصا الطاعه التكوينيه الحاكيه عن تصرفهم فى الموجودات بالولايه التكوينيه.

ص:۳۳۱

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۳۵.

۲- ۲) النساء:۵۴.

و فيه (۱)مسندا عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دعا علیّا علیه السّلام فی المرض الذی توفّی فیه، فقال: یا علی ادن منی حتی أسرّ إلیک ما أسرّ اللّه إلیّ، و ائتمنک علی ما ائتمننی اللّه علیه، ففعل ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعلی علیه السّلام و فعله علی علیه السّلام بالحسن علیه السّلام و فعله الحسن علیه السّلام بالحسین علیه السّلام و فعله الحسین علیه السّلام بأبی، و فعله أبی بی (صلوات اللّه علیهم أجمعین)» .

و فيه (۲)مسندا عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:

وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی ، قال: «خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل، لم یکن مع أحد ممن مضی غیر محمد صلّی اللّه علیه و آله و هو مع الأئمه علیهم السّلام یوفقهم و یسددهم، و لیس کلما طلب وجد» . أقول: دلّت هذه الأحادیث علی أن لهم من طاعه الأشیاء لهم ما لیس لغیرهم، و إن فیهم الروح، الذی هو أعظم من جبرئیل و میکائیل، مع أنهما من حمله العرش، و إن هذا الروح، ما کان فی غیرهم من الأنبیاء السابقین، فکل هذا یدلّ علی اختصاصهم علیهم السّلام بالقرب و المحل اللذین لا یلحقهم إلیها لاحق و لا یفوقهم فائق و لا یطمع فی إدراکهم طامع، و أما بیان ذلک السّر الذی هو فیهم، و بیان آثار ذلک الروح الذی یکون معهم فهو غامض لا یحدّ بأفکارنا و لعله کما تقدم هو مقام الولایه الکبری الإلهیه التی تکون مختصه بهم علیهم السّلام لا غیرهم.

و أما قوله علیه السّلام: «و لیس کلما طلب وجد» ، فإما یراد منه أنه لا یمکن لأحد یطلبه أن یجد هذا الروح، فمفاده حینئذ مفاد

قوله : «لا یلحقهم لاحق. . . إلخ» ، علی أن تکون الجمل خبریه کما قلنا، أو یراد منه أن هذا الروح و إن کان فینا، و ما صعد منذ نزل کما فی بعض الأخبار، إلاّ أنه قد یغیب عنا، فظهوره فینا بما هو هو باختیاره تعالی، فتأمل.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۳۷۷.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۶۰.

قولنا: فتأمل، إشاره إلى ما قد يقال: إنه كيف الجمع بين

قوله عليه السّلام: «و ما صعد منذ نزل» ، و بين

قوله عليه السّلام: «و ليس كلّما طلب وجد» ، فإنه يقال فى الجواب: إن هذا الروح الذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل لا يفارقهم، إلاّ أنه حيث كان ذلك الروح من شأن الرب تعالى، و هو نور لاهوتى، فلا محاله له السلطنه عليهم عليهم السّلام و لازمه أن ظهوره فيهم باختياره تعالى لا باختيارهم عليهم السّلام فهو مسيطر عليهم عليهم السّلام و لهم عليهم السّلام أن يستضيئوا منه إذا شاءوا، و لا ريب فى أن قلوبهم عليهم السّلام أوعيه لمشيته تعالى، فمشيتهم عليهم السّلام ترجع إلى مشيته تعالى، فيرجع الأمر إلى ما قلنا من أن ظهوره فيهم باختياره تعالى لا باختيارهم، كيف لا و هم عليهم السّلام فانون فيه تعالى، ليس لهم و لا فيهم إلاّ ظهوره تعالى كما حقق فى محله؟ ! و بعباره أخرى: فكما أنه ورد فى أحاديث علم الغيب أنهم عليهم السّلام إذا شاءوا علموا، فكذلك هنا إذا شاءوا أن يستضيئوا منه استضاءوا، فحينئذ معنى

قوله: «و ليس كلما طلب وجد» ، أى باختيارهم خصوصا حين اشتغالهم عليهم السّلام بالأمور الماديه من المأكل و المشرب و المنكح و أمثالها، و اللّه و رسول و أوصياؤه عليهم السّلام أعلم بما قالوا (صلوات اللّه عليهم أجمعين) و الحمد للّه ربّ العالمين.

[۴۹]قوله عليه السّلام: حتى لا يبقى ملك مقرب، و لا نبىّ مرسل، و لا صديق، و لا شهيد،

اشاره

... و لا عالم، و لا جاهل، و لا دنىّ، و لا فاضل، و لا مؤمن صالح، و لا فاجر طالح، و لا جبار عنيد، و لا شيطان مريد، و لا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلاّ عرّفهم جلاله أمركم، و عظم خطركم، و كبر شأنكم، و تمام نوركم، و صدق مقاعدكم، و ثبات مقامكم، و شرف محلّكم و منزلتكم عنده، و كرامتكم عليه، و خاصّتكم لديه، و قرب منزلتكم منه.

قال المجلسى رحمه اللّه: «حتى لا يبقى» أى لم يبق أحد (فى عالم الأرواح و الأجساد) إلاّ عرّفهم (فى الكتب المنزله أو على ألسنه الأنبياء و المرسلين) و صدق

مقاعدکم، أی أنکم صادقون فی هذه المرتبه، و أنها حقکم کما قال تعالی: فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ (۱). أقول: لعل المراد من تلک المرتبه بیان آثار مقام ولایتهم المطلقه الإلهیه التکوینیه و التشریعیه، التی مرّت مرارا و التی من آثارها إطاعه جمیع الخلق لهم، کما تقدم آنفا. و إلیه یشیر

ما فی محکی حدیث حمران بن أعین فی ذکر عبد اللّه بن شداد اللیثی حین مرض و عاده الحسین علیه السّلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمّی عن الرجل، فقال: قد رضیت مما أوتیتم حقا حقا، و الحمّی لتهرب منکم، فقال له: «و اللّه ما خلق اللّه شیئا إلّا و قد أمره بالطاعه لنا، یا کباسه، قال: فإذا نحن نسمع الصوت، و لا نری الشخص یقول: لبیک، قال: أ لیس أمرک أمیر المؤمنین علیه السّلام ألا تقربی إلّا عدوا أو مذنبا، لکی یکون کفّاره لذنوبه» . و سیجیء توضیحه، و کیف کان

یقع الکلام فی أمور:

الأول: فی معنی عرّفهم،

و إنه ما المراد من معرفتهم. الثانی: أنها (أی تعریفه تعالی) یشمل الکل حتی غیر ذوی العقول أم یختص بهم. الثالث: أنه کیف عرّف مع ما یری من إنکار بعضهم فضائلهم. أما الأول فنقول: حقیقه التعریف تمییز الشیء بما لا یشتبه بغیره، و من المعلوم أن المعروف لهم من أصناف الخلق مختلفون من الملائکه و الجن و الإنس، بل و سائر الموجودات من غیر هذه الأصناف الثلاثه، فلکل منها معرفه تختص بهم، فالذی عرفه تعالی للملائکه من مقامهم، هو مقام ولایتهم التکوینیه علی جمیع ما فی الوجود، و التشریعیه علی جمیع من یصحّ التکلیف علیه، و أنهم علیهم السّلام أقرب الخلق إلیه تعالی، و أنهم مظاهر لأسمائه الحسنی و الأسماء العظمی و الاسم الأعظم، التی بها

۱- ۱) القمر:۵۵.

صاروا معلم الملائکه کما تقدم من من أنهم علیهم السّلام سبّحوا فسبّحت الملائکه، و هلّلوا فهلّلت الملائکه، و هکذا. و الذی عرفه للإنس بما لهم من الأصناف من الأنبیاء و الأولیاء، و سایر طبقات المؤمنین مختلف أیضا، أما الأنبیاء فقد عرفهم أفضلیتهم علیهم السّلام علیهم بما منحهم من المقام المحمود، الذی تقدم بیان بعضه فی ذکر تفضیلهم علیهم السّلام علی الأنبیاء، فإن تفضیله تعالی إیاهم علیهم لیس بالاعتبار بل بملاک الفضیله، و هو أنه تعالی أعطاهم ما لم یعط للأنبیاء کما تقدم، و یأتی فی شرح

قوله علیه السّلام:

«آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین»

، و أما سائر الناس من المؤمنین، فمعلوم أن کلا من المؤمنین إنما تکون درجته ملحوظه بقدر معرفته بهم علیهم السّلام، فمن عرّفهم اللّه له من فضائلهم و قبلها، فهو بذلک المقدار له المقام و المنزله. و کیف کان فاللّه تعالی عرّفهم علیهم السّلام لهم کلا بحسبه، و أما سائر الموجودات فسیأتی بیان تعریفه تعالی لهم فیما بعد، و أنها کیف کانت، و کیف کان فهو تعالی عرفهم فهؤلاء فی مقامین: الأول: فی مقام الأرواح حین قال لهم: أ لست بربکم و محمد نبیّکم و علی إمامکم، کما تقدمت الأحادیث فی ذلک، و فی ذیل قوله تعالی: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ (1)الآیه، و کان تعریفه تعالی فی ذلک العالم بأن أظهر حقیقتهم علیهم السّلام النورانیه، التی هی مظاهر لشئونه تعالی من الأسماء و الصفات و الأفعال، و الحکم و الجمال و الجلال و المشیه، و الولایه التکوینیه و التشریعیه، فرآها جمیع الخلائق ففی ذلک العالم، رأوا أن تلک الحقائق بمثابه من العلو و الرفعه بحیث کانت مراتبهم أی الخلق بالنسبه إلیها کنسبه القطره إلی البحر المحیط، فحین ذاک أقرّ من أقرّ و أنکر من أنکر، فأقرّت الملائکه، و من سبقت له من اللّه الحسنی من الإنس، و أنکرت الشیاطین و بعض الناس ممن أشار إلیه قوله تعالی: فَمٰا کٰانُوا لِیُؤْمِنُوا بِمٰا کَذَّبُوا بِهِ

ص: ٣٣۵

١- ١) الأعراف:١٧٣.

مِنْ قَبْلُ

(۱)

. و الثانی: فی الدنیا و مقام التکلیف، و فی هذا العالم أیضا أقرّ من أقرّ و أنکر من أنکر، و سیأتی، إن من أنکر هنا یکون إنکاره کما قال تعالی: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ (۲)الآیه. أقول: و لعله کان الإنکار فی عالم الأرواح أیضا کذلک

الأمر الثانی فی أن تعریفه تعالی یشمل الکل حتی غیر ذوی العقول أم لا

فنقول: معنی تعریفه تعالی إیاهم للکل هو عرض ولایتهم علیهم السّلام لهم و تعریفها لهم، أما بالنسبه إلی الطوائف الثلاث من الملائکه و الإنس و الجن فقد عرفت أمرها، و أما بالنسبه إلی غیرهم من سائر الموجودات، فقد یقال: إنه کیف یعقل من العدل الحکیم عرض ولایتهم علیهم السّلام علیها فضلا عن تعریفها إیّاهم؟ و لکن یدفعه أن مقتضی الآیات و الأخبار بل و الاعتبار أن کل موجود هو مکلف بحسب ما له من المرتبه، فله إیمان و کفر و طاعه و معصیه. أما الآیات: فقوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلطَّيْرُ صَافّٰاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِمٰا يَفْعَلُونَ (۳)، و قوله تعالی: تُسَبِّحُ لَهُ اَلسَّمٰاوٰاتُ اَلسَّبْعُ وَ اَلْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (۴)الآیه، فهذه الآیات تدلّ علی أن الموجودات من الطیور و غیرها، بل کل شیء له تسبیح، و لا تسبیح إلاّ ممن له القابلیه لأن یعرض علیه التکلیف، و سیأتی توضیحه. و أما الأخبار: فهی علی طوائف، منها: ما ورد فی تفسیر تلک الآیات:

۱- ۱) یونس:۷۴.

۲- ۲) النمل:۱۴.

۳- ۳) النور:۴۱.

۴- ۴) الإسراء:۴۴.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن زراره قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلّا یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فقال: «ما تری أن تنقض الحیطان تسبیحها» .

و فیه، عن الحسن النوفلی، عن السکونی، عن جعفر بن محمد، عن أبیه علیه السّلام قال: «نهی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن أن توسم البهائم فی وجوهها، لأنها تسبّح بحمد ربّها» .

و فیه، عن إسحاق بن عمار، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «ما من طیر یصاد فی برّ و لا بحر، و لا شیء یصاد من الوحش إلّا بتضییعه التسبیح» .

و فی البحار (۲)، عن کتاب جعفر بن محمد بن شریح الحضرمی، عن حمید بن شعیب، عن جابر الجعفی قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إنّ للّه دیکا رجلاه فی الأرض و رأسه تحت العرش، جناح له فی المشرق، و جناح له فی المغرب یقول: سبحان الملک القدوس، فإذا قال ذلک صاحت الدیوک و أجابته، فإذا سمع صوت الدیک فلیقل أحدکم: سبحان ربی الملک القدوس» . أقول: و مثله أخبار أخر. و منها: ما ورد فی بیان نطق الحمام.

ففی البحار (۳)، عن العیون و العلل بالإسناد المتقدم، سأل الشامی أمیر المؤمنین علیه السّلام عن معنی هدیر الحمام الراعبیه؟ فقال: «تدعو علی أهل المعازف و القیان و المزامیر و العیدان» .

و فیه، عن البصائر مسندا، عن شعیب بن الحسن قال: کنت عند أبی جعفر علیه السّلام جالسا فسمع صوتا من الفاخته، فقال: «تدرون ما تقول؟ قال: قلت لا، قال: تقول: فقدتکم، فافقدوها قبل أن تفقدکم» .

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۱۶۸.

۲- ۲) البحار ج ۶۵ ص ۳.

۳- ۳) البحار ج ۶۵ ص ۱۳.

و فيه، عن كامل الزياره، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «اتخذوا الحمام الراعبيه فى بيوتكم، فإنها تلعن قتله الحسين عليه السّلام» .

و فيه، عن مشارق الأنوار، عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السّلام: «عادانا من كل شىء حتى من الطيور الفاخته، و من الأيام الأربعاء» .

و فيه، عنه أيضا، عن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام إذ وقع عليه ورشانان ثم هدلا فردّ عليهما فطارا، فقلت: جعلت فداك ما هذا؟ فقال: «هذا طائر ظنّ فى زوجته سوءا فحلفت له، فقال لها: لا أرضى إلّا بمولاى محمد بن على فجاءت فحلفت له بالولايه أنها لم تخنه فصدّقها، و ما من أحد يحلف بالولايه إلّا صدق إلّا الإنسان فإنه حلّاف مهين» .

و فيه، عن دلائل الطبرى مسندا، عن الفضيل بن يسار، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «كنت عنده إذ نظرت إلى زوج حمام عنده يهدر الذكر على الأنثى، فقال: أ تدرى ما تقول؟ قلت: لا، قال: يقول: يا سكنى و عرسى، ما خلق اللّه خلقا أحبّ إلىّ منك، إلّا أن يكون جعفر بن محمد عليهما السّلام» . منها: ورد فى بيان دعاء بعض الطيور.

ففى البحار (۱)، عن الخصال، عن داود الرقّى، قال: بينا نحن قعود عند أبى عبد اللّه عليه السّلام إذ مرّ بنا رجل بيده خطاف مذبوح، فوثب إليه أبو عبد اللّه عليه السّلام حتى أخذه من يده، ثم دحا به الأرض ثم قال: «أ عالمكم أمركم بهذا أم فقيهكم؟ لقد أخبرنى أبى عن جدى عليهما السّلام أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نهى عن قتل سته: النحله و النمله و الضفدع و الصّرد و الهدهد و الخطاف» . . . و ساق الحديث. إلى أن قال: «و أما الخطاف فإنّ دورانه فى السماء أسفا لما فعل بأهل بيت محمد (صلوات اللّه عليهم) و تسبيحه قراءه اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ ، أ لا ترونه و هو يقول: وَ لاَ اَلضّٰالِّينَ » .

۱- ۱) البحار ج ۳۷ ص ۲۶۹.

و فيه (۱)، عن الخرائج روى عن الحسن عليه السّلام: «إن عليّا عليه السّلام كان يوما بأرض قفر فرأى دراجا فقال: يا درّاج منذ كم أنت فى هذه البريه، و من أين مطعمك و مشربك؟ فقال: يا أمير المؤمنين أنا فى هذه البريه منذ مائه سنه إذا جعت أصلى عليكم فأشبع، و إذا عطشت أدعو على ظالميكم فأروى» . و مثله أحاديث أخر. و منها: ما ورد فى بيان كلام الحيوانات.

و فيه عن الاختصاص مسندا، عن سليمان بن خالد، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: بينا أبو عبد اللّه البلخى و نحن معه إذا هو بظبى يثغو و يحرّك ذنبه، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أفعل إن شاء اللّه، قال: ثم أقبل علينا، فقال: علمتم ما قال الظبى؟ قلنا: اللّه و رسوله و ابن رسوله أعلم، فقال: إنه أتانى فأخبرنى أن بعض أهل المدينه نصب شبكه لأنثاه، فأخذها و لها خشفان لم ينهضا و لم يقويا للرعى، فسألنى أن أسألهم أن يطلقوها، و ضمن لى أن إذا أرضعت حشفيها حتى يقويا للنهوض و الرعى أن يردّها عليهم، قال: فاستحلفته فقال: برئت من ولايتكم أهل البيت إن لم أف، و أنا فاعل ذلك إن شاء اللّه، فقال البلخى: سنّه فيكم كسنّه سليمان عليه السّلام» .

و فيه عن بصائر الدرجات مسندا، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوما قاعدا فى أصحابه، إذ مرّ به بعير حتى ضرب بجرّانه الأرض و رغا، فقال رجل من القوم: يا رسول اللّه أ سجد لك هذا البعير، فنحن أحق أن نفعل؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لا بل اسجدوا للّه إن هذا الجمل جاء يشكو أربابه و زعم أنهم أنتجوه صغيرا فلما كبر و قد اعتملوا عليه، و صار عودا كبيرا، أرادوا نحره، فشكا ذلك، فدخل رجلا من القوم ما شاء اللّه أن يدخله من الإنكار لقول النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لو أمرت شيئا يسجد لآخر لأمرت المرأه أن تسجد لزوجها، ثم أنشأ أبو عبد اللّه عليه السّلام يحدّث فقال: ثلاثه من البهائم تكلموا على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

۱- ۱) البحار ج ۳۷ ص ۲۶۸.

الجمل و الذئب و البقره» ، الحديث. و منها: ما ورد فی بیان قوله تعالی: عُلِّمْنا مَنْطِقَ اَلطَّيْرِ (۱).

ففیه (۲)، عن البصائر مسندا، عن زراره، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام لابن عباس: «إن اللّه علّمنا منطق الطیر، کما علّمه سلیمان بن داود منطق کل دابه فی برّ أو بحر» .

و فیه، عن الاختصاص و البصائر مسندا، عن الفیض بن المختار قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن سلیمان بن داود قال: عُلِّمْنا مَنْطِقَ اَلطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، و قد و اللّه علمنا منطق الطیر و علم کل شیء» . و مثله غیره. و منها: ما ورد فی بیان إقرار الجمادات و النباتات بولایتهم علیهم السّلام و فیه بیان عرض ولایتهم علیهم السّلام علی جمیع الأشیاء.

ففی البحار، عن العلل مسندا، عن سلمان الفارسی (رضوان اللّه علیه) قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلی علیه السّلام: «یا علی تختم بالیمین تکن من المقربین، قال: یا رسول اللّه و من المقربون؟ قال: جبرئیل و میکائیل، قال: بما أتختم یا رسول اللّه؟ قال: بالعقیق الأحمر، فإنه أقرّ للّه عز و جل بالوحدانیه و لی بالنبوه و لک یا علی بالوصیه و لولدک بالإمامه، و لمحبیک، بالجنه و لشیعه ولدک بالفردوس» .

و فیه، عن العلل مسندا، عن الرضا علیه السّلام قال: أخبرنی أبی عن أبیه، عن جده علیهم السّلام: «إن أمیر المؤمنین علیه السّلام أخذ بطیخه لیأکلها، فوجدها مرّه فرمی بها و قال: بعدا و سحقا، فقیل: یا أمیر المؤمنین و ما هذه البطیخه؟ فقال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إن اللّه تبارک و تعالی أخذ عقد مودتنا علی کل حیوان و نبت، فما قبل المیثاق کان عذبا طیّبا، و ما لم یقبل کان مالحا زعاقا» .

۱- ۱) النمل:۱۶.

۲- ۲) البحار ج ۳۷ ص ۲۶۴.

و فیه، عن فرحه الغری مسندا عن ابن عباس: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال لعلی علیه السّلام: «یا علی إن اللّه عز و جل عرض مودتنا أهل البیت علی السموات و الأرض، فأوّل من أجاب منها السماء السابعه، فزیّنها بالعرش و الکرسی، ثم السماء الرابعه فزیّنها بالبیت المعمور، ثم السماء الدنیا فزیّنها بالنجوم، ثم أرض الحجاز فشرّفها بالبیت الحرام، ثم أرض شام فزیّنها ببیت المقدس، ثم أرض طیبه فزینها بقبری، ثم أرض کوفان فشرّفها بقبرک یا علی، فقال له: یا رسول اللّه أ قبری بکوفان العراق؟ فقال: نعم یا علی تقبر بظاهرها قتلا بین الغریین و الذکوات البیض یقتلک شقی هذه الأمه عبد الرحمن بن ملجم، فو الذی بعثنی بالحق نبیّا، ما عاقر ناقه صالح عند اللّه بأعظم عقابا منه یا علی، ینصرک من العراق مائه ألف سیف» .

و فیه، عن بشاره المصطفی مسندا، عن أبی هریره قال: کنت أنا و أبو ذر و بلال نسیر ذات یوم مع علی بن أبی طالب علیه السّلام فنظر علی إلی بطیخ. . . إلی أن قال: فقال: «یا بلال أبعد هذا البطیخ عنی، و أقبل علیّ حتی أحدّثک بحدیث حدّثنی به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یده علی منکبی: إن اللّه تبارک و تعالی طرح حبّی علی الحجر و المدر، و البحار و الجبال و الشجر، فما أجاب إلی حبّی عذب، و ما لم یجب إلی حبّی خبث و مرّ، و إنی لأظن أن هذا البطیخ مما لم یجب إلی حبّی» .

و فیه، عن الاختصاص، عن قنبر مولی أمیر المؤمنین قال: کنت عند أمیر المؤمنین علیه السّلام إذ دخل رجل فقال: یا أمیر المؤمنین أنا أشتهی بطیخا. . . إلی أن قال: فالتفت إلیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: «یا قنبر إن اللّه تبارک و تعالی عرض ولایتنا علی أهل السموات و أهل الأرض من الجن و الإنس و الثمر و غیر ذلک، فما قبل منه ولایتنا طاب و طهر و عذب، و ما لم یقبل منه خبث و ردی و نتن» .

و فیه ص ۲۸۴، عن جابر الأنصاری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إن اللّه تعالی لما خلق السموات و الأرض دعاهنّ فأجبنه، فعرض علیهنّ نبوتی و ولایه علی بن أبی طالب فقبلتاهما، ثم خلق الخلق، و فوّض إلینا أمر الدین، فالسعید من سعد بنا،

و الشقى من شقى بنا، نحن المحلّلون لحلاله و المحرّمون لحرامه» .

و فيه (۱)، عن الإقبال من كتاب النشر و الطىّ، عن الرضا عليه السّلام فى خبر طويل فى فضل يوم الغدير: «عرض اللّه الولايه على أهل السموات السبع، فسبق إليها أهل السماء السابعه، فزيّن بها العرش، ثم سبق إليها أهل السماء الرابعه، فزيّنها بالبيت المعمور، ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا، فزيّنها بالكواكب، ثم عرضها على الأرضين، فسبقت إليها مكّه، فزيّنها بالكعبه، ثم سبقت إليها المدينه فزيّنها بالمصطفى محمد صلّى اللّه عليه و آله، ثم سبقت إليها الكوفه، فزيّنها بأمير المؤمنين عليه السّلام. و عرضها على الجبال فأول جبل أقرّ بذلك ثلاثه جبال: العقيق و جبل الفيروزج و جبل الياقوت، فصارت هذه الجبال جبالهن و أفضل الجواهر، و سبقت إليها جبال أخر، فصارت معادن الذهب و الفضّه، و ما لم يقرّ بذلك و لم يقبل صارت لا تنبت شيئا، و عرضت فى ذلك اليوم على المياه، فما قبل منها صار عذبا و ما أنكر صار ملحا أجاجا، و عرضها فى ذلك اليوم على النبات، فما قبله صار حلوا طيّبا، و ما لم يقبل صار مرّا، ثم عرضها فى ذلك اليوم على الطير، فما قبلها صار فصيحا مصوّتا، و ما أنكرها صار أحرّ الكن» ، إلى آخر الخبر.

و فيه (۲)، عن البرسى رحمه اللّه فى مشارق الأنوار، عن زيد الشحّام بإسناده عن نباته قال: إن أمير المؤمنين عليه السّلام جاءه نفر من المنافقين فقالوا له: أنت الذى تقول: إن هذا الجرّى مسخ حرام؟ فقال: «نعم، فقالوا: أرنا برهانه، فجاء بهم إلى الفرات، و نادى هناس هناس (مناش مناش) فأجابه الجرّى: لبيك، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: من أنت؟ فقال: ممن عرضت عليه ولايتك فأبى و مسخ، و إن فيمن معك لمن يمسخ كما مسخنا، و يصير كما صرنا، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: بيّن قصّتك ليسمع من حضر فيعلم، فقال: نعم، كنّا أربعا و عشرين قبيله من بنى إسرائيل، و كنّا قد تمردنا

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۲۶۲.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۲۷۱.

و عصینا، و عرضت ولایتک علینا فأبینا، و فارقنا البلاد و استعملنا الفساد، فجاءنا آت أنت و اللّه أعلم به منّا فصرخ فینا صرخه فجمعنا جمعا واحدا و کنّا متفرّقین فی البراری، فجمعنا لصرخته، ثم صاح صیحه أخری و قال: کونوا مسوخا بقدره اللّه، فمسخنا أجناسا مختلفه، ثم قال: أیها القفار کونوا أنهارا تسکنک هذه المسوخ، و اتصلی ببحار الأرض حتی لا یبقی ماء إلاّ و فیه من هذه المسوخ، فصرنا مسوخا کما تری» .

و فیه (۱)، عن البصائر مسندا عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اللّه عرض ولایتنا علی أهل الأمصار، فلم یقبلها إلاّ أهل الکوفه» . أقول: قبولا کاملا، و یدل علیه

قوله علیه السّلام ما فیه عن البصائر أیضا مسندا، عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن ولایتنا عرضت علی السموات و الأرض و الجبال و الأمصار ما قبلها قبول أهل الکوفه» . أقول: دلّت هذه الطوائف من الأخبار علی أن للحیوانات من الطیور و غیرها و للجمادات نطقا، و فیها ما یصح بلحاظ التکلیف علیها، و أنها تسجد للّه تعالی و تسبّحه، ثم إن هناک أحادیث تبین کیفیه تسبیحها، و نحن نذکر بعضها، ثم نعقبه بما ذکره العلماء فی معناها.

ففی البحار (۲)، عن المحاسن، عن علی بن أسباط، عن داود الرقی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألته عن قوله تعالی: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّٰ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰکِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ (۳)، قال: «نقض الجدار تسبیحها» . و مثله

عن العیاشی، عن مسعده بن صدقه، عن جعفر بن محمد، عن أبیه علیهما السّلام أنه دخل علیه رجل فقال له: فداک أبی و أمی إنی أجد اللّه یقول فی کتابه: وَ إِنْ مِنْ

۱- ۱) البحار ج ۶۰ ص ۲۰۹.

۲- ۲) البحار ج ۶۰ ص ۱۷۷.

۳- ۳) الإسراء:۴۴.

شَیْءٍ إِلاّٰ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰکِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ فقال: «هو کما قال، فقال له: أ تسبح الشجره الیابسه؟ فقال: نعم، أ ما سمعت خشب البیت تنقض؟ و ذلک تسبیحه، فسبحان اللّه علی کل حال» .

و فیه (۱)، تفسیر علی بن إبراهیم:

أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلیٰ مٰا خَلَقَ اَللّٰهُ مِنْ شَیْءٍ یَتَفَیَّؤُا ظِلاٰلُهُ عَنِ اَلْیَمِینِ وَ اَلشَّمٰائِلِ سُجَّداً لِلّٰهِ وَ هُمْ دٰاخِرُونَ

(۲)

، قال: «تحویل کل ظلّ خلقه اللّه هو سجوده للّه، لأنه لیس شیء إلاّ له ظل یتحرک بتحریکه و تحویله سجوده» .

و فیه، عن العلل لمحمد بن علی إبراهیم قال: «بکاء السماء احمرارها من غیر غیم، و بکاء الأرض زلازلها، و تسبیح الشجر حرکتها من غیر ریح، و تسبیح البحار زیادتها و نقصانها، و تسبیح الشجر نموّه و نشوه» . و قال أیضا: «ظلّه یسبّح اللّه» . و قال بعضهم فی معنی السجود فی قوله تعالی: أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلیٰ مٰا خَلَقَ اَللّٰهُ مِنْ شَیْءٍ یَتَفَیَّؤُا ظِلاٰلُهُ عَنِ اَلْیَمِینِ وَ اَلشَّمٰائِلِ سُجَّداً لِلّٰهِ وَ هُمْ دٰاخِرُونَ المراد من السجود الانقیاد و الاستسلام، سواء کان بالطبع أو بالاختیار، یقال: سجدت النخله إذا مالت لکثره الحمل، و سجد البعیر إذا طأطأ رأسه لیرکب. و المعنی حینئذ أن رجوع الظلال بارتفاع الشمس و انحدارها، أو باختلاف مشارقها و مغاربها بتقدیر اللّه تعالی من جانب إلی جانب منقاده لما قدّر لها من التفیؤ، أو واقعه علی الأرض ملتصقه بها کهیئه الساجد، هو سجودها و الأجرام من حیث هی هی أیضا فی أنفسها داخره، أی صاغره منقاده لأفعال اللّه تعالی، فالموجودات من حیث هی هی تکون داخره ساجده له تعالی بالطبع، کما قیل: أما

۱- ۱) البحار ج ۶۰ ص ۱۷۹.

۲- ۲) النحل:۴۸.

ظلّك فیسجد لربک، و أما أنت فلا تسجد لربک (أی بالاختیار) بئس ما صنعت و قیل: ظل الکافر یصلّی و هو لا یصلّی، و قیل أیضا: ظلّ کل شیء یسجد للّه سواء کان ذلک ساجدا للّه أم لا (أی بالاختیار) ، و کیف کان سجود کل شیء یناسب حاله، کما أن تسبیح کل شیء یلائم لسانه. و قال بعضهم ما حاصله: أن السجود إما سجود عباده کسجود المسلمین للّه تعالی و إما سجود عباده عن الانقیاد و الخضوع و هو لکل شیء. و حاصله: أن الممکن فی نفسه قابل الوجود و العدم، و لا یکون أحدهما إلّا لمرجح، فالموجودات بنفسها فقیره إلی الغنی، و لسان حالها بلحاظ فقرها، هو انقیادها و تسلیمها لخالقها کما لا یخفی. و بعباره أخری: أن سجود المکلّف و تسبیحه تاره یکون بالفعل و اللسان بأن یسجد و یقول: سبحان اللّه، و أخری بدلاله أحواله علی الخضوع و الانقیاد و التسلیم و التنزیه لصانعه الحکیم کما لا یخفی. و ذکر بعضهم فی تفسیر سجود الموجودات له تعالی ما حاصله: أن معنی أن الممکن لا یترجح وجوده أو عدمه إلّا لمرجح أن حقیقته منتهیه إلی الواجب لذاته تعالی کما قال تعالی: وَ أَنَّ إِلیٰ رَبِّکَ اَلْمُنْتَهیٰ (۱)، و هذا الانتهاء إلیه تعالی من الممکن أمر ذاتی له حدوثا و بقاء فی الدنیا و الآخره، لا أن الممکن سیرجع إلی ربه، بل هو راجع إلیه دائما، و هذا معنی ما قیل إن ما بالعرض یرجع إلی ما بالذات یعنی دائما، و هذا الرجوع من لوازم افتقاره الذاتی الذی لا ینفک عنه و لذا قیل: سیه روئی ز ممکن در دو عالم جدا هرگز نشد و اللّه اعلم و قیل أیضا: الفقر سواد الوجهین فی الدارین، و حقیقه هذا الافتقار الذاتی له هو خضوع الممکن و تواضعه لما ینتهی إلیه، و یقوم به دائما و هو ربّه، و هذا الخضوع

۱- ۱) النجم:۴۲.

هو حقيقه السجود، و هذا الافتقار هو حقيقه التسبيح، و هما روح السجود و التسبيح العملى، بحيث لو تحقق التسبيح و السجود بدونهما لما كان سجودا و تسبيحا كما لا يخفى، و حيث إن هذا الافتقار الذاتى غير قابل التغيير و التبدل للممكن فلا محاله، يكون جميع الممكنات ساجده مسبحه للّه تعالى، أى خاضعه متذلله معترفه بالفاقه إليه، و الحاجه إلى تخليقه و تكوينه. و بعباره أخرى: أن تنقض الجدار الداله على حدوث التغير بها و فنائها نداء بلسان الحال على افتقارها إلى من يوجدها و يبقيها منزها عن صفاتها المحوجه إلى ذلك. و إليه يشير

قوله فى الحديث السابق: أ ما سمعت خشب البيت تنقض، و ذلك تسبيحه، فسبحان اللّه على كل حال. أقول:

قوله عليه السّلام: «فسبحان اللّه على كل حال» ، يعنى أن الممكن و إن كان أشرف الموجودات فهو بلحاظ افتقاره الذاتى يسبح اللّه، فسبحان اللّه على كل حال منا، أى نحن الآن كذلك مسبّحون له بلسان فقرنا إليه تعالى. و الحاصل: أن جميع الممكنات بصفاتها و لوازمها و آثارها داله على صانعها و بارئها و مصوّرها، و علمه و حكمته شاهده بتنزهه عن صفاتها المستلزمه للعجز و النقصان، مطيعه لربها فيما خلقها له و أمرها به من مصالح عالم الكون موجهه إلى ما خلقت له، مثلا سكون الأرض خدمتها و تسبيحها، و صرير الماء و جريه تسبيحه و طاعته، و قيام الأشجار و النبات و نموّها و جرى الريح و أصواتها، و هذه الأبنيه و سقوطها و تحريق النار و لهبها، و أصوات الصواعق و إضاءه البروق و جلأجل الرعود، و جرى الطيور فى الجوّ و نغماتها، كلها طاعه لخالقها و سجده و تسبيح و تنزيه له سبحانه. و إلى هذا النحو من الدلاله أشير فى

قوله عليه السّلام: «بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، و بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، و بمضادته بين الأشياء عرف أن

لا ضدّ له، و بمقارقته بين الأشياء عرف أن لا قرين له» . و حاصل الكلام: أن هذا التسبيح و السجود تسبيح و سجود فطری، و سجود ذاتی عن تجل تجلّی لهم، فأحبّوه فانبعثوا إلی الثناء علیه من غیر تکلیف، بل اقتضاء ذاتی، و هذه هی العباده الذاتیه التی أقامهم اللّه فیها بحکم الاستحقاق الذی یستحقه، و إلیه یشیر

قوله علیه السّلام فی نهج البلاغه: «الحمد للّه المتجلّی لخلقه بخلقه» . ثم إنه قد یستفاد من قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ یُسَبِّحُ لَهُ (۱)، أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ یَسْجُدُ لَهُ ، إلی غیره من نحو هذه الآیات أنه تعالی قد أشهد لنبیه محمد صلّی اللّه علیه و آله سجود هذه الأمور و تسبیحها، بل کل من أشهده اللّه ذلک و رآه دخل تحت هذا الخطاب. و نقل عن بعض العارفین ما هذا لفظه: أن عند أهل الکشف و العرفان لکل شیء من الجماد و النبات روح و حیاه و نطق، لکن لا یحسّ منها أحد إلاّ أهل الکشف، فإنهم یسمعون النطق اللسانی لا الحالی بالتسبیح و التحمید من کل شیء، و أما من یصل إلی مقام الکشف فإنه (الظاهر، یسمع) بلسان الحال و الاستعداد لا بلسان القال، و إنی اعتقدت قبل هذا هکذا، لکن الآن عاینت و شاهدت أن کل الموجودات تسبح بلسان النطق تسمعه إذ إننا منها، و تخاطبنا مخاطبه العارفین بجلال اللّه مما یدرکه کل إنسان. أقول: کما قال الشاعر عن خطابهم: ما سمیعیم و بصیریم و خوشیم با شما نا محرمان ما خامشیم نطق آب نطق خاک و نطق گل هست محسوس حواس أهل دل أقول: و مما یدل علی مخاطبه الأشیاء للعارفین

ما ورد عن الزهراء علیها السّلام أنها قالت لأبیها صلّی اللّه علیه و آله: «إن علیا تکلم مع الأرض لیله زفافها، فقال صلّی اللّه علیه و آله لها: إنّ اللّه تعالی سخّر الأرض لعلی علیه السّلام لتقول له الحوادث و الأخبار» .

۱- ۱) النور:۴۱.

أقول: و يـدلّ عليه قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا (۱). أقول: أيضا: ذكر المجلسى رحمه اللّه فى كتاب تاريخ نبينا صلّى اللّه عليه و آله فى البحار الأخبار الداله على مكالمه الضبّ معه صلّى اللّه عليه و آله و غيره، و قصّه أنين جذع النخله، التى كانت فى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و آله مشهوره. و قال بعض الأكابر (۲)ما حاصله: أنه كما يكون الجهل بسيطا و مركبا، كذلك العلم يكون بسيطا و مركبا، و الأول هو درك الشىء مع الذهول عن ذلك الإدراك، و عن التصديق بأن المدرك ما ذا، و الثانى هو إدراك الشىء مع الشعور و الإدراك و أن المدرك ما هو، و العلم به تعالى على الوجه البسيط حاصل لكل موجود، كيف و قد علمت أن الوجود عين العلم و الظهور، و العلم بشىء عين وجوده سواء تعلق بنفسه أو بغيره، و أيضا العلم بالنفس أو شىء آخر علم بما يقومه و ما هو قيومه. و السّر فى ذلك أن كل إنسان له معيّه مع النفس الحيّه العالمه بالذات، لكونها (أى النفس) من معدن الحيوه و منبع العلم، و هو ذاته المقدسه التى لها معيّه قيّوميّه لها، كما قال تعالى: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ (۳)،

و كما قال على عليه السّلام فى خطبه له ذكرها المسعودى- و أنت لا يفقدك شىء -فمنشأ استحقاق صدق الشعور على النفس، بل على كل موجود هو معيتها مع الواجب الوجود معيه قيوميه، و قد ثبت أن الأشياء كلها قائمه به تعالى، و مظهر لآثاره تعالى من العلم و القدره و غيرهما كلاـ على حسب قابليته. فتحصّل مما ذكر أن كل شىء له شعور بوجوده، أو بوجود غيره تركيبا أو بسيطا، لاـ ينفك عن العلم و الشعور بقيّومه، لأن الوجودات هويات تعلقيّه و معان حرفيّه و روابط محضه، لا استقلال بها أصلا علما و عينا بدون جاعلها، هذا و إن

۱- ۱) الزلزله:۴.

۲- ۲) هو العارف الكامل الحاج ملا هادى السبزوارى رحمه اللّه.

۳- ۳) الحديد:۴.

كانوا ذاهلين عن أن الشعور به ما هو، لما علمت من أنهم عالمون به بالعلم البسيط، نعم قد يمنح اللّه تعالى بفضله لخواص أوليائه فهم ذلك. و قال هذا العارف: و إنى لأسمع ذكر الأذكار، و حمد المحامد و أرى من يذكر اللّه لا عن قلب حاضر بل عن خاطر متشتت، و ذكره يذكر اللّه و لا يشعر الذاكر به، هذا كله تفسير لقوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَ لٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، على صيغه الغائب، أى كل شىء يسبح بحمده، و إن كان لا يفهم تسبيحه، لأنه عالم بالتسبيح بالعلم البسيط لا المركب، فهو مسبح له تعالى غير شاعر بتسبيحه له تعالى، و إن قرئت بصيغه الخطاب كما هو الظاهر المتعارف، فالمعنى أنتم لا تفقهون تسبيحهم لانغماركم فى الجهل و الحجاب كما تقدم معناه. فتحصّل من الكل: أن الموجودات لها شعور و درك و لو بالعلم بالبسيط، و بهذا الاعتبار يسبح بحمد ربّه و كل منها قد علم صلاته و تسبيحه، فعليه فلا ينكر على الحكيم القادر المتعال أن تكلّفها بالتكليف الإلهى من قبول الولايه و التسبيح و أن يعرّفهم مقامات محمد و آله الطاهرين المختصه بهم.

و أما المقام الثالث و هو أنه إذا عرف الكل مقامهم المحمود، فكيف يرى فى بعضهم بل فى الكثير إنكار ذلک؟

فنقول: ظاهر العباره أنه تعالى بلطفه العميم عرف الكل، أى كل الموجودات جلاله أمرهم بلسان الأنبياء، و فى الكتب المنزله عليهم، أما الملائكه بأجمعها فقد علموا و عرفوا مقاماتهم و قبلوها كما مرّ مرارا، و أما البشر فقد عرفهم لهم فى عالم الأرواح و فى عالم الدنيا، فمن قبلها منهم فقد فاز فوزا عظيما، و أما من لم يقبل فهم على أقسام منهم من أقيمت عليه الحجه و ثبتت لهم، و لكن لانغمارهم فى عالم النفس و الطبيعه، و تعلق قلوبهم بحبّ الدنيا، و تكدّر قلوبهم برين المعاصى، فقد جحدوها ظاهرا و إن استيقنتها أنفسهم بها لقيام الحجه عليهم.

ففى تفسير نور الثقلين عن أصول الكافى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى بيان دعوه الكفر. . إلى أن قال عليه السّلام: «و أما الوجه الآخر من الجحود على معرفه و هو أن يجحد

الجاحد، و هو يعلم أنه حق قد استقرّ عنده، و قد قال اللّه عز و جل: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا (١). و كيف كان فإنكار هؤلاء لفضلهم عليهم السّلام صورى ظلما و علوا، و إلاّ فضائلهم ظاهره لديهم أيضا، و قد عرفها اللّه تعالى لهم، و منهم من لم يقرّ بها قصورا بمعنى أن الحجه و التعريف منه تعالى لهم ثابت، و لكنهم لقصورهم لم يدركوها، و ليس معنى عرفها لهم أنه تعالى عرفها لهم وقوعا بحيث لا يشذّ عنهم شاذ، بل المراد (و اللّه العالم) عرفها لهم من حيث ما هو مقتضى لطفه، و ما هو مقتضى وظيفه الأنبياء و الرسل، و لازم إقامه الحجه البالغه على أن هذا المعنى أيضا ثابت لهم بالفطره و حاصله: أنه تعالى قد جعل فى فطره المكلفين رياستهم، كما فى إذن الدخول العالم للمشاهد المشرفه، بمعنى أن كل أحد إذا راجع فطرته السليمه عن غواش الظلمه و الوساوس الشيطانيه، و نظر إلى تلك الذوات المقدسه المطهره علم بالوجدان السليم أنهم عليهم السّلام لهم المقامات المذكوره بحيث يذعن بها كل عاقل سليم الفطره، فمقاماتهم معلومه لكل أحد بالفطره السليمه، و عليه فالقاصرون أيضا إذا رجعوا إلى فطرهم السليمه أقرّوا بمقاماتهم عليهم السّلام كما لا يخفى. و حاصل الكلام فى المقام: أن كل شىء من الموجودات إذا توجه إليهم بما له من الدرك كل بحسبه، يعرف مما يظهر له من ظاهرهم عليهم السّلام جلالا و عظمه لا يحتمله بنفسه، بل يراه شأنا عظيما مختصا بهم عليهم السّلام، و هذا التوجه يختلف بالنسبه إلى الأشياء، فتوجه كل بحسبه، و لذا ترى منهم عليهم السّلام فى وقت إعجازهم أنهم يستنطقون الأشياء من الشجره أو الضبّ أو الحصى أو غير ذلك ينطقون لهم و يشهدون لهم بهذه الجلاله و المعرفه لهم، فنطقهم مستكن فيهم، فالأئمه عليهم السّلام بإذن اللّه تعالى يستنطقونهم بإذنه تعالى، و هو معنى قوله تعالى: أَنْطَقَنَا اَللّٰهُ اَلَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ

١- ١) النمل:١۴.

شَیْءٍ

(۱)

کما لا یخفی. ثم إن ما یظهر لهم من جلالتهم لیس منتهاها، بل و لا جزء من مائه ألف جزء، و إنما یظهر لهم بقدر ما یحتملون ظهوره و بقدر وسعهم، و فی الحقیقه هذا الشعور فیهم إنما هو مما کتبوه علیهم السّلام فی حقائقهم بإذن اللّه، و هو معنی قبول ولایتهم بذاتهم، و قد یقال: کیف لا یعرف مخلوق ربه أو جلاله أمرهم مثلا و هی المعرفه بهم، مع أن الخلق عباره عن قبول الأعیان الثابته الوجود بما هو أثر بهم، و تحقق منه تعالی فی الأشیاء و قبولها له فرع معرفه ما یقبله، فقبوله عین معرفته و هی عین قبوله، و هذا هو السّر المودع فی الأشیاء و الجهه الربوبیه فیها، و إلّا لم یکن موجودا به تعالی، فکل شیء موجود به تعالی من هذه الجهه، فقبول الأشیاء المعرفه هو وجودها و إلّا لم توجد، فتدبّر تفهم إن شاء اللّه. و لعمری إنا إذا راجعنا مخالفیهم القائمین بظلمهم قد ثبت عندهم مقاماتهم، فهم یجحدونها مع استیقان أنفسهم بها، کما لا یخفی علی من راجع المخالفین لهم علیهم السّلام، ثم إن تعریفه تعالی مقاماتهم لکل من المذکورات، یختلف باختلاف أحوالهم، و نحن نذکرها فی بیان شرح تلک المفردات، فنقول:

قوله علیه السّلام: «حتی لا یبقی ملک مقرب» ،

التخصیص بالمقرب لبیان أهمیته، لا لخروج غیر المقرب، بل هو أیضا ممن عرفه تعالی جلاله أمرهم. . . إلخ أو هو داخل فی قوله: و لا خلق فیما بین ذلک شهید، و کیف کان فقد علمت تعریفه تعالی مقاماتهم للملائکه فیما سبق بما لا مزید علیه فلا نعید.

قوله: «و لا نبی مرسل»

(أقول: و لا غیر مرسل أیضا) و التخصیص به إما لأهمیته، أو لأن غیر المرسل داخل فی بعض مراتب الصدیق.

قوله: «و لا صدیق»

، أی من کان فی ذاته و صفاته و أفعاله و عقائده صدیقا، أی

ص: ۳۵۱

۱- ۱) فصلت:۲۱.

منزّها عن الشين فيه و الكذب بالنسبه إليه، و كانت أفعاله مصدقه لأقواله، و هم الأولياء و الأبدال و الأوتاد كما لا يخفى.

قوله: «و لا شهيد»

، المراد منه إما من أشهده اللّه ذاته و صفاته و أفعاله فهو شاهد للتوحيدات الثلاثه، أو الشهيد الذى استشهد مع النبى صلّى اللّه عليه و آله أو الإمام عليه السّلام فلأهميته خصّ بالذكر، أو المراد منه المؤمن الكامل المرضى إيمانه عند اللّه و رسوله كما أشير فى قوله تعالى: وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى اَلنّٰاسِ وَ يَكُونَ اَلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً (۱).

ففى تفسير نور الثقلين، عن الكافى و بإسناده إلى أبى جعفر الباقر عليه السّلام حديث طويل فيه يقول عليه السّلام: «و لقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، و لذلك جعلهم شهداء على الناس، ليشهد محمد صلّى اللّه عليه و آله علينا، و لنشهد على شيعتنا، و ليشهد شيعتنا على الناس» . فالشهيد هنا الشاهد على الناس يوم القيامه، فهو لكمال إيمانه يقبل شهادته فالشهاده للمؤمنين شأن من شئونهم كما لا يخفى.

قوله: «و لا عالم و لا جاهل و لا دنى و لا فاضل»

، المراد من العالم هو الذى علم معالم الدين إن أريد بالجاهل الذى لا يعلم، و إن أريد منه المتصف بالصفات الرذيله (كما هو أحد مصاديق الجاهل، بل هو المراد غالبا فى الأحاديث) فالمراد من العالم هو العارف الكامل، الذى قد أخلص نفسه للّه تعالى و خلع سرابيل الشهوات و خرج، من صفه العمى و مشاركه أهل الهوى، فصار من مفاتيح أبواب الهدى، و مغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه و عرف مناره و قطع غماره. . . إلخ. و المراد من الدنى بقرينه مقابلته مع الفاضل من اتصف بالدناءه و الصفات الرذيله، و إن حصل له بعض العلم، فإن النفس قد تتصف مع علمها ببعض الصفات

۱- ۱) البقره:۱۴۳.

الدنيه الموجبه لخسّته، و كونه مهانا عند الناس و عند اللّه، و المراد من الفاضل من اتّصف بالفضائل و إن لم يكن من أهل العلم، بل هو الظاهر منه لمقابلته مع العالم، كما لا يخفى، و كيف كان فالمراد منه غير العالم الذى اتصف بالفضائل.

قوله عليه السّلام: «و لا مؤمن صالح، و لا فاجر طالح»

، لا ريب فى تفاوت درجات الإيمان و المؤمنين كما تقدم، إلّا أن المؤمن قد يرتفع بإيمانه إلى أن يعمل الصالحات، فهو بهذه المرتبه مما يعتنى به و يصلح لأن يذكر، فالصفه لإخراج غير الصالح، كما أن الفاجر قد يكون فجوره قليلا يمحو بالندامه، و قد يكون بمثابه الكثره بحيث يكون طالحا أى خلاف الصلاح، فإن الطالح فى الرجال من هو خلاف الصالح، أى من لا يصدر منه إلّا الفجور، فهو بهذه الجهه فى الفجور صار مذكورا، فكأنه نوع من الخلق المنكوس.

[۵۰]قوله عليه السّلام: «و لا جبّار عنيد، و لا شيطان مريد»

، أقول: «الجبار المسلط (بالكسر) و المتكبر و الذى يقتل على الغضب، و لا يطلق هذا الوصف على غيره تعالى إلّا على وجه الذم، و العنيد الجائر عن القصد الباغى الذى يرد الحق مع العلم به، و العنيد و العنود و المعاند واحد، و هو المعارض لك بالخلاف عليك، و عند عن الطريق أى عدل عنه، فعلى هذا الجبّار من تكبّر و تسلط على غيره، و أعمل غضبه بالقتل، و إذا اتصف بالعنيد أضيف إليه أنه يعمل السوء مع العلم بالحق، و هو العادل عن الطريق المعارض للحق، و له مصاديق كالفراعنه و سلاطين الجور و خلفاء الباطل كأكابر بنى أميه و بنى العباس و من حذا حذوهم إلى زماننا هذا. فإنهم مع تبيّن الحق لهم عاندوه و عارضوه و أهله كما لا يخفى، هذا و قد ظهر من خلفاء الجور الإقرار منهم بظهور الحق لهم، و أنهم إنما عاندوه و عاندوا أهل الحق لحبهم الملك، و إن الملك عقيم، كما لا يخفى على من راجع سيرهم فى التاريخ. و أما الشيطان فهو من شطن و هو البعد، فكأنهم تباعدوا عن الخير، و طال مكثهم فى الشّر، و كل عات متمرد من الجن و الإنس و الدواب شيطان، و المارد هو

العاتی و قوله تعالی: شَیْطانٍ مارِدٍ ، أی خارج عن الطاعه متمکن من ذلک، و المارد العانـد الشدیـد، و کیف کان فالشیطان قد عرفه اللّه جلاله أمرهم، و فی ذلک أخبار کثیره ذکرها المجلسی رحمه اللّه فی البحار ج ۳۶ فراجع و نذکر خبرا واحدا منها: (۱)

فعن العلل و المجالس للصدوق رحمه اللّه بإسناده، عن المسعودی رفعه إلی سلمان الفارسی رحمه اللّه قال: مرّ إبلیس (لعنه اللّه) بنفر یتناولون أمیر المؤمنین علیه السّلام فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذی وقف أمامنا؟ فقال: أنا أبو مرّه، فقالوا: یا أبا مرّه أ ما تسمع کلامنا؟ فقال: سوأه لکم تسبّون مولاکم علی بن أبی طالب؟ ! قالوا: من أین علمت أنه مولانا؟ قال: من قول نبیکم صلّی اللّه علیه و آله: «من کنت مولاه فعلی مولاه اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و أخذل من خذله» فقالوا له: فأنت من موالیه و شیعته؟ فقال: ما أنا من موالیه، و لا من شیعته، و لکنی أحبّه و لا یبغضه أحد إلّا شارکته فی المال و الولد. فقالوا له: یا أبا مرّه فتقول فی علی شیئا؟ فقال لهم: اسمعوا منّی معاشر الناکثین و القاسطین و المارقین، عبدت اللّه عز و جل فی الجان اثنی عشر ألف سنه، فلما أهلک اللّه الجان، شکوت إلی اللّه عز و جل الوحده، فعرج بی إلی السماء الدنیا اثنی عشر ألف سنه أخری فی جمله الملائکه، فبینا نحن کذلک نسبّح اللّه عز و جل و نقدسه إذ مرّ بنا نور شعشعانی، فخرّت الملائکه لذلک النور سجّدا، فقالوا: سبّوح قدوس، هذا نور ملک مقرّب أو نبی مرسل؟ فإذا بالنداء من قبل اللّه عز و جل: ما هذا نور ملک مقرّب، و لا نبی مرسل، هذا نور طینه علی بن أبی طالب علیه السّلام» .

قوله علیه السّلام: «و لا خلق فیما بین ذلک شهید»

، قد یقال: المراد منهم من یکون موجودا فی عالم الشهاده من الأصناف، التی دون هذه الأنواع الثلاثه الملائکه و الجن و الإنس من سائر أصناف الموجودات، و قوله: شهید، صفه لخلق و هو بمعنی المشهود، أی ما سواهم من الخلق المشهود من سائر الموجودات.

۱- ۱) البحار ج ۳۶ ص ۲۳۷.

أقول: لعل المراد منهم الموجودات الجماديه و النباتيه و الحيوانات بأصنافها، و قد عرفت أن لكل منها روحا يخصّه، و هو بلحاظ ذلك الروح مسبّح له تعالى، و له تكليف يخصّه و سجود مختص به، فهم بتلك المشاعره صحّ تعريفه تعالى مقامات الأئمه عليهم السّلام لهم كما لا يخفى. [@@]

قوله عليه السّلام: «إلاّ عرفهم جلاله أمركم» .

أقول: قد عرفت معنى تعريفه تعالى مقامات الأئمه عليهم السّلام لهم.

و أما قوله:

«جلاله أمركم»

، الجلاله العظمه و الأمر الحادث العظيم، الذى لا يوصف من عظمته، و المعنى أن أمركم عظيم لا يوصف بكنهه، و هو مقام ولايتهم الكليه الإلهيه التشريعيه و التكوينيه، التى لاتحد لأحد و قد تقدم شرحها.

و فى الوافى عن الكافى فى باب المصافحه بإسناده، عن زراره، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن اللّه تعالى لا يوصف و كيف يوصف و قال فى كتابه: وَ مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ (١)، فلا يوصف بقدر إلاّ كان أعظم من ذلك، و إن النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يوصف و كيف يوصف عبد احتجب اللّه بسبع، و جعل طاعته فى الأرض كطاعته فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا و من أطاع هذا فقد أطاعنى، و من عصاه فقد عصانى و فوّض إليه، و إنّا لا نوصف، و كيف يوصف قوم رفع اللّه عنهم الرجس و هو الشك، و المؤمن لا يوصف و أن المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه، فلا يزال اللّه ينظر إليهما و الذنوب تتحات عن وجوههما كما يتّحات الورق عن الشجر. أقول:

قوله عليه السّلام: «كيف يوصف قوم رفع اللّه عنهم الرجس و هو الشك» ، إشاره إلى آيه التطهير، التى هى سند طهارتهم و مقام ولايتهم و قربهم إليه تعالى، فإن نفى الشك عنهم إشاره إلى نفى أىّ حجاب بينهم و بين ربهم كما تقدم قول السجاد عليه السّلام

ص: ٣٥٥

١- ١) الأنعام:٩١.

و الذى حاصله: ليس بين اللّه و بين حجته ستر و لا دونه حجاب، و هذا فى الحقيقه مقام فنائهم فى اللّه و بقائهم باللّه تعالى، فهم حينئذ مظاهره فى شئونه تبارک و تعالى. و بعباره أخرى: أن تعريفه تعالى جلاله أمرهم لكل شىء هو أنه تعالى عرّفهم ولايتهم و سلطانهم فى الوجود، الذى لهم لا لغيرهم و هو فى الحقيقه المرتبه العليا، التى أقامهم اللّه تعالى فيها، و مكّنهم فيها بحيث حمّلهم علمه و أعطاهم قدرته و جماله و جلاله، و فوض إليهم أمر دينه، و هذا معنى ولايتهم التكوينيه و التشريعيه، و هذا معنى أنهم خلقوا له تعالى كما

فى الحديث القدسى مخاطبا للنبى صلّى اللّه عليه و آله: «خلقت الأشياء لأجلك، و خلقتك لأجلى» ،

و قوله عليه السّلام: «نحن صنائع اللّه و الخلق صنائع لنا» . توضيحه: أن كونهم عليهم السّلام خلقوا لأجله تعالى أنه تعالى جعلهم مظاهر أسمائه العظمى و الحسنى التى هى مظاهره تعالى. و بعباره أخرى: أنه تعالى يظهر بالأسماء و الصفات من العلم و القدره و الجلال و الجمال، و حقائق تلک الذوات المقدسه، هى تلک الأسماء و الصفات، التى هى معرفات و مظاهر له تعالى، فهم لهم السلطنه لتمكنهم فى تلک المراتب و المنازل الإلهيه، و حيث إنا فاقدون لتلک الحقائق و محتاجون إليها فى الوجود فلا محاله خلقنا لهم، فهم خلقوا له تعالى أى ليظهر تعالى بهم، و نحن خلقنا لهم لنستفيض منهم، فهم عليهم السّلام بتلک الحقائق يدبّرون أمر الخلائق بإذنه تعالى، بل فى الحقيقه هو تعالى يدبر الأمور بهم عليهم السّلام أى بتلک الحقائق، فتدبّر تعرف. و لعمرى إن هذا أمر عظيم، و لعل إليه يشير

قول الصادق عليه السّلام فيما تقدم: «إن أمرنا هو الحق و حق الحق، و هو الظاهر و باطن الظاهر و باطن الباطن، و هو السّر و سرّ السرّ، و سرّ المستسر و سرّ مقنع بالسرّ» . أقول: فلا يكاد يحتمله غيره، نعم إلاّ من شاءوا أن يعرفوه بعض هذا السّر لا كله كما لا يخفى.

و قوله عليه السّلام: «و عظم خطركم»

، أقول: العظم (كعنب) خلاف الصغر و مثل الشىء و عديله، و الخظر (بالتحريك) قدر الشىء و منزلته، أو المراد منه المكيال الضخيم.

و قوله عليه السّلام: «و كبر شأنكم»

، الكبر (كعنب) كبر الشىء علو منزلته، و الشأن الخطب و الأمر و الحال، و كيف كان فالخطر لا يستعمل إلّا فى الشىء الذى له قدر و منزله و مزّيه، و الشأن هو الحال العظيم، و المراد منهما عظم قدرهم و كبر حالهم و مقامهم فى علوّ الذات و الذات نفسها، ففى كل موجود بحسب قابليته خصوصا الإنسان ظهر من علوّ أمرهم ما لا يقدر أحد منهم اكتناهه، و معنى ظهوره فيهم أنه تعالى أوصل إلى كل شىء من ذواتهم المقدسه و من صفاتهم العاليه تعريفا لشأنهم ما لا ينال أحد من معناه إلّا بقدر احتمال قابليته من آثار ذلك التعريف، و لاحت آثار تلك الذوات و الصفات المختصه لهم على هياكل ما سواهم، و استضاء كل منهما على قدر قابليته. و هذا أحد معانى ما يأتى فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و آثاركم فى الآثار، و أنفسكم فى النفوس»

، فانتظر، و أيضا هذا أحد معانى

قوله عليه السّلام:

«إلّا عرفهم»

، فإنه تعالى عرّفهم لكل شىء بقدر ما أوصل إليهم من صفاتهم و ذواتهم المقدسه، و بقدر ما احتملوها بقدر قابليتهم. و قد يقال: المراد من عظم خطركم مرتبه تميّزهم فى عالم المفاتيح، و عالم تميّز المعلومات، و عالم ذكرهم و نصيبهم من حقيقه النبوه الإلهيه و من كبر شأنهم مرتبه وجودهم المطلق أعنى الولايه العامه. و بعباره أخرى: أن لهم مراتب من الوجود فى جميع العوالم الربوبيه و البرزخيه و الجسمانيه، و لكل فى كل مرتبه خطر عظيم و شأن كبير، ففى العوالم الربوبيه عندهم مفاتيح الغيب كما صرّح به بعض الأحاديث،

و فى خطبه البيان: «أنا مفتاح الغيب» .

و فی تفسیر نور الثقلین (۱)و فی کتاب معانی الأخبار بإسناده إلی أبی بصیر قال: سألته عن قول اللّه عز و جل: وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّٰ یَعْلَمُهٰا وَ لاٰ حَبَّهٍ فِی ظُلُمٰاتِ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ یٰابِسٍ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ (۲)قال: فقال: «الورقه السقط و الحبه الولد و ظلمات الأرض الأرحام، و الرطب ما یحیی و الیابس ما یقبض، و کل ذلک فی کتاب مبین» .

و فی حدیث عن العیاشی ما یقرب من ذلک، و فیه بعد ذلک قال: «فی إمام مبین» . و لهم مرتبه واجدیه العلوم بأجمعها کما وردت أحادیث فی قوله تعالی: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ (۳)، و قد تقدم بعضه، و لهم أیضا مقام الذکر فی عالم النبوه الإلهیه، أی فی الحقائق التی ظهرت منه تعالی فی النبی صلّی اللّه علیه و آله ففیها ذکرهم علیهم السّلام أی تحققت الحقائق فیهم أیضا، فحقیقتهم حقیقه النبی صلّی اللّه علیه و آله (سوی النبوه) کما یومئ إلیه قوله تعالی: وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَکُمْ (۴).

قوله علیه السّلام: «و تمام نورکم»

، أی أن ما منحکم اللّه تعالی من الصفات الحمیده و العلم و القدره و الأنوار، التی بها ظهور ولایتکم التشریعیه و التکوینیه، و أنکم نوره کما تقدم و دلّ علیه قوله تعالی: وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنٰا ، المفسّر بعلی بن أبی طالب علیه السّلام کلها تکون بنحو التمام فی کلکم، أو بالنسبه إلی کل واحد منکم یکون تماما و تاما لا نقص فیه بالنسبه إلی من دونهم، فإنه فیه نقص من ذلک النور و إن وجد بعض مراتبه، و تماما من جمیع جهات الوجود المتعلق به، فهم علیهم السّلام فی مقام تمامیه النور المفاض إلیهم منه تعالی.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۵۹۸.

۲- ۲) الأنعام:۵۹.

۳- ۳) الرعد:۴۳.

۴- ۴) آل عمران:۶۱.

[۵۱]قوله علیه السّلام: «و صدق مقاعدکم»

، قد علمت أن الصدق هو جدّ الشیء و واقعه، و تقرره فی صقعه أی تطابقه لما فی الواقع. و بعباره أخری: الصدق اسم لحقیقه الشیء حصولا و وجودا، فکل شیء وجد بالفعل بکل ما أمکن له حتی یکون ذلک الشیء تاما کاملا فهو الصدق، و هذا المعنی من الصدق إذا تحقق فی أی أحد یلزمه أن یکون ذاته و صفاته و أفعاله و جمیع شئونه و قیامه فی الدین علی ما هو حقه و واقعه، و هذه الحقیقه (أعنی الصدق) نور متشعشع فی عالمه کالشمس یستضیء بها کل شیء یغشاها من غیر نقصان علی معناها. کما عن الصادق علیه السّلام و تحصیل هذا فی أحد فی غایه الصعوبه، و لذا

قال علیه السّلام «و الصادق حقّا هو الذی یصدق کل کاذب بحقیقه صدق ما لدیه، و هو المعنی الذی لا یسع معه سواه أو ضده» ، و هذا معنی ما قلنا من أن الصدق جدّ الشیء. . .

إلی أن قال: «و أدنی حدّ الصدق أن لا یخالف اللسان القلب، و لا القلب اللسان، و مثل الصادق الموصوف بما ذکرنا کمثل النازع لروحه إن لم ینزع فما ذا یصنع؟» ، و هذا إشاره إلی صعوبه الثبات علی مقام الصدق فی کل أمر کما لا یخفی، و صفه الصدق فی أحد لا تتحقق إلاّ بعد کمال المعرفه و المحبه الموجبه لإحراق غیر محبوبه، إلی أن لا یصدر منه إلاّ ما هو محبوب محبوبه و ما هو مطلوبه. و علی هذا

فقوله علیه السّلام:

«و صدق مقاعدکم»

، یراد منه ما توضیحه: أن للأئمه علیهم السّلام مراتب شامخه فی الوجود أعنی بها المقامات الإلهیه المشار إلیها

فی دعاء رجب:

و مقاماتک التی لا تعطیل لها فی کل مقام.

و بعباره أخری: أنهم جالسون مجلس الأسماء الإلهیه فی المقامات الربوبیه، و تلک المقامات صعبه جدا صعب العمل بها، و الأئمه علیهم السّلام صادقون فی تلک المقاعد و المقامات قائمون بشئونها، و ثابتون علیها و علی ما تقتضیه تلک المقامات من العمل و الاستقامه علیها، فهم فی مقعد الصدق فی تلک المقامات، و قد أثبتوا بحسن

أعمالهم و ثباتهم صدق مقاعدهم، و اللّه تعالى عرّف الكل صدق مقاعدهم، و إن هذا مقام لا يكون لغيرهم كما لا يخفى.

قوله عليه السّلام: «و شرف محلكم»

، أى أنّ محلكم أعنى قيامكم فى الأمور بنحو المرضى له تعالى فى كل مرتبه قد بلغ إلى غايه الشرف، الذى ينبغى لتلك المرتبه، و هى إما مرتبه الولايه التكوينيه بما لها من المصاديق، أو التشريعيه من التبليغ أو الأعمال من الطاعه للّه على طبق مرضاته، أو المعارف التى هم محالها، فهم عليهم السّلام فى جميع تلك الأمور قد بلغوا إلى غايه الشرف فيها، و حازوا الرفعه و العلو و القدر العظيم فى ذلك المحل.

و قوله عليه السّلام: «و ثبات مقامكم»

، إشاره إلى ثبوت هذا المحل الشريف لهم بعنايته تعالى، و أنهم ثابتون فيها بمعنى تقدم توضيحه فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و المستقرين فى أمر اللّه تعالى»

، فراجع، و لعل معناه يرجع إلى

قوله عليه السّلام:

«و صدق مقاعدكم»

فإن الثبات فى مقام من آثار الصدق فى الكون فى ذلك المقام كما لا يخفى.

و قوله: «و منزلتكم»

عطف على المحل فهو بمعنى واحد، إلاّ أن المنزله عباره عن الحقيقه، التى اتّصفوا بها من كونهم عليهم السّلام محلا للمعارف و مظاهر للأسماء الحسنى، فهى كالمرتبه التى رتّبهم اللّه فيها، و المحل اسم لظرف تلك المنزله كما لا يخفى.

و قوله عليه السّلام: «و كرامتكم عليه»

، أى أنه تعالى جعلكم فى كل رتبه من الوجود، و كل مرتبه من الكمالات و المقامات فى أعلاها بحيث ليس فوقها درجه، و بهذه العطيّه بيّن للكل أنكم فى معرض كرامته بحيث لا يشارككم فيها أحد، و يراد فيه

قوله عليه السّلام:

«و خاصتكم لديه»

، أى أنكم بسبب تلك الكرامات الإلهيه و الألطاف الربوبيه منه تعالى صرتم بحيث ظهر للكل أنكم من خاصّته و خواص خلقه، بحيث لا يشارككم فى الرتبه أحد غيركم. و بعباره أخرى: أنه تعالى استخلصكم من بين جميع المخلوقات، و لذا

قال عليه السّلام: و قرب منزلتكم منه، فإن هذا القرب أى قرب المنزله هو الظاهر لكل أحد هو من

ص: ۳۶۰

لوازم كونهم علیهم السّلام من المستخلصین، و من كونهم من خاصّیته تعالی، و هم علیهم السّلام قد صاروا لكمال القرب إلیه تعالی بحیث صارت طاعتهم طاعته تعالی، و معصیتهم معصیته تعالی كما تقدم، بل صاروا فی القرب إلی ما هو المراد من

قوله:

«لا فرق بینک و بینها إلّا أنهم عبادک و خلقک»

، و ذلک لأنه تعالی جعل أنوارهم و أرواحهم فی القرب منه تعالی بحیث

قالوا علیه السّلام: «احتجب ربنا بنا» ،

و قال علیه السّلام: «لیس بین اللّه و بین حجته حجاب و لا دونه ستر» . فهم علیهم السّلام بهذه الجهه صاروا معانی اللّه، و أبواب اللّه و بیوته، و محال معرفته و صاروا مظاهر أسمائه و صفاته و حجبه، و وسائط نعمه علی خلقه، و هم أیضا مظاهر أفعاله تعالی. و الحاصل: أنهم علیهم السّلام بهذا القرب الحقیقی المعبّر عنه بمقام أو أدنی صاروا ظهوره تعالی فی الخلق بالصفات و الأسماء و النعم الإلهیه فهو تعالی ظاهر بهم،

و لذا قال صلّی اللّه علیه و آله: «من رآنی فقد رأی الحق» ، رزقنا اللّه تعالی معرفتهم و الكون معهم فی الدنیا و الآخره بمحمد و آله الطاهرین.

[۵۲]قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمی و أهلی و مالی و أسرتی

أقول: «بأبی» أصله مفعول ثان لأفدی، و أنتم مفعول أول، و المعنی أفدیكم بأبی و أمی، و هذا الباء یسمی باء التفدیه حذف فعلها فی الغالب، و التقدیر نفدیک بأبی و أمی، و هذه العباره تستعمل لبذل الحبیب و العزیز وقایه للأحبّ و الأعزّ بحیث یفنی العزیز و الحبیب عن رعایه نفسه، و المحافظه علیها فی قبال الأحبه و الأعزه، و هذا إذا توهم مجاوزه تغیّر الأحبّ و الأعزّ أو تبدّله عما هو علیه، أو عن خصوص صفه الأحبه و الأعزیه. و هذا كله إذا وجدت من ظهر بصفه حسنه جلیله كصفات محمد و آله الطاهرین، بحیث قد هان عند ظهورها لک كل جلیل و عزیز عندک، فحینئذ نقول:

ص: ۳۶۱

بأبى أنت و أمى. . . إلخ، أى أفدى تغيرك عن هذه الصفات الجميله الجليله، أو تبدلك بغيرها مثلا-و العياذ باللّه-مما لم يستدع ميل قلبى إليها، أى تبدلها إلى ما لا أرتضيه لكم، أو أفديك فناءك أو فقدانك-و العياذ باللّه-بأحبّ الأشياء عندى و أعزّها علىّ و هى أبى و أمى و أهلى، عشيرتى و قراباتى، و الزوجات و الأولاد و البنات و الأصهار، و أسرتى (بالضم) و هم رهطى الأدنون أى أفديهم وقايه لكم من كل مكروه و محذور. و كيف كان فهذه الجمل تستعملها العرب عند الخطاب لمن يحترمون مقامه و يعظمون إكرامه، ثم الوجه فى إبراز هذه الجمل أن الزائر لما أراد خطابهم بأن يشهدوا عليهم السّلام على ما انطوى عليه قلبه من الاعتقاد بولايتهم، و أنهم المحبوبون له بحيث ليس محبوب أشدّ حبّا منهم، و أراد أن يشهدوا عليهم السّلام عليه بما يذكره فيما بعد من

قوله: «أشهد اللّه و أشهدكم. . . إلخ» ، و قد أقر بما أقرّ فى الجمل السابقه أيضا إقرارا حتميا على جهه المعاهده و الميثاق المؤكد، و هو (أى الزائر) أيضا قد اعتقد علوّ مقامهم بحيث استحيى أن يطلب منهم عليهم السّلام أن يشهدوا عليه بهذه العقائد الحقه، لأنه و إن كان معتقدا بما يقوله بعدا. إلاّ أنه حيث كان فى نفسه بعض الصفات الرذيله، فكأنه استحيى أن يطلب منهم النظر إلى قلبه، فيرون مع هذه العقائد الحقه تلك الصفات الرذيله، هذا مع أنه (أى الزائر) يعلم أنهم مطلعون على ما فى القلوب من العقائد الحقه فهو (أى الزائر) لهذه الأمور قال: «بأبى أنتم. . . إلخ» ، أى بذل و فدى أعظم الأشياء عنده من نفسه و ولده و أهله و ماله و أسرته لهم عليهم السّلام و جعلها وقايه لهم عليهم السّلام من كل مكروه و محذور، كل ذلك ليكون قد أشهدهم على ما فى نفسه من الإقرار بما يقرّ لهم، مع أنه يرى نفسه فى غايه الخضوع و الخشوع لهم، و أنه يبذل أعزّ الأشياء لهم، ليقبلوا عليهم السّلام منه هذه الشهاده و لا يردونه عن بابهم، بل يجعلونه مشمولا لألطافهم الخاصه، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

ص:٣٦٢

فقال: «أشهد اللّه. . إلخ» . فإن قلت: فلم لا يقول للّه تعالى: «بأبى أنت و أمى. . . إلخ» ، مع أن ملاك كونه مفدى لما ذكر أعلى، و أكبر مما فيهم عليه السّلام؟ قلت: السرّ فى ذلك أن التفديه إنما تصحّ لمن كان بذاته معرضا للهلاك، أو زوال ما به من الصحه و النعمه، و إن كان محفوظا بالعصمه و باللطف الإلهى، و من المعلوم أنه تعالى ليس كذلك، فإنه تعالى و إن كان أعز ممن سواه، إلاّ أنه لا يحوّل، و لا يجوز التحول عما هو عليه، لأن ذاته المقدسه و صفاته ذاتيه، فهو بما هو هو أبدى سرمدى و مع ذلك أنا أقول: روحى و نفسى و مالى و أهلى و أسرتى لاسمه الفداء. و ما ذكر فإنما هو بلحاظ العرف، و ما هو دأب العامه من المؤمنين، و أما العاشقون له تعالى فهم لا يحومون إلاّ حومه، و لا يرون لأنفسهم و لما تتعلق بهم قيمه حتى يفدوها له تعالى، و مع ذلك فهم يبذلون أنفسهم و ما لهم لسماع ذكر محبوبهم، أ ما سمعت تفديه إبراهيم عليه السّلام نفسه و ولده و ماله له تعالى فإنه عليه السّلام هيّأ نفسه لأن تحرق، و فدى ولده إسماعيل، و أعطى ماله لمن ذكر اسم محبوبه كما لا يخفى.

قوله عليه السّلام: أشهد اللّه و أشهدكم أنى مؤمن بكم و بما آمنتم به، كافر بعدوّكم و بما كفرتم به

اشاره

أقول: أنى مؤمن بكم، أى بإمامتكم، و وجوب طاعتكم و فضلكم. و قال الشارح المجلسى رحمه اللّه: «بأبى أنتم» ، أى أفديكم أبى و أمىّ، أشهد اللّه لما أراد مخاطبتهم بالشهاده فداهم بأبيه و أمه، و أشهد كما هو المتعارف عند العرب، أشهد اللّه تعالى و إياهم أنه مؤمن بهم و بجميع ما آمنوا به مجملا و إن لم يعلم تفاصيله، كافر أى جاحد و عدو لأعدائهم كما قال تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اِسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ اَلْوُثْقى (1).

ص: ۳۶۳

۱- ۱) البقره:۲۵۶.

فانظر إلى كلامه تعالى كيف قدّم الكفر على الإيمان، لبيان أنه ما يمكن الإيمان بدون عداوه أعدائهم

كما وردت الأخبار الصحيحه: إنه من قال: «إنى مؤمن بالأئمه و ليس لى شنان بالمخالفين» ، إنه ليس بمؤمن بل من أعدائنا، فإن المحبّ من يحب أولياء المحبوب و يبغض أعداءه.

أقول: قوله عليه السّلام: «إنى مؤمن بكم»

، أى مؤمن بما أنتم عليه فى المقامات، التى أقامكم اللّه تعالى فيها، كما تقدم فى أوائل الشرح، «و بما آمنتم به» من المعارف التى أطلعكم اللّه تعالى عليها من المعرفه به تعالى بنحو الأكمل الأتم، الذى لا يمكن للممكن أعلى منه من معرفه الحق تعالى و صفاته و أفعاله، و ما ينبغى أن يعبد بالعباده، التى تناسب ذاته المقدسه، و ما أنزله من كتبه و وحيه، و حقائق أنبيائه و صفاتهم و ملائكته، و أوصافهم و أقسامهم و شئونهم على ما هم عليه، و كذلك صفات أوليائه و أصفيائه و اتباعهم من شيعتهم، بل حقائق جميع الموجودات على ما هى عليها، فإنها بحقائقها لا يعلم بها إلاّ من اختصه اللّه تعالى بعلمه. و لذا ورد كما قيل

فى الدعاء:

«اللهم أرنى الأشياء كما هى»

، و كذلك علمهم عليهم السّلام بقضائه و قدره و سرّه، و ما أراد و ما قدر و ما قضى، و ما هو مخلوق بمقتضى عدله، و ما بيّنه من أحكامه بما لها من المصالح. و الحاصل: أن الإيمان بهم و بمقاماتهم الظاهره لنا بما يمكن الإيمان بها تفصيلا، و أما الإيمان بما آمنوا به من تلك المعارف فلا ريب فى أنها كما هى هى، لا يمكن لغيرهم الإيمان بها بما هى هى، فلا محاله يكون الإيمان بها مجملا على نحو ما آمنوا به، إذ لا سبيل إلى معرفتها كما هى هى، فإنها أمور لا يمكن لغيرهم المعرفه بها تفصيلا، كما لا يخفى، و إنما أشهدهم الزائر بهذه الأمور التى هى من حقائق الإيمان ليشهدوا عليهم السّلام له عند السؤال فى القبر و يوم القيامه فى مواقف السؤال. بل ربما تكون شهادته هذه سببا لأن ينظروا إليه بنظر اللطف فى الدنيا و الآخره بأن يكتبوا عليهم السّلام فى قلبه الإيمان بنور الولايه، و يقبل اللّه أعمالهم، و يتجاوز عن

سیّئاتهم، و یضاعف حسناتهم، و یدفع عنه سوء القضاء و القدر، و یکتب له خیرهما و خیر سائر الأمور، و إن یکتبوه من شیعتهم و حزبهم، و أنه موصول بهم، و أخذ بحجزتهم فی الدنیا و الآخره، و بالجمله أن یجعلوه فی کل خیر جعلهم اللّه فیه، و یخرجوه من کل شرّ أخرجهم اللّه منه.

[۵۳]قوله علیه السّلام: «کافر بعدوکم و بما کفرتم به»

، أما الکفر بعدوهم فمعناه أنی جاحد لما تدعیه أعداؤکم من الأولین و الآخرین مما لیس لهم، أو یدعیه مدع من أتباعهم مما اغتصبوه من مقامات غیرهم أو من أموالهم، کما اغتصبوا فدکا من فاطمه الزهراء (سلام اللّه علیها و روحی لها الفداء) و من الأعمال التی فعلوها مع أنها لیست بمرضاه اللّه تعالی، و أما الکفر بما کفروا به، الکفر بوجود الشریک للباری تعالی، و بما لا یرتضیه من المعاصی و أهلها، و ما لا یجوز استنادها إلیه تعالی من الصفات السلبیه و الأفعال القبیحه، و بالجمله بکل ما لا یعلمه و لا یقول به الباری تعالی. ثم إن هذه الجمله أعنی

قوله:

«کافر بعدوکم و بما کفرتم»

، مؤکد و محقق

لقوله:

«مؤمن بکم و بما آمنتم به»

، بمعنی أن الإیمان بهم و بما آمنوا لا یکون إلاّ بالکفر بعدوهم و بما کفروا به، و هو المشار به فی کلام المجلسی رحمه اللّه کما تقدم آنفا، و تدل علی هذا عده من الأخبار نذکر بعضها تیمنا فنقول:

ففی البحار (۱)، عن تفسیر العیاشی، عن أبی حمزه الثمالی، قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «یا أبا حمزه إنما یعبد اللّه من عرف اللّه، و أما من لا یعرف اللّه کأنما یعبد غیره هکذا ضالاّ، قلت: أصلحک اللّه و ما معرفه اللّه؟ قال: یصدّق اللّه و یصدق محمدا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی مولاه علی و الائتمام به و بأئمه الهدی من بعده، و البراءه إلی اللّه من عدوهم، و کذلک عرفان اللّه، قال: قلت: أصلحک اللّه أی شیء إذا عملته أنا استکملت حقیقه الإیمان؟ قال: توالی أولیاء اللّه و تعادی أعداء اللّه، و تکون مع

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۵۸.

الصادقين كما أمرك اللّه، قال: قلت: و من أولياء اللّه؟ فقال: أولياء اللّه محمد رسول اللّه و على و الحسن و الحسين و على بن الحسين. . . ثم انتهى الأمر إلينا، ثم ابنى جعفر و أومأ إلى جعفر و هو جالس، فمن و إلى هؤلاء فقد و إلى أولياء اللّه، و كان مع الصادقين كما أمره اللّه، قلت: و من أعداء اللّه أصلحك اللّه؟ قال: الأوثان الأربعه، قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل و رمع و نعثل و معاويه و من دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء اللّه» . أقول: المراد من أبو الفصيل أبو بكر و من رمع عمر و من نعثل عثمان.

و فيه عن السرائر من كتاب انس العالم للصفوانى قال: روى أن رجلا قدم على أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين إنى أحبك و أحب فلانا، و سمّى بعض أعدائه فقال عليه السّلام: «أما الآن فأنت أعور فإما أن تعمى و إما أن تبصر» .

و قيل للصادق عليه السّلام: «إن فلانا يواليكم، إلاّ أنه يضعف عن البراءه من عدوكم، فقال: «هيهات كذب من ادعى محبتنا، و لم يتبرّأ من عدونا» .

و روى عن الرضا عليه السّلام أنه قال: «كمال الدين ولايتنا و البراءه من عدونا» . ثم قال الصفوانى: و اعلم أنه لا تتم الولايه، و لا تخلص المحبه، و لا تثبت الموده لآل محمد إلاّ بالبراءه من عدوهم قريبا كان أو بعيدا، فلا تأخذك به رأفه، فإن اللّه عز و جل يقول: لاٰ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (۱)» .

و فيه (۲)عن تفسير العياشى، عن سعدان، عن رجل، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله: وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اَللّٰهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ (۳)، قال: «حقيق على اللّه أن لا يدخل الجنه من كان فى قلبه مثقال حبّه

۱- ۱) المجادله:۲۲.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۵۷.

۳- ۳) البقره:۲۸۴.

من خردل من حبّهما» . أقول: أى الشيخين.

و فيه (۱)، عن ثواب الأعمال بإسناده، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «من لم يعرف سوء ما أتى إلينا من ظلمنا و ذهاب حقنا و ما ركبنا به، فهو شريك من أتى إلينا فيما ولينا به» .

و فيه (۲)و قال الصادق عليه السّلام: «من شكّ فى كفر أعدائنا و الظالمين لنا فهو كافر» . أقول: لعل المراد على الظاهر فهو كافر بولايتنا المستلزم للكفر باللّه و بالرسول صلّى اللّه عليه و آله أيضا.

و فيه عن كنز الفوائد للكراجكى بإسناده، عن سليمان الأعمش، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «يا على أنت أمير المؤمنين و إمام المتقين، يا على أنت سيد الوصيين و وارث علم النبيين، و خير الصديقين و أفضل السابقين، يا على أنت زوج سيده نساء العالمين، و خليفه خير المرسلين، يا على أنت مولى المؤمنين و الحجه بعدى على الناس أجمعين، استوجب الجنه من تولّاك، و استوجب دخول النار من عاداك، يا على و الذى بعثنى بالنبوه و اصطفانى على جميع البريه لو أن عبدا عبد اللّه ألف عام ما قبل ذلك منه إلّا بولايتك و ولايه الأئمه من ولدك، و إن ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءه من أعدائك و أعداء الأئمه من ولدك، بذلك أخبرنى جبرئيل عليه السّلام فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر» . ثم إن المستفاد منها ما مرّ من أن الإيمان بهم و الولايه لهم و المحبه الخالصه لهم لا يكون إلّا بالبراءه من أعدائهم، و الوجه فيه ما ذكره بعضهم من أن الإيمان حق، و هو لا يجامع الباطل الذى هو ولايه أعدائهم و عدم البراءه منهم، أما كون الإيمان

ص: ۳۶۷

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۵۵.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۶۲.

بهم حق، فهو ثابت بالأدله القطعیه کما لا یخفی، و أما کون ولایه أعدائهم هو الباطل فلأنّ المحکی عن القمی فی تفسیر قوله تعالی: ذٰلِکَ بِأَنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا اِتَّبَعُوا اَلْبٰاطِلَ وَ أَنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّبَعُوا اَلْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ (۱)، أنه قال: ذلک بأن الذین اتبعوا أعداء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السّلام و قال أیضا فی قوله: و آمنوا بما نزل علی محمد صلّی اللّه علیه و آله، أی ثبتوا علی الولایه التی أنزلها اللّه (و هو الحق) یعنی أمیر المؤمنین علیه السّلام. و کیف کان فلما کان عدم البراءه من أعدائهم و ولایتهم باطلا، کانت البراءه من أعدائهم حقا کما أن ولایتهم علیهم السّلام حقّ، و هی (أی البراءه من أعدائهم) جزء الولایه الحقه الثابته لهم. و بعباره أخری: أن الولایه لهم حق، و إذا لم تنضمّ إلیها البراءه من أعدائهم لزمها عدم البراءه منهم، و قد علمت أنها الباطل، و لا یجتمع الحق مع الباطل، و لا یکون جزءا له و لا لازما له، فثبت أن الإیمان الحقیقی مرکب منهما، أی من ولایتهم، و من البراءه من أعدائهم و هو المطلوب. ثم إن المؤمن الذی یؤمن بهم و یتبرّأ من أعدائهم، إما یؤمن مع العلم التفصیلی بمتعلق إیمانه، و إما مع العلم الإجمالی به، و الثانی أیضا کاف فی الإیمان، کما هو المتراءی من کثیر من العلوم، و یدل علیه ما روی فیما تقدم من

قوله علیه السّلام: «من أراد أن یستکمل الإیمان فلیقل القول منی ما قال آل محمد علیهم السّلام فیما بلغنی، و فیما لم یبلغنی، و فیما أعلنوا، و فیما أسرّوا» .

و فی بصائر الدرجات (۲)بإسناده، عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: بأی شیء علمت الرسل أنها رسل؟ قال: «قد کشف لها عن الغطاء، قال: قلت: بأی شیء علم المؤمن أنه مؤمن؟ قال: بالتسلیم فی کل ما ورد علیه» .

۱- ۱) محمد:۳.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۵۲۲.

و فيه (۱)بإسناده، عن زيد، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «تدرى بما أمروا؟ أمروا بمعرفتنا و الرد إلينا و التسليم لنا» . فهذا الحديث و أمثاله يدل على أن الإيمان بهم و بما قالوا عليهم السّلام مع العلم الإجمالى كاف فى صحه الإيمان، و تحقيقه موكول إلى كتب الكلام.

قوله عليه السّلام: مستبصر بشأنكم و بضلاله من خالفكم

أقول: عارف بدليل الحكمه و البيان، و بخطبكم الخير الجليل، و بمعرفتكم بالنورانيه، و أنكم المقامات الإلهيه، التى لا تعطيل لها فى كل مكان و أنكم معادن كلمات اللّه، و أركان توحيده و آياته، و بيوت علمه و حكمه و غيبه، و أمره و جنبه و يده، و لسانه و عينه، و أذنه و قلبه، و وجه الكريم، و ظاهره و سرّه، و أنكم بابه و خزائنه، و مفاتيح علمه و حجبه و أولياؤه و الدعاه إليه و إلى دينه، و خلفاءه فى أرضه، و النذر منه إلى الخلق، و أنه فرض طاعتكم. و الحاصل: و بالجمله عارف بكل ما جعله اللّه تعالى لكم من شئون الولايه الإلهيه، التى تقدم بعضها فى الشرح. و أيضا عارف كذلك بضلاله مخالفيكم و أنهم الضالون المضلون، لأنهم باستكبارهم على الحق الظاهر لهم، صاروا حقيقه الحسد و العلوّ الموجب للإنكار و الجحود، و صاروا بذلك منشأ لكل شر. و بعباره أخرى: أن المخالفين و إن ظهرت لهم بحسب الفطره الإلهيه حقانيه الأئمه عليهم السّلام إلّا أنهم باستكبارهم جحدوا مقامهم، فصاروا بذلك ضالّين مضلّين، فالمخالفون بداعى الضلاله العارضه لهم من استكبارهم جحدوا مقام الأئمه عليهم السّلام و بداعى الفطره الإلهيه و الهدايه التكوينيه استيقنتها (أى مقامات الأئمه عليهم السّلام)

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۵۲۶.

أنفسهم، كما قال تعالى: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ (١)، و تقدّم بعض الكلام فى بيان هذا الأمر. و قد يقال: أن قوله: «مستبصر» ، أى طالب للبصيره بمعرفه أمركم و حالكم. أقول: كما تقدم من أنه عارف بالحكمه و البيان لا عن تقليد و تخمين، بل عن علم و يقين. قيل: و فيه إشاره إلى الاعتراف بالعجز عن ادعاء البصيره فى معرفه مرتبتهم، فإن القوه البشريه لا تطيق الإحاطه بمعرفتها إذ هم أنوار اللّه جلّ جلاله و مظاهر صفاته، و تمتنع الإحاطه بمعرفه كنه صفاته تعالى. أقول: يعنى أن الإقرار بأنى مستبصر بشأنكم. . . إلخ ظاهر فى الإقرار الإجمالى بعلوّ مقامهم دون التفصيلى، لعدم إمكان الإحاطه بها، و إلّا لصرّح بها واحدا واحدا، و يدل عليه ما تقدم من

قولهم عليهم السّلام: «نزلونا عن الربوبيه، و قولوا فينا ما شئتم و لن تبلغوا» .

[۵۴]قوله عليه السّلام: موال لكم و لأوليائكم، مبغض لأعدائكم و معاد لهم

أقول: قيل: «موال لكم» أى واليتكم، و قلدت رقبتى بقلاده عبوديتكم و عبوديه من وليتموه علىّ. أقول: يعنى خاضع و خاشع لكم و لأوليائكم. و قيل: أى محبّ و صديق و ناصر، و متابع بالقلب و اللسان و الأركان. و بالجمله: مظهر محبتى و ولايتى لكم و لأوليائكم بجميع مصاديقها.

قوله عليه السّلام:

«مبغض لأعدائكم»

، أى مجاوز لمن جاوزكم، أى غير محبّ لأعدائكم، فإن البغض ضد الحبّ، أى معرض قلبا عمّن أعرض عنكم، أو اتخذ

ص: ٣٧٠

١- ١) النمل:١۴.

وليا دونكم من الشيطان، و مظاهره من طواغيت كل زمان.

و قوله عليه السّلام:

«معاد لهم»

، أى أنكرهم و متبرّئ منهم بالقلب و اللسان و اليد. و بالجمله مظهر بأنى عليهم لا لهم فى جميع الأمور.

قوله عليه السّلام: سلم لمن سالمكم، و حرب لمن حاربكم

أقول: قد يقال: إن الإيمان يتحقق بموالاه أولياء اللّه، و معاداه أعدائهم، فإنه إن لم يوالهم فهو ضال، و إن والاهم مع أعدائهم فهو مشرك، و إن والى أعداءهم دونهم فهو كافر جاحد، و كيف كان فالإيمان بهذا من صفات القلب و عقد القلب، و يتحقق أيضا بالفعل، و هو بترتيب آثار تلك العقائد فى الخارج و منها

قوله عليه السّلام:

«سلم لمن سالمكم»

، أى مسالم و مؤاخ لهم، و حرب أى عدوّ و محارب لمن حاربكم. و قال الشارح المجلسى رحمه اللّه: إنى صلح لمن صالحتم إيّاه بترك الجهاد معهم، كما فى زمان الغيبه، أى لا اجاهد حتى تجاهدوهم، أو أنا محب لشيعتكم و عدوّ لأعدائكم. . . إلخ. أقول: السلم هو الصلح و الطاعه و الاستسلام و المحبه و الولايه و الإسلام و المسالم. و على هذا فمعنى أنى سلم أى مصالح و مطيع و مستسلم، و محبّ و موال و مسلّم، و مسالم لمن سالمكم أى لمن كان هكذا عمله معكم، و هذه الجمله ناظره إلى الإيمان العملى كما تقدم، و يرجع معناه إلى أنى تارك الجهاد ضد من سالمكم المستلزم لمسالمتكم معه، و تارك للمحاجه معه ما دام سلما لكم، أو مستعملا التقيه فى مواردها الموجبه للسلم، و تاركا المخاصمه لدفع الضرر عن شيعتكم، مادام راضيا عمّن رضى عنكم، أو مطيعا لمن أطاعكم فى موالاتكم و إن عصانى فى غيرها، و ما دام منقادا لمن انقاد لكم فى موالاته لكم، كونه محبّا لمن أحبكم، كل ذلك و غيره -عملا-الناشئ من الإيمان القلبى بكم، فتكون المسالمه فى جميع تلك الأمور على ما

يقتضيه الإيمان القلبى، لا على ما تقتضيه المعاشره العرفيه فقط. و على هذا

فقوله:

«حرب لمن حاربكم»

، معناه أنى بالنسبه إلى من حاربكم أعمل بما يقتضيه الإيمان بكم، و تفصيله ظاهر على المستبصر.

[۵۵]قوله عليه السّلام: «محقّق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم

اشاره

أقول: أى أعتقد أن ما حققتموه هو الحق و أنا أحققه، أى أسعى فى بيان أنه حق، و أن ما أبطلتموه هو الباطل و أنا أبطله، أى أسعى فى بيان إبطاله، و أن هذا ثابت لدىّ بالأدله القطعيه النقليه و العقليه.

أما الأول:

فلما ثبت أنكم عالمون بالأمور و بحقائقها بتعليم اللّه تعالى لكم، فلا تجهلون شيئا من حقائق الأشياء، و هو العلم بالأسماء الإلهيه، كما سيأتى حديثه، و أنكم معصومون لا تكذبون، كما تقدم مفصّلا فى شرح

قوله عليه السّلام: «المعصومون» ، و أنهم مسدّدون مؤيدون و ناصحون و حكماء، كما قال تعالى: وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً (۱)، و هم أحسن مصداق لها، إلى غير ذلك مما تقدم من الصفات الإلهيه الثابته لهم، الموجبه لكونهم أهل الحق و معدنه و مأواه إلى آخر ما يأتى شرحه

لقوله عليه السّلام:

«إن ذكر الخير. . . إلخ» . و يدل على هذا أحاديث كثيره نذكر بعضها فمنها: ما

فى البحار (۲)، عن أمالى المفيد بإسناده، عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «أما أنه ليس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب، إلاّ شىء أخذوه منّا أهل البيت، و لا أحد من الناس يقضى بحق و عدل، إلاّ و مفتاح ذلك القضاء و بابه و أوله و سننه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطأوا، و الصواب من قبل على بن أبى طالب عليه السّلام» .

۱- ۱) البقره:۲۶۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۱۵۷.

و فيه عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلا، عن كتاب حسن بن كبش بإسناده، عن يونس بن ظبيان، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال له: «يا يونس إذا أردت العلم الصحيح، فخذ عن أهل البيت فإنّا رويناه، و أوتينا بشرح الحكمه و فصل الخطاب، إن اللّه اصطفانا و آتانا ما لم يؤت أحدا من العالمين» . ثم إن الأخبار

قد تواترت من العامه و الخاصه على أن «على مع الحقّ و الحقّ مع على» ، و قد عقد له بابا فى غايه المرام و حجه الخصام السيد البحرانى (رضوان اللّه تعالى عليه) و ذكر أحاديث الباب من الفريقين.

فمن العامه ما رواه عن كتاب فضائل الصحابه بالإسناد، عن الأصبغ بن نباته، عن محمد بن أبى بكر، عن عايشه قالت: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «على مع الحق و الحق مع على، لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض» .

و من الخاصه ما رواه عن أمالى الشيخ بإسناده، عن أمّ سلمه (رضوان اللّه عليها) قالت: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول و هو آخذ بكف على عليه السّلام: «الحق بعدى مع على عليه السّلام يدور معه حيث دار» . أقول: فيستفاد منها أن الحق مع على عليه السّلام و الأئمه عليهم السّلام فيلزم على المعتقد بإمامتهم عليهم السّلام أن يحقق ما حققوا، و يلازمه أيضا أن يبطل ما أبطلوا،

و فى بعض الأدعيه مخاطبا لهم عليهم السّلام:

«الحق ما حققتموه، و الباطل ما أنكرتموه» .

و أما الثانى: أعنى ثبوت حقانيتهم عقلا

، و المراد به أن نورانيتهم تكون ظاهره فى قلوب شيعتهم، فيتنورون بها من طريق عقلهم، الذى هو الحجّه و السراج الباطن لمشاهده الأمور الغيبيه و المعنويه، و هذه المعرفه النورانيه، و هى المعرفه بالنور لحقّهم و حقانيتهم الحاصله لهم منه تعالى، فإنه تعالى منحهم ذلك النور، و شرح صدرهم لذلك حتى شاهدوا الغيب من شئونهم عليهم السّلام التى تكون غائبه عن غير شيعتهم. و قد علمت أن هذا ملازم للمعرفه ببطلان ما أبطلوه، و ضلاله من خالفوهم،

و هو الذی منحها لهم الأئمه علیه السّلام لمّا قبلوا ولایتهم و صدّقوهم، و أقرّوا بفضائلهم و قبلوا ما قاله النبی صلّی اللّه علیه و آله فی حقهم، و هو الدلیل القطعی النقلی السابق ذکره، و یدل علیه أحادیث نذکر بعضها.

ففی البحار (۱)، عن تفسیر القمی بإسناده، عن أبی خالد الکابلی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قوله: فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنا فقال: «یا أبا خالد النور و اللّه الأئمه من آل محمد إلی یوم القیامه، هم و اللّه نور اللّه الذی أنزل و هم و اللّه نور اللّه فی السموات و الأرض، و اللّه یا أبا خالد لنور الإمام فی قلوب المؤمنین، أنور من الشمس المضیئه بالنهار، و هم و اللّه ینورون قلوب المؤمنین و یحجب اللّه نورهم عمّن یشاء فتظلم قلوبهم، و اللّه یا أبا خالد لا یحبنا عبد (و لا یتوالانا) و یتولانا حتی یطهّر اللّه قلبه، و لا یطهر اللّه قلب عبد حتی یسلم لنا و یکون سلما لنا، فإذا کان سلما لنا سلّمه اللّه من شدید الحساب، و آمنه من فزع یوم القیامه الأکبر» .

و فیه عن الخصال بإسناده، عن أبی أیّوب الأنصاری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «لما خلق اللّه عز و جل الجنه خلقها من نور عرشه، ثم أخذ من ذلک النور فغرقه (فغرفه خ) (فقذفه خ) فأصابنی ثلث النور، و أصاب فاطمه علیها السّلام ثلث النور، و أصاب علیا علیه السّلام و أهل بیته ثلث النور، فمن أصابه من ذلک النور اهتدی إلی ولایه آل محمد، و من لم یصبه من ذلک النور ضلّ عن ولایه آل محمد» .

و فیه عن الکافی، علی بن إبراهیم بإسناده، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: وَ اِتَّبَعُوا اَلنُّورَ اَلَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ (۲)، قال: «النور فی هذا الموضع أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام» .

و فیه عن مناقب آل أبی طالب، أبو خالد الکابلی، عن الباقر علیه السّلام فی قوله

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۳۰۸.

۲- ۲) الأعراف:۱۵۷.

فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلنُّورِ اَلَّذِی أَنْزَلْنا

(۱)

: «یا أبا خالد النور و اللّه الأئمه من آل محمد صلّی اللّه علیه و آله قوله: (أتمم لنا نورنا) الحق بنا شیعتنا» .

و فیه عن کنز جامع الفوائد بإسناده، عن کعب بن عیاض، قال: طعنت علی علی علیه السّلام بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فوکز فی صدری، ثم قال: «یا کعب إن لعلی علیه السّلام نورین: نور فی السماء و نور فی الأرض، فمن تمسّک بنوره أدخله اللّه الجنه، و من أخطأه أدخله النار، فبشّر الناس عنّی بذلک» . أقول: فالمستفاد من هذه الأحادیث أن الشیعه إنما هم الذین محققون لما حققوه، و مبطلون لما أبطلوه بالعقل و النور القلبی، الذی هو من نور الأئمه علیهم السّلام فبالمشاهده النورانیه القلبیه یحققون ما حققوه، و یبطلون ما أبطلوه، و هذا النور هو المقصود من

قول الصادق علیه السّلام لعنوان البصری علی ما رواه فی الکشکول: «لیس العلم بالتعلم، بل هو نور یقع فی قلب من أراد اللّه أن یهدیه» ، و هو المقصود من

قوله صلّی اللّه علیه و آله لأبی ذر و ابن مسعود کما فی البحار. ففیه (۲): «یا أبا ذر إذ دخل النور القلب، انفسخ القلب و استوسع، قلت: فما علامه ذلک بأبی أنت و أمی یا رسول اللّه؟ قال: الإنابه إلی دار الخلود، و التجافی عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل نزوله» .

و فیه (۳): «یا بن مسعود فمن شرح اللّه صدره فهو علی نور من ربّه، فإن النور إذا وقع فی القلب انشرح و انفسح، فقیل: یا رسول اللّه فهل لذلک من علامه؟ قال: نعم التجافی عن دار الغرور، و الإنابه إلی دار الخلود، و الاستعداد للموت قبل نزول الفوت، فمن زهد فی الدنیا قصّر أمله فیها و ترکها لأهلها» الحدیث.

و فی المحکی عن الباقر علیه السّلام (کما فی شرح الزیاره فی هذا الموضع) قال الباقر علیه السّلام:

۱- ۱) التغابن:۸.

۲- ۲) البحار ج ۷۷ ص ۸۱.

۳- ۳) البحار ج ۷۷ ص ۹۳.

«ما من عبد أحبنا و زاد فی حبّنا و أخلص فی معرفتنا، و سأل مسأله إلّا و نفثنا فی روعه جوابا لتلک المسأله» . ثم إن ما حققوه هو ما یرجع إلی التوحید و الرساله و الإمامه و ما یرجع إلی المعاد و سایر المعارف الإلهیه و الأحکام و الأخلاق، و غیرها من أمور الدین، و ما أبطلوه هو خلاف ذلک مما نفوه، و أخبروا ببطلانه فی جمیع ذلک، کما لا یخفی، و الحمد للّه أولا و آخرا.

قوله علیه السّلام: مطیع لکم، عارف بحقکم، مقرّ بفضلکم

اشاره

أقول: فی المجمع: و طاعه طوعا من باب قال، و فی لغه من بابی باع و خاف، أی أذعن و انقاد، و الطاعه اسم منه. أقول: مطیع لکم أی مذعن و منقاد لکم فی الاعتقادات و الأقوال و الأعمال، و عامل بها علی ما وافق رضاکم ابتغاء لمرضاتکم، لا لغایه أخری دنیویه و نفسانیه. و کیف کان فهذه الجمله تشیر إلی قوله تعالی: یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اَللّهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اَللّهِ وَ اَلرَّسُولِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ ذلِکَ خَیْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلاً (۱).

ففی البحار (۲)، عن العیون بإسناده، عن أبی محمد العسکری عن آبائه، عن الباقر علیه السّلام قال: «أوصی النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی علی و الحسن و الحسین علیهم السّلام ثم قال فی قول اللّه: یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اَللّهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ ، قال: الأئمه من ولد علی و فاطمه إلی یوم القیامه» .

و فیه، عن بصائر الدرجات، عن هشام بن الحکم، قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: أَمْ یَحْسُدُونَ اَلنّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اَللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ اَلْکِتابَ

۱- ۱) النساء:۵۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۳ ص ۲۸۶.

وَ اَلْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً

(۱)

، ما ذلک الملک العظيم؟ قال: «فرض الطاعه، و من ذلک طاعه جهنم لهم يوم القيامه يا هشام» .

و فيه، عنه، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه تبارک و تعالى: فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ اَلْكِتابَ وَ اَلْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً : «فجعلنا منهم الرسول و الأنبياء و الأئمه، فكيف يقرون فى آل إبراهيم، و ينكرون فى آل محمد صلّى اللّه عليه و آله قلت: فما معنى قوله: وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ؟ قال: الملک العظيم أن جعل فيهم أئمه، من أطاعهم أطاع اللّه، و من عصاهم عصى اللّه فهو الملک العظيم» .

و فيه (۲)عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت: قوله: فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ اَلْكِتابَ قال: «النبوه، قلت: وَ اَلْحِكْمَهَ ؟ قال: الفهم و القضاء، وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ؟ قال: الطاعه المفروضه» .

و فيه عن البصائر، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ اَلْكِتابَ وَ اَلْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ؟ قال: قال: «تعلم ملكا عظيما ما هو؟ قال قلت: أنت أعلم جعلنى اللّه فداک، قال: طاعه و اللّه مفروضه» .

و فيه عن تفسير العياشى، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله: أَطِيعُوا اَللّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ (۳)، قال: «هى فى على و فى الأئمه جعلهم اللّه مواضع الأنبياء، غير أنهم لا يحلون شيئا و لا يحرمونه» .

و فيه عنه، عن حكيم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداک أخبرنى من أولى الأمر الذين أمر اللّه بطاعتهم؟ فقال لى: «أولئک على بن أبى طالب و الحسن و الحسين و على بن الحسين و محمد بن على و جعفر أنا عليهم السّلام فأحمدوا اللّه الذى عرفكم أئمتكم و قادتكم حين جحدهم الناس» .

۱- ۱) النساء:۵۴.

۲- ۲) البحار ج ۲۳ ص ۲۸۷.

۳- ۳) النساء:۵۹.

و فیه، عنه، عن زراره، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأنبیاء، و رضا الرحمن الطاعه للإمام بعد معرفته. ثم قال: إن اللّه یقول: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اَللّهَ . . . إلی: حَفِیظاً أما لو أن رجلا قام لیله و صام نهاره، و تصدق بجمیع ماله، و حجّ جمیع دهره، و لم یعرف ولایه ولی اللّه فیوالیه، و یکون جمیع أعماله بدلاله منه إلیه، ما کان له علی اللّه حقّ فی ثوابه، و لا کان من أهل الإیمان. ثم قال: أولئک المحسن منهم یدخله اللّه الجنه بفضله و رحمته» .

و فیه عن تفسیر الفرات: عبید بن کثیر معنعنا، أنه سأل جعفر بن محمد عن قول اللّه تعالی: أَطِیعُوا اَللّهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ (۱)؟ قال: «أولی الفقه و العلم، قلنا: أ خاص أم عام؟ قال: بل خاص لنا» . أقول:

فقوله:

«مطیع لکم»

، أی أطیعکم امتثالا لقوله تعالی: وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ علی أن طاعتهم طاعه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و طاعه اللّه تعالی کما تقدم، و إنما وجبت طاعتهم لما ذکر من الآیات و الأحادیث، و لما یأتی من شرح

قوله علیه السّلام:

«عارف بحقکم»

حیث إنه یعلم أن حقهم الثابت لهم منه تعالی یقتضی إطاعتهم، ثم إنه یجب إطاعتهم فی الأصول و الفروع و المعارف، و کل ما أخبروا به و أمروا به، و ذلک لقوله تعالی أیضا: وَ ما آتاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۲)، و حیث إن مقامهم مقام الرسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله سوی النبوه، فلا محاله ثبت لهم جمیع ما ثبت له صلّی اللّه علیه و آله کما لا یخفی.

و أما قوله علیه السّلام: «عارف بحقکم» .

اشاره

أقول: المراد من حقهم هو مقام إمامتهم و خلافتهم للرسول الأعظم، و کونهم علیهم السّلام أوصیاء الرسول الأعظم، و کونهم کنفس الرسول صلّی اللّه علیه و آله فی وجوب

۱- ۱) النساء:۵۹.

۲- ۲) الحشر:۷.

الطاعه و المتابعه فی جمیع الأمور الدینیه ما سوی النبوه، و یدل علی هذا أحادیث.

ففی البحار (۱)، الأصبغ: سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: «ویل لمن جهل معرفتی، و لم یعرف حقی، ألا إن حقّی هو حق اللّه ألا إن حقّ اللّه هو حقی» .

و فیه (۲)، عن کتاب بشاره المصطفی بإسناده، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «ولایه علی بن أبی طالب علیه السّلام ولایه اللّه عز و جل، و حبّه عباده اللّه، و اتباعه فریضه اللّه، و أولیاؤه أولیاء اللّه، و أعداؤه أعداء اللّه، و حربه حرب اللّه، و سلمه سلم اللّه عز و جل» .

و فیه عن کشف الغمه، عن أبی أیوب الأنصاری، قال: سمعت النبی صلّی اللّه علیه و آله یقول: لعمار بن یاسر: «تقتلک الفئه الباغیه، و أنت مع الحق و الحق معک، یا عمار إذا رأیت علیا سلک وادیا، و سلک الناس وادیا غیره، فاسلک مع علی، و دع الناس، إنه لن یدلیک فی ردی، و لن یخرجک من الهدی، یا عمار إنه من تقلّد سیفا أعان به علیا علی عدوّه، قلّده اللّه تعالی یوم القیامه وشاحا (۳)من درّ، و من تقلّد سیفا أعان به عدوّ علی، قلّده اللّه تعالی یوم القیامه وشاحا من نار» .

و فیه عن کتاب الروضه و الفضائل بالإسناد إلی حسین بن سعید الساعدی قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إن اللّه یبغض من عباده المائلین عن الحق، و الحق مع علی و علی مع الحق، فمن استبدل بعلی غیره هلک و فاتته الدنیا و الآخره» .

و فیه عن کشف الغمه، عن کتاب کفایه الطالب، عن أبی لیلی الغفاری، قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: «ستکون بعدی فتنه، فإذا کان ذلک، فالزموا علی بن أبی طالب، فإنه أول من یرانی، و أول من یصافحنی یوم القیامه، و هو معی فی السماء العلیا، و هو الفاروق بین الحق و الباطل» .

۱- ۱) البحار ج ۳۸ ص ۲۹.

۲- ۲) البحار ج ۳۸ ص ۳۱.

۳- ۳) شبه قلاده.

قال: هـذا حديث حسن عالٍ رواه الحافظ فى أماليه. أقول: و نظائر هذه الروايات كثيره جدا، فكون الحق مع على عليه السّـلام مما رواه الفريقـان عنه صـلّى اللّه عليه و آله و دلّ عليه الأحاديث الكثيره فى الأبواب الكثيره من الروايات الوارده فى أبواب الولايه و شئونهـا، كمـا لا يخفى على المتتبع، ثم إن معنى الحق الـذى له عليه السّـلام قـد يتبـادر منه مقـام الإمـامه و الولايه الثابته له عليه السّـلام بعد النبى صـلّى اللّه عليه و آله و هو كذلك، و هو المقصود الأولى للنبى صـلّى اللّه عليه و آله فى بيانه صـلّى اللّه عليه و آله فى تلـك الأحـاديث، فـإنه من اعتقـد بمـا قـاله صـلّى اللّه عليه و آله و اعترف به فهو من أهل النجاه، و من هنا يفتـح له باب الهدايات و المعارف الالهيه بواسطه متابعته للأئمه عليهم السّلام. و قد يفسّر هذا المقام بما يرجع إلى أمور أربعه:

الأول: معرفه مقاماتهم التى رتبهم اللّه تعالى فيها،

و هى المقامات، التى لا تعطيل لها فى كل مكان، كما فى دعاء الحجه (عج) و هى فى نفسها غامضه لا يعرفها إلّا من عرفوها له، و معنى معرفتها هو أنه يعرف أنه تعالى لا يعرف إلّا بهم عليهم السّلام بلحاظ أن لهم تلك المقامات الإلهيه. و إلى هذا يشير

قولهم عليهم السّلام: «من عرفهم فقد عرف اللّه» .

و قولهم عليهم السّلام: «من عرفنا فقد عرف اللّه» .

و قولهم عليهم السّلام: «من لم يعرفنا لم يعرف اللّه» .

و قول على عليه السّـلام: «نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلّا بسبيل معرفتنا» ، و معرفتهم بأنهم الأنوار الإلهيه هى معرفته تعالى، كما

قال على عليه السّـلام: معرفتى بالنورانيه معرفه اللّه، و معرفه اللّه معرفتى بالنورانيه» ، و قـد تقـدم هـذا كله، و سـيأتى فيما يأتى إن شاء اللّه.

الثانى: معرفه أنهم عليهم السّلام معانيه،

كما تقدم

عن السجاد عليه السّلام: «نحن معانيه» ،

و قوله: «نحن مظاهره فيكم» . و حاصله: أنه يعرف أنهم عليهم السّلام علمه تعالى و قدرته و حكمه، و أمره و عدله،

و عينه و أذنه و لسانه، و قلبه و وجهه، و نوره و يده و عضده، و كتابه و خزائنه، و مفاتيح خزائنه، و عيبه علمه، و أسرار غيبه و محال مشيته و ألسنه إرادته و صفاته العليا و أسماؤه الحسنى، و نعمه التى لا تحصى و أنهم مظاهر إبداعاته تعالى و اختراعاته، إلى غير ذلك مما تقدم فى مطاوى الشرح بيانه و أحاديثه. ثم إنهم عليهم السّلام إنما يعلم أنهم معانيه هكذا من المشاهده و الملاحظه فى عباداتهم و دعواتهم، و أذكارهم و أفكارهم، و اعتباراتهم و وجدانياتهم، و وجدانهم و حقائقهم، التى هم بها موجودون، فإذا عرف أحد حقهم بهذه الأمور، فله آثار و بهجه و لذه و معرفه، توجب أنه إذا أراد أن يتوجه إليه تعالى يتوجه إليه بهم، و يخاطبهم فى حوائجه و يناجيهم، كيف لا و هم مظاهره تعالى بهذه الأمور؟ فالداعى يدعوه تعالى عن طريق مظاهره تعالى، و سيأتى لهذا مزيد شرح فى

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجّه بكم» .

الثالث: معرفه أنهم عليهم السّلام أبوابه تعالى التى منها يؤتى فى العبادات و الدعوات و المناجاه،

و هى طريق قبول العبادات و الأعمال الصالحه، كما علمت أن هذا أثر معرفه كونهم عليهم السّلام معانيه، و تقدم فى معنى و أبواب الإيمان أنهم عليهم السّلام كما هم الأبواب إليه تعالى للعباد فى الرجوع إليه تعالى بالعبادات و غيرها، كذلك هم عليهم السّلام الأبواب فيما ينزل منه تعالى، و يؤتيه لعباده من خلق ابتدائى أو بقاء و رزق و حياه و ممات فى جميع شئونهم (أى شئون العباد مما يرجع إلى ذواتهم و شهادتهم و غيبهم، و أفعالهم و أحوالهم و أقوالهم، و ما منه صادرون، و ما إليه راجعون و صائرون، فإنها كلها تكون منهم عليهم السّلام و هم أبوابه. و الحاصل أنهم عليهم السّلام الأبواب بمعنى أنه لا يخرج من الخزائن الإلهيه خارج، و لا يصعد إليها صاعد إلّا بهم و منهم كما لا يخفى.

الرابع: معرفه ظاهر إمامتهم و ولايتهم،

و معنى معرفتهم لهم فى هذه المرتبه أنه يعرف و يعلم أنه يجب إطاعتهم، و الاقتداء بهم، و الرد إليهم فى موارد الاختلاف،

و الأخذ عنهم و التسليم لهم، و تفضيلهم على من سواهم، و أن لا يساوى بهم غيرهم لا فى نسبهم و لا حسبهم و لا فى علمهم، و لا شجاعتهم و لا كرمهم، و لا تقواهم و لا زهدهم و لا صلاحهم، و لا ديانتهم و لا عبادتهم، و لا إخلاصهم و لا قرب منزلتهم إليه تعالى، و لا من شىء من محاسن الأحوال و الأفعال و مكارم الأخلاق، و كذلك يساوى بهم غيرهم فى هذه الأمور حتى من نحو نبى مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان. بل يعلم و يعرف أن كل ما نسب إلى غيرهم من هؤلاء، و غيرهم من سائر أولياء اللّه من المحاسن و المكارم و الصفات الحميده، فإنما هو ذرّه من تيّار بحر متلاطم ممّا آتاهم اللّه تعالى من الفضائل، كيف لا و قد تقدم

قول أبى الحسن عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى: مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اَللّٰهِ (1)، «و نحن كلمات اللّه التى لا تدرك فضائلنا و لا تستقصى» . و بعباره أخرى: أن حقهم و المعرفه به هو أن يعتقد أنهم أولياء اللّه تعالى على جميع خلقه، و أوصياء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أوصياؤه على أمته و القوام بدينه بعده، و حفظه شريعته، القائمون مقامه فى كل شىء أقامه اللّه تعالى فيه لخلقه ما عدا النبوه، و هذا مسلم من عده أحاديث لا تحصى، كما لا يخفى على أحد.

[@56@]و أما قوله عليه السّلام: «مقرّ بفضلكم»

، فنقول: أى لا أردّ ما ورد فيكم، و إن لم يحتمله عقلى القاصر، و لم يصل إليه فكرى الفاتر، بل أعتقد أنه حق و هكذا

فى قوله:

محتمل لعلمكم

، و قد يقال: إنه كما أنا نعتقد قلبا بفضائلكم، فكذلك نقرّ باللسان بها و ذلك لوجوب إظهار ما يضمره القلب، فالعارف بحقهم يقرّ بلسانه أيضا بها فى قبال المنكرين، و المظهرين إنكارهم بلسانهم، و أما الفضل فهو يشمل جميع ما اختصهم اللّه تعالى به من المكارم و المعارف الباطنيه و الظاهريه، التى هذه الزياره شارحه لها، و هذا الشرح شرح لها

1- 1) لقمان:27.

بعونه و توفيقه. و قد يقال: حيث إن فضائلهم متفاوته، فبعضها مما يعرفه عوام الشيعه أيضا كالأمر الرابع السابق فى معنى حقهم، و بعضها لا يعرفها إلاّ الخواص من الشيعه كالمعنى الثالث المتقدم، فإن معرفه كونهم أبوابه بما فسّرناها، لا يتعقّله إلاّ الخواص كما لا يخفى، و بعضها لا يعرفها إلاّ الحواريون و الخواص من شيعتهم، فإن كونهم عليهم السّلام معانى اللّه، كما فى كلام السجاد عليه السّلام و كما أشرنا إليه لا يكاد يصل إليه إلاّ الكمّل من شيعتهم كما لا يخفى، و بعضها لا يعرفه إلاّ ذواتهم المقدسه أو من شاءوا كما تقدم

فى حديث أبى الصامت من قوله: «فمن يحتمله» ؟ قال عليه السّلام: «نحن» ، و فى حديث قال عليه السّلام: «أو من شئنا» . و ذلك من حقيقتهم النورانيه التى هى المظهر الأتم لذاته المقدسه بجميع الشئون الإلهيه فى عالم الوجود، التى هى حقيقه ولايتهم الإلهيه التكوينيه و التشريعيه، كما تقدم فى صدر الشرح، فهذه المرتبه التى رتبهم اللّه فيها ليس لأحد فيها مطمع و لا مدخل، إلاّ من شاءوا أن يذيقوه ببعضها، كما ورد فى حق جبرئيل و بعض حوارييهم. و كيف كان فقول الزائر: «مقرّ بفضلكم» ، معناه أنى و إن لم أكن ممن وصل إلى معرفه تلك المقامات إما للقصور أو التقصير، إلاّ أنى مقرّ بها و لا أنكرها، و هذا منتهى مرحله الإيمان بهم فما فوقه، إلاّ مرحله المعرفه و المشاهده، التى هى فوق مرتبه الإيمان كما لا يخفى، و هنا كلام و حاصله: أن الإقرار باللسان عنوان للإقرار القلبى، أى أنى كما أقرّ باللسان أقرّ بالقلب بفضلكم، و حينئذ معنى الإقرار القلبى بفضائلهم، الذى يدل على أنه لا يمكن الوصول بحقيقه فضائلهم و لو من الكمّلين كما هو ظاهر إطلاق الجمله، ثم إنه لما ذا لا يمكن المعرفه القلبيه بفضائلهم للكمّلين؟ فنقول: قد ثبت فى محله أن المعبود الحق جل و علا إنما يدعى و يعبد و يسبّح بما أمر من

أسمائه قال تعالی: وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا (۱)،

و فی تفسیر نور الثقلین (۲)نقلا عن أصول الکافی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا ، قال: «نحن و اللّه الأسماء الحسنی، التی لا یقبل اللّه من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا» . فهم علیهم السّلام أسماؤه تعالی و حیث علمت أن المراد منها الأسماء المعنویه، التی تکون الألفاظ اسما لها، فحینئذ معنی أنهم أسماؤه تعالی أنه تعالی ظهر بهم، أی أنه تعالی بفعله الذی هو حقائقهم علیهم السّلام ظهر فی الخلق و قضی قضیّته فیهم بهم علیهم السّلام فمفهوم الألفاظ هو تلک الحقائق، التی هی الأسماء الحسنی، و التی هی حقائقهم علیهم السّلام، و معنی

قوله علیه السّلام: «لا یقبل اللّه من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا» کان تفسیرا لقوله تعالی: فَادْعُوهُ بِهٰا (۳)، و إن کان ذاته المقدسه من حیث هی وجوب بحت لا اسم لها و لا رسم، فهی بتلک الحقیقه الحقه تکون مقصوده فی العباده من الخلق کائنا من کان، إلاّ أنه لا طریق إلیها بالتوجه إلیها إلاّ من طریق الأسماء، التی عرف نفسها للخلق بها و تلک الأسماء هم علیهم السّلام، فحینئذ فالمعبود هو ذاته المقدسه إلاّ عن طریق أسمائه لا غیر، و إنما خلق الأسماء لغیره، و لیعبدوه بها حیث لا طریق إلی الذات إلاّ بها.

ففی توحید الصدوق (۴)عن أبی سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السّلام هل کان اللّه عارفا بنفسه قبل أن یخلق الخلق؟ قال: «نعم، قلت: یراها و یسمعها؟ قال: ما کان اللّه محتاجا إلی ذلک، لأنه لم یکن یسألها و لا یطلب منها هو نفسه، و نفسه هو قدرته نافذه، و لیس یحتاج أن یسمی نفسه، و لکن اختار لنفسه أسماء لغیره یدعوه

۱- ۱) الأعراف:۱۸۰.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۱۰۳.

۳- ۳) الأعراف:۱۸۰.

۴- ۴) توحید الصدوق ص ۱۹۱.

بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأول ما اختار لنفسه العلى العظيم، لأنه أعلى الأشياء كلها، فمعناه اللّه و اسمه العلى العظيم هو أول أسمائه، لأنه على علا كل شیء» .

قوله علیه السّلام: «ما كان محتاجا إلى ذلك» ، كان السائل توهم أن له تعالى نفسا كالإنسان فأزال علیه السّلام وهمه بأنه ليس كذلك، بل هو نفسه و نفسه هو لا تجزئه و لا اختلاف جهات فيه تعالى، فلا يراها و لا يسمعها رؤيه و سمعا يوجبان صحه السؤال و الطلب، كما هو شأن الرؤيه و السمع بين شيئين، كما فى الإنسان فهو وجود بحت لا تجزئه فيه، فلا يقع فيه بذاته سؤال منه عنه بل قدرته نافذه فيما شاء، و ليس يحتاج أن يسمى نفسه كما فى الإنسان حيث يكون له حديث النفس لمكان التجزيه و التركيب، فهو تعالى من حيث ذاته لا يحتاج إلى أسماء يدعو بها نفسه، فإنه لو كان كذلك لاستلزم التركيب فى نفسه و هو باطل بالضروره كما حقق فى محله. ثم إنه علیه السّلام رتّب على هذا المعنى

قوله علیه السّلام: «و لكن اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها» . و حاصله: أنه لما لم يكن للذات البحت اسم و لا رسم من حيث هى هى، فلا طريق إليه، فلو خلق الخلق و استعبدهم، و لم يجعل لهم طريقا إلى عبادته، لسقط عنهم التكليف بالعباده، و حيث إنه تعالى شاء ذلك فاختار لنفسه أسماء لغيره، أى الأسماء الحسنى التى هى حقيقه محمد و آله الطاهرين (لغيره يدعوه بها) أى جعل لهم طريقا إلى عبادته و دعائه للخلق يدعوه بها فقال تعالى: فَادْعُوهُ بِها . ففهم من ذلك كله أنه لا طريق إلى عبادته إلاّ بتلك الأسماء، و إليه يشير

قوله علیه السّلام: «لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف» ، أى لم يعبد لأن العباده كما تقدم فرع المعرفه، و هذا معنى

قوله علیه السّلام: «نحن و اللّه الأسماء الحسنى التى لا يقبل اللّه عملا إلاّ بمعرفتنا» . فظهر مما ذكر أنهم علیهم السّلام الأسماء الحسنى المخلوقه، أى هى أفعاله تعالى ظهرت بظهور حقائقهم علیهم السّلام فهم حينئذ معانى أفعاله تعالى و متعلق أوامره و نواهيه حيث

قال: فَادْعُوهُ بِها ، فقد أمر أن نعبده بهم و ندعوه بهم، فالمعبود هو ذاته المقدسه البحت البسيط حيث إنه لا يعقل و لا يتوهم و لا يحدد.

ففى توحيد الصدوق (۱)عن عبد الرحمن بن أبى نجران قال: سألت أبا جعفر الثانى عليه السّلام عن التوحيد فقلت: أ توهم شيئا؟ فقال: «نعم غير معقول و لا محدود، فما وقع وهمك عليه من شىء فهو خلافه، و لا يشبهه شىء، و لا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام و هو خلاف ما يعقل، و خلاف ما يتصور فى الأوهام إنما يتوهم شىء غير معقول و لا محدود» .

فقوله عليه السّلام: «نعم غير معقول و لا محدود» ، يشير إلى أنه لا بد من عباده الذات المقدسه، لكن لا بما يعقله و يحدده، بل يتوهم أنه موجود بنفسه فى نفسه و بين وجهه

بقوله عليه السّلام: «كيف تدركه الأوهام. . . إلخ» ، ثم بين أنه و إن لم يعقل بالعقل، و لم يحدد بالتحديد، إلّا أنه إنما يتوهم غير معقول و لا محدود، بل إنما يعرف بما وصف به نفسه من تلك الأسماء الحسنى، و جعلها طريقا إلى معرفته، و أنه ليعرف بها. و الحاصل أن الذات البحت لا طريق إليها أبدا، و إنما يعبد بما هو هو معروف بتلك الأسماء، التى عرف بها نفسه و وصفها بها، و إلى هذا يشير ما

فى التوحيد (۲)فى حديث هشام بن الحكم الطويل فراجعه فإنه نفيس جدا و فى ذيله قال السائل فما هو؟ قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «هو الرب و هو المعبود و هو اللّه، و ليس قولى: اللّه، إثبات هذه الحروف ألف لام هاء، و لكن ارجع إلى معنى، هو شىء خالق الأشياء و صانعها، وقعت عليه هذه الحروف، و هو المعنى الذى يسمى به اللّه و الرحمن و الرحيم و العزيز و أشباه ذلك من أسمائه، و هو المعبود جلّ و عزّ، الحديث.

قوله عليه السّلام: «و هو المعنى الذى يسمى به اللّه» ، و فى نسخه: و هو المعنى الذى سمّى به اللّه، معناه أن مداليل لفظ اللّه و الرحمن و الرحيم و غيرها من المعانى هو المعنى

ص: ۳۸۶

۱- ۱) توحيد الصدوق ص ۱۰۶.

۲- ۲) التوحيد ص ۲۴۳.

الذی یسمی به اللّه أی ذاته البحت المقدسه، و هو من حیث هو سمی بهذه الأسماء المعبود جلّ و عزّ. فظهر أن ذاته تعالی یعبد لا غیر، لکن بما هو سمی بهذه الأسماء، و هذه الأسماء هی حقائقهم علیهم السّلام، و لا ریب أن الوصول إلی حقیقه هذه المعارف، و هذا الأمر صعب جدا، کما أشیر إلیه فی الأحادیث الکثیره من

قولهم علیهم السّلام: «إن أمرنا صعب مستصعب و أمرنا لا یحد» ، کما تقدم فی صدر الشرح، فحینئذ معنی مقرّ بفضلکم أی أنی و إن لم أصل إلی فهمها إلاّ أنی مقرّ لسانا و قلبا بها عملا بقوله تعالی: فَلاٰ وَ رَبِّکَ لاٰ یُؤْمِنُونَ حَتّٰی یُحَکِّمُوکَ فِیمٰا شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً (۱). و مما ذکرنا ظهر أنه لم یکن لأحد الوصول إلی فضائلهم إلاّ بمعرفتهم و أن هذه المعانی من حموله الرب التی لا یحملها غیرهم، و لهذا الکلام عرض عریض فی محله و الحمد للّه.

قوله علیه السّلام: محتمل لعلمکم، محتجب بذمتکم، معترف بکم.

اشاره

أقول: یقع الکلام فی مواقع ثلاثه:

الموقع الأول: فی بیان قوله علیه السّلام: محتمل لعلمکم،

فنقول: احتمال العلم قد یراد منه التصدیق به و إن لم یصل إلی حقیقته العقل، فالمحتمل یروی أحادیث علومهم و إن لم یفهم معانیها، حینئذ فمعنی محتمل لعلمکم أی أنی أعلم و أعتقد أنه حق، و إن لم أعقله بحقیقته، و لا ریب فی أن إنکار ما ورد عنهم شرک به تعالی. و یدل علی هذا ما

فی الکافی باب التسلیم، و فضل المسلّمین بإسناده، عن سدیر قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: إنی ترکت موالیک متخلفین یتبرأ بعضهم من بعض قال:

۱- ۱) النساء:۶۵.

فقال: «و ما أنت و ذاک إنما کلف الناس ثلاثه، معرفه الأئمه و التسلیم لهم فیما ورد عنهم، و الردّ إلیهم فیما اختلفوا فیه» .

و فیه بإسناده عن عبد اللّه الکاهلی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «لو أن قوما عبدوا اللّه وحده لا شریک له، و أقاموا الصلوه، و آتوا الزکوه، و حجوا البیت، و صاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشیء: صنعه اللّه أو صنعه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ألا صنع خلاف الذی صنع، أو وجدوا ذلک فی قلوبهم، لکانوا بذلک مشرکین، ثم تلا هذه الآیه: فَلاٰ وَ رَبِّکَ لاٰ یُؤْمِنُونَ حَتّٰی یُحَکِّمُوکَ فِیمٰا شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً ، ثم قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: علیکم بالتسلیم» .

و فیه عن یحیی بن زکریا الأنصاری، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «من سرّه أن یستکمل الإیمان کلّه فلیقل القول منی فی جمیع الأشیاء قول آل محمد، فیما أسرّوا و ما أعلنوا و فیما بلغنی عنهم و فیما لم یبلغنی» . أقول: الاحتمال بهذا المعنی و هو التسلیم و التصدیق بعلومهم یشیر إلی ما ورد عنهم علیهم السّلام من أن علمهم صعب مستصعب و هو علی أقسام: منها: ما لا یحتمله إلاّ أنفسهم الشریفه فقط. و منها: ما یحتمله من شاءوا. و منها: ما لا یحتمله إلاّ ملک مقرب أو نبیّ مرسل أو مؤمن امتحن قلبه للإیمان. و یشیر إلی القسم الأول و الثانی

ما روی عن بصائر الدرجات مسندا عن أبی الصامت قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن من حدیثنا ما لا یحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل، و لا عبد مؤمن، قلت: فمن یحتمله؟ قال: نحن نحتمله» . أقول: هذا یشیر إلی القسم الأول، و فی بعضها: قلت: فمن یحتمله جعلت فداک؟ قال: «من شئنا» . أقول: هذا یشار به إلی القسم الثانی.

و فی البصائر أیضا عن المفضل قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «إن حدیثنا صعب

مستصعب ذكوان أجرد و لا يحتمله ملك مقرب و لا نبیّ مرسل و لا عبد امتحن اللّه قلبه للإیمان، أما الصعب فهو الذی لم یرکب بعد، و أما المستصعب فهو الذی یهرب منه إذا رئی، و أما الذکوان فهو ذکاء المؤمنین، و أما الأجرد فهو الذی لا یتعلق به شیء من بین یدیه و لا من خلفه و هو قول اللّه: اَللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِیثِ (1)، فأحسن الحدیث حدیثنا، و لا یحتمل أحد من الخلائق أمره بکماله حتی یحدّه، لأنه من حدّ شیئا فهو أکبر منه و الحمد للّه علی التوفیق. و الإنکار هو الکفر.» و قال المجلسی رحمه اللّه:

و قال فی بصائر الدرجات: قال عمیر الکوفی: معنی «حدیثنا صعب لا یحتمله ملک مقرب أو نبی مرسل» فهو ما رویتم: أن اللّه تبارک و تعالی لا یوصف، و رسوله لا یوصف، و المؤمن لا یوصف، فمن احتمل حدیثهم فقد حدّهم، و من حدّهم فقد وصفهم، و من وصفهم بکمالهم فقد أحاط بهم، و هو أعلی منهم، و قال: نقطع عمن دونه فنکتفی بهم، لأنه قال: صعب علی کل أحد حیث قال: صعب فالصعب لا یرکب و لا یحمل علیه، لأنه إذا رکب و حمل علیه فلیس بصعب. أقول: و حاصله: إنه حیث إنه لا یمکن لأحد حدّهم و وصفهم بکمالهم، لاستلزامه ذلک أن یکون أعلم منهم و هو کما تری، فلا محاله لا یمکن احتمال حدیثهم. و بعباره أخری: کما ذکره بعض الأعاظم أن تحدید الخلائق أحادیثهم إنما هو بما لهم من الظرفیه المحدوده الکائنه لهم مهما کانوا، فیصیر لا محاله ما یحدّدونه محدودا بحدود ظرفیتهم، مع أنه أمرهم و حدیثهم هذا غیر محدود بحد کما

قال علیه السّلام و لا یحتمل أحد من الخلائق أمره بکماله حتی یحده، لأنه من حدّ شیئا فهو أکبر منه. و بعباره أخری: أن أمرهم و حدیثهم خارج عن حدود الإمکان إذ هو مقامهم من اللّه سبحانه حیث لا یحده حدّ و هو الولایه المطلقه الإلهیه العامه الشامله

1- 1) الزمر:23.

للولايه التكوينيه و التشريعيه المفسّره فى محلها و قد تقدم فى صدر الشرح بيانها إجمالا. و أما ما

فى الكافى مسندا، عن بعض أصحابنا قال: كتبت إلى أبى الحسن صاحب العسكر عليه السّلام: جعلت فداك ما معنى قول الصادق عليه السّلام: «حديثنا لا يحتمله ملك مقرب و لا نبى مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان» ؟ فجاء الجواب: «إنما معنى قول الصادق عليه السّلام أى لا يحتمله ملك و لا نبى و لا مؤمن، إن الملك لا يحتمله حتى يخرجه إلى ملك غيره، و النبى لا يحتمله حتى يخرجه إلى نبى غيره، و المؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مؤمن غيره فهذا معنى قول جدى عليه السّلام» . فمعناه أن أحاديثهم لها سوره الحلاوه الشديده بحيث يصعب على الملك أو النبى أو المؤمن الصبر عليه فيخرجه إلى غيره، ليستريح و تسكن سوره الحلاوه، ثم إن المخرج إليه إن كان أقوى تحملا من المخرج (بالكسر) صبر عليه، و إلاّ أخرجه إلى غيره أيضا، إلى أن يصل إلى القوى المحتمل، و لا يلزم من ذلك إخراجه إلى غير أهله. أقول: ظاهر الحديث من

قوله عليه السّلام: «لا يحتمله» ، أنه لا يصل إلى كنهه، و لكنه لمكان الإيمان به و الالتذاذ به لا يصبر عليه لمكان إيمانه و الالتذاذ به، فيحبّ أن يخرجه إلى غيره ليلتذّ به أيضا، و هذا لا ينافى عدم معرفته، لكنه معنى الحديث كما لا يخفى و اللّه العالم، و هذا كله مما يجب على المسلم أن يصدقه و يسلم له و لا ينكره كما

قال عليه السّلام: «و الإنكار هو الكفر» . و أما القسم الثانى: «أى الذى يحتمله من شاءوا عليهم السّلام» : فهذا قسم خاص من معارفهم، التى لا يصل إلى فهمها إلاّ من تلطّفوا عليه و ترحّموا عليه بتنوير قلبه للقابليه لاحتمال حديثهم، و ذلك مثل سلمان و أبى ذر و الحواريين من أصحابهم.

ففى بصائر الدرجات مسندا، عن مسعده بن صدقه، عن جعفر، عن أبيه عليه السّلام قال: ذكرت التقيه يوما عند على بن الحسين عليه السّلام، فقال عليه السّلام: «و اللّه لو علم أبو ذر ما

فی قلب سلمان لقتله، و قد آخی بینهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فما علّمه سلمان من تلک العلوم التی شاءوا أن یحتمله سلمان» .

و فی الخبر: أن أبا جعفر علیه السّلام حدث جابرا بأحادیث و قال: «لو أذعتها فعلیک لعنه اللّه و الملائکه و الناس أجمعین» . و مثله

عن المفضل، عن أبی جعفر علیه السّلام «و أمره أن یدلی رأسه فی الحفره فیحدثها و لا یحدث غیره» .

و فی مرآه العقول عن الکشی بإسناده، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: دخل أبو ذر علی سلمان و هو یطبخ قدرا له، بینا هما یتحدثان إذ انکبت القدر علی وجهها علی الأرض، فلم یسقط من مرقها و لا من ورکها (۱)فعجب من ذلک أبو ذر عجبا شدیدا، و أخذ سلمان القدر فوضعها علی حالها الأول علی النار ثانیه، و أقبلا یتحدثان، فبیناهما یتحدثان إذ انکبت القدر علی وجهها، فلم یسقط منها شیء من مرقها و لا ورکها، قال: فخرج أبو ذر و هو مذعور من عند سلمان، فبینا هو متفکر إذ لقی أمیر المؤمنین علیه السّلام علی الباب، فلما أن بصر به أمیر المؤمنین علیه السّلام قال له: «یا أبا ذر ما الذی أخرجک من عند سلمان، و ما الذی ذعرک؟ فقال أبو ذر: یا أمیر المؤمنین رأیت سلمان صنع کذا و کذا فعجبت من ذلک. فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: یا أبا ذر إن سلمان لو حدّثک بما یعلم، لقلت: رحم اللّه قاتل سلمان، إن سلمان باب اللّه فی الأرض من عرفه کان مؤمنا، و من أنکره کان کافرا، و إن سلمان منا أهل البیت» .

و روی خطبه لسلمان (رضوان اللّه علیه) قال فیها: «فقد علمت العلم کثیرا، و لو أخبرتکم بکل ما أعلم، لقالت طائفه: لمجنون، و قالت طائفه أخری: اللهم اغفر لقاتل سلمان» .

۱- ۱) الورک: الدسم من اللحم و الشحم.

أقول: فهؤلاء من الـذين شاء الأئمه عليهم السّلام أن يحتملوا من معارفهم و علومهم، و قـد تقدم فی شـرح الصدر ما یوضح هذا المعنی، فراجع، و من أحـادیثهم من لا یحتمله إلاّ الملک المقرب أو النبی المرسل أو المؤمن الممتحن قلبه للایمان، فقول الزائر: «محتمل لعلمک» ، أی إنی ممن یحتمل معانی أحادیثکم الداله علی فضائلکم التی اختصها اللّه تعالی بکم.

ففی الکافی باب أن حدیثهم صعب مستصعب (۱)عن ابن سـنان أو غیره، رفعه إلی أبی عبـد اللّه علیه السّلام قـال: «إن حـدیثنا صعب مستصـعب، لا یحتمله إلاّ صدور منیره، أو قلوب سلیمه أو أخلاق حسنه، إن اللّه أخذ من شیعتنا المیثاق کما أخذ علی بنی آدم أ لست بربکم، فمن وفی لنـا وفی اللّه له بـالجنه و من أبغضـنا و لم یؤدّ إلینـا حقنا ففی النار خالـدا مخلـدا» . أقول: الظاهر أن المراد من حقنـا هو مقـام إمـامتهم و ولایتهم، و ما اختصه اللّه تعالی بهم، و وجوب إطاعتهم و متابعتهم و الحقوق الواجبه کما لا یخفی، و إن کانت هی أیضا لازمه الأداء.

و فیه (۲)بإسـناده عن أبی بصـیر قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا أبا محمد إن عندنا و اللّه سـرّا من سرّ اللّه، و علما من علم اللّه، و اللّه مـا یحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للإیمان، و اللّه ما کلف اللّه ذلک أحـدا غیرنا، و لا استعبد بـذلک أحدا غیرنا، و إن عندنا سـرّا من سرّ اللّه، و علما من علم اللّه، أمرنا بتبلیغه فبلّغنا عن اللّه عز و جل ما أمرنا بتبلیغه، فلم نجـد له موضـعا و لا أهلا و لا حمّاله یحتملونه حتی خلق اللّه لـذلک أقواما خلقوا من طینه خلق منها محمـد و آله و ذریته علیهم السّلام و من نور خلق اللّه منه محمدا و ذریته، و صنعهم بفضل صنع رحمته التی صنع منها محمدا و ذریته.

۱- ۱) تحت الرقم ۳.

۲- ۲) تحت رقم ۵.

فبلّغنـا عن اللّه ما أمرنا بتبليغه فقبلوه و احتملوا ذلك، فبلغهم ذلك عنا فقبلوه و احتملوه، و بلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا و حـديثنا، فلو لاـ أنهم خلقوا من هـذا لمـا كانوا كـذلك لا و اللّه ما احتملوه. ثم قال: إن اللّه خلق أقواما لجهنم و النار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم، و اشـمأزوا من ذلك، و نفرت قلوبهم، و ردّوه علينا و لم يحتملوه و كذّبوا به و قالوا: ساحر كذّاب، فطبع اللّه على قلوبهم و أنساهم ذلـك، ثم أطلق اللّه لسـانهم ببعض الحق، فهم ينطقون به و قلوبهم منكره، ليكون ذلك دفعا عن أوليائه و أهل طاعته، و لو لا ذلك ما عبد اللّه فى أرضه، فأمرنا بالكف عنهم، و الستر و الكتمان، فاكتموا عن أمر اللّه بالكفّ عنه و استروا عمن أمر اللّه بالستر و الكتمان عنه. قال: ثم رفع يده و بكى و قال: اللهم إن هؤلاء لشرذمه قليلون، فاجعل محيانا محياهم و مماتنا مماتهم، و لا تسلط عليهم عدوّا لك فتفجعنا بهم، فإنك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبدا فى أرضك، و صلى اللّه على محمد و آله و سلم تسليما» . أقول: هذا الحديث من غرر أحاديثهم، و فيه من البشاره للشيعه ما ليس لغيرهم، و فيه إشاره إلى القسم الأول من أحاديثهم، الذى لا يحتمله غيرهم أيّا ما كان، و إلى القسم الثانى أى من المحتمل للنبى و الملك و المؤمن، و فيه أيضا أمره عليه السّـلام بالستر على غير أهله من الضـعفاء و المخالفين لهم، ثم إنه لا بـد للمعتقـد بولايتهم أن يقبل ما صدر منهم من الأحاديث، فما منها قبلته القلوب فليحمد اللّه تعالى عليه، و ما لم تقبله فليس له الردّ، بل يجب عليه التسليم ورد علمه إليهم.

ففيه (۱)، بإسـناده، عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السّـلام: قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله: «إن حـديث آل محمد صـعب مستصـعب، لا يؤمن به إلاّ ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلّى اللّه عليه و آله فلانت له قلوبكم

۱- ۱) الكافى تحت الرقم ۱.

و عرفتموه فاقبلوه، و ما اشمأزت منه قلوبكم و أنكرتموه فردّوه إلى اللّه و إلى الرسول و إلى العالم من آل محمد، و إنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول: و اللّه ما كان هذا و اللّه ما كان هذا، و الإنكار هو الكفر» . أقول: ما ورد عنهم عليهم السّلام إما يقطع ببطلانه، لكونه مخالفا للقرآن الصريح، أو لضروره الدين، و إما لا يقطع ببطلانه. أما الأول: فالظاهر أن إنكاره لا يوجب كفرا بأى معنى فسّر، كما سيأتى، خصوصا إذا علم أن تكذيبه ليس لأجل إنكارهم عليهم السّلام و لأجل إنكار حديثهم، و إن كان حقا بل ينكره بمقتضى ظاهر الأدله. و يدل على هذين الأمرين حديثان: الأول للأول

ما رواه فى البصائر (۱)بإسناده عن سفيان بن السمط قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك إن الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر، فيضيق بذلك صدورنا حتى نكذّبه! فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أ ليس عنّى يحدثكم؟ قال: قلت: بلى، قال: فيقول لليل: إنه نهار و لنهار إنه ليل؟ قال: فقلت له: لا، قال: ردّه إلينا فإنك إن كذّبت فإنما تكذبنا» .

فقوله عليه السّلام: «فيقول لليل: «إنه نهار و لنهار إنه ليل» ؟ الذى نفاه الراوى بقوله لا، يدل على انه لو كان بطلانه بهذه المثابه من الوضوح لا بأس بردّه، و لعل هذا مستفاد من بعض الأخبار المذكوره فى باب التعادل و الترجيح كما لا يخفى. و الثانى للثانى و هو

ما رواه الصفار فى البصائر (۲)بإسناده، عن أبى عبيده قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «من سمع من رجل أمرا لم يحط به علما فكذب به و من أمره الرضا بنا و التسليم فإن ذلك لا يكفّره» . فيدل على أن التكذيب إذا كان بمقتضى الظاهر، كما لو كان مما لا يوافق الدين بظاهره لا يوجب كفرا، إذا كان من أمره و بنائه القلبى التسليم لواقع الأمر لما صدر

۱- ۱) مرآه العقول ج ۴ ص ۳۱۴.

۲- ۲) مرآه العقول ج ۴ ص ۳۱۵.

عنهم، و مرجعه إلى أنه لم يكذبه مطلقا بل بمقتضى الظاهر، فهو فى حال التكذيب الظاهر مسلم له إذا كان فى الواقع صادرا عنهم عليهم السّلام كما لا يخفى. و كيف كان فالمستفاد من هذين الحديثين أن طريق النجاه أن الإنسان إذا كذّب حديثا بمقتضى الظاهر الشرعى، فينبغى أن يكون مسلما له على تقدير صدوره واقعا، فلا يحكم ببطلانه فى الواقع و نفس الأمر، و إن حكم ببطلانه و كذّبه فى الظاهر، فتأمل. أما الثانى أى إن كان الذى ورد عنهم مما لا يقطع ببطلانه: فتقدم أنه إن قبله قلبه فهو و إلّا فليس له إنكاره بل يجب ردّ علمه إليهم عليهم السّلام و يدل عليه كثير من الأخبار قد تقدم بعضها. و يدل عليه

ما رواه الصدوق فى العلل بإسناده الصحيح كما فى المرآه (1)عن أبى بصير، عن أحدهما عليهما السّلام قال: «لا تكذبوا بحديث أتاكم به مرجى و لا قدرى و لا خارجى نسبه إلينا، فإنكم لا تدرون لعله شيء من الحق، فتكذبوا اللّه عز و جل فوق عرشه» .

و فيه عن الصدوق فى معانى الأخبار بإسناده، عن إبراهيم قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ألا هل عسى رجل يكذبنى و هو على حشاياه متكئ؟ فقالوا: يا رسول اللّه و من الذى يكذبك؟ قال: الذى يبلغه الحديث فيقول: ما قال هذا رسول اللّه قط، فما جاءكم عنّى من حديث موافق للحق فأنا قلته، و ما أتاكم عنّى من حديث لا يوافق الحق فلم أقله و لن أقول إلّا الحق» . أقول: صدر الحديث يشير إلى ما قلناه، و ذيله يشير إلى أن ما جاء عنه صلّى اللّه عليه و آله و كان موافقا للحق فهو مما قاله صلّى اللّه عليه و آله و إلّا فلا، فقد أعطى صلّى اللّه عليه و آله ميزانا للتشخيص، إلّا أن الكلام فى تشخيص الحق الذى تكون موافقته سببا للتصديق و لا ريب فى أن

١- ١) المرآه ج ۴ ص ٣١۴.

تشخیصه مشکل، فلا یکون إلاّ من العارف المجتهد المستنبط، کما لا یخفی. ثم إنه قد حکم فی هذه الأحادیث بکفر من ردّ أحادیثهم إما فی الموارد المقطوعه بصدورها، أو فیما لا یعلم ببطلانه، الذی کان حکمه ردّ علمه إلیهم، و لا یجوز له إنکاره، و إن لم یجب علیه العمل و العقیده به، فحینئذ یقع الکلام فی أنه هل هو کفر ملحق بالشرک أو لا؟ فنقول: قد یقال: المراد بالکفر ما یقابل کمال الإیمان و هو التسلیم التام، و إلیه یشیر

ما رواه الصدوق رحمه اللّه فی معانی الأخبار بإسناده، عن الغفار الجازی قال: حدثنی من سأله: (یعنی الصادق علیه السّلام) هل یکون کفر لا یبلغ الشرک؟ قال: «إن الکفر هو الشرک، ثم قام فدخل المسجد فالتفت إلیّ و قال: نعم الرجل یحمل الحدیث إلی صاحبه فلا یعرفه فیرده علیه، فهی نعمه کفّرها و لم یبلغ الشرک» .

فقوله علیه السّلام: «فهی نعمه» ، کفرها یشمل المقام فیما لم یقطع بصدوره، و أما إذا قطع بصدوره فلا یشمله هذا الحدیث، بل ربما یقال: إن الإنکار فی هذه الصوره مستلزم للشرک، کما هو ظاهر الأحادیث و ظاهر کلمات الأعلام، فإنه حینئذ إنکار للضروری من الدین، کما هو المفروض و الظاهر و اللّه العالم بأحکامه. هذا و قد یراد من احتمال علمهم الکتمان و الحفظ، أی أنی أکتم علمکم و أحفظه عن غیر أهله بل و عنه أیضا، و لعله إلیه یشیر ما تقدم عن البصائر عن أبی الحسن علیه السّلام عن معنی لا یحتمله أن الملک لا یحتمله حتی یخرجه إلی غیره و هکذا النبی و المؤمن، و حینئذ معنی محتمل لعلمکم أنی لا أخرجه إلی غیری، بل أحفظه و أکتمه حتی من مثلی کما فی المحکی عن البصائر، عن المفضل، عن جابر ما ملخصه: إن شکی ضیق نفسه عن تحملها و إخفائها بعد أبی جعفر علیه السّلام إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام فأمره أن یحفر حفره و یدلی رأسه فیها، ثم یحدث بما تحمله، ثم یطمها فإن الأرض تستر علیه. فیرجع معناه حینئذ إلی أن الزائر یقرّ بأنی من أهل کتمان سرّکم و علمکم و لا

أفشيه، و لا ريب فى أن هذا الكتمان له أثر عجيب فى قابليه أن يصير الإنسان محلاّ لمعارفهم الخاصه، و لألطاف توجب خرق العادات من صاحبه بإذن اللّه تعالى، و الأخبار الداله على الحث بالكتمان كثيره جدا، و حيث إن أمر الكتمان خطير، و عدمه فيه مفسده كثيره، فلا بأس بذكر أحاديث الباب فنقول:

فى الكافى باب الكتمان عن أبى حمزه، عن على بن الحسين عليه السّلام قال: «وددت و اللّه إنى افتديت خصلتين فى الشيعه ببعض لحم ساعدى النزق و قله الكتمان» .

و فيه عن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له و القبول فقط، من احتمال أمرنا ستره، و صيانته من غير أهله فأقرئهم السّلام و قل لهم: رحم اللّه عبدا اجتر موده الناس إلى نفسه، حدثوهم بما يعرفون و استروا عنهم ما ينكرون. ثم قال: و اللّه ما الناصب لنا حربا بأشدّ علينا مؤنه من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبد إذاعه فامشوه إليه و ردّوه عنها فإن قبل منكم، و إلاّ فتحمّلوا عليه بمن يثقل عليه و يسمع منه، فإن الرجل منكم يطلب الحاجه فليلطف فيها حتى تقضى له، فالطفوا فى حاجتى كما تلطفون فى حوائجكم. فإن هو قبل منكم و إلاّ فادفنوا كلامه تحت أقدامكم و لا تقولوا: إنه يقول، و يقول فإن ذلك يحمل علىّ و عليكم، أما و اللّه لو كنتم تقولون ما أقول، لأقررت أنكم أصحابى، هذا أبو حنيفه له أصحاب، و هذا الحسن البصرى له أصحاب، و أنا امرؤ من قريش قد ولدنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و علمت كتاب اللّه و فيه تبيان كل شىء بدء الخلق و أمر السماء و أمر الأرض، و أمر الأولين و أمر الآخرين و أمر ما كان و أمر ما يكون، كأنى أنظر إلى ذلك نصب عينى» . أقول: يستفاد من هذا الحديث أن احتمال الحديث عنهم عليهم السّلام كما هو بالتصديق و القبول كذلك يكون بالستر و الصيانه و الكتمان.

و فيه عن أبى عبيده الحذّاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «و اللّه إن أحبّ

أصحابی إلیّ أورعهم و أفقههم و أکتمهم لحدیثنا، و أن أسوأهم عندی حالا و أمقتهم للذی إذا سمع الحدیث ینسب و یروی عنا، فلم یقبله، اشمأز منه و جحده و کفّر من دان به، و هو لا یدری لعل الحدیث من عندنا خرج و إلینا أسند، فیکون بذلک خارجا عن ولایتنا» .

و فیه عن عیسی بن أبی منصور قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «نفس المهموم لنا المغتم لظلمنا تسبیح، و همّه لأمرنا عباده، و کتمانه لسرّنا جهاد فی سبیل اللّه، قال لی محمد بن سعید: أکتب هذا بالذهب فما کتبت شیئا أحسن منه» .

و فی بصائر الدرجات (۱)عن ابن مسکان قال: «سمعت أبا بصیر یقول لأبی عبد اللّه علیه السّلام: من أین أصاب أصحاب علی علیه السّلام ما أصابهم من علمهم بمنایاهم و بلایاهم؟ قال: «فأجابنی شبه المغضب مم ذلک إلاّ منهم، قال: قلت: فما یمنعک جعلنی اللّه فداک؟ قال: ذاک باب أغلق، إلاّ أن الحسین بن علی علیه السّلام فتح منه شیئا، ثم قال: یا أبا محمد إن أولئک کانت علی أفواههم أوکیه» . أقول: و مثل هذه الأحادیث کثیره، و قد ذکر علماء المعارف أن الکتمان أحسن أمر للوصول إلی المعارف الإلهیه، فإن فی الإذاعه مضافا إلی تضییع المعارف ببیانها لغیر أهلها، و تعریض أهلها للهتک و الأذیه ممن لا یحتملها خصوصا من المخالفین تضییعا لوقت العارف السالک، فإنه إذا عرف هجم علیه أهل الحکمه و غیر أهلها و ضیّعوا عمره، و لعله إلیه یشیر ما ذکره

فی إرشاد القلوب عمن رأی أمیر المؤمنین علیه السّلام فی المنام، و قال له فیما قال: المرء لنفسه، فإذا عرف کان لغیره، و إلیه یشیر أیضا ما

فی المحکی عن الکافی من قول الصادق علیه السّلام: «استعینوا علی حوائجکم بالکتمان» ، أی علی إنجاحها و الوصول إلیها.

الموقع الثانی: فی بیان قوله علیه السّلام: «محتجب بذمتکم» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۶۱.

قيل: أى مستتر من المهالك بـدخولى فى ذمتكم و أمانكم بأن أجعل الدخول فى حجابكم و أمانكم مانعا من دخول النار و من وسوسه الشياطين، أو أنى مستتر و داخل فى الداخلين تحت أمانكم. أقول: فى المجمع: و الذمه العبد، و قيل: ما يجب أن يحفظ و يحمى. أقول: فعليه معنى محتجب بـذمتكم: أنى جعلت نفسى عبـدا لكم بأن احتجبت عن المهالك بجعل نفسى عبـدا، و من المعلوم أن الموالى يحفظون عبيدهم و يحمونهم عن المهالك، أو أنى محتجب بما يجب حفظه و حمايته من الإقرار بولايتكم و الـدخول فيها، و فى زمره شيعتكم و محبيكم، و بحفظى و حمايتى لها، التى كانت واجبه علىّ احتجبت عن المهالك الـدنيويه و الأـخرويه. و فيه و عن أبى عبيـده: الـذمه: التـذمّم ممن لاـ عهـد له، و هو أن يلزم الإنسان نفسه ذماما أى حقا يوجبه عليه، يجرى مجرى المعاهده من غير معاهده، فمعناه أنى و إن كنت بمقتضى الطبع الأولى لا عهد علىّ بالنسبه إليكم، إلا إنى أتذمّم أى أقبل الـذمه و الـذمام، أى حقـا ثابتا على نفسى، و ألتزم به عليها و أوجبه عليها بنحو الوجوب و اللزوم، كما فى المعاهـدات اللازمه و الواجبه، إلاّ أن هـذا العهـد حيث إنه شـرط و عهد ابتدائى لا ملزم له، و لكن جعلت الالتزام به على نفسى، فإنى بهذه الذمه بهذا المعنى احتجبت عن المهالك. ثم إنه يستفاد من بيانهم عليهم السّـلام هذه الجمله فى الزياره بأن يظهر الزائر هذا الأمر و العقيده أنهم عليهم السّـلام قد قبلوا هذا العهد و الذمه و المعاهده من شـيعتهم كما لا يخفى، و فيه (يسعى بذمتهم أدناهم) أى إذا أعطى أحد جيش العدو أمانا جاز ذلك على جميع المسلمين، و ليس لهم أن ينقضوا عهده و أهل الذمه سمّوا بذلك، لأنهم دخلوا فى ضمان المسلمين و عهدهم و منه سمّى المعاهد ذميا نسبه إلى الذمه بمعنى العهد. أقول: معنى

قوله:

«محتجب بذمتكم»

، على أن يكون الذمه هو العهد، و هو لغه بمعنى الوصيه و الأمر يقال: عهد إليه يعهد من باب تعب إذا أوصاه، فهو متعهد أى

قبل العهد بأن يفی به، ثم إن العهد المفسّر به الذمه هو ما يكون من طرف المتعهد، أی هو الالتزام بما أمر به و ألقی إليه من آخر، فالمعاهده ليست غالبا من طرفين بأن يعهد كل منهما ما يعهده الآخر، بل العهد هو قبول العهده من الموصی إليه مثلا من الموصی (بالكسر) بأن يعمل به و التعبير بالمعاهده من باب التغليب غالبا. نعم قد يستعمل فيما كان المعاهده من الطرفين، بأن يعهد كل منهما بما يعهده الآخر، كما فی الحديث يدخل فی الأمان ذو عهد و معاهد. قيل: يقرأ بالبناء للفاعل و المفعول، لأن الفعل من اثنين، فكل واحد يفعل بصاحبه مثل ما يفعل صاحبه به، فكل فی المعنی فاعل و مفعول، كذا فی المجمع، إلّا أن الغالب هو استعماله فی المعنی الأول، و إنما عبّر بالمعاهده أی المفاعله مع أن العهده من طرف القابل، لأن العهده قد أشرب فيها القبول من الطرف و هو من الطرفين، أو أن العهده أوصی بها من الموصی و الآمر، فكانت بلحاظ التحقق من الطرفين فتأمل. و كيف كان فمعنی محتجب بذمتكم أی بعهدكم و بالمعاهده معكم، و لعله يشير إلی ما ورد فی الأحاديث من أنه تعالی أخذ الميثاق من الخلق فی الذّر علی الإقرار بولايه محمد و آله صلّی اللّه عليه و آله.

ففی بصائر الدرجات (۱)، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام فی قول اللّه تعالی: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ الآيه، قال: «أخرج اللّه من ظهر آدم ذريته إلی يوم القيامه، فخرجوا كالذر فعرّفهم نفسه، و لو لا ذلك لم يعرف أحد ربه، ثم قال: أ لست بربكم قالوا بلی، و إن هذا محمد رسولی و علی أمير المؤمنين خليفتی و أمينی» .

و فيه (۲)عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۷۱.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۱۸.

تبـارک و تعـالی: فَمِنْکَمْ کٰافِرٌ وَ مِنْکَمْ مُؤْمِنٌ ؟ (۱)فقـال: «عرف اللّه و اللّه إیمـانهم بولایتنـا و کفرهم بهـا یـوم أخـذ اللّه علیهم المیثاق فی صلب آدم و هم ذر» . أقول: و معناه أنه تعالی عرفهم حقیقه التوحید و ما یتعلق به، و حقیقه نبوه نبیه صلّی اللّه علیه و آله و ما یترتب علیها، و حقیقه إمامه الأئمه و ولایتهم، و ما یتفرّع علیها من وجوب الطاعه لهم فیما أمروا به من أمر التشریع، و ما أخبروا به من أمر التکوین المتعلق بالمبدإ إلی المعاد، فمعنی قولهم هناک: بلی، هو الالتزام بهـذا العهـد الإلهی، و المعاهـده معه تعالی علی الوفاء به، و هو تعالی أیضا عاهدهم علی حسن الجزاء فقال: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِکُمْ (۲).

ففی تفسیر نور الثقلین (۳)، عن أصول الکافی، عن سماعه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِی ، قال: قال: «بولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام أُوفِ بِعَهْدِکُمْ أوف لکم بالجنه» .

و فیه عن الخشاب قال: حدثنا بعض أصحابنا عن خثیمه قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا خثیمه نحن عهد اللّه، فمن وفی بعهدنا، فقد وفی بعهد اللّه، و من خفرها (۴)فقـد خفر ذمه اللّه و عهده» ، الحدیث. أقول: و هذا العهد و الولایه هو أصل الوجود و لب الأسرار، و سرّ الأنوار و نور الاقتـدار، و أمر الواحـد القهار، الـذی یحتاج إلیه کل موجود، و لـذا عرض هـذه الولایه علی جمیع الأشیاء، فمـا قبلهـا صـار حسـنا فی نوعه و أثره، و مـا أنکرهـا صـار قبیحا فیهما، و هـذه الـذمه و العهـد الولائی هو الـذمام المذکور

فی دعاء الصباح و المساء:

«أصبحت اللهم معتصما بذمامک المنیع، الذی لا یطاول و لا یحاول من شرّ

۱- ۱) التغابن ۲.

۲- ۲) البقره:۴۰.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۶۱.

۴- ۴) أی نقض و غدر بعهده.

كـل غاشم و طارق من سائر من خلقت و ما خلقت من خلقك، الصامت و الناطق فى جنه من كل مخوف بلباس سابغه ولاء أهل بيت نبيك، محتجبا من كل قاصد لى إلى أذيه بجدار حصـين الإخلاص فى الاعتراف بحقهم و التمسک بحبلهم، موقنا أن الحق لهم و معهم و فيهم و بهم» ، الـدعاء. و هـذا الذمام (أعنى ولايتهم عليهم السّلام) رفيع المكان و المكانه، فلا يطاوله شـىء أى لا يعلو عليه فى القـدر غيره من السـلطات الكائنه فى الخلق، بل كلها مقهوره تحت هـذه السـلطنه الإلهيه، فهى حصن منيع لا يحاوله شىء أى لا يكافحه و لا يضاده و لا يعارضه شـىء و إن بلغ من القوه ما بلغ، فهى الحافظه للمتمسک بها عن شـر كل خلق ناطق أو صـامت، فالمتمسک بها فى جنه من كل مخوف بلباس سابغه ولاء أهل بيت نبيک، فالولاء بـدل عن اللباس فالولاء هى الجنه، و قوله: بلباس متعلق بجنه، و قوله: «محتجبا» ، حال بعد حال، أى معتصـما و محتجبا من كل قاصد لى إلى أذيه بجدار حصين هو (أى الجـدار الحصـين) الإخلاـص فى الاـعتراف بهم، فالإخلاص أيضا هو الجـدار. فحاصـله: أن الاعتراف عن إخلاص و حقيقه بالاعتراف بولايتهم الـذى هو محض الإيمان، هو الجـدار الحصـين من كل مخوف و أثر الإخلاص أن يتولاهم و يقتدى بهم فى كل شـىء و يجعلهم الوسيله بينه و بين اللّه تعالى، و أن يكون هذا مشفوعا بالبراءه من أعدائهم، و متلبّسا باللعن لأعدائهم، معتقدا أنه تعالى إنما يقبل عمل من قبل الولايه، و لا يقبل عملا بدونها، و إلى هذه البراءه من أعدائهم يشير

قوله عليه السّلام بعد هذا:

«أولى من والوا و أجانب من جانبوا»

. و كيف كـان فمعنى الوفاء بهـذا العهـد و العمل به، الموجب لوفائه تعالى له بالجنه، هو الاعتقاد بهم و بولايتهم عن إخلاص، و بهـذا يحصل الاحتجاب بذمتهم، التى هى عهد اللّه لهم، و عهد خلقه له بالموافاه، و هى (أى الموافاه له تعالى) تحصل باسـتجابته استجابه قلبيه بالنسبه إلى ما طلبه تعالى منه، و استجابه لسانيه بما

دعا تعالی إلیه، و عملیّه بما أمر به تعالی، و إذا دخل فی عهده بهذا النحو من الاستجابات، فقد احتجب بذمتهم، و أمن من کل مخوف. و إلیه یشیر ما

فی البحار (۱)، عن المحاسن، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «الروح و الراحه و الفلج و الفلاح و النجاح و البرکه، و العفو و العافیه و المعافاه، و البشری و النضره و الرضا و القرب و القرابه، و النصر و الظفر و المکین، و السرور و المحبه من اللّه تبارک و تعالی علی من أحبّ علی بن أبی طالب علیه السّلام و والاه و أئتم به و أقرّ بفضله، و تولی الأوصیاء من بعده، و حق علیّ أن أدخلهم فی شفاعتی، و حق علی ربی أن یستجیب لی فیهم و هم أتباعی، و من تبعنی فإنه منی جری فیّ مثل إبراهیم علیه السّلام و فی الأوصیاء من بعدی، لأنی من إبراهیم و إبراهیم منی، دینه دینی و سنته سنتی، و أنا أفضل منه، و فضلی من فضله، و فضله من فضلی، و یصدق قولی قول ربی ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اَللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۲)» . أقول: هذا کله إذا کان المراد من الذمه العهد، و منه یعلم أنه إن کان المراد منها الأمان، فإنه حینئذ معناه أنی محتجب بأمانکم الذی یکون بالإقرار بولایتکم، و کذا الکلام إذا کان بمعنی الضمان فإنه من آثار العهد، فإنه موجب للضمان بالنسبه إلی ما عوهد علیه، و إن کان المراد منها الحرمه فمعناه أنی محتجب باحترامکم لعلو مقامکم و منازلکم، التی رتبکم اللّه فیها، و قد ملأ الشرح من بیان هذه المقامات و المراتب الإلهیه، و هی حقیقه ولایتهم بما لها من الشئون، التی هی ولایه اللّه تعالی، فإذا احتجب أحد بذمتهم بأن احترمهم و اعتقد حرمتهم، الداله علی الاعتقاد بمقاماتهم، فقد أمن من جمیع محذورات الدنیا و الآخره، ثم إن الاحتجاب بالذمه أی بالحرمه لهم علیهم السّلام هو حفظ مقاماتهم

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۹۲.

۲- ۲) آل عمران:۳۴.

بالاحترام لهم.

ففى البحار (۱)، عن تفسير الفرات، عن أبى الجارود قال: قال زيد بن على عليه السّلام و قرأ الآيه: وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً (۲)، قال: «حفظهما اللّه بصلاح أبيهما، و ما ذكر منهما صلاح، فنحن أحق بالموده، أبونا رسول اللّه و جدّتنا خديجه، و أمّنا فاطمه الزهراء، و أبونا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهم السّلام» . و إن كان المراد منها الحق، فمعناه أنى محتجب بحقكم الذى أنا مقرّ به، و قد تقدم معناه فى شرح

قوله عليه السّلام:

«عارف بحقكم»

، الذى علمت أن حقيقته هو الإقرار بولايتهم و بفضائلهم و بمقاماتهم التى جعلها اللّه تعالى لهم.

و أما الكلام فى الموقع الثالث و هو قوله عليه السّلام: «معترف بكم» .

فلا ريب فى أن المراد ليس هو الاعتراف بأسمائهم و نسبهم، بل الاعتراف بإمامتهم و ولايتهم، و كونهم خلفاء اللّه تعالى، و أنه يجب طاعتهم و ولايتهم، و بكونهم أولى بالمخلوقين من أنفسهم و أموالهم و أولادهم. و بالجمله يعترف بجميع ما منّ به عليهم مما لم يعطه لغيرهم، و هذه المقامات هى التى أنكرها الناصبون لهم و الظالمون من أعدائهم. و لعمرى إن هذا الشرح و هذه الزياره مشحونه بذكر مقاماتهم و شئون ولايتهم، فالزائر يعترف بها أجمع، و هذا هو المستفاد من حذف المتعلق، و جعله أنفسهم الشريفه، فمعنى معترف بكم أنى أعترف بها أجمع، و أنى كما أقرّ بفضلكم و مقاماتكم قلبا، فكذلك أعترف بها لسانا، لأكون ممن يقتصّ آثاركم، كما سيأتى بيانه إن شاء اللّه تعالى.

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۲۰۶.

۲- ۲) الكهف:۸۲.

[۵۷]قوله علیه السّلام: مؤمن بإیابکم، مصدّق برجعتکم، منتظر لأمرکم، مرتقب لدولتکم

اشاره

أقول:

یقع الکلام فی جهات:

الجهه الأولی:

فی البحار (۱)، عن الکافی الروضه ص ۲۰۶، العدّه عن سهل، عن ابن شمّون، عن الأصمّ، عن عبد اللّه بن القاسم البطل، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ قَضَیْنا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ فِی اَلْکِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِی اَلْأَرْضِ مَرَّتَیْنِ ، قال: «قتل علی ابن أبی طالب علیه السّلام و طعن الحسن علیه السّلام، وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا کَبِیراً ، قال: قتل الحسین فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما ، إذا جاء نصر دم الحسین بَعَثْنا عَلَیْکُمْ عِباداً لَنا أُولِی بَأْسٍ شَدِیدٍ فَجاسُوا خِلالَ اَلدِّیارِ . قوم یبعثهم اللّه قبل خروج القائم (عج) فلا یدعون وترا لآل محمد إلاّ قتلوه وَ کانَ وَعْداً مَفْعُولاً ، خروج القائم (عج) ثُمَّ رَدَدْنا لَکُمُ اَلْکَرَّهَ عَلَیْهِمْ خروج الحسین علیه السّلام فی سبعین من أصحابه علیهم البیض المذهبه، لکل بیضه وجهان المؤدّون إلی الناس إنّ هذا الحسین قد خرج، حتی لا یشکّ المؤمنون فیه، و إنه لیس بدجّال و لا شیطان، و الحجه القائم بین أظهرهم، فإذا استقرّت المعرفه فی قلوب المؤمنین إنه الحسین علیه السّلام جاء الحجه الموت، فیکون الذی یغسّله و یکفّنه و یحنّطه و یلحّده فی حفرته الحسین بن علی علیه السّلام و لا یلی الوصیّ إلاّ الوصی» . أقول: المستفاد من هذه الروایه الشریفه أمور: و هو المقصود الفرق بین قیام الحجه علیه السّلام و ظهوره و بین الرجعه،

فقوله علیه السّلام: «خروج القائم» إشاره إلی قیامه (صلوات اللّه علیه و علی آبائه الطاهرین) و قد دلّت علیه آیات و أحادیث خارجه عن حدّ الإحصاء، کما ذکر فی محله،

و قوله علیه السّلام بعد قوله تعالی: ثُمَّ رَدَدْنا لَکُمُ اَلْکَرَّهَ عَلَیْهِمْ ، «خروج الحسین علیه السّلام. . . إلخ» ، إشاره إلی الرجعه. و سیأتی فی بیان أحادیث الباب أن الحسین علیه السّلام هو أول من یرجع إلی الدنیا

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۹۳.

حسب کثیر منهـا، فظهر أن الرجعه غیر قیـام الحجه. و الأـئمه علیهم السّـلام قـد بیّنوا أمرین: الأـول: قیـام الحجه (عـج) . و الثانی: رجعه الأـئمه علیهم السّـلام. و سیأتی أن المخـالفین قـد وافقنـا کثیر منهم فی الأـول، و أما الرجعه فقـد أنکروها أشـدّ الإنکار. و سیجیء التعرّض لشبهاتهم و الردّ علیهـا، ثم إن هـذه الجمـل الأـربع لهـا جهه اشتراک، و هی الـدلاله علی الرجعه و لکنهـا بیّنت بتغیرات.

فقوله علیه السّلام:

«مؤمن بإیابکم»

، إشاره إلی الإیمان بها قلبا،

«و مصدق برجعتکم»

إشاره بتصدیقها بنحو الوجدان، و تحققها فی القلب بنحو الجدّ و الواقع،

«و منتظر لأمرکم»

، إشـاره إلی الحـاله القلبیه اللازمه للمؤمن بها المعتقـد بأن صـلاح الـدین و الـدنیا و ظهور الکمالات الإنسانیه و المعارف الإلهیه یکون بها، فلا محاله ینتظرها إذ-الأمر-

فی قوله:

«منتظر لأمرکم»

، یراد به إمـا رجوعهم إلی الـدنیا، و إمـا ظهور ولاـیتهم و إمامتهم فی الرجعه و-مرتقب لـدولتکم-یساوق الجمله السابقه، إلّا أن الـدوله و هی دولتهم الحقه سیأتی بیانهـا هو ظهور أمرهم. و بعباره أخری: أن الأمر الـذی ینتظره هو أمر إمامتهم، و الـدوله التی ینتظرهـا و یرتقبهـا هو فعلیّه إمـامتهم فی العالم بصوره الـدوله الحقه، و نحن نسأل اللّه تعالی تعجیل الفرج لـدرک دولتهم الحقه بمحمد و آله الطاهرین. و قد یقال: إن

قوله علیه السّلام

«مؤمن بإیابکم»

یـدل علی أنه لا بـد للمؤمن بإیابهم من التصـدیق القلبی بها، و القول اللسانی و العمل بالأرکان، إذ الإیمان قـد فسّـر بهذه الأمور حیثمـا أطلق، فحینئـذ معنـاه فی المقـام أنّ المؤمن بالإیـاب و الرجعه، لاـ بـد له من الاعتقـاد القلبی و التصـدیق بهـا، و من الإقرار اللسانی بأن یقرّ بالروایات الوارده بالنسبه إلی الرجعه، و یخبر بها غیره بنحو الإقرار بها لا بنحو الإخبار فقط، و یلزمه

الدعاء بالفرج، و من العمل بالأركان بأن يصلح أعماله، و يكتم الأمر، و ينتظر الفرج، و يعدّ السلاح لنصرته عليه السّلام. و الحاصل: أنه يستعد بهذه الأمور للقائه عليه السّلام و لقائهم عليهم السّلام و حينئذ يكون

قوله

«مصدق برجعتكم»

تأكيدا للجمله السابقه لما علمت أنّ الإيمان يلازم التصديق.

الجهه الثانيه: فى إمكانها

فنقول

فى البحار (١)، عن مختصر البصائر بإسناده، عن أبى الصباح قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام فقلت: جعلت فداك أكره أن أسميها لك، فقال لى هو: «عن الكرّات تسألنى، فقلت: نعم، فقال: تلك القدره لا تنكرها أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أتى بقناع من الجنه عليه عذق يقال له سنّه، فتناولها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سنّه من كان قبلكم» . أقول: فيه

قوله عليه السّلام: «تلك القدره» ، أى الكرّات و الرجعه من قدره اللّه تعالى، و لا ينكرها إلّا القدريّه من المعتزله، الذين ينكرون كثيرا من قدره اللّه تعالى- و القناع-بالكسر طبق من عسب النخل-و بعث هذا كان لإعلام النبى صلّى اللّه عليه و آله أن يقع فى أمته ما وقعت فى الأمم السابقه، و قد وقعت الرجعه فى الأمم السابقه مرات شتّى. أقول: إنما يرفع استبعاد وقوع الرجعه بأمرين: أحدهما: وقوعها فى الأمم السابقه كما أشير إليه فى هذا الحديث و صرّح به فى غيرها. و ثانيهما: بيان حقيقه قدرته تعالى و أنها لا تختصّ تحققها بتحقق الأسباب المتداوله و المأنوسه بها للأذهان. أما الأول: فأحسن حديث ذكر فيه وقوعها فى الأمم السابقه

ما فيه ص ٧٢ بإسناده عن الأصبغ بن نباته أن عبد اللّه بن أبى بكر اليشكرى، قام إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال يا أمير المؤمنين: إن أبا المعتمر تكلّم آنفا بكلام لا يحتمله قلبى

١- ١) البحار ج ٥٣ ص ٧٢.

فقال: و ما ذاک؟ قال: یزعم أنک حدثته أنک سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: «إنّا قد رأینا أو سمعنا برجل أکبر سنّا من أبیه؟ فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: فهذا الذی کبر علیک؟ قال: نعم فهل تؤمن أنت بهذا و تعرفه؟ فقال: نعم، ویلک یا بن الکوّاء» . أقول: هذا کنیه عبد اللّه بن أبی بکر الیشکری و کان من الخوارج أفقه منی، أخبرک عن ذلک أنّ عزیرا خرج من أهله و امرأته فی شهرها، أی فی شهر ولاده امرأته التی کانت حامله، و له یومئذ خمسون سنه، فلمّا ابتلاه اللّه عز و جل بذنبه أماته مائه عام، ثم بعثه فرجع إلی أهله و هو ابن خمسین سنه، فاستقبله ابنه و هو ابن مائه سنه، و ردّ اللّه عزیرا إلی الذی کان به، فقال: ما تزید؟ فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: سل عمّا بدا لک، قال: نعم إنّ أناسا من أصحابک یزعمون أنهم یردّون بعد الموت، فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «نعم تکلّم بما سمعت و لا تزد فی الکلام، فما قلت لهم؟ قال: قلت: لا أؤمن بشیء مما قلتم، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: ویلک إنّ اللّه عز و جل ابتلی قوما بما کان من ذنوبهم، فأماتهم قبل آجالهم، التی سمیت لهم، ثم ردهم إلی الدنیا، لیستوفوا أرزاقهم ثم أماتهم بعد ذلک. قال: فکبر علی ابن الکواء و لم یهتد له، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: ویلک تعلم أن اللّه عز و جل قال فی کتابه: وَ اِخْتٰارَ مُوسیٰ قَوْمَهُ سَبْعِینَ رَجُلاً لِمِیقٰاتِنٰا (1)فانطلق بهم معه، لیشهدوا له إذا رجعوا عند الملإ من بنی إسرائیل أنّ ربّی قد کلمنی، فلو أنهم سلّموا ذلک له، و صدقوا به، لکان خیرا لهم، و لکنهم قالوا لموسی علیه السّلام لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّٰی نَرَی اَللّٰهَ جَهْرَهً قال اللّه عز و جل: فَأَخَذَتْکُمُ اَلصّٰاعِقَهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنٰاکُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ ، أ تری یا بن الکوّاء أنّ هؤلاء قد رجعوا إلی منازلهم بعد ما ماتوا؟ فقال ابن الکواء: و ما ذاک ثم أماتهم فکأنهم، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: لا، ویلک أ و لیس قد أخبر اللّه فی کتابه حیث

1- 1) الأعراف:155.

يقول: وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ اَلْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ اَلْمَنَّ وَ اَلسَّلْوى (۱)فهذا بعد الموت إذ بعثهم. و أيضا مثلهم يا بن الكوّاء، الملأ من بنى إسرائيل حيث يقول اللّه عز و جل: أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ اَلْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اَللّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ (۲)» . و قوله أيضا فى عزير حيث أخبر اللّه عز و جل: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنّى يُحْيِي هٰذِهِ اَللّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اَللّهُ (۳)و أخذه بذلك الذنب مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ و رده إلى الدنيا ف قالَ كَمْ لَبِثْتَ ف قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ف قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فلا تشكن يا بن الكواء فى قدره اللّه عز و جل. أقول:

قوله عليه السّلام: «أ ترى يا بن الكواء» إلى قوله عليه السّلام: «فهذا بعد الموت إذ بعثهم» فكأنه عليه السّلام سأله عن أنه أ تعلم و تعتقد أنهم بعد ما بعثهم إليه قد رجعوا إلى منازلهم و أكلوا و شربوا، فقال ابن الكواء: و ما ذاك، أى ما كان ذلك؟ ثم أماتهم أى لم يكن أنهم قد رجعوا إلى منازلهم حتى أماتهم. ثم قال ابن الكواء: فكأنّهم، أى أن ما تقوله لعله كان من الرجوع و الأكل فى منازلهم، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: «لا» ، أى ليس كما تزعم، «ويلك أو ليس قد أخبر اللّه. . . إلخ» . ثم إنه قد صرّح فى حديث آخر بأنهم بعد ما بعثهم اللّه تعالى قد أكلوا و شربوا ردّا على ما ربما يتوهمّه بعض الناس كما توهمه ابن الكواء الخارجى.

ففيه، عنه بإسناده عن حمران بن أعين عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت له: كان فى بنى إسرائيل شىء لا يكون هاهنا مثله، فقال: «لا، فقلت: فحدثنى عن قول اللّه

۱- ۱) البقره:۵۷.

۲- ۲) البقره:۲۴۳.

۳- ۳) البقره:۲۵۹.

عز و جل: أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ اَلْمَوْتِ فَقٰالَ لَهُمُ اَللّٰهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيٰاهُمْ حتى نظر الناس إليهم ثم أماتهم من يومهم، أو ردهم إلى الدنيا؟ فقال: ردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور، و أكلوا الطعام، و نكحوا النساء، و لبثوا بذلك ما شاء ثم ماتوا بالآجال» . أقول: قوله: ثم أماتهم من يومهم أو ردهم إلى الدنيا، من كلام الراوى و هذا هو الاحتمال الذى توهمه ابن الكواء، و هو أنهم أحياهم اللّه ثم أماتهم عن يومهم من دون رجوع إلى أهلهم فيأكلون و يشربون حتى تتحقق به الرجعه إلى الدنيا، فإن مجرد الإحياء بعد الإماته من دون رجوع إلى الدنيا و الانتقال بمشاغلها لا يكون رجعه و لا ينكره أحد، ثم إنه عليه السّلام ردّه و ردّ كلامه هذا، فقال: «بل ردّهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور. . . إلخ» ، بحيث تحقق الرجعه إلى الدنيا كسائر الأحياء. أقول: أيضا: قال اللّه تعالى لعيسى: وَ إِذْ تُخْرِجُ اَلْمَوْتىٰ بِإِذْنِي (1)و جميع الموتى الذين أحياهم عيسى عليه السّلام بإذن اللّه تعالى رجعوا إلى الدنيا و بقوا فيها ثم ماتوا. و قال تعالى فى أصحاب الكهف: وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ اِزْدَادُوا تِسْعاً (2)، ثم بعثهم اللّه فرجعوا إلى الدنيا.

ففى تفسير نور الثقلين (3)، عن روضه الكافى بإسناده عن أبان بن تغلب و غيره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه سأل هل كان عيسى بن مريم أحيى أحدا بعد موته حتى كان له أكل رزق و مده و ولد؟ فقال: «نعم، إنه كان له صديق مؤاخ له فى اللّه تبارك و تعالى، و كان عيسى (صلى اللّه عليه) يمرّ به و ينزل عليه، و إنّ عيسى (صلى اللّه عليه) غاب عنه حينا ثم مرّ به ليسلّم عليه فخرجت إليه أمه فسألها عنه، فقالت مات يا رسول اللّه فقال: أ فتحبيّن أن تريه؟ فقالت: نعم، فقال لها: فإذا كان غدا

۱- ۱) المائده:۱۱۰.

۲- ۲) الكهف:۲۵.

۳- ۳) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۲۸۵.

فآتیک حتی أحییه لک بإذن اللّه تبارک و تعالی، فلما کان من الغد أتاها فقال لها: انطلقی معی إلی قبره فأنطلقا حتی أتیا قبره، فوقف علیه عیسی (صلی اللّه علیه) ثم دعا اللّه عز و جل، فانفرج القبر و خرج ابنها حیّا، فلما رأته أمه و رآها بکیا فرحمهما عیسی (صلی اللّه علیه) فقال له عیسی: أ تحبّ أن تبقی مع أمک فی الدنیا؟ فقال له: یا نبی اللّه بأکل و رزق و مده أم بغیر أکل و لا رزق و لا مده؟ فقال له عیسی (صلی اللّه علیه) : بأکل و رزق و مده تعمر عشرین سنه و تزوّج و یولد لک، قال، نعم إذا، قال: فدفعه عیسی إلی أمه فعاش عشرین سنه و ولد له» .

و فیه (۱)، عن کتاب الاحتجاج للطبرسی رحمه اللّه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام حدیث طویل یقول فیه علیه السّلام: «و قد رجع إلی الدنیا ممن مات خلق کثیر، منهم أصحاب الکهف أماتهم اللّه ثلاثمائه ثم بعثهم فی زمان قوم أنکروا البعث، لیقطع حجتهم و لیریهم قدرته، و لیعلموا أنّ البعث حق» . أقول: و فی تفسیر البرهان (۲)، فی ذیل قوله تعالی فی سوره الکهف وَ تَحْسَبُهُمْ أَیْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ (۳)، حدیث طویل عن ابن عباس فیه تصریح بقصه أصحاب الکهف، و أنه تعالی بعثهم بعد ما أماتهم، فراجع. هذه بعض الأحادیث الداله علی الرجعه فی الأمم السابقه، و قد روی الفریقان أنّ ما وقع فی الإمام السابقه یقع فی هذه الأمه طابق النعل بالنعل.

ففی البحار (۴)، عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام بإسناده عن الحسن بن الجهم قال: قال المأمون للرضا علیه السّلام: یا أبا الحسن ما تقول فی الرجعه؟ فقال علیه السّلام: «إنها الحق قد کانت فی الأمم السابقه و نطق بها القرآن، و قد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یکون فی هذه

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۲۵۲.

۲- ۲) تفسیر البرهان ج ۲ ص ۴۶۰.

۳- ۳) الکهف:۱۸.

۴- ۴) البحار ج ۵۳ ص ۵۹.

الأمه کل ما کان فی الأمم السابقه حذو النعل بالنعل و القذه بالقذه، و قال صلّی اللّه علیه و آله: إذا خرج المهدی من ولدی نزل عیسی بن مریم علیه السّلام فصلی خلفه، و قال صلّی اللّه علیه و آله: إن الإسلام بدأ غریبا و سیعود غریبا فطوبی للغرباء! قیل: یا رسول اللّه ثم یکون ما ذا؟ قال: ثمّ یرجع إلی أهله» الخبر.

و قال المجلسی رحمه اللّه فیه (۱): و قد صحّ عنهم (صلوات اللّه علیهم) أنّه: «کل ما کان فی بنی إسرائیل یکون فی هذه الأمه مثله حذو النعل بالنعل و القذه بالقذه» . هذا من طریق الشیعه، و أما المخالف:

ففیه (۲)، أما المخالف فروی الحمیدی فی الجمع بین الصحیحین عن أبی سعید الخدری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لتتبعنّ سنن من قبلکم شبرا بشبر و ذراعا بذراع، حتی لو دخلوا جحر ضبّ لتبعتموهم، قلنا، یا رسول اللّه الیهود و النصاری؟ قال: فمن؟» أقول فی الهامش أخرجه فی مشکاه المصابیح ص ۴۵۸ و قال متّفق علیه.

و فیه و روی الزمخشری فی الکشاف عن حذیفه: «أنتم أشبه الأمم سمتا ببنی إسرائیل، لترکبن طریقهم حذو النعل بالنعل و القذه بالقذه حتی إنّی لا أدری أ تعبدون العجل أم لا؟» . أقول: هذا بعض ما دلّ علی وقوع الرجعه، و لعمری إن ما یدل علیها کثیر، و قد دون فیها کتب و ذکروا فیها أحادیث و قضایا عجیبه تدل علیها، و کیف کان فمن وقوع هذه الرجعات فی الأمم السابقه یرفع الاستبعاد عنها بالنسبه إلی وقوعها بعد قیام الحجه (عج) . هذا و قد قیل: إن أدل دلیل علی إمکان الشیء وقوعه، فوقوع هذه الرجعات الثابته بالآیات القرآنیه و الأحادیث المتواتره، بل و فوق التواتر المرویّه عنهم و عن

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۰۸.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۱۴۰.

النبی صلّی اللّه علیه و آله أقوی دلیل و شاهد علی إمکان وقوعها فی هذه الأمه. ثم إنه لا یفرق بین وقوع الرجعه بالنسبه إلی شخص أو أزید فی مده قلیله أو کثیره، فإنه إذا أمکن وقوعها لا یفرق بین مصادیقها المختلفه. هذا و قد ثبت فی البیان العقلی أن حکم الأمثال فیما یجوز و ما لا یجوز سواء، و حیث إن المؤمن المصدق بالکتاب و السنه یعول فی أمور دینه علیها إذ هی المعول فی الدین، فلا بد لکل مسلم أن یعتقدها بعد ما ثبتت بالکتاب و السنه المتواتره کما لا یخفی. بقیت هنا شبهات عقلیه نذکرها إجمالا ثمّ نردّها: و لیعلم أولا أن جمیع ما ذکر فی إثبات المعاد فی الکتب الکلامیه یجری فی إثبات الرجعه و الشبهات، التی ذکروها فی المعاد یجری فی الرجعه، و الجواب عنها هنا هو الجواب عنها هناک إلاّ أنّا نذکر بعضها مع الجواب عنه فمنها: أن خلقه الإنسان فی الدنیا لها أسباب فمنها إنه لا بد من تکونه من عالم المنویّه کما صرّح به الآیات،

و قد اشتهر الحدیث من أنه أبی اللّه أن یجری الأمور إلاّ بأسبابها، فحینئذ کیف یمکن رجوع أقوام من قبورهم بعد ما صاروا رفاتا من دون تناسل من الآباء و الأمهات؟ و الجواب عنها: أولا بالنقض: بخلقه آدم علیه السّلام حیث خلقه اللّه من غیر أب و أمّ، و بخلقه ناقه صالح من الجبل کما صرح به فی الأخبار، و بوقوع رجعه أقوام قد صرحت بها الآیات و الأحادیث المتقدمه و الآتیه، و قد تقدم أن أقوی أدله علی إمکان الشیء وقوعه. و ثانیا: بالحلّ و حاصله: أن الرجعه مجعوله بقدره اللّه تعالی کما صرّح به الأحادیث المتقدمه من

قوله علیه السّلام: «تلک القدره لا تنکرها» ،

و فی الزیاره الجامعه الصغیره:

«لا أنکر للّه قدره، و لا أزعم إلاّ ما شاء اللّه»

، و قدره اللّه تعالی و ظهورها فی الخارج و ظهور مقتضاها فیه قد یکون بالأسباب، کما هو الظاهر من کثیر منها،

و قـد يكون بلاـ سبب، و الوجه فيه أن الأصـل فى الخلقه مطلقـا هو إرادته تعالى كما صـرحت به الآيه من قوله تعالى: إِنَّمٰا قَوْلُنٰا لِشَيْءٍ إِذٰا أَرَدْنٰاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فالمسـتفاد من هـذه الآـيه المبـاركه إرادته تعـالى هى الموجبه و السـبب الوحيـد لخلق الأشـياء. و الأسـباب إنما هى مظاهر لظهور القـدره، و ليست بحيث تحـدد القـدره بحيث تنفى تأثيرها فى غير الأسـباب. فللقـدره الإلهيه مراتب فى الظهور منها ما يكون بالأسباب، و منها ما يكون بغيرها، على أنّ تحديد قدرته فى الأسباب نوع من إسناد العجز إليه تعـالى، تعـالى اللّه عنه و تقـدس. و بعبـاره أخرى: أنّ ذاته المقـدسه بوحـدتها سبب و عله للخلق، إلاّ أن مقتضاها لما كانت بحسـب الأصـل غير محـدوده، و إذا أطلقـت فى الخلـق لاختـلّ النظـام الخلقى المحـدود بالجهـات الست، و الجهـات الطبيعيه و المـاديه، فـاقتضت الحكمـه الإلهيه أن يظهر قـدرته بالأسـباب، و فى الواقع و الحقيقـه أن الأسـباب المجعوله بقـدرته تعـالى كالمقيـدات لمطلقـات القـدره الإلـهيه حفظـا لنظـام الوجود، لاـ أنهـا عله تـامه لخلقه، بل العله هى القـدره بنفسـها فقط، و حينئذ فالأسـباب لا تحدد القدره الإلهيه، فلها أى للقدره الإلهيه أن تؤثر فى شـىء بدون الأسباب المتداوله فى نوع ذلك الشىء، و هذا إذا اقتضـته الحكمه الإلـهيه، و يستفاد من الآيـات و الأحـاديث بنحـو الوضوح أن الحكمه الإلـهيه المقتضـيه لخلق بعض الأشـياء كـالرجعه مثلا إنما هى دفع ما توهمه المنكرون للبعث و الحشر و النشر. قال تعالى: وَ ضَرَبَ لَنٰا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قٰالَ مَنْ يُحْيِ اَلْعِظٰامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا اَلَّذِي أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (1)ثم إنه تعالى بيّن بأحسن

۱- ۱) یس:۷۸ و ۷۹.

بیان فی دفع کون الأسباب عله لوقوع المسببات، کما توهمه المنکرون للبعث، حیث إنهم یرون الأسباب عله للمسببات لما بینهما من السنخیّه، و قد آنس أذهانهم بهذه المناسبات حتی أنکروا قدره اللّه فی غیرها، فرد اللّه علیهم بقوله تعالی: اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ اَلشَّجَرِ اَلْأَخْضَرِ نٰاراً فَإِذٰا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (1)أی انظروا کیف جعل اللّه تعالی من الشجر الأخضر الموجب للبروده نارا، فالشجر الأخضر بمقتضی توهمهم یکون عله للبروده لا للنار، مع أنه تعالی حصل منها النار، ردّا علی أن الأسباب لیست عله، بل العله قدرته تعالی و إرادته، و هذا أدلّ علی أن القدره تؤثر بغیر سبب، حیث إنه مع وجود سبب البروده أثر القدره الإلهیه فی تحقق النار، فهو أقوی فی تأثیر القدره بدون سبب کما لا یخفی. و لعمری إن وقوع المسببات بدون السبب، و عدم وقوع المسببات مع وجود الأسباب بنحو الکمال فی الدنیا کثیره، لا نذکره دفعا للإطاله، و لنعم ما قیل بالفارسیه: از سبب سازیش من سودائیم و از سبب سوزیش سوفسطائیم و قیل أیضا: شب تاریک و سنگستان و من مست قدح از دست من افتاد و نشکست نگهدارنده اش نیکو نگهداشت و گر نه صد قدح نفتاده بشکست و قیل: گر نگهدار من آنست که من میدانم شیشه را در بغل سنگ نگه میدارد و کیف کان فهذه الحکمه الإلهیه اقتضت علی أنه تعالی یخلق بعض الأشیاء

1- 1) یس:80.

بقدرته بدون الأسباب، بل فی ظرف تحقق سبب الضد کما علمت.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن تفسیر العیاشی عن الحلبی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: جاء أبیّ بن خلف فأخذ عظما بالیا من حائط ففتّه ثم قال: یا محمد إذا کنّا عظاما و رفاتا أ إنّا لمبعوثون خلقا فأنزل اللّه: مَنْ یُحْیِ الْعِظٰامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ. قُلْ یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ

(۲)

و فی حدیث آخر فیه عن موسی بن جعفر عن أبیه عن آبائه عن الحسین بن علی علیه السّلام، «أن یهودیّا من یهود الشام و أحبارهم قال لأمیر المؤمنین علیه السّلام: فإنّ إبراهیم علیه السّلام قد بهت الذی کفر ببرهان علی نبوته، قال له علی علیه السّلام: لقد کان کذلک و محمد صلّی اللّه علیه و آله آتاه مکذّب بالبعث بعد الموت و هو أبیّ بن خلف الجمحی معه عظم نخر ففرکه ثم قال یا محمد: من یحیی العظام و هو رمیم؟ فأنطق اللّه محمدا بمحکم آیاته و بهته ببرهان نبوته فقال: یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ ، فأنصرف مبهوتا» .

و فیه عن احتجاج الطبرسی قال أبو محمد العسکری علیه السّلام: قال الصادق علیه السّلام: «و أما الجدال بالتی هی أحسن فهو ما أمر اللّه تعالی به نبیه أن یجادل به من جحد البعث بعد الموت و أحیاه له فقال حاکیا عنه: وَ ضَرَبَ لَنٰا مَثَلاً وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قٰالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظٰامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ (۳)، فقال اللّه فی الرد علیه: قُلْ یا محمد یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ. اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ اَلشَّجَرِ اَلْأَخْضَرِ نٰاراً فَإِذٰا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (۴)فأراد من نبیه أن یجادل المبطل الذی قال کیف: یجوز أن یبعث هذه العظام و هی رمیم؟ قال: قُلْ یُحْیِیهَا اَلَّذِی أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّةٍ (۵)أ فیعجز من ابتدأ به لا من شیء أن یعیده بعد أن یبلی، بل ابتداؤه أصعب عندکم من إعادته.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۳۹۴.

۲- ۲) یس:۷۸.

۳- ۳) یس:۷۸.

۴- ۴) یس:۸۰.

۵- ۵) یس:۸۰.

ثم قال: اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ اَلشَّجَرِ اَلْأَخْضَرِ نٰاراً أی إذا کمن النار الحاره فی الشجر الأخضر الرطب ثم یستخرجها، فعرفکم أنه علی إعاده من بلی أقدر» . أقول:

قوله علیه السّلام: «أصعب عندکم» ، أی عند المنکرین لقدرته علی البعث و إلاّ فهو عند أهل التوحید سواء. قوله علیه السّلام: «أی إذا کمن» ، یشیر إلی ما تقدم من أن قدرته تعالی هی السبب للخلق مطلقا لا الأسباب، فإنه تعالی کمن فی الشجر الأخضر النار بقدرته، فقد أخذ أثر الشجر الأخضر، و استخرج النار من الشجر الأخضر بقدرته، فهذه آیه منه تعالی علی قدرته علی إعاده من بلی، بل هو علیه أقدر بعدم معارضته بالسبب الضد، کما لا یخفی. و کیف کان فهو تعالی یکفی من کل شیء و لا یکفی منه شیء، أی أنّ المسببات لیست غنیّه عنه تعالی بوجود أسبابها، بل هی فی حال وجود أسبابها أیضا محتاجه إلیه تعالی، لیعلم أن العله هو تعالی بنفسه، فإنه تعالی علم کلّه، قدره کله، سمع کله، بصر کله، وجود کله، لم یزل و لا یزال کذلک، و لم یکن له ولی من الذل و کبّره تکبیرا، و هو متفرد بخلق ما خلق و صنع ما صنع بلا استعانه من غیره حتی بمثل الأسباب، بل علمت أنها مقیدات لمطلقات قدرته تعالی، فهی فی الحقیقه مانعه عن التأثیر و الخلق المطلق بحدودها لحکمه إلهیه، و هی حفظ النظام لا موجبه و عله لخلق المسبب بل هو مخلوقه تعالی بقدرته، و لا شریک له تعالی فی ذلک و لا ند له، و لا وزیر سبحانه و تعالی عما یشرکون، و بیده ملکوت کلّ شیء و إلیه ترجعون، و إنما خلق الصفات و الأسماء لمصالح اقتضتها الحکمه الإلهیه کما علمت و لا یختل بها تعالیه تعالی فی الفاعلیه التامه المستقله، و هو فاعل ما یشاء من وراء هذه الحجب الأسمائیه و الأسباب، یفعل ما یشاء کیف یشاء من غیر استعانه بالأسباب، و هو الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنی، أ لا تری إلی خلقه آدم علیه السّلام من غیر أب و أم، و إلی إخراجه و إبدائه الناقه من الجبل لصالح علیه السّلام و إلی جعله عصا موسی

ثعبان و إلى جعله النار بردا و سلاما على إبراهيم، و إلى إنطاقه الحصى و الحبه و الشجر، و أثمار الشجر اليابس لمحمد و آله الطاهرين (صلوات اللّه عليهم) إلى ما شاء اللّه من إظهار الأشياء و خلقها بغير الترتيب الذى رتّبها عليه. و قد ظهر مما ذكر-و له الحمد-أنه تعالى هو الفاعل الوحيد بنفسه المقدسه للأمور فيما وراء هذه الحجب و الأسماء و الأسباب، و خلق هذه الحجب لحفظ نظام الوجود حسب ما اقتضته الحكمه الإلهيه، لا أن الأسباب دخيله فى إيجادها، بل هو الموجد تعالى و لذا قد يوجد بلا هذه الأسباب، بل قد يوجد مع وجود ضدّها كما فى خلق البروده فى النار. و لعمرى إن هذه الأمور مما يوجب الإذعان و التصديق بأن قدرته تعالى نافذه فى الأمور، و إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، دون غيره و بدون توقّف إلى سبب آخر، ثم إن الحكمه فى خلق بعض الأمور بدون تحقق الأسباب الظاهريه، قد علمت أنها هى الرد على منكرى البعث و ردعهم عن عقيدتهم الفاسده، و أيضا أنها تكون لأجل الرد على من يزعم أن الأسباب هى التى تؤثر فى المسببات بالاستقلال، أو بحيث لو لم تكن لما أمكنه تعالى أن يخلق مسبب هذا السبب، فإن هذه العقيده شرك محض به تعالى، كما لا يخفى. فاقتضت الحكمه الإلهيه على أن يخلق بعض الأمور بغير سببها دفعا لهذا التوهم الفاسد، كما لا يخفى على العارف بأسمائه تعالى و صفاته الذاتيه. ثم إنه لا بد للمؤمن أن يعتبر من هذه الأمور و يحصل له اليقين بالرجعه و بقدرته تعالى، و لا ينكرها كما نهينا عنه فى الأحاديث المتقدمه، فالاعتبار بهذه الأمور يوجب حصول اليقين للإنسان العارف المتنبّه. و لعمرى إن الموجودين فى زمان الرجعه لما رأوها حصل لهم اليقين بقدرته تعالى، و فازوا بالمعرفه الكامله بالنسبه إليه تعالى. و أما نحن فمن بصره اللّه تعالى فيحصل له أيضا هذا اليقين من النظر فى هذه الآيات و الأخبار.

هذا

و قد روى عن الرضا عليه السّلام فيما رأيت فى سالف الزمان أن القرآن هو اليقين. أقول: أى موجب لليقين، فمن تيقّن به بالنسبه إلى هـذه الأمـور فهو من المؤمنين الكاملين. و قـد دل القرآن على أنه برهان و نور و هـدى للمتقين و المؤمنين، كما لا يخفى. و هذا هو الذى كان لجابر رحمه اللّه

ففى البحار (۱)، عن رجال الكشى بإسناده عن محمد بن مسلم و زراره قالا: سألنا أبا جعفر عليه السّلام عن أحاديث نرويها عن جابر، فقلنا: ما لنا و لجابر؟ فقال: «بلغ من إيمان جابر أنه كان يقرأ هـذه الآيه إِنَّ اَلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّكَ إِلىٰ مَعٰادٍ (۲)» . أقول: أى يعلم معناه.

ففيه (۳)، عن زراره عن أبى جعفر عليه السّـلام قـال: «جـابر يعلم قـول اللّه عز و جـل: إِنَّ اَلَّذِى فَرَضَ عَلَيْـكَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّكَ إِلىٰ مَعٰادٍ » . أقول: و معنى أنه يعلم معناه، أى يعلم أنها تشير إلى الرجعه و أنه متيقّن بها.

ففيه (۴)، عن منتخب البصـائر بإسـناده، عن أبى مروان قـال: سـألت أبا جعفر عليه السّـلام عن قول اللّه عز و جل: إِنَّ اَلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّكَ إِلىٰ مَعٰادٍ قال: فقال لى: «لا و اللّه، لا تنقضـى الدنيا و لا تذهب حتى يجتمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على بالثويه فيلتقيان و يبنيان بالثويه مسجدا له اثنا عشر ألف باب، يعنى موضعا بالكوفه» . أقول: هذا تفسير للثويّه.

و فى حديث آخر قبل هذا فى ذيله بعد ذكر الآيه، فقال أبو جعفر عليه السّـلام: «ما أحسب نبيكم صلّى اللّه عليه و آله إلاّ سيطّلع عليكم اطلاعه» .

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۲۱.

۲- ۲) القصص:۸۵.

۳- ۳) البحار ج ۵۳ ص ۱۲۱.

۴- ۴) البحار ج ۵۳ ص ۱۱۳.

أقول: فجابر علم هذا المعنى من الآيه المباركه من علمهم عليهم السّلام.

ففيه عن كتاب صفات الشيعه للصدوق رحمه اللّه و روى أيضا عن ابن عبدوس، عن ابن قتيبه، عن الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السّلام قال: «من أقرّ بتوحيد اللّه، و ساق الكلام. . إلى أن قال: و أقرّ بالرجعه و المتعتين و آمن بالمعراج و المساءله فى القبر، و الحوض و الشفاعه، و خلق الجنه و النار، و الصراط و الميزان، و البعث و النشور، و الجزاء و الحساب، فهو مؤمن حقا و هو من شيعتنا أهل البيت» .

و فيه (۱)، عن الفقيه: قال الصادق عليه السّلام: «ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا، و لم يستحلّ متعتنا» . أقول: قد علمت أن الحكمه فى الرجعه بالنسبه إلى الأمم السالفه و هذه الأمه. و فى خلق الأشياء بلا سبب الأمران المتقدمان من ردّ من أنكر البعث، و ردّ من توهم أن الأسباب هى العله للمسببات بحيث لا يمكن تأثير قدرته تعالى على المسبّب فى غير وجود سببه، و لكنه قد ذكر أيضا للرجعه حكم أخرى و حاصلها أمور: منها: أن للّه تعالى الأسماء الحسنى و مظاهرها النبيون و الأئمه و من تبعهم من المؤمنين و مظاهرها كلها نور، و خلق تعالى فى قبالها الأسماء الظلمانيه قال تعالى: جَعَلَ اَلظُّلُمٰاتِ وَ اَلنُّورَ (۲). و الأسماء الظلمانيه مظاهرها ظلمانيه من العلم و اليقين و المعرفه، و مظاهرها الكفار و أئمه الضلال، و لا بد لكل من الطائفتين من ظهور فى الدنيا و دوله. و من المعلوم أن الدنيا إلى قيام الحجه، تكون الأسماء الحسنى بما لها من المظاهر من الأنبياء و النبى الأعظم و الأئمه عليهم السّلام و أشياعهم مغلوبين مقهورين مقتولين، بحيث لا يقدرون على إظهار عقائدهم كما هو حقها، و إجراء أحكام الدين كما أنزلها

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۹۲.

۲- ۲) الأنعام:۱.

اللّه تعالی، و حینئذ نقول: لو لم تکن رجعه لزم عدم ظهور کمال خلق الأسماء الحسنی، و ما لها من المظاهر من الأنبیاء و الأئمه و أشیاعهم، فإنهم و إن أظهروا الحق بالبراهین الساطعه إلّا أنه لم تقع فی الخارج مقاصدهم الکامله، و لم یظهر دین اللّه بنحو الشمول، و عدم هذا الظهور الکامل نحو من العبث فی الخلقه، تعالی اللّه عن ذلک، فلا بد من الرجعه، لکی تتم کمالات الدین و یظهر الحق کما هو حقه. و لعل إلیه تشیر أحادیث منها ما

فی البحار (۱)، بإسناده، عن الحسن بن شاذان الواسطی قال: کتبت إلی أبی الحسن الرضا علیه السّلام أشکو جفاء أهل واسط و حملهم علیّ، و کانت عصابه من العثمانیه تؤذینی، فوقّع بخطه: «إن اللّه جل ذکره أخذ میثاق أولیائنا علی الصبر فی دوله الباطل، فاصبر لحکم ربّک، فلو قد قام سید الخلق لقالوا: یا وَیْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا ما وَعَدَ اَلرَّحْمنُ وَ صَدَقَ اَلْمُرْسَلُونَ (۲)» ، فیستفاد منه أن الدوله قبل قیام سید الخلق تکون دوله الباطل و بعده تکون دوله الحق و یظهر الحق، و یضمحل الباطل و أهله بحیث یقولون یا ویلنا، و لعل فیه إشاره إلی الرجعه أیضا مضافا إلی قیامه، کما لا یخفی. و إلی هذا أیضا یشیر ما سیجیء

من روایه جابر عن الصادق علیه السّلام، و فی ذیلها: «و حتی یبعثه اللّه علانیه فتکون، عبادته علانیه فی الأرض کما عبد اللّه سرّا فی الأرض» الحدیث. و منها: إنجاز ما وعد اللّه المؤمنین من الأنبیاء و المرسلین خصوصا نبینا صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام و أشیاعهم بقوله تعالی: وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی اَلَّذِینَ اُسْتُضْعِفُوا (۳)الآیه.

ففی تفسیر البرهان (۴)، المفید من إرشاده عن عثمان بن أبان، عن أبی الصباح

ص: ۴۲۱

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۸۹.

۲- ۲) یس:۵۱.

۳- ۳) القصص:۵.

۴- ۴) تفسیر البرهان ج ۳ ص ۲۱۸.

الکنانی، قال: نظر أبو جعفر إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام فقال: «تری هذا؟ هذا من الذین قال اللّه عز و جل: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى اَلَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا فِي اَلْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ اَلْوارِثِينَ (۱)» .

و فیه: الطبرسی قال: صحّت الروایه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنه قال: «و الذی فلق الحبه و برئ النسمه لتعطفنّ علینا الدنیا بعد شماسها عطف الضروس علی ولدها، و تلا عقیب ذلک: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى اَلَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا فِي اَلْأَرْضِ الآیه، و بقوله تعالی: وَعَدَ اَللّهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ (۲)الآیه» .

ففیه (۳)، محمد بن یعقوب بإسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه جل جلاله: وَعَدَ اَللّهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي اَلْأَرْضِ كَما اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (۴)قال «هم الأئمه علیهم السّلام» .

و فیه، عن محمد بن إبراهیم النعمانی عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: وَعَدَ اَللّهُ الآیه، قال: «القائم و أصحابه» .

و فیه، محمد بن العباس بإسناده إلی عبد اللّه بن سنان، قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَعَدَ اَللّهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي اَلْأَرْضِ كَمَا اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، قال: «نزلت فی علی بن أبی طالب و الأئمه من ولده علیهم السّلام، وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ اَلَّذِي اِرْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً (۵)قال: عنی به ظهور القائم (عج)» .

و فی البحار (۶)، عن مجالس المفید بإسناده إلی عبایه الأسدی قال: سمعت

۱- ۱) القصص:۵.

۲- ۲) النور:۵۵.

۳- ۳) تفسیر البرهان ج ۳ ص ۱۴۶.

۴- ۴) النور:۵۵.

۵- ۵) النور:۵۵.

۶- ۶) البحار ج ۵۳ ص ۷۶.

علیا علیه السّلام یقول: «أنا سید الشیب و فیّ سنّه من أیوب، و اللّه لیجمعنّ اللّه لی أهلی کما جمعوا لیعقوب» .

و فیه (۱)، عن تفسیر علی بن إبراهیم: أبی، عن ابن أبی عمیر، عن عبد اللّه بن مسکان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّهُ مِیثٰاقَ اَلنَّبِیِّینَ لَمٰا آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتٰابٍ وَ حِکْمَهٍ ثُمَّ جٰاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ (۲)قال: «ما بعث اللّه نبیّا من لدن آدم إلاّ و یرجع إلی الدنیا فینصر أمیر المؤمنین» . و قوله: «لتؤمننّ به» ، یعنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، «و لتنصرنّه» ، یعنی أمیر المؤمنین علیه السّلام.

و فیه (۳)، عن منتخب البصائر بإسناده، عن فیض بن أبی شیبه، قال سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: و تلا هذه الآیه: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّهُ مِیثٰاقَ اَلنَّبِیِّینَ (۴)الآیه، قال: «لیؤمننّ برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و لینصرنّ علیّا أمیر المؤمنین علیه السّلام، قلت: و لینصرنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام؟ قال علیه السّلام: نعم و اللّه من لدن آدم فهلمّ جرّا، فلم یبعث اللّه نبیا و لا رسولا إلاّ ردّ جمیعهم إلی الدنیا حتی یقاتلوا بین یدی علی بن أبی طالب أمیر المؤمنین علیه السّلام» . فدلّت هذه الآیات و الأحادیث و نظائرها الکثیره علی أنه تعالی سینجز ما وعده لهم من استخلافهم فی الأرض و یمکّنهم من دینهم الذی ارتضی لهم، و لینصرنّهم الأنبیاء السابقون. و معلوم أن إنجاز هذا الوعد لا یکون إلاّ فی الرجعه کما لا یخفی، و منه یظهر إنجازه تعالی ما وعده للمؤمنین.

ففیه (۵)، عن منتخب البصائر: سعد، عن الیقطینی، عن القاسم، عن جده

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۶۱.

۲- ۲) آل عمران:۸۱.

۳- ۳) البحار ج ۵۳ ص ۴۱.

۴- ۴) آل عمران:۸۱.

۵- ۵) البحار ج ۵۳ ص ۴۴.

الحسن، عن أبی إبراهیم علیه السّلام قال: قال: «لترجعنّ نفوس ذهبت، و لیقتصنّ یوم یقوم، و من عذّب یقتصّ بعذابه، و من أغیظ أغاظ بغیظه، و من قتل اقتصّ بقتله، و یردّ لهم أعداؤهم معهم، حتی یأخذوا بثأرهم، ثمّ یعمروا بعدهم ثلاثین شهرا ثم یموتوا فی لیله واحده قد أدرکوا ثأرهم، و شفوا أنفسهم، و یصیر عدوّهم إلی أشد النار عذابا، ثم یوقفوا بین یدی الجبار عز و جل فیؤخذ لهم بحقوقهم» .

و فیه عنه بهذا الإسناد عن الحسن بن راشد، عن محمد بن عبد اللّه بن الحسین قال: دخلت مع أبی علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فجری بینهما حدیث، فقال أبی لأبی عبد اللّه علیه السّلام: ما تقول فی الکرّه؟ قال: «أقول فیها: ما قال اللّه عز و جل و ذلک أن تفسیرها-أی الکرّه-صار إلی رسول اللّه قبل أن یأتی هذا الحرف بخمس و عشرین لیله قول اللّه عز و جل: تِلْکَ إِذاً کَرَّهٌ خاسِرَهٌ (1)، إذا رجعوا إلی الدنیا و لم یقضوا حولهم، فقال له أبی: یقول اللّه عز و جل: فَإِنَّما هِیَ زَجْرَهٌ واحِدَهٌ. فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَهِ (2)أی شیء أراد بهذا؟ فقال: إذا انتقم منهم و باتت بقیه الأرواح ساهره لا تنام و لا تموت» . أقول: الذحول جمع الذّحل و هو طلب الثار، و ظاهره أنّ المراد من الکرّه هو الکرّه فی الرجعه، و کونها خاسره أی ذات خسران أو خاسر أصحابها، و المعنی أنهم حینئذ ذاک خاسرون، لتکذیبهم الأنبیاء و الرسل و الولایه أو الرجعه. قوله تعالی: فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَهِ أی الحاله الساهره، و هی حاله العذاب الروحی المفسر فی

قوله علیه السّلام: «لا تنام و لا تموت» . و هذه حاله صعبه علی الروح جدا، ثم إن للآیات القرآنیه مصادیق کهذه الآیه فللکره مصادیق: منها الرجعه و منها القیامه، فإن ألفاظ القرآن بل مطلقا موضوعه للمعانی العامه کما حقق فی محله.

ص: ۴۲۴

۱- ۱) النازعات:۱۲.

۲- ۲) النازعات:۱۳ و ۱۴.

ففی تفسیر البرهان (۱)، محمد بن العباس بإسناده إلی جابر بن یزید عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «الکرّه المبارکه النافعه لأهلها یوم الحساب ولایتی و اتّباع أمری، و ولایه علی و الأوصیاء من بعده، و الکره الخاسره عداوتی و ترک أمری، و عداوه علی و الأوصیاء من بعده، یدخلهم اللّه بها النار فی أسفل السافلین» . أقول: هذه الروایه الشریفه تفسّر الکرّه الخاسره و إن کانت فی الرجعه کما لا یخفی. و کیف کان فهذه الأحادیث دلّت علی أن اللّه تعالی یبعث المؤمنین فی الکرّه، لیقضوا ثارهم من أعدائهم، بل المستفاد من الأحادیث أنه لا بد لکلّ مؤمن من الموت أو القتل، فمن مات یرجع حتی یقتل، و من قتل یرجع حتی یموت بأجله.

ففی البحار عن منتخب البصائر، سعد عن ابن أبی الخطاب، عن أبی خالد القمّاط، عن عبد الرحمن القصیر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قرأ هذه الآیه: إِنَّ اَللّٰهَ اِشْتَریٰ مِنَ اَلْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ ، فقال: «هل تدری من یعنی؟ فقلت: یقاتل المؤمنون فیقتلون و یقتلون، فقال: لا، من قتل من المؤمنین ردّ حتی یموت، و من مات ردّ حتی یقتل، و تلک القدره فلا تنکرها» .

و فیه (۲)عنه بإسناده، عن جابر بن یزید، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إنّ لعلی علیه السّلام فی الأرض کرّه مع الحسین ابنه (صلوات اللّه علیهما) یقبل برایته، حتی ینتقم له من بنی أمیه و معاویه و من شهد حربه، ثم یبعث اللّه إلیه بأنصاره یومئذ من أهل الکوفه ثلاثین ألفا، و من سایر الناس سبعین ألفا، فیلقاهم بصفّین مثل المره الأولی حتی یقتلهم، و لا یبقی لهم مخبرا، ثم یبعثهم اللّه عز و جل فیدخلهم أشد عذابه مع فرعون و آل فرعون، ثم کرّه أخری مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتی یکون خلیفه فی الأرض،

۱- ۱) تفسیر البرهان ج ۴ ص ۴۲۵.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۷۴.

و تکون الأئمه علیهم السّلام عمّاله، و حتی یبعثه اللّه علانیه، فتکون عبادته علانیه فی الأرض کما عبد اللّه سرّا فی الأرض. ثم قال: أی و اللّه و أضعاف ذلک، ثم عقد بیده أضعافا، یعطی اللّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله ملک جمیع أهل الدنیا منذ یوم خلق اللّه الدنیا إلی یوم یفنیها، حتی ینجز له موعوده فی کتابه کما قال: لِیُظْهِرَهُ عَلَی اَلدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ اَلْمُشْرِکُونَ . أقول: یستفاد من هذه الأحادیث أن الحکمه فی الرجعه أیضا هو إنجاز ما وعد اللّه النبی و الأئمه (علیه و علیهم السّلام) و المؤمنین النصره علی أعدائهم و تمکنهم فی الأرض بحیث لا یبقی إلاّ الدین الحق.

ففی البحار (١)، عن تفسیر فرات بن إبراهیم، معنعنا عن ابن عباس ، فی قوله تعالی: وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا جَلاّٰهٰا ، قال: «یعنی الأئمه منّا أهل البیت یملکون الأرض فی آخر الزمان فیملئونها عدلا و قسطا» .

و فیه (٢)، مما رواه عن علی بن موسی بن طاووس تحت رقم ١۵ بإسناده عن صالح بن میثم، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قلت له: حدثنی، قال: «أ لیس قد سمعت أباک؟ قلت: هلک أبی و أنا صبی، قال: قلت: فأقول: فإن أصبت سکت، و إن أخطأت رددتنی عن الخطإ قال: هو أهون، قال: قلت: فإنی أزعم أنّ علیّا دابه الأرض، قال: و سکت، قال: و قال أبو جعفر علیه السّلام و أراک و اللّه ستقول: أنّ علیا راجع إلینا و قرأ: إِنَّ اَلَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ قال: قلت: و اللّه قد جعلتها فیما أرید أن أسألک عنها فنسیتها، فقال أبو جعفر علیه السّلام: أ فلا أخبرک بما هو أعظم من هذا؟ وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ کَافَّهً لِلنّٰاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً لا تبقی أرض إلاّ نودی فیها بشهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمدا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أشار بیده إلی آفاق الأرض» .

١- ١) البحار ج ۵٣ ص ١١٨.

٢- ٢) البحار ج ۵٣ ص ١١٣.

هذا بعض الأحاديث المبيّنه لحكمه الرجعه، و لعلك تسمع فيما نذكره من أخبار الباب ما يبيّن لك الحكمه فيها إن شاء اللّه.

تتمه: قال بعض الأعلام ما حاصله: و اعلم أن للمخالفين شبهات ركيكه فى الرجعه. منها: أنها لو كانت حقا، فما الذى يمنع من توبه يزيد و الشمر و ابن ملجم فيها و يرجعون عن كفرهم و ضلالهم، فلا يجوز حينئذ لعنهم؟ و الجواب عنه تاره بأنه لما ورد عن أئمه الدين عليهم السّلام لعنهم، علمنا أنهم لا يختارون الإيمان، و أنهم ممن قال اللّه تعالى فيهم: وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ اَلْمَلائِكَهَ وَ كَلَّمَهُمُ اَلْمَوْتى وَ حَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاّ أَنْ يَشاءَ اَللّهُ (۱)أى إلاّ أن يحثهم اللّه و يلزمهم بالإيمان، فإنه قادر عليه، و أما هم فبطبيعتهم لا يختارون الإيمان مع مشاهده تلك الآيات الإلهيه. أقول: قد علمت و تعلم أحاديث كثيره دلّت على أن القائم (عج) و الأئمه عليهم السّلام بعد الرجعه يقاتلون أعداء اللّه مع ظهور دلائل الحق و آياته لهم، فيكشف منه أنه إنما يرجعون إلى الدنيا لتقتصّ منهم كما علمت، و هذا بعد ما رسخوا فى الضلاله بحيث لا يرجعون إلى قبول الحق، و لذا دلّت أحاديث كثيره كما نذكرها على أنه إنما يرجع من محض الإيمان محضا و من محض الكفر محضا. و من المعلوم أن من محض الكفر محضا لا يكاد يتوب و يقبل الإيمان، لرسوخ الكفر و النفاق فى ذاته، كما حقق فى محله فى مسأله خلود أهل النار فيها، كما لا يخفى.

و فى البحار (۲): و قال الشيخ أمين الدين الطبرسى: فى قوله تعالى: وَ إِذا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أى: وجب العذاب و الوعيد عليهم. و قيل معناه: إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم و لا أحد بسببهم.

ص: ۴۲۷

۱- ۱) الأنعام:۱۱۱.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۱۲۴.

و قیل: إذا غضب اللّه علیهم. و قیل: إذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعه، أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّهً مِنَ اَلْأَرْضِ (۱)، تخرج بین الصفا و المروه، فتخبر المؤمن بأنه مؤمن، و الکافر بأنّه کافر، و عند ذلک یرتفع التکلیف، و لا تقبل التوبه و هو علم من أعلام الساعه. و قیل: لا یبقی مؤمن إلاّ مسحته، و لا یبقی منافق إلاّ خطمته تخرج لیله جمع، و الناس یسیرون إلی منی، عن ابن عمر. فالمستفاد من هذا الکلام، أن وقوع القول علیهم هو إشاره إلی استحقاقهم العذاب، حیث صاروا لا یفلح أحد منهم و لا أحد بسببهم، فإن المستفاد من الآیات و الأحادیث، أن سنّه اللّه تعالی اقتضت أن لا یعذّب أحدا و فیه إمکان من نفسه للتوبه، فإذا علم اللّه تعالی أنه صار بحیث لا یفلح أبدا، کما علم ذلک من قوم نوح حیث قال فی حقهم: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَی اَلْأَرْضِ مِنَ اَلْکافِرِینَ دَیّاراً (۲)، فإنه إقرار منه علی أنهم کفّار و لذا قال: . وَ لا یَلِدُوا إِلاّ فاجِراً کَفّاراً (۳)، فإنه حینئذ یعذّبهم، و حال هذه الأشخاص فی الرجعه هکذا، کما هم کذلک فی القیامه، و للّه العالم. و أخری یجاب عنها بأن اللّه تعالی إذا ردّ الکافرین فی الرجعه للانتقام منهم، لا یقبل لهم توبه، کما دلّت الأحادیث الوارده فی قوله تعالی: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ لا یَنْفَعُ نَفْساً إِیمانُها لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمانِها خَیْراً (۴)، إن هذه عند ظهور القائم (عج) فإنه إذا تاب المخالف لم تقبل توبته. و ستأتی أحادیثه. و أوردوا أیضا بأنه کیف یعود الکفار و المخالفین إلی طغیانهم بعد الرجعه و قد عاینوا عذاب اللّه؟

۱- ۱) النمل:۸۲.

۲- ۲) نوح:۲۶.

۳- ۳) نوح:۲۷.

۴- ۴) الأنعام:۱۵۸.

و الجواب: ما تقدم من أنه لو لا قد أخبر اللّه عنهم أنهم ما كانوا ليؤمنوا كما تقدم-و ثانيا أنهم إذا رجعوا فرضا لم تقبل توبتهم كما تقدم-و ثالثا أنه تعالى قد أخبر عنهم لا يؤمنون و إن عاينوا العذاب كما قال تعالى تاره فى حقهم فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنّا (۱)و قال أيضا فى حقهم: يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَ نَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۲)، فقال تعالى فى الردّ عليهم: بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ (۳)فدلّت هذه الآيه على إمكان أنهم لا يؤمنون بل على وقوعه إن ردّوا، و لا يفرق بين أن يردّوا فى الرجعه أو فى القيامه لوحده الملاك كما لا يخفى. ثمّ إن هناك ردّا و إيرادا على القول بالرجعه على المخالفين، و قد ذكر ما قيل أو ما يمكن أن يقال فى أمر الرجعه فى الكتب المدوّنه فى الرجعه، و منها البحار فإنه رحمه اللّه ذكر أقوال المخالفين و أدلّتهم و أجاب عنها بما أجاب به القدماء من الأصحاب (رضوان اللّه تعالى عليهم) فمن أراد الاطلاع إليها فليراجعه و الحمد للّه وحده.

الجهه الثالثه: فى الآيات و الأحاديث الوارده فى الرجعه تصريحا أو تأويلا منهم عليهم السّلام بها،

و هى تحت عناوين قد علمت بعضها من الأحاديث المتقدمه و نحن نذكرها إجمالا: فمنها: ما تقدم من الحديث فى قوله تعالى: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّهُ مِيثاقَ اَلنَّبِيِّينَ (۴)الدال على رجوع الأنبياء جميعهم لنصره أمير المؤمنين عليه السّلام. و منها: ما ورد فى قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ فَوْجاً (۵).

۱- ۱) غافر:۸۴.

۲- ۲) الأنعام:۲۷.

۳- ۳) الأنعام:۲۸.

۴- ۴) آل عمران:۸۱.

۵- ۵) النمل:۸۳.

ففی البحار (۱)، عن تفسیر علی بن إبراهیم، أبی عن ابن أبی عمیر عن حمّاد، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ما یقول الناس فی هذه الآیه وَ یَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ فَوْجاً ، قلت: یقولون: إنها فی القیامه، قال: «لیس کما یقولون، إن ذلک فی الرجعه، أ یحشر اللّه یوم القیامه من کل أمه فوجا و یدع الباقین؟ إنما آیه القیامه، قوله: وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (۲)» و مثله أحادیث أخر و هذه الآیه، صریحه فی الرجعه کما لا یخفی. و منها: ما ورد فی قوله تعالی: وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَهٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَحْمَهٌ خَیْرٌ مِمّٰا یَجْمَعُونَ (۳).

ففی البحار (۴)، عن منتخب البصائر بإسناده، عن جابر بن یزید، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سأل عن قول اللّه عز و جل: وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ أَوْ مُتُّمْ ، فقال: «یا جابر أ تدری ما سبیل اللّه؟ قلت: لا و اللّه إلاّ إذا سمعت منک، فقال: القتل فی سبیل علی علیه السّلام و ذریته، فمن قتل فی ولایته قتل فی سبیل اللّه، و لیس أحد یؤمن بهذه الآیه إلاّ و له قتله و میته، إنه من قتل ینشر حتی یموت، و من مات ینشر حتی یقتل» . و منها: ما

فی البحار (۵)، عن منتخب البصائر بإسناده، إلی جابر بن یزید، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: یٰا أَیُّهَا اَلْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ یعنی بذلک محمدا صلّی اللّه علیه و آله و قیامه فی الرجعه ینذر فیها، و قوله: إِنَّهٰا لَإِحْدَی اَلْکُبَرِ. نَذِیراً (۶)، یعنی محمدا صلّی اللّه علیه و آله نذیرا للبشر، فی الرجعه، و فی قوله: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ کَافَّهً

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۶۰.

۲- ۲) الکهف:۴۷.

۳- ۳) آل عمران:۱۵۷.

۴- ۴) البحار ج ۵۳ ص ۴۰.

۵- ۵) البحار ج ۵۳ ص ۴۲.

۶- ۶) المدّثّر:۳۶ و ۳۷.

لِلنّاسِ

(۱)

فی الرجعه.

و فیه عنه بهذا الإسناد، عن أبی جعفر علیه السّلام أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام کان یقول: إن المدّثّر هو کائن عند الرجعه، فقال له رجل: یا أمیر المؤمنین أ حیاه قبل القیامه ثم موت؟ قال: فقال له عند ذلک: «نعم و اللّه لکفره من الکفر بعد الرجعه أشدّ من کفرات قبلها» . أقول: أحد معانی الکفر بمعنی الذلّه و الخضوع کما

فی الحدیث: «ما من یوم إلاّ و کلّ عضو من أعضاء الجسد یکفّر للسان» ، أی یذلّ و یخضع له یقول نشدتک اللّه أن أعذب فیک. و علی هذا

فقوله علیه السّلام: «نعم و اللّه لکفره من الکفر بعد الرجعه أشدّ من کفرات قبلها» المراد من الکفر، أهل الکفر و من الکفره و الکفرات هو الذلّه و الخضوع، أی یکون لأهل الکفر ذلّه و خضوع أشدّ مما کان لهم قبل الرجعه و فی صدر الإسلام، (و اللّه العالم لمراد ولیّه روحی له الفداء) ، و یؤیده بل یدل علی هذا ما

فیه (۲)عن منتخب البصائر بإسناده إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: یَوْمَ هُمْ عَلَی اَلنّارِ یُفْتَنُونَ (۳). قال: یکسرون فی الکرّه کما یکسر الذهب حتی یرجع کل شیء إلی شبهه یعنی إلی حقیقته. أقول: و سیأتی تحقیق لهذا الحدیث الشریف فی تتمه البحث، و تقدم حدیث أبی إبراهیم علیه السّلام الدال علی هذا.

و فیه (۴)بإسناده عن محمد بن سلیمان الدیلمی عن أبیه، قال: سألت أبا

۱- ۱) سبأ:۲۸.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۴۴.

۳- ۳) الذاریات:۱۳.

۴- ۴) البحار ج ۵۳ ص ۴۵.

عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: إِذْ جَعَلَ فِيكَمْ أَنْبِيٰاءَ وَ جَعَلَكَمْ مُلُوكاً (۱)فقال: «الأنبياء رسول اللّه و إبراهيم و إسماعيل و ذريته، و الملوک الأئمه عليهم السّلام. قال: فقلت: و أیّ ملک أعطيتم؟ فقال: «ملک الجنه، و ملک الكرّه» . أقول: و إلى هذا الملک يشير

ما رواه فيه عنه بعده، بإسناده عن المعلّى بن خنيس، قال: قال لی أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أول من يرجع إلى الدنيا، الحسين بن علی عليه السّلام فيملک حتى يسقط حاجباه على عينيه من الكبر، قال: فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام فی قول اللّه عز و جل: إِنَّ اَلَّذِی فَرَضَ عَلَيْکَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلىٰ مَعٰادٍ (۲)، قال: «نبيّكم راجع إليكم» .

و فيه (۳)، عن تفسير علی بن إبراهيم بإسناده إلى معاويه بن عمّار، قال: قلت لأبی عبد اللّه عليه السّلام: قول اللّه: فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً (۴)، قال: «هی و اللّه للنصاب قال: جعلت فداک قد رأيناهم دهرهم الأطول فی كفايه حتى ماتوا؟ قال: ذاک و اللّه فی الرجعه، يأكلون العذره» .

و فيه (۵)عن تفسير علی بن إبراهيم قوله: وَ حَرٰامٌ عَلىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنٰاهٰا أَنَّهُمْ لاٰ يَرْجِعُونَ (۶)فإنه حدثنی أبی، عن ابن أبی عمير، عن ابن سنان، عن أبی بصير و محمد بن مسلم، عن أبی عبد اللّه و أبی جعفر عليه السّلام قال: «كلّ قريه أهلک اللّه أهله بالعذاب لا يرجعون فی الرجعه» فهذه الآيه من أعظم الدلاله فی الرجعه لأن أحدا من أهل الإسلام لا ينكر أنّ الناس كلّهم يرجعون إلى القيامه، من هلک و من لم يهلک، فقوله: لاٰ يَرْجِعُونَ ، عنی فی الرجعه، فأما إلى القيامه يرجعون حتى

۱- ۱) المائده:۲۰.

۲- ۲) القصص:۸۵.

۳- ۳) البحار ج ۵۳ ص ۵۱.

۴- ۴) طه:۱۲۴.

۵- ۵) البحار ج ۵۳ ص ۵۲.

۶- ۶) الأنبياء:۹۵.

یدخلوا النار.

و فیه (۱)عنه، عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: وَ لَلْآخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ اَلْأُولی (۲)، قال: «یعنی الکرّه هی الآخره للنبی صلّی اللّه علیه و آله، قلت: قوله: وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی (۳)قال: یعطیک من الجنه فترضی» .

و فیه (۴)عن کنز الفوائد، روی الحسن بن أبی الحسن الدیلمی بإسناده إلی محمد بن علی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله عز و جل: أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِیهِ (۵)، قال: «الموعود علی بن أبی طالب وعده اللّه أن ینتقم له من أعدائه فی الدنیا، و وعده الجنه له و لأولیائه فی الآخره» .

و فیه (۶)عن کنز جامع الفوائد بإسناده، عن سلیمان بن خالد، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: یَوْمَ تَرْجُفُ اَلرّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا اَلرّادِفَةُ (۷)قال: «الراجفه حسین بن علی علیه السّلام فی خمسه و سبعین ألفا و هو قوله تعالی: إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا فِی اَلْحَیاةِ اَلدُّنْیا وَ یَوْمَ یَقُومُ اَلْأَشْهادُ. یَوْمَ لا یَنْفَعُ اَلظّالِمِینَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اَللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ اَلدّارِ (۸)» .

و فیه (۹)عن تفسیر علی بن إبراهیم:

رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَیْنِ وَ أَحْیَیْتَنَا اثْنَتَیْنِ

(۱۰)

إلی قوله من سبیل، قال الصادق علیه السّلام ذلک فی الرجعه.

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۵۹.

۲- ۲) الضحی:۴-۵.

۳- ۳) الضحی:۵.

۴- ۴) البحار ج ۵۳ ص ۷۶.

۵- ۵) القصص:۶۱.

۶- ۶) البحار ج ۵۳ ص ۱۰۶.

۷- ۷) النازعات:۶-۷.

۸- ۸) الغافر:۵۱-۵۲.

۹- ۹) البحار ج ۵۳ ص ۵۶.

۱۰- ۱۰) غافر:۱۱.

أقول: الأخبار الداله على الرجعه بعناوينها المختلفه كثيره جدا، و فيما ذكرناه كفايه لمن استبصر، و لعمرى إنها من الأمور المحتومه التى هى من ضروريات الدين بحيث

قد سمعت أنه عليه السّلام قال: «ليس منا من لم يؤمن برجعتنا و متعتنا» و فى حديث «بشفاعتنا» ، و هى ثابته بالآيات و الأحاديث و قد علمت أن العقل لا يأباه و أنّ الشبهات التى ذكروها لا تنهض دليلا فى قبال قدرته تعالى على ذلك و علمت جوابها، فهى ثابته كثبوت القيامه عند أولى الألباب و المعتقدين بولايه محمد و آله الطاهرين.

و هاهنا فوائد:

الفائده الأولى: قد تكرر ذكر دابه الأرض فى الأحاديث،

و أنّ المراد منها هو أمير المؤمنين عليه السّلام و قد فسرها بعضهم بغيره، فلا بد من ذكر أحاديث الباب ثم بيان المراد منها، فنقول:

ففى البحار (۱)، عن تفسير على بن إبراهيم، أبى، عن ابن أبى عمير عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «انتهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و هو نائم فى المسجد قد جمع رملا و وضع رأسه عليه، فحرّكه برجله. ثم قال: قم يا دابه اللّه، فقال رجل من أصحابه: يا رسول اللّه أ نسمّى بعضنا بعضا بهذا الاسم؟ فقال: لا و اللّه ما هو إلاّ له خاصّه، و هو الدابه التى ذكر اللّه فى كتابه: وَ إِذٰا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ اَلنّٰاسَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا لاٰ يُوقِنُونَ (۲). ثم قال: يا على إذا كان آخر الزمان أخرجك اللّه فى أحسن صوره، و معك ميسم تسم به أعداءك. فقال الرجل لأبى عبد اللّه عليه السّلام: إن العامه يقولون: هذه الآيه إنما تكلمهم؟ فقال

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۵۲.

۲- ۲) النمل:۸۲.

أبو عبد اللّه: كلمهم اللّه فى نار جهنم إنما هو تكلّمهم من الكلام، و الدليل على أن هذا فى الرجعه قوله: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيٰاتِنٰا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُ قٰالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآيٰاتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهٰا عِلْماً أَمّٰا ذٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱)قال الآيات أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام. فقال الرجل لأبى عبد اللّه عليه السّلام: إنّ العامه تزعم أن قوله: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً عنى فى القيامه، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: فيحشر اللّه يوم القيامه من كل أمه فوجا و يدع الباقين، لا و لكنه فى الرجعه، و أما آيه القيامه وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (۲).

حدثنى أبى قال: حدثنى ابن أبى عمير، عن المفضّل، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قوله: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً قال: «ليس أحد من المؤمنين قتل إلّا يرجع حتى يموت، و لا يرجع إلّا من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا. قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: قال رجل لعمار بن ياسر: يا أبا اليقظان آيه فى كتاب اللّه قد أفسدت قلبى و شككتنى؟ قال عمار: و أيّه آيه هى؟ قال: قول اللّه: وَ إِذٰا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّٰاسَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا لاٰ يُوقِنُونَ (۳)فأيّه دابه هذه؟ قال عمار: و اللّه ما أجلس و لا آكل و لا أشرب حتى أريكها، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين و هو يأكل تمرا و زبدا، فقال يا أبا اليقظان هلّم، فجلس عمار و أقبل يأكل معه، فتعجّب الرجل منه، فلمّا قام عمار قال الرجل: سبحان اللّه يا أبا اليقظان، حلفت أنّك لا تأكل و لا تشرب و لا تجلس حتى ترينيها؟ قال عمار: قد أريتكها إن كنت تعقل» .

و فيه عن منتخب البصائر من كتاب سليم بن قيس الهلالى (رحمه اللّه عليه)

۱- ۱) النمل:۸۳-۸۴.

۲- ۲) الكهف:۴۸.

۳- ۳) النمل:۸۲.

الذی رواه عنه أبان بن أبی عیاش و قرأ جمیعه علی سیدنا علی بن الحسین علیه السّلام بحضور جماعه أعیان من الصحابه منهم أبو الطفیل، فأقرّه علیه زین العابدین علیه السّلام و قال: «هذه أحادیثنا صحیحه» . قال أبان: لقیت بعد ذلک أبا الطفیل بعد ذلک فی منزله، فحدثنی فی الرجعه عن أناس من أهل بدر و عن سلمان و المقداد و أبی بن کعب، و قال أبو الطفیل: فعرضت هذا الذی سمعته منهم علی علی بن أبی طالب علیه السّلام بالکوفه، فقال: هذا علم خاصّ لا یسع الأمه جهله، و ردّ علمه إلی اللّه تعالی، ثم صدقنی بکل ما حدثونی، و قرأ علیّ بذلک قراءه کثیره فسّره تفسیرا شافیا، حتی صرت ما أنا بیوم القیمه أشدّ یقینا منّی بالرجعه، و کان مما قلت: یا أمیر المؤمنین أخبرنی عن حوض النبی صلّی اللّه علیه و آله فی الدنیا أم فی الآخره؟ فقال: «بل فی الدنیا قلت: فمن الذائد عنه؟ قال: أنا بیدی فلیردنّه أولیائی و لیصرفنّ عنه أعدائی» . و فی روایه أخری «و لأوردنّه أولیائی و لا صرفنّ عنه أعدائی» . فقلت: «یا أمیر المؤمنین قول اللّه عز و جل: وَ إِذٰا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَیْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُکَلِّمُهُمْ أَنَّ اَلنّٰاسَ کٰانُوا بِآیٰاتِنٰا لاٰ یُوقِنُونَ ، ما الدابه؟ قال: «یا أبا الطفیل اله عن هذا. فقلت: یا أمیر المؤمنین أخبرنی به جعلت فداک (أقول و أنا جعلت فداه) قال: هی دابه تأکل الطعام و تمشی فی الأسواق و تنکح النساء، فقلت: یا أمیر المؤمنین من هو؟ قال: هو زرّ الأرض الذی تسکن الأرض به، قلت: یا أمیر المؤمنین من هو؟ قال: الذی قال اللّه تعالی: وَ یَتْلُوهُ شٰاهِدٌ مِنْهُ [(۱)](#)وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ [(۲)](#)وَ اَلَّذِی جٰاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ [(۳)](#)و الناس کلهم کافرون غیره،

ص: ۴۳۶

۱- ۱) هود:۱۷.

۲- ۲) النمل:۴۰.

۳- ۳) الزمر:۳۳.

قلت: یا أمیر المؤمنین فسمّه لی، قال: قد سمّیته لک یا أبا الطفیل، و اللّه لو أدخلت علی عامه شیعتی الذین بهم أقاتل، الذین أقرّوا بطاعتی و سمّونی أمیر المؤمنین، و استحلّوا جهاد من خالفنی، فحدثتهم ببعض ما أعلم من الحق فی الکتاب الذی نزل به جبرئیل علیه السّلام علی محمد صلّی اللّه علیه و آله لتفرّقوا عنی حتی أبقی فی عصابه من الحق قلیله أنت و أشباهک من شیعتی، ففزعت و قلت: یا أمیر المؤمنین أنا و أشباهی متفرق عنک أو نثبت معک؟ قال: بل تثبتون. ثمّ أقبل علیّ، فقال: إن أمرنا صعب مستصعب، لا یعرفه و لا یقرّ به إلاّ ثلاثه ملک مقرب، أو نبی مرسل، أو عبد مؤمن نجیب امتحن اللّه قلبه للإیمان یا أبا الطفیل إن رسول اللّه قبض فارتد الناس ضلالا و جهالا إلاّ من عصمه اللّه بنا أهل البیت» . أقول:

قوله علیه السّلام «هو زرّ الأرض» : الذی تسکن الأرض به. قیل: قال الجزری فی حدیث أبی ذر قال: یصف علیّا، و أنه لعالم الأرض، و زرّها الذی تسکن إلیه، أی قوامها و أصله من زرّ القلب و هو عظم صغیر یکون قوام القلب به.

قوله علیه السّلام: «و ربّیها» (بکسر الراء) إشاره إلی قوله تعالی: وَ کَأَیِّنْ مِنْ نَبِیٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّیُّونَ کَثِیرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِی سَبِیلِ اَللّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اِسْتَکانُوا (۱).

و فیه (۲)عن الکافی بإسناده، عن أبی الصامت الحلوانی، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «لقد أعطیت الستّ: علم المنایا و البلایا (و الوصایا) و فصل الخطاب، و إنی لصاحب الکرّات، و دوله الدّول، و إنی لصاحب العصا و المیسم، و الدابه التی تکلّم الناس» .

و فیه عنه بإسناده عن أبی عبد اللّه قال: کان أمیر المؤمنین علیه السّلام کثیرا ما یقول: «أنا قسیم اللّه بین الجنه و النار، و أنا الفاروق الأکبر، و أنا صاحب العصا و المیسم» .

ص: ۴۳۷

۱- ۱) آل عمران:۱۴۶.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۱۰۱.

و فیه (۱)عن کنز جامع الفوائد بإسناده، عن أبی عبد اللّه الجدلیّ، قال: دخلت علی علی بن أبی طالب علیه السّلام یوما فقال: «أنا دابه الأرض» .

و فیه (۲)عن إکمال الدین بإسناده عن إنزال بن سبره قال: خطبنا علی بن أبی طالب علیه السّلام فحمد اللّه و أثنی علیه. ثم قال: «سلونی أیها الناس قبل أن تفقدونی. . . إلی أن ذکر الدجال. . . إلی أن قال علیه السّلام: إلاّ أنّ بعد ذلک الطّامّه الکبری، قلنا: و ما ذلک یا أمیر المؤمنین؟ قال خروج دابه من الأرض، من عند الصفا، معها خاتم سلیمان، و عصا موسی، تضع الخاتم علی وجه کل مؤمن، فیطبع فیه (هذا مؤمن حقا) و تضعه علی وجه کل کافر فیکتب فیه (هذا کافر حقّا) حتی أن المؤمن لینادی: الویل لک یا کافر! و أنّ الکافر ینادی: طوبی لک یا مؤمن! و وددت أنی الیوم مثلک فأفوز فوزا، ثمّ ترفع الدابه رأسها، فیراها من بین الخافقین بإذن اللّه عز و جل، بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلک ترفع التوبه فلا توبه تقبل، و لا عمل یرفع و لاَ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً (۳). ثم قال علیه السّلام: لا تسألونی عمّا یکون بعد ذلک، فإنه عهد إلیّ حبیبی علیه السّلام أن لا أخبر به غیر عترتی» .

و فیه (۴)عن منتخب البصائر عن أبی بصیر قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «أیّ شیء یقول الناس فی هذه الآیه: وَ إِذٰا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَیْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دَابَّهً مِنَ اَلْأَرْضِ تُکَلِّمُهُمْ ، فقال: هو أمیر المؤمنین» .

و فیه (۵)عن بصائر الدرجات بإسناده عن المفضّل، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۰۰.

۲- ۲) البحار ج ۵۲ ص ۱۹۲.

۳- ۳) الأنعام:۱۵۸.

۴- ۴) البحار ج ۵۳ ص ۱۱۲.

۵- ۵) البحار ج ۵۳ ص ۱۱۹.

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أنا صاحب العصا و المیسم» .

و فیه عنه عن سلمان الفارسی، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: «أنا صاحب المیسم و أنا الفاروق الأکبر، و أنا صاحب الکرّات، و دوله الدول» . إذا علمت هذه الأحادیث فأعلم أنه لا ریب فی أنّ الدابه تخرج و تکلّم الناس إلاّ أنه یقع الکلام فیها فی أمور: الأول: فی أنه من المراد منها، هل هی أمیر المؤمنین أو موجود آخر؟ الثانی: فی زمان خروجها. الثالث: فی بیان أمکنه خروجها. الرابع: فیما تفعله دابه الأرض. فنقول: أما الأول: فظاهر کثیر من الأخبار کما تقدم هی أمیر المؤمنین علیه السّلام فهی من الإنس، بل من أکمل أفراده، و هو علی علیه السّلام.

ففی البحار (۱): و روی محمد بن کعب القرظیّ قال: سأل علی (صلوات الرحمن علیه) عن الدابه، فقال: «أما و اللّه ما لها ذنب و إنّ لها للحیه» و فی هذا إشاره إلی أنها من الإنس، ثم إن هذا هو المستفاد من کلامه علیه السّلام فیما تقدم من

قوله: «أنا صاحب العصا و المیسم» .

و فی المروی عنه صلّی اللّه علیه و آله کما یجیء ذکره. . . إلی أن قال: «حتی إن الرجل یقوم فیتعوذ منها بالصلوه، فتأتیه من خلفه فتقول: یا فلان الآن تصلّی؟ فیقبل علیها بوجهه فتسمه فی وجهه. . .» الحدیث سیأتی بتمامه. و قیل فی قوله تعالی: «تکلّمهم» ، أی تکلّمهم بما یسوؤهم، و تحدثهم بأن هذا مؤمن و هذا کافر و کلامها معهم هو ما ذکره اللّه تعالی بأن تقول لهم أَنَّ اَلنّاسَ کانُوا بِآیاتِنا لا یُوقِنُونَ (۲)، هذا من فعل الإنسان کما لا یخفی.

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۲۵.

۲- ۲) النمل:۸۲.

و ذکر المجلسی فیه (۱)و روی الزمخشری فی الکشاف «أنها تخرج من الصفا و معها عصا موسی و خاتم سلیمان، فتضرب المؤمن فی مسجده، أو فیما بین عینیه بعصا موسی، فتنکت نکته بیضاء فتفشو تلک النکته فی وجهه حتی یضیء لها وجهه کأنه کوکب دری، و تکتب بین عینیه مؤمن، و تنکت الکافر بالخاتم فی أنفه فتفشو النکته حتی یسودّ لها وجهه، و تکتب بین عینیه کافر» . هذا و لکن

فیه (۲)و روی عن ابن عباس أنها دابه من دواب الأرض، لها زغب و ریش و لها أربع قوائم.

و عن حذیفه، عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: «دابه الأرض طولها ستون ذراعا، لا یدرکها طالب، و لا یفوتها هارب فتسم المؤمن بین عینیه، فتکتب بین عینیه (مؤمن) و تسم الکافر بین عینیه، فتکتب بین عینیه (کافر) و معها عصا موسی و خاتم سلیمان علیه السّلام فتجلو وجه المؤمن بالعصا، و تخطم أنف الکافر بالخاتم، حتی یقال: یا مؤمن و یا کافر» .

و فیه: و روی عن النبی صلّی اللّه علیه و آله «أنه یکون للدابه ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصی المدینه، فیفشو ذکرها فی البادیه، و لا یدخل ذکرها القریه، یعنی مکه، ثم تمکث زمانا طویلا، ثم تخرج خرجه أخری قریبا من مکه، فیفشو ذکرها فی البادیه، و یدخل ذکرها القریه، یعنی مکه. ثم صار الناس یوما فی أعظم المساجد علی اللّه حرمه، و أکرمها علی اللّه، یعنی المسجد الحرام، لم ترعهم (۳)إلا و هی فی ناحیه المسجد، تدنو (و ترغو) ما بین الرکن الأسود إلی باب بنی مخزوم، عن یمین الخارج، فی وسط من ذلک فیرفضّ (۴)الناس

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۲۷.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۱۲۵.

۳- ۳) لم تفزعهم.

۴- ۴) یتفرّقون.

عنهـا، و تثبت لهـا عصـابه عرفوا أنهم لن يعجزوا اللّه، فخرجت عليهم تنفض رأسـها من الـتراب فمرّت بهم، فجلت عن وجوههم، حتى تركتها كأنها الكوكب الـدرّى، ثمّ ولّت فى الأرض لا يـدركها طالب، و لا يعجزها هارب، حتى أن الرجل يقوم فيتعوذّ منها بالصلوه، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلى؟ فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه، فيتحاور الناس فى ديارهم و يصطحبون فى أسفارهم، و يشتركون فى الأحوال يعرف المؤمن من الكافر، فيقال للمؤمن يا مؤمن و للكافر يا كافر» .

و روى عن وهب أنه قـال: «وجهها وجه رجـل، و سـائر خلقهـا خلق الطير، و مثـل ذلك لا يعرف إلّا عن النّبوّات الإلهيه» . أقول: هذه جمل فى بيان حقيقه الدابه المذكوره، و الظاهر من الأخبار التى نقلها الخاصه هى أمير المؤمنين عليه السّلام و قد علمت

أنه عليه السّلام قال: «و اللّه ما لها ذنب و إن لها للحيه» و هى صريحه بالقسم على أنها من الإنس، بل قد علمت

فى حـديث أبى الطفيل قال عليه السّـلام: «هى دابه تأكل الطعام و تمشـى فى الأسواق و تنكح النساء. . .» الحديث، فحينئذ فالحق هى أمير المؤمنين عليه السّلام.

و فيه (1)، عن منتخب البصائر بإسـناده، عن عبايه، قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السّـلام فقال: حـدثنى عن الدابه، قال: «و ما تريد منها؟ قال: أحببت أن أعلم علمها، قال: هى دابه مؤمنه تقرأ القرآن و تؤمن بالرحمان، و تأكل الطعام و تمشى فى الأسواق» .

و فى حـديث آخر بعـده و زاد فى آخره، قـال: من هو يـا أمير المؤمنين؟ قـال: «هو على ثكلتك أمك» . و أما ما رواه العامه عنه صلّى اللّه عليه و آله أو مـا روى بطريق الخـاصه من أنهـا غير أمير المؤمنين عليه السّـلام فإنها باعتبار الآثار التى نقلوها لها، تنطبق على الآثار الممكن

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۱۱.

صدورها عنه علیه السّلام حال خروجه بعنوان أنه دابه الأرض، و أما ما یتراءی من أنها لها زغب و ریش، أو أنّ طولها ستّون ذراعا، أو أنها ترغو-علی نسخه-و أنّ الرغوه من صفات و أعمال الحیوانات، أو أنها کما روی عن وهب، أن وجهها وجه رجل و سائر خلقها خلق الطیر، فهو إما محمول علی ما ذهب إلیه أغلب العامه من أنها غیر أمیر المؤمنین علیه السّلام أو یقال: إنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام یخرج حین خروجه بعنوان دابه الأرض، و بین یدیه هذا النحو من الموجود یأتمر بأمره علیه السّلام و یفعل ما یأمره أمیر المؤمنین علیه السّلام حیث إنّ له الولایه الإلهیه الکبری التکوینیه، فله علیه السّلام أن یتشکل بأشکال مختلفه، فتاره تخرج حین تخرج بعنوان أنه دابه الأرض فی صوره الإنس و یعمل علی الإنس،

کما قال علیه السّلام: «أنا صاحب المیسم» ، و أخری یخرج بتلک الصوره المذکوره فی الأخبار، و لیس هذا ببعید عنه (صلوات اللّه علیه) بعد ما کان هو بنفسه قدره اللّه تعالی، کما تقدم الإشاره إلیه، و العلم عند اللّه و عند أولیائه. الثانی: فی بیان زمان خروجها، فقد تقدم

فی حدیث أبی فی حدیث أبی بصیر، عن الصادق علیه السّلام، أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال لعلی: «قم یا دابه الأرض. . . إلی أن قال صلّی اللّه علیه و آله: قم یا علی إذا کان آخر الزمان أخرجک اللّه فی أحسن صوره. . .» الحدیث. و تقدم

قوله صلّی اللّه علیه و آله «للدابه ثلاث خرجات من الدهر» ، فإنه یستفاد من أنها تخرج فی أزمنه متعدده، و کیف کان، المستفاد من الأخبار أنّ لأمیر المؤمنین علیه السّلام رجعتین الأولی بعد رجوع الحسین علیه السّلام کما تقدمت الإشاره إلیه. الثانیه: فی آخر الزمان و عند اقتراب الساعه، کما یشیر إلیه ذیل حدیثه علیه السّلام فی الخطبه التی نقلها فی إکمال الدین، فهی حینئذ من أشراط الساعه، و اللّه العالم بحقائق الأمور. الثالث: فی بیان أمکنه خروجها فهی أیضا، ظهر من الأخبار المتقدمه فهی إما الصفا کما فی الحدیث المذکور، و فی حدیث فی أقصی المدینه، و أخری تخرج قریبا من مکه، ثم فی ناحیه المسجد، تدنو و ترغو. و کیف کان لا أهمیّه فی العلم بمکانها، نعم یعلم أنها تخرج فی محل و مکان

المؤمنين و الكافرين. و اللّه العالم. الرابع: فى بيان ما تفعله دابه الأرض، فالظاهر من

قوله عليه السّلام: «أنا صاحب الميسم» ، هو وضعه الخاتم على وجه المؤمن، فطبع فيه أنه مؤمن حقا، و على وجه الكافر فيكتب أنه كافر حقّا. نعم ظاهر حديث ابن عباس المتقدم أنه يعمل هذا العمل بالعصا، و تخطم أنف الكافر بالخاتم، و لها كيفيه من الظهور بحيث يتفرق عنها الناس، و يبقى معها المؤمنون، كما هو ظاهر من روايه النبى صلّى اللّه عليه و آله المتقدم آنفا.

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «ترغو» ، على صحه هذه النسخه، فمعناه ما فى المجمع: و قد رغا البعير يرغو رغاء، إذا ضجّ، و رغت النّاقه: صوّتت، فهى راغيه. أقول: على هذا يظهر أنها كدواب الأرض و الحيوانات و إن قلنا: إنه بعيد لما تقدم من أنها أمير المؤمنين عليه السّلام، و العلم عند اللّه. ثم إن الظاهر كما تقدم من خبر إكمال الدين عن أمير المؤمنين أنها تخرج عند اقتراب الساعه.

فقوله عليه السّلام: «لا تسألونى عمّا يكون بعد ذلك. . . إلخ» ظاهر فيما ذكرنا،

لقوله عليه السّلام: «إلّا أنّ بعد ذلك الطّامه الكبرى» ، و اللّه العالم.

الفائده الثانيه:

قد ذكر فى أخبار الباب أنه يرجع من محض الإيمان محضا، و من محض الكفر محضا، فيعلم منها أن المستضعفين لا يرجعون، فالكلام فى مقامين: الأول: فى بيان من محض الإيمان و من محض الكفر. الثانى: فى بيان حال المستضعف.

ففى البحار (1)بإسناده، عن محمد بن مسلم قال: سمعت حمران بن أعين و أبا

1- 1) البحار ج ۵۳ ص ۳۹.

الخطّاب يحدثان جميعا قبل أن يحدث أبو الخطّاب ما أحدث، أنهما سمعا أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «أول من تنشقّ الأرض عنه و يرجع إلى الدنيا الحسين بن على عليه السّلام و أن الرجعه ليست بعامه، و هى خاصه لا يرجع إلاّ من محض الإيمان محضا، أو محض الشرك محضا» . أقول: قيل المراد بمن محض الإيمان محضا هو من استبصر الإيمان، و بمن محض الكفر هو من جحد الحق بعد ما يهتدى إليه أو يمكنه الاهتداء إليه، و لكنه قصّر فيه ككثير من العامه خصوصا من علمائهم. أقول: الظاهر أن المراد من محض الإيمان هو أن يطهر قلب المؤمن به من أىّ شائبه من الشرك، فلا يكون فى قلبه إلاّ نور اليقين، و هؤلاء مراتبهم كثيره بعدد مراتب أولياء اللّه المذكورين فى كلمات العرفاء الحقه باللّه تعالى، ثم إن بيان محض الإيمان يظهر ببيان أمرين: الأول: بيان حال المستضعفين من أهل الإيمان و من أهل الكفر. و الثانى: بيان حقيقه الإيمان و مراتبه التى تكون لأولياء اللّه تعالى الكملين. فنقول: الإيمان لغه: التصديق، و شرعا أيضا هو التصديق، إلاّ أنه اختصّ بالتصديق باللّه تعالى و بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و بما علم مجيئه ضروره، و له مراتب: الأولى: الإقرار باللسان. و الثانيه: هو التصديق الجازم التقليدى بما نذكره بعدا، و فائدتهما حقن الدماء و الأموال، نعم إن كان صاحب الثانيه إيمانه مشفوعا بالعمل الصالح و القلب السليم يحشر هذا مع أصحاب اليمين و يثاب على حسب عمله. الثالثه: الإيمان البرهانى لأهل النظر فيستدلّون بالآثار على المؤثر. و الرابعه: الإيمان بالغيب يعرفون الصانع تعالى من وراء حجاب، و الفرق بينها و بين سابقتها، أنّ السابقه يؤمن به تعالى إيمانا بوجوده قطعا فى الجمله، و فى هذه يعرفه تعالى معرفه حقيقيه، أى يعرف صفاته تعالى بالعلم اليقينى، إلاّ أنه من وراء

حجاب، و يظهر معنى هـذا الحجاب من بيان مراتب الآخر. الخامسه: هو الإيمان بمعنى تنور فى القلب تنكشف به حقيقه الأشياء على مـا هى عليه، فيرى أن الكـل من اللّه و إلى اللّه و لصاحب هـذه المرتبه اقتـدار فى الباطن يوصل به إلى مقام-كن-فيتخطّون فى المقامات، و يعاينون فى أنفسهم الكرامات، فبهذه المعانيه يصدقون على أتمّ الوجه بالنبوات و الولايات، و تتحقق لهم حقائق هـذه المقامـات الإلهيه أعنى النبوات و الولايات بالعيان و الوجـدان القلبى، و هم حينئـذ لا يحتاجون فى تلك الحقائق و ثبوتها و إثباتها إلى المعجزات الثابته بالأسانيد و الروايات، لما علمت أن الواقع لهؤلاء ظاهر بالعيان و المكاشـفات، فالمعجزات مع لزومها فهى لغيرهم من ذوى المراتب السـابقه، و هؤلاـء هم المؤمنون حقـا، و فى حقهم ورد كما فى الكافى و غيره، أن المؤمن أعزّ من الكبريت الأـحمر. و هؤلاـء على أصـناف: فمنهم السـابقون المقربون، و منهم من دونهم بحسب تفاوت سـيرهم و سـلوكهم، فإن السير فى اللّه لا نهايه له، و إن كان السير إلى اللّه متناهيا، و منتهى مراتب هؤلاء هو الوصول إلى حدّ العين، فيسمى صاحبه عارفا، و نهـايه العرفـان مقـام حق اليقين و الفنـاء المحض، و شـرح هـذه المراتب الأـخيره، و بيـان آثارها لها عرض عريض مـذكور فى الكتب المدوّنه لها فى موكوله إليها. و كيف كان فهذه المرتبه بما لها من الأصـناف إلى أن تنتهى إلى نهايته هو إيمان المؤمنين الـذين محضوا الإيمـان محضا لا المراتب السابقه عليه، و اللّه العالم بحقائق الأمور و بمراد أوليائه. و من هنا يعلم حال من محض الشـرك محضا، و ليعلم أولا أنّ الشـرك أوسع مصـداقا من الكفر، الكافر من ينكر الحق تعالى، و أما المشـرك فهو يصدق على الكافر حكما، و على من أقرّ بوجود صانع، و لكن جعل له شريكا فى رتبه ذاته، أو فى صفاته و أفعاله، فحينئذ من محض الشرك هو المتّصف به غير خارج عنه، و هذا يختص بمن جعل له تعالى شريكا بالعقيده، و أما المعتقد به تعالى بوجوده قطعا،

و لكن جعل له تعالى فى الطاعه شريكا، فليس ممن محض الشرك محضا، كما ورد فى قوله تعالى: وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (١).

ففى تفسير نور الثقلين (٢)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تبارك و تعالى: وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ قال: «شرك طاعه، و ليس شرك عباده، و المعاصى التى يرتكبون فهى شرك طاعه أطاعوا فيها الشيطان، فأشركوا باللّه فى الطاعه لغيره، و ليس بإشراك عباده أن يعبدوا غير اللّه» . أقول: قوله عليه السّلام (بإشراك عباده) خبر مقدم لليس، و قوله أن يعبدوا غير اللّه مؤوّل بالمصدر و هو اسم له. فالمعنى أن عبادتهم لغير اللّه فى إطاعتهم غير اللّه، كما يظهر من صدر الحديث، ليس شركا فى عبادته بأن يجعلوا الشيطان معبودا، بل هو شرك طاعه بأن جعلوه شريكا له تعالى فى الطاعه، كما لا يخفى. و كيف كان فهؤلاء ليسوا ممن محض الشرك، بل الذين اعتقدوا بوحدانيته تعالى، و لكن الحدوا فى أسمائه إما بتطبيقهم أسماءه الحسنى تبارك و تعالى على من خالف الحق، كمن اعتقد أن فلانا من أولياء اللّه تعالى، و من العلماء الربانيين بزعمه، مع أنه ليس كذلك، بل هو رجل تابع للنفس و الهوى، و لكن خفى على هذا خبث باطنه، كما نرى كثيرا من مثل هذا فى زماننا، أو اعتقد فى حقه تعالى معنى لا يليق به تعالى، و زعم أنه مصيب فى ذلك، كما يتراءى ذلك فى كثير من الفلاسفه حيث إنهم يفسرون الأسماء الحسنى بمقتضى القواعد الفلسفيّه، كما فى علمه تعالى و فى فعله تعالى، فترى يفسر كونه تعالى عالما أو فعّالا بزعمه و ما أدّى إليه نظره الفلسفى الدقيق، و من مخالفه بعضهم مع بعض يعلم اشتباه أحدهم قطعا. فكيف كان، فهم

١- ١) يوسف:١٠۶.

٢- ٢) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ۴٧۵.

يلحدون فی أسمائه تعالی، فهؤلاء و إن لم یکونوا فی أصل وجوده تعالی مشرکین، إلّا أنهم أشرکوا فی أسمائه حیث وضعوها غیر موضعه، و لعل ما یشیر إلی هذا الذی قلنا ما

فی تفسیر نور الثقلین (۱)عن کتاب التوحید بإسناده إلی حنان بن سدیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام حدیث طویل یقول فیه: «و له الأسماء الحسنی التی لا یسمی بها غیره و هی التی وصفها فی الکتاب فقال: فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا اَلَّذِینَ یُلْحِدُونَ فِی أَسْمائِهِ (۲)جهلا بغیر علم، فالذی یلحد فی أسمائه بغیر علم یشرک و هو لا یعلم، و یکفر به و هو یظن أنه یحسن، فلذلک قال: وَ ما یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ فهم الذین یلحدون فی أسمائه بغیر علم فیضعونها غیر مواضعها» . الحدیث. أقول: أی یطبقونها علی غیر مصادیقها الواقعیه بنحو تقدم ذکره، و کیف کان، فهؤلاء أیضا مشرکون إلّا أن المستفاد من قوله علیه السّلام فلذلک قال: وَ ما یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ هو أنهم ملحقون ب(المشرکون) شرک الطاعه لا العباده، حیث إن هذه مسوقه لبیان هذا القسم من الشرک الذی یجامع مع الإیمان، کما هو ظاهر الآیه، فلا محاله لا یکون من الشرک المحض و الشرک فی العباده، و یعلم منه أنّ الشرک فی العباده هو الشرک المحض، لاستلزامه الشریک فی وحدانیّته تعالی و فی ذاته المقدسه تعالی عن ذلک علوّا کبیرا، و اللّه العالم.

و فیه عن أصول الکافی بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: وَ ما یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ قال: «شرک طاعه و لیس شرک عباده» . أقول: و لهذا الشرک مراتب تشمل المعاصی کلها، و ما هو مرجوح بالنسبه إلی الإیمان المحض، فکل ما خالف الإیمان المحض و لو لم یکن بصریح المعصیه فهو من شرک الطاعه لغیره تعالی.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۴۷۵.

۲- ۲) الأعراف:۱۸۰.

ففیه عن تفسیر العیاشی، عن زراره قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه: وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ قال: «من ذلک قول الرجل. . . لا و حیاتک» . أقول: أی یکون الحلف و القسم بحیاه أحد، التی یراد منها الحیوه، التی هی منشأ الأثر و الأمل من الشرک، أی ترک الطاعه، و لکن لا یبلغ هذا و أشباهه إلی حدّ الکفر.

کما ورد فیه أیضا عن محمد بن الفضیل، عن الرضا علیه السّلام قال: «شرک لا یبلغ به الکفر» .

و فیه عنه أبو بصیر، عن أبی إسحاق قال: هو قول الرجل: «لو لا اللّه و أنت ما فعل بی کذا و کذا، و لو لا اللّه و أنت ما صرف عنّی کذا و کذا و أشباه ذلک» .

و فیه عنه عن مالک بن عطیه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: وَ مٰا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِکُونَ قال: «هو الرجل یقول: لو لا فلان لهلکت، و لو لا فلان لأصبت کذا و کذا، و لو لا فلان لضاع عیالی، أ لا تری أنه قد جعل للّه شریکا فی ملکه یرزقه و یدفع عنه؟ قال: قلت: فیقول: لو لا أن منّ اللّه علیّ بفلان لهلکت؟ قال: نعم لا بأس بهذا» .

و فیه عنه عن زراره و حمران و محمد بن مسلم، عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام قالوا: سألناهما فقالا: «شرک النعم» . أقول: و قد فسره حدیث مالک بن عطیه کما لا یخفی. و فی هذه الآیه المبارکه جهات من البحث موکوله إلی محلها فی التفسیر. و کیف کان فهذه الأقسام من المشرکین لیسوا ممن محضوا الشرک محضا، کما أن المؤمنین فی المرتبه الأخیره أیضا لیسوا من الذین محضوا الإیمان محضا، فحینئذ نقول: الأقسام ثلاثه: الأول: من محض الإیمان محضا.

و الثانى: من محض الشرك محضا، و يلحقه الكافر حكما بطريق أولى على الظاهر و اللّه العالم. و الثالث: من لم يمحض الإيمان و لا الشرك محضا، و هم من الفريقين من المؤمنين غير الكاملين، و من المشركين بشرك طاعه لا شرك عباده، و فى الحقيقه مصاديقهما هو المقرّ بالتوحيد له تعالى و المتلبّس بمبانى المعصيه المعبّر عنها بالشرك الخفى. و يمكن للإنسان أن يتلبّس بالإيمان و الشرك خصوصا إذا كان متعلقهما أمرين بأن يتعلّق الإيمان به تعالى، و لكن لضعفه بالنسبه إلى صفاته تعالى، و أنها كامله مختصه به تعالى، يتعلق قلبه بغيره تعالى أيضا من ذوى الثروه و المقامات الدنيويه فيطيعهم، أو لضعفه يؤثر فيه وسوسه الشيطان فيطيعه فى هذه الأمور الماديه، التى ذكرت فى الأحاديث السابقه، و هذه كتلبّسه بسائر الاعتقادات المتناقضه فى بعض الموضوعات و الأخلاق المتضاده، كما لا يخفى، بأنّ أمر الإنسان عجيب. هذا و لكن قد يقال: إن المراد بغير من محض الإيمان محضا و من محض الشرك محضا هم المستضعفون، فالمستثنى من الحديث السابق هو المستضعف، فمن لم يكن مستضعفا لا بد له من الرجعه. فحينئذ نقول: فهل المستضعف من أشير إليه فى تفسير الآيه السابقه، و هو قوله تعالى: وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ و هم المعتقدون به تعالى، إلا أنهم يشركون معه غيره فى الطاعه، أو هو مختص بمن فسّرته الأحاديث و الآيات من الذين لا يستطيعون حيله و لا يهتدون سبيلا، و لا ريب فى أن هؤلاء تكون مصاديقهم فى عوام الناس غير العالمين، لا الذين علموا التوحيد، إلاّ أنه لمكان وجود الشرك الخفّى أشركوا فى طاعه اللّه طاعه غيره أو يعمّ الجميع. أقول: الظاهر أنه يعم الجميع، فلا بد أولا من ذكر أحاديث الباب، ثم النظر فيه و الأخذ بما يظهر منها. فنقول: قال تعالى: إِنَّ اَلَّذِينَ تَوَفّٰاهُمُ اَلْمَلاٰئِكَةُ ظٰالِمِي أَنْفُسِهِمْ قٰالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

قالُوا كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي اَلْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اَللّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِيراً. إِلاَّ اَلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَلرِّجالِ وَ اَلنِّساءِ وَ اَلْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً

(۱)

.

ففى تفسير نور الثقلين (۲)، عن نهج البلاغه قال عليه السّلام: «و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجه فسمعتها أذنه و وعاها قلبه» .

و فيه (۳)، عن أصول الكافى بإسناده، عن سفيان بن السمط البجلى قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: ما تقول فى المستضعفين؟ فقال لى شبيها بالفزع: «فتركتم أحدا يكون مستضعفا؟ و أين المستضعفون؟ فو اللّه لقد مشى بأمركم هذا العواتق إلى العواتق فى خدورهن، و تحدّث به السقايات فى طريق المدينه» .

و فيه (۴)عن أصول الكافى، عن إسماعيل الجعفى قال لأبى جعفر عليه السّلام فى حديث طويل: «فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: لا، إلاّ المستضعفين، قلت: من هم؟ قال: نساؤكم و أولادكم. ثم قال: أ رأيت أم أيمن فإنى أشهد أنها من أهل الجنه، و ما كانت تعرف ما أنتم عليه» . أقول: أم أيمن هذه إحدى النساء فى زمانه عليه السّلام لا المعروفه فى زمن النبى صلّى اللّه عليه و آله، و اللّه العالم.

و فيه عنه عن على بن سويد، عن أبى الحسن موسى عليه السّلام قال: سألته عن الضعفاء فكتب إلىّ: «الضعيف من لم يرفع إليه حجه، و لم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف» .

۱- ۱) النساء:۹۷-۹۸.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۴۴۵.

۳- ۳) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۴۴۶.

۴- ۴) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۴۴۷.

أقول: قوله: فإذا عرف الاختلاف أى عرف التميز بين القولين المتخالفين، و قدر على تميز الحق من الباطل بأعمال العقل، و لو بأقلّ مراتبه فضلا عن أقصى مراتبه، التى تكون للعلماء و المجتهدين فليس بضعيف. أقول: يشير عليه السّلام إلى شيوع حجج اللّه تعالى فى الأقطار، و أنها بمعونه تبليغ النبى و الأئمه عليهم السّلام بلغت إلى حدّ شاع الحق فى العالم، و المراد من أمركم هو أمر الولايه، و اللّه العالم. و كيف كان فهذا يبيّن أنه إذا شاع الحق لم يبق مستضعف فى أمكنه شيوعه، فالحجه كأنها بالغه من جهه أهلها، و هم الأنبياء و الحجج، فيلزم منه أن يسير المكلّف إلى تحصيلها ليتدين بمضمونها و إلى هذا الشيوع للحق من بيان الحجج عليهم السّلام يشير قوله تعالى كما فى تفسير على بن إبراهيم: و قوله، إِنَّ اَلَّذِينَ تَوَفّاهُمُ اَلْمَلاٰئِكَةُ ظٰالِمِي أَنْفُسِهِمْ ، قال: «نزلت فيمن اعتزل أمير المؤمنين عليه السّلام و لم يقاتل معه، فقالت الملائكه لهم عند الموت: فِيمَ كُنْتُمْ قٰالُوا كُنّٰا مُسْتَضْعَفِينَ فِی اَلْأَرْضِ أى لم نعلم مع من الحق، فقال: أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اَللّٰهِ وٰاسِعَةً فَتُهٰاجِرُوا فِيهٰا ، أى دين اللّه و كتاب اللّه واسع فتنظروا فيه، فَأُولٰئِكَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سٰاءَتْ مَصِيراً » . فالآيه تهدد أولئك لشيوع الحق و ولايه على عليه السّلام، و أنّ الدين و الكتاب كانا واسعين، فلم لم تنظروا فيه نظر الاستبصار، يستفاد منه أنه مع وضوح الحق و شيوعه لا يكون استضعاف لأحد بمجرّد ترك النظر و التكاسل فى ذلك، بل أولئك مأواهم جهنّم و ساءت مصيرا، بل لا بد من النظر و التفحّص. و إليه يشير

ما فى مصباح الشريعه: قال الصادق عليه السّلام بعد أن أمر بالكلام بما ينفع و لا يضرّ، أى فى تحقيق الحق و استيضاحه بعد وصوله إليه: فإن لم تجد السبيل إليه فالانقلاب و السفر من بلد إلى بلد، و طرح النفس فى بوادى التلف بسير صاف و قلب خاشع و بدن صابر، قال اللّه تعالى: إِنَّ اَلَّذِينَ تَوَفّاهُمُ اَلْمَلاٰئِكَةُ ظٰالِمِي أَنْفُسِهِمْ قٰالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قٰالُوا كُنّٰا مُسْتَضْعَفِينَ فِی اَلْأَرْضِ قٰالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اَللّٰهِ

واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها . فالمتحصّل من هذه الآيه و الأحاديث أن الاستضعاف بعد شيوع الحق، بل بعد إمكان تحصيله و لو بمشقه فی السیر فی الأرض و الهجره فیها لا یکون و أنّ مجرد التکاسل و عدم النظر فیما شاع و بلغه من الحق لا یجعله مستضعفا، هذا من ناحیه الشرع و الشارع، و بالنسبه إلی من یمکنه و یستطیع تحصیل الحقّ و فهمه لیعمل به، و أما إذا لم یکن من أهل الفهم و الدرک لقصوره أو کان و لم یبلغه الحق و إن جهد و صرف حیلته لتحصیله فهو حینئذ من المستضعفین.

ففیه (۱)عن کتاب معانی الأخبار بإسناده عن زراره، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه عز و جل: إِلاَّ اَلْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ اَلرِّجالِ وَ اَلنِّساءِ وَ اَلْوِلْدانِ فقال: «هو الذی لا یستطیع الکفر فیکفر، و لا یهتدی سبیل الإیمان فیؤمن، و الصبیان و من کان من الرجال و النساء علی مثل عقول الصبیان مرفوع عنهم القلم» . أقول:

قوله علیه السّلام: «لا یستطیع الکفر» ، أی لا یفهم فیختاره، و کذلک لا یهتدی أی لا یصل فهمه إلی سبیل الإیمان کما هو هو فیؤمن أی فیختار الإیمان کالصبی، فإن ما ذکره علیه السّلام مستفاد من عطف الولدان علی النساء و الرجال فی الآیه، فإنّ العطف قد یعطی نوعا من المشارکه فیما سبق الکلام لأجله.

و قوله علیه السّلام مرفوع عنهم القلم أی مرفوع عنهم المشی علی حق الدین، و کماله، بل یقبل منهم بمقدار ما قبلوه مع نقص عقلهم کما هذا أیضا مستفاد من أحادیث مراتب الإیمان فی محله، و قد سبقت الإشاره إلیه، و یوضح ما ذکرناه من أنهم فی أقلّ مراتب الإیمان النازله، لا أنهم ملحقون بالمجانین

ما فیه عنه بإسناده إلی سالم بن مکرم الجمّال عن أبی عبد اللّه علیه السّلام عن قوله عز و جل: إِلاَّ اَلْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ اَلرِّجالِ

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۴۴۵.

وَ اَلنِّسٰاءِ وَ اَلْوِلْدٰانِ لاٰ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لاٰ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً

(۱)

، فقال: «لا يستطيعون حيله إلى النصب فينصبون، و لا يهتدون سبيلا إلى الحق فيدخلون فيه، هؤلاء يدخلون الجنه بأعمال حسنه و باجتناب المحارم التى نهى اللّه عز و جل عنها و لا ينالون منازل الأبرار» . أقول:

قوله عليه السّلام: «لا يستطيعون حيله إلى النصب» ، أى لا يصل فكرهم بأن يعمل فيما يوصله إلى النصب فينصبون فيكونون من النّصاب و يقومون على الأئمه عليهم السّلام لضعف عقلهم و هكذا لا يهتدون، عقلا، سبيلا إلى الحق فيدخلون فيه، فهم فى أقلّ مرتبه الإيمان من دون رسوخ فى حقيقه الإيمان و لا فى حقيقه الكفر. و لذا

قال عليه السّلام: «يدخلون الجنه بأعمال حسنه من حيث هى هى أعمال حسنه و باجتناب المحارم» أى بتباعدهم عنها و لو قصورا، فهم يعملون الأعمال بالصوره لا بالحقيقه. و لذا

قال عليه السّلام: «و لا ينالون منازل الأبرار، لأنها لأهل العقل و المعرفه و الكمال» ، كما لا يخفى، و لهذه الجهه نفى عن هؤلاء المستضعفين اسم الكفر و الإيمان بل أثبت لهم اسم المرجون لأمر اللّه. أقول:

قوله «لكنها الولايه فى المناكحه. . . إلخ» ، توضيحه أنّ الراوى ظنّ أن هؤلاء من أهل الولايه بمعنى المحبه و المعرفه الإلهيه و القرب الإلهى كما هى معانيها و قد تقدم، و لذا تعجب و قال: و أى ولايه؟

فقال عليه السّلام «المراد منها الولايه بمعنى النصره و المعاشره و المؤالفه العرفيه الظاهريه» ، أى أنهم بقبولهم الإيمان و لو بأقل درجته ليسوا كالكفار، بحيث لا يجوز المناكحه و المؤاكله معهم لمجالستهم، بل صاروا بإقرارهم بالشهادتين بل و بالشهاده الثالثه من المؤمنين الذين حلّت مناكحتهم و أمثالها، و حيث إنهم ليسوا من أهل العقل و المعرفه، فليسوا بالمؤمنين، أى من المؤمنين الكاملين.

ص :۴۵۳

۱- ۱) النساء:۹۸.

و کيف کان يعلم أن المستضعف لم يکن من الکمّلين من المؤمنين، و لم يلحق بالکافرين الجاحدين لظاهر إقرارهم، بل هذا الحدّ الوسط، هو الموسوم بالمرجون لأمر اللّه، و اللّه العالم بحقائق الأمور. بل أقول: المستفاد من الأحاديث أن مصاديق المستضعفين أوسع منهم، بحيث يشمل من لم يصل إلى حدّ المعرفه الکامله باللّه کأکثر الشيعه الذين هم غير مستبصرين بحقائق ولايه الأئمه عليهم السّلام کما تقدم. و إليه يشير

ما رواه فيه عنه بإسناده، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: إِلاَّ اَلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَلرِّجٰالِ وَ اَلنِّسٰاءِ وَ اَلْوِلْدٰانِ الآيه، قال: يا سليمان فى هؤلاء المستضعفين من هو أثخن رقبه منک، المستضعفون قوم يصومون و يصلون تعفّ بطونهم و فروجهم، لا يرون أنّ الحق فى غيرنا آخذين بأغصان الشجره، فأولئک عسى اللّه أن يعفوا عنهم إذا کانوا آخذين بالأغصان، و إن لم يعرفوا أولئک فإن عفى عنهم فبرحمته، و إن عذّبهم فبضلالتهم عما عرفهم. أقول:

قوله عليه السّلام: «آخذين بأغصان الشجره» يستفاد منه أن هؤلاء المستضعفين هم المقرّون بولايه الأئمه عليهم السّلام و آخذين به بحيث لا يرون الحق فى غيرهم، إلاّ أنهم لم يصلوا إلى کمال المعرفه بهم عليهم السّلام کما دلّ عليه

قوله عليه السّلام: «و إن لم يعرفوا» ، أى و إن لم يعرفونا حق معرفتنا، لا أنهم لم يعرفونا أبدا، کيف و قد أقرّ عليه السّلام لهم بأنهم لا يرون الحق فى غيرهم، فيعلم منه أن المستضعف يطلق على من ليست له المعرفه الکامله بالأئمه عليهم السّلام کما هى هى، و يعلم أيضا منه أمر عظيم جسيم، و هو أنه من لم يعرفهم حق المعرفه، فله تعالى أن يعذّبه لتقصيره عن الوصول لهذه المعرفه الکامله، التى قد عرفها اللّه لهم، و هم لم يعرفوها بضلالتهم عمّا عرّفهم، و قد کانوا متمکّنين من الوصول إليها. و إلى هذا يشير ما

فى تفسير نور الثقلين (۱)، عن أصول الکافى بإسناده، عن

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۵۴۶.

حفص بن غیاث قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن قدرت أن لا تعرف فأفعل، و ما علیک أن لا یثنی علیک الناس، و ما علیک أن تکون مذموما عند الناس إذا کنت محمودا عند اللّه. ثم قال: إنی (1)علی بن أبی طالب لا- خیر فی العیش إلّا لرجلین، رجل یزداد کل یوم خیرا، و رجل یتدارک منیّته بالتوبه؟ ! و أنی له بالتوبه و اللّه لو سجد حتی ینقطع عنقه ما قبل اللّه تبارک و تعالی منه إلاّ بولایتنا أهل البیت، ألا و من عرف حقّنا و رجا الثواب فینا، و رضی بقوته نصف مدّ فی کل یوم، و ستر عورته و ما أکنّ رأسه، و هم و اللّه فی ذلک خائفون وجلون ودوّا أنهم حظّهم من الدنیا، و کذلک وصفهم اللّه عز و جل فقال: وَ اَلَّذِینَ یُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَهٌ أَنَّهُمْ إِلیٰ رَبِّهِمْ رٰاجِعُونَ (2). ثم قال: ما الذی أتوا؟ آتوا و اللّه مع الطاعه و المحبه و الولایه و هم فی ذلک خائفون، لیس خوفهم خوف شکّ، و لکنهم خافوا أن یکونوا مقصّرین فی محبّتنا و طاعتنا» . أقول:

قوله علیه السّلام: «و لکنّهم خافوا. . . إلخ» ، یشیر إلی ما ذکرنا من أنّهم یرون أنّهم مقصّرون فی محبّتهم و طاعتهم، أی فی ازدیادهما و المشی علیهما کما هو حقّه، و اللّه العالم. و لعمری إنّ الجری لمن أراد الأمن المطلق من عذابه تعالی هو أن یجدّ فی تحصیل معرفتهم علیهم السّلام حق المعرفه بعد ما منح اللّه إمکان ذلک له، و نحن نسأل اللّه تعالی أن یبلّغنا إلیها بمنّه و کرمه، آمین رب العالمین. و کیف کان فأقل مراتب المستضعف من أشار إلیه أبو جعفر علیه السّلام

فیما رواه فیه عن تفسیر العیاشی، عن سلیمان بن خالد، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن المستضعفین، فقال: «البلهاء فی خدرها و الخادم تقول: صلّی فتصلّی، لا تدری إلاّ ما

1- 1) الظاهر: هنا سقط و هو أن أمیر المؤمنین کان یقول.

2- 2) المؤمنون:60.

قلت لها، و الجليب الذى لا يدرى إلّا ما قلت له، و الكبير الفان و الصبى و الصغير، هؤلاء المستضعفون» و أكمله هو ما أشار إليه فى الحديث ممن ليست له المعرفه الكامله بالأئمه و بمقاماتهم الربوبيه و أن علم إنّ الحق لا يكون فى غيرهم. أقول: قوله: «و الجليب» ، أى الذى يجلب من بلد إلى آخر ليس له اختيار، فكأنه إما عامل أو غلام مملوك. و يستفاد من هذا الحديث أنه يمكن أن لا يكون الإنسان مستضعفا ثم يصير كذلك، كما هو المستفاد من قوله عليه السّلام و الكبير الفان، و اللّه العالم، فظهر من هذا البيان أنّ المستضعف له مصاديق تعمّ جميع ما أشرنا إليه سالفا، فما قيل من أنّ من لم يمحض الإيمان محضا يرجع و إن كان من أهل المعرفه فى الجمله، كما أشرنا إليه بدعوى أنه ليس من المستضعفين الذى قد استثنى، فلا بد من أن يرجع لعموم الدليل، حيث إنه خصّ غير الراجع بالمستضعف، و هو لا يشمل من له المعرفه، و لو كان مع شرك الطاعه ليس فى محله لما علمت من أنّ المستضعف المستثنى يشمل كثيرا من أهل الإيمان، فإنّ أقل مراتب الاستضعاف هو ما ذكره فى حديث سليمان ابن خالد الثانى، و أكمله ما ذكره فى حديث سليمان بن خالد الأول كما ذكرناه، فحينئذ معنى الحديث الأول المعنون فى الباب هو أنّ الممحّض للإيمان محضا بالمعنى المتقدم، و الممحض للشرك محضا يرجع فى زمان رجعه الأئمه عليهم السّلام و أما البقيه المتلبسون بالإيمان و الشرك على مراتبهما ما لم يصلا إلى المحض فلا يرجعون، و اللّه العالم بحقائق كلماته و كلمات أوليائه عليهم السّلام.

الفائده الثالثه:

فى أنّ الراجعين فى الرجعه ممن محض الكفر محضا، أو الذين كانوا موجودين فى ذلك الزمان فى الرجعه إذا عاينوا هؤلاء بأجمعهم الحق، و ظهر لهم الأمر، فهل هم حينئذ التوبه و هل تقبل توبتهم أم لا؟ فالكلام إما فى الذين رجعوا، و قد كانوا ممن محض الكفر محضا، و إما فى الذين كانوا كفّارا أو جاحدين لولايتهم عليهم السّلام و الموجودين فى زمان الرجعه هكذا.

أما الأول: فنقول قد دلّت آيات و أحاديث على أنّ من محض الشرك محضا أعيد فى الرجعه، ليعذّبه اللّه تعالى بيد أوليائه، فهؤلاء ليست لهم التوبه، و إلاّ لما حصل الغرض من رجعتهم، و هو أن يعذّبهم اللّه تعالى بأيدى المؤمنين.

ففى المحكى عن منتخب البصائر بإسناده إلى جابر بن يزيد عن أبى جعفر عليه السّلام قال: ليس من مؤمن إلاّ و له قتله و موته إنه من قتل نشر حتى يموت، و من مات نشر حتى يقتل، ثمّ تلوت على أبى جعفر هذه الآيه: كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ اَلْمَوْتِ فقال: «و منشوره، قلت: قولك و منشوره ما هو؟ فقال: هكذا أنزل بها جبرئيل على محمد صلّى اللّه عليه و آله كلّ نفس ذائقه الموت و منشوره، فقال: ما فى هذه الأمه أحد برّ و لا فاجر إلاّ و منشّر، أما المؤمنون فينشرون إلى قرّه أعينهم، و أما الفجّار فينشرون إلى خزى اللّه إياهم، أ لم تسمع أن اللّه تعالى يقول: وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ اَلْعَذٰابِ اَلْأَدْنىٰ دُونَ اَلْعَذٰابِ اَلْأَكْبَرِ (۱)، و قوله: يٰا أَيُّهَا اَلْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ يعنى بذلك محمدا صلّى اللّه عليه و آله قيامه فى الرجعه ينذر فيها، و قوله: إِنَّهٰا لَإِحْدَى اَلْكُبَرِ. نَذِيراً لِلْبَشَرِ يعنى محمدا صلّى اللّه عليه و آله نذيرا للبشر فى الرجعه» . قال جابر: قال أبو جعفر عليه السّلام: قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى قوله عز و جل: رُبَمٰا يَوَدُّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كٰانُوا مُسْلِمِينَ ، قال: «هو أنا إذا خرجت و شيعتى، و خرج عثمان بن عفّان و شيعته و نقتل بنى أميه فعندها يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين» . أقول: لا ريب فى أنه لو كانت توبتهم مقبوله أسلموا حينئذ، و يتوبون و لا يتمنّون لو كانوا مسلمين، فيعلم أنّ توبتهم لا تقبل، و لذا يتمنّون لو كانوا مسلمين، و أصرح من هذا ما ورد فى قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ تَأْتِيَهُمُ اَلْمَلاٰئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيٰاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيٰاتِ رَبِّكَ لاٰ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمٰانُهٰا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمٰانِهٰا خَيْراً قُلِ اِنْتَظِرُوا إِنّٰا

۱- ۱) السجده:۲۱.

مُنْتَظِرُونَ

(۱)

.

ففی تفسیر نور الثقلین (۲)، فی حدیث طویل عن علی علیه السّلام یقول فیه و قد سأله رجل عما اشتبه علیه من الآیات و قوله: هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِیَهُمُ اَلْمَلاٰئِکَهُ «یخبر محمدا صلّی اللّه علیه و آله عن المشرکین و المنافقین الذین لم یستجیبوا للّه و لرسوله فقال: هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِیَهُمُ اَلْمَلاٰئِکَهُ حیث لم یستجیبوا للّه و لرسوله أَوْ یَأْتِیَ رَبُّکَ أَوْ یَأْتِیَ بَعْضُ آیٰاتِ رَبِّکَ یعنی بذلک العذاب فی دار الدنیا کما عذّب القرون الأولی، فهذا خبر یخبر به النبی صلّی اللّه علیه و آله عنهم» . ثم قال: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیٰاتِ رَبِّکَ لاٰ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً یعنی «من قبل أن تجی هذه الآیه، و هذه الآیه طلوع الشمس من مغربها. و إنما یکتفی أولو الألباب و الحجی و أولو النهی أن یعلموا أنّه إذا انکشف رأوا ما یوعدون» .

و فیه عن کمال الدین و تمام النعمه بإسناده عن علی بن رئاب، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال فی قول اللّه عز و جل: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیٰاتِ رَبِّکَ لاٰ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، فقال: «الآیات هم الأئمه علیهم السّلام و الآیه المنتظر القائم علیه السّلام فیومئذ لا ینفع نفسا إیمانها لم تکن آمنت من قبل، قیامه بالسیف و إن آمنت بمن تقدمه من آبائه علیهم السّلام» . أقول:

قوله: «و الآیه المنتظر» ، القائم (عج) ، أی أنّ الآیات کلّها هم الأئمه علیهم السّلام و قوله بعض آیات ربک إشاره إلی المنتظر القائم، و التعبیر عنه بالقائم، إشاره إلی أن المراد من إتیان بعض الآیات قیامه علیه السّلام، فقیامه کنایه عن إتیان بعض الآیات.

فقوله علیه السّلام: «قیامه بالسیف» تفسیر لقوله تعالی: یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیٰاتِ

۱- ۱) الأنعام:۱۵۸.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۶۴۶.

رَبُّکَ و قوله تعالی إیمانها، أی الإیمان الذی یکون لهم عند إتیان بعض الآیات، لما یرون من ظهور الحق بالأدلّه القاطعه فیؤمنون، و لکن هذا الإیمان لا ینفع حیث إنّها أی النفس الإنسانی لم تکن آمنت من قبل، أو کسبت فی إیمانها خیرا، و هذا یبیّن أمرین: الأول: أنّ هذا الإیمان لا ینفعها لأنّها لم تکن آمنت من قبل. و الثانی: أنّ هذا لا ینفعها لأنّها أی النفس آمنت، و لکنّها ما کسبت فی إیمانها خیرا. و هم الذین أشار إلیهم

فیما رواه فیه عن تفسیر العیاشی، عن عمرو بن شمر عن أحدهما علیهما السّلام فی قوله: أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً ، قال: «المؤمن حالت المعاصی بینه و بین إیمانه، لکثره ذنوبه و قلّه حسناته، فلم یکسب فی إیمانه خیرا» .

و أیضا فی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن أصول الکافی بإسناده، عن هشام بن الحکم، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه تعالی: لاٰ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ «یعنی فی المیثاق، أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً ، قال: الإقرار بالأنبیاء و الأوصیاء و أمیر المؤمنین علیه السّلام خاصّه، قال: لا ینفع إیمانها لأنها سلبت» . أقول:

قوله علیه السّلام: «یعنی فی المیثاق» ، یشیر إلی أن الإیمان کان من المؤمنین فی المیثاق، و إنّ ما هو منهم فی الدنیا علی طبقه.

و قوله علیه السّلام: «لا ینفع إیمانها لأنها سلبت» ، یعنی وقت ظهور الحق، أو یوم القیامه، فإن هذا المؤمن الصوری المقرّ بالشهادتین دون الثالثه، أو المؤمن الذی کثرت معاصیه إلی أن لم تکتسب فی إیمانها خیرا، بل صار إیمانه بلا فائده، یکون حینئذ مسلوب الإیمان، لأنه حین ذاک، یظهر أنه ما آمن بما هو إیمان، بل اعتقد غیره، کما لا یخفی، و اللّه العالم.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۶۴۷.

و کیف کان یدل علی ما ذکر من رفع التوبه ما تقدم. و تقدم

عن إکمال الدین عن إنزال بن ستره خطبه لأمیر المؤمنین علیه السّلام و فیها: «ثم ترفع الدابه رأسها فیراها من بین الخافقین بإذن اللّه جلّ جلاله، و ذلک بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلک ترفع التوبه و لا عمل یرفع. . .» الحدیث. المستفاد من هذه الأحادیث و أمثالها و هی کثیره، أن المرجوعین فی زمان الرجعه للانتقام، لا تقبل توبتهم، بل یقتلون کعثمان بن عفّان و شیعته (علیهم لعائن اللّه) و أما أن القائم (عج) أو الأئمه علیهم السّلام الذین یرجعون إلی الدنیا، فلا تقبل حینئذ التوبه من أحد، فلا، کیف

و قد ورد فی قوله تعالی: یا أَیُّهَا اَلْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ ما عن منتخب البصائر بإسناده إلی جابر بن یزید، عن أبی جعفر علیه السّلام «یعنی بذلک محمدا صلّی اللّه علیه و آله و قیامه فی الرجعه ینذر فیها» . أقول: فلا بد من الإنذار و هو یستلزم قبول التوبه ممن یقبل الإنذار کما لا یخفی، و هذا ظاهر لمن تتبع الأحادیث الوارده فی قیامه علیه السّلام و فی رجوع الأئمه علیهم السّلام کما لا یخفی، إلاّ أن هنا شیئا و هو أنه یستفاد من الأحادیث أنّ للأئمه علیهم السّلام خصوصا لأمیر المؤمنین علیه السّلام رجعات و کرّات، و یظهر منها أنّ الوقت الذی ترفع فیه التوبه هو الرجعه الأخیره القریبه لقیام القیامه الکبری لا غیرها. فحینئذ تکون النتیجه أنّ من محض الشرک محضا إذا رجع و لو فی أوائل زمان الرجعه، أنه یقتل، و هم الذین أشیر إلیهم فی بعض الأحادیث من نحو عثمان و شیعته و قتله الحسین علیه السّلام و أمثالهم، و أما غیرهم فلا یقتلون بتاتا، بل بعد دعوتهم إلی الإسلام و عدم قبولهم له یقتلون، هذا فی غیر الرجعه الأخیره فإنها ترفع عندها التوبه، لأن الحق فی ذلک الزمان قد ظهر، فمن لم یؤمن بعد ثبوت الحجه علیه فلا تقبل توبته بعد ظهور تلک الآیات. و إلی ما ذکر یدل

ما فیه عن إکمال الدین و تمام النعمه بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «ما زالت الأرض إلاّ و للّه تعالی ذکره فیها حجه یعرف الحلال،

و الحرام و يدعو إلى سبيل اللّه جلّ و عزّ، و لا تنقطع الحجه من الأرض إلّا أربعين يوما قبل يوم القيامه، فإذا رفعت الحجه أغلق باب التوبه و لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجه، أولئك شرار من خلق اللّه، و هم الذين تقوم عليهم القيامه» . فالمستفاد حينئذ منها أن وقت رفع التوبه لعامه الخلق هو وقت خروج دابه الأرض و الدجّال عند اقتراب الساعه. و الحاصل: أنه لا ترفع التوبه إلاّ إذا أصرّ الناس على المعاصى و لم يقبلوا عن الحجج عليهم السّلام إلى أن يغضب اللّه عليهم، فحينئذ يظهر بأسه تعالى، و حينئذ لا تنفع التوبه.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)، عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام فى باب ما جاء عن الرضا عليه السّلام من العلل بإسناده إلى أبى إبراهيم بن محمد الهمدانى قال: قلت لأبى الحسن الرضا عليه السّلام: «لأى علّه غرق اللّه تعالى فرعون و قد آمن به و أقرّ بتوحيده؟ قال: لأنه آمن عند رؤيه البأس، و الإيمان عند رؤيه البأس غير مقبول و ذلك حكم اللّه تعالى ذكره فى السلف و الخلف، قال اللّه تعالى: فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنّا بِاللّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا (۲)و قال عز و جل: . . . يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمانِها خَيْراً . فالمستفاد منه أن اللّه تعالى إنما لم يقبل التوبه عن عبد إذا عمل بالمعاصى إلى أن استوجب العذاب، فحينئذ قبل نزوله و رؤيته الحق لا ينفع إيمانه، و هذا واقع فى الأمم السالفه و فى هذه الأمه و فى زمان الرجعه بنحو الموجبه الجزئيه فى القضايا الخارجيه الواقعه فى وقتها، و هذا أيضا واقع فى قرب الساعه و عند ظهور الآيات الإلهيه.

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۶۴۵.

۲- ۲) غافر:۸۴-۸۵.

و أحسن ما يدل عليه

ما فيه (۱)عن تفسیر العیاشی عن زراره و حمران و محمد ابن مسلم عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله: يَوْمَ يَأْتِی بَعْضُ آيَاتِ رَبِّکَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا ، قال: «طلوع الشمس من المغرب و خروج الدابه و الدجال، و الرجل یکون مصرّا و لم یعمل عمل الایمان ثم تجیء الآیات فلا ینفعه إیمانه» . أقول: قوله علیه السّلام: «و الرجل. . . إلخ» ، إذا صار الرجل، أی الناس مصرّین علی المعاصی و لم یعملوا عمل الإیمان، بل انغمروا فی الفسق و الفجور، و هذا الحال یوجب استحقاقهم العذاب و رفع التوبه عنهم، لما نزل غضب اللّه علیهم، ثم إن المراد من طلوع الشمس من مغربها، هو ظهور القائم (عج) کما صرحت به الأحادیث الکثیره.

الفائده الرابعه: فیما ورد من أنّ إبلیس یقتل فی الرجعه أو عند قیام القائم علیه السّلام

و بیان ما یوضحه: فنقول لا بد من ذکر أحادیث الباب، ثم بیان ما یظهر منها، فنقول:

ففی تفسیر نور الثقلین (۲)، عن کتاب معانی الأخبار بإسناده إلی عبد العظیم بن عبد اللّه الحسنی، قال: سمعت أبا الحسن علی بن محمد العسکری علیهما السّلام یقول: «معنی الرجیم أنه مرجوم باللعن، مطرود من الخیر، لا یذکره مؤمن إلاّ لعنه، و إن فی علم اللّه السابق إذا خرج القائم علیه السّلام لا یبقی مؤمن فی زمانه إلاّ رجمه بالحجاره، کما کان قبل ذلک مرجوما باللعن» .

و فیه عن تفسیر العیاشی عن وهب بن جمیع مولی إسحاق بن عمار، قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول إبلیس: . . فَأَنْظِرْنِی إِلیٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّکَ مِنَ اَلْمُنْظَرِينَ. إِلیٰ يَوْمِ اَلْوَقْتِ اَلْمَعْلُومِ (۳)، قال له وهب: جعلت فداک أی یوم هو؟

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۶۴۶.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۱۳.

۳- ۳) الحجر:۳۶-۳۸.

قال: «یا وهب أ تحسب أنه یوم یبعث اللّه فیه الناس، إن اللّه أنظره إلی یوم یبعث فیه قائمنا، فإذا بعث اللّه قائمنا کان فی مسجد الکوفه و جاء إبلیس حتی یجثو بین یدیه علی رکبتیه فیقول: یا ویله من هذا الیوم! فیأخذ ناصیته فیضرب عنقه، فذلک الیوم الوقت المعلوم» .

و فی المحکی (۱)عن القمی عنه علیه السّلام قال: «یوم الوقت المعلوم یوم یذبحه رسول اللّه علی الصخره التی فی البیت المقدس» .

و فی البحار (۲)، عن منتخب البصائر بإسناده عن عبد الکریم بن عمرو الخثعمی، قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إنّ إبلیس قال: فَأَنْظِرْنِی إِلیٰ یَوْمِ یُبْعَثُونَ فأبی اللّه ذلک علیه، فقال: فَإِنَّکَ مِنَ اَلْمُنْظَرِینَ. إِلیٰ یَوْمِ اَلْوَقْتِ اَلْمَعْلُومِ فإذا کان یوم الوقت المعلوم، ظهر إبلیس لعنه اللّه فی جمیع أشیاعه منذ خلق اللّه آدم إلی یوم الوقت المعلوم و هی آخر کرّه یکرّها أمیر المؤمنین علیه السّلام فقلت: و إنها لکرّات؟ قال: نعم، إنها لکرّات و کرّات ما من إمام فی قرن إلاّ و یکرّ معه البرّ و الفاجر فی دهره حتی یدیل اللّه المؤمن (من) الکافر. فإذا کان یوم الوقت المعلوم کرّ أمیر المؤمنین علیه السّلام فی أصحابه، و جاء إبلیس فی أصحابه، و یکون میقاتهم فی أرض من أراضی الفرات یقال له الرّوحاء قریب من کوفتکم، فیقتتلون قتالا لم یقتتل مثله منذ خلق اللّه عز و جل العالمین، فکأنّی أنظر إلی أصحاب علی أمیر المؤمنین علیه السّلام قد رجعوا إلی خلفهم القهقری مائه قدم، و کأنی أنظر إلیهم و قد وقعت بعض أرجلهم فی الفرات، فعند ذلک یهبط الجبّار عزّ و جلّ فی ظلّ من الغمام و الملائکه و قضی الأمر، و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمامه بیده حربه من نور، فإذا نظر إلیه إبلیس، رجع القهقری ناکصا علی عقبیه، فیقولون له أصحابه: أین ترید و قد ظفرت؟ فیقول: إنی أری ما لا ترون، إنی أخاف اللّه ربّ العالمین فیلحقه

۱- ۱) شرح الزیاره، الشموس الطالعه ص ۴۳۲.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۴۲.

النبی صلّی اللّه علیه و آله فیطعنه طعنه ما بین کتفیه، فیکون هلاکه و هلاک جمیع أشیاعه. فعند ذلک یعبد اللّه عز و جل و لا یشرک به شیئا، و یملک أمیر المؤمنین علیه السّلام أربعا و أربعین ألف سنه حتی یلد الرجل من شیعه علی ألف ولد و من صلبه ذکرا، و عند ذلک تظهر الجنّتان المدهامّتان عند مسجد الکوفه و ما حوله بما شاء اللّه» .

و فی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن العلل بإسناده إلی یحیی بن أبی العلا الرازی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام حدیث طویل، یقول فیه علیه السّلام: «و قد سأل عن قول اللّه عز و جل لإبلیس: فَإِنَّکَ مِنَ اَلْمُنْظَرِینَ. إِلیٰ یَوْمِ اَلْوَقْتِ اَلْمَعْلُومِ ، قال علیه السّلام: و یوم الوقت المعلوم یوم ینفخ فی الصور نفخه واحده، فیموت إبلیس ما بین النفخه الأولی و الثانیه» . أقول: هذه الأخبار تری بظاهرها مختلفه، فأغلبها دلّت علی أنه (لعنه اللّه علیه) یقتل بید القائم (عج) فی مسجد الکوفه، کما دلّ علیه خبر وهب المتقدم أو بید رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الرجعه علی الصخره التی فی بیت المقدس، أو یطعنه صلّی اللّه علیه و آله بطعنه بین کتفیه، کما فی حدیث عمرو الخثعمی، أو أنه یموت ما بین النفخه الأولی و الثانیه کما فی الخبر الأخیر، و هذه بظاهرها یشکل الجمع بینها، و لکن الظاهر من أحادیث الوارده فی قصه الشیطان و إبلیس أنه (لعنه اللّه علیه) یتشکل بصوره الإنس، هو و أتباعه و أشیاعه کما دلّت علیه کثیر من الأخبار و نحن نذکر بعضها، ثم نعقّبه بشرح حقیقه الشیطان، و أنه کیف یتّصف الإنسان بالشیطان، و یطلق علیه أنه شیطان أیضا. فنقول:

فی تفسیر نور الثقلین (۲)، عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده عن علی بن أبی حمزه، عن بعض رجاله عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «ما بعث اللّه نبیّا إلاّ و فی أمّته شیطانان یؤذیانه و یضلاّن الناس بعده، فأما صاحبا نوح فقنطیقوس

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۱۰.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۶۲۱.

(فغنطيغوس) و حزام، و أما صاحبا إبراهيم فمكثل و زرام، و أما صاحبا موسى فالسامرى و مرعقيبا، و أما صاحبا عيسى فبولس و مرتيون، و أما صاحبا محمد فحبتر و زريق» .

و فيه عن أصول الكافى، و بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام حديث طويل، يقول فيه عليه السّلام: «فإنّ من لم يجعله اللّه من أهل صفه الحق فأولئك هم شياطين الإنس و الجن» .

و فيه عن كتاب الخصال، عن أبى عبد اللّه قال: «الإنس على ثلاثه أجزاء: فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلّا ظله. و جزء عليهم الحساب و العذاب. و جزء وجوههم وجوه الآدميين و قلوبهم قلوب الشياطين» .

و فيه عن الاحتجاج الطبرسى صلّى اللّه عليه و آله بإسناده إلى الباقر عليه السّلام عن النبى صلّى اللّه عليه و آله حديث طويل و فيه خطبه الغدير و فيها: «ألا إنّ أعداء على هم أهل الشقاق، هم العادون و إخوان الشياطين الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا» .

و فيه عن مجمع البيان و روى عن أبى جعفر عليه السّلام أنه قال: «إنّ الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقى إليه ما يغوى به الخلق، حتى يتعلّم بعضهم من بعض» .

و فى البحار (۱)، عن ابن عباس: «إن اللّه تعالى جعلهم يجرون من بنى آدم مجرى الدم و صدور بنى آدم مساكن لهم» .

و فيه (۲)عن أبى سهل عن الحسن قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «إنّ إبليس عدوّ اللّه كان يأتى الأنبياء و يتحدث إليهم. . .» الحديث بطوله.

و فى البحار (۳)، عن مجالس ابن الشيخ بإسناده إلى ثعلبه بن زيد الأنصارى قال: سمعت جابر بن عبد اللّه الأنصارى رحمه اللّه يقول: «تمثّل إبليس (لعنه اللّه)

۱- ۱) البحار ج ۶۳ ص ۱۵۶.

۲- ۲) البحار ج ۶۳ ص ۲۲۶.

۳- ۳) البحار ج ۶۳ ص ۲۳۳.

فی أربع صور: تمثل یوم بدر فی صوره سراقه بن جعثم المدلجی فقال للقریش: . . . لاٰ غٰالِبَ لَکُمُ اَلْیَوْمَ مِنَ اَلنّٰاسِ وَ إِنِّی جٰارٌ لَکُمْ فَلَمّٰا تَرٰاءَتِ اَلْفِئَتٰانِ نَکَصَ عَلیٰ عَقِبَیْهِ وَ قٰالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ (۱). و تصور یوم العقبه فی صوره منبه بن الحجّاج فنادی: إنّ محمدا و الصباه معه عند العقبه فأدرکوهم، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله للأنصار: لا تخافوا فإنّ صوته لن یعدوه. و تصور یوم اجتماع قریش فی دار الندوه فی صوره شیخ من أهل نجد، و أشار علیهم فی النبی صلّی اللّه علیه و آله بما أشار، فأنزل اللّه تعالی: وَ إِذْ یَمْکُرُ بِکَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لِیُثْبِتُوکَ أَوْ یَقْتُلُوکَ أَوْ یُخْرِجُوکَ وَ یَمْکُرُونَ وَ یَمْکُرُ اَللّٰهُ وَ اَللّٰهُ خَیْرُ اَلْمٰاکِرِینَ (۲). و تصور یوم قبض النبی صلّی اللّه علیه و آله فی صوره المغیره بن شعبه، فقال: أیّها الناس لا تجعلوها کسروانیّه و لا قیصرانیّه وسّعوها تتّسع، فلا تردّوها فی بنی هاشم فینتظر بها الحبالی» .

و فیه (۳)عن العلل عن الصادق علیه السّلام فی خبر رؤیه النبی صلّی اللّه علیه و آله الشیطان لیله الإسراء علی بقعه و فیها شیخ علی رأسه برنس، فسأله النبی صلّی اللّه علیه و آله جبرئیل عنها و عن الشیخ قال: هی بقعه شیعتک و الشیخ الجالس هو إبلیس، و فی ذیله فقلت: «قم یا ملعون. . . إلی أن قال فسمیت قم» .

و فیه (۴)عن العیون و منه بهذا الإسناد عن علی بن أبی طالب علیه السّلام قال: «کنت جالسا عند الکعبه، فإذا شیخ محدودب قد سقط حاجباه علی عینیه من شده الکبر

۱- ۱) الأنفال:۴۸.

۲- ۲) الأنفال:۳۰.

۳- ۳) البحار ج ۶۳ ص ۲۳۸.

۴- ۴) البحار ج ۶۳ ص ۲۴۴.

و فی یده عکازه و علی رأسه برنس أحمر، و علیه مدرعه من الشعر، فدنا إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و النبی مسند ظهره إلی الکعبه، فقال: یا رسول اللّه ادع لی بالمغفره فقال النبی صلّی اللّه علیه و آله: خاب سعیک یا شیخ و ضلّ علمک (عملک) فلمّا تولّی الشیخ قال لی: یا أبا الحسن أ تعرفه؟ قلت: لا، قال: ذلک اللعین إبلیس، قال علی علیه السّلام فعدوت خلفه حتی لحقته، و صرعته إلی الأرض، و جلست علی صدره، و وضعت یدی فی حلقه لأخنقه، فقال لی: لا تفعل یا أبا الحسن فإنی من المنظرین إلی یوم الوقت المعلوم، و اللّه یا علی إنی لأحبّک جدّا و ما أبغضک أحدا إلاّ شرکت أباه فی أمه فصار ولد زنا، فضحکت و خلّیت سبیله» .

و فی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن تفسیر علی بن إبراهیم فی خبر طویل فی غزوه بدر. . . إلی أن قال: «و جاء إبلیس إلی قریش فی صوره سراقه بن مالک فقال لهم: إنی جار لکم فادفعوا إلی رایتکم فدفعوها إلیه، و جاء بشیاطینه یهول بهم علی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی أن قال: و نظر إبلیس (علیه اللعنه) إلی جبرئیل علیه السّلام فتراجع و رمی باللواء فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه. ثم قال: ویلک یا سراقه تفتّ فی أعضاء الناس؟ فرکله إبلیس رکله فی صدره و قال: إنی بریء منکم إنی أری ما لا ترون إنی أخاف اللّه. . .» الحدیث. أقول: «فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوب إبلیس و هو بصوره سراقه، فرکله» أی رکل إبلیس و هو بصوره سراقه فی صدر منبه.

و فیه (۲)عن مجمع البیان فلما قدموا مکّه قالوا: هزم الناس سراقه، فبلغ ذلک سراقه، فقال: و اللّه ما شعرت بمسیرکم حتی بلغنی هزیمتکم، فقالوا: إنک أتیتنا یوم کذا فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أنّ ذلک کان الشیطان عن الکلبی و روی ذلک عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۱۳۲.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۱۶۲.

و فیه (۱)عن روضه الکافی بإسناده إلی زراره عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «کان إبلیس یوم بدر یقلل المسلمین فی أعین الکفار، و یکثر الکفار فی أعین الناس، فشدّ علیه جبرئیل علیه السّلام بالسیف فهرب منه و هو یقول: یا جبرئیل إنّی مؤجّل حتی وقع فی البحر، قال: فقلت لأبی جعفر علیه السّلام لأی شیء یخاف و هو مؤجّل؟ قال: یقطع بعض أطرافه» . أقول: هذه بعض الأخبار الداله علی أنه (لعنه اللّه علیه) یتشکّل بصوره الإنسان و لا مانع منه عقلا، فإنه کما قیل حقیقته ناریه یتصور بأشکال مختلفه. و کیف کان لا ریب فی واجدیه الشیطان لقوه العزّه منه تعالی فله (لعنه اللّه علیه) أن یتصور بصوره الإنسان مضافا إلی دلاله أخبار کثیره علی أنه تصوّر بصوره الإنسان فی موارد عدیده. فحینئذ نقول: یمکن، و اللّه العالم، أن یراد من الأحادیث الداله علی أنه یقتل بید رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أو أمیر المؤمنین علیه السّلام کما علمته فی الأحادیث المتقدمه أنه یقتل و هو بصوره الإنسان کما هو صریح

قوله علیه السّلام فی حدیث الخثعمی: فإذا کان یوم الوقت المعلوم ظهر إبلیس (لعنه اللّه) فی أشیاعه. . . إلخ ، فإن وقوع الحرب بینهم یستدعی ظهوره بصوره الإنسان هو و أشیاعه، فحینئذ إما یقتل بأن یؤخذ منه (لعنه اللّه) قدره التمثّل بصوره الإنسان، فلا یمکنه بعد أن یوسوس بشرا، أو یقطع بعض أعضائه و أطرافه، کما علمته

فی حدیث روضه الکافی ، فإنه (لعنه اللّه) «فرّ فی یوم بدر خوفا من أن یقطع أطرافه، و أما یوم الرجعه فلا یمکنه الفرار فتقطع أطرافه، فیستریح الناس من وسوسته أو من شده وسوسته ، فلا یغلب حینئذ علی بشر غلبه توجب عباده غیر اللّه تعالی، و حینئذ لا منافاه بین أن یقتل فی الرجعه هکذا، و إن یموت بتاتا بین النفختین کما دلّ علیه حدیث المنقول عن العلل، و قد یقال: إن المستفاد من أحادیث الباب التی تقدم بعضها أن الإنسان بلحاظ متابعته للشیطان

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۱۶۱.

تترسّخ فيه حقيقه الشيطان، و ينسلخ منه روح الإيمان و العقل بالكليه، فلا إيمان له حينئذ و لا عقل، بل لا يبقى إلّا الشيطنه و النكراء، كما ورد هذا بالنسبه إلى معاويه (لعنه اللّه) فحينئذ يصير بنفسه شيطانا رجيما، و هو المراد من قوله تعالى شَيٰاطِينَ اَلْإِنْسِ وَ اَلْجِنِّ ، فإن شيطان الإنس هو الإنسان المترسّخ فيه و فى قلبه صفات الشيطان، و قد رأيت فى الخصال فى سالف الزمان حديثا قد صرح فيه عليه السّلام بالنسبه إلى من تبع الشيطان و تمادى فى طغيانه و عصيانه بأنّه صار شيطانا لعينا، أى أنه صار بنفسه هكذا، كيف لا، و قد صرح فى الأخبار بأنه يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فى العروق. و حينئذ نقول: يمكن أن يكون قتل الشيطان فى الرجعه هو قتل أكابر المشركين الذين صاروا شياطين بالصفه، و يؤيده أنه قد ذكر أنه يقتل بيد القائم فى مسجد الكوفه و بيد الرسول صلّى اللّه عليه و آله على الصخره فى بيت المقدس، فإن تعدد قتله (لعنه اللّه) مع أنه واحد لا يكون إلّا بقتل شياطين الإنس الكذائى، إلّا أن يقال: التعدد بلحاظ قتل أولاده، و هو خلاف الظاهر، هذا و العلم عند اللّه تعالى، و نحن نسلم لما يعلمه اللّه تعالى، و إنما ذكرنا هذا على سبيل الاحتمال و إن كان قويّا و الحمد للّه وحده.

الفائده الخامسه: فيما يفعله الأئمه عليهم السّلام فى الرجعه،

فنقول: هيهنا أحاديث نذكر المهم منها، ثمّ نعقّبه بما يحتاج إلى التوضيح. أقول: تقدم

حديث الخثعمى قريبا و فيه حتى يديل اللّه المؤمن (من) الكافر. فى المجمع:

و فى الحديث قد أدال اللّه تعالى من فلان ، هو من الاداله أعنى النصره و الغلبه، يقال: أديل لنا على أعدائنا أى نصرنا عليهم و كانت الدوله لنا، و الدوله: الانتقال من حال الشده إلى حال الرخاء. فحينئذ نقول معنى

الحديث: حتى يديل اللّه المؤمن من الكافر ، أى ينصره عليه و ينقل الدوله التى له إلى المؤمن، فيتبدل حال شدته إلى الرخاء.

و فى البحار (١)، عن منتخب البصائر بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن الذى يلى حساب الناس قبل يوم القيامه الحسين بن على عليه السّلام، فأما يوم القيامه فإنما هو بعث إلى الجنه و بعث إلى النار» . الظاهر من الحديث الشريف أنه عليه السّلام يلى حساب الخلق فى مده رجعته، و سيأتى أنه أربعه و أربعون ألف عام، و يشكل بأنه عليه السّلام إنما يمكن له أن يلى حساب الموجودين فى زمانه عليه السّلام، فكيف حساب غيرهم ممن كانوا قبله أو بعده؟ و يجاب عنه: بأنه عليه السّلام يظهر العدل و القوانين الإلهيه، فمنها يعلم حساب الخلائق بالوضوح و البيان، بحيث يعرفه جميع الخلائق، فلا يبقى ليوم القيامه إلّا البعث إما إلى الجنه و إما إلى النار، و هذا لا ينافى كون الحساب فى القيامه أيضا، لأن معنى أنه عليه السّلام يلى حساب الخلق هو أنه يظهر العدل الإلهى و القوانين الإلهيه و يبيّنها للخلق بحيث يعلم كل من هلك أنه هلك عن بيّنه، و كل من نجا أنه نجا عن بيّنه، و هذا الوضوح أيضا يكشف لكل أحد يوم القيامه، بل الاعتبار يقتضى أن يتبيّن العدل الدينى فى الدنيا و القواعد، ليعلم المكلفون أحكامهم ليعمل المؤمن و ليعصى العاصى عن بيّنه، و هذا معنى ما ورد أنه بعد قيام القائم عليه السّلام يظهر حقائق الدين و أعلامه و معارفه، فإنها تظهر ببيانه عليه السّلام فى الرجعه، و هذا لا ينافى أن يظهر من بيان غيره عليه السّلام من سائر الأئمه، كما لا يخفى، و إنما اختص به عليه السّلام هذا لطول زمان رجعته عليه السّلام، و اللّه العالم.

و فيه عنه (٢)عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: يَوْمَ هُمْ عَلَى اَلنّٰارِ يُفْتَنُونَ (٣)قال: «يكسرون فى الكره كما يكسر الذهب حتى يرجع كل شىء إلى شبهه» ، يعنى إلى حقيقته. أقول: يعنى يفتنون، يمتحنون حتى تظهر حقائقهم، و ذلك لشده الفتن بهم،

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۴۳.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۴۴.

۳- ۳) الذاريات:۱۳.

فالمؤمن الخالص يظهر خلوصه، كما أنّ الكافر الخالص يظهر كفره، فلا يمكن حينئذ لأحد النفاق بأن يظهر خلاف ما فى حقيقته، و ذلك لكثره الابتلاء و شده المحن فى ذلك الزمان.

و فيه (۱)عن تفسير على بن إبراهيم:

وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ إِلاّٰ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً

(۲)

فإنه روى أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا رجع آمن به الناس كلهم،

و تقدم حديث معاويه بن عمار، و فى ذيله بالنسبه إلى النّصاب قال: «ذاك و اللّه فى الرجعه يأكلون العذره» .

و فيه (۳)عن الكنز يرفعه إلى بريده الأسلمى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلى «يا على إن اللّه أشهدك معى سبعه مواطن و ساق الحديث. . . إلى أن قال: و الموطن السابع إنّا نبقى حين لا يبقى أحد و هلاك الأحزاب بأيدينا» .

و تقدم عن العيون قول الرضا عليه السّلام و قال صلّى اللّه عليه و آله: «إذا خرج المهدى من ولدى نزل عيسى بن مريم عليه السّلام فصلّى خلفه، و قال صلّى اللّه عليه و آله: إنّ الإسلام بدأ غريبا و سيعود غريبا فطوبى للغرباء! قيل يا رسول اللّه ثمّ يكون ما ذا؟ قال: يرجع الحق إلى أهله» .

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «ثمّ يرجع الحق إلى أهله» ، يعنى أن الإسلام فى صدر زمان النبى صلّى اللّه عليه و آله كان بدؤه غريبا، و سيعود فى آخر الزمان قبل قيام القائم عليه السّلام و قبل زمان الرجعه غريبا، ثم بظهور الحجه (عج) و برجعه الأئمه عليهم السّلام يرجع الحق إلى أهله، أى ينقل اللّه تعالى الدوله من أهل الكفر إلى أهل الحق فيظهرون الحق و يعيشون بعيشه راضيه مرضيه إن شاء اللّه تعالى.

و فيه (۴)عن منتخب البصائر، بإسناده عن موسى الحنّاط قال: سمعت أبا

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۵۰.

۲- ۲) النساء:۱۵۹.

۳- ۳) البحار ج ۵۳ ص ۵۹.

۴- ۴) البحار ج ۵۳ ص ۶۳.

عبـد اللّه علیه السّـلام یقول: «أیـام اللّه ثلاثه: یوم یقوم القائم (عـج) . و یوم الکرّه. و یوم القیامه» . أقول: جمیع الأیام للّه تعالی، و الاختصاص بهـذه الثلاثه لظهور آثار قدرته تعالی بید أولیائه، و ظهور الحق علی أیدیهم فی یوم قیام القائم (عج) و یوم الکره، و أما القیامه فیوم ظهرت صفاته الجمالیه و الجلالیه بحیث لا یبقی لأحد شیء، کما لا یخفی.

و فیه عن رجال الکشـی (۱)عن أبی خـدیجه قال: سـمعت أبا عبـد اللّه علیه السّـلام یقول: «إنی سألت اللّه فی إسـماعیل أن یبقیه بعـدی فأبی، و لکنه قد أعطانی فیه منزله أخری، إنه یکون أول منشور فی عشـره من أصـحابه، و منهم عبد اللّه بن شـریک و هو صاحب لوائه» .

و فیه عنه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «کأنی بعبد اللّه بن شریک العامری علیه عمامه سوداء، و ذؤابتاها بین کتفیه، مصعدا فی لحف الجبل بین یدی قائمنا أهل البیت فی أربعه آلاف مکبّرون و مکرّون» . أقول: اللحف بالکسر أصل الجبل.

و فیه (۲)عن أبی عبد اللّه علیه السّـلام قال: «کأنی بحمران بن أعین و میسر بن عبد العزیز یخبطان الناس بأسـیافهما بین الصـفا و المروه» .

و فیه (۳)عن علل الشـرایع بإسـناده عن عبد الرحیم القصـیر قال: قال لی أبو جعفر علیه السّلام: «أما لو قد قام قائمنا لقد ردت إلیه الحمیراء حتی یجلدها الحدّ، و حتی

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۷۶.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۴۰.

۳- ۳) البحار ج ۵۳ ص ۹۰.

ينتقم لابنه محمد فاطمه عليها السّلام منها» .

و فيه (۱)عن الإرشاد روی عبد الكريم الخثعمی عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: «إذا آن قيام القائم (عج) مطر الناس جمادی الآخره و عشره أيام من رجب مطرا لم تر الخلائق مثله، فينبت اللّه به لحوم المؤمنين و أبدانهم فی قبورهم، و كأنی أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينه، ينفضون شعورهم من التراب» . أقول: قد علمت أن الرجعه كالقيامه فی رجوع الأشخاص بأبدانهم إلی الدنيا، فكما ورد أنه تعالی قبل القيامه يفعل هذا فكذلك قبل الرجعه، و لعل الاختصاص بأربعين يوما لأجل رجوع بعض الناس ممن محض الإيمان محضا، و ممن محض الشرك محضا لا جميعهم، و كيف كان فمظاهر قدرته فی الرجعه تشبه مظاهره لقيام القيامه و اللّه العالم.

و فيه عن اعلام الوری و الإرشاد، روی المفضل عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: «يخرج مع القائم (عج) من ظهر الكوفه سبعه و عشرون رجلا، خمسه عشر من قوم موسی عليه السّلام الذين كانوا يهدون بالحق و به يعدلون (۲)و سبعه من أهل الكهف، و يوشع بن نون، و سلمان، و أبو دجانه الأنصاری، و المقداد، و مالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصارا و حكاما» .

و فيه عن غيبه النعمانی، عن الثمالی، عن أبی جعفر عليه السّلام قال: «لو قد خرج قائم آل محمد لنصره اللّه بالملائكه، و أول من يتّبعه محمد و علی الثانی (صلی اللّه عليهما و آلهما)» .

و فيه عن غيبه الشيخ عن الرضا عليه السّلام فی حديث له طويل فی علامات ظهور القائم عليه السّلام قال: «و الصوت الثالث يرون بدنا بارزا نحو عين الشمس: هذا أمير المؤمنين، قد كرّ فی هلاك الظالمين» .

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۹۰.
۲- ۲) إشاره إلی آيه ۱۵۹ فی سوره الأعراف: وَ مِنْ قَوْمِ مُوسیٰ أُمَّهٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ

أقول:

قوله عليه السّلام «يرون بدنا» لعله هو المصوت، فيكون أمير المؤمنين هو الظاهر الخارج فى الأرض، و يحتمل أن يكون البدن البارز هو أمير المؤمنين نحو عين الشمس، ثم يخرج على الأرض ليهلك الظالمين. و كيف كان فهذا النحو من الخروج من آياته تعالى، التى تكون عند الرجعه لإظهار الحقّ و لسوق الناس إلى قبوله، و اللّه العالم.

و فيه عنه عن المفضل بن عمر قال: ذكرنا القائم (عج) و من مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إذا قام أتى المؤمن فى قبره فيقال له: يا هذا إنه قد ظهر صاحبك! فإن تشأ أن تلحق به فألحق، و إن تشأ أن تقيم فى كرامه ربك فأقم» .

و فيه (۱)عن الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ قَضَيْنٰا إِلىٰ بَنِي إِسْرٰائِيلَ فِي اَلْكِتٰابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي اَلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ. . (۲)قال: «قتل على بن أبى طالب عليه السّلام و طعن الحسن عليه السّلام و لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً قال: قتل الحسين عليه السّلام فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ أُولاٰهُمٰا إذا جاء نصر دم الحسين بَعَثْنٰا عَلَيْكُمْ عِبٰاداً لَنٰا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجٰاسُوا خِلاٰلَ اَلدِّيٰارِ قوم يبعثهم اللّه قبل خروج القائم فلا يدعون واترا لآل محمد إلّا قتلوه وَ كٰانَ وَعْداً مَفْعُولاً خروج القائم ثُمَّ رَدَدْنٰا لَكُمُ اَلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ خروج الحسين عليه السّلام فى سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهبه لكل بيضه وجهان، المؤدون إلى الناس أنّ هذا الحسين قد خرج لا يشك المؤمنون فيه، و أنه ليس بدجال و لا شيطان، و الحجه القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفه فى قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السّلام جاء الحجه الموت، فيكون الذى يغسّله و يكفّنه و يحنّطه و يلحّده فى حفرته الحسين بن على عليه السّلام و لا يلى الوصى إلّا الوصى» .

و فيه (۳)عن غيبه الشيخ بإسناده عن جابر الجعفى قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۹۳.

۲- ۲) الإسراء:۴-۶.

۳- ۳) البحار ج ۵۳ ص ۱۰۰.

(یقول) : «و اللّه لیمکنّ منّا أهل البیت رجل بعد موته ثلاثمائه سنه یزداد تسعا، قلت: متی یکون ذلک؟ قال: بعد القائم، قلت: و کم یقوم القائم فی عالمه؟ قال: تسع عشره سنه، ثم یخرج المنتصر فیطلب بدم الحسین و دماء أصحابه، فیقتل و یسبی حتی یخرج السفّاح» . قال المجلسی رحمه اللّه: الظاهر أن المراد بالمنتصر الحسین علیه السّلام و بالسفّاح أمیر المؤمنین علیه السّلام. أقول: و سیأتی

عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام حدیث و فی ذیله: «و هل تدری من المنتصر و السفاح یا جابر؟ المنتصر: الحسین بن علی، و السفّاح: علی بن أبی طالب علیه السّلام» .

و فیه (1)عن منتخب البصائر، عن کتاب السلطان المفرّج، عن أهل الإیمان تصنیف السید الجلیل بهاء الدین علی بن عبد الکریم الحسنی یرفعه إلی علی بن مهزیار، قال: کنت نائما فی مرقدی إذ رأیت فیما یری النائم قائلا یقول: «حج السنه فإنک تلقی صاحب الزمان» ، و ذکر الحدیث بطوله. ثم قال: «یا بن مهزیار إنه إذا فقد الصین و تحرک المغربی، و سار العباسی و بویع السفیانی، یؤذن لولی اللّه، فأخرج بین الصفا و المروه، فی ثلاثمائه و ثلاثه عشر فأجیء إلی الکوفه، فأهدم مسجدها، و أبنیه علی بنائه الأول و أهدم ما حوله من بناء الجبابره. و أحج بالناس حجه الإسلام، و أجیء إلی یثرب، فاهدم الحجره، و أخرج من بها و هما طریّان، فآمر بهما تجاه البقیع، و آمر بخشبتین یصلبان علیهما فتورقان من تحتهما، فیفتتن الناس بهما أشد من الأولی، فینادی مناد الفتنه من السماء یا سماء انبذی، و یا أرض خذی، فیومئذ لا یبقی علی وجه الأرض إلاّ مؤمن قد أخلص قلبه للإیمان.

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۰۴.

قلت: یا سیدی ما یکون بعد ذلک؟ قال: الکرّه الکرّه الرجعه، ثم تلا هذه الآیه: ثُمَّ رَدَدْنا لَکُمُ اَلْکَرَّهَ عَلَیْهِمْ وَ أَمْدَدْناکُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِینَ وَ جَعَلْناکُمْ أَکْثَرَ نَفِیراً (۱)» .

قوله علیه السّلام: «الکرّه الکرّه الرجعه» أی یکون بعد هذا رجوع الأئمه علی ما بینته الأخبار.

و أما قوله علیه السّلام: «ثم ینادی منادی الفتنه من السماء یا سماء أنبذی و یا أرض خذی. . . إلخ» فالظاهر أن المراد من الفتنه هو الامتحان، فإنه فی ذلک الزمان یمتحن الخلائق، لیظهر ما فی کونهم کما علمت فیما سبق.

و قوله علیه السّلام: «یا سماء انبذی و یا أرض خذی» إما یراد منه الصوت فقط، لیخاف الناس فیؤمنوا، أو یبقوا فی کفرهم و ضلالتهم، کل علی حسب ما فی أصله و ذاته و إما، یراد منه ظهور آیات من الملائکه أو الریاح أو البارقه من السماء، فحینئذ السماء تنبذ بالبارقه علی رءوس الناس، و الأرض تأخذ هذا إلی العذاب و تذر المؤمن، و اللّه العالم بمراد أولیائه علیهم السّلام. و فیه (۲)عن فهرست النجاشی، «کانت لمؤمن الطاق مع أبی حنیفه حکایات کثیره، فمنها أنه قال له یوما: یا أبا جعفر! تقول بالرجعه؟ فقال: نعم، فقال له: أقرضنی من کیسک هذا خمسمائه دینار، فإذا عدت أنا و أنت رددتها إلیک، فقال له فی الحال: أرید ضمینا یضمن لی أنک تعود إنسانا، و إنی أخاف أن تعود قردا فلا أتمکن من استرجاع ما أخذت» .

و فیه (۳)عن مختصر البصائر عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال سألته عن قول اللّه عز و جل: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ اَلسَّماءِ آیَهً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِینَ (۴)قال: «تخضع لها رقاب بنی أمیه قال: ذلک بارز عند زوال الشمس،

ص: ۴۷۶

۱- ۱) الإسراء:۶.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۱۰۷.

۳- ۳) البحار ج ۵۳ ص ۱۰۹.

۴- ۴) الشعراء:۴.

قال: و ذلک علی بن أبی طالب علیه السّلام، یبرز عند زوال الشمس علی رءوس الناس ساعه حتی یبرز وجهه یعرف الناس حسبه و نسبه. ثم قال: أما أن بنی أمیه لیخبینّ الرجل منهم إلی جنب شجره، فتقول: هذا رجل من بنی أمیه فاقتلوه» . أقول: لعل قوله علیه السّلام: «و ذلک أی البارز عند زوال الشمس، علی بن أبی طالب علیه السّلام» یطابق مضمونه مع ما تقدم

عن الرضا علیه السّلام علامات ظهور القائم (عج) من قوله: «یرون بدنا بارزا نحو عین الشمس هذا أمیر المؤمنین علیه السّلام. . . إلخ» ، و اللّه العالم.

و فیه (۱)عن ابن عباس عن النبی صلّی اللّه علیه و آله أنه قال فی خطبه حجه الوداع: «لأقتلنّ العمالقه فی کتیبه فقال له جبرئیل علیه السّلام: أو علی، قال: أو علی بن أبی طالب علیه السّلام» . قوله «أو علی» یعنی أو یقتل العمالقه علی علیه السّلام، فقال صلّی اللّه علیه و آله: «أو علی بن أبی طالب» أی أو یقتلهم علی علیه السّلام.

و فیه عن الکافی بإسناده عن کرام قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «لو کان الناس رجلین لکان أحدهما الإمام علیه السّلام، و قال: إنّ آخر من یموت الإمام علیه السّلام لئلاّ یحتجّ أحد علی اللّه أنه ترکه بغیر حجه (للّه) علیه» .

و فیه (۲)عن کامل الزیارات عن المفضل بن عمر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «کأنّی بسریر من نور قد وضع، و قد ضربت علیه قبّه من یاقوته حمراء، مکلّله بالجوهر و کأنّی بالحسین علیه السّلام جالسا علی ذلک السریر، و حوله تسعون ألف قبّه خضراء، و کأنّی بالمؤمنین یزورونه و یسلّمون علیه. فیقول اللّه عز و جل لهم: أولیائی سلونی! فطالما أوذیتم و ذللتم و اضطهدتم، فهذا یوم لا تسألونی حاجه من حوائج الدنیا و الآخره إلاّ قضیتها لکم، فیکون أکلهم و شربهم من الجنه، فهذه و اللّه

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۱۴.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۱۱۶.

الکرامه» . قال المجلسی رحمه اللّه: سؤال حوائج الدنیا یدلّ علی أنّ هذا فی الرجعه إذ هی لا تسأل فی الآخره.

و فیه (۱)عن کامل الزیارات عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیه السّلام قالا فی ذکر الکوفه: «فیها مسجد سهیل الذی لم یبعث اللّه نبیّا إلّا و قد صلّی فیه، و منها یظهر عدل اللّه، و فیها یکون قائمه و القوام من بعده، و هی منازل النبیین و الأوصیاء و الصالحین» .

و فیه (۲)عن تفسیر فرات بن إبراهیم عن ابن عباس فی قوله تعالی: وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا جَلاّٰهٰا قال «یعنی الأئمه منا أهل البیت یملکون الأرض فی آخر الزمان فیملؤنها عدلا و قسطا» .

و فیه (۳)عن إکمال الدین بإسناده عن أبی بصیر قال: قلت للصادق جعفر بن محمد علیهما السّلام یا بن رسول اللّه سمعت من أبیک علیه السّلام أنه قال: «یکون بید القائم اثنا عشر مهدیّا، فقال: إنّما قال: اثنا عشر مهدیا، و لم یقل اثنا عشر إماما، و لکنهم قوم من شیعتنا یدعون الناس إلی موالاتنا و معرفه حقنا» . أقول: و فسّر هؤلاء القوم من الشیعه بأنهم من ولد الحسین علیه السّلام.

ففیه عن غیبه الشیخ بإسناده عن أبی حمزه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث طویل أنه قال: «یا أبا حمزه إنّ منّا بعد القائم أحد عشر مهدّیا من ولد الحسین علیه السّلام» . أقول: لعل الأحد عشر من ولد الحسین علیه السّلام فهم مع أبیهم الحسین علیه السّلام یبلغون إلی اثنی عشر مهدیّا، ففی الحدیث السابق إنما ذکر اثنی عشر بلحاظ دخول الحسین علیه السّلام فیهم، و اللّه العالم.

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۴۸.

۲- ۲) البحار ج ۵۳ ص ۱۱۸.

۳- ۳) البحار ج ۵۳ ص ۱۴۵.

و فیه (۱)عن تفسیر العیاشی عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «و اللّه لیملکنّ رجل منّا أهل البیت الأرض بعد موته ثلاثمائه سنه، و یزداد تسعا قال قلت: فمتی ذلک؟ قال: بعد موت القائم، قال: قلت: و کم یقوم القائم فی عالمه حتی یموت؟ قال: تسع عشره سنه، من یوم قیامه إلی یوم موته، قال: قلت فیکون بعد موته هرج؟ قال: نعم، خمسین سنه. قال: ثمّ یخرج المنصور إلی الدنیا فیطلب دمه و دم أصحابه فیقتل و یسبی حتی یقال: لو کان هذا من ذریه الأنبیاء ما قتل الناس کل هذا القتل، فیجتمع الناس علیه أبیضهم و أسودهم، فیکثرون علیه حتی یلجئونه إلی حرم اللّه، فإذا اشتدّ البلاء علیه، مات المنتصر و خرج السفاح إلی الدنیا غضبا للمنتصر، فیقتل کلّ عدوّ لنا جائر، فیملک الأرض کلها، و یصلح اللّه له أمره، یعیش ثلاثمائه سنه و یزداد تسعا» . ثم قال أبو جعفر علیه السّلام: «یا جابر و هل تدری من المنتصر و السفّاح؟ یا جابر المنتصر الحسین، و السفاح أمیر المؤمنین «صلوات اللّه علیهما» . أقول: قال المجلسی رحمه اللّه: بیان هذه الأخبار مخالفه للمشهور و طریق التأویل أحد وجهین: الأول: أن یکون المراد بالاثنی عشر مهدیّا النبی صلّی اللّه علیه و آله و سائر الأئمه سوی القائم (عج) بأن یکون ملکهم بعد القائم علیه السّلام و قد سبق أن الحسن بن سلیمان أولها بجمیع الأئمه و قال برجعه القائم (عج) بعد موته، و به أیضا یمکن الجمع بین بعض الأخبار المختلفه التی وردت فی مده ملکه علیه السّلام. و الثانی: أن یکون هؤلاء المهدیّون من أوصیاء القائم هادین للخلق فی زمن سائر الأئمه الذین رجعوا، لئلا یخلو الزمان من حجه، و إن کان أوصیاء الأنبیاء و الأئمه أیضا حججا، و اللّه تعالی یعلم.

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۱۴۶.

أقول: قد علمت تفسير الاثنى عشر مهديّا بأنهم من ولد الحسين عليه السّلام و الظاهر أنهم فى زمان الأئمه عليهم السّلام فى الرجعه يكون كلّ منهم مهديا من قبل الإمام فى كلّ طرف من أطراف العالم، و فى زمانه الذى قد رجع فيه، و اللّه العالم. فكيف كان فهذه الأخبار التى دلّت على وقائع تكون بعد قيام القائم (عج) ثم إن بعضها معلوم المراد، و بعضها غير ظاهر المراد

كقوله عليه السّلام فى هذا الحديث: فيكون بعد موته هرج. أقول:

و روى فى إكمال الدين (۱)بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «ما زالت الأرض إلّا و للّه تعالى فيها حجه يعرف الحلال من الحرام، و يدعو إلى سبيل اللّه، و لا تنقطع الحجه من الأرض إلّا أربعين يوما قبل القيامه، و إذا رفعت الحجه أغلق باب التوبه لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ. . . الآيه، أولئك شرار خلق اللّه و هم الذين تقوم عليهم القيامه» . أقول: تقدمت هذه الروايه فى الرجعه، و علمت أن هذا عند اقتراب الساعه، و على هذا فمعنى

قوله عليه السّلام: «نعم، خمسين سنه» ، بعد السؤال بقوله: فيكون بعد موته هرج؟ إنه لا يكون هرج كالهرج قبل قيام الساعه، بل يكون فتره، و اللّه العالم، و لا يكون فى زمان هذا الهرج انقطاع الحجه، فإنه صرح كثير من الأخبار بأنه لا ترفع الحجه إلّا قبل القيامه بأربعين يوما، و حمل هذا الهرج على خروج القائم عليه السّلام فى آخر الزمان قبل يوم القيامه و بعد الكرّات للأئمه عليهم السّلام بعيد، فإنه و إن ورد أنه عليه السّلام يرجع بعد ما يقتل فى آخر الزمان إلّا أن قوله عليه السّلام بعده (ثم يخرج المنصور إلى الدنيا أى الحسين عليه السّلام) ظاهر فى خروجه الأول لا الأخير كما لا يخفى.

بقى شىء و هو أن قوله عليه السّلام «منتظر لأمركم، و مرتقب لدولتكم»

، يشير إلى أن الزائر يظهر بعد إيمانه برجوعهم عليهم السّلام و تصديقه بها أنه منتظر لأمرهم و فرجهم و قيامهم عليهم السّلام و أنه مرتقب لانتقال الدوله إليهم عليهم السّلام و قد دلّت أحاديث كثيره على

ص: ۴۸۰

۱- ۱) إكمال الدين ج ۱ ص ۳۳۹.

أن انتظار الفرج من أفضل العبادات. و يشير إلى ما ذكر أحاديث لا بأس بذكر بعضها، و هى بين ما دلّت على فضل انتظار الفرج، و بين ما دلّت على أفضليّه العباده فى تلك الحاله، أى حال الغيبه و انتظار الفرج، و بين ما دلّ على أنّ المنتظرين هم المؤمنون الممتحنون.

ففى كتاب يوم الخلاص نقلا عن إلزام الناصب و غيره عن النبى صلّى اللّه عليه و آله: «المهدى من ولدى الذى يفتح اللّه به مشارق الأرض و مغاربها، ذلك الذى يغيب عن أوليائه، لا يثبت على القول بإمامته إلّا من امتحن اللّه قلبه للإيمان» .

و فيه عن عدّه كتب عنه صلّى اللّه عليه و آله «أفضل العباده انتظار الفرج» .

و فيه عنه صلّى اللّه عليه و آله: «انتظار الفرج عباده، أفضل أعمال أمتى انتظار فرج اللّه» .

و فيه عن أمير المؤمنين عليه السّلام «أفضل العباده الصمت و انتظار الفرج» ، رواه عن الكشكول.

و فيه عن النبى صلّى اللّه عليه و آله «سيأتى قوم من بعدكم الرجل منهم له أجر خمسين منكم، قالوا: يا رسول اللّه نحن كنّا معك ببدر و حنين و أحد و نزل فينا القرآن، فقال: إنكم لو تحملون ما حملوا لم تصبروا صبرهم» ، رواه عن منتخب الأثر و غيبه الطوسى.

و فيه عنه صلّى اللّه عليه و آله «يأتى على الناس زمان المؤمن فيه أذلّ من شاته» .

و فيه عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام عنه صلّى اللّه عليه و آله «يا على لا يحفظنّ فيك إلّا الأتقياء الأبرار الأخصّاء، و ما هم فى أمتى إلّا كالشعره البيضاء فى الثور الأسود فى الليل الغابر» .

و فى البحار (۱)، عن بصائر الدرجات عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذات يوم و عنده جماعه من أصحابه: (اللهم لقنى إخوانى) مرتين، فقال من حوله من أصحابه: أ ما نحن إخوانك يا رسول اللّه؟ فقال: لا، إنكم أصحابى، و إخوانى قوم فى آخر الزمان آمنوا و لم يرونى، لقد عرفنيهم اللّه بأسمائهم

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۱۲۴.

و أسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم و أرحام أمهاتهم، لأحدهم أشدّ بقيّه على دينه من خرط القتاد فى الليله الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم اللّه من كلّ فتنه غبراء مظلمه» .

و فيه (۱)عن الباقر عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أفضل العباده انتظار الفرج» . أقول: فى هذا المجلد أحاديث فضل انتظار الفرج فمن أراد فليراجعها.

و فى الكافى فى كتاب الحجه، باب النادر فى حال الغيبه، عن المفضّل بن عمر، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «أقرب ما يكون العباد من اللّه جلّ ذكره، و أرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجه اللّه جل و عز، و لم يظهر لهم و لم يعلموا مكانه، و هم فى ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجه اللّه جل ذكره و لا ميثاقه، فعنده فتوقّعوا الفرج صباحا و مساء، فإن أشدّ ما يكون غضب اللّه على أعدائه إذا افتقدوا حجته و لم يظهر لهم، و قد علم أنّ أولياءه لا يرتابون، و لو علم أنهم يرتابون ما غيّب حجته عنهم طرفه عين، و لا يكون ذلك إلّا على رأس شرار الناس» .

و فيه عن عمار الساباطى قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام أيّما أفضل: العباده فى السّر مع الإمام منكم المستتر فى دوله الباطل أو العباده فى ظهور الحق و دولته مع الإمام منكم الظاهر؟ فقال: «يا عمار! الصدقه فى السّر و اللّه أفضل من الصدقه فى العلانيه، و كذلك و اللّه عبادتكم فى السّر مع إمامكم المستتر فى دوله الباطل، و تخوّفكم من عدوكم فى دوله الباطل و حال الهدنه أفضل ممن يعبد اللّه عز و جل ذكره فى ظهور الحق مع إمام الحق الظاهر فى دوله الحق، و ليست العباده مع الخوف فى دوله الباطل مثل العباده و الأمن فى دوله الحق، و اعلموا أنّ من صلّى منكم اليوم صلوه فريضه فى جماعه، مستتر بها من عدوّه فى وقتها فأتمّها، كتب اللّه له خمسين صلوه فريضه فى

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۱۲۵.

جماعه، و من صلّى منكم صلوه فريضه وحده مستترا بها من عدوه فى وقتها فأتمّها، كتب اللّه عز و جل بها له خمسا و عشرين صلوه فريضه وحدانيه، و من صلّى منكم صلوه نافله لوقتها فأتّمها، كتب اللّه له بها عشر صلوات نوافل، و من عمل منكم حسنه، كتب اللّه عز و جل له بها عشرين حسنه، و يضاعف اللّه عز و جل حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله، و دان بالتقيه على دينه و إمامه و نفسه، و أمسك من لسانه أضعافا مضاعفه، إنّ اللّه عز و جل كريم، قلت: جعلت فداك قد و اللّه رغّبتنى فى العمل و حثثتنى عليه، و لكن أحب أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالا من أصحاب الإمام الظاهر منكم فى دوله الحق و نحن على دين واحد؟ فقال: إنكم سبقتموهم إلى الدخول فى دين اللّه عز و جل، و إلى الصلوه و الصوم و الحج، و إلى كل خير وفقه و إلى عباده اللّه عز ذكره سرّا من عدوكم مع إمامكم المستتر، مطيعين له، صابرين معه، منتظرين لدوله الحق، خائفين على إمامكم و أنفسكم من الملوك الظلمه، تنتظرون إلى حق إمامكم و حقوقكم فى أيدى الظلمه، قد منعوكم ذلك، و اضطّروكم إلى حرث الدنيا و طلب المعاش مع الصبر على دينكم و عبادتكم و طاعه إمامكم و الخوف مع عدوكم، فبذلك ضاعف اللّه عز و جل لكم الأعمال، فهنيئا لكم. قلت: جعلت فداك، فما ترى إذا أن نكون من أصحاب القائم، و يظهر الحق و نحن اليوم فى إمامتك و طاعتك أفضل أعمالا من أصحاب دوله الحق و العدل؟ فقال: سبحان اللّه، أ ما تحبّون أن يظهر اللّه تبارك و تعالى فى أرضه، و تقام حدوده فى خلقه، و يردّ اللّه الحق إلى أهله فيظهر، حتى لا يستخفى بشىء من الحق مخافه أحد من الخلق. أما و اللّه يا عمار! لا يموت منكم ميّت على الحال التى أنتم عليها إلاّ كان أفضل عند اللّه من كثير من شهداء بدر و أحد فأبشروا» .

و فيه عن أبى إسحاق قال: حدّثنى الثقه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام: أنهم

سمعوا أمير المؤمنين علیه السّلام یقول فی خطبه له: «اللهم و إنی لأعلم أنّ العلم لا یأزر کله، و لا ینقطع موادّه، و أنک لا تخلی أرضک من حجه لک علی خلقک، ظاهر لیس بالمطاع أو خائف مغمور، کیلا تبطل حجتک و لا یضلّ أولیاؤک بعد إذ هدیتهم، بل أین هم و کم؟ أولئک الأقلّون عددا و الأعظمون عند اللّه جلّ ذکره قدرا، المتّبعون لقاده الدین، الأئمه الهادین الذین یتأدّبون بآدابهم، و ینهجون نهجهم، فعند ذلک یهجم بهم العلم علی حقیقه الإیمان، فتستجیب أرواحهم لقاده العلم، و یستلینون من حدیثهم ما استوعر علی غیرهم، و یأنسون بما استوحش منه المکذّبون و أباه المسرفون، أولئک أتباع العلماء. صحبوا أهل الدنیا بطاعه اللّه تبارک و تعالی و أولیائه، و دانوا بالتقیه عن دینهم و الخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلّقه بالمحل الأعلی، فعلماؤهم و أتباعهم خرس صمت فی دوله الباطل، منتظرون لدوله الحق، و سیحق اللّه الحق بکلماته و یمحق الباطل، ها، ها، طوبی لهم علی صبرهم علی دینهم فی حال هدنتهم! و یا شوقاه إلی رؤیتهم فی حال ظهور دولتهم! و سیجمعنا اللّه و إیاهم فی جنات عدن و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرّیاتهم» . أقول:

فقوله:

«منتظر کم لأمر کم، مرتقب لدولتکم»

، یشیر إلی أنه یقرّ الزائر لهم بأنّی ممتثل لهذه الأمور الصادره منکم، لبیان حال المؤمن فی زمان الغیبه، لیکون له ما وعده اللّه تعالی له من الثواب و الفضل الجزیل عنده، فإنه حمید مجید. أقول: یعجبنی أن أختم الکلام فی المقام بما

فی البحار (۱)، عن منتخب البصائر من کتاب الواحده عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «إنّ اللّه تبارک و تعالی أحد واحد، تفرّد فی وحدانیته، ثمّ تکلّم بکلمه فصارت نورا، ثم خلق من ذلک النور محمدا صلّی اللّه علیه و آله و خلقنی و ذرّیتی، ثمّ تکلّم بکلمه فصارت روحا، فأسکنه اللّه فی ذلک النور، و أسکنه فی أبداننا فنحن روح اللّه و کلماته، فبنا احتجّ

۱- ۱) البحار ج ۵۳ ص ۴۶.

على خلقه، فما زلنا فى ظلّه خضراء، حيث لا شمس و لا قمر و لا ليل و لا نهار، و لا عين تطرف، نعبده و نقدسه و نسبحه، و ذلك قبل أن يخلق الخلق، و أخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان و النصره لنا، و ذلك قوله عز و جل: وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِيثٰاقَ اَلنَّبِيِّينَ لَمٰا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ (۱)يعنى لتؤمننّ بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و لتنصرنّ وصيّه، و سينصرونه جميعا. و إنّ اللّه أخذ ميثاقى مع ميثاق محمد صلّى اللّه عليه و آله بالنصره بعضنا لبعض، فقد نصرت محمدا و جاهدت بين يديه، و قتلت عدوّه، و وفيت للّه بما أخذ علىّ من الميثاق و العهد، و النصره لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و لم ينصرنى أحد من أنبياء اللّه و رسله، و ذلك لما قبضهم اللّه إليه، و سوف ينصروننى، و يكون لى ما بين مشرقها إلى مغربها، و ليبعثنّ اللّه أحياء من آدم إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله كلّ نبى مرسل، يضربون بين يدىّ بالسيف هام الأموات و الأحياء و الثقلين جميعا. فيا عجبا و كيف لا أعجب من أموات يبعثهم اللّه أحياء! يلبّون زمره زمره بالتّلبيه لبّيك لبّيك يا داعى اللّه، قد تخلّلوا بسكك الكوفه، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم، ليضربون بها هام الكفره، و جبابرتهم و أتباعهم من جبّاره الأولين و الآخرين حتى ينجز اللّه ما وعدهم فى قوله عز و جل: وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي اَلْأَرْضِ كَمَا اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ اَلَّذِى اِرْتَضىٰ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاٰ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً (۲)أى يعبدوننى آمنين لا يخافون أحدا من عبادى ليس عندهم تقيّه. و إن لى الكرّه بعد الكرّه، و الرجعه بعد الرجعه، و أنا صاحب الرجعات و الكرّات، و صاحب الصولات و النقمات، و الدولات العجيبات و أنا قرن من حديد، و أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، أنا أمين اللّه و خازنه، و عيبه سرّه و حجابه

۱- ۱) آل عمران:۸۱.

۲- ۲) النور:۵۵.

و وجهه و صراطه و میزانه، و أنا الحاشر إلی اللّه، و أنا کلمه اللّه التی یجمع بها المفترق و یفرق بها المجتمع، و أنا أسماء اللّه الحسنی، و أمثاله العلیا و آیاته الکبری، و أنا صاحب الجنه و النار، أسکن أهل الجنه الجنه، و أسکن أهل (النار) النار، و إلی تزویج أهل الجنه، و إلی عذاب أهل النار، و إلی إیاب الخلق جمیعا، و أنا الإیاب الذی یئوب إلیه کل شیء بعد القضاء، و إلی حساب الخلق جمیعا، و أنا صاحب الهبات، و أنا المؤذّن علی الأعراف، و أنا بارز الشمس، و أنا دابه الأرض، و أنا قسیم النار، و أنا خازن الجنان و صاحب الأعراف. و أنا أمیر المؤمنین، و یعسوب المتّقین، و آیه السابقین، و لسان الناطقین، و خاتم الوصیین، و خلیفه ربّ العالمین، و صراط ربی المستقیم، و فسطاطه و الحجه علی أهل السموات و الأرضین، و ما فیهما و ما بینهما، و أنا الذی احتجّ اللّه به علیکم فی ابتداء خلقکم، و أنا الشاهد یوم الدین، و أنا الذی علمت علم المنایا و البلایا و القضایا، و فصل الخطاب و الأنساب، و استحفظت آیات النبیین المستخفین المستحفظین. و أنا صاحب العصا و المیسم، و أنا الذی سخّرت لی السحاب و الرعد و البرق، و الظلم و الأنوار، و الریاح و الجبال و البحار، و النجوم و الشمس و القمر، أنا القرن الحدید، و أنا فاروق الأمه، و أنا الهادی، و أنا الذی أحصیت کلّ شیء عددا بعلم اللّه الذی أودعنیه، و بسره الذی أسرّه إلی محمد صلّی اللّه علیه و آله و أسرّه النبی صلّی اللّه علیه و آله إلیّ، و أنا الذی أنحلنی ربی اسمه و کلمته و حکمته و علمه و فهمه. یا معشر الناس اسألونی قبل أن تفقدونی، اللهم إنی أشهدک و أستعدیک علیهم، و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلی العظیم، و الحمد للّه متّبعین أمره» . أقول:

قوله علیه السّلام: «و أنا صاحب الرجعات و الکرّات. . . إلی قوله و الدولات» أی الرجعات إلی الدنیا، و تقدم أنّ له علیه السّلام کرّات متعدده. و الدوله: الغلبه أی أنا صاحب الغلبه بعد الغلبه فی الحروف فیما مضی و فیما یأتی

فی الرجعه.

قوله علیه السّلام «و أنا المؤذّن علی الأعراف» :

ففی المحکی عن الصدوق فی معانی الأخبار، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام بالکوفه، منصرفه من النهروان و ذکر الخطبه. . . إلی أن قال علیه السّلام فیها: «و أنا المؤذّن فی الدنیا و الآخره، قال اللّه عز و جل: فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اَللّٰهِ عَلَى اَلظّٰالِمِينَ (1)أنا ذلک المؤذّن، و قال: وَ أَذٰانٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ (2)فأنا ذلک المؤذّن» . أقول: الأول فی الآخره و الثانی فی الدنیا.

قوله علیه السّلام: «و أنا قسیم النار» : قیل هذا هو الصحیح لا القول بأنه علیه السّلام قسیم النار و الجنه، فإن قسیم بمعنی مقاسم، أی من قسم له شیء من شیئین مثلا الجنه و النار، فالمعنی الصحیح حینئذ أن یقال: یقسم أحد بین الجنه و النار أی یأخذ واحدا و یترک الآخر.

فقوله علیه السّلام: «أنا قسیم النار یعنی أنه یقول للنار: هذا لک و هذا المؤمن لی کما فی الخبر، و لا ریب فی أنّ هذا یقتضی أن یقول: أنا قسیم النار فقط، أی أنا مقاسم له فهو قسیمی أی قسمی، و لکن العرف الخاطی یقول: القسیم أی مقسّم أی من یقسّم الأشیاء کما قیل فی حقه علیه السّلام: علی حبّه جنّه قسیم النار و الجنّه وصیّ المصطفی حقّا إمام الإنس و الجنّه فإنه معنی صحیح، إلاّ أنه بلحاظ اللغه غیر صحیح. أقول: القسیم إذا أطلق علی المقسوم مثلا بأن قسم زیدا الکتابین فقال: هذا لعمرو و هذا لبکر، فقال عمرو لقسیمه: هذا قسمی أی مقسومی، أو قال: أنا قسمی

۱- ۱) الأعراف:۴۴.

۲- ۲) التوبه:۳.

هذا الكتاب، أى أنا مقاسم الكتاب بفتح السين، أى أنا الذى قسّم لى هذا الكتاب، فحينئذ الأمر كما ذكر، و أما إذا أطلق بمعنى القاسم أى أنا قسيم أى مقسم بالبناء للفاعل، فحينئذ يصحّ ما قاله العرف: إنه قسيم النار و الجنه، فإنّ فعيل كما يأتى بمعنى الفاعل يأتى بمعنى المفعول، كما لا يخفى، و يؤيد بل يدل عليه

قوله عليه السّلام فى أحاديث كثيره: أنا قسيم الجنه و النار ، و اللّٰه العالم.

قوله عليه السّلام: «و صاحب الأعراف» . أقول: هذا إشاره إلى قوله تعالى: وَ عَلَى اَلْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ (1)و قد وردت أحاديث كثيره على أنهم عليهم السّلام الأعراف،

كما ورد عن الاصبغ بن نباته قوله عليه السّلام لابن الكوّاء: «ويحك يا بن الكوّاء، نحن نقف يوم القيامه بين الجنه و النار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّه، و من أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار» .

قوله عليه السّلام: «أنا صاحب العصا و الميسم» ، قد تقدم بيانه فى أنه عليه السّلام هو دابه الأرض و أنها تعمل هذا العمل.

قوله عليه السّلام: آخذ بقولكم،

عامل بأمركم، مستجير بكم، زائر لكم، عائذ بكم، لائذ بقبوركم، مستشفع إلى اللّٰه عز و جل بكم، و متقرب بكم إلى اللّٰه، و مقدّمكم أمام طلبتى و حوائجى و إرادتى فى كلّ أحوالى و أمورى، مؤمن بسرّكم و علانيتكم، و شاهدكم و غائبكم، و أوّلكم و آخركم، و مفوّض فى ذلك كلّه إليكم، و مسلّم فيه معكم، و قلبى لكم مسلّم، و رأيى لكم تبع، و نصرتى لكم معدّه، حتى يحيى اللّٰه تعالى دينه بكم، و يردّكم فى أيّامه، و يظهركم لعدله، و يمكّنكم فى أرضه

أقول: لما أقرّ الزائر بجمله من فضائلهم، و خصائص ولايتهم و شئونهم، و أنّ الحق معهم، و أقرّ برجعتهم أراد إظهار خضوعه لديهم زائدا على ما مرّ و أنه فى

۱- ۱) الأعراف:۴۶.

زمان الهدنه و الفتره من الأئمه عليهم السّلام لا يرفع اليد عنهم، و يعمل بقولهم و دينهم إلى أن يحيى اللّه تعالى دينه بهم. و الحاصل: أنه يعترف بأنه لا يفارقهم فى زمان غيبتهم فى جميع الأمور الدينيه إلى زمان حضورهم، ثم إنه أظهر هذه العقيده و التمسك بهم فى ضمن جمل نذكر شرحها. فقال: «آخذ بقولكم» ، لما علم أنّ الحقّ و الصواب منهم عليهم السّلام،

ففى المحكى عن الكافى بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حق و لا صواب، و لا أحد من الناس يقضى بقضاء حقّ إلاّ ما خرج منّا أهل البيت، و إذا تشعبّت بهم الأمور كان الخطأ منهم و الصواب من على عليه السّلام» .

و فيه بإسناده عن زراره قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فقام له رجل من أهل الكوفه يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «سلونى عما شئتم، فلا تسألونى عن شىء إلاّ نبأتكم به، قال: إنه ليس أحد عنده علم إلاّ شىء خرج من عند أمير المؤمنين عليه السّلام فليذهب الناس حيث شاءوا، فو اللّه ليس الأمر إلاّ من هيهنا و أشار بيده إلى بيته» .

و فيه عنه عليه السّلام قال: قال أبو جعفر عليه السّلام لسلمه بن سهيل، و الحكم بن عتيبه «شرّقا و غرّبا فلا تجدان علما صحيحا إلاّ شيئا خرج من عندنا أهل البيت» . فحينئذ فالمعتقد بهم و بأن الحق منهم، فلا محاله يكون آخذا بقولهم و عاملا بأمرهم.

فقوله عليه السّلام: «عامل بأمركم»

، أى أنّى لانقطاعى إليكم فى أمر الدين، و إقرارى بولايتكم، و أنها ولايه اللّه، كما تقدم فلا محاله أنا عامل بأمركم، سواء أريد من الأمر ما يطابق القول، فتكون الجملتان متحدتين معنى، أو أريد به خصوص ما أمروا به، و ندبوا إليه للعمل كالأوامر المولويه، فهو أى الزائر مؤتمر بأوامرهم و منتهى عن نواهيهم، فيكون أخصّ من القول، لأنه يعم جميع ما قالوا به من الأخبار بما مضى

و یأتی و بالمعارف الإلهیه، کما لا یخفی.

قوله علیه السّلام: «مستجیر بکم» .

أقول: الاستجاره: طلب الحفظ، و لا ریب فی أنّ الحفظ من عذاب اللّه تعالی فی القیامه و من المکاره الدنیویه، لا یکاد یکون إلاّ بهم، کما نطقت به الأحادیث الکثیره من أنهم أمان لأهل الأرض و السماء، خصوصا بالنسبه إلی شیعتهم و محبّیهم، کیف لا و قد قال تعالی: وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ اِسْتَجٰارَکَ فَأَجِرْهُ فأمره تعالی بإجاره من استجار به من المشرکین، فکیف بموالیهم و من اعتقد بولایتهم، بل لا رجاء لمحبّیهم إلاّ بهم و باستجارتهم و أنهم علیهم السّلام یجیرون من استجار بهم علیهم السّلام و لنعم ما قیل: هل یمنعنی و هو الساقی أن أشرب من حوض الکوثر أو یطردنی عن مائده وضعت للقانع و المعتر ثم إن الاستجاره أمر قلبی یتحقق من العقیده بأنهم أسمائه الحسنی، لأنه تعالی یقضی فی الخلق قضیّته بهم، کما تقدم. و الحاصل: أنه یعتقد أن الأمر بیدهم بإذن اللّه تعالی، و من المحبه و الشوق إلیهم قلبا، بحیث یمیل بشراشر وجوده إلیهم، و یتبرّأ من أعدائهم أصلا و فرعا و تابعا و متبوعا، و من ذواتهم و صفاتهم و أفعالهم، فإذا کان کذلک فلا محاله یکون بقلبه معتصما بذمتهم التی هی ذمام اللّه تعالی المنیع و قد تقدم بیانه، فإذا کان کذلک فلا محاله کان جارهم و هم علیهم السّلام کانوا مجیریه من مهالک الدارین، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله.

[۵۸]قوله علیه السّلام: «زائر لکم»

، ففی المجمع زاره یزوره زیاره: قصده فهو زائر، و فیه

ص: ۴۹۰

«اللهم اجعلنی من زوّارک» أی من القاصـدین الملتجئین إلیک. . . إلی أن قال و الزیاره فی العرف: قصد المزور إکراما و تعظیما له و استیناسا به. أقول:

قوله

زائر لکم

إما تأکیـد لما ذکره فی هـذه الزیاره، أی أنا زائرکم بهذه الجمل، و أظهر بها انقطاعی إلیکم، و قد علمت أنّ الزیاره قصد المزور عرفا، فالزیاره صفه تتحقق للإنسان بالنسبه إلی أحد فی ضمن ما به یتحقق قصد المزور إکراما و تعظیما له، و یستأنس الزائر بهذه الجمل مع المزور. و من المعلوم أنه کلما کانت معرفته بالمزبور خصوصا فی مثل المقام أکثر، کان قصـده بالنسـبه إلیه أصـفی و أحسن، و موجبا للقرب الحقیقی، و کان أیضا أنسه به آکد و ألذّ، کما لا یخفی، و هذا مراد من قال: إن الزیاره هو الحضور عند المزور، فإن المراد منه هو الحضور القلبی، و هو یتحقق بهـذه الأمور، و قـد تقـدم فی صـدر الشـرح ما یوضـح لک هذا، و أنه لا یحصل هذا إلاّ برفع الحجب المشار إلیها قبلا، التی کانت موجبه لاحتجاب حقیقه الإنسان بها، فرفعها یوجب ظهورها أی یوجب ظهور حقیقه الإنسـان من أنها من فاضل طینتهم علیهم السّـلام فحینئـذ یتّصل قلبا بهم، لما یری بین حقیقته و حقیقه الإمام المزور علیه السّـلام ارتباطا و مناسـبه، بل یراها مرآه للإمام علیه السّـلام و وصله إلیه و یتوجه بها أی بحقیقته، التی هی من فاضل طینتهم إلیه أی إلی الإمـام علیه السّـلام. و الحاصـل أنه لاـ بـد من الطهـاره الصـوریه من الوضـوء و الغسـل و النظـافه و المعنویه من رفع الحجب القلبیه، حتی یتحقق الحضور الحقیقی و القصـد الحقیقی إلیه علیه السّـلام، ثم إن هـذا المعنی لاـ یتفـاوت فی تحققه بین القریب إلی مشاهدهم أو البعید عنها، إلاّ أنهم قد ندبوا إلی السفر إلی مشاهدهم و الالتجاء إلیهم عند اللّه تعالی لما فیه من کمال الانقطاع إلیهم حتی بالنسبه إلی قبورهم علیهم السّلام و من التبرک بقبورهم، فإنها کما سیأتی موضع الإجابات و قضاء الحاجات و ظهور البرکات بل و المعجزات، کما لا یخفی.

و الحاصل: أن المندوب هو اتصال الزائر فى جميع عوالمه المعنويه و الماديه بهم عليهم السّلام و هذا يقتضى التشرف إلى مشاهدهم الشريفه، و لعله إلى هذا كله يشير

قولهم عليهم السّلام فى بعض الزيارات:

«و حبّب إلى مشاهدهم» . و كيف كان، فالمحب لهم و الداخل فى ولايتهم يحبّ التقرّب إلى جميع شئونهم المعنويه و الظاهريه، كما لا يخفى. و لنعم ما قيل: أمرّ على الديار ديار ليلى أقبّل ذا الجدار و ذا الجدارا و ما حبّ الديار شغفن قلبى و لكن حبّ من سكن الديارا و قد يقال إن المراد

من قوله:

«زائر لكم»

، هو معناه اللغوى لا الزياره العرفيه، أى قصد المزور تعظيما، بل يراد منه قصده فى الدين، فتكون هذه الجمله كسائر الجمل من نحو

قوله:

«عائذ بكم»

، و يراد منها أنى قاصد إليكم فى جميع الأمور، و لا أقصد غيركم، و هذا القصد يتحقق بأمور منها القصد إليهم فمن كان فى زمان حضورهم ليأخذ منهم معالم دينه من الاعتقادات و الأعمال الشّرعيّه و التأدّبات الإلهيه، التى بها كمال الصوره الإنسانيه و الهيئه الملكيّه، و التى بها تحقق حقيقه العبوديه و التقوى الإلهيه بما لها من المراتب من التقوى عن الذنوب، و عن الصفات الرذيله، و عمّا سوى اللّه تعالى الذى به يتمّ السير، و قد فصل هذا كلّه فى كتب الأخلاق و المعارف و السلوك الإلهى كل ذلك امتثالا لما ورد فى قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ اَلْإِنْسٰانُ إِلىٰ طَعٰامِهِ (١)من قوله عليه السّلام أى إلى علمه عمّن يأخذه و قد تقدّم حديثه. و منها القصد إليهم لكل مؤمن سواء كان فى زمن حضورهم أو غيبتهم، و هو

۱- ۱) عبس:۲۴.

عباره عن الائتمام بهم و التسليم لهم و الردّ إليهم و تحصيل المعرفه بهم.

ففى الوافى عن الكافى فى باب التسليم و فضل المسلمين بإسناده عن سدير قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: إنى تركت مواليک مختلفين يتبرّأ بعضهم من بعض قال: «فقال و ما أنت و ذاک، إنما كلّف الناس ثلاثه: معرفه الأئمه، و التسليم لهم فيما ورد عليهم، و الرد إليهم فيما اختلفوا» . ثمّ إنّ هذا إنما يتمّ بالمجانبه و التبرى من أعدائهم و مخالفيهم، و إلّا لم يتحقق القصد الكامل الصحيح إليهم، بل و لا التسليم إلّا بالتبرى من أعدائهم بحيث يظهر ذلک من أعمالهم. و بعباره أخرى: لا بدّ من ظهور عملهم فى التبرى من أعدائهم، ليدلّ على أنه من محبّيهم و شيعتهم الخلّص، بحيث لا يميل قلبا إلى غيرهم، بل تكون محبّته خالصه لهم عليهم السّلام. و منها: القصد فى الأعمال إليهم، و حاصله أنّ الأمرين السابقين يتعلّقان بالقلب و بالمعرفه و الأمور الباطنيه، و أما هذا فالمراد منه القصد إليهم بالأعمال، بأن يتمثل ما قرّروه و بيّنوه من أوامر اللّه تعالى و نواهيه، و قد تقدم ما يوضح المقام فى

قوله عليه السّلام:

«و المظهرين لأمر اللّه تعالى»

، فبهذا الامتثال يظهر أنه يقصدهم بأعماله أيضا.

قوله عليه السّلام: «عائذ بكم لائذ بقبوركم»

، فى المجمع: و عذت بفلان و استعذت به، أى: لجأت إليه و اعتصمت به، و هو عياذى أى ملجئى، و فيه و لاذ به لواذا و لياذا أى لجأ إليه و عاذ به. أقول: و يأتى بمعنى استتر يقال: لاذ بعضهم ببعض و استتر به، فحينئذ نقول: العياذ بهم عليهم السّلام و الاستعاذه بهم، و اللواذ بهم هو الالتجاء بهم و الاعتصام بهم عليهم السّلام و الاستتار بهم عن مكاره الدارين، و هذا لا تتحقق إلّا بأمرين: الأول: المعرفه بأنهم عليهم السّلام الأسماء الحسنى للّه تعالى و أن ولايتهم ولايه اللّه و أنهم فانون عن أنفسهم الشريفه، و أنهم فى الوجود مظاهره تعالى و أبوابه و هم عين اللّه

الناظره، و أذن اللّه السامعه، و قلب اللّه الواعی، و یده المبسوطه بالرحمه الواسعه الإلهیه، و أن الاعتصام بهم اعتصام باللّه، کما أنّ حبّهم حبّه و طاعتهم طاعته، کما مرّ مرارا، و أنهم لا یفعلون إلاّ بإذنه و مشیّته، حیث علمت أنّ قلوبهم علیهم السّلام أوعیه لمشیّه اللّه تعالی. و الحاصل: یعرف و یعلم أنّ جمیع شئونهم المتعلّقه بولایتهم التشریعیه و التکوینیه هو شئونه تبارک و تعالی، بحیث یعلم أنّ العیاذ بهم و الالتجاء إلیهم حیث إنه کذلک عیاذ و التجاء و اعتصام باللّه تعالی. الثانی: أن یکون المعیذ بهم و الملتجی بهم و اللائذ بقبورهم عن إیمان و تصدیق قلبی، لا عن شکّ و تردید و امتحان، فإنه حینئذ لا یستفید منهم بهذه الأمور شیئا من سعاده الدارین أو دفع مکارههما. و کیف کان لا بد من الانقطاع الحقیقی إلیهم و التصدیق القلبی بهم، بل لا بد من حقیقه المحبّه و الموده و الشوق و العشق بهم، فکلّما ازدادت هذه الأمور بالنسبه إلیهم، ازداد الالتجاء و الاعتصام عن صدق بهم علیهم السّلام فحینئذ تترتّب علیه آثارها لا محاله، و الإظهار الصوری بدون هذین الأمرین لا یغنی عنه شیئا، کما هو حقه. نعم له أثر قلیل، فإذا أردت الحظّ الأوفر منهم و منه تعالی بواسطتهم، فکن فی هذین الأمرین صادقا. و بعباره أخری: الاعتصام الحقیقی و العیاذ الحقیقی و اللّواذ الحقیقی لا یکون من أحد بالنسبه إلیهم علیهم السّلام إلاّ بالیقین بولایتهم، و لا یکون هذا إلاّ بمحبّتهم، و لا یظهر هذا صدقا إلاّ بمتابعتهم، فی جمیع الأمور، و لا تتحقق المتابعه کذلک إلاّ بالمعرفه بالأمرین المذکورین، و بالتصدیق بهم، أنهم کذلک و لا تحصل هذه الأمور کلها إلاّ بالتسلیم الصحیح لهم بعد ثبوت حقّانیتهم بالأدله العقلیه و الشرعیه المذکوره فی الکتب الکلامیه. أقول: و لعله یشیر

قوله علیه السّلام:

«عائذ بکم»

، أی أنّ تحقق الاستعاذه باللّه تعالی

لا تتحقّق إلّا بالإعاذه بهم، حيث إنهم أسماؤه الحسنى، و أنّ ولايتهم هو الذّمام الإلهى الذى لا يطاول و لا يحاول. توضيحه: أنّ الاستعاذه باللّه تعالى تتحقق بالمستعيذ و هو العبد، و المستعيذ به و هو اللّه تعالى، و المستعيذ منه و هو الشيطان. و إلى ما ذكر يشير ما رواه

فى الوافى (۱)، نقلا عن الكافى مرسلا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، و لا تعرفون حتى تصدّقوا، و لا تصدّقون حتى تسلّموا أبوابا أربعه، لا يصلح أولها إلّا بآخرها، ضلّ أصحاب الثلاثه و تاهوا تيها بعيدا، إن اللّه تعالى لا يقبل العمل الصالح، و لا يتقبّل إلّا بالوفاء بالشروط و العهود، و من وفى بشرطه و استكمل ما وصف فى عهده نال ما عنده و استكمل وعده، إن اللّه تعالى أخبر العباد بطرق الهدى، و شرع لهم فيها المنار، و أخبرهم كيف يسلكون، فقال: وَ إِنِّى لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اِهْتَدى (۲)، و قال: إِنَّما يَتَقَبَّلُ اَللّهُ مِنَ اَلْمُتَّقِينَ (۳). فمن اتّقى اللّه تعالى فيما أمره لقى اللّه تعالى مؤمنا بما جاء به محمد صلّى اللّه عليه و آله هيهات هيهات! فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا، و ظنّوا أنهم آمنوا و أشركوا من حيث لا يعلمون، إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، و من أخذ فى غيرها سلك طريق الردى، وصل اللّه طاعه ولى أمره بطاعه رسوله، و طاعه رسوله بطاعته، فمن ترك طاعه ولاه الأمر لم يطع اللّه و لا رسوله، و هو الإقرار بما نزل من عند اللّه، خذوا زينتكم عند كلّ مسجد، و التمسوا البيوت، التى أذن اللّه أن ترفع و يذكر فيها اسمه، فإنه قد أخبركم أنهم رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللّهِ وَ إِقامِ اَلصَّلاهِ وَ إِيتاءِ اَلزَّكاهِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ اَلْقُلُوبُ وَ اَلْأَبْصارُ (۴)إنّ اللّه قد استخلص

۱- ۱) الوافى ج ۱ ص ۳۰.

۲- ۲) طه:۸۲.

۳- ۳) المائده:۲۷.

۴- ۴) النور:۳۷.

الرسول لأمره ثم استخلصهم مصدقين لذلك فی نذره، فقال: . . . وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ (۱)تاه من جهل و اهتدی من أبصر و عقل، إن اللّه تعالی یقول: . . . فَإِنَّهَا لاٰ تَعْمَى اَلْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى اَلْقُلُوبُ اَلَّتِي فِي اَلصُّدُورِ (۲)و کیف یهتدی من لم یبصر؟ و کیف یبصر من لم یتدبّر؟ اتبعوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أقرّوا بما نزل من عند اللّه، و اتبعوا آثار الهدی. فإنهم علامات الأمانه و التقی. و اعلموا أنّه لو أنکر رجل عیسی بن مریم، و أقرّ بمن سواه من الرسل لم یؤمن. اقتصّوا الطریق بالتماس المنار، و التمسوا من وراء الحجب الآثار، تستکملوا أمر دینکم و تؤمنوا باللّه ربکم» .

قوله علیه السّلام: «و من وفی بشروطه، و استکمل ما وصف فی عهده نال ما عنده، و استکمل وعده» . أقول: لعل قوله علیه السّلام هذا یشیر إلی ما رواه

فی بصائر الدرجات (۳)عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه تعالی: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ. . . قال «أخرج اللّه من ظهر آدم ذریته إلی یوم القیامه فخرجوا کالذّر فعرّفهم نفسه، و لو لا ذلک لم یعرف أحد ربّه. ثم قال: أ لست بربکم، قالوا بلی، و إنّ هذا محمد رسولی و علی أمیر المؤمنین خلیفتی و أمینی» . و إلی ما رواه فی الکافی فی باب أنّ الأئمه علیهم السّلام معدن العلم. . . إلخ،

ففیه بإسناده عن خثیمه قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام «یا خثیمه: نحن شجره النبوه و بیت الرحمه، و مفاتیح الحکمه، و معدن العلم، و موضع الرساله، و مختلف الملائکه، و موضع سرّ اللّه، و نحن ودیعه اللّه فی عباده، و نحن حرم اللّه الأکبر، و نحن ذمه اللّه، و نحن عهد اللّه،

۱- ۱) فاطر:۲۴.

۲- ۲) الحجّ:۴۶.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۷۱.

فمن وفی بعهدنا فقد وفی بعهد اللّه، و من خفرها فقد خفر ذمّه اللّه و عهده» . أقول: «فمن وفی بعهده» أی استقام علی ولایتهم التی قبلها، و عاهد اللّه علی قبولها فقد وفی بشرطه، و نال ما عنده تعالی من الکرامه.

قوله علیه السّلام: «مستشفع إلی اللّه عز و جل بکم» .

أقول: لما عرف الزائر أنهم علیهم السّلام حقائق أسمائه الحسنی، و أنهم أرکان توحیده و آیاته و مقاماته، و أنهم معانیه أی معانی أسمائه و أفعاله، أی أنهم قدرته و سمعه و بصره و إرادته، و أنّ قلوبهم أوعیه مشیّته و عیبه علمه، و أنّ صفاتهم صفاته تعالی، و أنهم فانون عن أنفسهم الشریفه بحیث لا أثر لهم و لا صفه لهم إلاّ و هو منه تعالی و له تعالی، و لذا قال تعالی: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ ،

و ورد فی هذه الزیاره،

«من أطاعکم فقد أطاع اللّه، و من أحبّکم فقد أحبّ اللّه، و من أبغضکم فقد أبغض اللّه»

، و قد تقدم و یأتی شرح هذه الأمور. فإذا عرف و اعتقد الزائر أنهم علیهم السّلام کذلک، فلا محاله یستشفع بهم إلی اللّه تعالی، إما بأن یدعو اللّه تعالی بسبب توجههم علیهم السّلام إلی اللّه تعالی فی استجابه دعاء الزائر، و إعطائه تعالی حوائجه، فحینئذ یکون الأئمه علیهم السّلام هم الشافعون له. و إما یکون الزائر هو المستشفع بهم بأن یدعو اللّه تعالی، و یقسم علیه تعالی بحقّهم، لیستجیب تعالی دعاءه، و حینئذ یکون الزائر هو المستشفع من اللّه تعالی بهم و بحرمتهم، التی هی المقسم بها علی اللّه تعالی، ثم إن الاستشفاع بهم إلیه تعالی إنما یکون لکونهم علیهم السّلام هم أسماؤه تعالی، کما تقدم، و هم علیهم السّلام وجه اللّه، و قد وردت أحادیث کثیره فی أنهم وجه اللّه تعالی.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه تبارک و تعالی: تَبٰارَکَ اِسْمُ رَبِّکَ ذِی اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِکْرٰامِ فقال

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۲۰۳.

«نحن جلال اللّه و كرامته التى أكرم اللّه تبارك و تعالى العباد بطاعتنا و محبتنا» .

و فى تفسير البرهان (١)، عن على بن إبراهيم. . . إلى أن قال:

وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ قال: قال: «دين ربك، قال: قال: على بن الحسين عليه السّلام نحن الوجه الذى يؤتى اللّه منه» . أقول: فهذا الحديث ظاهر فى أنهم عليهم السّلام الوجه الذى يؤتى اللّه منه، ثم إنّ بيان كيفيه كونهم عليهم السّلام الوجه الذى يؤتى اللّه منه إما بكونهم عليهم السّلام الشافعين له و إما هو المستشفع بهم عليهم السّلام، كما تقدم. و لا ريب فى أنّ هذا، يتحقق بإحضار صورهم عليهم السّلام فى قلبه إما بجعلها أمام قلبه المتوجه به، أى بقلبه إلى اللّه، فهم عليهم السّلام حينئذ أمام توجهه حال كونهم عليهم السّلام متوجهين إليه تعالى، و فانين فيه تعالى، فيكون الزائر هو المستشفع بهم، و هذا أحد معانى

«و مقدّمكم أمام طلبتى و حوائجى»

كما سيجىء، فحينئذ تكون صورهم بما هم فانون فيه تعالى واسطه بين الزائر و بينه تبارك و تعالى، فالمدعوّ و المعبود حينئذ هو نفسه تعالى، إلاّ أنه حيث كان تعالى ظاهرا بأسمائه، و هم عليهم السّلام أسماؤه بما هم فانون فيه، فالتوجه إليه تعالى يكون بواسطتهم بحيث يكونون عليهم السّلام مرآه له تعالى، و ما به التوجه إليه تعالى، و ملحوظا آله و مرآه لا استقلالا، و هذا معنى

قوله عليه السّلام «نحن الوجه الذى يؤتى اللّه منه» ، و سيجىء تمام الكلام فى هذا المعنى فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجّه بكم» .

و إما بجعل صورهم عليهم السّلام بنحو الإجمال و التوجه إليهم فى زاويه قلبه، حال كونه مستشفعا بهم، أى جاعلهم شفعاءه إليه تعالى، فهو يدعو اللّه تعالى بدون التوسط بشىء، إلاّ أنه مع ذلك مستشفع بهم أى ناظر قلبا إلى شفاعتهم عليهم السّلام لديه تعالى لقضاء حوائجه، ثم إن الاستشفاع بهم قد يكون فى حال الصلاه فلا ريب فى أنه على

١- ١) تفسير البرهان ج ۴ ص ۲۶۶.

أحد القسمين المذكورين، و لعل الذى لا معرفه له بهم عليهم السّلام و بأحوالهم و شئونهم بالنحو المتقدم ذكره، لا يمكنه إلّا الاستشفاع بهم بالنحو الثانى. نعم من صفا ذهنه و كمل عقله و لطف حسّه، و كملت معرفته بهم، و علم بمعارف التوحيد، و أمكنه الإخلاص للّه تعالى بالوحدانيه، و عرف كيفيه مقامهم عليهم السّلام لديه تعالى أمكنه الاستشفاع بهم عليهم السّلام بالنحو الأول. و لعمرى إن العارف بهم كذلك، و المتمكن بالاستشفاع بهم كذلك أقلّ القليل و الأوحدى من الناس، رزقنا اللّه المعرفه به تعالى و بهم عليهم السّلام بمحمد و آله صلّى اللّه عليه و آله ثم بيان كونهم عليهم السّلام شفعاء يتوقف على بيان معنى الشفاعه الثابته لهم منه تعالى. فنقول: فى المجمع، ملخّصه: الشفاعه فيما يتعلّق بأمور الدنيا و الآخره: هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب و الجرائم. أقول: أو هى السؤال لاستجابه الدعاء كما

فى الحديث: «يستشفعون الملائكه لإجابه دعاء من يسعى فى المسعى» أى يقولون: اللهم استجب دعاء هذا العبد. و الشفعه كغرفه، هى فى الأصل أى فى اللغه: التقويه و الإعانه، و يقال: شفعت الشيء شفعا من باب نفع ضممته إلى الفرد، و يقال: شفعت الرّكعه، أى جعلتها ركعتين، فمعنى الشفاعه الحاصله من الشفيع هو الشفعه، أى التقويه و الإعانه الحاصله من الشفاعه، و هذا كما ترى يعمّ التوسط بين اثنين، و يرجع إلى الأمور الدنيويه كالذى يصلح بين رجلين كما قيل فى قوله تعالى: مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها (۱)أى من يصلح بين اثنين يكن له جزء منها، أى من الحسنه المنطبقه على الشفاعه، وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً (۲)، أى يمشى فى النميمه مثلا، يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها (۳)أى إثم منها، أى من السيّئه المنطبقه على تلك الشفاعه

۱- ۱) النساء:۸۵.

۲- ۲) النساء:۸۵.

۳- ۳) النساء:۸۵.

السيئه. فالشفاعه فعل الشفيع أى صاحب الشفاعه، و فعله هذا قد يكون واقعا بين اثنين كما مرّ، و قد يكون لواحد بأن يسأله تعالى شيئا له، و لذا قيل الشفاعه الحسنه، الدعاء للمؤمنين، و الشفاعه السيّئه الدعاء عليهم. و عليه يكون معنى الآيه أنّ من يشفع للمؤمنين شفاعه حسنه يكن له نصيب منها، أى يشمل الدعاء لنفسه أيضا، فيكون مفاده ما ورد من أن الداعى لغيره ليستجاب له بسبعين ضعفا على ما دعا لغيره. و من يشفع شفاعه سيّئه أى يدعو على المؤمنين يكن الدعاء عليه أيضا، نظير

ما ورد أنّ من سبّ غيره و فحشه يصعد الفحش إلى السماء، فإن كان الطرف أهلا له وقع عليه، و إلّا وقع على الفاحش ، نقلته بالمعنى. و كيف كان فالشفاعه هى التقويه و الإعانه بما يرجع نفعه إلى المشفوع له غالبا، أو بما يرجع ضرره عليه و هذا أقل موارده، كما لا يخفى. فعلى هذا قد يراد بالاستشفاع أى طلب الشفاعه طلب الدعاء منهم عليهم السّلام أو التوسط لقبوله تعالى دعاء المستشفع و قضاء حوائجه، فيكون معناه مساويا للتوسل بهم عليهم السّلام عنده تعالى لقضاء الحوائج، و لا ريب فى أن التوسل غير الشفاعه الثابته لهم عليهم السّلام منه تعالى، التى هى المقام المحمود المشار إليه

بقوله صلّى اللّه عليه و آله: «إنّما ادّخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» . و إليه يشير ما تقدم من

قوله عليه السّلام: «ليس منّا من أنكر شفاعتنا و رجعتنا» ، فإن هذه الشفاعه هى المقام المحمود، الذى جعله اللّه تعالى لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله و للأئمه عليهم السّلام و للمؤمنين، و سيأتى شرحه فى بيان

قوله عليه السّلام:

«لجعلتهم شفعائى» . و عليه فلعل المراد من

قوله:

«مستشفع بكم»

أى أطلب منكم التقويه و الإعانه لى، فى أن تسألوا اللّه تعالى أن يستجيب دعائى و يقضى حوائجى، فهو بمعنى التوسل بهم، و هذا غير الشفاعه المعلومه و المعهوده لهم، و لكنه قد يقال: إنّ الشفاعه لها

المعنى العام لغه يشمل جميع هذه المصاديق، فهذه أيضا شفاعه و التوسل، و التى تكون لهم عليهم السّلام يوم القيامه أيضا هى الشفاعه و الوسيله، و لهذا أطلق على المقام المحمود المفسر بالشفاعه الوسيله.

و فى الدعاء:

«اللهم اعط محمدا الوسيله. . . إلى قوله و شفاعه الإسلام»

و كيف كان سيجىء معنى الشفاعه، و أنها لمن و ممن و فيما و بيان حقيقتها و انقسامها باعتبار الشّافعين فيما بعد إن شاء اللّه. ثم إنه قد يقال: إنّ السر فى لزوم الاستشفاع بهم عليهم السّلام هو أنه تعالى لما لم يكن بذاته المقدسه يباشر أمر خلقه، بل يفيض إلى كل موجود بأسمائه الحسنى، و حيث إنهم عليهم السّلام أسماؤه الحسنى، فلا محاله لا بد من الاستشفاع بهم فى الوصول إلى الفيوضات الربوبيه، لتكميل السعادات الدنيويه و الأخرويه، لانحصار الطريق إليها بهم، نعم هذا لا يكون كما عرفت إلّا ممن يعتقد بكونهم كذلك أى الوسائط بالمعنى المتقدم، و ظهر نور هذه الأمور فى قلبه و ظهر سرّهم عليهم السّلام فى حقيقه وجوده. فقوله: «مستشفع بكم» ، أى أنى مستفيض من اللّه عز و جل بتوسط ما هو سرّكم الكامن فى وجودى و المتنور قلبى به و العارف روحى به، المفسّر ذلك السّر تاره بأنكم أسماؤه الحسنى، و أخرى بأنكم مظاهره تعالى، أو أنكم معانى أسمائه و أفعاله و قدرته إلى آخر ما مرّ، لا بغيركم من الطواغيت و أتباعهم من أعدائكم و تابعيهم، فهذه العقيده الثابته فى قلب الزائر، الذى هو لطف منه تعالى، و منهم عليهم السّلام بالنسبه إليه، الذى أوجب المعرفه بهم أوجبت إظهار ما فى ضميره إلى إمامه عليه السّلام

بقوله:

«مستشفع إلى اللّه عز و جل بكم»

، و نحن نسأل اللّه تعالى ذلك، و هو تعالى يعلم أنه ليس لنا غير ذلك، و هكذا حال شيعتهم و محبّيهم.

ففى الحديث ما حاصله: «إن شيعتنا لا يرجون، و لا يعتمدون لآخرتهم إلّا على رحمه اللّه الواسعه و على شفاعتنا» ، رزقنا اللّه تعالى ذلك بمحمد و آله.

قوله عليه السّلام: «و متقرّب بكم إليه» .

ص :501

أقول: قد تقدم معنى قربه تعالى إلى الأشياء، و قرب العباد إليه فى بيان قوله عليه السّلام «المقربون» و لكن هذه الجمله تشير إلى أنّ التقرب إليه تعالى إنما هو بهم عليهم السّلام و بيانه يكون بعد ذكر مقدمه، و هى أنه لا ريب فى أنه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، و قد ورد فى ذيل قوله تعالى: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ (١)أى استوى على كلّ شىء و أنه استوى على ما دقّ و جلّ.

ففى توحيد الصدوق (٢)، بإسناده عن محمد بن مارد، أنّ أبا عبد اللّه عليه السّلام سأل عن قول اللّه عز و جل: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ ، فقال: «استوى من كلّ شىء، فليس شىء هو أقرب إليه من شىء» . أقول: فهو تعالى قريب من كلّ شىء، و حينئذ معنى التقرب إليه مع أنه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد يكون من ناحيه العبد إليه تعالى. بيانه: أنه تعالى جعل للتقرب إليه آيه و للتوجه إليه وجهه، و جعل التقرب إليها و التوجه إليها تقربا إليه و توجها إليه فقال: قُلِ اُدْعُوا اَللّٰهَ أَوِ اُدْعُوا اَلرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ (٣)أى ادعونى بتلك الأسماء، و علمت أنهم أسماءه الحسنى، و وجه اللّه الذى إليه يتوجه الأولياء، و بابه الذى منه يؤتى، و تقدم آنفا

قوله عليه السّلام: «نحن الوجه الذى يؤتى اللّه منه» ، فحينئذ لا يكون التقرب إليه تعالى إلاّ بهم فى السّر و العلانيه، و بالتوجّه إليهم عليهم السّلام إلاّ أنّ الكلام فى أمرين: الأول: فى بيان حقيقه التقرب من العبد إليه تعالى. و الثانى: فى بيان كيفيه حصول ذلك بهم عليهم السّلام، فنقول: أما الأول: فاعلم أنّ قرب العبد إليه تعالى إنما هو نهايه العرفان، و الوصول إلى مقام حق اليقين و الفناء المحض.

ص: ۵۰۲

١- ١) طه:۵.

٢- ٢) توحيد الصدوق ص ٣١٠.

٣- ٣) الإسراء:١١٠.

و قد قیل: العارف من أشهده اللّه تعالی ذاته و صفاته و أفعاله، فهو فی مقام عین الیقین، أو حق الیقین، و هذا بخلاف العالم فإنه الذی أطلعه اللّه علی ذلک لا عن شهود، بل عن علم فهو فی مقام علم الیقین، و هذا العرفان الشهودی فهو حاصل من أسفار أربعه: الأول: السیر إلی اللّه تعالی من منازل النفس إلی الوصول إلی الأفق المبین، و هو نهایه مقام القلب و مبدأ التجلّیات الأسمائیه. و الثانی: هو السیر فی اللّه بالاتصاف بصفاته و التحقق بأسمائه إلی الأفق الأعلی، و نهایه الحضره الواحدیه. و الثالث: هو الترقی إلی عین الجمع و الحضره الأحدیه المشار إلیها

بقوله علیه السلام:

«ربّ أدخلنی فی لجّه بحر أحدیّتک و طمطام یمّ وحدانیّتک. . .» الدعاء و هو مقام قاب قوسین ما بقیت الاثنینیه، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنی، و هو نهایه الولایه، و هیهنا یحصل مقام القرب الحقیقی، ثم إنه قد یکون لبعض أولیائه کالأنبیاء و خصوصا نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام. السیر فی السفر الرابع: و هو السیر باللّه عن اللّه للتکمیل، و هو مقام البقاء بعد الفناء، و الفرق بعد الجمع، ثم إن لبیان هذه الأسفار بیانا واسعا یذکر فی محله. ثم إنه قد ذکر بعضهم مثلا لتقریب معانی علم الیقین و عین الیقین و حق الیقین بالنار، کأن یصدق تاره بعض بالنار بالأدلّه القطعیه، بحیث لا یتطرّق إلیه احتمال خلافه، فهذا هو العلم الیقین بالنار کمن رأی دخانا یتصاعد من وراء الجدار، قد دلّ علی وجودها هناک. و تاره أخری یشاهد النار فهذا هو عین الیقین، و ثالثه یحترق بالنار، فهذا هو حق الیقین، ثم إن لتطبیقه علی الممثّل فی المقام بیانا قد ذکر فی محله، و لعلنا نذکره فیما یناسبه. و أما الثانی: أعنی بیان کیفیه حصول التقرب بهم علیهم السّلام إلیه تعالی، فنقول: فهو

على أقسام: منها: الاستضاءه بأنوار علومهم عليهم السّلام و معارفهم عليهم السّلام فبسبب علومهم الملقاه إليه يرى و يعلم كيفيه التقرب إليه تعالى، ثم يعمل بها فيصل إلى التقرب. و منها: أنه يشرع فى السلوك بأن يجاهد فى إزاله الصفات الرذيله، و يتحلّى بصفاتهم الحميده بأن يعتقد بعقائدهم عليهم السّلام و يتّصف بصفاتهم و يعمل بأعمالهم، و يعامل ربه كما عاملوا عليهم السّلام ربهم، و لهذين شرح طويل قد ذكر فى كتب المعارف الإلهيه المعدّه للسير و السلوك الشرعى، و أحسن كتاب دوّن فى هذا الموضوع هو (رساله الولايه) للمرحوم آيه الحق و الكمال السيد محمد حسين الطباطبائى صاحب تفسير الميزان (رضوان اللّه تعالى عليه) . و منها: أن يتوسل بهم عليهم السّلام و ينقطع إليهم عليهم السّلام بحقيقه الانقطاع، و يتضرّع لديهم حتى يجعلوه فى همّهم، و يتصرّفوا فيه بحقيقه ولايتهم الإلهيه التكوينيه، و ينوّروه بنور التوحيد الحقيقى، فيستخلصوه من جميع الحجب و الأغيار، فيوصلوه إلى جوار ربّ العزّه، فيصل إلى معدن العظمه، و يصير روحه بعزّه قدسه، فيقعد فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله. و لعمرى إن هذا أحسن الوجوه و أبعدها عن الخطر و الوساوس الشيطانيه، لأن هذا السالك فى حفظ اللّه تعالى بعنايتهم الخاصه التى شملته، و إنّى لا أرى و لا أعتقد أحدا وصل إلى كمال المعرفه به تعالى و الوصل الحقيقى إلاّ بهذا السبب الوحيد، و لنا فى إثباته و بيانه كلام طويل لعلّنا نذكره فى طىّ الشرح. ثمّ إنه لا ريب فى أنّ هذا لا يكون إلاّ لمن يعتقد بولايتهم التشريعيه و التكوينيه بما لها من الشئون الإلهيه، التى رتّبها اللّه تعالى لهم، و قد مرّت مرارا الأحاديث الداله على اشتراط قبول الأعمال بقبول ولايتهم، ثم إنّا نذكر أحاديث تيمّنا و تبرّكا بها، و منها يظهر أيضا ما ذكرناها فى الأمرين.

ص :۵۰۴

فنقول:

فی البحار (۱)، عن المحاسن، بکر بن صالح عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام قال: «من سرّه أن ینظر إلی اللّه بغیر حجاب و ینظر اللّه إلیه بغیر حجاب، فلیتولّ آل محمد و لیتبرّأ من عدوّهم، و لیأتمّ بإمام المؤمنین منهم، فإنّه إذا کان یوم القیامه نظر اللّه إلیه بغیر حجاب، و نظر إلی اللّه بغیر حجاب» . أقول: لا ریب فی أنه تعالی لا یری بعین الرأس، و لا یکتنه ذاته المقدسه لأحد، فحینئذ المراد من النظر إلیه تعالی بلوغ العبد إلی غایه المعرفه به تعالی، و هی عباره عن تجلیه تعالی بأسمائه الحسنی لقلب عبده المؤمن به، و عن غایه ظهوره تعالی فی قلبه بالحیوه الحقیقیه و النور الإلهی. و من المعلوم الثابت علی التحقیق أنهم علیهم السّلام حقائق أسمائه الحسنی، بل عین التجلیات الإلهیه، کما

قال علیه السّلام: «یفصل نورنا من نور ربنا، کما یفصل نور الشمس منها» و قد تقدم الحدیث. فمما ذکر یظهر أنّ التقرب إلیه تعالی إنما هو بتجلی الأسماء الإلهیه لقلب العبد، و هی حقائقهم علیهم السّلام فلا یکون التقرب إلیه تعالی إلاّ بهم، رزقنا اللّه تعالی ذلک بمحمد و آله.

و فیه (۲)عن أمالی الشیخ بإسناده عن عبد اللّه بن الولید، قال: دخلنا علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فسلّمنا علیه و جلسنا بین یدیه، فسألنا من أنتم؟ قلنا: من أهل الکوفه فقال «أما أنه لیس من بلد من البلدان أکثر محبا لنا من أهل الکوفه، ثم هذه العصابه خاصه، إن اللّه هداکم لأمر جهله الناس، أحببتمونا و أبغضنا الناس، و صدّقتمونا و کذّبنا الناس، و اتّبعتمونا و خالفنا الناس، فجعل اللّه محیاکم محیانا، و مماتکم مماتنا، فأشهد علی أبی أنه کان یقول: ما بین أحدکم و بین أن یری ما تقرّ به عینه أو (و) یغتبط إلاّ أن تبلغ نفسه ههنا، ثم أ هوی بیده إلی حلقه.

ص: ۵۰۵

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۹۰.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۱۶۵.

ثم قال: و قد قال اللّه فى كتابه: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّيَّةً (۱)فنحن ذريّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» فالمستفاد من هذا الحديث أن البلوغ إلى أى كرامه من اللّه تعالى لا يكون إلاّ بهم و بولايتهم، حيث إنه تعالى جعل محيا شيعتهم محياهم عليهم السّلام و أعدّ لهم الكرامات بعد الموت و لا ريب فى أنّ هذه لا تكون إلاّ لأجل محبتهم و قبول ولايتهم، و الاهتداء و الاقتداء بهم، و قد علمت مرارا أنّ الشرط الوحيد لقبول الأعمال و الإيمان و التوحيد هو قبول ولايتهم عليهم السّلام.

ففيه (۲)عن أمالى الصدوق بإسناده عن الساباطى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن أول ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدى اللّه جل جلاله عن الصلوات المفروضات، و عن الزكاه المفروضه، و عن الصيام المفروض، و عن الحجّ المفروض، و عن ولايتنا أهل البيت، فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته و صومه و زكاته و حجّه، و إن لم يقرّ بولايتنا بين يدى اللّه جل جلاله لم يقبل اللّه عز و جل منه شيئا من أعماله» .

و فيه عنه بإسناده عن محمد بن حسان، عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: «نزل جبرئيل على النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال: يا محمد السّلام يقرئك السّلام، و يقول: خلقت السموات السبع و ما فيهنّ، و الأرضين السبع و من عليهن، و ما خلقت موضعا أعظم من الركن و المقام، و لو أنّ عبدا دعانى هناك منذ خلقت السماوات و الأرضين، ثمّ لقينى جاحدا لولايه على لأكببته فى سقر» . أقول: المستفاد من هذا الحديث و من نظائره الكثيره جدا أن قبول العبادات إنما هو بقبول ولايتهم، و أن التقرب إليه تعالى بما علمت من معناه إنما هو بهم عليهم السّلام و أن الفوز بأى سعاده دنيويه أو أخرويه إنما هو بهم عليهم السّلام، و أما ما يرى من تنعّم أعدائهم

۱- ۱) الرعد:۳۸.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۱۶۷.

فی الدنیا فإنما هو أیضا منهم علیهم السّلام و هم سائلوهم عنها، أی عن النعم یوم القیامه، و لإثبات هذا مقام آخر، کما لا یخفی.

[۵۹]قوله علیه السّلام: «و مقدّمکم أمام طلبتی و حوائجی و إرادتی فی کلّ أحوالی و أموری» .

أقول: مقدّمکم أی أستشفع و أتقرب بکم بالمعنی المتقدم لهما سابقا أو معناه، أسأله تعالی بحقکم، و أستشفعه قبل طلبی الحوائج منه حتی یحصل تنجیز الأمور، أو أنی مقدم الصلوه علیکم قبل طلبتی منه تعالی لیستجاب الدعاء.

ففی الصحیح المحکی عن هشام بن سالم، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «لا یزال الدعاء محجوبا حتی یصلی علی محمد و آل محمد» .

و عنه علیه السّلام: «من دعا و لم یذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله رفرف الدعاء علی رأسه، فإذا ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله رفع الدعاء» .

و عن مرازم عن الصادق علیه السّلام قال: «إنّ رجلا أتی رسول اللّه، فقال: یا رسول اللّه إنی جعلت ثلث صلاتی لک، فقال له خیرا، فقال: یا رسول اللّه إنّی جعلت نصف صلاتی لک، فقال له ذاک أفضل، فقال: إنی جعلت کل صلاتی لک، فقال: إذن یکفیک اللّه عز و جل ما أهمّک من أمر دنیاک و آخرتک، فقال له رجل: کیف یجعل صلواته له؟ فقال: لا یسأل اللّه عز و جل إلّا بدأ بالصلوه علی محمد و آله» (۱). أو معناه أنّی أطلب حوائجی بسببکم منه تعالی حیث أنتم ید اللّه المبسوطه، کما صرحت به الأحادیث من أنهم علیهم السّلام ید اللّه و قدره اللّه، التی بها تصل الفیوضات إلی الخلق، أو معناه أنی أطلبها منکم باللّه، یعنی أنه لمّا کانت أعمالکم أعماله تعالی، و صفاتکم صفاته تعالی کما قال تعالی: عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ. لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ المفسر بکم، أی أنتم لا تفعلون إلاّ باللّه و بأمره تعملون، فإنّ قوله

ص: ۵۰۷

۱- ۱) فقلت: هذه الأحادیث عن کتاب شرح الجامع للسید الشبّر (رضوان اللّه تعالی علیه) .

تعالی وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ ، إما یراد منه الأمر التشریعی، فمعناه حینئذ إنهم علیهم السّلام بأمره المولوی یعملون أو الأمور التکوینی، فهم علیهم السّلام حینئذ باللّه یفعلون کقوله تعالی: وَ مٰا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ رَمیٰ و فی الحدیث المتقدم سابقا: و بهم یقضی (أی اللّه تعالی) فی الخلق قضیته، أی الأمور التکوینیه و التشریعیه، بحیث إنهم علیهم السّلام ید اللّه و قدره اللّه و عین اللّه إلی آخر ما ذکروه علیهم السّلام فحینئذ السؤال منهم، و طلب الحوائج منهم لا ضیر فیه و لا شائبه شرک، لأنهم لیسوا واجدین شیئا إلاّ به تعالی، فالسؤال منهم علیهم السّلام فی الحقیقه سؤال منه تعالی، کما قال: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ أو معناه أنی أطلب حوائجی عنکم، أی أنتم باللّه توصلوننی إلی نیلها و إلی الوصول بها، و الفرق بین أطلب عنکم و أطلب منکم السابق علیه هو أنّ الطلب منهم معناه هم المسئولون بالظاهر، و إن رجع السؤال فی الحقیقه إلیه تعالی کما قلنا، و أما الطلب عنهم فمعناه أنّ المسئول هو اللّه تعالی فی الظاهر، إلاّ أن ما به السؤال من کیفیه الدعاء، و نفس الحاجه أی العلم بالحاجه، التی تنبغی أن تسأل منه تعالی من حوائج الدنیا و الآخره بما لهما من الأقسام و الفرق بالأهمیه إنما هی مأخوذه عنهم و من بیانهم لا من تلقاء نفس الداعی. أو معناه أنی أطلب حوائجی لکم أی مقدمکم فی الانتفاع بحوائجی المقضیّه علی نفسی، فمعنی أقدمکم أی أطلبها لکم لا لنفسی، أو أطلبها أولا لکم ثمّ لنفسی. فإن قلت: فهل یرجع من طلبه منه تعالی نفع لهم مع أنهم علیهم السّلام الکاملون المکمّلون؟ کیف و هم وسائط الفیض لا أنّ الخلق وسائط الفیض لهم؟ کما لا یخفی. قلت: سیأتی فی بیان معنی الصلوه علیهم علیهم السّلام أنّ الصلوه علیهم توجب زیاده فی جاههم زیاده عرضیّه، لا یضر عدمها أبدا، و لا یوجب عدمها نقصا للمصلّی علیهم نظیر زیاده الثواب فی الصلوه فی اللباس الأبیض، أو مع الطیب، أو مع المجالس المندوبه، أو مع تحت الحنک، فإن زیاده الثواب فی هذه عرضیّه لا یوجب عدمها نقصا فی الصلوه، فلعل إلی طلب مثل هذه الزیادات یشیر

ما ورد عنه صلّی اللّه علیه و آله

«تناكحوا تناسلوا فإنى أباهى بكم الأمم الماضيه و القرون السالفه و لو بالسقط. . .» الحديث.

و ما ورد فى النهج عنه عليه السّلام «و لكن أعينونى بورع و اجتهاد» ، بل أقول كما أنّ الصلوه عليهم مندوبه بصريح الآيه فلا محاله لها تأثير بالنسبه إليهم عليهم السّلام بمثل ما ذكر، أو بما يعلمه اللّه تعالى، فكذلك إظهار الخضوع لديهم بمثل قوله: «و مقدمكم. . . إلخ» . الدال على كمال انقطاع الداعى إليهم عليهم السّلام و هو المطلوب قطعا، له تأثير بالنسبه إليهم عليهم السّلام و لا أقل من أنهم ليسرون بظهور ذلك من شيعتهم لديهم، و سرورهم بذلك هو من أفضل العبادات و أحسن المنافع لنا بالتبع، كما لا يخفى. أقول: هذا بعض المعانى لهذه الجمله، و قد يقال: إن ما ذكر يناسب

قوله عليه السّلام

«و مقدمكم أمام طلبتى و حوائجى و إرادتى» . و أما

قوله عليه السّلام

«فى كل أحوالى و أمورى»

فيشير إلى أنّ الزائر يقدّمهم فى جميع الأحوال و الأمور الشامل لحال عبوديته له تعالى، ففى هذه الحاله يقدّمهم أيضا. و حينئذ قد يقال: كيف يتصور تقديمهم عليهم السّلام فى حال العبوديه له تعالى؟ فنقول مقدمه على بيان الجواب: إنه قال بعض الأكابر ما ملخصه مع توضيح منا: إنّ للّه تعالى فى نوع البشر مظاهر و مرائى هم المثل الأعلى له تعالى، و بقيّه اللّه و تذكره اللّه، و قد تقدم أنهم عليهم السّلام مظاهره و أنهم المثل الأعلى.

و ورد عنه صلّى اللّه عليه و آله: «من رآنى فقد رأى الحق» ، فهؤلاء المقربون قد نصبهم اللّه منارا فى بلاده و أعلاما و هداه لعباده و حججا على بريته، و هم الأنبياء و الأولياء على مراتبهم، و قد حقق فى محله أن أشرفهم خاتم النبيين محمد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الأوصياء من بعده. و تقدم

قول على بن الحسين عليه السّلام : «نحن الوجه الذى يؤتى اللّه منه» . و توضيحه أنه قال المتألّهون الكاملون: إن الوجه الربوبى داخل فى صقع

الربوبيه، فهو كالمعنى الحرفى لا ـ حكم له على حياله فبقاؤه ببقائه لا باستقلاله، و معنى بقاء الوجه ببقاء اللّه أنّ الوجه لا هو و لا غيره، بل الوجه ظهوره تعالى الحاكى عن ذاته المحتجبه عن العقول البشريه و الأبصار الخلقّيه، فهو تعالى هو غير معقول و لا محدود لأحد من الخلق، إلاّ أنه حيث أراد أن يعرف فخلق الخلق، أى أظهر ما به معرفته و ثبوت وجوده، فالخلق الأول هو ظهوره و وجهه

كما قال: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكى أعرف» و فى الحقيقه ظهوره هو الوجود المنبسط الذى هو فى كل بحسبه، و بالجمله حقيقه هؤلاء الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام العقول الكليه الكائنه تحت سطوع نور الأول بحيث لم يمكنهم من البروز، و لذا كانت من صقع الربوبيه و باقيه ببقاء اللّه، موجوده بوجود اللّه تعالى، و هى العقول الكليه التى هى مظاهر لأسمائه الحسنى، فهى ظهورات للكنز الخفى المسمى، أى ذاته المقدسه، و هى أسماؤه الظاهره أى ظهرت الذات بها، و الاسم عين المسمى من وجه و غيره من وجه آخر، فهذه العقول و الأسماء تدل عليه تعالى باعتبار حملها أعباء صفات اللّه تعالى لا باعتبار نفسها الحامله، فإن نفسها التى هى المظهر للذات قد استهلكت تحت أنوار الصفات الإلهيه، ففى الحقيقه الصفات داله على ذاته تعالى بنفسها، و لا حكم للعقول من حيث هى هى و لا دلاله لها، بل لما كانت مستهلكه فى أنوار الصفات الإلهيه فلا حكم لها أبدا إذ لا حكم للمستهلك، بل الصفات الإلهيه الظاهره بهذه العقول دلّت عليه تعالى. و كيف كان فهذه العقول لكمال رقتها و لطافتها لا لون لها فى نفسها فانصبغت بصبغه صفات اللّه، فالعقول التى هى الأسماء الحسنى الإلهيه إنما تكون مرآه لذاته تعالى إذا لوحظت آله لا ـ استقلالا، فإن الأسماء إذا لوحظت استقلالا يكون لكل منها مفهوم غير مفهوم الآخر، و هى بهذه الملاحظه مخلوقه و غير المسمى، و أما إذا لوحظت آله كالمرآه الملحوظه لرؤيه الصوره فهى حينئذ عين المسمى، إذ هى حينئذ مضمحلّه غير منظوره إليها أبدا

ص :۵۱۰

و الحاصل: أن الاسم إذا أخذ لا بشرط فهو عين المسمى، و إذا أخذ بشرط لا فهو غير المسمى، إذا عرفت هذا فاعلم أن

قوله عليه السّلام:

«و مقدمكم أمام طلبتی. . . إلی قوله فی کل أحوالی و أموری»

الشامل لحال العباده للّه تعالی یشیر إلی أن حقیقتهم النورانیه، التی هی العقول الکلیه و الأسماء الحسنی الإلهیه بما هی ملحوظه آله، و قد علمت أنها حینئذ لا حکم لها لاضمحلالها: یجعلها العارف بحقیقتها بما هی فانیه عنوانا لذاته تعالی، فتلک العقول و الأسماء حینئذ صفاته و هی هی، فالذاکر للّه تعالی بها أی بهذه العقول و الحقائق الأسمائیه الإلهیه الملحوظه آله، إنما هو ذاکر له تعالی من هذه الجهه الإلهیه و الوجهه الربوبیه و لیس فیه شائبه شرک أبدا، بل معرفه هذه العقول و الأسماء معرفته تعالی، إذ هو بها ظهر، و عرف نفسه للخلق بها. و لذا

قال علیه السّلام: «معرفتی بالنورانیه معرفه اللّه» ، و التعبیر بالنورانیه إشاره إلی أن حقیقته العلویه فانیه عن نفسها و باقیه ببقائه تعالی، فإن النور إذا نظرنا إلی شیء نظرنا إلیه بسببه مع أنه لم یلحظ استقلالا، بل آله،

فقوله علیه السّلام «بالنورانیه» یشیر إلی مرتبه فنائه علیه السّلام. فظهر مما ذکرنا أنّ تقدیمهم علیهم السّلام فی جمیع الأحوال إنما هو لأجل أنهم صفاته تعالی و مظاهره و أسماؤه الحسنی الملحوظه آله، و هذا هو أحد معانی

قوله علیه السّلام فیما یأتی:

«و من قصده توجه بکم» . و سیأتی توضیحه، ثم إن هذا غیر ما ذکره المتصوفه الضّاله المضلّه من جعل صوره المرشد أمامه حین الصلوه مثلا بدعاوی ملفّقه من أوهام سخیفه، کیف و الاسم الملحوظ آله لا یلتفت إلیه أبدا، بل هو مرآه محض، فأین هذا من تصوّر صورته التی هی عباره عن تصوره استقلالا، کما لا یخفی، ثم إنه سیأتی توضیح لهذا الکلام فی بیان

قوله علیه السّلام:

«و من قصده توجه بکم» . فانتظر، ثم إن الزائر إذا کان من أهل المعرفه بما ذکرنا أمکنه تقدیمهم علیهم السّلام هکذا بینه و بین ربه، و إلاّ فهو مقدمهم بأحد المعانی المتقدمه قبل هذا، کما لا یخفی.

ص :511

[۶۰]قوله علیه السّلام: «مؤمن بسرکم و علانیتکم و شاهدکم و غائبکم و أولکم و آخرکم» .

أقول: قد یقال: إن المراد من سرهم أی بما استتر فی أکثر الخلق من غرائب أحوالهم المذکوره فی محلها، و من علانیتهم أی بما علن منها للخلق، أو المراد من السرّ الاعتقادات السرّیه الثابته لهم علیهم السّلام، و من العلانیه أعمالهم و أقوالهم العلانیه، و من شاهدهم، الأئمه الأحد عشر فی زمان حضورهم و مشاهده الناس لهم، و من غائبهم المهدی (عج) ، و المراد من أولهم هو علی بن أبی طالب علیه السّلام و من آخرهم القائم (عج) و فیه تعریض علی القول بإمامه علی علیه السّلام فقط، أو القول بإمامتهم إلی علی بن الحسین علیه السّلام کالزیدیه، أو إلی إمامه الصادق علیه السّلام کالاسماعیلیه أو الکاظم کالواقفیّه فإنها مردوده. و کیف کان ففی هذا التعمیم إشاره إلی وجوب الإقرار بإمامه کل واحد منهم.

ففی المحکی عن إکمال الدین بإسناده إلی ابن مسکان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «من أنکر واحدا من الأحیاء کمن أنکر الأموات» .

و فیه بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: من عرف الأئمه علیهم السّلام و لم یعرف الإمام الذی فی زمانه أ مؤمن هو؟ قال: «لا، أ مسلم هو؟ قال: نعم» . و قد تقدمت الأحادیث الداله علی من أنکر واحدا منهم فقد أنکر الجمیع، و السر فیه أنّ ما به ثبوت أحدهم للإمامه قد دل علی ثبوت الجمیع لها علی أنّ کلّ واحد منهم قد عیّنوا الإمام بعده بنصوص کثیره، فتکذیب آخرهم أو أحدهم تکذیب للسابق علیه، کما لا یخفی، أو المراد بالأول الحیوه الأولی و بالآخر الرجعه. و کیف کان فهذا أمر ظاهر لا شک فیه، و قد یقال: إن المراد بأولهم هو ما سبق من أن أرواحهم مخلوقه من نور لا ظلمه فیه، و نور اخترعه اللّه من نور ذاته الذی هو نور الأنوار، و نور نورت منه الأنوار، و المراد بآخرهم هو أنهم سادات أهل الجنه، و لا یدخل أحد الجنّه إلّا بشفاعتهم.

و فی البحار (۱)، عن کتاب المناقب بإسناده عن حبه العرنی، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «أنا سید الأولین و الآخرین، و أنت یا علی سید الخلائق بعدی، أولنا کآخرنا و آخرنا کأولنا» .

و فیه (۲)عن کتاب الاختصاص عن الرضا علیه السّلام قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام «کلّنا نجری فی الطاعه و الأمر مجری واحد و بعضنا أعظم من بعض» . أقول: هذه أمور مسلمه إلاّ أنه لم یعلم أنها المراد من هذه الجمل، و اللّه العالم. أقول: فی المجمع السرائر ما أسرّ فی القلوب و العقائد و النیّات و غیرها، و ما خفی من الأعمال و فیه قوله تعالی: یَعْلَمُ اَلسِّرَّ وَ أَخْفیٰ (۳). السّر: ما أکمنته فی نفسک. و أخفی: ما خطر ببالک ثمّ نسیته.

قوله، «ما أسرّ فی القلوب. . . إلخ» أی تکون القلوب و العقائد و النیّات ظروفا، فالمستسر فی القلب هو المکنون فیه من آثار التوحید، و ظهوره فیه لأهل اللّه تعالی، أو الکفر و النفاق لأهلهما، أو ما اکتتم فیه من عداوه أحد أو حبّه أو غیر ذلک، ثم إنّ ما اکتتم فی القلب إما یکون موقتا أو دائما قابلا للزوال أو غیر قابل له. فالأول هو المضمرات الشخصیه فی بعض الأمور. و الثانی کالاختیارات و المبانی العلمیه التی تثبت بالدلیل، فیضمرها الإنسان فی قلبه. و الثالث کالأصول الدینیه الثابته فیه. و یسمی حینئذ بالعقاید فقوله: ما أسر فی العقاید أی المعتقدات الحقّه الثابته غیر الزائله، و أما الذی اکتتم فی النیات أی المنویّات الکائنه فیها، فهو یعمّ الجمیع

ص: ۵۱۳

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۶۰.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۳۵۹.

۳- ۳) طه:۷.

من المذکورات.

و قوله: «و ما خفی من الأعمال» أی یطلق السر علی ما هو فی الخارج دون ما ذکر إلّا أنه لخفائه عبّر عنه بالسر. و إلیه یشیر ما

فیه عن معاذ بن جبل قال: سألت النبی صلّی اللّه علیه و آله ما هذه السرائر التی تبلی بها العباد یوم القیامه؟ قال: سرائرکم هی أعمالکم من الصلوه و الزکوه و الصیام و الوضوء و الغسل من الجنابه و کل مفروض. ثم إنه صلّی اللّه علیه و آله بیّن وجه کونها من السرائر،

بقوله صلّی اللّه علیه و آله لأن الأعمال کلها سرائر خفیه فإن شاء قال: صلیت و لم یصل، و إن شاء قال: «توضّأت و لم یتوضّأ، فذلک قوله تعالی: یَوْمَ تُبْلَی اَلسَّرٰائِرُ (۱)» . أقول: فالأعمال لخفائها عن الناس أطلق علیها السرائر، و یوم القیامه یظهر أنها کانت أم لم تکن، أو أنها کانت صحیحه أو فاسده. و فیه: و السِّر، الذی یکتم. و منه: هذا من سرّ آل محمد صلّی اللّه علیه و آله أی مکنون آل محمد صلّی اللّه علیه و آله الذی لا یظهر لکل أحد. قال بعض شراح الحدیث: اعلم أنّ سر آل محمد صعب مستصعب، فمنه ما یعلمه الملائکه و النبیون و هو ما وصل إلیهم بالوحی، و منه ما یعلمه هم علیهم السّلام و لم یجر علی لسان مخلوق غیرهم، و هو ما وصل إلیهم بغیر واسطه، و هو السِّر الذی ظهرت به آثار الربوبیه عنهم فارتاب لذلک المبطلون و فاز العارفون، فکفر به فیهم من أنکر و فرّط، و من غلا فیهم فأفرط، و فاز من أبصر و تبع النمط الأوسط. و فیه: المستسر بالشیء المستخفی به، إذا علمت هذا فاعلم أنّ المهیّات فی نفسها لا موجوده و لا معدومه أی لا اقتضاء لها بالنسبه إلی هذین الأمرین بالنسبه إلی الخارج، فهی فی صقع التقدیر، فإذا أراد اللّه تعالی خلق شیء منها تکوینا و خارجا

۱- ۱) الطارق:۹.

كما قال تعالى: إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ خاطب المهيّه المشىء وجودها بقوله ب كُنْ قوله تعالى: كُنْ فعل منه.

كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «و إنما كلامه سبحانه فعله» . و المخاطب هى المهيه الموجوده بفعل (كن) ، ثم إنها عند التوجه الإيجادى منه تعالى المعبّر عنه ب(كن) تختصّ من الحق، و هذا الحق هو السرّ المختص بها، و هو المعبر عنه بالوجود المنبسط عند الحكماء و هو الإيجاد الحقيقى منه تعالى لها، و المعبر عنه بالوجود الحقيقى لا الإضافى، و هذا الوجود الحقيقى المنبسط هو السرّ الإلهى فى كل موجود، و حيث إنه من الحق أى من المراتب النازله لوجوده تعالى، حيث إنه مقول بالتشكيك بالشده و الضعف على قول كثير من الحكماء، أو إنه من ظهوره المعبر عنه بالفارسيه ب(نمود) لا ـ (بود) على قول كثير من العرفاء، و تحقيقه موكول فى محله، و إنما هو سرّ لأنه منه تعالى. و لا ريب فى أنّ الوجود الحقيقى مع أنه من أبده البديهيّات لا يدرك بكنهه و كذا ظهوره تعالى، و لذا قيل إنه سرّ أى مخفى لفرط ظهوره عن الخلق، فلا يعرفه إلّا هو تعالى. و لذا قيل: لا يعرف الحق إلّا الحق، لأنّ ذلك السرّ هو العارف به فهو عارف بنفسه لا غيره. و لعل إليه يشير

قوله عليه السّلام: «عرفت ربّى بربّى» ، أى عرفت السّر أى الوجود الحقيقى الذى أنا أى ماهيّتى به موجوده به، أى بذلك السر نفسه إذ ليس شىء غيره يمكنه المعرفه به لأن غيره هو المهيّه، و هى لا موجوده و لا معدومه بنفسها، بل قيل إنها ما شمّت رائحه الوجود، فكيف يمكنها المعرفه بربها؟ و لعل إليه أيضا يشير ما

فى توحيد الصدوق فى ضمن حديث: «و لا يدرك مخلوق شيئا إلّا باللّه» ، فحينئذ هو تعالى يعلم كلّ سرّ و لا وجود لغيره، و لا يعلم السر أى نفسه إلّا هو، فلا هو إلّا هو، و قد يعبّر عن هذا السّر بسرّ الحقيقه، فإنّ كل

شىء فيه من حقيقه الحق أى من وجوده، و قد علمت أنه سر ففى كلّ شىء سرّ من حقيقه الحق لا يكاد يفشيه شىء، و لعله إليه يشير قوله: بين المحبّين سرّ ليس يفشيه قول و لا قلم للخلق يحكيه فهذا معنى السر المطلق، و حينئذ فمعنى

قوله:

«مؤمن بسرّكم»

أى بما اختصّكم اللّه تعالى به عند التوجه الإيجادى لحقائقكم و هو الوجود الحق المنبسط على ما هيّاتهم الشريفه، و حيث إنه سر لا يعلمه إلاّ هو، فلا محاله لا يتوجه إليه إلاّ بالإيمان، فلا بد من أن يقال: مؤمن بسركم، و لا يمكن أن يقال عارف أو عالم بسركم، إذ علمت أنه لا يعرف هذا السّر الحق إلاّ السّر الحق أى إلاّ هو كيف، و هذا بالنسبه إلى أى موجود ضعيف فرض لا يمكن المعرفه بسرّه إلاّ هو، فكيف بوجودهم الذى هو المرتبه الأقوى من الوجود بالنسبه إلى غيرهم، حيث إنهم أقرب الموجودات إليه تعالى فلا وجود و لا ظهور أشدّ تجلّيا إلاّ بهم عليهم السّلام و ما سواهم دونهم فى المرتبه و الظهور كما لا يخفى. و إليه يشير

قولهم فيما تقدم: «إن أمرنا لا يحدّ» ، أى أنّ مظهريّتنا له تعالى بانبساط وجوده تعالى بنحو الأشدّ و الأتمّ و الأكمل لا يحدّ لكونهم عليهم السّلام أقرب الموجودات إليه تعالى، و هو تعالى أشدّ ظهورا و وجودا بهم عليهم السّلام فتأمل، و قد يراد من السرّ مقامات النفس. و قد يطلق على مقامات النفس الإنسانى و هى فى اصطلاح العارفين هى اللطائف السبع من الإنسان المتداوله عندهم، و هى الأبطن السبعه للإنسان الذى هو الآيه الكبرى للّه تعالى و هى عباره عن الطبع و النفس و القلب و العقل و الروح و السر و الخفى و الأخفى، و قد يحذف الطبع منها و يضاف العقل بعد القلب. و أما تعاريف هذه السبعه على الإجمال: فالطبع و الطبيعه هو مزاج الإنسان

المركب من الأخلاط.

و فى المحكى عن أبى الحسن عليه السّلام كما فى المجمع طبايع الجسم على أربعه فمنها الهواء الذى لا تحيى النفس إلّا به و بنسيمه، و يخرج ما فى الجسم من داء و عفونه، و الأرض التى قد تولّد اليبس، و الحراره و الطعام و منه يتولّد الدم، أ لا ترى أنّه يصير إلى المعده فتعمل به حتى يلين ثم يصفو فتأخذ الطبيعه صفوه و ما ثم ينحدر مع الثفل، و الماء و هو يولّد البلغم. أقول: قوله و الطعام عطفا على الحراره، إشاره إلى أنّ الحراره فى الجوف تحصل من الطعام فهو منشأ لهذه الطبيعه الإنسانيه. و لعل إليها يشير ما

فى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فى تعريفه عليه السّلام النفس. . . إلى أن قال: «فالنّاميّه النباتيّه لها خمس قوى: جاذبه و ماسكه و هاضمه و دافعه و مربّيه، و لها خاصيتان الزياده و النقصان و انبعاثها من الكبد. . .» الحديث و له شرح فى محله. و كيف كان فهذه الأمور من طبايع الإنسان و هى فى مزاجه و طبيعته الكامنه فى جوفه، و لذا أطلق على هذه اللطيفه السّر. و أما لطيفه النفس و القلب و الروح فاعلم أولا- أنّ النفس تطلق على أمور، و لعله هو الاشتراك اللفظى، فإنها تطلق على ذات السر، و تطلق على كمال أول لجسم طبيعى آلى، فهذه تنقسم إلى نفس سماويه و أرضيه، و الأرضيه تنقسم إلى نفس نباتيه و حيوانيه و إنسانيه، و هذه تقابل الصوره النوعيه المعدنيّه و الطبيعيه، و تطلق أيضا على جوهر مجرد فى ذاته دون فعله عن الماده (1)فتقابل هذه العقل المفارق فى ذاته و فعله عن الماده، و تطلق على النفس الأمّاره و اللّوامه فتقابل النفس الملهمه و المطمئنه، و العقل بقسميه النظرى و العملى و قد تطلق فى اصطلاح الحكيم على النفس الناطقه المراد بها تلك اللطائف السبع المذكوره. إذا علمت هذا فالمراد من النفس المشار إليها فى كونها من اللطائف السبع ما

۱- ۱) متعلق به مجرّد.

سنوضحها. و حاصله: أن القلب و الروح و النفس الناطقه واحده عند الحكماء. قال بعض الأكابر (۱)فی معرفه النفس و نعنی بها الجوهر اللطیف الملکوتی، الذی یستخدم هذا البدن الجسمانی فی حاجاته مسخّرا له تسخیر المولی الخدمه، و هو ذات الإنسان و حقیقته العالمه بالمعلومات، و له فی هذا البدن جنود جسمانیه هی الأعضاء و جنود روحانیه هی القوی، قال اللّه تعالی: وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ (۲)،

و قال نبینا صلّی اللّه علیه و آله: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» .

و قال: «أعرفکم بنفسه أعرفکم بربه» . و قد یسمی هذا الجوهر الملکوتی بالروح، لتوقّف حیاه البدن علیه، و بالقلب لتقلّبه فی الخواطر، و بالعقل لاکتسابه العلوم و اتّصافه بالمدرکات. و قد تستعمل هذه الألفاظ الأربعه فی معان أخر تعرف بالقرائن، ثمّ إن النفس توصف بأوصاف مختلفه بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سکنت تحت الأوامر و النواهی، و زایلها الاضطراب بسبب معارضه الشهوات سمّیت النفس المطمئنّه، قال اللّه تعالی: یٰا أَیَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّهُ. اِرْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً (۳)و إذا لم یتمّ سکونها، و لکنها صارت مدافعه للشهوه و الغضب، و معترضه علیهما سمّیت النفس اللّوّامه، لأنها تلوم صاحبها عند تقصیره فی عباده مولاها، قال اللّه تعالی: وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اَللَّوّٰامَهِ (۴)و إن ترکت الاعتراض و أذعنت و أطاعت لمقتضی الشهوات و دواعی الشیطان سمّیت الأمّاره بالسوء، قال اللّه تعالی إخبارا عن یوسف علیه السّلام: وَ مٰا أُبَرِّئُ نَفْسِی إِنَّ اَلنَّفْسَ لَأَمّٰارَهٌ بِالسُّوءِ إِلاّٰ مٰا رَحِمَ رَبِّی (۵).

۱- ۱) هو المولی المحسن رحمه اللّه فی الحقایق ص ۴۴.

۲- ۲) الذاریات:۲۱.

۳- ۳) الفجر:۲۷-۲۸.

۴- ۴) القیامه:۲.

۵- ۵) یوسف:۵۳.

و أما العرفاء، فالروح عندهم هى اللطيفه الإنسانيه المجرده، كما أنّه عند الأطبّاء الروح هو البخار اللطيف المتولد فى القلب الصنوبرى القابل لقوه الحيوه و الحسّ و الحركه. و النفس عند العرفاء هى هذا البخار، و القلب عندهم هو اللطيفه المتوسطه بين هذه النفس و بين الروح التى كانت اللطيفه الإنسانيه المجرده. و هذا المسمى بالقلب هو المدرك للكليات و الجزئيات. فالقلب عند العرفاء جوهر نورانى مجرد يتوسط بين الروح بالمعنى الأول أى اللطيفه الإنسانيه المجرده و بين النفس. فالقلب عندهم راكب و مركبه النفس، و الروح باطن لهذا القلب و هذه النفس، التى هى المركب للعقل ظاهره أى ظاهر العقل المتوسط بينه و بين الجسد، فالنفس حين كونها مركبا له متوسطه بين القلب و الجسد، فرتبه الروح الإنسانى قبل العقل و هو قبل النفس، و هى مركبه و واسطه بينه و بين الجسد. و لهذا القلب فتوحات ربانيه، و تلك على قسمين: صورى و معنوى. أما الصورى: فظهر البوارق و اللوائح و اللوامع مع الأنوار التى تظهر للسلّاك إلى جنابه الأقدس، فإنه تعالى منوّر القلوب كما فى دعاء الجوشن، و إنما تنويره تعالى لها بفتح أعينها الباطنيه و إفاضه النور عليها، فإنه كما أنّ أبصار العين التى لمشاهده عالم الملك لا يتسر إلّا برفع الموانع و تحقق الشرائط، و من جملتها مصادفه نور العين لنور آخر كنور الشمس أو القمر أو النار، كذلك بصيره القلب لشهود عالم الملكوت لا يتأتّى إلّا برفع العلائق و العوائق، و تحقّق المقرّبات و الشرائط و من جملتها إشراق نور آخر عليه من نور الحق أو بعض مقرّبيه كنور العقل الفعال، التى هى الحقيقه المحمديه الساريه فى الحقيقه العلويه و الأنوار الإلهيه المتحققه بالأئمه الطاهرين (عليهم و على فاطمه الزهراء أفضل الصلوه و السّلام) . قال بعض أهل المعرفه: أول ما يبدو فى قلب العارف ممن يريد اللّه سعادته نور،

ثم يصير ذلک النور ضياء، ثم يصير شعاعا، ثم يصير قمرا، ثم يصير شمسا، فإذا ظهر النور فی القلب بردت الدنيا فی قلبه بما فيها، أی و صارت عنده رديه فی غايه الخسه و الدناءه و لا يتعلق بها القلب، فإذا صار ضياء ترکها و فارقها مع مشقه و رياضه على النفس، فإذا صار شعاعا انقطع منها و زهد فيها بتمکين و سهوله، و حينئذ فارق الدنيا و لذاتها، و کره دنيا الآخرين و لو من الأشراف، فلا يتحدث بها و لا عنها، و هذا من إناره زهده فيها، فکل ما ازداد الزهد ازداد هذا الأثر، فإذا صار نجوما فارق الدنيا و لذاتها و محبوبها مفارقه بشراشر وجوده و باطنه، فإذا صار قمرا زهد فی الآخره و ما فيها، کما قيل: فإنها حرام على أهل الله تعالى. فإذا صار شمسا أی ظهرت شمس الحقيقه فيه بحيث دلت ذاته تعالى على ذاته فيه، فحينئذ لا يرى الدنيا و ما فيها و لا الآخره و ما فيها، و لا يعرف إلا ربه، فيکون جسده نورا و قلبه نورا و کلامه نورا، و أما المحرومون من هذه الأنوار فهم الذين أشار الله إليهم بقوله: اَلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي (۱). أقول: کون الجسد نورا لأنه إذا کان مؤتمرا بأمر الروح القدسی کايتمار الروح و امتثاله لأمر الله تعالى کان کالروح النوری نورا، و القلب إذا کان قلبا أجرد و أزهر و مستقيما لا أسود و لا منکوسا کان نورا، و الکلام إذا کان حکايه عن الکلمات النوريه التی فی النفس الناطقه و القلب النوری کان نورا. و نعم ما قيل: إن الکلام لفی الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا و يدل على هذه الأمور عده من الأحاديث:

منها: ما من قلب إلا و له عينان، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه اللتين هما للقلب ليشاهد بهما الملکوت، و يشير إلى هذه الترقيات النوريه أحاديث کثيره.

۱- ۱) الکهف:۱۰۱.

منها:

ما فی الخصال باب الخمسه (۱)، بإسناده إلی أبی عبد اللّه جعفر بن محمد عن أبیه عن آبائه عن علی علیهم السّلام: «المؤمن یتقلّب فی خمسه من النور مدخله نور، مخرجه نور، و علمه نور، و کلامه نور، و منظره یوم القیامه إلی النور» .

و فی الوافی (۲)، عن الکافی بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إنّ القلب لیتخلخل -لیتجلجل -فی الجوف یطلق الحق، فإذا أصابه اطمأنّ و قرّ، ثم تلا أبو عبد اللّه علیه السّلام: فَمَنْ یُرِدِ اَللّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ . . . إلی قوله: کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی اَلسَّماءِ (۳)» . أقول: هذا التخلخل أو التجلجل هو الحرکه الجوهریه التی قد أثبتها الحکماء للأشیاء. فقوله: «لیتجلجل» أی یتحرک جوهرا من مرتبه سابقه إلی مرتبه فوقها عالیه، و هکذا إلی أن یصل إلی المرتبه الأخیره، فإنّ القلب کما علمت إنّما سمّی قلبا لتقلّبه فی الخواطر خصوصا فی الخواطر الربوبیه.

قال علیه السّلام فی المناجاه الثانیه عشر

«إلهی ما ألذّ خواطر الإلهام بذکرک علی القلوب، و ما أحلی المسیر إلیک بالأوهام فی مسالک الغیوب» . و الحاصل: أنّ الانقطاع إلیه تعالی مع تنویر القلب بهذه الأنوار الإلهیه و الألطاف الربوبیه یوجب الوصول إلی تلک الغایات التی ذکرت، کیف لا و المربی لها أی القلوب قلوب المؤمنین العارفین هو اللّه تعالی؟ !

ففیه عن الکافی بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اللّه تعالی خلق قلوب المؤمنین مبهمه علی الإیمان، فإذا أراد استناره ما فیها فتحها بالحکمه و زرعها بالعلم، و الزارع لها و القیّم علیها رب العالمین» .

۱- ۱) الخصال باب الخمسه ص ۳۰۷.

۲- ۲) الوافی ج ۱ ص ۵۱.

۳- ۳) الأنعام:۱۲۵.

و فی بعض الروایات عن موسی بن جعفر علیه السّلام مثله إلّا أن فیه (مطویه مبهمه) و قال (نضحها بالحکمه) و النضح: السقی. و فی بعض النسخ (استثاره ما فیها) بدل استناره. و کیف کان فاللّه تعالی هو الفاتح و الناضح لها بالحکمه، و سیأتی معنی فتح القلب.

و فیه عن الکافی بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «القلوب أربعه: قلب فیه نفاق و إیمان، و قلب منکوس، و قلب مطبوع، و قلب أزهر أجرد» . فقلت: ما الأزهر؟ قال: «فیه کهیئه السراج، قال: فأما المطبوع فقلب المنافق، و أما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شکر، و إن ابتلاه صبر، و أما المنکوس فقلب المشرک، ثم قرأ هذه الآیه: أَ فَمَنْ یَمْشِی مُکِبًّا عَلیٰ وَجْهِهِ أَهْدیٰ أَمَّنْ یَمْشِی سَوِیًّا عَلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱)، و أما القلب الذی فیه إیمان و نفاق فهم قوم کانوا بالطائف إن أدرک أحدهم أجله علی نفاقه هلک، و إن أدرکه علی إیمانه نجا» . أقول: لم یفسّر علیه السّلام الأجرد فلعله المجرد عن الکدورات أعنی ما یقابل المطبوع فإن الطبع: الرین أی الزیغ و هو ما کان فی غایه الکدورات.

و فیه عن العده عن السهل عن الثمالی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «القلب ثلاثه: قلب منکوس لا یعی شیئا من الخیر و هو قلب الکافر، و قلب فیه نکته سوداء، فالخیر و الشر فیه یعتلجان (أی یتصارعان) فأیهما کانت منه غلب علیه، و قلب مفتوح فیه مصابیح تزهر لا یطفأ نوره إلی یوم القیامه و هو قلب المؤمن» .

و فیه عنه بإسناده عن علی بن عقبه، عن عمر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال لنا ذات یوم: «تجد الرجل لا یخطئ بلام و لا واو، خطیبا مصقعا، و لقلبه أشدّ ظلمه من اللیل المظلم. و تجد الرجل لا یستطیع تعبیرا عما فی قلبه بلسانه، و قلبه یزهر کما یزهر المصباح» .

۱- ۱) الملک:۲۲.

أقول: المصقع البليغ و عالى الصوت و من لم يرتجّ عليه فى كلامه.

و فيه عنه بإسناده عن سلام بن المستنير قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فدخل عليه حمران بن أعين، فسأله عن أشياء، فلما همّ حمران بالقيام قال لأبى جعفر عليه السّلام: أطال اللّه بقاءك لنا و أمتعنا بك، إنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترقّ قلوبنا، و تسلو أنفسنا عن الدنيا، و يهون علينا ما فى أيدى الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك، فإذا صرنا مع الناس و التجار أحببنا الدنيا، قال: فقال أبو جعفر عليه السّلام: «إنما هى القلوب مره تصعب و مره تسهل» . ثم قال أبو جعفر عليه السّلام: أما أنّ أصحاب محمد صلّى اللّه عليه و آله قالوا: يا رسول اللّه تخاف علينا النفاق؟ قال: فقال لهم: و لم تخافون ذلك؟ فقالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا و رغّبتنا، وجلنا و نسينا الدنيا و زهدنا حتى كأنّا نعاين الآخره و الجنه و النار و نحن عندك، و إذا خرجنا من عندك، و دخلنا هذه البيوت، و شممنا الأولاد، و رأينا العيال و الأهل نكاد أن نحول عن الحال التى كنّا عليها عندك، و حتى كأنّا لم نكن على شىء، أ فتخاف علينا النفاق و إنّ ذلك نفاق؟ فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: كلاّ إنّ هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم فى الدنيا، و اللّه لو تدومون على الحال التى وصفتم أنفسكم بها، لصافحتكم الملائكه و مشيتم على الماء، فلو لا أنكم تذنبون فتستغفرون اللّه تعالى لأتى اللّه تعالى بخلق يذنبون و يستغفرون فيغفر لهم، إنّ المؤمن مفتّن توّاب، أ ما سمعت قول اللّه تعالى: إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلتَّوّٰابِينَ (۱)و قال: وَ اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ (۲)» . و كيف كان فالمستفاد من هذه الأحاديث أنّ الأمر أمر القلب و أهميته هو أن يكون مفتوحا كما فى حديث الثمالى، و قلب مفتوح فيه مصابيح تزهر و لا يطفأ نوره إلى يوم القيامه، هذا كله فى بيان فتوحات القلب الصوريه، و أما الفتوحات المعنويه

۱- ۱) البقره:۲۲۲.

۲- ۲) هود:۹۰.

للقلب فهو على ثلاثه أقسام: الفتح القريب و الفتح المبين و الفتح المطلق. أما الأول: فهو ما انفتح على العبد من مقام القلب و ظهور صفاته و كمالاته عند قطع منازل النفس، و الترقى إلى منازل القلب فى حدود السير من الخلق إلى الحق. و الحاصل: أن هذا الفتح يقع فى حدود سيره من الخلق إلى الحق، و لعل هذا هو المشار إليه بقوله تعالى: نَصْرٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ (1)و قطع هذه المنازل عباره عن خروجه عن منازل النفس المعبر عنها بالخلق إلى منازل القلب المعبّر عنها بالحق، فلا بد حينئذ من معرفه منازل النفس و منازل العقل، فنقول: أما الأول فقيل إنها ثمانيه: (الشره و الخمود) و (التقتير و التبذير) و (الجبن و التهور) و (الجربزه و البلاهه) و هاتان الأخيرتان أعنى الجربزه و البلاهه عباره عن إفراط الفكر و هو الجربزه و تفريطه و هو البلاهه، كل منهما يستعملان فى تكثير طرق جلب المنافع الدنيويه فى الجربزه و تقليلها فى الغايه فى البلاهه، و هذه الثمانيه كل اثنين منهما طرفا الإفراط و التفريط للحد الوسط من منازل العقل، فالشره هو طرف الإفراط، و الخمود هو طرف التفريط للعفه، و التقتير هو طرف التفريط، و التبذير هو طرف الإفراط للسخاوه، و الجبن هو طرف التفريط، و التهوّر هو طرف الإفراط للشجاعه، و الجربزه هو طرف الإفراط، و البلاهه هو طرف التفريط للحكمه. الإفراط الوسط التفريط الشره العفّه الخمود التبذير السخاوه التقتير التهوّر الشجاعه الجبن الجربزه الحكمه البلاهه و مما ذكر علم منازل القلب التى هى أربعه، و التى هى أركان العداله الخاصه،

1- 1) الصف:13.

و يجمعها و تلك هى العفه و السخاوه و الشجاعه و الحكمه، و قد عرفت طرفى الإفراط و التفريط لهذه الأربعه، و تفصيل هذه الأمور موكول إلى علم الأخلاق. و كيف كان ففتح أبواب القلب هو السير من منازل النفس المذكوره إلى منازل القلب المذكوره، و يسمّى بالفتح القريب كما تقدم، ثم إن أحسن منازل القلب هو الحكمه، و هو دركه الكليات و الجزئيات كالروح أيضا فى قبال النفس، التى هى تدرك الجزئيات إلاّ أنه لا بدّ من أن يعلم أنه ليس المراد من إدراكه الكليات إدراك النظريات و العلوم الصرفه غير المتعلقه بالعمل، بل ما يشمل العمليات مثل أن يزور العبد الصالح للّه تعالى و يعود المريض للّه تعالى لا للتشهى النفسانى، و يتعلّم العلم للّه تعالى لا للجاه و هكذا. و أما الثانى: أى الفتح المبين فهو ما انفتح على العبد من مقام الولايه الإلهيه، و تجليات الأنوار الإلهيه المفنيه لصفات القلب و كمالاته، و هذا فى مقام السير فى الحق، و لعل إليه يشير قوله تعالى: إِنّٰا فَتَحْنٰا لَکَ فَتْحاً مُبِيناً. لِيَغْفِرَ لَکَ اَللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ مٰا تَأَخَّرَ (1)أى من الصفات النفسانيه و القلبيه، و معنى أن تجليات الأنوار الإلهيه تكون مفنيه لصفات القلب و منازله هو أنه لمّا تجلت الأنوار الإلهيه بالفتح المبين الظاهر، أى انفتح ظهور أسمائه تعالى بذاته، و أنها قائمه به تعالى لا بالعبد، بل العبد كان مظهرا لها، و تبيّن له هذا الظهور و النسبه، و علم أنّ نفس العبد لم يكن إلاّ الفقر المحض، فحينئذ يصير العبد من البدلاء، و معنى كونه من البدلاء أى تتبدل صفاته القلبيه السابقه بالأسماء الإلهيه، فحينئذ يتبدل اسم الشجاع الذى هو منزل حسن للقلب و من الأسماء الخلقيه أى الجاريه على الخلق بأسماء اللّه تعالى من مثل القادر و المقتدر و القاهر، فالاسم الذى يظهر حقيقته و نسب إليهم يكون ظهوره فيهم بالشجاعه. و أما إذا فنى العبد فى نفسه بإفناء التجليات الأسمائيه للصفات القلبيه الخلقيه،

۱- ۱) الفتح:۱-۲.

فیظهر ذلک الاسم منسوبا إلیه تعالی بالقادر و المقتدر و القاهر و نحوها، و علی هذا القیاس و البیان یتبدل اسم السخی باسم القاضی للحوائج و المنعم و نحوها و قس علیها الباقی من الأسماء و المنازل الخلقیه القلبیه عند ظهور الفتح المبین یتبدلها بالاسم الإلهی، فالعبد الحقیقی ینبغی أن یتخلّق بأخلاق اللّه تعالی أی یفنی صفاته تعالی کما یفنی ذاته تعالی، أی سیروا فی الحق بالفتح المبین الإلهی، لتتخلّقوا بأخلاقه تعالی بالتبدل المذکور. و أما الثالث: أی الفتح المطلق الذی هو أعلی الفتوحات القلبیه و أکملها، و هو ما انفتح علی العبد من تجلی الذات الأحدیه و الاستغراق فی عین الجمع بفناء الرسوم کلها، و لعل إلیه یشیر قوله تعالی: إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اَللّٰهِ وَ اَلْفَتْحُ (۱)و صاحب هذا الفتح یری الناس یمحقون فی نور اللّه عند طلوع شمس الحقیقه، إذ عندها یمحی الموهوم و یصحو المعلوم فتذوب المجازات، إذ کلّ ما سواه باطل و مجاز زائل، فیری الکل بالأمر و النهی التکوینیین ممتثلین و إلی إرادته هم صائرون، فحینئذ یصحّ منه أن یخاطب بالخطاب الإلهی بقوله تعالی: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ (۲)أی سبّح بتسبیحه لنفسه لا بتسبیحک إیّاه، بل هو یسبّح نفسه. و معنی سبّح أی نزّهه بما حمد تعالی به نفسه، فإنه یسبّح لنفسه تسبیحا یلیق بجنابه المقدس لا غیره. و لذا

قال صلّی اللّه علیه و آله: «أنت کما أثنیت علی نفسک» أی لا أحصی ثناء علیک، و قوله تعالی: وَ اِسْتَغْفِرْهُ أی غطّ وجودک تحت سطوع نوره، فالغفر هو بمعنی الستر، فهذا الاستغفار عقیب هذا القول منه تعالی معناه هذا الذی ذکر، کما لا یخفی. ثمّ إنّ هذا نهایه سیر القلب و سیر العبد إلی الفتح المطلق، و هو الوصول إلی التجلیات الأحدیه الذاتیه و الاستغراق فی عین الجمع، فالعبید لا غایه لهم دونها،

۱- ۱) النصر:۱.

۲- ۲) النصر:۳.

و هـذا الوصول له مراتب فى نفسه، و أعلاه يكون لنبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و للأئمه عليهم السّلام. ثم إن العبيد الواصلين إلى الفتح المطلق على قسمين: قسم منهم فانون فى عين الجمع، و قسم يكون لهم سير آخر، و هو السير من الحق إلى الخلق، لتكميل النفوس حسب ما يعطى لهم من وظيفه التبليغ و الرساله، و يعبّر عنه بمقام البقاء فى الفناء و لا ريب فى أن هـذه المراتب للقلب من الفتوحات الثلاثه من الأسرار الباطنه و اللطائف الإنسانيه، هذا كله بالنسبه إلى الطبع و النفس و القلب و الروح فى الجمله، و تفصيله موكول إلى محله. أقول: قال بعض الأكابر: و قد يجعل النفس أما و الروح أبا و القلب ولدا، فمن القلب ما هو ميّال إلى الأم و هو القلب المنكوس، و منه ما هو متخلّق بأخلاق الأب مترق إليه، و منه ما هو متردد بينهما إلى ما شاء اللّه، فالنفس حيث هى من الخلق و عالم الملك، و لها ملائمات و منافرات فى هذا العالم، فإذا صار القلب و هذا الولد تابعا لأمه أى النفس المادى، فلا محاله تخلد إلى الأرض، و يتّبع هواه فيكون منكوسا. و أما إذا اتّبع الأب و هو الروح الذى هو من عالم الملكوت، فلا محاله يترقّى إليه إلى أن يصير من المطمئنّين باللّه تعالى، و هناك أقسام متردده بين هذه و هذه، فهذه هى النفوس اللوامه كما لا يخفى. هذا كله بالنسبه إلى الطبع و النفس و القلب و الروح و أما العقل و السر و الخفى و الأخفى. فنقول: قد يقال: إن العقل هو القلب كما قيل عن الحكماء: إنّ القلب هو العقل التفصيلى، و الروح هو العقل البسيط الإجمالى، و لهذا جعل بعض اللّطائف السبع ما دون العقل. و قد يقال: العقل لسان الروح و ترجمانه الدال عليه. و قد يقال: إن النفس الإنسانيه هو الجوهر العقلى، و هو أولا عقل بالهيولى و عقل بالقوه، ثم يصير عقلا بالفعل بعد مزاوله الاكتساب، و تحصيل العلوم الحقيقيه

حتی أدّتها من القوه إلی الفعل، ثم یصیر عقلا مستفادا. و قیل فی تعریفه: العقل نور روحانی تدرک النفس به العلوم الضروریه و النظریه، و أول ابتداء وجوده عند اجتنان الولد، ثم لا یزال ینمو إلی أن یکمل عند البلوغ. أقول: هذا التعریف یشیر إلی العقل الهیولانی و العقل بالقوه، ثم یشیر إلی وصوله إلی العقل بالفعل بالنحو المتقدم ذکره. و قال بعضهم: و قد یطلق العقل علی العلم المستفاد من ذلک أی من النور الروحانی، فیکون الأول هو العقل المطبوع المراد

بقوله تعالی: «ما خلقت خلقا هو أحبّ إلیّ منک» و الثانی العقل المسموع و هو المراد

من الحدیث: «ما اکتسب الإنسان شیئا أفضل من عقل یهدیه إلی هدی» . و قد یراد بالعقل قوه النفس. و قد یراد به المصدر و هو فعل تلک القوه. و قد یراد به ما یقابل الجهل، و هو الحاله المقدمه علی ارتکاب الخیر و اجتناب الشر، أی القوه المدبره فی إعانه الآخره. و قیل: موضعه الدماغ و قیل: القلب و الدماغ مجمعا العقل. و عن بعض العارفین: الممکن المجرد عن الجسمیه إن احتاج فی کمالاته إلی البدن فهو النفس و إلاّ فهو العقل.

و عن علی أمیر المؤمنین علیه السّلام «العقل شرع من داخل، و الشرع عقل من خارج» أی مبیّن للطریق کالسراج.

و قد ورد فی أحادیث العقل أنه کالسراج وسط البیت.

و فی حدیث عنه علیه السّلام «العقل وسط الکل» . أقول: لا ریب فی أن العقل هو تعقل الأشیاء و فهمها، و هو مما یدرکه الإنسان فی لبّه، و مع ذلک عرّف بتعاریف:

الأول: هو قوه إدراک الخیر و الشر و التمیز بینهما و المتمکّن من معرفه أسباب الأمور و ذوات الأسباب، و ما یؤدی إلیها و ما یمنع منها، و هو بهذا المعنی مناط التکلیف، و لکن لا ریب فی أنّ هذا بالآثار لا بحقیقته. الثانی: أنه ملکه و حاله فی النفس تدعو إلی اختیار الخیر و النفع، و اجتناب الشرور و المضار، و هو غیر العلم، فإن هذا فطری و العلم کسبی، و هذا تعریف له بالإجمال کما لا یخفی. الثالث: القوه التی یستعملها الناس فی نظام أمورهم، و هذا کسابقه من أنه تعریف بالإجمال، بل هو هو إلّا أنه باعتبار استعماله فی نظام الأمور. الرابع: هو أمر ینحل إلی مراتب استعداد النفس، لتحصیل النظریّات و قربها و بعدها عن ذلک و أثبتوا لها مراتب أربع: العقل الهیولانی. العقل بالملکه. العقل بالفعل. العقل المستفاد. الخامس: النفس الناطقه الإنسانیه التی بها یتمیّز عن سایر البهائم. و قد یقال کما عن الفلاسفه: إنه جوهر مجرد قدیم لا تعلّق له بالماده ذاتا و لا فعلا، و هذا مضافا إلی رجوعه إلی ما قبله، مناف لکثیر من ضروریات الدین من حدوث ما سوی اللّه تعالی کما لا یخفی. قال بعض الفضلاء و أهل المعرفه من المعاصرین-أبقاه اللّه تعالی للدین-ما ترجمته و حاصله: أنّ للإنسان شأنا به یتمکن من السیر من القوی الکامنه فیه بنحو الاستعداد إلی الفعلیّه، إلی أن یسیر بهذا السیر إلی التمکّن من العقل المستفاد، المراد منه حضور المعارف النوریه العقلیه عند حقیقه نفسه، و تلک الکمالات و الأنوار العقلیه قد ظهرت لنفسه من العقل الفعّال الکلی بإذنه تعالی، فإنه الذی

جعله اللّه تعالى سببا لخروج النفس الناطقه الإنسانيه من القوه إلى الفعل، و ذلك الشأن هو ابتداء يكون فيه بنحو الهيولى الساذجه، التى هى صرف الإمكان الذاتى و الاستعداد النفسى المعبّر بالعقل الهيولانى، أى ماده من المواد التى شأنها الدرك، إلاّ أنه بعد لم يستعمل فى عمله، ثم إن صاحبه إذا أنس بأمور مدركه أوليه، فيوجب هذا الإنس تحريك تلك الماده الاستعداديه إلى درك أمور نظريه فتقدر النفس حينئذ على الصعود إلى العقل فيصير عقله عقلا بالملكه، فلمّا قدر على استحضار العلوم النظريه يترقّى من الملكه إلى العقل بالفعل، و هو قدره دركه الكليات و الجزئيات فى عالم نفسه. ثم إن العقل الهيولانى و العقل بالملكه و بالفعل من قوى النفس التى بها يتقوى و يترقى. ثم إنه إذا رأت النفس الكمالات العلميه و المعارف النوريه العقليه حاضره عند حقيقه نفسه تتسمى تلك الكمالات الحاضره عقلا مستفادا، و ليس العقل المستفاد قوّه للنفس كالسابقه عليه بل هو حضور المعقولات عند النفس كما لا يخفى. فالعقل حينئذ مشترك لفظى يطلق على هذه الأمور كما حقق فى محله، هذا كله فى شرح العقل. و أما اللطائف الثلاث الأخرى أعنى السر و الخفى و الأخفى. فقد قيل: السرّ هو الاتصال بالعقل الفعال المشار إليه سابقا، و الخفى هو الاتصال بعقل الكل بمعنى جمله العقول الكليه، و الأخفى و هو مقام المحمديه صلّى اللّه عليه و آله هو الاتصال بالفيض المقدس و الوجود المنبسط و مرتبه المشيه فى الطمس الصرف و المحق المحض بالفناء البحت، و تحقيقها موكول إلى محله. إذا علمت هذا فاعلم أنّ

قوله عليه السّلام:

«مؤمن بسركم و علانيتكم»

، يشير إلى الإيمان بأسرارهم و علانيتهم، و بيانها بعد ذكر الأحاديث الوارده فى الباب. فنقول

فى الوافى عن الكافى بإسناده عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام

«يا محمد إنّ عندنا و اللّه سرّا من سرّ اللّه، و علما من علم اللّه، و اللّه ما يحتمله ملك مقرب و لا نبى مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان، و اللّه ما كلّف اللّه أحدا غيرنا. . .» الحديث و قد تقدم بتمامه.

و فى المحكى عن البصائر مسندا عن أبى الصامت قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرب و لا نبى مرسل و لا عبد مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله و فى بعضها قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا» .

و عن البصائر أيضا عن المفضل قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «إن حديثنا صعب مستصعب ذكوان أجرد، و لا يحتمله ملك مقرب و لا نبى مرسل، و لا عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان» . أما الصعب فهو الذى لم يركب بعد. و أما المستصعب فهو الذى تهرب منه إذا روئى. و أما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين. و أما الأجرد فهو الذى لا يتعلق به شىء من بين يديه و لا من خلفه، و هو قول اللّه عز و جل: اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِيثِ (1)فأحسن الحديث حديثنا، و لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحده، لأنه من حدّ شيئا فهو أكبر منه، و الحمد للّه على التوفيق. و الإنكار هو الكفر.

و عنه مسندا عن مرازم قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إنّ أمرنا هو الحقّ و حقّ الحقّ، و هو الظاهر و باطن الظاهر و باطن الباطن، و هو السّر و سر السّر و سر المستسر و سرّ مقنّع بالسّر» . أقول: قد تقدم بعض الشرح لهذه الأحاديث، فالمقصود من ذكرها لأجل أن يعلم أنّ أسرارهم صعبه لا يمكن لأحد احتمالها حتى النبى المرسل و الملك المقرّب

١- ١) الزمر:٢٣.

و المؤمن الممتحن، فحينئذ لا بد من الإيمان به، إذ لا يمكن العلم به و احتماله و حده كما صرح به فی حديث المفضل، و الوجه فی كونه مما لا يحتمل و أن هذا السّر مختصّ بهم عليهم السّلام هو أنّ حقيقه هذا السر هو الولايه المطلقه الإلهيه التكوينيه و التشريعيه. و قد يقال: إن المراد به هو أمر اللّه تعالى، و عالم أمره المشار إليه فی قوله تعالی: قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی (۱)، و قوله تعالی: وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (۲)و هو مقامهم الإلهی المعبّر فی الأدعيه به (مقاماتک) و لذا أضيف هذا الأمر إليهم عليهم السّلام فی حديث مرازم فی قوله عليه السّلام: (إنّ أمرنا) و قد يفسر خصوص حديث مرازم الأخير بأن المراد من أمرنا هو ما ذكرناه. و المراد من الحق فی قوله «هو الحق و حق الحق» ، هو الحق الإضافی. و المراد «بالظاهر» هو الظاهر الحقيقی فی عالم الوجود، لأن هذا الظاهر هو ظهور الحق لا ذات له الظهور كما فی الحق الحقيقی، فإن الحق الحقيقی ذات له الظهور، و هذا الظاهر هو ظهوره تعالى هذا فی قوله و هو الظاهر. و أما قوله و باطن الظاهر فالمراد من الظاهر هو عالم الظاهر. و المراد من باطن هذا الظاهر، و من باطن هذا الباطن، هو العوالم العقليه الكليه، التی هی فی باطن هذه الظهورات، و لعوالم العقول باطن عبّر عنه بالسر و سرّ السرّ، فلا محاله يكون السرّ المستسرّ مقنّعا بالسرّ. و أما هذه الأسرار الخفيه السرّيه فلعلها ترجع إلى مقام الخفاء المشار إليه

بقوله: «كنت كنزا مخفيّا، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكی أعرف» ، ثمّ معرفيته تعالى بالخلق ليست كلها لكل أحد، بل هو تعالى عرف أولا لأول ما خلقه من نور نبيّنا صلّی اللّه عليه و آله المعبر عنه بالصادر الأول فی لسان الحكماء، ثمّ اتّسع التجلی الأول للأئمه عليهم السّلام، ثم للملائكه المقربين ثم لسائر الأنبياء، ثم للأولياء و هكذا فما ظهر من

۱- ۱) الإسراء:۸۵.

۲- ۲) الشوری:۵۲.

أمره تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و آله و للأئمه عليهم السّلام سرّ، بل سر السرّ بالنسبه إلى غيرهم عليهم السّلام من الأنبياء و الملائكه المقربين. و لذا

قال عليه السّلام فى حديث أبى بصير: «إنّ عندنا و اللّه سرّا من سرّ اللّه، و علماً من علم اللّه، و اللّه ما يحتمله ملك مقرب، و لا نبى مرسل، و لا عبد مؤمن» . و الحاصل: أن الأسرار لها باعتبار محتمليها مراتب، فكل مرتبه عاليه سرّ بالنسبه إلى السافله، و هكذا. ثم إن أمرنا فى حديث مرازم اسم لأن و جميع المفردات المذكوره بعدها بالعطف خبر له، يستفاد منه أنّ أمرهم هذا له مراتب شدّه و ضعفا، فالمرتبه العاليه منها تختصّ بهم عليهم السّلام و بقيه المراتب أيضا لهم و من أمرهم إلاّ أنها منقسمه للمحتملين كل بحسبه، كما لا يخفى. و كيف كان فجميعها من شئون أمرهم المختصّ بهم أصله، و قد يقال: إنّ اللطائف السبع قد علمت أنها الطبع و النفس و القلب-أو العقل-و الروح و السرّ و الخفى و الأخفى. و أيضا قد علمت الطبع و النفس و القلب و العقل، و حينئذ قد يقال: إن المراد من قوله: و هو السر-الروح-أى الحقيقه الكائنه للنفس الناطقه الإنسانيه المعبر عنها بالكليه الإلهيه، و من قوله: «و سرّ السرّ» ، أى السرّ الذى هو إحدى اللطائف السبع، و من قوله: «و سرّ مستسرّ» ، أى الخفى، و من قوله: «و سرّ مقنّع بالسرّ» أى الأخفى، و أوضحه بعضهم بقوله: فاللطيفه الروحيه لهم عليهم السّلام العقل بالفعل، و اللطيفه السّريّه لهم عليهم السّلام العقل الفعّال، و اللطيفه الخفويه لهم عليهم السّلام العقل الكلى، و اللطيفه الأخوفيّه الوجود المنبسط، و اللّه العالم. و قد يقال: إن الإيمان المشار إليه

فى قوله:

«مؤمن بسرّكم»

، هو الذى تقدم شرحه فى

قوله عليه السّلام:

«و أبواب الإيمان»

، من أنه القبول القلبى، الذى يستتبع القول باللسان و العمل بالأركان.

ص: ۵۳۳

و أما السرّ فهو يقابل العلانيه، فكل ما ظهر منهم عليهم السّلام من قول أو فعل أو بيان فهو من العلانيه التى لا بد من الإيمان بها. و أما الذى لم يظهر منهم كما تقدم من

قوله عليه السّلام: «ما سترناه عنكم أكثر» ، فهو سرّ، ثم إنّ السرّ إما مطلق و هو الذى لم يظهر لأحد غيرهم حقيقته، و إما ظهر لبعض شيعتهم عليهم السّلام على اختلاف مراتبهم، فمن هنا يعلم أنّ لكل أحد من شيعتهم بخصوصه إذا لاحظ نفسه إلى معارفهم عليهم السّلام يكون له سرّ بالنسبه إليه بخصوصه و إن كان بالنسبه إلى آخرين علانيه، و له علانيه بخصوصه و إن كان بالنسبه إلى آخرين سرّا، و كيف كان فالسرّ المطلق أو الإضافى قد يقال: إنّ المراد منه هى المقامات، أى هى مرتبه المعانى، و هى مقنّعه بالسرّ الذى هو مرتبه الأبواب، و هو مقنّع بالسرّ الذى هو مرتبه الأشباح و الأظلّه، التى كانت لهم و حقيقتهم المتعلّقه بالعرش قبل خلقهم التكوينى أى كونهم عليهم السّلام الصافّين الحافّين حول العرش المسبّحين.

ففى تفسير نور الثقلين (1)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن شهاب بن عبد ربّه، قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول: «يا شهاب نحن شجره النبوه و معدن الرساله و مختلف الملائكه، و نحن عهد اللّه و ذمّته، و نحن ودّ اللّه و محبته، كنّا أنوارا صفوفا حول العرش نسبّح فسبّح أهل السماء بتسبيحنا، إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، و إنا لنحن الصّافّون، و إنا لنحن المسبّحون، فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بعهد اللّه عز و جل و ذمّته، و من خفر ذمّتنا فقد خفر ذمّه اللّه عز و جل و عهده» . قوله عليه السّلام: «خفر» أى نقض عهده و غدر به. و هذه المقامات هى التى ذكرت

فى الدعاء المروى عن الحجه (روحى و أرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء) من قوله عليه السّلام:

«فجعلتهم معادن لكلماتك و أركانا لتوحيدك و آياتك و مقاماتك، التى لا تعطيل لها فى كل مكان يعرفك بها من عرفك،

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۴۳۹.

لاـ فرق بينـك و بينهـا إلاّـ أنهم عبادك و خلقك، فتقها و رتقها بيـدك بـدؤها منك و عودها إليك أعضادا و أشـهادا و مناه و أذوادا فبهم ملأت سـماءك و أرضك حتى ظهر أن لا إله إلاّ أنت. . .» الدعاء. و قد تقدمت أيضا الأخبار المشار فيها بالمعانى و الأبواب و الأشباح، و ذكرنا سابقا شـرح الجمل المذكوره فى هذا الدعاء الشـريف. و كيف كان فهذه المقامات المشار إليها فى الدعاء و فى الأحاديث هى من أسـرارهم التى لم يظهر بحقيقتها لأحد. نعم، قد علم بعضـها بعض الكمّلين من خواصّ شـيعتهم و من حوارييهم، كمـا لاـ يخفى. و تقـدم أيضـا أن كون هـذه المقامات لهم عليهم السّـلام لا يسـتلزم غلوّا فى حقهم عليهم السّـلام كيف و قد

قال عليه السّلام:

«بـدؤها منك و عودها إليك» عقيب قوله «فتقها و رتقها بيـدك» الـذى يشار به إلى أنهم عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، و قد مرّ مرارا شـرح هذه الأمور فراجعها. ثم إن تفسـير السـرّ بالاعتقادات كما عن الشارح المجلسـى (رضوان اللّه عليه) و العلانيه بالأعمال ليس كما ينبغى، لأن الاعتقادات قد بيّنوها مضافا إلى أنه لا ينصرف الذهن من الاعتقادات إلى أنها من الأسـرار، مضافا إلى أنه قـد علم من أحاديثهم عليهم السّـلام معانى السر فى الجمله و أنها غير الاعتقادات الحقه. إلاّ أن يقال: إنّ المراد منهـا هو تحقق مصاديقها الواقعيه، و النفس الآمريه الكائنه فى صـقعها و فى الخارج، فهى بما هى هى من الأسـرار، لكونها مما لا تبلغ إليها عقول أحـد من الخلق فضـلا عن إدراكها، و لـذا قلنا: لا يمكن العلم بها بل لا بد من الإيمان بها، فتأمل. هذا كله شرح

قوله عليه السّلام:

«مؤمن بسرّكم» . و أما

قوله عليه السّلام:

«و علانيتكم»

، يراد منه ما ظهر منهم من مقامهم الظاهرى من

کونهم أئمه الحق و خلفاءه فی أرضه و حجته علی عباده إلی آخر ما مرّ فی أوائل الزیاره و من

قول علی علیه السّلام: «ظاهری الإمامه و باطنی غیب لا یدرک» أی ما ظهر منّی إمام فی نوعه، فشجاعته إمام الشجاعه و علمه إمام العلوم، و هکذا جمیع شئونه الظاهریه إمام فی نوعه، و سیجیء توضیحه فی شرح

قوله علیه السّلام

«و أجسادکم فی الأجساد. . . إلخ» ، ثم إن لازم معنی الإیمان بعلانیتهم المفسّره بما ذکرناه فی الجمله أنه لا بد من إطاعتهم، و الأخذ عنهم فی معالم الدین، و وجوب الردّ إلیهم فیما اختلف فیه، و وجوب متابعتهم و التسلیم لهم فی کل ما یرد عنهم، و هذه الأمور من الثابته لهم و اللازمه للمؤمن بهم، هو معنی

قوله علیه السّلام:

«ظاهری الإمامه»

و تقدم شرح سائر مفردات هذه الجمل. ثم إنه قد یقال: إنّ معنی «أولکم و آخرکم» مضافا إلی ما تقدم من أن الأول هو علی بن أبی طالب علیه السّلام و الآخر هو المهدی (عج) هو أنی مؤمن بأول ما منحکم اللّه من الوجود فی عالم الأنوار، و أسرّ إلیکم من الأسرار الربوبیه، و بیّن لکم شئونکم الولولیه من التشریعیه و التکوینیه، آمنت أنها حق من عنده تعالی، و لذا

قالوا علیهم السّلام «ولایتنا ولایه اللّه تعالی» . و أیضا معناه أنی مؤمن بآخرکم أی بجمیع ما تختم به أمورکم، و أنه یتحقق منکم کما أراد اللّه تعالی من دون مداخله النفس أو الشیطان فیها، بل صدر ما صدر منکم علی طبق إرادته تعالی منکم إلی آخر ما صدر منکم، حیث إنّ قلوبکم أوعیه لمشیّه اللّه تعالی. و صلی اللّه علی محمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: «و مفوض فی ذلک کله إلیکم، و مسلم فیه معکم» .

اشاره

أقول: فی المجمع، فوّضت أمری إلیک: أی رددته إلیک و جعلتک الحاکم فیه. و منه

قوله علیه السّلام «قد فوّض اللّه إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله أمر دینه، و لم یفوّض إلیه تعدی حدوده» .

ثم إن المستفاد من قوله تعالى: اَلنَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ (۱)الآيه، و قوله تعالى: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اَللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ اَلْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً (۲)أنه تعالى قد جعل لنبيه و من حلّ محلّه الولايه و الأولويه على عباده المؤمنين، و لازم الإيمان بهم و بسرّهم و علانيتهم، و حقيقته هو تسليم العبد جميع ما له من شئونه الظاهريه و الباطنيه، و جميع ما يتعلق به من الأهل و المال إلى مولاه الذى ولّاه اللّه تعالى عليه و نصبه مع اعتقاده أنه لا يفعل به إلّا ما هو خير له و صلاح له، و تكون مختاراته فى حقه هو مختارات اللّه تعالى.

و فى المحكى عن الكافى بإسناده إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «رأس طاعه اللّه الصبر و الرضا عن اللّه فيما أحب العبد أو كره، و لا يرضى عبد عن اللّه فيما أحب أو كره إلّا كان خيرا له فيما أحبّ أو كره» . و الأحاديث الوارده فى بيان هذا المعنى أعنى تسليم العبد أموره إليه تعالى و إلى أوليائه كثيره جدا، ثم إنه لا ريب فى أنّ قضاء رسول اللّه و أوصيائه هو قضاء اللّه تعالى، فلا بد من التفويض إليهم فى جميع الأمور. رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين. و قد يقال معنى مفوّض فى ذلك إليكم أى اعتقد الجميع أى جميع ما أقررت به لكم من أقوالكم، و أيضا أسلّم جميع أمورى لكم حتى تصلحوا خللها حيّا و ميّتا، لأنّ ميّتكم لم يمت كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام فالميت منكم أيضا بيده أمر الإصلاح كما لا يخفى.

[۶۱]و اما قوله عليه السّلام: «مسلم فيه معكم»

أى كما أنتم سلّمتم للّه تعالى أو لأمره عارفين إياه، فأنا أيضا مسلّم فيما سلمتم معكم و إن لم يصل عقلى إليها، فعليه فجمله مسلّم تأكيد لقوله

۱- ۱) الأحزاب:۶.

۲- ۲) الأحزاب:۳۶.

مفوّض، أو أنا مفوّض فى ذلك إليكم أى أنّ ما طلبت منكم من الشفاعه و اللجوء إليكم فقد فوّضتها إليكم إن شئتم فافعلوه، و ذلك لأنّ التفويض كما علمت هو الردّ إلى المفوّض إليه و جعله حاكما فيه. فحينئذ حاصل المعنى فى الجملتين أنى جعلتكم حاكمين فى هذه الأمور على نفسى و حوائجى كلها بمقتضى إيمانى بكم و بسركم و بمقاماتكم فأنا مسلّم، أى لا أشكّ فى هذا التفويض لعلمى أنه تعالى جعلكم مفوّضين فى أمر الدنيا، و أنا أيضا سلّمت له تعالى فى ذلك، و جعلتكم حاكمين على نفسى و أمورى كلها. ثم إن التسليم هو الإخبات كما تقدم و ترك الاعتراض على اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و التسليم فى جميع الأمور لهم، و قد تقدمت أحاديث التسليم فى طىّ الشرح. و اللّه ولى التوفيق. ثم إن بعض الشارحين تعرض فى المقام لمسألتين: الأولى: لمسأله التفويض إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام.

ففى الحديث أن اللّه تعالى فوّض إليهم أمر الأشياء أو أمر دينه، كما سيأتى ذكره. و الثانيه: لمسأله الأمر بين الأمرين

لقوله عليه السّلام: «لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين» ، كما سيجىء، و لم يعلم له وجه سوى أنه إذا لم يكونوا أى الأئمه عليهم السّلام ممّن قد فوض اللّه تعالى أمر دينه إليهم، فلا وجه

لقول الزائر:

«و مفوّض فى ذلک إليكم» . فإنه حينئذ إرجاع للدين و فى الدين إلى غير أهله، فلا بد من تحقيق المراد من كونهم عليهم السّلام ممن فوّض إليهم عليهم السّلام أمر الدين، و أما التفويض لمسأله الأمر بين الأمرين، فلأجل أنه لما علم أنه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد. فحينئذ ما معنى أنهم عليهم السّلام مفوّضون فى أمر الدين، فكيف لهم الاختيار و الفعل و الحكم فى قباله تعالى؟ بل هذا أحد مصاديق هذا البحث، و إلاّ فالكلام يجرى بالنسبه إلى جميع أفعال العباد كما لا يخفى. و كيف كان فنحن نتعرّض لهما فى الجمله تبعا لهم و لما فيه من الفوائد، فنقول:

أما المسأله الأولى، فاعلم أن هناک أحاديث دلّت على تحقق هذا التفويض، فلا بد من ذكرها ثم بيان المراد منها.

ففى البحار (۱)، عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ماجيلويه عن على عن أبيه عن ياسر الخادم، قال: قلت للرضا عليه السّلام: ما تقول فى التفويض؟ فقال: «إنّ اللّه تبارک و تعالى فوّض إلى نبيه صلّى اللّه عليه و آله أمر دينه، فقال: وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فأما الخلق و الرزق فلا» . ثم قال عليه السّلام: «إن اللّه عز و جل خالق كل شىء و هو يقول عز و جل: اَللّهُ اَلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ (۲)» .

و فيه عنه بإسناده عن أبى هاشم الجعفرى، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السّلام عن الغلاه و المفوّضه فقال: «الغلاه كفّار و المفوّضه مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوّجهم أو تزوّج إليهم-منهم-أو أمنهم أو ائتمنهم على أمانه أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمه خرج من ولايه اللّه عزّ و جلّ و ولايه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ولايتنا أهل البيت» .

و فيه (۳)من كتاب رياض الجنان لفضل اللّه بن محمود الفارسى بالإسناد عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فذكرت اختلاف الشيعه، فقال: «إن اللّه لم يزل فردا متفرّدا فى الوحدانيه، ثمّ خلق محمدا و عليا و فاطمه عليها السّلام فمكثوا ألف دهر، ثم خلق الأشياء و أشهدهم خلقها و أجرى عليها طاعتهم، و جعل فيهم ما شاء، و فوّض أمر الأشياء إليهم فى الحكم و التصرف و الإرشاد و الأمر و النهى فى الخلق، لأنهم الولاه فلهم الأمر و الولايه و الهدايه، فهم أبوابه و نوابه و حجابه

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۲۸.

۲- ۲) الروم:۴۰.

۳- ۳) البحار ج ۲۵ ص ۳۳۹.

يحللون ما شاء، و يحرمون ما شاء، و لا يفعلون إلّا ما شاء عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون. فهذه الديانه التى من تقدمها غرق فى بحر الإفراط، و من نقصهم عن هذه المراتب التى رتّبهم اللّه فيها زهق فى بحر التفريط، و لم يوفّ آل محمد حقّهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم، ثم قال: خذها يا محمد فإنها من مخزون العلم و مكنونه» . أقول: التفويض له معان بعضها منفى عنهم عليهم السّلام و بعضها مثبت لهم: أما المنفى عنهم عليهم السّلام فهو التفويض فى الخلق و الرزق و الإماته و الإحياء و التربيه مستقلا بحيث يقال: إنهم عليهم السّلام يفعلون جميع ذلك بقدرتهم و إرادتهم، فهم الفاعلون حقيقه، فهذا كفر ظاهر و تعطيل للذات المقدسه الربوبيه. و إليه يشير ما تقدم من

قول الرضا عليه السّلام: «فأما الخلق و الرزق فلا» . و إليه يشير أيضا ما

فى البحار (۱)، و روى عن زراره أنه قال: قلت للصادق عليه السّلام: إن رجلا من ولد عبد اللّه بن سبإ يقول بالتفويض، فقال: «و ما التفويض؟ قلت: إن اللّه تبارك و تعالى خلق محمدا و عليا (صلوات اللّه عليهما) ففوّض إليهما فخلقا و رزقا و أماتا و أحييا، فقال عليه السّلام: كذب عدوّ اللّه، إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآيه التى فى سوره الرعد: أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشٰابَهَ اَلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اَللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ اَلْوٰاحِدُ اَلْقَهّٰارُ (۲)» . أقول: و قد يستفاد من بعض الأخبار أن اللّه تعالى خلطهم بنفسه تشريفا فى الخلق حيث يقول (خلقنا) بصيغه الجمع، و وجّهه بعضهم بما حاصله أنه تعالى يخلق الخلق بوسائط من أسمائه الحسنى، فالخالق الحقيقى هو اللّه تعالى، إلاّ أنه لما خلق بعض الخلق بالوسائط و هم تلك الوسائط، فأسند الخلق تشريفا إلى الوسائط أى إلى حقيقتهم التى هى الأسماء الإلهيه، فنسبه الخلق إليهم عليهم السّلام بالمجاز و التّبع، و هذا

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۴۳.

۲- ۲) الرعد:۱۶.

لیس فی الحقیقه تشریکا فی الخالقیه، بل إضافه إلی نفسه تعالی تشریفا، کما ربما یسند بعض السلاطین بعض أفعاله إلی بعض وزرائه تشریفا کما لا یخفی، و سیجیء قریبا توضیح لهذا فی بیان الأمر بین الأمرین. ثم إنه ربما یقال فیما صدر عنهم علیهم السّلام من المعجزات، أو فیما نسبوا إلی أنفسهم الشریفه من بعض الأمور من الإماته و الإحیاء و أمثالهما کشقّ القمر، فإنما یکون جمیع ذلک بقدرته تعالی مقارنا لإرادتهم، و إنما یفعله تعالی هکذا لظهور صدقهم، و لإظهاره تعالی ذلک لمنکری مقامهم، و من الممکن الذی لا یأباه العقل هو أنه تعالی خلقهم و أکملهم و ألهمهم ما یصلح فی نظام العالم ثم خلق کلّ شیء مقارنا لإرادتهم و مشیتهم. و لعلّ إلیه یشیر

ما فی البحار (۱)، عن الاحتجاج، أبو الحسن علی بن أحمد الدلال القمی قال: اختلف جماعه من الشیعه فی أنّ اللّه عز و جل فوّض إلی الأئمه علیهم السّلام أن یخلقوا و یرزقوا؟ فقال قوم: هذا محال لا یجوز علی اللّه عز و جل، لأن الأجسام لا یقدر علی خلقها غیر اللّه عز و جل. و قال الآخرون: بل اللّه عز و جل أقدر الأئمه علی ذلک و فوّض إلیهم فخلقوا أو رزقوا، و تنازعوا فی ذلک تنازعا شدیدا، فقال قائل: ما بالکم لا ترجعون إلی أبی جعفر محمد بن عثمان فتسألونه عن ذلک، لیوضح لکم الحق فیه فإنه الطریق إلی صاحب الأمر (عج) ؟ فرضیت الجماعه بأبی جعفر و سلّمت و أجابت إلی قوله فکتبوا المسأله و أنفذوها إلیه، فخرج إلیهم من جهته توقیع نسخته: «إن اللّه تعالی هو الذی خلق الأجسام و قسّم الأرزاق، لأنه لیس بجسم و لا حال فی جسم، لیس کمثله شیء و هو السمیع البصیر، فأما الأئمه علیهم السّلام فإنهم یسألون اللّه تعالی فیخلق و یسألونه فیرزق إیجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم» .

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۲۹.

و ربما يحمل ما صدر منهم من هذه الأمور و المعجزات و خرق العادات على أنهم عليهم السّلام قد جعلهم اللّه تعالى مطاعين فى الأرضين و السموات و يطيعهم بإذن اللّه تعالى كل شىء حتى الجمادات و أنهم إذا شاءوا أمرا لا يردّ اللّه تعالى مشيتهم، و لكنهم لا يشاءون إلاّ أن يشاء اللّه.

و فى البحار (۱)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام أَمْ يَحْسُدُونَ اَلنّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اَللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ اَلْكِتابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً (۲)، ما ذا الملك العظيم؟ قال: «فرض الطاعه و من ذلك طاعه جهنم لهم يوم القيامه يا هشام» . أقول: ظاهر كثير من الأخبار الوارده فى هذا الباب هو تفسير الملك العظيم بالطاعه الواجبه المفروضه لهم عليهم السّلام المستفاده من قوله تعالى: أَطِيعُوا اَللّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ (۳)المفسر بهم عليهم السّلام.

ففيه (۴)عن تفسير الفرات عبيد بن كثير معنعنا أنه سأل جعفر بن محمد بن قول اللّه تعالى: أَطِيعُوا اَللّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ ، قال: «أولى الفقه و العلم، قلنا: أ خاصّ أم عام؟ قال: بل خاصّ لنا» ، و مثله أحاديث أخر. إلاّ أن المستفاد من

قوله عليه السّلام «و من ذلك طاعه جهنم لهم يوم القيامه» هو عموم فرض طاعه الموجودات لهم عليهم السّلام. و الحاصل أنه تعالى أوجب على الجميع من المخلوقات، بشرا كان أم غيرهم طاعتهم، بل يستفاد من بعض الأحاديث أن هذا الوجوب لا يختصّ بالوجوب التشريعى الذى تتطرق إليه المعصيه و التخلف، بل قد جعل اللّه تعالى لهم عليهم السّلام مضافا إلى ذلك الوجوب التكوينى بمعنى أنه إذا أمروا عليهم السّلام أحدا أو شيئا بأمر

۱- ۱) البحار ج ۲۲ ص ۲۸۷.

۲- ۲) النساء:۵۴.

۳- ۳) النساء:۵۹.

۴- ۴) البحار ج ۲۲ ص ۲۹۸.

مولوی و تکوینی لا یمکنه التخلف عن أمرهم علیهم السّلام.

ففی مدینه المعاجز للسید البحرانی (۱)(روحی فداه) فی باب طاعه ملک الموت للصادق علیه السّلام و ساق الحدیث. . . إلی أن قال الصادق علیه السّلام: «یا ملک الموت: قال لبیک أیها الإمام، قال: أ لست أمرت بالسمع و الطاعه لنا؟ قال: بلی، قال: فإنی آمرک أن تأخّر أمرها عشرین سنه، قال: السمع و الطاعه. . .» الحدیث.

و فیه ابن شهرآشوب عن زراره بن أعین، قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یحدّث عن آبائه علیهم السّلام أنّ مریضا شدید الحمی عاده الحسین علیه السّلام فلمّا دخل من باب الدار طارت الحمی عن الرجل فقال له: رضیت بما أوتیتم حقا و الحمی تهرب عنکم؟ فقال له الحسین علیه السّلام «و اللّه ما خلق اللّه شیئا إلّا و قد أمره بالطاعه لنا، قال: فإذا نسمع الصوت و لا نری الشخص، یقول: لبیک، قال: أ لیس أمیر المؤمنین أمرک أن لا تقربی إلّا عدوّا أو مذنبا، لتکونی کفّاره لذنوبه، فما بال هذا؟ فکان المریض عبد اللّه بن شدّاد اللیثی» . فظاهر الحدیث کما تری هو أن کل شیء مأمور بالطاعه لهم تشریعا و تکوینا کما لا یخفی. و أصرح ما یدل علی إطاعه الأشیاء لهم علیهم السّلام تکوینا بحیث لا یمکنهم المعصیه لهم علیهم السّلام ما رواه فی البحار. إذا علمت هذا، فنقول: الظاهر من الأحادیث لیس هو مجرد أنه تعالی یخلق المعجزات عند إرادتهم إیجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم علیهم السّلام فإنه أمر مسلّم، إلاّ أنّ الظاهر أنه تعالی جعلهم مظاهر لقدرته التی بها یفعل ما یشاء، کیف و هم علیهم السّلام قدره اللّه و عین اللّه و ید اللّه؟

و فی البحار (۲)، عن توحید الصدوق بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إن أمیر

۱- ۱) مدینه المعاجز ص ۳۸۶.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۱۹۸.

المؤمنين عليه السّلام قال: «أنا علم اللّه، و أنا قلب اللّه الواعى، و لسان اللّه الناطق، و عين اللّه الناظره، و أنا جنب اللّه، و أنا يد اللّه» .

و فى البحار (۱)، عن جابر بن عبد اللّه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. . . إلى أن قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أول ما خلق اللّه نورى ابتدعه من نوره و اشتقّه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدره حتى وصل إلى جلال العظمه فى ثمانين ألف سنه، ثم سجد للّه تعظيما ففتق منه نور على عليه السّلام فكان نورى محيطا بالعظمه، و نور على محيطا بالقدره. . .» الحديث. هذا و قد اشتهر منه عليه السّلام

قوله: «أنا قدره اللّه» ، و حينئذ نقول: إنّ ظهور المعجزات على أيديهم أو إنّ أمر الخلق مفوّض إليهم عليهم السّلام و أمثال هذه الأمور العظام، التى نسبت إليهم نسبه ظاهرها استنادها إليهم عليهم السّلام فى التأثير، كما تقدم فى صدر الشرح

قوله عليه السّلام فى الحديث الوارد فى خطبه الشقشقيه من قوله عليه السّلام: «و اللّه ما الإمام إلاّ الذى يحيى و يميت» ، فراجع. إنما يراد منها معنى لا يستلزم الشرك فى خالقيته تعالى مع صحه استنادها إليهم عليهم السّلام، و هذا هو الحق الذى لا ستره عليه، كيف و هم عليهم السّلام أوحد الناس فى توحيده تعالى، و قد بيّنوا لنا توحيده تعالى، فكيف يصدر منهم ما ينافى التوحيد و وحدانيته تعالى فى الخالقيه. و حاصله أنه لا ريب فى أنّ الأفعال فى عالم الوجود إنما تصدر من فاعلها بالحول و القوه، و من المعلوم بالضروره من الدين أنه لا حول و لا قوه إلاّ باللّه العلى العظيم، و أنه ما شاء اللّه كان و ما لم يشأ لم يكن.

و فى الحديث القدسى الذى رواه فى الجواهر السنّيه المسمى بالوسيله، ففى بعض فصولها: «يا فاعل كلّ إراده صلّ على محمد و آل محمد» .

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۲۲.

و فی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن احتجاج الطبرسی فی حدیث طویل یقول علیه السّلام: «و لملک الموت أعوان من ملائکه الرحمه و النعمه یصدرون عن أمره، و فعلهم فعله و کلّ ما یأتونه منسوب إلیه» . و إذا کان فعلهم فعل ملک الموت، و فعل ملک الموت فعل اللّه، لأنه یتوفّی الأنفس علی ید من یشاء، و یعطی و یمنع و یثیب و یعاقب علی ید من یشاء و أنّ فعل أمنائه فعله کما قال: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ (۲).

و فیه حدیث عن الخرائج و الجرائح عن القائم (عج) فیه یقول لکامل بن إبراهیم المدنی «و جئت تسأل عن مقاله المفوّضه، کذبوا بل قلوبنا أوعیه لمشیّه اللّه عز و جل، فإذا شاء شئنا، و اللّه یقول: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ » . فالمستفاد من هذه الآیات و الأحادیث و نظائرها و هی کثیره أن الأفعال فی عین أنها منسوبه إلی العبد منسوبه إلیه تعالی، بل النسبه بالنسبه إلیه تعالی حقیقیه، و بالنسبه إلی العبد مجازیه، لما سیأتی من أن العبد و ما ینسب إلیه من الأفعال و الصفات بل و ذاته منسوب إلیه تعالی، و هی فعله و تحت قدرته و سلطنته، و لا عکس أی لیس أفعاله تعالی و صفاته فضلا عن ذاته مستنده إلی غیره، بل هو مستقل فی استناد الأمور إلیه بالحقیقه، لأن ما أسنده إلی غیره یکون بالعنایه و المجاز. کیف و قد قسم العرفاء الحقه التوحید إلی الذاتی و الأفعالی و الصفاتی، و لا معنی للتوحید الأفعالی إلاّ أنها فعل الحق تعالی کما یومئ إلیه

قوله: «یا فاعل کلّ إراده» ، التی هی منشأ الأفعال

و قوله علیه السّلام: «و إنّ فعل أمنائه فعله» ، و قوله تعالی: وَ اَللّٰهُ خَلَقَکُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ (۳)فعلی هذا فأی فعل صدر فی عالم الوجود من أی فاعل

ص: ۵۴۵

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۴۸۶.

۲- ۲) الإنسان:۳۰.

۳- ۳) الصافات:۹۶.

مخلوق فهو بالحقيقه منسوب إليه تعالى حقيقه و إلى العبد عنايه، إلاّ أن الأفعال تختلف شده و ضعفا و كثره و قلّه لاختلاف القدره الكائنه فى الفواعل المخلوقه، فربما رجل يعمل أعمالا كثيره لا يقدر عليها غيره لضعف قدرته أو يعمل عملا شديدا أو عجيبا من حيث الكيف و المعنى و لا يقدر غيره عليه، لعدم وجود ملاكه فيه، فعليه فكل فعل صدر من أى أحد لو قيل: إنّ فاعله بالاستقلال هو هذا المخلوق فقط فهو شرك، أو قيل: إنه تعالى مستقل بالفعل و لا دخل للعبد فيه فهو الجبر و الكفر، بل لا هذا و لا ذاك، بل أمر بين الأمرين و سيجىء تحقيقه قريبا. ثم إنه لا يفرّق فى هذا بين كون الفعل صادرا من أى مخلوق: حقير ضعيف أو مخلوق عظيم الشأن أو المتوسط بين الأمرين، فعليه فالنبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام لما منحهم اللّه تعالى العلم و القدره، كيف و هم حقايق الأسماء الإلهيه كما علمت مرارا، و عندهم الاسم الأعظم فهم عليهم السّلام مقتدرون باللّه تعالى يفعلون الأمور العظام، و تظهر منهم المعجزات كلها بإقدار اللّه تعالى إياهم عليهم السّلام على ذلك،

و فى بعض الأحاديث الوارده فى معجزاتهم: «إن اللّه تعالى أقدرنا على ما نريد، و لا حول و لا قوه إلّا باللّه العلى العظيم» و يكون صدورها منهم بإذنه تعالى، و أين هذا من الشرك أو الغلوّ فى حقهم؟ بل ربما صدرت هذه الأمور من بعض المراتب النازله منها من بعض أولياء اللّه تعالى حينما بلغوا إلى مقام القرب و وصلوا إلى مقام التوحيد، فتصدر منهم الأفعال الربوبيه، فما ظنّك بالأئمه الأطهار عليهم السّلام الذى هم فى منتهى مرحله القرب، و لهم مقام العنديه عند اللّه تعالى كما تقدم؟ و مما يدل على هذا

ما ورد عنهم عليهم السّلام من الأحاديث القدسيه أنه يخاطب أهل الجنه بخطاب إلهى، فيقال لهم: «من الحى القيوم إلى الحى القيوم، جعلتك مثلى أقول لشىء كن، فيكون، تقول لشىء كن، فيكون» . فحينئذ نقول: أ تظنّ أنّ أهل الجنه إذا حصلت لهم هذه القدره الإلهيه، فيقولون للشىء كن فيكون أنهم حينئذ مشركون أو هم شركاء للّه تعالى، كلا، بل هم حينئذ

مقتدرون باللّه تعالی فیفعلون ما یفعلون بإذنه تعالی، فحینئذ فما ظنّک بالأئمه علیهم السّلام الذین خلقت الجنه من فاضل أنوارهم؟ فهم فی مقام من الرفعه و القدره بحیث لا یدانیهم أحد، فحینئذ فما المانع من أن تصدر منهم الأفعال المهمه الربوبیه بإذنه تعالی، و لا فرق بین صدور هذه الأفعال العظیمه منهم علیهم السّلام و بین صدور الأفعال الیسیره و الحقیره من أضعف خلق اللّه تعالی، لما علمت من أن الأمر بین الأمرین لا یفرّق فیه فی الأفعال، فجمیعها یکون بنحو الأمر بین الأمرین حقیرها و کبیرها، هذا و قد اشتهر أن حکم الأمثال فیما یجوز و فیما لا یجوز سواء، هذا و قد بیّن العرفاء الحقه أن الإنسان له قوه الخلاقیه فی الذهن، فإذا کمل فی الکمالات و وصل إلی مقام القرب، و جلس علی بساط الأنس مع اللّه تعالی، فیمنحه اللّه تعالی قدره الخلاّقیه الخارجیه، أی هذه القدره الذهنیه تتبدل بالقدره الخارجیه کما علمت من خطابه تعالی لأهل الجنه. و الحاصل: أن القول إن صدور الأفعال العظیمه و المعجزات منهم علیهم السّلام شرک و کفر باللّه العظیم، کما أن القول إن صدور أی فعل صغیر من أضعف الخلق و هو أنا إذا قلنا بصدوره منه بالاستقلال أیضا شرک باللّه العظیم، و أما إذا قلنا: بصدورها منهم علیهم السّلام بنحو الأمر بین الأمرین خصوصا مع کونها بإذن اللّه تعالی، و مع أن قلوبهم أوعیه لمشیّه اللّه تعالی فلا محذور فیه، و حینئذ فجمیع ما ورد من الأخبار الداله علی صدور أفعال عجیبه منهم کخطبه البیان و نحوها لا إشکال فیه أبدا، و القول: إنها من الغلاه و أشباههم، فی غیر محله، و إلی ما ذکرنا تدل أحادیث: منها: ما

فی البحار (۱)، عن بصائر الدرجات و الاختصاص بإسناده إلی الأسود ابن سعید، قال: قال لی أبو جعفر علیه السّلام: «یا أسود بن سعید إنّ بیننا و بین کلّ أرض ترّا مثل ترّ البناء، فإذا أمرنا فی الأرض بأمر جذبنا ذلک الترّ، فأقبلت الأرض بقلیبها

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۶۶.

و أسواقها و دورها حتى ننفذ فيها ما نؤمر به من أمر اللّه تعالى» (۱). أقول:

قوله علیه السّلام: «إن بیننا و بین كلّ أرض ترّا» ، یمكن أن یراد منه المعنى الكنائی عن القدره و التسلط الإلهی علیها فحینئذ معنی جذبنا: أعملنا تلك القدره. و یمكن أن یراد منه الخیط كما للبنّائین، كما ربما یظهر من حدیث السجاد علیه السّلام المتقدم فی شرح الصدر، و لكنه أیضا لیس كالخیط الصوری بل هو نظیر عصا موسى علیه السّلام و كخاتم سلیمان الذی به تظهر تلك الأمور العظام عند إعمالها، فحینئذ حقیقتها لا یعلمها غیر اللّه تعالى، ثم إن الترّ بالضمّ: الخیط یقدر به البناء، و القلب: البئر.

و فیه عنهما عن إدریس عن الصادق علیه السّلام قال: سمعته یقول: «إن منا أهل البیت لمن الدنیا عنده بمثل هذه و عقد بیده عشره» ، قال المجلسی (رحمه اللّه علیه) : بیان: عقد العشره بحساب العقود هو أن تضع رأس ظفر السبّابه على مفصل أنمله الإبهام، لیصیر الإصبعان معا كحلقه مدوّره، أی الدنیا عند الإمام علیه السّلام كهذه الحلقه فی أن له أن یتصرّف فیها بإذن اللّه تعالى كیف شاء أو فی علمه بما فیها و إحاطته بها.

و فیه عنهما عن حمزه بن عبد المطلب بن عبد اللّه الجعفی، قال: دخلت على الرضا علیه السّلام و معی صحیفه أو قرطاس فیه عن جعفر علیه السّلام: «إن الدنیا مثلت لصاحب هذا الأمر فی مثل فلقه الجوزه، فقال: یا حمزه ذا و اللّه حق فانقلوه إلى أدیم» أی الجلد المدبوغ.

و فیه (۲)عنهما بإسناده عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فدخل علیه رجل من أهل الیمن، فقال له: «یا أخا أهل الیمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمكم؟ قال: یسیر فی لیله مسیره شهرین یزجر الطیر و یقفو الأثر، فقال أبو عبد اللّه علیهم السّلام: عالم المدینه أعلم من عالمكم، قال: فما یبلغ (بلغ)

۱- ۱) و فی نسخه الاختصاص: فأقبلت الأرض إلینا. و حتى تنفذ.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۳۶۹.

من علم عالم المدینه؟ قال: یسیر فی ساعه من النهار مسیره الشمس سنه حتی یقطع اثنی عشر ألف عالم مثل عالمکم هذا، ما یعلمون أن اللّه خلق آدم و لا إبلیس، قال: فیعرفونکم؟ قال: نعم، ما افترض علیهم إلاّ ولایتنا و البراءه من عدونا» ، و نظیره غیره مع زیاده.

و فیه (۱)عن بصائر الدرجات بإسناده عن داود الهندی عن علی بن جعفر عن أبی الحسن علیه السّلام أنه سمعه یقول: «لو أذن لنا لأخبرنا بفضلنا قال: قلت له: العلم منه؟ قال: فقال لی: العلم أیسر من ذلک» .

و فیه (۲)عنه بإسناده عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إنی لأعرف من لو قام علی شاطئ البحر، لندب بدواب البحر و بأمهاتها و عماتها و خالاتها» .

و فیه (۳)عنه بإسناده عن غیر واحد من أصحابنا، قال: خرج عن أبی الحسن الثالث علیه السّلام أنه قال: «إنّ اللّه جعل قلوب الأئمه موردا لإرادته، فإذا شاء اللّه شیئا شاءوه و هو قول اللّه: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ » .

و فیه (۴)عن الخرائج و الجرائح بإسناده عن عبد الرحمن بن کثیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: أتی الحسین علیه السّلام أناس، فقالوا له: یا أبا عبد اللّه حدّثنا بفضلکم الذی جعل اللّه لکم، فقال: «إنکم لا تحتملونه و لا تطیقونه، قالوا: بلی نحتمل، قال: إن کنتم صادقین فلیتنح اثنان و أحدّث واحدا، فإن احتمله حدّثتکم، فتنحی اثنان و حدّث واحدا، فقام طائر العقل و مرّ علی وجهه، و کلّمه صاحباه، فلم یرد علیهما شیئا و انصرفوا» .

و فیه (۵)عنه بهذا الإسناد، قال: أتی رجل الحسین بن علی علیه السّلام، فقال: حدثنی

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۷۲.

۲- ۲) المصدر نفسه.

۳- ۳) المصدر نفسه.

۴- ۴) البحار ج ۲۵ ص ۳۷۸.

۵- ۵) البحار ج ۲۵ ص ۳۷۹.

بفضلکم الذی جعل اللّه لکم، فقال: «إنک لن تطیق حمله، قال: بلی حدثنی یا بن رسول اللّه إنی أحتمله، فحدّثه بحدیث فما فرغ الحسین علیه السّلام من حدیثه حتی ابیضّ رأس الرجل و لحیته و أنسی الحدیث، فقال الحسین علیه السّلام أدرکته رحمه اللّه حیث أنسی الحدیث» (۱).

و فیه عن مناقب شهرآشوب، و فی روایه سعید بن المسیّب و عبایه بن ربعی أنّ علیا علیه السّلام ضرب الأرض برجله فتحرکت، فقال: «اسکنی فلم یأن لک، ثم قرأ یومئذ تحدّث أخبارها» .

و فیه عنه: شکا أبو هریره إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام شوق أولاده، فأمره علیه السّلام بغضّ الطرف، فلما فتحها کان فی المدینه فی داره فجلس فیها هنیئه، فنظر إلی علی علیه السّلام فی سطحه و هو یقول: هلم ننصرف و غضّ طرفه فوجد نفسه فی الکوفه، فاستعجب أبو هریره، فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: إن آصف أورد تختا من مسافه شهرین بمقدار طرفه عین إلی سلیمان، و أنا وصی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» . أقول: تری فی هذه الأحادیث نسبه تلک الأفعال العجیبه الخارقه للعاده فی الأسباب إلی نفوسهم الشریفه، فهی علی بناء علی قاعده الأمر بین الأمرین، و أنّ قلوبهم أوعیه أو وکر لمشیه اللّه تعالی، و أنهم علیهم السّلام عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ ، تحمل علی أنها و إن کانت مستنده إلیهم علیهم السّلام إلاّ أنها مستنده إلیه تعالی بالنحو المتقدم، و بالنحو الذی سیجیء تحقیقه إن شاء اللّه تعالی. فتحصّل مما ذکر أن المنفی من التفویض هو القول: إنهم مفوّضون فی الخلق و الأفعال العجیبه بالاستقلال، بحیث لا تکون مدخلیه له تعالی فیها، و هذا کفر صریح. و أما التفویض فی الخلق و فی الأفعال الصادره منهم من المعجزات، و مما نسبوا إلی أنفسهم الشریفه کما فی خطبه البیان و نحوه، إذا فسّر بالنحو المذکور، و من الأمر

۱- ۱) الخرائج و الجرائح و فیه: نسی.

بين الأمرين، فهى عين الإيمان، بل علمت أنه لا بد من القول بالأمر بين الأمرين بالنسبه إلى جميع الأفعال الصادره من الخلق، و لا فرق بين الأفعال الصادره منا و الصادره منهم عليهم السّلام إلاّ أنّ الصادره منهم عليهم السّلام هى الأفعال و الأمور العجيبه الربوبيه، التى اختصّهم اللّه تعالى بها دون خلقه، كما لا يخفى، هذا كله بالنسبه إلى التفويض فى الخلق و ساير الأفعال الصادره منهم عليهم السّلام. و أما التفويض فى أمر الدين فقد فسّر بأمور: منها: أن يكون اللّه تعالى فوّض إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام عموما أن يحلّوا ما شاءوا و يحرّموا ما شاءوا من غير وحى و إلهام، أو يغيّروا ما أوحى إليهم بآرائهم، و هذا باطل لا يقول به عاقل، كيف و قد قال اللّه تعالى فى حقّ نبيه: وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ. إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ (1). و إليه يشير أيضا ما

فى البحار (2)، عن كشف الغمه من مناقب الخوارزمى عن جابر، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إن اللّه لما خلق السموات و الأرض دعاهنّ فأجبنه، فعرض عليهن نبوتى و ولايه على بن أبى طالب فقبلتاهما، ثم خلق الخلق و فوّض إلينا أمر الدين، فالسعيد من سعد بنا، و الشقى من شقى بنا، نحن المحللون لحلاله و المحرمون لحرامه» . أقول:

قوله عليه السّلام «نحن المحللون. . . إلخ» يبين أنهم عليهم السّلام لا يقولون فى الدين بآرائهم و هذا أمر ظاهر بيّن، إلاّ أنه ربما يقال: إنّ المستفاد من بعض الأحاديث أنهم عليهم السّلام مفوّضون فى أمر الدين إلى آرائهم.

ففى البحار (3)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «وضع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ديه العين و ديه النفس و ديه الأنف، و حرّم النبيذ و كلّ

۱- ۱) النجم:۳-۴.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۳۳۹.

۳- ۳) البحار ج ۲۵ ص ۳۳۲.

مسكر، فقال له رجل: فوضع هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من غير أن يكون جاء فيه شيء؟ قال: نعم، ليعلم من يطع الرسول و يعصيه» .

و فيه عنه بإسناده عن زراره قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام و أبا عبد اللّه عليه السّلام يقولان: إن اللّه فوّض إلى نبيّه أمر خلقه، لينظر كيف طاعتهم، ثم تلا هذه الآيه: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فظاهر قوله عليه السّلام: نعم، بعد سؤال: من غير أن يكون جاء فيه شيء ظاهر فى أنه صلّى اللّه عليه و آله مفوّض فى ذلك إلى رأيه، و لكن فيه أن هذا الحديث يفسره ما ورد عنهم عليهم السّلام.

ففى البحار (1)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبى أسامه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن اللّه خلق محمدا فأدّبه حتى إذا بلغ أربعين سنه أوحى إليه و فوض إليه الأشياء، فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

و فيه عنه بإسناده عن محمد بن الحسن الميثمى، عن أبيه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن اللّه أدّب رسوله حتى قوّمه على ما أراد، ثم فوض إليه فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فما فوّض اللّه إلى رسوله فقد فوّضه إلينا» . فنقول: الظاهر من هذين الحديثين و نظائرهما أنه تعالى جعل قلب نبيه صلّى اللّه عليه و آله مجبولا على إرادته بحيث لا يكاد ينقدح فيه إلاّ على نحو ما أراد، و ذلك أنه قلب نورانى متصل بذاته المقدسه اتصال نور الشمس بها، فهو مهبط إرادته، لأنه تعالى خلقهم على هيئه مشيته، و هى أرواحهم الشريفه مخلوقه على طبق مقتضى مشيته تعالى، فلا فاعل فيها لا قسرا كالنفس الإنسانى، و لا غيره من سائر الدواعى المباحه إلاّ مشيته تعالى. و معنى جعلها على صوره مشيته تعالى، أنه تعالى أنهى إليهم علمه فى عالم الأرواح، ليبلغوه إلى من شاء، فهم وكر و وعاء لمشيته، ثم إن ترجمان هذه المشيه

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۳۱.

و العلوم الإلهيه، التی تکون حقائق أرواحهم علی صورتها الواقعیه، قد تکون الوحی و قد تکون إرادتهم علیهم السّلام و هما معا سواء فی إظهار مختاره و إرادته و مشیّته تعالی، بل اللّه تعالی خلقهم لهذا الأمر، أی جعلهم وعاء لمشیّته تعالی و علی صورتها، و هم ترجمان وحیه کالوحی و مع ذلک لم یرفع یده تبارک و تعالی، أی قدرته النافذه فی جمیع الأشیاء عنهم فی جمیع أفعالهم و أقوالهم و أعمالهم و حرکاتهم و سکناتهم، فهم بأمره یعملون لا شیء من إرادتهم و میولات أنفسهم، لما تقرر فی محله من أن الممکن مهما بلغ إلی القرب فهو محتاج إلی مدده تعالی بقاء، کما کان محتاجا إلیها حدوثا، و هم علیهم السّلام لما خلقهم تعالی کذلک و أدّبهم بما علمت قد أطاعوه فی کل حال، و صدقوا معه فی کل موطن، فجزاهم اللّه تعالی بأن أوجب علی نفسه إجابتهم فی کل ما سألوه و أرادوه، و هذا الذی أوجبه تعالی علی نفسه هو معنی التفویض لهم، أی أن کل ما أرادوه فعله بهم، و أجراه علی حسب إرادتهم، لما علم اللّه تعالی أنهم علیهم السّلام لاستقامه عقولهم و استواء فطرتهم و تأدیبه تعالی إیاهم بما علمت لا یشاءون إلاّ ما هو محبوب له تعالی. و لعل إلیه یشیر

ما تقدم فی التوقیع «فأما الأئمه علیهم السّلام یسألون اللّه تعالی فیخلق، و یسألونه فیرزق إیجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم» و هذا معنی

قوله علیه السّلام «حتی قومه علی ما أراد» ، فهو صلّی اللّه علیه و آله مقوّم علی إرادته أی لیس فیه إراده النفس، بل هو کالمیّت بین یدی الغسّال یقلّبه کیف یشاء

کما ورد عنه صلّی اللّه علیه و آله «من أراد أن ینظر إلی میّت یمشی فلینظر إلیّ» ، کما تقدم. و حینئذ فما یحکم به و یریده لیس إلاّ ما حکم به اللّه تعالی و أراده، و إن لم یرد به نصّ إلهی و آیه قرآنیه. و بعباره أخری: قد یکون الحکم الإلهی منزلا إلیه من طریق الوحی، و قد یکون من طریق القلب المتصل به تعالی اتصال حقیقه العبد بالرب، فحینئذ نقول:

قوله علیه السّلام فی حدیث زراره من أنه صلّی اللّه علیه و آله «وضع أشیاء من غیر أن یکون جاء فیه

شیء» أی من طریق الوحی کما لا یخفی، فالنفی بلحاظ الوحی لا بلحاظ الحقیقه. و الحاصل: أنّ تأدیبه تعالی إیاه صلّی اللّه علیه و آله لیس المراد منه التأدیب الأخلاقی العادی، بل المراد التربیه القلبیه و التقویم القلبی بحیث لا یقوم إلّا علی ما أراده تعالی، ثم إن لهذا البحث عرضا عریضا، لعلنا نذکره فی طیّ الشرح، و هذا الذی ذکر هو أحد معانی التفویض. قال المجلسی (رحمه اللّه علیه) فی البحار (۱): ثانیهما: أنّه تعالی لما أکمل نبیه صلّی اللّه علیه و آله بحیث لم یکن یختار من الأمور شیئا إلّا ما وافق الحقّ و الصواب، و لا یحل بباله ما یخالف مشیته تعالی فی کل باب فوّض إلیه تعیین بعض الأمور کالزیاره فی الصلوه و تعیین النوافل فی الصلوه و الصوم و طعمه الجد و غیر ذلک مما مضی و سیأتی إظهارا لشرفه و کرامته عنده، و لم یکن أصل التعیین إلّا بالوحی، و لم یکن الاختیار إلّا بإلهام، ثم کان یؤکّد ما اختاره بالوحی، و لا فساد فی ذلک عقلا و قد دلّت النصوص المستفیضه علیه. أقول: ما ذکره (رحمه اللّه علیه) صحیح إلّا أنّ قوله رحمه اللّه: و لم یکن أصل التعیین إلّا بالوحی، و لم یکن الاختیار إلّا بإلهام، ینافی بظاهره

قوله علیه السّلام: «من غیر أن یکون جاء فیه شیء» ، فإنه ظاهر فی أن تلک الموارد من أحکامه صلّی اللّه علیه و آله إنما هو من عند نفسه صلّی اللّه علیه و آله من دون الاستناد إلی الوحی و الإلهام، فالظاهر فی توجیهه هو ما ذکرنا من أنه صلّی اللّه علیه و آله لما صار من تأدیبه تعالی بحیث لیس له اختیار نفسانی و لا إراده نفسانیّه، بل لا یرید و لا یختار ذاتا إلّا ما أراده تعالی و اختاره. فحینئذ تکون مختاراته صلّی اللّه علیه و آله فی تلک الأمور التی وضعها صلّی اللّه علیه و آله عین مختاراته تعالی من دون مجیء وحی و لا إلهام، بل من نفس إرادته تعالی و اختیاره النازلتین فی قلبه الطاهر من غیره تعالی.

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۴۸.

ثم إن معنى اختصاص التفويض فى أمر الدين لهم مع أنه لا يكون شيء من الأمور إلاّ منه تعالى و بإرادته هو أنه تعالى اختصهم بذلك التأديب و التقويم بالمعنى المتقدم دون غيرهم، كما لا يخفى. و منها أى من معانى التفويض فى أمر الدين هو أنهم عليهم السّلام مفوّضون فى أمور الخلق من سياستهم و تأديبهم و تكميلهم و تعليمهم، و الخلق أيضا مأمورون بأمر اللّه تعالى بأن يطيعوهم فى ذلك فيما أحبّوا أو كرهوا، و فيما علموا جهه المصلحه فيه و ما لم يعلموا. و الحاصل: ليس للخلق المشى على ما أحبوا دون ما كرهوا، أو ما علموا جهه المصلحه دون ما لم يعلموا، بل لا بد لهم فى جميع ذلك من إطاعتهم عليهم السّلام لقوله تعالى: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا . و لعل

قوله عليه السّلام فى حديث جابر على ما رواه فى كشف الغمه: «نحن المحلّلون لحلاله و المحرمون لحرامه» يرجع إلى هذا، أى علينا بيانهما و يجب على الناس الرجوع فيهما إلينا. و إليه يشير أيضا خبر زراره و خبر الميثمى المتقدمان، و مثله ما فيه

عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبى إسحاق عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن اللّه أدّب نبيه على محبته فقال: إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (1)، ثم فوّض إليه فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (2)، و قال: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (3)، قال: ثم قال: و إن نبى اللّه فوّض إلى علي و ائتمنه، فسلّمتم و جحد الناس، و اللّه لحسبكم أن تقولوا إذا قلنا و تصمتوا إذا صمتنا، و نحن فيما بينكم و بين اللّه، فما جعل اللّه لأحد فى خلاف أمرنا» ،

و فى خبر آخر زاد فى آخره، فإنّ أمرنا أمر

۱- ۱) القلم:۴.

۲- ۲) الحشر:۷.

۳- ۳) النساء:۸۰.

اللّه عز و جل. و قد يقال: إنه قد ثبت فى الشريعه أنهم عليهم السّلام يحكمون بين الناس بحسب الظاهر فى تطبيق الأحكام الكليه على مواردها خارجا، كما

اشتهر عنه صلّى اللّه عليه و آله: «إنما أحكم بينكم بالأيمان و البينه، فالمشى على الظاهر هو المشى على ظاهر الشريعه بحسب الأيمان و البينه» . فحينئذ نقول: معنى أنهم مفوّضون فى أمر الدين هو أنهم عليهم السّلام فى هذه الموارد مفوّضون فى أن يحكموا بظاهر الشرع و بحسب الأيمان و البينه، أو بعلمهم و بواقع القضيه، كما كان ذلك لداود عليه السّلام و يكون هذا للحجه (عج) (روحى له الفداء) حينما يظهر، أو بما يلهمهم من الواقع و مخ الحق فى كل قضيه، فتأمل، فإن هذا عين سابقه كما لا يخفى، فلا معنى لجعله قسيما لما قبله كما ذكره المجلسى (رحمه اللّه عليه) و كيف كان فلعل خبر محمد بن سنان الآتى ظاهر فى هذا، و اللّه العالم. هذا كله بالنسبه إلى الموضوعات المتعلقه بسياسات الخلق و تأديبهم و تعليمهم، بل قد يقال أيضا: إنهم عليهم السّلام مفوّضون فى بيان العلوم و الأحكام بما رأوا المصلحه فيها بسبب اختلاف عقول الناس، أو بسبب التقيه فيفتون بعض الناس بالواقع من الأحكام و بعضهم بالتقيه، و يبيّنون تفسير الآيات و تأويلها، و بيان المعارف بحسب ما يحتمل عقل كل سائل، و لهم عليهم السّلام أن يسكتوا، و لهم أن يبيّنوا كما وردت أخبار كثيره فى قوله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (1)نحو

قولهم: «عليكم المسأله و ليس علينا الجواب» ، و إليه يشير ما فى خبر ابن أشيم.

ففى البحار (2)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن أديم بن الحر قال أديم: سأله موسى بن أشيم يعنى أبا عبد اللّه عليه السّلام عن آيه من كتاب اللّه فخبّره بها، فلم يبرح حتى دخل رجل فسأله عن تلك الآيه بعينها فأخبره بخلاف ما أخبره، قال ابن أشيم

۱- ۱) النحل:۴۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۳۳۲.

فدخلنی من ذلک ما شاء اللّه حتی کأنی کاد قلبی یشرح بالسکاکین و قلت: ترکت أبا قتاده بالشام لا یخطئ بالحرف الواحد الواو و شبهها و جئت إلی من یخطئ هذا الخطأ کله، فبینا أنا کذلک إذ دخل علیه آخر فسأله عن تلک بعینها فأخبره بخلاف ما أخبرنی و الذی سأله بعدی، فتجلّی عنی و علمت أن ذلک تعمد منه، فحدثت نفسی بشیء، فالتفت إلیّ أبو عبد اللّه علیه السّلام فقال: «یا بن أشیم لا تفعل کذا و کذا، فحدثنی عن الأمر الذی حدثت به نفسک. ثم قال: یا بن أشیم إن اللّه فوض إلی سلیمان بن داود علیه السّلام فقال: هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ (۱)و فوّض إلی نبیه فقال: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فما فوض إلی نبیه فقد فوّض إلینا، یا بن أشیم من یرد اللّه أن یهدیه یشرح صدره للإسلام، و من یرد أن یضله یجعل صدره ضیّقا حرجا، أ تدری ما الحرج؟ قلت: لا، فقال: بیده و ضمّ أصابعه الشیء (کالشیء) المصمّت الذی لا یخرج منه شیء و لا یدخل فیه شیء» . أقول: و مثله خبر عبد اللّه بن سلیمان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام کما رواه فی البحار عن بصائر الدرجات فی هذا الباب، بل قیل إن خبر محمد بن سنان یشیر إلی هذا.

ففی البحار (۲)، عن بصائر الدرجات فی نوادر محمد بن سنان قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «لا و اللّه ما فوّض اللّه إلی أحد من خلقه إلاّ إلی الرسول و إلی الأئمه علیهم السّلام فقال: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ (۳)و هی جاریه فی الأوصیاء» . فقوله تعالی: بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ ، یشیر إلی هذا التفویض فی الحکم بحسب اختلاف الموارد، ففی الموارد التی یفتون فیها بالاختلاف للتقیه و نحوها هی التی

۱- ۱) سوره ص:۳۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۳۳۴.

۳- ۳) النساء:۱۰۵.

أراهم اللّه تعالى فيها الحكم بالاختلاف. و بعباره أخرى: أن حكمه تعالى قد يكون ظاهرا لكل أحد فلا خلاف فيه و لا يمكن الحكم فيه بالخلاف، و قد لا يكون ظاهرا كما فى موارد التقيه فحينئذ يحكم النبى صلّى اللّه عليه و آله بما أراه اللّه تعالى من الحكم فى خصوص تلك الموارد، و لذا يقال: إنّ الحكم بالخلاف فى الموارد مختصّ بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام لعدم تيسّر هذه التوسعه لسائر الأنبياء و الأوصياء فضلا عن غيرهم من سائر البشر، بل كانوا مكلّفين بعدم التقيه فى بعض الموارد و إن أصابهم الضرر. و بعباره أخرى: ليس لغيرهم عليهم السّلام الحكم بما يراه بحسب الظاهر تقيّه إلّا لهم عليهم السّلام، نعم ما ورد عنهم عليهم السّلام من الحكم بالتقيه فى الموارد التى بيّنوها، فلا بد لنا من المشى على مقتضاها تقيه و الفتوى بها هكذا، و هذا ليس هو المشى على طبق آرائنا بل هو المشى على طبق حكمهم عليهم السّلام تقيه كما لا يخفى. و كيف كان فهذا النحو من التفويض كانت لهم عليهم السّلام بالأخبار المستفيضه، و منها أن يقال: إنهم عليهم السّلام مفوّضون فى العطاء فإن اللّه تعالى خلق لهم الأرض و ما فيها و جعل لهم الأنفال و الخمس و الصفايا و غيرها، فلهم أن يعطوا ما شاءوا و يمنعوا ما شاءوا. و إليه يشير ما

فى البحار عن الاختصاص و بصائر الدرجات بإسناده عن الثمالى قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «من أحللنا له شيئا أصابه من أعمال الظالمين فهو له حلال، لأن الأئمه منا مفوض إليهم، فما أحلّوا فهو حلال، و ما حرّموا فهو حرام» . أقول: هذا ملحق بالتفويض فى الموضوعات لا الأحكام الكليه كما لا يخفى، و كيف كان فهذا لهم عليهم السّلام أن يحلّلوا منها أو يحرّموا منها، كما لا يخفى. و منها: أنه تعالى أوحى إليهم و علّمهم جميع العلوم التى يحتاج إليها الخلق فى ليله المعراج للنبى صلّى اللّه عليه و آله أو فى ليالى القدر، أو بنحو بيّنوه فى الأحاديث من القذف فى

القلوب أو النقر فى الأسماع، و ان كانت علومهم عليهم السّلام على أقسام كما تقدم

من قول موسى بن جعفر عليه السّلام «مبلغ علمنا على ثلاثه وجوه: ماض و غابر و حادث. أما الماضى: فمفسّر. و أما الغابر: فمزبور. و أما الحادث: فقذف فى القلوب و نقر فى الأسماع و هو أفضل علمنا. . إلخ» . ثم إنه تعالى لمّا حمّلهم علومه هذه أعلمهم أيضا جهات التحمل و التبليغ، فهم عليهم السّلام المؤدّون إلى من أمروا بالأداء لا غيرهم، و حينئذ نقول: معنى التفويض لهم فى أمر الدين أنه تعالى فوّض إليهم تبليغ ما أمرهم بتبليغه كما حدده و بيّنه لهم فهم عليهم السّلام بأمره يعملون، و مع ذلك كله ليس اللّه تعالى قد رفع يده و قدرته عنهم بحيث يعملون ما يعملون بقدرتهم الاستقلاليه و بإرادتهم المستقله، فإن هذا كما علمت تفويض باطل و شرك صريح، لأن كل شىء من الخلق فإنما هو فى قبضته تعالى و لا قوام له إلّا به تعالى حدوثا و بقاء. و كيف كان فهم عليهم السّلام حمله أمره و نهيه و علمه بقدرته تعالى، و هم تراجمه وحيه بقدرته تعالى و مشيته تعالى، و معنى التفويض لهم بهذا المعنى يرجع فى الحقيقه إلى أنه تعالى قد خصّهم بهذا الأمر الذى فسّرناه دون غيرهم، بل غيرهم لا يقدر على ذلك كما لا يخفى و ذلك لقربهم عليهم السّلام إليه تعالى دون غيرهم كما تقدمت الإشاره إليه. و أما المسأله الثانيه أعنى بيان أنه لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين. فنقول: أولا نذكر أحاديث الباب ثم نعقبه بما بيّنه العلماء و حسب ما يستفاد منها، و ما ذكره العرفاء الشامخون فى ذلك.

ففى توحيد الصدوق (۱)، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه عز و جل خلق الخلق فعلم ما هم سائرون إليه و أمرهم و نهاهم، فما أمرهم به من شىء فقد جعل لهم

۱- ۱) توحيد الصدوق ص ۳۵۹.

السبيل إلى الأخذ به، و ما نهاهم عنه من شیء فقد جعل لهم السبیل إلى ترکه، و لا یکونون آخذین و لا تارکین إلاّ بإذن اللّه» .

و فیه بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله: «من زعم أنّ اللّه تبارک و تعالى یأمر بالسوء و الفحشاء فقد کذب على اللّه، و من زعم أنّ الخیر و الشر بغیر مشیّه اللّه فقد أخرج اللّه من سلطانه، و من زعم أنّ المعاصی بغیر قوّه اللّه فقد کذب على اللّه، و من کذب على اللّه أدخله اللّه النار» .

و فیه عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام قالا: «إن اللّه أرحم بخلقه من أن یجر خلقه على الذنوب ثمّ یعذّبهم علیها، و اللّه أعزّ من أن یرید أمرا فلا یکون، قال: فسئلا علیهما السّلام هل بین الجبر و القدر منزله ثالثه؟ قالا: نعم أوسع مما بین السماء و الأرض» .

و فیه عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام قال: ذکر عنده الجبر و التفویض فقال: «ألا أعطیکم فی هذا أصلا لا تختلفون فیه و لا تخاصمون علیه أحدا إلاّ کسرتموه؟ قلنا: إن رأیت ذلک، فقال: إن اللّه عز و جل لم یطع بإکراه و لم یعص بغلبه، و لم یهمل العباد فی ملکه، هو المالک لما ملکهم، و القادر على ما أقدرهم علیه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم یکن اللّه عنها صادّا و لا منها مانعا، و إن ائتمروا بمعصیته فشاء أن یحول بینهم و بین ذلک فعل و إن لم یحل و فعلوه فلیس هو الذی أدخلهم فیه، ثم قال علیه السّلام من یضبط حدود هذا الکلام فقد خصم من خالفه» .

و فیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: لا جبر و لا تفویض و لکن أمر بین أمرین، قال: قلت: و ما أمر بین أمرین؟ قال: مثل ذلک مثل رجل رأیته على معصیه فنهیته فلم ینته فترکته ففعل تلک المعصیه، فلیس حیث لم یقبل منک أنت الذی أمرته بالمعصیه» .

قوله علیه السّلام: «فلیس حیث لم یقبل منک. . . إلخ» . أقول: و کذلک اللّه حیث نهى العبد عن المعصیه فلم ینته، فترکه و خلّى بینه و بین

عمله، لیس هو الذی أدخله فیها و أجبره علیها، فاللّه تعالی خلاّه و اختیاره المعصیه فلا جبر، و قادر علی منعه إن شاء فلا تفویض، لأنه تعالی قادر علی منعه.

و فیه بإسناده عن الحسن بن علی الوشاء، عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام قال: سألته فقلت له: اللّه فوّض الأمر إلی العباد؟ قال: «اللّه أعزّ من ذلک، قلت: فأجبرهم علی المعاصی؟ قال: اللّه أعدل و أحکم من ذلک، ثم قال: قال اللّه عز و جل: یا بن آدم أنا أولی بحسناتک منک، و أنت أولی بسیئاتک منی عملت المعاصی بقوّتی التی جعلتها فیک» .

و فیه بإسناده عن مهزم قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «أخبرنی عما اختلف فیه من خلّفت من موالینا، قال: قلت: فی الجبر و التفویض، قال: فسلنی، قلت: أجبر اللّه العباد علی المعاصی؟ قال: اللّه أقهر لهم من ذلک، قال: قلت: ففوّض إلیهم؟ قال: اللّه أقدر علیهم من ذلک، قال: قلت: فأی شیء هذا أصلحک اللّه؟ قال: فقلب یده مرّتین أو ثلاثا، ثم قال: لو أجبتک فیه لکفرت» .

قوله: «اللّه أقهر لهم من ذلک» . أقول: کأنّ القائل بالجبر یقول: إن اللّه تعالی لو جعل عباده مختارین، لفات عنه إنفاذ مشیّته فیهم، کما ذهب إلیه المفوّضه، فإن لازم قولهم: عدم نفوذ مشیّته تعالی فی أفعالهم فلا بد من القول بالجبر لتنفذ مشیّته تعالی فیهم و فی أفعالهم، و رده علیه السّلام

بقوله: «إن اللّه تعالی أقهر لهم من ذلک» ، فإن کون العبید مختارین لا یلازم عدم نفوذها فیهم و فی أفعالهم، بل مع کونهم مختارین فاللّه تعالی هو القاهر بل أقهر لهم، لأنه تعالی یملکهم و یملک اختیارهم.

و أما قوله علیه السّلام: «اللّه أقدر علیهم من ذلک» یرید منه أنه تعالی لم یفوّض الأمور إلیهم بنحو یخرج أفعالهم عن حیطه قدرتهم تعالی، بل هو أقدر علیهم دائما فلازمه أنه جعلهم مختارین و مع ذلک أنهم و أفعالهم تحت قدرته تعالی. و أما

قوله علیه السّلام: «لو أجبتک لکفرت» ، فسیأتی معناه.

و فى تفسير الميزان (۱)، عن الاحتجاج فيما سأله عبايه بن ربعى الأسدى عن أمير المؤمنين على عليه السّلام فى معنى الاستطاعه، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «تملكها من دون اللّه أو مع اللّه؟ فسكت عبايه بن ربعى، فقال له: قل يا عبايه، قال: و ما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تقول تملكها باللّه الذى يملكها من دونك، فإن ملككها كان ذلك من عطائه، و إن سلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملّكك، و القادر على ما عليه أقدرك» ، الحديث.

و فيه عن شرح العقايد للمفيد (رحمه اللّه عليه) قال: و قد روى عن أبى الحسن الثالث عليه السّلام أنه سئل عن أفعال العباد، أ هى مخلوقه للّه تعالى؟ فقال عليه السّلام «لو كان خالقا لها لما تبرّأ منها و قد قال سبحانه: أَنَّ اَللّٰهَ بَرِيءٌ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۲)و لم يرد البراءه من خلق ذواتهم و إنما تبرّأ من شركهم و قبائحهم» .

و فيه عن الطرائف: روى أنّ رجلا سأل جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام عن القضاء و القدر فقال: «ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه، و ما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل اللّه، يقول اللّه للعبد: لم عصيت؟ لم فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لم زنيت؟ فهذا فعل العبد، و لا يقول له: لم مرضت؟ لم قصرت؟ لم ابيضضت؟ لم اسوددت؟ لأنه من فعل اللّه تعالى» . أقول: هذه بعض الأخبار الوارده فى الباب، و المتحصّل منها يتوقف توضيحه على بيان أمر و هو أنه تعالى له الملك الحقيقى لنفسه بالنسبه إلى الأشياء و الخلق ملكيّه تامه غير ناقصه، فله التصرف فى ملكه على الإطلاق، و هذا بخلاف مالكيّه الإنسان لشىء فإنه إنما يصحّ فى بعض التصرفات لا كلها كما حقق فى محله. و كيف كان فهو تعالى يتصرّف فى خلقه من غير أن يستتبع قبحا أو ذمّا أو لوما، لأنّ هذا الاستتباع إنما يتحقق غالبا بالنسبه إلى من لا يملك التصرف فى

۱- ۱) تفسير الميزان ج ۱ ص ۱۰۰.

۲- ۲) التوبه:۳.

مملوكه على الإطلاق كما فى المماليک العرفيه، و أما هو تعالى فإنه يتصرف فى ملكه و هو تصرف من مالك حقيقى بنحو الإطلاق فى مملوك حقيقى كذلك، ثم إن من المتراءى منه تعالى أنه جرى فى معاملته مع خلقه مجرى العقلاء فى المجتمع الإنسانى، و أمضى طريقه العقلاء من تحسينهم الإحسان و المشى على طبق المصالح و المدح على ما هو ممدوح و تقبيحهم الظلم و المفاسد. و بعباره أخرى: أنه تعالى بنى فى الأحكام الشرعيه التى شرعها لعباده على ما يرعاه العقلاء. و من المعلوم أن أفعالهم معلّله بأغراض عقلائيه، و عليه تكون تشريفاتهم العرفيه من مجازاه الإحسان بالإحسان و الإساءه بالإساءه، و من طريقتهم العقلائيه أنهم لا يوجهون الحكم إلّا إلى المختار دون المضطر، و لا يرون حسنا فى تكليف المضطر و المجبر بل يرونه قبيحا إلّا فيما كان الاضطرار مستندا إلى سوء الاختيار كما حقق فى محله، فحينئذ نقول المستفاد من تلك الأخبار هو أنه تعالى مشى فى تشريعه على طريقه العقلاء، فحينئذ لو أجبر سبحانه عباده على الطاعات أو المعاصى لم يكن جزاء المطيع بالجنه و العاصى بالنار إلاّ جزافا فى المطيع و ظلما فى العاصى، و هما قبيحان عند العقلاء فعنده تعالى أولى. و كيف كان فالتكاليف الشرعيه ليست مبتّيه على الإجبار، بل كما أنها شرعت عن مصلحه لهم دنيويّا و أخرويّا أيضا تكون متوجه إليهم من حيث كونهم مختارين، فهم يثابون عليها أو يعاقبون، إن خيرا فخير و إن شرّا فشرّ، و أيضا المستفاد من مشيه تعالى على طريقتهم فى التشريع هو أنّ التشريع كما لا يلايم الجبر، كذلك لا يلائم التفويض، إذ لا معنى بالأمر و النهى المولويين فيما لا يملك المولى من عنده شيئا، مضافا إلى أن التفويض لا يتمّ إلاّ مع سلب إطلاق الملک منه تعالى عن بعض ما فى ملكه، و قد علمت أنه تعالى مالك الخلق على الإطلاق. أقول: هذا هو مقتضى المستفاد من ظواهر الأخبار الوارده فى الباب، و كأنه

بیان لما یجب على كل مسلم أن یعتقد فی مسأله الجبر و التفویض بالأمر بین الأمرین بنحو تكون أحكامه الاعتقادیه ما ذكر من لزوم إبقاء اللّه على قدرته و سلطنته، و من عدم تحقق الجبر للعبد بل هو مختار، و إلاّ لزم القبح منه تعالى تعالى اللّه من ذلک، و كیف كان فما ذكر بیان للتكلیف الشرعی فی المسأله و ما یجب الاعتقاد به. و أما بیان حقیقه الأمر بین الأمرین فلم یذكر فیها إلاّ بنحو الإجمال و الإشاره كما فی حدیث عبایه بن ربعی،

و فی قوله مثل ذلک «مثل رجل رأیته على معصیته. . إلخ» ،

و قوله «بما أوسع بما بین السماء و الأرض» ، فإنه یشیر إجمالا إلى حقیقه خفیّه، بل لعلها لا یتحمّلها كثیر من أفهام العقلاء، بل ربما أوجب لهم الكفر كما فی حدیث مهزم، فإن حقیقتها غامضه جدا لا تكاد تتّضح إلاّ للعارف بالتوحید الأفعالی كما لا یخفى. ثم إن القول فی بیان حقیقته و إن كان غامضا، إلاّ أنّا نشیر إلیه حسب ما ساعدنا التوفیق الإلهی، و نرجو منه تعالى الإعانه و الاستمداد لفهمه. اعلم أنهم اختلفوا فی أن أفعال العباد الاختیاریه واقعه بقدرتهم و اختیارهم أم هی واقعه بقدره اللّه تعالى، مع الاتفاق على أنها أفعالهم لا أفعاله إذ القائم و القاعد و الآكل و الشارب و غیر ذلک هو الإنسان مثلا، و إن كان الفعل مخلوقا للّه تعالى فإن الفعل نسبته إلى من قام به لا إلى من أوجد. أقول: هذا بالنظر إلى ظاهر الأمر، و إلاّ فیظهر أن الفعل مستند حقیقه إلى من أوجد، و هو اللّه تعالى و إلى من قام به بالنظر الظاهری و بالتّبع، فتأمل. فقال الشیخ أبو الحسن الأشعری: إن أفعال العباد كلّها بقدره اللّه تعالى مخلوقاته، و لا تأثیر لقدره العبد فی مقدوره أصلا، بل اللّه سبحانه أجرى عادته بأن یوجد فی العبد قدره و اختیارا، و یوجد فعله المقدور مقارنا لهما، فیكون فعل العبد مخلوقا للّه تعالى إبداعا و إحداثا و مكسوبا للعبد، و المراد بكسبه إیّاه مقارنته لقدرته و إرادته من غیر أن یكون فیه تأثیر أو مدخل فی وجوده سوى كونه محلاّ له، و قد

يمثل أمر الكسب بحمّال يحمل شيئا و يذهب به و يضع آخر يده تحت الشىء المحمول من غير أن يكون لقوته و قدرته مدخليه فى الحمل له و الذهاب به، بل مجرد أن لو لم يحمل الحمّال لحمل هو، و لكن قد جرت عاده الحمّال بحمله، فهكذا يقولون: إن اللّه تعالى أجرى عادته بخلق الفعل مقارنا لقدرتنا و إرادتنا من غير أن يكون لهما مدخليه فيه، و بهذا الكسب يصححون الثواب و العقاب و غيرهما، و ظاهر أن مجرد المقارنه مع عدم المدخليه و الوقوع بمحض إراده اللّه تعالى و قدرته جبر محض، و قد التزمه هو و أصحابه. و قال القاضى أبو بكر: إن ذات الفعل واقعه بقدره اللّه تعالى، و كون الفعل طاعه كالصلوه و معصيه كالزنا صفات للفعل بقدره العبد. و قال إمام الحرمين و أبو الحسين البصرى: إن أفعال العباد واقعه بقدره خلقها اللّه تعالى فى العبد، فهو تعالى يوجد فى العبد القدره و الإراده، ثم تلك القدره و الإراده توجبان وجود المقدور. و قال أستادهم أبو إسحاق الإسفرانى: المؤثر فى الفعل مجموع قدره اللّه تعالى و قدره العبد. و قالت المعتزله: العبد فاعل مستقل فى الإيجاد بلا مدخليه لإراده اللّه سبحانه فى فعل العبد، سوى أنه تعالى أوجد العبد و جعله صاحب إراده مستقله يفعل ما يشاء و يترك ما يريد، و هذا أيضا تفويض محض و تشريک فى الخالقيه.

و فيهم ورد: أن القدريه مجوس هذه الأمه، و اللّه سبحانه أعز و أجلّ من أن يجرى فى ملكه شىء بغير إرادته

كما ورد عن النبى صلّى اللّه عليه و آله: «ما شاء اللّه كان و ما لم يشأ لم يكن» ، و قد حكى أنه دخل القاضى عبد الجبار دار الصاحب بن عبّاد، فرأى الأستاذ أبا إسحاق الإسفرانى فقال: سبحان من تنزّه عن الفحشاء، فقال الأستاذ: سبحان من لا يجرى فى ملكه إلّا ما يشاء. و قال الحكماء و الإماميه: لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين، و هو الحق

الـذى لاـ مريه فيه و لاـ شـبهه تعتريه، و هو المـأثور عن أئمتنا الطاهرين (صـلوات اللّه عليهم أجمعين) . أقول: و لكل من الطرفين دليل و إيراد و نقض و إبرام مـذكور فى محله تفصـيلا و أما إجمالا فقـد يقال للأشاعره بأن ترك الفعل من العبد حال الفعل إن امتنع كان العبد مجبورا فلا يكون الفعل باختياره، و إن لم يمتنع احتاج فعله إلى مرجح، و إلّا لدار أو تسلسل و لا يكون من العبد لعود المحـذور، فلاـ محـاله يكون منه و هو معنى الجبر، و أجيب بـأن الاختيـار فى العبـد هو اسـتواء الطرفين بالنسبه إلى القـدره وحدها، و هذا لا ينافى وجوب أحدهما بسبب الإراده، فمتى حصل المرجّح و هو الداعى و تعلق الإراده الجازمه وجب الفعل، و متى لم يحصـل امتنع، و هـذا غير مناف للقـدره، و لـذا قالوا: الوجوب الاختيارى لا ينافى الاختيار بل يحقّقه، و قـد يقال للمعتزله بالعقـل و النقـل: أمـا الأول: فهو أن العبـد إن لم يكن مختارا و متمكنا من الفعل و الترك لقبـح تكليفه و بيان الملازمه كبطلان التـالى ظاهر. و أما الثانى: فقوله تعالى: مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً فَلِنَفْسِهِ (۱)، و قوله تعـالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ (۲)، و قوله تعالى: كُلُّ اِمْرِئٍ بِمٰا كَسَبَ رَهِينٌ (۳)، و قوله تعـالى: فَمَنْ شٰاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْيَكْفُرْ (۴)، و قوله تعالى: اِعْمَلُوا مٰا شِئْتُمْ (۵)و غير ذلك مما هو ظاهر فى استناد الفعل إلى العبـد من حيث إن له الاختيار و التمكّن، و عورض بالآيات الداله على أنّ جميع الأفعال بخلق اللّه تعالى

۱- ۱) فصلت:۴۶.

۲- ۲) النساء:۱۲۳.

۳- ۳) الطور:۲۱.

۴- ۴) الكهف:۲۹.

۵- ۵) فصلت:۴۰.

كقوله تعالى: اَللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (١)، و قوله تعالى: وَ اَللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ (٢)، و قوله تعالى: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ (٣). و كيف كان فكل من الطرفين يستدلون بذكر السمعيات و العقليات، إلاّ أنهم لم يأتوا بشىء، فالحق الحقيق هو

ما ذكره الأئمه الطاهرون عليهم السّلام من أنه لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين، فلا بد من بيان ما به يظهر حقيقه هذا الأمر، فنقول و عليه التكلان: قد تحقق فى محله أن فعله تعالى هو الوجود المنبسط الذى فى كل بحسبه، و النور الفعلى الذى استشرقت به الممكنات بلا فرق بينها، بمعنى أن أولى الاختيار و ذوى الاضطرار كلها متساويه الأقدام فى هذا الاستشراق و الانوجاد بذلك الوجود المنبسط، ثم إن فاعل هذا الوجود المنبسط لما كان واحدا بالوحده الحقيقه بحيث لا ثانى له، فكذلك يكون فعله واحدا بوحدته كما حقق فى محله، و حيث إن الممكنات بأسرها فقر محض ذاتا فاحتياجها إلى الغنى بالذات فى الموجود ذاتيه، و لا نفرّق فيها بين الجواهر و الاعراض برمتها. و من المعلوم بالضروره أنه لا يعطى الوجود إلاّ ما هو برىء من كل الوجوه ممّا بالقوه، بل المعطى هو الحى القيوم أى المدرك الفعال الذى تكون قدرته فعليه بتمام الفعليه، و نافذه باختياره و إرادته و هو تعالى عالم، أى يكون جميع الأشياء فى علمه علما حضوريا كيف لا و العلم ذاته؟ و لا يعزب عنه شىء من الممكنات فى الأرض و لا فى السماء، فتحقق أن الوجود كله فى صقع الربوبيه، و استقرّ طرّا من إقليم الإلهيه كما قال: آفتاب وجود كرد اشراق نور او سر بسر گرفت آفاق

۱- ۱) الرعد:۱۶.

۲- ۲) الصافات:۹۶.

۳- ۳) النساء:۷۸.

و بهذا النظر يقال: كل من عند اللّه، ثم إن اتصاف الممكنات بأسرها بالوجود أو نسبتها إلى الوجود، بناء على إن وجود الممكن هـو المرتبه النـازله من الوجـود المطلق، و أن المجعول و الأصـل هو الوجود، أو قلنـا بـأن الجعـل متعلق بـالمهيه، فعلى كـل حـال فالممكنـات متكثره الوجود و متحصـصه بالإضافه إلى الأعيان و المهيّات، فالتكثر إنما حصل للوجود من تكثرها لا من أصـله بل هو واحـد منبسط، فاللازم من هـذا أن كل موجود بلحاظ وجوده ذو وجهين: وجه إلى الرب و وجه إلى النفس، و هذا لا يختص بذات الممكن بل فعل هذا الممكن و أثره اللاحق له أيضا هو موجود من الممكنات، و قد اشتهر بحكم العقل و العرفان-أن كل موجود ممكن زوج تركيبى-فهـذا الفعـل الصـادر من الوجود الكـائن للفاعـل له وجهـان أيضـا، و حيث إنه من أثر الوجود و فى المرتبه المتـأخره عنه فهو بحقيقته و شـئونه تـابع له، فـالوجه الـذى هو وجه إلى الرب مسـتند إلى وجه ذلك الوجود إلى الرب و وجهه إلى النفس إلى وجهه إلى النفس-الطيبات للطيبين و الخبيثات للخبيثين-و حينـئذ نقول: فبالنظر الأول الكل من عنـد اللّه لا شريك له فى الإيجاد و الوجود من أن الوجود المنبسط واحد، و هو فعله تعالى فعلا بالوحده الحقه الظّلّيه، و أما بالنظر الثانى أى بلحـاظ تكثره باعتبـار الأعيـان و الماهيات، فإذا أخـذت و لوحظت باعتبار وجهها إلى الرب، فالفعل أيضا مستند إلى الرب و إذا أخـذت باعتبـار أوجههـا إلى أنفسـها فالفعل مسـتند إليها، إلاّ أن الوحـده الحقه الظليه قاهره عليه، و الرحمه أى الوجود المنبسـط سـابقه عليه، و ليس هـذا قولا بالثنويه لأن الثنوى يقول بمبـدأين مسـتقلين و نحن لا نقول به أما بلحاظ الوجه إلى الرب فمعلوم و أما بالنسـبه الوجهه إلى النفس فلأنّ النفس و فعلها و نسبه فعلها إليه كلها مقهوره تحت الوحده الحقه الظليه و الوجود سابق عليه، و ليس معنى سبق الوجود عليه إلاّ أن هذا الفعل و ما نسب إليه من النفس ليس موجودا أصيلا، بل موجودا تبعيّا و رابطا، بل ربطا محضا بحيث يكون قوامه بقيومه، بحيث لولاه لما كان، و هذا معنى،

قوله عليه السّلام: فيما تقدم «هو المالك لما ملكهم، و القادر على ما أقدرهم» ، كما لا يخفى. و بعباره أخرى: أن أصل الفعل من حيث إنه وجود فهو كمال، و نحن بهذا اللحاظ أرجعناه إلى الكمال المطلق و إلى الوجه إلى الرب، و من حيث محدوديته فهو نقص، و بهذا اللحاظ أرجعناه و أسندناه إلى النفس، لكونها أيضا من هذه الجهه ناقصه فأين هذا من الثنويه؟ و بعباره أخرى: أن المهيه و إن كانت موجوده لكن وجودها كالانتزاعيات بمعنى وجود منشإ انتزاعها بوجه، و هى أى المهيه فانيه فى الوجود كفناء الجنس فى الفصل لا- تركيبها مع الوجود الحقيقى، يعنى أنها مركبه مع الوجود الحقيقى كتركيب الجنس مع الفصل، و لكن إن حقيقه الشيء و تحقق الجنس إنما هو بفصله، فكذلك هذه المهيه لا تحقق لها إلّا بالوجود، فمعنى أنها فانيه فى الوجود هو أنه لا وجود لها مستقلا فى قبال الوجود، و لذا قيل: إن المهيه من حيث هى هى ليست إلّا هى لا موجوده أى بالاستقلال و لا معدومه لأن وجودها بالوجود، و ليس هذا وجودا مستقلا لها، و لذا قيل: إن المهيات و الأعيان الثابته ما شمّت رائحه الوجود، و كيف كان فهى فانيه فى الوجود الحقيقى، و الوجود الحقيقى من حيث هو وجود لا يتحقق إلّا بين متحصل و لا متحصل إلا بين متحصلين كما حقق فى محله، فالمتحصل هو الوجود و اللامتحصل هو المهيه و هى بالنسبه إليه فيء. و بعباره أخرى: أن التركيب من المهيه و الوجود أو من وجه اللّه و وجه النفس ليس تركيبا من شيء و شيء بل من شيء و فيء. و بعباره أخرى: ليس فى الممكنات إلّا شيء، و تحقق الشيء أى شيء ممكن ذاتا، و تحقق ذلك الشيء الممكن بالوجود، و تحقق الشيء هو مذوته أى المعطى له الذات، فالموجودات و الممكنات تأثيرها فى أفعالها بلحاظ ذاتها، و ذاتها هى العطيه التى أعطيت لهذا الشيء من الوجود و بدونه لا ذات له، فالشيء بها أى بهذه الذات يكون هو هو، و هذه الذات من الوجود، و هذا معنى ما قيل: من أنّ ذوات الأسباب

لا تعرف إلّا بأسبابها، أى أنه ما يفرض سببا لشىء لا به، و أن يعرف ذاتها و أنها أى هذه الذوات ما سببها، فلو قيل: إن الفعل سببه العبد و اختياره فلا بد من معرفه ذات هذا السبب، و معرفه أسباب هذه الذات للسبب، فإذا علمت أنّ الفعل من حيث استناده إلى وجه الرب ففاعله هو تعالى، و من حيث استناده إلى وجهه النفس ففاعله، و إن كانت النفس و المهيه، إلّا أنه إذا عرف أن هذه الذات ذات النفس تكون مذوته الوجود إلى الوجه إلى الرب، فحينئذ لا تحقق لها فى قبال الوجود، بل هى فانيه فيه، فتأمل تعرف. فتحصل أن الأمر بين الأمرين هو فعل بسيط محض، بمعنى أنه تسخير محض فى كونه اختيارا محضا، و اختيار بحت فى كونه تسخيرا محضا. و بعباره أخرى: الفعل الواقع فى الخارج أمر بسيط وحدانى، إلّا أنه بلحاظ الوجود الذى هو جهه الرب فهو تسخير محض ليس للعبد فيه شىء، و بلحاظ استناده إلى العبد و اختياره فهو اختيار محض، و كل من التسخير و الاختيار مخلوط فى هذا الفعل الوحدانى بالنحو البسيط لا المركب، فالفعل فعل واحد إلّا أنه بلحاظ فاعله الحقيقى و فاعله القابلى يلاحظ التسخير و الاختيار، إلّا أنّ اختياره تحت تسخير المولى، و لا ينافى هذا فى كونه اختياريا، و قد حقق فى محلّه أنّ الإيجاب بالاختيار لا ينافى الاختيار، أى أن تسخيره تعالى له لا ينافى اختياره، إذ فى هذه الصوره يصدق أن العبد شاء و فعل، و الإيجاب المنافى للاختيار هو إيجاب الفواعل بالطبع كإيجاب النار للإحراق مثلا. و الحاصل: أن المعتبر فى الفعل الاختيارى أن يكون مسبوقا بقدره العبد و اختياره، و يكون لهما مدخليه فى وجود الفعل من العبد. و أما كون قدرته و اختياره بقدرته و اختياره فلا، و القادر هو الذى إن شاء فعل و إن لم يشأ لم يفعل، لا الذى إن شاء شاء و إن لم يشأ لم يشأ، أى إن شاء شاء مستقلا بدون قاهريه مشيه عليه، و إن لم يشأ لم يشأ، أى لم يتحقق مطلقا بحيث لا يكون هناك قادر على إيجاد ما لم يشأه هذا

العبـد، و أيضـا ليس القـادر الـذى لم يجب فيه و فى فعله المشيه و القـدره أو الفعـل من شاء و قادر و فاعل فوقه، بل و لو وجب الكل أى كل هـذه فإنه حينئذ إذا كان الفعل منه أى من العبد مسبوقا باختياره صدق أنه القادر، و إن كان هو و قدرته و اختياره تحت إيجاب الغير مثلا، ثم إن اختيـاريه العبـد فى فعله و انه قـادر فيه لا يقـدح فى قـدره الرب و اختياريته بـدعوى لزوم ذلك الاشتراك فى القدره منه تعالى و من العبد فى تحقق الفعل، فلا يكون هو تعالى مستقلا بالقدره و الاختيار، و ذلك لأن المشيه و القـدره ليستا أحـديه التعلق بحيث لا يصـحّ تحققها إلاّ منه تعالى مثلا إذ إنه فى الفرض أى فى فرض كون العبـد مختارا و قادرا يصـدق بالنسبه إليه تعـالى فى هـذا الفعـل للعبـد أنه تعالى لو لم يشأ لم يفعل، و إن كان الفعل حينئـذ واقعا من العبـد باختياره و قدرته، لأن صدق الشـرطيه إنما هو بصدق الملازمه لا بصدق طرفيها كما حقق فى محله، فهو تعالى فى حال فعل العبد و اختياره له و قـدرته عليه إن شاء لم يفعل، و لا يقع الفعل من العبد، لأنه هو و فعله و قدرته و اختياره مسـخر تحت قدرته تعالى و اختياره كما سـبق. فمنه يظهر أن حقيقه قـدره العبد و اختياره ليس كحقيقه قدره الرب تعالى و اختياره، فإن قدرته تعالى و اختياره ليسـتا تحت قدره أحد و اختياره، بل هو مسـتقل فيها بخلافهما فى العبد فإنهما و إن صحّ اسـتنادهما إليه، إلاّ أنه فى حال انتسابهما إلى العبد تكونان تحت قدره الرب تعالى و اختياره، و مما يوضح لك هذا وجدانا أنك ترى أنّ قدره الرب و اختياره نافذان و لو قد قام على خلافهما الثقلان. و بعباره أخرى: أنه تعالى لا يعجزه شـىء إذا اختار شـيئا أو أنفـذ قـدرته، و هـذا بخلاف قـدره العبد و اختيـاره فإنهمـا فى عين تحققهمـا فى العبـد يكونـان مقهورين لقـدرته تعالى و اختياره، بل لقـدره غيره تعالى ممن هو أقـدر فى الأمور و أقدم فى إعمال اختياره، و يظهر مما ذكر أنه ليس معنى الأمر بين الأمرين أنه مركب من الجبر

و التفويض بأن يكون فيه شوب من هذا و شوب من ذاك كالحراره الفاتره إذ فيها شىء من الحراره و شىء من البروده، بل هو أمر بسيط محقق فى الوجود أوسع ما بين السماء و الأرض أى شامل لهما و لما فيهما، و إنما الكلام فى دواعى هذا الأمر البسيط و قد علمت توضيحه. انتهى الجزء الرابع و يليه الجزء الخامس مبدوءا ب «و قلبى لكم مسلّم. . .»

المجلد ۵

اشاره

ص :۱

[الجزء الخامس]

[تتمه شرح متن الزياره]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ الحمد للّه رب العالمين و صلى اللّه على محمد و آله الطاهرين، و اللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين. و بعد، هذا هو الجزء الخامس من أجزاء كتابنا «الأنوار السّاطعه فى شرح الزياره الجامعه» و يشرع إن شاء اللّه من

قوله عليه السّلام:

«و قلبى لكم مسلّم»

و بهذا الجزء يتمّ الكتاب. كتبته لمن يروم أن يحل مشكلاتها و يفهم مغزاها عن طرق أهل البيت (عليهم الصلاه و السلام) و نرجو من المولى سبحانه أن يمنّ علينا بالقبول، و يجعله ذخرا لنا ليوم القيامه بمحمد و آله الطاهرين.

ص: ۵

قوله عليه السّلام: و قلبى لكم مسلّم، و رأيى لكم تبع، و نصرتى لكم معدّه.

[@٦١@]أقول: القلب المعنوى هو مرتبه النفس المدبره المدركه للكليات، و القلب الصورى مظهرها و قيل: المستفاد من الأخبار أن القلب هو العقل، و هو خزانه المعانى المجرده عن الماده العنصريه و المده الزمانيه و الصوره النفسانيه و المثاليه، و هو متعلق بالجسم الصنوبرى بوسائط تعلق التدبير و هذا كسابقه. و كيف كان فقد تقدم معانى القلب آنفا و معنى كون القلب سلما لهم أنه بواسطه نور المعرفه بهم عليهم السّلام صار بحيث إذا رأى شيئا من أحكامهم أو آدابهم أو اعتقاداتهم، أو أفعالهم أو أقوالهم أو أحوالهم أو شيئا منهم أو عنهم جعلها ملائما لقلبه و يراها مطلوبه، و باب مطلوبه الحقيقى و هو معرفه الرب تعالى، فلا تحصل له النفره فى شىء منها، و الوجه فيه أن شيعتهم من فاضل طينتهم، فحقيقتهم تهوى إليهم عليهم السّلام و إلى آثارهم، فتسليمه لهم عليهم السّلام يكون عن علم و معرفه و وجدان روحى بحيث كأنه جزؤهم كما

قال عليه السّلام: «شيعتنا جزء منا» كما

فى الحديث: «شيعتنا جزء منا» . رواه فى البحار فى فضل الشيعه و معنى الجزئيه هو أنه أرواح الشيعه خلقت من فاضل طينتهم، و هم فى الواقع أشعه لهم عليهم السّلام كما فى الحديث فى ذلك الباب. و من المعلوم أن طبع المستنير و الشعاع لا يجد لنفسه عند المنير، و لا شعور له إلاّ

ص: ٧

بما أعطاه المنير، فقلوب شيعتهم إذا اتصلت بجهتهم و توجّهت إلى أحوالهم لا تجد أنفسها، و لا تشعر بما لها من الأحوال، بل تجد نفسها معهم و منهم و بهم و إليهم. و لعمرى إن هذا حقيقه التسليم التى كانت لخلّص شيعتهم بالنسبه إليهم عليهم السّلام كسلمان عليه السّلام و نحوه، و هذا أيضا معنى التفويض المتقدم معناه فى

قوله:

«و مفوّض فى ذلك كله إليكم»

، و مما يدل على أن حقيقتهم أى الشيعه من حقيقتهم عليهم السّلام و تعود إليهم ما

فى المحكى عن كتاب أداء الحقوق فى الإخوان لأبى الفتوح الرازى: سأل المفضل الصادق عليه السّلام: ما كنتم قبل أن يخلق اللّه السموات و الأرضين؟ قال: «كنّا أنوارا حول العرش نسبّح اللّه تعالى و نقدسه حتى خلق اللّه تعالى الملائكه فقال لهم: سبّحوا، فقالوا: يا ربّنا لا علم لنا، فقال لنا: سبّحوا فسبّحنا فسبّحت الملائكه بتسبيحنا، إلاّ أنّا خلقنا من نور اللّه، و خلق شيعتنا من دون ذلك النور، فإذا كان يوم القيامه ألحقت السفلى بالعليا. ثم قرن عليه السّلام بين إصبعيه الوسطى و السبّابه، فقال: كهاتين، ثم قال: يا مفضل أ تدرى لم سمّيت الشيعه شيعه؟ يا مفضل شيعتنا منّا و نحن من شيعتنا، أ ما ترى هذه الشمس أين تبدو؟ قلت: من مشرق، قال: و إلى أين تعود؟ قلت إلى مغرب، قال عليه السّلام: هكذا شيعتنا منّا بدءوا و إلينا يعودون» . أقول: و يستفاد من هذا الحديث حقيقه التبعيه، و أنها لأجل ذلك الاتصال الواقعى بين حقيقه الشيعه و حقيقتهم عليهم السّلام كما ستجىء الإشاره إليه، و إلى هذه المتابعه أمرهم الأئمه عليهم السّلام و ورد مدح منهم عليهم السّلام للمسلّمين.

ففى الوافى عن الكافى باب التسليم و فضل المسلّمين بإسناده عن سدير، قال قلت لأبى جعفر عليه السّلام: إنى تركت مواليك مختلفين يتبرّأ بعضهم من بعض، قال: فقال: «و ما أنت و ذاك إنما كلّف الناس ثلاثه: معرفه الأئمه، و التسليم لهم فيما ورد عليهم، و الرد إليهم فيما اختلفوا» .

و فيه عنه عن الشّحام عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: إنّ عندنا رجلا يقال له

کلیب، فلا یجیء عنکم شیء إلّا قال أنا أسلّم، فسمیناه کلیب تسلیم قال: «فترحم علیه. ثم قال: أ تدرون ما التسلیم؟ فسکتنا، فقال: هو و اللّه الإخبات، قول اللّه عز و جل إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ وَ أَخْبَتُوا إِلیٰ رَبِّهِمْ. (۱)» . أقول: الإخبات هو الخشوع و التواضع، فعلیه فمعنی قلبی لکم مسلم: أنه خاشع و خاضع لکم، و قد تقدم بعض أحادیث التسلیم و هی کثیره جدّا، و فی الحقیقه یرجع هذا التسلیم إلی التسلیم لولایتهم امتثالا لما دلّت علیه أحادیث کثیره. منها: ما

فی البحار (۲)، عن تفسیر العیاشی عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اُدْخُلُوا فِی اَلسِّلْمِ کَافَّةً وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ اَلشَّیْطٰانِ

(۳)

قال: «أ تدری ما السلم؟ قال: قلت أنت أعلم، قال: ولایه علی و الأئمه الأوصیاء من بعده علیهم السّلام قال: و خطوات الشیطان و اللّه ولایه فلان و فلان» .

و فیه عنه عن زراره و حمران و محمد بن مسلم، عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیه السّلام قالوا: سألناهما عن قول اللّه: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اُدْخُلُوا فِی اَلسِّلْمِ کَافَّةً قال: «أمروا بمعرفتنا» .

و فیه عنه عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اُدْخُلُوا فِی اَلسِّلْمِ کَافَّةً ، قال: «السلم هم آل محمد صلّی اللّه علیه و آله أمر اللّه بالدخول فیه» ، و نظیره أخبار أخر، و یمکن أن یراد منه التسلیم القلبی لما ورد عنهم من أمر الدین و عدم الاعتراض علیهم.

ففیه (۴)عن تفسیر العیاشی عن أبی إسحاق النحوی، قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام

۱- ۱) هود:۲۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۱۵۹.

۳- ۳) البقره:۲۰۸.

۴- ۴) البحار ج ۲۳ ص ۲۹۵.

يقول: «إنّ اللّه أدّب نبيّه على محبته فقال: إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (۱)قال: ثمّ فوض اللّه إليه الأمر فقال: وَ مٰا آتٰاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۲)و قال: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (۳)، و إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فوّض إلى على عليه السّلام و ائتمنه، فسلّمتم و جحد الناس فو اللّه لنحبّكم أن تقولوا إذا قلنا و أن تصمتوا إذا صمتنا و نحن فيما بينكم و بين اللّه و اللّه ما جعل لأحد من خير فى خلاف أمرنا» .

و فيه (۴)عنه عن حكيم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك أخبرنى عن أولى الأمر الذين أمر اللّه بطاعتهم، فقال لى: «أولئك على بن أبى طالب و الحسن و الحسين و على بن الحسين و محمد بن على و جعفر: أنا، فأحمدوا اللّه الذى عرّفكم أئمتكم و قادتكم حين جحدهم الناس» .

و قوله عليه السّلام: «و رأيى لكم تبع» ، إشاره إلى قوله تعالى: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِى (۵).

ففى تفسير نور الثقلين (۶)، عن روضه الكافى بإسناده إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث طويل فيه: «و من سرّه أن يعلم أنّ اللّه يحبّه فليعمل بطاعه اللّه ليتّبعنا، أ لم يسمع قول اللّه عز و جل: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؟ و اللّه لا يطيع اللّه عبد أبدا إلاّ أدخل اللّه عليه فى طاعته اتباعنا، و لا و اللّه لا يتّبعنا عبد أبدا إلاّ أحبّه اللّه، لا و اللّه لا يدع أحد اتّباعنا أبدا إلاّ أبغضنا، و لا و اللّه لا يبغضنا أحد إلاّ عصى اللّه، و من مات عاصيا للّه أخزاه اللّه و أكبّه على وجهه فى النار» ، و الحمد للّه ربّ العالمين.

۱- ۱) القلم:۴.

۲- ۲) الحشر:۷.

۳- ۳) النساء:۸۰.

۴- ۴) البحار ج ۲۳ ص ۲۹۳.

۵- ۵) آل عمران:۳۱.

۶- ۶) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۲۷۱.

و فیه بإسناده عن حفص بن غیاث عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال: «إنی لأرجو النجاه لمن عرف حقّنا من هذه الأمه إلاّ لأحد ثلاثه: صاحب سلطان جائر، و صاحب هوی، و الفاسق المعلن، ثم تلا: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْكُمُ اَللّهُ . ثم قال: یا حفص الحب أفضل من الخوف، ثم قال: و اللّه ما أحب من أحب الدنیا و والی غیرنا، و من عرف حقنا و أحبنا فقد أحب اللّه تبارک و تعالی» . أقول:

قوله علیه السّلام: «و اللّه ما أحب من أحب الدنیا» ، أی ما أحب اللّه من أحب الدنیا و والی غیرنا. ثم إنه یظهر من هذه الأحادیث و الأخبار الوارده فیها أنّ متابعتهم علیهم السّلام من آثار حبه تعالی كما هو صریح

قوله علیه السّلام: «لا یطیع اللّه عبد. . . إلخ» و یعلم منه أن أصل الدین هو الحب، و أن المتابعه لهم هی من آثار الحب للّه تعالی.

ففیه عن الخصال عن سعید بن یسار قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «هل الدین إلاّ الحب؟ ! إن اللّه تعالی یقول: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْكُمُ اَللّهُ » . فیعلم منه أن المحبه هی العامل القوی و السبب الوحید لمتابعتهم و للعمل بالدین كما لا یخفی، و سیأتی فیما بعد بیان أن السیر إلیه تعالی لا یكون إلاّ بالمحبه، ثم إن هذه المحبه المستتبعه للمتابعه هی التی تنفع المحب جدا.

ففیه عن ربعی بن عبد اللّه قال: قیل لأبی عبد اللّه علیه السّلام: «جعلت فداک إنا نسمی بأسمائكم و أسماء آبائكم فینفعنا ذلک؟ فقال: إی و اللّه، و هل الدین إلاّ الحبّ؟ قال اللّه: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْكُمُ اَللّهُ وَ یَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » .

و فیه عن برید بن معاویه عن أبی جعفر علیه السّلام فی حدیث قال: «و اللّه لو أحبّنا حجر حشره اللّه معنا، و هل الدین إلاّ الحبّ؟ إن اللّه یقول: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْكُمُ اَللّهُ و قال: یُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَیْهِمْ (۱)، و هل الدین إلاّ

۱- ۱) الحشر:۹.

الحب؟» . و تقدم معنى متابعتهم فى حديث مفضل، و هو أنهم لما كانوا خلقوا من دون نورهم عليهم السّلام فهم فى الواقع من أصل نورهم عليهم السّلام و نورهم عليهم السّلام أصل للشيعه، فلا محاله يتبعونهم و يحبّونهم لذلك الأمر الأصلى، و هذه تبعيّه خاصه تخصّهم ليست لغيرهم كما لا يخفى، و كل شىء لا بد و أن يرجع إلى أصله.

ففى المحكى عن العلل فى حديث طويل، قال أبو جعفر عليه السّلام لأبى إسحاق الليثى: أخبرنى يا أبا إبراهيم عن الشمس إذا طلعت، و بدأ شعاعها فى البلدان، هو بائن من القرص؟ قلت: فى حال طلوعه بائن، قال: أ ليس إذا غابت الشمس اتصل ذلك يعود كل شىء إلى سنخه و جوهره و أصله» . ثم إن متابعه الرأى لهم قد تكون فيما هو ظاهر منهم عليهم السّلام مما ثبت عنهم بالطريق الصحيح فى الأمور الاعتقاديه أو المعارف الإلهيه أو الوظائف الشرعيه، ففيها لا ريب فى وجوب متابعتهم، و جعل الرأى متابعا لرأيهم عليهم السّلام و إن لم يعلم وجهه و حكمته، و ذلك أنه بعد ما ثبت بالدليل القطعى أنه صدر منهم عليهم السّلام فقد تمّت الحجه فلا بد من المتابعه كما لا يخفى. و أما إذا ورد عنهم شىء لم يفهمه لقصوره، أو كان مخالفا لما اعتقده من قاعده أصوليه أو فلسفيه ففى هذه الموارد أيضا لا بد و أن يكون سلما لهم عليهم السّلام و يكون رأيه تبعا لهم فى ذلك الأمر على ما هو ثابت فى الواقع عندهم عليهم السّلام و ليس له أن يرده و ينكره و ليس له أن يؤوله إلى قاعدته المسلّمه عنده، بل لا بد له من الوقف و ردّ علمه إليهم عليهم السّلام و أن يقرّ بعدم فهمه إياه، و ليس له أن يؤوله إلى قاعدته و تصحيحه عليها، فإن هذا تفوّق على قول اللّه تعالى، إذ لعله كان الواقع خلاف ما أوّله، بل لا بد فى كثير من تلك الموارد من أن يصحح القاعده على ما ورد منهم عليهم السّلام و ثبت بالحجه الشرعيه كما لا يخفى. و إلى هذا يشير ما

فى النهج إلى أنّ رجلا قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: صف لنا ربّك

لنزداد له حبّا و به معرفه، فغضب عليه السّلام فخطب. . إلى أن قال: «فانظر أيّها السائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به و استضئ بنور هدايته، و ما كلّفك الشيطان علمه مما ليس فى الكتاب عليك فرضه و لا فى سنّه النبى صلّى اللّه عليه و آله و أئمه الهدى عليهم السّلام أثره، فكل علمه إلى اللّه تعالى، فإن ذلك منتهى حق اللّه عليك، و اعلم أن الراسخين فى العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبه الإقرار بجمله ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح اللّه تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما، و سمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخا، فاقتصر على ذلك، و لا تقدر عظمه اللّه سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين» .

و أما قوله عليه السّلام: «و نصرتى لكم معدّه» .

أقول: فى المجمع، النصر، الإعانه يقال: نصره على عدوه: أى أعانه. و معدّه أى مهيّاه فالزائر المحبّ المعترف بحقهم يكون عاملا بطاعتهم تاركا لمحرّماتهم، مقرّا بالتقصير فى أداء حقوقهم، عازما على نفسه بأن يكون متحملا للمشاقّ فى نصرتهم فى مواضعها، و مروّجا لدينهم و لشيعتهم. و الحاصل: أن يعدّ نفسه لأن يصل منه نفعه حسب إمكانه فى أمور الدين إلى إمامه عليه السّلام. و لعلّ إليه يشير ما

فى الكافى باب ما أمر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنصيحه لأئمه المسلمين بإسناده عن ابن أبى يعفور عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خطب الناس فى مسجد الخيف فقال: «نضّر اللّه عبدا سمع مقالتى فوعاها و حفظها، و بلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل للّه، و النصيحه لأئمه المسلمين، و اللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطه من ورائهم، المسلمون إخوه تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمتهم أدناهم» . قال المجلسى (رحمه اللّه عليه) : قال فى النهايه، فيه أن الدين النصيحه للّه

و لرسوله و لكتابه و لأئمه المسلمين و عامّتهم. النصيحه كلمه يعبر بها عن جمله هى إراده الخير للمنصوح له، و لا يمكن أن يعبّر هذا المعنى بكلمه واحده تجمع معناها غيرها، و أصل النصح فى اللغه: الخلوص، يقال: نصحه و نصحت له. و معنى نصيحته للّه صحّه الاعتقاد فى وحدانيته و إخلاص النيه فى عبادته، و النصيحه لكتاب اللّه هو التصديق، و العمل بما فيه، و نصيحه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التصديق بنبوته و رسالته و الانقياد لما أمر به و نهى عنه، و نصيحته الأئمه عليهم السّلام أن يطيعهم فى الحق و لا يرى الخروج عليهم إذا جاروا، و نصيحه عامه المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم، انتهى. أقول:

قوله «إراده الخير للمنصوح له» ، هو معنى النصر و الإعانه قلبا،

فقوله:

«و نصرتى لكم معدّه»

أى إرادتى الخير لكم معدّه بتمام معنى الخير.

و فيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ما نظر اللّه عز و جل إلى ولى له يجهد نفسه بالطاعه لإمامه و النصيحه إلّا كان معنا فى الرفيق الأعلى» . أقول: و يدل على لزوم النصره لهم ما دل على وجوب الموده لهم.

ففى الكافى باب ما نزل فيهم و فى أوليائهم عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ اَلْمَوَدَّةَ فِى اَلْقُرْبىٰ (1)، قال: «هم الأئمه عليهم السّلام» . أقول: و أما التارك لنصره إمامه و القعود عنه فهو فى النار.

ففيه عن محمد الكناسى قال: حدثنى من رفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: هَلْ أَتٰاكَ حَدِيثُ اَلْغٰاشِيَةِ (2)، قال: «الذين يغشون الإمام. . . إلى قوله: لاٰ يُسْمِنُ وَ لاٰ يُغْنِى مِنْ جُوعٍ (3)قال: لا ينفعهم و لا يغنيهم، لا ينفعهم الدخول

١- ١) الشورى:٢٣.

٢- ٢) الغاشيه:١.

٣- ٣) الغاشيه:٧.

و لا يغنيهم القعود» . أقول: «الذين يغشون الإمام» ، إما من الغش بالتشديد و إما الغشيان بمعنى الإتيان بالتخفيف.

و فيه باب ما نزل فيهم و فى أعدائهم، عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «نزل جبرئيل بهذه الآيه هكذا «إنّ الذين ظلموا آل محمد حقهم لم يكن اللّه ليغفر لهم و لا ليهديهم طريقا إلاّ طريق جهنم. . .» الحديث.

و فيه بهذا الإسناد عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «نزل جبرئيل بهذه الآيه على محمد صلّى اللّه عليه و آله هكذا « فبدّل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولا غير الذى قيل لهم، فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » .

و فيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «نزل جبرئيل بهذه الآيه هكذا: (فأبى أكثر الناس بولايه على إلاّ كفورا) ، قال: نزل جبرئيل بهذه الآيه هكذا: (و قل الحق من ربكم فى ولايه على فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر إنّا أعتدنا لظالمين آل محمد نارا)» .
أقول: و من هذه الأحاديث يعلم أنّ من نصرهم اللعن على أعدائهم.

ففى المحكى عن تفسير الإمام عليه السّلام فقال رجل: يا بن رسول اللّه إنى عاجز بدنى عن نصرتكم، و لست أملك إلاّ البراءه من أعدائكم و اللعن لهم، قال الصادق عليه السّلام: حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «أنه من ضعف عن نصرتنا أهل البيت، فلعن فى خلواته أعداءنا بلغ اللّه عز و جل صورته-صوته-جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعنا ساعدوه و لعنوا من يلعنه ثم ثنّوا-هكذا-فقالوا: اللهم صل على عبدك هذا الذى قد بذل ما فى وسعه و لو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل اللّه تعالى قد أجبت دعاءكم و سمعت نداءكم و صليت على روحه فى الأرواح، و جعلته عندى من المصطفين الأخيار الأبرار» . أقول: و حاصل الكلام أنّ النصره المعده لهم تكون ممن كان عاملا للطاعات

ص :۱۵

المقرره عنهم، و تارکا للمحرمات، مقرّا بالتقصیرات، عازما علی ترک المعاصی و تدارک الطاعات، و مظهرا لمحبتهم فی الموارد اللازمه و التبری من أعدائهم، و یجاهد فی سبیل ولایتهم فیما وظیفته ذلک أو یسکت و یسکن فی موارد التقیه. و الحاصل: لا یترک ما هو وظیفته قلبا و علما و عقیده، وفّقنا اللّه لذلک بمحمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: حتّی یحیی اللّه تعالی دینه بکم، و یردّکم فی أیّامه، و یظهرکم لعدله، و یمکّنکم فی أرضه.

اشاره

أقول: توضیح المقال فی شرح هذه الجمل فی أمور: الأول: اعلم أنّ اللّه تعالی جعل دوله لإبلیس و دوله لنفسه.

ففی البحار (۱)، عن تفسیر العیاشی عن زراره عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه: وَ تِلْکَ اَلْأَیّامُ نُداوِلُها بَیْنَ اَلنّاسِ (۲)قال «ما زال منذ خلق اللّه آدم دوله للّه و دوله لإبلیس، فأین دوله اللّه؟ أما هو قائم واحد» . أقول:

و فی تفسیر البرهان (۳)، فی ذیل الحدیث هکذا بعد قوله علیه السّلام: «و دوله إبلیس» ، فإن دوله اللّه ما هو إلاّ قائم واحد. أقول: لعله هو الأصح و معناه أنه لا یکون دوله اللّه إلاّ الذی هو قائم واحد، أی دوله لیس فیها فی جمیع شئونها اختلاف کما کان فی دوله إبلیس، و معلوم أنّ هذه الدوله قائمه بظهور القائم (علیه و علی آبائه أفضل التحیه و السلام) .

و فی البحار (۴)، عن غیبه النعمانی عن أبی الصباح الکنانی، قال: کنت عند أبی

۱- ۱) البحار ج ۵۱ ص ۵۴.

۲- ۲) آل عمران:۱۴۰.

۳- ۳) تفسیر البرهان ج ۱ ص ۳۱۸.

۴- ۴) البحار ج ۵۲ ص ۳۶۵.

عبد اللّه علیه السّلام فدخل علیه شیخ فقال: عقّنی ولدی و جفانی، فقال له أبو عبد اللّه علیه السّلام: «أ و ما علمت أن للحق دوله و للباطل دوله، و کلاهما ذلیل فی دوله صاحبه؟ فمن أصابته دوله الباطل اقتصّ منه فی دوله الحق» . و کیف کان

فقوله علیه السّلام:

«حتی یحیی اللّه دینه بکم»

نهایه لصبر المؤمن و تسلیم قلبه لهم فیما یرد علیه و علی المؤمنین و علی الدین من جور الظالمین، و تحریف المبطلین، و تبدیل المعاندین من ولایه الأئمه و آثارها و جعلها لهم و تحریفها بأن یأوّلوها إلی ولایتهم الجائره، کل ذلک فی دوله إبلیس و دوله الظالمین قبل قیام القائم (عج) ، فالمؤمن یصبر لتلک النوائب لما اعتقده و آمن به من کون الحق فیهم علیهم السّلام و معهم و لهم فلا محیص له إلاّ الصبر. و کیف کان فالجمل السابقه إظهار من المؤمن للثبات علی دینه و امتثال لما ورد منهم علیهم السّلام بالأمر بالثبات فی زمان غیبتهم علیهم السّلام إلی ظهور الحجه (عج) .

ففی غیبه النعمانی (۱)، بإسناده عن محمد بن سنان الکاهلی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال: «تواصلوا و تبارّوا و تراحموا، فو الذی فلق الحبّه و برئ النسمه لیأتین علیکم وقت لا یجد أحدکم لدیناره و درهمه موضعا، یعنی لا یجد عند ظهور القائم (عج) موضعا یصرفه فیه؛ لاستغناء الناس جمیعا بفضل اللّه و فضل ولیّه فقلت: و أنی یکون ذلک؟ فقال: عند فقدکم إمامکم، فلا تزالون کذلک حتی یطلع علیکم کما تطلع الشمس آیس ما تکونون، و إیاکم و الشک و الارتیاب، و انفوا عن أنفسکم الشکوک و قد حذّرتم فاحذروا، أسأل اللّه توفیقکم و إرشادکم» .

و فیه (۲)، عن المفضل بن عمر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال: «أقرب ما یکون هذه العصابه من اللّه (العباد إلی اللّه) و أرضی ما یکون عنهم إذا افتقدوا حجه اللّه، فحجب عنهم و لم یظهر لهم و لم یعلموا بمکانه، و هم فی ذلک یعلمون و یوقنون أنه لم تبطل

۱- ۱) غیبه النعمانی ص ۷۶.

۲- ۲) غیبه النعمانی ص ۸۳.

حجه اللّه و لا ميثاقه، فعنـدها توقّعوا الفرج صـباحا و مساء فإن أشـد ما يكون غضب اللّه على أعـدائه إذا افتقـدوا حجته فلم يظهر لهم، و قـد علم اللّه عز و جـل أن أوليـاءه لاـ يرتابون، و لو علم أنهم يرتابون ما غيّب حجته طرفه عين عنهم، و لا يكون ذلك إلاّ على رأس شرار الناس» . أقول:

قوله عليه السّـلام: «و قد علم اللّه عز و جل أنّ أولياءه لا يرتابون. . . إلخ» ظاهر فيما قلنا: من أن المؤمن و الشـيعه مسلم قلبه لهم و مؤمن بسرهم و علاـنيتهم إلى آخر مـا مرّ، و هو يصبر إلى أن يحيى اللّه تعـالى دينه بهم عليهم السّـلام. و مما يـدل على وجوب الصبر فى زمان الغيبه، بل على لزوم السكوت إلى أن يظهر اللّه تعالى وليه (عجل اللّه تعالى فرجه) .

مـا فيه (۱)أيضـا بإسـناده عن أبى المرهف قـال: قـال أبو عبـد اللّه عليه السّـلام: «هلكت المحاضـير، قلت: و مـا المحاضـير؟ قـال: المسـتعجلون، و نجـا المقرّبـون، و ثبت الحصن على أوتادهـا، كونوا أحلاـس بيوتكم، فـإن الفتنه (۲)على مـن أثارهـا، و إنهم لا يريدونكم بجائحه (۳)إلاّ أتاهم اللّه بشاغل لأمر يعرض (۴)لهم» .

و فى حـديث بعـده عن الباقر عليه السّـلام أنه قال: «هلكك أصـحاب المحاضـير، و نجا المقرّبون، و ثبت الحصن على أوتادها، إنّ بعد الغمّ فتحا عجيبا» . أقول:

قوله عليه السّـلام: «و ثبت الحصن أو الحصـين على أوتادها» يشير إلى أنّ المؤمن المعتقد يكون كالجبل الراسخ، فهو كالحصين الثابت بأوتادها المسـتحكم بها، فكـذلك المؤمن ثبت على عقيدته بالنسـبه إلى إمامه الغائب (عج) و لا يشكّ فيه و يصبر، و فى الحديث الثانى بشاره لأهل الصبر

بقوله عليه السّلام: «إن بعد الغمّ فتحا

ص: ۱۸

۱- ۱) غيبه النعمانى ص ۱۰۳.

۲- ۲) فإن الغبره على من آثارها (نسخه بدل) .

۳- ۳) الجائحه: الشدّه.

۴- ۴) إلاّ من تعرّض لهم (نسخه بدل) .

عجیبا» نسأل اللّه تعالی ذلک بفضله و کرمه.

و فیه عن أبی عبد اللّه جعفر بن محمد علیه السّلام أنه قال: «من مات منکم علی هذا الأمر منتظرا کان کمن هو فی الفسطاط الذی (۱)للقائم (عج)» .

و فیه عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال ذات یوم: «أ لا أخبرکم بما لا یقبل اللّه عز و جل من العباد عملا إلاّ به؟ فقلت: بلی، فقال: شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أن محمدا عبده، و الإقرار بما أمر اللّه، و الولایه لنا، و البراءه من أعدائنا یعنی الأئمه خاصه، و التسلیم لهم، و الورع و الاجتهاد و الطمأنینه و الانتظار للقائم (عج اللّه تعالی فرجه) . ثم قال: إن لنا دوله یجیء اللّه بها إذا شاء. ثم قال: من سره أن یکون من أصحاب القائم فلینتظر، و لیعمل بالورع و محاسن الأخلاق، و هو منتظر، فإن مات و قام القائم بعده کان له من الأجر مثل أجر من أدرکه، فجدّوا و انتظروا هنیئا لکم أیّتها العصابه المرحومه» .

و فیه عن جابر بن یزید، عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام أنه قال: «اسکنوا ما سکنت السموات و الأرض-أی لا تخرجوا علی أحد-فإنّ أمرکم لیس به خفاء، إلاّ أنّها آیه من اللّه عز و جل لیست من الناس، إلاّ أنّها أضوء من الشمس لا تخفی علی برّ و لا فاجر أ تعرفون الصبح؟ فإنها کالصبح لیس به خفاء» .

و فیه عن مالک بن أعین الجهنی قال: سمعت أبا جعفر الباقر علیه السّلام یقول: «کلّ رایه ترفع، أو قال تخرج قبل قیام القائم (عج) فصاحبها طاغوت»

و فی ذکر سند الصحیفه السجادیه علی منشیها آلاف الثناء و التحیه. . إلی أن قال، قال ثم قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «ما خرج و لا یخرج منّا أهل البیت إلی قیام قائمنا أحد؛ لیدفع ظلما أو ینعش حقا إلاّ اصطلمته البلیه، و کان قیامه زیاده فی مکروهنا و شیعتنا» .

۱- ۱) کان کمن فی فسطاط القائم عجل اللّه تعالی فرجه (نسخه بدل) .

أقول: قوله علیه السّلام: «أسکنوا» و قوله علیه السّلام: «کل رایه» ، و قوله علیه السّلام: «ما خرج و لا یخرج» یدل علی لزوم القعود و وجوبه فی زمان الغیبه، فإن القیام من غیره (عجل اللّه تعالی فرجه) لا یوجب إلّا ما ذکره

الصادق علیه السّلام من قوله: «و کان قیامه زیاده فی مکروهنا. . . إلخ» . فإن قلت: هذه الأحادیث ناظره إلی قیام من یدعی الإمامه لنفسه کما هو صریح بعض الأخبار فلا یمنع عن قیام من قام لإحیاء الدین. قلت: و إن کان قیام مدع الإمامه باطلا و کان صاحبه طاغوت، إلّا أنّ ظاهر

قوله علیه السّلام: «ما خرج و لا یخرج منا أهل البیت إلی قیام قائمنا أحد لیدفع ظلما أو لینعش حقا» ، ظاهر فی القیام و لو بدون ادعاء الإمامه، بل ظاهر فی القیام لدفع الظلم و انعاش الحق کما هو شأن قیام غیر الإمام علیه السّلام فإن هذا القیام أیضا موجب لزیاده مکروههم علیهم السّلام، بل ظاهر قوله علیه السّلام إلّا أنها آیه من اللّه عز و جل لیست من الناس إن القیام لا یجوز لغیر الإمام علیه السّلام لأنها من طرف اللّه تعالی فمهما أجاز یقوم ولیّه الإمام العادل المعصوم بالأمر و لیس لغیره ذلک، و ما یقال من أنّ قوله علیه السّلام-منا أهل البیت-فی حدیث الصحیفه ظاهر فی قیام بنی هاشم، و معلوم أنهم إنما یقومون بداع الإمامه لأنفسهم فهو قرینه علی أنّ القیام إنما یکون منهیّا إذا کان بداعی الإمامه لنفسه لا ـ مطلقا، ففیه أن هذا احتمال لا یقاوم الأمر بالسکون و لزوم البیت، و إن کلّ رایه ترفع قبل قیامه (عج) فصاحبها طاغوت. و مما یدل علی ما قلنا أو لا أقلّ یؤیده تأییدا یوجب الاحتیاط بالتوقّف فی مثل المقام ما

فی البحار (1)، عن غیبه النعمانی بإسناده عن أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قلت له علیه السّلام: أوصنی فقال: «أوصیک بتقوی اللّه و أن تلزم بیتک و تقعد فی دهمک هؤلاء الناس (و تقعد فی دهماء هؤلاء الناس خ ل) و إیاک و الخوارج منّا

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۱۳۶.

فإنهم ليسوا على شىء و لا إلى شىء، و اعلم أن لبنى أميه ملكا لا يستطيع الناس أن تردعه، و إن لأهل الحق دوله إذا جاءت ولّاها اللّه لمن يشاء منا أهل البيت، من أدركها منكم كان عندنا فى السنام الأعلى، و إن قبضه اللّه قبل ذلك خار له. و اعلم أنه لا تقوم عصابه تدفع ضيما أو تعزّ دينا إلّا صرعتهم البليه حتى تقوم عصابه شهدوا بدرا مع رسول اللّه، لا يوارى قتيلهم، و لا يرفع صريعهم و لا يداوى جريحهم، قلت: من هم؟ قال: الملائكه» . أقول:

قوله عليه السّلام «لا يوارى قتيلهم» لأجل أنّ من يقتلهم الملائكه لا يوارون فى التراب. . . إلخ لأنهم فى حكم الكفار، أو المراد أنهم أى الملائكه لا يقتلون حتى يحتاج إلى تلك الأمور، بل هم الغالبون السالمون بأمر اللّه تعالى، و اللّه العالم.

و هذا الحديث نقله ابن أبى الحديد فى النهج (۱)على ما نقل عنه عن على عليه السّلام فى حديث أنه قال: «. . . و اللّه لا ترون الذى تنتظرون حتى لا تدعوا اللّه إلّا إشاره بأيديكم، و إيماضا بحواجبكم، و حتى لا تملكوا من الأرض إلّا مواضع أقدامكم، و حتى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم، فيومئذ لا ينصرنى إلّا اللّه بملائكته، و من كتب على قلبه الإيمان، و الذى نفس علىّ بيده لا تقوم عصابه تطلب لى أو لغيرى حقّا، أو تدفع عنّا ضيما إلّا صرعتهم البليه، حتى تقوم عصابه شهدت مع محمد صلّى اللّه عليه و آله بدرا لا يودى قتيلهم و لا يداوى جريحهم، و لا ينعش صريعهم» . أقول:

قوله عليه السّلام «لا تقوم عصابه تطلب لى أو لغيرى حقا. . . إلخ» ظاهر فى القيام لطلب حقهم و دفع الظلم عنهم و هو القيام بدون دعوى الإمامه لنفسه، كما لا يخفى و ظاهر أن هذا القيام أيضا مذموم بل غير جائز؛ لأنه لا يترتب عليه المقصود بل لا يوجب إلّا أن تصرعهم البليه كما لا يخفى. و كيف كان فهنا مزالّ الأقدام، رزقنا اللّه تعالى الصواب و ما فيه رضاه بمحمد و آله الطاهرين.

۱- ۱) شرح نهج البلاغه ج ۶ ب ۸۶ ص ۳۸۲.

و کیف کان فتکلیف الناس فی زمان الغیبه هو الصبر و التمسک بالحق إلی أن یحیی اللّه تعالی دینه. ثم إن هنا کلاما و حاصله أن

قوله علیه السّلام

«حتی یحیی دینه»

ظاهر فی أنّ الدین یکون حیا فی زمان ظهور المهدی (عج) فلازمه أنه یکون قبله میّتا أو لیس بحی کما ینبغی، و توضیحه ما تقدمت الإشاره إلیه فی بیان الرجعه من أن الدین الذی جاء به محمد بن عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله و إن کان کاملا إلّا أنه لم یکن بعد ظاهرا علی جمیع الأدیان و معمولا به بما هو مراد منه تعالی، و بیانه یتوقّف علی ذکر أحادیث الباب ثمّ توضیحه، فنقول:

ففی تفسیر نور الثقلین (1)، عن تفسیر العیاشی قوله: یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ اَللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ ، قال: «بالقائم من آل محمد علیه السّلام حتی إذا خرج یظهره اللّه علی الدین کله حتی لا یعبد غیر اللّه» ، و هو

قوله علیه السّلام: «یملأ الأرض قسطا و عدلا کما ملئت ظلما و جورا» .

و فیه عن أصول الکافی بإسناده عن محمد بن الفضیل، عن أبی الحسن الماضی علیه السّلام قال: قلت: هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ اَلْحَقِّ ، قال: «هو الذی أرسل رسوله بالولایه لوصیّه و الولایه هی دین الحق، قال: یظهر علی جمیع الأدیان عند قیام القائم، یقول اللّه: و اللّه متمّ ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام و لو کره الکافرون بولایه علی علیه السّلام» ، الحدیث.

و فیه عن مجمع البیان، و روی العیاشی بالإسناد عن عمران بن میثم عن عبایه أنه سمع أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: هو الذی أرسل (عبده) بِالْهُدیٰ وَ دِینِ اَلْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی اَلدِّینِ کُلِّهِ -أظهروا ذلک بعد، قالوا نعم-قال: کلّا و الذی نفسی بیده حتی لا تبقی قریه إلّا و ینادی فیها بشهاده أن لا إله إلّا اللّه و محمد رسول اللّه بکره و عشیّا» .

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 5 ص 317.

و فی البحار (۱)، عن إكمال الـدين عن أبی بصـير قال: قال أبو عبـد اللّه عليه السّـلام فی قوله عز و جل: هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُـدیٰ وَ دِينِ اَلْحَـقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَی اَلـدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ اَلْمُشْـرِكُونَ (۲)فقـال: «و اللّه مـا نزل تأويلهـا بعـد، و لا ينزل تأويلها حتی يخرج القـائم (عـج) فـإذا خرج القـائم (عـج) لم يبق كـافر باللّه العظيم و لا مشـرك بالإمام إلّا كره خروجه حتی لو كان كافر أو مشرك فی بطن صخره لقالت يا مؤمن فی بطنی كافر فأكسرنی و اقتله» .

و فی البحار (۳)، عن الكافی عن داود بن كثير الرقی، قال: قلت لأبی عبد اللّه عليه السّلام: ما معنی السّلام علی رسول اللّه؟ فقال: «إنّ اللّه تبـارك و تعـالی لما خلق نبيه و وصيه و ابنته و ابنيه و جميع الأئمه، و خلق شـيعتهم، أخـذ عليهم الميثاق و أن يصبروا و يصـابروا و يرابطوا و أن يتّقوا اللّه، و وعـدهم أن يسـلّم لهم الأـرض المبـاركه، و الحرم الآـمن، و أن ينزل لهم البيت المعمور، و ليظهر لهم السـقف المرفوع، و يريحهم من عدوهم، و الأرض التی يبدلها اللّه من السّـلام و يسـلّم ما فيها لهم-لا شيه فيها-قال: لا خصومه فيها لعدوهم، و أن يكون لهم فيها ما يحبّون و أخذ رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله علی جميع الأئمه و شـيعتهم الميثاق بـذلك، و إنما السـلام عليه تـذكره نفس الميثاق، و تجديـد له علی اللّه لعله أن يعجّله جل و عز، و يعجّل السّـلام لكم بجميع ما فيه» .

و فيه (۴)عن الكفايه بإسـناده عن ابن عباس عن النبی صـلّی اللّه عليه و آله قال: «التاسع منهم قائم أهل بيتی و مهدی أمتی أشـبه النـاس بی فی شـمائله و أقواله و أفعاله، ليظهر بعد غيبه طويله و حيره مضـلّه، فيعلی أمر اللّه، و يظهر دين اللّه، و يؤيّد بنصر اللّه، و ينصر بملائكه اللّه، فيملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما» .

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۳۲۴.

۲- ۲) التوبه:۳۳.

۳- ۳) البحار ج ۵۲ ص ۳۸۰.

۴- ۴) البحار ج ۵۲ ص ۳۷۹.

و فيه عن الكافى عن عمر بن جميع قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن الصلوه فى المساجد المصوّره، فقال: «أكره ذلك، و لكن لا يضركم اليوم، و لو قد قام العدل لرأيتم كيف يصنع فى ذلك» . أقول:

قوله: «و لو قد قام العدل» يشير به إلى قيام المهدى (عج) .

و فيه عن الإرشاد، روى جابر عن أبى جعفر عليه السّلام أنه قال: «إذا قام قائم آل محمد عليه السّلام ضرب فساطيط لمن يعلّم القرآن، على ما أنزل اللّه جل جلاله، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم لأنه يخالف فيه التأليف» .

و فيه عنه روى أبو خديجه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إذا قام القائم (عج) جاء بأمر جديد كما دعا رسول اللّه فى بدو الإسلام إلى أمر جديد» .

و فيه عن الخرائج بإسناده عن أبى خالد الكابلى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إذا قام قائمنا وضع يده على رءوس العباد فجمع به عقولهم و أكمل به أخلاقهم» .

و فى الكافى (۱)بإسناده عن مولى لبنى شيبان عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إذا قام قائمنا وضع اللّه يده على رءوس العباد، فجمع بها عقولهم و كمّلت أحلامهم» .

و فيه عن الخرائج بإسناده عن أبى الربيع الشامى، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنّ قائمنا إذا قام مدّ اللّه لشيعتنا فى أسماعهم و أبصارهم حتى لا يكون بينهم و بين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون و ينظرون إليه و هو فى مكانه» .

و فيه عنه بإسناده عن أبان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «العلم سبعه و عشرون حرفا، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسه و العشرين فبثّها فى الناس، و ضمّ إليها الحرفين حتى يبثّها سبعه و عشرين حرفا» .

و فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبى عبيده عنه عليه السّلام قال: «إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود و سليمان، لا يسأل الناس بيّنه» .

۱- ۱) الكافى ج ۲ ص ۳۹۲.

و فیه عن العـدد قال أبو جعفر علیه السّـلام «إنّ العلم بکتاب اللّه عز و جل و سـنه نبیّه صـلّی اللّه علیه و آله لینبت فی قلب مهدیّنا کمـا ینبت الزرع علی أحسن نباته، فمن بقی منکم حتی یراه فلیقل حین یراه: السـلام علیکم یا أهل بیت الرحمه و النبوه و معدن العلم و موضع الرساله، السلام علیک یا بقیه اللّه فی أرضه» .

و فی تحف العقول (۱): «یا کمیل ما من علم إلاّ و أنا أفتحه، و ما من سرّ إلاّ و القائم (عج) یختمه» .

و فی البحار (۲)، عن الخصال بإسناده عن علی بن الحسین علیه السّلام قال: «إذا قام قائمنا أذهب اللّه عز و جل عن شیعتنا العاهه، و جعل قلوبهم کزبر الحدید، و جعل قوه الرجل منهم قوه أربعین رجلا، و یکونون حکّام الأرض و سنامها» .

و فی نهـج البلاـغه قال أمیر المؤمنین علیه السّـلام: «لتعطفن الـدنیا علینا بعـد شماسـها عطف الضـروس علی ولـدها، و تلا عقیب ذلک: وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی اَلَّذِینَ اُسْتُضْعِفُوا فِی اَلْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ اَلْوارِثِینَ (۳)» .

و فی البحار (۴)، عن تفسیر علی بن إبراهیم:

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسی بِآیاتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَکَ مِنَ اَلظُّلُماتِ إِلَی اَلنُّورِ وَ ذَکِّرْهُمْ بِأَیّامِ اَللّهِ

(۵)

قال: «أیام اللّه ثلاثه: یوم القائم (عج) ، و یوم الموت، و یوم القیامه» .

و فیه (۶)عن الخصال بإسـناده عن مثنی الحنّاط، قال: سـمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «أیام اللّه ثلاثه: یوم یقوم القائم، و یوم الکرّه، و یوم القیامه» .

۱- ۱) تحف العقول ص ۱۱۴.

۲- ۲) البحار ج ۵۲ ص ۳۱۶.

۳- ۳) القصص:۵.

۴- ۴) البحار ج ۵۱ ص ۴۵.

۵- ۵) إبراهیم:۵.

۶- ۶) البحار ج ۵۱ ص ۵۰.

و فیه (۱)عن تفسیر العیاشی عن زراره قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: سئل أبی عن قول اللّه: قٰاتِلُوا اَلْمُشْرِکِینَ کَافَّةً کَمٰا یُقٰاتِلُونَکُمْ کَافَّةً (۲)«حتی لا یکون شرک وَ یَکُونَ اَلدِّینُ کُلُّهُ لِلّٰهِ (۳). ثم قال: إنه لم یجئ تأویل هذه الآیه و لو قد قام قائمنا سیری من یدرکه ما یکون من تأویل هذه الآیه، و لیبلغنّ دین محمد صلّی اللّه علیه و آله ما بلغ اللیل حتی لا یکون شرک علی ظهر الأرض کما قال اللّه» . و فی رساله الولایه للعلامه الطباطبائی (رضوان اللّه تعالی علیه) : و من الروایات أخبار الظهور التی تقتضی بأنّ القائم المهدی (عج) بعد ظهوره یبث أسرار الشریعه فیصدقه القرآن، انتهی. أقول: هذه بعض الأحادیث الوارده فی الباب المستفاد منها أمور: یظهر منها أنّ إحیاء الدین إنما هو بظهورهم علیهم السّلام و أنه قبله غیر کامل بنحو ملحق بمن لا یکون حیّا، أی لا یکون له آثاره کما ینبغی. و کیف کان

فتحقیقه یتوقّف علی بیان تلک الأمور

اشاره

المستفاده من تلک الأخبار، فنقول و علیه التوکل:

الأمر الأول: فی أن الذی هو واقع الإسلام یکون بحقائقه و آثاره و شئونه واضحه

لقوله صلّی اللّه علیه و آله: «و اللّه لقد جئتکم بها بیضاء نقیّه» و لقوله تعالی: قُلْ هٰذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اَللّٰهِ عَلیٰ بَصِیرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِی (۴)، و قوله تعالی: قَدْ جٰاءَکُمْ مِنَ اَللّٰهِ نُورٌ (۵)فالدین ثابت و واضح علی منصّه المحجّه البیضاء،

و لذا ورد عنهم علیهم السّلام: «الإسلام یعلو و لا یعلی علیه» .

۱- ۱) البحار ج ۵۱ ص ۵۵.

۲- ۲) التوبه:۳۶.

۳- ۳) الأنفال:۳۹.

۴- ۴) یوسف:۱۰۸.

۵- ۵) المائده:۱۵.

أی الإسلام هو بحقیقته یعلو بقوه دلائله و سواطع براهینه بحیث لا یمکن لأحد التفوق علیه عن حجه، بل هو یعلو علی الکل و لا یعلی علیه بحیث یردّ دلائله و لا یمکن التفصّی عنه. و لعمری إنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام ثم العلماء الربانیین التابعین لهم فی جمیع شئونهم علیهم السّلام قد أوضحوا الدین برهانا بما لا مزید علیه، فهو واضح کما قال تعالی: فَلِلّهِ اَلْحُجَّهُ اَلْبالِغَهُ (۱)، و قال: قَدْ تَبَیَّنَ اَلرُّشْدُ مِنَ اَلْغَیِّ (۲)و لذا لم یتمکّن المخالفون للدین و الولایه نقض معالم الدین و براهینه ببیان علمی أو برهان عقلی کما لا یخفی، و حیث لم یؤمنوا به و لم یمکنهم رده بالدلیل خالفوه عملا أو ظلما و عدوانا. و کیف کان فالدین واضح بالحقیقه و بالبراهین الساطعه القاطعه، إلّا أنه مع ذلک لم یکن جاریا فی الخلق بحیث یکون الحکم و الإماره له و لأهله مطلقا، بل

کما ورد: «بدأ الإسلام غریبا و سیعود کما بدأ فطوبی للغرباء» ، فغربه الدین و عدم رعایته من الخلق جعله کأنه غیر حی، إذ الحی ما کان بارزا بآثاره و فاشیا بوجوده حیث ما اتّسع. و من المعلوم أنّه لم یکن الدین فی دوله الباطل کذلک، فلا محاله کأنّه میّت و غیر حی بلحاظ عدم ظهور آثاره

فقوله: «حتی یحیی اللّه دینه بکم» ، یدل بالالتزام علی أن الدین قبل ظهورهم لیس حیّا بالمعنی الذی ذکرنا، فإنه فی دوله الطواغیت یکون أهل الدین أذلاء کما صرحت به الروایه السابقه من

قوله علیه السّلام: «و کلاهما ذلیل فی دوله صاحبه» . و کیف کان فالمراد من حیاه الدین بهم فی زمان ظهورهم هو حیاته الکامله بجمیع شئونها الثابته له و المتحققه لأهلها کما لا یخفی.

الأمر الثانی: اعلم أنّ حیاه الدین متوقّف علی تحقق شیئین:

اشاره

ص: ۲۷

۱- ۱) الأنعام:۴۹.

۲- ۲) البقره:۲۵۶.

الأول: وضوحه و بیانه علی ما هو علیه،

و علی ما هو مشروع من عند اللّه تعالی، و الدین من هذه الجهه قد علمت أنه حیّ و ساطع و عال لا یعلی علیه بما لا مزید علیه. نعم المستفاد من بعض الأحادیث المتقدمه أن بعض معارف الدین لم یذکر بعد کما

فی حدیث أبان: «العلم سبعه و عشرون حرفا، فجمیع ما جاءت به الرسل حرفان. . . إلخ» و هذا لا یقدح فی وضوح الدین و کونه ثابتا بالأدله القطعیه بحیث لا یعلی علیه، فإن المراد من حدیث أبان و أشباهه هو أن بعض المعارف لقصور درک الناس لم یذکر، و هذا أمر مسلّم لا یضرّ بصحّه ما ظهر من الدین و علوه، بل إن للدین الظاهر لنا باطنا غامضا لم یظهر بعد، فهو متوقّف علی تکمیل العقول و الأحلام لیصلوا إلی بواطنه، و سیجیء بیانه فی الشیء الثانی.

الثانی: هو وجود القوابل الکامله لتحقق الدین بواقعه فیها.

و بعباره أخری: النفوس الکامله المهذبه العاقله القابله لقبول الدین و الاتصاف بحقائقها. فالدین له مراتب غامضه

کما ورد أنه قال علیه السّلام «إنّ هذا الدین متین فأوغلوا فیه برفق» . و تقدم أن له باطنا و أن لباطنه باطنا، و معلوم أن الدین بجمیع بطونه و حقائقه المثبته الغامضه لا یتحقق إلّا فی قلوب و نفوس کامله قابله لتلقّیه بحقیقته، و علیه فالمراد من إحیاء الدین بظهورهم إما بحیاته بسببهم علیهم السّلام أی بوجودهم علیهم السّلام حال کونهم مبسوطی الید و مظهرین لحقایق الدین بوجودهم و صفاتهم و أفعالهم لکی یأتّم به غیرهم من شیعتهم، کما یدل علیه ما

فی تفسیر نور الثقلین (۱)فی أصول الکافی بإسناده عن برید قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: فی قول اللّه تبارک و تعالی:

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۱۳۲.

أَ وَ مَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي اَلنّٰاسِ

(۱)

فقال: «ميّتا لا يعرف شيئا، و نورا يمشى به فى الناس: إماما يؤتمّ به، كَمَنْ مَثَلُهُ فِي اَلظُّلُمٰاتِ لَيْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا (۲)، قال: الذى لا يعرف الإمام. . .» الحديث. و حينئذ يراد بحياه الدين وجودهم و ظهورهم بين الخلائق، لأن الحيوه إنما تكون بهم، فتأمل. و لعلّ إليه يشير

ما فى البحار (۳)، عن غيبه الشيخ بهذا الإسناد عن ابن عباس فى قوله تعالى: أَنَّ اَللّٰهَ يُحْيِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا يعنى يصلح الأرض بقائم آل محمد، من بعد موتها يعنى من بعد جور أهل مملكتها قَدْ بَيَّنّٰا لَكُمُ اَلْآيٰاتِ بقائم آل محمد لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۴)» .

و فيه عن إكمال الدين عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ يُحْيِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا ، قال: «يحييها اللّه عز و جل بالقائم بعد موتها، يعنى بموتها كفر أهلها و الكافر ميّت» . و إما لأجل تكميل النفوس عقلا و حلما فى زمان ظهور القائم (عج) كما دلّت عليه الروايتان من

قوله عليه السّلام: «إذ قام القائم وضع اللّه يده على رءوس العباد. . . إلخ» توضيح هذا الحديث كما ذكره بعض الأعلام مع تلخيص و إضافه هو أنّ اللّه تعالى منزه عن الجوارح و الأعضاء و التكثر و التغير و التشبيه بشىء من الأشياء إذ ليس كمثله شىء فيما سواه إلاّ أنه تعالى يفعل ما يشاء فى خلقه بالواسطه. و بعباره أخرى: أن فيض وجوده يكون بواسطه لها جهتان: جهه إلى الرب و جهه إلى الخلق، ثم إنه قد يعبّر عنها بالملك و اليد و الإصبع، كقوله تعالى: بَلْ يَدٰاهُ

۱- ۱) الأنعام:۱۲۲.

۲- ۲) الأنعام:۱۲۲.

۳- ۳) البحار ج ۵۱ ص ۵۳.

۴- ۴) الحديد:۱۷.

مَبْسُوطَتَانِ

(۱)

و قوله صلّی اللّه علیه و آله «قلب المؤمن بین إصبعین من أصابع الرحمن یقلّبه کیف یشاء» و کقوله: فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْراً (۲)المفسر بالملائکه، و عمده الوسائط هو أرواح محمد و آله الطاهرین و حقیقتهم.

ففی بصائر الدرجات بإسناده عن عبد اللّه بن أبی یعفور قال: قال لی أبو عبد اللّه: «یا بن أبی یعفور إن اللّه تبارک و تعالی واحد متوحّد بالوحدانیه متفرّد بأمره، فخلق خلقا ففرّدهم لذلک الأمر، فنحن هم یا بن أبی یعفور، فنحن حجج اللّه فی عباده و شهداؤه فی خلقه، و أمناؤه و خزّانه علی علمه و الداعون إلی سبیله و القائمون بذلک، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه» .

فقوله علیه السّلام: «فخلق خلقا ففرّدهم لذلک الأمر فنحن هم» ، ظاهر فی أنهم علیهم السّلام هم القائمون بذلک الأمر المتفرّد للّه تعالی کما صرّح به، و لذا عبّر عنهم علیهم السّلام فی الدعاء بالأعضاد و هو جمع عضد و هو ما به فعلیه القوه فی الإنسان، فهم ما به فعلیّه قوته و قدرته تعالی المخلوقه، و لا نعنی بالواسطه إلاّ هذا المعنی،

فقوله فی الحدیث السابق: «وضع اللّه یده» ، یراد بالید القوه الإلهیه، و هذا أی

قوله: «یده أی ید اللّه» هو المراد منه فی حدیث الخرائج

من قوله: «إذا قام قائمنا وضع یده علی رءوس العباد» ، فعبّر فی هذا الحدیث بید القائم و فی الآخر بید اللّه تعالی و هما بمعنی کما لا یخفی. و المراد برءوس العباد نفوسهم الناطقه و عقولهم الهیولانیه، لأنّ العقل فی الآدمی أرفع شیء من قواه و أجزائه الباطنه و الظاهره، فکنّی عن عقولهم برءوسهم بملاک الرفعه الظاهریه و المعنویه، و منه یعلم کیفیه وضع الید علی رءوسهم و عقولهم و ذلک إنّ الید سواء کان المراد منها القوه أو الملک أو الإصبع أو حقیقه محمد و آله الطاهرین، بل هذا هو الأصل فی تلک، إنما یراد منه الجوهر القدسی الإلهی العقلی الکلی الشامل و المسلّط علی جمیع عقول العباد، و لا ریب فی

۱- ۱) المائده:۶۴.

۲- ۲) النازعات:۵.

أنّ هـذا الجوهر له وجود واسع فى عالمه و تسلّط إلهى على العقول، لتجرده بحيث لا يشـذّ عنها شاذّ كما صرحت به الأحاديث الوارده فى تسلط الأئمه عليهم السّلام بحقيقتهم علما و قدره على الأشياء. و المراد من وضعها هو توجه تلك الحقيقه الإلهيه إلى تلك العقول الناقصه حسب ما تقتضيه العنايه الإلهيه و المصلحه الربوبيه و سيأتى بيانها، فكيف كان فالعقول الناقصه بواسطه تلك العنايه الإلهيه تصير جامعه أى كامله من جهه التعليم الإلهى و الإلهام الربوبى بحيث تصير عالمه مقتدره على ما تريد و تعلم. و لعلّ الأحاديث المتقدمه الداله على أنّ فى زمان المهدى (عج) يضرب فساطيط لتعليم القرآن على ما أنزل ناظر إلى بسط هذا الأمر من وضع يده المعنويه على رءوسهم و عقولهم ظاهرا و باطنا.

و فى البحار (١)، عن غيبه النعمانى بإسناده عن محمد بن جعفر عن أبيه عليه السّلام قال: «إذا قام القائم (بعث) فى أقاليم الأرض فى كل إقليم رجلا يقول عهدك (فى) كفك، فإذا ورد عليك ما لا تفهمه و لا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفّك و اعمل بما فيها. . .» الحديث. فهذا ظاهر فى شمول عنايته عليه السّلام و إحاطته على عقولهم أينما كانوا، بحيث يظهر أثر هذا التسلط و العنايه فى كفّه فيما يريد عمله. و بعباره أخرى: أن العقول الإنسانيه فى أوائل نشأتها منغمره فى طبايع الأبدان، متفرقه فى الحواس، متوزّعه فى ميولها و أشواقها إلى الأغراض و الشهوات منقسمه فى همّها و دواعيها إلى شجون الأمانى و شعب الرّغبات، ثم إذا ساعده التوفيق و تنبّه بأن وراء هذه النشأه نشأه أخرى، فعلم ذاته و عرف نفسه و استكمل عقله بالعلم و الحال و الكثره، و رجع إلى ذاته، و ارتقى إلى معدنه الأصلى، و عاد من مقام التفرقه و الكثره إلى مقام الجمعيه و الوحده، و من موطن الفصل إلى الوصل، و من الفرع إلى

١- ١) البحار ج ٥٢ ص ٣٦٥.

الأصل، و لما ثبت و تقرّر أن النفوس الإنسانيه فى زمن أبينا آدم عليه السّلام إلى وقت بعثه الرسول الخاتم صلّى اللّه عليه و آله كانت متدرجه فى التلطف و التصفى مترقيه فى حسن القبول و الاستعداد، و لهذا كلما جاء رسول بعد رسول كانت معجزه النبى المتأخر أقرب إلى المعقول من المحسوس و إلى الروح من التجسم من معجزه النبى المتقدم و هكذا، و لأجل ذلك كانت معجزه نبيّنا (صلّى اللّه عليه و آله و على سائر الأنبياء و المرسلين) القرآن و الكتاب و هو أمر عقلى، إنما يعرف كونه إعجاز أصحاب العقول الزكيه، و لو كان منزلا على الأمم السابقه لم يكن حجه عليهم، لعدم استعدادهم لدركه، ثم من بعثه الرسول إلى آخر الزمان كانت الاستعدادات فى الترقى و النفوس فى التلطّف و التزكى، و لهذا لم يحتاجوا إلى رسول آخر يكون حجه من اللّه تعالى عليهم، و إنما الحجه منه تعالى عليهم هو العقل الذى هو الرسول الداخلى كما دلّ عليه بعض الأحاديث كما

فى الكافى فى حديث ابن السكيت عن أبى الحسن عليه السّلام. . إلى أن قال له عليه السّلام: فما الحجه على الخلق اليوم؟ قال: فقال عليه السّلام: «العقل تعرف به الصادق على اللّه فتصدقه و الكاذب على اللّه فتكذبه. . . إلخ» .

و كما فيه أيضا فى حديث عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «حجه اللّه على العباد النبى صلّى اللّه عليه و آله و الحجه فيما بين العباد و بين اللّه العقل» . و كيف كان ففى آخر الزمان تترقى الاستعدادات من النفوس إلى حدّ لا يحتاجون إلى معلّم من خارج على الرسم المعهود بين الناس الآن، بل يكتفون بالإلهام الغيبى عن التأدب الوضعى و بالمسدد الداخلى عن المؤدب الخارجى، و بالمكمّل العقلى عن المعلم الحسى كما لسائر الأولياء و كيف كان فالملك الروحانى المعبّر عنه بيد اللّه يجمع عقولهم و يكمّل أحلامهم. و لعلّ إليه يشير

ما فى البحار (۱)، عن الخصال بإسناده عن على بن الحسين عليه السّلام

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۳۱۷.

قال: «إذا قام قائمنا أذهب اللّه عن شيعتنا العاهه، و جعل قلوبهم كزبر الحديد، و جعل قوه الرجل منهم قوّه أربعين رجلا، و يكونون حكّام الأرض و سنامها» . فقوله: «و يكونون. . .» إشاره إلى وفور علمهم الإلهى الحاصل لهم من عنايته تعالى بهم من وضع يده على رءوسهم بالنحو الذى علمت، و لعل أحد أسرار الغيبيه هو ما ذكرنا من حصول تكميل النفوس فى زمان الغيبه لكى تصير قابله لتلقّى المعارف الإلهيه من حجه اللّه الأعظم (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف و روحى له الفداء) .

الأمر الثالث:

المستفاد

من حديث ابن عباس المتقدم عنه صلّى اللّه عليه و آله من قوله صلّى اللّه عليه و آله: «فيعلى أمر اللّه، و يظهر دين اللّه، و يؤيد بنصر اللّه، فينصر بملائكه اللّه، فيملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا» ، إنّ قيامه عليه السّلام ليس كقيام غيره من الناس يطلب الرياسه، بل و لا كقيام الأنبياء قبله عليهم السّلام. أما قيام غيره من الناس فإنهم إنما ينهضون لطلب الرياسه و السلطنه مع العده و السلاح المتعارف بين الناس. و أما قيام الأنبياء فإنهم عليهم السّلام و إن كانوا للحق إلّا أنهم كالأئمه عليهم السّلام إلى الإمام الحادى عشر (صلوات اللّه عليه و على آبائه) فى أنهم كانوا مأمورين بالمداراه مع الظلمه، فربما اتقوا منهم، و ربما صبروا على أذاهم، و ربما دخلوا فى بيعتهم كرها كما لا يخفى. و أما الحجه القائم المنتظر (صلوات اللّه عليه و روحى له الفداء) فلا يكون قيامه إلّا للّه و للحق مع عدم بيعه فى عنقه عليه السّلام لأحد، و يكون مجهّزا بالوسائل المعنويه كما تدل عليه روايات. منها قوله فى الحديث السابق ذكره

من قوله صلّى اللّه عليه و آله: «يؤيد بنصر اللّه، و ينصر بملائكه اللّه» .

و قول السجاد عليه السّلام فيما تقدم: «أذهب اللّه عز و جل عن شيعتنا العاهه، و جعل

قلوبهم كزبر الحديد، و جعل قوه الرجل منهم قوه أربعين رجلا» ، و هناك أحاديث تدل على أنه عليه السّلام إذا خرج ليس لأحد فى عنقه بيعه.

ففى البحار (۱)، عن إكمال الدين بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «يبعث القائم و ليس فى عنقه لأحد بيعه» .

و فيه عنه عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «صاحب هذا الأمر تغيب ولادته عن هذا الخلق، لئلّا يكون لأحد فى عنقه بيعه إذا خرج، و يصلح اللّه عز و جل أمره فى ليله» . و من تأييد اللّه و نصره له و لأصحابه عليه السّلام ما يظهر مما رواه.

فى البحار (۲)، عن إكمال الدين عن عبد اللّه بن عجلان قال: ذكرنا خروج القائم عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فقلت له: كيف لنا بعلم ذلك؟ فقال: «يصبح أحدكم و تحت رأسه صحيفه عليها مكتوب (طاعه معروفه)» .

و فيه عنه عن أبى الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «إذا خرج القائم (عج) من مكّه ينادى مناديه: ألا لا يحملن أحد طعاما و لا شرابا، و حمل معه حجر موسى بن عمران عليه السّلام و هو وقر بعير، فلا نزل منزلا إلّا انفجرت منه عيون، فمن كان جائعا شبع، و من كان ظمآن روى، و رويت دوابّهم، حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفه» .

و فيه عنه عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إذا قام القائم (عج) لم يقم بين يديه أحد من خلق الرحمن إلّا عرفه، صالح هو أم طالح؟ إلّا و فيه آيه للمتوسّمين و هى السبيل المقيم» .

و فيه عنه بهذا الإسناد عن ابن تغلب قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «كأنّى أنظر إلى القائم على ظهر نجف (فإذا استوى على ظهر نجف) ركب فرسا أدهم أبلق بين عينيه شمراخ ثم ينتفض به فرسه، فلا يبقى أهل بلده إلّا و هم يظنّون أنه معهم فى بلادهم، فإذا نشر رايه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انحطّ عليه ثلاثه عشر ألف ملك و ثلاثه عشر ملكا

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۹۵.

۲- ۲) البحار ج ۵۲ ص ۳۲۴.

كلهم ينتظرون القائم (عج) . و هم الـذين كانوا مع نوح عليه السّلام فی السفينه، و الـذين كانوا مع إبراهيم الخليل عليه السّلام حيث ألقی فی النـار، و كـانوا مع عيسی عليه السّلام حين رفع، و أربعه آلاف كانوا مسوّمين و مردفين، و ثلاثمائه و ثلاثه عشر ملكا يوم بـدر، و أربعه آلاف ملك الـذين هبطوا يريـدون القتال مع الحسين بن علی عليه السّلام فلم يؤذن لهم، فصعدوا فی الاستئذان و هبطوا و قد قتل الحسين عليه السّلام فهم شعث غبر يبكون عند قبر الحسين إلی يوم القيامه، و ما بين قبر الحسين إلی السماء مختلف الملائكه» . أقول:

قوله عليه السّلام: «فلا يبقی أهل بلده إلاّ و هم. . . إلخ» يومئ إلی أنه عليه السّلام يظهر بقدره اللّه فی جميع البلدان مع ما معه مع الملائكه، فظهوره فی جميعها من آثار الولايه الكليه الإلهيه الثابته لروحه المقدس الذی يسع العالم و يظهر لجميع العالم بما يظهر لطائفه، و ليس هـذا إلاّ من قـدره اللّه تعالی القائمه بروحه المقـدس. ثم إن ذكر رايه رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله بما لها من الآثار مذكور فی كثير من الأخبار، و هی أيضا من آثار قدره اللّه تعالی الظاهره علی يديه عليه السّلام فمنها هذا الحديث. و منها:

ما فيه عنه أيضا بهذا الإسناد عن ابن تغلب، عن الثمالی قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «كأنی أنظر إلی القائم قد ظهر علی نجف الكوفه، فإذا ظهر علی النجف نشر رايه رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله عمودها من عمد عرش اللّه تبارك و تعالی، و سائرها من نصر اللّه (جل جلاله) ، لا يهوی بها إلی أحـد إلاّ أهلكه اللّه عز و جل قال: قلت: تكون معه أو يؤتی بها؟ قال: بل يؤتی بها يأتيه بها جبرئيل عليه السّلام» .

و فيه عنه بإسناده عن جابر عن أبی جعفر عليه السّلام قال: «كأنی بأصحاب القائم و قد أحاطوا بما بين الخافقين، ليس من شیء إلاّ و هو مطيع لهم حتی سباع الأرض و سباع الطير تطلب رضاهم فی كل شیء، حتی تفخر الأرض علی الأرض، و تقول مرّ بی اليوم رجل من أصحاب القائم» .

قوله عليه السّلام: «ليس من شیء إلاّ و هو مطيع لهم» ، كنايه عن تسلّطهم علی كلّ

شیء بحیث یستعملونه فیما یریدونه علی نصر العدوّ و یطیعونهم، و هذا من نصر اللّه تعالی له علیه السّلام و لهم.

و فیه (۱)عن الخرائج عن جابر قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إن اللّه نزع الخوف من قلوب شیعتنا، و أسکنه قلوب أعدائنا، فواحد منهم أمضی من سنان، و أجری من لیث، یطعن عدوّه برمحه، و یضربه بسیفه، و یدوسه بقدمه» .

و فیه عن الإرشاد عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام قال: «کأنی بالقائم (عج) علی نجف الکوفه و قد سار إلیها من مکه فی خمسمائه آلاف من الملائکه جبرئیل عن یمینه و میکائیل عن شماله و المؤمنون بین یدیه و هو یفرّق الجنود فی البلاد» .

و فیه (۲)عن غیبه النعمانی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إذا قام القائم (عج) نزلت سیوف القتال علی کل سیف اسم الرجل و اسم أبیه» .

و فیه عنه بإسناده عن أبی عبد اللّه جعفر بن محمد علیه السّلام أنه قال: «أبی اللّه إلاّ أن یخلف وقت المؤقّتین و هی رایه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نزل بها جبرئیل یوم بدر سیر به. ثم قال: یا أبا محمد ما هی و اللّه من قطن و لا کتّان و لا قزّ و لا حریر، فقلت: من أی شیء هی؟ قال: من ورق الجنّه، نشرها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم بدر، ثمّ لفّها و دفعها إلی علی علیه السّلام فلم تزل عند علی علیه السّلام حتی کان یوم البصره، فنشرها أمیر المؤمنین علیه السّلام ففتح اللّه علیه ثم لفّها، و هی عندنا هناک لا ینشرها أحد حتی یقوم القائم (عج) فإذا قام نشرها فلم یبق فی المشرق و المغرب أحد إلاّ لعنها، و یسیر الرعب قدامها شهرا، و وراءها شهرا، و عن یمینها شهرا، و عن یسارها شهرا، ثم قال: یا أبا محمد إنه یخرج موتورا غضبان أسفا، لغضب اللّه علی هذا الخلق، علیه قمیص رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی کان علیه یوم أحد، و عمامته السحاب، و درع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله السابغه، و سیف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذو الفقار، یجرّد السیف علی عاتقه ثمانیه أشهر یقتل هر جا،

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۳۳۶.

۲- ۲) البحار ج ۵۲ ص ۳۵۶.

فأوّل ما يبدأ ببنى شيبه فيقطع أيديهم و يعلقها فى الكعبه، و ينادى مناديه هؤلاء سرّاق اللّه، ثم يتناول قريشا فلا يأخذ منها إلّا السيف، و لا يعطيها إلّا السيف، و لا يخرج القائم (عج) حتى يقرأ كتابان كتاب بالبصره، و كتاب بالكوفه بالبراءه من على عليه السّلام» . أقول: هذه الروايه تبين صفه الرايه و أنها من مواهب اللّه تعالى للنبى و له عليهما السّلام

و قوله: «و يسير الرعب. . . إلخ» إشاره إلى نصره اللّه تعالى له عليه السّلام بالرعب. و لعل ذيل

الحديث: «حتى يخرج. . . إلخ» من العلامات الكائنه قبل خروجه فإنّ يقرء مبنى للمجهول، و الكتابان نائب الفاعل له لا أنه عليه السّلام يقرأهما، و اللّه العالم.

و قوله: «لا يأخذ منها إلّا السيف. . . إلخ» إشاره إلى شده غضبه عليه السّلام عليهم بحيث لا يتوجه إلى كلامهم و عذرهم لما فعلوا، بل يعامل معهم بالسيف. و أما

قوله: «إلّا لعنها» ، فالمراد منه ما بيّنه عليه السّلام فى الحديث الآخر.

ففيه عن غيبه النعمانى بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال: «إذا رفعت رايه الحق لعنها أهل الشرق و الغرب، قلت له: ممّ ذلك؟ قال: مما يلقون من بنى هاشم» .

و فى حديث عنه عليه السّلام فيه: «أ تدرى لم ذلك؟ قلت: لا، قال: للذى يلقى الناس من أهل بيته قبل خروجه» . أقول: المراد من بنى هاشم الذين يخرجون و يتسلّطون على الناس من بنى هاشم و لا يقدرون العمل على العدل، فلا محاله يصدر منهم الظلم، فيلقى الناس منهم ما لا يرضون به من الظلم و خلاف العدل، و المراد من أهل بيته هو بنو هاشم لا الأهل الخاص كما لا يخفى.

و فى بصائر الدرجات (1)، بإسناده عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبيه عن أبى الحسن الأول عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك النبى صلّى اللّه عليه و آله ورث علم النبيين كلهم؟ قال

١- ١) بصائر الدرجات ص ١١۴.

لی: «نعم، قلت: من لـدن آدم إلی أن انتهی إلی نفسه؟ قـال: نعم، قلت: ورثهم النبوه و مـا کان فی آبائهم من النبوه و العلم؟ قال: مـا بعث اللّه نبیّا إلاّ و قـد کان محمـد صلّی اللّه علیه و آله أعلم منه، قال: قلت: إنّ عیسی بن مریم کان یحیی الموتی بإذن اللّه، قال: صدقت و سلیمان بن داود کان یفهم کلام الطیر، قال: و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقدر علی هذه المنازل فقال: إن سلیمان بن داود قال للهدهد حین فقده و شکّ فی أمره مٰا لِیَ لاٰ أَرَی اَلْهُدْهُدَ أَمْ کٰانَ مِنَ اَلْغٰائِبِینَ ؟ و کانت المرده و الریح و النمل و الإنس و الجن و الشیاطین له طائعین، و غضب علیه فقال: لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذٰاباً شَدِیداً، أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ، أَوْ لَیَأْتِیَنِّی بِسُلْطٰانٍ مُبِینٍ ، و إنما غضب لأنه کان یـدلّه علی المـاء فهـذا لم یعط سلیمان، و کانت المرده له طائعین، و لم یکن یعرف الماء تحت الهواء، و کـانت الطیر تعرفه، إنّ اللّه یقول فی کتـابه: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنـاً سُیِّرَتْ بِهِ اَلْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ اَلْأَرْضُ أَوْ کُلِّمَ بِهِ اَلْمَوْتیٰ (۱)فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما یقطع به الجبال و یقطع به البلدان و یحیی به الموتی بإذن اللّه، و نحن نعرف ما تحت الهواء، و إن فی کتاب اللّه لآیات ما یراد بها أمر من الأمور التی أعطاها اللّه الماضین من النبیین و المرسلین إلاّ و قد جعله اللّه ذلک کله لنا فی أم الکتـاب، إن اللّه تبـارک و تعـالی یقول: وَ مٰا مِنْ غٰائِبَهٍ فِی اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ (۲)ثمّ قـال جل و عز: ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْکِتٰابَ اَلَّذِینَ اِصْطَفَیْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا (۳)فنحن الذین اصطفانا اللّه، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذی فیه تبیان کل شیء. أقول:

و فی تفسیر البرهان (۴)، عن أصول الکافی إلی قوله تحت الهواء و بعـده هکـذا و إنّ فی کتاب اللّه لآیات ما یراد بها أمر إلاّ أن یأذن اللّه به مع ما قد یأذن مما کتبه الماضون جعله اللّه لنا فی أم الکتاب، إن اللّه یقول: وَ مٰا مِنْ غٰائِبَهٍ فِی اَلسَّمٰاءِ

۱- ۱) الرعد:۳۱.

۲- ۲) النمل:۷۵.

۳- ۳) فاطر:۳۲.

۴- ۴) تفسیر البرهان ج ۲ ص ۵۰۷.

وَ اَلْأَرْضِ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ ، ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْکِتابَ اَلَّذِینَ اِصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا «فنحن الـذین اصـطفانا اللّه عز و جل، و أورثنا هذا الکتاب، فیه تبیان کل شیء» . أقول:

قوله علیه السّلام: «فقـد ورثنا نحن هـذا القرآن. . . إلـخ» یـدل علی أنهم علیهم السّلام لهم تلک القـدره التی أشیر بها فی الآیه المبارکه بما لها من الآثار من تقطیع الجبال و البلدان، و تسییر الجبال، و إحیاء الموتی بإذن اللّه تعالی. و من المعلوم أنهم علیهم السّلام إذا ملکوا و ورثوا الأرض و ما علیها یعملون فیها بهـذه القـدره التی هی من اللّه تعالی، و هذا معنی قوله صلّی اللّه علیه و آله فیما تقدم أنه علیه السّلام یؤید بنصر اللّه.

و فی بصائر الدرجات (1)، بإسناده عن سعید السّمان قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام إذ دخل علیه رجلان من الزیدیه، فقالا: أ فیکم إمام مفترض طاعته؟ فقال: «لا، فقالا له: فأخبرنا عنک الثقات أنّک تعرفه و نسمّیهم لک، و هم فلان و فلان، و هم أصحاب ورع و تشمیر، و هم ممن لا یکـذّبون، فغضب أبو عبـد اللّه علیه السّلام و قـال: ما أمرتهم بهـذا، فلما رأیا الغضب فی وجهه خرجا، فقال لی: أ تعرف هـذین؟ قلت: نعم هما من أهل سوقنا من الزیـدیه، و هما یزعمان أنّ سیف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عنـد عبـد اللّه بن الحسن، فقال: کـذبا لعنهما اللّه و لا و اللّه ما رآه عبـد اللّه بعینیه، و لا بواحد من عینیه، و لا رآه أبوه إلّا أن یکون رآه عند علی بن الحسین بن علی، و إن کانا صادقین فملا علامه فی مقبضه؟ و ما لا تری (أثر) فی موضع مضـربه، و إنّ عنـدی لسیف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و درعه و لامته و مغفره، فإن کانا صادقین فما علامه فی درعه؟ و إنّ عندی لرایه رسول اللّه المغلّبه، و إنّ عنـدی ألواح موسی و عصاه، و إنّ عنـدی لخاتم سلیمان بن داود، و إنّ عندی الطست الذی کان یقرّب بها موسی القربـان، و إنّ عنـدی الاسم الـذی کـان إذا أراد رسـول اللّـه صلّی اللّه علیه و آله أن یضعه بین المسلمین و المشرکین لم

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۷۴.

يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابه، و إنّ عندى التابوت التى جاءت به الملائكه تحمله، و مثل السلاح فينا مثل التابوت فى بنى إسرائيل، فأى بيت (فأهل بيت) وقف التابوت على باب دارهم أوتوا النبوه؟ كذلك و من صار إليه السلاح منّا أوتى الإمامه، و لقد لبس أبى درع رسول اللّه فخطّت على الأرض خطيطا، و لبستها أنا فكانت، و قائمنا ممن إذا لبسها ملأها إن شاء اللّه» . أقول: دلّت هذه الروايه على أنّ عندهم عليهم السّلام خصائص النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأنبياء التى بها آثار عجيبه: منها الغلبه على الأعداء و لا ريب فى أنها فعلا عند الحجه القائم المنتظر (روحى له الفداء) و هذه أيضا مما يؤيده تعالى بها لنصره عليه السّلام، و أيضا عنده الاسم الأعظم الذى هو منشأ الآثار فى الوجود، و الأخبار الداله على هذا كثيره جدا نذكر واحدا منها و قد تقدمت الإشاره إليه فيما سبق.

ففى بصائر الدرجات (۱)، عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن اسم اللّه الأعظم على ثلاثه و سبعين حرفا، و إنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفه عين، و عندنا نحن من الاسم اثنان و سبعون حرفا، و حرف عند اللّه استأثر به فى علم الغيب عنده، و لا حول و لا قوه إلّا باللّه العلى العظيم» . أقول: فهذه إشارات إجماليه على أنه عليه الصلوه و السلام يخرج حين يخرج و هو مؤيد من اللّه تعالى لنصره بهذه الأمور العجيبه الإلهيه، فبها يتسلّط على أعداء اللّه تعالى، نعم هو عليه السّلام و روحى له الفداء إنما يعمل بهذه الأمور حسب إجازه اللّه تعالى و إذنه تعالى، و على حسب ما تقتضيه المصلحه الإلهيه و هو عليه السّلام أعلم بهذه الأمور من غيره، كيف لا و قلوبهم عليهم السّلام أوعيه لمشيّه اللّه تعالى كما تقدم عنه (صلوات اللّه عليه و على آبائه و روحى له الفداء) .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۰۸.

بقی هنا شیء لا بأس بالإشاره إلیه، و حاصله أنه لا ریب فی ظهور الوسائل الحربیه علی النحو الحدیث من الطیّارت و الدبابات. . . ، و هذه وسائل تقوم بأعمالها الظلمه، هذا مع أن أصحاب القائم (عج) لیس لهم مثل تلک الوسائل الحربیه، فحینئذ لعل الظلمه بهذه الوسائل العجیبه یغلبون علیه علیه السّلام و علیهم، فکیف یکون حینئذ حال المهدی (روحی له الفداء) و أصحابه و کیف غلبتهم علی الأعداء؟ قلت: أولا: یمکن أن یتسلّط هو علیه السّلام و أصحابه علی الظلمه بنحو یأخذون منهم هذه الوسائل و هم یستعملونها علی الأعداء، کما یمکن إنهم یغلبون علی الأعداء فیأخذون منهم الوسائل الأخر مثل السیارات و الطیارات، و أجهزه الرادیو و التلفزیون و التلفون و أمثالها، و یستعملونها فی مصالح، و یکون العاملون بها هم العاملون لها الیوم، فیمکن أن یؤمنوا به علیه السّلام فیستعملونها حسب إذنه علیه السّلام، کما ربما یومئ إلیه

ما رواه فی البحار (۱)، عن الخرائج بإسناده عن أبی الربیع الشامی قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إنّ قائمنا إذا قام مدّ اللّه لشیعتنا فی أسماعهم و أبصارهم حتی لا یکون بینهم و بین القائم برید یکلّمهم، فیسمعون و ینظرون إلیه و هو فی مکانه» .

فقوله: «لا یکون بینهم و بین القائم برید» ، المراد من البرید هو الرسول و الواسطه و من لا یحتاج إلیه فی إیصال المطالب إلی البرید.

و قوله علیه السّلام: «مدّ اللّه لشیعتنا فی أسماعهم» أی یسمعون الکلام من البعید بواسطه الرادیو و التلفون و سایر الوسائل الکلامیه البرقیه، «و أبصارهم» أی یرون الأمور من البعید بواسطه التلفزیون. و قوله: «یکلّمهم» أی هو علیه السّلام فی التلفزیون، فیسمعون و ینظرون إلیه، أی الناس فی منازلهم، و هو علیه السّلام فی مکانه أی فی محله و فیما یتکلّم معهم فی محل الأجهزه التلفزیونیه، و کیف کان فمن المحتمل أن یراد من هذا الحدیث ما ذکرنا، و اللّه العالم،

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۳۳۶.

و يمكن أن يراد منه هو إعطاؤه تعالى قوه البصر و السمع لهم بالنحو المذكور. و ثانيا: أنه قد علمت أنه عليه السّلام يظهر بقدره اللّه تعالى التى منها إحاطته عليه السّلام بالاسم الأعظم بتمام حروفه، فهو حينئذ يتصرّف فى الأشياء عند الضروره بالولايه الإلهيه التكوينيه التى له و لآبائه عليهم السّلام كيف و قد علمت أنّ الأشياء كلّها مطيعه له و لهم عليهم السّلام فعليه فأى وسيله تقوم عليه عليه السّلام بحيث لا يقدر هو عليه السّلام عليها بل الأشياء كلّها مسخّره لأمره و مطيعه و منقاده له عليه السّلام كيف لا و هو الحجه العظمى للّه تعالى و المظهر الأتم له و لأسمائه تبارك و تعالى، هذا مع أنا نرى فى بعض أولياء اللّه تعالى، بل فى بعض غيرهم من المرتاضين بالرياضات الباطله أنه يصدر منهم خرق العادات العجيبه من توقيف الطير فى الهواء و توقيف القطار السريع فى الأرض و نحوه. فحينئذ فما ظنّك بمن هو قطب عالم الإمكان و مظهر اسم اللّه الأعظم و مظهر أسمائه الحسنى تبارك و تعالى؟ و هل هذه إلّا شبهه بدويه واهيه ناشئه عن الجاهل بشئون الأئمه و الحجه المنتظر (صلوات اللّه عليهم) و يدلّ على ما تقدم فى حديث جابر من

قوله عليه السّلام: «ليس من شيء إلّا و هو مطيع لهم حتى سباع الأرض و سباع الطير» .

الأمر الرابع: فى نبذ من بيان عله الغيبه الكبرى،

و قد تقدمت الإشاره إليه و كيف كان

ففى الوافى (۱)، عن إكمال الدين بإسناده عن سدير الصيرفى قال: دخلت أنا و المفضّل بن عمر و أبو بصير و أبان بن تغلب على مولانا أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام فذكر مقاله كثيره فى بيان غيبه الأنبياء السابقين و طول الفرج لأمّتهم. . . إلى أن قال فى قصه نوح عليه السّلام «حيث امتحن قومه بغرس النواه مرّات متعدده كل ذلك لامتحانهم و تخليصهم. . . إلى أن قال الصادق عليه السّلام: و كذلك القائم عليه السّلام فإنه تمتدّ أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه و يصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت

۱- ۱) الوافى ج ۱ ص ۱۰۱.

طینته خبیثه من الشیعه الذین یخشی علیهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف و التمکین و الأمر المنتشر فی عهد القائم (عج)» .

و فی البحار عن إکمال الدین و علل الشرایع بإسناده عن حنان بن سدیر، عن أبیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن للقائم (عج) منّا غیبه یطول أمدها، فقلت له: و لم ذاک یا بن رسول اللّه؟ قال: إنّ اللّه عز و جل أبی إلاّ أن یجری فیه سنن الأنبیاء علیهم السّلام فی غیباتهم و أنه لا بد له یا سدیر من استیفاء مدد غیباتهم قال اللّه عز و جل: لَتَرْکَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱)أی سننا علی سنن من کان قبلکم» .

و فیه عنهما بإسناده عن عبد اللّه بن الفضل الهاشمی قال: سمعت الصادق جعفر ابن محمد علیه السّلام یقول: «إن لصاحب هذا الأمر غیبه لا بدّ منها، یرتاب فیها کل مبطل فقلت له: و لم جعلت فداک؟ قال: لأمر لم یؤذن لنا فی کشفه لکم، قلت: فما وجه الحکمه فی غیبته؟ فقال: وجه الحکمه فی غیبته وجه الحکمه فی غیبات من تقدمه من حجج اللّه تعالی ذکره، إنّ وجه الحکمه فی ذلک لا ینکشف إلاّ بعد ظهوره، کما لا ینکشف وجه الحکمه لما أتاه الخضر علیه السّلام من خرق السفینه و قتل الغلام و إقامه الجدار لموسی علیه السّلام إلاّ وقت افتراقهما، یا بن الفضل إن هذا الأمر أمر من أمر اللّه، و سر من سر اللّه، و غیب من غیب اللّه، و متی علمنا أنه عز و جل حکیم صدقنا بأن أفعاله کلها حکمه و إن کان وجهها غیر منکشف لنا» .

و فیه عن الاحتجاج الکلینی عن إسحاق بن یعقوب أنه ورد علیه من الناحیه المقدسه علی ید محمد بن عثمان: «و أما علّه ما وقع من الغیبه، فإن اللّه عز و جل یقول: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَسْئَلُوا عَنْ أَشْیٰاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ (۲)إنه لم یکن أحد من آبائی إلاّ وقعت فی عنقه بیعه لطاغیه زمانه، و إنی أخرج حین أخرج و لا بیعه لأحد من الطواغیت فی عنقی، و أما وجه الانتفاع بی فی غیبتی فکالانتفاع بالشمس إذا

۱- ۱) الانشقاق:۱۹.

۲- ۲) المائده:۱۰۱.

غیّبها عن الأبصار السحاب، و إنی لأمان لأهل الأرض کما أنّ النجوم أمان لأهل السماء. فاغلقوا أبواب السؤال عما لا یعنیکم، و لا تتکلّفوا علی ما قد کفیتم، و أکثروا الدعاء بتعجیل الفرج، فإن ذلک فرجکم، و السلام علیک یا إسحاق بن یعقوب و علی من اتّبع الهدی» .

و فیه عن إکمال الدین عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت له: ما بال أمیر المؤمنین علیه السّلام لم یقاتل مخالفیه فی الأول؟ قال: «لآیه من کتاب اللّه عز و جل: لَوْ تَزَیَّلُوا لَعَذَّبْنَا اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ عَذٰاباً أَلِیماً (1)، قال: قلت: و ما معنی بتزایلهم؟ قال: ودائع مؤمنون فی أصلاب قوم کافرین، فکذلک القائم (عج) لن یظهر أبدا حتی یخرج ودائع اللّه عز و جل، فإذا خرجت ظهر علی من ظهر من أعداء اللّه عز و جل جلاله فقتلهم» . و الذی یستفاد من هذه الأحادیث و أمثالها أمور: منها: أن الغیبه لتخلیص المؤمنین بمعنی أنه کثیر من یدعی الإیمان به علیه السّلام مع أنه فی واقع الأمر لیس بمؤمن له، فإذا طالت الغیبه ظهر ما فی قلبه من الإنکار له، و هذا بخلاف ما کان خالص الإیمان به علیه السّلام فإنه لا یرتاب لطول الغیبه، بل یزداد یقینا، و هؤلاء الذین لا تضرّهم غیبته علیه السّلام بهم کما تقدم

من قوله علیه السّلام فی حدیث محمد بن النعمان المتقدم: «و قد علم أنّ أولیاءه لا یرتابون و لو علم أنهم یرتابون ما أفقدهم حجته طرفه عین» . و کیف کان فالغیبه امتحان منه تعالی للشیعه و للمؤمنین حتی لا یبقی إلّا الخالص له علیه السّلام. و لعمری إن قیامه لما کان للحق و إحقاقه لم یکن لیصل علیه السّلام إلیه إلاّ بمعونه من کان خالص الإیمان و إلّا لخانه کما لا یخفی فالغیبه إنما هی للتخلیص.

ص: ۴۴

۱- ۱) الفتح:۲۵.

ففی البحار ج ۵۲ ص ۱۱۱، عن إکمال الـدین بإسـناده عن منصور، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّـلام «یا منصور إنّ هذا الأمر لا یأتیکم إلّا بعد إیاس، لا و اللّه حتی تمیّزوا لا و اللّه حتی تمحّصوا، لا و اللّه حتی یشقی من یشقی و یسعد من یسعد» .

و فیه (۱)عن غیبه الشیخ بإسـناده عن علی بن جعفر، عن أخیه موسی بن جعفر علیه السّلام قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع من الأئمه فاللّه اللّه فی أدیانکم لا یزیلنکم عنها أحـد، یا بنی إنه لا بـد لصاحب هـذا الأمر من غیبه، حتی یرجع عن هذا الأمر من کان یقول به، إنما هی محنه من اللّه امتحن بها خلقه» .

و فیه (۲)عنه روی عن جـابر الجعفی قال: قلت لأبی جعفر علیه السّـلام: متی یکون فرجکم؟ فقال: هیهات هیهات لا یکون فرجنا حتی تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا یقولها ثلاثا حتی یذهب الکدر و یبقی الصفو» .

و فیه عن غیبه النعمانی بإسـناده عن صـفوان بن یحیی قال: قال أبو الحسن الرضا علیه السّـلام: «و اللّه ما یکون ما تمدّون أعینکم إلیه حتی تمحّصوا و تمیّزوا حتی لا یبقی منکم إلّا الأندر فالأندر» .

و فیه عنه بإسـناده عن عمیره بنت نفیل قالت: سـمعت الحسن بن علی علیه السّـلام یقول: «لا یکون الأمر الذی ینتظرون حتی یبرأ بعضکم من بعض، و یتفل بعضکم فی وجوه بعض، و حتی یلعن بعضکم بعضا، و حتی یسمی بعضکم بعضا کذّابین» .

و فیه عنه عن سـلیمان بن صالـح رفعه إلی أبی جعفر الباقر علیه السّـلام قال: «قال لی إنّ حـدیثکم هـذا لتشـمئزّ منه القلوب قلوب الرجال، فانبـذوا إلیهم نبذا فمن أقرّ به فزیدوه، فمن أنکره فذروه، إنه لا بد من أن تکون فتنه یسـقط فیها کل بطانه و ولیجه حتی یسقط فیها من یشقّ الشعره بشعرتین حتی لا یبقی إلّا نحن و شیعتنا» .

و فیه عنه عن أبی بصیر قال: قال أبو جعفر محمد بن علی الباقر علیه السّلام «إنما مثل

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۱۱۳.
۲- ۲) البحار ج ۵۲ ص ۱۱۳.

شیعتنا مثل أندر، یعنی به بیتا فیه طعام فأصابه آکل فنقّی ثمّ أصابه آکل فنقّی حتی بقی منه ما لا یضرّه الآکل، و کذلک شیعتنا یمیّزون و یمحّصون حتی یبقی منهم عصابه لا تضرها الفتنه» . أقول: قد صرحت هذه الأحادیث بأن الغیبه لامتحان الشیعه و تلخیصهم حتی لا یبقی إلاّ القلیل ممن خلص کما صرّح به

فیما رواه عنه، عن معمر بن خلاّد قال: سمعت أبا الحسن علیه السّلام یقول:

الم. أَ حَسِبَ اَلنّٰاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ یُفْتَنُونَ

(۱)

. ثم قال لی: «ما الفتنه؟ فقلت: جعلت فداک الذی عندنا أنّ الفتنه فی الدین. ثم قال: یفتنون کما یفتن الذهب. ثم قال: یخلصون کما یخلّص الذهب، و علامه الخلوص و التخلیص ما ذکره علیه السّلام من قوله: حتی یبقی منهم عصابه لا تضرّها الفتنه، فمن علم و وجد و رأی فی قلبه أنه لا یرتاب فی حجه اللّه و لا فی وجوده و لا فی ظهوره لکثره الفتنه، و تخالف الأقوال و ارتداد الکثیر عن هذا الأمر، و طول الغیبه، بل هو علی یقین من ربه تعالی و من نبیّه و من الأئمه علیهم السّلام فیما قالوا فی حق الحجه (عج) فهو من الأندر، فهو من الشیعه الخلّص، کالذهب الخالص، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله الطاهرین» . و تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام: «وضع اللّه یده. . .» ما فیه بیان معنوی لعله الغیبه و هی تکمیل النفوس لکی تقبل المعارف و الحق. و علی ما تقدم أن العله أیضا هو التزایل أی ودائع مؤمنون فی أصلاب قوم کافرین، و إنما یلزم ذلک لکی یخلص المؤمنون، و لا یعارضهم المنافقون، و من فی قلبه شکّ أو شرک، هذا و قد علمت تصریح

الصادق علیه السّلام فیما تقدم من قوله: «فإنه تمتدّ أیام غیبته لیصرح الحقّ عن محضه، و یصفو الإیمان من الکدر. . . إلخ» فإنه یشیر

۱- ۱) العنکبوت:۱-۲.

بقوله: «ليصرح. . .» إلى أن الغيبه لتطهير القلوب حتى إذا صرح الحق عن محضه قبلته القلوب و ذلك لصفاء إيمانهم بحيث لا يبقى فيه غشّ، كلّ ذلك يكون بالغيبه كما لا يخفى، فإن فيها يمتحنون و يفتنون بالنوائب الشديده و بما ذكر حتى يصفو الإيمان فيمكن حينئذ ظهور الحق بمحضه. و لعمرى إن الحجه (عج) لما كان قيامه لأجل الحق المحض، فلا محاله لا بد من أصحاب طاهرين ممحّصين و مخلصين للإيمان، و إلّا لما أمكنه عليه السّلام إقامه الدين الحق بهم كما لا يخفى. و منه أى من كونه عليه السّلام يظهر لإظهار محض الحق يعلم وجه كونه عليه السّلام إذا ظهر لم يكن لأحد فى عنقه بيعه، كيف و لو كان كآبائه عليهم السّلام الذين كانت فى أعناقهم بيعه لطاغيه زمانهم كما تقدم لما أمكنه القيام بمحض الحق، إذ لو كان مثل آبائه عليهم السّلام عليه البيعه للطاغين لما أمكنه إقامه الحق بمحضه كما لا يخفى. فهذا بعض الإشاره إلى حكمه الغيبه، و أما بيان وجهها كما هو حقّه فلا يكون إلّا بعد ظهوره عليه السّلام كما صرح به فى الحديث السابق، و اللّه العالم بحقائق الأمر و بأحوال أوليائه عليه السّلام.

الأمر الخامس: فى بيان قوله عليه السّلام: «و يردّكم فى أيامه، و يظهركم لعدله، و يمكّنكم فى أرضه» .

أقول:

قوله

«حتى يحيى اللّه دينه بكم»

، يشير إلى قيام الحجه (عج) المتعقّب بالرجعه، و تقدم الكلام فيها مفصلا، إلّا أنّ قوله: «و يردّكم. . . إلخ» يشير إلى أمور ثلاثه: الأول: إلى أنّ أيام اللّه هى أيام ظهورهم. و الثانى: أنّ العدل إنما هو بظهورهم. و الثالث: أنهم عليهم السّلام إنما يتمكنون فى الأرض فى الرجعه. أما الأول: فقد تقدم أنّ أيام اللّه ثلاثه: يوم القائم، و يوم الكرّه أى الرجعه و يوم

القیامه. و فی بعض الأحادیث بدل الکره یوم الموت فاکتفی بیوم القائم عن یوم الکره، و علی أی حال فیوم اللّه ما فیه ظهور دینه و جلاله و عظمته و حکومته، فالحجه و الأئمه علیهم السّلام لما کان قیامهم لأجل إقامه الدین و اللّه تعالی یؤیدهم بنصره بالنحو المتقدم ذکره، فلا محاله کان یومهم یوم بروز الدین و جلاله و مالکیّته و عظمته، و یوم خذلان أعدائه، و منه یعلم وجه کون یوم القیامه و یوم الموت یوم اللّه تعالی، لأنه فی یوم الموت لا قدره للعبد و إن کان ذا مکنه، بل یوم ظهور قدرته تعالی،

ففی الدعاء:

«سبحان من قهر عباده بالموت و الفناء، فیوم الموت یوم قهره و غلبته علی العبد» .

و أما یوم القیامه فمعلوم أنه یوم فیه ظهور قدرته و مالکیّته و ملکه و سلطنته تعالی کما لا یخفی، و لا یبعد أن یقال: إنّ کلّ یوم یکون للعبد فیه ظهور عظمته تعالی و رحمته و جلاله و جماله، بحیث لا یری العبد لنفسه شیئا من ذلک، بل یری الکلّ منه تعالی بحیث یصل إلی کمال التوحید الذاتی و الصفاتی و الأفعالی أو إلی بعض مراتبها فی کل منها، فهو یوم اللّه تعالی بالنسبه إلی هذا العبد. و أما الثانی: أعنی ظهور العدل بهم فقد تقدم مرارا من

قولهم علیهم السّلام: «فیملأ الأرض قسطا و عدلا کما ملئت ظلما و جورا» . و تقدم الحدیث

عن الکافی عن أبی جعفر علیه السّلام قوله: «و لو قد قام العدل لرأیتم کیف یصنع فی ذلک» ، فقد عبّر عنه علیه السّلام بالعدل مبالغه لأن قیامه لا یکون إلاّ بالعدل فی جمیع شئونه کیف لا و هو الحق الحقیق و القائم به؟ !

و فی البحار (1)، عن الإرشاد روی علی بن عقبه عن أبیه قال: «إذا قام القائم حکم بالعدل و ارتفع فی أیامه الجور، و أمنت به السبل، و أخرجت الأرض برکاتها، و ردّ کلّ حقّ إلی أهله، و لم یبق أهل دین حتی یظهروا الإسلام و یعترفوا بالإیمان،

۱- ۱) البحار ج ۵۲ ص ۳۳۸.

أ ما سمعت اللّه سبحانه يقول: وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (۱)و حكم بين الناس بحكم داود و حكم محمد صلّى اللّه عليه و آله فحينئذ تظهر الأرض كنوزها، و تبدى بركاتها، و لا يجد الرجل منكم يومئذ موضعا لصدقته و لا لبرّه لشمول الغنى جميع المؤمنين. ثم قال: إنّ دولتنا آخر الدول، و لم يبق أهل بيت لهم دوله إلاّ ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا، إذا ملكنا سرنا بمثل سيره هؤلاء، و هو قول اللّه تعالى: وَ اَلْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۲)» .

و فيه عن غيبه النعمانى بإسناده عن جابر قال: دخل رجل على أبى جعفر الباقر عليه السّلام فقال له: عافاك اللّه، اقبض منى هذه الخمسمائه درهم، فإنها زكاه مالى، فقال له أبو جعفر عليه السّلام: «خذها أنت فضعها فى جيرانك من أهل الإسلام، و المساكين من إخوانك المسلمين. ثم قال: إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسّويه، و عدل فى الرعيه، فمن أطاعه فقد أطاع اللّه، و من عصاه فقد عصى اللّه، و إنما سمى المهدى لأنه يهدى إلى أمر خفى، و يستخرج التوراه و ساير كتب اللّه عز و جل من غار بأنطاكيه، و يحكم بين أهل التوراه بالتوراه، و بين أهل الإنجيل بالإنجيل، و بين أهل الزبور بالزبور، و بين أهل القرآن بالقرآن، و يجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض و ظهرها فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، و سفكتم فيه الدماء الحرام، و ركبتم فيه ما حرّم اللّه عز و جل، فيعطى شيئا لم يعطه أحد كان قبله، و يملأ الأرض عدلا و قسطا و نورا، كما ملئت ظلما و جورا و شرّا» .
أقول: مقتضى قيامه عليه السّلام بالحق هو حكمه فى الناس و مشيه فيهم بالعدل، و لذا يحكم بحكم داود كما صرح به فى كثير من الأخبار.

۱- ۱) آل عمران:۸۳.

۲- ۲) الأعراف:۱۲۸.

ففی البحار عن بصائر الدرجات و عن الکافی أیضا بالإسناد عن حریز، قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «لن تذهب الأیام حتی یخرج رجل منا أهل البیت یحکم بحکم داود و آل داود، لا یسأل الناس بیّنه» .

و فیه عنه و عن الکافی عن أبان قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «لا یذهب الدنیا حتی یخرج رجل منی یحکم بحکومه آل داود، لا یسأل عن بیّنه یعطی کل نفس حکمها» . أقول: أی یحکم بعلمه الإلهی، و ذلک أن ظهور الحق بیده یقتضی إجراء الأحکام علی الحق و علی ما هو واقع فی نفسه موضوعا و حکما لا علی الظاهر، کما هو الآن، لأننا فعلا نحکم و یحکم فینا بالأیمان و البیّنه

لقوله صلّی اللّه علیه و آله المشهور «إنما أحکم بینکم بالأیمان و البیّنه» . و أما الثالث أعنی: تمکّنهم فی الأرض، فهو إشاره إلی ظهور ملکهم و ظهور الحق و الدین علی أیدیهم، و تسلّطهم فی الأرض علی الکل بحیث لا یبقی فیه غیر الحق و لا أهل الباطل.

ففی البحار (۱)، عن غیبه النعمانی بإسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله عز و جل: وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی اَلْأَرْضِ کَمَا اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ اَلَّذِی اِرْتَضیٰ لَهُمْ وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً یَعْبُدُونَنِی لاٰ یُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً (۲)قال: «القائم و أصحابه» . أقول: و هذا وعد منه تعالی لهم علیهم السّلام و لا یکاد یترک وعده و لا یخلفه.

ففیه عن کنز، قوله تعالی: یُرِیدُونَ لِیُطْفِؤُا نُورَ اَللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ (۳)تأویله قال

ص:۵۰

۱- ۱) البحار ج ۵۱ ص ۵۸.

۲- ۲) النور:۵۵.

۳- ۳) الصّف:۸.

محمد بن العباس، عن علی بن عبد اللّه بن حاتم، عن إسماعیل بن إسحاق عن یحیی بن هاشم، عن أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام أنه قال: «لو ترکتم هذا الأمر ما ترکه اللّه» . فدلّ هذا الحدیث علی أنه تعالی یستخلف أولیاءه فی الأرض و یمکنهم لا محاله، و لا یکون هذا إلّا لا قامه الدین و الحقّ، و لا یکون هذا أیضا إلّا بهم علیهم السّلام.

ففیه (۱)عن تفسیر علی بن إبراهیم، فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله: اَلَّذِینَ إِنْ مَکَّنّٰاهُمْ فِی اَلْأَرْضِ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰهَ وَ آتَوُا اَلزَّکٰاهَ (۲)«فهذه لآل محمد صلّی اللّه علیه و آله إلی آخر الأئمه و المهدی و أصحابه یملّکهم اللّه مشارق الأرض و مغاربها، و یظهر به الدین و یمیت اللّه به و بأصحابه البدع و الباطل کما أمات السفهاء الحق حتی لا یری أین الظلم و یأمرون بالمعروف و ینهون عن المنکر» . أقول: و تقدم وجه التقیید فی الأرض فی باب الرجعه، فراجع. بقی هنا شیء لا بأس بذکره و هو بیان وجه تسمیه المهدی (روحی فداه) بالقائم أو قائم آل محمد (علیه و علیهم السلام) فنقول:

ففی البحار عن العلل بإسناده عمن ذکره عن الثمالی قال: سألت الباقر علیه السّلام یا بن رسول اللّه أ لستم کلّکم قائمین بالحق؟ قال: «بلی قلت: فلم سمّی القائم قائما؟ قال: لما قتل جدی الحسین (صلی اللّه علیه) ضجّت الملائکه إلی اللّه عز و جل بالبکاء و النحیب و قالوا: إلهنا و سیّدنا أ تغفل عمن قتل صفوتک و خیرتک من خلقک؟ ! فأوحی اللّه عز و جل إلیهم قرّوا ملائکتی فو عزّتی و جلالی لأنتقمنّ منهم و لو بعد حین، ثمّ کشف اللّه عز و جل عن الأئمه من ولد الحسین علیه السّلام للملائکه فسرت الملائکه بذلک فإذا أحدهم قائم یصلی فقال اللّه عز و جل: بذلک القائم أنتقم منهم» .

و فیه عن معانی الأخبار: سمّی القائم (عج) قائما، لأنه یقوم بعد موته ذکره .

۱- ۱) البحار ج ۵۱ ص ۴۷.

۲- ۲) الحج:۱.

أقول: أى بعد موت ذكره.

و فيه عن إكمال الدين بإسناده عن الصقر بن دلف، قال: سمعت أبا جعفر محمد ابن على الرضا عليه السّلام يقول: «إن الإمام بعدى ابنى على أمره أمرى، و قوله قولى، و طاعته طاعتى، و الإمامه بعده فى ابنه الحسن أمره أمر أبيه، و قوله قول أبيه، و طاعته طاعه أبيه، ثم سكت فقلت له: يا بن رسول اللّه فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى عليه السّلام بكاء شديدا. ثم قال: إنّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر، فقلت له: يا بن رسول اللّه و لم سمّى القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره، و ارتداد أكثر القائلين بإمامته، فقلت له: و لم سمى المنتظر؟ قال: لأنّ له غيبه تكثر أيامها و يطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون، و ينكره المرتابون، و يستهزئ بذكره الجاحدون، و يكثر فيها الوقّاتون، و يهلك فيها المستعجلون، و ينجو فيها المسلّمون» . أقول: لعله بالتشديد كما لا يخفى.

و فيه عن غيبه الشيخ بإسناده عن أبى سعيد الخراسانى قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام المهدى و القائم واحد؟ فقال: «نعم، فقلت: لأى شىء سمى المهدى؟ قال: لأنه يهدى إلى كل أمر خفى، و سمى القائم لأنه يقوم بعد ما يموت أنه يقوم بأمر عظيم» . أقول: قوله: «بعد ما يموت» ، أى ذكره أو يزعم الناس موته لا موته عليه السّلام و قول الراوى: المهدى و القائم واحد؟ يسأل أنهما اسمان لرجلين أو لواحد، فقال عليه السّلام لواحد.

و فيه عن الإرشاد روى محمد بن عجلان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إذا قام القائم (عج) دعا الناس إلى الإسلام جديدا، و هداهم إلى أمر قد دثر و ضلّ عنه الجمهور، و إنما سمى القائم مهديا، لأنه يهدى إلى أمر مضلول عنه و سمى القائم لقيامه بالحق» .

أقول: قال بعض الأكابر فی شرحه علی أحادیث أصول الکافی (۱): و إنما سمی بالقائم، لأنه موجود بنحو من الوجود لا یزیل و لا یمرض و لا یهرم و لا یدثر بتغییرات الأمور و لا یحلّه-و لا یحلّله-صروف الدهور، و لا یعتریه الموت و الهلاک بتأثیر حرکات الکواکب و الأفلاک، بل إنما یحیی-الآن-و یموت-لوقته-حسب إراده اللّه تعالی و مشیّته من غیر تسبّب أسباب، و توسّط علل، و استعدادات مواد و مع ذلک لیس جوهر روحه علیه السّلام مفارق عن الجسد، بل یأکل و یشرب و یتکلّم و یتحرّک و یسکن و یمشی و یجلس و یکتب کما دلّ علیه ما

فی کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الحدیث المشهور الذی نقلته الثقات من روایه کمیل بن زیاد النخعی من قوله علیه السّلام «صحبوا الدنیا بأبدان أرواحها معلّقه بالملإ الأعلی، أولئک خلفاء اللّه فی أرضه و الدعاه إلی دینه» ، و ذلک بعد أن قال بأسطر قبل هذا: «بلی لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجه ظاهر مشهور أو مستتر مغمور، لئلا یبطل حجج اللّه» و بالجمله کیفیه حیاته علیه السّلام و بقائه علیه السّلام فی الأرض ککیفیه حیاه عیسی و بقائه فی السماء، و من أنکر وجود المهدی (عج) الآن، أو استبعد طول حیاته هذا القدر، فذلک لقصور علمه و ضعف إیمانه و قلّه معرفته بکیفیه ذلک. أقول: هذا الوجه الذی ذکره یناسب لبیان عله حیاته علیه السّلام بالعله الإلهیه و السر المعنوی و قد حقق فی محله، و لعلّ منه یستفاد أنه علیه السّلام قائم بالأمر أی بأمر الدین فی زمان الغیبه بوجوده و حیاته. و أما وجه تسمیته علیه السّلام بالقائم الوصفی فإنما هو ما ذکرته الأخبار من أنه علیه السّلام سمی به لقیامه بالحق أو لقیامه بالصلوه فعبّر عند اللّه تعالی بالقائم کما فی حدیث الثمالی المتقدم، فبقی هذا الاسم له علیه السّلام أو لقیامه بعد ذکر موته، و کیف کان فقد ظهر وجه تسمیته بالقائم (روحی له الفداء) .

۱- ۱) أصول الکافی ص ۱۱۰.

بقی هنا شیء و هو أنه استقرّت سیره الإمامیه الاثنی عشریه (رضوان اللّه تعالی علیهم) علی القیام عند ذکر اسمه أو القائم خصوصا عند ذکره بالقائم (عج) فالوجه فیه مضافا إلی ما فیه من التعظیم و الاحترام المطلوب فی کل مقام

ما حکاه فی مکیال المکارم (۱)، عن بعض الأعلام فی النجم الثاقب عن السید عبد اللّه سبط السید نعمه اللّه الجزائری رحمه اللّه أنه وجد فی بعض الروایات أنه ذکر الصاحب علیه السّلام یوما فی مجلس الصادق علیه السّلام فقام علیه السّلام تعظیما و احتراما لاسمه الشریف. أقول: و هذا یکفی فی استحبابه، بل قد یقال بوجوبه فیما إذا قام الجمیع فحینئذ لا یجوز لأحد القعود حینئذ عند ذکره علیه السّلام لأنه هتک و توهین له علیه السّلام و لا شکّ فی حرمته و هذا نظیر حرمه الصلوه عند قیام الجماعه فرادی إذا انتزع منه القدح لعداله الإمام کما لا یخفی. أقول: و یمکن أن یکون الوجه فیه أنّ المنتظر له علیه السّلام و الذی یقول: «و نصرتی لکم معده» أنه إذا سمع اسمه الشریف و لقبه القائم (عج) المشار به إلی قیامه بالحق عن جدّ و اجتهاد فهو أیضا یقوم قیاما إظهارا لأنه معدّ و حاضر لنصرته علیه السّلام و یجعل قیامه هذا علامه لقیامه عند قیامه علیه السّلام و أنه یتّبعه و یکون من أعوانه و أنصاره، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: فمعکم معکم لا مع عدوّکم، آمنت بکم، و تولّیت آخرکم بما تولّیت به أوّلکم.

[۶۳]أقول: «فمعکم. . . إلخ»

تفریع علی الجمل السابقه، من

قوله: «مؤمن بسرکم. . . إلخ» فمعناه إنه لما أقرّ بها، فلا محاله هو معهم لا مع عدوهم، لأن أعداءهم غیر معتقدین بهذه الأمور، فلا محاله یستلزم الکون معهم أن لا یکون مع عدوهم، علی

ص: ۵۴

۱- ۱) مکیال المکارم ج ۲ ص ۱۷۲.

أنّ المعيّه معهم ملازم لمحبّتهم، و هو يلازم أن لا يكون مع عدوّهم، كما تقدم، ثمّ إنه ليس المراد من المعيّه الزمانيه أو المكانيه، بل المراد منها المعنويه، و هى الحاصله من الإقرار بتلك الجمل السابقه و الاعتقاد بها، كما لا يخفى، مضافا إلى أنّ المعيّه معهم هو المأمور بها من اللّه تعالى.

ففى البحار (۱)، و روى جابر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أو عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله: كُونُوا مَعَ اَلصّادِقِينَ ، قال: «مع آل محمد عليهم السّلام» .

و فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن بريد العجلى، قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه تعالى: يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّهَ وَ كُونُوا مَعَ اَلصّادِقِينَ (۲)، قال: «إيانا عنى» .

و فيه عن أحمد بن محمد قال: سألت الرضا عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّهَ وَ كُونُوا مَعَ اَلصّادِقِينَ ، قال: «الصادقون الأئمه الصديقون بطاعتهم» . أقول:

قوله: «الصديقون بطاعتهم» ، فيه إشاره إلى أن طاعتهم عليهم السّلام للّه تعالى فى جميع الأمور دليل على كونهم الصادقين، كما لا يخفى، و مثله أخبار كثيره. و على أى حال

فقوله : «فمعكم» أى بالقلب و اللسان، ثم إنه ربما يراد من الجمله الدعاء و الإنشاء، أى جعلنى اللّه معكم، و حينئذ يصحّ تفسيره بأنى معكم فى الدنيا و الآخره، أو يراد منه إنى معكم فى الرجعه بنصرتكم و الانتقام من أعدائكم لا مع عدوّكم مع مخالفته لكم و مع عداوتى لهم، فلا يمكن أن أكون معهم، كما لا يخفى. ثم إنه ظهر مما ذكر أن

قوله: «لا مع عدوكم» ، للإشاره إلى أنه لا يمكن الكون مع عدوّكم ممن كان معكم، فلا يكون تأكيدا و إن كان محتملا أيضا.

و قوله عليه السّلام: «آمنت بكم و تولّيت آخركم بما تولّيت به أولكم»

اشاره

، أى لا أفرق

ص: ۵۵

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۳۱.

۲- ۲) التوبه:۱۱۹.

بینکم فی الموالاه بین أولکم و هو علی بن أبی طالب علیه السّلام و بین آخرکم و هو الحجه (روحی له الفداء) ، أو المراد من أولکم و آخرکم هو کلّهم، فإن کل واحد منهم آخر بالنسبه إلی سابقه، و کیف کان فالمراد منه أمران:

الأول: أن موالاتی لجمیعکم علی نحو سواء.

و الثانی أنی أعتقد بوجود الحجه (عج) و أنه کأمیر المؤمنین علیه السّلام فی وجوب موالاته. و إلی الأول یشیر ما

فی البحار (۱)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن أبی بصیر قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا أبا محمد کلّنا یجری فی الطاعه و الأمر مجری واحد و بعضنا أعلم من بعض» .

و فیه عن المحتضر عن زید الشحام قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام أیّما أفضل، الحسن أم الحسین؟ فقال: «إنّ فضل أولنا یلحق بفضل آخرنا، و فضل آخرنا یلحق بفضل أولنا و کل له فضل، قال: قلت له: جعلت فداک وسّع علیّ فی الجواب فإنی و اللّه ما سألتک إلّا مرتادا (۲)، فقال: نحن من شجره طیبه برأنا اللّه من طینه واحده، فضلنا من اللّه، و علمنا من عند اللّه، و نحن أمناؤه علی خلقه، و الدعاه إلی دینه، و الحجاب فیما بینه و بین خلقه. أزید یا زید؟ قلت: نعم، فقال: خلقنا واحد و علمنا واحد، و فضلنا واحد و کلّنا واحد عند اللّه تعالی، فقال (قلت: فأخبرنی) (۳): أخبرنی بعدّتکم، فقال: نحن اثنا عشر هکذا حول عرش ربنا عز و جل فی مبتدإ خلقنا، أولنا محمد و أوسطنا محمد و آخرنا محمد» . أقول: قد تقدم مثله الأحادیث مع معناها فراجعه.

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۳۵۷.

۲- ۲) مرتادا: طالبا أی طالبا لمعرفتکم.

۳- ۳) فی المصدر: قلت فأخبرنی بعدّتکم، فقال: اثنا عشر.

و أما الثانی: أی الاعتقاد بوجود الحجه (عج)

فهو أمر ثابت بالأدلّه القطعیّه، و قد تقدم بیانه

و دلّت علیه أحادیث من الفریقین عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: «لا یزال أمر الدین قائما ما ولیّهم اثنا عشر خلیفه کلّهم من قریش» ،

و أنه صلّی اللّه علیه و آله قال: «من مات و لم یعرف إمام زمانه مات میته جاهلیه» ، فمن لم یعرف إمام زمانه فی هذا الزمان مات میته جاهلیه أی علی الکفر، و من العجب من العامه أنهم یروون هذه الأحادیث و مع ذلک ذهب بعضهم إلی أنه علیه السّلام غیر موجود الآن، إلّا أنه یوجد و یخرج، فکأنهم یستبعدون وجوده علیه السّلام إلی هذه المده الطویله مع أنهم قائلون بوجود الخضر علیه السّلام و الیاس و غیرهما. و کیف کان قیل: إنّ العامه لهم ثلاثه أقوال: الأول: هو ما قالته الشیعه من أنه تعالی بقدرته و حکمته قد أطال عمره الشریف کما أطال عمر الخضر و إلیاس و علی بن عثمان بن أبی الدنیا، و أنه فی زمن علی علیه السّلام و إلی الآن هو موجود، و أنه لا یموت إلّا عند النفخ فی الصور، لأنه شرب من عین الحیوه کما نقل عن الصدوق فی کتابه إکمال الدین، و القائل منهم بهذا القول الصحیح قلیل. و الثانی: أن القائم علیه السّلام هو عیسی بن مریم و نقلوا علیه روایات و فسّروا قوله تعالی: وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ إِلاّٰ لَیُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ قالوا: إنّ ضمیر به و موته یعود إلی عیسی علیه السّلام و أنه هو المنتظر. و الثالث: أنه مهدی العباسی من بنی العباس و أنه الآن لم یوجد و لا بد أن یوجد، و لکن الحق الذی لا ستره علیه کما حقق فی محله هو قول الشیعه، کما لا یخفی، و القولان الآخران مردودان فی محله. و کیف کان

فقوله: «و تولّیت آخرکم» ، إشاره إلی أنی آمنت بوجود المهدی (عج) و ببقائه، و أنه حی إلی أن یخرج طالت الأزمنه أو قصرت، فیملأ الأرض قسطا و عدلا کما ملئت ظلما و جورا، و الکلام فی قول الحق من الشیعه مذکوره فی

الکتب المبسوطه لهذا البحث نحو إکمال الدین و أمثاله و من أراد فلیراجعها. [@@]

قوله علیه السّلام: و برئت إلی اللّه عز و جل من أعدائکم و من الجبت و الطاغوت

اشاره

... و الشیاطین و حزبهم الظالمین لکم، و الجاحدین لحقّکم، و المارقین من ولایتکم، و الغاصبین لارثکم، و الشاکّین فیکم، و المنحرفین عنکم، و من کلّ ولیجه دونکم، و کلّ مطاع سواکم و من الأئمه الذین یدعون إلی النار.

أقول: الکلام فی شرح هذه الجمل یقع فی أمور:

الأمر الأول: قوله: «و برئت» عطف علی «آمنت بکم و تولّیت. . . إلخ»

بلحاظ أن الإقرار بالجمل السابقه من

قوله: «مؤمن بسرکم. . . إلخ» کما یقتضی أن یکون معهم لا مع عدوهم، و أن یؤمن بجمیعهم و یوالیهم، کذلک یقتضی البراءه من أعدائهم، بل الإیمان بهم لا یتمّ إلاّ بالبراءه من أعدائهم و هما توأمان، أی التولی بهم و التبری من أعدائهم، و لا یمکن الانفکاک بینهما بأن یتولّیهم و یؤمن بهم و لا یتبرّأ من أعدائهم.

ففی البحار (۱)، عن السرائر من کتاب انس العالم للصفوانی، قال: روی أنّ رجلا قدم علی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: یا أمیر المؤمنین انی أحبّک و أحب فلانا و سمی بعض أعدائه، فقال علیه السّلام: «أما الآن فأنت أعور، فإما أن تعمی و إما أن تبصر» .

و قیل للصادق علیه السّلام: إنّ فلانا یوالیکم إلاّ أنه یضعف عن البراءه من عدوّکم فقال: «هیهات کذب من ادعی محبتنا و لم یتبرأ من عدونا، کذب من ادعی ولایتنا و لم یتبرأ من أعدائنا» . ثم قال الصفوانی: (و اعلم أنه لا تتم الولایه و لا تخلص المحبه و لا تثبت الموده لآل محمد صلّی اللّه علیه و آله إلاّ بالبراءه من عدوهم قریبا کان أو بعیدا فلا تأخذک به رأفه، فإن اللّه عز و جل یقول: لاٰ تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ یُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللّٰهَ

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۵۸.

وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ

(۱)

. أقول: قوله رحمه اللّه: قريبا كان أو بعيدا يدل عليه ما

فی البحار (۲)، عن تفسیر الإمام علیه السّلام و معانی الأخبار و عیون أخبار الرضا علیه السّلام و علل الشرایع المفّسر بإسناده إلی أبی محمد العسکری عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لبعض أصحابه ذات یوم: «یا عبد اللّه أحب فی اللّه و أبغض فی اللّه، و وال فی اللّه، و عاد فی اللّه، فإنه لا تنال ولایه اللّه إلاّ بذلک، و لا یجد رجل طعم الإیمان و إن کثرت صلوته و صیامه حتی یکون کذلک، و قد صارت مؤاخاه الناس یومکم هذا أکثرها فی الدنیا، علیها یتوادّون، و علیها یتباغضون، و ذلک لا یغنی عنهم من اللّه شیئا فقال له: و کیف لی أن أعلم أنی قد والیت و عادیت فی اللّه عز و جل؟ و من ولی اللّه عز و جل حتی أوالیه؟ و من عدوه حتی أعادیه؟ فأشار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی علی علیه السّلام فقال: أ تری هذا؟ فقال: بلی، قال: ولیّ هذا ولی اللّه فواله، و عدوّ هذا عدو اللّه فعاده، قال: وال ولیّ هذا و لو أنه قاتل أبیک و ولدک، و عاد عدوّ هذا و لو أنه أبوک أو ولدک» . و مما یدل علی أن الولایه لهم و البراءه من أعدائهم واجبه ما فیه

عن الخصال (۳)فی خبر الأعمش عن الصادق علیه السّلام قال: «حبّ أولیاء اللّه واجب، و الولایه لهم واجبه، و البراءه من أعدائهم واجبه و من الذین ظلموا آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و هتکوا حجابه و أخذوا من فاطمه علیها السّلام فدک و منعوها میراثها و غصبوها و زوجها حقوقهما، و همّوا بإحراق بیتها و أسسوا الظلم، و غیروا سنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و البراءه من الناکثین و القاسطین و المارقین واجبه، و البراءه من أشقی الأولین و الآخرین شقیق عاقر ناقه ثمود قاتل أمیر المؤمنین علیه السّلام واجبه، و البراءه من جمیع قتله أهل البیت علیهم السّلام واجبه.

۱- ۱) المجادله:۲۲.

۲- ۲) البحار ج ۲۰ ص ۵۴.

۳- ۳) البحار ج ۲۷ ص ۵۲.

و الولايه للمؤمنين الـذين لم يغيّروا و لم يبـدّلوا بعد نبيهم صـلّى اللّه عليه و آله واجبه، مثل سـلمان الفارسـى و أبى ذر الغفارى و المقداد بن الأسود الكندى و عمار بن ياسر و جابر بن عبد اللّه الأنصارى و عبد اللّه بن الصامت و عباده بن الصامت و خزيمه بن ثـابت ذى الشـهادتين و أبى سـعيد الخـدرى، و من نحـا نحوهم و فعل مثل فعلهم، و الولايه لأتباعهم و المقتـدين بهم و بهـداهم واجبه» .

و فيه (۱)عن المحاسن بإسـناده عن عمر بن مـدرك أبى على الطائى قال: قال أبو عبـد اللّه عليه السّـلام «أى عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: اللّه و رسوله أعلم، فقال: قولوا فقالوا: يا بن رسول اللّه الصـلوه، فقال: إنّ للصـلوه فضلا و لكن ليس بالصلوه، قالوا: الزكاه، قـال: إنّ للزكاه فضـلا و ليس بالزكاه، قالوا: صوم شـهر رمضان، فقال: إنّ لرمضان فضـلا و ليس برمضان، قالوا: فالحـجّ و العمره، قـال: إنّ للحـجّ و العمره فضـلا و ليس بالحـجّ و العمره، قـالوا: فالجهـاد فى سبيل اللّه، قال: إنّ للجهاد فى سبيل اللّه فضـلا و ليس بالجهـاد، قـالوا: فاللّه و رسوله أعلم، فقال: قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله: إنّ أوثق عرى الإيمان الحبّ فى اللّه و البغض فى اللّه و توالى ولى اللّه و تعادى عدو اللّه» . أقول: فظهر أن البراءه هى الأساس كالولايه و لا يفترقان فكلّ منهما لازم للآخر، كما لا يخفى.

الأمر الثانى: قوله عليه السّلام: «و من الجبت و الطاغوت» .

أقول: لا بد من ذكر الأحاديث ثمّ بيان المراد منها، فنقول:

فى البحار (۲)، عن تفسير العياشـى: عن أبى حمزه الثمالى قال: قال أبو جعفر عليه السّـلام: «يا أبا حمزه إنما يعبـد اللّه من عرف اللّه، و أما من لا يعرف اللّه كأنما يعبـد غيره هكـذا ضالاّ، قلت: أصـلحك اللّه و ما معرفه اللّه؟ قال: يصـدق اللّه و يصدق محمدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى موالاه على و الائتمام به و بأئمه الهدى من بعده، و البراءه إلى اللّه من

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۵۶.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۵۷.

عدوهم، و كذلك عرفان اللّه. قال: قلت: أصلحك اللّه أى شىء إذا عملته أنا استكملت حقيقه الإيمان؟ قال توالى أولياء اللّه و تعادى أعداء اللّه و تكون مع الصادقين كما أمرك اللّه، قال: قلت: و من أولياء اللّه؟ فقال: أولياء اللّه محمد رسول اللّه و على و الحسن و الحسين و على بن الحسين ثم انتهى الأمر إلينا ثم ابنى جعفر، و أومأ إلى جعفر و هو جالس، فمن والى هؤلاء فقد والى أولياء اللّه و كان مع الصادقين كما أمره اللّه، قلت: و من أعداء اللّه أصلحك اللّه؟ قال: الأوثان الأربعه، قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل و رمع و نعثل و معاويه و من دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء اللّه» . أقول: المراد من «أبو الفصيل» الأول، و من «رمع» الثانى، و من «نعثل» الثالث.

و فيه عن تفسير العياشى: عن سعدان عن رجل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله: إِنْ تُبْدُوا مٰا فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اَللّٰهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ (١)، قال: «حقيق على اللّه أن لا يدخل الجنه من كان فى قلبه مثقال حبّه من خردل من حبهما» . أقول: أى الأول و الثانى، و المراد من «فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ» ، الشيعه كما فسّرته الأحاديث.

و فى تفسير البرهان (٢): محمد بن الحسن الصفّار عن يعقوب بن يزيد، عن محمد ابن أبى عمير، عن ابن أذينه، عن بريد العجلى عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ اَلْكِتٰابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ اَلطّٰاغُوتِ (٣)«فلان و فلان وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلاٰءِ أَهْدىٰ أئمه الضلال و الدعاه إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد و أوليائهم مِنَ اَلَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً.

١- ١) البقره:٢٨۴.

٢- ٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٣٧۶ حديث ١٢.

٣- ٣) النساء:۵١-۵٢.

أولٰئِکَ اَلَّذِینَ لَعَنَهُمُ اَللّهُ وَ مَنْ یَلْعَنِ اَللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِیراً. أَمْ لَهُمْ نَصِیبٌ مِنَ اَلْمُلْکِ یعنی الخلافه و الإمامه فَإِذاً لاٰ یُؤْتُونَ اَلنّٰاسَ نَقِیراً نحن الناس الذین عنی اللّه» . فقد فسّر الجبت و الطاغوت فی هذه الآیه بالأول و الثانی، کما لا یخفی. فحینئذ معنی

قوله: «و من الجبت. و الطاغوت» ، أی برئت إلی اللّه من الأول و الثانی. ثم إنه کما تجب البراءه من الجبت و الطاغوت، کذلک یحرم الرجوع إلیهما و إلی من کان حاکما عنهما فی أی زمن کان، فالرجوع فی إحقاق الحق إلی حکام الجور حرام شرعا.

ففی تفسیر البرهان (۱)، عن تهذیب الشیخ: بإسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «أیما رجل کان بینه و بین أخیه منازعه (مماراه خ) فدعاه إلی رجل من أصحابه یحکم بینهما، فأبی إلاّ أن یرافعه إلی هؤلاء، کان بمنزله من قال اللّه تعالی عنهم: أَ لَمْ تَرَ إِلَی اَلَّذِینَ یَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ یُرِیدُونَ أَنْ یَتَحٰاکَمُوا إِلَی اَلطّٰاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ یَکْفُرُوا بِهِ (۲)الآیه و فی حدیث، إلی السلطان بدل إلی هؤلاء، و فی حدیث آخر، إلی حکّام أهل الجور لیقضوا له.

الأمر الثالث: قوله: «و الشیاطین و حزبهم الظالمین لکم، . . .

و الجاحدین لحقکم و المارقین من ولایتکم، و الغاصبین لإرثکم، و الشاکین فیکم، و المنحرفین عنکم» .

أقول: اعلم أنه

قد وردت أخبار من الفریقین عنه صلّی اللّه علیه و آله و عن الأئمه، «إنّ الأمه ستفرق علی ثلاث و سبعین فرقه کلهم فی النار إلاّ الفرقه التی مع علی علیه السّلام» و هذه الأحادیث مما تواترت عنهم علیهم السّلام کما لا یخفی علی المتتبع.

و فی البحار عن العیاشی بإسناده عن أمیر المؤمنین علیه السّلام إنه قال: «و الذی نفسی

ص: ۶۲

۱- ۱) تفسیر البرهان ج ۱ ص ۳۸۷.

۲- ۲) النساء:۶۰.

بیده، لتفترقن هذه الأمه عن ثلاث و سبعین فرقه کلها فی النار إلّا فرقه و وَ مِمَّنْ خَلَقْنٰا أُمَّةٌ یَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ یَعْدِلُونَ (۱)فهذه التی تنجو» .

و روی عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام أنهما قالا: «نحن هم» . أقول: و هذه الجمل أعنی

قوله:

«و برئت إلی اللّه من أعدائکم. . . إلی قوله و کل مطاع سواکم و من الأئمه الذین یدعون إلی النار»

، یشیر إلی لزوم التبری من جمیع الفرق الضاله المضلّه التی لا تتولی علیا و الأئمه علیهم السّلام، فالتبری من أکابرهم و من متابعیهم و أحزابهم واجبه.

ففی تفسیر البرهان (۲)، فی قوله تعالی: وَ إِذٰا لَقُوا اَلَّذِینَ آمَنُوا قٰالُوا آمَنّٰا وَ إِذٰا خَلَوْا إِلیٰ شَیٰاطِینِهِمْ قٰالُوا إِنّٰا مَعَکُمْ إِنَّمٰا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (۳)، عن ابن شهرآشوب عن الباقر علیه السّلام «إنها نزلت فی ثلاثه لما قام النبی صلّی اللّه علیه و آله بالولایه لأمیر المؤمنین علیه السّلام أظهروا الإیمان و الرضا بذلک، فلما خلوا بأعداء أمیر المؤمنین علیه السّلام قالوا: إنا معکم إنما نحن مستهزئون» . أقول:

فقوله علیه السّلام: «إنها نزلت فی ثلاثه» ظاهر فی الأول و الثانی و الثالث، فحینئذ یراد من الشیاطین فی الآیه أعداء أمیر المؤمنین علیه السّلام کما لا یخفی فحینئذ

قوله علیه السّلام: «و الشیاطین. . .» یراد منه أعداء أمیر المؤمنین و رؤساء الکفّار، کما صرح به موفّق بن أحمد فی ذیل ما رواه فی تفسیر الآیه فی غایه المرام ص ۳۹۵

و قوله:

و حزبهم الظالمین ، یراد منه التابعین لرؤساء الکفر، و الظالمین لآل محمد صلّی اللّه علیه و آله التابعین لأئمه الضلال.

ففی البحار (۴)، عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام بالأسانید الثلاثه عن الرضا عن

۱- ۱) الأعراف:۸۱.

۲- ۲) تفسیر البرهان ج ۱ ص ۶۴.

۳- ۳) البقره:۱۴.

۴- ۴) البحار ج ۲۷ ص ۲۲۲.

آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «حرمت الجنه علی من ظلم أهل بیتی و علی من قاتلهم و علی المعین علیهم و علی من سبّهم أُولٰئِکَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ وَ لاٰ یُکَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ وَ لاٰ یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ وَ لاٰ یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ » .

و فیه (۱)عن کنز الفوائد: بإسناد الشیخ الطوسی (علیه الرحمه) عن الرضا عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «حرم اللّه الجنه علی ظالم أهل بیتی و قاتلهم و شانئهم و المعین علیهم، ثم تلا قوله: أُولٰئِکَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ. (۲)» . و کیف کان فقد تقدم لزوم البراءه من ظالمیهم علیهم السّلام

فقوله:

«و حزبهم الظالمین. . . إلی قوله: و الغاصبین لإرثکم»

ممن تجب البراءه منهم لما تقدم.

و فی غایه المرام (۳)، ابن بابویه بإسناده عن جابر بن عبد اللّه الأنصاری أنه قال: لقد سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «إنّ فی علی خصالا لو کانت واحده منها فی جمیع الناس لاکتفوا بها فضلا. . . إلی أن قال: و قوله علیه السّلام حزب علی حزب اللّه فحزب أعدائه حزب الشیطان» ، الحدیث.

و لما فی عیون أخبار الرضا علیه السّلام (۴)، ما کتبه الرضا علیه السّلام للمأمون فی محض الإسلام و شرایع الدین حدیث طویل و فی نسخه اختلاف یسیر و فیه «و البراءه من الذین ظلموا آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و همّوا بإخراجهم و سنّوا ظلمهم و غیّروا سنه نبیهم صلّی اللّه علیه و آله و البراءه من الناکثین و القاسطین و المارقین الذین هتکوا حجاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و نکثوا بیعه إمامهم و أخرجوا المرأه و حاربوا أمیر المؤمنین علیه السّلام و قتلوا الشیعه (رحمه اللّه علیهم) واجبه. . . إلی أن قال: و البراءه من الأنصاب (أقول: أی صنمی قریش) و الأزلام أئمه الضلاله و قاده الجور کلهم أولهم و آخرهم (أقول: أی

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۲۲۵.

۲- ۲) آل عمران:۷۷.

۳- ۳) غایه المرام ص ۹۱۱.

۴- ۴) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۲۱ باب ۳۵.

واجبه)»

و فى النسخ المحكيه قال عليه السّلام «و لا إيمان إلّا بالبراءه من الجبت و الطاغوت اللذين ظلما آل محمد حقهم و أخذا ميراثهم و أخذا خمسهم و غصبا فدك من فاطمه عليها السّلام و همّا بإحراق البيت و الصكّ (أى الباب) عليها و غيّرا سنه نبيهما. . . إلخ»

.

قوله عليه السّلام: «و البراءه من الناكثين و القاسطين و المارقين» ، الناكثون هم أصحاب الجمل، و القاسطون هم الذين حاربوا معه بصفّين، و المارقون الذين مرقوا عن الدين، هم الخوارج و هم الذين أمر عليه السّلام بقتالهم.

ففى عيون أخبار الرضا عليه السّلام (۱)، و بإسناده قال: قال على عليه السّلام: «أمرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين» .

و فى المحكى عن كفايه الطالب ص ۶۹، للكنجى عنه عليه السّلام: «إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمرنى بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين» و قصتهم مذكوره فى أحوال حروبه عليه السّلام.

و أما قوله عليه السّلام: «و الجاحدين لحقكم و المارقين من ولايتكم»

، فالجاحدون لحقهم يراد منه المنكرون لولايتهم رأسا و قد تقدم الكلام فيه فى شرح

قوله عليه السّلام

«و من جحدكم كافر»

، و المارقون عن ولايتهم، يراد منه الذين قبلوا ولايته عليه السّلام ثم مرقوا عنه أى خرجوا عنه و يمكن أن يراد منهم الخوارج كما تقدم.

و أما قوله: «و الغاصبين لإرثكم»

فيراد منه الذين غصبوا الزهراء عليها السّلام فدك التى نحلها لها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أشير إليه آنفا أنّ البراءه منهم واجبه.

و قوله: «و الشاكين فيكم»

يراد منه من شك فى ولايتهم فإنه أيضا كافر.

ففى البحار: و من كتاب البصائر عن ابن جبير عن ابن عباس أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: «المخالف لعلى بعدى كافر،

و الشـاكّ به مشـرك مغـادر، و المحبّ له مؤمن صادق، و المبغض له منافق، و المحارب له مارق، و الراد عليه زاهق، و المقتفی لأثره لاحق» .

و فی غایه المرام هنا زیاده و هی: «علی نور اللّه فی بلاده، و حجته علی عباده و سـیف اللّه علی أعدائه، و وارث علم أنبیائه، علی کلمه اللّه العلیا، و کلمه أعدائه

ص: ۶۵

۱- ۱) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۶۱.

السفلى، على سيد الأوصياء و وصى سيد الأنبياء، على أمير المؤمنين و قائد الغرّ المحجّلين و إمام المسلمين لا يقبل اللّه الإيمان إلّا بولايته و طاعته» .

و فيه عن أمالى ابن بابويه بإسناده عن حذيفه بن أسيد الغفارى، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «يا حذيفه إنّ حجه اللّه عليك بعدى على بن أبى طالب، الكفر به كفر باللّه، و الشرك به شرك باللّه، و الشكّ فيه شك فى اللّه، و الإلحاد فيه إلحاد فى اللّه، و الإنكار له إنكار للّه، و الإيمان به إيمان باللّه، لأنه أخو رسول اللّه و وصيّه و إمام أمته و مولاهم، و هو حبل اللّه المتين و عروته الوثقى التى لا انفصام لها، و سيهلك فيه اثنان و لا ذنب له، محبّ غال و مقصّر، يا حذيفه لا تفارقنّ عليا فتقارقنى، و لا تخالفن عليا فتخالفنى، إن عليا منى و أنا منه، من أسخطه فقد أسخطنى، و من أرضاه فقد أرضانى» .

و فيه عن أمالى المفيد بإسناده عن سالم بن أبى الجعد قال: سئل جابر بن عبد اللّه الأنصارى و قد سقط حاجباه على عينيه، فقيل له أخبرنا عن على بن أبى طالب فرفع حاجبيه بيديه. ثم قال: ذاك خير البريه لا يبغضه إلّا منافق و لا يشك فيه إلّا كافر، و مثله أحاديث أخر، فدلّت هذه الأحاديث على أن الشك فيه و فى الأئمه عليهم السّلام بدليل الاشتراك كفر باللّه تعالى، فلا بد من التبرى من الشاكين فيه.

و أما قوله عليه السّلام: «و المنحرفين»

، فعلله إشاره إلى الذين ثبت عندهم ولايه الأئمه، و أن الحق معهم و مع ذلك انحرفوا و مالوا إلى غيرهم، فهم كالشاكين حكما و موضوعا، فإن يكن ثبت الحق عنده فلا ينحرف عنه إلّا بشك و شبهه، ثم إن الشك فيهم و فى ولايتهم و الانحراف عنهم إنما يكون لضعف الإيمان بهم و المعصيه، و العمده هى هذه المعصيه فإنها ربما توجب الخروج عن ولايتهم أو الشك فيهم و الانحراف عنهم.

ص :۶۶

ففی البحار (۱)، عن علل الشرایع: عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «ما من عبد إلاّ و علیه أربعون جنّه حتی یعمل أربعین کبیره، فإذا عمل أربعین کبیره انکشف عنه الجنن، فتقول الملائکه من الحفظه الذین معه: یا ربنا هذا عبدک قد انکشفت عنه الجنن، فیوحی اللّه عز و جل إلیه أن استروا عبدی بأجنحتکم فتستره الملائکه بأجنحتها، فما یدع شیئا من القبیح إلاّ فارقه حتی یتمدّح إلی الناس بفعله القبیح، فتقول الملائکه: یا ربّ هذا عبدک ما یدع شیئا إلاّ رکبه، و إنا لنستحیی مما یصنع، فیوحی اللّه إلیهم أن أرفعوا أجنحتکم عنه، فإذا -فعل ذلک-أخذ فی بغضنا أهل البیت، فعند ذلک یهتک اللّه ستره فی السماء و یستره فی الأرض فتقول الملائکه: هذا عبدک قد بقی مهتوک الستر، فیوحی اللّه إلیهم: لو کان لی فیه حاجه ما أمرتکم أن ترفعوا أجنحتکم عنه» . أقول: المستفاد من الحدیث الشریف أنه تعالی یداری مع العبد العاصی کل المداراه، و العبد بسوء اختیاره و إصراره علی ارتکاب الکبائر یجعل نفسه معرضا لأن یرفع اللّه عنه الجنن الإلهیه، ثم إنه أیضا یصرّ فی المعصیه حتی یفتخر بها و هو معنی قوله حتی یتمدّح إلی الناس أی یجعل نفسه فی معرض أن یمدحه الناس من أهل المعاصی و یفتخر بهذا، فحینئذ یرفع اللّه عنه أجنحه الملائکه التی کانت تستره بها، ثمّ بعد هتک هذا الستر یأخذ فی بغض أهل البیت علیهم السّلام. ثم إن

قوله علیه السّلام: «فعند ذلک یهتک اللّه ستره فی السماء و یستره فی الأرض» ، یدل علی أنه تعالی لا یهتک ستر هذا العبد العاصی الکذائی فی الدنیا، بل ما کان فی الدنیا فهو مستور عنه، فإنه تعالی رزقه مبسوط لمن عصاه، و حلمه معترض لمن ناواه، عادته الإحسان إلی المسیئین و سبیله الإبقاء علی المعتدین، فسبحانه من رءوف ما أرحمه! و من ملک ما أعظمه و أجلّه! .

۱- ۱) البحار ج ۷۳ ص ۳۵۵.

رزقنا اللّه تعالی معرفته و محبته و رضاه و طاعته، و جنّبنا عن جمیع معاصیه، و مخالفه أولیائه محمد و آله الطاهرین بمحمد و آله الطاهرین. و لا ریب فی أنّ أخذه فی بغضهم علیهم السّلام یشعر بأنه لم یکن قبله کذلک، فبإصراره فی المعاصی صار کذلک، فإنه یشک أولا فیهم ثمّ ینحرف عنهم علیهم السّلام، ثم یأخذ فی بغضهم علیهم السّلام و هذا من أثر الذنوب-فالعیاذ باللّه من الذنوب و الإصرار علیها- الموجب لبغضهم علیهم السّلام و لقد رأینا فی زماننا من هؤلاء الذین کانوا من الشیعه، ثم لممارستهم مع الأشرار فی بلاد المسلمین و فی خارج بلادهم و إصرارهم علی المعاصی صاروا کذلک، أی أخذوا فی بغضهم علیهم السّلام، فعلی العاقل أن یحترز من الإصرار کی لا یرجع آخر أمره إلی هذا الأمر الشنیع. [@@]

و أما قوله علیه السّلام: «و کلّ ولیجه دونکم و کلّ مطاع سواکم» .

أقول: مضافا إلی أنّ الإیمان بهم بالنحو المتقدم یستلزم البراءه من غیرهم و من کل ولیجه دونهم و کل مطاع سواهم أنه بهذه البراءه یحصل الامتثال لقوله تعالی: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَکُوا وَ لَمّا یَعْلَمِ اَللّهُ اَلَّذِینَ جاهَدُوا مِنْکُمْ وَ لَمْ یَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اَللّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لاَ اَلْمُؤْمِنِینَ وَلِیجَةً وَ اَللّهُ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ الآیه (۱).

ففی البحار (۲)، عن الکافی بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَکُوا وَ لَمّا یَعْلَمِ اَللّهُ اَلَّذِینَ جاهَدُوا مِنْکُمْ وَ لَمْ یَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اَللّهِ وَ لاٰ رَسُولِهِ وَ لاَ اَلْمُؤْمِنِینَ وَلِیجَةً «یعنی بالمؤمنین الأئمه علیهم السّلام لم یتخذوا الولائج من دونهم» . أقول: ولیجه الرجل بطانته و دخلاؤه و خاصّته، و من یتخذه معتمدا علیه من غیر أهله، و الولیجه: کل شیء أدخلته فی شیء و لیس منه، و المراد من المؤمنین فی الآیه بصریح قوله علیه السّلام هم الأئمه علیهم السّلام مضافا إلی أنّ ظاهر الآیه تقتضی ذلک، فإن عطف المؤمنین فی قوله: «وَ لاَ اَلْمُؤْمِنِینَ» ، علی اللّه و رسوله و ضمّهم إلیهما یدل علی أن

۱- ۱) التوبه:۱۶.

۲- ۲) البحار ج ۲۴ ص ۲۴۴.

المراد بالوليجه من يتولى أمرا عظيما من أمور الـدين، و ليس الكامل فى الـدين القويم و المستحق لهـذا الأمر العظيم بعـد اللّه و رسوله إلاّـ الأـئمه عليهم السّـلام و إلاّـ فما عسـى أن يكون غيرهم وليجه بمثل كون اللّه و رسوله وليجه، بحيث به يكون علامه و موجبا للعلم بكون الإنسان مجاهدا فى سبيله غير ناظر إلى غير اللّه و غير رسوله. و الحاصل أن قوله: «و لم يتّخذوا» عطف على قوله: «جاهدوا» ، و حينئذ حاصل معنى الآيه: أَمْ حَسِبْتُمْ أنه تعالى يتركـكم بمجرد الإقرار الصورى بالإسلام مع أنه لم يتحقق منكم فى الخارج أمران: أحدهما: الجهاد فى سبيله فإنه علامه الإيمان الواقعى. و الثانى: عدم اتخاذكم وليجه من دون اللّه و دون رسوله و دون المؤمنين أى الأئمه عليهم السّلام، بل لا بد من جعل اللّه و رسوله و الأئمه عليهم السّلام وليجه و معتمدا عليه فى أمر التوحيد و الدين، ليعلم بهذا و يظهر خارجا أنّ من هو كذلك مجاهد و مؤمن حقيقى باللّه و برسوله و بالأئمه عليهم السّلام. و يشير إلى ما ذكر حاصلا للآيه من الأمرين

ما فيه (۱)عنه بإسناده قال أبو جعفر عليه السّلام: «لا تتخذوا من دون اللّه وليجه فلا تكونوا مؤمنين، فإنّ كل سبب و نسب و قرابه و وليجه و بدعه و شبهه منقطع مضمحلّ، كما يضمحلّ الغبار الذى يكون على الحجر الصلد إذا أصابه المطر الجود (۲)إلاّ ما أثبته القرآن» . أقول: دلّ هذا الحديث على أنّ الإيمان الحقيقى يتحقق بأخذ اللّه و رسوله و المؤمنين وليجه و معتمدا و مقصدا و مراما، فإن هذا هو الذى أثبته القرآن، و هذه الآيه و ما سواه من المذكورات

فى قوله عليه السّلام: «كل سبب. . . إلخ» ، فى ظرف اتخاذ غير اللّه وليجه لا يكون إيمانا و يكون مضمحلاّ و هباء كالغبار. و لعمرى إنّ الجهاد فى سبيل اللّه و عدم اتخاذ غيره و غير رسوله و غير الأئمه

ص:۶۹

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۳.

۲- ۲) المطر الجود بالفتح: المطر الغزير أو ما لا مطر فوقه.

وليجه قلبا، يلازم الإيمان الحقيقى الواقعى. و إليه يشير

ما فيه عن الكنز أو تفسير العياشى راجع الحاشيه فى هذه الصفحه من البحار (۱): عن أبى العباس عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: أتى رجل (أتى أعرابى) النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال: بايعنى يا رسول اللّه (بايعنى يا رسول اللّه على الإسلام) فقال: «على أن تقتل أباك، قال: فقبض الرجل يده، ثم قال: بايعنى يا رسول اللّه، قال: على أن تقتل أباك، فقال الرجل: نعم على أن أقتل أبى فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: الآن لن تتخذ (الآن لم تتخذ) من دون اللّه و لا رسوله و لا المؤمنين وليجه، إنا لا نأمرك أن تقتل والديك، و لكن نأمرك أن تكرمهما» . أقول: لا ريب فى أنّ الوالدين محبوبان للإنسان بداعى المحبّه الإنسانيه، و يعاضده العرف بحيث لا يشير أحد من العرف على قتلهما،

فقوله صلّى اللّه عليه و آله «على أن تقتل أباك» تقرير منه صلّى اللّه عليه و آله عن الرجل لإظهار عدم إطاعته لغير النبى إذا أمره بقتل والديه، فإن إقراره كذلك يدل على عدم أخذه من دون اللّه و رسوله و المؤمنين وليجه، فإن غيرهم من الناس و العرف لا يشيرون و لا يجيزون بقتلهما، فقبوله الإسلام على الشرط من أوضح علامات عدم اتخاذ الوليجه من دون اللّه و رسوله و المؤمنين، كما لا يخفى.

و فيه عن تفسير العياشى عن أبان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «يا معشر الأحداث اتقوا اللّه و لا تأتوا الرؤساء، دعوهم حتى يصيروا أذنابا، لا تتخذوا الرجال ولائج من دون اللّه، إنّا و اللّه إنّا و اللّه خير لكم منهم، ثم ضرب بيده إلى صدره» .

و فيه عنه: أبو الصباح الكنانى، قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «يا أبا الصباح إياكم و الولائج، فإن كل وليجه دوننا فهى طاغوت، أو قال: ندّ» .

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۲۴۵.

و فیه عنه عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله اللّه تعالی: اِتَّخَذُوا أَحْبٰارَهُمْ وَ رُهْبٰانَهُمْ أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اَللّٰهِ (۱)، قال: «أما و اللّه ما صاموا لهم و لا صلّوا، و لکنهم أحلّوا لهم حراما و حرّموا علیهم حلالا فاتبعوهم» .

و قال فی خبر آخر عنه: «و لکنهم أطاعوهم فی معصیه اللّه» .

و قال أبو بصیر: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «ما دعوهم إلی عباده أنفسهم، و لو دعوهم إلی عباده أنفسهم ما أجابوه، و لکنّهم أحلّوا لهم حلالا و حرّموا علیهم حراما فکانوا یعبدونهم من حیث لا یشعرون» . أقول:

قوله علیه السّلام: «و أحلّوا لهم حلالا» ، أی من عند أنفسهم و کذا المراد من حرّموا علیهم حراما، أی حرموا غیر ما حرمه اللّه، بل من عند أنفسهم.

و فیه عن تفسیر القمی فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی وَ لَمْ یَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ لاٰ رَسُولِهِ وَ لاَ اَلْمُؤْمِنِینَ وَلِیجَةً (۲)«یعنی بالمؤمنین آل محمد، و الولیجه: البطانه» . أقول: تقدم معنی الولیجه، و لکن فی المحکی عن الطبرسی رحمه اللّه ولیجه الرجل: من یختصّ بدخله أمره دون الناس، ثم قال: أی بطانه و ولیّا یوالونهم و یفشون إلیهم أسرارهم. أقول: فی المجمع:

قوله: «لا تتخذوا بطانه من دونکم» ، أی دخلا من غیرکم، و بطانه الرجل دخلاؤه و أهل سرّه ممن یسکن إلیهم و یثق بمودّتهم، شبّه ببطانه الثوب کما شبّه الأنصار بالشعار و الناس بالدثار. . . إلی أن قال:

و فی حدیث غیبه القائم (عج) : لا بد من أن تکون فتنه، یسقط فیها کل بطانه و ولیجه، البطانه: السریره و الصاحب، و الولیجه: الدخیله و خاصّتک من الناس.» فی حدیث أبی الجارود قوله: و الولیجه: البطانه، إن کان من کلام الإمام علیه السّلام

ص: ۷۱

۱- ۱) التوبه:۳۱.

۲- ۲) التوبه:۱۶.

معناه: لا تتخذوا من دون هؤلاء من تسكن إليه نفوسكم فی أمر الدين بحيث تعتمدون إليه فی السر، و تجعلون سريرتكم تابعه لهم سرّا، بل المؤمن ينبغی بمقتضی إيمانه أن يسكن قلبا و سرّا إلی اللّه و رسوله و الأئمه عليهم السّلام دون غيرهم، و كيف كان فلا بد للمؤمن الحقيقی من التبری عن كل وليجه دون محمد و آله الطاهرين. فحاصل معناه أنی لا أتخذ من غيركم من أعتمد عليه فی دينی و ساير أموری، و أبرأ من كل من أدخلوه معكم أی مع الأئمه عليهم السّلام فی الإمامه و الخلافه من أئمه الجور، الذين ليسوا منهم و ليسوا ممن جعلهم أئمه يهدون بأمره امتثالا للآيه الكريمه.

و قوله: «و كلّ مطاع سواكم»

كأنه عطف تفسيری للجمله السابقه، أی أبرأ من كل وليجه و مطاع سواكم. و كيف كان فالآيات و الأحاديث متظافره علی لزوم إطاعه اللّه تعالی و الرسول صلّی اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام دون غيرهم، بل لا بد من التبری من كلّ مطاع سواهم.

ففی البحار (۱)، عن محاسن البرقی بإسناده عن بشير الدّهان قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله: «من مات و هو لا يعرف إمامه مات ميته جاهليه» فعليكم بالطاعه، قد رأيتم أصحاب علی، و أنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهاله (بجهالته) لنا كرائم القرآن، و نحن أقوام افترض اللّه طاعتنا، و لنا الأنفال، و لنا صفو المال» .

و فيه عن معانی الأخبار، بإسناده عن سليم بن قيس الهلالی عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قلت له: ما أدنی ما يكون به الرجل ضالّا؟ قال: «أن لا يعرف من أمر اللّه بطاعته، و فرض ولايته، و جعله حجه فی أرضه، و شاهده علی خلقه قلت: فمن هم يا أمير المؤمنين؟ فقال الذين قرنهم اللّه بنفسه و نبيّه فقال: يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۷۶.

آمَنُوا أَطِيعُوا اَللّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ

(۱)

، قال: فقبّلت رأسه و قلت: أوضحت لی، و فرّجت عنی، و أذهبت کلّ شک کان فی قلبی» .

و فیه (۲)عن ثواب الأعمال: بإسناده عن أبی سعید الخدری قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذات یوم جالسا و عنده نفر من أصحابه فیهم علی بن أبی طالب علیه السّلام إذ قال: «(من قال: لا إله إلاّ اللّه دخل الجنه) فقال رجلان من أصحابه: فنحن نقول: لا إله إلاّ اللّه، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إنما تقبل شهاده أن لا إله إلاّ اللّه من هذا و شیعته الذین أخذ ربنا میثاقهم، فقال الرجلان: فنحن نقول: لا إله إلاّ اللّه، فوضع رسول اللّه یده علی رأس علی علیه السّلام، ثمّ قال: علامه ذلک أن لا تحلاّ عقده، و لا تجلسا مجلسه، و لا تکذّبا حدیثه» . أقول: الرجلان، هما الأول و الثانی، کما لا یخفی.

و فی البحار (۳)، عن بصائر الدرجات: محمد بن عیسی عن رجل، عن هشام بن الحکم، قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: أَمْ یَحْسُدُونَ اَلنّاسَ عَلی مٰا آتٰاهُمُ اَللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَیْنٰا آلَ إِبْرٰاهِیمَ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ آتَیْنٰاهُمْ مُلْکاً عَظِیماً (۴)ما ذلک الملک العظیم؟ قال: «فرض الطاعه و من ذلک طاعه جهنم لهم یوم القیامه یا هشام» .

و فیه عنه عن برید العجلی عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه تبارک و تعالی: فَقَدْ آتَیْنٰا آلَ إِبْرٰاهِیمَ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ آتَیْنٰاهُمْ مُلْکاً عَظِیماً «فجعلنا منهم الرسل و الأنبیاء و الأئمه، فکیف یقرّون فی آل إبراهیم و ینکرون فی آل محمد صلّی اللّه علیه و آله؟ قلت: فما معنی قوله: وَ آتَیْنٰاهُمْ مُلْکاً عَظِیماً ؟ قال: الملک العظیم أن جعل فیهم أئمه من أطاعهم أطاع اللّه، و من عصاهم عصی اللّه، فهو الملک العظیم» ، و الأخبار المفسره الملک العظیم بالطاعه المفروضه کثیره.

۱- ۱) النساء:۵۹.

۲- ۲) البحار ج ۲۳ ص ۸۴.

۳- ۳) البحار ج ۲۳ ص ۲۸۷.

۴- ۴) النساء:۵۴.

و فيه (۱)عن تفسير العياشى: عن حكيم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام جعلت فداک أخبرنى من أولى الأمر الذين أمر اللّه بطاعتهم؟ فقال لى: «أولئک على بن أبى طالب و الحسن و الحسين و على بن الحسين و محمد بن على و جعفر: إنا فاحمدوا اللّه الذى عرّفكم أئمتكم و قادتكم حين جحدهم الناس» .

و فيه عنه عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأنبياء و رضا الرحمن الطاعه للإمام (و باب الأشياء و رضا الرحمن طاعه للإمام) بعد معرفته، ثم قال: إن اللّه يقول: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ وَ مَنْ تَوَلّٰى فَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (۲)أما لو أنّ رجلا قام ليله و صام نهاره و تصدق بجميع ماله، و حج جميع دهره و لم يعرف ولايه ولى اللّه فيواليه، و يكون جميع أعماله بدلاله منه إليه ما كان له على اللّه حق فى ثوابه، و لا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئک المحسن منهم يدخله اللّه الجنه بفضله و رحمته» .

و فيه (۳)عن تفسير الفرات: عبيد بن كثير معنعنا أنه سأل جعفر بن محمد معنعنا عن أبى جعفر عليه السّلام) عن قول اللّه تعالى: أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ ، قال: «أولى الفقه و العلم، قلنا: أ خاصّ أم عام؟ قال: بل خاصّ لنا» . أقول: لما فسر عليه السّلام أولى الأمر

بقوله : «أولى الفقه و العلم» توهمه الراوى أنه يراد منه العام و كل من كان كذلک من غيرهم، و لذا سأل

و قال عليه السّلام: «بل خاصّ لنا» ، و العجب من أقوام يرضون بتسميتهم بذلک و أنه يشملهم، راجع تفسير العامه. و كيف كان فهذه الأحاديث دلّت على وجوب طاعتهم عليهم السّلام كطاعه اللّه و الرسول صلّى اللّه عليه و آله فالإيمان بهم حقيقه يقتضى التبرى من كل مطاع سواهم بحيث يكون فى عرضهم و فى رتبتهم، بأن يجعل غيرهم إماما يأتّم به فى الاعتقادات و الأعمال،

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۲۹۳.

۲- ۲) النساء:۸۰.

۳- ۳) البحار ج ۲۳ ص ۲۹۸.

فإن الائتمام بهم فيهما يوجب الـدخول فى النار، إما لأجل العقايـد الباطله المأخوذه منهم، و إما لأجل تلك الأعمال التى عملوها متابعه لهم، فإنها تكون نارا فى القيامه يعذّبون بها يقال لأهل الحشـر جميعهم محسنهم و مسيئهم إنما هى أعمالكم تردّ إليكم، لا الإطاعه لمن يقول بقولهم فإنه إطاعه لهم عليهم السّلام كما لا يخفى.

و قوله عليه السّلام: «و من الأئمه الذين يدعون إلى النار» .

يشير إلى التبرى من رؤساء الكفّار و رؤساء الضالّين و المضلّين و الرؤساء الـذين غصبوا حق محمد و آله الطاهرين من أئمه الجور و الضلال.

ففى البحار عن تفسير القمى و بصائر الدرجات و الاختصاص بإسنادهم عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السّلام قال: «الأئمه فى كتاب اللّه إمامان (إمام عدل و إمام جور) قال اللّه: وَ جَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا . (١)وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا (٢)لا بأمر النـاس، يقـدّمون أمر اللّه قبل أمرهم و حكم اللّه قبل حكمهم، قال: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى اَلنّٰارِ (٣)يقدمون أمرهم قبل أمر اللّه، و حكمهم قبل حكم اللّه، و يأخذون بأهوائهم خلافا لما فى كتاب اللّه» .

و فيه عن البصائر: عن أبى بصـير عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: سمعته يقول: «إنّ الدنيا لا تكون إلاّ و فيها إمامان: برّ و فاجر، فالبرّ الذى قال اللّه تعالى: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا و أما الفاجر فالذى قال اللّه تعالى: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى اَلنّٰارِ وَ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ لاٰ يُنْصَرُونَ » .

و فيه عنه عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قال: «لا يصـلح الناس إلاّ إمام عادل و إمام فاجر، إن اللّه عز و جل يقول: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا و قال: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى اَلنّٰارِ » .

١- ١) السجده:٢۴.

٢- ٢) الأنبياء:٧٣.

٣- ٣) القصص:۴١.

و فيه (۱)عن كنز الفوائد بإسناده عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «نزلت هذه الآيه فى ولد فاطمه خاصّه: وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ » .

و فى المحكى عن الكافى بإسناده إلى جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «لمّا نزلت هذه الآيه: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ (۲)قال المسلمون يا رسول اللّه، أ لست بإمام المسلمين كلّهم أجمعين؟ قال: فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أنا رسول اللّه إلى الناس أجمعين، و لكن سيكون من بعدى أئمه على الناس من اللّه من أهل بيتى يقومون فى الناس، فيكذّبون و يظلمهم أئمه الكفر و الضلال و أشياعهم، فمن والاهم و اتّبعهم و صدّقهم فهو منى و معى و سيلقانى، ألا و من ظلمهم و كذّبهم، فليس منى و لا معى و أنا منه برىء» . أقول: فهذه الأحاديث دلّت على أن الإمام إمامان: إمام يهدى بأمر اللّه و هم الأئمه من ولد فاطمه عليها السّلام و إمام يدعو إلى النار، و هم أئمه الجور، أئمه الفجّار.

ففيه (۳)عن بصائر الدرجات: بإسناده عن على عليه السّلام قال: «الأئمه من قريش، أبرارها أئمه أبرارها، و فجارها أئمه فجارها، ثم تلا هذه الآيه: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى اَلنّارِ وَ يَوْمَ اَلْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ . أقول: و يدلّ على أن الأئمه من ولد فاطمه عليها السّلام هم المراد من قوله تعالى: وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا .

ما رواه فيه عن الكافى بإسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (۴)«قال: هم الأئمه (صلوات اللّه عليهم)» .

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۱۵۸.

۲- ۲) الإسراء:۷۱.

۳- ۳) البحار ج ۲۴ ص ۱۵۷.

۴- ۴) الأعراف:۱۸۱.

و ما رواه فيه (۱)عن کنز الفوائد بإسناده عن أبی حمزه عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا قال أبو جعفر علیه السّلام: «یعنی الأئمه من ولد فاطمه، یوحی إلیهم بالروح فی صدورهم» . أقول:

قوله: «یوحی إلیهم بالروح فی صدورهم» ، یراد منه ما تقدم فی تفسیر قوله تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (۲)من أن هذا الروح خلق أعظم من جبرئیل و میکائیل و أنه لفینا، أی أنّ هذا الروح معهم و فیهم و عندهم، و أنه ما صعد منذ نزل، و یکون علمهم علیهم السّلام من هذا الروح، و به علموا ما دون العرش إلی ما تحت الثری. و قد تقدم شرحه، فلا یراد من

قوله علیه السّلام: «یوحی إلیهم» ، أنه یوحی إلیهم کما یوحی إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله لاختصاص الوحی به صلّی اللّه علیه و آله کما لا یخفی. و کیف کان فالإیمان الحقیقی أیضا یقتضی التبری من الأئمه الذین یدعون إلی النار، کما صرح به القرآن و بیّنه الأئمه علیهم السّلام من أنهم أئمه الجور و الضلال. رزقنا اللّه البراءه منهم فی الدنیا و الآخره بمحمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: فثبّتنی اللّه أبدا ما حییت علی موالاتکم و محبتکم و دینکم، و وفّقنی لطاعتکم.

اشاره

أقول: الکلام هنا فی أمور:

الأول: فی قوله: «فثبّتنی اللّه أبدا ما حییت علی موالاتکم» .

اشاره

الجمله دعائیه، فالزائر بعد ما أقرّ بإیمانه بهم، و بالتبری من أعدائهم و مخالفیهم، الذی هو أصل الإیمان و الدین و الإسلام، سأل اللّه تعالی أن یجعله من الثابتین فی ذلک، و هذا یحتمل معنیین:

المعنی الأول:

أنه إشاره إلی قوله تعالی: وَ هُوَ اَلَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَهٍ

ص: ۷۷

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۱۵۸.

۲- ۲) الشوری:۵۲.

فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ

(۱)

.

ففی المحکی عن تفسیر العیاشی عن الباقر علیه السّلام أنه قال لأبی بصیر حین سأله عن هذه الآیه: «ما یقول أهل بلدک الذی أنت فیه؟ قال: یقولون مستقرّ فی الرحم و مستودع فی الصلب، فقال: کذبوا، المستقر من استقر الإیمان فی قلبه فلا تنزع منه أبدا، و المستودع الذی یستودع الإیمان زمانا ثمّ یسلبه و قد کان الزبیر منهم» .

و فی الوافی عن الکافی: عن أبی الحسن علیه السّلام: «إن اللّه خلق النبیین علی النبوه فلا یکونون إلاّ أنبیاء، و خلق المؤمنین علی الإیمان فلا یکونون إلاّ مؤمنین، و أعار قوما إیمانا فإن شاء تممه لهم و إن شاء سلبهم إیاه، قال: و فیهم جرت: فمستقر و مستودع، و قال لی: إنّ فلانا کان مستودعا إیمانه، فلمّا کذب علینا سلب إیمانه ذلک» .

و فیه عنه بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن العبد یصبح مؤمنا و یمسی کافرا، و یصبح کافرا و یمسی مؤمنا، و قوم یعارون الإیمان ثمّ یسلبونه و یسمّون المعارین، ثم قال: فلان منهم» . أقول:

فقوله:

«فثبّتنی اللّه. . .»

دعاء لأن یجعله اللّه تعالی من الذین کان إیمانهم مستقرّا لا مستودعا.

و فی المحکی (۲)عن الکافی عن أبی الحسن علیه السّلام قال: «أکثر أن تقول: اللهم لا تجعلنی من المعارین، و لا تخرجنی من التقصیر قال: قلت: أما المعارون فقد عرفت أن الرجل یعار الدین ثم یخرج منه، فما معنی لا تخرجنی من التقصیر؟ فقال: کل عمل ترید به اللّه عز و جل فکن فیه مقصّرا عند نفسک، فإن الناس کلهم فی أعمالهم فیما بینهم و بین اللّه مقصّرون إلاّ من عصمه اللّه عز و جل» . أقول: و علامه المستقرّ و المستودع هو ما ذکره الصادق علیه السّلام.

ففی الوافی عن الکافی: بإسناده عن المفضل الجعفی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام:

۱- ۱) الأنعام:۹۸.

۲- ۲) الشموس الطالعه ص ۴۴۹.

«إن الحسره و الندامه و الويل كله لمن لم ينتفع بما أبصره، و لم يدر ما الأمر الذى هو عليه مقيم، أنفع هو أم ضرّ؟ قلت: فيم يعرف الناجى من هؤلاء جعلت فداك؟ قال: من كان فعله لقوله موافقا، فأثبت له الشهاده بالنجاه، و من لم يكن فعله لقوله موافقا، فإنما هو مستودع» . أقول:

قوله عليه السّلام: «فأثبت له الشهاده بالنجاه» ، يشير إلى أنّ من كان فعله موافقا لقوله فهو من الذين يكون إيمانهم مستقرّا، بخلاف من لم يكن كذلك فإنه مستودع. و كيف كان فالزائر يسأل اللّه تعالى أن يجعله من الذين يكون إيمانهم مستقرا لا مستودعا.

المعنى الثانى:

أن يكون إشاره إلى قوله تعالى: يُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ اَلثّٰابِتِ فِى اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا وَ فِى اَلْآخِرَهِ (۱).

ففى تفسير نور الثقلين (۲)، عن كتاب من لا يحضره الفقيه: و قال الصادق عليه السّلام: «إن الشيطان ليأتى الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه و عن شماله، ليضلّه عما هو عليه، فيأبى اللّه عز و جل له ذلك، و ذلك قول اللّه عز و جل: يُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ اَلثّٰابِتِ فِى اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا وَ فِى اَلْآخِرَهِ (۳)» .

و فيه عن تفسير العياشى: عن زراره و حمران و محمد بن مسلم، عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليه السّلام قالا: «إذا وضع الرجل فى قبره أتاه ملكان، ملك عن يمينه و ملك عن يساره، و أقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس، فيقال: ما تقول فى هذا الرجل الذى خرج بين ظهرانيّكم يزعم أنه رسول اللّه؟ فيفزع لذلك فزعه و يقول إن كان مؤمنا: محمد صلّى اللّه عليه و آله رسول اللّه، فيقال له عند ذلك: نم نومه لا حلم فيها، و يفسح له فى

۱- ۱) إبراهيم:۲۷.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۵۴۱.

۳- ۳) إبراهيم:۲۷.

قبره تسعه أذرع و یری مقعده من الجنه، و هو قول اللّه: یُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ اَلثّٰابِتِ و إن کان کافرا قالوا: من هذا الرجل الذی کان بین ظهرانیکم یقول إنه رسول اللّه؟ فیقول: ما أدری، فیخلی بینه و بین الشیطان» . و مثلهما أحادیث أخر کثیره،

فقوله:

«فثبتنی اللّه أبدا ما حییت. . . إلخ»

دعاء منه لأن یکون بواسطه موالاتهم و محبّتهم و دینهم، من الذین قال اللّه تعالی «فیهم یُثَبِّتُ اَللّٰهُ. . .» الآیه.

الثانی: قوله: «علی موالاتکم»

اشاره

، أی الثبات علی موالاتهم، أی ولایتهم التی هی ولایه اللّه تعالی کما تقدم، کیف لا یسأل من اللّه تعالی ذلک مع أنه یسأل عنها یوم القیامه.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن کتاب الاحتجاج للطبرسی رحمه اللّه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام حدیث طویل یقول فیه علیه السّلام: «و ألزمهم الحجه بأن خاطبهم خطابا یدل علی انفراده و توحیده، و بأن لهم أولیاء تجری أفعالهم و أحکامهم مجری فعله، فهم العباد المکرمون، و هم النعیم الذی یسأل عنه، إن اللّه تبارک و تعالی أنعم بهم علی من اتبعهم من أولیائهم، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من حلّ محلّه من أصفیاء اللّه، الذین قال: فَأَیْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّٰهِ (۲)الذین قرنهم اللّه بنفسه و برسوله، و فرض علی العباد من طاعتهم مثل الذی فرض علیهم منها لنفسه» .

و فی البحار (۳)، عن أمالی الصدوق بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «ولایتی و ولایه أهل بیتی أمان براءه من النار» .

و فیه عنه عن أبی قدامه الفدّانی قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من منّ اللّه علیه

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۶۶۳.

۲- ۲) البقره:۱۱۵.

۳- ۳) البحار ج ۲۷ ص ۸۸.

بمعرفه أهل بيتى و ولايتهم فقد جمع اللّه له الخير كله» .

و فيه عنه بإسناده عن أبى بصير قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام: «من أقام فرائض اللّه، و اجتنب محارم اللّه، و أحسن الولايه لأهل بيت نبى اللّه، و تبرّأ من أعداء اللّه عز و جل، فليدخل من أى أبواب الجنه الثمانيه شاء» .

و فى تفسير نور الثقلين عن مجمع البيان: و روى العياشى بإسناده فى حديث طويل قال: سأل أبو حنيفه أبا عبد اللّه عليه السّلام عن هذه الآيه ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ فقال له: «ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام و الماء البارد، فقال: لئن أوقفك اللّه يوم القيامه بين يديه حتى يسألك عن كل أكله أكلتها أو شربه شربتها، ليطولن وقوفك بين يديه قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: نحن أهل البيت النعيم الذى أنعم اللّه بنا على العباد، و بنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، و بنا ألّف اللّه بين قلوبهم و جعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداء، و بنا هداهم اللّه بالإسلام، و هو النعمه التى لا تنقطع، و اللّه سائلهم عن حق النعيم الذى أنعم به عليهم و هو النبى و عترته» . أقول: إنما بيّن عليه السّلام هذه النعمه و آثارها و حقها و هذا البيان الشافى ردعا لأبى حنيفه حيث إنه كان منكرا لفضائلهم، و كان يرى نفسه إماما للأمه، و لكنه ما ارتدع من كلامه عليه السّلام و ارتبك و بقى فى غيّه و ضلالته. و قد روى فى أخبارنا أنّ النعيم ولايه على بن أبى طالب عليه السّلام و الأئمه الأطهار عليهم السّلام

فقوله:

«ثبّتنى اللّه على موالاتكم. . .»

طلب منه تعالى بقاء هذه النعمه العظمى و ثباته عليها لما يسأل عنه يوم القيامه، فهو

كما ورد عن تهذيب الأحكام فى الدعاء بعد صلوه الغدير المسند إلى الصادق عليه السّلام:

«اللهم و كما كان من شأنك يا صادق الوعد، يا من لا يخلف الميعاد، يا من هو كل يوم فى شأن، أن أنعمت علينا بموالاه أوليائك المسئول عنها عبادك، فإنك قلت و قولك الحق ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ

عَنِ اَلنَّعِيمِ

(۱)

، و قلت: وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (۲)» . أقول: و هنا كلام و حاصله أن هذه الأحاديث و نظائرها دلّت على أنّ النعيم المسئول عنه هو ولايتهم و حقهم عليهم السّلام لا سائر النعم، بل ورد التوبيخ على من فسّره بنعيم الدنيا.

ففيه عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام بإسناده إلى إبراهيم بن عباس الصوفى الكاتب قال: كنّا يوما بين يدى على بن موسى الرضا عليه السّلام فقال: «ليس فى الدنيا نعيم حقيقى، فقال له بعض الفقهاء ممن يحضره: فيقول اللّه عز و جل: لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ أما هذا النعيم فى الدنيا و هو الماء البارد. فقال له الرضا عليه السّلام و علا صوته: كذا فسرتموه أنتم و جعلتموه على ضروب، فقالت طائفه: هو الماء البارد، و قال غيرهم: هو الطعام الطيب، و قال آخرون: هو طيب النوم، و لقد حدثنى أبى عن أبيه أبى عبد اللّه عليه السّلام: أن أقوالكم هذه ذكرت عنده فى قول اللّه عز و جل: لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ فغضب و قال: إن اللّه عز و جل لا يسأل عباده عما تفضّل عليهم به و لا يمنّ بذلك عليهم، و الامتنان بالأنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عز و جل ما لا يرضى المخلوقين به، و لكن النعيم حبّنا أهل البيت و موالاتنا، يسأل اللّه عنه بعد التوحيد و النبوّه، لأن العبد إذا وفى بذلك أدّاه إلى نعيم الجنه الذى كان لا يزول. و لقد حدثنى بذلك أبى عن أبيه، عن محمد بن على، عن أبيه على بن الحسين عن الحسين بن على عليهم السّلام أنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهاده أن لا إله إلاّ اللّه، و أن محمدا رسول اللّه، و أنّك ولى المؤمنين بما جعله اللّه لك، فمن أقرّ بذلك و كان معتقده صار إلى النعيم الذى لا زوال له» . فهذا الحديث تراه قد وبخ من فسر النعيم بنعيم الدنيا مع أنه قد وردت

۱- ۱) التكاثر:۸.

۲- ۲) الصافات:۲۴.

أحاديث أخرى دلّت على أنها هى النعيم الدنيوى.

ففيه (١)عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام من الأخبار المجموعه بالإسناد قال: قال على عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ قال: «الرطب و الماء البارد» .

و فيه عن من لا يحضره الفقيه: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «كلّ نعيم مسئول عنه صاحبه إلاّ ما كان فى غزو أو حج» .

و فيه عن مجمع البيان:

ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ الصحه و الفراغ، عن عكرمه، و يعضده

ما رواه ابن عباس عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحه و الفراغ» . و قيل: هو الأمن و الصحه، عن عبد اللّه بن مسعود و مجاهد.

و حينئذ و كيف التوفيق بين هذه و ما سبق من أنها هى الولايه دون غيرها،

اشاره

و لا أقل من الجمع بين نعم الدنيا و الولايه كما يومئ إليه

ما فيه عن أمالى الشيخ الطائفه قدّس سرّه بإسناده إلى حفص الصائغ عن جعفر بن محمد عليه السّلام فى قوله: ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ قال: «نحن من النعيم» .

فقوله عليه السّلام «من النعيم» لا ينافى كون غيرهم من نعم الدنيا أيضا، و من النعيم المسئول عنه لمكان (من) فالجواب حينئذ على وجوه:

الوجه الأول:

أنّ النعم الدنيويه التى لا يسأل عنها ما ذكر فى الحديث إذا تنعّم بها الإنسان على قدر حاجته.

ففيه عن محاسن البرقى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «ثلاثه أشياء لا يحاسب العبد المؤمن عليهنّ: طعام يأكله، و ثوب يلبسه، و زوجه صالحه تعاونه و يحصن بها فرجه» .

١- ١) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۶۶۵.

و فیه عن مجمع البیان: و قیل: «یسئل عن کلّ نعیم إلاّ ما خصّه» الحدیث، و هو قوله: «ثلاث لا یسئل عنها العبد: خرقه یواری بها عورته، و کسره یسدّ بها جوعته و بیت یکنه من الحرّ و البرد» . فما دلّ من الأحادیث علی أن النعم الدنیویه یسئل عنها محمول علی ما عدا المذکورات فی الحدیثین، و ما دل علی أنه لا یسئل عنها محمول علی المذکورات فیهما. و أما

ما فیه من أنه روی أنّ بعض الصحابه أضاف النبی صلّی اللّه علیه و آله و جماعه من أصحابه، فوجدوا عنده تمرا و ماء باردا فأکلوا، فلما خرجوا قال: «هذا من النعیم الذی تسألون عنه» . مع أن المذکور فیه من الثلاثه أی الطعام المأکول، أو الکسر الذی به یسدّ جوعته، فمحمول علی التصرف الزائد علی الحاجه، فتأمل.

و الوجه الثانی:

أن الطعام الدنیوی إنما یسئل عنه إذا لم یذکر اسم اللّه علیه عند الأکل و أما إذا ذکر اللّه فلا. و بهذا یجمع بین طائفتین من الأحادیث، و یدل علیه ما فیه

عن أمالی الصدوق رحمه اللّه بإسناده إلی الصادق علیه السّلام قال: «من ذکر اسم اللّه علی الطعام لم یسئل عن نعیم ذلک الطعام» . أقول: هذا حسن بالنسبه إلی غیر الزوجه و المسکن و طیب النوم، کما لا یخفی فهو جواب فی الجمله نظیر

ما ورد فیه عن من لا یحضره الفقیه: و قال: رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «کل نعیم مسئول عنه صاحبه إلاّ ما کان فی غزو أو حجّ» .

الوجه الثالث:

اعلم أن هناک أحادیث کثیره دلّت علی الوقوف للحساب من أهل الإسلام، و أما أهل الشرک فلا ینصب لهم میزان.

ففی البحار (۱)، عن أمالی الصدوق فی خبر سعید بن المسیّب، عن علی بن

۱- ۱) البحار ج ۷ ص ۲۵۸.

الحسین علیه السّلام فی حدیث طویل قال: «ثمّ رجع القول فی الکتاب علی أهل المعاصی و الذنوب فقال عز و جل: وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَهٌ مِنْ عَذابِ رَبِّکَ لَیَقُولُنَّ یا وَیْلَنا إِنّا کُنّا ظالِمِینَ (۱)فإن قلتم: أیها الناس إن اللّه عز و جل إنما عنی بهذا أهل الشرک فکیف ذلک و هو یقول: وَ نَضَعُ اَلْمَوازِینَ اَلْقِسْطَ لِیَوْمِ اَلْقِیامَهِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَیْئاً وَ إِنْ کانَ مِثْقالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَیْنا بِها وَ کَفی بِنا حاسِبِینَ (۲)اعلموا عباد اللّه أن أهل الشرک لا تنصب لهم الموازین و لا تنشر لهم الدواوین، و إنما تنشر لهم الدواوین لأهل الإسلام. . .» الخبر. فالمستفاد من هذا الخبر و نحوه و هی کثیره، أن السؤال و الحساب أمر مسلّم یوم القیامه عن المسلم دون المشرک و من هو ملحق به، و معلوم أنّ هذا لا ینافی عفوه تعالی عن عباده المؤمنین، فالسؤال من أهوال یوم القیامه، فعظمته تعالی و حکمته تقتضی ذلک أی الحساب و السؤال. ثمّ إن المستفاد من الأحادیث أنّ النعیم الإلهی علی قسمین: قسم منها عباره عن الأصول و العقاید الدینیّه کالأصول الخمسه التی منها الإمامه، أی ولایه الأئمه علیهم السّلام و یلحق بها الضروریات الدینیه من الأمور العشره، التی منها التولی و التبری أعنی العمل علی طبق ولایتهم و علی طبق التبری من أعدائهم ضروره أنهما کسائر ضروریات الدین من الأعمال الضروریه، فالتولی العملی أی العمل الحاکی عن التولّی واجب، کما أن التبری العملی أی العمل الحاکی عن التبری واجب. و کیف کان فهذه الأمور مما لا محیص عن السؤال عنها، لأنها الدین الذی هو الغرض الأصلی من الخلق و الحساب و الکتاب و السؤال، و المستفاد من الأحادیث الکثیره أن ولایتهم علیهم السّلام من هذا القسم و مما یسئل عنها لا محاله.

۱- ۱) الأنبیاء:۴۶.

۲- ۲) الأنبیاء:۴۷.

ففی البحار (۱)، عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام عن آبائه، عن علی علیه السّلام قال: قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «أول ما یسأل عنه العبد حبّنا أهل البیت» .

و فیه (۲)عن بشاره المصطفی بإسناده عن أبی برده قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «لا تزول قدم عبد حتی یسأل عن حبّنا أهل البیت، قیل: یا رسول اللّه ما علامه حبّکم؟ قال: فضرب بیده علی منکب علی علیه السّلام» .

و فی تفسیر نور الثقلین (۳)، عن تفسیر علی بن إبراهیم فی قوله عز و جل وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (۴)قال: «عن ولایه أمیر المؤمنین (صلوات اللّه علیه)» .

و فیه عن أمالی شیخ الطائفه قدس سرّه بإسناده إلی أنس بن مالک عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: «إذا کان یوم القیامه و نصب الصراط علی جهنّم لم یجز علیه إلاّ من معه جواز فیه ولایه علی بن أبی طالب علیه السّلام و ذلک قوله تعالی: وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ یعنی عن ولایه علی بن أبی طالب علیه السّلام» .

و فیه عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام. . إلی أن قال: «ثمّ قال علیه السّلام و قد ذکر علیا علیه السّلام حاکیا عن النبی صلّی اللّه علیه و آله: و عزه ربی إن جمیع أمتی لموقوفون یوم القیامه و مسئولون عن ولایته و ذلک قول اللّه عز و جل: وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ » . أقول: و هذا السؤال عن الولایه مما لا محیص عنه، فالولایه من أجلّ نعم اللّه علی عباده، فهی فی عداد التوحید و النبوه کما تقدمت الإشاره إلیه، فلا محاله یسئل عنها کما هو صریح کثیر من الأخبار کما علمت. و قسم ثان منها سائر النعم الإلهیه من المطاعم و المشارب و المناکح و المساکن و المنام و غیرها من نعمه تعالی التی لا تعدّ و لا تحصی.

۱- ۱) البحار ج ۷ ص ۲۶۰.

۲- ۲) البحار ج ۷ ص ۲۶۷.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۴۰۱.

۴- ۴) الصافات:۲۴.

فالمستفاد من الأحاديث إنما يسئل عنها على تقدير، و لا يسئل عنها على تقدير، أو انها على قسمين: قسم يسئل عنه و قسم لا يسئل. بيانه:

فی البحار عن نوادر الراوندی بإسناده عن موسی بن جعفر عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «کلّ نعیم مسئول عنه یوم القیامه إلّا ما کان فی سبیل اللّه تعالی» . فالمستفاد منه أنّ النعم إذا استعملت فی سبیل اللّه تعالی لا یسئل عنها یوم القیامه، و علیه یحمل ما دلّ علی أنّ غیر نعمه الولایه لا یسئل عنها، و أمّا إذا استعملت فی غیره یسئل عنها، و علیه یحمل ما دلّ علی أن سایر النعم أیضا یسئل عنها کما تقدم بعضها. و لعلّ إلیه یشیر

ما فیه (۱)عن أمالی الشیخ فی کتاب أمیر المؤمنین علیه السّلام إلی أهل مصر: «من عمل للّه أعطاه اللّه أجره فی الدنیا و الآخره، و کفاه المهمّ فیهما، و قد قال اللّه تعالی: یٰا عِبٰادِ اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّقُوا رَبَّکُمْ لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا فِی هٰذِهِ اَلدُّنْیٰا حَسَنَهٌ وَ أَرْضُ اَللّٰهِ وٰاسِعَهٌ إِنَّمٰا یُوَفَّی اَلصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَیْرِ حِسٰابٍ (۲)فما أعطاهم اللّه فی الدنیا لم یحاسبهم به فی الآخره، قال اللّه تعالی: لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا اَلْحُسْنیٰ وَ زِیٰادَهٌ (۳)و الحسنی هی الجنه، و الزیاده هی الدنیا» ، الخبر فعلم أنّ ما استعمل فی اللّه من النعم، و کان صاحبه عاملا للّه لم یحاسب به اللّه تعالی یوم القیامه بخلاف غیرهم ممن عمل لغیره اللّه. و بعباره أخری: المطیع للّه تعالی لا یسئل عنها و العاصی یسئل، و مرجع هذا الکلام حقیقه إلی أن الشیعه و محبی أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام لا یؤاخذون و لا یحاسبون بها، و أما غیرهم فیسئل فی الجلیل و الحقیر.

۱- ۱) البحار ج ۷ ص ۲۶۰.

۲- ۲) الزمر:۱۰.

۳- ۳) یونس:۲۶.

و بعباره أخرى: من كان من أهل الولايه و المحبه لهم عليهم السّلام و قد سئل عن ولايتهم و كان معتقدا بها، فلا يسئل عن غيرها من ساير النعم أو لا يداقّ اللّه فى حسابهم. أما الأول:

ففيه (۱)عن كتاب فضائل الشيعه للصدوق رحمه اللّه بإسناده عن ميسر قال: سمعت الرضا عليه السّلام يقول: «و اللّه لا يرى منكم فى النار اثنان، لا ـ و اللّه و لا ـ واحد، قال: قلت: فأين ذلک من كتاب اللّه؟ قال: فامسک عنّى سنه، قال فإنى معه ذات يوم فى الطواف إذ قال لى: يا ميسر اليوم أذن لى فى جوابک عن مسألتک كذا، قال: قلت: فأين هو من القرآن؟ قال: فى سوره الرحمن و هو قول اللّه عز و جل: فيومئذ لا يسئل عن ذنبه (منكم) إنس و لا جانّ (۲)، فقلت له: ليس فيها منكم، قال: إنّ أول من غيّرها ابن أروى، و ذلک أنها حجه عليه و على أصحابه و لو لم يكن فيها «منكم» لسقط عقاب اللّه عز و جل عن خلقه، إذ لم يسأل عن ذنبه إنس و لا جان فلمن يعاقب إذا يوم القيامه؟

و فى الوافى (۳)، عن الكافى بإسناده عن سماعه قال: كنت قاعدا مع أبى الحسن الأول عليه السّلام و الناس فى الطواف فى جوف الليل فقال لى «يا سماعه إلينا إياب هذا الخلق و علينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم و بين اللّه تعالى حتمنا على اللّه تعالى فى تركه لنا فأجابنا إلى ذلک، و ما كان بينهم و بين الناس استوهبناه منهم فأجابوا إلى ذلک و عوّضهم اللّه تعالى» . فالمستفاد من هذه الأخبار أنّ الشيعه بل محبى أمير المؤمنين عليه السّلام لا يسأل منهم عن النعيم بعد ما سئلوا عن الولايه عنهم، و إلى هذا الحمل يشير

ما ذكره المجلسى رحمه اللّه بعد ما ذكر الروايه عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام بالأسانيد الثلاثه عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال على بن أبى طالب عليه السّلام: «فى قول اللّه عز و جل: ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ

۱- ۱) البحار ج ۷ ص ۲۷۳.

۲- ۲) الرحمن:۳۹.

۳- ۳) الوافى ج ۱ ص ۲۱۹.

يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ

(۱)

قال: الرطب و الماء البارد» . قال رحمه اللّه: بيان: لعلّه محمول على التقيه، أو على أنه يسأل المخالفون عنها لا المؤمنون. قوله: . . . على التقيه، لما علمت من ذهابهم إلى أن النعم التى تسأل عنها ما ذكر كما تقدمت الإشاره إليه. و أما الثانى: أعنى «لا يداقّ اللّه تعالى فى حسابهم» .

ففى البحار ج ۷ ص ۲۶۶، عن تفسير العياشى عن هشام بن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ يَخٰافُونَ سُوءَ اَلْحِسٰابِ قال: «يحسب عليهم السيئات و يحسب لهم الحسنات و هو الاستقصاء» .

و فيه عنه عن ابن هشام بن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ يَخٰافُونَ سُوءَ اَلْحِسٰابِ ، قال: «الاستقصاء و المداقّه و قال يحسب عليهم السيئات و لا يحسب لهم الحسنات» . أقول: قال المجلسى رحمه اللّه: بيان: لا يحسب لهم الحسنات لعدم إتيانهم بها على وجهها و لإخلالهم بشرائطها كحسنات المخالفين، فإنّ من شرائط صحه الأعمال ولايه أهل البيت عليهم السّلام فلذا لا يقبل منهم أعمالهم. أقول: كيف كان يمكن حمل ما دلّ على السؤال عن النعيم الدنيوى بالمداقه و الاستقصاء، و ذلك بالنسبه إلى المخالفين، و أما الشيعه أما المحسن منهم فقد علمت أنه يدخل الجنه بدون السؤال كما دلّ عليه المذكور عن الرضا عليه السّلام آنفا، و أما المسيئ منهم فلا يكون له إلاّ سؤال خفيف مستور، فيحمل ما دل على السؤال على مذنبى الشيعه فإنهم يسألون عنها، ثم يعفى عنهم و إليه يشير بل يصرّح

ما رواه فيه (۲)عن أمالى الشيخ بإسناده عن محمد، قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل:

۱- ۱) التكاثر:۸.

۲- ۲) البحار ج ۷ ص ۲۶۱.

فَأُوْلٰئِکَ یُبَدِّلُ اَللّٰهُ سَیِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ وَ کٰانَ اَللّٰهُ غَفُوراً رَحِیماً ، فقال علیه السّلام: «یؤتی بالمؤمن المذنب یوم القیامه حتی یقام بموقف الحساب، فیکون اللّه تعالی هو الذی یتولی حسابه، لا یطلع علی حسابه أحدا من الناس، فیعرّفه ذنوبه حتی إذا أقرّ بسیئاته قال اللّه عز و جل للکتبه: بدّلوها حسنات، و أظهروا للناس، فیقول الناس حینئذ: ما کان لهذا العبد سیئه واحده، ثم یأمر اللّه به إلی الجنه، فهذا تأویل الآیه، و هی فی المذنبین من شیعتنا خاصّه» . و کیف کان، فالذی یدل علی السؤال یحمل علی مذنبی الشیعه بالنحو المذکور فی هذا الخبر، و ما دلّ علی عدمه فهو بالنسبه إلی محسنهم فلا حساب علیهم. و إلیه یشیر

ما فیه (۱)عن معانی الأخبار بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «کل محاسب معذب، فقال له قائل: یا رسول اللّه فأین قول اللّه عز و جل: فَسَوْفَ یُحٰاسَبُ حِسٰاباً یَسِیراً (۲)قال: «ذاک العرض یعنی التصفّح» . قال المجلسی رحمه اللّه: بیان: یعنی أن الحساب الیسیر هو تصفّح أعماله و عرضها علی اللّه أو علی صاحبه من غیر أن یناقش علیها، و یؤخذ بکلّ حقیر و جلیل من غیر عفو. أقول: یعنی أن الحساب الیسیر هو العرض علیه تعالی، ثمّ یعفی عن صاحبه و لا یؤخذ به کما تقدم. أقول: و هذا أحسن الوجوه فی الحمل.

الوجه الرابع:

و حاصله الفرق بین ما عهد اللّه تعالی إلیهم فیسأل عنه و ما قضی علیهم فلا یسأل.

ففی البحار (۳)، عن توحید الصدوق بإسناده عن ابن أذینه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام

۱- ۱) البحار ج ۷ ص ۲۶۳.

۲- ۲) الانشقاق:۸.

۳- ۳) البحار ج ۷ ص ۲۶۴.

قـال: قلت له: جعلت فـداك مـا تقول فى القضـاء و القـدر؟ قـال: أقول: «إن اللّه تعالى إذا جمع العباد يوم القيامه سألهم عما عهد إليهم، و لم يسـألهم عمّـا قضـى عليهم» . أقول: لا ريب فى أن الأمور واقعه بقضاء من اللّه تعالى و قـدر، فالأمور الواقعه من حيث هى كـذلك تكون بمشـيته تعالى و يكون وقوعها بالضـروره، و يعبر عنه بالأمر التكوينى، ثم إن بعض تلك مما يكون للعبـد فيه اختيـار فله فعله بحسب قـدرته و له تركه، ثمّ إن هـذه الأـمور المقـدوره على قسـمين: قسم منها يكون متعلق التكليف الإلهى من التكاليف الخمسه فيسمى بالأمر التشريعى و هى حينئذ من الأمور التشريعيه و هى التى يكون متعلق التكليف، و هى التى مما عهد اللّه تعالى إلى العباد بأن يعملوها، أى أخـذ منهم الميثاق بإنزال الكتب و إرسال الرسل و إقامه الحجه عليهم، فهذه هى التى يسأل اللّه تعـالى عنهـا يوم القيـامه. و أمـا القسـمان الأوّلاـن فهمـا من الأمور المقضـيّه بقضاء التى لا تكليف يتعلّق بها سواء كان متعلقا لاختيار العبد أم لا. و الحاصل: أن ما يقع من العبد إما لا اختيار له فيه و يكون مما قضى اللّه تعالى عليه بها، أو له الاختيار فيه إلاّ أنه لم يتعلق به حكم إلهى، فهـذا و سـابقه لا يسأل عنه العبـد عنهما لعـدم التكليف الإلهى. و أما الثالث أعنى ما له فيه الاختيار و تعلق به التكليف الإـلهى فلاـ محـاله يسـأل عنه و لكن يحمـل السؤال عنه بنحو الاقتضاء أى له تعالى أن يسأل عنه، و له تعالى أن يعفو عنه بالتفصـيل السابق بالنسـبه إلى المطيع و غيره و الشـيعه و غيرهم. و حاصل الكلام فى الجمع: أنه تعالى له أن يسأل عباده عن كل شىء بمقتضى ربوبيته إلاّ أنه وعد العفو عن بعض الأمور و هى ما بينه الأئمه عليهم السّلام.

ففى المحكى عن النهج قال عليه السّلام: «اتقوا اللّه فى عباده و بلاده فإنكم مسئولون حتى عن البقاع و البهائم» .

ص :۹۱

فدلّ قوله عليه السّلام: «حتى. . .» على أنه تعالى له أن يسأل العباد عن كل شيء.

قوله عليه السّلام: «و محبّتكم» .

أقول: لما كانت المحبه للّه و لحمد و آله الطاهرين عليهم السّلام من أهمّ الأمور فى الدين فيسأل اللّه تعالى أن يثبته على محبتهم، و يدل على هذا آيات و أحاديث كثيره نذكر بعضها.

ففى البحار (١)، عن تفسير العياشى عن أبى عبيده الحذّاء، قال: دخلت على أبى جعفر عليه السّلام فقلت: بأبى أنت ربما خلا بى الشيطان فخبثت نفسى، ثمّ ذكرت حبى إياكم و انقطاعى إليكم فطابت نفسى؟ فقال: «يا زياد ويحك و ما الدين إلاّ الحبّ، أ لا ترى إلى قول اللّه تعالى: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی يُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ (٢)» .

و فيه عنه عن بريد بن معاويه العجلى قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشيا فأخرج رجليه و قد تغلّفتا و قال: أما و اللّه ما جاء بى من حيث جئت إلاّ حبكم أهل البيت، فقال أبو جعفر عليه السّلام: «و اللّه لو أحبّنا حجر حشره اللّه معنا، و هل الدين إلاّ الحبّ، إن اللّه يقول: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی يُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ ، و قال: يُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ إِلَيْهِمْ (٣)و هل الدين إلاّ الحب؟ !» .

و فيه عنه عن ربعى بن عبد اللّه قال: قيل لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك إنّا نسمى بأسمائكم و أسماء آبائكم فينفعنا ذلك؟ فقال: «أى و اللّه، و هل الدين إلاّ الحبّ، قال اللّه: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی يُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ثمّ إن الاستشهاد بالآيه، إما لأن حبهم من حب اللّه، أو بيان أن الحبّ لا يتم إلاّ بالمتابعه، أو أن حقيقه الدين هو الحب للّه تعالى و متابعه الرسول من لوازم حبّه تعالى.

١- ١) البحار ج ٢٧ ص ٩۴.

٢- ٢) آل عمران:٣١.

٣- ٣) الحشر:٩.

أقول: أو لأنه لا ريب فى أنّ أصل الدين هو الحب للّه تعالى و لمحمد و آله الطاهرين عليهم السّلام و لكن لا يعلم أحد أنه محب له تعالى و لهم عليهم السّلام بحيث يترتب محبته تعالى له أى لمحبّيه و محبيهم إلاّ بمتابعتهم عليهم السّلام، فمتابعتهم تكون علامه لحبّه للّه تعالى و لحب اللّه تعالى له، و علامه متابعتهم هو المشى إليهم عليهم السّلام و الانقطاع إليهم عليهم السّلام و التسميه بأسمائهم عليهم السّلام، فإن هذه الأمور تدل على متابعتهم، بل هى عين متابعتهم و إن كانت أيضا داله على حبه له تعالى و لهم. و كيف كان فالمتابعه الناشئه عن حبهم و حبه تعالى علامه قبوله للدين و انتفاعه به، و أنه تعالى يكون محبا له، ثم إن المؤمن بهم كيف لا يسأل اللّه تعالى الثبات على محبتهم مع أن محبتهم و مودتهم واجبه و هى أجر الرساله كما صرح به فى الآيات و الأحاديث الوارده من الفريقين.

ففى تفسير نور الثقلين (1)، عن محاسن البرقى بإسناده عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن الرجل يحب الرجل و يبغض ولده، فأبى اللّه عز و جل إلاّ أن يجعل حبّنا مفترضا، أخذه من أخذه، و تركه من تركه واجبا فقال: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ اَلْمَوَدَّةَ فِي اَلْقُرْبىٰ (2)» .

و فيه عن مجمع البيان: و بإسناده إلى ابن عباس قال: لما نزلت: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً الآيه، قالوا يا رسول اللّه: من هؤلاء الذين أمر اللّه بمودّتهم؟ قال: «على و فاطمه و ولدها» .

و فيه عن أصول الكافى عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ اَلْمَوَدَّةَ فِي اَلْقُرْبىٰ ، قال: «هم الأئمه عليهم السّلام» . و كيف كان فهو سبحانه جعل مودتهم أجر الرساله، و لكن ليعلم أنّ المستفاد من تفسير الموده أنها ليست صرف المحبه، بل هى المحبه المستعمله بالنسبه إلى

١- ١) تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۵٧١.

٢- ٢) الشورى:٢٣.

المحبوب، فالحب لأحد دون أن يترتب عليه أثر المحبه، لا تسمى موده، و إن صدق الحبّ حينئذ. ففى المجمع قوله: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ اَلْمَوَدَّةَ فِي اَلْقُرْبىٰ ، أى لا أسألكم عليه إلّا أن تودوا قرابتى و تصلوا أرحامهم. ففسرت الموده موده القرابه مع صلتهم و الصله هى أثرها.

قال: و فى الحديث: المودّه قرابه مستفاد. أقول: أى المحبه الظاهره بالآثار بين رجلين توجب القرابه، فهى تستفاد من تلك الموده المستعمله بينهما و فيه تودّد إليه تحبّب إليه. أقول: أى عمل ما ظهر به حبّه له فصار محبوبا له أيضا. و كذا: وددت لو أنك تفعل كذا، أى تمنّيت. كما فيه، فاستعمل الودّ متعلّقا بعمل كذا لا مطلقا. فالودّ هو المحبّه المتعلّقه بالعمل و حينئذ معنى قوله تعالى، و اللّه العالم، إِلاَّ اَلْمَوَدَّةَ فِي اَلْقُرْبىٰ (۱)، أى إلّا المحبه المستعمله بالنسبه إليهم عليهم السّلام لا مجرد المحبه القلبيه بدون ترتيب أثر. و إلى هذا يدل ما

فى تفسير نور الثقلين (۲)، عن كتاب علل الشرايع بإسناده إلى إسحاق بن إسماعيل النيشابورى أنّ العالم كتب إليه يعنى الحسن بن على عليه السّلام: «إن اللّه عز و جل فرض عليكم لأوليائه حقوقا أمركم بأدائها إليهم، ليحلّ لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم و أموالكم و مأكلكم و مشربكم، و يعرفكم بذلك البركه و النماء و الثروه و ليعلم من يطيعه منكم بالغيب، و قال تبارك و تعالى: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ اَلْمَوَدَّةَ فِي اَلْقُرْبىٰ فاعلموا أن من بخل فإنما يبخل عن نفسه، إن اللّه هو الغنى و أنتم الفقراء إليه، لا إله إلّا هو، فاعلموا من بعد ما شئتم فَسَيَرَى اَللّٰهُ

۱- ۱) الشورى:۲۳.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۵۷۳.

عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ

ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عٰالِمِ اَلْغَيْبِ وَ اَلشَّهٰادَهِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و العاقبه للمتقين و الحمد للّه رب العالمين» .

فقوله عليه السّلام: «. . . أمركم بأدائها إليهم. . .»

و قوله: «و ليعلم من يطيعه بالغيب. . .» أى عن الناس، ظاهر فى أعمال واجبه أن تعمل بالنسبه إليهم عليهم السّلام و هى صلتهم و العمل بأوامرهم و متابعتهم و الائتمام بهم، كل ذلك لمحبتهم عليهم السّلام و لأنّهم ولاه أمره، ثم إنه عليه السّلام لما بين هذه الأمور استشهد على وجوبها و لزومها بقوله تعالى: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ الآيه، فدل هذا الاستشهاد على أنّ المراد بالموده الواجبه هى تلك الأعمال الواجبه التى ذكرها عليه السّلام كما لا يخفى. هذا مضافا إلى ورود أخبار كثيره دلّت على أنه يسأل العبد يوم القيامه عن حبهم عليهم السّلام و قد تقدم بعضها.

و فى البحار (۱)، عن الخصال و أمالى الصدوق بإسناده عن رقيه بنت إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيها عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «لا تزول قدما عبد يوم القيامه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، و شبابه فيما أبلاه، و عن ماله من أين كسبه و فيما أنفقه، و عن حبّنا أهل البيت؟» .

و تقدم عنه صلّى اللّه عليه و آله «أول ما يسأل عنه العبد حبّنا أهل البيت» . أقول: فلما كانت محبتهم عليهم السّلام و مودتهم أمرا مهمّا و محورا لقبول الدين نسأل اللّه تعالى أن يثبتنا عليها، بل المستفاد من الأحاديث أن خوف أولياء اللّه و وجلهم ليوم القيامه هو بلحاظ تقصيرهم فى محبتهم و طاعتهم عليهم السّلام.

ففى تفسير نور الثقلين (۲)، عن أصول الكافى بإسناده عن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن قدرت أن لا تعرف فافعل، و ما عليك أن لا يثنى عليك الناس، و ما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا

۱- ۱) البحار ج ۷ ص ۲۵۸.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۵۴۵.

عند اللّه. ثم قال: قال (۱)أبی علی بن أبی طالب لا خیر فی العیش إلّا لرجلین: رجل یزداد کل یوم خیرا، و رجل یتدارک منیّته بالتوبه، و أنی له بالتوبه، و اللّه لو سجد حتی ینقطع عنقه ما قبل اللّه تبارک و تعالی منه إلّا بولایتنا أهل البیت، ألا و من عرف حقنا و رجا الثواب فینا، و رضی بقوته نصف مدّ فی کل یوم، و ما ستر عورته، و ما أکنّ رأسه، و هم و اللّه فی ذلک خائفون وجلون ودّوا أنهم حظّهم من الدنیا، و کذلک وصفهم اللّه عز و جل فقال: وَ اَلَّذِینَ یُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَهٌ أَنَّهُمْ إِلیٰ رَبِّهِمْ رٰاجِعُونَ (۲). ثم قال: ما الذی آتوا؟ آتوا و اللّه مع الطاعه و المحبه و الولایه، و هم فی ذلک خائفون، لیس خوفهم خوف شکّ، و لکنهم خافوا أن یکونوا مقصّرین فی محبّتنا و طاعتنا» . أقول:

قوله علیه السّلام: «و لکنهم خافوا أن یکونوا. . . إلخ» صریح فیما قلنا من أنّ أولیاء اللّه تعالی همّهم الاتصاف بطاعتهم و محبتهم علیهم السّلام و إن کانوا علی یقین من الأمر و علی یقین من الولایه و العقاید الحقه، فإن الیقین بها منشأ کلّ کمال و موجب لقبول الأعمال، و بدون الیقین لا فائده للأعمال.

ففیه (۳)عن محاسن البرقی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «لو أن العباد وصفوا الحق و عملوا به، و لم تعقد قلوبهم علی أنه الحق ما انتفعوا» . فانظر إلی أنه کیف جعل علیه السّلام عقد القلب علی ما یقوله المؤمن، الذی هو عباره أخری عن الیقین سبب الانتفاع بالأعمال، وفقنا اللّه تعالی لطاعتهم و محبتهم علیهم السّلام و أن یجعلنا معتقدین بمحمد و آله الطاهرین.

ص: ۹۶

۱- ۱) الظاهر، هنا سقط و هو: قال بدل إنّی.

۲- ۲) المؤمنون:۶۰.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۵۴۶.

قوله عليه السّلام: «و دينكم. . .» .

أقول: و فى المجمع: و الدين هو وضع إلهى لأولى الألباب يتناول الأصول و الفروع. . . إلى أن قال: «و الدين: الطاعه. . . إلى أن قال: و الدين: الجزاء» . و المراد منه هنا هو المعنى الأول و إضافته إليهم عليهم السّلام بلحاظ أنهم الشرع و المشرّع له و الذى جاء به، أى أسأل اللّه تعالى أن يثبّتنى على دينكم الذى أتيتم به من عند اللّه تعالى، أو يراد من الإضافه أنى أسأله أن يثبتنى على الدين الذى أنتم به متدينون و الدين الذى أنتم فسرتموه. و اعلم أنّ الدين قد يطلق و يراد منه الأحكام و القوانين الإلهيه التى بيّنها الشارع المقدس، فهو حينئذ ليس إلّا تلك القوانين الإلهيه، و إليه يشير ما تقدم من أن الدين هو وضع إلهى لأولى الألباب، و التقيّد بأولى الألباب مع أن نفس تلك القواعد و القوانين الإلهيه لا يتقيد بحقيقتها بلحاظ الجعل الإلهى بهم، إنما هو لبيان أن الغايه و الغرض من هذا الوضع الإلهى هو إيصال أولى الألباب إلى الكمالات الإلهيه، فإنهم يتمكنون لذلك دون غيرهم كما لا يخفى، و هذا بيانها على عهده الشارع و قد بينها النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام ثم العلماء الربانيون و قد يراد منه بلحاظ قبول الناس له بعد ثبوته، فحينئذ فالاعتقاد بها قلبا يسمى إيمانا و محله القلب و له مراتب فالتصديق به عقلا ثم قبوله قلبا فيسمى حينئذ بالتسليم. و إليها يشير ما

فى البحار عن الكافى بإسناده عن الفضل قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن الإيمان يشارك الإسلام و لا يشاركه الإسلام، إنّ الإيمان ما وقر فى القلوب، و الإسلام ما عليه المناكح و المواريث و حقن الدماء، و الإيمان يشرك الإسلام، و الإسلام لا يشرك الإيمان» .

فقوله عليه السّلام: «إن الإيمان ما وقر فى القلوب» يشير إلى أنه تصديق قلبى، و إلى القبول القلبى المفسر بالتسليم.

ص: ۹۷

يشير

ما فی معانی الأخبار (۱)، بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لأنسبن الإسلام نسبه لم ينسبه أحد قبلی و لا ينسبه أحد بعدی: الإسلام هو التسليم و التسليم، هو التصديق و التصديق، هو اليقين، و اليقين هو الأداء، و الأداء هو العمل، إن المؤمن أخذ دينه عن ربه و لم يأخذه عن رأيه، أيها الناس دينكم دينكم فتمسكّوا به و لا يزيلنكم و لا يردّنكم أحد عنه، لأنّ السيئه فيه خير من الحسنه فی غيره، لأن السّيّئه فيه تغفر و الحسنه فی غيره لا تقبل» . و قد فسّره بعض الأعاظم بقوله: و التحقيق أن الدين فی الحقيقه هو التسليم و الرضا الحاصلان بسبب العقايد العمليه، التی وقعت بإفاضه اللّه على القلب المطمئنّ بالإيمان لمناسبه ذاتيّه أو كسبيّه بمزاوله الأفكار و الأنظار فی طلب الكشف و اليقين. أقول: هذا تفسير للدين بلحاظ القبول القلبی و التسليم له، كما تقدم.

و فی المحكی عن الكافی بعد قوله عن رأيه: و لكن أتاه عن ربه فأخذه، إن المؤمن يرى يقينه فی عمله، و الكافر يرى إنكاره فی عمله، فو الذی نفسی بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين و المنافقين بأعمالهم الخبيثه.

قوله عليه السّلام: «ما عرفوا. . . إلخ» يشير إلى أنّ أعمالهم الخبيثه تدل على إنكارهم و عدم معرفه أمرهم.

قوله: «دينكم دينكم» ، أی الولايه كما لا يخفى على أولی الدرايه، ثم الإيمان بالدين الإلهی الذی مقره القلب قد عرف فی الأخبار بأمور هی آثاره و علامته فمنها يعلم تحقق الإيمان فی القلب. و بعباره أخرى: أن الدين هو الإيمان و الإيمان مقره القلب، فهو بلحاظ استقراره فی القلب له آثار، فمن تلك الآثار يعلم وجوده فی القلب. أما كون الدين هو الإيمان:

۱- ۱) معانی الأخبار ص ۱۸۵.

ففى تفسير البرهان (١)، روى العياشى عن محمد بن مسلم قال: سألته عن قوله: إِنَّ اَلدِّينَ عِنْدَ اَللّهِ اَلْإِسْلاٰمُ (٢)فقال: «الذى فيه الإيمان (قوله رحمه اللّه سألته، أى عن الصادق عليه السّلام) و فيه عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن الدين عند اللّه قال: يعنى الدين فيه الامام و فى نسخه الإيمان» .

و فيه، ابن شهرآشوب عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: إِنَّ اَلدِّينَ عِنْدَ اَللّهِ اَلْإِسْلاٰمُ ، قال: «التسليم لعلى بن أبى طالب عليه السّلام بالولايه» . أقول:

قوله عليه السّلام: «الذى فيه الإيمان» ، إنما قال ذلك و لم يقل: الذى هو الإيمان بلحاظ أنّ الدين فى نفسه ليس إلّا أحكاما و قوانين إلهيه كما تقدم، فحينئذ لو أنّ أحدا علم تلك القوانين يكون عالما بالدين لا متديّنا بالدين، و إنما يصير الإنسان متدينا بحيث يقبل دينه عند اللّه تعالى إذا كان مؤمنا به، فبهذا اللحاظ

قال عليه السّلام: «الذى فيه الإيمان» ، أى لا يوجب العلم بالدين كون الإنسان ذا دين عند اللّه تعالى، بل لا بد من الإيمان به، فدل على أن الدين هو ما كان الإنسان به مؤمنا لا عالما فقط، فإنه ربما يكون اليهودى عالما بالقوانين الإسلاميه و هو يهودى و ذلك لعدم إيمانه بها كما لا يخفى. فقولنا: الدين هو الإيمان، يعنى أن الذى هو دين عند اللّه و يقبله هو ما كان الإنسان به مؤمنا كما لا يخفى، و اما أن للدين آثارا و علائم تدل على تحققه فى القلب.

ففى معانى الأخبار (٣)، بإسناده عن أبى الصلت الخراسانى، قال: سألت الرضا عليه السّلام عن الإيمان فقال: «الإيمان عقد بالقلب و لفظ باللسان و عمل بالجوارح لا يكون الإيمان إلّا هكذا» . أقول: و هذا نظير ما تقدم من تفسير أمير المؤمنين عليه السّلام الإسلام بما فسّره. . إلى

١- ١) تفسير البرهان ج ١ ص ٢٧۴.
٢- ٢) آل عمران:١٩.
٣- ٣) معانى الأخبار ص ١٨۶.

قوله: «و الأداء هو العمل» ، و كيف كان فمن علامه الإيمان القلبى هو العمل بمقتضاه.

و فيه بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ليس الإيمان بالتحلّى و لا بالتمنّى، و لكن الإيمان ما خلص فى القلب و صدّقته الأعمال» . ثمّ إن الأعمال و الآثار بكميّتها و كيفيتها تدلّ على كمّيه الإيمان و كيفيّته فى القلب، و أحسن حديث دلّ على تحقق الإيمان فى القلب بنحو اليقين بما له من الآثار الداله عليه كذلك،

ما فيه بإسناده إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوما حارثه ابن نعمان الأنصارى فقال له: «كيف أصبحت يا حارثه؟ قال: أصبحت يا رسول اللّه مؤمنا حقا، قال: إن لكل إيمان حقيقه فما حقيقه إيمانك؟ قال: عزفت نفسى عن الدنيا، و أسهرت ليلى و أظمأت نهارى فكأنى بعرش ربى و قد قرب الحساب، و كأنى بأهل الجنه فيها يتراودون (يتزاورون) و أهل النار فيها يعذّبون فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أنت مؤمن نوّر اللّه الإيمان فى قلبك، فاثبت ثبّتك اللّه، فقال له: يا رسول اللّه ما أنا على نفسى من شىء أخوف منّى عليها من بصرى، فدعا له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فذهب بصره» .

و فيه بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: بينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول اللّه، فقال: «ما أنتم؟ قالوا: نحن مؤمنون، قال: فما حقيقه إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء اللّه، و التسليم لأمر اللّه و التفويض إلى اللّه تعالى، فقال: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمه أنبياء فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، و لا تجمعوا ما لا تأكلون، و اتقوا اللّه الذى إليه ترجعون» . أقول: هذه جمله من الأحاديث المعتبره الداله على آثار الإيمان القلبى، فلعمرى إنها تبصره لمن أراد أن يتبصّر و يعلم حقيقه إيمانه القلبى، و قد يطلق و يراد من يقوم بحقيقه الدين و هو الإمام عليه السّلام. و إليه يشير ما تقدم

من قول أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن الدين عند اللّه» ، قال: يعنى الدين فيه الإمام» ، و قد يطلق و يراد منه الولايه الثابته لمحمد و آله الطاهرين، فلا بد

أولا من ذكر أحاديث الباب ثمّ بيان المقصود منها فنقول:

ففی تفسير نور الثقلين (۱)، فی تفسير علی بن إبراهيم قوله: اَلْيَوْمَ يَئِسَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ (۲)، قال: «ذلک لمّا نزلت ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام» . أی لما نزلت الولايه المعبّر عنها بالدين يئس الذين كفروا من دينكم فأطلق الدين علی الولايه.

و فيه عن تفسير العياشی عن عمرو بن شمر عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السّلام فی هذه الآيه: اَلْيَوْمَ يَئِسَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ «يوم يقوم القائم (عج) ييأس بنو أميه، فهم الذين كفروا يئسوا من آل محمد عليهم السّلام» . فقد أطلق فی هذا الحديث الدين علی آل محمد عليهم السّلام.

و فيه عن روضه الكافی فی خطبه الوسيله لأمير المؤمنين عليه السّلام و فی ذيلها: «فكانت ولايتی كمال الدين و رضا الرب جل ذكره» . ففی هذا الحديث جعل الولايه كمال الدين.

و فيه عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام بإسناده إلی الرضا عليه السّلام حديث طويل و فيه يقول عليه السّلام: «و أنزل فی حجه الوداع و هی آخر عمره صلّی اللّه عليه و آله اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ اَلْإِسْلاٰمَ (۳)و أمر الإمامه من تمام الدين» . أقول: ففی هذا الحديث جعل أمر الإمامه من تمام الدين بحيث لولاها لكان ناقصا، بل المستفاد من الآيات و الأحاديث الكثيره أنه لولاها لما كان الدين محققا، و من لوازم الولايه المحبه لهم كما تقدم و هی مما يوجب استكمال الدين. و بعباره أخری: كما أنه لا بد من الإقرار بالولايه لكمال الدين كذلك تجب المحبه لهم و إلّا لكان ناقصا.

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ص ۴۸۷.

۲- ۲) المائده:۳.

۳- ۳) المائده:۳.

ففيه عن أمالى الصدوق بإسناده إلى الحسن بن على عليه السّلام عن النبى صلّى اللّه عليه و آله حديث طويل يقول فيه: «و حبّ أهل بيتى و ذريتى استكمال الدين، و تلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هذه الآيه: اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ اَلْإِسْلاٰمَ دِيناً » .

و فى تفسير البرهان عن الطبرسى بإسناده عن أبى سعيد الخدرى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لما نزلت هذه الآيه، قال: «اللّه أكبر، على تمام الدين و كمال النعمه و رضا الرب برسالتى و ولايه على بن أبى طالب عليه السّلام من بعدى و قال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، و انصر من نصره و أخذل من خذله» . أقول:

قوله عليه السّلام فى حديث أبى جعفر عليه السّلام: «يعنى الدين فيه الإمام» .

و قوله عليه السّلام فيما رواه فى تفسير العياشى: «يئسوا من آل محمد عليهم السّلام» يدلّ على أن الدين هو الإمام و كونه عليه السّلام هو حقيقه الدين، فإنما هو بلحاظ كونه قائما بالولايه التى قد مرّ مرارا أنها ولايه اللّه، فالإمام بلحاظ قيامه بالولايه الإلهيه التكوينيه و التشريعيه يكون مصداقا للدين، و معنى كونه عليه السّلام «قائما بالولايه» أنه متحقق بحقايق القرآن و بحقائق أسماء اللّه تعالى الحسنى، و أنه قد أحصى فيه كلّ شىء، و قد مرّ شرح هذه الأمور فى طى الشرح، و لعله سيجىء بيانها أيضا. و بعباره أخرى: أنّ الدين و القرآن و الأحكام و القوانين الإلهيه من بيان العقايد الحقه و المعارف الإلهيه و الكمالات و الصفات المعنويه و الأعمال الصالحه كلها قد يعبّر عنها بالألفاظ، و قد يعبّر عنها بالكتابه و قد يعبر عنها ببيان مفاهيمها بالحدّ و الرسم المعيّن لها، و من المعلوم أن هذه كلها ليست هى واقع الدين، بل كلها بأقسامها الثلاثه مرايا لإراءه واقع الدين، فالدين له واقع تجلّى عنه هذه الأمور الثلاثه. فأصل الدين هو تلك الحقائق الواقعيه، و هى لا تتحقق إلاّ فى الإنسان الكامل الجامع لها بحقائقها، و من المعلوم من القرآن و الأحاديث المتواتره بل و فوق التواتر

أن الإنسان الكامل ليس إلّا محمدا و آله الطاهرين، فهم عليهم السّلام المصاديق الكامله لها، و من دونهم مختلفون فى تحصيل مراتب الكمال منها، كل بحسبه كما لا يخفى و عليه

فقوله عليه السّلام: «يعنى الدين فيه الإمام» ، يشير إلى أن التصديق بالدين الذى هو فى أيدينا بالألفاظ و الكتابه و تصوّر معانيها المجعوله من الشارع، ليس هو دينا مرضيا للّه و لرسوله، بل لا بد من التصديق بالدين بما يكون فيه الإمام، و يرجع حاصل المعنى إلى أنه لا بد من التصديق و الإيمان بالإمام الجامع لها و المتحقق بحقائقه، و أما الإيمان بالدين بدون الإيمان بالإمام الذى هو مصداقه لا يغنى و لا يسمن من جوع. و الوجه فيه أن الآثار المجعوله لأى شىء كان فإنما هى مجعوله له بلحاظ وجودها الواقعى لا الكتبى و اللفظى و الذهنى، فلفظ التفاح و كتابته و تصوره لا يفيد للتقويه مثلا، بل لا بد من أكل نفس التفاح الخارجى، فهو الذى يكون جامعا لحقائق التفاح و منشأ لآثاره، فكذلك الدين تكون آثاره من القرب إلى اللّه تعالى مترتّبه على الإيمان بالإمام، الذى هو مصداقه الأتمّ، و أما الإيمان بنفس القواعد الدينيه من دون الإيمان بالإمام، إيمان بشىء لا أثر له كما لا يخفى، و هذا المعنى قد عبّر عنه فى الأحاديث بالإيمان بالولايه تاره و بالإمام أخرى، أما التعبير بالإمام فبلحاظ كونه مصداقا للدين و أما التعبير بالولايه فبلحاظ أنها السبب لكون الإمام مصداقا له، و كيف كان فقد دلّت أحاديث كثيره خارجه عن حدّ الإحصاء على أنّ قبول الإيمان و الأعمال مشروط بقبول الولايه و الإمامه، و قد علم أن الوجه فيه هو ما ذكر من أن الإمام هو أصل الدين و مصداقه الأتمّ، ثم إنّ الإيمان بالإمام يوجب الخروج عن الكفر واقعا و ظاهرا و حينئذ فكلّما ازداد الإنسان بالإمام معرفه، و ازداد الاتصاف بأخلاقه و معارفه، ازدادت درجه الإنسان فى الإيمان و فى الكمالات، فلا محاله حينئذ تترتب عليه الآثار المخصوصه لتلك الكمالات. فتحصّل أن الدين المشروع لا يصال الإنسان إلى مقام التوحيد بتمام معانيه لا

ص :١٠٣

يكون كـذلك إلاّـ إذا كـان مع الإيمان بالإمام و الاتصاف بمعارفه و أخلاقه و عقائـده و أعماله. و لعمرى إنّ هـذا هو السـلوك الشـرعى الصـحيح الـذى لا ريب فيه، و يوصل صاحبه إلى الكمال الأقصـى، فعليك بهـذا المذهب و المشـى و لا تلتفت إلى من ذهب يمينـا و شـمالا، فـإن اليمين و الشـمال مضـلّه. و الحاصـل: أن جعـل الولايه و الإمامه و نفس الإمام من الإيمان و من كمال الـدين المشار إليه فى الأحاديث السابقه و نحوها فإنما هو بلحاظ أنّ أصل الـدين بحقيقته هو الإمام، و الوصول إلى أصل الـدين هو الوصول و المعرفه بحقيقه الإمام و بهذا اللحاظ

قـال عليه السّـلام: «إن الأئمه هم الـذين ينوّرون قلوب المؤمنين» . و قال: «بمعرفتهم إيانا يضاعف اللّه لهم الـدرجات» كما تقـدم ذكره و شـرحه فقوله: «و دينكم» أى أسأل اللّه تعالى أن يثبتنى على دينكم الـذى فيه الإيمان بالإمام و المعرفه به، فهـذا دينهم لا الإيمان بمجرّد تلك القوانين الإلهيه بدون الإيمان بالإمام الذى هو مصداقه الأتمّ، رزقنا اللّه تعالى ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: «و وفّقنى لطاعتكم» .

و وفّقنى لطاعتكم عطف على فثبّتنى اللّه، و التوفيق من اللّه توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير، هذا بلحاظ الظاهر و المشى على الأسباب الظاهريه، و أمّا التوفيق الباطنى فهو استبصار العبد و إيقاظه للسلوك إلى ربّ العالمين. و بعباره أخرى: كون الإنسان مصداقا لقوله تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اَللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ (۱)و منه يعلم حقيقه الخذلان و هى تعميه العبد قلبا عن التنبّه للسلوك إلى ربّ العالمين و كونه مصداقا لقوله: وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمٰا يَصَّعَّدُ فِي اَلسَّمٰاءِ (۲).

ص: ۱۰۴

۱- ۱) الأنعام:۱۲۵.

۲- ۲) الأنعام:۱۲۵.

و إليهما يشير

ما فى تفسير نور الثقلين (۱)، عن التوحيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إنّ اللّه تبارک و تعالى إذا أراد بعبد خيرا نكت فى قلبه نكته من نور، و فتح مسامع قلبه، و وكل به ملكا يسدده، و إذا أراد بعبد سوءا نكت فى قلبه نكته سوداء و يسدّ مسامع قلبه، و وكّل به شيطانا يضلّه، ثم تلا هذه الآيه: فَمَنْ يُرِدِ اَللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمٰا يَصَّعَّدُ فِي اَلسَّمٰاءِ » . أقول: ثمّ إنه لما سأل اللّه تعالى أن يثبته على ما ذكر سأل منه تعالى أن يوفّقه لطاعتهم، لما علمت أولا من أن طاعتهم طاعه اللّه، و قد مرّت الآيات و الأحاديث الداله عليه، و لأجل أن الثبات على هذه الأمور إنما هو يتحقق بالتوفيق لطاعتهم و عدم الخروج عن ربقه موالاتهم، و بالتوفيق منه تعالى يكون العبد مطيعا لهم، و لذا ترى الصالحين يسألون اللّه تعالى ذلک.

ففى الكافى فى حديث هشام الطويل المعروف: «يا هشام إن اللّه تعالى حكى عن أقوام صالحين أنهم قالوا: رَبَّنٰا لاٰ تُزِغْ قُلُوبَنٰا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنٰا وَ هَبْ لَنٰا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ اَلْوَهّٰابُ (۲)حين علموا إن القلوب تزيغ و تعود إلى عماها و رداها. . .» الحديث. فقوله: رَبَّنٰا لاٰ تُزِغْ طلب للتوفيق و البقاء على الهدايه، و كيف كان لما كان الإنسان المؤمن-لا يؤمن-من الزيغ القلبى كما

عن العياشى عن الصادق عليه السّلام: «أكثروا من أن تقولوا: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، و لا تأمنوا الزيغ فلا محاله يسأل اللّه تعالى التوفيق و هو لا يحصل إلاّ بإطاعتهم عليهم السّلام فلا محاله يسأل اللّه تعالى التوفيق لطاعتهم» . و يستفاد من هذا الحديث و ما هو مثله أن التوفيق الإلهى كالجزء الأخير للعله

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۶۳۳.

۲- ۲) آل عمران:۸.

التـامه للوصول إلى المطلوب، إذ ربمـا يحصل للإنسان أسـباب الخير إلّا أنه لا يوفق للعمل بها و يزيغ قلبه عن أن يعمل بها، و لو علم أنهـا موصـله للخير الأبـدى فـإن الإنسـان مـا لم يخرج إلى عـالم الاطمينان لم يخرج من الخطر و المزلّه، فلا محاله يسأل اللّه تعالى التوفيق.

و فى تفسـير نور الثقلين (۱)، عن روضه الكافى بإسـناده إلى أبى عبـد اللّه عليه السّـلام: حديث طويل يقول فيه: «و اعلموا أن اللّه إذا أراد بعبد خيرا شرح صدره للإسلام، فإذا أعطاه ذلك نطق لسانه بالحق و عقد قلبه عليه فعمل به، فإذا جمع اللّه له ذلك تمّ له إسـلامه، و كان عنـد اللّه إن مات على ذلك الحال من المسـلمين حقا، و إذا لم يرد اللّه بعبـد خيرا وكله إلى نفسه و كان صدره ضيّقـا حرجـا، فـإن جرى على لسـانه حق لم يعقـد قلبه عليه، فـإذا لم يعقـد قلبه عليه لم يعطه اللّه العمل به، فإذا اجتمع ذلك عليه حتى يموت و هو على تلـك الحـال كان عنـد اللّه من المنافقين، و صار ما جرى على لسانه من الحق الـذى لم يعطه اللّه أن يعقد قلبه و لم يعطه العمل به حجه عليه، فاتقوا اللّه و سـلوه أن يشـرح صدوركم للإسـلام، و إن ألسـنتكم تنطق بالحق حتى يتوفاكم و أنتم على ذلك» . أقول: و لهذا التوفيق الإلهى و الشرح للصدر منه تعالى حقيقه و هو النور و له علائم و إماره يعرف بها.

و فيه فى مجمع البيان: و قد وردت الروايه الصحيحه أنه لما نزلت هذه الآيه سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن شرح الصدر ما هو؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله: «نور يقذفه اللّه فى قلب المؤمن يشـرح له صدره و ينفسح، قالوا: فهل لذلك أماره يعرف بها؟ قال عليه السّـلام نعم، الإنابه إلى دار الخلود، و التجا فى عن دار الغرور، و الاسـتعداد للموت قبل نزول الموت» . أقول: إذا حصل هذا النور فى القلب فلازمه إعمال الجوارح فى طاعه اللّه تعالى

ص: ۱۰۶

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۶۳۴.

و طاعه النبى و الأئمه عليهم السّلام و به يحصل التوفيق لتحقق توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير ظاهرا، و الاستبصار و اليقظه القلبى للسلوك الحقيقى باطنا، و لا محاله يشمئزّ صاحبه حينئذ عن المعاصى و يكون سائرا فى الطريق و الصراط المستقيم الموصل إلى جوار ربّ العالمين. رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: و رزقنى شفاعتكم.

اشاره

أقول: الكلام هنا يقع فى أمور:

الأول: فى معنى الرزق.

و الثانى: فى معنى الشفاعه. و الثالث: فيما يوجب نيل شفاعتهم. فنقول و عليه التوكل: الأمر الأول: فاعلم أن الرزق ما يتغذى به و يتقوى به الإنسان سواء أ كان محسوسا كالأرزاق التى بها تقويه البدن أم معنويا و غير محسوس كغذاء الأرواح و هى على أقسام: فالملائكه غذاؤها التسبيح و التقديس. و أهل السعاده من الناس غذاؤهم العلم كما أنّ زادهم التقوى. و الشياطين و أهل الشقاوه غذاؤهم تكذيب الحق و الإبعاد عنه، و ترويج الباطل و إبطال الحقائق بالشبهات و التمويهات، لأنهم بهذه الأفاعيل المزخرفه يتظاهرون و يتطاولون على الناس، و يواكلونهم تلك الشبهات و التسويلات حتى تمتلى حقيقه أرواحهم منها و تترشّح تلك فيها إلى أن تصير أرواحهم و باطنهم نارا. و أهل السعاده من الأنبياء و الأولياء الأئمه عليهم السّلام فهم متغذّون بالمعارف الإلهيه منه تعالى، و أما التابعون لهم فغذاؤهم الروحى المعارف الإلهيه إلى أن يصيروا ملحقين بالعقول المجرده و الأنوار المفارقه بالعقل الفعّال كما حقق فى محله. و حينئذ نقول: «و رزقنى» دعاء و طلب تلك الأرزاق المعنويه و هى أقسام:

منهـا: الشـفاعه و سـيجىء أن الشـفاعه منهم لأحـد إنمـا هى تتميم الجهـات المعنويه التى لم تكن لأرواحهم. و بعباره أخرى: أن لدخول الجنه نصابا معيّنا لا بد له من تحصيله لدخول الجنه، فمن كان من المؤمنين و المعتقدين بولايتهم ناقصا فى هذا النصاب، و غير متغذّ بهذا الغذاء الروحى فالأئمه عليهم السّلام بشـفاعتهم له يغذّونه أى يتممون نواقصه المعنويه، فالمتممات التى تحصـل لهم من الأئمه عليهم السّلام بالشفاعه لهم هى غذاء أرواحهم، و يتم نصابهم المعنوى و بهذا اللحاظ قال: «و رزقنى» ، ففى الواقع هذا طلب منه تعالى لهذا الرزق المعنوى كما لا يخفى.

الأمر الثانى: و فى المجمع فى بيان الشفاعه:

و هى السؤال فى التجاوز عن الـذنوب و الجرائم. أقول: هذا معناه العرفى، و قال بعض الأعاظم: الشـفاعه على ما تعرّف من معناها إجمالا بالقريحه المكتسبه من الاجتماع و التعاون من الأمور التى نسـتعملها لإنجاح المقاصد، و نستعين بها على حوائج الحياه، و قال: هى من الشـفع مقابل الوتر، كان الشفيع ينضمّ إلى الوسيله الناقصه التى مع المستشفع فيصير به زوجا بعد ما كان فردا، فيقوى على نيل ما يريده لو لم يكن يناله وحده لنقص وسـيلته و ضعفها و قصورها. و قال بعض الأكابر: اعلم أن الشفاعه أى ما به يصير الشـخص شـفيعا، هو نور يشـرق من الحضـره الإلـهيه على جواهر الوسائط بينه و بين النازلين فى مهوى البعـد و النقصان، به يجبر النقـائص الحاصـله من تضاعف الإمكان، فالمتوسـطون فى سلسـله البـدو هم العقول الفعّاله، ثم النفوس العمّاله، ثم الطبايع النقاله الكليه، و فى سلسـله العود الأنبيـاء ثم الأوليـاء ثم العلمـاء. . . إلـخ. و قيل (۱)هى التوسـط فى الإفاضه فإذا سـلک العبـد إلى ربّ العالمين من طريقه

۱- ۱) الشموس الطالعه ص ۴۵۱.

المقرر له، فلازم ذلك التماس العفو و المغفره من مظاهره تبارك و تعالی و الاستعانه من أنوار إفاضاتهم الإلهيه الذين هم محمد و آله الطاهرون عليهم السّلام و الذين جعلهم اللّه شفعاء الخلق بإعطائه لهم تلك الوساطه فی الإفاضه. و فی البحار (۱)، قيل: إنها عباره عن طلب زياده المنافع للمؤمنين المستحقّين للثواب، ورد بأنه لو كانت كذلك لكنا شافعين للنبی صلّی اللّه عليه و آله حيث نطلب له من اللّه تعالی علوّ الدرجات و التالی باطل قطعا، لأن الشافع يجب أن يكون أعلی من المشفوع فيه مع أنه فی الفرض بالعكس فالمقدم مثله، و أيضا يردّ بأنّ هذا ليس شفاعه إذ المتبادر منها هو التوسط للاستخلاص لا للزياده كما لا يخفی، ففی الحقيقه هذا إنكار لها كما أنكرها الخوارج و بحثه موكول إلی محله. و قيل هی للفسّاق من هذه الأمه فی إسقاط عقابهم و هو الحق، إلّا أنه يقيّد بقيد الولايه كما سيأتی، انتهی ملخّصا موضّحا. و قيل: إنها تقع علی خمسه أقسام: القسم الأول: مختصّه بنبيّنا صلّی اللّه عليه و آله و هو الإزاحه من هول الموقف و تعجيل الحساب. القسم الثانی: فی إدخال قوم الجنه بغير حساب و هذه أيضا تكون لنبيّنا صلّی اللّه عليه و آله. القسم الثالث: أنها لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم النبی صلّی اللّه عليه و آله. القسم الرابع: أنها فيمن دخل النار من المؤمنين فإنهم يخرجون منها بشفاعته صلّی اللّه عليه و آله و شفاعه المؤمنين. القسم الخامس: هی فی الزياده للدرجات. أقول: هذا بيان مصاديقها و ستظهر لك مواردها فی بيان الأحاديث الوارده، و المهم هنا بيان حقيقه الشفاعه، ثم الشافعين، ثم المشفوعين لهم. فنقول: قد تقدم ذكر هذه الموضوعات اللازمه فی شرح

قوله:

«و شفعاء دار

ص: ۱۰۹

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۶۶.

البقاء»

فراجع، إلّا أنه لا بد من بيان نكته مهمّه جدا يظهر بها حقيقه الشفاعه لأهل البصيره و الدرايه. فنقول: لا ريب فى أن الوصول إلى اللّه تعالى و نيل روح الوجود من المنبع الحقيقى لا يمكن إلّا باتباع الأنبياء و الأولياء (صلوات اللّه عليهم أجمعين) إذ العقل لا يهتدى إليه اهتداء تطمئن به القلوب و يرتفع عن صاحبه الريب و الشك، و لا سبيل للعقل فى معرفه الحق إلّا بأن ينظر فى الممكنات، و يستدل بها على موجدها و هو الحق تعالى، ثم على وحدته و وجوبه و علمه و قدرته، و لا يعلم من صفاته الثبوتيه إلّا هذا القدر، و من التقديسيه أنه ليس بجسم و لا جسمانى و لا زمانى و لا مكانى و أمثال ذلك، و ليس هذا الاستدلال إلّا من وراء الحجب إذ لا تحضر عندهم إلّا مفهومات ذهنيه و معقولات ثانيه لا يسمن و لا يغنى من جوع، و هذا بعينه كمن أراد أن يستغنى بمفهوم الحلاوه عن السكّر، و بمفهوم السلطنه عن السلطان، فأصحاب العقول كلها كالذين قال اللّه فيهم: أُولٰئِكَ يُنٰادَوْنَ مِنْ مَكٰانٍ بَعِيدٍ (۱)لأنهم يجعلون الحق بعيدا عن أنفسهم، و يكتفون عن ذات الحق الأول و مشاهده الذوات المقدسه العقليه بمفهومات ذهنيه و حكايات مثاليه، و مع هذا لا يجرى لهم طريق الاستدلال إلّا فى الذهنيات و الكليات التى هى طور العقل، و أما فى الأمور التى هى وراء طور العقل من أحوال الآخره و أحكام البرزخ فتثبت فيها عقولهم، و يقف من غير أن يهتدى إليها إلّا باتباع الشريعه و لذا اعترف شيخهم و رئيسهم بالعجز فى إدراك الجسمانى، و صرح بأن لا سبيل للعقل إليه إلّا من جهه تصديق خبر النبوه التى أتى بها سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و آله. إذا علمت هذا من أن الوصول إلى الحقايق الواقعيه الإلهيه لا يمكن من طريق العقل إذ لا يثبت به إلّا مفاهيم فى الذهن، و إنها ليست وجدانيه للروح و القلب

۱- ۱) فصّلت:۴۴.

الإنسانى فاعلم أن نور الهدايه و الوجود المعادى أى العائد منه تعالى إلى قلب أحد إنما تفيض منه تعالى على جوهر النبوه و هى الحقيقه المحمديه المسمى فى البدايه بالعقل الأول و القلم الأعلى و العقل القرآنى عند وجودها الصورى التجردى النورى، هذا فى ابتداء خلقته صلّى اللّه عليه و آله ثم فى النهايه ظهرت هذه الحقيقه فى محمد بن عبد اللّه و خاتم الأنبياء صلّى اللّه عليه و آله عند ظهورها البشرى الجسمانى، ثم فى أقرب الأولياء إليه سلفا أى فى عالم النورانيه و الخلق الأول المصاحب له فى حقيقته و آثارها، و خلفا بحسب التابعيه المطلقه الظاهريه، و هو الحقيقه العلويه المسماه بالبدايه بالنفس الكليه الأوليه و اللوح المحفوظ لما أفاده و كتبه القلم الأعلى بأم الكتاب الحافظ للمعانى التفصيليه الفائضه عليه بتوسط الروح الأعظم المحمدى و هو العقل الفرقانى، كل ذلك عند وجودها التجردى النورى، و فى النهايه ظهرت فى على بن أبى طالب عليه السّلام عند وجودها البشرى الجسمانى، ثم فى الأقرب فالأقرب من العقول و النفوس الكليه بعد العقل الأول و النفس الأولى الظاهره فى صور الأئمه الطاهرين المعصومين (سلام اللّه عليهم أجمعين) ، ثم الحكماء و العلماء الذين منازلهم دون منازل النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام، هذا إذا اقتبسوا أنوار علومهم من مشكاه النبوه و الولايه و إلاّ فليسوا من الحكماء و العلماء فى شىء إلاّ بالمجاز. و بعباره أخرى: أن الأنوار الإلهيه تنتشر فى الحقيقه المحمديه و العلويه و الولويه الكائنه فى بقيه الأئمه عليهم السّلام إلى كل من استحكمت مناسبتها الروحيه الذاتيه مع جوهر النبوه و الولايه بالانعكاس كانعكاس نور الشمس فى المرآه المواجهه لها، لشده المحبه و كثره المواظبه على السنن و كثره الذكر له صلّى اللّه عليه و آله بالصلوه عليه كما قال تعالى حكايه عنه صلّى اللّه عليه و آله: فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اَللّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (1). إذا علمت هذا فاعلم أن حقيقه الشفاعه هو تحقق هذا النور الإلهى و إشراقه

١- ١) آل عمران:٣١.

من الحضره الإلهيه أولا و بالـذات على جواهر الوسائط من الحقيقه المحمـديه و العلويه التى كانت وسائط بينه تعالى و بين سائر الأرواح النازلين فى مهوى البعد و النقصان فتنجبر به النقائص الحاصله لهم من تضاعف الإمكان أى من النقائص الحاصله من ظهور آثار الإمكان من الغفله و المعاصى الموجبه لبعدها عن ذلك النور الإلهى، فالشفعاء و المتوسطون بينه تعالى و بين الخلق الناقصين فى سلسله البدو و أول الأمر و الخلقه هى الحقيقه المحمديه و العلويه المعبّر عنها بالعقول الفعّاله، ثم منها إلى النفوس العمّاله، ثم الطبايع النقاله الكليه من الملائكه الكائنه فى هذه المراتب، و فى سلسله العود إليه تعالى ترجع تلك العقول و النفوس و الطبايع بما لها فى سلسله النزول كما علمت تسمّى بالأنبياء ثم بالأولياء ثم بالعلماء. و بعباره أخرى: أن الحقائق على اختلاف أنواعها تكون قوامها فى نفس الأمر بالطبايع التى تقوم بالنفوس التى تقوم بالعقول، و إن نور الوجود و فيضان الحقائق إنما يكون من الحق تعالى على الكل، لكن على العقول بالاستقامه فيتجلّى فيها النور الإلهى أولا و بالذات مستقيمه إليه تعالى و فانيا فيه، و على غيرها بالانعكاس من بعض إلى بعض أى من العقل إلى النفس و منها إلى الطبايع كما علمت، و كذلك فى عالم الملك و الحقايق البشريه، يتقوم الناس بحسب الحيوه الأخرويه و وجدان تلك الحقايق الإلهيه و الوجود العلمى المعادى المفاض عليهم بالعلماء (1)و هم يتقوّمون بالأولياء و هم بالأنبياء كما لا يخفى. و حينئذ فالشفاعه عباره عن فيضان نور الحق من الأعالى الكامله إلى الأسافل الناقصه لإيصالها إلى المبدإ الأول، أو إلى ما يليق به و يستحقه حسب أعماله و صفاته و جدّه و جهده من المقام اللائق به فى مراتب الجنان، فالشفاعه فى الحقيقه ليست مجرد التوسط الاعتبارى بل هى نزول الأنوار الإلهيه الحقيقه منه

١- ١) متعلق ب(يتقوم) .

تعالی بواسطه الوسائط الإلهیه إلی النفوس الناقصه المؤمنه لإیصالها إلی کمالها المطلق أو اللائق به، و من هنا ظهر معنی قولنا إن الشفاعه حقیقه هی رزق و غذاء للروح الإنسانی الناقص من الإنسان الکامل من نبی أو وصی أو أکمل منه، و لذا عبّر عنها بالرزق و قال: و ارزقنی شفاعتهم.

بقی هنا شیء و هو بیان المشفوع لهم،

فهم کل من انتسب إلیه صلّی اللّه علیه و آله من أمته نسبه صححها الشرع و قبلها، و تلک تحصل بقبول الإیمان باللّه و رسوله و الأئمه علیهم السّلام سواء کان مطیعا أو کان عاصیا معصیه لم توجب انقطاع النسبه، و النسبه إنما تنقطع بالإصرار علی المعاصی و اجتناب الکبائر بحیث یصیر منشأ للجهل المستحکم، أو ملکه ذمیمه راسخه بحیث یمتنع زوالها، فحینئذ ربما لا تنفعهم شفاعه الشافعین. و بعباره أخری: أن من أحبّ علیا علیه السّلام لا محاله یکون مبدأ ظهوره و طینته من علیین و من فاضل طینتهم علیهم السّلام کما دلّت علیه الأحادیث الکثیره، فالمحب المؤمن ما دام هذا الارتباط الذاتی المعنوی بینه و بینهم علیهم السّلام و من شئونهم علیهم السّلام و لیس من الطواغیت و شئونها فی شیء، و هذا الارتباط یرجع معناه إلی تحقق اسم اللّه تعالی الذی هو مظهر تمام أسمائه الحسنی فی هذا العبد بقدر إیمانه و حبّه له تعالی و لهم علیهم السّلام. و من المعلوم أن هذا الاسم الکلی الجامع الشامل بطرف منه لهذا العبد یکون منشأ لکل خیر، فما دام شأن منه فی هذا العبد فلا یصدر منه معصیه و لا شیء یکون من فروع الطاغوت، التی هی حقیقه أعداء اللّه تعالی فتراه حینئذ یفعل الخیر بما یحبّه قلبا لما فی ذاته من ذلک الاسم الإلهی الراسخ فیه بإیمانه، و أما ما تتراءی منه من المعصیه فهی أولا لیست ذاتیه له، فهو فی حال فعله لها یعتقد قبحها و یشمئزّ منها و ینفر منها طبعا و یری أنها تصدر منه لمنشإ عارضی لا ذاتی، فتکون معصیته اللّمم فیشمله قوله تعالی: اَلَّذِینَ یَجْتَنِبُونَ کَبٰائِرَ اَلْإِثْمِ وَ اَلْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اَللَّمَمَ (۱)فمعصیته اللّمم أی لیس ذاتیا له و لا من سلیقته.

۱- ۱) سوره النجم الآیه ۳۲.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)، علی بن إبراهیم بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «ما من ذنب إلاّ و قد طبع علیه عبد مؤمن یهجره الزمان ثمّ یلمّ به و هو قول اللّه عز و جل: اَلَّذِینَ یَجْتَنِبُونَ کَبٰائِرَ اَلْإِثْمِ وَ اَلْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اَللَّمَمَ قال «اللّمام (۲)العبد الذی یلمّ بالذنب بعد الذنب لیس من سلیقته أی من طبعه» . أقول:

قوله علیه السّلام: «یهجره الزمان» بمنزله الاستثناء أی ما من معصیه اعتاد علیها المؤمن بالعرض إلاّ و یهجره الزمان ثمّ بعده یلمّ به. فعن المجمع: قال الفراء: اللّمم أن یفعل الإنسان الشیء فی الحین لا یکون له عاده. . إلخ و کیف کان فمعصیه المؤمن ملحق باللّمم من حیث إنها لیست ذاتیه له و لیست من سلیقته، فافهم و لعلّ إلیه یشیر

ما عن السجاد علیه السّلام:

«إلهی ما عصیتک حین عصیتک، و أنا بربوبیتک جاحد، و لا بأمرک مستخفّ، و لا لعقوبتک متعرّض، و لا لوعیدک متهاون، و لکن خطیئه عرضت و سوّلت لی نفسی، و غلبنی هوای، و أعانتی علیها شقوتی، و غرّنی سترک المرخی علیّ. . .» الدعاء.

قوله علیه السّلام:

«و لکن خطیئه عرضت»

، إشاره إلی أن المعصیه و الخطیئه منّی تکون عارضه لا ذاتیه، فإنّ اللوازم الذاتیه لا یعبّر عنها بالعرض، بل یقال لوازم الذات کما لا یخفی. کیف و لو کانت ذاتیه لما سترها اللّه تعالی، فإنه تعالی یستر ذنب المؤمن، لا ذنب الکافر الذی یکون ذنبه ذاتیا له. و الوجه فی کون معصیه المحبّ المؤمن عرضیه و لیس ذاتیه و لیس من باب الجحود، هو ما تقدم من

قوله علیه السّلام: «و أنا بربوبیتک جاحد» أی لست عصیت هکذا، بل إنی مقرّ بربوبیتک حال معصیتی، و أیضا تدل علیه الأخبار الکثیره الداله علی أن أرواح المؤمنین قد اختلطت بأرواح المنافقین و الکافرین فی عالم الذّر فأثرت

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۱۶۲.

۲- ۲) و فی بعض النسخ: اللّمم.

فيهم بأن اكتسبوا من أرواح الكفار آثارا تكون منشأ للمعصيه، و من المعلوم أنها عرضيّه لا ذاتيه هذا و قد فصّلها و بيّنها الباقر عليه السّلام فی حديث طويل، فراجع فی قوله تعالی: وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلیٰ ظُهُورِهِمْ فمنه يعلم أنّ صدور الأعمال الحسنه من المنافقين و المخالفين ليس ذاتيا لهم بل هو عرضیّ، منشأه الآثار الحسنه التی عرضت لهم من خلط أرواحهم مع أرواح المؤمنين. و الحاصل: أن ذنوب المحبّ المؤمن لا يكون ذاتيه موجبه لقطعه عنه تعالی و عن مواليه بل هی عرضيه تعرضه ثمّ يدركه الندم و يتوب كما هو صريح قوله تعالی فی وصف المتّقين: وَ اَلَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اَللّٰهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلیٰ ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ . أُولٰئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنّٰاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَ نِعْمَ أَجْرُ اَلْعٰامِلِينَ (۱). قوله تعالی: وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ، حال لفاعل ما فعلوا، أی فعلوا الذنوب بدون الإصرار، و هم يعلمون، أی يعلمون أنها معصيه و ظلم النفس، و لذا استغفروا لذنوبهم، فيعلم منه أنهم لم يريدوا بالمعصيه القطعيه عنه تعالی، بل لغلبه الهوی و الغفله بحيث لا تنافی الإيمان به تعالی، و الاتّكال علی سعه رحمه اللّه و غفرانه و علی الشفاعه، ففی الحقيقه عصيانه بهذا العنوان منبئ عن إيمانه و دليل كاشف عن اعتقاده بأنه لا ينبغی صدوره عنه ليستحقّ به العذاب، و هذا من خطورات القلب و تنقلاته كما تقدم عن حديث سلام بن المستنير الدال علی اختلاف أحوال القلب بالنسبه إلی الحضور عند الأئمه عليهم السّلام و عند الأهل و العيال، فراجع. و إلی ما قلنا يشير بل يصرح به ما نقل

عن أمير المؤمنين عليه السّلام (۲): «إلهی إنّ ذنوبی و إن كانت قطيعه، و لكن ما أردت بها قطيعه. . . إلخ» أی ما عصيتك إذ

۱- ۱) آل عمران:۱۳۵-۱۳۶.

۲- ۲) الشموس الطالعه ص ۴۵۵.

عصيتك و أنا بك جاحد.

بل فى المحكى عن الكافى عن يونس بن يعقوب عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: «من أذنب ذنبا فعلم أنّ اللّه مطلع عليه، إن شاء عذّبه و إن شاء غفر له غفر له و إن لم يستغفر.» .

و فيه عن أبان بن تغلب عنه عليه السّلام قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «ما من عبد أذنب ذنبا فندم عليه إلاّ غفر اللّه له قبل أن يستغفر، و ما من عبد أنعم اللّه عليه نعمه فعرف أنها من عند اللّه إلاّ غفر اللّه له قبل أن يحمده» . هذا و قد تقدم بيان المشفوع لهم مفصّلا و إنما ذكرنا هنا الإشاره إلى الجهات المعنويه الراجعه إلى الشفاعه و إلى المشفوع لهم حسب ما يقتضيه العقل السليم من استنباطه من المدارك الشرعيه، و قد تقدمت أحاديثه إلاّ إنّا نذكر هنا بعضها تيّمنا.

ففى الخصال بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن أبيه عن جده عن على عليه السّلام قال: «إن للجنه ثمانيه أبواب: باب يدخل منه النبيّون و الصديقون، و باب يدخل منه الشهداء و الصالحون، و خمسه أبواب يدخل منها شيعتنا و محبّونا، فلا أزال واقفا على الصراط أدعو و أقول: ربّ سلّم شيعتى و محبّى و أنصارى و من تولاّنى فى دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجبت دعوتك و شفعت فى شيعتك، و يشفع كل رجل من شيعتى و من تولاّنى و نصرنى و حارب من حاربنى بفعل أو قول فى سبعين ألف من جيرانه و أقربائه، و باب يدخل منه ساير المسلمين ممن شهد أن لا إله إلاّ اللّه و لم يكن فى قلبه مقدار ذرّه من بغضنا أهل البيت» . ثمّ إن الشفاعه مختصه أولا بالذات بمحمد و آله الطاهرين الأئمه المعصومين ثمّ بالتبع لغيرهم، و ذلك لأن ملاك الشفاعه ليس مجرد الإيمان باللّه تعالى بل لا بد من كون الشافع ممن تحققت فيه الحقائق الإلهيه و معارفها النفس الأمريه. و من المعلوم أنها لم تكن أولا و بالذات إلاّ فى النبى و أوصيائه عليهم السّلام و أما غيرهم فمن كان مؤمنا بهم و متحققا بحقائقهم و مستفيضا من فيوضاتهم الإلهيه، فله

الشفاعه بقدر ما فیه من تلک الحقائق، و هذا ملاک الشفاعه فأینما تتحقق تتحقق بمقداره الشفاعه، و لذا ورد أن المؤمنین بعضهم یشفع بقدر قبیله ربیعه و مضر، و بعضهم بقدر ثلاثین نفرا، و بعضهم کما تقدم آنفا بمقدار سبعین ألفا من جیرانه و أقربائه.

و فی البحار (۱)، عن المناقب، عن الباقر علیه السّلام فی قوله: وَ تَرىٰ کُلَّ أُمَّهٍ جٰاثِیَهً (۲)الآیه، قال «ذلک النبی صلّی اللّه علیه و آله و علی، یقوم علی کوم قد علا علی الخلائق فیشفع، ثم یقول: یا علی اشفع، فیشفع الرجل فی القبیله، و یشفع الرجل لأهل البیت، و یشفع الرجل للرجلین علی قدر عمله فذلک المقام المحمود» . أقول:

قوله علیه السّلام: «علی قدر عمله» یشیر إلی ما قلنا من ملاک الشفاعه، کما لا یخفی. قال بعض الأعاظم مع توضیح منا: إنّ الشفیع من کان مأذونا منه تعالی فی الشفاعه و کان ممن رضی اللّه تعالی له قولا فی شفاعته، فالشفاعه فی الحقیقه هو نور من أسماء اللّه تعالی المکنون و هو سرّ من أسرار آل محمد (علیه و علیهم السلام) و هذا النور بحقیقته الکامله یکون فی محمد و آله الطاهرین، و له أشعه فی قلوب المؤمنین بقدر إیمانهم و قبولهم الولایه، و هذه الأشعه النورانیه و الوسط السّری الإلهی یختلف فی الأشخاص شده و ضعفا، فما لم ینقطع الربط النوری یکون صاحبه قابلا لأن یصیر موردا لشفاعتهم علیهم السّلام و المؤمن الواجد لهذا النور و الذی یراه بنور الإیمان یری نفسه مقصّرا فی حقه تعالی و فی حقهم علیهم السّلام و هو بلحاظ هذا النور سالک إلی رب العالمین من الطریق المقرر له شرعا منهم علیهم السّلام. فحینئذ لا محاله یلتمس العفو و المغفره، أی یطلب الشفاعه من موالیه الذین فیهم حقیقه ذلک النور الکلی الإلهی.

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۴۲.

۲- ۲) الجاثیه ۲۸.

و بعباره أخرى: يطلب الشفاعه من مظاهرها، و هم محمد و آله الطاهرون صلّى اللّه عليه و آله الذين وكلهم اللّه تعالى بالشفاعه للأولين و الآخرين حتى الأنبياء و المرسلين و غيرهم يوم القيامه. فتحصل أمران: الأول: أن الشافع هو الذى أذن له فى الشفاعه لقوله تعالى: مَنْ ذَا اَلَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ (۱)و من كان يرضى اللّه تعالى له قولا لقوله: إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّحْمٰنُ وَ رَضِیَ لَهُ قَوْلاً (۲). و الثانى: المشفوع لهم و هم الذين قال اللّه تعالى فى حقهم: لاٰ یَمْلِكُونَ اَلشَّفٰاعَهَ إِلاّ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً (۳).

و فى المحكى عن الكافى عن الصادق عليه السّلام قال: «إلاّ من دان اللّه بولايه أمير المؤمنين و الأئمه من بعده فهو العهد عند اللّه» . أقول: فيستفاد من هذا الحديث أنّ قوله تعالى: لاٰ یَمْلِكُونَ اَلشَّفٰاعَهَ الآيه يشمل المشفوع لهم أيضا كما لا يخفى و سيجىء، و كيف كان فيدل على هذين الأمرين المهمّين عده من الأخبار نذكر بعضها تيمّنا: أما بالنسبه إلى الأول:

ففى تفسير نور الثقلين (۴)، عن محاسن البرقى بإسناده قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام قوله: مَنْ ذَا اَلَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ قال: «نحن أولئك الشافعون» . و أما بالنسبه إلى الثانى:

ففى تفسير نور الثقلين (۵)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله عز و جل: لاٰ یَمْلِكُونَ اَلشَّفٰاعَهَ

۱- ۱) البقره:۲۵۵.

۲- ۲) طه:۱۰۹.

۳- ۳) مريم:۸۷.

۴- ۴) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۲۱۵.

۵- ۵) تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۳۶۱.

إِلاّ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً ، قال: «لا يشفع و لا يشفع لهم و لا يشفعون إِلاّ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً إلاّ من أذن له بولايه أمير المؤمنين و الأئمه من بعده (صلوات اللّه عليه و عليهم) فهو العهد عند اللّه» . أقول: فالمستفاد منه أنّ العهد عند اللّه كما هو شرط لشمول الشفاعه لأحد، كذلك هو شرط للشافعين فى قبول شفاعتهم لأحد عنده تعالى كما لا يخفى. ثمّ إن الشفاعه أمر عظيم يحتاج إليها كل أحد حتى الأنبياء فإنّهم يحتاجون إلى شفاعتهم عليهم السّلام و لهذه الأهميّه قال الزائر: «و رزقنى شفاعتكم» ، و مما يدل على أهميه هذا الأمر،

ما فى البحار (۱)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن سماعه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عن شفاعه النبى يوم القيامه، قال: «يلجم الناس يوم القيامه العرق فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا-عند ربه-فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربك، فيقول: إنّ لى ذنبا و خطيئه فعليكم بنوح، فيأتون نوحا فيردّهم إلى من يليه، و يردهم كل نبى إلى من يليه حتى ينتهوا إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على جميع الأنبياء فيعرضون أنفسهم عليه و يسألونه فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنه، و يستقبل باب الرحمن و يخرّ ساجدا، فيمكث ما شاء اللّه، فيقول اللّه عز و جل: ارفع رأسك اشفع تشفّع و سل تعط و ذلك قوله: عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقٰاماً مَحْمُوداً (۲)» .

و فيه (۳)عن تفسير العياشى: عن عبيد بن زراره قال: سئل أبو عبد اللّه عليه السّلام عن المؤمن: هل له شفاعه؟ قال: نعم، فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعه محمد صلّى اللّه عليه و آله يومئذ؟ قال: نعم إنّ للمؤمنين خطايا و ذنوبا، و ما من أحد إلاّ يحتاج إلى شفاعه محمد يومئذ، قال: و سأله رجل عن قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنا سيّد

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۳۵.

۲- ۲) الإسراء:۷۹.

۳- ۳) البحار ج ۸ ص ۴۸.

ولـد آدم و لا فخر، قال: نعم، قال: يأخذ حلقه باب الجنه فيفتحها فيخرّ ساجدا، فيقول اللّه: ارفع رأسک اشـفع تشـفّع، اطلب تعط، فيرفع رأسه ثم يخرّ ساجدا، فيقول اللّه: ارفع رأسک اشفع تشفّع و اطلب تعط، ثم يرفع رأسه فيشفّع و يطلب فيعطى» .

و فيه (۱)عن أمالى الشيخ بإسـناده عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «لا تستخفوا بشيعه على عليه السّـلام فإنّ الرجل منهم ليشـفع لعدد ربيعه و مضـر» . فالمسـتفاد من هذه الأحاديث أنّ الخلائق يحتاجون إلى شـفاعته صلّى اللّه عليه و آله حتى الأنبياء.

ففيه (۲)عن دعوات الراونـدى عن سـماعه بن مهران قال: قال أبو الحسن عليه السّـلام «إذا كانت لک حاجه إلى اللّه فقل: (اللهم إنى أسألک بحق محمـد و على، فإنّ لهما عنـدک شأنا من الشأن، و قـدرا من القدر، فبحقّ ذلک الشأن و ذلک القدر أن تصـلى على محمـد و آل محمـد، و أن تفعـل بى كـذا و كـذا) فإنه إذا كـان يوم القيـامه لم يبق ملک مقرب و لا نبى مرسل و لا مؤمن ممتحن إلاّـ و هو يحتـاج إليهمـا فى ذلـک اليوم» . أقول: ظـاهر قوله عليه السّـلام: «يحتاج. . .» أى إلى شـفاعته، فإن الحوائج فى ذلک اليوم إنما تقضى بالشفاعه من الأكابر. و أجمع روايه دلّت على هذه الأمور

ما فى الشـموس الطالعه (۳)فى شـرح الزيـاره الجـامعه: القمى قـال: حـدثنى أبى عن ابن أبى عمير، عن معاويه بن عمار، عن أبى العبـاس المكّبر قـال: دخـل مولى لامـرأه على بن الحسـين على أبى جعفر عليه السّـلام يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر تغرّون النـاس و تقولون شـفاعه محمد صـلّى اللّه عليه و آله شـفاعه محمد صـلّى اللّه عليه و آله، فغضب أبو جعفر عليه السّلام حتى تربّد وجهه. ثم قـال: «ويحـک يـا أبـا أيمن أ غرّک أن عفّ بطنـک و فرجـک؟ ! أمـا لو رأيت أفزاع القيامه لقـد احتجت إلى شـفاعه محمد صلّى اللّه عليه و آله ويلک فهل يشفع إلاّ لمن وجبت عليه

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۵۶.

۲- ۲) البحار ج ۸ ص ۵۹.

۳- ۳) الشموس الطالعه ص ۴۵۳.

النار؟ ثم قال: ما من أحد من الأولين و الآخرين إلّا و هو محتاج إلى شفاعه محمد يوم القيامه. ثم قال: إنّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الشفاعه فى أمته، و لنا الشفاعه فى شيعتنا، و لشيعتنا الشفاعه فى أهاليهم. ثم قال: و إنّ للمؤمنين الشفاعه مثل ربيعه و مضر، فإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه يقول: يا ربّ حقّ خدمتى كان يقينى الحرّ و البرد و هو قوله تعالى: . لاٰ تَنْفَعُ اَلشَّفٰاعَةُ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّحْمٰنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلاً (۱)» . أقول: قيل: أى إلّا من جعل مبدأه ذلک النور و تلک الطينه «العليّين» و رضى له القول بولايه أمير المؤمنين و الأئمه عليهم السّلام كما دلّت عليه الأخبار و قد تقدم بعضها. رزقنا اللّه شفاعتهم بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: و جعلنى من خيار مواليكم التابعين لما دعوتم إليه.

اشاره

أقول:

الكلام يقع أولا فى بيان المراد من خيار مواليهم،

اشاره

ثم فى بيان توصيفهم بالتابعين لما دعوهم إليه لإخراج غيرهم. فنقول: الخيار جمع خيّر و هو من صار نقيّا عن الرذائل متحلّيا بالفضائل قابلا لأن يطلّع بذاته الطاهره على حقايق الأشياء، و يتلقى الإشراقات الإلهيه بسهوله بلا مانع و حجاب. و تحقيق القول فى المقام بعد بيان مقدمه و هى أنّ الإنسان إن صدق بالأنبياء فيما جاءوا به من اللّه سبحانه فهو مسلم، و إن قرن بهذا موالاه الأئمه الهداه فهو مؤمن، و إن اشتغل مع هذا فى أغلب أوقاته بالعباده فهو عابد، و إن كان مع ذلک تاركا للدنيا و شهواتها فهو زاهد، و إن عرف مع ذلک الأشياء على ما هى

۱- ۱) طه:۱۰۹.

علیه بالتحقیق فهو عارف، و إن أوصله اللّه تعالی مع هذا إلی مقام القرب و أیّده بالإلهام و نفث الروع فهو ولی، و إن خصّه مع هذا بنسخ الشریعه السابقه فهو من أولی العزم، و إن خصّه مع هذا بخاتمیه النبوه فهو الخاتم. فهذه عشره کامله قلّ ما یتّفق فی المواد العنصریه، و کل واحد مما قبله أقلّ من القلیل أی مما قبل الخاتمیه. و الوجه فیه أنه یحصل من العناصر الکثیره قلیل هو النبات، و من کثیر منه قلیل منه یصیر غذاء للحیوان، و من کثیر منهما قلیل غذاء للإنسان، و من کثیر منه قلیل المنی، و من کثیر منه قلیل النطفه، و من کثیر منها قلیل المتولد، و من کثیر منهم قلیل العایش و الباقی، و من کثیر منه قلیل مسلم، و من کثیر منهم قلیل مؤمن، و من کثیر منهم قلیل طالب، و من کثیر منهم قلیل عالم، و من کثیر منهم قلیل عارف، و من کثیر منهم قلیل محقق، و من کثیر منهم قلیل عامل، و من کثیر منهم قلیل مستقیم، و من کثیر منهم قلیل أنبیاء، و من کثیر منهم قلیل رسل، و من کثیر منهم قلیل أولو العزم، و من بینهم واحد هو الخاتم صلّی اللّه علیه و آله. .

فهاهنا أمور لا بد من شرحها و هی کما عرفت عشره:

اشاره

الأول: المسلم. الثانی: المؤمن. الثالث: العابد. الرابع: الزاهد. الخامس: العارف. السادس: الولی. السابع: النبی. الثامن: الرسول. التاسع: أولو العزم.

ص: ۱۲۲

العاشر: الخاتم. و يلحق بالخاتم أوصياؤه عليهم السّلام فإنهم عليهم السّلام ليسوا ممن يبيّن حالهم من بيان حال الولى، فإن الولى يراد منه معناه العامّ، و الأوصياء يراد منهم المعنى الخاصّ الذى هو تال لمقام النبوه كما ستعرف، و من بيان حال الولى يعرف الغوث، و ساير عناوين أولياء اللّه تعالى من الأبدال و النجباء و النقباء و غيرهم. فنقول:

أما المسلم و المؤمن.

ففى البحار (۱)، عن الكافى بإسناده عن الفضيل، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن الإيمان يشارك الإسلام و لا يشاركه الإسلام، إنّ الإيمان ما وقر فى القلوب، و الإسلام ما عليه المناكح و المواريث و حقن الدماء، و الإيمان يشرك الإسلام و الإسلام لا يشرك الإيمان» .

و فيه (۲)عن كتاب سليم بن قيس الهلالى قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السّلام ما الإيمان و ما الإسلام؟ قال: قال: «أما الإيمان فالإقرار بعد المعرفه، و الإسلام فما أقررت به، و التسليم للأوصياء و الطاعه لهم» .

و فى روايه أخرى: و الإسلام إذا ما أقررت به، قلت: الإيمان الإقرار بعد المعرفه؟ قال: من عرفه اللّه نفسه (و نبيه) و إمامه ثمّ أقرّ بطاعته فهو مؤمن. أقول: حاصله أن الإسلام هو الإقرار باللسان و الإيمان هو الإقرار مع المعرفه للّه تعالى و للنبى صلّى اللّه عليه و آله و للإمام عليه السّلام كما لا يخفى، و تقدمت الأحاديث الداله على اشتراط الإيمان بالولايه و أنه لا يقبل اللّه تعالى عملا إلاّ بالولايه.

فمنه ما تقدم عن البحار (۳)، عن كتاب المناقب لمحمد بن أحمد بن شاذان بإسناده عن جعفر بن محمد عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «يا على أنت أمير

۱- ۱) البحار ج ۶۸ ص ۲۴۹.

۲- ۲) البحار ج ۶۸ ص ۲۸۷.

۳- ۳) البحار ج ۲۷ ص ۱۹۹.

المؤمنين و إمام المتقين، يا على أنت سيد الوصيين و وارث علم النبيين و خير الصديقين و أفضل السابقين، يا على أنت زوج سيده نساء العالمين و خليفه المرسلين، يا على أنت مولى المؤمنين، يا على أنت الحجه بعدى على الناس أجمعين، استوجب الجنه من تولّاك، و استحقّ دخول النار من عاداك، يا على و الذى بعثنى بالنبوه و اصطفانى على جميع البريه لو أنّ عبدا عبد اللّه ألف عام ما قبل اللّه ذلك منه إلاّ بولايتك و ولايه الأئمه من ولدك، و إن ولايتك لا تقبل إلاّ بالبراءه من أعدائك و أعداء الأئمه من ولدك، بذلك أخبرنى جبرئيل عليه السّلام فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر» . و تقدم معنى الإيمان و حقيقته و مراتبه فى شرح

قوله عليه السّلام:

«مؤمن بسرّكم»

، و قبله فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و أبواب الإيمان» . و حاصله أن الإيمان لغه: التصديق، و شرعا هو: التصديق أيضا إلاّ أنه اختصّ بالتصديق باللّه تعالى و بالنبى و بما علم مجيئه به ضروره و أهمّه الولايه كما علمت و له مراتب أدناها الإقرار باللسان، و أعلاها تنوّر فى القلب ينكشف به حقيقه الأشياء على ما هى عليه، فيرى أنّ الكل من اللّه و إلى اللّه، و اقتدار فى الباطن يوصل به إلى مقام «كن» فيتخطون فى المقامات و يعاينون فى أنفسهم الكرامات، فيصدقون على أتمّ وجه بالنبوات و الولايات من دون إثبات المعجزات بالأسانيد و الروايات، لا أنهم يسقطون المعجزات و الروايات، بل لأجل أنهم وصلوا إلى مقام حق اليقين، فالأمور منكشفه لهم بالوجدان و اليقين فلا يحتاجون إليهما. و كيف كان فهؤلاء المؤمنون حقا و فيهم ورد

كما فى الكافى: «إنّ المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر» . و هم أيضا على أصناف فمنهم السابقون المقرّبون، و منهم من دونهم بحسب تفاوت سيرهم و سلوكهم، فإن السير فى اللّه لا نهايه له و إن كان السير إلى اللّه متناهيا، و قبله مراتب لأهل العلم، و قد تقدم بيانه، و كيف كان فكمال الإيمان هو أن

ينتهى بصاحبه إلى حدّ العين فيسمى صاحبه عارفا، و نهايه العرفان مقام حق اليقين و الفناء المحض.

و أما العابد:

اشاره

ففى السفينه (۱)، قال الراغب فى المفردات ما ملخّصه أن العبوديه: إظهار التذلل، و العباده أبلغ منها، لأنها غايه التذلل و لا يستحقها إلّا من له غايه الإفضال و هو اللّه تعالى و لهذا قال: أَلّاٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِيّٰاهُ (۲)

و العباده ضربان:

الضرب الأول: عباده بالتسخير

كسجود الحيوانات و النباتات و الظلال، قال اللّه تعالى: وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلاٰلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ (۳)فهذا سجود تسخير و هو الدلاله الصامته الناطقه المنبّهه على كونها مخلوقه، و أنها خلق فاعل حكيم.

و الضرب الثانى: عباده بالاختيار

و هى لذوى النطق و هى المأمور بها فى نحو قوله تعالى: اُعْبُدُوا رَبَّكُمُ (۴)و العبد يقال على أضرب: الأول: عبد بحكم الشرع و هو الإنسان الذى يصحّ بيعه و ابتياعه نحو قوله تعالى: وَ اَلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ (۵). و الثانى: عبد بالإيجاد و ذلك ليس إلّا للّه، قال تعالى: إِنْ كُلُّ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ آتِي اَلرَّحْمٰنِ عَبْداً (۶). و الثالث: عبد بالعباده و الخدمه و الناس فى هذا ضربان: عبد للّه مخلصا كقوله تعالى: وَ عِبٰادُ اَلرَّحْمٰنِ (۷)- إِنَّ عِبٰادِي (۸)- عَبْدَنٰا

۱- ۱) السفينه ج ۲ ص ۱۱۰.

۲- ۲) الإسراء:۲۳.

۳- ۳) الرعد:۱۵.

۴- ۴) البقره:۲۱.

۵- ۵) البقره:۱۷۸.

۶- ۶) مريم:۹۳.

۷- ۷) الفرقان:۶۳.

۸- ۸) الحجر:۴۲.

أَيُّوبَ

(۱)

- عَبْداً شَکُوراً (۲)و نحو ذلک. و عبد للدنیا و أعراضها و هو المعتکف علی خدمتها و مراعاتها،

قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدینار» و علی هذا النحو یصحّ أن یقال: لیس کلّ إنسان عبدا للّه، فإن العبد علی هذا بمعنی العابد، لکن العبد أبلغ من العابد، و الناس کلهم عباد اللّه بل الأشیاء کلها کذلک لکن بعضها بالتسخیر و بعضها بالاختیار، انتهی. أقول: إن العبد للّه المخلص من یعبده کذلک و هو ثلاثه أقسام:

ففی الکافی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إنّ العباده ثلاثه: قوم عبدوا اللّه عزّ و جلّ خوفا فتلک عباده العبید، و قوم عبدوا اللّه تبارک و تعالی طلب الثواب فتلک عباده الأجراء، و قوم عبدوا اللّه عز و جل حبّا له فتلک عباده الأحرار و هی أفضل العباده» . و قال بعضهم فی حقیقه العباده الحقه: العرفاء ثلثوا القسمه و قالوا: العباده للعامه و هو التذلل للّه تعالی. و العبودیه للخاصه الذین صحّحوا النسبه إلیه تعالی بصدق القصد إلیه فی سلوک طریقه، و العبودیه لخاصه الخاصه الذین شهدوا أنفسهم قائمه بالحق فی عبودتهم، فهم یعبدونه فی مقام أحدیه الجمع و الفرق. أقول: القسمان الأخیران هو القسم الأخیر فی کلام الصادق علیه السّلام و أما القسم الأول فیشمل القسمین فی کلامه علیه السّلام و وجهه ظاهر و سیتّضح هذا فی بیان السیر و السلوک المحبّی و المحبوبی فانتظر.

و أما الزاهد:

قال بعض الأعاظم الزهد ضد الرغبه و للزهاد درجات: فمن زاهد یزهد فی الدنیا.

۱- ۱) ص:۴۱.

۲- ۲) الإسراء:۳.

و من زاهـد يزهـد فى الآـخره. و من زاهـد يزهـد فيمـا سوى شـهود جمال الـذات، و إن كانت محاسن الصـفات، ليشاهـد ذلک الجمال بلا مشاهده مزاحمه کل التعيّنات، و أشار تعالى إلى الزهد، بقوله: لِکَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَکُمْ وَ لاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاکُمْ (۱)و بقوله: وَ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ اَلْحَيَاهِ اَلدُّنْيَا . و قال بعض الأكابر: ضـد حبّ الـدنيا و الرغبه إليها هو الزهـد و هو ألاّ يريد الدنيا بقبله، و يترکها بجوارحه إلاّ بقدر ضـروره بدنه. و بعباره أخرى: هو الإعراض عن متاع الدنيا و طيّباتها من الأموال و المناصب و سائر ما يزول بالموت، و بتقرير آخر هو الرغبه عن الـدنيا عـدولا إلى الآخره أو عن غير اللّه عـدولا إلى اللّه و هو الـدرجه العليـا، فمن رغب عن کـلّ ما سوى اللّه حتى الفراديس و لم يجب إلاّ اللّه فهو الزاهـد المطلق، و من رغب عن حظوظ الـدنيا خوفا من النار أو طمعا فى نعيم الجنه من الحور و القصور و الفواکه و الأنهار فهو أيضا زاهـد و لکنه دون الأول، و من ترک بعض حظوظ الـدنيا دون بعض کالـذى يترک المـال دون الجـاه، أو يترک التوسع فى الأکل دون التجمل فى الزينه لا يستحق اسم الزاهـد مطلقا، و بما ذکر يظهر أنّ الزهد إنما يتحقق إذا تمکّن من نيل الدنيا و ترکها و کان باعث الترک هو حقاره المرغوب عنه و خساسـته أعنى الـدنيا بالإضافه إلى المرغوب إليه و هو اللّه و الـدار الآخره. فلو کان الترک لعدم قدرته عليها، أو لغرض غير اللّه تعالى و غير الـدار الآخره من حسن الذکر و اسـتماله القلوب، أو الاشـتهار بالفتوه و السـخاء، أو الاسـتثقال لما فى حفـظ الأموال من المشـقّه و العناء أو أمثال ذلک لم يکن من الزهـد أصـلا. و قال فى الزهـد الحقيقى لا تظننّ أنّ کلّ من يترک مال الدنيا أنه زاهد، فإن ترک

۱- ۱) الحديد:۲۳.

المال و إظهار التضييق و الخشونه فى المأكل و الملبس سهل على من أحبّ المدح بالزهد، فكم من الرهبان و المرائين تركوا مال الدنيا و روّضوا أنفسهم كل يوم على قدر قليل من القوت، و اكتفوا من المسكن بأى موضع اتّفق لهم، و كان غرضهم من ذلك أن يعرفهم الناس بالزهد و يمدحهم عليه، فهم تركوا المال لنيل الجاه، فالزهد الحقيقى ترك المال و الجاه بل جميع حظوظ النفس من الدنيا، و علامه ذلك استواء الغنى و الفقر و الذم و المدح و الذّل و العزّ لأجل غلبه الأنس باللّه، إذ ما لم يغلب على القلب الأنس باللّه و الحبّ له لم يخرج عنه حبّ الدنيا بكلّيّته، إذ محبه اللّه و محبه الدنيا فى القلب كالماء و الهواء فى القدح، فإذا دخل أحدهما خرج الآخر، فكلاهما لا يجتمعان و لا يرتفعان أيضا، فالقلب المملوء من حبّ الدنيا يكون خاليا عن حبّ اللّه، كما أنّ القلب المشغول بحبّ اللّه و أنسه فارغ عن حب الدنيا، و بقدر ما يخرج أحدهما يدخل الآخر و بالعكس.
أقول: تقدم قول السجاد عليه السّلام فى بيان أقسام الناس فى شهواتهم للدنيا من

قوله عليه السّلام: «فإن شهوات الخلق مختلفه» فى بيان أقسام الناس فى شهواتهم للدنيا من

قوله عليه السّلام: «فإن شهوات الخلق مختلفه» فمنه يظهر أغلب ما ذكر هنا، فراجعه. و كيف كان فالزهد من أهمّ ما يجب على السالك، بل بدونه لا يمكن السلوك، و إنما أريد الزهد لفراغ القلب للّه و للآخره.

ففى الكافى فى باب ذمّ الدنيا و الزهد فيها بالإسناد عن سفيان بن عيينه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام و هو يقول: «كلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط، و إنما أرادوا بالزهد فى الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخره» .

و فيه بإسناده عن على بن هاشم بن البريد عن أبيه أنّ رجلا سأل على بن الحسين عليه السّلام عن الزهد، فقال: «عشره أشياء فأعلى درجه الزهد أدنى درجه الورع، و أعلى درجه الورع أدنى درجه اليقين، و أعلى درجه اليقين أدنى درجه الرضا، ألا و إنّ الزهد فى آيه من كتاب اللّه عز و جل: لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ » .

و أما العارف:

فقد تقدم آنفا أن كمال الإيمان هو أن ينتهى الإيمان بصاحبه إلى حدّ العين فيسمى صاحبه عارفا، و نهايه العرفان مقام حق اليقين و الفناء المحض، فالعارف من أشهده اللّه تعالى ذاته و صفاته و أفعاله، و أما العالم إذا جعل مقابلا للعارف فهو من اطّلعه اللّه على ذلك لا عن شهود، فهو فى مقام علم اليقين، و العارف فى مقام عين اليقين أو حق اليقين، و لهذا يقال: المعرفه الإدراك الجزئى أو البسيط، لأن متعلق الشهود جزئى حقيقى و بسيط، و العلم بالحدود و الرسوم مركبه و تصديقات كذلك، و كلها عناوين كليه و هى غير المعرفه كما لا يخفى. و توضيح كلامهم هذا أى قولهم: إنها الإدراك المسبوق بالعدم. . . إلخ هو أنّ العارف قد شهده تعالى فى معهد أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ ثم تخلل الذهول عنه و نقض ميثاقه بردّه إلى أسفل سافلين، ثم شملته العنايه على وفق السابقه الأزليه، و أشهده اللّه تعالى ذاته و صفاته و أفعاله بتذكّر العهد الأول، و إن مقتضى فطرته الأوليه النور و الوصل، و خاصيه فطرته الثانيه الظلمه و الفصل، فيقصد النور الفطرى و يتوجّه إلى المحبوب الأول بعد الهجران، و يرفض الظلمه و يقطع عنها بتذكّر عهد الأزل بعد النسيان فتدبّر جيدا، ثمّ إن السلوك الموصل إلى المعرفه إنما هو بعد تطهير القلب بالتخليه عن الصفات الرذيله و التحلّى بالصفات الحميده. و حاصله أن الخابثات الباطنيه عشره: منها خابثات ثمانيه من حيث العمل و اثنتان من حيث العلم، أما الثمانيه التى من حيث العمل: فاثنتان منها طرفا الإفراط و التفريط، فى العفّه، و هما الشره و الخمود. و اثنتان طرفا الإفراط و التفريط، فى الشجاعه، و هما التهوّر و الجبن. و اثنتان طرفا الإفراط و التفريط، فى السخاوه، و هما التبذير و التقتير. و اثنتان طرفا الإفراط و التفريط، فى الحكمه، و هما الجربزه و البلاهه. و هذه الحكمه تسمى حكمه عمليه، و هى غير الحكمه العمليه التى هى قسيم الحكمه النظريه فضلا عن النظريه، و بيانه على ما قاله بعض الأعاظم: إنّ بعضهم

اشتبه فظنّ أنّ الحكمه العمليه المذكوره هاهنا التى طرفاها الجربزه و البلاهه هى بعينها ما هو قسيم الحكمه النظريه حيث يقال: إنّ الحكمه إما نظريه و إما عمليّه، و ذلك الظنّ فاسد للفرق بينهما، فإن هذه الحكمه العمليه هاهنا خلق نفسانى أى ملكه و سجيّه راسخه فى النفس الحاصله من تكرر الأفاعيل، التى تصدر منها الأفعال المتوسطه بين الجربزه و الغباوه (البلاهه) بسهوله، و هى حاله قائمه بالنفس تسمى بالحكمه فهى نظير الذكاوه و الجوده الفكريه. و أما إذا قالوا: الحكمه منها ما هو نظرى و منها ما هو عملى، لم يريدوا به الخلق بالضمّ، لأن ذلك أى الخلق ليس جزءا من الفلسفه كما لا يخفى، فإن الخلق بالكليه يبحث عنها فى علم الأخلاق لا الفلسفه، بل المراد منه ما هى إحدى الفلسفتين، أى أرادوا بها معرفه الإنسان بالملكات الخلقيه أنها كم هى و ما هى و ما الفاضل منها و ما الردى منها، و معرفه كيفيه تحصيلها و اكتسابها للنفس و إزالتها و إخراجها عن النفس و معرفه السياسات المدنيه و المنزليّه، و بالجمله معرفه الأمور التى لنا أى للفلسفى مدخليه فى إدخالها فى الوجود و إخراجها عن الوجود بوجه، و هذه المعرفه ليست غريزيه و بنحو الملكه و السجيّه بحيث تكون كالطبيعه الثانيه، بل هى عمليّه حاصله للنفس من ممارسه علميّه، فمتى حصلنا كانت حاصله لنا من حيث هى معرفه، و إن لم نفعل فعلا ـ و لم نتخلق بخلق. و الحاصل أنها قوه حاصله من اكتساب علمى نتيجتها معرفه السياسات، و لا ربط لها بالأعمال، و لذا يمكن حصولها لأحد مع عدم حصول تلك الحكمه العمليه المتوسطه بين الجربزه و البلاهه. و بعباره أخرى: الحكمه العمليه قد يراد بها نفس الخلق كالحكمه العمليّه هاهنا، و قد يراد منها العلم بالخلق، و قد يراد بها الأفعال الصادره عن الخلق بالضمّ. فالحكمه العمليه التى جعلت قسيمه للحكمه النظريه هى العلم بالخلق مطلقا لا نفسه، التى تصدر الأفعال منه بسهوله، و العلم بما يصدر منه و إفراطه أيضا

فضیله بخلافه، لأنه علم و العلم فضیله، و هذا بخلاف إفراط تلک التی هی الجربزه فإنها رذیله کما لا یخفی. و الحکمه العملیه التی جعلت إحدی الفضائل نظیر الشجاعه و العفه، هی نفس الخلق المخصوص المبائن سایر الأخلاق، و قد علمت أنّ إفراطه کتفریطه رذیله، و علمت أنّ هذه الحکمه التی هی القسیمه للحکمه العملیه لا تباین سائر الأخلاق، بل تجمع معها کما أشرنا إلیه، فظهر الفرق بین البابین. و کیف کان فإذا طهر القلب فله أن یشرع فی السلوک لتحصیل المعرفه، و هو کما قاله بعض الأعاظم سلوکان: سلوک المحبوبیه و سلوک المحبّیه. و الأول: هو أن یکون وصول السالک إلی اللّه تعالی سابقا علی سلوکه، بمعنی أن یکون وصوله إلی اللّه تعالی بغیر سلوک و مجاهده و ریاضه بزهد و تقوی و أمثالها، و احتیاج إلی مرشد و معلّم، بل بمحض العنایه الأزلیه و الهدایه الحقیقیه الأولیه المشار إلیهم بقوله تعالی: اَلَّذِینَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا اَلْحُسْنیٰ (۱). و الثانی: هو أن یکون وصول السالک إلی اللّه تعالی موقوفا علی سلوکه إلیه، و قربه منه مشروطا بمجاهدته و ریاضته بزهده و تقواه بمرشد و شیخ و معلّم المشار إلیهم بقوله تعالی: وَ اَلَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا (۲). فالطائفه الأولی هم المحبوبون من الأنبیاء و الأولیاء من الأئمه علیهم السّلام و التابعین لهم علی قدم صدق و الإخلاص التام، فإنهم و صلوا إلی اللّه تعالی من غیر عمل سابق و سبب لاحق، بل بمحض العنایه و کمال المحبه،

قال الرضا علیه السّلام بعد ذکر أوصاف الامام علیه السّلام بطوله: «کل ذلک بلا طلب و لا اکتساب بل تفضّل من المفضّل الوهّاب» . راجع عیون أخبار الرضا و البحار و الکافی. و کیف کان هؤلاء هم الأبرار المقربون الذین شربوا من شراب المحبّه و الشوق

۱- ۱) الأنبیاء:۱۰۱.

۲- ۲) العنکبوت:۶۹.

و بكأس العشق و العنايه و الإراده الذاتيه قبل أن يخلق العالم و ما فيه، و إليهم الإشاره بقوله تعالى: وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً (۱)أى شراب المحبه بكأس الشوق و الإراده فى عالم الأرواح قبل الأجساد حتى لا يبقى بينهم و بينه مغايره و لا من إنّيّاتهم بقيّه، و يكون المحبه و المحب و المحبوب شيئا واحدا كما قيل: إذا تمّ الفقر فهو اللّه. و تقدم

قوله عليه السّلام فى الدعاء:

«لا فرق بينك و بينها إلاّ أنهم عبادك. . .» الدعاء و إلى هذا السكر و المحبه أشير فى قوله: إنّ المحبه للرحمن أسكرنى فهل رأيت محبّا غير سكران و ليس هذا هو السكر المذموم أعنى الموجب للمحبّ و السالك، الهتك و الشطح و الدعوى، بل السكّر الممدوح المحمود المخصوص بالكامل المكمّل الموجب للمشاهده و الذوق و التحيّر فى جمال المعشوق المعبّر عنه بالسير فى اللّه دون السير للّه و باللّه فإنهما منقطعان غير باقيين بدون الأول. و أما الطائفه الثانيه: الذين هم المحبون فسلوكهم مقدم على وصولهم بحكم المتابعه من القيام بمقام الشريعه و الطريقه، و ما يتعلق بهما من الرياضه و المجاهده بالزهد و التقوى بمساعده الشيخ المرشد، فهذه طائفتان: المحبوبون و هم الأنبياء و الأولياء و الأئمه عليهم السّلام. و المحبّون الطالبون و هم أهل السلوك و الاجتهاد فى سبيل اللّه. و هناك طائفه أخرى و هم الضّالّون المضلّون و هم الذين حرموا عن الوصول من أهل الكفر و الشرك. و قد أشار الكتاب الكريم إلى هذه الطوائف الثلاث بقوله: وَ كُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَةً. فَأَصْحٰابُ اَلْمَيْمَنَةِ مٰا أَصْحٰابُ اَلْمَيْمَنَةِ. وَ أَصْحٰابُ اَلْمَشْئَمَةِ مٰا أَصْحٰابُ

۱- ۱) الإنسان:۲۱.

اَلْمَشْئَمَهِ. وَ اَلسّابِقُونَ اَلسّابِقُونَ. أُولٰئِکَ اَلْمُقَرَّبُونَ

(۱)

فالسابقون هم الطائفه المحبوبون، و أصحاب الميمنه هم الطائفه المحبون، و أصحاب المشئمه هم الطائفه الضّالّون المضلّون. ثم اعلم أنّ السکر بمعنى الحبّ و العشق منه ما هو ممدوح و منه ما هو مذموم. فالأول ما هو للأنبياء و الأئمه عليهم السّلام. و الثانى ما هو لبعض أهل الهتک و الشطح و الدعوى. و لعمرى إنّ الفرق بينهما فى غايه الصعوبه، و لذا اشتبه الأمر على بعضهم فحسب أن أهل الشطح من أولياء اللّه و إنّ ما يصدر منهم يصدر من اللّه تعالى ملفّقا لذلک بأمور واهيه، و حيث إنّ هذا أمر مهمّ جدّا و مزالّ للأقدام فأحببت أن أذکر ما به الامتياز بينهما، لئلا يضلّ السالک الحقيقى و الطالب الإلهى، بل يهتدى بالهدايه الإلهيه و يثبت على الطريقه الحقه الجعفريه الإماميه عليهم السّلام فنقول و عليه التکلان: فاعلم أنه ذکر بعض الأکابر (رضوان اللّه تعالى عليه) بيان الفرق نحن نذکره ملخّصا موضحا بعونه تعالى فنقول: قال رحمه اللّه: و اعلم أن الکفر کالإيمان على درجات متفاوته إذ بإزاء کل مرتبه من الإيمان مرتبه من الکفر، فمن مراتبه کفر القالب و کفر النفس و کفر القلب. فالکفر الأول: کمن أنکر شيئا من ضروريات الدين، أو ردّ علامه من علامات شريعه سيد المرسلين فقد کفر بفتوى الفقهاء و العلماء. و أما الکفر الثانى: الذى يتعلق بالنفس فلأنّ معبودها الهوى، و هو الصنم الأکبر المشار إليه فى قوله تعالى: أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اِتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ (۲).

و فى الحديث المروى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله کما ذکر ما يقرب منه فى الدر المنثور: (أبغض إله عبد فى الأرض الهوى) بل يرجع عباده الأصنام إلى عباده الهوى، فإن

ص :۱۳۳

۱- ۱) الواقعه:۷-۱۱.

۲- ۲) الجاثيه:۲۳.

عابـد الصـنم إنما يعبـد فی الحقيقه فی نفسه ما حضـر عنـد نفسه من صوره الهوی و الأوهام، و هو عبادته له بظنّ الإلهيه و تصور الربوبيه له، لا بما هو جسم و إلّا لزم أن يعبـد كل جسم و هو كما تری، فالمعبود حينئـذ هو الهوی. فعبّاد الأصـنام، و عبّاد أرباب العقائـد الباطله الجزئيه و أصـحاب المـذاهب الجاهليه كلهم مشتركون فی أنهم يعبدون هواهم إما مطلقا أو مقيّدا بصوره حجريه مثلا أو بقريّه أو شمسيه أو غيرها، فجميعهم من أهل الهوی و الطاغوت و عبده الوهم و الجهل و أتباع النفس فی الشهوات. و أما الكفر الثـالث: أی كفر القلب الـذی هو المقصود من بيـانه فهو أنّ السالك إذا انجلت مرآه سرّه بحيث حوذی بها شـطر الحق، و تنقی عن عين قلبه الكـدورات النفسانيه، و ارتفعت عنها الغشاوات الدنياويه، فوقع فيها نور الحق و يتجلّی لها جمال الأحديه، فإذا غافصه (۱)تجليه تعالی، أی تجلی له تبارك و تعالی دفعه و عن غفله منه، فأخـذه التجليه علی حين سـكر منه، فحينئذ ربما نسـی هويته الإمكانيه و خرج عن رتبه العبوديه، و لم يثبت بالقول الثابت فاعتقـد حينئذ لذاته، إنها عين الحق، و بادر فی تلك الحاله و قـال: إنه فيهـا فأنا الحق. و بعباره أخری: زعم أنّ الحق تعالی فی ذاته بحيث يری ذاته الحق فيقول: أنا الحق أو يقول: سـبحانی ما أعظم شـأنی، أو يقول: قـد تـدرّع باللاهـوت نـاسوتی. و هـذا حـال كثير منهم إلّا من يثبته اللّه بالقول الثابت فی الـدنيا و الآخره، بحيث يهـديه اللّه تعـالی فيعرف أن الصوره الإلهيه بما لها من المعنی المناسب لـذاته المقـدسه المتعاليه، ليست فی مرآه ذاته، بل تجلّت فيهـا. و بعبـاره أخری: يفهمه اللّه تعـالی أنّ الحقيقه الإلـهيه بما هی هی ليست فی حقيقه ذاته، تعالی عن ذلك علوّا كبيرا، بل تجلّت تلك الحقيقه فيها إشراقا، و ما حلّت فيها حلولا، بل ظهرت منها ظهورا، أی ظهرت الحقيقه الإلهيه بتجليه و إشراقه من

۱- ۱) المغافصه: بناگاه گرفتن و بر غفلت كسی آمدن.

ذات العبد، فكم من فرق بين كون ذات العبد مظهرا لجلواته تعالى و بين كونها أى ذات العبد عين الحقيقه الإلهيه، كيف و لا حدّ لها فلا يمكن حلولها فى شىء لاستلزامها المحاطيّه و المحدوديه بذلك الشىء، تعالى عن ذلك علوّا كبيرا، و لو حلّت لما تصوّر أن تتجلّى صوره واحده-لأن الحقيقه الإلهيه وحده حقيقته صرفه-لمرائى كثيره فى حاله واحده، بل كانت بحيث إذا حلّت فى مرآه واحده ارتحلت عن الأخرى لوحدته تعالى و كثره المرائى. و بعباره أخرى: مع انخفاظ الوحده الحقه الإلهيه لا يتصور الحلول فى مرائى كثيره إلاّ بالتناوب الموجب لتغيّر الذات، و كلّ هذا منفى عنه تعالى كما لا يخفى و هيهات فإنّ اللّه لا يتجلّى لجمله من العارفين دفعه واحده، و إن كان فى بعض المجالى أظهر و أصحّ و أقوم و أوضح، و فى بعضها أخفى و أكتم و أبهم و أميل إلى الاعوجاج عن الاستقامه، و ذلك لتفاوت المرائى فى الصقاله و الصفاء و صحه الاستداره و الاستواء فى رفع الحجب عن بسيط وجهها كلاّ أو بعضا. و بعباره أخرى: أنه تعالى لا يتجلّى لكثير من العارفين بما هم كثيرون دفعه واحده، بحيث يكون تجلّيه لكل واحد منهم بما هو، لاستلزامه ذلك التغيّر فى ذاته كما علمت، بل تجلّيه واحده و ظهورها فى المجالى مختلفه بحسب اختلافها فى الصقاله و الصفاء. . . إلى آخر ما ذكرنا، فافهم جدّا لأنه دقيق و مزالّ للأقدام. و كيف كان فكم من سالك بلغ إلى هذا المقام الذى هو آخر الاقدام فى السفر الأول، فوقع فى الكفر الأكبر و ضلّ و غوى و هلك فى الجحيم السفلى و الحطمه الكبرى نٰارُ اَللّٰهِ اَلْمُوقَدَةُ. اَلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى اَلْأَفْئِدَةِ (1)و هذا الكفر المتظاهر بتلك الشطحيّات هو السكر المذموم. فقد عرفت حينئذ الفرق بين شراب المحبّه بكأس الشوق الثابت للسابقين

١- ١) الهمزه:۶-٧.

الذی أشیر إلیه و إلیهم بقوله تعالی: وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً (۱)بما له من الآثار و القرب الحقیقی إلی محبوبهم و اللذه من النظر إلیه، و بین السکر المذموم الثابت لأهل الشطح و الدعاوی، و لهذا الکلام تفصیل یذکر فی محله. و أهل الحق و الموحد الحقیقی إذا جاوز عن هذه المزلقه المهویّه و ارتفع عن هذه المرتبه یقول: وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ (۲)و یحکی بقوله هذا عن فنائه عن نفسه تحت تجلی وجه ربه الکریم، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله الطاهرین. و اعلم أنه تعالی خلق الإنسان فی أحسن تقویم ثمّ ردّه إلی أسفل السافلین، فهو فی هذا العالم الجسمانی مقیّد بسلاسل قد جعلها فی أسفل السافلین، ثم إنه لا یکاد یصل إلی مقام المعرفه المذکوره إلّا بالخروج عن هذه السجون و عن إساره هذه السلاسل. و بعباره أخری: أن للإنسان محابس بحسب مراتب وجوده فلابد من الخروج عنها. الأول: و هی أنّ الأبدان و الأشخاص أساری السجون و المحابس الطبیعه، و هی الأغلال و السلاسل الموجبه للخلود إلی أرض الطبیعه، فلا بد من إخراج البدن و الشخص الإنسانی عنها بالریاضات و الأعمال الصالحه، لیصیر البدن حینئذ طیبا.

و فی الحدیث: «إن اللّه إذا أراد بعبد خیرا طیّب روحه و جسده» . فقوله علیه السّلام: «روحه» ، یشیر إلی استخلاص البدن عن المواد الطبیعیه، فیصیر طیبا کما کان بدن النبی صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام بل و بدن بعض أولیاء اللّه تعالی کذلک. و قصّه صفاء بدنهم مذکوره فی محلها هذا و قد اشتهر أنّ بدن النبی صلّی اللّه علیه و آله کان لطیفا بحیث لا ظلّ له، و کان ینفذ عنه الأجسام کما لا یخفی.

ص:۱۳۶

۱- ۱) الإنسان:۲۱.

۲- ۲) الأنعام:۷۹.

الثانی: أن النفوس و الأرواح محبوسه فی مضائق البـدن و المواد العنصـریه الکائنه للبـدن، فلا بـد من الخروج عنها بقطع العلائق عنها و تجرّدها عنها بالتوجه الکامل إلی المبـدإ المتعال، و بالمعارف الحقه و استحکامها فی الروح، لیتمکن بها عن الخروج عن مضائق البدن و المواد، و هذه من أصعب مسالک السلوک إلیه تعالی. و الثالث: أنّ العقول الإنسانیه المجرده قد صارت مسجونه فی سجن الأوهـام، التی هی محـل هواجس الشـیطان فهی تکـدّر العقول عن درکه الحقـائق کمـا هی، فلاـ بـد من تطهیرها عنها بصـرفها فی تحصـیل المعـارف الإلهیه، و إعراضـها عن الأوهام و الخیالات الشـیطانیه. و الرابع: أن القلوب-التی قـد علمت سابقا حقیقتهـا، مسـجونه فی التعلّقات المادّیه الموجبه لصـرفها عن التوجه إلیه تعالی و الاستشـراف بتجلّیاته تعالی، فلا بـد من الخروج عنهـا بقطع تلـک العلاـئق بالریاضـات الإـلهیه من تحصـیل محبته و الشوق إلیه و العشق بجماله و جلاله، لکی یخلص القلب عن تلک العلائق. و الخامس: و هو المرحله الأخیره للوصول هو أن الوجودات متقیّـده بقیود الماهیات، فهی محبوسه بها عن مشاهده الحق المطلق، فلا بـد من الخروج عنها بسـبب الجـذبه الأحـدیه الموجبه لذهولها عن غیره تعالی و عن جمیع الماهیّات الإمکانیه، فلاـ یکون حینئـذ له وجود إلاّـ و هو متعلّق به تعـالی لا بغیره تعالی، و لهـذا المقام تحقیق موکول إلی محله و لعله تجیء الإشاره إلیه.

قال علیه السّلام:

«إلهی و ألحقنی بنور عزّک الأبهج فأکون لک عارفا و عن سواک منحرفا» .

ثم إن هـذه المنازل لا تحصل لأحـد إلاّ بالتوبه بتمام معانیها، و مجمل القول فیها بحیث یشـمل جمیع أقسامها هو: أنّ التوبه ثلاثه أقسـام: القسم العـامّ: و هی الرجـوع عن المعاصـی و هی تـوبه العصـاه. القسم الخـاص: و هی التوبه عن ترک الأـولی و هی توبه الأنبیاء الماضین علیهم السّلام.

القسم الأخصّ: و هی الرجوع عن التفات إلی غیره تعالی و تقدس، و قیل هی توبه نبینا صلّی اللّه علیه و آله و آله المعصومین، فتوبتهم عباره عن رجوعهم عما صدر عنهم من عثره التوجه إلی غیر جنابه تعالی و هی المعتبره عند أهل السلوک. ثم التائب لا بد أن یتدارک بفعل ثلاثه أمور: بالقیاس إلی الزمان الماضی. بالقیاس إلی الزمان الحاضر. بالقیاس إلی الزمان المستقبل. أما بالقیاس إلی الزمان الماضی: فهو یتشعّب إلی شعبتین: الندم علی ما فات و الأسف علی ما زلّت قدمه هاویه فی الخطیئات. التدارک لما وقع و هو بالنسبه إلی أشخاص ثلاثه: الأول: بالنسبه إلی الحق تعالی بالتضرع إلی حضرته و الالتزام بخدمته، و الاعتکاف علی بابه و الاستکانه إلی جنابه. و الثانی: بالنسبه إلی نفسه حیث أبرز نفسه فی معرض سخطه تعالی و أظلم علیها بأن یؤدی حقها بإصلاحها. و الثالث: بالنسبه إلی الغیر الذی آذاه بالمضرّات القولیه و الفعلیه بأن یعتذر إلیه قولا و ینقاد للمکافات فعلا و یردّ حقّه إلیه أو إلی من یقوم مقامه، و یتحمل الحدود المقرّره لتلک الجنایات و إن کان مقتولا لم یمکن تحصیل رضاه، و لکن بعد ما راعی الشرائط الأخر و حصّل رضاء أولیائه عسی أن تشمله العنایه العمیمه و الرحمه الواسعه.

عن جابر بن عبد اللّه الأنصاری قال: جاءت امرأه إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال: یا نبی اللّه امرأه قتلت ولدها هل لها من توبه؟ فقال صلّی اللّه علیه و آله: «و الذی نفس محمد بیده لو أنها قتلت سبعین نبیّا ثمّ تابت و ندمت و یعلم اللّه من قلبها (قبلها) أنها لا ترجع إلی المعصیه أبدا یقبل اللّه توبتها. . .» الحدیث.

ص: ۱۳۸

و أما بالقياس إلى الزمان الحاضر: فهو أن يترك الذنب الذى كان مباشرا فى الحال. و أما بالنسبه إلى الزمان المستقبل: فهو أن يصمّم عزمه على أنّ لا يعود إليه و لو قتل، و حينئذ يصدق منه (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) فهذه شرائط توبه العام. و منه يعلم حال توبه الخاصّ. و أما الأخصّ فأمره أصعب و فيها قيل: اليمين و الشمال مضلّتان. هذه جمله الكلام فى التوبه نقلا عن بعض الأعاظم. و إليها يشير

ما عن أمير المؤمنين عليه السّلام كما فى نهج البلاغه و قد قال عليه السّلام لقائل قال بحضرته: استغفر اللّه، «ثكلتك أمّك أ تدرى ما الاستغفار؟ الاستغفار درجه العلّيين و هو اسم واقع على سته معان: الندم على ما مضى. العزم على ترك العود إليه أبدا. أن تؤدى إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى اللّه أملس ليس عليك تبعه. أن تعمد إلى كل فريضه عليك ضيّعتها فتؤدى حقها. أن تعمد إلى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم و ينشأ بينهما لحم جديد. أن تذيق الجسم ألم الطاعه كما أذقته حلاوه المعصيه، فعند ذلك تقول: أستغفر اللّه» . ثمّ إن الكلام فى التوبه كثير و ما ذكرناه كان قليلا من الكلام فيها، لأنها من أهمّ الأمور المتوقّفه عليها المعرفه الإلهيه كما حقق فى علم السلوك، و مجمل القول فيه لتكون على بصيره فيه: إن الأسفار أربعه: الأول: هو السير إلى اللّه من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، و هو

نهایه مقام القلب و مبدأ التجلّیات الأسمائیه، و هذا یعبّر عنه بالسیر من الخلق إلی الحق. و الثانی: هو السیر فی اللّه بالاتصاف بصفاته و التحقق بأسمائه إلی الأفق الأعلی و نهایه الحضره الواحدیه. و الثالث: هو الترقی إلی عین الجمع و الحضره الأحدیه، و هو مقام قاب قوسین ما بقیت الاثنینیه، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنی و هو نهایه الولایه. و الرابع: هو السیر باللّه عن اللّه المعبّر عنه بالسیر من الحق إلی الخلق بعکس الأول للتکمیل، و هو مقام البقاء بعد الفناء و الفرق بعد الجمع. رزقنا اللّه تعالی ذلک بمحمد و آله الطاهرین.

و أما الولی—و النبی—و الرسول—و أولی العزم—و الخاتم و الملحق به من الأئمه علیهم السّلام.

فنقول: الکلام یقع تاره فی بیان الفرق بین الولی و النبی، و یلحق بالنبی الکلام فی الرسول و أولی العزم و الخاتم، و یلحق بالولی الکلام فی الأئمه علیهم السّلام. فنقول: إنّ النبی من الإنباء و هو الإخبار، و النبی هو الإنسان المخبر عن اللّه بغیر واسطه بشر أعمّ من أن یکون له شریعه کمحمد صلّی اللّه علیه و آله أو لیس له شریعه کیحیی علیه السّلام. و قیل: هو من النبوه و النباوه لما ارتفع من الأرض. و المعنی أنه ارتفع و شرف علی سائر الخلق. قیل: و الفرق بینه و بین الرسول بأنّ الرسول هو المخبر عن اللّه بغیر واسطه أحد من البشر، و له شریعه مبتدأه کآدم علیه السّلام أو ناسخه کمحمد صلّی اللّه علیه و آله و بأن النبی هو الذی یری فی منامه و یسمع الصوت و لا یعاین الملک، و الرسول هو الذی یسمع الصوت و یری فی المنام و یعاین، و بأن الرسول قد یکون من الملائکه کما صرّح به فی الآیات بخلاف النبی.

و فی الکافی: کتاب الحجه بإسناد صحیح عن زراره قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَ کٰانَ رَسُولاً نَبِیًّا ما الرسول و ما النبی؟ قال: «النبی الذی یری فی منامه و یسمع الصوت و لا یعاین الملک، و الرسول الذی یسمّع الصوت و یری فی المنام و یعاین الملک، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: یسمع الصوت و لا یری و لا یعاین الملک، ثم تلا هذه الآیه: و ما أرسلنا من قبلک من رسول و لا نبیّ (و لا محدّث») .

و فیه بإسناده عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهم السّلام فی قوله عز و جل: و ما أرسلنا من قبلک من رسول و لا نبی (و لا محدث) (۱)، قلت: جعلت فداک هذه قرائتنا، فما الرسول و النبی و المحدّث؟ قال: «الرسول الذی یظهر له الملک فیکلّمه، و النبی هو الذی یری فی منامه، و ربما اجتمعت النبوه و الرساله لواحد، و المحدّث الذی یسمع الصوت و لا یری الصوره، قال: قلت: أصلحک اللّه کیف یعلم أنّ الذی رأی فی النوم حقّ و أنه من الملک؟ قال: یوفق لذلک حتی یعرفه، لقد ختم اللّه بکتابکم الکتب و ختم بنبیّکم الأنبیاء» . أقول: قد ظهر من هذه الأحادیث الفرق بین النبی و الرسول، و أما الفرق بینهما و بین الولی فنقول: الولایه إذا استعملت بکسر الواو فهی بمعنی الإماره و التولیه و السلطان، و إذا استعملت بالفتح فهی بمعنی المحبّه و یقال أیضا: إنها مأخوذه من الولی بمعنی القرب، هذا بحسب اللغه و أما بحسب الاصطلاح فهی حقیقه کلّیه و شأن من الشئون الذاتیه التی تقتضی الظهور، و اللّه هو الولی الحمید، و یظهر حکمها فی جمیع الأشیاء من الواجب و الممکن، ثم إنه لما کان الولی من أسمائه تعالی- و هو الولی الحمید-و لا بد لکل اسم من مظهر فی هذا العالم لم تنقطع الولایه، و هذا بخلاف النبی و الرسول فإنهما لیسا من أسمائه تعالی، و لم یرخّص الشارع إطلاقهما

۱- ۱) الحجّ:۵۲.

علیه تعالی، فانقطعت الرساله و انسدّ باب نبوه التشریع، فلم یبق اسم یختصّ به العبد دون الحق بانقطاع النبوه و الرساله

کما قال صلّی اللّه علیه و آله: (لا نبی بعدی) و بالجمله هذان الاسمان أعنی النبی و الرسول مختصّان بالعباد، و لما کان اللّه تعالی بعباده لطیفا أبقی لهم النبوه العامه و یقال لها: نبوه التعریف بإزاء نبوه التشریع. و کیف کان فهی الإنباء عن المعارف و الحقائق بلا تشریع، و بلا أخذ من اللّه بلا واسطه أو بواسطته بل بالاجتهاد و الوارثه

کما ورد: (إنّ العلماء ورثه الأنبیاء) فالفقهاء مظاهر علم النبی صلّی اللّه علیه و آله بما هو نبی، و الأولیاء و العرفاء مظاهره بما هو ولی، و المراد من المعارف ما هی أعمّ مما لا یتعلّق بالأعمال و مما یتعلق، لسریان نبوه التعریف و عمومها، فیشمل انباء کل معلم لمتعلّمه، و تعریف کل مؤدب لمتأدّبه و کل مؤمن لأهل بیته آدابا حسنه، و کل سائس لمن یسوسه سیاسه سنیه، ثم إن الرسول و النبی هو الولی أیضا، فإن الولایه باطن النبوه، فالنبی هو الولی، ثم إن النبی قد یتکلم بکلام خارج عن التشریع فهو من حیث هو ولی لا من حیث هو نبی

کقوله صلّی اللّه علیه و آله: «لو أدلیتم بحبل لهبط علی اللّه» و نحوه، ثمّ إنه بما هو ولی أتمّ و أکمل منه بما هو نبی، لأن ولایته جنبته الحقانیه و اشتغاله بالحق و نبوته و جهته الخلقیه و توجهه إلیهم، و لا شکّ فی أن الأولی أشرف لکونها أبدیه بخلاف الثانیه فإنها منقطعه، فإذا سمعتم یقولون الولایه أفضل من النبوه فیعنون ذلک فی شخص واحد، و هو أن النبی من حیث هو ولی أفضل منه من حیث هو نبی لا الولی التابع کالأئمه علیهم السّلام فإنّ فضلهم علیهم السّلام من فضله صلّی اللّه علیه و آله فإنه صلّی اللّه علیه و آله فیه النبوه و الرساله و الولایه بالأصاله و فیهم علیهم السّلام بالتّبع أی المنتقله منه صلّی اللّه علیه و آله إلیهم علیهم السّلام. ثم إنه تقدم أنّ واحدا من الکل هو الخاتم و وجه کونه صلّی اللّه علیه و آله خاتما أنه غایه للکل، و إن کل کمال و جمال و جلال فیما دونه و خزانتها عنده صلّی اللّه علیه و آله و هی أی تلک الخزائن ملکه صلّی اللّه علیه و آله فکأنّه صلّی اللّه علیه و آله جعلها فی مخزنه، و غلق بابه و ضرب علیه خاتمه فهو صلّی اللّه علیه و آله إذا الخاتم و ختم الکمالات قاطبه.

و بعباره أخرى: أشرف الموجودات صاعده إليه تعالى، و بقاعده الإمكان الأخسّ كلّ نوع ما لم يستوف كمالات النوع الأخسّ منه لم يتخطّ إلى مقام النوع الأشرف و هكذا، إلى أن ينتهى إلى نوع أشرف لا أشرف فى الأنواع منه، و هكذا فى أفراد ذلك النوع الأشرف حتى ينتهى إلى فرد أشرف لا أشرف فوقه سوى الواجب الوجود تعالى شأنه، فثبت أنه صلّى اللّه عليه و آله خاتم كل كمال إنسانى، و جامع كلّ جمال و جلال فى حكيم ربانى و خليفه سبحانى، و أن كل من بعده أظلّته لكليّته. و نعم ما قيل: اى كائنات را بوجود تو افتخار اى بيش از آفرينش و كم ز آفريدگار و نعم ما قيل أيضا: ختم رسل سيّد إنس و پرى هندوى او جاى زحل مشترى آب رخ عقل، نم جوى او هر دو جهان تعبيه در كوى او ثم إنه صلّى اللّه عليه و آله كما كان خاتمه كتاب الكمال الإنسانى و الكلمات الطيبه الصاعده كذلك فاتحته، و أعرف ذلك من كونه صلّى اللّه عليه و آله غايه، و الوجه فيه أنّ ما كان غايه يكون بدايه أيضا، و الغايه متأخره عينا مقدمه علما و أول الفكر آخر العمل. و إليه

أشاروا عليهم السّلام: «نحن الآخرون السابقون»

و قال صلّى اللّه عليه و آله: «أول ما خلق اللّه روحى أو عقلى أو نورى» ،

و قال صلّى اللّه عليه و آله: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين» . و سيجىء قريبا طى بيان المراد من الغوث ما يزيد توضيحا لكونه صلّى اللّه عليه و آله خاتما فانتظر.

و أما أولو العزم:

ففى المجمع: . . وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً أى رأيا معزوما عليه، يقال: عزمت عزما و عزما بالضمّ و عزيمه: إذا أردت فعله و قطعت عليه. . إلى أن قال: و العزم و العزمه: ما عقد عليه قلبك إنك فاعله.

ص: ۱۴۳

و فی علل الشرایع (۱)، بإسناده عن جابر بن یزید، عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: وَ لَقَدْ عَهِدْنٰا إِلىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (۲)قال: «عهد إلیه فی محمد و الأئمه من بعده، فترک و لم یکن له عزم فیهم أنهم هکذا، و إنما سمی أولو العزم، لأنهم عهد إلیهم فی محمد و الأوصیاء من بعده و المهدی و سیرته، فأجمع عزمهم أن ذلک کذلک و الإقرار به» .

و فی تفسیر نور الثقلین (۳)، عن أصول الکافی بإسناده عن سماعه بن مهران قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: فَاصْبِرْ كَمٰا صَبَرَ أُولُوا اَلْعَزْمِ مِنَ اَلرُّسُلِ فقال: «نوح و إبراهیم و موسی و عیسی و محمد صلّی اللّه علیه و آله قلت: کیف صاروا أولی العزم؟ قال: لأنّ نوحا بعث بکتاب و شریعه، و کل من جاء من بعد نوح أخذ بکتاب نوح و شریعته و منهاجه حتی جاء إبراهیم علیه السّلام بالصحف و بعزیمه ترک کتاب نوح لا کفرا به، فکل نبی جاء بعد إبراهیم أخذ بشریعته و منهاجه و بالصحف حتی جاء موسی بالتوراه و شریعته و منهاجه و بعزیمه ترک الصحف، فکلّ نبی جاء بعد موسی أخذ بالتوراه و شریعته و منهاجه حتی جاء المسیح علیه السّلام بالإنجیل و بعزیمه ترک شریعه موسی و منهاجه، فکل نبی جاء بعد المسیح أخذ بشریعته و منهاجه حتی جاء محمد صلّی اللّه علیه و آله فجاء بالقرآن و بشریعته و منهاجه، فحلاله حلال إلی یوم القیامه، و حرامه حرام إلی یوم القیامه فهؤلاء أولو العزم من الرسل» .

و فیه عنه عن ابن أبی یعفور قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «ساده النبیین و المرسلین خمسه و هم أولو العزم من الرسل و علیهم دارت الرّحی، نوح و إبراهیم و موسی و عیسی و محمد صلّی اللّه علیه و آله و علی جمیع الأنبیاء» .

و فیه عنه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إنّ أول وصی کان علی

۱- ۱) علل الشرایع ج ۱ ص ۱۲۲.

۲- ۲) طه:۱۱۵.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۲۲.

وجه الأرض هبه اللّه بن آدم، و ما من نبى مضى إلاّ و له وصى، و كان جميع الأنبياء مئه ألف نبى و عشرين ألف نبى منهم خمسه أولو العزم: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد صلّى اللّه عليه و آله. . .» الحديث. أقول: و مثل هذه الأحاديث أحاديث أخر و المستفاد منها أنّ أولى العزم منهم خمسه و هم المذكورون و إنّ المناط فى كونهم أولى العزم هو ما ذكر فى الحديث السابق من كون شريعته ثابته و يتبعه الأنبياء غير أولى العزم حتى يجىء من هو من أولى العزم بعده هذا فى الظاهر، و أما فى الواقع فمناطه هو الإقرار بما عهد إليهم فى محمد و آله الطاهرين. أقول: أى فى الإقرار بأنهم أفضل الكمّل من الأنبياء و أشرف الخلائق و أعلمهم، و أنّ لهم مقام الولايه الإلهيه الكبرى، كما لا يخفى. أقول: و من هنا يعرف فى الجمله حال الأئمه عليهم السّلام و كذا فاطمه الزهراء عليها السّلام بأنهم كما علمت مرارا ملحقون بمحمد صلّى اللّه عليه و آله.

ثم إن هاهنا كلاما فى بيان حال الغوث، و أنه من المراد منه؟

فنقول: قال بعض الأعاظم و العارفين: الغوث من أسماء قطب العالم عند المحقّقين من الصوفيه، فإن العلماء منهم قالوا بالأقطاب و الأوتاد و الأبدال و الغوث و الإمام و الأفراد و النقباء و النجباء و رجال اللّه، و أمثال ذلك من العبارات، و قالوا: إنّ الكل مستمد من الغوث. فقال بعضهم: إن للّه رجالا ـ هم رجال الأسماء و هم تسعه و تسعون رجلا، و رجل جامع يقال له الغوث و الفرد و القطب الجامع، لا يعرفه أحد من هذه التسعه و التسعين رجلا مع استمدادهم جميعا منه، و هذا العدد مأخوذ من عدد الأسماء الحسنى.

كما فى توحيد الصدوق (١)، عن أبى الصلت عبد السلام بن صالح الهروى، عن

ص: ۱۴۵

١- ١) توحيد الصدوق ص ١٩٥.

على بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن على عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «للّه عز و جل تسعه و تسعون اسما، من دعا اللّه بها استجاب له، و من أحصاها دخل الجنه» . ثم إن التعبير عنهم برجال الأسماء لما تقرّر من أنه ليس المراد من إحصائها الموجب لدخول الجنه هو عدّها، بل المراد الإحاطه بها و الوقوف على معانيها كما صرح به الصدوق رحمه اللّه. و بعباره أخرى: المراد بها هو التخلّق بهذه الأسماء حيث إنها من أخلاق اللّه تعالى، لما تقدم من

قول الرضا عليه السّلام: (إنّ الاسم صفه لمسمى) . و معلوم أنّ الاسم و الصفه إذا تخلق بها أحد من الرجال صار كأنه هى: فبهذا اللحاظ عبّر عنهم برجال الأسماء. و قال بعض علماء الحروف: إن من كان من هؤلاء فى رجال الحروف النورانيه كان الغالب عليه الظهور و ارتفاع الصيت، و من كان فى رجال الحروف الظلمانيه كان الغالب عليه الخفاء و خمول الذكر. ثم إن المراد من الحروف النورانيه العليم و الحكيم، و من الحروف الظلمانيه كالقادر و الباسط. و المراد من قولهم: من كان فى رجال الحروف الظلمانيه هو أن يكون ذلك الرجل مظهرا بنحو التخلق بأسماء فى لفظها يوجد الحروف الظلمانيه كالقادر و الباسط، و منه يعلم المراد من رجال الحروف النورانيه، و هو المظهر للاسم الذى لفظه من الحروف النورانيه كالعليم و الحكيم، و لا يراد من الحروف الظلمانيه ما كان جميع حروف ذلك الاسم من الحروف الظلمانيه، إذ لا يوجد فى أسماء اللّه ما كان جميع حروفها ظلمانيه سوى (الودود) و يمكن أن يراد من الرجال فى قولهم: رجال اللّه، مطلق رجال اللّه و أوليائه، و حينئذ يراد من الحروف النورانيه و الظلمانيه الحروف المقطّعه حيث انقسمت قسمين، و سيأتى بيان الفرق بينهما و المائز لهما.

و حينئذ معنى كونهم رجال النورانيه أو رجال الظلمانيه، أنهم يدعون بالحروف و الأسماء النورانيه تاره فبهذا اللحاظ يسمون بها، و يدعون بالحروف و الأسماء الظلمانيه أخرى فبهذا اللحاظ يسمون بها فتأمل. ثمّ اعلم علما يقينا أنّ مرادهم بالغوث قائم آل محمد صلّى اللّه عليه و آله صاحب الأمر و الزمان المهدى المنتظر (عج) كما أنه يسمّى عند الحكماء مدبّر العالم و إنسان المدنيه و هو المسمى بالفارقليط

كما قال عيسى عليه السّلام: «نحن نأتيكم بالتنزيل، و أما التأويل فسيأتى الفارقليط فى آخر الزمان» . و إنما قلنا مرادهم بالغوث هو (عج) لما قال كمال الدين فى تفسيره القرآن لا يقرأه بالحق و الحقيقه كما هو إلّا المهدى (عج) ، فإنّ

قوله عليه السّلام: «إنّ الزمان دار إلى أن وصل إلى النقطه التى منها بدأ» مطابق لأنّ الخاتم للأولياء هو المهدى، لأنه فى الحقيقه هو الخاتم للولايه و النبوه و الرساله و الآفاق و الأنفس و القرآن و الشرع و الإسلام و الدين، لأنّ الكل موقوف عليه قائم به بأمر اللّه تعالى لأنه القطب، و الوجود لا يقوم إلّا بالقطب، و لا يبقى إلّا به كالرحى، فإنه لا يبقى نفعه و لا يدور إلّا بالقطب. و معنى القول «بأن الزمان دار إلى أن وصل إلى النقطه التى منها بدأ» هو أنّ عالم الكون جميعا فى الحركه، فإنّ حركات الأكوان طرّا و تنزّلاتها و ترقياتها دورّيه كالأفلاك و الزمان الذى هو مقدار حركتها. فدار الوجود من العقل إلى العقل، و النقطه التى هى مبدأ خطّ القوس النزولى تتحد بالنقط، التى هى منتهى خطّ القوس الصعودى، و جميع ما فى القرآن فى النقطه كما هو المأثور عن الحقيقه العلويه، و منه يظهر معنى أنّ القرآن لا يقرأه بالحق و الحقيقه كما هو إلّا المهدى (عج) فإنّ المراد منه قراءته بلسان الحق تعالى، و بما هو هو تجلّ من تجلّياته، و لا ريب فى أنه لا يمكن ذلك لأحد إلّا له (عج) و لهذا النحو من القراءه مراتب أكملها له (عج) .

ص: ۱۴۷

و أما سایر أولیاء اللّه تعالی فلکل حظّ حسب قربه إلیه تعالی، و لا عباده أحسن و ألذّ منه، و لذا قال بعض العرفاء: إنه لا أحبّ إلینا فی شیء من قراءه کلام اللّه تعالی، لأن العبد ینوب عن الحق فی قراءه کلامه، هذا بلحاظ قراءه القرآن بالحق، و أما بلحاظ الحقیقه فلأنّ المهدی (سلام اللّه علیه و روحی له الفداء و عجل اللّه تعالی فرجه الشریف) لما وصل بحقیقته إلی ما بدأ فی الوجود فقد قرأ کلام اللّه بالحقیقه التی وجدها بحقیقته الشریفه. و بعباره أخری: أنه کما تلقی القرآن عقل الکل أی النبی صلّی اللّه علیه و آله و قرأ علی جبرئیل و تلقّی منه الحقیقه المحمدیه، أی تلقّی جبرئیل حقیقه القرآن من حقیقه المحمدیه، و من المعلوم أنّ المهدی (عج) هو و جدّه صلّی اللّه علیه و آله فی مقام الولایه الکبری، لأنه و هو صلّی اللّه علیه و آله نور واحد

کما قالوا «کلنا محمد» فقد تقدم، فقد ظهر أنّ حقیقه القرآن قد تلقّاها المهدی (عج) کما تلقّاها النبی صلّی اللّه علیه و آله إلاّ أنه علیه السّلام بواسطته صلّی اللّه علیه و آله. و حقیقه القرآن ما هو فی علم اللّه تعالی، فإنها بما هو علمه تعالی قدیمه، ثم کانت فی القلم أی فی الحقیقه المحمدیه صلّی اللّه علیه و آله ثمّ فی اللوح الذی یتلقاها جبرئیل علیه السّلام ثمّ کانت تنزل علیه صلّی اللّه علیه و آله بواسطه جبرئیل، و کان نزوله علی صدره و هو مقام الرساله البشریه، فجبرئیل ینزّل القرآن من الحقیقه المحمدیه إلی صدره الشریف فی عالم البشریه، فتأمل تعرف. ثم إن المراد من کونه (علیه السلام و عجل اللّه فرجه الشریف) خاتما للولایه و النبوه و الرساله: إما بالنسبه إلی الولایه، فظاهر فإنه خاتم لها کما لا یخفی، و إما بالنسبه إلی النبوه و الرساله فإن المراد منهما النبوه و الرساله التعریفیتان لا التشریعیتان، فإن النبوه و الرساله التشریعیتین قد انقطعتا به صلّی اللّه علیه و آله و أما التعریفیتان منهما فهما باقیتان کما تقدم آنفا بیانه. و یمکن أن یراد من کونه خاتما لهما هو أنه علیه السّلام حافظ لهما، کما أنه علیه السّلام حافظ للآفاق و الأنفس، لأنهما إنما یبلغان إلی الغایه و الکمال بوجوده الشریف من حیث

روحانیته الکلیه، التی هی خاتمه السلسله الطولیه بنحو لا یکون بعدها شیء إلاّ قیام القیامه الکبری بعدیه دهریه أو سرمدیه کما حقق فی محله. و لعلّ إلیه یشیر

ما فی تحف العقول عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فیما قاله لکمیل «یا کمیل ما من علم إلاّ و أنا أفتحه، و ما من سرّ إلاّ و القائم یختمه» ، أی بوجوده علیه السّلام یختم الأسرار الکونیه أی تصل إلی کمالها. ثم إن السرّ فی خاتمیته علیه السّلام فی الکل من النبوه و الرساله بالمعنی المتقدم و من الآفاق و الأنفس: هو کلیه وجوده علیه السّلام بحیث کلّ الأرواح الولویه المطلقه، و جمیع العقول الصاعده مشمولاته علیه السّلام و هو علیه السّلام شاملها و محیط بها بالإحاطه الإلهیه المظهریه، حیث إنه علیه السّلام مظهر لهذا الظهور الإلهی، أی الإحاطه الکلیه الإلهیه فلا یبقی لکلیته علیه السّلام مقابل لیس من مشمولاته علیه السّلام. ثم إن الخاتمیه بحسب السلسله الطولیه الصعودیه مستلزم الخاتمیه بحسب السلسله العرضیه، فإن هذا مقتضی کلیه وجوده علیه السّلام فإنه یشمل الکل طولا و عرضا.

و ما فی الزیاره من قوله علیه السّلام:

«السلام علی عین الحیاه»

یشیر إلی ذلک، ثم إنه إذا کان المهدی (عج) و جدّه صلّی اللّه علیه و آله نورا واحدا و فی مقام الولایه الکبری الإلهیه، و لهما الکلیه التی لا یشذّ عنها شیء، فلا محاله یکون النبی صلّی اللّه علیه و آله خاتما، و منه یظهر سرّ

قوله صلّی اللّه علیه و آله: «لا نبی بعدی» فتفطن تعرف. و فی المحکی عن الشیخ محی الدین العربی فی فتوحاته: اعلم أنّ للّه خلیفه یخرج و قد امتلأت الأرض جورا و ظلما فیملأها قسطا و عدلا، لو لم یبق من الدنیا إلاّ یوم واحد طوّل اللّه ذلک الیوم حتی یخرج هذا الخلیفه من عتره رسول اللّه من ولد فاطمه، یواطی اسمه اسم رسول اللّه، جدّه الحسین بن علی بن أبی طالب علیه السّلام یبایع بین الرکن و المقام، یشبه رسول اللّه فی الخلق، و ینزل عنه فی الخلق، لأنه لا یکون أحد مثل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی خلقه، لأنّ اللّه سبحانه و تعالی یقول: وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ . أقول: معنى قوله: و ينزل عنه فى الخلق لأنه لا يكون. . . إلخ الظاهر فى أنه عليه السّلام غير جدّه صلّى اللّه عليه و آله فى الخلق، هو أنّ جدّه صلّى اللّه عليه و آله مرتبته فى مرتبه التأسيس فى الآداب و الأخلاق و هو عليه السّلام فى مرتبه إجراء ما جاء به جده صلّى اللّه عليه و آله و هو عليه السّلام أحق بها إجراء فلا مغايره حقيقه كما لا يخفى، و إن أريد به غير ما ذكر فلا يقبل منه، ثم إنه أنشأ نظما: ألا إنّ ختم الأولياء شهيد و عين إمام العالمين فقيد هو السيد المهدى من آل أحمد هو الصارم الهندى حين يبيد هو الشمس يجلو كل غيم و ظلمه هو الوابل الوسمى حين يجود أقول: هذا ما يظهر من كلمات القوم من أهل المعرفه، و قال بعض الأكابر ما حاصله: أنّ عند أهل اللّه من الإماميه و أرباب الحقيقه من الاثنى عشريه أن العالم يدور على سبعه من الأقطاب و اثنى عشر من الأولياء. أما السبعه من الأقطاب فهم كبار الأنبياء و الرسل و هؤلاء آدم و نوح و إبراهيم و داود و موسى و عيسى و محمد صلّى اللّه عليه و آله تطبيقا على الكواكب السبعه السياره. و أما الاثنا عشر من الأولياء فهم أوصياء محمد صلّى اللّه عليه و آله تطبيقا على البروج الاثنى عشر. لكن اعلم أيدنا اللّه و إياك أنّ جميع الأنبياء و الرسل من آدم إلى عيسى عليه السّلام مظهر من مظاهر خاتم الأنبياء محمد صلّى اللّه عليه و آله و جميع الأوصياء و الأولياء مظهر من مظاهر سيد الأولياء على عليه السّلام

لقوله صلّى اللّه عليه و آله: «بعث على مع الأنبياء سرّا و بعث معى جهرا» و كما أنّ كلّ الأنبياء كالأقمار المقتبسين من شمس نبوه خاتم الأنبياء، أو كالفروع و الأغصان و الأوراق المتفرّعه من أصل شجره طوبى النبوه الختميّه المحمديه، كذلك كل الأولياء كالأقمار المكتسبين من نور شمس ولايه سيد الأولياء، أو كالفروع و الأغصان و الأوراق المتوزّعه من أصل شجره طوبى الولايه الختميّه

العلويه. و نعم ما قيل بالفارسيه: گر تو را آينهٔ ديده جليست در هر آئينه معاينه عليست و لقائل آخر: جز اسد اللّه در اين بيشه نيست غير على هيچ در انديشه نيست و أحسن من ذينك ما قيل: اسد اللّه در وجود آمد در پس پرده هر چه بود آمد هذا بعض الكلام فى بيان المراد من الغوث، و قد علمت أنه فى زماننا هو سيدنا و مولانا الحجه المهدى (عج) ،

ثم إنّ هاهنا ألقابا و عناوين للأولياء لا بأس بالإشاره إليها،

فنقول:

و فى البحار (١)، بإسناده عن جابر الجعفى حديث عن زين العابدين (صلوات اللّه عليه و على آبائه و أبنائه. . .) إلى أن قال: قال (صلوات اللّه عليه) : «يا جابر أ و تدرى ما المعرفه؟ المعرفه إثبات التوحيد أولا، ثمّ معرفه المعانى ثانيا، ثم معرفه الأبواب ثالثا، ثم معرفه الأنام (معرفه الإمام) رابعا، ثم معرفه الأركان خامسا، ثم معرفه النقباء سادسا، ثم معرفه النجباء سابعا، و هو قوله تعالى: . . لَوْ كٰانَ اَلْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّى لَنَفِدَ اَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً (٢)و تلا أيضا: وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِى اَلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ وَ اَلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣)يا جابر إثبات التوحيد و معرفه المعانى:

١- ١) البحار ج ٢٦ ص ١٣.

٢- ٢) الكهف ١٠٩.

٣- ٣) لقمان:٢٧.

أما إثبات التوحيد معرفه اللّه القديم الغائب الذى لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير، و هو غيب باطن ستدركه كما وصف به نفسه، و أما المعانى فنحن معانيه و مظاهره فيكم، اخترعنا من نور ذاته و فوّض إلينا أمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، و نحن إذا شئنا شاء اللّه، و إذا أردنا أراد اللّه، و نحن أحلّنا اللّه عز و جل هذا المحلّ، و اصطفانا من بين عباده، و جعلنا حجته فى بلاده، فمن أنكر شيئا وردّه فقد ردّ على اللّه جل اسمه و كفر بآياته و أنبيائه و رسله. يا جابر من عرف اللّه تعالى بهذه الصفه فقد أثبت التوحيد، لأنّ هذه الصفه موافقه لما فى الكتاب المنزل و ذلك قوله تعالى: لاٰ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصٰارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصٰارَ (١)لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْبَصِيرُ (٢)، و قوله تعالى: لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ (٣)، الحديث.

أقول: هذا الحديث مشتمل على غوامض من المعارف، ثم إن فى كلام القوم بيانا لشرح هؤلاء، و وجه تسميتهم بتلك الأسماء لم يثبت من طريقنا إلاّ بعضها. و كيف كان فقد قالوا: إنه لا بد لبقاء نظام العالم من قطب و هو الغوث، و قد عرفت أنه المهدى (عج) و دلّت أحاديث كثيره على أنه لو لا الحجه لساخت الأرض بأهلها و قد تقدم بعضها، فالغوث مما لا بد منه و هو محل نظر اللّه تعالى من العالم، و أيضا لا بد من أركان أربعه تتلقى عن الغوث ما يتلقى من الوحى و الإلهام فيما يتعلق بتدبير العام من الناس، من خلق و رزق و حياه و موت و تكليف. ثم إنه قد علمت أن القطب عندنا هو الإمام عليه السّلام و هو اليوم الحجه (عج) و قد تقدمت الأحاديث الكثيره على أنه عليه السّلام مخزن علمه و حجته و مهبط إرادته و قلبه محلّ مشيته كل ذلك بالنصوص الكثيره الوارده منهم عليهم السّلام و قد مرّ مرارا.

١- ١) الأنعام:١٠٣.

٢- ٢) الشورى:١١.

٣- ٣) الأنبياء:٢٣.

و حاصله أنّ ما أراد اللّه تعالى إبرازه و إيجاده و حياته و مماته و رزقه و تكليفه، و غير ذلك من متعلق الإراده، فهذا أنهى اللّه تعالى علم ذلک كله إلى قطب العالم أى الحجه (عج) و الأركان الأربعه تتلقى منه عليه السّلام و تؤدّى أحكام ذلک على ما حدده اللّه تعالى لوليه عليه السّلام. هذا يساعد عليه الدليل و لا دليل على ردّه. ثم إنهم قالوا: إنه لا بدّ من أربعين بدلا، و إن كانوا قد يزيدون، و لكن لا ينقصون، فإنّ واحدا من الأربعين تفضّل اللّه تعالى على واحد من النجباء الذين هم دون مرتبه الأبدال، فيعلو إلى درجه البدل الميّت، فيكون بدلا من الذى مات، فهو على هيئته و عبادته حتى يكون مثله و لهذا يسمى بدلا. ثم قالوا: إنه لا بد من نجباء سبعين رجلا لا أقل من ذلک أعدادا لمن يموت من الأبدال و هم سبعون لا أقل. ثم قالوا: إنه لا بد من ثلاثمائه و ستين صالحا للأعداد بالنحو المذكور، ثم إنه لم يوجد هذا التفصيل من الأحاديث. نعم ورد فى

قوله عليه السّلام: «نعم المنزل الطيبه و ما بثلاثين من وحشه» . و كيف كان قد يقال: إنّ الأبدال من خيار الشيعه و خيار الموالين المعبّر عنهم بالنقباء. و القسم الثانى الذى منهم البدل يسمون بالنجباء و ربما سمى الأولى بالخصّيصين و الثانيه بالخواصّ، و قد عبر عنهما فى الحديث السابق بالنقباء و النجباء على ما يتراءى من ظاهر الحديث. إذا علمت هذا كلّه و علمت طبقات أولياء اللّه تعالى بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام فحينئذ

قول الزائر:

«و جعلنى من خيار مواليكم»

يراد منه أن يجعله من الخصّيصين الكاملين العارفين الواصلين. فحينئذ

قوله عليه السّلام:

«التابعين لما دعوتم إليه»

أى المؤتّمين بكم فى جميع أحوالكم و أعمالكم و أقوالكم و اعتقاداتكم مما يتعلق بالمبدإ و المعاد و المعارف و النفس و المال

و النسب و العرض و الدنيا و الآخره و الدين، و لعلّ هذا القيد بلحاظ إخراج من وصل إلى بعض تلك المقامات، و توهّم أنه يصل إلى المقصود بدون متابعتهم، كما ربما يتوهم ذلك من بعض المدعين للمعرفه، فإنه سيأتى أنه لا يمكن لأحد الوصول إلى المعارف و إلى معرفه اللّه تعالى إلاّ بمتابعتهم فى جميع تلك المقامات، و لا ريب فى أنّ المتابعه لهم هى الموجب لأن يكون التابع منهم عليهم السّلام كما قال تعالى: فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى (١).

و فى تفسير نور الثقلين (٢)، عن أمالى الشيخ شيخ الطائفه بإسناده إلى عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا بن يزيد أنت و اللّه منا أهل البيت، قلت: جعلت فداك من آل محمد صلّى اللّه عليه و آله؟ قال: إى و اللّه من أنفسهم، قلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ قال: إى و اللّه من أنفسهم، يا عمر أ ما تقرأ كتاب اللّه عزّ و جلّ: إِنَّ أَوْلَى اَلنّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اِتَّبَعُوهُ وَ هٰذَا اَلنَّبِيُّ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَللّهُ وَلِيُّ اَلْمُؤْمِنِينَ (٣)؟ أ و ما تقرأ قول اللّه عز اسمه: فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَ مَنْ عَصٰانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۴)؟» .

و فيه عن تفسير العياشى عن أبى عبيده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «من أحبّنا فهو منّا أهل البيت، قلت: جعلت فداك منكم؟ قال: منّا و اللّه، أ ما سمعت قول إبراهيم عليه السّلام: فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى » .

و فيه عنه عن محمد الحلبى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «من اتّقى اللّه منكم و أصلح فهو منا أهل البيت، قال: منكم أهل البيت؟ قال: منا أهل البيت، قال فيها إبراهيم: فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى ، قال عمر بن يزيد: قلت له: من آل محمد؟ قال إى و اللّه من آل محمد (إى و اللّه من آل محمد) من أنفسهم أ ما تسمع اللّه يقول: إِنَّ أَوْلَى اَلنّاسِ

١- ١) إبراهيم:٣۶.

٢- ٢) تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ۵۴٧.

٣- ٣) آل عمران:۶٨.

۴- ۴) إبراهيم:٣۶.

بِإِبْرٰاهِيمَ لَلَّذِينَ اِتَّبَعُوهُ و قول إبراهيم: فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ؟» .

و فيه عن أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «من تولى آل محمد، و قدّمهم على جميع الناس بما قدّمهم من قرابه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فهو من آل محمد بمنزله آل محمد، لا أنه من القوم بأعيانهم، و إنما هو منهم بتوليه إليهم و اتّباعه إيّاهم، و كذلك حكم اللّه فى كتابه: وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ (۱)و قول إبراهيم: فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصٰانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . ثم إن من فارقهم متعمّدا فى شىء من الدين، و ردّ عليهم فى شىء مما ذكر، خرج من الدين و من أمان اللّه تعالى إلى غضبه و سخطه، و مأواه جهنم و بئس المصير، و من فرض الأمر فى جميع ذلک، و لم يفارقهم فى شىء عن عمد و ردّ عليهم فهو فى الجنه، و هى مأواه و مرده و إن أتى بذنوب الثقلين» . جعلنا اللّه تعالى من التابعين لهم فى جميع ذلک، و حشرنا معهم، و أوردنا موردهم بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: و جعلنى ممن يقتصّ آثاركم، و يسلک سبيلکم، و يهتدى بهداكم،

اشاره

يقع الكلام فى أمور:

الأمر الأول: قوله عليه السّلام: «و جعلنى ممن يقتصّ آثاركم» .

ففى المجمع: و القاصّ من يأتى بالقصّه على وجهها كأنه يتبع معانيها و ألفاظها. . إلى أن قال: و اقتصصت الحديث: رويته على وجهه. أقول: يقال: اقتصّ أثره: تبعه، و اقتص الحديث: رواه على ما سمعه. قال المجلسى رحمه اللّه: يقتصّ أى يتّبع.

ص: ۱۵۵

۱- ۱) المائده:۵۱.

أقول: أی يتّبع فی النقل عين كلامهم أو يتّبع معناه فيعمل به، و قد علمت أنه المعنّى بالقاصّ، و إنّ اقتصاص الحديث هو روايته على وجهه.

ففی تفسير نور الثقلين (١)، عن أبی بصير قال: قلت لأبی عبد اللّه عليه السّلام قول اللّه جل ثناؤه: اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ اَلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ (٢)، قال: «هو الرجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه لا يزيد فيه و لا ينقص» .

و فيه عنه قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ اَلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ إلى آخر الآيه، قال: «هم المسلّمون لآل محمد صلّى اللّه عليه و آله الّذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه و لم ينقصوا منه، جاءوا به كما سمعوه» .
أقول: هذان الحديثان دلّا على أنّ متابعه أحسن القول هو أن يجیء به الإنسان كما سمعه، و يكون مسلما له أی لمعناه، كما لا يخفى. و كيف كان

فقوله:

«يقتصّ آثاركم»

أی يتّبع أخباركم لفظا بأن يذكرها كما سمعها، و معنى بأن يعمل بها و يمكن أن يراد منه: أنه يجعلنی ممن يبثّ أحاديثكم و يقصّها فقد دلّت أحاديث كثيره على الحث على هذا.

ففی البحار (٣)، عن أمالی الصدوق بإسناده عن عيسى بن عبد اللّه العلوی العمری عن آبائه عن علی عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «اللهم ارحم خلفائی- ثلاثا-قيل: يا رسول اللّه و من خلفاؤك؟ قال: الذين يتّبعون حديثی و سنّتی ثمّ يعلّمونها أمتی» .

و فی حديث زاد فی آخره: «أولئك رفقائی فی الجنه» .

و فيه عنه عن الفضيل قال: قال لی أبو جعفر عليه السّلام: «يا فضيل إنّ حديثنا يحيی القلوب» .

١- ١) تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۴۸۲.
٢- ٢) الزمر:١٨.
٣- ٣) البحار ج ٢ ص ١۴۴.

و فيه عن الخصال عن خيثمه قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: «تزاوروا فى بيوتكم فإنّ ذلک حياه لأمرنا، رحم اللّه عبدا أحيا أمرنا» .

و فيه عن بصائر الدرجات بإسناده عن معاويه بن عمار، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: رجل راويه لحديثكم يبثّ ذلک إلى الناس و يشدّده فى قلوب شيعتكم، و لعل عابدا من شيعتكم ليست له هذه الروايه أيّهما أفضل؟ قال: «روايه لحديثنا يبثّ فى الناس و يشدّده فى قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد» .

و فيه عن المحاسن عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال لى: «يا جابر و اللّه لحديث تصيبه من صادق فى حلال و حرام خير لک مما طلعت عليه الشمس حتى تغرب» .

و فيه عن رجال الكشى عن على بن حنظله عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «اعرفوا منازل الناس منّا على قدر رواياتهم عنّا» .

و فيه عن دعوات الراوندى قال أبو جعفر عليه السّلام: «إنّ حديثنا يحيى القلوب، و قال: منفعته فى الدين أشدّ على الشيطان من عباده سبعين ألف عابد» .

و فيه عن منيه المريد و قال صلّى اللّه عليه و آله: «تذاكروا و تلاقوا و تحدّثوا، فإنّ الحديث جلاء القلوب، إن القلوب لترين كما يرين السيف و جلاؤها الحديث» .

و فيه عن صحيفه الرضا عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «من حفظ على أمّتى أربعين حديثا ينتفعون بها بعثه اللّه تعالى يوم القيامه فقيها عالما» . أقول: و الأحاديث فى ذلک كثيره جدا، و حيث إنّ بثّ الأحاديث التى هى من آثارهم من أهمّ العبادات ثوابا و آكدها رغبه، فيسأل الزائر أن يجعله ممن يقتصّ آثارهم، ثم إنه قد علمت أنّ معنى اقتصاص الحديث هو أن يسمع الحديث و لم يزد فيه و لم ينقص منه، و يكون مسلّما لآل محمد صلّى اللّه عليه و آله و لمعناه أى يعمل به، فيستفيد منه حينئذ إنه لا نجاه لأحد إلاّ فى متابعتهم و الأخذ عنهم دون غيرهم كائنا من كان.

ففی البحار (۱)، عن بصائر الـدرجات بإسـناده عن أبی مریم قال: قال أبو جعفر علیه السّلام لسـلمه بن کهیل و الحکم بن عتیبه: «شرّقا و غرّبا لن تجدا علما صحیحا إلّا شیئا یخرج من عندنا أهل البیت» .

و فیه عن الثمالی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَیْرِ هُدیً مِنَ اَللّٰهِ (۲)؟ قال: «عنی اللّه بها من اتخذ دینه رأیه من غیر إمام من أئمه الهدی» .

و فیه عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام أنه قال: «من دان بغیر سماع عن صادق ألزمه اللّه التیه إلی یوم القیامه» .

و فیه (۳)عن کتاب جعفر بن محمد بن شریح، و منه بهذا الإسناد عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ رجلا دخل علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فقال: إنکم أهل بیت رحمه اختصّکم اللّه بذلک، قال: «نحن کذلک و الحمد للّه، لم ندخل أحدا فی ضلاله، و لم نخرج أحدا من باب هدی نعوذ باللّه أن نضلّ أحدا» .

و فیه عن بصائر الدرجات عن فضیل، قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «کلّ ما لم یخرج من هذا البیت فهو باطل» .

و فیه عنه عن زراره قال: کنت عند أبی جعفر علیه السّلام فقال لی رجل من أهل الکوفه: سله عن قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «سلونی عمّا شئتم، و لا تسألونی عن شیء إلّا أنبأتکم به، قال: فسألته فقال: إنه لیس أحد عنده علم شیء إلّا خرج من عند أمیر المؤمنین علیه السّلام فلیذهب الناس حیث شاءوا فو اللّه لیأتینّ الأمر هاهنا، و أشار بیده إلی صدره» . أقول: و مثله أحادیث أخر باختلاف یسیر.

۱- ۱) البحار ج ۲ ص ۹۲.

۲- ۲) القصص:۵۰.

۳- ۳) البحار ج ۲ ص ۹۴.

و فیه (۱)عن کتاب صفات الشیعه للصدوق عن المفضل قال: قال الصادق علیه السّلام: «کذب من زعم أنه من شیعتنا و هو متمسّک بعروه غیرنا» .

و فیه عن تفسیر العیاشی عن سعد عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن هذه الآیه: . . وَ لَیْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِهٰا وَ لٰکِنَّ اَلْبِرَّ مَنِ اِتَّقیٰ وَ أْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا (۲)، فقال: «آل محمد صلّی اللّه علیه و آله أبواب اللّه و سبیله، و الدعاه إلی الجنه و القاده إلیها، و الأدلاء علیها إلی یوم القیامه» .

و فیه عن غیبه النعمانی عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «من دان اللّه بغیر سماع من عالم صادق ألزمه اللّه التیه إلی الفناء، و من ادّعی سماعا من غیر الباب الذی فتحه اللّه لخلقه فهو مشرک، و ذلک الباب هو الأمین المأمون علی سرّ اللّه المکنون» . فالمستفاد من هذه الأحادیث أن الوصول إلی حقائق الأمور، و الترقی إلی الدرجات العالیه و السعاده الأبدیه موقوف علی الأخذ منهم علیهم السّلام و متابعتهم فی جمیع الأمور. و یکفی فی ذلک ما رواه:

فی الکافی عن زراره عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «بنی الإسلام علی خمسه أشیاء: علی الصلوه و الزکوه و الحج و الصوم و الولایه. و ما نودی بشیء بمثل ما نودی بالولایه» و قد تقدم و هذا التأکید لاهتمام أمر الولایه.

و فیه فی باب فرض طاعه الأئمه علیهم السّلام عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأشیاء و رضا الرحمن تبارک و تعالی الطاعه للإمام بعد معرفته» . ثم قال: إن اللّه تبارک و تعالی یقول: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ وَ مَنْ تَوَلّٰی

ص: ۱۵۹

۱- ۱) البحار ج ۲ ص ۹۸.

۲- ۲) البقره:۱۸۹.

فَمٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَیْهِمْ حَفِیظاً

(۱)

.

و فی حدیث آخر فیه عنه علیه السّلام: «أما لو أنّ رجلا قام لیله و صام نهاره، و تصدّق بجمیع ماله، و حجّ جمیع دهره، و لم یعرف ولایه ولی اللّه فیوالیه و یکون جمیع أعماله بدلالته إلیه ما کان له علی اللّه حق فی ثوابه، و لا کان من أهل الإیمان. ثم قال: أولئک المحسن منهم یدخله اللّه الجنه برحمته» . تبصره: اعلم أنه لا ریب فی أن الحق فی الأمور الدینیه من أمر المبدإ إلی المعاد و سائر العقائد الحقّه و المعارف الإلهیه علی ما هی علیها فی نفس الأمر، إنما هو عند محمد و آل محمد (صلوات اللّه علیهم أجمعین) و لا یوجد حقّ عند أحد إلاّ ما خرج و أخذ من عندهم علیهم السّلام و هذا أمر مسلّم من ظاهر کثیر من الأخبار، إلاّ أن الکلام فی درک هذه الأمور منهم علیهم السّلام و حیث إنه لا یمکن درکها إلاّ بالعقل و جودته، و لا ریب فی أن الناس طرّا مختلفون فی قوه العقل و ضعفه، فلا محاله تختلف مدرکاتهم لتلک الأمور و المعارف، و لهذا نری کلاّ منهم یدعی أنه وصل إلی الحق، و بهذا الادّعاء یردّ غیره و ربما یکفّره أو یقبّحه و یشنّعه فیما یقول، و هذه المضاربه العقلیه و الفکریه لا تختصّ بالضعفاء من الناس بل هی موجوده بین العلماء و الأکابر و المراجع کما هو المتراءی من کلماتهم و أعمالهم کلا بالنسبه إلی الآخر، و کثیرا ما طالت هذه المشاجره من قدیم الأزمان، بل لا تخلو منها کلّ فرقه من الناس من کلّ حرفه و صنعه. و حینئذ نقول: لا ریب فی أن لازم اختلاف درک الواقعیات حسب اختلاف قوه العقل و ضعفه هو هذا الاختلاف و التضارب بینهم بحسب طبع الأمر الکذائی أی الاختلاف فی الدرک. و لعلّ إلیه یشیر ما تقدم من

قوله صلّی اللّه علیه و آله: «یا سلمان لو حمل علمک علی مقداد

ص: ۱۶۰

۱- ۱) النساء:۸۰.

لكفر، و يا مقداد لو حمل علمك على سلمان لكفر» .

و قول السجاد عليه السّلام فيما تقدم: «لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله» و لقد آخى رسول اللّه بينهما، فما ظنك بسائر الناس؟ ثمّ إنه لا تظنّ أنّ هذا الاختلاف من جهه الاختلاف فى الواقع و نفس الأمر، فإنّ الواقع لا خلاف و لا اختلاف فيه. قال تعالى: وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ (۱)فإنّ الموجودات التى هى كلمات اللّه تعالى من التكوينيات و التشريعيات كلها قد تمّت على الصدق فلا خلاف فيها، و لا كانت على خلاف المصالح، و تمّت أيضا على العدل فلا ظلم فى جعلها تكوينا و تشريعا على أحد، و إنما الاختلاف جاء من قبل اختلاف الدرك.

قال عليه السّلام: «يا كميل إنّ هذه القلوب أوعيه فخيرها أوعاها» . و حينئذ فالمخلص من تبعات هذه الاختلافات فى هذه الموضوعات الدينيه أمور: الأول: أن يعتقد الإنسان المؤمن فى جميع الأمور بما قاله محمد و آله الطاهرون، و يسلّم له فيما بلغه منهم و فيما لم يبلغه، و فيما أدركه عقله و فيما لم يدركه، ثم يعمل بما علمه حسب ما يقتضيه علمه فى تلك الموارد. و إليه يشير

ما تقدم ما مضمونه: «من أراد أن يستكمل الإيمان فليقل: القول منى فى جميع الأشياء قول آل محمد فيما أعلنوا و فيما أسروا و فيما بلغنى و فيما لم يبلغنى» .

و قوله عليه السّلام فى الدعاء:

«آمنت بسرّ آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و علانيتهم» . الثانى: أن يكون مضافا إلى التسليم المذكور غير منكر لما لم يبلغه فهمه، بل يطهّر قلبه و يشرح صدره بحيث لو ظهر له ما قد خفى عنه لقلبه قبله بدون إنكار. و بعباره أخرى: لا بد من العمل بما علمه، و أما ما لم يعلمه فلا ينكره و إن لم يعمل

۱- ۱) الأنعام:۱۱۵.

به، بل يردّ علمه إليهم عليهم السّلام و قد دلّت أحاديث كثيره على هذا، و قد تقدم بعضها من

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «إنما الهالك أن يحدّث بشىء فيقول: ما كان هكذا، فيكذب اللّه من فوق عرشه، و الإنكار على حد الكفر أو الشرك» . الثالث: أن يشتغل بتصفيه القلب و تطهيره من العلائق الماديه من حبّ الجاه و المناصب و الأموال. و بعباره أخرى: يطهره من غيره تعالى بالنحو المذكور فى الأخبار و كتب الأخلاق و هذا هو العمده فى المقام. فإنه بعد ما علمت أنّ الاختلاف فى الدرك إنما هو من جهه ضعف العقل، الذى هو وسيله الدرك، و من جهه رين القلب الذى هو سبب خفاء الأمر عليه، فبتقويه العقل و تصفيه القلب يصير القلب الذى هو سبب خفاء الأمر عليه، فبتقويه العقل و تصفيه القلب يصير القلب قويّا فى الدرك، و القلب قابلا لأن تتجلّى فيه حقائق الأمور. و قد تقدم

قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «أما بعد فإنه سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقره، و تبصر به بعد العشوه، و تنقاد به بعد المعانده. . .» الحديث. فإنه ظاهر فى أن الذكر بما له من المعنى المذكور فى محله، الذى نتيجته التطهير القلبى سبب لسمع القلب و بصيرته لما لم يكن يسمعه و يبصره قبلا، و أيضا هو سبب لانقياده لبعض الأمور من المعارف بعد ما كان معاندا و منكرا لها، و هذه هى العمده فى المقام، فإن المهم هو تصفيه القلب لدرك تلك الحقائق. و لعمرى إن الاختلاف الواقع بين الأكابر إنما هو ناشئ من قوه هذه التصفيه القلبيه و ضعفها. و لذا نرى أن الأكابر كان همّهم هو تصفيه القلب، لينالوا بها تلك الحقائق الإلهيه، فإن الأمر أمر القلب بهذا المعنى أى تدور كمالات الإنسان و دركه للحقائق مدار تصفيته للقلب، فكلما ازدادت التصفيه ازدادت الكمالات و ازدادت التجليات

الربوبيه فى القلب. فجميع مراتب الأولياء تدور على هذا المدار، بل أجسر و أقول: إنّ مراتب الأنبياء أيضا تدور على هذا المدار، و إن كـان من قبـل اللّه تعـالى فتأمـل تعرف. ثم إنك إذا تحققت ما قلنا تعرف أن كثيرا من المضاربات التى تكون بين العلماء و الأكابر إنما هو ناشـئ من قوه هذه التصـفيه و ضـعفها، و لعل كثيرا منهم معذورون فى هذا الاختلاف لقصورهم، و إن لم يكونوا معـذورين فى تركهم الوظيفه الإلـهيه، و هى مـا أشـرنا إليه من أنه لاـ بـد لكل أحـد من أن يعمل بما علمه و لا يردّ ما جهله و لم يبلغه عقله، بـل يردّ علمه إليهم عليهم السّـلام إلّا إذا كان مخالفا لما ثبت بالضـروره من الـدين. و لعمرى لو أنّ العلماء عملوا بما ذكرنا لسقط الاختلاف،

فعن على عليه السّـلام: «لو سـكت من لا يعلم لسـقط الاختلاف» . صدق ولى اللّه تعالى. اللهم وفّقنا للعمل بما تحبّ و ترضـى، و جنّبنا عمّا تسخطه بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام:

«و يسلكك سبيلكم، و يهتدى بهداكم» .

[۶۹]الأمر الثانى فى شرح قوله عليه السّلام «و يسلك سبيلكم» .

أقول: السبيل هو ولايتهم عليهم السّـلام التى هى ولايه اللّه تعالى، التى بها يظهر أمر الدين، و إعلاؤه من حيث العقائد و الأحكام و الصـفات الحميده و المعارف الإلهيه، و العلم بحقائق الأشياء و كيفيه تطبيقها على الموضوعات فى تلك الأمور، كلّ ذلك من شئون الولايه التى هى سبيلهم عليهم السّلام و السبيل أيضا (كما تقدم فى شرح

قوله

«و صراطه»

) هو الإمام بنفسه عليه السّـلام فإنه عليه السّـلام بحقيقته سبيل اللّه تعالى من حيث العلم بالأمور القائم بنفسه، و التجليات الإلهيه و الصـفات الحميده و المعارف الإلهيه المتجليه فى قلبه الشريف، فهو عليه السّلام هكذا سبيله. ثمّ إن السلوك لهذا السبيل بالمعنى الأـول هو اتّبـاعهم عليهم السّـلام فى جميع تلـك الأمور مما جاءوا به، و قالوا به، و عملوا به فإنهم عليهم السّـلام أول من سـلك سبيلهم. و بعباره أخرى: أن الولايه التى هى السبيل إليه تعالى، و هى سبيلهم أيضا و هم

قد سلوکها أولاء و کیف کان فسلوکنا سبیلهم هو المتابعه لهم فی کلّ ما قالوا و جاءوا به، و القیام بما تقتضیه ولایتهم من أمر الدین و الدنیا و الآخره. و أما السلوک فی سبیلهم بالمعنی الثانی هو القیام أیضا بمقتضی أحکامها من المحبه لهم و لأولیائهم، و البغض لأعدائهم و التابعین لهم (لعنهم اللّه) .

الأمر الثالث فی شرح قوله: «و یهتدی بهداکم» .

أقول: تقدم الکلام فی

قوله علیه السّلام:

«الأئمه الهداه»

، معنی الهدایه و أقسامها، و تقدمت الأحادیث فی شرح قوله تعالی: اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِیمَ (۱)، فراجع، إلاّ أن الزائر هنا یسأل اللّه تعالی أن یجعله من المهتدین بهداهم، أی من الذین أرشدهم اللّه للزوم طریق ولایتهم المؤدّی إلی محبته تعالی و المبلّغ إلی جنّته، فتشمله سعاده الدنیا و الآخره، حیث إنه حینئذ تخلّص من متابعه الهوی، فلا عطب له، و نجا من متابعه الآراء، فلا هلاک له. و الحاصل: أن هدایتهم التی هداهم بها، أو أنّ هدایتهم لشیعتهم لعطف العنایه منهم علیهم السّلام إلیهم إذا حصلت لأحد، فلا محاله هو من أهل النجاه و الجنه، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: و یحشر فی زمرتکم، و یکرّ فی رجعتکم، و یملّک فی دولتکم، و یشرّف فی عافیتکم، و یمکّن فی أیّامکم، و تقرّ عینه غدا برؤیتکم.

اشاره

أقول: الحشر الجمع، و الزمره بالضمّ: الفوج، أی جعلنی اللّه تعالی من المحشورین فی جماعتکم یوم القیامه.

«و یکرّ فی رجعتکم» :

الکرّ هو الرجوع، و قد تقدم فی بیان الرجعه أنّ خواصّ الشیعه لهم الرجعه فی رجعتهم علیهم السّلام فیسأل اللّه تعالی أن یجعله من الذین یرجعون فی

۱- ۱) الفاتحه:۶.

رجعتهم مع الخلّصين من شيعتهم، و حيث إنّ الرجوع لا يكون إلّا لخلّص شيعتهم و لمن محّض الإيمان محضا، فيرجع السؤال و الطلب لأن يجعله ممن يكرّ فى رجعتهم إلى الطلب أن يجعله تعالى من الذين محّضوا الإيمان محضا و من خلّص شيعتهم، كما لا يخفى.

[۷۰] «و يملّك فى دولتكم» :

أى جعلنى اللّه ممن يصير ملكا لإعداء كلمته و إظهار دينه فى دولتكم، فإن خواصّ شيعتهم يصيرون ملوكا فى دولتهم كما كان بعض الشيعه كذلك فى زمان النبى صلّى اللّه عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السّلام حين تصدّيه للخلافه الظاهريه أيضا.

«و يشرف فى عافيتكم» :

بالفاء و القاف أى ممن يصير شريفا معظما فى عاقبه أمركم و هى دولتكم و أيام ظهوركم أو فى زمان سلامتكم من الأعادى.

«و يمكّن فى أيامكم» :

أى يجعل له التمكين و الاستيلاء، فهو قريب المعنى من قوله: «و يملك فى دولتكم» كما لا يخفى. و أيام اللّه تعالى

ما رواه فى الخصال عن مثنى الحنّاط قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «أيّام اللّه يوم يقوم القائم (عج) و يوم الكرّه و يوم القيامه» .

و فى تفسير على بن إبراهيم: «أيّام اللّه ثلاثه: يوم يقوم القائم (عج) و يوم الموت و يوم القيامه» .

و فى تفسير العياشى: عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه: وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيّٰامِ اَللّٰهِ (۱)، قال: «آلاء اللّه يعنى نعمه» . أقول: لا ريب فى أن أفضل النعم نعمه الولايه و الدين و ظهورها فى الخلق، ليستفيد منها الناس خصوصا الشيعه بتمكّن أئمتهم عليهم السّلام فى الأرض، و إجراء أحكام اللّه و التنعم بنعمه تعالى ببركه ظهور الإمام عليه السّلام فحينئذ تفسيرها بقيام القائم، بلحاظ أنّ فيه ظهور النعم الإلهيه و الألطاف الربوبيه و هكذا يوم الكرّه. و أما يوم القيامه فهو يومه تعالى بلحاظ ظهور ملكه و وعده و وعيده و سلطنته،

ص: ۱۶۵

۱- ۱) إبراهيم:۵.

و رحمته لأوليائه، و نقمته من أعدائه، ففى ذلك كله سرور لأولياء اللّه تعالى، إذ يرون نعم اللّه تعالى فى حقهم، و أنه تعالى انتقم من أعدائهم، و هذا ملاك تفسيره أيضا بيوم الكرّه أى الرجعه لما فيها من ظهور تلك الأمور أيضا. و أما تفسيره بيوم الموت فهو إما بلحاظ ظهور نعمه تعالى للمؤمن أو نقمه للكافر، و على أى حال يوم ظهور أمره تعالى و قدرته و رحمته بحيث لا يعارضه أحد و على أى حال المراد من التمكّن فى أيامهم و السؤال منه تعالى ذلك إنّما هو لإقامه دين اللّه و إعلاء كلمته، لأنه يوم ظهور قدرته تعالى و ظهور غلبه أوليائه تعالى على أعدائه، لا لنيل حظوظ الدنيا فقط كما لا يخفى.

[۷۱]و تقر عينه غدا برؤيتكم:

اعلم أنّ أمل كل مؤمّل و منى كلّ متمنّ أن تقرّ عينه غدا برؤيتهم و رؤيه النبى صلّى اللّه عليه و آله بل رؤيته صلّى اللّه عليه و آله منى الأئمه عليهم السّلام كما هو سؤالهم منه تعالى فى الأدعيه. فيسأل الزائر منه تعالى أن يجعله من المقربين الذين تقرّ عيونهم برؤيتهم عليهم السّلام فى يوم القيامه بأن يكون حشره معهم عليهم السّلام و فى يوم الرجعه و قيام القائم (عج) . ثم إن الزائر إنما يسأل هذه الأمور كلها منه تعالى، لأنه بمقتضى إيمانه بهم عليهم السّلام يكون فرحه و سروره بهذه الأمور الحاصله بظهورهم عليهم السّلام و تسلّطهم على الأمور، فيوجب حصول هذه الأمور أن تقرّ عينه برؤيتهم، و هم عليهم السّلام على تلك السلطنه الإلهيه متمكّنون فى الأرض قد أنجز اللّه تعالى لهم ما وعدهم. و لعمرى إنّ هذا هو غايه آمال المؤمن فى الدنيا، فإنه يتمنّى بقبله ظهور الحق على أيديهم عليهم السّلام و أن يكون هو معهم و فى زمرتهم، ليحصل بذلك رضا اللّه تعالى و رضا نبيه و الأئمه عليهم السّلام و يكون هو متنعمّا بهم بالنعم المعنويه و الدنيويه. رزقنا اللّه تعالى ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: بأبى أنتم و أمّى و نفسى و أهلى و مالى.

قد تقدم معانى هذه الجمل إلاّ أنه زيد فيها قوله: «و نفسى» و لعله لأجل أنّ الزائر لمّا ذكر تلك الجمل فى مناقبهم، و سأل منه تعالى أن يجعله معهم بالنحو الوارد فى تلك الجمل، فحينئذ قد اشتغلت نار محبته لهم، فجعل يفديهم أعزّ ما يمكن أن يكون محبوبا للإنسان و هو الأب و الأمّ و الأهل الشامل للأولاد و الأقرباء، و سائر المنسوبين إلى الإنسان، و المال الذى هو محبوب فى الجمله للأولياء بلحاظ كونه وسيله إلى الخيرات، و النفس التى هى أعزّ الأشياء للإنسان. و لعمرى إنّ هذه الجمل قد جمع فيها جميع ما يمكن أن يكون محبوبا فى الدنيا للإنسان، مع قطع النظر عن أمر الدين و الآخر فقد فداهم عليهم السّلام جميعها، فإنّ المحبّ يلتذّ بأن يفديهم أعزّ ما عنده من النفس و غيره. قال الشاعر: ما لى سوى نفسى و باذل نفسه فى حبّ من يهواه ليس بمسرف لو أنّ روحى فى يدى فوهبتها لمبشّرى بقدومكم لم أنصف رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: من أراد اللّه بدأ بكم، و من وحّده قبل عنكم، و من قصده توجّه بكم.

اشاره

أقول:

[۷۲] «من أراد اللّه بدأ بكم»

، لأنكم أبوابه و أدلاّء صراطه و مرضاته، فلا محاله لا بدّ من الابتداء بكم، و إلاّ فالابتداء بغيركم فى أمر الدين إنما هو إراده الشيطان. و بعباره أخرى: لا يمكن الوصول إلى معارفه تعالى و مرضاته إلاّ باتّباعكم فى الحلّ و العقد فى العقائد و الأفعال «و من وحّده» و أراد توحيده و الوصول إليه، فلا بدّ له من أن يكون ممن قبل عنكم أمر التوحيد بحسب البيان الكلى فيه، و بحسب

المعلومات و المشاهدات التوحيديه، لأنّكم أهل الشهود للتوحيد، فبيانه كما هو واقعه لا يصدر إلّا منكم، و إعطاؤه لأحد لا يمكن إلّا منكم، و من لم يقبل عنكم فليس بموحّد، بل هو مشرك و إن أظهر التوحيد. هذا و قد ثبت أنّ من يقول بتوحيد اللّه يقبل قولكم، فإنّ البرهان كما يدلّ على التوحيد يدلّ على وجوب إمامتكم و خلافتكم، فإن حقيقه التوحيد كما عرفت إنما تعرف منكم، فلا محاله من لم يقبل العلوم علوم التوحيد منكم لم يعرف التوحيد و كان من المشركين. و الحاصل: أنّ من عرف اللّه حق معرفته علم وجدانا أنّ حقّ التوحيد فيكم، فلا محاله هو يقبل منكم كلّ ما تقولونه.

[۷۳] «و من قصده توجّه بكم»

اشاره

أقول: اعلم أن هذه الجمل من جوامع الكلم فی هذه الزياره الشريفه خصوصا الأخيره منها، فنقول فی شرحها: إنّ المستفاد من خطب أمير المؤمنين و أحاديث كثيره أنه تعالى لا يمكن المعرفه بكنه ذاته و لا الإحاطه بشيء من صفاته.

ففی توحيد الصدوق ص ۱۰۵، بإسناده عن أبی جعفر عليه السّلام قال: «إنّ اللّه تبارك و تعالى خلو من خلقه، و خلقه خلو منه، و كل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا اللّه عز و جل فهو مخلوق، و اللّه تعالى خالق كل شيء» .

و فيه بإسناده عن عبد الرحمن بن أبی نجران، قال: سألت أبا جعفر الثانی عليه السّلام عن التوحيد فقلت: أ توهّم شيئا؟ فقال: «نعم غير معقول و لا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء و لا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام و هو خلاف ما يعقل، و خلاف ما يتصوّر فی الأوهام، إنما يتوهّم شيء غير معقول و لا محدود» .

و فی الكافی (۱)، فی باب المصافحه بإسناده عن زراره عن أبی جعفر عليه السّلام قال:

۱- ۱) الكافی ج ۲ ص ۱۸۳.

سمعته یقول: «إن اللّه عز و جل لا یوصف، و کیف یوصف و قال فی کتابه: مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ (۱)فلا یوصف إلاّ کان أعظم من ذلک، و إنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله لا یوصف و کیف یوصف عبد احتجب اللّه عز و جل بسبع، و جعل طاعته فی الأرض کطاعته فی السماء فقال: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۲)و من أطاع هذا فقد أطاعنی، و من عصاه فقد عصانی و فوّض إلیه و إنا لا نوصف، و کیف یوصف قوم رفع اللّه عنهم الرجس و هو الشکّ؟ ! و المؤمن لا یوصف، و إنّ المؤمن لیلقی أخاه فیصافحه فلا یزال اللّه ینظر إلیهما و الذنوب تتحاتّ عن وجوههما کما یتحاتّ الورق عن الشجر» .

و فی بعض خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام: «فتبارک اللّه الذی لا یبلغه بعد الهمم، و لا یناله غوص الفطن» .

و فی توحید الصدوق عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبه الوسیله: «الحمد للّه الذی أعجز الأوهام أن تنال إلاّ وجوده، و حجب العقول عن أن تتخیل ذاته فی امتناعها من الشبه و الشکل» . أقول: و السرّ فی ذلک أنه تعالی لو عرف، فلا بد و أن یکون بعد تحدیده، لأن المعرفه بحقیقه الشیء و کنهه هی تبیین الشیء و تمییزه عن غیره بحیث لا یشتبه بغیره، و هی لا یمکن إلاّ باحاطه العارف بتمام مشخصات المعروف و ممیزاته، و إذا کان کذلک فیکون المعروف لا محاله محدودا للعارف، و إذا کان محدودا کان معدودا، و إذا صار معدودا فیبطل أزلیّته تبارک و تعالی، لأنه حینئذ یکون الذی حدّه أولی بالألوهیّه منه و أقدم علیه. و بعباره أخری: أنه سبحانه لا یعرف بالکنه، لأنّ الشیء لا یدرک إلاّ ما هو من جنسه و فی رتبته و حینئذ یحیط به، فإذا أحاط به کان أعلی منه و أکبر.

ص: ۱۶۹

۱- ۱) الحجّ:۷۴.

۲- ۲) الحشر:۷.

ما قال الباقر علیه السّلام فی بصائر الدرجات (۱)، و قال المفضّل: قال أبو جعفر علیه السّلام «إنّ حدیثنا صعب مستصعب ذکوان أجرد، لا یحتمله ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا عبد امتحن اللّه قلبه للإیمان» ، أما الصعب فهو الذی لم یرکب بعد، و أما المستعصب فهو الذی یهرب منه إذا رأی، و أما الذکوان فهو ذکاء المؤمنین، و أما الأجرد فهو الذی لا یتعلق به شیء من بین یدیه و لا من خلفه و هو قول اللّه اَللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِیثِ (۲)فأحسن الحدیث حدیثنا، لا یحتمله أحد من الخلائق أمره بکماله حتی یحدّه، لأنه من حدّ شیئا فهو أکبر منه الحدیث. فهذا أمر کلّی فلو أن أحدا حدّ اللّه و عرفه بکنهه فهو أکبر منه تعالی اللّه عن ذلک علوا کبیرا. ثمّ إنّ المستفاد من هذا الحدیث و حدیث المصافحه أنّ أمرهم و حقیقتهم بل و حقیقه المؤمن لا یحدّ، فکیف بمن أعطاهم هذا الأمر و المنزله و هو اللّه تعالی فهو لا یدرک بالکنه بطریق أولی. ثمّ بعد ما ثبت عدم إمکان المعرفه بکنهه تعالی فإنه قال: أَلاٰ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطٌ (۳)فالمحیط المطلق لا یحاط و إلاّ لم یکن محیطا بقول مطلق، و مع ذلک قد أمرنا بمعرفته تعالی، قال تعالی: وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِیَعْبُدُونِ (۴)أی لیعرفون.

ففی تفسیر نور الثقلین (۵)، عن کتاب علل الشرایع بإسناده إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «خرج الحسین بن علی علی أصحابه فقال: أیها الناس إنّ اللّه عز و جل ذکره ما خلق العباد إلاّ لیعرفوه فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عباده

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۴.

۲- ۲) الزمر:۲۳.

۳- ۳) فصلت:۵۴.

۴- ۴) الذاریات:۵۶.

۵- ۵) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۱۳۲.

من سواه. فقال له رجل: یا بن رسول اللّه بأبی أنت و أمی فما معرفه اللّه؟ قال: معرفه أهل کلّ زمان إمامهم الذی تجب علیهم طاعته» . فهذا الحدیث صریح فی أنه لا یمکن عبادته تعالی إلّا بعد معرفته، و حینئذ فکیف التوفیق بینهما؟ فنقول:

فی تفسیر نور الثقلین (۱)، عن أصول الکافی بإسناده إلی معاویه بن عمار عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا (۲)قال: «نحن و اللّه الأسماء الحسنی، التی لا یقبل اللّه من العباد عملا إلّا بمعرفتنا» .

و فیه علی بن إبراهیم بإسناده عن الفتح بن یزید الجرجانی عن أبی الحسن علیه السّلام أنه قال: «إنّ الخالق لا یوصف إلّا بما وصف به نفسه، و أنّی یوصف الذی تعجز الحواس أن تدرکه، و الأوهام أن تناله، و الخطرات أن تحدّه، و الأبصار عن الإحاطه به، جلّ عمّا یصفه الواصفون، و تعالی عما ینعته الناعتون. . .» الحدیث.

و فی توحید الصدوق (۳)، بإسناده عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السّلام هل کان اللّه عارفا بنفسه قبل أن یخلق الخلق؟ قال: «نعم، قلت یراها و یسمعها؟ قال: ما کان اللّه محتاجا إلی ذلک، لأنه لم یکن یسألها و لا یطلب منها، هو نفسه و نفسه هو، قدرته نافذه و لیس یحتاج أن یسمی نفسه، و لکن اختار لنفسه أسماء لغیره یدعوه بها، لأنه إذا لم یدع باسمه لم یعرف، فأوّل ما اختار لنفسه العلی العظیم، لأنّه أعلی الأشیاء کلها، فمعناه اللّه، و اسمه العلی العظیم، هو أول أسمائه، لأنه علا علی کلّ شیء» . ثمّ إنه تقدم عن الرضا علیه السّلام من أنّ الاسم صفه المسمی.

و فی توحید الصدوق بإسناده عن هارون بن عبد الملک قال: سئل أبو

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۱۰۳.

۲- ۲) الأعراف:۱۸.

۳- ۳) توحید الصدوق ص ۱۹۱.

عبد اللّه عليه السّلام عن التوحيد، فقال: «هو عز و جل مثبت موجود، لا مبطل و لا معدود، و لا فی شیء من صفه المخلوقین، و له عز و جل نعوت و صفات، فالصفات له، و أسماؤها جاریه علی المخلوقین مثل السمیع و البصیر و الرءوف و الرحیم و أشباه ذلک، و النعوت نعوت الذات لا تلیق إلاّ باللّه تبارک و تعالی، و اللّه نور لا ظلام فیه، و حی لا موت فیه، و عالم لا جهل فیه، و صمد لا مدخل فیه، ربنا نوری الذات، حی الذات، عالم الذات، صمدی الذات» .

و فیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام. . إلی أن قال علیه السّلام: «و اللّه یسمی بأسمائه و هو غیر أسمائه و الأسماء غیره» .

و فیه بإسناده عن غیر واحد عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «من عبد اللّه بالتوهّم فقد کفر، و من عبد الاسم و لم یعبد المعنی فقد کفر، و من عبد الاسم و المعنی فقد أشرک، و من عبد المعنی بإیقاع الأسماء علیه بصفاته التی وصف بها نفسه فعقد علیه قلبه، و نطق به لسانه فی سرائره و علانیّته، فأولئک أصحاب أمیر المؤمنین علیه السّلام»

و فی حدیث أولئک هم المؤمنون حقا. أقول:

المستفاد من هذه الأحادیث و نظائرها أمور:

الأول:

أنه تعالی لا یوصف بوصف یعرف به إلاّ بما وصف به نفسه، فغیره لا یقدر علیه توصیفه کیف و التوصیف فرع درک الموصوف، و هو تعالی غیر مدرک لغیره

لقوله علیه السّلام: «الذی تعجز الحواس أن تدرکه و الأوهام أن تناله. . .» الحدیث. و قوله تعالی: أَلاٰ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطٌ (۱)و المحیط المطلق لا یحاط کما لا یخفی؟

الثانی:

أن ما تقتضیه الذات المقدسه إذا قیس بالنسبه إلیها بما هی مقتضیه له و تستحقّه یسمی صفه، و إذا قیست بالنسبه إلی أنفسها باعتبار فاقه الخلق إلیها، و باعتبار تحققها و ظهورها فی الخارج من حیث إنها مقتضیات لما تقتضیه الذات، و انها مخلوقه و منعکسه عما تقتضیه الذات یسمی اسما.

۱- ۱) فصّلت:۵۴.

فقول الرضا عليه السّلام: «الاسم صفه لمسمى» ، يعنى الاسم هو مقتضى الصفه التى هى للمسمى، و لهذا إن صفات البارى أى ما تقتضيه الذات لا يمكن لأحد التعبير عنها و التعريف لها، لعدم العلم بها كما تقتضيها الذات، فبيانها موقوف على بيانه تعالى. و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «إن الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه» ، ثمّ علله بأنه

«أنى يوصف أى من غيره الذى تعجز الحواس أن تدركه. . . إلخ» . و الحاصل: أنّ الصفات هى ما تقتضيه الذات، و الأسماء ما هو مخلوقه و مقتضى تلك الصفات. و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «فالصفات له و أسماؤها جاريه على المخلوقين» ، و لذا يقال: الصفات عين الذات أى ما تقتضيه الذات عينها و الأسماء غيره. و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «و اللّه يسمى بأسمائه و هو غير أسمائه و الأسماء غيره» . و أما

ما ورد من قوله عليه السّلام: «لشهاده كل صفه أنها غير الموصوف» ، يراد من الصفه الاسم لا الصفه بما هى مقتضى الذات الربوبى جل و علا- كما لا- يخفى. و كذا ما قيل: إن الأسماء عين المسمى يراد منه الصفات التى تقتضيه الذات لا الأسماء المخلوقه. و لهذا الكلام بيان تقدم فى طىّ الشرح و لعله سيجىء فيما بعد أيضا.

الثالث:

أنه تعالى لما لم يكن العلم و الإحاطه به إلّا بالتوهم، و أنه موجود غير معقول و لا محدود كما

فى ذيل حديث عبد الرحمن بن أبى نجران من قوله عليه السّلام: «إنما يتوهم شىء غير معقول و لا محدود» ، و هذا التوهم ليس إلّا اعتقادا بوجوده كما هو هو، لا كما هو معقول لنا كما

قال عليه السّلام فى خطبه الوسيله: «الحمد للّه الذى أعجز الأوهام أن تنال إلّا وجوده» أى أنّ الأوهام عاجزه عن دركه كما هو، و لا يمكنها إلّا أن تعتقد بوجوده تعالى، و أما أنه كيف يكون وجوده فلا يمكن لأحد دركه.

قال عليه السّلام فى دعاء المشلول: «يا هو يا من لا يعلم ما هو، و لا كيف هو، و لا أين هو و لا حيث هو إلّا هو» . فكيفيه وجوده تعالى لا يعلمها أحد إلّا هو.

ص: ١٧٣

فمعنى إنما يتوهم شىء أى يعتقد بوجوده كما

قال عليه السّلام: «إنه مثبت موجود فقط، و حينئذ لا طريق إلى عباده الذات الشريفه لأحد إلاّ من حيث ما وصف هو تعالى نفسه الشريفه بأسمائه» ، و قال: وَ لِلّهِ اَلْأَسْماءُ اَلْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها (۱)و الأسماء التى هى انعكاس الصفات التى هى للذات، و مقتضيات لما يقتضيه الذات الربوبى هى المعرف للذات الشريفه، و هى الوسيله لأن يتوجه الإنسان بها إليه تعالى و إلى ذاته الشريفه.

الرابع:

إذا ثبت أنه لا طريق إلى معرفه الذات، و إلى عبادتها و دعائها إلاّ بالصفات التى وصف بها نفسه، و هى تلك الأسماء المخلوقه الجاريه على المخلوقين، فلا بد من عبادته تعالى من طريقها و بها، هذا و قد تقدم

قول الصادق عليه السّلام: «نحن و اللّه الأسماء الحسنى التى لا يقبل اللّه من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا» . و بعباره أخرى: أنه بعد ما لا يمكن لأحد عباده الذات المقدسه بالاكتناه و الدرك، لعدم إمكان دركها لأحد إلاّ من طريق ما وصف تعالى به نفسه لعبادته، فحينئذ يحصل الجمع بين عدم درك الذات و بين الأمر بتحصيل معرفته تعالى و عبادته، فإنه يرجع الأمر حينئذ إلى وجوب تحصيل معرفه الصفات، فإنه بمعرفتها تحصل معرفه الذات الممكنه للبشر تحصيلها، و حيث

إنهم عليهم السّلام قالوا: «نحن و اللّه الأسماء الحسنى. . . إلخ» فلا بد من تحصيل معرفتهم عليهم السّلام بما هم أسماؤه تعالى و صفاته و هى معرفتهم بالنورانيه كما تقدم ذكره. و إليه يشير

قولهم فيما تقدم فى الشرح:

«السلام على محالّ معرفه اللّه»

،

و قولهم فى الزياره الجامعه الصغيره،

«و من عرفهم فقد عرف اللّه»

،

و قولهم

«بنا عرف اللّه»

كما تقدم مرارا. و حينئذ لا بد من بيان أنه ما المراد من أنه لا يقبل اللّه عملا من أحد إلاّ

١- ١) الأعراف:١٨٠.

بمعرفتهم؟ و

ما المراد من قوله تعالی: فادعوه بها

اشاره

بعد ما تبیّن أنهم تلک الأسماء الحسنی؟ و إذا تبیّن المراد یظهر معنی

قوله علیه السّلام:

«و من قصده توجه بکم» . فنقول: لا ریب فی أن المراد من الأسماء التی یدعی اللّه تعالی بها لیس هو الأسماء اللفظیه، بل المراد منها الأسماء المعنویه التی أشیر إلیها فی قوله علیه السّلام کما

فی توحید الصدوق (۱)، بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إنّ اللّه تبارک و تعالی خلق أسماء بالحروف (و هو عز و جل بالحروف) غیر منعوت و باللفظ غیر منطق، و بالشخص غیر مجسّد، و بالتشبیه غیر موصوف، و باللون غیر مصبوغ، منفی عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ کلّ متوهّم، مستتر غیر مستور، فجعله کلمه تامه علی أربعه أجزاء معا، لیس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثه أسماء لفاقه الخلق إلیها، و حجب واحدا منها و هو الاسم المکنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثه التی أظهرت، فالظاهر هو اللّه تبارک و تعالی، و سخّر سبحانه لکل اسم من هذه أربعه أرکان فذلک اثنا عشر رکنا، ثم خلق لکلّ رکن منها ثلاثین اسما فعلا منسوبا إلیها فهو الرحمن الرحیم، الملک، القدوس، الخالق، الباری‌ء، المصوّر، الحی، القیوم، لا تأخذه سنه و لا نوم، العلیم، الخبیر، السمیع، البصیر، الحکیم، العزیز، الجبّار، المتکبّر، العلیّ، العظیم، المقتدر القادر، السلام، المؤمن، المهیمن، الباری‌ء، المنشی‌ء، البدیع، الرفیع، الجلیل، الکریم، الرّزاق، المحیی، الممیت، الباعث، الوارث، فهذه الأسماء و ما کان من الأسماء الحسنی حتی تتم ثلاثمائه و ستین اسما فهی نسبه لهذه الأسماء الثلاثه، و هذه الأسماء الثلاثه أرکان و حجب للاسم الواحد المکنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثه، و ذلک قوله عز و جل: قُلِ اُدْعُوا اَللّٰهَ أَوِ اُدْعُوا اَلرَّحْمٰنَ أَیًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ (۲). أقول: فالاسم المخلوق هو غیر الاسم اللفظی

لقوله علیه السّلام: «و باللفظ غیر

ص: ۱۷۵

۱- ۱) توحید الصدوق ص ۱۹۰.

۲- ۲) الاسراء:۱۱۰.

منطق. . . إلخ» بل هو معنوىّ، و الأسماء اللفظيه أسماء لتلك الأسماء المعنويه كما حقق فى محله. ثم إن

قوله: «و هو عز و جل بالحروف» . ليس فى نسخ الكافى و البحار، بل موجوده فى نسخ التوحيد، و لعله من زياده بعض من توهم أن الاسم المخلوق هو الاسم اللفظى، و جعل سائر الجمل من قوله: و باللفظ غير منطق كلها خبرا لقوله: و هو، فالمعنى على توهمه أنه تعالى إنه تعالى باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسد. . . إلخ و هذا وهم و غلط فإنه

قال عليه السّلام: «فجعله كلمه تامه» ، فإنه لا يراد منه إلّا الاسم المخلوق، و لا ريب فى أنه لا يطلق على الاسم الملفوظ بل يمتنع إطلاقه عليه و أنه لا يراد منه إلّا الاسم المعنوى كما لا يخفى، فحمل

قوله: «خلق اسما بالحروف» فى أول كلامه على الاسم اللفظ غلط فاحش، بل المراد منه الاسم المعنوى، و لا بدّ من بيانه، فنقول: قال بعض الأعاظم: الاسم هو حقيقه الوجود مأخوذه بتعيّن من التعيّنات الصفاتيه من كمالاته تعالى، و قد سمى هذا بالاسم الذاتى فى قبال الاسم الفعلى الذى هو عباره عن تجلّ خاصّ من التجلّيات الإلهيه. ثمّ إنّ التعيّنات الصفاتيه كثيره، فلا محاله يسمى كلّ اسم ذاتى بما يخصّ ذلك التعيّن مثلا الوجود الحقيقى مأخوذ بتعيّن الظاهريه بالذات و المظهريه للغير باسم النور، أو بتعيّن الدراكيه و الفعّاليه باسم الحى و هكذا. . . إلى آخر الأسماء كما ذكر فى محله، و كذا الوجود إذا أخذ باعتبار تجلّ خاصّ على مهيّه خاصّه من المهيّات الإمكانيه كمهيّه العقل الكلى يكون اسم الفعل، و التفصيل موكول فى محله. و بعباره أخرى: نفس الوجود الذى لم يلحظ معه تعيّن ما، بل بنحو اللاتعيّن البحث هو المسمى، و الوجود بشرط التعين هو الاسم، و نفس التعيّن هو الصفه (۱).

ص: ۱۷۶

۱- ۱) أقول: كلامهم هذا جار على اصطلاحهم، فالاسم و الصفه فى هذا الكلام هو الاسم بالنسبه إلى ما شرحناه قبلا للحديث السابق، فقد علمت أن الصفه هى ما تقتضيه الذات و تستحقه، و الاسم هى الأسماء المخلوقه، فقولهم: و نفس التعين هو الصفه، أى الاسم المخلوق الصفه التى هى ما تقتضيه الذات المقدسه فتأمل تعرف إن شاء اللّه.

و المأخوذ بجميع التعيّنات الكماليه اللائقه به المستتبعه للوازمها من الأعيان الثابته الموجوده بوجود الأسماء، كالأسماء بوجود المسمى، هو مقام الأسماء و الصفات الذى يقال له فى عرفهم المرتبه الواحديه كما يقال للموجود الذى هو اللاتعيّن البحث المرتبه الأحديه، و لهذه المباحث مجال آخر. و الحاصل: أنّ الاسم نحو (اللّه) عباره عن مرتبه الألوهيه الجامعه لجميع الشئون و الاعتبارات للذات المقدسه المندرجه فيها جميع الأسماء و الصفات، التى ليست إلّا تجلّياته تبارك و تعالى. ثمّ إن تكرر الصفات و الأسماء إنما هى باعتبار مراتب التكثّرات فى مراتبها الغيبيّه، التى هى مفاتيح الغيب و هى معان معقوله فى عين وجود الحق. و معناه كما ذكر بعض الأكابر أنّ الذات الإلهيه البحت تكون فى نفسها و صقعها الذاتى الهوى بحيث لو وجد فى العقل على فرض المحال، أو أمكن أن يلحظها الذهن لكان ينتزع منه هذه المعانى و يصفها به، فهو فى نفس الأمر مصداق لهذه المعانى من الأسماء و الصفات فى عالم التعيّن من دون أن تتحقق تلك الحقائق المتكثره بمفاهيمها و حقائقها و كثراتها فى الذات المقدسه تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا. و من هنا يعلم معنى

قولهم: «إنّ الصفات عين الذات» . و معنى

قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «كمال التوحيد نفى الصفات عنه» . و لا منافاه بينهما لأنّ كون الصفات عين الذات، معناه أنّ الذات البحت بحيث لو لوحظت لكانت تنتزع منها تلك الصفات، و هذا معنى

قوله عليه السّلام فى الحديث: «إن الذات تستحقّه» . فبهذا المعنى أنها عين الذات أى أنها تقتضيها و تستحقها، و إذا لوحظت الصفات بما هى أمور موجوده مخلوقه كما سيجىء فهى غير الذات. و الحاصل: أن مجرد وجود الذات المتحققه بالوجوب هو بعينه وجود الصفات بالعرض، فوجودها إذا لوحظ بلحاظ الوجود فوجودها وجوده تعالى، و إذا

لوحظ بلحاظ أنفسها فهى تعيّنات غير الذات و موجود بالعرض، و لا يكون لصفاته تعالى وجود فى نفسها و لذاته المقدسه وجود آخر فى نفسه كما فى صفات الممكنات؛ ليلزم فيه تعالى جهتا قبول و فعل، و لا يكون أيضا شىء من الذات بإزاء صفه و شىء منها بإزاء صفه أخرى ليلزم التركيب فى ذاته، تعالى عن ذلك علوا كبيرا. و بعباره أخرى: إنّ صفاته الحقيقيه على كثرتها موجوده بوجود واحد بسيط أحدى هو وجود الذات، و هو بعينه مصداق تلك الصفات كلها، و هذا لا يقدح فى كون الصفات مفهومات متغائره فى الذهن، فإنها كذلك فى الذهن و إلّا لكانت مترادفه الألفاظ و هو ظاهر الفساد، و السرّ فيه أنها فى أنفسها كسائر المفهومات الكليه ليست من حيث هى هى موجوده و لا معدومه، و لا عامه و لا خاصه، و لا كلّيه و لا جزئيه بالذات، بل تعرضها هذه بالتبع أى تصير كليه فى الذهن جزئيه فى الخارج و موجوده فى العقل معدومه فى العين، نعم له الحكم و الأثر فيما له الوجود العينى. و الحاصل: أنها فى أنفسها ليس لها حكم و لا- وجود، و لكن بلحاظ تعيّن ما من التعينات الخاصه الإلهيه الصفاتيه بنحو تقدم ذكره ينسحب عليها أحكام الوجود بالعرض، فهى تتنوّر بنور الوجود و تنصبغ بصبغه أى تظهر بالوجود الواجبى الواحدى الأزلى، و هى مع ذلك تجرى عليها أحكام الإمكان عند ظهورها فى الأعيان الثابته التى هى ناشئه منها أى الصفات باعتبار تعيّنها فى علم الحق، فهى واحد بالوجوب متكثره فى الإمكان و المفاهيم تجرى عليها أحكام الوجود بالعرض. و حاصل الكلام مع توضيح يدفع الشكوك و الأوهام بنحو تثبت به الأقدام عن هذه المزلّه العظيمه بلطف الملك العلّام هو أن معنى كون صفاته عين ذاته، أن الذات الأحديه بحسب مرتبه هويّته العينيه و إنّيّته العينيّه مع قطع النظر عن انضمام

أمر أو اعتبار حيثيه غير ذاته بوجه من الوجوه تكون وجوده تعالى، بحيث يصدق فى حقه هذه الأوصاف الكماليه و النعوت الجماليه، و يعرف منه هذه الأحكام، و تستفاد منه هذه المعانى، و يظهر من نور ذاته هذه المحامد القدسيه، و تتراءى فى شمس وجهه هذه الشمائل العليه، و هى فى حدود أنفسها مع قطع النظر عن نور وجهه، لا شيئيه لها و لا ثبوت أصلا، فهى بمنزله الظلال و عكوس لها تمثّل فى الأوهام و الحواس، و كذا الحكم فى الأعيان الثابته و سائر المعقولات و الأعيان المعلومه، و ما هى إلّا نقوش و علامات دالّه على أنحاء الوجودات الإمكانيه، التى هى رشحات وجود الحق و أشعه نور الوجود المطلق و مظاهر أسمائه و صفاته و مجال جماله و جلاله. و أما نفس تلك الأعيان و المهيّات مع قطع النظر عن الوجودات، فلا وجود لها بالذات لا عينا و لا عقلا لقوله تعالى: إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اَللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ (١)لقد انجرّ الكلام إلى ما لا يطيق تقريره أسماع الأنام بل يضيق عن فهمه نطاق أكثر الأفهام، و يضعف عن سلوكه الأقدام، و نحن نسأل المولى أن يهدينا إلى الحق فى المقام و يثبت أقدامنا عن التزلزل عنه بعصمته فإنّه ولى التوفيق. إذا عرفت حقيقه الاسم و أن الألفاظ اسم الاسم، فالمراد حينئذ من مرادهم فى هذا الحديث الشريف و هم عليهم السّلام أعلم بمرادهم هو أنه تقدم أن الاسم هو حقيقه الوجود مأخوذه بتعيّن من التعيّنات الصفاتيه من كمالاته، هذا فى الاسم الذاتى، و أما هو أى الاسم تجلّ خاص من التجليات الإلهيه، و هذا فى الاسم الفعلى، و كيف كان فالاسم المخلوق أولا هو تعيّن الوجود بتعين فيه مندرج جميع التعيّنات، و له جهه قائمه بذاته المقدسه و جهه متوجهه إلى الخلق، فهو من حيث الجهه الربوبيه

١- ١) النجم:٢٣.

محجوب عنه حسّ كل متوهّم مستتر غير مستور، و هو بهذه الجهه الربوبيه هو الواحد المحجوب المعبّر عنه بقوله و حجب واحدا منها و هو الاسم المكنون هو الواحد المحجوب المعبر عنه بقوله، و حجب واحدا منها و هو الاسم المكنون المخزون، و حيث إنه أقرب الأشياء به تعالى فهو ألطف الأمور الذى لا يمكن ظهوره بحيث يدرك و لو بالعقل، بل هو من شأنه تعالى الخاصّ و قائم به، و لعله الذى بيّنه المحقق الشيرازى (رحمه اللّه عليه) فى المشاعر بقوله: فأوّل الصوادر عنه تعالى يجب أن يكون أجلّ الموجودات بعده، و هو الوجود الإبداعى الذى لا إمكان له إلاّ ما صار محتجبا بالوجوب الأول و هو عالم الأمر الإلهى، و لا يسع فيه إلاّ الأرواح القادسه على تفاوتها فى القرب من الذات الأحديه، لأنها بمنزله الأضواء الإلهيه و العباره عن جملتها (روح القدس) لأنها كشخص واحد، و هى ليست من العالم و لا واقعه تحت قول (كن) لأنها نفس الأمر و القول و بعدها مرتبه النفوس على درجاتها. أقول: فهذا الصادر أى الوجود المتعيّن بأول التعينات هو مرتبه من الوجود، لا فرق بينه و بين الحق إلاّ الوجوب فى الحق فهو محتجب بالوجوب أى ليس بواجب كالحق تعالى و أما هو نفسه فلا إمكان له، بل جميع شئونه بالفعل بحيث كاد أن يكون واجبا و هو من هذه الجهه حقيقه محمد و آله الطاهرين الأربعه عشر (عليهم أفضل صلوته و تحياته) و هذا الاسم لا يحدّ إلاّ أنه ليس بالواجب تعالى. و لعلّ إليه يشير

قولهم عليهم السّلام: «نزّلونا عن الربوبيه و قولوا فينا ما شئتم و لن تبلغوا» كما تقدم.

و قولهم: «فأحسن الحديث حديثنا» لا يحتمله أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحدّه، لأن من حدّ شيئا فهو أكبر منه و الحمد للّه على التوفيق. و الإنكار هو الكفر.

فقوله علیه السّلام: «لا یحتمله أحد من الخلائق» أمره بکماله: یشیر إلی تلک الحقیقه الإلهیه المحمدیه صلّی اللّه علیه و آله.

و قولهم فی الدعاء:

«لا فرق بینک و بینها إلاّ أنهم عبادک. . .» الدعاء أی لا فرق بینک و بینها إلاّ أنهم لیسوا بواجب الوجود بل عبادک بحقیقه العبودیه. أقول: قد ذکر بعض أهل المعرفه فی علم النفس أنه لا ریب فی اتحاد العاقل بالمعقول، و قد برهن علیه فی محله بما لا مزید علیه، فالنفس قد تترقی إلی أن تتّحد مع المعقولات الأولیه و الأنوار المفارقه، و نقل عن الفارابی أنّ شأن الموجودات کلها أن تعقل و تحصّل صورا-لتلک الذات-یعنی بالذات ذات النفس الناطقه الإنسانیه. و کیف کان فالنفس الناطقه الإنسانیه التی تکون مستعدّه بتمام الاستعداد تترقّی شیئا فشیئا إلی أن تصیر عقلا مستفادا أی عقلا بسیطا أی علما بسیطا، و العلم البسیط من شأنه و من سعه نورانیته و جامعیته حائز لجمیع الأنوار الحقه و الأسماء الإلهیه سوی ما استأثره تعالی لنفسه، کل ذلک یکون له من فیضه المطلق تبارک و تعالی. و هذا الإنسان یصیر مظهرا لقوله تعالی: وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْمٰاءَ کُلَّهٰا (1)و یجوز مقام الولایه التکوینیه الإلهیه و یکون خلیفه اللّه فی الأرض، أو هو حینئذ فی منتهی مرتبه کمال القوه العقلیه العلمیه و العملیه، و هو فی مقام عال فوق الخلق و دون الخالق، و بهذه الجهه عبر عنه الشیخ الرئیس علی ما نقل عنه: کاد أن یصیر ربّا إنسانیا، و کاد أن تحلّ عبادته بعد اللّه تعالی و هو سلطان العالم الأرضی و خلیفه اللّه فیه. أقول: إذا کان شأن الإنسان الکامل أن یکون هکذا فما ظنک بمحمد و آله الطاهرین؟ !

1- 1) البقره:31.

و قوله و كاد أن تحلّ عبادته بعد اللّه ليس معناه أن يصير معبودا، بل معناه أنه تعالى يجعله كنفسه معظّما لما فيه من الآثار القريبه الربوبيه. و لعل الأحاديث الوارده فى وجوب الصلاه على محمد و آله فى الصلاه كما فى التشهد، أو فى استحبابه كما فى ساير مواضعها يشير إلى أنه تعالى أكرمهم صلّى اللّه عليه و آله إلى أن جعل الصلاه عليهم فى ضمن ما به عبادته أى الصلاه.

ففى الوسائل باب الصلاه (۱)بإسناده عن الحلبى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «كل ما ذكرت اللّه عز و جل به و النبى صلّى اللّه عليه و آله فهو من الصلوه، و إن قلت السلام علينا و على عباد اللّه الصالحين» ، فقد انصرفت. فقد جعل فى هذه الروايه ذكر النبى صلّى اللّه عليه و آله من الصلاه التى هى عبادته تعالى و كون ذكره صلّى اللّه عليه و آله كذكره تعالى عباده ليس إلّا لعلوّ مقامه صلّى اللّه عليه و آله بحيث كاد أن يكون معبودا.

قوله عليه السّلام: «فجعله كلمه تامّه» على أربعه أجزاء معا ليس شىء منها قبل الآخر. أقول: حقيقه ذلك الاسم التى هى الصادر الأول و التعين الأول بلحاظ اشتمالها على جميع الأشياء إذ هو الحقيقه المحمديه و عالم الأمر، فلا محاله هى كلمه تامه جامعه لا يشذ عنها شىء من أمر الخلائق و الخلق، ثمّ جعله على أربعه أجزاء إشاره و اللّه العالم إلى ظهور هذا الاسم فى مظاهر الخلقه، و حيث إنّ الأشياء كلها قائمه باللّه تعالى و هو قيومها، فهذا الاسم من جهه قيامه به تعالى هو الجهه المستوره و المحجوبه، و من جهه ظهورها فى الخلق لفاقه الخلق إليها هو تلك الثلاثه التى أظهرها، و هذه الثلاثه أيضا أسماء معنويه و هى أيضا مما وصفه

بقوله عليه السّلام «بالحروف غير متصوّت. . . إلخ» و حيث إنها معنويه خارجه عن عالم الزمان

۱- ۱) الوسائل باب الصلاه باب كيفيه التسليم ج ۲ ص ۱۰۱۲.

و المكان بل محيط بهما، فلا محاله ليس شیء منها قبل الآخر بل كلّ منهما فى ظرف وجود الآخر بلا مزاحمه.

و قوله: «و هذه الأسماء التى ظهرت» فالظاهر هو اللّه تبارک و تعالى. أقول: قد اشتهر أنّ لفظ الجلاله موضوع للذات المستجمع لجميع صفات الجمال و الجلال، و معناه أنه اسم له تعالى بلحاظ ظهوره فى خلقه بالأسماء الجلاليه و الجماليه، فلا محاله أنه أى اللّه اسم له تعالى بلحاظ ظهوره لا ـ بلحاظ خفائه و غيبه، فاسمه تعالى لذلک المعنى -هو-و هذا لا ينافى جعل اسم الباطن من الأسماء الظاهريه التى هى من معانى اللّه، فإن الباطن يراد منه الاسم الخفى بالنسبه إلى الأسماء الظاهره لا بالنسبه إلى الذات المقدسه الغائبه فى الإدراک و الإبصار. و بعباره أخرى: اسم (هو) للذات مع قطع النظر عن أى صفه و اسم، و أما (اللّه) فاسمه تعالى بلحاظ ظهوره، و حيث إن مظاهر أسمائه مختلفه فلا محاله يكون بعض أسمائه تعالى باطنا بالنسبه إلى بعضها الآخر فتأمل. و كيف كان ف(اللّه) اسم له تعالى بلحاظ ظهوره فى الخلق بمظاهره الأسمائيه المذكوره فى الحديث المدرک بعضها بالعقل و بعضها بالحسّ الظاهرى.

قوله عليه السّلام: «و سخّر. . . إلخ» إشاره إلى أن تلک الثلاثه أجزاء أصول أوليه بالنسبه إلى ما يتشعّب من سائر الأسماء، إذ جعل لكل واحد منها أركانا أربعه، و لكل ركن ثلاثين اسما، و هذه المراتب بيان لما يتشعّب من الأسماء من تلک الأركان، و تفصيل القول فى هذا المقام مذكور فى محله.

قوله عليه السّلام: «فهى نسبه لهذه الأسماء الثلاثه. . . إلخ» أى أنّ ما يتشعّب من كل من الأسماء الثلاثه منسوب إلى ما يتشعّب منه، و معناه أنّ تلک الأسماء الثلاثه بمنزله الجنس كلّ فى أمر يخصّه، و لا محاله يكون ما يتشعّب منه ما يناسب المتشعّب منه.

و قوله عليه السّلام: «و هذه الأسماء الثلاثه أركان و حجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثه» .

ص :۱۸۳

أقول: معنى كونها حجبا و أركانا لـذلك الاسم الواحد أنها من شئونه و مقتضياته و تفصيلاته الحاصله فى الخلق، و حيث إنها منشعبه أيضا منه فهى أركان له و حجب له، أى أنّ ذلك الاسم محجوب بها و هى حجابه و المحجوب ظاهر بحجابه و أركانه. و الحاصل: أنّ هذه الحجب شئون ذلك الاسم الواحد و هو فى عين كونه مختف ظاهر بها. و لعلّ إليه يشير

قوله عليه السّلام فى وصفه: «مستتر غير مستور» أى مستتر بنفسه غير مستور بل ظاهر بحجبه و أركانه، فتأمل و اللّه أعلم.

[فى معنى قولهم عليهم السّلام: «لا يقبل اللّه عملا إلّا بمعرفتنا»]

إذا علمت هذا كله فاعلم أنّ معنى

قولهم عليهم السّلام: «لا يقبل اللّه عملا إلّا بمعرفتنا» يتوقّف على بيان مقدمه و هى أنه ذكر بعض الأعاظم (۱)ما حاصله: أنّ العقول الكامله من العقول الولويه و غيرها متحده فى نحو وجود العقل الفعّال، و هو سنخها الواحد و أصلها الفارد فى مقام وطن كانت متميّزه، و لكل منها طور و مرتبه وراء ما للآخر، و لكل منها سمه و مقام بالنسبه إلى ما دونه فهو كمركز ينتهى إليه أنصاف أقطار كره، و أيضا جميع تلك العقول من حيث إنها لها جهه تلى الرب فهى من تلك الحيثيه واحد، أى لم يبق فى وجودهم و فى نظر شهودهم إلّا وجه اللّه و ملاك وحدتهم أن تشخّصهم النفسيه يكون بنحو الوجود التجردى، أى لم يلحظ فيهم إلّا وجود كرباط ناظم شتاته و جامع متفرّقاته بحيث يقال بلحاظ هذا الوجود التجردى هو هو و إن حصل له تميّزات، و لتشخصه الواحد تعيّنات، هذا بالنسبه إلى الوجود التجردى النفسانى، فقد علمت أنه مع أنه أضعف تحصّلا و هويّه، فما ظنّك حينئذ بالوجود التجردى العقلائى للكمّلين؟ ثمّ ما ظنّك بالوجود القدوسى الربانى و معيّته القيوميه؟ فإنه لا وجود له إلّا وجود الحقّ.

قال سيدهم (صلوات اللّه عليه) : «من رآنى فقد رأى الحق» .

۱- ۱) السبزوارى فى مجموعه رسائله ص ۸۵۷.

و قال أوصياؤه عليهم السّلام «فى حقهم» : من عرفهم فقد عرف اللّه، و من اعتصم بهم فقد اعتصم باللّه، و من تخلّى منهم فقد تخلّى من اللّه، و لعل هذه الوحده للوجود القدوسى الربانى و بلحاظ معيّته القيوميه و أنه لا وجود له إلاّ وجود الحق، و أنه مركز ينتهى إليه أنصاف أقطار دوائر العقول النازله هى السبب

لقول على سيد الأولياء عليه الصلوه و السلام: «كنت مع جميع الأنبياء سرّا و مع خاتم الأنبياء جهرا» . ثمّ إنه بهذا اللحاظ أى وحده الوجود القدوسى الربانى يقال: الاسم عين المسمى، و لكن التحقيق أن يقال إنه إذا لوحظ حقيقه الوجود الصرف غير ملحوظ معها صفه من الصفات، فهى حقيقه المسمى التى لا اسم و لا رسم لها و ربما تسمى باللّاتعيّن المحض، و إذا لوحظ معها صفه من الصفات مثل أنّ حقيقه الوجود ظاهره بالذات و مظهره للغير الذى هو الحقائق و الماهيات فهى اسم النور أى تسمى باسم النور، و هكذا بالنسبه إلى سائر الأسماء كما تقدم. و بالجمله نفس تلك الحقيقه التى هى الوجود البحت الملحوظ بلا تعين هى الذات البسيطه و هذه هى المسمى فقط، ثمّ كل تعيّن النورى فى الوجود يكون صفه من الصفات العليا، و هذا بلحاظ نفس المفهوم التعيّن فهى صفه فقط، و مجموع الوجود مع التعين النورى اسم من الأسماء الحسنى فحينئذ نقول: الاسم الوجودى بلحاظ الوجود البحت إذا أخذ غير ملحوظ معه شىء، فالأسماء حينئذ عين الذات إذ لم يلحظ معها غير الوجود و إذا اعتبر مطلقا أى و بلحاظ الغير من لحاظ مفاهيم الأسماء فهى غير المسمى. و بتعبير آخر أنّ الأسماء إذا كانت عناوين فانيه فى المعنون أى فى المسمى بحيث لا يلتفت إليها من حيث هى هى، بل يلحظ من حيث هى مرائى لحاظ وجودها العينى، أى يلحظ الوجود البحت المتقدم ذكره فهى من هذه الحيثيه هو و لا من هذه الحيثيه فهى غيره أى إذا لو حظت استقلالا لا آله و مرآه.

ص :185

و بتعبير آخر أنّ وجه الشيء هو الشيء بوجه و غيره بوجه آخر، مثلا الشمس الملحوظه فى الماء تاره تلاحظ بما هى مرآه للشمس فى السماء فهى مرآه لها، و لذا يسرى حكمها أى الشمس فى السماء إليها أى إلى الشمس الملحوظه فى الماء، فبهذه الجهه الاسم كالشمس الملحوظه فى الماء عين المسمى أى الشمس فى السماء، و قد تلاحظ بما هى هى فهى حينئذ غير المسمى أى غير الشمس فى السماء. و بتعبير ثالث المسمى ظاهر فى الأسماء و الأسماء سمه أى علامه له، و المظهر من حيث هو مظهر فان فى الظاهر، فالظاهر هو المرئى فى المظاهر، و المظاهر غير منظور إليه، فبهذه الجهه فالمظهر عين الظاهر لا يلاحظ هو أبدا بل هو فان محض. إذا علمت هذه المقدمه

فقولهم عليهم السّلام «نحن الأسماء الحسنى» أى نحن صفاته

لقوله عليه السّلام: «الاسم صفه لمسمى، و حينئذ إنّ حقيقتهم هى الصفات الإلهيه، فحينئذ إذا لوحظت بلحاظ وجوداتها الشخصيّه فهى مقام بشريّتهم عليهم السّلام. و إليه يشير قوله تعالى: قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ (۱)فهم عليهم السّلام بهذا اللحاظ غيره تعالى، و إذا لوحظت حقيقتهم بلحاظ أنهم وجهه تعالى، و أنهم مرآه ذاته تعالى، و أنهم فانون فيه بالبيان المتقدم، فحينئذ لا وجود لهم إلّا وجوده تعالى، و لا لحاظ لهم إلّا لحاظه تعالى، فبهذه الجهه من عرفهم فقد عرف اللّه، لأنّه حينئذ كالشمس فى الماء الملحوظه مرآه للشمس فى السماء. و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «معرفتى بالنورانيه معرفه اللّه. . . إلخ» و هذا اللحاظ لا يمكن لأحد إلّا لأهل المعرفه بهم أى من عرفهم بالنورانيه و هذا قد يكون للكمّلين من الحواريين كما لا يخفى. إذا عرفت هذا

فهاهنا مقامان:

الأول بيان قوله: «و من قصده توجه بكم»

، و الثانى بيان

قوله عليه السّلام: «نحن الأسماء الحسنى التى لا يقبل اللّه عملا إلّا بمعرفتنا» .

۱- ۱) الكهف:۱۱۰.

فنقول: لا ريب فى أن

قوله:

«و من قصده. . . إلخ»

يشير إلى مقام فوق مقام العباده المأموره بها فى ظاهر الشرع المطهر، حيث إنّ المتبادر منها أنّ من قصد اللّه أى أراد معرفته و الوصول إليه بحيث يصل إلى مقام الوصل المفسّر فى كلمات العرفاء الحقّه بلقاء اللّه تعالى، فلا محاله لا يمكن هذا لأحد إلاّ لمن عرفهم عليهم السّلام بما هم أسماؤه الحسنى، و بما هم فانون فيه تعالى أى يلاحظ أسمائيتهم بما هى مرآه الذات لا بالاستقلال كما تقدم. فحينئذ فمن نظر إليهم عليهم السّلام بما هم مرآه للذات المتعاليه، فلا محاله يصل إلى لقائه تعالى، و هذا باطن

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «من رآنى فقد رأى الحق» . ثم إن الموحد إذا عرف اللّه هكذا من طريق معرفتهم، فلا محاله يكون هو العابد له حقيقه، و يلحق بهم عليهم السّلام من حيث إنهم عند اللّه تعالى فتكون عبادته كعبادتهم له تعالى المراده كما أشير إليه فى قوله تعالى: إِنَّ اَلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ (۱). و كيف كان فحيث إنهم بلحاظ فنائهم فيه لا وجود لهم إلاّ وجوده تعالى، و لا ظهور لهم إلاّ ظهوره تعالى، فمن عرفهم هكذا فلا محاله عرفه تعالى كما هو ظاهر فيهم عليهم السّلام. و لعلّ إليه يشير

قوله عليه السّلام «إنّ لنا مع اللّه حالات. . . إلخ» ثمّ إنه لا ريب فى أنّ من قصده لا يمكن له التوجه إلاّ إذا صار هو أيضا بالنسبه إليهم فانيا، فإنّ معرفه الفانى فيه تعالى إنما يكون بالفناء عن النفس و الفناء فى هذا الفانى، و إلاّ فلا يمكن تحصيل معرفتهم بالنورانيه المترتبه عليها معرفه اللّه تعالى، و الفناء لا يكون إلاّ بأن يتّصف بجميع صفاتهم عليهم السّلام التى اتّصفوا بها فى مقام فنائهم فيه تعالى و لو بحسب ظرفيته و إمكانه فتأمل فإنه دقيق جدا. رزقنا اللّه تعالى الوصول إليه.

ص :۱۸۷

۱- ۱) الأعراف:۲۰۶.

ثمّ إنّ قوله عليه السّلام

«و من قصده توجه بكم»

لا يختصّ فى مقام العباده كالصلوه و نحوها بل يعمّ ذلك، و حاصله أنّ من قصده بقلبه و بحقيقته توجه بكم أى اتّصف بأن تخلّى عن نفسه و تلبّس بوجهتكم أى بما أنتم وجه اللّه، و أخذ وجه اللّه صفه لقلبه و اتّصف به، فإنّ هذا هو معنى التوجه بهم أى جعل و جهتهم التى هى وجه اللّه تعالى متلبسه به، و هذا لا يكون إلاّ بالفناء فيهم و الدخول فى عالم الخلسه و المحو عن حدوده الخلقيه كما لا يخفى و لا ريب فى أنه فى تلك الحاله يعرف اللّه تعالى بالنحو الذى تجلّى هو تعالى فيهم عليهم السّلام كما تقدم بيانه من أنّ جماله تعالى و جلاله تجلّى فى مرآه وجودهم عليهم السّلام فهم بلحاظ المرآتيه و مواجها إلى مرآتهم عليهم السّلام الفانيه فيه تعالى فانعكس فيها ما انعكس منه تعالى فى مرآتهم كما لا يخفى، و هذا أمر تكوينى ربما وصل إليه العارف مع عدم توجهه بهذه الجهات من الفناء و المواجهه كما لا يخفى، رزقنا اللّه تعالى ذلك بمحمد و آله.

و أما الثانى أعنى قوله: «نحن الأسماء الحسنى التى لا يقبل اللّه عملا إلاّ بمعرفتنا» .

فنقول: إنّ لهذا الكلام معنيين: الأول: ما تقدم من أنّ معرفه اللّه لا تحصل إلاّ بسبيل معرفتهم و بيانهم عليهم السّلام فإنهم العارفون بمعارفه تعالى كما تقدم بيانه فى

قوله:

«السلام على محالّ معرفه اللّه» . و الثانى: أنه لا يقبل اللّه تعالى من أحد عملا إلاّ إذا اتّصف بمعرفتنا و عرفنا حق المعرفه، فإنه حينئذ يمكنه إتيان العمل كما يقبل اللّه تعالى. و بعباره أخرى: أنه لا يقبل اللّه عملا من أحد إلاّ إذا عرف و علم و اعتقد ولايتنا، التى هى ولايه اللّه و قبلها بقبله، فحينئذ إذا عمل بعمل عبادى و عرفنا هكذا قبل اللّه تعالى منه عمله هذا.

[فى شرح هذه الجمل الثلاث ببيان أخرى]

اشاره

و قد يقال فى شرح هذه الجمل الثلاث: إن...

قوله «من أراد اللّه بدأ بكم»

أى من أراد أن يعرف اللّه قصدهم و بدأ بهم، ليعرّفوه معرفه اللّه و ما يصحّ عليه و يمتنع، لأنهم عليهم السّلام ألسنه إراده اللّه و لا يعرف مراد اللّه تعالى إلاّ بتعليمه تعالى و لا يكون

تعليمه تعالى لأحد إلّا بهم عليهم السّلام لأنهم محالّ مشيّته و ألسنه إرادته و مظاهره فى خلقه

كما قال السجاد عليه السّلام: «و نحن مظاهره فيكم» كما تقدم مضمونه، و هم عليهم السّلام نوّابه و أبوابه و أمثاله العليا فى بريّته، كل ذلك قد تقدم شرحه. و كيف كان فإذا عرف بما جعلهم و رتّبهم فيه من الصفات و المعارف و العلوم الإلهيه فلا محاله عرف اللّه بمعرفتهم هذه فإنها منه تعالى، فإذا أحاط بها علما فقد عرف اللّه تعالى الذى منحهم تلك المعارف، كما تقدم من

قوله عليه السّلام فى حديث داود الرقّى: «فحملهم العلم و الدين» . و الحاصل: أنهم لما كانوا آيات اللّه الكبرى كما تقدم فلا محاله المعرفه بالآيه معرفه بمن له الآيه، كما لا يخفى و دلاله الآيه على من له الآيه على ما ذكرناه فى الاسم و الصفه إذا لوحظت مرآه للمسمى و الموصوف، فإنه حينئذ تكون المعرفه بالآيه بما هى مرآه معرفه لذى الآيه بما هو ظاهر فيها. و قد يقال:

قوله عليه السّلام

«من أراد اللّه بدأ بكم»

أى من أراد وجه اللّه و التقرب إليه بالأعمال الصالحه بدأ بكم أى أخذها عنكم، و سلّم إليكم فى ذلك ظاهرا و باطنا و عقيده، كل ذلك يكون مشفوعا بحبّكم و ولايتكم، لأنّ محبتهم و قبول ولايتهم شرط فى القبول كما تقدم مرارا. و قد يقال:

«من أراد اللّه بدأ بكم»

أى سلك بكم إليه تعالى حيث إنهم عليهم السّلام سبيله إلى عباده، و سبيل عباده إليه كما تقدم بيانه فى

قوله:

«و صراطه. . . إلخ» ، فمن سلك إلى اللّه من غيرهم فلا يصل إليه تعالى و لا يصعد إليه من عمله شىء، لأنه تعالى لم يجعل طريقا موصلا إليه غيرهم. و بعباره أخرى: أنّ مريد اللّه تعالى لا يقدر على الوصول من القرب إليه تعالى إلّا بهم لأنهم عليهم السّلام يقوّون العباد على التوصّل إلى نهايات حظوظهم فمعنى لا طريق إليه تعالى إلّا بهم عليهم السّلام، إنهم عليهم السّلام قد جعلهم اللّه تعالى أعضادا لخلقه و أشهادا و مناه و أذوادا و حفظه و روّادا، فكونهم أعضادا أى يقوّون كلّ ضعيف، و يتمّمون كلّ

ناقص، و يرشدون كل ضالّ حتى يبلّغوه إلى مأمنه و مقصده، و أشهادا إما له أو عليه كما تقدم، و مناه أى يقدّرون كل شىء بعمله فيما هو عليه من السعاده و الشقاوه، و الغنى و الفقر، و القوه و الضعف و غير ذلک بإذن اللّه تعالى و أمره الذى حمّلهم إياه، و أذوادا أى يمنعون كل شىء عما ليس له، و حفظه أى معقّبات و مراقبات مما يتعلق بالخلق من الأمور المستقبله أو الماضيه، و معنى المعقّبات أى يحفظونه من أمر اللّه، و روّادا أى فى الخير يردونه فى الخير، لأنهم عليهم السّلام القاده و الدعاه و الأدلّاء و بالنسبه إلى الأمور المكروهه و الشرور أيضا، سائلون و محاسبون أخذا و تركا إلى أن يسكنوا كلّا مسكنه من الجنّه أو النار. و قد يقال:

«من أراد اللّه بدأ بكم»

أى استشفع بكم أولا. أو قدّمكم أمام طلبته مقسما على اللّه عز و جل بكم، لأنه تعالى لا يردّ سائلا أقسم عليه بكم، أو لأنكم أسماؤه التى تدعى بها و صفاته التى يعرف بها و نعمه التى يسأل من فاضلها حيث أنتم أصلها و حقيقتها و خزائن رحمته التى ينفق منها فى عالم الوجود. و قد يقال:

«من أراد اللّه بدأ بكم»

فى الإراده أى يجعل إرادته فيما يريد شيئا منه تعالى تبعا لإرادتكم لتعذّر إرادته تعالى و تحصيلها و صرفها إلينا بدون إرادتكم. و الحاصل: أنتم تريدون منه بالإراده التى تليق به تعالى و تكون موجبه لأن يمنح اللّه لكم، فالطالب منه تعالى شيئا لا بدّ من أن يجعل إرادته تبعا لإرادتكم لكى يصل إلى ما يريده منه تعالى، و السرّ فى ذلک أنهم عليهم السّلام وجهه الذى يتوجه إليه من أراد اللّه. و قد يقال:

«من أراد اللّه بدأ بكم»

أى أرادكم و يكون بإرادته إياكم مريدا للّه تعالى بارادتكم، أى بفاضل إرادتكم و وجودكم، لا أنه يريد بنفسه و يجعل إرادته تبعا لإرادتكم كما كان السابق كذلک، بل لا يريد إلّا نفس إرادتكم، و إنما يحصل مراده بإرادتهم بأن يكونوا مراده، لأنهم عليهم السّلام لما كانوا أهل الكرم و الجود و العلم و التعليم للخلق، و الدلاله إلى الحق و الإرشاد، و من بهم قيام السموات و الأرض

و حفظهما بـاللّه تعـالى، فلا محاله تكون إرادتهم إراده تلك الأمور التى بها تحصل البغيه و الطلبه. و قـد يقال: إنه لما كانوا هم وسائط الفيض بحيث لا ينال ما عند اللّه إلاّ بهم، فلا محاله من أراد اللّه يلزم أن يريدهم أولا لكونهم وسائط، هذا بالنسبه إلى

قوله

«من أراد اللّه بدأ بكم» .

و أما قوله: «و من وحّده قبل عنكم» .

فمعنـاه أنّ من عرف التوحيـد و المعـارف الحقه فإنمـا قبلهـا منكم لا ـ من غيركم، و ذلك لمّا دلّ البرهان عقلا و نقلا على أنه لا يكون عنـد أحد من الخلق حقّ إلّا ما كان عنهم عليهم السّـلام و مأخوذا منهم عليهم السّـلام و قد أفاضوه من اللّه تعالى للخلق، و هم سبب وصوله منه تعالى إلى الخلق، بل أقول هذا ثابت حتى بالنسبه إلى الأنبياء و الملائكه كلهم أجمعين، فإنه ما عرف اللّه و ما وحّـد اللّه أحد فى الوجود إلّا بتعليمهم و القبول منهم كما مرّ مرارا، لأنهم عليهم السّـلام أبوابه كما صرح به فى الأحاديث، و من هـذا يظهر ردّ من قـال إنّا لا نحتاج إلى الأئمه عليهم السّـلام فى المعارف و الاعتقادات، لأنها أمور عقليه و إنما نحتاج إليهم فى الشـرعيات، و الوجه فيه أنّ العقل إنما هو سـبب بالالزام على التفحّص و تحصيل المؤمّن و قبول الأدله الداله على المعارف و الحقـائق من المبـدإ و المعـاد من مظانّها أعنى الكتاب و قول النبى صـلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّـلام و إما درک تلك الحقائق بواسـطه العقل بـدون بيان الكتاب و السـنه فليس للعقل فيه مطمـح، لأنها أمور خفيه غائبه عن الإدراكات البشـريه، و لـذا نرى أنّ من لم يتبع الشـرع فيهـا قـد وقع الخلاـف بينهم فى دركهـا فالعقـل يحكم ببطلاـن أحـد المتخـالفين لا محاله فيما تخالفا بالتناقض كما لا يخفى و هذا أمر ظاهر بين، كما يشير إليه

مـا روى عن على عليه السّـلام «إن العقل لإقامه رسم العبوديه لا لإدراك الربوبيه» ذكره المحقق الشيرازى فى أسـرار الآيات ص ١٣٣. و لعل مراد القائل بأنها أمور عقليه لا نحتاج فيها إلى الشرع هو أنّ العقل يحكم

للزوم تحصيل المؤمن لا نفس المعارف و الحقائق الحقه، و اللّه العالم.

و أما قوله عليه السّلام: «و من قصده توجه بكم» .

قد يقال: أى استشفع بكم ليستجيب، فإذا قصده بالتوجه بهم أى بالاستشفاع بهم استجيب له، و ذلك لأنهم عليهم السّلام خزائن المطالب كلها و هم خزّان اللّه فى أرضه و سمائه.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده إلى أبى جعفر عليه السّلام. . . إلى أن قال: «و قال اللّه عز و جل لنبيه صلّى اللّه عليه و آله: وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۲)يعنى أنك لتأمر بولايه على و تدعو إليها، و على هو الصراط المستقيم صراط اللّه الذى له ما فى السموات و ما فى الأرض، يعنى عليا أنه جعل خازنه (أن جعله خازنه) على ما فى السموات و ما فى الأرض من شىء و ائتمنه عليه، ألا إلى اللّه تصير الأمور» . فصريح الحديث على أنه تعالى جعله عليه السّلام خازنه على ما فى السموات و ما فى الأرض، و ائتمنه أى عليا، عليه أى على ما جعله خازنه فهم عليهم السّلام خزّان اللّه، فمن هذه الجهه يستشفع بهم بما هم خزّانه عند قصده، و حينئذ معنى توجه بكم أى استشفع بكم لأنكم كذلك، و معنى يستشفع بهم أنه يرجع إليهم فى طلب الحوائج منه تعالى و هذا أمر ثابت نقلا و عقلا: أما الأول:

ففى تفسير البرهان (۳)، عن روضه الكافى عن سماعه قال: كنت قاعدا مع أبى الحسن الأول عليه السّلام و الناس فى الطواف فى جوف الليل فقال لى: «يا سماعه إلينا إياب هذا الخلق و علينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم و بين اللّه عز و جل حتمنا على اللّه عز و جل فى تركه لنا، فأجابنا إلى ذلك، و ما كان بينهم و بين الناس

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۵۹۱.

۲- ۲) الشورى ۵۲.

۳- ۳) تفسير البرهان ج ۵ ص ۵۶۸.

استوهبناه منهم فأجابوا إلى ذلك، و عوّضهم اللّه عز و جل» . فالمستفاد من هذا الحديث و نحوه كما تقدم أن رجوع الخلق إليهم و حسابهم عليهم، فإنه تعالى قد رتّبهم فى هذه المرتبه و هى مرتبه الوسيله و الشفاعه، و كونهم خزانه و أنهم المرجع فى أمور العباد فى الدنيا و الآخره. و أما الثانى: أنّ الأمور الحادثه من جميع ما سوى اللّه تعالى مخلوقه، و الحادث المخلوق لا يصل بنفسه إلى القديم و لا يرجع إليه سبحانه لأنه متعال عن كلّ شىء. و أما قوله تعالى: أَلاٰ إِلَى اَللّٰهِ تَصِيرُ اَلْأُمُورُ (۱)معناه أن الأمور ترجع إلى أمره تعالى، و أمره تعالى قد جعله عند وليه، و حينئذ ففى الحقيقه المصير إلى وليه مصير إليه تعالى، لأنه تعالى جعله كذلك و الراد إليه رادّ إليه تعالى.

ففى بصائر الدرجات (۲)بإسناده عن عبد اللّه بن أبى يعفور قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا بن أبى يعفور إنّ اللّه تبارك و تعالى واحد متوحّد بالوحدانيه متفرّد بأمره، فخلق خلقا ففردهم لذلك الأمر، فنحن هم يا بن أبى يعفور، فنحن حجج اللّه فى عباده و شهداؤه فى خلقه و أمناؤه و خزانه على علمه، و الداعون إلى سبيله و القائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه» .

و فيه، عن عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «نحن ولاه أمر اللّه، و خزنه علم اللّه، و عيبه وحى اللّه، و أهل دين اللّه، و علينا نزل الكتاب، و بنا عبد اللّه، و لولانا ما عرف اللّه، و نحن ورثه نبى اللّه و عترته» .

و فيه، حدثنا عباد بن سليمان عن أبيه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إنّ اللّه تبارك و تعالى انتجبنا لنفسه فجعلنا صفوته من خلقه، و أمناءه على وحيه، و خزّانه فى أرضه، و موضع سرّه، و عيبه علمه، ثم أعطانا الشفاعه، فنحن أذنه السامعه، و عينه الناظره، و لسانه الناطق بإذنه، و أمناؤه على ما نزل من عذر و نذر و حجّه» .

۱- ۱) الشورى:۵۳.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۶۱.

أقول: و نحوه أحاديث كثيره.

فقوله عليه السّلام: «ففردهم لذلك الأمر فنحن هم» .

و قوله: نحن ولاه أمر اللّه» .

و قوله: «انتجبنا لنفسه فجعلنا صفوته» ، دليل على ما ذكرنا من أن أمر الخلق يرجع إليهم، لأنه تعالى فردهم لأمره.

و قوله عليه السّلام: «واحد متوحد بالوحدانيه» ، إشاره إلى ما ذكرنا من أنه تعالى متعال عن كلّ شىء، و أنّ المخلوق لا يصل بنفسه إلى الخالق القديم إلاّ إلى ما جعله تعالى واسطه بينه و بين الخلق، و هى هم عليهم السّلام و الرجوع إليهم رجوع إليه تعالى، لأنه بأمره كما لا يخفى. ثمّ إن هذا الجعل أى جعل الأئمه عليهم السّلام و عليّا عليه السّلام خازنه و واسطه بينه و بين الخلق ليس غلوّا فى حقهم كما توهمه بعض الجهله، بل معناه أنه تعالى اصطفى عبادا انتجبهم لنفسه، فجعلهم معصومين مطهّرين مكرّمين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون، و وّلاهم جميع أمور سلطنته على خلقه، و إلى هذا المعنى يشير

قولهم عليهم السّلام كما تقدم: «اجعلوا لنا ربّا نؤب إليه و قولوا فينا ما شئتم» ، و فى بعضها بعد هذا

قوله: «و لن تبلغوا» ، و ليس هذا تفويضا أيضا فى الخلق الذى هو باطل، لأن التفويض الباطل كما تقدم هو أن يجعل اللّه تعالى الأمور إليهم، و يرفع هو تعالى يده عن الخلق، و تقدم أن هذا كفر و شرك، و أين هذا من القول بأنه تعالى جعل الأمور إليهم، فهم بأمره و هدايته و قدرته يعملون، يدبّرهم اللّه تعالى فيما ولاّهم عليه كيف يشاء، لا يتحركون و لا يسكنون و لا يريدون و لا يتركون إلاّ بقدرته و مشيته و أمره فى كل أمر كبير أو صغير، خطير أو حقير. و إليه يشير

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «من أراد أن ينظر إلى ميت و هو يمشى، فلينظر إلىّ» ،

و فى حديث آخر «فلينظر إلى على بن أبى طالب عليه السّلام» . فبطل بما زبرنا قول الغالى بأنهم أرباب، و قول القالى و هو من وضعهم و أزالهم

ص :۱۹۴

عن هذه المرتبه العظيمه، و أحسن ما يثبت لهم هذه المرتبه العظيمه ما تقدم

من خطبه أمير المؤمنين الوارده فی یوم الغدیر و یوم الجمعه حیث تصادفا فی یوم واحد فی زمانه علیه السّلام و فیها: «و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله استخلصه فی القدم علی سائر الأمم علی علم منه، انفرد عن التشاکل و التماثل من أبناء الجنس و انتجبه آمرا و ناهیا عنه، أقامه فی سائر عالمه فی الأداء مقامه، إذ کان لا تدرکه الأبصار و هو یدرک الأبصار، و لا تحویه خواطر الأفکار، و لا تمثله غوامض الظنون فی الأسرار، لا إله إلاّ هو الملک الجبار. إلی أن قال علیه السّلام فی حق آل محمد صلّی اللّه علیه و آله بعد ذلک: «و إن اللّه تعالی اختص لنفسه من بعد نبیه صلّی اللّه علیه و آله من بریته خاصّه، علاّهم بتعلیمه و سما بهم إلی رتبته، و جعلهم الدعاه بالحق إلیه، و الأدلاء بالإرشاد علیه لقرن قرن و زمن زمن، أنشأهم فی القدم قبل کل شیء مذروء و مبروء أنوارا أنطقها بتحمیده، و ألهمها شکره و تمجیده، و جعلها الحجج علی کل معترف له بملکه الربوبیه و سلطان العبودیه، و استنطق بها الخرسات بأنواع اللغات بخوعا له بأنه فاطر الأرضین و السموات، و أشهدهم خلق خلقه، و ولاّهم ما شاء من أمره، جعلهم تراجمه مشیّته و ألسن إرادته عبیدا لا یسبقونه بالقول و هم بأمره یعملون، یعلم ما بین أیدیهم و ما خلفهم، و لا یشفعون إلاّ لمن ارتضی، و هم من خشیته مشفقون، یحکمون بأحکامه و یستنّون بسنّته، و یعتمدون حدوده، و یؤدّون فرضه. . .» الخطبه.
أقول: هذه الجمل من هذه الخطبه من أجلّ غرر کلماته علیه السّلام و من الأدله الداله علی مقامهم المحمود عند اللّه و أول دلیل علی ما قلناه، ففیه إشاره إلی الدلیل العقلی و النقلی علی ما ذکرناه.

فقوله علیه السّلام: «أقامه فی سایر عالمه فی الأداء مقامه» یدل علی تلک المرتبه العلیا من الوساطه المذکوره.

و قوله علیه السّلام: «لأنه لا تدرکه الأبصار و هو یدرک الأبصار» عله لتعالیه تعالی إیاهم علیهم السّلام و أنوارهم علیهم السّلام لذلک الأمر، و هو ما ذکرنا من أن الحادث المخلوق لا

يصل إلى الخالق القديم إلاّ بأمر له جهتان جهه الخلق بها يتولى أمرهم و يراجعونه فى أمورهم، و جهه الخالق و الحق بها يستفيض منه تعالى الأمور و الخير فيمنحه إلى الخلق كلّ بحسب استعداده و سؤاله الذاتى أو القولى، و هذا هو الولايه الإلهيه التكوينيه و التشريعيه كما تقدم مرارا. و كيف كان فقد جعل اللّه تعالى محمدا و أهل بيته فى سائر عالمه مقامه فى الأداء إليهم، و فيما يرجع إلى أمر الربوبيه، و فيما يحتاجون إليه فى أمر خلقهم و معائشهم و معادهم و جميع أمورهم. و إليه يشير ما تقدم

عن التوحيد عن الصادق عليه السّلام فى حديث صحيح يذكر فيه شئون الأئمه و الأوصياء. . . إلى أن قال: «و بهم يقضى فى الخلق قضيّته» فراجع. فتحصّل من الجميع أن

«من قصده توجه بكم»

أن قصده تعالى على وجوه، و التوجه بهم عليهم السّلام أيضا على وجوه كل بمناسبه ما يقصده، فمن قصد اللّه فى شىء من الأشياء من الحوائج الدنيويه أو الأخرويه توجه بهم أى استشفع بهم، و من قصده أى قصد معرفته تعالى ليجده فى قلبه توجه بهم أى استشفع بهم، و من قصده أى قصده معرفته تعالى ليجده فى قلبه توجه بهم أى سلك طريقهم و جعلهم عليهم السّلام أدلاّء عليه تعالى علما و عملا و حالا و سلوكا بنحو تقدم من أنه لما كانوا عليهم السّلام وجهه فلا محاله من قصده يتوجه إليه تعالى بقلبه و عمله و لأنه بوجهه تعالى، و حيث إنهم وجهه تعالى فلا محاله يتوجه بهم حيث إنهم وجهه و جهته، و هذه الجهه الإلهيه التى هى حقيقتهم، يكون التوجه بها إليه تعالى هو السلوك إليه و المشى فى سبيله لما تقدم من أنهم سبيله و طريقه و صراطه، فمعناها هو الاتّجاه بوجههم إليه تعالى و الاستضاءه فى طريقه تعالى بأنوارهم المعنويه التى هى حقيقتهم، و قد علمت فيما سبق أنهم النور فى الآيات القرآنيه، و أنّ معرفتهم بالنورانيه هى معرفه اللّه، و أنّ التوجه بهم و الاستشفاع بهم فى قضاء الحوائج و فى الوصول إلى معرفته أمر مسلم لكل أحد، أى أنه لا يختصّ التوجه بهم لتلك الأمور بنا، بل الملائكه و الأنبياء كلهم محتاجون إليهم عليهم السّلام فى ذلك، و من أراد الاطلاع عليه فليراجع البحار فى باب

توسل الأنبياء عليهم السّلام بهم، و ناهيک فی ذلک قوله عليه السّلام فی تلک الأحاديث کما مرّ مرارا. أجمل الأمر: ما استأهل خلق النظر من اللّه إليه إلاّ بالعبوديه لنا، أی بالخضوع و الخشوع لنا، ثمّ إن الناس فی معرفتهم علی مراتب کثيره.

قال الصادق عليه السّلام: «لو يعلم أبو ذر ما فی قلب سلمان لقتله أو لکفره» ، و نحوه غيره کما لا يخفی. ثمّ إنه لا يمکن لأحد معرفتهم معرفته کما هو حقها إلاّ من شاءوا کما تقدم من

قولهم عليهم السّلام «إلاّ من شئنا» و هذا لکبر أمرهم و عظم شأنهم و علوّ مقامهم، فمن أرادوا أن يعرّفوه أنفسهم الشريفه منحوه ما به يقدر عليها، و ليس للخلق فيها حيله و وسيله إلاّ بلطفهم و عنايتهم، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله. و يکفيک فی غموض أمرهم و عظمه علمهم

قول السجاد عليه السّلام کما تقدم: «إنّی لأکتم من علمی جواهره. . . إلخ» .

ثمّ إن هاهنا کلاما فی بيان قوله: «من أراد اللّه بدأ بکم، و من قصده توجه بکم»

لا بأس بذکره لطالبيه، فلعل اللّه تعالی يجعله نافعا لمن أراد السلوک إلی معرفته تعالی و أسأله أن يوفّقنی لسلوکه بمحمد و آله الطاهرين، و حری أن يسمی بالطريقه الوسطی لنيل السعاده العظمی. فنقول: اعلم أنّ الإنسان و إن کان من حيث الظاهر من الأجسام و من جنس الحيوانات و الأنعام إلاّـ أنه يمتاز عن الأنعام بأن له نفسا و روحا يستعدّ لأن يستفيض الروح القدسی منه تبارک و تعالی، ثم إنه و إن کان مساهما و شريکا مع الملائکه من حيث لطافه نفسه إلاّ أنه يمتاز عنهم من حيث إنه يمکنه أن يترقی من مقام إلی مقام أعلی، و من صوره معنويه إلی صوره أبهی و أحسن، و له استعداد أن يسير فی المقامات الکونيه و التطورات الملکيه و الملکوتيه و المعارج النفسانيه و الروحانيه إلی أن يتخلّق بالأخلاق الإلهيه و يتعلم الأسماء الربوبيه کما أشير إليه فی

قوله تعالی: وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا (۱)و هـذا بخلاف الملائكه فإنه ليس لأحدهم إلاّ مقام واحد معلوم كما قال تعالی: وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ (۲)و لا علم لهم بالأسماء إلاّ ما علمهم اللّه تعالی بما يخصّه و لا يتعداه، قال تعالی: قٰالُوا سُبْحٰانَكَ لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِلاّٰ مٰا عَلَّمْتَنٰا (۳)

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «فمنهم سجود لا يركعون و ركوع لا يسجدون» . ثمّ إن الإنسان يختصّ بين الموجودات بأنّ حقيقته مركبه من روحين: الروح الحيوانی الفانی. الروح الملكی الباقی. و هو من حيث روحه له التطوّرات، فله فی كل زمان خلق جديد و له موت و حياه جديده، و بهذه الجهه له الترقی من منزل إلی منزل آخر، و من مقام إلی مقام، بل و من نشأه إلی نشأه أخری إلی أن يصل من هذه المنازل المتبادله، و من هذا الموت و الفناء و الحياه و البقاء إلی المنازل الملكوتيه، و يسير فی عالم الأسماء الحسنی الإلهی، و يتخلّق بالأخلاق الإلهيه إلی أن يصل إلی الفناء الكلی عن النفس، و البقاء الأبدی باللّه تعالی، و يصل بالآخره إلی موطنه الأصلی، و يتحقق فيه ما بيّنه قوله تعالی: إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ (۴). و بالجمله إنّ الإنسان يكون بالقوه خليفه اللّه تعالی، قال تعالی: إِنِّی جٰاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً (۵)و هو قابل لأن يتعلّم الأسماء كلها كما قال تعالی: وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْمٰاءَ (۶)و هو بهذه الحقيقه الإلهيه، و الاستعداد الذی وهبه اللّه تعالی صار

۱- ۱) البقره:۳۱.

۲- ۲) الصافات:۱۶۴.

۳- ۳) البقره:۳۲.

۴- ۴) البقره:۳۲.

۵- ۵) البقره:۳۰.

۶- ۶) البقره:۳۱.

مسجودا لملائکه الأرض و السماء حیث قال تعالی: فَإِذٰا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِینَ (۱)و معنی سجودهم له أنّ السجود کان للّه تعالی، و لکن کان آدم مسجودا إلیه أی من طریقه سجدوا له تعالی، لعلوّ شأنه و قربه المعنوی للّه تعالی بحیث لم یکن ذلک القرب و لا ـ إمکانه للملائکه. أو یقال إنّ المراد من السجود معناه العرفی لا العبادی، أی منتهی الخضوع و الخشوع له، فیرجع معناه إلی أنه تعالی أمر بقیام الملائکه فی خدمه هذا الإنسان علی أن یکونوا خاضعین و خاشعین و ممتثلین له فیما یحتاجه الإنسان فی مقام العبودیه الحقیقیه له تعالی، فیکون خضوعهم له فی صراط العباده و العبودیه من آدم له تعالی لا من حیث هو هو، و حینئذ من هذه الجهه یرجع خضوع الملائکه إلی الخضوع للّه تعالی کما لا یخفی. ثمّ إنه أیضا بلحاظ هذا الاستعداد الإلهی، و الروح الذی نفخه فیه تبارک و تعالی صار قابلا لأن یحمل الأمانه التی عجزت السماوات و الأرض و الجبال عن حملها و أبین أن یحملنها و أشفقن منها، قال تعالی: إِنّٰا عَرَضْنَا اَلْأَمٰانَهَ عَلَی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلْجِبٰالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا وَ حَمَلَهَا اَلْإِنْسٰانُ إِنَّهُ کٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً (۲). ثمّ إنه و إن کان له هذا الترقی العظیم الذی لیس لغیره فله أیضا النزول و التنزّل إلی أسفل سافلین و إلی درکات الجحیم و یکون فی مأوی البهائم و الدواب و الحشرات و مع الشیاطین و السباع و الوحوش بل أضلّ منهم کما صرّح به فی القرآن الکریم. ففی الحقیقه إنّ أمر الإنسان و کیفیه خلقه و الاستعدادات التی تکون له أمر عظیم لیس لغیره هذه التطورات الظاهریه و الباطنیه.

۱- ۱) الحجر:۲۹.

۲- ۲) الأحزاب:۷۲.

ثمّ اعلم أنه ليس فى عالم الوجود أحد يكون أكمل مصداقا و أعلى مرتبه و أرفع مقاما و أقرب منزله إليه تعالى من محمد و آله الطاهرين. و ما تقدم فى الشرح و ما يأتى فكلها ترجع إلى بيان علوّ مقامهم عليهم السّلام و رفعه شأنهم، بحيث لا يلحقهم لاحق و لا يفوقهم فائق، و قد تقدم بيانه، إلاّ أنّ المقصود من هذا البيان إيضاح كيفيه سلوك غيرهم ليصلوا إلى ما يمكنهم من القرب إليه تعالى، و الترقى إلى الكمالات المعنويه و السعادات الأبديه، و بالأخصّ إلى معرفه البارى و لقائه تعالى و الوصول إليه بما يناسبه، الذى هو غايه بغيه الطالبين و السالكين إلى ربّ العالمين. ثمّ إنه مما ذكرنا تبيّن أنّ للإنسان الإمكان و الاستعداد لهذه الكمالات ذاتا و بالقوه. و حينئذ يقع الكلام فى كيفيه إيصال هذه الاستعدادات إلى الفعليّه التامه لتحصل بها الكمالات الإلهيه. فنقول: قال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ (۱)جواب للقسم السابق، و حاصله أنّه تعالى خالقه فى أحسن تقويم، أى اشتمل عليه التقويم فى جميع شئونه و جهات وجوده، و التقويم جعل الشىء ذا أقوام، و قوام الشىء ما يقوم به و يثبت، فالإنسان و المراد به الجنس ذو أحسن قوام بحسب الخلقه، أى أنه يصلح بحسب الخلقه الروحيه و ما يناسبها فى الجسم للعروج إلى الرفيع الأعلى، و الفوز بحياه خالده عند ربّه سعيده لا شقوه معها؛ و ذلك بما جهزّه اللّه به من العلم النافع و مكنه منه من العمل الصالح كما دلّت عليه آيات أخرى. و أما قوله ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ أى فى مقام منحطّ هو أسفل من سفل إما بلحاظ ردّه من عالم الأرواح إلى عالم الأبدان و الحجاب،

فقد ورد أنّ بين اللّه و بين خلقه تسعين ألف حجاب من نور، و تسعين ألف حجاب من ظلمه ، و إما بلحاظ ردّه إلى الشقاوه و الخسران بسوء اختياره. و كيف كان فالإنسان مخلوق بحسب الخلقه الأوليه الروحيه على أحسن تقويم

۱- ۱) التين:۴ و ۵.

و أرفع محل و أبهى و أشرف منزله. ثمّ إنه للحكمه الإلهيه هبط إلى الأرض و تقيّد بعالم النفس و الطبيعه فصار محجوبا عن المقام الأولى النورى، و قد يعبّر عن هذا بالقوس النزولى، ثمّ إنه تعالى أرسل الرسل و أنزل الكتب؛ لكى يرجع الإنسان إلى ربه و إلى المقام النورى الأولى، و يذكر العوالم السابقه، ثم إن كيفيه الرجوع إلى مقام اللقاء و المقام النورى يسمى بعلم السلوك و المشى فيه بالسلوك. و ها نحن نشرع فى كيفيته و المشى فيه بعونه تعالى. فنقول: قد علمت أن الإنسان له جهه ظاهريه تسمى بعالمه الملكى و المادى، فله أحكام قد لوحظ فيها تعديله بنحو لا ينافى سيره الروحى إليه تعالى و المتكلّف لبيانه علم الفقه، و له جهه باطنيه تسمى بعالمه الروحى و الملكوتى، ثمّ إنّ جميع مراتب أولياء اللّه تعالى تقاس بالنسبه إلى عالمه الروحى و النفس الناطقه الانسانى، و هو فى نفسه لطيفه ملكوتيه كما تقدم. ثمّ إن السلوك الحقيقى عباره عن تلقى الأنوار الربوبيه، و الارتقاء بها إلى عالم القرب و اللقاء، و بيانه أنه قد حقق فى محله أن ذاته المقدسه جلّت آلاؤه هى منشأ لجميع الكمالات فكلّها إشراقات للأرواح الإنسانيه، فأى روح كانت أقرب إليه تعالى فهى لا محاله أعرف به و تكون مظهرا له تعالى و قابلا لتلقى تلك الأنوار الربوبيه. ثم إنّ السلوك ليس إلاّ تحصيل هذه الأنوار الإلهيه و تلقّيها بالقلب و الروح، و هو لا يكون إلاّ بصيروره الروح قابلا لهذا التلقى، و مما يوضح لك هذا المثال و هو أن الشمس و هى جرم منير لا يمكن الاستضاءه منها إلاّ بمرآه صافيه جلّيه تقابلها تستضىء منها مع تحقق المواجهه و عدم وجود مانع او حائل، فإذا تحققت هذه الأمور انعكست الشمس بما لها من الأنوار فيها، ثمّ إذا كانت المرآه شامله تسع لأن ينعكس فيها جميع ما للشمس من النور مثلا، فهى لا محاله تكون أتمّ استشراقا

و أكمل نورا، و إذا كانت أقصر كان الانعكاس بقدره أقل. ثمّ إنّ سائر المرائى مثلا يمكن استضاءتها من هذه بمواجهتها إليها بمثل مواجهه هذه للشمس، و هكذا بالنسبه إلى أى مرآه يمكن المواجهه لها إليها. إذا علمت هذا فاعلم أنه تعالى نور السموات و الأرض، بل هو نور كلّه، قدره كلّه، حيوه كلّه، علم كلّه، كما صرح به فى الأحاديث، و ما سواه لا حقيقه له و لا وجود إلّا به تعالى، و حينئذ نقول: إنّ الأنوار الإلهيه التى هى المعبر عنها بلسان العرفاء بالولايه، و التى تكون من جنس جوهر عقول الملائكه، و هى التى تظهر فى قلب المؤمن فيصير مقربا إليه تعالى بسببها، و إذا تجلى فى القلب يكون المؤمن واصلا و عارفا حقيقيا باللّه تعالى، و كلما كانت أشد و أكثر و أتم كان القرب أتمّ و أكمل، و جميع مراتب الأولياء و العرفاء الحقه تدور مدار هذه الأنوار شده و ضعفا، و من المعلوم أنه ما لم يصفّ القلب و يجلو عن رين المعاصى لم تظهر فيه هذه الأنوار، فلا بد أولا من تصفيته ليصير قابلا لتلقى تلك الأنوار. و بيان هذا المعنى أن القلوب بحسب الفطره الأوليه بالنسبه إلى صفائه و جلائه تكون بالقوه، أى فيها القابليه و الاستعداد لأن تصير مصفّاه و مجلّوه، فيتحول من القوه إلى مرتبه الفعليه من الصفاء و الجلاء الذاتى سواء أ كانت هذه الفعليه بسبب الأعمال الصالحه أم التكاليف الشّاقّه من الرياضات الشرعيه، فالقلوب بهذا اللحاظ على أقسام ثلاثه: الأول: ما لم يتحول من القوه إلى الفعليه، بل هى باقيه على سذاجتها الأوليه و الثانى: ما تحولت بإحدى الأمور المذكوره. و الثالث: ما صارت باطله و سخيفه و قسيّه و مظلمه و منكدره و منكوسه بسبب ارتكاب الأعمال القبيحه و الاعتقادات الرديه الباطله. فهذا القلب قد سلبت عنه الفطره الأوليه التى كانت له بحسب الخلقه الابتدائيه، و هذا الرين و النكس و الظلمه هو التناسخ الصحيح المستفاد من قوله

تعالی: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ فَهِیَ کَالْحِجٰارَهِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَهً (۱)فإنّ هذه الآیه و نظیرها قد دلّت علی تحوّل الباطن من استعداده الأصلی إلی الطبیعه الجمادیه من القساوه الحجریه، و هذا مرادنا من النسخ الصحیح فی قبال التناسخ الباطل المذکور فی محله. فتحصّل مما ذکر أنّ الأنوار الإلهیه المتجلّیه من ذاته المقدسه تبارک و تعالی أمر واقعی، و هذا الفیض دائمی غیر منقطع منه تعالی و الأرواح مثلها مثل المرایا فأیها کانت أصفی و أجلی کانت استضاءتها من تلک الأنوار أکثر، فاللازم علی السالک تحصیل هذا الصفاء و الجلاء. فنقول: فکما أن المرآه فی المحسوسات یتصور لها خمسه موانع و حجب، فلا ینتقش فیها صوره المرئی: الأول: حجاب النقص الجوهری بأن تکون المرآه من جنس الحدید مثلا أو من الزجاج غیر المجلّوه، فهذا بذاته محجوب عن تلقی صوره المرئی. و الثانی: حجاب الرین و الخبث و الکدریه، التی تکون فیها، فإنّ هذه الزجاجه و إن کانت بحسب فطرتها قابله لأن تنتقش فیها الصوره إلّا أنّ الرین و الخبث العارض لها مانع عن ذلک الانتقاش و التجلی فیها. و الثالث: حجاب الانحراف کما إذا جعلت المرآه مقلوبه عن صوره المرئی، أو منحرفه یمینا و شمالا بحیث لا یحاذی شطر المرئی لتنتقش فیها الصوره. و الرابع: وجود الحجاب الخارجی بینها و بین صوره المرئی، کما إذا کانت المرآه مجلوه ذاتا و صفه و محاذیه إلی المرئی، إلّا أنه کان هناک حائل بینهما فلا محاله لا ینتقش المرئی فی المرآه. و الخامس: حجاب الاشتباه فی جهه المرئی، بیانه أنه لا بد أولا من العلم بکون

۱- ۱) البقره:۷۴.

المرئی فی الجهه الکذائیه حتی یواجه المرآه فی قبالها و فی حذائها، فإذا اشتبه الأمر و إن کانت المرآه مجلوه ذاتا و صفه، و لم یکن هناک حائل إلاّ أنه لما لم تعلم الجهه حتی تقابلها المرآه فلا محاله تکون المرآه معطّله فی الاستضاءه أو مشتبهه، أی ینتقش فیها خلاف صوره المرئی المطلوب بتوهم أنه المطلوب و الفرق بین هذا الحجاب و الحجاب الثالث هو أنه لا بد أولا من تشخیص الجهه للمرئی المطلوب ثم المواجهه، فلو اشتبه فی الجهه المطلوبه و زعم جهه خاصه أنها الجهه المطلوبه و حینئذ لو جعل المرآه مواجهه إلیها إلاّ أنه لا ینتقش فیها صوره المطلوب بل صوره المشتبه کما لا یخفی. و بعباره أخری: الحجاب الثالث هو الغفله عن توجیه المرآه نحو المرئی و إن کان عالما بالجهه المطلوبه و المرئی، و الحجاب الخامس هو الاشتباه فی جهه المرئی إما لأجل عقیدته خلاف الواقع، کما لو اعتقد أن المرئی المطلوب هو الجهه الکذائیه أو للاشتباه بأن أصاب العلم بالمطلوب کبرویّا و اشتبه علیه الأمر فی الصغری کما لا یخفی. و بعباره أخری: دفع الحجاب الثالث هو وظیفه المکلّف السالک، فإنه یجب علیه بحکم الآیات توجیه قلبه إلی الجهه المطلوبه بالنحو المذکور، و أما الحجاب الخامس فهو عباره عن تصدیه؛ لتحصیل الجهه الحقه الإلهیه حتی یواجهها، فلا تغفل. إذا علمت أن القلب مثله مثل المرآه، و الأنوار الإلهیه مثلها مثل الصوره المرئیه المطلوب انتقاشها فی المرآه، فلا بد فی تحصیل هذه الأنوار فی القلب من تحقق المواجهه القلبیه نحو تلک الأنوار الإلهیه المعبر عنه فی ألسنه العرفاء بمقابله القلب شطر الحق الأول، و علمت أنه لا تحصل هذه المواجهه إلاّ برفع تلک الموانع و الحجب الخمسه. فنقول: أما الحجاب الأول هو أن النفوس الناطقه الإنسانیه تکون بحسب

الفطره الأوليه فى مقام القوه كنفوس الأطفال فإنّ أرواحهم جوهرها محجوب بعالم الطبيعه و البدن، فهى بعد مظلمه غير منوّره كالحديده أو الزجاجه التى لم تصر مجلوه، فالصفاء و الجلاء الذاتى فيها مخبى و مخفّى كخفاء الزيت فى الزيتونه و الدهن فى اللبن، فكما أنّ خروج الدهن من اللبن يحتاج إلى أعمال تخرجه من القوه و الخفاء إلى الفعليه و الجلاء، فكذلك النفس الناطقه الإنسانيه بحسب الفطره تكون مظلمه و مكدره، و يكون الصفاء فيها مخفيا فلا بد من عمل فيه تزول به تلك الظلمه و الكدوره.

و أما الحجاب الثانى: حجاب الكدوره العارضه من قبل المعاصى و الصفات الرذيله كما أشير إليه فى قوله: بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (١)و قوله تعالى: فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (٢)فإنّ النفس الناطقه الإنسانيه قد تخبث بسبب انغمارها فى الشهوات و ارتكابها المعاصى و بالفسق فلا محاله يصير هذا الخبث و الظلمه و الكدوره العارضه من جهه المعاصى مانعه عن أن تتجلّى فيه تلك الأنوار الإلهيه و المعارف الحقه الربوبيه. و الحاصل: أنه كلما كثرت تلك الظلمات و تراكمت تلك الكدورات فى القلب، فلا محاله تصير مانعه عن تجلى الحق و أنواره فى القلب. و قد علمت أنّ النور الإلهى و الأنوار الإلهيه هى التى بها يعلم الإنسان الأشياء بحقيقتها، فإذا أظلم القلب ارتفع ذلك النور فحصل الجهل بالأمور، و لا ريب فى أن المعاصى تؤثر فى القلب و فى انظلامه و كدورته، كما قال تعالى: وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ (٣)و معنى رؤيته فى القلب هو وجدانه ظلمته الحاصله من المعاصى و عمل الشر، فلا محاله حينئذ يسقط القلب عن استعداده الذاتى لانكشاف الأنوار

١- ١) المطففين:١۴.

٢- ٢) يس:٩.

٣- ٣) الزلزله:٧.

و العلوم فيه، و يصير مطبوعا على القساوه و الظلمه. قال تعالى: وَ طُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ (۱)و هذان المانعان يتكلّف فى بيانهما و بيان كيفيه دفعهما عن القلب علم الأخلاق، و قد عبّر فيه عنه بالتخليه أى لا بد للسالك من تخليه قلبه من الكدوره الذاتيه، و تصفيه جوهره من الرين الحاصل من المعاصى. الحجاب الثالث: حجاب الانحراف و العدول عن الجهه المطلوبه: بيانه أنه و إن كان بعض القلوب من الصلحاء و أهل العدل و الإنصاف يكون صافيا عن الغش و المعاصى و عن كدورات الشهوات، و تكون صفحه قلبه و ضميره من انتقاش غير الحق خاليه و ساذجه، و يكون هذا القلب الصافى مستعدّا لأن تنتقش فيه الأنوار الإلهيه، و لكنه محجوب بلحاظ أنّ صاحبه لم يكن همّه مصروفا فى أنه يواجه قلبه إلى طرف الحق و لم تكن مرآه قلبه محاذيه شطر كعبه المقصود. و بعباره أخرى: لم يواجه قلبه و باطنه الجهه التى فيها المعارف و الحقائق و هو طرف الحق، فلا محاله يكون صاحب هذا القلب مع كمال استعداده بل مع فعليه قلبه لأن تنتقش فيه الحقائق و الأنوار الإلهيه محجوبا، لذلك الانحراف الحاجب و المانع، فلا بد من رفعه. و إلى هذه المواجهه التى بها يحصل التوجه إلى الحق و يرفع هذا الحجاب يشير قوله تعالى فى قضيّه خليله إبراهيم عليه السّلام: . . وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ حَنِيفاً وَ مٰا أَنَا مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۲)و توضيح هذا الأمر هو أنّ الإنسان قد يكون قلبه صافيا من الغشّ و ظلمه المعاصى، و يكون فكره مصروفا فى تحصيل تفاصيل الطاعات و العبادات البدنيه من تطهير الثوب، و الجلوس فى المسجد للصلاه، و مراقبه أوقات الصلاه و النوافل و غيرها من أقسام العبادات، و أيضا

۱- ۱) التوبه:۸۷.

۲- ۲) الأنعام:۷۹.

یکون فکره مصروفا فی تحصیل الدنیا و لو من موارد الحلال، و لکنه لشده استغراقه فی هذه الأمور المشروعه یکون ذاهلا و غافلا عن التأمل و التفکر فی الحضره الإلهیه و المقامات الربوبیه، و فی حقائق علم الجبروت و الملکوت، و الأسماء و الصفات، و أفعال الملک و الملکوت، و لم تکن ذائقه تفکّره مصروفه فی کیفیه خلق السموات و الأرض، و فی دقائق معرفه هذه الموجودات من الحکم و المصالح و المقاصد التی تکون منظورا لخالقها، مع أنه أمر اللّه تعالی فی مواضع من کتابه الکریم بالتفکر فیها، قال تعالی: أَ وَ لَمْ یَنْظُرُوا فِی مَلَکُوتِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا خَلَقَ اَللّٰهُ مِنْ شَیْءٍ وَ أَنْ عَسیٰ أَنْ یَکُونَ قَدِ اِقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَیِّ حَدِیثٍ بَعْدَهُ یُؤْمِنُونَ (۱)، و کذا نظائره من سائر الآیات. و کیف کان لا یکون فکره مصروفا فی هذه الأمور، بل یکون معرضا عنها کما قال تعالی: وَ کَأَیِّنْ مِنْ آیَهٍ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ یَمُرُّونَ عَلَیْهٰا وَ هُمْ عَنْهٰا مُعْرِضُونَ (۲)فهذا الشخص و إن کان قلبه صافیا و عاملا بظاهر الشرع إلّا أنه حیث لم یکن قلبه متوجّها إلی ما أمره اللّه تعالی بالتفکّر فیه مما ذکر، فلا محاله لا ترتسم فی قلبه الأنوار لعدم توجهه قلبا إلیها بالتفکر، مع أنه لا یرتسم فی القلب إلّا ما کان القلب متوجها إلیه، و لعل إلی هذا الانصراف و الانحراف و النهی عنه یشیر قوله تعالی فَأَنّٰی تُصْرَفُونَ (۳). و لعمری إنّ أغلب الناس من الصلحاء حالهم هذا فهم و إن کانوا من جهات صالحین إلّا أنهم من هذه الجهه مقصرون، و یا لیت أنهم کانوا غافلین عن التوجه إلی هذه الأمور المعنویه المأمور بها و لم ینکروها و لم ینکروا علی العارف بها من أهل اللّه و أهل التوحید و المعرفه. فکیف کان فلا بد للسالک من رفع الحجاب

۱- ۱) الأعراف:۱۸۵.

۲- ۲) یوسف:۱۰۵.

۳- ۳) الزمر:۶.

للوصول إليها و لتلقى أنوار المعارف الإلهيه. ثمّ اعلم إذا كان الاشتغال بالطاعات و صرف الهمه فيها فقط مانعا عن انكشاف الحقائق و عن تجليات أنوار الحق، فمانعيّه الاشتغال بالدنيا و أمورها فضلا عن المعاصى و نيل اللذات الحيوانيه فبطريق أولى، رزقنا اللّه تعالى الخلاص منها بمحمد و آله. الحجاب الرابع: حجاب الحائل و المانع الخارجى الحاصل للسالك، فإنه ربما يحصل للإنسان صفاء للقلب و يرفع عنه رين المعاصى، و يكون القلب أيضا مواجها و متوجها لطرف الحق بنحو ما ذكرناه إلّا أنه قد يحصل له مانع فيما بين صفحه قلبه و بين أنوار الحق و تجليها فى القلب، و هذا المانع إما يحصل من الاعتقادات الفاسده فى أصول المعارف الإلهيه بأن يعتقد فيها ما هو خلاف الواقع باجتهاده العقلى الكاسد و الباطل، و ذلک يحصل من الاعتماد على الرأى و عدم المراجعه إلى العرفاء الحقه و العلماء الربانى و أهل اللّه فيها.

قال موسى بن جعفر عليه السّلام لهشام: «لا علم إلّا من عالم ربانى» . فالأحرى للسالک الحاذق أن لا يستبد برأيه، بل يتعلم تلک المعارف من أساتيد الفنّ و يغتنم معاشرتهم و الاستضاءه من أنوار علومهم، و لا يكون

ممن قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى حقهم: و همج رعاع أتباع كلّ ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجأ و إلى ركن وثيق» . فإنّ الالتجاء إلى العالم الربانى و إلى الأئمه الطاهرين و من ينحو نحوهم هو الالتجاء إلى ركن وثيق. و الحاصل: أنه لا بد للسالک فى رفع هذا الحجاب إما يكون هو عالما ربانيا و إما يكون متعلّما عن عالم ربانى، و لا يكون غيرهما فيهلک، ثمّ إنه ما لم يرفع هذا المانع و الحائل لا يصل السالک إلى مقام المعرفه و تلقى الأنوار الإلهيه. و إما يحصل من التقليد، إما من أبيه و أمه أو من أستاذه الذى اعتقد فيه صحه رأيه، فإنا نرى كثيرا

من الصلحاء يعتقدون بعقائد آبائهم من وجه شرعى، و يكون حبّهم لآبائهم محبّه عمياء من غير بصيره، فلا يسمح لنفسه أن يطلب الحقّ بل يقف على ما أخذه من آبائه و هكذا بالنسبه إلى أستاده، فيصير ما أخذه منهما بلحاظ كونه خلاف الواقع مانعا لسلوكه و لتجلى أنوار الحق فى قلبه. و لعلّ إليه يشير قوله تعالى: وَ لَئِنْ أَتَيْتَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ بِكُلِّ آيَهٍ مٰا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ (١)فإنه يشير إلى متابعتهم لعلمائهم و أساتيدهم بحيث لا يرجعون عما قالوه لهم. و قوله تعالى: إِنّٰا جَعَلْنٰا فِي أَعْنٰاقِهِمْ أَغْلاٰلاً فَهِيَ إِلَى اَلْأَذْقٰانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٢)فإنه يشير إلى أن تلك العقائد المأخوذه من آبائهم أو أساتيدهم قد صارت أغلالا فى أعناقهم بحيث انتكست رءوسهم إلى أذقانهم، فهم بتلك العقائد الباطله مقمحون و مغمورون، رزقنا اللّه تعالى الخلاص من هذه الموانع بمحمد و آله الطاهرين. و حينئذ فاللازم على السالك أن يتعلم عن الأساتيد الذين قد أمرنا باتباعهم و هم الذين ذكر فى الأحاديث آثارهم و أوصافهم هذا، خصوصا بالنسبه إلى الأستاذ الذى يكون فى السلوك و السير إليه تعالى فإن الأمر فيه عظيم و تحصيل الكامل منهم الذى هو عارف و واصل و سالك سبيل الأئمه عليهم السّلام مشكل جدا، فلا بد من الاهتمام بذلك، لكيلا يقع الإنسان فى عقيده باطله من قبلهم، فإن المتعلّم لا محاله يتخذ العقيده من استاده و لو من حيث لا يشعر كما لا يخفى.
الحجاب الخامس: أى حجاب الاشتباه كبرويّا أو صغرويّا، و حاصله يرجع إلى الجهل بالجهه التى يكون المطلوب فيها. توضيحه أنّ السير إما يكون على طبق الحجه الشرعيه المستفاده من أدلّتها،

١- ١) البقره:١۴۵.

٢- ٢) يس:٨.

فحينئذ و إن كان صاحبها معذورا و غير معاقب فى أفعاله المطابقه للحجه الثابته له إلاّ أنه لم يعلم أن سيره كان فى الواقع موصلا إلى الحق أم لا، و هذا نظير اختلاف رأى المجتهدين فى الأحكام، فإنهم مأمورون بالعمل و المشى على طبق ظواهر الشرع المقدس، و هذه التوسعه من الشارع و هى الاكتفاء بالعمل على طبق الظواهر الشرعيه نظير العمل بقاعده الطهاره و الحلّيه أو الفتوى بالعمل على طبق الظواهر الشرعيه نظير العمل بقاعده الطهاره و الحلّيه أو الفتوى بما أدّى إليه اجتهاده، إنما هو للإرفاق بعامه الناس الذين تقصر عقولهم و يقصر و حسّهم و ذهنهم عن درك الحقائق و الواقعيات لقصورهم أو تقصيرهم فى تصفيه الباطن لنيل المعارف الإلهيه، فالشارع المقدس قد سهل عليهم الأمر إرفاقا بهم، و لذا ترى أنّ الخطابات الإلهيه بالنسبه إلى المحجوبين و القاصرين بنحو أسهل بخلاف أهل الكمال، فإن الأمر بالنسبه إليهم أشدّ كما تقدم تفصيله فى صدر الشرح هذا، و قد اشتهر بينهم أنّ حسنات الأبرار سيّئات المقربين. و الحاصل: أنّ هؤلاء القاصرين و المقصّرين و المحجوبين لهذه الأمور لا يصعب عليهم الأمر بل لا بد من المداراه معهم. و أما السالك الطالب للحق و الحقيقه فالأمر بالنسبه إليه أشد، فإن الوصول إلى الحق و الواقع و نفس الأمر من المعارف لا يكون إلاّ بالسير إلى ما يوصل السالك إليه مما قد جعله اللّه تعالى طريقا و صراطا، و هذا الطريق الموصل ليس بحسب الأدله القطعيه التى ذكرت فى هذا الشرح كثيرا إلاّ العلم و العقيده و الإيمان و اليقين بولايه محمد و آله الطاهرين من التشريعيه و التكوينيه التى تقدمت الإشاره إليهما مرارا، و هذا الإيمان و العقيده بها يكون على قسمين: الأول: الإيمان بها و العلم بها و العقيده بها قلبا من دون المشى على طبقها عملا، فهذا القسم هو الذى يخرج صاحبه من الكفر إلى الإيمان القلبى، إلاّ أنه فى معرض الخطر من أخطار الدنيا و الآخره. و كيف كان إذا مات و هذه عقيدته فهو قطعا من أهل النجاه بحسب الأحاديث

الكثيره و قد تقدم بعضها، و معنى أنه من أهل النجاه أنه مغفور له، و لم يكن من أهل النار بل من أهل الجنه، و أما أنه من أى مرتبه من مراتب الجنه فهو موكول إلى إيمانه القلبى و تطهير باطنه و إتيانه بالأعمال الصالحه قله و كثره. و بعباره أخرى: أنه من أهل النجاه إلاّ أنه لم تكن مرتبته كمرتبه أهل المعرفه و أولياء اللّه، فإن للجنه درجات كما لا يخفى، بل بعض الناس يسكنون فى مرابض الجنه كما فى الأحاديث. و كيف كان فهذا القسم سبب للنجاه فى الجمله و لا بد منه و المنكر له من أهل النار، و لكن هذا حال المقصرين و المحجوبين و القاصرين، الذين وقف بهم السير دون الوصول إلى الكمالات الإلهيه، و إلاّ فالسالك الطالب لتلك الكمالات فلا بد له من تحصيل القسم الثانى من الايمان بالولايه و هو يرجع إلى أمرين: الأول: و هو أنه لا بد للسالك الطالب من المعرفه بحقيقه الولايه الإلهيه الثابته لمحمد و آله الطاهرين بما لها من المعانى الدقيقه و الشئون الإلهيه التى يكون هذا الشرح فى بيانها مما ذكر فى الزياره الجامعه الكبيره على منشئها آلاف السلام و التحيه، فما لم يتضح الأمر أمر الولايه الإلهيه كما هو فى واقعها الذى جعله اللّه تعالى لهم عليهم السّلام لم يتمكن السالك من السير فيها و المشى على طبقها. و لعمرى إن الشيعه فى هذا الأمر مقصّرون و قاصرون غير معذورين فى تركهم هذه المعارف مع أنها بمكان من الوضوح من الآيات و الأحاديث الوارده منهم عليهم السّلام. و لعمرى إن هذا أى أمر الولايه هو الغايه القصوى فى إرسال الرسل و رساله نبينا صلّى اللّه عليه و آله و هو المقصود من القرآن الكريم، كما دلّت عليه الآيات و الأحاديث، و قد تقدم كثير منها مخصوصا فى ذيل آيه التبليغ، و قد تقدم السرّ فى ذلك و سيتّضح أيضا إن شاء اللّه تعالى. و الثانى: و هو الأهم المشى على طبق هذه الولايه قلبا أى عقيده كامله قطعيه و صفه أى الاتصاف بحقايقها و عملا أى العمل على مقتضاها، و هذا هو السلوك

المرضى الإلهى الشرعى الذى انحصر فيه الوصول إلى تلك الكمالات و السعادات الإلهيه. ثمّ إن تحصيل هذا الأمر بالنحو العلمى و الكبرى الكليه و إن كان مشكلا لأغلب العقول الناقصه البعيده عن حقائق الولايه إلاّ أنه لوضوح أدلّتها و ظهور حقّانيتها و انكشاف أمرها مما يمكن العقيده بها لأهل الإنصاف و العلم و الذى خلص من أسر الهوى، إلاّ أن المهم بعد تحصيل هذه العقائد الحقه الولائيه و العقيده بها هو العمل بها بجميع شئونها و هو السلوك الخالص، و هو الجهه التى فيها المطلوب الحقيقى، فإنه قد تقدم أن الولايه باطن الرساله، و هى أى الولايه مظهر للتوحيد

لقوله عليه السّلام: «فبهم ملأت سماءك و أرضك حتى ظهر أن لا إله إلاّ أنت» و قد تقدم شرحه، فالولايه هى مظهر أنوار التوحيد الإلهى بأقسامها. و قد علمت أن المظهر فإن فى الظاهر، فحينئذ فما يظهر من هذا المظهر أى من حقيقه محمد و آله الطاهرين ليس إلاّ الظاهر الحق، و لذا

قال صلّى اللّه عليه و آله: «من رآنى فقد رأى الحق» .

و قال عليه السّلام: «من أحبكم فقد أحب اللّه» . و قال تعالى: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ إلى آخر ما هو هكذا، فهذه الولايه هى الجهه المطلوبه التى فيها الحق و الحقيقه التى لا طريق لنا إلى الوصول إلى نيل الحق إلاّ بها كما تقدم. فحينئذ لا بد للسالك من تشخيص هذه الجهه أولا ثم المشى عليها ثانيا، فبهما تحصل المواجهه القلبيه نحو المرئى المطلوب و نحو شطر الحق فتنتقش فى القلب حينئذ الأنوار الإلهيه، و هذه المواجهه نحو هذه الجهه الحقيقه أى الولايه لا تكون إلاّ بالفناء عن النفس بالكليه بالنحو الذى ذكره العلماء العارفون فى كتبهم العرفانيه، فإنه لا تتراءى تلك الأنوار فى القلب إلاّ بعد هذا الفناء. و بعباره أخرى: أن المطلوب الحقيقى لا يحصل فى القلب إلاّ بعد أن ينتقش فى القلب من ذلك المطلوب الحقيقى الصوره التى تجلّى بها المسمى بالأنوار الإلهيه و بالحقيقه المحمديه و بالولايه الإلهيه، و هذا لا يكون إلاّ بالفناء المحض المحض الحقيقى بعد

رفع سائر الحجب الأربعه السابقه. و الحاصل: أنّ القلب غير الفانى و المغمور فى الطبيعه مثله مثل من أدبر بقفاه عن الجهه المطلوبه، و هو حينئذ كمن يريد أن يرى و ينظر إلى قفاه، فكما أنه حينئذ يحتاج إلى أن يجعل أولا مرآه فى قباله و مرآه فى قفاه، و يواجه المرآه المقابله لتلك المرآه التى فى قفاه حتى ينتقش فى هذه المرآه ما فى المرآه التى فى قفاه ثمّ هو يراه، فالحقايق و المعارف بوجودها الواقعى كأنها فى قفانا و فى قفا المحجوبين، فلا بد من تحصيل هاتين المرآتين: أما المرآه الأولى: فهو تحصيل المعرفه و العلم بالولايه، فهذا نظير المرآه المقابله للصوره. و أما المرآه الثانيه: و هو أن يعمل بنحو يؤدّى إلى المطلوب. و بعباره أخرى: فكما أنه لا بد من مواجهه المرآه فى المقابل إلى المرآه التى فى قفاه حتى ينتقش فيها ما فيها، فكذلك لا بد من العمل بما عرفه من الولايه بنحو يوصله إلى ما هو فى قفاه و فى حجاب عنه من الأنوار الإلهيه و الحق و الحقيقه، ثمّ إن توضيح هذا المطلب فيما نحن فيه بنحو يتّضح الأمر هو: أنّ النفس الناطقه الإنسانيه بمنزله المرآه الكرويه، فهى ابتداء ينتقش فيها ما هو قريب منها، فالنفس نور له الدرك و التصديق بما يدركه و يجده، و الصوره المحاذيه لها تختلف قربا و بعدا فهى تستضىء منها عما هو أقرب إليها، فكلما اشتدت وضوحا و صفاء و نورا و دركا انتقش فيها البعيد، فربما صارت بعض النفوس فى الصفاء بمرتبه تنتقش جميع ما فى اللوح المحفوظ، فأول ما ينتقش فيها و تصدقه هو أن الكل أعظم من الجزء، و أن النقيضين لا يجتمعان و إنّ الضدين لا يجتمعان، فإن هذه المدركات تكون حاصله لها من دون فكر عميق أو رياضه شاقّه، بل بمجرد التوجه إليها يصدقها. و أما ساير المعارف و التصديقات التى تكون بعيده عنها، فتحتاج إلى مرايا أخرى محاذيه إلى مرآه نفسه ليرى منها الأشياء و هى ليست إلاّ العلوم الحقه

و المعارف الإلهيه أولاً و التصفيه الباطنيه، و الإعراض عن الحدود الخلقيه ثانيا، إلى أن يصل فى العلم و التصفيه إلى محل ينتقش فيها جميع ما فى اللوح المحفوظ، فاللازم تحصيل العلوم التى هى كالمراءى بنحو يكون مواجهه لواقع الحقّ: لكى تنتقش فيها تلك الصور، و هذا هو السلوك الشرعى الصحيح، و لا يكون إلّا بالولايه صغرى و كبرى كما علمت، فحينئذ يكون علمه عيانا، و حقيقته مجلى الأتم لظهور الأنوار الإلهيه و هو المقصد الأعلى. إذا علمت هذا كلّه و علمت أنه لا يتحقق هذا إلّا بالولايه و هى حقيقتهم عليهم السّلام فلا بد من الفناء فيها، لينتقش فى القلب ما انتقش فيها من الحق، فحينئذ نقول: هذا الفناء فى الولايه بالنحو المذكور مع رفع جميع الحجب هو المقصود الحقيقى، و اللّه العالم، من

قوله عليه السّلام:

«و من قصده توجه بكم»

، رزقنا اللّه تعالى ذلك بمحمد و آله الطاهرين. فتحصل مما ذكرناه أنّ النفس الإنسانى فى ابتداء أمره تكون متوجهه إلى عالم الطبيعه، و بهذه الجهه تكون مدبره عن عالم القدس، و يكون عالم القدس كأنه فى قفاه، فيحتاج هذا الإنسان إلى المطالعه فى المطالب الحقه الإلهيه للخروج عن عالم الطبيعه، و لتوجيه حقيقته إلى عالم القدس الإلهى، و هذه المطالعه و الدرك لتلك المعارف لا يكون إلاّ بمرايا كثيره، و هى عباره عن مجالى تلك الحقايق التى هى قلوب الأولياء كلّا على طبقته إلى أن يصل إلى قلب القطب فى عالم الوجود، و هى ولى اللّه تعالى الأكبر و الغوث و الإمام و الحجه القائم المنتظر (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف و روحى و أرواح العالمين له الفداء) و تلك المرآه المتقدمه هى قلوب العرفاء الحقه التى ظهرت فيها من تلك المرآه الحقيقيه و هى قلب الإمام عليه السّلام الأنوار الإلهيه. و لا بدّ فى تلقى ما فى قلب الإمام عليه السّلام من الاستضاءه بالأنوار الساطعه فى قلوب أوليائهم و شيعتهم شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى قابليته من تلقيه المعارف من الإمام عليه السّلام.

و لعلّ إليه يشير ما تقدم من

قوله عليه السّلام: «شيعتنا جزء منّا يسوؤهم ما يسوؤنا و يسرّهم ما يسرّنا» ، فإذا أرادنا أحد فليقصدهم، فإنهم الذى يوصل به إلينا. فالنفس الإنسانى من أول سلوكه عند تلمذه و تلقيه المعارف من العلماء الربانيين و الشيعه الخلّص العلوى تطورات و حالات بعضها مستقيمه و بعضها معوّجه قليلا إلى أن يعتدل الحال من جهه متابعته لاستاذه الروحانى و العالم الربانى إلى أن يصل إلى بحر المعارف و الدخول فى الولايه الإلهيه، و يصير

ممن قال عليه السّلام فى حقه: «سلمان منّا أهل البيت عليهم السّلام» . و لعمرى إنّ هذا هو حال السالك الحقيقى فإنه يترقى من تلقى المعرفه الإلهيه من المرايا الربانيه أى قلوب أهل المعرفه وجدانا لا علما فقط، فإنه حال المحجوبين إلى أن يصل إلى المقصد الحقيقى فيطأ وادى القدس فيسمع بقلبه إنى أنا ربّك فاخلع نعليك. فحينئذ يستضىء عن المرايا السابقه و مظاهرها لوصوله إلى المقصد الأعلى، و إلى نتيجه المعارف السابقه، و حينئذ يتكلم مع الحق بقلبه

كما قال على عليه السّلام «ناجاهم فى فكرهم و كلّمهم فى ذات عقولهم»

(۱)

و يتحقق بالنسبه إليه-حسب سلوكه و صفاء باطنه و فنائه فى الولايه-قوله تعالى: وَ عَلَّمَکَ مٰا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کٰانَ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْکَ عَظِيماً (۲)فيكون علمه عيانا و خبره معاينه فإنه ليس الخبر كالمعاينه، فحينئذ ينفتح فى قلبه بمفتاح قوله تعالى: إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اَللّٰهِ وَ اَلْفَتْحُ (۳)من عنده تعالى و من الحضره الإلهيه التى وَ عِنْدَهُ مَفٰاتِحُ اَلْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ (۴)، إشاره إليها، و ينفتح من قلبه القفل المشار إليه فى قوله تعالى: أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ

۱- ۱) نهج البلاغه خطبه ۲۲۲.

۲- ۲) النساء:۱۱۳.

۳- ۳) النصر:۱.

۴- ۴) الأنعام:۵۹.

أَقْفالُها

(۱)

فیدخل فی عالم عرّفه اللّه تعالی بقوله: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ (۲)فیطأ عالم اللاّمکان الذی هو باطن عالم الملکوت، و إذا دخل ذلک العالم یشیر قوله تعالی إلی أهل ذلک العالم وَ اَلْمَلائِکَهُ یَدْخُلُونَ عَلَیْهِمْ مِنْ کُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَیْکُمْ (۳).

قوله: «من کلّ باب» أی من کلّ الأمور، فإنّ فی ذلک العالم و هو عالم خزائنه تعالی تکون حقائق جمیع الأمور بنحو السلامه و الصفاء و الحقیقه غیر المشوبه بآفه و لذا قال تعالی: سَلامٌ عَلَیْکُمْ . و ینکشف له قوله تعالی: وَ کَذٰلِکَ نُرِی إِبْراهِیمَ مَلَکُوتَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لِیَکُونَ مِنَ اَلْمُوقِنِینَ (۴)فهذا سیر أولیاء اللّه إلی اللّه قُلْ هٰذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اَللّٰهِ عَلیٰ بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِی (۵)، و هناک سیر آخر و هو السیر فی اللّه، و من اللّه و باللّه جعلنا اللّه من التابعین لمن وصفهم اللّه بقوله: وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّهٌ یَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ یَعْدِلُونَ (۶)أی یهدون غیرهم باللّه الذی هو الحق و بالحق یعدلون عن غیره إلیه تعالی، فإنه تعالی یقول: وَ اَللّٰهُ یَقُولُ اَلْحَقَّ وَ هُوَ یَهْدِی اَلسَّبِیلَ (۷)و التابع لهم هکذا یکون کما قال تعالی: أُولٰئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ اَلْإِیمٰانَ وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ (۸)و هذا مقام لا سبیل إلی بیانه إلاّ بالوصول إلیه، لأنه خارج عن طوق البیان فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ جَزٰاءً بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۹)و بیانه متعسّر بل

۱- ۱) محمد:۲۴.

۲- ۲) الحجر:۲۱.

۳- ۳) الرعد:۲۴.

۴- ۴) الأنعام:۷۵.

۵- ۵) یوسف:۱۰۸.

۶- ۶) الأعراف:۱۸۱.

۷- ۷) الأحزاب:۴.

۸- ۸) المجادله:۲۲.

۹- ۹) السجده:۱۷.

متعذر بل مضرّ على أغلب الناس لو كان ممكنا كما لا يخفى، و للمقام بيانات ذكرت فى محلها، رزقنا اللّه تعالى الوصول إليها بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: موالىّ لا أحصى ثناءكم، و لا أبلغ من المدح كنهكم، و من الوصف قدركم، و أنتم نور الأخيار و هداه الأبرار و حجج الجبّار.

اشاره

أقول: موالى جمع مولى من الولايه، و قد علمت معانيها فى صدر الكتاب و ستجىء الإشاره إليها و هى منادى، و الثناء مصدر ثنى الشىء إذا ردّ بعضه على بعض فاستعمل فى ذكر الأوصاف و إحصائها، فكان الواصف اجتمعها و عطف بعضها على بعض، و لذا تعلق بها الإحصاء و هو عباره عن ذكر المحامد بأنواعها و إحصائها، و حاصله أنى لا أقدر على الإحاطه بجميع محامدكم التى ذكرتها فى هذه الزياره، لأنها قد بلغت كثره بحيث لا يمكن لأحد إحصاؤها، كيف و قد علمت

قوله عليه السّلام فى ذيل قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِي اَلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ وَ اَلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١)«نحن تلك الكلمات التى لا تستقصى و لا تدرك غورنا» . و بعباره أخرى: أنه كما لا يمكن الثناء على اللّه

لقوله صلّى اللّه عليه و آله: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ، كذلك لا يمكن لغيرهم من الناس معرفه كمالاتهم.

و قد ذكر الشارح المجلسى (رحمه اللّه عليه) أنه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «يا على ما عرف اللّه إلاّ أنا و أنت، و ما عرفنى إلاّ اللّه و أنت، و ما عرفك إلاّ اللّه و أنا» . فحينئذ فكما لا يمكننا إحصاء ثنائهم أى فضائلهم، فكذلك لا يمكننا البلوغ إلى كنههم بمدحهم، فإنّ لهم مدائح حاكيه عن علوّ كنههم قد خفيت علينا، و كذا من الوصف المبيّن لقدرهم فإنه أيضا غير ممكن لنا، ثمّ إنه قد علمت معنى الثناء. و أما المدح: فهو توصيف الشىء بما فيه من الملاك المرغوب فيه الموجب

١- ١) لقمان:٢٧.

للتوصيف و المدح، و الوصف هو المدح ببيان درجات الصفات و الكمالات و كيفيّاتها، و لعلّ الثناء إشاره إلى تعداد الفضائل، و المدح هو ذكر الكمالات الروحيه الخفيه، و الوصف هو ما به علوّ القدر و المنزله فى الظاهر. و مما يدل على ما ذكر من عدم بلوغ الثناء لهم بالإحصاء و من مدحهم بالكنه و توصيفهم بالقدر،

ما روى عن الرضا عليه السّلام فى حديث طويل يذكر فيه أوصاف الإمام عليه السّلام رواه فى البحار عن إكمال الدين و معانى الأخبار و أمالى الصدوق و عيون أخبار الرضا عليه السّلام و فيه: «الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد و لا يعادله عالم (و لا يعادله عدل) و لا يوجد منه بدل، و لا له مثل و لا نظير مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له و لا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب، فمن ذا الذى يبلغ معرفه الإمام و يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول و تاهت الحلوم، و حارت الألباب، و حسرت العيون، و تصاغرت العظماء، و تحيّرت الحكماء، و تقاصرت الحلماء، و حصرت الخطباء، و جهلت الألبّاء، و كلّت الشعراء، و عجزت الأدباء، و عييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيله من فضائله، فأقرّت بالعجز و التقصير، و كيف يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شىء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه و يغنى غناءه؟ لا، كيف و أنى و هو بحيث النجم من أيدى المتناولين و وصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ و أين العقول عن هذا؟ أو أين يوجد مثل هذا. . .» الحديث.

[@۷۴@]و أما قوله عليه السّلام: «و أنتم نور الأخيار»

، فلعل هذه الجمل ذكرت فى مقام التعليل لتلك الجمل الثلاث المتقدمه، أى

«كيف أقدر على الإحصاء. . . إلخ» مع أنكم «نور الأخيار» أى منورهم و معلّمهم و هاديهم بل نقول لا يمكننا معرفه الأخيار من النبيين و المرسلين و الملائكه المقربين فكيف بكم و أنتم بينهم كالشموس الطالعه؟ ! و لا يمكننا رؤيه الشمس إلّا بتوفيقهم و توفيقه تعالى لنا، كيف و قد تقدم آنفا أنهم عليهم السّلام مرائى كمالاته و صفاته و أسمائه تقدس و تعالى.

ص: ۲۱۸

و أما قوله عليه السّلام «و هداه الأبرار و حجج الجبار» :

فقد تقدم معنى كونهم هداه مفصلا، و كذا معنى كونهم حججه تعالى إلاّ أنّ إضافه الهداه إلى الأبرار لبيان أنهم عليهم السّلام إذا كانوا هداه الأبرار و هو جمع البرّ الذين مدحهم اللّه تعالى فى قوله: كَلاّٰ إِنَّ كِتٰابَ اَلْأَبْرٰارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (۱)أى أن حقيقه وجودهم صارت نقيّه بحيث صارت فى العلّيين أى المقربين، فلا محاله يكونون هداه لغيرهم بطريق أولى، لأنه إذا كان الوصول إلى مقام الأبرار الذى هو منتهى المقامات بهدايتهم، فلا محاله يكون الوصول إلى أى مقام سنّى دونهم بهدايتهم أيضا. و قد يقال: إنّ الأبرار هم أصحاب اليمين و الأخيار هم المقربون و هما بمعنى و قد يجتمعان فى الذكر فيراد من كلّ منهما ما يخصّه كما ذكرنا، و قد يفترقان فيراد من كل منهما منفردا عما يراد من الآخر

كقوله عليه السّلام: «و أنتم نور الأخيار و هداه الأبرار» . و كيف كان فقد مدحهم تعالى فى الكتاب، فقال: إِنَّ اَلْأَبْرٰارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كٰانَ مِزٰاجُهٰا كٰافُوراً (۲)و إما إضافه الحجج إلى الجبار فنقول: الجبار مبالغه جابر

و فى الدعاء:

«يا كاسر، يا جابر»

أى يا من يكسر عاديه الأضداد و سؤرتها، ثمّ يجبر كسرها بإيصالها إلى مقام القرب فيقرب هو تعالى أيضا منها، و يكسر القلوب بالخوف مرّه و يجبرها بالرجاء أخرى، و يكسرها بالقبض تاره و يجبرها بالبسط أخرى، و يكسرها بالهيبه كرّه و يجبرها بالأنس أخرى، و يكسر القلوب بعدم المبالاه و بابتلائها بالمباينه و أخرى يجبرها بالمنّه باللقاء و المعاينه،

كما قال تعالى فى حديث قدسى: «أنا عند المنكسره قلوبهم» . فالجبار صفه يظهر أثره بعد الكسر من اسم الكاسر، و هما يؤثران فى القلوب و فى الأمور التى ليس لأحد التصرف فيها من القلوب و الأمور المهمّه فى الخلق، فهما يحكيان عن علوّه تعالى و عظمته و جلالته، فهما من أسماء الجلال و الجمال المرتبط

۱- ۱) المطففين:۱۸.

۲- ۲) الإنسان:۵.

كل منهما بالآخر. و كيف كان هما تدلّان على سلطنته على القلوب و الأمور كلّها

فقوله عليه السّلام:

«و حجج الجبار»

، يشير إلى عظمه هذه الحجج باعتبار إضافتها إلى هذا الجبّار العظيم فى الجبر، فيرى عظمه المضاف إليه فى المضاف، أو يقال: إنّ المضاف يكسب من المضاف إليه العظمه الظاهريه و الباطنيه، فالحجج المضافه إلى الجبار لها المقام العظيم، و بهذا يصلح للعلّيه للجمل السابقه عليها كما لا يخفى، هذا إذا كان الجابر مشتقّا عن الجبر بمعنى الجبران، كما هو الظاهر من

قوله فى الدعاء

«يا كاسر يا جابر»

فإنه بقرينه الكاسر يراد منه الجابر بمعنى الجبر. و فى المجمع: و الجبار من أسمائه تعالى، و هو الذى يجبر الخلق و يقهرهم على بعض الأمور، التى ليس لهم فيها اختيار و لا على تغييرها قدره، و الذى يجبر حالهم و يصلحه. أقول: هذا بلحاظ كونه مشتقّا من الجبر و الجبران كما تقدم. . إلى أن قال: و قيل الجبار: العظيم الشأن فى الملك و السلطان، و لا يطلق هذا الوصف على غيره تعالى إلّا على وجه الذّم، و على هذا المعنى قيل: الجبّار المتكبر و الذى يقتل على الغضب، و منه قوله تعالى: وَ إِذٰا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّٰارِينَ (۱)إلى غير ذلك من موارد استعماله فى العرف إلى أن قال: «و الجبروت فهو فعلوت من الجبر و القهر» . أقول: و عليه فالجبار المراد منه هو اللّه تعالى فى المقام، يشار به إلى أنه تعالى عظيم الشأن فى الملك و السلطان و ذو الجبروت أى ذو القهر و الغلبه على ما يشاء، و حينئذ تكون الحجج المضافه إليه أيضا ذا العظمه بنحو تقدم بيانه.

۱- ۱) الشعراء:۱۳۰.

قوله عليه السّلام: بكم فتح اللّه و بكم يختم.

[@٧٥@]أقول:

«بكم فتح اللّه»

أى الوجود أو الخلافه الإلهيه أو جميع الخيرات و الإفاضات، أو بكم خلق اللّه أى بسببكم إذ لولاكم لما خلقت سماء و لا غيرها، أو بكم فتح كتاب اللّه و ختمه من حيث البيان و التحقق، و يدل على ما ذكرنا عده من الروايات.

ففى البحار: عن رياض الجنان و بإسناده عن جابر بن عبد اللّه قال: قلت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أوّل شىء خلق اللّه تعالى ما هو؟ فقال: «نور نبيّك يا جابر خلقه اللّه ثمّ خلق منه كلّ خير» (١).

و فيه عنه عن جابر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أوّل ما خلق اللّه نورى، ففتق منه نور على، ثم خلق العرش و اللوح و الشمس و ضوء النهار و نور الأبصار و العقل و المعرفه» .

و فيه عن أنس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «خلقنا اللّه نحن حيث لا سماء مبنيّه و لا أرض مدحيّه و لا عرش و لا جنّه و لا نار، كنّا نسبّحه» (٢).

و فيه و بإسناده إلى جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: «يا جابر كان اللّه و لا شىء غيره (و) لا معلوم و لا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمدا صلّى اللّه عليه و آله و خلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّه خضراء بين يديه حيث لا سماء و لا أرض و لا مكان، و لا ليل و لا نهار، و لا شمس و لا قمر، يفصل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس نسبّح اللّه و نقدّسه و نحمده و نعبده حقّ عبادته، ثم بد اللّه أن يخلق المكان فخلقه و كتب على المكان «لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، على أمير المؤمنين و وصيّه به أيّدته و نصرته» . . . إلى أن قال عليه السّلام «فنحن أوّل خلق اللّه، و أول خلق عبد اللّه و سبّحه، و نحن سبب الخلق و سبب تسبيحهم

١- ١) البحار ج ٥٧ ص ١٧٠.

٢- ٢) البحار ج ٥٧ ص ١٦٩.

و عبادتهم من الملائكه و الآدميين» . و الأخبار فی هذه المعانی کثیره جدا،

و فی مقدمه تفسیر البرهان (۱)عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حدیث له أنّ الأئمه من آل محمد صلّی اللّه علیه و آله أمّ الکتاب و خاتمته.

و فیه و فی الأخبار أنّهم علیهم السّلام مفاتیح الرحمه و مفاتیح الجنان و مفاتیح الحکمه و مفاتیح الکتاب. أقول: تستفاد هذه من أبواب متفرقه من أحادیثهم علیهم السّلام.

و فی بصائر الدرجات بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام «الحجه قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق» (۲). و مثله أخبار أخر و یعلم من

قوله علیه السّلام: «و بعد الخلق أنه تعالی بهم یختم» ، ثمّ إن کونهم علیهم السّلام عللا غائیه للخلق مما یظهر من کثیر من الأخبار الداله علی أنه تعالی خلق الخلق لأجلهم، و هم علیهم السّلام أیضا أسباب الخلق فبهم خلق اللّه تعالی الخلق کما صرّح به فیما تقدم من

قوله: «و نحن سبب الخلق» . و أما کیفیه کونهم أسباب الخلق و أنه کیف خلق اللّه تعالی العرش و غیره منهم و بهم کما صرّح به فی الأحادیث فهو من غامض العلوم، لا یکاد یطلع علیه إلاّ الخلّص من أولیائه تعالی، و الذی لا شک فیه هو أنه تعالی خالق الخلق إلاّ أنه تعالی یقضی قضیّته بهم کما تقدم التصریح به فی الخبر الصحیح، فهم علیهم السّلام وسائط الخلق، و تقدم أنه تعالی أفردهم لأمره، و هاهنا کلمات للحکماء و العرفاء فی بیان کیفیه وساطتهم علیهم السّلام للخلق موکول إلی محلّه، و اللّه الهادی إلی سبیل الحق و الرشاد.

و فی بصائر الدرجات بإسناده عن عبد اللّه بن أبی یعفور قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا بن أبی یعفور إن اللّه تبارک و تعالی واحد متوحّد بالوحدانیه متفرّد بأمره، فخلق خلقا ففرّدهم لذلک فنحن هم، یا بن أبی یعفور فنحن حجج اللّه فی

۱- ۱) مقدمه تفسیر البرهان ص ۸۰.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۸۷.

عباده و شهداؤه فی خلقه و أمناؤه و خزّانه علی علمه، و الداعون إلی سبیله و القائمون بذلک، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه» (۱).

و فیه بإسناده عن أبی بصیر عن خیثمه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول: «نحن جنب اللّه و نحن صفوته و نحن خیرته، و نحن مستودع مواریث الأنبیاء، و نحن أمناء اللّه، و نحن حجه اللّه، و نحن أرکان الإیمان و نحن دعائم الإسلام، و نحن من رحمه اللّه علی خلقه، و نحن الذین بنا فتح اللّه و بنا یختم، و نحن أئمه الهدی، و نحن مصابیح الدجی، و نحن منار الهدی، و نحن السابقون و نحن الآخرون، و نحن العلم المرفوع للخلق (لأهل الدنیا) من تمسّک بنا لحق و من تخلّف عنّا غرق، و نحن قاده الغرّ المحجّلین، و نحن خیره اللّه، و نحن الطریق و صراط اللّه المستقیم إلی اللّه، و نحن من نعمه اللّه علی خلقه، و نحن المنهاج، و نحن معدن النبوّه، و نحن موضع الرساله، و نحن الذین إلینا مختلف الملائکه، و نحن السراج لمن استضاء بنا، و نحن السبیل لمن اقتدی بنا، و نحن الهداه إلی الجنه، و نحن عزّ الإسلام (عری الإسلام) ، و نحن الجسور و القناطر من مضی علیها سبق و من تخلّف عنها محق، و نحن السنام الأعظم، و نحن الذین بنا نزل (تنزل) الرحمه و بنا تسقون الغیث، و نحن الذین بنا یصرف عنکم العذاب فمن عرفنا و نصرنا و عرف حقّنا و أخذ بأمرنا فهو منّا و إلینا» (۲).

و فی البحار عن علی علیه السّلام عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی حدیث طویل. . إلی أن قال صلّی اللّه علیه و آله «بنا فتح اللّه و بنا یختم و بنا یمحو ما یشاء و یثبت و بنا نزل الغیث، و لا یغرنّکم باللّه الغرور، لو تعلمون ما لکم فی الغناء (بالفتح أی الإقامه و المقام و لعله کنایه عن ثبات الإسلام و الاستقامه علی الدین) بین أعدائکم، و صبرکم علی الأذی لقرّت أعینکم. . .» الحدیث. أقول: و علم من هذا الحدیث ما تقدم من

قوله:

«بکم فتح اللّه و بکم یختم» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۶۱.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۸۲-۸۳.

و قيل معنى «بكم يختم» أى دولتكم آخر الدول أو الدوله أيضا لكم، و علم أيضا منه

قوله عليه السّلام

«و بكم ينزل الغيث» .

و أما قوله عليه السّلام: «و بكم يمسک السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، و بكم ينفّس الهمّ و يكشف الغم، و بكم يكشف الضّر (و يرفع الضر خ ل)» .

فقد دلّت عليه أحاديث أخر منها

فى كمال الدين و تمام النعمه للصدوق (رحمه اللّه عليه) بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن على، عن أبيه على ابن الحسين عليه السّلام قال: «نحن أئمّه المسلمين و حجج اللّه على العالمين، و ساده المؤمنين، و قاده الغرّ المحجّلين و موالى المؤمنين، و نحن أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، و نحن الذين بنا يمسک اللّه السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، و بنا يمسک الأرض أن تميد بأهلها، و بنا ينزّل الغيث و تنشر الرحمه و تخرج بركات الأرض، و لو لا ما فى الأرض منّا لساخت بأهلها. ثمّ قال: و لم تخل الأرض منذ خلق اللّه آدم من حجه اللّه فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، و لا تخلو إلى أن تقوم الساعه من حجه اللّه فيها، و لو لا ذلک لم يعبد اللّه» .

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السّلام فكيف ينتفع الناس بالحجه الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سدّها السحاب» .

أقول: فقوله عليه السّلام: «و بكم ينزل الغيث»

إمّا بسبب دعائهم عليهم السّلام أو بلحاظ أنهم الأسماء الحسنى للّه تعالى و هو تعالى يفعل ما يفعل بها، و هكذا معنى أنّه تعالى بهم يمسک السماء. و بعباره أخرى: لما كانوا عليهم السّلام قدره اللّه تعالى، و هو تعالى يخلق الخلق حدوثا و بقاء بالقدره، فلا محاله يمسک السماء بهم، و قد يقال: إنه تعالى يمسک السماء بهم أى لأجلهم و لقدرهم عنده مع حصول أسباب الوقوع على الأرض من أقوال الخلق و أفعالهم الموجبه لذلک، أى لوقوعها على الأرض، و ذلک مثل ادّعائهم الولد

و الصاحبه للّه تعالى، و اتخاذ الآلهه الباطله كما قال تعالى: . . تَكٰادُ اَلسَّمٰاوٰاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ اَلْأَرْضُ وَ تَخِرُّ اَلْجِبٰالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً (۱)و هذا نظير قوله تعالى كما

فى الأحاديث القدسيّه: «لو لا شبّان ركّع و بهائم رتّع و أطفال رضّع لصببت العذاب صبّا» .

قوله عليه السّلام: «إلّا بإذنه»

يعنى عند قيام الساعه، أو فى كلّ وقت يريده تعالى و يأذن فيه، و هكذا يراد من

قوله عليه السّلام:

«و بكم ينفّس الهمّ و يكشف الضر»

أى الأمراض و الأوجاع و سوء الحال فيزيلها اللّه تعالى بهم عنهم لما عرفت من كونهم الأسماء الحسنى الإلهيه، التى بها يفعل اللّه ما يشاء، و هذا يستفاد من قوله تعالى: وَ مٰا كٰانَ اَللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ (۲)فإن وجوده صلّى اللّه عليه و آله سبب لرفع العذاب عنهم بمعناه العام الشامل للضرّ، و هذا جار إلى الأبد لوجود الحجه فى كل زمان و قيامه مقام النبى صلّى اللّه عليه و آله فى جميع الأمور و الآثار. فكيف كان فهذه الجمل لبيان شئونهم عليهم السّلام. و حاصله أنّ جميع الموجودات مظاهر لأسمائه الحسنى الخارجيّه و تحقّقها إنما هو بالأسماء

لقوله عليه السّلام:

«و بأسمائك التى ملأت أركان كلّ شىء» .

و من المعلوم أنّ الأسماء الحسنى التى هى شئون لاسم اللّه تعالى الأعظم لا مظهريه لها إلّا بهم عليهم السّلام و هم مظاهرها الكليه، و الموجودات مظاهرها الجزئيه الخارجيه، و صور لشأن من شئونها كما لا يخفى، فقوام كلّ موجود بهم و بسرّهم الذى هو حقيقه اسم اللّه الأعظم و معانى اللّه كما تقدم، و هذا السّر و الحقيقه محيط بكلّ شىء مما سوى اللّه، و اللّه تعالى محيط بالكلّ.

قال عليه السّلام فى النهج: «و المحيط بما أحاط بها» : اللّه، و لهذا كان كلّ شىء تحت طاعتهم و مطيعا لهم كما تقدم، و هم عليهم السّلام علموا منطقهم كما لا يخفى.

۱- ۱) مريم: ۹۰-۹۱.

۲- ۲) الأنفال: ۳۳.

[۷۶]و قوله علیه السّلام: «و بکم ینفّس الهمّ»

، یقال نفّس بالتشدید بمعنی فرّج و وسّع یقال: نفّس عنه کربته أی فرّجها، و الهمّ هو الحزن، قیل و الهمّ و الغمّ قد یطلق أحدهما علی الآخر، و إنما یشترکان فی معنی الحزن إلاّ أنّ الغمّ یکون هو الحزن مع التغطیه أی تغطیه السّر و مع مقاساته و الصبر علیه بالحلم، و الهمّ هو الحزن مع الاعتناء بالشیء المهموم به بأن یتوجّه النفس إلی طلبه و تحصیله و التخلّص منه، أی یعتنیه لیتخلّص منه بأسباب الخلاص. و قیل: الهمّ لما سیکون و ینفی النوم و الغمّ لما کان و یجلب النوم، و ذلک لأنّ متعلق الهمّ بلحاظ کونه مما سیکون، فلا محاله یکون مما یمکنه المخلص منه، فیتعلق الهمّ به لیتخلّص منه کما تقدم. و أما الغمّ فمتعلّقه لما کان مما مضی فلا محاله لا حیله لرفعه، فلا محاله یکون للنفس راحه سرّا فیسکن الأعضاء عن التحریک و التحرّک و الحیله فیغلبه الغمّ فیوجب له النوم، و ربما قیل بالعکس أی یکون الغمّ لما یأتی و الهمّ لما مضی و الأول أشهر و أظهر. و لقد دلّت آیات و أحادیث علی أنهم علیهم السّلام سبب لرفع البلاء و العذاب منه تعالی علی الأمّه بعد استحقاقهم، فقد تقدم قوله تعالی: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِی اَلدُّنْیٰا وَ اَلْآخِرَهِ لَمَسَّکُمْ فِیمٰا أَفَضْتُمْ فِیهِ عَذٰابٌ عَظِیمٌ (۱)و تقدم أنّ المراد من فضل اللّه الرسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و من رحمته أمیر المؤمنین و هما علیهما السّلام و کذا سائر الأئمه علیهم السّلام بدلیل الاشتراک فی الرتبه سبب لرفع البلاء و الهموم و الغموم کما لا یخفی.

قوله علیه السّلام: و عندکم ما نزلت به رسله و هبطت به ملائکته.

أقول: الظاهر و اللّه العالم أنّ المراد مما نزلت به رسله هو المعارف الإلهیه و الآیات الإلهیه.

ص: ۲۲۶

۱- ۱) النور:۱۴.

و الحاصل: یراد به ما ینطبق علیه الوحی، و هی مع قطع النظر عمن أوحی إلیه و عمن أوحاه من الرسل أی ملائکه اللّه من جبرئیل و غیره فی الیقظه أو النوم عندهم علیهم السّلام فهذه الجمله نظیر

قوله علیه السّلام:

«و ورثه الأنبیاء»

أی فی علومهم و معارفهم. و أما

قوله علیه السّلام:

«و هبطت به ملائکته»

أی ما هبطت به ملائکته فهو تفسیر لما قبله، و قد یقال: إن الهبوط بلحاظ أنّ المعارف التی جاءت بها الملائکه إلیهم تکون من لدن حکیم خبیر و من مقام شاهق و محلّ عال. و أما النزول فلم یلحظ فیه هذه النکته بل یراد منه مطلق النزول، فلأجل بیان الأهمیّه لما نزل إلیهم فسرت الجمله السابقه بالجمله التالیه لبیان هذه الأهمیّه. و کیف کان فهاتان الجملتان دلّتا علی أنّ الأئمه علیهم السّلام عندهم جمیع علوم الأنبیاء و السابقین، و عندهم أیضا العلوم النازله علی جدّهم صلّی اللّه علیه و آله بجملتها التی تکون أعظم و أتمّ و أکمل مما نزل علی الأنبیاء السابقین. و کیف کان فجمیعها عندهم علیهم السّلام و یشیر إلی هذا ما تقدم فی أوائل الشرح من الروایات، و نحن نذکر بعضها للتذکّر و التیمّن.

ففی بصائر الدرجات بإسناده عن حنان الکندی عن أبیه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن للّه علما خاصّا و علما عامّا، فأما علمه الخاصّ فالذی لم یطّلع علیه ملائکته المقربون و أنبیاؤه المرسلون، و أما علمه العام فهو الذی اطلع علیه ملائکته المقرّبون و أنبیاؤه المرسلون فقد وقع علینا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» .

و فیه عن أبی عبد اللّه البرقی یرفع الحدیث قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إنّ للّه علمین: علم تعلمه ملائکته و رسله و علم لا یعلم غیره، فما کان مما یعلمه ملائکته و رسله فنحن نعلمه، و ما خرج من العلم الذی لا یعلم غیره فالینا یخرج» .

و فیه بإسناده عن بشیر قال سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «إنّ للّه علمین: علم مبذول و علم مکنون، فأمّا المبذول: فإنه لیس من شیء تعلمه الملائکه و الرسل إلاّ

نحن نعلمه، و أما المكنون: فهو الذى عند اللّه تبارك و تعالى فى أمّ الكتاب إذا خرج نفذ» .

و فيه عن بشير الدّهان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنّ للّه علما لا يعلمه أحد غيره، و علما قد علمه الملائكه و رسله فنحن نعلمه» . أقول: المستفاد من هذه الأحاديث و نظائرها و هى كثيره جدّا أنّ علمه تعالى على ثلاثه أقسام: قسم لا يعلمه غيره حتى النبى الأعظم و الأئمه عليهم السّلام بل استأثره لنفسه و هو المشار إليه بالاسم الأعظم الذى استأثره لنفسه.

ففيه بإسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إنّ اسم اللّه الأعظم على ثلاثه و سبعين حرفا، و إنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس، ثمّ تناول السرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفه عين، و عندنا نحن من الاسم اثنان و سبعون حرفا، و حرف عند اللّه استأثر به فى علم الغيب عنده، و لا حول و لا قوه إلاّ باللّه العلى العظيم» . أقول:

فقوله عليه السّلام «و حرف عند اللّه» يشير إلى ما هو المستأثر عنده فى علم الغيب، و لعل الأحاديث التى دلّت على أنهم لا يعلمون الغيب يشير إلى هذا العلم و الحرف الذى هو فى علم الغيب بحيث لم يطّلع عليه غيره لا نبى مرسل و لا ملك مقرّب و لا غيرهما، و اللّه العالم. و قسم يعلمه الملائكه و الأنبياء المرسلون و هذا قد علمه النبى الأعظم و الأئمه عليهم السّلام. و قسم ثالث و هو ما لم يعلمه غيره من الملائكه و الأنبياء المرسلين السابقين قبل النبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و هو العلم المكنون عنده، إلاّ أن هذا العلم ليس من المستأثر به لنفسه تعالى، بل يخرج منه تعالى إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و إليهم عليهم السّلام و هو المشار إليه فى

قوله صلّى اللّه عليه و آله «و ما خرج من العلم الذى لا يعلم غيره فإلينا يخرج» .

و فی قوله: «و أما المکنون فهو الذی عند اللّه تبارک و تعالی فی أمّ الکتاب إذا خرج نفذ» ، و اللّه العالم. فقد دلّت هذه الأحادیث علی أنّ کل ما خرج منه تعالی من العلم إلی الأنبیاء و الملائکه فهو عندهم علیهم السّلام ثم إنهم علیهم السّلام کما علموا العلم الخارج منه تعالی إلی غیره من المعارف و الأحکام و المواعظ و الحکم و سائر العلوم الربوبیه فکذلک یعلمون ما کان فی الوجود و ما یکون و ما هو کائن إلی یوم القیامه، بل و ما هو کائن بعدها مما هو کائن فی الجنه أو فی النار أو ما شاء اللّه تعالی.

ففیه بإسناده عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سئل علی علیه السّلام عن علم النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال: «علم النبی علم جمیع النبیین، و علم ما کان، و علم ما هو کائن إلی قیام الساعه» . . ثم قال: و الذی نفسی بیده إنّی لأعلم علم النبی صلّی اللّه علیه و آله و علم ما کان، و ما هو کائن فیما بینی و بین قیام الساعه» .

و فیه عن عبد الأعلی بن أعین قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إنّی لأعلم ما فی السماء، و أعلم ما فی الأرض، و أعلم ما فی الجنه، و أعلم ما فی النار، و أعلم ما کان، و أعلم ما یکون، علمت ذلک من کتاب اللّه، إنّ اللّه تعالی یقول: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ اَلْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ » .

و فیه بإسناده عن الفضیل بن یسار قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إنّ للّه علمین: علم علّمه ملائکته و رسله و علم عنده لا یعلمه إلاّ هو، فما کانت الملائکه و الرسل تعلمه نحن نعلمه أو ما شاء اللّه من ذلک» (1). أقول: لا ریب فی أنّ الملائکه المقرّبین منهم کجبرئیل یعلمون ما فی الجنّه و النار کما یستفاد من أحادیث المعراج الداله علی دخوله صلّی اللّه علیه و آله فی الجنه و النار مع جبرئیل و مکالمته صلّی اللّه علیه و آله معه فی شأن الجنه و النار، فیعلم منها أنّ جبرئیل أیضا عالم بهما، و حینئذ

فقوله علیه السّلام: «فما کانت الملائکه و الرسل تعلمه نحن نعلمه» ، یعمّ هذه العلوم

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۱۲.

أى علم ما فى الجنه و ما فى النار و ما فى القيامه، و ما هو كائن إلى يوم القيامه، و حينئذ نقول:

قوله عليه السّلام: «أو ما شاء من ذلک» يشير إلى علوم فوق ذلک مما علّمهم اللّه تعالى بمشيته و هى العلوم التى يخصّهم و لا يشارکهم فيها الملائکه کما لا يخفى.

و فيه بإسناده عن الحسين بن علوان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إنّ اللّه خلق (فضّل) أولى العزم من الرسل بالعلم، و ورّثنا علمهم، و فضّلنا عليهم فى علمهم، و علّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما لم يعلموا، و علّمنا علم الرسول و علمهم. و أمناء شيعتنا أفضلهم أين ما کنّا فشيعتنا معنا» . أقول: قد دلّ هذا الحديث على أنهم عالمون بما نزلت به رسوله من الملائکه على أولى العزم فضلا عن غيرهم، و بما علمه اللّه تعالى رسوله الأعظم صلّى اللّه عليه و آله، و هذا الحديث الشريف دلّ على أمرين عظيمين فيهما البشاره العظمى للشيعه القائلين بعلمهم و فضلهم، و العالمين بمعارفهم، و هم الأمناء فى علمهم و معارفهم المستحفظون لها عن غيرهم من أعدائهم، بل و من الناقصين عن درک معارفهم، و هى أنهم أى الشيعه الموصوفون بما ذکر يکونون أفضل من أولى العزم، و إنهم معهم عليهم السّلام أينما کانوا. و لعمرى إنّ هذا لهو الفوز العظيم و الفضيله التى ليست فوقها فضيله، حيث إنه تعالى جعلهم ببرکه معارف الأئمه عليهم السّلام أفضل من أولى العزم، و جعلهم مع الأئمه أينما کانوا، و لا ريب فى أنهم فى المقام الأعلى و المحل الأرفع و المکان الأقرب إليه تعالى، و لکن الظاهر أنه لا يراد من الشيعه إلاّ الخلّص منهم من مثل سلمان و نظائره من حوارى الأئمه عليهم السّلام فى کل زمان لا مطلق الشيعه، دلّ على ذلک

قوله عليه السّلام «أمناء شيعتنا» ، فالتخصيص بالأمناء يدل على من کان کذلک فهو کذلک. و لعمرى إنّ صفه الأمانه هى أعظم صفه لأولياء اللّه تعالى کما حقق فى محله، و لا يکاد توجد إلاّ فى الأوحدى من الشيعه، و لما ذکرنا إشارات و تلويحات بل تصريحات فى الأحاديث کما تقدم بعضها من

قوله صلّى اللّه عليه و آله ما حاصله: أن الشيعه إذا

ص: ۲۳۰

طهر قلبهم من الصفات الرذيله فهم أفضل من الملائكه المقرّبين، فليراجع الحديث.

و فيه بإسناده عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه عن أبى الحسن الأول عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك النبى صلّى اللّه عليه و آله ورث علم النبيين كلهم؟ قال لى: نعم، قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟ قال: نعم، قلت: ورثهم النبوه و ما كان فى آبائهم من النبوه و العلم؟ قال: ما بعث اللّه نبيّا إلاّ و قد كان محمد صلّى اللّه عليه و آله أعلم منه، قال: قلت إنّ عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن اللّه، قال: صدقت و سليمان بن داود كان يفهم كلام الطير، قال: و كان رسول اللّه يقدر على هذه المنازل، فقال: إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده و شكّ فى أمره: مٰا لِيَ لاٰ أَرَى اَلْهُدْهُدَ أَمْ كٰانَ مِنَ اَلْغٰائِبِينَ (۱)؟ ! و كانت المرده و الريح و النمل و الإنس و الجن و الشياطين له طائعين، و غضب عليه، فقال: لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذٰاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ (۲)و إنما غضب عليه، لأنه كان يدلّه، على الماء فهذا و هو طير قد أعطى ما لم يعط سليمان، و إنما أراده ليدلّه على الماء، فهذا لم يعط سليمان و كانت المرده له طائعين، و لم يكن يعرف الماء تحت الهواء، و كانت الطير تعرفه، إنّ اللّه يقول فى كتابه: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ اَلْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ اَلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ اَلْمَوْتىٰ (۳)فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما يقطع به الجبال، و يقطع به البلدان، و يحيى به الموتى بإذن اللّه، و نحن نعرف ما تحت الهواء، و إن كان فى كتاب اللّه لآيات ما يراد بها أمر من الأمور التى أعطاه اللّه الماضين النبيين و المرسلين إلاّ و قد جعله اللّه ذلك كلّه لنا فى أمّ الكتاب، إنّ اللّه تبارك و تعالى يقول: وَ مٰا مِنْ غٰائِبَةٍ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ (۴)» .

۱- ۱) النمل:۲۰.

۲- ۲) النمل:۲۱.

۳- ۳) الرعد:۳۱.

۴- ۴) النمل:۷۵.

ثمّ قال عز و جل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا اَلْكِتٰابَ اَلَّذِينَ اِصْطَفَيْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا (١)«فنحن الذين اصطفانا اللّه، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذى فيه تبيان كل شيء» . أقول: هذا الحديث الشريف يوضح معنى

قوله عليه السّلام:

«و عندكم ما نزلت به رسله و هبطت به ملائكته»

، فإنه ربما يتوهم أنّ المراد مما عندهم مما نزلت به الرسل هو العلم فقط سواء فسرنا العلم بالحصولى أو الحضورى، إلاّ أنّ هذا الحديث دلّ على أنّ الموروث عندهم عليهم السّلام مضافا إلى العلم هو حقائق الأمور، و الاسم الأعظم، و حقيقه القدره الإلهيه التى لها تلك الآثار العجيبه

كما دلّ عليه الأحاديث الوارده فى (إنّ عندهم الاسم الأعظم بجميع حروفه سوى حرف واحد) كما تقدم. و الحاصل: أنّه كما حقق فى محله أنّ حقيقه الوحى هو التجلى الإلهى فى قلب النبى صلّى اللّه عليه و آله بأسمائه و صفاته، فالوحى فى الحقيقه هو تمثل تلك الأسماء الإلهيه و العلوم الحصوليه، و المفاهيم منتزعه منها، و ألفاظ مسروده لأدائها، و هذه التجليات مختلفه بالنسبه إلى الأنبياء السابقين. فكل نبى قد تجلى اللّه تعالى له بتلك الأسماء بما اقتضته الرحمه الإلهيه بالنسبه إليه، و أما النبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله فقد تجلّى اللّه تعالى له بالتجلى الأعظم كما فى الدعاء، فهو تعالى تجلى له بجميع التجليات الربوبيه فوق سائر التجليات بالنسبه إلى ساير الأنبياء، لا أقول ليس له تعالى تجلى لم يتجلّ به فإنه ليس لتجلياته نهايه، بل أقول: إنّ ما تجلى به اللّه تعالى فى قلبه صلّى اللّه عليه و آله أعظم التجليات الإلهيه بالنسبه إلى غيرها الكائن لسائر الأنبياء، فتجلياته تعالى بالنسبه إليه صلّى اللّه عليه و آله فوق جميع التجليات السابقه كما لا يخفى. إذا علمت هذا فمعنى

قوله:

«و عندكم ما نزلت به رسله و هبطت به ملائكته»

، هو أن جميع تلك التجليات الكائنه للأنبياء و للنبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله يكون لهم عليهم السّلام.

١- ١) فاطر:٣٢.

و إليه يشير ما تقدم مرارا من

قوله عليه السّلام: «إنّ الروح خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل و إنه لفينا» . فقد وردت أخبار كثيره بهذا المضمون فى تفسير قوله تعالى: وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا (١)، فراجع. أقول: على أن العلم فى ألسنه الأحاديث كما يشمل الصوره الحاصله عند النفس و العلم الحضورى، كذلك يشمل الحقايق المنكشفه فى أرواحهم، بل نفس أنوارهم و أرواحهم التى هى تجليات منه تعالى فإنه تعالى تجلى بها لهم، كما حقق فى محله، فحينئذ لو فسر (ما نزلت به رسله) الذى هو عندهم عليهم السّلام بالعلم يشمل هذه الأمور كما لا يخفى. ثمّ إنّ هاهنا كلاما و حاصله أنه قد يتوهم أن جميع ما عندهم هو جميع ما عند الملائكه و الرسل و الأنبياء فهم عليهم السّلام مساوون لهم فلا أفضليّه لهم عليهم السّلام على السابقين من الأنبياء، و لكن هذا توهم فاسد، و الوجه فيه أنه قد دلّت أحاديث على أفضليّتهم عليهم بمراتب، و نحن نذكر بعضها ثمّ نعقّبه بالكلام. فنقول:

ففى البحار (٢)عن العيون بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروى، عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إنّ أوّل ما خلق اللّه عز و جل أرواحنا فأنطقها بتوحيده و تحميده، ثم خلق الملائكه» .

و فى الكافى (٣)بإسناده عن محمد بن سنان، قال: كنت عند أبى جعفر الثانى عليه السّلام فأجريت اختلاف الشيعه، فقال: «يا محمد إن اللّه تبارك و تعالى لم يزل متوحّدا بوحدانيّته، ثم خلق محمدا و عليا و فاطمه فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، و أجرى طاعتهم عليها، و فوّض أمورها إليهم، فهم يحللون ما

١- ١) الشورى:٥٢.

٢- ٢) البحار ج ٥٧ ص ٥٨.

٣- ٣) الكافى ج ١ ص ٤٤١.

يشاءون و يحرّمون ما يشاءون، و لن يشاءوا إلاّ أن يشاء اللّه تبارك و تعالى، ثمّ قال: يا محمد هذه الديانه التى من تقدمها مرق، و من تخلّف عنها محق، و من لزمها لحق، خذها إليك يا محمد» .

و فيه بإسناده عن المفضّل قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام كيف كنتم حيث كنتم فى الأظلّه؟ فقال: «يا مفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا فى ظله خضراء نسبّحه و نقدّسه و نهلّله و نمجّده، و ما من ملك مقرب و لا ذى روح غيرنا حتى بد اللّه فى خلق الأشياء فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكه و غيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا» .

و تقدم ما فى البحار عن رياض الجنان بإسناده عن جابر بن عبد اللّه قال: قلت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أول شىء خلق اللّه تعالى ما هو؟ فقال: «نور نبيّك يا جابر خلقه اللّه ثمّ خلق منه كلّ خير. . .» الخبر بطوله.

و عن جابر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أول ما خلق اللّه نورى ففتق منه نور على، ثمّ خلق العرش و اللوح و الشمس و ضوء النهار و نور الأبصار و العقل و المعرفه» .

و فى بصائر الدرجات (1)، بإسناده عن ابن أبى يعفور قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا بن أبى يعفور إن اللّه تبارك و تعالى واحد متوحّد بالوحدانيه، متفرّد بأمره فخلق خلقا ففردهم لذلك الأمر، فنحن هم يا بن أبى يعفور، فنحن حجج اللّه فى عباده و شهداؤه فى خلقه، و أمناؤه و خزّانه على علمه، و الدّاعون إلى سبيله، و القائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه» .

و فيه بإسناده عن عبد الصمد بن بشير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «كان مع عيسى ابن مريم حرفان يعمل بهما، و كان مع موسى عليه السّلام أربعه أحرف، و كان مع إبراهيم

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۶۱.

سته أحرف، و كـان مع آدم خمسه و عشـرون حرفا، و كان مع نوح ثمانيه و جمع ذلك كله لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله إن اسم اللّه ثلاثه و سبعون حرفا و حجب عنه واحدا» . أقول: و تقدم نظيره.

و فيه (۱)بإسـناده عن عبد اللّه بن الوليد، قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّـلام: «أى شـىء يقول الشيعه فى عيسى و موسى و أمير المؤمنين عليه السّـلام؟ قلت: يقولـون: إنّ عيسـى و موسـى أفضـل من أمير المؤمنين عليه السّـلام، قـال: فقـال: أ يزعمون أنّ أمير المؤمنين عليه السّـلام قـد علم ما علم رسول اللّه؟ قلت: نعم و لكن لا يقـدمون على أولى العزم من الرسل أحدا، قال أبو عبد اللّه عليه السّـلام: فخاصمهم بكتاب اللّه، قال: قلت: و فى أى موضع منه أخاصمهم؟ قال: قال اللّه تعالى لموسى: وَ كَتَبْنا لَهُ فِی اَلْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ مَوْعِظَهً وَ تَفْصِیلاً (۲)إنه لم يكتب لموسـى كل شـىء، و قال اللّه تبارك و تعالى لعيسـى: وَ لِأُبَیِّنَ لَکُمْ بَعْضَ اَلَّذِی تَخْتَلِفُونَ فِیهِ (۳)، و قـال اللّه تعـالى لمحمـد صـلّى اللّه عليه و آله: وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِیداً (۴)وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ اَلْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ (۵)» . ثمّ إنه يستفاد من هذه الأحاديث أمور تدل على أفضليتهم عليهم السّلام على الأنبياء السابقين حتى أولى العزم منهم، بـل و على الملائـكه حتى المقربين منهـا. منهـا: أنه تعـالى خلقهم أى أنـوارهم قبـل جميع الخلـق بـألف دهر، كمـا دلّت الأحـاديث الكثيره الـداله على أنه تعـالى أول مـا خلق خلق أرواحهم و أنوارهم كمـا لا يخفى. و منها: أنه تعالى أنهى علم الخلق كله إليهم كما فى حديث المفضّل، فهم عليهم السّـلام عالمون بخصوصـيات المخلوقات من الملائكه و النبيين و غيرهم، و ليس للأنبياء بل

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۲۷.

۲- ۲) الأعراف:۱۴۵.

۳- ۳) الزخرف:۶۳.

۴- ۴) النساء:۴۱.

۵- ۵) النحل:۸۹.

و لا للملائكه ذلك، كما لا يخفى. فإن قلت: كيف ذلك و النبى الأعظم يكون علمه بواسطه جبرئيل عليه السّلام فليس هو صلّى اللّه عليه و آله أفضل منه؟ قلت: قد تقدم مرارا أنّ الوحى كان على أقسام فمنها ما إذا لم يكن بين اللّه تعالى و بين النبى أحد حتى جبرئيل، و من المعلوم أنّ ما علمه النبى من هذا القسم من الوحى يكون مما لم يعلمه جبرئيل فهو صلّى اللّه عليه و آله أفضل منه لهذه الجهه، و علمت أيضا سابقا أنّ الروح الذى مع النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام الذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل هو الذى به علموا ما دون العرش إلى ما تحت الثرى و هو فوق جبرئيل فهم عليهم السّلام حينئذ و النبى صلّى اللّه عليه و آله أفضل منه. و تقدم أيضا

قول العسكرى عليه السّلام: «إنّ روح الأمين ذاق من حدائقنا الباكوره. . .» الحديث الدال على أنّ جبرئيل إنما صار أمين الوحى بواسطه ما ذاق من حدائق علومهم. و لعمرى إنّ التعبير: (الذّوق) يدل على أنّ جبرئيل لم يرو من علومهم حق الرى، و إنما ذاق من ذلك، فمنه يعلم أنّ ما عندهم عليهم السّلام مما لم يعلمه حتى من مثل جبرئيل عليه السّلام. و منها: أنهم عليهم السّلام كانوا معلمين للملائكه فى تسبيحهم و تقديسهم و تحميدهم و تهليلهم للّه تعالى، كما دلّت أحاديث كثيره من مثل

قولهم: «سبحنا و سبّحت الملائكه. . . إلخ» . و منها: انّ عندهم جميع الاسم الأعظم، و هذا بخلاف الأنبياء السابقين فإنه قد علمت أنّ كلّا منهم علم عددا مخصوصا منها، و هذا يدل على أفضليتهم عليهم السّلام عليهم بحقايق تلك الأسماء. و منها:

فى حديث عبد اللّه بن الوليد من أنه تعالى أعطى النبى صلّى اللّه عليه و آله تبيان كلّ شىء، و هذا بخلاف سائر الأنبياء من أولى العزم فضلا عن غيرهم، حيث إنه تعالى

أعطاهم بعض العلم المستفاد من لفظ (من) الدال على التبعيض، بل المستفاد من الأحاديث أنه صلّى اللّه عليه و آله نبى و مبعوث على الأنبياء فى عالم الأرواح بعثه اللّه تعالى إليهم، لتعليمهم التوحيد و كيفيه الدعوه الإلهيه.

ففى البحار (۱)عن علل الشرايع بإسناده عن المفضّل قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا مفضّل أ ما علمت أنّ اللّه تبارك و تعالى بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو روح إلى الأنبياء عليهم السّلام و هم أرواح قبل خلق الخلق بألفى عام؟ قلت: بلى، قال: أ ما علمت أنه دعاهم إلى توحيد اللّه و طاعته و اتباع أمره، و وعدهم الجنّه على ذلك، و أوعد من خالف ما أجابوا إليه و أنكره النار؟ فقلت: بلى. . .» الخبر. و معنى أنه دعاهم «إلى توحيد اللّه. . . إلخ» هو أنه صلّى اللّه عليه و آله علّمهم التوحيد، و كيفيه الإطاعه و الاتباع بالنسبه إليهم و إلى أممهم، كما لا يخفى. و منها: أنه تعالى أفردهم لأمره فى الخلق حيث إنه تعالى واحد متفرّد بأمره، فلا يكون مظهرا لإجراء هذا الأمر الوحدانى إلاّ من كان متفرّدا مجردا قابلا لأن يتلقّى منه تعالى الأمر الوحدانى، و هذا يدل على أنهم عليهم السّلام أقرب الموجودات إليه تعالى و أفضلهم، كما لا يخفى. ثمّ إنه ذكر بعض الأفاضل من الشارحين عن خطبه لأمير المؤمنين عليه أفضل صلاه المصلّين مما يدل على علوّ مقامهم على الخلق أجمعين.

ففى المحكى عنه عليه السّلام قال: «لم تكن الدعائم من أطراف الأكناف، و لا من أعمده فساطيط السجاف إلاّ على كواهل أنوارنا، و نحن العمل و محبّتنا الثواب و ولايتنا فصل الخطاب و نحن حجبه الحجّاب» .

و فيه فى المحكى عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان بسنده قال: وجد فى ذخيره أحد حوارى عيسى عليه السّلام رقّ مكتوب بالقلم السريانى و كان منقولا من

۱- ۱) البحار ج ۱۵ ص ۱۴.

التوراه، و ذلک لما تشاجر موسی علیه السّلام و الخضر فی قصّه السفینه و الغلام و الجدار، و رجع موسی إلی قومه سأله هارون عمّا استعمله من الخضر و شاهده من عجائب البحر، قال: «بینا أنا و الخضر علی شاطی البحر إذ سقط بین أیدینا طائر، فأخذ بمنقاره قطره من ماء البحر، و رمی بها نحو المشرق، ثمّ أخذ ثانیه و رمی بها نحو المغرب، ثمّ أخذ ثالثه و رمی بها نحو السماء، ثمّ أخذ رابعه و رمی بها نحو الأرض، ثمّ أخذ خامسه و ألقاها فی البحر، فبهت الخضر و أنا، قال موسی علیه السّلام: فسألت الخضر علیه السّلام عن ذلک فلم یجب، فإذا نحن بصیّاد یصطاد فنظر إلینا و قال: ما لی أراکما فی فکر و تعجّب؟ فقلنا: فی أمر الطائر، فقال: أنا رجل صیاد و عرفت إشارته و أنتما نبیّان لا تعلمان قلنا: لا نعلم إلاّ ما علّمنا اللّه عز و جل، قال: طائر یسمی (مسلم) لأنه إذا صاح یقول فی صیاحه مسلم، و أشار بذلک إلی أنه یأتی فی آخر الزمان نبی یکون علم أهل المشرق و المغرب، و علم أهل السماء و الأرض عند علمه مثل هذه القطره الملقاه فی البحر، و یرث علمه ابن عمّه و وصیه. فسکن ما کنا فیه من المشاجره، و استقل کل واحد منا علمه بعد أن کنا معجبین و مشینا، ثم غاب الصیّاد عنا فعلمنا أنه ملک بعثه اللّه تعالی إلینا یعرّفنا بنقصنا حیث ادّعینا الکمال» .

و فی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن سدیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «لمّا لقی موسی العالم کلّمه و ساء له نظر إلی خطّاف یصفر و یرتفع فی السماء و یتسفّل فی البحر فقال العالم لموسی: أ تدری ما یقول هذا الخطّاف؟ قال: و ما یقول؟ قال: یقول و ربّ السماء و الأرض ما علمکما فی علم ربکما إلاّ مثل ما أخذت بمنقاری من هذا البحر، قال: فقال أبو جعفر: أما لو کنت عندهما سألتهما عن مسأله لا یکون عندهما فیها علم» .

و فیه بإسناده عن سیف التّمار قال: کنا مع أبی عبد اللّه علیه السّلام فی الحجر، فقال «علینا عین فالتفتنا یمنه و یسره و قلنا: لیس علینا عین، فقال: و ربّ الکعبه ثلاث

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۳.

مرّات إنی لو کنت بین موسی و الخضر لأخبرتهما أنی أعلم منهما، و لأنبأتهما بما لیس فی أیدیهما» . أقول: هذه نبذه من الأحادیث الداله علی علوّ رتبتهم علی الخلق أجمعین، و أنه لیس لأحد ما لهم منه تعالی، فهم علیهم السّلام قد أعطاهم اللّه الجواد المتفضّل من علومه و علوم تلک المقامات و المراتب الکائنه فی الخلق ما به انتظام وجودها، فهم أقطاب الوجود، و عندهم علم الکائنات و جمیع علوم الأنبیاء و الملائکه من علومهم کما

قال علیه السّلام: «و أنهی علم ذلک إلینا» فهم بأمره تعالی ممن بهم قوام الوجود و الواسطه بین الخالق و الخلق و العابد و المعبود، رزقنا اللّه تعالی معرفتهم بمحمد و آله الطاهرین.

[۷۷]قوله علیه السّلام: و إلی جدّکم بعث الروح الأمین (و إن کانت الزیاره لأمیر المؤمنین علیه السّلام، فقل: و إلی أخیک بعث الروح الأمین) .

المراد به جبرئیل علیه السّلام لقوله تعالی: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ اَلْعالَمِینَ. نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِینُ. عَلیٰ قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ اَلْمُنْذِرِینَ. بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ (۱). ثمّ إن

قوله علیه السّلام:

«و إلی جدکم»

إشاره إلی ما شرّفهم اللّه تعالی بأن بعث الروح الأمین إلی جدهم لا إلی جدّ غیرهم، فهذا بیان لشرافتهم، یکون جدّهم ممن بعث إلیه الروح الأمین، فتقدم الظرف لبیان هذه الشرافه و الحیثیه فلا تتوهّم حینئذ أن یقال: إن تقدیم الظرف یدلّ علی الحصر مع أنه لیس بتمام لنزول الروح الأمین علی غیره صلّی اللّه علیه و آله أیضا و إن أجیب عنه تاره بأن البعث الحقیقی هو الأول و هو التجلی الأعظم، و أول ظهور منه تعالی من غیر تعیّن بأی مرتبه، لأنه تجلّ لصفاته و لیس لصفاته حدّ و نعت،

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «و لیس لصفته حدّ محدود، و لا نعت موجود» . و من المعلوم أنّ هذا النحو من البعثه و التجلی و الظهور بحیث لا حدّ لها لا

۱- ۱) الشعراء:۱۹۲-۱۹۵.

یکون إلّا للنبی صلّی اللّه علیه و آله و یدل علیه أیضا ما

فی المحکی عن التوحید عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: و قوله فی آخر الآیات: مٰا زٰاغَ اَلْبَصَرُ وَ مٰا طَغیٰ. لَقَدْ رَأیٰ مِنْ آیٰاتِ رَبِّهِ اَلْکُبْریٰ (۱)رأی جبرئیل فی صورته مرتین هذه و مره أخری و ذلک أن خلق جبرئیل عظیم فهو من الروحانیین الذین لا یدرک خلقهم و صفتهم إلّا اللّه ربّ العالمین. فقد دلّ هذا الحدیث باختصاص بعث جبرئیل کما هو هو بمحمد صلّی اللّه علیه و آله دون سائر النبیین، و من المعلوم أیضا أن رؤیته صلّی اللّه علیه و آله جبرئیل بما هو هو یراد منه التجلی الأعظم کما أشرنا إلیه مرارا إلّا أنه دون الروح الذی هو أعظم منه. ثمّ إن

قوله علیه السّلام

«و إلی جدکم»

بتقدیم الظرف الدال علی الحصر لا ینافی نزول الملائکه علیهم علیهم السّلام حتی جبرئیل، کما تقدم مفصلا فی شرح

قوله علیه السّلام

«و مهبط الملائکه»

و ذلک لأن الکلام فی المقام مسوق لبیان نزول الروح الأمین علیه السّلام علیه صلّی اللّه علیه و آله بعنوان الوحی و التبلیغ الإلهی للرساله و البعثه بالنسبه إلی الأحکام و المعارف التأسیسیه، و نزوله علیه صلّی اللّه علیه و آله بهذا العنوان مختص به صلّی اللّه علیه و آله و هذا لا ینافی نزوله و نزولهم علیهم أی جبرئیل و سائر الملائکه علیهم السّلام بعده صلّی اللّه علیه و آله بعناوین أخر، و هذا هو الجواب لا القول بأن الحصر بلحاظ نزول جبرئیل علیه صلّی اللّه علیه و آله. و هذا لا ینافی نزول غیره من الملائکه علیهم علیهم السّلام بعده صلّی اللّه علیه و آله و ذلک لأنّه قد دلّت أحادیث کثیره علی نزول جبرئیل علیهم علیهم السّلام بعده صلّی اللّه علیه و آله کما لا یخفی علی المتتبع لآثارهم علیهم السّلام.

و فی البحار (۲)عن موسی بن جعفر علیه السّلام. . . إلی أن قال علی: «فکیف أقوی علیک وحدی؟ قال: یعینک جبرئیل و میکائیل و أسرافیل و ملک الموت و إسماعیل صاحب السماء الدنیا. . .» الحدیث.

ص: ۲۴۰

۱- ۱) النجم:۱۷-۱۸.

۲- ۲) البحار ج ۲۲ ص ۴۹۲.

و فیه عن بصائر الدرجات عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «لما قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هبط جبرئیل و معه الملائکه و الروح الذین کانوا یهبطون فی لیله القدر، قال: ففتح لأمیر المؤمنین بصره فرآهم فی منتهی السموات إلی الأرض یغسّلون النبی معه و یصلون معه علیه و یحفرون له، و اللّه ما حفر له غیرهم حتی إذا وضع فی قبره، نزلوا مع من نزل، فوضعوه فتکلّم و فتح لأمیر المؤمنین سمعه فسمعه یوصیهم به فبکی، و سمعهم یقولون: لا نألوه جهدا، و إنما هو صاحبنا بعدک إلّا أنه لا یعایننا ببصره بعد مرتنا هذه. . .» الحدیث.

و فیه عن حلیه الأولیاء و تاریخ الطبری أنّ علی بن أبی طالب کان یغسّل النبی صلّی اللّه علیه و آله و الفضل یصبّ الماء علیه و جبرئیل یعینهما و کان علی یقول: «ما أطیبک حیّا و میّتا!» .

و فیه عن أمالی الصدوق فی قصه وفاه النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال جبرئیل علیه السّلام: «هذا آخر وطئی الأرض إنما کنت حاجتی من الدنیا» .

و فی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن الحکم بن عتیبه قال: لقی رجل الحسین ابن علی بالثعلبیّه و هو یرید کربلاء فدخل علیه و سلّم علیه، فقال له الحسین علیه السّلام: «من أی البلدان أنت؟ فقال من أهل الکوفه، قال: یا أهل الکوفه أما و اللّه لو لقیتک بالمدینه لأریتک أثر جبرئیل من دارنا، و نزوله علی جدی بالوحی. . .» الحدیث،

و فی حدیث آخر: «لأریناک مواطن جبرئیل. . .» الحدیث.

و فیه (۲)بإسناده عن معبد قال: کنت مع أبی عبد اللّه علیه السّلام و ساق الحدیث. . . إلی أن قال: فقال أبی «یا بنی (یعنی الباقر علیه السّلام) هل رأیت الشیخ و صاحبه؟ قلت: نعم، فمن الشیخ و صاحبه؟ فقال: الشیخ ملک الموت و الذی جاء جبرئیل» . فقال المجلسی (رحمه اللّه علیه) لعل المراد (آخر نزولی) لتبلیغ الرساله، فلا ینافی

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۲.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۲۳۳.

أخبار الداله على نزوله عليه السّلام بعد ذلك، انتهى ما نقلناه عنه. و كيف كان فجبرئيل من الملائكه و من أعظمهم قدرا و علوا. ففى المجمع: و اختلف فى حقيقه الملائكه فذهب أكثر المتكلمين لما أنكروا الجواهر المجرّده إلى أن الملائكه و الجنّ أجسام لطيفه قادره على التشكل بأشكال مختلفه. و فى شرح المقاصد: الملائكه أجسام لطيفه نورانيه كامله فى العلم و القدره على الأفعال الشّاقّه، شأنها الطاعات و مسكنها السموات، و هم رسل اللّه إلى الأنبياء يسبّحون الليل و النهار لا يفترون، لا يعصون ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون. و نقل عن المعتزله أنهم قالوا: الملائكه و الجنّ و الشياطين متّحدون فى النوع، و مختلفون باختلاف أفعالهم، أما الذين لا يفعلون إلّا الخير فهم الملائكه، و أما الذين لا يفعلون إلّا الشر فهم الشياطين، و أما الذين يفعلون الخير تاره و الشرّ أخرى فهم الجن، و لذلك عدّ إبليس تاره فى الجن و تاره فى الملائكه، انتهى ما نقلناه منه. أقول: ما ذكره عن جامع المقاصد يشير إلى بعض الملائكه فإن لهم أصنافا ذكرت فى الأحاديث و الآيات كما لا يخفى. و قد يقال بأن حقيقه الملائكه من المجردات، و يراد منها التجرد عن الماده العنصريه و المدّه الزمانيه، و ليس المراد بالمجرد المتصف بالغنى المطلق المستغنى عن كل شىء حتى أنه يلزم أنه لا يحتاج فى تقومه إلى ماده و صوره و لا وقت. أقول: التجرد المطلق أى المتصف بالغنى المطلق عن أى شىء، و الذى هو وجود بحت، فلا ريب فى أنه مختص به تعالى، و لا أظنّ أنّ من يقول بتجرد الملائكه يقول بهذا النحو من التجرد بل أظنّ عدمه، فعليه فالقول: بكونهم من المجردات بما ذكرنا من تجردهم عن المواد العنصريه و المده الزمانيه لا يستلزم زيغا عن سبيل الهدى و اتباعا لأهل الجهل و العمى كما قاله المجلسى (رحمه اللّه عليه) على أنه يمكن أن يقال: بأنهم أجسام لطيفه هو ما ذكرناه من أنهم مجردون عن الماده العنصريه و المده

الزمانيه، فالنزاع كأنه حينئذ لفظى. ثمّ إن من المسلّم من الآيات و الأخبار أن الملائكه لهم حقيقه نورانيه و هم أولو أجنحه مثنى و ثلاث و رباع و أكثر، قادرون على التشكل بأشكال مختلفه، و أنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الأشكال و الصور على حسب الحكم و المصالح،

كما ورد أن جبرئيل قد تصوّر بصوره دحيه الكلبى أو بصوره عصفوره كما لا يخفى، و لهم بلحاظ أصنافهم حركات صعودا أو نزولا و أعمال فى الخلق كما وردت أحاديث فى بيان قوله تعالى: وَ اَلصَّافّاتِ صَفًّا. فَالزّاجِراتِ زَجْراً. فَالتّالِياتِ ذِكْراً (۱)فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً (۲)فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً (۳)الآيات و نحوها الداله على أن لكل صنف منهم أعمالا و عباده مخصوصه، و كانوا بحيث يراهم الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام كما وردت أحاديث كثيره من رؤيه النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام إياهم و هى كثيره جدا فى مطاوى الأحاديث فى الأبواب المتفرقه كما لا يخفى على من له أدنى مراجعه بالأحاديث و الآيات. ثمّ إن المسلّم من الآيات و الأحاديث أنّ لهم أعمالا تدل على تجردهم تجردا ذكره العلماء فى بيان تجرد النفس الناطقه الإنسانيه، و لم يظهر من أحد هناك أنّ التجرد الثابت للنفس الإنسانى هو نحو تجرده تعالى بل يظهر عدمه كما لا يخفى. و كيف كان فالكل متّفقون على أن التجرد الحقيقى بالنحو المتقدم مختصّ له تعالى و أنّ ما سواه من المجردات مجردات بالنسبه إلى ما دونها من الأجسام، و أظنّ أن هذا الاختلاف ظهر ممن لم يمعن النظر فى كلام حكماء الإسلام، الذين كان يعجبهم تطبيق الظواهر الدينيه على المبانى الفلسفيه و آرائهم فى العلوم العقليه، حيث إنهم عمدوا إلى تطبيق الملائكه على العقول المجرده و النفوس الفلكيه، كما أنهم

۱- ۱) الصافات:۱-۳.

۲- ۲) الذاريات:۴.

۳- ۳) النازعات:۵.

فسروا السموات السبع مع الكرسی و العرش بالأفلاک التسعه مع أنها فرضیه فی نفسها، و قد أبطلها العلم الحدیث الرائق، و من الضروره أنّ من أمعن النظر فی کلامهم یعلم أنهم لا یریدون إثبات التجرد لها کما له تبارک و تعالی، و لا أنهم أدخلوا أنفسهم فی المسلمین، لیضیّقوا علیهم دینهم أو یخرّبوا أصولهم کما ذکره المجلسی (رحمه اللّه علیه) کیف و قد شیّدوا کثیرا من الأسس الدینیه و القواعد العقلیه التی یدور علیها کثیر من الأصول الاعتقادیه. نعم فی الفلاسفه من قام البرهان علی سوء نیّته و خبث سریرته نعوذ باللّه تعالی منه، و هذا النحو منهم یکون مسلکه و صراطه ظاهر البطلان بحیث لا خفاء علیه، و قد تصدی علماء الإمامیه الذین نقّحوا الفلسفه عمّا یضادّ الدین، و أبطلوا ما کان منها علی خلاف القرآن و الشریعه المحمدیه علی صاحبها أفضل الصلاه و السلام و التحیه، و ذلک کالفقیه السعید آیه اللّه علی الإطلاق السید الطباطبائی صاحب تفسیر المیزان، هذا مضافا إلی أنه لم یعلم من الفلاسفه خصوصا من المسلمین منهم إنکار الملائکه الجسمانیه مطلقا، بل ربما یلوح من کلامهم القول به فی بعضها. نعم بالنسبه إلی الملائکه الکروبیین و المهیّمین و العالین قالوا بکونهم مجردین بالمعنی المتقدم لا کتجرده تعالی، و لم یثبت إجماع من المسلمین علی أنّ جمیع الملائکه أجسام لطیفه کما ادعاه المجلسی (رحمه اللّه علیه) کیف و المسأله غامضه عقلیه، کیف لنا بتحصیل واقع الأمر من دون نصّ منه تعالی أو من المعصومین علیهم السّلام علی أنهم أجسام أو مجردات، ثم إنه بعد ما لم نقل بأنهم مجردون کتجرده تعالی فالخطب حینئذ سهل و النزاع فیها لا طائل تحته علی أن القول بکونهم مطلقا أجساما لطیفه لم یعلم أنه أقل ضررا من القول بکونهم مجردات مطلقا. و لعمری إنّ فی الأحادیث شواهد علی کونها مجردات أکثر مما استدل به علی کونها أجساما لطیفه، و اللّه العالم بحقائق الأمور. ثم إنه نذکر روایات دالّه علی عظمه جبرئیل علیه السّلام و أنه المطاع الأمین، و منها

یعلم حال البحث السابق. فنقول: عن معانی الأخبار (۱)، قال: جبرئیل معناه عبد اللّه، و میکائیل معناه عبد اللّه و کذلک معنی أسرافیل.

و فی البحار (۲)، عن تفسیر القمی فی قوله تعالی: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ جٰاعِلِ اَلْمَلاٰئِکَهِ رُسُلاً أُولِی أَجْنِحَهٍ مَثْنیٰ وَ ثُلاٰثَ وَ رُبٰاعَ (۳)قال الصادق علیه السّلام: «خلق اللّه الملائکه مختلفه، و قد رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جبرئیل و له ستمائه جناح علی ساقه الدر مثل القطر علی البقل، قد ملأ ما بین السماء و الأرض. . . إلخ» .

و فیه (۴)عن الاختصاص بإسناده عن المعلی بن محمد رفعه إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اللّه عز و جل خلق الملائکه من نور. . .» الحدیث.

و فیه عن مجالس الشیخ بإسناده عن ابن عباس قال: «کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یغدو إلیه علی علیه السّلام فی الغداه، و کان یحبّ أن لا یسبقه إلیه أحد فإذا النبی صلّی اللّه علیه و آله فی صحن الدار، فإذا رأسه فی حجر دحیه بن خلیفه الکلبی فقال: السلام علیک کیف أصبح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ قال: بخیر یا أخا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فقال علی علیه السّلام: جزاک اللّه عنا أهل البیت خیرا، قال له دحیه: إنی أحبّک و إن لک عندی مدیحه أهدیها إلیک، أنت أمیر المؤمنین، و قائد الغرّ المحجّلین، و سید ولد آدم إلی یوم القیامه ما خلا النبیین و المرسلین، و لواء الحمد بیدک یوم القیامه، تزف أنت و شیعتک مع محمد و حزبه إلی الجنان، فقد أفلح من والاک، و خاب و خسر من خلاّک، بحبّ محمد أحبوک و ببغضه أبغضوک، لا تنالهم شفاعه محمد صلّی اللّه علیه و آله ادن من صفوه اللّه فأخذ رأس النبی صلّی اللّه علیه و آله فوضعه فی حجره، فانتبه النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال: ما هذه الهمهمه؟ فأخبره»

۱- ۱) معانی الأخبار ص ۴۹.

۲- ۲) البحار ج ۵۹ ص ۱۷۴.

۳- ۳) فاطر:۱.

۴- ۴) البحار ج ۵۲ ص ۱۹۰.

الحديث، فقال: لم يكن دحيه، كان جبرئيل، سماك باسم سماك اللّه تعالى به، و هو الذى ألقى محبتك فى قلوب المؤمنين و رهبتك فى صدور الكافرين» .

و فيه عن النهج عن نوف البكالى قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أيّها المتكلّف لوصف ربك، فصف جبرئيل و ميكائيل و جنود الملائكه المقربين فى حجرات القدس مرجحين متوالهه عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين» .

و فيه (۱)عن تفسير القمى و قال أبو جعفر عليه السّلام: «إن اللّه خلق إسرافيل و جبرئيل و ميكائيل من سبحه واحده، و جعل لهم السمع و البصر و موجود (جوده) العقل و سرعه الفهم» .

و فيه عن الصحيفه السجاديه على منشيها آلاف الثناء و التحيّه. . . إلى أن قال عليه السّلام «و جبرئيل الأمين على وحيك، المطاع فى أهل سمواتك، المكين لديك، المقرّب عندك» .

و فيه (۲)عن الخصال بإسناده عن أبى الحسن الأول، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «إن اللّه تبارك و تعالى اختار من كلّ شيء أربعه، اختار من الملائكه: جبرئيل و ميكائيل و أسرافيل و ملك الموت» ، الخبر.

و فيه عن القصص عن أبى جعفر عليه السّلام أنه قال: «إن اللّه خلق الملائكه روحانيين لهم أجنحه يطيرون بها حيث يشاء اللّه، فأسكنهم فيما بين أطباق السموات، يقدّسونه الليل و النهار، و اصطفى منهم أسرافيل و ميكائيل و جبرئيل» . أقول: قوله: «روحانيين» لعله ظاهر فى كونهم مجردين، و اللّه العالم.

و فيه عن الاختصاص بإسناده عن ابن عباس قال عبد اللّه بن سلام للنبى صلّى اللّه عليه و آله فيما سأله: من أخبرك؟ قال النبى صلّى اللّه عليه و آله: «جبرئيل، قال: عمن؟ (قال) قال: عن ميكائيل: قال: عمّن؟ (قال) قال: عن أسرافيل، قال: عمّن؟ (قال) قال: عن اللوح

۱- ۱) البحار ج ۵۹ ص ۱۷۵.

۲- ۲) البحار ج ۵۹ ص ۲۵۰.

المحفوظ، قال: عمّن؟ قال: عن القلم، قال: عمّن؟ قال: عن ربّ العالمين، قال: صدقت (يا محمد) ، فأخبرنی عن جبرئيل فی زی الإناث أم فی زی الذكور؟ قال: فی زی الذكور، قال: فأخبرنی ما طعامه و ما شرابه؟ قال: طعام التسبيح و شرابه التهليل، قال: صدقت يا محمد فأخبرنی ما طول جبرئيل؟ قال: إنه علی قدر بين الملائكه، ليس بالطويل العالی و لا بالقصير المتدانی، له ثمانون ذؤابه و قصّه جعده و هلال بين عينيه، أغرّ أدعج محجّل، ضوؤه بين الملائكه كضوء النهار عند ظلمه الليل، له أربعه و عشرون جناحا خضراء مشبّكه بالدّر و الياقوت مختمه باللؤلؤ، و عليه وشاح بطانته الرحمه، و أزراره الكرامه، ظهارته الوقار ريشه الزعفران، واضح الجبين، أقنی الأنف، سائل الخدّين، مدوّر اللحيين، حسن القامه، لا يأكل و لا يشرب، و لا يملّ و لا يسهو، قام (قائم) بوحی اللّه إلی يوم القيامه، قال: صدقت يا محمد» . ثم ساق الحديث. . إلی أن قال: و ما الثلاثه؟ قال صلّی اللّه عليه و آله: «جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل، و هم رؤساء الملائكه، و هم علی وحی ربّ العالمين» .

و فيه (1)عن الكافی بإسناده عن أبی جعفر عليه السّلام قال: «إنّ فی الجنه نهرا يغتمس فيه جبرئيل كلّ غداه، ثم يخرج منه فينفضّ، فيخلق اللّه عز و جل من كلّ قطره منه تقطر ملكا» .

و فيه عن الدر المنثور عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله: «أفضل الملائكه جبرئيل» .

و عن موسی بن أبی عائشه، قال: «بلغنی إنّ جبرئيل إمام أهل السماء» .

و عن جابر بن عبد اللّه، قال: «إنّ جبرئيل موكل بحاجات العباد، فإذا دعاه المؤمن قال: يا جبرئيل احبس حاجه عبدی، فإنی أحبّه و أحبّ صوته، و إذا دعا الكافر قال: يا جبرئيل اقض حاجه عبدی فإنی أبغضه و أبغض صوته» .

۱- ۱) البحار ج ۵۹ ص ۲۵۵.

و عن شریح بن عبید أنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله «لمّا صعد إلی السماء رأی جبرئیل فی خلقته منظوم أجنحته بالزبرجد و اللؤلؤ و الیاقوت، قال: فخیّل إلیّ أنّ ما بین عینیه قد سدّ الأفق، و کنت أراه قبل ذلک علی صور مختلفه، و أکثر ما کنت أراه علی صوره دحیه الکلبی، و کنت أحیانا أراه کما یری الرجل صاحبه من وراء الغربال» .

و فیه عن الدر المنثور: عن ابن عباس، عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: «ما بین منکبی جبرئیل مسیره خمسمائه عام للطائر السریع الطیران» .

و عن ابن شهاب أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «سأل جبرئیل أن یتراءی له فی صورته، فقال جبرئیل: إنک لن تطیق ذلک، قال: إنّی أحبّ أن تفعل، فخرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی المصلی فی لیله مقمره، فأتاه جبرئیل فی صورته فغشی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حین رآه، ثم أفاق و جبرئیل مسنده و واضع إحدی یدیه علی صدره، و الأخری بین کتفیه. فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ما کنت أری أنّ شیئا ممن یخلق هکذا، فقال جبرئیل: فکیف لو رأیت إسرافیل؟ إنّ له لاثنی عشر جناحا منها جناح فی المشرق، و جناح فی المغرب، و إنّ العرش علی کاهله، و إنه لیتضاءل الأحیان لعظمه اللّه حتی یصیر مثل الوصع حتی ما یحمل عرشه إلاّ عظمته» . أقول: الوصع طائر أصغر من العصفور. و هذا الحدیث من العامه

و قوله علیه السّلام: «إنک لن تطیق ذلک» أی بلحاظ الجهه البشریه أی الجنبه البشریه لا تتمکن لها أن تصیر معرضا لرؤیته، لأن هذه جسمانیه و تلک أی حقیقه جبرئیل روحانیه عظیمه، و لکن النبی صلّی اللّه علیه و آله له حقیقه إلهیه تصغر جبرئیل عن درکها و مشاهدتها کما حقق فی محله.

و فیه عنه قال: و روی أنّ جبرئیل أتی النبی صلّی اللّه علیه و آله و هو یبکی، فقال: «و ما یبکیک؟ قال: ما لی لا أبکی؟ فو اللّه ما جفّت لی عین منذ خلق اللّه النار مخافه أن أعصیه فیقذفنی فیها، و قال: ما ضحک میکائیل منذ خلقت النار» .

و عن عكرمه قال: سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله جبرئيل عن أكرم الخلق على اللّه فعرج ثمّ هبط فقال: «أكرم الخلق على اللّه جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت، فأمّا جبرئيل فصاحب الحرب و صاحب المرسلين، و أمّا ميكائيل فصاحب كلّ قطره تسقط، و كل ورقه تنبت، و كلّ ورقه تسقط، و أما ملك الموت فهو موكّل بقبض روح كل عبد فى برّ أو بحر، و أما أسرافيل فأمين اللّه بينه و بينهم» .

و فيه (۱)عن معاويه بن قرّه: قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لجبرئيل: «ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي اَلْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (۲)ما كانت قوّتك؟ و ما كانت أمانتك؟ قال: أما قوّتى فإنى بعثت إلى مدائن قوم لوط و هى أربع مدائن، و فى كل مدينه أربعمائه ألف مقاتل سوارى الذارى، حملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج و نباح الكلاب، و هويت بهن فقتلتهنّ. و أما أمانتى فلم أومر بشىء فعدوته إلى غيره» .

و عن ابن صالح فى قوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (۳)قال: «جبرئيل مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (۴)قال: على سبعين حجابا يدخلها بغير إذن» . ثمّ إنّ شرح هذه الأحاديث مما يطول بيانه على أنه من الغوامض الذى لا يصل إليها كثير من الأفهام خصوصا ممن هو مثلى قليل البضاعه من العلم و الفهم، و حينئذ فالأحسن توكيله إلى محلّه و إلى أهله.

قوله عليه السّلام: آتاكم اللّه ما لم يؤت أحدا من العالمين.

و كيف لا يكونون كذلك و هم ورثه خاتم النبيين، و عتره خيره ربّ العالمين؟

۱- ۱) البحار ج ۵۹ ص ۲۶۳.

۲- ۲) التكوير:۲۰-۲۱.

۳- ۳) التكوير:۱۹.

۴- ۴) التكوير:۲۰.

كيف لا و قد آتاهم اللّه من العلوم الربانيه، و المعارف الحقّانيه، و الأسرار الإلهيه، و الفضائل النفسانيه و الأخلاق الملكوتيه؟ ثمّ إن المخاطب هنا يعمّ جدّهم صلّى اللّه عليه و اله أيضا و إلّا فيستثنى جدّهم عقلا و نقلا من العالمين كما لا يخفى. و كيف كان فقد آتاهم اللّه ما آتاه لغيرهم من النبيين و المرسلين، و آتاهم ما لم يؤت غيرهم إما كلّا أو بنحو الأتمّ الأكمل، أى أن ما آتاهم اللّه إما لم يؤته بتمامه أحدا من العالمين، أو أنه تعالى أعطى غيرهم بعض ما آتاهم عليهم السّلام من الفضيله أو الفضائل و أما المرتبه الكامله منها فهو مختصّ بهم عليهم السّلام و هى أمور لا تحصى، و نحن نذكر بعضها، فمنها أنه قد دلّت أحاديث على أنهم عليهم السّلام كالنبى صلّى اللّه عليه و اله يرون أعمال العباد و تعرض عليهم أعمالهم.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)، عن محمد بن مسلم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام:

اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اَللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ. . . قال: «إنّ للّه شاهدا فى أرضه، و إنّ أعمال العباد تعرض على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» .

و فى حديث قبله: عنه عن أحدهما عليهما السّلام و فيه: «للّه شهداء فى أرضه» .

و فيه عن أمالى الشيخ الطائفه (رحمه اللّه عليه) بإسناده إلى عمر بن أذينه قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فقلت له: جعلت فداك قول اللّه عز و جل: وَ قُلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اَللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ ، قال: «إيانا عنى» .

و فى حديث آخر قال: «هم الأئمه عليهم السّلام» .

و فيه عن عبد اللّه بن أبان الزيّات و كان مكينا عند الرضا عليه السّلام قال: قلت للرضا عليه السّلام: «ادع اللّه لى و لأهل بيتى، فقال: أ و لست أفعل؟ و اللّه إن أعمالكم لتعرض علىّ فى كلّ يوم و ليله، قال: فاستعظمت ذلک، فقال: أ ما تقرأ كتاب اللّه عز و جل: وَ قُلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اَللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ ، قال: هو و اللّه على بن أبى طالب عليه السّلام» .

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۲۶۲.

هذا و منها أنّ جميع ما أعطاه اللّه للأنبياء السابقين من الكتب فهو عندهم عليهم السّلام.

ففى بصائر الدرجات (۱)، عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال لى يا أبا محمد: «إنّ اللّه لم يعط الأنبياء شيئا إلاّ و قد أعطى محمدا صلّى اللّه عليه و آله جميع ما أعطى الأنبياء، و عندنا الصحف التى قال اللّه: صُحُفِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ (۲)، قلت جعلت فداك و هى الألواح؟ قال: نعم» .

و فيه (۳)عن المفضل قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام «ورث سليمان داود، و إنّ محمدا ورث سليمان و إنّا ورثنا محمدا صلّى اللّه عليه و آله و إنا عندنا علم التوراه و الإنجيل و الزبور و تبيان ما فى الألواح، قال: قلت و هو العلم؟ قال: ليس هذا العلم إنما العلم ما يحدث يوما بيوم و ساعه بساعه» . و يلحق بهذه الفضيله علمهم عليهم السّلام بالتوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان و إن عندهم الجفر و الجامعه.

ففيه (۴)عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لو كسرت لى وساده و قعدت عليها، لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم، و أهل الإنجيل بإنجيلهم، و أهل الزبور بزبورهم، و أهل الفرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلى اللّه يزهر، و اللّه ما نزلت آيه فى كتاب اللّه فى ليل أو نهار إلاّ و قد علمت فيمن أنزلت، و لا ممن مرّ على رأسه المواسى من قريش إلاّ و قد نزلت فيه آيه من كتاب اللّه تسوقه إلى الجنّه أو إلى النار، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الآيه التى نزلت فيك؟ قال له: أ ما سمعت اللّه يقول: أَ فَمَنْ كٰانَ عَلىٰ بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شٰاهِدٌ مِنْهُ (۵)قال: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على بيّنه من ربّه و أنا شاهد له فيه و أتلوه معه» .

ص: ۲۵۱

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۳۶.

۲- ۲) الأعلى:۱۹.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۱۳۸.

۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۱۳۲.

۵- ۵) هود:۱۷.

و فی حدیث آخر فی ذیله: «و لو لا آیه فی کتاب اللّه لأنبأتکم بما یکون حتی تقوم الساعه» .

و فیه (۱)عن منصور بن حازم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت: «إنّ الناس یذکرون أنّ عندکم صحیفه طولها سبعون ذراعا فیها ما یحتاج إلیه الناس و إنّ هذا هو العلم، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام لیس هذا هو العلم، إنما هو أثر عن رسول اللّه، إنّ العلم الذی یحدث فی کل یوم و لیله» . أقول: لعلّ هذه الصحیفه هی الجامعه التی ذکرت فی أخبار أخر، نعم هذه غیر الجفر و غیر مصحف فاطمه علیها السّلام و أجمع حدیث فی هذا الباب

ما فیه (۲)بإسناده عن أبی بصیر قال: دخلت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فقلت: إنی أسألک جعلت فداک عن مسأله، فلیس هاهنا أحد یسمع کلامی، فرفع أبو عبد اللّه علیه السّلام سترا بینی و بین بیت آخر فاطّلع فیه، ثم قال: یا أبا محمد سل عما بدا لک، قال: قلت: جعلت فداک إنّ الشیعه یتحدّثون أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علّم علیا بابا یفتح منه ألف باب، قال: فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: یا أبا محمد علّم و اللّه رسول اللّه علیّا ألف باب یفتح له من کلّ باب ألف باب، قال: قلت له: و اللّه هذا العلم، فنکت ساعه فی الأرض. ثم قال: إنه لعلم و ما هو بذلک. ثم قال: یا أبا محمد و إنّ عندنا الجامعه و ما یدریهم ما الجامعه؟ ! قال: قلت جعلت فداک و ما الجامعه؟ قال: صحیفه طولها سبعون ذراعا بذراع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و إملاء من فلق فیه و خطّ علی علیه السّلام بیمینه، فیها کلّ حلال و حرام، و کلّ شیء یحتاج الناس إلیه حتی الأرش فی الخدش، و ضرب بیده إلیّ فقال: أ تأذن لی یا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداک إنما أنا لک أصنع ما شئت، قال: فغمزنی بیده، فقال: حتی أرش هذا کأنّه مغضب، قال: قلت: جعلت فداک هذا و اللّه العلم، قال: إنه لعلم و لیس

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۳۹.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۱۵۱.

بذلک، ثمّ سکت ساعه. . ثمّ قال: إنّ عندنا الجفر مسک شاه أو جلد بعیر، قال: قلت: جعلت فداک ما الجفر؟ قال: وعاء أحمر أو أدم (و أدم) أحمر فیه علم النبیین و الوصیین، قلت: هذا و اللّه هو العلم، قال: إنه لعلم و ما هو بذلک، ثم سکت ساعه. ثم قال: و إنّ عندنا لمصحف فاطمه علیها السّلام و ما یدریهم ما مصحف فاطمه؟ ! قال (۱): مصحف فیه مثل قرآنکم هذا ثلاث مرات، و اللّه ما فیه من قرآنکم حرف واحد، إنما هو شیء أملاها اللّه و أوحی إلیها، قال: قلت: هذا و اللّه هو العلم، قال: إنّه لعلم و لیس بذلک، قال: ثم سکت ساعه. ثمّ قال: إنّ عندنا لعلم ما کان و ما هو کائن إلی أن تقوم الساعه، قال: قلت جعلت فداک هذا و اللّه هو العلم، قال: إنه لعلم و ما هو بذاک، قال: قلت: جعلت فداک فأی شیء هو العلم؟ قال: ما یحدث باللیل و النهار، الأمر بعد الأمر، و الشیء بعد الشیء إلی یوم القیامه» . أقول: قد تکرر هذا الکلام أی

قوله علیه السّلام: «ما یحدث باللیل و النهار» أو

قوله: «ما یحدث ساعه بعد ساعه» کما تقدم، و هذا یشیر إلی معنی غیر ما أرید به

فی قوله علیه السّلام: «إنّ عندنا لعلم ما کان و ما هو کائن إلی أن تقوم الساعه» و إلّا لکان مستدرکا، فیقع الکلام فی أنه ما المراد منه؟ و قد تقدم بیانه فی أوائل الشرح. و حاصله أنه یشیر إلی التجلیات الربوبیه فی قلوبهم علیهم السّلام منه تعالی حیث لا نهایه لعلمه تعالی، و لا نهایه لتجلیّاته لقوله تعالی: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً (۲)فهو دائما یأمرهم بطلب العلم منه و هم علیهم السّلام یطلبون العلم منه تعالی دائما امتثالا لقوله تعالی هذا، و هو تعالی یجیبهم بما یحدث لهم فی قلوبهم الشریفه عن التجلیات الإلهیه، و العلم عند اللّه.

ص :۲۵۳

۱- ۱) لعلّ هنا سقطا بقرینه نظائره و هو قلت: جعلت فداک و ما مصحف فاطمه علیها السّلام؟

۲- ۲) طه:۱۱۴.

و يلحق بهذه الفضيله علمهم بأسماء الملوك برّهم و فاجرهم، كما دلّت عليه أحاديث من أنها مذكوره فى مصحف فاطمه عليها السّلام و أخبارها مذكوره فى بصائر الدرجات ص ١٦٩. و يلحق بها أيضا علمهم عليهم السّلام بأسماء شيعتهم المكتوبه فى صحيفه كبيره عندهم، و تدلّ عليه أحاديث كثيره ذكرها فى بصائر الدرجات ص ١٧١. و يلحق بهذه الفضيله علمهم بأسماء أهل الجنه و أهل النار إلى يوم القيامه.

ففيه (١)عن الأعمش، قال: قال الكلبى: ما أشد ما سمعت فى مناقب على بن أبى طالب عليه السّلام قال: قلت: حدثنى موسى بن طريف عن عبايه، قال: سمعت عليا عليه السّلام يقول: «أنا قسيم النار، فقال الكلبى: عندى أعظم مما عندك، أعطى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليا كتابا فيه أسماء أهل الجنه و أسماء أهل النار» . أقول: و مثله أحاديث أخر ذكرها فى هذا الباب. و منها: ما تقدم آنفا أنّ عندهم جميع الاسم الأعظم بجميع حروفه و قد كان عند الأنبياء السابقين نحو اثنين أو ثمانيه إلى خمسه و عشرين. و منها: ما تقدم من حديث خيثمه الجعفى عن الباقر عليه السّلام و فيه بيان مقامهم الذى أعطاه اللّه تعالى إياهم. و منها: أنّ الأئمه كان الجن تأتى إليهم و يسأل عن الحلال و الحرام.

ففى بصائر الدرجات (٢)، بإسناده عن أبى حمزه الثمالى قال: كنت أستأذن على أبى جعفر عليه السّلام فقيل: عنده قوم أثبت قليلا حتى يخرجوا، فخرج قوم أنكرتهم و لم أعرفهم، ثم أذن لى فدخلت عليه فقلت: جعلت فداك هذا زمان بنى أميّه و سيفهم يقطر دما فقال لى: «يا أبا حمزه هؤلاء وفد شيعتنا من الجن جاءوا يسألوننا عن معالم دينهم» .

١- ١) بصائر الدرجات ص ١٩٢.

٢- ٢) بصائر الدرجات ص ٩۶.

أقول: و مثله أمثال كثيره. و منها: نزول الملائكه و جبرئيل فی دارهم كما تقدم آنفا و سابقا. و منها: أنه تعالی أوجب طاعتهم و مودّتهم، و أنّ كل شیء یطیعهم و أمرهم فیهم نافذ.

ففیه بإسناده عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: أَمْ یَحْسُدُونَ اَلنّاسَ عَلیٰ مٰا آتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَیْنٰا آلَ إِبْرٰاهِیمَ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَهَ وَ آتَیْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِیماً (۱)ما ذلك الملك العظیم؟ قال: «فرض الطاعه و من ذلك طاعه جهنم لهم یا هشام» .

و فی حدیث فیه (۲)آخر فی ذیله: «و نحن أهل هذا الملك الذی یعود إلینا» .

و فیه بإسناده عن أبی الصامت فی قول اللّه عز و جل: وَ سَخَّرَ لَكُمْ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ (۳)قال: «أجبر بطاعتهم» . و تقدم المحكی عن لیث بن شداد فی طاعه الحمی للحسین علیه السّلام و قد تقدم سابقا شرحه. و منها: ما تقدم آنفا عن أبی الحسن الأول من أنهم ورثوا هذا القرآن، الذی فیه ما یقطع به الجبال و یقطع به المدائن و یحیی به الموتی. و منها: أنهم كما وصفوا أنفسهم

فیما رواه فی بصائر الدرجات (۴)، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام كان أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: «أنا علم اللّه، و أنا قلب اللّه الواعی، و لسان اللّه الناطق، و عین اللّه الناظره، و أنا جنب اللّه، و أنا ید اللّه» . و مثله غیره من الأحادیث و هی كثیره جدا، و تقدم أغلبها فی مطاوی الشرح.

ص: ۲۵۵

۱- ۱) النساء:۵۴.
۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۳۶.
۳- ۳) الجاثیه:۱۳.
۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۶۴.

و منها: أنّ الملائكه يدينون بولايتهم.

ففيه (۱)بإسناده عن أبی الصباح الکنانی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول: «و اللّه إنّ فی السماء لسبعین صنفا (صفّا) من الملائکه، لو اجتمع علیهم أهل الأرض کلّهم یحصون عدد کل صنف منهم ما أحصوهم، و إنهم لیدینون بولایتنا» ، و مثله غیره. و منها: أنه تعالی خصّ الأئمه علیهم السّلام بولایه أولی الأمر لهم فی المیثاق.

ففیه (۲)بإسناده عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: وَ لَقَدْ عَهِدْنٰا إِلیٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (۳)قال: «عهد إلیه فی محمد و الأئمه من بعده، فترک و لم یکن له عزم فیهم أنهم هکذا، و إنما سمی أولو العزم أولی العزم، لأنه عهد إلیهم فی محمد و الأوصیاء من بعده و المهدی و سیرته فأجمع عزمهم أنّ ذلک کذلک و الإقرار به» . و مثله أحادیث أخر کثیره. و یلحق بهذه الفضیله أنه ما بعث نبی إلاّ بولایتهم و الإقرار بفضلهم و أنّ ولایتهم ولایه اللّه.

ففیه (۴)عن أبی الحسن علیه السّلام قال: «ولایه علی مکتوبه فی جمیع صحف الأنبیاء، و لن یبعث اللّه نبیا إلاّ بولایه محمد و ولایه وصیّه علی علیه السّلام» .

و فیه عن عبد الأعلی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «ما نبّی نبی قطّ إلاّ بمعرفه حقّنا و بفضلنا عمن سوانا» .

و فیه (۵)عن محمد بن عبد الرحمن عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال: «ولایتنا ولایه اللّه التی لم یبعث نبیّا قطّ إلاّ بها» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۶۷.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۷۰.

۳- ۳) طه:۱۱۵.

۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۷۲.

۵- ۵) بصائر الدرجات ص ۷۵.

و منها: أنّ ولايتهم عرضت على أهل السموات و الأرض و على السموات و الأرض و الجبال و الأمصار، فعرضت على جميع الموجودات لا على خصوص ذوى العقول كما توهمه بعض من لا بصيره له، و قد تقدم شرحه.

ففيه (۱)عن حبه العرنى قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إن اللّه عرض ولايتى على أهل السموات و على أهل الأرض، أقرّ بها من أقرّ و أنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه اللّه فى بطن الحوت حتى أقرّ بها» .

و فيه عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إنّ ولايتنا عرضت على السموات و الأرض و الجبال و الأمصار، ما قبلها قبول أهل الكوفه» . أقول: قوله و الجبال يشير إلى عرضها على غير ذوى العقول أيضا كما فى الآيه المباركه، و تقدم حديث شراء سلمان البطيخ لأمير المؤمنين عليه السّلام

و قوله عليه السّلام: «إنّ ولايتى عرضت على كلّ شىء» ، و تقدم مع شرحه فراجعه. و منها: أنه تعالى دعا الخلق إلى ولايتهم فى الذّر فأقرّ من أحب و أنكرها من أبغض.

ففيه عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه تبارك و تعالى: فَمِنْكُمْ كٰافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ (۲)قال: «عرف اللّه و اللّه إيمانهم بولايتنا و كفرهم بها يوم أخذ اللّه عليهم الميثاق فى صلب آدم و هم ذرّ» . و تقدم شرحه. و منها: أنهم شهداء فى خلقه. و تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و شهداء دار البقاء» . و منها: أنهم يعرفون محبيهم و مبغضيهم فى الميثاق. و قد تقدم. و منها: أنهم خزان اللّه فى الدارين.

ص: ۲۵۷

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۷۵.

۲- ۲) التغابن:۲.

ففیه (۱)بإسناده عن سدیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول: «نحن خزان اللّه فی الدنیا و الآخره و شیعتنا خزاننا و لولانا ما عرف اللّه» . أقول: تقدم أنه لولاهم ما عرف اللّه جمیع الخلق حتی الملائکه. إذ علمت أنّ نورهم أول ما خلق اللّه تعالی، و أنهم سبّحوا فسبّحت الملائکه إلی آخر ما تقدم حدیثه و شرحه. و منها: أن جمیع العلوم الإلهیه إلاّ ما خصّه اللّه تعالی لنفسه فهو عندهم و قد تقدم آنفا. و منها: أنه لا یحجب عنهم شیء من أمر، و أنّ عندهم جمیع ما یحتاج إلیه، و عندهم علم البلایا و المنایا.

ففیه (۲)بإسناده عن إسماعیل الأزرق قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إن اللّه أحکم و أکرم و أجلّ و أعلم من أن یکون احتجّ علی عباده بحجه، ثمّ یغیب عنهم شیئا من أمرهم» . و فی آخر فی ذیله ثمّ یخفی عنه شیئا من أخبار السماء و الأرض.

و فیه فی حدیث طویل عن الرضا علیه السّلام و فیه «فنحن أمناء اللّه فی أرضه» ، «عندنا علم المنایا و البلایا و أنساب العرب و مولد الإسلام. . .» الحدیث. و منها: أنهم یعلمون ما فی السموات و ما فی الأرض، و ما فی الجنه و ما فی النار، و ما کان و ما هو کائن إلی یوم القیامه. و قد تقدم آنفا الأحادیث الداله علیه. و منها: أنه یزاد لهم علیهم السّلام فی لیالی الجمعه من العلم المستفاد و هذا فضیله عظیمه جدا.

ففیه (۳)عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «ما من لیله جمعه إلاّ و لأولیاء اللّه فیها سرور،

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۰۵.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۱۲۲.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۱۳۱.

قلت: کیف ذاک جعلت فداک؟ قال: إذا کان لیله الجمعه وافی رسول اللّه العرش و وافی الأئمه العرش و وافیت معهم فما أرجع إلاّ بعلم مستفاد، و لو لا ذلک لنفد ما عندنا» . أقول: و مثله أحادیث أخر و فی بعضها أضیف إلیهم علیهم السّلام و أرواح النبیین، و هذا لا ینافی اختصاص هذه الفضیله بهم، لأنّ غیرهم یستفید منه تعالی بقدر ظرفه و شأنه، و قد علمت أنهم أقرب الخلق إلیه تعالی فلا محاله لهم حینئذ خصوصیه لیس لغیرهم، بل فی تلک الحاله لا تستفید أرواح سائر النبیین منه تعالی إلاّ بواسطتهم کما هو مقتضی الأقربیه کما لا یخفی. و منها: أنهم یعلمون جمیع القرآن الذی أنزل، و یعلمون تفسیره و تأویله، و أنه فی أی وقت و کیفیه و فی أی شخص نزل.

ففیه (۱)عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام أنه قال: «ما یستطیع أحد أن یدّعی جمع القرآن کله ظاهره و باطنه غیر الأوصیاء» .

و فیه عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إنّ للقرآن تأویلا فمنه ما قد جاء و منه ما لم یجئ، فإذا وقع التأویل فی زمان إمام من الأئمه عرفه إمام ذلک الزمان» .

و فیه عن زراره عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «تفسیر القرآن علی سبعه أحرف منه ما کان و منه ما لم یکن بعد ذلک تعرفه الأئمه» .

و فیه عن عبد الأعلی بن أعین قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «قد ولدنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أنا أعلم کتاب اللّه، و فیه بدء الخلق و ما هو کائن إلی یوم القیامه، و فیه خبر السماء و خبر الأرض و خبر الجنه و خبر النار، و خبر ما کان و خبر ما هو کائن، أعلم ذلک کأنما أنظر إلی کفی، إن اللّه یقول: فیه تِبْیٰاناً لِکُلِّ شَیْءٍ و تقدم علمهم علیهم السّلام و علم علی علیه السّلام بآیات القرآن من الناسخ و المنسوخ و الحرام و الحلال

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۹۳.

و السفريه منها و الحضريه و الليليه و النهاريه و عددها و فيمن نزلت» فقد دلّت أحاديث على هذا. فمنه ما فيه (۱)عن أبى الحسن عليه السّلام يذكر هذا مفصّلا و حديثه تقدم فلا نعيده. منها: ما تقدم من أنهم عليهم السّلام أعطوا مضافا إلى جميع العلوم علم المنايا و البلايا و الوصايا و فصل الخطاب و العصا و الميسم. و تقدمت أحاديثه التى منها

ما فيه (۲)عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته (أى الراوى) «عندى علم المنايا و البلايا و الوصايا و الأنساب (و الأسباب، البحار) و فصل الخطاب، و مولد الإسلام و مولد الكفر، و أنا صاحب الكرّات و دوله الدول، فاسألونى عما يكون إلى يوم القيامه» . و منها: أنهم الراسخون فى العلم.

ففيه عن أبى الصباح الكنانى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام «يا أبا الصالح نحن قوم فرض اللّه طاعتنا، لنا الأنفال و لنا صفو المال، و نحن الراسخون فى العلم، و نحن المحسودون الذين قال اللّه: أَمْ يَحْسُدُونَ اَلنّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اَللّهُ مِنْ فَضْلِهِ (۳)» و مثله أخبار أخر. و منها: أنهم عليهم السّلام الذين أوتوا العلم علم القرآن و أثبت فى قلوبهم.

ففيه (۴)عن بريد بن معاويه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت له: قول اللّه: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (۵)قال: «إيانا عنى» . و منها: أن ليله القدر و ما ينزل فيها و نزول الملائكه فيها تكون لهم.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۹۸.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۲۰۲.

۳- ۳) النساء:۵۴.

۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۲۰۴.

۵- ۵) العنكبوت:۴۹.

ففيه (۱)بإسناده عن بريده قال: كنت جالسا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على عليه السّلام معه إذ قال «يا على أ لم أشهدك معى سبعه مواطن، الموطن الخامس ليله القدر خصّصنا ببركتها ليست لغيرنا؟» .

و فيه عن معلى بن خنيس عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إذا كان ليله القدر كتب اللّه فيها ما يكون ثمّ يرينى (يرمى به) قال: قلت إلى من قال إلى من ترى يا أحمق» . و منها: ما يختصّ بهم أو بمن علّموه و هو أنهم عليهم السّلام المتوسّمون.

ففيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «ليس مخلوق إلاّ و بين عينيه مكتوب أنه مؤمن أو كافر، و ذلك محجوب عنكم، و ليس بمحجوب من الأئمه من آل محمد صلّى اللّه عليه و آله ليس يدخل عليهم أحد إلاّ عرفوه هو مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآيه: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ (۲)فهم المتوسّمون، ثمّ إن بعض شيعتهم ربما يعلم هذا العلم بقدر نورانيّته.

ففيه عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ قال: «هم الأئمه، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اتّقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه فى قوله: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ » . أقول: يمكن أن يراد من المؤمن فى قوله صلّى اللّه عليه و آله: الأئمه عليهم السّلام و ذلك لمناسبه قوله صلّى اللّه عليه و آله بعد قوله تعالى هم الأئمه، و عليه فهذه الفضيله مختصّه بهم عليهم السّلام نعم يمكن أن يعلّموها لغيرهم. و منها: أنهم عليهم السّلام أعطوا خزائن الأرض.

و فيه (۳)بإسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: دخلت عليه فشكوت إليه الحاجه، قال: فقال: «يا جابر ما عندنا درهم، فلم ألبث أن دخل عليه الكميت، فقال

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۲۲.

۲- ۲) الحجر:۷۵.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۳۷۶.

له: جعلت فداک إن رأيت أن تأذن لی حتی أنشدک قصيده، قال: فقال: أنشد، فأنشده قصيده، فقال: يا غلام أخرج من ذلک البيت بدره فادفعها إلی الکميت، قال: فقال له: جعلت فداک إن رأيت أن تأذن لی أنشدک قصيده أخری، قال له: أنشد ثم قال: يا غلام أخرج من ذلک البيت بدره فادفعها إلی الکميت، قال: فأخرج بدره فدفعها إليه، قال: فقال له: جعلت فداک إن رأيت أن تأذن لی أنشدک ثالثه، قال له: أنشد، فأنشده قصيده فقال: يا غلام أخرج من ذلک البيت بدره فادفعها إليه، قال: فأخرج بدره فدفعها إليه، فقال الکميت: جعلت فداک و اللّه ما أحبکم لغرض الدنيا، و ما أردت بذلک إلاّ صله رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و ما أوجب اللّه علیّ من الحق، قال: فدعا له أبو جعفر عليه السّلام، ثم قال: يا غلام ردّها إلی مکانها، قال: فوجدت فی نفسی، و قلت: قال ليس عندی درهم، و أمر للکميت بثلاثين ألف درهم، قال: فقام الکميت و خرج، قلت له: جعلت فداک، قلت: ليس عندی دراهم، و أمرت للکميت بثلاثين ألف درهم، فقال لی: يا جابر قم و ادخل البيت، قال: فقمت و دخلت البيت فلم أجد منه شيئا، فخرجت إليه فقال لی: يا جابر ما سترنا عنکم أکثر مما أظهرنا لکم، فقام فأخذ يدی و أدخلنی البيت، ثم قال (قام) و ضرب برجله الأرض، فإذا شبيه بعنق البعير قد خرجت من ذهب، ثمّ قال لی: يا جابر انظر إلی هذا و لا تخبر به أحدا إلاّ من تثق به من إخوانک، إن اللّه أقدرنا علی ما نريد، و لو شئنا أن نسوق الأرض بأذمّتها لسقناها» . أقول: و مثله أحاديث أخر، و يعلم منها أنهم عليهم السّلام قد أعطاهم اللّه تعالی قدره لو شاءوا جعلوا الأرض أو غيرها ذهبا أو غير ذهب من الجواهر، و منه يعلم أيضا أن خزائن الأرض ليست جواهر أو ذهبا مدفونه فيها، بل خزائنها هی کلّها إذا تعلّقت بها إراده ولی اللّه بأن تصير ذهبا مثلا، و هذا نظير

ما فی الحديث القدسی مما حاصله: أنّ موسی عليه السّلام سأل ربّه، فقال: «يا ربّ أرنی خزائنک؟ فقال اللّه تعالی: خزائنی بين الکاف و النون» أی أنها تتحقق بمجرد قول-کن-لا باللفظ بل بالإراده

کما لا یخفی. و منها: أنّ عندهم أسرار اللّه یؤدی بعضهم إلی بعض و هم امناؤه فقط.

ففیه (۱)عن أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دعا علیا علیه السّلام فی المرض الذی توفی فیه، فقال: «یا علی ادن منی حتی أسرّ إلیک ما أسرّ اللّه إلیّ، و ائتمنک علی ما ائتمننی اللّه علیه، ففعل ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعلی علیه السّلام و فعله علی علیه السّلام بالحسن، و فعله الحسن بالحسین، و فعله الحسین بأبی و فعله أبی بی» . و تقدم معنی السّر فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و حفظه لسرّه» . و منها: أنه تعالی فوّض أمر دینه إلیهم، و تقدم شرحه مفصّلا فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و مفوّض فی ذلک کلّه إلیکم» .

و فیه (۲)عن زراره قال: سمعت أبا جعفر و أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إنّ اللّه فوّض إلی نبیه أمر خلقه، لینظر کیف طاعتهم، ثمّ تلا هذه الآیه: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۳)و فی ذیل حدیث: و لم یفوّض إلی أحد من الأنبیاء» . ففعل رسول اللّه و شرح بعض الشرایع فأجاز إلیه ذلک له، کما صرّح به فی الأخبار، و فی بعضها قال للراوی: لا تستعظم ذلک إنّ اللّه لمّا أدّب نبیّه انتدب (ائتدب، البحار) ففوّض إلیه. . . الحدیث.

و فیه عن محمد بن الحسن المیثمی عن أبیه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «إنّ اللّه أدّب رسوله صلّی اللّه علیه و آله حتی قوّمه علی ما أراد، ثمّ فوّض إلیه فقال: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فما فوّض اللّه إلی رسوله فقد فوّضه إلینا» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۳۷۷.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۳۷۹.

۳- ۳) الحشر:۷.

و مثله أحاديث أخر، و تقدم شرح التفويض الجائز و المحرّم و معناه، فراجع. و منها: أنهم قد أعطوا من القدره أن يسيروا بها ما لا يمكن لأحد ذلک.

ففیه (۱)عن إسماعیل بن موسی، عن أبیه عن جده، عن عمّه عبد الصمد بن علی قال: دخل رجل علی علی بن الحسین علیه السّلام فقال له علی بن الحسین علیه السّلام: «من أنت؟ قال: أنا منجّم، قال: فأنت عراف، قال: فنظر إلیه، ثمّ قال: هل أدلّک علی رجل قد مرّ مذ دخلت إلینا فی أربعه عشر عالما، کل عالم أکبر من الدنیا ثلاث مرات، لم یتحرّک من مکانه؟ قال: من هو؟ قال: أنا و إن شئت أنبأتک بما أکلت و ما ادّخرت فی بیتک» .

و فیه (۲)بإسناده عن أبان بن تغلب قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فدخل علیه رجل من أهل الیمن، فقال: «یا أخا أهل الیمن عندکم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمکم؟ قال: یسیر فی لیله مسیره شهرین یزجر الطیر و یقفو الأثر، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: عالم المدینه أعلم من عالمکم، قال: فما بلغ من علم عالم المدینه؟ قال: یسیر فی ساعه من النهار مسیره شمس سنه حتی یقطع اثنی عشر ألف مثل عالمکم هذا، ما یعلمون أن اللّه خلق آدم و لا إبلیس، قال: فیعرفونکم؟ قال: نعم ما افترض علیهم إلاّ ولایتنا و البراءه من عدوّنا» . أقول: و مثله أحادیث أخر. ثمّ اعلم أنّ هذه القدره التی أعطاها اللّه تعالی لهم لیست هی القدره علی طیّ الأرض، التی تراها فی بعض الناس کما صرّح به فی حدیث الیمنی، بل هی أعلی و أتمّ بنحو یکون هذا السیر أی طی الأرض من بعض آثارها، و کفاک فی بیانه أنّ أثرها هو السیر فی اثنی عشر ألف عالم فی ساعه، أو هو السیر فی أربعه عشر عالما، کلّ عالم أکبر من الدنیا ثلاث مرّات مع أنه علیه السّلام لم یتحرک من مکانه، کما فی حدیث

ص: ۲۶۴

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۰۰.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۰۱.

السجاد علیه السّلام و یلحق بهذه الفضیله أنهم یسیرون من شاءوا من شیعتهم بهذه القدره، و قد دلّت أحادیث کثیره علی هذا. فمنها

ما فیه (۱)بإسناده عن معلّی بن خنیس، قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام فی بعض حوائجی، قال: فقال لی: «ما لی أراک کئیبا حزینا؟ قال: فقلت: ما بلغنی عن العراق من هذا الوباء أذکر عیالی، قال: فاصرف وجهک فصرفت وجهی، قال: ثمّ قال: ادخل دارک، قال: فدخلت فإذا أنا لا أفقد من عیالی صغیرا و لا کبیرا إلّا و هو لی فی داری بما فیها، قال: ثمّ خرجت، فقال لی: اصرف وجهک فصرفته فنظرت فلم أر شیئا» . و یلحق بهذه القدره أیضا أن لهم علیهم السّلام الترقی فی الأسباب و الأفلاک بتسخیر السحاب و بدونه.

و فیه (۲)بإسناده عن عبد الرحیم أنه قال: ابتدأنی أبو جعفر علیه السّلام فقال: «أما إنّ ذا القرنین قد خیّر السحابین فاختار الذلول، و ذخر لصاحبکم الصعب، قلت و ما الصعب؟ قال: ما کان من سحاب فیه رعد و برق و صاعقه، فصاحبکم یرکبه، أما إنه سیرکب الصعاب و یرقی فی الأسباب، أسباب السموات السبع خمس عوامر و اثنین خراب» . و مثله أحادیث أخر. أقول: و الوجه الإجمالی لهذه القدره بهذه الوجوه من التصرف بها فی العالم،

ما روی فیه (۳)بإسناده عن سماعه بن مهران، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام «إنّ الدنیا تمثّل للإمام فی فلقه الجوز، فما تعرّض لشیء منها، و إنه لیتناولها من أطرافها کما یتناول أحدکم من فوق مائدته ما یشاء، فلا یعزب عنه منها شیء» . و أما توضیح هذا الإجمال فسیأتی بیانه إن شاء اللّه.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۰۶.

۲- ۲) المصدر نفسه.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۴۰۸.

و منهـا: أنه تعـالى نـاجى عليا عليه السّـلام فى موارد. أقول: أولا أنّ المناجاه من المفاعله و هى ما يكون بين طرفين، و قـد يكون بين الخلق و الخالق تعالى، ثمّ إنّ المناجاه بينه تعالى بين خلقه على قسمين: قسم يعمد و يتوجه العبد إليه تعالى و يناجيه و يدعوه بما يدعوه به، و اللّه تعالى يسمع نجواه، و لا يقابله اللّه تعالى بالمناجاه بأن يناجى العبد بحيث يسمع منه. و قسم يكون اللّه تعالى هو الذى يناجى عبده ابتداء و العبد يسمع منه، و هذا مختص بهم عليهم السّـلام أو بعلى عليه السّـلام بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله كمـا صرّح بهـا فى الأحاديث. و هـذه المناجاه منه تعالى ليست كمناجاه النبى صلّى اللّه عليه و آله أو الأمير عليه السّـلام أو الأئمه عليهم السّـلام معه تعـالى، فـإنه و إن كانت المناجاه منهم معه تعالى كانت بحيث يسـمع كلّ منهما، أى اللّه تعالى و النبى صلّى اللّه عليه و آله أو الوصى عليه السّلام الآخر، لأن هذه المناجاه المتعارفه ابتداؤها منهم عليهم السّلام و أما هذه المناجاه التى هى فضيله مختصّه بهم أو أنّ أكملها مختصّ بهم، يكون ابتداؤها منه تعالى، و هى بهذه الحيثيه فضيله تختصّ بهم عليهم السّلام لأنهـا تشعر بعنـايه اللّه تعالى بالنسبه إليهم عنايه خاصّه ليست لغيرهم، و أما أنها كيف تكون فعلمها بكماله موكول إليهم عليهم السّلام و لعلك تقدر أن تعلم معناها من مطاوى الشرح. و كيف كان

ففى بصائر الدرجات (۱)عن حمران بن أعين قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك بلغنى أنّ اللّه تبارك و تعالى قد ناجى عليا عليه السّلام قال: «أجل قد كان بينهما مناجاه بالطائف نزل بينهما جبرئيل» .

و فيه بإسناده عن جـابر بن عبـد اللّه قال: «لما كان يوم الطائف ناجى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا عليه السّـلام، فقال أبو بكر و عمر انتجبته دوننا؟ فقال: ما انتجبته بل اللّه ناجاه» .

و فيه و بهذا الإسناد عن منيع عن جده عن أبى رافع قال: «إن اللّه تعالى ناجى عليّا عليه السّلام يوم غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» . و منها: أنّ عليا قسيم الجنه و النار.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۱۰.

أقول: تقدم معنى كونه عليه السّلام قسيمها.

و فيه أيضا بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أنا قسيم اللّه بين الجنه و النار، لا يدخلهما داخل إلّا على قسمين و أنا الفاروق الأكبر» .

و فى حديث: «إلّا على أحد قسمين» .

و فى حديث بعده: «و أنا صاحب العصا و الميسم» .

و فى حديث طويل فى ذيله: قال صلّى اللّه عليه و آله: «فلجهنّم يومئذ أطوع لعلى بن أبى طالب عليه السّلام من غلام أحدكم، و لجهنم يومئذ أطوع لعلى بن أبى طالب عليه السّلام من جميع الخلائق» .

و قوله عليه السّلام: «و أنا الفاروق الأعظم» ، لأنه عليه السّلام نور منه تعالى يعلم حق الحق و بطلان الباطل، فلا يخفى عليه الحق و الباطل، فبهذه الجهه النورانيه الإلهيه يكون قسيمهما، و يكون صاحب العصا و الميسم أى العلامه كما تقدم. و منها: أنهم عليهم السّلام كالنبى صلّى اللّه عليه و آله يرون ما يرون فى اليقظه و المنام، و ما فى الدنيا و ما فى البرزخ سواء.

ففيه (1)بإسناده عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام أنه قال: «لنا أعين لا تشبه أعين الناس و فيها نور، و ليس للشيطان فيها شرك» .

و فيه عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إنا معاشر الأنبياء تنام عيوننا و لا تنام قلوبنا، و نرى من خلفنا كما نرى من بين أيدينا» .

و فيه عن زيد الشحّام قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: طلب أبو ذر رحمه اللّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقيل له: «إنه فى حائط كذا و كذا، فتوجّه فى طلبه فوجده نائما فأعظمه أن ينتبهه، فأراد أن يستبرى نومه فسمعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فرفع رأسه، فقال: يا أبا ذر أ تخدعنى؟ أ ما علمت أنى أرى أعمالكم فى منامى، كما أراكم فى يقظتى إنّ عينى تنام و قلبى لا ينام» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۱۹.

و فيه عن أبى الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «الإمام منّا ينظر من خلفه كما ينظر من قدّامه» .

و فيه عن سواده أبى يعلى عن بعض رجاله قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام للحرث الأعور و هو عنده: «هل ترى ما أرى؟ فقال: كيف أرى ما ترى و قد نور اللّه لك (قلبك) و أعطاك ما لم يعط أحدا؟ قال: هذا فلان الأول على ترعه من ترع النار يقول: يا أبا الحسن استغفر لى، لا غفر اللّه له، قال: فمكث هنيئه، ثمّ قال: يا حارث هل ترى ما أرى؟ فقال: و كيف أرى ما ترى و قد نوّر اللّه لك و أعطاك ما لم يعط أحدا؟ قال: هذا فلان الثانى على ترعه من ترع النار، يقول: يا أبا الحسن استغفر لى، لا غفر اللّه له» .

و فيه بإسناده عن خالد بن نجيح، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك سمى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبا بكر الصديق؟ قال: «نعم، قال: فكيف؟ قال: حين معه فى الغار، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنى لأرى سفينه جعفر بن أبى طالب تضطرب فى البحر ضالّه، قال: يا رسول اللّه و إنك لتراها؟ قال: نعم فتقدر أن ترينها؟ قال: ادن منّى، قال: فدنى منه فمسح على عينيه، ثم قال: انظر، فنظر أبو بكر فرأى السفينه و هى تضطرب فى البحر، ثم نظر إلى قصور المدينه، فقال فى نفسه: الآن صدّقت أنّك ساحر، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: الصدّيق أنت» .

قوله: «فأراد أن يستبرئ نومه» . أقول: يقال استبرأت الشىء طلبت آخره لقطع الشبهه عنه، أى عمل أبو ذر عملا، ليعلم جدّا أنّه صلّى اللّه عليه و آله نائم فكأنه كان فى شك من نومه.

و فى حديث آخر: فأخذ عسيبا يابسا فكسره ليستبرئ به نوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أى ليعلم بصوت الكسر أنه صلّى اللّه عليه و آله نائم أم لا.

قوله عليه السّلام: «على ترعه من ترع النار» . أقول: الترعه، هى الروضه فى مكان مرتفع فكأنه عليه السّلام أشار بقوله عليه السّلام هذا إلى

أن الأول على محل من النار، لكثرتها صارت مرتفعه، أو أنه جیء به على أعلاها، ليخاطب الأمير عليه السّلام و اللّه العالم. و منها: أنهم عليهم السّلام يرون أعمال العباد فيما بين المشرق و المغرب بعمود من النور.

ففيه (۱)بإسناده عن خالد الجوائى عن أحدهما عليهما السّلام قال: «إنّ الإمام ليسمع الصوت فى بطن أمه، فإذا فصل عن أمه كتب على عضده الأيمن وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۲)فإذا قضيت إليه الأمور رفع له عمود من نور يرى به أعمال الخلائق» .

و فيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن الإمام يسمع الصوت فى بطن أمه، فإذا بلغ أربعه أشهر (أى فى البطن) كتب على عضده الايمن وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ فإذا وضعته سطع له نور ما بين السماء و الأرض، فإذا درج رفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق و المغرب» .

و فى حديث: «يرى فيه الدنيا و ما فيها لا يستر عنه منها شیء» .

و فى حديث آخر: «فإذا قام بالأمر رفع له فى كلّ بلد منار و ينظر به إلى أعمال العباد» .

و فى حديث آخر: «فإذا شبّ رفع اللّه فى كلّ قريه عمودا من نور مقامه فى قريه، و يعلم ما يعمل فى القريه الأخرى» .

و فى حديث: «ما يعمل به أهل كلّ بلده» .

و فيه (۳)بإسناده عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ . ثم قال: هذا حرف فى الأئمه خاصّه.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۳۴.

۲- ۲) الأنعام:۱۱۵.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۴۳۸.

ثمّ قال: یا یونس إن الإمام یخلقه اللّه بیده لا یلیه أحد غیره، و هو جعله یسمع و یری فی بطن أمه، حتی إذا صار إلی الأرض خطّ بین کتفیه وَ تَمَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِکَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ . أقول:

قوله علیه السّلام: «یخلقه اللّه بیده. . . إلخ» یؤید و یدلّ علی

ما قاله الحجّه علیه السّلام: نحن صنایع اللّه و الخلق بعد صنایع لنا ، کما ذکره فی البحار فی باب توقیعاته (عجل اللّه تعالی فرجه الشریف و جعل روحی فداه) .

و قوله: «بیده» ، أی أنه تعالی خلقهم بدون وسائط الخلقه، فإن الخلق کلهم مخلوقون له، إلاّ أنّ غیرهم مخلوقون بالوسائط، و معناه أنهم علیهم السّلام الخلق الأول، و بقیه الموجودات مخلوقون بسببهم کما تقدم. أقول: هذا فی خلقتهم النورانیه ظاهر، و أما فی خلقه أبدانهم علیهم السّلام فی بطون الأمهات فغیر ظاهر. و بعباره أخری:

إنّ قوله: «بیده» ، فی مقام بیان أنّ خلق بدن الإمام علیه السّلام فی بطن أمّه کان بیده تعالی، و لا یلیه أحد غیره، فحینئذ یشکل فهمه بأنه کیف یباشر اللّه تعالی خلق البدن له علیه السّلام؟ و لکن الظاهر أنه تعالی بقدرته الذاتیه النافذه یخلق بدن الإمام علیه السّلام کما خلق نوره فی أول الخلقه. و بعباره أخری: أن خلقه تعالی شیئا و أبدعه إبداعا، و لا یفرق فی إبداع خلقه بین النور و الجسم، و ما هو بالواسطه أو بدونها، فأیّهما خلق فهو إبداع لیس فیه مباشره کمباشرتنا فی الأعمال، فیرجع المعنی إلی أنّ خلق أبدان غیر الإمام علیه السّلام یکون بالواسطه و أما خلق أبدانهم فهو إبداع منه تعالی بلا واسطه شیء، و هذا یعطی أمرا عظیما فی کمال خلق بدنه علیه السّلام کما هو ظاهر من أحادیث الباب من ترتب آثار علی خلق بدنه علیه السّلام لیست مرتبه علی خلق بدن غیره کما لا یخفی. و منها: أنهم علیهم السّلام قد اختصّهم اللّه تعالی بعمود من النور، یوحی اللّه تعالی إلی الإمام فی أذنه ما شاء، و به یری جمیع الأشیاء، و هذا غیر النور السابق بل هو أعظم

ص: ۲۷۰

منه كما تعرفه من أحاديثه.

و فيه (۱)بإسناده عن إسحاق الحريرى (الجريرى) قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فسمعته و هو يقول: «إنّ للّه عمودا من نور حجبه اللّه عن جميع الخلائق، طرفه عند اللّه و طرفه الآخر فى أذن الإمام، فإذا أراد اللّه شيئا أوحاه فى أذن الإمام» .

و فيه بإسناده عن صالح بن سهل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كنت جالسا عنده فقال ابتداء منه: «يا صالح بن سهل، إن اللّه جعل بينه و بين الرسول رسولا ـ و لم يجعل بينه و بين الإمام رسولا، قال: قلت: و كيف ذاك؟ قال: جعل بينه و بين الإمام عمودا من نور ينظر اللّه به إلى الإمام و ينظر الإمام (إليه) إذا أراد علم شىء نظر فى ذلك النور فعرفه» .

و فيه (۲)بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إنا أنزلناه نورا كهيئه العين على رأس النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأوصياء، لا ـ يريد أحد منا علم أمر من أمر الأرض، أو أمر من أمر السماء إلى الحجب التى بين اللّه و بين العرش، إلّا رفع طرفه إلى ذلك النور فرأى تفسير الذى أراد فيه مكتوبا» .

و فيه بإسناد عن على بن أحمد بن محمد عن أبيه قال: كنت أنا و صفوان عند أبى الحسن عليه السّلام (أبى عبد اللّه عليه السّلام) فذكروا الإمام و فضله قال: «إنما منزله الإمام فى الأرض بمنزله القمر فى السماء، و فى موضعه هو مطّلع على جميع الأشياء كلها» .

و فيه (۳)بإسناده عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

يَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی

(۴)

قال: «خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلّى اللّه عليه و آله و هو مع الأئمه يوفّقهم و يسددهم و ليس كلما طلب وجد» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۳۹.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۲۲.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۴۶۰.

۴- ۴) الإسراء:۱۵.

و فی حدیث آخر فی آخره: «و هو معنا أهل البیت» .

و فی حدیث آخر فی ذیله: «و هو من الملکوت» .

و فی حدیث آخر فی ذیله قلت: وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ ، قال: من قدرته.

و فیه بإسناده عن محمد الحلبی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله عز و جل: یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی (۱)، قال: «إن اللّه تبارک و تعالی أحد صمد، و الصمد الشیء الذی لیس له جوف، و إنما الروح خلق من خلقه له بصر و قوه و تأیید یجعله اللّه فی قلوب الرسل و المؤمنین» .

و فیه (۲)بإسناده عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه عز و جل: یُنَزِّلُ اَلْمَلاٰئِکَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلیٰ مَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ (۳)فقال: «جبرئیل الذی نزل علی الأنبیاء، و الروح تکون معهم و مع الأوصیاء لا تفارقهم، تفقّههم و تسدّدهم من عند اللّه، و أنه لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بهما عبد اللّه و استعبده الخلق، و علی هذا الجنّ و الانس و الملائکه، و لم یعبد اللّه ملک و لا نبی و لا إنسان و لا جانّ إلاّ بشهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمدا رسول اللّه، و ما خلق اللّه خلقا إلاّ للعباده» .

و فیه (۴)بإسناده عن علی بن أسباط قال: سأل أبا عبد اللّه علیه السّلام رجل و أنا حاضر عن قول اللّه تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (۵)، قال: «منذ أنزل اللّه ذلک الروح علی محمد صلّی اللّه علیه و آله لم یصعد إلی السماء و إنه لفینا» . أقول: هذه الفضیله لها جهات من الکلام، و أنها من غوامض فضائلهم علیهم السّلام و نحن نذکر شطرا یسیرا منها توضیحا لها للطالب المستبصر.

۱- ۱) الاسراء:۸۵.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۴۶۳.

۳- ۳) النحل:۲.

۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۴۵۶.

۵- ۵) الشوری:۵۲.

فنقول: قد تقدم أن الإمام عليه السّلام له مقام العنديّه للّه تعالی، و هو مقام لم يحجب عنه شیء من حقائق الأمور، و لهذه الجهه

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» . و إلی هذه المنزله يشير

قوله عليه السّلام: «إن للّه عمودا من نور حجبه اللّه عن جميع الخلائق» -أی لم يعط هذا النور إلّا للإمام عليه السّلام-طرفه عند اللّه و طرفه الآخر فی أذن الإمام» و الأذن كنايه عن أذن القلب و هو حقيقته النورانيه، التی مرّ ذكرها، و معنی أوحاه فی أذنه أن مشيه اللّه تعالی و إرادته تهبط إليهم، أی إلی حقيقتهم النورانيه كما مر

فی قولهم: «قلوبنا أوعيه لمشيه اللّه» .

و من قولهم عليهم السّلام: «إراده الرب فی مقادير أموره تهبط إليكم» ، و هذا النور هو حقيقه مخلوقه من الملكوت و من عالم الأمر، له بصر، أی لم يخف عليه شیء لإحاطته بالأمور، و قوه، أی لم يعجزه شیء لتسلّطه عليها، و تأييد، أی من اللّه تعالی. كيف لا و هو أول الحجاب و الصادر الأول و القائم به تعالی بلا واسطه، و له درك و شعور و كمال و عقل بل هو حقيقه هذه الأشياء الأربعه، و هو عين اللّه و أذنه و سمعه، و هو الحقيقه المحمديه صلّی اللّه عليه و آله التی هی حقيقه الاسم الأعظم و الأسماء الحسنی، و محض الولايه الإلهيه و العلويه العلياء و نفس الوصی و روح النبی؟ و حيث إنه عين اللّه، فاللّه تعالی ينظر به إلی الإمام عليه السّلام و الإمام ينظر به إليه تعالی، فعلم النبی صلّی اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام بالأشياء بواسطه هذا النور. و أما

قوله عليه السّلام: «إن اللّه جعل بينه و بين الرسول رسولا، و لم يجعل بينه و بين الإمام رسولا، بل جعل بينه و بين الإمام عمودا من نور. . إلخ» . فاعلم: أن المراد من الرسول و الإمام فی هذا الحديث هو مقامهم البشری، الذی هو القابليه المحضه لتلقی الوحی و درك المعارف الإلهيه، فهم عليهم السّلام بلحاظ هذا المقام مظهر لتلك المعارف، فهم حينئذ بشر لهم آثار البشريه إلّا أنهم مظهر للوحی،

و إليه يشير قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ (۱)ثم إن الرسول صلّى اللّه عليه و آله بلحاظ أنه نبى يوحى إليه بواسطه الرسول الإلهى كجبرئيل، فالنبى ممن أسس به الوحى تأسيسا، و ما أنزل إليه هو هذا العمود من النور، و هذا منزل إليه صلّى اللّه عليه و آله أولا، ثم إنه جعل فى الأوصياء بلا وساطه الرسول كجبرئيل عليه السّلام فلا يتوهم حينئذ إنه وحى منه تعالى إليهم عليهم السّلام بدون أخذه من النبى صلّى اللّه عليه و آله كما هو مصرّح به فى كثير من الأخبار. ثم إنه قد مرّ أن الوحى على أقسام: فمنها: ما لم يكن بينه تعالى و بين النبى شىء حتى جبرئيل و عليه فيختص

قوله عليه السّلام «إن اللّه تعالى جعل بينه و بين الرسول رسولا» ، ببعض أقسام الوحى لا كلّه، و مما ذكر يظهر معنى

قوله: «إنا أنزلناه نورا كهيئه العين على النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأوصياء» . بيانه: أنه لما كان حقيقه إنا أنزلناه هو النور، و من شأن النور هو الظاهر بنفسه و المظهر لغيره، و لذا شبّهه عليه السّلام

و قال: «كهيئه العين» ، أى كما أن العين فى الرأس ترى الأشياء، كذلك هذا النور بما أنه العين الباصره الواقعيه، التى بها ترى الأشياء بحقيقتها فهى كهيئه العين، أى حقيقه مثل العين فى الرأس إلّا أنه عين فى الباطن و الملكوت طرفه قائم به تعالى، و طرفه الآخر قائم بالإمام عليه السّلام. كيف لا و هو، أى إنا أنزلناه بما هو نور يكون هو روح القدس؟ و إليه يشير قوله تعالى: وَ اَلرُّوحُ ، و هو من عالم الأمر كما تقدم و هو العقل الكلى، الذى يكون بحقيقته الكليه مع النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام كما تقدم، و ببعض وجوهه مع الأنبياء السابقين، بل يستفاد من بعض الأحاديث أن شطرا منه يعطى لأمناء الشيعه، و إلّا لما كانوا أفضل من أولى العزم كما تقدم

عن الحسين بن علوان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام.

۱- ۱) الكهف:۱۱۰.

«و هذا النور هو النور الخاص الذى يكون فى النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأوصياء» .

ففى بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: عن علم الإمام بما فى أقطار الأرض، و هو فى بيته مرخى عليه ستره، فقال: «يا مفضل إن اللّه تبارك و تعالى جعل للنبى صلّى اللّه عليه و آله خمسه أرواح: روح الحيوه فبه دبّ و درج، و روح القوه فبه نهض و جاهد، و روح الشهوه فبه أكل و شرب و أتى النساء من الحلال، و روح الإيمان فبه أمر و عدل، و روح القدس فبه حمل النبوه، فإذا قبض النبى صلّى اللّه عليه و آله انتقل روح القدس فصار فى الإمام، و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يلهو و لا يسهو. و الأربعه الأرواح تنام و تلهو و تغفل و تسهو، و روح القدس ثابت يرى به ما فى شرق الأرض و غربها و برها و بحرها، قلت: يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم و ما دون العرش» .

و فى ذيل حديث آخر: «فروح القدس لا يلهو و لا يتغير و لا يلعب، و بروح القدس علموا يا جابر ما دون العرش إلى ما تحت الثرى» . أقول: فهذا الروح لا ينام و لا يغفل إلى آخر ما ذكره عليه السّلام و هو تلك الروح، التى ورد أنها أعظم من جبرئيل و ميكائيل، و هنا كلام و هو أنه قد صرح

فى حديث على ابن أسباط «إن هذا الروح لم يصعد إلى السماء و إنه لفينا» و قد تقدم أنه لا يفارقهم، مع أنه ذكر عليه السّلام

فى حديث هشام بن سالم المتقدم آنفا، «و ليس كلما طلب وجد» ، و ظاهره أنه قد لا يكون هذا الروح فيهم عليهم السّلام و إلاّ لوجد كلما طلب، فكيف التوفيق؟ فنقول و منه الاستعانه: قد يقال: إن

قوله عليه السّلام: «و ليس كلما طلب وجد» فى غير الأئمه عليهم السّلام أى أن غير الإمام لا يقدر على تحصيله باختيار، و بالأعمال و الرياضات الشرعيه إلاّ بتوفيق منه تعالى لمن أراد، و مع ذلك لا بالكليه بل بالنسبه إلى بعض مراتبه كما تقدمت الإشاره إليه.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۵۴.

و قـد يقال: إن هـذا القول، أى كونه ليس كلما طلب وجد لا ينافى كونه فيهم عليهم السّلام و أنه ما صعد منذ نزل، و ذلك أنه يمكن أن يكون هـذا الروح فيهم ثابتـا إلاّ أنه لا يتوجه إليه، و لا يستفاد منه لإجماله. و بعباره أخرى: أن هـذا الروح قـد يختفى فيهم فلا يستفيدون منه، و ذلـك عنـد توجههم بعـالم الملك، فحينئـذ للطافته قـد يصير منصرفا عنه فى حال التوجه إلى عوالم البشريه. و إليه تشير الأحاديث الوارده فى أنهم عليهم السّلام إذا شاءوا أن يعلموا علموا فراجع الكافى و بصائر الدرجات. و إلى هذا يشير أيضا

ما روى عنه صلّى اللّه عليه و آله من قوله صلّى اللّه عليه و آله: «إنه ليغان على قلبى، و إنى لأستغفر اللّه فى كل يوم سبعين مره» ، أى لأجل أنه يغان على قلبه الشريف، و بسببه ينصرف قلبا عن هـذا النور و الروح الإلهى فلا يجده كأن يقول: أتوب إلى اللّه تعالى، لكى ينصرف عن الجهات البشريه و يتوجه إلى الجهات الربوبيه، فيظهر فيه ذلك الروح، و تقدم شرح هـذا الأمر. و قد يقـال: إن هـذا الروح حيث إنه روح مخلـوق إلهى أقرب الأشياء إليه تعـالى، فجهته المعنـويه قوّيه جدّا تحت إراده اللّه تعـالى و اختياره، بل هو مظهر لإرادته تعالى و اختياره، فحينئذ معنى: أنه ليس كلما طلب وجد، أنه قد يتوجه الإمام إليه ليعلم منه شيئا فلا يجده، أى لا يعلم منه شيئا، إما لانغماره فى الجهه الربوبيه فلا يمكن الاستفاده منه مع كونه فيهم، لغلبه التوحيد و الحيثيه الربوبيه الغالبه على الجهات الخلقيه مطلقا، و إما لعدم إرادته تعالى أحيانا للاستفاده منه بأن يحول بين الإمام و بينه بمصلحه ضروره أنه بعد ما آتاهم اللّه ذلك النور و الروح، و جعلهم عليهم السّلام مختارين فى الاستفاده منه، لم يخرج هذا الروح عن تحت اختياره تعالى، بل هو دائما تحت اختياره، و من أثره أنه قـد لا يجدونه أى قـد لا يستفيدون منه، لأنه تعالى لا يؤيـد ذلك. و اللّه تعالى العالم بمراده و مراد أوليائه.

ثم إن

قوله عليه السّلام فى حديث أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام: «لا تفارقهم تفقّههم و تسدّدهم من عند اللّه، و أنه لا إله إلاّ اللّه و أن محمدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» ظاهر فى أن هذا الروح يسددهم من عنده تعالى، و معنى تسديدهم تبين أنه لا إله إلاّ اللّه و أن محمدا رسول اللّه، فإن حقيقه التوحيد هو الحاصل المشار إليه ب لا ـ إله إلاّ ـ اللّه فإنه بكلمه -لا- ينفى الألوهيه المستجمعه لجميع الآثار الواجده لصفات الجلال و الجمال عما سواه، و يثبتها للّه أى للمعبود الحقيقى، و هذه الحقيقه الأحديه إنما تظهر فى الخلق بحقيقه محمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المشار إليها بهذه الكلمه. و بعباره أخرى: أن الحقيقه المحمديه هى المظهر الأتم لحقيقه لا ـ إله إلاّ ـ اللّه، فحقيقه التوحيد و الأحديه غائبه عن الأوهام و البصائر القلبيه، و إنما تظهر بحقيقه محمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هما يتحققان فى النبى و الوصى البشريين بتفقيه هذا الروح و تسديده من عند اللّه إياهم عليهم السّلام فعمل هذا الروح هو إظهار حقيقه أنه لا إله إلاّ اللّه و أن محمدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و قوله: «بهما عبد اللّه و استعبده الخلق» أى بهاتين الحقيقتين، حقيقه لا إله إلاّ اللّه و حقيقه محمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عبد اللّه، إذ بهما عرف اللّه و استعبده الخلق، أى لما عرف الخلق اللّه تبارك و تعالى بهاتين الحقيقتين فطلبوا عبادته و عبوديته لمعرفتهم به، و معرفتهم بكيفيه عبادته بهما.

و قوله: «على هذا الجن و الإنس و الملائكه» ، أى و على هاتين الحقيقتين، و على معرفتهما معارف الجن و الإنس و الملائكه و عبادتهم للّه تعالى، أى على هذين الأصلين لا على غيرهما، و لذا أكّده

بقوله «و لم يعبد اللّه ملك و لا نبى و لا إنسان و لا جان إلاّ بشهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أن محمداً رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» . و قوله: «بشهاده» ، يشير إلى أن مجرد القول بهما لا يكفى بل، لا بد من شهادتهما بالوجدان القلبى ثم بالإقرار اللسانى. و كيف كان فجميع الخلق عبادتهم بمعرفه هذين الأصلين و هاتين الحقيقتين فى

قلب النبی و الوصی، و هما یظهر أنهما فی الخلق علما و حالا و عملا بجمیع شئونهما و لا طریق إلی العباده للّه تعالی إلّا بهما، أی بحقیقه لا إله إلاّ اللّه و محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ما خلق اللّه خلقا إلّا استعبدهم بهما أی بسببهما، و أنه لا طریق إلی عبادته تعالی للخلق إلّا بهما. و إلیه یشیر ما فی ذیله و ما خلق اللّه خلقا إلّا للعباده، أی أن الخلق لا یصلون إلی غایتهم و المقصد إلّا علی المنظور من خلقهم إلّا بالعباده، و هی لا توجد إلّا بهما أی بحقیقه لا إله إلّا اللّه و محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بمعرفتهما. و إلیه یشیر ما

فی دعاء رجب المنقول عن الحجه (عج) :

«فبهم ملأت سماءک و أرضک حتی ظهر أن لا إله إلّا أنت»

، أی بحقیقه أولیائک الذین هم أرکان التوحید کما نطق به الدعاء، یظهر فی الخلق حقیقه لا إله إلّا اللّه، و هذا کما تقدم من أن حقیقه محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مظهر لحقیقه لا إله إلّا اللّه الغائبه من أبصار القلوب و الأوهام، ثم إن حقیقه محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تتضمن حقیقه الولایه العلویه الثابته للأئمه علیهم السّلام فإنه قد ثبت فی محله أن باطن النبوه هو الولایه و هی مظهر التوحید، و حیث إن الولایه هی مقام تفصیل النبوه و النبوه لا تنفکّ عن الولایه، فلذا اکتفی بحقیقه محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن بیان حقیقه الولایه و إن علیا و الأئمه أوصیاء رسول اللّه و خلفاؤه و خلفاء اللّه، و تقدم شرح النبوه و الولایه و الفرق بینهما فراجع. و منها: أی و من الفضائل التی آتاهم اللّه و لم یؤتها غیرهم، أنهم علیهم السّلام یعرفون الخلق الذین هم خلف المشرق و المغرب، و أنهم یؤتونهم و یتبرأون من أعدائهم.

ففی بصائر الدرجات (1)، بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن من وراء عین شمسکم هذه أربعین عین شمس، فیها خلق کثیر و إن من وراء قمرکم أربعین قمرا فیها خلق کثیر، لا یدرون أن اللّه خلق آدم أم لم یخلقه، الهموا إلهاما لعنه فلان و فلان» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۹۰.

و فیها (۱)، بإسناده عن أبی سعید قال: قال الحسن بن علی علیه السّلام «إنّ للّه مدینه بالمشرق و مدینه بالمغرب، علی کل واحده سور من حدید، فی کل سور سبعون ألف مصراع من ذهب، تدخل من کل مصراع سبعون ألف لغه آدمیین، و لیس فیها لغه إلاّ مخالفه للأخری، و ما منها لغه إلاّ و قد علمتها، و لا فیها و لا بینها ابن نبی غیری و غیر أخی و أنا الحجه لهم» . أقول: فهم معانی هذه الأحادیث و المراد منها من الغوامض، و قد أوّلها بعض الأعاظم إلی عوالم غیر عالم الدنیا، و حیث إنها من المشکلات أعرضنا عن شرحها، فلعل اللّه تعالی یلهمنا معناها فنذکرها فی المقام المناسب. و منها: أنهم أهل الأعراف، و قد تقدم فی أوائل الشرح مع أحادیثه، ثم إن هذا بیان بعض ما آتاهم اللّه تعالی بما لم یؤته لغیرهم. ثم إن

قوله علیه السّلام:

«و آتاکم ما لم یؤت أحدا من العالمین»

، إشاره إلی قوله: وَ إِذْ قٰالَ مُوسیٰ لِقَوْمِهِ یٰا قَوْمِ اُذْکُرُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ إِذْ جَعَلَ فِیکُمْ أَنْبِیٰاءَ وَ جَعَلَکُمْ مُلُوکاً وَ آتٰاکُمْ مٰا لَمْ یُؤْتِ أَحَداً مِنَ اَلْعٰالَمِینَ (۲). ثم إنه قد یقال: إن المراد من العالمین هو جمیع الخلق أو جمیع عالمی زمانهم و ممن قبلهم دون من بعدهم، و المراد بما آتاهم هو فلق البحر و تظلیل الغمام و إنزال المن و السلوی. ثم إن المخاطبین قد یقال: هم قوم موسی، و قد یقال: هم أمه النبی صلّی اللّه علیه و آله کما عن سعید بن جبیر، و قیل: هو محمد صلّی اللّه علیه و آله و الوجه فی کون المراد من المخاطب هم أمه محمد صلّی اللّه علیه و آله، هو أنه

ورد فی تفسیر نور الثقلین (۳)، عن علل الشرایع عن أبی عبد اللّه علیه السّلام: حدیث طویل یقول فیه: «و یعقوب هو إسرائیل، و معنی إسرائیل هو عبد اللّه، لأن إسرا هو عبد و إیل هو اللّه عز و جل» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۴۹۴.

۲- ۲) المائده:۲۰.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۶۰.

و روی فی المحکی عن العیاشی عن الصادق علیه السّلام أنه سئل عن قول اللّه تعالی یا بَنِی إِسْرائِیلَ ، فقال: «هم نحن خاصه» . فنقول: قد علمت أن إسرائیل بمعنی عبد اللّه، و محمد صلّی اللّه علیه و آله هو عبد اللّه لقوله تعالی: وَ أَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اَللّهِ یَدْعُوهُ (۱)بل قد أطلق بنو إسرائیل فی القرآن علی جمیع الناس، کما

فی حدیث أبی جعفر علیه السّلام فی ذیل قوله تعالی: مِنْ أَجْلِ ذٰلِکَ کَتَبْنا عَلیٰ بَنِی إِسْرائِیلَ . ففی ذیله قال علیه السّلام: «و لفظ الآیه خاص فی بنی أسرائیل، و معناه جار فی الناس کلهم. فقوله: إن معناه جار أی لا یختص حکم الآیه بهم بل یعم الناس، و علیه فیمکن فی المقام أن یکون المراد من المخاطب جمیع الناس أو أمه محمد صلّی اللّه علیه و آله.

و فی المحکی عنه صلّی اللّه علیه و آله أنه سمع یقول مخاطبا اللّه تعالی: «أنا عبدک اسمی أحمد، أنا عبد اللّه اسمی إسرائیل فما أمره فقد أمرنی و ما عناه فقد عنانی» . و علیه فإذا کان أسرائیل یراد منه محمد صلّی اللّه علیه و آله فیمکن حینئذ أن یراد منه من بنی إسرائیل بنو محمد صلّی اللّه علیه و آله کنایه عن أمته صلّی اللّه علیه و آله و علی تقدیر کون المخاطب أمه محمد صلّی اللّه علیه و آله فیراد من العالمین جمیع العوالم، و هذه الجمله أعنی

قوله علیه السّلام:

«آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین»

المشار بها للآیه المبارکه کما قلنا یمکن أن یکون دلیلا علی أن المخاطب هو أمه محمد صلّی اللّه علیه و آله. ثم إن هذا کله علی تقدیر أن یقال: إن هذه الجمله ناظره إلی الآیه المبارکه و إلی تفسیرها أو تأویلها بهم علیهم السّلام و إلاّ فیمکن أن یقال: إنها لیست ناظره إلیها، بل هی مستقلّه فی بیان مدلولها، و هو أنه تعالی آتاهم ما لم یؤت أحدا من العالمین، فإن هذا المعنی مستفاد بنحو القطع و الیقین من الآیات القرآنیه و الأحادیث الوارده من أهل بیت العصمه علیهم السّلام کما لا یخفی. فلا یحتاج إلی هذا التعسف فی البیان.

۱- ۱) الجن:۱۹.

و مضمون هذه الجمله مما قد أجمع علیه المسلمون، و قد ذکرنا بعضها من تلک الفضائل، و هی کما تری مما لم یؤته اللّه أحدا من العالمین غیرهم علیهم السّلام و لنختم الکلام فی هذا الأمر بما.

فی بصائر الدرجات بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «فضل أمیر المؤمنین علیه السّلام ما جاء أخذ به، و ما نهی عنه انتهی عنه، و جری له من الطاعه بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مثل الذی جری لرسول اللّه و الفضل لمحمد صلّی اللّه علیه و آله المتقدم بین یدیه کالمتقدم بین یدی اللّه و رسوله، و المتفضل علیه کالمتفضل علی اللّه و علی رسوله صلّی اللّه علیه و آله و المتفضل علیه فی صغیره أو کبیره علی حدّ الشرک باللّه، فإن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله باب اللّه الذی لا یؤتی إلاّ منه، و سبیله الذی من سلکه وصل إلی اللّه، و کذلک کان أمیر المؤمنین علیه السّلام من بعده، و جری فی الأئمه واحدا بعد واحد، جعلهم اللّه أرکان الأرض أن تمید بأهلها، و عهد الإسلام و رابطه علی سبیل هداه، و لا یهتدی هاد إلاّ بهدیهم، و لا یضل خارج من هدی إلاّ بتقصیر عن حقهم، لأنهم أمناء اللّه علی ما هبط من علم أو عذر أو نذر، و الحجه البالغه علی ما فی الأرض یجری لآخر هم من اللّه مثل الذی جری لأولهم، و لا یصل أحد إلی شیء من ذلک إلاّ بعون اللّه» .

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أنا قسیم الجنه و النار، لا یدخلها داخل إلاّ علی أحد قسمین، و أنا الفاروق الأکبر، و أنا الإمام لمن بعدی، و المؤدّی عمّن کان قبلی، و لا یتقدمنی أحد إلاّ أحمد صلّی اللّه علیه و آله و انی و إیاه لعلی سبیل واحد، إلاّ أنه هو المدعوّ باسمه، و لقد أعطیت السّت علم المنایا و البلایا و الوصایا و الأنساب و الأسباب و فصل الخطاب، و إنی لصاحب الکرّات و دوله الدول، و إنی لصاحب العصا و المیسم، و الدابه التی تکلم الناس» .

و فیه فی حدیث آخر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام و فیه زیاده نذکرها: «و إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیدعی فیکسی، ثم یدعی فیستنطق، ثم ادعی فأنطق علی حدّ منطقه، و لقد أقرّت لی جمیع الأوصیاء و الأنبیاء بمثل ما أقرّت به لمحمد صلّی اللّه علیه و آله و لقد عطیت السبع، التی لم یسبقنی إلیها أحد: علمت الأسماء و الحکومه بین العباد، و تفسیر الکتاب،

و قسمه الحق من المغانم بين بنى آدم، فما شذّ عنى من العلم شىء إلّا و قد علمنيه المبارك، و لقد أعطيت حرفا يفتح ألف حرف، و لقد أعطيت زوجتى مصحفا فيه من العلم ما لم يسبقها إليه أحد خاصه من اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله» . أقول:

قوله عليه السّلام: «المبارك» يراد به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و اللّه العالم.

و فيه (١)عن يزدان بن إبراهيم عمن حدثه من أصحابه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «و اللّه لقد أعطانى اللّه تبارك و تعالى تسعه أشياء لم يعطها أحدا قبلى خلا محمدا صلّى اللّه عليه و آله: لقد فتحت لى السبل، و علمت الأنساب، و أجرى لى السحاب، و علمت المنايا و البلايا و فصل الخطاب، و لقد نظرت فى الملكوت بإذن ربى، فما غاب عنى ما كان قبلى، و لا فاتنى ما يكون من بعدى، و إن بولايتى أكمل اللّه لهذه الأمه دينهم، و أتم عليهم النعم، و رضى لهم الإسلام، إذ يقول يوم الولايه لمحمد صلّى اللّه عليه و آله: يا محمد أخبرهم أنى اليوم أكملت لهم دينهم، و أتمت عليهم نعمتى، و رضيت لهم الإسلام دينا، و كل ذلك منّا من اللّه منّ به علىّ فله الحمد» . أقول: هذه بعض ما للنبى و الأئمه عليهم السّلام من الكرامات التى لم يعطها اللّه أحدا غيرهم، و لعمرى إنّ فيها ما لا تدركه عقولنا، و لا يمكن إحصاؤها و الإحاطه بكنهها من أحد إلاّ هم عليهم السّلام. ثم اعلم أن حاصل ما تقدم مما آتاهم اللّه تعالى مما لم يؤته أحدا من العالمين هو أن جميع عوالم الوجود بقائها و استفاضتها من اللّه تعالى إنما هو بهم، و لا يصلح شىء منها إلاّ بهم عليهم السّلام و منهم عليهم السّلام ثم إن أرواحهم المطهره القابله لا صلاح العوالم و أهلها إنما جعلها اللّه تعالى أولا فى مرتبه الكمالات الإلهيه بحيث لا يمكن فوقه مرتبه إلاّ للّه تعالى، فهم عليهم السّلام بهذه الحيثيه متمكنون فى الخلق لإصلاحهم و سوقهم إلى الكمالات و السعادات الإلهيه و الأبديّه. و معلوم: أن الأئمه عليهم السّلام إنما يكون علمهم و كمالاتهم منه تعالى بواسطه النبى صلّى اللّه عليه و آله

١- ١) بصائر الدرجات ص ٢٠١.

و نحن نـذكر شـطرا من حقيقته صلّى اللّه عليه و آله حتى يعلم إجمالا_ كمالا_ته صلّى اللّه عليه و آله ثم يعلم منه حقـائق الأئمه عليهم السّلام فی الجمله. فنقول: قال بعض الأكابر و الأعاظم فی تفسيره (١)ما حاصله مع توضيح لفظی منّا: إن النشآت ثلاث: نشأه الحسّ، نشأه النفس و نشأه العقل. و العوالم ثلاثه بحسبها عالم الـدنيا و عالم الآخره و عالم الربوبيه، و الإنسان بحسب غلبه كـل نشأه داخل فی عالم من العوالم الثلاثه، فمن جهه حسّه و نفسه و روحه داخل فی هـذه العوالم إما بالقوه أو بالفعل، فبحسـه من جمله الدنيا و تحت جنس الحيوانات، و بنفسه من جمله الملكوت الأسـفل، و بروحه من جمله الملكوت الأعلى، لكن الغالب على أكثر الناس نشأه الحسّ و موطن الدنيا، إلّا من تاب و آمن و عمل صالحا فله جزاء الحسنى. ثمّ إن النبی صلّى اللّه عليه و آله كان مجتمعا من ثلاثه أشخاص عظيمه كل منهم رئيس مطاع فی نوعه، فبروحه و عقله يكون ملكا من المقربين، و بمرآه نفسه و لوح ذهنه يكون فلكا مرفوعا عن أدناس العنصريين، و لوحا محفوظا من مسّ الشياطين لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ اَلْمُطَهَّرُونَ و بحسّه يكون ملكا من عظماء الملوك و السلاطين. فجوهر النبی و جوهر النبوه صلّى اللّه عليه و آله له جـامعيه النشآت الثلاث، لكونه كامل القوى الثلاث: الحسّيه و المثاليه و العقليه، فله السياده العظمى و الرئاسه الكبرى و الخلافه الإلهيه فی العوالم كلها، فهو شارع و رسول و نبی يحكم بالأول كالملك، و يخبر بالثانی كالفلك، و يعلم بالثالث كالملك، و سرّ ذلك كله أنه صلّى اللّه عليه و آله لمـا بعث و أمر بإصلاح هـذا النوع الآدمی بواسطه استجماعه لشرائط الرساله الإلهيه، و خصائص السعاده الربانيه من أوصاف شريفه كثيره، و نعوت كريمه غفيره، يشملها خصائص ثلاث متعلقه بروحه و نفسه و حسّه. أما الأولى: أی الخصائص المتعلقه بروحه الشريفه: و هی أشرف الجميع، فهو

١- ١) تفسير سوره الجمعه ص ١٣٢ و ١٣٣ للمحقق الشيرازی قدّس سرّه.

کونه صلّی اللّه علیه و آله مطلعا علی العوالم الإلهیه عالما بحقائق الأشیاء کما هی من المبدإ الأعلی و ملکوته العلوی و السفلی، و حقیقه النفس و أحوال الخلائق فی تلک الدار، و رجوع الکل إلی الواحد القهار علما مستفادا من إلهام اللّه بطریق الکشف الروحی و الإلقاء السبّوحی، لا بوسیله التعلم البشری و التعمّل الفکری، کما تقدم من

قوله علیه السّلام «ثم أنهی علم ذلک کله إلینا» . و أما الثانیه: أی الخصائص المتعلقه بنفسه الشریفه: فهو کونه صلّی اللّه علیه و آله ذا قوه باطنیه بها تتمثل له الحقائق بکسوه الأشباح المثالیه فی العالم المتوسط بین العالمین، بل تسری قوته إلی الحس الظاهر فهی تتشبح له فی هذا العالم، فیشاهد الملک الملقی عیانا، و یسمع کلام اللّه منه کفاحا بعبارات أنیقه و ألفاظ فسیحه دقیقه المعانی فی غایه الفصاحه و السلاسه و النفاسه، و یطّلع بتعلیمه و إلقائه علی المغیبات الجزئیه، و یخبر من الحوادث الماضیه و الآتیه. و أما الثالثه: أی الخصائص المتعلقه بحسّه صلّی اللّه علیه و آله: فهو کونه صلّی اللّه علیه و آله ذا قوه قویه، و بسطه شدیده بها یقهر المعاندین و المنکرین، و یتسلط علی أعداء اللّه و أولیاء الشیاطین، و ذا مصابره علی الشدائد و الامتحانات، و اقتدار و تمکّن علی تجهیز الجیوش، و تثبّت فی الحروب و المبارزات. فمجموع هذه الخصائص الثلاث بکمالها و بأنواعها من خاصیه الرساله. و أما آحاد هذه الخواص فقد یوجد فی غیر الأنبیاء بوجه: فإن الأولی مما یتحقق فی الأولیاء و الحکماء، و ضرب من الخاصه الثانیه و بعضها توجد فی أهل الکهانه و الرهبانیین، و الثالثه قد تکون فی الملوک الشدیده البأس و الهمه. ثم اعلم: أنه لما اقتضی حکم الإلهیه الجامعه لجمیع الکلمات المشتمله علی الأسماء الحسنی و الصفات العلیا أن یخلق و یبسط مملکه الإیجاد و الرحمه، و نشر لواء القدره و الحکمه بإظهار الممکنات و إیجاد المکونات من الخلائق، و تسخیر الأمور و تدبیرها، و کان مباشره هذا الأمر من الذات الأحدیه القدیمه بغیر واسطه بعیده

جدّا، لبعد المناسبه بين عزه القدم و ذلّه الحدوث فقضى اللّه سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه فى التصرف و الولايه، و الإيجاد و الحفظ و الرعايه، فلا محاله له وجه إلى القديم يستمد من الحق سبحانه و وجه إلى الحدوث يمدّ به الخلق، فجعل على صورته فى العلم و الحكمه و القدره خليفه يخلف عنه فى التصرف، و خلع عليه خلع جميع أسمائه و صفاته و مكّنه فى مسند الخلافه بإلقاء مقادير الأمور إليه و إحاله حكم الجمهور عليه، و تنفيذ تصرفاته فى خزائن ملكه و ملكوته، و تسخير الخلائق لحكمه و جبروته، و جعل له بحكم مظهريه اسميه الظاهر و الباطن حقيقه باطنه و صوره ظاهره هى الروح الأعظم، الذى تقدم ذكره فى الأخبار و الآيات. و النفس الكليه وزيره و ترجمانه، و الطبيعه عامله و رئيسه، و العمله من القوى الطبيعيه جنوده، و روحه الأعظم هو العقل البسيط، الذى اندمجت فيه صوره ما فى العالم ظاهره و باطنه، و هو أول ما خلقه اللّه و أبدعه، و هو نور النبى الكريم، و هو الحقيقه المحمديه و الخلافه الإلهيه، و هذا الخليفه باطنه مشتمل و متسلط على الكل من الثريا إلى الثرى، و ظاهره الموجود نسخه منتسخه و نخبه منتخبه من الحقيقه الكليه، و بينهما ربط قوى يستمدّ الظاهر من الباطن، و يتسلط الباطن على الظاهر بأقدار اللّه تعالى، و الكل من الظاهر و الباطن تحت قدرته و إرادته و اختياره تبارك و تعالى، و هذه الحقيقه المحمديه هو الإنسان الكامل الذى لا أكمل منه و غايه المخلوقات،

لقوله تعالى فى الحديث القدسى: «لولاك لما خلقت الأفلاك» . و إلى ما ذكر

ما فى المحكى عن ناسخ التواريخ فى شأن النبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله ففيه عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال حين جعل جسد النبى صلّى اللّه عليه و آله فى القبر: «اللهم هذا أول العدد، و صاحب الأبد، نورك الذى قهرت به غواسق الظلم، و بواسق العدم، و جعلته بك و منك و إليك و عليك دالاّ دليلا، روحه نسخه الأحديه فى اللاهوت، و جسده صوره معانى الملك و الملكوت، و قلبه خزانه الحىّ الذى لا يموت، طاووس الكبرياء، و حمام الجبروت» .

قوله عليه السّلام: «أول العدد» ، إذ هو الصادر الأول، الذى تحقق به فى الوجود العدد و أوله، و هذه الأوليه للعدد لا تضاد وحدته تعالى، إذ وحدته تعالى ليست من باب الأعداد كما حقق.

قال عليه السّلام فى الصحيفه: «لك يا رب وحدانيه العدد» أى لك وحدانيه ليست هى لغيرك، و توضيحه موكول إلى محله.

قوله عليه السّلام: «و صاحب الأبد» و ذلك لجامعيّته صلّى اللّه عليه و آله إذ هو الإنسان الكامل، و المظهر الأتم له تعالى، و الاسم الأعظم، و الأسماء الحسنى، فلا محاله لا يشذّ عنه من الوجود فى عالم الخلق و الأمر شىء فهو صاحب الأبد.

قوله عليه السّلام: «نورك. . إلخ» ، و ذلك أنه صلّى اللّه عليه و آله خلق من نوره تعالى، و هذا النور جامع لجميع التجليات الإلهيه، التى منها العقول و المعارف و الحقائق، و هو سبب لظهور الأعيان الثابته و المهيّات، و خروجها عن غواسق الظلم أى شدتها، و عن بواسق العدم أى عن بقاء العدم و إدامته فى الوجود بحيث يستر الحقائق، فنوره قهر تلك الظلمات الشديده و الأعدام فأزاحها، و العطف توضيحى.

قوله عليه السّلام: «جعلته بك. . إلخ» ، هذا إشاره و بيان لأن حقيقته صلّى اللّه عليه و آله تكون فانيه فيه تعالى، بحيث ليست آثارها إلّا منه تعالى و به تعالى، و إليه تعالى و حيث إنها كذلك فلا محاله هى دليل عليه تعالى بحقيقته.

قوله عليه السّلام: «روحه نسخه. . إلخ» ، و ذلك لأنه مظهر لأحديّته تعالى، فروحه صلّى اللّه عليه و آله مرآه و نسخه لأحديّته، فهى أى حقيقته صلّى اللّه عليه و آله مظهر للأحديه فى عين كونه منشأ للكثرات و حقيقته صلّى اللّه عليه و آله مظهر و نسخه للوحده فى الكثره، و هى نسخه الكثره فى الوحده، فهى إذا مظهر فى اللاهوت، أى مظهر لألوهيته تعالى فى عالم ما سوى.

قوله عليه السّلام: «و جسده» ، اعلم أن الجسد يطلق على الجسم الملكى و الصوره المثاليه الروحيه، فجسده صلّى اللّه عليه و آله بما له من المعنى الشامل لجسمه صلّى اللّه عليه و آله و لمثاله صلّى اللّه عليه و آله صوره معانى الملك، أى عالم الأجسام و الملكوت، أى عالم المثال و البرزخ فيه صلّى اللّه عليه و آله

يظهر المعانى و الحكم و الأسرار المودعه فى الملك و الملكوت.

قوله عليه السّلام: «و قلبه» المراد منه هو حقيقته النوريه، التى فيه ظهرت و به ظهرت آثار الربوبيه من القدره و العلم و الحكم و الجلال و الجمال و الكمال و الربوبيه فى الخلق، كلها منه تعالى بحيث ظهرت فيه باللّه تعالى فهى خزانته تعالى فى الوجود.

قوله عليه السّلام: «طاووس. . إلخ» ، يشير إلى انفراده صلّى اللّه عليه و آله فى الوجود بالجمال الإلهى و الكمال الربوبى فكنى عن أنه جماله تعالى فى الكبرياء، أى فى المظاهر كلها الظاهره بها كبريائيته بالطاووس.

و قوله عليه السّلام: «حمام الجبروت» أى أن له صلّى اللّه عليه و آله البسط و الطيران و الجولان فى عالم الوجود بالاقتدار الإلهى فهو مظهر أتم لكونه تعالى قابضا و باسطا و حيّا أى مدركا فعّالا، و لهذه الكمالات معانى دقيقه يعرفها أهلها، و بيانه موكول إلى محله و أهله و اللّه العالم. و كيف كان و هو بكماله الإلهى و بنفسه برهان من اللّه تعالى، و هذا بخلاف سائر الأنبياء عليهم السّلام فإنهم كان لهم برهان غير أنفسهم كعصا موسى مثلا. و أما النبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله هو بنفسه برهان و بجميع شئونه، مثلا كان برهان عينه

ما قال: «لا تسبقونى بالركوع فإنى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى» ، و برهان بصره مٰا زٰاغَ اَلْبَصَرُ وَ مٰا طَغىٰ. لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ اَلْكُبْرىٰ (١).

و قوله صلّى اللّه عليه و آله: «زويت لى الأرض فأريت مشارقها و مغاربها» ، و العين و البصر يتحدان فى الرؤيه و يتفرقان باختصاص العين برؤيه المحسوسات الماديه، و يكون كمالها بأن لا يحجبها حاجب جسمانى، و باختصاص البصر بمشاهده ما وراء المحسوسات ترفع الحجب لها فتأمل. و برهان سمعه

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «أطت السماء و حقّ لها أن تئط، ليس فيها موضع قدم

١- ١) النجم:١٧-١٨.

إلّا و فيه ملك ساجد أو راكع، اطيط السماء هو صوت بالزحام» فسمعه المبارک کان يسمع اطيطها. و برهان شمّه

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «إنی لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن» . و برهان ذوقه

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «إن هذا الذراع مسموم» . و برهان لمسه

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «وضع اللّه يده بين كتفی فأحسّ برده» . و برهان لسانه صلّى اللّه عليه و آله قوله تعالى: وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ. إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ (۱). و برهان بصاقه

ما قاله جابر: «إنه أمر يوم الخندق لا تخبزن عجينكم، و لا تنزلن برمتكم حتى أجیء، فجاء فبصق فی العجين و بارک، و بصق فی البرمه، فأقسم باللّه إنهم لأكلوا و هم ألف حتى تركوه و انصرفوا، و إن برمتنا (۲)لتغطّ (۳)كما هی، و إن عجيننا ليخبز كما هی» . و برهان تفله، أنه صلّى اللّه عليه و آله تفل فی عين علی عليه السّلام و هی ترمد فبرأ بإذن اللّه يوم خيبر. و برهان يده، قوله تعالى: وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ رَمىٰ (۴)و أنه سبّح الحصى فی كفه. و برهان إصبعه أنه أشار به إلى القمر فانشق فلقتين، و كان الماء ينبع من أصابعه حتى شرب منه خلق كثير. و برهان صدره، قوله تعالى: أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ (۵)، و إنه كان له أزير كأزير المرجل. و برهان قلبه، أنه كان تنام عيناه و لا ينام قلبه، و قال تعالى: مٰا كَذَبَ اَلْفُؤٰادُ مٰا

۱- ۱) النجم:۳.

۲- ۲) برمه: أی القدر.

۳- ۳) لتغطّ: أی تشتد غليانا.

۴- ۴) الأنفال:۱۷.

۵- ۵) الشرح:۱.

رَأى

(۱)

. و أمثال هـذه البراهين فى مظاهر وجوده المقـدس أكثر من أن تحصـى. و أمـا براهين مطـاوى وجوده و قواه المسـتوره: فمنها: برهان قوه حفظه، لقوله تعالى: سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسىٰ (۲). و برهان قوه علمه،

قـال على عليه السّـلام: «علّمنى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ألف بـاب من العلم، فاسـتنبطت من كـل بـاب ألف بـاب» . و أما برهان قوته المحركه العمليه فلولوجه بجسده الشريف إلى أقصى عالم السموات و هو سدره المنتهى، و بروحه المقدسه إلى قاب قوسين أو أدنى. و أما برهان عقله العملى لقوله تعالى: إِنَّکَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (۳)

و قوله صـلّى اللّه عليه و آله «بعثت لأـتمم مكـارم الأخلاـق» . فظهر مما ذكر أنه صـلّى اللّه عليه و آله بشراشـر وجوده برهان، أى موضـح للحق و مظهر له، و نور به يرى الحق البته بـدون شـك و ترديـد، فـإن البرهـان مـا به الوضوح و البيـان و الظهور كظهور الشـمس لناظرها، بحيث لا يبقى بالنسـبه إليه شك و ترديـد، فظهور هذه البراهين منه صـلّى اللّه عليه و آله أقوى شاهد حى على أنه الرسول من اللّه تعـالى، و فى الأحـاديث شواهـد كثيره تظهر منهـا هـذه البراهين الساطعه كما لا يخفى على المتتبع لها. ثم إن النبى صـلّى اللّه عليه و آله كـان يكلم النـاس عنـد هـدايتهم كلا بما هو أهله من كونه أهلا واردا فى إحـدى هـذه العوالم الثلاثه المتقدمه

كما روى عنه صلّى اللّه عليه و آله: «إنا معاشر الأنبياء نكلم الناس على قدر عقولهم» ، فإذا أراد أحد أن يتعلم منه المعارف الحقه الإلهيه، فعليه أن يجعل نفسه بجدّه و جهده و الرياضه الشرعيه من الأولياء، الذين هم أهل

۱- ۱) النجم:۱۱.

۲- ۲) الأعلى:۶.

۳- ۳) القلم:۴.

المحبه و الولایه و المعرفه و الروحانیین و العرفاء الشامخین حتی یستفید من روحه المطهر صلّی اللّه علیه و آله. ثم، إن ما ذکرناه للنبی صلّی اللّه علیه و آله قد علمت أنه بکلیته للأئمه علیهم السّلام ما سوی النبوه، هذا واضح لا ستره علیه کما لا یخفی.

قوله علیه السّلام: طأطأ کلّ شریف لشرفکم، و بخع کلّ متکبّر لطاعتکم، و خضع کلّ جبّار لفضلکم، و ذلّ کلّ شیء لکم.

أقول: طأطأ أی خضع أو خفض، و لم یصل إلی شرفکم و إن کان ذا شرافه. و بخع بالباء الموحده و الخاء المعجمه أی خضع کل متکبر لطاعتکم أی فیها أو لأجلها. و ذلّ کل شیء لکم بقدره اللّه، و فی بعض النسخ نخع بالنون و الخاء المعجمه و کلاهما بمعنی الإقرار و الاعتراف. و خضع کل جبار أی متجبر لفضلکم أی لأجله. و بعباره أخری: أن کل عال رتبه إذا رأی علو مکانکم انحنی استحیاء لما تری عظمه شرفکم، فیری نفسه حقیره، و کذا المتکبر فی طاعتکم و الجبار بالنسبه إلی سلطانکم فإنه یخضع. و الحاصل: أن اللّه تعالی لما أظهر للخلق بقدرته مقامکم المنیع، فلا محاله یذلّ له، و یحتمل أن تلک الجمل بمعنی الإنشاء، أی یجب علی کلّ شریف التطأطؤ لشرفکم، و علی کل متکبر البخوع لطاعتکم، و علی کل جبار الخضوع لفضلکم، و علی کل شیء أن یتذلل لعلو مقامکم. أقول: قال السید الشبّر فی شرحه علی هذه الزیاره ص ۱۲۰، و ذلّ کلّ شیء لکم، بقدره اللّه تعالی و خضوع الخلفاء الجبابره لهم، و تذلل الأسود و الحیوانات بین یدیهم فی الآثار مشهوره، و فی کتب الأخبار مسطوره، و قد ذکرنا جمله منها فی کتابنا جلاء العیون فی بیان أحوالهم علیهم السّلام.

و من ذلک

ما روی أن الرشید (لعنه اللّه تعالی) لما أراد قتل موسی الکاظم علیه السّلام أرسل إلی عمّاله فی الأطراف فقال: التمسوا لی قوما لا یعرفون اللّه، أستعین بهم فی مهمّ لی، فأرسلوا إلیه قوما یقال لهم العبده، فلما قدموا علیه و کانوا خمسین رجلا، أنزلهم فی بیت من داره قریب من المطبخ، ثم حمل إلیهم المال و الثیاب و الجواهر و الأشربه و الخدم، ثم استدعاهم و قال: من ربّکم؟ فقالوا: ما نعرف ربّا، و ما سمعنا بهذه الکلمه، فخلع علیهم، ثم قال للترجمان، أن قل لهم إن لی عدوا فی هذه الحجره فادخلوا إلیه و قطعوه، فدخلوا بأسلحتهم علی الکاظم علیه السّلام و الرشید (لعنه اللّه تعالی) ینظر ما ذا یفعلون، فلما رأوه رموا أسلحتهم و خرّوا له سجّدا، فجعل موسی علیه السّلام یمرّ یده علی رءوسهم و هم منکّسون، و هو یخاطبهم بألسنتهم فلما رأی الرشید (لعنه اللّه تعالی) ذلک غشی علیه و صاح بالترجمان: أخرجهم، فأخرجهم یمشون القهقری إجلالا لموسی علیه السّلام ثم رکبوا خیولهم و أخذوا الأموال و مضوا. أقول: هذا الحدیث ذکره السید هاشم البحرانی (رضوان اللّه تعالی علیه) فی آخر معجزات الکاظم علیه السّلام مع زیاده فیه جدا، و لعل السید الشبر (رضوان اللّه تعالی علیه) لخصّه فی کتابه أو رأی حدیثا آخر کما ذکره. ثم إن

قوله علیه السّلام:

«طأطأ. . إلخ»

، کأنه تفریع علی

قوله:

«آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین»

مما ذکرناه من الفضائل و نحوها، فتلک الفضائل المختصه بهم علیهم السّلام سبب لیطأطئ کل شریف لشرفهم إلی آخر تلک الجمل. توضیحه: أنه لما ثبتت لهم تلک الفضائل التی ذکرناها، فمقامهم علیهم السّلام أعلی من کل مقام وصل إلیه أحد من الخلق کلهم، و ذلک لأن علوّ العالی، إما یکون بسبب نجابه الشخص، أو طهاره مولده، أو نوریه طینته و طیبتها، أو استقامه خلقه بفتح الخاء و ضمّها، و اعتدال مزاجه، و حسن صورته، أو صوته، أو قوته، أو شجاعته، أو کرمه أو سخائه و جوده و زهده و تقواه و ورعه، و یقینه و معرفته و عبادته، أو علمه أو قدرته أو اقتداره الأشیاء لأمره أو إرادته، أو محبّته، أو الاحتیاج إلیه فی

شىء مما ذكر، أو عزه، أو حفظه، أو فهمه، أو غير ذلک من جميع الصفات الحميده و الأخلاق الحسنه، و الطباع المستقيمه، و الأحوال المحبوبه للنفوس و العقول، و المستطابه للأوهام و الأفهام و الأحلام الرزينه مما يتميز و يتشخّص بالحسن و العظمه من اتّصف به بالنسبه إلى بعض أهل نوعه أو كلهم من كل محبوب و مطلوب و مرغوب، أو من جهه ما خصّه اللّه به من النعم و الفضائل العظيمه و المنن الابتدائيه، أو من جهه شرافه الآباء و طهاره الأمهات، و تطهير الأصل و الفرع من جميع الخبائث و الأرجاس الظاهره و الباطنه و ما أشبه ذلک مما لم نذكره، أو لم يصل إليه فهمنا أو فهم العقلاء، و هم عليهم السّلام قد جمعوا جميع ذلک و جمع اللّه لهم ذلک حتى أنهم حلّوا فى كل كمال و طهر و قدس بمكان لا يصل إلى أدنى أدانيه أحد من خلق اللّه، لا ملک مقرب و لا نبى مرسل و لا مؤمن ممتحن. كيف

و قد قالوا: «لا يقاس بنا الناس» .

و قالوا: «و الإمام لا يدانيه أحد» بل لا يمكن الذى روح من الكمّلين فضلا عن غيرهم أن يفوق عليهم أو يساويهم فى شىء من ذلک. كيف و قد علمت

و صرحت به الأخبار: «إن ما سواهم من كل خير و كل شىء مخلوق منهم» ، فهم كالعله الفاعليه لما سواهم و ما سواهم محتاج إليهم، و الكل أثر من آثارهم، فهم غير محدودين

لقوله عليه السّلام كما تقدم: «إن أمرنا لا يحدّ» ، و ما سواهم محدودون بالنسبه إليهم، فكيف يفوق أو يحيط المحدود بما لا يحد أو بما هو كالعله له؟ فلازم ما ذكر أن يطأطئ كل شريف لشرفهم، و يبخع كل متكبر لطاعتهم، و يخضع كلّ جبار لفضلهم، و يذلّ كلّ شىء لهم. [@٧٨@]

و قوله:

«و ذلّ كل شىء لكم»

، كأنه بيان لعموم هذا الأمر، و هو خضوع كل شىء من ذى الروح و غيره، و من المؤمن و غيره، و لو كان الغير متكبرا بحدّ حقيقه الكفر، و جبارا بحدّ حقيقه الفسق و المعصيه، أو كان محبّا و معتقدا لهم كالمؤمنين الكمّلين و غير الكمّلين و الملائكه و الأنبياء و الرسل، ثم إن هذا فى المؤمن مطلقا

و الملائكه و الأنبياء ظاهر. و أما بالنسبه إلى الكفار و المنافقين و أعدائهم فقد يقال: إنه كيف يمكن لهم أن يطأطئ أحد منهم لشرفهم أو يبخع أو يخضع لهم مع أنهم متكبرون و جبّارون بكل معنى كلمه التكبر و التجبر؟ و لكنه يقال: إن أعداءهم مطلقا بأى عنوان كانوا فإنهم مع نصبهم لهم عليهم السّلام العداوه بحيث غضبوا عليهم عليهم السّلام كل الغضب حتى قتلوهم و سبّوهم و ساموهم بكل إهانه و مع ذلك يحبّونهم عليهم السّلام. فهنا أمران: أحدهما: أن الأعداء يبغضونهم و يعادونهم قولا و عملا. و ثانيهما: أنهم أى الأعداء يحبونهم قلبا و فطره. أما الأول: فلأن أرواحهم خبيثه قد ملأت من الشرك و النفاق و محبه الدنيا، و الرئاسات الباطله و الشهوات النفسانيه بحيث ملكتهم هذه الأمور و أسرتهم بنحو لا يكادون أن يتخلّصوا منها، فهم منقادون لتلك الشهوات، صارفون أعمارهم و قواهم لتحصيلها، فلا محاله يعادون من زاحمهم و لو كان محقّا و كانت حقّانيّته أظهر من الشمس، فإن إسارتهم لتلك الملكات الخبيثه ألجأتهم إلى عداوه أولياء اللّه تعالى و بغضهم لهم لما يرون أن الأولياء مانعون لأن يصلوا إلى أغراضهم الفاسده. و أما الثانى: أى أن الأعداء يحبونهم عليهم السّلام قلبا، و ذلك لأنه تعالى فطر الناس على حبّ الكمال و الكامل و الجمال و الجميل، فكل نفس ذى روح بل كل ذى روح و إن كان من الحيوانات فيه هذه الشأنيّه، إلاّ أن كلا منهم بحسب ما يناسب خلقته كما لا يخفى. و كيف كان فالأئمه عليهم السّلام لما كانوا من أحسن الناس جمالا، و أكملهم أخلاقا، و أوفرهم معرفه، و أعلاهم منزله عند اللّه تعالى بحيث لا يكاد يخفى على أحد، كما تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«فبلغ اللّه بكم أشرف محل المكرمين. . إلخ»

، فلا محاله جميع

الناس من المؤالف الموافق و المخالف المعاند يحبّهم لما فيهم من الحسن و الكمال و الجمال النهائی، فالأعداء بالفطره يحبونهم، و بسبب إساره نفوسهم لمشتهياتهم يبغضونهم و يعادونهم، بحيث لو لاـ هذه الاساره لكانوا كالمؤمنين يطيعونهم و ينقادون لهم عليهم السّلام ظاهرا، و إلى هذا يشير ما تقدم

من قول الصادق عليه السّلام: «أما و اللّه لو قدروا أن يحبّونا لأحبّونا، و لكنهم لا يقدرون» .

فقوله عليه السّلام: «لأحبونا. . .» لأنهم لا يصدر عنهم شیء مكروه حتى لهم. و أما

قوله: «و لكنهم لا يقدرون» لأنهم أسراء النفس و الشهوه و الدنيا و الطبيعه، التی قد صدّتهم و أعوجتهم عن الحق و الصراط المستقيم. و لأجل هذه الفطره التی بها يدركون الحق يعاقبهم اللّه تعالى يوم القيامه و إلاّ لكانوا مستضعفين، و فی الأحاديث الوارده عنهم عليهم السّلام فی بيان حال أعدائهم و أنهم قد كانوا حينا ما يظهرون فضائلهم عليهم السّلام و يقرون بها سرّا أقوى شاهد على ما قلنا، كما لا يخفى على المتتبع لها. ثم إن ما ذكرنا جار بالنسبه إلى كل أحد بمعنى: أن جميع من يعصی اللّه تعالى و يصرّ عليها يعلم قلبا أنه مخالف للحق، و أن حقيقته تشمئزّ من عمله، و يرى أن من لا يعصی اللّه هو الأحسن، و تحكم به فطرته و عقله إلاّ أن أسارته لملكه المعاصی على اختلافها يقدم عليها كما لا يخفى. و من هنا يظهر معنى

قوله:

«و بخع كل متكبر لطاعتكم، و خضع كل جبار لفضلكم»

فإنه قد يقال: إنه كيف يبخع المتكبر لطاعتهم، بل هو عاص لهم، أو كيف يخضع لفضلهم، بل هو معاد و معاند لهم، و يظهر عداوته لهم لا أنه يخضع لفضلهم، و ذلك لأن محبيهم إنما هم يطلبون طاعتهم و يحبونها بقلبهم لما اتصف قلبهم بنور التسليم لهم، و تقديمهم على من سواهم، فخضوعهم لهم عليهم السّلام و لفضلهم و لطاعتهم كأنه ذاتی، لهم و هذا بخلاف أعدائهم و مخالفيهم إذا رجعوا إلى فطرتهم، و فی تلك الحاله نظروا إلى علو مقامهم عليهم السّلام خضعوا لهم و بخعوا لطاعتهم عليهم السّلام و إن كانوا

متكبرين و معرضين عن ولايتهم. و الحاصل: أنهم لما رأوا فضائلهم، فبفطرتهم خضعوا لطاعتهم قلبا، و إن لم يمشوا عليها عملا، و هذا هو الفرق بين خضوع المحب لطاعتهم و خضوع المعاند لها، فإن الأول يخضع لها قلبا و يطلبها شوقا و يعمل بها جارحه. و الثانى: يعتقدها قلبا، و لا يمشى عليها عملا، لإسارته لملكه المعاصى كما تقدم، و هكذا خضوع الجبار لفضلهم، و يرجع حاصل الأمر إلى أن المتكبر و الجبار من مخالفيهم يقرّ قلبا بأنه ينبغى أن يبخع الإنسان لطاعتهم و يخضع لفضلهم و إن لم يمش عليها عملا، و لذا ترى من بعض مخالفيهم الإقرار بفضائلهم لسانا مع أنه، يعاندهم عليهم السّلام عملا، و هذا واضح لا ستره عليه. فتحصل مما ذكرنا: أنّ أى ذى عقل سواء أ كان مؤمنا بهم عليهم السّلام أم لا إذا رأى فضائلهم، و قاسها بالنسبه إلى نفسه و نفس غيره من غير الأئمه عليهم السّلام فيرى لا محاله أن ما عنده و عند الناس من الفضائل مما يشابه فضائلهم كأنه كالقطره بالنسبه إلى البحر أو الحجر الصغير بالنسبه إلى الجبال الراسيه. فلا محاله يحصل له حاله البخوع لطاعتهم و الخضوع لفضلهم عليهم السّلام و يرى نفسه و ما لها بالنسبه إليهم عليهم السّلام كلا شىء فلا محاله يرى انحطاطا و ذلّه لنفسه فى مقابلهم، و هذا معنى:

«و ذلّ كلّ شىء لكم»

. نعم المؤمن لهم لما رأى هذه الحاله فمقتضى إيمانه بهم عليهم السّلام و مشاهده هذه الفضائل الجمّه لهم فيزداد لهم عليهم السّلام حبّا و بهم تمسّكا و لهم طاعه و إليهم شوقا و محبّه و عشقا، فيسعد بهم عليهم السّلام و بفضائلهم إلى أن يصل إلى أعلى الدرجات، و هذا المخالف المعاند لهم، فإنه لما يرى هذه الفضائل، و لا يمكنه إنكاره بقلبه و فطرته، و لا يمكنه التأسى بهم، و الإقرار بفضلهم لسانا و طاعتهم لما تقدم من اسارته لملكه الشرك و النفاق و المعصيه، فلا محاله يبغضهم عملا و يصل منه إليهم عليهم السّلام الأذى بكل ما يمكنه، فيستحق به غضب الجبار كما لا يخفى، أعاذنا اللّه تعالى من ذلك بمحمد و آله

الطاهرين.

قوله علیه السّلام: و أشرقت الأرض بنورکم، و فاز الفائزون بولایتکم، بکم یسلک إلی الرضوان، و علی من جحد ولایتکم غضب الرحمن.

أقول: قوله علیه السّلام: «و أشرقت الأرض بنورکم»

، أی بنور وجودکم، فإنه دلت أحادیث قدسیّه و غیرها علی أنه لولاهم لما أوجدت الأرض، و لا غیرها من الموجودات، أو أشرقت قلوب أهل الأرض بنور هدایتکم و إفراد النور لأنهم علیهم السّلام نور واحد، و هذه الجمله إشاره إلی قوله تعالی: وَ أَشْرَقَتِ اَلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا (۱)، فإنهم نور اللّه، ثم إن الرب إذا أطلق معرّفا و غیر مضاف فلا یراد منه إلاّ اللّه تعالی کما صرح به کثیر من أهل العلم. و أما الرب بمعناه اللغوی و المضاف إلی شیء فقد یطلق بمعنی المالک، یقال رب الدار أی مالکها. و قد یطلق بمعنی السید، قال تعالی: فَیَسْقِی رَبَّهُ خَمْراً (۲). و قد یطلق بمعنی المدبّر، فیقال: ربّ البیت أی مدبّر أمرها. و قد یطلق بمعنی المربّی، أی القائم بالإصلاح و المکافات للأحوال مشتقا من التربیه، کل ذلک إذا أطلق مضافا قال تعالی: اِرْجِعْ إِلیٰ رَبِّکَ (۳)و أما إذا أطلق غیر مضاف، ففی المحکی عن النهایه: لا یطلق الرب غیر مضاف علی غیر اللّه تعالی، و إذا أطلق علی غیره أضیف فیقال: رب کذا، و منه قوله تعالی: وَ أَشْرَقَتِ اَلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا (۴)فاضیف الرب إلی الأرض، فحینئذ یمکن أن یراد منه غیر اللّه کما وردت أحادیث علی أن المراد منه الامام علیه السّلام.

۱- ۱) الزمر:۶۹.

۲- ۲) یوسف:۴۱.

۳- ۳) یوسف:۵۰.

۴- ۴) الزمر:۶۹.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)عن تفسیر علی بن إبراهیم بالإسناد المذکور فیه. . إلی أن قال: حدثنا المفضل بن عمر أنه سمع أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول فی قوله عز و جل: وَ أَشْرَقَتِ اَلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا قال: «رب الأرض یعنی إمام الأرض، قلت: فإذا خرج یکون ما ذا؟ قال: إذا یستغنی الناس عن ضوء الشمس و نور القمر و یجتزئون بنور الإمام» .

و فیه و فی إرشاد المفید رحمه اللّه و روی المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إذا قام قائمنا أشرقت الأرض بنور ربّها و استغنی العباد عن ضوء الشمس، و ذهبت الظلمه» . و قد یقال: إن استشراق الأرض بنور ربها یکون فی زمان ظهور الحجه (عج) ، و رجعه الأئمه علیهم السّلام و سیأتی تحقیقه. ثم، إن إطلاق الرب المضاف علی الإمام لا إشکال و لا ضیر فیه، کما علمت من استعمال الکلمه فی العرف مضافا إلی غیره تعالی، فإن الرب بمعنی التربیه یطلق علیه علیه السّلام فإنه علیه السّلام مربّ لها و لأهلها بالعلم و الهدایه الإلهیه و إصلاح أهلها و سوقهم إلی الکمال کما لا یخفی، و هذا نظیر إطلاق الإله علی الإمام علیه السّلام.

ففی مقدمه تفسیر البرهان (۲)، روی الطبرسی فی الاحتجاج عن علی علیه السّلام أنه قال فی حدیث له طویل: إن قوله تعالی: وَ هُوَ اَلَّذِی فِی اَلسَّمٰاءِ إِلٰهٌ وَ فِی اَلْأَرْضِ إِلٰهٌ (۳)، و قوله: وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ مٰا کُنْتُمْ (۴)، و قوله: مٰا یَکُونُ مِنْ نَجْویٰ ثَلاٰثَهٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ (۵)، فإنما أراد بذلک استیلاء أمنائه بالقدره التی رکّبها فیهم علی جمیع خلقه و إنّ فعلهم فعله.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۵۰۳.

۲- ۲) مقدمه تفسیر البرهان ص ۵۷.

۳- ۳) الزخرف:۸۴.

۴- ۴) الحدید:۴.

۵- ۵) المجادله:۷.

و روی العیاشی فی تفسیره عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:

لاٰ تَتَّخِذُوا إِلٰهَیْنِ اِثْنَیْنِ إِنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ

(۱)

، یعنی بذلک، «و لا تتخذوا إمامین إنما هو إمام واحد» . أقول: ذکره فی تفسیر نور الثقلین (۲)، عنه أیضا.

و فیه عن کنز الکراجکی، عن علی بن أسباط، عن إبراهیم الجعفری، عن أبی الجارود، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: أَ إِلٰهٌ مَعَ اَللّٰهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (۳)، قال: «أی إمام هدی مع إمام ضلال فی قرن واحد» . أقول: أی فی زمن واحد، ثم إن

قوله علیه السّلام فی حدیث مفضل الأول: «یستغنی الناس عن ضوء الشمس و نور القمر» ،

و قوله فی حدیثه الآخر: «و استغنی العباد عن ضوء الشمس و ذهبت الظلمه» ، یحتمل وجوها: الأول: أنه عند قیام القائم (عج) المؤمن تنکشف له العلوم و الأسرار.

ففی المحکی عن علی علیه السّلام: «إذا قام قائمنا یستغنی کل أحد عن علم الآخر، و هو تأویل قوله تعالی: یُغْنِ اَللّٰهُ کُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ (۴)» . توضیحه: أنه قد تقدم مضمون

قوله علیه السّلام: «إذا خرج القائم وضع اللّه یده علی رءوس العباد، فیکمل عقولهم و تبلغ أحلامهم» ، فحینئذ بمقابله قلب المؤمن مع توجه الإمام علیه السّلام إلیه بنور ولایته یشرق قلبه، فیشرف علی حقائق الأشیاء، فیکمل بذلک إیمانه و یقینه، فهو علی نور من ربه، فیتکلم بما هو مطابق للواقع، و ما هو مراد لإمامه من غیر احتیاج إلی تعلیم، و إضاءه نور علم آخر، فیکون حینئذ فی جمیع شئونه، و جمیع الأمور من الدین و المعارف علی بصیره کامله، فیستغنی بهذا النور

۱- ۱) النحل:۵۱.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۶.

۳- ۳) النمل:۶۱.

۴- ۴) النساء:۱۳۰.

و هو نور إمامه عن ضوء الشمس و نور القمر، لأنه بنوره يشاهد حقائق الأمور، فلا يحتاج إلى نورهما، فهو بحيث يشاهد الأشياء فى الظلمه الظاهريه لقوه أبصارهم، لا أنه لا ظلمه فى الوجود كما لا يخفى. الثانى: إن إشراق الأرض بنور الإمام يراد منه ظهور العدل الإلهى، فإن الظلم أى التعدى الظلمه،

كما روى أن الظلم ظلمه يوم القيمه ، و حيث إن ظلمه الظلم قد عمّت قبل قيامه عليه السّلام فبقيامه ينتشر العدل و القسط فيذهب ظلمه الظلم، و هذا أحد معانى

قولهم عليهم السّلام «فيملأ الأرض قسطا أو عدلا كما ملئت ظلما و جورا» . الثالث: أنه لا ريب فى أن كثيرا من الأمور المخلوقه كالملك و الجن، و بعض الموجودات الأخر لا ترى فعلا إلّا للأوحدى من الناس غير الأئمه عليهم السّلام و أما فى زمان الظهور فلأجل تصفيه باطن الناس عن غشوات العمى القلبى، و ذهاب الحجب الباطنيه الناشئه عن المعاصى و الصفات الرذيله بواسطه نور الإمام عليه السّلام الساطع فى القلوب الموجب لتصفيتها، فلا محاله ترى الناس بعين الرأس تلك الأمور الغائبه فعلا، و يدركونها عقلا و قلبا. أقول: هكذا قيل، و فيه نظر، لأن هذا و إن كان مسلما للمؤمن فى زمان الظهور إلّا أنه لا يراد من

قوله: «استغنى الناس عن ضوء الشمس و نور القمر» ، فإن نورهما لا يوجب مشاهده تلك الأمور حتى يستغنى عنهما بنور الإمام، إلّا على ضرب من التأويل فى الشمس و القمر و فى نور الإمام عليه السّلام أيضا، و فيه ما لا يخفى. و الرابع: أنه قد يقال: إنه عليه السّلام إذا خرج استغنى الناس به عن الأمتعه و المأكولات و المشروبات، كما تقدم حديثه

من أنه عليه السّلام يقول لأصحابه فى بعض مراحل سيره: «ألا لا يحمّلن أحد شيئا» ، ففى وقت الاحتياج يطعمهم و يسقيهم بإعجازه. و حيث إن الناس فعلا يحتاجون إلى المأكولات و المشروبات، و هى مما ينضج، و يقبل الأكل بالشمس و نور القمر، فالناس فعلا محتاجون إلى نورهما، و أما فى

زمان الظهور فلا يحتاجون إلى ما تعمله الشمس و القمر، فكأنهم يستغنون حينئذ عن نورهما.

[۷۹]و قوله علیه السّلام: «فاز الفائزون بولایتکم»

اشاره

أی کل من فاز، فإنما فاز بولایتکم، أی الاعتقاد بها و بمحبتکم و متابعتکم. أقول: فهنا أمران:

الأول: أنه ما المراد بالولایه التی هی سبب الفوز؟

و الثانی: أنه ما المراد من الفوز؟ فنقول: أما الأول: فقد یقال: إن المراد منها المحبه بهم علیهم السّلام و الاعتقاد بأن لهم الولایه الإلهیه، فهما یصیران سببا للفوز، کما هو صریح کثیر من الأخبار، و سیأتی بعضها فی معنی الفوز. و قد یقال: إن المراد من الولایه مضافا إلی الاعتقاد بها کما ذکروا إلی المحبه بهم علیهم السّلام هو طهاره الباطن عن جمیع الأرجاس و العلائق و تصفیته بالذکر، لتتجلی فیه معرفته تعالی و أسماؤه و صفاته و حقیقه أفعاله، و معرفه محمد و آله الطاهرین الأئمه الاثنی عشر، و معرفه فاطمه الزهراء علیها السّلام، و معرفه أنبیائه و رسله و الیوم الآخر، و قیام الحجه (عج) و الرجعه، و معرفه أنهم علیهم السّلام أبوابه و أنهم الهداه و أعلام التقی و العروه الوثقی، و معرفه حواریهم و أصحابهم الخاص، و من وصل إلی مقام عال بهم، و معرفه المعارف الإلهیه و الصفات الحمیده و الأحکام الإلهیه و جمیع ما نزل به، فإذا حصلت هذه الأمور فی باطن أحد فقد فاز فوزا عظیما. و الحاصل: أن ولایتهم تجمع جمیع الثمرات و المحاسن الموجبه للفوز بأعلی درجاته، فکل من اتصف بهذه الأمور أو ببعضها فقد فاز بمقتضی معرفته بها کمّا و کیفا. و من المعلوم أنهم علیهم السّلام لهم الولایه الإلهیه بسبب اتصافهم بحقائق معارفه تعالی

و أسمائه و صفاته تعالی و معارفه، فهم الکاملون فی هذه الأمور فلا محاله لهم المقام الأعلی بحیث لا یدانیهم أحد، و أما غیرهم فالفوز بهذه الکمالات یدور مدار معرفتهم، و أنهم محال المعارف الإلهیه و الاتصاف بها، فملاک الفوز هو التحقق القلبی بحقائق ولایتهم علیهم السّلام فهی-أی الولایه-تدور مدارها کمّا و کیفا، و تقدم الحدیث

من قوله علیه السّلام ما مضمونه أنّ درجات العباد یوم القیامه علی قدر معرفتهم بهم علیهم السّلام و تقدم فی صدر الشرح معنی ولایتهم بقسمیها التشریعی و التکوینی، و تقدم کثیرا بیان شئون ولایتهم، التی هذه الزیاره بیان لها، و هذا الشرح شرح لها بقدر فهمنا لا بقدر واقعهم، کما لا یخفی.

و أما الثانی: أعنی بیان الفوز و هو علی أقسام.

منها: أنه قد علمت مرارا أن الولایه باطن النبوه و هی-أی الولایه-مظهر التوحید،

لقوله علیه السّلام:

«فبهم ملأت سماءک و أرضک حتی ظهر أن لا إله إلّا أنت»

، أی بحقیقتهم التی هی أصل الولایه الثابته لهم منه تعالی، فالواجد لولایتهم و العارف بها و بحقیقتها عارف بالتوحید و هو الفوز الأقصی، کما لا یخفی و تقدم مرارا أن بولایتهم یضاعف اللّه الأعمال و الدرجات فی الجنّه. و منها: ما یعاین المؤمن الموالی لهم عند موته، و الأحادیث فی هذا الأمر کثیره جدا. و منها:

ما فی البحار (۱)عن تفسیر علی بن إبراهیم

یٰا أَیَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّهُ. اِرْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً

(۲)

، قال: «إذا حضر المؤمن الوفاه نادی مناد من عند اللّه یٰا أَیَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّهُ. اِرْجِعِی. . راضیه بولاء علی مرضیّه بالثواب، فَادْخُلِی فِی عِبٰادِی وَ اُدْخُلِی جَنَّتِی فلا یکون له همه إلّا اللحوق بالنداء» .

و فیه عن الخصال الأربعمائه قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «تمسّکوا بما أمرکم اللّه به،

۱- ۱) البحار ج ۶ ص ۱۸۲.

۲- ۲) الفجر:۲۷-۲۸.

فما بين أحدكم و بين أن يغتبط و يرى ما يحب إلّا أن يحضره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ما عند اللّه خير و أبقى، و تأتيه البشاره من اللّه عز و جل، فتقر عينه و يحب لقاء اللّه» .

و فيه عن المحاسن بإسناده عن كليب بن معاويه الأسدى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام «ما بين من وصف هذا الأمر و بين أن يغتبط، و يرى ما تقرّ به عينه إلّا أن تبلغ نفسه هذه فيقال: أما ما كنت ترجو فقد قدمت عليه، و أما ما كنت تتخوّف فقد أمنت منه، و إن إمامك لإمام صدق أقدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على و الحسن و الحسين عليهم السّلام» .

و فيه عنه عن على بن عقبه عن أبيه فى حديث طويل عن الصادق عليه السّلام و فيه: «ثم ينهض رسول اللّه فيقوم فيقدم عليه على (صلوات اللّه عليهما) حتى يكبّ عليه فيقول: يا ولى اللّه أبشر أنا على بن أبى طالب الذى كنت تحبنى أما لأنفعنّك» الحديث.

و فيه (۱)، عن مجالس المفيد بإسناده عن الأصبغ بن نباته قال: دخل الحارث الهمدانى على أمير المؤمنين على عليه السّلام فى نفر من الشيعه و كنت فيهم، فجعل الحارث يتأود فى مشيته، و يخبط الأرض بمحجنه و كان مريضا، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السّلام و كانت له منه منزله فقال: «كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر يا أمير المؤمنين منى، و زادنى أوارا و غليلا اختصام أصحابك ببابك، قال: و فيم خصومتهم؟ قال: فيك و فى الثلاثه من قبلك فمن مفرط منهم غال و مقتصد قال، و من متردد مرتاب لا يدرى أ يقدم أم يحجم، فقال: حسبك يا أخا همدان ألا إن خير شيعتى النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالى و بهم يلحق التالى، فقال له الحارث: لو كشفت، فداك أبى و أمّى، الرين عن قلوبنا، و جعلتنا فى ذلك على بصيره من أمرنا، قال: قدك فإنك امرؤ ملبوس عليك: إن دين اللّه لا يعرف بالرجال، بل بآيه الحق فاعرف الحق تعرف أهله.

۱- ۱) البحار ج ۶ ص ۱۷۸.

یـا حارث: إن الحق أحسن الحـديث، و الصادع به مجاهـد و بالحق أخبر ک، فأعرنی سـمعک ثم خبّر به من کانت له حصانه من أصحابک، ألا إنی عبد اللّه و أخو رسوله، و صدیقه الأول قد صدقته و آدم بین الروح و الجسد، ثم إنی صدیقه الأول فی أمتکم حقّـا، فنحن الأولون و نحن الآخرون و نحن خاصـته. یا حارث: و خالصـته و أنا صـفوه و وصـیّه و ولیّه، و صاحب نجواه و سـرّه، أوتیت فهم الکتاب و فصل الخطاب، و علم القرون و الأسباب، و استودعت ألف مفتاح یفتح کل مفتاح ألف باب، یفضـی کل باب إلی ألف-ألف-عهد، و أیدت و اتخذت، و أمددت بلیله القدر نفلا، و إن ذلک لیجری لی و لمن تحفظ (استحفظ، خ) من ذریتی ما جری اللیل و النهار حتی یرث اللّه الأرض و من علیها، و أبشـرک یا حارث لتعرفنی عند الممات و عند الصـراط و عند الحوض و عند المقاسـمه. قال الحارث: و ما المقاسـمه؟ قال: مقاسمه النار أقاسمها قسمه صحیحه. أقول: هذا ولیّی فاترکیه و هذا عدوی فخذیه، ثم أخذ أمیر المؤمنین علیه السّلام بید الحارث، فقال: یا حارث أخذت بیدک کما أخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بیـدی، فقال لی و قـد شـکوت إلیه حسـد قریش و المنافقین لی: إنه إذا کان یوم القیامه أخـذت بحبل اللّه و حجزته (یعنی عصـمته) من ذی العرش تعـالی، و أخـذت أنت یا علی بحجزتی، و أخـذ ذریّتک بحجزتک، و أخـذ شیعتکم بحجزتکم، فما ذا یصـنع اللّه بنبیه و مـا یصـنع نبیّه بوصـیّه! خـذها إلیک یا حارث قصـیره من طویله، أنت مع من أحببت، و لک ما اکتسبت یقولها ثلاثـا، فقـام الحارث یجرّ رداءه، و یقول: ما أبالی بعـدها متی لقیت الموت أو لقینی! قال جمیل بن صالـح: و أنشـدنی أبو هاشـم السید الحمیری رحمه اللّه فیما تضمنه هذا الخبر: قول علی لحارث عجب کم ثمّ اعجوبه له حملا

يا حار همدان من يمت يرنى

من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفنى طرفه و أعرفه

بنعته (۱)و اسمه و ما عملا

و أنت عند الصراط تعرفنى

فلا تخف عثره و لا زللا

أسقيك من بارد على ظمإ

تخاله فى الحلاوه العسلا

أقول للنار حين توقف للعرض

دعيه لا تقتلى الرجلا

دعيه لا تقربيه إن له

حبلا بحبل الوصى متصلا

أقول: و فيه عن أمالى الشيخ المفيد عن المرزبانى، عن عبد اللّه بن الحسن، عن محمد بن رشيد قال: آخر شعر قاله السيد بن محمد رحمه اللّه قبل وفاته بساعه، و ذلك أنه أغمى عليه و اسودّ لونه، ثم أفاق و قد ابيض وجهه و هو يقول: أحبّ الذى من مات من أهل ودّه تلقاه بالبشرى لدى الموت يضحك و من مات يهوى غيره من عدوّه فليس له إلّا إلى النار مسلك أبا حسن تفديك نفسى و أسرتى و مالى و ما أصبحت فى الأرض أملك أبا حسن إنى بفضلك عارف و إنى بحبل من هواك لممسك و أنت وصى المصطفى و ابن عمّه و إنا نعادى مبغضيك و نترك مواليك ناج مؤمن بيّن الهدى و غاليك معروف الضلاله مشرك و لاح لحانى فى على و حزبه فقلت: لحاك اللّه إنك اعفك أقول: لحا اللّه فلانا: قبّحه و لعنه، و لحيت الرجل الحاه لحيا لمته و الملاحاه المنازعه.

و فيه (۲)، عن الحارث الأعور عنه عليه السّلام (أى أمير المؤمنين عليه السّلام) : «و لا يموت عبد يحبّنى إلّا رآنى حيث يحبّ و لا يموت عبد يبغضنى إلّا رآنى حيث يكره» .

١- ١) خ بعينه.

٢- ٢) البحار ج ۶ ص ١٩١.

و فیه (۱)، عن الحارث الأعور قال: أتیت أمیر المؤمنین علیه السّلام ذات یوم نصف النهار، فقال: «ما جاء بک؟ فقلت: حبّک و اللّه، قال: إن کنت صادقا لترانی فی ثلاث مواطن، حیث تبلغ نفسک هذه (و أومأ بیده إلی حنجره) ، و عند الصراط، و عند الحوض» .

و فیه، عن کشف الغمه، حدث الحسین بن عون قال: دخلت علی السید بن محمد الحمیری عائدا فی علته التی مات فیها، فوجدته یساق به، و وجدت عنده جماعه من جیرانه، و کانوا عثمانیه، و کان السید جمیل الوجه رحب الجبهه عریض ما بین السالفین، فبدت فی وجهه نکته سوداء مثل النقطه من المداد، ثم لم تزل تزید و تنمی حتی طبقت وجهه بسوادها، فاغتم لذلک من حضر من الشیعه، و ظهر من الناصبه سرور و شماته، فلم یلبث بذلک إلّا قلیلا حتی بدت فی ذلک المکان من وجهه لمعه بیضاء، فلم تزل تزید أیضا و تنمی حتی أسفر وجهه و أشرق و افتر السید ضاحکا مستبشرا، فقال: کذب الزاعمون أنّ علیّا لن ینجّی محبّه من هنات قد و ربی دخلت جنه عدن و عفا لی الإله عن سیئاتی فأبشروا الیوم أولیاء علیّ و توالوا الوصی حتی الممات ثم من بعده تولوا بنیه واحدا بعد واحد بالصفات ثم أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إله إلّا اللّه حقّا حقّا، و أشهد أنّ محمدا رسول اللّه حقّا حقّا، و أشهد أن علیّا أمیر المؤمنین حقّا حقّا، ثم أغمض عینه لنفسه، فکأنما کانت روحه ذباله أطفئت أو حصاه سقطت. قال علی بن الحسین: قال لی أبی الحسین بن عون و کان أذینه حاضرا فقال: اللّه أکبر ما من شهد کمن لم یشهد أخبرنی و إلّا صمّتا، الفضیل بن یسار عن أبی

۱- ۱) البحار ج ۶ ص ۱۹۵.

جعفر و عن جعفر عليهما السّلام أنهما قالا: «حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسه: محمدا و عليا و فاطمه و حسنا و حسينا بحيث تقر عينها أو تسخن عينها، فانتشر هذا الحديث فى الناس فشهد جنازته و اللّه الموافق و المفارق» . و منها: ما يراه المؤمن الموالى لهم من البشاره و الفوز بالكرامه يوم القيامه.

و فيه (۱)، عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إذا كان يوم القيامه. . إلى أن قال عليه السّلام: من نداء من بطنان العرش ألا أن محمدا و وصيه و سبطيه و الأئمه من ذريته هم الفائزون ثم يؤمر بهم إلى الجنه و ذلك قوله: فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ اَلنّارِ وَ أُدْخِلَ اَلْجَنَّهَ فَقَدْ فازَ (۲)» .

و فيه، عن كنز جامع الفوائد قال: و روى الشيخ أبو جعفر الطوسى فى مصباح الأنوار حديثا يرفعه بإسناده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إذا كان يوم القيمه جمع الأولون و الآخرون فى صعيد واحد، و نصب الصراط على شفير جهنم، فلم يجز عليه إلاّ من كان معه براءه من على بن أبى طالب عليه السّلام» .

و روى أيضا فى الكتاب المذكور حديثا يرفعه بإسناده عن عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إذا كان يوم القيامه أقف أنا و على على الصراط، و بيد كل واحد منّا سيف فلا يمرّ أحد من خلق اللّه إلاّ سألناه عن ولايه على، فمن كان معه شىء منها نجا و فاز، فلا يمرّ أحد من خلق اللّه إلاّ سألناه عن ولايه على، فمن كان معه شىء منها نجا و فاز، و إلاّ ضربنا عنقه و ألقيناه فى النار» .

و فيه، عن تفسير فرات بن إبراهيم، عبيد بن كثير معنعنا عن أبى هريره أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: أتانى جبرئيل عليه السّلام فقال: «أبشرك يا محمد بما تجوز على الصراط؟ قال: قلت: بلى، قال: تجوز بنور اللّه، و يجوز على بنورك، و نورك من نور اللّه، و تجوز أمتك بنور على و نور على من نورك و من لم يجعل اللّه له (۳)نورا فما له من

۱- ۱) البحار ج ۶ ص ۳۲۹.

۲- ۲) آل عمران:۱۸۵.

۳- ۳) مع على نورا، خ.

نور» . و منها: أنّ ولايتهم عليهم السّلام سبب لغفران الذنوب.

ففى البحار (۱)، عن بشاره المصطفى بإسناده عن الحسين بن مصعب قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السّلام يقول: «من أحبّنا و أحبّ محبّنا لا لغرض دنيا يصيبها منه، و عادى عدوّنا لا لاحنه (۲)كانت بينه و بينه، ثم جاء يوم القيامه و عليه من الذنوب مثل رمل عالج و زبد البحر غفر اللّه تعالى له» .

و فيه (۳)، عنه عن كتاب صفوه الأخبار عن إبراهيم بن محمد النوفلى، عن أبيه و كان خادما لأبى الحسن الرضا عليه السّلام أنه قال: حدثنى العبد الصالح الكاظم موسى بن جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب (صلوات اللّه عليهم) قال: حدثنى أخى و حبيبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: «من سرّه أن يلقى اللّه عز و جل و هو مقبل عليه غير معرض عنه، فليتوالك يا على. و من سرّه أن يلقى اللّه عز و جل و هو راض عنه فليتوال ابنك الحسن عليه السّلام. و من أحب أن يلقى اللّه عز و جل و لا خوف عليه، فليتوال ابنك الحسين عليه السّلام. و من أحب أن يلقى اللّه عز و جل و قد محا اللّه ذنوبه عند، فليتوال على بن الحسين عليه السّلام فإنه ممن قال اللّه عز و جل: سِيمٰاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ اَلسُّجُودِ (۴). و من أحب أن يلقى اللّه عز و جل و هو قرير العين، فليتوال محمد بن على الباقر عليه السّلام. و من أحب أن يلقى اللّه عز و جل و يعطيه كتابه بيمينه، فليتوال جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام. و من أحب أن يلقى اللّه عز و جل طاهرا مطهرا، فليتوال موسى بن جعفر

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۰۶.
۲- ۲) أى الحقد.
۳- ۳) البحار ج ۲۷ ص ۱۰۷.
۴- ۴) الفتح:۲۹.

الكاظم علیه السّلام. و من أحب أن یلقی اللّه عز و جل و هو ضاحک فلیتوال علی بن موسی الرضا علیه السّلام. و من أحب أن یلقی اللّه عز و جل و قد رفعت درجاته، و بدّلت سیّئاته حسنات فلیتوال محمد بن علی الجواد علیه السّلام. و من أحب أن یلقی اللّه عز و جل و یحاسبه حسابا یسیرا، و یدخله جنّات عدن عرضها السموات و الأرض أعدّت للمتقین، فلیتوال علی بن محمد الهادی علیه السّلام. و من أحب أن یلقی اللّه عز و جل و هو من الفائزین، فلیتوال الحسن بن علی العسکری علیه السّلام. و من أحب أن یلقی اللّه عز و جل و قد کمل إیمانه و حسن إسلامه، فلیتوال الحجه ابن الحسن المنتظر (صلوات اللّه علیه) ، هؤلاء أئمه الهدی و أعلام التقی، من أحبهم و تولاهم کنت ضامنا له علی اللّه عز و جل الجنه» . و منها: أن ولایتهم سبب لقبول الأعمال و بها الفوز العظیم، و الأخبار بذلک کثیره جدا، و قد تقدم کثیر منها فی طی الشرح و نذکر هنا بعضها تیمّنا:

ففیه (۱)، عن المحاسن، ابن فضال عن الحارث بن المغیره قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام جالسا، فدخل علیه داخل، فقال: یا بن رسول اللّه ما أکثر الحاج العام؟ ! فقال: «إن شاءوا فلیکثروا و إن شاءوا فلیقلّوا، و اللّه ما یقبل اللّه إلاّ منکم، و لا یغفر إلاّ لکم» .

و فیه عنه بإسناده عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «لو أن عبدا عبد اللّه ألف عام، ثم ذبح کما یذبح الکبش، ثم أتی اللّه ببغضنا أهل البیت لردّ اللّه علیه عمله» .

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۸۵.

و فیه عنه، عن حمزه بن عبد اللّه، عن جمیل بن میسر، عن أبیه النخعی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «یا میسّر أی البلدان أعظم حرمه؟ قال: فما کان منا أحد یجیبه حتی کان الراد علی نفسه، فقال: مکّه، فقال: أی بقاعها أعظم حرمه؟ قال: فما کان منا أحد یجیبه حتی کان الراد علی نفسه، قال: بین الرکن إلی الحجر، و اللّه لو أن عبدا عبد اللّه ألف عام حتی ینقطع علباؤه (أی عصب العنق) هرما، ثم أتی اللّه ببغضنا (أهل البیت، خ ر) لرّد اللّه علیه عمله» . و مثله أحادیث أخر کثیره جدا.

و فیه (۱)، عن کتاب المناقب لابن شاذان بإسناده عن سلیمان الأعمش عن جعفر بن محمد عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی أنت أمیر المؤمنین و إمام المتقین، یا علی أنت سید الوصیین و وارث علم (علوم، خ ل) النبیین، و خیر الصدیقین و أفضل السابقین، یا علی أنت زوج سیده نساء العالمین و خلیفه المرسلین، یا علی أنت مولی المؤمنین، یا علی أنت الحجه بعدی علی الناس أجمعین استوجب الجنه من تولاک، و استحق دخول النار من عاداک، یا علی و الذی بعثنی بالنبوه، و اصطفانی علی جمیع البریه، لو أن عبدا عبد اللّه ألف عام (ثم الف عام خ) ما قبل اللّه ذلک منه إلّا بولایتک و ولایه الأئمه من ولدک، و إن ولایتک لا تقبل إلّا بالبراءه من أعدائک و أعداء الأئمه من ولدک، بذلک أخبرنی جبرئیل علیه السّلام فمن شاء فلیؤمن و من شاء فلیکفر» . و منها: أن ولایتهم و محبّتهم تنفع فی المواقف المهمّه یوم القیامه.

ففی البحار (۲)، عن الخصال و أمالی الصدوق بإسناده عن جابر، عن أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین عن أبیه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «حبّی و حبّ أهل بیتی نافع فی سبعه مواطن أ هوالهنّ عظیمه عند الوفاه، و فی القبر، و عند النشور،

ص: ۳۰۹

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۹۹.
۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۱۵۸.

و عند الكتاب، و عند الحساب، و عند الميزان، و عند الصراط» .

و فيه عن المحاسن، محمد بن على و غيره عن الحسن بن محمد بن الفضل الهاشمى عن أبيه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إن حبّنا أهل البيت ينفع فى سبعه مواطن عند اللّه، و عند الموت، و عند القبر، و يوم الحشر، و عند الحوض، و عند الميزان، و عند الصراط» .

و فيه عن كتاب فضائل الشيعه للصدوق رحمه اللّه بإسناده عن السكونى، عن الصادق عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أثبتكم قدما على الصراط أشدّكم حبّا لأهل بيتى» .

و فيه بإسناده عن الثمالى عن أبى جعفر عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السّلام: «ما ثبت اللّه حبّك فى قلب امرئ مسلم فزلّت به قدم على الصراط، إلاّ ثبت له قدم حتى أدخله اللّه بحبّك الجنه» . أقول: و مثله أحاديث كثيره جدّا. أقول: و مثله أحاديث كثيره جدّا. و منها: أن المؤمن الموالى لهم عليهم السّلام و المعادى لأعدائهم المطهّر قلبه عن الأرجاس، و المتصف بصفه الأمانه كان أفضل من الملائكه كلهم، و أفضل من الأنبياء حتى أولى العزم منهم و كان مع الأئمه عليهم السّلام حيثما كانوا، و لعمرى هذا هو الفوز العظيم الذى لا فوز فوقه.

ففى بصائر الدرجات (١)، بإسناده عن الحسين بن علوان، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه خلق (فضّل) أولى العزم من الرسل بالعلم و ورثنا علمهم، و فضلنا عليهم فى علمهم و علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما لم يعلموا، و علمنا علم الرسول و علمهم، و أمناء شيعتنا أفضلهم، أين ما كنّا فشيعتنا معنا» . أقول: تقدم هذا الحديث آنفا و إنما كررته لما فيه من البشاره و الفوز العظيم، و هو المستفاد من

قوله عليه السّلام: «و أمناء شيعتنا أفضلهم» أى أفضل من أولى العزم،

١- ١) بصائر الدرجات ص ٢٢٩.

و قوله علیه السّلام: «أین ما کنا فشیعتنا معنا» . و لعمری إنه لا یتصور فوز أعظم من هذا، و هذا مقام یتنافس فیه السالکون إلی اللّه تعالی، و لهم فی بیانه و الشوق إلیه و السرور به نضما و نثرا الشیء المعلوم معلوم عند أهله، جعلنا اللّه تعالی منهم بمحمد و آله الطاهرین.

و فی البحار (۱)، عن احتجاج الطبرسی و تفسیر العسکری علیه السّلام عن أبی محمد العسکری علیه السّلام أنه قال: «سأل المنافقون النبی صلّی اللّه علیه و آله فقالوا: یا رسول اللّه أخبرنا عن علی علیه السّلام هو أفضل أم ملائکه اللّه المقربون؟ فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: و هل شرفت الملائکه إلاّ بحبّها لمحمد و علی و قبولها لولایتهما، إنه لا أحد من محبی علی علیه السّلام نظّف قلبه من قذر الغش و الدغل و الغلّ و نجاسه الذنوب، إلاّ کان أطهر و أفضل من الملائکه» . أقول: و هذا الحدیث أیضا من درر الأحادیث الداله علی فضیله الشیعه و محبیهم علیهم السّلام و أنهم إذا طهّروا أنفسهم عما ذکر و نظفوها کانوا أفضل من الملائکه.

و فی تفسیر نور الثقلین (۲)، عن روضه الکافی فی خطبه لأمیر المؤمنین علیه السّلام و هی خطبه الوسیله یقول فیها علیه السّلام: «و عن یسار الوسیله عن یسار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ظلمه یأتی منها النداء یا أهل الموقف طوبی لمن أحبّ الوصی و آمن بالنبی الأمی، و الذی له الملک الأعلی! لا فاز أحد و لا نال الروح و الجنه إلاّ من لقی خالقه بالإخلاص لهما، و الاقتداء بنجومهما، فأیقنوا یا أهل ولایه اللّه ببیاض وجوهکم، و شرف مقعدکم، و کرم مآبکم، و بفوزکم الیوم علی سرر متقابلین، و یا أهل الانحراف و الصدود عن اللّه و عن ذکره و رسوله و صراطه و إعلام الأزمنه أیقنوا بسواد وجوهکم و غضب ربکم جزاء بما کنتم تعملون» . و کیف کان،

فقوله علیه السّلام: «و فاز الفائزون بولایتکم» ، لعله یشیر إلی قوله تعالی:

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۳۳۸.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۳۱۶.

إِنَّ اَلَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ ثُمَّ اِسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ اَلْمَلاٰئِكَهُ أَلاّٰ تَخٰافُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ اَلَّتِی كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيٰاؤُكُمْ فِی اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا وَ فِی اَلْآخِرَهِ وَ لَكُمْ فِيهٰا مٰا تَشْتَهِی أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهٰا مٰا تَدَّعُونَ. نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ

(۱)

.

ففی تفسیر نور الثقلین (۲)، روی محمد بن الفضیل قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السّلام عن الاستقامه؟ فقال: «هی و اللّه ما أنتم علیه» .

و فیه فی تفسیر علی بن إبراهیم، ثم ذکر المؤمنین من شیعه أمیر المؤمنین (صلوات اللّه علیه) فقال: إِنَّ اَلَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ ثُمَّ اِسْتَقٰامُوا قال: «علی ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ اَلْمَلاٰئِكَهُ قال: عند الموت، أَلاّٰ تَخٰافُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ اَلَّتِی كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيٰاؤُكُمْ فِی اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا ، قال: کنا نحرسکم من الشیاطین، وَ فِی اَلْآخِرَهِ أی عند الموت، وَ لَكُمْ فِيهٰا مٰا تَشْتَهِی أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهٰا مٰا تَدَّعُونَ یعنی فی الجنه نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ .

حدثنی أبی عن ابن أبی عمیر عن ابن سنان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «ما یموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلاّ و یحضره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین و الحسن و الحسین علیهم السّلام فیرونه و یبشرونه، و إن کان غیر موال لنا یراهم بحیث یسوؤه» . و الدلیل علی ذلک

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام للحارث الهمدانی:

یا حار همدان من یمت یرنی

من مؤمن أو منافق قبلا

أقول: فالمقر بولایتهم و المقیم علیها هو الذی حاز جمیع الخیرات فی الدنیا و الآخره. ثم: إن السرّ الإجمالی لهذه الأخبار الداله علی أن الفوز منوط بولایتهم علیهم السّلام هو أنه تعالی إنما یتجلی بجماله و جلاله بهم علیهم السّلام إذ علمت أنهم الأسماء الحسنی، فهم

ص: ۳۱۲

۱- ۱) فصلت:۳۰-۳۲.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۵۴۷.

حینئذ مظاهر لجماله و لنعمه و لألطافه، و منهم تجری هذه الأمور للخلق، و یقابله أن العذاب و النقمه و الغضب الإلهی إنما هی لأعداء اللّه تعالی و أعدائهم علیهم السّلام فمن تمسک بهم و بولایتهم، فلا محاله یفوز بهم بمثل تلک الأمور المتقدمه و نحوها، و من انحرف عنهم فقد انخرط فی سلک المجرمین، فلا محاله یکون من المغضوب علیهم و من الضالین، فله حینئذ العذاب و النکال و النقمه منه تعالی. أعاذنا اللّه تعالی من نقمته و من سوء العاقبه، و نسأله أن یجعلنا و یدیمنا علی ولایتهم و محبتهم فی الدنیا و الآخره، فنفوز بهم فوزا عظیما بمحمد و آله الطاهرین.

و أما قوله علیه السّلام: «بکم یسلک إلی الرضوان»

، أی رضا اللّه تعالی الذی هو أعظم الدرجات کما قال تعالی: وَعَدَ اَللّهُ اَلْمُؤْمِنِینَ وَ اَلْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ مَساکِنَ طَیِّبَهً فِی جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اَللّهِ أَکْبَرُ ذلِکَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِیمُ (۱).

ففی البحار (۲)، عن المحاسن بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «الروح و الراحه، و الرحمه و النصره، و الیسر و الیسار، و الرضا و الرضوان، و الفرج و المخرج، و الظهور و التمکین و الغنم، و المحبه من اللّه و رسوله لمن والی علیا علیه السّلام و ائتم به» . و فیه عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام: مثله مع زیاده.

و فیه، عن بکر بن صالح عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام قال: «من سره أن ینظر إلی اللّه بغیر حجاب، و ینظر اللّه إلیه بغیر حجاب فلیتوال آل محمد و لیتبرأ من عدوهم، و لیأتم بإمام المؤمنین منهم، فإنه إذا کان یوم القیمه نظر اللّه إلیه بغیر حجاب، و نظر إلی اللّه بغیر حجاب» .

و فیه عنه بإسناده إلی الحسین بن علی علیهما السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «الزموا

۱- ۱) التوبه:۷۲.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۹۱.

مودتنا أهل البيت، فإنه من لقى اللّه و هو يودنا أهل البيت دخل الجنه بشفاعتنا، و الذى نفسى بيده لا ينتفع عبد بعمله إلّا بمعرفه حقّنا» . فقوله: «بكم» ، أى بسبب ولايتكم أو محبتكم أو متابعتكم، كما تقدم أنهم الصراط إلى اللّه تعالى. و قال العرفاء الشامخون: الرضا باب اللّه الأعظم، و السالك إذا وصل إلى مقام الرضا لم يكن له إنكار على شىء من الأشياء فقد دخل الجنه، و لذا كان خازن الجنه أيضا يسمّى بالرضوان. ففى الحقيقه أن الواصل إلى مقام الرضا فقد رضى بما فعله اللّه تعالى، فحينئذ يكون رضاه رضاه تعالى،

قال عليه السّلام: «رضا اللّه رضانا أهل البيت» ، و حينئذ لا يحرم من ألطافه تعالى شىء، إذ المانع منها هو الكدوره بما قضاه تعالى، و إذا كان راضيا به و بأفعاله فلا محاله لا مانع بينه و بين ألطافه، فإنه جواد كريم لا يمنع كرمه إلّا لمن سخط رضاه، كما لا يخفى. ثم إن صفه الرضا عنه تعالى إنما هى بالتحقق بالأسماء الحسنى، فإن المشتمل بها يكون فى صفه الرضا منه تعالى، فحينئذ معنى بكم يسلك إلى الرضوان، أنه بسببكم، حيث إنهم عليهم السّلام الأسماء الحسنى، يسلك إلى الرضوان، و الاتّصاف بأسمائهم عليهم السّلام الحقيقيّه قلبا و روحا يوجب السلوك إلى الرضوان، أى رضوان اللّه تعالى الذى هو خير من الجنه.

ففى تفسير نور الثقلين (1)، عن تفسير العياشى بإسناده عن على بن الحسين عليه السّلام قال: «إذا صار أهل الجنه فى الجنه» ، إلى أن ذكر نعمهم فيها. . إلى أن قال عليه السّلام: ثم إن الجبار يشرف عليهم فيقول: أوليائى و أهل طاعتى و سكان جنتى فى جوارى، ألا هل أنبئكم بخير مما أنتم فيه؟ فيقولون: ربنا و أى شىء خير مما نحن فيه؟ نحن فيما

1- 1) تفسير نور الثقلين ج 2 ص 241.

اشتهت أنفسنا و لذت أعيننا من النعم فی جوار الکریم قال: یعود علیهم بالقول، فیقولون: ربنا نعم یا ربنا رضاک عنا و محبتک لنا خیر لنا و أطیب لأنفسنا، ثم قرأ علی بن الحسین علیه السّلام هذه الآیه: وَعَدَ اَللّهُ اَلْمُؤْمِنِینَ وَ اَلْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ مَساکِنَ طَیِّبَهً فِی جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اَللّهِ أَکْبَرُ ذلِکَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِیمُ . أقول:

قوله علیه السّلام: «نعم یا ربنا رضاک عنا. . إلخ» ، یدل علی أن الرضا و الرضوان أکبر و أحسن من تلک النعم، و هی لا تحصل إلاّ بهم علیهم السّلام و بولایتهم و بمتابعتهم. أقول: لعل الوجه فی کونه أکبر هو أن النعم الإلهیه فی الجنه المذکوره فی الأحادیث، و إن کانت نعما إلهیه إلا أنها محدوده بصور الجنه، و أنها و إن کانت عظیمه وسیعه جدّا و لذتها کثیره جدا إلاّ أنها-بالنسبه إلی مشاهده منشإ هذه اللذات و هو وجهه الکریم و التمتع به، و النظر إلیه بالمعنی المذکور فی محله المناسب لعلوّ جماله و جلاله-تعدّ حقیره. کیف لا و إن تلک النعم فیها محدوده، و وجهه الکریم الذی هو منشأ لها غیر محدود، فالوصل إلیه و التمتع به و النظر إلیه یکون أکبر، و إنما عبّر عن هذا النظر إلی وجهه الکریم بالرضوان، لأنه لا یحصل هذا إلاّ به، أی بالرضوان فإن مقام الرضا الحقیقی یرفع جمیع الحجب بین الراضی و المرضی، و الرضا فی الحقیقه أمر أصله فی المرضی و ظهوره فی الراضی فیوجب نفی غیر المرضی عن الراضی، و حینئذ فی الحقیقه الراضی هو المرضی، لأنه حینئذ قد أسقط جمیع الإضافات التی هی وجوده، الذی هو الحجاب بینه و بین خالقه، کما تقدم أن الخلق هو الحجاب، و حینئذ فلم یبق فیه إلاّ الرضا الذی هو ظهور المرضی بجماله و جلاله، فیه فتدبر تعرف. و لعلّ هذا هو المراد من

قول الرضا علیه السّلام: «من سرّه أن ینظر إلی اللّه بغیر حجاب و ینظر اللّه إلیه بغیر حجاب. . إلخ» .

فإن الموالاه لهم فى الحقيقه هو الاتصاف بصفاتهم الإلهيه، التى منها بل أهمها الرضا منه تعالى بالمعنى المذكور، فمن تولاهم و اتصف برضاهم عنه تعالى، فلا محاله ينظر إليه تعالى بغير حجاب بالمعنى المذكور. و قد يقال:

«بكم يسلك إلى الرضوان»

، أى بولايتكم و محبتكم، و اتّباعكم فيما أمرتم به و نهيتم عنه و بالتسليم لكم و الرد إليكم و الأخذ عنكم، و باللزوم لكم مع البراءه من أعدائكم و من اتباعهم و الراضين بأفعالهم و المقتدين بهم و الرادين إليهم، و العاملين بأقوالهم، و المقتدين بأفعالهم، فلا بد من البراءه من هذه الأمور، إذ لا تتحقق ولايتكم إلّا بالبراءه منهم هكذا، كما تقدم

قوله صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السّلام آنفا: «و إن ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءه من أعدائك و أعداء الأئمه من ولدك. . . إلخ» . و كيف كان، بهذه الأمور يسلك الطريق الموصل إلى الرضوان، أو لكونكم أدلاء إلى كل خير، لأنكم القائدون إلى الجنه من اتبعكم و أحبكم، و تولاكم يسلك بكم إلى الرضوان، أو ببركه وجودكم و لأجلكم، أو لأجل حبكم و ولايتكم يسلك اللّه بمن اتبعكم و أحبكم إلى الرضوان، أو من عصمه بركه وجودكم يسلك إلى الرضوان، أو لأجل حبكم و لأجلكم جعل اللّه طريق الرضوان لمن أحبكم و تبعكم، أو لأجل حبكم يوصله اللّه أى المؤمن التابع لكم إلى الرضوان. ثم، إن المراد من الرضوان، إما الجنه و إما رضوان اللّه الذى هو أكبر، و إما يراد منه مجاوره محمد صلّى اللّه عليه و آله فى جنه عدن كما فسر الرضوان بجنه عدن. و قد يقال فى بيان الرضوان المسلوك إليه بهم عليهم السّلام: إن درجات أهل الجنه متفاوته بالنسبه إلى قربه تعالى، فكلما استقرّوا فى مرتبه من مراتب القرب ما شاء اللّه انتقلوا إلى مقام فوقه و هكذا، فأول مقام لهم مقام الرفرف الأخضر، ثم مقام الكثيب الأحمر ثم الأصفر المسمى بأرض زعفران، و هو أعلى من الرفرف، ثم مقام الأعراف الذى هو أعلى من مقام الكثيب الأحمر، ثم مقام الرضوان و هو أعلى مما ذكر، و أشرف و أقرب بما لا يكاد يوصف، و يمكثون فيه ما شاء اللّه بلا غايه و لا

نهـایه و لیس وراء هـذا مقـام، إلاّـ أن لهـذا المقـام فی نفسه درجـات ینتقلون من درجه إلی أخری أشـرف من الأولی و لا نهایه لـذلک یجمعهـا أنها مقام الرضوان. و قـد یقال فی کیفیه الوصول إلی مقام الرضوان بما له من الـدرجات: إن الملائکه المقربین یـأتیهم کل جمعه بنجائب من نور من نجائب الجنه فیقول للمؤمن: إنّ ربک یـدعوک لیجزیک أو یزیـدک من فضـله و عطایاه، فیرکب و یصـعد حتی یصل إلی المقام الـذی دعا اللّه به فیعطی ضـعف ما عنـده من ممالک الجنه و نعیمها، و لا یزال هکذا کل جمعه و هو ینتقـل فی المقامات کما ذکر، و یعطی فی کل مقام مما فوقه حتی ینتهی فی سـیره فی الـدرجات و تنقله فی مقامات القرب إلی أن یصـل إلی الرضوان، فـإذا ادّعی و أتی قـال: یـا رب لاـ حاجه لی إلی العطاء فیقال له: بلی رضای عنک، و لا یزال هکـذا أبدا کلما وفد علی ربه زاده رضا عنه جدیدا، لیس فی الجنه نعیم یدانیه، فیمکثون ینتقلون فی مقامات الرضوان و درجات القرب إلی الرحمن بلا غایه و لا نهایه. فعلی هـذا، یکون المراد من قوله: بکم یسـلک المؤمن، أو یسـلک اللّه به، أو یسـلکون به إلی الرضوان الـذی لیس وراء نعیمه نعیم، و لا یصـلون إلی مقام الرضوان إلاّ بهم علیهم السّـلام بأحـد الوجوه المـذکوره. أقول: هـذا ما ذکره بعض الشارحین، و لعله مأخوذ من أحادیث الأئمه علیهم السّـلام و التی لم أظفر بعـد بها. و قـد یقال: إنه تعالی نور کلّه و علم کلّه، و قـدره کلّه کما تقـدم حـدیثه عن التوحیـد، و هو تعالی أحـد صـمد، و هو حقیقه غیر معقول و لا محـدود و لا متصوّر، و الخلق و لو کـان أقرب الخلق إلیه حجـاب بنفسه علی الحقیقه الأحـدیثه، إلاّـ أن قرب الحجب إلیه تعالی هو الحقیقه و المحمدیه و العلویه و الولویه، و هذه الحقیقه حجاب اللّه تعالی و هو الحجاب الأکبر الأعظم،

قال علیه السّلم: «احتجب ربنا بنا» ،

و قـال علیه السّـلام: «و علی أوصـیائه الحجب» ، فی الزیـاره الرجبیه و عبّر فی الأحادیث عن النبی صـلّی اللّه علیه و آله بالحجاب الأعظم، و هذا الحجاب واسطه بینه تعالی و بین الخلق، و هذا الحجاب طرف منه إلی

اللّه، و لاـ يعلم أحـد كيفيه هـذا الحجـاب، إلاّـ أن هـذا الحجاب بالنسـبه إلى الـذات المقـدسه يعبر عنه بالبيان، لأنه به تبين الحق بشئونه الجماليه و الجلاليه. و بالنسـبه إلى نفسه يعبر عنه بالمعانى أى معانى اللّه فإن اللّه اسم للذات المستجمع لصفات الجلال و الجمال، فهو اسم له بلحاظ الأسـماء الكائنه للذات المقدسه الغائبه عن الأوهام و أبصار القلوب. و حقيقه الحجاب الأعظم بالنسبه إلى أقربيته إلى الـذات يسـمى بالنبى و النبوه صـلّى اللّه عليه و آله، و بالنسـبه إلى نفسه التى هى تجليات الذات بالأسـماء يسـمى بالولايه الإلهيه و هما، أى النبوه و الولايه ثابتتان أولا بالذات للنبى الأعظم صـلّى اللّه عليه و آله و أما الولايه فهى منتقله بعد النبى إلى الوصـى أمير المؤمنين عليه السّـلام الذى كان باطن النبوه و نفس النبى صـلّى اللّه عليه و آله و هى أى الولايه محيطه بالقدره الإلهيه و النبى و النبوه محيطه بالعظمه، و العظمه و مظهرها لا يصل إليها أحـد إلاّ بالقدره الولويه، و بالقدره الولويه تنشـرح النبوه و محتواها و باطنها،

و لـذا قال صـلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السّـلام: «و عليك البيان» ، كما تقدم حديثه، و جميع مقامات الأولياء فى جميع العوالم مـأخوذه منه تعـالى بواسـطه النبى أولاـ و بالـذات و بالواسـطه الولى ثانيـا، و به ينقسم إلى الأوليـاء كـل على حسب قابليتهم التى يستحقه و إلى هذه الأمور يشير

قوله عليه السّلام كما فى البحار (۱)، حديث طويل عن جابر عن السـجاد عليه السّلام و فيه: و قال (صلوات اللّه عليه) : «يا جابر أ و تـدرى ما المعرفه؟ المعرفه إثبات التوحيد أولا، ثم معرفه المعانى ثانيا، ثم معرفه الأبواب ثالثا، ثم معرفه الأنام (الإمام) رابعا، ثم معرفه الأركـان خامسـا، ثم معرفه النقبـاء سادسا، ثم معرفه النجباء سابعا، و هو قوله تعالى: لَوْ كٰانَ اَلْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّى لَنَفِدَ اَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً (۲)و تلا أيضا: وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِى اَلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلاٰمٌ وَ اَلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۱۳.

۲- ۲) الكهف:۱۰۹.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(۱)

. يـا جـابر إثبات التوحيـد و معرفه المعانى: أما إثبات التوحيـد: معرفه اللّه القـديم الغائب الـذى لا تـدركه الأبصار، و هو يـدرك الأبصـار و هو اللطيف الخبير، و هو غيب بـاطن سـتدركه كما وصف به نفسه. و أما المعانى: فنحن معانيه و مظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته، و فوض إلينـا أمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، و نحن إذا شئنا شاء اللّه، و إذا أردنا أراد اللّه، و نحن أحلّنا اللّه عز و جل هـذا المحـل، و اصـطفانا من بين عباده، و جعلنا حجته فى بلاده. . . إلى أن قال: قلت: يا بن رسول اللّه و من المقصـر؟ قال: الذين قصـروا فى معرفه الأئمه، و عن معرفه ما فرض اللّه عليهم من أمره و روحه، قلت: يا سيدى و ما معرفه روحه؟ قال عليه السّلام: أن يعرف كـل من خصّه اللّه تعالى بالروح، فقـد فوض إليه أمره يخلق بإذنه و يحيى بإذنه و يعلم الغير ما فى الضـمائر، و يعلم مـا كان و ما يكون إلى يوم القيامه، و ذلك إن هـذا الروح من أمر اللّه تعالى، فمن خصّه اللّه تعالى بهـذا الروح فهـذا كامل غير ناقص يفعل ما يشاء بإذن اللّه، يسـير من المشـرق إلى المغرب فى لحظه واحده، يعرج به إلى السماء و ينزل به إلى الأرض و يفعل ما شاء و أراد. قلت: يا سيدى أوجدنى بيان هذا الروح من كتاب اللّه تعالى و إنه من أمر خصّه اللّه تعالى بمحمد صلّى اللّه عليه و آله؟ قال: نعم اقرأ هـذه الآيه: وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا مٰا كُنْتَ تَدْرِى مَا اَلْكِتٰابُ وَ لاَ اَلْإِيمٰانُ وَ لٰكِنْ جَعَلْنٰاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِنٰا (۲)و قوله تعالى: أُولٰئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ اَلْإِيمٰانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ (۳)» .

و فى المحكى عن جـابر بن يزيـد الجعفى عن البـاقر عليه السّـلام أنه قـال: «يـا جـابر عليك بالبيان و المعانى، قال: فقلت له: و ما البيان و المعانى؟ قال: فقال على عليه السّلام أما البيان

۱- ۱) لقمان:۲۷.

۲- ۲) الشورى:۵۲.

۳- ۳) المجادله:۲۲.

فهو أن تعرف اللّه سبحانه بأنه ليس كمثله شيء فتعبده و لا تشرك به شيئا» . الحديث.

و فى البحار (۱)، عن المختصر عن المفضل قال: قلت لمولانا الصادق عليه السّلام ما كنت قبل أن يخلق اللّه السموات و الأرض؟ قال: «كنّا أنوارا نسبّح اللّه تعالى و نقدسه حتى خلق اللّه الملائكه، فقال لهم اللّه عز و جل: سبّحوا-فقالت: أى ربنا لا علم لنا فقال لنا: سبّحوا فسبحنا، فسبحت الملائكه بتسبيحنا، إلاّ إنا خلقنا أنوارا و خلقت شيعتنا من شعاع ذلك النور، فلذلك سميت شيعه، فإذا كان يوم القيمه التحقت السفلى بالعليا ثم قرب ما بين إصبعيه» . أقول:

قوله عليه السّلام: «إثبات التوحيد. . . إلخ» ، يشير إلى معرفته تعالى بنحو البيان و المعرفه الحقيقيه، و لذا عبر عنه أى عن التوحيد، و أنه تعالى ليس كمثله شيء بالبيان، و هذه المعرفه لا تحصل إلاّ بسببهم عليهم السّلام بالنحو الذى ذكرناه.

و قوله عليه السّلام: «يفعل ما يشاء بإذن اللّه» ، يشير إلى قدره الإمام عليه السّلام فى عالم ما سوى اللّه، أى أنه مظهر لقدرته تعالى كما تقدم

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «و كان نورى محيطا بالعظمه، و نور على محيطا بالقدره» فمن وصل إلى أى مقام، فإنما وصل بهم خصوصا من مثل مقام الرضوان الذى هو فوق كل مقام. و لعل

قوله عليه السّلام: «ستدركه كما وصف به نفسه» ، يشير إلى أن جابرا سيصل إلى مقام الرضوان و المعرفه و البيان بسبب محبتهم و ولايتهم عليهم السّلام و هذا لا يختصّ بجابر بل يعم جميع شيعتهم المقرّين بولايتهم و بفضلهم و بمقامهم عند اللّه تعالى.

و قوله عليه السّلام: «كما وصف به نفسه» ، يشير إلى أنه لا يمكنك الوصول و الدرك لكنه ذاته، بل إنما يمكنك بولايتنا الوصول إلى معرفته كما وصف به نفسه من الأوصاف و الأسماء الحسنى الإلهيه، و قد تقدم أنهم عليهم السّلام الأسماء الحسنى، و هم الصفات الحسنى

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۳۵.

للّه تعالى،

لقول الرضا عليه السّلام كما تقدم: الاسم صفه لمسمى. و يستفاد من هذه الأمور أن غايه الوصول إلى معرفته تعالى هو الوصول إلى ما وصف به نفسه و الدرك له، و هو مقام الصفات و الأسماء، و هو مقام حقيقتهم عليهم السّلام و ليس إلى ما وراءه مطمع لأحد، فلا يصل أحد إلاّ إلى حقيقتهم التى هى الأسماء الإلهيه، التى يتفرّع عليها معرفه الرب بهذا الوجه، أى وجه اللّه الذى هو (أى الوجه) هم عليهم السّلام، و هذا معنى

قوله عليه السّلام: «معرفتى بالنورانيه معرفه اللّه، و معرفه اللّه معرفتى بالنورانيه» . و ظهرت حقيقه

قوله عليه السّلام:

«بكم يسلك إلى الرضوان»

، أى بولايتكم يسلك إلى مقام المعرفه الذى هو الرضوان، فتدبر تعرف إن شاء اللّه و اكتمه إلاّ عن أهله، اللهم اجعلنا منهم بمحمد و آله الطاهرين. ثم، إن السّر فى أن الوصول إلى مقام الرضا و الرضوان بهم عليهم السّلام هو: أنهم عليهم السّلام لا ريب فى كونهم عند اللّه تعالى كما تقدم أن لهم مقام العنديه، أى عند اللّه تعالى و أنهم الحجاب الأعظم، و تقدم

قول السجاد عليه السّلام: «ليس بين اللّه و بين حجته ستر و لا دونه حجاب» ، فهم فى تلك المنزله القصوى التى ليست فوقها منزله. ثم إن شيعتهم لما خلقت أرواحهم من شعاع أنوارهم عليهم السّلام و لذلك سميت الشيعه شيعه، فالشعاع قوامه و بدؤه و منتهاه من أصله المتفرّع منه. فلا محاله أن الشيعه بسبب ولايتهم، أى قبولهم مقامهم الولوى و محبتهم بهم عليهم السّلام و أنهم من شعاع نور هم يصلون إلى مقام الرضوان، أى مقام البيان و المعرفه الحقيقيه به تعالى، و إليه الإشاره

بقوله عليه السّلام: «فإذا كان يوم القيامه التحقت السفلى بالعليا» ،

و قوله فيما تقدم: «أينما كنا فشيعتنا معنا» ، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

و أما قوله عليه السّلام: «و على من جحد ولايتكم غضب الرحمن» .

فقد يقال: إن المناسب أن يقال غضب الجبار لا الرحمن كما لا يخفى، و لكن

ص: ۳۲۱

یدفعه أن الوجه فیه أن الذین اتخذوا أعداءهم أولیاء و جحدوا ولایتهم علیهم السّلام لا یبقی لهم قابلیه الرحمه، حتی أن الرحمه الرحمانیه التی وسعت کل شیء تبدل فی حقهم غضبا، فبهذا التعبیر أکّد فی استحقاقهم لغضبه تعالی کما لا یخفی. ثم إن المراد من قوله: «جحد» ، الجاحد لولایتهم بعد المعرفه و الیقین، کما قال تعالی: وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اِسْتَیْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا (۱).

و فی البحار (۲)، عن أمالی ابن الشیخ، عن صالح بن میثم التمار رحمه اللّه قال: وجدت فی کتاب میثم رضی اللّه عنه یقول: تمسّینا لیله عند أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام فقال لنا: «لیس من عبد امتحن اللّه قلبه بالإیمان إلاّ أصبح یجد مودتنا علی قلبه، و لا أصبح عبد سخط اللّه علیه إلاّ یجد بغضنا علی قلبه، فأصبحنا نفرح بحبّ المحبّ لنا، و نعرف بغض المبغض لنا، و أصبح محبّنا مغتبطا بحبّنا برحمه من اللّه ینتظرها کل یوم و أصبح مبغضنا یؤسس بنیانه علی شفا جرف هار، فکأنّ ذلک الشفا قد انهار به فی نار جهنم، و کأنّ أبواب الرحمه قد فتحت لأصحاب أهل الرحمه، فهنیئا لأصحاب الرحمه رحمتهم، و تعسا لأهل النار مثواهم. إن عبدا لن یقصر فی حبنا لخیر جعله اللّه فی قلبه، و لن یحبنا من یحب مبغضنا، إن ذلک لا یجتمع فی قلب واحد، ما جعل الله لرجل من قلبین (فی جوفه) یحب بهذا قوما، و یحب بالآخر عدوّهم، و الذی یحبنا فهو یخلص حبنا کما یخلص الذهب لا غش فیه. نحن النجباء و أفراطنا أفراط الأنبیاء، و أنا وصی الأوصیاء، و أنا حزب اللّه و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و الفئه الباغیه حزب الشیطان، فمن أحب أن یعلم حاله فی حبّنا فلیمتحن قلبه، فإن وجد فیه حبّ من ألب-أی تجمع و تحشد علینا-فلیعلم أن اللّه عدوه و جبرئیل و میکائیل و اللّه عدو للکافرین.

۱- ۱) النمل:۱۴.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۸۳.

و فیه (۱)، بإسناده إلی جریر بن عبد اللّه البجلی قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من مات علی حب آل محمد مات شهیدا. ألا ـ و من مات علی حب آل محمد مات مغفورا له. ألا ـ و من مات علی حب آل محمد مات تائبا. ألا و من مات علی حب آل محمد مات مؤمنا مستکمل الإیمان. ألا و من مات علی حب آل محمد بشره ملک الموت بالجنه ثم منکر و نکیر. ألا و من مات علی حب آل محمد یزفّ إلی الجنه کما تزف العروس إلی بیت زوجها. ألا و من مات علی حب آل محمد جعل اللّه زوار قبره الملائکه بالرحمه. ألا و من مات علی حب آل محمد مات علی السنه و الجماعه. ألا و من مات علی بغض آل محمد جاء یوم القیامه مکتوبا بین عینیه: آیس من رحمه اللّه. ألا و من مات علی بغض آل محمد لم یشمّ رائحه الجنه» .

و فیه (۲)عن أمالی ابن الشیخ عن أبی الحمراء خادم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. . قال الراوی: . . . فجلست إلیه (إلی أبی الحمراء الذی کان نائما) فلما سمع حسّی استوی جالسا فقال: «مه؟ فقلت: رحمک اللّه حدثنی بما رأیت من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یصنعه بعلی علیه السّلام و إن اللّه یسألک عنه، فقال: علی الخبیر سقطت، خرج علینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم عرفه و هو آخذ بید علی علیه السّلام فقال: یا معشر الخلائق إن اللّه تبارک و تعالی باهی بکم فی هذا الیوم، لیغفر لکم عامه، ثم التفت إلی علی علیه السّلام، ثم قال: و غفر لک یا علی خاصه. ثم قال له: یا علی ادن منی، فدنا منه، فقال: إن السعید حق السعید من أحبّک و أطاعک، و إن الشقی کل الشقی من عاداک و أبغضک و نصب لک، یا علی کذب من زعم أنه یحبنی و یبغضک. یا علی من حاربک فقد حاربنی و من حاربنی فقد حارب اللّه. یا علی من أبغضک فقد أبغضنی، و من أبغضنی فقد أبغض اللّه و أتعس اللّه جدّه و أدخله نار جهنم» .

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۱۱.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۲۲۱.

و فیه (۱)، عن المحاسن بإسناده عن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: أ رأیت الرّاد علی هذا الأمر کالرّاد علیکم؟ فقال: «یا أبا محمد من ردّ علیک هذا الأمر کالراد علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» .

و فیه عنه عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «التارکون ولایه علی علیه السّلام المنکرون لفضله المظاهرون أعداءه، خارجون عن الإسلام، من مات منهم علی ذلک» .

و فیه (۲)، عن أمالی ابن الشیخ بإسناده عن الساباطی قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إن أبا أمیه یوسف بن ثابت حدّث عنک أنک قلت «لا یضرّ مع الإیمان عمل، و لا ینفع مع الکفر عمل، فقال: إنه لم یسألنی أبو أمیه عن تفسیرها إنما عنیت بهذا: أنه من عرف الإمام من آل محمد و یتولاه ثم عمل لنفسه بما شاء من عمل الخیر قبل منه ذلک، و ضوعف له أضعافا کثیره، فانتفع بأعمال الخیر مع المعرفه، فهذا ما عنیت بذلک، و کذلک لا یقبل اللّه من العباد الأعمال الصالحه التی یعملونها إذا تولوا الإمام الجائر الذی لیس من اللّه تعالی، فقال له عبد اللّه بن أبی یعفور: أ لیس اللّه تعالی قال: مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَیْرٌ مِنْهٰا وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ یَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (۳)فکیف لا ینفع العمل الصالح ممن تولّی أئمه الجور؟ فقال له أبو عبد اللّه علیه السّلام: «و هل تدری ما الحسنه التی عناها اللّه تعالی فی هذه الآیه هی (و اللّه، خ) معرفه الإمام و طاعته» . و قد قال اللّه عز و جل: وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَکُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِی اَلنّٰارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۴)و إنما أراد بالسیئه إنکار الإمام الذی هو من اللّه تعالی.

۱- ۱) البحار ج ۳۲۷ ص ۲۳۸.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۱۷۱.

۳- ۳) النمل:۸۹.

۴- ۴) النمل:۹۰.

ثم قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «من جاء یوم القیامه بولایه إمام جائر لیس من اللّه، و جاءه منکرا لحقّنا، جاحدا لولایتنا أکبّه اللّه تعالی یوم القیامه فی النار» . و کیف کان، فالأخبار الداله علی أن جاحد ولایتهم فی النار، و علیه غضب اللّه تعالی کثیره جدا، و معلوم أن هذا لمن أنکر ولایتهم بعد ثبوتها عنده، و أظهر إنکاره لها أو بغضه لهم علیهم السّلام. و أما المستضعف الذی لم تصله ولایتهم، و لم یبغضهم أبدا، فلعله تشمله الرحمه الإلهیه.

ففی خصال الصدوق باب الثمانیه بإسناده عن أبی عبد اللّه عن أبیه عن جده عن علی علیه السّلام قال: «إن للجنه ثمانیه أبواب: باب یدخل منه النبیون و الصدیقون. و باب یدخل منه الشهداء و الصالحون. و خمسه أبواب یدخل منها شیعتنا و محبونا فلا أزال واقفا علی الصراط أدعو و أقول ربّ: سلم شیعتی و محبی و أنصاری، و من تولانی فی دار الدنیا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجبت دعوتک، و شفعت فی شیعتک، و یشفع کل رجل من شیعتی و من تولانی و نصرتی، و حارب من حاربنی بفعل أو قول فی سبعین ألف من جیرانه و أقربائه. و باب یدخل منه سائر المسلمین ممن شهد أن لا إله إلا اللّه، و لم یکن فی قلبه مقدار ذرّه من بغضنا أهل البیت» . رزقنا اللّه حبّهم و ولایتهم و شفاعتهم بمحمد و آله الطاهرین.

[۸۰]قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمی و نفسی و أهلی و مالی، ذکرکم فی الذاکرین.

«بأبی أنتم» :

أی أنتم مفدیّون، أو أفدیکم. اعلم: أن الإنسان إنما یحبّ أولا نفسه ثم ولده و أهله ثم أباه و أمّه، ثم بعد ذلک ماله للإعاشه، فإذا أحب أحدا کل الحبّ جدا یفدیه بهذه الأمور، التی هی أصول

المحبوبات فی الدنیا، و قد تقدم معنی بأبی أنتم فی أوائل الشرح.

و أما قوله علیه السّلام: «ذکرکم فی الذاکرین»

بیانه یحتاج إلی مقدمه.

اشاره

فنقول: فی المجمع قال الشیخ أبو علی: الذکر هو حضور المعنی فی النفس، و فیه الذکر بالکسر نقیض النسیان و الذکری مثله. أقول: حقیقه الذکر هو حضور المعنی أی المذکور فی النفس، و لازمه کونه نقیض النسیان، فحضور الشیء یلازم عدم الغفله عنه، التی هی النسیان، و لذا قیل حقیقه الذکر هو حضور المذکور

فهنا أمور:

الأول: بیان معنی الذکر.

الثانی: بیان أقسامه بلحاظ أقسام المذکور. الثالث: بیان الذاکر و أقسامه. الرابع: بیان کیفیه الذکر فی موارده إلی أن یحضره المذکور فی النفس. و الخامس: فی بیان فضیله الذکر. فنقول: أما الأول: فقد علمت أنه حضور المذکور و المعنی فی النفس، فإنه إذا توجه القلب بنور العقل إلی شیء فقد ذکره، و کلما أمعن فیه یکون حصوله أی المذکور أظهر و أبین، إلّا أنه سیجیء الفرق بین ذکره تعالی و ذکر غیره، فإن ذکره تعالی لا یمکن بإمعان التوجه القلبی فی ذاته تعالی إذا لا طریق إلیه و إنما هو بأمرین: الأمر الأول: إمعان النظر القلبی فی صفاته و أسمائه و جماله و جلاله و مظاهره التی ظهر بما لخلقه. الأمر الثانی: إفناء النفس بحدودها الخلقیه و نسیانها، و صرف التوجه عنها إلی أن یحاذی القلب و الروح شطر الحق، فیتجلی فیه علی حسب ظرفیته. قال الشاعر: حین تغیّبت بدا حین بدا غیّبنی

ص: ۳۲۶

و سيجىء توضيحه.

و أما الثانى: أى بيان أقسام الذكر بلحاظ المذكور.

فنقول: إن مراتب الـذكر مختلفه باختلاف متعلقه، فتاره يتعلق بـذات اللّه تعالى و أخرى بصـفاته و ثالثه بأفعاله و بالنسبه يختلف جزاؤه أيضا. أما الذكر المتعلق بالذات كقوله تعالى: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ (١)فأمر تعالى بذكره، أى ذاته و هذا مختصّ بهذه الأمه المرحومه دون غيرهـا تشريفا منه تعـالى لنبيّها الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سيأتى بيانه و بيان وجه الاختصاص. و أما المتعلق بصفاته كذكره تعالى بلحاظ أنه سميع عليم غفور فى قولك يا غفور يا عليم يا سميع و يا رحمن و نحوها، و الكتب السماويه و الأدعيه المأثوره قد صرحت بـذلك كثيرا جدا و الكتب مشحونه ببيانهـا. و أما المتعلق بأفعاله و إنعامه كقوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ فقد أمر تعالى بذكر إنعامه بقوله: نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ (٢). و كيف كان، قد أمر تعالى هـذه الأمه بـذكر الذات بقوله: فَاذْكُرُونِي ، و أمر موسى عليه السّلام و أمته بذكر النعماء، و اختصّ أيضا هذه الأمه بجعل جزاء الـذكر ذكره تعالى لهم بقوله: أَذْكُرْكُمْ ، و الوجه فى اختصاص هذه الأمه بذكر الذات دون الأمم السابقه، إن معارج الفكر و الذكر و الشهود لم تتجاوز فى الأمم السابقه من طبقات الأفلاك و ما فيها من مواد النعم الإلهيه الدنيويه و الأخرويه، فلا محاله اقتصرت مثوباتهم على نيل درجات الجنان. و أما هذه الأمه، أعنى فضلاءهم و حكماءهم التابعين لنبيّهم و للأئمه (عليه و عليهم السلام) الذى جاء بمنتهى المعارف الإلهيه و الأخلاق الحميده، و ما به الوصول إلى منتهى الـدرجات و السعادات، فلهم أن يتخذوا مع الرسول سبيلا

١- ١) البقره:١۵٢.

٢- ٢) البقره:۴٠.

و يتجاوزوا بمتابعته عن عالم الخلق، بل الأمر إلى ما وراءهما، كيف لا؟ و هم تابعون لهاد بمثل النبى صلّى اللّه عليه و آله خاتم النبيين و بمثل الأوصياء الأئمه المعصومين الذين جاءوا بالدين الكامل الإلهى، و لذا صار النبى صلّى اللّه عليه و آله خاتم النبيين و دينه صار ناسخا للأديان، و أنه لا نبى بعده، فمتابعه هذا النبى يوصل إلى هذا المقام السنى. ثم إن ذكر الأفعال و الصفات و إن كان بحسب كثره المتعلق كثيره كمّا بل لا يمكن إحصاؤه، و أيضا بحسب الكيف و الاكتناه عظيمه و مهمّه جدّا، بل يمكن أن يقال: إنه لا يمكن الوصول إلى كنه الصفات و كنه مصالح الأفعال كما حقق فى محله، إلّا أنّ أشرف الأذكار ذكر الذات لشرافه متعلقه بالنحو الأتم الأكمل، و الوجه فى أشرفيته هو أن اللذات الحاصله من ذكر صفاته تعالى و أفعاله تعالى تكون متعلقه بالنفس و عالم الخلق و الحدود سواء أ كانت النعم دنيويه أم أخرويه. و أما ذكر الذات و التجليات حاصله منه للروح فإنها لا تكاد توصف، كيف لا و ذكر الذات ينتهى إلى حيث يصير الذكر و الذاكر و المذكور واحدا و هذا بخلاف القسمين السابقين؟ بيانه: أن ذكر الذات إلى أن يصير كذلك إنما يتصور بأن يتمكن المذكور فى القلب تمكنا شديدا، بسبب قطعه عن العلائق و عن غيره تعالى بالكليه بالسلوك الصحيح المذكور فى محله، ثم بعد التمكن الشديد يحصل المذكور فى القلب حصولا نوريا بحيث ينمحى الذكر أو يخفى، و لا يلتفت القلب إلى الذكر أصلا و لا إلى الذاكر أى ينسى القلب نفسه و ينسى أنه يذكر ربّه، و ذلك لأنه حينئذ أى القلب يستغرق جملته فى المذكور، فلو ظهر له فى أثناء ذلك الاستغراق التفات إلى الذكر يكون ذلك حجابا عن المقصود و هويته بالنسبه إلى الغايه الأصليه أى الوصل. و الحاصل: أنه لا بد من أن يغيب عن نفسه حتى لا يحسّ شىء من ظواهر جوارحه و لا- من العوارض الباطنيه فيه، أى لا- يحسّ بالقلب و لا بذكره، بل يفنى عن جميع ذلك و يغيب عنه جميع ذلك، فهذه الغيبه عن النفس هو الذهاب إلى اللّه

تعالی المشار إلیه فی قوله تعالی حاکیا عن خلیله علیه السّلام: إِنِّی ذٰاهِبٌ إِلیٰ رَبِّی. . . (۱). ثم إذا حصلت حقیقه الغیبه عن النفس فیحصل حینئذ الوصل المشار إلیه بقوله تعالی سَیَهْدِینِ أی یهدینی إلیه، أی یوصلنی إلی نفسه بالوصل، و لیس لبیانه تعبیر و لا لآثاره إشاره، کیف ذلک مع أنه لا یبقی للعبد حینئذ شیء یتوجه إلیه بل یفنی عن نفسه و عن آثارها و استغرق فی بحر الأحدیه فانقطع هناک التعبیر و الإشاره.

قال علیه السّلام:

«إلهی أدخلنی فی لجه بحر أحدیتک» ، الدعاء. و الحاصل: أنه لو خطر فی أثناء ذلک أنه ذاهب إلی ربه، و فنی عن نفسه، و غاب عن ذاته، و استشعر بذلک أو أخبر به کما ربما یتراءی من المنتحلین إلی المقام الوصول، فذلک سیکون عن الذهاب فی الجمله و وقوف مع النفس و رجوع إلیها و شوب و کدوره کما لا یخفی. فالکمال کل الکمال فی أن یفنی عن نفسه، و ینفنی عن الفناء أیضا، فإن الفناء عن الفناء غایه الفناء المطلوبه، فلو التفت انقلب من الفناء إلی النفس. ثم إن نتیجه الفناء عن الفناء هو البقاء به تعالی، کما أن الغیبه عن الغیبه کمال الغیبه و نتیجتها الحضور. رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله. ثم، إن هذا المقام عزیز المنال جدّا لا یکاد یصل إلیه إلاّ الأوحدی، کما اشتهر من قولهم: یجلّ الهوی عن أن یکون شریعه إلی الناس إلاّ واحدا بعد واحد

و قال علیه السّلام کما فی الدعاء:

«سبحانک ما أجلّ نیلک»

، أو سبحانه ما أجلّ نیله، و ینبغی التنبیه علی أمر و هو أن هذه الحاله تسمی فناء، و أن شخص العارف الواصل و ظلّه یکون باقیا، إذ لا یراد من الفناء انعدام وجود السالک بجمیع

۱- ۱) الصافات:۹۹.

شراشره، بل المراد منه استغراقه فی المحبوب و وصله إلیه بسبب تذکره و معاوده اسمه مع العشق و الهیام إلی أن یصل إلیه، و لا ینافی بقاء الشخص و الظلّ مع حصول الفناء المذکور و لا تصادمانه، لأن الشخص و الظل بل و کذا سائر المحسوسات لیس لها حقیقه الوجود، بل وجودها کحکایات المرایا و الظلال فلا تصادم الفناء، و إنما الوجود الحقیقی لعالم الأمر و الملکوت و القلب من عالم الأمر و هو قد فنی عن نفسه و استغرق فی محبوبه، قال تعالی: قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی (1)و القوالب من عالم الخلق و قد علمت أنه لیس لها حقیقه الوجود. ثم إنک علمت أن أول الأمر الذهاب إلیه تعالی ثم الذهاب فیه، و هذا هو الفناء و الاستغراق به تعالی، إلّا أنه یکون کالبرق الخاطف قلّ ما یدوم و یثبت، و لا تظن بالاستغراق فیه تعالی هو الحلول أو الاتحاد تعالی اللّه عن ذلک علوّا کبیرا، بل معناه مبیّن من کلام الواصلین، و هو أنه أولا علمت أن هذا غالبا یکون کالبرق الخاطف، فإن دام و صار ملکه راسخه و هیئه ثابته فالسالک حینئذ حاله أنه یعرج بهذه الحاله إلی العالم الأعلی، و طالع الوجود الحقیقی للمولی و انطبع فیه، أی فی ذات السالک نقش الملکوت و تجلّی لذاته أی لذات السالک قدس اللاهوت، و أول ما یتمثل له من ذلک العالم جواهر الملائکه و أرواح الأنبیاء و الأولیاء علیهم السّلام فی صور جمیله یفیض بواسطتها علیه بعض الحقائق و ذلک فی البدایه إلی أن یعلوا درجته عن المثال و الصور فیکافح بصریح الحق فی کل شیء أی تری الحق أی تجلّیه فی کل شیء بلا صوره و مثال. ثم إذا ردّ إلی العالم المجازی و جواهره التی هی کالظلال ینظر إلی الخلق نظر المترحّم علیهم، لحرمانهم عن مطالعه جمال حضره القدس، و یعجب من أصحاب الفهوم الفکریه و أرباب العلوم و العقائد الجزئیه، و تناعتهم بالظلال، و انخداعهم

۱- ۱) الإسراء:۸۵.

بعالم الغرور و الخيال، مع ما كان لهم أولا من الاستعداد لطلب الكمال، و الارتقاء إلى عالم الحق المتعال، فأفسدوه بانكبابهم إلى أغراض هذا الأدنى، و إعراضهم عن الطريقه المثلى، و انحرافهم عن مطالعه آيات اللّه الكبرى، و مع ذلك يعاشرهم و يخالطهم بالظاهر، و يكون البعد بينه و بينهم بحسب الباطن كما بين المشرق و المغرب، فيكون معهم حاضرا بشخصه غائبا بقلبه، يتعجّب هو من حضوره، و يتعجبون من غيبته لو تفطنوا. ثم إن مقام الوصل و الفناء بالمعنى المذكور هو ثمره لباب الذكر، و إنما مبدؤها ذكر اللسان، ثم ذكر النفس تكلّفا، ثم ذكر القلب طبعا، ثم استيلاء المذكور على الروح. ثم انمحاء الذكر عن السّر حقيقه و هذا سرّ قوله تعالى: وَ اُذْكُرُوا اَللّٰهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١). و سرّ

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «من أحب أن يرتع فى رياض الجنه فليكثر ذكر اللّه» (٢). بل سرّ

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «فضل الذكر الخفى على الذكر الذى يسمعه الحفظه بسبعين ضعفا» و ستأتى بعض الأخبار فى فضيله الذكر. فيظهر من

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «أن الذكر الخفى هو الذى لا يسمعه الحفظه، و فضله عليه بسبعين ضعفا» ، و الوجه فيه: إن كل ما يشعر به قلبك من الذكر فيسمعه الحفظه، و ذلك لأن شعورهم يقارن شعورك و يسلط علمهم على الشعور القلبى لك كما حققه الراسخون، و أما إذا غاب ذكرك من شعورك بسبب ذهابك فى المذكور بالكليه بالنحو المذكور فيما نحن فيه، فلا محاله يغيب ذكرك عن شعور الحفظه فلا يسمعونه و لا يكتبونه.

و فى إرشاد القلوب للديلمى رحمه اللّه عن الصادق عليه السّلام ما يقرب بهذه الألفاظ «إن للّه عبادا عاملوه لخالص من سره، فعاملهم بخالص من برّه، ثمّ تمرّ صحفهم يوم القيامه

١- ١) الجمعه: ١٠.

٢- ٢) معانى الأخبار ص ٣٢١.

فرغاء فيملأها من خالص برّه، قيل: و أين الحفظه؟ قال: أجلهم اللّه تعالى أن تطلع عليهم الحفظه» ، فراجع. فانظر إلى أنه كيف يمكن أن يستخلص اللّه العبد لنفسه، بحيث لا يطلع عليه و على سرّه و أذكاره الملائكه. ثم، إنه قد يقال: إن القلب ما دام يشعر بالذكر و يلتفت إليه فهو معرض عن اللّه، و غير منفك عن شرك خفى حتى يصير مستغرقا بالواحد الحق، فذلك هو التوحيد، و كذلك المعرفه إذ هما واحد كما لا يخفى. أقول: إلاّ أنه تعالى يغفر لهؤلاء يوم القيامه و يبدل سيّئاتهم حسنات، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

و أما الثالث: أى بيان أقسام الذاكرين.

فنقول: هذا فى الحقيقه يرجع إلى أقسام الذكر و أقسام متعلّقه كما لا يخفى.

ففى البحار (١)، عن الخصال: الذكر مقسوم على سبعه أعضاء: اللسان و الروح و النفس و العقل و المعرفه و السرّ و القلب، و كل واحد منها يحتاج إلى الاستقامه، فاستقامه اللسان صدق الإقرار، و استقامه الروح صدق الاستغفار، و استقامه القلب صدق الاعتذار، و استقامه العقل صدق الاعتبار، و استقامه المعرفه صدق الافتخار، و استقامه السّر السرور بعالم الأسرار. فذكر اللسان الحمد و الثناء، و ذكر النفس الجهد و العناء، و ذكر الروح الخوف و الرجاء، و ذكر القلب الصدق و الصفاء، و ذكر العقل التعظيم و الحياء، و ذكر المعرفه التسليم و الرضا، و ذكر السّر على رؤيه اللقاء، حدثنا بذلك أبو محمد عبد اللّه بن حامد رفعه إلى بعض الصالحين عليهم السّلام. أقول: تقدم شرح هذا الحديث فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و أدمنتم ذكره»

.

١- ١) البحار ج ٩٣ ص ١٥٣.

و حاصله: أن كل هذه الأمور السبعه المذكوره يراد من كل واحد منها ما خلق لأجله، فإذا ذكر اللّه تعالى و استخلص له بالاستقامه المذكوره لكل واحد منها، فلا محاله يكون ذاكرا له تعالى، و ذكره له تعالى هو الأثر المذكور له فى كل واحد منها كما لا يخفى. و قد يقال فى هذا التقسيم: إن الذكر على سته أقسام، فيحمل قوله تعالى: فَاذْكُرُونِی أَذْكُرْكُمْ ، فى كل واحد منها على ما يخصه من الذكر و النتيجه. ذكر اللسان و هو الإقرار، و نتيجته احتقان الدم و المال بالأمان (أى) فاذكرونى بالإيمان المقرون بإقرار اللسان صدقا، أذكركم بالأمان. و ذكر الأركان و الجوارح باستعمال الطاعات و العبادات للوصول إلى المثوبات، فاذكرونى بالطاعات أذكركم بالمثوبات. و ذكر النفس بالاستسلام للأوامر و النواهى للفوز بنور الإسلام، فاذكرونى بالاستسلام أذكركم بنور الإسلام. و ذكر القلب تبديل الأخلاق الذميمه، و تحصيل الأخلاق الكريمه للتشبّه بالحق، و الانخراط فى سلك أحبّائه و الاتصال بجنابه، فاذكرونى بالأخلاق أذكركم بالاستغراق المذكور آنفا. و ذكر الروح بالتفريد و المحبه لحصول المعرفه و الحكمه، فاذكرونى بالتفريد و المحبه أذكركم بالتوحيد و القربه. و ذكر السرّ ببذل الوجود لوجدان المعبود، فاذكرونى ببذل الوجود بالجود و الفناء، أذكركم بنيل الشهود و البقاء، و هذا حقيقه

قوله تعالى فى الحديث القدسى «و إن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى» ، و هذا هو لبّ اللباب، و هو الذكر الحقيقى و الغايه الأخيره لما فى الخطاب بالذكر، و هو يجعل الذاكر مذكورا بنحو تقدم و المذكور ذاكرا، أى يصير اللّه تعالى حينئذ هو الذاكر لنفسه فى سرّ عبده بتجلّيه له، بل الذكر و المذكور و الذاكر يكون واحدا، لظهوره تعالى فقط فهو الذاكر و هو الذكر

و هو المذكور، و العبد لفنائه يكون مظهرا لهذه الحقيقه و الحاله و الظهور، فيتّضح حينئذ حقيقه قوله تعالى: لِمَنِ اَلْمُلْكُ اَلْيَوْمَ لِلّٰهِ اَلْوٰاحِدِ اَلْقَهّٰارِ (۱)فإن هذا العبد حينئذ قد قامت القيمه الصغرى عليه، فوصل إلى ظهور الحق بالحق للعباد. و فى هذا التقسيم لم يذكر فيه العقل و المعرفه، و لعله اكتفى بذكر الروح عن ذكر المعرفه، و بذكر القلب عن ذكر العقل لإطلاق كل منهما على الآخر، و أما إضافه ذكر الجوارح و الأركان فلعله لبيان ذكر العقل، لأنه إذا كمل يأمر الأركان بالعمل و الأمر فيه سهل، لأنه ليس كلام المعصوم، و معلوم المراد منه كما لا يخفى.

و أما الرابع: أى بيان كيفيه الذكر فى موارده حتى يوجب الوصول إلى حصول المذكور عند النفس.

اشاره

فقد علمت أن الذكر إذا داوم عليه العبد مع تطهير القلب بالسلوك الصحيح المذكور فى محله، فلا محاله يوجب المداومه ذهاب آثار الذاكر و تجلّيه الحق كما تقدمت الإشاره إليه. و حاصله: أن تمكّن الذكر و المذكور الحق فى القلب تمكنا شديدا، لسبب قطعه عن العلائق و عن غيره بالكليه بالسلوك الصحيح، يوجب حصول المذكور فى القلب حصولا نوريا أى مجردا تامّا و صرفا بحتا. نعم هذه الإدامه قد تكون بالعمل على طبق ما ورد فى الشريعه المقدسه من الأوراد و الأذكار و التفكر فى المبدإ و المعاد، و قراءه القرآن على النهج المذكور عند علماء الأخلاق و المعارف، و إتيان العبادات المشروعه على وجهها و فى وقتها كما لا يخفى. و قد يكون بتعليم الأستاذ الحاذق الروحانى. و بعباره أخرى: أن الذكر له أهميه فى الوصول جدا، إلاّ أنه لا بد من العمل به على ما يراه الأستاذ و الشيخ الواصل الروحانى، و لا يمكن الوصول إلى مقصد بدون الأستاذ.

۱- ۱) غافر:۱۶.

قال علیه السّلام: «هلک من لیس له حکیم یرشده» .

و قال علیه السّلام: «من لم یکن له واعظ من نفسه، و زاجر من عقله، و لم یکن له قرین مرشد، استمکن عدوّه من عنقه» . فإن المراد بالقرین المرشد هو الأستاذ، و هذا أمر واضح مبرهن علیه فهو مسلم من الشرع فی الجمله.

قال علیه السّلام: «أغد عالما أو متعلما فلا تکن الثالث فتهلک» . ذکر هذه الأحادیث فی البحار فی باب لزوم تحصیل العلم، فراجعه. فالاحتیاج إلی الأستاذ مسلم شرعا فی الجمله. نعم، هنا کلام طویل عریض فی کیفیه الاستفاده من الأستاذ و کیفیه الوقوف علیه و وجدانه، فهل هو بنحو التعلّم فقط أو تعمّه و التسلیم له، ثم التسلیم للحق الذی ظهر منه أو لروحه الواصل بالاتصال به روحا؟ و لکل هذه الجهات أدله و مقالات یطول ذکرها و مجمل القول فیه: أن الأستاذ إن کان فی العلم فقط فلا إشکال فی أخذ العلم منه إن کان عن اللّه تعالی، و لو هو بنفسه غیر مهذّب

لقوله علیه السّلام: «انظر إلی ما قال و لا تنظر إلی من قال، فإن مثله حینئذ کمزبله فیها درّه ثمینه، فتؤخذ الدّرّه و تترک المزبله» . و أما إن کان الأستاذ واسطه بینه و بین اللّه تعالی فی السلوک، و أراد التسلیم له بتمام معانیه، فلا ریب فی أن هذا مسلم بالنسبه إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام بالأصاله، بل هو واجب شرعا للنصوص القرآنیه، و کذا بالنسبه إلی من عینه الإمام علیه السّلام تبعا له، و هذا لا إشکال فیه. و أما بالنسبه إلی غیره فإن کان ممن انطبقت الآثار الوارده فی الکتاب و السنه للواصل الکامل، أو الکامل بالنسبه إلیه بحیث تیقن التلمیذ بذلک بعد جهده فی التشخیص، فله أن یسلم نفسه إلیه فیما یقول علما و حالا و مشاهده کما یحکی هذا عن بعض التلامذه، الذین یسلمون أنفسهم لاساتیذهم هکذا، و إلاّ فلیتضرع إلی

اللّه تعالى إلى أن يتعلم منه العلم إن طابق علمه الحق و يتركه كما تقدم. و كيف كان،

فقد ذكروا فى بيان كيفيه الوصول إلى المقصد الأعلى ثلاثه مسالك.

الأول: مسلك الأذكار و الأوراد بأنحائها و أقسامها،

و هى مشكله جدا كبرويا و صغرويا أى يشكل العلم بأن أى ذكر يوجب الوصول أو الترقى فى السير إليه تعالى إذ بعض الأذكار أثره مخصوص ببعض المنازل الواقعه فى الطريق، و لا يسير صاحبه إلى ما بعده، و بعضها سريع السير و الأثر، و بعضها لأثر خاص دون أثر، و تشخيصها مشكل جدّا إلّا للأوحدى من أهل المعارف، هذا بلحاظ الكبرى. و أما الصغرى، فيشكل التشخيص بأن هذا السالك أى ذكر يفيده و يؤثر فيه، و أنه فى أى مرتبه ليعطى له ذكر تلك المرتبه، و هذا التشخيص أشكل من سابقه كما لا يخفى. و لهذا ترى كثيرا من علماء هذا الفن يذكرون لتلامذتهم الأمور العامه من الأذكار المأثوره فإنها أقرب للإيصال إلى المقصد، و لعل أحسن كتاب صنف فى هذا الأمر الرساله اللقائيه للعارف التبريزى (رضوان اللّه تعالى عليه) و مثله رسالته المعروفه بأعمال السنه، و المراقبات. نعم الرساله المنسوبه إلى السيد بحر العلوم (رحمه اللّه تعالى) نافعه جدّا فى بيان المنازل و كيفيه السلوك، إلّا أن العمل بما فى آخرها من الأوراد و الأذكار مشكل جدا، و لعل بعضها مما لم يثبت شرعا و اللّه العالم.

الثانى: مسلك تحصيل معرفه النفس،

و هذا المسلك صعب المنال، لا يكاد يمكن المشى عليه إلّا للأوحدى ممن فرغ نفسه له بحيث لم يشتغل لشىء من المشاغل إلّا به، و بيانه مفصل جدّا إلّا إنا نذكر ما ذكره بعض الأعاظم فى بيان هذا المسلك لبعض الأعاظم و إليك نصّه بالفارسيه.

بسم اللّه الرحمن الرحیم فـدایت شوم در باب إعراض از جدّ و جهـد رسـمیّات و عـدم وصول بواقعیات که مرقوم شده و از این مفلس استعلام مقدمهٔ موصوله فرموده اید، بی رسمیّت، بنده حقیقت آنچه که برای سیر این عوالم یاد گرفته و بعض نتائجش را مفصّ لا خدمت شریف در ابتداء خود صحبت کرده ام و از کثرت شوق آنکه با رفقاء در همهٔ عوالم همرنگ بشوم، أسّ و مخّ آنچه از لوازم این سیر میدانستم بی مضایقه عرضه داشتم حالا هم آنرا بطریقه ای که یاد گرفته ام مجددا إظهار میدارم. طریق مطلوب را برای راه معرفت نفس گفتند: چون نفس انسانی تا از عالم مثال خود نگذشته بعالم عقلی نخواهد رسید و تا بعالم عقلی نرسیده حقیقت معرفت حاصل نبوده و بمطلوب نخواهد رسید، لذا بجهت إتمام این مقصود مرحوم مغفور جزاه اللّه تعالی خیر جزاء المعلمین میفرمودند که: باید إنسان یک مقدار زیاد بر معمول تقلیل غذا و استراحت بکند تا جنبهٔ حیوانیت کمتر و روحانیت قوت بگیرد و میزان آنرا هم چنین می فرمود که: إنسان أولا: روز و شب زیاده از دو مرتبه غذا نخورد، حتی تنقّل ما بین الغذائین نکند. ثانیا: هر وقت غذا میخورد باید مثلا یکساعت بعد از گرسنگی بخورد که تمام سیر نشود، این در کمّ غذا. و أما کیفش: باید بعد از آداب معروفه گوشت زیاد نخورد باین معنی که شب و روز هر دو نخورد و در هفته دو سه دفعه هر دو را

یعنی هم روز و هم شب را ترک کند، و یکی هم اگر بتواند للتکلیف نخورد و لا۔ محاله آجیل خور نباشد اگر أحیانا وقتی نفسش زیاد مطالبهٔ آجیل کرد استخاره کند و اگر بتواند روزه های سه روز هر ماه را ترک نکند. و أما تقلیل خواب، میفرمودند: شبانه روزی شش ساعت بخوابد، و البته در حفظ لسان و مجانبت أهل غفلت اهتمام نماید، اینها در تقلیل حیوانیّت کفایت می کند. و أما تقویت روحانیت: أولا: دائما باید همّ و حزن قلبی بجهت عدم وصول بمطلوب داشته باشد. ثانیا: تا میتواند ذکر و فکر را ترک نکند که این دو جناح سیر آسمان معرفت است در ذکر عمده سفارش أذکار صبح و شام أهم آنها که در أخبار وارد شده و أهم تعقیبات صلوات و عمده تر ذکر وقت خواب که در أخبار مأثور است لا سیّما متطهرا در حال ذکر خواب برود و شب خیزی میفرمودند زمستانها سه ساعت تابستانها یک ساعت و نیم و می فرمودند که: من در ذکر یونسیّه یعنی در مداومت آن که شبانه روزی ترک نشود هر چه زیادتر توانست کردن أثرش زیادتر أقل أقل آن چهار صد مرتبه است خیلی أثرها دیدم، بنده خودم هم تجربه کردم چند نفر هم مدعی تجربه اند، یکی هم قرآن که خوانده می شود بقصد هدیه به حضرت ختمی مرتبت (صلوات اللّه علیه و آله) خوانده شود. و أما فکر، برای مبتدی میفرمودند: در مرگ فکر بکن تا آنوقتی که از حالش می فهمیدند که از مداومت این مراتب گیج شده

فی الجمله استعدادی پیدا کرده آنوقت بعالم خیالش ملتفت میکردند تا آنکه خود ملتفت میشد چند روزی همهٔ روز و شب فکر در این میکند که بفهمد که هر چه خیال میکند و می بیند خودش است و از خودش خارج نیست و اگر اینرا ملکه میکرد خودش را در عالم مثال میدید، یعنی حقیقت عالم مثالش را می فهمید و این معنی را ملکه میکرد آنوقت میفرمود که: باید فکر را تغییر داد و همهٔ صورتها و موهومات را محو کرد و فکر در عدم کرد و اگر إنسان اینرا ملکه نماید لا بد تجلی سلطان معرفت پیدا خواهد شد، یعنی تجلی حقیقت خود را بنورانیت و بی صورت و حد با کمال بهاء فائز آید و اگر در حال جذبه ببیند بهتر است بعد از آنکه راه ترقیات عوالم عالیه را پیدا کرده هر قدر سیر بکند أثرش را حاضر خواهد یافت و بجهت ترتیب این عوالم که باید إنسان از این عوالم طبیعت أول ترقی بعالم مثال نماید بعد بعالم أرواح و أنوار حقیقیه، البته براهین علمیّه را خودتان أحضر هستید عجب است که تصریحی باین مراتب در سجدهٔ دعاء شب نیمهٔ شعبان که أوان وصول مراسله است شده است کی میفرماید: سجد لک سوادی و خیالی و بیاضی، اصل معرفت آنوقت است که هر سه فانی بشود که حقیقت سجده عبارت از فناء است که عند الفناء عن النفس بمراتبها یحصل البقاء باللّه رزقنا اللّه و جمیع إخواننا بمحمد و آله الطاهرین. باری، بنده فی الجمله از عوالم دعاء گوئی أخوان الحمد للّه بی بهره نیستم و دعائی وجود شریف و جمعی از أخوان را برای خود ورد شبانه قرار داده ام حد تکمیل فکر عالم مثال که بعد از آن وقت محو صورت است آن است که یا باید خود بخود ملتفت شده عیانا

حقیقت مطلب را ببیند یا آنقدر فکر کند که از علمیّت گذشته عیان شود آنوقت محو موهومات کرده در عدم فکر بکند تا آنکه از طرف حقیقت خودش تجلی بکند. اللهم وفقنی للعمل بها بحقّ حبیبک محمد و آله الطاهرین صلواتک علیهم أجمعین. هذا بعض کلمات أهل المعرفه للسیر علی طریقه معرفه النفس، و لما ذکر شرح و تفصیل مذکور عند أهله.

الثالث: مسلک تحصیل المحبه الإلهیه،

إلی أن یصل إلی مرحله العشق، فإنه الذی یوجب فناء ما سوی اللّه و بقاء النفس به تعالی. و لعمری إن أحسن طریق للوصول هذا الطریق و إن کان صعبا، و لا یمکن المشی علیه و الاستقامه إلّا بعونه تعالی و لا بد للسالک بهذا المسلک: أولا: من تشیید عقائده الحقه من الأصول الخمسه، و تحصیل أحکامه الشرعیه عن مدارکها القطعیه، ثم التحلّی بالأخلاق الحمیده بعد التخلّی عن الرذائل، ثم تحصیل المحبه المذکوره بالنسبه إلیه تعالی و إلی محمد و آل الطاهرین، فإنهم مظاهره تعالی و حبّهم حبّه.

قال علیه السّلام:

«من أحبکم فقد أحبّ اللّه»

، و لا بد فی السیر من طریق المحبه الإلهیه من متابعه النبی صلّی اللّه علیه و آله و الأوصیاء بکل جده و جهده و ترک الاعتراض علیهم علیهم السّلام، لقوله تعالی: قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اَللّهُ (1). و قال تعالی: ما کانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَی اَللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ یَکُونَ لَهُمُ اَلْخِیَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ (2). و قال تعالی: فَلا وَ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لا

ص: ۳۴۰

۱- ۱) آل عمران:۳۱.

۲- ۲) الأحزاب:۳۶.

يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً

(۱)

. و الأخبار فى هذا الباب كثيره جدا، ثم إذا أحب اللّه تعالى بنحو انطبق عليه قوله تعالى: وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ (۲)، فلا محاله يحبه اللّه تعالى لقوله تعالى: فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ ، هذا و قد قالوا: إن معنى حبّ اللّه لعبده هو رفعه الحجب عن قلبه، ليشاهد الحق و هو المطلوب. و كيف كان فبعد تشييد العقائد بالأدله المحكمه و العمل بها، لا بدّ له من تحصيل ما يوجب شوقه إليه تعالى، و ينجرّ به إلى عشقه تعالى من مطالعه أحوال الأولياء من الأئمه عليهم السّلام و حواريهم و أحوال الواصلين من العرفاء الحقه، فإنها نافعه جدّا، و لا بدّ من مطالعه الآيات و الأحاديث التى تبين المقصود مما له من الآثار و اللذات، ليوجب له شوقا و عشقا إليه تعالى، و عليه بمجالسه أهل اللّه تعالى من الذين وصلوا إلى مقام المحبه، و لم يكن لهم ذكر إلاّ ذكر محبوبهم، و الذين قد تنوروا بنور المعارف الإلهيه و نور الوصل و العشق فإن مجالستهم مؤثره جدا. ثم إن حصل له الأستاذ الإلهى العشقى، فعليه بملازمه ركابه بحيث لا يزاحمه و لا يوذيه، فيستفيد منه جدا و يسلم بنفسه له و يتبعه فى أحواله.

قال السجاد عليه السّلام فى حق هذا الكامل: «به فتمسكوا و بسنته فاقتدوا» ، كما تقدم. و عليه أيضا بمطالعه الأشعار العشقيه من أولى العلم و المعرفه و المحبه كأشعار الفيض الكاشانى رحمه اللّه و الشيخ محمد حسين الغروى رحمه اللّه و السيد الطباطبائى القاضى رحمه اللّه و أمثالهم فإنها نافعه جدا. و عليه بالخلوات مع اللّه تعالى و المناجاه معه و حسن الظن به و الخلوات معه تعالى، و ترك الدنيا و ذكرها، و عليه بالتوسل التام بالحجه المهدى (عجل اللّه تعالى فرجه و جعل روحى لتراب مقدمه الفداء) فإنه الواسطه الوحيده فى زماننا، و هو

۱- ۱) النساء:۶۵.

۲- ۲) البقره:۱۶۵.

الحجه الکبری للّه تعالی، و لا تقول: إنه علیه السّلام غائب، فإنه غائب ببدنه الشریف عنا، و أما روحه و ولایته فإنها ناظره عالمه بجمیع أمورنا، و حاضره عندنا، کیف و هو مظهر الحق و مظهر صفاته الجلالیه و الجمالیه، روحی و أرواح العالمین لتراب نعله الفداء. و الحاصل: أن السالک العشقی لا بد له من تحصیل العشق، إما بمطالعه الکتب العشقیه من أهلها، و إما بملازمه رکابهم، و إما بالزمزمه العشقیه فی خلواته فیما بینه و بین ربّه تعالی و بینه و بین إمامه (صلوات اللّه تعالی علیه و علی آبائه الطاهرین) . ثم، إنه یعجبنی أن أذکر کلاما لبعض أهل المعرفه و الولایه فی هذا الموضوع، فإنه مضافا إلی أنه یبین کیفیه السلوک العشقی فهو نافع جدا، و هو للمرحوم بیدآبادی (رضوان اللّه علیه) و إلیه نصّه بالفارسیه و العربیه معا. بسم اللّه الرحمن الرحیم یا أخی، یا حبیبی، إن کنت عبد اللّه فارفع همتک و کل علی اللّه أمر ما یهمّک، تا توانی همت خود را عالی نما، لأن المرء یطیر بهمته کما یطیر الطیر بجناحیه. غلام همت آنم که زیر چرخ کبود ز هر چه رنگ تعلق بگیرد آزاد است هر چه در این راه نشانت دهند گر نستانی به از آنت دهند یعنی: بتأمّلات صحیحه و کثرت ذکر موت خانهٔ دل را از غیر حق خالی گردان یک دل داری بس است یک دوست ترا أَ لَیْسَ اَللّٰهُ بِکٰافٍ عَبْدَهُ ، و مٰا جَعَلَ اَللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ. در دو عالم گر تو آگاهی از او از چه بد دیدی که در خواهی از او الهی زاهد از تو حور میخواهد قصورش بین بجنّت میگریزد از درت یا رب شعورش بین

ما عبدتک إلخ. دو عالم را بیکبار از دل تنگ برون کردیم تا جای تو باشد و تحصیل این کار بهوس نمیشود بلکه تا نگذری از هوس نمی شود أبی اللّه أن یجری الأمور إلاّ بأسبابها. و الأسباب لا بد من اتصالها بمسبباتها و الأمور العظام لا تنال إلاّ بالمشی و لا تدرک بالهوی. و استعینوا فی کلّ صنعه بأربابها. و آتوا البیوت من أبوابها، فإن المشی بضاعه الهلکی. آئینه شو جمال پری طلعتان طلب جاروب کن تو خانه پس میهمان طلب چه مستعدّ نظر نیستی وصال مجوی که جام جم ندهد سود وقت بی بصری باید اول از مرشد کلّ و هادی سبل هدایت جسته و دست تولّی بدامن متابعت ائمۀ هدی علیهم السّلام و پشت پا بعلائق دنیا زده و تحصیل عشق نموده، قل اللّه ثم ذرهم. عشق مولی کی کم از لیلی بود محو گشتن بهر او أولی بود حاصل عشق همان بن که اسیر غم او دل بجائی ندهد میل بجائی نکند پس هموم خود را هم واحد ساخته با جدّ و جهد تمام پا بجادۀ شریعت گذاشته و تحصیل ملکۀ تقوی نما یعنی پیرامون حرام و شبهه و مباح قولا و فعلا و حالا و خیالا و اعتقادا نگرد تا طهارت صوری و معنوی حاصل شود که شرط عبادت است إِنَّمٰا یَتَقَبَّلُ اَللّٰهُ مِنَ اَلْمُتَّقِینَ. و ترک لقمه حرام أحب إلی اللّه من ألفی رکعه

تطوّعا و یعدل سبعین حجه مبروره، و بتدریج فهم و سمع شود، و من یتّق اللّه یجعل له فرقانا وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ یُعَلِّمُکُمُ اَللّٰهُ ، در این وقت دقیقه ای از وظائف طاعات مقرره واجبه و مندوبه فرو گذاشت ننماید تا سر و روح قدسی قوت بگیرد و نحن یومئذ روح القدسی (بالعلم، خ ل) و العمل الصالح، بعضه من بعض، و شرح صدری بهمرسد و پیوسته از معرفت و عرفان عبادت بدنی و نور ملکات نفسانیه تقویت نموده نور علی نور شود، الطاعه تجری علی الطاعه و أحوال سابقه در اندک زمانی بمرتبۀ مقام رسد و ملکات حسنه و أخلاق جمیله حاصل شود و عقاید حقّه را رسوخ کامل بهم رسد و ینابیع حکمت از چشمۀ دل بزبان جاری گردد و بکلی روی از غیر رباید در این هنگام هر گاه مانعی، سابقی، باشد جذبۀ عنایت او را استقبال کند و خودی او را گرفته و در عوض ما لا عین رأت و لا أذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر عنایت کرامت فرماید و حقیقت أنک لا تهدی من أحببت و لکن اللّه یهدی من یشاء بعینه مشاهده نموده سالک مجذوب شود، الهی ترددی فی الآثار یوجب بعد المزار فاجذبنی بجذبه توصلنی إلی قربک و اسلکنی مسالک أهل الجذب و خذ لنفسک من نفسی ما یخلّصها، جذبه من جذبات الرب توازی عمل الثقلین. ز سوادی بزرگان هیچ کس نقصان نمی بیند طالع اگر مدد کند دامنش آورم بکف ما بآن مقصد عالی نتوانیم رسید هم مگر لطف خدا پیش نهد گامی چند تا بدین جا فکر اسب و زین بود بعد از آنت مرکب چوبین بود تا هبوب نسائم رحمت او را بکدام یک از جزائر خالدات بحرین جلال و

جمال که در خور استعداد و لایق حسن سعی او بوده باشد (رساند) إن للّه فی أیام دهرکم نفحات ألا فتعرضوا لها، مراتب فرموده منازل سیر إلی اللّه و مجاهده فی سبیل اللّه است یٰا أَیُّهَا اَلْإِنْسٰانُ إِنَّکَ کٰادِحٌ إِلیٰ رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاٰقِیهِ (بعد از آن) اَلَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا که مصیر السیر فی اللّه است (که مسیر سفر فی اللّه است، خ ل) ، خواهد بود و ذکرش (و ذکر آن) ضروری نیست بلکه مضرّ است. در دیر میزدم من ز درون صدا بر آمد که تو در برون چه کردی که درون خانه آئی للإیمان مراتب و منازل لو حمل علی صاحب الاثنین ثلاثه لتقطّع کما تقطع البیضه علی الصفاء، رحم اللّه أمرا عرف قدره و لم یتعد طوره. چون ندیدی شبی سلیمان را تو چه دانی زبان مرغان را فخذ ما آتیتک و کن من الشاکرین و لئن شکرتم لأزیدنّکم با که گویم اندرین ده زنده که بهر آب زندگی پاینده کو آنچه من گفتم بقدر فهم تست مردم اندر حسرت فهم درست رحم اللّه امرأ سمع قولی و عمل. بدانکه بنحو مذکور هر که شروع در سلوک نماید و در مرحله که اجل موعود برسد در زمرهٔ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهٰاجِراً إِلَی اَللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ یُدْرِکْهُ اَلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَی اَللّٰهِ محشور گردد، اگر مرد راهی راهیت (راهت) نمودم، و اللّه یهدی السبیل و هو یقول الحق آنچه بخاطر بود بقلم آمد تا که را بکار آید. هر کس که ز شهر آشنائیست داند که متاع ما کجائیست جامی ره خدا بخدا غیر عشق نیست گفتیم و السلام علی تابع الهدی أقول: رزقنا اللّه تعالی العمل به بمحمد و آله الطاهرین.

ص :۳۴۵

و أما الخامس: أعنى بيان فضيله الذكر.

فنقول: قال تعالى: فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اِسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهٰا بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ. رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَهٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللّٰهِ (۱). و قال تعالى: إِنَّ اَلصَّلاٰهَ تَنْهىٰ عَنِ اَلْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اَللّٰهِ أَكْبَرُ (۲).

و فى البحار (۳)، عن الخصال بإسناده عن الشحام قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «ما ابتلى المؤمن بشىء أشدّ عليه من خصال ثلاث يحرمها، قيل: و ما هنّ؟ قال: المواساه فى ذات اللّه، و الإنصاف من نفسه (فى ذات يده خ ل) و ذكر اللّه كثيرا، أما و إنى لا أقول لكم: سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر، و لكن ذكر اللّه عند ما أحلّ له و ذكر اللّه عند ما حرّم عليه» .

و فيه، عن أمالى الصدوق بإسناده عن عيسى بن أحمد بن عيسى، عن أبى الحسن الثالث عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام قال: قال النبى صلّى اللّه عليه و آله: «يقول اللّه عز و جل يا بن آدم اذكرنى حيث تغضب، أذكرك حين أغضب، و لا أمحقك فيمن أمحق» .

و فيه عن مجالس المفيد و أمالى الطوسى بإسناده عن الثمالى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «لا يزال المؤمن فى صلاه ما كان فى ذكر اللّه قائما كان أو جالسا أو مضطجعا، إن اللّه تعالى يقول: اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اَللّٰهَ قِيٰاماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ رَبَّنٰا مٰا خَلَقْتَ هٰذٰا بٰاطِلاً سُبْحٰانَكَ فَقِنٰا عَذٰابَ اَلنّٰارِ (۴)» .

و فيه عن عيون الأخبار عن داود بن سليمان عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إن موسى بن عمران عليه السّلام لما ناجى ربّه عز و جل قال: يا ربّ أ بعيد

۱- ۱) النور:۳۶-۳۷.

۲- ۲) العنكبوت:۴۵.

۳- ۳) البحار ج ۹۳ ص ۱۵۱.

۴- ۴) آل عمران:۱۹۱.

أنت منی فانادیک أم قریب فأناجیک؟ فأوحی اللّه عز و جل: أنا جلیس من ذکرنی فقال موسی: یا ربّ إنی أکون فی حال أجلّک أن أذکرک فیها، فقال: یا موسی اذکرنی علی کل حال» .

و فیه عن معانی الأخبار بإسناده عن محمد بن مسلم عن الصادق علیه السّلام فی حدیث یقول فی آخره: «تسبیح فاطمه علیها السّلام من ذکر اللّه الکثیر، الذی قال اللّه عز و جل: فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ (۱)» .

و فیه عن أمالی الصدوق و معانی الأخبار بإسناده عن الحسن بن علی علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «بادروا إلی ریاض الجنه، فقال: و ما ریاض الجنه؟ قال: حلق الذکر» .

و فیه عن المحاسن بإسناده عن هشام بن سالم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن اللّه تبارک و تعالی قال: «من شغل بذکری عن مسألتی أعطیته أفضل ما أعطی من سألنی» .

و فیه عنه بإسناده عن بشیر الدّهان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال اللّه تعالی «ابن آدم اذکرنی فی نفسک أذکرک فی نفسی، ابن آدم اذکرنی فی الخلاء أذکرک فی الخلاء، ابن آدم اذکرنی فی ملإ أذکرک فی ملإ خیر من ملئک. و قال: ما من عبد یذکر اللّه فی ملإ من الناس إلاّ ذکره اللّه فی ملإ من الملائکه» .

و فیه عن تفسیر العیاشی عن زراره عن أحدهما علیهما السّلام قال: «لا یکتب الملک إلاّ ما أسمع نفسه، و قال اللّه: وَ اُذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً (۲)، قال: لا یعلم ثواب ذلک الذکر فی نفس العبد لعظمته إلاّ اللّه تعالی» .

و فیه عن الدعوات للراوندی، و عن النبی صلّی اللّه علیه و آله أنه قال: «یا رب وددت أن أعلم من تحبّ من عبادک فأحبّه؟ فقال: إذا رأیت عبدی یکثّر ذکری، فأنا أذنت له فی

۱- ۱) النور:۱۵۹.

۲- ۲) الأعراف:۲۰۵.

ذلک، و أنا أحبّه. و إذا رأیت عبدی لا یذکرنی، فأنا حجبته، و أنا أبغضه» .

و فیه عن عده الداعی روی الحسین بن زید عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «ما من قوم اجتمعوا فی مجلس، فلم یذکروا اللّه، و لم یصلوا علی نبیّهم إلاّ کان ذلک المجلس حسره و وبالا علیهم» .

و فیه عنه و روی ابن القدّاح عنه علیه السّلام (أی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام) قال: «ما من شیء إلاّ و له حدّ ینتهی إلیه، فرض اللّه الفرائض فمن أدّاهنّ فهو حدّهن، و شهر رمضان فمن صامه فهو حدّه، و الحج فمن حجّ فهو حدّه، إلاّ الذکر فإن اللّه لم یرض فیه بالقلیل و لم یجعل له حدّا ینتهی إلیه. ثم تلا: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اُذْکُرُوا اَللّٰهَ ذِکْراً کَثِیراً وَ سَبِّحُوهُ بُکْرَهً وَ أَصِیلاً (1)فلم یجعل اللّه له حدّا ینتهی إلیه. قال: و کان أبی کثیر الذکر، لقد کنت أمشی معه و إنه لیذکر اللّه، و آکل معه الطعام و إنه لیذکر اللّه، و لو کان یحدث القوم ما یشغله ذلک عن ذکر اللّه، و کان لسانه لاصقا بحنکه یقول: لا إله إلاّ اللّه، و کان یجمعنا فیأمرنا بالذکر حتی تطلع الشمس، و کان یأمر بالقراءه من کان یقرأ منا، و من کان لا یقرأ منا أمره بالذکر، و البیت الذی یقرأ فیه القرآن و یذکر اللّه فیه تکثر برکته و تحضره الملائکه و تهجره الشیاطین، و یضیء لأهل السماء کما تضیء الکواکب لأهل الأرض، و البیت الذی لا یقرأ فیه القرآن و لا یذکر اللّه فیه تقلّ برکته و تهجره الملائکه و تحضره الشیاطین و قال: جاء رجل إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال: من خیر أهل المسجد؟ فقال: أکثرهم ذکرا» .

و عن الترمذی فی کتاب الدعاء، و عن المحکی عن المحاسن و اللفظ للأول: و قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «ألا أنبئکم بخیر أعمالکم و أزکاها عند ملیککم و أرفعها فی درجاتکم، و خیر لکم من إعطاء الورق و الذهب، و خیر لکم من أن تلقوا أعداءکم فتضربوا أعناقهم و یضربوا أعناقکم؟ قالوا: و ما ذلک یا رسول اللّه؟ قال: ذکر اللّه» .

1- 1) الأحزاب:41-42.

و فی المحکی عنه صلّی اللّه علیه و آله أیضا: «سبق المفردون، سبق المفردون، قیل: و من هم یا رسول اللّه؟ قال: المستهترون بذکر اللّه تعالی، وضع الذکر عنهم أوزارهم فوردوا القیامه خفافا» . هذه جمله من أحادیث الباب. و اعلم أنه قد انکشف لأرباب البصائر المستنیره بنور معرفه اللّه تعالی أن ذکر اللّه أفضل الأعمال الروحیه و القلبیه و النفسیه و البدنیه و لکن له مراتب بعضها قشور و بعضها لبّ، و للذاکر أیضا مراتب بحسبه، و لکلّ ذکر نتیجه بحسبه، فإن نتیجه ذکر العبد للّه ذکر اللّه له، کما قال: فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ ، و تقدم شرحه فی الجمله. قال بعض الأکابر ما حاصله: أن ذکر العبد للّه و محبته له و رضاءه عنه و سائر صفاته الحسنه و أعماله الصالحه مؤدّیه له. إلی أمثال هذه النتائج علی وجه أکمل و أعلی من ذکره تعالی له. قال رضوان اللّه تعالی علیه فی بیان الوجه لهذا: إن لکل شیء حادث کما له مبدأ کذلک قد یکون له غایه، و المبادی للأشیاء ذوات الغایات هی نفس الغایات بالذات و غیرها بالاعتبار، کما حقق فی محله، أ و لا تری أن تصور کل فاعل مختار لنتیجه فعله و کمال علمه متقدم علما علی ثبوت تلک الغایه و هی متأخره عنه عینا. فإذا کان هذا هکذا، فنقول: لما کان اللّه سبحانه مبدأ کل شیء و غایته، و أول کل فکر و ذکر و نهایته، و ظاهر کل موجود و باطنه، فالأول عین الآخر و الباطن عین الظاهر. فحینئذ نقول: إن ذکر العبد للّه تعالی نتیجه ذکر اللّه تعالی له، فالذکر له تعالی أولا هو الذکر له آخرا و غایه، و فی الذکر له ابتداء وصل اجمالی، کما أن فی الغایه وصلا تفصیلا، و هذا من العلوم المختصه بأحبّاء اللّه و مشتاقیه المجذوبین إلیه، و شرحه موکول إلی محله و أهله. و کیف کان فاللّه سبحانه أمرنا بذکره بقوله تعالی: وَ اُذْکُرُوا اَللّهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ

تُفْلِحُونَ

(۱)

. و أما أمرهم بإكثار ذكره كمّا و كيفا كما تقدم، لئلا يلهيهم شيء عن معرفه اللّه و عبوديته، و لا تكون هممهم مصروفه عن الترقى إلى عالم الربوبيه، و نفوسهم منغمره فى طلب الأغراض الحيوانيه إذ من المعلوم بالضروره أن الفلاح و الخلاص عن النشأه السافله الدنيويه، و فوزهم بالسعادات الأبديه إنما هو بالارتقاء من النشأه السافله الدنيويه إلى النشأه العاليه الأخرويه، و لقد أثابهم اللّه على الذكر و وعدهم عليه الألطاف العظيمه.

كما فى المحكى عن عده الداعى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: «من ذكر اللّه فى السوق مخلصا عند غفله الناس و شغلهم بما فيه، كتب اللّه له ألف حسنه، و يغفر له يوم القيامه مغفره لم تخطر على قلب بشر» . كيف لا- و قد علمت أن إدمان ذكر شيء يوجب وصاله، فإدمان ذكره سبب للوصال إلى لقاء جمال الحضره الربوبيه جلت عظمته تعالى، و لذا قيل: إن العباده باعثه للمحبه و المحبه باعثه للرؤيه. و معلوم أن حقيقه الذكر ما يكون للمحبوب، أى أن الذكر الحقيقى إنما يكون بالمحبه، و من علامه المحبه ذكر المحبوب، و من أحبّ شيئا أكثر ذكره. ثم إن حقيقه الذكر هو الذكر القلبى عن محبه، فإنّ حقيقه الإنسان هو روحه و باطنه و سرّه لا- بدنه و هيكله المحسوس، فالذكر الحقيقى منه ما يقع من لسان قلبه و إحضاره و اخطاره صوره المذكور فى باله.

و لذا قال تعالى كما فى الحديث القدسى المتقدم: «أنا جليس من ذكرنى» . و معلوم أنه تعالى أجل و أرفع من أن يكون جليس البدن حاضرا عنده، و لكن مع تجرده و تقدسه مما يخطر فى قلب العارف و يقع عليه نوره، و هذا النحو من

۱- ۱) الجمعه:۱۰.

الـذكر لاـ يحصـل إلاّ أولاـ للنبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام ثم الأوليـاء كـل على حسب قربه له تعـالى، و أما المنغمرون فى الـدنيا فليس لهم هـذا التمكن كما لا يخفى. إذا علمت ما ذكرناه من الـذكر و أقسامه و حقيقته و آثاره و أنه أهم الأمور للعبد، فاعلم أن

قوله عليه السّلام:

«ذكركم فى الذاكرين»

، قد يقال: إن معناه أنه إن ذكرتم مع ذكر غيركم، فذكركم ممتاز له حلاوه و طراوه و أثر فى تنوير القلب كما يومئ إليه

قوله عليه السّلام

«فما أحلى أسماءكم!» . و كيف كان، فذكركم له سموّ و علوّ و رفعه و قدر و منزله بحيث لا نسبه بينها و بين غيرها من الأسماء. هـذا إذا كان الـذكر مصـدرا مضافا إلى مفعوله أى مذكوريتكم فى المذكورين فى لسان الذاكرين له مزيّه. و أما إن كان مضافا إلى فـاعله أى ذكركم له تعـالى فيما بين ذكر الناس للّه تعالى له مرتبه و شـرافه، كيف و أنتم فى منتهى مقام القرب و المعرفه به تعالى، فكيف يقدر أحد أن يذكره كما أنتم تذكرونه فلا محاله لذكركم مزيّه؟ ! أو المراد

من قوله:

«فى الذاكرين»

الظرفيه أى أن ذكركم موجود فى ذكر الـذاكرين، أو أنتم-بلحـاظ كونكم ذاكرين-موجودون فى الـذاكرين. أمـا الأول: فلأن حقيقه الذكر ذكركم لمكان معرفتكم، فلا محاله لا يذكره أحد بفضيله إلاّ و هو داخل فى ذكركم، لعلوّ ذكركم و شموله، فكأنه كـالكلى و غيره كجزئيـاته. و أمـا الثـانى: فلأنكم سـادات الـذاكرين و أشـرفهم، فلاـ محاله يكون الـذاكرون بـذكرهم فيما دون ذاكريتكم، فكأنّهم رشـحه منكم، و قطره من بحاركم، فـذاكريّتهم داخله فى ذاكريّتكم دخول الأدنى فى الأشـرف. ثم إن الوجه فى كون ذكرهم ممتازا بالمزيه العاليه ما تقدم من أن الذكر الحقيقى الذى هو الفناء فى المذكور، و حضور المذكور عند النفس بنحو تقدم إنما يتحقق

بهم عليهم السّلام لا بغيرهم لأنهم عليهم السّلام هم الأقربون إليه تعالى بحيث لا يدانيهم فى هذا القرب أحد، فلا محاله تكون لذكرهم له تعالى مزيّه تختصّ بهم، و بهذا يكون ذكرهم ممتازا و ذاكريتهم ممتازه بين الأذكار و الذاكرين. ثم إنه يمكن من الذكر الذى هو المصدر أن يكون بمعنى المفعول، فمعنى ذكركم فى الذاكرين أى مذكوريّتكم فى الذاكرين و فى ذكرهم له تعالى. و بعباره أخرى: أنه ما ذكر اللّه أحد إلاّ بذكركم، فأنتم المذكورون أولا للناس ثم بكم يذكر اللّه. كيف لا، و أنتم الوسائط بين الخلق و الحق، فلا يمكن لأحد أن يذكر اللّه إلاّ بكم، كما تقدم من

قولهم عليهم السّلام: «بنا عبد اللّه و بنا عرف اللّه» .

و قوله عليه السّلام:

«من أراد اللّه بدأ بكم، و من وحّده قبل عنكم، و من قصده توجّه بكم»

، فإن التوجه به الذى هو حقيقه الذكر كما علمت لا يمكن إلاّ بهم و قد تقدم شرحه. فذكرهم له تعالى لعلوّ مقامهم و قربهم إليه تعالى لا يدانيه ذكر أحد، كما لا يخفى على أهل البصيره.

قوله عليه السّلام: و أسماؤكم فى الأسماء.

اعلم: أن الاسم عند المحققين هو الذات المأخوذه مع شأن من الشئون كالقائم مثلا أى الذات، التى لوحظ معها صفه القيام و التى هى شأن من شئون الذات. و الفرق بين الاسم و الصفه فى اعتبار العقل كالفرق بين المركّب و البسيط، إذ الذات معتبره فى مفهوم الاسم دون مفهوم الصفه، لأنها مجرد العارض، فالقائم اسم و القيام صفه و القائم ذات لوحظ معها الصفه التى هى شأن من شئون الذات، و القيام صفه لم يلحظ فيها الذات، و تقدم

قول الرضا عليه السّلام: «الاسم صفه للموصوف» ، أى أن الاسم دال على صفه لذات المسمى التى هى الموصوف،

و الاسم سواء كان مشتقّا من السموّ بلحاظ أن الاسم يوجب رفعه المسمى، و إخراجه عن مكمن الغيبه إلى مظهر العلوّ فيتعلق به الدرك، أو من السمه بمعنى العلامه بلحاظ أن الاسم يدل على علامه للمسمى كما حقق فى محله. و كيف كان أما علم كزيد مثلا فلا يدل إلّا على مسماه، و لم يلحظ فيه الإشعار إلى صفه، بل لا يراد منه إلّا نفس زيد.

فقوله عليه السّلام:

«و أسماؤكم فى الأسماء»

، إن أريد به الإعلام، أى أسماءكم العلميه فمعناه أن أسماءكم العلميه ممتازه بين الإعلام، لدلالته على وجوداتكم المقدسه الكامله لجميع الكمالات، و الاسم نحو وجود للمسمى يكسب من المسمى ما له من الصفه إن خيرا فخير و إن شرّا فشر. فقولنا محمد صلّى اللّه عليه و آله نستبشر منه فى القلب حلاوه و سرورا بلحاظ كونه مرآه لذاته الشريفه، فكأنما ترى الذات فى مرآه اللفظ و كذا سائر أسمائهم عليهم السّلام. و هكذا إذا سمعنا أسماء أعدائهم نشمئزّ منها، لما نرى من مرآه الاسم خباثه المسمى و دناءته و قبحه كما لا يخفى. و أما أن الاسم صفه أى يراد من الاسم الاسم المعنوى كالقائم و القادر و الحق و الرءوف و نحوها، و الاسم اللفظى اسم للاسم المعنوى، أى القادر بلفظه موضوع للذات المتّصف بالقدره بالنحو المذكور فى محله. و كيف كان فالأسماء المعنويه صفات للمسمى و هو الموصوف بها، و مهما بلغ الموصوف و المسمى إلى أعلى الكمالات و السعادات لفوزه لا قربيّته له تعالى، فلا محاله يكون اسمه الدال على علوه الذاتى أعلى و أشرف من غيره.

فقوله:

«و أسماؤكم فى الأسماء»

، أى أنها ممتازه بكل الامتياز، لدلالتها على أقصى الكمالات و المقامات المعنويه، و هذه الأسماء كالنعوت الوارده فى الأخبار و القرآن فى بيان أحوالهم و صفاتهم سواء أ كان بصيغه الاسم الفاعل أم بصيغه فعل بأقسامه كما لا يخفى.

و لقد صنف السيد هاشم البحرانى (رضوان اللّه تعالى عليه) كتابا سماه باللوامع النورانيه فى الأسماء القرآنيه، لمحمد و آله الطاهرين (عليهم الصلوه و السلام) ذكر فيه أسماءهم عليهم السّلام المستفاده من الآيات القرآنيه. و لعمرى إنه كتاب وحيد فى فنّه، و كذا الأسماء المذكوره فى طىّ الأحاديث الوارده فى شأن ولايتهم كهذه الزياره الشريفه، و ما ذكرنا فى شرحها من الأحاديث الوارده فى بيان شئونهم.

[۸۱]قوله عليه السّلام: و أجسادكم فى الأجساد.

أقول: أى أن أجسادكم لها مزيّه من بين الأجساد. أقول: فى المجمع: و الجسد من الإنسان بدنه و جثّته و الجمع أجساد، و فى كتاب الخليل لا يقال لغير الإنسان من خلق الأرض جسد، و كل خلق لا يأكل و لا يشرب نحو الملائكه و الجن فهو جسد، و عن صاحب البارع لا يقال إلاّ للحيوان العاقل و هو الإنسان و الملائكه و الجنّ و لا يقال لغيره جسد. و أما الجثمان ففيه، الجثمان بضم الجيم الشخص، و عن الأصمعى الجثمان: الشخص و الجثمان الجسم. و فيه فى الجسم قيل هو كل شخص مدرك، و فى كتاب الخليل نقلا عنه الجسم! البدن و أعضاؤه من الناس و الدوّاب و نحو ذلك مما عظم من الخلق. و كيف كان فامتياز أجسامهم بأمور، و لا يخفى أن ما ثبت من الامتيازات للنبى صلّى اللّه عليه و آله فهو ثابت لهم عليهم السّلام لأنهم من نور واحد و جميع شئونهم واحده. و كيف كان فمنها قوته صلّى اللّه عليه و آله و كذا الأئمه فى جسدهم و أجسامهم، أما النبى:

ففى البحار عن بصائر الدرجات عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن اللّه تبارك و تعالى أهدى إلى رسوله هريسه من هرائس الجنه، غرست فى رياض الجنه، و فركها الحور العين، فأكلها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فزاد فى قوته بضع أربعين رجلا،

و ذلک شیء أراد اللّه أن یسرّ به نبیه صلّی اللّه علیه و آله» .

و عن علی علیه السّلام أنه قال ما مضمونه: «إنه إذا خفنا من العدو اتقینا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» و لعله سیجیء ذکر الحدیث. أقول: البضع بالضم: الجماع، و البضع فی العدد بالکسر، و قد یفتح و هو فی العدد ما بین الثلاث إلی التسع. و قیل: ما بین الواحد إلی العشره و عن الجوهری تقول: بضع سنین و بضعه عشر رجلا، فإذا جاوزت لفظ العشر لا تقل بضع و عشرون. أقول: و هذا یخالف ما جاء فی الحدیث کما تقدم

قوله علیه السّلام: «فزاد فی قوته بضع أربعین رجلا» إلاّ أن یقرأ فی الحدیث بضم الباء، فیکون بمعنی جماع أربعین رجلا. و مثله أحادیث أخر و منها: فیه عن الخرائج من معجزاته صلّی اللّه علیه و آله: أن الأخبار تواترت و اعترف بها الکافر و المؤمن بخاتم النبوه الذی بین کتفیه علی شعرات متراکمه، تقدمت بها الأنبیاء قبل مولده بالزمن الطویل، فوافق ذلک ما أخبروا به عنه فی صفته صلّی اللّه علیه و آله.

و فیه عن المناقب (1)، فی حدیث طویل فی ذیله: «و کان یشهد کل عضو منه صلّی اللّه علیه و آله علی معجزه نوره، کان إذا مشی فی لیله ظلماء بدا له نور کأنه قمر، قالت عائشه: فقدت إبره لیله فما کان فی منزلی سراج، فدخل النبی صلّی اللّه علیه و آله فوجدت الإبره بنور وجهه» .

حمزه بن عمر الأسلمی قال: «نفرنا مع النبی صلّی اللّه علیه و آله فی لیله ظلماء فأضاءت أصابعه عرفه» . . إلی أن قال: ظلّه: لم یقع ظلّه علی الأرض، لأن الظل من الظلمه، و کان إذا وقف فی الشمس و القمر و المصباح، نوره تغلب أنوارها. . .

ص: ۳۵۵

۱- ۱) المناقب ج ۱۶ ص ۱۷۶.

قامته: کلما مشی مع أحد کان أطول منه برأس و إن کان طویلا. . إلی أن قال: عیناه، کان یبصر من ورائه کما یبصر من أمامه، و یری من خلفه کما یری من قدّامه، و تقدم الحدیث الدال علی هذا. . ظهره: کان بین کتفیه خاتم النبوه کلما أبداه غطّی نوره نور الشمس، مکتوب علیه لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له، توجه حیث شئت فأنت منصور. . إلی أن قال: یداه: فار الماء من بین أصابعه، و سبح الحصی فی کفّه، ولد صلّی اللّه علیه و آله مسرورا أی مقطوع السرّه مختونا. جلوسه: قالت عائشه: قلت: یا رسول اللّه إنک تدخل الخلاء، فإذا خرجت دخلت علی أثرک، فما أری شیئا إلاّ إنی أجد رائحه المسک، فقال: «إنّا معاشر الأنبیاء تنبت أجسادنا علی أرواح الجنه، فما یخرج منه شیء إلاّ ابتلعته الأرض» . فخذه: کان کل دابه رکبها النبی صلّی اللّه علیه و آله بقیت علی سنّها لا تهرم قط. رجلاه: أرسلهما فی بئر مائه أجاج فعذب قوته کان لا یقاومه أحد. مشیه: کان إذا مشی علی الأرض السهله لا یبین لقدمیه أثر، و إذا مشی علی الصلبه بان أثرها.

و فیه عن جابر بن عبد اللّه قال: فی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خصال لم یکن فی طریق فیتبعه أحد إلاّ عرف أنه قد سلکه من طیب عرفه أو ریح عرقه، و لم یکن تمرّ بحجر و لا مدر إلاّ سجد له. هذا بالنسبه إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام کان لأجسادهم مزیه تخصّهم من القوه و الآثار، التی تکون معجزه کما تراها من المعجزات المذکوره لهم فی کتاب مدینه المعاجز، و لهم علیهم السّلام تصرف فی أجسادهم کیفما شاءوا و هذا من امتیازات أجسادهم.

ففی البحار (1)، فی ذیل الحدیث الطویل المروی عن السجاد علیه السّلام و قد تقدم

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۱۶.

بعضه، و فيه قال: فنظر الإمام سيد العابدين على بن الحسين عليه السّلام إلى ابنه محمد الباقر عليه السّلام و قال لهم: «من هذا؟ قالوا: ابنك، فقال لهم: من أنا؟ قالوا: أبوه على بن الحسين، قال: فتكلم بكلام لم نفهم، فإذا محمد بصوره أبيه على بن الحسين، و إذا على بصوره ابنه محمد، قالوا: لا إله إلاّ اللّه، فقال الإمام عليه السّلام: لا تعجبوا من قدره اللّه أنا محمد و محمد أنا، و قال محمد: يا قوم لا تعجبوا من أمر اللّه أنا على و على أنا، و كلّنا واحد من نور واحد، و روحنا من أمر اللّه، أولنا محمد و أوسطنا محمد و آخرنا محمد و كلّنا محمد» ، الحديث.

و فيه عن البرسى عن طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث طويل فى وصف الإمام عليه السّلام. . إلى أن قال: «و الإمام يا طارق بشر ملكى، و جسد سماوى، و أمر الهى، و روح قدسى، و مقام على، و نور جلى، و سرّ خفى، فهو ملك الذات، إلهى الصفات، زائد الحسنات، عالم بالمغيبات خصّا من رب العالمين و نصّا من الصادق الأمين» . و كيف كان فالمستفاد من الأحاديث أن لأجسادهم عليهم السّلام معجزات تدل على أنها ممتازه ليست كسائر الأجساد و من أجسادهم

ما فى المحكى عن ابن أبى جمهور الأحسائى فى المجلى قيل و رواه صاحب كتاب أنيس السمراء و سمير الجلساء فى كتابه عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى، قال: شهدت البصره مع أمير المؤمنين عليه السّلام و القوم قد جمعوا مع المرأه سبعين ألفا، فما رأيت منهم منهزما إلاّ و هو يقول: هزمنى على، و لا مجروحا إلاّ يقول: جرحنى على عليه السّلام و لا من يجود بنفسه إلاّ و هو يقول: قتلنى على عليه السّلام و لا كنت فى الميمنه إلاّ و سمعت صوت على عليه السّلام و لا فى الميسره إلاّ و سمعت صوت على عليه السّلام و لا فى القلب إلاّ و سمعت صوته عليه السّلام و لقد مررت بطلحه و هو يجود بنفسه و فى صدره نبله، فقلت له: من رماك بهذه النبله؟ فقال: على بن أبى طالب عليه السّلام، فقلت: يا حزب بلقيس و يا جند إبليس إن عليّا لم يرم بالنبل، و ما بيده إلاّ سيفه، فقال: يا جابر أ ما تنظر إليه كيف يصعد فى الهواء تاره، و ينزل فى الأرض

أخرى، و يأتى من قبل المشرق مرّه، و من قبل المغرب أخرى و جعل المشارق و المغارب بين يديه شيئا واحدا، فلا يمرّ بفارس إلّا طعنه، و لا يلقى أحدا إلّا قتله أو ضربه أو أكبّه لوجهه، أو قال: يا عدو اللّه مت، فيموت فلا يفلت منه أحد، فتعجبت مما قال» . و لا عجب من أسرار أمير المؤمنين عليه السّلام و غرائب فضائله و باهر معجزاته.

و روى فى المجلى أيضا عن المقداد بن الأسود الكندى أن عليّا عليه السّلام يوم الأحزاب و قد كنت واقفا على شفير الخندق، و قد قتل عمرو و انقطعت بقتله الأحزاب، و افترقوا سبع عشره فرقه، و إنى لأرى فى كلّ أعقابها عليّا يحصدهم بسيفه و هو عليه السّلام فى موضعه لم يتّبع أحدا منهم، لأنه عليه السّلام من كريم أخلاقه أنه لا يتبع منهزما. أقول: و لعمرى إن هذه الأحاديث ترشدنا إلى خصائص لأجسادهم تكون بها ممتازه عن غيرها فإنها معجزه، كيف لا و هم صنائع اللّه تعالى و الخلق بعد صنائع لهم كما تقدم؟ ! هذا بعض يسير مما يخصّ أجسادهم الشريفه، و لعلك إذا تتبعت أخبارهم فى معجزاتهم ترى الأعجب من هذا، و اللّه ولى التوفيق.

قوله عليه السّلام: و أرواحكم فى الأرواح، و أنفسكم فى النفوس.

اشاره

اعلم: أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأوصياء عليهم السّلام لهم خصائص ثلاث متعلقه بروحهم و نفسهم و حسّهم.

فالخصيصه الروحيه

هى أنهم مطلعون على العلوم الإلهيه اطلاعا عن علم بحقائق الأشياء، كما هى من المبدإ الأعلى و ملكوته العلوى و السفلى، و علمهم روحا أيضا بحقيقه النفس بكلا جزئيها العلمى و العملى، و علمهم أيضا بعوالم الدنيا و الآخره، و أحوال جميع الخلائق فى تلك الدار الآخره، و رجوع الكل إلى الواحد

القهّار، كل هذه العلوم مستفاده من إلهام اللّه تعالى بطريق الكشف الروحى و الإلقاء السبوحى، لا بوسيله التعلّم البشرى و التعمّل الفكرى، و قد تقدم قريبا أنهم يعلمون هذه الأمور كلها بالروح الذى هو أعظم من جبرئيل و ميكائيل، و تقدم شرحه. و تقدم أيضا

عن الرضا عليه السّلام: «أنّ كلّ ذلك بلا طلب منهم و لا اكتساب، بل هو تفضّل منه تعالى لهم» . هذا كله بالنسبه إلى أرواحهم المقدسه، فعليه فمن يكون مثلهم فى الروح و ما لها من الكمالات الإلهيه! فلا محاله تكون أرواحهم عليهم السّلام ممتازه بكل الامتياز الممكن من بين الأرواح. فظهر من هذا و مما تقدم أن المراد من أرواحهم هو الجنبه الإلهيه، التى بدؤها منه تعالى و عودها إليه تعالى، المعبر عنها بالروح كما فى الآيه الشريفه، أو بالروح القدسى فهى أصلها من اللّه تعالى لها تعلق بالنفس.

و أما الخصيصه النفسيه:

فكونها فيهم عليهم السّلام ذات قوه باطنيه، بها تتمثل له الحقائق بكسوه الأشباح المثاليه فى العالم المتوسط بين العالمين، أى عالم الأرواح و عالم الخلق و الحسّ و الماده، و هذه القوه النفسانيه بمثابه من القوه و الشده بحيث تسرى قوته إلى الحسّ الظاهر، فتصير حواسّه الظاهريّه أيضا مما له مزيّه عظيمه، كما تقدم من كون أعضائه صلّى اللّه عليه و آله برهانا، و تقدم أن أجساده صلّى اللّه عليه و آله و أجسادهم عليهم السّلام لها مزيه خاصه. و بعباره أخرى: أن الجسد و الجسم هو جوهر ظلمانى مركب من طبائع ممتزجه، تفسد و تستحيل إلى العناصر الأوليه بعد انحلالها، و بعد ترك استعمال النفس لها، و ما يرى لها من الحيوه الحسّيه فإنما هى نور من نور النفس وقع عليه فصار الجسد و البدن حيّا، و النفس أيضا حقيقتها و روحها من أنوار اللّه المعنويه، التى هى شعله ملكوتيه حاصله فى فتيله النور الحسى و الحيوه الحيوانيه، أى

النفس فهى بالحقيقه مركب لذلك النور الإلهى. و بعباره أخرى: أن النفس جوهره روحانيه، سماويه نورانيه، حيّه بالذات بالحياه الأوليه فعلا و فى الدنيا، و بالحيوه الأخرويه قوه علامه بالقوه، قابله للتقديس فعّاله فى الأجسام بالآله، و مستعمله للآلات، و متممه للأجسام الحيوانيه و النباتيه إلى وقت معلوم قدّره قضاؤه تعالى للأشياء. و بعباره أخرى: أن النفس الإنسانيه تكون بمثابه من القدره بحيث لها الاقتدار على إنشاء الصور الباطنه عن الحواس، فلها فى ذاتها عالم خاص بها من الجواهر و الأعراض المفارقه و الماديه و الأفلاك المتحركه و الساكنه و العناصر و المركبات، و سائر الخلائق الحاصله عندها بقدرتها و اختراعها، التى منحها اللّه تعالى إن زكّاها صاحبها بالعلم و العمل الصالح و النفس تشاهدها، أى تشاهد عوالمها و مخترعاتها بنفس حصولاتها لها بحصولات أخرى و إلاّ يتسلسل لا إلى نهايه و هو كما ترى. و من هذه القوه و القدره التى تكون للنفس، تكون الكرامات التى حصلت لأولياء اللّه تعالى من إيجاد الصور الغيبيه فى الدنيا كما نقل لكثير من الكمّلين. فهم عليهم السّلام قد بلغوا فى قوه النفس نفسهم الشريفه إلى أن يتشبح لهم فى هذا العالم الجلوات الإلهيه بحقيقتها، التى هى حقيقه الوحى هذا للنبى صلّى اللّه عليه و آله فيشاهد صلّى اللّه عليه و آله الملك الملقى إليه الوحى عيانا، و يسمع كلام اللّه كفاحا بعبارات أنيقه و ألفاظ فصيحه دقيقه المعانى فى غايه الفصاحه و السلاسه و النفاسه و يطلع بتعليمه و إلقائه على المغيبات الجزئيه، و يخبر عن الحوادث الماضيه و الآتيه، بل علمت سابقا أن النبى صلّى اللّه عليه و آله يتلقى الوحى عنه تعالى بلا وساطه أحد. و أما الأئمه عليهم السّلام فهم لا يفرقون عن النبى فى هذه العلوم، إلاّ فى أنهم ليسوا أنبياء فقط، و أما فى سائر الكمالات فنفوسهم كنفس النبى صلّى اللّه عليه و آله و أرواحهم كروحه صلّى اللّه عليه و آله كما تقدم

و فى الدعاء:

«أشهد أنهم فى علم اللّه و طاعته كمحمد صلّى اللّه عليه و آله» . و قد يقال: إن النفس إذا فارقت الدنيا تكون لها هذه القوه و القدره على إيجاد

الصور بالفعل أى يوجدها خارجا لا صوره محضه، أما السعداء منهم فلسلامه قلوبهم من الأمراض الباطنيه و صحه نفوسهم من العقائد الفاسده، فلا محاله يكون قرينهم فى الدنيا و خصوصا فى الآخره الصور الحسنه المليحه من الوجوه الحسان و الحور و الغلمان و الرضوان، و أنواع النعم و الكرامات على حسب ما غلب عليهم من العلوم و النيّات و فعل الحسنات، و فى الأخبار شواهد صدق بنحو القطع على صدور هذه القدره لهم فى الآخره. منها:

ما تقدم مما حاصله أن يأتى من طرف رب العزه كتاب إلى أهل الجنه فيه مكتوب: «من الحى القيوم إلى الحى القيوم، جعلتك مثلى أنا أقول لشىء كن فيكون، تقول لشىء كن فيكون» . و مثل

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «يحشر الناس على نيّاتهم» . و مثله فى هذه الدلاله غيره من الأحاديث الوارده فى حالات أهل الجنه، و لا يراد من هذا الكلام أن نعم أهل الجنه و التذاذهم مختصه باللذات الروحانيه فقط كما يتوهم. بل المراد، أن لأهل الجنه أنواعا من اللذات: منها: هذه المذكوره بالنحو المذكور. و منها: اللذات الحاصله من النعم الخاصه التى خلقها اللّه تعالى فيها من الفواكه و السرر و القصور و سائر الحور و النعم و ملاذ الأصوات و نحوها، فإثبات ما ذكرناه لا ينافى ثبوت لذّات أخر فيها كما لا يخفى. و قد ثبت بالآيات و الأحاديث حصولها لهم، كما لا يخفى على المتتبع للأخبار. و أما الأشقياء فلخبث سيرتهم و دغل سريرتهم، و رداءه أخلاقهم و ملكاتهم، و اعوجاج طبايعهم و فساد عقائدهم و الفهم الدنيا، و عادتهم بالشهوات التى هى كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء، يكون قرينهم فى القيامه عذاب حميم و عقارب و حيّات و صور موحشه قباح، و أنواع من العذاب و العقاب.

و الحاصل: أن لهم أيضا عقابين: عقاب يكون نتيجه نيّاتهم و خيالاتهم الفاسده و الظن السوء بربهم، فيصور لهم تلك الخيالات فيتعذبون و عقاب من العذاب المخلوق فى جهنم من الأحجار و سائر المولمات. قال تعالى خطابا لأهل جهنم: وَ ذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ اَلَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ (١). أى هذا العذاب هو ظنكم و خيالكم الفاسد الموجب لتعذيبكم. و قال تعالى: لاٰ يَزٰالُ بُنْيٰانُهُمُ اَلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلاّٰ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ (٢). أى هذه الخيالات الفاسده التى بنوها ريبه و شكا لا تزال عن قلوبهم، ألا و أنها توجب تقطيعها قطعا قطعا و هى العذاب لهم.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى النهج بعد كلمات: «فكيف إذا كنت بين طابقين من نار ضجيع حجر و قرين شيطان» : فالأول إشاره إلى العذاب المخلوق لهم فى جهنم. و الثانى إشاره إلى تخيّلاتهم الفاسده الشيطانيه التى تولمهم. إذا علمت هذا فقد علمت أن النفس الإنسانيه إن صارت بلحاظ الروح أى المعارف الملقاه منه تعالى إليها بواسطه الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام فى كمال التزكيه، فهى حينئذ كامله ملتذه مقتدره على أمور عجيبه فى الدنيا و الآخره كلّ على حسب كماله. و أما إن صارت فيها دسيسه، فهى حينئذ خائبه و معذبه بالنحو الذى ذكرناه. و حينئذ فاعلم: أنهم أنفسهم عليهم السّلام الشريفه لها من خصائص النفس أكملها و أجملها و أعلاها فى الدنيا و الآخره، فنفوسهم عليهم السّلام لها تلك المزيه برمّتها بحيث لا يدانيهم فيها أحد من الخلائق.

ص: ٣٦٢

١- ١) فصلت:٢٣.

٢- ٢) التوبه:١١٠.

و من كمال نفوسهم عليهم السّلام تصدر منهم تلك المعجزات العجيبه التى تحيّر العقول. و ذلك مثل إشاره الرضا عليه السّلام بصوره الأسد فصارت أسدا فافترس ذلك الشخص المشعبذ.

و مثل إشاره أمير المؤمنين عليه السّلام لذلك الناصبى بقوله: «اخسأ فصار كلبا» و نحوها، و من أراد الاطلاع عليها فليراجع مدينه المعاجز للسيد البحرانى (رضوان اللّه تعالى عليه) . ثم إنه و إن كانت الخوارق للعاده قد تصدر من غيرهم، كما نقل عن بعض الكمّلين بعض الحكايات العجيبه، إلّا أنها مضافا إلى محدوديتها بحيث لا يكون من كل أحد إلّا بالنسبه إلى بعض الأمور، إنها بالنسبه إلى ما صدر منهم من تلك المعجزات و إطاعه الأشياء لهم كما تقدم كنسبه القطره إلى البحر كمّا، و يفرق منها أيضا كيفا و أهميّه و عظمه، مضافا إلى أنها بالنسبه إليهم عليهم السّلام غير محدوده، فلهم تلك المعجزات بإذنه تعالى فى جميع الأمور، و تقدم فى الشرح ما يزيدك وضوحا، فحينئذ ظهر لك معنى

قولهم

«و أرواحكم فى الأرواح و أنفسكم فى النفوس»

، من أنهما ممتازه بكل الامتيازات الإلهيه العجيبه، فكأنها تلألأت فيها كالبدر ليله تمامه و كماله رزقنا اللّه تعالى معرفتهم.

بقى الكلام فى الخصيصه الثالثه، أعنى ما يخصّ بحواسّهم.

فنقول: أى خصيصه حواسهم عليهم السّلام فهم عليهم السّلام بحسب الحسّ ذوو قوه قويّه و بسطه شديده بها يقهرون المعاندين و المنكرين، و يتسلّطون على أعداء اللّه و أوليائهم الشياطين، و هم ذوو مصابره على الشدائد و الامتحانات، و ذو اقتدار و تمكّن على تجهيز الجيوش فى الحروب و المبارزات. و الحاصل: مما ذكر أن جواهرهم عليهم السّلام مجتمعه من ثلاثه أشخاص عظيمه، كل منهم رئيس مطاع فى نوعه. فبروحهم و عقلهم يكونون ملكا من المقربين بل فوق الملك. و بمرآه نفسهم

و لوح ذهنهم يكونون فلكا مرفوعا عن أدناس العنصريين، و لوحا محفوظا من مسّ الشياطين، لاٰ يَمَسُّهُ إِلاَّ اَلْمُطَهَّرُونَ (۱). و بحسّهم يكونون ملوكا من عظماء الملوك و السلاطين. و حيث إن العوالم ثلاثه فهم فى كلّ عالم من أفضل أفراد نوعه. فبحسّهم يكونون من جمله الدنيا و الحسّ و الماده، و تحت جنس الحيوانات لكل من أفضلها و أحسنها و أكملها. و بنفوسهم يكونون من جمله الملكوت الأسفل و عالم الآخره. و بروحهم من جمله الملكوت الأعلى و العالم الربوبى، فهم عليهم السّلام بلحاظ كمالهم فى القوى الثلاث أى الحسّيه الدنيائيه و المثاليه الأخرويه و العقليه الربوبيه، فلهم السياده العظمى و الرئاسه الكبرى و الخلافه الإلهيه فى العوالم كلها، و من أعاليهم فيها لا يدانيهم فى كل عالم أحد من أفراد أنواعه، فهم عليهم السّلام فى العالم الربوبى كالملك، و فى عالم الآخره و المثال كالفلك. و فى عالم الحسّ و الدنيا كالملك. فظهر أنهم عليهم السّلام فى جميع العوالم بلحاظ أرواحهم و نفوسهم و حسّهم فى غايه الامتياز الإلهى و الكمال المعنوى بحيث لا يدانيهم أحد.

قوله عليه السّلام: و آثاركم فى الآثار، و قبوركم فى القبور.

اشاره

أقول: لعل المراد من آثارهم عليهم السّلام علومهم الباقيه، التى هى من النبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و من اللّه تعالى، و قد تقدم شرح علمهم عليهم السّلام و أنه ليس لأحد مثل علمهم، بل إن ما يوجد من العلم الصحيح فمنشأه منهم عليهم السّلام كما تقدم حديثه و بيانه. أو يراد منها أعمالهم التى عملوها فى حياتهم من العبادات و المجاهدات مع أعداء الدين، و أخلاقهم مع الناس فى معاملاتهم معهم، أو ما أسّسوه من السنن الحسنه، أو الموقوفات و الخيرات و المبرّات، كل ذلك كان بحيث يمتاز عن أفراد نوعه، فتلك الآثار لها بقاء فى النفوس لعظمتها، أو لها تأثير فيها، لأنها كانت منهم عليهم السّلام للّه تعالى، فهى باقيه و موجبه لأن يتّعظ بها الناس.

ص: ۳۶۴

۱- ۱) الواقعه:۷۹.

و قد يراد من

قوله: «و آثاركم فى الآثار»

، الظرفيه بمعنى أن أى أثر كالعلم مثلا كانت عند أحد، ففيه آثار علمهم، كما تقدم آنفا من أنه لا يكون حق فى أيدى الناس و المكلفين إلّا ما كان منهم عليهم السّلام.

ففى بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن يحيى بن عبد اللّه أبى الحسن صاحب الديلم قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السّلام يقول و عنده أناس من أهل الكوفه: «عجبا للناس أنهم أخذوا علمهم كله عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فعلموا به و اهتدوا، و يرون أنّا أهل بيته و ذريته لم نأخذ علمه، و نحن أهل بيته و ذريته فى منازلنا نزل الوحى، و من عندنا خرج العلم إليهم، أ يرون أنهم علموا و اهتدوا و جهلنا نحن و ضللنا؟ إن هذا لمحال» .

و فيه بإسناده عن زراره قال: «كنت قاعدا عند أبى جعفر عليه السّلام فقال رجل من أهل الكوفه يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «سلونى عمّا شئتم و لا تسألونى عن شىء إلّا أنبائكم به، فقال: إنه ليس أحد عنده علم إلّا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السّلام فليذهب الناس حيث شاءوا فو اللّه ليأتيهم الأمر من هيهنا و أشار بيده إلى المدينه» .

و فيه بإسناده عن أبى مريم قال: قال أبو جعفر عليه السّلام لسلمه بن كهيل و الحكم بن عتيبه: «شرقا و غربا لن تجدا علما صحيحا إلّا شيئا يخرج من عندنا أهل البيت» . أقول: فهم عليهم السّلام هادون للحق بعلمهم بهدايه اللّه تعالى و الخلق، خصوصا الشيعه قد وفّقوا للعلم الصحيح من المعارف الإلهيه بهم، فهم عليهم السّلام فى كل أثر من الخلق من الأعمال و العلوم سبب لهم فى ذلك. و بعباره أخرى: أنهم عليهم السّلام معلّمون للخلق بتعليم كلّى، فعلوم الخلق من جزئيات تلك الكليات الملقاه إليهم منهم عليهم السّلام.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۲.

و هم أیضا سبب لکل من له أهلیه العمل فی شیء من الأشیاء مما یتصور فی حق أحد من الخلق بقول أی بسبب قولی أو فعلی، فبهذه السببیه أوقفوهم علیه و دلّوهم علیه، هذا فی أولیائهم. و أما مخالفوهم: فیعلم من محرومیتهم و خذلانهم، أنهم محرومون لإعراضهم عن الأئمه علیهم السّلام فی الدین و العلم و المعارف فآثارهم علیهم السّلام فی آثار مخالفیهم بهذا النحو کما تقدم بیانه. و قد یقال: المراد من آثارهم علیهم السّلام هی الملکات الراسخه، التی هی أثر حاصل بعد انقطاع الأعمال المستدعیه لها. بیانه: أن من یفعل فعلا و یعمل عملا صالحا، فیحصل من ذلک أثر فی نفسه و یحدث فیها حال و کیفیه نفسانیه هی ضرب من الصوره و النقش، و بتکرر الفعل یستحکم ذلک الأثر فی النفس إلی أن یصیر ملکه بعد ما کان حالا، قالوا: فتصدر بسببها الأفعال المناسبه لها بسهوله من غیر رویّه. و کیف کان، فالآثار الحاصله من الأفعال و الأقوال فی القلوب بمنزله النقوش و الکتابه فی الألواح، قال تعالی: أُولٰئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ اَلْإِیمٰانَ (۱)و تلک الألواح النفسیه یقال لها صحائف الأعمال.

و فی الخبر: «کل من عمل حسنه یخلق اللّه منها ملکا یثاب به، و من اقترف سیئه یخلق اللّه منه شیطانا یعذب به» . أقول: قال تعالی: إِنَّ اَلَّذِینَ قٰالُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ ثُمَّ اِسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ اَلْمَلاٰئِکَهُ أَلاّٰ تَخٰافُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ اَلَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِیٰاؤُکُمْ فِی اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ فِی اَلْآخِرَهِ (۲). فصدر الحدیث یشیر إلی هذه الآیه، کما أنّ ذیله یشیر إلی قوله تعالی: وَ مَنْ یَعْشُ عَنْ ذِکْرِ اَلرَّحْمٰنِ نُقَیِّضْ لَهُ شَیْطٰاناً فَهُوَ لَهُ قَرِینٌ (۳).

۱- ۱) المجادله:۲۲.

۲- ۲) فصلت:۳۰-۳۱.

۳- ۳) الزخرف:۳۶.

إذا علمت هـذا فنقول: ما تقدم من معنى آثارهم يراد منه الآثار المنفصـله عن النفس من الأعمال الصالحه من حيث هى عمل، و من العلوم و الكتب المصنفه و الأبنيه المشيّده لنفع المسلمين من مسجد و مدرسه و قنطره و أمثالها. و أما على ما ذكرنا فعلا فيراد من الآثار الملكات النفسانيه الحاصله فى النفس من الأعمال. فحينئذ نقول:

قوله عليه السّلام:

«و آثاركم فى الآثار»

، أى أن ملكـاتكم النفسـانيه فى الملكـات النفسـانيه فى النفوس، لهـا امتياز و كمال و رتبه أعلا و أرفع من غيرها مما فى النفوس البشريه من أولياء اللّه تعالى. كيف لا و هم مظاهر أسمائه تعالى و محال معارفه و منظره تعالى فى عالم السوى. فلا محاله تكون آثارهم ممتازه و كامله و عاليه بتمام العلوّ فى الآثار، كما لا يخفى على أولى البصيره و الكمال.

و أما قوله عليه السّلام: «و قبوركم فى القبور»

، فيراد منه القبور الظـاهره الطـاهره المطهره، التى دفنوا فيهـا فإنهـا أيضا لها امتياز من بين القبور. كيف لا، و قـد ظهرت منها آثار متبرّكه من اسـتجابه الـدعاء عنـدها خصوصا عند قبر أبى عبد اللّه عليه السّلام كما تظافرت به الأحاديث، و عن ظهور المعجزات من شـفاء المرضـى و سـائر المعجزات التى ظهرت من قبورهم كمـا هو مـذكور فى الكتب، فقبورهم لأجـل المماسه مع أبـدانهم الشريفه صارت طيبه و محلا لظهور تلك الآثار المخصوصه لهم.

قال عليه السّلام:

«طبتم و طابت الأرض التى أنتم فيها دفنتم»

، هذا بالنسـبه إلى جميع المعصومين عليهم السّلام و يختص من بينهم الحسـين بن على عليه السّلام فإنه عليه السّلام قد جعل اللّه تربته شـفاء لكل داء، و السـجود عليه سـببا ليخرق الحجب، و كثره ثواب الصـلوه و التسبيح بالسـبحه المأخوذه من تربته له فضـل على غيره، كل ذلك مذكور فى الأحاديث الصحيحه كما فى كامل الزيارات و غيره.

[۸۲]قوله علیه السّلام: فما أحلی أسماءکم، و أکرم أنفسکم، و أعظم شأنکم، و أجلّ خطرکم، و أوفی عهدکم، و أصدق وعدکم!

اشاره

أقول: فهاهنا أمور:

الأول: فی بیان قوله علیه السّلام: «فما أحلی أسماءکم!» .

أقول: الحلاوه هی ما یلائم فی کل شیء بحسبه و ما یلذّ له، و یستعمل للحسیه و المعنویه. فالحسیه تدرک باللسان للقوه الذائقه، و بالأنف للقوه الشامّه و بالعین للقوه الباصره، و بالأذن للقوه السامعه و بالبشره للقوه اللامسه، فالملایم لها حلاوه و المنافر لها ضدّها. و أما المعنویه: فهی قوی الخمس الباطنیه: الأولی: الحس المشترک الذی فعله إدراک الخیالات الظاهره و إنما سمی مشترکا، لأنه قوه مرکّبه من حسّین بالتثنیه الظاهر و الباطن فحلاوته درکه ما یلایمه. و الثانیه: الخیال و فعله إدراک الصور و حلاوته ما یلایمه. و الثالثه: الوهم، و فعله إدراک المعانی الجزئیه و حلاوته درکه ما یلایمه. و الرابعه: المتخیّله و فعله الترکیب و التفصیل بین الصور و المعانی الجزئیه، و حلاوته درک ما یلایمه، و قد یعبّر عنه بالفکر و لیس بصحیح و تحقیقه موکول إلی محله. و الخامسه: الحفظ و فعله الحفظ لما یدرکه فی النفس و حلاوته ما یلایمه. و کیف کان فهذه الخمس حلاوتها ما یلائمها بنسبته، و هنا قوه باطنیه أعلی من الکل و هی العقل، و شأنه درک الکلیات و حلاوته درکه کلیّا علی ما هو علیه، و تفصیل الکلام فی شرح هذه القوی موکول فی محله. و فی المجمع: حلی الشیء بعینی من باب تعب: أعجبنی و حسن عندی. . إلی أن قال: و حلا الشیء یحلو حلاوه فهو حلو، و حلا لی الشیء: لذّلی، و استحلیته:

وجدته، حلوا و الحلاوه نقيض المراره. إذا علمت هذا، فالمراد من

قوله:

«ما أحلى أسماءكم!» . إما يراد منه أنه حلوّ فى السمع أى يجد السمع بالقوه السامعه منها لذه كما تقدم فى شرح

قوله:

«و أسماؤكم فى الأسماء»

. أو يراد منه أنها حلوّ فى البصر، فإن الإنسان المؤمن بهم إذا نظر إلى أسمائهم، و انتقل منها إلى حقائقهم الروحيه و صفاتهم الحسنه الجميله فكأنه يراها بعينه، فيستحليها و يجدها حلوه من طريق البصر. أو يراد منه ما قيل من قولهم: حلا الشىء بعينى أى أعجبنى و حسن عندى. أو يقال: إنه لما كانت حقيقه أسمائهم عليهم السّلام حقائق معنويه لا لفظيّه فقط بل اللفظ كما علمت اسم الاسم فلا ريب فى أن لحقيقتهم التى هى فى الواقع أسماؤهم عليهم السّلام لذّه و حلاه،

كما: فى المحكى عن خديجه عليها السّلام أنها لمّا وضعت فاطمه عليها السّلام فاح الطيب حتى ملأ جميع الأرض و الآفاق كلّها. كيف لا، و هى إنسيّه حوراء

و قد قال صلّى اللّه عليه و آله: «إنى كلما اشتقت إلى رائحه تفاح الجنه شممت ابنتى فاطمه (سلام اللّه عليها و على أبيها و بعلها و بنيها) كما صرحت به الأحاديث؟ ! فحقيقتهم هذه لها لذه تظهر فى الوجود و تدركه الحواس، فأسماؤهم اللفظيه يدرك حلاوتها اللسان، لسلامتها من الغرابه و التعقيد و التنافر، و لأن هيأتها أسلس ما يكون من الهيئات عند النطق بها فاللسان و الأذن يجدان حلاوتها، أ لا تجد الحلاوه من لفظ محمد صلّى اللّه عليه و آله و كذا سائر أسماء المعصومين عليهم السّلام؟ و كيف كان فلذه لفظ أسمائهم للأذن و رقمها للعين و معناها أى حقائقها للعقل. كيف لا،

و قد علمت فيما تقدم من أن الصادق عليه السّلام كان إذا تلفظ بقول: محمد صلّى اللّه عليه و آله كان يكرّره، و يخضع له إلى أن كاد أن يلصق جبهته الشريفه إلى الأرض، فهل هذا التعظيم إلاّ لما كان يجد عقله الشريف حلاوه من تعقل حقيقه جده صلّى اللّه عليه و آله؟ و كيف كان فالإنسان المؤمن بهم، بل العارف بحقيقتهم و صفاتهم و إن لم يؤمن

بهم، يجد كل هذا فكيف بالمؤمن بهم إذا سمع أسماءهم و أسماء أسمائهم يراها كلها ملايمه لطيفه محبوبه له، و بهذه اللذه و المشاهده الروحيه صاروا محبوبين و معشوقين لأوليائهم، فإن الحقيقه الإنسانيه السالمه المؤمنه بها لا تجد لذّه ألذّ من دركهم و مشاهده حقيقتهم بعقلها و قلبها. فهم مظاهر جماله تعالى و جلاله فلا لذّه يوم القيامه عند مشاهدتهم ألذّ من النظر إلى وجههم الشريف.

و فى كامل الزيارات حديث حاصله أن شيعتهم عليهم السّلام يوم القيامه يجلسون عند الحسين عليه السّلام فيلتذون من حديثه بحيث يقدمونه على لذائذ الجنه، و يتمنون أن لا يكون لهم إلّا النظر و الاستماع لحديث الحسين عليه السّلام. فالشيعه فى الدنيا بنور الإيمان بهم تجد هذه اللذه، و مفتاحه استماع أسمائهم و التوجه من طريقه إليهم ثم إلى حقيقتهم، ثم إلى مظاهر جماله تعالى و جلاله تعالى. فعلى هذا فأى لذّه ألذّ من استماع أسمائهم عليهم السّلام؟ ! رزقنا اللّه تعالى ذلك بمحمد و آله الطاهرين. بل أقول: إن اللذه من أسمائه تعالى عند التوجه إليه تعالى إنما هى بتصور أسمائهم و حقائقهم، التى هى أسماؤه تعالى كما تقدم مرارا، فاللذه الحاصله من مناجاته تعالى هى بدرك حقائقهم التى هى مظاهر لأسمائه تعالى، التى هى تجلّيات ذاته المقدسه بالتجلى الصفاتى و الأفعالى، ففى الحقيقه أنها لذات منه تعالى بواسطتهم و من حيث حقيقتهم، فالأصل هو اللّه تعالى، فتسرى منه البهجه و السرور و اللذه فى مراتب مظاهره تعالى، التى هى مراتب وجودهم فى جميع عوالم الوجود، و هكذا إلى أن يسرى إلى اللفظ الموضوع له، فإنه أيضا لذيذ و حلوّ، لأنه مرآه لهم و ملايم للطبع أو اللفظ و السمع كما تقدم. ثم إن درك هذه الحلاوه إنما هو للمؤمنين بهم و للعارفين بهم و بشئون ولايتهم و حقيقتهم. كيف لا، و هم مخلوقون من فاضل طينتهم و الفرع ملتذّ من الأصل مشتاق إليه،

فإن الإنسان يحبّ أبويه لهذه المناسبه، فكيف لا يحبّ أئمته الذين خلق من فاضل طينتهم، و عجن بماء ولايتهم، فالمؤمن بقلبه عاشق حقيقه إمامه و مشتاق إليها.

قال العسكرى عليه السّلام لولده الحجه (عج) : «اعلم يا بنى أن أرواح المؤمنين لنزّع إليك» أى مشتاقه إليك. و كلما كانت معرفه الإنسان بهم أكثر كان حبّه لهم و التذاذه بهم و بأسمائهم، و بدرك الحلاوه من استماع أسمائهم أكثر كما لا يخفى على أهل المحبه بهم و المعرفه، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

فقوله:

«فما أحلى أسماءكم!»

، هو فعل التعجب من كثره حلاوه أسمائهم، لأنها فى عالم الوجود مظاهر جماله و زينه للخلق، و متزينه بزينه ليست فوقها زينه فى الوجود يدركها المؤمن بإيمانه بهم و بمعرفته إياهم فى الدنيا. و أما يوم القيامه فتظهر تلك الزينه علانيه لكل أحد.

كما ورد فى الحديث: « إن الحسن و الحسين عليهما السّلام يجعلهما اللّه تعالى زينه لعرشه» و بهذه الزينه هما سيدا شباب أهل الجنه كما لا يخفى، و لا بأس بتوضيح ما ذكر ببيان آخر فنقول: اعلم أن للذكر صوره و معنى و حقيقه و قد يعبّر عنها بالغايه، فصورته اللفظ و معناه المفهوم التفصيلى و حقيقته و غايته التوجه إلى المتوجه إليه الواحد، و لأن ذكرهم و أسماءهم عليهم السّلام شأن من ذكره تعالى. كيف لا، و هم بحقيقتهم عليهم السّلام الأسماء الحسنى للّه تعالى، فلا محاله تكون الحلاوه الحاصله من ذكرهم عليهم السّلام من الحلاوه الحاصله من ذكره تعالى، حيث إن له العزه و الجمال، و إنه تعالى أجمل من كل جميل، فحلاوه أسمائهم عليهم السّلام هى بعينها حلاوه ذكره تعالى؟ ! فإن قلت: نحن نرى كثيرا من الناس لا تحصل لهم حلاوه ذكر اللّه تعالى و اسمه تعالى، فكيف بحصول حلاوه ذكرهم و أسمائهم عليهم السّلام؟ قلت: ذلك لوجوه منها كون ذائقه قلبه مملؤه بالآفات، و عين بصيرته ممنوعه

بالغشاوات، و كون جرم لسانه مشحونا من المرّه الصفراء. . . فيعدّ المطعم الشهى و المشرب الهنّى مرّا، أو كمن بحضرته المنكح البهى و هو ينظر إليه فى هواء مغيّم مغبّر عن عين مأوفه، و عن قلب متفرّق بخواطر متشتته، و شواغل ضروريه ملكت باله، و لا تمكّنه من اللبث عنده، و أما إذا صفا ذهنه و لطف حسه و صحّ تمييزه، و طهر قلبه عن الآفات، و بصيرته عن الغشاوات، و طهّرهما عن الخواطر المتشتته و الشواغل الضروريه، و علم باليقين و الوجدان القلبى أن حقيقتهم عليهم السّلام قائمه به تعالى، و أنه تعالى تجلّى بهم عليهم السّلام و أنهم بما هم هم مظاهر جماله و جلاله، و أنهم عليهم السّلام فانون عن أنفسهم و باقون بربهم، و أنهم عليهم السّلام مبتهجون بابتهاجه تعالى بذاته، فسرورهم عليهم السّلام من سروره تعالى بل عين سروره تعالى. كيف لا، و هم عليهم السّلام شأن من شئونه، فآثار الذات المتعاليه و الحقيقه الأحديه ظاهره فيهم، و أنهم ليسوا إلّا تجلياته و ظهوره حيث إنه تعالى وجود صرف. . . كل الوجودات منه و به و إليه واحد بالوحده الحقّه أى لا ثانى له فى حقيقه الوجود، و ما سواه فهو مجازاته، و هو أصل كل ظهور، و نور كل نور، و معنى كل لبوب و قشور. . . ثابت بلا تغيّر و دثور إذ التغيّر و الدثور إنما هما فى الظلمات و الديجور من الماهيات و الأجسام. و الحاصل: أنه يعلم أنه ليس عند نوره الأبهر الأقهر ظلمه بل و لا نور، إذ إن الأنوار وارده من عنده تعالى على قلب من يعرفه به، و هى أى الأنوار عكوس من وجهه تعالى تجلّت بها مرآه قلبه لعنوان فان فى المعنون. و كيف كان فلو عرفهم عليهم السّلام كذلك و أنهم محال جماله و جلاله، و أن ذكرهم ذكره تعالى و أن اسمهم اسمه، و أن ما يفهم من أسمائهم و ذكرهم إنما هى تجلّياته تعالى بهم عليهم السّلام، لاهتزّ اهتزازا لا يوصف و ابتهج ابتهاجا لا يكيف، حيث استشعر أن لوجوده تعالى معيّه قيوميه مع حقيقتهم عليهم السّلام بل إذ استغرق فى حقيقتهم التى هى مظهر لجماله تعالى و صار فانيا فيهم عليهم السّلام يرى حقيقته قائمه بهم عليهم السّلام و أنها كالقطره

فی بحر حقائقهم، حیث إنه خلق من فاضل طینتهم، و عجن بماء ولایتهم، فحینئذ یفرح بفرحهم و یسرّ بسرورهم، و حینئذ یصل إلی معنی حلاوه أسمائهم ضروره أنه لا یراد من أسمائهم أسماؤهم اللفظیه بل المعنویه، فالتوجه بها و إلیها بالنحو المتقدم یوجب تلک الحلاوه الحاصله من السرور بها و الابتهاج بها، و هذا أمر مسلّم عند من علم أن حقائقهم هی الطریق لنا إلیه تعالی، و هی الطریق لوصول الفیض و الوجود و السرور و الابتهاج و النعم منه تعالی إلینا، و علم أنه لا طریق لنا إلیه تعالی إلاّ بهم علیهم السّلام کما تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و صراطه»

، رزقنا اللّه تعالی ذلک بمحمد و آله الطاهرین، و یظهر هذا من عده روایات.

الثانی: فی بیان قوله علیه السّلام: «و أکرم أنفسکم» .

أقول: الکریم من کل شیء هو جیّده فی نوعه و صنفه و جنسه. و فی المجمع: و الکریم صفه لکل ما یرضی و یحمد. . إلی أن قال:

و فی الحدیث: «خیر الناس مؤمن بین کریمین» أی بین أبوین مؤمنین. و قال: و الکریم هو الجامع لأنواع الخیر و الشرف و الفضائل. قال: و الکرم إیثار الغیر بالخیر، و الکرم لا تستعمله العرب إلاّ فی المحاسن الکثیره، و لا یقال کریم حتی یظهر منه ذلک، و الکرم نقیض اللؤم و قد کرم الرجل فهو کریم نفس و عزّ. و قال: و مکارم الأخلاق التی خصّ بها النبی صلّی اللّه علیه و آله: الیقین و القناعه و الصبر و الشکر و الحلم و حسن الخلق و السخاء و الغیره و الشجاعه و المروه. أقول: لا یخفی أن الکرم یوصف به الکثیر من الأشیاء من ذوی العقول و غیرها، کما هو المستفاد من قوله: و الکریم صفه لکل ما یرضی و یحمد، إلاّ أنه إذا أطلق علی الإنسان فیراد منه الجامع لأنواع الخیر. . إلخ و المحاسن الکثیره، و قد یطلق علیه و یراد منه نفاسه النفس و عزّته أی قلّته لما فیه من المحاسن الکثیره بحیث لا تجتمع

كلها فى غيره من أفراد نوعه، و ما ذكر من مكارم أخلاق النبى صلّى اللّه عليه و آله فهى بلحاظ بيان أنواع المكارم من الأخلاق، و لا ريب أن جميع المكارم غير المذكوره الممدوحه ترجع إلى بعض هذه العشره بنحو من البيان و التأويل، و لعلّ نفاسه النفس و عزته لا تكون لأحد إلّا إذا اجتمعت فيه جميع خصال الخير، كما لا يخفى. و كيف كان، فلا ريب فى أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه أحسن مصداق لما ذكر من معانى الكرم و المكارم، بل هم عليهم السّلام فى المرتبه العليا و الأعلى من كل صفه و كمال، و لذا ذكر بنحو التعجب أى ما أكرم أنفسكم، أى ليست كمثلها نفس، فإنها بلغت فى السخاء إلى أن جميع المخلوقات مستفيضون من سخاء وجودهم، فإنه قد دلّت أحاديث كثيره تقدم بعضها آنفا على أن الموجودات خلقت من فاضل أنوارهم، و أنهم سبب نزول الغيث و البركات منه تعالى على الخلق، فنفوسهم عليهم السّلام نفيسه و عزيزه جدا، و هم أيضا كرماء من حيث العقائد الحقه و الأعمال الصالحه، التى جاء بها الشرع الأنور، بل هم عليهم السّلام أصلها و فرعها، لأنهم عليهم السّلام هم المعلمون للخلائق معرفه الخالق و كيفيه طاعته و عبادته،

كما قالوا عليهم السّلام: «لولانا ما عرف اللّه، لولانا ما عبد اللّه» ، بل علمت مرارا أنهم المعلمون للملائكه فى تسبيحهم و تهليلهم و تمجيدهم للّه تعالى بل هم المعلمون للأنبياء. كما تقدم

حديث المفضل عن الصادق عليه السّلام «أنه تعالى بعث محمدا و هو روح إلى الأنبياء و هم أرواح فدعاهم إلى توحيده» الحديث. و تقدم

قولهم عليهم السّلام: «نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلّا بسبيل معرفتنا» . و إلى هذه السخاوه و التعليم يشير قوله تعالى: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ (1)، فأخبر تعالى بأن نبيه منعم و ذو فضل و هذا يشمل السخاء و التعليم.

١- ١) الأحزاب:٣٧.

و قوله تعالی: إِلّا أَنْ أَغْناهُمُ اَللّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ (۱)فأخبر تعالی أن النبی أغناهم من فضله. و تقدم أن ما یجری لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یجری لهم أیضا. و کیف کان، فقد تواترت الأخبار بأن خیرهم فائض علی سائر الخلق کلهم، فمنشأ التعجب من حسن أنفسهم علیهم السّلام هو أن طباعهم علیهم السّلام علی هذه المکارم بحیث کل من عرف ذلک منهم علیهم السّلام استحسنه و ارتضاه من أولیائهم، بل و من أعدائهم فإنه قد تقدم آنفا أن أعداءهم بحسب فطرتهم یقبلونهم و یصدقون بفضائلهم، إلّا أن إسارتهم للحسد لهم تمنعهم عن إظهارها باللسان کما تقدم. و هم أیضا کرماء النفوس من جهه حسن الصوره و اعتدال المزاج و اعتدال القامه، و التمییز بالعقل و الإفهام بالنطق و الإشاره، کما تقدم بیانه فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و أولی الحجی» .

و بالهدایه إلی أسباب المعاش و المعاد و التسلط علی ما فی الأرض، و التمکین من الأعمال و الصناعات، و انسیاق الأسباب و المسببات إلی ما یعود إلیه عملهم بالمنافع. و بعباره أخری: هم علیهم السّلام أحسن مصداق لقوله تعالی: وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ (۲)فهم علیهم السّلام فی الأمور التی کرّم اللّه تعالی بها بنی آدم من الأشیاء المذکوره فی تفسیر هذه الآیه، کما تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

«المکرّمون»

، فی أقصی مراتب إمکانها فی أصل وجودها، فلذا حسن التعجب علی الحقیقه مع مشارکتهم علیهم السّلام بنی نوعهم فیها، إذ فی الحقیقه لم یصل أحد من الخلق إلی رتبتهم، و إن شارکوهم فیها فی الجمله، و السّر فیه أنهم علیهم السّلام و إن شارکوا الخلق فی الصوره البشریه إلّا أنهم علیهم السّلام فی الحقیقه خلق فوق خلق بنی آدم.

۱- ۱) التوبه:۷۴.

۲- ۲) الإسراء:۷.

و تقدم: أنهم من العالين فی قوله تعالی: أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ اَلْعٰالِينَ (۱)فهی فی الباطن قسم خاص و نوع خاص من الخلق فی قبال البشر و الملک فضلا عن غیرهما، و قد تقدم شرحه. و قد علمت أنه تعالی خلقهم قبل الخلق بألف دهر و هم علیهم السّلام هناک کانوا علی هذه الصفات المحموده، بل حقیقتهم حقیقه تلک الکمالات و الصفات الحمیده. ثم إنه تعالی خلق الخلق من فاضل شعاع حقیقتهم و طینتهم النورانیه، ففی الحقیقه أن ما فی الخلق من الکمال فإنما هو منهم و من صفاتهم التی ترشّحت منهم علیهم السّلام إلیهم، و فی الحقیقه إن مشارکه غیرهم معهم فی هذه الصفات الحمیده بظاهر التسمیه. و بعباره أخری: أن حقیقه بنی آدم مجازات حقائقهم علیهم السّلام و هم علیهم السّلام مجازات الحق تعالی، و لذا لا یدرک کنههم علیهم السّلام کما تقدم، إذ المجاز شبیه بالحقیقه، و لا سبیل له إلی درکها إلاّ بالنسبه، و هکذا بالنسبه إلیهم علیهم السّلام فیما بینهم و بین اللّه تعالی، و لهذا صح التعجب بکرم أنفسهم علیهم السّلام لأنها فوق ما یدرک. ثم إنه قد یقال: إن الکرم بمعنی القداسه و الطهاره بجمیع معانیها، فحینئذ معنی الجمله ما أطهر نفوسکم! کیف لا، و قد طهّرها اللّه تعالی فی آیه التطهیر و قد تقدم شرحه.

الثالث: فی بیان قوله علیه السّلام: «و أعظم شأنکم، و أجل خطرکم!» .

أقول: فی المجمع: الشأن: الأمر و الحال. و فیه خطر هو: بالتحریک القدر و المنزله، فأمرهم علیهم السّلام و حالهم و قدرهم و منزلتهم بلغ إلی ما لا نهایه له بحیث أوجب التعجب من عظمته و جلالته. و حاصل الجمله: ما أعظم أمرکم و حالکم! و ما أجل قدرکم و منزلتکم! فما أعظم ما یکونون فیه من شأن! و إنما بلغوا إلی هذه العظمه و الجلاله فی الأمر و الحال

۱- ۱) سوره ص:۷۵.

و المنزله، لأنه تعالى خلقهم لنفسه كما دلت عليه الأحاديث من

قوله عليه السّلام: «ففردهم لذلک الأمر و نحن هم» و قد تقدم آنفا. و لذا جعلهم محالّ معرفته و مشيته و ألسن إرادته، ففعلهم فعله تعالى، و قولهم قوله تعالى كما هو صريح كثير من الأخبار و قد تقدم بعضها، و تقدم أن حالهم يعبّر عنه بالمقامات و المعانى و الأبواب، و تقدم شرحها فى شرح

قوله عليه السّلام: «و أبواب الإيمان» و تقدم

قول الصادق عليه السّلام: «لنا مع اللّه حالات نحن فيها هو و هو نحن، و هو هو، و نحن نحن» فهذا شأنهم و أمرهم و حالهم، فلا شیء أعظم فى جميع مراتب المخلوقات منهم، و يمكن أن يراد بالشأن ولايتهم الإلهيه التى تقدم أنها ولايه اللّه تعالى، و تقدم بيانها و أنها من أعظم الأمور. فعلم مما ذكر معنى

قوله:

«و أجلّ خطركم»

أى قدركم و منزلتكم، فإنه لا يدانيهم أحد فى قدرهم و منزلتهم، و تقدم فى شرح

قوله عليه السّلام:

«إلّا عرفهم جلاله أمركم، و عظم خطركم، و كبر شأنكم»

ما يبين لک شرح الجمله، إلّا أنه ذكر هناک العظم للخطر، و الكبر للشأن، و الجلاله للأمر، و هنا ذكر العظمه للشأن، و الجلاله للخطر، و لعل الاختلاف بلحاظ أن كلا من هذه الألفاظ يطلق عليه الآخر، فالمتميّز بالقرائن الداله على المراد فيما استعملت. و كيف كان فحيث إنهم أسماء اللّه تعالى الحسنى، و إنهم مظاهره فى الخلق، فلا محاله يكون لهم فى هذه الصفات شأن من الشأن العظيم، إذ هى شئونه و صفاته تعالى كما لا يخفى.

الرابع: فى بيان قوله عليه السّلام: «و أوفى عهدكم، و أصدق وعدكم!» .

أقول: فى المجمع: و العهد الأمان و الوصيه و الأمر، و عهد إليه أى وصّاه و أمره، و فيه و العهد يكون بمعنى اليمين و الأمان و الذمّه و الحفاظ و رعايه الحرمه. و فيه و الميعاد: المواعده و الوقت و الموضع. أقول: أصل الوعد بمعنى الجعل من أحد، و إذا كان بين الطرفين فهو المواعده

و الـوقت و الموضـع الـذى جعـل فيه هو الميعـاد بمعنى اسم المكـان أو الزمـان على اختلاـف الجعـل. و المجعول إن كـان خيرا استعمل فيه الوعـد، و إن كان شـرّا اسـتعمل فيه الوعيد. و كيف كان فالوعد كالشـرط يتضـمن الالتزام بالأمر المجعول فى زمان خاص أو مكان خاص على أن يعمل به.

فقوله عليه السّلام:

«فما أوفى عهدكم!»

فيمـا عاهـدوا اللّه عليه، أو عاهـدوا عليه رعيتهم، خصوصا لمن و فى لهم بالولايه. و الحاصل: أنهم عليهم السّـلام يوفون بعهـدهم بالنسـبه إلى كـل أحـد من أمور الـدنيا. و أمـا بالنسبه إلى أمور الآـخره فيوفون بعهـدهم لمن وفى لهم بولاـيتهم، كمـا دلّت عليه الأحاديث.

ففى بصائر الدرجات (١)بإسـناده عن خيثمه قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّـلام «يا خيثمه نحن شـجره النبوه، و بيت الرحمه، و مفاتيح الحكمه، و معدن العلم، و موضع الرساله، و مختلف الملائكه، و موضع سرّ اللّه، و نحن وديعه اللّه فى عباده، و نحن حرم اللّه الأكبر، و نحن ذمّه اللّه، و نحن عهـد اللّه، فمن وفى بـذمّتنا فقـد وفى بـذمّه اللّه، و من وفى بعهـدنا فقـد وفى بعهد اللّه، و من خفرها (أى نقضـها) فقد خفر ذمه اللّه و عهده» . فالمستفاد منه أن من لم يف بعهدهم لم يف بعهد اللّه فلم يوف بعهده. و كيف كان فهم عليهم السّـلام إذا عاهدوا وفوا، لأن عهدهم عهد اللّه تعالى، و اللّه تعالى يوف بعهده، فهم عليهم السّلام أحسن مصداق و أحسن عامل لقوله تعالى: وَ اَلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذٰا عٰاهَدُوا (٢). و مما ذكر يعلم معنى

قوله عليه السّلام:

«و أصدق وعدكم»

على أنه من الزياره، فإن

١- ١) بصائر الدرجات ص ۵٧.

٢- ٢) البقره:١٧٧.

الوعد أحد مصاديق العهد عرفا، فهم عليهم السّلام أولى بصدق الوعد من جميع من سواهم. و كيف كان فالعهد و الوعد لعلّهما بمعنى، و لا ينافيه إسناد الصدق بالوعد و الوفاء بالعهد، لأن كلا منهما يطلق على الآخر، فكما أنه يستعمل العهد فيما يستعمل فيه الوعد، فكذلك يستعمل الصدق فيما يستعمل فيه الوفاء، فإن الوفاء من آثار الصدق، و الصدق هو منشأ الوفاء كما لا يخفى.

قوله عليه السّلام: كلامكم نور، و أمركم رشد، و وصيتكم التقوى، و فعلكم الخير، و عادتكم الإحسان، و سجيّتكم الكرم، و شأنكم الحق و الصدق و الرفق، و قولكم حكم و حتم، و رأيكم علم و حلم و حزم.

اشاره

فهيهنا أمور تسعه:

[۸۳]الأول: «كلامكم نور» .

أقول: لما كان كلامهم عليهم السّلام من كلام جدهم صلّى اللّه عليه و آله و هو كما قال اللّه تعالى: وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ. إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ (۱)و هم عليهم السّلام يحذون حذو جدّهم صلّى اللّه عليه و آله فلا محاله يكون كلامهم نورا، أى هدايه و علما و برهانا، فله خاصيه النور الحسّى من أنه ظاهر بنفسه و مظهر لغيره، فإن كلامهم فى نفسه بيّن التحقق و الحقيقه، مطابق فى نفسه للعقل و الوجدان الصحيح و لا اختلاف فيه، و ما يتراءى من بعض الروايات من عدم سلاسه الألفاظ و جزاله المعانى و التكرار و نحو ذلك، فإنما هو لأجل أنه إما نقل بالمعنى للناقل أو أنهم عليهم السّلام ربما يكلمون مع بعض الناس على قدر عقولهم، و برويه المكالمات العرفيه معهم. و مظهر لغيره حيث إن كلامهم تظهر به الحقائق الإلهيه و المعارف القرآنيه، و مما يدل على أن كلامهم الحاكى عن علمهم من علم الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

۱- ۱) النجم:۳-۴.

ما فی بصائر الدرجات (۱)، بإسناده عن داود بن یزید عن أحدهما قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من سرّه أن یحیی حیاتی و یموت مماتی، و یدخل جنّه ربی جنّه عدن غرسها بیده فلیتول علی بن أبی طالب علیه السّلام و الأوصیاء من بعده، فإنهم لحمی و دمی أعطاهم فهمی و علمی» . و تقدمت الأحادیث المصرحه بأنهم علیهم السّلام معدن العلم، و أنهم خزان علمه تعالی و لیس أحد مثلهم.

و الثانی: «و أمرکم رشد»

، أی هدایه الصواب، و هذا یشمل الأمر التشریعی فإنهم علیهم السّلام الآمرون بالأمر المولوی التشریعی، و معلوم أن الأمر التشریعی هو رشد، لأنه من اللّه تعالی و أمره، و هو لا یکون إلاّ عن مصلحه کما تقدم من

قول الصادق علیه السّلام کما فی توحید الصدوق: «إن اللّه لا یفعل لعباده إلاّ الأصلح لهم» ، و فعله یشمل أمره کما لا یخفی، و الأمر الإرشادی فی القضایا الجزئیه، کما إذا استشار أحد منهم علیهم السّلام فی أمر، فإذا أمروا أو نهوا فلا یکون أمرهم أو نهیهم إلاّ رشدا. کیف لا، و إن أمرهم علیهم السّلام و نهیهم علیهم السّلام إنما یکون بمشیته تعالی و إرادته علی النحو الأصلح و الأکمل؟ فمن استشار منهم و خالف ما قالوه ابتلی بضرره

کمن استخاره صلّی اللّه علیه و آله للسفر إلی الشام فنهاه صلّی اللّه علیه و آله و خالف نهیه، و رجع و قد أصاب مالا کثیرا فقال له صلّی اللّه علیه و آله: «لعلک قد فاتک واجب فقال: إنه قد فاتته فریضه العشاء فقال صلّی اللّه علیه و آله: ما فاتک من خیر الصلوه أعظم مما أصبت» . فیعلم أن الرشد الذی یکون فی أمرهم قد لوحظ فیه خیر الآخره علی الدنیا، لا الدنیا فقط کما لا یخفی.

الثالث: «و وصیتکم التقوی» .

أقول: إما یراد منها الوصیه عند الموت، فلا ریب فی أنهم علیهم السّلام کانوا یوصون بالتقوی عند الموت، فقد دلت أحادیث کثیره علیه کما لا یخفی:

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۵۱.

قال أمير المؤمنين علیه السّلام لولدیه الحسن و الحسین علیهما السّلام: «اوصیکما بتقوی اللّه» ، الحدیث کما فی البحار. و إما یراد منها أنهم علیهم السّلام کان دیدنهم الأمر بالتقوی و التوصیه بها امتثالا لقوله تعالی: وَ تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ (۱)، و من أحسن مصادیق الحق التقوی، ثم إن أکثر وصیتهم بالتقوی هو بهذا النحو لا فی خصوص وقت الممات کما لا یخفی. ثم إنه لا بأس بذکر بعض الأحادیث الوارده فی الأمر بالتقوی منهم علیهم السّلام و إن تقدم الکلام فیه فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و أعلام التقی»

. فنقول:

ففی نهج البلاغه (۲)، و من خطبه له علیه السّلام: «بعثه حین لا علم قائم، و لا منار ساطع، و لا منهج واضح. أوصیکم، عباد اللّه، بتقوی اللّه، و أحذرکم الدنیا، فإنها دار شخوص، و محلّه تنغیص، ساکنها ظاعن، و قاطنها بائن، تمید بأهلها میدان السفینه، تقصفها العواصف فی لجج البحار، فمنهم الغرق الوبق، و منهم الناجی علی بطون الأمواج، تحفزه الریاح بأذیالها، و تحمله علی أ هوالها، فما غرق منها فلیس بمستدرک، و ما نجا منها فإلی مهلک! عباد اللّه، الآن فاعلموا، و الألسن مطلقه، و الأبدان صحیحه، و الأعضاء لدنه، و المنقلب فسیح، و المجال عریض، قبل إرهاق الفوت، و حلول الموت فحققوا علیکم نزوله، و لا تنتظروا قدومه»

.

الرابع: «و فعلکم الخیر»

، أی منحصر فیه، فلا یصدر منهم شر أبدا، فإن أعمالهم و أفعالهم مظاهر شئون اسم اللّه، الذی هو أصل کل خیر، ففعلهم الخیر یکون مصدقا لقولهم الحق و هو وصیّتهم به. و کیف کان فالفعل منهم یعمّ عمل الجوارح و القلب و الباطن.

۱- ۱) العصر:۳.

۲- ۲) نهج البلاغه ص ۳۱۰-۳۱۱، الخطبه ۱۹۶.

كيف لا، و هم عليهم السّلام ممن عصمهم اللّه تعالى من الزلل، و طهرهم عمّا هو رجس و شين فى الباطن و الظاهر، كما هو صريح آيه التطهير و قد تقدم شرحه. فهم موفقون و مسدّدون فأعمالهم الظاهره لا تكون إلّا خيرا. و أما قلوبهم فهى بما أنهم مستغرقون فى العبوديه و فى التوجه إليه تعالى، فلا يلتفتون إلى غيره، فضلا إلى ما هو من الرذائل الباطنيه. ثم، إن المراد من الخير ضد الشر، فيعم جميع ما يرغب من الأعمال الصالحه، كما هو المراد منه هنا، و سائر المرغوبات النفسانيه فى مكارم الأخلاق، و المرغوبات الماديه من المساكن الحسنه و المرأه الجميله، و لذا عبّر عن الحور بالخيرات الحسان، و المرغوبات الأخرويه من النعم المعده لأولياء اللّه تعالى. و يمكن أن يراد من الخير هنا الأعمال الصالحه القائمه بوجودهم الشريف، أو الخيرات الواصله منهم إلى غيرهم من العلوم و المعارف الإلهيه، و الأخلاق الحميده و الأنعام إلى الخلق خصوصا بالنسبه إلى شيعتهم عليهم السّلام.

الخامس: قوله عليه السّلام: «و عادتكم الإحسان»

، لا ريب فى أنه تعالى عادته الإحسان.

قال عليه السّلام:

«و عادتك الإحسان إلى المسيئين»

فى دعاء رجب، و هم عليهم السّلام مظاهر لصفاته الجميله حتى بالنسبه إلى مخالفيهم. أ لا ترى أمير المؤمنين عليه السّلام كيف كان يوصى بالنسبه إلى ابن ملجم (لعنه اللّه) حين ما ضربه الملعون فكان عليه السّلام يوصى به خيرا فى مدّه حياته؟ ثم إن حسابهم عليهم السّلام بالنسبه إلى مخالفيهم أمر معلوم من الأحاديث كالطبيعه الثانيه، فلا محاله يكون أثرها ظاهرا من دون ملاحظه كون الطرف أهلا أم لا. السادس:

قوله عليه السّلام:

«و سجيّتكم الكرم» . أقول: السجيه: الغريزه و الطبيعه التى جبل عليها الإنسان كما ورد فى شأنه صلّى اللّه عليه و آله من أن خلقه سجيّته أى أن خلقه صلّى اللّه عليه و آله صار سجيّه و طبيعه له صلّى اللّه عليه و آله أى تصدر منه

الأفعال الكريمه من غير تكلّف كما حقق فى علم الأخلاق. و كيف كان فلما كانوا عليهم السّلام خزائن كرم اللّه تعالى وجوده و مفاتح خزائنه، فلا محاله تكون سجيتهم، التى منحها اللّه تعالى لهم الكرم، و هو قد علمت من كلّ شىء خيره، و قد تقدم معناه. و لا ريب فى أنه تعالى إنما أظهر كرمه إلى خلقه بهم عليهم السّلام فاللّه تعالى أوصل أصول فضله و شآبيب رحمته إلى خلقه بهم عليهم السّلام فى الدنيا و الآخره. فجميع نعمه التى لا تعدّ و لا تحصى فى الدنيا من الأرزاق و العلم و الدين و النعم الظاهريه و الباطنيه، و فى الآخره من نعم الجنه بما لها من المراتب، و مما لا عين رأت، و لا إذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر، فكلّها تصل إلى الخلق بواسطتهم عليهم السّلام، كما تقدم الحديث عن التوحيد الدال عليه، و هذا ظاهر من الأحاديث كما لا يخفى.

[۸۴]السابع: قوله عليه السّلام: «و شأنكم الحق و الصدق و الرفق».

أى شأنكم الحق فى المعارف و الأحوال، و الصدق فى الأقوال، و الرفق فى المعاشرات و الأفعال، أى أنّ شأنكم أى أمركم و حالكم كلّه حق أى مطابق للواقع المرضى له تعالى.

عن الصادق عليه السّلام (۱): «إنّ أمرنا هو الحق و حق الحق، و هو الظاهر، و باطن الظاهر، و باطن الباطن، و هو السّر و سرّ السّر، و سرّ المستسر، و سرّ مقنع بالسّر» و تقدم أيضا شرحه، و حالكم كله صدق لا يشوبه خلاف الحق. كيف و هم عليهم السّلام مصداق لقوله تعالى: وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً. . . (۲)و تقدم أن الإمام عليه السّلام إذا ولد كتب على عضده هذه الآيه المباركه كنايه عن أنه عليه السّلام أحسن مصداق لها.

«و شأنكم الرفق»

أيضا فإن الرفق من صفاته تعالى.

ص: ۳۸۳

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۹.

۲- ۲) الأنعام:۱۱۵.

ففی المحکی عن الکافی عن أحدهما علیهما السّلام قال: «إنّ اللّه عز و جل رفیق یحبّ الرفق» الحدیث، و هم علیهم السّلام مظاهره کما علمت مرارا، فلا محاله یکون شأنهم الرفق بالنسبه إلی غیرهم فی معاملاتهم معهم خصوصا بالنسبه إلی شیعتهم، فإنهم علیهم السّلام یدارونهم فی تربیتهم بالرفق، لیصلوا إلی الکمال شیئا فشیئا، و هذا شأنهم علیهم السّلام و قد أمروا شیعتهم به خصوصا بالنسبه إلی الوصول إلی درجات الإیمان و الدین.

ففی البحار بإسناده عن الکافی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إنّ هذا الدین متین فأوغلوا فیه برفق و لا تکرهوا عباده اللّه إلی عباد اللّه، فتکونوا کالراکب المنبت الذی لا سفرا قطع و لا ظهرا أبقی» (۱). أقول: المتین: الشدید القوی، و لعل المراد منه هنا أن الدین بحسب واقعه و مراتب النفس الأمریه فی غایه الدقه و الأهمیه و العظمه، لما فیه من المعارف الإلهیه و الحقائق المعنویه فی غایه الکمال. و الوغول: الدخول فی الشیء. فالمعنی سر فیه برفق، و أبلغ الغایه القصوی منه بالرفق لا علی سبیل التهافت و الخرق، و لا تحمل نفسک و لا تکلّفها ما لا تطیقه، فتعجز فتترک الدین و العمل.

الثامن: قوله علیه السّلام: «و قولکم حکم و حتم» .

فهو حکم (قیل) أی حکمه، لأنکم أهل الحکمه و منکم صدرت، أو أنه حکم أی محکم من قوله تعالی: أُحْکِمَتْ آیاتُهُ (۲)أی أنه مسلم و مثبت عن برهان قطعی، و مطابق للمصالح الحقیقیه بحیث یکون حتما أی بما یجب اتّباعه عقلا. و بعباره أخری: أن قولکم قضاء منه تعالی فیجب اتباعه، کیف و هو من قول الرسول الأعظم الذی هو: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوی. إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْیٌ یُوحی (۳)ثم إن قولهم یعمّ الأحکام الإلهیه، و ما یخبرون به من الغیب بالنسبه إلی الحوادث

۱- ۱) البحار ج ۷۱ ص ۲۱۱.

۲- ۲) هود:۱.

۳- ۳) النجم:۳-۴.

و الوقائع الماضيه و الآتيه إلى يوم القيامه، بل إلى ما بعدها من عوالم الآخره.

ففى المحكى عن على عليه السّلام حين أخبر عن بعض أحوال الغيب: «كل ذلك علم إحاطه لا علم أخبار» . أى ما يقوله عليه السّلام بقوله عن مشاهده لا بنحو الخبر، بحيث يكون المخبر به غائبا. فيعلم من هذا الحديث و من مثله و هو كثير جدا أن لهم عليهم السّلام فى كل شىء علما حقّا من جميع ذرّات العالم العلوى و السفلى و الغيب و الشهاده و البداء و العود و الدنيا و الآخره، و جميعها فى مرأى منهم و منظر كما ينظر أحدنا فى كفه. و قد تقدم حديث أن الدنيا كحلقه جوزه عندهم عليهم السّلام و هم عليهم السّلام يعلمون جميع ذلك عيانا، و قد منحهم اللّه تعالى ذلك، فهم لا يقولون إلّا عن اللّه تعالى و رسوله و لا يقولون من أنفسهم.

عن محمد بن شريح (۱)قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «و اللّه لو لا أنّ اللّه فرض ولايتنا و مودّتنا و قرابتنا، ما أدخلناكم بيوتنا، و لا أوقفناكم على أبوابنا، و اللّه ما نقول بأهوائنا، و لا نقول برأينا إلّا ما قال ربّنا، و مثله أحاديث اخر، و فى بعضها

قال عليه السّلام: «مهما أجبتك من شىء فهو عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لسنا نقول برأينا من شىء» الحديث. فثبت قطعا أنهم عليهم السّلام لا يقولون إلّا عن اللّه و عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و إلّا على جهه الحتم و القطع و البصيره لا عن تخمين و اجتهاد، لأنهم قد عاينوا ذلك عيانا. و تقدم أنهم عليهم السّلام خزّان العلم، و أن علومهم منه تعالى و منه صلّى اللّه عليه و آله على أنحاء كثيره. و لعلّ إليه يشير ما فى بعض أحاديث هذا الباب كما

فى روايه على بن النعمان عنه صلّى اللّه عليه و آله من قوله فى آخره: «أصول عندنا نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم و نفقتهم» .

فقوله عليه السّلام: «أصول عندنا نكنزها» ، إشاره إلى ما تقدم من أنحاء علومهم عليهم السّلام و قد تقدم أنهم عليهم السّلام كالنبى صلّى اللّه عليه و آله فى جميع العلوم و الأمور سوى النبوه كما لا يخفى.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۳۰۰.

التاسع: قوله عليه السّلام: «و رأيكم علم و حلم و حزم» .

قوله: «علم» أى أنّ رأيكم عن علم إلهى لا بظنّ و بتجسّس. نعم إن غيرهم يعوّلون فى علومهم على الظنون و القياسات و الاستحسانات و التخمين و المصالح التى يرونها مصالح بنظرهم كعلماء السنّه و الفلاسفه المعتمدين على رأيهم. و أما هم عليهم السّلام فليسوا كذلك بل رأيهم أى فتواهم، و قولهم فى أى شىء هو علم إلهى، و إلاّ لما كان فرق بينهم و بين غيرهم فى المتبوعيه. و حلم: أى صادر عن عقل سليم و حلم رزين لا عن سفه، و لذا هو حزم أى مضبوط متقن متيقّن. و كيف كان فحيث إنهم عليهم السّلام خزّان العلم و منتهى الحلم كما تقدم، فلا محاله يكون رأيهم عن علم و حلم لا عن سفه و عجله فهو مضبوط، لأنه مما استوثقته قلوبهم منه تعالى بنفث روح القدس التى هى معهم كما تقدم، فآراؤهم و فتاواهم هى الكشف الإلهى و ظهور عقلانى، فلازمه حينئذ وجوب التمسّك به، لأنه منج لا محاله دون آراء غيرهم، فالجمله و إن كانت بصوره الخبر إلاّ أن المقصود بيان وجوب متابعه آرائهم دون آراء غيرهم لما ذكر، كما لا يخفى. و قد يقال: إن الرأى هو التفكر فى مبادى الأمور، و النظر فى عواقبها، و علم ما يؤول إليه من الخطإ و الصواب، و هذا إن كان مدركه النور الإلهى و منطق الوحى، كما هو كذلك بالنسبه إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام فلا محاله هو الرأى المصاب الذى يجب اتّباعه.

ففى الكافى باب التفويض إليه صلّى اللّه عليه و آله، بإسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «لا، و اللّه ما فوّض اللّه إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و إلى الأئمه عليهم السّلام، قال عز و جل: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ اَلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاكَ اَللّٰهُ (1)و هى جاريه فى الأوصياء عليهم السّلام، فقوله تعالى: بِمٰا أَرٰاكَ اَللّٰهُ يشير إلى أنّ

ص: ٣٨۶

١- ١) سوره النساء الآيه ١۶٠.

حکمه صلّی اللّه علیه و آله و کذلک حکم الأئمه علیهم السّلام إنما هو بما آراهم اللّه تعالی، و هذا النحو من الحکم مختص بهم علیهم السّلام» . و یدل علیه ما

فی المحکی عن الاحتجاج عنه أی الصادق علیه السّلام أنه قال لأبی حنیفه: «و تزعم أنک صاحب رأی؟» و کان الرأی من رسول اللّه صوابا و من دونه خطأ، لأن اللّه قال: . . . لِتَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاکَ اَللّٰهُ و لم یقل ذلک لغیره. و إن کان مدرکه غیر ذلک کالاستحسان و القیاس کما علیه علماء العامه، فهو الرأی الذی لیس بحجه شرعا، بل صاحبه ممقوت و مذموم. و إلیه الإشاره

فیما ورد من أنه: «من فسّر القرآن برأیه فقد أخطأ، أو فلیتبوأ مقعده من النار» أی من فسّره بدون اعتماد علی کلام المعصوم. و لعل قوله تعالی: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَیْرِ هُدیً مِنَ اَللّٰهِ (1)، أی اتّبع رأیه بغیر اعتماد علی ما هو هدایه منه تعالی من کلام نبی صلّی اللّه علیه و آله أو إمام أو قرآن.

ففی بصائر الدرجات (2)، بإسناده عن أبی حمزه الثمالی قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول فی قول اللّه عز و جل: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَیْرِ هُدیً مِنَ اَللّٰهِ قال: «عنی اللّه بها من اتّخذ دینه رأیه من غیر إمام من أئمه الهدی» ، و مثله أحادیث أخر. و کیف کان فصاحب الرأی إما هو الإمام المعصوم، فلا محاله یکون رأیه من علم إلهی کما تقدم، و إما غیره فرأیه لا بد من أن یکون مستندا إلی حجه شرعیه و هی إما دلیل و برهان عقلی فهو المعبر عنه بالمجادله بالتی هی أحسن، أو یقین حاصل من الأدله الشرعیه کالکتاب و السنه القطعیه فهو المعبّر عنه بالموعظه الحسنه، أو هدی من اللّه من الانکشافات القلبیه الحاصله لأولیاء اللّه تعالی، التی بها تظهر لهم الأشیاء بحقائقها فهو المعبّر عنه بالحکمه. و قد تقدم سابقا بیان هذه الأقسام الثلاثه.

۱- ۱) القصص:۵۰.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۱۳.

ثم إن هـذه الهـدايه الإلهيه المعبر عنها بالحكمه لا تحصل إلّا للأوحدی من العلماء الربانيين الذين اقتفوا فی جميع الأمور أحوال الأـئمه عليهم السّـلام و أقوالهم، و عملوا بأقوالهم، و سـلكوا سبيلهم حتى صاروا موردا لعنايتهم عليهم السّـلام فنوروا قلوبهم بنور ولايتهم، كما أشار إليه ما تقدم من قوله كما

فی الكافی فی كتاب الحجّه عن أبی جعفر عليه السّـلام فی قوله تعالى وَ أَنْ لَوِ اِسْـتَقٰامُوا عَلَى اَلطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْنٰاهُمْ مٰاءً غَدَقاً (١)قال: «يعنی لو استقاموا علی ولاـيه علی بن أبی طـالب أمير المؤمنين و الأوصـياء من ولـده عليهم السّـلام و قبلوا طـاعتهم فی أمرهـم و نهيهم لأسقيناهم ماء غدقا» يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان و الطريقه هی الإيمان بولايه علی و الأوصياء.

و فی مرآه العقـول (٢)، فی شـرح هـذا الحـديث، و فی البحار (٣)و عن بريـد العجلی عن أبی عبـد اللّه عليه السّـلام قـال: «معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلّمونه من الأئمه عليهم السّلام» .

و من قوله عليه السّلام فی تفسيره: «أی لو استقاموا علی حبّ آل محمد لافدناهم علم آل محمد صلّی اللّه عليه و آله» و قد تقدم شرحهما. هذا و أما لو كان رأيه مستندا إلی نفسه من الاسـتحسان و القياس كما هو دأب أبی حنيفه و من شابهه و أصحابه، فهو مما قال اللّه فی حقهم: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ. . . فتحصل مما ذكر أن رأيهم عليهم السّلام بأمر اللّه تعالی، و أنهم لا يخطأون أبـدا، لأنهم معصومون، مؤيدون و مسددون بالروح الأعظم، فيكون رأيهم علما أی جازما باتّا مطابقا للواقع، و حزما أی مضـبوطا و محكما، قد لوحظ فيه جميع الجهات علی نحو اليقين.

و مـا ورد عنهم عليهم السّـلام من أن الحزم مساءه الظنّ فهو بالنسـبه إلی غيرهـم عليهم السّـلام و معنـاه أنّ الحازم يضـبط أمره و يحذر فواته، أی لا يجعله فيما يحتمل فواته، فلو

١- ١) الجنّ:١۶.

٢- ٢) مرآه العقول ج ٣ ص ٧.

٣- ٣) البحار ج ٢ ص ١۵١.

احتمل فى شخص تفويته و لو احتمالا مرجوحا احترز منه، و هذا معنى مساءه الظنّ، لأنه حين احترز إنما احتاط لحفظ أمره، لأنه ظان فى الشخص أنه يفوته، و حيث إنه تصور ذلك أى فواته عنه نسبه إلى ذلك الشخص احتياطا فى التجنّب، و إنما سمى هذا المتحرّر مساءه للظن، لأنه يشابهه فى كونه باعثا على التحفظ. و كيف كان فالحزم فى غيرهم هو مساءه الظن، أى لا يعمل على طبقه على أى حال بل يسوء ظنه بهذا الظن، فيحترز بالاحتياط تأكيدا لحزمه، و هذا كما ترى لا يكون إلاّ فيمن ليس له العلم بحقائق الأمور، و لم يكن علمه عن منطق الوحى و الانكشاف، و إلاّ فهو ليس بظان فى أموره بل هو قاطع متيقّن، فإذا قال عن حزم أى عن علم قطعى إلهى كما هو كذلك بالنسبه إلى الأئمه عليهم السّلام.

[۸۵]قوله عليه السّلام: إن ذكر الخير كنتم أوله و أصله و فرعه و معدنه و مأواه و منتهاه.

قوله عليه السّلام: «أوله»

لأن ابتداءه بكم و منكم.

«و أصله»

أى أصل الوجود حيث إنه خير كما حقق فى محله، و هو مبدأ الخيرات، و هو أنتم إذ لولاكم لما خلقت الموجودات.

«و فروعه»

: إما بلحاظ أنّ وجودكم نشأ من خير اللّه تعالى و فضله على عباده و رأفته بخلقه، فأنتم فرع ذلك الخير، و إما كانت كمالاتكم العليه و أفعالكم المرضيه فرع وجودكم الذى هو الأصل، فأنتم الأصل و الفرع.

«و معدنه»

: أى مقره بتمامه و كماله.

«و مأواه»

: أى لا يوجد إلاّ عندكم، و لا يصدر إلاّ منكم، فهو عطف تفسير

لقوله عليه السّلام

«و معدنه»

.

«و منتهاه»

: لأن كل خير يرجع بالآخره إليكم، لأنكم سببه إذ إن الخيرات الكامله النازله من اللّه تعالى تنتهى إليكم و تنزل عليكم كذا قيل، و قد يقال ما حاصله أنه تقدم أن أول ما خلق اللّه نوره صلّى اللّه عليه و آله و نور أهل بيته عليهم السّلام ثم خلق من

ص :٣٨٩

فاضـل نـورهم عليهم السّـلام كـل شـىء، فلاـ محـاله يكون الخير الموجود فى الخلق و فى سـائر الموجودات منهم، لأـنهم مبـدأ وجوده، فكل أثر يكون خيرا من كمال معنوى من التوحيد و الولايه و الملكات الحسـنه و العبادات الفعليه المقبوله، أو من كمال صورى كـالحسن الظـاهرى و الخير المطلوب فى الأشـربه و الأـطعمه و المحـاسن الخلقيه و الخلقيه، و النعم الإلهيه الـدنيويه كلها يكون منهم، إذ إنهـا وجودات و هى فرع وجودهم، بـل و كـذا النعم البرزخيه و الأخرويه فى جميع العوالم تكون منهم كما دلّت عليهـا الأحـاديث الكـثيره من أن الجنه خلقت من نـورهم عليهم السّـلام. و قـد يقـال: الخير هو المسـتحسن المطلوب لكمـال فى وجوده بحسب النوع أو الفرد، فكل أمر محبوب و شـريف و نجيب و زكى فهو خير، و ذلک كالمال و الحيوه و الدين و الأعمال الصالحه فإنها بنوعها مستحسـنه و مطلوبه للدنيا. و أما للآخره فالعصـمه و الولايه و السـلطنه و الصـلاح و الدين و العباده و صدق العبوديه، و العلم و الشـجاعه و الكرم، و الإمـامه و تولى الأـمور و الحكم الإلـهى بين الناس، و الصبر و القناعه و العقل و الحلم و الحيـاء، و الفهم و الفطنه و الزهـد و العفو و الرضـا و غيرهـا من الصـفات الحميـده، و الأفعـال المرضـيه من الاعتقـادات الحقّه، و الأعمال و الأقوال و الأحوال الحسـنه مما يتعلق بالنفس الإنسانى فى الـدنيا و الآخره، فهـذه و أمثالها كلها خير، فإن ذكر أى نظرنا إليهـا فنرى أنكم أوله أى أول من اتصف بهـا فى الوجود، فـإنكم سـبقتم إليها من سواكم، و ما وصل منها إلى أحـد فإنها وصـل منكم إليه و من فضـلكم و فاضـلكم، بـل اللّه تعـالى خلق الخير بمـا له من المعـانى لكم، فـإذا ذكر الخير و توجه أحـد إليه فإنما يذكره بما هو صـفه لكم أو أثر منكم، بل فلو وجد فى مخلوق خير مما ذكر فأنتم المذكورون قبله فى الذهن، و ذلک لأن الخير فى غيركـم يكون بـالعرض و فيكم يكون بالأصـل، و تصور مـا فى العرض يسـتلزم تصور مـا بالأصـل نحو اسـتلزام تصور العرض تصـور المعروض، أو أنكم أكمـل أفراد الموصـوفين بـالخير، حيث إنه بحسب النـوع مقول بالتشـكيک فأكمـل أفراده كـأنه أول بالنسبه إلى

ما هو دونه فی الرتبه، و کذا لو کان المراد من الأول الأشهر فإن المشهور و الأشهر أول فی المرتبه من غیره، أو أنکم لما جعلکم اللّه تعالی علل الموجودات-و إن فسّرت بالمعدّات-فإن العله الفاعلیه بالحقیقه هو اللّه تعالی فأنتم أول الخیرات، إذ العلل أول بالنسبه إلی المعلول فی الوجود و الرتبه کما لا یخفی.

و أما قوله «و أصله» :

فهو أیضا مساو فی کثیر من المعانی المتقدمه مع الأول فهو بمعناه، إلاّ أنّ الأصل له تحقق فی جمیع الأفراد، فأصل کل شیء ما هو متوقف علیه ذلک الشیء، فکونهم علیهم السّلام أصل الخیر أی أنهم من أشعه وجودکم أو أنّ من وصل إلیه من الخیر فإنما وصل إلیه منکم، و قد تقدم

قوله علیه السّلام

«بنا ترزقون، و بنا تمطرون، و بنا ینزل الغیث»

إلی آخر ما مرّ فهم أصل هذه الخیرات، لأنها توصل إلینا بسببهم علیهم السّلام.

و أما قوله: «و فرعه»

، فقد تقدم معناه أی أنتم فرع خیر اللّه تعالی، حیث أنتم أثر فعله الذی هو خیر محض أی إیجاد محض، فأنتم بفرعیتکم له دلیل قدرته و آیه وجوده، أو أنّ أعمالکم و أقوالکم فرع ذلک الخیر الذی هو منه تعالی، أو أنتم تفرعون الخیر، و تفضلونه فی الخلق، و تشرعون شرایعه، و تسنّون سنته بأمر اللّه تعالی، أو أن الخیر الموجود عند أحد بأنحائه فإنما هو من فرع الخیر الذی هو أنتم أو بکم و فیکم، فالخیرات کلها تکون منکم فلا محاله هی فروعکم، فیصح أن یقال: أنتم ذلک الفرع، لأن قوامه بکم، أو أن الخیرات ترجع ثمرتها لکم أو ثوابها، فأنتم حینئذ بالمآل فرع الخیرات لما ترجع کلها إلیکم. و لعلّ إلی ما ذکر یشیر

ما رواه فی بصائر الدرجات بإسناده عن حفص المؤذن، قال: کتب أبو عبد اللّه علیه السّلام إلی أبی الخطاب: «بلغنی أنک تزعم أن الخمس رجل، و أن الزنا رجل، و أن الصلوه رجل، و أن الصوم رجل، و لیس کما تقول، نحن أصل الخیر و فروعه طاعه اللّه، و عدونا أصل الشر و فروعه معصیه اللّه، ثم کتب: کیف یطاع من لا یعرف، و کیف یعرف من لا یطاع؟

فقوله عليه السّلام: «نحن أصل الخير» أى أصله بأحد المعانى المتقدمه.

و قوله: «و فروعه طاعه اللّه» أى أينما وجدت طاعه للّه تعالى بما لها من المعانى فى مواردها المختلفه فهى فرع الخير الذى نحن أصله.

و أما قوله عليه السّلام: «كيف يطاع من لا يعرف» أى يطاع اللّه إذا لم يعرف ذاته المقدسه، أو لم يعرف كيفيه إطاعته فهذا كنايه عن أنه لا بد لكم من معرفته تعالى ثم عبادته، و هى لا توجد إلّا من عندنا

كما قالوا: «لولانا ما عبد اللّه، لولانا ما عرف اللّه» .

و قوله عليه السّلام: «و كيف يعرف من لا يطاع» أى أنّ معرفته تعالى سبب لطاعته تعالى، و لا ينفك كل منهما عن الآخر، فكيف يعرف أى كيف يمكن تحقق المعرفه بالنسبه إليه تعالى، و مع ذلك لا يطاع أى لا يكون كما قيل: إن المحب لمن يحب مطيع. و فى المقام إن العارف باللّه مطيع للّه تعالى، و لا انفكاك فى البين بأن يعرفه و لا يطيعه، لا يكون هذا.

قال عليه السّلام فى الصحيفه السجاديه: «من ذا عرفك فلا يهابك» .

و فى المحكى (۱)عن أبى جعفر الطوسى، عن الفضل بن شاذان بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال: «نحن أصل كل برّ، و من فروعنا كل برّ، و من البرّ التوحيد و الصلوه و الصيام، و كظم الغيظ، و العفو عن المسىء، و رحمه الفقير، و تعاهد الجار، و الإقرار بالفضل و أهله، و عدوّنا أصل كل شرّ، و من فروعهم كل قبيح و فاحشه، فهم الكذب و النميمه و البخل و القطيعه، و أكل الربا و أكل مال اليتيم بغير حق، و تعدى الحدود التى أمر اللّه عز و جل بها، و ركوب الفواحش ما ظهر منها و ما بطن من الزنا و السرقه، و كلّ ما ذكر من القبيح و الكذب فهو متعلق بفروع غيرنا» . فهذا الحديث قد شرح معنى كونهم أصل الخير و فرعه، و تبين منه أن عدوهم

۱- ۱) الشموس الطالعه ص ۴۸۸.

أصل كل شر و فرعه، و يظهر بيانه مما تقدم من بيانه كونهم عليهم السّلام أصل كل خير، و تقدم سابقا معنى كونهم الصلوه و الصيام و الصوم و غيرها، فراجع فإنه مفيد لما نحن فيه جدا.

و قوله عليه السّلام: «و معدنه»

، المعدن هو محلّ الجوهر، فكونهم معدن الخير أنهم عليهم السّلام محلّ الخير و موضعه و محل نشوئه و إقامته. و بعباره أخرى: المعدن مكان فيه أصل الخير، فهم عليهم السّلام أصل الخير، أى عنهم نشؤه و منهم بدؤه، و إليهم و منهم خروجه، و إليهم عوده، و عندهم بقاؤه، و فيهم إقامته، و معهم استقراره، و بهم قيامه، و بهم تأهّل للخير من صار أهله، لأنهم الواسطه لكل خير و السبب فى وجوده.

و قوله عليه السّلام: «و مأواه»

يقرب من معنى معدنه، فمأوى الشيء مرجعه و منزله الذى يأوى إليه الشيء بالآخره، فالخير على أى حال فرض وجوده، فإنه يرجع إليهم، و ينضمّ إليهم فإن كل شيء يرجع إلى أصله. و قد علمت أنهم عليهم السّلام أصل الخير، ثم إن المراد من الخير إما الأرواح أى أرواح السعداء، لأنها حرى بأن يطلق عليها الخير دون أرواح الأشقياء فإنهم أشرار و فجّار، فمعنى رجوعها إليهم لأجل أنها من فاضل نورهم و من أشعتها، فهى لا محاله ترجع إليهم عليهم السّلام كما يرجع نور الشمس إليها، و أما الأعمال الصالحه دون السيّئه فلأجل أن كونها صالحه و متّصفه بالخير تكون بسببهم عليهم السّلام لأنهم قد وضعوا خيريه الأعمال و بولايتهم. كما سيجيء أن تقبّل الأعمال لأجل أنها بها تتصف بصفه الحسن فتصير مقبوله، فلا محاله عنوان كونها صالحه يكون منهم عليهم السّلام فلا محاله ترجع الأعمال بما هى صالحه إليهم كما لا يخفى. و أما النعم الإلهيه التى ينتفع بها الإنسان فهى خير له، فحينئذ معنى رجوعه إليهم أنها مستنده إليهم عليهم السّلام و حاصله بهم لنا، فهى مع أنها مما نتمتّع بها

بأنفسنا فى دنيانا و آخرتنا إلّا أنها لما كانت منهم عليهم السّلام و هم سببها حدوثا و بقاء، فهى راجعه إليهم، فنحن كالضيوف لهم فى التمتّع بها ففى أىّ حال هى منهم و إليهم. و الحاصل: أن كل خير بأى مصداق وجد، فهم عليهم السّلام مأواه، فنحن متمتعون بهم، و مما وصل إلينا من النعم منهم، إذ جعلهم اللّه تعالى واسطه النعم منه تعالى إلينا، و أحسن النعم نعمه ولايتهم عليهم السّلام و نحن نسأل اللّه تعالى أن يديم علينا وجودهم، و النعم التى منهم توصل إلينا بمحمد و آله الطاهرين، و أن يوفقنا لشكرهم و شكر نعمهم بمحمد و آله الطاهرين، و أن يوفقنا لشكر نعمائه تعالى حتى يرضى و فوق الرضا.

و قوله عليه السّلام: «و منتهاه» .

أقول: منتهى الشىء غايه وصول الشىء، و رجوعه إلى نهايه لا يمكن التجاوز عنها بحسبه كما قال تعالى: وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ اَلْمُنْتَهىٰ (۱)، أى انتهاء كل شىء إليه، و لا يمكن التجاوز عنه، فمعنى كونهم عليهم السّلام منتهى الخير إما بلحاظ البدء و أول الخير فقد تقدم أنهم أصل الخير، فلا محاله ينتهى الخير بلحاظ الابتداء إليهم، فهم مصدره، و إن كان فى الظهور صادرا عن غيرهم، إلّا أنه بلحاظ التعلم و الأخذ ينتهى إليهم. و إما بلحاظ النهايه فجميع الخيرات راجعه إليهم، لأنهم عليهم السّلام السبب لها فنتيجتها راجعه إليهم عليهم السّلام. و الحاصل أن كل خير قليله و كثيره و جليله و دقيقه دنيويا أو أخرويا يرجع إليهم، لأنه منهم بدوا و هم مأواه حقيقه و منتهاه غايه سواء أ كان بالذات كالخيرات القائمه بوجوداتهم المقدسه أم بالعرض كالقائمه بوجود غيرهم، فإنها أيضا منهم عليهم السّلام و إليهم كما لا يخفى، و الحمد للّه وحده.

۱- ۱) النجم:۴۲.

[۸۶]قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمّی و نفسی، کیف أصف حسن ثنائکم، و أحصی جمیل بلائکم، و بکم أخرجنا اللّه من الذل، و فرّج عنّا غمرات الکروب.

اشاره

أقول: الثناء هو المدح بتعداد الصفات المحموده، أی إظهارها مدحا بتعدادها. و التوصیف و الوصف هو بیان أصل الصفه و مدحها من حیث هی هی، فالوصف و الثناء مدح إلّا أنّ الأول مدح بلحاظ أصل الصفه الممدوحه، و الثانی مدح بلحاظ تعدادها و ذکرها فی مقام إظهار المدح، و المراد منه هنا الأول، فالمعنی حینئذ إنی لا أقدر علی بلوغ کنه صفه من صفاتکم، و لا أتمکّن من إحصاء ما أعطاکم اللّه تعالی من الآلاء و النعم و المنح، التی منح اللّه تعالی بها إیاکم.

و قوله: «حسن ثنائکم»

، أی کیف أصف ثناءکم الحسن، فهو من باب إضافه الصفه إلی الموصوف، و یمکن أن یراد من ثنائکم ثناءهم علیهم السّلام للّه تعالی و تمجیدهم لهم، أی کیف أقدر علی أن أصف ثناءکم له تعالی و تمجیدکم إیاه، و ذلک لأنکم فی منتهی المعرفه به تعالی دون غیرکم، فلا یمکن لأحد الثناء علیه تعالی کما هو ممکن لکم. و یمکن أن یراد من حسن ثنائکم حسن ثناء اللّه تعالی إیاهم علی أن یکون المصدر أی الثناء مضافا إلی المفعول، أی لا أقدر حسن ثناء اللّه تعالی إیاکم. و قد تقدم

عن البحار عن احتجاج الطبرسی، سأل یحیی بن أکثم أبا الحسن العالم علیه السّلام عن قوله تعالی: سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ کَلِمٰاتُ اَللّٰهِ (۱)ما هی؟ فقال علیه السّلام: «عین کبریت و عین الیمن و عین البرهوت و عین الطبریّه و حمّه ماسیدا و حمه إفریقیه و عین بلعوران، و نحن الکلمات التی لا تدرک فضائلنا و لا تستقصی» . [@۸۷@]

و قوله علیه السّلام:

«و بکم»

، أی بسببکم و بسبب وجودکم و إمامتکم و خلافتکم أخرجنا اللّه من الذل، أی ذلّ الکفر و الجهل إلی عزّ الإسلام و الإیمان و العلم، أو أخرجنا من ذلّ العذاب الدنیوی و الأخروی و فرّج أی رفع عنّا غمرات الکروب

ص: ۳۹۵

۱- ۱) لقمان:۲۷.

أی شدائدها و مزدحماتها من الکفر و الجهل و الظلم و نحوها و أنقذنا أی خلقنا و نجّانا من شفا جرف الهلکات، و شفا کنوی بالشین المعجمه المفتوحه و القصر: الطرف و الجانب. و الجرف بضم الجیم و الراء الموضع الذی تحرّفته السیول أی أکلت ما تحته و الهلکات أی المهالک من الکفر و الضلال و الفسق. و حاصل المعنی أنه تعالی أنقذنا بکم حین کنّا مشرفین علی المهالک من الکفر و الضلال و الفسق، فهدانا بکم إلی الإیمان و الإسلام و العلم، و خلّصنا من تبعات المهالک، و من النار فی الآخره و عذابها ببرکتکم. و کیف کان فلا یمکننا توصیف حسن ثنائهم بأی معنی کان، و إحصاء جمیل بلائهم، کیف و قد ورد فی وصفهم علیهم السّلام ما یبهر العقول و یحار اللب؟ و نحن نذکر بعض الأحادیث الوارده فی صفات الأئمه علیهم السّلام حتی یظهر صدق هذا المقال من أنه لا یمکن لأحد توصیفهم علیهم السّلام بما هم علیه من الکمال.

ففی البحار (۱)، عن بصائر الدرجات بإسناده عن مالک الجهنی قال: کنت بین یدی أبی عبد اللّه علیه السّلام فوضعت یدی علی خدی و قلت: لقد عصمک اللّه (لقد عظّمک اللّه) و شرّفک، فقال: «یا مالک، الأمر أعظم مما تذهب إلیه» . قال المجلسی رحمه اللّه: أی لیس محض العصمه و التشریف کما زعمت، بل هی الخلافه الکبری و فرض الطاعه علی الوری کافه و غیر ذلک. أقول: و غیر ذلک مما ذکر فی الأخبار من خصائصهم الإلهیه کما لا یخفی.

و فیه (۲)عن غیبه النعمانی بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی خطبه له یذکر فیها حال الأئمه علیهم السّلام و صفاتهم، فقال: «إن اللّه تبارک و تعالی أوضح بأئمه الهدی من أهل بیت نبیه صلّی اللّه علیه و آله عن دینه، و أبلج بهم عن سبیل منهاجه، و فتح لهم عن باطن (هاطل، خ ل) ینابیع علمه. فمن عرف من أمّه محمد صلّی اللّه علیه و آله واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوه

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۱۴۵.

۲- ۲) البحار ج ۲۵ ص ۱۵۱.

إیمـانه، و علم فضل طلاوه إسـلامه، إن اللّه نصب الإمام علما لخلقه، و جعله حجه علی أهل طاعته، ألبسه اللّه تاج الوقار، و غشّاه من نور الجبّـار، یمـدّ بسبب من السـماء لا- ینقطع عنه مواده، و لا- ینـال مـا عنـد اللّه إلاّ- بجهه أسـبابه، و لا یقبل اللّه الأعمال إلاّ بمعرفته، فهو عالم بما یرد علیه من مشـکلات الوحی، و معمیّات السـنن، و مشـتبهات الـدین، لم یزل اللّه یختارهم لخلقه من ولد الحسین (صلوات اللّه علیه) من عقب کل إمام، فیصطفیهم لذلک، و یجتبیهم و یرضی بهم لخلقه، و یرتضیهم لنفسه، کلما مضی منهم إمـام نصب عز و جل لخلقه من عقبه إماما علما بیّنا، و هادیا منیرا، و إماما قیّما، و حجه عالما، أئمه من اللّه یهـدون بالحق و به یعدلون، حجج اللّه و دعاته و رعاته علی خلقه، یدین بهداهم العباد، و تستهل بنورهم البلاد، و تنمی ببرکتهم التلاد، و جعلهم اللّه حیاه الأنام، و مصابیح الظلام، و دعائم الإسـلام، جرت بذلک فیهم مقادیر اللّه علی محتومها. فالإمام هو المنتجب المرتضـی، و الهادی المجتبی، و القائم المرتجی، اصـطفاه اللّه لذلک، و اصـطنعه علی عینه فی الذر حین ذرأه و فی البریه حین برأه ظلاّ قبل خلقه، نسـمه عن یمین عرشه، محبوّا بالحکمه فی علم الغیب عنده، اختاره بعلمه، و انتجبه بتطهیره، بقیه من آدم، و خیره من ذریه نوح، و مصـطفی من آل إبراهیم، و سـلاله من إسـماعیل، و صـفوه من عتره محمد صلّی اللّه علیه و آله. لم یزل مرعیّا بعین اللّه، یحفظه بملا-ئکته، مـدفوعا عنه وقوب الغواسق و نفوث کـل فـاسق، مصـروفا عنه فواذف السوء، مبرّءا من العاهـات، محجوبـا عن الآفـات، مصونـا من الفواحش کلها، معروفا بالحلم و البرّ فی بقاعه، منسوبا إلی العفاف و العلم و الفضل عنـد انتهائه، مسـندا إلیه أمر والـده، صامتا عن المنطق فی حیاته فإذا انقضت مـده والـده انتهت به مقادیر اللّه إلی مشیته، و جاءت الإراده من عند اللّه فیه إلی محبته، و بلغ منتهی مـده والـده، فمضـی و صار أمر اللّه إلیه من بعـده، و قلّده اللّه دینه، و جعله الحجّه علی عباده، و قیّمه فی بلاده، و أیّده بروحه، و أعطاه علمه، و استودعه

سرّه، و انتدبه لعظيم أمره، و آتاه فضل بيان علمه، و نصبه علما لخلقه، و جعله حجه على أهل عالمه، و ضياء لأهل دينه، و القيّم على عباده. رضى اللّه به إماما لهم، استحفظه علمه، و استخبأه حكمته، و استرعاه لدينه، و حباه مناهج سبله و فرائضه و حدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، و تحبير أهل الجدل بالنور الساطع، و الشفاء النافع بالحق الأبلج، و البيان من كل مخرج على طريق المنهج، الذى مضى عليه الصادقون من آبائه. فليس يجهل حق هذا العالم إلّا شقى، و لا يجحده إلّا غوى، و لا يصدّ عنه إلّا جرىء على اللّه جلّ و علا» .

و فيه (۱)عن إكمال الدين و معانى الأخبار و أمالى الصدوق و عيون أخبار الرضا، عن على بن موسى الرضا عليه السّلام و الحديث طويل منه: «الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، و لا يعادله عالم، و لا يوجد منه بدل، و لا له مثل و لا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له و لا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهاب، فمن ذا يبلغ معرفه الإمام و يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات ضلّت العقول، و تاهت الحلوم و حارت الألباب، و حسرت العيون، و تصاغرت العظماء، و تحيّرت الحكماء، و تقاصرت الحلماء، و حصرت الخطباء، و جهلت الألباء، و كلّت الشعراء، و عجزت الأدباء و عييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيله من فضائله، فأقرّت بالعجز و التقصير، و كيف يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شىء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه و يغنى غناءه؟ لا، كيف و أنى و هو بحيث النجم من أيدى المتناولين، و وصف الواصفين؟ فأين الاختيار من هذا، و أين العقول من هذا، أو أين يوجد مثل هذا؟ ! ظنّوا أن ذلك يوجد فى غير آل الرسول صلّى اللّه عليه و آله كذّبتهم و اللّه أنفسهم و منّتهم الباطل، فارتقوا مرتقا صعبا دحضا تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامه الإمام بعقول حائره بائره ناقصه و آراء مضلّه، فلم يزدادوا منه إلّا بعدا، قاتلهم اللّه

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۱۲۰.

أنی یؤفکون؟ ! لقد راموا صعبا، و قالوا إفکا، و ضلوا ضلالا بعیدا، و وقعوا فی الحیره إذ ترکوا الإمام عن بصیره، و زیّن لهم الشیطان أعمالهم فصدهم عن السبیل و کانوا مستبصرین» الحدیث. أقول: و أمثاله کثیر، و یستفاد منها أنهم علیهم السّلام إنما ذکروا هذه المناقب و أمثالها بقدر ما تحتملها عقول الناس، و إلاّ فلهم مناقب لا یحتملها ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للإیمان کما تقدم، و یکفیک فی أهمیتها ما تقدم من دعاء الحجه (عج) ،

من قوله (عج) :

«و مقاماتک التی لا تعطیل لها فی کل مکان، یعرفک بها من عرفک، لا فرق بینک و بینها إلاّ أنهم عبادک و خلقک» ، الدعاء، فإنه مشتمل علی ما لا تحتمله أکثر العقول، و دال علی ما لا مزید علیه بالنسبه إلی مقاماتهم. فظهر مما ذکر معنی

قوله علیه السّلام: «کیف أصف حسن ثنائکم؟ !»

و أمّا «و أحصی جمیل بلائکم»

فنقول فیه: إن البلاء قد یکون بمعنی المنحه و العطیّه و النعمه، و قد یکون بمعنی المحنه و ما تکرهه النفس، لهذا فقد یکون المراد من البلاء الوارد فی هذه العباره المعنی الثانی له و هو المحنه، إلاّ أنّ البلاء بمعناها إما حسن، و إما غیر حسن، فالبلاء الحسن هو لهم علیهم السّلام ثم للأمثل بهم.

ففی البحار (۱)، عن الکافی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إنّ أشدّ الناس بلاء الأنبیاء، ثم الذین یلونهم، ثم الأمثل فالأمثل» . أقول: أی الأشرف فالأشرف و الأعلی فالأعلی فی الرتبه و المنزله. یقال: هذا أمثل من هذا أی أفضل و أدنی إلی الخیر، و أماثل الناس خیارهم کذا عن النهایه.

۱- ۱) البحار ج ۶۴ ص ۲۰۰.

و فیه، عنه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنه قال و عنده سدیر: «إن اللّه إذا أحبّ عبدا غتّه بالبلاء غتّا، و إنّا و إیّاکم یا سدیر لنصبح به و نمسی» . أقول: غتّه أی غمسه.

و فیه، عنه، عن عبد اللّه بن أبی یعفور قال: شکوت إلی أبی عبد اللّه علیه السّلام ما ألقی من الأوجاع (و کان مسقاما) فقال لی: «یا عبد اللّه لو یعلم المؤمن ما له من الجزاء فی المصائب لتمنّی أنه قرض بالمقاریض» .

و فیه عنه، عن یونس بن رباط قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «إنّ أهل الحق لم یزالوا منذ کانوا فی شده، أما إن ذلک إلی مده قلیله و عافیه طویله» .

و فیه، عنه، عن محمد بن بهلول العبدی قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «لم یؤمن اللّه المؤمن من هزاهز الدنیا، و لکن آمنه من العمی فیها و الشقاء فی الآخره» .

و فیه، عن جامع الأخبار و قال علیه السّلام (أی النبی صلّی اللّه علیه و آله) : «إن البلاء للظالم أدب، و للمؤمن امتحان، و للأنبیاء درجه، و للأولیاء کرامه» . أقول: و هذا الحدیث یبیّن سرّ ابتلاء المؤمن و الأنبیاء و الأولیاء بالبلاء، و أنه لیس ابتلاؤهم لأجل المعاصی بل لما ذکر. و لعل البلاء الحسن و الجمیل الذی ذکر فی الأحادیث، و فی هذه الزیاره من

قوله علیه السّلام:

«و جمیل بلائکم»

، یراد منه البلاء الذی هو للأنبیاء و الأولیاء الموجب للدرجه و الکرامه، کما لا یخفی.

و فیه عن الاختصاص عن أبی الحسن موسی بن جعفر علیه السّلام قال: «إن الأنبیاء و أولاد الأنبیاء و اتباع الأنبیاء خصّوا بثلاث: السقم فی الأبدان، و خوف السلطان، و الفقر» .

و فیه عن کتاب التمحیص، عن أبی الحسن علیه السّلام قال: «المؤمن بعرض کل خیر، لو قطع أنمله أنمله کان خیرا له، و لو ولی لشرقها و غربها کان خیرا له» . ثم إن هذا البلاء الجمیل لا یکون إلاّ للمؤمن، بل من کان إیمانه أکثر کان ابتلاؤه

بالبلاء أكثر.

و فيه (۱)، عن الكافى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إنما يبتلى المؤمن فى الدنيا على قدر دينه، أو قال على حسب دينه، و الأئمه عليهم السّلام كان ابتلاؤهم بالبلاء الجميل أكثر من غيرهم» .

و فيه عن علل الشرايع، و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «ما زلت مظلوما منذ ولدتنى أمّى حتى إن كان عقيل ليصيبه رمد، فيقول: لا تذرونى حتى تذروا عليا فيذرونى و ما بى من رمد» .

و فى البحار (۲)، بسنده إلى بريده بن خطيب الأسلمى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «عهد إلىّ ربى تعالى عهدا، فقلت: يا ربى بينه لى، فقال: يا محمد اسمع! على رايه الهدى، و إمام أوليائى، و نور من أطاعنى، و هو الكلمه التى ألزمتها المتّقين، فمن أحبه فقد أحبنى، و من أبغضه فقد أبغضنى، فبشره بذلك، قال: قلت: اللهم أجل قلبه، و اجعل ربيعه الإيمان (زينه الإيمان) فى قلبه، قال: قد فعلت. ثم قال: إنى مستخصّه ببلاء لم يصب أحدا من أمّتك، قال: قلت: أخى و صاحبى، قال: ذلك مما سبق منى إنه مبتلى و مبتلى به» .

و فى البحار (۳)، عن أمالى الطوسى بإسناده عن حمران عن محمد بن على بن أبى طالب عليه السّلام أنه قال: «أعظم الناس أجرا فى الآخره أعظمهم مصيبه فى الدنيا، و إن أهل البيت أعظم الناس مصيبه، مصيبتنا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبل، ثم يشركنا فيه الناس» .

و فيه (۴)، عن مناقب آل أبى طالب أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «بينا أنا و فاطمه

۱- ۱) البحار ج ۶۴ ص ۲۱۰.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۲۰۸.

۳- ۳) البحار ج ۲۷ ص ۲۰۷.

۴- ۴) البحار ج ۲۷ ص ۲۰۹.

و الحسن و الحسین عنـد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إذ التفت إلیّ فبکی، فقلت: مـا یبکیـک یا رسول اللّه؟ قال: «أبکی من ضربتک علی القرن، و لطم فاطمه خدّها، و طعنه الحسن فی فخذه و السم الذی یسقاه، و قتل الحسین» .

رأی أمیر المؤمنین علیه السّلام فی المنام قائلا یقول:

إذا ذکر القلب رهط النبی

و سبی النساء و هتک الستر

و ذبح الصبی و قتل الوصی

و قتل شبیر و سمّ الشبر

ترقرق فی العین ماء الفؤاد

و یجری علی الخدّ منه الدرر

فیا قلب صبرا علی حزنهم

فعند البلایا تکون العبر

و فیه، عن عیون أخبار الرضا علیه السّلام قال: «ما منّا إلاّ مقتول» ، الخبر.

و فیه، عن هشـام بن محمـد عن أبیه، قال: خطب الحسن بن علی علیه السّـلام بعـد قتل أبیه فقال فی خطبته: «لقـد حـدثنی حبیبی جدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن الأمر یملکه اثنا عشر إماما من أهل بیته و صفوته ما منّا إلاّ مقتول أو مسموم» .

و فیه، عن جناده بن أمیه قال: قال الحسن بن علی (صلوات اللّه علیهما) : «و اللّه لقد عهد إلینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أن هذا الأمر یملکه اثنا عشر إماما من ولد علی و فاطمه، ما منّا إلاّ مسموم أو مقتول» . أقول: قد

ذکر الباقر علیه السّلام «ما لقی أهل البیت علیهم السّلام من ظلم قریش و تظاهرهم علیهم علیهم السّلام من قتلهم، و أذی شیعتهم و قتلهم» ، فراجع کتاب سـلیم بن قیس الهلالی. هـذا و قـد جرت علیهم علیهم السّـلام من البلایا و المصائب ما لم تجر علی أحد من الخلائق، کلها کانت من أعدائهم، ثم إن الکتب مشـحونه بذکر مصائبهم و رزإیاهم التی جرت علیهم (صـلوات اللّه علیهم) ، ثم إن جمیل بلائهم الذی ابتلاهم اللّه تعالی به لجهات من الحکمه لا یمکن أن توصف أو تحصـی: منها: أنه تعالی ابتلاهم لرفع درجاتهم کما تقدم، لا لتقصیر منهم، بل لیجزیهم

أحسن ما عنده. و لعمری إنّ هذا جمیل لا یوصف و لا یحصی فضلا. و منها: أنهم رضوا بهذه البلیه، فقابلوا البلاء بالرضا، لعلمهم علیهم السّلام بأنه تعالی أحسن بهم بالبلاء ما لم یکن یوجد بالعافیه، فهذا مما أشار إلیه الصادق علیه السّلام کما

فی البحار (۱)، عن جامع الأخبار و عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن فی الجنه لمنزله لا یبلغها العبد إلّا ببلاء فی جسده» . هذا

و قد ورد عن الحسین علیه السّلام أنه قال له جدّه صلّی اللّه علیه و آله: ما معناه «إنّ لک درجه لا تبلغها إلّا بالشهاده» فالشهاده کرامه لهم من اللّه تعالی کما صرّح به فی الأخبار. و منها: أنهم علیهم السّلام لما صبروا علی البلایا فصاروا أسوه لشیعتهم، فاقتدوا بهم فی الصبر علیها، فنالوا بالصبر درجه الصابرین، مضافا إلی ما أثابهم اللّه تعالی بسبب حزنهم و بکائهم علی مصاب الأئمه علیهم السّلام کما وردت به الأحادیث الکثیره کما لا یخفی. فهذه أیضا من حسن بلائهم الجمیل الذی لا یحصی ما لها من الآثار الحسنه لهم و لشیعتهم. ثم إنه قد یقال: إنهم علیهم السّلام إنما تحمّلوا من البلاء و المصائب من أجل تقصیرات شیعتهم و محبیهم، لینجوا من النار فکانوا علیهم السّلام اشتروا ذنوب شیعتهم منه تعالی بتحمّل تلک المصائب فصار تحملهم لها سببا لنجاه شیعتهم. و قد تقدم شرحه فی بیان کونهم علیهم السّلام معصومین، و بیان الوجه فی اعترافهم علیهم السّلام بالذنوب، و أنهم تحملوا ذنوب شیعتهم، فراجع. و یدل علی هذا

ما رواه فی الکافی (۲)، علی بن إبراهیم، عن محمد بن عیسی، عن بعض أصحابنا، عن أبی الحسن موسی علیه السّلام قال: «إن اللّه عز و جل غضب علی

ص: ۴۰۳

۱- ۱) البحار ج ۶۴ ص ۲۳۷.

۲- ۲) الکافی ج ۱ ص ۲۶۰.

الشیعه فخیرنی نفسی أو هم، فوقیتهم و اللّه بنفسی» . أقول: و لعل غضبه تعالی علیهم، لترکهم التقیه، أو عدم انقیادهم لإمامهم، و عدم خلوصهم فی متابعته، أو غیر ذلک من سایر المعاصی. تتمیم فیه توضیح لما تقدم و هو أن المستفاد من الأخبار من الطرفین أن الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام کسایر البشر فی عروض الأمراض الجسمیه و البلایا علیهم، و لا یقدح هذا فی رتبتهم، بل هو تثبیت لأمرهم، و أنهم بشر، بل ربما یقال: لو لم یصبهم ما أصاب سائر البشر، مع ما یظهر فی أیدیهم من خرق العاده، لقیل فیهم ما قالت النصاری فی نبیهم کما صرح بهذا فی الأحادیث المرویه عنهم علیهم السّلام مضافا إلی ما تقدم من أن ابتلاءهم تحفه من اللّه تعالی لهم، لأنه سبب لرفع درجاتهم، و أنه کرامه من اللّه تعالی لهم إلاّ أنّ هنا أمرین: أحدهما: أنه لا بد من استثناء الأمراض المنفره للخلق عنهم، و ما هو نقص لهم من حیث کونهم أنبیاء و أئمه، و ذلک کالجنون و الجذام و البرص و دناءه الآباء و عهر الامّهات، و الفظاظه و الغلظه و الأبنه و سلس الریح و سلس البول، بل و الأکل علی الطریق و أشباهه مما یتنفّر عنه مما هو مناف للبعثه و العصمه، و ربما یقال: إن استعاذه النبی صلّی اللّه علیه و آله و الأئمه علیهم السّلام منها یراد منها تلک الأمراض المنفره لا جمیعها من مثل الحمّی و الحرّ و القر و الجوع الشدید و العطش و الفقر المالی و الغضب و الضجر و الإعیاء و التعب و مماسه الضعف و الکبر، و تأثیر آلات الحرب فیه من الشج و القتل و الکسر کما کسرت رباعیته صلّی اللّه علیه و آله و سقی السم کما کان مثلها و أکثر منها فی السابقین، فإن الأنبیاء السابقین قد أصابهم ما هو أعظم مما ذکر حیث إنهم قتلوا قتلا، و رموا فی النار، و شّروا بالمناشیر، هذا و قد صار صلّی اللّه علیه و آله معرضا لکثیر من البلایا، إلاّ أنه حفظه اللّه تعالی منها کما هو مذکور فی حروبه صلّی اللّه علیه و آله مع الکفار و ما لاقاه منهم، و إنما أصابهم ما أصابهم لیظهر منه تعالی شرفهم فی هذه المقامات، و یبیّن أمرهم، و یتم کلمته تعالی فیهم، و لیتحقق بامتحانهم و صبرهم علی هذه البلایا بشریتهم، فیرتفع

الالتباس عن أهل الضعف فيهم، فلا يضلّوا مما يظهر من العجائب و المعجزات، و خوارق العادات على أيديهم كما ضلّت النصارى بعيسى بن مريم، و ليكون صبرهم عليها تسليه لاممهم و شيعتهم، و وفورا لأجورهم عند ربهم كما تقدم، و هذه نعم زائدا على ما أحسن اللّه تعالى إليهم من عنده تعالى. ثم إن عروض البلاء عليهم لا يضرّ بنبوتهم و إمامتهم، لأن هذه الطوارى و التغييرات المذكوره إنما تختصّ بأجسامهم الشريفه المقصود بها مقاومه البشر، و معاناه بنى آدم لمشاكله الجسم، و من المعلوم أن بواطنهم التى هى محل النبوه و مهبط الوحى، و مقرّ المعارف الإلهيه و التجليات الربوبيه منزّهه عنها و معصومه منها، بل هى معلّقه بالملإ الأعلى، فهم بقلوبهم فى عالم الملائكه بل أعلى منه، و لهذا تمكّنوا من تلقى الوحى منه تعالى، و من الملائكه على حسب اختلاف رتبتهم، أو من تلقّى الحقائق و المعارف منه تعالى كما للأئمه عليهم السّلام فإن قلوبهم كقلب النبى صلّى اللّه عليه و آله فيه ما فيه، إلاّ أنه بواسطته صلّى اللّه عليه و آله كما لا يخفى. و كيف كان لا يضرّ ابتلاؤهم بتلك الأمور بنبوتهم، لاختلاف الموضوع فيهما كما لا يخفى. نعم إنما استثنوا عليهم السّلام من الأمراض المنفّره للحكمه التى ذكرناها، و هى أنها منافيه للبعثه و الإمامه، فلا يحصل الغرض من نبوتهم و إمامتهم إذا أصيبوا بها لتنفّر الخلق عنهم كما لا يخفى، هذا كله بالنسبه إلى الأمراض، و أما الابتلاءات التى هى من المصائب، فإنها بحسب الدواعى لها على أقسام منها: ما هو مقتضى المعصيه فلا ريب فى أنها منفيّه عنهم كما ورد فى الأحاديث:

ففى البحار (۱)، عن تفسير على بن إبراهيم قال الصادق عليه السّلام لما أدخل على بن الحسين عليه السّلام على يزيد (لعنه اللّه) نظر إليه، ثم قال له: يا على بن الحسين وَ مٰا أَصٰابَكُمْ

ص: ۴۰۵

۱- ۱) البحار ج ۴۵.

مِنْ مُصِيبَهٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

(۱)

، فقال علی بن الحسين عليه السّلام: «كلّا ما هذه فينا نزلت، و إنما نزلت فينا ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَهٍ فِی اَلْأَرْضِ وَ لا فِی أَنْفُسِكُمْ إِلّا فِی كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذٰلِكَ عَلَی اَللّٰهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلیٰ ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ (۲)فنحن الذين لا نأسی علی ما فاتنا من أمر الدنيا و لا نفرح بما أوتينا» . فدلّت هذه الروايه علی أن المصائب قد تكون نتيجه لما كسبت أيدی الناس من المعصيه و هی المراد منها فی آيه الشوری. و أما المصائب التی تكون كرامه من اللّه تعالی لمن أصيب بها، أو موجبه لرفع الدرجه فهی التی ذكرت فی آيه الحديد فهی لهم عليهم السّلام فإذا خرجت المصائب، التی هی مقتضی المعصيه و الأمراض المنفره للخلق عنهم، فلا ريب فی أن غيرها من الأمراض و المصائب التی تعرض لأجسامهم بما هم بشر لا إشكال فيها، بل هو حسن بلحاظ رفع الشبهه و الالتباس عن الخلق، لئلا يتوهموا أنهم إله، أو بلحاظ رفع درجتهم، أو تأسی الناس و شيعتهم بهم أو غير ذلك. ثم إن المتتبع لآثارهم يری أن أكثر ما أصابتهم من الابتلاءات إنما هی فی سبيل إحياء كلمه التوحيد، و إظهار حقيقه الدين من التشيّع و المعارف الإلهيه، فإنهم عليهم السّلام صبروا عليها حيث إنهم أمروا بالصبر عليها، ليظهر الحق و الحقيقه لأهلها، و لئلا يضل الناس عن دينهم الحق الإلهی، فتحملوا المصائب و المشاق من القتل و السبی و غصب الحقوق و المقام، لئلا يرتد الناس عن دينهم الحق.

ففی البحار

(۳)

أن النبی صلّی اللّه عليه و آله خرج يتمشی إلی قبا، فمر بحديقه، فقال علی عليه السّلام «ما أحسن هذه الحديقه! فقال النبی صلّی اللّه عليه و آله: حديقتك يا علی فی الجنه أحسن منها حتی مرّ

۱- ۱) الشوری:۳۰.

۲- ۲) الحديد:۲۲-۲۳.

۳- ۳) البحار ج ۴۱ ص ۴، فی مسند أبی يعلی و اعتقاد الاشنهی و مجموع أبی العلاء الهمدانی عن أنس و أبی برزه و أبی رافع و فی ابانه بن بطه من طرق ثلاثه.

بسبع حدائق على ذلك، ثم أ هوى إليه فاعتنقه فبكى و بكى على عليه السّلام. ثم قال على عليه السّلام: ما الذى أبكاك يا رسول اللّه؟ قال: أبكى لضغائن فى صدور القوم لن تبدو لك إلّا من بعدى، قال: يا رسول اللّه كيف أصنع؟ قال: تصبر فإن لم تصبر تلق جهدا و شده، قال: يا رسول اللّه أ تخاف فيها هلاك دينى؟ قال: بل فيها حياه دينك. و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: ما رأيت منذ بعث اللّه محمدا رخاء، فالحمد للّه، و لقد خفت صغيرا و جاهدت كبيرا أقاتل المشركين و أعادى المنافقين حتى قبض اللّه نبيه. فكانت الطامه الكبرى فلم أزل محاذرا وجلا أخاف أن يكون ما لا يسعنى فيه المقام، فلم أر بحمد اللّه إلّا خيرا حتى مات عمر فكانت أشياء ففعل اللّه ما شاء، ثم أصيب فلان فما زلت بعد فيما ترون دائبا أضرب بسيفى صبيا حتى كنت شيخا» ، الخبر.

و فيه (۱)سفيان الثورى عن منصور عن إبراهيم، عن علقمه عن ابن مسعود فى قوله تعالى: إِنِّی جَزَیْتُهُمُ اَلْیَوْمَ بِما صَبَرُوا (۲)يعنى «صبر على بن أبى طالب و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام فى الدنيا على الطاعات و على الجوع و على الفقر، و صبروا على البلاء للّه فى الدنيا، أَنَّهُمْ هُمُ اَلْفائِزُونَ . (۳)

و قال على بن عبد اللّه بن عباس:

وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ

(۴)

«على بن أبى طالب عليه السّلام و لما نعى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليا بحال جعفر فى غزوه مؤته، قال: إنّا للّه و إنا إليه راجعون فأنزل اللّه عز و جل: اَلَّذِینَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَهٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ. أُولئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَواتٌ. . . (۵)» .

۱- ۱) البحار ج ۴۱ ص ۳.

۲- ۲) المؤمنون:۱۱۱.

۳- ۳) المؤمنون:۱۱۱.

۴- ۴) العصر:۳.

۵- ۵) البقره:۱۵۶-۱۵۷.

فهم عليهم السّلام أحسن مصداق لهذه الآيه، و هذه الأحاديث تدل على أنهم عليهم السّلام إنما أصيبوا بتلك المصائب، لأجل إحياء الدين و إيصاله لأهله و أنهم عليهم السّلام صبروا عليها بأمره تعالى و جزى اللّه محمدا و أهل بيته عنا خير الجزاء بمحمد و آله الطاهرين.

ثم إن قوله عليه السّلام: «و بكم أخرجنا اللّه من الذل، و فرّج عنا غمرات الكروب، و أنقذنا من شفا جرف الهلكات و من النار»

، أى كيف أحسن ثناءكم و جميل بلائكم، و الحال أن من بعض النعم التى منحكم اللّه من المعارف و الكمالات، التى وصلت إلينا من هدايتكم لنا، و التى بها أخرجنا اللّه من هذه الأمور من الذل و غمرات الكروب و الهلكات و النار. و أيضا كيف أحصى جميل بلائكم الذى لم يجر عليكم إلاّ لأجلنا إما لذنوبنا و تقصيرنا كما علمته من حديث موسى بن جعفر عليه السّلام فاشتريتمونا من موبقات أعمالنا بما جرى عليكم من المحن و البلايا من السجن و غيره. و إما لأجل تعليمنا المعارف الإلهيه و لأجل هدايتنا، لئلا نضلّ عن سبيل الحق و عن الولايه، و نحن قد قصّرنا فى حقوقكم و واجباتكم علينا، ثم إنّ النعم التى وصلت منهم عليهم السّلام إلينا كثيره لا تحصى و هى إما دنيويه كالنعم التى رزقناها بسببهم عليهم السّلام، و كما تقدمت الأحاديث الداله عليها

كقوله «فبنا ترزقون و تمطرون. . . إلخ» . و إما أخرويه و هى كثيره منها هدايتهم عليهم السّلام لنا بإفاضه أشعه أنوارهم و علومهم على قلوبنا حيث إنه تعالى خلقنا من فاضل طينتهم و منّ علينا بذلك، ثمّ إنهم منّوا علينا بتعليمهم لنا معالم ديننا و توجههم عليهم السّلام لتسديدنا بدعائهم لنا لإصلاحنا و توفيقنا لما يحب اللّه تعالى و يرضى، فإنهم عليهم السّلام قد أظهروا لنا من علومهم أسرار التعليم و التمرين، و كيفيه تحصيل المعارف الحقه، و العلوم اليقينيه و الأعمال الصالحه و غيرها مما كتموه عن منكريهم و أخفوه عن معانديهم، حيث إنهم عليهم السّلام منعوا أعداءهم عن إطاقه القبول منهم، لكفرهم و إنكارهم ولايتهم، و موالاه أعدائهم من غاصبى حقوقهم، و لمعاداه أوليائهم، فإن مخالفيهم عادوا أولياء الأئمه عليهم السّلام فصار هذا العداء سببا لمحروميتهم

عن أن يقبلوا الحق منهم عليهم السّلام. و أما نحن فبحمد اللّه و منّه علينا، لأجل قبولنا ولايتهم و حبنا لهم قد أصبحنا مغمورين فى نعم اللّه تعالى من المعارف الحقه الإلهيه، و الأخلاق الحميده الحسنه، و لو لا تفضّلهم علينا لم نعترف بما أنكر الأعداء، و لم ننل ما لم يدركوه و لم نقبل ما تركوه من علوم و معارف أهل البيت عليهم السّلام، و لكن اللّه تعالى تفضّل علينا بأن جعلنا من مواليهم و محبيهم ففزنا بالفوز العظيم، حيث فكّ اللّه تعالى رقابنا مما نستوجبه بسبب قصورنا و تقصيرنا بحبّنا لهم و قبولنا لولايتهم، و هم عليهم السّلام قد اشتروا أنفسنا التى استحقّت العذاب، لتقصيرها عن الجد و الأخذ بالنحو الأتم بما تلقوه مما تحملوا من المحن و المشاق كما تقدم، فلله تعالى ثم لهم الشكر على هذه النعم العظيمه، و نحن بحمد اللّه تعالى بقبولنا ولايتهم قد أخرجنا اللّه تعالى من ذل الكفر و شقاء العداوه لهم، و من بغضهم الموجب للهلاك و عذاب الدنيا من موجبات الحدود و القصاص و الجزيه، و الرده عن الدين و الضلاله، و درك الشقاء عند الموت، و سوء المنقلب و عذاب الآخره، و من مناقشه المسأله فى القبر و عذاب البرزخ و القيامه و أ هوالها و النار، كل ذلك قد أخرجنا اللّه تعالى منها ببركه النعم التى وصلت منهم إلينا. و أيضا من نعمهم و تفضلهم علينا أن فرج اللّه عنّا غمرات الكروب من الهموم و الغموم و الشدائد فى الدنيا، و أيضا أنقذنا اللّه تعالى من مقتضيات نفوسنا و دواعى طبايعنا، التى لو لا عفوهم عنّا و حسن نظرهم إلينا لوقعنا فى هوّه هلاك الدنيا و الآخره، فإن طبايعنا و جهالاتنا و هوى أنفسنا موجبه لأن تشرفنا على هلاك الدنيا و الآخره، فخلّصنا اللّه تعالى منها بهم عليهم السّلام و بعنايتهم لنا. و إلى هذه الكرامات العظيمه يشير ما

فى البحار (1): و عنه أى الصادق عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنه قال لأمير المؤمنين عليه السّلام: «بشّر شيعتك و محبيك بخصال عشر:

ص: ۴۰۹

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۶۲، عن أعلام الدين للديلمى.

أولها: طيب مولـدهم. و ثانيها: حسن إيمانهم. و ثالثها: حبّ اللّه لهم. و رابعها: الفسـحه فى قبولهم. و خامسـها: نورهم يسـعى بين أيـديهم. و سادسـها: نزع الفقر من بين أعينهم، و غنى قلوبهم. و سابعهـا: المقت من اللّه لأعـدائهم. و ثامنهـا: الأـمن من البرص و الجذام. و تاسعها: انحطاط الذنوب و السيئات عنهم. و عاشرها: هم معى فى الجنه و أنا معهم، فطوبى لهم و حسن مآب» .

و فيه (۱)عن فضائل الشيعه بإسناده عن الثمالى، عن أبى جعفر عن آبائه عليهم السّـلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السّـلام: «مـا ثبت اللّه حبّك فى قلب امرئ مسلم فزلّت به قـدم على الصـراط، إلاّ ثبت له قـدم حتى أدخله اللّه بحبّك الجنه» .

و فيه (۲)، عن عـاصم بن حميـد، عن أبى حمزه، عن جيش بن المعمر قـال: دخلت على على عليه السّـلام و هو فى الرحبه متكئا فقلت: السـلام عليـك يا أمير المؤمنين و رحمه اللّه و بركاته، كيف أصبحت؟ قال: «فرفع رأسه و ردّ علىّ و قال: أصـبحت و اللّه محبـا لمحبينـا، صابرا على بغض مبغضـينا، إن محبنا ينتظر الروح و الفرج فى كل يوم و ليله، و إن مبغضـنا بنى بنيانا فأسّـس بنيانه على شفا جرف هار فكأنما بنيانه قد انهار» .

و فيه البحار (۳)، و عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى: فَلاَ اِقْتَحَمَ اَلْعَقَبَةَ (۴)

ص: ۴۱۰

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۵۸.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۱۲۱.

۳- ۳) البحار ج ۲۷ ص ۱۲۵.

۴- ۴) البلد:۱۱.

فقال: «من انتحل ولايتنا فقد جاز العقبه، فنحن تلك العقبه التى من اقتحمها نجا، ثم مهلا أخبرك حرفا هو خير لك من الدنيا و ما فيها، قوله تعالى: فَكُّ رَقَبَةٍ (۱)، إن اللّه تعالى فك رقابكم من النار بولايتنا أهل البيت، و أنتم صفوه اللّه، و لو أن الرجل منكم يأتى بذنوب مثل رمل عالج لشفعنا فيه عند اللّه تعالى، فلكم البشرى فى الحياه الدنيا و الآخره، لا تبديل لكلمات اللّه ذلك هو الفوز العظيم» . أقول: هذه الفضائل التى هى لشيعتهم مما منحنا اللّه تعالى بولايتهم و بسببهم حيث إنهم عليهم السّلام أسباب الرحمه لشيعتهم كما هم سبب النقمه لأعدائهم.

و فى المحكى عن الصادق عليه السّلام كما تقدم عن البصائر: «بنا عرف اللّه و بنا عبد اللّه، نحن الأدلّاء على اللّه، و لولانا ما عبد اللّه» .

و فى البحار (۲)، عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «يا مفضل إن اللّه خلقنا من نوره، و خلق شيعتنا منّا، و سائر الخلق من النار، بنا يطاع اللّه و بنا يعصى. يا مفضل سبقت عزيمه من اللّه أنه لا يتقبل من أحد إلّا بنا، و لا يعذب أحدا إلّا بنا، فنحن باب اللّه و حجته و أمناؤه على خلقه، و خزانه فى سمائه و أرضه، حلّلنا عن اللّه و حرمنا عن اللّه، لا نحتجب عن اللّه إذا شئنا، و هو قوله تعالى وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ و هو قوله صلّى اللّه عليه و آله: «إن اللّه جعل قلب وليه وكرا لإرادته فإذا شاء اللّه شيئا. . . إلخ» .

و فى بصائر الدرجات باب أنهم حجه اللّه و باب اللّه، إلخ، عن خيثمه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: «نحن جنب اللّه» . . إلى أن قال عليه السّلام: «و نحن الذين بنا نزل الرحمه، و بنا تسقون الغيث، و نحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا و نصرنا و عرف حقّنا و أخذ بأمرنا فهو منّا و إلينا» . أقول: و يعجبنى أن أذكر حديثا فيه بيان أنهم عليهم السّلام سبب لهدايتنا و لنعم اللّه تعالى

۱- ۱) البلد:۱۳.

۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۲۵۶.

علینا و نجاتنا بهم علیهم السّلام و نفعنا بهم علیهم السّلام.

ففی البحار (۱)، عن تفسیر القمی أبی عن عبد اللّه بن جندب قال: کتبت إلی أبی الحسن الرضا علیه السّلام أسأله عن تفسیر قوله تعالی: اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ (۲)إلی آخر الآیه. فکتب إلیّ الجواب: «أما بعد فإن محمدا صلّی اللّه علیه و آله کان أمین اللّه فی خلقه، فلما قبض النبی صلّی اللّه علیه و آله کنّا أهل البیت ورثته، فنحن أمناء اللّه فی أرضه، عندنا علم المنایا و البلایا، و أنساب العرب، و مولد الإسلام، و ما من فئه تضل مائه أو تهدی مائه إلاّ و نحن نعرف سائقها و قائدها و ناعقها، و إنا لنعرف الرجل إذا رأیناه بحقیقه الإیمان، و حقیقه النفاق، إن شیعتنا لمکتوبون بأسامیهم (بأسمائهم و أسماء آبائهم) و أسامی آبائهم، أخذ اللّه علینا و علیهم المیثاق، یردون موردنا، و یدخلون مدخلنا، لیس علی جمله الإسلام غیرنا و غیرهم إلی یوم القیامه، نحن آخذون بحجزه نبیّنا، نبیّنا آخذ بحجزه ربنا، و الحجزه النور، و شیعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلک، و من تبعنا نجا، و مفارقنا و الجاحد لولایتنا کافر، و متّبعنا و تابع أولیائنا مؤمن، لا یحبّنا کافر، و لا یبغضنا مؤمن، و من مات و هو یحبنا کان حقّا علی اللّه أن یبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا، و هدی لمن اهتدی بنا، و من لم یکن منّا فلیس من الإسلام فی شیء، بنا فتح اللّه الدین، و بنا یختمه، و بنا أطعمکم عشب الأرض، و بنا أنزل اللّه قطر السماء، و بنا آمنکم اللّه من الغرق فی بحرکم، و من الخسف فی برّکم، و بنا نفعکم اللّه فی حیاتکم و فی قبورکم و فی محشرکم، و عند الصراط، و عند المیزان، و عند دخولکم الجنان، مثلنا فی کتاب اللّه کمثل المشکاه و المشکاه فی القندیل، فنحن المشکاه فیها، المصباح محمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی زجاجه، من عنصره الطاهر، اَلْمِصْبٰاحُ فِی زُجٰاجَهٍ اَلزُّجٰاجَهُ کَأَنَّهٰا کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ یُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبٰارَکَهٍ زَیْتُونَهٍ ، إبراهیمیه، لاٰ شَرْقِیَّهٍ

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۲۴۱.

۲- ۲) النور:۳۵.

وَ لاٰ غَرْبِيَّةٍ لا دعيه و لا منكره، يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ ، القرآن نُورٌ عَلىٰ نُورٍ ، إمام بعد إمام، يَهْدِي اَللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ وَ اَللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، فالنور على عليه السّلام يهدى اللّه لولايتنا من أحب و حقّ على اللّه أن يبعث ولينا مشرقا وجهه نيّرا برهانه، ظاهره عند اللّه محبّته، حقّ على اللّه أن يجعل ولينا مع المتقين اَلنَّبِيِّينَ وَ اَلصِّدِّيقِينَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً ، فشهداؤنا لهم فضل على الشهداء بعشر درجات، و لشهيد شيعتنا فضل على كل شهيد غيرنا بتسع درجات، نحن النجباء، و نحن أفراط الأنبياء، و نحن أبناء الأوصياء، و نحن المخصوصون فى كتاب اللّه، و نحن أولى الناس برسول اللّه، و نحن الذين شرع اللّه لنا دينه، فقال فى كتابه: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ اَلدِّينِ مٰا وَصّٰى بِهِ نُوحاً وَ اَلَّذِي أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ (يا محمد) وَ مٰا وَصَّيْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ فقد علّمنا و بلّغنا ما علّمنا و استودعنا علمهم، و نحن ورثه أولى العلم و العزم، و أولى العزم من الرسل أَنْ أَقِيمُوا اَلدِّينَ كما قال: وَ لاٰ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى اَلْمُشْرِكِينَ من أشرك بولايه على مٰا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ من ولايه على اَللّٰهُ (يا محمد) يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ [1] من يجيبك إلى ولايه على عليه السّلام و قد بعثت إليك بكتاب فيه هدى فتدبره و أفهمه فإنه شفاء و نور» .

و عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «للمؤمن على اللّه تعالى عشرون خصله يفى له بها: له على اللّه تعالى أن لا يفتنه و لا يضلّه، و له على اللّه أن لا يعريه و لا يجوعه، و له على اللّه أن لا يخذله و يعزه، و له على اللّه أن لا يميته غرقا و لا حرقا، و له على اللّه أن لا يقع على شيء و لا يقع عليه شيء، و له على اللّه أن يقيه مكر الماكرين، و له على اللّه أن يعيذه من سطوات الجبارين، و له على اللّه أن يجعل معنا فى الدنيا و الآخره، و له على اللّه أن لا يسلط عليه من الأدواء ما يشين خلقته، و له على اللّه أن لا يميته على كبيره، و له على اللّه أن لا ينسيه مقامه فى المعاصى حتى يحدث

١- ١) الشورى:١٣.

توبه، و لـه على اللّـه أن لاـ يحجـب علمـه و يعرفه بحجّته، و له على اللّه أن يعزب فى قلبه الباطـل، و له على اللّه أن يحشـره يـوم القيامه و نوره يسـعى بين يـديه، و له على اللّه أن يوفّقه لكل خير، و له على اللّه أن لا يسـلط عليه عـدوه فيـذله، و له على اللّه أن يختم له بالأمن و الإيمان و يجعله معنا فى الرفيق الأعلى، هذه شـرائط اللّه عز و جل للمؤمنين» . أقول: فيا لها من نعماء ما أجلها و أحسنها عاقبه! و لا ريب فى أن المراد من المؤمن فى الحديث هو الموقن بولايتهم و المحب لهم كما لا يخفى. فتحصل مما ذكر أن إدراكنـا كـل خير، و فوزنـا بكـل فوز، و إصابتنـا بكـل محبوب، و نجاتنا من كل مكروه و محـذور، و إدراكنا كل سـلامه فى الدارين من السـلامه من الجهل و الوزر و الشـرور و سوء العاقبه و غيرها مما لا يحصى، لا يكون إلّا بهم عليهم السّلام و بعنايتهم و تفضّـلهم بها علينا، و نحن نسأل اللّه تعالى أن يديم نعمه بإدامه ساداتنا و كبرائنا، و إدامه ظلّهم علينا إلى يوم نلقاه بمحمد و آله الطاهرين.

[۸۸]قوله عليه السّلام: بأبى أنتم و أمّى و نفسى، بموالاتكم علّمنا اللّه معالم ديننا، و أصلح ما كان فسد من دنيانا.

اشاره

أقول: الموالاـه: المتـابعه لهم فى الأعمـال و الأـقوال و المحبه، و امتثـال الأوامر، و اجتناب النواهى، و التسـليم لهم و الرد إليهم، و البراءه من أعـدائهم لمـا تقـدم من أن قبول ولاـيتهم و محبتهم لاـ يتم إلّا بالبراءه من أعـدائهم، فالمعنى إنا بهـذه الأمور التى هى مظهر لولاـيتهم فينا و قبولها علّمنا اللّه تعالى معالم ديننا. و المعالم: جمع معلم أى ما يسـتدل به على شـىء، و معنى علّمنا أى نوّر قلوبنا لقبول الحق و الـدين منكم، و عرّفنا بكم نفسه و عرفنا ربنا و معارفه بتعريفكم لنا، و بالجمله فقد جعلنا اللّه تعالى عارفين به و بنبيه و بشرايعه و دينه، الذى ارتضاه لعباده الصالحين من الحكمه و الكتاب و الأحكام، و رزقنا اليقين بموالاتكم

و متابعتكم و من إشراقات أنواركم لنا، و أيضا بموالاتكم أصلح ما فسد من دنيانا، فأصلح اللّه بكم المفاسد المرتبه على سوء أعمالنا، و رزقنا الدنيا المرضيه للّه تعالى، و أدّبنا بحيث ما نسينا حظّنا من الدنيا من الانتفاع بها للآخره، و دفع بكم عنّا شر الأشرار و شر المخالفين بتعليمكم كيفيه المعامله معهم على نحو التقيه، و علمنا منكم من معاملتكم معهم كيف نتعامل معهم إلى غير ذلك من أنحاء إصلاح ما فسد من الدنيا، أو إصلاحها على ما ينبغى و يرضى به الرب تعالى.

أقول: تعليمه تعالى معالم دينه بموالاتهم على قسمين:

الأول: أن يعلّمنا الأحكام العمليه من الواجبات و المحرمات بسببهم،

أو يعلّمنا كيفيه السلوك إليه تعالى من بيان كيفيه التخلى عن الصفات الرذيله، و التحلى بالصفات الحميده، أو يعلّمنا المعارف الإلهيه من معرفه اللّه تعالى و معرفه صفاته و أفعاله و ملائكته، و معرفه الجنه و النار و الآخره و الدنيا، و القبر و البرزخ و حقائق الأشياء إلى غير ذلك مما بيّنوه لنا، و قد بيّنه العلماء من الشيعه، بل من غيرهم، فحققوها ببيان حقائقها و شرائطها و أجزائها و جنسها و فصلها، و لكن كل ذلك ببيان علمى يدركه العقل السليم، و من المعلوم أن هذا النحو من البيان لا يختص إلقاؤه إلى الشيعه فقط، بل هم عليهم السّلام القوه إلى أى مخاطب كان بنحو أمرهم اللّه تعالى بإلقائه.

و الثانى: هو أنهم عليهم السّلام علّموا شيعتهم معالم الدين،

و المعالم كما علمت هو جمع معلم، و هو ما يستدل به على شيء آخر و ما هو علامه لشيء آخر، فمعالم الدين بيان أمور تكون علامه لحقيقه الدين من حقيقه التوحيد و حقيقه النبوه و الولايه الثابته لهم، و هذه لا تكون إلّا بتحقق المحبه الكامله لهم عليهم السّلام فتحصيل هذه الأمور الواقعيه بما لها من الآثار إنّما هو بمحبتهم و مودتهم، و إلى هذا تشير عده من الأخبار و إليك بعضها:

ففی البحار (۱)، عن الخصال و الأمالی عن جابر، عن أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین، عن علی بن الحسین عن أبیه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «حبی و حبّ أهل بیتی نافع فی سبعه مواطن أهوالهن عظیمه عند الوفاه و فی القبر، و عند النشور، و عند الکتاب، و عند الحساب، و عند المیزان، و عند الصراط» . و فی حدیث عن الصادق: و عند اللّه أی عند موقفه عند اللّه، کما صرح به فی الحدیث الذی یأتی. أی أن محبتهم تستوجب هذه الأمور، و هذا کما تری یشیر إلی أن الوصول إلی هذه الأمور إنما هو بمحبتهم، فهذه الأمور معالم الدین أی مما یعلم بها واقع الدین من مرضاته تعالی، و هی مما علّمناها بتعلیمه تعالی لنا بسبب موالاتهم، و هکذا الکلام بالنسبه إلی الأحادیث الآتیه فتدبّر جدا. فإن هذا لیس من باب التعلم بل من باب الجزاء و العطیه الإلهیه بواسطه المحبه لهم کما لا یخفی، و تقدم سابقا الحدیث الطویل من الحارث الهمدانی و ما أجابه علی علیه السّلام مما أعده اللّه تعالی لمحبیه فراجعه، و نظیر حدیث جابر کثیر جدا.

و فیه عن جابر عنه صلّی اللّه علیه و آله قال: «من أحب الأئمه من أهل بیتی، فقد أصاب خیر الدنیا و الآخره، فلا یشکن أحد أنه فی الجنه فإن فی حبّ أهل بیتی عشرین خصله: عشر فی الدنیا و عشر فی الآخره. أما فی الدنیا: فالزهد و الحرص علی العمل، و الورع فی الدین، و الرغبه فی العباده، و التوبه قبل الموت، و النشاط فی قیام اللیل، و الیأس مما فی أیدی الناس، و الحفظ لأمر اللّه عز و جل و نهیه و التاسعه بغض الدنیا و العاشره السخاء. و أما فی الآخره: فلا ینشر له دیوان، و لا ینصب له میزان، و یعطی کتابه بیمینه، و یکتب له براءه من النار، و یبیض وجهه، و یکسی من حلل الجنه و یشفع فی مائه من أهل بیته و ینظر اللّه إلیه بالرحمه و یتوج من تیجان الجنه، العاشره دخول الجنه

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۵۸.

بغير حساب. فطوبى لمحبّ أهل بيتى» .

و فيه، و عن عبد الرحيم قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: «إنما يغتبط أحدكم حين تبلغ هاهنا، فينزل عليه ملك فيقول أما ما كنت ترجو فقد أعطيته، و أما ما كنت تخافه فقد آمنت به، فيفتح له باب إلى منزله من الجنه، فيقال له: انظر إلى مسكنك من الجنه، و انظر هذا رسول اللّه و فلان و فلان و فلان هم رفقاؤك، و هو قوله تعالى: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كٰانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ اَلْبُشْرىٰ فِي اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا وَ فِي اَلْآخِرَهِ (۱)» .

و فيه عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام للحارث الأعور «لينفعنّك حبّنا عند ثلاث: عند نزول ملك الموت، و عند مساءلتك فى قبرك، و عند موقفك بين يدى اللّه» .

و فيه (۲)ص ۹۵ عن تفسير العياشى، عن بريد بن معاويه العجلى قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشيا، فأخرج رجليه و قد تغلّفتا، و قال: أما و اللّه ما جاء بى من حيث جئت إلاّ حبّكم أهل البيت، فقال أبو جعفر عليه السّلام «و اللّه لو أحبّنا حجر حشره اللّه معنا، و هل الدين إلاّ الحب؟ إن اللّه يقول: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ (۳)و قال: يُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ إِلَيْهِمْ (۴)و هل الدين إلاّ الحب؟» . أقول: المستفاد من الاستشهاد بالآيه المباركه بعد قول الرجل: ما جاء بى من حيث جئت إلاّ حبّكم، أن حبّهم عليهم السّلام حبّه تعالى، و أنه يستلزم المتابعه. أما الثانى: فلقوله تعالى: فَاتَّبِعُونِي . و أما الأول: فإنهم عليهم السّلام لما كانوا فانين فيه تعالى، و أنهم مظاهره و مظاهر صفاته و أسمائه تعالى و المظهر فإن فى الظاهر، فلا محاله يكون حبهم عليهم السّلام حبّه تعالى.

ص: ۴۱۷

۱- ۱) يونس:۶۳-۶۴.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۹۵.

۳- ۳) آل عمران:۳۱.

۴- ۴) الحشر:۹.

و فی البحار (۱)عن أمالی الصدوق بإسناده عن ابن نباته، قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: «أنا سید ولد آدم، و أنت یا علی و الأئمه من بعدک سادات امّتی، من أحبنا فقد أحبّ اللّه، و من أبغضنا فقد أبغض اللّه، و من والانا فقد والی اللّه، و من عادانا فقد عادی اللّه، و من أطاعنا فقد أطاع اللّه، و من عصانا فقد عصی اللّه» . هذا فیما یصح استناده إلیه تعالی کالمحبه و العداوه و البغض و المعصیه ظاهر، و أما فیما لا یصح استناده إلیه تعالی، و لا یصل معناه إلیه تعالی کالأسف و السخط و نحوهما مما لا یمکن وصوله إلیه تعالی بنحو یکون صادرا منا فاستناده إلیه تعالی بنحو من العنایه. و الحاصل: أن من الصفات ما لا تأثیر لها فیه تعالی کمحبتنا له أو البغض له- و العیاذ باللّه-فإنه و أمثاله قائم بالخلق، و لا أثر له بالنسبه إلیه تعالی، فیصحّ أن یقال: نحن نحبه تعالی أو أنّ حبهم علیهم السّلام حبه تعالی، و هذا بخلاف مثل الأسف فإنه لا یصح أن یقال: إن أسفهم علیهم السّلام أسف اللّه تعالی إلاّ بنحو من العنایه. و حاصله أنه تعالی لما جعل أولیاءه و الأئمه علیهم السّلام بمنزلته، فجعل سخطهم سخطه، و رضاهم رضاه و هکذا، فحینئذ إذا قیل: من أسخطکم أی عمل ما حصل فیکم الانزجار و السخط فقد أسخط اللّه، أو قوله تعالی: فَلَمّا آسَفُونا (۲)، فمعناه أنه تعالی جعل أولیاءه کنفسه فی المنزله حیث إنهم الأدلاء إلیه و الدعاه علیه، فلا محاله صحّ بهذا الاعتبار إسناد ما اسند إلیهم إلیه تعالی بلحاظ المنزله، فالاتحاد اعتباری فی المنزله لا حقیقی. و إلیه یشیر

ما فی توحید الصدوق، باب معنی رضاه عز و جل و سخطه، بإسناده عن حمزه بن الربیع قال: کنت فی مجلس أبی جعفر علیه السّلام إذ دخل علیه عمرو بن عبید

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۸۸.

۲- ۲) الزخرف:۵۵.

فقال له: جعلت فداك قول اللّه تبارك و تعالى: وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ (۱)ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السّلام: «هو العقاب يا عمرو، إنه من زعم أن اللّه عز و جل زال من شيء إلى شيء، فقد وصفه صفه المخلوق، إن اللّه عز و جل لا يستفزّه شيء و لا يغيّره» .

و بهذا الإسناد عن أحمد بن أبى عبد اللّه عن أبيه رفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل فَلَمّٰا آسَفُونٰا اِنْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ (۲)، قال «إن اللّه تبارك و تعالى لا يأسف كأسفنا، و لكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون و يرضون، و هم مخلوقون مدبرون، فجعل رضاهم لنفسه رضا، و سخطهم لنفسه سخطا، و ذلك لأنهم جعلهم الدعاه إليه و الأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، و ليس أن ذلك يصل إلى اللّه كما يصل إلى خلقه، و لكن هذا معنى ما قال من ذلك، و قد قال أيضا: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (۳)و قال أيضا: إِنَّ اَلَّذِينَ يُبٰايِعُونَكَ إِنَّمٰا يُبٰايِعُونَ اَللّٰهَ (۴)، و كل هذا و شبهه على ما ذكرت لك، و هكذا الرضا و الغضب و غيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك، و لو كان يصل إلى المكوّن الأسف و الضجر و هو الذى أحدثهما لجاز لقائل أن يقول: إن المكوّن يبيد يوما، لأنه إذا دخله الضجر و الغضب دخله التغيير، و إذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإباده، و لو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوّن من المكوّن، و لا القادر من المقدور، و لا الخالق من المخلوق، تعالى اللّه عن هذا القول علوا كبيرا، هو الخالق للأشياء لا لحاجه، فإذا كان لا لحاجه استحال الحدّ و الكيف فيه، فافهم ذلك إن شاء اللّه.

۱- ۱) طه:۸۱.

۲- ۲) الزخرف:۵۵.

۳- ۳) النساء:۸۰.

۴- ۴) الفتح:۱۰.

قوله عليه السّلام: و بموالاتكم تمّت الكلمه، و عظمت النعمه، و ائتلفت الفرقه.

[فى بيان المراد بالكلمه و تماميتها]

اشاره

[۸۹]أقول: قد يقال: المراد من الكلمه كلمه التوحيد أو الإسلام بالمعنى العام و الخاص.

ففى توحيد الصدوق بإسناده المتصل إلى على بن موسى الرضا عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إن لا إله إلاّ اللّه كلمه عظيمه كريمه على اللّه عز و جل، من قالها مخلصا استوجب الجنه، و من قالها كاذبا عصمت ماله و دمه، و كان مصيره إلى النار» .

و فيه. . . إلى أن قال حدثنى على بن موسى الرضا عليه السّلام سنه أربع و ستين و مائه قال: حدثنى أبى موسى بن جعفر، قال: حدثنى أبى جعفر بن محمد، قال: حدثنى أبى محمد بن على، قال: حدثنى أبى على بن الحسين، قال: حدثنى أبى الحسين بن على، قال: حدثنى أبى على بن أبى طالب عليهم السّلام، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، يقول «اللّه جلّ جلاله: لا إله إلاّ اللّه حصنى فمن دخله أمن عذابى» . أقول: و المراد من تماميّتها بموالاتكم عليهم السّلام هو أنها مشروطه بها، و أن الإقرار بولايتهم يتمّها بحيث تكون حصنا لمن دخلها.

و فيه بإسناده عن إسحاق بن راهويه قال: لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السّلام بنيشابور، و أراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: «يا بن رسول اللّه ترحل عنّا، و لم تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ و كان قد قعد فى العماريه فأطلع رأسه، و قال: سمعت أبى موسى بن جعفر يقول: سمعت أبى جعفر بن محمد يقول: سمعت أبى محمد بن على يقول: سمعت أبى على بن الحسين يقول: سمعت أبى الحسين بن على يقول: سمعت أبى أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول: سمعت رسول اللّه يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت اللّه جلّ جلاله يقول: «لا إله إلاّ اللّه حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى. قال: فلما مرت الراحله نادانا بشروطها و أنا من شروطها» .

فقوله عليه السّلام: «و أنا من شروطها» ، أى أن الإقرار بأنه عليه السّلام إمام من

قبل اللّه عز و جل على العباد مفترض الطاعه عليهم، و أن منزلتهم كمنزله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سوى النبوه شرط لكون كلمه الإخلاص حصنا، فالإقرار بولايتهم يتم الكلمه فى كونها حصنا و إلّا فلا. و لعل المراد من

قوله: «و من قالها كاذبا. . . إلخ» ، هو الإقرار بها بدون الإقرار بالولايه، فإنه حينئذ يكون قائلها كاذبا، لأنه لم يقرّ بما هو لا إله إلّا اللّه عند اللّه تعالى، و إن احتمل كون المراد من كونها عدم الإيمان بها قلبا، إلّا أنه لا ريب فى أن الإيمان بها قلبا بدون الاقتران بالإقرار بولايتهم لا يكون مفيدا بل هو كذب فى الواقع. و يدلّ على هذا أمران: أحدهما:

ما رواه فى المحاسن فى كتاب الصفوه و النور بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: «إذا قدمت الكوفه إن شاء اللّه فارو عنّى هذا الحديث: من شهد لا إله إلّا اللّه وجبت له الجنه. فقلت: جعلت فداك يجيئنى كل صنف من الأصناف فأروى لهم هذا الحديث؟ قال: نعم، يا أبان بن تغلب إنه إذا كان يوم القيامه جمع اللّه تبارك و تعالى الأولين و الآخرين فى روضه واحده، فيسلب لا إله إلّا اللّه إلّا من كان على هذا الأمر» . فيستفاد من هذا الحديث أن حقيقه التوحيد الذى مفاد لا إله إلّا اللّه مشروط، بل متحد بحقيقه الولايه التى هى مفاد على ولى اللّه، و كذا بالنسبه إلى سائر الأئمه عليهم السّلام و هذا معنى

قوله عليه السّلام «بشروطها و أنا من شروطها» فيتحصّل من الجميع أن مفاد

قوله

«لا إله إلّا اللّه»

و مفاد ولايتهم يختلفان مفهوما و يتّحدان مصداقا، فالشرط المذكور هو المأخوذ من حقيقه لا إله إلّا اللّه، لا هو أمر خارجى منها جعل شرطا لها كما لا يخفى. و يدل على هذا الاتحاد المصداقى الأمر الثانى و هو

ما رواه فى الجواهر السنيه فى الأحاديث القدسيه عن العيون (1)و قال: حدثنا أحمد بن الحسن القطان. . إلى أن

1- 1) و فيه ص ۱۷۶.

قال: حدثنی علی بن بلال، عن علی بن موسی الرضا، عن موسی بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علی، عن علی بن الحسین، عن الحسین بن علی، عن علی بن أبی طالب، عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن جبرئیل، عن میکائیل، عن إسرافیل، عن اللوح، عن القلم قال: یقول اللّه عز و جل: «ولایه علی بن أبی طالب حصنی فمن دخل حصنی أمن ناری» . أقول: وجه الدلاله

أنه تعالی قال: «لا إله إلاّ اللّه حصنی. . (إلخ)»

و قال بهذا السیاق: «ولایه علی بن أبی طالب حصنی فمن دخل حصنی أمن من ناری» فجعل الحصن فی الحدیث السابق لا إله إلاّ اللّه، و فی هذا ولایه علی علیه السّلام و معلوم أنه لیس هنا حصنان بل حصن واحد قد عبّر عنه تاره بلا إله إلاّ اللّه، و أخری بولایه علی علیه السّلام و هذا هو المراد من قول العرفاء و الشامخین أن باطن النبوه الولایه، و هی مظهر التوحید، أی أن وحدانیته تعالی إنما تتحقق و تظهر فی حقیقه النبوه و الولایه، حیث إن حقیقه النبوه و باطنها الولایه فهما هکذا مظهران للتوحید. و من المعلوم أنه کما تکون الولایه شرطا لکون لا إله إلاّ اللّه حصنا، فکذلک یکون الإقرار برسالته صلّی اللّه علیه و آله أیضا شرطها لها.

ففی توحید الصدوق (۱)، بإسناده عن جابر بن عبد اللّه عن النبی صلّی اللّه علیه و آله أنه قال: «الموجبتان من مات یشهد أن لا إله إلاّ اللّه دخل الجنه، و من مات یشرک باللّه دخل النار» .

و فیه (۲)بإسناده عن المفضل بن عمار قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام «إن اللّه تبارک و تعالی ضمن للمؤمن ضمانا، قلت: و ما هو؟ قال: ضمن له، إن هو أقرّ له بالربوبیه و لمحمد صلّی اللّه علیه و آله بالنبوه و لعلی علیه السّلام بالإمامه و أدی ما افترض علیه، أن یسکنه فی جواره، قال: قلت: فهذه و اللّه الکرامه التی لا تشبهها کرامه الآدمیین.

۱- ۱) توحید الصدوق ص ۴.

۲- ۲) توحید الصدوق ص ۳.

قال: ثم قال: أبو عبد اللّه عليه السّلام اعملوا قليلا تتنعّموا كثيرا» . أقول: اشتراط كلمه التوحيد بالإقرار برسالته صلّى اللّه عليه و آله مما لا يخفى، كما لا يخفى اشتراطها بالولايه فى كونها حصنا. ثم إنه قد يقال: إنه ما الوجه فى اختصاص الشرط

بقوله: (و أنا من شروطها) مع أن ولايه جميع الأئمه شرط لها؟ فحينئذ قد يقال: إن هذا إذا قرئت و أنا بالتخفيف، و أما إذا قرئت بالتشديد فتشمل جميع الأئمه عليهم السّلام فيكون معناه و نحن أى الأئمه من شروطها أو يقال: إن الاختصاص به عليه السّلام لأجل أن القول بولايته عليه السّلام حقيقه يستلزم القول بولايه جميعهم عليهم السّلام لما دلّ كثير من الأخبار على أن من أنكر واحدا منهم فقد أنكر الجميع، و لازمه أن من أقر بواحد منهم فقد أقرّ بالجميع ضروره أنه حينئذ لا يكون بل لا يمكن عقلا الإقرار بأحدهم مع الإنكار لغيرهم كما لا يخفى. أو يقال: إنّا لم نر فى الخارج من أقر بولايته عليه السّلام أى الرضا عليه السّلام إلّا هو مقر بولايتهم أجمع. و بعباره أخرى: أن الناس فى الخارج ما بين من يقرّ بولايه على عليه السّلام إلى على بن الحسين عليه السّلام كالزيديه، و من يقرّ بولايتهم إلى ولايه الصادق عليه السّلام كالإسماعيليه، أو موسى بن جعفر عليه السّلام كالواقفيه، و أما من أقرّ بولايه الرضا عليه السّلام فقد أقر بولايه الكل عليهم السّلام و أحسن كلام يجمع هذه الأمور

ما رواه فى جواهر السنيه عن عيون أخبار الرضا عليه السّلام بإسناده. . إلى أن قال: و قال: حدثنا محمد بن يعقوب النهشلى، عن على بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن أسرافيل، عن اللّه تعالى أنه قال: «أنا اللّه لا إله إلّا أنا، خلقت الخلق بقدرتى، فاخترت منهم من شئت من أنبيائى، و اخترت من جميعهم محمدا حبيبا و خليلا و اخترت وصيّا و وزيرا مؤدّيا عنه من بعده إلى خلقى، و خليفتى على عبادى يبين لهم كتابى، و يسير فيهم بحكمى، و جعلته العلم الهادى من الضلاله، و بابى الذى أوتى منه، و بيتى الذى من دخله كان آمنا من نارى و حصنى، الذى من

لجأ إليه حصّنه من مكروه الدنيا و الآخره، و وجهى الذى من توجّه إليه لم أصرف وجهى عنه، و حجتى على من فى السموات و الأرضين على جميع من فيهنّ من خلقى. لا أقبل عمل عامل منهم إلّا بالإقرار بولايته مع نبوه أحمد رسولى، و هو يدى المبسوطه على عبادى، و هو النعمه التى أنعمت بها على من أحببته من عبادى، فمن أحببته من عبادى، و من توليته عرفته ولايته و معرفته، و من أبغضته من عبادى أبغضته لانحرافه عن معرفته و ولايته، فبعزّتى حلفت و بجلالى أقسمت إنه لا يتولّى عليا عبد من عبادى، إلّا زحزحته عن النار، و أدخلته الجنه. و لا يبغضه عبد من عبادى، إلّا أبغضته، و أدخلته النار و بئس المصير» .

و فيه (۱)، بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السّلام: «يا على إنه لما عرج بى إلى السماء السابعه، و منها إلى سدره المنتهى، و منها إلى حجب النور، و أكرمنى ربى بمناجاته، قال لى: يا محمد، قلت: لبيك ربّ و سعديك تباركت و تعاليت. قال: إن عليّا إمام أوليائى، و نور من أطاعنى، و هو الكلمه التى ألزمتها المتقين، من أطاعه أطاعنى، و من عصاه عصانى فبشّره بذلك. فقال على: يا رسول اللّه أبلغ من قدرى أنى أذكر هناك، قال: نعم يا على، فاشكر ربك فخرّ على عليه السّلام ساجدا شكرا للّه على ما أنعم به عليه. فقال: ارفع رأسك يا على فإن اللّه قد باهى بك ملائكته. أقول: فيحصل من الكل أن المراد من الكلمه إذا كان هو كلمه التوحيد، فتماميتها بموالاتهم و الإقرار بولايتهم، و فى الحقيقه أن حقيقه التوحيد تتمّ بحقيقه ولايه الأئمه عليهم السّلام فإطلاق الكلمه على التوحيد شايع فى الأحاديث كما لا يخفى. و يمكن أن يراد منها كلمه الولايه، أى ولايه على بن أبى طالب حصنى كما فى الحديث، و لعلّ إليه يشير

قوله: «و هو الكلمه التى ألزمتها المتقين» إذ من الضروره أنه تعالى إنّما ألزم المتقين ولايتهم بما لها من المعنى و شئونها، و هى فى الواقع أمر

۱- ۱) توحيد الصدوق ص ۱۷۷.

متحد مع التوحيد و النبوه، فبهذا اللحاظ صحّ التعبير عن هذا الأمر المتحد معهما تاره بكلمه التوحيد، و أخرى بكلمه الولايه، و ثالثه بنفسه عليه السّلام و هو

قوله: «و هو الكلمه التى ألزمتها المتقين» يشير إلى معنى واحد كما لا يخفى. و كيف كان فتماميه التوحيد و كلمته لا يتمّ إلّا بولايتهم بالنحو المذكور، فتحصل أن الكلمه المراد بها كلمه التوحيد أو الإسلام لا يتم إلّا بولايتهم، أى بالاعتقاد بأن لهم عليهم السّلام مقام الإمامه من اللّه تعالى، و الخلافه الإلهيه بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله و أنهم مفترضو الطاعه كالنبى صلّى اللّه عليه و آله و بمحبتهم أيضا و اتباعهم فى العقائد و الأعمال و الأقوال، و امتثال الأوامر و النواهى، و الاقتداء بهم و الأخذ عنهم و التفويض إليهم و التسليم لهم و الردّ إليهم. و يعلم أن الأعمال و العقايد لا تقبل إلّا بولايتهم، و معنى التماميه هو هذه الأمور، فإذا تحققت فقد تمّت كلمه التوحيد و الإسلام، و إلّا فلا تنفع إلّا حقن الدم و المال و ترتيب أحكام الإسلام ظاهرا، و أما الإيمان و قبول الأعمال فلا. و الحمد للّه على التوحيد و الولايه. أقول: و يمكن أن يراد من الكلمه ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام و معنى تماميتها بموالاتهم، هو أن الموالاه أى المتابعه لهم عليهم السّلام فى ولايتهم و قبولها و العمل بها هو سبب للزومها للموالى.

ففى البحار (1)فى كنز جامع الفوائد، بإسناده عن مالك بن عبد اللّه قال: قلت لمولاى الرضا عليه السّلام قوله: لَقَدْ رَضِيَ اَللّٰهُ (2)، وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ اَلتَّقْوىٰ (3)قال: «هى أمير المؤمنين عليه السّلام فالمعنى أن الملتزمين بها شيعته وَ كٰانُوا أَحَقَّ بِهٰا وَ أَهْلَهٰا و تقدم

حديث أبى جعفر عليه السّلام عن النبى صلّى اللّه عليه و آله عنه تعالى إلى أن قال: و هو الكلمه التى ألزمها

۱- ۱) البحار ج ۳۶ ص ۵۵.

۲- ۲) الفتح:۱۸.

۳- ۳) الفتح:۲۶.

اللّه تعالی المتقین» و

فی حدیث آخر عنه صلّی اللّه علیه و آله «و هو الکلمه التی ألزمتها المتقین» . و الحاصل: أنه تعالی ألزم الکلمه أی الولایه المتقین، و بموالاتهم و متابعتهم تتمّ هذه الکلمه و تصیر ملزمه للمتقین، و یمکن أن یکون المراد بتمامیه الکلمه بموالاتهم بعد ما کان المراد منها ولایه علی علیه السّلام هو أن الموالاه لهم إذا حصلت بتمامها فی أحد، أوجبت تمامیه الولایه بما لها من المعانی الغامضه و الکثیره، ضروره أن لها بطونا کثیره غیر محصوره، فتمامیتها بالموالاه هو الوصول إلی کثیر من معانیها العالیه و إن لم یمکن استیفاؤها.

ففی البحار (۱)عن مناقب آل أبی طالب و تحف العقول و الاحتجاج، سأل یحیی ابن أکثم أبا الحسن العالم علیه السّلام عن قوله سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ کَلِمٰاتُ اَللّٰهِ ما هی؟ فقال: «هی عین الکبریت و عین الیمن و عین النمر (خ د) و عین البرهوت و عین الطبریه و حمّه ماسیدان و حمّه إفریقیه و عین ماحوران. و نحن الکلمات التی لا تدرک فضائلنا و لا تستقصی» . فیستفاد منه أن الکلمات یراد منها ذواتهم علیهم السّلام باعتبار ولایتهم، و فضائلهم و هی لا تستقصی کما لا یخفی. أقول: «الحمّه» بفتح الحاء و تشدید المیم، کل عین فیها ماء حار ینبع یستشفی بها الأعلاء، ذکره الفیروزآبادی کما فی البحار.

و أما قوله علیه السّلام: «و عظمت النعمه»

، قیل: أی نعمه الدین، فإنها عظمت بولایتهم علیهم السّلام کما قال تعالی: اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی (۲).

ففی تفسیر نور الثقلین (۳)عن أمالی الصدوق، بإسناده إلی الصادق جعفر بن محمد، عن أبیه عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «یوم غدیر خم: أفضل أعیاد

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۱۷۴.

۲- ۲) المائده:۳.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۴۸۸.

امّتی، و هو الیوم الـذی أمرنی اللّه تعالی ذکره فیه بنصب أخی علی بن أبی طالب علیه السّـلام علما لأمتی، یهتدون به من بعدی، و هو الیوم الذی أکمل اللّه فیه الدین، و أتمّ علی أمتی فیه النعمه، و رضی لهم الإسلام دینا» ، الحدیث.

و فیه عن الخصال عن علی علیه السّـلام. . . إلی أن قال: «و إن بولایتی أکمل اللّه لهذه الأمه دینهم، و أتمّ علیهم النعمه، و رضـی إسلامهم، إذ یقول یوم الولایه لمحمد صلّی اللّه علیه و آله یا محمد أخبرهم أنی أکملت لهم الیوم دینهم، و رضیت لهم الإسلام دینـا، و أتممت علیهم نعمتی. کـل ذلـک من منّ اللّه به علیّ فله الحمـد» . ثم إن من آثار عظمه النعمه بموالاتهم هو أنّ حبهم و قبول ولایتهم علامه طیب الولاده للمحبّ الموالی، و أنه أیضا علامه الإیمان.

ففی البحار (1)عن الاحتجاج، روی عن النبی صـلّی اللّه علیه و آله أنه قال لعلی بن أبی طالب علیه السّلام: «یا علی لا یحبّک إلاّ من طابت ولادته، و لا یبغضک إلاّ من خبثت ولادته، و لا یوالیک إلاّ مؤمن و لا یعادیک إلاّ کافر» .

و فیه عن العلل و معانی الأخبار و أمالی الصدوق، بإسـناده عن غیر واحد، عن أبی جعفر الباقر علیه السّـلام قال: «من أصـبح یجد برد حبّنا علی قلبه فلیحمد اللّه علی بادئ النعم» . قیل: و ما بادئ النعم؟ قال: «طیب المولد» .

و فیه عنهم بإسناده عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی من أحبنی و أحبّک، و أحبّ الأئمه من ولدک فلیحمد اللّه علی طیب مولده، فإنه لا یحبّنا إلاّ من طابت ولادته، و لا یبغضنا إلاّ من خبثت ولادته» .

و فیه عن السـرائر عن الکوفی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «لا یحبّنا من العرب و العجم و غیرهم من الناس إلاّ أهل البیوتات و الشرف و المعادن و الحسب

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۴۵.

الصحیح، و لا یبغضنا من هؤلاء إلّا کل دنس ملصّق» ، أی المتّهم فی نسبه، أو من ینسب إلی قبیله و لیس منهم. و من آثار عظمه نعمه الولایه للموالی أنه یحبّهم علیهم السّلام و حبّهم أساس الإسلام، فنعمه الإسلام و الولایه تتم و تتحقق لأحد بموالاتهم و محبّتهم، و بموالاتهم تکون للشیعه البشاره الإلهیه فی الدنیا و الآخره.

ففی البحار (۱)عن أمالی ابن الشیخ، بإسناده عن جابر عن أبی جعفر عن آبائه علیهم السّلام قال: «لما قضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مناسکه من حجه الوداع رکب راحلته و أنشأ یقول: لا یدخل الجنه إلّا من کان مسلما. فقام إلیه أبو ذر الغفاری رحمه اللّه فقال: یا رسول اللّه و ما الإسلام؟ فقال علیه السّلام الإسلام عریان و لباسه التقوی، و زینته الحیاء، و ملاکه الورع، و کماله الدین، و ثمرته العمل، و لکلّ شیء أساس، و أساس الإسلام حبّنا أهل البیت» .

و فیه عن المحاسن (۲)عن حفص الدّهان، قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إنّ فوق کل عباده عباده، و حبّنا أهل البیت أفضل العباده (أفضل عباده)» .

و فیه (۳)و عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: فَلاَ اِقْتَحَمَ اَلْعَقَبَهَ فقال: «من انتحل ولایتنا فقد جاز العقبه، فنحن تلک العقبه، التی من اقتحمها نجا، ثم مهلا أفیدک حرفا هو خیر لک من الدنیا و ما فیها قوله تعالی: فَکُّ رَقَبَهٍ (۴)إن اللّه تعالی فکّ رقابکم من النار بولایتنا أهل البیت، و أنتم صفوه اللّه، و لو أنّ الرجل منکم یأتی بذنوب مثل رمل عالج لشفعنا فیه عند اللّه تعالی، فلکم البشری فی الحیاه الدنیا و فی الآخره، لا تبدیل لکلمات اللّه. ذلک هو الفوز العظیم» .

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۸۲.

۲- ۲) المحاسن ص ۹۱.

۳- ۳) عن کتاب فرج الکرب ص ۱۲۵.

۴- ۴) البلد:۱۳.

ثم إن النعمه حقيقه هم عليهم السّلام و ولايتهم فتماميّتها إنما هو بموالاتهم عليهم السّلام.

ففى البحار (۱)عن تفسير القمى،

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اَللّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها

(۲)

قال: نعمه اللّه هم الأئمه عليهم السّلام و الدليل على أن الأئمه نعمه اللّه، قول اللّه: أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اَللّهِ كُفْراً (۳)قال الصادق عليه السّلام: «نحن و اللّه نعمه اللّه التى أنعم بها على عباده، و بنا فاز من فاز» .

و فيه (۴)عن أمالى ابن الشيخ، بإسناده عن جعفر بن محمد عليه السّلام فى قوله: ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ (۵)قال: «نحن النعيم» و فى قوله: وَ اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللّهِ جَمِيعاً (۶)، قال: «نحن الحبل» .

و فيه عن تفسير القمى بإسناده عن حميد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت قول اللّه: لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ ، قال: «تسأل هذه الأمه عمّا أنعم اللّه عليهم برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم بأهل بيته عليهم السّلام» .

و فيه عن إكمال الدين بإسناده عن محمد بن زياد الاروى قال: سألت سيدى موسى بن جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عز و جل: وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً (۷)فقال: «النعمه الظاهره الإمام الظاهر، و الباطنه الإمام الغائب» .

و فيه عن مناقب آل أبى طالب ص ۵۴، الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً قال: «النعمه الظاهره النبى صلّى اللّه عليه و آله و ما جاء به من معرفته و توحيده، و أما النعمه الباطنه فولايتنا أهل البيت و عقد مودتنا» .

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۵۱.

۲- ۲) النحل:۸۳.

۳- ۳) إبراهيم:۲۸.

۴- ۴) البحار ج ۲۴ ص ۵۲.

۵- ۵) التكاثر:۸.

۶- ۶) آل عمران:۱۰۳.

۷- ۷) لقمان:۲۰.

أقول: و مثلها أخبار كثيره كما لا يخفى. و الحاصل: أن الشيعى الموالى لما كان مصدقا لولايتهم و مسلما لهم و منقادا لهم، و عقد قلبه على ولايتهم و موالاه أوليائهم، و على البراءه من أعدائهم، و أولياء أعدائهم فى الدنيا و الآخره، و صبر على هذه الأمور و لو بمقاساه الآلام من شده الفقر، و ضيق الدهر، و كثره الأعداء، و شدائد لا تحصى، و لا يزيدهم ما أصابهم منها إلاّ ثباتا فى حبّهم، و اطمينانا بولايتهم، و استقامه على دينهم، فأوجبت تلك الأمور و التحمل لها أنهم صاروا موردا لألطافهم عليهم السّلام ففازوا بذلك و نالوا خير الدنيا و الآخره كما صرّح به

فى قوله: «و بنا يفوز من فاز يوم القيامه» . ثم اعلم أن النعمه إنما تكون عظيمه إذا كانت دائمه، و صارت سببا لنجاه من أنعم اللّه تعالى بها عليه، و إلاّ فالمخالف بل و الكافر أيضا منعم فى الدنيا، حيث إنه تعالى وسعت رحمته كل شىء، إلاّ أنه ليست نعمهم عظيمه أى موجبه لنجاتهم، و ينالوا منها خير الدارين، إلاّ النعمه التى منحها اللّه تعالى للشيعه و هى نعمه الولايه.

ففى البحار عن كنز جامع الفوائد روى شيخ الطائفه رحمه اللّه بإسناده عن زيد بن موسى الشحّام قال: قلت لأبى الحسن موسى عليه السّلام: الرجل من مواليكم عاص يشرب الخمر، و يرتكب الموبق من الذنب نتبرّأ منه، قال: تبرّءوا من فعله و لا تبرّءوا من خيره، و أبغضوا عمله، فقلت: يسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: لا، الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا و لأوليائنا، أبى اللّه أن يكون وليّنا فاسقا فاجرا و إن عمل ما عمل، و لكنكم قولوا: فاسق العمل، فاجر العمل، مؤمن النفس، خبيث الفعل، طيّب الروح و البدن، لا، و اللّه لا يخرج وليّنا من الدنيا إلاّ و اللّه و رسوله و نحن عنه راضون، يحشره اللّه على ما فيه من الذنوب مبيّضا وجهه، مستوره عورته، آمنه روعته، لا خوف عليه و لا حزن، و ذلك أنه لا يخرج من الدنيا حتّى يصفّى من الذنوب، إما بمصيبه فى مال أو نفس أو ولد أو مرض، و أدنى ما يصنع بوليّنا أن يريه

اللّه رؤيا مهوله، فيصبح حزينا لما رآه، فيكون ذلك كفاره له، أو خوفا يرد عليه من أهل دوله باطله، أو يشدد عليه عند الموت، فيلقى اللّه عز و جل طاهرا من الذنوب، آمنه روعته بمحمد و أمير المؤمنين (صلى اللّه عليهما-و آلهما-) . ثم يكون أمامه أحد الأمرين رحمه اللّه الواسعه، التى هى أوسع من أهل الأرض جميعا، أو شفاعه محمد و أمير المؤمنين عليهما السّلام فعندها تصيبه رحمه اللّه الواسعه، التى كان أحق بها و أهلها، و له إحسانه و فضلها، و على نسخه بعد قوله عليه السّلام «إن أخطأته رحمه اللّه أدركته شفاعه نبيّه و أمير المؤمنين عليهما السّلام» . أقول: و الأخبار بهذه المضامين كثيره جدا، فيستفاد منها أن نعمه الولايه و المحبه لهم عليهم السّلام هى النعمه العظيمه، حيث إنها توجب لصاحبها سعاده الدارين، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

ثم اعلم أيضا أنه ينبغى للشيعى، و لمن كان مواليا و محبّا لهم عليهم السّلام أن لا يغتر بهذه الأخبار، فيعصى اللّه تعالى، فإن هذه الأحاديث كما أنها خرجت بأنه تعالى يغفر للشيعه ذنوبهم، كذلك خرجت بأنه لا بد من عمل يوجب كفاره لمعصيتهم، فلا بد من الاحتراز من المعصيه، لكى لا يبتلى بما يوجب كفّارته إما فى الدنيا و إما فى الآخره. و قد ذكر فى الأخبار أن شفاعتهم ربما تشمل محبّهم بعد ما يكون فى العذاب مدّه مديده و العياذ باللّه تعالى. مضافا إلى أنّ هذه الأحاديث تكون داعيه إلى المسارعه إلى الخيرات و الحسنات، و الفوز بالدرجات العاليات، لسبب متابعتهم فى ولايتهم و محبّتهم و الاقتداء بهم كما لا يخفى، فلسان هذه الأحاديث بالنسبه إلى دعوتها إلى الخيرات و الأعمال الصالحه أكثر من دلالتها على أنهم يشفعون لشيعتهم يوم القيامه مع ما لهم من الذنوب. هذا مضافا إلى أنه قد تقدم أن محبتهم و ولايتهم إذا دخلت فى القلب، و ارتكزت فيه، فلا محاله يكون صاحبه أهل العباده و الشوق إليه تعالى و العمل

الصالح، کيف لا و قد صار طيبا طاهرا من الرذائل، و من کان کذلک فلا يکاد يصدر منه المعاصى؟ فمراتب الشيعه بالنسبه إلى الأعمال الصالحه، و اجتناب الأعمال السيّئه تدور مدار رسوخ المحبّه و الولايه بما لها من الشئون فى قلوبهم کما لا يخفى، فمن کان رسوخها فيه أکثر کان أعبد و أحسن عملا من غيره کما لا يخفى. ثم إنه يعجبنى أن أذکر بعض الأحاديث الوارده فى صفات أولياء اللّه تعالى و الشيعه، لکى يتّضح الأمر و تصير سببا للشوق. فنقول:

ففى البحار (۱)عن معانى الأخبار و أمالى الصدوق، بإسناده عن موسى ابن جعفر عن آبائه عليهم السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام للشيخ الذى أتاه من الشام: «يا شيخ إن اللّه عز و جل خلق خلقا ضيّق الدنيا عليهم، نظر لهم فزهّدهم فيها و فى حطامها، فرغبوا فى دار السلام الذى دعاهم إليه، و صبروا على ضيق المعيشه، و صبروا على المکروه، و اشتاقوا إلى ما عند اللّه من الکرامه، و بذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان اللّه، و کانت خاتمه أعمالهم الشهاده فلقوا اللّه و هو عنهم راض، و علموا أن الموت سبيل من مضى و من بقى، فتزودوا لآخرتهم غير الذهب و الفضّه، و لبسوا الخشن، و صبروا على القوت، و قدّموا الفضل، و أحبّوا فى اللّه، و أبغضوا فى اللّه عز و جل، أولئک المصابيح و أهل النعيم فى الآخره و السلام» (الخبر) .

و فيه من قرب الإسناد عن ابن سعد عن الأزدى، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن من أغبط أوليائى عندى عبد مؤمن ذو حظّ من صلاح، و أحسن عباده ربّه، و عبد اللّه فى السريره، و کان غامضا فى الناس، فلم يشر إليه بالأصابع، و کان رزقه کفافا فصبر عليه، تعجّلت به المنيّه فقلّ تراثه و قلّت بواکيه ثلاثا» .

و فيه عن النهج و عن نوف البکالى، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السّلام ذات ليله، و قد خرج من فراشه فنظر إلى النجوم، فقال: «يا نوف أ راقد أنت أم رامق؟ فقلت:

۱- ۱) البحار ج ۶۹ ص ۲۷۲.

بـل رامق یـا أمیر المؤمنین، فقـال: یـا نوف طوبی للزاهـدین فی الـدنیا، لراغبین فی الآـخره، أولئک قوم اتخـذوا الأرض بساطا، و ترابها فراشا، و ماءها طیبا، و القرآن شعارا، و الدعاء دثارا، ثم قرضوا الدنیا قرضا علی منهاج المسیح علیه السّلام یا نوف إنّ داود علیه السّلام قام فی مثل هذه الساعه من اللیل فقال: إنها ساعه لا یدعو فیها عبد ربه إلاّ استجیب له، إلاّ أن یکون عشارا، أو عریفا، أو شرطیا، أو صاحب عطربه، و هی الطنبور أو صاحب کوبه و هی الطبل» .

و فیه عـن مجـالس المفیـد بإسـناده عن أبی اراکه قـال: صـلّیت خلـف أمیر المـؤمنین علی بن أبی طـالب علیه السّـلام الفجر فی مسـجدکم، فانفتـل علی یمینه، و کان علیه کآبه، و مکث حتی طلعت الشـمس. . . ثم أقبل علی الناس فقال: «أما و اللّه لقـد کان أصـحاب رسول اللّه، و هم یکابـدون هذا اللیل یراوحون بین جباههم و رکبهم کأنّ زفیر النار فی آذانهم، فإذا أصـبحوا أصـبحوا غبرا صـفرا، بین أعینهم شبه رکب المعزی، فإذا ذکر اللّه تعالی مادّوا کما یمید الشجر فی یوم الریح، و انهملت أعینهم حتی تبتل ثیابهم. قال: ثم نهض و هو یقول: و اللّه لکأنّما بات القوم غافلین، ثم لم یر مفترّا (أی لم یر فی ضـحک حسن) حتی کان من أمر ابن ملجم (لعنه اللّه) ما کان» .

و فیه (۱)عن بشـاره المصـطفی بإسـناده عن عمر بن یحیی بن بسّام، قال سـمعت أبا عبـد اللّه علیه السّـلام یقول: «إن أحق الناس بالورع آل محمد و شیعتهم کی تقتدی الرعیه بهم» .

و فیه عن صـفات الشیعه للصدوق بإسـناده عن أبی بصـیر، قال: قال الصادق علیه السّـلام: «شـیعتنا أهل الورع و الاجتهاد، و أهل الوفـاء و الأمـانه، و أهل الزهـد و العباده، أصـحاب إحـدی و خمسـین رکعه فی الیوم و اللیله، القائمون باللیل، الصائمون بالنهار، یزکّون أموالهم، و یحجّون البیت، و یجتنبون کلّ محرّم» .

۱- ۱) البحار ج ۶۸ ص ۱۶۷.

و فيه عن الرضا عليه السّلام قال: «شيعتنا المسلّمون لأمرنا، الآخذون بقولنا، المخالفون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منّا» .

و فيه بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كان على بن الحسين عليه السّلام قاعدا فى بيته، إذ قرع قوم عليهم الباب، فقال «يا جاريه انظرى من بالباب؟ فقالوا: قوم من شيعتك، فوثب عجلا حتى كاد أن يقع، فلمّا فتح الباب و نظر إليهم رجع. فقال: كذبوا فأين السمت فى الوجوه؟ أين أثر العباده؟ أين سيماء السجود؟ إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم و شعثهم، قد قرحت العباده منهم الآناف، و دثرت الجباه و المساجد، خمص البطون ذبل الشفاه، قد هيجت العباده وجوههم، و أخلق سهر الليالى، و قطع الهواجر جثثهم، المسبّحون إذا سكت الناس، و المصلّون إذا نام الناس، و المحزونون إذا خرج الناس، يعرفون بالزهد، كلامهم الرحمه و تشاغلهم بالجنه» .

و فيه عن الكشى بإسناده عن على بن زيد الشامى قال: قال أبو الحسن عليه السّلام قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «ما أنزل اللّه سبحانه و تعالى آيه فى المنافقين إلاّ و هى فيمن ينتحل التشيّع» . أقول: هذا الحديث مما يكسر الظهر بالنسبه إلى من ينتحل التشيّع على الظاهر، دون أن يعمل بما هو وظيفته.

و فيه عن صفات الشيعه بإسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: «يا جابر إنما شيعه على عليه السّلام من لا يعدو صوته سمعه، و لا شحناؤه بدنه، لا يمدح لنا قاليا، و لا يواصل لنا مبغضا، و لا يجالس لنا عائبا، شيعه على من لا يهرّ هرير الكلب، و لا يطمع طمع الغراب، و لا يسأل الناس و إن مات جوعا، أولئك الخفيفه عيشتهم، المنتقله ديارهم، إن شهدوا لم يعرفوا، و إن غابوا لم يفتقدوا، و إن مرضوا لم يعادوا، و إن ماتوا لم يشهدوا فى قبورهم يتزاورون، قلت: و أين أطلب هؤلاء؟ قال: فى أطراف الأرض بين الأسواق و هو قول اللّه عز و جل: أَذِلَّةٍ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ

عَلَى اَلْكٰافِرِينَ

(۱)

» .

و فيه، عنه بإسناده عن مسعده بن صدقه، قال: سئل أبو عبد اللّه عليه السّلام عن شيعتهم فقال: «شيعتنا من قدّم ما استحسن، و أمسك ما استقبح، و أظهر الجميل، و سارع بالأمر الجليل رغبه إلى رحمه الجليل، فذاك منّا و إلينا و معنا حيثما كنّا» .

و فيه عن محمد بن الحنفيّه قال: لمّا قدم أمير المؤمنين عليه السّلام البصره بعد قتال أهل الجمل، دعاه الأحنف بن قيس، و اتخذ له طعاما، فبعث إليه صلوات اللّه عليه و إلى أصحابه فأقبل. ثم قال: «يا أحنف ادع لى أصحابى، فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم شنان بوالى، فقال الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين ما هذا الذى نزل بهم، أ من قله الطعام أو من هول الحرب؟ فقال عليه السّلام: لا- يا أحنف إن اللّه سبحانه أجاب-أحبّ أثاب-أتاب-أقواما تنسكوا له فى دار الدنيا تنسّك من هجم على ما علم من قربهم من يوم القيامه من قبل أن يشاهدوها، فحمّلوا أنفسهم على مجهودها، و كانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على اللّه سبحانه توهّموا خروج عنق يخرج من النار يحشر الخلائق إلى ربهم تبارك و تعالى، و كتاب يبدو فيه على رءوس الأشهاد فضائح ذنوبهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا، أو تطير قلوبهم بأجنحه الخوف طيرانا، و تفارقهم عقولهم إذا غلت بهم مراجل المجرد إلى اللّه سبحانه غليانا، فكانوا يحنّون حنين الواله فى دجى الظلم، و كانوا يفجعون من خوف ما أوقفوا عليه أنفسهم، فمضوا ذبل الأجسام، حزينه قلوبهم، كالحه وجوههم، ذابله شفاههم، خامصه بطونهم، تراهم سكارى، سمار وحشه الليل. متخشعون كأنهم شنان بوالى، قد أخلصوا للّه أعمالا- سرّا و علانيه، فلم تأمن من فزعه قلوبهم، بل كانوا كمن حرسوا قباب خراجهم، فلو رأيتهم فى ليلتهم و قد نامت العيون، و هدأت الأصوات، و سكنت الحركات من الطير فى الوكور، و قد نهنههم هول يوم القيامه

۱- ۱) المائده:۵۴.

بالوعيد عن الرقاد، كما قال سبحانه: أَ فَأَمِنَ أَهْلُ اَلْقُرىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَ هُمْ نائِمُونَ (۱)فاستيقظوا لها فزعين، و قاموا إلى صلواتهم معولين باكين تاره و أخرى مسبّحين، يبكون فى محاريبهم، و يرنّون يصطّفون ليله مظلمه بهماء يبكون، فلو رأيتهم يا أحنف فى ليلتهم قياما على أطرافهم، منحنيه ظهورهم يتلون أجزاء القرآن لصلواتهم، قد اشتدّت أعوالهم و نحيبهم و زفيرهم، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمهم، و إذا أعولوا حسبت السلاسل قد صفدت فى أعناقهم فلو رأيتهم فى نهارهم إذا لرأيت قوما يمشون على الأرض هونا، و يقولون للناس حسنا . . . وَ إِذا خاطَبَهُمُ اَلْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً (۲)وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً (۳)قد قيّدوا أقدامهم من التهمات، و أبكموا ألسنتهم أن يتكلّموا فى أعراض الناس، و سجموا أسماعهم أن يلجها خوض خائض، و كحّلوا أبصارهم بغض البصر عن المعاصى، و انتحوا دار السلام التى من دخلها كان آمنا من الريب و الأحزان. فلعلك يا أحنف شغلك نظرك فى وجه واحده تبدى الأسقام بغاضره وجهها، و دار قد اشتغلت بنقش رواقها، و ستور قد علّقتها، و الريح و الآجام موكله بثمرها، و ليست دارك هذه دار البقاء، فاحمتك الدار التى خلقها اللّه سبحانه من لؤلؤه بيضاء، فشقق فيها أنهارها، و غرس فيها أشجارها، و ظلل عليها بالنضج من أثمارها، و كبسها بالعوابق من حورها، ثم أسكنها أولياءه و أهل طاعته. فلو رأيتهم يا أحنف و قد قدموا على زيادات ربهم سبحانه، فإذا ضربت جنائبهم صوتت رواحلهم بأصوات لم يسمع السامعون بأحسن منها، و أظلّتهم غمامه فأمطرت عليهم المسك و الرادن، و صهلت خيولها بين أغراس تلك الجنان، و تخلّلت بهم نوقهم بين كثب الزعفران، و يتطامن تحت أقدامهم اللؤلؤ و المرجان، و استقبلتهم

۱- ۱) الأعراف:۹۷.

۲- ۲) الفرقان:۶۳.

۳- ۳) الفرقان:۷۲.

قهارمها بمنابر الريحان، و تفاجت لهم-و هاجت لهم-ريح من قبل العرش، فنثرت عليهم الياسمين و الأقحوان، و ذهبوا إلى بابها فيفتح لهم الباب رضوان. ثم سجدوا للّه فى فناء الجنان، فقال لهم الجبار: ارفعوا رءوسكم فإنى قد رفعت عنكم مئونه العباده، و أسكنتكم جنه الرضوان، فإن فاتک يا أحنف ما ذکرت لک فى صدر کلامى لتترکن فى سرابيل القطران، و لتطوفن بينها و بين حميم آن، و لتسقين شرابا حارّ الغليان فى انضاجه، فکم يومئذ فى النار من صلب محطوم، و وجه مهشوم، و مشوّه مضروب على الخرطوم، قد أکلت الجامعه کفّه، و التحم الطوق بعنقه. فلو رأيتهم يا أحنف ينحدرون فى أوديتها، و يصعدون جبالها، و قد ألبسوا المقطعات من القطران، و أقرنوا مع فجّارها و شياطينها، فإذا استغاثوا بأسوء أخذ من حريق شدّت عليهم عقاربها و حيّاتها، و لو رأيت مناديا ينادى و هو يقول: يا أهل الجنه و نعيمها، و يا أهل حليّها و حللها، خلّدوا فلا موت، فعندها ينقطع رجاؤهم، و تنغلق الأبواب، و تنقطع بهم الأسباب، فکم يومئذ من شيخ ينادى وا شيبتاه! و کم من شاب ينادى وا شباباه! و کم من امرأه تنادى وا فضيحتاه! هتکت عنهم الستور، فکم يومئذ من مغموس بين أطباقها محبوس، يا لک غمسه ألبستک بعد لباس الکتّان، و الماء المبرّد على الجدران، و أکل الطعام ألوانا بعد ألوان لباسا لم يدع لک شعرانا عما کنت مطمعه إلّا بيضه، و لا عينا کنت تبصر بها إلى حبيب إلّا فقأها، هذا ما أعد اللّه للمجرمين، و ذلک ما أعدّ اللّه للمتقين» .

و أما قوله عليه السّلام: «و ائتلفت الفرقه» ،

اشاره

أى الفرقه الحاصله بالآراء الفاسده، و المذاهب الکاسده الدائره فى العرب حيث کانوا قبل الإسلام متفرقين فى الأهواء، و کان من عاداتهم الغارات و نهب الأموال و القتل، فلمّا جاء الإسلام جمعهم الدين، و هدر کل دم قبل الإسلام، فصاروا مؤتلفين و إخوانا متحابّين، فحصل الاتفاق بينهم، کل ذلک بسبب الرجوع إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام و الأخذ عنهم و الرّد إليهم و متابعتهم فى الأقوال و الأفعال.

ص: ۴۳۷

و كيف كان فمن كان من المسلمين هكذا فقد ائتلفت الفرقه بينهم، فصاروا متّحدين و إخوانا صالحين، و أما من لم يكن كذلك منهم فاختلفت كلمتهم كما لا يخفى. فمعنى الجمله أن الائتلاف بين المسلمين إذا حصل فإنما هو بسبب موالاتهم، و توضيحه أن الايتلاف الحاصل بين المسلمين إنما هو لأهل ولايتهم لا لغيرهم،

ثم إن الائتلاف الحاصل بينهم على قسمين:

الأول: الائتلاف الحاصل لهم مع ما هم عليه من المعاصى،

فإن الأئمه عليهم السّلام قد أمروهم بأن يتحدوا كلمه و يراعى كل واحد منهم الآخر و إن كان عاصيا، فهم على ما هم عليه من المعاصى لهم ائتلاف و وحده فى الكلمه، يتحقق بها اتفاقهم و ائتلافهم، فهم حينئذ يد على من سواهم، يدل على لزوم هذا الاتحاد و الائتلاف أحاديث كثيره: منها: ما

فى تحف العقول عن الصادق عليه السّلام فيما قاله لابن جندب، ففيه: «يا بن جندب لا تقل فى المذنبين من أهل دعوتكم إلّا خيرا، و استكينوا إلى اللّه فى توفيقهم و سلوا التوبه لهم، فكلّ من قصدنا و توالانا و لم يوال عدوّنا، و قال ما يعلم و سكت عمّا لا يعلم، أو أشكل عليه فهو فى الجنه» . (الحديث) فقد دلّ هذا على أنه لا بدّ من حفظ الائتلاف بينهم، و لو كان بعضهم مذنبا، و لا بد من الاستكانه إليه تعالى ليوفقهم لمرضاته، فهذا نحو ائتلاف حصل لهذه الفرقه المحقه بموالاتهم لأئمتهم، و تقدم

حديث زيد بن يونس الشحّام عن الكاظم عليه السّلام حيث سأل السائل عن أنه إذا كان الموالى عاصيا فهل نتبرأ منه؟ فقال عليه السّلام: «لا-بل تبرّءوا من عمله» . فالنهى عن التبرى منه إشاره إلى لزوم الألفه و الائتلاف بينهم كل ذلك ببركه ولايتهم عليهم السّلام. و مثله أحاديث أخر بهذا البيان كما تقدم بعضها. و كيف كان فأمثال هذه الأخبار كثير جدّا دلّ على قبول المحبّين لهم على ما هم عليه من المعاصى، و لزوم الايتلاف بينهم.

الثانی: الائتلاف الحاصل لهم أی للشیعه عقیده و ذاتا بالنسبه إلی موالیهم

و أئمتهم من جمیع فرقهم من العلماء و العباد و الزهاد و العوام، فإنهم متحد و الکلمه فی قبولهم ولایه الأئمه و الإقرار بفضلهم و قبول قولهم علیهم السّلام فی أمر دینهم، و إنه هم المرجع لهم فی الدین حیث إنهم علیهم السّلام أوصیاء النبی صلّی اللّه علیه و آله لا غیرهم، فهم فی هذه العقیده الدینیه متحدون، و إن حصل بینهم الاختلاف فی بعض الفروع، أو الاختلاف فی الصفات الحسنه، أو الابتلاء بالمعاصی، أو الاختلاف فی تشخیص بعض المعارف و الأمور الدینیه، فإن هذه الاختلاف لا تضر تلک الوحده الإیمانیه، ضروره أنها أی هذه الاختلافات إنما نشأت من جهه تفاوت درکهم و اجتهادهم فی هذه الفروع و الاستظهارات، أو من جهه ابتلائهم بالمعاصی و الأعمال السیّئه صار بعضهم من العوام و أهل المعصیه، و أما ذاتا فهم متحدون فی محبّتهم لأئمتهم علیهم السّلام. و بعباره أخری: أن الاختلاف من جهه الأفعال العارضه لهم، و لیس من جهه الذات، و إلّا فهم ذاتا متحدون، فالذات واحده فلا تناکر بینهم ذاتا أبدا، ثم إنه قد علمت من الأحادیث المتقدمه أن الشیعه لمّا کانت ذاتا متحده فی قبولها لولایتهم علیهم السّلام فلا محاله تکون معاصیهم عارضه، و اللّه تعالی یبتلیهم بأمور تکون کفاره لها کما لا یخفی. ثم إن بعض الاختلافات کالاختلاف الحاصل فی الفروع، ربما کان سببه من عندهم أی الأئمه علیهم السّلام لما یرون فیه من المصالح لشیعتهم حفظا لهم من أذی مخالفیهم، کما صرّح به فی الأخبار و کما هو مذکور فی محله، فتحصل أن الفرقه قد ائتلفت بینهم بسبب موالاتهم ذاتا و عقیده و نوعا، کل ذلک ببرکه ولایتهم علیهم السّلام. و کیف کان فذات الشیعه تکون طاهره زکیه، فالالفه الحاصله بینهم من آثار طهاره ذاتهم لحبّهم لهم علیهم السّلام و حبّهم علیهم السّلام إیاهم، و أنهم خلقوا من فاضل طینتهم کما تقدم، فالمحب إذا سمع من إمامه علیه السّلام أن ذات الشیعی و المحب طیب الروح و البدن،

و أنه لا يجوز أن يقال له: فاسق كما تقدم و إن كان عاصيا صفا قلبه و بقى على محبتهم، و ذهبت عنه النفره، التى كان يجدها من أهل المعصيه، فلا محاله تأتلف الفرقه التى كانت سببا لمباينتهم. ثم إن المحب العاصى إنما استحق التعريف من إمامه عليه السّلام لأنه محبّ لهم و موال لهم و لأوليائهم، و مبغض لأعدائهم و لمن اتّبعهم، و هذه المحبه هى سبب الغفران لهم، و سبب للعفو عن كل ذنب صدر منهم، لأنه قد تقدم مرارا أن الدين هو الحب، و أن حبّهم عليهم السّلام هو الدين، فالمحب و إن كان عاصيا إلّا أنه قد أتى و قبل أصل الدين أى حبهم عليهم السّلام و هذا الأصل أمر لا يضر معه سيّئه

كما روى «إن حبّ على حسنه لا يضرّ معها سيئه، و بغض على سيئه لا تنفع معها حسنه) ذكره فى مناقب ابن شهر آشوب.

و فى المحكى عن كتاب حسين بن شاذان عن ابن مسعود، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «لما أن خلق اللّه آدم و نفخ فيه من روحه عطس آدم عليه السّلام فقال: الحمد للّه ، فأوحى اللّه تعالى: حمدتنى و عزّتى و جلالى لو لا عبدان أريد أن أخلقهما فى دار الدنيا ما خلقتك يا آدم، قال: إلهى فيكونان منىّ؟ قال: نعم يا آدم ارفع رأسك فانظر، فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش لا إله إلاّ اللّه محمد نبى الرحمه و على مقيم الحجه، من عرف حق على عليه السّلام زكى و طاب، و من أنكر حقّه لعن و خاب. أقسمت بعزتى و جلالى أن أدخل الجنه من أطاعه و إن عصانى، و أقسمت بعزتى أن أدخل النار من عصاه و إن أطاعنى» (الخبر) .

و فى البحار (۱)عن تفسير العياشى، قال محمد بن عيسى فى روايه شريف، عن محمد بن على و ما رأيت محمديا مثله قط، فى قوله تعالى: مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا (۲)، قال: «الحسنه التى عنى اللّه ولايتنا أهل البيت، و السيئه عداوتنا

۱- ۱) البحار ج ۲۴ ص ۴۱.

۲- ۲) الأنعام:۱۶۰.

أهل البيت» .

و فیه عن کنز الفوائد بإسناده عن أبی عبد اللّه الجدلی قال: قال لی أمیر المؤمنین علیه السّلام: «یا أبا عبد اللّه هل تدری ما الحسنه مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَیْرٌ مِنْهٰا وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ یَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (۱)وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَکُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِی اَلنّٰارِ (۲)؟ قلت: لا، قال: الحسنه مودتنا أهل البیت، و السیئه عداوتنا أهل البیت» .

و فیه عنه بإسناده عن عمار الساباطی قال: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السّلام و سأله عبد اللّه بن أبی یعفور عن قول اللّه عز و جل: مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَیْرٌ مِنْهٰا وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ یَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ، فقال: «و هل تدری ما الحسنه؟ إنما الحسنه معرفه الإمام و طاعته، و طاعته من طاعه اللّه» .

و بالإسناد المذکور عنه قال: «الحسنه ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام» .

و فی المحکی عن تفسیر القمی قال: «الحسنه و اللّه ولایه أمیر المؤمنین، و السیئه و اللّه اتّباع أعدائه» .

و فی المحکی عن الکافی عن الصادق عن أبیه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی هذه الآیه قال «الحسنه معرفه الولایه و حبّنا أهل البیت، و السیئه إنکار الولایه و بغضنا أهل البیت ثم قرأ الآیه» . و مثلها أخبار أخر و هذه الأخبار تشعر بأن حبّهم علیهم السّلام لا تضرّ معه سیئه، کما أن بغضهم لا تنفع معه حسنه، بل علمت

من حدیث ابن مسعود أنه تعالی «أقسم بعزّته أن یدخل الجنه من أطاع علیّا و إن عصاه، و أن یدخل النار من عصاه و إن أطاعه» . و نظیره أحادیث أخر. ذکرها الشیخ الحر العاملی رحمه اللّه فی الجواهر السنیّه، و یستفاد منها أن أصل الدین هو حبّ علی علیه السّلام بل حبّه أصل الجنّه، و أن بغضه أصل النار، و الضلاله و الکفر فهما أصلان یدور مدارهما الثواب و العقاب لا علی الأعمال

۱- ۱) النمل:۸۹.

۲- ۲) النمل:۹۰.

من حيث هى هى مع قطع النظر عن هـذين الأصـلين. و منه يعلم الوجه فى كون على عليه السّلام قسيم الجنه و النـار، بـأن الجنه خلقت من حبّه، و النار من بغضه، فإذا ثبت هذان الأصلان فما سواهما من الطاعه و المعصيه من فروعهما، أى إنما يجازى بالفرع بلحـاظ أصـله، فـإذا ثبت الأصـل فـالفرع إن كـان طـاعه فيقبـل فيمن كـان محبّا له عليه السّلام و إن كـان معصـيه فيغفر، و أما فى المبغض فلا تقبل الطاعه لعـدم الأصل الموجب لقبولها كما لا يخفى. و أما المعصـيه منه فهى على وفق أصـلها فيعـذب عليها. و بعبـاره أخرى: أن الأصـل إذا ثبت لا ينفيه فسـاد الفرع، فـإذا ثبتت المحبه له عليه السّلام لا يضـرها و لا ينافيهـا فساد الفرع أى المعصيه. هذا فى المحبه، و كذلک إذا كان البغض فالطاعه لا تنفع أى لا ينافى إضرار الأصل من البغض لصاحبه، لأن هذا ذاتى و الفرع عرضـى، و فى الواقع أن حقيقه الطـاعه للّه تعالى هو محبتهم عليهم السّلام و طاعتهم كما صـرح به فى الحـديث السابق، فإذا تحققت فقـد تحقق رضا اللّه تعالى من العبـد، و إلّا فقـد تحقق سـخطه، ففى الأول لو عصـى فالمعصـيه قابله للغفران، لوجود أصل الطاعه له تعالى. و فى الثانى لو أطاعه فالطاعه مردوده، لوجود أصل المعصيه له تعالى ذاتا، و هذا معنى قوله عليه السّلام

كما فى النهج: «دينكم دينكم فإن السـيئه فيه مغفوره، و الحسـنه فى غيره مردوده» ، و سـرّ السـرّ فى ذلک أن محابه و مساخطه لا تظهر و لا تتعيّن إلّا بولايتهم و محبتهم فى المحاب، و إلّا فى بغضـهم فى المساخط كما لا يخفى، و لم يجعل إلى رضاه طريقا إلّا ولايتهم و محبتهم، و إلى سـخطه إلّا بغضـهم كما أومأت إليها كثير من الأخبار المذكوره فى طى الشرح، فإذا أطاع العبد ربه فى أصل محبوبه فقد أطاعه بحقيقه الطاعه، و كان أهلا لأن يغفر اللّه تعالى ذنوبه، لما أتى به من أصل الطاعه، و إذا عصـى العبد ربّه فى أصل مبغوضه فقد عصاه بحقيقه عصيانه، و كان أهلا لأن يعذّبه اللّه، و لا يقبل منه الطاعه الفرعيه كما لا يخفى، فظهر بما ذكر أيضا أنه كيف ائتلفت الفرقه بموالاتهم للموالى مع

صدور المعصيه عن بعضهم، و ذلک لأجل إجماعهم و اتفاقهم على محبتهم و قبول ولايتهم، التى هى الأصل الموجب للائتلاف، الذى هو سبب لغفرانه و رضوانه، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا على ولايتهم و محبتهم.

قوله عليه السّلام: و بموالاتكم تقبل الطاعه المفترضه، و لكم الموده الواجبه.

اشاره

أقول: الكلام فى أمور ثلاثه:

الأول: فى قوله: «و بموالاتكم تقبل الطاعه المفترضه» .

اشاره

الثاني: فى وجه الاختصاص بالطاعه المفترضه، و أنه ما المراد منها. و الثالث: فى

قوله:

«و لكم الموده الواجبه» . أما الأول: فبيانه إما بالنقل أو العقل. أما الأول: فبيانه إما بالنقل أو العقل.

أما النقل:

ففى البحار (۱)عن أمالى الصدوق بإسناده عن الساباطى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن أول ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدى اللّه جلّ جلاله عن الصلوات المفروضات، و عن الزكاه المفروضه، و عن الصيام المفروض، و عن الحج المفروض، و عن ولايتنا أهل البيت، فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته و صومه و زكاته و حجّه، و إن لم يقرّ بولايتنا بين يدى اللّه جل جلاله لم يقبل اللّه عز و جلّ منه شيئا من أعماله» .

و فيه عنه بإسناده عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: نزل جبرئيل على النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال: «يا محمد السلام يقرئك السلام و يقول: خلقت السموات السبع و ما فيهنّ، و الأرضين السبع و من عليهنّ، و ما خلقت موضعا أعظم من الركن و المقام، و لو أنّ عبدا دعانى هناك منذ خلقت السموات و الأرضين، ثم لقينى جاحدا لولايه على لأكببته فى سقر» .

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۶۷.

و فيه عن تفسير القمى بإسناده عن أبى حمزه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول «من خالفكم و إن تعبّد و اجتهد» منسوب إلى هذه الآيه: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰاشِعَةٌ* عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ. تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً (١).

و فيه عنه بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول: وَ إِنِّى لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اِهْتَدىٰ ، قال: «أ لا ترى كيف اشترط و لم تنفعه التوبه أو الإيمان و العمل الصالح حتى اهتدى، و اللّه لو جهد أن يعمل بعمل ما قبل منه حتى يهتدى، قال: قلت: إلى من؟ -جعلنى اللّه فداك-قال: إلينا» .

و فيه عن أمالى ابن الشيخ بإسناده عن أنس بن مالك قال: رجعنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قافلين من تبوك، فقال لى: «فى بعض الطريق القوالى الأحلاس و الأقتاب ففعلوا فصعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فخطب فحمد اللّه و أثنى عليه بما هو أهله» . ثم قال: «معاشر الناس مالى إذا ذكر آل إبراهيم عليه السّلام تهلّلت وجوهكم، و إذا ذكر آل محمد كأنّما يفقأ فى وجوهكم حبّ الرمان؟ فو الذى بعثنى بالحقّ نبيّا، لو جاء أحدكم يوم القيامه بأعمال كأمثال الجبال و لم يجئ بولايه على بن أبى طالب عليه السّلام لأكبه اللّه عز و جل فى النار» .

و فيه عنه بإسناده عن أبى حمزه الثمالى قال: قال لنا على بن الحسين زين العابدين عليه السّلام: «أى البقاع أفضل؟ فقلنا: اللّه و رسوله و ابن رسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع بين الركن و المقام، و لو أنّ رجلا عمّر ما عمّر نوح فى قومه ألف سنه إلاّ خمسين عاما، يصوم النهار و يقوم الليل فى ذلك الموضع، ثم لقى اللّه بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئا» .

و فيه عن ثواب الأعمال بإسناده عن ميسر بياع الزطى قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقلت له: جعلت فداك إن لى جارا لست أنتبه إلاّ بصوته إمّا تاليا كتابه

١- ١) الغاشيه:٢-۴.

یکرره و یبکی و یتضرع و إما داعیا، فسألت عنه فی السر و العلانیه فقیل لی: إنه مجتنب لجمیع المحارم قال: فقال: «یا میسر یعرف شیئا مما أنت علیه، قال: قلت اللّه أعلم، قال: فحججت من قابل، فسألت عن الرجل فوجدته لا یعرف شیئا من هذا الأمر. فدخلت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فأخبرته بخبر الرجل فقال لی مثل ما قال فی العام الماضی: یعرف شیئا مما أنت علیه؟ قلت: لا، قال: یا میسر أی البقاع أعظم حرمه؟ قال: قلت: اللّه و رسوله و ابن رسوله أعلم، قال: یا میسر ما بین الرکن و المقام روضه من ریاض الجنه، و ما بین القبر و المنبر روضه من ریاض الجنه، و لو أنّ عبدا عمّره اللّه فیما بین الرکن و المقام، و فیما بین القبر و المنبر یعبده ألف عام، ثم ذبح علی فراشه مظلوما کما یذبح الکبش الأملح، ثم لقی اللّه عز و جل بغیر ولایتنا، لکان حقیقا علی اللّه عز و جل أن یکبّه علی منخریه فی نار جهنم» .

و فیه عن أمالی المفید بإسناده عن محمد عن أحدهما علیهما السّلام قال: قلت له: إنا نری الرجل من المخالفین علیکم له عباده و اجتهاد و خشوع، فهل ینفعه ذلک شیئا؟ فقال محمد: «إنما مثلنا أهل البیت مثل أهل بیت کانوا فی بنی إسرائیل، و کان لا یجتهد أحد منهم أربعین لیله إلاّ دعا فأجیب، و إن رجلا منهم اجتهد أربعین لیله ثم دعا فلم یستجب له، فأتی عیسی بن مریم علیه السّلام یشکو إلیه ما هو فیه و یسأله الدعاء له، فتطهر عیسی و صلی، ثم دعا فأوحی اللّه إلیه: یا عیسی إنّ عبدی أتانی من غیر الباب الذی أوتی منه، إنه دعانی و فی قلبه شک منک، فلو دعانی حتی ینقطع عنقه و تنشر أنامله ما أستجبت له، فالتفت عیسی علیه السّلام إلیه، فقال: تدعو ربّک و فی قلبک شکّ من نبیه؟ فقال: یا روح اللّه و کلمته قد کان و اللّه ما قلت، فأسأل اللّه أن یذهب به عنّی، فدعا له عیسی علیه السّلام فتقبّل اللّه منه، و صار فی حدّ أهل بیته، کذلک نحن أهل البیت لا یقبل اللّه عمل عبد و هو یشک فینا» .

و فیه عن أمالی المفید عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «أیها الناس

الزموا مودّتنا أهل البيت، فإنه من لقى اللّه يودّنا دخل الجنه بشفاعتنا، فو الذى نفس محمد بيده لا ينفع عبدا عمله إلّا بمعرفتنا و ولايتنا» .

و فيه عن غيبه النعمانى بإسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال اللّه عز و جل: «لأعذبنّ كل رعيّه فى الإسلام دانت بولايه كل إمام جائر ليس من اللّه، و إن كانت الرعيه فى أعمالها برّه تقيّه، و لا عفونّ عن كل رعيه فى الإسلام دانت بولايه كل إمام عادل من اللّه، و إن كانت الرعيه فى أعمالها ظالمه مسيئه» .

و فيه عن أمالى الشيخ (۱)قال: عبد اللّه بن أبى يعفور: سألت أبا عبد اللّه الصادق عليه السّلام ما العله أن لا دين لهؤلاء و ما عتب لهؤلاء؟ قال: «لأنّ سيئات الإمام الجائر تغمر حسنات أوليائه، و حسنات الإمام العادل تغمر سيئات أوليائه» .

و فيه عن كشف الغمه، قال على بن الحسين عليه السّلام: «قد انتحلت طوائف من هذه الأمه بعد مفارقتها أئمه الدين و الشجره النبويه إخلاص الديانه، و أخذوا أنفسهم فى مخائل الرهبانيه، و تعالوا فى العلوم، و وصفوا الإيمان بأحسن صفاتهم، و تحلوا بأحسن السنه حتى إذا طال عليهم الأمل، و بعدت عليهم الشقه، و امتحنوا بمحن الصادقين، رجعوا على أعقابهم ناكصين عن سبيل الهدى و علم النجاه، يتفسّخون تحت أعباء الديانه تفسّخ حاشيه الإبل تحت أرواق البزل. و لا تحرز السبق الروايا و إن جرت و لا يبلغ الغايات إلّا سبوقها و ذهب الآخرون إلى التقصير فى أمرنا و احتجوا بمتشابه القرآن، فتأولوا بآرائهم، و اتهموا مأثور الخبر مما استحسنوا-بما استحسنوا من أ هوائهم. يقتحمون فى أغمار الشبهات و دياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب، و لا أثره علم من مظان العلم بتحذير مثبّطين، زعموا أنهم على الرشد من غيّهم، و إلى من يفزع خلف هذه الأمه، و قد درست أعلام الملّه، و دانت الأمه بالفرقه

۱- ۱) أمالى الشيخ ص ۲۰۲.

و الاختلاف یکفّر بعضهم بعضا، و اللّه تعالی یقول وَ لاٰ تَکُونُوا کَالَّذِینَ تَفَرَّقُوا وَ اِخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ اَلْبَیِّنٰاتُ (1)فمن الموثوق به علی إبلاغ الحجه و تأویل الحکمه إلاّ أهل الکتاب و أبناء أئمه الهدی و مصابیح الدجی الذین احتج اللّه بهم علی عباده، و لم یدع الخلق سدی من غیر حجه هل تعرفونهم أو تجدونهم إلاّ من فروع الشجره المبارکه، و بقایا الصفوه الذین أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهیرا و برّأهم من الآفات و افترض مودّتهم فی الکتاب؟ هم العروه الوثقی و هم معدن التقی و خیر جبال العالمین و نیقها

و فیه عن بشاره المصطفی بإسناده عن أبی الجارود، قال: قال أبو جعفر علیه السّلام: «یا أبا الجارود! ما ترضون أن تصلّوا فیقبل منکم، و تصوموا فیقبل منکم، و تحجّوا فیقبل منکم، و اللّه إنه لیصلی غیرکم فما یقبل، و یصوم غیرکم فما یقبل منه، و یحجّ غیرکم فما یقبل منه؟» .

و عنه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قلت له: بمکّه أو بمنی یا بن رسول اللّه ما أکثر الحاج، قال: «ما أقلّ الحاج، ما یغفر اللّه إلاّ لک و لأصحابک، و لا یتقبل إلاّ منک و من أصحابک» .

و فیه عن جامع الأخبار، روی عن النبی صلّی اللّه علیه و آله أنه قال: «أمتی أمتی، إذا اختلف الناس بعدی و صاروا فرقه فرقه، فاجتهدوا فی طلب الدین حتی تکونوا مع أهل الحق، فإن المعصیه فی دین الحق تغفر، و الطاعه فی دین الباطل لا تقبل» .

و فیه عن تفسیر الفرات محمد بن قاسم بن عبید معنعنا عن أبی ذر الغفاری رضی اللّه عنه فی قول اللّه تعالی: وَ إِنِّی لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اِهْتَدیٰ (2)، قال: «آمن بما جاء به محمد صلّی اللّه علیه و آله و عمل صالحا قال: أداء الفرائض ثم اهتدی إلی حب آل محمد» .

ص:447

1- 1) آل عمران:105.

2- 2) طه:82.

و سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «و الذى بعثنى بالحق نبيا، لا ينفع أحدكم الثلاثه حتى يأتى بالرابعه، فمن شاء حققها، و من شاء كفر بها، فإنا منازل-منار-الهدى و أئمه التقى، و بنا يستجاب الدعاء، و يدفع البلاء، و بنا ينزّل الغيث من السماء، و دون علمنا تكلّ ألسن العلماء، و نحن باب حطّه و سفينه نوح، و نحن جنب اللّه الذى ينادى من فرّط فينا يوم القيمه بالحسره و الندامه، و نحن حبل اللّه المتين، الذى من اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم، و لا يزال محبّنا منفيّا مؤديا منفردا مضروبا مطرودا مكذوبا محزونا، باكى العين حزين القلب حتى يموت، و ذلک فى اللّه قليل» .

و فيه عن أمالى الشيخ بإسناده عن زريق عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له أى الأعمال أفضل بعد المعرفه؟ قال: «ما من شىء بعد المعرفه يعدل هذه الصلوه، و لا بعد المعرفه و الصلوه شىء يعدل الزكاه، و لا بعد ذلک شىء يعدل الصوم، و لا بعد ذلک شىء يعدل الحج، و فاتحه ذلک كلّه معرفتنا و خاتمته معرفتنا» (الخبر) .

و فيه عن كتاب المناقب لمحمد بن شاذان بإسناده عن سليمان الأعمش، عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «يا على أنت أمير المؤمنين و إمام المتقين، يا على أنت سيد الوصيين و وارث علم النبيين و خير الصديقين و أفضل السابقين، يا على أنت زوج سيده نساء العالمين و خليفه المرسلين، يا على أنت مولى المؤمنين، يا على أنت الحجه بعدى على الناس أجمعين، استوجب الجنه من تولّاک، و استحق دخول النار من عاداک، يا على و الذى بعثنى بالنبوه و اصطفانى على جميع البريه لو أنّ عبدا عبد اللّه ألف عام-ثم ألف عام-ما قبل اللّه ذلک منه إلّا بولايتک و ولايه الأئمه من ولدک، و إن ولايتک لا تقبل إلّا بالبراءه من أعدائک و أعداء الأئمه من ولدک، بذلک أخبرنى جبرئيل عليه السّلام فمن شاء فليؤمن، و من شاء فليكفر» . ثم إنه قد يتوهم من لا بصيره له أنه من المستبعد أن يعذّب اللّه تعالى أهل الخلاف، ممن يكون ورعا فى دينه و مجتنبا للمحارم، و لكن يردّه أن العبوديه ليست

بکثره العمل، و ترک بعض الأمور، بل إنما هو بالخضوع و التسليم القلبی لما هو الحق، کما يستفاد من آيه المشاجره فكثره العمل لا قيمه لها إذا لم يتحقق التسليم.

ففی البحار (۱)عن المحاسن بإسناده عن عمر بن حنظله قال: قلت لأبی عبد اللّه عليه السّلام: «إنّ آيه فی القرآن تشكّكنی. قال «و ما هی؟ قلت: قول اللّه: إِنَّمٰا يَتَقَبَّلُ اَللّٰهُ مِنَ اَلْمُتَّقِينَ (۲)قال: أی شیء شككت فيها؟ قلت: من صلى و صام و عبد اللّه قبل منه؟ قال: إنما يتقبل اللّه من المتقين العارفين. ثم قال: أنت أزهد فی الدنيا أم الضحاک بن قيس؟ قلت: لا، بل الضحاک بن قيس، قال: فذلک لا يتقبل منه شیء مما ذكرت» . أقول: فإن الضحاک مع كثره زهده لا يتقبّل منه من أعماله الكثيره، لأنه لا يعرف هذا الأمر، فكثره العمل إذا لم تكن عن الطريقه المطلوبه لا يجب قبولها، و لعل التعبيرات الشديده من مثل

قولهم عليهم السّلام: «لو أنّ عبدا عبد اللّه ألف عام، أو ثم ذبح كما يذبح الكبش و لم يكن عارفا ما تقبل منه» ، و أمثاله إنما ذكرت لدفع هذه الشبهه من أن كثره العمل و الزهد و النّسک بدون المعرفه لا قيمه لها، كما ورد فی ذيل قوله تعالى: وَ قَدِمْنٰا إِلىٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً (۳).

ففی تفسير نور الثقلين عن بصائر الدرجات بإسناده عن سليمان بن خالد، عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول: «إن أعمال العباد تعرض كل خميس على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فإذا كان يوم عرفه هبط الرب تبارک و تعالى و هو قول اللّه تبارک و تعالى: وَ قَدِمْنٰا إِلىٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً فقلت: جعلت فداک، أعمال من هذه؟ قال: أعمال مبغضينا و مبغضی شيعتنا» .

و فی حديث آخر فيه عن تفسير على بن إبراهيم يذكر فيه من وصفهم: «و إذا

ص: ۴۴۹

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۸۵.

۲- ۲) المائده:۲۷.

۳- ۳) الفرقان:۲۳.

ذکر لهم شیء من فضل أمیر المؤمنین علیه السّلام أنکروه» (الحدیث) . و سیجیء فی بیان الوجه العقلی لعدم قبول الأعمال ممن لا یقرّ بولایتهم ما یزید من هذا وضوحا. أقول: هذه بعض أحادیث الباب و لعمری إنها کثیره جدا، و ادعی بعض أهل العلم أنه یوجد فی متفرقات الأخبار فی الأبواب الوارده ما یقرب من ثلاثه آلاف حدیث بهذه المضامین، هذا کلّه باعتبار النقل.

و أما العقل،

اشاره

فنقول: کون الولایه شرطا لقبول الأعمال المفترضه علی أقسام:

القسم الأول: اعلم أن الإسلام إما یراد منه العام أو الخاص،

و قد یعبّر عنه بالکامل أو الإیمان، و علیه فالإسلام الخاص هو ما یرادف الإیمان و به یکون کماله.

ففی البحار (۱)عن الکافی بإسناده عن جمیل بن درّاج، قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل قٰالَتِ اَلْأَعْرٰابُ آمَنّٰا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنٰا وَ لَمّٰا یَدْخُلِ اَلْإِیمٰانُ فِی قُلُوبِکُمْ (۲). «فمن زعم أنهم آمنوا فقد کذب، و من زعم أنهم لم یسلموا فقد کذب، ثم إن الإسلام یفترق عن الإیمان و إن شئت قلت: إن الإسلام العام یفترق عن الإسلام الخاص و الکامل و الإیمان بما ذکره علیه السّلام» .

ففی البحار عنه بإسناده عن سفیان بن السمط قال: سأل رجل أبا عبد اللّه علیه السّلام عن الإسلام و الإیمان ما الفرق بینهما؟ فلم یجبه، ثم سأله فلم یجبه، ثم التقیا فی الطریق و قد أزف من الرجل الرحیل، فقال له أبو عبد اللّه علیه السّلام: «کأنّه قد أزف منک الرحیل؟ فقال: نعم، فقال: فألقنی فی البیت، فلقیه فسأله عن الإسلام و الإیمان ما الفرق بینهما؟ فقال: الإسلام هو الظاهر الذی علیه الناس شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمدا رسول اللّه، و إقام الصلوه و إیتاء الزکوه و حجّ البیت و صیام شهر رمضان، فهذا الإسلام و قال: الإیمان معرفه هذا الأمر، مع هذا فإنّ أقرّ بها و لم یعرف

۱- ۱) البحار ج ۶۸ ص ۲۴۶.

۲- ۲) الحجرات:۱۴.

هذا الأمر كان مسلما و كان ضالا» .

و فيه عنه بإسناده عن سماعه، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أخبرنى عن الإسلام و الإيمان أهما مختلفان؟ فقال: «إن الإيمان يشارك الإسلام، و الإسلام لا يشارك الإيمان، فقلت: فصفهما لى، فقال: الإسلام شهاده أن لا إله إلاّ اللّه و التصديق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله به حقنت الدماء، و عليه جرت المناكح و المواريث، و على ظاهره جماعه الناس. و الإيمان الهدى و ما يثبت فى القلوب من صفه الإسلام، و ما ظهر من العمل به، و الإيمان أرفع من الإسلام بدرجه أن الإيمان يشارك الإسلام فى الظاهر، و الإسلام لا يشارك الإيمان فى الباطن، و إن اجتمعا فى القول و الصفه. أقول: المستفاد من هذين الحديثين و ما شابههما و هو كثير جدا أمران: الأول: أن الإسلام الذى على ظاهره جماعه الناس هو الإقرار اللفظى بالشهادتين. و أما الإيمان فهو ما عقد عليه القلب قطعا و أثره ما ذكره عليه السّلام من

قوله: «به حقنت الدماء و عليه جرت المناكح و المواريث» ، و أما الثواب الأخروى فهو للإيمان.

ففى البحار (1)عن الاحتجاج فى خبر الشامى، الذى سأل أبا عبد اللّه عليه السّلام مسائل فأجابه، فقال الشامى: أسلمت للّه، فقال عليه السّلام: «بل آمنت باللّه الساعه إن الإسلام قبل الإيمان، و عليه يتوارثون، يتناكحون، و الإيمان عليه يثابون» ، فصريح هذا الخبر الشريف أن الثواب و الجزاء إنما هو للمؤمن، و أن الرجل كان قبلا مخالفا و مسلما فلما أقرّ بالصادق عليه السّلام فصار مؤمنا كما لا يخفى. الثانى: أنه يعتبر فى الإيمان اعتقاد الولايه،

فقوله عليه السّلام فى حديث سفيان بن السمط «و الإيمان معرفه هذا الأمر» أى الولايه مع هذا المذكور من الشهادتين و الأعمال التى ذكرها عليه السّلام.

1- 1) البحار ج 98 ص 264.

و الحاصل أن الإيمان يفترق عن الإسلام بالأمر الباطنى القلبى لا الظاهرى بل هما فى الظاهر سواء. نعم بالنسبه إلى الشهادتين أى أن شهاده المسلم و المؤمن بهما سواء فى الظاهر، و هما يفترقان باطنا بالعقيده القلبيه القطعيه بمفاد الشهادتين و بالولايه فى الإيمان دون الإسلام. نعم افتراق المؤمن الموالى أيضا يكون فى الظاهر بالشهاده الثالثه عن المسلم، و هذا لا ينافى كون المسلم و المؤمن سواء فى الشهادتين ظاهرا كما لا يخفى، فإن الشهاده الثالثه من آثار العقيده القلبيه بالولايه. و الحاصل: أن استواءهما فى الظاهر إنما هو بالنسبه إلى الشهادتين لا الثالثه، و لعل هذا هو المراد من

قوله عليه السّلام فى حديث سماعه: «إن الإيمان يشارك الإسلام فى الظاهر» . أقول: أى بالنسبه إلى الشهادتين، و الإسلام لا يشارك الإيمان فى الباطن. أقول: لأمرين: أحدهما: أنّ الإيمان ما كان بالعقيده القلبيه لا بمجرد التلفّظ. و ثانيهما: أنه يعتبر فيه العقيده بالولايه كما تقدم، و إن اجتمعا فى القول و الصفه، أى فى التلفظ بالشهادتين، و إن اللّه كذا و النبى كذا مثلا، فالمسلم و المؤمن يصفان الشهادتين فى الظاهر بنحو سواء، إلاّ أن المؤمن له عقيده قلبيه بمفاد الشهادتين، كما أن له عقيده قلبيه بالولايه، إذا علمت هذا من أن الإسلام عام و خاص، فاعلم أنه لا ريب فى أن الولايه من أصول الدين إن فسّر الدين بالإسلام الخاص و الإيمان الكامل الدال عليه قوله تعالى: اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ و قد تقدم أن كماله بالولايه، و هذا مما لا ريب فيه، فحينئذ لا ريب فى أن فساد الأصل يوجب فساد الفرع عقلا

فقوله عليه السّلام:

«و بموالاتكم تقبل الطاعه المفترضه»

مطابق للعقل إذ الموالاه و الإقرار بالولايه لما كان من الأصول فلا ريب فى أن قبول الفرع متوقف عليه عقلا، و إن ثبت الأصل نقلا كما لا يخفى.

ص :۴۵۲

و قد علمت أن الولايه من أركان الإيمان فهى من الأصول كما عليه كثير من الإماميه، و إن فسّر الدين بالإسلام العام المفسر آنفا فى الأحاديث بأنه مجرد الإقرار بالشهادتين لفظا دون العقد القلبى عليه، و دون الإقرار بالولايه فلا ريب فى أنها أى الولايه لا تكون من الأصول، كيف و هى حينئذ لا يقال بها ظاهرا مطلقا حتى بلحاظ الفروع كما عليه العامه العمياء فضلا عن كونها من الأصول؟ ثم إن الظاهر من

قوله عليه السّلام:

«الطاعه المفترضه»

، أن المراد من الطاعه المفترضه طاعه المؤمن و المسلم الخاص، لأن القبول مستلزم للثواب و الجزاء، و قد علمت أنهما للمؤمن، فحينئذ تكون الجمله مسوقه لبيان حال المؤمن الكامل و المسلم الخاص من أنه لا تقبل أعماله الواجبه إلّا بالولايه كما لا يخفى، و فيه تعريض بل تصريح على عدم قبول أعمال المخالفين كما صرّح به فى الأخبار. ثم إنه ظهر مما ذكرنا بيان الحق فى النزاع الواقع فى أن الولايه هل هى من الأصول أم لا؟ إذ علمت أنها بلحاظ الإسلام العام ليست من الأصول، و أما الخاص و الإيمان فهى من الأصول قطعا، ثم إنه هل بين المسلم و المؤمن واسطه؟ الظاهر أنه نعم، فنقول: المستفاد من الأخبار أن المسلم إما هو معتقد بالولايه مع العقيده القلبيه بمفاد الشهادتين فهو مؤمن، و إلّا فإن ثبتت عنده الولايه و لم يقرّ بها و لم ينصب على الأئمه عليهم السّلام فهو ضال واقعا و مسلم ظاهرا كما هو صريح الأخبار المتقدمه، و إن كان مع عدم الإقرار بها ناصبا فهو كافر حلال الدم.

ففى البحار (۱)عن علل الشرايع بإسناده عن ابن فرقد، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: ما تقول فى قتل الناصب؟ قال: «حلال الدم، أتقى عليك، فان قدرت أن تقلب عليه حائطا أو تغرقه فى ماء، لكى لا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى فى ماله؟ قال: توّه ما قدرت عليه» ، و فى بعض النسخ (أتوه) عوض توّه و قوله توّه، أى أهلكه و أتلفه على بناء التفعيل، و على نسخه أتوه على بناء الإفعال قيل و هو أظهر.

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۲۳۱.

و فیه عنه بإسناده عن هشام بن سالم قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام ما تری فی رجل سبّابه لعلی علیه السّلام؟ قال: «هو و اللّه حلال الدم، لو لا یعم به بریئا، قلت: أی شیء یعمّ به بریئا؟ قال: یقتل مؤمن بکافر» . قال المجلسی (رحمه اللّه تعالی) : أی لو لا أن یعمّ القاتل بسبب هذا القتل بریئا، أی یصل ضرره إلی غیر مستحق.

و فیه عن أمالی الصدوق بإسناده عن أنس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من ناصب علیّا حارب اللّه، و من شکّ فی علی فهو کافر» .

و فیه عن العلل عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «لیس الناصب من نصب لنا أهل البیت، لأنک لا تجد رجلا یقول أنا أبغض محمدا و آل محمد، و لکن الناصب من نصب لکم، و هو یعلم أنکم تتولّونا و أنکم من شیعتنا» .

و فی حدیث آخر بعد قوله «تتولّونا و تتبرّون من أعدائنا»

. و قال علیه السّلام: «من أشبع عدوا لنا فقد قتل ولیّا لنا» . أقول: أی الناصب لنا. و المستفاد من هذه الأحادیث الناصب حلال الدم، و یجوز إتلاف ماله إلاّ أنه لا بد من التقیه، لئلا یصل من إتلافه و إتلاف ماله ضرر إلی الشیعه و إلی البریء کما أنه یستفاد منها التوسعه فی معنی النصب فإنه لا یختص بسبّهم علیهم السّلام أو محاربتهم، بل یعمّ من کان ینصب الشیعه کما فی الحدیث الأخیر. و إن لم یثبت عنده الولایه، و لم ینصب لهم علیهم السّلام شیئا من السب و البغض و البراءه و المحاربه، فهذا مسلم وسط بین المؤمن و المسلم الضال أو الکافر کالناصب، فهؤلاء ممن یرجی فی حقهم النجاه. و یدل علیه

ما رواه فی البحار (۱)عن المحاسن بإسناده عن زراره، قال: سئل أبو

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۱۸۳.

عبد اللّه علیه السّلام و أنا جالس عن قول اللّه: مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا (۱)یجری لهؤلاء ممن لا یعرف منهم هذا الأمر؟ فقال: «لا، إنما هذه للمؤمنین خاصّه، قلت له: أصلحک اللّه أ رأیت من صام و صلی، و اجتنب المحارم، و حسن ورعه ممن لا یعرف و لا ینصب؟ فقال: إن اللّه یدخل أولئک الجنه برحمته» . و ما تقدم

عن الخصال فی باب الثمانیه عن علی علیه السّلام. . إلی أن قال علیه السّلام: «و باب یدخل منه سائر المسلمین ممن شهد أن لا إله إلاّ اللّه، و لم یکن فی قلبه مقدار ذره من بغضنا أهل البیت» .

و فی روضه الکافی (۲)بإسناده عن زراره عن أبی جعفر علیه السّلام قال «إن الناس لما صنعوا ما صنعوا إذ بایعوا أبا بکر، لم یمنع أمیر المؤمنین علیه السّلام من أن یدعو إلی نفسه إلاّ نظرا للناس و تخوفا علیهم أن یرتدّوا عن الإسلام فیعبدوا الأوثان، و لا یشهدوا أن لا إله إلاّ اللّه و أن محمدا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کان الأحبّ إلیه أن یقرّهم علی ما صنعوا من أن یرتدوا عن جمیع الإسلام، و إنما هلک الناس الذین رکبوا ما رکبوا، فأما من لم یصنع ذلک و دخل فیما دخل فیه الناس علی غیر علم و لا عداوه لأمیر المؤمنین علیه السّلام فإن ذلک لا یکفّره و لا یخرجه من الإسلام، و لذلک کتم علی علیه السّلام أمره و بایع مکرها حیث لم یجد أعوانا» . أقول: الظاهر من

قوله علیه السّلام: «و باب. . . إلی آخر» هو أن من لم یکن فی قلبه بغضهم علیهم السّلام المستلزم لعدم نصبهم، و لم یکن ممن ثبت عنده الولایه و لم یقبلها عنادا وردا علیهم، فهو من أهل النجاه کما إن المستفاد من حدیث الکافی أمران: الأول: أن من هلک من الأمه بعده صلّی اللّه علیه و آله إنما هو لارتکابهم ما رکبوا من عداوتهم لعلی علیه السّلام و القیام علیه و إنکار فضله بما هو مذکور فی محله، و أما من لم یصنع ذلک و دخل فیما دخل فیه الناس علی غیر علم، أی علی غیر علم بکون علی منصوبا من

۱- ۱) الأنعام:۱۶۰.

۲- ۲) روضه الکافی ص ۲۹۵.

قبل اللّه تعالى و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و لا عداوه لعلى عليه السّلام فإن ذلك لا يكفّره، أى لا يخرجه من الإسلام، فهو ممن ذكره عليه السّلام فى حديث الثمانيه. الثانى: أن أمير المؤمنين عليه السّلام إنما صبر على حقّه بعد ما غصبوه ظلما نظرا و رحمه للناس و تخوّفا عليهم أن يرتدوا عن ظاهر الإسلام فيعبدوا الأوثان و يتركوا الإقرار بالشهادتين، فرأى عليه السّلام أن إبقاءهم على ظاهر الإسلام فيه صلاح للأمه، و أن يكون فى بقاء هذا الظاهر من الإسلام طريق إلى قبول الحق و الولايه، و الدخول فى الإيمان لمن يكون طالبا لها، فإن الولايه و صاحبها يكون له مجال فى إظهار الحق و الولايه فى بقاء ظاهر الإسلام، و هذا بخلاف ما إذا قام عليه السّلام عليهم بالسيف فأفناهم، فحينئذ لم يبق شىء حتى من ظاهر الإسلام، فلم يبق من يكون قابلا لقبول الحق، و لم يبق محل حينئذ لطريق الحق لعدم من يقبله كما لا يخفى.

و قوله عليه السّلام:

«و لذلك كتم على عليه السّلام»

أى و لأجل بقاء الظاهر، لذلك الغرض كتم عليه السّلام أمره أى ولايتهم و بايع مكرها، و كانت بيعته مكرها لأجل عدم وجدانه الأعوان، فبيعته كانت عن كره، و كان يمكنه عليه السّلام أن لا يبايع كرها إلّا أنه بايع كرها و كتم أمره، لأجل أن يمكنه بحسب الظاهر إبقاء ولايته لمن هو أهله من المله الإسلاميه فى الظاهر، و كل ذلك حكمه ظاهريه صدرت منه عليه السّلام لأجل حفظ ظاهر الإسلام بداعى حفظ الولايه لأهلها كما لا يخفى.

القسم الثانى: فى بيان كون الولايه شرطا لقبول الأعمال عقلا.

و حاصله أنه لما ثبت أنهم عليهم السّلام وجه اللّه تعالى، و وجه الشىء ما به يتوجه إليه، و أنهم أسماؤه الحسنى، و الاسم كما تقدم صفه لمسمى، و الصفه ما بها معرفه الموصوف، ضروره أن الموصوف إنما يعرف و يتعرف نفسه لغيره بالصفه فهم عليهم السّلام كما بهم يتوجه إليه تعالى، كذلك لا يعرف اللّه إلّا بهم، و المعرفه هو العلم الحصولى بالشىء الخاص، فإذا كانوا أسماءه

كما قالوا: نحن الأسماء الحسنى ، و كانوا مظاهره كما تقدم

عن السجاد: نحن مظاهره فيكم، فلا محاله لا يتحصل العلم به تعالى علما

ص: ۴۵۶

وجدانيا حصوليا إلاّ من حيث أسمائه و صفاته تعالى و هى هم، فلا محاله يحصل العلم به تعالى بهم، و هذا معنى

قوله صلّى اللّه عليه و آله «لا يعرف اللّه تعالى إلاّ بسبيل معرفتكم» ، و ثبت أيضا أنهم عليهم السّلام خلقوا من نور عظمته تعالى، أى أن حقيقتهم الجلوه الربوبيه الحاصله من تجلّيه تعالى بنور عظمته، فظهر تعالى بهم فيما سواه، فحقيقتهم مظاهره تعالى، كما

قال السجاد عليه السّلام «فلا شىء من آثار الربوبيه و الذات المقدسه الإلهيه إلاّ و هو حاصل و ظاهر بهم» بل هو حقيقتهم، فإذا علمت هذه كلها و تحققها فقد علمت أنّ معنى ولايتهم عليهم السّلام هو أنهم شئون البارى تعالى فى الخلق و فعله و صفاته، و الاعتقاد بولايتهم هو الاعتقاد بهذه المقامات لهم عليهم السّلام

و لهذا قالوا: إن ولايتنا ولايه اللّه كما تقدم، و لازم هذه الأمور كلها هو أن العباده و العبوديه لأحد لا تحصل إلاّ بولايتهم عقلا، لأن قبول الأعمال إنما يكون بلحاظ إصابتها للواقع، و لما هو المطلوب الواقعى الإلهى، و هذه الإصابه لا تحصل إلاّ بقبول ولايتهم، و الذى لازمه إتيان تلك الأعمال على حسب ما اقتضته ولايتهم، التى عرفت معناها، و هذا معنى

قولهم عليهم السّلام: «بنا عبد اللّه و بنا عرف اللّه» أى بسببنا و بسبب ولايتنا عبد اللّه و عرف كيفيه عبادته و عرف صفاته و أفعاله. و الحاصل: أن حقيقه العباده المعبّر عنها بالطاعه المفترضه لا تحصل إلاّ بالتوجه إليه تعالى بنحو يليق بجنابه المقدس، و هذا لا يحصل إلاّ بهم عليهم السّلام إذ إنهم وجهه تعالى و هم عليهم السّلام بيّنوا كيفيه العباده اللائقه بجنابه المقدس، فاللّه تعالى لم يجعل طريقا من الخلق إليه تعالى، و لا منه إلى الخلق إلاّ بهم عليهم السّلام كما تقدم شرحه فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و صراطه»

،

و قوله عليه السّلام:

«و الأدلاّء على مرضاه اللّه تعالى»

فحقيقه العباده إنما تتحقق بالسلوك فى طريقه إلى اللّه و هو هم عليهم السّلام إما لأنهم وجه اللّه الذى يتوجه إليه الأولياء عند التوجه إليه تعالى، و إما لأنهم الأدلاّء و الصراط إليه تعالى بالمعنى المتقدم شرحه، فأعمال العباد إذا جرت على مطابقتها و إصابتها و على جهه امتثال مقتضاها، أى صدرت للولايه التى قبلها العامل قبلت، لأنها حينئذ تكون مطابقه

للولایه و موافقه لها، أی فی الکیفیه التی بیّنها صاحب الولایه، و هذا بخلاف ما لو خالفت الولایه، فإنها حینئذ لا تقبل لعدم تحققها مطابقه للولایه و ما هو المطلوب الواقعی. و الحاصل: أن العباده هو التوجه و الانقیاد القلبی إلیه تعالی فهو تعالی المتوجه إلیه، و لا یحصل التوجه إلیه تعالی بنحو یکون هو تعالی متوجها إلیه واقعا إلاّ بولایتهم، لأنه تعالی إنما تجلّی بهم و ظهر بهم، و جعلهم طریقه إلیه تعالی، و جعلهم مظاهره فی الخلق، فاللازم لهذه الأمور عقلا أن لا تحصل العباده إلاّ بولایتهم کما لا یخفی. و إلی هذه الأمور و الحقیقه الواقعیه الإلهیه الظاهره بهم علیهم السّلام یشیر ما

فی البحار (1)عن جامع الأخبار، و روی عن النبی صلّی اللّه علیه و آله أنه قال: «أمتی أمتی، إذا اختلف الناس بعدی و صاروا فرقه فرقه، فاجتهدوا فی طلب الدین الحق حتی تکونوا مع أهل الحق، فإنّ المعصیه فی دین الحق تغفر، و الطاعه فی دین الباطل لا تقبل» . و المراد من الدین الحق هو ولایتهم علیهم السّلام کما هو ظاهر من کثیر من الأخبار، الداله علی

أن الحق مع علی و علیا مع الحق،

و أن القرآن مع علی و علیا مع القرآن،

و أن الکتاب و العتره لا یفترقان، و أنه من تمسک بهما لا یضلّ أبدا، و أمثالها. فکلّها تشیر إلی لزوم الأخذ بالحق عقلا، فإن توکیل الأمر عند تفرّق الناس فرقه فرقه إلی الاجتهاد

حیث قال: «فاجتهدوا فی طلب الدین الحق» ، إنما هو بإعمال العقل و بتشخیص الحق بنور العقل، و هو لا یکون إلاّ بالتأمل فی هذه الأمور المذکوره الوارده منهم علیهم السّلام و هذا أیضا نحو من الدلیل العقلی علی کون الولایه شرطا لقبول الأعمال، غایه الأمر بالنسبه إلی الأدله النقلیه فتأمل. بقی هنا شیء و هو

قد تقدم أنه تعالی قال «لأعذبنّ کل رعیه فی أعمالها برّه تقیه،

1- 1) البحار ج 27 ص 198.

و لأعفون عن كل رعيه فى الإسلام دانت بولايه كل إمام عادل من اللّه، و إن كانت الرعيه فى أعمالها ظالمه مسيئه» . و حينئذ قد يقال: إن هـذا كيف يوافق العـدل الإلهى حيث إن البرّ و التقوى و العباده تصـير مردوده بمجرد التـدين بولايه الإمام الجائر و كذا العكس فإنه كيف يعفو عن المتدين بدين الإمام العادل و إن كان ظالما مسيئا؟ و لكنه يقال فى الجواب: إن المستفاد من الأخبار أن حقيقه العبـاده هو التسليم للحق قلبـا، فمن لم يسـلم له قلبا فهو عاص بحقيقه وجوده، و لا تفيـد الأعمال الصادره منه التى هى بصوره البر و التقوى، لأنها حينئـذ ليست إلّا مجرد الصوره بلا روح العبوديه، و منه يعلم أيضا أن المسلم للولايه و الحق هو مطيع بقلبه له تعالى، و ما صـدر منه من المعاصـى إنما صدر عن عارض خارجى لم يرض به قلبه، فهو قابل للغفران كما لا يخفى. هذا مضافا إلى أن العبوديه و الإطاعه و العباده تختلف حقيقتها باعتبار متعلقها، و كـذا المعصـيه و التمرد و اختلافهما باعتبار اختلاف متعلق الطاعه و المعصيه. و المسـتفاد من الآيات و الأحاديث أن المهم فى نظره تعالى هو إطاعته فى توحيده، و قبول ولايه نبيّه و الأئمه عليهم السّـلام و هذا هو المقصد الأصلى له تعالى، و أحبّ الأشياء إليه فى الطاعه، و هكذا فإن أعظم المعاصى عنده تعالى هو الشـرک به، و عـدم قبول ولايه النبى صـلّى اللّه عليه و آله و الوصـى عليه السّـلام فإذا ثبت التوحيد و الولايه و هما من أعظم الأـمور فى نظره تعـالى، و أطيع فيهمـا، فلو عصـى العبـد فيما سواهما ربّه فهو قابل لأن يغفر له. و إذا صار العبـد مشـركا، و ترک ولايه النبى صـلّى اللّه عليه و آله و الوصـى عليه السّـلام فقد عصى اللّه تعالى بأعظم المعاصى فلو أطاعه فى غيره لا يفيده. و لعل إليه يشير

ما فى الدعاء:

«إلهى أطعتک فى أحب الأشياء و هو التوحيد، و لم أعصک فى أبغض الأشياء إليک و هو الشرک، فاغفر لى ما بينهما» .

و كيف كان فأهم الطاعات و أصـلها هو التوحيد و الولايه للنبى و الوصـى، كما أن أعظم المعاصـى هو الشرک به تعالى و ترکه لهما، بل يمكن أن يقال: إن قبول التوحيد

و الولایه هو بنفسه یوجب المغفره للمعاصی الصادره من صاحبها، کما أنّ الشرک و ترک الولایه هو بنفسه یوجب الرد و هبط ما عمله من الطاعات.

ففی تفسیر نور الثقلین (۱)عن تفسیر علی بن إبراهیم بإسناده عن أبی حمزه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «نزل جبرئیل علی محمد صلّی اللّه علیه و آله بهذه الآیه: هکذا ذلک بأنهم کرهوا ما أنزل اللّه (فی علی) -إلاّ أنه کشط الاسم- فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ .

و فی مجمع البیان، و قال أبو جعفر علیه السّلام: کرهوا ما أنزل اللّه فی حق علی علیه السّلام فیعلم منه أن الکراهه فیما أنزل اللّه فی حق علی علیه السّلام توجب حبط الأعمال، کما أن الإقرار بولایتهم و محبتهم یوجب غفران الذنوب.

ففی البحار (۲)عن کنز جامع الفوائد بإسناده عن أبی ذر (رحمه اللّه علیه) قال: رأیت سلمان و بلالا یقبلان إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله إذ انکبّ سلمان علی قدم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقبّلها، فزجره النبی صلّی اللّه علیه و آله عن ذلک، ثم قال له: یا سلمان لا تصنع بی ما تصنع الأعاجم بملوکها، أنا عبد من عبید اللّه، آکل مما یأکل العبد، و أقعد کما یقعد العبد، فقال سلمان: یا مولای سألتک باللّه ألا أخبرتنی بفضل فاطمه یوم القیامه، قال: فأقبل النبی صلّی اللّه علیه و آله ضاحکا مستبشرا. . ثم قال: و ساق الحدیث. . إلی أن قال «فیوحی اللّه عز و جل إلیها یا فاطمه سلینی أعطک، و تمنّی علیّ أرضک، فتقول: إلهی أنت المنی و فوق المنی، أسألک أن لا تعذّب محبی و محبی عترتی بالنار، فیوحی اللّه إلیها یا فاطمه و عزتی و جلالی و ارتفاع مکانی، لقد آلیت علی نفسی من قبل أن أخلق السموات و الأرض بألفی عام أن لا أعذّب محبّیک و محبی عترتک بالنار» . و تقدم

عن أبی الحسن موسی بن جعفر علیه السّلام أنه قال: «لا یقال للشیعی: فاسق، و إنه تغفر له ذنوبه، یحشره اللّه علی ما فیه من الذنوب مبیّضا وجهه، مستوره

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۳۱.

۲- ۲) البحار ج ۲۷ ص ۱۴۰.

عورته، آمنه روعته، لا خوف علیه و لا حزن» ، ثم ذکر أنه یثاب بما یوجب کفّاره لذنوبه.

و فیه عن الکنز مرفوعا عن أنس بن مالک قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «خلق اللّه من نور وجه علی بن أبی طالب علیه السّلام سبعین ألف ملک، یستغفرون له و لمحبّیه إلی یوم القیامه» .

و فیه، عن أبی تغلب عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت: جعلت فداک فَلاَ اِقْتَحَمَ اَلْعَقَبَهَ قال: فقال: «من أکرمه اللّه لولایتنا فقد جاز العقبه، و نحن تلک العقبه من اقتحمها نجا، قال: فسکت ثم قال: هلّا أفیدک حرفا خیرا من الدنیا و ما فیها؟ قال: قلت: بلی جعلت فداک، قال: قوله تعالی: فَکُّ رَقَبَهٍ (۱)الناس کلهم عبید النار غیرک و أصحابک، فإن اللّه عز و جل فکّ رقابهم من النار بولایتنا أهل البیت» . فالمستفاد من هذه الأخبار أن ولایتهم و محبّتهم هو السبب الوحید لنجاتهم و غفران ذنوبهم، حیث إن الطاعه الحقیقیه للّه تعالی، کما أن بغضهم و إنکارهم هو السبب الوحید لعذابهم و حبط ما عملوا من الطاعات. و لعل إلی ما ذکر یشیر ما تقدم

فی حدیث ابن أبی یعفور عن الصادق علیه السّلام فی وجه العلّه، لأنه لا دین لهؤلاء أی المخالفین، و لا عتب لهؤلاء أی الموالین، حیث قال: «لأن سیئات الإمام الجائر تغمز حسنات أولیائه، و حسنات الإمام العادل تغمز سیئات أولیائه» . بیانه أن القائل بإمامه الإمام العادل قلبا و المحب له مصدّق له، و راض به و بما یعمله و بأوصافه و عقایده، و الراضی بفعل أحد کفاعله، فمحبّهم لما کان معتقدا بولایتهم و فضلهم، و محبا لهم و راضیا بهم أئمه، فلا محاله کأنه شریک فی أعمالهم علیهم السّلام و حسناتهم علیهم السّلام و إذا کان شریکا فی حسناتهم فکأنه عامل بها، فتغلب تلک الحسنات منهم سیّئات محبیهم فتمحوها.

۱- ۱) البلد:۱۳.

و بعباره أخرى: لما كانت حسنات الإمام العادل هى الحسنات المقبوله، و العباده الحقيقيه للّه تعالى، و هى بمثابه من الأهميه و الثواب عند اللّه تعالى بحيث لا يحاذيها شىء، فيشمل أثرها المحب لهم و الراضى بهم فتغمز سيئاته. و منه يعلم وجه تحول سيئات الإمام الجائر بالنسبه إلى حسنات أوليائه، و أن سيئاته معصيه لا تعادلها معصيه، و الراضى بهذه العظيمه و السيئه الخطيره كأنه عامل لها، فلا محاله يشمله أثرها فتمحو حسناته و تغمزها كما لا يخفى. و كيف كان فهذا هو السر العقلى و البيان العقلى لقبول الطاعات المفترضه بولايتهم و موالاتهم، فالطاعات المفترضه الصادره من محبيهم يقبلها اللّه تعالى بحرمه موالاتهم و لأجلها، و إن كانت الطاعات فى نفسها ناقصه، و ذلك لحب المحب لهم عليهم السّلام و كونه راضيا بهم و بولايتهم. رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

و أما الثانى: أعنى بيان وجه الاختصاص بالطاعه المفترضه،

فنقول: أولا: أن المراد من الطاعه ما يعمّ العقائد الحقه من التوحيد و النبوه، و الضروريات الدينيه و الأحكام الإلهيه الواجبه، فإنه قد علمت أنه تعالى لا يقبل إيمان أحد إلاّ بالإقرار بولايتهم عليهم السّلام كيف و قد تقدم أنه ما بعث اللّه نبيا إلاّ بالإقرار بولايتهم عليهم السّلام و قد تقدم أيضا أن دين الحق المشار إليه فى قوله تعالى: هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ اَلْحَقِّ (۱)هو ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام فإذا كان الدين الحق هو الولايه، فلا محاله لا يقبل الدين إلاّ إذا كان مع الولايه بل هو نفسها. و أما وجه الاختصاص بالطاعه المفترضه، فلعله للإشاره إلى أنها أى الولايه لما كانت من أصول الدين كما تقدم أنها كذلك، إذا أريد من الدين الإيمان و الإسلام الخاص، و كان المراد من الطاعه ما تعم العقايد الحقه، فلا محاله تكون الموالاه و الولايه شرطا لقبول الدين و الطاعات الواجبه، و هذا بخلاف ما لو عبّر بما يوهم اختصاص الشرطيه بغير الطاعات الواجبه، كما لو

قال عليه السّلام: «و بموالاتكم تقبل الأعمال

ص: ۴۶۲

۱- ۱) الفتح:۲۸.

المستحبه أو المندوبه، فإنه لاـ يفهم منه ذلك الشرطيه» . ثم إنه يستفاد اشتراط قبول المستحبات بالولايه و بموالاتهم بالطريق الأولى كما لا يخفى. و يمكن أن يقال: إن المستحبات الصادره من المخالفين لعلها تؤثّر فى توسعه الأرزاق الدنيويه لهم، و إن كانت أعمالهم الواجبه مردوده، كما يستفاد من بعض أحاديث الحج خصوصا بالنسبه إلى وقوف العرفات فتأمل جدا.

[۹۰]و أما الأمر الثالث: أعنى بيان قوله عليه السّلام: «و لكم الموده الواجبه»

اشاره

فنقول الكلام فيه فى أمرين:

الأول: فى الأدله النقليه من القرآن و الأحاديث الوارده فيه.

و الثانى: فى بيان معنى الموده و حقيقتها. فنقول: أما الأول:

ففى البحار (۱)بإسناده عن سلام بن المستنير قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ اَلْمَوَدَّةَ فِي اَلْقُرْبىٰ (۲)فقال: «هى و اللّه فريضه من اللّه على العباد لمحمد صلّى اللّه عليه و آله فى أهل بيته» .

و فيه عن تفسير فرات بإسناده عن أيوب بن على بن الحسين بن المسط، قال: سمعت أبى يقول: سمعت على بن أبى طالب عليه السّلام يقول: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول لما نزلت: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ اَلْمَوَدَّةَ فِي اَلْقُرْبىٰ ، قال جبرئيل: «يا محمد إن لكل دين أصلا و دعامه و فرعا و بنيانا، و إن أصل الدين و دعامته قول لا إله إلاّ اللّه، و إن فرعه و بنيانه محبتكم أهل البيت و موالاتكم فيما وافق الحق و دعا إليه» . و مثله أحاديث أخر كثيره جدا، و مثله أيضا الأحاديث الوارده فى قوله تعالى: إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اَلرَّحْمٰنُ وُدًّا (۳).

ص: ۴۶۳

۱- ۱) البحار ج ۲۳ ص ۲۳۹.

۲- ۲) الشورى:۲۳.

۳- ۳) مريم:۹۶.

و فی الأحادیث الکثیره إنما نزلت فیهم

و فی المحکی عن المجمع عن الباقر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلی علیه السّلام: «قل اللهم اجعل لی عندک عهدا، و اجعل لی فی قلوب المؤمنین ودّا، فقالهما فنزلت هذه الآیه» . و الأخبار فی هذا الباب کثیره جدا.

و أما الثانی: أعنی بیان معنی الموده.

فعن المجلسی الأول رحمه اللّه و الأخبار بوجوب الموده متواتره و أقل مراتبها أن یکونوا أحب الناس من أنفسنا و أقصاها العشق، انتهی. أقول:

فی البحار (۱)عن تفسیر العسکری و معانی الأخبار و العیون و العلل المفسر بإسناده إلی أبی محمد العسکری عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لبعض أصحابه ذات یوم: «یا عبد اللّه أحبّ فی اللّه، و ابغض فی اللّه، و وال فی اللّه، و عاد فی اللّه، فإنه لا تنال ولایه اللّه إلاّ بذلک، و لا یجد رجل طعم الإیمان و إن کثرت صلاته و صیامه حتی یکون کذلک، و قد صارت مواخاه الناس یومکم هذا أکثرها فی الدنیا، علیها یتوادّون، و علیها یتباغضون، و ذلک لا یغنی عنهم من اللّه شیئا، فقال له: و کیف لی أن أعلم أنی قد والیت و عادیت فی اللّه عز و جل حتی أوالیه، و من عدوه حتی أعادیه؟ فأشار له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی علی علیه السّلام فقال: أ تری هذا؟ فقال: بلی، قال: ولی هذا ولی اللّه فواله، و عدو هذا عدو اللّه فعاده، قال: وال ولی هذا، و لو أنه قاتل أبیک و ولدک، و عاد عدو هذا و لو أنه أبوک أو ولدک» .

و فیه، عن ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «من أحبّنا و أبغض عدوّنا فی اللّه من غیر تره وترها إیاه فی شیء من أمر الدنیا، ثم مات علی ذلک فلقی اللّه و علیه من الذنوب مثل زبد البحر غفرها اللّه له» . تبصره: قد تقدم أنه لا تتم المحبّه و الموده لهم إلاّ مع التبری من أعدائهم و بغضهم، و قد تقدمت الأحادیث الداله علیه.

۱- ۱) البحار ج ۲۷ ص ۵۴.

ففی البحار (۱)عن تفسیر العیاشی عن سعدان عن رجل عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله تعالی: . . وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحٰاسِبْکُمْ بِهِ اَللّٰهُ فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ (۲)، قال: «حقیق علی اللّه أن لا یدخل الجنه من کان فی قلبه مثقال حبه من خردل من حبّهما» . أقول: أی الأول و الثانی. أقول: هذه الأحادیث دلّت علی لزوم حبّهم، و أما محبتهم بالنحو الموصل إلی العشق بهم، فقد دلّ علیه ما قرره النبی صلّی اللّه علیه و آله لثوبان مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقد أظهر من المحبه لهم علیهم السّلام عنده صلّی اللّه علیه و آله ما هو حقیقه العشق، أی الحب الذی لا نهایه له بالنسبه إلی المحبوب بحیث لا یردعه رادع، و لا یمنعه مانع من الحوادث و المصائب و إن بلغت ما بلغت.

ففیه، عن تفسیر العسکری علیه السّلام قام ثوبان مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال: بأبی أنت و أمّی یا رسول اللّه متی قیام الساعه؟ فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «ما أعددت لها إذ تسأل عنها؟ قال: یا رسول اللّه ما أعددت لها کثیر عمل، إلاّ إنی أحبّ اللّه و رسوله، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: و إلی ما ذا بلغ حبک لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ قال: و الذی بعثک بالحق نبیا، إن فی قلبی من محبتک ما لو قطعت بالسیوف، و نشرت بالمناشیر، و قرّضت بالمقاریض، و أحرقت بالنیران، و طحنت بأرحاء الحجاره کان أحبّ إلی و أسهل علی من أن أجد لک فی قلبی غشا أو غلاّ-أو دغلا-أو بغضا لأحد من أهل بیتک و أصحابک-أو أصحابک و من غیرهم-و أحبّ الخلق إلی بعدک أحبّهم لک، و أبغضهم إلی من لا یحبّک و یبغضک، أو یبغض أحدا من أصحابک یا رسول اللّه هذا ما عندی من حبّک، و حبّ من یحبّک، و بغض من یبغضک، أو یبغض أحدا ممن تحبّه، فإن قبل هذا منی فقد سعدت، و إن أرید منی عمل غیره-عملا غیره-فما

۱- ۱) البحار ج ۲۷.

۲- ۲) البقره:۲۸۲.

أعلم لی عملا اعتمده و أعتدّ به غیر هذا، أحبّکم جمیعا أنت و أصحابک، و إن کنت لا أطیقهم فی أعمالهم، فقال علیه السّلام: أبشر فإن المرء یوم القیامه مع من أحبّه یا ثوبان لو کان علیک من الذنوب ملأ ما بین الثری إلی العرش لا نحسرت و زالت عنک بهذه الموالاه أسرع انحدار الظلّ عن الصخره الملساء المستویه إذا طلعت علیه الشمس و من انحسار الشمس إذا غابت عنها الشمس» .

قوله: ما لو قطعت بالسیوف و نحوه مما ذکر من آثار العشق بهم علیهم السّلام.

و قوله: «هذا ما عندی من حبّک و حبّ من یحبّک» إلی آخر یخصّص عموم

قوله: «و أصحابک» فلا یشمل عمومه لمن لا یحبه صلّی اللّه علیه و آله من بعض صحابته صلّی اللّه علیه و آله ممن قام علی غصب الولایه و الخلافه، فتدبّر فلا یقال: إنه یستفاد منه العموم مع تقریره صلّی اللّه علیه و آله له علی أنه لو کان کذلک لخصص بالأدله القطعیه الداله علی لزوم بغض أولئک الصحابه الذین آذوه فی أخیه و وصیه و ابنته (صلی اللّه علیهم أجمعین) کما لا یخفی. ثم إن العشق کما تقدم هو الحب المفرط، و حیث إنه من صفات النفس، فلا یمدح أو یذم من حیث هو صفه، بل إنما یذم أو یمدح بلحاظ متعلقه، فإن کان هو اللّه تعالی و أولیاؤه فلا ریب فی مدحه و إلاّ فلا ریب فی ذمه، ثم إن العشق من حیث هو مع قطع النظر عن متعلقه من خصائص البشر، بل من کمالاته فمن لا عشق له لا إنسانیه له، فیمکن حینئذ أن یقال: إن العشق مطلقا ممدوح إلاّ إذا تعلّق بالمحرم، بل یمکن أن یقال: إن مذمه العشق المتعلق بالمحرم إنما هو لمتعلقه لا لنفس صفه العشق منه، فتأمل، و إلاّ فهو ممدوح مطلقا و جمیع أفعال الناس، بل و أفعال اللّه تعالی إنما هو بالمحبه بل بالعشق بالنسبه إلی بعضها، فتحصل أن العشق المتعلق بالمحرم کالمرأه المحرمه مثلا أو بأمر غیر اللّه تعالی بحیث یکون موجبا لاختلال الحواس و نزوع القلب إلی المعشوق، و بحیث یحصل له حاله ربّما یعبّر عنها بالمالیخولیا، فهو مذموم إن تعلق بغیر اللّه و غیر المحرم، و محرم إن تعلق بالمحرم کما لا یخفی.

و أما إذا تعلق به تعالى أو بأوليائه محمد و آله الطاهرين عليهم السّلام فهو ممدوح حسن، بل لا أحسن منه عند أولياء اللّه، هذا و إن أوجب العشق المتعلق به تعالى و بهم حاله أوجبت اختلال الحواس و نزوع القلب و انقطاعه عن محلّه، و اضطراب القلب و الجنون القلبى، أى الغفله عن غيره تعالى بحيث لا يشعر بغيره تعالى أبدا، بل هذه الحالات من أحسن الحالات و أحبّها عند أولياء اللّه تعالى، و ما ترى فى كلمات بعضهم من ذمّ العشق، فلعله إما لعدم درك الواقع منه، أو للاشتباه بين مصاديقه، و عدم التمييز بين الممدوح منه من المذموم، فتأمل تعرف و الحمد للّه وحده و صلى اللّه على محمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: و الدرجات الرفيعه، و المقام المحمود، و المكان المعلوم عند اللّه عز و جل، و الجاه العظيم، و الشأن الكبير، و الشفاعه المقبوله.

اشاره

أقول:

و الدرجات الرفيعه بعضها باعتبار القرب إلى اللّه تعالى، و بعضها باعتبار ما منحهم اللّه تعالى ما لم يؤت أحدا غيرهم من العالمين.

أما الأول:

ففى تفسير نور الثقلين (۱)عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده عن ابن سنان قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أول من سبق (الى) رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ذلك أنه أقرب الخلق إلى اللّه تعالى، و كان بالمكان الذى قال جبرئيل لما أسرى به إلى السماء تقدم: يا محمد فقد وطئت موطئا لم يطأه ملك مقرب و لا نبى مرسل، و لو لا أن روحه و نفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، و كان من اللّه عز و جل كما قال عز و جل: قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ » أى بل أدنى. أقول: قوله إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الظاهر أن إلى زايده، و الصحيح و اللّه العالم أول من سبق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ذلك أنه. . إلخ، فصدر الجمله مساوق لما ورد من أنه صلّى اللّه عليه و آله

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۱۴۸.

و الأئمه عليهم السّلام السابقون السابقون.

و فيه عن أمالى شيخ الطائفه قدّس سرّه بإسناده إلى ابن عباس، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «لما عرج بى فى السماء دنوت من ربى عز و جل حتى كان بينى و بينه قاب قوسين أو أدنى، فقال لى: يا محمد من تحبّ من الخلق؟ قلت: يا ربّ عليّا، قال: التفت يا محمد، فالتفت عن يسارى، فإذا على بن أبى طالب عليه السّلام» .

و فيه، عنه: «فأوحى إلى عبده ما أوحى» ، قال: وحى مشافهه. أقول: و أمثالها أحاديث كثيره ففيها بيّن عليه السّلام قربه صلّى اللّه عليه و آله منه تعالى، و أشير إليه تاره

بقوله: فقد وطئت موطئا لم يطأه أحد. . إلخ، فعلم أنه لم يكن هذا القرب لأحد غيره صلّى اللّه عليه و آله و أخرى

لقوله صلّى اللّه عليه و آله: كان بينى و بينه قاب قوسين. .

ففيه عن أصول الكافى فى حديث عن أبى بصير. . إلى أن قال: فقال له أبو بصير: جعلت فداك ما قاب قوسين أو أدنى؟ قال: «ما بين سيتها إلى رأسها» .

و فى حديث عن المجمع عنه صلّى اللّه عليه و آله قال فى تفسيره: «قدر ذراعين أو أدنى من ذراعين» . فهذا التقدير لبيان القرب منه تعالى و ثالثه

بقوله «وحى مشافهه» فقوله عليه السّلام: «مشافهه» بيان شده القرب، كما يكون بين المتشافهين، هذا بحسب الظاهر، و أما الواقع فلا يعلم أحد غيرهم كيفيّته. و قد تقدم

قول السجاد عليه السّلام: ليس بين اللّه و بين حجته ستر و لا دونه حجاب، و تقدم أنهم

قول السجاد عليه السّلام: ليس بين اللّه و بين حجته ستر و لا دونه حجاب، و تقدم أنهم لهم مقام العنديه، فكل هذا بيان لقربهم عنده تعالى. و أما ما يقال: إن هذه كلها لرسوله صلّى اللّه عليه و آله دون الأئمه عليهم السّلام و هذه الجمله أى و الدرجات الرفيعه أى لكم ظاهره فى أنها لهم، فلا يثبت ما هو له صلّى اللّه عليه و آله لهم عليهم السّلام قلت: أولا قد علمت

قوله تعالى : «من تحبّ من الخلق قلت يا رب عليا» قال: «التفت يا محمد فألتفت عن يسارى، فإذا على بن أبى طالب عليه السّلام فيدل على أنه عليه السّلام كان معه صلّى اللّه عليه و آله فى كل مكان كان فيه» .

و فیه عن الکنز بإسناده عن حمران قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل فی کتابه: ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰی. فَکٰانَ قٰابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنیٰ (۱). فقال: «أدنی اللّه محمدا منه، فلم یکن بینه و بینه إلاّ قنص لؤلؤ، فیه فراش یتلألأ فأری صوره فقیل له: یا محمد أ تعرف هذه الصوره؟ فقال: نعم، هذه صوره علی بن أبی طالب، فأوحی اللّه إلیه أن زوّجه فاطمه و اتّخذه وصیّا» . و کیف کان فالأخبار الکثیره داله علی أنهم علیهم السّلام کالنبی صلّی اللّه علیه و آله فی جمیع الأمور و الأحوال سوی النبوه.

ففی دعاء السحر لیله الجمعه:

«و أشهد أنهم فی علم اللّه و طاعته» کمحمد صلّی اللّه علیه و آله.

و فی خطبه لأمیر المؤمنین علیه السّلام خطبها یوم الغدیر و الجمعه و قد تقدمت، فمنها علاّهم بتعلیته و سما بهم إلی رتبته (الدعاء) فعلم منه أنهم علیهم السّلام کمحمد صلّی اللّه علیه و آله فی جمیع المقامات العالیه و المراتب السامیه، و قد تقدم شرحه.

و فی بصائر الدرجات (۲)بإسناده عن أبی الصامت الحلوائی، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «فضّل أمیر المؤمنین علیه السّلام ما جاء أخذ به، و ما نهی عنه، انتهی عنه و جری له من الطاعه بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مثل الذی جری لرسول اللّه، و الفضل لمحمد صلّی اللّه علیه و آله المتقدم بین یدیه کالمتقدم بین یدی اللّه و رسوله و المتفضّل علیه کالمتفضّل علی اللّه و علی رسوله صلّی اللّه علیه و آله و المتفضّل علیه فی صغیره أو کبیره علی حدّ الشرک باللّه، فإن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله باب اللّه الذی لا یؤتی إلاّ منه، و سبیله الذی من سلکه وصل إلی اللّه، و کذلک أمیر المؤمنین علیه السّلام من بعده و جری فی الأئمه واحدا بعد واحد، جعلهم اللّه أرکان الأرض أن تمید بأهلها و عهد الإسلام و رابطه علی سبیل هداه، و لا یهتدی هاد إلاّ بهداهم، و لا یضلّ خارج من هدی إلاّ بتقصیر عن حقّهم، لأنهم أمناء اللّه علی ما هبط من علم أو عذر أو نذر، و الحجه البالغه علی ما فی الأرض، یجری

۱- ۱) النجم:۸-۹.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۱۹۹.

لآخرهم من اللّه مثل الذی جری لأولهم، و لا یصل أحد إلی شیء من ذلک إلّا بعون اللّه» .

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أنا قسیم الجنه و النار، لا یدخلها داخل إلّا علی أحد قسمین، و أنا الفاروق الأکبر، و أنا الإمام لمن بعدی، و المؤدی عمّن کان قبلی، و لا یتقدمنی أحد إلّا أحمد صلّی اللّه علیه و آله و إنی و إیاه لعلی سبیل واحد، إلّا أنه هو المدعوّ باسمه، و لقد أعطیت الست: علم المنایا و البلایا و الوصایا و الأنصاب و فصل الخطاب. . و إنی لصاحب الکرّات، و دوله الدول، و إنی لصاحب العصا و المیسم و الدابه التی تکلم الناس» . أقول: و مثله أحادیث أخر مع زیادات، و إنما ذکرته بطوله لما فیه من بعض مقاماته علیه السّلام و قد علم أنهم علیهم السّلام کرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلّا النبوه، و أحسن کلام یدل علی قربهم منه تعالی ما

فی دعاء رجب من قوله علیه السّلام:

«فجعلتهم معادن لکلماتک، و أرکانا لتوحیدک و آیاتک و مقاماتک، التی لا تعطیل لها فی کل مکان، یعرفک بها من عرفک، لا فرق بینک و بینها إلّا أنهم عبادک و خلقک، فتقها و رتقها بیدک بدؤها منک و عودها إلیک أعضاد و أشهاد و مناه و أذواد و حفظه و روّاد، فبهم ملأت سماءک و أرضک حتی ظهر أن لا إله إلّا أنت» (الدعاء) .

و فی تفسیر نور الثقلین، عن أصول الکافی بإسناده، عن عبد الرحمن بن کثیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:

وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ اِتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّیَّتُهُمْ بِإِیمٰانٍ أَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ مٰا أَلَتْنٰاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَیْءٍ

(۱)

، قال: «الذین آمنوا، النبی صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السّلام و ذریته الأئمه و الأوصیاء علیهم السّلام، ألحقنا بهم، و لم تنقص ذریتهم الحجه التی جاء بهم محمد صلّی اللّه علیه و آله فی علی علیه السّلام و حجتهم واحده و طاعتهم واحده» .

و قوله علیه السّلام: «و حجتهم واحده و طاعتهم واحده» صریح فیما قلنا، فمعنی حجتهم

۱- ۱) الطور:۲۱.

واحده أنه تعالى أعطى للأئمه عليهم السّلام من الحجه ما أعطاها للنبى صلّى اللّه عليه و آله فهم فيها شركاء و هم فيها سواء، و قد دلت على لزوم طاعتهم

و لذا قال عليه السّلام: «و طاعتهم واحده» . و الحاصل أن ما هو حجه للنبى فيما يدعيه و ما يعمله هو الحجه لهم عليهم السّلام و لذا كانت طاعتهم واحده كما لا يخفى. و كيف كان فالمقام ثابت له صلّى اللّه عليه و آله أولا ثم لهم عليهم السّلام بإذنه تعالى و إذنه صلّى اللّه عليه و آله كما هو ظاهر من الأحاديث الكثيره الوارده فى الباب.

و أما الثانى: أعنى الدرجات باعتبار ما منحهم اللّه تعالى،

فهو المشار إليه

[۹۱]بقوله عليه السّلام:

«و المقام المحمود»

و هذا قد يفسر بمقام الشفاعه أو الوسيله، و هى أى الوسيله فسرت فى اللغه تاره بالقربه، و فى المجمع: و سلت إلى اللّه تعالى بالعمل من باب وعد: رغبت إليه و تقربت، و منه اشتقاق الوسيله و هى ما يتقرّب به إلى الشىء. و الواسل: الراغب إلى اللّه تعالى. و فى المحكى عن القاموس الوسيله و الواسله و الوساله-المنزله عند اللّه الملك و الدرجه و القربه،

و عن النهايه فى حديث الأذان

«اللهم آت محمدا الوسيله»

هى فى الأصل ما يتوصل به إلى الشىء و يتقرّب به. . إلى أن قال و المراد به فى الحديث القرب من اللّه تعالى، و قيل هى: الشفاعه يوم القيامه، و قيل هى: منزله من منازل الجنه، و كيف كان فقد يفسر المقام المحمود بالوسيله.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)عن العلل بإسناده إلى أبى سعيد الخدرى قال: كان النبى صلّى اللّه عليه و آله يقول: «إذا سألتم اللّه لى فاسألوه الوسيله، فسألنا النبى صلّى اللّه عليه و آله عن الوسيله، فقال: هى درجتى فى الجنه و هى ألف مرقاه» إلى آخر ما يأتى عن معانى الأخبار. أقول: الأحاديث الوارده فى بيان الوسيله كثيره، و هى مختلفه الألفاظ متقاربه المعنى.

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۱ ص ۵۲۰.

و فی البحار (۱)عن تفسیر فرات الحسین بن سعید معنعنا عن جعفر عن أبیه عن آبائه علیهم السّلام قال: قال النبی صلّی اللّه علیه و آله «إن اللّه تبارک و تعالی إذا جمع الناس یوم القیامه، و عدنی المقام المحمود و هو واف لی به. . إلی أن قال: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک اللّه» (الحدیث) .

و فی معانی الأخبار (۲)بإسناده عن أبی سعید الخدری، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إذا سألتم اللّه لی فسلوه الوسیله، فسألنا النبی صلّی اللّه علیه و آله عن الوسیله، فقال: هی درجتی فی الجنه و هی ألف مرقاه ما بین المرقاه إلی المرقاه حضر الفرس الجواد شهرا، و هی ما بین مرقاه جوهر إلی مرقاه زبرجد إلی مرقاه یاقوت إلی مرقاه ذهب إلی مرقاه فضّه، فیؤتی بها یوم القیامه حتی تنصب مع درجه النبیین، فهی فی درجه النبیین کالقمر بین الکواکب، فلا یبقی یومئذ نبی و لا صدیق و لا شهید إلاّ قال: طوبی لمن کانت هذه الدرجه درجته! فیأتی النداء من عند اللّه عز و جل یسمع النبیین و جمیع الخلق، هذه درجه محمد، فأقبل أنا یومئذ متّزرا بریطه من نور علیّ تاج الملک و اکلیل الکرامه، و علی بن أبی طالب أمامی و بیده لوائی و هو لواء الحمد مکتوب علیه: لا إله إلاّ اللّه، المفلحون هم الفائزون باللّه، فإذا مررنا بالنبیین قالوا: هذان ملکان مقرّبان لم نعرفهما و لم نرهما، و إذا مررنا بالملائکه قالوا: نبیان مرسلان، حتی أعلو الدرجات، و علی یتبعنی حتی إذا صرت فی أعلی درجه منها و علی أسفل منی بدرجه، فلا یبقی یومئذ نبی و لا صدیق و لا شهید إلاّ قال: طوبی لهذین العبدین ما أکرمهما علی اللّه تعالی! فیأتی النداء من قبل اللّه عز و جل یسمع النبیین و الصدیقین و الشهداء و المؤمنین: هذا حبیبی محمد و هذا ولیی علی طوبی طوبی لمن أحبّه! و ویل لمن أبغضه و کذب علیه! فلا یبقی یومئذ أحد أحبّک یا علی إلاّ استروح إلی هذا الکلام و ابیّض وجهه، و فرح قلبه، و لا یبقی أحد ممن عاداک، أو نصب لک حربا، أو

۱- ۱) البحار ج ۷ ص ۳۳۵.

۲- ۲) معانی الأخبار ص ۱۱۶.

جحد لک حقّا إلاّ اسودّ وجهه، و اضطربت قدماه، فبینا أنا کذلک إذ ملکان قد أقبلا إلیّ أما أحدهما فرضوان خازن الجنه، و أما الآخر فمالک خازن النار، فیدنو رضوان و یقول: السلام علیک یا أحمد، فأقول: علیک السلام أیها الملک من أنت؟ فما أحسن وجهک و أطیب ریحک! فیقول: أنا رضوان خازن الجنه، و هذه مفاتیح الجنه بعث بها إلیک ربّ العزّه فخذها یا أحمد. فأقول: قد قبلت ذلک من ربی، فله الحمد علی ما فضّلنی به-ربی-أدفعها إلی أخی علی بن أبی طالب، فیدفع إلی علی ثم یرجع رضوان فیدنو مالک، فیقول: السلام علیک یا أحمد، فأقول: علیک السلام أیها الملک فما أقبح وجهک و أنکر رؤیتک! من أنت؟ فیقول: أنا مالک خازن النار، و هذه مقالید النار بعث بها إلیک ربّ العزّه فخذها یا أحمد. فأقول: قد قبلت ذلک من ربی، فله الحمد علی ما فضلنی به، أدفعها إلی أخی علی بن أبی طالب، فیدفعها إلیه، ثم یرجع مالک، فیقبل علی و معه مفاتیح الجنه و مقالید النار، حتی یقف بحجزه جهنم، و قد تطایر شررها، و علا زفیرها، و اشتدّ حرّها، و علی آخذ بزمامها، فتقول له جهنم: جزنی یا علی، فقد أطفأ نورک لهبی، فیقول لها علی: قرّی یا جهنم، خذی هذا، و اترکی هذا، خذی عدوی، و اترکی ولیی. فلجهنم یومئذ أشدّ مطاوعه لعلی من غلام أحدکم لصاحبه، فإن شاء یذهبها یمنه، و إن شاء یذهبها یسره، و لجهنم یومئذ أشدّ مطاوعه لعلی فیما یأمرها به من جمیع الخلائق» . أقول: قد علمت أن المقام المحمود فسّر بالوسیله کما عن تفسیر الفرات، و معنی کونه مقاما محمودا أن کل من رآه حمده، و فیه شأنیّه أن یحمد حیث إنه مقام القرب إلیه تعالی، و مقام ظهور لطفه تعالی علی أولیائه، و قهره علی أعدائه، و مقام یحتاج إلیه کل مؤمن و مؤمنه، و مقام فیه الشفاعه، و لذا فسر المقام المحمود بالشفاعه و علمت أن المقام المحمود هو مقام الوسیله، و هذا مقام النبی صلّی اللّه علیه و آله فی الجنه.

ص :۴۷۳

و فی تفسیر نور الثقلین (۱)عن کتاب التوحید عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حدیث یقول فیه علیه السّلام و قد ذکر أهل المحشر: ثم یجتمعون فی موطن آخر یکون فیه مقام محمد صلّی اللّه علیه و آله و هو المقام المحمود، فیثنی علی اللّه تبارک و تعالی بما لم یثن علیه أحد قبله، ثم یثنی علی کل مؤمن و مؤمنه یبدأ بالصدیقین و الشهداء، ثم بالصالحین، فتحمده أهل السموات و أهل الأرض، فذلک قوله عز و جل: عَسیٰ أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً (۲)«فطوبی لمن کان فی ذلک الیوم له حظّ و نصیب! و ویل لمن لم یکن له فی ذلک الیوم حظّ و لا نصیب!» . أقول: فهذا الحدیث فسر المقام المحمود بأن یحمده أهل السموات و أهل الأرض أی الملائکه و البشر. و قد یفسر المقام المحمود کما علمت بالشفاعه،

ففی تفسیر نور الثقلین، عن تفسیر علی بن إبراهیم، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لو قد قمت المقام المحمود لشفعت فی أبی و أمّی و عمّی و أخ کان لی فی الجاهلیه» . أقول: المراد من عمّه علیه السّلام هو أبو طالب علیه السّلام.

و فیه عن الاحتجاج للطبرسی رحمه اللّه روی عن موسی بن جعفر، عن أبیه عن آبائه، عن الحسین بن علی قال: قال علی علیه السّلام: «قد ذکر مناقب الرسول صلّی اللّه علیه و آله و وعده المقام المحمود، فإذا کان یوم القیامه أقعده اللّه تعالی علی العرش» ، الحدیث.

و فیه عن أمالی شیخ الطائفه قدّس سرّه بإسناده قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: سمعت النبی صلّی اللّه علیه و آله یقول: «إذا حشر الناس یوم القیامه نادی مناد: یا رسول اللّه، إن اللّه جل اسمه قد أمکنک من مجازاه محبیک، و محبی أهل بیتک الموالین لهم فیک، و المعادین لهم فیک، فکافئهم بما شئت، فأقول: یا ربّ الجنه، فأنادی: فولّهم منها حیث شئت، فذلک المقام المحمود الذی وعدت به» .

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۲۰۶.

۲- ۲) الإسراء:۷۹.

و فیه، عنه بإسناده إلی أنس بن مالک، قال: رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مقبلا علی علی بن أبی طالب (صلوات اللّه علیه) و هو یتلو هذه الآیه: وَ مِنَ اَللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَکَ عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً (۱)فقال: «یا علی إن ربی عز و جل ملکنی بالشفاعه فی أهل التوحید من امّتی، و حظر ذلک عمن ناصبک أو ناصب ولدک من بعدک» .

و فیه عن روضه الواعظین، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إذا قمت المقام المحمود تشفعّت فی أصحاب الکبائر من أمتی فشفعنی اللّه فیهم، و اللّه لا تشفعّت فیمن أذی ذریتی» .

و فیها أیضا، قال اللّه تعالی: عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «المقام الذی أشفع فیه لأمتی» .

و من الدرجات الرفیعه التی لهم علیهم السّلام باعتبار ما منحهم اللّه تعالی ما أشیر إلیه بقوله و المقام المعلوم و فی بعض النسخ و المکان المعلوم.

اشاره

قد یقال: إن المقام و المکان بفتح المیم واحد، فإن المقام موضع الإقامه و هو معنی المکان. أقول: المقام و المکان فی هذه الجمل معناها واحد، إلاّ أنه قد اتصف الأول بالمحمود، لما علمت من أنه یحمده من رآه، و فی الثانی سواء کان فیه لفظ المقام أو المکان یراد منه المحل، الذی أحلّهم اللّه تعالی فیه فی الدارین، و من المراتب الإلهیه، التی رتبهم اللّه تعالی فیها، و اتصافه بالمعلوم أی أنه معلوم لکل واحد بتوصیف اللّه تعالی إیاه لهم، و بتوصیف النبی صلّی اللّه علیه و آله إیاه لهم،

و هذا المقام أو المکان المعلوم علی أقسام:

منها: أن الکلمات المعنویه التی هی للأولیاء

و قد عبّر عنها القرآن تاره بالموقن و الإیقان به تعالی، و بوحدانیته و بالصفات الإلهیه و سائرها و المعارف الإلهیه تکون لها مراتب بحسب الواقع فی الشده و الضعف و الأکملیه و الکمال و الأئمه علیهم السّلام فی

۱- ۱) الإسراء:۷۹.

أحسن مصاديقها فهم المصداق الأتم و الأكمل لها، و هذه هى الدرجه الرفيعه التى تكون لها.

قال عليه السّلام فى الخطبه التى ذكرها لصفات العالم الربانى كما فى النهج تحت رقم ۸۷ ففيها فى حق الأئمه عليهم السّلام: «فانزلوهم بأحسن منازل القرآن و ردوهم ورود الهيم العطاش» . فإن الظاهر أن المراد من أحسن منازل القرآن هو أن للقرآن منازل باعتبار الكمالات التى ذكرها، و لها مراتب فهم عليهم السّلام نازلون بأحسن منازلها أى هم أحسن مصاديقها كما لا يخفى. و قد تقدم فى بيان قوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ (۱)أنه عليه السّلام أشار إلى صدره أى فى صدورنا. و من الدرجات ما

فى الحديث المروى فى بصائر الدرجات (۲)بإسناده عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبى جعفر عليه السّلام فأنشأ يقول «ابتدأ من غير أن يسأل، نحن حجه اللّه، و نحن باب اللّه، و نحن لسان اللّه، و نحن وجه اللّه، و نحن عين اللّه فى خلقه، و نحن ولاه أمر اللّه فى عباده» .

و فى حديث عنه عليه السّلام و فى ذيله «و بنا عبد اللّه، و لولانا ما عرف اللّه» .

و فيه عن عبد اللّه بن أبى يعفور قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام «يا بن أبى يعفور إن اللّه تبارك و تعالى واحد متوحد بالوحدانيه متفرد بأمره، فخلق خلقا ففردهم لذلك الأمر، فنحن هم يا بن أبى يعفور، فنحن حجج اللّه فى عباده، و شهداؤه فى خلقه و أمناؤه، و خزّانه على علمه، و الداعون إلى سبيله، و القائمون بذلك، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه» .

۱- ۱) العنكبوت:۴۹.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۶۱.

و فيه (۱)عن علی بن جعفر عن أخيه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن اللّه خلقنا فأحسن خلقنا، و صوّرنا فأحسن صورنا، فجعلنا خزانه فی سمواته و أرضه، و لولانا ما عرف اللّه» .

و فيه عن سدير عن أبی جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: «نحن خزّان اللّه فی الدنيا و الآخره و شيعتنا خزّاننا، و لولانا ما عرف اللّه» . أقول: و هذه درجه لا يشاركهم فيها أحد، و هی أنه تعالی فرّدهم لأمره المتفرد به.

و منها:

ما فيه (۲)عن هارون بن خارجه قال: قال لی أبو الحسن عليه السّلام: «نحن المثانی التی أوتيها رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و نحن وجه اللّه نتقلب بين أظهركم، فمن عرفنا عرفنا، و من لم يعرفنا فأمامه اليقين» ، أی سيعلم ذلک بعد ما يطرح عنه الحجاب عند الموت.

و منها:

ما فيه (۳)عن حذيفه بن أسيد الغفّار قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله «ما تكاملت النبوه لنبی فی الأظله حتی عرضت عليه ولايتی و ولايه أهل بيتی و مثّلوا له فأقروا بطاعتهم و ولايتهم» . أقول: قد دلت أحاديث كثيره فيه علی أنه ما أرسل اللّه رسولا إلاّ و قد اشترط عليه الإقرار بولايتهم، و قد تقدم بعضها، و منها أن ولايتهم من أعظم نعم اللّه تعالی.

ففيه (۴)عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: تلا علينا أبو عبد اللّه عليه السّلام هذه الآيه: فَاذْكُرُوا آلاٰءَ اَللّٰهِ (۵)قال: «أ تدری ما آلاء اللّه؟ قلت: لا، قال: هی أعظم نعم اللّه علی خلقه، و هو ولايتنا» .

ص: ۴۷۷

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۰۵.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۶۶.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۷۳.

۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۸۱.

۵- ۵) الأعراف:۷۴.

و منها: أن الملائكه تتنزّل عليهم.

ففيه (۱)بإسناده عن أبی حمزه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن الملائکه لتزاحمنا و إنا لنأخذ من زغبهم فنجعله سخابا لأولادنا» .

و فیه، عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عز و جل: إِنَّ اَلَّذِینَ قالُوا رَبُّنَا اَللّهُ ثُمَّ اِسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ اَلْمَلائِکَهُ أَلاّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ اَلَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ (۲)قال: «یا أبا محمد هم الأئمه من آل محمد، فقلت له: تتنزّل علیهم الملائکه عند الموت بالبشری ألا تخافوا و لا تحزنوا، و هی و اللّه تجری فیمن استقام من شیعتنا و سکت لأمرنا و کتم حدیثنا، و لم یوزّعه (و لم یذعه) عند عدونا» .

و فیه، عن أبی بکیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «إن الملائکه لتتنزّل علینا فی رحالنا، و تتقلب علی فرشنا، و تحضر موائدنا، و تأتینا من کلّ نبات فی زمانه رطب و یابس و تقلّب علینا أجنحتها و تقلب أجنحتها علی صبیاننا، و تمنع الدواب أن تصل إلینا، و تأتینا فی وقت کل صلوه لتصلّیها معنا، و ما من یوم یأتی علینا و لا لیل إلاّ و أخبار الأرض عندنا و ما یحدث فیها و ما من ملک یموت فی أرض و یقوم غیره إلاّ و تأتینا بخبره و کیف کان سیرته فی الدنیا» .

و فیه، عن علی بن أبی حمزه عن أبی الحسن موسی بن جعفر علیه السّلام قال: سمعته یقول «ما من ملک یهبطه اللّه فی أمر إلاّ بدأ بالإمام، فعرض ذلک علیه، و إن مختلف الملائکه من عند اللّه تبارک و تعالی إلی صاحب هذا الأمر» .

و فیه، عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام بعد قتل عثمان حین ناشد القوم: «نشدتکم اللّه هل فیکم أحد سلّم علیه جبرئیل و میکائیل و إسرافیل فی ثلاثه آلاف من الملائکه یوم بدر غیری؟ قالوا: اللهم لا» .

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۹۳.

۲- ۲) فصّلت:۳۰.

و منها: أن الجن يأتونهم ليخدموهم أو ليسألوا عن معالم الدين.

ففيه (۱)عن أبى حمزه الثمالى قال: كنت استأذن على أبى جعفر عليه السّلام فقيل: عنده قوم أثبت قليلا حتى يخرجوا، فخرج قوم أنكرتهم و لم أعرفهم، ثم أذن لى فدخلت عليه فقلت: جعلت فداك هذا زمان بنى أميه و سيفهم يقطر دما، فقال لى: «يا أبا حمزه هؤلاء وفد شيعتنا من الجن جاءوا يسألوننا عن معالم دينهم» .

و فيه فى حديث عن سدير عنه عليه السّلام «يا سدير إنّ لنا خدما من الجن، فإذا أردنا السرعه بعثناهم» .

و منها: أنهم عليهم السّلام عرض عليهم ملكوت السموات و الأرض.

و فيه (۲)عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: هل رأى محمد صلّى اللّه عليه و آله ملكوت السموات و الأرض كما رأى إبراهيم؟ قال «نعم، و صاحبكم» .

و فيه بإسناده عن بريده قال: كنت جالسا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على معه إذ قال: «يا على أ لم أشهدك معى سبع مواطن حتى ذكر الموطن الرابع ليله الجمعه؟ أريت ملكوت السموات و الأرض رفعت لى حتى نظرت إلى ما فيها فاشتقت إليك، فدعوت اللّه فإذا أنت معى فلم أر من ذلك شيئا إلّا و قد رأيت؟» .

و منها: أنه لا يحجب عنهم عليهم السّلام علم السماء و الأرض و غير ذلك.

و فيه، عن أبى حمزه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «و اللّه لا يكون عالم جاهلا أبدا، عالم بشىء جاهل بشىء. ثم قال: اللّه أجل و أعزّ و أعظم و أكرم من أن يفرض طاعه عبد يحجب عنه علم سمائه و أرضه. ثم قال: لا يحجب ذلك عنه» .

و فيه، عن عبد الأعلى و عبيده بن بشير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام «ابتدأ منه و اللّه

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۹۶.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۱۰۷.

إنی لأعلم ما فی السموات و ما فی الأرض و ما فی الجنه، و ما فی النار و ما کان و ما یکون إلی أن تقوم الساعه» . ثم قال: اعلمه من کتاب انظر إلیه هکذا ثم بسط کفیّه، ثم قال: إن اللّه یقول: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ اَلْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ .

و فیه، باب الفرق بین الأنبیاء و الرسل بإسناده عن عبد اللّه بن سنان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «علم النبوه یدرج فی جوارح الإمام» ، و هم علیهم السّلام محدثون.

ففیه فی ذلک الباب بإسناده عن زراره قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام من الرسول من النبی من المحدّث؟ قال: «الرسول صلّی اللّه علیه و آله یأتیه جبرئیل فیکلمه قبلا فیراه کما یری الرجل صاحبه الذی یکلمه فهذا الرسول. و النبی الذی یؤتی فی منامه نحو رؤیا إبراهیم، و نحو ما کان یأتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من السبات إذ أتاه جبرئیل، هکذا النبی. . إلی أن یقال علیه السّلام «فأما المحدث فهو الذی یسمع و لا یعاین و لا یؤتی فی المنام» .

ففیه، فی ذلک الباب بإسناده عن أبی الحسن الرضا علیه السّلام قال: کان أبو جعفر محدّثا،

و بهذا الإسناد، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام «کان الحسن و الحسین علیهما السّلام محدثین» .

و فیه، عن سلیم الشامی أنه سمع علیا علیه السّلام یقول: «إنی و أوصیائی من ولدی مهدیون کلّنا محدثون، فقلت: یا أمیر المؤمنین من هم؟ قال: الحسن و الحسین ثم ابنی علی بن الحسین علیه السّلام قال: و علی یومئذ رضیع ثم ثمانیه من بعده واحد بعد واحد، و هم الذین أقسم اللّه بهم: وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ (۱)أما الوالد فرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ما ولد یعنی هؤلاء الأوصیاء، قلت: یا أمیر المؤمنین یجمع إمامان؟ قال: لا، إلاّ و أحدهما مصمّت لا ینطق حتی یمضی الأول. قال سلیم الشامی: سألت محمد بن أبی بکیر، قلت: کان علی محدّثا، قال: نعم،

۱- ۱) البلد:۳.

قلت: و هل يحدث الملائكه إلّا الأنبياء؟ قال: أ ما تقرأ: و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبی (و لا محدّث) ؟ قلت: «فأمير المؤمنين محدّث؟ قال: نعم و فاطمه كانت محدّثه و لم تكن نبيّه» . أقول: قال المجلسی: و لا محدث ليس فی القرآن، و كان فی مصحفهم عليهم السّلام. أقول: و يعلم من عدم إنكار حكم ابن عيينه علی علی بن الحسين عليه السّلام حيث قرأ عليه السّلام و لا محدث أن هذه القراءه كانت مشهوره و هو كان عالما به و قيل: إن قتاده كان يقرئها هكذا و بحثه موكول إلی محله.

و منها: أنهم يزاد عليهم فی ليله الجمعه بعلم مستفاد.

و فيه (۱)بإسناده عن المفضل قال: قال لی أبو عبد اللّه عليه السّلام ذات يوم، و كان لا يكنينی قبل ذلك «يا أبا عبد اللّه، فقلت: لبيك جعلت فداك قال: إن لنا فی كل ليله جمعه سرورا، قلت: زادك اللّه و ما ذاك؟ قال: إنه إذا كان ليله الجمعه وافی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله العرش و وافی الأئمه معه و وافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلی أبداننا إلّا بعلم مستفاد، و لو لا ذلك لنفد ما عندنا» . و مثله أحاديث كثيره.

و منها: أنهم عليهم السّلام عندهم أسماء أهل الجنه و النار.

و فيه بإسناده عن عبد الصمد بن بشير عن أبی جعفر عليه السّلام قال: «انتهی النبی صلّی اللّه عليه و آله إلی السماء السابعه، و انتهی إلی سدره المنتهی، قال: فقالت السدره: ما جاوزنی مخلوق قبلك ثم دَنا فَتَدَلّی. فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنی. فَأَوْحی. . ، قال: فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين و كتاب أصحاب الشمال، فأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه و فتحه و نظر فيه، فإذا فيه أسماء أهل الجنه و أسماء آبائهم و قبايلهم. قال: و فتح كتاب أصحاب الشمال و نظر، فإذا هی أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم، ثم نزل و معه الصحيفتان فدفعهما إلی علی بن أبی طالب عليه السّلام» .

و منها: أنهم عليهم السّلام جری لهم ما جری لرسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله

و قد تقدم آنفا، عن أبی

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۱۳۰.

الصامت الحلوانی ما فيه بيانه فراجعه.

و منها: أن القرآن حقيقته فی صدورهم.

ففيه (۱)بإسناده عن هارون بن حمزه عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول:

بَلْ هُوَ آيٰاتٌ بَيِّنٰاتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ

(۲)

قال: «هی الأئمه خاصه» ، و مثله أحاديث أخر.

و منها: أنه عندهم عليهم السّلام الاسم الأعظم.

ففيه (۳)بإسناده عن جابر عن أبی جعفر عليه السّلام قال: «إن اسم اللّه الأعظم على ثلاثه و سبعين حرفا، و إنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفه عين، و عندنا نحن من الاسم اثنان و سبعون حرفا و حرف عند اللّه، استأثر به فی علم الغيب عنده، و لا حول و لا قوه إلّا باللّه العلی العظيم» .

و فی ذيل الحديث: «و احتجب حرفا لئلّا يعلم ما فی نفسه و يعلم ما فی نفس العباد» .

و منها: أنهم عليهم السّلام يعلمون الضمائر كلها.

ففيه (۴)بإسناده عن أبی حمزه الثمالی، عن علی بن الحسين عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك الأئمه يعلمون ما يضمر؟ فقال: «علمت و اللّه ما علمت الأنبياء و الرسل. ثم قال: أزيدك؟ قلت: نعم، قال: و تزاد ما لم تزد الأنبياء» .

و منها: أنهم عليهم السّلام يحيون الموتى و يبرئون الأكمه و الأبرص بإذن اللّه.

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۰۵.

۲- ۲) العنكبوت:۴۹.

۳- ۳) بصائر الدرجات ص ۲۰۸.

۴- ۴) بصائر الدرجات ص ۲۴۲.

ففیه (۱)بإسناده عن أبی حمزه الثمالی، عن علی بن الحسین علیه السّلام قال: قلت له: أسألک جعلت فداک فی ثلاث خصال أ نفی عنی فیه التقیه؟ قال: فقال: «ذلک لک، قلت: أسألک عن فلان و فلان، قال: فعلیهما لعنه اللّه بلعناته کلها ماتا و اللّه و هما کافران مشرکان باللّه العظیم، ثم قلت: الأئمه یحیون الموتی و یبرئون الأکمه و الأبرص و یمشون علی الماء؟ قال: ما أعطی اللّه نبیّا قط إلاّ أعطاه محمدا صلّی اللّه علیه و آله و أعطاه ما لم یکن عندهم، قلت: و کل ما کان عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقد أعطاه أمیر المؤمنین علیه السّلام، قال: نعم، ثم الحسن و الحسین علیهما السّلام ثم من بعد کل إمام إماما إلی یوم القیامه مع الزیاده التی تحدث فی کل سنه و فی کل شهر. ثم قال: أی و اللّه فی کل ساعه: و کیف کان فقد منحهم اللّه القدره و التسلط علی الدنیا و الأشیاء کلها» .

ففی بصائر الدرجات فی باب القدره بإسناده عن الصادق علیه السّلام قال: سمعته یقول: «إن منا أهل البیت لمن الدنیا عنده بمثل هذه و عقد بیده عشره» .

و فیه عن سماعه بن مهران قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام «إن الدنیا تمثل للإمام فی فلقه الجوز، فما تعرض لشیء منها، و أنه لیتناولها من أطرافها کما یتناول أحدکم من فوق مائدته ما یشاء، فلا یعزب عنه منها شیء» . أقول: و تقدم أن أمیر المؤمنین یرکب السحاب و یرتقی فی الأسباب فراجعه، و مثله أحادیث اخر فیه مع ذکر مواردها فراجعه.

منها: أنهم علیهم السّلام قد علموا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حرفا یفتح منه ألف حرف و الألف حرف یفتح منها ألف حرف.

و فیه (۲)بإسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علم علیّا علیه السّلام ألف حرف، کل حرف یفتح ألف حرف و الألف الحرف یفتح کل حرف منها ألف

ص: ۴۸۳

۱- ۱) بصائر الدرجات ص ۲۶۹.

۲- ۲) بصائر الدرجات ص ۳۰۱.

حرف» . أقول: و مثله أحاديث أخر.

منها: أنهم عليهم السّلام أعطوا خزائن الأرض.

و فيه بإسناده عن إبراهيم بن موسى قال: ألحت-ألححت-على أبى الحسن الرضا فى شىء أطلبه منه و كان يعدنى، فخرج ذات يوم يستقبل والى المدينه، و كنت معه فجاء إلى قرب قصر فلان، فنزل فى موضع تحت شجرات، و نزلت معه أنا و ليس معنا ثالث، فقلت: جعلت فداك هذا العيد قد أظلنا، و لا و اللّه ما أملك درهما فيما سواه. فحك بسوطه الأرض حكّا شديدا، ثم ضرب بيده فتناول بيده سبيكه ذهب فقال «انتفع بها و اكتم ما رأيت» . أقول: و مثله أحاديث أخر.

و منها: أنهم عليهم السّلام يزاد عليهم.

و فيه باب ما تزاد الأئمه عليهم السّلام باب ۹ بإسناده عن زراره قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «لو لا نزاد لأنفدنا، قال: قلت: تزدادون شيئا لا يعلمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ قال: إذا كان ذلك عرض على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم على الأئمه عليهم السّلام ثم انتهى إلينا» .

و فيه، عن ذريح المحاربى قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام «يا ذريح لو لا إنّا نزاد لأنفدنا» . أقول: تقدم فى طى الشرح ما يدل على ذلك، و أن العلم ما يحدث ساعه بعد ساعه.

و فيه، عن هشام بن سالم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام كلاما سمعته من أبى الخطاب فقال: «أعرضه علىّ، قال: فقلت: يقول: إنكم تعلمون الحلال و الحرام، و فصل ما بين الناس. فلما أردت القيام أخذ بيدى، فقال عليه السّلام: يا محمد علم القرآن و الحلال و الحرام يسير فى جنب العلم الذى يحدث فى الليل و النهار» .

و منها: أنه تعالى ناجى عليا مرارا.

ففيه با ۱۶ بإسناده عن حمران بن أعين قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلت فداك بلغنى أن اللّه تبارك و تعالى قد ناجى عليا عليه السّلام قال: «أجل قد كان بينهما مناجاه بالطائف نزل بينهما جبرئيل» .

و فيه بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأهل الطائف: «لأبعثن إليكم رجلا كنفسى يفتح اللّه به الخيبر، سيف سوطه فيشرف الناس له، فلما أصبح و دعا عليا، فقال: اذهب بالطائف، ثم أمر اللّه النبى صلّى اللّه عليه و آله أن يرحل إليها بعد أن رحل على، فلما صار إليها كان على رأس الجبل، فقال له رسول اللّه: اثبت فسمعناه صرير الزجل (الرحى) ، فقال: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما هذا؟ قال: إن اللّه يناجى عليا» ، و مثله أحاديث أخر.

و منها: ما تقدم من أن الإمام عليه السّلام يرفع له عمود من نور يرى به كل بلد و أعمال العباد.

ففيه، عن أبى حمزه الثمالى قال: قال أبو جعفر عليه السّلام «إن الإمام ليسمع الكلام فى بطن أمّه، حتى إذا سقط على الأرض أتاه ملك، فيكتب على عضده الأيمن: وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِکَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ حتى إذا شبّ رفع اللّه له عمودا من نور يرى فيه الدنيا و ما فيها، لا يستر عنه منها شيء» .

و فى حديث آخر بعد الآيه المباركه: «فإذا شبّ رفع اللّه فى كل قريه عمودا من نور مقامه فى قريه و يعلم ما يعمل فى القريه الأخرى» .

و منها: أنهم عليهم السّلام مختصّون بروح القدس

كما تقدم.

ففيه، عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سألته عن علم العالم، فقال: «يا جابر إن فى الأنبياء و الأوصياء خمسه أرواح: روح القدس و روح الإيمان و روح الحيوه و روح القوه و روح الشهوه. فبروح القدس يا جابر علمنا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى. ثم قال: يا جابر إنّ هذه الأرواح يصيبها الحدثان إلاّ أن روح القدس لا يلهو

و لا يلعب» .

و منها: أنهم عليهم السّلام الحجه على من خلف المشرق و المغرب لا غيرهم.

ففيه باب ۱۴، بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن أبيه، عن على بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «إن للّه بلده خلف المغرب يقال لها جابلقا و فى جابلقا سبعون ألف أمه ليس منها أمه إلاّ مثل هذه الأمه، فما عصوا اللّه طرفه عين، فما يعملون عملا و لا يقولون قولا إلاّ الدعاء على الأولين و البراءه منهما و الولايه لأهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» .

و فيه، عن أبى سعيد الهمدانى قال: قال الحسن بن على عليه السّلام «إن للّه مدينه فى المشرق و مدينه فى المغرب، على كل واحد سور من حديد، فى كل سور سبعون ألف مصراع، يدخل من كل مصراع سبعون ألف لغه آدمى، ليس منها لغه إلاّ لغه تخالف الأخرى، و ما فيها لغه إلاّ و قد علمناها، و ما فيهما و ما بينهما ابن نبى غيرى و غير أخى و أنا الحجه عليهم» .

و فيه، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إن اللّه خلق جبلا محيطا بالدنيا من زبرجد خضر، و إنما خضره السماء من خضره ذلك الجبل، و خلق خلقا، و لم يفرض عليهم شيئا مما افترض على خلقه من صلوه و زكوه، و كلهم يلعن رجلين من هذه الأمه و سماها» .

و منها: أنهم عليهم السّلام قد ظهرت منهم أعاجيب،

بعضها فى العلم و بعضها فى إظهار ما هو مخفى، و بعضها فى القدره، و قد ذكر لها بابا فى البصائر، و تدل هذه الأعاجيب على أنهم لهم المقام الأعلى من بين الخلق، و أن لهم عليهم السّلام شأنا من الشأن، و نحن نذكر بعضها تيمنا:

ففيه، عن فضيل بن يسار، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إن على بن الحسين عليه السّلام أوتى بعسل فشربه، فقال: و اللّه إنى لأعلم من أين هذا العسل و أين أرضه و أنه ليمتار من قريه كذى و كذى» .

و فیه، عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إنی لأعرف من لو قام علی شطّ البحر لندب بدواب البحر بأمهاتها و عماتها و خالاتها» .

و فیه، عن سلیمان بن خالد، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: کان معه أبو عبد اللّه البلخی فی سفر فقال له: «انظر هل تری هاهنا جبّا؟ فنظر البلخی یمنه و یسره ثم انصرف، فقال: ما رأیت شیئا، قال: بلی انظر فعاد أیضا ثم رجع إلیه. ثم قال علیه السّلام بأعلی صوته: ألا یا أیها الجب الزاخر السامع المطیع لربه اسقنا مما جعل اللّه فیک، قال: فنبع منه أعذب ماء و أطیبه و أرقه و أحلاه، فقال له البلخی: جعلت فداک سنه فیکم کسنّه موسی» . أقول: و أمثالها أحادیث اخر جمعها فی مدینه المعاجز السید البحرانی (رضوان اللّه تعالی علیه) فمن شاء فلیراجعه. هذا بعض الکلام فی بیان المقام، أو المکان المعلوم عند اللّه، و هنا کلام و هو أن

قوله علیه السّلام

عند اللّه

حال للمقام أو المکان، أی أن هذا المقام أو المکان المعلوم لکم حال کونه عند اللّه، و حینئذ معنی کونه عند اللّه هو أنه تعالی أعدّه لهم لیوم القیامه، حیث علمت أنه المقام المحمود أی مقام الشفاعه أو الوسیله، أو أعده لهم فی الجنه إذ علمت أن المقام المحمود قد فسر بالوسیله، و هی قد فسرت بدرجته صلّی اللّه علیه و آله فی الجنه، أو یراد من العندیه المکانه و القرب منه تعالی، کما علمت أن الدرجات الرفیعه قد یراد منها معنی القرب إلیه تعالی، هذا علی أن یکون الحال حالا للدرجات أیضا، کما هو الظاهر من العباره ظاهرا. و قد یقال: إن عند اللّه منصوب بالمعلوم أی قوله المقام المعلوم، و معناه حینئذ إن ذلک المکان أو المقام معلوم عند اللّه أی معین فی علمه لمحمد و آله صلّی اللّه علیه و آله أو أن اللّه تعالی یعلمه کما هو هو، و لا یعلم قدر ذلک المقام أو المکان إلاّ اللّه، أو من أطلعه اللّه علیه من أحبائه و أولیائه. و لکن الظاهر أن المراد بالمعلوم المعلوم عند أولی العلم به من شیعتهم أو جمیع

الخلق، لظهوره بآثاره، فالخلق كلهم يعلمونه إما إجمالا أو تفصيلا حسب اختلاف معرفتهم بهم عليهم السّلام. و الحاصل: أن المقام المذكور المفسر بالمقام المحمود أو الوسيله أو الشفاعه هو معلوم لكل أحد، و سيأتى فى بيان معنى حموله الرب ما يوضح هذا فانتظر. و كيف كان فهذه المكانه و القرب هى أعلى المقامات لهم عليهم السّلام و أشرفها و أحبّها إليهم، و هو المعبر عنه بحموله الرب.

ففى بصائر الدرجات بإسناده عن المفضل بن عمر الجعفى، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «فضّل أمير المؤمنين ما جاء به (النبى) -على-أخذ به و ما نهى عنه انتهى عنه، جرى له من الفضل ما جرى لمحمد، و لمحمد الفضل على جميع من خلق اللّه، المتعقب عليه فى شىء من أحكامه كالمتعقب على اللّه و على رسوله، و الراد عليه فى صغيره أو كبيره على حدّ الشرك باللّه. كان أمير المؤمنين باب اللّه الذى لا يؤتى إلاّ منه، و سبيله الذى من سلك بغيره هلك، و كذلك جرى على الأئمه الهدى واحدا بعد واحد، جعلهم اللّه أركان الأرض أن تميد بأهلها، و الحجه البالغه من فوق الأرض و من تحت الثرى. و قال عليه السّلام: كان أمير المؤمنين كثيرا ما يقول: أنا قسيم اللّه بين الجنه و النار، و أنا الفاروق الأكبر، و أنا صاحب العصا و الميسم، و لقد أقرّت لى جميع الملائكه و الروح و الرسل بمثل ما أقرّوا لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و لقد حملت مثل حمولته، و هى حموله الرب تبارك و تعالى، و أن رسول اللّه يدعى فيكسى و يستنطق فينطق، ثم ادعى فاكسى فاستنطق فانطق على حدّ منطقه، و لقد أعطيت خصالا ما سبقنى إليه أحد قبلى علم المنايا و البلايا و الأنصاب و فصل الخطاب، فلم يفتنى ما سبقنى و ما يعزب عنّى ما غاب عنّى أنشر بإذن اللّه و أودّى عنه، كل ذلك مما مكّنى فيه بعلمه» . ثم إنه على تقدير تفسير المكان أو المقام بحموله الرب، فما المراد منها؟ فنقول:

قوله عليه السّلام «و لقد حملت مثل حمولته و هى حموله الرب تبارك و تعالى» ، الحمل

بالكسر ما يحمل على الظهر و نحوه، و جمعه حمول و أحمال. و الحموله بالفتح البعير يحمل عليه، و قد يطلق على غيره من الفرس و نحوه، و قد يراد من الحمل الكلّ أى الثقل و الثقل مثل العبء مهموزا وزنا و معنى، فيقال: إنما تحمل الكلّ على أهل الفضل، أى تحمل الأعباء و الأثقال على أهل القدره، و حينئذ لا يراد من الحمل الثقل المادى و الجسمى، بل ما هو ثقيل معنى كما هو أحد معنى

قوله صلّى اللّه عليه و آله: «إنى تارك فيكم الثقلين» . و حينئذ لا يبعد أن يراد من

قوله عليه السّلام و هى «حموله الرب» أى ما هو ثقيل معنى لا يحمله إلاّ أهل القدره المعنويه من الإيمان و التوحيد، و حينئذ نقول: قد يقال: إنّ المراد من حموله الرب إما بمعنى الحمل أى ما يحمل من الأمتعه، فتراد منها حينئذ ما حمّل عليه السّلام من أعباء الربوبيه، و هى الحقائق الإلهيه التى تجلى له صلّى اللّه عليه و آله بالوحى ثم حمّل هو عليه السّلام إياها فهى ثقيله جدا، كما دل عليه قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنٰا هٰذَا اَلْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اَللّٰهِ (1)الآيه. ضروره أنه ليس المراد منه نزول ألفاظه بل حقائقه كما حقق فى محله، فحينئذ دلّت هذه الحموله على اقتدار حاملها و هو نفسه الشريفه أولا النبى ثم الوصى ثم الأوصياء واحدا بعد واحد، كما علمت من معناه اللغوى حيث فسر الحمل بالثقل، الذى يحمل على أهل الفضل و أهل القدره. و إليه يشير قوله تعالى وَ حَمَلَهَا اَلْإِنْسٰانُ (2)حيث فسر بأمير المؤمنين عليه السّلام فالحموله حينئذ يراد منها ما يراد من الأمانه فى الآيه المباركه. ثم إن تلك الحموله و الأمانه و الحقائق الإلهيه لا يكاد يصل إليها فهم أحد، إذ فهمها مختصّ بهم عليهم السّلام

حيث قالوا «إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرب و لا نبى مرسل و لا مؤمن ممتحن» ، قلت: فمن يحتمله؟ قال: «نحن» .

۱- ۱) الحشر:۲۱.

۲- ۲) الأحزاب:۷۲.

و قد تقدم الحديث و شرحه عن أبی الصامت کما فی بصائر الدرجات. و یدل علی قولنا دلّت علی اقتدار حاملها

ما ورد فی الحدیث القدسی المعروف: «و وسعنی قلب عبدی المؤمن» فإن هذا الکلام بعد قوله تعالی: «لا تسعنی أرضی و لا سمائی» یدل علی عظمه قلب عبده المؤمن حیث وسعه تعالی أی وسع ظهوره تعالی بالرحمه و العظمه قلب عبده کما قال تعالی: اَلرَّحْمٰنُ عَلَی اَلْعَرْشِ اِسْتَویٰ (۱)و لذا فسر العرش بقلب المؤمن أیضا فقلوبهم علیهم السّلام موارد إرادته و مشیّته تعالی.

ففی بصائر الدرجات بإسناده عن غیر واحد من أصحابنا قال: خرج عن أبی الحسن الثالث أنه قال: «إن اللّه جعل قلوب الأئمه موردا لإرادته، فإذا شاء اللّه شیئا شاءوه و هو قول اللّه: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ (۲)»

و ورد أیضا ما معناه «إن قلوبنا أوعیه لمشیه اللّه» و قد تقدم فی طی الشرح. أقول: الأحادیث المتقدمه الداله علی ما آتاهم اللّه تعالی، و حباهم من المقام المحمود کلها داله علی أنهم علیهم السّلام حمّلوا هذه الحموله الربوبیه و أن تلک الأمور آثارها من کونهم علیهم السّلام عین اللّه و یده و لسانه و قلبه، و نحن نذکر بعضها تبرکا فی هذا الأمر:

ففی بصائر الدرجات بإسناده عن أسود بن سعید قال: کنت عند أبی جعفر علیه السّلام فأنشأ یقول «ابتدأ من غیر أن یسأل: نحن حجه اللّه، و نحن باب اللّه، و نحن لسان اللّه، و نحن وجه اللّه، و نحن عین اللّه فی خلقه، و نحن ولاه أمر اللّه فی عباده» .

و فی حدیث آخر عن هشام بن أبی عمار قال: سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: «أنا عین اللّه، و أنا ید اللّه، و أنا جنب اللّه، و أنا باب اللّه» .

و فیه، عن عبد الرحمن بن کثیر قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «نحن ولاه أمر اللّه، و خزنه علم اللّه، و عیبه وحی اللّه، و أهل دین اللّه، و علینا نزل کتاب اللّه، و بنا

۱- ۱) طه:۵.

۲- ۲) الإنسان:۳۰.

عبد اللّه، و لولانا ما عرف اللّه، و نحن ورثه نبی اللّه و عترته» . و تقدم حدیث ابن أبی یعفور فی تفردهم علیهم السّلام لأمر اللّه تعالی

و قوله علیه السّلام «و عیبه وحی اللّه» یراد منه أن حقیقه القرآن علی ما هو مشتمل علیه من الحقائق و المعارف و التجلیات الربوبیه فإنها فی صدرهم، و هم علیهم السّلام عیبته و وعاؤه، و تقدم حدیث أبی بصیر عن خیثمه عن أبی جعفر علیه السّلام فراجعه.

و فیه، عن سوره ابن کلیب قال: سمعت أبا جعفر علیه السّلام یقول: «نحن المثانی الذی أعطاه اللّه نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله و نحن وجه اللّه فی الأرض نتقلّب بین أظهرکم، عرفنا من عرفنا، و جهلنا من جهلنا، فمن جهلنا فامامه الیقین» . و تقدم أیضا

حدیث جابر الجعفی عن أبی جعفر و قوله: «یا جابر علیک بالبیان و المعانی. . . إلی أن قال: و أما المعانی فنحن معانیه» ، الحدیث. فکل هذه تدل علی أنهم علیهم السّلام مقامات الرب و أبوابه و حججه، و لهم المقام المحمود المعلوم الذی لیس لغیرهم، أنی و هم علیهم السّلام قد جعلهم اللّه فی مقام لا یدانیهم أحد کما لا یخفی؟ و الحمد للّه وحده و صلی اللّه علی محمد و آله.

و أما قوله علیه السّلام: «و الجاه العظیم» .

أقول: الجاه هو الوجه و هو القدر و المنزله، و الوجه: الجهه و مستقبل کل شیء، فلهم علیهم السّلام هذا القدر العظیم و المنزله العظیمه عند اللّه، و إنما ذکرت هذه الجمله إشاره إلی أنه تعالی لا یردّ سائلا سأله بهم، لأن جاههم عنده تعالی عظیم من کل شیء و وصف، و یدل علی هذا أحادیث: منها:

ما فی المحکی عن مجالس المفید بسنده إلی جابر، عن أبی جعفر، عن أبیه، عن جده علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إذا کان یوم القیامه، و سکن أهل الجنه الجنه، و أهل النار النار، مکث عبد فی النار سبعین خریفا، و الخریف سبعون سنه، ثم إنه یسأل اللّه عز و جل و ینادیه فیقول: أسألک یا رب بحق محمد و أهل بیته إلّا

رحمتنی، فیوحی اللّه جلّ جلاله إلی جبرئیل علیه السّلام: اهبط إلی عبدی فأخرجه، فیقول جبرئیل: و کیف لی بالهبوط فی النار؟ فیقول اللّه تبارک و تعالی: إنی قد أمرتها أن تکون علیک بردا و سلاما، قال: فیقول: یا ربی فما علمی بموضعه؟ فیقول: إنه فی جبّ سجّین، فهبط جبرئیل إلی النار فیجده معقولا علی وجهه، فیخرجه فیقف بین یدی اللّه عز و جل فیقول اللّه تعالی: یا عبدی کم لبثت فی النار تناشدنی؟ فیقول: یا رب ما أحصی؟ فیقول اللّه عز و جل: أما و عزّتی و جلالی لو لا من سألتنی بحقهم عندی لأطلت هوانک فی النار، و لکنه حتم علی نفسی أن لا یسألنی عبد بحق محمد و أهل بیته إلّا غفرت له ما کان بینی و بینه و قد غفرت لک الیوم، ثم یؤمر به إلی الجنه» .

و فی البحار (۱)، دعوات الراوندی، عن سماعه بن مهران، قال: قال أبو الحسن علیه السّلام: «إذا کانت لک حاجه إلی اللّه فقل: اللهم إنی أسألک بحق محمد و علی، فإن لهما عندک شأنا من الشأن و قدرا من القدر فبحق ذلک الشأن و ذلک القدر، أن تصلی علی محمد و آل محمد و أن تفعل بی کذا و کذا، فإنه إذا کان یوم القیامه لم یبق ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا مؤمن ممتحن إلّا و هو یحتاج إلیهما فی ذلک الیوم» .

و فی البحار (۲)عن الرضا، عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا علی إذا کان یوم القیامه کنت أنت و ولدک علی خیل بلق متوّجین بالدر و الیاقوت، فیأمر اللّه بکم إلی الجنه و الناس ینظرون» . أقول: و مثله أحادیث کثیره.

و فیه (۳)عن أمالی الطوسی بإسناده، عن الرضا، عن آبائه، عن علی علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لیس فی القیامه راکب غیرنا و نحن أربعه، قال: فقام إلیه رجل

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۵۹.
۲- ۲) البحار ج ۷ ص ۳۳۰.
۳- ۳) البحار ج ۷ ص ۲۳۴.

من الأنصـار، فقال: فـداك أبى و أمى، أنت و من؟ قال: أنا على دابه اللّه البراق، و أخى صالـح على ناقه اللّه التى عقرت، و عمّى حمزه على ناقتى العضـباء و أخى على بن أبى طالب على ناقه من نوق الجنه، و بيده لواء الحمد واقف بين يدى العرش ينادى: لا إله إلاّـ اللّه محمـد رسول اللّه، قـال: فيقول الآـدميون: مـا هـذا إلاّـ ملـك مقرب أو نبى مرسل أو حامل عرش رب العالمين، قال: فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش: معاشـر الآدميين ما هذا ملكا مقربا، و لا نبيّا مرسـلا، و لا حامل عرش، هذا الصديق الأكبر هذا على بن أبى طالب عليه السّلام» . أقول: و مثله أحاديث أخر.

و فى البحار (1)عن أمالى الصدوق بإسـناده، عن عبد اللّه بن عباس قال: قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله: «أتانى جبرئيل عليه السّـلام و هو فرح مستبشـر، فقلت له: حبيبى جبرئيـل مع مـا أنت فيه من الفرح مـا منزله أخى و ابن عمى على بن أبى طـالب عند ربه؟ فقال جبرئيل: يا محمـد و الـذى بعثك بالنبوه و اصـطفاك بالرساله ما هبطت فى وقتى هـذا إلاّ لهذا، يا محمد العلى الأعلى يقرأ عليك السـلام و يقول: محمـد نبى رحمتى و على مقيم حجتى، لا أعـذب من والاه و إن عصانى، و لا أرحم من عاداه و إن أطـاعنى» . قـال ابن عبـاس: ثم قـال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله: «إذا كان يوم القيامه أتانى جبرئيل و بيـده لواء الحمـد و هو سبعون شـقه، الشقه منه أوسع من الشمس و القمر فيدفعه إلىّ، فآخذه و أدفعه إلى على بن أبى طالب، فقال رجل: يا رسول اللّه و كيف يطيق على على حمل اللواء و قد ذكرت أنه سـبعون شقه الشقه منه أوسع من الشمس و القمر؟ فغضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، ثم قـال: إنه إذا كـان يوم القيـامه أعطى اللّه عليـا من القوه مثـل قوه جبرئيـل، و من الجمـال مثل جمال يوسف، و من الحلم مثل حلم رضوان، و من الصوت ما يدانى صوت داود، و لو لا أن داود خطيب فى الجنان

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۲.

لأعطى على مثل صوته، و إن عليا أول من يشرب من السلسبيل و الزنجبيل، و إن لعلى و شيعته من اللّه عز و جل مقاما يغبطه به الأولون و الآخرون» .

و مثله عن الخصال مع زياده «و هو أن الرجل المعترض هو عمر بن الخطاب» و زياده أخرى أيضا.

و فيه (۱)عن معانى الأخبار و الخصال و العيون، عن ابن عباس قال: سألت النبى صلّى اللّه عليه و آله عن الكلمات التى تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: «سأله بحق محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين إلاّ تبت علىّ، فتاب اللّه عليه» .

و فيه، عن قصص الأنبياء، عن الرضا عليه السّلام قال: «لما أشرف نوح عليه السّلام على الغرق دعا اللّه بحقنا، فدفع اللّه عنه الغرق، و لما رمى إبراهيم عليه السّلام فى النار دعا اللّه بحقنا فجعل اللّه النار عليه بردا و سلاما، و إن موسى عليه السّلام لما ضرب طريقا فى البحر دعا اللّه بحقنا فجعله يبسا، و إن عيسى عليه السّلام لما أراد اليهود قتله دعا اللّه بحقنا فنجّى من القتل فرفعه إليه» . أقول: و مثله أحاديث كثيره.

و فيه (۲)عن الهروى، عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ما خلق اللّه عز و جل خلقا أفضل منى، و لا أكرم عليه منى» الحديث بطوله يذكر صلّى اللّه عليه و آله فيه موارد أفضليتهم عليهم السّلام على الملائكه.

و فيه (۳)عن العلل، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «كان جبرئيل إذا أتى النبى صلّى اللّه عليه و آله قعد بين يديه قعده العبد، و كان لا يدخل حتى يستأذنه» .

و فيه عن الاحتجاج و تفسير العسكرى عليه السّلام عن أبى محمد العسكرى عليه السّلام أنه قال: «سأل المنافقون النبى صلّى اللّه عليه و آله فقالوا: يا رسول اللّه أخبرنا عن على عليه السّلام هو أفضل

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۳۲۴.
۲- ۲) البحار ج ۲۶ ص ۳۳۵.
۳- ۳) البحار ج ۲۶ ص ۳۳۸.

أم ملائكه اللّه المقربون؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: و هل شرّفت الملائكه إلّا بحبّها لمحمد و على (صلى اللّه عليهما و آلهما) و قبولها لولايتهما، إنه لا أحد من محبّى على عليه السّلام نظّف قلبه من قذر الغش و الدغل و الغلّ و نجاسه الذنوب إلّا كان أطهر و أفضل من الملائكه» ، الحديث.

و فيه عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان، روى أنه وجد بخط مولانا أبى محمد العسكرى عليه السّلام: «أعوذ باللّه من قوم حذفوا محكمات الكتاب، و نسوا اللّه ربّ الأرباب و النبى و ساقى الكوثر فى (و خ) مواقف الحساب و لظى و الطامه الكبرى و نعيم دار الثواب، فنحن السنام الأعظم، و فينا النبوه و الولايه و الكرم، و نحن منار الهدى و العروه الوثقى، و الأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا و يقتفون آثارنا، و سيظهر حجه اللّه على الخلق بالسيف المسلول لإظهار الحق، و هذا خط الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على أمير المؤمنين عليهم السّلام» . أقول: و الأحاديث الوارده بهذه المضامين الداله على رفعه جاههم و شأنهم، و أن الخلائق كلهم متوسلون بهم عند اللّه تعالى لرفعه جاههم و شأنهم كثيره جدا، و يكفيك فى هذا الأمر ما

فى البحار (۱)عن الاختصاص عن ابن سنان، عن المفضل ابن عمر قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام «إن اللّه تبارک و تعالى توحّد بملكه فعرّف عباده نفسه، ثم فوض إليهم أمره و أباح لهم جنته، فمن أراد اللّه أن يطهر قلبه من الجن و الإنس عرّفه ولايتنا، و من أراد أن يطمس على قلبه أمسک عنه معرفتنا» . ثم قال: «يا مفضل و اللّه ما استوجب آدم أن يخلقه اللّه بيده، و ينفخ فيه من روحه إلّا بولايه على عليه السّلام، و ما كلم اللّه موسى تكليما إلّا بولايه على عليه السّلام، و لا أقام اللّه عيسى بن مريم آيه للعالمين إلّا بالخضوع لعلى عليه السّلام» .

۱- ۱) البحار ج ۲۶ ص ۲۹۴.

ثم قال: «أجمل الأمر ما استأهل خلق من اللّه النظر إليه إلاّ بالعبوديه لنا» .

و فى البحار (1)عن جامع الأخبار و أمالى الصدوق، عن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «أتى يهودى إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال: يا يهودى ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبى الذى كلّمه اللّه، و أنزل عليه التوراه و العصا، و فلق له البحر و أظلّه بالغمام؟ فقال له النبى صلّى اللّه عليه و آله: إنه يكره للعبد أن يزكّى نفسه، و لكنى أقول: إن آدم عليه السّلام لما أصاب الخطيئه كانت توبته أن قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد و آل محمد لما غفرت لى، فغفرها اللّه له. و إن نوحا عليه السّلام لما ركب فى السفينه و خاف الغرق، قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد و آل محمد لما أنجيتنى من الغرق، فنجّاه اللّه عنه. و إن إبراهيم عليه السّلام لما القى فى النار، قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد و آل محمد لما أنجيتنى منها، فجعلها اللّه عليه بردا و سلاما. و إن موسى عليه السّلام لما ألقى عصاه و أوجس فى نفسه خيفه، قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد و آل محمد لما آمنتنى، فقال اللّه جل جلاله: لاٰ تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ اَلْأَعْلىٰ. يا يهودى إن موسى لو أدركنى، ثم لم يؤمن بى و بنبوتى ما نفعه إيمانه شيئا و لا نفعته النبوه، يا يهودى و من ذرّيتى المهدى إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته و قدّمه و صلّى خلفه» . أقول: و أنت إذا تأمّلت فى هذه الأحاديث علمت عظمه جاههم عند اللّه تعالى، خصوصا لو تأمّلت فى

قوله عليه السّلام: «أجمل الأمر . إلخ» ، فإنه يعطى قاعده كليه فى أنه تعالى يجيب من سأله بهم عليهم السّلام و أنه تعالى لا يردّ سائلا سأله تعالى بهم، بل العقل أيضا يحكم بذلك بعد ما كانوا معانى لفظ الجلاله و حقائق الأسماء الحسنى الإلهيه، و مظهرا للاسم الأعظم، و أنهم عليهم السّلام مهبط للإراده الإلهيه و الواسطه فى الفيوضات الربانيه، و أن لهم الولايه التكوينيه و التشريعيه كما مرّ مرارا.

۱- ۱) البحار ج ۱۶ ص ۳۶۶.

و أما قوله عليه السّلام: «و الشأن الكبير»

، و قد تقدم الكلام فى بيان

قوله عليه السّلام:

«و عظم شأنكم»

، إلاّـ أن المراد منه (و اللّه العالم) فى السابق هو ظهور شأنهم العظيم فى الخلق، و هنا تحققه عنده تعالى كسائر ما ذكره عليه السّـلام مما هو عنده تعالى من الدرجات الرفيعه و المقام المحمود و غيره، ثم إن الشأن الكبير الذى هو عنده تعالى هو أعظم و أعلى مما قد ظهر عندنا، فإنه إنما هو بحسب دركنا، و ما هو عنده تعالى بحسب ما هو فى الواقع و ما قد جعله اللّه تعالى لهم.

و أما قوله عليه السّلام: «و الشفاعه المقبوله» .

اشاره

أقول: قد تقدم الكلام مبسوطا فى بيان

قوله عليه السّلام:

«و شفعاء دار البقاء»

إلاّ أنه يقع هنا فى أمور مزيدا للتوضيح.

الأول: فى وجه التكرار

، و الظاهر هو بيان أن مقام الشفاعه إنما هو لهم من عند اللّه تعالى على سياق ما تقدم من أن لهم الدرجات الرفيعه عنده، و لهذا اتصفت الشفاعه هنا بالمقبوله إشعارا بأن مقام الشفاعه الذى هو لهم عند اللّه تعالى هو المقبول عنده تعالى بحيث رضيهم اللّه تعالى أن يكونوا شفعاء و جعلها مقبوله أى مرضيه عنده تعالى إشاره إلى قوله تعالى: وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضىٰ (١)، كما لا يخفى.

الثانى: أن الشفاعه لها تعريفان:

أحدهما: بلحاظ الآثار فى الخارج

و هى (أى الشفاعه) مصدر شفع كمنع بمعنى ضممته إلى الفرد، و قد يقال: شفعت فى الأمر شفاعه و شفعا، طالب بوسيله أو

ذمام، و استشـفعت به طلبت الشفاعه، و قد يقال: إنه اسم على جهه النقل لسؤال التجاوز و الصفح عن الذنوب و الجرائم. أقول: و لعله يرجع إلى معنى كونها طلب الوسيله أو الذمام، هذا كلّه بحسب اللغه و موارد الاستعمال فى العرف.

۱- ۱) الأنبياء:۲۸.

و ثانيهما: بلحاظ حقيقتها فى نفس الأمر،

و هى كما ذكره بعض الأعاظم هى أن الشخص إنما يصير شفيعا من حيث اشتماله فى الواقع بالنور، و هو ما يشرق من الحضره الإلهيه على جواهر الوسائط الكائنه بينه تعالى و بين النازلين فى مهوى البعد و النقصان، به يجبر النقائص الحاصله من نقائص الإمكان، و هذا النور الموجب لجبر تلك النقائص له مرتبتان، مرتبه البدو منه تعالى إلى منتهى الموجودات السفليه و هو النور المعبّر عنه بالعقول الفعّاله، ثم النفوس العماله، ثم الطبايع النقاله الكليه، فالنور منه تعالى يسير إلى النازلين بحسب تلك المظاهر من الأعلى، ثم إلى ما يليه إلى أسفل السافلين، و له مرتبه العود و فى سلسله الرجوع إليه تعالى و هو النور الكائن فى الوسائط الشافعه، و هى الأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء فكما أنه فى سلسله البدو، يتقوم الأشخاص بالطبايع، و هى تتقوم بالنفوس و هى تتقوم بالعقول و هى (أى العقول) تتقوم بالنور الكائن فيها بالحق تعالى حيث إنه يفيض ذلك النور أولا على العقول بالاستقامه، و على غيرها من النفوس و الطبايع بالانعكاس من بعض إلى بعض كانعكاس نور مرآه من مرآه أخرى، فكذلك هاهنا يتقوم الناس فى سلسله العود بحسب الحيوه الأخرويه الكائنه فى باطنهم المخفيه هنا الظاهره فى الآخره، و بحسب الوجود العلمى العارى، أى بحسب تنوّر قلوبهم بمعرفه أنهم سيعودون إليه تعالى فى المعاد و يوم الحشر بالعلماء، أى تتقوم هذه الحيوه الأخرويه و المعرفه المعاديه نورها بالعلماء، حيث أخذوه منهم، العلماء يتقوّمون بالأولياء بهذا النحو، و الأولياء يتقومون بالأنبياء أيضا بهذا النحو، و نور الهدايه الكائن فى الأنبياء إنما يفيض منه تعالى على جوهر النبوه، و ينشر منها إلى كل من اشتملت مناسبتها مع جوهر النبوه بالانعكاس منه لشده المحبه، و كثره المواظبه على السنن و الآداب الشرعيه، و كثره الذكر له صلّى اللّه عليه و آله بالصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله، و هذه المناسبه المذكوره هى ملاك تحقق الشفاعه من العالى إلى الدانى كما إليه يشير

قوله تعـالى: فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکَمُ اَللّهُ وَ یَغْفِرْ لَکَمْ ذُنُوبَکَمْ (۱)، فإن هذه المتابعه هی الموجبه لحصول تلک المناسـبه الموجبه لتحقق الشـفاعه المعبر عنها و عن أثرها بقوله تعالی: وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ . ثم إن المثال الذی یوضح لک هذه المناسـبه التی هی ملاک الشـفاعه هـو نـور الشـمس إذا وقـع علی المـاء فـإنه ینعکس منه إلی موضع مخصوص من الحائـط لا ـ علی جمیع الحائـط، و إنما یختص بـذلک الموضع بالانعکـاس لمناسـبه وضـعیه خـارجیه مخصوصه بینه و بین المـاء توجب تلک المناسـبه ارتباطا له بالنهر بواسـطه المـاء فی الموضع، و تلـک المناسـبه مسلوبه عن سـائر أجزاء الحائـط، و ذلک هو الموضع الـذی إذا خرج منه خط إلی موضع النور من الماء حصلت منه زاویه متساویه للزاویه الحاصـله من الخط الخارج من الماء إلی قرص الشمس، و هذا لا یمکن إلاّ ـ فی موضـع مخصوص من الجـدار. و من المثـال یتفطن اللبیب أن المناسـبه الـتی توجب اسـتفاضه الکمـال، الـتی هی حقیقه الشـفاعه و نتیجتها من اللّه تعالی بتوسط النبی صلّی اللّه علیه و آله أو غیره من الوسائط لیست أی مناسبه کانت، بل هی المناسبه المخصوصه التی بهـا جهه اشتراک مع المناسـبه التی بین النبی الشـفیع و بین اللّه تعـالی کمـا علمته فی المثـال، فـإن جمیع أجزاء الجدار لها نسـبه وضـعیه مع وجه الماء، و مع ذلک لا یستضیء من تلک الأجزاء إلاّ جزء خاص، و ذلک لاتحاد نسبتها إلی وجه الماء مع نسبه وجه الماء إلی الشـمس لکونهما (النسـبتان) واقعتین معا فی سـمت سطح واحد عمود علی سطح الماء. إذا علمت هـذا فهکـذا حکم المناسـبات المعنویه مع النور الإلهی أی النبی أو الوصـی، أو من له من ذلک النور بالارتباط معه و مع الوجود القیومی جلت عظمته. و بعباره أوضح أن جمیع أفراد الإنسان له نسبه وضعیه مع نور النبی الشفیع أو

۱- ۱) آل عمران:۳۱.

من هو قائم مقامه فی الشفاعه، و مع ذلک لا تحصل له الشفاعه منه صلّی اللّه علیه و آله إلاّ فرد خاص و هو من کانت نسبته معه صلّی اللّه علیه و آله بالمتابعه، و کان فی سمت سطح یصل إلیه صلّی اللّه علیه و آله و هذه المناسبه تحصل بالمتابعه و المواظبه علی سنته صلّی اللّه علیه و آله. و مما ذکر یظهر معنی

قوله صلّی اللّه علیه و آله: «من أطاعنی فقد أطاع اللّه، و من أبغضنی فقد أبغض اللّه» ، کما قال تعالی: مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ (۱). و مجمل القول: إن المناسبات المعنویه العقلیه تقتضی للجواهر المعنویه استفاضه النور العقلی بوسیله من استولی علیه التوحید، و تأکّدت مناسبته مع الحضره الأحدیه، و أشرق علیه النور الإلهی من غیر واسطه، و أما من لم یترسخ قلبه فی ملاحظه الوحدانیه، لتضاعف جهه الإمکانیه و ضعف جهه الوحده و غلبه التجسّم و التکثر و الحجب، فلا محاله لم یستحکم من هذا شأنه علاقتِه مع المبدء الأعلی إلاّ مع الواسطه أو مع واسطه الواسطه، فهذا لا محاله أیضا یفتقر إلی واسطه أو إلی الوسائط فی استضاءته من النور المعنوی و الشأن الإلهی. و مثله هذا کما یفتقر الحائط الذی لیس بمکشوف للشمس إلی واسطه المرآه المکشوفه للماء المکشوف للشمس، و عند اتحاد الجهه فی الارتباط الموجب للشفاعه (کما أشرنا إلیه) یکون حکم الواسطه الثانیه فی الإشراق و الإناره کحکم الواسطه الأولی من غیر تفاوت إلاّ بالقوه و الضعف مع الاتحاد فی الماهیه، هذا کما أن حکم الواسطه الأولی کحکم النیّر الحقیقی من غیر تفاوت إلاّ بالأصاله فی النیر و التبعیه فی الواسطه الأولی، و لهذا

قال صلّی اللّه علیه و آله: «من أکرم عالما فقد أکرمنی» ، لتحقق تلک المناسبه المعنویه بالنحو الذی ذکرنا بینهما. و إذا تأمّل أحد فی هذا یعلم أنه إلی هذا ترجع فی الحقیقه الشفاعه فی الدنیا أیضا، فإن السلطان قد یغمض عن جریمه أصحاب الوزیر و یعفو عنهم لا عن مناسبه أصلیه بینهم و بین الملک، بل لأنهم یناسبون الوزیر المناسب للملک ففاضت

۱- ۱) النساء:۸۰.

العنايه عليهم بالواسطه لا بالأصاله، و لو ارتفعت الوساطه انقطعت العنايه عنهم بالكليه، و بهذا يظهر أحد معانى

الحديث القدسی: «لولاـك لما خلقت الأفلاك» أى لما فاضت العنايه الوجوديه و توابعها عليهم منها تعالى كما لا يخفى. و من هنا يظهر أن المشفوع لهم كل من صحّت نسبته إلى الشفيع المطاع من أمته بالإمكان الذاتى كالمطيعين من أهل الإيمان، ليزيد فى درجتهم فى الجنه كما دلّت عليه النقليه بل و العقليه المذكوره فى محله، أو الإمكان الاستعدادى كالعاصين من أمته المقترفين للكبائر و اللمم ما لم يصر منشأ عصيانهم جهلا مستحكما أو ملكه ذميمه راسخه، بحيث يمتنع زوالها فلا تنفعه شفاعه الشافعين كالمخالفين المعاندين الناصبين كما مرت إليه الإشاره فى السابق، و تقدمت أحاديث الباب فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و شفعاء دار البقاء»

، فراجعها. و الحاصل: أن الشفاعه فى المطيعين لرفع درجاتهم، و فى العاصين للتجاوز عنهم منه تعالى بفضله و رحمته بإفاضه النور من الشفيع المطاع إليه، ليحصل له نصاب دخول الجنه، و نذكر هنا بعض أحاديث الباب تيمنا.

ففى البحار (۱)، عن الخصال، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «لكل نبى دعوه قد دعا بها، و قد سأل سؤالا، و قد اخبأت دعوتى لشفاعتى لأمتى يوم القيامه» .

و فيه، عنه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عن على عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ثلاثه يشفعون إلى اللّه عز و جل فيشفّعون الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» .

و فيه، عن العلل بسنده، عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «شيعتنا من نور اللّه خلقوا و إليه يعودون، و اللّه إنكم لملحقون بنا يوم القيامه و إنا لنشفع فنشفع، و و اللّه إنكم لتشفعون فتشفعون، و ما من رجل منكم إلاّ و سترفع له نار عن شماله و جنه عن يمينه فيدخل أحباءه الجنه و أعداءه النار» .

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۳۴.

و فیه، عن أمالی الصدوق، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبیه، عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إذا قمت المقام المحمود تشفعت فی أصحاب الکبائر من أمتی فیشفعنی اللّه فیهم، و اللّه لا تشفعت فیمن آذی ذریتی» .

و فیه، عن العیون، عن الرضا، عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إذا کان یوم القیامه و لینا حساب شیعتنا، فمن کانت مظلمته فیما بینه و بین اللّه عز و جل حکمنا فیها فأجابنا، و من کانت مظلمته بینه و فیما بین الناس استوهبناها فوهبت لنا، و من کانت مظلمته فیما بینه و بیننا کنّا أحق من عفا» .

و فیه، عن المحاسن بهذا الإسناد قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: قوله: مَنْ ذَا اَلَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ (۱)قال: «نحن أولئک الشافعون» .

و فیه، عنه، عن علی بن حمزه قال: قال رجل لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إنّ جارا من الخوارج یقول: إن محمدا یوم القیامه همّه نفسه فکیف یشفع؟ فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «ما أحد من الأولین و الآخرین إلاّ و هو یحتاج إلی شفاعه محمد صلّی اللّه علیه و آله یوم القیامه» .

و فیه، عنه، عن أبی حمزه أنه قال: للنبی صلّی اللّه علیه و آله شفاعه فی أمته، و لنا شفاعه فی شیعتنا، و لشیعتنا شفاعه فی أهل بیتهم.

و فیه، عن روضه الکافی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی رساله إلی أصحابه قال: «و اعلموا أنه لیس یغنی عنکم من اللّه أحد من خلقه شیئا لا ملک مقرب و لا نبی مرسل و لا من دون ذلک، فمن سرّه أن ینفعه شفاعه الشافعین عند اللّه فلیطلب إلی اللّه أن یرضی عنه» .

و فیه، عن تفسیر فرات بن إبراهیم، عن جعفر بن محمد، عن أبیه علیه السّلام قال: «نزلت هذه الآیه فینا و فی شیعتنا قوله تعالی: فَمٰا لَنٰا مِنْ شٰافِعِینَ وَ لاٰ صَدِیقٍ

ص: ۵۰۲

۱- ۱) البقره:۲۵۵.

حَمِيمٍ

(۱)

و ذلک أن اللّه تعالى يفضّلنا و يفضّل شيعتنا حتى إنا لنشفع و يشفعون، فإذا رأى ذلک من ليس منهم قال: فَمٰا لَنٰا مِنْ شٰافِعِينَ وَ لاٰ صَدِيقٍ حَمِيمٍ » .

و فيه، عن ثواب الأعمال، عن على الصائغ قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن المؤمن ليشفع لحميمه إلاّ أن يكون ناصبا، و لو أن ناصبا شفع له كل نبى مرسل أو ملک مقرب ما شفّعوا» . أقول: الناظر ببصيرته فى هذه الأحاديث يستخرج منه دقائق المعارف المرتبطه بالشفاعه، و أنه تعالى كيف جعل محمدا و الأئمه عليهم السّلام بل و شيعتهم ممن تقبل شفاعته، و له عند اللّه الشفاعه المقبوله، و يعلم منها من له الشفاعه، و من تقبل شفاعته، كما لا يخفى و الحمد للّه أولا و آخرا.

[92]قوله عليه السّلام: ربنا آمنّا بما أنزلت و اتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنک رحمه إنک أنت الوهّاب.

اشاره

أقول: قد مرّ معنى الإيمان فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و أبواب الإيمان» . و حاصله: إنا آمنّا بما أنزلت من الكتب الإلهيه، أو بما أنزلت من القرآن و هو الظاهر بالنسبه إلى جميع شرايعک و عموم أحكامک، و بالخصوص بالنسبه إلى ولايه على و الأئمه عليهم السّلام فى قوله تعالى: يٰا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّکَ (۲)و فى قوله تعالى: إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا (۳)الآيه، و فى قوله تعالى: أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ (۴).

(و اتّبعنا الرسول)

فيما أمرنا به، و فى بعض النسخ: و آل الرسول، إشاره إلى قوله

۱- ۱) الشعراء:۱۰۰.

۲- ۲) المائده:۶۷.

۳- ۳) المائده:۵۵.

۴- ۴) النساء:۵۹.

تعالی: وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، و قوله تعالی: إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی ، و بالجمله اتّبعنا الرسول و آله فیما أمرونا به مجملا و مفصلا، و هذا السیاق کسیاق

قوله علیه السّلام فیما تقدم من أنه: «من أراد أن یستکمل الإیمان فلیقل القول منی ما قاله محمد و آله الطاهرون فیما بلغنی و فیما لم یبلغنی» ، الحدیث. و سیاق

قوله علیه السّلام فیما ورد فی الدعاء فی یوم الغدیر کما نقله المحدث القمی فی المفاتیح و هو:

«اللهم إنا نشهدک إنّا ندین بما دان محمد و آل محمد صلّی اللّه علیه و آله»

و قولنا ما قالوا:

«و دیننا ما دانوا به، ما قالوا به قلنا، و ما دانوا به دنّا، و ما أنکروا أنکرنا، و من والوا والینا، و من عادوا عادینا، و من لعنوا لعنا، و من تبرّءوا منه تبرّأنا منه، و من ترحموا علیه ترحمنا علیه، آمنّا و سلمنا و رضینا و اتبعنا موالینا (صلوات اللّه علیهم)» ، الدعاء.

و فی المحکی عن التهذیب فی الدعاء بعد صلوه الغدیر، عن الصادق علیه السّلام: «ربنا إنّک أمرتنا بطاعه ولاه أمرک، و أمرتنا أن نکون مع الصادقین فقلت: أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ (1)و قلت: اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ کُونُوا مَعَ اَلصّٰادِقِینَ (2)فسمعنا و أطعنا ربّنا فثبت أقدامنا و توفّنا مسلمین و مصدّقین لأولیائک، و لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا وهب لنا من لدنک رحمه إنک أنت الوهاب» . و کیف کان فهذه الآیات المفسّره بلحاظ هذه الأحادیث، التی یأتی بعضها و الأدعیه بولایه أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام بأن المراد من الدعاء بعدم إزاغه القلوب إنما هو عن ولایتهم سواء فسّرت الولایه أمرهم، الذی أقامهم اللّه تعالی له و فیه و به، و أقام جمیع الخلق و الموجودات بواسطتهم، أو فسّرت بالمحبه بالکلیه التی أمر اللّه عباده بها کما فی قوله: إِلاَّ اَلْمَوَدَّهَ فِی اَلْقُرْبیٰ (3)، أو بخصوص المحبه القلبیه

۱- ۱) النساء:۵۹.

۲- ۲) التوبه:۱۱۹.

۳- ۳) الشوری:۲۳.

الشخصيه بالنسبه إلى كل أحد، حيث إنه يجب على كل أحد محبتهم و البراءه من أعدائهم، فإن جميع هذه مما يمكن طرو الزيغ عليها، فحينئذ يدعو اللّه بالثبات عليها و على كل حق لهم علينا، فإنها كلها مما أمرنا بها و بإجرائها كما لا يخفى.

(و اكتبنا مع الشاهدين)

أى الـذين آمنوا بذلك عن شـهود و حضور، أو اكتبنا مع أئمتنا فإنهم شـهداء اللّه على خلقه كما تقدم، أو اكتبنا معهم أى اجعلنا منهم أى اجعلنا من الشاهـدين فإنه مقام منيع كما تقدم، و معنى اكتبنا اجعلنا جعلا ثابتا معهم فإن الكتب لغه بمعنى الثبت. و لعله إشاره إلى قوله تعالى: يُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ اَلثّٰابِتِ (١)أى اجعلنا ثابتين على الدين مع الشاهدين. أو يراد من

قوله:

«اكتبنا»

، أدخلنا روحا و باطنا مع الشاهدين برفع الحجب التى بيننا و بينهم، كما تقدم أن الشيعه من الشعاع، و حقيقتهم خلقت من فاضل طينتهم، فالزائر بعد هذه الإقرارات يسأل اللّه تعالى أن يلحقه بهم حقيقه و باطنا، كما تقدمت الإشاره إليه

فى قوله عليه السّلام: «التحقت السفلى بالعليا» ،

و قوله عليه السّلام: «أنتم آخذون بحجزتنا» ،

و قوله ما حاصله: «إن الشعاع يتبع الشمس أينما توجهت»

[٩٣]و قوله: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا»

، أى لا تمل بنا عن نهج الحق إلى الباطل، فإن الزيغ هو الميل، فهو نظير

قوله صلّى اللّه عليه و آله على ما نقل عنه صلّى اللّه عليه و آله:

«إلهى لا تكلنى إلى نفسى طرفه عين أبدا، و لا تردّنى فى سوء استنقذتنى منه أبدا»

، فهذا المعنى ملازم

لقوله:

«و ثبتنى اللّه أبدا ما حييت على موالاتكم»

، كما تقدم، حيث علم أن المؤمنين يكون إيمانهم مستودعا و من المعارين فيسأل اللّه تعالى أن يجعله من المستقرّين فى الإيمان كما تقدم بيانه.

و فى الكافى و التحف و البحار و اللفظ عن البحار، عن موسى بن جعفر عليه السّلام فى

۱- ۱) إبراهيم:۲۷.

حدیث طویل و منه «یا هشام إن اللّه جل و عز حکی عن قوم صالحین أنهم قالوا: رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَیْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً إِنَّکَ أَنْتَ اَلْوَهّابُ (۱)حین علموا أنّ القلوب تزیغ و تعود إلی عماها و رداها، إنه لم یخف اللّه من لم یعقل عن اللّه و من لم یعقل عن اللّه لم یعقد قلبه علی معرفه ثابته یبصرها، و لم یجد حقیقتها فی قلبه، و لا یکون أحد کذلک إلاّ من کان قوله لفعله مصدّقا، و سرّه لعلانیته موافقا، لأنّ اللّه لا یدل علی الباطن الخفی من العقل إلاّ بظاهر منه و ناطق عنه» .

و عن العیاشی، عن الصادق علیه السّلام: «أکثروا من أن تقولوا ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا، و لا تأمنوا الزیغ» .

و قوله: «وهب لنا من لدنک رحمه إنک أنت الوهاب»

، دعاء آخر یسأله تعالی من رحمته أن یجیبه فیما سأله رحمه منه فی الدنیا و الآخره، و إن کان غیر مستوجب لذلک و غیر مستحق له، إلاّ أنه حیث إنه تعالی هو الوهاب بلا استحقاق فسأله ذلک. و قد یقال: إن

قوله:

«ربنا آمنا بما أنزلت»

، إشاره إلی إظهار المتابعه و التسلیم و الانقیاد لقوله تعالی: قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلی إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْباطِ وَ ما أُوتِیَ مُوسی وَ عِیسی وَ ما أُوتِیَ اَلنَّبِیُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۲)، و فی هذه المتابعه و المسالمه ردّ للیهود و النصاری حیث قالوا کما حکی اللّه تعالی عنهم: وَ قالُوا کُونُوا هُوداً أَوْ نَصاری تَهْتَدُوا (۳)فردّ اللّه علیهم و قال لنبیه صلّی اللّه علیه و آله: قُلْ لهم: بَلْ مِلَّهَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً (۴)، و إنما ردّ اللّه الیهود و النصاری و لم یرد مله إبراهیم علیه السّلام لأن الیهود قالت: عُزَیْرٌ اِبْنُ

۱- ۱) آل عمران:۸.

۲- ۲) البقره:۱۳۶.

۳- ۳) البقره:۲۳۵.

۴- ۴) البقره:۱۳۵.

اَللّهِ

(۱)

، و النصارى قالت: اَلْمَسِيحُ اِبْنُ اَللّهِ (۲). فلو كانوا على الدين الحق و لم يحرفوا دينهم لأثبت اللّه تعالى دينهم كما أثبت مله إبراهيم حيث إنه كان حنيفا و ما كان من المشركين، ثم إن معنى قوله تعالى: بَلْ مِلَّهَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً ، ليس أن النبى يكون على دين إبراهيم، بل معناه أن مله إبراهيم لما كانت حنيفا فأثبتها اللّه تعالى فى هذا الدين و أمر نبيه بأن يجعلها من شريعته، ففى الحقيقه إن الأمه يتبعون النبى صلّى اللّه عليه و آله و دينه لا دين إبراهيم. نعم إنه تعالى جعل بعض الأمور الدينيه التى كانت فى دين إبراهيم فى هذا الدين و هى عشره كما صرح به فى الأحاديث. ثم إن قوله تعالى: لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، لعله إشاره إلى أن المؤمن بهذا الدين قد آمن بالجميع، و لم يكن ممن قال اللّه تعالى فى حقهم: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ (۳)، بل المؤمن الحقيقى يؤمن بجميع ما أنزل اللّه تعالى على رسله.

و فى المحكى عن الكلينى، عن أبى جعفر عليه السّلام فى قول اللّه عز و جل: قُولُوا آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْنٰا (۴)، قال: «إنما عنى بذلک عليا و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام و جرت بعدهم فى الأئمه عليهم السّلام ثم رجع القول من اللّه فى الناس» . ثم قال: فَإِنْ آمَنُوا (يعنى الناس) بِمِثْلِ مٰا آمَنْتُمْ بِهِ (يعنى عليا و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام) فَقَدِ اِهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا هُمْ فِي شِقٰاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اَللّٰهُ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۵). أقول: و جرت هذه المسالمه و المتابعه فى شيعتهم و اتباعهم بالتبعيه باقرار الزائر بقول: «ربّنا آمنا. . إلخ» ، بأنه تابع لهم عليهم السّلام فيما آمنوا عليهم السّلام و لم يكن-العياذ باللّه-فى

۱- ۱) التوبه:۳۰.

۲- ۲) التوبه:۳۰.

۳- ۳) النساء:۱۵۰.

۴- ۴) البقره:۱۳۶.

۵- ۵) البقره:۱۳۷.

شقاق و اللّه العالم بحقائق الأمور. و هنا أمر لا بأس بذكره، لأنه نافع للعابدين جدا و موجب لقلع الرياء و العجب و قمعه عن القلوب فنقول: قد يقال: إنه تعالى إذا هدى المؤمنين فكيف يميلهم عن الإيمان و الحق قبل أن يميلوا بسوء اختيارهم و قد قال تعالى: إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ (1)هذا مع أن الفيض منه تعالى دائم الظهور و المؤمن القابل له دائم الطاعه، و الطاعه هى القبول منه تعالى، و هو يوجب ثبات الفيض أعنى الإيمان منه تعالى على العبد، و حينئذ بعد تحقق علل الفيض و علل بقائه فلا معنى للقول و الدعاء منه تعالى بربنا لا تزغ قلوبنا. . إلخ، فإن العله إذا تحققت تحقق المعلول لا محاله فالدعاء المذكور كأنه لا وجه له؟ قلت: تماميه العله بنحو ما ذكر لا يوجب إلزام اللّه تعالى على بقاء المعلول (أى الفيض و الإيمان) بنحو لا يمكن له تعالى بعد تحقق العله سلب المعلول، فإن هذا موجب لكون يده تعالى مغلوله، و هذا مقاله اليهود و قد ردّها اللّه تعالى بقوله: غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ . . . بَلْ يَدٰاهُ مَبْسُوطَتٰانِ (2)الآيه، ثم إن إمكان سلب المعلول بعد تحقق العله منه تعالى لا يستلزم سلبه (أى سلب المعلول) كما فى قوله تعالى: وَ لَئِنْ شِئْنٰا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ (3). فإن هذه الجمله شرطيه و صدق الجمله الشرطيه بصدق الملازمه لا بصدق الطرفين و تحققهما كما حقق فى محله، فإمكان أن يذهب اللّه تعالى بالذى أوحاه إليه صلّى اللّه عليه و آله لا يستلزم وقوعه، فإنه تعالى لا يفعل ذلک بنبيه صلّى اللّه عليه و آله مع أنه تعالى على كل شيء قدير، فإنه تعالى مع أنه له تعالى أن يسلب الفيض عن جميع خلقه، و مع ذلک عادته الإحسان و الجميل على المسيئين فضلا عن المحسنين و فضلا عن النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله، ثم إن هذا الإمكان يصحح كون فيضه عليهم من

1- 1) الرعد:11.

2- 2) المائده:64.

3- 3) الإسراء:86.

الإحسان الجميل لا- بنحو الاستحقاق للعبد على اللّه تعالى، فيرجع معنى الآيه حينئذ إلى أنه يقول اللّه تعالى: «إنا إنما أبقينا ما أوحيناه إليك عندك تفضلا منّا عليك، و ليس ذلك بلازم علينا بل و لو شئنا لنذهبن به». ثم إنه تعالى أوجب على نفسه من نفسه لا من أعمال الخلق الخلّص الوفاء بالعهد و إتمام عهده كما يشير إليه قوله تعالى: إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُخْلِفُ اَلْمِيعٰادَ (1). و إليه يشير أيضا ما

فى الكافى عن الصادق عليه السّلام ما معناه: أن النبى إلياس سجد و تضرع إلى اللّه تعالى فأوحى اللّه إليه: «ارفع رأسك فإنى لا أعذّبك» فقال: «يا رب إن قلت: لا أعذبك، ثم عذّبتنى أ لست عبدك؟ فقال اللّه تعالى: إنى إذا وعدت لا أخلف الميعاد» . و كيف كان فاللّه تعالى لا يحكم عليه بأى شىء، بل له الحكم و له الأمر و الخلق، فالذى يدعوه تعالى بأن يأمنه من الزيغ سواء كان من المعصومين كالأنبياء و الأئمه عليهم السّلام حيث إنهم آمنون من زيغ قلوبهم و ميلها عن الحق، لأنهم معصومون و معتصمون بحبل عصمته تعالى، أو كان من غير المعصومين إلاّ- أنه كان من المؤمنين الذين تمت فيهم عله بقاء الفيض بنحو ذكرناه إنما يدعوه انقطاعا إليه تعالى، و معنى الانقطاع إليه أن كل أمر من وجود أو إيمان أو كمال فإنما ثباته لهم منه تعالى، و أنهم (أى العبيد) يتبرّأون من حولهم و قوتهم، و من كونهم بما لهم من وصف الإيمان و التوحيد سببا لبقاء تلك النعم الإلهيه من التوحيد و الإيمان و غيرهما، بل يرون أن الأمور كلها بأمره فى جميع الأمور و الموارد و إن تمت القوابل قابليتها. فيعلمون أن القلوب و إن كانت من الخلّص تزيغ إلاّ- أن يثبتها اللّه تعالى، و يرون أن له تعالى سلبها و سلب الإيمان فأوجب لهم هذا بأن يتضرعوا إليه تعالى، و علموا أنه لا يثبت الإيمان فى القلب إلاّ بالدعاء و الانقطاع و التضرع

كما ورد فى دعاء الوتر:

۱- ۱) الرعد:۳۱.

«و لا ينجى منك إلاّ التضرّع إليك» ، و هذا الخوف (أى خوف إمكان السلب له تعالى) مما قصم ظهر أولياء اللّه و أوجب خوفهم منه، و التضرّع لديه، ليثبتهم على الإيمان، و إلى استجابه هذا الدعاء منهم لهذا الخوف أشار قوله تعالى: يُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ اَلثّٰابِتِ (۱)فإنه استجاب دعاءهم (أى المؤمنين) بأنه يثبتهم بالقول الثابت. و إلى هذا الإمكان و الخوف منه أشار صلّى اللّه عليه و آله فيما ورد عنه صلّى اللّه عليه و آله فى الأحاديث الوارده فى ذيل قوله تعالى: وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ (۲)، حيث

قال صلّى اللّه عليه و آله: «ان لا أفعل فتحل علىّ منه قارعه لا يدفعها عنى أحد و إن عظمت حيلته، لأنه الذى لا يؤمن مكره و لا يخاف جوره،

و قال صلّى اللّه عليه و آله: «لو عصيت لهويت» ، فإنه صلّى اللّه عليه و آله و إن كان يفعل ما أمره تعالى إلاّ أنه يخاف و يعلم أنه لو لم يفعل يفعل اللّه به ما قاله صلّى اللّه عليه و آله فصدق الشرطيه مسلمه و إن كان طرفاه غير واقعين، بل نقول: إن خوف محمد صلّى اللّه عليه و آله و خوف الأئمه عليهم السّلام أشدّ و أكثر من خوف جميع الخلق، فأوّل الخائف منه تعالى هو محمد صلّى اللّه عليه و آله ثم من دونه أهل بيته عليهم السّلام ثم من دونهم الأنبياء و الرسل، ثم الملائكه ثم المؤمنون على اختلاف طبقاتهم، فإن الأكثر منهم إيمانا أشد خوفا ممن هو دونه فى الإيمان إلى أن ينتهى إلى أدنى المراتب، فإن أدنى مراتب الإيمان يلازم الخوف منه تعالى على حسبه. و الحاصل: أنهم عليهم السّلام خائفون منه جدا لعظمته، و لإمكانه تعالى بأن يسلب منهم ما منحهم. و لعل إليه يشير ما

فى الصحيفه السجاديه (على منشيها آلاف الثناء و التحيه)

«سبحانك أعلمهم بك أخوفهم منك»

، و هذا معنى

قوله صلّى اللّه عليه و آله فى أحاديث الغدير: «لأنه اللّه الذى لا يؤمن مكره» . و لعمرى إنهم عليهم السّلام أحق بالخوف من مقام ربهم من جميع الخلق، و ليس إلاّ

۱- ۱) إبراهيم:۲۷.

۲- ۲) المائده:۶۷.

الخوف من مكره تعالى، و هذا معنى مكره تعالى لا المكر بمعنى الخديعه تعالى اللّه عنه علوا كبيرا. و كيف كان إذا تتبعت أخبارهم و أدعيتهم عليهم السّلام ظهر لک أن خوفهم خوف حقيقى منه تعالى، لأنه تعالى لم يكن مسلوب الاختيار فى آن فى أنه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و لا يحكم عليه، و هذا لا ينافى أنه تعالى لا يخلف ميعاده حيث وعدهم النجاه و إنجاز ما وعدهم، و إلى هذا الخوف يشير ما

فى الصحيفه السجاديه (على منشيها آلاف الثناء و التحيه) عند استقالته من الذنوب:

«يا الهى لو بكيت إليک حتى تسقط أشفار عينى، و انتحبت حتى ينقطع صوتى، و قمت لک حتى تنتشر قدماى، و ركعت لک حتى ينخلع صلبى، و سجدت لک حتى تتفقأ حدقتاى، و أكلت تراب الأرض طول عمرى، و شربت ماء الرماد آخر دهرى، و ذكرتک فى خلال ذلک حتى يكل لسانى، ثم لم أرفع طرفى إلى آفاق السماء استحياء منک، ما استوجبت بذلک محو سيئه واحده من سيئاتى، و إن كنت تغفر لى حين أستوجب مغفرتک، و تعفو عنى حين أستحق عفوک، فإن ذلک غير واجب لى باستحقاق، و لا أنا أهل له باستيجاب، إذ كان جزائى منک فى أول ما عصيتک النار» ، الدعاء.

و فى المحكى عن السجاد عليه السّلام دعاء عقيب صلوه الليل قبل الشفع و هو: «إلهى و عزّتک و جلالک لو أننى منذ بدعت فطرتى من أول الدهر عبدتک دوام خلود ربوبيتک بكل شعره فى كل طرفه عين بحمد الخلائق و شكرهم أجمعين» ، الدعاء.

و فيه أيضا:

«إلهى لو كربت معادن حديد الدنيا بأنيابى، و حرثت أرضها بأشفار عينى، و بكيت من خشيتک مثل بحور السموات و الأرض دما صديدا لكان ذلک قليلا فى كثير ما يجب من حقک على» .

و الحاصل: أنه يستفاد من كلامهم عليهم السّلام أنه لا يستحق أحد منه تعالى ثوابا عن استيجاب و استحقاق لما عمل من عمل، فإن العمل و ما به العمل كلّه من عطاياه، بل كل عطاياه كانت تفضلا و ابتداء منه تعالى علينا، و السر فيه هو أن العبد فقر

محض من جميع الجهات، فلا عمل له إلاّ بعطائه من القوه و العقل و الفراغ و التوفيق، و هـذه كلها منه تعالى فأى شـىء من العبد لم يكن منه تعالى قد أتى به إليه تعالى حتى يستحق به ثوابا؟ ! فالفيوضات التى تكون لنا ليست ثابته لنا باستحقاق بل بالتفضل منه تعالى فله تعالى أن يسلبها، و هـذا الإمكان الـذى له تعالى أوجب خوفا للعباد، و من كان أعرف بعظمته و أنه الغنى المعطى بلا استحقاق بل بالتفضل و الابتداء يكون خوفه أكثر.

و مما يدل عليه بالصراحه ما رواه الشيخ فى المصباح ص ۶۰۸ فى خطبه يوم الأضحى عن ابن جندب، عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السّلام و فيها: «تعبّدو اللّه عباد اللّه أيام الحيوه، فو اللّه لو حننتم حنين الواله المعجال و دعوتم دعاء الحمام، و جاءرتم جؤار مبتلى الرهبان، و خرجتم إلى اللّه من الأموال و الأولاد التماس القربه إليه فى ارتفاع درجه و غفران سيئه أحصتها كتبه و حفظتها رسله، لكان قليلا فيما ترجون من ثوابه، و تخشون من عقابه، و تاللّه لو انماثت قلوبكم انمياثا، و سالت من رهبه اللّه عيونكم دما، ثم عمّرتم عمر الدنيا على أفضل اجتهاد و عمل ما جزت أعمالكم حق نعم اللّه عليكم، و لا استحققتم الجنه بسوى رحمه اللّه و منّه عليكم» ، الخطبه. و مثله ما ذكر

فى بحر المعارف ما حاصله أنه عليه السّلام قال: «لو أدخل اللّه تعالى جميع من فى السموات و الأرض النار، لعدم معرفتهم به تعالى لكان له ذلك» راجع الحديث فإنه يقصم الظهر و يجرى الدمع دما فلا منجاه إلاّ به تعالى و بلطفه. فالمستفاد من هذه الأدعيه أن هؤلاء تكون عبادتهم خالصه للّه تعالى، و يرون النعم و الإيمان من فضله، و هذا لا ينافى عدله تعالى و لا كونه أرحم الراحمين، بل هذا مما اقتضاه استقلاله بالملك و الأمر و استيلاؤه عليه، و إن ما يعطيه تفضل لا بنحو الاستحقاق، و لذا كان خوفهم خوفا حقيقيا، و أكثر من خوف غيرهم، بل ربما كادوا يموتون من شده الفزع و البكاء. أقول: و ربما يقال: إن صدور هذه الكلمات بما لها من المعنى و الحالات منهم عليهم السّلام

إنما هى لتجلى عظمته تعالى فى قلوبهم الشريفه، و إن ما ذكر من إمكان سلب النعم و الايمان مما اقتضته العظمه الإلهيه و الغناء الذاتى المقتضى لصرف اللطف عن العباد إن شاء تعالى. و كيف كان فهذه أسرار ربما تنقدح فى القلوب، و توجب تلك الحالات و المناجاه معه تعالى، و ربما لا تنقدح و أكثر ما تكون فى قلوب العارفين فلهم (خصوصا لمحمد و آل محمد عليهم السّلام) حالات و مكالمات عقليه، و تجلّيات إلهيه مع خالقهم فى أوقات مناجاتهم لا يعلمها غيرهم و غيره تعالى، هذا و ربما يقال: إن

قوله:

«ربنا لا تزغ قلوبنا. . إلخ»

، يرجع معناه إلى طلب رفع الخطرات الممكنه فى حقهم التى إذا حصلت أوجبت سلب الايمان و زيغ القلوب. و كيف كان

فقوله عليه السّلام بعد هذا:

«و هب لنا من لدنك رحمه إنك أنت الوهاب» ، يشير إلى أن الثبات على الهدايه و الإيمان إنما هو برحمه منك تهبها من تشاء، فكما كانت حدوثا هبه منك، فكذلك هى بقاء تكون كذلك، و النعم و الإيمان هبه و رحمه منه تعالى ابتداء و حدوثا هبه ابتدائيه لا عن استحقاق، و هذه الجمله تشير أيضا إلى أنه تعالى إذا استجاب الدعاء فإنما استجاب بجوده و رحمته، لا بسبب الإيجاب عليه تعالى فإن إجابته تعالى أيضا كنعمه يكون ابتداء لا عن استحقاق، و نحن نرجو رحمته و فضله علينا بمحمد و آله الطاهرين.

قوله عليه السّلام: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا.

أى منزّه ربنا تنزيها عما لا يليق به، فسبحان منصوب على المصدريه لفعل محذوف أى انزّه إن كان (إن مخففه من المثقله) «وعد ربنا لمفعولا» أى ما وعده ربنا لنا من إجابه الدعوات و مضاعفه المثوبات، فالزائر ينزّه ربّه بعد ما سأله: فثبّتنى اللّه على موالاتكم إلى آخره، و بعد ما قال تعالى: اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ (۱)عن أن

ص :۵۱۳

۱- ۱) غافر:۶۰.

يخيّب دعاءه، أو يخلف من إجابه داعيه فاستنجز وعده تعالى بالإجابه

بقوله

«سبحان ربنا. . إلخ» ، اعتمادا على قول: إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُخْلِفُ اَلْمِيعٰادَ (۱)فهو منزّه عن الخلف و عن غيره من النواقص. حيث إنه تعالى غنى لا يفتقر، و عالم لا يجهل، و قادر لا يعجز، فلا يصدر منه الخلف اللازم إما للفقير أو العاجز أو الجاهل تعالى عن ذلك علوّا كبيرا. نعم إنما يذكر العبد هذه المقاله ليستنجز منه تعالى الوعد بالإجابه لما يحتمل أن يكون قد أتى بما يوجب عدم إجابته تعالى له من المعاصى و الذنوب، و لذا عقب

قوله هذا بقول: «يا ولى اللّه. . إلخ» ، حيث يسأل المزور عليه السّلام أن يسأل اللّه تعالى غفران زلله.

[۹۴]قوله عليه السّلام: يا ولى اللّه إنّ بينى و بين اللّه عزّ و جل ذنوبا لا يأتى عليها إلاّ رضاكم.

أقول: المخاطب هو الإمام الحاضر المزور، أو من يقصده بالزياره، أو يراد منه الجميع على أن يراد من الولى الجنس، و يؤيده الإتيان بالجمع فيما بعده. و قد يقال: إن تعين المزور بالقصد أو الإشاره أو الحضور عند قبره الشريف سواء خاطبه بالمفرد أو الجمع. نعم إذا خاطبه بالجمع كان الحاضر سابقا فى الخاطر و البقيه بالتبع، و لعلّ التعبير بالمفرد مع عدم إراده الجنس، لأجل تقديم الحاضر بالخطاب تعظيما له، لأنه مقدّم فى الخطاب، لأنه المزور فتعين الخطاب به، و إما الإتيان بالجمع فيما بعده فلأجل أن المترتب عليه من السؤال لمحو الذنوب، و هذا لا يختص بالحاضر المزور، بل يعمّ جميعهم عليهم السّلام و لذا أتى فيه بصيغه الجمع. ثم إن المراد من الولى من له الولايه المطلقه الإلهيه، التى هى عديل ولايه الرسول، و عديل ولايه اللّه تعالى كما صرح به فى آيه: إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اَللّٰهُ. . ، حيث إن

۱- ۱) الرعد:۳۱.

وحده السياق تعطى كون ولايه اَلَّذِينَ آمَنُوا اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاٰةَ الآيه هى ولايه الرسول و ولايه اللّه تعالى كما حقق فى محله فى الشرح.

قوله عليه السّلام:

«إن بينى و بين اللّه عز و جل ذنوبا لا يأتى عليها إلاّ رضاكم»

، أى لا يذهبها و لا يمحوها إلاّ رضاكم أو شفاعتكم، فإنها من أحسن مصاديق الرضا عمن يشفعون له، و معنى لا يأتى عليها لا يهلكها و لا يمحوها إلاّ رضاكم.

فقوله:

«يا ولى اللّه»

، إشاره إجماليه إلى مقاماتهم المعنويه عند اللّه تعالى، التى بها تكون لهم الرتبه العاليه بحيث لا يأتى على الذنوب إلاّ رضاهم عليهم السّلام. ثم إن

قوله عليه السّلام:

«إلاّ رضاكم»

، يدلّ على أن التوبه و الاستغفار و طلب العفو منه تعالى لا يوجب غفران الذنوب إذا لم يكن رضاهم، إذ من المعلوم أن رضاهم عن أحد من شيعتهم يدلّ على أن المغفور له يكون من شيعتهم و مواليهم، فإنهم لا يرضون إلاّ عنهم، فرضاهم عليهم السّلام هو العمده لغفران الذنوب، لما تقدم مرارا من دلاله الأحاديث الكثيره على أنه تعالى لا يقبل عملا من العباد إلاّ بولايتهم و التبرى من أعدائهم. فالزائر حيث أقرّ فيما تقدم بولايتهم و شئونها، و علم أن الإقرار بولايتهم هو العمده فى قبول الأعمال بل و قبول التوبه منه تعالى عن العبد، و علم أنهم عليهم السّلام لا يشفعون إلاّ لأهل ولايتهم فقال: «إلاّ رضاكم» ، إقرارا بهذه الأمور، و اعتمادا فى غفران الذنب على السبب الوحيد و هو رضاهم عليهم السّلام الحاكى عن تحقق ولايتهم فيمن يرضون عنه، و أما

أنه قال:

«إلاّ رضاكم»

، و لم يقل: إلاّ رضا اللّه» ، حيث إنه أولى فى العموم، فإنه حينئذ يشمل رضاهم أيضا، بل هم لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى اللّه دينه كما تقدم، لأن رضاهم عليهم السّلام عين رضاه تعالى، فإنهم عليهم السّلام لا يريدون و لا يشاءون إلاّ ما شاء اللّه و أراد.

قال الحسين عليه السّلام فى خطبته: «فرضا اللّه رضانا أهل البيت» .

فقوله:

«إلّا رضاكم»

، يثبت لكون رضاهم رضاه تعالى، و تقدم أنه تعالى جعل

ص :515

رضاهم رضاه، و غضبهم غضبه، و طاعتهم طاعته كما لا يخفى، أو يقال: إنه كما لا يكون رضاهم إلّا رضاه، فكذلك لا يكون رضاه تعالى إلاّ فى رضاهم، كما ربما يستفاد ذلك من قوله تعالى: وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ (١)، حيث إنه أظهر أنه تعالى يعطيه حتى يرضى، و معلوم أن عطاءه عن رضاه، فصار رضاه تعالى معلقا برضاه صلّى اللّه عليه و آله و معنى هذا أن رضاه تعالى من حيث الصفه مطلق، و لكنه بحسب المورد متعلق برضاهم تعظيما منه تعالى و احتراما منه تعالى لهم عليهم السّلام. و قد يقال: إن التخصيص برضاهم لأجل أن المقام مقام التضرع و الالتجاء إلى الإمام المزور، فاللازم حينئذ إظهار ما يتعلق بالإمام، و التوسل بما منحه اللّه تعالى إليه عليه السّلام من المقامات و شئون الولايه الإلهيه، التى منها أن رضاهم له دخل فى قبولهم عليهم السّلام لشيعتهم و إدخالهم فى زمرتهم، و هذا لا ينافى أن رضا اللّه تعالى هو الشرط الوحيد لغفران الذنب، فإنه كأنه مفروغ عنه للزائر و المزور عليه السّلام و إنما لم يذكر، لأن التوجه حينئذ صار إلى الإمام المزور عليه السّلام فذكر ما يناسب هذا التخاطب كما لا يخفى.

[٩٥]قوله عليه السّلام: فبحق من ائتمنكم على سرّه، و استرعاكم أمر خلقه، و قرن طاعتكم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبى و كنتم شفعائى.

أقول: فبحق من ائتمنكم على سرّه، أى جعلكم أمناء على سرّه من العلوم الإلهيه و المعارف الربانيه و المكاشفات الغيبيه و الحقائق الحقّانيه، و قد تقدم معنى السّر فى شرح

قوله عليه السّلام:

«و حفظه سرّ اللّه»

. ثم إن السرّ باعتبار قسمان: قسم لا يظهرونه لأحد و هو ما اختصّهم اللّه تعالى به من أمر الولايه الإلهيه

١- ١) الضحى:۵.

حیث تفرّدهم تعالی به، کما تقدم عن ابن أبی یعفور. و قسم أظهروه و لعل

قوله:

«و استرعاکم أمر خلقه»

، یشیر إلی هذا السر و هو أمر الخلق، و السر الذی به یرعون عباد اللّه فی تربیتهم و سوقهم إلی معرفه اللّه تعالی، و بیان کیفیه عبادته و تحصیل معرفته تعالی.

«و قرن طاعتکم بطاعته» ، حیث قال تعالی: أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ (۱)، فأمر اللّه تعالی بإطاعه أولی الأمر فی عدل إطاعته و إطاعه رسوله. و من المعلوم أنه تعالی لا یأمر المؤمنین و لا سیما العلماء و الفضلاء و الصلحاء و الأتقیاء بإطاعه کل ذی أمر و حکم مهما کانوا، لأن فیهم الفساق و الظلمه و من یأمر بمعاصی اللّه و ینهی عن طاعته، فیجب عقلا أن یکون المراد باولی الأمر الذین أمر اللّه بطاعتهم الأئمه المعصومین من الزلل، المفطومین من الخلل الذین هم مثل النبی صلّی اللّه علیه و آله، و مثل هذا لا یکون إلاّ من کان منصوبا من اللّه، العالم بالسرائر، و المطلع علی الضمائر، و لیس ذلک متحققا فی غیرهم باتفاق العلماء من الشیعه، هذا مضافا إلی ما ورد من النصوص علی أن المراد من أولی الأمر الأئمه لا غیرهم.

ففی تفسیر نور الثقلین عن کمال الدین و تمام النعمه، عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ ، قال: «الأئمه من ولد علی و فاطمه علیهم السّلام إلی یوم القیامه» . أقول: و مثله أحادیث أخر من الفریقین دلّت علی أن المراد من أولی الأمر الأئمه علیهم السّلام فراجع غایه المرام للسید البحرانی رحمه اللّه.

فقوله:

«فبحق»

، الباء للقسم و الجمل المذکوره صله لمن الموصوله، إنما أتی بها لتوجه الامام المزور علیه السّلام نحو نعم اللّه تعالی الخاصه التی أنعمهم بها، فیوجب هذا التوجه زیاده عنایه من الإمام علیه السّلام نحو الزائر و یوجب تذکر هذه النعم الإلهیه لهم إجابه سؤال الزائر و أقسمه بأن یستوهبوا ذنوبهم منه تعالی.

۱- ۱) النساء:۵۹.

قوله عليه السّلام : «لمّا استوهبتهم» ، قيل: لما مشدّده بمعنى إلّا، أى لا يقع منكم شىء إلّا استيهاب ذنوبى منه تعالى، أو مخففه و اللام لتوكيد القسم و ما زائده للتأكيد.

[@۹۶@]فقوله عليه السّلام:

«لما استوهبتم ذنوبى»

، عزيمه من السائل المتوجه إليهم عليهم السّلام المقسم بقسمه عليهم عليهم السّلام بمن ائتمنهم على سرّه الذى يستلزم أنه تعالى قد ملّكهم عليهم السّلام ما شاءوا، و استرعاهم أمر خلقه بحيث رجع أمر الخلق إليهم، و قرن طاعتهم بطاعته، لكى يستوهبوا ذنوبه، لأنه حيث كان من شيعتهم فأمره إليهم عليهم السّلام و قد ولّاهم اللّه تعالى عليه حيث إن لهم الولايه الإلهيه. فبهذه الأمور يستوهب الزائر منهم عليهم السّلام الذنوب بنحو العزيمه اعتمادا على ولايتهم، و انقطاعا إليهم فى غفران الذنوب، و اتكالا على شفاعتهم حيث إنهم عليهم السّلام معتنون أشدّ الاعتناء بحال شيعتهم.

و قوله:

«و كنتم شفعائى»

تأكيد لاستيهاب الذنوب بالشفاعه، حيث اعتقد الزائر أن لهم مقام الشفاعه المقبوله كما تقدم شرحه و ذكره آنفا.

و فى قوله:

«استوهبتم»

، إشاره لطيفه إلى أنه و إن لم أكن أهلا لأن يغفر اللّه تعالى ذنوبى لعظمها، لكنكم يا ساداتى لمّا كان لكم عنده تلك الدرجات و المقام و أنتم ممن ائتمنكم على سرّه. . إلخ فأسألكم أن تستوهبوها منه تعالى. فإن الاستيهاب لا يستلزم الاستحقاق، بل يعمّ لمن كان أهلا لأن يعاقب.

و قوله:

«و كنتم شفعائى»

، مؤكد له، و تقدم معنى الشفاعه و ما لها من الكلام، إلّا أن الجمل السابقه فى الشفاعه وردت لبيانها، و أنها لهم عليهم السّلام و هنا ذكرت للاستشفاع بهم عليهم السّلام حيث إنهم شفعاء و إن لهم الشفاعه المقبوله.

[۹۷]قوله عليه السّلام: فإنى لكم مطيع، من أطاعكم فقد أطاع اللّه، و من عصاكم فقد عصى اللّه، و من أحبّكم فقد أحبّ اللّه، و من أبغضكم فقد أبغض اللّه.

أقول: هذه الجمل ذكرت للاستعطاف، و لجلب توجّههم عليهم السّلام إلى الزائر، و أنه بهذه الجمل أظهر أنه ممن وعدوا

بشفاعتهم من محبيهم و مطيعيهم و شيعتهم، و ليس

ص :518

ممن أبغضهم، فيوجب بذلک المقت منه تعالی و منهم، و أشار بهذه الجمل أيضا إلی أن الزائر يعتقد أن إطاعتهم إطاعه اللّه و هکذا سائر الجمل، فبهذا يظهر العقيده بولايتهم، و أنه معتقد بمضامين هذه الجمل، و أنها ثابته لهم منه تعالی. فقوله: «فإنی لکم مطيع» ، إما بالبناء القلبی و إما بالعمل مطلقا و إما فی الجمله و إما بقدر الوسع، و هذا قد يجتمع مع المخالفه فی الجمله، فالإقرار بأنه مطيع ليس المراد منه بنحو لا يصدر منه المخالفه أصلا کما لا يخفی.

و قوله:

«من أطاعکم. . إلخ»

، لأن اللّه تعالی هو الذی أمر بطاعتکم، و أوجب علينا متابعتکم حيث يقول: مَنْ يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ ، و تقدم سابقا أن محبّتهم محبه اللّه، و بغضهم بغضه تعالی، حيث إنهم مظاهر لأسمائه الحسنی، و أنهم عاملون بأمره، و أنهم معصومون من قبله تعالی، و أن ولايتهم ولايه اللّه تعالی فلا محاله يترتب عليه ما ذکر. [@٩٨@]

قوله عليه السّلام: اللهم إنی لو وجدت شفعاء أقرب إليک من محمد و أهل بيته الأخيار الأئمه الأبرار لجعلتهم شفعائی.

أقول: دلّت هذه الجمله علی أن الزائر التفت منهم عليهم السّلام إليه تعالی، لبيان الوجه للتوسل بهم عليهم السّلام فی غفران ذنبه، فإنهم عليهم السّلام ممن جعلهم اللّه أقرب الخلائق، و منحهم مقام الشفاعه و الوسيله، و لذا توسل بهم

فقال:

«اللهم إنی لو وجدت شفعاء أقرب إليک، . . إلخ»

و لکنی لم أجد أحدا من العالمين أفضل و أقرب إليک منهم، لا من ملک مقرب و لا من نبی مرسل، فلهذا اقدّمهم أمام طلبتی و حوائجی، و کيف کان فلا يقدر أحد أن يبلغ کنه مقامهم و مراتبهم التی رتبهم اللّه تعالی فيها.

ففی البحار (1)عن بصائر الدرجات، عن کامل التمار قال: کنت عند أبی

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۲۸۳.

عبـد اللّه عليه السّـلام ذات يوم فقـال لی: «يـا كامل اجعل لنا ربّا نؤب إليه، و قولوا فينا ما شـئتم، قال: قلت: نجعل لكم ربّا تئوبون إليه و نقول فيكم ما شئنا؟ قال فاستوى جالسا، ثم قال: و عسى أن نقول: ما خرج إليكم من علمنا إلاّ ألف غير معطوفه» .

و فيه (۱)عن الخصـال قـال أمير المؤمنين عليه السّـلام: «إيّاكم و الغلوّ فينا، قولوا: إنا عبيـد مربوبون، و قولوا فی فضـلنا ما شئتم» . أقول: أی أثبتوا لنـا ربّا و اجعلونا مربوبين، و قولوا فينا ما شـئتم مما لا يخالف هـذين الأمرين، فإنكم لم تقـدروا على إحصاء كنه فضـلنا، كيف و مـا خرج إليكم من علمنـا إلاّـ ألف غير معطوفه» أی هكـذا (ا) لاـ هكـذا (ا) و تقـدم أن المعطوفه أكثر معنى من المستقيم، كما قيل: كثره المبانی تدلّ على كثره المعانی.

قوله عليه السّلام: فبحقّهم الذی أوجبت لهم عليک، أسألک أن تدخلنی فی جمله العارفين بهم و بحقّهم، و فی زمره المرحومين بشفاعتهم، إنک أرحم الراحمين و صلى اللّه على محمد و آله الطاهرين و سلّم تسليما كثيرا، و حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

اشاره

[۹۹]أقول: أقسم هنا على اللّه تعالى بحقهم كما أقسم الزائر على الأئمه بحقه تعالى فيما تقدم من

قوله:

«فبحق من ائتمنكم على سرّه»

، ثم إن حقه تعالى على الخلق و عليهم عليهم السّلام تفضّل و منّه، و لا ريب فی أنه تعالى تفضّل بهذا الحق عليهم بما لم يتفضل به على غيرهم كما لا يخفى، و هذا الحق يراد منه الولايه التی جعلها اللّه تعالى لهم بما لها من الشئون و المقامات.

ففی المحكی عن الكـافی بإسـناده، عن جـابر، عن أبی جعفر عليه السّـلام قـال: خطب أمير المؤمنين عليه السّـلام النـاس بصـفّين فحمد اللّه و أثنى عليه و صلى على محمد النبی صلّى اللّه عليه و آله. ثم قال: «أما بعد، فقد جعل اللّه تعالى لی عليكم حقا بولايه أمركم، و منزلتی التی أنزلنی اللّه عزّ ذكره بها منكم، و لكم علیّ من الحق مثل الذی لی عليكم، و الحق

۱- ۱) البحار ج ۲۵ ص ۲۷.

أجمل الأشياء فى التواصف، و أضيقها فى التناصف، لا يجرى لأحد إلّا جرى عليه، و لا يجرى عليه إلّا جرى له، و لو كان لأحد أن يجرى ذلك له، و لا يجرى عليه، لكان للّه عز و جل خالصا دون خلقه لقدرته على عباده، و لعدله فى كل ما جرت عليه ضروب قضائه، و لكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، و جعل كفايتهم عليه بحسن الثواب تفضّلا منه و توسعا بما هو من المزيد له أهلا. . إلخ» .

قوله عليه السّلام: «بولايه أمركم» ، أى هذه الولايه من الحق الذى منحه اللّه تعالى له عليه السّلام و هى الولايه الإلهيه بما لها من المعنى، و من شأنها حكومته عليه السّلام عليهم.

و قوله: «و منزلتى التى أنزلنى اللّه عزّ ذكره بها منكم» ، أى أنزلنى اللّه بهذه المنزله منكم أى من بينكم، أى خصّنى اللّه تعالى بها دونكم، و هى إشاره إلى مقام الإمامه و الخلافه الإلهيه التى جعلها له عليه السّلام و للأئمه عليهم السّلام خاصه كما تقدم وجهه مرارا.

و قوله: «و لكم علىّ من الحق. . إلخ» ، يشير إلى أمور منها أن الحق منه تعالى لأحد يستلزم أن يكون هذا الحق عليه أيضا، إما بلحاظ أنه لو لم يعمل بمقتضاه يكون عليه، و إما بلحاظ أنه يستلزم أن يمشى من له الحق منه تعالى على وفقه، و مراعاته فى أجرائه فى الخلق، و هذا فى الحقيقه أمر عليه أى على من له الحق، و هذا هو المراد من

قوله عليه السّلام: «و لا يجرى لأحد إلّا جرى عليه، و لا يجرى عليه إلّا جرى له» ، كما لا يخفى.

و قوله عليه السّلام: «و لا يجرى عليه إلاّ جرى له» ، يراد منه أن من عمل على طبق وظيفته التى كانت عليه من قبل الحق، فإنه حينئذ يكون هذا الحق له، أى ينتفع منه ثوابا منه تعالى لأجل عمله به، و إلى هذه الملازمه و المشى عليه يشير

قوله: (و الحق أجمل الأشياء فى التواصف) أى أنه موصوف بالجمال و الحسن، لأنه حلو كما لا يخفى على أهله

(و أضيقها فى التناصف) أى أن الحق يستلزم النصف و الإنصاف بنحو يقتضى العدل الحقيقى، و المشى على الإنصاف معه مشكل جدا، و ضيق على الهوى حيث يستلزم إمساكه عن اليمين و الشمال، فصار الحق أضيق الأشياء فى التناصف

أى المشى معه على الإنصاف.

و قوله عليه السّلام: «و لو كان لأحد أن يجرى ذلك له و لا يجرى عليه، لكان للّه عز و جل خالصا دون خلقه» ، يراد منه أن غيره تعالى ليس له من الأمر و الحق لنفسه، لأن ما سواه كلهم فقر إليه تعالى، فلا محاله يكون المحق المفاض عليه منه تعالى مما هو له و عليه بالنحو المتقدم ذكره، فغيره تعالى لا يكون فعله و صفاته و ذاته صوابا محضا حتى يكون الحق له مطلقا لا عليه، بل غيره تعالى يكون جميع أموره مما يمكن فى حقه الخطأ و النقصان بل و الظلم أحيانا، فلا محاله لو تعلق به حق فكما يكون له فكذلك يكون عليه، أى لا بد من مراعاته لما فيه من إمكان الخطإ ذاتا و هذا بخلافه تعالى. فإنه تعالى لما كان علما كله و قدره كلّه و نورا كله، فلا محاله يكون جميع أفعاله و صفاته و شئونه مما هو عين الحق، و يكون بمقتضى ذاته المقدسه كلها له و ليس عليه، لعدم ملاك ما به يكون عليه فى ذاته المقدسه كما لا يخفى، فالحق فى غيره يكون له و عليه، و أما بالنسبه إليه فهو له لا عليه، و إليه و إلى ملاكه يشير

قوله عليه السّلام: «لقدرته على عباده» أى أنه قادر ذاتا عليهم لا عجز فيه يوجب ما يكون عليه

(و لعدله فى كل ما جرت عليه ضروب قضائه) أى أنّ ما يعمله و أن حقه تعالى فيما جرت عليه ضروب القضاء يكون على وفق العدل فلا يكون فيه ملاك ما يمكن أن يكون عليه من خلاف العدل أو الظلم أو المفسده تعالى اللّه عنها علوا كبيرا.

فقوله عليه السّلام فى الزياره:

«فبحقهم الذى أوجبت لهم عليك»

، يشير إلى أن الحق بالنسبه إليه تعالى يكون له لا عليه، أى لا يجب عليه تعالى أن يمنح الحق لهم عليهم السّلام بالذات، إذ لا يجب عليه تعالى شىء بالذات من غيره، بل لو منح حقّا لأحد فإنما هو تفضّل منه. نعم هو تعالى بفضله أوجب هذا الحق على نفسه أى ألزم نفسه الوفاء به، فالإلزام بالوفاء منه تعالى يدل على أن الحق ليس عليه بل له فقط، و لذا بيّن أنّ وفاءه منه تعالى إنما هو بالإيجاب منه تعالى على نفسه، لا أنه يجب عليه تعالى ذاتا

الوفاء به کما لا یخفی. ثم إن

قوله علیه السّلام: «و لکنه جعل» ، إلی قوله: «تفضلا منه و توسعا بما هو من المزید له أهلا» ، یدل علی ما قلناه من أن هذا الحق یکون تفضلا منه و منّه کما لا یخفی، فظهر أنه لیس لأحد علی اللّه حق، لأن الخلق عباده و أرقّاؤه، و کل ما لهم من النفس و الأعضاء و الأموال فهو ملکه تعالی، بل حرکاتهم و سکناتهم و خطرات قلوبهم کلها للّه تعالی وحده کما قال: قُلْ إِنَّ صَلاتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْیایَ وَ مَماتِی لِلّهِ رَبِّ اَلْعالَمِینَ. لا شَرِیکَ لَهُ (۱).

و فی الدعاء أیضا:

«بیدک زیادتی و نقصی»

، فإذا کان الخلق کذلک فکیف یستحقون بأعمالهم من اللّه شیئا، بل کل ما لهم فهو تفضل منه تعالی لهم و منّ منه تعالی علیهم، فالحق الثابت للخلق مطلقا فکما هو لهم یکون علیهم أیضا، لأنه منه تعالی لا من ذاتهم، و هذا بخلاف الحق الذی له تعالی فإنه له تعالی لا علیه کما لا یخفی.

و قوله: «أسألک أن تدخلنی فی جمله العارفین بهم»

، سؤال منه تعالی أن یدخله فی جمله العارفین، أی لا یکون ممن یدّعی معرفتهم، بل یکون ممن اعتقد بمعرفتهم، و بالاعتقاد بهم و بمعارفهم یدخل الإنسان فی العارفین لهم، و معرفه الشیء تمییز الشیء بتمام خصوصیاته بحیث یمتاز عمّا سواه. و المراد من معرفتهم هو الولایه الإلهیه و الإمامه و الخلافه الثابته لهم بتمام معانیها من الولایه التکوینیه و التشریعیه التی مرّ مرارا ذکرها و شئونها، فهذه المعرفه الکائنه فیهم علیهم السّلام کالجبله لا یمکن المعرفه بها لأحد کما هی هی إلاّ لهم علیهم السّلام کما تقدم من

قوله علیه السّلام: «إن أمرنا لا یحدّ. . إلخ» ، و أما غیرهم فکل علی حسبه و علی مقدار ما منحوها له، و مع ذلک تکون معرفتنا بالنسبه إلیهم و ما هم فیه کنسبه القطره إلی البحر. و أما وجه تخصیص أن یدخله اللّه تعالی فی العارفین بهم دون العارفین به تعالی

۱- ۱) الأنعام:۱۶۲-۱۶۳.

إما لأجل أن معرفتهم مما يترتب عليها معرفته تعالى بالنحو الأوضح

كما ورد فی الزياره الجامعه الصغيره:

«و من عرفهم فقد عرف اللّه»

، و فی هذه الزياره:

«السلام على محالّ معرفه اللّه»

. و كيف كان فمن عرف أنهم العرفاء باللّه علما و صفه و حالا، فهم عليهم السّلام يقدرون بيان معرفته علما، و بيان كيفيه تحصيل معرفته و إظهار حقيقه معرفته، فمن عرفهم هكذا فقد عرف اللّه تعالى، و تقدم بيانه فی الشرح. و إما لأجل أنّ معرفته تعالى حيث إنها لا يمكن إلاّ بعد معرفتهم فسأله أن يدخله فی العارفين بهم، و هذا الوجه هو الوجه السابق إلاّ أنه فيه بيان الانحصار كما لا يخفى. و إما لأجل أنه لا يمكن لأحد معرفته تعالى بكنهها، و الممكن للخلق هو معرفتهم، لأنهم أقرب الخلق إليه تعالى بالحقيقه النورانيه. و تقدم

قول أمير المؤمنين عليه السّلام لسلمان و جندب: «إنّ معرفتی بالنورانيه معرفه اللّه» ، أی من عرفنی بالنورانيه فقد عرف اللّه، أی لا يقدر أحد أن يعرفه كما هو إلاّ بمعرفتی، أی حاصل معرفه الخلق معرفتی، فمنها يعرف اللّه تعالى بما عرف نفسه فی الأئمه عليهم السّلام و لهذا الكلام مجال واسع فی محله، ثم إنّ المعرفه لمّا كانت هو التمييز، و المميز هو العقل و القلب، و هما يتعلق تمييزهما بالشیء الخارجی الممكن تعلق التمييز به. و من المعلوم أنه تعالى تجلى فی الخلق، و يكون تجلّيه تعالى و جلوته هو حقيقه محمد و آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و هو تعالى بتجليه عرف نفسه للخلق، فلا محاله لا يمكن لأحد التمييز و المعرفه به تعالى إلاّ بما تجلّى به، و التجلی منه تعالى ليس إلاّ بمحمد و آله صلّى اللّه عليه و آله و هم عين تجليه، و من المعرفه بحقيقتهم يعرف العارف بهم عليهم السّلام ربّه بالوجه و الإجمال بالمعبود الحقيقی. و المعروف الحقيقی من معرفه الأئمه عليهم السّلام هو ذاته المقدسه تباركت أسماؤه بنحو الإجمال و الوجه كما لا يخفى.

ص: ۵۲۴

و لذا

قال الحسين علیه السّلام بعد ما سئل عن معرفه اللّه: (معرفه أهل كل زمان إمامهم الذى تجب عليهم طاعته) و الوجه فى اختصاص المعرفه بمعرفه إمام الزمان فى زمان العارف به أن التجلى الذى يحصل المعرفه الإلهيه و لو بالإجمال، إنما هو فى الإمام الحاضر الموجود فى زمان العارف كما لا يخفى.

[۱۰۰]و قوله علیه السّلام: «و بحقهم»

، أى أسألک أن تدخلنى فى جمله العارفين بحقهم، و معرفه حقهم هو الذى يستلزم التسليم لهم بنفسه و ماله بحيث لا يرغب بهما عنهم، فإنه بعد ما عرف العبد أنهم علیهم السّلام أولياء اللّه و خلفاؤه على العباد، و استبصر ذلک بحقيقه قلبه، و عرفهم بهذه المعرفه، فعليه لا محاله أن يبذل نفسه و ماله، و أن يخلع نفسه عن السلطنه و التصرف فى شىء من أموره و شئونه فى قبالهم و فى عرضهم من أموره و شئونه بل يجعلها وفقا على طاعتهم علیهم السّلام.

و قوله علیه السّلام: «و فى زمره المرحومين بشفاعتهم»

، أيضا سؤال منه تعالى بأن يجعله من الذين شملتهم شفاعه محمد و آله الطاهرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) حيث علم أنهم علیهم السّلام لا يشفعون إلّا لمن ارتضى دينه كما تقدم. فالزائر لما أقرّ بولايتهم التى هى دين اللّه المرضى كما ورد فى قوله تعالى: هُوَ اَلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَ دِينِ اَلْحَقِّ (۱)، ففسر دين الحق بولايتهم، فسأل اللّه تعالى أن يدخله فى زمره المرحومين بشفاعتهم، أى يسأل بأن يأذن اللّه تعالى فى شفاعتهم إياه حيث قبل ولايتهم و دين الحق، و الزمره الجماعه من الناس،

«و زمره المرحومين»

بشفاعتهم هم أهل ولايتهم الذين شملتهم الرحمه الإلهيه بصوره شفاعتهم. حيث إن الشفاعه من أحسن مصاديق رحمته تعالى، فالمرحومون بالشفاعه أى المشفوعون لهم بالرحمه الإلهيه، و تدل هذه الجمله (أى

قوله علیه السّلام:

ان تدخلنى فى زمره المرحومين بشفاعتهم

) على أن الزائر ليس له أمل فى غفران ذنوبه و الوصول

ص: ۵۲۵

۱- ۱) التوبه:۳۳.

إلى الـدرجات العاليه إلّا فى رحمته الواسـعه و شـفاعه محمـد و آله الطاهرين. هذا و جميع شـيعتهم فإنهم و إن عملوا الصالحات بـأحسن مـا يمكن لا يعتمـدون عليها بل يعتمـدون لآخرتهم على الرحمه الواسـعه الإلهيه و شـفاعه محمـد و الأئمه (عليه و عليهم السلام) .

ففى البحار عن كنز جامع الفوائد، روى شـيخ الطائفه رحمه اللّه بإسناده، عن زيد بن يونس الشحّام قال: قلت لأبى الحسن موسى عليه السّـلام: الرجـل من مواليكم عـاص (عـاق) يشـرب الخمر و يرتكب الموبق من الـذنب نتبرّأ منه؟ فقال: «تبرّءوا من فعله و لا تتبرّءوا من خيره و أبغضوا عمله، فقلت: يسع لنـا أن نقول: فـاسق فاجر؟ فقال: لا، الفاسق الفاجر الكافر الجاحـد لنا و لأوليائنا، أبى اللّه أن يكون ولينـا فاسـقا فـاجرا و إن عمـل ما عمل و لكنكم قولوا: فاسق العمل، فاجر العمل، مؤمن النفس، خبيث الفعل، طيّب الروح و البدن، لا، و اللّه لا يخرج ولينا من الدنيا إلّا و اللّه و رسوله و نحن عنه راضون. يحشـره اللّه على ما فيه من الذنوب مبيّضا وجهه، مسـتوره عورته، آمنه روعته، لا خوف عليه و لا حزن، و ذلك أنه لا يخرج من الدنيا حتى يصـفّى من الذنوب إما بمصيبه فى مال أو نفس أو ولـد أو مرض، و أدنى ما يصـنع بولينا أن يريه اللّه رؤيا مهوله فيصـبح حزينا لما رآه، فيكون ذلك كفاره له، أو خوفا يرد عليه من أهل دوله الباطل، أو يشـدّد عليه عنـد الموت فيلقى اللّه عز و جل طاهرا من الـذنوب، آمنه روعته بمحمد و أمير المؤمنين (صـلى اللّه عليهمـا و آلهمـا) ثم يكون أمـامه أحـد الأـمرين، رحمه اللّه الواسـعه، التى هى أوسع من أهـل الأـرض جميعـا، أو شـفاعه محمـد و أمير المؤمنين (صـلى اللّه عليهمـا و آلهما) إن أخطأته رحمه اللّه أدركته شـفاعه نبيّه و أمير المؤمنين (صلى اللّه عليهما و آلهما) فعندها تصيبه رحمه اللّه الواسعه، التى كان أحق بها و أهلها و له إحسانها و فضلها» . أقول:

قوله عليه السّـلام: «ثم يكون أمامه. . إلـخ» ، يـدلّ على أن الشـيعى يرد عليه تعالى، راجيا منه تعالى أحـد الأمرين المـذكورين، و هذان الأمران هما المراد من قوله (أى

قول الزائر: و أن تدخلنی فی زمره المرحومین بشفاعتهم) رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله الطاهرین.

و قوله: «إنّک أرحم الراحمین»

، بیان إجمالی لعِله السؤال منه تعالی، حیث إنه تعالی أرحم الراحمین، و لعل فیه إشاره إلی أنه تعالی إنما خلق الخلق للرحمه، کما قال تعالی: إِلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذٰلِکَ خَلَقَهُمْ (۱). ففی الدعاء إشاره إلی أنک خلقتنا للرحمه و إنا نسألک أن ترحمنا، و تستجیب ما سألناک برحمتک حیث إنک أرحم الراحمین.

و أما قوله علیه السّلام: «و صلی اللّه علی محمد و آله الطاهرین» .

اشاره

أقول: الصلوه جاءت فی القرآن لمعان: منها: الدعاء کقوله تعالی: وَ صَلِّ عَلَیْهِمْ ، ادع لهم إِنَّ صَلاٰتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ (۲)أی أن دعاءک سکن و تثبیت لهم. و منها: الدین کقوله: أَ صَلاٰتُکَ تَأْمُرُکَ (۳)، أی دینک. و منها: الرحمه کقوله: أُولٰئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَهٌ (۴)، أی ترحم. و منها: «التعظیم» ، قیل:

کقول:

«اللهم صل علی محمد و آل محمد»

، أی أعطه فی الدنیا أعلی ذکره، و إظهار دعوته، و إبقاء شریعته، و فی الآخره بتشفیعه فی أمته و مضاعفه أجره و مثوبته. و لا ریب فی أنه بهذه الأمور تظهر عظمته صلّی اللّه علیه و آله، و کیف کان فالصلوه علی النبی صلّی اللّه علیه و آله واجبه فی الصلوه عند الإمامیه و عند بعض العامه، و فی غیرها لا یخلو القول بوجوبها إذا ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله عن قوه کما لا یخفی.

۱- ۱) هود:۱۱۹.

۲- ۲) التوبه:۱۰۳.

۳- ۳) هود:۸۷.

۴- ۴) البقره:۱۵۷.

و قوله علیه السّلام:

«و صلی اللّه علی محمد و آله»

، إما یراد منه الإنشاء فهو حینئذ دعا لهم علیهم السّلام و سیأتی معناه، و إما إخبار عن صلوات اللّه تعالی له صلّی اللّه علیه و آله فهی معنی التنزیه کما یأتی بیانه.

و کیف کان فهاهنا أمور:

الأمر الأول: فیما ورد فی فضیله الصلوه علی محمد و آله و التأکید بها عند ذکره صلّی اللّه علیه و آله و ذمّ تارکها.

ففی البحار (۱)عن ثواب الأعمال و أمالی الصدوق بإسناده عمّن سمع الباقر علیه السّلام یقول: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من أدرک شهر رمضان فلم یغفر له فأبعده اللّه، و من أدرک والدیه فلم یغفر له فأبعده اللّه، و من ذکرت عنده فلم یصلّ علیّ فلم یغفر له فأبعده اللّه» .

قوله صلّی اللّه علیه و آله: «من أدرک والدیه فلم یغفر له» ، أی إما لم یعمل لهما عملا یوجب غفرانه، و إما عمل ما یوجب سخطهما فأبعده اللّه تعالی.

و فیه عن العیون و الأمالی للصدوق رحمه اللّه بإسناده، عن علی بن الحسن الفضال عن أبیه قال: قال الرضا علیه السّلام: «من لم یقدر علی ما یکفّر به ذنوبه، فلیکثر من الصلوه علی محمد و آله فإنها تهدم الذنوب هدما» .

و قال علیه السّلام: «الصلوه علی محمد و آله تعدل عند اللّه عز و جل التسبیح و التهلیل و التکبیر» .

و فیه عن الأمالی، عن الصادق علیه السّلام قال: «إذا صلّی أحدکم و لم یذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله یسلک بصلاته غیر سبیل الجنه، قال: و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: من ذکرت عنده فلم یصلّ علیّ فدخل النار فأبعده اللّه عز و جل» .

و فیه عن المحاسن، عن ابن جمیله مثله، و زاد فیه: و قال صلّی اللّه علیه و آله: «من ذکرت عنده فنسی الصلوه علیّ خطّئ به طریق الجنه» .

۱- ۱) البحار ج ۹۴ ص ۴۷.

و فیه عن الخصال الأربعمائه، قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «صلّوا علی محمد و آل محمد، فإن اللّه عز و جل یقبل دعاءکم عند ذکر محمد و دعاءکم له و حفظکم إیاه صلّی اللّه علیه و آله» .

و فیه عن أمالی الطوسی، عن الصادق علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «صلاتکم علیّ إجابه لدعائکم و زکاه لأعمالکم» .

و فیه عن العلل، عن أبی الحسن العسکری علیه السّلام قال: «إنما اتّخذ اللّه إبراهیم خلیلا، لکثره صلاته علی محمد و أهل بیته (صلوات اللّه علیهم)» .

و فیه عن ثواب الأعمال، عن الصادق، عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «أنا عند المیزان یوم القیامه، فمن ثقلت سیئاته علی حسناته جئت بالصلاه علیّ حتی أثقل بها حسناته» .

و فیه، عنه، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: «الصلوه علی النبی صلّی اللّه علیه و آله أمحق للخطایا من الماء للنار، و السلام علی النبی صلّی اللّه علیه و آله أفضل من عتق رقاب، و حبّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أفضل من مهج الأنفس، أو قال: ضرب السیوف فی سبیل اللّه» .

و فیه، عنه بإسناده، عن عبد السلام بن نعیم قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إنی دخلت البیت فلم یحضرنی شیء من الدعاء إلّا الصلوه علی النبی صلّی اللّه علیه و آله فقال علیه السّلام «لم یخرج أحد بأفضل مما خرجت» .

و فیه، عنه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «ارفعوا أصواتکم بالصلوه علیّ فإنها تذهب بالنفاق» .

و فیه عن الإرشاد بإسناده، عن عبد اللّه بن علی بن الحسین علیه السّلام أنه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إن البخیل کلّ البخیل الذی إذا ذکرت عنده لم یصلّ علیّ صلّی اللّه علیه و آله» .

و فیه، عن إرشاد القلوب، عن موسی بن جعفر، عن آبائه علیهم السّلام عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنه قال فی جواب الیهودی الذی سأله عن فضل النبی صلّی اللّه علیه و آله علی سائر الأنبیاء علیهم السّلام فذکر الیهودی أن اللّه أ سجد ملائکته لآدم علیه السّلام، فقال علیه السّلام: «و قد أعطی

اللّه محمـدا صـلّى اللّه عليه و آله أفضـل من ذلـك، و هـو أن اللّه صـلّى عليه و أمر ملائكته أن يصـلّوا عليه، و تعبّـد جميع خلقه بالصـلوه عليه إلى يوم القيامه فقال جلّ ثناؤه: إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى اَلنَّبِيِّ يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً (1). فلا يصلّ عليه أحد فى حياته و لا بعد وفاته إلاّ صـلّى اللّه عليه بذلك عشـرا، و أعطاه من الحسـنات عشـرا بكل صـلوه صلّى عليه، و لا يصلّ عليه أحـد بعـد وفاته إلاّ و هو يعلم بـذلك، و يرد على المصلّى السـلام مثل ذلك لأن اللّه جلّ و عزّ جعل دعاء أمّته فيما يسألون ربهم جلّ ثناؤه موقوفا عن الإجابه حتى يصـلّوا عليه صـلّى اللّه عليه و آله فهذا أكبر و أعظم مما أعطى اللّه لآدم عليه السّـلام» ، الحديث. أقول: المسـتفاد من هذا الحديث الشـريف مضافا إلى فضل الصـلوه عليه صـلّى اللّه عليه و آله أنه تعالى أكرم محمدا صـلّى اللّه عليه و آله بأن صلّى هو تعالى عليه، و تعبّد جميع خلقه من الملائكه و غيرهم من المؤمنين أن يصلّوا عليه كـل ذلك تشـريفا و تكريما منه تعالى له صـلّى اللّه عليه و آله، و سـيأتى معنى الصـلوه عليه صـلّى اللّه عليه و آله من اللّه تعالى، فيعلـم منـه أنـه صـلّى اللّـه عليـه و آله فى مقـام عـال من القرب إليه تعـالى، و أنه صـلّى اللّه عليه و آله مظهر للصـفات الربـوبيه و التجليـات الإلـهيه الجلاليه و الجماليه بأحسن ما يمكن بحيث صار صـلّى اللّه عليه و آله قابلا لأن يصـلّى عليه اللّه تعالى بالصـلوه بـالمعنى الـذى يـأتى ذكره، و لأن يـأمر ملائكته و المؤمنين أن يصـلوا عليه صـلّى اللّه عليه و آله. و لنعم مـا قال بعضـهم من أن تشـريف اللّه محمدا بقوله: إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى اَلنَّبِيِّ ، أبلغ من تشريف آدم بالسجود. أقول: مضافا إلى ما تقدم من أن سجود الملائكه لآدم عليه السّـلام بحيث صار آدم مسـجودا إليه كالكعبه لا مسجودا له كما حقق فى محله، إنما كان لأجل كون أشباح أنوار محمد و آله صـلّى اللّه عليه و آله فى صـلب آدم، و بهذه الجهه صار آدم قابلا لسجود الملائكه له كما لا يخفى، و كيف لا يصلى عليه صلّى اللّه عليه و آله مع أنه تعالى قد صلّى عليه صلّى اللّه عليه و آله.

ففيه عن ثواب الأعمال بإسناده، عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إذا

۱- ۱) الأحزاب:۵۶.

ذكر النبى صلّى اللّه عليه و آله فأكثروا الصلوه عليه، فإنه من صلّى على النبى صلوه واحده صلّى اللّه عليه ألف صلوه فى ألف صفّ من الملائكه، و لم يبق شىء مما خلق اللّه إلاّ صلى على ذلك العبد لصلاه اللّه عليه و صلاه ملائكته، و لا يرغب عن هذا إلاّ جاهل مغرور قد برئ اللّه منه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله» . أقول: فلا يرغب عن الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله إلاّ المغرور، الذى باع حظّه بالأرذل الأدنى، و غفل عما له من الثواب فى الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله. ثم إنه يستفاد أيضا من حديث أمير المؤمنين عليه السّلام فى جواب اليهودى أن الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله من اللّه تعالى بما لها من المعنى الآتى ذكره تدل على أنه صلّى اللّه عليه و آله قد بلغ فى العلوّ و القرب إلى أن صار محلا لأن يصلى الملائكه و المؤمنون عليه بنحو تكون صلوتهم عليه صلّى اللّه عليه و آله عباده للّه تعالى. و بعباره أخرى: يظهر منه أن الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله عباده للّه تعالى، فكأنه صلّى اللّه عليه و آله كاد أن يصير معبودا لظهور الصفات الربوبيه فيه صلّى اللّه عليه و آله. و يدلّ عليه ما فيه

عن الاختصاص بإسناده، عن ابن نباته قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «ذكر اللّه عز و جل عباده، و ذكرى عباده، و ذكر على عباده، و ذكر الأئمه من ولده عباده» ، الخبر. ثم إنه ليس المراد من كون الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله عباده له صلّى اللّه عليه و آله بل المراد كونها عباده له تعالى. توضيحه: أن عبادته تعالى قد تكون بذكره تعالى فى الصلوه مثلا و التوجه إليه تعالى، كما هو حقيقه العباده للّه تعالى، فإنها لا تكون إلاّ بالتوجه إليه تعالى و التقرب إليه تعالى بالذكر و الأعمال الصالحه، فالمعبود هو اللّه تعالى فى هذه الأذكار و الأعمال و هذا واضح، و قد يكون بذكر النبى بأن يتوجه الإنسان إليه صلّى اللّه عليه و آله و يصلى عليه صلّى اللّه عليه و آله و يثنى عليه صلّى اللّه عليه و آله فالتوجه حينئذ إليه صلّى اللّه عليه و آله إلاّ أنه لما كان صلّى اللّه عليه و آله ممدوحا و محمودا لما فيه صلّى اللّه عليه و آله من ظهور التجليات الإلهيه بالنحو الأتم و المحل الأقرب إليه تعالى.

و قد جعل اللّه تعالى الصلوه عليه و التوجه إليه فى ضمن طلب الصلوه منه تعالى عليه صلّى اللّه عليه و آله عباده له تعالى، لأن الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله و مدحه و حمده يرجع فى الحقيقه إلى مدحه و حمده تعالى، فإن ما ظهر فيه من ملاك الحمد و المدح هو منه تعالى و له تعالى، و هو صلّى اللّه عليه و آله مظهر له تعالى، فبهذه الجهات جعل اللّه تعالى الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله بمثابه ذكره تعالى. و إلى هذا كلّه يدلّ

ما فيه عن جمال الأسبوع بإسناده، عن أبى عبد اللّه البرقى، يرفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال له رجل: جعلت فداك أخبرنى عن قول اللّه تبارك و تعالى و ما وصف من الملائكه: يُسَبِّحُونَ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لاٰ يَفْتُرُونَ (۱). ثم قال: إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى اَلنَّبِيِّ يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً ، كيف لا يفترون و هم يصلّون على النبى صلّى اللّه عليه و آله؟ فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «إن اللّه تبارك و تعالى لما خلق محمدا صلّى اللّه عليه و آله أمر الملائكه، فقال انقصوا من ذكرى بمقدار الصلوه على محمد، فقول الرجل: صلى اللّه على محمد فى الصلوه، مثل قوله: سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر » . أقول:

قوله عليه السّلام : «فقول الرجل. . إلخ» ، يدل على أن الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله كذكره تعالى بالتسبيحات الأربعه، و هذا لا يكون إلاّ إذا جعل ذكره صلّى اللّه عليه و آله كذكره تعالى، و قد جعله اللّه تعالى كذلك و وجهه ما ذكرناه، و قد تقدم فى الشرح ما فيه توضيح للمقام فراجع.

الأمر الثانى: فى فضل الأوقات للصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله.

ففى البحار (۲)عن الخصال بإسناده، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إذا كانت عشيه الخميس و ليله الجمعه نزلت ملائكه من السماء معها أقلام الذهب و صحف الفضه لا يكتبون عشيّه الخميس و ليله الجمعه و يوم الجمعه إلى أن تغيب الشمس إلاّ الصلوه

۱- ۱) الأنبياء:۲۰.

۲- ۲) البحار ج ۹۴ ص ۵۰.

على النبى و آله صلّى اللّه عليه و آله» .

و فيه، عنه فى خبر الأعمش، عن الصادق عليه السّلام قال: «الصلوه على النبى صلّى اللّه عليه و آله واجبه فى كلّ المواطن، و عند العطاس و الرياح و غير ذلك» .

و فيه عن جامع الأخبار و قال صلّى اللّه عليه و آله: «أكثروا من الصلوه علىّ يوم الجمعه، فإنه يوم تضاعف فيه الأعمال، و اسألوا اللّه لى الدرجه الوسيله من الجنه، قيل: يا رسول اللّه و ما الدرجه الوسيله من الجنه؟ قال: هى أعلى درجه من الجنه لا ينالها إلّا نبى أرجو أن أكون أنا» .

الأمر الثالث: أنه لا بد بل يجب ذكر الآل عليهم السّلام عقيب ذكره صلّى اللّه عليه و آله فى الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله.

ففيه عن الخصال بإسناده، عن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «من قال: صلى اللّه على محمد و آله قال اللّه جل جلاله: صلى اللّه عليك، فليكثر من ذلك، و من قال: صلى اللّه على محمد و لم يصلّ على آله لم يجد ريح الجنه، و ريحها توجد من مسيره خمسمائه عام» .

و روى فى فضائل الخمسه من الصحاح السته (۱)السيد مرتضى الحسينى الفيروزآبادى (دام ظله العالى) عن الصواعق المحرقه قال: و يروى: «لا تصلّوا علىّ الصلوه البتراء، فقالوا: و ما الصلوه البتراء؟ قال: تقولون: اللهم صلّ على محمد و تمسكون، بل قولوا: اللهم صلّ على محمد و على آل محمد » . أقول: و قد تقدم أن الأئمه عليهم السّلام هم آله صلّى اللّه عليه و آله فلا محاله يراد من الآل: الأئمه عليهم السّلام هذا و قد تقدم

عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبته فى يوم الغدير و الجمعه من قوله عليه السّلام: «و علاّهم بتعليته» ، أى جعلهم عليهم السّلام فى رتبه النبى صلّى اللّه عليه و آله فهم عليهم السّلام لا ينفكون عنه فى كل مقام و فضيله سوى رتبه النبوه كما تقدم مرارا.

۱- ۱) الصحاح السته ج ۱ ص ۲۲۳.

أقول: و هنا أخبار أخر دلّت على هذا الأمر كما لا يخفى.

الأمر الرابع: أنه إذا ذكر أحد من الأنبياء فلا بد من أن يبدأ بالصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله ثم عليه.

ففيه، عن أمالى الطوسى بإسناده عن معاويه بن عمار قال: ذكرت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام بعض الأنبياء فصليت عليه، فقال: «إذا ذكر أحد من الأنبياء فابدأ بالصلوه على محمد صلّى اللّه عليه و آله ثم عليه، صلّى اللّه على محمد و آله و على جميع الأنبياء» . أقول: قد عثرت على روايه دلّت على أن هذا الحكم فيما سوى إبراهيم عليه السّلام و أما هو فيبدأ بالصلوه عليه، و لعل الروايه تشير بها و نذكرها إن شاء اللّه تعالى.

الأمر الخامس: فى بيان كيفيه الصلوه عليه فى الجمله.

ففى البحار (۱)، عن أمالى الصدوق بإسناده، عن ابن أبى ليلى قال: لقيت كعب بن عجره فقال: أ لا أهدى لك هديه؟ إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خرج علينا فقلنا: يا رسول اللّه قد علمتنا كيف السلام عليك، فكيف الصلوه عليك؟ قال: قولوا: «اللهم صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم إنّك حميد مجيد، و بارك على آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» . أقول:

و فيه عن قرب الإسناد، ابن سعد، عن الأزدى قال: قال بعض الأصحاب عند أبى عبد اللّه عليه السّلام: اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صلّيت على إبراهيم، فقال: «لا، و لكن كأفضل ما صلّيت و باركت على إبراهيم و آل إبراهيم إنّك حميد مجيد» .

فقوله عليه السّلام: «لا، و لكن كأفضل. . إلخ» ، يدلّ على أفضليه الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله بالنحو الذى ذكره صلّى اللّه عليه و آله حفظا لأفضليه مقامهم عليهم السّلام على إبراهيم و آله عليهم السّلام. و قيل فى معنى كما صلّيت على إبراهيم. . إلخ: ليس التشبيه من باب إلحاق الناقص بالكامل كما يتبادر منه فى مثل هذا التشبيه و التعبير، بل لبيان حال من

۱- ۱) البحار ج ۹۴ ص ۴۸.

یعرف بمن لا یعرف، أی کما علمنا و عرفنا أنک صلّیت علی إبراهیم، و آل إبراهیم فکذلک صلّ علی محمد و آل محمد صلّی اللّه علیه و آله، و إما استحقاق کل ممن عرف للصلوه و من لم یعرف لها فهو غیر منظور من الکلام، بل هو موکول إلی بیان آخر یدلّ علی فضیله کل منهما بما یخصّه، أو یکون التشبیه فی أصل الصلوه لا فی قدرها، و یکون بیان قدرها موکولا إلی بیان آخر کما ذکرنا. و قد یقال: إن التشبیه معناه اجعل لمحمد صلّی اللّه علیه و آله صلوه بمقدار الصلوه لإبراهیم و آله، و ذلک أنه کان فی آل إبراهیم خلائق لا یحصون من الأنبیاء، و لیس فی آله صلّی اللّه علیه و آله نبی فیتوهم حینئذ إن آل إبراهیم بلحاظ کثره الأنبیاء فیهم یکون لهم حظّ أوفر من الصلوه لمکان النبوه فی آله (أی آل إبراهیم) فلهذا طلب منه تعالی إلحاق جمله و هم آل النبی صلّی اللّه علیه و آله لیس فیهم إلاّ نبی واحد و هو محمد صلّی اللّه علیه و آله بما فیه (أی بآل فیه) أنبیاء کثیرون دفعا لتوهم أن آل محمد صلّی اللّه علیه و آله حیث لم یکن فیهم نبی، فالصلوه علیهم تکون أقل، لعدم وجود النبوه الموجبه للصلوه الکثیره علیهم، فطلب الإلحاق بهم أی صلّ علی آله صلّی اللّه علیه و آله صلوه کثیره، مع أنه لیس فیهم نبی، صلوه توازی الصلوه علی آل إبراهیم الذی فیهم الأنبیاء، فتأمل کما لا یخفی.

و فیه، عن ثواب الأعمال بإسناده، عن الصباح بن سبابه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «أ لا اعلّمک شیئا یقی اللّه به وجهک من حرّ جهنم؟ قال: قلت: بلی، قال: قل بعد الفجر: اللهم صلی علی محمد و آله محمد ، مائه مرّه یقی اللّه به وجهک من حرّ جهنم» . أقول: و مثله أحادیث فیها بیان ثواب الصلوه علیه و علیهم (علیه و علیهم الصلوه و السلام) .

و فیه، عن کشف الغمه، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من قال جزی اللّه عنا محمدا ما هو أهله أتعب سبعین کاتبا ألف صباح» . أقول: إنما ذکرنا هذا الحدیث فی کیفیه الصلوه علیه صلّی اللّه علیه و آله مع أنه لیس فیه لفظ الصلوه، لأنه سیجیء قریبا فی الأمر الآتی أن معنی صلوه المؤمنین دعاء له صلّی اللّه علیه و آله

و هذا الحديث متضمن و مبين لكيفيه الدعاء له صلّى اللّه عليه و آله

بقوله:

«جزى اللّه عنا محمدا ما هو أهله صلّى اللّه عليه و آله»

فهو فى الحقيقه روح الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله. و كيف كان فهذه الأحاديث دلّت على كيفيه الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله بنحو الإجمال و الاختصار، و أما الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله بالنحو المبسوط، فكتب الأدعيه و الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله مشحونه بذلك كما لا يخفى.

الأمر السادس: فى بيان معنى الصلوه و السلام عليه صلّى اللّه عليه و آله.

اشاره

ففى البحار (۱)، عن ثواب الأعمال بإسناده، عن أبى المغيره، قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: «من قال فى دبر صلوه الصبح و صلوه المغرب قبل أن يثنى رجليه أو يكلم أحدا: إِنَّ اَللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى اَلنَّبِيِّ يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً اللهم صل على محمد و ذريته ، قضى اللّه له مائه حاجه، سبعين فى الدنيا و ثلثين فى الآخره، قال: قلت له: ما معنى صلوه اللّه و صلوه ملائكته و صلوه المؤمنين؟ قال: صلوه اللّه رحمه من اللّه و صلوه ملائكته تزكيه منهم له، و صلوه المؤمنين دعاء منهم له. و من سرّ آل محمد فى الصلوه على النبى و آله: اللهم صلى على محمد و آل محمد فى الأولين، و صلّ على محمد و آل محمد فى الآخرين و صلّ على محمد و آل محمد فى الملإ الأعلى، و صل على محمد و آل محمد فى المرسلين، اللهم أعط محمدا الوسيله و الشرف و الفضيله و الدرجه الكبيره، اللهم إنى آمنت بمحمد و لم أره، فلا تحرمنى يوم القيامه رؤيته، و ارزقنى صحبته، و توفّنى على ملته، و اسقنى من حوضه مشربا رويا سائغا هنيئا لا أظمأ بعده أبدا، إنك على كل شىء قدير، اللهم كما آمنت بمحمد و لم أره فعرفنى فى الجنان وجهه، اللهم بلّغ روح محمد عنى تحيه كثيره و سلاما. فإن من صلى على النبى صلّى اللّه عليه و آله بهذه الصلوات هدمت ذنوبه، و محيت خطاياه، و دام سروره، و استجيب دعاؤه، و أعطى أمله، و بسط له فى رزقه، و أعين على

۱- ۱) البحار ج ۹۴ ص ۵۸.

عـدوه، و هی له سـبب أنواع الخیر، و یجعـل من رفقاء نبیّه فی الجنان الأعلی، تقولهنّ ثلاث مرّات غـدوه و ثلاث مرّات عشـیه» .

أقول: إنما ذکرت هذا الحدیث بطوله لما فیه من الفوائد کما لا یخفی.

و فیه عن معانی الأخبار بإسـناده، عن موسـی بن جعفر، عن أبیه علیه السّلام قال: «من صلّی علی النبی صلّی اللّه علیه و آله فمعناه إنی أنا علی المیثاق و الوفاء الذی قبلت حین قوله: أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ » .

و فیـه عنه بإسـناده إلی ابن أبی حمزه، عن أبیه قـال: سـألت أبـا عبـد اللّه علیه السّـلام عن قـول اللّه عز و جـل: إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی اَلنَّبِیِّ یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً ، فقال: «الصلوه من اللّه عز و جل رحمه، و من الملائکه تزکیه، و من الناس دعاء.

و أما قوله عز و جل:

وَ سَـلِّمُوا تَسْـلِیماً ، فـإنه یعنی التسـلیم فیمـا ورد عنه، قال: فقلت له: فکیف نصـلّی علی محمـد و آله؟ قال: تقولـون صـلوات اللّه و صلـوات ملائکته و أنبیـائه و رسـله و جمیع خلقه علی محمـد و آل محمـد، و السـلام علیه و علیهم و رحمه اللّه و برکـاته، قـال: فقلت: فما ثواب من صلّی علی النبی و آله بهذه الصلوه؟ قال: الخروج من الذنوب و اللّه کهیئه یوم ولدته أمه» .

و فیه عن المحاسن: أبی، عن محمد بن سـنان، عمن ذکره، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عز و جل: إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی اَلنَّبِیِّ یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً فقال: «أثنوا علیه و سلّموا له» .

و فیه، عنه، عن أبی بصـیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السّـلام عن قول اللّه عز و جل: إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِکَتَهُ یُصَـلُّونَ عَلَی اَلنَّبِیِّ یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً قال: «الصلوه علیه، و التسلیم له فی کل شیء جاء به» .

و فیه عن جمال الأسـبوع: حـدّث أحمـد بن موسـی، عن الحسن بن موسـی، عن علی بن حسّان، عن عبـد الرحمن بن کثیر، قال: سألته عن قول اللّه تبارک و تعالی:

إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى اَلنَّبِيِّ يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً

(١)

فقال: «صلوه اللّه تزكيه له فی السماء، قلت: ما معنی تزكيه اللّه إياه؟ فقال: زكّاه بأن برأه من كل نقص و آفه يلزم مخلوقا، قلت: فصلوه المؤمنين؟ قال: يبرّئونه و يعرّفونه بأن اللّه قد برأه من كل نقص هو فی المخلوقين من الآفات، التی تصيبهم فی بنيه خلقهم، فمن عرّفه و وصفه بغير ذلک فما صلی عليه، قلت: فكيف نقول نحن إذا صلّينا عليهم؟ قال: تقولون: اللهم إنا نصلّی علی محمد نبيّک و علی آل محمد، كما أمرتنا به و كما صلّيت عليه، فكذلک صلوتنا عليه» .

أقول: هنا أمران:

الأول: فی معنی الصلوه عليه و عليهم صلّی اللّه عليه و آله.

و الثانی: فی معنی و سلّم تسليما كثيرا و معنی السلام. فنقول: أما الأول: فالصلوه مشتقه إما من الصله بمعنی المنحه و العطيه، فحينئذ معنی صلی اللّه عليهم أو صلّ عليهم أی منح اللّه لهم أو امنح لهم عطاياک، و من المعلوم أنه تعالی قد صلّی عليهم بهذا المعنی فإنه قد أعطی نبيه و أهل بيته ما أرضاهم من كل خير بمقتضی فضله و كرمه و بمقتضی قابليتهم عليهم السّلام و استعدادهم صلی اللّه عليهم أجمعين، بل تقدم أنه تعالی أعطاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، و قد تقدم بيان موارده فی الجمله، و أعطاهم أيضا بمقتضی صلوه الخلق و شيعتهم لهم عليهم السّلام و دعائهم لهم عليهم السّلام حيث علمت و تعلم أن الصلوه من الخلق هو الدعاء. ثم إنه تعالی أمر الخلق و المؤمنين بالصلوه عليه صلّی اللّه عليه و آله و عليهم عليهم السّلام و دعائهم لهم عليهم السّلام حيث علمت و تعلم أن الصلوه من الخلق هو الدعاء. ثم إنه تعالی أمر الخلق و المؤمنين بالصلوه عليه صلّی اللّه عليه و آله و عليهم عليهم السّلام لما يجب عليهم من الشكر لولی نعمهم خصوصا نعمه الهدايه و التعليم و الإعانه، و التوفيق لطاعه اللّه تعالی و طاعتهم عليهم السّلام و الإيمان، فإن هذه النعم إنما وصلت إليهم بواسطتهم عليهم السّلام مضافا إلی أنهم عليهم السّلام هم الوسائط التكوينيه فيما وصل إلی الخلق منه

١- ١) الأحزاب:۵۶.

تعالی من الرزق و الحیوه و الممات الحسن، فإن هذه لم تصل إلی الخلق إلاّ بواسطتهم علیهم السّلام. و إما تکون الصلوه من الوصل فحینئذ فالصلوه علیهم علیهم السّلام منه تعالی هو أن یصل نبیّه و أهل بیته بکل خیر مطلوب و أمر مرغوب. فلعمری لقد فعل تعالی بهم من وصلهم علیهم السّلام بکل خیر ما لم یفعل بغیرهم، کما تقدم أیضا فی شرح

قوله علیه السّلام:

«آتاکم اللّه ما لم یؤت أحدا من العالمین»

، و یمکن أن یراد من الوصل وصلهم علیهم السّلام به تعالی بالمعنی الصحیح المذکور فی معنی لقائه تعالی و وصله تعالی کما لا یخفی، و إما یکون الصلوه من الوصله أی ما یتوصل به من الأسباب و الوسائل إلی المطلوب، فقد أعطاهم اللّه تعالی جمیع أسباب الوصلات مما یتوصل به الإنسان إلی أی خیر سنی و مقام علی، و قد تقدم أنه تعالی أعطاه صلّی اللّه علیه و آله الوسیله یوم القیامه و هی درجته صلّی اللّه علیه و آله فی الجنه و المقام المحمود فی یوم القیامه کما علمت. و منها: الصلوه بهذا المعنی فإنهم علیهم السّلام قد أتوا بالصلوه التی هی قربان کل تقی و خیر موضوع و معراج المؤمن بالنحو الأتم الأکمل، فارتقوا بها إلی کل مرتقی عال و مقام سنی، بل علمت فیما تقدم أن حقیقتهم علیهم السّلام حقیقه الصلوه التی هی حقیقه الخضوع و الخشوع و الفناء عن النفس فی قبال عظمه ذاته المقدسه، فهم علیهم السّلام حقیقه الوصله و الوصول و روح الوصل و اللقاء و السرور من الذات العلی الأعلی جلّت آلاؤه و عظمت أسماؤه، هذا کله بحسب اللغه و بلحاظ صلوه اللّه تعالی علیهم (صلی اللّه علیه و علیهم أجمعین) و علی هذا فمعنی صلوه الملائکه علیهم و کذلک صلوه المؤمنین علیهم هو طلب هذه الأمور الثلاثه أو أحدها منه تعالی لهم علیهم السّلام. إذا علمت هذا فاعلم أنه قد فسّرت الصلوه علیهم علیهم السّلام فی الأحادیث فإنها إن کانت من اللّه تعالی فهی بمعنی الرحمه کما فی حدیث ابن المغیره عن أبی الحسن علیه السّلام و حدیث ابن أبی حمزه عن الصادق علیه السّلام، و علیه فیمکن حمل الرحمه علی المعانی

الثلاـثه المتقـدمه بحسـب اللغـه، حيـث إن الرحمـه فى بنى آدم هى رقّـه القلـب ثـم عطفه، و فى اللّه تعـالى عطفه و برّه و رزقه و إحسـانه، و معلوم أن هـذه إنمـا تتحقق بـامور هى مصاديق للرحمه من المنحه و العطيه و جميع مصاديق الخير، و كـذلك وصـله تعالى إياهم بكل خير أو به تعالى على المعنى الصحيح المـذكور فى محله أيضا هو من مصاديق للرحمه بل من أحسـنها كما لا يخفى. و أيضا إذا فسّرت الصلوه بالوصله و ما يتوصل و يتوسل به من أسباب الوصلات فى الدنيا و الآخره، فهى أيضا من أحسن مصاديق الرحمه كما لا يخفى، بل و يمكن حمل

قوله عليه السّـلام فى معنى الصلوه فى الآيه حيث فسّرها فقال: أثنوا عليه و سلّموا له فى حديث محمـد بن سـنان عمن ذكره، و كذلك

فى حـديث أبى بصـير عن الصادق عليه السّـلام من قوله: «الصـلوه عليه» ، بعـد الآيه المباركه على ما ذكر من الرحمه و ما لها من المصاديق التى ذكرناها. نعم قد فسّرت الصلوه فى المضمره

فيما رواه فى جمال الأسبوع حيث قال: فقال «صلوه اللّه تزكيه له فى السماء، قلت: ما معنى تزكيه اللّه إيّاه؟ قال: زكوه بأن برّأه من كل نقص و آفه يلزم مخلوقا» الحديث، فحينئذ معنى الصـلوه عليه صـلّى اللّه عليه و آله هو تزكيته تعالى إياه صلّى اللّه عليه و آله حـدوثا و بقاء من كل نقص و آفه يلزم مخلوقا، فحينئـذ مفاد الصـلوه عليه صـلّى اللّه عليه و آله منه تعالى مفاد آيه التطهير، حيث إنه تعـالى طهرهم من كلّ رجس و شك و رذيله، فقـد طهرهم تطهيرا عن هـذه النقائص و الآفات، حيث إنهم عليهم السّـلام لما كـانوا بشـرا كـانوا بمعرض هـذه الآفـات و النقـائص، إلاّـ أنه تعـالى قـد منّ عليهم بـأن طهرهم منها تطهيرا، فهم كما قال الشاعر: مطهرون نقيات ثيابهم تجرى الصلوه عليهم حيثما ذكروا كما تقدم بيانه فى شرح

قـوله عليـه السّـلام: «و طهركـم تطهيرا» . أقـول: و هـذا التطهير و التنزيـه منه تعـالى إيـاهم صـلّى اللّه عليه و آله أيضـا من أحسـن مصاديق

رحمته الحقّه الحقيقيه تبارکت أسماؤه، بل هذه الرحمه بهذا المعنى هى صنع اللّه تعالى بهم بالاصطفاء و التطهير و التزکيه و التکرمه، لتحقق القابليه التامه الکامله لهم عليهم السّلام ليستحقوا بها تلقى الجلوات الربوبيه منه تعالى على حقائقهم النقيه الطاهره المطهره التقيه الزکيه کما لا يخفى، هذا کلّه إذا کانت الصلوه منه تعالى عليهم (صلى اللّه عليه و عليهم أجمعين) . و أما إن کانت الصلوه من الملائکه فهى کما

فى حديث ابن المغيره عن أبى الحسن عليه السّلام: «تزکيه منهم له صلّى اللّه عليه و آله» ،

و فى حديث ابن أبى حمزه قال: «و من الملائکه تزکيه» ، فمعناه أنهم يزکّونه کما زکّاه اللّه تعالى من النقائص و الآفات مما يلزم مخلوقا هذا، و لکن المشهور أن الصلوه من الملائکه الاستغفار، فحينئذ يقع الکلام فى أنه ما معنى استغفار الملائکه للنبى صلّى اللّه عليه و آله؟ قد يقال فى الجواب: إنه لما تحملوا ذنوب شيعتهم کما تقدم فى بيان قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَکَ اَللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ مٰا تَأَخَّرَ (۱).

ففى تفسير نور الثقلين، عن مجمع البيان، روى المفضل بن عمر، عن الصادق عليه السّلام قال: سأله رجل عن هذه الآيه، فقال: «و اللّه ما کان له ذنب، و لکن اللّه سبحانه ضمن أن يغفر ذنوب شيعه على عليه السّلام ما تقدم من ذنبهم و ما تأخّر» . فحينئذ يرجع استغفار الملائکه له صلّى اللّه عليه و آله إلى الاستغفار لشيعتهم، فيکون مفاد هذا الکلام مفاد الأخبار الوارده فى قوله تعالى: اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ اَلْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا (۲).

ففى تفسير نور الثقلين (۳)، عن روضه الکافى بإسناده، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال لأبى بصير: «يا أبا محمد إن للّه ملائکه يسقطون الذنوب من ظهور شيعتنا کما يسقط الريح الورق فى أوان سقوطه، و ذلک قوله عز و جل: اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ اَلْعَرْشَ

۱- ۱) الفتح:۲.

۲- ۲) غافر:۷.

۳- ۳) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۵۵.

وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا استغفارهم و اللّه لكم دون هذا الخلق» ، الحديث.

و فيه، عن عيون الأخبار بإسناده، عن الرضا عليه السّلام، عن على بن أبى طالب عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حديث طويل و فيه يقول صلّى اللّه عليه و آله: «و إن الملائكه لخدّامنا و خدّام محبّينا، يا على الذين يحملون العرش و من حوله يسبّحون بحمد ربهم. . و يستغفرون للذين آمنوا بولايتنا» . و قد يقال: إن معنى استغفر الملائكه له صلّى اللّه عليه و آله هو استغفارهم لشيعتهم و لأمّته المؤمنين، فإسناد الاستغفار إليه صلّى اللّه عليه و آله بلحاظ استناد ما هو للمسبب إلى السبب، فإن الملائكه إنما تستغفر للشيعه و للأمه من المؤمنين لأجل النبى و الأئمه عليهم السّلام كما لا يخفى، و هذا المعنى و المعنى السابق لا ينافى ما فسّر صلوه الملائكه له صلّى اللّه عليه و آله بالتزكيه له صلّى اللّه عليه و آله، إذ علمت أن هذا الاستغفار يرجع بالآخره إلى استغفار ذنوب شيعتهم فلا ينافى تزكيتهم و أنهم مبرّءون من الذنوب و النقائص و الآفات التى تلزم المخلوق كما لا يخفى. و ربما يقال: إن استغفارهم له صلّى اللّه عليه و آله و لو كان بأحد المعنيين يرجع إلى تزكيته صلّى اللّه عليه و آله و تنزيهه، حيث إن استغفارهم له صلّى اللّه عليه و آله و إن رجع إلى استغفار ذنوب شيعتهم إلاّ أنه لما حمّلوا ذنوبهم فكانت ثقيله عليهم صلّى اللّه عليه و آله فبالاستغفار يسلمون صلّى اللّه عليه و آله من حملها و تحمّلها، فكأنهم حينئذ قد طهروا منها، و حقيقه التطهير هى التزكيه، فصح حينئذ إن صلوه الملائكه تزكيه لهم عليهم السّلام، هذا كله بالنسبه إلى صلوه الملائكه له و لهم (صلى اللّه عليه و عليهم) . و أما إن كانت الصلوه من المؤمنين و من شيعتهم،

ففى حديث ابن المغيره: «و صلوه المؤمنين دعاء منهم له» ،

و فى حديث ابن أبى حمزه: «و من الناس دعاء» .

و فى حديث محمد بن سنان فقال: «أثنوا عليه و سلّموا له» .

و فى حديث أبى بصير قال: «الصلوه عليه و التسليم له فى كل شىء جاء به» ،

فنقول: لعل الصلوه عليه و الثناء عليه هو مدحه و ذكره صلّى اللّه عليه و آله بالذكر الحسن و الكلام الجميل فيه صلّى اللّه عليه و آله كما هو معنى الثناء لغه. و أما الدعاء له، فالدعاء لغه هو الابتهال إلى اللّه تعالى، و السؤال منه تعالى، و الرغبه فيما عنده من الخير، و جاء بمعنى الاستغاثه، فحينئذ معنى الدعاء له هو الابتهال إليه تعالى و السؤال منه تعالى لمنحه صلّى اللّه عليه و آله كل خير كما تقدم

فى حديث ابن عباس عنه صلّى اللّه عليه و آله: «من قال جزى اللّه عنا محمدا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح» ،

و ما رواه فى جامع الأخبار كما تقدم عنه صلّى اللّه عليه و آله من قوله صلّى اللّه عليه و آله: «أكثروا من الصلوه علىّ يوم الجمعه فإنه يوم يضاعف فيه الأعمال و اسألوا اللّه لى الدرجه الوسيله من الجنه» الحديث، و قد تقدم و هذان يبيّنان معنى الدعاء له صلّى اللّه عليه و آله. ثم إن كتب الأدعيه مشحونه بذكر الدعاء له صلّى اللّه عليه و آله و للأئمه عليهم السّلام فإنها بتلك الأدعيه لهم عليهم السّلام يبين كيفيه الدعاء له صلّى اللّه عليه و آله، و منه يظهر كيفيه حقيقه الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله فقولنا:

اللهم صل على محمد و آل محمد

، دعاء إجمالى له صلّى اللّه عليه و آله أى طلب منه تعالى كل الخير له صلّى اللّه عليه و آله، و مما ذكر يعلم

قوله عليه السّلام: «الصلوه عليه» ، أو

قوله: «اثنوا عليه» ، يرجع إلى الدعاء له صلّى اللّه عليه و آله بالنحو الذى ذكرناه و استفدناه من الأحاديث. هذا و لكن

فى الحديث المذكور عن جمال الأسبوع بعد ما بين: أن صلوه اللّه تعالى هو تزكيته له فى السماء بأن برّأه اللّه تعالى من كل نقص و آفه يلزم مخلوقا، قلت: فصلوه المؤمنين؟ قال: «يبرّئونه و يعرّفونه بأن اللّه قد برّأه من كل نقص هو فى المخلوقين من الآفات التى تصيبهم فى بنيه خلقهم» ، فمن عرّفه و وصفه بغير ذلك فما صلّى عليه. . إلى أن ذكر فى كيفيه الصلوه فقال: و كما صليت أنت عليه فكذلك صلواتنا عليه. فهذا الحديث صريح فى أن صلوه المؤمنين يلزم أن تكون كصلوه اللّه تعالى عليه التى هى تزكيه له صلّى اللّه عليه و آله و كصلوه الملائكه، التى علمت أنها تزكيه أيضا، فحينئذ فالصلوه عليه من اللّه تعالى و من الملائكه و من الناس يلزم أن تكون تزكيه بالنحو

الذی بینه علیه السّلام فی حدیث جمال الأسبوع، و یمکن حمل

قوله: «الصلوه علیه» ، أو

قوله «اثنوا علیه» ، بل

قوله: «و صلوه المؤمنین دعاء منهم لهم صلّی اللّه علیه و آله» ، علی معنی التزکیه، فإنها من أحسن مصادیق الدعاء و الثناء علیه حیث علمت أنها ترجع إلی بیان ما أثبتته لهم آیه التطهیر کما تقدم. و یشیر إلیه قوله علیه السّلام فی ذیل الحدیث فی بیان کیفیه الصلوه علیه صلّی اللّه علیه و آله و کما صلیت أنت علیه فکذلک صلواتنا علیه، و قد علمت أن صلوته تعالی علیه هی تزکیته فتکون صلواتنا علیه أیضا تزکیته. ثم إن التزکیه قد فسّرت بقوله بأنه تعالی قد برّأه من کل نقص و آفه تلزم مخلوقا مما تصیبهم فی بنیه خلقهم. أقول: لعل المراد من النقص المنفی عنهم و کذا الآفه هو ما نفته عنهم آیه التطهیر من الرجس المفسّر بالشک. فهم علیهم السّلام مطهرون منه و من کل ما یلزمه من الجهل و العصیان و السهو و الغفله، و من کل دنیّه و رجاسه و نجاسه تعرض قلوب المخلوقین کما صرّح به فی الأدعیه و الزیارات و سیأتی ذکرها، و قد ذکر العلماء (رضوان اللّه تعالی علیهم) فی شرائط الإمام من أنه یجب أن یکون سالما من الآفات و الأمراض، التی توجب تنفّر الطباع عنه أو توجب سلب الاعتماد و الاطمینان به، فتفصیل هذا موکول إلی کتب الکلام.

و فی الخطبه التی ذکرها أمیر المؤمنین علیه السّلام فی یوم الغدیر و یوم الجمعه کما فی الإقبال و مصباح المتهجد ما یبیّن تزکیته تعالی له صلّی اللّه علیه و آله فقال علیه السّلام کما فی الإقبال «و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله استخلصه فی القدم علی سائر الأمم علی علم منه بأنه انفرد عن التشاکل و التماثل من أبناء الجنس، و انتجبه آمرا و ناهیا عنه، أقامه فی سائر عالمه فی الأداء مقامه إذ کان لا تدرکه الأبصار، و لا تحویه خواطر الأفکار، و لا تمثله غوامض الظنون فی الأسرار لا إله إلاّ هو الملک الجبّار، قرن الاعتراف بنبوّته بالاعتراف بلاهوتیته و اختصّه من تکرمته بما لم یلحقه فیه أحد من بریّته.

فهو أهل ذلک بخاصته و خلّته إذ لا یختص من یشوبه التغییر و لا یخالل من یلحقه التظنین، و أمر بالصلوه علیه مزیدا فی تکرمته، و طریقا للداعی إلی إجابته فصلی اللّه علیه و کرّم و شرّف و عظم مزیدا لا تلحقه التفنیه و لا ینقطع علی التأبید، و إن اللّه تعالی اختصّ لنفسه بعد نبیه صلّی اللّه علیه و آله من بریته خاصه، علاّهم بتعلیته، و سما (و سمّی خ ل) بهم إلی رتبته، و جعلهم الدعاه بالحق إلیه و الأداء بالإرشاد علیه» الخطبه. و قد تقدم شرحه سابقا، إلاّ أن المقصود من بیانها هنا الإشاره إلی أنه تعالی نزّه و طهر نبیّه صلّی اللّه علیه و آله ذکره علیه السّلام فی هذه الخطبه

من قوله: «انفرد عن التشاکل» ،

و قوله قبله: «استخلصه فی القدم» ،

و قوله: «انتجبه» ،

و قوله: «و اختصّه من تکرمته بما لم یلحقه فیه أحد» ، ثم إنه علیه السّلام ألحق به صلّی اللّه علیه و آله الأئمه فهم علیهم السّلام مثله صلّی اللّه علیه و آله فی هذه الطهاره و القداسه و النزاهه عن النقص و الآفات و سائر مقاماته صلّی اللّه علیه و آله سوی النبوه کما لا یخفی. ثم إنه تقدم عن موسی بن جعفر علیه السّلام من أن معنی الصلوه علیه:

«إنی أنا علی المیثاق و الوفاء الذی قبلت حین قوله: أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ (1)» ، فحینئذ نقول فی توضیحه:

فی تفسیر نور الثقلین (2)عن أصول الکافی بإسناده، عن زراره، عن حمران، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن اللّه تبارک و تعالی حیث خلق الخلق خلق ماء عذبا و ماء مالحا أجاجا، فامتزج الماء آن فأخذ طینا من أدیم الأرض فعرکه عرکا شدیدا، فقال لأصحاب الیمین و هم کالذر یدبون إلی الجنه بسلام، و قال لأصحاب الشمال إلی النار و لا أبالی. ثم قال: أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ شَهِدْنٰا أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ إِنّٰا کُنّٰا عَنْ هٰذٰا

ص: ۵۴۵

۱- ۱) الأعراف:۱۷۲.

۲- ۲) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۹۴.

غٰافِلِينَ ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال: أ لست بربكم و إن هذا محمد رسولى و إن هذا على أمير المؤمنين؟ فقالوا: بلى، فثبتت لهم النبوه، و أخذ الميثاق على أولى العزم: إننى ربكم و محمد صلّى اللّه عليه و آله و على أمير المؤمنين و أوصياؤه من بعده ولاه أمرى و خزّان علمى عليهم السّلام و إن المهدى أنتصر به لدينى، و أظهر به دولتى، و أنتقم به من أعدائى، و أعبد به طوعا و كرها، قالوا: أقررنا يا رب و شهدنا» الحديث.

و فيه عن تفسير على بن إبراهيم بإسناده، عن بكير بن أعين قال: كان أبو جعفر عليه السّلام يقول: «إن اللّه أخذ ميثاق شيعتنا بالولايه لنا و هم ذرّ يوم أخذ الميقاق على الذر بالإقرار له بالربوبيه و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله بالنبوه، و عرض اللّه عز و جل على محمد امته فى الطين و هم أظلّه، و خلقهم من الطينه التى خلق آدم، و خلق اللّه أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفى عام و عرضهم و عرّفهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عرفهم عليا و نحن نعرفهم فى لحن القول» .

و فيه عن تفسير العياشى، عن جابر قال: قال لى أبو جعفر عليه السّلام: «يا جابر لو يعلم الجهّال متى سمّى أمير المؤمنين على عليه السّلام لم ينكروا حقه؟ قال: قلت: جعلت فداك متى سمى؟ فقال لى: قوله: و إذا أخذ ربك من بنى آدم. . . أ لست بربكم، و أن محمدا صلّى اللّه عليه و آله رسول اللّه و أن عليا أمير المؤمنين عليه السّلام قال: ثم قال لى: يا جابر هكذا و اللّه جاء بها محمد صلّى اللّه عليه و آله» .

و فيه عن تهذيب الأحكام فى الدعاء بعد صلوه الغدير المسند إلى الصادق عليه السّلام: «و مننت علينا شهاده الإخلاص لك بموالاه أوليائك الهداه المهديين من بعد النذير المنذر و السراج المنير، و أكملت الدين بموالاتهم، و البراءه من عدوهم، و أتممت علينا النعمه التى جددت لنا عهدك، و ذكرتنا ميثاقك المأخوذ منا فى مبدأ خلقك إيّانا، و جعلتنا من أهل الإجابه، و ذكرتنا العهد و الميثاق، و لم تنسنا ذكرك فإنك قلت: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ ، شهدنا بمنّك و لطفك فإنك أنت اللّه لا إله إلاّ أنت ربنا،

و محمد عبدك و رسولك نبينا، و على أمير المؤمنين و الحجه العظمى و آيتك الكبرى و النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون» . فنقول: المستفاد من هذا الأحاديث الوارده فى ذيل هذه الآيه المباركه أنه تعالى أخذ الميثاق فى ذلك العالم من الخلق و من الشيعه بولايتهم عليهم السّلام فقولنا:

«اللهم صلّ على محمد و آل محمد

حيث إنه طلب منه تعالى أن يصلى عليهم أجمعين» أو قولنا: «و كما صليت أنت عليه» ، فكذلك صلواتنا عليه، و هكذا الصلوات الوارده المأثوره التى أمرنا أن نصلى بها عليه و عليهم عليهم السّلام فدلّت بالدلاله الطبعيه و الالتزاميه الإيمانيه على أننا على الميثاق المأخوذ علينا بولايتهم عليهم السّلام فلا محاله هذه الدلاله توجب تجديدا للعهد و الميثاق بولايتهم كما لا يخفى. و هذه الدلاله لا تنافى كون الصلوه منّا له صلّى اللّه عليه و آله دعاء أو تزكيه له صلّى اللّه عليه و آله كما تقدم، إذ ما تقدم من كون معنى الصلوه عليه صلّى اللّه عليه و آله هو التزكيه إنما هو بالمطابقه حيث فسّرت الصلوه بالتزكيه شرعا، و قلنا: إنها بهذا المعنى أيضا أحد مصاديق الدعاء له و الثناء عليه صلّى اللّه عليه و آله، و ما ذكرناه هنا من دلاله الصلوه عليه على العهد و الميثاق بالولايه كما هو صريح الروايه السابقه، فإنما هى بالالتزام الإيمانى كما لا يخفى. و أما شرح

قوله عليه السّلام:

«و آله الطاهرين»

، فقد تقدم فى أوائل الشرح معنى الآل و الأهل، و تقدم أيضا فى

قوله عليه السّلام:

«و طهّركم تطهيرا»

، معنى كونهم عليهم السّلام طاهرين فراجعه.

و أما الأمر الثانى: أعنى بيان معنى و سلّم تسليما كثيرا و معنى السلام عليه صلّى اللّه عليه و آله

فنقول:

قوله:

«و سلّم»

، عطف على و صلى اللّه، فهو دعاء لهم عليهم السّلام إن كان قصد به الإنشاء فيكون فيه اقتباس من قوله تعالى: يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً (۱)، أى صلّوا عليه و سلّموا عليه تسليما، أى قولوا: اللهم صلّ على محمد

۱- ۱) الأحزاب:۵۶.

و آله و سلّم علی محمد و آله، و حینئذ معنی و سلّم علیه أی احفظه و آله من کل ما لا تحبّ فی الدنیا و الآخره و من جمیع الآفات. و إن قصد به الإخبار. فمعناه فی الجملتین: أنه تعالی صلی علیه أی رحمه و نزّهه و برّأه من کل نقص و آفه، و سلّم علیه أی حفظه مما لا یحبّ، و من الآفات و الغفلات

کما ورد فی الزیاره الجامعه الأئمه المؤمنین:

«إنی و لکم القلوب التی تولّی اللّه ریاضتها بالخوف و الرجاء، و جعلها أوعیه للشکر و الثناء، و آمنها من عوارض الغفله و صفّاها من سوء (شواغل خ ل) الفتره. . إلی أن قال علیه السّلام: عالم بأن اللّه قد طهرکم من الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و من کل ریبه و نجاسه و دنیّه و رجاسه. . إلخ» . هذا و لکن تقدم عن حدیث ابن أبی حمزه: و أما قوله عز و جل: وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً فإنه یعنی التسلیم له فیما ورد عنه.

و فی حدیث محمد بن سنان فی معناه فقال: «أثنوا علیه» .

و فی حدیث أبی بصیر فی معناه: «و التسلیم له فی کل شیء جاء به» .

و فی تفسیر نور الثقلین (1)عن احتجاج الطبرسی رحمه اللّه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام حدیث طویل و فیه: «فأمّا ما علمه الجاهل و العالم من فضل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من کتاب اللّه فهو قول اللّه سبحانه: إِنَّ اَللّٰهَ وَ مَلاٰئِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی اَلنَّبِیِّ یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً ، و لهذه الآیه ظاهر و باطن، فالظاهر قوله: صَلُّوا عَلَیْهِ ، و الباطن قوله: وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً ، أی سلموا لمن وصّاه و استخلفه علیکم فضله و ما عهد به إلیه تسلیما، و هذا مما أخبرتک أنه لا یعلم تأویله إلاّ من لطف حسّه و صفا ذهنه و صحّ تمییزه» .

و فی المحکی عن تفسیر علی بن إبراهیم: و قوله:

«وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً» ، یعنی سلموا له بالولایه و بما جاء به.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۴ ص ۳۰۵.

فحینئذ نقول: المستفاد من هذه الأحادیث أن التسلیم له صلّی اللّه علیه و آله و لآله علیهم السّلام له معنیان: ظاهر: و هو قولنا: السلام علیکم، فی مقام إنشاء السلام و الدعاء لهم بالمعنی المتقدم آنفا. و باطن: و هو التسلیم لولایتهم و لمقاماتهم التی رتّبهم اللّه تعالی فیها. و الحاصل: أن العارف بحقهم من شیعتهم إذا قال: السلام علیکم، فهو یقصد به ما أراد اللّه تعالی بالسلام علیهم علیهم السّلام فی الظاهر من التسلیم علیه بعد الصلوه علیه صلّی اللّه علیه و آله و الدعاء بالحفظ و السلامه له، و التسلیم له فیما جاء به صلّی اللّه علیه و آله عنه تعالی فی الأمور بالعموم و الخصوص من الأحکام و المعارف، و بیان أحوال المبدإ و المعاد و الدنیا و الآخره و الجنه و النار و الأخلاق و جمیع شئون الدین، و فی الباطن أیضا من التسلیم لولایتهم و لولی الأمر المنصوب منه تعالی بعد النبی صلّی اللّه علیه و آله بعنوان الوصایه فی جمیع شئونه صلّی اللّه علیه و آله و إنما ذکروا هذا التسلیم باطنا للآیه للتقیه من أعدائهم، فإنه إذا صرّح به فلعل الأعداء کانوا یسقطونه کما لا یخفی.

و أما قوله: «کثیرا» ، فیحتمل أن یکون لبیان التأکید للصلوه و السلام علیه صلّی اللّه علیه و آله ظاهرا بأن یکثروا الصلوه و السلام علیه صلّی اللّه علیه و آله کما تقدمت الأحادیث بکثره الصلوه علیه صلّی اللّه علیه و آله و أن یکون لبیان التأکید بالنحو العام الشامل للباطن أیضا من التسلیم بولایتهم و لولی الأمر من بعده تسلیما کثیرا بحیث یوجب انقطاع المسلّم إلیهم و إلی ولایتهم بشراشر وجوده، بحیث یصیر فانیا فیهم علیهم السّلام بأن لا یکون له فی قبال إرادتهم إراده، و لا فی قبال اختیارهم اختیار، و لا فی قبال قولهم و عقیدتهم و حالهم و جمیع شئونهم خلافها. و لا یبعد أن یکون

قوله علیه السّلام: «کثیرا» ، للتعمیه من الظاهر و الباطن، و إنما عبّروا به

قوله علیه السّلام: «کثیرا» ، بنحو التقیه، لیشمل الظاهر و الباطن، فالشیعی المستبصر المستیقظ یعلم الوجه لهذا التعبیر أی کثیرا فیأخذ منه ما قصده علیه من التسلیم

لولايتهم و لولى الأمر من بعده صلّى اللّه عليه و آله كما لا يخفى. و مما ذكر يعلم معنى السلام عليكم من أنه إما بمعنى التسليم أو إظهار السلام لهم أو إظهار أنهم عليهم السّلام أهل السلامه و مصداق قوله تعالى: السلام، الذى هو اسم من أسمائه الحسنى، و قد تقدم فى شرح

قوله:

«السلام عليكم يا أهل بيت النبوه»

، ما يوضح معناه فراجعه.

و أما قوله عليه السّلام: «و حسبنا اللّه و نعم الوكيل» .

فقوله: «حسبنا اللّه»

، أى كافينا اللّه فإنه يكفى من توكّل عليه، و قد توكّلنا عليه فيما سألناه بحقهم عليهم السّلام من أن يدخلنا فى جمله العارفين بحقهم، و فى زمره المرحومين بشفاعتهم، و أن يجيبنا فيما سألناه من المطالب المذكوره فى هذه الزياره، بل و ساير المطالب التى نسألها منه تعالى فى أعمارنا، فهو حسبنا فى هذه المسائل بأن يشفعوا لنا عند اللّه تعالى فى استيهاب ذنوبنا منه عز و جل، و أن يرزقنا قبولهم عليهم السّلام بسؤالنا، و الإجابه لدعائنا، و الانجاح لطلبتنا، و قبول زيارتنا، و ما أمّلنا منه تعالى ثم منهم عليهم السّلام من حسن الجزاء فى الآخره و الدنيا، و سائر حوائجنا من المعارف و الكمالات المعنويه، كل ذلك انقطاعا و تفويضا إليه تعالى منا، ليكفينا مؤنه كل أمر مرهوب، و ينيلنا كل أمر مرغوب فيه، و يوصلنا بفضله إلى كل أمر محبوب، فإنه الكافى لمن توكّل عليه كما وعدنا بذلك فى كتابه الكريم على لسان نبيّه العظيم وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اَللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (۱).

و قوله عليه السّلام: «و نعم الوكيل»

، أى نعم المعتمد الذى توكل إليه الأمور كلها. و كيف كان

فقوله:

«و نعم الوكيل»

، ثناء منّا و من الزائر عليه تعالى بما اعتمدنا فيه عليه، و فوضنا أمره إليه من أمر الدين و الدارين، و السرّ فى هذا التوكيل و التفويض هو الاعتقاد بأن كل شىء منّا و من جميع الخلق مما هو غائب، أو فى الشهاده و الحضور و الأحوال و الاعتقادات و الأقوال و الأعمال، و جميع المطالب فى

۱- ۱) الطلاق:۳.

الدارين، و جميع ما انتظمت عليه أحوال النشأتين و جميع الخلق، فإنما هى كلها فى قبضته تعالى، و هى موجوده به تعالى، و هى منه تعالى و إليه تعالى و به تعالى و له تعالى، فكلها لها وجهه إلهيه من حيث تلك الجهه تكون موجوده. فالزائر يبين أنه و سائر الموجودات كلها فى وجهه الذى يلى الرب إليه تعالى، فهذا الحال و القيام به تعالى و قيام كل الأشياء به و أنه قيّومها يظهرها

بقوله:

حسبنا اللّه و نعم الوكيل

، فالمتوكل يوكل جميعها إليه تعالى معتقدا أنه الكافى و الحسيب، فهو (أى الزائر) كأنه خلع جميع وجوداته و وجدانه عن نفسه، و توكّل فيها عليه تعالى، و أقام نظره إليه تعالى بعين الرجاء منه و الانقطاع إليه و التوكل عليه إذ هو حسبه فقال مشيرا إلى حاله هذا:

حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

ثم إنه نختم الكلام هنا بحديث جامع مبين لما قلنا، و مدرك لما ذكرناه، إذ لا نقول و لا نعتمد إلّا على أقوال موالينا و ساداتنا و كبرائنا فى الدنيا و الآخره و هو ما

فى البحار (1)، عن معانى الأخبار فى حديث مرفوع عن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: جاء جبرئيل عليه السّلام إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله فقال: «يا رسول اللّه تبارك و تعالى أرسلنى إليك بهديّه لم يعطها أحدا قبلك، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: قلت، و ما هى؟ قال: الصبر و أحسن منه، قلت: و ما هو؟ قال: الرضا و أحسن منه، قلت: و ما هو؟ قال: الزهد و أحسن منه، قلت: و ما هو؟ قال: الإخلاص و أحسن منه، قلت: و ما هو؟ قال: اليقين و أحسن منه، قلت: و ما هو؟ قال جبرئيل: إن مدرجه ذلك التوكل على اللّه عز و جل. فقلت: و ما التوكل على اللّه عز و جل؟ فقال: العلم بأن المخلوق لا يضرّ و لا ينفع، و لا يعطى و لا يمنع، و استعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى اللّه، و لم يرجع و لم يخف سوى اللّه، و لم يطمع فى أحد سوى اللّه، فهذا هو التوكل.

۱- ۱) البحار ج ۷۷ ص ۲۰.

قلت: يا جبرئيل فما تفسير الصبر؟ قال: تصبر فى الضراء كما تصبر فى السراء، و فى الفاقه كما تصبر فى الغنى، و فى البلاء كما تصبر فى العافيه، فلا يشكو حاله عند الخلق بما يصيب من البلاء، قلت: فما تفسير القناعه؟ قال: يقنع بما يصيب من الدنيا، يقنع بالقليل و يشكر اليسير. قلت: فما تفسير الرضا؟ قال: الراضى لا يسخط على سيّده أصاب الدنيا أم لا، و لا يرضى لنفسه باليسير من العمل، قلت: يا جبرئيل فما تفسير الزهد؟ قال: الزاهد يحبّ من يحبّ خالقه، و يبغض من يبغض خالقه، و يتحرّج من حلال الدنيا، و لا يلتفت إلى حرامها، ففى حلالها حساب و فى حرامها عقاب، و يرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه، و يتحرّج من الكلام كما يتحرّج من الميته التى قد اشتدّ نتنها، و يتحرّج عن حطام الدنيا و زينتها كما يجتنب النار أن تغشاه، و يقصر أمله، و كأن بين عينيه أجله. قلت: يا جبرئيل فما تفسير الإخلاص؟ قال: المخلص الذى لا يسأل الناس شيئا حتى يجد و إذا يجد رضى و إذا بقى عنده شىء أعطاه فى اللّه، فإن من لم يسأل المخلوق فقد أقرّ للّه عز و جل بالعبوديه، و إذا وجد فرضى فهو عن اللّه راض، و اللّه تبارك و تعالى عنه راض، و إذا أعطى اللّه عز و جل فهو على حدّ الثقه بربّه عز و جل. قلت: فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن يعمل للّه كأنه يراه، فإن لم يكن يرى اللّه فإن اللّه يراه، و أن يعلم يقينا أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، و إن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، و هذا كله أغصان التوكل و مدرجه الزهد» . هذا آخر ما وفقنى اللّه تعالى بفضله و كرمه لشرح هذه الزياره الجليله العظيمه الشأن، و أسأل اللّه تعالى أن يقبله منى بكرمه، و يجعله ذخيره ليوم ألقاه بمحمد و آله الطاهرين، و الحمد للّه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا. و كان تمامه فى عصر الأحد من اليوم التاسع و العشرين من شهر شعبان المعظم لسنه ۱۴۰۵ الهجريه على هاجرها آلاف التحيه و الثناء.

الوداع

اشاره

أقول:

قال فی من لا یحضره الفقیه: إذا أردت الانصراف فقل: «السلام علیکم سلام مودع لا سئم و لا قال و لا مالّ و رحمه اللّه و برکاته» . أقول: لا ریب فی أن المؤمن المستبصر یری الأئمه علیهم السّلام مطلعین علی حاله و شاهدین لأعماله کما تقدم فی طی الشرح، و هو بقلبه یری نفسه حاضرا لدیهم علیهم السّلام فی کل الأحوال، فکأنه بقلبه لا یغیب إمامه عنه و لا هو عن إمامه، هذا بحسب الإیمان و الاعتقاد القلبی، إلاّ أن المستفاد من الآثار منهم علیهم السّلام أن لمشاهدهم علیهم السّلام أحکاما قد لاحظوها و أرادوها من شیعتهم و ألزموهم باحترامها و تعظیمها، فإنها من شعائر اللّه تعالی المأموره بالتعظیم، ثم إن لها أحکاما احترامیه: منها: أن الزائر إذا ورد إلیها یلزم علیه الإتیان بامور من الغسل و لبس أنظف ثیابه فی غیر زیاره الحسین علیه السّلام و العمل بما تقدم بیانه فی أول الشرح. ثم إذا وصل فعلیه أن یسلّم علیهم بما ورد منهم علیهم السّلام فی زیارتهم و یسمی هذا بسلام الورود. و منها: سلام الوداع کما هو المشهور من الشرع من أنه کما یستحب السلام عند الورود، کذلک یستحب عند الوداع، ثم إنه لا إشکال فی استحباب السلام ورودا و وداعا.

ففی البحار (۱)عن معانی الأخبار و أمالی الصدوق بإسناده عن أبی بصیر عن الصادق علیه السّلام عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إن فی الجنه غرفا یری ظاهرها من باطنها، و باطنها من ظاهرها، یسکنها من أمتی من أطاب الکلام و أطعم الطعام و أفشی السلام و صلی باللیل و الناس نیام. ثم قال: إفشاء السلام أن لا یبخل بالسلام علی أحد من المسلمین» .

و فیه عن قرب الإسناد، هارون عن ابن صدقه، عن الصادق، عن أبیه علیه السّلام عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: «إذا قام الرجل من مجلسه فلیودّع إخوانه بالسلام، فإن أفاضوا فی خیر کان شریکهم و إن أفاضوا فی باطل کان علیهم دونه» .

و فیه عن جامع الأخبار، و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «إذا قام أحدکم من مجلسه فلیودعهم بالسلام» ،

و قال علیه السّلام: «أفشوا السلام تسلموا» .

و فیه عن أمالی الصدوق بإسناده، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «خمس لا أدعهن حتی الممات الأکل علی الحضیض مع العبید، و رکوبی الحمار موکفا، و حلبی العنز بیدی، و لبس الصوف، و التسلیم علی الصبیان، لتکون سنه من بعدی» . أقول: فهذه الأحادیث و نحوها دلّت علی استحباب السلام ورودا و وداعا إلّا أنه لمکان مزیّه الأئمه علیهم السّلام و أنهم أحیاء عند ربهم یرزقون یسمعون الکلام، و یردون الجواب، و لمقام ولایتهم و إمامتهم و خلافتهم عنه تعالی اختصوا بالمزیه فی السلام ورودا و وداعا بالمأثور منهم، فالزیارات الوارده لهم علیهم السّلام و کذلک الوداع الوارد عنهم بالسلام المخصوص، فهما إنما هو لأجل مزیتهم عند اللّه تعالی، ثم إن الورود علیهم علیهم السّلام لزیارتهم کما أنه أمر عرفی، فکذلک الوداع و الانصراف عنهم، فإن الغالب یکون زائر و هم یجیئون من مکان بعید، أی من غیر بلد الإمام التی فیها مشهده و قبره علیه السّلام.

۱- ۱) البحار ج ۸ ص ۱۱۸.

فالزائر إذا ورد يزورهم و يسلّم عليهم، و إذا أراد الخروج سواء إلى بلده أو إلى بلد آخر فعليه أن يسلّم سلام الوداع، بل إذا قصد و بنى كون زيارته هذه آخر الزيارات، و لو أراد البقاء فى بلد الإمام أياما و لكن لا يمكنه الزياره، فيصح منه سلام الوداع كما لا يخفى، و أيضا لا يفرق بين كون البلد المنصرف إليه بلد الإمام الآخر أيضا أم لا فالذى ينصرف من كربلاء إلى النجف الأشرف فله أن يسلم سلام الوداع، فإن تشريع سلام الوداع من تعظيم الإمام المزور، لا من عنوان الوداع حتى يقال: إنه فى الفرض لا يكون الوداع، لأنه ينصرف من إمام عليه السّلام إلى إمام آخر، على أنّ فيه انصرافا عن بلد الإمام أيضا فى الجمله كما لا يخفى.

قوله عليه السّلام: فقل: السلام عليكم سلام مودّع لا سئم و لا قال و لا مال.

أقول: إنه قد ورد لأغلب زيارات الأئمه عليهم السّلام زياره الوداع كما ذكره المحدث القمى رحمه اللّه و هذا الوداع قد ذكره المجلسى رحمه اللّه فى المزار بعد هذه الزياره الجامعه، إلاّ أنه لم يسنده إلى أحد، و ذكر هذا الوداع المحدث القمى فى ملحقات المفاتيح مع اختلاف يسير، و الظاهر من كلماتهم أنها مأثوره عنهم عليهم السّلام. و كيف كان

فقوله عليه السّلام:

«السلام عليكم»

، تقدم الكلام فيه مفصلا فى أول الشرح و فى آخره، إلاّ أنه كما أن الزائر يسلم عليهم أول وروده عليهم عليهم السّلام و يراد من سلامه عليهم التسليم لهم عليهم السّلام أو السلامه لهم من الآفات، أو السلام من الزائر فكذلك إذا أراد الانصراف يظهر هذه الحاله و هى التسليم عليكم بالمعنى المذكور، فكأنه يقصد بذلك أنى على الحاله التى أظهرتها لكم بالسلام عليكم و بسائر جمل الزياره و إن انصرفت عنكم ببدنى فإنى بقلبى معكم و على الحاله التى أظهرتها لكم.

قوله:

«سلام مودّع»

، أى مفارق مع المشقه القلبيه، كما يشير إليه

قوله فى بعض الزيارات:

«النفس غير راضيه بفراقك و لا شاكّه فى حياتك»

، فإن المنصرف إن كان ينصرف معرضا من مزوره فلا يودّعه بل يسرّ بفراقه، أو لا يتأذى من فراقه، و هذا بخلاف المحب الموالى المعتقد فإنه ضجر من الفراق، بل هو أصعب الأشياء عليه و لو

بالنسبه إلى قبورهم، و ذلك أنه فى حال الحضور فى مشاهدهم و فى أوقات زياراتهم يسرّ بزيارتهم، و يفرح بمناجاتهم و الكلام معهم، و من إظهار المحبه و العلاقه بهم، فلا محاله عند الفراق و الانصراف حيث ينقطع عن هذه الأمور، فلا محاله يكون هذا الفراق شاقّا عليه و يسمى هذا الفراق مع المشقه بالوداع.

و قوله:

«لا سئم»

، صفه لسلام و هى على وزن حذر من السأمه أى الملاله، و معناه حينئذ أنه ليس سلامى عليكم سلام مودّع لكم لأجل ملاله، أى يودعكم لحصول الملاله فيه من زيارتكم، كيف و قد كان يلتذّ من زيارتهم فلا محاله لا يكون سلامه سلام سئم.

و قوله:

«و لا قال»

، من القلى أى البغض، أى لست أسلم عليكم فى حال البغض لكم، و كالذى يحبّ مفارقتكم بل أنا محب لكم.

و قوله:

«مال»

و قد يقرأ مالّ (بالتشديد) اسم فاعل من ملل، فمعناه أنه ليس سلامى سلام مال ضجر من الإقامه بمشاهدكم، بل سلامى سلام مودّع لكم مفارق بالرغم منى غير محب للبعد عنكم و المفارقه بقبوركم و حضرتكم.

قوله عليه السّلام: و رحمه اللّه و بركاته عليكم يا أهل بيت النبوّه إنه حميد مجيد.

أقول: تقدم الكلام فى شرح هذه الجمله أى و رحمه اللّه و بركاته، إلاّ أنّ الظاهر من هذه الجمله أنه اقتباس من قوله تعالى: رَحْمَتُ اَللّٰهِ وَ بَرَكٰاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ اَلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (۱)، و ذلك للإشاره إلى أن هذه الآيه و إن كانت فى الظاهر جاريه فى حقّ إبراهيم عليه السّلام و ساره عليها السّلام إلاّ أن المراد منها فى الباطن محمد و آله الطاهرون، كيف لا، و هم عليهم السّلام أصل الرحمه الإلهيه التى بها قام عالم الوجود؟ ! و يدلّ على هذا التطبيق فى المعنى عليهم

ما رواه فى البحار (۲)عن تفسير

۱- ۱) هود:۷۳.

۲- ۲) البحار ج ۷۶ ص ۱۱.

العیاشی، عن أبی عبیده، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إنّ علی بن أبی طالب علیه السّلام مرّ بقوم فسلّم علیهم، فقالوا: و علیکم السلام و رحمه و برکاته و مغفرته و رضوانه، فقال لهم أمیر المؤمنین علیه السّلام: لا تجاوزوا بنا ما قالت الأنبیاء لأبینا إبراهیم علیه السّلام إنما قالوا: رحمه اللّه و برکاته علیکم أهل البیت إنه حمید مجید» .

و روی الحسن بن محمد مثله غیر أنه قال: «ما قالت الملائکه لأبینا» . أقول: هذا بلحاظ ظاهر الآیه فإن الملائکه قالت هکذا،

و أما قوله: «ما قالت الأنبیاء» ، فإنه بلحاظ التطبیق منهم (أی الأنبیاء علیهم السّلام) علیهم علیهم السّلام. و حاصل المعنی: أنه کما أن الأنبیاء قالت فینا بظاهر الآیه تطبیقا لها علینا، کما قالت الملائکه فکذلک أنتم قولوا لنا مثل قولهم.

و أما قوله:

«و برکاته»

، قد علمت سابقا أن البرکه هو زیاده الخیر و المنفعه فی أی أمر اتّصف بها، و لا ریب فی أنه تعالی جعل البرکه بما لها من المعنی لهم علیهم السّلام فهم فی العلم و العمل و الآثار و الأولاد و جمیع ما یتعلق بالإنسان ذو البرکه و الخیر الکثیر و النفع الدائم.

و قوله:

«إنه حمید مجید»

، لعله إما للإشاره إلی أنه تعالی لما کان صاحب الرحمه الواسعه فهو حمید یستحق الحمد بحقیقته و کماله، أو للإشاره إلی أنه لما منحکم ما لم یؤت أحدا من العالمین من الرحمه و السلام و التحیات، فإنه حمید أی یستحق الحمد بهذه العطیه الجمیله لکم، و هو أیضا مجید أی کثیر الخیر و الإحسان علی الخلق أو علیکم خصوصا بمزیه الخیر و الإحسان.

قوله علیه السّلام: سلام ولی لکم، غیر راغب عنکم، و لا مستبدل بکم، و لا مؤثر علیکم، و لا منحرف عنکم، و لا زاهد فی قربکم.

أقول: لما زار الزائر الإمام علیه السّلام و أظهر فیها عقیدته بهم و بولایتهم و بشئونهم، و بالمراتب التی رتّبهم اللّه تعالی فیها، و أظهر ذلک کله لهم بتمام الإخلاص و الخشوع

و التضرع لديهم و التوسل بهم، و الرجاء منهم و الدعاء بهم إليه تعالى، و أراد الانصراف، فحينئذ قد يتوهم أن تلك الإظهارات كانت عند مشاهدهم، و فى حضورهم و مخاطبتهم لإظهار تلك الأمور لديهم ظاهرا دون الباطن و فى القلب، فأراد الزائر حين انصرافه أن يبين أنّ تلك الأمور كانت إظهارا عن صميم القلب و عن الاعتقاد الجزمى و عن المحبه الحقيقيه، التى توجب ثبوتها له مطلقا سواء عند حضورهم و عند مشاهدهم أو فى غيبتهم عن مشاهدهم.

فقال:

«سلام ولى لكم»

، أى محب معتقد بولا-يتكم و شئونها غير راغب عنكم، أى غير معرض عنكم، أى ليس انصرافى عنكم بدنا عن انصراف و إعراض عنكم قلبا، بل قلبى معكم و إن انصرفت عنكم، و لا- مستبدل بكم غيركم، أى أنى أعتقد لكم تلك الأمور بحيث لا أريها لغيركم، كما علمت أنه آتاهم اللّه ما لم يؤت أحدا من العالمين، فكيف يستبدل بهم غيرهم لعدم من هو فى مرتبتهم و مقامهم كما تقدم؟ ! و لا مؤثر عليكم أى لست أقدم غيركم عليكم، و لا أرى للجاه و المال و الأولاد و سائر الأمور من الأنفس و الثمرات و المقامات الدنيويه فى قبال منزلتكم لها مقاما بحيث أختارها عليكم، بل أوثركم عليها و أقدمها لكم، و لا منحرف عنكم، أى لا- أرجع عنكم و عن الاعتصام بكم و التوسل بكم و الاعتقاد بولايتكم و إمامتكم، و إن لم أعتقد بغيركم، فإنه ربما يعرض الإنسان عنهم إلى غيرهم، فيرى لغيرهم الفضل، فهذا من مصاديق الإيثار عليهم بل لا أنحرف عنكم أبدا، و ليست زاهدا فى قربكم. اعلم أن الزهد يعدى بفى فهو بمعنى الإعراض، فإن الزهد فى الشىء خلاف الرغبه فيه، يقال: زهد فيه، أى تركه و أعرض عنه، و قد لا يعدى فيقال: فلان زاهد، أى متصف بصفه الزهد بالمعنى المذكور، فمعناه هنا أنى لست بمعرض و تارك لقربكم بل أحب قربكم، فليس انصرافى عنكم انصرافا عن زهد فى قربكم، بل

انصرافی عنکم عن کره قلبی کما و أن النفس غیر راضیه بفراقک و لا شاکّه فی حیوتک.

قوله علیه السّلام: لا جعله اللّه آخر العهد من زیاره قبورکم، و إتیان مشاهدکم، و السلام علیکم.

اعلم: أن الأخبار المعتبره قد دلّت علی ثواب زیاره النبی و الأئمه (علیه و علیهم السلام) و خصوصا زیاره الحسین علیه السّلام فإنها فی کثره ثوابها لعلّها محیّره للعقول، و علیه فکیف یرغب عن زیارتهم علیهم السّلام أحد خصوصا من موالیهم، و من المعتقدین بهذه المثوبات الدنیویه و الأخرویه فلا محاله یسأل العارف بهذه المثوبات منه تعالی أن لا یجعله آخر العهد من زیاره قبورهم و إتیان مشاهدهم، و نحن نذکر بعض الأحادیث الوارده فی هذا الأمر من کتاب الزیارات الذی تکون أحادیثه معتبره عند الإمامیه (رضوان اللّه تعالی علیهم) فنقول:

ففیه بإسناده، عن عبد اللّه بن سنان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «بینما الحسین بن علی علیه السّلام فی حجر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إذ رفع رأسه فقال له: یا أبه ما لمن زارک بعد موتک؟ فقال: یا بنی من أتانی زائرا بعد موتی فله الجنه، و من أتی أباک زائرا بعد موته فله الجنه، و من أتی أخاک زائرا بعد موته فله الجنه، و من أتاک زائرا بعد موتک فله الجنه» .

و فی حدیث بعده بهذا المضمون و فی آخره: «و کان حقا علیّ أن أزوره یوم القیامه حتی اخلصه من ذنوبه» .

و فی حدیث بعده یرفعه عنه صلّی اللّه علیه و آله و فی آخره: «ضمنت له یوم القیامه أن أخلّصه من أهوالها و شدائدها حتی أصیره معی فی درجتی» .

و فیه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من أتانی زائرا کنت شفیعه یوم القیامه» .

ص: ۵۵۹

و فیه، عن علی بن أبی طالب علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «من زارنی بعد وفاتی کان کمن زارنی فی حیاتی و کنت له شهیدا و شافعا یوم القیامه» .

و فیه، عن الفضیل بن یسار، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن زیاره قبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تعدل حجه مع رسول اللّه مبروره» .

و فیه، عن زید الشحّام قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: «ما لمن زار قبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ قال: کمن زار اللّه فی عرشه» .

و فیه بإسناده، عن أبی وهب البصری قال: «دخلت المدینه فأتیت أبا عبد اللّه علیه السّلام فقلت: جعلت فداک أتیتک و لم أزر قبر أمیر المؤمنین علیه السّلام، قال: بئسما صنعت لو لا أنّک من شیعتنا ما نظرت إلیک، ألا تزور من یزوره اللّه تعالی مع الملائکه و یزوره الأنبیاء مع المؤمنین (و یزوره المؤمنون) ؟ قلت: جعلت فداک ما علمت ذلک، قال: فاعلم أن أمیر المؤمنین علیه السّلام أفضل عند اللّه من الأئمه علیهم السّلام کلهم و له ثواب أعمالهم و علی قدر أعمالهم فضلّوا» .

و فیه بإسناده کثیر، عن معاویه بن وهب، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال لی: «یا معاویه لا تدع زیاره قبر الحسین علیه السّلام لخوف، فإن من ترک زیارته رأی من الحسره ما یتمنی أن قبره کان عنده، أ ما تحب أن یری اللّه شخصک و سوادک فیمن یدعو له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و علی و فاطمه و الأئمه علیهم السّلام؟» .

و فیه و بهذا الإسناد، عن موسی بن عمر، عن حسان البصری، عن معاویه بن وهب قال: استأذنت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فقیل لی: «ادخل، فوجدته فی مصلّاه فی بیته، فجلست حتی قضی صلاته فسمعته یناجی ربه و هو یقول: «اللهم یا من خصّنا بالکرامه، و وعدنا بالشفاعه، و خصّنا بالوصیه، و أعطانا علم ما مضی، و علم ما بقی، و جعل أفئده من الناس تهوی إلینا اغفر لی و لإخوانی و زوار قبر أبی الحسین، الذین أنفقوا أموالهم و أشخصوا أبدانهم رغبه فی برّنا و رجاء لما عندک فی صلتنا، و سرورا أدخلوه علی نبیّک، و إجابه منهم لأمرنا، و غیظا أدخلوه علی

عـدونا، أرادوا بـذلك رضـاک فکـافهم عنّا بالرضوان، و اکلأهم بالليل و النهار، و اخلف علی أهاليهم و أولادهم الـذين خلّفوا بـأحسن الخلف و أصـحبهم، و اکفهم شـرّ کلّ جبار عنيـد، و کل ضـعيف من خلقک و شديـد و شـرّ شـياطين الإنس و الجنّ، و أعطهم أفضـل مـا أمّلوا منـک فی غربتهم عن أوطـانهم، و مـا آثرونا به علی أبنائهم و أهاليهم و قراباتهم، اللهم إن أعـداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلـک عن الشـخوص إلينـا خلافا منهم علی من خالفنا، فارحم تلک الوجوه التی غيّرتها الشـمس، و ارحم تلک الخدود التی تتقلب علی حفره أبی عبد اللّه الحسين عليه السّـلام، و ارحم تلک الأعين التی جرت دموعها رحمه لنا، و ارحم تلـک القلوب التی جزعت و احترقت لنـا، و ارحم تلـک الصرخه التی کـانت لنا، اللهم إنی اسـتودعک تلک الأبـدان و تلک الأنفس حتی توفيهم علی الحوض يوم العطش الأکبر. فما زال يـدعو و هو ساجـد بهـذا الـدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فـداک لو أن هـذا الـذی سـمعت منک کان لمن لا يعرف اللّه عز و جل لظننت أن النار لا تطعم منه شـيئا أبدا، و اللّه لقد تمنّيت أنی کنت زرته و لم أحـج، فقال لی: ما أقربک منه فما الـذی يمنعک من زيارته؟ ثم قال: يا معاويه لم تـدع ذلک؟ قلت: جعلت فداک لم أر أنّ الأمر يبلغ هذا کله فقال: يا معاويه من يدعو لزوّاره فی السماء أکثر ممن يدعو لهم فی الأرض» .

و فيه عن معاويه بن وهب، عن أبی عبد اللّه عليه السّـلام قال: «لا تدع زياره الحسين عليه السّلام أ ما تحبّ أن تکون فيمن تدعو له الملائکه» .

و فيه عن أبی عبد اللّه عليه السّـلام قال: سمعته يقول: «و کلّ اللّه بقبر الحسين بن علی عليه السّلام سبعين ألف ملک يعبدون اللّه عنده، الصلوه الواحده من صـلوه أحدهم تعدل ألف صـلوه من صـلوه الآدميين، يکون ثواب صـلوتهم لزوّار قبر الحسين بن علی عليه السّلام و علی قاتله لعنه اللّه و الملائکه و الناس أجمعين أبد الآبدين)» .

و فيه عن محمد بن مسلم، عن أبی جعفر عليه السّلام قال: «مروا شيعتنا بزياره قبر

الحسین علیه السّلام فإن إتیانه مفترض علی مؤمن یقرّ للحسین علیه السّلام بالإمامه من اللّه عز و جل» .

و فیه بإسناده، عن الوشا قال: سمعت الرضا علیه السّلام یقول: «إن لکل إمام عهدا فی عنق أولیائه و شیعته، و إن من تمام الوفاء بالعهد و حسن الأداء زیاره قبورهم، فمن زارهم رغبه فی زیارتهم و تصدیقا لما رغبوا فیه کان أئمتهم شفعاءهم یوم القیامه» .

و فیه بإسناده، عن عبد الرحمن بن کثیر مولی لأبی جعفر علیه السّلام، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «لو أن أحدکم حجّ دهره ثم لم یزر الحسین بن علی علیه السّلام لکان تارکا حقّا من حقوق اللّه و حقوق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأن حق الحسین فریضه من اللّه واجبه علی کل مسلم» .

و فیه بإسناده، عن محمد البصری، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعت أبی یقول لرجل من موالیه و قد سأله عن الزیاره فقال له: «من تزور و من ترید به؟ قال: اللّه تبارک و تعالی، فقال: من صلّی خلفه صلوه واجبه (واحده، خ ل) یرید بها اللّه لقی اللّه یوم یلقاه و علیه من النور ما یغشی له کل شیء یراه، و اللّه یکرم زوّاره، و یمنع النار أن تنال منهم شیئا، و إن الزائر له لا یتناهی (لا یتناسی، خ ل) له دون الحوض و أمیر المؤمنین علیه السّلام قائم علی الحوض یصافحه و یرویه من الماء، و ما یسبقه أحد إلی وروده الحوض حتی یروی، ثم ینصرف إلی منزله من الجنه، و معه ملک من قبل أمیر المؤمنین علیه السّلام یأمر الصراط أن یذل له، و یأمر النار أن لا یصیبه من لفحها شیء حتی یجوزها، و معه رسوله الذی بعثه أمیر المؤمنین علیه السّلام» .

و فیه، و بإسناده، عن الأصم قال: حدثنا هشام بن سالم، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث طویل قال: «أتاه رجل فقال له: یا بن رسول اللّه هل یزار والدک؟ قال: فقال: نعم و یصلّی عنده، و قال: یصلی خلفه و لا یتقدم علیه، قال: فما لمن أتاه؟ قال: الجنه إن کان یأتم به، قال: فما لمن ترکه رغبه عنه؟ قال: الحسره یوم القیامه، قال: فما لمن أقام عنده؟ قال: کل یوم بألف شهر، قال: فما للمنفق فی خروجه إلیه و المنفق

عنده؟ قال: درهم بألف درهم. قال: فما لمن مات فی سفره إلیه؟ قال: تشیّعه الملائکه، و تأتیه بالحنوط و الکسوه من الجنه، و تصلی علیه إذا کفن و تکفنه فوق أکفانه، و تفرش له الریحان تحته، و تدفع الأرض حتی تصوّر من بین یدیه مسیره ثلاثه أمیال، و من خلفه مثل ذلک، و عند رأسه مثل ذلک، و عند رجلیه مثل ذلک، و یفتح له باب من الجنه إلی قبره، و یدخل علیه روحها و ریحانها حتی تقوم الساعه، قلت: فما لمن صلّی عنده؟ قال: من صلّی عنده رکعتین لم یسأل اللّه تعالی شیئا إلاّ أعطاه إیّاه، قلت: فما لمن اغتسل من ماء الفرات ثم أتاه؟ قال: إذا اغتسل من ماء الفرات و هو یریده، تساقطت عنه خطایاه کیوم ولدته أمه. قال: قلت: فما لمن یجهّز إلیه و لم یخرج لعلّه تصیبه (لقله تصیبه، خ ل) ؟ قال: یعطیه اللّه بکل درهم أنفقه مثل أحد من الحسنات، و یخلف علیه أضعاف ما أنفقه، و یصرف عنه من البلاء مما قد نزل لیصیبه، و یدفع عنه، و یحفظ فی ماله، قال: قلت: فما لمن قتل عنده جار علیه سلطان فقتله؟ قال: أول قطره من دمه یغفر له بها کل خطیئه، و تغسل طینته التی خلق منها الملائکه حتی تخلص کما خلصت طینه الأنبیاء المخلصین، و یذهب عنها ما کان خالطها من أجناس طین أهل الکفر، و یغسل قلبه، و یشرح صدره، و یملأ إیمانا فیلقی اللّه و هو مخلص من کل ما تخالطه الأبدان و القلوب. و یکتب له شفاعه فی أهل بیته و ألف من إخوانه، و تولی الصلوه علیه الملائکه مع جبرئیل و ملک الموت، و یؤتی بکفنه و حنوطه من الجنه، و یوسع قبره علیه، و یوضع له مصابیح فی قبره، و یفتح له باب من الجنه، و تأتیه الملائکه بالطرف من الجنه، و یرفع بعد ثمانیه عشر یوما إلی حظیره القدس، فلا یزال فیها مع أولیاء اللّه حتی تصیبه النفخه التی لا تبقی شیئا، فإذا کانت النفخه الثانیه و خرج من قبره، کان أول من یصافحه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین و الأوصیاء علیهم السّلام و یبشّرونه و یقولون له: الزمنا، و یقیمونه علی الحوض فیشرب منه و یسقی من أحبّ.

ص :۵۶۳

قلت: فما لمن حبس فی إتیانه؟ قال: له بکل یوم یحبس و یغتم فرحه إلی یوم القیامه، فإن ضرب بعد الحبس فی إتیانه کان له بکل ضربه حوراء، و بکل وجع یدخل علی بدنه ألف ألف حسنه، و یمحی بها عنه ألف ألف سیئه، و یرفع له بها ألف ألف درجه، و یکون من محدثی رسول اللّه حتی یفرغ من الحساب، فیصافحه حمله العرش و یقال له: سل ما أحببت، و یؤتی ضاربه للحساب، فلا یسئل عن شیء، و لا یحتسب بشیء، و یؤخذ بضبعیه حتی ینتهی به إلی ملک یحبوه و یتحفه بشربه من الحمیم، و شربه من الغسلین، و یوضع علی مثال (مقال، خ ل) فی النار، فیقال له: ذق بما قدمت یداک فیما أتیت إلی هذا الذی ضربته سببا إلی وفد اللّه و وفد رسوله، و یأتی بالمضروب إلی باب جهنم و یقال له: انظر إلی ضاربک و إلی ما قد لقی، فهل شفیت صدرک و قد اقتص لک منه، فیقول: الحمد للّه الذی انتصر لی و لولد رسوله منه» .

و فیه بإسناده، عن زراره قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام: ما تقول فیمن زار أباک علی خوف؟ قال: «یؤمنه اللّه یوم الفزع الأکبر، و تلقّاه الملائکه بالبشاره و یقال له: لا تخف و لا تحزن هذا یومک الذی فیه فوزک» .

و فیه و بإسناده، عن الأصم، عن ابن بکیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت له: إنی أنزل الأرجان و قلبی ینازعنی إلی قبر أبیک، فإذا خرجت فقلبی وجل مشفق حتی أرجع خوفا من السلطان و السعاه و أصحاب المسالح، فقال: «یا بن بکیر أ ما تحب أن یراک اللّه فینا خائفا؟ أ ما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظلّه اللّه فی ظلّ عرشه، و کان محدثه الحسین علیه السّلام تحت العرش، و آمنه اللّه من أفزاع یوم القیامه، یفزع الناس و لا یفزع فإن فزع و قرّته (قوّته، خ ل) الملائکه و سکنت قلبه بالبشاره» ؟

و فیه بإسناده، عن بشیر الدهّان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إن الرجل لیخرج إلی قبر الحسین علیه السّلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوه مغفره ذنوبه، ثم لم یزل یقدس بکل خطوه حتی تأتیه، فإذا أتاه ناجاه اللّه تعالی فقال: عبدی سلنی أعطک، ادعنی أجبک، أطلب منی أعطک، سلنی حاجه أقضها لک، قال: و قال أبو

عبد اللّه عليه السّلام: و حق على اللّه أن يعطى ما بذل» .

و فيه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «من زار الحسين عليه السّلام من شيعتنا لم يرجع حتى يغفر له كل ذنب، و يكتب له بكلّ خطوه خطاها، و كل يد رفعتها دابته ألف حسنه و محا عنه ألف سيئه و ترفع له ألف درجه» .

و فيه بإسناده، عن عبد اللّه الطحّان، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته و هو يقول: «ما من أحد يوم القيامه إلاّ و هو يتمنى أنه من زوّار الحسين عليه السّلام لما يرى مما يصنع بزوار الحسين عليه السّلام من كرامتهم على اللّه تعالى» .

و فيه، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام عن أبيه قال: قال أبو عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام: «إن أيام زائرى الحسين عليه السّلام لا تحسب من أعمارهم و لا تعدّ من آجالهم» .

و فيه، عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد اللّه (أو، خ ل) أبا جعفر عليه السّلام يقول: «من أحبّ أن يكون مسكنه الجنه و مأواه الجنه فلا يدع زياره المظلوم، قلت: من هو؟ قال: الحسين بن على صاحب كربلا، من أتاه شوقا إليه و حبا لرسول اللّه و حبا لفاطمه و حبّا لأمير المؤمنين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) أقعده اللّه على موائد الجنه يأكل معهم، و الناس فى الحساب» .

و فيه، عن عبد اللّه بن زراره قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «إن لزوار الحسين ابن على عليه السّلام يوم القيامه فضلا على الناس، قلت: و ما فضلهم؟ قال: يدخلون الجنه قبل الناس بأربعين عاما» .

و فيه بإسناده، عن أبى الحسن الماضى عليه السّلام قال: «من زار الحسين عليه السّلام عارفا بحقّه غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر» .

و فيه، عن محمد بن أبى جرير القمى قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السّلام يقول لأبى «من زار الحسين بن على عليه السّلام عارفا بحقّه كان من محدثى اللّه فوق عرشه ثم قرأ:

إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِی جَنّاتٍ وَ نَهَرٍ. فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ

(۱)

» .

و فیه، عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: «ما لمن أتی قبر الحسین علیه السّلام؟ قال: من أتاه شوقا إلیه کان من عباد اللّه المکرمین، و کان تحت لواء الحسین بن علی علیه السّلام حتی یدخلها اللّه الجنه» .

و فیه، عن هارون بن خارجه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت: جعلت فداک ما لمن أتی قبر الحسین زائرا له عارفا بحقه یرید به وجه اللّه تعالی و الدار الآخره؟ فقال له: «یا هارون من أتی قبر الحسین علیه السّلام زائرا له عارفا بحقه یرید به وجه اللّه و الدار الآخره غفر اللّه-و اللّه-له ما تقدم من ذنبه و ما تأخّر، ثم قال ثلاثا: أ لم أحلف لک ألم أحلف لک ألم أحلف لک؟» .

و فیه، عن عبد اللّه بن میمون القدّاح، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت له: «ما لمن أتی قبر الحسین بن علی علیه السّلام زائرا عارفا بحقه، غیر مستنکف و لا مستکبر؟ قال: یکتب له ألف حجه مقبوله، و ألف عمره مبروره، و إن کان شقیا کتب سعیدا، و لم یزل یخوض فی رحمه اللّه» .

و فیه، عن أبان الأزرق، عن رجل، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «من أحبّ الأعمال إلی اللّه تعالی زیاره قبر الحسین علیه السّلام و أفضل الأعمال عند اللّه إدخال السرور علی المؤمن، و أقرب ما یکون العبد إلی اللّه تعالی و هو ساجد باک» .

و فیه، عن زید الشحّام قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: ما لمن زار قبر الحسین علیه السّلام قال: «کمن زار اللّه فی عرشه، قال: قلت: ما لمن زار أحدا منکم؟ قال: کمن زار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» .

و فیه، عن هارون بن خارجه قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: «من أتی قبر الحسین علیه السّلام عارفا بحقه کتبه اللّه فی أعلی علیین» .

۱- ۱) القمر:۵۴-۵۵.

و فيه، عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «مرو شيعتنا بزياره قبر الحسين عليه السّلام فإن إتيانه يزيد فى الرزق، و يمدّ فى العمر، و يدفع مدافع السوء، و إتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين بالإمامه من اللّه» .

و فيه، عن منصور بن حازم قال: سمعناه يقول: «من أتى عليه حول لم يأت قبر الحسين عليه السّلام أنقص اللّه من عمره حولا، و لو قلت: إن أحدكم ليموت قبل أجله بثلاثين سنه لكنت صادقا، و ذلك لأنكم تتركون زياره الحسين عليه السّلام فلا تدعوا زيارته يمدّ اللّه فى أعماركم و يزيد فى أرزاقكم، و إذا تركتم زيارته نقص اللّه من أعماركم و أرزاقكم، فتنافسوا فى زيارته و لا تدعوا ذلك، فإن الحسين شاهد لكم فى ذلك عند اللّه و عند رسوله و عند فاطمه و عند أمير المؤمنين» .

و فيه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «من أراد أن يكون فى كرامه اللّه يوم القيامه و فى شفاعه محمد صلّى اللّه عليه و آله فليكن للحسين زائرا، ينال من اللّه الفضل و الكرامه و حسن الثواب، و لا يسأله عن ذنب عمله فى حياه الدنيا و لو كانت ذنوبه عدد رمل عالج و جبال تهامه و زبد البحر. إن الحسين عليه السّلام قتل مظلوما مضطهدا عطشانا هو و أهل بيته و أصحابه» .

و فيه بإسناده، عن أبى سعيد المدائنى قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقلت: جعلت فداك آتى قبر الحسين عليه السّلام؟ قال: «نعم يا أبا سعيد ائت قبر ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أطيب الطيبين و أطهر الطاهرين و أبر الأبرار، فإذا زرته كتبت اثنتان و عشرون عمره» .

و فيه، عن أبى رئاب قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن زياره قبر الحسين عليه السّلام قال: «نعم تعدل عمره، و لا ينبغى أن يتخلف عنه أكثر من أربع سنين» .

و فيه بإسناده، عن حذيفه بن منصور قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «كم حججت؟ قلت: تسع عشره، قال: فقال: أما إنك لو أتممت إحدى و عشرين حجه لكنت كمن زار الحسين عليه السّلام» .

و فیه بإسناده، عن صالح النیلی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «من أتی قبر الحسین علیه السّلام عارفا بحقه کان کمن حجّ مئه حجه مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» .

و فیه، عن صالح النیلی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «من أتی قبر الحسین علیه السّلام عارفا بحقّه کتب اللّه له أجر من أعتق ألف نسمه، و کمن حمل علی ألف فرس فی سبیل اللّه مسرّجه ملجمه» .

و فیه، عن عبد اللّه بن مسکان قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «إن اللّه تبارک و تعالی یتجلّی لزوار قبر الحسین علیه السّلام قبل أهل عرفات، و یقضی حوائجهم و یغفر ذنوبهم و یشفّعهم فی مسائلهم، ثم یثنی بأهل عرفات فیفعل بهم ذلک» .

و فیه، عن سیف التّمار، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «زائر الحسین مشفّع یوم القیامه لمائه رجل کلهم قد وجبت لهم النار ممن کان فی الدنیا من المسرفین» .

و فیه، عن سلیمان بن خالد، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: «إنّ للّه فی کل یوم و لیله مائه ألف لحظه إلی الأرض یغفر لمن یشاء و یعذب من یشاء، و یغفر لزائری قبر الحسین علیه السّلام خاصه و لأهل بیتهم، و لمن یشفع له یوم القیامه کائنا من کان، و إن کان رجلا قد استوجب النار، قال: قلت: و إن کان رجلا قد استوجب النار؟ قال: و إن کان ما لم یکن ناصبیّا» .

و فیه، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «إن الحسین صاحب کربلاء قتل مظلوما مکروبا عطشانا لهفانا، و حق علی اللّه عز و جل أن لا یأتیه لهفان و لا مکروب و لا مذنب، و لا مغموم و لا عطشان و لا ذو عاهه ثم دعا عنده و تقرّب بالحسین علیه السّلام إلی اللّه عز و جل إلاّ نفّس اللّه کربته، و أعطاه مسألته، و غفر ذنوبه، و مدّ فی عمره، و بسط فی رزقه، فاعتبروا یا أولی الأبصار» .

و فیه، عن یونس بن ظبیان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «من زار قبر الحسین علیه السّلام یوم عرفه کتب اللّه له ألف ألف حجه مع القائم، و ألف ألف عمره مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

و عتق ألف ألف نسمه و حملان ألف ألف فرس فى سبيل اللّه، و سمّاه اللّه عبدى الصديق آمن بوعدى، و قالت الملائكه: فلان صديق زكّاه اللّه من فوق عرشه و سمّى فى الأرض كرّوبا» .

و فيه، عن يسار، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «من كان معسرا فلم يتهيأ له حجه الإسلام فليأت قبر الحسين عليه السّلام و ليعرف عنده، فذلك يجزيه عن حجه الإسلام» . أما إنى لا أقول: يجزى ذلك عن حجه الإسلام إلاّ للمعسر، و أما الموسر إذا كان قد حج حجه الإسلام فأراد أن يتنفل بالحج أو العمره و منعه من ذلك شغل دنيا أو عايق فأتى قبر الحسين عليه السّلام فى يوم عرفه أجزأه ذلك عن أداء الحج أو العمره، و ضاعف اللّه له ذلك أضعافا مضاعفه، قال: قلت: كم تعدل حجه و كم تعدل عمره؟ قال: لا يحصى ذلك، قال: قلت: مائه؟ قال: و من يحصى ذلك؟ قلت: ألف؟ قال: و أكثر، ثم قال: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَهَ اَللّهِ لا تُحْصُوها إن اللّه واسع كريم (عليم، خ ل)» .

و فيه، عن جابر الجعفى قال: دخلت على جعفر بن محمد عليه السّلام فى يوم عاشوراء فقال لى: «هؤلاء زوار اللّه، و حق على المزور أن يكرم الزائر، من بات عند قبر الحسين عليه السّلام ليله عاشوراء لقى اللّه ملطخا بدمه يوم القيامه كأنما قتل معه فى عرصته (عصره، خ ل) و قال: من زار قبر الحسين عليه السّلام أى يوم عاشوراء و (أو، خ ل) بات عنده، كان كمن استشهد بين يديه» .

و فيه، عن زيد الشحام، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «من زار قبر الحسين بن على عليه السّلام يوم عاشوراء عارفا بحقّه كان كمن زار اللّه فى عرشه» .

و فى، عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، و الحسن بن محبوب، عن أبى حمزه، عن على بن الحسين عليه السّلام قال: «من أحبّ أن يصافحه مائه ألف نبى و أربعه و عشرون ألف نبى فليزر قبر أبى عبد اللّه الحسين بن على عليه السّلام فى النصف من شعبان، فإن أرواح النبيين عليهم السّلام يستأذنون اللّه فى زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسه أولو العزم من الرسل، قلنا: من هم؟ قال: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد (صلى اللّه

علیهم أجمعین) ، قلنا له: ما معنی أولی العزم؟ قال: بعثوا إلی شرق الأرض و غربها جنّها و إنسها» .

و فیه، بإسناده، عن هارون بن خارجه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «إذا کان النصف من شعبان نادی مناد من الأفق الأعلی: زائری الحسین علیه السّلام ارجعوا مغفورا لکم، ثوابکم علی ربکم و محمد صلّی اللّه علیه و آله نبیکم» .

و فیه، و بإسناده، عن داود بن کثیر الرقی قال: قال الباقر علیه السّلام: «زائر الحسین علیه السّلام فی النصف من شعبان یغفر له ذنوبه، و لن یکتب علیه سیئه فی سنه حتی یحول علیه الحول، فإن زار فی السنه المقبله غفر اللّه له ذنوبه» .

و فیه، عن یونس بن ظبیان قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: «من زار الحسین علیه السّلام لیله النصف من شعبان و لیله الفطر و لیله عرفه فی سنه واحده، کتب اللّه له ألف حجه مبروره، و ألف عمره متقبله، و قضیت له ألف حاجه من حوائج الدنیا و الآخره» .

و فیه، بإسناده عن صفوان الجمال، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «من اغتسل بماء الفرات و زار قبر الحسین علیه السّلام کان کیوم ولدته أمّه صفرا من الذنوب، و لو اقترفها کبائر و کانوا یحبون الرجل إذا زار قبر الحسین علیه السّلام اغتسل و إذا ودّع لم یغتسل و مسح یده علی وجهه إذا ودّع» .

و فیه بإسناده عن هارون بن خارجه قال: سأل رجل أبا عبد اللّه علیه السّلام و أنا عنده فقال: ما لمن زار قبر الحسین علیه السّلام؟ قال: «إن الحسین علیه السّلام لمّا أصیب بکته حتی البلاد فوکّل اللّه به أربعه آلاف ملک شعثا غبرا یبکونه إلی یوم القیامه، فمن زاره عارفا بحقه شیعوه حتی یبلغوه مأمنه، و إن مرض عادوه غدوه و عشیه، و إن مات شهدوا جنازته و استغفروا له إلی یوم القیامه» .

و فیه، بإسناده، عن محمد بن مسلم، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال: «من لم یأت قبر الحسین علیه السّلام من شیعتنا کان منتقص الإیمان منتقص الدین، و إن دخل الجنه کان دون المؤمنین فی الجنه» .

و فيه، عن هارون بن خارجه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عمن ترک الزياره زياره قبر الحسين بن على عليه السّلام من غير علّه؟ قال: «هذا رجل من أهل النار» .

و فيه، عمن حدّث، عن على بن ميمون قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: «لو أنّ أحدكم حج ألف حجه، ثم لم يأت قبر الحسين بن على عليه السّلام لكان قد ترک حقا من حقوق اللّه تعالى و سئل عن ذلک، فقال: حق الحسين عليه السّلام لكان قد ترک حقا من حقوق اللّه تعالى و سئل عن ذلک، فقال: حق الحسين عليه السّلام مفروض على كل مسلم» . أقول: هذه بعض الأخبار الوارده فى ثواب زيارتهم عليهم السّلام خصوصا زياره الحسين بن على عليه السّلام و مذمّه من تركها، ثم إن الزائر إذا طلب منه تعالى زيارتهم عن صدق و إيمان و عقيده بتلک المثوبات عامله اللّه تعالى معه بحسب نيّته، فأعطاه تلک المثوبات، و إن لم يف به عمره فالأعمال بالنيات، و اللّه تعالى يتعامل مع عبيده حسب نيّاتهم. ثم إن المستفاد من الأحاديث الوارده فى أن ما يجرى لأولهم يجرى كلّه لآخرهم عليهم السّلام كما تقدم أن زيارتهم عليهم السّلام سواء فى الفضل و المثوبات، إلّا أن للحسين عليه السّلام و للرضا عليه السّلام خصوصيات من حيث زياده المشقه للزائر و بكائه على مصابهم و نحوه، هذا و لكن التصريحات الوارده فى زياره الحسين عليه السّلام بزياده تلک المثوبات لعلّها صريحه فى امتياز زيارته عليه السّلام على زياره سائرهم عليهم السّلام إلّا أن يقال: إن إثبات هذه لا ينافى ثبوتها لسائر الأئمه عليهم السّلام أيضا فتأمل و العلم عند اللّه تعالى.

قوله عليه السّلام: و حشرنى اللّه فى زمرتكم، و أوردنى حوضكم، و جعلنى من حزبكم، و أرضاكم عنّى.

أقول:

قوله عليه السّلام:

«و حشرنى اللّه فى زمرتكم، و أوردنى حوضكم»

، لعلّه إشاره إلى أنه يسأل اللّه تعالى أن يجعله محشورا فى زمره القائلين بإمامتهم عليهم السّلام و يحشره مع إمام زمانه، كما دلّت أحاديث على أن كل رعيته تحشر يوم القيامه مع إمام زمانه،

ص: ۵۷۱

و يسأله أيضا أن يحشره تحت لوائهم.

ففى تفسير نور الثقلين (۱)عن محاسن البرقى باسناده، عن يعقوب بن شعيب قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ (۲)فقال: «يـدعو كل قرن من هذه الأمه بإمامهم، قلت: فيجىء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى قرنه و على عليه السّلام فى قرنه و الحسن عليه السّلام فى قرنه و الحسين عليه السّلام فى قرنه الذى هلك بين أظهرهم؟ قال: نعم» .

و فيه عن عيون الأخبار، عن الرضا عليه السّلام و بإسناده قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى قوله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ ، قال: «يدعى كل قوم بإمام زمانهم و كتاب اللّه و سنه نبيهم» .

و فيه (۳)عن أصول الكافى بإسناده، عن طلحه بن زيد، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال: «إن الأئمه فى كتاب اللّه عز و جل إمامان قال اللّه تبارك و تعالى: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا (۴)، لا بأمر الناس، يقدمون ما أمر اللّه قبل أمرهم و حكم اللّه قبل حكمهم، قال: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى اَلنّٰارِ (۵)يقدمون أمرهم قبل أمر اللّه، و حكمهم قبل حكم اللّه، و يأخذون بأهوائهم خلاف ما فى كتاب اللّه» . هذا بالنسبه إلى حشر الناس مع إمامهم، و أما الأحاديث الداله على أنهم خصوصا أمير المؤمنين عليه السّلام حامل اللواء يوم القيامه و هو الساقى يوم القيامه فكثيره جدا و نحن نذكر بعضها:

ففى البحار عن عيون أخبار الرضا بإسناده، عن الرضا عليه السّلام عن آبائه، عن على عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «يا على أنت أخى و وزيرى و صاحب لوائى فى الدنيا و الآخره، و أنت صاحب حوضى، من أحبك أحبنى و من أبغضك أبغضنى» .

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۱۹.

۲- ۲) الاسراء:۷۱.

۳- ۳) تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۴۴۱.

۴- ۴) الأنبياء:۷۳.

۵- ۵) القصص:۴۱.

و فیه (۱)عن المناقب فی أخبار أبی رافع من خمسه أطراف، قال النبی صلّی اللّه علیه و آله «یا علی ترد علی الحوض أنت و شیعتک رواء مرویین، و یرد علیک عدوک ظماء مقمحین» .

و فیه، عن جابر، عن ابن عباس أنه سأل النبی صلّی اللّه علیه و آله عن قوله تعالی: وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَهً وَ أَجْراً عَظِیماً (۲)، قال: «إذا کان یوم القیامه عقد لواء من نور أبیض، و نادی مناد لیقم سید المؤمنین و معه الذین آمنوا بعد بعث محمد صلّی اللّه علیه و آله فیقوم علی علیه السّلام فیعطی لواء من النور الأبیض بیده تحته جمیع السابقین الأولین من المهاجرین و الأنصار لا یخالطهم غیرهم حتی یجلس علی منبر من نور ربّ العزه» ، الخبر.

و فیه، عنه، المنتهی فی الکمال، عن ابن طباطبا، قال النبی صلّی اللّه علیه و آله: «آدم و من دونه تحت لوائی یوم القیامه، فإذا حکم اللّه بین العباد أخذ أمیر المؤمنین اللواء و هو علی ناقه من نوق الجنه ینادی: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه و الخلق تحت اللواء إلی أن یدخلوا الجنه» .

و فیه عن اعلام الوری. . إلی أن قال و فی روایه أخری (أی عن علی علیه السّلام) : «و الذی فلق الحبه و برأ النسمه لأقمعن بیدی هاتین عن الحوض أعداءنا، و لأوردنه أحباءنا» . و مثل هذه أحادیث اخر کثیره کما لا یخفی علی المتتبع.

و أما قوله علیه السّلام:

«و جعلنی فی حزبکم»

، أی من شیعتکم و محبیکم و القائلین بإمامتکم، فإن حزبهم هم حزب اللّه و هم شیعتهم و محبوهم.

ففی تفسیر نور الثقلین (۳)عن احتجاج الطبرسی، عن أمیر المؤمنین علیه السّلام حدیث طویل فیه: «و الهدایه هی الولایه کما قال عز و جل: وَ مَنْ یَتَوَلَّ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ اَلَّذِینَ

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۳ ص ۲۱۲.

۲- ۲) الفتح:۲۹.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۵۳۷.

آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْغٰالِبُونَ

(۱)

، و الذین آمنوا فی هذا الموضع هم المؤتمنون علی الخلائق من الحجج و الأوصیاء فی عصر بعد عصر.

و فیه، عن التوحید بإسناده إلی عمار أبی الیقظان، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: یجیء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم القیامه آخذا بحجزه ربه، و نحن آخذون بحجزه نبینا، و شیعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن و شیعتنا حزب اللّه و حزب اللّه هم الغالبون، و اللّه ما یزعم أنها حجزه الإزار، و لکنها أعظم من ذلک یجیء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله آخذا بدین اللّه، و نجیء نحن آخذین بدین نبینا، و تجیء شیعتنا آخذین بدیننا» . أقول: تقدم فی شرح

قوله علیه السّلام:

«و صراطه»

، أن الصراط صراطان: صراط فی الدنیا و صراط فی الآخره، و الصراط فی الدنیا هو ولایتهم و محبتهم و دینهم و العمل به، فهذا یکون یوم القیامه صراطا للعامل به، فیمرّ علی الصراط بالنور الذی اکتسبه من دینهم و ولایتهم و محبتهم فی الدنیا، و هکذا الکلام بالنسبه إلی الحوض و الأخذ بحجزتهم و الحشر معهم، فإنه من أخذ بدینهم و ولایتهم و محبتهم فی الدنیا أخذ بحجزتهم یوم القیامه و حشر معهم و تحت لوائهم کما یومی إلیه ما

فی ذیل الحدیث عن التوحید حیث قال علیه السّلام: «یجیء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله آخذا بدین اللّه. . إلخ» ففسّر علیه السّلام الحجزه بدین اللّه. و هذا لعله هو المراد من

قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حدیث أبی الطفیل المحکی عنه علیهم السّلام قال: قلت: یا أمیر المؤمنین أخبرنی عن حوض النبی صلّی اللّه علیه و آله فی الدنیا أم فی الآخره؟ قال: «بلی فی الدنیا، قلت: فمن الذائد علیه؟ قال: أنا بیدی فلیردّنه أولیائی و لیصرفنّ عنه أعدائی» . فإنه قد یقال: إن الحوض فی الدنیا هو دینهم و علومهم و هداهم و مذهبهم الذی من شرب منه لم یظمأ بعده أبدا، و هو دین اللّه الحق الذی لا یوجد إلاّ

۱- ۱) المائده:۵۶.

عندهم علیهم السّلام و هو ما حواه القرآن و ما بیّنه الثقلان من العتره و القرآن. هذا و قد عبّر عن علومهم بالعذب الفرات کما

فی کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام فی النهج من قوله علیه السّلام: «و ارتوی من عذب فرات سهلت له موارده» ، فإن المراد من عذب فرات علومهم علیهم السّلام التی یرتوی منها محبوهم و شیعتهم. و تقدم

أنه ورد فی تفسیر قوله تعالی: وَ أَنْ لَوِ اِسْتَقامُوا عَلَی اَلطَّرِیقَهِ لَأَسْقَیْناهُمْ ماءً غَدَقاً (۱)، أی لو استقاموا علی ولایه أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام لافدناهم علما کثیرا، ففسر الماء الغدق بالعلم الکثیر، و هذا لا ینافی أن یکون الحوض فی یوم القیامه بما هو حوض و فیه ماء الکوثر، و علی حافتیه قدحان، و یکون الساقی علیه أمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام فإن ذلک الحوض یوم القیامه لمن ورد الحوض حوضهم فی الدنیا، أی قبل دینهم و أحبهم و أقرّ بولایتهم، هذا و اللّه العالم بحقائق أموره. و کیف کان فالزائر یسأل اللّه تعالی الکون معهم فی هذه المواقف، و هو الحشر فی زمرتهم و الورود علی حوضهم و الدخول فی حزبهم، و أن یرضیهم عنهم علیهم السّلام عنه، فإن الرضا منهم علیهم السّلام عن أحد هو مفتاح الدخول فی کل خیر دنیوی و اخروی. و بعباره أخری: الأصل فی الفوز بتلک المثوبات و تلک المقامات هو رضاهم علیهم السّلام عنّا و عن أحد، کیف لا و إن رضاهم رضا اللّه تعالی و رضا اللّه تعالی رضاهم، و تقدم فی الشرح معنی الرضا فی الجمله، و أنه سبب الفوز بالفیوضات الإلهیه فی الجنه. فالشیعه و المحبّ لهم یکون له شأن من الشأن یوم القیامه ببرکه محبتهم و ولایتهم و متابعتهم، و الإقرار بامامتهم و مقاماتهم، و قد أخبروا عن هذه المقامات للشیعه بألسنه مختلفه، و قد تقدم بعضها، و نحن نذکر بعضها یبین هذا متبرکین به، و نسأل اللّه تعالی أن یجعلنا معهم و منهم و إلیهم من الآن إلی یوم القیامه.

ففی کامل الزیارات بإسناده. . إلی أن قال: حدثنی إبراهیم بن إسحاق النهاوندی

۱- ۱) الجن:۱۶.

قال: قال أبو الحسن الرضا علیه السّلام: «من زارنی علی بعد داری و شطون مزاری أتیته یوم القیامه فی ثلاثه مواطن حتی أخلصه من أهوالها إذا تطایرت الکتب یمینا و شمالا و عند الصراط و عند المیزان» .

قال سعد: و سمعته بعد ذلک من صالح بن محمد الهمدانی، و فیه قال: حدثنی علی ابن إبراهیم الجعفری، عن حمدان الدسوای قال: دخلت علی أبی جعفر الثانی علیه السّلام فقلت: ما لمن زار أباک بطوس؟ قال علیه السّلام: «من زار قبر أبی بطوس غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه و ما تأخّر، قال حمدان: فلقیت بعد ذلک أیوب بن نوح بن دراج فقلت له: یا أبا الحسن إنی سمعت مولای أبا جعفر علیه السّلام یقول: من زار قبر أبی بطوس غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، فقال أیوب: و أزیدک فیه؟ قلت: نعم، قال: سمعته یقول ذلک یعنی أبا جعفر علیه السّلام: و إنه إذا کان یوم القیامه نصب له منبر بحذاء منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتی یفرغ الناس من الحساب» . أقول:

و فی حدیث آخر فی ذیله: «فرأیت (أی حمدان یقول) أیوب بن نوح بعد ذلک و قد زار فقال: جئت أطلب المنبر» . أقول: و هذه هی الکرامه العظمی التی تعطی لمحبیهم و زائریهم حیث ینصب له منبر بحذاء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کما لا یخفی علی العارف البصیر. أقول: تقدمت الأحادیث الداله علی فضیله زیاره الأئمه علیهم السّلام و ثوابها خصوصا زیاره الحسین علیه السّلام إلاّ أن هنا روایه تدل علی أفضلیه زیاره الرضا علیه السّلام.

ففیه، عن أحمد بن محمد بن أبی نصر البزنطی قال: قرأت فی کتاب أبی الحسن الرضا علیه السّلام: «ابلغ شیعتی أن زیارتی تعدل عند اللّه ألف حجه، قال: فقلت لأبی جعفر علیه السّلام ألف حجه؟ ! قال: إی و اللّه و ألف ألف حجه لمن زاره عارفا بحقه» .

و فیه، عن علی بن مهزیار قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام جعلت فداک زیاره الرضا علیه السّلام أفضل أم زیاره أبی عبد اللّه حسین بن علی علیه السّلام؟ قال: «زیاره أبی أفضل و ذلک أن أبا عبد اللّه علیه السّلام یزوره کل الناس، و أبی لا یزوره إلاّ خواص من الشیعه» .

أقول: هذا (أى فضيله زياره الرضا عليه السّلام على زياره الحسين عليه السّلام) محمول على أن زائر الرضا عليه السّلام إذا كان من الخواص تكون زيارته له عليه السّلام أفضل من زياره زائر الحسين عليه السّلام إذا لم يكن من الخواص، أو أن الرضا عليه السّلام لما لم يزره إلّا الخواص و هم قليل بخلاف الحسين عليه السّلام فإنه يزوره كل الناس فلا محاله تكون زيارته عليه السّلام بلحاظ قلّه زائريه أفضل من زياره الحسين عليه السّلام و الأول أظهر كما لا يخفى، و هنا وجوه أخر ذكروها لا تخلو عن إيراد و اللّه العالم بأموره.

قوله عليه السّلام: و مكننى فى دولتكم، و أحيانى فى رجعتكم، و ملكنى فى أيامكم.

قوله عليه السّلام:

«و مكننى فى دولتكم»

، قد تقدم أن لهم عليهم السّلام الدوله الحقه عند الرجعه، فإنه تعالى و عدهم ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، و فى تلك الدوله الحقه يملكون خلص شيعتهم فيما شاءوا عليهم السّلام فيجعلونه بحسب معرفته و إيمانه و محبته لهم فى المقام المناسب له، فهذا الكلام يستلزم الدعاء منه تعالى بأن يجعله من خلّص الشيعه كما لا يخفى، و أما أعداؤهم فإن لهم فى الرجعه معيشه ضنكا.

ففى المحكى عن الكافى فى قوله تعالى: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً (۱)، قال: «ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام (فإنه) أعمى البصر فى الآخره أعمى القلب فى الدنيا عن ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام و هو متحيّر فى القيامه يقول: لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىٰ (۲)الآيه، قال عليه السّلام: الآيات الأئمه عليهم السّلام فنسيتها يعنى تركتها، و كذلك اليوم تترك فى النار كما تركت الأئمه فلم تطع أمرهم و لم تسمع قولهم» .

و فى المحكى عن تفسير على بن إبراهيم، عن الصادق عليه السّلام «إن له معيشه ضنكا قال: و اللّه للنصاب، قيل له: رأيناهم فى دهرهم الأطول فى الكفايه حتى ماتوا قال:

۱- ۱) طه:۱۲۴.

۲- ۲) طه:۱۲۵.

ذلك و اللّه فى الرجعه يأكلون العذره» . أقول: و قد تقدم الكلام فى أحوال الأئمه و الشيعه و أحوال أعدائهم فى بيان الرجعه، فراجعه.

قوله عليه السّلام:

«و أحيانى فى رجعتكم» . أقول: تقدم فى الرجعه أنه من محض الإيمان محضا، أو محض الكفر محضا فإنه يرجع، فإن كان قد قتل فى الدنيا قبلا يرجع حتى يموت بعد أن يعيش بالضعف من عمره فى الدنيا، بل و روى أنه يعيش حتى يرى ولده و هم قد بلغوا ألفا من صلبه، و إن مات فى الدنيا قبلا- يرجع حتى يقتل و حتى يثاب بمثوبه القتل فى سبيل اللّه كما تقدمت أحاديثه و بيانه، فهذا أيضا سؤال منه تعالى أن يجعله ممن محض الإيمان محضا. و لعل إليه يشير

قول الصادق عليه السّلام فيما حكى عنه عليه السّلام: «اللهم أحى شيعتنا فى دولتنا، و أبقهم فى ملكنا و مملكتنا» . و مما ذكر يظهر معنى

قوله عليه السّلام:

«و ملكنى فى أيامكم»

، فإن المراد من أيامهم أيام رجعتهم و استخلافهم فى الأرض كما وعدهم اللّه تعالى، و معنى ملكنى أى جعلنى من خواص شيعتكم المملكين بما ملكتموه فى الرجعه على حسب دينه و معرفته كما تقدم.

قوله عليه السّلام: و شكر سعيى بكم، و غفر ذنبى بشفاعتكم.

أقول: تقدم سابقا معنى الشكر و الحمد و الفرق بينهما بالنسبه إلى العبد، و أما شكره تعالى سعى عبده يرجع إلى جزائه تعالى بسببهم، أى بواسطه محبتهم و قبول ولايتهم و الاتباع لهم و الإقرار بمقاماتهم خير الجزاء فى الدارين. و لعله يشير إلى أن العبد الزائر لمّا زارهم، و أظهر فى زيارته انقطاعه إلى اللّه تعالى و إليهم مع الخضوع و الخشوع، و شكر اللّه تعالى على هذه النعمه، فصار فى

معرض أن يشكره اللّه تعالى، فإنه تعالى شاكر لمن شكره كما فى الأحاديث القدسيه

و فى الصحيفه السجاديه (على منشيها آلاف الثناء و التحيه) فى وداع شهر رمضان:

«تشكر من شكرك و أنت ألهمته الشكر، و تكافئ من حمدك و أنت علمته حمدك»

أى أنت تفضلا منك تشكر من شكرك، أو أنت تشكر من شكرك ترغيبا لهم لشكرهم إياك حيث أنت الغنى الحميد تشكر الشاكرين، فشكرهم لك عبوديه و شكرك لهم جزاء بالنعم و افتخار لهم حيث وجهت إليهم عنايتك. و كيف كان فإنما شكر اللّه سعى شيعتهم بهم عليهم السّلام و لأجلهم و هو

قوله عليه السّلام:

«شكر سعيى بكم»

، أى بسببكم و لأجلكم، لا لأجلى و لعملى و إنى أستحقه، بل لأجل إضافتى إليكم يشكرون سعيى، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين. و أما

قوله:

«و غفر ذنبى بشفاعتكم»

، فقد تقدم مشروحا أنه تعالى يغفر ذنوب شيعتهم حتى التبعات الماليه، و الأحاديث فى ذلك كثيره جدا و قد تقدم كثير منها.

قوله عليه السّلام: و أقال عثرتى، و أعلى كعبى بموالاتكم، و شرفنى بطاعتكم، و أعزّنى بهداكم.

قوله عليه السّلام:

«و أقال عثرتى»

، يعنى أقال خطيئتى التى لزمتنى بذنوبى و معصيتى، بأن لم يطالبنى بها و قبل طلبى العفو منه تعالى، فإن الإقاله طلب فسخ العقد اللازم فيطلب منه تعالى أن يمحو عنه الخطايا و يفكّها عن رقبته، أى أقال عثرتى و خطيئتى بكم و بمحبتكم.

و قوله عليه السّلام:

«و أعلى كعبى» .

أقول: الكعب ما علا و ارتفع، أى أسأله أن يرتفع ما كان من المقام و الطاعات، و لعله إشاره إلى أنه يجعله اللّه تعالى عند المؤمنين فى الدنيا من الكملين، الذين قد ظهر للناس رفعه مقامهم، و فى الآخره من الفائزين المفتخرين بولايه محمد و آله

الطاهرين.

ص :٥٧٩

و إليه يشير

قول السجاد عليه السّلام:

«دع يا بن آدم فخرك ليوم القيامه»

، أى اعمل و اطلب منه تعالى ما يجعلك مفتخرا فى يوم القيامه.

و قوله عليه السّلام:

«و شرفنى بطاعتكم» . أقول: دعاء منه تعالى بأن يشرّفه بطاعتهم عليهم السّلام فى العقائد الحقه، و الصفات الحميده و الأعمال الصالحه و المعارف الإلهيه فإن فى ذلك شرفا لشيعتهم مضافا إلى أن طاعتهم طاعته تعالى كما تقدم مرارا، و لا ريب فى أن طاعته تعالى شرف للمطيعين

قال عليه السّلام:

«يا من ذكره شرف للذاكرين، و يا من طاعته نجاه للمطيعين»

دعاء الجوشن.

و قوله عليه السّلام:

«و أعزنى بهداكم»

، فإن هدايتهم هدايه اللّه تعالى، كيف لا و بهدايتهم يخرج الإنسان من ذلّ الكفر إلى عزّ الإيمان و التوحيد، و من خساسه المعصيه و دناءتها إلى رفعه الطاعه و الشرف عنده تعالى، و لعله أيضا إشاره إلى أنه يسأل اللّه تعالى أن يعزّه بهداهم كما هو حقه، فلا يكون فى خلافها لا تقصيرا و لا قصورا، بل يكمّل اللّه تعالى عقله بهدايتهم، و لا يدع معروفا إلاّ عرفه و اتصف به، فيكون قد فاز بالفوز العظيم.

قوله عليه السّلام: و جعلنى ممن ينقلب مفلحا منجحا غانما سالما معافى غنيا فائزا برضوان اللّه و فضله و كفايته.

قوله عليه السّلام:

«و جعلنى ممن ينقلب»

، أى إلى أهله مسرورا «مفلحا» أى ظافرا بمطلوبه من صلاح الدارين و سعاده النشأتين. و الفلح محركه الفوز و النجاه و البقاء فى الخير، فيسأله تعالى أن ينقلب من زيارتهم عليهم السّلام فائزا بما طلب برجائه منه تعالى بزيارته لهم من طول العمر و دوام اليسر، ناجيا من البلايا و الفقر و من سوء المنقلب بميته سوء، و من سوء المرجع فى القبر، و من الندامه يوم القيامه، باقيا فى الخيرات

الأبديه و السعاده السرمديه.

ص :۵۸۰

قوله عليه السّلام:

«منجحا»

، هو مرادف

لقوله : «مفلحا» ، و قد يقال: إن النجاح أمكن فى الظفر بالمطلوب بأن يكون الفلاح الظفر بالمطلوب و الوصول إليه. و النجاح الاستقلال به و الحيازه له الموجبه للأمن من فواته، و لهذا نؤخر النجاح فى الذكر عن الفلاح، لأن الفلاح كالمقدمه له أو كأول إدراك المطلوب فتأمل. و قد يقال: إن الفلاح مطلق الظفر بالمطلوب. و النجاح تنجزّه بسرعه من قولهم استنجحت الحاجه، أى تنجزتها.

قوله عليه السّلام:

«غانما»

، أى كاسبا للفائده المطلوبه لأهل الدين فى الدارين و للغنيمه العظيمه، مدركا بما تقرّ به العين يوم القيامه من مصاحبه الأنبياء و الشهداء و الصالحين مرافقا مع النبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمه عليهم السّلام.

قوله عليه السّلام:

«سالما»

، أى من تغيّر هذه النعم الدنياويه و الأخرويه، و من زوال الدين، و من وقوع الفتن بسبب الذنوب، فإنى سألت اللّه تعالى أن يغفرها لى بمحبتكم و ولايتكم و البراءه من أعدائكم.

قوله عليه السّلام:

«معافى»

، أى من وقوع الفتن و الاختيار و الابتلاء و التمحيص و التميز و البلبله أى شده العذاب الدنيوى من السجون و السوط، و سائر المزعجات البدنيه و الروحيه، فإن هذه كلها امتحانات ربما كانت للإنسان فى الدنيا فيسأل اللّه تعالى أن يعافيه منها بأن يصرفها عنه، أو يعافيه منها بأن يخرج منها سالما لدينه، و لا يضلّ بها عن طريق الهدايه، فإن كثيرا من المكلفين إذا لم يعاف من الاختبار و الفتنه انقلب و تغير عن طريق الهدى إلى الضلاله و هذا بخلاف من عافاه اللّه تعالى منها فإنه ربما آل أمره إلى الخير.

و فى الدعاء:

«أعوذ باللّه من مضلّات الفتن» .

ثم اعلم أن تلك الامتحانات و البليات تكون بالنسبه إلى المؤمن المحب لهم عليهم السّلام موجبا لتطهير باطنه، حيث علمت أن باطن الشيعه طيّب و الشيعى طيب النفس، إلاّ أنه لما اختلط فى عالم الأرواح روحه مع أرواح المخالفين تلطخ روح منهم ببعض

آثار السوء الكائن لهم (أى للمخالفين) فالامتحان يوجب تطهيره منها، فالزائر يسأل اللّه تعالى أن يعافيه من هذه الامتحانات، التى لا ـ بـد منهـا للانسـان المؤمن فى الـدنيا كما دلّ عليه قوله تعالى: أَ حَسِبَ اَلنّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ (۱)فإنه دالّ على أنه لا ـ بـد من الفتن و الامتحـان، فـالسؤال منه تعالى أن يعافيه من هـذه الفتن بأن لا تضـلّه. ثم إن الامتحان ربما يوجب للمنـافق المخـالف المختلـط مع المؤمنين، العامل ببعض أعمالهم الصالحه انكشاف باطنه السـىء، فإنه عنـد تلك البلايا يرفع اليد عن الصـلاح، و يرجع إلى خبث بـاطنه الأصـلى، و إلى هـذه يـدل قوله تعـالى: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ (۲)كما أنه إلى القسم الأول من المؤمن يـدلّ قوله تعالى: وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ (۳)و هاهنا كلام فى تحقيق هذا الأمر يطول بيانه فالأولى إيكاله إلى محله.

قوله عليه السّلام:

«غنيا»

، أى بكثره الحسنات و الطاعات و المثوبات، و إليه يشير

ما فى المحكى عن العيون، عن الرضا عليه السّـلام قال: «إن أمّ سـليمان بن داود عليه السّـلام قالت لابنها سـليمان: يا بنى إياك و كثره النوم بالليل، فإن كثره النوم بالليل يدع الرجل فقيرا يوم القيامه» (أى لقله الحسنات) . و إلى هذا الغنى الأخروى يشير

ما فى دعاء الوضوء:

«أعطنى كتابى بيمينى، و الخلد فى الجنان بيسارى»

، فكون الكتاب معطى باليمين، و الخلـد فيه باليسار كنايه عن غنى الآخره بما له من المصاديق كما لا يخفى. و قد يقال: بأنه يراد منه غنى الدنيا أيضا من كثره الرزق، لما تقدم من أن زيارتهم عليهم السّلام المقبوله تزيد فى الرزق و العمر.

۱- ۱) العنكبوت:۲.

۲- ۲) الأنفال:۴۲.

۳- ۳) الأنفال:۴۲.

قوله علیه السّلام:

«فائزا برضوان اللّه و فضله و کفایته»

، أی ظافرا برضوانه تعالی، الذی هو سبب کل خیر و سعاده و مقام فی الدنیا و الآخره کما تقدم بیانه، و إنما یسأله تعالی ذلک بسبب محبتهم و ولایتهم علیهم السّلام فإنه بعد ما سأل منه تعالی أن یرضیهم علیهم السّلام عنه

بقوله:

«و أرضاکم عنی»

، فهنا یسأل منه تعالی أن یرضی عنه بسبب رضاهم عنه، فإن رضاهم سبب رضاه تعالی فمن رضوا عنه رضی اللّه تعالی، عنه فحینئذ قد انقلب برضوان اللّه عنه فی الدنیا و الآخره، و ظفر أیضا بأعلی مراتب الجنان بالرضوان، و فاز بنفس الرضوان أیضا، فإنه قد تقدم أن نهایه نعیم أهل الجنه الرضوان منه تعالی، فإن نعیمهم یؤول إلی رضوان اللّه و هو لا نهایه له و لا غایه فسأله تعالی أن یبلغه إلی رضوانه بزیارته لهم. کیف لا و قد علمت أن من زارهم کان کمن زار اللّه فی عرشه، فمن تمسک بعمل مهم کزیارتهم التی تجعل صاحبها زائرا للّه تعالی فی عرشه، فینبغی أن یسأل اللّه تعالی أن یبلّغه بها إلی رضوانه و فضله و کفایته فی الدنیا و الآخره، بأن لا یکله إلی غیره، بل یکون حسبه و کافیه، رزقنا اللّه ذلک بمحمد و آله الطاهرین.

قوله علیه السّلام: بأفضل ما ینقلب به أحد من زوارکم و موالیکم و محبیکم و شیعتکم.

أقول: لا ریب فی أن الزیاره إنما یکثر أجرها و مثوباتها علی حسب معرفه الزائر، فإنه قد یکون موالیا أی ممن قبل ولایتهم، فهذا أجره أقل مما یلیه و قد یکون مضافا إلی ذلک من المحبین الذین تکون معاملته مع الأئمه علیهم السّلام علی طبق المحبه و الشوق و هی علی درجات کثیره حسب درجات المحبه و الشوق و العشق بهم، فهذا أجره أکثر مما قبله و دون ما یلیه، و قد یکون الزائر مضافا إلی ذلک من شیعتهم الخلّص فإنه قد جمع فیه جمیع خصال الخیر.

و حينئذ فالزائر لما جعل نفسه منحطا عن تلك المراتب خضوعا و خشوعا للّه تعالى و لهم عليهم السّلام فحينئذ يسأل منه تعالى أن ينقلب بأفضل ما ينقلب به أحد من زوارهم الذين هم دون الموالين لهم، أو غير الموالين كبعض أبناء أهل السنه، فإنهم أيضا يزورونهم و لهم بهذه الزياره المثوبات الدنيويه كما لا يخفى، أو أحد من مواليهم أو محبيهم أو شيعتهم. و كيف كان فالزائر لا يرى نفسه من هذه الطوائف الأربع، بل يرى نفسه دونهم، لكنه يسأله تعالى أن يرزقه أجرهم (أى أجر هذه الطوائف) فيسأله أن يلحقه بهم حكما، و إن كان لا يرى نفسه منهم موضوعا، فيسأله تعالى أن ينقلب بأفضل ما ينقلب به الوفود عليهم السّلام من العطايا و التحف الظاهره و الباطنه للدنيا و الآخره من أول من زارهم إلى آخرهم إلى يوم القيامه رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله.

قوله عليه السّلام: و رزقنى اللّه العود ثم العود أبدا ما أبقانى ربّى بنيّه صادقه، و إيمان و تقوى و إخبات، و رزق واسع حلال طيب.

أقول: قد علمت مما تقدم فضل زيارتهم عليهم السّلام من تلك المثوبات العظيمه جدا فى الدنيا و الآخره، و أنها موجبه للفوز العظيم، و كانت تلك كلها لشيعتهم و محبيهم و المعتقد بولايتهم عليهم السّلام فلا محاله يسأل العارف بهذه منه تعالى أن يرزقه العود لمثل هذه الغنيمه العظمى و الفضيله الكبرى أبدا ما بقى، و يسأل منه تعالى أن تكون زيارته عن نيّه صادقه، إذ بهذه النيه الصادقه و الإخلاص تتحقق الزياره المطلوبه المترتبه عليها تلك الآثار، و يؤكده

قوله: و إيمان و تقوى و إخبات، أى تكون زيارتى مع نيه صادقه و مع الإيمان و التقوى و الإخبات. و قد علمت معنى الإيمان و هو قبول القلب ولايتهم و مقامهم و العقد عليها قلبا، و التقوى و هو حفظ القلب و الجوارح عما لا ينبغى صدوره عن مؤمن، و الإخبات و هو الخضوع و الخشوع الذى هو من آثار سكون القلب تحت مشاهده جلال اللّه

و جماله مطمئنا به تعالى.

قوله عليه السّلام:

«و رزق واسع حلال طيب»

، فيكون زادا لسفره هذا، أو لمطلق إعاشته و الرزق الحلال مما ورد فيه التأكيد التام فإن العباده قد جعلت عشره أجزاء، و كانت تسعه منها من الرزق الحلال، أى لو فرض للعباده عشره شرائط تسعه منها تحصل من الأكل الحلال و سائر أموره من الشرط العاشر.

ففى الوافى (1)، عن إرشاد القلوب للديلمى رحمه اللّه عن النبى صلّى اللّه عليه و آله حديث طويل عنه تعالى و فيه: «يا أحمد إن العباده عشره أجزاء، تسعه منها طلب الحلال، فإذا طيّبت مطعمك و مشربك فأنت فى حفظى و كنفى» . فنسأل منه تعالى الرزق الواسع الحلال، لأهميته و لدخالته فى تصفيه الباطن و قبول العبادات، هذا و قد وردت أحاديث كثيره فى مذمه الحرام و المشتبه:

قال أمير المؤمنين عليه السّلام فيما كتب إلى عثمان بن حنيف و هو عامله على البصره: «فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، و ما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه» . أقول: أما الحرام فقد ترك ذكره لكونه مما يعلم بالضروره أنه لا بد من تركه. و كيف كان فالأحاديث فى مذمه الحرام، و تأثيره فى القلب و انتكاسه كثيره جدا و هاهنا كلام لا بد من ذكره و هو:

إنه روى فى الوافى (2)نقلا عن الكافى بإسناده عن معمر بن خلاد، عن أبى الحسن عليه السّلام قال: سمعته يقول: نظر أبو جعفر عليه السّلام إلى رجل و هو يقول: «اللهم إنى أسألك من رزقك الحلال ، فقال أبو جعفر عليه السّلام: سألت قوت النبيين، قل: اللهم إنى أسألك رزقا واسعا طيبا من رزقك» .

و* فيه، عنه، العده، عن البرقى، عن البزنطى قال: قلت للرضا عليه السّلام: جعلت فداك

1- 1) الوافى ج 3 جزء 14 ص 40.

2- 2) الوافى ج 2 باب الدعاء للرزق، و الكافى ص 242.

ادع اللّه تعالى أن يرزقنى الحلال، فقال: «أ تدرى ما الحلال؟ فقلت: الذى عندنا الكسب الطيّب، فقال: كان على بن الحسين عليه السّلام يقول: الحلال هو قوت المصطفين، ثم قال: قل: أسألك من رزقك الواسع» . أقول: فالمستفاد من هذه الأحاديث أن الرزق الحلال الواقعى مختصّ بالنبيين و الأئمه عليهم السّلام و لعله لا يكون لغيرهم، إذ لا يجوز لغيرهم طلبه منه تعالى، بل اللازم طلب الرزق الواسع أى الحلال الظاهر الشرعى بحسب الظاهر مما ثبت حلّه بالمعاملات و الأيمان و البينه، المحكوم بحليته ظاهرا كما هو صريح

قوله عليه السّلام فى الحديث المعروف: «كل شىء لك حلال حتى تعرف الحرام بعينه فتدعه» ، و أمثال ذلك، هذا و قد ورد أيضا فى الحديث الأمر بطلب الرزق الحلال منه تعالى:

ففى الوافى (1)، عن الكافى بإسناده، عن ابن عمار قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام أن يعلمنى دعاء للرزق فعلمنى دعاء ما رأيت أجلب للرزق منه! قال: قل: «اللهم ارزقنى من فضلك الواسع الحلال الطيب رزقا واسعا حلالا طيبا بلاغا للدنيا و الآخره صبّا صبّا هنيئا مريئا من غير كد و لا منّ من أحد من خلقك، إلاّ سعه من فضلك الواسع فإنك قلت: وَ سْئَلُوا اَللّٰهَ مِنْ فَضْلِهِ (2)فمن فضلك أسأل، و من عطيتك أسأل و من يد الملإ أسأل» ، أى من يده تعالى التى هى مملوه من العطايا و اللّه العالم. فحينئذ فكيف التوفيق بينهما، فإن

قوله عليه السّلام:

«الحلال الطيب»

، ظاهر فى أنه يطلب منه مع أنه قد علمت النهى عنه فى الأحاديث السابقه؟ قال المحقق الكاشانى، بيان: لما كان للحلال مراتب بعضها أعلى من بعض و أطيب جاز الأمر بطلبه تاره و النهى عنه أخرى، و يختلف أيضا بحسب مراتب الناس فى أهليتهم له و لطلبه فلا تنافى بين الأخبار.

۱- ۱) الوافى ج ۲ ص ۲۴۲.

۲- ۲) النساء:۳۲.

أقول: لا ريب فى أن بعض الأرزاق يكون محرما على المعصوم عليه السّلام كالصدقه و هى تكون حلالا لغيره من المستحق، ثم إن الحلال قد يلاحظ بلحاظ ظاهر الشرع كالمال الثابت بالبينه الشرعيه، فإنه حلال فى ظاهر الشرع، و قد يلاحظ بحسب الواقع و نفس الأمر سواء ثبتت حليته بظاهر الشرع أم لا، كما أن الحلال الظاهر الشرعى قد يطابق الحلال الواقعى و قد لا يطابق. و كيف كان فالحلال الظاهر الشرعى حلال واقعى شرعى بالعنوان الثانوى، فهذا مرخص فيه لكافه الناس، و أما المعصوم فله الحلال الواقعى، و إليه يشير

قوله عليه السّلام: «سألت قوت النبيين» ، حيث سأل اللّه تعالى الرزق الحلال. ثم إنه هل يجوز لغير المعصوم طلب الرزق الحلال الواقعى أم لا؟ قيل بالثانى، لأن طلبه طلب رتبه النبيين و هو محرم على غيرهم، و فيه أنه لا ملازمه بينهما، فإن الرزق الحلال الواقعى من لوازم تلك الرتبه العاليه لا عينها، و قد يقال بمرجوحيه طلبه احتراما لهم بعد ما وسع اللّه تعالى على غيره و رخص لهم فى الرزق الحلال الظاهر الشرعى الواسع و هذا هو الأظهر، و مما يؤيده أنه لو كان الرزق الحلال الواقعى مختصا بهم عليهم السّلام لما جاز أن يأكله غير المعصوم مع أنه خلاف الواقع قطعا، فإن ضيوفهم عليهم السّلام قد يأكلون من رزقهم الحلال الواقعى كما لا يخفى، بل قد يوافق الرزق الحلال الظاهرى الشرعى مع الرزق الحلال الواقعى كما لو أصاب أحد السمك من البحر و أكل منه بقدر قوته فتأمل، اللهم إلاّ أن يقال: إنه تعالى قد قدّر فى علمه و قضائه أن لا يأكل المعصوم إلاّ من الحلال الواقعى دون غيره بأن لم يقدر لهم و ما مثل من السمك فلعله يكون فيه سبب للحرمه خفى علينا فتأمل. و أما ما قاله المحقق الكاشانى (رضوان اللّه تعالى عليه) من أن للحلال مراتب فلم يعلم له وجه، فإن الحلال إما واقعى أو ظاهرى أى ثابت حليته بحسب الظاهر سواء طابق الحلال الواقعى أم لا، فلم يتصور له مراتب فى أصل الحليه. نعم ربما يكون للحلال مزايا بحسب البايع أو الغارس من حيث الايمان و عدمه

فإن الإيمان ربما يؤثر فى المال كما حقق فى محله. و كيف كان فلعلّ السرّ فى اختصاص الحلال الواقعى بهم عليهم السّلام أن أرواحهم المطهره المقدسه لما كانت طاهره مطهره من الأرجاس و الأنجاس و الشكوك، فإنه قد طهرهم اللّه تعالى تطهيرا كما تقدم مرارا، فلا محاله تقتضى الحكمه و العنايه الإلهيه أن لا تتلوث حقائقهم الروحيه الطاهره بلوث الحرام، كما أنه لم تتلوث بلوث المعاصى و الشكوك و الصفات الرذيله، فقدر اللّه تعالى لهم الرزق الحلال الواقعى، فإن الرزق الحلال الظاهرى و إن كان حلالا بظاهر الشرع إلّا أنه ربما يكون غير حلال واقعا، و ما كان كذلك لا يخلو عن حضاضه و دناسه، فله حينئذ الأثر الوضعى بلحاظ واقعه الحرام. فاللّه تعالى طهرهم من هذا الحلال الصورى الموافق تاره للحرام الواقعى تنزيها لهم عليهم السّلام عن التلوث بهذا النحو من الدناسه، بل لا بد منه لهم عليهم السّلام ذلك لما ثبت فى محله من أن الصراط المستقيم و الحق المبين و القداسه الواقعيه التى هم عليهم السّلام عليها لا يلائم مع أى دناسه و نجاسه ظاهريه و معنويه، بل فكما أنها (أى حقيقتهم) طاهره و مقدسه، فلا بد من أن تكون ملبوساتهم من المأكل و المشرب و المنكح و غيرها أيضا طاهره طيبه حلالا واقعيا، فقد طهرهم اللّه من ذلك كما يومئ إليه ما سمعته فى سالف الزمان و لم أذكر مصدره من

أن الصادق عليه السّلام قدم إليه بيض مشوى فلما أكله عليه السّلام عرض له حاله الاستفراغ، فاستفرغ ما أكله و سأل عن ذلك المأكول فتبيّن أنه بيض اختلط مع بيض غير المالك، فصار فيه بواسطه الاختلاط زياده فى المبادله، و تعلق به حق الغير فصار مشتبها بل حراما. و لأجل ذلك أى لأجل أن الماشى فى الصراط المستقيم، لا بد من كون مأكله حلالا أيضا كسائر ملبوساتهم نرى كثيرا من أهل السير و السلوك الحقيقى يجتهدون مهما أمكنهم فى تحصيل الأكل الحلال، و كذا بالنسبه إلى سائر ملبوساتهم حفظا لسيرهم الواقعى فى الصراط المستقيم الواقعى فتأمل، هذا كله بالنسبه إلى

المعصوم علیهم السّلام و أما غیرهم فلما لم تکن أرواحهم فی الطهاره بمثابه طهاره المعصوم علیهم السّلام فقد وسّع اللّه علیهم فی المأکل و الملبس و المنکح فرخص لهم المشی علی ظاهر الشرع، و مقتضی البیّنه الشرعیه إما دفعا للحرج عنهم بحسب الظاهر کما لا یخفی، و إما لأجل أن إصابه الحرام الواقعی مع کونه حلالا ظاهرا لیس بضارهم کثیرا، أو أنهم لما کانوا فی معرض التلوث فی أغلب الأعمال و الصفات الردیه، و أنه لا بد من تطهیرهم بالتوبه و المغفره منه تعالی فسومح فی حقهم بالنسبه إلی المأکل فإنه کسائر الملوثات إن غفرها اللّه لهم غفره أیضا بفضله و کرمه، فتأمل. فالمتحصل مما ذکر أنه تعالی قدر للمعصوم علیه السّلام الرزق الحلال الواقعی حفظا لقداسته و طهارته الواقعیه، و أما غیره فقد رخّص لهم فی الحلال الظاهری أیضا لما قلنا، و هذا لا ینافی طلب الرزق الحلال الواقعی منه بل قال بعضهم: إنه حرام علی غیر المعصوم أن یساله تعالی ذلک، فإنه مردود جدا، بل لغیر المعصوم أیضا أن یسأل منه الحلال الواقعی و هذا لا ینافی اختصاص الحلال الواقعی فی نفس الأمر بهم علیهم السّلام تفضلا منه تعالی لهم علیهم السّلام حفظا لقداستهم. و الحاصل: أنه یکون الرزق الحلال الواقعی للأئمه علیهم السّلام بنحو اللزوم الذی قدره اللّه تعالی لهم، و أما غیر المعصوم فله السعه فی الرزق الحلال الواقعی أو الظاهری الشرعی، لا أنه لا بد من اختصاص رزقهم فی الحلال الظاهر الشرعی، کما قد یتوهم بحیث لا یجوز له أن یسأله تعالی عن الحلال الواقعی، بل المستفاد من بعض الأحادیث أنه یستحب أن یسأل المؤمن ربّه تبارک و تعالی الرزق الحلال الواقعی، بل المستفاد منها أنه تعالی أمرهم أی أمر المؤمنین بذلک أی بأکل الحلال الواقعی:

ففی المحکی عن مجمع الجوامع، عن النبی صلّی اللّه علیه و آله: «إن اللّه طیّب لا یقبل إلاّ طیبا، و إنه أمر المؤمنین بما أمر به المرسلین فقال: یٰا أَیُّهَا اَلرُّسُلُ کُلُوا مِنَ اَلطَّیِّبٰاتِ (۱)

ص :۵۸۹

۱- ۱) المؤمنون:۵۱.

و قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ (۱)» . فهذا صريح فی أنه تعالی أمر المؤمنين بأكل الطيبات، فكيف يمنعهم عن أن يسألوه الرزق الحلال الطيب الواقعی؟ بل قد علمت ما

فی حديث ابن عمار من الدعاء لطلب الرزق من قوله عليه السّلام:

«الحلال الطيب رزقا واسعا»

، و لا وجه لتأويله بالرزق الحلال الشرعی الظاهری كما أوله بعضهم. فتحصل أن اختصاص الرزق الحلال الواقعی بهم عليهم السّلام أمر قد قدره اللّه تعالی بفضله لهم عليهم السّلام حفظا لهم عليهم السّلام، و أما غيرهم فقد وسع اللّه تعالی لهم، و هذا لا ينافی طلب الرزق الحلال الواقعی منه تعالی بل هو مندوب لهم كما لا يخفی، و الحمد للّه وحده.

قوله عليه السّلام: اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتهم و ذكرهم و الصلوه عليهم، و أوجب لی المغفره و الرحمه و الخير و البركه و الفوز و النور و الإيمان و حسن الإجابه، كما أوجبت لأوليائک العارفين بحقهم، الموجبين طاعتهم، الراغبين فی زيارتهم، المتقربين إليک و إليهم.

أقول:

قوله:

«و ذكرهم و الصلوه عليهم»

، لعله عطف تفسيری

لقوله عليه السّلام:

«من زيارتهم»

، فإن الزائر حين زيارته لهم فقد ذكرهم و صلی عليهم عليهم السّلام إذ قل من زياره لا تكون فيه الصلوه عليهم، فالمعنی لا تجعله آخر لقائی من زيارتهم، فإن العهد هو اللقاء من قولهم: عهدت فلانا بمكان كذا، أی لقيته و عهدی به قريب أی لقائی. و الحاصل: أنه يسأله أن لا يجعله آخر العهد من زيارتهم إما بأن يرزقه العود إليهم ما دام باقيا فی الدنيا، فهذه مساوق

لقوله سابقا:

و رزقنی العود ثم العود أبدا ما أبقانی ربی

، فلا يستلزم منه بقاء السائل إلی قيام القيامه بل و بعدها أيضا فی الآخره و هو يزورهم فيقال حينئذ: هذا أمر غير واقع، فلا بد من تأويله من أنه يرجع

۱- ۱) البقره:۱۷۲.

السؤال إلى بقاء زيارتهم فى البرزخ و يوم القيامه بل و فى الجنه، أو يقال بإبقاء ثواب زيارتهم إلى الأبد كل ذلك إلزام بلا ملزم، بل خلاف ظاهر عباره الزياره كما لا يخفى. و أما بأن يرزقه تعالى زيارتهم فى محله و بلده بأن يذكرهم و يصلى عليهم و هو فى محله، و حينئذ يكون الوداع هو مجرد الانصراف عن مكان مشاهدهم لا عن زيارتهم و ذكرهم و الصلوه عليهم، و هو فى منزله و فى غير مشاهدهم، و يؤيده بل يدل عليه مشروعيه زيارتهم عن بعد بالزيارات المأثوره لهم فى البعد، أو بالزياره الوارده لهم عليهم السّلام فى مشاهدهم، فإنه يستحب أيضا الزياره بها إياهم عليهم السّلام فى البعد عنهم عليهم السّلام بل هذا ديدن أهل الولايه و الشيعه و محبيهم، فإنهم يزورونهم فى بلدهم و هذا هو الأقوى فى النظر. و حينئذ فمعنى الوداع هو الوداع عن مشاهدهم و عن الخصائص الثابته لمشاهدهم، لا عن زيارتهم و ذكرهم و الصلوه عليهم فإنه مستحب أينما كان الإنسان كما لا يخفى. ثم إن المراد

بقوله:

«و ذكرهم»

، هو ذكر هم بالزياره من حيث إنها مشتمله على أسمائهم و كناهم و ألقابهم و صفاتهم، و إظهار الزائر محبته بالنسبه إليهم، و التضرع لديهم، و إظهار الشوق إليهم، و التوسل بهم إلى غير ذلك مما مرّ فى هذه الزياره الشريفه و فى سائر الزيارات.

و أما قوله:

«و الصلوه عليهم»

، أى من

قوله:

«اللهم صل على محمد و آل محمد»

أو بما ورد من الصلوات عليهم، أو من الصلوات المذكوره فى زياراتهم و تقدم آنفا معنى الصلوه عليهم و ثوابها، فراجعه. و كيف كان فالمراد من

قوله:

«اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتهم. . إلخ»

، هو أنه يسأله تعالى أن لا يخلو أحواله فى الدنيا و الآخره فى ظاهر الأمر و باطنها من تلك الأمور من زيارتهم و ذكرهم و الصلوه عليهم، رزقنا اللّه ذلك بمحمد و آله الطاهرين.

و أما قوله:

«و أوجب لی المغفره»

، أی أثبت لی بحیث لا تزول المغفره لذنوبی و سیئاتی بشفاعتهم، و بتفضلک علیّ بسبب ولایتهم و محبتهم و الانقطاع إلیهم، و الرحمه بأن تدخلنی فی رحمتک الواسعه، و الرحمه الخاصه للمؤمنین المشار إلیها فی قوله تعالی: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ فَسَأَکْتُبُهٰا لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ وَ یُؤْتُونَ اَلزَّکٰاهَ وَ اَلَّذِینَ هُمْ بِآیٰاتِنٰا یُؤْمِنُونَ (۱). و الخیر و البرکه بأن تفیضها فی أحوالی فی مبدئی و معادی من الجنات و مراتبها، و النعماء و أصنافها من غلمانها، و الخیرات الحسان و حورها و قصورها و عبقریاتها و استبرقها، و سایر ما أعد اللّه تعالی لأولیائه المؤمنین من الأطعمه و الأشربه و الفواکه، و البشر و السرور، و تکون جمیع تلک النعم الدنیویه و الأخرویه مقرونه بالبرکه، التی هی نمو کل خیر بما یرجی منه فی آثاره بدون نقص و آفه. و الفوز بما فاز بواسطتهم الصالحون من أولیاء اللّه تعالی المؤمنین المشار إلیه فی قوله تعالی: وَعَدَ اَللّٰهُ اَلْمُؤْمِنِینَ وَ اَلْمُؤْمِنٰاتِ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا وَ مَسٰاکِنَ طَیِّبَهً فِی جَنّٰاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اَللّٰهِ أَکْبَرُ ذٰلِکَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِیمُ (۲)، و النور الذی أشیر إلیه فیما سبق من

قوله علیه السّلام: «یا أبا خالد لنور الإمام أنور فی قلوب المؤمنین من نور الشمس، و اللّه إن الأئمه هم الذین ینورون قلوب المؤمنین» ، و قد تقدم الحدیث بألفاظه و شرحه. و الإیمان، بأن تکتبه فی قلبی کما قال تعالی: أُولٰئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ اَلْإِیمٰانَ (۳)بحیث لا یزول أبدا، و قد تقدم معنی الإیمان و شرحه

فی قوله علیه السّلام:

«و أبواب الایمان» . و حسن الإجابه کما أوجبت لأولیائک العارفین بحقهم، أی ارزقنی حسن التوفیق بأن تجعلنی ممن أجبت دعواتهم بحسن الإجابه المستلزمه لحصول العطایا

۱- ۱) الأعراف:۱۵۶.

۲- ۲) التوبه:۷۲.

۳- ۳) المجادله:۲۲.

منک لنا من فضلک و کرمک، کما أوجبت لأولیائک العارفین بحقهم، و اجعلنی مثلهم فی ذلک، و إن لم أکن أهلا لذلک، فإنی عارف بحقهم و مقامهم و ولایتهم، فألحقنی بهم بفضلک و کرمک.

قال علیه السّلام: «الموجبین طاعتهم، الراغبین فی زیارتهم، المتقربین إلیک و إلیهم» . أقول: هذه کلها فروع معرفه حقهم و من لوازم الاعتراف بولایتهم، فإن العارف بهم و بحقهم یوجب لنفسه طاعتهم و یحبّها، و یرغب بقلبه لزیارتهم، و یتقرب إلی اللّه تعالی و إلیهم بزیارتهم و معرفتهم، و قد تقدم فی الشرح ما یوضح لک هذه الجمل.

قوله علیه السّلام: بأبی أنتم و أمّی و نفسی و أهلی و مالی، اجعلونی فی همّکم، و صیرونی فی حزبکم، و أدخلونی فی شفاعتکم، و اذکرونی عند ربّکم.

أقول: تقدم معنی بأبی أنتم، و الزائر لما سأل منه تعالی ما سأل التفت إلیهم علیهم السّلام و التمس منهم أن یجعلوه فی همّهم و حزبهم و شفاعتهم، لیذکروه عند اللّه تعالی فی قضاء ما سأل منه تعالی، فإنه لما خاف علی نفسه أن لا یجیبه تعالی فیما سأل منه تعالی فجعل یسأل منهم علیهم السّلام ذلک إتماما لإسعاف حاجته و البلوغ إلیها، فإنه لا غناء عن شفاعتهم فیما یسأله الإنسان منه تعالی، فالأنبیاء و الأولیاء و الملائکه یتوسلون بهم علیهم السّلام فی قضاء حوائجهم منه تعالی کما علمت مما سبق.

[۱۰۱]قوله علیه السّلام: اللهم صلّ علی محمد و آل محمد، و أبلغ أرواحهم و أجسادهم منی تحیه کثیره و سلاما. و السلام علیکم و رحمه اللّه و برکاته. و صلی اللّه علی محمد و آله و سلّم تسلیما کثیرا. حسبنا اللّه و نعم الوکیل.

أقول: تقدم معنی الصلوه علیهم (صلوات اللّه علیهم أجمعین) و تقدم معنی أرواحهم و أجسادهم فی

قوله:

«و أرواحکم فی الأرواح و أجسادکم فی الأجساد»

.

و تقدم فی أول الشرح معنی السلام، و تقدم آنفا أن السلام سلامان: سلام ورود و سلام وداع و بقیه المفردات یعلم معناها مما سبق. و نحن نسأل اللّه تعالی أن یجعلنا من المتمسکن بولایتهم فی الدنیا و الآخره، و أن لا یفرق بیننا و بینهم طرفه عین أبدا فی الدنیا و الآخره بمحمد و آله الطاهرین.

تمّ ما کتبه بیمینه الداثره جواد بن عباس (عفی عنهما) فی عصر یوم السبت للسادس عشر من شوال المکرم لسنه ۱۴۰۵ الهجریه (علی هاجرها آلاف التحیه و الثناء) . و الحمد للّه وحده، و الصلاه علی نبیه و آله الطیبین الطاهرین.

ص: ۵۹۴

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوزت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیهٔ العمل.

نشاطات المؤسسهٔ:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامهٔ المسابقات فی مطالعهٔ الكتب

إقامهٔ المعارض الالكترونيهٔ: المعارض الثلاثيهٔ الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنهٔ الدينيهٔ والسياحيهٔ

إنتاج الأفلام الكرتونيهٔ والألعاب الكمبيوتريهٔ

افتتاح موقع القائميهٔ الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافيهٔ وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلهٔ والاستفسارات الدينيهٔ والأخلاقيهٔ والاعتقاديهٔ والردّ عليها

تصميم الأجهزهٔ الخاصهٔ بالمحاسبهٔ، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالهٔ القصيرهٔ ((sms

إقامهٔ الدورات التعليميهٔ الالكترونيهٔ لعموم الناس

إقامهٔ الدورات الالكترونيهٔ لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسهٔ وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمهٔ؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونيهٔ للكتاب على موقع القائميهٔ ويمكن تحميلها على الأنظمهٔ التاليهٔ

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربيهٔ والانجليزيهٔ والفارسيهٔ

الكلمهٔ الأخيرهٔ

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز القائمیه اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹